

الوسيط

في تفسير القرآن المجيد

تأليف

أبي الحسن علي بن أحمد الواهدي النيسابوري

المتوفى سنة ٤٦٨ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الشيخ عايي محمد معوض

الدكتور أحمد محمد صيرة الدكتور أحمد عبد الفني الجميل

الدكتور عبد الرحمن عويس

قدمه وقضاه

الأستاذ الدكتور عبد المحي الفرماري

كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الوسيط

في تفسير القرآن المجيد

تأليف

أبي الحسن علي بن أحمد الواهبي النسابوري

المتوفى سنة ٤٦٨ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الشيخ عايي محمد معوض

الدكتور أحمد محمد صيرة الدكتور أحمد عبد الفني الجميل

الدكتور عبد الرحمن عويس

قدمه وقضاه

الأستاذ الدكتور عبد المحي الفرماري

كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

الجزء الأول

المحتوى

سورة الفاتحة - سورة آل عمران

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ص.ب: ٩٤٢٤/١١ - تكس: Le 41245 Nasher

هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣

فاكس: ٤٧٨١٣٧٣/١٢١٢ - ٠٠/٩٦١١/٦٠٢١٣٣

فهرس الجزء الأول

٩٧	الآيات: ٢٢، ٢١	٣	مقدمة التحقيق
١٠٠	الآيات: ٢٥ - ٢٣	٣	حاجة الناس إلى علم التفسير
١٠٧	الآيات: ٣٠ - ٢٦	٤	تعريف التفسير والتأويل
١١٦	الآيات: ٣٣ - ٣١	٥	الفرق بين التفسير والتأويل
١١٩	الآيات: ٣٩ - ٣٤	٧	أقسام التفسير
١٢٦	الآيات: ٤٦ - ٤٠	٧	القسم الأول: التفسير بالمأثور
١٣٢	الآيات: ٤٨، ٤٧	٨	المفسرون من الصحابة
١٣٤	الآيات: ٥٢ - ٤٩	١٢	التابعون والتفسير بالمأثور
١٣٨	الآيات: ٥٧ - ٥٣	١٥	أشهر كتب التفسير بالمأثور
١٤٢	الآيات: ٥٩، ٥٨	١٦	القسم الثاني: التفسير بالرأي
١٤٥	الآيات: ٦١، ٦٠	١٨	مصادر الواحدي في كتابه الوسيط
١٤٩	الآية: ٦٢	٢١	منهج الواحدي في تفسيره الوسيط
١٥٠	الآيات: ٦٤، ٦٣	٢٢	ترجمة الواحدي
١٥١	الآيات: ٦٦، ٦٥	٣١	نسخ الكتاب المخطوطة
١٥٤	الآيات: ٧٤ - ٦٧	٤١	صور عن المخطوطات
١٦٠	الآيات: ٨٢ - ٧٥	٤٥	مقدمة المؤلف
١٦٥	الآيات: ٨٦ - ٨٣			تفسير سورة الفاتحة
١٧٠	الآيات: ٩١ - ٨٧	٥٧	فصل في بيان نزول الفاتحة
١٧٥	الآيات: ٩٣، ٩٢	٥٩	القول في آية التسمية
١٧٦	الآيات: ٩٦ - ٩٤	٦٢	تفسير سورة الفاتحة
١٧٨	الآيات: ١٠٠ - ٩٧			تفسير سورة البقرة
١٨١	الآيات: ١٠٣ - ١٠١	٧٥	الآيات: ٥ - ١
١٨٦	الآيات: ١٠٥، ١٠٤	٨٣	الآيات: ٧، ٦
١٨٧	الآيات: ١٠٧، ١٠٦	٨٦	الآيات: ١٠ - ٨
١٩٠	الآيات: ١١٠ - ١٠٨	٨٨	الآيات: ١٦ - ١١
١٩٢	الآيات: ١١٤ - ١١١	٩٣	الآيات: ١٨، ١٧
١٩٤	الآيات: ١١٨ - ١١٥	٩٤	الآيات: ٢٠، ١٩

٢١٤ الآية: ٢١٢	١٩٨ الآيات: ١١٩ - ١٢٣
٢١٥ الآيات: ٢١٣، ٢١٤	٢٠١ الآيات: ١٢٤ - ١٢٩
٢١٨ الآية: ٢١٥	٢١٣ الآيات: ١٣٠ - ١٣٢
٢١٩ الآيات: ٢١٦ - ٢١٨	٢١٦ الآيات: ١٣٣، ١٣٤
٢٢٢ الآية: ٢١٩	٢١٧ الآيات: ١٣٥ - ١٣٨
٢٢٥ الآيات: ٢٢٠، ٢٢١	٢٢٢ الآيات: ١٣٩ - ١٤١
٢٢٧ الآيات: ٢٢٢، ٢٢٣	٢٢٤ الآيات: ١٤٢، ١٤٣
٢٢٩ الآيات: ٢٢٤ - ٢٢٧	٢٢٨ الآيات: ١٤٤، ١٤٥
٢٣٢ الآية: ٢٢٨	٢٣٠ الآيات: ١٤٦ - ١٤٨
٢٣٥ الآيات: ٢٢٩، ٢٣٠	٢٣٢ الآيات: ١٤٩، ١٥٠
٢٣٧ الآيات: ٢٣١، ٢٣٢	٢٣٣ الآيات: ١٥١، ١٥٢
٢٤٠ الآيات: ٢٣٣ - ٢٣٥	٢٣٥ الآيات: ١٥٣ - ١٥٧
٢٤٧ الآيات: ٢٣٦، ٢٣٧	٢٤١ الآية: ١٥٨
٢٤٩ الآيات: ٢٣٨، ٢٣٩	٢٤٤ الآيات: ١٥٩ - ١٦٢
٢٥٢ الآيات: ٢٤٠ - ٢٤٢	٢٤٥ الآيات: ١٦٣، ١٦٤
٢٥٤ الآيات: ٢٤٣ - ٢٤٥	٢٤٩ الآيات: ١٦٥ - ١٦٧
٢٥٦ الآيات: ٢٤٦، ٢٤٧	٢٥٢ الآيات: ١٦٨، ١٦٩
٢٥٨ الآيات: ٢٤٨، ٢٤٩	٢٥٤ الآيات: ١٧٠، ١٧١
٢٦٠ الآيات: ٢٥٠ - ٢٥٢	٢٥٥ الآيات: ١٧٢، ١٧٣
٢٦٢ الآيات: ٢٥٣، ٢٥٤	٢٥٩ الآيات: ١٧٤ - ١٧٧
٢٦٤ الآية: ٢٥٥	٢٦٤ الآيات: ١٧٨، ١٧٩
٢٦٩ الآيات: ٢٥٦، ٢٥٧	٢٦٨ الآيات: ١٨٠ - ١٨٢
٢٧٠ الآية: ٢٥٨	٢٧٢ الآيات: ١٨٣ - ١٨٥
٢٧٢ الآية: ٢٥٩	٢٧٣ الآيات: ١٨٦، ١٨٧
٢٧٤ الآية: ٢٦٠	٢٨٩ الآية: ١٨٨
٢٧٦ الآيات: ٢٦١، ٢٦٢	٢٨٩ الآية: ١٨٩
٢٧٧ الآيات: ٢٦٣، ٢٦٤	٢٩١ الآيات: ١٩٠ - ١٩٤
٢٧٨ الآيات: ٢٦٥، ٢٦٦	٢٩٣ الآية: ١٩٥
٢٨١ الآيات: ٢٦٧ - ٢٦٩	٢٩٤ الآيات: ١٩٦، ١٩٧
٢٨٣ الآيات: ٢٧٠، ٢٧١	٣٠٣ الآيات: ١٩٨، ١٩٩
٢٨٥ الآيات: ٢٧٢، ٢٧٣	٣٠٦ الآيات: ٢٠٠ - ٢٠٣
٢٩١ الآية: ٢٧٤	٣١٠ الآيات: ٢٠٤ - ٢٠٦
٢٩٣ الآيات: ٢٧٥ - ٢٨١	٣١١ الآية: ٢٠٧
٣٠٠ الآيات: ٢٨٢، ٢٨٣	٣١٢ الآيات: ٢٠٨ - ٢١٠
		٣١٤ الآية: ٢١١

٤٧٤	الآيات: ١٠٤ - ١٠٧	٤٠٧	الآية: ٢٨٤
٤٧٦	الآيتان: ١٠٨، ١٠٩	٤٠٨	الآيتان: ٢٨٥، ٢٨٦
٤٧٧	الآيات: ١١٠ - ١١٢	تفسير سورة آل عمران		
٤٨٠	الآيات: ١١٣ - ١١٥	٤١٢	الآيات: ١ - ٦
٤٨١	الآيتان: ١١٦، ١١٧	٤١٣	الآيات: ٧ - ٩
٤٨٢	الآيات: ١١٨ - ١٢٠	٤١٦	الآيات: ١٠ - ١٣
٤٨٤	الآيات: ١٢١ - ١٢٩	٤١٨	الآية: ١٤
٤٩١	الآيات: ١٣٠ - ١٣٢	٤١٩	الآيات: ١٥ - ١٧
٤٩١	الآيات: ١٣٣ - ١٣٦	٤٢٠	الآيات: ١٨ - ٢٠
٤٩٦	الآيات: ١٣٧ - ١٤١	٤٢٣	الآيتان: ٢١، ٢٢
٤٩٨	الآيتان: ١٤٢، ١٤٣	٤٢٤	الآيات: ٢٣ - ٢٥
٤٩٩	الآيات: ١٤٤ - ١٤٨	٤٢٥	الآيتان: ٢٦، ٢٧
٥٠٢	الآيات: ١٤٩ - ١٥١	٤٢٧	الآيات: ٢٨ - ٣٠
٥٠٣	الآيات: ١٥٢ - ١٥٥	٤٢٩	الآيتان: ٣١، ٣٢
٥١٠	الآيات: ١٥٦ - ١٥٨	٤٢٩	الآيات: ٣٣ - ٣٧
٥١٢	الآية: ١٥٩	٤٣٣	الآيات: ٣٨ - ٤١
٥١٣	الآية: ١٦٠	٤٣٥	الآيات: ٤٢ - ٤٤
٥١٣	الآية: ١٦١	٤٣٧	الآيات: ٤٥ - ٥١
٥١٥	الآيتان: ١٦٢، ١٦٣	٤٤٠	الآيات: ٥٢ - ٥٨
٥١٦	الآية: ١٦٤	٤٤٣	الآيات: ٥٩ - ٦٣
٥١٧	الآيات: ١٦٥ - ١٦٨	٤٤٦	الآيات: ٦٤ - ٦٨
٥١٩	الآيات: ١٦٩ - ١٧٥	٤٤٩	الآيات: ٦٩ - ٧٤
٥٢٤	الآية: ١٧٦	٤٥١	الآيات: ٧٥ - ٧٧
٥٢٤	الآيتان: ١٧٧، ١٧٨	٤٥٥	الآية: ٧٨
٥٢٥	الآية: ١٧٩	٤٥٦	الآيتان: ٧٩، ٨٠
٥٢٦	الآية: ١٨٠	٤٥٧	الآيات: ٨١ - ٨٣
٥٢٨	الآيات: ١٨١ - ١٨٤	٤٥٩	الآيتان: ٨٤، ٨٥
٥٣٠	الآية: ١٨٥	٤٦٠	الآيات: ٨٦ - ٨٩
٥٣٠	الآية: ١٨٦	٤٦١	الآيتان: ٩٠، ٩١
٥٣١	الآية: ١٨٧	٤٦٢	الآية: ٩٢
٥٣١	الآيتان: ١٨٨، ١٨٩	٤٦٤	الآيات: ٩٣ - ٩٧
٥٣٢	الآيات: ١٩٠ - ١٩٥	٤٧١	الآيتان: ٩٨، ٩٩
٥٣٥	الآيات: ١٩٦ - ٢٠٠	٤٧١	الآيات: ١٠٠ - ١٠٣

فهرس الجزء الثاني

		تفسیر سورة النساء	
٨٩ الآياتان : ٨٥ ، ٨٦	٣ الآيات : ١ - ٤
٩٠ الآيات : ٨٧ - ٩٠	١١ الآيات : ٥ - ٧
٩٣ الآية : ٩١	١٥ الآيات : ٨ - ١٠
٩٣ الآياتان : ٩٢ ، ٩٣	١٨ الآيات : ١١ - ١٤
١٠١ الآية : ٩٤	٢٥ الآيات : ١٥ - ١٨
١٠٣ الآياتان : ٩٥ ، ٩٦	٢٨ الآيات : ١٩ - ٢١
١٠٥ الآيات : ٩٧ - ١٠٠	٣٠ الآيات : ٢٢ - ٢٨
١٠٧ الآيات : ١٠١ - ١٠٣	٣٨ الآياتان : ٢٩ ، ٣٠
١١١ الآية : ١٠٤	٤١ الآيات : ٣١ - ٣٤
١١١ الآيات : ١٠٥ - ١١٣	٤٧ الآيات : ٣٥ - ٣٧
١١٤ الآيات : ١١٤ - ١٢٦	٥٣ الآيات : ٣٨ - ٤٢
١٢٢ الآيات : ١٢٧ - ١٣٥	٥٦ الآية : ٤٣
١٢٧ الآياتان : ١٣٦ ، ١٣٧	٦٠ الآياتان : ٤٤ ، ٤٥
١٢٨ الآياتان : ١٣٨ ، ١٣٩	٦١ الآية : ٤٦
١٢٩ الآيات : ١٤٠ - ١٤٣	٦٢ الآيات : ٤٧ - ٥٥
١٣٢ الآيات : ١٤٤ - ١٤٧	٦٨ الآياتان : ٥٦ ، ٥٧
١٣٤ الآيات : ١٤٨ - ١٥٢	٦٩ الآية : ٥٨
١٣٥ الآياتان : ١٥٣ ، ١٥٤	٧١ الآية : ٥٩
١٣٦ الآيات : ١٥٥ - ١٥٩	٧٣ الآيات : ٦٠ - ٦٣
١٣٨ الآيات : ١٦٠ - ١٦٢	٧٤ الآية : ٦٤
١٣٩ الآيات : ١٦٣ - ١٦٥	٧٥ الآيات : ٦٥ - ٦٨
١٤٠ الآيات : ١٦٦ - ١٧١	٧٧ الآياتان : ٦٩ ، ٧٠
١٤٤ الآيات : ١٧٢ - ١٧٥	٧٩ الآيات : ٧١ - ٧٦
١٤٥ الآية : ١٧٦	٨١ الآيات : ٧٧ - ٨٠
		٨٥ الآياتان : ٨١ ، ٨٢
		٨٧ الآية : ٨٣
		٨٨ الآية : ٨٤
تفسیر سورة المائدة			
١٤٧ الآياتان : ١ ، ٢		
١٥١ الآية : ٣		

٢٥٥	الآيات: ١٢ - ١٩	١٥٥	الآيات: ٤ ، ٥
٢٥٩	الآيات: ٢٠ - ٢٤	١٥٨	الآيات: ٦ ، ٧
٢٦١	الآيات: ٢٥ - ٢٨	١٦٥	الآيات: ٨ - ١١
٢٦٣	الآيات: ٢٩ ، ٣٠	١٦٦	الآيات: ١٢ - ١٥
٢٦٣	الآيات: ٣١ ، ٣٢	١٦٩	الآيات: ١٦ - ١٩
٢٦٥	الآيات: ٣٣ - ٣٦	١٧١	الآيات: ٢٠ - ٢٦
٢٦٧	الآيات: ٣٧ - ٣٩	١٧٦	الآيات: ٢٧ - ٣٢
٢٦٩	الآيات: ٤٠ ، ٤١	١٨٠	الآيات: ٣٣ - ٣٧
٢٧٠	الآيات: ٤٢ - ٤٥	١٨٤	الآيات: ٣٨ - ٤٠
٢٧٢	الآيات: ٤٦ ، ٤٧	١٨٦	الآيات: ٤١ - ٤٤
٢٧٣	الآيات: ٤٨ ، ٤٩	١٩٢	الآية: ٤٥
٢٧٣	الآية: ٥٠	١٩٣	الآيات: ٤٦ ، ٤٧
٢٧٣	الآيات: ٥١ - ٥٥	١٩٤	الآيات: ٤٨ - ٥٠
٢٧٨	الآيات: ٥٦ - ٦٢	١٩٦	الآيات: ٥١ - ٥٣
٢٨٢	الآيات: ٦٣ - ٦٥	١٩٨	الآيات: ٥٤ - ٦٤
٢٨٤	الآيات: ٦٦ - ٦٩	٢٠٨	الآيات: ٦٥ - ٦٧
٢٨٦	الآية: ٧٠	٢١٠	الآيات: ٦٨ ، ٦٩
٢٨٧	الآيات: ٧١ - ٧٣	٢١١	الآيات: ٧٠ - ٧٧
٢٨٨	الآيات: ٧٤ - ٧٩	٢١٤	الآيات: ٧٨ - ٨١
٢٩١	الآيات: ٨٠ - ٨٣	٢١٦	الآيات: ٨٢ - ٨٦
٢٩٤	الآيات: ٨٤ - ٩٠	٢١٩	الآيات: ٨٧ ، ٨٨
٢٩٧	الآيات: ٩١ ، ٩٢	٢٢٠	الآية: ٨٩
٢٩٩	الآيات: ٩٣ ، ٩٤	٢٢٢	الآيات: ٩٠ - ٩٣
٣٠١	الآيات: ٩٥ - ٩٩	٢٢٨	الآيات: ٩٤ - ٩٦
٣٠٥	الآيات: ١٠٠ - ١٠٣	٢٣١	الآيات: ٩٧ ، ٩٨
٣٠٨	الآيات: ١٠٤ ، ١٠٥	٢٣٢	الآية: ٩٩
٣٠٩	الآيات: ١٠٦ - ١٠٨	٢٣٣	الآيات: ١٠٠ - ١٠٥
٣١٠	الآيات: ١٠٩ - ١١١	٢٤٠	الآيات: ١٠٦ - ١٠٨
٣١٢	الآيات: ١١٢ ، ١١٣	٢٤٣	الآيات: ١٠٩ - ١٢٠
٣١٤	الآيات: ١١٤ - ١٢١		تفسير سورة الأنعام
٣١٨	الآيات: ١٢٢ - ١٢٥	٢٥١	الآيات: ١ - ٣
٣٢٢	الآيات: ١٢٦ ، ١٢٧	٢٥٢	الآيات: ٤ - ٦
٣٢٢	الآيات: ١٢٨ - ١٣٢	٢٥٣	الآيات: ٧ - ٩
٣٢٤	الآيات: ١٣٣ ، ١٣٤	٢٥٥	الآيات: ١٠ ، ١١

٤٠٤	الآيات: ١٤٢ - ١٤٧	٣٢٤	الآية: ١٣٥
٤١٠	الآيتان: ١٤٨، ١٤٩	٣٢٥	الآيات: ١٣٦ - ١٤٠
٤١٢	الآيات: ١٥٠ - ١٥٣	٣٢٩	الآيات: ١٤١ - ١٤٤
٤١٤	الآيات: ١٥٤ - ١٥٨	٣٣٢	الآيات: ١٤٥ - ١٤٧
٤١٨	الآيات: ١٥٩ - ١٦٢	٣٣٣	الآيات: ١٤٨ - ١٥٣
٤١٩	الآيات: ١٦٣ - ١٦٧	٣٣٩	الآيات: ١٥٤ - ١٥٨
٤٢٢	الآيات: ١٦٨ - ١٧٠	٣٤١	الآيتان: ١٥٩، ١٦٠
٤٢٣	الآية: ١٧١	٣٤٣	الآيات: ١٦١ - ١٦٥
٤٢٤	الآيات: ١٧٢ - ١٧٤			
٤٢٧	الآيات: ١٧٥ - ١٧٨	٣٤٧	الآيات: ١ - ٩
٤٢٨	الآية: ١٧٩	٣٥١	الآيات: ١٠ - ٢٥
٤٣٠	الآيات: ١٨٠ - ١٨٦	٣٥٨	الآيات: ٢٦ - ٣٠
٤٣٣	الآيتان: ١٨٧، ١٨٨	٣٦٢	الآيات: ٣١ - ٣٤
٤٣٤	الآيات: ١٨٩ - ١٩٣	٣٦٥	الآيات: ٣٥ - ٣٩
٤٣٦	الآيات: ١٩٤ - ١٩٨	٣٦٧	الآيات: ٤٠ - ٤٣
٤٣٧	الآيات: ١٩٩ - ٢٠٣	٣٧٠	الآيتان: ٤٤، ٤٥
٤٤٠	الآيات: ٢٠٤ - ٢٠٦	٣٧٠	الآيتان: ٤٦، ٤٧
		تفسير سورة الأنفال			
٤٤٣	الآيات: ١ - ٤	٣٧٢	الآيتان: ٤٨، ٤٩
٤٤٤	الآيات: ٥ - ٨	٣٧٢	الآيتان: ٥٠، ٥١
٤٤٥	الآيات: ٩ - ١٤	٣٧٤	الآيتان: ٥٢، ٥٣
٤٤٨	الآيات: ١٥ - ١٨	٣٧٥	الآيات: ٥٤ - ٥٨
٤٥٠	الآية: ١٩	٣٧٩	الآيات: ٥٩ - ٦٤
٤٥١	الآيات: ٢٠ - ٢٣	٣٨١	الآيات: ٦٥ - ٧٢
٤٥٢	الآيات: ٢٤ - ٢٦	٣٨٣	الآيات: ٧٣ - ٧٩
٤٥٣	الآيات: ٢٧ - ٢٩	٣٨٥	الآيات: ٨٠ - ٨٤
٤٥٤	الآية: ٣٠	٣٨٦	الآيات: ٨٥ - ٩٣
٤٥٥	الآية: ٣١	٣٨٨	الآيات: ٩٤ - ٩٦
٤٥٥	الآيات: ٣٢ - ٣٥	٣٨٩	الآيات: ٩٧ - ١٠٠
٤٥٨	الآيتان: ٣٦، ٣٧	٣٩١	الآيتان: ١٠١، ١٠٢
٤٥٩	الآيات: ٣٨ - ٤٠	٣٩١	الآيات: ١٠٣ - ١١٢
٤٦٠	الآيات: ٤١ - ٤٤	٣٩٤	الآيات: ١١٣ - ١٢٦
٤٦٣	الآيات: ٤٥ - ٤٩	٣٩٦	الآيات: ١٢٧ - ١٢٩
٤٦٦	الآيات: ٥٠ - ٥٤	٣٩٧	الآيات: ١٣٠ - ١٣٧
٤٦٧	الآيات: ٥٥ - ٦٣	٤٠٣	الآيات: ١٣٨ - ١٤١

٥٢١	الآيات: ١٠٥ - ١٠٢	٤٧٠	الآيات: ٦٤ - ٦٦
٥٢٣	الآية: ١٠٦	٤٧١	الآيات: ٦٧ - ٦٩
٥٢٤	الآيات: ١٠٧ - ١١٠	٤٧٣	الآيات: ٧٠ - ٧٥
٥٢٦	الآيتان: ١١١، ١١٢			تفسير سورة التوبة
٥٢٧	الآيات: ١١٣ - ١١٦	٤٧٥	الآيات: ١ - ٦
٥٢٩	الآيتان: ١١٧، ١١٨	٤٧٩	الآيات: ٧ - ١٢
٥٣٣	الآيات: ١١٩ - ١٢٢	٤٨١	الآيات: ١٣ - ١٨
٥٣٤	الآيات: ١٢٣ - ١٢٧	٤٨٤	الآيات: ١٩ - ٢٢
٥٣٥	الآيتان: ١٢٨، ١٢٩	٤٨٦	الآيتان: ٢٣، ٢٤
		تفسير سورة يونس	٤٨٧	الآيات: ٢٥ - ٢٧
٥٣٧	الآيات: ١ - ٦	٤٨٨	الآية: ٢٨
٥٣٩	الآيات: ٧ - ١٠	٤٨٩	الآية: ٢٩
٥٤٠	الآيات: ١١ - ١٤	٤٨٩	الآيات: ٣٠ - ٣٣
٥٤١	الآيات: ١٥ - ١٧	٤٩١	الآيتان: ٣٤، ٣٥
٥٤١	الآيات: ١٨ - ٢٠	٤٩٣	الآيتان: ٣٦، ٣٧
٥٤٢	الآيات: ٢١ - ٢٣	٤٩٥	الآيات: ٣٨ - ٤١
٥٤٣	الآيتان: ٢٤، ٢٥	٥٠٠	الآيات: ٤٢ - ٤٨
٥٤٤	الآيتان: ٢٦، ٢٧	٥٠٢	الآيات: ٤٩ - ٥٢
٥٤٦	الآيات: ٢٨ - ٣٠	٥٠٣	الآيات: ٥٣ - ٥٧
٥٤٦	الآيات: ٣١ - ٣٦	٥٠٥	الآيات: ٥٨ - ٦٠
٥٤٨	الآيات: ٣٧ - ٤٥	٥٠٦	الآيات: ٦١ - ٦٦
٥٤٩	الآيات: ٤٦ - ٥٢	٥٠٨	الآيات: ٦٧ - ٧٠
٥٥٠	الآيات: ٥٣ - ٥٦	٥٠٩	الآيتان: ٧١، ٧٢
٥٥٠	الآيتان: ٥٧، ٥٨	٥١٢	الآيتان: ٧٣، ٧٤
٥٥١	الآيات: ٥٩ - ٦٧	٥١٢	الآيات: ٧٥ - ٧٨
٥٥٤	الآيات: ٦٨ - ٧٠	٥١٤	الآيتان: ٧٩، ٨٠
٥٥٤	الآيات: ٧١ - ٧٤	٥١٥	الآيات: ٨١ - ٨٥
٥٥٥	الآيات: ٧٥ - ٧٨	٥١٧	الآيات: ٨٦ - ٨٩
٥٥٦	الآيات: ٧٩ - ٨٢	٥١٧	الآية: ٩٠
٥٥٦	الآيات: ٨٣ - ٨٧	٥١٧	الآيتان: ٩١، ٩٢
٥٥٧	الآيتان: ٨٨، ٨٩	٥١٨	الآيات: ٩٣ - ٩٦
٥٥٧	الآيات: ٩٠ - ٩٢	٥١٩	الآيات: ٩٧ - ٩٩
٥٥٩	الآية: ٩٣	٥١٩	الآية: ١٠٠
٥٥٩	الآيتان: ٩٤، ٩٥	٥٢١	الآية: ١٠١

٥٩٩	تفسير سورة يوسف	٥٦٠	الآيات: ٩٦ - ١٠٠
٦٠٠	الآيات: ١ - ٣	٥٦١	الآيات: ١٠١ - ١٠٣
٦٠١	الآيات: ٤ - ٦	٥٦١	الآيات: ١٠٤ - ١٠٧
٦٠٢	الآيات: ٧ - ١٠	٥٦٢	الآيات: ١٠٨، ١٠٩
٦٠٣	الآيات: ١١ - ١٤		تفسير سورة هود
٦٠٤	الآيات: ١٥ - ١٨	٥٦٣	الآيات: ١ - ٤
٦٠٥	الآيات: ١٩، ٢٠	٥٦٤	الآيات: ٥، ٦
٦٠٦	الآيات: ٢١، ٢٢	٥٦٥	الآية: ٧
٦٠٩	الآيات: ٢٣ - ٢٩	٥٦٥	الآية: ٨
٦١٢	الآيات: ٣٠ - ٣٤	٥٦٦	الآيات: ٩ - ١١
٦١٥	الآيات: ٣٥ - ٤٥	٥٦٦	الآيات: ١٢ - ١٤
٦١٦	الآيات: ٤٦ - ٤٩	٥٦٧	الآيات: ١٥، ١٦
٦١٧	الآية: ٥٠	٥٦٧	الآيات: ١٧ - ٢٤
٦١٨	الآيات: ٥١ - ٥٣	٥٧٠	الآيات: ٢٥ - ٣٥
٦١٩	الآيات: ٥٤ - ٥٧	٥٧٢	الآيات: ٣٦ - ٤٣
٦٢١	الآيات: ٥٨ - ٦٤	٥٧٤	الآيات: ٤٤ - ٤٨
٦٢٢	الآيات: ٦٥، ٦٦	٥٧٧	الآية: ٤٩
٦٢٣	الآيات: ٦٧ - ٦٩	٥٧٧	الآيات: ٥٠ - ٥٨
٦٢٥	الآيات: ٧٠ - ٧٩	٥٧٨	الآيات: ٥٩ - ٦٨
٦٢٦	الآيات: ٨٠ - ٨٢	٥٨١	الآيات: ٦٩ - ٧٦
٦٢٦	الآيات: ٨٣ - ٨٧	٥٨٣	الآيات: ٧٧ - ٨٣
٦٣٠	الآيات: ٨٨ - ٩٣	٥٨٥	الآيات: ٨٤ - ٩٥
٦٣٢	الآيات: ٩٤ - ٩٨	٥٨٨	الآيات: ٩٦ - ٩٩
٦٣٥	الآيات: ٩٩، ١٠٠	٥٨٩	الآيات: ١٠٠ - ١٠٢
٦٣٦	الآية: ١٠١	٥٩٠	الآيات: ١٠٣ - ١٠٨
٦٣٧	الآيات: ١٠٢ - ١٠٧	٥٩٢	الآيات: ١٠٩ - ١١١
٦٣٧	الآيات: ١٠٨ - ١١٠	٥٩٢	الآيات: ١١٢ - ١١٥
٦٣٨	الآية: ١١١	٥٩٧	الآيات: ١١٦ - ١١٩
		٥٩٨	الآيات: ١٢٠ - ١٢٣

١٣٧ الآيات: ٩ - ١٢	٨٤ الآيات: ١٠٣ - ١٠٥
١٣٨ الآيات: ١٣ - ١٨	٨٦ الآيات: ١٠٦ - ١٠٩
١٤٠ الآيات: ١٩ - ٢١	٨٧ الآيات: ١١٠، ١١١
١٤٢ الآية: ٢٢	٨٨ الآيات: ١١٢ - ١١٤
١٤٣ الآيات: ٢٣، ٢٤	٨٩ الآيات: ١١٥ - ١٢٤
١٤٤ الآيات: ٢٥ - ٢٨	٩١ الآيات: ١٢٥ - ١٢٨
١٤٥ الآيات: ٢٩ - ٣١		تفسير سورة الإسراء
١٤٧ الآيات: ٣٢ - ٣٧	٩٣ الآية: ١
١٤٨ الآيات: ٣٨ - ٤٤	٩٦ الآيات: ٢ - ٨
١٥٠ الآيات: ٤٥، ٤٦	٩٨ الآيات: ٩ - ١٤
١٥١ الآيات: ٤٧ - ٤٩	١٠٠ الآيات: ١٥ - ١٧
١٥٢ الآيات: ٥٠ - ٥٣	١٠١ الآيات: ١٨ - ٢١
١٥٤ الآيات: ٥٤ - ٥٩	١٠٢ الآيات: ٢٢ - ٢٥
١٥٥ الآيات: ٦٠ - ٧٠	١٠٤ الآيات: ٢٦ - ٢٨
١٥٨ الآيات: ٧١ - ٧٦	١٠٥ الآيات: ٢٩ - ٣٣
١٥٩ الآيات: ٧٧ - ٨٠	١٠٧ الآيات: ٣٤ - ٣٨
١٦٠ الآيات: ٨١، ٨٢	١٠٨ الآيات: ٣٩ - ٤٤
١٦٣ الآيات: ٨٣ - ٩١	١٠٩ الآيات: ٤٥ - ٥٣
١٦٥ الآيات: ٩٢ - ٩٨	١١٠ الآيات: ٥٤، ٥٥
١٦٩ الآيات: ٩٩ - ١٠٢	١١٢ الآيات: ٥٦، ٥٧
١٧٠ الآيات: ١٠٣ - ١٠٨	١١٣ الآيات: ٥٨ - ٦٠
١٧١ الآية: ١٠٩	١١٥ الآيات: ٦١ - ٦٥
١٧٢ الآية: ١١٠	١١٧ الآيات: ٦٦ - ٧٢
	تفسير سورة مريم	١١٩ الآيات: ٧٣ - ٧٧
١٧٤ الآيات: ١ - ٤	١٢٠ الآيات: ٧٨ - ٨٢
١٧٥ الآيات: ٥ - ٧	١٢٤ الآيات: ٨٣ - ٨٧
١٧٧ الآيات: ٨، ٩	١٢٦ الآيات: ٨٨ - ٩٠
١٧٨ الآيات: ١٠ - ١٥	١٢٧ الآيات: ٩١ - ٩٣
١٧٩ الآيات: ١٦ - ٢١	١٢٨ الآيات: ٩٤ - ٩٩
١٨٠ الآيات: ٢٢ - ٢٤	١٣٠ الآيات: ١٠٠ - ١٠٤
١٨١ الآيات: ٢٥، ٢٦	١٣٢ الآيات: ١٠٥ - ١٠٩
١٨٢ الآيات: ٢٧ - ٣٣	١٣٣ الآيات: ١١٠، ١١١
١٨٣ الآيات: ٣٤ - ٣٧		تفسير سورة الكهف
١٨٤ الآيات: ٣٨ - ٤٠	١٣٥ الآيات: ١ - ٨

٢٢٦ الآيات: ١٢٧ - ١٣٠	١٨٥ الآيات: ٤٨ - ٤١
٢٢٧ الآيات: ١٣١ ، ١٣٢	١٨٦ الآيات: ٥٥ - ٤٩
٢٢٨ الآيات: ١٣٣ - ١٣٥	١٨٧ الآيات: ٦٠ - ٥٦
	تفسير سورة الأنبياء	١٨٨ الآيات: ٦٣ - ٦١
٢٢٩ الآيات: ١ - ٦	١٨٩ الآيات: ٦٥ ، ٦٤
٢٣٠ الآيات: ٧ - ٩	١٩٠ الآيات: ٧٢ - ٦٦
٢٣١ الآيات: ١٠ - ١٥	١٩٢ الآيات: ٧٤ ، ٧٣
٢٣٢ الآيات: ١٦ - ٢٠	١٩٣ الآيات: ٧٦ ، ٧٥
٢٣٣ الآيات: ٢١ - ٢٣	١٩٤ الآيات: ٨٠ - ٧٧
٢٣٥ الآيات: ٢٤ - ٣١	١٩٥ الآيات: ٨٧ - ٨١
٢٣٦ الآيات: ٣٢ - ٣٥	١٩٦ الآيات: ٩٥ - ٨٨
٢٣٧ الآيات: ٣٦ ، ٣٧	١٩٧ الآيات: ٩٨ - ٩٦
٢٣٨ الآيات: ٣٨ - ٤٣		تفسير سورة طه
٢٣٩ الآيات: ٤٤ - ٤٧	١٩٩ الآيات: ٨ - ١
٢٤١ الآيات: ٤٨ - ٥٦	٢٠١ الآيات: ١٠ ، ٩
٢٤٢ الآيات: ٥٧ - ٦٣	٢٠٢ الآيات: ١٦ - ١١
٢٤٣ الآيات: ٦٤ - ٧٠	٢٠٣ الآيات: ٢١ - ١٧
٢٤٤ الآيات: ٧١ - ٧٥	٢٠٤ الآيات: ٣٥ - ٢٢
٢٤٥ الآيات: ٧٦ - ٨٢	٢٠٥ الآيات: ٤٤ - ٣٦
٢٤٧ الآيات: ٨٣ ، ٨٤	٢٠٨ الآيات: ٤٨ - ٤٥
٢٤٨ الآيات: ٨٥ - ٨٨	٢٠٩ الآيات: ٥٥ - ٤٩
٢٥٠ الآيات: ٨٩ - ٩١	٢١٠ الآيات: ٦٢ - ٥٦
٢٥١ الآيات: ٩٢ - ٩٧	٢١١ الآيات: ٦٤ ، ٦٣
٢٥٢ الآيات: ٩٨ - ١٠٣	٢١٣ الآيات: ٧٠ - ٦٥
٢٥٣ الآية: ١٠٤	٢١٤ الآيات: ٧٣ - ٧١
٢٥٤ الآيات: ١٠٥ - ١٠٧	٢١٥ الآيات: ٧٧ - ٧٤
٢٥٥ الآيات: ١٠٨ - ١١٢	٢١٦ الآيات: ٨٢ - ٧٨
	تفسير سورة الحج	٢١٧ الآيات: ٨٩ - ٨٣
٢٥٧ الآيات: ١ ، ٢	٢١٩ الآيات: ٩٦ - ٩٠
٢٥٨ الآيات: ٣ ، ٤	٢٢٠ الآيات: ١٠١ - ٩٧
٢٥٩ الآيات: ٥ - ٧	٢٢١ الآيات: ١٠٨ - ١٠٢
٢٦٠ الآيات: ٨ - ١٠	٢٢٢ الآيات: ١١٢ - ١٠٩
٢٦١ الآيات: ١١ - ١٣	٢٢٣ الآيات: ١٢٢ - ١١٣
٢٦٢ الآيات: ١٤ - ١٨	٢٢٥ الآيات: ١٢٦ - ١٢٣

٢٦٣	الآيات: ١٩ - ٢٢	٢٦٣	الآيات: ١١٧، ١١٨
٢٦٤	الآيات: ٢٣، ٢٤	تفسير سورة النور	
٢٦٥	الآية: ٢٥	٢٦٥	الآيات: ١، ٢
٢٦٦	الآيات: ٢٦ - ٢٩	٢٦٦	الآية: ٣
٢٦٩	الآيات: ٣٠، ٣١	٢٦٩	الآيات: ٤، ٥
٢٧٠	الآيات: ٣٢، ٣٣	٢٧٠	الآيات: ٦ - ١٠
٢٧١	الآيات: ٣٤ - ٣٦	٢٧١	الآية: ١١
٢٧٢	الآيات: ٣٧، ٣٨	٢٧٢	الآيات: ١٢ - ١٥
٢٧٣	الآيات: ٣٩، ٤٠	٢٧٣	الآيات: ١٦ - ٢١
٢٧٤	الآيات: ٤١ - ٤٦	٢٧٤	الآيات: ٢٢ - ٢٥
٢٧٥	الآيات: ٤٧، ٤٨	٢٧٥	الآية: ٢٦
٢٧٦	الآيات: ٤٩ - ٥٤	٢٧٦	الآيات: ٢٧ - ٣٠
٢٧٧	الآيات: ٥٥ - ٦٠	٢٧٧	الآية: ٣١
٢٧٨	الآيات: ٦١ - ٦٦	٢٧٨	الآية: ٣٢
٢٧٩	الآيات: ٦٧ - ٧١	٢٧٩	الآيات: ٣٣، ٣٤
٢٨٠	الآيات: ٧٢ - ٧٦	٢٨٠	الآية: ٣٥
٢٨١	الآيات: ٧٧، ٧٨	٢٨١	الآيات: ٣٦ - ٣٨
		تفسير سورة المؤمنون	
٢٨٣	الآيات: ١ - ١١	٢٨٣	الآيات: ٣٩، ٤٠
٢٨٥	الآيات: ١٢ - ١٦	٢٨٣	الآيات: ٤١ - ٤٤
٢٨٦	الآيات: ١٧ - ٢٢	٢٨٥	الآيات: ٤٥ - ٥٠
٢٨٨	الآيات: ٢٣ - ٣٠	٢٨٦	الآيات: ٥١، ٥٢
٢٨٩	الآيات: ٣١ - ٤٣	٢٨٨	الآيات: ٥٣ - ٥٥
٢٩٠	الآيات: ٤٤ - ٤٨	٢٨٩	الآيات: ٥٦ - ٦٠
٢٩١	الآيات: ٤٩ - ٥٦	٢٩٠	الآية: ٦١
٢٩٢	الآيات: ٥٧ - ٦١	٢٩١	الآيات: ٦٢، ٦٣
٢٩٣	الآيات: ٦٢ - ٦٧	٢٩٢	الآية: ٦٤
٢٩٤	الآيات: ٦٨ - ٧٥	تفسير سورة الفرقان	
٢٩٥	الآيات: ٧٦ - ٨٣	٢٩٤	الآيات: ١ - ٣
٢٩٦	الآيات: ٨٤ - ٩٢	٢٩٥	الآيات: ٤ - ١٤
٢٩٧	الآيات: ٩٣ - ١٠٠	٢٩٦	الآيات: ١٥ - ١٩
٢٩٨	الآيات: ١٠١ - ١٠٤	٢٩٧	الآيات: ٢٠ - ٢٤
٢٩٩	الآيات: ١٠٥ - ١١١	٢٩٨	الآيات: ٢٥ - ٢٩
٣٠٠	الآيات: ١١٢ - ١١٦	٢٩٩	الآيات: ٣٠ - ٣٤
		٣٠٠	الآيات: ٣٥ - ٤٠

٣٨٠ الآيات: ٤٥ - ٥٣	٣٤١ الآيات: ٤١ - ٤٤
٣٨١ الآيات: ٥٤ - ٦٠	٣٤٢ الآيات: ٤٥ - ٥٠
٣٨٢ الآيات: ٦١ - ٦٣	٣٤٣ الآيات: ٥١ - ٥٧
٣٨٣ الآيات: ٦٤ - ٧٢	٣٤٤ الآيات: ٥٨ - ٦٢
٣٨٤ الآيات: ٧٣ - ٨١	٣٤٥ الآيات: ٦٣ - ٦٧
٣٨٥ الآية: ٨٢	٣٤٦ الآيات: ٦٨ - ٧١
٣٨٦ الآيات: ٨٣ - ٩٠	٣٤٨ الآيات: ٧٢ - ٧٤
٣٨٧ الآيات: ٩١ - ٩٣	٣٤٩ الآيات: ٧٥ - ٧٧
تفسير سورة القصص		تفسير سورة الشعراء	
٣٨٩ الآيات: ١ - ٦	٣٥٠ الآيات: ١ - ٩
٣٩٠ الآيات: ٧ - ٩	٣٥١ الآيات: ١٠ - ٢٢
٣٩٢ الآيات: ١٠ - ١٥	٣٥٢ الآيات: ٢٣ - ٣٥
٣٩٣ الآيات: ١٦ - ١٩	٣٥٣ الآيات: ٣٦ - ٥٩
٣٩٤ الآيات: ٢٠ - ٢٤	٣٥٤ الآيات: ٦٠ - ٦٨
٣٩٥ الآيات: ٢٥ - ٢٨	٣٥٥ الآيات: ٦٩ - ٨٢
٣٩٧ الآيات: ٢٩ - ٣٢	٣٥٦ الآيات: ٨٣ - ١٠٤
٣٩٨ الآيات: ٣٣ - ٣٥	٣٥٧ الآيات: ١٠٥ - ١١٥
٣٩٩ الآيات: ٣٦ - ٤٢	٣٥٨ الآيات: ١١٦ - ١٣٥
٤٠٠ الآيات: ٤٣ - ٤٥	٣٥٩ الآيات: ١٣٦ - ١٤٥
٤٠١ الآيات: ٤٦ - ٥١	٣٦٠ الآيات: ١٤٦ - ١٦٤
٤٠٢ الآيات: ٥٢ - ٥٥	٣٦١ الآيات: ١٦٥ - ١٨٥
٤٠٣ الآيتان: ٥٦ ، ٥٧	٣٦٢ الآيات: ١٨٦ - ١٩٩
٤٠٤ الآيات: ٥٨ - ٦١	٣٦٣ الآيات: ٢٠٠ - ٢١٢
٤٠٥ الآيات: ٦٢ - ٦٧	٣٦٤ الآيات: ٢١٣ - ٢٢٠
٤٠٦ الآيات: ٦٨ - ٧٤	٣٦٥ الآيات: ٢٢١ - ٢٢٧
٤٠٧ الآيات: ٧٥ - ٧٧	تفسير سورة النمل	
٤٠٨ الآيات: ٧٨ - ٨٠	٣٦٨ الآيات: ١ - ١٠
٤٠٩ الآيتان: ٨١ ، ٨٢	٣٦٩ الآيات: ١١ - ١٤
٤١٠ الآيتان: ٨٣ ، ٨٤	٣٧٠ الآيات: ١٥ - ١٩
٤١١ الآيات: ٨٥ - ٨٨	٣٧٣ الآيتان: ٢٠ ، ٢١
تفسير سورة العنكبوت		٣٧٤ الآيات: ٢٢ - ٢٦
٤١٢ الآيات: ١ - ٤	٣٧٦ الآيات: ٢٧ - ٣٣
٤١٣ الآيات: ٥ - ٩	٣٧٧ الآيات: ٣٤ - ٤٠
٤١٤ الآيتان: ١٠ ، ١١	٣٧٩ الآيات: ٤١ - ٤٤

	تفسير سورة السجدة	٤١٥	الآيات: ١٢ - ١٥
٤٤٩	الآيات: ١ - ٣	الآيات: ١٦ - ٢٣
٤٥٠	الآيات: ٧ - ١١	الآيات: ٢٤ - ٢٧
٤٥١	الآيات: ١٢ - ١٤	الآيات: ٢٨ - ٣٠
٤٥٢	الآيات: ١٥ - ١٧	الآيات: ٣١ - ٤٠
٤٥٤	الآيات: ١٨ - ٢٣	الآيات: ٤١ - ٤٣
٤٥٥	الآيات: ٢٤ - ٢٨	الآيتان: ٤٤ ، ٤٥
٤٥٦	الآيتان: ٢٩ ، ٣٠	الآيتان: ٤٦ ، ٤٧
	تفسير سورة الأحزاب	٤٢٣	الآيات: ٤٨ - ٥٢
٤٥٧	الآيات: ١ - ٥	الآيات: ٥٣ - ٦٠
٤٥٩	الآيات: ٦ - ٨	الآيات: ٦١ - ٦٦
٤٦٠	الآيات: ٩ - ١٠	الآيات: ٦٧ - ٦٩
٤٦١	الآيات: ١١ - ١٦	
٤٦٢	الآية: ١٧	تفسير سورة الروم
٤٦٣	الآيتان: ١٨ ، ١٩	الآيات: ١ - ٧
٤٦٤	الآيات: ٢٠ - ٢٢	الآية: ٨
٤٦٥	الآيتان: ٢٣ ، ٢٤	الآيتان: ٩ ، ١٠
٤٦٦	الآيات: ٢٥ - ٢٧	الآيات: ١١ - ١٩
٤٦٧	الآيتان: ٢٨ ، ٢٩	الآيات: ٢٠ - ٢٥
٤٦٨	الآيتان: ٣٠ ، ٣١	الآيات: ٢٦ - ٢٩
٤٦٩	الآيات: ٣٢ - ٣٤	الآيات: ٣٠ - ٣٢
٤٧٠	الآية: ٣٥	الآيات: ٣٣ - ٤٠
٤٧٢	الآيات: ٣٦ - ٣٨	الآيتان: ٤١ ، ٤٢
٤٧٤	الآيتان: ٣٩ ، ٤٠	الآيات: ٤٣ - ٤٨
٤٧٥	الآيات: ٤١ - ٤٤	الآيات: ٤٩ - ٥٣
٤٧٦	الآيات: ٤٥ - ٤٩	الآيات: ٥٤ - ٥٧
٤٧٧	الآيات: ٥٠ - ٥٢	الآيات: ٥٨ - ٦٠
٤٧٩	الآيات: ٥٣ - ٥٥	
٤٨١	الآية: ٥٦	تفسير سورة لقمان
٤٨٢	الآيات: ٥٧ - ٦٢	الآيات: ١ - ١١
٤٨٣	الآيات: ٦٣ - ٦٩	الآيات: ١٢ - ١٩
٤٨٤	الآيات: ٧٠ - ٧٣	الآيات: ٢٠ - ٢٦
	تفسير سورة ص	٤٤٥	الآيات: ٢٧ - ٣٠
٤٨٦	الآيات: ١ - ٦	الآيتان: ٣١ ، ٣٢
		٤٤٦	الآيتان: ٣٣ ، ٣٤
		٤٤٧	

تفسير سورة الصافات		٤٨٧	الآيات: ٧-٩
٥٢١	٤٨٨	الآيات: ١٠-١٣
٥٢٢	٤٨٩	الآية: ١٤
٥٢٣	٤٩٠	الآيات: ١٥-١٧
٥٢٤	٤٩١	الآيتان: ١٨، ١٩
٥٢٥	٤٩٣	الآيات: ٢٠-٢٣
٥٢٦	٤٩٤	الآيات: ٢٤-٢٧
٥٢٧	٤٩٥	الآيات: ٢٨-٣٣
٥٢٨	٤٩٦	الآيات: ٣٤-٣٩
٥٢٩	٤٩٧	الآيات: ٤٠-٤٣
٥٣١	٤٩٨	الآيات: ٤٤-٥٠
٥٣٢	٤٩٩	الآيات: ٥١-٥٤
٥٣٤			
٥٣٥			
تفسير سورة ص				
٥٣٨	٥٠٠	الآيات: ١-٣
٥٣٩	٥٠١	الآيات: ٤-١١
٥٤٠	٥٠٣	الآيات: ١٢-١٨
٥٤١	٥٠٤	الآيات: ١٩-٣٠
٥٤٣	٥٠٥	الآيات: ٣١-٣٥
٥٤٦	٥٠٦	الآيات: ٣٦-٣٨
٥٥٠	٥٠٧	الآيات: ٣٩-٤٢
٥٥١	٥٠٨	الآيات: ٤٣-٤٥
تفسير سورة يس				
٥٥٢	٥٠٩	الآيات: ١-٧
٥٥٧	٥١٠	الآيات: ٨-١٢
٥٥٩	٥١١	الآيات: ١٣-١٩
٥٦٢	٥١٣	الآيات: ٢٠-٣٠
٥٦٣	٥١٤	الآيات: ٣١-٣٧
٥٦٥	٥١٤	الآيات: ٣٨-٤٤
٥٦٦	٥١٥	الآيات: ٤٥-٥٠
٥٦٧	٥١٦	الآيات: ٥١-٥٨
تفسير سورة الزمر				
٥٦٩	٥١٧	الآيات: ٥٩-٦٧
٥٧٠	٥١٨	الآيات: ٦٨-٧٠
	٥١٩	الآيات: ٧١-٧٧
	٥٢٠	الآيات: ٧٨-٨٣

٥٨٣	الآيات: ٤٤ - ٤٦	٥٧١	الآية: ٧
٥٨٤	الآيات: ٤٨ - ٤٥	٥٧٢	الآية: ٨
٥٨٥	الآيات: ٥٢ - ٤٩	٥٧٣	الآية: ٩
٥٨٦	الآيات: ٥٩ - ٥٣	٥٧٤	الآيات: ١٥ - ١٠
٥٨٩	الآيتان: ٦١ ، ٦٠	٥٧٥	الآيات: ١٨ - ١٦
٥٩٠	الآيات: ٦٦ - ٦٢	٥٧٦	الآيات: ٢٤ - ١٩
٥٩٣	الآيات: ٧٠ - ٦٧	٥٧٩	الآيات: ٢٨ - ٢٥
٥٩٤	الآيات: ٧٣ - ٧١	٥٨٠	الآيات: ٣١ - ٢٩
٥٩٥	الآيتان: ٧٥ ، ٧٤	٥٨١	الآيات: ٣٧ - ٣٢
			٥٨٢	الآيات: ٤٠ - ٣٨

الوسيط

في تفسير القرآن المجيد

تأليف

أبي الحسن علي بن أحمد الواهبي النيسابوري

المتوفى سنة ٤٦٨ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الشيخ عايي محمد معوض

الدكتور أحمد محمد صيرة الدكتور أحمد عبد الفني الجمل

الدكتور عبد الرحمن عويس

قدمه وقضه

الأستاذ الدكتور عبد المحي الفرماري

كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

الجزء الأول

المحتوى

سورة الفاتحة - سورة آل عمران

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾^(١).

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيباً﴾^(٢).

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾^(٣).

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثه بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، القرآن الكريم كتاب الله تعالى الخالد نزل به الروح الأمين على قلب النبي الأمين محمد ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وقد استطاع هذا الكتاب العظيم - ببلاغته وعظيم هداه - أن يأخذ بمجامع القلوب بعد عنادها، فاستجابت لله رب العالمين بعد جحود ونكران، وانشرحت الصدور لسبيل الهداية إلى الرحمة.

من أجل هذا عكفت جهابذة العلماء على خدمة كتاب الله تعالى، وكان من بينهم هذا الإمام الحبر الواحد - الذي يطالعنا في كتابه الوسيط بين الوجيز والبسيط بزبدة التفسير بالمأثور وشيء من التفسير بالعقول.

حاجة الناس إلى علم التفسير

يعد علم التفسير من أشرف العلوم الإسلامية، إذ شرفه بشرف موضوعه، وموضوعه: كتاب الله تعالى، من هنا أخذ ذلك العلم مكانة بين العلوم الإسلامية، فعلم التفسير: من العلوم المهمة التي يجب على الأمة تعلمها، فهو مفتاح الكنوز والذخائر التي احتواها هذا الكتاب المجيد النازل لإصلاح البشر، وإنقاذ الناس وإعزاز العالم، وبدون التفسير لا يمكن الوصول إلى هذه الكنوز والذخائر، مهما بالغ الناس في ترديد ألفاظ القرآن، لذلك أوجب الله على المسلمين فهمه وتدبر معانيه، قال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾^(٤) وقال: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾^(٥) وقال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب

(١) سورة آل عمران/١٠٢. (٢) سورة النساء/١. (٣) سورة الأحزاب/٧٠-٧١. (٤) سورة النساء/٨٢. (٥) سورة ص/٢٩.

أقوالها^(١) فقد دلت الآية الأولى على أنه أنزل للتدبر، وحث الآياتن الأخريان على تدبره، وتدبر القرآن بدون فهم معانيه غير ممكن، وفهم معانيه إنما يكون بمعرفة تفسيره.

قال السيوطي مبيناً حاجة الناس لتفسير كتاب الله تعالى: قال بعضهم: اعلم أن من المعلوم أن الله إنما خاطب خلقه بما يفهمونه، ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه وأنزل كتابه على لغتهم، وإنما احتيج إلى التفسير لما سيذكر بعد تقرير قاعدة، وهي: أن كل من وضع من البشر كتاباً، فإنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح، وإنما احتيج إلى الشروح لأمر ثلاثة: أحدها: كمال فضيلة المصنف، فإنه لقوته العلمية يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز، فربما عسر فهم مراده فقصده بالشرح ظهور تلك المعاني الخفية، ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدل على المراد من شرح غيره له.

وثانيها: إغفاله بعض تتمات المسألة أو شروط لها، اعتماداً على وضوحها أو لأنها من علم آخر، فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه.

وثالثها: احتمال اللفظ لمعان كما في المجاز والاشتراك ودلالة الالتزام، فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه، وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو عنه بشر من السهو والغلط، أو تكرار الشيء أو حذف المنبه وغير ذلك، فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك.

إذا تقرر هذا فنقول: إن القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، أما دقائق باطنه وإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي ﷺ في الأكثر، كسؤالهم لما نزل قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبَسُوا إِيمَانَهُمْ بَظُلْمٍ﴾^(٢) فقالوا: وأينا لم يظلم نفسه، ففسره النبي ﷺ واستدل عليه بقوله: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير فقال: (ذلك العوض) وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود. وغير ذلك، مما سألوا عن آحاد منه، ونحن محتاجون إلى ما كانوا إليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن أشد الناس احتياجاً إلى التفسير، ومعلوم أن تفسيره بعضه يكون من قبل بسط الألفاظ الوجيزة، وكشف معانيها، وبعضه من قبل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض.

تعريف التفسير والتأويل

التفسير لغة: الإيضاح والتبيين، يقال: فسرت الحديث أي بينته وأوضحته. واختلف في اشتقاقه، فقيل: من لفظ التفسر، وهو نظر الطبيب في البول لكشف العلة والدواء واستخراج ذلك. فكذلك المفسر ينظر في الآية لاستخراج حكمها ومعناها.

وقيل: اشتقاقه من قول العرب: فسرت الفرس وفسرته أي: أجرته وأعديته إذا كان به حصر، ليستطلق بطنه وكان المفسر يجزي فرس فكره في ميادين المعاني، ليستخرج شرح الآية، ويحل عقد إشكالاتها.

وقيل: هو مأخوذ من مَقْلُوبِهِ. تقول العرب: فسرت المرأة إذا كشفت قناعها عن وجهها، وسفرت البيت إذا كنته، ويقال للسفر سفر، لأنه يسفر ويكشف عن أخلاق الرجال. ويقال للسفرة سفرة، لأنها تسفر فيظهر ما فيها قال تعالى: ﴿وَالصَّيْحُ إِذَا أَسْفَرَ﴾^(٣) أي: أضاء. فعلى هذا يكون أصل التفسير التفسير، على قياس صقع وصقع وجذب

(١) سورة النساء/٨٢.

(٢) سورة الأنعام/٨٢.

(٣) سورة المدثر/٣٤.

وجيد، وما أظيبه وأيطبه، ونظائره، ونقلوه من الثلاثي إلى باب التفعيل للمبالغة. وكان الفسر يتتبع سورة سورة، وآية آية، وكلمة كلمة، لاستخراج المعنى. وحقيقته كشف المتعلق من المراد بلفظه، وإطلاق المحتبس عن الفهم به.

وأما التأويل: فصرف معنى الآية بوجه تحتمله الآية، ويكون موافقاً لما قبله ملائماً لما بعده. واشتقاقه من الأول وهو الرجوع. فيكون التأويل بيان الشيء الذي يرجع إليه معنى الآية ومقصودها.

وقيل التأويل: إبداء عاقبة الشيء. واشتقاقه من المأل بمعنى المرجع والعاقبة. فتأويل الآية ما تشول إليه من معنى وعاقبة. وقيل اشتقاقه من لفظ الأول. وهو صرف الكلام إلى أوله. وهذان القولان متقاربان. ولهذا قيل: أول غرض الحكيم آخر فعله.

وقيل اشتقاقه من الإيالة بمعنى السياسة. تقول العرب: (أنا وإيل علينا) أي - سُئنا وسيس علينا أي ساسنا غيرنا، وعلى هذا يكون معنى التأويل: أن يسلط المؤول ذهنه وفكره على تتبع سر الكلام، إلى أن يظهر مقصود الكلام ويتضح مراد المتكلم.

قال أبو حيان^(١): التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتمتات لذلك. ثم أخذ في شرح التعريف.

وقال الزركشي: التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ. وهذا التعريف أوضح وأيسر وأدل على الغرض.

الفرق بين التفسير والتأويل

لقد اختلفت أقوال العلماء في الفرق بين التفسير والتأويل، وتباينت مذاهبهم فمن قائل إنه لا فرق، ومن مثبت فرقا. وليس ببعيد أن يكون منشأ هذا الخلاف، ما ذهب إليه الأستاذ أمين الخولي حيث يقول «وأحسب أن منشأ هذا كله، هو استعمال القرآن لكلمة التأويل، ثم ذهب الأصوليين إلى اصطلاح خاص فيها، مع شيوع الكلمة على السنة المتكلمين من أصحاب المذاهب».

هذا ونستطيع أن نقدم لك بعض أقوال أهل العلم في التفرقة بين التفسير والتأويل فيما يلي:

قال أبو عبيدة وطائفة: التفسير والتأويل بمعنى واحد، قال السيوطي: وقد أنكر ذلك قوم، حتى بالغ ابن حبيب النيسابوري، فقال: قد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل، ما اهتموا إليه^(٢).

قال الفيروز آبادي: الفرق بين التفسير والتأويل: أن التفسير هو البحث عن سبب نزول الآية، والخوض في بيان موضع الكلمة من حيث اللغة. والتأويل: هو التفحص عن أسرار الآيات والكلمات، وتعيين أحد احتمالات الآية. وهذا إنما يكون في الآيات المحتملة لوجوه مختلفة، نحو ﴿وَأَسِغْ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^(٣) وكقوله: ﴿فَمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمَنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ وكقوله: ﴿وَالشُّعْرُ وَالْوَتْرُ﴾ وكقوله: ﴿وَشَاهِدْ وَمُشْهَدٌ﴾ فإن هذه الآيات ونظائرها تحتل معاني مختلفة، فإذا تعين عند المؤول أحدها وترجع فيقال حينئذ: إنه أول الآية.

قال الراغب الأصفهاني: التفسير أعم من التأويل. وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ والتأويل في المعاني،

(١) بصائر ذوي التمييز ٧٨/١ وما بعدها. البحر المحيط ٤/١.

(٢) الإتيان ١٦٧/٤.

(٣) سورة لقمان / ٢٠.

كتأويل الرؤيا. والتأويل يستعمل أكثره في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها. والتفسير أكثره يستعمل في مفردات الألفاظ والتأويل أكثره يستعمل في الجمل، فالتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ كالبحيرة والسلمية والوصيلة أو في تبيين المراد وشرحه كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(١)، وإما في كلام مضمّن بقصة لا يمكن تصوره إلا بمعرفتها نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾^(٣). الآية.

وأما التأويل: فإنه يستعمل مرة عاماً، ومرة خاصاً، نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود الباري خاصة. والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة، وفي تصديق دين الحق تارة، وإما لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ (وجد) المستعمل في الجد والوجد والوجود.

قال الماتريدي: التفسير: القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي، وهو المنهي عنه. والتأويل ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع والشهادة على الله، وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين.

قال أبو طالب الثعلبي: التفسير بيان وضع اللفظ، إما حقيقة أو مجازاً كتفسير الصراط بالطريق، والصيب بالمطر، والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد، لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل مثاله قوله تعالى: ﴿إِنْ رِبْكَ لِلْمَرْتَدِ﴾^(٤). تفسيره أنه من الرصد يقال رصدته: رقبته، والمرصاد مفعال منه، وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأهلية والاستعداد للعرض عليه، وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين.

قال البغوي ووافقه الكواشي: التأويل هو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط، والتفسير هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها بتصرف وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين.

قال بعضهم: التفسير ما يتعلق بالرواية والتأويل ما يتعلق بالدراية، وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين. التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة فالنسبة بينهما التباين، وهذا هو المشهور عند المتأخرين وقد نبه إلى هذا الرأي الأخير العلامة الألوسي في مقدمة تفسيره حيث قال بعد أن استعرض بعض أقوال العلماء في هذا الموضوع: وعندني أنه إن كان المراد الفرق بينهما بحسب الغرف فكل الأقوال فيه - ما سمعتها وما لم تسمعها - مخالف للعرف اليوم إذ قد تعرف من غير نكير: أن التأويل إشارة قدسية ومعارف سبحانية تنكشف من سجع العبارات للسالكين وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين والتفسير غير ذلك.

وإن كان المراد الفرق بينهما بحسب ما يدل عليه اللفظ مطابقة فلا أظنك في مرية من رد هذه الأقوال، أو بوجه ما فلا أراك ترضى إلا أن في كل كشف إرجاعاً، وفي كل إرجاع كشفاً فافهم. هذه هي أهم الأقوال في الفرق بين التفسير والتأويل^(٥).

(١) سورة البقرة / ٤٣. (٢) سورة التوبة / ٣٧. (٣) سورة البقرة / ١٨٩. (٤) سورة الفجر / ١٤.

(٥) الإتيان ١٦٧/٤ وما بعدها، تفسير البغوي ١٨/١ روح المعاني ٥/١، مقدمة التفسير للراغب ٤٠٢ وما بعدها، التفسير والمفسرون للذهبي

٩١/١ وما بعدها، بصائر ذوي التمييز ٨٠/١.

أقسام التفسير

التفسير المعتد به عند جمهور العلماء - سلفاً وخلفاً - ينقسم إلى قسمين:

الأول: التفسير بالمأثور.

الثاني: التفسير بالرأي السديد والاجتهاد الصحيح المبني على العلوم والمعارف التي سقناها آنفاً.

وكتب التفسير بالمأثور منها ما هو خالص فيه، ومنها ما فيه زيادة توجيه الأقوال والآراء، والتفسير بالرأي والاجتهاد لا يتفك عن المأثور في الجملة، أيًا كانت ألوانه واتجاهاته.

من هنا رأينا أن نبين لك هذين القسمين وأشهر الكتب المصنفة فيهما.

القسم الأول

التفسير بالمأثور

المأثور: اسم مفعول من أثرت الحديث أثراً، من باب قتل، والأثر بفتحيتين: اسم منه، وحديث مأثور أي منقول، فالتفسير بالمأثور، يشمل ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول ﷺ وما نقل عن الصحابة رضي الله عنهم وما نقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح مراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم، مثال ما جاء في القرآن قوله سبحانه: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾^(١) فإن كلمة (من الفجر) بيان وشرح للمراد من كلمة (الخيط الأبيض) التي قبلها.

وقوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾^(٢) الآية فإنها بيان للفظ (ما يتلى عليكم) من قوله سبحانه: ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمتمم برسلي وعزرتموهم وأفرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم﴾^(٤) الآية فإنها بيان للعهدين في قوله سبحانه: ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾^(٥) الأول للأول والثاني للثاني.

ومثال ما جاء في السنة شرحاً للقرآن أنه ﷺ فسر الظلم بالشرك في قوله سبحانه: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ وأيد تفسيره هذا بقوله تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾^(٦) وفسر ﷺ الحساب اليسير بالعرض حين قال: (من نوقش الحساب عذب) فقالت له السيدة عائشة: أو ليس قد قال الله تعالى:

(٥) سورة البقرة / ٤٠.

(٣) سورة المائدة / ١.

(١) سورة البقرة / ١٨٧.

(٦) سورة لقمان / ١٣.

(٤) سورة المائدة / ١٢.

(٢) سورة المائدة / ٣.

﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهل منسوراً﴾^(١) فقال ﷺ: (ذلك العرض)^(٢) بياناً للحساب اليسير. وكلا هذين القسمين لا شك في قبوله. أما الأول فلأن الله تعالى أعلم بمراد نفسه من غير وأصدق الحديث كتاب الله تعالى. وأما الثاني فلأن خير الهدي هدي سيدنا محمد ﷺ ووظيفته البيان والشرح مع أن نقطع بعصمته وتوفيقه قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾^(٣).

بقي القسم الثالث وهو بيان القرآن بما صح وروده عن الصحابة رضوان الله عليهم: قال الحاكم في المستدرک (إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع) كذلك أطلق الحاكم.

المفسرون من الصحابة

قال السيوطي: اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، وإليك ترجمة موجزة لكل واحد منهم.

أولاً: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم التيمي، أبو بكر بن أبي قحافة الصديق، أول الرجال إسلاماً، ورفيق سيد المرسلين في هجرته. شهد المشاهد وكان من أفضل الصحابة، وكان أبيض أشقر لطيفاً مُسْتَرْقِ الْوَرَكِينَ. قال النبي ﷺ: سُدُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ. وقال عمر: أبو بكر خيرنا، وسيدنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، توفي سنة ثلاث عشرة، عن ثلاث وستين سنة ودفن بالحجرة النبوية^(٤).

ثانياً: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى العدوي، أبو حفص المدني، أحد فقهاء الصحابة، ثاني الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأول من سمي أمير المؤمنين، شهد بدرًا والمشاهد إلا تبوك. وولى أمر الأمة بعد أبي بكر رضي الله عنهما. وفتح في أيامه عدة أوصار. أسلم بعد أربعين رجلاً. عن ابن عمر مرفوعاً: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» ولما دفن قال ابن مسعود: ذهب اليوم بتسعة أعشار العلم. استشهد في آخر سنة ثلاث وعشرين ودفن في أول سنة أربع وعشرين، وهو ابن ثلاث وستين، وصلى عليه صُهَيْبٌ، ودفن في الحجرة النبوية ومناقبه جمّة^(٥).

ثالثاً: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي أبو عمرو المدني ذو النورين، وأمير المؤمنين، ومجهز جيش العسرة، وأحد العشرة، وأحد الستة هاجر الهجرتين. غاب عن بدر لتمرير ابنة النبي ﷺ فضرب له النبي ﷺ. قال ابن عمر: كنا نقول على عهد النبي ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان. وقال ابن سيرين: كان يحيي الليل كله بركعة. قتل في سابع ذي الحجة يوم الجمعة سنة خمس وثلاثين. قال عبد الله بن سلام: لقد فتح الناس على أنفسهم بقتل عثمان باب فتنة لا يغلق إلى يوم القيامة. رضي الله عنه^(٦).

رابعاً: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي^(٧) روى عنه أولاده الحسن والحسين ومحمد وفاطمة وعمر وابن عباس والأحنف وأمم.

(١) سورة الانشقاق ٧، ٨، ٩.

(٢) وقد تقدم.

(٣) سورة النحل ٤٤.

(٤) انظر ترجمته في الخلاصة ٧٨/٢.

(٥) انظر ترجمته في الخلاصة ٢٦٨/٢.

(٦) انظر ترجمته في الخلاصة ٢١٩/٢.

(٧) انظر ترجمته في الخلاصة ٢٥٠/٢.

قال السيوطي: وأما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب والرواية عن الثلاثة نادرة جداً، ويرى السيوطي كغيره أن سبب ذلك أمور:

أولاً: تقدم وفاتهم.

ثانياً: اشتغالهم بالحروب والفتوحات الإسلامية.

يقول السيوطي رحمه الله: ولا أحفظ عن أبي بكر في التفسير إلا آثاراً قليلة جداً لا تكاد تجاوز العشرة، وأما علي فروي عنه الكثير. وقد روى معمر بن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل قال: شهدت علياً يخطب وهو يقول: (سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم: أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل).

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن، وإن علي بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن.

وأخرج أيضاً من طريق أبي بكر بن عياش عن نصير بن سليمان الأحمسي عن أبيه عن علي قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت! إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سئولاً.

خامساً: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمش بن مخزوم^(١) بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم ابن سعد بن هذيل الهذلي أبو عبد الرحمن الكوفي أحد السابقين الأولين، وصاحب النعلين، شهد بدرًا والمشاهد وروى ثمانمائة حديث وثمانية وأربعين حديثاً.

تلقن من النبي ﷺ سبعين سورة. قال علقمة: كان يشبه النبي ﷺ في هديه وسمته. قال أبو نعيم: مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين عن بضع وستين سنة.

قال أبو مسعود الأنصاري: ما أعلم النبي ﷺ ترك أحداً أعلم بكتاب الله من هذا القائم يعني ابن مسعود قال السيوطي: وأما ابن مسعود فروي عنه أكثر مما روي عن علي وقد أخرج ابن جرير وغيره عنه أنه قال: (والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت! ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته).

وأخرج أبو نعيم عن أبي البخري قال: قالوا لعلي: أخبرنا عن ابن مسعود قال: علم القرآن والسنة ثم انتهى، وكفى بذلك علماً.

سادساً: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد^(٢) مناف الهاشمي أبو العباس المكي ثم المدني ثم الطائفي ابن عم النبي ﷺ وصاحبه وحبر الأمة وفقهها وترجمان القرآن. وروى خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس قال: مسح النبي ﷺ رأسي ودعا لي بالحكمة.

(١) وانظر ترجمته في الخلاصة ٩٩/٢، وأسد الغابة ٣/٣٨٤ تهذيب الأسماء واللغات ١/١ - ٢٨٨/١ - ٢٩٠، تذكرة الحفاظ ١/٣١٤، العبر ٣٣/١، طبقات القراء ١/٤٥٨، تهذيب التهذيب ٦/٢٧ - ٢٨، الإصابة ٧/٢٠٩، شذرات الذهب ١/٣٨.

(٢) وانظر ترجمته في الخلاصة ٦٩/٢ - ٧٠، وطبقات ابن سعد ٢/٣٦٥ التاريخ الكبير ٥/٣، الجرح والتعديل ٥/١١٦، الحلية ١/٣١٤ تاريخ بغداد ١/١٧٣، أسد الغابة ٣/٢٩٠، تهذيب الأسماء واللغات ١/١ - ٢٧٤، وفيات الأعيان ٣/٦٢، تذكرة الحفاظ ١/٣٧، العبر ١/٧٦، الإصابة ٢/٣٣٠.

قال السيوطي : وأما ابن عباس فهو ترجمان القرآن الذي دعا له النبي ﷺ : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) وقال له أيضاً : (اللهم آتة الحكمة) وفي رواية (اللهم علمه الحكمة).

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر قال : دعا رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس فقال : (اللهم بارك فيه وانشر منه).

وأخرج من طريق عبد المؤمن بن خالد عن عبد الله بن بريدة عن ابن عباس قال : انتهيت إلى النبي ﷺ وعنده جبريل فقال له جبريل : إنه كائن خير هذه الأمة فاستوص به خيراً.

وأخرج من طريق عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن مجاهد قال : قال ابن عباس : قال لي رسول الله ﷺ : (نعم ترجمان القرآن أنت).

وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن مسعود قال : (نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس).

وأخرج أبو نعيم عن مجاهد قال : كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه.

وأخرج عن ابن الحنفية قال : كان ابن عباس حبر هذه الأمة.

وأخرج عن الحسن قال : إن ابن عباس كان من القرآن بمنزل كان عمر يقول : (ذاكم فتى الكهول إن له لساناً سؤلًا وقلبًا عقولًا).

وأخرج من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رجلاً أتاه يسأله عن (السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما) فقال : اذهب إلى ابن عباس فسيله ثم تعال أخبرني ، فذهب فسأله فقال : كانت السموات رتقاً لا تمطر ، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت ، ففتق هذه بالمطر ، وهذه بالنبات . فرجع إلى ابن عمر فأخبره فقال : قد كنت أقول : ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن قد علمت أنه أوتي علماً.

سابعاً : أبي بن كعب بن قيس بن عبيدة بن يزيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي هو المنذر المدني^(١) سيد القراء كتب الوحي وشهد بدرًا وما بعدها له مائة وأربعة وستون حديثاً.

وكان ربعة نحيفاً أبيض الرأس واللحية ، وقد أمر الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام أن يقرأ عليه رضي الله عنه . وكان ممن جمع القرآن وله مناقب حمة رحمه الله تعالى .

وتوفي سنة عشرين أو اثنتين وعشرين أو ثلاثين أو اثنتين وثلاثين أو ثلاث وثلاثين . وقال بعضهم : صلى عليه عثمان رضي الله عنه .

قال أنس بن مالك : جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد .

وقال ابن عباس : قال أبي لعمر بن الخطاب : إني تلقيت القرآن ممن تلقاه من جبريل عليه السلام وهو رطب

وقال ابن عباس : قال عمر : أفضانا علي ، وأقرأنا أبي ، وإنا لندع من قراءة أبي ، وهو يقول : لا أدع شيئاً سمعته

(١) وانظر ترجمته في الطبقات لابن سعد ٥٩/٢/٣ ، حلية الأولياء ٢٥٠/١ - ٢٥٦ ، أسد الغابة ٦١/١ ، تهذيب الأسماء واللغات

١٠٨/١ - ١١٠ ، تذكرة الحفاظ ١٦/١ ، العبر ٢٣/١ ، طبقات القراء ٣١/١ ، تهذيب التهذيب : ١٨٧/١ ، الإصابة ٢٦/١ شذرات

الذهب ٣٢/١ - ٣٣ . الخلاصة ٦٢/١ - ٦٣ .

من رسول الله ﷺ وقد قال الله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾^(١).

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: أقرأ أمي أبي.

قال السيوطي: وأما أبي بن كعب فعنه نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه، وهذا إسناد صحيح. وقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم منها كثيراً، وكذا الحاكم في مستدركه وأحمد في مسنده.

ثامناً: زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوزان بن عمرو النجاري المدني^(٢) كاتب الوحي وأحد نجباء الأنصار شهد بيعة الرضوان وقرأ على النبي ﷺ، وجمع القرآن في عهد الصديق وولي قسم غنائم اليرموك. قال يحيى بن سعيد: لما مات زيد قال أبو هريرة: مات حبر الأمة توفي سنة خمس وأربعين وقيل سنة ثمان وقيل: سنة إحدى وخمسين.

قال أنس: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبي ومعاذ وزيد بن ثابت وأبو زيد. وعن أنس عن النبي ﷺ (أفرض أمي زيد بن ثابت) وعن الشعبي قال: غلب زيد الناس على اثنتين: الفرائض والقرآن. ويروي عن زيد قال: أجازني رسول الله ﷺ يوم الخندق وكساني قبطية. وعن الشعبي قال: القضاة أربعة: عمر وعلي وزيد وابن مسعود.

تاسعاً: أبو موسى الأشعري^(٣): عبد الله بن قيس بن سليمان بن حصار الأشعري أبو موسى هاجر إلى الحبشة وعمل على زبيد وعدن، وولي الكوفة لعمر والبصرة، وفتح على يده تستر وعدة أمصار.

قال الهيثم: توفي سنة اثنتين وأربعين وقيل غير ذلك.

عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: لقد أعطي أبو موسى مزاراً من مزامير آل داود.

قال مسروق: كان القضاء في الصحابة إلى ستة: عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي، وزيد، وأبي موسى.

وقال الشعبي: يؤخذ العلم عن ستة: عمر وعبد الله وزيد يشبه علمهم بعضه بعضاً وكان علي وأبي وأبو موسى يشبه علمهم بعضه بعضاً، يقتبس بعضهم من بعض.

وعن صفوان بن سليم قال: لم يكن يفتي في المسجد زمن رسول الله ﷺ غير هؤلاء: عمر وعلي ومعاذ وأبي

موسى.

عاشراً: عبد الله بن الزبير^(٤) بن العوام الأسدي المكي المدني، أول مولود في الإسلام وفارس قریش، شهد

(١) سورة البقرة / ١٠٦.

(٢) انظر الخلاصة ١/٣٥٠، وطبقات ابن سعد ٢/٣٥٨، أسد الغابة ٢/٢٧٨، العبر ١/٥٣، طبقات القراء ١/٢٩٦، تهذيب التهذيب ٣/٣٩٩، الإصابة ٤/٤١، شذرات الذهب ١/٥٤، ٦٢.

(٣) وانظر ترجمته في الخلاصة ٢/٨٩، وطبقات ابن سعد ٢/٣٤٤ - ٣٤٥، ٤/١٠٥، ٦/١٦، أسد الغابة ٣/٣٦٧، العبر ١/٥٢، طبقات القراء ١/٤٤٢ - ٤٤٣، تهذيب التهذيب ٥/٢٤٩، الإصابة ٦/١٩٤، التاريخ الكبير ٥/٢٢ - ٢٣، الجرح والتعديل ٥/١٣٨.

(٤) انظر ترجمته في الخلاصة ٢/٥٦، والتاريخ الكبير ٥/٦، الجرح والتعديل ٥/٥٦، مروج الذهب ٣/٢٧٢ وما بعدها، الحلية ١/٣٢٩، أسد الغابة ٣/٢٤٢، تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٦٦، وفيات الأعيان ٣/٧١، الإصابة ٢/٣٠٩، تهذيب التهذيب

٥/٢١٣، شذرات الذهب ١/٧٩، ٨٠.

اليرموك ويبيع بعد موت يزيد، وغلب على اليمن والحجاز والعراق وخراسان وكان فصيحا شريفا شجاعا لسانا أطلس. قتل بمكة سنة ثلاث وسبعين، ومولده بعد الهجرة بعشرين شهرا.

عن عثمان بن طلحة قال: كان ابن الزبير لا ينازع في ثلاثة: شجاعة، ولا عبادة، ولا بلاغة.

وعن الزهري عن أنس أن عثمان أمر زيدا وابن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فسخوا المصاحف وقال: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش وإنما نزل بلسانهم.

قال السيوطي رحمه الله: وقد ورد عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء اليسير من التفسير، كأنس وأبي هريرة وابن عمر وجابر وأبي موسى الأشعري وورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أشياء تتعلق بالقصص وأخبار الفتن والآخرة وما أشبهها بأن يكون مما تحمله عن أهل الكتاب، كالذي ورد عنه في قوله تعالى: ﴿في ظلل من الغمام﴾^(١).

التابعون والتفسير بالمأثور

قال الحافظ شيخ الإسلام ابن تيمية: أعلم الناس بالتفسير أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبيرة وطاوس وغيرهم وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود، وعلماء أهل المدينة في التفسير، مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد ومالك بن أنس^(٢).

هذا، وقد اشتهر بالتفسير من التابعين:

أولاً: مجاهد بن جبر مولى السائب بن أبي السائب أبو الحجاج المكي المقرئ الإمام المفسر^(٣)، قال مجاهد: عرضت على ابن عباس القرآن ثلاثين مرة وثقه ابن معين وأبو زرعة.

قال ابن حبان: مات بمكة سنة اثنتين أو ثلاث ومائة وهو ساجد ومولده سنة إحدى وعشرين.

قال سفيان الثوري: خذوا التفسير من أربعة: مجاهد وسعيد بن جبيرة وعكرمة والضحاك.

قال السيوطي: قال الفضل بن ميمون: سمعت مجاهداً يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة.

وعنه أيضاً قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية منه، وأسأله عنها فيما نزلت؟ وكيف كانت؟

وقال خصيف: كان أعلمهم بالتفسير مجاهد.

وقال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

قال ابن تيمية: ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم^(٤).

(٢) الإتيان ٢١٠/٤.

(١) سورة البقرة / ٢١٠.

(٣) وانظر ترجمته في الخلاصة ١٠/٣ - ١١، وطبقات ابن سعد ٤٦٦/٥، الحلية ٢٧٩/٣، طبقات الفقهاء للشيرازي ٦٩، تهذيب الأسماء واللغات القسم الأول من الجزء الثاني ٨٣، تذكرة الحفاظ ٨٦/١، العبر ١٢٥/١، البداية والنهاية ٢٢٤/٩، تهذيب التهذيب ٤٢/١٠، طبقات الحفاظ للسيوطي ٣٥، شذرات الذهب ١٢٥/١.

(٤) انظر الإتيان ٢١٠/٤.

ثانياً: سعيد بن جبير الوالبي مولاهم الكوفي الفقيه أحد الأعلام^(١) وقال اللالكائي: ثقة إمام حجة. قال عبد الملك بن أبي سليمان: كان يختم في كل ليلتين. قال ميمون بن مهران: مات سعيد وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه. قتل سنة خمس وتسعين كهلاً قتله الحجاج فما أمهل بعده. قال خلف بن خليفة عن أبيه شهدت مقتل ابن جبير، فلما بان الرأس قال: لا إله إلا الله لا إله إلا الله، فلما قالها الثالثة لم يتمها رضي الله عنه.

قال السيوطي: قال سفيان الثوري: خذوا التفسير عن أربعة: عن سعيد بن جبير، ومجاهد وعكرمة والضحاك. وقال قتادة: كان أعلم التابعين أربعة، كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير، وكان عكرمة أعلمهم بالسيرة، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام^(٢).

ثالثاً: عكرمة البربري^(٣) مولى ابن عباس أبو عبد الله أحد الأئمة الأعلام. قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة رموه بغير نوع من البدعة. قال العجلي: ثقة بريء مما يرميه الناس به. ووثقه أحمد، وابن معين وأبو حاتم والنسائي. ومن القدماء أيوب السختياني قال مصعب: مات سنة خمس ومائة.

قال السيوطي: قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة، وقال سماك بن حرب: سمعت عكرمة يقول: لقد فسرت ما بين اللوحين.

وقال عكرمة: كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل، ويعلمني القرآن والسنن، وأخرج ابن أبي حاتم عن سماك قال: قال عكرمة: كل شيء أحدثكم في القرآن فهو عن ابن عباس^(٤).

رابعاً: الحسن بن أبي الحسن^(٥) البصري مولى أم سلمة والربيع بنت النضر أو زيد بن ثابت أبو سعيد الإمام أحد أئمة الهدى والسنة. قال ابن سعد: كان عالماً جامعاً رفيعاً ثقة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً وكان الحسن شجاعاً من أشجع أهل زمانه، وكان عرض زنده شبراً. قال ابن علية: مات سنة عشر ومائة قيل: ولد سنة إحدى وعشرين لثنتين بقيتا من خلافة عمر. قال أبو زرعة: كل شيء قال الحسن: قال رسول الله ﷺ وجدت له أصلاً ملياً خلا أربعة أحاديث.

خامساً: عطاء بن أبي رباح القرشي^(٦)، مولاهم أبو محمد الجندي اليماني، نزيل مكة وأحد الفقهاء والأئمة.

(١) انظر ترجمته في الخلاصة ١/٣٧٤ - ٣٧٥، طبقات ابن سعد ٦/٢٥٦، تاريخ البخاري ٣/٤٦١، الحلية ٤/٢٧٢، طبقات الفقهاء للشيرازي ٨٢، تهذيب الأسماء واللغات القسم الأول من الجزء الأول ٢١٦، وفيات الأعيان ٢/٣٧١، تذكرة الحفاظ ١/٧١، العبر ١/١١٢، البداية والنهاية ٩/٩٦، ٩٨، شذرات الذهب ١/١٠٨.

(٢) انظر الإتيان ٤/٢١١.

(٣) انظر ترجمته في الخلاصة ٢/٢٤٠، طبقات ابن سعد ٥/٢٨٧، مقدمة فتح الباري ٤٢٤، ٤٢٩، طبقات الشيرازي ٧٠، حلية الأولياء ٣/٣٢٦ - ٣٤٧، تهذيب الأسماء واللغات ١/١/٢٤٠، وفيات الأعيان ٣/٢٦٥، تذكرة الحفاظ ١/٩٥، ميزان الاعتدال ٣/٩٣، العبر ١/١٣١، تهذيب التهذيب ٧/٢٦٣، طبقات المفسرين ١/٣٨٠، شذرات الذهب ١/١٣٠.

(٤) انظر الإتيان ٤/٢١١.

(٥) انظر ترجمته في الخلاصة ١/٢١٠ - ٢١١، طبقات ابن سعد ٧/١٥٦، تاريخ البخاري ٢/٢٨٩، الحلية ٢/١٣١، طبقات الفقهاء للشيرازي ٨٧، تهذيب الأسماء واللغات ١/١/١٦١، وفيات الأعيان ٢/٦٩، تذكرة الحفاظ ١/٦٦، البداية والنهاية ٩/٢٦٦، ٢٦٨، طبقات الحفاظ للسيوطي ٢٨، شذرات الذهب ١/١٣٦.

(٦) انظر ترجمته في الخلاصة ٢/٢٣٠، وطبقات ابن سعد ٥/٤٦٧، تاريخ البخاري ٦/٤٣٦، طبقات الشيرازي ٦٩، وفيات الأعيان ٣/٢٦١، ميزان الاعتدال ٣/٧٠، العبر ١/١٤١، تهذيب التهذيب ٧/١٩٩، طبقات الحفاظ ٣٠٩، شذرات الذهب ١/١٤٧.

قال ابن سعد: كان ثقة عالمًا كثير الحديث، انتهت إليه الفتوى بمكة وقال أبو حنيفة: ما لقيت أفضل من عطاء. وقال ابن عباس وقد سئل عن شيء يا أهل مكة تجتمعون علي وعندكم عطاء، وقال: إنه حجج أكثر من سبعين حجة. قال حماد بن سلمة: حججت سنة مات عطاء سنة أربع عشرة ومائة.

سادساً: محمد بن كعب القرظي^(١) المدني ثم الكوفي أحد العلماء قال ابن عون: ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي. وقال ابن سعد: كان ثقة ورعاً كثير الحديث قيل: مات سنة تسع عشرة ومائة. وقيل: سنة عشرين.

سابعاً: أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي مولاهم^(٢) البصري مخضرم إمام من الأئمة، صلى خلف عمر، ودخل على أبي بكر. قال عاصم الأحول: كان إذا اجتمع عليه أكثر من أربعة قام وتركهم، قال مغيرة: أول من أذن بما وراء النهر أبو العالية قال أبو خلدة: مات سنة تسعين، وهو الصحيح.

عن حفصة بنت سيرين قالت: قال لي أبو العالية قرأت القرآن على عمر رضي الله عنه ثلاث مرات.

وعن أبي خلدة، عن أبي العالية، قال كان ابن عباس يرفعي على السرير وقريش أسفل من السرير، فتغامزت بي قريش، فقال ابن عباس: هكذا العلم يزيد الشريف شرفاً ويجلس المملوك على الأسرة.

ثامناً: الضحاك بن مزاحم الهلالي مولاهم الخراساني يكنى أبا القاسم كان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه قال سعيد بن جبير: لم يلق ابن عباس وثقه أحمد، وابن معين وأبو زرعة. وقال ابن حبان في جميع ما روى نظراً، إنما اشتهر بالتفسير. قال أبو نعيم: مات سنة خمس ومائة^(٣).

تاسعاً: قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب^(٤) البصري الأكمه أحد الأئمة الأعلام حافظ مدلس قال ابن المسيب ما أثنانا عراقي أحفظ من قتادة، وقال ابن سيرين: قتادة أحفظ الناس، وقال ابن مهدي: قتادة أحفظ من خمسين مثل حميد قال حماد بن زيد: توفي سنة سبع عشرة ومائة، وقد احتج به أرباب الصحاح.

قال معمر: سمعت قتادة يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً، وعنه قال: ما سمعت شيئاً إلا وحفظته.

(١) انظر ترجمته في الخلاصة ٤٥٢/٢ - ٤٥٣، التاريخ الكبير ٢١٦/١، حلية الأولياء ٢١٢/٣، البداية والنهاية ٢٥٧/٩، تهذيب التهذيب ٤٢٠/٩، شذرات الذهب ١٣٦/١، الجرح والتعديل ٦٧/٨.

(٢) انظر ترجمته في الخلاصة ٣٣٠/١ - ٣٣١، طبقات ابن سعد ١١٢/٧، الحلية ٢١٧/٢، طبقات الفقهاء للشيرازي ٨٨، تهذيب الأسماء واللغات ٢٥١/٢/١، تذكرة الحفاظ ٥٨/١، العبر ١٠٨/١، تهذيب التهذيب ٢٨٤/٣، طبقات الحفاظ للسيوطي ٢٢، طبقات المفسرين ١٧٢/١، شذرات الذهب ١٠٢/١.

(٣) انظر ترجمته في: الخلاصة ٥/٢، سير أعلام النبلاء ٥٩٨/٤ - ٦٠٠، طبقات ابن سعد ٣٠٠/٦، ٣٦٩/٧، تاريخ البخاري ٣٣٢/٤، العبر ١٢٤/١، ميزان الاعتدال ٣٢٥/٢، المغني في الضعفاء ٣١٢/١، البداية والنهاية ٢٢٣/٩، تهذيب التهذيب ٤٥٣/٤، طبقات المفسرين ٢١٦/١، شذرات الذهب ١٢٤/١.

(٤) انظر ترجمته في الخلاصة ٣٥٠/٢، طبقات ابن سعد ٢٢٩/٧، التاريخ الكبير ١٨٥/٧، التاريخ الصغير ٢٨٢/١، الجرح والتعديل ١٣٣/٧، طبقات الشيرازي ٨٩، معجم الأدباء ٩/١٧ - ١٠، تهذيب الأسماء واللغات ٥٧/٢/١، وفيات الأعيان ٨٥/٤، تذكرة الحفاظ ١٢٢/١، ميزان الاعتدال ٣٨٥/٣، العبر ١٤٦/١، البداية والنهاية ٣١٣/٩ - ٣١٤، تهذيب التهذيب ٣٥١/٨، طبقات الحفاظ ٥٧، شذرات الذهب ١٥٣/١.

عاشراً: عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي أبو الحسن الكوفي ضعفه الثوري وهشيم وابن عدي وحسن له الترمذي أحاديث قال مطين: مات سنة إحدى عشرة ومائة^(١).

الحادي عشر: الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني المروزي بصري كان عالم مرو في زمانه. قال أبو حاتم: صدوق، وقال ابن أبي داود: سجن بمرو ثلاثين سنة، وتحيل ابن المبارك حتى دخل إليه فسمع منه، ويقال: توفي سنة تسع وثلاثين ومائة^(٢).

الثاني عشر: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني ضعفه أحمد وابن المدني والنسائي وغيرهم. وكان عبد الرحمن صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيراً في مجلد وكتاباً في الناسخ والمنسوخ. توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة^(٣).

فهؤلاء قدماء المفسرين وغالب الأقوال التي يسندونها تلقوها من الصحابة رضي الله عنهم.

وبعد عصر الصحابة والتابعين جاءت طبقة فجمعت أقوالها في كتب مدونة كتفسير سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون، وعبد الرزاق، وأدم بن أبي إياس، وإسحاق بن راهويه وروح بن عبادة، وعبد بن حميد وسنيد وأبي بكر بن أبي شيبة وآخرين، وبعدهم ابن جرير الطبري، ثم ابن أبي حاتم، وابن ماجه والحاكم وابن مرويه وأبو الشيخ ابن حيان، وابن المنذر في آخرين، وكلها مسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم، وليس فيها غير ذلك إلا ابن جرير، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض والإعراب والاستنباط، فهو يفوقها بذلك^(٤).

أشهر كتب التفسير بالمأثور

أولاً: جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الإمام الجليل، المجتهد المطلق، صاحب التصانيف المشهورة وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما التفاسير التي في أيدي الناس، فأصحها تفسير ابن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي). والكتاب مطبوع متداول بين أهل العلم.

ثانياً: بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي المعروف بإمام الهدى. وقد قمنا بحمد الله تعالى بتحقيقه بالاشتراك مع الدكتور زكريا الشوتي، والدكتور أحمد الجمل، وقام بطبعه دار الكتب العلمية.

(١) انظر ترجمته في: الخلاصة ٢/٢٣٣ - ٢٣٤، طبقات ابن سعد ٦/٣٠٤، التاريخ الكبير ٧/٨، التاريخ الصغير ١/٢٣٦، الجرح والتعديل ٦/٣٨٢، ميزان الاعتدال ٣/٧٩، تهذيب التهذيب ٧/٢٢٤، سير أعلام النبلاء ٥/٣٢٥ - ٣٢٦، شذرات الذهب ١/١٤٤.

(٢) انظر ترجمته في الخلاصة ١/٣١٨، سير أعلام النبلاء ٦/١٦٩ - ١٧٠، طبقات ابن سعد ٧/١٠٢، الجرح والتعديل ٣/٤٥٤ - ٤٥٥، ثقات ابن حبان ٣/٦٤، تهذيب التهذيب ٣/٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣) انظر ترجمته في الخلاصة ٢/١٣٣، سير أعلام النبلاء ٨/٣٤٩، التاريخ الكبير ٥/٢٨٤، التاريخ الصغير ٢/٢٢٧، الضعفاء ٢/٢٣١، الجرح والتعديل ٥/٢٣٣، كتاب المجروحين والضعفاء ٢/٢١١، ميزان الاعتدال ٢/٥٦٥، العبر ١/٢٨٢، شذرات الذهب ١/٢٩٧.

(٤) الإيقان ٤/٢١١ - ٢١٢.

ثالثاً: الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المقرئ المفسر، وهذا التفسير فيه القرآن بما جاء عن السلف مع اختصاره للأسانيد اكتفاء بذكرها في مقدمة الكتاب.

رابعاً: تفسير الوسيط للواحدي، وهو كتابنا الذي بين يديك وسنفرده الكلام عليه.

خامساً: معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي الفقيه الشافعي المحدث المفسر الملقب بمحيي السنة وركن الدين نقل فيه عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم. وهو مطبوع متداول بين أهل العلم وطبعته دار المعرفة.

سادساً: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي الحافظ القاضي، وهو كتاب طبع في المغرب. وصدر سنة ١٩٩٣ عن دار الكتب العلمية بطبعة جديدة منقحة.

سابعاً: تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي وتفسير ابن كثير من أشهر ما دون في التفسير المأثور ويعتبر في هذه الناحية الكتاب الثاني بعد كتاب ابن جرير، اعتنى فيه مؤلفه بالرواية عن مفسري السلف ففسر فيه كلام الله تعالى بالأحاديث والآثار مسندة إلى أصحابها مع الكلام عما يحتاج إليه جرحاً وتعديلاً وقد طبع أكثر من طبعة وهو مشهور متداول بين أهل العلم.

ثامناً: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي المسند المحقق صاحب المؤلفات الفائقة النافعة، قال: وقد جمعت كتاباً مسنداً فيه تفاسير النبي ﷺ فيه بضعة عشرة ألف حديث ما بين مرفوع وموقوف، وقد تم والله الحمد في أربع مجلدات، وسميته ترجمان القرآن. وهذا الكتاب صدر بطبعة جديدة في ست مجلدات عن دار الكتب العلمية.

القسم الثاني

التفسير بالرأي

يطلق الرأي على معاني متعددة، كالاعتقاد والاجتهاد والقياس، ومنه أصحاب الرأي أي القياس.

والمراد بالرأي هنا الاجتهاد وعليه فالتفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب، ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر^(١).

وقد اختلف أهل العلم في جواز التفسير بالرأي وعدمه، فذهب قوم إلى عدم جوازه وقالوا: لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن، وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفه الأدلة، والفقه والنحو والأخبار والآثار، وإنما له أن ينتهي إلى ما روى النبي ﷺ أو أثر عن الصحابة والتابعين.

وقوم ذهبوا إلى عكس ذلك فلم يروا بالتفسير بالرأي بأساً، وهم الأكثرون من السلف الصالح والعلماء.

أشهر الكتب المصنفة بالرأي والاجتهاد.

(١) التفسير والمفسرون ١/٢٤٦.

أولاً: تفسير مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر الرازي المشهور بخطيب الري .
ثانياً: أنوار التنزيل وأسرار التأويل لقاضي القضاة ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي
البيضاوي الشافعي .

ثالثاً: الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري .
رابعاً: البحر الميحيط للإمام أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي
الغرناطي ، وقد قمنا بتحقيق هذا الكتاب لدار الكتب العلمية ، وغير ذلك من المصنفات التي احتوتها المكتبة الإسلامية
في التفسير بالرأي .

هذا ونكتفي بما ذكرنا عن التفسير بالرأي حيث إنه لم يتعلق بموضوع كتابنا كبير تعلق^(١) .

(١) جميع الكتب السالفة الذكر طبعت في دار الكتب العلمية .

مصادر الواحدي في كتابه الوسيط

مما لا شك فيه أن التعرف على مصادر المفسر يعتبر دوراً أساسياً في تحديد منهجه، والمنطق الأساسي في الحكم على تفسيره، ولقد جمع الواحدي في تفسيره أقوال الصحابة والتابعين وتفسيرهم لأي كتاب الله تعالى، والأخذ عن كتب أهل المعاني وأرباب هذا الشأن ونستطيع أن نوجز الكلام على مصادره فيما يلي:

أولاً: القرآن الكريم

وهو تفسير بعض آيات القرآن بما ورد في القرآن نفسه فإن القرآن يفسر بعضه بعضاً، فما أجمل في مكان قد فسر وبين في مكان آخر، وما أوجز في موضع قد بسط وبين في موضع آخر، مثال ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْفُرُوا بِالْمَشْرُكَاتِ حَتَّى يُؤْمَنَ﴾^(١) قال الواحدي: نزلت في مرثد الغنوي كانت له خليفة مشركة في الجاهلية يقال لها (عناق) فلما أسلم قالت له: تزوج بي فسأل رسول الله ﷺ وقال: أيحل لي أن أتزوجها؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية وحرم نكاح المشركات ثم استثنى الحرائر الكتابيات بالآية في المائدة وهي قوله: ﴿وَالْمَحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(٢) مثال آخر يستدل به على معنى الكلمة في قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾^(٣) قال الواحدي: يقال غاظه وأغاظه وغيظه إذا أغضبته والغيظ الغضب ومنه قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾^(٤).

ثانياً: الحديث الشريف

لقد نطق القرآن الكريم بمنزلة السنة النبوية المشرفة منه، وجعلها شارحة ومبينة له، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٥).

وقد ذكر الواحدي جملة كبيرة من الأحاديث المأثورة عن رسول الله ﷺ في توضيح أي كتاب الله العزيز، مثل ذلك ما قاله الواحدي عند قوله تعالى: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال أخبرنا محمد بن إبراهيم وعبد القاهر بن طاهر قالوا أخبرنا محمد بن جعفر بن مطر، نا إبراهيم بن علي، نا يحيى بن يحيى، أنا موسى بن أعين عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: سمعت المستورد أخوا بني فهر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: والله ما لدينا من الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم، فينظر بم يرجع. رواه مسلم عن يحيى بن يحيى.

ثالثاً: تفسير الصحابة

لقد استعان الواحدي في كتابه (الوسيط) بجملة وفيرة من أقوال الصحابة رضي الله عنهم فمثلاً ذكر عند قوله

(٣) سورة الشعراء / ٥٥.

(١) سورة البقرة / ٢٢١.

(٥) سورة النحل / ٦٩.

(٤) سورة الملك / ٨.

(٢) سورة المائدة / ٥.

تعالى: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾^(١) قال: قال ابن عباس: سألوه أن يحملهم على الدواب. والكتاب فيه من ذلك الكثير وسيطالعك من أقوال الصحابة رضي الله عنهم وتفسيرهم للقرآن الكريم ما تقرّ به عينك.

رابعاً: تفسير التابعين

لقد رويت عن التابعين في التفسير روايات كثيرة لا يحصيها العد لا سيما تلاميذ ابن عباس ومجاهد بن جبر، وسعيد بن جبيرة وعكرمة وعطاء وغيرهم، وقد ذكر منها الواحد في تفسيره هنا كثرة كثرة فمنا على سبيل المثال، قال الواحد في قوله تعالى: ﴿يختص برحمته من يشاء﴾^(٢) قال عطاء: يريد اختصك وتفضل عليك وعلى أمتك بدينه ورحمته.

مثال آخر: قال الواحد في قوله تعالى: ﴿ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين مما آتيتهن كلهن﴾^(٣) قال قتادة: إذا علمن أن هذا جاء من الله كان أطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن. وغير ذلك مما سيطالعك به الكتاب.

خامساً: تفسير أتباع التابعين ومن بعدهم

لقد استعان الواحد في تفسيره لأي كتاب الله تعالى بأقوال هؤلاء كالكلبي ومقاتل بن سليمان وسفيان بن عيينة قال الواحد في قوله تعالى: ﴿بل هم منها عمون﴾^(٤) قال الكلبي: يقول هم جهلة بها، وقال عند قوله تعالى: ﴿إن كادت لتبدي به﴾^(٥) قال مقاتل كادت تصيح شفقة عليه من الغرق.

وبعد: فهذا جزء من كثير مما ملأ به الواحد رحمه الله كتابه (الوسيط) من أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم في تفسير أي الكتاب الحكيم.

سادساً: تفسير أهل المعاني

لقد استعان الواحد في تفسيره كذلك بتأويل أهل المعاني لآيات كتاب الله تعالى منهم:

أولاً: معاني الفراء أبي زكريا يحيى بن زياد.

ثانياً: معاني الزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج.

ثالثاً: تهذيب اللغة للأزهري.

رابعاً: البيان لمحمد بن القاسم بن بشار الأنباري.

خامساً: مجاز القرآن، وغريب القرآن، ومعاني القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى اليمني البصري.

سادساً: معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط المجاشعي.

سابعاً: معاني القرآن وغريب القرآن لأحمد بن يحيى المعروف بشعلب أبي العباس.

سابعاً: كتب أهل اللغة

لقد استعان المصنف في كتابه بكلام كبار النحويين في بعض المسائل النحوية في كتابه أمثال سيبويه والخليل، ولقد تكلم الواحد في بعض المسائل النحوية والصرفية في الكتاب، ونقل عن سيبويه في مواضع قال عند قوله

(١) سورة التوبة ٩٢/

(٢) سورة الأحراب ٥١/

(٣) سورة القصص ١٠/

(٤) سورة النمل ٦٦/

(٥) سورة آل عمران ٧٤/

تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾^(١) قال سيبويه: اكتفى من الجمع بالواحد، لأنه توسط جمعين ففسار كقوله: ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾^(٢) وقوله: ﴿عن اليمين والشمال﴾^(٣).

ثامناً: كتب القراءات

ذكر الواحدي في تفسير الوسيط بعض القراءات التي وردت في بعض الآيات الكريمة مما يدل على سعة علم الرجل، وكثيراً ما يأتي بتوجيه تلك القراءة من حيث المعنى.

(٣) سورة النحل/ ٤٨.

(٢) سورة المائدة/ ١٦.

(١) سورة البقرة/ ٧.

منهج الواحدي في تفسيره الوسيط

لقد التزم المصنف رحمه الله منهجاً أشار إليه في مقدمة كتابه بقوله إنه جمعه وسيطاً بين البسيط والوجيز ومن هنا نستطيع أن نقول إن كتابه «الوسيط» كتاب جامع للتفسير بالمأثور عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين رضي الله عنهم وأيضاً لا يخلو الكتاب من آراء لأهل الرأي وأصحاب المعاني فيما كان يستأنس به الواحدي من توضيح آيات الذكر الحكيم فيمكن أن نقول إن كتابه كتاب جامع بين التفسير بالمنقول والمعقول أو بعبارة أخرى بين الرواية والدراية ولقد فسر الواحدي في «الوسيط» آيات كتاب الله تعالى على النحو التالي :

أولاً: فسر القرآن بالقرآن .

ثانياً: فسر القرآن بالحديث النبوي إذا كان هناك حديث يبين معنى الآية .

ثالثاً: فسر القرآن بأقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم .

رابعاً: تكلم على أسباب النزول وله في ذلك مصنف مشهور وهو كتابه الموسوم - بـ «أسباب النزول» .

خامساً: أوضح ألفاظ القرآن بأقوال أهل اللغة والمعاني .

سادساً: تعرض أحياناً لبعض المسائل الفقهية .

سابعاً: تعرض قليلاً لبعض المسائل النحوية .

ثامناً: ذكر في مطلع كل سورة ما ورد فيها من أحاديث من فضلها، هذا وقد قمنا بتحقيق الكتاب موزعاً بيننا على

النحو التالي :

أولاً: من أول القرآن إلى نهاية سورة الأنعام قام بتحقيقه الدكتور أحمد محمد صيرة وحصل به على درجة

العالمية (الدكتوراه) .

ثانياً: من بداية سورة الأعراف إلى نهاية سورة الكهف قام بتحقيقه الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي

محمد معوض وقد قام مكتبنا بإعداد الكتاب كله للطبع .

ثالثاً: من بداية سورة مريم إلى نهاية سورة الصافات قام بتحقيقه الدكتور عبد الرحمن محمد علي عريس

وحصل به على درجة العالمية (الدكتوراه) .

رابعاً: من بداية سورة (ص) إلى نهاية الكتاب قام بتحقيقه الدكتور أحمد عبد الغني النجولي الجمل وحصل به

على درجة العالمية (الدكتوراه) .

وكتبه

عادل أحمد عبد الموجود

علي محمد معوض

ترجمة الواحدي

اسمه ونسبه وأسرته:

هو الإمام العلامة أبو الحسن^(١): علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه^(٢) الواحدي النيسابوري الشافعي. ويلقب بالمتوي نسبة إلى جده. ويكنى بأبي الحسن. والواحدي: نسبة إلى الواحد بن مهرة^(٣). ولد في حوالي سنة ٣٩٨ هجرية بنيسابور وبها نشأ، وكان أصله من ساوة^(٤)، من أبناء التجار حيث احترف أباه التجارة بمدينة ساوة التي نبت فيها أصله. وتوسط هذه المدينة بين الري وهمدان أثر كبير في رواج التجارة بها وازدهار معيشتها.

ومع اشتغال أسرة الواحدي بالتجارة فإنها قد شغفت بالعلم فعرفت به، وكان لرخائها المالي أثر كبير في تفرغ بعض أفرادها للدرس والتحصيل.

والواحدي كان أحد إخوة ثلاثة:

أكبرهم هو الشيخ المحدث الفقيه: أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد الواحدي (٣٩٧ - ٤٨٧ هـ) وكان من العلماء الذين عقدت لهم مجالس الإملاء وهو من أبناء التسعين^(٥).

وبهذا تكون أسرة الواحدي قد خرجت علمين أحدهما في التفسير والآخر في الحديث.

وأما الأخ الثاني للواحدي فهو: أبو بكر محمد بن أحمد الواحدي، كان يشتغل بالتجارة ويغشى مجالس العلماء

(١) اعتمدت في هذه الترجمة على المراجع الآتية: اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ٩٦/٣ ط دار صادر بيروت والكامل لابن الأثير ١٠١/١٠ ط دار صادر بيروت وغاية النهاية ٥٢٣/١ لشمس الدين أبي الخير محمد بن الجزري ط سنة ١٩٣٣ مكتبة الخانجي والبلدية والنهاية لابن كثير ١١٤/١٢ - دار الفكر العربي. وأنباء الرواة للقفطي ٢٢٣/٢ وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٣٣٠/٣ - دار المسيرة بيروت وطبقات المفسرين للداودي ٦٦/١، ٣٩٤/١ دار الكتب العلمية، والعبر للذهبي ٣٢٤/٢ ط دار الكتب العلمية واللباب لابن الأثير ١٦٣/٣ دار صادر بيروت وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣٣٩/١٨ - ٣٤٢ وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٠٣/٣، ٣٠٤ ط سنة ١٩٧٨ بدار صادر بيروت. وطبقات المفسرين للسيوطي ٦٦، ٦٧ ط أولى بدار الكتب العلمية سنة ١٩٨٣ م. والنجم الزاهرة لابن تغري بردي ١٠٤/٥ وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر سنة ١٩٦٣ م وطبقات الشافعية للسبكي ٢٤٠/٥ ط أولى سنة ١٣٨٤ هـ ط الحلبي والأعلام للزركلي ٥٩/٥، ٦٠ ط سنة ١٩٦٩ بيروت والواحدي ومنهجه في التفسير للأستاذ الدكتور جعفر المهدي ص ٤٨ وما بعدها ومقدمة أسباب النزول للواحدي بتحقيق الشيخ السيد أحمد صقر. والوسيط للواحدي تحقيق الدكتور أحمد صيرة ٨/١ وما بعدها والدكتور عبد الرحمن عويس ج وما بعدها.

(٢) متويه: بفتح الميم وتشديد التاء المشناة من فوق وضمها وسكون الواو بعدها ياء مفتوحة مشناة من تحت ثم هاء ساكنة نسبة إلى هذا البلد.

(٣) انظر مرآة الجنان ٩٦/٣، ٩٧.

(٤) ساوة: مدينة على طريق حجاج خراسان بها الأسواق والمنازل وهي بين الري وهمدان.

(٥) انظر سير أعلام النبلاء ٣٤٢/٨، ٣٤٣.

ويكثر السماع من أصحاب أبي العباس الأصم، وكان مع احترافه السمسرة أميناً نزيهاً ذا عفة وديانة^(١). ثم لا نكاد نجد بعد ذكر أخوي الواحدي شيئاً عن أسرته. ولولا أن لكليهما قدماً في العلم لما عرفنا عنهما شيئاً البتة. وقد اختط القدر لكل من أفراد هذه الأسرة دوره ليؤديه ثم دارت عجلة التاريخ وأصبح اسم أبي الحسن الواحدي في التاريخ العلمي يحتل مكانة مرموقة وصار يؤرخ له بأعماله وآثاره دون أن يعرف عن أمر عشيرته وخاصته شيئاً^(٢).

نشأته وحياته العلمية:

لم يحفظ لنا التاريخ شيئاً يذكر عن حياته الخاصة. ولم تذكر كتب التراجم عنها إلا كلمات قليلة تناقلتها المصادر دون أن تضيف إليها شيئاً. فلا يتجاوز المتناقل عنها:

أن أصله من (ساوة) وأنه من أولاد التجار وأنه ثالث أخويه عبد الرحمن الفقيه المحدث وسعد السمسار المتفقه، وأنه نيسابوري المولد والنشأة والوفاة. أما عن والديه وبقية أسرته، وعن طفولته ونشأته، وعن زواجه وعقبه أو عزوبته فلم نجد ما يحدثنا عن ذلك. اللهم إلا أنه قد التحق بالكتاب لحفظ القرآن الكريم وتعلم الخط في مسقط رأسه (نيسابور) وندب لتنتهته خيرة العلماء والمربين. فدخل كتاب الشيخ القاضي أبي عمر سعيد بن هبة الله بن الموفق البسطامي النيسابوري وكان الشيخ أبو عمر - الشيخ الأول للواحدي - من بيت علم عريق من سلالة الإمامة، والذي انتهى إليه أمر الزعامة لأصحاب الشافعي^(٣).

وبعد إتمام الواحدي لثقافته الأولية وحفظه لكتاب الله تعالى في كتاب أبي عمر بن الموفق انتقل إلى معاهد العلم الأخرى، فدرس بنيسابور في (دار السنة) وهي مدرسة الحديث التي أنشأها الإمام أبو بكر بن إسحاق الصفي النيسابوري (المتوفى سنة ٣٤٢ هـ)^(٤) ثم أوصى بها إلى أبي عبد الله الحاكم النيسابوري وفوض إليه أمرها^(٥). فكانت مدرسة متخصصة في علوم السنة يقوم بالتدريس فيها أئمة الحفاظ والمحدثين.

وقد درس الواحدي (بدار السنة) على أجل علمائها وأخذ الحديث عنهم سماعاً وإملاء وهو في حوالي الثانية عشرة من عمره وقد حدد وقت تلقيه على أحد شيوخها - وهو الإمام القاضي أبو بكر الحيري - في كتابه (أسباب النزول): فقال: حدثنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، إملاء في (دار السنة) يوم الجمعة بعد الصلاة، من شهر سنة عشر وأربعمائة قال^(٦):

رحلاته:

لم يقتصر الواحدي على الدراسة داخل نيسابور فقط بل قام برحلات علمية خارجها بلغت من الكثرة حدا جعل الواحدي نفسه - وهو يترجم لشيوخه في مقدمة تفسيره البسيط - يضرب عن تفصيلها أو الخوض فيها مخافة أن يمل القارئ يقول الواحدي:

ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وطقتها لظال الخطب ومل الناظر^(٧).

(١) انظر أسباب النزول للواحدي تحقيق الأستاذ السيد صقر ص ٥.

(٢) انظر الواحدي ومنهجه في التفسير ص ٦٠.

(٣) انظر طبقات الشافعية ٩٣/٧.

(٤) انظر المرجع السابق ٩/٣ - ١٢.

(٥) انظر المرجع السابق ١٥٩/٤.

(٦) انظر أسباب النزول للواحدي ص ٣٠٦.

(٧) انظر مقدمة تفسير (البسيط) للواحدي.

شيوخه :

يتميز الواحدي بتنوع مصادر ثقافته فلم يقتصر على دراسة علم واحد من العلوم أو النهل من معينه بل نهل من أثرى مناهل العلم الفياضة في عصره، فطاف على شوامخ أعلام الأمة ممن أنس فيهم رشده العلمي وتلمذ على جهابذة وأساطين العلم في مختلف فروع العلم والأدب، لذلك فقد كان له أساتذة في التفسير والحديث والفقه واللغة والنحو والآداب والقراءات وغيرها. وقد بلغ شيوخه من الكثرة إلى الحد الذي جعله يحجم عن استقصائهم في ترجمته لنفسه خشية الإملال فاقصر على جملة من أشهرهم ومن ثم فسأكتفي بذكر طائفة من شيوخه الذين اشتهر أخذهم عنهم.

من شيوخه في علم التفسير :

الإمام العلامة أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ هجرية أشهر شيوخ الواحدي وأبرزهم تأثيراً فيه كمفسر كان أوحد زمانه في التفسير وعلوم القرآن عالماً بارعاً في العربية حافظاً موثقاً وفرد زمانه في علوم التنزيل. قال عنه القفطي: الثعلبي المقرئ المفسر الواعظ الأديب الثقة الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة العالم بوجوه الإعراب والقراءات^(١).

ومن شيوخه في علم الحديث :

١ - الشيخ القاضي: أبو عمر جمال الإسلام: سعيد بن هبة الله بن محمد بن الحسن البسطامي. قال فيه عبد الغافر الفارسي: من سلالة الإمام الذي انتهى إليه أمر الزعامة لأصحاب الشافعي توفي سنة ٥٠٢ هجرية.

٢ - الإمام أبو طاهر محمد بن محمد بن مَحْمُش الزبيدي الفقيه الشافعي، علم نيسابور ومسندها ولد سنة ٣١٧ هـ وتوفي سنة ٤١٠ هـ. ترجم له السبكي قائلاً (. . . إمام المحدثين والفقهاء بنيسابور في زمانه كان شيخاً أديباً، عارفاً بالعربية)^(٢).

٣ - القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيزي ولد سنة ٣٢٥ هـ وتوفي سنة ٤٢١ هجرية قال عنه السبكي في طبقاته: كان كبير خراسان رياسة وسؤدداً وثروة وعلماً وعلو إسناد ومعرفة بمذهب الشافعي ولي قضاء نيسابور^(٣).

٤ - الحسن بن محمد بن أحمد بن محمد الهروي أبو علي بن أبي أسامة المكي حدث عن أحمد بن إبراهيم العقبسي وإبراهيم بن إسماعيل المكي في سنة ٤٣٥ هـ روى عنه أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ومحمد بن الفراء^(٤).

ومن شيوخه في علوم اللغة والأدب :

١ - أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله العروضي الصفار (٣٣٤ - ٤١٦ هـ) وهو شيخ أهل الأدب في عصره وتخرج به جماعة من الأئمة منهم الواحدي^(٥). قال عنه الثعلبي: إمام في الأدب جاز السبعين في خدمة الكتب وأنفق

(١) انظر أنباه الرواة للقفطي ١/١١٩، والواحدي ومنهجه في التفسير ص ٦٩.

(٢) انظر طبقات الشافعية للسبكي ٤/١٩٩.

(٣) انظر المرجع السابق ٦/٣.

(٤) انظر العقد الثمين لتقي الدين محمد المكي ٤/١٧٥ ط السنة المحمدية سنة ١٩٦٩ م.

(٥) انظر بغية الوعاة للسيوطي ١/٣٦٩ ط ٢ سنة ١٩٧٩ م دار الفكر وطبقات المفسرين للدوادري ١/٣٩٤ وطبقات الشافعية ٥/٢٤٠ وسير

أعلام النبلاء ١٧/٣٨٩ ومعجم الأدباء ٢/٨٧.

عمره في مطالعة العلوم وتدريس مؤدبي نيسابور ولد سنة ٣٣٤ هـ ومات سنة ٤٢٠ هجرية .

ومن شيوخه في علم النحو والتصريف والمعاني :

١ - أبو الحسن علي بن محمد إبراهيم القهндزي الضرير النيسابوري كان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه أخذ الواحددي عنه النحو وعلق عنه قريباً من مائة جزء في المشكلات^(١) .

والقهندزي : نسبة إلى قهندز نيسابور . والقهندز : الحصن أو القلعة في وسط المدينة^(٢) .

٢ - أبو الحسن عمران بن موسى المغربي المالكي الشريف (٣٦٥ - ٤٣٠ هـ) ترجم له السيوطي في بغية الوعاة فقال : (شيخ فاضل نحوي كبير كثير الحفظ قدم نيسابور وأفاد واستفاد وطاف البلاد ولقي الكبار وله النظم الفائق وكان من أفاضل العصر مات قريباً من الخمسمائة)^(٣) .

ومن شيوخه في القراءات :

١ - أبو القاسم علي بن أحمد البستي . أحد الأئمة في هذا العلم أخذ القراءة عن أبي بكر بن مهران وعنه أخذ القراءة أبو الحسن الواحددي^(٤) .

٢ - أبو عثمان سعيد بن محمد الحيري المقرئ الزعفراني المتوفى سنة ٤٢٧ هجرية أخذ القراءة عن ابن مطر وعنه أخذ الواحددي وهو ممن انتهت الرياسة إليه في علم القراءات^(٥) .

٣ - أبو الحسن علي بن أحمد الفارسي المتوفى سنة ٤٣٠ هـ . قال ابن الجوزي : إمام مقرئ حاذق أخذ القراءات عرضاً وسماعاً عن أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران^(٦) .

٤ - ومن أشهر شيوخه وأبرزهم تأثيراً فيه كمفسر : الإمام العلامة أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ . إمام بارع روى القراءة عن علي بن محمد الطرازي وروى عنه القراءة أبو الحسن علي بن أحمد الواحددي المفسر^(٧) .

تلاميذه :

قعد الواحددي للإفادة والتدريس سنين وتخرج على يديه طائفة من الأئمة سمعوا منه وقرأوا عليه ، وبرز العديد منهم في مختلف فروع العلم نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

(١) انظر سير أعلام النبلاء ٣٣٩/٨ وما بعدها وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) انظر أنباه الرواة وهوامشها ٣١٠/٢ .

(٣) انظر بغية الوعاة ٢٣٣/٢ .

(٤) غاية النهاية في طبقات القراء ٥٢٣/١ .

(٥) المشته للذهبي ١٨٥/١ - ١٨٦ تحقيق علي البخاري نشر الحلبي سنة ١٩٦٥ م . ومقدمة البسيط للواحددي ٧/١ .

(٦) انظر طبقات القراء لابن الجوزي ٥٧٢/١ .

(٧) انظر غابة النهاية في طبقات القراء ١٠٠/١ .

- ١ - الإمام الفقيه عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري^(١). تفقه على إمام الحرمين وتقلد إمامة الجامع المنيعي في نيسابور (٤٤٥ - ٥٥٣ هـ)^(٢).
- ٢ - أبو نصر محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأرعاني الروائري الفقيه الشافعي مفتي نيسابور في عصره وإمام مسجد عقيل وكان سديد السيرة. سمع الحديث الكثير من أبي الحسن الواحدي. توفي سنة ٥٢٩ هـ^(٣).
- ٣ - عمر بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله الخطيب الأرعاني أبو العباس شقيق أبي نصر السابق. كان شيخاً صالحاً عفيفاً سمع من أبي الحسن الواحدي أسباب النزول، توفي سنة ٥٣٤ هـ^(٤).
- ٤ - أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي المغربي (المتوفى سنة ٤٦٥ هـ) المقرئ المتكلم النحوي صاحب كتاب الكامل في القراءات أخذ القراءات عن الواحدي^(٥).
- ٥ - علي بن سهل بن العباس أبو الحسن النيسابوري المفسر المتوفى سنة ٤٩١ هـ^(٦).

ثقافته وعلمه :

يعتبر الواحدي في مقدمة العلماء القلائل الذين أدركوا منذ شبابهم المبكر أن الاقتدار على تفسير القرآن الكريم لا يكون إلا بعد التضلع في شتى العلوم خصوصاً علوم اللغة وآدابها والمعرفة بطرائق العرب في كلامها ومنازعتها في بيانها وتبيانها.

من أجل ذلك فقد بدأ مساره التكويني بتأسيس قاعدة علمية عريضة تتمثل فيها أبرز مكونات الشخصية العلمية التي تؤهله للتبحر في شتى العلوم. فدأب على تحصيل العلوم المختلفة بنهم وجلد، وإمام ما أنتجته قرائح الرجال. وأتيح له أن يتلمذ على طائفة من العلماء البارعين في علومهم، المقدرين لشرف رسالتهم. حتى وصل الواحدي إلى مرحلة الشيوخ العليا والتخصص والتفرد والشمول والسعة في مصادر العلم والثقافة.

ولعلنا نرى أثر ذلك واضحاً في تفسيره حيث صب فيه كل روافده العلمية وانعكست ثقافته وأدبه في أسلوبه التفسيري وإن امتدت أبعادها إلى مصنفاته الأخرى لا سيما في الحقل اللغوي والأدبي.

١ - تبخره في علوم اللغة والنحو: أيقن الواحدي في بداية حياته العلمية أن أهم ركائز تكوينه العلمي تتمثل في تضلعه في علوم اللغة والنحو والتبحر في علوم العربية، فلازم الأساطين في هذا المضمار وأخذ عنهم حتى قال فيه الذهبي: (وكان رأساً في اللغة العربية) وقال فيه الياقيني: (والإمام المفسر أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري: أستاذ عصره في النحو والتفسير)^(٧).

٢ - تبخره في الحديث: كان الواحدي محدثاً بارعاً تتلمذ على يد جهابذة هذا الشأن حتى صار في هذ

(١) نسبة إلى حوار إحدى قرى بهق.

(٢) انظر طبقات الشافعية ١٤٤/٧ وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٦٦، ٦٧ ط أولى سنة ١٩٨٣ هـ دار الكتب العلمية.

(٣) انظر الأنساب للسمعاني ٥٧/٦ ط ٢ سنة ١٩٨١ م نشر محمد أمين دمج بيروت واللباب ١١/٢.

(٤) انظر الأنساب السابق.

(٥) انظر طبقات الشافعية ٢٥٨/٥.

(٦) انظر امرأة الجنان ٩٦/٣.

(٧) انظر العبر ٢٦٠/٣ وغاية النهاية ٥٢٣/١.

المضمار علماً من الأعلام ويذكر له العلماء وأصحاب التراجم منقبة لها وزنها العلمي في هذا الشأن ألا وهي علو سنده في الحديث. فنجد القفطي يقول في ترجمته: (. . .) قرأ الحديث على المشايخ وأدرك السند العالي وسار الناس إلى علمه، واستفادوا من فوائده^(١) وقال فيه ابن تغري بردي: (كان إماماً بارعاً محدثاً)^(٢).

٣ - تبحره في الفقه: احتل الواحدي مكانة مرموقة في هذا المجال حتى صار أستاذاً للفقه في عصره يقول عنه ابن هداية الله: (كان إماماً في النحو واللغة وغيرها وأستاذ الفقه والتفسير في عصره) وقد أفرغ الواحدي خلاصة محصله الفقهي عند تفسيره لآيات الأحكام^(٣).

٤ - تبحره في علم الكلام: كان الواحدي سنياً أشعرياً من الطراز الأول، ينتصر لمذهب أهل السنة والجماعة ويفند آراء المخالفين ويبطل قولهم. كما كان شهاباً رصداً لأهل البدع والضلالة.

٥ - تبحره في الأدب والنقد: لأن الواحدي يعلم علم اليقين أن من أهم المكونات العلمية التي يرتقي بها العالم إلى مرتبة علمية لا بد وأن يكون أديباً ذواقاً للغة، متبحراً في علومها، حفيماً بالقيم الجمالية الأدبية في مآثور القول شعره ونثره.

لذلك كله فقد شغف الواحدي بالأدب، وازداد شغفه عمقاً بتبحره في دراسة العلوم اللغوية، وحرص على تطبيق ذلك عملياً. وكان من أروع أعمال الواحدي في هذا المجال شرحه لديوان أبي الطيب المتنبي الذي يعد - عند أئمة الأدب - أعظم شرح لهذا الديوان. قال ابن خلكان في ترجمة الواحدي (وشرح ديوان أبي الطيب المتنبي شرحاً مستوفى، وليس في شروحه مع كثرتها مثله . . .)^(٤).

الشعر عند الواحدي: لقد وهب الله سبحانه وتعالى الواحدي فطرة شاعرة منذ صباه حيث أجرى الشعر على لسانه ولما يحسن كتابته بعد. وظل ينبوع القريض يتدفق من شاعرية الواحدي مع استواء عوده ونضجه حتى بلغ قمة شاهقة في هذا المجال. لكنه قلما كان يعرض أشعاره على الرواة فلم يظهر من شعره في أسفار الأدب إلا ما أنشده لخاصته وصفوة أصدقائه^(٥).

تبحره في التفسير: أما من حيث التفسير فإننا لم نر مفسراً غير الواحدي قد قام بتفسير القرآن الكريم ثلاث مرات في نواح مختلفة تتسم بالأصالة. فنراه يبدأ بتفسيره البسيط الذي أودع في مقدمته نظريته في التفسير وأقام منهجه على ثلاثة دعائم وتمثل في رؤية النص القرآني وفهمه في ضوء علوم اللغة والنحو والأدب.

ويدلك على صحة نظريته في التفسير وتثبيت أركانها استمداداً من مناهج السلف وأقوالهم في ضرورة استكمال المفسر لأدواته قبل التصدي للتفسير. ولقد أفاض في ترسيخ أسس منهجه وأخرجه في ستة عشر مجلداً وقد وصفه القفطي بالتفسير الكبير فقال: (وصنف التفسير الكبير وسماه البسيط)^(٦).

ثم قام بإيجاز كتاب آخر في التفسير يقرب على من يتناوله ويسهل على من يتأمله من أوجز ما عمل في باب، وأعظم فائدة على متحفظيه وأصحابه. وأخيراً قام بعمل تفسير وسيط بين البسيط والوجيز ويضمه كثيراً من المآثورات النبوية وأقوال الصحابة والتابعين.

(٤) انظر وفيات الأعيان ٢/٢٦٤.

(١) انظر أنباه الرواة ٢/٢٢٣.

(٥) انظر الواحدي ومنهجه في التفسير ص ٨٧.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٥/١٠٤.

(٦) انظر أنباه الرواة ٢/٢٢٣.

(٣) انظر طبقات الشافعية لابن هداية الله ص ١٦٩.

ومن هذا يتضح لنا أن الواحدي قد سلك طرقاً ثلاثة لم يسبق إليها من علماء التفسير وأهل التأويل^(١).

ومما يدل على تبحر الواحدي في التفسير تأليفه في أسباب النزول الذي يعد من أعظم ما ألف في هذا العلم إن لم يكن أعظم ما ألف في هذا المضمار على الإطلاق، ذكره الزركشي في (البرهان) في (النوع الأول: معرفة أسباب النزول) فقال: (. . . وأفردوا فيه تصانيف: منهم علي بن المديني شيخ البخاري ومن أشهرها تصنيف الواحدي في ذلك)^(٢).

وظل كتاب الواحدي هذا عمدة الباحثين والدارسين منذ تأليفه إلى اليوم وظفر بالمجد والخلود.

مؤلفات الواحدي:

نظراً لأن الواحدي كان - بيقين - أحد أفضأ عصره الذين وهبوا أرواحهم وأفتدتهم للعلم. فأفنى جذوة شبابه وزهرة عمره في الطلب والتحصيل والبحث والتدقيق حتى تفجرت عيون معارفه، وتدفقت محصلته العلمية بصنوف من التصنيفات وبدائع من المؤلفات في أكثر من ميدان. بيد أنه خص ميدان تفسير القرآن الكريم وعلومه بجمل همته ووفرة تأليفه. ثم طرق ميادين أخرى كالنحو والأدب والمغازي وغيرها فبرز وتفرد وأجاد وأفاد، وظلت تصانيفه إلى اليوم مرجع المتبحر ونجعة القاصد المشمر. وأجمع أهل العلم على حسنها، وتفردا في أبوابها، كما نطقت بذلك تراجم الواحدي^(٣)، حيث يقول ابن خلكان في ترجمته (ورزق السعادة في تصانيفه، وأجمع الناس على حسنها، وذكرها المدرسون في دروسهم)^(٤). كما بلغ من اشتهار تصانيف الواحدي: أن الإمام أبا حامد الغزالي أخذ أسماء مصنفات الواحدي في التفسير (السيط والوسيط والوجيز) وأطلقها على كتبه في الفقه يقول ابن خلكان - معلقاً على مؤلفات الواحدي - في ترجمته (ومنه أخذ أبو حامد الغزالي أسماء كتبه الثلاثة)^(٥).

أولاً: في التفسير:

١ - البسيط في تفسير القرآن الكريم: وهو أكبر تفاسيره وأقدمها تأليفاً كما صرح بذلك الواحدي نفسه في مقدمتي تفسيريه الوسيط والوجيز. ويقع هذا التفسير في ستة عشر مجلداً^(٦).

٢ - الوسيط في تفسير القرآن الكريم - الذي نحن بصدد تحقيق جزء منه - وقد حظي هذا التفسير بشهرة فائقة وعناية كبيرة من أهل العلم فذكروه بالثناء والتقدير.

وقد صنف الشيخ إسماعيل بن محمد الحضرمي المتوفى سنة ٦٧٧ هـ كتاباً على تفسير الوسيط يشرح فيه غريبه ويبين مبهمات وأطلق عليه (عمدة القوي والضعيف الكاشف لما وقع في وسيط الواحدي من التبديل والتحريف). وقد أدى الحضرمي بهذا الكتاب خدمة جلييلة لتفسير الوسيط.

٣ - الوجيز في تفسير القرآن العزيز: وهو مطبوع ومخطوطاته منتشرة في المكتبات وقد اشتهر بشهرة لا تقل عن

سابقه.

(١) انظر العبر ٢٦٧/٣.

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٢/١.

(٣) انظر الواحدي ومنهجه في التفسير ص ٨٨.

(٤) انظر وفيات الأعيان ٤٦٤/٢ والنجوم الزاهرة ١٠٤/٥.

(٥) انظر شذرات الذهب ٣٣٠/٣ وطبقات الداودي ٣٩٤/١ والأعلام ٥٩/٥، ٦٠.

- ٤ - معاني التفسير^(١).
- ٥ - مسند التفسير^(١).
- ٦ - مختصر التفسير^(١).
- ٧ - الحاوي لجميع المعاني في التفسير^(٢).
- ٨ - جامع البيان في تفسير القرآن^(٣).

ثانياً: في علوم القرآن:

- ١ - أسباب النزول وهو من أعظم ما صنف في هذا العلم^(٤).
- ٢ - نفي التحريف عن القرآن الشريف^(٥).
- ٣ - مقاتل القرآن الكريم وهو من الكتب التي اندثرت للواحد ولم يذكرها مترجموه وإنما ورد ذكرها في كتب أخرى^(٦).
- ٤ - مختصر في علم فضائل القرآن. ذكره صاحب كشف الظنون وهو يشتمل على الأحاديث الواردة في فضائل القرآن الكريم^(٧).
- ٥ - رسالة في شرف علم التفسير: وهي مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٢٠ مجاميع) وقد ذكر فيها الواحدي الأحاديث والآثار الواردة في فضل الاشتغال بعلم التفسير.

ثالثاً: في النحو:

- ١ - الإعراب في علم الإعراب ولا أثر لهذا الكتاب إلا في مراجع التراجم^(٨).

رابعاً: في الأدب والعلوم الأخرى:

- ١ - شرح ديوان المتنبي وقد طبع هذا الكتاب في برلين سنة ١٢٧٦ هـ سنة ١٨٦٠ م^(٩) وليس في شروح ديوان المتنبي مثله في الجودة^(١٠).

- (١) ذكرها الواحدي في مقدمة تفسير الوسيط ولم يشر أحد ممن ترجم له إلى هذه المجاميع الثلاثة.
- (٢) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ١/٢٤٥ ط مكتبة المثنى ببغداد تحت عنوان (تفسير الواحدي) - فقال تفسير الواحدي ثلاثة: البسيط والوسيط والوجيز. وتسمى هذه الثلاث الحاوي لجميع المعاني يأتي كل منها.
- (٣) وذكر أنه يوجد بمكتبة داماد زاده باستامبول تركيا برقم ١٩١.
- (٤) قام بتحقيقه الأستاذ السيد أحمد صقر.
- (٥) انظر معجم الأدباء ٥/٩٧ وطبقات النحاة لابن قاضي شهبة ٢/١٣٥ وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٢٣، وشذرات الذهب ٣/٣٣٠.
- (٦) انظر مقدمة أسباب النزول للواحدي ص ٢١ والواحدي ومنهجه في التفسير ص ٩٧.
- (٧) انظر كشف الظنون ٢/١٢٧.
- (٨) انظر شذرات الذهب ٣/٣٣٠ وطبقات الشافعية ٥/٢٤٠ وسير أعلام النبلاء ١٨/٣٣٩ وبغية الوعاة ٢/١٤٥ وطبقات المفسرين للداودي ١/٣٩٤ وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٦٧.
- (٩) انظر الواحدي ومنهجه في التفسير ص ١٠٠.
- (١٠) انظر وفيات الأعيان ٢/٢٦٤.

- ٢ - التحبير في شرح أسماء الله الحسنى وقد اندثر هذا الكتاب^(١).
- ٣ - تفسير أسماء النبي ﷺ^(٢).
- ٤ - كتاب المغازي: أو مغازي النبي ﷺ. وهو من الكتب التي اندثرت ولم يبق لها سوى الاسم فقط^(٣).
- ٥ - كتاب الدعوات والمخصول^(٤).
- ٦ - الوسيط في الأمثال: مخطوط في خزانة الرباط ناقص الآخر وفيه خرم من وسطه^(٥).

وفاته:

اهتمت جميع مصادر تراجمه بتاريخ وفاته دون العناية بتاريخ مولده فتذكر جميعها أنه توفي بنيسابور بعد مرض طويل في جمادى الأولى سنة ٤٦٨ هجرية وقد شاخ وأنه من أبناء السبعين^(٦).

- (١) انظر سير أعلام النبلاء ٣٣٩/١٨ وطبقات الشافعية ٢٤٠/٥ ووفيات الأعيان ٣٠٣/٣ والأعلام للزركلي ٦٠/٥ وطبقات المفسرين للداودي ٣٩٤/١ والسيوطي صفحة ٦٧ والبداية والنهاية ١١٤/٢.
- (٢) انظر طبقات النحاة ١٣٥/٢ وشذرات الذهب ٣٣٠/٣.
- (٣) انظر معجم الأدباء ٩٧/٥ وطبقات المفسرين للداودي ٣٨٧/١ - ٣٨٨ وطبقات المفسرين ص ٢٣. والواحدي ومنهجه في التفسير ص ١٠١.
- (٤) انظر معجم الأدباء ٩٧/٥ وطبقات النحاة ١٣٥/٢ وطبقات الشافعية ٢٤١/٥ وطبقات الداودي ٣٨٧/١. وشذرات الذهب ٣٣٠/٣.
- (٥) انظر الأعلام للزركلي ٦٠/٥ وتفسير الوسيط ٢٤/١ تحقيق دكتور أحمد صيرة.
- (٦) انظر شذرات الذهب ٣٣٠/٣ سير أعلام النبلاء ٣٤٢/١٨ ووفيات الأعيان ٣٠٤/٣ العبر ٣٢٤/٢ طبقات المفسرين للداودي ٣٩٥/١ الكامل لابن الأثير ١٠١/١٠ غاية النهاية ٥٢٣/١ البداية والنهاية ١١٤/١٢ طبقات المفسرين للسيوطي (٦٧).

نسخ الكتاب المخطوطة

من أول الكتاب إلى نهاية سورة الأنعام

أولاً: النسخ المحفوظة بدار الكتب المصرية:

١ - نسخة محفوظة رقم ٢٧١ تفسير تبتديء من أول الكتاب وتنتهي بأخر تفسير سورة الأنعام - كتبت بخط النسخ الواضح المقروء. وتقع في ٢٥٠ ورقة وعدد الأسطر ٢٣ سطراً في كل سطر ١٧ كلمة تقريباً.

كتب عليها وارد من زاوية العربي / وقف السيد أحمد عبد السلام بزاوية الجوددلة.

وتنقص من أوله ورقة بعد الورقة الأولى وعشرون ورقة من الورقة رقم ٦٨ من أول قوله «آية المواريث في سورة النساء» . إلى رقم ٨٨ وينتهي هذا النقص عند قوله تعالى: ﴿مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ وقد نبهت على ذلك في الحاشية عند بدئه وانتهائه.

وأكملت هذا النص من النسخة (أ)، (ج).

وهذه النسخة مكتوبة بخط أحمد بن علي بن سولح في ١٨ جمادى الآخرة سنة ٧٣٣ هـ وقد رمزت لها في

التحقيق بحرف (د).

٢ - نسخة أخرى بخط النسخ تبدأ من قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل...﴾ إلى آخر سورة الأنعام - وتحمل رقم ١١٧ ج- ٣ تيمور وتقع في ٢٦٦ ورقة في كل صفحة ١٥ سطراً ولم يتبين لي اسم كاتبها ولا تاريخ كتابتها.

ثانياً: نسخ معهد المخطوطات العربية:

نسخة بعنوان «الوسيط في تفسير القرآن المجيد» وهي مصورة عن ميكرو فيلم رقم (٢٩٢ تفسير) بجامعة الدول العربية لمخطوطة (رقم ٩٣ تفسير بمكتبة أحمد الثالث باستانبول) يقع القرآن الكريم كله في ٣٩٣ ورقة وما يخص البحث يقع في ٢٣٣ صفحة عدد أسطر كل صفحة ٢٤ سطراً متوسط كل سطر ٢٤ كلمة تقريباً - وتنقص ورقة رقم ٦٨ عند نهاية سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ إلى قوله تعالى في سورة النساء ﴿تساءلون به والأرحام﴾.

كتبت بخط نسخ نفيس جداً ضبط معظمها بالشكل وعليها حواش قيمة ومقابلات كتبت بخط الفقيه محمود..

جلبي زاده في سنة ٧٤٠ هـ.

وقد اعتمدت عليها في التحقيق ورمزت لها بالرمز (أ).

ثالثاً: نسخ مكتبة الجامع الأزهر:

نسخة بخط النسخ الجميل المقروء معنونة من أولها بعنوان (الجزء الأول من الوسيط للواحدي) وتقع في ٢٢٧ ورقة وما يخص هذا البحث يقع في ٢٠٢ ورقة وتحمل رقم ١٤٣٣ حليم ٣٢٩٣٤.

كتبها أحمد بن عبد الوهاب الأنصاري في سنة ٧١٧ هـ في ٢١ شعبان وفي كل ورقة ٢٣ سطراً في كل سطر ٧٦ كلمة تقريباً.

ويغلب البياض على أطرافها مما يتعذر على القارئ إتمام قراءته ولكني استعنت بها لوضوح باقي الكلمات داخل الصفحات.

ورمزت لها بالرمز (ب).

رابعاً: نسخ مكتبة بلدية الإسكندرية:

نسخة بخط النسخ المقروء أغلبها مشكول الكلمات وتبدأ من أول الكتاب إلى آخر سورة المائدة وعددها ٢٠٧ صفحة بكل صفحة ٢٣ سطراً، كتبها محمد بن أيوب بن يونس الخطيبي الجيلاني في صفر سنة ٧٣٦ هـ وتحمل رقم ٣٠٣١ ج تفسير.

ورمزت لها بالرمز (هـ).

عملي في تحقيق الكتاب

لقد اعتنيت بتحقيق هذا الكتاب وإخراجه للمسلمين عناية تتفق ومقداره الجليل من كتب التفسير. ولم أضرب بوقتي وراحتي في سبيل إخراجه - بقدر جهدي وطاقتي - على أحسن صورة بحيث لو رآه مؤلفه الواحدي رحمه الله تعالى لقرت به عينه ودعا لي بخير.

وأمل كذلك إن رآه مشايخي وطلبة العلم وإخواني أن تنالني منهم دعوة صالحة وهذا ما يرجو العبد الضعيف من مثل هذا الجهد.

وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل ذخيرة لي في صحيفة حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وقد كان عملي في تحقيق هذا الكتاب على النحو التالي:

- ١ - جمعت ما تيسر لي جمعه من النسخ المخطوطة والمصورة.
- ٢ - جعلت أحسنها خطأ وأتمها فائدة هي الأصل ورمزت لها بالرمز (أ).
- ٣ - تحقيق النص والتأكد من صحته وذلك بنسخ الكتاب ثم مقابلته بالنسخ الأخرى ولم أثبت في الأصل إلا أصح العبارات وأقربها للصواب سواء كانت من الأصل أو من غيرها.
- ٤ - دونت الخلافات بين النسخ في الحاشية.
- ٥ - تصحيح الخطأ الذي يقع فيه الناسخ سهواً من زيادة أو نقص أو تكرار أو إبدال كلمة بأخرى والإشارة إلى ذلك في الحواشي وكذا تصحيح الأخطاء النحوية والإملائية.

- ٦ - إذا كانت هناك سقطات في بعض النسخ أو بياض أو خرم فإني أضع العبارة بين معقوفتين هكذا () وأشير إلى ذلك في الحاشية.
- ٧ - بينت بداية الصفحات ونهايتها من النسخة التي اعتمدها أصلاً لي وذلك بالترقيم للعدد الفردي (وجه) وللعدد الزوجي (ظهر).
- ٨ - ضبط الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والكلمات التي يخشى من قراءتها غير سليمة.
- ٩ - تخريج الآيات القرآنية التي جاءت للاستشهاد بها من سورها برقمها.
- ١٠ - ترقيم آيات الكتاب لسهولة الوصول إليها حسبما جاء في المصحف الشريف.
- ١١ - خرجت الأحاديث النبوية الشريفة من مراجعها، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما عزوته لهما أو لأحدهما بذكر اسم الكتاب والباب ورقم الصفحة وبلفظه أو بمعناه. ولا أعقب على الحديث بشيء لاتفاق الأمة على تلقي الكتابين بالقبول.
- وإن لم يكن الحديث في الصحيحين أعزوه إلى كتابه تفصيلاً كما سبق ثم أذكر الحكم عليه إن لم يحكم عليه صاحب الكتاب الذي وجدته عنده.
- وإن لم يكن في السنن عزوته إلى مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي وذكرت ما قال فيه وإذا أشار الواحدي إلى كتاب بعينه رجعت إليه أولاً.
- ١٢ - تخريج القراءات الواردة من كتب القراءات أولاً ومن غيرها إتماماً للفائدة.
- ١٣ - تخريج الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين من كتب التفسير بالمأثور أو من كتب الحديث.
- ١٤ - تخريج الآيات الشعرية من دواوينها إن أمكن الحصول عليها وإلا فمن كتب الأدب واللغة حسبما يتيسر لي.
- ١٥ - ترجمت للأعلام الواردة في الكتاب بذكر اسم العلم كاملاً وتاريخ مولده ووفاته مع زيادات يتطلبها المقام ودونت اسم المرجع الذي رجعت إليه في ذلك تحت اسم كل علم.
- هذا ولا يفوتني في هذا المقام أن أذكر أنه لا بد وأن يوجد في هذا العمل الكبير بعض النقص والهفوات التي قد يسبق إليها القلم أو يذهل عنها الفكر أو يخطيء الشخص في الحكم عليها. . والكمال لله وحده.
- فالرجاء ممن يطلع على ذلك أن ينهني مشكوراً ورحم الله امرءاً أهدي إليّ عيوي.
- فهذا جهد المقل وحسبي الله ونعم الوكيل.

وصف المخطوط

من سورة الأعراف إلى سورة الكهف

لقد اعتمدنا في هذا الكتاب على النسخ التالية:

الأولى: المحفوظة بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم (٢٩٢) تفسير وهي مصورة عن نسخة أحمد الثالث تحت رقم (٦٣) مسطرتها (٢٤) سطرًا مكتوبة بخط جيد واضح وهي كاملة لا نقص فيها وقد جعلناها أصلاً في تحقّقنا ورمزنا لها بالحرف (أ).

الثانية: المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٧٢) تفسير مسطرتها (١٧) سطرًا ورمزنا لها بالحرف (ب).

الثالثة: المحفوظة بالمكتبة المعمورة بالأزهر الشريف تقع تحت أرقام (٢٢٣٣٠) (٢٦٦٤٢) عام مسطرتها ما بين (٢٢ - ٢٩) سطرًا ورمزنا لها بالحرف (ج).

منهجنا في التحقيق

قمنا في العمل بما يلي:

أولاً: مقارنة النسخ وإثبات ما هو أصح في نص الكتاب وأثبتنا فروق النسخ في تعليقاتنا وقد أغفلنا فروقاً لا فائدة منها.

ثانياً: تخريج الآيات القرآنية.

ثالثاً: تخريج الأحاديث النبوية.

رابعاً: تخريج الآثار.

خامساً: تراجم الأعلام الواردة في النص.

سادساً: شرح الألفاظ اللغوية مستعينين في ذلك بمعاجم اللغة.

سابعاً: التعليق على بعض الموضوعات الفقهية.

ثامناً: التعليق على بعض المسائل النحوية.

تاسعاً: توثيق الآيات الشعرية وضبطها بالشكل.

عاشراً: التعليق على بعض القراءات التي أشار إليها المصنف.

الحادي عشر: وضع المصحف في الكتاب من أوله لآخره.

الثاني عشر: وضع فهرس شامل للكتاب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نسخ الكتاب المخطوطة

من سورة مريم إلى آخر الصفات

أولاً: النسخ المحفوظة بخزانة دار الكتب العربية:

١ - نسخة محفوظة تحت رقم (١٣١ م تفسير) بخط عبد الغفور بن عبد الغفار الواعظ البغدادي كتبت بخط نسخ سنة ٥٤٥ هـ ومسطرتها (٢١) سطراً ويقع الجزء المحقق من ص - ١ - حتى ص - ١٧٢ واتخذت هذه النسخة أصلاً ورمزت لها بالرمز (أ).

٢ - نسخة أخرى محفوظة تحت رقم (٢٧٣) يتدعى من أول سورة مريم وتنتهي بآخر سورة الناس، كتبت بخط النسخ المشكول وتقع في ٣٦٣ ورقة ومسطرتها ٢١ سطراً متوسط كل سطر ١٧ كلمة، ولقد كتبت هذه النسخة سنة ٧٨٨ هـ بقلم محمد بن طاهر بن عمر، ويقع الجزء المحقق من الورقة (٢) وينتهي بالورقة ١٧٠/أ وقد رمزت لها بالرمز (ب).

٣ - نسخة أخرى محفوظة تحت رقم (٨٨٧ - تفسير -) وتقع في مجلدين الأول يقع في (٢١٣) ورقة، والثاني في (١٥٢) ورقة نسخت بربح سنة ٨٤٨ هـ بقلم محمد بن علي الرف وبها آثار رطوبة ويقع الجزء المحقق في المجلد الثاني من الورقة (أ: ٧١) ومنها، وقد رمزت لها بالرمز (د)، هذا وتبلغ مسطرة هذه النسخة (٣٧) سطراً.

ثانياً: نسخ معهد المخطوطات العربية :-

١ - نسخة واحدة كتبت سنة ٧٤٠ هـ بخط نسخ عادي تشمل القرآن الكريم كله ومحفوظة تحت رقم (٢٩٢) وهي مصورة عن نسخة محفوظة بمكتبة أحمد الثالث بتركيا تحت رقم (٦٣ - ٣٩٣) وتقع هذه النسخة في (٣٩٣) ورقة ومسطرتها (٢٤) سطراً متوسط كل سطر (٢٤) كلمة، وكتبت سنة (٧٤٠) هـ بخط الفقيه محمود. . جلبي زاده، ورمزت لهذه النسخة بالرمز (ج).

ثالثاً: نسخ مكتبة الجامع الأزهر:

نسخة واحدة محفوظة تحت رقم (١٠٦٤) (٢٢٣٣٠) بآخرها نقص وبها آثار رطوبة وتقع في (٢٤٦) ورقة ومسطرتها (٢٧) سطراً، ولا يعلم تاريخ النسخ، وبهذه النسخة (٢٢) ورقة بخط مغربي تنتهي عند قوله تعالى من آل عمران ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾ الآية. أما بقية النسخة فممنسوخة بخط رقعة واضح، وتنتهي هذه النسخة عند قوله تعالى من سورة الطور ﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون﴾ ويقع الجزء المحقق من الورقة (١٤٨/ب) إلى الورقة (٢٢٠/ب) وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (ه).

المنهج المتبع في التحقيق

- ١ - جمعت ما تيسر لي جمعه من النسخ سواء كانت مخطوطة أو مصورة عن نسخ مخطوطة على ميكروفيلم (فيلم صغير).
 - ٢ - جعلت أقدمها نسخاً هي الأصل ورمزت لها بالرمز (أ) وهي النسخة رقم (١٣١ م تفسير).
 - ٣ - قمت بالمقارنة بين النسخ المخطوطة ولم أثبت في الأصل إلا أصح العبارات وأقربها لروح النص سواء كانت هذه العبارة من الأصل أو من النسخ الأخرى.
 - ٤ - أثبت الاختلافات في الحاشية وقد راعيت في ذلك أن أثبت من الاختلافات ما به يتغير المعنى أو يختلف اللفظ أما ما كان متمثلاً في ترك نقطة أو حرف أو تقديم وتأخير في الألفاظ فلم أعره اهتماماً حتى لا أنقل الحاشية بما لا طائل من ورائه ولا فائدة منه.
 - ٥ - إذا كانت هناك سقطات في بعض النسخ، أو نسخ بها بياض أو خرم فإني أضع العبارة الساقطة بين معقوفين هكذا () ، وأشير إلى ذلك في الحاشية، وإذا كان هناك سقط من الأصل أو خرم فإني أقوم بتصحيح العبارة من النسخ الأخرى وأشير إلى ذلك في الحاشية، كما حدث في أول سورة مريم وآخر سورة الأحزاب وأول سبأ.
 - ٦ - خرجت الأحاديث من كتب الحديث وتمتة للفائدة ذكرت الكتاب والباب والصفحة والطبعة من الكتاب الذي رجعت إليه طالما تيسر لي ذلك.
 - وإذا كان الحديث وارداً في صحيح البخاري أو صحيح مسلم اكتفيت بتخريجه منهما ولا ألتفت إلى ما سواهما إلا إذا كانت هناك فائدة.
 - وأما إذا لم يكن وارداً فيهما فإني لا أكتفي بتخريجه من هذا الحديث حتى أستطيع الحكم عليه أصحح هوام
- ٤٧
- وإذا لم يتيسر لي الحكم على حديث بالصححة أو الضعف عن طريق إحدى الكتب المعتمدة في علم الحديث فإني أحكم على هذا الحديث عن طريق رجاله فأفتش في إسناد هذا الحديث فإن كان إسناد هذا الحديث صحيحاً بينت أنه حديث صحيح من هذا الوجه وإن رأيت أن علماء الجرح والتعديل قد حكموا على سند هذا الحديث بالضعف أو على بعض رجاله بينت أنه حديث ضعيف من هذا الوجه.
 - ٧ - خرجت من القراءات من كتب القراءات من كتاب (السبعة) لابن مجاهد (أو النشر في القراءات العشر) لابن الجزري أو غيرها من الكتب الأخرى.
 - ٨ - ترجمت للأعلام الواردة كل على حسب اتجاهه وعلمه فرجال الحديث ترجمت لهم من كتب الرجال ولي هنا وقفة ألا وهي أي ترجمت لرجال الحديث الذي تيسر لي العثور على مراجع قد بينت أحوالهم أما إذا تيسر لي العثور على ترجمة للعلم فإني لم أجعله عقبه وأقف أمامها بل أتجاوزها إلى غيرها من الأمور واكتفيت في الترجمة بذكر اسم

(العلم) وتاريخ وفاته وأصل بعد ذلك إلى المراجع لمن أراد التوسع حتى لا أثقل على الحاشية.

وأعلام اللغة والأدب ترجمت لهم من كتبهم وهكذا.

٩ - خرجت أبيات الشعر من دواوين الشعراء إن وجدت وإلا فمن كتب الأدب واللغة طالما تيسر لي ذلك كذلك

ترجمت للقبائل الوارد ذكرها في صلب الرسالة من كتب الأنساب.

بينت أماكن البلدان من معاجم البلدان.

شرحت غريب الألفاظ وما احتاج إلى شرح أو توضيح واعتمدت في ذلك على كتب الصحاح والقواميس.

نسخ الكتاب المخطوطة

من سورة (ص) إلى آخر الكتاب

أولاً: النسخ المحفوظة بدار الكتب المصرية:

أ - نسخة محفوظة تحت رقم (٦٣٥) ٤٦٨٨١ ميكروفيلم بخط نسخ سنة (٤٦١) من نسخة الشيخ الإمام الحافظ الزاهد أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد بن سليمان المرادي الأندلسي رضي الله عنه وكانت بخط يده ويحق سماعه من الشيخ الجليل عبد الجبار بن محمد بن أحمد بن محمد المنيعي رضي الله عنه. وتبدأ من قوله في سورة الصافات: (فقال إبراهيم: «قم يا بني فقد نزل فداؤك فذبحه هناك») وتنتهي بآخر سورة «الناس». واسم ناسخها غير معروف، وعدد أوراقها ٢٣٧ ومسطرتها عشرون سطراً متوسط كل سطر إحدى عشرة كلمة. اتخذتها أصلاً ورمزت إليها بالرمز (أ).

ب - نسخة أخرى محفوظة تحت رقم (٢٧٣) تبدأ من سورة «مريم» وتنتهي بآخر سورة «الناس» كتبت بخط النسخ المشكول وتقع في ٣٦٣ ورقة ومسطرتها ٢١ سطراً متوسط كل سطر ١٧ كلمة وكتبت سنة ٧١٧ هجرية بقلم سليمان بن تقي بن يعقوب السروي وهذه النسخة نسبت على صفحة عنوان الكتاب - خطأ - لأبي عمرو محمد بن جعفر الكوفي تحت عنوان «الوسيط في التفسير» والصواب أنها نسخة من تفسير الوسيط بين الوجيز والوسيط لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري لعدة أسباب هي:

- ١ - أن محتواها يتفق مع محتوى النسخ الأخرى لتفسير الوسيط للواحدي.
- ٢ - أن ناسخها نص في نهايتها على أن هذا هو آخر كتاب الوسيط بين الوجيز والوسيط ومعروف كما ثبت من توثيق الكتاب أن هذا الكتاب للواحدي.
- ٣ - أن ناسخها هو سليمان بن تقي بن يعقوب السروي كما هو ثابت بخط الناسخ في نهاية النسخة وليس هو محمد بن طاهر بن عمر كما هو مثبت على الصفحة التي بها عنوان الكتاب.
- ٤ - أن تاريخ النسخ كما ورد في نهايتها بيد الناسخ هو سنة ٧١٧ هجرية وليس ٧٨٨ هـ المثبت في الصفحة عنوان الكتاب. هذا وقد رمزت إلى هذه النسخة بالرمز (ب) ويقع الجزء المحقق من الورقة رقم (١٧٠/ب) إلى الآخر.
- ٥ - وأخيراً فإنه بعد مراجعة كتب التراجم لم نر من له كتاب يسمى الوسيط في التفسير غير الواحدي ولا نسب إلى غيره.

ج - نسخة محفوظة تحت رقم (١٣١ م) تفسير بخط عبد الغفور بن عبد الغفار الواعظ البغدادي كتبت بخط نسخ سنة ٥٤٥ هـ ومسطرتها (٢١) سطراً وهي غير كاملة حيث تنتهي عند قوله في سورة «الصف»: «ثم ذم القول إذا لم يشفه

الفعل فقال (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) أي عظم ذلك». ويقع الجزء المحقق من الورقة ١٧٢. وقد رمزت إليها بالرمز (ج).

ثانياً: نسخ معهد المخطوطات العربية:

١ - نسخة واحدة كتبت سنة ٧٤٠ هجرية بخط نسخ عادي تشمل القرآن الكريم كله ومحفوطة تحت رقم (٢٩٢) وهي مصورة من نسخة محفوظة بمكتبة أحمد الثالث بتركيا تحت رقم (٦٣ - ٣٩٣) ورقة ومسطرتها (٢٤) سطرًا متوسط كل سطر (٢٤) كلمة وكتبت بخط الفقيه محمود... جلبي زاده ويقع الجزء المحقق من الورقة ٣٠١ إلى آخرها. وقد رمزت إليها بالرمز (د).

ثالثاً: نسخ مكتبة الجامع الأزهر:

١ - نسخة واحدة محفوظة تحت رقم (١٠٦٤ - ٢٢٣٣٠) بأولها وآخرها نقص وهي بقلم مغربي بها آثار رطوبة وتقع في ٢٤٩ ورقة ومسطرتها ٢٧ سطرًا، ولا يعلم تاريخ النسخ، وتنتهي هذه النسخة عند قوله تعالى من سورة «الطور» ﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون﴾ ويقع الجزء المحقق من الورقة ٢٢١/ب وقد رمزت إلى هذه النسخة بالرمز (ه).

منهجي في تحقيق هذا الكتاب

وكان منهجي في التحقيق يشتمل على الآتي:

- ١ - جمع الأصول لهذا الكتاب ووصف نسخه مع اعتبار أفضلها في التحقيق.
- ٢ - تحرير النص وإقامته بحيث يظهر قدر الإمكان على صورة أقرب إلى نسخة المؤلف وذلك بعمل الآتي:
 - أ - تصحيح اللفظ مع التغاضي عن الإشارة إلى اختلاف النسخ فيه إذا كان مرجع اختلافها إلى خطأ في اللغة العربية أو القواعد الإملائية.
 - ب - اختيار لفظ واحد من ألفاظ الكتاب التي تختلف في النسخ.
 - ج - إثبات النص الذي رجح لدي صحته في صلب الكتاب والتنبيه في الحاشية على اختلاف النصوص في بقية النسخ.
 - خ - إذا كانت هناك سقطات في بعض النسخ أو بياض فإني أضع العبارة بين معقوفتين هكذا [] وأسير إلى ذلك في الحاشية.

هـ - خرجت الآيات القرآنية التي جاءت للاستشهاد بها من سورها برقمها.

و - خرجت الأحاديث النبوية الشريفة من مراجعها، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما عزوته لهما أو لأحدهما بذكر اسم الكتاب والباب ولا أعقب على الحديث بشيء لاتفاق الأئمة على تلقي الكتابين بالقبول. وإن لم يكن في الصحيحين أذكر الحكم عليه بقدر الإمكان.

ز - تخريج القراءات الواردة من كتب القراءات أولاً ومن غيرها إتماماً للفائدة.

ح- تخريج الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين من كتب الحديث أو من كتب التفسير بالمأثور.

ط- تخريج الآيات الشعرية من دواوينها إن أمكن الحصول عليها وإلا فمن كتب الأدب واللغة والتفسير وغيرها حسبما تيسر لي.

ي- توضيح المبهم من الألفاظ. وترجمة للقبائل والبلدان.

ك- دراسة ما يحتاج للدراسة والتعليق عليه في موضعه.

ل- ترجمة للأعلام الواردة في الكتاب بذكر اسم العلم كاملاً وتاريخ مولده والحكم عليه ووفاته. وتدوين اسم المرجع الذي رجعت إليه في ذلك تحت اسم كل علم.

هذا ولا يفوتني في هذا المقام أن أذكر أنه لا بد وأن يوجد في هذا العمل بعض النقص والهفوات التي يسبق إليها القلم أو يذهل عنها الفكر أو يخطيء الشخص في الحكم عليها والكمال لله وحده.

أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعني وينفع المسلمين بما سطرت وكتبت وأن يجعلنا من المشمولين بفضله وخير كتابه.

هذا وبالله التوفيق.

الوسيط

في تفسير القرآن المجيد

تأليف

أبي الحسن علي بن أحمد الواصي النيسابوري

المتوفى سنة ٤٦٨ هـ

الجزء الأول

المحتوى

سورة الفاتحة - سورة آل عمران

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين^(١)

الحمد لله القادر العليم، الفاطر الحكيم، الجواد الكريم، الرب الرحيم منزل الذكر الحكيم، والقرآن العظيم، على المبعوث بالدين القويم، والصراط المستقيم، خاتم الرسالة، والهادي^(٢) عن الضلالة، المرسل بأشرف الكتب إلى العجم والعرب، محمد النبي العربي، صلى الله عليه^(٣)، وعلى آله الهداة المهتدين، وأصحابه الأخيار المنتخبين، وسلم تسليماً^(٣).

وبعد هذا^(٤): فالعلم أشرف منقبة^(٥)^(٦)، وأجل مرتبة، وأبهى مفخر وأربح متجر، به يتوصل إلى توحيد رب العالمين، وتصديق أنبيائه المرسلين.

والعلماء خواص عباد الله الذين اجتباهم، وإلى معالم دينه هداهم، وبمزية الفضل آثرهم واصطفاهم، هم ورثة الأنبياء وخلفاؤهم، وسادة^(٧) المسلمين وعرفاؤهم^(٨)، والدعاة إلى المحجة^(٩) المثلى، والتمسك بالشرعية والتقوى. أخبرنا^(١٠) أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد الزمجاري^(١١)، حدثنا^(١٢) أبو الحسن محمد بن أحمد بن حماد^(١٣)،

(١) من (أ) وفي (د) وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وفي (هـ) رب يسر كل خير.

(٢) في (د): من. (٦) بدء النسخة (ح) وأعله بياض.

(٣) من (د). (٧) في (د): وسادات.

(٤) في (د) أما بعد هذا. (٨) العرفاء: جمع عريف أي النقيب وهو دون الرئيس (اللسان / عرف).

(٥) المنقبة: الطريق (اللسان / نقب). (٩) المحجة: الطريق المستقيم. (حاشية أ ٥/٥).

(١٠) في (ح): أخبر الإمام أبو محمد عبد الجبار بن أحمد البيهقي أنا الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي.

وفي (هـ) الإمام فخر الأئمة.

(١١) الحافظ العالم أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الأستراباذي محدث سمرقند ومصنف تاريخها وتاريخ

أستراباذ سمع أبا العباس الأصم وغيره وعنه خلق كثير وثقه الخطيب، مات سنة ٤٠٥ هـ.

(تذكرة الحفاظ ٣/١٠٦٢ - ١٠٦٣).

(١٢) أقوال العلماء في أنواع تحمل الحديث:

قال القاضي عياض: لا خلاف أن يقول السامع حدثنا وأخبرنا وأنبأنا وسمعت وقال لنا وذكر لنا.

وقال الخطيب: أرفع العبارات سمعت ثم حدثنا وهو حدثني.

وقال ابن الصلاح: وينبغي أن يكون حدثنا وأخبرنا على من سمعت لأنه لا يقصده بالإسماع بخلاف ذلك والله أعلم.

(الباعث الحثيث ١٠٩ - ١١٠).

(١٣) محمد بن أحمد بن حماد بن سفيان محدث الكوفة ومفيدها - أبو الحسن - الكوفي الحافظ حدث عن عبد الله بن زيدان البجلي وغيره

وكان من المعمرين المشهورين وجمع وألف. مات سنة ٣٨٤ هـ.

(تذكرة الحفاظ ٣/٩٨٦ - ٩٨٧ وشذرات الذهب ٣/١١٠).

حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن معاوية البكائي^(١) حدثنا محمد بن مطرف السعدي^(٢)، عن شريك^(٣)، عن أبي إسحاق^(٤)، عن البراء بن عازب^(٥) قال:

قال رسول الله ﷺ «العلماء ورثة الأنبياء يحبهم أهل السماء ويستغفر لهم الحيتان في البحر إلى يوم القيامة»^(٦)

حدثنا^(٧) محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى^(٨)، حدثنا أبو بكر عبد الله بن يحيى الطلحي^(٩)، حدثنا أبو يعلى محمد بن أحمد بن عبيد الله الملقبي^(١٠)، حدثنا أحمد بن صالح^(١١)، عن منبه بن عثمان^(١٢)، عن صدقة بن

(١) في (د) السكاي والتصحيح من عمدة القوي والضعيف (١/ظ).

وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن راشد أبو الميمون البجلي محدث دمشق مات سنة ٣٤٧ هـ. (تذكرة الحفاظ ٣/٨٩٩).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) شريك بن عبد الله النخعي الكوفي أبو عبد الله القاضي صدوق يخطئ كثيراً تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة، مات سنة ١٧٧ هـ (تقريب التهذيب ١/٣٥١).

(٤) أبو إسحاق السبيعي: عمرو بن عبد الله الهمداني الكوفي الحافظ أحد الأعلام رأى علياً وهو يخطب وروى عن زيد بن أرقم وعدي بن حاتم وعبد الله بن عمرو، قيل حدث عن ٣٠٠ شيخ وقيل سمع ٣٨ صحابياً مات سنة ١٢٧ هـ. (تذكرة الحفاظ ١/١١٤ - ١١٥).

(٥) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج الأنصاري يكنى أبا عمارة سمع النبي ﷺ توفي في زمن مصعب بن الزبير وقيل في أول إمارة يزيد بن معاوية. (كتاب الجمع بين رجال الصحيحين ١/٦١).

(٦) الحديث أخرجه البخاري صدره في الصحيح - كتاب العلم - باب العلم قبل العمل ١/٢٣ - ٢٤ بلفظ «العلماء ورثة الأنبياء».

والترمذي في جامعه - كتاب العلم - باب فضل الفقه على العبادة عن أبي الدرداء بالفاظ متقاربة، وقال حديث صحيح... ١٥٣/٤. وأحمد في المسند من حديث أبي الدرداء ١٩٦/٥. وابن ماجه في السنن - باب ثواب معلم الناس الخير عن أبي الدرداء بالفاظ متقاربة ١/٨١.

وانظر كشف الخفاء ٢/٦٤ وفيه: «رواه الديلمي عن البراء بلفظ الترجمة وبزيادة يحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان في البحر إلى ماتوا».

وانظر الجامع الكبير للسيوطي ١/٤٣١ وفيه «رواه أبو نعيم والديلمي وابن النجار عن البراء» والحديث بلفظه.

واطلعت على مسند الفردوس للديلمي بمكتبة الجامع الأزهر رقم ٣٦٢. حديث فلم أجد فيه الأسانيد فلم أعني بالتخرج منه. (٧) في (د) أخبرنا.

(٨) المحدث أبو عبد الله محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي بنيسابور سمع حامد الرفاء ورحل في طلب الحديث مات سنة ٤٢٧ هـ.

(تذكرة الحفاظ ٣/١٠٩٠).

(٩) أبو بكر عبد الله بن يحيى بن معاوية الطلحي ثقة صاحب حديث.

(شذرات الذهب ٣/٢٨).

(١٠) محمد بن أحمد بن عبد الله بن مروان أبو يعلى الملقبي قدم بغداد وحدث بها عن أبيه وعن مسعود بن جويرية والفتح بن سلومة وغيرهم. (تاريخ بغداد ١/٣١٦).

(١١) أحمد بن صالح المصري أبو جعفر المقرئ طبري الأصل أحد الحفاظ المبرزين والأئمة المذكورين كان إماماً فقيهاً نظاراً متقناً رأساً في الحديث وعلله إماماً في القراءات واللغة والنحو روى عنه البخاري وأبو داود ولد سنة ١٧٠ ومات ٢٤٨ هـ (حسن المحاضرة ١/٣٠٦).

(١٢) منبه بن عثمان الدمشقي اللخمي محدث معمر أدرك أيام مكحول ولد سنة ١١٣ هـ ومات بعد سنة ٢١٢ هـ قال أبو خاتم: كان صدوقاً.

(سير أعلام النبلاء ١٠/١٥٩ - ١٦٠).

عبد الله (١) عن طلحة بن زيد (٢) (٣)، عن موسى بن عبيدة (٤) عن سعيد بن أبي هند (٥)، عن أبي موسى الأشعري (٦) قال:

قال رسول الله ﷺ «يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول: يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم ولم أضعه فيكم لأعذبكم، انطلقوا إلى الجنة فقد غفرت لكم» (٧).

وإن أم العلوم الشرعية، ومجمع الأحكام الدينية، كتاب الله المودع نصوص الأحكام وبيان الحلال والحرام، والمواظب النافعة، والعبر الشافية، والحجج البالغة، والعلم به أشرف العلوم وأعزها (٨)، وأجلها وأمرها، لأن شرف العلوم بشرف المعلوم.

ولما كان كلام الله تعالى أشرف المعلومات، كان العلم بتفسيره وأسباب تنزيله ومعانيه وتأويله، أشرف العلوم.

ومن شرف هذا العلم وعزته في نفسه أنه لا يجوز القول فيه العقل والتدبر، والرأي والتفكير، دون السماع والأخذ عن (٩). شاهدوا التنزيل بالرواية والنقل.

والنبي ﷺ فمن بعده من الصحابة والتابعين قد شددوا في هذا حتى جعلوا المصيب فيه برأيه مخطئاً.

(١) صدقة بن عبد الله السمين أبو معاوية الدمشقي روى عن ابن المنكدر وطبقته، ضعفه أحمد والبخاري وقال أبو زرعة: كان قديراً لنا وقال أبو حاتم: محله الصدق أنكر عليه القدر فقط مات سنة ١٦٦ - (ميزان الاعتدال ٣١٠/٢ - ٣١١).

(٢) طلحة بن زيد الرقي وقيل الكوفي وقيل الشامي نزيل واسط، يقال إنه قرشي قال البخاري منكر الحديث وقال النسائي متروك وقال ابن حبان منكر الحديث لا يحل الاحتجاج به «صدقة بن عبد الله عن طلحة بن زيد عن موسى بن عبيدة عن سعيد بن أبي هند عن أبي موسى - مرفوعاً - الحديث». قال ابن المديني: كان طلحة يضع الحديث.

(٣) في النسخة (د) نقص حتى قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وسأشير إليه عند اللحوق به. لم ينه عليه في المطبوعة.

(٤) موسى بن عبيدة الريزي عن نافع ومحمد بن كعب القرظي وعن شعبة وروح بن عباد، قال أحمد لا يكتب حديثه وقال النسائي وغيره ضعيف وقال ابن عدي الضعف على رواياته بين، وقال ابن سعد ثقة وليس بحجة مات سنة ١٥٣ هـ. (الميزان ٢١٣/٤).

(٥) سعيد بن أبي هند المدني مولى سلمة بن جندب الفزاري سمع ابن عباس وغيره روى عنه ابنه عبد الله ويزيد بن أبي حبيب والوليد بن كثير روى له البخاري ومسلم (الجمع بين رجال الصحيحين ١٧٢/١).

(٦) أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار اليماني نزل البصرة سمع النبي ﷺ وغيره من الصحابة روى عنه أنس بن مالك وابنه أبو بردة توفي سنة ٥٤٤ هـ. (كتاب الجمع ٢٤١/١).

(٧) الحديث: رواه الطبراني في الصغير ٢١٣/١ عن أبي موسى.

ومجمع الزوائد - كتاب العلم - باب فضل العلماء ومجالستهم عن أبي موسى وفيه موسى بن عبيدة الريزي وهو ضعيف جداً (١٢٦/١ - ١٢٧).

وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٢٦٣/١.

وانظر تنزيه الشريعة المرفوعة ٢٦٨/١ واللآلئ المصنوعة ٢٢٠/١.

(٨) في (أ) وأعزها وأفضلها.

(٩) في (هـ) عن من.

أخبرنا أبو نصر (محمد) (١) بن محمد بن عبد الله بن زكريا الجوزقي (٢)، أخبرنا بشر بن أحمد بن البشر (٣) أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى (٤)، أخبرنا بشر بن الوليد الكندي (٥)، أخبرنا سهيل أخو حزم (٦)، عن أبي عمراء الجوني (٧) عن جندب (٨) قال:

قال رسول الله ﷺ «من قال في القرآن برأيه فأصاب، فقد أخطأ» (٩) أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (١٠)، أخبرنا (١١) الحسن بن علي الشيباني (١٢) أخبرنا محمد بن حمدون بن خالد (١٣)، أخبرنا علي بن صدقة

(١) الزيادة من إسناد آخر سيجيء في آخر سورة آل عمران، أما محمد بن عبد الله بن زكريا الجوزقي فهو أبو بكر والد أبي نصر وهو متوفى سنة ٣٨٨ هـ.

(انظر تذكرة الحفاظ ١٠١٣/٣).

ولم ينه عليه في المطبوعة.

(٢) لم أعثر فيما راجعت على ترجمة له وإنما المذكور ترجمة والده أبي بكر.

(٣) بشر بن أحمد الإسفراييني الدهقان أبو سهل المحدث الجوال روى عن إبراهيم الذهلي وقرأ على الحسن بن سفيان مسنده رحل وأملى وأفتى توفي سنة ٣٧٠ هـ عن نيف وتسعين سنة.

(شذرات الذهب ٧١/٣).

(٤) أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى التميمي الموصلي صاحب المسند الكبير قال الحاكم ثقة مأمون توفي سنة ٣٠٧ هـ.

(تذكرة الحفاظ ٧٠٧/٢ - ٧٠٨).

(٥) بشر بن الوليد الكندي القاضي العلامة أبو الوليد تفقه على أبي يوسف وسمع من مالك وطبقته وولي قضاء مدينة المنصور مات سنة ٢٣٨ هـ وله ٧٧ سنة.

(شذرات الذهب ٨٩/٢).

(٦) سهيل بن أبي حزم مهران القطعي عن أبي عمران الجوني وثابت وعنه شريح بن النعمان وهديبة وطائفة قال ابن معين صالح وقال أبو حاتم والبخاري والنسائي ليس بالقوي. (الميزان ٢٤٤/٢).

(٧) أبو عمران الجوني: عبد الملك بن حبيب البصري، سمع جندب بن عبد الله وجماعة مات عن سن عالية سنة ١٢٨ هـ (شذرات ١٧٥/١).

(٨) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي أبو عبد الله صحابي جليل روى عنه الحسن وأبو عمران الجوني وعبد الملك بن عمير توفي سنة ٦٤ هـ.

(تهذيب التهذيب ١١٧/٢، الكاشف ١٨٨/١).

(٩) الحديث: رواه الترمذي - في كتاب التفسير - باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه عن جندب رقم ٤٠٢٤ وقال حديث غريب،

(٤/٢٦٨ - ٢٦٩) ورواه أبو داود في كتاب العلم باب الكلام في كتاب الله بغير علم عن جندب رقم ٣٦٥٢، (٣/٣٢١). ورواه الطبري

في تفسيره ٧٩/١ وانظر الجامع الصغير ١١٧/٢ ورمز له بالصحيح.

(١٠) أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي المفسر المشهور صاحب التفسير الكبير كان حافظاً واعظاً رأساً في التفسير والعربية متين

الديانة، ويقال الثعلبي والثعالبي، وهو لقب له وليس بنسب كان كثير الحديث واسع السماع، أثنى عليه عبد الغافر الفارسي وقال هو

صحيح النقل موثوق به مات سنة ٤٢٧ هـ.

(شذرات ٣/٣٢٠، البداية والنهاية ٤٠/١٢).

(١١) في (هـ) حدثنا في جميع السند.

(١٢) الحسن بن علي بن مالك بن أشرس بن عبد الله بن منجاب أبو محمد الشيباني المعروف بالأشثاني من أهل بغداد حدث عن عمرو بن

عون ويحيى بن معين وسويد بن نصر وغيرهم... (الأنساب للسمعاني ٢٨٠/١).

(١٣) الحافظ الكبير أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد النيسابوري الثقة الإمام روى عن الذهلي والربيع المرادي وعيسى بن أحمد وغيرهم

وثقه الحاكم، مات سنة ٣٢٠ هـ (شذرات ٢/٢٨٦).

الرقبي^(١)، أخبرنا عبد الله بن جعفر الرقي^(٢)، أخبرنا المعتمر بن سليمان^(٣)، عن ليث^(٤)، عن الحسن^(٥) عن سعيد بن جبير^(٦)، عن ابن عباس^(٧) قال:

قال رسول الله ﷺ «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»^(٨).

وكل علم سوى الكتاب والسنة وما يستند إليهما فهو باطل، ومن تحلى من العلماء بغيرهما فهو عاطل عن الآيات الواضحة الباهرة والسنن المأثورة الزاهرة، على هذا درج الأولون، والسلف الصالحون.

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصر أباذي^(٩)، أخبرنا إسماعيل بن نجيد^(١٠) أخبرنا محمد بن الحسن بن الخليل^(١١)، أخبرنا محمد بن عبيد^(١٢)، أخبرنا صالح بن موسى^(١٣)

(١) لم أقف عليه.

(٢) عبد الله بن جعفر بن غيلان الرقي، أحد العلماء الأثبات روى عنه الدارمي وأبو حاتم وخلق وثقه ابن معين وأبو حاتم وقال النسائي ليس به بأس قبل أن يتغير سنة ٢١٨ هـ مات سنة ٢٢٠ هـ... (الميزان ٤٠٣/٢).

(٣) المعتمر بن سليمان بن طرخان التيمي أبو محمد البصري أحد الثقات الأعلام قال ابن خراش صدوق يخطئ من حفظه وإذا حدث من كتابه فهو ثقة، قلت هو ثقة مطلقاً، قال أبو حاتم والمجلى ثقة زاد أبو حاتم صدوق مات سنة ١٨٧ هـ. (الميزان ١٤٢/٤، وتهذيب التهذيب ٢٢٧/١٠ - ٢٢٨).

(٤) الليث بن سعد بن عبد الرحمن النهدي أبو الحارث المصري أحد الأعلام ولد سنة ٩٤ هـ روى عن الزهري وعطاء ونافع وخلق، قال ابن سعد ثقة كثير الحديث صحيحه قال الشافعي: كان الليث أفقه من مالك إلا أنه ضيعه أصحابه توفي ١٧٥ هـ (حسن المحاضرة ٣٠١/١).

(٥) الحسن بن أبي الحسن - واسمه يسار - البصري مولى زيد بن ثابت الأنصاري، أخو سعيد وعمارة وأمهم مولاة أم سلمى يكنى أبا سعيد سمع جندب بن عبد الله وأنس بن مالك ومقل بن يسار وسمره بن جندب وأبا بكره وهو ثقة فقيه فاضل مشهور. مات سنة ١١٠ هـ (تقريب التهذيب ١٦٥/١، الجمع ٨٠/١ - ٨١).

(٦) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالي كنيته أبو عبد الله كان فقيهاً ورعاً سمع من ابن عباس وابن عمر وعبد الله بن المغفل وغيرهم وهو تابعي ثقة مات سنة ٩٥ هـ وهو ابن ٤٩ سنة... (تهذيب التهذيب ١١/٤، الجمع ١٦٤/١).

(٧) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو العباس الهاشمي المكي، ابن عم النبي ﷺ سمع النبي ﷺ وروى عن جماعة من الصحابة مات سنة ٦٨ هـ. (كتاب الجمع ٢٣٩/١).

(٨) الحديث رواه الترمذي في كتاب التفسير باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه عن ابن عباس رقم ٤٠٢٢ وقال حديث حسن صحيح (٢٦٨/٨/٤) وأحمد في المسند ٢٢٩/١، ٢٣٢، والطبري ٧٨/١.

(٩) أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم النصر أباذي الواعظ النيسابوري روى عنه الواحدى (طبقات الشافعية للسبكي ٢٤٠/٥، سير أعلام النبلاء ٣٣٩/١٨).

(١٠) إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف بن خالد أبو عمرو السلمي النيسابوري قال فيه الحاكم: الشيخ العابد الزاهد شيخ عصره في التصوف والعبادة والمعاملة وأسد من بقي بخراسان في الرواية توفي سنة ٣٦٥ وهو ابن ٩٣ سنة. (البيدانية والنهاية ٢٨٨/١١، طبقات الشافعية ٢٢٢/٣ - ٢٢٣).

(١١) محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليل أبو بكر النيسابوري القبطان الشيخ الصالح مسند نيسابور - توفي سنة ٣٣٢ هـ (الوافي بالوفيات ٣٧٢/٢).

(١٢) محمد بن عبيد المحاربي أبو جعفر الكوفي النحاس عن شريك وأبي الأحوص وابن المبارك وعنه ابن جرير وغيره، ذكره ابن حبان في الثقات مات سنة ٢٤٥ هـ.

(الكاشف ٧٥/٣).

(١٣) صالح بن موسى بن عبد الله بن إسحاق بن طلحة بن عبيد الله القرشي الطلحي كوفي ضعيف يروي عن عبد العزيز بن رفيع قال يحيى =

الوسيط في تفسير القرآن المجيد ج ١/٤م

عن عبد العزيز بن رفيع^(١)، عن أبي صالح^(٢)، عن أبي هريرة^(٣) قال:

قال رسول الله ﷺ «إني قد خلّفتُ فيكم شيئين لن تضلوا أبداً ما أخذتم بهما، وعملتُم بما فيهما، كتاب الله عز وجل^(٤) وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٥).

وقد سبق لي قبل هذا الكتاب - بتوفيق الله وحسن تيسيره - مجموعات ثلاث في هذا العلم: (معاني التفسير، ومسند التفسير، ومختصر التفسير)^(٦).

وقديماً كنت أطالب بإملاء كتاب في تفسير^(٧) «وسيط»^(٨) ينحط عن درجة «البيسط» الذي تجز فيه أذبال الأقوال، ويرتفع عن مرتبة «الوجيز» الذي اقتصر على الإقلال.

والأيام تدفع في صدر المطلوب بصروفها^(٩)، على اختلاف صنوفها^(١٠)، وسأخذ نفسي على فتورها، وقريحتي على قصورها، لما أرى من جفاء الزمان، وخمول العلم وأهله، وعُلُوّ أمر الجاهل على جهله، بتصنيف^(١١) تفسير أعليه من التطويل والإكثار وأسلمه من خلل الوجازة والاختصار، وآتي به على النمط الأوسط والقصد الأقوم حسنة بين السيتين، ومنزلة بين المنزلتين، لا إقلال ولا إملال.

نعم المعين توفيق الله تعالى، لإتمام ما نويت، وتيسيره لإحكام ما له تصديت.

= ليس بشيء ولا يكتب حديثه وقال البخاري منكر الحديث «صالح بن موسى حديث عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً: إني قد خلفت الحديث». (الميزان ٣٠١/٢ - ٣٠٢).

(١) عبد العزيز بن رفيع الأسدي أبو عبد الله المكي الطائفي قال أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي والعجلي ثقة توفي سنة ١٣٠ هـ (تهذيب التهذيب ٣٣٧/٦ - ٣٣٨).

(٢) أبو صالح الزياد السمان - كان يجلب السمن والزيت إلى الكوفة - واسمه ذكوان مولى جورية بنت الحارث امرأة من قيس العطفية والد سهيل سمع من أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وجابر وابن عمر وغيرهم مات سنة ١٠١ هـ روي له البخاري ومسلم (كتاب الجمع ١٣٢/١ - ١٣٣).

(٣) أبو هريرة الدوسي اليماني الحافظ الفقيه صاحب رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن صخر كان اسمه في الجاهلية عبد شمس توفي سنة ٥٨ هـ.

(تذكرة الحفاظ ٢٢/١ - ٢٧).

(٤) ساقطة من (ح).

(٥) الحديث: رواه الحاكم في المستدرک - كتاب العلم عن أبي هريرة بلفظ «إني تركت فيكم...» وصححه ٩٣/١.

والدارقطني - كتاب الأفضية والشهادات رقم ١٤٩ عن أبي هريرة ٢٤٥/٤.

وأحمد في المسند ١٧/٣، ٢٦، ٢٩ عن أبي سعيد، ١٨١/٥، ١٨٢ عن زيد بن أرقم والعجلي في الضعفاء الكبير «حدثنا صالح بن موسى الطلحي عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح عن أبي هريرة» ذكر في ترجمة عبد الله بن داهر الرازي وهو رافضي خيب» (٢٥٠/٢ - ٢٥١).

وذكره الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي والسماع بلفظه عن أبي هريرة رقم ٨٨ (١١١/١) في باب ذكر ما يجب على طالب الحديث من الاحتراف. فصل ذكر ما يجب تقديم حفظه على الحديث.

(٦) لم يشر أحد ممن ترجم له إلى هذه المجاميع الثلاثة ولم أر نقلاً عنها أو إشارة إليها. (مقدمة أسباب النزول للواحد ص ١٨).

(٧) في (ح) في تفسير القرآن.

(٨) في حاشية (أ) أي متوسط الحجم.

(٩) في حاشية (أ) جمع صنف وهو النوع، وفي (هـ) صنوفها عليّ.

(١٠) في حاشية (أ) زيادة: ما رسم.

(١١) في حاشية (أ) حواشيها.

القول فيما روي من فضائل

سورة الفاتحة

مكية وآياتها سبع

أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد بن إبراهيم المهرجاني^(١)، أخبرنا عبيد الله بن محمد بن محمد الزاهد^(٢)، أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز^(٣)، أخبرنا علي بن مسلم^(٤)، أخبرنا حرمي بن عمارة^(٥)، قال حدثني شعبة^(٦) عن خبيب بن عبد الرحمن^(٧) عن حفص بن عاصم^(٨)، عن أبي سعيد بن المعلى^(٩) قال: كنت أصلي فمر بي النبي ﷺ فناداني فلم آته، حتى فرغت من صلاتي فقال: ما يمنعك أن تأتيني إذ دعوتك؟ قلت: كنت أصلي، قال: ألم يقل الله عز وجل (استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم)^(١٠) أتحب أن أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟

- (١) أبو نصر أحمد بن محمد بن إبراهيم المهرجاني: لم أقف عليه.
- (٢) الإمام الفقيه القدوة العابد المحدث أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي (ابن بطة) ولد سنة ٣٠٤ هـ وتوفي سنة ٣٨٧ هـ.
(سير الأعلام ١٦/٥٢٩ - ٥٣٣).
- (٣) عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان أبو القاسم البغوي قال الخطيب ثقة ثبت وقال الدارقطني ثقة جبل توفي سنة ٣١٧ هـ.
(تذكرة الحفاظ ٢/٧٣٧ - ٧٤٠).
- (٤) علي بن مسلم بن سعيد أبو الحسن الطوسي سكن بغداد سمع من هشيم وعبد الله بن نمير ويحيى بن أبي زائدة وغيرهم قال الدارقطني ثقة وقال النسائي ليس به بأس روى عنه البخاري مات سنة ٢٥٣ هـ.
(تهذيب التهذيب ٧/٣٨٢، ٣٨٣، الجمع ١/٣٥٧).
- (٥) حرمي بن عمارة بن أبي حفصة الأزدي مولى عتيك واسم أبي حفصة ثابت كنيته أبو روح روى عنه علي بن المديني وروى له البخاري ومسلم توفي سنة ٢٠١ هـ.
(تقريب التهذيب ١/١٥٩، الجمع ١/١١٣ - ١١٤).
- (٦) شعبة بن الحجاج أبو الورد المتكفي الأزدي البصري، واسطي سكن البصرة كنيته أبو بسطام، أول من تفتش بالعراق عن أمر المحدثين وجانب الضعفاء والمتروكين قال ابن سعد ثقة مأمون ثبت ولد سنة ٨٣ هـ ومات سنة ١٦٠ هـ.
(تهذيب التهذيب ٤/٣٣٨ - ٣٤٥، الجمع ١/٢١٨).
- (٧) خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن يساف أبو الحارث الأنصاري المدني السنجي سمع حفص بن عاصم وغيره، روى عنه شعبة ومالك وطائفة مات في زمن مروان بن محمد (كتاب الجمع ١/١٢٧).
- (٨) حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب القرشي العمري المدني الفقيه سمع أبا هريرة وعبد الله بن عمر وأبا سعيد بن المعلى وغيرهم وعنه خبيب بن عبد الرحمن وغيره متفق على الاحتجاج به، توفي في حدود سنة ٩٠ هـ.
(سير الأعلام ٤/١٩٦ - ١٩٧).
- (٩) أبو سعيد بن المعلى بن لوذان بن حبيب بن عبد حارثة الأنصاري المدني صحابي جليل سمع النبي ﷺ توفي سنة ٩١ هـ وليس لأبي سعيد في البخاري سوى هذا الحديث.
(كتاب الجمع ٢/٥٩٦، فتح الباري ٨/١٢٧).
- (١٠) سورة الأنفال ٢٤.

قال: فذهب يخرج فذكرته فقال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾^(١) رواه البخاري^(٢) في الصحيح عن مسدد^(٣) عن يحيى بن سعيد^(٤) عن شعبة^(٥).

أخبرنا الأستاذ أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي^(٦) أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال^(٧)، أخبر يحيى بن الربيع المكي^(٨) أخبرنا سفيان بن عيينة^(٩)، حدثني العلاء بن عبد الرحمن^(١٠)، عن أبيه^(١١) عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي، فإذا قال العبد ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال ﴿الرحمن الرحيم﴾ قال الله: مجدني عبدي - أو أثنى عليَّ عبدي - وإذا قال ﴿مالك يوم الدين﴾ قال الله: فوّض إليَّ عبدي، وإذا قال^(١٢) ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ قال الله: هذه بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، وإذا

(١) سورة الفاتحة ٢/ والمراد: السورة بتمامها.

(٢) البخاري: شيخ الإسلام وإمام الحفاظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولا هم البخاري صاحب الصحيح والتصانيف، مولده سنة ١٩٤ هـ وكان رأساً في الذكاء والعلم والورع والعبادة توفي سنة ٢٥٦ هـ (تذكرة الحفاظ ٢/٥٥٥ - ٥٥٦).

(٣) مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مغربل بن أريد بن ماهك أبو الحسن الأسدي البصري الحافظ الحجة روى عنه البخاري مات سنة ٢٢٨ هـ.

(تذكرة الحفاظ ٢/٤٢١ - ٤٢٢، الجمع ٢/٥٢٢ - ٥٢٣).

(٤) يحيى بن سعيد بن فروخ القطان، أبو سعيد التيمي، روى عنه محمد بن المشي وبن دار ومسدود وابن المدني ولد سنة ١٢٠ هـ ومات سنة ١٩٨ هـ.

(كتاب الجمع ٢/٥٦١ - ٥٦٢).

(٥) الحديث: رواه البخاري - كتاب التفسير - باب ما جاء في فاتحة الكتاب ٩٧/٣ وتفسير سورة الأنفال ٣/١٣٢، وباب فاتحة الكتاب ٢٢٨/٣.

(٦) أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش بن علي بن داود الزيادي الفقيه، كان إمام أهل الحديث بخراسان وفقههم ومفتيهم بالاتفاق ثقة توفي سنة ٤١٠ هـ.

(طبقات الشافعية ٤/١٩٨ - ٢٠٠).

(٧) أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال النيسابوري، الشيخ المسند الصدوق أبو حامد المعروف بالخشاب ولد سنة ٢٤٠ هـ قال الخليلي ثقة مأمون مشهور سمع منه الكبار توفي سنة ٣٣٠ هـ.

(سير الأعلام ١٥/٢٨٤ - ٢٨٥).

(٨) يحيى بن الربيع المكي، روى عنه أبو حامد بن محمد بن يحيى بن بلال البزار وغيره وروى عن سفيان بن عيينة ووقع لنا حديثه عال في جزء من حديثه، رواه عنه الحافظ أبو عبد الله بن مندة.

(العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٧/٤٣٤).

(٩) سفيان بن عيينة بن أبي عمر أبو محمد الكوفي، قال العجلي ثقة ثبت في الحديث وقال ابن سعد ثقة ثبت كثير الحديث حجة توفي سنة ١٩٨ هـ. (تهذيب التهذيب ١/١١٧ - ١٢٢).

(١٠) العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي، مولى الحرقة، المدني - وحرقة من جهينة، كنيته أبو شبل، سمع أباه وأنس بن مالك وطائفة مات سنة ١٣٨ هـ.

(تهذيب التهذيب ٨/١٨٦ - ١٨٧، الجمع ١/٣٨٠).

(١١) عبد الرحمن بن يعقوب الجهني المدني قال النسائي ليس به بأس، وقال العجلي تابعي ثقة سمع أبا هريرة وغيره روى عنه ابنه العلاء. (تهذيب التهذيب ٦/٣٠١، الجمع ١/٣٠٠).

(١٢) إلى هنا ينتهي النقص من النسخة (د).

قال ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ قال الله : هذه لك، رواه مسلم^(١) عن إسحاق^(٢)، عن سفيان^(٣). أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد المنصوري^(٤)، أخبرنا علي بن عمر بن مهدي^(٥) حدثنا أبو بكر يوسف بن يعقوب الأزرق^(٦) حدثني جدي^(٧)، حدثنا أبي^(٨) حدثنا ابن سمعان^(٩)، عن العلاء عن أبيه، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

قال الله عز وجل: إني قسمت الصلاة بيني وبين عبدني نصفين، فنصفها له ونصفها لي، يقول عبدني - إذا افتتح صلاته - ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فيذكرني^(١٠) عبدني، ثم يقول ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ فأقول: حمدني عبدني، ثم يقول ﴿الرحمن الرحيم﴾ فأقول: أنتى عليّ عبدني ثم يقول ﴿مالك يوم الدين﴾ فأقول: مجدني عبدني ثم يقول ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فهذه الآية بيني وبين عبدني نصفين، وآخر السورة لعبدني، ولعبدني ما سألت^(١١).

(١) الإمام مسلم: الإمام الحافظ حجة الإسلام أبو الحسين القشيري صاحب التصانيف ولد سنة ٢٠٤ هـ ومات سنة ٢٦١ هـ. (تذكرة الحفاظ ٥٨٨/٢، ٥٩٠).

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي ثم النيسابوري الإمام عالم المشرق أبو يعقوب الحافظ صاحب التصانيف قال أحمد: لا أعلم بالعراق نظيراً له وقال أبو زرعة: ما روي أحفظ منه عاش ٧٧ سنة ومات سنة ٢٣٨ هـ. (شذرات الذهب ٨٩/٢).

(٣) الحديث: رواه مسلم - كتاب الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة عن أبي هريرة..... (١٦٨/١).

(٤) أبو منصور السواق محمد بن محمد بن عثمان البغدادي البندار روى عن القطيعي ومخلد بن جعفر وثقه الخطيب مات سنة ٤٤٠ هـ عن سنة ٨٠

(العبر ٢٧٨/٢).

(٥) علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن الدارقطني قال الخطيب كان فريد عصره وإمام وقته انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال مع الصدق والثقة وصحة الاعتقاد توفي سنة ٣٨٥ هـ ومولده سنة ٣٠٦ هـ. (تذكرة الحفاظ ٩٩١/٣ - ٩٩٥).

(٦) أبو بكر يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول بن حسان الأزرق التنوخي الكاتب الأنباري سمع جده إسحاق بن البهلول والزيبر بن بكار والحسن بن عرفة وغيرهم وعنه الدارقطني وغيره ولد سنة ٢٣٨ هـ ومات سنة ٣٢٩ هـ. (الأنساب ٢٠٠/١ - ٢٠١).

(٧) إسحاق بن بهلول بن حسان الحافظ الناقد الإمام أبو يعقوب التنوخي الأنباري سمع أباه وسفيان بن عيينة ووكيعا وغيرهم وعنه حفيده يوسف بن يعقوب الأزرق وغيره وثقه الخطيب مات سنة ٢٥٢ هـ وله ٨٨ سنة. (تذكرة الحفاظ ٥١٨/٢).

(٨) يعقوب بن إسحاق بن البهلول بن حسان بن سنان أبو يوسف حدث عن أبيه وكان من حفاظ القرآن العالمين به وحدث حديثاً كثيراً عن مشايخ أبيه، مات في حياته ولد سنة ١٨٧ هـ ومات سنة ٢٥١ هـ. (تاريخ بغداد ٢٧٦/١٤).

(٩) في (ح، هـ) عن ابن سمعان وهو الأوفق كما في عمدة القوي والضعيف ص ٢.

ابن سمعان: عبد الله بن زياد المدني الفقيه أحد المتروكين في الحديث حدث عن مجاهد والأعرج وعنه ابن وهب وعبد الرزاق وعدة، كذبه مالك.

(الكاشف ٨٧/٢).

(١٠) في (ح-): فأقول قد ذكرني عبدني.

(١١) الحديث: رواه الترمذي كتاب التفسير - باب سورة الفاتحة رقم ٤٠٢٧ عن أبي هريرة وقال: هذا حديث حسن (بألفاظ متقاربة) ٢٧٠/٤.

وأبو داود في السنن - كتاب الصلاة - باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب رقم ٨٢١ عن أبي هريرة ٢١٦/١ - ٢١٧.

وما أسنى هذه الفضيلة، إذ لم يرد في شيء من القرآن هذه المقاسمة التي رويت في الفاتحة بين الله تعالى وبين العبد.

أخبرنا عبد القاهر بن طاهر البغدادي^(١)، أخبرنا محمد بن جعفر بن مطر^(٢) حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي^(٣) أخبرنا يحيى بن يحيى^(٤)، أخبرنا هشيم^(٥) عن أبي بشر^(٦)، عن أبي المتوكل^(٧)، عن أبي سعيد الخدري^(٨) : أن أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في سفر فمروا بحي من أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم، فقيل لهم: هل فيكم راق؟ فإن سيد الحي لديغ - أو مصاب - فقال رجل منهم: نعم، فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب، فبرأ^(٩) الرجل فأعطي قطعاً من غنم، فأبى أن يقبلها وقال: حتى أذكر ذلك لرسول الله ﷺ فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: يا رسول الله والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب، فتبسم وقال: ما يدريك أنها رقية؟ ثم قال: خذوا واضربوا لي بسهم معكم رواه مسلم عن يحيى بن يحيى، ورواه البخاري عن أبي النعمان^(١٠)، عن أبي عوانة^(١١)، عن أبي بشر^(١٢).

(١) الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الفقيه الشافعي أحد الأئمة في الأصول والفروع، صنف ودرس في علوم كثيرة مات سنة ٤٢٩ هـ.

(البداية والنهاية ٤٤/١٢).

(٢) محمد بن جعفر بن محمد بن مطر النيسابوري المعدل الزاهد، شيخ السنة، سمع من الكبار الحفاظ توفي سنة ٣٦٠ هـ. (شذرات الذهب ٣١/٣).

(٣) إبراهيم بن علي الذهلي شيخ صدوق.

(تاريخ الإسلام للذهبي ١٩٩/١٩).

(٤) يحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمن أبو زكريا التميمي الحنظلي سمع من مالك بن أنس وغيره وعنه البخاري ومسلم قال أحمد والنسائي ثقة، زاد النسائي ثبت مأمون توفي سنة ٢٢٦ هـ.

(تهذيب التهذيب ١١/٢٩٦ - ٢٩٧، الجمع ٢/٥٦٥ - ٥٦٦).

(٥) هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي مولا هم الواسطي يكنى أبا معاوية سمع من حمد الطويل وإسماعيل بن أبي خالد وطائفة روى له البخاري ومسلم مات سنة ١٨٣ هـ (كتاب الجمع ٢/٥٥٦).

(٦) أبو بشر: جعفر بن أبي وحشية واسمه إياس - البشكري البصري، سمع من سعيد بن جبيرة ومجاهد وعكرمة وأبي المتوكل توفي سنة ١٢٥ هـ.

(كتاب الجمع ١/٦٩).

(٧) أبو المتوكل: علي بن داود الناجي البصري سمع أبا سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وابن عباس روى عنه قتادة وأبو بشر جعفر وعاصم الأحول وغيرهم.

(كتاب الجمع ١/٣٥٤).

(٨) أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري له ولأبيه صحبة توفي سنة ٦٥ هـ وقيل سنة ٧٤ هـ. (تقريب التهذيب ١/٢٨٩).

(٩) في (أ) فبرىء.

(١٠) أبو النعمان: محمد بن الفضل السدوسي البصري، يقال له عارم، سمع المعتمر وعبد الواحد بن زياد وحماد بن زيد وغيرهم روى عنه البخاري ومسلم وهو شيخ البخاري حافظ صدوق مكثراً قال البخاري تغير بآخره مات سنة ٢٢٤ هـ.

(الميزان ٤/٩٠٧، الجمع ٢/٤٤٨).

(١١) أبو عوانة: الوضاح بن عبد الله البشكري الواسطي البزاز قال العجلي ثقة وقال ابن عبد البر: أجمعوا على أنه ثقة ثبت حجة توفي سنة ١٧٦ هـ.

(تهذيب التهذيب ١١/١١٦ - ١٢٠، الجمع ٢/٥٤٥).

(١٢) الحديث: رواه مسلم - كتاب السلام - باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار عن أبي سعيد ٢٧٩/٢.

أخبرنا أبو عبد الرحمن^(١) محمد بن أحمد جعفر، أخبرنا أبو علي بن أحمد الفقيه^(٢) أخبرنا حسين بن محمد بن مصعب^(٣)، أخبرنا يحيى بن حكيم^(٤)، حدثنا ابن أبي عدي^(٥) عن هشام بن حسان^(٦)، عن محمد بن سيرين^(٧)، عن أخيه معبد بن سيرين^(٨)، عن أبي سعيد الخدري قال:

نزلنا منزلاً، فجاءتنا جارية، فقالت: أن نفرنا غيب^(٩) وإن سيد الحي سليم فهل^(١٠) في القوم من راقٍ؟ فقام رجل فقال: نعم، وما كنا نأبئه^(١١) برقية ولا نراه يحسنها فذهب فرقاه، فأمر له بثلاثين شاة - وأحسبه أنه قال: وسقانا لبناً - قال فلما جاء قلنا له، ما كنا نراك تحسن رقية، قال: ولا أحسنها، إنما رقيته بفاتحة الكتاب، قال فلما قدمنا المدينة قلت: لا تُحدثوا فيها شيئاً حتى آتي رسول الله ﷺ فأذكر ذلك له، فأتيته فذكرت ذلك له، فقال: ما كان يدريك أنها رقية؟ اقتسموها واضربوا بسهمي معكم رواه البخاري عن محمد بن المثنى^(١٢)، عن وهب^(١٣) بن جرير، ورواه مسلم

= والبخاري - كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية عن أبي سعيد ٣٦/٢.

(١) في (أ) أبو عبد الرحمن بن محمد، وهو: محمد بن أحمد بن جعفر، أبو حسان المزكي شيخ التزكية والحشمة بنيسابور، كان فقيهاً صالحاً خيراً حدث عن محمد بن إسحاق المنيعي وابن نجيد والطبقة مات سنة ٤٢٣ هـ.
(شذرات الذهب ٢٥٠/٣).

(٢) زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى أبو علي السرخسي الفقيه المقرئ المحدث إمام من الأئمة قال الحاكم: شيخ عمره بخراسان توفي سنة ٣٨٩ هـ.

(وفيات الأعيان ٢٩٣/٣، العبر ٤٣/٣، اللباب ٢٨٥/٣ طبقات الشافعية ٢٩٤/٣).

(٣) الحافظ الكبير الإمام أبو علي الحسين بن محمد بن مصعب بن رزيق المروزي السنجي حدث عن علي بن خشرم ويحيى بن حكيم المقوم وأبي سعيد الأشجعي وطبقتهم حتى قيل ما كان بخراسان أكثر حديثاً منه مات سنة ٣١٥ هـ (سير الأعلام ٤١٣/١٤ - ٤١٤).
(٤) يحيى بن حكيم الحافظ الحجّة أبو سعيد البصري المقوم قال أبو داود كان حافظاً متقناً وقال النسائي ثقة حافظ وقال أبو عروبة ما رأيت بالبصرة أثبت منه مات سنة ٢٥٦ هـ (تذكرة الحفاظ ٥١٥/٢).

(٥) محمد بن أبي عدي - واسمه إبراهيم - مولى بني سليم، البصري يكنى أبا عمرو سمع ابن عون وشعبة وسعيد بن أبي عروبة وغيرهم توفي سنة ١٩٤ هـ.

(كتاب الجمع ٤٣٤/٢).

(٦) هشام بن حسان القردوسي - والقراديس بطن من الأزد - يكنى أبا عبد الله سمع من محمد بن سيرين والحسن البصري مات سنة ١٤٧ هـ (كتاب الجمع ٥٤٧/٢).

(٧) محمد بن سيرين أبو بكر الأنصاري مولاهم سمع أبا هريرة وأنس بن مالك وعبيدة السلماني وهو تابعي ثقة فقيه توفي سنة ١١٠ هـ عن ٧٧ سنة.

(تهذيب التهذيب ٢١٤/٩، الجمع ٤٣٩/٢).

(٨) معبد بن سيرين - أخو محمد بن سيرين - مولى أنس بن مالك الأنصاري سمع أبا سعيد الخدري روى عنه أخوه محمد وأخوه أنس. (كتاب الجمع ٤٩٨/٢).

(٩) غيب: جمع غائب من حاشية (أ).

(١٠) في (هـ): هل.

(١١) نأبئه: أي نتهمه من حاشية (أ، ح، هـ).

(١٢) محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس بن دينار أبو موسى العنزري عالم بالحديث من أقران بُندار من أهل البصرة قال الخطيب: كان ثقة ثباتاً حدث عنه الأئمة الست وغيرهم ولد ١٦٧ هـ ومات سنة ٢٥٢.

(الأعلام ٢٤٠/٧).

(١٣) وهب بن جرير بن حازم الأزدي البصري، كنيته أبو العباس الجهضمي العتكي سمع أباه وشعبة وهشاماً الدستوائي وهشام بن حسان، =

عن أبي بكر بن أبي شيبة^(١)، عن يزيد بن هارون^(٢) كلاهما عن هشام بن حسان^(٣).

= قال أحمد وابن معين والعجلي ثقة مات سنة ٢٠٧ هـ.

(تذكرة الحفاظ ١/٣٣٦ - الجمع ٢/٥٤١، ٥٤٢).

(١) الحافظ الكبير عديم النظير الثبت التحرير عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي مولا هم الكوفي صاحب المسند والمصنف روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه، قال العجلي ثقة حافظ مات سنة ٢٣٥ هـ.
(تذكرة الحفاظ ٢/٤٣٢ - ٤٣٣).

(٢) يزيد بن هارون بن زاذان بن ثابت السلمى أبو خالد الواسطي، قال ابن المديني هو من الثقات وقال مرة: ما رأيت أحفظ منه وقال أبو حاتم ثقة إمام صدوق لا يسأل عن مثله توفي سنة ٢٠٦ هـ.
(تهذيب التهذيب ١١/٣٦٦ - ٣٦٨).

(٣) الحديث: رواه البخاري - كتاب التفسير - باب فاتحة الكتاب ٣/٢٢٨ - ٢٢٩ ومسلم - كتاب السلام - باب جواز أخذ الأجرة على القراءة بالقرآن والأدكار عن أبي سعيد... ٢/٢٧٩ - ٢٨٠.

(فصل في (١)) بيان نزول الفاتحة

أخبرنا سعيد بن محمد بن أحمد العدل^(٢)، أخبرني جدي^(٣)، أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد الحرشي^(٤)، أخبرنا إبراهيم بن الحارث^(٥)، وعلي بن سهل بن المغيرة^(٦)، قالوا: حدثنا يحيى بن أبي بكير^(٧)، حدثنا إسرائيل^(٨)، عن أبي إسحاق^(٩)، عن أبي ميسرة^(١٠):

أن رسول الله ﷺ كان إذا برز^(١١)، سمع منادياً يناديه: يا محمد، فإذا سمع الصوت انطلقَ هارباً، فقال له

(١) من (٥).

(٢) سعيد بن محمد بن أحمد بن محمد أبو عثمان النجيري - نسبة إلى نجيرم محلة بالبصرة - محدث خراسان ومسندها وكان ثقة - روى عن جده أبي الحسين وأبي عمرو بن حمدان والطبقة، رحل إلى مرو وإسفرابين وبغداد وجرجان وأدرك الأسانيد العالية ولد سنة ٣٦٤ هـ ومات سنة ٤٥١ هـ.

(الأنساب ٩٨/٢ - ٩٩ - شذرات ٢٨٨/٣).

(٣) جده: أبو الحسين أحمد بن محمد بن جعفر العدل من أهل نيسابور كان أحد العدول الاثبات ومن بيت التزكية والعدالة سمع منه حفيده أبو عثمان والحاكم أبو عبد الله وعقد له مجلس في دار السنة مات سنة ٣٧٨ هـ.

(الأنساب ٩٧/٢ - ٩٨).

(٤) الحافظ الإمام العدل الرئيس أبو عمرو أحمد بن محمد بن أحمد بن حفص بن مسلم النيسابوري سبط الإمام أحمد بن عمرو الحرشي كان شيخ نيسابور في الحشمة والثروة والتزكية سمع وارتحل وكان مزيك من كبار مشايخ نيسابور توفي سنة ٣١٧ هـ وله ٩٠ سنة (تذكرة الحفاظ ٧٩٨/٣ - ٧٩٩ سير الأعلام ٤٩٢/١٤ - ٤٩٣ وشذرات ٢٧٥/٢).

(٥) إبراهيم بن الحارث بن إسماعيل أبو إسحاق البغدادي سكن نيسابور وسمع يحيى بن أبي بكير الكرماني روى عنه البخاري حديثين في تفسير سورة الحج وفي الوصايا مات سنة ٢٦٥ هـ (تهذيب التهذيب ١١٢/١، كتاب الجمع ٢٠/١).

(٦) علي بن سهل بن المغيرة البزار أبو الحسن البغدادي المعروف بالعفاني نسائي الأصل روى عن عفان وأكثر حتى نسب إليه وعن يحيى بن أبي بكير وعدة قال أبو حاتم صدوق وقال الدارقطني ثقة وذكره ابن حبان في الثقات مات سنة ٢٧١ هـ.

(تهذيب التهذيب ٣٢٩/٧ - ٣٣٠).

(٧) يحيى بن أبي بكير - واسم أبي بكير قيس ويقال بشر - بن أسد العبدي - من عبد قيس الكوفي قاضي كرمان سمع زهير بن معاوية وإسرائيل وشعبة وغيرهم توفي سنة ٢٠٧ (تهذيب ١١/١٩٠، الجمع ٥٦٧/٢).

(٨) إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي أخو عيسى بن يونس يكنى أبا يوسف سمع جده أبا إسحاق ومنصوراً وعاصماً الأحول ولد سنة ١٠٠ هـ ومات سنة ١٦٠ هـ (كتاب الجمع ٤٢/١ - ٤٣).

(٩) أبو إسحاق السبيعي: سبق.

(١٠) أبو ميسرة: عمرو بن شريحيل الهمداني الكوفي الوادعي سمع عبد الله بن مسعود وغيره وروى عنه أبو وائل روى له البخاري ومسلم.

(كتاب الجمع ٣٦٥/١ - ٣٦٦).

(١١) برز: أي خرج (اللسان/ برز).

ورقة بن نوفل^(١): إذا سمعت النداء فائت حتى تسمع ما يقول لك، قال: فلما برز سمع النداء يا محمد، قال: لبيك قال: قل أشهد أن لا آله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم قال له ﴿الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين﴾^(٢)، إياك نعبد وإياك نستعين... ﴿ حتى فرغ من فاتحة الكتاب^(٣) .

(١) ورقة بن نوفل بن أسعد بن عبد العزى ابن عم السيدة خديجة - أم المؤمنين - كان امرءاً قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، توفي بعد قصته مع رسول الله ﷺ عن خير الوحي (البداية والنهاية ٣/٣ - ٩).

(٢) في (ج) مالك يوم حتى فرغ...

(٣) الحديث: أخرجه البيهقي في الدلائل عن أبي ميسرة ١٥٨/٢.

والدر المنثور ٢/١ - ٣ وفيه «أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف، وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل والواحدي والثعلبي عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل». وأسباب النزول للواحدي ١١ - ١٢، وابن كثير ١/١١.

«قال ابن كثير عقب ذكره هذا الحديث: وهو مرسل، وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل» (البداية والنهاية ٩/٣ - ١٠).

وأخرجه ابن أبي شيبه في المصنف عن أبي ميسرة ٢٩٢/١٤ - ٢٩٣.

وهذه الرواية مخالفة لما جاء في الصحيح عن ابن عباس ﷺ «بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال:

أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته».

رواه مسلم والنسائي والحاكم في المستدرک کتاب فضائل القرآن - عن ابن عباس قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين، وأخرج

مسلم بعضه مختصراً» ١/٥٥٨ - ٥٥٩.

القول في آية التسمية

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي^(١)، أخبرنا محمد بن يعقوب^(٢)، أخبرنا الربيع^(٣)، أخبرنا الشافعي^(٤)، أخبرنا عبد المجيد^(٥)، عن ابن جُرَيْج^(٦)، أخبرني أبي^(٧) عن سعيد بن جبير (ولقد آتيناك سبعا من المثاني): هي فاتحة الكتاب قال أبي: وقرأها عليّ سعيد بن جبير حتى ختمها ثم قال ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الآية السابعة، قال سعيد: وقرأها^(٨) عليّ ابن عباس كما قرأتها عليك ثم قال ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الآية السابعة، قال ابن عباس: فذخرها لكم فما أخرجها لأحد قبلكم^(٩).

- (١) أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن حفص القاضي أبو بكر بن الشيخ المحدث أبي عمرو الحيري كان كبير خراسان رياسة وسؤدداً وعلو إسناد ومعرفة بمذهب الشافعي وكان ثقة توفي ٤٢١ هـ وله ٩٦ سنة (طبقات الشافعية ٦/٤ - ٧ شذرات ٢١٧/٣).
- (٢) محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان بن عبد الله الأموي الأصم أبو العباس ثقة صادق ضابط توفي سنة ٣٤٦ هـ (البداية والنهاية ٢٣٢/١١).
- (٣) الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي أبو محمد المصري صاحب الشافعي وراوي كته والمؤذن بجامع الفسطاط روى عنه أصحاب السنن الأربعة وغيرهم قال ابن يونس والخطيب ثقة وقال ابن أبي حاتم صدوق توفي سنة ٢٧٠ هـ. (تهذيب التهذيب ٢٤٥/٣ - ٢٤٦ حسن المحاضرة ٣٤٨/١).
- (٤) الإمام العلم الحبر أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المطلبي ثقة حافظ إمام ولد سنة ١٠٥ هـ وتوفي سنة ٢٤٠ هـ. (تذكرة ٣٦١/١، حسن المحاضرة ٣٠٣/١).
- (٥) عبد الحميد بن عبد العزيز بن أبي رواد الأزدي المكي - واسم أبي رواد ميمون - سمع ابن جريج وغيره مات سنة ٢٠٦ هـ (الميزان ٦٤٨/٢ - ٦٥١، الجمع ٣٢٦/١).
- (٦) ابن جُرَيْج: الإمام الحافظ فقيه الحرم أبو الوليد، ويقال أبو خالد عبد الملك بن عبيد العزيز الرومي الأموي مولاهم المكي، الفقيه أحد الأعلام حدث عن أبيه ونافع والزهري وغيرهم قال أحمد: كان من أوعية العلم، وهو وابن عروة أول من صنف الكتب مات سنة ١٥٠ هـ (تذكرة الحفاظ ١٦٩/١ - ١٧٠).
- (٧) عبد العزيز بن جريج القرشي مولاهم المكي روى عن عائشة وابن عباس وابن جبير روى عنه ابنه عبد الملك، روى له أبو داود والترمذي وحسن له حديثاً وابن ماجه، وقال البخاري لا يتابع في حديثه (العقد الثمين ٤٤٥/٥، الميزان ٦٢٤/٢).
- (٨) في (ح، د): قرأها.
- (٩) رواه الحاكم في المستدرک كتاب فضائل القرآن - عن سعيد بن جبیر وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ٥٥٠/١ - ٥٥١ (٢/٢٥٧ في كتاب التفسير).
- والبيهقي في السنن - كتاب الصلاة - باب الدليل على أن (بسم الله الرحمن الرحيم) آية تامة من الفاتحة عن سعيد بن جبیر. ٤٤/٢،

أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان العنزل^(١)، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين القاضي بالكوفة^(٢)، حدثنا أبو جعفر محمد بن جعفر الأشجعي^(٣)، حدثنا عباد بن يعقوب^(٤)، حدثنا عمر بن هارون^(٥)، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة^(٦)، عن أم سلمة^(٧)، قالت:

سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ سَبْعَ آيَاتٍ^(٨) ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إِحْدَاهُنَّ^(٩) وَعَدْنَهُنَّ عَمْرٌ^(١٠) فِي يَدِهِ، وَعَدْنَهُنَّ ابْنُ جَرِيحٍ فِي يَدِهِ^(١١)، وَعَدْنَهُنَّ أَبُو سَعِيدٍ فِي يَدِهِ عَدَدَ الْأَعْرَابِ^(١٢).

أخبرنا أبو عبد الله بن يحيى^(١٣)، أخبرنا محمد بن الحسن السراج^(١٤)، حدثنا علي بن سليم البغدادي^(١٥)، حدثنا

(١) عبد الرحمن بن حمدان النيسابوري أبو سعيد النضروي مسند وقته، وراوي مسند إسحاق بن راهويه عن السعدي، روى عن ابن نجيد وأبي بكر القطعي والطبقة مات سنة ٤٣٣ هـ. (شذرات ٢٥٠/٣).

(٢) في (هـ) أبو عبد الله بن محمد، وهو: محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن يحيى بن خالد أبو عبد الله الجعفي الكوفي القاضي الفقيه الحنفي، نحوي مقرئ ثقة يعرف بالهرواني قال الخطيب كان ثقة حدث ببغداد مات سنة ٢٠٤ هـ. (غاية النهاية ١٧٧/٢ - ١٧٨).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) عباد بن يعقوب الراجزي الكوفي، سمع عباد بن العوام، روى عنه البخاري - في التوحيد - وقال مات في شوال سنة ٢٥٠ هـ. (كتاب الجمع ٣٣٣/١).

(٥) عمر بن هارون الحافظ الإمام المكثّر عالم خراسان أبو حفص الثقفي مولاهم البلخي من أوعية العلم على ضعف فيه، روى عن ابن جريج وثور بن يزيد والأوزاعي وشعبة وغيرهم كذبه ابن معين وقال مرة ليس بشيء وقال أبو داود ليس بثقة وقال النسائي وجماعة متردّد مات سنة ١٩٤ هـ (تذكرة ٣٤٠/١ - ٣٤١).

(٦) عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ويقال أبو محمد - واسم أبي مليكة زهير - بن عبد الرحمن بن جدعان التيمي الأحول المكي القاضي على عهد ابن الزبير سمع عائشة وابن عمر وابن عباس وعنه ابن جريج والليث بن سعد مات سنة ١١٧ هـ. (كتاب الجمع ٢٥٥/١).

(٧) أم سلمة: هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن المغيرة بن مخزوم المخزومية أم المؤمنين توفيت سنة ٦٢ هـ. (تقريب التهذيب ٦١٧/٢).

(٨) ساقطة من (د).

(٩) الحديث رواه الحاكم في المستدرک - كتاب الصلاة عن أم سلمة وقال صحيح وقال الذهبي: فيه عمر بن هارون أجمعوا على ضعفه. ٢٣٢/١ وسنن البيهقي - كتاب الصلاة - باب الدليل على أن البسملة آية من الفاتحة عن أم سلمة ٤٤/٢.

(١٠) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب العدوي القرشي أبو حفص شهد المشاهد كلها وشهد له النبي ﷺ بالجنة توفي سنة ٢٣ هـ. (كتاب الجمع ٣٣٨/١ - ٣٣٩).

(١١) ساقطة من (هـ).

(١٢) عدد الأعراب: أراد أنهم يعدون بالخمسة، فإنهم كانوا لا يعرفون اصطلاح الكتاب، وعددهم بالخمسة. (عمدة القوي والضعيف ص ٣).

(١٣) سبق (وهو محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى).

(١٤) محمد بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل أبو الحسن السراج النيسابوري المقرئ الرجل الصالح، قال الحاكم: قل من رأيت اجتهاداً وعبادة منه توفي سنة ٣٦٦ هـ. (شذرات ٥٧/٣).

(١٥) في (ح) علي بن سليمان، وهو: علي بن سليم بن إسحاق أبو الحسن العسكري البغدادي البزار المعروف بالخصيب مقرئ معروف حاذق مشهور، وحدث عن محمد بن حسان وابن عرفة قال الذهبي: ما علمت به بأساً (غاية النهاية ٥٤٤/١).

علي بن حرب الموصلي^(١)، حدثنا إسحاق بن عبد الواحد^(٢) حدثنا المعافى بن عمران^(٣)، عن عبد الحميد بن جعفر^(٤)، عن نوح بن أبي بلال^(٥) عن أبي سعيد المقبري^(٦)، عن أبي هريرة قال:

«قال رسول الله ﷺ ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ سبع آيات أولاهن ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وهي السبع المثاني، وهي فاتحة الكتاب، وهي أم القرآن^(٧)».

هذه الأخبار ناطقة بأن التسمية آية من الفاتحة^(٨)، وكذلك هي في غيرها من السور آية^(٩).

أخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق المزكي^(١٠)، أخبرنا إسماعيل بن أحمد الخلالى^(١١) أخبرنا عبد الله بن زيدان البجلي^(١٢)، حدثنا أبو كريب^(١٣)، حدثنا سفيان بن عيينة^(١٤) عن عمرو بن دينار^(١٥)، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس قال:

(١) علي بن حرب بن محمد بن علي بن حيان بن مازن الطائي الموصلي أبو الحسن قال أبو حاتم صدوق وقال الخطيب ثقة ثبت توفي سنة ٢٦٥ هـ.

(تهذيب التهذيب ٧/٢٩٤ - ٢٩٦).

(٢) إسحاق بن عبد الواحد القرشي الموصلي، روى عن مالك والمعافى بن عمران وهشيم وغيرهم وعنه علي بن حرب الموصلي وغيره، كان كثير الحديث رحل وكتب وصنف وكتب الناس عنه توفي سنة ٢٢٦ هـ. (تهذيب التهذيب ١/٢٤٢).

(٣) المعافى بن عمران بن نقييل بن جابر الأزدي - أبو مسعود - النفيلى، قال ابن معين وأبو حاتم والعجلي ثقة توفي سنة ١٨٥ هـ (تهذيب التهذيب ١٠/١٩٩ - ٢٠٠).

(٤) عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم بن رافع بن سنان الأنصاري يكنى أبا حفص - ويقال أبو الفضل - سمع أبا سعيد المقبري توفي سنة ١٥٣ هـ (كتاب الجمع ١/٣١٩).

(٥) نوح بن أبي بلال الجسري المدني مولى معاوية - روى عن ابن عمر وابن المسيب وأبي سعيد المقبري وغيرهم، وقال أحمد وابن معين وأبو حاتم ثقة. (تهذيب التهذيب ١٠/٤٨١).

(٦) أبو سعيد المقبري: سعيد بن أبي سعيد - واسمه كيسان - المقبري أبو سعد المدني، قال عبد الله أحمد عن أبيه ليس به بأس وقال ابن المدني والعجلي وابن سعد وغيرهم ثقة توفي سنة ١٢٣ هـ. (تهذيب التهذيب ٤/٣٨ - ٤٠).

(٧) الحديث رواه أبو داود - كتاب الصلاة باب فاتحة الكتاب عن أبي هريرة رقم ١٤٥٧ (٧١/٢).

والبيهقي في السنن - كتاب الصلاة - باب الدليل على أن البسملة آية من الفاتحة ٤٥/٢.

ومجمع الزوائد: وعزاه إلى الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات ١٠٩/٢.

(٨) ساقطة من (هـ).

(٩) انظر في ذلك تفسير الرازي ١/١٩٤ - ٢٠٠.

(١٠) هو محمد بن إبراهيم بن يحيى سبق.

(١١) أبو سعيد إسماعيل بن أحمد بن محمد التاجر الخلالى الجرجاني - من أهل جرجان - كان أحد الجوالين في طلب الحديث سمع بجرجان عمران بن موسى ومحمد بن إسحاق بن خزيمة وبيغداد حامد بن محمد بن شعيب وبالكوكة عبد الله بن زيدان البجلي وبالموصل أبا يعلى وسمع منه الحاكم أبو عبد الله وكان يملئ من أصوله توفي سنة ٣٦٤ هـ. (الأنساب ٥/٢١٨ - ١٩).

(١٢) عبد الله بن زيدان البجلي الكوفي أبو محمد روى عن أبي كريب وطبقته عاش ٩١ سنة وكان ثقة حجة مات سنة ٣١٣ هـ.

(تذكرة الحفاظ ٢/٧٦٧ - شذرات ٢/٢٦٦).

(١٣) أبو كريب: محمد بن العلاء بن كريب الهمداني الكوفي المحافظ روى عنه البخاري ومسلم توفي سنة ٢٤٨ هـ وهو ابن ٨٧ سنة (كتاب الجمع ٢/٤٤٧).

(١٤) سبق.

(١٥) عمرو بن دينار المكي أبو محمد الأثرم الجُمحي مولاهم أحد الأعلام روى عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وخلق قال النسائي وأبو=

كان رسول الله ﷺ لا يعرف ختم السورة حتى ينزل عليه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(١).
 أخبرنا عبد القاهر بن طاهر، أخبرنا محمد بن جعفر بن مطر، أخبرنا إبراهيم بن علي الذهلي، حدثنا يحيى بن
 يحيى، أخبرنا عمر بن الحجاج العبدي^(٢)، عن عبد الله بن أبي حسين^(٣)، ذكر عن عبد الله بن مسعود^(٤) قال:
 كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى تنزل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٥).

وأما التفسير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ
 الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ
 الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

فإن المتعلق به «الباء» في قوله^(١) ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾^(٦) محذوف، ويستغنى عن إظهاره لدلالة الحال عليه، وهو
 معنى الابتداء، كأنه قال^(٨): بدأت ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أو أبدأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ والحال تبين أنه مبتدئ، فاستغنيت عن ذكره^(٩).

= زرعة وأبو حاتم ثقة وقال النسائي ثقة ثبت توفي سنة ١٢٦ هـ. (تهذيب التهذيب ٢٨/٨ - ٣٠).

(١) الحديث رواه أبو داود - كتاب الصلاة - باب من جهر بالبسملة عن ابن عباس رقم ٧٨٨ (٢٠٩/١).

والمستدرک - كتاب الصلاة - كان النبي ﷺ لا يعلم ختم السورة حتى تنزل عليه البسملة عن ابن عباس. قال الحاكم: صحيح على
 شرط الشيخين. ٢٣١/١، ٣١٠/٦.

ومجمع الزوائد - كتاب التفسير - سورة الفاتحة ٢/٢٠٩.

(٢) عمر بن أبي خليفة - واسم أبي خليفة الحجاج - بن عتاب العبدي، أبو حفص البصري روى عن علي بن زيد بن جدعان وعرف
 الأعرابي ويونس بن عبيد وطائفة قال أبو حاتم صالح الحديث، مات سنة ١٨٩ هـ.
 (تهذيب التهذيب ٧/٤٤٣).

(٣) في (ح) عبد الله بن حسين، وهو: عبد الله بن أبي حسين - عبد الله بن عبد الرحمن بن عامر بن نوفل المكي النوفلي، قال أحمد
 والنسائي وأبو زرعة ثقة (تهذيب التهذيب ٥/٢٩٣).

(٤) الإمام الرباني أبو عبد الرحمن عبد الله ابن أم عبد الهذلي صاحب رسول الله ﷺ وخادمه وأحد السابقين الأولين ومن كبار البدرين
 نبلاء الفقهاء والمقرئين توفي سنة ٣٢ هـ وله نحو من ٦٠ سنة.
 (تذكرة الحفاظ ١٣/١ - ١٤).

(٥) انظر غرائب النيسابوري ٧٧/١ عن ابن مسعود.

وتفسير البغوي ٢٠/١ عن ابن مسعود. والدر ٧/١ عن ابن مسعود.

(٦) ساقطة من (د).

(٧) في (د): قيل.

(٨) في (د): الرحمن الرحيم.

(٩) عند البصريين: المحذوف مبتدأ والجار والمجرور خبره والتقدير ابتدائي بسم الله.

وعند الكوفيين: المحذوف فعل تقديره ابتدأت أو أبدأ فالجار والمجرور في موضع نصب المحذوف.

(انظر التبيان للعكبري ٣/١، والمشكل للقيسي ٦٦/١، وغريب القرآن ص ٣٨، والزجاج في معاني القرآن ١/١ والطبري ٤/١).

وإين كثير (١٨/١).

وهي أداة تجرُّ ما بعدها من الأسماء نحو «من» و «عن» و «في» وحذفت الألف من ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾^(١) لأنها وقعت في موضع معروف لا يجهل القارئ معناه، فاستخف طرحها، وأثبت في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(٢) لأن هذا لا يكثر كثرة ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ ألا ترى أنك تقول ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ عند ابتداء كل شيء^(٣).

ولا تحذف الألف إذا أضيف الاسم لغير الله، ولا مع غير «الباء» من الحروف^(٤) فتقول: لاسم الله حلاوة في القلوب، وليس اسم كاسم الله، فثبت الألف مع اللام والكاف، هذا في سقوطها في الكتابة.

وأما سقوطها في اللفظ: فلأنها للوصل، وقد استغني عنها بالباء^(٥). وعند البصريين^(٦) أن «الاسم» مشتق من السمو، لأنه يعلو المسمى فالاسم ما علا وظهر فصار علماً للدلالة على ما تحته من المعنى.

وعند الكوفيين^(٧): «الاسم» مشتق من الوسم والسمة وهي العلامة ومن هذا قال أبو العباس ثعلب^(٨): الاسم سمة توضع على الشيء يعرف به^(٩).

والصحيح ما قال^(١٠) أهل البصرة، لأنه لو كان مشتقاً من الوسم لقل في تصغيره وتسميمه، كما قالوا: وعيدة ووصيلة في تصغير عيدة وصلة، فلما قالوا «سُمِّي» ظهر أنه من السمول من السمة^(١١).

وأما ﴿اللَّهُ﴾ فإن كثيراً من العلماء ذهبوا إلى أن هذا الاسم ليس بمشتق^(١٢)، وأنه اسم تفرد به الباري سبحانه^(١٣)، يجري في وصفه مجرى أسماء^(١٤) الأعلام، لا يشركه فيه أحد، قال الله تعالى ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾^(١٥) أي هل تعلم أحداً يسمي^(١٦) الله غيره؟.

(١) في (د): في الكتابة.

(٢) سورة الواقعة / ٧٤، ٩٦ - سورة الحاقة / ٥٢.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ١/١، والتبيان للمكبري، ٣/١، ومشكل الإعراب للقيسي ١/٦٤ - ٦٦، وتفسير الرازي ١/١٠٦.

(٤) انظر المشكل ١/٦٥، الزجاج ٣/١، والمكبري، ٣/١ والأخفش ١/١٤٧، والفراء ١/١ - ٢.

(٥) انظر معاني القرآن للأخفش ١/١٤٧.

(٦) انظر تفسير البغوي عن المبرد ١/١٧، والرازي ١/١٠٨ عن البصريين، والقرطبي ١/١٠١، وغرائب النيسابوري ١/٥٢ عن البصريين.

(٧) انظر البيان لابن الأنباري ١/٣٢، غرائب النيسابوري ١/٥٢ عن الكوفيين والبحر ١/١٤، والقرطبي ١/١٠١.

(٨) أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني أبو العباس ثعلب مولا هم العبيسي شيخ اللغة العربية حدث عن الأخفش الصغير وسمع من القواريري مائة ألف حديث فهو من المكثرين وسيرته في الدين والصلاح مشهورة توفي سنة ٢٩١ هـ. (شذرات ٢/٢٠٧).

(٩) انظر تفسير البغوي ١/١٧ عن ثعلب.

(١٠) في المطبوعة: ما قاله.

(١١) انظر الزجاج ١/٢، والتبيان ٣/١، المشكل ١/٦٦، والبحر ١/١٤.

(١٢) انظر ابن كثير ١/١٩ «وفيه نقله القرطبي عن جماعة من العلماء منهم الشافعي والخطابي وإمام الحرمين والغزالي والخليل وسيبويه». وانظر غرائب النيسابوري ١/٦٤ عن الخليل وأكثر الأصوليين.

والبغوي ١/٧١ عن الخليل وغيره والرازي ١/١٦٣ عن الخليل.

(١٣) في (ح) وتعالى.

(١٤) في غير (ج، هـ) الأسماء.

(١٥) سورة مريم / آية ٦٥.

(١٦) في (ح): بالله.

وهذا القول يحكى عن الخليل ^(١) بن أحمد وابن كيسان ^(٢) وهو اختيار أبي بكر القفال الشاشي ^(٣) والأكثرون ذهبوا إلى أنه مشتق من قولهم «آله إلهة» أي عبد عبادة ^(٤)، وكان ابن عباس يقرأ «ويذكر وإلهتك» ^(٥) (قال: معناه عبادتك) ^(٦) ويقال تأله الرجل إذا نسك ^(٧)، قال روبة ^(٨):
سبحن واسترجعن من تألهي ^(٩)

ومعناه: المستحق للعبادة وذو العبادة الذي إليه توجه العبادة وبها يقصد وقال أبو الهيثم الرازي ^(١٠): ﴿الله﴾ أصله «إله» قال الله تعالى ﴿وما كان معه من اله إذا لذهب كل إله بما خلق﴾ ^(١١) ولا يكون الها حتى يكون لعباده خالفاً ورازقاً ومدبراً وعليه مقتدر، فمن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عبد عبد ^(١٢) ظلماً، بل هو مخلوق ومتعبد ^(١٣) قال: وأصل إله ^(١٤) «ولاه» فقلبت الواو همزة كما قالوا للوشاح إشاح وللوجاج أجاج ^(١٥)، ومعنى «ولاه»: أن الخلق

(١) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي إمام اللغة والعروض والنحو وهو الذي استنبط علم العروض وحصر أقسامه، كان صالحاً قانعاً زاهداً توفي سنة ١٧٠ هـ وقيل سنة ١٧٥ هـ (شذرات ١/٢٧٥ - ٢٧٦).

(٢) ابن كيسان: أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي البغدادي صاحب التصانيف في القراءات والغريب والنحو، وكان أبو بكر بن مجاهد يعظمه ويقول هو أنحى من الشيخين يعني ثعلباً والمبرد مات سنة ٢٩٩ هـ (شذرات ٢/٢٣٢).

(٣) أبو بكر القفال: محمد بن علي بن إسماعيل القفال الكبير أحد أئمة الدهر، كان إماماً في الحديث وغيره قال الحاكم: كان إمام عصره وأكثرهم رحلة في طلب الحديث توفي سنة ٣٦٤ هـ (طبقات الشافعية ٣/٢٠٠ - ٢٠٣).

(٤) انظر التبيين ٤/١، المشكل ٦٦/١ - ٦٧، الطبري ٢٢/١ وما بعدها، ابن كثير ١٩/١ - ٢٠، والبيان ٣٢/١ - ٣٣، وغرائب النيسابوري ٦٥/١ - ٦٦.

(٥) سورة الأعراف/١٢٧.

انظر تفسير ابن عباس ص ١٣٥، ابن كثير ١٩/١ - ٢٠ ومختصر الشواذ لابن خالويه ص ٤٥، والمحتسب ١/١٥٦، والفراء ٣٩١/١ الطبري ١٢٣/١ - ١٢٤، وخزانة الأدب ٢/٢٦٧.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٧) نسك وتنسك: أي تعبد (اللسان / نسك).

(٨) روبة بن العجاج أبو الشعثاء عبد الله بن روبة البصري الشاعر من عشيرة بني مالك بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم ولد سنة ٦٥ هـ وتوفي سنة ١٤٥ هـ.

(انظر مقدمة ديوانه، والميزان ٥٦/٢، والفهرست لابن النديم ٢٢٥).

(٩) سبحن: أي قلن سبحان الله واسترجعن: أي قلن إنا لله وإنا إليه راجعون.

حاشية (أ) والمعنى: يقلتها حسرة عليه كيف تنسك وهجر الدنيا بعد الذي كان من شبايه وجماله وصبوته.

انظر ديوان روبة ص ١٦٥ من قصيدة رقم ٥٨ في وصف نفسه.

وانظر الكامل للمبرد ٣/١٤٧، وابن كثير ١٩/١، والطبري ١٢٣/١ بلفظ:

الله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهي
والمده: أي المدح.

(١٠) أبو الهيثم الرازي. كان إماماً لغوياً أدرك العلماء وأخذ عنهم وتصدر بالري للإفادة مات سنة ٢٧٦ هـ (بغية الوعاة ٢/٣٢٩). وانظر قول أبي الهيثم في اللسان / آله.

(١٣) ساقطة من (هـ).

(١١) سورة المؤمنون / ٩١.

(١٤) في (د): آله.

(١٢) في (ج، د): وإن عبد ظلماً.

(١٥) الوجاج - بجيم وحاء - معناه: الستر (اللسان / وجح، وعمدة القوي ٣/٣).

والوشاح: ضرب من الخلي وجمعه وشح (الفائق ٤/٦٣). الوشاح: مثل قلادة واسعة (حاشية أ، هـ).

يولعون^(١) إليه في حوائجهم، ويضرعون إليه فيما ينوبهم، ويفزعون إليه في كل ما يصيبهم، كما يوله كل طفل إلى أمه.

قوله^(٢) ﴿الرحمن الرحيم﴾ قال الليث^(٣): هما اسمان اشتقاقهما من الرحمة^(٤) وقال أبو عبيدة^(٥): هما صفتان لله^(٦) معناهما ذو الرحمة^(٧)، ورحمة الله: إرادته الخير والنعمة والإحسان إلى من يرحمه.

و﴿الرحمن﴾ - عند قوم^(٨) أشد مبالغة من ﴿الرحيم﴾ كالعلام من العليم ولهذا قيل: «رحمن الدنيا ورحيم الآخرة»^(٩) لأن رحمته في الدنيا عمت المؤمن والكافر والبر والفاجر، ورحمته في الآخرة: اختصت بالمؤمنين.

وقال آخرون: إنهما بمعنى واحد، كندمان وتديم، ولهفان ولهيف^(١٠) وجمع بينهما للتأكيد، كقولهم: فلان جاد مجد.

قوله ﴿الحمد لله﴾ قال ابن عباس^(١١): يعني الشكر لله، وهو أنه صنع إلى خلقه فحمدوه يعني أنه أحسن إليهم فشكروه وأثنوا عليه.

و﴿الحمد﴾ قد يكون شكراً للصنعة وقد يكون ابتداء للثناء على الرجل. يقال: حمدته على معرفته، كما يقال شكرته، ويقال: حمدته على علمه وعلى شجاعته إذا أثبتت عليه بذلك، ولا يقال في هذا المعنى شكرته^(١٢). فحمد الله: الثناء عليه والشكر لنعمة.

قال ابن الأنباري^(١٣) ﴿الحمد لله﴾ يحتمل أن يكون هذا إخباراً أخبر الله تعالى به والفاصلة فيه: أنه بين أن حقيقة

(١) في (د): يألون.

(٢) في (د): قوله تعالى.

(٣) الليث بن مظفر تلميذ الخليل بن أحمد (حاشية (أ)).

وهو الليث بن مظفر بن نصر بن يسار الخراساني، وقيل الليث بن رافع بن نصر بن يسار قال الأزهري: كان رجلاً صالحاً انتحل كتاب العين للخليل، وهو صاحب العربية روى عن قتبية بن سعيد وكان بصيراً بالشعر والنحو والغريب. (بغية الوعاة ٢/٢٧٠).

(٤) انظر التبيان ٤/١ فتح الباري ١٢٦/٨ والطبري ١٢٩/١ والبغوي ١٨/١ عن ابن عباس.

(٥) أبو عبيدة: معمر بن المثنى التيمي البصري اللغوي الحافظ صاحب التصانيف، روى عن هشام بن عروة وأبي عمرو بن العلاء، وليس هو بصاحب حديث، وذكره ابن المديني فصيح رواياته مات سنة ٢١٠ هـ (تذكرة الحفاظ ١/٣٧١ - ٣٧٢).

(٦) في (د) لله تعالى.

(٧) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١/١، والزجاج ٥/١ عن أبي عبيدة وكذا غريب القرآن ص ٦ والتبيان ٤/١، وفتح الباري ١٢٦/٨، والزاهر لابن الأنباري ١٥٢/١، عن أبي عبيدة.

(٨) في (د): وعند قوم (الرحمن) أشد.

(٩) انظر الزاهر ١٥٢/١ عن أبي عبيدة، ١٥٣/١ عن قطرب وانظر النهاية ٢/٢١٠، وغرائب النيسابوري ٦٧/١.

(١٠) لهيف: أي حزين (اللسان/ لهف).

(١١) انظر تفسير ابن عباس ص ٢، والطبري ١٣٥/١، وابن كثير ٢٢/١ عن ابن عباس، والبحر ٣١/١.

(١٢) أي أن الحمد أعم من الشكر لأن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية والشكر لا يكون إلا على المتعدية (انظر ابن كثير ٢٢/١).

(١٣) أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار النحوي اللغوي صاحب المصنفات، سمع من الكيسي وإسماعيل القاضي وأخذ عن أبيه وثعلب وطائفة وعنه الدارقطني وغيره قال ابن ناصر الدين: كان في كل فن إمامه توفي سنة ٣٢٨ هـ. (شذرات ٢/٣١٥ - ٣١٦).

الحمد له، وتحصيل كل الحمد له لا لغيره، ويحتمل: أن يكون هذا ثناء أثنى به على نفسه، علم عباده في أول كتابه ثناء عليه وشكراً له، يكتسبون بقوله وتلاوته أعظم الثواب، ويكون المعنى قولوا: الحمد لله فيضمّر «القول» - هاهنا^(١) - كما يضمّر في قوله «والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا^(٢)»^(٣) معناه: يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله^(٤).

وقوله^(٥) «الله» هذه «اللام» تسمى لام الإضافة، ولها^(٦) معنيان، أحدهما: الملك نحو المال لزيد، والآخر: الاستحقاق، نحو الحبل للدابة، أي استحقته، وكذلك الباب للدار^(٧).

وقوله^(٨) «رب العالمين» «الرب» في اللغة له معنيان، أحدهما: أن يكون من الرب بمعنى التربية يقال: رب فلان الضيعة يربها رباً إذا أتمها وأصلحها، فهو رب مثل بر وطب^(٩) قال الشاعر:

يرب الذي يأتي من الخير إنه إذا فعل المعروف زاد وتمما^(١٠)

والمعنى على هذا: أنه يرى الخلق ويغذيهم بما ينعم عليهم.

والثاني: أن يكون الرب بمعنى المالك^(١١) يقال: رب الشيء إذا ملكه، وكل من ملك شيئاً فهو ربه، يقال: هو رب الدار ورب الضيعة، والله تعالى رب كل شيء أي مالكة^(١٢).

وقوله «العالمين»^(١٣) هو جمع عالم على وزن فاعل نحو خاتم وطابع ووافق وقالب^(١٤) وهو اسم عام لجميع

(١) في (أ، هـ): ههنا، ومن ذلك الكثير.

(٢) في (ج، هـ): إلى الله زلفى.

(٣) سورة الزمر ٣/٣.

(٤) انظر الزاهر لابن الأنباري ٨٤/٢ وما بعدها والطبري ١٣٩/١ والبغوي ٢٠/١، والقرطبي ١٣٥/١ - ١٣٦ عن الطبري، وابن كثير ٢٢/١ عن الطبري.

وانظر اللسان مادة ريب.

(٥) في (د) وقوله تعالى.

(٦) في (د): ولهذا.

(٧) انظر معنى اللام في (الله): تفسير الرازي ٢٢٠/١.

(٨) «طب»: يقال رجل طب أي عالم (اللسان / طب).

(٩) انظر البيت في الزاهر لابن الأنباري ٥٧٦/١ بلفظ:

يرب الذي يأتي من العرف أنه إذا سئل المعروف زاد وتمما

وذكره السمعاني في الأنساب ١٦٣/٨ في ترجمة مسعود بن بشر الضني من ولد عمرو بن مرة الجهني، والبيت قيل في ملح

عبد الملك بن مروان (١٦٢/٨ - ١٦٣) وانظر في معنى «الرب»: الزاهر ٥٧٥/١ - ٥٧٦، والطبري ١٤١/١ - ١٤٢، البحر ١٨/١

والتبيان ٥/١ وغرائب النيسابوري ٧٣/١.

(١٠) في (هـ): المال.

(١١) انظر غريب القرآن لابن قتيبة ص ٩.

(١٢) في (ج): (رب العالمين).

(١٣) الطابع: الخاتم، والقالب - بفتح اللام: الخف، وبالكسر: البسر الأحمر (حاشية (أ)).

المخلوقات، يقال: العالم محدث. وهذا قول الحسن ومجاهد^(١) وقتادة^(٢) في تفسير «العالم» أنه جميع المخلوقات^(٣).

قوله^(٤) ﴿مالك يوم الدين﴾ المالك: الفاعل من الملك، يقال: ملك الشيء يملكه ملكاً وملكاً ومملكة.

ويقرأ هذا الحرف^(٥) بوجهين: ﴿مالك﴾ و﴿ملك﴾، فمن قرأ (ملك) قال: الملك أشمل وأتم، لأنه يكون^(٦) مالك^(٧) ولا ملك له، ولا يكون ملك إلا وله ملك، فكل ملك مالك، وليس كل مالك ملكاً، ويقوي هذه القراءة قوله تعالى: ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾^(٨) وقوله ﴿الملك القدوس﴾^(٩) وقوله ﴿لمن الملك اليوم﴾^(١٠) ولم يقل المالك.

ومن قرأ ﴿مالك﴾: فلأنه أجمع وأوسع، لأنه يقال: مالك الطير والدواب والوحوش وكل شيء، ولا يقال: ملك كل شيء إنما يقال: ملك الناس ولا يكون مالك الشيء إلا وهو يملكه، وقد يكون ملك الشيء وهو لا يملكه كقولهم: ملك العرب والعجم و﴿الدين﴾: الجزاء و﴿يوم الدين﴾: يوم يدين الله العباد بأعمالهم.

تقول العرب: دنته بما فعل، أي جازيته، ومنه قوله تعالى: ﴿أئنا لمدينون﴾^(١١) أي مجزيون وتقول العرب: كما تدين تدان^(١٢)، أي كما تجازي تجازى^(١٤). ومعنى قوله ﴿مالك يوم الدين﴾^(١٥): أنه ينفرد في ذلك اليوم بالحكم، بخلاف الدنيا فإنه يحكم فيها الولاة والقضاة، ولا يملك أحد الحكم في ذلك اليوم إلا الله^(١٦).

وتقدير الآية: مالك يوم الدين الأحكام، وحذف^(١٧) المفعول من الكلام للدلالة عليه ومن قرأ ﴿مالك يوم الدين﴾ فمعناه: أنه ينفرد بالملك في ذلك اليوم، لزوال ملك الملوك، وانقطاع أمرهم ونهيهم، وهذا كقوله ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾^(١٨).

(١) مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي المقرئ مولى السائب بن أبي السائب روى عن علي وسعد بن أبي وقاص والعبادة الأربعة وغيرهم وثقه ابن معين وأبو زرعة (تهذيب التهذيب ٤٢/١٠ - ٤٣).

(٢) قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سدوس أبو الخطاب السدوسي البصري روى عن أنس وغيره قال أبو حاتم: أثبت أصحاب أنس الزهري ثم قتادة وأثنى عليه أحمد ولد سنة ٦١ هـ ومات سنة ١١٧ هـ.

(٣) انظر مجاز القرآن ٢٢/١، الزجاج ٨/١، البحر ١٨/١، عن الحسن وقتادة، وابن كثير ٢٣/١، والدر ١٣/١ عن ابن عباس، والطبري ١٤٥/١ عن ابن عباس، والبغوي ٢١/١ عن قتادة والحسن ومجاهد، وانظر تفسير الرازي ٦/١، ١٧٩.

(٤) في (د) قوله تعالى.

(٩) سورة الحشر ٢٣/ سورة الجمعة ١/.

(٥) الحرف: أي الكلمة (حاشية (أ)).

(١٠) سورة غافر ١٦/.

(٦) ساقطة من (د).

(١١) ساقطة من (ح، هـ).

(٧) في (ح، د): مالكا.

(١٢) سورة الصافات ٥٣/.

(٨) سورة طه/ ١١٤، سورة المؤمنون/ ١١٦.

(١٣) انظر مجاز القرآن ٢٣/١، ٢٥٢/٢، وغريب الحديث ٣/ ١٣٥ - ١٣٦، والطبري ١٥٥/١، والزجاج ١٠/١، والزاهر ٣٨٠/١.

(١٤) في (د): تجزي.

(١٥) في (د): تجزي.

(١٦) في (د): إلا الله تعالى.

القراءة: قرأ عاصم والكسائي (مالك) وقرأ الباقون بغير ألف (ملك).

انظر السبعة لابن مجاهد ص ١٠٤، والحجة لأبي زرعة ص ٧٧ - ٧٩، والنشر ٢٧١/١، والحجة لابن خالويه ص ٦٢، والطبري

١٤٨/١ والرازي ٢٣٧/١ - ٢٣٨.

(١٧) في (هـ) ويحذف.

(١٨) سورة الفرقان ٢٦/.

قوله (١) ﴿إياك نعبد﴾ «إيا» ضمير المنصوب المنفصل ، ويدخل عليه المكاني (٢) من الياء ، والنون ، والكاف ، والهاء نحو: إياي ، وإيانا ، وإياك ، وإياه ويستعمل مقدماً على الفعل نحو: إياك أعني ، ﴿إياك نعبد﴾ ولا يستعمل مؤخراً لا يقال: قصدت إياك ، فإذا فصلت بينه وبين الفعل بـ «إلا» جاز التأخير ، نحو: ما عنيت إلا إياك .
و﴿نعبد﴾ من العبادة وهي الطاعة مع الخضوع ، ولا يستحقها إلا الله عز (٣) وجل وسمي (٤) العبد عبداً لذلك ، وانقياده لمولاه ، «وطريق معبد» إذا كان مذلولاً بالأقدام .

﴿وإياك نستعين﴾ (٥) : (أصله: نستعون من المعونة، سكن ما قبل الواو فاستثقلت فنقلت إلى العين فصار نستعين ومعناه) (٦) : نطلب منك المعونة على عبادتك وعلى أمورنا كلها .

قوله (٧) ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ معنى الهداية في اللغة : الدلالة ، يقال هداه (٨) في الدين يهديه هدى ، وهداه يهديه هداية إذا دله على الطريق (٩) .

و﴿الصراط﴾ أصله بالسين لأنه من الاستراط ، بمعنى الابتلاع ، فالصراط يستطر السابلة (١٠) .

فمن قرأ (١١) بالسين فعلى أصل الكلمة ، ومن قرأ بالصاد فلأنها (١٢) أخف على اللسان (١٣) لأن الصاد حرف مطبق كالطاء ، فيتقاربان ويحسنان في السمع .

ومن قرأ بالزاي : أبدل من السين حرفاً مجهوراً حتى يشبه الطاء في الجهر ، ويحتج بقول العرب «زقر» في «صقر» .

ومن قرأ باشمام الزاي (١٤) : فإنه لم يجعلها زايًا (١٥) خالصة ولا صاداً خالصة لثلا يلتبس أصل الكلمة بأحدهما ، وكلها لغات .

ومعنى سؤال المسلمين الهدى وهم مهتدون : التثبيت على الهدى وهذا كما نقول للقائم : قم حتى أعود إليك ، أي : أثبت على قيامك (١٦) .

(١) في (د) : قوله تعالى .

(٢) المكاني : جمع المكني أي المخفي ، وكثيراً ما يعبر بها عن الضمائر .

(٥) في (د) : وقوله تعالى .

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ ، هـ) .

(٧) في (ح ، د) : قوله تعالى .

(٨) في المحققة : هداه الله .

(٩) في (د ، ح) : ويسمى .

(٩) أي أن الهدى : يستعمل في الدين ، والهداية يستعمل في الطريق (حاشية أ) .

(١٠) السابلة : المارة على السبيل (حاشية أ) .

وفي غرائب النيسابوري : لأنه يسطر السابلة إذا سلكوه ٧٤/١ .

(١١) في (د) : قرأها .

(١٢) في (د) : فالأنها .

(١٣) قرأ ابن كثير (السرط) في كل القرآن ، وكذا قرأ أبو عمرو في رواية وقرأ بالصاد في رواية أخرى وروي أن ابن عباس كان يقرأ بالسين ،

وقرأ حمزة بإشمام الزاي ، وقرأ الباقون (الضراط) بالصاد وحجتهم : أنها كتبت في المصاحف بالصاد ، وروي عن حمزة بالزاي خالصة

وهي لغة (انظر السبعة ١٠٥ - ١٠٦ والحجة لأبي زرعة ٨٠ والنشر ٢٧١/١ - ٢٧٢ والبحر ٢٥/١) .

(١٦) انظر الزجاج ٢/١ .

(١٤) في جميع النسخ : الزاء .

وتفسير ابن عباس ص ٢ وابن كثير ٢٨/١ .

(١٥) في (ج ، د) : زاء .

و ﴿الصراط المستقيم﴾ : كتاب الله عز وجل وهو القرآن، روي ذلك عن رسول الله (١) ﷺ وعبد الله بن مسعود وأبي العالية (٢).

وروى السدي (٣) عن أبي مالك (٤) عن ابن عباس قال: هو الإسلام (٥)، وكذلك روي عن جابر (٦).

قوله (٧) ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ أي بالثبات على الإيمان والاستقامة والهداية إلى الصراط، وهم : النبي ﷺ وأبو بكر (٨) وعمر - رضي الله (٩) عنهما - وهذا (١٠) قول أبي العالية (١١).

وقال السدي وقتادة (١٢) : يعني طريق الأنبياء، وقال ابن عباس (١٣) : هم قوم موسى (١٤) وعيسى (١٥) قبل أن يغيروا دين الله تعالى (١٦).

(١) انظر المستدرک - كتاب التفسير - سورة الفاتحة عن عبد الله بن مسعود وصححه - ٢٥٨/٢ - والدر ١٥/١ - عن ابن مسعود وأبي العالية، والطبري ١٧١/١ عن علي، ١٧٣/١ عن ابن مسعود وأبي العالية وابن كثير ٢٧/١ عن علي وفتح القدير ٢٤/١ عن ابن مسعود وأبي العالية.

(٢) أبو العالية: رفيع بن مهران الإمام المقرئ المفسر أبو العالية الرياحي البصري أحد الأعلام أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر ودخل عليه وسمع من الصحابة وقرأ على أبي بن كعب وقرأ عليه عمرو بن العلاء وثقه أبو حاتم وأبو زرعة مات سنة ٩٣ هـ. (سير الأعلام ٢٠٧/٤ - ٢١٣).

(٣) السدي: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي أبو محمد القرشي مولاهم الكوفي الأعور وهو السدي الكبير - كان يقعد في سدة باب الجامع فسمي السدي - روي عن أنس وابن عباس ورأى ابن عمر والحسن بن علي وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري وثقه أحمد وقال العجلي ثقة عالم بالتفسير وضعفه يحيى مات سنة ١٢٧ هـ. (تهذيب التهذيب ٣١٣/١ - ٣١٤).

(٤) أبو مالك: سعيد بن طارق بن أشيم الأشجعي الكوفي سمع سعد بن عبيدة وأباه طارقاً وربيع بن خراش وأبا حازم وأنس بن مالك وغيرهم. (كتاب الجمع ١٦٢/١).

(٥) انظر تفسير ابن عباس ص ٢ والدر ٩/١ عن ابن عباس والطبري ١٧٤/١ عن ابن عباس ١٧٦/١ عن زيد بن أسلم، وابن كثير ٢٧/١ عن زيد، والبخاري ٢٣/١ عن ابن عباس وجابر ومقاتل والدر ١٥/١ والطبري ٢٧٣/١ عن جابر.

(٦) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي أبو عبد الله، صحابي جليل آخر من مات من الصحابة بالمدينة توفي سنة ٧٧ هـ. (تهذيب التهذيب ٤٢/٢ - ٤٤).

(٧) في (د): قوله تعالى.

(٨) أبو بكر الصديق: عبد الله بن عثمان بن عامر بن مرة التيمي - ابن أبي قحافة خليفة رسول الله ﷺ توفي سنة ١٣ هـ. (تهذيب التهذيب ٣١٥/٥ - ٣١٦).

(٩) ساقطة من (د).

(١٠) في (د): وهذا في قول.

(١١) انظر الطبري ١٧٥/١ عن أبي العالية والمستدرک كتاب التفسير عن أبي العالية عن ابن عباس ٢٥٩/٢ وقال صحيح الإسناد والبحر ٢٨/١ عن أبي العالية والبخاري ٢٣/١ عن أبي العالية والحسن.

(١٢) انظر البحر ٢٨/١ عن قتادة، والدر ١٦/١، عن ابن عباس وفتح الباري ١٣٠/٨.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ص ٢ والبحر ٢٨/١ والبخاري ٢٣/١ عن ابن عباس.

(١٤) «موسى»: اسم عبري معرب، و (مو) بالعبرانية: الماء و (شي) الشجر، سمي به لأنه أخذ من بين الماء والشجر. (حاشية (أ) ١٣/ظ). وهو اسم النبي لا يقضى عليه بالاشتقاق لأنه اسم أعجمي وإنما يشتق «موسى الحديد» (التبيان ٦٣/١) وهو موسى بن عمران بن

يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل (الكامل لابن الأثير ١٦٩/١).

(١٥) عيسى ابن مريم بنت عمران بن ياشم بن آمون بن ميثا وينتهي إلى سليمان بن داود - عليهم السلام. (البداية والنهاية ٥٦/٢).

(١٦) في (ح): عز وجل.

قوله^(١) ﴿غير المغضوب عليهم﴾ «غير» منخفض على ضربين، على البدل من «الذين» وعلى صفة «الذين» لأن ﴿غير المغضوب عليهم﴾: هم الذين أنعم عليهم، لأن من^(٢) أنعم عليه بالإيمان فهو غير مغضوب^(٣) عليه، ومعنى الغضب من الله: إرادة العقوبة.

قوله ﴿ولا الضالين﴾ أصل «الضلال»^(٤) في اللغة: الغيوبة^(٥)، يقال: ضل الماء في اللبن إذا غاب فيه، وضل الكافر إذا غاب عن المحجة، ومن هذا قوله تعالى: ﴿أءذا^(٦) ضللنا في الأرض﴾^(٧) أي: غبنا فيها بالملات وصرنا تراباً.

و﴿المغضوب عليهم﴾: اليهود، و﴿الضالين﴾: النصارى^(٨)، والله تعالى حكم على اليهود بالغضب في قوله ﴿من لعنه الله وغضب عليه﴾^(٩)، وعلى النصارى بالضلال في قوله ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا﴾^(١٠).

ومعنى الآية: أهدنا صراط^(١١) الذين أنعمت عليهم بالإسلام. ولم تغضب عليهم، كما غضبت على اليهود، ولم يضلوا عن الحق، كما ضلت^(١٢) النصارى.

ويستحب للقارئ أن يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة «آمين» مع سكتة على نون^(١٣) ﴿ولا الضالين﴾ لتمييز ما هو قرآن مما ليس بقرآن^(١٤).

وفيه لغتان: «آمين» بالمد و«آمين» بالقصر، ومعناهما: اللهم استجب وهي موضوعة لطلب الإجابة^(١٥).

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد التميمي^(١٦)، أخبرنا عبد الله بن محمد بن حيان^(١٧)، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد

(١) في (د): قوله تعالى.

(٣) في (هـ): غير المغضوب.

(٢) ساقطة من (د).

(٤) في (د): الضلالة.

(٥) انظر مجاز القرآن ١٣١/٢ والنهاية ٩٨/٣ وغرائب النيسابوري ٧٥/١ والبحر ٢٨/١ والبغوي ٢٣/١ بلفظه.

(٦) هكذا في المصحف. وفي (د): وإذا.

(٧) سورة السجدة ١٠/.

(٨) انظر الترمذي - كتاب التفسير - سورة الفاتحة عن عدي رقم ٤٠٣٠ (٢٧٢/٤) ومسند أحمد ٣٧٨/٤ - ٣٧٩ وزوائد ابن حبان

ص ٤٢٤ عن عدي والطبري ١٨٥/١ وما بعدها عن عدي والدر ١٦/١ وابن كثير ٢٩/١، ٣٠ وفتح الباري ١٣٠/٨، والرازي

٣٦١/١.

(٩) سورة المائدة ٦٠/.

(١٠) سورة المائدة ٧٧/.

(١١) في (هـ): الصراط.

(١٢) في (د): كما ضلت عن النصارى.

(١٣) في (د، هـ): النون.

(١٤) انظر ابن كثير ٣١/١.

(١٥) انظر الزجاج ١٧/١ والزاهر ١٦١/١ وغرائب النيسابوري ٧٥/١ وابن كثير ٣١/١.

(١٦) أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحارث التيمي أبو بكر الفقيه المقرئ النيسابوري. تصدر للحديث وروي السنن عن

الدارقطني، وكان ثقة توفي سنة ٤٣٠ هـ عن ٨١ سنة (العبر ١٧٠/٣ - شذرات ٢٤٥/٣).

(١٧) عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبو محمد المعروف - بأبي الشيخ - ثقة مأمون حافظ ثبت توفي سنة ٣٦٩ هـ.

(تذكرة الحفاظ ٩٤٥/٣ - ٩٤٧).

الرازي^(١)، أخبرنا سهل بن عثمان العسكري^(٢)، أخبرنا يحيى بن أبي زائدة^(٣)، عن أبي اسحاق، عن أبي مسرة:

أن النبي ﷺ قال: «إني إذا برزت أسمع من يناديني ولا أرى شيئاً، فقال له ورقة بن نوفل: إذا سمعت النداء فاقب، ففعل ذلك^(٤) فقال له جبريل قل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقالها، ثم قرأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى آخرها ثم قال: قل آمين».

أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي، والقاضي أبو بكر الحيري، قالوا: أخبرنا أبو علي المعقلي، حدثنا محمد بن يحيى الذهلي^(٥)، حدثنا عبد الرزاق^(٦)، قال أخبرنا معمر^(٧)، عن الزهري^(٨)، عن ابن المسيب^(٩)، عن أبي هريرة^(١٠):

«أن النبي ﷺ قال: إذا قال الإمام ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقولوا «آمين»، فإن الملائكة تقول

(١) عبد الرحمن بن محمد بن سلم الحافظ الكبير أبو يحيى الرازي إمام جامع أصبهان ومصنف المسند والتفسير حدث عن سهل بن عثمان وعبد العزيز بن يحيى والطبقة وعنه أبو الشيخ والطبراني وكان من الثقات توفي سنة ٢٩١ هـ.
(تذكرة الحفاظ ٢/٦٩٠ - ٦٩١).

(٢) سهل بن عثمان العسكري الكندي يكنى أبا مسعود الحافظ، أحد الأعلام حدث عنه الكبار علي بن المديني وغيره، قال أبو حاتم صدوق توفي سنة ٢٣٥ هـ.
(تذكرة ٢/٤٥٢ - ٤٥٣، الجمع ١/١٨٧).

(٣) يحيى بن أبي زائدة: يحيى بن زكريا بن أبي زائدة - واسمه ميمون ويقال خالد يكنى أبا سعيد الهمداني الكوفي القاضي سمع أباه وأبا مالك الأشجعي والطبقة وعنه سهل العسكري وأبو كريب وابن أبي شيبة وخلق. قال أحمد وابن معين والنسائي ثقة زاد أبو حاتم صدوق وزاد النسائي ثبت توفي سنة ١٨٣ هـ.

(تهذيب التهذيب ١١/٢٠٨ - ٢٠٩ والجمع ٢/٥٦٠).

(٤) ساقطة من (هـ).

(٥) محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس الذهلي أبو عبد الله النيسابوري الإمام قال النسائي ثقة مأمون، وقال ابن خزيمة: إمام أهل عصره بلا مدافعة توفي سنة ٢٥٨ هـ.

(تهذيب التهذيب ٩/٥١١ - ٥١٦).

(٦) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري أبو بكر الصنعاني، ثقة حافظ مصنف شهير ولد سنة ١٢٦ هـ وعاش ٨٥ سنة توفي سنة ٢١١ هـ.
(تهذيب التهذيب ٦/٣١٠ - ٣١٥، تقريب التهذيب ١/٥٠٥).

(٧) معمر بن راشد الأزدي مولاهم البصري الحافظ أبو عروة صاحب الزهري، قال أحمد: ليس يضم معمر إلى أحد إلا وجدته فوقه، وقال غيره: كان معمر صالحاً خيراً وهو أول من ارتحل إلى اليمن في طلب الحديث مات سنة ١٥٣ هـ.
(العبر ١/١٦٩).

(٨) أعلم الحفاظ أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة الزهري المدني الإمام ولد سنة ٥٠ هـ وحدث عن ابن عمر وسهل بن سعد وأنس بن مالك وغيرهم من صغار الصحابة توفي سنة ١٢٤ هـ.
(تذكرة الحفاظ ١/١٠٨ - ١١٣).

(٩) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي أبو محمد سيد التابعين على الإطلاق، ولد في خلافة عمر - وكان ختن أبي هريرة على ابنته - وأعلم الناس بحديثه سمع من الصحابة توفي سنة ٩٣ هـ وقيل ٩٤ وقيل ٩٥ هـ (كتاب الجمع ١/١٦٨ - ١٦٩).

(١٠) في (د): رضي الله عنه.

«أمين» فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه مسلم - في الصحيح - عن حرملة^(١)، عن ابن وهب^(٢)، عن يونس^(٣)، عن الزهري^(٤).

(١) حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة أبو حفص التجيبي المصري سمع ابن وهب وغيره روى عنه مسلم في صحيحه ولد سنة ١٦٠ هـ ومات سنة ٢٤٣ هـ.

(كتاب الجمع ١/١١٢).

وثقه ابن عدي وقال: لم أجد في حديثه ما يضعف.

(طبقات الشافعية ٢/١٢٧ - ١٢٨).

(٢) ابن وهب: عبد الله بن وهب بن مسلم - أبو محمد المصري - مولى أم رمانة ويقال القرشي مولى بني فهر، سمع عمرو بن الحارث ويونس بن يزيد ومالكاً وغيرهم قال ابن عدي من جلة العلماء وثقاتهم لا أعلم له حديثاً منكراً توفي سنة ١٩٧ هـ (كتاب الجمع

١/٢٦١ - ٢٦١ - حسن المحاضرة ١/٣٠٢).

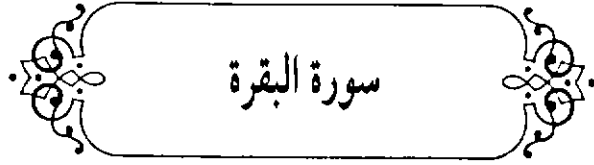
(٣) يونس بن يزيد - بن أبي النجاد ويقال: بن يزيد - بن مشكان بن أبي النجاد القرشي الأيلي يكنى أبا يزيد مولى معاوية بن أبي سفيان سمع الزهري وثاقباً وروى عنه ابن وهب وابن المبارك والليث بن سعد، مات سنة ١٥٩ هـ.

(كتاب الجمع ٢/٥٨٤).

(٤) الحديث: أخرجه مسلم في الصحيح - كتاب الصلاة - باب التسميع والتحميد والتأمين عن أبي هريرة (١/١٧٤ - ١٧٥).

وأبو داود في السنن - كتاب الصلاة - باب التأمين وراء الإمام عن أبي هريرة رقم ٩٣٥ (١/٢٤٦).

القول في فضائل



مدنية وآياتها ست وثمانون ومائتان^(١)

أخبرنا أبو طاهر الزيادي^(٢)، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي^(٣)، أخبرنا محمد بن حماد الأبيوردي^(٤)، أخبرنا وكيع^(٥)، عن بشر بن المهاجر^(٦)، عن عبد الله بن بُريدة^(٧)، عن أبيه^(٨) قال:

قال رسول الله ﷺ «تعلموا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»^(٩).

أخبرنا أبو نصر^(١٠) أحمد بن عبيد الله المخلدني، أخبرنا إبراهيم بن أحمد بن رجاء^(١١)، أخبرنا عبد الله بن محمد

(١) في (د): مكية.

(٢) في (د): أبو الطاهر.

(٣) حاجب بن أحمد بن يرحم أبو محمد الطوسي معمر ضعيف الحديث توفي سنة ٣٦٦ عن مائة وثمانين سنين.
(شذرات الذهب ٣٤٣/٢).

(٤) محمد بن حماد الأبيوردي أبو عبد الله الزاهد روى عن ابن عينة والوليد بن مسلم وابن المبارك ووكيع وعبد الرزاق وغيرهم وعنه حاجب بن أحمد بن يرحم الطوسي، ذكره ابن حبان في الثقات، توفي سنة ٢٤٩ هـ.
(تهذيب التهذيب ١٢٦/٩).

(٥) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي أبو سفيان الكوفي الحافظ الثقة العابد، توفي سنة ١٩٧ هـ (تقريب التهذيب ٣٣١/٢).

(٦) بشير بن المهاجر الغنوي الكوفي رأى أنس بن مالك، وروى عن الحسن البصري وعبد الله بن بريدة وعكرمة وغيرهم قال أبو بكر بن الأثرم عن أحمد: منكر الحديث وقال إسحاق بن منصور عن يحيى: ثقة وقال النسائي: ليس به بأس روى عنه الجماعة سوى البخاري.

(تهذيب الكمال ١٧٦/٤ - ١٧٨).

(٧) عبد الله بن بريدة بن الحبيب الأسلمي قاضي مرو أخو سليمان - وكانا توأمين سمع أباه وسمرة بن جندب روي له البخاري ومسلم ولد في أول خلافة عمر وتوفي سنة ١١٥ هـ (الجمع ٢٤٧/١).

(٨) أبوه: بريدة بن الحبيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعيد بن رزاح، سمع النبي ﷺ، روى عنه ابنه عبد الله وسليمان وأبو المليح وعامر الشعبي توفي سنة ٦٢ هـ. (الجمع ٦٢/١ - ٦٣).

(٩) البطلة: السحرة (حاشية (أ)).

الحديث أخرجه مسلم - كتاب الصلاة - باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة - عن أبي أمامة الباهلي (٣٢١/١).

ومجمع الزوائد - كتاب التفسير - باب في فضل القرآن ومن قرأه عن بريدة وفيه «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» (١٥٩/٧).
ومسند أحمد ٣٤٨/٥ عن بريدة.

(١٠) في (د): أبو منصور. وهو: أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن ثابت أبو نصر البخاري الفقيه المعروف بالثابت قدم بغداد وهو حدث فسمع من أبي القاسم بن صباية وأبي طاهر المخلص وطائفة، ودرس فقه الشافعي على أبي حامد الإسفراييني، كان ليلاً توفي ٤٤٧ هـ. (تاريخ بغداد ٢٣٩/٤ - ٢٤٠).

(١١) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن رجاء النيسابوري الوراق الأبخاري - نسبة إلى أبراز قرية بنيسابور - رحل وطوف الكثير وعني =

البغوي^(١)، حدثنا عبد الواحد بن غياث^(٢) حدثنا عدي بن الفضل^(٣)، حدثنا علي بن زيد^(٤)، عن الحسن، عن عبد الله بن مغفل^(٥) قال:

«قال رسول الله ﷺ: «إن البيت الذي يقرأ^(٦) فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان تلك الليلة»^(٧).

أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد بن إبراهيم المهرجاني، أخبرنا عبيد الله بن محمد الزاهد، أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي، حدثني محمد بن إسحاق^(٨)، حدثنا أبو الأسود^(٩)، أخبرنا ابن لهيعة^(١٠)، عن الحارث بن يزيد^(١١)، عن

= بالحديث روى عن مسدد بن قطن والحسن بن سفيان توفي سنة ٣٦٤ وله ٩٦ سنة (شذرات ٤٨/٣).

(١) سبق.

(٢) عبد الواحد بن غياث المرثدي أبو بحر البصري سمع حماد بن سلمة وطبقته وعنه أبو القاسم البغوي وكان ثقة قدم بغداد وحدث بها توفي سنة ٢٤٠ هـ.

(شذرات ٩٤/٢، تاريخ بغداد ٥/١١ - ٦).

(٣) عدي بن الفضل أبو حاتم البصري عن سعيد المقبري وأيوب وجماعة قال ابن معين وأبو حاتم متروك الحديث، وقال يحيى لا يكتب حديثه وضعفه غير واحد توفي سنة ١٧١ هـ (تهذيب التهذيب ١٦٩/٧ - ١٧٠، الميزان ٦٢/٣).

(٤) علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن أبي مليكة بن جدعان أبو الحسن القرشي التميمي أحد علماء التابعين قال أحمد ضعيف وقال البخاري لا يحتج به وقال الترمذي صدوق مات سنة ١٣١ هـ. (الميزان ١٢٧/٣ - ١٢٩).

(٥) مغفل: بغين معجمة مفتوحة وفاء مشددة مفتوحة (عمدة القوي ص ٣).

عبد الله بن مغفل المزني صحابي من أصحاب الشجرة وأحد العشرة الذين بعثهم عمر ليفقهوا الناس بالبصرة توفي سنة ٥٧ هـ وقيل ٦١ هـ.

(الأعلام للزركلي ٤/٢٨٣).

(٦) في (هـ): يقر.

(٧) الحديث: رواه الترمذي - كتاب فضائل القرآن - باب ما جاء في سورة البقرة عن أبي هريرة رقم ٣٠٧٧ «قريب منه» وقال حسن صحيح. ٢٣٢/٤.

ومجمع الزوائد - كتاب التفسير - سورة البقرة عن عبد الله بن مغفل «وفيه عدي بن الفضل وهو ضعيف» ولفظ الحديث بدون «أن» أوله ٣١٢/٦.

وانظر المستدرک - كتاب التفسير عن عبد الله بن فضل ٢٦٠/٢.

(٨) الحافظ الحجة محدث بغداد أبو بكر محمد بن إسحاق الصاغاني حدث عنه الجماعة سوى البخاري قال ابن خراش: ثقة مأمون وقال الدارقطني: ثقة وفوق الثقة مات سنة ٢٧٠ هـ.

(تذكرة ٥٧٣/٢ - ٥٧٤).

(٩) أبو الأسود: النضر بن عبد الجبار بن نصير المرادي - أبو الأسود المصري - روى عن ابن لهيعة وغيره قال أبو حاتم صدوق وقال النسائي ليس به بأس ولد سنة ١٤٥ هـ ومات سنة ٢١٩ هـ.

(تهذيب التهذيب ٤٤٠/١٠ - ٤٤١).

(١٠) عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرغان الحضرمي المصري أبو عبد الرحمن الفقيه قاضي مصر ومسندها توفي سنة ١٦٤ هـ وثقه أحمد وغيره، وضعفه يحيى القطان.

(حسن المحاضرة ٣٠١/١ - كتاب الجمع ٢٧٨/١).

(١١) الحارث بن يزيد الحضرمي أبو عبد الكريم المصري - روى عن علي بن رباح وجنادة بن أمية وجبير بن نفيير وغيرهم قال أحمد: ثقة من الثقات، وثقه العجلي والنسائي، مات سنة ١٣٠ هـ.

(تهذيب التهذيب ١٦٣/٢).

علي بن رباح^(١)، عن ربيعة الجرشي^(٢) قال:

قيل لرسول الله ﷺ: أي سور القرآن أفضل؟ قال^(٣): «البقرة» قيل: أي البقرة أفضل؟ قال: «آية الكرسي»^(٤).

التفسير^(٥):

الْم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

قوله عز وجل ﴿١﴾ ﴿الْم﴾: كثر اختلاف المفسرين في الحروف المقطعة في القرآن، فذهب قوم: إلى أن الله تعالى لم يجعل لأحد سبيلاً إلى إدراك معانيها، وأنها مما استأثر الله تعالى بعلمها، فنحن نؤمن بظاهرها، ونكل علمها إلى الله تعالى^(٦).

قال داوود بن أبي هند^(٨): كنت أسأل الشعبي^(٩) عن فواتح السور، فقال يا داوود إن لكل كتاب سرّاً، وإن سر القرآن فواتح السور، فدعها وسل عما سوى^(١٠) ذلك^(١١).

(١) علي بن رباح اللخمي يكنى أبا موسى، سمع عقبة بن عامر والمستورد بن شداد الفهري وروى عنه ابنه موسى وأبو هانئ الخولاني. علي: بتصغيره (عمدة القوي ٤/و).

(كتاب الجمع ١/٣٥٨).

(٢) ربيعة الجرشي فقيه الناس في زمن معاوية بن أبي سفيان توفي سنة ٦٤ هـ.

(شذرات الذهب ١/٣١).

(٣) في (د): فقال.

(٤) الحديث: انظر الدر المنثور ١/٢٠ عن ربيعة وفيه «رواه البغوي في معجم الصحابة وابن عساكر في تاريخه».

والجامع الصغير ١/٥١ عن ربيعة ورمز له بالضعف وعزاه إلى البغوي في معجم الصحابة.

(٥) ساقطة من (أ، هـ).

(٦) في (د): تعالى، وساقطة من (هـ).

(٧) في (ج، هـ): عز وجل.

(٨) داود بن أبي هند أبو بكر القشيري - قيل أبو محمد - مولاهم البصري - واسم أبي هند دينار - ويقال طهمان - رأى أنس بن مالك وروى

عن عكرمة والشعبي قال عبد الله بن أحمد عن أبيه ثقة وقال العجلي: بصري ثقة جيد الإسناد توفي سنة ١٣٩ هـ.

(تهذيب التهذيب ٣/٢٠٤ - الجمع ١/١٣١).

(٩) الشعبي: عامر بن شراحيل بن عمرو أبو عمرو الشعبي - شعب بن همدان - الكوفي سمع جابر بن عبد الله وابن عباس والنعمان بن بشير

وغير واحد من الصحابة مات سنة ١٠٦ هـ وهو ابن ٧٧ سنة.

(كتاب الجمع ١/٣٧٧).

(١٠) في (د): سوا.

(١١) انظر الزجاج ١/١٩ عن الشعبي، والدر ١/٢٣ عن الشعبي، وغرائب النيسابوري ١/١١٩ - ١٢٠ عن أبي بكر وعلي والشعبي، وفتح

القدير ١/٢٩ عن الشعبي والثوري والطبري ١/٢٠٩، وابن كثير ١/٣٥ - ٣٦.

وفسرها الآخرون، فقال ابن عباس - في رواية سعيد بن جبيرة وأبي الضحى^(١) ﴿الم﴾ أنا الله أعلم^(٢).

وقال الضحاك^(٣): كل ﴿الم﴾ في القرآن: أنا الله أعلم، وهذا اختيار الزجاج^(٤) قال: المختار ما روي عن ابن عباس هو أن معنى ﴿الم﴾ أنا الله أعلم، وأن كل حرف منها له تفسير، قال: والدليل على ذلك أن العرب قد تنطق بالحروف الواحد تدل به على الكلمة التي هو منها وأنشد:

قلت لها: قفي لنا، قالت: قاف^(٥).

فنطق بقاف فقط يريد: قالت قف.

ويروي عن الحسن أنه قال ﴿الم﴾ وسائر حروف التهجي في القرآن: أسماء للسور^(٦) وعلى هذا القول إذا قال القائل: قرأت ﴿المص﴾^(٧) عرف السامع أنه قرأ السورة التي افتتحت بـ ﴿المص﴾^(٨).

قوله عز وجل ﴿ذلك الكتاب﴾ «ذلك» يجوز أن يكون بمعنى «هذا» عند كثير من أهل التفسير^(٩).

قال الفراء^(١٠): ومثاله في الكلام أنك تقول^(١١): قد قدم فلان فيقول السامع قد بلغنا ذلك، أو يقول: قد بلغنا

(١) أبو الضحى: مسلم بن صبيح الكوفي سمع من مسروق وعبد الله بن عباس وطائفة وعنه الأعمش ومنصور وسعيد بن مسروق مات سنة ١٠٠ هـ. (تهذيب التهذيب ١٠/١٣٢، الجمع ٢/٤٩٢).

(٢) انظر تفسير ابن عباس ص ٩، والطبري ١/٣٠٧ عن أبي الضحى عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة، والبحر ١/٣٤ عن ابن عباس وسعيد، والرازي ٦/٢.

(٣) الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني أبو القاسم روى عن أبي هريرة وابن عباس وابن عمر وأنس قال عبد الله بن أحمد عن أبيه ثقة مأمون وثقه أبو زرعة وابن معين توفي سنة ١٠٥ هـ.

(تهذيب التهذيب ٤/٤٥٣ - ٤٥٤، والكاشف ٢/٣٦ - ٣٧).

(٤) انظر الزجاج ١/٢٤ والدر ١/٢٢ وابن كثير ١/٣٦ - ٣٧.

والزجاج هو: أبو إسحاق بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي قال ابن خلكان: كان من أهل العلم والأدب والدين السنين صنف كتاباً في معاني القرآن وغيره من الكتب أخذ عن المبرد وثلعب، توفي سنة ٣١٠ هـ. (شذرات الذهب ٢/٢٥٩).

(٥) انظر الطبري ١/٢١٢، والبحر ١/٣٥، والقرطبي ١/١٥٥، واللسان ١/٥، وابن كثير ١/٣٧.

والشاعر هو: أبو وهب الوليد بن عقبة - أخو عثمان من الرضاعة - ولاء الكوفة فشرّب وأم الناس وهو سكران فقال هذا الشعر وهو في طريقه إلى المدينة يخاطب الإبل:

لا تظنّيني أتسرفت ونسيت طرد الإبل لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف
أي: سرعة السير.

(٦) انظر الدر ١/٢٣ عن الحسن، ومجاز القرآن ١/١٧، والزجاج ١/٢٦ والطبري ١/٢٠٥ - ٢٠٦ والبيان للمكبري ١/١٤ والبحر ١/٣٤ عن الحسن وزيد بن أسلم.

(٧) سورة الأعراف ١/.

(٨) وهو رأي أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١/١٧.

(٩) في (د) تعالى. وهي ساقطة من (ه).

(١٠) انظر الزجاج ١/٢٩ ونسبه إلى الأخفش وأبي عبيدة، والبيان ١/١٥ والطبري ١/٢٢٥ عن مجاهد وعكرمة والسدي وابن جريج، ومجاز القرآن ١/٢٨، وابن كثير ١/٣٩.

(١١) الفراء: يحيى بن زكريا الكوفي النحوي نزل بغداد وحدث في مصنفاته عن قيس بن الربيع وأبي الأحوص، وهو أجل أصحاب الكسائي وكان رأساً في النحو واللغة توفي سنة ٢٠٧ هـ (شذرات ٢/١٩).

(١٢) في (د) قولك.

الخبر، فصلحت «هذا» لأنه قرب من جوابه فصار كالحاضر الذي تشير إليه، وصلحت «ذلك» لانقضاء كلامه، والمنقضي كالعائب^(١). وذكر ابن الانباري^(٢) لهذا شرحاً شافياً فقال: إنما قال عز ذكره ﴿ذلك الكتاب﴾ فأشار إلى غائب، لأنه أراد: هذه الكلمات يا محمد، ذلك الكتاب الذي وعدتكم أن أوحيه إليكم، لأن الله تعالى لما أنزل على نبيه - عليه السلام - ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾^(٣) كان واثقاً بوعد الله إياه، فلما أنزل الله تعالى عليه ﴿آلم﴾، ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴿دله على الوعد المتقدم.

وقال الزجاج^(٤): القرآن ذلك الكتاب الذي وعدوا به على لسان موسى وعيسى^(٥) فجعل ﴿آلم﴾ بمعنى القرآن، لأنه من القرآن. و﴿الكتاب﴾: مصدر كتبت، ويسمى المكتوب كتاباً، كما يسمى المخلوق خلقاً والمفعول يسمى بالمصدر، يقال: هذا درهم^(٦) ضرب الأمير، أي مضروبه وهذا الثوب نسج اليمن، أي منسوجه.

وأصل الكتب في اللغة: الجمع والضم، يقال كتبت البغلة: إذا ضممت بين شفريها بحلقة، وكتبت السقاء، إذا خرزته والكتب: الخروز، واحدها: كتبة، والكتابة: جمع حرف إلى حرف^(٧).

والمراد بـ ﴿الكتاب﴾ ها هنا: القرآن في قول جميع المفسرين^(٨).

قوله^(٩) ﴿لا ريب فيه﴾: «الريب» الشك قال أبو زيد^(١٠) يقال: رابني من فلان أمر رأيته منه ريباً، إذا كنت مستيقناً منه الريبة، فإذا أسأت به الظن ولم تستيقن بالريبة منه قلت: قد أرابني من فلان أمر هو فيه، إذا ظننته من غير أن تستيقنه^(١١).

قال سيبويه^(١٢): «لا» تعمل فيما بعدها فتنصبه، ونصبها لما بعدها كنصب (إن) إلا أنها تنصب بغير تنوين، وإنما شبه^(١٣) «لا» بـ «إن» لأن «إن» للتحقيق^(١٤) في الإثبات، و﴿لا﴾ في النفي، فلما كان «لا» تقتضي تحقيق النفي كما تقتضي «إن» تحقيق الإثبات أجري مجراه، وهي^(١٥) مع ما بعدها بمنزلة شيء واحد^(١٦).

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١٠/١ - ١١.

(٢) انظر الطبري ٢٢٦/١ - ٢٣١ وغرائب النيسابوري ١٢٥/١ والبحر ٢٦/١ عن ابن عباس بنحوه، وذكره القرطبي بلفظه ١٥٨/١ وفتح القدير ٣٣/١.

(٣) سورة المزمل ٥/.

(٤) انظر معاني «الكتاب» في تفسير البغوي ٢٧/١.

(٥) انظر الزجاج ٢٩/١.

(٦) انظر ابن عباس ص ٣ والزجاج ٢٩/١ ومجاز القرآن ٢٨/١ وابن كثير ٣٩/١.

(٧) في (د): عليهما السلام.

(٨) في (د، هـ): تعالى.

(٩) في (ح): الدرهم.

(١٠) أبو زيد الأنصاري: سعيد بن أوس البصري اللغوي روى عن سليمان التيمي وحמיד الطويل والكبار وصف التصانيف وكان صدوقاً صالحاً توفي سنة ٢١٥ هـ.

(شذرات ٣٤/٢ - ٣٥).

(١١) انظر الزجاج ٢٩/١ ومجاز القرآن ٢٩/١ والطبري ٢٢٨/١ - ٢٢٩ وغرائب النيسابوري ١٢٧/١.

(١٢) سيبويه: إمام النحو عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر الحارثي مولاهم أخذ النحو عن عيسى بن عمر واللغة عن الأخفش الأكبر وغيره، عاصر الخليل وابن سلام والكسائي توفي سنة ١٨٠ هـ.

(شذرات ٢٥٢/١).

(١٣) في (د) شبهت.

(١٤) في (د): لتحقيق.

(١٥) ساقطة من (هـ).

(١٦) ذكره الزجاج نقلاً عن سيبويه ٣١/١، وانظر التبيان بمعناه ١٥/١، والكتاب لسيبويه ٢٧٤/٢.

وموضع ﴿لا ريب﴾^(١) رفع بالابتداء عند سيبويه لأنه^(٢) بمنزلة «خمسة عشر» إذا ابتدأت به ولهذا جاز العطف^(٣) عليه بالرفع في قول الشاعر^(٤):

لا أم لي أن كان ذاك ولا أب^(٥)

وموضع «فيه»: رفع لأنه خبر بالابتداء الذي هو «لا ريب».

فإن قيل: كيف نال ﴿لا ريب فيه﴾ وقد ارتاب به^(٦) المبطلون؟ قيل: معناه: أنه حق في نفسه وصدق وإن ارتاب به المبطلون، كما قال الشاعر^(٧):

ليس في الحق يا أمامة ريب إنما الريب ما يقول الكذوب

فنفى الريب عن الحق، وإن كان^(٨) المتقاصر في العلم يرتاب.

ويجوز أن يكون خبراً في معنى النهي، ومعناه: لا ترتابوا، كقوله تعالى: ﴿فلا﴾^(٩) رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج^(١٠) والمعنى: لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا.

قوله^(١١) ﴿هدى للمتقين﴾ معنى «الهدى: البيان، لأنه قول به الضلالة^(١٢) في قوله عز وجل^(١٣) ﴿واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾^(١٤) أي: من قبل هداه.

ومعنى «الاتقاء» في اللغة: الحجز بين الشيئين، يقال: اتقاه بترسه، أي^(١٥): جعل الترس حاجزاً بينه وبينه، ومنه «التقية في الدين»^(١٦) يجعل ما يظهر حاجزاً بينه وبين ما يخشاه من المكروه، ومنه الحديث:

«كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ فكان أقربنا إلى العدو»^(١٧)

(١) في غير (أ): لا ريب فيه.

(٢) في (د): لا.

(٣) في (د): لا.

(٤) في (د): لا.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ١٢١/١ والكتاب ٢٧٤/٢ - ٢٧٥ وفيه:

هذا لعمرمك الصغار بعينه لا أم لي إن كان ذاك ولا أب والخزانة ٣٨/٢ الشاهد ٨٨ وهذا البيت لضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم شاعر جاهلي، كان له أخ يسمى جندب وكانت أمه تؤثره عليه فقال هذا الشعر والبيت بلفظ:

هذا وجدكم الصغار بعينه لا أم لي إن كان ذاك ولا أب والبيت من بحر الكامل.

(٦) في (د): فيه.

(٧) البيت في الدر المنثور ٣٤/١ ونسبه إلى ابن الزبيري، وانظر البحر ٣٣/١، والقرطبي ١٥٩/١ وفيه: قال عبد الله بن الزبيري بلفظ:

ليس في الحق يا أميمة ريب إنما الريب ما يقول الجهول

(٨) في (د): وإن كان الأمر المتقاصر.

(٩) في (د): لا.

(١٠) سورة البقرة ١٩٧.

(١١) في (د): قوله تعالى.

(١٢) في (د): قوله تعالى.

(١٣) في (د): قوله تعالى.

(١٤) في (د): قوله تعالى.

(١٥) في (د): إذا.

(١٦) التقية في الدين عبارة عن أن يكون الشخص بين قوم يخالفوه في اعتقاده الصحيح فيخاف إن أظهر اعتقاده عندهم أن يلحقوا به ضرراً فيظهر خلاف الاعتقاد (حاشية (أ)).

(١٧) الحديث: رواه مسلم - كتاب الجهاد - باب في غزوة حنين عن البراء بالفاظ متقاربة ٩٣/٢ بلفظ «كنا والله إذا احمر البأس نتقي به وإن»

فالمثقي: هو الذي يتحرز بطاعته عن العقوبة، ويجعل اجتنابه عما نهي عنه^(١) وفعله ما^(٢) أمر به حاجزاً بينه وبين العقوبة التي توعد بها العصاة.

والمراد بـ (المتقين) في هذه الآية: المؤمنون الذين اتقوا الشرك^(٣)، وجعلوا إيمانهم حاجزاً بينهم وبين الشرك، كأنه قال: القرآن بيان وهدى لمن اتقى الشرك وهم المؤمنون.

وخص المؤمنين بأن الكتاب بيان لهم دون الكفار - الذين لم يهتدوا بهذا الكتاب - لانفعاهم به دونهم^(٤)، كقوله تعالى: ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾^(٥) وكان عليه السلام منذراً لمن خشي ولمن لم يخش.

قال ابن الأنباري^(٦): معناه^(٧) هدى للمتقين والكافرين فاكتفى بأحد الفريقين عن الآخر. كقوله تعالى: ﴿سراويل تقيكم الحر﴾^(٨) أراد الحر والبرد فاكتفى بذكر أحدهما^(٩)

وأما إعراب هدى فقال الزجاج^(١٠): يجوز أن يكون موضعه نصباً على الحال كأنه قال^(١١): هادياً للمتقين، ويجوز أن يكون موضعه رفعاً على إضمار هو، كأنه لما تم الكلام قيل: هو هدى.

ويجوز أن يكون الوقف على قولك^(١٢) ﴿لا ريب﴾^(١٣) أي ذلك الكتاب لا ريب ولا شك، كأنك قلت: ذلك الكتاب حقاً، لأن لا شك بمعنى حقاً، ثم قيل بعد^(١٤) (فيه هدى).

قوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾^(١٥) ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾^(١٦) قال الزجاج: موضع «الذين» خفض نعتاً للمتقين. ومعنى ﴿يؤمنون﴾: يصدقون قال الأزهري^(١٧): اتفق العلماء أن الإيمان معناه التصديق، كقوله ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾^(١٨) أي بمصدق^(١٩).

= الشجاع منا للذي يجاذي به يعني النبي ﷺ والحديث بلفظه في تهذيب الكمال عن علي ﷺ وفيه «أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ وله شاهد عند مسلم» ٩٩/١. ومسنده أحمد ١٢٦/١، ١٥٦ عن علي ﷺ.

- (١) ساقطة من (هـ).
 (٢) في (هـ): عما.
 (٣) انظر الطبري ٢٣٣/١ عن ابن عباس وابن كثير ٣٩/١ وعن ابن عباس.
 (٤) انظر الطبري ٣٣٠/١ وابن كثير ٣٩/١ وغرائب النسابوري ١٢٩/١.
 (٥) في التهليل لابن جزي: «هدى» بمعنى الإرشاد لتخصيصه بالمتقين ولو كانت بمعنى البيان لعمت كقوله (هدى للناس) انظر ص ٣٥.
 (٦) انظر الزجاج ٣٣/١ والتبيان ١٦/١ والمشكل ٧٤/١.
 (٧) في غير (أ): قيل.
 (٨) ساقطة من (د) وفي (هـ): بعده.
 (٩) والأولى أن يكون الوقف على قوله (لا ريب فيه) لأنه يصير قوله (هدى) صفة للقرآن وذلك أبلغ من كونه فيه هدى. (ابن كثير ٣٩/١).
 (١٠) ساقطة من (هـ).
 (١١) انظر الزجاج ٣٣/١ وعنده ويجوز أن يكون بوضع. الذين نصباً على المدح كأنه قيل: اذكر الذين. (انظر ٣٤/١).
 (١٢) الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي اللغوي النحوي الشافعي صاحب تهذيب اللغة وغيره من المصنفات الجليلة المقدار مات بهراة سنة ٣٧٠ هـ وله ثمان وثمانون سنة. (شذرات ٧٢/٣).
 (١٣) سورة يوسف ١٧.
 (١٤) انظر مجاز القرآن ٩٧/١، ٣٠٣ والزاهر ١٨٠/١، ٢٠٢ - ٢٠٣ والبحر ٣٨/١ والزجاج ٣٣/١ وغريب القرآن ص ٣٩ والطبري ٢٣٤/١ - ٢٣٥ عن ابن عباس.

ومعنى^(١) التصديق: هو اعتقاد السامع صدق المخبر فيما يخبر^(٢)، فمن صدق الله تعالى فيما أخبر به في كتابه وصدق الرسول ﷺ فيما أخبر معتقداً بالقلب تصديقهما فهو مؤمن.

وأشدد ابن الأنباري - على أن «آمن» معناه^(٣): صدق - قول الشاعر:

ومن قبل آمنة وقد كان قومنا يصلون للأوثان قبل محمداً^(٤)

معناه^(٥): من قبل آمنة محمداً^(٦)، أي: صدقنا محمداً^(٧).

و﴿الغيب﴾ ما غاب، وهو مصدر غاب يغيب غيباً، وكل ما غاب عنك فلم تشهده فهو غيب^(٨)، قال الله تعالى ﴿عالم الغيب والشهادة﴾^(٩)

والغرب تسمي المكان المنخفض من الأرض: الغيب^(١٠) لأنه غائب عن الأبصار^(١١). والمراد ب﴿الغيب﴾ المذكور هنا - ما غاب علمه عن الحسن والضرورة مما يدرك بالدليل.

قال قتادة^(١٢): آمنوا بالجنة والنار، والبعث بعد الموت، وبيوم القيامة، كل هذا غيب، وقال أبو العالية^(١٣): يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر وحيته وناره، ولقائه، وبالبعث بعد الموت.

قال الزجاج^(١٤): وكل ما غاب عنهم مما أخبرهم به^(١٥) النبي ﷺ فهو غيب.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الحارثي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن حيان وحدثنا^(١٦) أبو يحيى عبد الرحمن بن

(١) في (د، هـ): فمعنى، وفي (ح): بمعنى.

(٢) في (ح): يخبر به.

(٣) ساقطة من (د).

(٤) انظر الزاهر لابن الأنباري ٢٠٣/١ والقرطبي ١٦٤/١ والدر ٢٥/١ وفيه: عن أبي سفيان بن الحارث:

وبالغيب آمنة وقد كان قومنا يصلون للأوثان قبل محمد

(٥) في (د): يعني من قبل محمد.

(٦) في (ح): بمحمد.

(٧) ساقطة من (د) وفي (هـ): محمد.

(٨) انظر مجاز القرآن ٣٠٢/١ والطبري ٢٣٧/١ والبحر ٣٨/١ وفتح القدير ٣٤/١.

(٩) سورة الأنعام/ ٧٣، سورة التوبة/ ٩٤ و ١٠٥، سورة الرعد/ ٩، سورة المؤمنون/ ٩٢، سورة السجدة/ ٦ - في المطبوعة ٦٠ وهو خطأ والزمر/ ٤٦، والحشر/ ٢٢، والجمعة/ ٨، والتغابن/ ١٨.

(١٠) في (د): غيباً.

(١١) انظر غرائب النيسابوري ١٣٤/١ والبحر ٣٨/١.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ص ٣ والطبري ٢٣٦/١ عن قتادة والدر ٢٥/١ عن قتادة.

(١٣) انظر الطبري ٢٣٦/١ - ٢٣٧ عن الربيع بن أنس والدر ٢٥/١ عن أبي العالية وابن كثير ٤١/١ عنه.

(١٤) الزجاج ٣٥/١ وفتح القدير ٣٤/١.

(١٥) ساقطة من (هـ).

(١٦) في (د): قال حدثنا.

محمد الرازي، حدثنا سهل بن عثمان العسكري حدثنا عبيدة^(١)، عن الأعمش^(٢)، عن عمارة بن عمير^(٣)، عن عبد الرحمن بن يزيد^(٤) قال:

كنا جلوسا عند عبد الله^(٥) بن مسعود فذكرنا أصحاب النبي^(٦) ﷺ وما سبقوا به فقال عبد الله: إن أمر محمد ﷺ كان بينا لمن رآه، والذي لا آله غيره، ما آمن أحد قط إيماناً أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ ﴿الْم﴾، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب . . . إلى قوله ﴿وأولئك هم المفلحون﴾^(٨).

وقوله^(٩) ﴿ويقيمون الصلاة﴾ أي: يديمونها، ويحافظون عليه^(١٠) ويقال: قام الشيء إذا دام وثبت، وأقامه إذا أدامه. و«الصلاة» معناها في اللغة: الدعاء، ومنه الحديث:

«إذا دُعِيَ أحدكم إلى طعام فليجب، فإن كان مفطراً فليطعم، وإن كان صائماً فليصل»^(١١).

قال أبو عبيدة^(١٢): قوله «فليصل» أي: فليدع له بالبركة والخير، وكل داع فهو مصل.

هذا معنى الصلاة في اللغة، ثم ضمت إليها هيئات وأركان سميت مجموعها صلاة قال قتادة^(١٣) في قوله (يقيمون

(١) عبيدة بن حميد أبو عبد الرحمن التيمي - ويقال الضبي - الكوفي النحوي يقال له الحذاء، حكى البخاري عن الحسن بن أبي يزيد قال: كتبنا عن عبيدة بن حميد ببغداد سنة ١٩٦ ومات بعد ذلك. (كتاب الجمع ١/٣٣٧).

(٢) الأعمش: الحافظ الثقة شيخ الإسلام أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي - أصله من الري - رأي أنس بن مالك وحفظ عنه وروى عن ابن أبي أوفى وغيره توفي سنة ١٤٨ هـ. وله ٧٨ سنة (تذكرة الحفاظ ١/١٥٤).

(٣) عمارة بن عمير التيمي الكوفي سمع الأسود وعبد الرحمن بن يزيد بن قيس وغير واحد روى عنه الأعمش وغيره قال ابن معين وأبو حاتم والنسائي ثقة وقال ابن حبان توفي سنة ٩٨ هـ.

(تهذيب التهذيب ٧/٤٢١، الجمع ١/٣٩٦).

(٤) عبد الرحمن بن يزيد بن قيس أخو الأسود الكوفي النخعي يكنى أبا بكر سمع عبد الله بن مسعود وعثمان وغير واحد، وعنه إبراهيم بن يزيد وعمارة بن عمير وهو تابعي ثقة له أحاديث كثيرة توفي سنة ٨٣ هـ.

(تهذيب التهذيب ٦/٢٩٩، الجمع ١/٢٨٩).

(٥) في (د): عند ابن مسعود.

(٦) في غير (أ): محمد.

(٧) من (ج) وفي (هـ): عليه السلام.

(٨) الآيات من سورة البقرة ١ - ٥.

والأثر: أخرجه الحاكم في المستدرک - كتاب التفسير - تفسير قوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ عن عبد الرحمن بن يزيد وقال صحيح على شرط الشيخين. (٢/٢٦٠).

وانظر الدر ١/٢٦ عن ابن مسعود، والبخاري ١/٢٩، وابن كثير ١/٤١، وفتح القدير ١/٣٥.

(٩) في (د): قوله تعالى.

(١٠) انظر غرائب النسابوري ١/١٣٤، وفتح القدير ١/٣٥.

(١١) الحديث: أخرجه مسلم - كتاب النكاح - باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة ١/٦٠٤ والترمذي في السنن كتاب الصوم - باب ما جاء في إجابة الصائم الدعوة - عن أبي هريرة رقم ٧٧٧ (٢/١٣٩).

وأبو داود في السنن - كتاب الصوم - باب في الصائم يدعى إلى وليمة عن أبي هريرة رقم ٢٤٦٠ (٢/٣٣١).

(١٢) انظر مجاز القرآن ١/٦١ - ٦٢، ٢٦٨.

(١٣) انظر الدر ١/٢٧، عن قتادة وابن كثير ١/٤٢ عن قتادة وفتح القدير ١/٣٦ عن قتادة.

الصلاة) إقامتها: المحافظة على (١) مواقيتها ووضوئها (٢) وركوعها وسجودها.

وقوله ﴿ومما رزقناهم﴾ يقال: رزق الله الخلق رزقاً ورزقاً، فالرزق - بالفتح - هو المصدر الحقيقي، والرزق (٣) الاسم، ويجوز أن يوضع موضع المصدر. وكل (٤) ما انتفع به العبد فهو رزقه، من مال وولد وعبد (٥) وغير.

وقوله ﴿ينفقون﴾ معنى «الإنفاق» في اللغة: إخراج المال من اليد، ومن هذا يقال: نفق المبيع إذا كثر مشروه، فخرج عن (٦) يد البائع، ونفقت الدابة: إذا خرجت روحها. قال قتادة (٧): ينفقون في طاعة الله وسبيله.

قوله (٨) ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك...﴾ الآية، قال مجاهد (٩): الآيات الأربع من أول هذه السورة نزلت في جميع المؤمنين، سواء كانوا من العرب أو من أهل الكتاب، وقال ابن عباس (١٠) وابن مسعود إن آيتين من أول السورة نزلتا في مؤمني العرب، والآيتان بعدهما نزلتا في مؤمني أهل الكتاب، لأنه لم يكن للعرب كتاب كانوا مؤمنين به قبل محمد ﷺ (١١).

والمراد بقوله ﴿بما أنزل إليك﴾: القرآن ﴿وما (١٢) أنزل من قبلك﴾ يعني الكتب المتقدمة كالنوراة والإنجيل. وقوله (١٣) ﴿وبالآخرة﴾ أي: وبالدار الآخرة ﴿هم يوقنون﴾ يقال: يقن يقيناً فهو يقين، وأيقن بالأمر واستيقن وتيقن، كله واحد.

(واليقين): هو العلم الذي يحصل بعد استدلال ونظر (ولا يجوز أن يسمى علم الله تعالى يقيناً، لأن علمه لم يحصل عن استدلال (١٤) ونظر (١٥) والمعنى: أنهم يؤمنون بالآخرة ويعلمونها علماً باستدلال (١٦).

قوله (١٧) ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾ «أولاء»: كلمة معناها الكناية عن جماعة نحو «هم» و«الكاف» فيه: للمخاطبة نحو «كاف» ذلك.

(١) في (د): المحافظة عليها في أوقاتها.

(٢) في جميع النسخ: ووضوؤها.

(٣) أي بالكسر وانظر معنى «الرزق» في تفسير البغوي ٣٠/١، وغرائب النيسابوري ١٣٥/١، وفتح القدير ٣٦/١.

(٤) في (ح. د): وكلما.

(٥) من (أ).

(٦) في (ح): من.

(٧) العبارة: في فتح القدير ٣٦/١ والقرطبي ١٧٨/١ والبغوي ٣٠/١.

انظر الدر ٢٧/١ عن قتادة وفتح القدير ٣٦/١ والبغوي ٣٠/١ عنه.

(٨) في (د): قوله تعالى.

(٩) انظر تفسير مجاهد - ٦٩ والدر ٢٣/١، والطبري ٢٣٩/١ - ٢٤٠، وغرائب النيسابوري ١٥٠/١، وابن كثير ٤٣/١، وأسباب النزول

للواحدي ص ١٣ وأسباب النزول للسيوطي ص ١٠ كلهم عن مجاهد.

(١٠) انظر ابن كثير ٤٣/١ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة والبحر ٤٤/١ عن ابن عباس وفتح القدير ٣٦/١ عنهما.

(١١) في (د): عليه السلام.

(١٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(١٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ه).

(١٦) في غير (أ): بالاستدلال.

(١٣) في (د): وقوله تعالى.

(١٧) في (د): وقوله تعالى.

(١٤) في (د) نظر واستدلال.

والمعنى: هم على بيان وبصيرة من عند ربهم لأن الله تعالى هداهم لدينه.

﴿وأولئك هم المفلحون﴾ قال الزجاج^(١): يقال لكل من أصاب خيراً مفلح، قال الله تعالى (قد أفلح المؤمنون)^(٢) و^(٣) (قد أفلح من زكاها)^(٤).

والمعنى: هم الذين أدركوا البغية ووجدوا النعيم المقيم.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

قوله ﴿إن الذين كفروا..﴾ الآية، قال الضحاك^(٥): نزلت في أبي جهل^(٦) وخمسة من أهل بيته. وقال الكلبي^(٧): يعني اليهود^(٨).

يقال: كَفَرَ كُفْرًا وَكُفُورًا، كما يقال: شكر شكرًا وشكورًا.

ومعنى «الكفر» في اللغة: الستر، قال ابن السكيت^(٩): كل^(١٠) ما ستر شيئاً فقد كفره، ومنه قيل «الليل» كافر، لأنه يستر بظلمته الأشياء، ومنه سمي الكافر كافرًا لأنه ستر إنعام الله تعالى^(١١) بالهدى والآيات التي بانة لذوي التمييز: أن الله تعالى واحد لا شريك له، فمن لم يصدق بها وردها فقد كفر النعمة أي سترها، وغطاها.

و«الكفر» على أربعة أنحاء^(١٢): كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر معاندة، وكفر نفاق، فمن لقي ربه بشيء من ذلك لم يغفر له.

(١) انظر الزجاج ٣٩/١، ٤٨١/١، ومجاز القرآن ٢٩/١، وابن كثير ٤٤/١.

(٢) سورة المؤمنون ١/.

(٣) في (د): قال.

(٤) سورة الشمس ٩/.

(٥) انظر الطبري ٢٥٣/١ وغرائب النيسابوري ١٤١/١ وأسباب النزول للواحدي ص ١٣ عن الضحاك.

(٦) أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي أشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية شهد وقعة بدر مع المشركين فكان من قتلاها. (الأعلام للزركلي ٢٦١/٥ - ٢٦٢).

(٧) الكلبي: محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي أبو النضر الكوفي روى عن الشعبي وأبي صالح باذام وطائفة وعنه السفينان وحمام بن سلمة وابن المبارك وابن جرير، قال البخاري: تركه يحيى وابن مهدي، توفي سنة ١٤٦ هـ. (تهذيب التهذيب ١٧٨/٩ - ١٨٠).

(٨) انظر البغوي ٣١/١ عن الكلبي، وفتح القدير ٣٩/١، وأسباب النزول للواحدي ص ١٣ عن الكلبي، والطبري ٢٥١/١ عن ابن عباس.

(٩) ابن السكيت: يعقوب بن السكيت النحوي أبو يوسف البغدادي صاحب كتاب إصلاح المنطق وتفسير دواوين الشعراء، سبق أقرانه في الأدب مع حظ وافر في السنن والدين توفي سنة ٢٤٥ هـ (شذرات ١٠٦/٢).

(١٠) في (هـ): كل من.

(١١) ساقطة من (ح).

(١٢) انظر البغوي ٣١/١ - ٣٢ وقد ذكره بتمامه حتى شعر أبي طالب بلفظه.

أما «كفر الإنكار» فهو أن يكفر بقلبه ولسانه، ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد. و«كفر الجحود» أن يعرف بقلبه ولا يعترف^(١) بلسانه، وكفر إبليس، وكفر أمية بن أبي الصلت^(٢) ومنه قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾^(٣) يعني: كفر الجحود.

وأما كفر المعاندة: فهو أن يعرف بقلبه ويقر بلسانه ولا يقبل ولا يدين به^(٤)، ككفر أبي طالب^(٥) حيث يقول:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مينا^(٦)

وأما «كفر النفاق» فإن يقر بلسانه، ويكفر بقلبه.

وقوله تعالى: ﴿سواء عليهم﴾ أي: معتدل ومتساو عندهم ﴿أنذرتهم﴾: أعلمتهم وخوفتهم.

و«الإنذار»: إعلام مع تخويف، فكل منذر معلم، وليس كل معلم منذر، يقال: أنذرته فنذر، أي علم^(٧) بموضع الخوف.

قال الوالي^(٨) عن ابن عباس - في هذه الآية -: كان رسول الله ﷺ، يحرص أن يؤمن به^(٩) جميع الناس ويتابوه على الهدى، فأخبره الله تعالى: أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله تعالى^(١٠) الشقاء في الذكر الأول^(١١). ثم ذكر السبب في تركهم الإيمان فقال: ﴿١٣﴾

﴿ختم الله على قلوبهم﴾ قال الزجاج^(١٢): معنى «ختم وطبع» في اللغة^(١٣) واحد وهو التغطية على الشيء

(١) في (د) يقر.

(٢) أمية بن أبي الصلت - واسم أبي الصلت عبد الله - بن أبي ربيعة بن عوف بن ثقيف كان أبوه شاعراً وكان قد نظر في الكتب وليس المسوح تعبداً وشك في الأوثان والتمس الدين وطمع في النبوة فلما ظهر النبي ﷺ حسده عدو الله وقال: إنما كنت أرجو أن أكونه مات سنة ٥ هـ.

(الوافي بالوفيات ٣٩٥/٩ - ٤٠٠، الأعلام ٣٦٤/١).

(٣) سورة البقرة / ٨٩. (٤) في (د) ولا يتدين به.

(٥) أبو طالب: عم النبي ﷺ وتكفل به بعد جده عبد المطلب وأحسن تربيته ونصره بعد البعثة وذبح عنه، ومدحه عدة مدائح، واسمه عبد مناف - على المشهور - واشتهر بكنيته توفي قبل الهجرة سنة ١٠ من البعثة وهو ابن بضع وثمانين سنة. (الخزانة ٧٥/٢).

(٦) انظر خزنة الأدب ٧٦/٢، والبحر ١٠٠/٤، والبداية والنهاية ٤٢/٣، وغرائب النيسابوري ١٣٠/٧.

(٧) ساقطة من (ح، هـ). (٨) في (د): أعلم.

(٩) الوالي: علي بن أبي طلحة - سالم - بن مخارق مولى بني هاشم يكنى أبا الحسن، قال أبو محمد - سمع مجاهداً وأبا الدر وأخذ بتفسير ابن عباس عن مجاهد، فلم يذكر مجاهداً، بل أرسله عن ابن عباس قال أحمد: له أشياء منكرات وقال النسائي: لا بأس به توفي سنة ١٤٣ هـ (الميزان ١٣٤/٣ كتاب الجمع ٣٥٩/١).

(١٠) ساقطة من (د).

(١١) من (أ).

(١٢) في حاشية (أ): قوله في الذكر الأول: أي في العلم الأول وهو العلم الأزلي القائم بذات الله تعالى.

(١٣) في (د): فقال تعالى.

(١٤) انظر الزجاج ٤٦/١، ومجاز القرآن ٢٢٣/١، وفتح القدير ٣٩/١، وغب القبان ص ٤٠.

(١٥) ساقطة من المطبوعة.

والاستيثاق منه بأن لا^(١) يدخله شيء، والختم على الوعاء يمنع الدخول فيه والخروج منه، كذلك الختم على قلوب الكفار، يمنع دخول الإيمان فيها وخروج الكفر منها، وإنما يكون ذلك: بأن يخلق الله الكفر^(٢) فيها ويصدهم عن الهدى، فلا يدخل الإيمان في قلوبهم كما قال الله عز وجل ﴿وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله﴾^(٣)؟

وقوله^(٤) ﴿وعلى سمعهم﴾ وحد «السمع» لأنه مصدر، والمصادر^(٥) لا تثني ولا تجمع وقال^(٦) سيبويه: اكتفى من الجمع بالواحد^(٧) لأنه توسط^(٨) جمعين فصار كقوله ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾^(٩) وقوله ﴿عن اليمين والشمال﴾^(١٠).

وتم الكلام - ها هنا^(١١) - ثم قال ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ «الأبصار»^(١٢) جمع البصر وهو العين، يقال: تبصرت^(١٣) الشيء إذا رأيته.

و«الغشاوة» الغطاء^(١٤) ويقال للجلدة التي على الولد «غشاوة» ومثل هذه الآية في المعنى قوله تعالى: ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم﴾^(١٥). وطبع^(١٦) في المعنى: كختم.

قال الزجاج^(١٧) - في هذه الآية - إنهم كانوا يسمعون ويبصرون ويعقلون ولكن لم يستعملوا هذه الحواس استعمالاً ينفعهم فصاروا كمن لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر.

وقوله^(١٨) ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ «العذاب» كل ما يُعنى الإنسان ويشق عليه و«العظيم» فعيل من العظم وهو كثرة المقدر في الجنة^(١٩) (ثم^(٢٠) قيل: كلام عظيم وأمر عظيم، أي عظيم القدر، يريدون به: المبالغة في وصفه.

ومعنى وصف العذاب العظيم: هو المواصلة بين أجزاء الألام بحيث لا يتخللها فرجة.

(١) في المطبوعة: بالآ.

(٢) في (هـ): كفر.

(٣) سورة الجاثية / ٢٣.

(٤) في (د): وقوله تعالى.

(٥) في (د): والمصدر لا يثنى ولا يجمع.

(٦) سورة النحل / ٤٨.

وحد السمع ولم يجمع كما جمعت القلوب والأبصار لأنه مصدر، وقيل: تقديره على مواضع سمعهم. (انظر معاني القرآن للأخفش

٢١١/١ والبيان ٢٣/١، والمشكل ٧٦/١، والبيان ٥٢/١، وغرائب النيسابوري ١٤٤/١، وفتح القدير ٣٩/١).

وانظر الرازي ٥٣/٢ عن سيبويه.

(١١) انظر مجاز القرآن ٣١/١ وفيه (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم) ثم انقطع نصب فصار خيراً، فارتفعت فصار

(غشاوة) كأنها في التمثيل قال (وعلى أبصارهم غشاوة) وانظر الفراء ١٣/١ وابن كثير ٤٦/١.

(١٢) في (ح، د، هـ): والأبصار.

(١٣) في (ح، د): أبصرت... إذا.

(١٤) انظر ابن كثير ٤٥/١ عن مجاهد والسدي واللسان / ختم، طبع.

(١٥) انظر الزجاج ٤٧/١.

(١٦) في (د): الجنة، بالنون.

(١٧) في (د): قوله تعالى.

(١٨) من هنا نقص في (ح) حتى تفسير قوله تعالى (قلنا اهبطوا...)، وسأشير إليه في حينه.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

قوله (١) ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ «الناس»: لفظ وضع للجمع كالنوم والرهط والجيش وواحد (٢) «إنسان» لا من لفظه.

وقوله (٣) ﴿وباليوم الآخر﴾ يعني: يوم القيامة، وسمي آخرًا: لأنه بعد أيام الدنيا. وقوله (٣) ﴿وما هم بمؤمنين﴾: جمع بعد التوحيد في (٤) (من يقول): لأن لفظ «من» يصلح للواحد وللجميع، فقوله (من يقول) يجوز أن يراد به الجمع وإن كان اللفظ على واحد (٥).

قال المفسرون (٦): نزلت هذه الآية في المنافقين حين أظهروا كلمة الإيمان وأسرؤا (٧) الكفر، فأخبر الله سبحانه (٨) أنهم يقولون: إنا مؤمنون ويظهرون كلمة الإيمان، ثم نفى الله عنهم الإيمان فقال (وما هم بمؤمنين) فدل على أن حقيقة الإيمان ليس الإقرار فقط.

قوله (٣) ﴿يخادعون الله والذين ءامنوا﴾ «يخادعون» يقال خدعت خدعة وخدعاً وخديعة، إذا أظهر له غير ما يضمّر.

والمعنى: ان هؤلاء المنافقين يظهرون غير ما في نفوسهم ليدروا (٩) عنهم أحكام الكفر في ظاهر الشريعة من القتل والعزبة وغيرهما (١٠). فإن قيل: المفاعلة تكون بين اثنين - والله تعالى يجلب أن يشاركهم في الخداع - فما وجه قوله (١١) ﴿يخادعون الله﴾؟ قيل ﴿يخادعون﴾ - ها هنا - بمعنى يخدعون، قال أبو عبيدة (١٢): خادعت الرجل بمعنى خدعته والمفاعلة كثيراً ما يقع من الواحد، كالمعافاة والمعاقبة وطارقت النعل (١٣) على هذا (١٤).

(١) في (د، هـ): قوله تعالى.

(٣) في (د): قوله تعالى.

(٢) في (هـ): واحدة.

(٤) في (د) فيمن.

(٥) انظر التبيان للعكبري ٢٤/١ والمشكل ٧٧/١ والأخفش ١٨٩/١.

(بمؤمنين) «الباء»: زائدة للتأكيد وهكذا كل حرف زيد في المبتدأ والخبر أو الفاعل. (التبيان ٢٥/١، المشكل ٧٧/١).

(٦) انظر الزجاج ٤٩/١ والتبيان ٢٤/١ والدر ٢٩/١ عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة والطبري ٢٦٩/١ - ٢٧٠. وابن كثير ٤٨/١ وفتح القدير ٤١/١ عن ابن مسعود وقتادة والبحر ٦٠/١.

(٧) في (د) وأسروا كلمة الكفر.

(٨) في (د): سبحانه وتعالى.

(١٠) انظر مجاز القرآن ٣١/١ والطبري ٢٧٢/١ - ٢٨٣ والزاهر ٢٩٦/٢.

(٩) في جميع النسخ: بالهمز على الواو.

(١١) في (د): قوله تعالى.

(١٢) انظر مجاز القرآن ٣١/١ قال أبو عبيدة «ولا يكاد يجيء» (بفاعل) إلا من اثنين: إلا في حروف هذا أحدهما، وقوله (قاتلهم الله) معناها قتلهم الله.

وانظر الزجاج: ٥٠/١ والتبيان ٢٦/١ قال الزجاج «وجاء بفاعل لأن هذا المثال يقع كثيراً في اللغة للواحد نحو: عاقبت اللص وطارقت النعل».

(١٣) طارقت النعل: أي خصف أحدهما فوق الآخر (اللسان / طرق).

(١٤) أي على أن المفاعلة: من جانب واحد (حاشية (أ)).

وقال الحسن^(١): يخادعون الله: أي نبيه، لأن الله^(٢) بعث نبيه بدينه فمن أطاعه فقد أطاع الله كما قال الله تعالى^(٣) ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾^(٤) وقال ﴿إن الذين يباعدونك إنما يباعدون الله﴾^(٥) وإذا خادعوا النبي ﷺ^(٦) فقد خادعوا الله^(٧).

وقوله^(٨) ﴿وما يخدعون^(٩) إلا أنفسهم﴾ قرىء بوجهين: فمن قرأ بالألف قال: هو من المفاعلة التي تقع من الواحد، كقوله ﴿يخادعون الله﴾^(١٠) فلما وقع الاتفاق على الألف في قوله ﴿يخادعون الله﴾ أجري الثاني على الأول طلباً للتشاكل.

ومن قرأ: ﴿يخدعون﴾ قال: إن فَعَلَ أول بفعل الواحد من فاعل الذي في أكثر الأمر يكون لفاعلين^(١١).

ومعنى قوله ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم﴾: هو أنهم طلبوا الخداع فلم يخدعوا^(١٢) الله ولا المؤمنين وما خدعوا إلا أنفسهم لأن وبال خداعهم عاد عليهم لا أن الله تعالى^(١٣) يطلع نبيه^(١٤) على أسرارهم ونفاقهم فيفتضحون في الدنيا، ويستوجبون العقاب في العقبى^(١٥). وقوله^(١٦) ﴿وما يشعرون﴾ أي: وما يعلمون أنهم يخدعون أنفسهم وأن وبال خداعهم يعود عليهم.

قوله^(١٧) ﴿في قلوبهم مرض﴾ قال ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتاده وجميع المفسرين^(١٨): أي شك ونفاق. وقال الزجاج^(١٩): المرض في القلب: كل ما خرج^(٢٠) به الإنسان من الصحة في الدين^(٢١).

وقوله^(٢٢) ﴿فزادهم الله مرضاً﴾ أي: بما أنزل^(٢٣) من القرآن فشكوا فيه كما شكوا في الذي قبله^(٢٤).

(١) انظر البحر ٥٦/١ عن الحسن والزجاج، والبيهقي ٣٣/١ عن الحسن، والقرطبي ١٩٥/١ عن الحسن.

(٢) في (د): لا أن الله تعالى.

(٣) في (د): الله عز وجل.

(٤) من (أ).

(٥) في (د): قوله تعالى.

(٦) سورة النساء / ٨٠.

(٧) في جميع النسخ (يخادعون) على إحدى القراءتين.

(٨) سورة الفتح / ١٠.

(٩) سورة البقرة / ٩ صدر الآية.

(١٠) ساقطة من (د).

(١١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (وما يخادعون) وأكثر القراء بالألف. وقرأ عاصم وحمة والكسائي (وما يخدعون): أهل الشام والكوفة. (انظر السبعة لابن مجاهد ص ١٤١، والحجة لأبي زرعة ص ٧٨، والنشر ٢/٢٠٧، والتبيان ١/٢٦).

(١٢) في (د): فلم يخدع.

(١٣) في (د): سبحانه.

(١٤) في (د، هـ): ﷺ.

(١٥) انظر المعنى في غريب القرآن ص ٤٠ وابن كثير ٤٨/١ والبحر ٥٨/١ عن ابن عباس والبيهقي ٣٣/١ بتمامه.

(١٦) في (د): قوله تعالى.

(١٧) في (د): قوله تعالى.

(١٨) انظر تفسير ابن عباس ص ٤ والزجاج ٥١/١ ونسبه إلى أبي عبيدة وغريب القرآن ص ٤١ والدر ٣٠/١ عن ابن عباس وقتادة وابن زيد والربيع ومجاز القرآن ٣٢/١ والزاهر ٥٨٦/١.

(١٩) في (هـ): والمرض.

(٢٠) في (د): قوله.

(٢١) في (د): يخرج.

(٢٢) في (د): على محمد ﷺ وفي (هـ): على محمد.

(٢٣) انظر الزجاج ٥١/١ وفتح القدير ٤١/١.

(٢٤) انظر الزجاج ٥١/١ وابن كثير ٤٨/١ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن والربيع وأبي العالية وقتادة.

قوله (١) ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ «الآليم» بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع وهو العذاب الذي يصل وجعه إلى قلوبهم (٢).

قوله (٣) ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: «ما»: في تأويل المصدر، أي بتكذيبهم وبكونهم مكذبين.

وقرأ أهل الكوفة «يكذبون» - بالتخفيف - من الكذب ، وهو أشبه بما قبله وما بعده لأن ما قبله ﴿ومن الناس من يقول ءامنا بالله﴾ وهذا كذب منهم وبعده قوله ﴿وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا ءانا معكم﴾ (٤) وهذا يدل على كذبهم في دعوى الإيمان.

وقال ابن عباس (٥): ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ يعني: تكذيب الأنبياء، قال: ومن خففها (٦) فالمراد أنهم يتكلمون بما يعلم الله خلافه في قلوبهم، كقوله تعالى: ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ (٧).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

قوله (٨) ﴿وإذا قيل لهم﴾ موضع «إذا» من الإعراب نصب، لأنه اسم للوقت كأنك قلت: وحين قيل لهم، أي يوم قيل لهم (٩).

و«قيل»: كان في الأصل «قُول» فنقلت كسرة الواو إلى القاف فسكنت «الواو» وانكسر ما قبلها فصارت «ياء».

والكسائي (١٠): يشم «قيل» وأحواته الضم، ليدل بذلك على أنه كان في الأصل «فعل» (١١).

ومعنى الآية ﴿وإذا قيل لهم﴾ يعني: لهؤلاء (١٢) المنافقين ﴿لا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ ﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾ يظهرون هذا القول كذباً ونفاقاً، كما أنهم قالوا ءامنا وهم كاذبون.

(١) من (أ).

(٢) انظر مجاز القرآن ٣٢/١ والزاهر ٥٨٦/١ والطبري ٢٨٣/١ والدر ٣٠/١ عن ابن عباس والضحاك في معنى (الآليم).

(٣) في (د): قوله تعالى.

(٦) في (د): ومن خففها قال.

(٧) سورة آل عمران ١٦٧.

(٤) ما بين المعقوفتين: ساقط من (د).

(٨) في (د): قوله تعالى.

(٥) انظر الحججة لأبي زرعة ٨٨ - ٨٩ عن ابن عباس.

(٩) انظر الموضوعين في التبيان ٢٧/١ والمشكل ٧٨/١.

(١٠) الكسائي: علي بن حمزة الأسدي الكوفي شيخ القراء والنحو الإمام أبو الحسن أحد السبعة، قرأ على حمزة وهو من تلامذة الخليل قال الشافعي: من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي توفي سنة ١٨٩ هـ. (شذرات ١/٣٢١).

(١١) انظر السبعة ١٤٣ - ١٤٤ والحجة لأبي زرعة ٨٩ والنشر ٢٠٨/٢.

(١٢) في (أ): لها دلاء.

فرد (١) الله عليهم . وقولهم (نحن مصلحون) فقال :

﴿ألا إنهم هم المفسدون﴾ (٢) قال الزجاج (٣) : «ألا» : كلمة يتبدأ بها ينبه بها المخاطب ، يدل (٤) على صحة ما بعدها ، و«هم» لتأكيد الكلام .

والمعنى : هم المفسدون أنفسهم بالكفر (٥) ، والناس بالتعويق عن الإيمان ﴿ولكن لا يشعرون﴾ لا يعلمون أنهم مفسدون ، لأنهم يظنون أن الذي هم عليه من إبطان الكفر صلاح .

ولكن «معناها استدراك بإيجاب بعد نفي أو نفي بعد إيجاب كالتي في هذه الآية (٦) لأنه إذا قيل ﴿هم المفسدون﴾ سبق إلى الوهم أنهم يفعلون ذلك من حيث يشعرون فقال ﴿ولكن لا يشعرون﴾ فاستدرك بالنفي بعد الإيجاب .

قوله (٧) ﴿وإذا قيل لهم ءامنوا كما ءامن الناس . .﴾ الآية قال جميع المفسرين (٨) : المراد بالناس في هذه الآية أصحاب محمد ﷺ والذين آمنوا به .

والمعنى : وإذا قيل لهؤلاء المنافقين آمنوا بمحمد ﷺ كما آمن أصحابه ، قال ابن عباس (٩) : يريد المهاجرين والأنصار ﴿قالوا أنؤمن كما ءامن السفهاء﴾ «الألف» في «أنؤمن» استفهام معناه : الجحد والإنكار ، أي : لا نفعل كما فعلوا و«السفهاء» الجهال الذين قلت عقولهم ، جمع «السفيه» ومصدره «السفه» والسفاهة والسفاه .

قال أهل اللغة : معنى «السفه» الخفة ، و«السفيه» الخفيف العقل (١٠) ولهذا سمي (١١) الله (١٢) تعالى الصبيان والنساء سفهاء في قوله ﴿ولا تؤنوا السفهاء أموالكم﴾ (١٣) ، لجهلهم وخفة عقلهم (١٤) .

وعنوا بالسفهاء : أصحاب محمد ﷺ قال ابن عباس (١٥) قالوا أولئك سفهاؤنا (١٦) فإن قيل : كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم ﴿أنؤمن كما ءامن السفهاء﴾ ؟ قيل : إنهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين ، فأخبر الله (١٧) نبيه ﷺ والمؤمنين .

(١) في (د) : فنزل .

(٢) في (د) : ألا إنهم هم المفسدون أنفسهم بالكفر .

(٣) انظر الزجاج ٥٣/١ .

(٤) في (د) : يعدل .

(٥) انظر الطبري ٢٩٢/١ وغرائب النيسابوري ١٥٨/١ والبحر ٦٧/١ عن ابن عباس والدر ٣٠/١ عن ابن عباس ٣١ - ٣٠/١ عن ابن مسعود والقرطبي ٢٠٥/١ ابن عباس .

(٦) انظر الطبري ٢٩٤/١ والبغوي ٣٤/١ وفتح القدير ٤٣/١ .

(٧) انظر معنى (السفيه) : في تفسير الطبري ٢٩٣/١ والبحر ٦٢/١ وغريب القرآن ص ٤١ والزاهر ٤٩٩/١ .

(٨) في (د) : سما .

(٩) ساقطة من (هـ) .

(١٠) سورة النساء ٥ / .

(١١) في (د) : عقولهم .

(١٢) الدر ٣٠/١ عن ابن عباس وابن كثير ٥٠/١ عن ابن عباس في رواية السدي وأبي العالية وابن مسعود .

(١٣) في (د) : سفهاً ونفاقاً .

(١٤) في (د) : الله تعالى .

قال ابن عباس^(١): فرد الله عليهم جواب كفرهم فقال ﴿ألا إنهم هم السفهاء﴾ لا المؤمنون^(٢) الذين^(٣) صدقوا محمداً ﷺ ﴿ولكن لا يعلمون﴾ ولكنهم لا يعلمون ما يقولون.

قوله ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا﴾ الآية^(٤) قال المفسرون^(٥): أراد بالذين آمنوا: أبا بكر رضي الله عنه وأصحابه، وذلك: أن المنافقين كانوا إذا لقوهم واجتمعوا معهم قالوا: إيماننا كإيمانكم ونحن معكم. يقال: لقيته لقاءً ولقيانا ولقياء، وكل شيء استقبل شيئاً فقد لقيه.

وقوله^(٦) ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ يقال: خلوت بفلان، أخلوه خلوة وخلاء وخلوت معه وخلوت إليه بمعنى واحد^(٧).

والشيطان كل متمرعات من الجن والإنس^(٨) قال الله تعالى ﴿شياطين الإنس والجن﴾^(٩). واشتقاقه من شطن أي بعد، فمعنى «الشيطان» البعيد من الجنة.

قال الزجاج^(١٠): ومعنى «الشيطان» الغالي في الكفر المتعبد فيه من الجن والإنس قال ابن عباس^(١١): أراد بشياطينهم: كبارهم^(١٢) ورؤساءهم.

وقوله^(١٣) ﴿إنا معكم﴾ أي على دينكم ﴿إنما نحن مستهزؤون﴾ بأصحاب محمد ﷺ^(١٤) حيث نقول لهم أما يقال: هزىء به يهزأ^(١٥) وتهزأ به، واستهزأ به، وهو أن يظهر غير ما يضمّر استصغاراً وعبثاً.

قال الله تعالى ﴿الله يستهزىء بهم﴾ أي: يجازيهم جزاء استهزائهم، فسمى الجزاء باسم المجازى عليه^(١٦) كقوله ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾^(١٧) فسمى الثاني سيئة باسم الأول وقال أيضاً ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾^(١٨).

(١) انظر الطبري ٢٩٥/١ والبحر ٦٨/١ والرازي ٦٨/٢ وابن كثير ٥٠/١.

(٢) في (د): لا المؤمنين.

(٣) في (هـ): الذين آمنوا وصدقوا.

(٤) «مساق هذه الآية بخلاف ما سبقت له أول قصة المنافقين فليس بتكرير، لأن تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين». (من حاشية (أ)).

(٥) انظر الدرر ٣٠/١ عن ابن عباس والطبري ٢٩٦/١.

(٦) في (د): قوله تعالى.

(٧) انظر الزجاج ٥٣/١ والرازي ٦٩/٢ والأخفش ٢٠٥/١ والطبري ٢٩٨/١ - ٢٩٩.

(٨) انظر مجاز القرآن ٣٢/١ والزاهر ١٥٠/١ وغرائب النيسابوري ١٦/١ عن سيويه والبحر ٦٢/١ عن ابن عباس.

(٩) سورة الأنعام/ ١١٢.

(١٠) انظر الزجاج ٥٣/١ ومجاز القرآن ٣٢/١.

(١١) انظر البحر ٦٩/١ عن ابن عباس والقرطبي ٢٠٧/١ عن ابن عباس والسدي.

(١٢) في (د) كبارهم ورؤسائهم، وفي (هـ) كبارهم ورؤسائهم.

(١٣) في (د): قوله تعالى.

(١٤) ساقطة من (هـ).

(١٥) في (د): يهزأ به.

(١٦) انظر غريب القرآن ص ٤١ والبغوي ٣٥/١ وفتح القدير ٤٤/١.

(١٧) سورة الشورى / ٤٠.

(١٨) سورة البقرة / ١٩٤ والنص في (ج، هـ) بزيادة بمثل ما اعتدى عليكم، وفي (د) فاعتدوا.

قال ابن عباس - في رواية عطاء^(١) - في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: هو أن الله تعالى إذا قسم النور يوم القيامة للجواز على الصراط أعطى المنافقين مع المؤمنين نوراً، حتى إذا ساروا على الصراط طفىء نورهم، قال: فذلك قوله ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ حيث يعطيهم ما لا يتم ولا ينتفعون به^(٢).

وروي عنه - أيضاً - أنه قال^(٣): هو أن الله تعالى يطلع المؤمنين وهم في الجنة على المنافقين وهم في النار، فيقولون لهم: أتحبون أن تدخلوا الجنة؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم باب من الجنة، ويقال لهم: ادخلوا، فيسيرون وينقلبون في النار، فإن انتهوا إلى الباب سُدَّ عَنْهُمْ وردوا إلى النار، ويضحك^(٥) المؤمنون منهم فذلك قوله تعالى: ﴿فاليوم الذين آمنوا من (الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون)﴾^(٦)^(٧)؟ أخبرنا أحمد بن عبيد الله المخلدني^(٨)، أخبرنا محمد بن محمد بن يعقوب^(٩) الحافظ حدثنا محمد بن شاذك^(١٠) بن علي حدثنا عمرو بن زرارة الكلابي^(١١)، حدثنا^(١٢) أبو جنادة^(١٣)، عن الأعمش^(١٤)، عن خيشمة^(١٥)، عن عدي بن حاتم^(١٦) قال:

(١) عطاء بن أبي رباح مفتي أهل مكة ومحدثهم، القدوة العلم أبو محمد القرشي مولاهم المكي الأسود سمع عائشة وأبا هريرة وابن عباس وغيرهم قال الأوزاعي: مات عطاء - يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عند الناس توفي سنة ١١٤ هـ. (تذكرة الحفاظ ١/٩٨).

(٢) ليست في (د).

(٣) انظر الطبري ٣٠١/١ وغرائب النيسابوري ٣/٦ عن ابن عباس وابن كثير ٥١/١ عن الطبري ٥٥/١ عن أبي العالية والحسن وقتادة والربيع والسدي بسند عن الصحابة.

(٤) انظر الدر ٣١/١ عن ابن عباس وغرائب النيسابوري ١٦١/١ عنه والبغوي ٣٥/١ عنه والقرطبي ٢٠٨/١ عنه.

(٥) في (د): فيضحك.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (هـ).

(٦) الآيات ٣٤ - ٣٦ من سورة المطففين.

(٨) في (د): عبد، سبق.

(٩) محمد بن محمد بن يعقوب النيسابوري أبو الحسين الحافظ الثقة الصدوق، قال الحاكم: صنف العلل والشيوخ والأبواب توفي سنة ٣٦٨ هـ (شذرات ٣/٦٧).

(١٠) في (أ) المطبوعة: شاذان، وهو محمد بن شاذك بن علي الإمام المحدث المقرئ المعمر أبو العباس الهاشمي النيسابوري سمع عمرو بن زرارة وإسحاق بن راهويه وطائفة قال أبو أحمد الحاكم كان صحيح الأصول مات سنة ٣١١ هـ (سير الأعلام ١٤/٢٦٦٤).

(١١) في (هـ) عمر، وهو: عمرو بن زرارة بن واقد الكلابي النيسابوري يكنى أبا محمد سمع هشيماً وابن علية وعبد العزيز بن أبي حازم وعبد الوهاب بن عطاء مات سنة ٢٣٨ هـ. (كتاب الجمع ١/٣٦٥).

(١٢) في (د): قال.

(١٣) أبو جنادة: حسين بن المخارق بن ورقاء شيخ يروي عن الأعمش ما ليس من حديثه لا يجوز الرواية عنه ولا الاحتجاج به إلا على سبيل الاعتبار، روى عن الأعمش عن خيشمة عن عدي بن حاتم (الحديث). وهو يضع الحديث (المجروحين ٣/١٥٥ - ١٥٦، والموضوعات ٢/١٦٢، واللآلئ ٢/٢٠٣) أخرج الطبراني في الصغير من طريقه حديثاً وقال عنه كوفي ثقة. (طبقات المفسرين للداودي ١/١٦٤ - ١٦٥).

(١٤) الأعمش: سبق.

(١٥) خيشمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي قال عمرو بن علي: كان اسم أبيه عزيزاً فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن - واسم أبي سبرة يزيد بن مالك - أدرك عدداً من الصحابة وروى عن ابن مسعود وابن عمرو وعدي بن حاتم والنعمان بن بشير. توفي سنة ٨٣ وقيل ٨٥ هـ (الجمع ١/١٢٦ - ١٢٧).

(١٦) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشر الطائي صحابي من الأجواد العقلاء وكان رئيس طيء في الجاهلية والإسلام أسلم سنة ٩ هـ وعاش أكثر من مائة سنة مات سنة ٦٨ هـ (الأعلام للزركلي ٥/٨).

قال رسول الله ﷺ: «يؤمر يوم القيامة بناس من الناس إلى الجنة، حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها، ونظروا إلى قصورها، وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، نودوا أن اصرفوهم (عنها)»^(١) لا نصيب لهم فيها قال: فيرجعون بحسرة ما رجع بمثلها الأولون^(٢) فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أرينا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهن علينا، قال^(٣): ذلك^(٤) أردت بكم، كنتم إذا خلوتم بي بارزتموني بالعظام، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين، تراؤون الناس بخلاف ما في قلوبكم، هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلونني، وتركتم للناس ولم تتركوا لي، فاليوم أذيقكم^(٥) العذاب الأليم، مع ما حرمتكم من الثواب^(٦).

قوله^(٧) «ويمدهم في طغيانهم يعمهون» أي: يمهلهم ويطول أعمارهم ومدتهم^(٨). و«الطغيان»: مصدر كالرجحان^(٩) والكفران، ومعناه: مجاوزة القدر وكل شيء جاوز القدر فقد طغى، ومنه قوله تعالى: «إنا لما طغى الماء»^(١٠) وقيل لفرعون^(١١) (إنه طغى)^(١٢) أي: أسرف حيث ادعى الربوبية.

ومعنى «يعمهون»^(١٣): يترددون متحيرين، يقال: عمه الرجل يعمه فهو عامه^(١٤) وعمه: إذا حار^(١٥) عن الحق.

قوله^(١٦) «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى» حقيقة «الاشتراء» الاستبدال والعرب تجعل من أثر شيئاً على شيء مشترياً له وبائعاً للآخر وإن لم يكن ثم شراء ولا بيع ظاهر^(١٧). قال ابن عباس^(١٨): أخذوا الضلالة وتركوا الهدى.

(١) تكملة من الحديث الآتي في سورة النساء عند الآية ١٤٢.

(٢) في (د): قال.

(٣) في (د): فيقول.

(٤) في (أ): ذلك.

(٥) في (د): أليم العذاب.

(٦) الحديث: رواه أبو نعيم في الحلية ٤/١٢٤ - ١٢٥ مع تغاير في بعض الألفاظ وفيه أنه «غريب من حديث الأعمش لم نكتبه إلا من حديث أبي جنادة».

ومجمع الزوائد - كتاب الزهد - باب ما جاء في الرياء وفيه «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه أبو جنادة وهو ضعيف» (٢٢٠/١٠).

وذكره ابن الجزري في الموضوعات ٣/١٦٢ وانظر تذكرة الموضوعات ص ١٤٥ والفوائد المجموعة ص ٢٣٣ قال الشوكاني: باطل أصل له، واللآلئ ٢/٢٠٣، وذكره الطبراني في الكبير ١٧/٨٥ - ٨٦ وفيه أبو جنادة وهو ضعيف.

(٧) في (د): قوله تعالى.

(٨) في (هـ): واكفران.

(٩) في (د): قوله تعالى.

(١٠) سورة الحاقة ١١/.

(١١) مددته وأمددت له بمعنى واحد (انظر الأضخس ١/٢٠٦).

(١٢) فرعون مصر في أيام موسى عليه السلام: قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني وامرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول، فلما نودي موسى أعلم أن قابوس مات وقام أخوه الوليد مكانه وكان عمره طويلاً وكان أغنى من قابوس وأفجر. وفي حاشية (أ) الوليد بن مصعب بن الريان وكان من القبط من العماليق وعمر أكثر من أربعمئة سنة (١٣/ظ) (الكامل لابن الأثير ١/١٦٩).

(١٣) سورة طه/ ٢٤، ٤٣ وسورة النازعات ١٧/.

(١٤) انظر مجاز القرآن ١/٣٢ والزاهر ٢/٤١ والطبري ١/٣٠٩ - ٣١١ وابن كثير ١/٥٢.

(١٥) ساقطة من (د).

(١٦) حار: بمعنى تحير (اللسان/ حير).

(١٧) في غير (أ): قوله تعالى.

(١٨) انظر فتح القدير ١/٤٥.

(١٩) انظر تفسير ابن عباس ص ٤ والدرر ١/٣٢ عن ابن مسعود وقتادة وابن كثير ١/٥٢ عن ابن عباس والطبري ١/٣١٢.

وقوله (١) ﴿فَمَا رِبِحْتُمْ بِتِجَارَتِهِمْ﴾ «الربح» الزيادة على أصل المال و«التجارة» تقلاب الأموال وتصريفها لطلب النماء، يقال: تجر الرجل (٢) يتجر تجارة فهو تاجر. والمعنى: ما ربحوا في تجارتهم، وأضاف الربح إلى التجارة: لأن الربح يكون فيها (٣) والعرب تقول: ربح بيعك وخسر بيعك، وخاب سعيك، على معنى: ربحت في بيعك فيستدون الربح إلى البيع (٤) ﴿وَمَا كَانُوا مَهْتَدِينَ﴾ (٥) أي: مصيبيين في تجارتهم، ثم ضرب الله مثلاً للمنافقين فقال:

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ضَمُّ بَيْتِكُمْ عَمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً﴾ و«المثل» (٦) من الكلام: قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه: التشبيه، وحقيقته: ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول، مثال ذلك قول كعب بن زهير (٧):

كانت مواعيد عرقوب لنا (٨) مثلاً وما مواعيد عرقوب الا الأباطيل

فمواعيد عرقوب: علم في كل ما لا يصح من المواعيد.

و«استوقد» بمعنى أوقد، و«أضاء» (٩): يكون لازماً ومتعدياً، يقال: أضاء الشيء بنفسه وأضاءه غيره، وأضاء النار، وأضاءها غيرها، والذي في هذه الآية متعد.

و«ما» في قوله ﴿ما حوله﴾: منصوب بوقوع الإضاءة عليه، و«حوله» نصب على الظرف (١٠) يقال: هم حوله وحوليه وحواله وحواليه.

قال ابن عباس وقتادة والضحاك، ومقاتل (١١)، والسدي (١٢) يقول مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أوقد ناراً في

(١) في (د): وقوله تعالى. (٢) ساقطة من (د). (٣) انظر غريب القرآن ص ٤٢ والزاهر ١٣/٢ والطبري ٣٦/١.

(٤) انظر الزجاج ٥٨/١ والأخفش ٢٠٦/١ - ٢٠٧ والفراء ١٤/١ وفتح القدير ٤٥/١ وهو من الإسناد المجازي، وهو إسناد الفعل إلى ملابس للفاعل.

(٦) في (د) المثل.

(٥) في (د): قوله تعالى.

(٧) كعب بن زهير بن أبي سلمى - ربيعة - بن رباح بن قرظ بن الحارث بن مازن المازني له صحبة وقال قصيدته التي مدح فيها رسول الله ﷺ بعد انصرافه من الطائف توفي سنة ٢٦ هـ. (أسد الغابة ٤/٤٧٥ - ٤٧٦ والأعلام ٦/٨١).

انظر البيت في المستدرک ٣/٥٨٠ والنهاية لابن الأثير ٣/٢٢١ - ٢٢٢ والطبري ١/٤٠٣. وعرقوب: هو ابن معبد رجل من العمالقة كان وعد رجلاً ثمر نخله فما زال يماطله حتى جذها ليلاً ولم يعطه شيئاً فصارت مثلاً في إخلاف الوعد (انظر كتاب الاختيارين ص ٥٠).

(٨) في (د): لها.

(٩) في المطبوعة: وأضاء [في قوله فلما أضاءت] يكون. (١٠) انظر الإعراب في التبيان ١/٣٣، والمشكل ١/٨٠.

(١١) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي صاحب التفسير، روى عن نافع مولى ابن عمر وأبي إسحاق السبيعي والزهري والضحاك ومجاهد وابن سيرين وزيد بن أسلم وعطاء بن أبي رباح وجماعة، كان عالماً بالتفسير قال ابن معين ليس بثقة وقال البخاري منكر الحديث مات سنة ١٥٠ هـ (تهذيب التهذيب ١٠/٢٧٩ - ٢٨٤).

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ص ٥ بمعناه، وغريب القرآن ص ٤٣ وابن كثير ١/٥٣ عن ابن عباس وابن مسعود والسدي وناس من الصحابة، وفتح القدير ١/٤٧ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، والبحر ١/٧٦، والبغوي ١/٣٦ كلاهما عن ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والسدي.

ليلة مظلمة في مغارة، فاستضاء بها واستدفاً^(١)، ورأى^(٢) ما حوله فاتقى ما يحذر ويخاف، وأمن، فبينما هو كذلك، إذ طفت ناره فبقي مظلماً خائفاً متحيراً، كذلك المنافقون لما أظهروا كلمة الإيمان استناروا بنورها، واعتزوا بعزها وأمنوا، فناكحوا المسلمين ووارثوهم، وأمنوا على أموالهم وأولادهم فلما ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف، وبقوا في العذاب وذلك معنى قوله^(٣) ﴿ذهب الله بنورهم﴾. وكان يجب في حق النظم أن يكون اللفظ: فلما أضاءت ما حوله أطفأ الله^(٤) ناره ليشاكل جواب «لما»^(٥) معنى هذه القصة، ولكن كان أطفاء النار مثلاً لإذهاب نورهم، أقيم إذهاب النور مقام الإطفاء، وجعل جواب «لما» إختصاراً وإيجازاً.

ومعنى «ذهب الله بنورهم»^(٦) وهو أن الله تعالى يسلب المنافقين ما أعطوا من النور مع المؤمنين في الآخرة وذلك قوله تعالى: فيما أخبر عنهم ﴿انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً﴾^(٧).

قوله^(٨) ﴿صم﴾ أي: هم صم، جمع أصم وهو المنسد الأذن، يقال: رمح أصم إذا لم يكن أجوف وصخرة صماء: إذا كانت صلبة^(٩).

وإنما وصفوا بالصم لتركهم قبول ما يسمعون، والعرب تقول لمن يسمع ولا يعمل على ما يسمعه^(١٠): أصم^(١١).

﴿بكم﴾ أي: عن الخير فلا يقولونه ﴿عمي﴾ لتركهم ما يبصرون من الهدى والقرآن. وقوله^(١٢) ﴿فهم لا يرجعون﴾ أي: عن الجهل والعمى إلى الإيمان.

أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيءِ أَذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

قوله ﴿أو كصيب من السماء..﴾ الآية «الصيب» من المطر: الشديد، من قولهم: صاب يصوب إذا نزل من علو إلى سفلى و«السماء»: كل ما ارتفع وعلا، يقال لسقف البيت: سماء ومنه قوله تعالى^(١٣) ﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾^(١٤) و«السماء» السحاب من سما يسمو.

وقوله ﴿فيه﴾ أي: في ذلك الصيب ﴿ظلمات﴾: جمع ظلمة، والمطر لا يخلو من ظلمة، لأنه يأتي من السحاب والسحاب يغشي الشمس بالنهار، والنجوم بالليل فيظلم الجور.

(١) في (هـ): واستدفاً به.

(٢) في (د): وراء.

(٣) في (هـ): قوله تعالى.

(٤) في (د): أطفأها الله.

(٥) جواب «لما» قوله تعالى (ذهب الله

بنورهم) من حاشية (أ).

(٦) انظر الزجاج ٥٩/١.

(٧) سورة الحديد ١٣/.

(٨) في (د): قوله تعالى.

(٩) انظر الإعراب في معاني القرآن للفراء ١٦/١ والأخفش ٢٠٩/١.

(١٠) في (د): سمعه.

(١١) انظر الزجاج ٢٦٦/١ ومجاز القرآن ١٩١/١.

(١٢) في (د): وقوله تعالى.

(١٣) من (أ).

(١٤) سورة الحج ١٥/.

قوله ﴿ورعد وبرق﴾^(١): روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، إنا نسألك عن أشياء، فإن أجبتنا عنها اتبعناك أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال:

«ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب، معه مخاريق^(٢) من نار يسوق بها السحاب حيث ما أمر الله، فقالوا: فما هو الصوت الذي نسمعه؟ قال: زجرة السحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر الله، فقالوا صدقت»^(٣).

وقال أصحاب ابن عباس: مجاهد وطاووس^(٤) وعكرمة^(٥): «الرعد»: ملك يزجر السحاب بصوته، ويسوقه، والرعد الذي هو الصوت سمي به^(٦).

وسئل وهب بن منبه^(٧) عن الرعد، فقال: الله^(٨) أعلم.

أخبرنا اسماعيل بن ابراهيم النصر أباذي، أخبرنا أبو العلاء أحمد بن محمود الأصفهاني، حدثنا أمية بن محمد الباهلي، حدثنا محمد بن يحيى القطعي^(٩)، حدثنا يحيى بن كثير^(١٠)، حدثنا عبد الكريم^(١١)، عن عطاء^(١٢)، عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ «إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله تعالى، فإنه لا يصيب ذكراً»^(١٣).

(١) من (أ) وفي المطبوعة (ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق).

(٢) المخاريق جمع مخراق: منديل يلف ليضرب به يكون في أيدي الصبيان (عمدة القوي ص ٣، والزاهر ٢/٣٣٠).

(٣) الحديث: رواه أبو نعيم في الحلية ٤/٣٠٥ عن ابن عباس وقال: غريب من حديث سعد تفرد به بكير. والترمذي: في جامعه - كتاب التفسير - سورة الرعد رقم ٥١٢٦ عن ابن عباس. قال: حسن صحيح غريب (٤/٣٥٦ - ٣٥٧).

وأحمد في مسنده ١/٢٧٤ عن ابن عباس.

(٤) طاووس بن كيسان: الخولاني الهمداني من أبناء الفرس يكنى أبا عبد الرحمن سمع ابن عباس وابن عمر وأبا هريرة وعائشة وغيرهم وعنه مجاهد وعمرو بن دينار والزهري وابنه عبد الله، توفي سنة ١٠٥ هـ. (كتاب الجمع ١/٢٣٥ - ٢٣٦).

(٥) عكرمة: الحبر العالم أبو عبد الله البربري ثم المدني الهاشمي مولى ابن عباس روى عن مولاه وعائشة وأبي هريرة وعقبة بن عامر وأبي سعيد وغيرهم وثقه العجلي والبخاري والنسائي وابن معين توفي سنة ١٠٧ وقيل ١١٠ هـ. (تهذيب التهذيب ٧/٢٦٣ - ٢٧٣).

(٦) انظر منتخب الكنتز ٢/٤٥٩ عن ابن عباس والزاهر ٢/٣٢٨ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والطبري ١/٣٣٨ - ٣٣٩ عن مجاهد وابن عباس، والبحر ١/٨٣ عن ابن عباس، ومجاهد وعكرمة وشهر.

(٧) وهب بن منبه بن كامل الصنعاني الذماري الأبنوي أبو عبد الله ولي قضاء صنعاء مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيلية ولد سنة ٣٤ هـ وتوفي سنة ١١٤ هـ. (تهذيب التهذيب ١١/١٦٦).

(٨) في (د): لا أعلم.

(٩) محمد بن يحيى بن أبي حزم - مهرا - القطعي أبو عبد الله البصري روى عن عمه حزم بن مهرا وعبد الأعلى بن عبد الأعلى ومسلم بن إبراهيم وعنه مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم قال أبو حاتم صالح صدوق وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢٥٣ هـ. (تهذيب التهذيب ٩/٥٠٨ - ٥٠٩).

(١٠) يحيى بن كثير أبو النضر صاحب البصري، روى عن أيوب ومحمد بن عمرو قال أبو حاتم ضعيف ذاهب الحديث جداً وقال النسائي ليس بثقة وقال الدارقطني متروك.

(الميزان ٤/٤٠٣).

(١١) عبد الكريم بن مالك الجزري أبو سعيد الأموي - مولى عثمان بن عفان - ويقال مولى معاوية بن أبي سفيان سمع مجاهداً وعكرمة ومقسماً وطاووساً ومحمد بن المنكدر روى عنه الثوري وابن جريج ومعمر وغيرهم مات سنة ١٢٧ هـ.

(كتاب الجمع ١/٣٢٤).

(١٢) هو عطاء بن أبي رباح. سبق.

(١٣) الحديث: رواه الطبراني في الكبير ١١/١٦٤ عن ابن عباس.

«البرق» مصع^(١) ملك يسوق السحاب، وقال علي^(٢) - رضي الله عنه - البرق مخاريق بأيدي الملائكة^(٣). وكان النبي ﷺ إذا رأى البرق وسمع الصواعق قال: «اللهم لا تهلكننا بعدابك ولا تقتلنا بغضبك، وعافنا قبل ذلك»^(٤).

وأما معنى الآية، فقال المفسرون: إن الله تعالى ضرب للمنافقين مثلاً آخر وشبههم بأصحاب مطر.

ومعنى «أو كصيب» أو كأصحاب صيب، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وأراد بالمطر: القرآن، وشبهه بالمطر لما فيه من حياة القلوب وبالظلمات^(٥) لما في الكفر من ذكر^(٦) الكفر والشرك، وبيان الفتن والأهواء، وبالرعد: لما خوفوا به من الوعيد، وذكر النار، وبالبرق: حجج القرآن وما فيه من البيان والنور والشفاء والهدى وتببه جعل المنافقين أصابعهم في آذانهم لكيلا^(٧) يسمعوها ينزل من القرآن ما فيه افتضاحهم بجعل^(٨) الذي في هذا المطر أصابعه في أذنه^(٩) كيلا^(١٠) يسمع صوت الرعد.

«الصواعق» وهي^(١١) جمع صاعقة، و«الصاعقة» و«الصعقة» الصيحة يغشى منها على من يسمعها أو يموت، قال الله تعالى «ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء»^(١٢).

ويقال للرعد والبرق إذا قتل إنساناً: أصابته صاعقة. وقيل «الصاعقة» الصوت الشديد من الرعد يسقط معها قطعة نار^(١٣).

وقوله^(١٤) «حذر الموت» قال الزجاج^(١٥): إنما نصب «حذر» لأنه في تأويل المصدر كأنه قيل^(١٦): يحذر أن يحذر أن، لأن جعل الأصابع في الأذان يدل على الحذر.

وقوله^(١٧) «والله محيط بالكافرين» قال مجاهد^(١٨): جامعهم يوم القيامة يقال: أحاط بكذا إذا لم يشذ منه شيء.

= والهاشمي في مجمع الزوائد ١٠/١٣٦ عن ابن عباس وقال «رواه الطبراني وفيه يحيى بن كثير أبو الضر وهو ضعيف والجامع الصغير ١/٢٩ عن ابن عباس ورمز له بالضعف.

(١) مصع: المصع: الضرب بالسيف أو السوط أو غيرها (اللسان/ مصع).

(٢) علي بن أبي طالب أبو الحسن الهاشمي أمير المؤمنين، قاضي الأمة وفارس الإسلام وختن الرسول ﷺ كان ممن سبق إلى الإسلام وشهد له الرسول ﷺ بالجنة توفي سنة ٤٠ هـ (تذكرة الحفاظ ١٠/١ - ١٣).

(٣) انظر منتخب الكثر ٢/٤٦٠ عن علي وكنز العمال ٦/١٧٠ عنه والزاهر ٢/٣٢٩ عن علي.

(٤) الحديث: رواه الترمذي في السنن - كتاب الدعوات - باب ما يقول إذا سمع الرعد عن عبد الله بن عمر عن أبيه رقم ٣٥١٤ وقال: غريب (١٦٦/٥).

والحاكم في المستدرک - كتاب الأدب - عن ابن عمر وقال صحيح الإسناد ٤/٢٨٦ أحمد في المسند ٢/١٠١ - ١٠٢ عن ابن عمر والطبراني في الكبير ١٢/٣١٨ عن ابن عمر ومصنف ابن أبي شيبة ١٠/٢١٦ عن جعفر بن برقان وابن عمر.

(٥) في المطبوعة: والظلمات، والرعد، والبرق مثل لحج.

(٦) في (د): ذفر.

(٧) في (ح، د): لكي لا.

(٨) في (د): كجعل.

(٩) في (د): أذنيه.

(١٠) في المطبوعة: لكيلا.

(١١) ساقطة من (د).

(١٢) سورة الرعد ١٣/١٨ انظر تفسير مجاهد ص ٧١ وفتح الباري ٨/١٣١ والطبري ١/٣٥٦ عن مجاهد.

كقوله تعالى: ﴿أحاط بكل شيء علماً﴾^(١) أي لم يشذ عن علمه شيء.

وجاء في التفسير^(٢): والله مهلكهم، يقال: أحاط بفلان، إذا دنا^(٣) هلاكه فهو محاط به. قال الله تعالى ﴿وأحيط بثمره﴾^(٤) أي أصابه ما أهلكه وأفسده وقوله تعالى ﴿إلا أن يُحاط بكم﴾^(٥) أي: تهلكتوا جميعاً.

وقوله ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾: «كاد» موضوع عند العرب لِمُقَارَبَةِ الْفِعْلِ^(٦) وكادت أفعل معناه عند العرب: قاربت الفعل ولم أفعل، وما كادت أفعل معناه: فعلت بعد إبطاء. و«الخطف» أخذ باستلاب، يقال: خطف يخطف خطفاً ومنه الخطاف. وهذه الآية من تمام التمثيل، والمعنى: يكاد^(٨) ما في القرآن من الحجج النبوة يخطف^(٩) قلوبهم من شدة إزعاجها^(١٠) إلى النظر في أمر دينهم ﴿كلما أضاء لهم﴾ البرق ﴿مشوا فيه﴾ لاهتدائهم إلى الطريق بضوء البرق، كذلك المنافقون كلما قرئ عليهم شيء من القرآن مما يحبون صدقوا ﴿وإذا أظلم عليهم﴾ الطريق ﴿قاموا﴾ أي: وقفوا، كذلك المنافقون كلما سمعوا شيئاً مما يكرهون وينكرون وقفوا عن تصديقه، وتم التمثيل ها هنا، ثم أوعدهم فقال ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾ أي: لو شاء الله لأصمهم وأعماهم فذهب بأسماعهم^(١١) وأبصارهم الظاهرة حتى يصيروا صماً عمياً، كما^(١٢) ذهب بأسماعهم وبأبصارهم الباطنة ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ أي: أنه ذو قدرة على إيقاع ما أوعدهم به، فليحذروا عاجل عقوبة الله وآجله.

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

قوله^(١٣) ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾. ﴿١٤﴾: ﴿يا أيها الناس﴾ عموم في كل مكلف من مؤمن وكافر، ويروى عن الحسن وعلقمة^(١٥): إن «يا أيها الناس» خطاب لأهل مكة «ويا أيها الذين آمنوا» خطاب لأهل المدينة^(١٦). ومعنى ﴿اعبدوا ربكم﴾: اخضعوا له بالطاعة ولا يجوز ذلك إلا لمالك الأعيان^(١٧)

(٤) سورة الكهف/ ٤٢.

(٥) في (د): قوله.

(٦) سورة يوسف/ ٦٦.

(١) سورة الطلاق/ ١٢.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ص ٥ والطبري ٣٥٦/١ ومجاز القرآن ٢٧٧/١ والبغوي ٣٧/١.

(٣) في (د) دني.

(٧) انظر معنى (يكاد) في التبيان ٣٦/١ والمشكل ٨٢/١ والتبيان ٦١/١ والبحر ٨٨/١.

(٨) في (د): كاد.

(١٢) في (د) صماً عمياً بكمأ ذهب.

(٩) في (د): ويخطف.

(١٣) في (د): قوله تعالى.

(١٠) أي جذبها إلى النظر (من حاشية (أ)).

(١٤) في (د): الآية.

(١١) في (د) بسمعهم.

(١٥) علقمة بن مرثد الحضرمي أبو الحارث الكوفي روى عن سعد بن عبيدة وزر بن حبيش وطارق بن شهاب ومقاتل بن حيان وغيرهم قال -

عبد الله بن أحمد عن أبيه: ثبت في الحديث، ووثقه النسائي وابن حبان، مات في ولاية خالد القسري على العراق (تهذيب التهذيب

٣٧٩ - ٢٧٨/٧).

(١٦) انظر تفسير الرازي ٨٢/٢ عن الحسن وعلقمة والدر ٣٣/١ عن علقمة وابن مسعود وأبي عبيد وعروة وعكرمة وكذلك في فتح القدير

٥٠/١ - ٥١ وزاد عن الضحاك.

(١٧) أي لا يجوز ذلك الخضوع إلا لله تعالى (من حاشية (أ)).

قوله ﴿الذي^(١) خلقكم﴾ «الخلق»: إبداع شيء^(٢) لم يسبق إليه وكل شيء خلقه الله^(٣) فهو مبتدئه^(٤) أولاً على غير مثال سبق إليه.

ومعنى الآية: أن الله تعالى احتج على العرب بأنه خلقهم وخالق من قبلهم لأنهم كانوا مقرين بذلك، لقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾^(٥) فقبل لهم: إذ كنتم^(٦) معترفين بأن^(٧) الله خالقكم فاعبدوه، فإن عبادة الخالق أولى من عبادة المخلوقين من الأصنام^(٨).

وقوله^(٩) ﴿لعلكم تتقون﴾ قال ابن الأنباري^(١٠): «لعل» يكون ترجيحاً ويكون بمعنى كي.

وقال سيبويه^(١١): «لعل» كلمة ترجية وتطميع أي: كونوا على رجاء وطمع أن تنقوا بعبادتكم عقوبة الله أن تحل بكم، كما قال في قصة فرعون ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾^(١٢) كأنه قال: اذهباً أنتماً على رجائكما وطمعكما، والله تعالى من وراء ذلك وعالم بما يؤول إليه أمره.

قوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً﴾ «الأرض» التي عليها الناس هي فراش الأنام، على معنى أنها فرشت لهم، أي: بسطت لهم، وهذا كقوله ﴿والله جعل لكم الأرض بساطاً﴾^(١٣) والمعنى: أنه لم يجعلها حزنة^(١٤) غليظة لا يمكن الاستقرار عليها.

﴿والسماء بناء وأنزل من السماء ماء﴾ يعني: المطر، والمعنى: من نحو السماء فحذف المضاف^(١٥) وجعلت السماء بمعنى السحاب لم يحتاج إلى تقدير المضاف.

وقوله^(١٦) ﴿فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم﴾ «الثمرات» جمع ثمرة^(١٧) وهي حمل الشجرة^(١٨) في الأصل، ثم صارت اسماً لكل ما ينتفع به مما هو زيادة على أصل المال، يقال ثمر الله ماله، وعقل ثمر، إذا كان يهدي صاحبه إلى رشد^(١٩)، «والثمرة»: تستعمل فيما ينتفع به ويستمتع مما هو فرع الأصل. قال المفسرون^(٢٠): أراد بالثمرات جميع ما ينتفع به مما يخرج من الأرض. وقوله تعالى^(٢١) ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ يقال: فلان ند فلان، أي: شبهه ومثاله، قال حسان^(٢٢):

(١) ساقطة من (أ).

(٢) في (د): الشيء.

(٣) في (هـ): الله تعالى.

(٤) في المطبوعة: مبتدعة.

(٥) سورة الزخرف / ٨٧.

(١٠) انظر البحر ٩٣/١ عن قطرب وابن كيسان وفتح القدير ٥٠/١ عن قطرب وغيره، ٥١/١ عن أبي مالك والطبري ٣٦٤/١.

(١١) انظر الكتاب ٢٣٣/٤ والبحر ٩٦/١ عن سيبويه والبيهقي ٣٨/١ والقرطبي ٢٢٧/١، وفتح القدير ٥٠/١ كلهم عن سيبويه.

(١٢) سورة طه / ٤٤.

(١٣) سورة نوح / ١٩.

(١٤) في (د): حرشه: والحزن: خلاف السهل (اللسان/ حزن).

(١٥) في (د): وأقيم المضاف إليه مقامه.

(١٦) في (د): قوله تعالى.

(٢٢) حسان بن ثابت الأنصاري الشاعر عاش ٢٠ سنة مناصفة في الجاهلية والإسلام وكان لسانه يصل إلى جبهته توفي سنة ٥٤ (شذرات الذهب / ٦٠/١).

(٦) في (د): إذا كنتم.

(٧) في (د): بأنه.

(٨) في (د): قوله تعالى.

(٩) انظر الزجاج ٦٣/١ في هذا المعنى.

أتهجوه ولست له بند؟ فشركما لخيركما الفداء

وقال جرير^(١):

أتيماً تجعلون إليّ ندا وما تيم لذي حسب نديد

قال ابن عباس والسدي^(٢): لا تجعلوا لله أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله.

وقال ابن زيد^(٣): «الأنداد» الآلهة التي جعلوها معه^(٤)

وقال الزجاج^(٥): هذا احتجاج عليهم لإقرارهم بأن الله^(٦) خالقهم فقيل لهم: لا تجعلوا لله أمثالاً (وأنتم

تسلمون) أنهم لا يخلقون، والله الخالق

وقال ابن الأنباري^(٧): «وأنتم تعلمون» أن الأنداد التي تعبدونها لم ترفع لكم السماء ولم تمهد لكم الأرض،

ولم ترزقكم رزقاً، وإنما وصفهم الله تعالى بهذا العلم لتؤكد الحجة عليهم إذا اشتغلوا بشيء يعلمون أن الحق فيما

سواه^(٨)

أخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق، حدثنا والذي^(٩)، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي^(١٠) حدثنا إسحاق بن

= وانظر البيت في ديوانه ص ٨٦ وفي مجاز القرآن ٣٤/١، ١٤٩ والطبري ٣٦٨/١ وشذرات الذهب ٦٠/١ في ترجمته والبيت من قصيدة يهاجي بها أبا سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قبل إسلامه.

(١) جرير بن عطية الخطفي - حذيفة - بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع، يكنى أبا حرزة الشاعر البصري قدم دمشق مراراً

وامتدح يزيد بن معاوية والخلفاء من بعده توفي سنة ١١٠ هـ (البداية والنهاية ٢٩٢/٩ - ٢٩٣).

والبيت في ديوانه ص ١٩٣ والبداية في تفاخره بأصله تحت عنوان «أبونا مالك وأبوك تيم» وانظر الخزانة ٢٧/٣ والبحر ٩٣/١ والبداية والنهاية ٣١٠/٤.

(٢) انظر الطبري ٣٦٨/١ عن ابن عباس، والدر ٣٤/١ - ٣٥ عن ابن مسعود وفتح القدير ٥١/١ عن ابن مسعود.

(٣) ابن زيد: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم المدني أخو عبد الله وأسامة قال أبو يعلى الموصلي: سمعت يحيى بن معين

يقول: بنو زيد بن أسلم ليسوا بشيء وروى عثمان الدارمي عن يحيى: ضعيف وقال أحمد: عبد الله ثقة وأخواه ضعيفان وقال روى

حديثاً منكراً «أحلت لنا ميتتان» مات سنة ١٨٢ هـ.

(الميزان ٥٦٤/٢ وتهذيب التهذيب ١٧٧/٦ - ١٧٨).

(٤) انظر الطبري ٣٦٩/١ عن ابن زيد.

(٥) انظر الزجاج ٦٥/١.

(٦) في (هـ): الله تعالى.

(٧) انظر الطبري ٣٧٠/١ وغرائب النيسابوري ١٨٠/١ وابن كثير ٥٧/١ عن قتادة وفتح القدير ٥٠/١ والبحر ١٠٠/١ عن ابن عباس وقتادة.

(٨) في (د): في، وفي (هـ) في ما.

(٩) والده: إبراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوري أبو إسحاق المزكي قال الحاكم: هو شيخ نيسابور في عصره وكان من العباد

المجتهدين الحجاجين المنفقين على الفقراء والعلماء سمع ابن خزيمة وأبا العباس السراج توفي سنة ٣٦٢ هـ عن ٧٧ سنة.

(شذرات ٤٠/٣).

(١٠) محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران بن عبد الله الثقفي مولاهم أبو العباس السراج أحد الأئمة الحفاظ ولد سنة ٢١٨ هـ وحدث عنه

البخاري ومسلم وهما أكبر منه وأقدم ميلاداً وله مصنفات توفي سنة ٣١٣ هـ (البداية والنهاية ١٥٣/١١).

إبراهيم الحنظلي، ومحمد بن الصباح^(١) قالوا: حدثنا جرير^(٢)، عن منصور^(٣) عن أبي وائل^(٤)، عن عمرو بن شرحبيل: أبي مسيرة، عن ابن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك، قال: قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال: قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حيلة جارك^(٥) رواه البخاري عن عثمان بن أبي شيبة، ورواه مسلم عن عثمان وإسحاق، كلهم^(٦) عن جرير.

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ «إن» دخلت ها هنا لغير شك لأن الله تعالى علم أنهم مرتابون، ولكن هذا^(٨) عادة العرب في خطابهم كقولك^(٩): إن كنت إنساناً فافعل كذا^(١٠)، وأنت تعلم أنه إنسان، وإن كنت ابني: فأطعني، فخطابهم الله تعالى على عادة خطابهم فيما بينهم^(١١).

وقيل: «إن» ها هنا بمعنى «إذا» قال أبو زيد: وتجيء «إن» بمعنى «إذا» نحو قوله تعالى^(١٢) ﴿وذروا ما بقي من

(١) محمد بن الصباح الدولابي الإمام الخافظ الحجة أبو جعفر المزني مولا هم البغدادي البزاز التاجر مصنف السنن ولد سنة ١٥١ هـ وافته أحمد وقال أبو حاتم ثقة حجة توفي سنة ٢٢٧ هـ (سير الأعلام ٦٧٠/١٠ - ٦٧٢).

(٢) جرير بن عبد الحميد بن جرير بن قرظ بن هلال بن أنيس الضبي أبو عبد الله الرازي سمع الأعمش ومغيرة ومنصوراً وغيرهم ولد سنة ١١٠ هـ ومات سنة ١٨٧ هـ.

(كتاب الجمع ٧٤/١ - ٧٥).

(٣) منصور بن المعتمر بن عبد الله بن ربيعة الأسلمي أبو عتاب السلمى الكوفي سمع أبا وائل وإبراهيم النخعي وعنه شعبة والثوري وابن عيينة وغيرهم مات سنة ١٣٢ هـ (كتاب الجمع ٤٩٥/٢).

(٤) أبو وائل: شقيق بن سلمة الأسدي أدرك النبي ﷺ ولم يسمع منه وسمع من ابن مسعود وأبي مسعود الأنصاري وحذيفة وأبي موسى الأشعري وهو ثقة كثير الحديث توفي سنة ٨٢ هـ (تهذيب التهذيب ٣٦١/٤ - الجمع ٢١٦/٢ - ٢١٧).

(٥) رواه البخاري - كتاب التفسير - باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ عن ابن مسعود ٩٨/٣.

ومسلم - كتاب الإيمان - باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها عن ابن مسعود ٥٠/١.

(٦) عثمان بن أبي شيبة: عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خراش العبسي أبو الحسن الكوفي ابن أبي شيبة الكوفي قال ابن معين ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢٣٩ هـ (تهذيب التهذيب ١٤٩/٧ - ١٥١).

(٧) في (د): كلاهما.

(٨) في (د): ساقطة.

(٩) في (د): كقولهم.

(١٠) في (د): هذا.

(١١) انظر البحر ١٠١/١ - ١٠٢ عن بعض المفسرين.

(١٢) في (د، هـ): كقوله.

الربوا إن كنتم مؤمنين»^(١)، وقوله «وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين»^(٢) وقال الأعشى^(٣):

وسمعت حلفتها التي حلفت إن كان سمعك غير ذي وقر

وقوله «فأتوا بسورة من مثله» «السورة» عرق^(٤) من عروق الحائط، وتجمع: سُورٌ وسُورٌ، وكل منزلة رفيعة فهي سورة مأخوذة من سور البناء، ومنه قول النابغة^(٥):

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

وهذا قول^(٦) أبي عبيدة وابن الأعرابي^(٧) في تفسير^(٨) «السورة» فكل سورة^(٩) من سور القرآن بمنزلة درجة عالية رفيعة ومنزل عال يرتفع القارئ منها إلى منزلة أخرى إلى أن يستكمل القرآن^(١٠).

وقال أبو الهيثم: السورة من سور القرآن عندنا^(١١): قطعة من القرآن وخص ذلك القدر بتسميته سورة، لأنه أقل قطعة وقع به التحدي^(١٢).

وعلى هذا القول: هي مأخوذة من سور الشراب، وهي بقيته وقطعة منه، إلا أنها لما كثرت في الكلام ترك الهمز.

(١) سورة البقرة / ٢٧٨ .

(٢) سورة آل عمران / ١٣٩ .

(٣) أعشى باهلة: عامر بن الحارث بن رباح الباهلي من همدان شاعر جاهلي يكنى أبا قحطان، أشهر شعره رائية له في رثاء أخيه لأمه والمنتشر بن وهب .

(الأعلام ١٦/٤) .

(٤) العرق: السطر من كل مصطف (حاشية (أ)) .

السورة عرق من عروق الحائط - يفتح العين - وهي كل مصطف من الطين وغيرهما يقال بني من الحائط عرقاً، وفي الصحاح «العرق» الشطر، وكل مصطف (عمدة القوي ص ٣) .

(٥) النابغة الذبياني: زياد بن معاوية بن جابر بن ضياب بن جابر بن يربوع بن ذبيان، وسمي النابغة بقوله:

وحلفت في بني القين بن جسر فقد نبغت لنا منهم شؤون
ذكر الزركلي وفاته سنة ١٨ قبل الهجرة (الأنسب ١٠/٦ الأعلام ٩٢/٣) .

والبيت في ديوانه ص ٤٦ تحت عنوان «أي الرجال المهذب» يمدح النعمان ويعتذر. وانظر البيت في مجاز القرآن ٢٠/١ والطبري ١٠٥/١ وابن كثير ٧/١، للنابغة الذبياني، والزاهر ١٧١/١ يقول: أعطاك الله من المنزلة الرفيعة ما لورامه ملك وتسامى إليه بقي معلقاً دونها حائراً يضطرب ويتردد لا يطيق أن يبلغها .

(٦) في (د): تفسير قوله .

(٧) في (د): معنى .

(٨) ابن الأعرابي صاحب اللغة أبو عبد الله محمد بن زياد كان إليه المنتهى في معرفة لسان العرب أخذ عن الكسائي وأبي معاوية الضير وعنه الحربي وثعلب وابن السكيت وله بضعة مصنفات توفي سنة ٢٣١ هـ (شذرات الذهب ٧٠/٢) .

(٩) في (د): فكل سورة في القرآن بمنزلة .

(١٠) انظر مجاز القرآن ٣/١، ٢٠، ٣٤ والطبري ١٠٤/١ - ١٠٥ والزاهر ١٧٠/١ - ١٧١ وغرائب النيسابوري ٢٦/١، والبغوي ٣٩/١

(١١) في (د): عندنا قطعة .

(١٢) انظر في ذلك المعنى مجاز القرآن ٢٠/١ والطبري ١٠٥/١ والزاهر ٧١/١ وما بعدها وابن كثير ٧/١ وغرائب النيسابوري ٢٦/١

والبغوي ٣٩/١ وفتح القدير ٥٢/١ .

فإن قيل: ما الفائدة في تفصيل القرآن على السور؟ قيل: فيه فوائد كثيرة^(١) منها: أن القارئ إذا خرج^(٢) من سورة إلى سورة أخرى كان أنشط لقراءته وأحلى^(٣) في نفسه. ومنها: أن تختص كل سورة بقدر مخصص كاختصاص القصائد.

ومنها: أن الإنسان قد يضعف عن حفظ الجميع، فيحفظ سورة تامة، فربما كان ذلك سبباً يدعو إلى حفظ غيرها^(٤).

قال المفسرون^(٥): ومعنى الآية: أن الله تعالى لما احتج عليهم في إثبات توحيده، احتج عليهم - أيضاً - في إثبات نبوة محمد ﷺ بما قطع عذرهم فقال ﴿إن كنتم في ريب مما نزلنا﴾^(٦) أي في شك من صدق هذا الكتاب الذي أنزلناه^(٧) على محمد، وقتلتم لا ندري هل هو من عند الله أم لا؟ ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ أي من مثل القرآن، كقوله ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾^(٨)، وقوله ﴿قل﴾^(٩) فأتوا بسورة مثله^(١٠) وقوله ﴿لا يأتون بمثله﴾^(١١) كل ذلك يريد به مثل القرآن^(١٢).

فالمعنى^(١٣): فأتوا بسورة مثل ما أتى به محمد ﷺ^(١٤) في الإعجاز وحسن النظم والإخبار عما كان وعما^(١٥) يكون دون تعلم الكتاب ودراسة الأخبار.

ويجوز أن تعود الكناية في «مثله» إلى^(١٦) قوله ﴿على عبدنا﴾ وهو النبي ﷺ^(١٧)^(١٨). والمعنى: فأتوا بسورة^(١٩) من رجل أُمي لا يحسن الخط والكتابة، ولم يدرس الكتب^(٢٠).

وقوله^(٢١) ﴿وادعوا شهداءكم﴾ قال ابن عباس^(٢٢): يعني أنصاركم^(٢٣) وأعوانكم الذين يظاهرونكم على تكديكم، وسمى أعوانهم^(٢٤) شهداء: لأنهم يشاهدونهم عند المعاونة، و«الشهيد» يكون بمعنى «الشاهد» كالجلس والشريب.

(٤) في (د): وأحلا.

(١) في (د): فوائد جمة.

(٥) انظر غرائب النيسابوري ١٨٥/١ - ١٨٦.

(٢) في (د): حرم.

(٣) انظر الزجاج ٦٦/١ والطبري ٣٧٢/١ وما بعدها والبحر ١٠٢/١ وابن كثير ٥٩/١.

(١٢) انظر الزجاج ٦٦/١ وفتح القدير ٥٢/١.

(٦) في (د): مما نزلنا على عبدنا.

(١٣) في غير (أ): والمعنى.

(٧) في (د): نزلنا.

(١٤) ساقطة من (هـ).

(٨) سورة الطور ٣٤.

(١٥) في (د، هـ): وما.

(٩) ساقطة من (د).

(١٦) في (هـ): في قوله.

(١٠) سورة يونس / ٣٨.

(١٧) في (د): النبي المصطفى.

(١١) سورة الإسراء / ٨٨.

(١٨) انظر غرائب القرآن ١٨٦/١ فقد ذكر الوجهين وحسن دعوة الضمير إلى المنزل، والبحر ١٠٥/١.

(١٩) في المطبوعة: بسورة من مثله من رجل أُمي.

(٢٠) انظر الطبري ٣٧٤/١ البحر ١٠٥/١ فتح القدير ٥٢/١ والرازي ١١٨/٢ عن عمر وابن مسعود.

(٢١) في (د): وقوله تعالى.

(٢٢) انظر الدر ٣٥/١ عن ابن عباس وابن كثير ٥٩/١ عنه وفتح القدير ٥٣/١ والطبري ٣٤٧٦/١.

(٢٣) في (د): أنصاركم وأعوانكم.

(٢٤) ساقطة من (د، هـ).

وقوله ﴿من دون الله﴾ أي: من غير الله، يقال: ما دون الله مخلوق. يريد: وادعوا من اتخذتموهم معاونين من غير الله. ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أن هذا الكتاب تقوله محمد ﷺ من نفسه (١).

وقوله ﴿فإن لم تفعلوا﴾ «إن» حرف الشرط والجزاء، كقولك: إن تضرب أضرب و«لم» حرف يجزم الفعل المضارع ويقع ما (٢). بعدها بمعنى الماضي (كما يقع الماضي (٣)) بعد حروف الجزاء بمعنى الاستقبال.

وقوله ﴿ولن تفعلوا﴾ «لن» حرف قائم بنفسه وضع لنفي الفعل المستقبل ونصبه للفعل كمنصب «إن».

ومعنى الآية ﴿فإن لم تفعلوا﴾ معارضته بمثل القرآن فيما مضى من الزمان ﴿ولن تفعلوا﴾ أيضاً فيما يستقبل ﴿فاتقوا النار﴾ أي: فاحذروا أن تصلوا النار بتكذيبكم.

وإنما قيل لهم هذا بعد أن ثبت عليهم الحجة في التوحيد وصدق محمد عليه (٤) السلام بالآيات السابقة (٥).

ثم وصف النار فقال ﴿التي وقودها الناس والحجارة﴾ قال ابن السكيت (٦): «الوقود» بالضم - المصدر يقال: وقدت النار وقدأ ووقوداً، و«الوقود» - بالفتح اسم لما توقد به النار، يقال: ما أجود هذا الوقود للحطب.

و«الحجارة» جمع حجر وليس بقياس ولكنهم قالوه كما قالوا: جمل وجمالة وذكر وذكارة، والقياس: أحجار.

وجاء في التفسير عن ابن عباس وغيره (٧): أن «الحجارة» ها هنا: حجارة الكبريت وهي أشد لإيقاد النار.

وقيل: ذكر «الحجارة»: دليل على عظم تلك النار لأنها لا تأكل الحجارة إلا إذا كانت فظيعة.

﴿أعدت﴾ خلقت وهيئت ﴿للكافرين﴾ لأنهم يخلدون فيها. ولما ذكر (٨) جزاء الكافرين بتكذيبهم، ذكر جزاء

المؤمنين بتصديقهم فقال:

﴿وبشر الذين آمنوا﴾ «التبشير» إيراد الخبر السار الذي يظهر أثر السرور في بشرة المخبر، هذا هو

الأصل، ثم كثر استعماله حتى صار بمنزلة الإخبار فاستعمل في نقيضه، كقوله ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ (٩) إلا أنه فيما يسر أكثر استعمالاً (١٠).

وقوله ﴿وعملوا الصالحات﴾ قال ابن عباس (١١): وعلموا الطاعات (١٢) فيما بينهم وبين ربهم.

(٣) ساقطة من (د، هـ).

(٤) في غير (أ): ﷺ.

(١) وفي (د) ساقطة، وفي المطبوعة: من تلقاء نفسه.

(٢) ساقطة من (هـ).

(٥) قوله: ﴿فإن لم تفعلوا﴾ هذه معجزة حيث تحداهم فعجزوا، (ولن تفعلوا) معجزة أخرى وهو أنه تعالى أخبر خبراً جازماً غير خائف ولا مشفق أن هذا القرآن لا يعارض بمثله أئبد الأبدين ودهر الدهارين وكذلك وقع الأمر فلم يعارض من لدنه إلى زماننا (انظر ابن كثير ١/٦٠ البحر ١/١٠٦ وغرائب النيسابوري ١/١٨٨ - ١٨٩).

(٦) انظر الزجاج ١/٦٧ وعنده «وقد روي: وقدت النار وقود وقبلت الشيء قبولاً، جاء المصدر فعول والباب الضم».

والجمهور على فتح الواو وهو الحطب، وقرئ بالضم وهو لغة في الحطب والجيد أن يكون مصدراً بمعنى التوقد. (انظر مجاز القرآن ١/٣٤ والأخفش ١/٢١٢ والزاهر ١/١٣٣ - ١٣٤ والخزانة ١/١٢٣).

(٧) انظر تفسير ابن عباس ص ٥ والثوري ص ٤٢ والزجاج ١/٦٧ وغريب القرآن ص ٤٣ والدر ١/٣٦ عن ابن عباس وابن مسعود والفراء ١/٢٠ وابن كثير ١/٦١ وفتح القدير ١/٥٣.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ص ٦.

(٨) في (د): ذكر الله.

(١٢) في (د): الصالحات

(٩) سورة آل عمران/ ٢١، والتوبة/ ٣٤، الانشفاق/ ٢٤. (١١) انظر الزاهر ٢/١٣٥ وما بعدها.

وقوله ﴿أَنْ لَهُمْ﴾ موضع «أَنْ» نصب، معناه: بشرهم بأن لهم، فلما سقطت الباء وصل الفعل إلى «أَنْ» فنصب^(١).

وقوله ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ «جَنَّاتٍ»^(٢): جمع جنة وهي الحديقة ذات الشجر^(٣)، سميت جنة لكثرة شجرها ونباتها، يقال: جنت الرياض^(٤) جنونا إذا أعتم نبتها حتى ستر الأرض، ويقال لكل ما ستر: قد جن وأجن.

وقوله ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي من تحت أشجارها ومسكنها^(٥). والنهر لا يجري وإنما يجري الماء فيه ويستعمل الجري فيه توسعاً لأنه موضع الجري^(٦).

وقوله ﴿كَلِمًا﴾^(٧) «كل» حرف جملة ضم إلى «ما» فصار أداة للتكرار وهي منصوبة على الظرف.

﴿رَزَقُوا﴾: أطعموا ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ «من» صلة، أي: ثمرة، ويجوز أن تكون للتبويض لأنهم إنما يرزقون بعض ثمار الجنة ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ لتشابه ما يؤتون به^(٨) ولم يريدوا بقولهم ﴿هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ نفس ما يأكلون ولكن أرادوا: هذا من نوع ما رزقنا من قبل، كما يقول الرجل لغيره فلان قد أعد لك الطبخ والشواء، فيقول هذا طعامي في منزلي كل يوم، يريد هذا الجنس^(٩).

قال الزجاج^(١٠): وضم «قبل» لأنها غاية كان يدخلها بحق الإعراب (الفتح والكسر فلما عدلت عن بابها بنيت على ما لم يكن يدخلها بحق الإعراب)^(١١) وعدلها: أن أصلها الإضافة فجعلت مفردة تنبئ عن الإضافة، هذا كلامه^(١٢) ومعناه: أن «قبل» لا يستعمل إلا مضافاً، وله إعرابان عند الإضافة: الفتح والكسر، نحو «قبلك»، من قبلك» فلما استعمل^(١٣) مفرداً من غير إضافة والمعنى إرادة الإضافة بني على ما لم يكن يدخلها بحق الإعراب وهو الضم ومن هذا قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ بَعْدُ﴾^(١٤) تأويله: من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء^(١٥).

ومعنى^(١٦) ﴿هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل^(١٧) هذا الزمان ومن قبل هذا الوقت^(١٨).

وقوله ﴿وَأَنْتُمْ بِهِ﴾ أي أي المؤمنون^(١٩) بذلك الرزق ﴿مُتَشَابِهًا﴾: يشبه بعضه بعضاً في اللون والصورة، مختلف

(١) انظر الزجاج ٦٨/١ والتبيان ٤١/١.

(٢) في (د): الجنات.

(٣) أطلق المنحل وأراد الحال إطلاقاً مجازياً (حاشية (أ)).

(٤) انظر غرائب النيسابوري ١٩٢/١ وابن كثير ٦٢/١.

(٥) في (د): (كلما رزقوا)، وفي المطبوعة (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً).

(٦) انظر غريب القرآن ص ٤٣ والدر ٣٨/١ عن مجاهد وقتادة وعكرمة وغيرهم.

(٧) انظر الطبري ٣٨٨/١ - ٣٨٩ في هذا المعنى.

(٨) انظر الزجاج ١٤٥/١ والتبيان ٤٢/١.

(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من (هـ).

(١٠) أي كلام الزجاج رحمه الله.

(١١) في (هـ): له مفرداً.

(١٢) ويحتمل أن يعود (من قبل) إلى الدنيا ويحتمل أيضاً إلى الجنة. (انظر فتح القدير ٥٥/١).

(١٣) في (د) المؤمنين.

(٣) في (د) شجر.

(٤) في (د) تجن جنوناً.

(١٤) سورة الروم / ٤.

(١٥) في (د، هـ): ومن بعده.

(١٦) في (د): ومعناها (هذا الذي).

(١٧) ساقطة من (د).

في الطعم، نحو رمان يؤدي طعم الكشمري والتفاح والسفرجل، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك: قالوا^(١): إذا طعموه وجدوا له طعماً سوى الطعم الأول، فإذا رأوه قالوا: هذا الأول^(٢).

وقال الحسن وقتادة وابن جريح^(٣) متشابها في الفضل، خياراً كله لا رذال^(٤) فيه كما يكون في ثمار الدنيا.

وقوله تعالى: ^(٥) ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ «الأزواج»: جمع زوج وزوجة وشكل كل شيء: زوجته، و«مطهرة» قال مجاهد^(٦): لا يتغوطن ولا يبلن ولا يمين ولا يحضن، فهن مطهرة^(٧) من الحيض والبول والنخام والبزاق^(٨) والمني والولد^(٩)

وقيل «مطهرة» من مساوىء الأخلاق، لما فيهن من حسن التبعل^(١٠)، ودل، على هذا قوله ﴿عرباً أتراباً﴾^(١١) (١٢)

﴿وهم فيها خالدون﴾ لأن تمام النعمة بالخلود والبقاء هناك كما أن التغيض بالزوال والفناء.

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن إبراهيم النجار^(١٣)، حدثنا أبو القاسم سليمان بن أيوب الطبراني^(١٤)، حدثنا أبو رفاعة عمارة بن وثيمة^(١٥)، وحدثنا سعيد بن أبي مريم^(١٦)، أخبرنا محمد بن جعفر بن أبي كثير^(١٧)، عن زيد بن

(١) في (د): قال.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ص ٦ ومجاهد ٧١ والثوري ص ٤٢ والزجاج ٦٨/١ وغريب القرآن ص ٤٤، والدر ٣٨/١ عن مجاهد، وابن كثير ٦٣/١ عن ابن مسعود وناس من الصحابة.

(٣) انظر الطبري ٣٨٩/١ - ٣٩٠ عن الحسن وقتادة وابن جريح، والبغوي ٤١/١ عن الحسن وقتادة، والدر ٦٨/١ وفتح القدير ٥٥/١ عنهما.

(٤) رذال: أي خسيس (حاشية أ).

(٧) في (د): مطهرات.

(٥) ساقطة من (د، هـ).

(٨) في (د): البزاق (اللسان / بصق).

(٦) ساقطة من (د).

(٩) انظر تفسير مجاهد ص ٧٢ - ٧٣ والثوري ص ٤٣ والطبري ٣٩٥/١ - ٣٩٦ عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والدر ٣٩/١ عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة. وابن كثير ٥١٤/١ عن مجاهد.

(١٠) التبعل: القيام بخدمة البعل وهو الزوج (اللسان/بعل).

(١١) سورة الواقعة/ ٣٧ والعرب: جمع عرب وهي تحب زوجها (اللسان/عرب).

(١٢) انظر غرائب النيسابوري ١٩٥/١ البحر ٧٧/١ - ١١٨ البغوي ٤١/١.

(١٣) في (د) النجاري: لم أهتم إليه.

(١٤) أبو القاسم الحافظ الثبت المعمر سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني لا ينكره التفرّد في سعة ما يروي وإليه المنتهى في كثرة الحديث وعلوه عاش مائة سنة توفي سنة ٣٦٠ (الميزان ١٩٥/٢).

(١٥) عمارة بن وثيمة بن موسى أبو رفاعة الفارسي صاحب التاريخ على السنين قال ابن كثير ولد بمصر وحدث عن أبي صالح كاتب الليث ومات سنة ٢٨٩ (حسن المحاضرة ٥٥٣/١).

(١٦) سعيد بن أبي مريم - الحكم - بن محمد بن سالم الجمحي المصري الحافظ أبو محمد روى عن مالك والليث، قال ابن يونس كان فقيهاً ولد سنة ١٤٤ هـ ومات سنة ٢٢٤ (حسن المحاضرة ٣٤٦/١).

(١٧) محمد بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري مولاهم المدني الحافظ أخو إسماعيل ويحيى ويعقوب وكثير فأشهرهم محمد وإسماعيل يروي عن زيد بن أسلم وهشام بن عروة ويحيى بن سعيد وغيرهم وثقه يحيى مات سنة ١٧٠ هـ وهو من أبناء السبعين.

(سير الأعلام ٣٢٢/٧).

أسلم^(١)، عن ابن عمر^(٢) قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن أزواج الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط وإن مما يغنين به: نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرون بقرة أعيان، وإن مما يغنين به: نحن الخالديات فلا نموت، نحن الأموات فلا نخاف نحن المقيمات فلا نظعن»^(٣).

أخبرنا أبو سعد محمد بن عبد الرحمن النحوي^(٤)، أخبرنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحيري^(٥)، أخبرنا حامد ابن محمد بن شعيب^(٦)، حدثنا عبد الله بن عون^(٧)، حدثنا الوليد بن مسلم^(٨)، حدثنا محمد بن المهاجر^(٩)، حدثنا سليمان بن موسى^(١٠) حدثنا كريب^(١١)، حدثنا أسامة بن زيد^(١٢) قال:

سمعت رسول الله ﷺ^(١٣) - وذكر يوماً - فقال: «ألا مشمر لها؟ هي - ورب الكعبة - ريحانة تهتز ونور يتلألأ، وهو

(١) زيد بن أسلم العدوي أبو أسامة المدني مولى عمر رضي الله عنه قال أحمد وأبو زرعة وأبو حاتم وابن سعد والنسائي ثقة توفي سنة ١٣٠ هـ (تهذيب التهذيب ٣/٣٩٥ - ٣٩٧).

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي أبو عبد الرحمن المكي صحابي جليل توفي سنة ٧٤ هـ. (تهذيب التهذيب ٥/٣٢٨ - ٣٣٢).

(٣) الحديث رواه الطبراني في الصغير عن ابن عمر ١/٢٥٩ - ١٦٠.

ومجمع الزوائد - كتاب أهل الجنة - باب ما جاء في نساء أهل الجنة من الحور العين وغيرهن - عن ابن عمر وفيه «زواة الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح» ١٠/٤١٩ - والجامع الصغير للسيوطي ١/٨٧ ولم يحكم له.

(٤) أبو سعد الكنزودي - نسبة إلى قرية بنيسابور - محمد بن عبد الرحمن بن محمد النيسابوري الفقيه النحوي الطيب حدث عن أبي عمرو بن حمدان وطبقته وكان مسند خراسان في عصره مات سنة ٤٥٣ هـ (شذرات ٣/٢٩١ - ٢٩٢).

(٥) محمد بن أحمد بن حمدان بن علي بن عبد الله بن سنان أبو عمرو بن الزاهد أبي جعفر الحيري النيسابوري الزاهدي المقرئ الفقيه المحدث النحوي أدرك أبا عثمان الجدي وسمع منه ورحل فسمع الحسن بن سفيان توفي سنة ٣٧٦ هـ. (طبقات الشافعية ٣/٦٩ - ٧٠).

(٦) حامد بن محمد بن شعيب بن زهير أبو العباس البجلي سئل عنه الدارقطني فقال ثقة وقال أبو الحسن الجراحي ثقة صدوق توفي سنة ٣٠٩ (تاريخ بغداد ٨/١٦٩).

(٧) عبد الله بن عون الخراز الزاهد أبو محمد البغدادي المحدث كان يقال إنه من الأبدال روى عن مالك وطبقته قال السخاوي عبد الله من كبار مشايخ الري ومن كبار فتيانهم مات سنة ٢٣٢ هـ. (شذرات ٢/٧٥).

(٨) الوليد بن مسلم القرشي الأموي مولاهم الدمشقي يكنى أبا العباس سمع الأوزاعي وابن نمير ومحمد بن مطرف ومحمد بن مهاجر وغيرهم قال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث وقال العجلي ويعقوب ثقة مات سن ١٩٤ هـ.

(تهذيب التهذيب ١١/١٥١ - ١٥٥ والجمع ٢/٢٣٧).

(٩) محمد بن مهاجر الشامي الأنصاري أخو عمرو بن المهاجر مولى أساء بنت يزيد الأشهلية سمع الوليد بن عبد الرحمن وغيره وعنه الوليد بن مسلم (كتاب الجمع ٢/٤٧٧).

(١٠) سليمان بن موسى الأموي الدمشقي أبو هشام قال ابن معين ثقة في الزهري وقال أبو حاتم محله الصدق وقال النسائي ليس بالقوي في الحديث توفي سنة ١١٩ هـ (تهذيب التهذيب ٤/٢٢٦ - ٢٢٧).

(١١) كريب بن أبي سليم - مسلم - القرشي مولى عبد الله بن عباس يكنى أبا رشدين سمع من ابن عباس وعائشة وأم سلمة وميمونة وأسامة بن زيد وغيرهم توفي سنة ٩٨ هـ (كتاب الجمع ٢/٤٣١ - ٤٣٢).

(١٢) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل أبو محمد - ويقال أبو زيد - كنيته الحب مولى رسول الله ﷺ وروى عن النبي ﷺ وعن أبيه وأم سلمة مات سنة ٥٤ هـ (تهذيب التهذيب ١/٢٠٨).

(١٣) ساقطة من (هـ).

مطرد، وزوجة لا تموت في حبور ونعيم، ومقام أبدأ»^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ ءَمَوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَآءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَآ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله عز وجل (٢٦) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا...﴾ الآية (٣) قال الحسن وقتادة وعطاء عن ابن عباس (٤): لما ذكر الله عز وجل (٥) الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود، وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله، فأنزل الله (٦) هذه الآية.

قال أهل المعاني (٧): قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾: خرج على (٨) لفظهم حيث قالوا: إن الله يستحي أن يضرب المثل بالذباب والعنكبوت، فرد الله عليهم وقال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ﴾، كما أنهم لما قالوا للقرآن: هذا (٩) سحر مفترى، قال الله تعالى ﴿فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ (١٠).

وقال بعضهم: معنى قوله ﴿لَا يَسْتَحْيِي﴾ هو أن الذي يستحيا (١١) منه ما يكون قبيحاً في نفسه ويكون لفاعله عيب في فعله، فأخبر الله سبحانه (١٢) أن ضرب المثل منه ببعوضة فما فوقها ليس (١٣) بقبیح، ولا نقص، ولا عيب، حتى يستحيا منه (١٤).

(١) الحديث رواه ابن ماجه - كتاب الزهد - باب صفة الجنة عن أسامة رقم ٤٣٣٢ (٢/١٤٤٨ - ١٤٤٩).

والطبراني في الكبير عن أسامة ١/١٦٣، وشرح السنة للبغوي ١٥/٢٢٣، والجامع الكبير للسيوطي ورمز له بالضعيف ٢/٢٤٩.

(٢) في (د) قوله تعالى.

(٣) ساقطة من (د).

(٤) انظر البحر ١/١٢٠ عن ابن عباس والحسن وقتادة ومقاتل والقراء، وغرائب النيسابوري ١/١٩٧ عن الحسن وقتادة وكذلك أسباب النزول للسيوطي ص ١٢ وأسباب النزول للواحدي ص ١٤ - ١٥ وابن كثير ١/٦٤ والطبري ١/٤٠٠ والرازي ٢/١٣٢.

(٥) في (د): الله تعالى.

(٦) في (د، هـ): الله تعالى.

(٧) أهل المعاني: هم التحويون من أهل الكوفة والبصرة ممن يعنون بالمعاني من جهة اللغة والنحو. (عمدة القوي والضعيف ص ٤).

(٨) في (أ): يستحي.

(٨) في (د): عن.

(٩) في (د): أنه.

(٩) في (د): أنه.

(١٤) انظر ابن كثير ١/٦٤ عن قتادة.

(١٣) في (د): ليست.

(١٠) سورة هود/ ١٣.

وقيل: معنى قوله (١) ﴿لا يستحي﴾ (٢) لا يترك لأن أحدنا إذا استحي من شيء تركه (٣) ومعناه: إن الله لا يترك ضرب المثل ببعوضة فما فوقها (٤) إذا علم أن فيه عبرة لمن اعتبر وحجة على من جحد (٥).

وقوله ﴿ما ببعوضة﴾ «ما» زائدة مؤكدة كقوله تعالى: ﴿فبما رحمة من الله﴾ (٦) ولا إعراب لها (٧) والناصب والخافض يتعداها إلى ما بعدها، ونصبت بعوضة على أنها المفعول الثاني لـ «يضرب» لأن «يضرب» ها هنا معناه يجعل، هذا الذي ذكرنا هو قول البصريين (٨).
(والبعوض): صغار البق، الواحدة: بعوضة.

وقوله ﴿فما فوقها﴾ قال ابن عباس (٩) يعني الذباب والعنكبوت، وهما فوق البعوض وقد استشهد على استحسان ضرب المثل الحقيير في الكلام العرب بقول الفرزدق (١٠):

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل (١١)

ويقول أيضاً:

وهل شيء يكون أذل بيتاً من اليرسوع يحتضر التراب (١٢)

وقوله ﴿فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم﴾ مدحهم الله (١٣) بعلمهم أن المثل وقع في حقه، وذم الكافرين بإعراضهم عن طريق الاستدلال وإنكارهم ما هو صواب وحكمة، يقولون: أي شيء أراد الله بهذا الأمثال وهذا استفهام معناه الإنكار، كأنهم قالوا: أي فائدة في ضرب المثل بهذا؟

وفي نصب قوله ﴿مثلاً﴾ وجوه: أحدها: الحال، لأنه جاء بعد تمام الكلام، كأنه قيل: ماذا أراد الله بهذا مبيناً؟ والثاني: التمييز والتفسير للمبهم، وهو هذا، كأنه قيل: ماذا أراد الله بهذا من الأمثال؟

والثالث: القطع كأنه قيل: ماذا أراد الله بهذا المثل؟ إلا أنه لما جاء نكرة نصب على القطع من اتباع المعرفة وهذا قول الفراء (١٤).

(٤) ساقطة من (د).

(١) ساقطة من (د).

(٥) في (د): جحد.

(٢) ساقطة من (هـ).

(٦) سورة آل عمران/ ١٥٩ وفي (د): زيادة: لنت لهم.

(٣) انظر الوجيز للواحدى ٨/١.

(٧) «ما»: نكرة موصوفة أو بمنزلة الذي أو زائدة مؤكدة (التيبان ٤٣/١ المشكل ٨٣/١ ومجاز القرآن ٣٥/١ والكامل للمبرد ٤٣٢/١ والأخفش ٢١٥/١).

(٨) انظر الفراء ٢١/١ والبحر ١٢٢/١ عن الفراء والكسائي وابن كثير ٦٤/١ وفيه «ذكره ابن جرير واختاره الكسائي والفراء والطبري ٤٥٥/١».

(٩) انظر تفسير ابن عباس ص ٦ والبحر ١٢٣/١ عن ابن عباس والفراء ٢٠/١ والأخفش ٩٤/١.

(١٠) الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة التميمي الداري أبو فراس الشهير بالفرزدق شاعر من النبلاء من أهل البصرة عظيم الأثر في اللغة يشبه بزهير بن أبي سلمى وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل مات ١١٠ هـ (الأعلام ٩٦/٩).

(١١) البيت في ديوان الفرزدق ١٥٥/٢ تحت عنوان: إن الذي سمك السماء وفي الكامل للمبرد ٢٧/١ وفتح القدير ٩٢/١ وهو من بحر الكامل.

(١٢) البيت في ديوان الفرزدق ١٣٠/١ تحت عنوان: أنا ابن العاصمين وفيها يناقض جريراً.

(١٣) في (د): الله تعالى.

(١٤) انظر الفراء ٢٣/١ ومجاز القرآن ١٠٧/١ والتيبان ٤٤/١ والمشكل ٨٤/١ والبحر ١٢٥/١ وابن كثير ٦٤/١ عن الكسائي والفراء وفتح القدير ٧٥/١.

وأجاب الله تعالى الكفار عن قولهم (ماذا أراد الله بهذا مثلا)؟ فقال ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ أي: أراد الله بهذا المثل أن يضل به كثيراً من الكافرين، وذلك: أنهم^(١) يتكرونه ويكذبونه ﴿ويهدي به كثيراً﴾ من المؤمنين لأنهم يعرفونه ويصدقون به.

قال الأزهري^(٢) «الإضلال» في كلام العرب: ضد الهداية والإرشاد، يقال أضللت فلانا إذا وجهته للضلال عن الطريق، وإياه أراد لبيد^(٣) بقوله:

من هداه سبيل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

ولا يجوز أن يكون معنى^(٤) «الإضلال» الحكم والتسمية، لأن أحدنا إذا حكم بإضلال إنسان لا يقال: أضله، وهذا شيء لا يعرفه أهل اللغة.

قوله ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ قال الليث^(٥): و«الفسوق» الترك لأمر الله^(٦)، وقال الفراء^(٧): «الفسق» الخروج عن الطاعة، والعرب تقول: فسقت الرطبة عن قشرها إذا خرجت، وقال أبو الهيثم^(٨) وقد يكون «الفسوق» شركا، ويكون إثما والذي أريد به ها هنا: الكفر^(٩).

ثم وصف هؤلاء الفاسقين فقال ﴿الذين﴾^(١٠) ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ﴿ومعنى «النقض» الهدم وإفساد ما أبرمته^(١١) من حبل أو بناء، ونقيض الشيء: ما ينقضه أي ما يهدمه ويرفع حكمه.

﴿وعهد الله﴾: وصيته^(١٢) وأمره، يقال: عهد الخليفة إلى فلان كذا وكذا^(١٣)، أي أمره وأوصاه به، ومنه قوله تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم﴾^(١٤).

وذكر المفسرون في «العهد» المذكور في هذه الآية قولين:

أحدهما: ما أخذه^(١٥) على النبيين ومن اتبعهم، أن لا^(١٦) يكفروا بالنبي ﷺ وذلك قوله تعالى^(١٧) ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة . . .﴾^(١٨) الآية.

(١) في (د): لأنهم.

(٢) انظر خزائن الأدب ١٣٤/٥ عن الأزهري.
(٣) لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الصحابي قدم على النبي ﷺ مع قومه فأسلم وحسن إسلامه، وكان من فحول الشعراء المجودين وكنيته أبو عقيل توفي في أول مدة معاوية سنة ٤١ هـ وهو ابن ١٥٠ سنة.
(الجزء ٢/ ٢٤٦ - ٢٤٧، والأعلام ٦/ ١٠٤).

والبيت من ديوانه ص ١٣٩ تحت عنوان: قال يتحدث عن مآثره ومواقفه ويأس لفقد أخيه أربد، رقم ٤٦ وانظر البداية والنهاية ٣٩١/٩ والخزانة ٣/ ٣٧٣.

(٤) في (هـ): بمعنى . (٥) انظر غرائب النيسابوري ١/ ٢٠٤.

(٦) في (د): الله تعالى . (٧) انظر الرازي ١٤٧/٢ عن الفراء وفتح القدير ٥٧/١ عن الفراء والطبري ٤٠٩/١، والزجاج ١١٢/١ والزاهر ٢١٧/١، والقرطبي ٢٤٥/١ وابن كثير ٦٥/١.

(٨) انظر البحر ١٢٦/١ والقرطبي ٢٤٦/١ وفتح القدير ٥٧/١، ٥٩ عن ابن عباس.

(٩) ساقطة من (هـ) (١٣) في (د): كذا وكذا.

(١٠) ساقطة من (هـ). (١٤) سورة يس / ٦٠.

(١١) في (د): برمته. (١٥) في (هـ): ما أخذه الله.

(١٢) في (د): ووصيته. (١٦) في (د): ألا.

(١٧) من (أ).

(١٨) سورة آل عمران / ٨١.

والثاني: أن يكون عهد الله الذي أخذه من بني آدم يوم الميثاق حين قال ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾^(١) ثم مجدوا ونقضوا ذلك العهد في حال كمال عقولهم، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء^(٢).

وقوله ﴿من بعد ميثاقه﴾ «الميثاق» ما وقع من التوثيق، والكتاب أو الكلام الذي يستوثق به: ميثاق.

والكتابة في «الميثاق» يجوز أن تكون عائدة على اسم الله^(٣)، أي: من بعد ميثاق الله ذلك العهد بما أكد من إيجابه عليهم، ويجوز أن تعود على العهد، أي: من بعد ميثاق العهد وتوكيده^(٤).

وقوله تعالى: ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ يعني الأرحام وذلك أن قريشاً قطعوا رحم رسول الله^(٥) بالمعاداة معه^(٦).

وقيل: هو الإيمان بجميع الكتب والرسل وهو نوع من الصلة وهو قول ابن عباس^(٨) قال: يريد الإيمان بجميع الأنبياء، من لدن آدم إلى محمد ﷺ^(٩) بخلاف قول الكفار ﴿نؤمن ببعض ونكفر ببعض﴾^(١٠) فالمؤمنون وصلوا بينهم بالإيمان بجميعهم فقالوا ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾^(١١).

وقوله: ﴿ويفسدون في الأرض﴾ قال ابن عباس^(١٢): يحكمون بغير الحق.

وقال غيره^(١٣): يفسدون في الأرض بالمعاصي، وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ بقوت المشوبة، والمصير إلى العقوبة.

وأصل «الخسران» في التجارة، وهو نقصان رأس المال، ويقال فيه: الخسارة والخسر^(١٤) هذا هو^(١٥) الأصل، ثم قيل لكل صائر إلى مكروه «خاسر» لنقصان حظه من الخير^(١٦).

وقوله تعالى: ﴿كيف تكفرون بالله﴾ «كيف»^(١٨) في الأصل: سؤال عن حال لأن جوابه يكون بالحال، كما تقول: كيف زيد؟ فيقال: صالح أو سقيم.

قال الزجاج: تأويل «كيف» ها هنا: استفهام في معنى التعجب والتعجب إنما هو للخلق والمؤمنين، أي: أعجبوا^(١٩) من هؤلاء كيف يكفرون بالله وقد ثبتت حجة الله عليهم^(٢٠).

(١) سورة الأعراف/ ١٧٢ (٢) في (د): اسم الله تعالى.

(٣) انظر الزجاج ٧٢/١ - ٧٣ - الطبري ٤١١/١ - ٤١٢ البحر ١٢٧/١ وغرائب النيسابوري ٢٠٥/١ - ٢٠٦.

(٤) في (د): وتوكيده وانظر التبيان ٤٤/١ والطبري ٤١٤/١.

(٥) من (أ). (٦) في (د، هـ): النبي. (٧) في (هـ): عليه السلام.

(٨) انظر الطبري ٤١٦/١ والدر ٤٢/١ عن قتادة وابن كثير ٦٦/١ وفتح القدير ٥٩/١ عنه.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ص ٦ والخازن ١٦/٤ عن ابن عباس.

(١٠) سورة النساء / ١٥٠.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ص ٦ فلعله رأي آخر لابن عباس.

(١٤) في (د): والخسران.

(١٥) ساقطة من (د).

(١٦) انظر البحر ٦٤/١ عن ابن عباس وغيره.

(١٦) انظر (اللسان/ خس) والبحر ١٢٩/١ وابن كثير ٦٦/١ وفيه قال الضحاك عن ابن عباس: كل شيء نسبة الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل «خاسر» فإنما يعني به «الكفر»، وما نسبة إلى أهل الإسلام فإنما يعني به «الذنب» وانظر الطبري ٤١٧/١، وفتح القدير ٥٩/١ عن ابن عباس.

(٢٠) انظر الزجاج ٧٤/١.

(١٩) في (د): عجيبوا.

(١٧) في (د): قوله. (١٨) ساقطة من (د).

ونحو هذا قال الفراء ^(١): هذا على وجه التعجب والتوبيخ لا على الاستفهام المحض أي: ويحكم كيف تكفرون ^(٢) وهذا كما يقال: كيف تكفر نعمة فلان وقد أحسن إليك؟ ومعنى الآية: على أي حال يقع منكم الكفر وحالكم أنكم ﴿كنتم أمواتاً﴾؟ قال ابن عباس - في رواية الضحاك ^(٣) - أراد: كنتم تراباً، ردهم إلى أبيهم آدم وفي رواية عطاء والكلبي ^(٤): وكنتم نطفاً.

وكل ما فارق الجسد من نطفة أو شعر فهو موات ^(٥). وقوله ﴿فأحياكم﴾: في الأرحام بأن جعل فيكم الحياة ^(٦) ﴿ثم يميتكم﴾ في الدنيا ﴿ثم يحييكم﴾ للبعث ﴿ثم إليه ترجعون﴾ فيفعل بكم ^(٧) ما يشاء.

قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ قال المفسرون ^(٨): لما استعظم المشركون أمر الإعادة عرفهم الله ^(٩) خلق السموات والأرض ليدلهم بذلك على قدرته على الإعادة.

فقوله ﴿لكم﴾ أي: لأجلكم فما في الأرض كله مخلوق للآدميين، بعضه للانتفاع وبعضه للاعتبار كالسباع والعقارب والحيات، فإن فيها عبرة وتخويفاً، لأنه إذا رُوي طرف ^(١٠) من المتوعد به كان ذلك أبلغ في الزجر عن المعصية ^(١١).

وقوله عز وجل: ^(١٢) ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ قال الفراء ^(١٣) «الاستواء» في كلام العرب ^(١٤) على وجهين، أحدهما: أن يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته، أو يستوي من اعوجاج.

ووجه ثالث: أن نقول: كان فلان مقبلاً على فلان ثم استوى علي ^(١٥) وإليّ يكلمني، على معنى: أقبل علي ^(١٥) وإليّ، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾.

وسئل أحمد بن يحيى ثعلب عن الاستواء في صفة الله تعالى فقال: «الاستواء» الإقبال على الشيء ^(١٦). قال

(١) انظر الفراء ٢٣/١، وفتح القدير ٥٩/١ عن الفراء والزجاج، والطبري ٤٢٧/١.

(٢) في (د): تكفرون بالله.

(٣) انظر الطبري ٤١٩/١ عن ابن عباس والبحر ١٣٠/١ عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وابن كثير ٦٧/١ عن الضحاك عن ابن عباس نقلاً عن الفراء.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ص ٦ والزجاج ٧٣/١ والدر ٤٢/١ عن ابن عباس وقتادة، والأخفش ٢١٦/١ نقلاً عن الفراء، والفراء ٢٥/١ وغريب القرآن ص ٤٤.

(٥) انظر الفراء ٢٥/١.

(٦) في جميع النسخ: الحيوة.

(٧) في (د): معكم.

(٨) انظر البحر ١٣٢/١ - ١٣٣ عن ابن كثير ٦٧/١.

(٩) ساقطة من (د).

(١٠) في (أ): رأى وفي (د): رأى طرفاً.

(١١) أي إذا شوهد في الدنيا بعض من الذي توعد به في الآخرة كان أقوى في الزجر عن المعصية (حاشية أ).

(١٢) في (د، هـ): قوله.

(١٣) انظر الفراء ٢٥/١ والقرطبي ٢٥٤/١ والبحر عن الفراء بتمامه والطبري ٤٢٨/١ - ٤٣١.

(١٤) ساقطة من (هـ).

(١٥) في (د) والمطبوعة: إليّ وعليّ.

(١٦) انظر الفراء ٢٥/١ والطبري ٤٢٨/١ والبحر ١٣٤/١ عن الفراء والبغوي ٤٤/١ عن كيسان والفراء وبعض النحويين.

الزجاج^(١): قال قوم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي عمد وقصد إلى السماء، كما تقول: فرغ الأمير من بلد كذا^(٢)، ثم استوى إلى بلد كذا، معناه: قصد بالاستواء^(٣) إليه، قال: وقول ابن عباس (استوى إلى السماء) أي: صعد، معناه: صعد أمره إلى السماء.

وحكى أهل اللغة^(٤): أن العرب تقول، كان الأمير يدبر أهل الشام ثم^(٥) استوى إلى أهل الحجاز، أي: تحول فعله.

وقوله ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ «التسوية» جعل الشيتين^(٦) أو الأشياء على استواء يقال: سويت الشيتين فاستوتوا، وجمع الكناية في ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾: لأنه أراد بالسماء: جمع سماء أو سماوة، على ما ذكرنا.

وجائز أن تعود الكناية إلى أجزاء السماء ونواحيها، فالمعنى^(٧): جعلهن سبع سماوات مستويات بلا فطور ولا أمت^(٨).

﴿وهو بكل شيء عليم﴾ إذ بالعلم يصح الفعل المحكم، فأفعاله تدل على علمه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ (١٠) ...﴾ الآية، قال أبو عبيدة: ﴿إِذْ﴾ هنا زائدة معناه: وقال ربك للملائكة^(١١).

وأكرر الزجاج وغيره هذا القول وقالوا: إن الحرف إذا أفاد معنى صحيحاً لم يجز إلغاؤه، قالوا^(١٢): وفي الآية محذوف معناه: واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة^(١٣). وأكثر المفسرين على: أن كل ما ورد في القرآن من هذا النحو فالذكر فيه مضمير^(١٤).

وأما «الملائكة» فقال سيويه: واحدها: ملك، وأصلها: ملاك^(١٥) مهموز حذف همزه، لكثرة الاستعمال، وأنشد:

فلست لإنس ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصب^(١٦)

(١) انظر الزجاج ٧٤/١ - ٧٥ والفراء ٢٥/١ عن ابن عباس وغريب القرآن ص ٤٥.

(٢) ساقطة من (د).

(٣) في (د): كذا وكذا.

(٦) في (د): فاستوى.

(٧) في (د): جعل الشيء والأشياء.

(٨) في (د): والمعنى.

(٥) انظر الفراء ٢٥/١ والطبري ٤٢٨/١ والبحر ١٣٤/١.

(٩) أي بلا شقوق ولا تنوء، أي مرتفع بعضه على بعض (حاشية أ)).

وانظر معنى ما ذكره المصنف - في جميع الضمير - البيان ٤٥/١ وغريب القرآن ٨٥/١ والفراء ٢٥/١ والأخفش ٢١٧/١ - ٢١٨/١.

(١٠) في (د): للملاية.

(١١) انظر مجاز القرآن ٣٦/١ وذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤٥ والبحر ١٣٩/١ عن ابن قتيبة وأبي عبيدة، وهكذا في جميع ما بدىء بقوله (إذ).

(١٣) ساقطة من (د).

(١٢) ساقطة من (د).

(١٤) انظر الزجاج ٧٥ - ١/٧٥ وابن كثير ١ - ٦٩/٦٩ عن الزجاج في رد على أبي عبيدة.

(١٥) انظر البيان ٤٦/١ والمشكل ٨٥/١ والزجاج ٧٥/١ وابن كثير ٦٩/١ والبيان ٧٠/١.

(١٦) في (د): ملك.

(١٧) البيت من بائية علقمة الفحل - ابن عبدة - من تميم شاعر جاهلي كان معاصراً لأمريء القيس وخلفه على زوجته أم معبد ولهذا سمي =

وأصله^(١) من «المألكة» و«الألوك» وهي الرسالة^(٢).

قوله ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾: «الخليفة» الذي يخلف الذاهب، أي يجيء بعده، يقال: خلف فلان مكان^(٣) فلان، وأصل «الخليفة» خليف - بغير (هاء) لأنه فعيل بمعنى فاعل، كالعليم والسميع فدخلت الهاء للمبالغة بهذا الوصف وكما قالوا راوية وعلامة، ألا ترى أنهم جمعوه خلفاء، كما يجمع فعيل، ومن أنث لتأنيث اللفظ قال في الجمع: خلفاء، وقد ورد التنزيل بها، قال الله تعالى ﴿خلفاء من بعد قوم نوح^(٤)﴾ وقال ﴿خلائف^(٥) في الأرض﴾^(٦).

وأراد «بالخليفة»: آدم، في قول جميع المفسرين، جعله خليفة عن الملائكة الذين كانوا سكان الأرض بعد الجن، وذلك أن الله خلق السماء والأرض، وخلق الملائكة والجن، فأسكن^(٧) الملائكة السماء، وأسكن الجن الأرض، فعبدوا دهرًا طويلًا في الأرض ثم ظهر فيهم الحسد والبغي، فاقتتلوا وأفسدوا، فبعث الله إليهم جنودًا من الملائكة يقال لهم: الجن، رأسهم إبليس، وهم خزان الجنان اشتق لهم اسم من الجنة فهبطوا إلى الأرض وطردها^(٨) الجن عن وجوها إلى شعوب^(٩) الجبال وجزائر البحور وسكنوا الأرض.

وكانوا أخف من الملائكة عبادة، لأن أهل السماء الدنيا أخف عبادة أخف من الذين فوقهم، وكذلك أهل كل سماء، وهؤلاء الملائكة لما صاروا سكان الأرض خفف الله عليهم^(١٠) العبادة، فأحبوا البقاء في الأرض. وكان الله^(١١) قد أعطى إبليس ملك الأرض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنان، وكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة فأعجب بنفسه وتداخله الكبر^(١٢)، فاطلع الله عز وجل^(١٣) على ما انطوى عليه من الكبر، فقال له ولجنده: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾^(١٤).

= الفحل. وهو يمدح النعمان بهذه القصيدة انظر الكتاب لسبويه ٤/ ٣٨٠ (والبيت من بحر الطويل).

وإصلاح المنطق ص ٧١ والبحر ١/ ١٣٧ والطبري ١/ ٣٣٣ - ٤٤٥.

يصوب: ينزل، والشاهد: همزة (مألك) واحد «الملائكة».

(١) في (هـ): أي فينزل - وهي للتفسير مذكور في حاشية (أ).

(٢) انظر المعنى في التبيان ١/ ٤٦ وإصلاح المنطق ص ٧٠ - ٧١ والمشكل ١/ ٨٦، ٨٧.

(٣) في (د): مكان يجيء فلان، وهي ساقطة من (هـ).

انظر معنى (الخليفة) في تفسير الطبري ١/ ٤٤٩ وابن كثير ١/ ٦٩

وليس المراد بالخليفة «آدم» فقط كما يقول طائفة من المفسرين وعزاه القرطبي إلى ابن عباس وابن مسعود وأهل التأويل.

وفي ذلك نظر بل الخلاف في ذلك كثير والظاهر أنه لم ير «آدم»، عينًا، إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة (أتجعل فيها من يفسد

فيها ويسفك الدماء) فإتهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك.

(انظر تفسير ابن كثير ١/ ٦٩ وغرائب النيسابوري ١/ ٢١٤ عن الحسن).

(٦) سورة يونس/ ١٤، فاطر/ ٣٩.

(٧) في (د): وأسكن.

(٨) في (د): فطردوا.

(٩) أي طردوا الجن من الأرض إلى صدوع الجبال (حاشية (أ)).

(١٤) انظر الزجاج ١/ ٧٦ والدر ١/ ٤٥ بنحوه عن ابن عباس وابن كثير ١/ ٧٠ عن ابن عباس وابن عمر، ١/ ٧١ عن الحسن وأبي العالية وفتح

القدير ١/ ٦٣ عن الطبري والحاكم وابن أبي حاتم وعن ابن عمر وناس من الصحابة وغرائب النيسابوري ١/ ٢١٤ عن الضحاك عن

ابن عباس والمستدرک - كتاب التفسير - عن ابن عباس وصححه ٢/ ٢٦١، والبحر ١/ ١٤١ عن ابن عباس.

الوسيط في تفسير القرآن المجيد/ ج ١/ ٨٣

أخبرنا أبو عبد الله (محمد بن إبراهيم المزكي، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن يحيى^(١))^(٢) بن معاوية الطلحي، حدثنا الحسين بن مطير بن راشد الأسدي^(٣) المروزي، حدثنا هدية بن خالد^(٤)، حدثنا حماد بن سلمة^(٥)، عن ثابت^(٦)، عن أنس^(٧)، عن النبي ﷺ أنه قال:

«لما خلق الله آدم جعل إبليس يطيف به، فلما نظر إليه فوجده أجوف، قال: ظفرت به خلقاً لا يتأسك»^(٨) رواه مسلم في الصحيح عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يونس^(٩) بن محمد، عن حماد.

أخبرنا أبو بكر بن الحرث، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، أخبرنا أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن الخطيب^(١٠)، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الزبيبي^(١١)، حدثنا بندار^(١٢) حدثنا ابن أبي عدي^(١٣)، ومحمد بن جعفر^(١٤) وعبد الوهاب^(١٥) قالوا:

(١) في (أ) محمد. (٢) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(٣) في (د) الحسين بن مطير بن بكر المروزي بن رشيد المروزي. لم أف على ترجمته.

(٤) هدية - بضم الهاء وتسكين الدال (عمدة القوي والضعيف ص ٥).

وهو: هدية بن خالد بن الأسود بن هدية أبو خالد القيسي البصري أخو أمية سمع هماماً وحماد بن سلمة وسليمان بن المغيرة توفي سنة ٢٣٥ (الجمع ٥٥٦/٢).

(٥) حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة قال الساجي وابن سعد وغيرهما: ثقة زاد الساجي حافظ مأمون توفي سنة ١٦٧ هـ (تهذيب التهذيب ١١/٣ - ١٥).

(٦) ثابت بن أسلم البتاني أبو محمد وقيل بنانة الذين منهم ثابت هم بنو سعد بن لؤي بن غالب سمع أنس بن مالك وابن عمر وعبد الله بن الزبير وغيرهم وعنه حماد بن زيد وحماد بن سلمة وهمام بن يحيى وغيرهم مات سنة ١٢٧ هـ وهو ابن ٨٦ سنة (الجمع ١/١ - ٦٦).

(٧) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن خرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار أبو حمزة ويقال أبو ثمانية الأنصاري البخاري خادم رسول الله ﷺ، وصاحبه توفي سنة ٩٠ هـ وقيل بعدها. (البداية والنهاية ٩٨/٩ - ١٠٢).

(٨) الحديث رواه مسلم في الصحيح. كتاب البر والصلة - باب خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك عن أنس بلفظ «لا يتمالك» ٤٤٠/٢ ومجى لا يتمالك: يعني لا يملك نفسه عن الشهوات في (هامش مسلم) وأحمد في مسنده عن أنس ١٥٢/٣.

(٩) يونس بن محمد بن مسلم أبو محمد المؤدب البغدادي الحافظ روى عن الحمادين والليث وخلق وعنه ابنه إبراهيم وأحمد وابن المدينة وابنا أبي شيبة قال ابن معين ثقة وقال يعقوب بن شيبة ثقة وقال أبو حاتم صدوق. توفي سنة ٢٠٧ هـ. (طبقات الحفاظ ١٦١، وتهذيب التهذيب ٤٤٧/١).

(١٠) أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن الخصب بن رسته - واسمه إبراهيم بن الحسن بن يزيد بن مهرا بن الجرواني الضبي يروي عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الزبيبي وغيره توفي سنة ٣٨٦ هـ. (الأنساب ٢٣٦/٣).

(١١) في المطبوعة: الزبيبي، وهو: أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله العسكري الزبيبي من عسكر مكرم إحدى كور الأهواز، يروي عن محمد ابن بشار بن دار وغيره وعنه أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن الخصب الأصبهاني وغيره توفي سنة... وثلاثمائة. (الأنساب ٢٤٦/٦).

(١٢) ساقطة من (د) وهو: الإمام الكبير الحافظ بندار أبو بكر محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري النساج كان عالماً بحديث البصرة متقناً مات سنة ٢٥٢ هـ. (تذكرة الحفاظ ٥١١/٢).

(١٣) ابن أبي عدي: محمد بن إبراهيم سبق.

(١٤) محمد بن جعفر الهذلي مولاهم أبو عبد الله البصري المعروف (غندر) صاحب الكرابيس روى عن شعبة أكثر من عشرين سنة وكان ربه وعن عوف الأعرابي ومعمربن راشد وابن جريج وخلق. روى عن ابن معين أنه ذكره فقال: كان من أصح الناس كتاباً وقال ابن مهدي غندر أثبت في شعبة توفي سنة ١٩٣ هـ (تهذيب التهذيب ٩٦/٩ - ٩٨).

(١٥) عبد الوهاب بن عطاء العجلي الخفاف البصري يكنى أبا نصر، قال الدارقطني ثقة وقال يحيى ليس به بأس وقال النسائي ليس بالقوي =

أخبرنا عوف^(١)، عن قسامة بن زهير المازني^(٢)، عن أبي موسى الأشعري قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود، وبين ذلك، والسهل^(٣) والحزن والخبيث والطيب»^(٤).

وقوله^(٥) ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾، قال السدي^(٦): قال ابن عباس^(٧): قال الله تعالى^(٨) لهم: إني خالق بشرآء، وإنهم يتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً، فلذلك (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها).

وقال أكثر المفسرين^(٩): إنهم قاسوا على الغائب، فقالوا^(١٠): أتجعل فيها من يفسد فيها كما فعل^(١١) بنو الجان.

وقوله تعالى^(١٢): ﴿ونحن نسبح بحمدك﴾ معنى «التسبيح»: تنزيه الله^(١٣) من كل سوء، وكل من أثنى على الله^(١٤) وبَعَدَهُ عن السوء فقد سبح الله.

قال الحسن^(١٥): معناه نقول سبحان الله وبحمده، وقال غيره: معنى قوله ﴿نسبح بحمدك﴾: نتكلم بالحمد لك (والنطق بالحمد لله تسبيح له^(١٥)) كما قال تعالى ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾^(١٦)، وقال ﴿فسبح بحمد

= توفي سنة ٢٠٦ هـ.

(الميزان ٦٨١/٢، الجمع ٣٢٧/١).

(١) قسامة بن زهير المازني التميمي البصري روى عن أبي موسى وأبي هريرة وعنه عوف الأعرابي وقتادة وهشام بن حسان قال العجلي بصري ثقة ووثقه ابن سعد له عند الترمذي وأبي داود حديث أبي موسى في خلق آدم، توفي في ولاية الحجاج على العراق. (تهذيب التهذيب ٣٧٨/٨).

(٢) في (د): الحزن والسهل.

(٣) عوف بن أبي جميلة العبدي الهجري أبو سهل البصري المعروف باسم الأعرابي روى عن أبي العالية وخلاس الهجري وقسامة بن زهير وغيرهم ولد سنة ٥٩ هـ وتوفي سنة ١٤٦ هـ (تهذيب التهذيب ١٦٦/٨ - ١٦٧).

(٤) الحديث رواه الحاكم في المستدرک - كتاب التفسير - عن أبي موسى وصححه ٢٦١/٢ - ٢٦٢، والترمذي - كتاب التفسير - سورة البقرة - عن أبي موسى رقم ٤٠٣١ وقال: حسن صحيح - ٢٧٣/٤.

وأبو داود - كتاب السنة - باب في القدر عن أبي موسى رقم ٤٦٩٣ - ٢٢٢/٤ ومسند أحمد ٤٠٠/٤ - ٤٠٦ والحلية ١٣٥/٨ عن أبي موسى.

(٥) في (د): قوله تعالى.

(٦) في (د): قال البلدي.

(٧) انظر الطبري ٤٥١/١ - ٤٥٢ عن السدي عن ابن عباس وكذا ابن كثير ٧٠/١ والدر ٤٥/١ عن ابن عباس وغريب القرآن ص ٤٥ وغرائب النيسابوري ٢١٧/١ عن ابن مسعود.

(٨) ساقطة من (د).

(٩) انظر الزجاج ٧٦/١ والمستدرک ٢٦١/٢ وابن كثير ٦٩/١ عن القرطبي.

(١٠) في المطبوعة: قالوا.

(١١) في (د): فعلوا.

(١٢) من (أ).

(١٣) في (د): الله تعالى.

(١٤) انظر الطبري ٤٧٤/١ عن الحسن، والبغوي ٤٥/١ عن الحسن.

(١٥) في (د): تسبيح كما قال (والملائكة...).

(١٦) سورة الشورى ٥/.

ربك ﴿ (١) ﴾ (٢)، أي احمده، ويكون حمد الحامد له تسييحاً له، لأن معنى الحمد (٣): الثناء عليه والشكر له، وهذا: تنزيه له واعتراف أنه أهل لأن ينزه (٤) ويعظم ويشنى عليه. قوله تعالى: ﴿ (٥) ونقدس لك ﴾ أي: نظهرك وننزهك عما لا يليق بك من النقص، و«اللام» فيه صلة، و«التقديس»: التطهير، و«القدس» الطهارة، و«البيت المقدس»: المطهر (٦).

وقوله ﴿ (٧) قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ قال ابن عباس (٨): يعني إضمار إبليس العزم على المعصية، وما اطع عليه من كبره. وقال قتاده (٩): ﴿إني (١٠) أعلم ما لا تعلمون﴾: أنه يكون في أولاد آدم من هو من أهل الطاعة.

وقيل: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ من تفضيل آدم عليكم وما أتبعكم به من السجود له، وأفضله به عليكم من تعليم الأسماء، وذلك أنهم قالوا - فيما بينهم - ليخلق ربنا ما يشاء فلن يخلق خلقاً أفضل ولا أكرم (١١) عليه منا، وإن كان خيراً منا فنحن أعلم منه، لأننا خلقنا قبله، ورأينا ما لم يره، فلما أعجبوا بعلمهم فضل الله آدم عليهم بالعلم، فعلمه الأسماء كلها (١٢) وذلك قوله:

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾
قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَقَادِمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ
بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّايَ تَعْلَمُونَ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٣﴾

﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ ووجه تعليمه آدم، أن خلق في قلبه علماً بالأسماء على سبيل الابتداء وألهمه العلم بها.

قال ابن عباس ومجاهد وقتاده (١٣): علمه اسم كل شيء، حتى القصعة والمغرفة. وقال أهل التأويل (١٤): إن الله تعالى علم آدم جميع اللغات، ثم إن أولاده تكلم كل واحد منهم بلغة أخرى فلما تفرقوا في البلاد اختص كل فرقة منهم بلغة فاللغات كلها إنما سمعت من آدم وأخذت عنه.

(١) سورة الحجر/ ٩٨ والنصر/ ٣.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(٣) في (د): الحمد لله.

(٤) في (د): تنزيه.

(٥) انظر الدرر/ ٥٠/١ عن ابن مسعود وناس من الصحابة وابن كثير ٧٤/١ عن ابن عباس والطبري ٤٧٦/١ والبحر/ ١٤٤/١ - ١٤٥ عن ابن عباس ومجاهد والسدي.

(٦) انظر الدرر/ ٤٦/١ عن قتادة وابن كثير ٦٩/١، ٧١ عن قتادة والطبري ٤٧٩/١ والبحر/ ١٤٥ عن قتادة.

(٧) ساقطة من (د).

(٨) في (هـ): والأكرم.

(٩) انظر الدرر/ ٤٦/١ عن ابن عمر، ٤٩/١ عن الحسن وقتادة وابن كثير ٧١/١ عن ابن عباس.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ص ٧ ومجاهد ص ٧٣ وغريب القرآن ص ٤٥ والزجاج ٧٨/١ والدرر/ ٤٩ عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقتادة وابن كثير ٧٣/١ عنهم والطبري ٤٨٢/١، ٤٨٥ والبحر/ ١٤٥ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جبيرة.

(١١) انظر غرائب النيسابوري/ ٢٢٠/١ عن الأشعري والجبائي والكعبي والبحر/ ١٤٥.

وقوله تعالى: ^(١) ﴿ثم عرضهم على الملائكة﴾ معنى «العرض» في اللغة: الإظهار ومنه عرض الجارية وعرض الجند، يقال: عرضت المتاع على البيع إذا أظهرته للمشتري قال الله تعالى ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً﴾ ^(٢) قال الفراء: ^(٣) أي، أبرزها حتى رأوها.

قال مقاتل ^(٤): إن الله تعالى خلق كل شيء ^(٥): الحيوان والجماد ثم علم آدم أسماءها ثم عرض تلك الشخوص الموجودات على الملائكة، ولذلك قال ﴿ثم عرضهم﴾ لأنه كنى عن المسمين والمسميات وكان فيهم من يعقل من الجن والأنس والملائكة.

وقوله ^(٦) ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء﴾ أي: أخبروني، و«النبأ» الخبر، وهذا أمر تعجيز، أراد الله تعالى أن يبين عجزهم عن علم ما يرون ويشاهدون فلا يظنون أنهم أعلم من الخليفة الذي يجعله الله في الأرض.

وقوله تعالى: ^(٧) ﴿إن كنتم صادقين﴾، قال قتادة والحسن ^(٨): ﴿إن كنتم صادقين﴾ أنني لا أخلق خلقاً إلا كنتم أعلم منه وأفضل منه ^(٩).

فقال الملائكة - إقراراً بالعجز واعتذاراً - ﴿سبحانك﴾: قال ابن عباس ^(١٠): تنزيهاً لك وتعظيماً عن أن يعلم الغيب أحد سواك.

وقيل ^(١١): تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك في حكمك.

وهو منصوب على المصدر عند الخليل والفراء ^(١٢)، إذا قلت: سبحان الله فكأنك قلت سبحت الله تسييحاً وسبحاناً، فجعل السبحان ^(١٣) في موضع التسييح، كما تقول: كفرت عن يميني تكفيراً وكفراناً، وكلمته كلاماً، وسلمت سلاماً، قال الله تعالى ﴿وسرحوهن سراحاً﴾ ^(١٤)

قال سيويه ^(١٥): يقال: سبحت الله تسييحاً وسبحاناً، فالمصدر: تسييح، وسبحان اسم يقوم مقام المصدر.

(١) في غير (أ): وقوله.

(٢) سورة الكهف/ ١٠٠.

(٣) انظر معاني القرآن للأخفش ٩٦/١ عن الفراء، ١٠٠/١ عن أبي عبيدة ومعاني القرآن للفراء ٢٦/١.

(٤) انظر البغوي ٤٧/١ عن مقاتل وابن عباس ص ٧ ومجاهد ص ٧٣ والبحر ١٤٦/١ عن ابن مسعود وغريب القرآن ص ٤٦ والتبيان ٤٨/١ ومجاز القرآن ٣٦/١ والزجاج ٧٨/١.

(٥) في (د): من الحيوان. (٦) من (د).

(٨) انظر الدر ٤٩/١ عن قتادة والحسن، والطبري ٤٩٠/١ عنهما وابن كثير ٧٣/١ - ٧٤ عنهما.

(٩) ساقطة من (د).

(١٠) انظر الدر ٤٩/١ عن ابن عباس والطبري ٤٩٥/١ عن ابن عباس.

(١١) انظر مجاز القرآن ٣٦/١.

(١٢) انظر القرطبي ٢٨٧/١ عن الخليل وسيويه والزاهر ١٤٥/١ عن الفراء والأخفش ٢٢٠/١.

(١٣) في (د): سبحان.

(١٤) سورة الأحزاب/ ٤٩.

(١٥) انظر الكتاب لسيويه ٣٢٤/١ والتبيان ٤٩/١ والمشكل ٨٦/١.

وقوله ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ قال المفسرون: هذا اعتراف عن^(١) الملائكة بالعجز عن علم ما لم يعلموه^(٢) فكانهم^(٣) قالوا ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ وليس هذا مما علمتنا، فجاء^(٤) الكلام مختصراً.
وقوله ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾^(٥) أي: العالم ﴿الْحَكِيمُ﴾: الحاكم تحكم بالعدل وتقضي به و﴿الْحَكِيمُ﴾ القضاء بالعدل قال النابغة^(٦):

وأحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام سراع وارد الشمد

ويجوز أن يكون «الحكيم» بمعنى المحكم للأشياء، كالأليم بمعنى المؤلم، والسميع بمعنى المسمع في قول عمرو بن معد يكرب^(٧):

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ قال المفسرون^(٨): لما ظهر عجز الملائكة عن علم أسماء الموجودات قال الله عز وجل^(٩) ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ فسمى كل شيء باسمه، وألحق كل شيء بحقه ﴿فلما أنبأهم بأسمائهم﴾ أخبرهم بتسمياتهم ﴿قال ألم أقل لكم﴾، «لم» حرف نفي وصل بألف الاستفهام، فصر بمعنى الإيجاب والتقرير كقول جرير^(١٠):

أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راج

وقوله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ما غاب فيهما عنكم وهذا كقوله ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١١) أي: له ما غاب فيهما ملكاً وخلقاً.

﴿وَأَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ﴾ من قولكم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسُدُ فِيهَا﴾^(١٢)، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من إضمار^(١٣) إبليس

(١) في (د): من

(٣) في (د): كأنهم.

(٢) في (هـ): عن علم ما يعلموه.

(٤) في (د): في الكلام مختصراً.

(٥) العبارة في (د): (إنك أنت العليم الحكيم) أي العالم الحاكم الذي يحكم بالعدل.

(٦) البيت في ديوان النابغة ص ٢٦ من قصيدة: يا دار مية، قال النابغة هذه القصيدة مادحاً الملك النعمان بن المنذر، ومعتذراً إليه عما رما به المنخل الشكري ويرى نفسه من وشائتهم والذي في الديوان بلفظ: أحكم... حمام إشراع.

والشمذ: الماء القليل، وقد قال أبو عبيدة: قتادة الحي هي زرقاء اليمامة.

والبيت في الكتاب لسببونه ١٦٨/١ وأدب الكاتب ص ٢٥ (وهو من بحر البسيط).

(٧) عمرو بن معديكرب بن عبد الله بن عمرو بن عاصم بن عمرو الزبيدي المدجحي أبو ثور أحد الفرسان المشاهير الأبطال قدم على النبي ﷺ مع وفد مراد - وقيل وفد زبيد - وشهد وقعة اليرموك توفي سنة ٢١ هـ (البداية والنهاية ١٣١/٧) والبيت مذكور في الزاهر لابن الأنباري ١٧٦/١، ٢٠٧، ٥٨٦ والبيان ٥٢١/٢ ومجاز القرآن ٢٨٢/١ وكتاب الاختيارين للأخفش الأصغر ص ٣٦٣ من قصيدة رقا ٥٨ والبحر ٥٩/١ والكامل للمبرد ٢٠١/١ (وهو بحر الوافر).

(٨) في (هـ): وقوله يا آدم.

(٩) انظر الدر ٥٢/١ عن عطاء وابن كثير ٧٤/١ عن الحسن وقاتدة وسعيد بن جبير.

(١٠) في (د): قوله تعالى.

(١١) البيت لجرير في مدحه عبد الملك - أول مرة دخل عليه - يصفهم بالفروسية والجود. انظر شرح ديوان جرير - المقدمة - ص ٧ - وهو ضمن قصيدته ص ١١٧ وفي البحر ١٤٢/١ ومعاني القرآن للأخفش ١١٩/١ ومجاز القرآن ٣٦/١.

(١٢) سورة هود/ ١٢٣ وفي المطبوعة ٢٣، وسورة النحل/ ٧٧ (١٣) سورة البقرة/ ٣٠. (١٤) في (د): اخبار.

الكفر. وقال الحسن وقتادة^(١): ﴿وما كنتم تكتمون﴾ يعني قولهم: لن يخلق الله خلقاً أفضل ولا أعلم منا.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾

قوله^(١) ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ موضع «إذ»^(٢) نصب نسقاً على «إذ»، التي قبلها^(٤). وقوله ﴿قلنا﴾: هو خطاب الأكابر والعظماء، يقول الواحد منهم فعلنا^(٥)، لعلمه بأن أتباعه يفعلون كفعله، فأخبر الله تعالى عن نفسه على الجمع لأنه ملك الملوك. واختلفوا في «الملائكة» الذين أمروا بالسجود لآدم، من هم؟ فقال بعضهم^(٦): هم الذين كانوا مع إبليس في الأرض. وقال آخرون^(٧): هم جميع الملائكة حتى جبريل وميكائيل، لأنه قال (فسجد الملائكة كلهم^(٨) أجمعون) وفي هذا تأكيد للعموم.

وأصل «السجود» في اللغة: الخضوع والتذلل، وكل من ذل وخضع لما أمر به فقد سجد^(٩). وسجود كل موات في القرآن: طاعته لما سخر له.

وقال أبو عبيدة^(١٠): «عين ساجدة»: إذا كانت فاترة، و«نخلة ساجدة» إذا مالت لكثرة حملها.

وكان سجود الملائكة لآدم على جهة التكريم، فكان ذلك تكريماً لآدم وطاعة لله^(١١) ولم تكن عبادة لآدم^(١٢)

(١) عن الحسن وقتادة.

(٢) في (د): قوله تعالى.

(٣) في (د، هـ): «إذ» في موضع نصب.

(٤) انظر إعراب «إذ» عند الزجاج ٨٠/١ والتبيان ٤٦/١ والمشكل ٨٥/١.

(٥) انظر الرازي ١٦٥/٢ رواية الضحاك عن ابن عباس.

(٦) في (هـ): فعلنا وصنعنا.

(٧) انظر الرازي ١٦٥/٢ وفي حاشية (أ) وهو الأصح وانظر الطبري ٥٠١/١-٥٠٨ والبحر ١٥٢/١ والبغوي ٤٨/١ وغرائب النسابوري

٢٥٢/١

(٨) ساقطة من (د) والتصحيح من المصحف، سورة الحجر/٣٠، ص/٧٣.

(٩) انظر الزاهر ١٤١/١ والقرطبي ٢٩١/١ وفتح القدير ٦٦/١.

(١٠) انظر (اللسان /سجد).

(١١) في (د): لله تعالى.

(١٢) انظر الزاهر ١٤١/١ والدر ٥٠/١ عن ابن عباس وابن كثير ٧٧/١.

وحكى ابن الأنباري - عن الفراء وجماعة من الأئمة: (١) أن، سجود الملائكة لآدم كان تحية (٢) ولم يكن عبادة، وكان ذلك سجود تعظيم وتسليم وتحية، لا سجود صلاة (٣) وعبادة وكان ذلك تحية الناس وتعظيم بعضهم بعضاً ولم يكن وضع الوجه (٤) على الأرض، فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام.

و«آدم» سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض (٥) وقيل: إنه كان «آدم» بالعبرانية وهو التراب فعربته العرب فقالوا: آدم.

وقوله (٦) ﴿فسجدوا لإبليس﴾ قال أكثر أهل اللغة والتفسير (٧): سمي «إبليس» بهذا الاسم لأنه أبلس من رحمة الله، أي: أينس (٨)، والمبلس: المكتئب الآيس الحزين وفي القرآن ﴿فإذا هم مبلسون﴾ (٩).

وقال ابن الأنباري (١٠): لا يجوز أن يكون مشتقاً من أبلس، لأنه لو كان كذلك لانصرف (١١) ونون كما ينون «إكليل وإحليل» وبابه، وترك التنوين في القرآن: يدل على أنه أعجمي معرب معرفة، والأعجمي لا يعرف له اشتقاق.

قال مجاهد وطاووس عن ابن عباس (١٢): كان إبليس قبل أن يركب (١٣) المعصية ملكاً من الملائكة أسسه عزازيل، وكان من سكان الأرض، وكان سكان (١٤) الأرض من الملائكة يسمون الجن، ولم يكن من الملائكة ألبس اجتهاداً، ولا أكثر علماً منه، فلما تكبر على الله وأبى (١٥) السجود لآدم، وعصاه طرده الله ولعنه، وجعله شيطاناً وسماه «إبليس» وهذا قول ابن مسعود وابن جريج وقتادة وأكثر المفسرين.

وقوله (أبي)، أي: أبي (١٦) السجود ولم يسجد، وقوله ﴿واستكبر﴾، ومعنى (١٧) «الاستكبار» الأنفة بما لا ينبغي أن يؤتف (١٨) منه.

وقوله ﴿وكان من الكافرين﴾ أي: صار (١٩)، كقوله ﴿وحال بينهما الموج فكان من المغرقتين﴾ (٢٠)، والأكثرون (٢١): وكان في سابق علم الله من الكافرين.

(١) انظر تفسير ابن عباس ص ٧ والفراء ٨٨/٢ والزاهر ١٤٢/١ والطبري ٥١٢/١ وغرائب النيسابوري ٢٤٠/١ عن قتادة وابن كثير ٧٧/١.

(٢) في (د): لآدم. (٣) في (هـ): صلاة وتحية وعبادة.

(٤) انظر الزجاج ٨٠/١، ٤٢٧، والتبيان ٤٨/١ والمشكل ٨٧/١ والطبري ٤٨٠/١ - ٤٨١، والزاهر ٤٨٩/١ عن ابن عباس والدر ٥٠/١ عن ابن عباس ٤٧/١ عن علي.

(٥) انظر الزاهر ٥٥/١، ٨٩ عن قطرب، ومجاز القرآن ٣٨/١، الطبري ٥٠٩/١ عن ابن عباس والسدي. (٦) في (د): قوله.

(٧) قال أبو عبيد: هو مشتق من أبلس إذا يش من الخيل لكنه لا نظيره في الأسماء وهو معرفة فلم ينصرف (المشكل ٨٧/١).

(٨) في (هـ): يش. (٩) سورة الأنعام/ ٤٤.

(١٠) ساقطة من (د).

(١١) انظر الطبري ٥٠٢/١ - ٥٠٣ عن ابن عباس وابن مسعود والزجاج ٨٢/١ والدر ٥٠/١ عن ابن عباس وابن كثير ٧٧/١ عن طاووس ومجاهد عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة وابن جريج.

(١٢) في (د): ارتكب.

(١٣) ساقطة من (هـ).

(١٤) في (هـ): وأبأ.

(١٥) انظر تفسير ابن عباس ص ٧ وابن كثير ٧٧/١ عن القرطبي، ٧٨/١ عن ابن فورك وفتح القدير ٦٦/١.

(١٦) في (هـ): أبأ.

(١٧) في غير (أ): معنى.

(١٨) في (د): أمو لومته.

(١٩) انظر ابن كثير ٧٨/١.

(٢٠) سورة هود/ ٤٣.

(٢١) انظر تفسير ابن عباس ص ٧ وابن كثير ٧٧/١ عن القرطبي، ٧٨/١ عن ابن فورك وفتح القدير ٦٦/١.

وقوله (١) ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ أي : اتخذها مأوى ومنزلاً (٢) وليس معناه : استقر في مكانك ولا تتحرك، وهذا اللفظ مشترك، يقال : أسكنه أي : أزال حركته، وأسكنه مكان كذا (٣) : أي جعله مأوى ومنزلاً له (٤).

وقوله (٥) ﴿وزوجك﴾ لفظ مذكر، ومعناه : مؤنث، وكان الأصمعي (٦) يؤثر ترك «الهاء» في «الزوجة» والقرآن كله عليه.

وقوله ﴿وكلا منها رغدا﴾ «الرغد» (٧) أو «الرغد» سيمعة المعيشة قال امرؤ القيس (٨) :

بينما المرء (٩) تراه ناعماً يأمن الأحداث في عيش رغد (١٠)

قال الليث (١١) : «الرغد» أن يأكل ما شاء إذا شاء حيث شاء.

وقوله ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ (١٢)، معناه : لا تقرباها بالأكل لأن آدم عصى بالأكل منها، لا بأن قربها، وهو (١٣) نهي بأبلغ لفظ يكون، يقال : ما قربت هذا الأمر قربانا أي ما دنوت منه. و«الشجرة» في اللغة : ما لها ساق يبقى (١٤) في الشتاء، و«النجم» ما ليس له (١٥) ساق ومنه قوله تعالى : ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ (١٦).

واختلفوا في «الشجرة» التي نهي آدم عنها، فقال ابن عباس وعطية (١٧) وهب وقتادة (١٨) : إنها السنبلة، وقال ابن

(١) في غير (أ) : وقوله تعالى، وفي (هـ) قوله تعالى (يا آدم...).

(٢) في (د) : ومثلاً.

(٣) في (د) : كذى.

(٤) انظر تفسير التسهيل لابن جزي ص ٤٤ ومجاز القرآن ٣٤/١، والزاهر ٢/٢١٠، والقرطبي ٢٤٠/١ عن الأصمعي.

والأصمعي : هو عبد الملك بن قُرَيْب الباهلي البصري الأصمعي اللغوي الأخباري أبو سعيد سمع من ابن عون والكبار وأكثر عن أبي عمرو بن العلاء. وكانت الخلفاء تحبه وتجالسوه عاش ٨٨ سنة ونوادره تحتل مجلدات وثقه ابن معين توفي سنة ٢١٦ هـ.

(تهذيب التهذيب ٦/٤١٥ - ٤١٧ وشذرات ٢/٣٦ - ٣٧).

(٥) ساقطة من (د).

(٦) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يمانى الأصل ولد بنجد اشتهر بلقبه وكان أبوه ملك أسد

وغطفان توفي سنة ٨٠ قبل الهجرة. (الأعلام ١/٣٥١).

(٧) في (هـ) : المري.

(٨) انظر البيت في تفسير الطبري ١/٥١٥ «قال المحقق : لم أجد البيت فيما جمعوا من شعر امرئ القيس» وانظر البحر ١/١٥٥ عن

امرئ القيس، والقرطبي ١/٣٠٣ بلا عزو.

(٩) انظر معنى «الرغد» في غريب القرآن ص ٤٦ والدر ١/٥٢ عن ابن عباس، ١/٥٣ عن قتادة ومجاز القرآن ١/٣٨، ١/٣٦٩.

(١٠) في (د) الشجرة فتكونا.

(١١) في (د) : على ساق.

(١٢) في غير (أ) : فهو.

(١٣) في (د) والمطبوعة : وتبقى.

(١٤) عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي القيس الكوفي أبو الحسن، روى عن أبي سعيد وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وعكرمة

وعدي بن ثابت وغيرهم قال أحمد ضعيف الحديث وقال الدوري عن ابن معين : صالح وضعفه أبو حاتم مات سنة ١١١ هـ وقيل سنة

١٢٧ هـ. (تهذيب التهذيب ٧/٢٢٥).

(١٥) انظر الطبري ١/٥١٧ عن ابن عباس وعطية وأبي مالك وقتادة وغرائب النيسابوري ١/٢٥٤ عن ابن عباس وابن كثير ١/٧٩ عن ابن

عباس وفتح القدير ١/٧٠ عنه والدر ١/٥٢ عنه ١/٥٣ عن أبي مالك الغفاري.

مسعود والسدي^(١): هي الكرم، وقال ابن جريج^(٢): إنها التين.

وقوله ﴿فتكونا من الظالمين﴾ أي: من العاصين الذين وضعوا أمر الله في غير موضعه، وأصل «الظلم» وضع الشيء في غير موضعه، ومن أمثال العرب: «ومن شابه أباه فما ظلم»^(٤) قال الأصمعي^(٥): أي ما وضع الشبه غير موضعه.

قوله ﴿فأزلهما الشيطان﴾^(٦) أي: نحاهما وبعدهما، يقال: زلت قدمه زللاً وزليلاً، إذا لم تثبت وأزلهما صاحبها، إذا حملها على الزلل.

وقرأ حمزة^(٧) «فأزلهما»: يقال زال عن مكانه وأزاله غيره. ونسب الفعل إلى الشيطان لأن زوالهما عنها إنما كان بتزيينه وتسويله، فلما كان ذلك منه بسبب^(٨) أسند الفعل إليه.

وقوله^(٩) ﴿فأخرجهما مما كانا فيه﴾ أي: من الرثية والمنزلة ولين العيش قال المفسرون^(١٠) إن الحية أدخلت إبليس الجنة حتى قال لآدم ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾^(١١) فأبى أن يقبل منه، ففاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين فاغترا وما كانا يظنان أن أحداً يحلف بالله كذبا، فبادرت حواء إلى أكل الشجرة، ثم ناولت آدم حتى أكلها.

وقال الحسن^(١٢): إنما رآهما على باب الجنة، لأنهما كانا يخرجان من الجنة.

وقوله ﴿وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ «الهبوط» النزول من علو إلى أسفل والخطاب لآدم وحواء والحى وإبليس^(١٣)

(١) انظر الطبري ٥١٩/١ عن ابن عباس وابن مسعود والسدي والشعبي والدر ٥٣/١ عن ابن عباس وابن مسعود وكذا فتح القدير ٢٠/١ وابن كثير ٧٩/١ عن ابن عباس وابن مسعود والسدي.

(٢) انظر الطبري ٥٢٠/١ عن ابن جريج وابن كثير ٧٩/١ عن مجاهد وقتادة وابن جريج والدر ٧٠/١ عن مجاهد وقتادة وكذا غرائب النيسابوري ٢٥٤/١.

(٣) انظر في (د): من أمثال.

(٤) انظر الزاهر ٢١٤/١ قال كعب بن زهير:

أقول كما قال قبلي عالم بهن ومن أشبه أباه فما ظلم

واللسان / ظلم.

(٥) انظر الزاهر ٢١٤/١.

(٦) في (د) والمطبوعة: (فأزلهما الشيطان عنها).

(٧) قارئ الكوفة أبو عمارة حمزة بن حبيب التيمي - تيم الله - بن ربيعة الكوفي الزيات الزاهد أحد السبعة قرأ على التابعين وتصحب للإقراء، وكان رأساً في القرآن والفرائض قدوة في الورع توفي سنة ١٥٦ هـ وقيل سنة ١٥٨ (شذرات ٢٤٠/١).

قرأ حمزة (فأزلهما) بألف خفيفة، وقرأ الباقون (فأزلهما) مشددة اللام.

انظر السبعة ص ١٥٤ الحجة لأبي زرعة ص ٩٤ والنشر ٢١١/٢ والزجاج ٨٣/١، والتبيان ٥٣/١ والمصاحف لابن أبي داود ص ٥٧ والحجة لابن خالويه ص ٧٤.

(٨) في (هـ): بسببه. (١٠) انظر الطبري ٥٢٥/١ - ٥٢٧، ٥٣٠ والدر ٥٣/١ عن ابن مسعود وناس من الصحابة.

(٩) في (د) قوله. (١١) سورة طه / ١٢٠.

(١٢) انظر البيهقي ٤٩/١ عن الحسن وغرائب النيسابوري ٢٥٩/١ وابن كثير ٨١/١ والرازي ١٥/٣ عن الحسن.

(١٣) انظر الطبري ٥٣٥/١ عن أبي صالح والسدي ومجاهد.

و«العدو» اسم يقع على الواحد والجميع والذكر والأنثى وأراد بهذا: العداوة التي بين آدم وحواء، والحية وبين ذرية آدم من المؤمنين وإبليس^(١).

أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي^(٢)، أخبرنا أبو عمرو بن مطر^(٣) حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي^(٤) حدثنا يحيى بن يحيى^(٥) حدثنا عباد بن العوام^(٦)، عن سفيان بن حسين^(٧)، عن يعلى بن مسلمة^(٨)، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: «أن آدم عليه السلام^(٩) لما أكل من الشجرة التي نهي عنها، قال الله تعالى له: يا آدم، ما حملك على ما صنعت؟ فاعتل آدم، فقال: يا رب زينت لي حواء، قال: فإني أعقبتها أن^(١٠) لا تحمل إلا كرها، ولا تضع إلا كرها، ودميتها في الشهر مرتين، فرنت حواء عند ذلك، فقيل: عليك الرنة، وعلى بناتك^(١١)».

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصراباذي أخبرنا أبو الحسن العطار^(١٢) أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار^(١٣) حدثنا الحسن بن عرفة^(١٤) حدثني عبدة بن سليمان^(١٥) عن صالح بن حيان^(١٦) قال: رأيت عبد الله بن عمر يعالج حية صغيرة يريد أن يقتلها فقلت: ما تصنع؟ قال^(١٧): قال رسول الله^(١٨) ﷺ: «ما سالمناهن منذ عادينا فاقتلوهن حيث وجدتموهن»^(١٩).

(١) انظر غريب القرآن ص ٤٦ والبحر ١/١٦٢ عن ابن عباس والسدي.

(٢)، (٣)، (٤)، (٥) سبق.

وفي (د): الأستاذ الإمام أبو منصور البغدادي.

(٦) عباد بن العوام بن عمر بن عبد الله بن المنذر بن مصعب بن جندل أبو سهل مولى أسلم بن زرعة الكلابي روى له البخاري ومسلم توفي سنة ١٨٦ هـ (الجمع ١/٣٣٣).

(٧) سفيان بن حسين بن الحسن أبو محمد الواسطي قال أحمد: ليس بذلك في حديثه عن الزهري وقال النسائي: ليس به بأس إلا في الزهري وذكره ابن حبان في الثقات وهو ثقة في غير الزهري (تهذيب التهذيب ٤/١٠٧ - ١٠٨).

(٨) في (د): يعلى بن مسلم، وهو: يعلى بن مسلمة بن هرمز سمع من سعيد بن جبير وغيره وعنه ابن جريج روى له البخاري ومسلم (الجمع ٢/٥٨٧).

(٩) ساقطة من (د).

(١٠) في (د): والمطبوعة: ألا.

(١١) انظر الطبري ١/٥٢٧ عن ابن عباس والدر ١/٥٤ عنه وابن كثير ١/٢٠٦ عنه والكمال لابن الأثير ١/٣٤.

(١٢) عبد الملك بن يحيى بن زكريا بن محمد بن أبان أبو الحسين العطار الزعفراني يعرف بابن زكار روى عنه الدارقطني، وكان ثقة توفي سنة ٣٢٩ هـ. (تاريخ بغداد ١٠/٤٢٩).

(١٣) في المطبوعة: أحمد بن الحسين وهو: مسند بغداد أحمد بن الحسن بن عبد الجبار بن راشد أبو عبد الله الصوفي مشهور، وثقة الدارقطني وقال ابن المنادي عنه على إغماض توفي سنة ٣٠٦ وهو في عشر المائة.

(تذكرة الحفاظ ٢/٦٨٩، الميزان ١/٩١، تاريخ بغداد ٤/٨٢ - ٨٦).

(١٤) الحسن بن عرفة العبدي البغدادي المؤدب أبو علي قال النسائي لا بأس به توفي سنة ٢٥٧ هـ. (شذرات ٢/١٣٦).

(١٥) عبدة بن سليمان الكلابي - ويقال العامري - كان اسمه عبد الرحمن ولقبه عبدة فغلب عليه يكنى أبا محمد روى عنه ابنا أبي شيبة عثمان وأبو بكر وإسحاق بن راهويه توفي سنة ١٨٧ هـ. (كتاب الجمع ١/٣٣٦).

(١٦) صالح بن حيان القرشي الكوفي عن ابن بريدة، ضعفه ابن معين وقال مرة ليس بذلك وقال البخاري فيه نظر وقال النسائي: ليس بثقة وقال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ (الميزان ٢/٢٩٣).

(١٧) في (د): فقال.

(١٨) في غير (أ): النبي ﷺ.

(١٩) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب الصيد - باب قتل الحيات وضعفه ٣/٤٧.

قوله^(١) ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾: موضع^(٢) قرار، أحياء^(٣) وأمواتاً ﴿ومتاع﴾ هو ما تمتعت به من أي شيء كان وكل^(٤) ما حصل التمتع به فهو متاع، قال المفسرون^(٥): فلنا في الأرض متاع من حيث الاستقرار عليها والاعتناء بما تنبتها من الثمار والأقوات.

وقوله ﴿إلى حين﴾ «الحين»: وقت من الزمان يصلح للأوقات^(٦) كلها طال أم قصرت ويجمع على «الأحيان» ثم يجمع «الأحيان»: أحيان^(٧).

والمراد بالحين ها هنا فيما ذكره^(٨) أهل التفسير: حين الموت^(٩).

قوله^(١٠) ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾، «التلقي» - ها هنا - معناه: الأخذ والقبول، ومنه الحديث أن رسول الله ﷺ كان يتلقى الوحي من جبريل - عليه السلام^(١١) - (١٢) أي يتقبله ويأخذه.

وقال الأصمعي: تلقت الرحم ماء الرجل: إذا قبلته.

«الكلمات» جمع الكلمة^(١٣)، والكلمة: تقع على القليل والكثير، وتقع على الحرف الواحد من الهجاء ومعنى تلقى آدم من^(١٤) ربه الكلمات: هو أن الله تعالى ألهم آدم حتى اعترف بذنبه، وقال:

﴿ربنا ظلمنا أنفسنا...﴾^(١٥) الآية، فهذه الآية هي المعنية بالكلمات في قول الحسن وسعيد بن جبیر ومجاهد^(١٦).

= وانظر صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق - باب قول الله تعالى (وبث فيها من كل دابة) عن ابن عمر بلفظ: «اقتلوا الحيات واقتلوا الطفيتين والأبتر فإنهما يطمسان البصر ويسقطان الحبل قال عبد الله: فيينا أنا أطارد حية لأقتلها، فناداني أبو لبابة: لا تقتلها، فقلت: إن رسول الله ﷺ قد أمر بقتل الحيات، فقال: إنه نهي بعد ذلك عن ذوات البيوت وهي العوامر» ٢٢٤/٢.

وكذا رواه أبو داود - كتاب الأدب - باب في قتل الحيات - عن ابن عمر رقم ٥٢٥٢، ٣٦٤/٤ - ومصنف عبد الرزاق ٤٤٣/٤، ٤٣٤/١٠ عن ابن عمر بنحوه.

(١) في (د): وقوله.

(٢) في (د): أي موضع.

(٧) في (د): أحيان ها هنا.

(٨) في المطبوعة: ذكر.

(٣) في (د): أمواتاً وأحياء.

(٤) في (د): فكل.

(٩) انظر الزجاج ٨٤/١ وتفسير ابن عباس ص ٧ ومجاز القرآن ٢١٢/١.

(١٠) في (د): قوله تعالى.

(٥) انظر الطبري ٥٣٩/١ - ٥٤١ بنحوه.

(١١) ساقطة من (هـ).

(٦) في (هـ): للأوقات.

(١٢) انظر المستدرک - كتاب التفسير - عن أبي قال لعمر: إني تلقيت القرآن ممن تلقاه من جبريل وهو رطب وقال صحيح الإسناد (٢٢٥/٢).

وكذا في الفتح الرباني ١٩٨/٢٢.

وانظر مجاز القرآن ٣٨/١ في معنى «التلقي» والطبري ٥٤١/١ وغرائب النيسابوري ٢٦٠.

(١٣) في (د): كلمة.

(١٤) في (هـ): تلقى آدم الكلمات.

(١٥) سورة الأعراف ٢٣/٢٣.

(١٦) انظر البحر ١٦٥/١ عن ابن عباس والحسن وابن جبیر ومجاهد وغيرهم وكذا ابن كثير ٨١/١ والزجاج ٨٥/١ وتفسير مجاهد ص ٣ والدر ٥٩/١ عن مجاهد والحسن والضحاك والطبري ٥٤٣/١ عن الحسن.

أخبرنا أبو بكر التميمي، أخبرنا أبو الشيخ المحافظ، حدثنا أبو يحيى عبد الرحمن بن محمد الرازي، حدثنا سهل ابن عثمان العسكري حدثنا المحاربي^(١) وعبيدة بن حميد عن أبان^(٢)، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «لما أصاب آدم الخطيئة فرغ إلى كلمة الإخلاص فقال: لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، عملت سوءاً، وظلمت نفسي، فاغفر لي وأنت خير الغافرين، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، عملت سوءاً وظلمت نفسي، فتاب علي إنك أنت التواب الرحيم»^(٣)

وروى المنهال بن^(٤) عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال «الكلمات» هي:

أن آدم عليه السلام قال: يا رب ألم تخلقني بيديك؟ قال: بلى، قال: ألم تسكنني جنتك؟ قال: بلى، قال: فلم أخرجتني منها؟ قال: بشؤم معصيتك قال: يا رب أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم، قال فهذه «الكلمات»^(٥).

وقرأ ابن كثير^(٦): ﴿آدم﴾ بالنصب، و﴿كلمات﴾ بالرفع، وذلك أن من الأفعال ما يكون إسناده إلى الفاعل كإسناده إلى المفعول، وذلك نحو: أصبحت، ونلت، ولقيت تقول: (٧) نالني خير ونلت خيراً، وأصابني خير وأصبت خيراً، وتقول^(٨): لقيني زيد ولقيت زيداً، قال الله تعالى ﴿وقد بلغني الكبر﴾^(٩) وقال ﴿وقد بلغت من الكبر عتياً﴾^(١٠) وإذا كانت معاني هذه الأفعال كما ذكرنا، فنصب ابن كثير «آدم» ورفع «الكلمات» في المعنى، كقول من رفع «آدم» ونصب «الكلمات»^(١١)

وقوله تعالى: ﴿فتاب عليه﴾ معنى «التوبة» في اللغة: الرجوع، وفي الشريعة: رجوع العبد من^(١٢) المعصية

(١) المحاربي: عبد الرحمن بن محمد المحاربي الكوفي يكنى أبا محمد سمع صالح بن حيان الهمداني وفضيل بن غزوان توفي سنة ١٩٥، روى له البخاري ومسلم.

(٢) كتاب الجمع ٢٨٧/١.

(٣) أبان بن أبي عياش فيروز ويقال دينار- مولى عبد القيس العبدي أبو إسماعيل البصري روى عن إبراهيم النخعي وسعيد بن جبير وشهر ابن حوشب وغيرهم قال عمرو بن علي متروك الحديث وهو رجل صالح، وقال أيوب السختياني: ما نزال نعرفه بالخير وتركه أحمد وأبو حاتم والنسائي (تهذيب الكمال ١٩/٢ - ٢٠).

(٤) انظر الطبري ٥٤٥/١ عن مجاهد والبحر ١٦٥/١ عن ابن عباس ومصنف ابن أبي شيبة ٢٢٧/١ عن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية والدر ١/٥٩ - ٦٠ عن ابن عباس وأنس والرازي ١٩/٣ - ٢٠ عن سعيد بن جبير.

(٥) المنهال بن عمرو الأسدي مولى لبني عمرو بن أسد بن خزيمة الكوفي، سمع سعيد بن جبير وروى عنه منصور بن المعتمر وزيد بن أبي أنيسة وثقه ابن معين والنسائي وقال الدارقطني صدوق (تهذيب التهذيب ٣١٩/١٠ - ٣٢٠، الجمع ٥٢٢/٢).

(٦) انظر المستدرک- كتاب التاريخ عن ابن عباس وقال صحيح الإسناد- ٥٤٥/٢ والطبري ٥٤٢/١ - ٥٤٣ عن ابن عباس والدر ١/٥٨ - ٥٩ عن ابن عباس وابن كثير ٨١/١ عن ابن عباس وفتح القدير ٧١/١ وفيه رواه الحاكم وصححه عن ابن عباس.

(٧) ابن كثير: عبد الله بن كثير ويكنى أبا سعيد - ويقال أبو بكر - من قراء مكة في الطبقة الثانية وإليه صارت الرئاسة توفي سنة ١٢٠ هـ. (الفهرست لابن النديم ص ٤٢ - ٤٣).

(٨) عودة النسخة (ج) بعد النقص.

(٩) سورة آل عمران ٤٠/ وهي متأخرة في (د) عن التي بعدها.

(١٠) سورة مريم/٨.

(١١) ساقطة من (د).

(١٢) انظر السبعة ص ١٥٤ والحجة لأبي زرعة ص ٩٤ والنشر ٢/٢١١ والحجة لابن خالويه ص ٧٥ والزجاج ٨٥/١.

(١٣) من (أ).

(١٤) في (د) والمطبوعة: عن.

إلى الطاعة، فالعبد يتوب إلى الله، والله يتوب عليه، أي: يرجع إليه^(١) بالمغفرة. ومعنى قوله ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ أي: هاد عليه بالمغفرة والرحمة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ أي: يتوب على عبده بفضله إذا تاب إليه من ذنبه.

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ كسر الأمر بالهبوط للتأكيد^(٢) ﴿فَإِذَا يَأْتِيكُمْ مِنْهُ هُدًى﴾ أي: إن يأتكم مني شريعة^(٤) ورسول وبيان ودعوة^(٥) ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ أي: قَبِلَ أَمْرِي، اتبع ما أمرته به ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ ولا هم يحزنون ولا حزن^(٦). والخطاب لآدم وحواء وذريتهما، أعلمهم الله تعالى أنه يتليهم بالطاعة، ويجازيهم بالجنة عليها وأن هذا الابتلاء وقع عند الهبوط إلى الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا﴾ بآياتنا. ﴿هَذِهِ آيَةٌ لِلْكَافِرِينَ بَكْتَابِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ، وَهِيَ مِمَّا خَاطَبَ اللَّهُ تَعَالَى (٨) بِهِ آدَمَ وَحَوَّاءَ، وَأَعْلَمَهُمَا أَنَّ الْكَافِرَ خَالِدٌ فِي النَّارِ.

و«الآيات» جمع آية، ومعنى «الآية» في اللغة: العلامة، ومنه قوله تعالى ﴿عِيدًا لَأَوْلَانَا وَآخِرًا وَآيَةً مِنْكَ﴾^(٩) أي: علامة منك لاجابتك دعاءنا وكل آية من كتاب الله تعالى: علامة ودلالة على المقيمون فيها.

وقال أبو عبيدة^(١٠): معنى «الآية»: أنها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها وانقطاعه عن الذي بعدها.

وقال ابن السكيت^(١١): يقال: خرج القوم بآيتهم^(١٢): أي: بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئاً وعلى هذا القول، معنى الآية من كتاب الله تعالى: جماعة حروف دالة على معنى مخصوص.

يَلْبَسِي إِسْرَءِيلَ أَدْذُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ ۚ وَعَامِنُوا إِنَّمَا
أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ بِهِ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِثْمِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنْقُوتُ ۚ وَلَا تَلْبَسُوا
الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ۚ
﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۚ ﴿٤٤﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ

(١) في (د): عليه.

(٢) في (ج، ه): قوله.

(٣) وقيل الهبوط الأول من الجنة إلى السماء الدنيا والهبوط الثاني من السماء الدنيا إلى الأرض (حاشية (أ)).

(٤) في (د): شريعة رسول.

(٥) انظر الطبري ٥٤٩/١ عن الربيع عن أبي العالية وابن كثير ٨٢/١ عن أبي العالية.

(٦) في حاشية (أ): «الخوف: على المترقب، والجنون: على ما فات».

(٧) ساقطة من (د).

(٨) من (أ).

(٩) سورة المائدة ١١٤/١.

(١٠) انظر مجاز القرآن ٥/١ والزاهر ١٧٢/١ عن أبي عبيدة.

(١١) انظر إصلاح المنطق ص ٣٠٤ والزاهر ١٧٢/١ - ١٧٣ والتبيان ٥٦/١ وغرائب النيسابوري ٢٦/١ واللسان / آيا.

(١٢) ساقطة من (د).

وَالصَّلَاةَ وَإِنهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: (١) ﴿يا بني إسرائيل﴾ يعني: يا (٣) أولاد يعقوب، و«إسرائيل» هو يعقوب، ولا ينصرف لاجتماع العجمة والمعرفة فيه (٤)، وكل اسم اجتماعا فيه وزاد عن ثلاثة أحرف لم ينصرف عند أحد من النحويين (٥).

وقوله تعالى: ﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ أراد: نعمي، فأوقع الواحد (٦) موقع الجماعة، كقوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ (٧).

وهذه «النعم» هي: أن الله تعالى فلق لهم البحر، وأنجاهم من عدوهم وظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، إلى سائر ما أنعم الله تعالى به عليهم، وهي المذكورة في قوله تعالى: (٨) ﴿اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء...﴾ (٩).

وأراد بقوله ﴿عليكم﴾ أي: على آبائكم وأسلافكم وجعلها عليهم لأن النعمة على آبائهم نعمة عليهم (١٠). فإن قيل: اليهود أبدأ يذكرون هذه النعم، فلم ذكروا ما لم ينسوه؟ قيل: المراد بقوله ﴿اذكروا﴾: اشكروا وذكر النعمة: شكرها، وإذا لم يشكروها حق شكرها فكانهم نسوها، وإن أكثرها ذكرها.

وقال ابن الأنباري (١١) أراد: اذكروا ما أنعمت به عليكم فيما استودعتكم من علم التوراة (١٢) وبينت لكم من صفة محمد ﷺ وألزمتمكم (١٣) من تصديقه واتباعه فلما بعث ولم يتبعوه كانوا كالناسين لهذه النعمة.

وقوله تعالى (١٤) ﴿وأوفوا بعهدي﴾ يقال: وفيت بالعهد وأوفيت به سواء أي: أتممته. قال ابن عباس (١٥): هذا العهد، هو: أن الله تعالى عهد إليهم في التوراة أنه باعث نبياً يقال له: محمد، فمن تبعه كان له أجران اثنان أجر باتباعه موسى وإيمانه بالتوراة، وأجر باتباعه محمداً عليه السلام (١٦) وإيمانه بالقرآن ومن كفر به تكاملت أوزاره وكانت النار جزاءه فقال الله عز وجل (١٧) ﴿وأوفوا بعهدي﴾ في اتباع محمد ﷺ ﴿أوف بعهدكم﴾ أدخلكم الجنة.

(١) في (هـ) قوله.

(٢) في (هـ) يعني أولاد.

(٣) (بني): جمع «ابن» جمع السلامة وليس بسالم في الحقيقة لأنه لم يسلم لفظ واحده في جمعه، واصل الواحد «بنو» على فعل - بتحريك العين - لقولهم في الجمع «أبناء» كجيل وأجيال. (التيان ٥٧/١).

(٤) ساقطة من (د).

(٥) انظر الزجاج ٨٨/١ والتيان ٥٧/١ والمشكل ٩٠/١ وغرائب النيسابوري ٢٦٨/١.

(٦) في (د): الواحدة.

(٧) سورة إبراهيم ٣٤/ والنحل ١٨.

(٩) سورة المائدة/٢٠.

(٨) في (أ): قوله.

(١٠) انظر الدر ٦٣/١ عن ابن عباس بنحوه.

(١١) انظر القرطبي ٣٣١/١ - ٣٣٢ عن ابن الأنباري، وفتح القدير ٧٤/١ عن ابن الأنباري.

(١٢) في (أ، ح، هـ): التوراة.

(١٣) في (ح): وأريتكم.

(١٤) في غير (أ): وقوله.

(١٥) انظر تفسير ابن عباس ص ٨ وعنده «أتموا عهدي في هذا النبي» والزجاج ٩٠/١ والطبري ٥٥٧/١ - ٥٥٩ عن ابن عباس وابن كثير

٨٣/١ وفتح القدير ٧٤/١ عن الزجاج.

(١٧) في (د): الله تعالى.

(١٦) في (د): (ص).

وقوله تعالى: (١) ﴿وإياي فارهبون﴾ أي: خافون في نقض العهد لا ما^(٢) يفوتكم من المآكل والرياسة.

وقوله عز وجل (٣) ﴿وآمنا بما أنزلت﴾ يعني: القرآن ﴿مصدقاً لما معكم﴾ موافقاً للتوراة في التوحيد والنبوة ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾ قال الفراء (٤): أراد: أول من يكفر به، وقال البصريون (٥): أراد أول فريق كافر أو حزب كافر، ثم حذف المنعوت وأقيم نعتة مقامه، والهاء في (١) «به» يعود إلى «ما» في قوله تعالى: ﴿بما أنزلت﴾ وهو القرآن.

والمعنى: ولا تكونوا أول كافر بالقرآن من أهل الكتاب لأن قريشاً كفرت قبل اليهود بمكة.

والخطاب لعلماء اليهود وإذا كفروا بالقرآن كفر أتباعهم فيكونون أئمة في الضلالة ﴿ولا تشتروا﴾: لا تستبدلوا (٧) ﴿بآياتي﴾ يعني: ما في التوراة من بيان صفة محمد ﷺ ونعته (٨). ﴿ثمناً قليلاً﴾: عرضاً يسيراً من الدنيا، وذلك: أن رؤساء اليهود كانت لهم مآكل يصيبيونها من سفلتهم وعوامهم فخافوا إن هم بينوا صفة محمد ﷺ وتابعوه أن تفوتهم تلك المآكل والرياسة واختاروا الدنيا على الآخرة ﴿وإياي فاتقون﴾ (٩) فاحشون في أمر محمد، لا ما يفوتكم من الرياسة.

قوله تعالى: (١٠) ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾ يقال: لبست الأمر ألبسه لبيساً، إذا خلطته وعميته، ومنه قوله تعالى: ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ (١١).

والمعنى: ولا (١٢) تخلطوا الحق الذي أنزلت عليكم من صفة محمد ﷺ بالباطل الذي تكتبونه بأيديكم من تغير صفته وتبديل نعته.

قال مقاتل (١٣): إن اليهود أقروا ببعض صفة محمد ﷺ وكتموا بعضاً، ليصدقوا في ذلك، فقال الله تعالى ﴿ولا تلبسوا الحق﴾ الذي تقرّون به وتبينونه ﴿بالباطل﴾ (١٤): يعني بما تكتُمونه، فالحق: بيانهم، والباطل: كتمانهم.

(١) في (د): وقوله.

(٢) في (هـ): لا يفوتكم.

(٣) في (د): قوله تعالى.

(٤) انظر الفراء ٣٢/١ وفتح القدير ٧٤/١ عن الفراء والأخفش والطبري ٥٦٢/١ وابن كثير ٨٣/١ عن أبي العالية.

(٥) انظر الزجاج ٩٢/١ والتبيان ٥٨/١ والمشكل ٩١/١ والبيان ٧٨/١.

(٦) في (د): والهاء به يعود.

(٧) وكل ما كان في القرآن من هذا قد نصب فيه الثمن، وأدخلت الباء في المبيوع أو المشتري فإن ذلك أكثر ما يأتي في الشئيين لا يكونان ثمناً معلوماً مثل الدنانير والدرهم فإن جئت إلى الدراهم والدنانير وضعت الباء في الثمن (معاني القرآن للفراء ٣٠/١).

(٨) انظر تفسير ابن عباس ص ٨.

(٩) الوقاية لغة: حفظ الشيء عما يؤذيه، وشرعاً: حفظ النفس عما يؤثمها، وقد تسمى التقوى خوفاً وخشية، ويسمى الخوف تقوى (حاشية أ).

(١٠) في (ج، هـ): قوله.

(١١) سورة الأنعام ٩/.

(١٢) في (د): لا تخلطوا.

(١٣) انظر البحر ١٧٩/١ - ١٨٠ عن مقاتل وأبي العالية والبغوي ٥٣/١ عن مقاتل والطبري ٥٦٧/١ - ٥٦٨ - ٥٧٢.

(١٤) في (ج): يعني (بالباطل).

وقوله تعالى: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ هو عطف على المجزوم^(١) في قوله ﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾ أي: ولا تكتتموا الحق ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن محمداً ﷺ نبي مرسل، قد أنزل عليكم^(٢) ذكره في كتابكم واليهود جحدوا نبوة محمد ﷺ مع العلم بأنه نبي، فلم ينفعهم ذلك العلم، لأن جاحد النبوة كافر.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٣) «الزكاة»: تطهير^(٤) للمال وإصلاح له وتثمير ونماء، كل ذلك قد قيل، وأصلها: من الزيادة، يقال: زكا الزرع يزكو زكاء^(٥) - ممدود - وكل شيء يزداد فهو يزكو، قال النابغة^(٦):

وما أخرت من دنياك نقص وإن قدمت عاد لك الزكاء

يعني الزيادة.

وسمي ما يخرج من المال للمساكين بإيجاب الشرع زكاة لأنها تزيد المال الذي يخرج^(٧) منه وتوفره وتقويه الآفات.

قوله تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ معنى «الركوع» في اللغة: الانحناء يقال للشيخ إذا انحنى^(٨) من الكبر: ركع، قال لبيد^(٩):

أخبر أخبار القرون التي مضت أدب كأنني كلما قسمت راع

قال المفسرون^(١٠): معناه: وصلوا مع المصلين محمد ﷺ وأصحابه، فعبر بالركوع عن جميع الصلاة إذ^(١١) كان ركناً من أركانها.

وإنما قال ﴿وَارْكَعُوا﴾ بعد قوله ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، لأنه أراد: الحث على إقامة الصلاة في جماعة. وقيل: لأنه^(١٢) لم يكن في دين اليهود ولا في صلاتهم ركوع فذكر ما اختص بشريعة الإسلام. والآية خطاب لليهود^(١٣).

(١) في غير (أ): وقوله.

(٢) ويحتمل أن يكون منصوباً أي لا تجمعوا بين هذا وهذا كما يقال: لا تأكل السمك وتشرب اللبن. (انظر ابن كثير ٨٤/١، والفراء ٣٣/١ والبيان ٧٨/١).

(٣) في (د) والمطبوعة: عليهم.

(٤) في (ح، هـ): قوله.

(٥) في جميع النسخ: الزكاة.

(٦) انظر الزاهر ١٨٧/٢ وفيه: وإن قدمت كان لك الزكاء، قال المحقق: «أخل به ديوان النابغة وهو بلا عزو في المقصود والمحدود للقالى ٣٠١/١ وشمس العلوم ٣٢٢/٢».

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (هـ).

(٨) في (ح): قوله، في (د، هـ): وقوله.

(٩) البيت في ديوانه ص ٨٩ في رثاء أخيه قصيدة رقم ٣٠ أدب: أمشي الدبيب وهو شبه الشيخ الهرم راع: بسبب شدة الانحناء من كبر السن، وانظر القرطبي ٣٤٤/١ وهو من (بحر الطويل) وهو في مفردات الراغب ص ٢٠٢ بلا عزو.

(١٠) انظر البحر ١٨١/١.

(١١) في (د): إذا.

(١٢) في (د): أنه.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ص ٨ والتسهيل لابن جزي ص ٤٩ والبحر ١٧١/١ والدر ٦٤/١ عن مقاتل وفتح القدير ٧٧/١، ٧٩ عن مجاهد ومقاتل.

قوله تعالى: (١) ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ الآية: خطاب لعلماء اليهود وكانوا يقولون لأقربائهم من المسلمين: اثبتوا على ما أنتم عليه ولا يؤمنون.

و«الألف» للاستفهام، معناه: التوبيخ والمراد بـ «البر»: الإيمان (٢) بمحمد ﷺ و«النسيان» - ها هنا - بمعنى: الترك ومنه قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (٣) ويخهم الله تعالى على ما كانوا يفعلون من أمر الناس بالإيمان وترك أنفسهم ذلك.

وقوله تعالى: (٤) ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ أي: تقرؤون التوراة، وفيها صفة محمد ﷺ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنه حق فتبعونه.

وأصل «التلاوة» من قولهم: تلاه يتلوه إذا تبعه، و«التلاوة» إتباع الحروف بالقراءة، ويقال: عقل الرجل يعقل عقلاً، إذا كان عاقلاً، و«عقل الإنسان» هو تمييزه الذي به فارق جميع الحيوان، سمي عقلاً لأنه يعقله، أي: يمنعه من التورط (٥) في الهلكة كما يمنع العقال (٦) البعير عن ركوب رأسه.

أخبرنا أبو سعيد عبد الرحمن بن الحسن التاجر (٧)، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان (٨)، حدثنا صالح بن أحمد الهروي (٩)، حدثنا أبو بَجْرِ محمد بن جابر (١٠)، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي (١١) حدثنا سفيان (١٢) عن خالد بن سلمة (١٣) عن أنس بن مالك، قال:

(١) قال ابن عباس - في رواية الكلبي - نزلت في يهود المدينة، كان الرجل منهم يقول لصهره ولدوي قرابته ولمن بينهم وبينه رضاع من المسلمين اثبت على الدين الذي أنت عليه وما يأمرك به هذا الرجل - يعنون محمداً ﷺ - فإن أمره حق فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه. (أسباب النزول للواحي ص ١٥). وانظر الدر ٦٤/١.

(٢) في (د): ولإيمان.

(٣) سورة التوبة ٦٧.

(٤) في غير (أ): وقوله.

(٥) التورط: الوقوع (حاشية (أ)) وانظر في معنى «تسبون» تفسير ابن عباس ص ٨ وغريب القرآن ص ٤٧.

(٦) في (د): العقيل.

(٧) في (د): أبو سعد، وهو: لم أطلع عليه فيما راجعت.

(٨) أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان بن حرب بن مهران أبو بكر الهزاز سمع الكثير من البغوي وابن ضاعد وابن أبي داود وغيرهم وعنه الدارقطني والبرقاني والأزهري كان ثبناً صحيح السماع كثير الحديث متحريراً ورعاً توفي سنة ٣٨٣ هـ عن ٨٥ سنة. (البداية والنهاية ٣١٢/١١).

(٩) صالح بن أحمد بن يونس الهروي، قال أبو أحمد الحاكم: فيه نظر (الميزان ٢/٢٨٨).

(١٠) محمد بن جابر بن بجير بن عتبة بن سعيد بن عامر المحاربي أبو بجير الكوفي روى عن عبد الله بن عمر وعبد الرحمن المحاربي ووكيع وغيرهم قال الحضرمي ثقة مات سنة ٢٥٦ هـ.

(تهذيب التهذيب ٨٨/٩). أبو بجير: بالباء المعجمة الموحدة من تحت مضمومة وجيم (عمدة القوي والضعيف ص ٤).

(١١) سبق.

(١٢) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة أبو عبد الله الثوري الكوفي الثقة الحافظ الفقيه الإمام الحجة مات سنة ١٦١ هـ. (تقريب التهذيب ٣١١/١ الجمع ١٩٤/١ - ١٩٥).

(١٣) خالد بن سلمة القافأ المخزومي القرشي الكوفي سماع البهي - في الوضوء - روى عنه زكريا بن أبي زائدة روى له مسلم. (كتاب الجمع ١/١٢٣).

قال رسول الله ﷺ «مررت ليلة أسري بي على أناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء خطباء من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم»^(١).

ثم رجع إلى خطاب المسلمين فأمرهم أن يستعينوا على ما يطلبونه من رضاء^(٢) الله تعالى ونيل جنته بالصبر والصلاة^(٣) فقال:

﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾: ومعنى «الصبر» حبس النفس على شيء تكرهه والمراد بالصبر هنا الصبر على أداء الفرائض واجتناب المحارم، واحتمال الأذى^(٤) وجهاد العدو وعلى^(٥) المصائب، وقوله ﴿والصلاة﴾ لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

وقال^(٦) مجاهد^(٧): «الصبر» في هذه الآية: الصوم، ويقال لشهر رمضان: شهر الصبر.

وقوله تعالى: ﴿وإنها لكبيرة﴾^(٨) قال الحسن والضحاك^(٩): ثقيلة، وكل ما ثقل على الإنسان كبير عليه، كقوله تعالى: ﴿كبير على المشركين ما تدعوهم إليه﴾^(١٠) والكناية في «وإنها» تعود على «الصلاة» لأنها الأغلب والأفضل والأهم، كقوله تعالى: ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾^(١١) ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها﴾^(١٢).

وقوله تعالى: ﴿إلا على الخاشعين﴾^(١٣) أي: المطيعين الساكنين إلى الطاعة «الخشوع» معناه في اللغة: السكون، قال ﴿وخشعت﴾^(١٤) الأصوات للرحمن^(١٥).

(١) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب الفتن - باب فيمن يأمر بالمعروف ولا يفعله - عن أنس وعزاهما لأبي يعلى والبيزار والطبراني في الأوسط وأحد أسانيد أبي يعلى رجاله رجال الصحيح (٢٧٦/٧). وانظر الحلية ٦/٢٤٩، ٨/٤٣ - ٤٤ عن أنس، ومسنند أحمد ٢/١٨٠، ٢٣١، ٢٣٩ عن أنس والطبراني في الأوسط ١/٢٦١ عن أنس.

(٢) في (أ، د، هـ): رضي.

(٣) في (ح): الأذى.

(٤) قال الواحدي: «عند أكثر أهل العلم أن الخطاب لأهل الكتاب وهو مع ذلك أدب الجميع العباد، وقال بعضهم: رجع بهذا الخطاب إلى خطاب المسلمين، والقول الأول أظهر» (أسباب النزول ص ١٥).

(٥) في (ح) والمطبوعة: على.

(٦) في (ح) قال.

(٧) انظر غريب القرآن ص ٤٧ والزاهر ٢/٢١٢ وابن كثير ١/٨٧ والبحر ١/١٨٤ كلهم عن مجاهد.

(٨) في (د) وقوله (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين).

(٩) انظر تفسير ابن عباس ص ٨، ص ٢٠ والطبري ٢/١٥ وابن كثير ١/٨٨ والدر ١/٦٨ كلهم عن الضحاك.

(١٠) سورة الشورى ١٣.

(١١) سورة التوبة ٣٤.

(١٢) سورة الجمعة ١١ - قال أبو عبيدة: العرب تقتصر على أحد هذين الاسمين، فأكثر الذي يلي الفعل (انظر مجاز القرآن ١/٣٩ وفتح القدير ١/٧٨ - ٧٩ والبيان ١/٧٩).

(١٣) في غير (أ): وقوله.

(١٤) في (د): خشعت.

(١٥) سورة طه/ ١٠٨.

- وقوله^(١) تعالى: ﴿الَّذِينَ يظنون أنهم ملاقوا ربهم﴾ هذا من نعت «الخشاعين» والعرب^(٢) تقول لليقين: ظن، وللشك: ظن، لأن في الظن طرفاً من اليقين قال الله تعالى ﴿إني ظننت أني ملاق حسابي﴾^(٣). وقال ﴿وإني المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾^(٤) وقال ﴿إن ظنا أن يقيما حدود الله﴾^(٥) كل هذا بمعنى اليقين^(٦). وقال^(٧) دريد بن الصمة^(٨):

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد

أي أيقنوا.

و«الملافة» «اللقاء» بمعنى العيان والاجتماع والمحاذاة والمصير كقوله تعالى: ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا﴾^(٩) أي: لا يخافون المصير إلينا وقال ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾^(١٠) أي: مجتمع معكم وصاله إليكم.

قال ابن عباس^(١١): يريد الذين يستيقنون أنهم مبعوثون، وأنهم محاسبون وأنهم راجعون إلى الله تعالى، و«اللقاء» والملافة^(١٢) من حيث ذكر في القرآن - يحمله المفسرون على البعث والصبر إلى الله عز وجل^(١٣) وقوله تعالى: ﴿وأنهم إليه راجعون﴾ أي: يصدقون بالبعث ويقرون بالنشأة الثانية، وجعل رجوعهم بعد الموت إلى المحشر رجوعاً إليه.

يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

وقوله تعالى: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ تقدم تفسيره^(١٤).

(١) في غير (أ): قوله تعالى.

(٢) في (ح): تقول العرب.

(٤) سورة الكهف / ٥٣.

(٥) سورة البقرة / ٢٣٠ وفي (أ) أن ظنا أن يقيما.

(٣) سورة الحاقة / ٢٠.

(٦) انظر تفسير الثوري ص ٤٥ وفيه «كل ظن في القرآن فهو علم» وانظر غريب القرآن ص ٤٧ ومجاز القرآن ٣٩/١ وابن كثير ٨٨/١ ابن جرير وأبي العالية، وفتح القدير ٧٩/١، ٨١ والطبري ١٧/٢.

(٧) في (ح): قال.

(٨) فارس قيس: دريد بن الصمة بن الحارث بن بكر بن جلهمة بن خزاعة بن جشم العريفي الجشمي كانت له أيام وغازات وكان من فرسان قيس المعدودين شهد حيناً مع المشركين وقتل كافراً وكان أعمى. (الأنساب ٤٤٠/٨) والمدجج: التام السلاح، والفارسي: المصنوع في بلاد الفرس، والمسرد: المحبوك الحلق الجيد الصنع والسرادة: السادة. (انظر الزجاج ٩٦/١، ومجاز القرآن ٣٩/١ -

٤٠، والزاهر ٥٤٤/١، والطبري ١٨/٢، والبحر ١٨٥/١، وابن كثير ٩٨/١، ديوان الحماسة ٣٣٦/١ - ٣٣٧ واللسان / ظنن).

(٩) سورة يونس / ٧. (١٠) سورة الجمعة / ٨.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ص ٨ ومجاهد ص ٧٤ والثوري ص ٤٥.

(١٢) في (هـ): والملاقات.

(١٣) في غير (أ) الله تعالى، وانظر مجاز القرآن ١١٣/٢، ٢١٣ والبحر ١٨٦/١ وابن كثير ٨٨/١.

(١٤) في (ج، د، هـ): قوله.

(١٥) في (ج، هـ): قوله وفي (د): قوله تعالى. (١٦) انظر الكلام عند تفسير الآية ٤٠ من سورة البقرة ص ١٤٨.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنى فَضَلْتُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ «التفضيل» نقيض التسوية، يقال فضله إذا أعطاه الزيادة وفضله: إذا حكم له بالزيادة في الفضل وهذا التفضيل هو ما^(٦) ذكر في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلْنَا فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ...﴾^(٤).

وأراد بـ «العالمين» عالمي زمانهم^(٥)، والخطاب للموجودين منهم في ذلك الوقت. والمراد بـ «التفضيل» سلفهم ولكن في تفضيل الآباء شرف الأبناء، لذلك قال ﴿وَأَنى فَضَلْتُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ أي: واحذروا واجتنبوا^(٧) عقاب يوم ﴿لَا تَحْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي: لا يقضي ولا يغني أحد عن أحد في ذلك اليوم، يقال: جزى^(٨) عنه كذا^(٩) إذا قضى عنه.

قال الكلبي^(١٠): هو يوم القيامة يقول: ﴿اتَّقُوا﴾^(١١) يوماً لا يغني والد عن ولده ولا ولد عن والده.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً﴾، يقال: قبلت الشيء أقبله قبولاً وقبولاً ويقال على فلان قبول، أي: تقبله العين.

ومعنى «الشفاعة» كلام الشفيع من هو فوقه في جماعة يسألها^(١٢) لغيره وهو الشفع الذي هو خلاف الوتر، وذلك أن سؤال الشفيع يصير شفعا لسؤال المشفوع له.

وقرىء (ولا^(١٤) يقبل) - بالياء - لأن الشفاعة والتشفع^(١٥) بمنزلة واحدة^(١٦) كما أن الوعظ والموعظة والصيحة والصوت كذلك، وقد قال الله تعالى ﴿فَمَنْ جَاءَ مَوْعِظَةً مِنْ رَبِّهِ﴾^(١٧) وقال ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾^(١٨).

(١) في غير (أ): وقوله.

(٢) في (د): وهو الذي ذكر.

(٣) في غير (أ): قوله.

(٤) سورة المائدة / ٢٠ وانظر غريب القرآن ص ٤٨ والدر ٦٨/١ عن مجاهد وقتادة وابن كثير ٨٨/١ عن أبي العالية.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ص ٨ والبحر ١٨٩/١ عن الحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم وفتح القدير ٨١/١.

(٦) في (ج): قوله، وفي (د، هـ): وقوله.

(٧) في (هـ): واخشو.

(٨) في (د): جزأ.

(٩) في (هـ) كذا: «يقال: جزى عني فلان بلا همز - أي تاب عني واجزاني أي كفاني» (غريب القرآن ص ٤٨).

(١٠) انظر الطبري ٢٧/٢ وابن كثير ٨٩/١ وفتح القدير ٨٢/١.

(١١) إضافة يقتضيها السياق.

(١٢) في (ج، د، هـ): وقوله.

(١٣) في (ح): يستلها.

(١٤) في جميع النسخ والمطبوعة (لا يقبل).

(١٥) في (ح) والتشفيع، وفي (د) والمطبوعة: والشفع.

(١٦) ساقطة من (ج، د).

(١٧) سورة البقرة / ٢٧٥.

(١٨) سورة هود/ ٦٧ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتاء لتأنيث الشفاعة وقرأ الباقون بالياء وحجتهم أن تأنيث الشفاعة ليست حقيقية (انظر

الحجة لأبي زرعة ص ٩٥ والتبيان ٨٠/١).

وقوله تعالى: (١) ﴿وَلَا يَأْخُذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ عدل الشيء وعدله: مثله، قال الله تعالى (٢) ﴿أَوْ عَدَلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ (٣) أي: ما يماثله من الصيام، قال كعب بن مالك (٤):

صبرنا لا نرى الله عدلاً على ما نابنا متوكلينا
أي لا نرى له (٥) مثلاً.

والمراد بـ «العدل» في (٦) هذه الآية: الفداء، قال الله تعالى ﴿وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها﴾ (٧) أي: إن (٨) تفد كل فداء، وسمي الفداء عدلاً، لأنه يعادل المفدي ويمثله.

قال السدي - في هذه الآية (٩) - لو جاءت بملء الأرض ذهباً تفتدي به ما قبل منها (١٠) وقوله تعالى: (١١) ﴿وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ أي: لا يمنعون من عذاب الله، قال المفسرون: نزلت هذه الآية في اليهود وذلك: أنهم (١٢) كانوا يقولون: يشفع (١٣) لنا آباؤنا الأنبياء، فأيسهم الله عز وجل (١٤) من ذلك (١٥).

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَقَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٢﴾

قوله (١٦) ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون﴾ «التنجية»: التخليص من مكروهه وشدة ومثله الإنجاء و«آل فرعون» أتباعه ومن كان على دينه.

(١) في غير (أ): وقوله.

(٢) في (د): سبحانه وتعالى.

(٣) سورة المائدة / ٩٥.

(٤) كعب بن مالك الأنصاري السلمي، شاعر الإسلام، أسلم قديماً وشهد العقبة ولم يشهد بدرأ، وهو أحد الثلاثة الذين خلّفوا عن النبي وتاب الله عليهم توفي سنة ٥١ هـ.

(٥) البداية والنهاية ٥٢/٨ والبيت في الزاهر ٢٤٥/١ والبداية والنهاية ١٣٢/٤، من قصيدة يجيب ضرار بن الخطاب بن مرداس في يوم الخندق قبل إسلامه.

(٥) في المطبوعة: لله.

(٦) في (ح): من هذه الآية.

(٧) سورة الأنعام / ٧٠ وانظر في معنى «العدل» غريب القرآن ص ٤٨ والطبري ٣٤/٢ - ٣٥ والدر ٦٨/١ وابن كثير ٨٩/١.

(٨) في (ج، د): أي تفد.

(٩) انظر الطبري ٣٤/٢ عن السدي وابن كثير ٨٩/١ عن السدي وابن وهب.

(١٠) في (ح): منه.

(١١) في (ج، هـ) قوله وفي (د): وقوله.

(١٣) في (د): شفع.

(١٤) في (ج، د): الله عز ذلك.

(١٢) في (د): لأنهم.

(١٥) أنظر الزجاج ٩٨/١ والطبري ٣٢/٢ - ٣٣ والبحر ١٨١/١ والقرطبي ٣٨١/١.

(١٦) في (ج، هـ): قوله تعالى، وفي (د): وقوله تعالى.

وقوله (١) ﴿سومونكم سوء العذاب﴾ «السوم» أن تجشم (٢) إنساناً مشقة أو سوءاً (٣) أو ظلاماً (٤) يقال: سمته ذلاً (٥) وسوءاً: إذا ألزمته إياه، و «سوء العذاب» شديد العذاب.

وقد فسره بقوله ﴿يذبحون أبناءكم﴾ وأصل «الذبح» في اللغة: الشق و «الذباح، والذبائح» بالتخفيف (١) والتشديد: تشقق في الرجل، وسمي فرّي الأوداج (٢) ذبياً لأنه نوع شق، والتفعليل: على التكثر (٨).

وقوله تعالى: (٩) ﴿ويستحيون نساءكم﴾ «يستحيون» يستفعلون من الحياة، والمعنى يستبقونهن (١١) أحياء ولا يقتلونهن، ومنه الحديث:

«اقتلوا شيوخ المشركين، واستحيوا شرخهم» (١١) واسم النساء: يقع على الصغار والكبار وهم كانوا يستبقون البنات لا (١٢) يقتلونهن.

والخطاب لبني إسرائيل يذكرهم الله تعالى النعمة عليهم حين أنجاهم (١٣) من عدوهم الذين كانوا يذيقونهم شدة العذاب، بذبح الأبناء واستبقاء النساء، ثم قال ﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾. «البلاء» اسم ممدود من البلو (١٤)، وهو الاختبار والتجربة (١٥) يقال بلاءه يبلوه بلوا: إذا جربه. و«البلاء» يكون حسناً ويكون سيئاً والله عز وجل (١٦) يبلو عباده بالصنيع الحسن ليمتحن شكرهم عليه ويبلوهم (١٧) بالبلوى التي يكرهونها ليمتحن صبرهم. فقيل للحسن: بلاء، وللسيء: بلاء، لأن أصلهما المحنة، ومنه قوله تعالى (١٨) ﴿وبلونا هم بالحسنات والسيئات﴾ (١٩) وقال ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ (٢٠).

والذي في هذه الآية: يحتمل الوجهين فإن حملته على الشدة كان معناه: في استحياء البنات للخدمة، وذبح البنين بلاء ومحنة، وهو قول ابن عباس - في رواية عطاء والكلبي - (٢١).

(١) في غير (أ): وقوله تعالى.

(٢) التجشم: التكلف على مشقة (اللسان / جشم).

(٣) في (أ): وسوءاً والتصحيح من قول الليث في لسان العرب / سوم قال الليث: «السوم» أن تجشم إنساناً مشقة أو سوءاً أو ظلاماً.

(٤) في (د) مشقة أو ظلاماً وسوءاً.

(٥) في (د): إذا.

(٦) في (أ): بالتشديد والتخفيف.

(٧) فرّي الأوداج: أي قطع الأوداج (حاشية (أ)) والأوداج: العروق التي تقطع في الذبح.

(٩) في غير (أ): وقوله.

(١٠) في (د): يستبقونهن.

(٨) في (ح): الكثير.

(١١) الحديث رواه الترمذي - كتاب السير - باب ما جاء في حكم النزول على الحكم رقم ١٦٣٢ عن سمرة، وقال: حسن صحيح غريب.

٧٢/٣

وأبو داود - كتاب الجهاد - باب في قتل النساء رقم ٢٦٧٠ عن سمرة ٥٤/٣.

وسنن سعيد بن منصور الجزء الثاني من المجلد الثالث عن سمرة ص ٢٣٩.

ومسند أحمد ١٢/٥، والشرح: الشعاب، ٢٠/٥ بلفظ «واستبقوا» عن سمرة.

(١٧) في (ح): فيبلوهم.

(١٢) في (د): ولا يقتلونهن.

(١٨) في (ح): ومنه قوله (وبلونا هم).

(١٣) في (د): أنجهم.

(١٩) سورة الأعراف / ١٦٨.

(١٤) في (ج، د): البلوى.

(٢٠) سورة الأنبياء / ٣٥ وانظر في معنى «البلاء» مجاز القرآن ٤٠/١ وفتح القدير ٨٣/١.

(١٥) في (هـ): وتجربة.

(٢١) انظر تفسير ابن عباس ص ٨ والدر ٦٩/١ عن ابن عباس وفتح القدير ٨٣/١.

(١٦) في (د، هـ): والله تعالى.

وإن حملته على النعمة (١) كان المعنى: وفي تنجيتكم من هذه المحن نعمة عظيمة وهو قول مجاهد والسدي (٢).

ومثل هذا في احتمال الوجهين قوله في قصة إبراهيم ﴿إن هذا لهُوَ البلاء المبين﴾ (٣).

وقوله تعالى: (٤) ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾ وذلك أن الله تعالى أمر موسى أن يذهب ببني إسرائيل إلى البحر فينلق له حتى يخوض (٥) فيه هو وبنو إسرائيل فلما ذهب بهم وانتهى إلى البحر فرق الله البحر اثني عشر طريقاً، لكل سبب منهم طريق (٦) حتى مروا فيه وهو منفلق. وسمي البحر بحرأ لاستبحاره، وهو سعته وانبساطه.

وقوله تعالى: (٧) ﴿وَأَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ ولم يذكر غرق فرعون، لأنه قد ذكره في مواضع، كقوله تعالى: (٨) ﴿فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً﴾ (٩) ويجوز أن يريد بآل فرعون: نفسه، كقوله تعالى: ﴿مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ (١٠) يعني: موسى وهارون.

وقوله (١١) ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ وذلك أنهم لما خرجوا من البحر رأوا (١٢) انطباق البحر على فرعون وقومه. ويجوز أن يكون المعنى ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى فرق الله (١٣) البحر وإنجائكم من عدوكم.

وقوله تعالى: (١٤) ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ قال المفسرون (١٥): إن الله تعالى لمنا أنجي (١٦) موسى وبني إسرائيل وأغرق فرعون، وأمن بنو (١٧) إسرائيل من عدوهم ودخلوا مصر ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ممهدة، فواعد الله موسى أن يؤتیه الكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون (١٨) وأمره أن يصوم ثلاثين (١٩) يوماً فصامه وصلاً وهم يطعم شيئاً، فتغيرت رائحة فمه، فعمد إلى لحاء (٢٠) شجرة فمضعها، فأوحى الله إليه: «أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك»؟ وأمر أن يصل بها عشراً (فتم ميقات ربه أربعين ليلة) وخرج موسى من بين بني إسرائيل تلك الأيام فاتخذ السامري عجلاً وقال لبني إسرائيل: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ﴾ (٢١) فافتتن بالعجل ثمانية آلاف (٢٢) رجل منهم، وعكفوا عليه يعبدونه (٢٣).

(١) في (د) النعم.

(٢) انظر الدر ١/٦٩ عن مجاهد، وابن كثير ١/٩٠ عن مجاهد والسدي وأبي العالية.

(٣) سورة الصافات ١٠٦.

(٤) في (ج، هـ): قوله.

(٤) «بخوضوا» في (د).

(٥) في (ج، هـ): طريقاً.

(٦) في غير (أ) وقوله.

(٧) في غير (أ) كقوله.

(٩) سورة الإسراء ١٠٣/ وفي (ج، د): وأعرفناه.

(١٠) سورة البقرة ٢٤٨.

(١١) في المطبوعة: قوله.

(١٢) في (د): رأوا.

(١٣) في (د): والمطبوعة: فرق الله تعالى.

(١٤) في (ج، هـ): وقوله وفي (د): قوله تعالى.

(١٥) انظر التبيان ١/٦٢ والدر ٣/١١٥ عن ابن عباس وابن كثير ٢/٢٤٣.

(١٧) في (د): بنوا.

(١٦) في (أ، د، هـ): أنجنا.

(١٨) أي بيان المأمورات والمنهيات ويذرون: يتركون (حاشية أ).

(١٩) في (ج، د، هـ): ثلاثين.

(٢٠) اللحاء: القشر (اللسان / لحاء).

(٢١) سورة طه / ٨٨.

(٢٢) في (د) ثمانية ألف رجل منهم عكفوا.

(٢٣) انظر التبيان ١/٦٢ والدر ١/١١٥ عن ابن عباس وابن كثير ٢/٢٤٣.

وقراءة أكثر القراء. (واعدنا) من المواعدة لأن ما كان من الله^(١) من الوعد ومن موسى القبول والتحري لإنجازه يقوم مقام الوعد، فصار كالتواعد من الفاعلين، وأيضاً فإن المفاعلة قد تقع من الواحد وقد ذكرنا^(٢).

وقرأ أبو عمرو^(٣): (واعدنا) بغير ألف، لكثرة ما جاء في القرآن من هذا القبيل بغير ألف^(٤). كقوله تعالى: (٥) ﴿وعد الله الذين آمنوا﴾^(٦)، ﴿ألم يعدكم ربكم﴾^(٧)، ﴿وإذ يعدكم الله﴾^(٨) ﴿إن الله وعدكم وعد الحق﴾^(٩)، ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة﴾^(١٠)، يقال وعدته وعداً وعدة وموعداً، وموعدة قال الله تعالى ﴿إلا عن موعدة وعدها إياه﴾^(١١) وقال ﴿وجعلنا لمهلكهم موعداً﴾^(١٢).

ويقال: ﴿وعد﴾^(١٣) في الخير والشر، قال الله تعالى ﴿ألم يعدكم ربكم وعدا حسناً﴾^(١٤) وقال ﴿النار وعدّها الله الذين كفروا﴾^(١٥).

وتقدير الكلام: وإذ اعدنا موسى انقضاء أربعين ليلة للتكلم معه، أو لإتيانه الكتاب^(١٦).

وقوله تعالى: (١٧) ﴿ثم اتخذتم العجل من بعده﴾ «الاتخاذ» افتعال من الأخذ والمعنى: ثم اتخذتم العجل من بعده^(١٨) معبوداً أو إلهاً فحذف المفعول الثاني للعلم به وكذلك قوله تعالى: ﴿باتخاذكم العجل﴾^(١٩)، ﴿اتخذوه﴾^(٢٠) وكانوا ظالمين ﴿٢١﴾ ﴿إن الذين اتخذوا العجل﴾^(٢٢). التقدير في هذا كله: اتخذوه إلهاً فحذف المفعول الثاني.

ومعنى الآية: أن الله تعالى نههم على أن كفرهم بمحمد ﷺ ليس بأعجب من كفرهم وعبادتهم العجل ومن موسى عليه السلام.

وقوله تعالى: (٢٣) ﴿وأنتم ظالمون﴾ أي: ضارون لأنفسكم، وواضعون العبادة في^(٢٤) غير موضعها.

(١) في (د): والمطبوعة: من الله تعالى.

(٢) في (د): ذكرناه، وانظر تفسير الآية ٩.

(٣) أبو عمرو: زيان بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحسن بن الحارث بن جلهم بن خزاعي بن مازن المازني من الأعلام في القرآن وعنه أخذ يونس وغيره من المشايخ البصريين قرأ على أبي العالية الرياحي وجماعة وروى عن أنس قال أبو عبيدة: كان أبو عمرو أعلم الناس بالقرآن والعربية والشعر مات سنة ١٥٤ هـ (الفهرست لابن النديم ص ٤٢، وشذرات الذهب ١/٣٢٧).

(٤) انظر السبعة ص ١٥٥، الحجة لأبي زرعة ص ٩٦ والنشر ٢/٢١٢ والزجاج ١/١٠٣ - ١٠٤ والتبيان ١/٦٢ والزاهر ٢/١٣٦ - ١٣٧ والطبري ٢/٥٨ - ٥٩ والحجة لابن خالويه ص ٧٦ - ٧٧ والرازي ٣/٧٣.

(٥) في غير (أ) كقوله.

(٦) سورة المائدة / ٩، النور / ٥٥، الفتح / ٣٩.

(٧) سورة طه / ٨٦.

(٨) سورة الأنفال / ٧.

(٩) سورة الكهف / ٥٩ وفي حاشية (أ) «اللام»: للتوقيت معناه: جعلنا لقوت هلاكهم موعداً.

(١٠) في (د): وعدت.

(١١) سورة طه / ٨٦.

(١٢) سورة الحج / ٧٢.

(١٣) أي من بعد ذهاب موسى إلى الطور أو من بعد إغراق فرعون (حاشية أ).

(١٤) سورة الأعراف / ١٥٢.

(١٥) سورة البقرة / ٥٤.

(١٦) في (د) والمطبوعة: وقوله (واتخذوه...).

(١٧) في غير (أ) وقوله.

(١٨) في (د) والمطبوعة: وقوله (واتخذوه...).

(١٩) سورة الأعراف / ١٤٨.

(٢٠) في (د) والمطبوعة: وقوله (واتخذوه...).

(٢١) في (د) والمطبوعة: وقوله (واتخذوه...).

(٢٢) في (د) والمطبوعة: وقوله (واتخذوه...).

وقيل: ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ اليوم بمخالفة محمد ﷺ .

قوله تعالى: (١) ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ قال ابن الأنباري (٢): عفا (٣) الله عنك، معناه: محسب الله عنك، مأخوذ من قولهم: عفت الرياح الأتار، إذا دَرَسَتْها ومحتها، وعفو الله: محوه الذنب عن العبيد. والمراد (٤) بـ «العفو» ها هنا: قبوله التوبة من عبدة العجل، وأمره برفع السيف عنهم.

وقوله تعالى: (١) ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: من بعد عبادة العجل ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لكي تشكروا نعمتنا بالعفو ومعنى «الشكر» في اللغة: عرفان الإحسان بالقلب ونشره باللسان.

وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

وقوله تعالى: (٥) ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ . . .﴾ الآية (٦)، «الفرقان» مصدر فرقت بين الشئين أفرق فرقاً وفرقانا، كالرجحان والنقضان ويسمى كل فارق: فرقانا، كما سمي كتاب الله: الفرقان، لفصله بين الحق (٧) والمبطل، وسمى الله تعالى «يوم بدر» يوم الفرقان في قوله ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانِ﴾ (٨) لأنه فرق في ذلك اليوم بين الحق والباطل، فكان ذلك يوم الفرقان، وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (٩) أي: يفرق بينكم وبين ذنوبكم.

واختلفوا في معنى «الفرقان» في هذه الآية: فقال مجاهد: هو بمعنى الكتاب وهما شيء واحد، وهو اختيار الفراء، قال: العرب (١٠) تكرر الشيء إذا اختلفت ألفاظه، كقول عدي بن زيد (١١): وألقى قولها كذبا ومينا وقال عنترة (١٢): أقوى وأقفر بعد أم الهيثم.

- (١) في غير (أ) قوله.
 (٢) انظر الزاهر ١/ ٥٣٥ - ٥٣٦.
 (٣) في (د): عفى.
 (٤) في (ح): إذ العفو.
 (٥) في (ج، هـ): قوله.
 (٦) في (د) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) في (ج، د): فإن العرب:

(١١) علي بن زيد بن الحَمَار العبّادي التميمي النصراني جاهلي من فحول الشعراء الأربعة الذين هم: هو، وطرفة بن العبد، وعبيد بن الأبرص، وعلقمة بن عبدة توفي سنة ٣٥ قبل الهجرة (سير الأعلام ٥/ ١١٠، الأعلام للزركلي ٩/ ٥) وانظر الفراء ١/ ٣٧ وتكملة البيت:

وقدمت الأديم لراهشيه وألقى قولها كذبا ومينا

والراهشان: عرقان في باطن الذراع، والمبين: هو الكذب، والشاهد: عطف المغيرة اللفظية وانظر الزاهر ١/ ١٥٦. والقرطبي ١/ ٣٩٩ (واللسان/ مين).

(١٢) عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي أشهر فرسان العرب في الجاهلية ومن شعراء الطبقة الأولى من أهل نجد، في -

وارتضى الزجاج هذا القول، قال: لأن الله تعالى ذكر لموسى (الفرقان) في غير هذا الموضع، وهو قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾^(١) فعلى^(٢) هذا القول الفرقان: هو الكتاب، والكتاب: هو الفرقان.

قال الزجاج^(٣): ويجوز أن يريد بالفرقان: انفراق البحر، وهو من عظيم الآيات كأنه قيل: آتينا فرق البحر.

وقال ابن عباس^(٤): أراد بالفرقان: النصر على الأعداء لأن الله تعالى نصر موسى وقومه على عدوهم وسمى نصره فرقا لأن في ذلك^(٥) فرقا بين الحق والباطل. وقوله ﴿لعلكم تهتدون﴾ أي: بما آتينا من الكتاب.

قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ يعني الذين عبدوا العجل (يا قوم) نداء مضاف حذف منه الياء، والمنادى إذا أضفته إلى نفسك، جاز فيه ثلاث لغات: حذف الياء وإثباتها وفتحها، فحذف الياء كقوله (يا قوم) والإثبات كقوله (يا عبادي فاتقون) والفتح كقوله ﴿يا عبادي الذي أسرفوا﴾^(٦) على قراءة من فتح الياء^(٨)، والأجود الاكتفاء بالكسرة^(٩).

وقوله تعالى^(١٠): ﴿إنكم ظلمتم أنفسكم﴾ أي نقصتم حظ أنفسكم ﴿باتخاذكم العجل﴾ إلهاً ﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾ ارجعوا إليه بالطاعة والتوحيد. و«الباري» الخالق، يقال: برأ الله الخلق أي خلقهم^(١١).

وكان أبو عمرو يختلس حركة الهمزة^(١٢) في ﴿بارئكم﴾ كأنه يخفف الحركة ويقربها من الجزم^(١٣)، وسيبويه^(١٤): يجوز تخفيف حركة الإعراب، وأنشد في ذلك^(١٥):

وقد بدا هنك من المتزّر

= شعره رقة وعدوية. وكان مغرمًا بابنة عمه (عبلة) واجتمع في شبابه بامرئ القيس، توفي سنة ٢٢ قبل الهجرة (الأعلام للزركلي ٢٦٩/٥). وانظر ديوانه ص ١٦ في معلقته: هل غادر الشعراء من متردم.

والإقواء والإقفار: الخلاء، جمع بينهما لضرب من التأكيد «أم الهيثم»: كنية عبلة زوجته وابنة عمه. وانظر فتح القدير ٨٥/١ وفيه:

حيث من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم
وتفسير القرطبي ٣٩٩/١.

(١) في (هـ) (ولقد آتينا موسى الكتاب وهارون الفرقان) والنص من سورة الأنبياء ٤٨.

(٢) في (د): وعلى هذا.

(٣) انظر الزجاج ١٠٤/١ - ١٠٥ وفتح القدير ٨٥/١ عن الزجاج وابن زيد.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ص ٩ في رأي له، وغرائب النيسابوري ٢٨٧/١، وفتح القدير ٨٥/١.

(٥) في (د): لأن في ذلك اليوم فرق، وفي المطبوعة: لأن في ذلك اليوم فرقا.

(٦) في غير (أ): قوله.

(٧) سورة الزمر ٥٣.

(٨) انظر السبعة ص ١٥٢ والحجة لأبي زرعة ٩٣ - ٩٤ والزجاج ١٠٥/١ والتبيان ٦٤/١.

(٩) انظر غريب القرآن ص ٤٩ والدر ٧٠/١ عن ابن عباس ومجاز القرآن ٤٨/١ وفتح القدير ٨٦/١.

(١٠) في (هـ) الهمز، «أي يتلفظ بالهمزة على وجه يقرب من السكون» (حاشية (أ)).

(١١) انظر السبعة ص ١٥٥ والحجة لأبي زرعة ص ٩٧ والنشر ٣٩٣/١ - ٣٩٤/٢، ١١٢، الزجاج ١٠٧/١ والتبيان ٦٤/١ والحجة لابن

خالويه ص ٧٧ - ٧٨ والبيان ٨٣/١ عن أبي عمرو.

(١٢) انظر الحجة لابن خالويه ص ٧٨ عن سيبويه.

(١٣) انظر الزجاج ١٠٧/١ نقلاً عن سيبويه والتبيان ٦٤/١ والخزانة ٤٨٤/٤ - ٤٨٥ والبيت:

وأشد أيضاً قول امرئ القيس^(١):

فاليوم أشرب غير مستحقب إنما من الله ولا واغل

وفي الآية: إضمار واختصار كأنه لما قال لهم ﴿توبوا إلى بارئكم﴾ قالوا: كيف؟ قال: ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ أي: ليقتل البريء المجرم.

المعنى: استسلموا للقتل، فجعل استسلامهم للقتل قتلا منهم لأنفسهم^(٢).

وقوله تعالى: ﴿ذلكم خير لكم﴾^(٣) أي: توبتكم بقتل أنفسكم ﴿خير لكم عند بارئكم﴾ من إقامتكم على عبادة العجل.

وقوله تعالى: ﴿فتاب عليكم﴾ في الآية اختصار لأن التقدير: ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم^(٤) ﴿إنه هو التواب الرحيم﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وإذ قُلْتُمْ يا موسى لن نُؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾ قال ابن عباس^(٦): يعني نراه علانية^(٧)، وقال قتادة^(٨): عياناً، ومعنى قوله^(٩) ﴿جهرة﴾ أي غير^(١٠) مستتر عنا بشيء. يقال: جهرت بالقول أجهر به: إذا أعلنته و«الجهرة» العلانية^(١١).

وقوله تعالى: ﴿فأخذتكم الصاعقة﴾^(١٢) يعني: ما تصعقون منه أي: تموتون قال المفسرون^(١٣): إن الله تعالى

= رحمت وفي رجلك ما فيهما وقد بدا هنك من المثرز

وهو من شواهد سيبويه، والشاهد: تسكين «هن» في الإضافة للضرورة.

وهذا البيت للأقشيس الأسدي، سكر يوماً فسقط فبدت عورته وامرأته تنظر إليه فضحكت منه فقال هذا وفي رجلك ما فيها: يريد أن فيهما اضطراباً واختلافاً، والهن: كناية عن كل ما يقيح ذكره، والمثرز: الإزار.

وانظر الكتاب لسيبويه ٢٠٣/٤ والبحر ٢٠٦/١ (وهو من بحر السريع).

(١) في (ج، د) امرء، البيت في ديوان امرئ القيس ص ١٢٢ من قصيدة رقم ١٦ أخرجت فيها، وفي ص ٥٨، وانظر الخزانة ٢٨٤/٤ والكتاب ٢٠٤/٤ والكامل للمبرد ٢٤٤/١ وإصلاح المنطق ص ٢٤٥ والبحر ٢٠٦/١.

غير مستحقب: غير متكسب ولا محتمله وأصله من حمل الشيء في الحقيقية فضرب به مثلاً والواغل: الداخل على القوم يشربون ولم يدع يقول: ليس عليّ إثم مؤخر في شربي، والشاهد: إسكان الباء في (أشرب) بدل الضم.

(٢) انظر غريب القرآن ص ٤٩ والدر ٦٩/١ - ٧٠ عن ابن عباس وعلي والزهري وقاتدة.

(٣) في (ج، د): قوله.

(٤) في (د) والمطبوعة: (ذلكم خير لكم عند بارئكم).

(٥) انظر الزجاج ١٠٨/١ وفتح القدير ٨٦/١.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ص ٩ وغريب القرآن ص ٤٩ والطبري ٨١/٢ عن ابن عباس وابن كثير ٩٣/١ عنه وفتح القدير ٨٨/١ عنه والدر ٧٠/١ عنه.

(٩) في (د) حتى نرى الله علانية.

(١٠) انظر الطبري ٨١/٢ عن قتادة والربيع وابن كثير ٩٣/٠ عنهما.

(١١) في (د): ومعنى جهرة.

(١٢) انظر الطبري ٨٧/٢ - ٨٨ عن السدي والبحر ٢١٠/١ وغرائب النيسابوري ٢٨٩/١ - ٢٩٠ والدر ٧٠/١ عن الربيع بن أنس، ٣٩/٣

عن نوف البكالي وابن كثير ٩٣/١ عن الربيع والرازي ٨٤/٣ عن السدي.

أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى سبعين^(١) رجلاً من خيارهم وخرج بهم إلى طور سيناء وسمعوا كلام الله عز وجل^(٢)، وكان موسى إذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه ويغشاه عمود من غمام، فلما فرغ موسى، وانكشف الغمام، قالوا له^(٣): (لن نؤمن لك) أي^(٤): لن نصدقك (حتى نرى الله جهرة) فأخذتهم الصاعقة، وهي نار جاءت من السماء فأحرقتهم جميعاً وقوله^(٥) ﴿وأنتم تنظرون﴾ يريد: نظر بعضهم إلى بعض عند نزول الصعقة^(٦) وإنما أخذتهم لأنهم امتنعوا من الإيمان بموسى بعد ظهور معجزته، حتى يريهم ربهم جهرة. والإيمان بالأنبياء: واجب بعد ظهور معجزتهم، ولا يجوز اقتراح المعجزات عليهم فلماذا عاقبهم الله^(٧). وهذه الآية تتضمن التوبيخ لهم^(٨) على مخالفة الرسول ﷺ مع قيام معجزته كما خالف أسلافهم موسى مع ما أتى به من الآيات الباهرة، والتحذير لهم أن ينزل بهم ما نزل بأسلافهم.

قوله تعالى: (٩) ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم﴾ قال المفسرون^(١٠): إنهم لما هلكوا^(١١)، جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول: يا رب، ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم؟ ﴿لو شئت أهلكتم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾^(١٢) فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله جميعاً، رجلاً بعد رجل، وهم ينظرون كيف يحيون، فذلك قوله تعالى: (١٣) ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم﴾ أي: نشرناكم وأعدناكم أحياء.

و«البعث»: إثارة البارك والنائم عن مكانه، ونشر الميت كبعث النائم.

قال قتادة^(١٤): بعثهم الله تعالى ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم، ولو ماتوا بأجالهم لم يعثوا ولكن كان ذلك الموت عقوبة لهم على ما قالوا.

قال الزجاج^(١٥): والآية احتجاج على مشركي العرب الذين كفروا بالبعث فاحتج النبي ﷺ بإحياء من بعث بعد موته في الدنيا فيما يوافق اليهود والنصارى.

وقوله تعالى: (١٦) ﴿ولعلمكم﴾^(١٧) تشكرون﴾ أي: نعمة البعث.

قوله تعالى: ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ معناه: تسترناكم عن الشمس بالغمام و«الظل» معناه في اللغة: الستر، يقال: لا أزال الله عنا ظل فلان، أي: ستره وظل الشجرة: سترها، ويقال لظلمة الليل: ظل، لأنها^(١٨) تستر الأشياء، ومنه قوله تعالى: ﴿كيف مد الظل﴾^(١٩).

(١) في (د): ستون.

(٢) في (د): الله تعالى.

(٣) في (د): قالوا لن.

(٤) ساقطة من (ج، هـ).

(٥) من (د).

(١٠) انظر الطبري ٨٧/٢ وغرائب النيسابوري ٢٩٠/١ - ٢٩١ وابن كثير ٩٣/١ كلها عن السدي.

(١١) في (هـ): هلكوا.

(١٢) سورة الأعراف/ ١٥٥.

(١٣) في غير (أ): فذلك قوله (ثم...).

(١٤) انظر القرطبي ٤٠٤/١ والدر ٧٠/١ وفتح القدير كلها عن قتادة وابن كثير ٩٣/١ عن قتادة والربيع والطبري ٨٩/٢.

(١٥) انظر الزجاج ١٠٩/١.

(١٨) في المطبوعة: لأنه يستر.

(١٦) في غير (أ): وقوله.

(١٩) سورة الفرقان/ ٤٥ وفي المطبوعة ٤٦.

(١٧) في (هـ): ولعلمكم...

«الغمام»: جمع غمامة، وهي السحاب، سمي غماماً^(١) لأنه يغم السماء أي: يسترها، وكل ما ستر^(٢) شيئاً فقد غمه^(٣).

قال المفسرون^(٤): وهذا كان حين أبوا على موسى دخول تلقاء مدينة الجبارين فتأهوا في الأرض ثم ندموا على ذلك وكانت العزيمة من الله أن يجسهم في التيه^(٥) فلما ندموا أطف الله لهم^(٦) بالغمام «وأنزلنا عليكم^(٧) المن والسلوى» كرامة لهم ومعجزة لنبيهم.

«المن» الترنجيبين، وكان كالغسل الجامس^(٨) حلاوة، وكان يقع على أشجارهم بالأسحار^(٩) و«السلوى»: طير كالسماني، والواحدة: سلواة، وأشد الليث^(١٠)

كما انتفض السلواة من بلل القطر

قال مقاتل^(١١): كان الله عز وجل^(١٢) يبعث سحابة فتمطر لهم السماني.

وقوله^(١٣) «كلوا» أي: وقلنا لهم كلوا «من طيبات^(١٤)»: حلالات «ما رزقناكم» و«الطيب» الحلال، لأنه طاب، وأصل «الحرام» يكون خبيثاً، وأصل «الطيب» الطاهر، وسمي الحلال طيباً، لأنه طاهر لم يتدنس بكونه حراماً. «وما ظلمونا» أي: ما نقصونا وما ضررنا بالمعصية، وإبائهم دخول تلك القرية («ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» أي)^(١٥): ولكن^(١٦) ظلموا أنفسهم، ونقصوا حظها^(١٧) باستيجابهم عذابي.

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

وقوله تعالى: (١٨) «وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية» قال المفسرون^(١٩): إن بني إسرائيل لما^(٢٠) خرجوا من

(١) في (د): غمامة.

(٢) في (د): يستر.

(٣) انظر في معنى الغمام: غرائب القرآن ص ٤٩ والأخفش ٢٦٨/١ والدر ٧٠/١ عن قتادة وابن كثير ٩٤/١.

(٤) انظر الطبري ٧٩-٧٩/٢ عن السدي، وانظر تفسير ابن عباس ص ٩ والدر ٧٠/١ عن قتادة وأبي مجلز وابن كثير ٩٤/١.

(٥) التيه: المفازة يتاه فيها واليه: حيث تاه بنو إسرائيل أي حاروا فلم يهتدوا للخروج منه وهو ما بين مصر والشام ٣٠ ميلاً في ستة فراعس (انظر البحر ٤٥٨/٣، اللسان/ تيه).

(٦) في (د): هم.

(٧) زيادة تنم الفائدة.

(٨) الجامس: بجيم وميم وسين، يقال جمس العسل والسمن إذا جمد (عمدة القوي ص ٤).

(٩) هو مادة لزجة حلوة تشبه العسل تسقط على الأحجار والأشجار مائعة ثم تجمد فيجمعها الناس (انظر غريب القرآن ص ٤٩ وهامش الزجاج ١٠٩/١ وهامش الفراء ٣٧/١).

(١٠) انظر البحر ١٧١/١، ٢٠٥ والقرطبي ٤٠٨/١ وفتح القدير ٨٨/١ والبيت:

وإني لتعروني لذكراك سلوة كما انتفض السلواة من بلل القطر

(١١) انظر البحر ٢١٤/١ عن مقاتل وأبي العالية، وفتح القدير ٨٨/١ بنحوه عن ابن عباس.

(١٢) في (د، هـ): الله تعالى.

(١٣) في (ج، هـ): قوله (وكلوا...).

(١٤) في (د، هـ): الطيبات.

(١٥) ما بين المعقوفتين من (د).

(١٦) في (د): أي ظلموا.

(١٧) في (أ، ج، هـ): حظ أنفسهم.

(١٨) في (ج، هـ): قوله تعالى.

(١٩) انظر ابن كثير ٩٨/١.

(٢٠) في (د): لما دخلوا خرجوا.

التيه قال الله لهم: ادخلوا هذه القرية، قال ابن عباس (١) هي (٢) أريحا (٣)، وقال قتادة والسدي والربيع (٤): هي بيت المقدس (٥).

واشتقاق «القرية» من قَرَيْت، أي: جمعت، والمقرأة: الحوض يجمع فيه الماء ويقال لبيت النمل: قرية، لأنه يجمع النمل، فالقرية تجمع أهلها (٦).

وقوله ﴿وادخلوا الباب﴾ يعني باباً من أبوابها ﴿سجداً﴾ قال ابن عباس (٧): ركعاً وهو شدة الانحناء، والمعنى: منحنين متواضعين.

قال مجاهد (٨): هو باب حطة من بيت المقدس، طوطىء لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوا، ودخلوا مترحفين على أستاذهم (٩).

وقوله ﴿وقولوا حطة﴾ هي فعلة من الحط وهو وضع الشيء من أعلى (١٠) إلى أسفل يقال: حط الحمل عن الدابة، والسييل يحط الحجر عن الجبل، وقال امرؤ القيس (١١):

كجلمود صخر حطه السيل من عل

فالحِطَّة من الحط، مثل الردة (١٢) من الرد، ويجوز أن يكون اسماً، ويجوز أن يكون مصدرأ.

(١) انظر تفسير ابن عباس ص ٩ والطبري ١٠٣/٢ عن ابن زيد وابن كثير ٩٨ عن ابن عباس والبحر ٢٢٠/١ عن ابن عباس.

(٢) في (د): قال ابن عباس: أريحا.

(٣) أريحا: قرية من بيت المقدس وقال الكواشي: أريحا: قرية الجبارين، كانوا من بقايا عاد يقال لهم العمالقة، ورأسهم عوج بن عتق (من حاشية أ) البحر ٢٢٠/١.

(٤) الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبد الله بن موهبة بن متقد بن نصر بن الحكم الثوري سمع ابن مسعود وعمرو بن ميمون، وعنه الشعبي ومندر الثوري قال: ابن معين: لا يسأل عن مثله (البداية والنهاية ٢٣٤/٨ - الجمع ١٣٤/١).

(٥) انظر الطبري ١٠٢/٢ - ١٠٣ عن السدي وقاتدة والربيع والبحر ٢٢٠/١ عنهم جميعاً وغيرهم والدر ٧١/١ عن قتادة وابن كثير ٩٨/١ عن السدي والربيع.

(٦) انظر الزاهر ١٠٧/٢ والبحر ٢١٧/١ وغرائب النيسابوري ٢٩٢/١ - ٢٩٣.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ص ٩ والطبري ١٠٤/٢ والدر ٧١/١ وابن كثير ٩٨/١ وفتح القدير ٩٠/١ كلها عن ابن عباس.

(٨) انظر تفسير مجاهد ص ٧٦ والدر ٧١/١ عنه والطبري ١٠٣/٢ عنه والترمذي في أبواب التفسير عن أبي هريرة رقم ٤٠٣٢ وقال حسن صحيح (٢٧٣/٤) والفتح الرباني ١٠٦/٢٠.

(٩) ما بين المعقوفتين متأخر في (أ، ج، د) وذكر بعد تفسير قوله تعالى (وقولوا حطة) والأولى ما هو مثبت في (هـ) ليوافق ترتيب النظم الكريم.

وأستاذهم: أعجازهم (من حاشية (أ)).

(١٠) في (أ، ح، د): أعلا.

(١١) انظر الفراء ٣٢/٢ والبيت:

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

وهذا البيت من معلقة امرئ القيس وهو في وصف الفرس.

والبيت في ديوانه ص ١٩ والمخزاة ٣٩٧/٢، ١٥٨/٣ وإصلاح المنطق ص ٢٥ والكتاب ٢٢٨/٤ واللسان/حطط. (وهو من بحر الطويل).

(١٢) في (ح): الرياد، واللفظة ساقطة من (هـ).

وقال ابن عباس^(١) في رواية سعيد بن جبير، في قوله تعالى: ﴿وقولوا حطة﴾ أي: مغفرة، فقالوا: حنطة^(٢). وقال مقاتل^(٣): إنهم أصابوا خطيئة بإيائهم على موسى دخول الأرض التي فيها الجبارون، فأراد الله أن يغفرها لهم فقبل لهم (قولوا حطة).

وقال الزجاج^(٤) معناه: قولوا مسألتنا حطة، أي: حط ذنوبنا عنا^(٥).

وقوله تعالى: ﴿نغفر لكم خطاياكم﴾ أصل «الغفر» الستر والتغطية، وغفر الله ذنوبه، أي: سترها، وكل شيء سترته فقد غفرته، والمغفر: يكون تحت بيضة الحديد يغفر الرأس^(٦).

وأجمع القراء على إظهار الراء عند اللام، إلا ما روي عن أبي عمرو من إدغامه الراء عند اللام^(٧).

قال الزجاج^(٨): وهو خطأ فاحش، وأحسب الذين رووا ذلك عن أبي عمرو غالطين ولا يدغم الراء في اللام لأن الراء حرف مكرر، ولا يدغم الزائد في الناقص، فلو أدغمت الراء في اللام لذهب التكرير من الراء، وهذا إجماع النحويين^(٩).

و«الخطايا» جمع خطيئة، وهي الذنب على عمد، قال أبو الهيثم^(١٠): يقال خطيء: لما صنعه^(١١) عمداً وهو الذنب، وأخطأ: لما صنعه خطأ غير عمد.

وقوله^(١٢) ﴿وسنزيد المحسنين﴾ أي: الذين لم يكونوا من أهل تلك الخطيئة إحساناً وثواباً.

قوله تعالى: ﴿فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم﴾ «التبديل»: التغيير إلى بدل والمعنى: أنهم غيروا تلك الكلمات التي أمروا بها وقالوا بدل «حطة» حنطة، وهذا قول ابن عباس وجميع المفسرين^(١٤).

وقال الزجاج^(١٥): جملة ما قالوه: إنه أمر عظيم سماهم الله به فاسقين.

(١) من (أ).

(٢) انظر الدر ٧١/١ والقرطبي ٤١٠/١ وابن كثير ٩٨/١ عن ابن عباس وكذا الفراء ٣٨/١ والطبري ١٠٦/٢ عن ابن عباس.

(٣) انظر تفسير مجاهد ص ٧٦ والبحر ٢٢٢/١ عن وهب، وابن كثير ٩٨/١.

(٤) انظر الزجاج ١١٠/١ والتبيان ٦٥/١ ومجاز القرآن ٤١/١.

(٥) في (د) أي: حط عنا ذنوبنا.

(٦) في غير (أ): وقوله.

(٧) انظر السبعة ص ١٢١، والحجة لابن خالويه ص ٨٠ والتبيان ٦٦/١ والبيان ٨٣/١.

(٨) انظر التبيان ٦٦/١ والبيان ٨٤/١.

(٩) ويجوز العكس وهو إدغام اللام في الراء لأنه أجمع سيويه والمخيل وجميع علماء البصرة على ذلك (حاشية (أ)).

(١٠) انظر اللسان / خطأ نقله المنذري عن أبي الهيثم.

(١١) في (أ): ما صنعه عمداً، ما صنعه خطأ. والتصحيح مما جاء في اللسان عن أبي الهيثم.

(١٢) ساقطة من (ج، هـ) وفي (د): قوله.

(١٣) في (ح، هـ): قوله.

(١٤) انظر تفسير ابن عباس ص ٩ ومجاهد ص ٨٦ والدر ٧١/١ عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وأبي هريرة وابن كثير ٩٨/١ - ٩٩ عن

ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والمستدرک - كتاب التفسير - عن ابن عباس وقال صحيح على شرط

الشيخين ٢٦٢/٢.

(١٥) انظر الزجاج ١١٠/١.

وقوله تعالى: (١) ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ «الرجز»: العذاب قال تعالى ﴿لئن كشفت عنا الرجز﴾ (٢) أي: العذاب، ثم سمي كيد الشيطان رجزاً لأنه سبب العذاب قال الله تعالى ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ (٣) وقال ﴿والرجز فاهجر﴾ (٤) قيل: أراد به: عبادة الأوثان، لأنه سبب العذاب (٥).

قال الضحاك (٦): أرسل الله تعالى عليهم ظلمة وطاعونا، فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً عقوبة لهم بتبديلهم ما أمروا به.

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦١﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاجِدِ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى...﴾ الآية، قال المفسرون (٨): عطش بنوا إسرائيل في التيه فقالوا: يا موسى من أين لنا الشراب؟ فاستسقى لهم موسى (٩) فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك الحجر.

قال ابن عباس (١٠): وكان حجراً خفيفاً مربعاً مثل رأس الرجل أمر أن يحمله معه فكان يضعه في مخلاته، فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه (١١) فينفجر عيوناً لكل سبط عين.

وقوله تعالى: ﴿فانفجرت﴾ فيه اختصار والمعنى: فاضرب فانفجرت، أي انشقت (١٢) و«الانفجار» الانشقاق، و«الفجر» (١٤) في اللغة: الشق، وسمي فجر النهار لشقه ظلمة الليل. وقوله ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ أراد: كل أناس منهم يعني الأسباط وكانوا اثني عشر سبطاً.

(١) في غير (أ): وقوله. (٣) سورة الأنفال/ ١١.

(٢) سورة الأعراف/ ١٣٤. (٤) سورة المدثر/ ٥.

(٥) انظر معنى «الرجز» غريب القرآن ص ٥٠ والطبري ١١٧/٢ - ١١٨ عن ابن عباس وابن زيد ومجاز القرآن ٤١/١ وابن كثير ٩٩/١ وفيه «قال الضحاك عن ابن عباس: كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب، وكذا روي عن الحسن والسدي وقتادة ومجاهد» وانظر ٤٤١/٤ في معنى قوله (والرجز فاهجر).

(٦) انظر الطبري ١١٧/٢ والرازي ٩٠/٣ والبحر ٢٢٥/١ وغرائب النيسابوري ٢٩٤/١ - ٢٩٥ والقرطبي ٤١١/١ كليهما عن ابن زيد.

(٧) في المطبوعة، (د): (موسى لقومه).

(٨) انظر الدر ٧٠/١ عن السدي، ٧٢/١ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والطبري ١٢٠/٢ عن ابن عباس ومجاهد وابن كثير ١٠٠/١ عن

ابن عباس والرازي ٩٤/٣ - ٩٥.

(٩) في (د): موسى الماء فأوحى.

(١٠) في (ح): بعصا.

(١١) في غير (أ) وقوله.

(١٢) في (د): فانشقت وفي (هـ): إن انشقت.

(١٣) في (د): والتفجير.

(١٤) في (ح): اثنا.

و«المشرب» يجوز أن يكون مصدرًا كالشرب، ويجوز أن يكون موضعًا.

قال المفسرون^(١): كان في ذلك الحجر اثنتا عشرة حفرة، فكانوا إذا نزلوا^(٢) وضعوا الحجر، وجاء كل سبط إلى حفرة حفروا الجداول إلى أهلها، فذلك قوله تعالى (قد علم كل أناس مشربهم).

وقوله تعالى: ^(٣) ﴿كُلُوا﴾ أي: وقلنا لهم كلوا من المن والسلوى ﴿واشربوا﴾ من الماء فهذا كله ﴿من رزق الله الذي يأتيكم بلا مشقة ولا مؤونة﴾ ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ يقال: عَثِيَ يَعْثِي عَثْوًا، وهو أشد الفساد^(٤).

قوله تعالى: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد﴾ «الطعام»: اسم جامع لما يؤكل، وإنما قالوا ﴿طعام واحد﴾ وكان طعامهم المن والسلوى، لأنهم كانوا يأكلون المن بالسلوى^(٥) فكان^(٦) طعاماً واحداً كالخبيص^(٧) لون واحد وإن اتخذ من أطعمة شتى.

قال المفسرون^(٨): إنهم ملوا عيشهم وما كانوا يأكلونه، وذكروا عيشاً كان لهم بمصر فقالوا لموسى: ﴿فادع ربك﴾ أي: ادع لأجلنا ربك، وسله^(٩) وقل له^(١٠) ﴿يخرج لنا مما تثبت الأرض من بقلها﴾ وهو: كل نبات لا يقبل له ساق إذا رعته الماشية^(١١). ﴿وقثائها﴾ وهو نوع من الخضروات ﴿وفومها﴾ وهو الحنطة بلا اختلاف^(١٢) بين أهل اللغة فقال لهم موسى: ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾^(١٣) أي: أقرب وأسهل متناولاً بالرفيع الجليل الذي خصكم الله به؟

ويجوز أن يكون معنى «الدنو» في قرب القيمة، يقول: أتأخذون ما هو أقل قيمة بدلاً بالذي هو خير في القيمة؟^(١٤)

ويجوز أن يكون «أدنى» من الدناءة، وهي الخسة، وترك همزها، والمعنى أتستبدلون^(١٥) ما هو أوضع وأخس بالذي هو خير، وهذا اختيار الفراء^(١٦).

(١) انظر الزجاج ١١٣/١ والفراء ٤١/١ والدر ٧٢/١ عن قتادة وجوير.

(٢) في (هـ): نزلوا.

(٣) في غير (أ) وقوله.

(٤) في (حـ): عثا يعني عثوا، وفي (د) عثا يعثو عثوا، وفي (هـ): عثي يعثو عثوا (انظر مجاز القرآن ٤١/١ والطبري ١٢٣/٢ - ١٢٤). يقال عثي يعثي عثوا - بفتح العين في الماضي وكسرها في المستقبل، وصوابه: عثي يعثي بكسر العين في الماضي، وفتحها في المستقبل عثياً، وفيه لغة أخرى: عثا يعثو - بفتح العين في الماضي وضمها في المستقبل هكذا في الصحاح (عمدة القوي والضعيف ص ٤).

(٥) في (د): والسلوى.

(٦) في (و، هـ): وكان.

(٧) الخبيص: الحلوى (حاشية (أ)).

(٨) انظر الطبري ١٢٥/٢ - ١٢٦ عن قتادة والسدي والدر ٧٢/١ عن قتادة وابن كثير ١٠١/١ عن الحسن والرازي ٩٨/٣ - ٩٩.

(٩) في (د): واسله.

(١٠) في (هـ): والمطبوعة: وقل له أخرج لنا.

(١١) انظر فتح القدير ٩١/١ وغرائب النيسابوري ٢٩٩/١ والبحر ٢٣١/١ والطبري ١٢٥/٢ عن قتادة والسدي.

(١٢) في (د): بلا خلاف. (١٤) انظر الطبري ١٣٠/٢ والبيان ٨٦/١ وفتح القدير ٩٢/١ عن الزجاج.

(١٣) الزيادة من (د).

(١٤) في (د): تستبدلون.

(١٦) انظر الفراء ٤٢/١ والزجاج ١١٥/١ والبيان ٦٧/١ والدر ٧٣/١ عن مجاهد.

وقوله تعالى: ^(١) ﴿اهبطوا مصرأ﴾ ^(٢) فإن لكم ما سألتكم﴾ أي: انزلوا مصرأ من الأمصار فإن الذي سألتكم لا يكون إلا في القرى والأمصار، وفي الكلام إضمار كأنه قيل: فدعا موسى فاستجبنا ^(٣) له وقلنا لهم (اهبطوا مصرأ) ويجوز أن يكون أراد: «مِصرَ» بعينها، وصرفها لختفها وقلة حروفها، مثل جُمَل (ودعد) وهند ^(٤).
وقوله تعالى: ^(٥) ﴿وضربت عليهم الذلة﴾ أي: ألزموها إلزاماً لا تبرح عنهم، وأصله من ضرب الشيء على الشيء، كما يضرب المسمار على الشيء فيلزمه.

يقال ضرب فلان على عبده ضريبة، وضرب السلطان على التجار ضريبة، أي: ألزهم شيئاً معلوماً يؤدونه إليه.

و«الذلة»: الذل، و«المسكنة»: مصدر فعل المسكين، يقال: تمسكن الرجل إذا صار مسكيناً.

قال الحسن وقتادة ^(٦): ﴿ضربت عليهم الذلة﴾ هي أنهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون. وقال عطاء بن السائب ^(٧): هي الكستنج ^(٨) وزبي اليهودية ^(٩)، و«المسكنة» زي الفقر، فتري المثري منهم يتبأس ^(١٠) مخافة أن يضاعف عليه الجزية، ولا يوجد يهودي غني النفس ^(١١).

وقوله تعالى: ^(١٢) ﴿وباءوا بغضب من الله﴾: أي: رجعوا في قول الفراء ^(١٣) وقال الكسائي ^(١٤): انصرفوا به، ولا يكون «باءوا» إلا بشيء، إما بخير، وإما بشر يقال: باء يبيء بوءاً وبواءً ولا يكون «باء» بمعنى مطلق الانصراف ^(١٥).

= وفي البيان لابن الأنباري ٨٧/١ «ولا يجوز أن يكون «أدنى» أفعل من الدناءة لأنه ذلك يوجب أن يكون مهموزاً، ولم يهزمه أحد من القراء، وقلب الهمة ألفاً إنما يجوز إذا سكنت وانفتح ما قبلها ولم يوجد هاءنا وإذا لم يوجد ما يقتضي جواز القلب فكيف يدعي وجود ما يقتضي وجوبه؟»

(١) في غير (أ): وقوله.

(٢) فاستجيب.

(٣) في (د): مصر.

(٤) انظر التبيان ٦٩/١ والمشكل ٩٦/١ والفراء ٤٢/١ وابن كثير ١٠١/١ - ١٠٢ عن أبي العالية والربيع والأعمش.

(٥) في غير (أ): وقوله.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ص ١٠ والطبري ١٣٧/٢ والدر ٧٣/١ وابن كثير ١٠٢/١ وفتح القدير ٩٣/١ كلهم عن الحسن وقتادة.

(٧) عطاء بن السائب بن مالك الثقفي أبو السائب الكوفي روى عن أبيه والحسن وسعيد بن جبير وخلق وعنه السفينان وأبو حنيفة والحمادان وشعبة وخلق قال أحمد: ثقة رجل صالح من خيار عباد الله وقال ابن معين اختلط وقال النسائي ثقة في حديثه القديم توفي سنة ١٣٦ هـ. (طبقات الحفاظ ص ٦٧).

(٨) الكستنج: بكاف وسين مهملة وتاء معجمة مثناة من فوق بعدها ياء مثناة من تحت ونون وجيم والكاف مضمومة والسين ساكنة وكذلك الياء والنون مفتوحة: هو زي اليهودية (عمدة القوي والضعيف ص ٤).

قيل هو نطاق يشبه زناد النصارى (حاشية (أ)).

وفي المطبوعة: الكستنج - بدون نون قبل الجيم.

(٩) في (د) وزبي اليهودية المسكنة زي الفقير وزبي المثري يتبأس.

(١٠) يتبأس: أي يظهر الفقر (حاشية أ).

(١١) انظر تفسير ابن عباس ص ١٠ والبغوي ٦٦/١ عن عطاء بن السائب وابن كثير ١٠٢/١.

(١٢) في غير (أ): وقوله.

(١٣) انظر الفراء ٦٠/١ والأخفش ٢٧٣/١ وغريب القرآن ص ٥١ والدر ٧٣/١ عن قتادة.

(١٤) انظر البحر ٢٢٠/١ عن الكسائي والطبري ١٣٨/٢ وابن كثير ١٠٢/١ عن الطبري.

(١٥) انظر ابن كثير «ولا يقال «باء» إلا موصولاً إما بخير وإما بشر... ١٠٢/٢»

وقال عبيدة والزجاج^(١): باءوا بغضب: ^(٢) احتملوه، يقال: قد يؤت بهذا الذنب أي احتملته ومنه قوله تعالى: ^(٣) ﴿أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾^(٤).

ومعنى «غضب الله» ذمه إياهم وإنزال العقوبة بهم.

وقوله ^(٥) ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ضرب الذلة والمسكنة والغضب ﴿بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله﴾ قال ابن عباس^(٦) يريد: الحكمة التي أنزلت على محمد ﷺ^(٧).

وقوله تعالى: ^(٨) ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ﴾^(٩) يعني: من قتلهم اليهود^(١٠) من الأنبياء مثل زكريا^(١١) ويحيى^(١٢) وشعيا^(١٣).

وقوله ﴿بغير الحق﴾ أي قتلا بغير حق، يعني: بالظلم.

وأكثر العرب: على ترك همزة «الني» وبابه^(١٤)، قال أبو عبيدة: اجتمعت^(١٥) العرب على حذف الهمزة من أربعة أحرف، من «الني» و«الذرية» و«الخاوية» و«البرية» وأصلها الهمزة^(١٦).

قال الزجاج وعدة معه: اشتقاق «الني» من نبأ، وأنبأ، أي: أخبر وترك همزه لكثرة الاستعمال وهذا مذهب سيويه، واستردأ^(١٧) سيويه همز «الني والبرية»، لأن الغالب في استعمالها تخفيف الهمزة.

وحجة من همز «الني» أن يقول: هو أصل^(١٨) الكلمة، ولا ينكر أن يؤتى بالكلمة^(١٩) على أصلها^(٢٠).

(١) انظر الزجاج ١١٦/١ ومجاز القرآن ٤٢/١. والبغوي ٦٦/١ عن أبي عبيدة.

(٢) في (د): وباؤا بغضب أي احتملوه.

(٤) سورة المائدة / ٢٩.

(٥) ساقطة من المطبوعة.

(٣) في غير (أ): قوله.

(٦) عند ابن عباس في تفسيره: يجحدون بمحمد ﷺ والقرآن ص ١٠.

(٧) في (ح): عليه السلام.

(٩) في (د): ويقتلون النبيين بغير الحق.

(١٠) في (د): أي من قتلهم اليهود مثل.

(٨) في غير (أ): وقوله.

(١١) هو زكريا بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشيان بن داود بن سليمان بن مسلم... سليمان بن داود عليهم السلام. (البداية والنهاية ٤٧/٢).

(١٢) يحيى بن زكريا عليهما السلام.

(١٣) شعيا: لما كثر في بني إسرائيل الأحداث والذنوب وكانت عاداتهم: إذا ملك عليهم رجل بعث الله إليه نبياً يرشده ويوحى إليه ما يريد، ولم يكن لهم غير شريعة التوراة فلما ملك (صدقية) بعث الله إليه شعيا وهو الذي بشر بعيسى وبمحمد عليهما السلام فقتله بنو إسرائيل بالمنشار (الكامل لابن الأثير ٢٥٥/١ - ٢٥٧).

(١٤) انظر تفسير الطبري ١٤٠/٢ - ١٤٢، والبحر ٢٢٠/١ واللسان / نبأ.

(١٥) في المطبوعة: أجمعت.

(١٦) قال سيويه: ليس أحد من العرب إلا ويقول: تنبأ مسيلم، بالهمز، غير أنهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذرية والبرية والخاوية، إلا أهل مكة، فإنهم يهمزون هذه الأحرف ولا يهمزون غيرها ويخالفون العرب في ذلك، قال والهمز في «الني» لغة رديش. (اللسان / نبأ).

(١٧) في (د): واستردى همز.

(١٩) ساقطة من (ح).

(١٨) مكررة في (ه).

(٢٠) انظر السبعة ص ١٥٧ والحجة لأبي زرع ٩٨ - ٩٩ والزجاج ١١٧/١ والتبيان ٦٩/١ والنشر ٤٠٦/١ والكتاب لسيويه ٣/٥٥ وغرائب النيسابوري ٣٠٠/١ عن سيويه والزاهر ١٢١/٢ - ١٢٣، ١٧٨ والخاوية: التي يخبأ الأشياء فيها.

وقوله تعالى: (١) ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ أي: ذلك الكفر والقتل بشؤم ركوبهم المعاصي ﴿وكانوا يعتدون﴾ (٢) يتجاوزون ويرتكبون محارمي، و«الاعتداء» تجاوز (٣) الحد.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ءَآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

قوله تعالى: (٤) ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك، وقيل (٥) أراد المنافقين الذين آمنوا بالسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم ﴿والذين هادوا﴾ أي: دخلوا في دين اليهودية، كقوله (٦): ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا﴾ (٧).

واختلفوا، لم سُموا اليهود (٨)؟ فقال بعضهم: هو من اليهود، وهو التوبة ولما تابوا من عبادة العجل لزمهم هذا الاسم، يقال: هاد يهود، إذا تاب، ومنه قوله تعالى: ﴿إنا هدنا إليك﴾ (٩).

وقيل هو من الهيد، وهو الحركة (وذلك أنهم كانوا يتحركون عند قراءة التوراة فلزمهم هذا الاسم) (١٠) (١١).

(والنصارى) واحدهم: نصري، مثل: بعير مهري، وإبل مهاري، وسموا نصارى لأنهم كانوا من قرية يقال لها «نصرة» (١٢).

(والصابئين) يقال: صبأ الرجل في دينه يصبأ (١٣) صبوءاً، إذا كان صابئاً وهو الخارج من دين إلى دين، وهم قوم كانوا يعبدون النجوم ويعظمونها (١٤).

وقال قتادة (١٥): هم قوم كانوا يعبدون الملائكة، وقال مجاهد (١٦): هم قبيلة من اليهود والمجوس لا دين لهم.

(١) في غير (أ): وقوله.

(٢) في (د): أي يتجاوزون.

(٣) في (د): مجاوز.

(٤) في غير (أ): قوله.

(٥) أي بدلاً له جعلهم مقترنين باليهود والنصارى والصابئين (فتح القدير ٩٣/١، وانظر البحر ٢٤١/١ عن الثوري).

(٦) في المطبوعة: كقوله تعالى.

(٧) سورة الأنعام/ ١٤٦، والنحل/ ١١٨ ولم تخرج إلا من سورة النحل في المطبوعة وانظر سورة النساء/ ١٦٠ (من الذين هادوا حرمنا).

(٨) في (د): لم سموا يهوداً. هو من اليهود، وهو التوب.

(٩) سورة الأعراف/ ١٥٦.

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (د).

(١١) انظر في معنى «هادوا»: الزجاج ١١٨/١ والبيان ٧٠/١ ومجاز القرآن ٤٢/١، والمشكل ١٠٩/١ والدر ٧٤/١ عن علي وابن مسعود

والزاهر ٢٢٥/٢ - ٢٢٦ وابن كثير ١٠٣/١ فقد ذكر الأقوال كلها.

(١٢) انظر الطبري ١٤٤/٢ - ١٤٥ والزاهر ٢٢٥/٢ والدر ٧٥/١ عن ابن عباس وفتحة القدير ٩٤/١.

(١٣) في (ح): تصبأ، وفي (د): يصبو.

(١٤) انظر الزجاج ١١٩/١ ومجاز القرآن ٤٣/١ والبيان ٧٠/١ وغريب القرآن ص ٥٢.

(١٥) انظر غريب القرآن ص ٥١ عن قتادة والطبري ١٤٧/٢ وغرائب النيسابوري ٣٠٣/١ والدر ٧٥/١ وابن كثير ١٠٤/١ كلها عن قتادة.

(١٦) انظر تفسير مجاهد ص ٧٧ والثوري ص ٤٧ والطبري ١٤٦/٢ والدر ٧٥/١ وابن كثير ١٠٤/١ كلها عن مجاهد.

وقرأ نافع (١): (الصابون) و(الصابين) بترك الهمزة (٢)

ولا يجوز سيبويه ترك الهمز على هذا الحد إلا في الشعر، وأجازه أبو زيد وغيره فهذه القراءة على قول من أجاز ذلك (والقراءة متبعة) (٣).

وقوله تعالى (٤) ﴿من آمن بالله﴾ أي: من جملة هؤلاء الأصناف المذكورة في هذه الآية من آمن إيماناً حقيقياً، وهو أن (٥) يؤمن بالله وبرسوله محمد ﷺ.

والدليل على أنه أراد به الإيمان بمحمد ﷺ: قوله تعالى: (٦) ﴿وعمل صالحاً﴾ وقد قام الدليل على أن من لا يؤمن بالنبي محمد ﷺ لا يكون عمله صالحاً.

وقوله تعالى: (٧) ﴿فلهم أجرهم﴾ جمع «الكناية» بعد أن وحد الفعل في قوله (ءامن)، لأن (من): يصلح للوحد والجمع والمذكر والمؤنث فالفعل يعود إلى لفظ (من) وهو واحد مذكر والكناية تعود إلى معنى (من) (٨) ومثله في القرآن كثير، قال الله تعالى ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ (٩)، وقال في موضع آخر ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ (١٠). والمعنى: لا ينالهم خوف ولا يصيبهم (١١) حزن في الآخرة، لأنهم يصيرون إلى النعيم المقيم، والأمن الدائم.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾

قوله عز (١٢) وجل ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور...﴾ الآية «الطور» الجبل - بالسريانية (١٣) - قد تكلمت به العرب، قال العجاج (١٤):

داني جناحيه من الطور فمر

(١) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني القاريء مولى بني ليث. أصله من أصبهان يكتنأ أبا رويم ويقال أبو عبد الرحمن روي عن فاطمة بنت علي وزيد بن أسلم وأبي الزناد وغيرهم قال أحمد: يؤخذ عنه القرآن وليس في الحديث بشيء ووثقه ابن معين وذكره ابن حبان في الثقات ووثقه ابن عدي مات سنة ١٦٩ هـ.

(تهذيب التهذيب ١٠/٤٠٧ - ٤٠٨).

(٢) انظر السبعة ص ١٥٨ والحجة لأبي زرعة ص ١٠٠ والنشر ١/٣٩٧ والتبيان ١/٧٠.

(٣) من (د).

(٤) ساقطة من (د).

(٥) في غير (أ): وقوله

(٩) سورة الأنعام / ٢٥ ومحمد / ١٦.

(٥) في (هـ): وهو يؤمن.

(١٠) سورة يونس / ٤٢.

(٦) في غير (أ): قوله.

(١١) في (د): يمسهم.

(٧) في غير (أ): وقوله.

(١٢) في (د): قوله تعالى.

(١٣) على قول مجاهد، وقيل: ما من لغة في الدنيا إلا وهي في القرآن وقال الأكثرون: ليس في القرآن لغة غير لغة عربية وإنما الطور وأشباهه: وفاقاً بين اللغتين (حاشية أ).

(١٤) العجاج: عبد الله بن رؤبة بن لييد بن صخر السعدي التميمي أبو الشعثاء العجاج راجز مجيد من الشعراء ولد في الجاهلية وقال فيها الشعر ثم أسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك وكان لا يهجو، وهو والد رؤبة بن العجاج مات سنة ٩٠ هـ.

(الأعلام ٤/٢١٧ - ٢١٨) والبيت في ديوانه والطور: الجبل، ولكن عني به هاهنا الشام، وإنما هذا مثل، يقول: انقض ابن معمر =

قال المفسرون (١): إن موسى لما أتى بني إسرائيل بالتوراة قرأها وما فيها من التغليب كبر ذلك عليهم، وأبوا أن يقبلوا ذلك، فأمر الله عز (٢) وجل جبلاً من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مثل الظلّة، فأوحى الله إلى موسى عليه (٣) السلام: إن قبلوا التوراة، وإلا رضختهم بهذا الجبل، فلما رأوا ذلك قبلوا ما فيها وسجدوا من الفزع، وجعلوا يلاحظون الجبل - وهم سجدوا - فمن أجل ذلك يسجد اليهود على أنصاف وجوههم، فهذا معنى: أخذ الميثاق في حال رفع الجبل فوقهم، لأن - في هذا الحال - قيل لهم ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾.

وكان فيما آتاهم الله تعالى: الإيمان بمحمد ﷺ.

وفي هذه الآية إضمار، لأن المعنى: وقلنا لكم (٤): خذوا ما آتيناكم (٥)، أي: اعملوا بما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه.

وقوله (٦) ﴿بقوة﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة (٧): بجهد ومواظبة على طاعة الله (٨) واجتهاد ﴿واذكروا ما فيه﴾ الكناية تعود إلى «ما» في قوله ﴿ما آتيناكم﴾ (٩) وهو التوراة.

والمعنى (١٠): احفظوا ما في التوراة من الحلال والحرام، واعمَلوا بما فيه، وقيل (١١) اذكروا ما فيه من الثواب والعقاب ﴿لعلكم تتقون﴾ لكي تقوا محارمي فتركوها.

قوله تعالى: (١٢) ﴿ثم توليتهم﴾ أي: أعرضتم وعصيتم أمر الله وتركتم طاعته ﴿من بعد ذلك﴾ من بعد أخذ الميثاق ﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ بتأخير العذاب عنكم ﴿لكنتم من الخاسرين﴾ بالعقوبة، وذهاب الدنيا والآخرة.

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: (١٣) ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت﴾ «العلم» - ها هنا - بمعنى المعرفة، كقوله

= انقضاضة من الشام - والطور بالشام - يقول: إنه قدم عليهم من الشام وهذا مثل وانظر الطبري ١٥٧/٢ والبحر ٢٣٩ والرازي ١٠٧/٣ والبيت:

داني جناحيه من الطور فمر تقضي البازي إذا البازي كسر

(١) انظر الرازي ١٠٧/٣ عن ابن عباس والطبري ١٥٦/٢ - ١٥٧ عن ابن زيد وغرائب النيسابوري ٣٠٣/١ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وابن كثير ١٠٥/١ عن ابن عباس والدر ١٠٤/٣ وفتح القدير ٩٥/١.

(٢) في (د): الله تعالى.

(٣) ساقطة من (هـ). (٤) في (د): لهم.

(٥) في (د): خذوا ما آتيناكم بقوة.

(٦) في (أ): قوله.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ص ١٠، ١٤ والدر ٧٥/١ عنه والبحر ٢٤٣/١ عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن كثير ١٠٥/١ عن الحسن وقتادة والزجاج ٢٠/١ والتبيان ٧١/١، والفراء ٤٣/١.

(٨) في (د): طاعة الله تعالى.

(٩) في (د): (ما آتيناكم بقوة).

(١٠) في (د): والمعنى: هي احفظوا.

(١١) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ١٠ والبحر ٢٤٣/١ عنه.

(١٢) في (ج، هـ): قوله.

(١٣) في (أ): كقوله.

تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^(١) و﴿الَّذِينَ اعْتَدُوا فِي السَّبْتِ﴾ هم: الذين جاوزوا ما أمروا به، من ترك الصيد يوم السبت.

كانوا أمروا ألا يصيدوا السمك في السبت، فحبسوها في السبت، وأخذوها في الأحد، فعدوا في السبت، لأن صيدها: منعها من التصرف.

وذكر الله تعالى قصتهم في سورة^(٢) الأعراف في قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ^(٣)﴾ عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت﴾ الآية^(٤).

قال ابن الأنباري^(٥): «السبت» القطع وسمي السبت من الأيام سبتاً، لأن الله تعالى ابتداء الخلق فيه، وقطع فيه بعض الخلق، وخلق الأرض، ويقال^(٦): أمر فيه بنو إسرائيل بقطع الأعمال وتركها^(٨).

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قردة﴾^(٩) أي: كونوا بتكويننا إياكم وتغييرنا خلقكم وهذا^(١٠) أمر حتم ليس للمأمور فيه اكتساب^(١١) ولا يقدر على دفعه عن نفسه.

و«القردة» جمع قرد، ويقال: قرد وثلاثة أقردة وقروء، وقردة كثيرة.

وقوله تعالى: ﴿خَاسِئِينَ﴾ «الخسء»^(١٢): الطرد والإبعاد يقال: خسأته فحسأً وانحسأً فهو واقع ومطواع^(١٤).

قال الفراء والكسائي^(١٥) يقال: خسأته حسئاً، فحسأً خسوءاً، مثل: رجعت رجعاً فرجع رجوعاً، وتقدير الآية: كونوا خاسئين قردة، لأنه لولا التقديم والتأخير لكان قردة خاسئة^(١٦).

(١) سورة الأنفال / ٦٠ - والعلم بمعنى المعرفة: انظر الطبري ١٦٦/٢ والأخفش ٢٧٧/١ والدر ٧٥/١ عن ابن عباس.

(٢) في (هـ): السور الأعراف وذلك في قوله تعالى.

(٣) في (أ، ج، د) واسلهم، وفي (هـ) وسلهم.

(٤) سورة الأعراف / ١٦٣ وتامها: ﴿... إذ تأتيهم حينئذ يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يستنون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾. وما بين المعقوفين ساقط من (د).

وانظر القصة في الزجاج ١٢١/١ وابن عباس ص ١٠ والدر ٧٥/١ عن ابن عباس وابن كثير ١٠٥/١ ويذكر النيسابوري عن ابن عباس «أن هؤلاء القوم كانوا في زمن داود عليه السلام بأيلة على ساحل البحر بين المدينة والشام» (وحاشية أ).

(٥) انظر الزاهر ١٤٥/٢ - ١٤٦ وغريب القرآن ص ٥٢ والتبيان ٧٢/١ والبغوي ٦٨/١.

(٦) في (جـ): فقال. (٧) في (د): بني.

(٨) ومعنى قطع فيه بعض الخلق: أي أوصل فيه بعض الخلق، لا القطع، أي أتمه (حاشية أ).

(٩) في (جـ، د): وقوله وفي (هـ) قوله. (١٠) في غير (أ) (قردة خاسئين).

(١١) قوله: هذا، أي كونوا أمر تحويل لأنهم لم يكن لهم قدرة على التحول من صورة إلى صورة فمسخ الشباب قردة والشيوخ خنازير لهم أذنان يتعاونون وهو من العواء وهو صوت الكلب (حاشية أ)).

(١٢) أي لا يحصل للمأمور بفعله أي قدرة عليه فهذا لا يكون أمراً بل معناه: صيروا حاشية (أ).

(١٣) في جميع النسخ: الخسأ.

(١٤) واقع: أي متعد، ومطواع أي لازم (حاشية أ) وانظر اللسان / طوع.

(١٥) انظر الزاهر ٤٨/٢ عن الفراء والقرطبي ٤٤٣/١ عن الكسائي وغريب القرآن ص ٥٢ ومجاز القرآن ٤٣/١ والبحر ٢٤٠/١ وفتح القدير ٩٦/١.

(١٦) أي لأنه لو كان صفة لقردة لوجب أن يكون: خاسئة، لا خسائين (حاشية أ)).

يخوف الله تعالى اليهود بهذه (١) الآية في تركهم الإيمان بمحمد ﷺ ويذكرهم ما أصاب من المسخ للذين (٢) اعتدوا في السبت، وهو:

قوله تعالى: (٣) ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا...﴾ الآية، الكناية راجعة إلى القردة (٤) وقال الفراء (٥): الكناية راجعة (٦) إلى المسخة، لأن (٧) معنى (كونوا قردة) مسخناهم قردة، فوعدت الكناية عن الكلام المتقدم. و«النكال» اسم لما جعلته (٨) نكالاً لغيره، إذا رآه خاف أن يعمل عمله من قولهم: نكل عن الأمر ينكل نكولاً، إذا جبن عنه (٩).

وقوله تعالى: (١٠) ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ قال الزجاج (١١): للأمم التي تراها ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ (١٢) ما يكون بعدها. ف «ما» في قوله ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ عبارة عن: الأمم وتكون بمعنى «من».

وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء - قال (١٣): يرد (نكالاً) للخلق الذين كانوا معهم ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ ولجميع من يأتي إلى يوم القيامة - وقال - في رواية الكلبي - (١٤) يقول جعلناها عقوبة ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ لما مضى من ذنوبهم (١٥) ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ يعني: من بعدهم من بني إسرائيل. أن يستنوا بستمهم ويعملوا بعملهم (١٦)، و«ما» الثانية تكون بمعنى «من».

وروى محمد بن الحصين (١٧) عن ابن عباس قال (١٨): يعني ما بين يديها: من القرى وما خلفها: من القرى، ويعتبرون بهم، فلا (١٩) يعملون عملهم. ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: نهياً لأمة محمد ﷺ (٢٠) أن يتجاوزوا ما حد لهم.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنُؤْخِذُكَ هَهُنَا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ

(١) في (ح): في هذه الآية بتركهم الإيمان.

(٢) في غير (أ): للذين.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ص ١١ وغريب القرآن ص ٥٢ والأخفش ٢٧٨/١ والطبري ١٧٦/٢ وابن كثير ١٠٧/١.

(٥) انظر الفراء ٤٣/١ والزجاج ١٢١/١ والبيان ٧٣/١ والمشكل ٩٧/١ والطبري ١٧٥/٢ عن ابن عباس - قال ابن كثير «والصحيح أن الضمير عائد على القرية والمراد أهلها بسبب اعتدائهم في سبتهم» ١٠٧/١.

(٦) في غير (أ): تعود.

(٧) في (د): لأنه.

(٩) انظر معنى «النكال»: في معاني القرآن للزجاج ١٢١/١ وغريب القرآن ص ٥٢ وابن كثير ١٠٧/١. (١١) في (هـ): وما خلقنا.

(١٠) في (ج، د): وقوله، وفي (هـ) قوله.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ص ١١ وغريب القرآن ص ٥٢ وفتح القدير ٩٦/١ عن ابن عباس.

(١٤) انظر تفسير ابن عباس ص ١١ وغريب القرآن ص ٥٢ وتفسير مجاهد ص ٧٨ وفتح الباري ١٣١/٨ وابن كثير ١٠٧/١ عن عكرمة ومجاهد والسدي والفراء وابن عطية.

(١٥) في (د): من ذنوبهم.

(١٧) محمد بن الحصين التميمي ثم الحنظلي روى عن أبي علقمة مولى ابن عباس روى عنه سليمان بن بلال وعبد العزيز بن محمد الدراوردي وعمر بن علي بن مقدم ذكره ابن حبان في الثقات. (تهذيب التهذيب ١٢٢/٩).

(١٨) انظر الدر ٧٦/١ عن ابن عباس والطبري ١٧١/٢ - ١٧٢ والبحر ٢٤٦/١، ٢٤٧.

(٢٠) في (ح): عليه السلام.

(١٩) في (د): ولا.

الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بُكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ
ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
صَفْرَاءٌ فَاقْعُ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن
شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا
قَالُوا أَلَكُنْ جِثَّتْ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا
كُنْتُمْ تَكْفُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقَلْنَا أضرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ
فَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فِيْخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿١﴾ «وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة» قال المفسرون^(٢) كان في بني إسرائيل رجل كثير المال، وله ابن عم مسكين لا وارث له غيره فلما طال عليه موته قتله ليرثه، ولما قتله حمله من قرية إلى قرية أخرى، ثم أصبح يطلب بشاره ودمه، واشتبه أمر القتييل على موسى، ووقع الخلاف فيه^(٣) فسألوا موسى أن يدعو الله^(٤) ليبين لهم ذلك، فسأل موسى ربه، فأمره بذبح بقرة، فقال لهم موسى «إن الله يأمركم^(٥) أن تذبحوا بقرة قالوا^(٦) أتتخذنا هزواً؟ أي: أتستهزى بنا حين نسألك عن القتييل وتأمرنا بذبح البقرة؟ وإنما قالوا ذلك لتباعد الأمرين^(٧) في الظاهر» قال موسى «أعوذ بالله» أي: أمتنع بالله «أن أكون من الجاهلين» أي: من المستهزئين بالمؤمنين ولما علم القوم أن ذبح البقرة عزم^(٩) من الله عز وجل^(١٠) سأله الوصف، ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت^(١١) عنهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم.

و«قالوا» لموسى «ادع لنا ربك يبين لنا ما هي» يقال: بين الشيء وأبانه، إذا أزال الإشكال^(١٢) عن والمعنى: يظهر لنا ما تلك البقرة التي نذبحها لأجل القتييل، وأي شيء هي؟ «قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض» قل الفراء^(١٣): هي الهرمة. وقال الكسائي^(١٤) «الفارض»: الكبيرة العظيمة وقد فرضت فرضاً فروضاً. «ولا بكر»

(١) في (ج، هـ): قوله.

(٢) انظر الطبري ١٨٣/٢ - ١٨٨ - والرازي ١١٤/٣ عن ابن عباس وغيره وأحكام القرآن لابن العربي ٢٢٢/١ - ٢٢٣ - والذري ٧٦/١ - ٧٧ عن

ابن عباس وعبيدة السلماني وابن كثير ١٠٨/١ - ١٠٧ - عنهما وأبي العالية والسدي والبحر ٢٤٩/١.

(٣) ساقطة من (د).

(٤) في (هـ): أي تستهزى (أ) «أي السؤال عن القتل والأمر بالذبح» (حاشية (أ)).

(٥) في (د): الله تعالى.

(٦) في (د): عزم، ومعنى عزم: أي واجب (حاشية أ).

(٧) في (د): من الله تعالى.

(٨) في (هـ) أمركم.

(٩) في (د، هـ): لأجزت.

(١٠) في (أ): فقالوا، وفي (د): فقال.

(١١) في (ح): أشكاله.

(١٢) انظر الفراء ٤٤/١ - ٤٥ - والذري ٧٨/١ عن ابن عباس وابن كثير ١٠٨/١ عن أبي العالية ١٠٩/١ عن ابن عباس السدي وفتح القليل

٩٩/١ عن ابن عباس.

(١٤) انظر تفسير ابن عباس ص ١١ والذري ٧٨/١ عن ابن عباس ومجاهد ومفردات الراغب / فرض ص ٣٧٦ واللسان / فرض.

يقال: بقرة بكر، أي فتية لا تحمل قال الزجاج^(١): أي ليست بكبيرة ولا صغيرة. قال: وارتفع «فارض» بإضمار «هي».

وقوله تعالى: ﴿عوان﴾ قال أبو الهيثم^(٢) «العوان» النصف التي^(٣) بين الفارض والبكر، وقال أبو زيد^(٤) ﴿بقرة عوان﴾: بين المسنة والشابة، وقد عانت تعون عونا^(٥) إذا صارت عوانا.

وقال ابن الأعرابي^(٦): «العون» - من الحيوان - السن بين السنين لا صغير ولا كبير يقال في الجمع: عون ويقال^(٧) فرس عون وخيل عون.

قال^(٨) ابن عباس^(٩): «عوان» بين الصغيرة^(١٠) والكبيرة، وهي أقوى ما يكون من البقر وأحسن ما يكون. وقال^(١١) مجاهد^(١٢): وعوان: وسط قد ولدت بطناً أو^(١٣) بطنين.

وقوله تعالى: ﴿بين ذلك﴾ أي: بين الهرم والشاب^(١٤) وبين الفروض^(١٥) والبقارة. وقوله تعالى: ﴿فافعلوا ما تؤمرون﴾ أي: من ذبح البقرة.

﴿قالوا ادع لنا ربك بين لنا ما لونها﴾ بين^(١٦) لنا أي شيء لونها؟ ﴿قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها﴾ فاقع: مبالغة في نعت^(١٧) الأصفر. قال ابن عباس: شديد^(١٨) الصفرة، قال عدي بن زيد^(١٩):

واني لأسقى الشرب صفراء فاقعاً كأن زكي المسك فيها يفتق^(٢٠)

(١) انظر الزجاج ١٢٢/١ وابن عباس ص ١١ والثوري ص ٤٦ ومجاز القرآن ٤٣/١ والأخفش ٢٧٩/١ وفي حاشية (أ) «أي: لا هي فارض، أو بإضمار المبتدأ».

(٢) في (د، هـ): وقوله.

(٣) انظر الطبري ١٩٣/٢، ١٩٥ عن مجاهد وابن كثير ١١٠/١ عن ابن عباس والسدي وفتح القدير ٩٩/١ عن ابن عباس واللسان/عون.

(٤) في (هـ): الذي.

(٥) انظر اللسان/عون عن أبي زيد والطبري ١٩٦/٢ عن أبي زيد.

(٦) في (أ): يقال، وهي ليست في اللسان/عون.

(٧) في (أ): عوناً، وفي (د، هـ) عووناً، وعليهما جاء في اللسان، وفي المطبوعة: عوناً بفتح العين والواو الساكنة وليست في الأصول، ولكن تسكين الواو لكراهة ضم الواو مع ضم العين والأصل: عون.

(٨) انظر اللسان/عون، عن ابن الأعرابي.

(٩) من (د).

(١٠) في (د): وقال.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ص ١١ والزجاج ١٢٢/١ والطبري ١٩٥/٢ عن ابن عباس والدر ٧٨/١ عنه وفتح القدير ٩١/١ عنه.

(١٢) في (هـ): الصغير.

(١٣) في (أ): قال.

(١٤) في (د): وبين الفروض.

(١٥) انظر تفسير مجاهد ص ٧٩ والطبري ١٩٥/٢ عن مجاهد.

(١٦) في (د): وبين الفروض.

(١٧) في غير (أ) وقوله.

(١٨) في غير (أ): شديدة - وانظر الدر ٧٨/١ قال: شديدة الصفرة والطبري ٢٠١/٢ عنه والبحر ٢٥٢/١ عن ابن عباس والحسن وفتح

القدير ٩٩/١ عن ابن عباس وفي الوجيز للواحد ١٩/١ «شديد الصفرة».

(١٩) عدي بن زيد.

(٢٠) البيت جاء في البحر المحيط ٢٥٢/١ بلا عزو. ومعنى «يفتق» يشق (حاشية أ).

يقال: فقع يفقع فقوعاً: إذا اشتدت صفوته.

قوله تعالى: ﴿تسر الناظرين﴾^(١) أي: تعجبهم بحسنها وصفاء لونها، لأن العين تسر وتولع بالنظر إلى الشيء الحسن.

﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ أسائمة أم^(٢) عاملة ﴿إن البقر تشابه علينا﴾^(٣) اشبهه وأشكل، وذكر الفعل - والبقر: جمع بقرة - لتذكير اللفظ كقوله ﴿نخل منقمر﴾^(٤) وكل جمع حروفه أقل من حروف واحده جاز تذكره مثل: بقر ونخل وسحاب فمن ذكر: ذهب إلى لفظ الجمع (ولفظ الجمع مذكر)^(٥) ومن أتت ذهب إلى لفظ الجماعة، قال الله تعالى ﴿يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه﴾^(٦) وقال ﴿والنخل باسقات﴾^(٧).

قوله^(٨) ﴿وإننا إن شاء الله لمهتدون﴾ قال ابن عباس^(٩): إلى القاتل، قال: ولولا أنهم^(١٠) استثنوا ما اطلعوا على القاتل.

﴿قال﴾ لهم موسى ﴿إنه﴾^(١١) إن ربكم ﴿يقول إنها بقرة لا ذلول﴾ لم يذللها العمل^(١٢) ﴿تثير الأرض﴾ يعني: لا يزرع عليها ليست من العوامل، ومعنى الإثارة - ها هنا - قلب الأرض للزراعة يقال: أثرت الشيء واستترته، إذا هيجته.

﴿ولا تسقي الحرث﴾ أي ليست بسانية^(١٣)، و«الحرث» الأرض المهيأة للزرع ﴿مسلمة﴾ قال ابن عباس وقتادة والربيع^(١٤): أي: من العيوب، وقال الحسن^(١٥) من أثر العمل.

﴿لا شية فيها﴾ «الوشي، والشية» خلط لون بلون^(١٦) يقال: وشيت الثوب أشبه وشياً وشية.

وأصل «الدرء»^(١٧) الدفع، و«أدارأتم» أصله: تدارأتم، ثم أدغم التاء في الدال، وأدخلت الألف ليسلم سكون

(١) في (ج، هـ): قوله وفي (د) وقوله.

(٢) في (د): أي عاملة.

(٣) في (د): أي اشبهه.

(٤) سورة ق/ ١٠.

وانظر التبيان ٧٥/١ - ٧٦ والأخفش ٢٨٠/١ - ٢٨١ والطبري ٢١٠/٢.

(٨) من (د).

(٩) انظر تفسير ابن عباس ص ١١ وفي رأي آخر قال ﴿وإننا إن شاء الله لمهتدون﴾ إلى وصفها، وانظر ابن كثير ١١١/١.

(١٠) في المطبوعة: ولو أنهم لم يستثنوا.

(١١) زائدة لإتمام النص.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٢١٢/٢ عن قتادة والربيع.

(١٣) السانية: هي الناضحة، وهي التي يسقى عليها الزرع، والجمع: السواني (اللسان / سنو) وحاشية (أ) «وفي المثل: سير السواني سفر لا ينقطع» حاشية (أ).

(١٤) انظر تفسير ابن عباس ص ١١ والطبري ٢١٤/٢ عن قتادة والربيع وأبي العالية والبحر ٢٥٧/١ عن ابن عباس وقتادة وأبي العالية ومقاتل والدر ٧٨/١ عن قتادة وأبي العالية وابن كثير ١٠٨/١ عن ابن عباس ١١١/١ عن مجاهد والربيع وقتادة والرازي ١٢١/٣.

(١٥) انظر البحر ٢٥٥/١ عن الحسن، ٢٥٧/١ عن الحسن وابن قتيبة وغريب القرآن ص ٥٤ وفتح القدير ٩٨/١ قال الشوكاني «وهو ضعيف لأن الله سبحانه قد نفى ذلك عنها» والرازي ١٢١/٣.

(١٦) ساقطة من (ج).

(١٧) انظر غريب القرآن ص ٥٤ في معنى «الشية» والرازي ١٢١/٣.

الحرف الأول، ومثله ﴿أنا قتلتم﴾ و﴿أطيرنا﴾^(١). قوله^(٢) ﴿والله مخرج﴾: مظهر ﴿ما كنتم تكتمون﴾^(٣) أي: تخفون وتسترون من أمر القتل.

فقال ابن عباس: لا بياض فيها صفراء كلها. وقال الزجاج: ليس فيها لون يفارق سائر لونها. ﴿قالوا الآن﴾ وهو الوقت الذي أنت فيه ﴿جئت بالحق﴾ بالوصف البين التام الذي دلّ على التمييز من أجناسها.

وقوله تعالى: ﴿فذبحوها﴾ في الآية إضمار ما أراد: فطلبوها فوجدوها فذبحوها ﴿وما كادوا يفعلون﴾ قال ابن عباس، والقرطبي: لغلاء ثمنها وقال السدي: من تشديدهم على أنفسهم وتعنتهم موسى.

قوله تعالى: ﴿وإذ قتلتم نفساً﴾ هذا عطف على قوله (وإذ فرقنا بكم البحر) (وإذ قتلتم يا موسى) والذكر مضمّر هاهنا كأنه قال: واذكروا إذ قتلتم نفساً. وأضاف القتل إليهم وإن كان القاتل واحداً على ما ذكرنا من عادة العرب أنهم يضيفون فعل البعض إلى جماعة القبيلة، يقولون: فعلتم كذا، وإن كان بعضهم فعل ذلك.

وهذه الآية هي أول القصة ولكنها مؤخرة في الكلام ومعناه التقديم.

قوله تعالى: ﴿فأذّارتم فيها﴾ قال ابن عباس: اختلفتم، وقال الربيع: تدافعتم - يعني - ألقى هذا على ذلك وذلك على هذا فدافع كل واحد عن نفسه.

قوله ﴿فقلنا اضربوه ببعضها﴾ قال ابن عباس^(٤): بالعظم الذي يلي الغضروف^(٥)، وقال الضحاك^(٦): بلسانها وقال سعيد بن جبير^(٧): بعجب ذنبها، وقال مجاهد^(٨) ضرب بفخذ البقرة فقام حياً، وقال: قتلني فلان. ثم عاد في ميتته فذلك قوله تعالى: ﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾^(٩) أي: كما أحيا^(١٠) هذا القتل.

وفي الآية اختصار، لأن التقدير: اضربوه ببعضها فيحيا^(١١)، فضرب فحيي ﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾^(١٢).

فإن قيل: ما^(١٤) معنى ضرب القتل ببعض البقرة والله قادر على إحيائه بغير ذلك؟ فالجواب: إن في^(١٥) ذلك تأكيداً^(١٦) لقدرة الله^(١٧) على إحياء الميت إذ جعل الأمر في إحيائه إليهم، وجعل ذلك عند الضرب بموات لا

(٣) من (د).

(٢) سورة النمل/٤٧.

(١) سورة التوبة/ ٣٨.

(٤) انظر الدر ٧٩/١ عن ابن عباس وفتح القدير ١٠١/١ عن ابن عباس كما ذكر المصنف والبخاري ٧٢/١ عن ابن عباس.

(٥) الغضروف: كل عظم رخص لين في أي موضع كان (اللسان / غضر، حاشية أ).

(٦) وهو في تفسير ابن عباس ص ١١ والبخاري ٧٢/١ عن الضحاك وابن كثير ١١٢/١ وغرائب النيسابوري ٣١٢/١.

(٧) انظر غريب القرآن ص ٥٥ والفراء ٣٨/١ وابن عباس ص ١١ والطبري ٢٣١/٢، والبخاري ٧٢/١ عن سعيد بن جبير ومجاهد.

(٨) انظر تفسير مجاهد ص ٧٩ والدر ٧٩/١ عن مجاهد وقناة وعكرمة وابن كثير ١١٢/١ عنهم وفتح القدير ١٠١/١ عنهم والطبري

٢٢٩/٢ عن مجاهد.

(١١) في (ج، د): أحيى.

(٩) في (ج، د): فذلك قوله.

(١٢) في (ج، د): فيحيى.

(١٠) ساقطة من (هـ).

(١٣) وفي حاشية (أ): «في الكلام حذف تقديره: فضرب فحيي فقام وأوداجه تشخب دمًا وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه، ثم سقط

ومات، فحرما الميراث وقتلاه».

(١٦) في (د): تأكيد.

(١٤) في (د): فما معنى.

(١٧) في (د، هـ): لقدرة الله تعالى.

(١٥) في (ح): أن ذلك.

* يوجد عدم ترتيب في النسخة (ح) تنتهي بالصفحة ١٧/ب وتكملتها في صفحة ١٩/أ بعد صفحتين وكذا ١٨/ب تكملتها في ٢٠/أ،

١٩/ب تكملتها في ١٨/أ.

إشكال^(١) في أنه علامة لهم وآية للوقت الذي يحيا فيه عندما يكون منهم (فيأن أنه من فعل الله عز وجل)^(٢).
قوله تعالى: ^(٣) ﴿ويريكم آياته﴾ أي: علامات قدرته في خلق الحياة^(٤) في الأموات ﴿لعلكم تعقلون﴾ لكي تعرفوا قدرة الله عز وجل^(٥) على إحياء الميت.

قال أبو إسحاق^(٦) الزجاج^(٧): وهذه القصة في القرآن من أدل الدلائل^(٨) على نبوة محمد ﷺ^(٩) حيث خبرهم بما صدقه في ذلك أهل الكتاب، وهو رجل عربي أمي، لم يقرأ كتاباً، ولم يتعلم من أحد، ولم يكن هذا من علم العرب.

قوله تعالى: ﴿ثم قست قلوبكم﴾ يقال: «قسا قلبه يقسو قسوة وقساوة وقسوا» وهي الشدة والصلابة واليسس، يقال: حجر قاس: أي صلب، وأرض قاسية: لا تنبت شيئاً قال الزجاج^(١٠) تأويل القسوة: ذهاب الليل والرحمة والخشوع.

قوله تعالى: ^(١١) ﴿من بعد ذلك﴾ أي: من بعد إحياء الميت لكم بعض من أعضاء البقرة وهذه^(١٢) آية عظيمة كاليجب على من شاهدها أن يلين قلبه ويخضع^(١٣) ﴿فهي كالحجارة﴾ قال المفسرون^(١٤): إنما شبه قلوبهم بالحجارة في الغلظة والشدة، ولم يقل كالحديد وإن كان الحديد أصلب من الحجارة^(١٥) - لأن الحديد يلين بالنار، وقد لان لداود عليه السلام بإذن الله حتى صار كالعجين، ولا تلين الحجارة بمعالجة أبداً^(١٦)، ولأن في الحديد منافع، تلك المنافع توجد في الحجارة^(١٧) فشبّه الله قلوبهم بالحجارة لقسوتها ولعدم المنفعة فيها.

قوله تعالى: ^(١٨) ﴿أو أشد قسوة﴾ معناه: بل أشد قسوة، وارتفع أشد بإضمار هي، كأنه قال: أو هي أشد

أخبرنا أبو إبراهيم بن أبي القاسم الواعظ^(٢٠)، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن حمشاذ^(٢١)، أخبرني أبو عبد

- | | |
|--|---|
| (١) في (ج): الإشكال. | (١٠) انظر معاني القرآن للزجاج ١/١٢٨. |
| (٢) في (د): قيل إنه من قول الله تعالى. | (١١) في غير (أ): وقوله. |
| (٣) في (ج، هـ) وقوله، وفي (د) قوله. | (١٢) في (د): وهذا. |
| (٤) في جميع النسخ: الحياة. | (١٣) في (د): قوله. |
| (٥) في (ج، د) قدرة الله على إحياء الميت. | (١٤) انظر تفسير ابن كثير ١/١١٣ عن ابن عباس، والبقوي ١/٧٤. |
| (٦) الكنية ليست في (د). | (١٥) في (د): من الحجر. |
| (٧) انظر معاني القرآن للزجاج ١/١٢٢. | (١٦) في (ح): ولا يلين الحجارة معالجة «أبداً». |
| (٨) في (د) والمطبوعة: الدليل. | (١٧) في (هـ): ولا في الحديد منافع لا توجد في الحجارة تلك المنافع. |
| (٩) في (ح): عليه السلام. | (١٨) في غير (أ): وقوله. |

(١٩) «اختلف علماء العربية في معنى قوله (فهي كالحجارة أو أشد قسوة) بعد الإجماع على استحالة كونها أي «أو» - للشك - فقال بعضهم «أو» هاهنا بمعنى الواو: وتقديره فهي كالحجارة وأشد قسوة.

وقال آخرون: «أو» هاهنا بمعنى: بل، فتقديره: فهي كالحجارة بل أشد قسوة. وقال آخرون: معنى ذلك (فهي كالحجارة أو أشد قسوة) عندهم، حكاه ابن جرير وقال آخرون: المراد بذلك الإبهام على المخاطب.

وقال بعضهم: معنى ذلك: «فقلوبكم لا تخرج عن أحد هذين المثليين» (تفسير ابن كثير/ ١١٤ بتصرف).

(٢٠) سبق.

(٢١) أبو العباس الصندوقي أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري روي عن محمد بن شادل وابن خزيمة وشاخ فتفرد بالرواية عن بضعة عشر

شيخاً، توفي سنة ٣٨٠ هـ.

(شذرات الذهب ٣/٩٦).

الله محمد بن حفص الجويني^(١)، حدثنا ابن أبي الثلج^(٢) حدثنا علي بن حفص المدائني^(٣)، حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن حاطب^(٤)، عن عبد الله بن دينار^(٥)، عن ابن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسي القلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي»^(٦).

ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال «وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار» الكناية في «منه»: عائدة على «ما» كأنه قيل: وإن من الحجارة للذي يتفجر منه الأنهار، يعني: من الحجارة ما يسيل منه أنهار من ماء «وإن منها لما يشقق» أي: يتشقق^(٧)، فأدغمت التاء في الشين «فيخرج منه الماء»^(٨) وإن منها لما يبسط^(٩) أي: ينزل ويسقط (من رأس الجبل إلى أسفله)^(١٠) «من خشية الله».

قال مجاهد^(١١): كل حجر تفجر منه الماء، أو تشقق^(١٢) عن الماء، أو تردى^(١٣) من رأس جبل^(١٤) فهو من خشية الله^(١٥) نزل في القرآن.

ومعنى الآية: إن الحجارة قد تصير إلى هذه الأحوال التي ذكرها من خشية الله^(١٦) وقلوب اليهود لا تخشع ولا

(١) في (هـ): محمد بن جعفر، وهو: الإمام أبو عبد الله محمد بن حفص بن محمد بن يزيد النيسابوري الجويني الأصل أحد الأئمة قال أبو عبد الله الحاكم: هو شيخ ثقة، توفي سنة ٣١٣ هـ (سير الأعلام ٤٦٨/١٤ - ٤٦٩).

(٢) محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن أبي الثلج أبو بكر - ويقال أبو عبد الله - البغدادي صاحب أحمد بن حنبل، رازي الأصل روى عن علي بن حفص المدائني وي زيد بن هارون وروح بن عباد وغيرهم روى عنه البخاري والترمذي وابن خزيمة وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢٥٧ هـ (تهذيب التهذيب ٢٤٧/٩ - ٢٤٨).

(٣) علي بن حفص المدائني عن شعبة وحريز بن عثمان وعنه أحمد بن حنبل قال أحمد هو أحب إلي من شابة وقال أبو داود ثقة وقال النسائي ليس به بأس احتج به مسلم (الميزان ١٢٥/٣).

(٤) إبراهيم بن عبد الله بن الحارث بن حاطب بن الحارث بن معمر الجمحي ومن غرائب حديث «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله - الحديث» قال الترمذي: حسن غريب قال الذهبي إبراهيم هذا مدني مقل ما علمت فيه جرحاً (الميزان ٤١/١).

(٥) عبد الله بن دينار مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب سمع مولا عبد الله بن عمر وسليمان بن يسار وأبا صالح السمان ونافعاً توفي سنة ١٢٧ هـ (كتاب الجمع ٢٥١/١).

(٦) الحديث: رواه الترمذي في جامعه - أبواب الزهد - باب ما جاء في حفظ اللسان رقم ٢٥٢٣ عن ابن عمر وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن عبد بن حاطب (٣٣/٤) وقد ساق طريقاً أخرى عن ابن عمر.

(٧) ساقطة من (هـ) وانظر أصل الكلمة في التبيان ٧٩/١.

(٨) لإتمام النص القرآني.

(٩) في (د): زيادة (من خشية الله).

(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(١١) انظر تفسير مجاهد ص ٨٠ والطبري ٢/٢٤٠ والدر ١/٨١ وابن كثير ١/١١٣ كلها عن مجاهد.

(١٢) في (هـ): وتشقق وتردى. من رأس جبل إلى أسفله.

(١٣) في (د): من خشية نزل.

(١٤) «فإن قيل: الحجر الجماد لا يفهم شيئاً فكيف يخشى؟ قلنا الله تعالى يفهمه ويلهمه فيخشى بإلهامه. ومذهب أهل السنة: إن الله تعالى

علماً في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية كما قال جل ذكره «وإن من شيء إلا

يسبح بحمده» وقال «ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض» وأمثال هذه كثيرة فيجب الإيمان به (حاشية أ).

تخشى الله ولا تلين، لأنهم عارفون بصدق محمد ﷺ وبأن من كذبهم كانت النار عاقبته، ثم لا يؤمنون به^(١)، فقلوبهم أقسى من الحجارة.

ثم أوعدهم على ترك الإيمان بمحمد ﷺ فقال: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ أي: أن يجازيكم على ذلك ثم خاطب النبي ﷺ والمؤمنين فقال:

﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ٧٥ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٧٦ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ﴾ ٧٧ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا ءَامَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَتُنُونُ﴾ ٧٨ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ٧٩ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيُّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخِذُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ ٨٠ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئًا وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّكَارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٨١ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٨٢

﴿أفظمعون﴾ وهذا استفهام معناه الإنكار والنهي ﴿أن يؤمنوا لكم﴾ أي^(٢): يصدقكم اليهود ﴿وقد كان فريق منهم﴾ أي: طائفة وجماعة ﴿يسمعون كلام الله﴾ يعني التوراة ﴿ثم يحرفونه﴾ أي: يغيرونه ﴿من بعد ما عقلوه﴾ علموه^(٣) وفهموه يعني: الذين غيروا آية الرجم وصفة محمد عليه السلام^(٤) وهذا قول مجاهد وقتادة والسدي^(٥).

وقال ابن عباس ومقاتل^(٦): هم الذين انطلقوا مع موسى إلى الجبل فسمعوا كلام الله ثم حرفوه، وزادوا فيه وذلك: أنهم لما رجعوا إلى قومهم سألمهم الذين لم يذهبوا معهم. فقالت طائفة منهم - ﴿لم يرد الله أن يظهر قلوبهم﴾^(٧) سمعنا الله في آخر كلامه يقول: إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا ولا بأس فغيروا ما سمعوا، ولم^(٨) يؤدوه على الوجه الذي سمعوه، فقبل في هؤلاء الذين شاهدتهم النبي ﷺ^(٩) إنهم إن كفروا

(١) في (د): ثم لا يؤمنون فقلوبهم.

(٢) في (د): ثم لا يؤمنون فقلوبهم.

(٣) في (د): ثم لا يؤمنون فقلوبهم.

(٤) في (د، هـ): ﷺ.

(٥) انظر تفسير مجاهد ص ٨٠ وابن كثير ١١٥/١ عن مجاهد وقتادة والسدي وفتح القدير ١٠٣/١ عنهم وأسباب النزول للواحدي ص ١٧.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ص ١٢ والبغوي ٧٦/١ عن ابن عباس ومقاتل، وابن كثير ١١٥/١ عن ابن عباس وفتح القدير ١٠٣/١ عن ابن عباس والتسهيل ص ٥١.

(٧) سورة المائدة/ ٤١ «أوردتها المصنف بطريق الاقتباس وجعلها صفة لطائفة» (حاشية أ).

(٨) في (ح): فلم.

(٩) في (هـ): صلى الله.

وحرفوا فلهم سابقة في كفرهم وهذا مما يقطع الطمع في إيمانهم.

وقوله تعالى^(١): ﴿وهم يعلمون﴾ أي: لم يفعلوا ذلك عن خطأ ونسيان بل فعلوه عن قصد وتعمد.

قوله^(٢) ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا (قالوا آمنا)﴾^(٣) قال ابن عباس والحسن وقتادة^(٤): يعني منافقي اليهود كانوا إذا رأوا المؤمنين قالوا: آمنا بمحمد ﷺ أنه نبي صادق نجده في كتابنا بنعمته وصفته ﴿وإذا خلا بعضهم إلى بعض﴾: إذا رجعوا إلى^(٥) رؤسائهم لأموهم على^(٦) ذلك و﴿قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم﴾ قال الكلبي^(٧): قال بما قص الله عليكم في كتابكم أن محمداً حق وقوله صدق^(٨). وقال الكسائي^(٩): بما بينه الله^(١٠) لكم من العلم بصفة محمد^(١١) النبي المبشر به ونعته.

﴿ليحاجوكم به﴾ ليجادلوكم ويخاصموكم يعني: أصحاب محمد عليه السلام^(١٢) ويقولون لليهود^(١٣): قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه.

وقوله تعالى: ﴿عند ربكم﴾ قال ابن الأنباري: معناه^(١٤): في حنك ربكم كما تقول: هذا حلال عند الشافعي أي: في حكمه (وهذا يحل عند الله أي في حكمه)^(١٥) والمعنى: لتكون لهم الحجة عليكم عند الله في الدنيا والآخرة ﴿أفلا تعقلون﴾؟ أفليس لكم ذهن الإنسانية. وهذا من^(١٦) كلام رؤسائهم لهم^(١٧) في لومهم إياهم فقال الله تعالى:

﴿أو لا يعلمون﴾ يعني^(١٨): اليهود ﴿أن الله يعلم ما يسرون﴾ من التكذيب ﴿وما يعلنون﴾ من التصديق؟.

قوله تعالى: ﴿ومنهم﴾^(١٩) عبد الله: من اليهود: ﴿أميون﴾ قال الحجاج^(٢٠): معنى «الأمي» في اللغة: المنسوب إلى ما عليه جيلة^(٢١) الأمة، أي: لا يكتب، فهو في أنه لا يكتب على ما ولد عليه.

(١) في غير (أ) وقوله.

(٢) من (د).

(٣) في (د): قوله تعالى.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ص ١٢ والذر ٨١/١ عن ابن عباس وقتادة وابن كثير ١١٥/١ عن ابن عباس والسدي والربيع وأسباب النزول للسيوطي ص ١٣ - ١٤ والوجيز للواحدي ٢٠/١ والبيهقي ٧٦/١ عن ابن عباس والحسن وقتادة.

(٥) في (هـ): عن ذلك.

(٦) انظر البحر ٢٧٣/١ عن الكلبي، والطبري ٢٥١/٢ عن ابن عباس، وابن كثير ١١٦/١ عن أبي العالية والتسهيل ص ٥١.

(٧) في (د): مصدق.

(٨) في (د): الله تعالى.

(٩) انظر تفسير البيهقي ٧٦/١ عن الكسائي والطبري ٢٥١/٢ عن أبي العالية وقتادة والبحر ٢٧٣/١ عن أبي العالية عن ابن عباس وغرائب النيسابوري ٣١٧/١ وتفسير ابن عباس ص ١٢ والتسهيل ص ٥١.

(١٠) في (د، هـ): بصفة النبي، وفي (هـ) بصفة النبي ﷺ.

(١١) في (د، هـ): ﷺ.

(١٢) في (د): وقد أقررتم.

(١٣) ما بين المعقوفتين: ساقط من (د) وانظر في هذا المعنى: البحر المحيط ٢٧٤/١ وغرائب النيسابوري ٣١٧/١ والتسهيل ص ٥١.

(١٤) في (د): (ومنهم أميون).

(١٥) انظر الزجاج ١٣٢/١ والبحر ٢٦٩/١.

(١٦) ساقطة من (د).

(١٧) جيلة: أي خلقة (حاشية أ).

(١٨) في (د): أي اليهود.

وقال غيره^(١): قيل للذي لا يكتب أُمي، لأن الكتابة مكتسبة، أي هو على ما ولدته أمه لم يتعلم الكتابة. وقوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ قال الكلبي^(٢): لا يحسنون قراءة الكتاب ولا كتابته^(٣). ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ قال ابن عباس^(٤): إلا أحاديث لا يعلمون إلا ما حدثوا به، وقال الفراء^(٥): «الأماني»: الأحاديث المفتعلة يقول الله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾، ولكن أحاديث مفتعلة ليست - كتاب الله، يسمعونها من كبارهم، وهي كلها أكاذيب. والعرب تقول: أنت إنما تممتني هذا القول: أي: تختلقه^(٦).

وقال أحمد بن يحيى^(٧): «التمني» الكذب، يقول الرجل: والله ما تمنيت هذا الكلام ولا اختلقته. وقال الحسن وأبو العالية وقتادة^(٨): في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ أي^(٩): إلا أن يتمنوا على الله الباطل والكذب كل قولهم ﴿لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾^(١٠) وقولهم ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾^(١١) وقولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾^(١٢).

قال ابن الأنباري^(١٣): والاستثناء على هذا التأويل منقطع عن الأول^(١٤) يريد لا يعلمون الكتاب البتة، لكنهم يتمنون على الله ما لا ينالون.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ قال ابن عباس^(١٥): لا يعلمون ولا يدرون ما هم فيه وهم يجحدون نبوت بالظن. وقال أصحاب المعاني^(١٦): ذم الله بهذه الآية قوماً من اليهود لا يحسنون شيئاً وليسوا على البصيرة إلا بما

(١) انظر البحر ٢٦٩/١ وابن كثير ١١٦/١ عن ابن جرير وفتح القدير ١٠٤/١.

(٢) في غير (أ) وقوله.

(٣) في (د): (يعلمون الكتاب).

(٤) انظر تفسير الرازي ١٣٩/٣ والدر ٧٢/١ عن النخعي وابن كثير ١١٦/١ عن النخعي وأبي العالية والربيع وقتادة.

(٥) في (د): كتابة الكتاب ولا قراءته.

(٦) عند ابن عباس في تفسيره ص ١٢ «إلا أحاديث بلا أصل» وانظر غريب القرآن ص ٥٥ والطبري ٢٦١/٢ وابن كثير ١١٦/١ وفتح

القدير ١٠٦/١ كلها عن ابن عباس واليحيى ٢٧٥/١ عن ابن عباس ومجاهد.

(٧) انظر الفراء ٤٩/١ - ٥٠ والزاهر ١٦٠/٢ عن الفراء والبيهقي ٧٧/١ عن الفراء.

(٨) انظر الزجاج ١٣٢/١ وغريب القرآن ص ٥٥ واللسان/ منى.

(٩) انظر تفسير الرازي ١٣٩/٣ ومجاهد ص ٨١ والقرطبي ٦/٢ وابن كثير ١١٧/١، واللسان/ منى.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٢٦١/٢ عن قتادة والبيهقي ٧٧/١ عن الحسن وأبي العالية وابن كثير ١١٧/١ عنهم.

(١١) في غير (أ): في قوله.

(١٢) ساقطة من (د).

(١٣) سورة البقرة / ٨٠.

(١٤) انظر التبيان ٨٠/١ والمشكل ١٠٠/١ والطبري ٢٦٤/٢ والرازي ١٣٩/٣ والبحر ٢٧٥/١ وغرائب النيسابوري ٣١٨/١ وفتح القدير

١٠٤/١.

(١٥) «لأن الأماني ليست من جنس العلم، يعني لا يعلمون الكتاب ولكن يتمنون، الأماني: واحدتها أمنية - أفعولة - من التمني» (حاشية أ)

وانظر اللسان/ منى والطبري ٢٦٤/٢ والبحر ٢٧٥/١.

(١٦) في (ج، د): وقوله وفي (هـ): قوله: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أن بمعنى «ما» وما بعده ابتداء وخبر، وحاشيا وجدت «إن» المكسرة

المخففة وبعدها «إلا» فهي بمعنى «ما» (المشكل ١٠٠/١ والتبيان ٨١/١).

(١٧) انظر الطبري ٢٦٦/٢ والدر ٨٢/١ وابن كثير ١١٧/١ وفتح القدير ١٠٥/١ كلها عن ابن عباس.

(١٨) انظر الطبري ٢٦٦/٢ وغرائب النيسابوري ٣١٨/١ والبحر ٢٧٦/١.

يحدثون به، وإلا ما يقرءونه من غير علم به، فقيه حث على تعلم العلم، حتى لا يحتاج الإنسان إلى تقليد غيره وأن يقرأ شيئاً لا يكون له به معرفة.

قوله تعالى: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾ روى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ^(١) قال: «ويل واد في جهنم، يهوي فيه^(٢) الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره»^(٣).

وقال عطاء بن يسار^(٤): «(٥) «الويل» واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لانماعت من حره»^(٦). وقال الزجاج^(٧): «الويل» كلمة يستعملها كل واقع في هلكة.

وقال الكلبي - عن ابن عباس - في قوله (فويل) قال: الشدة من العذاب^(٨). ﴿للذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾ يعني: يغيرون صفة محمد رسول الله ﷺ في كتابهم فجعلوه آدم سبطاً^(٩) طويلاً، وكان ربعة أسمر^(١٠)، وكتبوا صفته على غير ما كانت في التوراة، وذلك لما كانوا يأخذونه من المآكل^(١١) من سائر اليهود فخافوا أن تذهب مآكلتهم إن هم بينوا الصفة فذلك قوله ﴿وويل لهم مما يكسبون﴾.

أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الأصبهاني^(١٢)، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ^(١٣)، أخبرنا أبو بكر أحمد ابن عمرو بن أبي عاصم^(١٤)، حدثنا أبي^(١٥). حدثنا شبيب^(١٦)، عن عكرمة^(١٧)، عن ابن عباس قال:

(٢) في (أ): يهوي الكافر فيه.

(١) في (هـ): أن رسول الله.

(٣) الحديث رواه الترمذي - كتاب التفسير - باب ومن سورة الأنبياء - عن أبي سعيد رقم ٢٣١٣ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة (٣/٥ - ٤) وانمستدرك - كتاب التفسير - من سورة المدثر ٥٠٧/٢، وفي كتاب الأهوال - «صحيح الإسناد» - عن أبي سعيد ٥٩٦/٤، ومسنند أحمد ٧٥/٣، والجامع الصغير ١٦٧/٢ وصححه.

(٤) عطاء بن يسار الإمام الرباني أبو محمد المدني مولى أم المؤمنين ميمونة الفقيه الواعظ أخو الفقيه سليمان وعبد الله وعبد الملك روى عن زيد بن ثابت وأبي أيوب وعائشة وأبي هريرة وغيرهم، وكان ثقة جليلاً من أوعية العلم توفي سنة ١٠٣ هـ وقيل سنة بضع وتسعين. (تذكرة الحافظ ٩٠/١ - ٩١).

(٥) انظر الطبري ٢٧٢/٢ عن عطاء بن يسار، وابن كثير ١١٧/١ عنه والدر ٨٢/١ عنه وغرائب النيسابوري ٣١٨/١ عنه.

(٦) في تفسير ابن كثير «لماعت» ومعنى «انماعت» أي ذابت (حاشية أ).

(٧) انظر الزجاج ١٣٣/١، والبخاري ٧٧/١ عن الزجاج.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ص ١٢ والزاهر ٢٣٥/١ عن الكلبي والقرطبي ٨/٢ عن ابن عباس بلفظ «المشقة من العذاب» وكذا في تفسير ابن كثير ١١٧/١ عن ابن عباس.

(٩) سبطاً: أي غير جعد، يقال شعر سبط أي مسترسل غير جعد (حاشية أ).

(١٠) الربعة: في صفة النبي محمد ﷺ بمعنى المربوع الذي ليس بطويل ولا قصير (اللسان/ ربيع).

(١١) المآكل: اسم لما يؤكل (حاشية أ).

(١٢) أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن النبيل أبو بكر له مصنفات في الحديث كثيرة وكان حافظاً ولي قضاء أصبهان وقد طاف في البلاد في طلب الحديث توفي سنة ٢٨٧ هـ (البداية والنهاية ٨٤/١١).

(١٥) ساقطة من (ح) ولعل أحمد بن عمرو روى عن جده أبي عاصم النبيل الذي روى عنه شبيب ولم أجد فيما اطلعت عليه من تراجم أحمد بن عمرو أنه حدث عن أبيه عمرو بن عاصم ولم أجد لعمرو هذا ترجمة. والضحاك: روى عن شبيب.

وأبو عاصم النبيل: الضحاك بن مخلد بن مسلم الشيباني البصري قال ابن معين والعجلي وابن سعد وابن قانع: ثقة زاد ابن قانع مأمون وقال أبو حاتم صدوق توفي سنة ٢١٤ هـ (تهذيب التهذيب ٤٥٠/٤ - ٤٥٣).

(١٦) شبيب بن بشر - ويقال ابن عبد الله - أبو بشر الجلي الكوفي روى عن أنس وعكرمة وعنه إسرائيل وسعيد القداح وأبو عاصم النبيل والضحاك وغيرهم، وثقه ابن معين وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخطيء كثيراً (تهذيب التهذيب ٣٠٦/٤).

(١٧) سبق.

«أحبار اليهود وجدوا صفة النبي ﷺ مكتوبة في التوراة: أكحل^(١)، أعين ربعة، حسن الوجه، فلما وجدوه في التوراة مَحَوُّه حسداً وبغياً، فأتاهم نفر من قريش فقالوا: أتجدون في التوراة نبياً منا؟ قالوا: نعم، نجده^(٢) طويلاً أزرق سبط الشعر»^(٣).

قوله تعالى: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾ قال ابن عباس^(٤): قدم رسول الله ﷺ المدينة ويهود تقول: إنما هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب بكل ألف سنة يوماً واحداً، ثم ينقطع عنا العذاب فأول الله^(٥) في ذلك ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾ أي: قليلة.

و«المعدودة» إذا أطلقت كان معناها: القليلة كقوله ﴿دراهم معدودة﴾^(٦) فقال الله عز وجل ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده﴾ أي: هل أخذتم^(٧) بما تقولون من الله ميثاقاً؟ فالله^(٨) لا يتقضى ميثاقه ﴿أم تقولون على الله﴾ الباطل جهلاً منكم.

والمعنى: قل لهم: على أي الحالتين أنتم على اتخاذ العهد؟ أم على القول بـ ﴿ما لا تعلمون﴾؟

قوله تعالى: ﴿بلى من كسب سيئة...﴾^(٩) قال الفراء^(١٠): «بلى» يكون جواباً للكلام الذي فيه الجحود، فإذا قال الرجل: ألسنت تقوم؟ فتقول: «بلى». و«نعم» جواب للكلام الذي لا جحد فيه، فإذا قال الرجل: هل تقوم؟ قلت: نعم قال الله تعالى ﴿الم يأتكم نذير قالوا بلى﴾^(١١) وقال ﴿ألسنت بربك قالوا بلى﴾^(١٢) وقال ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم﴾^(١٣).

والآية رد على اليهود في قولهم ﴿لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾ فقال الله تعالى: بلى أعذب من كسب سيئة^(١٤)، و«السيئة»: العمل القبيح.

وإجماع^(١٥) أهل التفسير: أن «السيئة» ها هنا^(١٦): هي الشرك^(١٧) ﴿وأحاطت به خطيئته﴾ أي: سدت عليه مسالك النجاة، و«الخطيئة»: الذنب على عمد.

(١) في (د): أكحل العين أعين.

(٢) انظر الزجاج ١٣٣/١ - ١٣٤، الدرر ٨٢/١ عن ابن عباس، وأسباب النزول للسيوطي ص ١٤ عن عكرمة عن ابن عباس وفتح القدير ١٠٦/١ عن ابن عباس.

(٤) انظر تفسير الطبري ٢٧٤/٢ - ٢٧٨ عن ابن عباس والمستدرک في کتاب التاريخ ٥٩٨/٢ عن ابن عباس ومجمع الزوائد في کتاب التفسیر عن ابن عباس ٣١٤/٦ وأسباب النزول للسيوطي ص ١٤ وأسباب النزول للواحدي ص ١٧ والدرر ٨٤/١ عن ابن عباس ومجاهد والبحر ٢٧٨/١ وابن كثير ١١٨/١ عن ابن عباس وفتح القدير ١٠٦/١ عنه.

(٥) في (د): فأنزل الله تعالى.

(٦) في (د): فأنزل الله تعالى.

(٧) في (د): فأنزل الله تعالى.

(٨) في (د): فأنزل الله تعالى.

(٩) في (د): فأنزل الله تعالى.

(١٠) في (د): فأنزل الله تعالى.

(١١) في (د): فأنزل الله تعالى.

(١٢) في (د): فأنزل الله تعالى.

(١٣) في (د): فأنزل الله تعالى.

(١٤) في (د): فأنزل الله تعالى.

(١٥) في (د): فأنزل الله تعالى.

قال ابن عباس والضحاك وأبو وائل وأبو العالية والربيع وابن زيد^(١): هي الشرك يموت عليه الإنسان وقال غيرهم^(٢): هي الذنوب الكبيرة الموجبة لأهلها النار.

والمؤمنون لا يدخلون في حكم هذه الآية، لأن الله تعالى أوعد^(٣) بالخلود في النار من أحاطت به خطيئة وتقدمت منه سيئة هي الشرك، والمؤمن - وإن عمل الكبائر - فلم يوجد منه الشرك.

وقرأ أهل المدينة (خطيئاته) بالجمع، والباقون: على الواحدة، لأنها أضيفت إلى ضمير^(٤) مفرد، فلما لم يكن الضمير جمعاً لم يجمع كما جمعت في قوله تعالى: ﴿نغفر لكم خطيئاتكم﴾^(٥) لأنه مضاف إلى جماعة، وهي وإن^(٦) كانت مفردة لا^(٧) يمتنع وقوعها على الكثرة، كقوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾^(٨) والعد إنما يقع على الجموع.

ومن قرأ بالجمع: حمل على المعنى، والمعنى الجمع والكثرة لا الواحد، والضمير المضاف إليه جمع في المعنى بدليل^(٩) قوله تعالى: ﴿فأولئك أصحاب النار هم﴾^(١٠) فيها خالدون^(١١).

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾^(١٢).

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ٨٣ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ
دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ٨٤ ثُمَّ أَنْتُمْ هَتُّوْا لَاءَ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ
مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْتُلُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ أَفْثُوْمُنُونَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِّنْكُمْ
إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٨٥

(١) انظر تفسير ابن عباس ص ١٢ والطبري ٢٨١/٢ - ٢٨٤ عن أبي وائل ومجاهد وقتادة والربيع بن خثيم والضحاك وأبي رزين والبعوي ٧٨/١ عن ابن عباس والضحاك وأبي العالية والربيع وعطاء، وابن كثير ١١٩/١ عن الربيع والسدي وأبي رزين وفتح القدير ١٠٧/١ عن الربيع والأعمش.

(٢) انظر الحجة ص ١٠٢ والدر ٨٥٨ عن قتادة والحسن وابن كثير ١١٩/١ عن الحسن والربيع بن أنس والطبري ٢٨٤/١ عن السدي.

(٣) في (د): وعد.

(٤) في (د): وهي آية كانت.

(٥) في (د): مضمير. (٨) سورة إبراهيم ٣٤ والنحل ١٨.

(٦) من (د). (٩) سورة البقرة/ ٥٨.

(١٠) في (د) والمطبوعة: فلا. (١١) ساقطة من (أ).

(١٢) قرأ نافع بالجمع وحجته أن الإحاطة لا تكون للشيء المفرد وإنما تكون لأشياء وأيضاً ما جاء في التفسير «خطيئاته أي الكبائر» انظر الحجة لأبي زرعة ص ١٠٢ والسبعة ص ١٦٢ والنشر ٢١٨/٢ والحجة لابن خالويه ص ٨٣.

(١٣) ذكرتها لإتمام النص، وليبيان عدم سرد جميع الآيات عند المصنف.

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُبْصِرُونَ ﴿٨٦﴾

قوله تعالى: (١) ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله﴾ قرىء (٢) بالياء والتاء، وما كان من (٣) مثل هذا: جاز أن يكون على لفظ الغيبة من حيث كان اللفظ لها، وجاز أن يكون على لفظ المخاطب لأنك تحكي حال الخطاب وقت ما تخاطب، ألا ترى أنهم قد قرأوا ﴿قل للذين كفروا سيغلبون ويحشرون﴾ (٤) على لفظ الغيبة، وبالياء على حكاية حال (٥) الخطاب، وإذا كان هذا النحو جائزاً: جاز أن تجيء القراءة بالوجهين (٦).

قوله تعالى: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ تقديره: وأحسنوا بالوالدين إحساناً (٧) كأنه لما قال: أخذنا ميثاقهم (٧) قال: وقلنا لهم: أحسنوا بالوالدين إحساناً. ويقال أحسن به (٨) وأحسن إليه، قال الله تعالى ﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن﴾ (٩) وقال ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ (١٠) ومعنى الإحسان بالوالدين: البر بهما والعطف (١١) عليهما. وقوله (١٢) ﴿وذو القربى﴾ يعني: القرابة في الرحم ﴿واليتامى﴾ جمع: يتيم مثل: نديم (١٣) وندامى وهو المنفرد من أبيه ما دام طفلاً ﴿والمساكين﴾ يعني الفقراء.

﴿وقولوا للناس حسناً﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة بن جريح ومقاتل والأكثر (١٤): وقولوا للناس صدقاً وحقاً بشأن محمد ﷺ فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا له صفته، ولا تكتموا أمره، ولا تغيروا نعته.

وقال الربيع وعطاء ومحمد بن علي الباقر (١٥): هذا على العموم في تحسين المقالة للناس كلهم (١٦). وقل الحسن والثوري (١٧): يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو أن يأمرهم بما أمرهم الله به، وينههم عما نهاهم الله عنه.

- (١) في (ج، هـ): قوله. (٢) في (د): وكان مثل. (٣) في (د): وكان مثل. (٤) سورة آل عمران / ١٢. (٥) في (د): لفظ الخطاب. (٦) قرأ حمزة والكسائي وابن كثير (لا يعبدون) بالياء وقرأ الباقون (لا تعبدون) بالتاء انظر الحجة لأبي زرعة ص ١٠٢ - ١٠٣ و ١٥٣ - ١٥٤ والسبعة ص ١٦٣، ٢٠١، ٢٠٢ والحجة لأبن خالويه ص ٨٣، ١٠٦. والزجاج ١٣٦/١ والنشر ٢١٨/١ والتبيان ٨٣/١ والمصاحف لابن أبي داود ص ٥٧ ومعنى (لا تعبدون إلا الله) قال الزمخشري: خير بمعنى الطلب وهو أكد، وقيل: كان أصله: أن لا تعبدوا إلا الله فحذفت «أن» فارتفع الفعل، وحكي عن أبي وأبي مسعود أنهما قرأها (لا تعبدوا إلا الله). (٧) انظر تفسير ابن كثير ١١٩/١ بتصرف وانظر معاني القرآن للأخفش ٣٠٧/١. (٨) سورة القصص / ٧٧. (٩) ساقطة من (ج، د) وفي (د) كأنه قال... ميثاقكم. (١٠) في (د): أحسن به أحسن إليه. (١١) من (د). (١٢) من (د). (١٣) في (د): نديم وندامى. (١٤) انظر تفسير ابن عباس ص ١٢ والناسخ والمنسوخ لأبي القاسم بن سلامة ص ٢٦ والطبري ٢٩٦/٢ عن ابن جريج والبحر ٨٦/١ عن ابن عباس وابن جريج والبخاري ٧٩/١ عن ابن عباس وابن جرير وابن جبير ومقاتل. (١٥) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو جعفر الباقر قال ابن سعد والعلجلي ثقة زاد ابن سعد كثير الحديث توفي سنة ١١٤ هـ. (١٦) تهذيب التهذيب ٣٥٠/٩ - ٣٥١. (١٧) انظر الطبري ٢٩٧/٢ عن عطاء بن أبي رباح والبحر ٢٨٦/١ عن محمد الباقر والدر ٨٥/١ عن عطاء وعلي، وفتح القدير ١٠٩/١ عن علي وعطاء. (١٨) انظر الطبري ٢٩٦/٢ عن الثوري والبحر ٢٨٦/١ عنه والبخاري ٧٩/١ عنه وابن كثير ١٢٠/١ عن الحسن وفتح القدير ١٠٩/١ عن ابن عباس وانظر الدر ٨٥/١ عن ابن عباس.

وقال عطاء عن ابن عباس^(١) : المراد بالناس في هذه الآية^(٢) : محمد عليه السلام^(٣) كقوله تعالى : ﴿٤﴾ أم يحسدون^(٥) الناس على ما آتاهم الله من فضله^(٦) ، فكانه يقول : قولوا للنبي ﷺ حسناً .

وقرىء : (حَسَنًا وَحُسْنًا) وكلاهما واحد، لأن الحسن لغة في الحسن، كالبخل والبخل والرشد والرشد، وبابه^(٧)، حكى^(٨) الزجاج عن الأخفش هذا القول فقال: زعم الأخفش^(٩) أنه يجوز أن يكون (حُسناً) في معنى «حَسَنًا» .

وقوله تعالى : ﴿ثم توليتهم﴾ أي : أعرضتم عن العهد^(١٠) والميثاق ﴿إلا قليلاً منكم﴾ يعني : من كان ثابتاً على دينه، ثم آمن بمحمد ﷺ ﴿وأنتم معرضون﴾ كأوائلكم (في الإعراض عما^(١١) عهد إليكم في كتابكم)^(١٢) ومعنى «الإعراض» الذهاب عن المواجهة إلى جهة العرض^(١٣) !

قوله تعالى : ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم﴾ «السفك» : صب الدم^(١٤) يقال : سفك يسفك ويسفك : لغتان، و«دماء» جمع دم .

قال ابن عباس وقتادة^(١٥) : لا يسفك بعضكم دم بعض بغير حق . ﴿ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ أي : لا يخرج بعضكم بعضاً من داره وغلبه عليها^(١٦) ﴿ثم أقررتم﴾ أي : قبلتم ذلك وأقررتم به ﴿وأنتم تشهدون﴾ اليوم على إقرار أوائلكم بأخذ الميثاق عليهم .

قوله ﴿ثم أتتم﴾ الخطاب لقرِيظَةَ والنَّضِيرِ ﴿هؤلاء﴾ أراد : هؤلاء فحذف حرف^(١٧) النداء ﴿تقتلون

(١) انظر تفسير ابن عباس ص ١٢ والبحر ٢٨٦/١ .

(٢) ساقطة من (د) والمطبوعة .

(٣) في غير (أ) : ﷺ .

(٤) قرأ حمزة والكسائي (حَسَنًا) بفتح الحاء والسين وحجتهم أن حسناً وصف للقول الذي كف عن ذكره لدلالة الوصف عليه . كان تأويله : وقولوا للناس قولاً حسناً فترك القول واقتصر على نعته وقرأ الباقون بالضم وحجتهم : إن الحُسْنَ يجمع والحَسْنَ يتبعض أي قولوا للناس في الأشياء كلها وما يجمع أولى مما يتبعض (انظر الحجة لأبي زرعة ص ١٠٢ والسبعة ص ١٦٣ والحجة لابن خالويه ص ٨٣-٨٤ والرازي ١٦٧/٣) .

(٥) في (د) : وحكى .

(٦) انظر الزجاج ١٣٧/١-١٣٨ والتبيان ٨٤/١ والمشكل ١٠٢/١ والقرطبي ١٦/٢ عن الأخفش والأخفش ٣٠٨/١-٣٠٩ وفتح القدير ١٠٨/١ عن الأخفش والحجة لأبي زرعة ص ١٠٢ ، والرازي ١٦٧/٣ عن الأخفش .

(٧) والأخفش : هو سعيد بن مسعدة إمام العربية المجاشعي البصري، كان يقول : ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً إلا وعرضه عليّ «والخفش» : صغر العينين مع سوء بصرهما - ومصنفاته بضعة عشر مصنفاً مات سنة ٢١٥ (شذرات الذهب ٣٦/٢) .

(٨) في (أ) ، (د) : حسن (ولكنها حكاية) .

(٩) في (د) : كاد إليكم . . كما عهد . في (هـ) : عن هذا العهد .

(١٠) ما بين المحقوفتين ساقط من (هـ) .

(١١) «كمن يترك طول الجادة فإنه يذهب في عرضها» حاشية (أ) .

(١٢) في (ج، هـ) قوله . انظر الزجاج ١٣٨/١ ومجاز القرآن ٤٥/١ .

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ص ١٣ وغريب القرآن ص ٥٦ والطبري ٣٠٠/٢-٣٠١ عن قتادة وأبي العالية والدر ٨٦/١ عن أبي العالية والتسهيل ص ٥٢ .

(١٤) ذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٥٦ .

(١٥) في (د) : وأراد هؤلاء يا هؤلاء فحذف النداء من دياركم .

أنفسكم ﴿ يقتل بعضهم بعضاً ﴾ وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم ﴿^(١)

روى الربيع عن أبي العالية، قال: كان بنو إسرائيل إذا استضعف قوم قوماً^(٢) أخرجوهم من ديارهم وقد أخذ عليهم الميثاق: ألا يسفكون دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم وإن أسر بعضهم بعضاً أن يفادوهم، فأخرجوهم من ديارهم، ثم فادوهم، فأمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض^(٣).

وقد كشف السدي عن هذا فقال^(٤): أخذ الله تعالى عليهم أربعة عهود: ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهرة^(٥)، وفداء أسراهم^(٦) فأعرضوا عن كل ما أمروا به إلا الفداء، وذلك: أن قريظة كانت حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج، وكانوا يقتتلون، وذلك: أن قريظة مع الأوس والنضير^(٧) مع الخزرج، فإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم منها، فإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه. فتعيرهم العرب بذلك وتقول: كيف تقاتلونهم وتفدونهم^(٨)؟ فيقولون: إنا قد أمرنا أن نفديهم وحرّم، علينا قتالهم، قالوا: فلم تقاتلونهم؟ قالوا: إنا نستحي أن يستول حلفاؤنا فذلك حين عيرهم الله تعالى عليه، فقال ﴿ثم﴾^(٩) أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم ﴿: قرء بتخفيف الظاء وتشديدها^(١٠)

فمن شدد: أدغم التاء في الظاء لمقاربتهما^(١١) ومن خفف: حذف التاء لكرهية اجتماع المثلين. والمعنى: تتعاونون على أهل ملتكم بالمعصية والظلم.

و«المظاهرة» المعاونة، ومنه قوله تعالى: ﴿وإن تظاهروا عليه﴾^(١٢) وقوله ﴿ساحران تظاهرا﴾^(١٣) وقوله تعالى: ﴿بالإثم والعدوان﴾ «العدوان»: الإفراط في الظلم يقال عدا عدواً وعدواً وأنا وعدواً وعداء.

وقوله تعالى: ﴿وإن يأتوكم أسارى تفادوهم﴾^(١٤): وإن أتوكم^(١٥) مأسورين يطلبون الفداء فديتموهم. وقرئ: «أسارى، وأسرى»^(١٦) وهما جمع أسير وأسير: فعيل في معنى مفعول وإذا كان كذلك فجمعه «فعلى» نحو لدغ

(١) في (هـ): (منكم ديارهم).

(٢) في المطبوعة: قوم أقوماً.

(٣) انظر تفسير الطبري ٣٠٧/٢ عن الربيع عن أبي العالية والبحر ٢٩١/١ عن أبي العالية وابن كثير ١٢١/١ عن ابن عباس.

(٤) انظر تفسير الطبري ٣٠٦/٢ - ٣٠٧ عن السدي والبغوي ٧٩/١ عنه وابن كثير ٢١/١ عنه.

(٥) في (هـ): المظاهرة.

(٦) في (أ): أسراهم.

(٧) في (د): والنضير.

(٨) في (د): وتفدوهم.

(٩) ساقطة من (هـ).

(١٠) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو (تظاهرون) - مشددة الظاء وبالألف وقرأ عاصم وحزمة والكسائي بالتخفيف (انظر الحجة لأبي زرع

ص ١٠٤ والسبعة ص ١٦٣ والزجاج ١٤٠/١ والتبيان ٨٦/١ - ٨٧ والنشر ٢١٨/٢ والحجة لابن خالويه ص ٨٤ والأخفش ٣١٠/١).

قال الطبري: «وهاتان القراءتان - وإن اختلفت ألفاظهما - فإنهما متفقتا المعنى فسواء بأي ذلك قرأ القارئ، لأنهما جميعاً لغتان

معروفتان، وقرءتان مستفيضتان في أمصار الإسلام بمعنى واحد» (انظر تفسير الطبري ٣٠٧/٢ - ٣٠٨).

(١١) في (د) والمطبوعة: لمقارنتها.

(١٢) سورة التحريم ٤/.

(١٣) سورة القصص ٤٨/.

(١٤) قرأ حمزة «أسرى» بغير ألف، وحيثه أن كل فعيل من نعوت ذوي العاهات يجمع على فعلى، وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو

«أسارى» (انظر السبعة لابن أبي داود ٥٧ والحجة لأبي زرع ١٠٤ والتبيان ٨٧/١ والزجاج ١٤٠/١ والمصاحف لابن أبي داود ٧

والحجة لابن خالويه ص ٧٤ والرازي ١٧٢/٣).

ولدغى وقتيل وقتلى، وجريح وجرحى^(١) فالأسرى: هو القياس في جمع أسير.

ومن قال «أسارى»: شبهه بكسالى، وذلك أن الأسير لما كان محبوساً عن كثير من تصرفه للأسرى^(٢) كما أن الكسلان محتبس عن ذلك لعادته شبه به: فقيل في جميعه أسارى كما قيل كسالى.

قال سيويه^(٣): قالوا «كسلى» شبهوه بـ «أسرى» كما قالوا «أسارى» شبهوه بـ «كسالى» وقوله تعالى: (٤) ﴿تفادوهم﴾ قرئ أيضاً بوجهين: بالفتح: من المفاداة وبغير ألف: من الفداء، يقال فديته بمال، قال الله تعالى (٥) ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾^(٦) ويقال: فادى الأسير: إذا أطلقه وأخذ عنه شيئاً ومعنى فديته^(٧) بالشيء: خلصته به وجعلته عوضاً عنه صيانة له^(٨). والقراءتان معناهما واحد، وإنك تقول: فديته بالمال وفاديته وافتديته. قال طرفة^(٩):

على مثلها أمضي إذا قال صحابي ألا ليتني أفديك منها وأفتدي

ومعنى ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ خلصناه به من الذبح.

والمفعول الثاني: محذوف من الآية لأن المعنى: تفدونهم أو تفادونهم بالمال^(١٠).

وقوله تعالى: ﴿وهو محرم عليكم إخراجهم﴾ «هو» إضمار الإخراج الذي تقدم ذكره في^(١١) قوله ﴿وتخرجون فريقاً﴾ ثم بين لتراخي الكلام، أن ذلك الذي حرم عليهم: الإخراج فقال ﴿وهو محرم عليكم﴾.

ولو اقتصر على هذا القدر^(١٢) اشتبه أن يرجع ذلك إلى: فداء الأسرى،^(١٣) فأظهر المكني عنه، وأعاد فقال ﴿إخراجهم﴾.

ونظم الآية - على التقدير والتأخير - لأن التقدير: وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم وهو محرم عليكم إخراجهم وإن يأتوكم أسرى تفدوهم.

و«المحرم» الممنوع منه، و«الحرام» كل ممنوع من فعله، و«المحروم» الممنوع منه ما ناله سواه.

(٤) في غير (أ): وقوله.

(٥) في (ح): قال الله.

(٦) سورة الصفات ١٠٧/.

(٣) انظر الكتاب ٦٥٠/٣ والأخفش ٣١١/١ والحجة لأبي زرعة ١٠٣ والطبري ٣١١/٢.

(٧) قرأ عاصم والكسائي ونافع (تفادوهم) وحجتهم أن هذا فعل من فريقين وقرأ الباقون (تفدونهم) وحجتهم أن في دين اليهود: ألا يكون أسير أهل ملتهم عند غيرهم. (انظر الحجة لأبي زرعة ١٠٤ - ١٠٥ والسبعة ١٦٤ والزجاج ١٤٠/١ والنشر ٢١٨/٢ والتبيان ٨٧/١ والأخفش ٣١١/١ - ٣١٢ والمصاحف لابن أبي داود ٥٧ والرازي ١٧٢/٣).

(٨) في (د): فجعله صيناً له والقراءتان بمعنى واحد.

(٩) طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى قتل شاباً سنة ٦٠ قبل الهجرة وهو من أصحاب المعلقات.

(الأعلام ٣٢٤/٣ - ٣٢٥). والبيت في ديوان طرفة ص ٢٩ ضمن معلقته وانظر الزاهر ٣١٨/٢ والشاهد في البيت: أن أفدي وأفتدي بمعنى واحد (حاشية (أ)).

(١١) في (د): وقوله.

(١٠) في غير (أ) وقوله.

(١٢) (وهو محرم) من غير ذكر (إخراجهم) (حاشية أ).

(١٣) في (د): الأسرى.

انظر الزجاج ١٤١/١ والمشكل ١٠٣/١ والتبيان ٨٧/١ والفراء ٥٠/١ - ٥١.

وقوله تعالى: ﴿أَفْتَوْنُونَ بَعْضَ الْكِتَابِ﴾ يعني: فداء الأسرى ﴿وَتَكْفُرُونَ بَعْضَ﴾ يعني: المقاتلة والإخراج من الديار. وقوله تعالى: ﴿فَمَا جِزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ استفهام في معنى توبيخ ﴿إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني: ما نال^(١) بني قريظة وبني النضير، لأن بني النضير أجلوا من مساكنهم. وبني^(٢) قريظة أبيروا^(٣) بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم^(٤).

و«الخزي» الهوان والفضيحة، وقد أخزاه الله، أي: أهانه وفضحه وفي القرآن ﴿وَلَا تَخْزَوْنَ فِي ضَيْفِي﴾^(٥) أي: لا تفضحون.

ثم أعلم الله تعالى أن ذلك غير مكفر عنهم ذنوبهم^(٦) فقال ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرْدُونَ﴾^(٧): يرجعون ﴿إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ أي: لا روح فيه باتصال أجزائه، وقيل: إلى عذاب أشد من عذاب الدنيا ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: وعيد لهم وتهديد. فمن قرأ بالياء: فهو على الإخبار^(٨) عنهم، ومن قرأ بالتاء فللمخاطبة^(٩): ثم أخبر أنهم استبدلوا قليل الدنيا بكثير الآخرة فقال:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ أي: اختاروا الحياة في هذه الدنيا بالنعيم المقيم والدار الدائم في الآخرة ﴿فَلَا يَخْفَى﴾ أي: لا يهون ﴿عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْصَرُونَ﴾ أي يمنعون من عذاب الله.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِنَسْمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَقِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ قِبَاءً وَبِعَضْبٍ عَلَى عَضْبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

(١) في جميع النسخ: الحياة.

(٢) في (هـ): وبنو.

(٣) من (ح).

(٤) في (ح) أمروا وفي (د) ابتلوا وفي المطبوعة: أبيدوا.

و«أبيروا» من البوار وهو الهلاك قال الحضرمي: «والأصح» «أبيروا» بياء موحدة وياء مشأة وراء من البوار وهو الهلاك» (عمدة القوي والضعيف ص ٤ - ٥).

(٥) «فكان خزي بني قريظة القتل والسبي، وخزي بني النضير الجلاء والنفي من منازلهم إلى أذرعات وأريحاء بالشام» (حاشية (أ)) والزجاج ١٤٠/١.

(٦) في (د): أي يرجعون.

(٦) سورة هود / ٧٨.

(٧) في (هـ): على أخبار.

(٧) انظر الزجاج ١٤٠/١.

(٨) قرأ نافع وابن كثير وأبو بكر (يعملون) بالياء وحجتهم (يوم القيامة يردون) وقرأ الباقون، (تعملون) وحجتهم (أفتؤمنون).

(انظر الحجة لأبي زرعة ص ١٠٥ والسبعة ١٦٠ - ١٦٢ والتبيان ٨٨/١ والنشر ٢١٨/٢، والحجة لابن خالويه ٨٢ - ٨٣).

(٩) ساقطة من (د).

(١٢) في (د): في هذه الدار... ولا.

ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول﴾ أي أرسلنا رسولا يقفور رسولا في الدعاء الى توحيد الله والقيام بشرائع دينه^(١).

يقال: قفا^(٢) أثره، وقفا غيره على أثره: أي أتبعه إياه^(٣).

﴿وآتيناه عيسى ابن^(٤) مريم البينات﴾ وهي العلامات الواضحة التي ذكرها في «سورة آل عمران»^(٥) و«المائدة» ﴿وأيدناه﴾: قويناه، يقال: آيده، وأيده: إذا قواه والأيد والأد: القوة^(٦) ﴿بروح القدس﴾ قال قتادة والربيع والضاحك والسدي وعطاء عن ابن عباس^(٧): إنه جبريل، وكان قرينه يسير معه حيثما سار، وصعد به إلى السماء، لما قصد قتله^(٨) ومثله قوله تعالى^(٩): ﴿قل نزله روح القدس﴾^(١٠) يعني: جبريل، وإنما سمي بذلك: لأن الغالب على جسمه الروحانية (لرقتة وكذلك سائر الملائكة وأضيف إلى «القدس» وهو: الطهارة، لأنه)^(١١) لا يقترب ذنباً ولا يأتي مأثماً.

وقريء «القدس» بالتخفيف والتثقيب، وهما نعتان مثل: العنق والعنق والحلم والحلم، وبابه^(١٢).

قوله تعالى: ﴿أفكلما جاءكم﴾ يا معشر اليهود ﴿رسول﴾ بما لا تهوى أنفسكم﴾ بما لا يوافق أهواءكم^(١٣) ﴿استكبرتم﴾ أي: تعظمتم عن الإيمان به، وذلك: أنهم كانت لهم الرياسة وكانوا متبوعين فأثروا الدنيا على الآخرة ﴿ففريقاً كذبتهم﴾ مثل: عيسى ومحمد عليهما السلام^(١٤) ﴿وفريقاً تقتلون﴾ مثل: يحيى وزكريا عليهما السلام^(١٥)، نظير قوله ﴿فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون﴾^(١٦).

و«الفريق»: الطائفة من الناس.

(١) انظر الزجاج ١٤٢/١ وفتح القدير ١١٠/١.

(٢) في (ج، د): قفي.

(٣) انظر معنى الكلمة في: التبيان ٨٨/١ وغريب القرآن ص ٥٧ وغرائب النيسابوري ٣٣٠/١ والبحر ٢٩٦/١.

(٤) في (أ، هـ): عيسى بن مريم بدون (أ) في (ابن) والذي عليه القرآن عيسى ابن مريم.

(٥) سورة آل عمران ٤٩ - سورة المائدة/ ١١٠.

(٦) انظر الزجاج ١٤٢/١ ومجاز القرآن ٤٥/١ والطبري ٣١٩/٢ والبحر ٢٩٧/١، واللسان/ أيد.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ص ١٣ والطبري ٣٢٠/٢ عن قتادة والسدي والربيع والضحاك وابن كثير ١٢٢/١ عن ابن عباس وابن مسعود وقاتدة وعطية العوفي والربيع بن أنس والسدي ومجاز القرآن ٣٦٨/١.

(٨) انظر غرائب النيسابوري ٣٣١/١.

(٩) في غير (أ): قوله.

(١٠) مكررة في (هـ).

(١١) قرأ ابن كثير «القدس» بإسكان الدال في جميع القرآن وحجته ما جاء في الشعر من قول حسان:

وجبريل رسول الله فينا روح القدس ليس له كفاء
وقرأ الباقون بالضم (انظر الحجة لأبي زرعة ١٠٥ - ١٠٦ والسبعة ١٦٤ والتبيان ٨٨/١ والبحر ٢٩٩/١).

(١٣) أي (د): هواكم (استكبرتم) تعظمتم وذلك لأنهم.

(١٤) ساظفة من (د). (١٥) من (هـ). (١٦) سورة المائدة / ٧٠.

ولما قال لهم رسول الله ﷺ هذا، عرفوا أنه الوحي، يوبخهم الله تعالى بما صنعوا.

﴿وقالوا^(١)﴾ يا محمد ﴿قلوبنا غلغ﴾ وهو جمع: أغلف، وكل شيء في غلاف فهو أغلف يقال: سيقف أغلف وقوس غلفاء، ورجل أغلف: إذا لم يختن^(٢).

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة^(٣): إنهم قالوا استهزاء وإنكارا لما أتى به النبي ﷺ: ﴿قلوبنا عليها غشاوة﴾ فهي أوعية، فلا تعي ولا تفقه ما تقول يا محمد فأكذبهم الله فيما قالوا، وقال ﴿بل لعنهم الله﴾ أي: أبعدهم من رحمته وطردهم^(٥).

و«اللعن» في اللغة: الإبعاد، ثم يسمى: التعذيب والسب والشتيم: لعنا.

يقول الله تعالى: ليس كما ذكروا من أن قلوبهم في الغلاف فلا تفهم، ولكن الله لعنهم وأخزاهم ولم يجعل لهم سبيلا إلى فهم ما يقول محمد، وإن فهموا حُرِّموا الانتفاع به فهذا معنى لعن الله اليهود في هذا الموضع.

وقوله تعالى^(٦): ﴿يكفرهم﴾ أي: بإقامتهم على كفرهم وتركهم الإيمان بمحمد ﷺ جعل الله جزاءهم على ذلك أن لعنهم ﴿قليلاً ما يؤمنون﴾ قال قتادة^(٧): معناه لا يؤمنون منهم إلا قليل لأن من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود.

و«ما» صلة وانتصب «قليلاً» على الحال على تقدير: فيؤمنون قليلاً كعبد الله بن سلام^(٨) وأصحابه.

والآية رد على القدرية لأن الله تعالى بين أن كفرهم بسبب لعنه إياهم، وأنه لما أراد كفرهم وشقاءهم: منعهم الإيمان^(٩).

قوله تعالى: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند^(١٠) الله﴾ يعني: القرآن ﴿مصدق﴾ موافق ﴿ولما معهم﴾ لأنه جاء على^(١١) ما تقدم به^(١٢) الأخبار في التوراة، فهو مصداق الخبر المتقدم ﴿وكانوا﴾ يعني: اليهود ﴿من قبل﴾ أي: من قبل

(١) في جميع النسخ: فقالوا.

(٢) انظر معنى (غلغ) في غريب القرآن ص ٥٧ ومجاز القرآن ٤٦/١ والبيان ١٠٦/١، وغرائب النيسابوري ٣٣٢/١.

(٣) انظر الزجاج ١٤٣/١ والقرطبي ٢٥/٢ عن ابن عباس والدرر ٨٧/١ عن مجاهد وقتادة والفراء ٢٩٤/١ وتفسير مجاهد ص ٨٣.

(٤) في غير (أ): محمد (ص).

(٥) انظر مجاز القرآن في معنى «اللعن» ٤٦/١.

(٦) في غير (أ) وقوله.

(٧) انظر تفسير الرازي ١٧٩/٣ عن قتادة والأصم وأبي مسلم والطبري ٣٢٩/٢ عن قتادة والبحر ٣٠٢/١ عن ابن عباس وقتادة والدرر ٧/١ عن قتادة والفراء ٥٩/١ والأخفش ٣١٩/١ وفتح القدير ١١٢/١ عن قتادة.

(٨) عبد الله بن سلام بن الحارث الحبر أبو يوسف الإسرائيلي رضي الله عنه حليف الأنصار أسلم وقت مقدم النبي ﷺ المدينة وكان اسم الحصين فسماه النبي ﷺ عبد الله وشهد له بالجنة توفي سنة ٤٣ هـ. (تذكرة الحفاظ ٢٦/١ - ٢٧).

(٩) «يعني أن الآية حجة على القدرية - أي المعتزلة - وبيانه: أن الآية دلت على أن الله تعالى يريد الكفر، والمعتزلة يقولون: إن الله تعالى لا يريد الكفر لأنه قبح والله تعالى لا يريد القبح. اعلم أن سياق الآية يدل على أن لعنه مسبب عن كفرهم لا العكس كما ذهب إليه المصنف اللهم إلا أن يقال: لما لعنهم الله ثبت عليه إرادة كفرهم ويكون التقدير لعنهم الله بسبب إرادة كفرهم السابقة على لعنهم ويؤول المعنى إلى أنه لما أراد كفرهم لعنهم، ويكون رداً على مذهب المعتزلة القائل بعدم صدور القبح عن الله تعالى». (حاشية (أ)).

(١٠) في (د): (ولما جاءهم كتاب). (١١) في (ح): على معنى ما تقدم. (١٢) في (د): من الأخبار.

هذا الكتاب ﴿يستفتحون على الذين كفروا﴾: يستنصرون الله عليهم بالقرآن، والنبي المبعوث آخر الزمان.

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس^(١): كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هزمت يهود خيبر، فعادت^(٢) اليهود بهذا الدعاء، وقالت: اللهم إنما نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا^(٣) عليهم فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان، فلما بعث النبي ﷺ كفروا به فأنزل الله تعالى هذه الآية وهو قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا (كفروا به)﴾ يعني الكتاب وذلك أنهم كانوا قد قرءوا في التوراة: أن الله يبعث في آخر الزمان نبياً وينزله عليه قرآناً مبيناً ﴿فلعنة الله على الكافرين﴾.

وقوله تعالى^(٤): ﴿بئسما^(٥) اشتروا (به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله)﴾.

«بئس» لفظ وضع للذم، يخبر به عن الشيء المذموم وهو مستوف لجميع الذم^(٦) ومعنى «الاشترء» هاهنا: البيع، وهو من الأضداد^(٧) والمعنى: بئس الشيء باعوا به أنفسهم الكفر. يريد: أنهم اختاروا الكفر وأخذوه وبذلوا أنفسهم للنار، لأن اليهود - خصوصاً - علموا صدق محمد ﷺ^(٨)، وأن من كذبه فالنار عاقبته، فاختاروا الكفر وسلموا أنفسهم للنار، فكان ذلك كالبيع منهم.

وقوله تعالى^(٩): ﴿بغياً﴾ أي: حسداً، قال اللحياني^(١٠): يقال^(١١): بغيت على أخيك بغياً، أي: حسدته فالبغي أصله الحسد، ثم سمي الظلم بغياً لأن الحاسد يظلم المحسود جهده طلباً لإزالة نعمة الله عنه، قال الله تعالى: ﴿ثم بغى عليه لينصرنه الله﴾^(١٢)، وقال ﴿والذين إذا أصابهم البغي﴾^(١٣).

وقال ابن عباس^(١٤): إن كفر اليهود لم يكن شكا ولا اشتباها ولكن كان بغياً منهم حيث صارت النبوة في ولد إسماعيل، وقال السدي^(١٥): لما جاءهم محمد ﷺ^(١٦) كفروا به حسداً، وقالوا: إنما كانت الرسل من بني إسرائيل فما بال هذا من بني إسماعيل؟.

(١) انظر تفسير ابن عباس ص ١٣ وغرائب القرآن ص ٥٨ والمستدرک - كتاب التفسير - عن ابن عباس وفيه «أدت الضرورة إلى إخراجه في التفسير وهو غريب» قال الذهبي قلت لا ضرورة في ذلك فعبد الملك متروك هالك. (المستدرک ٢٦٣/٢) وأسباب النزول للواحدى ١٨ وأسباب النزول للسيوطي ١٥ عن ابن عباس والدر ٨٨/١ عن ابن عبادة.

(٢) في (أ)، (د): فعادت، وانظر أسباب النزول للواحدى ص ١٨.

(٣) في (د): إلا أن نصرتنا عليهم.

(٤) في غير (أ) وقوله.

(٥) في جميع النسخ: بئس ما.

(١٠) اللحياني: علي بن المبارك - وقيل ابن حازم - أبو الحسن اللحياني من بني لحيان بن هذيل بن مدركة وقيل سمي به لعظم لحيته، أخذ عن الكسائي وأبي عمرو الشيباني والأصمعي وأبي عبيدة وأخذ عنه القاسم بن سلام، وله النوادر المشهورة. (بغية الوعاة ١٨٥/٢).

(١١) من (د) وهي في (اللسان/بغى) من قول اللحياني وانظر الزجاج ١٤٨/١.

(١٢) سورة الحج / ٦٠.

(١٣) سورة الشورى / ٣٩.

(١٤) انظر تفسير ابن كثير ١٢٥/١ عن ابن عباس بنحوه وفتح القدير ١١٤/١ عن ابن عباس.

(١٥) انظر تفسير الطبري ٣٤٢/٢، ٣٤٤ عن السدي.

(١٦) ساقطة من (ج، د).

وقوله تعالى: (١) ﴿أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: إنزال (٢) الله، والمعنى: حسداً إنزال الله الكتاب ﴿على من يشاء من عباده﴾ يعني: محمداً عليه السلام (٣) ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ قال قتادة (٤): الأول: بكفرهم بعبادة الإنجيل والثاني بكفرهم بمحمد والقرآن.

وقال السدي (٥): أما الغضب الأول فحين غضب الله عليهم في عبادة العجل والثاني حين كفروا بمحمد عليه السلام (٦).

وقال مجاهد (٧): الأول: بتبديلهم التوراة قبل خروج محمد ﷺ والثاني بجحودهم النبي ﷺ (٨) وكفرهم بما جاء به.

﴿وَاللَّكَافِرِينَ﴾ يعني: الجاحدين نبوة محمد ﷺ ﴿عَذَابٍ مُهِينٍ﴾ يهانون فيه ولا (٩) يعزرون.

وقوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لليهود ﴿ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني القرآن ﴿قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ يعنون (١٠) التوراة ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾.

قال ابن الأنباري: (١١) تم الكلام عند قوله ﴿بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ ثم ابتداء الله تعالى بالإخبار عنهم فقل ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾ (١٢) بما وراءه ﴿أي: بما سواه﴾.

وقال الفراء: (١٣) وذلك كثير في العربية، يتكلم الرجل بالكلام الحسن فيقول السامع ليس وراء هذا الكلام شيء يريد: ليس سوى هذا الكلام شيء، ويحتمل ﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾: بما بعده، أي بما بعد التوراة، يريد: الإنجيل والقرآن. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَأَحْلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ (١٤) أي: ما بعده وما سواه، وقوله ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ (١٥).

(١) في غير (أ): وقوله.

(٢) في (أ): أنزل وفي (د) أي إنزال الله الكتاب على.

(٣) في غير (أ): محمداً ﷺ.

(٤) انظر تفسير الرازي ١٨٤/٣ عن قتادة والحسن والشعبي وعكرمة وأبي العالية، والطبري ٣٤٥/٢ - ٣٤٦ عن عكرمة وقاتدة وأبي العالية وغرائب النيسابوري ٣٣٤/١ عن قتادة والحسن والشعبي وعكرمة وأبي العالية والزجاج ١٤٩/١ والبحر ٣٠٦/١ عن قتادة وفتح القدير ١١٣/١.

(٥) انظر تفسير ابن كثير ١٢٥/١ عن السدي وفتح القدير ١١٣/١ وغرائب النيسابوري ٣٣٤/١ والرازي ١٨٤/٣ عنه.

(٦) في (د، هـ): ﷺ.

(٧) انظر تفسير الطبري ٣٤٦/٢ عن مجاهد والدر ٨٩/١ عن مجاهد.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ج، هـ).

(٩) في (د، هـ): فلا يعزرون.

(١٠) في (ج، د): يعني.

(١١) انظر التبيان ٩٢/١ والفراء ٦٠/١ والبحر ٣٠٧/١.

(١٢) في (د): أتكفرون.

(١٣) انظر الفراء ٦٠/١ والطبري ٣٤٨/٢ والبحر ٣٠٧/١ واللسان /ورأ.

(١٤) سورة النساء /٢٤.

(١٥) سورة المؤمنون /٧ والمعارج /٣١.

وانظر في هذا المعنى: مجاز القرآن ٤٧/١ والطبري ٣٤٩/٢ عن قتادة وأبي العالية وابن كثير ١٢٥/١ وفتح القدير ١١٣/١ - ١١٤ عن أبي عبيدة وأبي العالية.

قوله تعالى: (١) ﴿وهو الحق﴾ يعني ما وراء التوراة من الإنجيل والقرآن. أخبر الله تعالى أن ما يكفرون به هو الحق ﴿مصدقاً لما معهم﴾ قال الزجاج (٢): في هذا دلالة على أنهم قد كفروا بما معهم، إذ كفروا بما يصدق ما معهم، قال: ونصبت ﴿مصدقاً﴾ على الحال.

ثم أمر (٣) نبيه ﷺ أن يحتج عليهم بقوله ﴿قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل﴾؟ وهذا تكذيب لقولهم ﴿نؤمن بما أنزل علينا﴾ أي (٤): أي كتاب جوز فيه قتل نبي وأي دين جوز فيه ذلك؟.

والمراد بلفظ الاستقبال - هاهنا - : الماضي وجاز ذلك، لأنه لا يذهب الوهم إلى غيره، بقوله ﴿من قبل﴾ ودليل هذا قوله ﴿قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم﴾ (٥)؟ وأضاف القتل إلى المخاطبين - وإن كان آباؤهم قد قتلوا - لأنهم كانوا يتولون (٦) الذين قتلوا (٧)، فهم على مذهبهم وإذا كانوا كذلك فقد شركوهم (٨).

قال ابن عباس (٩) كلما عملت معصية فمن أنكرها برىء (١٠) منها، ومن رضي بها كان كمن شهداها. وقوله تعالى (١١) ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ «إن» بمعنى الشرط وجوابها قبلها، على تقدير: إن كنتم مؤمنين فلم تقتلون أنبياء الله؟ لأنه ليس سبيل المؤمنين (١١) أن يقتلوا الأنبياء، ولا يتولوا قاتليهم.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣)

قوله تعالى ﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات﴾ يعني: العصا (١٢) والبد، وفتح البحر وما أوتي موسى (١٣) من الدلالات الواضحة ﴿ثم اتخذتم العجل من بعده﴾ أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿وأنتم ظالمون﴾.

وهذه الآية توبيخ لليهود على كفرهم وعبادتهم العجل بعد ما رأوا آيات موسى وبيان أنهم إن كفروا بمحمد ﷺ فليس بأعجب من كفرهم في زمان موسى.

وقوله تعالى (١٤): ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ مفسر فيما سبق (١٥) إلى قوله ﴿واسمعوا﴾ أي: ما فيه من حلاله وحرامه ﴿قالوا سمعنا﴾ ما فيه ﴿وعصينا﴾ ما أمرنا به (١٦).

(١) في غير (أ): قوله.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ١٤٩/١ وابن كثير ١٢٥/١ والقرطبي ٢٩/٢ والبحر ٣٠٧/١.

(٣) في (د): ﴿إن كنتم صادقين﴾ سورة آل عمران ١٨٣.

(٤) في (د): ﴿إن كنتم صادقين﴾ سورة آل عمران ١٨٣.

(٥) انظر الزجاج ١٥٠/١ والفراء ٦٠/١ - ٦١ والتبيان ٩٣/١.

(٦) انظر تفسير الطبري ٣٥٤/٢ بنحوه، والبحر ٣٠٧/١ عن ابن عطية.

(٧) في (د): فقد برىء.

(٨) ساقطة من (د).

(٩) في (د، هـ): العصي.

(١٠) في غير (أ) قوله.

(١١) انظر تفسير الآية ٦٣ من سورة البقرة.

(١٢) انظر معاني القرآن للفراء ٦٦/١.

(١٣) ساقطة من (د).

وقال الحسن^(١): قالوا سمعنا: بألستهم، وعصينا: بقلوبهم. والمفسرون اتفقوا على أنهم قالوا: ﴿سمعنا﴾ بما أظلم الجبل فوقهم، فلما كشف عنهم قالوا(عصينا)^(٢).

وقوله تعالى ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾ «الإشراب»: خلط لون بلون يقال: أبيض مشرب حمرة إذا كان يخالطه حمرة^(٣). قال أبو عبيدة والزجاج^(٤) معناه: سقوا حبَّ العجل، وخلطوا به حتى اختلط بهم، وبين أن محل ذلك الحب قلوبهم، وأن الخلط حصل فيها، فأسند الفعل أولاً إلى الجملة، ثم خص القلوب كما تقول: ضربوا على رؤوسهم، وأراد: حب العجل، فحذف المضاف، كقوله تعالى: ﴿وسئل القرية﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿بكفرهم﴾ أي: باعتقادهم التشبيه، لأنهم طلبوا ما يتصور في نفوسهم.

﴿قل بسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾ معناه: إن كنتم مؤمنين فبئس الإيمان إيمان يأمركم بالكفر. وهذا تكذيب لهم، لأنهم كانوا يزعمون أنهم مؤمنون^(٦) وذلك أنهم قالوا ﴿نؤمن﴾^(٧) بما أنزل علينا فكذبهم الله تعالى وغيرهم بعبادة العجل وذلك أن آباءهم ادعوا الإيمان ثم عبدوا العجل.

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَنَجْذِئَهُمْ أَجْرَسًا أَن يَمَسُّهُمْ إِلَىٰ حَيَوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنْ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

وقوله تعالى: ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة...﴾ الآية:

كانت اليهود تقول ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً﴾^(٧) فقليل لهم: إن كنتم صادقين عند أنفسكم ﴿فتمنوا الموت﴾ فإن من كان لا يشك في أنه صائر إلى الجنة فالجنة أثر عنده^(٨) من الدنيا.

(١) انظر البحر ٣٠٨/١ والبعوي ٨٣/١.

(٢) انظر تفسير الرازي ١٨٧/٣ والطبري ٣٥٦/٢ وابن كثير ١٢٦/١.

(٣) انظر في معنى «الإشراب»: البحر ٣٠٨/١ والبعوي ٨٣/١.

(٤) انظر مجاز القرآن ٤٧/١ والزجاج ١٥١/١ والزاهر ١٠١/٢ وغريب القرآن ص ٥٨ والتبيان ٩٣/١ والدر ٨٩/١ عن قتادة، وتفسير ابن عباس ص ١٤ وابن كثير ١٢٦/١.

(٥) سورة يوسف ٨٢/ في (ج، هـ): وسل، وفي (د) واسل: وفي المطبوعة: واسئل.

(٦) في (د): مؤمنين... أنؤمن.

(٧) سورة البقرة ١١١/.

(٨) في (د): فالجنة عنده أثر...

وانظر في هذا المعنى: الطبري ٣٦٤/٢ - ٣٦٥ عن قتادة وأبي العالية والربيع والبحر ٣١٠/١ عن أبي العالية والربيع والفراء ٢/١ والزجاج ٥٢/١ والدر ٨٩/١ عن قتادة وأبي العالية وأسباب النزول للسيوطي ص ١٥ - ١٦ وفتح القدير ١١٦/١ عن قتادة وأبي العالية، والوجيز للواحدي ٢٥/١.

ثم أخبر أنهم لا يتمنون الموت، فقال^(١) ﴿ولن يتمنوه أبداً﴾ وذلك أنهم عرفوا أنهم كفرة ولا نصيب لهم في الجنة، لأنهم تعمدوا كتمان أمر النبي ﷺ وتكذيبه.

وقوله تعالى^(٢): ﴿بما قدمت أيديهم﴾ أي: بما قدموه وعملوه، فأضاف ذلك إلى اليد، وإن أكثر جنایات الإنسان تكون بيده، فيضاف إلى اليد كل جنایة، وإن لم يكن لليد فيها عمل.

وقوله تعالى^(٣): ﴿والله عليم بالظالمين﴾: فيه معنى التهديد، أي: عليم بمجازاتهم.

وفي هذه الآية أبين دلالة على صدق نبينا محمد ﷺ لأنه أخبر عن الله أنهم لا يتمنون الموت - ثم لم يرد - مع حرصهم على تكذيبه - أن أحداً أتاه وقال: يا محمد أنا أشتي الموت وأتمناه لأنهم علموا أنهم^(٤) لو تمنوا لم يبق منهم صغير ولا كبير إلا مات، فكان إحصاءهم عن ذكر الموت دليلاً على عنادهم الحق وتكذيب من يعرفون صدقه^(٥).

قوله تعالى^(٦): ﴿ولتجدنهم﴾ دخلت «اللام والنون»، لأن القسم مضمّر، تقديره: والله لتجدنهم، يعني: علماء اليهود^(٧) الذين كتموا أمر محمد ﷺ ﴿أحرص الناس على حياة﴾ لأنهم علموا أنهم صائرون^(٨) إلى النار إذا ماتوا.

ومعنى «الحرص» شدة الطلب، ﴿ومن الذين أشركوا﴾ أي: وأحرص من^(٩) الذين أشركوا^(١٠). ومعنى «الإشراك»: عبادة غير الله مع الله وهو أن يجعل عبادته مشتركة بين الله وغيره.

قال أبو العالية والربيع^(١١): أراد بـ «الذين أشركوا»: المجوس، وإنما وصفوا بالإشراك^(١٢)، لأنهم يقولون بالنور والظلمة، ويزدان، وأهرمن، وهم موصوفون بالحرص على الحياة، ولهذا جعلوا التحية بينهم «زه هزار سال» أي: عش ألف سنة^(١٣).

وقال ابن عباس^(١٤): أراد بالذين أشركوا: منكري البعث ومن أنكر البعث أحب الحياة، لأنه لا يرجو بعثاً بعد الموت.

(١) في (أ): وقال. (٢) في غير (أ): قوله. (٣) في (د): علموا لو.

(٤) قال الزجاج: «وللنبي ﷺ» وللمسلمين في هذه الآية أعظم حجة وأظهر آية ودلالة على الإسلام وعلى صحة تثبيت رسالة النبي ﷺ لأنه قال لهم تمنوا الموت، وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبداً، فلم يتمنه منهم واحد، فالدليل على علمهم بأن أمر النبي ﷺ حق أنهم كفوا عن التمني، ولم يقدم واحد منهم عليه، فيكون إقدامه دفعاً لقوله (ولن يتمنوه أبداً) أو يعيش بعد التمني فيكون قد رد ما جاء به النبي ﷺ فالحمد لله الذي أوضح الحق وبينه، وقمع الباطل وأزهقه (الزجاج ١٥٢/١) وانظر الطبري ٣٦١/٢ - ٣٦٢ والدر ٨٩/١ عن ابن عباس وابن كثير ١٢٧/١ عن ابن عباس.

(٥) في (د): والذين. (٦) في (د): صائرين.

(٧) في (هـ): ومن. (٨) انظر الفراء ٦٢/١ وتفسير الطبري ٣٧٧/٢.

(٩) انظر غريب القرآن ص ٥٨ بنص العبارة والزجاج ١٥٣/١ وابن كثير ١٢٨/١ عن أبي العالية.

(١٠) في (د) بالإشراك مع الله تعالى.

(١١) عند الزجاج: «كان الملك يُحيًا بأن يقال له: عش ألف نيروز وألف مهرجان (أي ألف عيد) ١٥٤/١، والرازي ١٩٣/٣ وعند الثوري:

«زه» يعني: زي الأمر من مصدر زيسن «هزارسال»: يعني عش ألف سنة ص ٤٧ (فمعنى: «زه»: عش، «هزاره» ألف، «سال» سنة،

«يزدان» بياء مشاة من تحت وزا ساكنة ثم دال مهملة وألف ونون «وأهرمز» بهزمة مفتوحة مقصورة وهاء ساكنة، وراء مهملة مفتوحة وميم

مفتوحة (نون) (عمدة القوي والضعيف ص ٥) وانظر الفراء ٦٣/١ وغرائب النيسابوري ٣٤١/١ والمستدرک - كتاب التفسير - عن ابن

عباس ٢٦٤/٢ ومصنف ابن أبي شيبة عن ابن عباس ٤٧٣/١٠.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ص ١٤ والدر ٨٩/١ عن ابن عباس، والطبري ٢٧١/٢ والبحر ٣١٣/١.

الوسيط في تفسير القرآن المجيد/ ج ١/ ١٢م

وقوله تعالى (١): ﴿يُودُ أَحَدَهُمْ﴾ أي: أحد اليهود، يقال: وددت الشيء أوده وودادا وودادة. ﴿لَوْ يَعْمُرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يقال: عمره (٢) الله تميمياً، إذا أطال (٣) عمره ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: وما (٤) أحدهم ﴿بِمَزْحَرِحِهِ﴾: بمبعده (٥) ﴿بِإِنَّ الْعَذَابَ أَنَّ يَعْمُرُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾، و«المزحرة»: الإبعاد والتنحية (٦)، يقال: مزحزحه فتزحزح، يعني: إنه وإن عمّر فعاقبته النار.

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلَّمَا عَنْهُدَا عَهْدًا نَبَدَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ...﴾ الآية، سألت اليهود رسول الله ﷺ عن (٧) يأتيه من الملائكة، فقال: جبريل، فقالوا: هو عدونا، ولو أنك ميكائيل بالوحي لقبنا منك، فأنزل الله تعالى هذه الآية (٨) و«جبريل» فيه لغات، وكذلك «ميكائيل» و«إسرائيل» وهذه أسماء أعجمية وقعت إلى العرب فإذا أتى بها على ما في أبنية العرب مثله: كان أذهب في باب التعريب.

فمن قال «جبريل» بكسر الجيم وحذف الهمزة (٩) - كان على لفظ: قَنَدِيلٍ وَبِرْطِيلٍ.

ومن قال «جبريل» بفتح الجيم وترك الهمزة - فليس بهذا البناء مثل في كلام العرب فيكون هذا من باب الآخر والإبريسم والفِرند، ونحو ذلك من الذي لم يجرى له مثل في كلامهم.

(١) في غير (أ): وقوله.

(٢) في (أ) والمطبوعة: عمر الله.

(٥) في (د): بمبعده ومنجيه.

(٣) في (د): طال.

(٦) انظر مجاز القرآن ٤٨/١ وابن كثير ١٢٩/١ وفتح القدير ١١٦/١.

(٤) في (ح): وما حرص أحدهم.

(٧) في (د): عن من.

(٨) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣١٤/٦ - ٣١٥ عن ابن عباس وقال «رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعد ابن أبي مريم وهو ضعيف».

ومسند أحمد ٢٧٤/١ - من حديث ابن عباس، والطبري ٣٨٧/٢ وأسباب النزول للواحد ص ١٨ - ٢٠ وأسباب النزول للسيوطي ص ١٦ - ١٧ وانظر صحيح البخاري كتاب التفسير - باب (قل من كان عدواً لجبريل) ٩٨/٣ عن أنس.

(٩) قرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص (جبريل) جعلوه اسماً واحداً، وحثهم قول حسان. وقرأ حمزة والكسائي (جبريل) - بفتح الجيم مهموزاً - وحثهم: ما روي عن النبي ﷺ: إنما جبرائيل وميكائيل كقولك عبد الله وعبد الرحمن، جبر هو العبد وإيل هو الله. وقرأ ابن كثير (جبريل) مثل سمويل - وهو اسم طائر -.

وقرأ يحيى عن أبي بكر (جبرئيل) وهذه لغة تميم وقيس.

(انظر الحجة لأبي زرعة ص ١٠٧ والسبعة ص ١٦٧ والنشر ٢١٩/٢ والفراء ٢٩١/٢، والزجاج ١٥٥/١ - ١٥٦ والأخفش ٣٢٣/١ - ٣٢٥ والطبري ٣٨٨/٢ والبحر ٣١٨/١).

والبرطيل: الحجر الطويل، والجمع براطيل (حاشية (أ)).

والجحمرش: العجوز، والصهلوق: الصوت الشديد أو الحمار الشديد الصوت (حاشية (أ)).

والفرند: وشي السيف، جوهره وماؤه الذي يجري فيه (اللسان / فرن).

ومن قال «جَبْرَيْلُ» على وزن جَبْرَيْعِلٍ: كان على وزن جحمرش، وصهصلق^(١). وجبرئيل: على وزن عندليب، وكلا المذهبين حسن، لاستعمال العرب لهما جميعاً.

قال جرير:

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد ويجبرائيل وكذبوا ميكالاً^(٢)

وقال حسان:

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس به خفاء^(٣)

وقال كعب بن مالك:

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع النصر جبريل وميكال^(٤)

وقال جماعة من أهل العلم: «جبر» و«ميك»: هو العبد بالسريانية و«إيل»: هو الله عز وجل^(٥).

وروي عن ابن عباس أنه قال: إنما جبريل وميكايل كقولنا: عبد الله وعبد الرحمن^(٦). وقوله ﴿فإنه﴾ يعني: جبريل ﴿نزله﴾ يعني: القرآن ﴿على قلبك﴾ يعني: قلب محمد عليه السلام^(٧) ﴿بإذن الله﴾ بأمر الله ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ لما قبله من الكتب التي أنزلها الله ﴿وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ رد على اليهود حين قالوا: إن جبريل ينزل بالحرب والشدة، فقيل: انه وإن كان ينزل بالحرب والشدة على الكافرين فإنه ينزل بالهدى والبشرى للمؤمنين.

وعني بـ «الهدى»، و«البشرى»: القرآن، فإن فيه هدى من الضلالة وبشرى بالجنة لمن آمن به.

قوله تعالى: ﴿من كان عدواً لله...﴾^(٨) الآية.

إن اليهود قالت لعمر بن الخطاب^(٩) رضي الله عنه: إن صاحب محمد من الملائكة^(١٠) جبريل وهو عدونا، يطلع محمداً على سرنا، وهو صاحب كل عذاب وخسف وسنة^(١١) وشدة. فقال عمر: فإني أشهد أن من كان عدواً لجبريل فإنه عدو لميكايل ومن كان عدواً لهما فإن الله عدو له، ثم أتى عمر إلى النبي ﷺ فوجد جبريل عليه

(١) في (د): صهصيق.

(٢) انظر شرح ديوان جرير ص ٥٤٢ تحت عنوان «والتغلي إذا تنحج للقرى» والطبري ٣٨٨/٢ وعزاه لجرير بن عطية والبغوي ٨٥/١ والبحر ٣١٨/١ والقرطبي ٣٨/٢.

(٣) انظر ديوان حسان بلفظ: وجبريل أمين الله فينا وروح القدس ليس له كفاء ٧٥ والخزانة ٤١٦/١ والبغوي ٨٥/١ وسير أعلام النبلاء ٥١٧/٢ والمعجم الكبير للطبراني ٣٩/٤ والبداية والنهاية ٣١٠/٤ والزجاج ١٩٩/١ والحجة لأبي زرعة ص ١٠٥ وفتح القدير ١١٠/١ (وهو من همزته).

(٤) انظر تفسير القرطبي ٣٨/٢ والبحر ٣١٨/١ والبغوي ٨٥/١.

(٥) في (د): هو الله تعالى. وانظر الدر ٨٩/١ عن ابن عباس وعكرمة وفتح الباري ٩٨/٣ عن عكرمة وابن كثير ١٣٠/١ عنه.

(٦) انظر الدر ٨٩/١ عن ابن عباس وعكرمة وأبي أمامة وفتح الباري ١٣٤/٨ عن عكرمة وابن كثير ١٣٠/١ عن ابن عباس والحجة لأبي زرعة ص ١٠٧ وغرائب النيسابوري ٣٣٤/١ عن ابن عباس والطبري ٣٩٠/٢.

(٧) في (ج، د): محمد ﷺ.

(٨) في (ح): قوله.

(٩) جواب «من»: محذوف تقديره: من كان عدواً لجبريل فليمت غيظاً (حاشية (أ)).

(١٠) السنة: القحط، والجذب (حاشية (أ)) واللسان / سنة.

(١١) من (د).

(١٢) في (ج، هـ): ثم أتى عمر النبي ﷺ.

(١٣) في (ح): الملكية.

السلام قد سبقه بالوحي، فقرأ عليه رسول الله ﷺ هذه الآيات (١) وقال: لقد وافقك ربك يا عمر، قال عمر (٢): فإني رأيتني في دين الله أصلب من الحجر (٣).

ومعنى ﴿من كان عدواً لله﴾ أي: من كان الله عدوه، ولا تصح العداوة لله على الحقيقة، لأن العداوة للشئ: طلب الإضرار به بغضاً به، وإنما قيل للكافر عدو لله، من عداوة الله له، أو لأنه يفعل فعل المعادي.

وقوله تعالى (٤): ﴿وملائكته ورسوله وجبريل وميكال﴾: أخرجهما الله (٥) من جملة الملائكة بالذكر تخصيصاً وتشريفاً لهما، كقوله تعالى: ﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ (٦) وكقوله (٧): ﴿وأن المساجد لله﴾ (٨) بعد قوله: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ (٩).

ومعنى الآية: من كان عدواً لأحد هؤلاء فإن الله عدو له، وهو قوله: ﴿فإن الله عدو للكافرين﴾: لأن عدو الواحد: عدو للجميع، وعدو محمد عدو لله. ومعنى ﴿فإن الله عدو للكافرين﴾: أنه تولى تلك العداوة بنفسه، وكفى رسوله وملائكته أمر من عاداهم.

وإنما قال: ﴿عدو للكافرين﴾ ولم يقل: عدو لهم: ليدل على أنهم كافرون بهذه العداوة.

قوله تعالى: (١٠) ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات﴾ قال ابن عباس (١١): هذا جواب لابن صوريا (١٢) حيث قال لرسول

الله ﷺ: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية بينة فتبتك لها، فأنزل الله هذه الآية. و«البينة» الدلالة الفاصلة بين القضية الصادقة والكاذبة، لأنها من إيانة أحد الشئيين عن الآخر فيزول الالتباس بها. قوله تعالى (١٣): ﴿وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ أي: الخارجون عن أديانهم واليهود خرجت بالكفر بمحمد ﷺ (١٤) عن شريعة موسى.

قوله تعالى: ﴿أو كلما﴾ «الواو» فيه: عطف واو العطف، ودخل عليها ألف الاستفهام، و«كلما»: ظرف (١٥) وقوله: ﴿عاهدوا عهداً﴾ (نبذه فريق منهم).

(١) في (د): هذه الآية.

(٢) في (د) فقال عمر.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٨٥/١٤ وانظر البحر ٣١٩/١، ٣٢٣/١ وفيه «قال ابن عطية: وهذا الخبر ضعيف» والدر ٩٠/١، ٩١ عن عمر وابن كثير ١٣١/١ عن عمر بنحوه، أسباب النزول للواحدي ص ١٩ - ٢٠.

(٤) في غير (أ) وقوله.

(٥) وفي (أ): أخرجهما من جملة.

(٦) سورة الرحمن ٦٨/.

(٧) انظر سورة آل عمران ١٠٩/، ١٢٩ وسورة النساء ١٢٦/، ١٣١ وهي في المطبوعة رقم ١٣٦ وهو خطأ وآية ١٣٢ ولم تخرج في المطبوعة. وسورة النجم آية ٣١ وفي المطبوعة رقم ٥٣ وهو خطأ.

(٨) في (ج، هـ): قوله.

(٩) انظر الطبري ٣٩٨/٢ والدر ٩٤/١ وابن كثير ١٣٣/١ وفتح القدير ١٢١/١ كلها عن ابن عباس وأسباب النزول للسنيوطي ص ٧٨ وأسباب النزول للواحدي ص ٢٠ وسيرة ابن هشام ١٧٤/١.

(١٠) عبد الله بن صوريا الأغور من بني ثعلبة بن الفطيون - وهي كلمة عبرانية عبارة عن كل من ولي أمر اليهود وملكهم - ولم يكن بالحجاز في زمانه أعلم بالتوراة منه، وهو من اليهود الذين حقدوا على النبي ﷺ ونزل فيهم قرآن (سيرة ابن هشام ١٣٦/١).

(١١) في غير (أ) وقوله.

(١٢) في (د): بمحمد عليه السلام.

(١٣) في (د): ظرفاً وانظر التبيان ٩٧/١.

قال المفسرون^(١): إن اليهود عاهدوا - فيما بينهم^(٢) - لئن خرج محمد ﷺ ليؤمنن به^(٣) وليكونن معه على مشركي العرب، فلما بعث نقضوا العهد وكفروا به .

وقال عطاء^(٤)^(٥): هي اليهود التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود فنقضوها، كفعل قريظة والنضير، عاهدوا ألا يعينوا عليه أحداً، فنقضوا ذلك وأعانوا عليه قريشاً يوم الخندق .

وقوله تعالى^(٦): ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم من^(٧) بين كافر ينقض العهد أو كافر بالجحد لأمر محمد ﷺ فأكثرهم غير مؤمنين .

وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمَنٌ وَمَا كَفَرُوا سَلِيمَنٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هُنُوتَ وَمُرُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

قوله تعالى: ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم﴾ أي: من نعتهم وصفته، جاءهم على النعت الذي نعت به في التوراة ﴿بئذ فریق من الذين أوتوا الكتاب﴾ يعني: علماء اليهود الذين تواطئوا على كتمان أمر محمد عليه السلام^(٨).

قوله تعالى^(٦): ﴿كتاب الله وراء ظهورهم﴾ يجوز أن يكون المراد بـ «كتاب الله» القرآن، ويجوز أن يكون المراد به: التوراة، لأن الذين كفروا بالنبي ﷺ نبذوا التوراة .

و«النبذ» الطرح، ويقال لكل من استخف بشيء ولم يعمل به: نبذه وراء ظهره^(٩) قال الشعبي^(١٠): هو بين أيديهم يقرءونه، ولكن نبذوا العمل به .

(١) انظر الطبري ٤٠٠/٢ - ٤٠١ وغرائب النيسابوري ٣٤٦/١ وابن كثير ١٣٣/١ - ١٣٤ كلها عن ابن عباس والدر ٨٧/١ - ٨٨ عن السدي وأبي صالح وأبي مالك وابن عباس وعطاء والضحاك والكلبي وقتادة .

(٢) في (د): عاهدوا نبيهم .

(٣) في (د): قال: عطى .

(٤) في (ج، د): لنؤمن به ولنكونن .

(٥) انظر الرازي ٢٠١/٣ والبحر ٣٢٣/١ عن عطاء والبخاري ٨٦/١ عنه وتفسير ابن عباس ص ١٥ وغرائب النيسابوري ٣٤٦/١ وفتح القدير ١٢١/١ عن ابن عباس والقرطبي ٤٠/٢ .

(٦) في غير (أ) محمد ﷺ .

(٧) في (د): لأنهم بين كافر .

(٨) في غير (أ) وقوله .

(٩) انظر الزاهر ٢٨٣/١ ومجاز القرآن ١٩٨/١ وابن كثير ١٣٤/١ عن ابن جرير وفتح القدير ١١٩/١ .

(١٠) انظر البحر ٣٢٥/١ عن الشعبي والبخاري ٨٦/١ عن الشعبي وغرائب النيسابوري ٣٤٦/١ والقرطبي ٤١/٢ .

وقال سفيان بن عيينة^(١) : أدرجوه في الحرير والدياج، وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه، فذلك النيد.

وقوله تعالى^(٢) : ﴿كأنهم لا يعلمون﴾ أعلم الله تعالى أنهم نيدوا كتاب الله ورفضوه عن علم بعظيم^(٣) ما يفعلون. حتى كأنهم لا يعلمون ما يستحقون من العذاب. ثم أخبر أنهم رفضوا كتابه، واتبعوا السحر فقال^(٤) : ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾^(٥)، أي : تقرأ وتحدث وتقص^(٥)، والمراد بلفظ الاستقبال المضى بمعنى : تلت الشياطين. ﴿على﴾^(٦) ملك سليمان^(٧).

قال السدي^(٨) : إن الناس - في زمن سليمان - اكتتبوا السحر واشتغلوا بتعلمه، فأخذ سليمان تلك الكتب وجعلها في صندوق، ودفنها تحت كرسيه ونهاهم^(٩) عن ذلك فلما مات سليمان وذهب الذين^(١٠) كانوا يعرفون دفنه الكتب تمثل الشيطان على صورة^(١١) إنسان فأتى نفرأ من بني إسرائيل فقال : هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبداً؟ قالوا^(١٢) : نعم، قال : فاحفروا تحت الكرسي، فحفروا فوجدوا تلك الكتب، فلما أخرجوا قال الشيطان : إن سليمان كان يضبط الجن^(١٣) والإنس والشياطين والطير بهذا^(١٤)، فاتخذ بنو إسرائيل تلك الكتب، فذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود وبراء الله عز وجل سليمان من ذلك، وأنزل هذه الآية^(١٥).

وقوله : ﴿وما كفر سليمان﴾ أي : لم يكن كافراً ساحراً يعمل بالسحر ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ بالله وفي «ولكن» قراءتان : التشديد، ونصب الاسم به، والتخفيف ورفع الاسم به^(١٦). وهذا الحرف إذا استعمل

(١) انظر غرائب النيسابوري ٣٤٦/١ والبحر ٣٣٥/١ والبغوي ٨٦/١ كلها عن سفيان.

(٢) في (د) : فعظم ما يفعلون.

(٣) في (ج، هـ) : وقال.

(٤) في غير (أ) زيادة (. . . على ملك سليمان).

(٥) قال أبو عبيدة : (تتلوا) : تحكي وتتكلم به، كما تقول : كان يتلو كتاب الله أي : يقرؤه. (مجاز القرآن ٤٨/١).

(٦) في (هـ) : عن ملك.

(٧) وسليمان : هو ابن داود بن إيش بن عويد بن باعز بن سلمون بن نجشون بن عمي بن نودب بن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ملك على بني إسرائيل بعد وفاة أبيه وسأل الله أن يؤتبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فاستجاب له (الكامر لابن الأثير ٢٢٣/١ - ٢٢٩).

(٨) في (د) والسدي.

(٩) في (د) : ونها عن ذلك.

(١٠) في (د) : الذين هم كانوا.

(١١) في (هـ) : سورة.

(١٥) انظر أحكام القرآن لابن العربي ٢٧/١ وغريب القرآن ص ٥٩ والتسهيل ص ٥٥، والطبري ٤٠٥/٢ - ٤٠٦. عن السدي والمستدرک - كتاب التفسير - عن ابن عباس وصححه ووافقه الذهبي ٢٦٥/٢ والدرر ٩٥/١ عن ابن عباس وابن كثير ١٣٤/١ - ١٣٥ عن ابن عباس والسدي والربيع بن أنس وأسباب النزول للواحدي ص ٢٢ عن السدي.

(١٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وناق وعاصم (ولكن) مشددة وحجتهم : دخول الواو التي تؤذن باستئناف الخبر بعدها والعرب تؤثر التشديد ونصب الاسم بعدها. وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي - مخففة النون - وحجتهم : أن العرب تجعل إعراب ما بعد «لكن» كإعراب ما قبلها في الجحد فتقول : ما قام عمرو ولكن أخوك «وتصير» «لكن» نسقاً إذا كان ما قبلها جحد (انظر الحجة لأبي زرعة ص ١٠٨ - ١٠٩ والسبعة ١٦٧ - ١٦٨، والنشر ٢١٩/٢ والزجاج ١٥٩/١ والتبيان ٩٨/١ - ٩٩ والحجة لابن خالويه ص ٨٦ والرازي ٢١٧/٣).

مثقلاً كان عاملاً في الاسم، وعمله النصب، وإذا استعمل مخففاً لم يعمل النصب (وكان حرف عطف)^(١).

وقوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ يعني: الشياطين إذا حدثوا بالسحر وتكلموا به وألقوه بين الناس، ويجوز أن يكون ﴿يعلمون﴾ من فعل اليهود الذين عنوا بقوله (واتبعوا). قوله^(٢): ﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾ موضع «ما» نصب عطفاً على السحر^(٣).

ومعنى ﴿أنزل على الملكين﴾: علما وألهما^(٤)، وقذف في قلوبهما من علم التفرقة بين المرء وزوجه وهو رقية وليس بسحر، والرخصة في الرقية^(٥) واردة وقد قال رسول الله ﷺ: «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»^(٦)^(٧).

وروى طلحة^(٨) عن عطاء قال^(٩): بلغني أن هاروت وماروت قالا - وهما في السماء - أي ربنا، أنك لتعصى في الأرض، قال: فاهبطا إلى الأرض، فجعلنا يحكما بين الناس، حتى جاءتهما امرأة من أحسن الناس وأجملهم تخاصم زوجها لها، فقال أحدهما للآخر: هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي؟ قال: نعم، قال^(١٠): فهل لك أن تقضي لها على زوجها؟

فقال له صاحبه: أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب؟ فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من المغفرة والرحمة؟

فسألاها نفسها، فقالت لهما: لا. إلا أن تقضيا على زوجي، فقضيا عليه ثم سألاها نفسها، فقالت لهما: لا، إلا أن تقتلاه، فأفرغ لهما.

فقال أحدهما للآخر: أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب^(١١)؟ فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من المغفرة والرحمة؟ فقتلاه. ثم سألاها نفسها، فقالت: لا. إلا أن لها صنما تعبد، إن أنتما صليتما معي عنده فعلت.

فقال أحدهما لصاحبه مثل القول الأول، وقال له صاحبه مثل قوله^(١٢) الأول. فصليا معها عنده، فمسخت - عند ذلك - شهابا، وأخذ^(١٣) عند ذلك، فخيلا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة.

(١) من (د).

(٢) في غير (أ) وقوله.

(٣) انظر البحر ٣٢٨/١ والقرطبي ٥١/٢.

(٧) رواه مسلم - كتاب السلام - باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك عن عوف بن مالك الأشجعي ٢٧٩/٢ - وأبو داود - كتاب الطب - باب ما جاء في الرقى رقم ٣٨٨٦ عن عوف ٤/١٠ - ١١ والمستدرک - كتاب الطب - «لا بأس بالرقى ما لم يكن شرك» وقال صحيح الإسناد ٢١٢/٤.

(٨) طلحة بن عمرو الحضرمي المكي صاحب عطاء، ضعفه ابن معين وغيره، وقال أحمد والنسائي متروك الحديث وقال البخاري وابن المدني: ليس بشيء توفي سنة ١٥٣ هـ (الميزان ٢/٣٤٠ - ٣٤٢).

(٩) في (د): قالا.

(١٠) ساقطة من (د، هـ).

(١١) في (د): من العقاب والعقوبة.

(١٢) مثل القول الأول.

(١٣) في المطبوعة: وأخذ.

قال عطاء فبلغني أنهما معلقان بأرجلهما، مصوبة^(١) رؤوسهما تحت أجنحتهما^(٢) و «بابل» اسم أرض في جانب العراق.

وقوله تعالى: ﴿وما يعلمان من أحد﴾: اختلفوا في تعليم الملكين السحر، فذكر أهل التفسير وأصحاب المعاني فيه وجهين: أنهما كانا لا يتعمدان تعليم السحر، ولكنهما يصفانه ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه، وكانا يعلمان الناس وغيرهم ما يسألان^(٤) عنه، ويأمران باجتناب ما حرم عليهم، وطاعة الله فيما أمروا به ونهوا عنه وفي ذلك حكمة، أن سائلاً لو سأل: ما الزنى^(٥) وما اللواط؟ لو جب أن يوقف عليه ويعلم أنه حرام، فكذلك مجاز^(٦) إعلام الملكين الناس السحر، وأمرهما السائل باجتنابه بعد الإعلام والإخبار أنه كفر^(٧)، وحرام^(٨).

ويؤكد هذا الوجه: ما روى أبو العباس عن ابن الأعرابي أنه قال^(٩): «عَلِمَ» بمعنى «أَعْلَمَ»، وذلك: أن^(١٠) التعليم لا ينفك من الإعلام كما يقال: تعلم بمعنى عَلِمَ لأن من تعلم شيئاً فقد علمه فيوضع التعليم موضع العلم.

قال ابن الأعرابي: ومن هذا قوله تعالى: ﴿وما يعلمان من أحد﴾. قال: معناه: أن الساحر يأتي الملكين فيقول:

(١) في (د): منصوبة.

(٢) انظر القصة في: تفسير مجاهد ص ٨٤ والدر ٤٦/١ عن ابن عمر، ٩٧/١ - ١٠٢ بعدة روايات، والفتح الرباني ١٨ - ٧٠ - ٧٢ وعن كثير ١٣٨/١ رواية أحمد بن حنبل عن عمر وعن ابن عمر ١٣٩/١ رواية ابن جرير عن علي وابن عباس وابن مسعود ١٤٠/١ رواية أبي حاتم عن ابن عباس وغيرها من الروايات، وفتح القدير ١٢٢/١ - ١٢٣ والطبري ٤٢٧/٢ - ٤٣٥ وغرائب النيسابوري ٣٥٢/١ - ٣٥٣ عن ابن عباس قال النيسابوري: «وهذه القصة - عند المحققين - غير مقبولة، فليس في كتاب الله ما يدل عليها ولأن الدلائل الدالة على عصمة الملائكة تنافيها ولاستبعاد كونهما معلمين للسحر» وكذا في أحكام القرآن لابن العربي ٢٩/١ - ٣٠ وانظر تفسير الرازي ١٧٠/٢، ٢١٩/٣، ٢٢٠ قال الرازي: «والجواب عنها: أن القصة باطلة من وجوه:

١ - أنهم ذكروا: أن الله قال لهما: لو ابتليتكما بما ابتليت به بني آدم لعصيماني فقالا: لو فعلت ذلك بنا يا رب لما عصيناك وهذا منهم تكذيب لله تعالى وتجهيل له وذلك من صريح الكفر، والحشوية سلموا أنهما كانا قبل الهبوط معصومين.
٢ - في القصة: أنهما خيراً بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وذلك فاسد، بل كان الأولى أن يخيرا بين التوبة والعذاب.
٣ - في القصة أنهما يعلمان السحر حال كونهما معذبين ويدعوان إليه وهما معاقبان على المعصية.
٤ - أن المرأة الفاجرة كيف يعقل أنها لما فجرت صعدت إلى السماء وجعلها الله كوكباً مضيئاً وعظم قدره بحيث أقسم به حيث قال (لا أقسم بالخنس الجوار الكنس)؟ فهذه القصة قصة ركيكة يشهد كل عقل سليم بنهاية ركاكتها. ولما ظهر فساد هذا القول فنقول: السبب في إنزالهما وجوه:

١ - كثرة السحر وادعاء النبوة فكان تعليم الملكين للناس دافعاً قوياً إلى معارضتهم.

٢ - بيان الفرق بين السحر والمعجزة.

٣ - تعليم السحر الذي كان يؤلف بين أولياء الله، ويوقع الفرق بين أعداء الله كان مباحاً عندهم.

٤ - أن تحصيل العلم بكل شيء حسن.

٥ - معارضة الجن في ذلك.

٦ - أنه من نوع الابتلاء.

(٣) في غير (أ) وقوله.

(٦) مجاز: موضع جواز (حاشية (أ)).

(٤) في (ح): يستلان، وفي (د) يسلان.

(٧) في (د): وانه كفر.

(٥) في (هـ): بالزنا وباللواط.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ص ١٥ والفراء ٦٤/١ وابن كثير ١٤٣/١ عن ابن عباس.

(٩) «وما يعلمان من أحد» قال الزجاج: تعليم إنذار من السحر لا تعليم دعاء إليه «فتح القدير ١٢٠/١».

(١٠) انظر فتح القدير ١٢٠/١ عن ابن الأعرابي وابن الأنباري، والبحر ٣٣٠/١.

أخبراني عما نهى الله عنه حتى أنتهي فيقولان: نهى الله عن الزنى فيصفانه، فيقول: وعن^(١) ماذا؟ فيقولان عن اللواط، ثم يقول: وعن ماذا^(٢)؟ فيقولان: عن السحر، فيقول وما السحر؟ فيقولان: هو كذا^(٣)، فيحفظه وينصرف. فيخالف فيكفر، فهذا^(٤) معنى قوله (يعلمان) إنما هو يُعلِّمان.

ولا يكون تعليم السحر - إذا كان إعلاما - كفرا، ولا عمله - إذا كان على معنى الوقوف عليه ليجتنبه^(٥) - كفرا، كما أن من عرف الزنى لم يَأْثَمَ، إنما يَأْثَمُ بالعمل.

الوجه الثاني^(٦): أن الله عز وجل^(٧) امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت وجعل المحنة في الكفر والإيمان أن يقبل تعليم السحر، فيكفر بتعلمه^(٨) ويؤمن بشرك التعلم، والله تعالى أن يمتحن عباده بما يشاء، كما امتحن بنهر طالوت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾^(٩).

يدل على صحة^(١٠) هذا: قوله ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفروا﴾ أي: محنة من الله نخبرك أن عمل السحر كفر بالله ونهاك عنه، فإن أظعنتنا في ترك العمل بالسحر نجوت وإن عصيتنا في ذلك هلكت^(١١).

ومعنى ﴿من أحدٍ﴾: أحدا و«من» زائدة مؤكدة كقولك: ما جاءني من أحد^(١٢) ومعنى «الفتنة»: الابتلاء والامتحان، مأخوذ من قولهم: فتنن الذهب والفضة، إذا أذبتهما بالنار، ليشتميز الرديء من الجيد، ومن هذا قوله تعالى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾^(١٤) قيل في التفسير^(١٥): وهم لا يبتلون في أنفسهم^(١٦) وأموالهم ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾^(١٧) أي: اختبرنا ويقال: فتنه وأفتنه و«الفتنة» مصدر، لذلك^(١٨): لم يشن^(١٩).

(١) في (د): وذلك لأن.

(٢) في (د، ح): عماذا، وفي (هـ): عما ذى.

(٣) في (هـ) كذى.

(٤) في (د): فذلك معنى قوله.

(٥) ساقطة من (د).

(١٠) في (د): يدل على حجة هذا.

وطالوت بالسريانية: شاول بن قيس بن أبيال بن ضرار بن حرب بن أفيح بن آيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

(الطبري ٣٠٧/٥ - ٣٠٨ البحر ٢/٢٤٨ والكامل لابن الأثير ١/٢١٨).

(١١) انظر الزجاج ١/١٦٠ - ١٦١ وغرائب النيسابوري ١/٣٥٣ والدر ١/١٠٣ عن قتادة وابن كثير ١/١٤٣ عن الحسن والتسهيل ص ٥٥.

(١٢) انظر البحر ١/٣٣٠ والقرطبي ٢/٥٤.

(١٣) في (د): (الم أحسب...).

(١٤) سورة العنكبوت ٢/٢.

(١٥) انظر مجاز القرآن ٢/٣٣، ٢/١١٣ والزاهر ١/٥٨١.

(١٦) في (د): أنفسكم كم أموالكم وأنفسكم وأموالهم.

(١٧) سورة العنكبوت ٣/٣.

(١٨) في (د): فلذلك.

(١٩) وحد «الفتنة» والحال أن الملك إثنان لأن الفتنة مصدر والمصادر لا تثني ولا تجمع (حاشية (أ)).

وقوله تعالى: (١) ﴿فَتَعْلَمُونَ أَنَّهَا مِمَّا يَفْرُقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ وهو أن يؤخذ (٢) كل واحد منهما عن صاحبه، ويغض كل واحد منهما إلى صاحبه (٣) ﴿وَمَا هُمْ﴾ أي: السحرة وقيل: الشياطين ﴿بِضَارِيْنِ بِهِ﴾ أي: بالسحر ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ أي: أحداً ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

قال المفسرون: الإذن هاهنا: إرادة التكوين، أي لا يضررون بالسحر إلا من أراد الله أن يلحقه الضرر.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَعْلَمُونَ مَا يَظُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ المعنى: أنه يضرهم في الآخرة وإن تعجلوا به في الدنيا فلاناً ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ يعني: اليهود ﴿لَمَنْ اشْتَرَاهُ﴾ أي اختاره، يعني: السحر ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ أي: نصيب. والخلاق: النصيب الرامز من الخير.

قال المفسرون: الخلاق من هذه الآية: النصيب من الجنة. قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: بشئ شيء باعوا به حظ أنفسهم حيث اختاروا السحر ونبذوا كتاب الله ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ما يصير إليه من بخس حظه في الآخرة.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ بمحمد ﷺ والقرآن. ﴿وَاتَّقَوْا﴾ اليهود والسحر لاثبوا ما هو خير لهم، وهو قوله: ﴿لِمَثُوبَةٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٍ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، والمثوبة كالثواب وكذلك المثوبة مثل المشورة والمشورة، ويعني بالآية: إن ثواب الله لهم لو آمنوا خير من كسبهم بالكفر والسحر.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَأَسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾: المراعاة، المراقبة وحفظ ما يكون من أحوال الشيء يقال: راعنا سمعك، أي: اسمع منا حتى نفهمك وتفهم عنا والعرب تقول: راعنا سمعك، وراعنا بسمعك بمعنى واحد.

قال الكلبي عن ابن عباس: كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: راعنا سمعك وكان هذا بلسان اليهود سباً قبيحاً فيما بينهم، فلما سمعوا هذه الكلمة يقولونها لرسول الله ﷺ أعجبهم فكانوا يأتونه ويقولون ذلك ويضحكون (٤) فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ (٥) - وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود عليكم لعنة الله، لئن (٦) سمعتها من رجل منكم يقولها

(١) في (د): ومعنى قوله.

(٢) يؤخذ: من التأخذ، وأخذه: رقاها والأخذة - بضم وسكون - رقية تأخذ العين ونحوها كالسحر، أو خرزة يؤخذ بها النساء الرجال ورجل مؤخذ عن النساء: محبوس (اللسان / آخذ).

(٣) في (د): إلى الآخر.

(٤) في (د): ويصهلون.

(٥) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأشهلي السيد الكبير الشهيد أبو عمرو الأنصاري الأوسي البدرى الذي اهتز العرش لموته أسلم على يد مصعب بن عمير وكان سيد بني عبد الأشهل فأسلموا جميعاً على يديه توفي يوم الخندق سنة ٥ هـ وهو ابن ٣٧ سنة (سير الأعلام ١/ ٢٧٩ - ٢٩٠).

(٦) في (أ): لأن.

لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه، فقالت اليهود: أولستم تقولونها؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ونهوا عن ذلك^(١).

وهذا النهي: اختص بذلك الوقت، لاجتماع الأمة على جواز المخاطبة بهذا اللفظ الآن.

وقوله تعالى: ^(٢) ﴿وقولوا^(٣) انظرونا﴾ أي: نظرت^(٤) فلانا أي: انتظرت^(٥)، ومنه قوله تعالى: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾^(٦) ومعنى «انظرونا» اصبر حتى نفهمك ما نقول. ويجوز أن يكون «انظرونا» أي: انظر لنا فحذف حرف الجر، أمروا^(٧) أن يقولوا بدل «راعنا» انظرونا.

قوله تعالى: ﴿واسمعوا﴾ أي: ما يقال لكم وما تؤمرون به، ومعناه: وأطيعوا^(٨) لأن الطاعة تحت السمع^(٩) وللكافرين يعني: اليهود ﴿عذاب أليم﴾.

قوله تعالى: ^(١٠) ﴿ما يؤذ﴾ أي: ما يحب وما يريد ﴿الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ يعني: اليهود ﴿ولا المشركين﴾^(١١) من العرب ﴿إن يُنزل عليكم من خير﴾ أي خير ﴿من ربكم﴾ و«من»: صلة مؤكدة، يريد: أنهم على^(١٢) إنزال القرآن عليكم ﴿والله يختص﴾ يقال: خصه بالشيء واختصه به، إذا أفرد به دون غيره. قوله تعالى: ﴿برحمته﴾ أي: نبوته^(١٣) ﴿من يشاء﴾ يعني: عمداً ﷺ، ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾: تفضل بالنبوة على محمد ﷺ وعلى المسلمين بدينه الإسلام^(١٤).

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١٥) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(١٦)

قوله تعالى^(١٥): ﴿ما نُنسخ من آية...﴾ الآية^(١٦)، وذلك أن المشركين قالوا: القرآن كلام محمد تقوله من نفسه، يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه بخلافه، ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١٧).

ومعنى «النسخ»: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه^(١٨) تقول العرب: نسخت الشمس الظل، أي: أذهبته وحلت محله، وهذا نسخ^(١٩) إلى بدل، لأن الظل يزول ويبطل وتكون الشمس بدلا عنه ويجوز النسخ إلى غير بدل وهو رفع

(١) انظر الزجاج ١٦٥/١ وابن عباس ص ١٥ والتسهيل ص ٥٦ وغريب القرآن ص ٦٠ والدر ١٠٣/١ - ١٠٤ عن ابن عباس، والقراء

٦٩/١ وفتح القدير ١٢٥/١ عن ابن عباس، وأسباب النزول للواحد ص ٢٢ وأسباب النزول للسيوطي ص ١٨ - ١٩.

(٢) في غير (أ) وقوله.

(٦) سورة الحديد / ١٣.

(٣) في (د): وقوله (انظرونا).

(٧) في (د): وأمروا.

(٤) في (ح): انظر مثل ما تقول.

(٨) في (د): أطيعوا.

(٥) في (د): إذا نظرت.

(٩) «أطلق السبب وهو السمع وأراد المسيب وهو الطاعة وإلا لم يكن للسمع فائدة» (حاشية أ).

(١٠) في (ح، هـ): قوله.

(١٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(١١) في (د): ولا المشركون.

(١٥) في غير (أ): قوله.

(١٢) ساقطة من (أ) وفي (د): في إنزال.

(١٦) من (د).

(١٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(١٧) انظر تفسير ابن عباس ص ١٦ وأسباب النزول للواحد ص ٢٣ وفي غرائب النيسابوري ٣٥٨/١ أنها نزلت في اليهود. وانظر البحر

٣٤١/١ والقرطبي ٦١/٢ والبغوي ٩٣/١.

(١٨) في (د): مكانه.

(١٩) في (د): فهذا النسخ وانظر معنى «النسخ» في معاني القرآن للزجاج ١٦٦/١ وفتح القدير ١٢٥/١ - ١٢٦. «والنسخ يكون في الأحكام =

الحكم وإبطاله من غير أن يقيم له بدلا، يقال: نسخت الريح الآثار، أي أبطلتها وأزالتها.

والمعروف من النسخ في القرآن: إبطال الحكم مع إثبات الخط، وهو أن تكون الآية الناسخة والمنسوخة ثابتتين في التلاوة، إلا أن المنسوخة لا يُعمل بها^(١) مثل عدة المتوفى عنها زوجها، كانت سنة، لقوله تعالى: ﴿متاعا إلى الحول غير إخراج﴾^(٢) ثم نسخت بأربعة أشهر وعشر، لقوله تعالى: ﴿يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾^(٣) وكقوله ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون...﴾^(٤) الآية، ثم نسخت بقوله ﴿الآن خفف الله عنكم﴾^(٥) الآية^(٦).

وقرأ ابن عامر^(٧) «ما تُنسخ» بضم النون - من أنسخت الآية أي: وجدتها منسوخة كقولك^(٨): أحمدت الرجل وأحبته وأكذبت وأبخلته، أي: وجدته^(٩) على هذه الاحوال^(١٠).

فيكون معنى قوله «نسخ»^(١١) نجده منسوخا، وإنما نجده كذلك لنسخه إياه وإذا كان كذلك كان معنى قراءة ابن عامر، كمعنى^(١٢) قراءة من قرأ ﴿نسخ﴾ - بفتح النون - يتفقان في المعنى، وإن اختلفا في اللفظ.

وقوله تعالى^(١٤): ﴿أو نساها﴾ «النسيان»: ضد الذكر، والإنساء: منقول منه يقال نسي^(١٥) الرجل الشيء وأنساه الشيء، إذا جعلته ينساه.

ومعنى الآية: إنا إذا رفعنا آية من جهة النسخ أو^(١٦) الإنساء لها: أتينا بخير من الذي نرفعه بإحدى هذين الوجهين وهما النسخ والإنساء.

وقد يقع النسخ بالإنساء، وهو ما أخبرنا الحسن بن محمد الفارسي^(١٧)، أخبرنا محمد بن عبد الله بن الفضل

= أما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ (تفسير الطبري ٤٧٢/٢).

(١) انظر تفسير ابن كثير ١٤٩/١ عن مجاهد.

(٢) سورة البقرة / ٢٤٠ وفي (د): (متاعا إلى الحول).

(٣) سورة البقرة / ٢٣٤.

(٧) عبد الله بن عامر بن يزيد بن غنم الإمام الكبير أحد السبعة مقرئ الشام وأحد الأعلام أبو عمران اليحصبي الدمشقي ولد سنة ٢١ هـ.

يقال انه أخذ القرآن عن عثمان بن عفان وقرأ عليه وهو في الطبقة الأولى من التابعين، روى عن جماعة من الصحابة وثقه النسائي وغيره.

توفي سنة ١١٨ وله ٩٧ سنة (الفهرست لابن النديم ٤٣ - ٤٤ وسير الأعلام ٢٩٢/٥ - ٢٩٣).

(٨) في (د): كقولهم.

(٩) في (د): أي أصبته.

(١٠) قرأ ابن عامر (نُسخ) بمعنى: ما ننسخك يا محمد، ثم حذف المفعول من النسخ ومعناه: ما أمرك بنسخها، أي: بتركها وقرأ الباقر

(نسخ) من «نسخ» إذا غير الحكم وبدل. (انظر الحجة لأبي زرعة ١٠٩، والسبعة ١٦٨ والنشر ٢١٩/٢ - ٢٢٠، والبيان ١٠٢/١ -

١٠٣).

(١٤) في غير (أ): وقوله.

(١١) في (د): والمطبوعة (ما نسخ).

(١٥) في (د): والمطبوعة نسي الشيء وفي (هـ): النسي.

(١٢) في (د): نجده منسوخا كذلك.

(١٦) في (ح): والإنساء.

(١٣) في (د): معنى.

(١٧) في (أ): الحسن بن يحيى، وفي (هـ): الحسين، وهو: الحسن بن محمد بن أحمد بن محمد الهروي أبو علي بن أبي أسامة المكي،

حدث عن أحمد بن إبراهيم العقبسي وإبراهيم بن إسماعيل المكي في سنة ٤٣٥ هـ روى عنه علي بن أحمد الواحدي ومحمد بن علي

الفراء (العقد الثمين ١٧٥/٤).

التاجر^(١) أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ^(٢)، أخبرنا محمد بن يحيى^(٣)، حدثنا أبو اليمان^(٤)، أخبرنا شعيب^(٥)، عن الزهري^(٦) أخبرني أبو أمامة بن سهل بن حنيف^(٧) :

أن رهطاً من الأنصار، من أصحاب رسول الله ﷺ أخبروه أنه قام رجل منهم من^(٨) جوف الليل يريد أن يفتح سورة قد كان دعاها، فلم يقدر منها على شيء إلا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فأتى باب النبي ﷺ - حين أصبح، ليسأل النبي ﷺ عن ذلك ثم جاء آخر وآخر، حتى اجتمعوا، فسأل بعضهم بعضاً: ما جمعهم؟ فأخبر بعضهم بعضاً بشأن^(٩) تلك السورة، ثم أذن لهم النبي ﷺ فأخبروه خبرهم، وسألوه عن السورة^(١٠)، فسكت ساعة لا يرجع إليهم شيئاً، ثم قال: «نسخت البارحة من صدوركم ومن كل شيء كانت فيه»^(١١)!

وقرأ أبو عمرو (نساءها) - مفتوحة النون، مهموزة - من النسيء^(١٢) بمعنى التأخير يقال: نسأت الأبل عن الحوض، أي: أخرتها^(١٣).

ومعنى التأخير في الآية: أن يؤخر^(١٤) التنزيل، فلا ينزل ولا يعلم ولا يعمل به ولا يتلى، والمعنى: تؤخرها لوقت كان^(١٥)، فنأتي بدلاً منها في الوقت المتقدم بما يقوم مقامها.

- (١) لم أعلم هذا الاسم وقد ورد في أسانيد أخرى باسم: محمد بن عبد الله أبو الفضل وسيأتي أكثر من مرة.
 (٢) أحمد بن محمد بن الحسن النيسابوري أبو حامد المعروف بابن الشرفي الإمام الحافظ الحجة كان فريداً عصره، حفظاً واثقاً ومعرفة قال ابن عدي: لم أر أحفظ ولا أحسن سرداً منه وقال الدارقطني: ثقة مأمون إمام توفي سنة ٣٢٥ هـ (طبقات الحفاظ ١/٣٣٢).
 (٣) محمد بن يحيى الذهلي سبق.
 (٤) أبو اليمان: الحكم بن نافع البهراني الحمصي سمع شعيب بن أبي حمزة، روى عنه البخاري نسخة كبيرة وروى له مسلم توفي سنة ٢٢١ هـ (كتاب الجمع ١/١٠١).
 (٥) شعيب بن أبي حمزة - واسمه دينار - الأموي مولاهم الحمصي سمع من الزهري وعبد الله بن أبي حسين وأبي الزناد ومحمد بن المنكدر روى عنه أبو اليمان الحكم بن نافع توفي سنة ١٦٢ هـ. (كتاب الجمع ١/٢١٠).
 (٦) سبق.

(٧) أسعد بن سهل بن حنيف بن واهب - ويقال ابن واهب - بن حكيم بن ثعلبة الأنصاري أبو أمامة الحارثي أدرك النبي ﷺ ويقال أنه سماه وكناه باسم جده وكنيته ولم يسمع من النبي ﷺ وسمع أباه وأبا سعيد الخدري وأنس بن مالك وابن عباس توفي سنة ١٠٠ هـ وله مائة سنة (كتاب الجمع ١/٥٠).

(٨) في (أ): في جوف الليل.

(٩) في (أ): باب رسول الله ﷺ.

(١٠) في (د): عن تلك السورة.

(١١) في (ح): نسيان.

(١٢) انظر مجمع الزوائد - كتاب التفسير - عن عمر رضي الله عنه بنحوه، وفيه «رواه الطبراني في الكبير وفيه سليمان بن الأرقم وهو متروك» (٣١٥/٦).

وانظر أيضاً مجمع الزوائد - كتاب التفسير - عن ابن عمر بنحوه «رواه الطبراني في الأوسط (٧/١٥٦)» وأخرجه الطبراني في الكبير ٢٨٨/١٢ عن ابن عمر، ومصنف عبد الرزاق ٣/٢٦٣ عن الزهري والدر ١/١٠٥ عن أبي أمامة وفتح القدير ١/١٢٧، عن أبي أمامة وعزاه إلى «أبي داود في ناسخه وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف وأبي ذر الهروي في فضائله».

(١٤) في جميع النسخ: النساء.

(١٥) انظر الحجة لابن زرة ١٠٩ - ١١٠ والسبعة ١٦٨ والنشر ٢/٢٢٠ والزجاج ١/١٦٦ - ١٦٧ والتبيان ١/١٠٣ والمستدرک ٢/٢٤٢ والمصاحف لابن أبي داود ٩٦ - ٩٧ والحجة لابن خالويه ٧٦.

(١٧) مكررة في (د).

(١٦) في (د): ليؤخر.

ومعنى ﴿نأت بخير منها﴾ أي: أصلح لمن تعربها، وأنفع لها، وأسهل عليهم وأكثر لأجرهم، لا^(١) أن آية خير من آية ﴿أو مثلها﴾ في المنفعة والمثوبة بأن يكون ثوابها كثواب التي قبلها^(٢).

والفائدة في ذلك: أن يكون النسخ أسهل من المأخذ من المنسوخ والإيمان به والناس إليه أسرع. نحو القلعة التي كانت على جهة^(٣)، ثم حولت إلى الكعبة فهذا وإن كان السجود إلى سائر النواحي متساويا في العمل والثواب: فالذي أمر الله به في ذلك الوقت كان الأصلح^(٤) والأدعى للعرب وغيرهم إلى الإسلام.

وقوله تعالى^(٥): ﴿ألم تعلم أن الله^(٦) على كل شيء قدير﴾ أي: من النسخ والتبديل وغيرهما.

قوله ﴿ألم تعلم﴾ استفهام معناه التقرير ﴿أن الله له ملك السموات والارض﴾ «الملك» تمام القدرة واستحكامها^(٧).

والمعنى: أنه يملك السماوات والأرض ومن فيهن فهو أعلم بما يتعبدونهم من ناسخ ومنسوخ^(٨) ﴿وما لكم من دون الله من ولي﴾ «الولي» فعيل بمعنى فاعل، يقال: هو والي الأمر ووليه، أي القائم به.

المعنى: ما لكم من دون الله من والٍ يلي أمركم ﴿ولا نصير﴾: ناصر يمنعكم من العذاب. وفي هذا: تحذير للعباد إذ لا مانع منه^(٩).

أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۗ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۗ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۗ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۗ

قوله تعالى: ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم﴾ الآية قال المفسرون^(١٠): إن اليهود وغيرهم من المشركين تمنوا على رسول الله ﷺ، فمن قائل يقول: اثنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة، ومن قائل

(١) في (د): لأن.

(٢) انظر الطبري ٤٨١/٢ وابن كثير ١٥٠/١ عن ابن عباس وقتادة.

(٣) في (د): إلى جهة.

(٤) في (د): أصلح وأدعى، وفي (هـ): أصلح والأدعى.

(٥) «إذ لا مانع للخلق يمنعه من عذاب الله» (حاشية (أ)).

(١٠) انظر تفسير الرازي ٣٣٥/٣ والطبري ٤٩٠/٢ - ٤٩١ - والبحر ٣٤٥/١ - ٣٤٦ عن ابن عباس وغيره، وغرائب النيسابوري ٣٦٤/١ عن

ابن عباس ومجاهد والدر ١٠٧/١ عن ابن عباس في قولهم: اثنا بكتاب أو فجر الأنهار وكذا ابن كثير ١٥٢/١ والدر ١٠٧/١ عن

السدي في قولهم أرنا الله جهرة وكذا ابن كثير ١٥٢/١ عن مجاهد والدر ١٠٧/١ عن مجاهد في قولهم أن يجعل الصفا ذهباً وكذا

ابن كثير ١٥٢/١ عن مجاهد والسدي وقتادة وانظر تفسير ابن عباس ص ١٦ وفتح القدير ١٢٨/١ عن ابن عباس والسدي ومجاهد

أسباب النزول للواحد ص ٢٣ وأسباب النزول للسيوطي ص ٢٠.

يقول - وهو عبد الله بن أبي أمية المخزومي - (١): إئتني بكتاب من السماء فيه: «من رب العالمين إلى ابن أبي أمية، اعلم أني قد أرسلت محمداً إلى الناس .

ومن قائل يقول: لن نؤمن لك حتى . . . تأتي (٢) بالله والملائكة قبلاً، فأنزل الله عز وجل (٣) ﴿أم تريدون﴾ معناه: بل أتريدون (٤) فهو استفهام منقطع عما قبله ﴿أن تسئلوا﴾ (٥) رسولكم ﴿محمداً عليه السلام﴾ (٦) من الاقتراح والتمني ﴿كما سئل موسى من قبل﴾ يعني قولهم: أرنا الله جهرة .

قال الزجاج (٧): معنى الآية: إنهم نُهوا أن يسألوا رسول الله ﷺ ما لا خير لهم في السؤال عنه والسؤال بعد قيام البراهين كفر، لذلك قال ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل﴾ أي: قصده ووسطه .

ومعنى «الضلال»: الذهاب عن الاستقامة .

قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾، قال ابن عباس (٨) نزلت في نفر من اليهود (٩) قالوا للمسلمين - بعد وقعة أحد، ألم تروا إلى ما أصابكم؟ ولو كنتم على الحق ما هزمتم، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم .

وقوله تعالى: ﴿حَسَدًا﴾ أي: يحسدونكم حسداً ﴿من عند أنفسهم﴾ أي: في حكمهم (١٠) وتدينهم ومذهبهم أي هذا الحسد مذهب لهم، لم يؤمروا به ﴿من بعد ما تبين لهم الحق﴾ في التوراة أن قول محمد صادق ودينه حق .

قوله ﴿فاعفوا واصفحوا﴾ أي: عن مساوئ كلامهم وغل (١١) قلوبهم ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ قال عطاء (١٢): يريد إجلاء النضير وقتل قريظة، وفتح خيبر وفدك (١٣) .

(١) عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي ابن عمه النبي ﷺ عاتكة بنت عبد المطلب كان شديداً على المسلمين مخالفاً لرسول الله ﷺ شديد العداوة له، ولم يزل كذلك حتى عام الفتح فهاجر إليه قبل الفتح هو وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وأسلما وحسن إسلامهما وشهد فتح مكة وحينئذ والطائف ورمي من الطائف بسهم فقتله ومات يومئذ . (أسد الغابة ١٧٧/٣) .

(٢) في (أ) ومن قائل: لن نؤمن حتى تأتي وفي (د) ومن قائل يقول: لن نؤمن أو تأتي .

(٣) في غير (أ): فأنزل الله تعالى .

(٤) في (د): (أم يريدون) بل يريدون .

(٥) في (أ): (تسألوا) وهو الأوفق من حيث القواعد الإملائية .

(٦) في غير (أ) محمداً ﷺ .

(٧) انظر الزجاج ١٧٠/١ وانظر مجاز القرآن في معنى «سواء السبيل» ٥٠/١ والفراء ٧٣/١ والطبري ٤٩٦/٢ .

(٨) انظر البحر ٣٤٧/١ - ٣٤٨ وأسباب النزول للواحدي ٢٣ - ٢٤ عن ابن عباس وفيه: «بعد وقعة بدر» والصواب ما ذكر هنا . وانظر الرازي ٢٣٦/٣ .

(٩) فنحاص بن عازورا، وزيد بن قيس وغيرهم، قالوا للمسلمين . منهم: حذيفة وعمار .

(١٠) في (د): جمعهم .

(١١) في (ح): علي .

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ص ١٦ والبحر ٣٤٩/١ وغرائب النيسابوري ٣٧٠/١ وفتح القدير ١٣٣/١ .

(١٣) ساقطة من (د) وفدك: موضع بالحجاز . (اللسان / فدك) .

وقال قتادة^(١): يعني أمر بالقتال في قوله ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله...﴾ (٢) الآية ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾.

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير﴾.

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرِيُّ عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهَا يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾

قوله تعالى^(٣): ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾ أي: وقالت^(٤) اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا^(٥)، وقالت النصارى: لن يدخلها إلا من كان نصرانيا^(٦).

والهود: هم اليهود «هادوا، يهودون»^(٧)، هودا» أي: تابوا من عبادة العجل، والهود: جمع هائد^(٨)، مثل: حائل وحول، وفاربه وفُره^(٩). قال الله تعالى^(١٠): ﴿تلك أمانيتهم﴾ التي تمنوها على الله باطلا ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ أي قربوا حججتكم على ما تقولون ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعواكم.

^(١١) ﴿بلى﴾ يدخل الجنة ﴿من أسلم وجهه لله﴾ أي: يذل وجهه له في السجود، والمعنى سلم وجهه له بأل

(١) انظر الطبري ٥٠٣/٢ عن قتادة والدر ١٠٧/١ عن ابن عباس والسدي وفتادة وفي مجاز القرآن ٥٠/١: «وهذا قبل أن يؤمر بالهجرة والقتال فكل أمر نبي عنه عن مجاهدة الكفار فهو قبل أن يؤمر بالقتال وهو مكى».

(٢) سورة التوبة / ٢٩.

(٣) في غير (أ) قوله.

(٤) في (ج، د): قالت.

(٥) في (د): لن يدخلها إلا من كان هودا.

(٦) انظر الطبري ٥٠٧/٢ وغرائب النيسابوري ٣٧٠/١ - ٣٧١ والفراء ٧٣/١ والدر ١٠٨/١ عن أبي العالية وفتح القدير ١٢٩/١، ٣٠ عنه.

(٧) في (هـ): يهدون. وفي (أ): يهودن وانظر معنى «الهود، هود» في التبيان ٧٠/١، ١٠٥ والمشكل ١٠٩/١ والأخفش ٣٣١/١ والبيان ١١٨/١ والطبري ٥٠٧/٢ - ٥٠٨.

(٨) في (د): هاد.

(٩) حائل: الناقة التي يحمل عليها الفحل ولم تحمل، والفاره: الحاذق بالشيء (اللسان / حول، فره).

(١٠) في (د): قوله تعالى، وهي ساقطة من (هـ).

(١١) في (د): قوله عز وجل (بل...). وفي (ج) قوله: قال أبو عبيدة في قوله (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن) «ذهب إلى لفظ الواحد والمعنى يقع على الجميع» (مجاز القرآن ٥١/١).

صانه عن السجود لغيره، ﴿وهو محسن﴾ قال ابن عباس^(١) مؤمن موحد مصدق لما جاء به محمد عليه السلام، ﴿قله أجره﴾ الذي وعده الله له ﴿عند ربه﴾ يعني: الجنة ﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود ليست النصرارى على شيء...﴾ الآية: قال ابن عباس: قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ فتنازعوا مع اليهود، فكذب كل واحد^(٢) منهما صاحبه، فنزلت هذه الآية^(٣).

قوله تعالى^(٤): ﴿وهم يتلون الكتاب﴾ قال الزجاج^(٥): يعني أن الفريقين يتلوان التوراة، وقد وقع بينها هذا الاختلاف، وكتابهم واحد، فدل بهذا على ضلالتهم.

ثم بين أن سبيلهم كسبيل من لا يعلم الكتاب في الإنكار لدين الله من مشركي العرب (وغيرهم فقال) كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم ﴿.

قال مقاتل: يعني مشركي العرب^(٦) قالوا: إن محمداً وأصحابه ليسوا على شيء من الدين^(٧). ﴿فالله يحكم بينهم يوم القيامة﴾ الآية، قال الزجاج^(٨): أي يريهم من يدخل الجنة عياناً ومن يدخل النار عياناً.

قوله ﴿ومن أظلم﴾ أي: وأي أحد أظلم^(٩) ﴿ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه﴾ يعني: مشركي مكة، منعوا المسلمين من ذكر الله^(١٠) في المسجد الحرام ﴿وسعى﴾ عمل ﴿في خرابها﴾ لأن عمارتها بالعبادة فيها وكل من منع من عبادة الله في مسجد^(١١) فقد سعى في خرابه ﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾، قال ابن عباس - في رواية عطاء^(١٢): هذا وعد من الله لنبيه والمهاجرين، يقول أفتح لكم مكة حتى تدخلوها آمنين، وتكونوا أولى بهم منهم.

(١) انظر تفسير ابن عباس ص ١٦ وعنده (وهو محسن) في القول والفعل وانظر تفسير الخازن ٢٧٢/٣ عن ابن عباس في تفسير قول الله تعالى (وكذلك نجزي المحسنين) قال يعني المؤمنين.

(٢) في (د): كل أحد.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ص ١٦ والطبري ٥١٣/٢ - ٥١٤ والدر ١٠٨/١ عن ابن عباس وابن كثير ١٥٥/١ عنه وأسباب النزول للسيوطي ص ٢١ وأسباب النزول للواحد ص ٢٤ والتسهيل ص ٥٧ وفتح القدير ١٣٠/١ - ١٣١ عن ابن عباس والقرطبي ٧٦/٢ والرازي ٧/٤.

(٤) في غير (أ) وقوله.

(٥) انظر الزجاج ١٧٣/١ والتسهيل ص ٥٧ والوجيز للواحد ص ٣٠/١.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (د) ولم ينه عليها في المطبوعة.

(٧) انظر الطبري ١٥٧/٢ وابن كثير ١٥٥/١ وفتح القدير ١٣١/١ كلها عن السدي والزجاج ١٧٣/١ والتسهيل ص ٥٧ والبغوي ٩٧/١ عن مقاتل.

(٨) انظر الزجاج ١٧٣/١ وغرائب النيسابوري ٣٧٣/١ والوجيز للواحد ص ٣٠/١، والبحر ٣٥٤/١.

(٩) في (د): من ذكر في المسجد.

(١٠) انظر الطبري ٥٢٠/٢ - ٥٢٤ والدر ١٠٨/١ عن ابن عباس وابن كثير ١٥٦/١ عن ابن زيد وفتح القدير ١٣٢/١ عن ابن عباس وابن زيد. والبحر ٣٥٦/١ - ٣٥٧ وأسباب النزول للواحد ص ٢٤ وأسباب النزول للسيوطي ٢١ وفي غريب القرآن ٦١ «أن الآية نزلت في الروم حين ظهروا على بيت المقدس فخر به فلا يدخله أحد منهم أبداً إلا خائف» وانظر الدر ١٠٨/١ عن ابن عباس ومجاهد

والسدي، وتفسير ابن عباس ص ١٦ وابن كثير ١٥٦/١ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.

(١١) في (أ، ح): المسجد.

(١٢) انظر تفسير الرازي ١١/٤ وغرائب النيسابوري ٣٧٥/١ والبغوي ٩٨/١ عن عطاء وابن زيد والبحر ٣٥٨/١.

﴿لهم في الدنيا خزي﴾ يعني: القتل لمن أقام على الكفر ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾^(١)

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثُمَّ وَجَّهُ اللَّهُ إِلَيْكَ اللَّهُ وَسِعَ عَلَيْكُمْ^(١١٥) وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قٰنِیْنٌ^(١١٦) بِدِیْعِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا یَقُولُ لَهُ كُنْ فِیْكَوْنُ^(١١٧) وَقَالَ الَّذِیْنَ لَا یَعْلَمُونَ لَوْلَا یُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنْزِیْلًا كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِیْنَ مِنْ قَبْلِہِم مِّثْلَ قَوْلِہِم تَشٰبَهَتْ قُلُوْبُهُمْ قَدْ بَیْنَا الْآیٰتِ لِقَوْمٍ یُّوقِنُوْنَ^(١١٨)

قوله تعالى: ﴿والله المشرق والمغرب...﴾ الآية، قال ابن عباس - في رواية علي بن أبي طلحة الوالي - إن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس . ففرحت اليهود، وكان رسول الله ﷺ يحب قبلة^(٢) إبراهيم عليه السلام، فلما صرفه الله إليها غيرت اليهود المؤمنين، فأنزل الله ﴿فأينما﴾^(٣) تولوا فثم وجهه الله^(٤).

والمعنى: فأينما تولوا وجوهكم، فحذف المفعول للعلم به.

ومعنى قوله ﴿فثم وجه الله﴾: فهناك قبلة الله، و«الوجه» والجهة، والجهة القبلة^(٥)، ومثله: الوزن والسنة والوعد^(٦) والعدة، والعرب: تسمى القصد الذي يتوجه إليه وجهها، قال الشاعر:

أستغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل^(٧)
معناه: إليه^(٨) القصد بالعبادة.

وقوله تعالى: ﴿إن الله واسع عليم﴾ أي: واسع الرحمة، واسع الشريعة بالترخيص لهم والتوسعة على عباده في دينهم لا يضطرهم إلى ما يعجزون عن أدائه.

أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد المنصوري^(٩)، أخبرنا علي بن عمر الحافظ^(١٠)؛ حدثنا أبو محمد

(١) سبق.

(٢) في (ح): ملة.

(٣) في (أ، ح، د): فأين ما.

(٤) انظر فتح الباري ١/٧٩ - ٨١ وسنن البيهقي في كتاب الصلاة - عن ابن عباس ١٢/٢ والطبري ٥٢٧/٢ عن ابن عباس والرازي ١٨/٤ - ١٩ عن ابن عباس وأحكام القرآن لابن العربي ٣٤/١ وأسباب النزول للنسوي ص ٢٢.

(٥) روي الترمذي - في كتاب التفسير - عند تفسير قوله تعالى: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ عن مجاهد: فثم قبلة الله. رقم ٤٠٣٥ (٤/٤٧٤) وانظر اللسان /وجه).

(٦) في (د): والوعدة.

(٧) هذا البيت من شواهد سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها انظر الكتاب ١/٣٧ والطبري ١/١٦٩ والخزانة ٣/١١١ وأدب الكاتب ٤١٩ والبحر ١/٣٦١، والقرطبي ٢/٨٤ والفراء ١/٢٣٣، ٢/٣١٤ والرازي ٤/٢٢ والشاهدان الوجه بمعنى القصد والنية (وهو من بحر البسيط).

(٨) في (د): القصد إليه بالعبادة.

(٩) في (أ) والمطبوعة محمد بن أحمد، سبق.

(١٠) سبق.

إسماعيل بن علي^(١)، قال حدثنا الحسن بن علي بن شبيب^(٢) حدثنا أحمد بن عبيد الله بن الحسن العنبري^(٣) قال: وجدت في كتاب أبي: ^(٤) حدثنا عبد الملك العرزمي^(٥)، حدثنا عطاء بن أبي رباح، عن جابر، قال:

بعث رسول الله ﷺ سرية كنت فيها، فأصابتنا ظلمة، فلم نعرف القبلة، فقالت طائفة منا: قد عرفنا القبلة، هي ها هنا قبل الشمال فصلوا وخطوا خطوطاً (وقال بعضنا القبلة ها هنا قبل الجنوب، فصلوا)^(٦) وخطوا خطوطاً، فلما أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة، فلما قفلنا من سفرنا، سألنا النبي ﷺ عن ذلك فسكت^(٨) فأنزل الله تعالى ﴿والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾^(٩).

قوله ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً﴾ نزلت ردّاً على اليهود والنصارى والمشركين فإنهم وصفوا الله تعالى بالولد ف«قالت اليهود عزيز ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله»^(١٠) وقال المشركون^(١١): الملائكة بنات الله فزعه الله نفسه عن اتخاذ الولد فقال ﴿سبحانه﴾^(١٢) وفي مصاحف الشام ﴿قالوا﴾ بغير واو، لأن هذه الآية مستأنفة غير معطوفة على ما تقدم^(١٣)!

(١) في (ج، هـ): أبو محمد بن إسماعيل، وهو: أبو محمد الخطيبي إسماعيل بن علي بن إسماعيل البغدادي الأديب الإخباري صاحب التصانيف روى عن الحارث بن أبي أسامة وطائفة وعنه الدارقطني وغيره وقال: ما أعرف عنه إلا خيراً كان يتحرى الصدق وقال مرة ثقة (تاريخ بغداد ٦/٣٠٤ - ٣٠٥، شذرات ٣/٣) توفي سنة ٣٥٠ هـ.

(٢) الحسن بن علي بن شبيب أبو علي المعمرى الحافظ صاحب «عمل اليوم والليلة» رحل وسمع من الشيوخ وأدرك خلقاً منهم علي بن المديني ويحيى بن معين وغيرهم وكان حافظ الحديث صدوقاً ثبتاً توفي سنة ٢٩٥ هـ (البداية والنهاية ١١/١٠٦).

(٣) في (د): أحمد بن عبد الله، وهو أحمد بن عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن الحربن الخشخاش العنبري البصري التميمي. (من ترجمة والده).

(٤) عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن الحربن الخشخاش العنبري البصري التميمي قاضي البصرة - سمع خالد الحذاء وعنه معاذ بن معاذ، روى له مسلم روى عن عبد الملك العرزمي وهو صدوق مقبول وقال النسائي ثقة توفي سنة ١٦٨ هـ. (كتاب الجمع ١/٣٠٦ والميزان ٥/٣١).

(٥) عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي الكوفي الحافظ الكبير حدث عن أنس بن مالك وسعيد بن جبيرة وعطاء بن أبي رباح وطائفة وكان من الحفاظ الاثبات وثقه أحمد توفي سنة ١٤٥ هـ (تذكرة الحفاظ ١/١٠٥).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(٧) في (د): سألنا النبي ﷺ.

(٨) في (ح): سألنا النبي ﷺ فسكت وأنزل.

(٩) انظر سنن البيهقي - كتاب الصلاة - باب الاختلاف في القبلة عند التحري عن جابر (١٠/٢)، والترمذي - في أبواب الصلاة - باب ما جاء في الرجل يصلي لغير القبلة رقم ٣٤٣ (٢١٦/١) عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه.

وفي أبواب التفسير - سورة البقرة رقم ٤٠٣٣ وقال حسن غريب ٤/٢٧٣ - ٢٧٤.

وذكره ابن كثير بلفظه عن جابر وعزاه إلى ابن مردويه ١/١٥٨ - ١٥٩.

وقال ابن كثير - في تفسيره - «عبد الملك العرزمي عن عطاء: هما ضعيفان» ١/١٥٩ والمستدرک - كتاب الصلاة - باب ما بين المشرق والمغرب قبلة عن عطاء عن جابر ١/٢٠٦.

(١٠) سورة التوبة / ٣٠ بلفظ (وقالت اليهود).

(١١) في (د): وقالت المشركون.

(١٢) في (ح، د): فقال (وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه). وانظر في سبب نزول الآية: تفسير ابن كثير ١/١٦٠ وفتح الباري ٨/١٣٦ وفتح القدير

١٣٣/١ وأسباب النزول للواحدي ص ٢٦ وغرائب النيسابوري ١/٣٧٩ - ٣٨٠ والبحر ١/٣٦٢ والوجيز للواحدي ١/٣١.

(١٣) قرأ ابن عامر (قالوا اتخذ) بغير واو وكذا مكتوب في مصاحف أهل الشام وحجته: أنها قصة مستأنفة غير متعلقة بما قبلها، وقرأ الباقر=

وقوله ﴿بل^(١)﴾ أي: ليس الأمر كما زعموا ﴿له ما في السموات والأرض﴾ عبداً وملكاً ﴿كل له قانتون﴾ قال مجاهد وعطاء والسدي: ^(٢) مطيعون.

و (القنوت) الطاعة، والقانت: المطيع لله عز وجل ^(٣) ومنه قوله تعالى: ﴿أمن هو قانت أثناء الليل﴾ ^(٤) قال ابن عباس: هذا ^(٥) راجع إلى أهل طاعته دون الناس أجمعين ^(٦) وهو من العموم الذي أريد به الخصوص ^(٧)، وهذا قول مقاتل والفراء ^(٨).

وقال السدي ^(٩): هذا في يوم القيامة، تصديقه قوله ﴿وعنت الوجوه للحى القيوم﴾ ^(١٠) وقال أهل المعاني ^(١١): طاعة الجميع لله تعالى: تكونهم في الخلق عند التكوين إذ قال: «كن» فكان كما أراه.

﴿بديع السموات والأرض﴾ «البديع»: الذي يبدع الأشياء، أي: يحدثها مما لم يكن، و«بديع»: بمعنى مبدع.

قال أبو اسحاق ^(١٢) الزجاج: ﴿بديع السموات والأرض﴾: منشئهما ^(١٣) على غير مثال سابق، وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه قيل له ^(١٤): «أبدعت» ^(١٥): ولهذا يقال لمن خالف السنة: مبتدع، لأنه أحدث في الإسلام ما لم يسبقه إليه السلف.

قوله ^(١٦) ﴿وإذا قضى أمراً﴾ أي: قدره وأراد خلقه ﴿فإنما يقول له﴾ ^(١٧) أي: لذلك الأمر الذي يريد وجوده، وما قدر الله وجوده: فهو كالموجود الشاهد فجاز أن يخاطب ^(١٨)

= (وقالوا اتخذ) - بواو - لأنها مثبتة في مصاحفهم، انظر الحجة لأبي زرعة ص ١١٠ - ١١١ والسبعة ص ١٦٩ والنشر ٢/٢٢٠ والثاني ١٠٨/١ وفتح الباري ١٣٦/٨ والمصاحف لابن أبي داود ص ٤٤ والحجة لابن خالويه ص ٨٨.

(١) في (أ، د) بل له، وفي (ح) - بلى.
(٢) انظر تفسير مجاهد ص ٨٦ والطبري ٥٣٨/٢ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي والدر ١١٠/١ عن ابن عباس وقتادة وابن كثير ١٦٠/١ عن مجاهد والسدي وانظر الزجاج ١٧٦/١ والتسهيل ص ٥٨ والبغوي ١١٠/١ عن مجاهد وعطاء والسدي.
(٣) من (أ).

(٤) سورة الزمر ٩/ وانظر مجاز القرآن في معنى «القنوت» ٥١/١.
(٥) هذا: إشارة إلى قوله (كل له قانتون) حاشية (أ).
(٦) انظر غريب القرآن ص ٦٢ ومجاز القرآن ٥١/١ والزجاج ١٧٦/١ وفي تفسير ابن عباس ص ١٧ «مقرون له بالعبودية والتوحيد».
(٧) في (ح): الخاص.

(٨) انظر الفراء ٧٤/١ والطبري ٥٣٩/٢ وقد غاب على هذا الرأي وانظر الرازي ٢٤/٤ عن ابن عباس ومجاهد.
(٩) انظر الرازي ٢٤/٤ والطبري ٢٣٨/٢ وابن كثير ١٦٠/١ كلها عن السدي.
(١٠) سورة طه ١١١.

(١١) انظر الطبري ٥٣٩/٢ والبحر ٣٦٣/١ عن ابن الأنباري، والقرطبي ٨٦/٢، وابن كثير ١٦٠/١ عن مجاهد.
(١٢) في (د): قال الزجاج، متشبهاً.
(١٣) ساقطة من (ج، هـ).
(١٤) في (د): قبل أبدعت.
(١٥) في (هـ): (فإنما يقول له كن).

(١٨) «قوله: «وما قدر الله وجوده»: جواب سؤال تقديره: إنه كيف قال (فإنما يقول له كن) والمعدوم لا يخاطب؟ أجيب بوجهين: أحدهما: وهو ما مقدر والثاني قال ابن الأنباري: معناه: (فإنما يقول له) أي: لأجل كونه فعل هذا ذهب إلى معنى الخطاب، والجواب الثالث: أنه وإن كان معدوماً ولكنه لما قدر وجوده - وهو كائن لا محالة لإقناع الخلف - فكان كالموجود فيصح الخطاب» (حاشية (أ)).

وقال ابن الأنباري^(١): يحتمل أن تكون «السلام» في ﴿له﴾: لام لأجل، والتأويل: فإذا^(٢). قضى أمراً فإنما يقول^(٣). من أجل إرادته ﴿كن فيكون﴾ كقوله تعالى^(٤): ﴿سمعنا منادياً ينادي للإيمان﴾^(٥) أي: من أجله، وكقوله ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾^(٦). أي: من أجل حب المال^(٧) لبخيل. وقوله ﴿كن﴾: المأمور بهذا الأمر^(٨) لا قدرة له على دفع هذا^(٩) الأمر ولا صنع له فيه والمعنى: كن بتكويننا إياك.

وقوله ﴿فيكون﴾ قال الفراء والكسائي والزجاج^(١٠): رفعه من وجهين: أحدهما: العطف على ﴿يقول﴾ ومثله ﴿يوم يأتيهم العذاب فيقول﴾^(١١) والثاني: أن يكون رفعه على الاستئناف، والمعنى^(١٢): فهو يكون، لأن الكلام^(١٣) تم عند قوله ﴿كن﴾ ثم قال ﴿فيكون﴾ ما أراد^(١٤) الله، قال الفراء: وإنه لأحب الوجهين إلي.

وقرأ ابن عامر (فيكون) - بنصب النون - على جواب الأمر بالفاء في ظاهر اللفظ^(١٥).

وقوله^(١٦) ﴿وقال الذين لا يعلمون﴾ قال ابن عباس^(١٧): هم اليهود، وقال مجاهد^(١٨) هم النصارى وقال الحسن وقتادة^(١٩): هم مشركو العرب، قالوا لمحمد عليه السلام: لا نؤمن لك حتى يعلمنا الله: أنك رسوله، أو حتى تأتينا بمثل الآيات التي أتت بها الرسل، وهو قوله ﴿لولا يكلمنا الله (أو تأتينا آية)﴾^(٢٠) أي هلا، تقول: لولا فعلت ما أمرتك بمعنى: هلا فعلت وقد يقال: «لوما» بهذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿لولا تأتينا بالملائكة﴾^(٢١) أي: هلا^(٢٢) وكل ما في القرآن «لولا» يفسر على (هلا) غير التي في (سورة) الصافات^(٢٣) ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾^(٢٤).

وقوله^(٢٥) ﴿كذلك قال الذين من قبلهم﴾ أراد: كفار الأمم الخالية، قال الزجاج^(٢٦) أعلم الله ان كفرهم في

(١) انظر البغوي ١/١٠٠ عن ابن الأنباري والزجاج ١/١٧٧ - ١٧٨ والتسهيل ص ٥٨، البحر ١/٣٦٤.

(٢) سورة العاديات / ٨.

(٣) في (هـ): لحب الخير.

(٤) ساقطة من (ح، د).

(٥) في (هـ): هذه.

(٦) سورة آل عمران / ١٩٣.

(٧) انظر الفراء ١/٧٤ - ٧٥ وفيه يقول الكسائي والزجاج ١/١٧٧ ومجاز القرآن ١/٥٢ والتبيان ١/١٠٩ والمشكل ١/١٠٩ والحجة لأبي زرعة ص ١١١ نقلاً عن الزجاج.

(٨) في (أ) والمطبوعة: المعنى.

(٩) في (د): مثله يأتيهم.

(١٠) في (د) ما أراد الله.

(١١) في (د): قد تم.

(١٢) سورة إبراهيم / ٤٤.

(١٣) انظر الحجة لأبي زرعة ص ١١١ والسبعة ص ١٦٩ قال أبو بكر بن مجاهد «وهو غلط» والنشر ٢/٢٢٠ والتبيان ١/١٠٩ والحجة لأبي خالويه ص ٨٨.

(١٤) في (ج، هـ): قوله وفي (د): قوله تعالى.

(١٥) انظر تفسير ابن عباس ص ١٧ وابن كثير ١/١٦١ عنه والطبري ٢/٥٥١ عنه.

(١٦) انظر تفسير مجاهد ص ٨٦ والطبري ٢/٥٥١ عنه ورجحه على غيره والدر ١/١١٠ - ١١١ عنه وابن كثير ١/١٦١ عنه.

(١٧) انظر الطبري ٢/٥٥١ - ٥٥٢ عن قتادة والربيع والسدي وابن كثير ١/١٦١ عن أبي العالية والربيع وقتادة والسدي وفي (أ، د، هـ): مشركوا.

(١٨) من (د).

(١٩) (لولا): إذا وقع بعدها المستقبل: كانت تحضياً، وإن وقع بعدها الماضي: كانت تويحاً، وهي مختصة بالفعل (التبيان للعكبري ١/١١٠، سورة الحجر / ٧).

(٢٠) ساقطة من (ح) وفي (د): قوله تعالى، وفي (هـ): قوله.

(٢١) زيادة للتبيان.

(٢٢) انظر الزجاج ١/١٧٨.

(٢٣) سورة الصافات / ١٤٣.

التعنت بطلب الآيات على اقتراحهم ككفر الذين من قبلهم في قولهم لموسى ﴿أرنا الله جهرة﴾^(١) وما أشبهه، وفي هذا تعزية للنبي ﷺ قوله ﴿تشابهت قلوبهم﴾ أي: أشبه بعضها بعضاً في الكفر والقسوة، ومسألة^(٢) المحال^(٣) كقوله ﴿يضاهئون قول الذين كفروا من قبل﴾^(٤).

قوله^(٥) ﴿قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾ يريد: أن من أيقن وطلب الحق فقد أتمه الآيات والبيّنات^(٦) نحو المسلمين ومن لم يعاند من علماء اليهود لأن القرآن برهان شاف.

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لَبَسَ وَلَا تَلْوَىٰ لَهُمْ وَعَلَىٰ قَوْلِكَ هُم خَالِسُونَ ﴿١٢٠﴾ أَلَمْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَلْبَسْ إِسْرَائِيلُ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَىٰ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

قوله تعالى^(٧): ﴿إنا أرسلناك بالحق﴾^(٨) قال ابن عباس^(٩): «الحق» القرآن كقوله ﴿حتى جاءهم الحق﴾^(١٠) وكقوله^(١١) ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم﴾^(١٢) وقال ابن كيسان^(١٣): «الحق» في هذه الآية: الإسلام نحو قوله ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾^(١٤).

و«الباء» في «بالحق» بمعنى: مع، أي: مع الحق كقوله ﴿وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به﴾^(١٥) وقوله ﴿بشيراً﴾ هو فاعيل بمعنى فاعل، من بشر يبشر بشراً بمعنى: بشر ﴿ونذيراً﴾ أي: منذراً بمعنى: مخوفاً محذراً كالبيدع بمعنى: المبدع قوله ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ قال مقاتل^(١٦): إن النبي ﷺ قال: «لو أن الله أنزل بأسه باليهود آمنوا» فانزل الله تعالى: ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ أي: لست بمسؤول عنهم، وليس عليك من شأنهم عهدة ولا تبعة، فلا تحزن عليهم.

(١) سورة النساء / ١٥٣.

(٢) في (أ، د، هـ): ومسئلة.

(٣) انظر فتح القدير ١/ ١٣٤ عن الفراء.

(٤) سورة التوبة / ٣٠.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ص ١٧ والبحر ١/ ٣٦٧ والبغوي ١/ ١٠١ عن ابن عباس.

(٦) سورة الزخرف / ٢٩.

(٧) في (ج، د): وقوله.

(٨) انظر تفسير البغوي ١/ ١٠١ عن ابن كيسان والطبري ٢/ ٥٥٧ والبحر ١/ ٣٦٧.

(٩) سورة الإسراء / ٨٠١ وفي (د): (قل جاء...).

(١٠) سورة المائدة / ٦١.

(١١) انظر أسباب النزول للواحدي ص ٢٧ والمقرطبي ٢/ ٩٢ عن مقاتل بلفظ «لو أنزل الله بأسه باليهود لآمنوا» والوجيز للواحدي ١/ ٣٢ وقال

الرازي: «وهذه الرواية بعيدة لأنه عليه السلام كان عالماً بكفرهم، وكان عالماً بأن الكافر معذب».

(تفسير الرازي ٤/ ٣٠).

وقرأنا مع ﴿ولا تسأل﴾ - بفتح التاء وجزم اللام - على النهي للنبي ﷺ^(١).

وذلك: أنه سأل جبريل، عن قبر أبيه^(٢) وأمه^(٣) فدلّه عليهما فذهب إلى القبرين فدعا^(٤) لهما فتمنى أن يعرف حال أبويه في الآخرة، فنزل قوله ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾^(٥).

(١) انظر الحجة لأبي زرة ص ١١١ والسبعة ص ١٦٩ والنشر ٢/٢٢١ والزجاج ١/١٧٩، والبيان ١/١١٠ والأخفش ١/٣٣٤ والحجة لابن خالويه ص ٨٧ والرازي ٤/٣٠.

(٢) عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمي القرشي الملقب بالذبيح والد الرسول ﷺ ولد بمكة، وهو أصغر أبناء عبد المطلب، ولد سنة ٨١ قبل الهجرة ومات بالأبواء - بين مكة والمدينة - سنة ٥٣ قبل الهجرة. (الأعلام للزركلي ٤/٢٣٥).

(٣) أمنة بنت وهب بن عبد مناف من قريش أم النبي ﷺ كانت أفضل امرأة في قريش نسباً ومكانة امتازت بالذكاء وحسن البيان، تزوجها عبد الله فحملت منه بمحمد ﷺ توفيت بالأبواء. (الأعلام ١/١٩).

(٤) في (د): ودعا. . وتمنا.

(٥) روي أبو داود في سننه - كتاب الجنائز - باب في زيارة القبور عن أبي هريرة رقم ٣٢٣٤ (٢١٨/٣) قال: «أتى رسول الله ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال رسول الله ﷺ استأذنت ربي تعالى على أن أستغفر لها فلم يؤذن لي فاستأذنت أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم بالموت».

وانظر اللآلئ المصنوعة ١/١٦٨ ومثله في تنزيه الشريعة المرفوعة ١/٣٣٢ - ٣٣٣. وفي الدرر ١/١١١ عن محمد بن كعب القرظي «قال رسول الله ﷺ: ليت شعري ما فعل أبوي؟ فنزل ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ فما ذكرها حتى توفاه الله» قال السيوطي: هذا مرسل ضعيف الإسناد، وبنحوه عن داود بن أبي عاصم، قال السيوطي: معضل الإسناد ضعيف لا يقوم به ولا بالذي قبله حجة. وانظر مصنف عبد الرزاق ٣/٥٧٢ - ٥٧٣ عن ابن مسعود.

وفي الموضوعات لابن الجوزي «وقوله في الصحيح: «استأذنت ربي أن أستغفر لأبي فلم يأذن لي» ١/٢٨٤ - ومن العجب أن يقول ابن الجوزي: «ولا يختلف المسلمون: أن عبد المطلب مات كافراً، وكان لرسول الله ﷺ يومئذ ثمان سنين». وأما عبد الله: فإنه قد مات ورسول الله ﷺ حمل، ولا اختلاف أنه مات كافراً».

وكذلك آمنة ماتت ورسول الله ﷺ ست سنين (الموضوعات ١/٢٨٣). وانظر المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٢٥ فقد ذكر ردأ جميلاً بقول حافظ الشام ابن ناصر الدين:

حبا الله النبي مزيد فضل على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه لإيمان به فضلاً لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير وإن كان الحديث به ضعيفا

قال: والذي أراه: الكف عن التعرض لهذا إثباتاً ونفيًا.

«وقال ابن المنير في شرف المصطفى ﷺ «قد وقع لبنينا إحياء نظير ما وقع لعيسى ابن مريم وجاء في حديث: إنه لما منع من الاستغفار للكفار، دعا الله تعالى أن يجي له أبويه، فأحياهما له فأمنأ به وصدقاه وماتا مؤمنين».

وقال القرظي - في التذكرة - لا تعارض بين أحاديث إحياء الأبوين وأحاديث عدم الإذن في الاستغفار لأن إحياءهما متأخر عن الاستغفار لهما (تذكرة الموضوعات ١/١٦٨ تنزيه الشريعة ١/٣٣٢ - ٣٣٣).

وانظر أسباب النزول للسواحدي ص ٢٦ - ٢٧ وأسباب النزول للسيوطي ص ٢٣ - ٢٤ وقال في تعليقه على الروايتين: بالإرسال وانظر تفسير الطبري ٢/٥٥٨ - ٥٦٠ فقد ذكر روايات محمد بن كعب وضعفها قال المحقق: محمد بن كعب القرظي: تابعي والمرسل لا تقوم به حجة، وعن الحديثين المتقدمين قال: ثم هما إسنادان ضعيفان أيضاً بضعف راويهما: موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف جداً، قال البخاري: منكر الحديث وقال أحمد وابن المديني: كنا نتقيه.

وانظر البحر ١/٣٦٨.

«الجحيم» النار: المتلظية العظيمة يقال: جحمت النار تجحم جحوما فهي جاحمة وجحيم قال الله تعالى ﴿فألقوه في الجحيم﴾^(١).

وقوله ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ قال المفسرون^(٢): كانت اليهود والنصارى يسألون النبي ﷺ الهدنة ويطمعون^(٣) ويرونه أنه إن هاونهم وأمهلهم اتبعوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية وأخبر أنه لا يرضيهم إلا ما يستحيل وجوده لأن اليهود لا ترضى عنه إلا باليهود، والنصارى إلا بالتنصر ويستحيل الجمع بينهما، وإذا استحال إرضاءهم^(٤) فهم لا يرضون أبداً، ومعنى ﴿ملتهم﴾: دينهم. وقوله ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ قال ابن عباس^(٥): يريد أن الذي أنت عليه هو دين الله الذي رضيته ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ قال ابن عباس^(٦) صليت إلى قبلتهم: ﴿بعد الذي جاءك من العلم﴾ بأن دين^(٧) الله الاسلام والقبلة هي الكعبة.

والخطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته لأنه معصوم عن اتباع هوى الكافرين ﴿ما لك من الله من ولي ولا نصير﴾ ثم ذكر أن من كان منهم غير متعنت ولا حاسد، ولا طالب رياسة، تلا^(٨) التوراة كما أنزلت فرأى فيها أن النبي ﷺ حق، فأمن^(٩) به وهو:

قوله ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾ قال ابن مسعود^(١٠): يُجَلِّون حلاله ويحرمون حرامه ويقرأونه كما أنزل ولا يحرفونه عن مواضعه، وقال مجاهد^(١١): يتبعونه حق اتباعه. وقال ابن عباس^(١٢): نزلت في الذليل قدموا مع جعفر بن أبي طالب^(١٣) من الحبشة، وكانوا من أهل الكتاب بالنبي ﷺ وقال الضحاك^(١٤): نزلت في مؤمنين اليهود.

وما بعد هذا قد تقدم تفسيره^(١٥). إلى قوله تعالى:

- (١) سورة الصفات ٩٧ وانظر في هذا المعنى: اللسان / جحم.
 (٢) انظر الزجاج ١/١٨٢ وأسباب النزول للواحدي ص ٢٧ والبحر ١/٣٦٨.
 (٣) في جميع النسخ: ويطمعون، والثابت من أسباب النزول للواحدي ص ٢٧.
 (٤) في (أ، ح، هـ) والمطبوعة: إرضاءهم.
 (٥) عند ابن عباس في تفسيره ص ١٧ «أي دين الله هو الإسلام، وقبلة الله هي الكعبة» وانظر البحر ١/٣٦٨، وابن كثير ١/١٦٣ والتسهيل ص ٥٩.
 (٦) انظر تفسير ابن عباس ص ١٧ - الدر ١/١١١ عن ابن مسعود.
 (٧) في (هـ): الدين وفي (د): بأن دين الله هو الإسلام.
 (٨) انظر تفسير ابن عباس ص ١٧ ومجاز القرآن ١/٥٣ والطبري ٢/٥٦٦ - ٥٦٧ عن ابن عباس وابن مسعود وابن كثير ١/١٦٣ عن ابن مسعود والمستدرک - كتاب التفسير - عن ابن عباس وصححه ٢/٢٦٦.
 (٩) انظر تفسير مجاهد ص ٨٧ والثوري ص ٤٨ والتسهيل ص ٥٩ والدر ١/١١١ عن مجاهد وابن كثير ١/١٦٣ عن ابن عباس ومجاهد.
 (١٠) انظر تفسير ابن عباس ص ١٧ والبحر ١/٣٦٩ عن ابن عباس.
 (١١) جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم أبو عبد الله الطيار، ابن عم رسول الله ﷺ أسلم قديماً واستعمله رسول الله ﷺ على غزوة مؤتة واستشهد بها سنة ٨ هـ روي عن النبي ﷺ وعنه ابنه عبد الله وبعض أهله وأم سلمة وعمرو بن العاص.
 (تهديب التهذيب ٢/٩٨).
 (١٤) انظر البحر ١/٣٦٩ عن الضحاك والطبري ٢/٥٦٥ عن ابن زيد وفتح القدير ١/١٣٥.
 (١٥) انظر تفسير الآيات: ٤٠، ٤٧، ٤٨ من سورة البقرة والذي عناه المصنف هو قوله تعالى: ﴿أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم

﴿وَإِذْ أْتَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ «الابتلاء»: الاختبار والامتحان، وابتلاء الله: يعوّد^(١) إلى إعلامه عباده لا إلى استعلامه، لأنه يعلم ما يكون، فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعلم والمعنى: انه عامله معاملة المختبر.

وأكثر المفسرين قالوا في تفسير «الكلمات»^(٢): إنها عشر خصال عن السنة، خمس في الرأس وخمس في الجسد، فالثي في الرأس: الفرق^(٣)، والمضمضة والاستنشاق وقص الشارب والسواك. والتي في الجسد: تقليم الأظافر، وحلق العانة والختان، والاستنجاء، وشفط الرفغين^(٤).

قال عطاء عن ابن عباس^(٥): أوحى الله تعالى إلى إبراهيم^(٦)، يا خليلي^(٧) تطهر فمضمض، فأوحى الله^(٨) إليه أن تطهر، فاستنشق، فأوحى الله إليه أن تطهر، فاستاك، فأوحى الله إليه أن تطهر، فأخذ من شارب، فأوحى الله إليه أن

= الخاسرون يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾.

(١) في (د): يرجع.

(٢) انظر تفسير الرازي ٣٧/٤ - ٣٨ عن ابن عباس، وأحكام القرآن لابن العربي ٣٦/١ - ٣٧ والمستدرک - كتاب التفسير - عن ابن عباس وصححه على شرط الشيخين. (٢/٢٦٦) والدر ١/١١١ وابن كثير ١/١٦٥ والطبري ٣/٩ وغرائب النيسابوري ١/٣٧٩ وفتح القدير ١/١٣٩ كلها عن ابن عباس والفراء ١/٧٦ والبحر ١/٣٧٥ عن ابن عباس وقتادة والقرطبي ٢/٩٨.

(٣) في (د): فرق الشعر.

(٤) في (د): وشفط الإبطين الرفغين.

ومعنى الرفغين: الإبطين، والواحد: رُفْع - بضم فسكون - (معاني القرآن للفراء ١/٧٦).

(٥) انظر البحر ١/٣٧٥.

(٦) في (د): إبراهيم ﷺ.

إبراهيم خليل الله: ابن تارح بن ناحور بن ساروخ بن أرغو بن فالغ بن عابر - وهو هود النبي عليه السلام - ومولده بأرض الأهواز وقيل: ببابل وقيل بنجران نقله أبوه إلى بابل أرض نمرود بن كنعان. (البحر ١/٣٧٤).

(٧) في (ح): يا خليل.

(٨) في (د): الله تعالى.

تطهر، ففرق، فأوحى الله إليه أن تطهر، فاستنجى^(١)، فأوحى الله إليه أن تطهر، فخلق عانته، فأوحى إليه أن تطهر فنتفل إبطيه، فأوحى الله إليه أن تطهر فقلّم أظفاره، فأوحى الله إليه أن تطهر، فأقبل بوجهه ماذا يصنع^(٢)؟ فأختتن بعد عشرين ومائة سنة.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الخشاب^(٣)، أخبرنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحيري أخبرنا الحسن بن سفيان^(٤) حدثنا قتيبة بن سعيد^(٥)، حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن^(٦) عن أبي الزناد^(٧)، عن الأعرج^(٨)، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «أختتن إبراهيم بالقدوم وهو ابن ثمانين سنة» رواه البخاري ومسلم^(٩) عن قتيبة أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا بحر بن نصر^(١٠)، قال: قرىء علي ابن وهب: أخبرك ابن سمعان عن محمد بن المنكدر^(١١)، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة أنه قال:

أختتن إبراهيم بقدوم وهو ابن عشرين ومائة سنة، ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة^(١٢). وكان سعيد بن المسيب

(١) في (أ): فاستنجا.

(٢) في (د): ما يصنع.

وفي معاني القرآن للزجاج «وقال قوم: إن الذي ابتلاه به: ما أمره من ذبح ولده وما كان من طرحه في النار وأمر النجوم التي جرى ذكرها في القرآن في قوله ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً...﴾ (الزجاج ١/١٨٤).

(٣) محمد بن عمر بن بكير النجار أبو بكر البغدادي المقرئ، روى عن أبي بحر اليربهازي وابن خلاد وطائفة توفي سنة ٤٤٢ هـ عن ٦٦ سنة (المعبر ٢/٢٦٧).

(٤) الحسن بن سفيان الشيباني النسوي أبو العباس الحافظ الكبير كان ثقة حجة واسع الرحلة توفي سنة ٣٠٣ هـ (شذرات ٢/٢٤١).

(٥) قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف بن عبد الله الثقفي مولاهم البغلاني - بغلان بلخ - يكنى أبا رجاء، روى له البخاري ومسلم توفي سنة ٢٤٠ هـ (كتاب الجمع ٢/٤٢٦).

(٦) المغيرة بن عبد الرحمن الحزامي المدني وسمع أبا الزناد وموسى بن عقبة وعبد الله بن أبي هند، روى له البخاري ومسلم توفي سنة ١٨٦ هـ (تهذيب التهذيب ١٠/٢٦٤ - ٢٦٥، الجمع ٢/٥٠٠).

(٧) أبو الزناد: عبد الله بن ذكوان القرشي أبو عبد الرحمن المدني قال البخاري: أصح أسانيد أبي هريرة: أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة وثقة العجلي والنسائي والساجي توفي سنة ١٣١ هـ (تهذيب التهذيب ٥/٢٠٣ - ٢٠٥).

(٨) الأعرج: عبد الرحمن بن هرمز أبو داود المدني، قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث وقال العجلي: مدني تابعي ثقة توفي سنة ١١٧ هـ (تهذيب التهذيب ٦/٢٩٠ - ٢٩١).

(٩) الحديث رواه البخاري - كتاب بدء الخلق - باب قول الله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) عن أبي هريرة ٢/٢٣٤ وفي كتاب الاستئذان - باب الختان بعد الكبر ونسف الإبط ٤/٧٦ - ومسلم - كتاب الفضائل - من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ عن أبي هريرة ٣٤٢/٢.

(١٠) بحر بن نصر بن سابق الخولاني المصري، قال ابن أبي حاتم: كتبنا عنه بمصر وهو صدوق ثقة وقال ابن خزيمة ثقة، توفي سنة ٢٦٧ هـ (تهذيب التهذيب ١/٢٤٠ - ٢٤١).

(١١) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن مرة التيمي أبو عبد الله قال ابن معين وأبو حاتم والمعجلي: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ١٣٠ هـ (تهذيب التهذيب ٩/٤٧٣ - ٤٧٥).

(١٢) انظر الدر ١/١١٥ عن أبي هريرة، والفتح الرباني ١٧/٣١٣ والبحر ١/٣٧٥ وقد وفق بين هذه الرواية والحديث المتقدم فقال «فإن صححت تلك الرواية فالتأويل: أنه أختتن بعد عشرين ومائة سنة من ميلاده، وابن ثمانين سنة من وقت نبوته. فيتفق التاريخان والله أعلم». وانظر القرطبي ٢/٩٨.

يقول^(١) كان إبراهيم أول الناس أضاف الضيف وأول الناس اختن وأول الناس قص شاربه، وقلم أظفاره واستحد،^(٢) وأول الناس رأى الشيب فلما رآه قال: يا رب ما هذا؟ فقيل له: هذا^(٣) الوقار، قال: يا رب^(٤) فزدني وقاراً.

وقوله ﴿فأتمهن﴾ أي: أداهن تامات غير ناقصات، ف ﴿قال﴾ الله تعالى له: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ قال ابن عباس^(٥): أوحى الله إليه: إني جاعلك للناس إماما يقتدي بك الصالحون من بعدك.

و«الإمام» كل من ائتم به قوم. و«النبى»: إمام وقته، و«ال خليفة» إمام رعيته و«القرآن»: إمام المسلمين على معنى: أنهم يتتهون إليه فيما أمر وزجر.

ف ﴿قال﴾ إبراهيم ﴿ومن ذريتي﴾ أي: ومن أولادي أيضاً فاجعل أئمة يقتدى بهم و«الذرية»: تقع على الآباء والأبناء والرجال^(٦) والنساء^(٧)، قال الله تعالى: ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم﴾^(٨) أراد آباءهم الذين حملوا مع نوح في السفينة وقال تعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً...﴾ إلى قوله ﴿... ذرية بعضها من بعض﴾^(٩) فدخل الآباء فيها والأبناء.

وتكون الذرية واحداً، وهو في قوله ﴿هب﴾^(١٠) لي من لذك ذرية طيبة^(١١) يعني ولدا صالحا.

ف ﴿قال﴾ الله تعالى لإبراهيم ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾: أعلمه أن في ذريته الظالم، قال السدي^(١٢): ﴿عهدي﴾ نبوتي، أي: لا ينال ما عهدت إليك من النبوة والإمامة في الدين من كان ظالماً من ولدك. وقال الفراء^(١٤): لا يكون للناس إمام مشرك.

قوله تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت﴾ يعني: الكعبة التي هي القبلة اليوم ﴿مشابة للناس﴾ «المثاب» و«المثابة»: مصدران: ثاب يثوب: إذا رجع^(١٥) والمراد بالمشابة ها هنا: الموضع الذي يثاب إليه، قال ابن عباس^(١٦)

(١) انظر مصنف ابن أبي شيبة ٥٢٢/١١ والدر ١١٥/١ وابن كثير ١٦٦/١ كلها عن سعيد بن المسيب.

(٢) استحد: «الحد» الفصل بين شيئين و«الاستحداد» الاحتلاق بالحديد، وأيضاً: حلق شعر العانة وفي الحديث الذي جاء في عشر من السنة: الاستحداد من العشر وهو حلق العانة بالحديد (اللسان / حد).

(٤) في (ح): يا رب زدني، وفي (د): رب زدني.

(٣) ساقطة من (ه).

(٥) انظر تفسير ابن عباس ص ١٨ والثوري ص ٤٨ والدر ١١٨/١ عن ابن عباس.

(٦) في (د): والأولاد.

(٧) «الليت»: الذرية تقع على الآباء والأبناء والأولاد والنساء قال الله تعالى ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون﴾ أراد آباءهم الذين حملوا مع نوح في السفينة وقال الأزهري: دخل فيها الآباء والأبناء وفي قوله تعالى: ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ يريد أولادهم الصغار. (اللسان / ذرا).

(٨) سورة يس / ٤١.

(١١) سورة آل عمران / ٣٨.

(٩) سورة آل عمران / ٣٣، ٣٤.

(١٢) في (د): فقال تعالى الظالمين.

(١٠) في (ه): هبلي، وفي المطبوعة: (وهب لي).

(١٣) انظر تفسير الطبري ٢٠/٣ وابن كثير ١٦٨/١ والبحر ٣٧٧/١ كلها عن السدي.

(١٤) انظر معاني القرآن للفراء ٧٦/١ وابن كثير ١٦٧/١ عن سعيد بن جبير.

(١٥) انظر التبيان ١١٢/١ وغريب القرآن ص ٦٣ ومجاز القرآن ٥٤/١ والفراء ٧٦/١ والطبري ٢٥/٣.

(١٦) انظر تفسير ابن عباس ص ١٨ ومجاهد ص ٨٨ والثوري ص ٤٩ وغريب القرآن ص ٦٣، والرازي ٤٦/٤ عن ابن عباس ومجاهد

والدر ١١٨/١ عن ابن عباس وابن كثير ١٦٨/١ عن ابن عباس والطبري ٢٧/٣ عن ابن عباس ومجاهد وعطاء.

معادا ومرجعاً لا يقضون منه وطراً كلما أتوه وانصرفوا اشتاقوا إلى الرجعة إليه .

وقوله ﴿وَأَمْنَا﴾ أراد: «أمنا»^(١) .

قال ابن عباس^(٢): يريد من دخله كان أمنا، فمن أحدث حدثاً^(٣) خارج الحرم، ثم لجأ إليه أمن من أن يهاج فيه، ولكن لا يؤوى ولا يخالط ولا يبايع فإذا خرج منه أقيم عليه الحد، ومن أحدث في الحرم أقيم عليه الحد . وهذا مذهب أبي حنيفة^(٤): وهو أن الجاني إذا لاذ^(٥) بالحرم أمن^(٦) . ومذهب الشافعي^(٧): أنه لا يأمن بالالتجاء إليه، ويستوفى منه ما وجب عليه في الحرم على^(٨) ما روي في الخبر «إن الحرم لا يعيد عاصياً»^(٩) .

وعلى هذا فمعنى قوله ﴿وَأَمْنَا﴾: الأولى أن يأمن فيه الجاني، فإن أخيف^(١٠) بإقامة الحد عليه جاز، وقد قال كثير من المفسرين: من شاء آمن ومن شاء لم يؤمن، كما أنه لما جعله مثابة، من شاء تاب، ومن شاء^(١١) لم يشب .

وكان قبل الإسلام يرى الرجل قاتل أبيه في الحرم فلا يتعرض له، وهذا شيء كانوا توارثوه من دين إسماعيل فبقوا عليه إلى أيام النبي ﷺ فاليوم: من أصاب فيه جريرة^(١٢)، أقيم عليه الحد بالإجماع^(١٣) .

وقوله تعالى^(١٤): ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ قراءة أهل المدينة والشام - بفتح الخاء - على معنى الخبر ويؤكد: أن الذي قبله والذي بعده: خبر وهو قوله ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا﴾ ﴿وَعَهْدَنَا﴾^(١٥) ومن قرأ ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ - بالكسر على الأمر - فحجته ما:

(١) في (د): فقال أمنا ما منا . «أي أمنا يأمنون فيه من إيذاء المشركين فإنهم ما كانوا يتعرضون لأهل مكة، ويقولون: هم أهل الله ويتعرضون لمن حوله كما قال الله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا مَأْمُونًا وَيَتَخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ والنص من سورة العنكبوت ٦٧/ (حاشية أ) .

(٢) انظر تفسير ابن عباس ص ١٨ والدر ٥٤/٢ عن ابن عباس والزجاج ١٨٦/١ .

(٣) «أي: جنى جناية» (حاشية أ) .

(٤) أبو حنيفة: النعمان بن ثابت التيمي الكوفي فقيه أهل العراق وإمام أصحاب الرأي رأى أنساً، وروى عن حماد بن أبي سليمان وعطاء بن أبي رباح وعاصم بن أبي النجود والزهري وقتادة وخلق، قال ابن معين كان ثقة لا يحدث من الحديث إلا بما يحفظه ولا يحدث بما يحفظه ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٥٠ هـ .

(تهذيب التهذيب ٤٤٩/١ - ٤٥٠، طبقات الحفاظ ٨٠ - ٨١) .

(٥) لاذ به: لجأ إليه وعاذ به، وهو من: لاذ يلوذ لوذاً ولوذاً وليذاً . ولوذاً ملاوذاً ولوذاً وليذاً: استتر، وقال ثعلب: لذت به لوذاً احتضنت (اللسان / لوذاً) .

(٦) انظر غرائب النيسابوري ٣٩٥/١ عن أبي حنيفة، الفراء ٧٧/١٠ والزجاج ١٨٦/١ الرازي ٤٧/٤ عن أبي حنيفة .

(٧) انظر غرائب النيسابوري ٣٩٥/١ عن الشافعي والرازي ٤٧/٤ عن الشافعي ورجحه .

(٨) في (د): وعلى ما .

(٩) الحديث رواه الترمذي في جامعه - أبواب الحج - باب ما جاء في حرم مكة عن أبي شريح رقم ٨٠٩ .

(١٠) في (د): قال أخيف فيه .

(١١) في (د): ومن لم يشأ .

(١٣) انظر غرائب النيسابوري ٣٩٤/١ والطبري ٢٩/٣ .

(١٤) في غير (أ): وقوله .

(١٢) جريرة: جناية وذنب (اللسان / جرر) .

(١٥) قرأ - ابن عامر (واتخذوا) بفتح الخاء - على الخبر، وقرأ الباقون: بكسر الخاء - انظر الحجة لأبي زرعة ص ١١٣ والسبعة ص ٧٠ والنشر ٢٢٢/٢ والزجاج ١٨٦/١، والتبيان ١١٢/١ - ١١٣ . والدر ١١٨/١ والفراء ٧٧/١ والمعجم الصغير للطبراني ٤٤/١ والمصاحف لابن أبي داود ص ٩٧ .

أخبرنا أحمد بن الحسن القاضي، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي، حدثنا عبد الرحمن بن منيب المروزي^(١) حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حميد^(٢) عن أنس قال:

قال عمر: وافقني ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله^(٣) لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلية؟ فأنزل الله ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلية﴾ وقلت: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله تعالى آية الحجاب^(٤) وقال: وبلغني بعض ما أذن به رسول الله ﷺ - يعني أزواجه^(٥) - قال: فدخلت عليهن، فجعلت أستقربهن^(٦) واحدة واحدة، قلت: والله لتنتهين أو ليبدلن الله أزواجاً^(٧) خيراً منكن، حتى أتيت على زينب^(٨) فقالت: يا عمر، أما كان في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟ فأنزل الله عز وجل ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن...﴾^(٩) الآية.

رواه البخاري - في تفسير هذه الآية - عن مسدد، عن يحيى عن حميد قال قتادة والسدي^(١٠) في قوله ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلية﴾: هو الصلاة عند مقام إبراهيم، أمروا بالصلاة عنده، ولم يؤمروا بمسحه ولا تقبيله^(١١).
و«المقام» في اللغة: موضع القدمين، حيث يقوم عليه الإنسان وهو الحجر الذي فيه أثر قدمي إبراهيم عليه السلام.

أخبرنا الحسن بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عبيد الله بن الفضل التاجر أخبرنا أحمد بن الحسن الحافظ حدثنا محمد بن يحيى حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا ابن وهب، حدثنا يونس بن يزيد، عن ابن شهاب^(١٢) حدثني أنس بن مالك قال:

(١) عبد الرحيم بن منيب الأبيوردي، قال أبو حاتم: كان صدوقاً (تاريخ بغداد ١٤/٢٤).
(٢) حميد بن أبي حميد - نيرويه - الطويل الحافظ المحدث الثقة أبو عبيدة البصري أحد مشيخة الأثر سمع أنس بن مالك وغيره وعنه شعبة ومالك وسفيان والحمدان وابن علية ويحيى القطان والأنصاري وخلق توفي سنة ١٤٢ هـ (طبقات الحفاظ ١/١٥٢).
(٣) في (د): برسول.
(٤) آية الحجاب هي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه، ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعاً فسلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾ (سورة الأحزاب / ٥٣).

(٥) في غير (أ) نساءه.
(٦) «يعني دعوت واحدة منهن وجعلتها قريبة مني وتكلمت معها بحيث لا يسمع غيرها ثم أدعو أخرى وأجعلها قريبة وأتكلم معها بحيث لا يسمع غيرها» (حاشية أ).

واستقربهن: أي اتبعهن (عمدة القوي والضعيف ص ٥).

(٧) في (هـ): أوجا.

(٨) زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن داود بن أسد بن خزيمة الأسدي المدنية - زوج النبي ﷺ - وكان اسمها برّة - فسمها النبي ﷺ زينب وأمها أمية بنت عبد المطلب، سمعت النبي ﷺ وروت عنها أم سلمة وزينب بنت أبي سلمة تزوجها الرسول ﷺ سنة ٥ هـ وتوفيت في خلافة عمر وهي أول نساء النبي ﷺ موتاً بعده. (كتاب الجمع ٢/٦٠٦).

(٩) سورة التحريم / ٥.

(١٠) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب التفسير - باب قوله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلية﴾ ٣/٩٩ عن أنس - والترمذي في جامعه - كتاب التفسير - باب من سورة البقرة عن أنس رقم ٤٠٣٨ وقال حسن صحيح ٤٠/٢٧٥.

(١١) انظر تفسير ابن كثير ١/١٧٠ عن قتادة.
(١٢) في (د): عن شهاب.

رأيت المقام فيه أصابعه ، وأخمص قدميه ، والعقب ، غير أنه أذهب مسح الناس بأيديهم (١)
أخبرنا أبو إبراهيم النصر أباضي (٢) أخبرنا المغيرة بن عمرو بن الوليد العدني (٣) بمكة حدثنا المفضل بن محمد
الشعبي (٤) حدثنا عبد الرحمن بن محمد حدثنا عبد الرزاق عن أبي معشر المدني (٥) عن محمد بن المنكدر عن
جابر بن عبد الله قال :

قال رسول الله ﷺ : «من طاف بالبيت سبعاً ، وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم ، غفر الله له ذنوبه
كلها بالغة ما بلغت» (٦) .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد الواعظ (٧) أخبرنا أبو علي بن أبي بكر الفقيه ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد
البغوي حدثنا هذبة بن خالد حدثنا رجاء بن صبيح (٨) قال (٩) : سمعت مسافع بن شيبة (١٠) قال : سمعت عبد الله بن
عمرو بن العاص (١١) يقول : أشهد بالله ، أشهد بالله ، أشهد بالله ، لسمعت رسول الله ﷺ (١٢) يقول :

(١) انظر تفسير ابن كثير ١٧٠/١ عن أنس بن مالك والبحر ٣٨١/١ عن أنس وانظر الوجيز للواحيدي ٣٤/١ والقرطبي ١١٣/٢ .

(٢) سبق وفي (د) أبو إبراهيم النصر أباضي .

(٣) المغيرة بن عمرو بن الوليد العدني - منسوب إلى عدن المعروفة مع جماعة كثيرة من المحدثين منهم محمد بن يحيى بن أبي عمر
العدني وجماعة آخرون - المكي روى عن المفضل بن محمد الجندي كتابه «فضائل مكة» روى عنه أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم
النصر أباضي . وذكره الذهبي فقال : المغيرة بن عمرو المكي عن المفضل الجندي روى حديثاً موضوعاً ، الحمل فيه عليه . (عمدة
القوي ص ٥ ، والعقد الثمين ٢٦١/٧) .

(٤) المفضل بن محمد الشعبي : قد يقال فيه الجندي ، ويكنى أبا سعيد (عمدة القوي ٥) وهو المفضل بن محمد أبو سعيد الجندي
محدث مكة روى عن إبراهيم بن محمد الشافعي والعدني وجماعة وثقه أبو علي النيسابوري توفي سنة ٣٠٨ هـ (شذرات الذهب
٢٥٣/٢) .

(٥) أبو معشر السندي المدني الفقيه صاحب المغازي : نجح بن عبد الرحمن كان من أوعية العلم رأى أبا أمامة بن سهل وروى عن
محمد بن كعب وابن المنكدر ونافع وطائفة قال أحمد : كان بصيراً بالمغازي صدوقاً وكان لا يقيم الإسناد وقال أبو زرعة صدوق توفي
سنة ١٧٠ هـ (تذكرة الحفاظ ٢٣٥/١) .

(٦) انظر كشف الخفاء ٢٥٩/٢ وفيه «رواه الواحدي في تفسيره ، والجندي في «فضائل مكة» عن جابر رفعه ، وأخرجه الديلمي في مسنده
بنحوه» .

والمقاصد الحسنة ص ٤١٧ عن جابر مرفوعاً ، والفوائد المجموعة للشوكاني ص ١٠٦ ، وتذكرة الموضوعات ص ١٢٢ والجامع الكبير
٧٩٨/٢ «رواه الديلمي وابن النجار عن جابر» .

(٧) الحيري أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد النيسابوري الضرير المفسر ، صنف التصانيف في القراءات والوعظ والتفسير والحديث وكان
أحد الأئمة أثنى عليه الخطيب ولد سنة ٣٦١ هـ وتوفي سنة ٤٣٠ هـ (العبر ٢٦٢/٢) .

(٨) رجاء بن صبيح أبو يحيى الحرشي صاحب السقطي ، عن ابن سيرين ويحيى بن أبي كثير قال يحيى بن معين : ضعيف وقال أبو حاتم
وغيره : ليس بالقوي وذكره ابن حبان في الثقات وله في جامع أبي عيسى «الركن والمقام» . الحديث :
(الميزان ٤٦/٢) .

(٩) من (د) .

(١٠) مسافع بن عبد الله بن شيبة الحنفي ، سمع عروة بن الزبير ، وروى عنه مصعب بن شيبة روي له مسلم . (كتاب الجمع ٥٢٥/٢) .

(١١) عبد الله بن عمرو بن العاصي بن وائل السهمي أبو محمد صحابي جليل ، كان بينه وبين أبيه ١٣ سنة أسلم قبل أبيه ، توفي سنة ٦٣ هـ وفيه
سنة ٦٥ وقيل سنة ٦٨ هـ .

(تقريب التهذيب ٤٣٦/١ ، الجمع ٢٣٩/١) .

(١٢) ليست في (أ) .

«الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله نورهما، ولولا أن نورهما طمس لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب»^(١).

أخبرنا أبو حسان المزكي، أخبرنا هارون بن محمد الإستراباذي، حدثنا إسحاق بن أحمد الخزاعي^(٢)، حدثنا أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرق^(٣)، حدثنا جدي أحمد بن محمد بن الوليد الأزرق^(٤) عن مسلم بن خالد^(٥) عن ابن جريح، عن عطاء، عن ابن عباس^(٦) أنه قال:

ليس في الأرض من الجنة إلا الركن الأسود والمقام، فإنهما جوهرتان من جواهر الجنة ولولا ما مسهما أهل الشرك: ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله^(٧).

وقوله تعالى^(٨): ﴿وَعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل﴾ أي: أمرناهما^(٩) وأوحينا إليهما ﴿أن طهرا بيتي﴾ قال سعيد ابن جبير، وعبيد بن عمير^(١٠) وعطاء ومقاتل: ^(١١) من الأوثان والريب^(١٢).

قال الكلبي^(١٣): إن الله تعالى عهد إلى إبراهيم إذ بنى^(١٤) الكعبة: أن طهره من الأوثان، فلا^(١٥) ينصب حوله

(١) الحديث: رواه الترمذي - أبواب الحج - باب ما جاء في فضل الحجر الأسود عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رقم ٨٧٩ «يروى عن ابن عمرو موقوفاً، وفيه عن أنس وهو حديث غريب» (١٨٢/٢).

وانظر علل الحديث للرازي ٢٩٩/١ - ٣٠٠ فإنه ذكر الحديث بسنده وقال: «سمعت أبي وذكره... فقال أبي رواه الزهري وشعبة كلاهما عن مسافع بن شيبه عن عبد الله بن عمرو موقوفاً، وهو أشبه، ورجاء شيخ ليس بقوي».

(٢) الإمام المقرئ المحدث أبو محمد إسحاق بن أحمد بن إسحاق بن نافع الخزاعي مقرئ مكة وصاحب البري روى مسند العدني، كان متقناً ثقة توفي سنة ٣٠٨ هـ وله تسعون سنة (سير الأعلام ٢٨٩/١٤ شذرات ٢٥٢/٢).

(٣) أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن الأزرق صاحب كتاب «أخبار مكة» روى عن جده ومحمد بن يحيى بن أبي عمار العدني وطائفة وعنه أبو محمد إسحاق بن أحمد بن نافع الخزاعي وغيره توفي سنة ٢٥٠ هـ. (الأعلام ٩٣/٧، الأنساب ٢٠١/١).

(٤) أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق بن عمرو بن الحارث بن أبي شمر الغساني أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرق صاحب «تاريخ مكة» روى عن عمرو بن يحيى ومالك وابن عينية والشافعي وغيرهم وعنه البخاري ويعقوب الفسوي قال أبو حاتم وأبو عوانة: ثقة توفي سنة ٢٢٢ هـ. (تهذيب التهذيب ٧٩/١).

(٥) مسلم بن خالد بن فروة المخزومي أبو خالد الزنجي المكي قال البخاري: منكر الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به، يعرف وينكر وقال عثمان الدارمي عن ابن معين: ثقة توفي سنة ١٧٩ هـ (تهذيب التهذيب ١٠/١٢٨ - ١٢٩).

(٨) في غير (أ) قوله.

(٦) في (د): عن عطاء بن عباس.

(٩) في (د) أي: وأمرناهما.

(٧) انظر الدرر ١٣١/١ عن ابن عباس ومصنف عبد الرزاق ٣٨/٥ عن ابن عباس.

(١٠) عبيد بن عمر بن قتادة بن سعيد بن عامر بن جندع بن ليث الليثي ثم الجندعي أبو عاصم المكي قاضي أهل مكة روى عن أبيه (وله صحبة) وعمر وعلي وأبي بن كعب وأبي موسى وأبي هريرة وعدة قال ابن معين وأبو زرعة ثقة توفي سنة ٧٧ هـ. قال مجاهد كنا نفتخر بفقيننا ابن عباس وقاضينا عبيد بن عمير (تهذيب التهذيب ٧١/٧ النجوم الزاهرة ٩٧/١).

(١١) في (د) يعني من الأوثان.

(١٢) انظر الدرر ١٢١/١ عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن كثير ١٧١/١ عن عبيد بن عمير وأبي العالية وسعيد بن جبير ومجاهد والطبري ٤٠/٣ عن عطاء عن عبيد بن عمير والبعوي ١٠٨/١ عن سعيد بن جبير وعطاء.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ص ١٨ والزجاج ١٨٧/١ والدرر ١٢١/١ عن ابن عباس والفراء ٧٧/١ والطبري ٣٩/٣ - ٤٠ عن ابن زيد وفتح القدير ١٤٢/١ عن ابن عباس والرازي ٥٢/٤.

(١٤) في (د): بنا... وما.

وثن، وقال مجاهد ﴿طهرا بيتي﴾: من الشرك (١).

وقوله تعالى (٢): ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْمَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ قال الكلبي (٣): أما الطائفون فمن اعتراه من بلد غيره و(٤) العاكفون: فأهل البلد، و(٤) الركع السجود: فأهل الصلاة.

وقال عطاء (٥): إذا كان طائفاً: فهو من الطائفين، وإذا كان جالساً: فهو من العاكفين، وإذا كان مصلياً: فهو من الركع السجود.

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الصوفي، أخبرنا المغيرة بن عمرو بن الوليد (٦) حدثنا المفضل بن محمد (٧) حدثنا إبراهيم بن محمد الشافعي (٨)، حدثنا فضيل بن عياض (٩) عن عطاء بن السائب (١٠) عن طاوس، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «الطواف بالبيت صلاة، إلا أن الله عز وجل (١١) قد أحل فيه المنطق، فمن نطق فلا ينطق إلا بخير» (١٢)

وأخبرنا إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا المغيرة حدثنا المفضل حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عمران العابدي (١٣)

(١) انظر تفسير مجاهد ص ٨٩ والطبري ٤٠/٣ عن مجاهد وابن كثير ١٧١/١ عن مجاهد وغيره.

(٢) في غير (أ) قوله.

(٣) انظر البغوي ١٠٨/١ عن الكلبي ومقاتل وغريب القرآن ص ٦٣ ومجاز القرآن ٥٤/١ الطبري ٤١/٣ عن سعيد بن جبير، ٤٤/٣ عن قتادة وابن كثير ١٧١/١ عن سعيد وقاتدة والربيع بن أنس.

(٤) في (د): وأما العاكفون.. وأما الركع..

(٥) انظر تفسير ابن عباس ص ١٨ والزجاج ١٨٧/٢ والطبري ٤١/٣ - ٤٤ عن عطاء ورجحه وغرائب النيسابوري ٣٩٦/١ عن عطاء والبر ١٢١/١ عن ابن عباس وابن كثير ١٧١/١ - ١٧٢ عن عطاء عن ابن عباس.

(٦، ٧) سبق.

(٨) إبراهيم بن محمد بن محمد بن العباس بن عثمان المطلبي أبو إسحاق ابن عم الشافعي سمع الفضيل بن عياض وطائفة وكان كثير الحديث ثقة توفي سنة ٢٣٧ هـ (شذرات ٨٨/٢).

(٩) فضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد وكتب الحديث بالكوفة وتحول إلى مكة وأقام بها إلى أن مات سنة ١٨٧ هـ (كتاب الجمع ٤١٤/٢).

(١٠) في (د): عطاء بن المسيب.

(١١) في (د): الله تعالى.

(١٢) الحديث: أخرجه الحاكم في المستدرک - كتاب التفسير - بلفظ الطواف بالبيت بمنزلة الصلاة... «وقال هذا حديث صحيح على

شروط الشيخين ولم يخرجاه وإنما يعرف هذا الحديث عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير» ثم أورد الحديث بلفظه عن عطاء.

٢٦٧/٢ - وفي كتاب الحج بروايتين عن ابن عباس قال الذهبي: صحيح وقفه جماعة ٤٥٩/١ - والترمذي: أبواب الحج باب ربه

١٠٩ حديث رقم ٩٦٧ عن ابن عباس وقال: «وقد روي عن ابن طاووس وغيره عن طاووس عن ابن عباس موقوفاً ولا تعرفه مرفوعاً إلا من حديث عطاء بن السائب».

ورواه البيهقي في سننه - كتاب الحج - باب الطواف على الطهارة عن ابن عباس ٨٧/٥ - والحلية لأبي نعيم ١٢٨/٨ وقال: «لا أعلم أحداً رواه مجرداً عن عطاء إلا الفضيل».

وانظر الجامع الصغير للسيوطي ٥٧/٢ وقد رمز له بالحسن.

ورواه النسائي في السنن - كتاب الحج - باب إباحة الكلام في الطواف عن طاوس عن رجل ٢٢٢/٥.

(١٣) عبد الله بن عمران المخزومي العابدي المكي أبو القاسم توفي سنة ٢٤٥ هـ.

(تذكرة الحفاظ ٥٤١/٢).

حدثنا يوسف بن الفيض^(١) عن الأوزاعي^(٢) عن عطاء، عن ابن عباس قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل^(٣) في كل يوم ليلة عشرين ومائة رحمة تنزل على هذا البيت، ستون للطائفين وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ كل موضع من الأرض عامر أو غامر^(٥) مسكون أو خال: بلد، والقطعة منه: بلدة والجمع^(٦): بلاد وبلدان.

قال ابن عباس: ^(٧) يريد: حراماً محرماً لا يصاد طيره ولا يقطع شجره ولا يختلى خلاه^(٨) والحكم في هذا: أن صيد مكة لا ينفر، ولا يتعرض له بنوع أذى ومن قتل صيد مكة فعليه جزاؤه، ولا يجوز قطع أشجار الحرم على جهة الإضرار بها^(٩).

وقال النبي ﷺ: «إن الله تعالى حبس الفيل عن مكة، وسلط عليها رسوله والمؤمنين»^(١٠) وإنها لم تحل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد كان بعدي^(١١)، وإنما أحلت لي^(١٢) ساعة من نهار»^(١٣).

(١) يوسف بن السفر أبو الفيض الدمشقي كاتب الأوزاعي، روى عن الأوزاعي ومالك وعنه بقية وهشام بن عمار ومحمد بن مصفى وجماعة، قال النسائي: ليس بثقة وقال الدارقطني متروك يكذب، وقال ابن عدي روى بواطيل وقال أبو زرعة وغيره متروك روى «يتنزل على هذا البيت...» الحديث (الميزان ٤/٤٦٦ - ٤٦٧).

(٢) شيخ الإسلام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الدمشقي الحافظ الأوزاعي - منسوب إلى الأوزاع بطن من ذي الكلاع أو من حمدان - ولد سنة ٨٨ هـ وحدث عن عطاء بن أبي رباح والزهري وخلق توفي سنة ١٥٧ هـ. (تذكرة الحفاظ ١/١٧٨ - ١٨٣).

(٣) في (د): لله تعالى.

(٤) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب الحج - باب فيما ينزل على الكعبة والمسجد من الرحمن «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه يوسف بن السفر: متروك» ٣/٢٩٢.

ورواه الطبراني في الكبير ١/١٢٤ - ١٢٥ عن ابن عباس، ١١/١٩٥ عن ابن عباس وانظر المقاصد الحسنة ص ٤٧٩ وفيه: حسنه المنذري ثم العراقي.

والعلل المتناهية لابن الجوزي ٢/٥٧٢ - ٥٧٣ قال المؤلف: هذا حديث لا يصح وانظر تذكرة الموضوعات ص ٥٤.

والجامع الكبير للسيوطي ١/١٨٩.

وعلل الحديث للرازي ١/٢٨٧ وفيه «سألت أبي عن حديث رواه يوسف بن الفيض... الحديث: قال أبي: حديث منكر، ويوسف بن الفيض: ضعيف الحديث شبه متروك».

(٥) الغامر من الأرض والدور: ضد العامر. (اللسان / غمر).

وفي (د): كل موضع من الأرض عامراً مسكوناً..

(٦) في (د): والجمع.

(٧) عند ابن عباس ص ١٨ «آمناً من أن يهاج فيه» وانظر ابن كثير ١/١٧٤ عن ابن عباس.

(٨) الخلا: هو الحشيش والنبات الرفيق واختلاؤه: حشه. (اللسان / خلا).

وخلت الخلا واختلت به أي: جززته والخلا: مقصور وهو الرطب من الحشيش (حاشية أ).

(٩) «أما إذا قطع على وجه إصلاح الأشجار فلا بأس به» (حاشية أ).

(١٠) في (د): والمؤمنون.

(١١) أي: «لأجل المقاتلة في مكة، والحال: أنه لم تحل المقاتلة لأحد كان قبلي ولا بعدي» (حاشية أ).

(١٢) في (د): أحلت لي في ساعة..

(١٣) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب الحج - باب لا ينفر صيد الحرم، وباب لا يحل القتال بمكة عن ابن عباس ١/٣١٥. وفي =

والعرب تقول: آمن من حمام مكة: يضربون المثل بها في الأمن، لأنها لا تهاج (١) قوله (٢) «وارزق أهله من الثمرات» يعني: أنواع حمل الأشجار من أي نوع كان فاستجاب الله دعاء إبراهيم في المسألتين (٣) جميعاً فقال في موضع آخر «أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبي إليه ثمرات كل شيء» (٤).

وذكر المفسرون: أن الله (٥) تعالى بعث جبريل إلى الشام حتى اقتلع الطائف من موضع الأردن (٦)، ثم طاف بها حول الكعبة، فسميت الطائف، ثم أنزلها تهامة ومنها يجبي إلى مكة الثمرات.

وقوله «من آمن بالله واليوم الآخر» من: بدل من «أهله» (٧) وهو: بدل البعض من الكل كقوله تعالى: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً» (٨) وهذا كما تقول: أخذت المال ثلثيه، ورأيت القوم ناساً منهم. وإنما خص إبراهيم عليه بطلب الرزق بطلب للمؤمنين، لأن الله تعالى أدبه بقوله «لا ينال عهدي الظالمين» (٩) فتوهم أنه كما لا (١٠) يعطيهم النبوة (١١) إلا إذا كانوا مؤمنين كذلك لا يرزق أهل مكة إلا إذا كانوا مؤمنين فـ «قال» الله تعالى «ومن كفر فامتعه قليلاً»: فسأرزقه إلى منتهى أجله.

وقراءة العامة: بالتشديد، من التفعيل، وعليه التنزيل كقوله «يمتعكم متاعاً حسناً» (١٢) (١٣) «كمن متعناه جناح الحياة الدنيا» (١٤)، «ومتعناهم إلى حين» (١٥).

وقرأ ابن عامر: بالتخفيف من الإمتاع، وأفعل قد يكون بمعنى فعل في كثير من المواضع نحو: فرحته وأفرجه، ونزلته وأنزلته (١٦).

ومعنى «قليلاً»: أي زماناً قليلاً، يعني: مدة عمره، وإنما وصف بالقللة من حيث كان إلى نفاذ ونقص وتواؤم، وإن طال.

وقوله تعالى (١٧): «ثم أضطره» أي: ألجئه في الآخرة «إلى عذاب النار وبئس المصير» بئس المرجع عذاب النار.

قوله تعالى (١٨): «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت» «القواعد»: أصول الأساس الواحدة: قاعدة. قال الزجاج (١٩): وكل قاعدة فهي أصل للتي فوقها ومنه يقال لخشبات أسافل اليهودج: القواعد، لأنها كالأساس لها.

= كتاب العلم - باب كتاب العلم - عن أبي هريرة (٣٢/١).

وأبو داود - كتاب الحج - باب تحريم حرم مكة - عن أبي هريرة رقم ٢٠١٧ - ٢١٢/٢.

(١) في (د): ولا تصاد.

(٢) من (د).

(٣) المراد بالمسألتين: «الأمن والرزق» (حاشية أ).

(٤) سورة القصص / ٥٧ وفي المطبوعة زيادة (رزقاً من لدنا).

(٥) في (د): إن الله تبارك وتعالى.

(٦) «اسم نهر وكورة بأعلى الشام» (حاشية أ).

(٧) التبيان ١٤٤/١ والمشكل ١١٠/١ والطبري ٥٢/٣ والبيان ١٢٢/١.

(٨) سورة آل عمران / ٩٧.

(٩) انظر الحجة لأبي زرعة ص ١١٤ والسبعة ص ١٧٠ والتبيان ١١٤/١ والزجاج ١٨٧/١ والنشر ٢٢٢/٢ والحجة لابن خالويه ص ٨٧.

٨٨

(١٧) في غير (أ) وقوله.

(١٨) في غير (أ) قوله.

(١٩) انظر الزجاج ٨٨/١ والفراء ٧٨/١ ومجاز القرآن ٥٤/١ - ٥٥.

قال ابن عباس (١): يعني أصل البيت، قال (٢): وجاء إبراهيم إلى ابنه إسماعيل فقال: يا إسماعيل، إن الله (٣) أمرني بأمر، فقال (٤): فأطع ما أمرك ربك قال: فتعيني، قال: وأعينك عليه، قال: إن الله أمرني أن أبني له بيتا هاهنا، فعند ذلك رفع إبراهيم القواعد من البيت (٥) ﴿وإسماعيل ربنا تقبل منا﴾ أي: ويقولان ﴿ربنا تقبل منا﴾ (٦) كقوله ﴿والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم﴾ (٧) المعنى: يقولون: أخرجوا أنفسكم ومثله ﴿ويدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم﴾ (٨).

وقوله ﴿إنك أنت السميع العليم﴾ يريد: السميع لدعائنا، العليم بما في قلوبنا (٩).

وقوله ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾ أي: مطيعين مستسلمين منقادين لحكمك، و«المسلم» المستسلم لأمر الله.

وقوله ﴿ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ كل قوم نسبوا إلى نبي فأضيفوا إليه: فهم أمة، وكل جيل من الناس: أمة على حدة.

قال ابن الأنباري: (١٠) والأمة أيضاً: تُباع الأنبياء.

قال ابن عباس (١١): يريد أمة محمد ﷺ: المهاجرين والأنصار والتابعين لهم (١٢) باحسان.

وإنما خصَّ بالدعوة بعض الذرية، لأن الله تعالى أعلمهما أن في ذريتهما من لا ينال العهد في قوله ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ (١٣).

وقوله ﴿وأرنا مناسكنا﴾ قال الزجاج (١٤): الأجود كسر (١٥) الراء لأن الأصل: أرثنا (١٦) فالكسرة في الراء: هي كسرة همزة ألقيت فطرح (١٧) حركتها على الراء، فالكسرة (١٨) دليل الهمزة وحذفها قبج، وهو جائز على بعد، لأن

(١) انظر تفسير ابن عباس ١٨ وغريب القرآن ٦٣ والتبيان ١١٥/١ وفتح الباري ١٣٨/٨ وفيه «القواعد: أساسه، واحدها قاعدة، والقواعد من النساء، واحدها: قاعدة». والطبري ٦٧/٣ - ٦٨ عن ابن عباس وابن كثير ١٧٩/١ - ١٨٠ عن البخاري.

(٢) انظر الدرر ١٢٦/١ عن ابن عباس وفتح القدير ١٤٣/١.

(٣) في (د): قد أمرني.

(٤) ساقطة من (د).

(٥) سورة الرعد ٢٣/٢٤، وفي حاشية (أ): «أي يقولون سلام عليكم».

وانظر الزجاج ١٨٨/١ والفراء ٣٨/١، ٧٨، ٨١ وفتح القدير ١٤٢/١.

(٦) «عن وهيب بن الورد أنه قرأ (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا) ثم يبكي ويقول: يا خليل الرحمن ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يتقبل منك؟ (ابن كثير ١٧٥/١).

(٧) انظر الزاهر ٢٤٨/١ والبغوي ١١٠/١.

(٨) انظر الطبري ٧٤/٣ «عن السدي قال: العرب» وغرائب النيسابوري ١٠٩/١، والبحر ٣٨٨/١ - ٣٨٩.

(٩) من (د) وانظر الوجيز للواحدي ٣٤/١. (١٤) انظر الزجاج ١٨٩/١ والتبيان ١٦٦/١ والأخفش ٣٣٦/١ والرازي ٦٣/٤.

(١٣) سورة البقرة ١٢٤. (١٥) في (د): والأجود بكسر.

(١٦) في النسخ: أرانا.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو - في بعض الروايات (أرنا) بإسكان الراء في كل القرآن ووافقهما عاصم وابن عامر في حرف واحد في (حم -

السجدة) وقرأ أبو عمرو: باختلاس كسر الراء من غير إشباع والباقون بالكسرة مشبعة. (انظر تفسير الرازي ٦٣/٤).

(١٧) في غير (أ): وطرح.

(١٨) في (د) والكسرة.

الكسرة والفتحة: تحذفان استتقلاً لقولهم في فخذ فخذ، وفي عضد عضد.

والمعنى (١): عرفنا متعبداتنا والمواضع التي يتعلّق بها النسك لنفعله ونقضي نسكنا فيها (٢)، نحو المواضع التي يحرم منها، والموضع الذي نقف (٣) فيه بعرفة وموضع الطواف، وموضع رمي الجمار.

وكل متعبد فهو منسك ومنسك، ومن هذا قيل للعابد: ناسك.

قوله تعالى (٤): ﴿ربنا وابعث فيهم﴾ قال ابن عباس (٥): يريد: ولدي، والكناية تعود إلى الذرية، أو إلى الأمة في قوله ﴿أمة مسلمة لك﴾ وكلاهما ولد إبراهيم، وهم العرب.

وقوله ﴿رسولاً منهم﴾ قال ابن عباس (٦): يريد: محمداً ﷺ، فاستجاب الله له دعاءه وبعث فيهم رسولا من أنفسهم، محمداً سيد الأنبياء ﴿يتلو عليهم آياتك﴾ وقوله ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ قال (٧): يريد: القرآن الذي أنزل عليه وما فيه من الفرائض والأحكام والسنن وشرائع النبيين (٨)، وقال مجاهد (٩): الحكمة فهم القرآن.

وقال ابن دُرَيْد (١٠): كل كلمة وعظمتك أو زجرتك، أو دعيتك إلى مكرمة أو نهيتك عن قبيح فهي حكم (١١)، ومنه قوله عليه السلام (١٢) «إن من الشعر حكمة» (١٣) (١٤).

وقوله ﴿ويزكّهم﴾ قال ابن عباس (١٥): ويرشدهم إلى أفضل عبادتك وقال ابن جريج: (١٦) يظهرهم من الشرل ويخلصهم منه وقال ابن كيسان (١٧): يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء (١٨) بالبلاغ.

(١) في (د): معنى.

(٢) في (د): فيه.

(٣) في (د): والمواضع الذي يوقف.

(٤) في (ج، د): قوله.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ١٨ والطبري ٨٦/٣ عن السدي والربيع.

(٦) انظر الدرر ١٣٩/١ عن السدي وابن كثير ١٨٤/١ عن السدي وأبي العالية وقتادة وغرائب النيسابوري ٤١٢/١، وفتح القدير ١٤٤/١.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ١٨ وابن كثير ١٨٤/١ عن الحسن وقتادة ومقاتل وأبي مالك وانظر الرازي ٦٥/٤ بإجماع المفسرين عقلاً ونقلًا.

(٨) في (د): وشرائع الأنبياء.

(٩) انظر تفسير البغوي ١١١/١ عن مجاهد وابن كثير ١٨٤/١.

(١٠) أبو بكر: محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن جشم بن حسن بن حمامي - نسبة إلى قرية من نواحي عمان - كان عالماً باللغة

وأشعار العرب، قرأ على علماء البصريين وأخذ عنهم وله كتاب الجمهرة في اللغة وكتاب اللغات وغريب القرآن وغيرها توفي سنة ٣٢١

عن ٩٨ سنة (الفهرست لابن التديم ص ٩١).

(١١) انظر تفسير البغوي ١١١/١ عن أبي بكر بن دريد، والبحر ٣٩٣/١ عن ابن زيد.

(١٢) ليست في (ح): وفي (د) ﴿﴾.

(١٣) في (د): لحكمة.

(١٤) الحديث رواه البخاري في الصحيح - كتاب الآداب - باب ما يجوز من الشعر والرجز ٧٣/٤.

وأبو داود في السنن - كتاب الأدب - باب ما جاء في الشعر رقم ٥٠١٠ - ٣٠٣/٤ كلاهما من حديث أبي بن كعب.

(١٥) انظر تفسير الطبري ٨٨/٣ عن ابن عباس بنحوه، والبحر ٣٩٣/١ عن ابن عباس بنحوه، والرازي ٦٧/٤.

(١٦) انظر تفسير الطبري ٨٨/٣ عن ابن جريج والبحر ٣٩٣/١ ومجاز القرآن ٥٦/١ وغرائب النيسابوري ٤١٤/١ والرازي ٦٧/٤ عن

الحسن.

(١٧) انظر تفسير البغوي ١١٢/١ عن ابن كيسان والرازي ٦٧/٤ والبحر ٣٩٣/١ وغرائب النيسابوري ٤١٥/١.

(١٨) في (د): الأنبياء.

قوله ﴿إِنَّكَ﴾ (١) أنت العزيز الحكيم ﴿ قال الزجاج: «العزيز في صفات (١) الله»: الممتنع فلا يغلبه شيء وكذا قول المفضل (٢) قال العزيز: الممتنع الذي لا تناله الأيدي وعزة الله تعالى: إمتناعه على من أرادته وعلوه من أن تناله يد (٤). وقال ابن عباس (٥): العزيز: الذي لا يوجد مثله.

قال الفراء (٦): يقال «عز يعز - بالكسر - إذا قل حتى لا يكاد يوجد غيره عزة فهو عزيز وقال الكسائي وابن الأنباري (٧): يقال العزيز: القوي الغالب، تقول العرب عز فلان فلانا يعزه عزاً: إذا غلبه، ومنه قوله تعالى (٨) ﴿وعزني في الخطاب﴾ (٩) ويقال: «من عزيز» (١٠) فمعنى ﴿العزيز﴾: الغالب القوي الذي لا يعجزه شيء. وذكرنا معنى ﴿الحكيم﴾ فيما تقدم (١١).

وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم...﴾ الآية، قال الزجاج (١٢): معنى «من» (١٣): التقرير والتوبيخ ولفظها لفظ الاستفهام.

والمعنى: ما يرغب عن ملة إبراهيم ﴿إلا من سفه نفسه﴾ قال الأخفش (١٤): يعني سفه في نفسه، فحذف (١٥) حرف الجر، كما يحذف في سائر المواضع، كقوله تعالى: ﴿أن تسترضعوا أولادكم﴾ (١٦) والمعنى: لأولادكم، ومثله

(١) ليست في (د).

(٢) في (د): صفة.

(٣) المفضل بن سلمة بن عاصم أبو طالب النحوي اللغوي الفاضل الكوفي أخذ عن أبيه وابن السكيت وثلعب وخالف طريقه أبيه، صنف «معاني القرآن» و«البارع» في اللغة و«الاشتقاق» وغيرها، توفي سنة ٢٩٠ هـ. (الأعلام ٢٠٣/٨ بغية الوعاة ٢/٢٩٦ - ٢٩٧).

(٤) انظر البحر ٣٩٣/١ عن المفضل بن سلمة والبيغوي ١١٢/١ واللسان / عزز عن الزجاج.

(٥) انظر البحر ٣٩٣/١ عن ابن عباس والبيغوي ١١٢/١ عنه وغرائب النيسابوري ٦٠/١.

(٦) انظر البحر ٣٧٤/١ واللسان / عزز.

(٧) انظر اللسان / عزز، والزاهر ١٧٤/١ - ١٧٥ وفتح القدير ١٤٤/١ عن الكسائي.

(٨) من (أ).

(٩) سورة ص / ٢٣.

(١٠) المثل ورد في اللسان / عزز أي من غلب سلب والاسم العزة وهي القوة والغلبة (حاشية (أ)).

(١١) انظر تفسير لفظة (الحكيم) في الآية ٣٢ من سورة البقرة.

(١٢) انظر الزجاج ١٨٩/١.

(١٣) في (د): «من» معناها.

(١٤) انظر معاني القرآن للأخفش ٣٣٧/١ - ٣٣٨ والزجاج ١٩٠/١ والمشكل ١١١/١، والبيغوي ١١٢/١ - ١١٣ عن الأخفش والبيان ١٢٣/١ وفتح القدير ١٤٤/١ عنه.

(١٥) في (ح): بحذف.

(١٦) سورة البقرة/ ٢٣٣.

﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾^(١) أي عليها. وقال الزجاج^(٢): معنى ﴿سفه نفسه﴾: جهل نفسه فوضع سفه موضع جهل^(٣). وبهذا قال ابن كيسان، فقال^(٤): لأن من عبد حجراً أو قمراً، أو شمساً أو صنماً فقد جهل نفسه لأنه لم يعلم خالقها، ولم يعلم ما يحق لله عليه^(٥).

والعرب تضع «سفه» في موضع جهل، ومنه الحديث:

«الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس»^(٦) أي: تجهل الحق.

ويؤيد هذا القول^(٧): ما روي في الحديث:

«من عرف نفسه عرف ربه»^(٨).

^(٩) فقيل في معناه: إنما يقع الناس في البدع والضلالات^(١٠) لجهلهم أنفسهم وظنهم أنهم يملكون الضر والنفع دون الله عز وجل^(١١).

وحكي عن أبي بكر الوراق^(١٢) أنه قال في معنى هذا^(١٣) الحديث: من عرف نفسه مخلوقة مرزوقة بلا حول ولا قوة، عرف ربه خالقاً رازقاً^(١٤) بالحوال والقوة.

(١) سورة البقرة/ ٢٣٥.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ١٩١/١، والمشكل ١١١/١ والقرطبي ١٣٢/٢، وغريب القرآن ص ٦٤ والبحر ٣٩٤/١ عن الزجاج وابن جني، وفتح القدير ١٤٤/١ عن الزجاج، والبيان ١٢٣/١ واللسان / سفه عن الزجاج.

(٣) في (د): فوضع سفه نفسه موضع جهل نفسه.

(٤) انظر البغوي ١١٢/١ عن الزجاج وابن كيسان والزجاج ١٩٠/١.

(٥) الحديث: رواه الطبراني في الكبير ٦٩/٢ عن ثابت بن قيس بن شماس.

والترمذي في جامعه - كتاب الكبر - باب ما جاء في الكبر - رقم ٢٠٦٧ وقال «حسن صحيح غريب» عن ابن مسعود (٢٤٣/٣ - ٢٤٤). ومجمع الزوائد - كتاب اللباس - باب إظهار النعم واللباس الحسن عن ابن عمرو رواه أحمد والبخاري وأحمد ثقات. ورواية أخرى عن ابن عمرو «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عبد الحميد بن سليمان وهو ضعيف» (١٣٣/٥).

ومسند أحمد ١٣٤/٤ عن أبي ربحانة بلفظ «إنما الكبر من سفه الحق وغمص الناس» ومسلم في الصحيح - كتاب الإيمان - عن ابن مسعود بلفظ «الكبر بطر الحق وغمط الناس» (٥١/١ - ٥٢).

(٧) ساقطة من (د).

(٨) الحديث: انظر كشف الخفاء ٢٦٢/٢ وفيه «قال ابن تيمية: موضوع، وقال النووي: ليس بثابت وقال أبو المظفر السمعاني انه لا يعرف مرفوعاً وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي» وللحافظ السيوطي تأليف لطيف سماه «القول الأشبه في حديث من عرف نفسه عرف ربه». وانظر كنوز الحقائق ٢٢/١ بلفظ «إذا عرف نفسه عرف ربه» رواه الديلمي. وفي المقاصد الحسنة ص ٤١٩ «قال أبو المظفر السمعاني لا يعرف مرفوعاً وإنما يحكى من قول يحيى بن معاذ وقال النووي انه ليس بثابت».

وانظر تنزيه الشريعة المرفوعة ٤٠٣/٢.

وقيل في تأويله: من عرف نفسه بالحدوث عرف ربه بالقدم ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء. وانظر الحلية ٢٠/١٠ عن سهل التنستري، ١٠٨/١٠ عن سهل أيضاً.

(٩) في (د): قيل.

(١٠) في (د): والضلال.

(١١) ساقطة من (ح) وفي (د) الله تعالى.

(١٢) أبو بكر الوراق: محمد بن عمر الحكيم أصله من ترمذ وأقام ببلخ وألف عدداً من الكتب في التصوف والفقه والموضوعات الأدبية وأسند الحديث توفي سنة ٢٨٠ هـ.

(١٣) تاريخ التراث ٤٥٢/٢ طبقات الصوفية ص ٢٢١.

(١٤) في (د): خالقاً ورازقاً.

وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام كيف عرفنتي؟ وكيف عرفت نفسك؟ فقال عرفتك بالقدرة والقوة^(١) والبقاء، وعرفت نفسي بالضعف والعجز^(٢) والفناء فقال^(٣): الآن عرفت. فإذا كان من عرف نفسه عرف ربه كان من جهل نفسه جهل ربه، حتى يرغب عن ملة إبراهيم^(٤).

قال قتادة^(٥): رغبت عن ملة^(٦) إبراهيم اليهود والنصارى، واتخذوا اليهودية والنصرانية ديناً بدعة ليست لله، وتركوا ملة إبراهيم.

وقوله ﴿ولقد اصطفينا في الدنيا﴾ أي: اخترناه للرسالة وتأويله: أخذناه صافياً من غير شائب^(٧) ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ قال عطاء^(٨) يريد نوح وأدم. وقال الحسن^(٩): أي: من الذين يستوجبون على الله الكرامة وحسن الثواب. وقال الزجاج^(١٠): يريد من الفائزين، لأن الصالح في الآخرة: فائز.

وقوله^(١١) ﴿إذ قال له ربه أسلم﴾ «إذ» يتعلق بالاصطفاء^(١٢) على معنى اصطفاه إذ قال له ربه أسلم، أي: في ذلك الوقت.

قال الكلبي عن ابن عباس^(١٣) رفع إبراهيم الصخرة عن باب السرب^(١٤)، ثم خرج منه فنظر إلى الكوكب والشمس والقمر^(١٥) كما ذكر الله عنه في قوله ﴿فلما جن عليه الليل...﴾^(١٦) الآيات فقال له ربه أسلم أي: أخلص دينك لله بالتوحيد وقال عطاء^(١٧): أسلم نفسك إلى الله وفوض أمرك إليه. قال الكلبي^(١٨): أخلصت بـ «لا إله إلا الله».

(١) في (ح): بالقوة والقدرة.

(٢) في (ح): بالعجز والضعف.

(٣) في (ج، هـ): قال.

(٤) انظر غرائب النيسابوري ١٩/١ وفيه «من عرف نفسه بالضعف والقصور، عرف الله بأنه قادر على كل مقدور ومن عرف نفسه باختلال

الحال عرف ربه بالجلال والكمال ومن عرف نفسه بالإمكان، عرف ربه بالوجوب» وانظر البغوي ١١٢/١.

(٥) في (د) عليه السلام.

(٦) انظر الدر ١٣٩/١ عن قتادة وأبي العالية وفتح القدير ١٤٥/١ عنهما والطبري ٨٩/٣ عن قتادة والربيع.

(٧) في (د): عن ملته اليهود.

(٨) أي «من غير الأقطار والأدناس» (حاشية أ).

(٩) انظر البحر ٢٩٤/١ عن ابن عباس.

(١٠) انظر الزجاج ١٩١/١.

(١١) في (أ) قوله.

(١٢) في (د): بالاصطفائي.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ص ١٩ والطبري ٩٣/٣ والبغوي ١١٣/١ عن ابن عباس والقرطبي ١٣٤/٢ عنه.

(١٤) السرب - بفتح الراء - حفير تحت الأرض وقيل: بيت تحت الأرض والسارب: الذاهب. (اللسان / سرب).

(١٥) في (د): والقمر والشمس.

(١٦) سورة الأنعام ٧٦ - ٧٨ وهي:

﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون﴾.

(١٧) انظر البحر ٣٩٦/١ والبغوي ١١٣/١ كلاهما عن عطاء.

(١٨) انظر البحر ٣٩٦/١ عن الكلبي وابن كيسان والطبري ٩٣/٣ - ٩٤ وابن عباس ١٩.

وقال ابن عباس في رواية عطاء^(١): يريد بقلبه ولسانه وجوارحه، فلم يعدل بالله شيئا ورضي أن يحرق بالنار في رضا^(٢) الله عز وجل ولم يستعن بأحد من الملائكة.

قوله تعالى^(٣): ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه^(٤)﴾ يقال: وصى يوصي توصية ووصاه. وقرىء (وأوصى)^(٥) ولهما أمثلة من الكتاب فمثال التشديد قوله ﴿فلا يستطيعون توصية﴾^(٦). وقوله ﴿ووصينا الإنسان بالديه﴾^(٧) ومثال الإفعال قوله ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾^(٨) وقوله ﴿من بعد وصية يوصون بها أولادكم﴾^(٩).

قال الزجاج^(١٠): وصى: أبلغ من أوصى، لأن أوصى: جائز أن يكون قال لهم مرة واحدة، ووصى: لا يكون إلا لمرات كثيرة.

وقوله ﴿بها﴾ قال الكلبي ومقاتل^(١١) بكلمة الإخلاص «لا إله إلا الله» وذلك أن إبراهيم ومن بعده يعقوب وطيا أولادهما بلزوم التوحيد، وقالوا لهم ﴿يا بني إن الله اصطفى لكم الدين﴾ قال ابن عباس^(١٢): يريد: دين الإسلام حين الحنيفية قال إبراهيم لبيه: لا تعدلوا بالله شيئا، وإن نشرتم بالمناشير، وقرضتم بالمقاريض، وحرقتم بالنار.

وقوله ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾: وقع النهي في ظاهر الكلام على الموت وإنما نهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام، لثلا يصادفهم الموت عليه^(١٣).

والمعنى: الزموا الإسلام حتى إذا أدرككم الموت صادفكم عليه، وهذا كما تقول لا أريتك ها هنا، توقع حرف النهي على الرؤية، وأنت لم تنه نفسك على الحقيقة، بل نهيت المخاطب كأنك قلت: لا تقربن هذا الموضع، فمضى جثته لم أرك فيه، وهذا من سعة الكلام.

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

وقوله^(١٤) ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ...﴾ الآية^(١٥). نزلت في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ ألسنت تعلم أن يعقوب

(١) انظر البحر ١/٣٩٦ عن الكلبي وابن كيسان والطبري ٣/٩٣-٩٤ وابن عباس ١٩.

(٢) في غير (أ) قوله.

(٣) ساقطة من (ح).

(٤) في (أ، ح): رضي.

(٥) قرأ نافع وابن عامر (وأوصى) وحجتها: أنها للقليل والكثير (وصى): لا يكون إلا للكثير (انظر الحجة لأبي زرعة ص ١١٥ والسبعة ص ١٧١ والنشر ٢/٢٢٢-٢٢٣، والزجاج ١/١٩٢ والحجة لابن خالويه ص ٨٩ والتبيان ١/١٧٧ والمصاحف لابن أبي دؤاد ص ٣٧-٣٩ والقراء ١/٨٠).

(٦) سورة يس/٥٠.

(٧) سورة العنكبوت/٨، لقمان/١٤، الأحقاف/١٥.

(٨) سورة النساء/١١ وفي غير (أ): (يوصيكم الله).

(٩) انظر الحجة لأبي زرعة ص ١١٥ والزجاج ١/١٩٢.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ص ١٩ والطبري ٣/٩٣-٩٤ والبحر ١/٣٩٩، البغوي ١/١١٣ عن الكلبي ومقاتل، والتسهيل ص ٦١.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ص ١٩.

(١٢) في (د): قوله تعالى وفي (ح): قوله عز وجل.

(١٣) انظر الزجاج ١/١٩٢ والطبري ٣/٩٦-٩٧.

(١٤) ساقطة من (د) وفيها: أنزلت.

يوم مات أوصى بنيه باليهودية؟ فأنزل الله عز وجل (١) قوله ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾ (٢) الآية. ومعناه: بل أكنتم، كأنه ترك الكلام الأول واستفهم فقال: أكنتم شهداء؟ أي حاضرين، أي: أحضرتكم (٣) وصية يعقوب بنيه حين حضره الموت؟

﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي﴾ قال ابن عباس (٤): وذلك ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الموت والحياة، فلما خير يعقوب، قال: أنظرنى حتى أسأل ولدي وأوصيهم، فجمع ولده (٥) - وهم اثنا عشر (٦) رجلاً وهم الأسباط وجميع أولادهم - فقال لهم: قد حضرت وفاتي وأنا أريد أن أسألكم: ما تعبدون من بعدي؟ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ آلَهُكَ﴾ الذي لا إله غيره ﴿وإله آبائك﴾ (إبراهيم وإسمايل وإسحاق (٧) إلهاً واحداً) . . . الآية فطابت نفسه. وقوله ﴿وإسمايل﴾: أدخله في جملة الآباء - وكان عم يعقوب - لأن العرب تسمي العم أباً. (٨) وروي أن رسول الله ﷺ قال للعباس (٩): «هذا بقية آبائي» (١٠).

وقوله ﴿إلهاً واحداً﴾ ينتصب على وجهين: أحدهما: الحال. كأنهم قالوا: نعبد إلهك في حال وحدانيته، والثاني: على البدل من قوله «إلهك» (١١).

قوله (١٢) ﴿تلك أمة﴾ يعني: إبراهيم وبنيه ويعقوب وبنيه الذين قد تقدم ذكرهم ﴿قد خلت﴾ (١٣): مضت ومنه قوله ﴿في الأيام الخالية﴾ (١٤) (١٥) يعني: الماضية المتقدمة (١٦) ﴿لها ما كسبت﴾ من العمل ﴿ولكم﴾ يا معشر اليهود ﴿ما كسبتم﴾ أي: حسابهم عليهم، وإنما تسألون عن أعمالكم لا عن أعمالهم، وهو قوله ﴿ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا

(١) في (د) فأنزل الله تعالى .

(٢) انظر تفسير ابن عباس ص ١٩ والطبري ٩٨/٣ والبحر ٤٠٠/١ .

(٣) في (د): حضرتم .

(٤) انظر البحر ٤٠٢/١ والبغوي ١١٤/١ عن عطاء القرطبي ١٣٧/٢ .

(٥) في (د): ولدهم .

(٦) في المطبوعة: علامة انتهاء صفحة ٢٥/ظ وليس كذلك .

(٧) في المطبوعة: وإسحاق ويعقوب .

(٨) انظر مجاز القرآن ٥٧/١ والفراء ٨٢/١ والطبري ٩٩/٣ وابن كثير ١٨٦/١ .

(٩) العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ وأبو الخلفاء العباسيين حسن بلاؤه يوم حنين، وكان رسول الله ﷺ يكرمه ويجله، توفي سنة

٣٢ هـ عن ٨٦ سنة (شذرات ٣٨/١) .

(١٠) الحديث: رواه الطبراني في الصغير ٢٠٧/١ عن الحسن بن علي رضي الله عنهما وفي الكبير ٢٩٠/١٠ عن ابن عباس - ومجمع الزوائد - كتاب

المناقب - باب ما جاء في العباس عم رسول الله ﷺ عن الحسن، وفيه: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه جماعة لم أعرفهم»

وإسناده حسن ٢٦٩/٩ .

وإسناد الطبراني: «حدثنا موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب حدثني أبي عبد الله بن

موسى عن أبيه عبد الله بن الحسن عن أبيه الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين» .

(١١) انظر الزجاج ١٩٣/١ والمشكل ١١٢/١ والتبيان ١١٩/١ والبحر ٤٠٣/١ والتبيان ١٢٤/١ .

(١٢) في (د): قوله تعالى .

(١٣) في (د): أي مضت .

(١٥) في (ج، د)، أي، وفي (هـ): أي يعني .

(١٦) في (د): قوله .

(١٤) سورة الحاقة ٢٤/ .

بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾

قوله ﴿وقالوا﴾ (١) كونوا هودا أو نصارى ﴿قال ابن عباس﴾ (٢): نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران، قل كل واحد من الفريقين للمؤمنين: كونوا على ديننا ﴿تهتدوا﴾ فلا دين إلا ذلك فقال الله تعالى: ﴿قل بل ملة إبراهيم﴾ أي: بل تتبع ملة إبراهيم ﴿حنيفاً﴾.

قال ابن دريد (٣): «الحنيف» العادل عن دين إلى دين وسمي الإسلام الحنيفية: لأنها مالت عن اليهودية والنصرانية. وقال الأصمعي (٤) ومن عدل عن دين اليهود والنصارى فهو حنيف عند العرب، وقال الأحفش (٥): الحنيف المسلم، وكان في الجاهلية يقال لمن اختتن وحج البيت: حنيف، لأن العرب لم تمسك في الجاهلية بشيء من دين إبراهيم غير الختان وحج البيت فلما جاء الإسلام عادت الحنيفية.

وقال ابن عباس: (٦) «الحنيف: المائل عن الأديان كلها إلى (٧) دين الإسلام».

وقال مجاهد (٨): الحنيفية: اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماما للناس.

قوله تعالى: ﴿قولوا ءامنا بالله...﴾ الآية:

أخبرنا عمر بن أبي عمرو المزكي (٩)، أخبرنا محمد بن مكي (١٠)، أخبرنا محمد بن يوسف (١١) أخبرنا محمد بن

(١) في (د): قالوا.

(٢) انظر الطبري ١٠٢/٣ والدر ١٤٠/١ وابن كثير ١٨٦/١ وفتح القدير ١٤٨/١ - ١٤٩، كلها عن ابن عباس وانظر أسباب النزول للواحدي ص ٢٧ - ٢٨ وأسباب النزول للسيوطي ص ٢٥.

(٣) انظر اللسان / حنف.

(٤) انظر اللسان / حنف.

(٥) انظر اللسان / حنف عن الأحفش، والزجاج ١٩٤/١، ومجاز القرآن ٥٨/١، والبحر ٤٠٦/١ عن الضحاك، والطبري ١٠٦/٣.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ص ١٩ والبحر ٤٠٦/١ عنه والبعوي ١١٥/١ وغرائب النيسابوري ٤٣٦/١.

(٧) في (د) إلا دين.

(٨) انظر تفسير مجاهد ص ٨٩ وعنده «الحنيف الحاج» وفي رواية أخرى «حنفاء: متبعين» وانظر الطبري ١٠٧/٣ والبحر ٤٠٦/١ وابن كثير ١٨٧/١ كلها عن مجاهد.

(٩) في (د): عمرو.. المدني وهو: أبو حفص بن مسرور: عمر بن أحمد بن عمر النيسابوري الزاهد روى عن ابن نجيد وبشر الإسفراييني وأبي سهل الصعلوكي وطائفة قال عبد الغفار: هو أبو حفص القاضي الماوردي الزاهد الفقيه كان كثير العبادة والمجاهدة عاش ١٠٠ سنة توفي سنة ٤٤٨ هـ (شذرات ٢٧٨/٣).

(١٠) محمد بن مكي أبو الهيثم الكشميهني - نسبة إلى كشميين قرية بمرور - المروزي راوية البخاري عن الفربري كان ثقة وله رسائل أتيقن توفي سنة ٣٩٨ هـ.

(شذرات ١٣٢/٣).

(١١) محمد بن يوسف بن مطر الفربري ولد سنة ٢٣١ هـ وهو الذي روى صحيح البخاري عنه وكان قد سمعه عشرات الألوف من البخاري =

إسماعيل الجعفي، حدثنا محمد بن بشار حدثنا عثمان بن عمر^(١)، أخبرني علي بن المبارك^(٢)، عن يحيى بن أبي كثير^(٣) عن أبي سلمة^(٤)، عن أبي هريرة^(٥) قال:

كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرائية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام^(٦) فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»، و﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم...﴾ الآية^(٧).

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن العباس القرشي^(٨) - فيما كتب إلي - أن العباس بن الفضل بن زكريا^(٩)، أخبرهم عن أحمد بن نجدة^(١٠) حدثنا سعيد بن منصور^(١١) حدثنا هشيم أخبرنا جويبر^(١٢)، عن الضحاك، قال: علموا أولادكم وأهاليكم^(١٣) وخدمكم أسماء الأنبياء الذين ذكرهم الله في كتابه حتى يؤمنوا بهم ويصدقوا بما جاءوا به، فإن الله تعالى يقول ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب...﴾ الآية^(١٤).

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المزكي، أخبرنا^(١٥) أبو سعيد إسماعيل بن أحمد الجرجاني، أخبرنا

= فلم ينتشر إلا عنه وهو منسوب إلى قُرَير من قرى بخارى - توفي سنة ٣٢١ هـ (الكامل لابن الأثير ٢٧٤/٨).

(١) عثمان بن عمر بن فارس البصري العبدي سكن البصرة يكنى أبا محمد سمع يونس بن يزيد وغيره روى عنه عبد الله المسندي وأحمد بن إسحاق ويُنَادِر وغيرهم روى له البخاري ومسلم توفي سنة ٢٠٩ هـ (الجمع ٣٤٨/١).

(٢) علي بن المبارك الهنائي البصري الثبت عن يحيى بن أبي كثير وعنه القطان ومسلم وطائفة، وثقه ابن معين وأبو داود، قال ابن عدي: هو ثبت مقدم في يحيى.

(الجمع ٣٥٥/١ والميزان ١٥٢/٣).

(٣) يحيى بن أبي كثير اليمامي الطائي يكنى أبا نصر - واسم أبي كثير صالح - بن المتوكل من أهل البصرة سمع أبا قلابة عبد الله بن زيد وأبا سلمة بن عبد الرحمن وعنه خلق مات سنة ١٢٩ وقيل سنة ١٣٢ هـ (الجمع ٥٦٦/٢ - ٥٦٧).

(٤) أبو سلمة: عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري المدني سمع أبا هريرة وجابراً وأبا سعيد الخدري توفي سنة ١٠٤ هـ (الجمع ٢٥٤/١).

(٥) في (د): رضي الله عنه.

(٦) في غير (أ) والمطبوعة ويفسرونها لأهل الإسلام بالعربية والإثبات من صحيح البخاري.

(٧) الحديث رواه البخاري في الصحيح - كتاب الشهادات - باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها عن أبي هريرة. (١٠٩/٢). وفي كتاب التفسير، باب (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) (٩٩/٣ - ١٠٠).

وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء - (٢٧٠/٤) وفتح الباري ٢٢٣/٥، ١٣٨/٨. (٨) سعيد بن العباس بن محمد بن سعيد بن عبد الله بن أمية المذكر القرشي الهروي قال الخطيب: كتبت عنه بعد رجوعه من حجه وكان ثقة توفي سنة ٤٣٣ هـ (تاريخ بغداد ١١٣/٩ - ١١٤).

(٩) الثقة المسند العباس بن الفضل بن زكريا بن نصر بن نصر بن الهروي أبو منصور، مسند هراة، قال الخطيب ثقة توفي سنة ٣٧٢ هـ (شذرات ٧٩/٣، سير الأعلام ٣٣١/١٦).

(١٠) أحمد بن نجدة بن العريان أبو الفضل الهروي راوي سنن سعيد بن منصور كان من الثقات توفي سنة ٢٩٦ هـ (سير الأعلام ١٣٥/٩).

(١١) سعيد بن منصور بن سعيد الخراساني الجوزجاني ولد بها نشأ ببلخ يكنى أبا عثمان وسكن مكة سنتين مجاوراً سمع فليح بن سليمان وأبا عوانة وسفيان بن عيينة توفي سنة ٢٢٧ هـ (الجمع ١٧٠/١ - ١٧١).

(١٢) جويبر بن سعيد الأزدي أبو القاسم البلخي عده في الكوفيين روى عن أنس بن مالك والضحاك بن مزاحم وأكثر عنه وأبي صالح السمان وغيرهم قال عبد الله بن علي بن المدني سألت أبي عنه فقال: ضعيف جداً وقال: جويبر يكثر عن الضحاك، روى عنه مناكير، مات ما بين الأربعين والخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ١٢٣/٢ - ١٢٤).

(١٣) في (د): وأهليكم.

(١٥) في (د): حدثنا وفي (د) عبد الله بن زيد البجلي.

(١٤) انظر الدر ١٤٠/١ عن الضحاك.

عبدالله بن زيدان البجلي حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، حدثنا مروان بن معاوية^(١)، حدثنا عثمان بن حكيم^(٢)، أخبرني سعيد بن يسار^(٣) أن ابن عباس أخبره: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الركعتين - ركعتي الفجر -^(٤) في الأولى منهما^(٥) ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم...﴾ الآية كلها، وفي الآخرة ﴿واشهد بها مسلمون﴾^(٦). رواه مسلم عن قتبية عن مروان بن معاوية^(٧).

قوله ﴿والأسباط﴾ قال الزجاج^(٨) الأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل، فولد كل واحد من ولد يعقوب سبط، وولد كل واحد من ولد إسماعيل قبيلة.

وإنما سمو هؤلاء بالأسباط، وهؤلاء بالقبائل لِيُفَصَّلَ^(٩) بين ولد إسماعيل وولد إسحاق.

قال ابن الأعرابي^(١٠): «السبط» في كلام العرب: خاصة الأولاد، وكان في الأسباط أنبياء، لذلك قال^(١١) وما أنزل إليهم.

﴿وما أوتي موسى وعيسى﴾ أي: من الآيات والكتاب ﴿وما أوتي﴾^(١٢) النبيون من ربهم ﴿من المعجزات والكتب﴾ لا نفرق بين أحد منهم ﴿أي: لا نكفر ببعض ونؤمن ببعض كما فعلت اليهود والنصارى﴾^(١٣) ﴿ونحن له مسلمون﴾ أي: مخلصون ديننا عن الشرك بالله تعالى.

(١) مروان بن معاوية الفزاري ثقة عالم صالح لكنه يروي عن دج ودرج فيستأني شيوخه روى عن حميد وصغار التابعين، قال ابن المديني: ثقة فيما يروي عن المعروفين وقال أحمد: ثبت حافظ يحفظ حديثه كل كأنه نصب عينيه توفي بمكة سنة ١٩٣ هـ (الميزان ٩٣/٤ - ٩٤).

(٢) عثمان بن حكيم بن عباد بن حنيف الأنصاري أبو سهل أخو حكيم بن حكيم حديثه في الكوفيين وهو مدني الأصل سمع محمد بن المنكدر وأبا أمامة سهل بن حنيف وعامر بن عبد الله بن الزبير وغيرهم وروى عنه يحيى بن سعيد الأموي والثوري وابن نمير (الجمع ٣٥٢ - ٣٥١/١).

(٣) سعيد بن يسار أبو الحُباب أخو أبي مزرد واسمه عبد الرحمن بن يسار مولى شقران، مولى رسول الله ﷺ سمع ابن عمر وأبا هريرة وابن عباس توفي سنة ١٧٧ هـ (الجمع ١٧١/١ - ١٧٢).

(٤) «أي في سنة الفجر، لا في ركعتي الفرض» (حاشية أ).

وفي المطبوعة: لا في ركعتي الفجر وهو خطأ في النقل.

(٥) في (د): قوله.

(٦) سورة آل عمران / ٥٢.

(٧) الحديث رواه مسلم في الصحيح - كتاب الصلاة - باب استحباب ركعتي سنة الفجر والحث عليهما عن ابن عباس.

وأبو داود - كتاب الصلاة - باب في ركعتي الفجر عن ابن عباس رقم ١٢٥٩ (٢٠/٢) والمستدرک - كتاب صلاة التطوع - باب فضيلة ركعتي الفجر عن ابن عباس وصححه ٣٠٧/١.

(٨) انظر الزجاج ١٩٨/١ وغرائب النيسابوري ٤٣٨/١ عن الخليل وابن كثير ١٨٧/١ عن البخاري والخليل ٣٩٨/١ وفتح القدير ١٤٧/١ وتفسير ابن عباس ص ١٩، والرازي ٨٣/٤ عن الخليل.

(٩) في (د): تفصل.

(١٠) انظر مجاز القرآن ٣٣٠/١.

(١١) في (د): كذلك قال.

(١٢) في (هـ): وماوتي.

(١٣) انظر الزجاج ١٩٥/١ والفراء ٨٢/١ والقرطبي ١٤١/٢ عن الفراء، وفتح القدير ١٤٧/١ عن الفراء.

قال الحسن^(١): علموا أولادكم وأهاليكم وخدمكم أسماء الأنبياء الذين ذكرهم الله في كتابه حتى يؤمنوا بهم ويصدقونهم بما جاءوا به .

وقالت العلماء^(٢): لا يكون الرجل مؤمناً حتى يؤمن بسائر الأنبياء السابقين وجميع الكتب^(٣) التي أنزلها الله تعالى على الرسل، فيجب على الإنسان أن يعلم صبيانه ونساءه أسماء الأنبياء، ويأمرهم بالإيمان بجمعهم، إذ لا يبعد أن يظنوا أنهم كلفوا الإيمان بمحمد ﷺ فقط، فيلقنوا قوله تعالى: ﴿قولوا ءامنا بالله وما أنزل إلينا . . .﴾ الآية^(٤).

قوله تعالى: ﴿فإن ءامنوا بمثل ما ءامتم به﴾ قال ابن الأنباري^(٥): المعنى: ﴿فإن ءامنوا بمثل^(٦) ما ءامتم به﴾ أي: فإن آمنوا مثل إيمانكم، فزيدت الباء للتوكيد، كما زيدت في قوله تعالى: ﴿وهزي إليك بجذع النخلة﴾^(٧).

وقال أبو معاذ النحوي^(٨): أراد: فإن آمنوا هم بكتابكم كما آمتم أنتم بكتابهم، فالمثل^(٩) ها هنا المراد به الكتاب^(١٠) وقيل: المثل: صلة والمعنى: فإن آمنوا آمتم به^(١١) وقد يذكر المثل ويراد به الشبه والنظير كقول الشاعر:

يا عاذلي دعني من عدلكا مثلي لا يقبل من مثلكا^(١٢)

أي: أنا لا أقبل منك .

وكان ابن عباس يقرأ «فإن ءامنوا بما ءامتم به»^(١٣)، وهذا يدل على أن «مثل» في قراءة تنا صلة . قوله ﴿فقد اهتدوا﴾ أي: قد صاروا مسلمين ﴿وإن تولوا﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان بكتابكم ونببيكم ﴿فإنما هم في شقاق﴾^(١٤) في خلاف وعداوة .

(١) تقدم هذا عن الضحاك وانظر الدر ١٤٠/١ عن الضحاك .

(٢) انظر تفسير الطبري ١١١/٣ عن قتادة .

(٣) في (د): وجميع الكتب .

(٤) في (د): فلقنوا قوله ﴿قولوا ءامنا بالله . . .﴾ الآية .

(٥) انظر الزجاج ١٩٥/١ وغرائب النيسابوري ٤٣٩/١ والبحر ٤٠٩/١ .

(٦) في (د): مثل .

(٧) سورة مريم ٢٥ .

(٨) أبو معاذ النحوي: الفضل بن خالد المروزي مولى باهلة روى عن عبد الله بن المبارك وداود بن أبي هند وعنه الأزهري وأكثر عنه في التهذيب وذكره ابن حبان في الثقات وصنف كتاباً في معاني القرآن مات سنة ٢١١ (بغية الوعاة ٢٤٥/٢) .

(٩) في المطبوعة: والمثل .

(١٠) انظر البغوي ١١٦/١ عن أبي معاذ النحوي البحر ١٤٠/١ .

(١١) انظر الدر ١٤٠/١ عن ابن عباس يقول ابن عباس لا تقولوا فإن آمنوا بمثل ما آمتم به فإن الله لا مثل له ولكن قولوا: فإن آمنوا بالذي آمتم به، وكان يقرأ ﴿فإن آمنوا بالذي ءامتم به﴾ وانظر الطبري ١١٤/٣ عن ابن عباس وغرائب النيسابوري ٤٤٠/١ عنه وفتح القدير ١٤٧/١ . والرازي ٨٤/٤ .

(١٢) البيت ورد في البيان لابن الأنباري ٣٠٤/١ وقال المحقق: لم أقف على صاحب هذا الشاهد وفي البحر ٤١٠/١ «والعدل: الملامة» (حاشية (أ)).

(١٣) انظر مختصر الشواذ لابن خالويه ص ١٠ عن ابن عباس وابن مسعود وكذلك قراءة ﴿فإن ءامنوا بالذي ءامتم به﴾ عن أبي بن كعب، والمصاحف لابن أبي داود ص ٧٦ والبحر ٤٠٩/١ عنها والدر ١٤٠/١ عن ابن عباس .

(١٤) في (د): أي: في خلاف .

و«الشقاق، والمشاققة»: المخالفة^(١) ومنه قوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول^(٢)﴾^(٣) و«ومن يشاقق الله^(٤)﴾^(٥) وقوله ﴿فسيكفيكم الله﴾: وعد من الله لرسوله بكفايته أمر من عاداه من مخالفه^(٦) قال المفسرون^(٧): ثم كناه الله أمر اليهود بالقتل والنسي في قريظة، والجلء والنفي في بني النضير، والجزية والذلة في نصارى نجران. قوله^(٨) ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ «الصبغ»: ما يلون به الثياب، والصبغ: المصدر قال الحسن وقتادة وأبو العلية ومجاهد والسدي وابن زيد وعطية^(٩): دين الله^(١٠) وإنما سمي الدين صبغة لأن المتدين يلزمه ولا يفارقه كما يلزم الصبغ الثوب. وقال ابن عباس في رواية الكلبي: ﴿صبغة الله﴾: يعني^(١١): دين الله ﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾ يقول: ديناً؟

وذلك^(١٢): أن النصارى كان إذا ولد لأحدهم ولد فأتى عليه سبعة أيام صبغوه في ماء لهم ليطهروه بذلك، ويقولون: هذا ظهور مكان الختان، وذلك حين جعلوه نصرانياً، وهم صنف من النصارى، فجعل الله الختان للمسلمين تنظيفاً وتطهيراً وأمر به معارضة للنصارى. وسمي الختان صبغة من حيث كان بدل ما فعلوه من صبغهم أولادهم، كما قال: ﴿وجزاء سيئة سيئة﴾^(١٣) فسلى الثانية سيئة لما كانت في معارضة الأولى.

و﴿صبغة الله﴾: نصب على الإغراء، على معنى: الزموا واتبعوا^(١٤).

قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلِنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ نَقُولُونَ

- (١) في (د): المخالفة.
 (٢) سورة النساء / ١١٥ وفي (د): تقديم آية الحشر على آية النساء.
 (٣) سورة الحشر / ٤.
 (٤) انظر تفسير ابن عباس ص ١٩ وفتح القدير ١٤٧/١ والطبري ١١٦/٣ والزجاج ١٩٥/١.
 (٥) انظر تفسير ابن عباس ص ١٩ وفتح القدير ١٤٧/١ والبحر ٤١٠/١ - ٤١١ والبغوي ١١٦/١ والقرطبي ١٤٣/٢.
 (٦) في (د): قوله تعالى.
 (٧) في (د): ومجاهد وأبو العلية وعطية وابن زيد.
 (٨) انظر تفسير مجاهد ٨٩ والطبري ١١٨/٣ - ١١٩ عن قتادة وأبي العلية والربيع ومجاهد وعطية والسدي وابن عباس وابن زيد، وابن كثير ١٨٨/١ عن ابن عباس، ومجاهد وأبي العلية وعكرمة وإبراهيم والحسن وعطية وغيرهم وانظر مجاز القرآن ٥٩/١ غريب القرآن ٦٤ والنيبان ١٢٢/١ والمشكل ١١٢/١ وفتح الباري ١٣١/٨ والدر ١٤٠/١، ١٤١ عن ابن عباس.
 (٩) في (أ) والمطبوعة: يقول دين الله.
 (١٠) انظر الزجاج ١٩٦/١ والفراء ٨٢/١ - ٨٣ والزاهر ١٤٥/١ عن الفراء، والطبري ١١٧/٣ وأسباب النزول للواحدي ص ٢٨ عن ابن عباس وغرائب النيسابوري ٤٤٣/١، وفتح القدير ١٤٨/١.
 (١١) سورة الشورى / ٤٠.
 (١٢) انظر النيبان ١٢٢/١ والمشكل ١١٢/١ وغريب القرآن ٦٤ والأخفش ٣٤٠/١ وعند ابن كثير ١٨٩/١ «وانتصاب (صبغة الله) إما على الإغراء أي: الزموا ذلك عليكم وقال: بعضهم بدلاً من قوله (ملة إبراهيم) وقال سيبويه: هو مصدر مؤكد انتصب عن قوله (أما بالله) كقوله (وعد الله)». وانظر فتح القدير ١٤٧/١ عن الكسائي وفيه: «ورجح الزجاج الانتصاب على البدل من (ملة إبراهيم) كما قال الفراء» وغرائب النيسابوري ٤٤٢/١ عن سيبويه.

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدِمْ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مِمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

قوله ﴿قل أتُحاجوننا في الله...﴾ الآية، خاصمت يهود المدينة ونصارى نجران رسول الله ﷺ وقالوا:
إن أنبياء الله كانوا منا، ونبينا هو الأقدم وكتابنا هو الأسبق، ولو كنت نبياً كنت منا، فأنزل الله تعالى ﴿قل
أتُحاجوننا...﴾ (١) أي: أتخاصموننا وتجادلوننا، وهذا استفهام (٢) معناه التوبيخ.

وقوله ﴿في الله﴾ أي: في دين الله ﴿وهو ربنا وربكم﴾ أي: نحن وأنتم عبيد له ﴿ولنا أعمالنا﴾ نجازي بحسبها
وسيتها ﴿ولكم أعمالكم﴾: وأنتم في أعمالكم على مثل سبيلنا، لا يؤخذ بعضنا بذنب بعض ﴿ونحن له مخلصون﴾:
موحدون.

قال ابن الأنباري (٣): وفي الآية إضمار وهو: وأنتم غير مخلصين فحذف اكتفاء بقوله (ونحن له مخلصون) (٤)
كقوله ﴿سراييل تقيمكم الحر﴾ (٥).

قوله ﴿أم تقولون﴾ قرىء بالتاء والياء فمن قرأ بالتاء: فلأن ما قبله من قوله ﴿قل أتُحاجوننا﴾ وما بعده من
قوله ﴿قل أأنتم أعلم﴾ بالتاء: ومن قرأ بالياء فلأن المعنى لليهود والنصارى وهم غيب (٦).

ومعنى الآية: كأنه قيل: بل أتقولون إن الأنبياء الذين ذكروا في هذه الآية من قبل أن تنزل التوراة ﴿كانوا هودا أو
نصارى قل أأنتم أعلم أم الله﴾ أي: قد أخبرنا الله أن الأنبياء كان دينهم الإسلام ولا أحد أعلم منه.

وقوله ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾: توبيخ لليهود. قال ابن عباس (٧): يريد: من أظلم ممن كتم
شهادته التي أشهد عليها، يريد: إن الله أشهدهم في التوراة والإنجيل أنه باعث فيهم محمد بن عبد الله من ذرية
إبراهيم وأخذ على ذلك موثيقهم أن يبينوه للناس، فكتموه وكذبوا فيه.

وقال مجاهد والربيع (٨): الشهادة في أمر إبراهيم والأنبياء الذين ذكروهم أنهم كانوا حنفاء مسلمين فكتموها
وقالوا: إنهم كانوا هودا أو نصارى.

(١) انظر التبيان ١٢٢/١ والبحر ٤١٢/١ والوجيز للواحدي ٣٧/١ وابن كثير ١٨٨/١.

(٢) في (د): وهذا الاستفهام.

(٣) انظر الزجاج ١٩٨/١ والبحر ٤١٣/١ والرازي ٨٨/٤ والخازن ١١٧/١ والقرطبي ١٤٦/٢ وفتح القدير ١٤٨/١.

(٤) في (ح): ونحن له مخلصين.

(٥) في (د): تقيم، سورة النحل ٨١/.

(٦) قرأ نافع وابن كثير وعاصم وأبو عمرو والياء، وغيرهم: بالتاء.

(٧) انظر الحجة لأبي زرعة ١١٥ - ١١٦ والسبعة ١٧١ والنشر ٢٢٣/٢ والتبيان، ١٢٢/١ والأخفش ٣٤١/١ - ٣٤٢ والحجة لابن خالويه
(٧٩).

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٢٠ والزجاج ١٩٩/١ والطبري ١٢٦/٣ عن قتادة والوجيز للواحدي ٣٧/١.

(٩) انظر تفسير مجاهد ٨٩ والطبري ١٢٤/٣ - ١٢٥ عن الربيع ومجاهد، والبحر ١١٥/١ عن مجاهد والحسن والربيع وابن كثير ١٨٨/١
عن الحسن والدر ١٤١/١.

وقوله ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾: وعيد لهم: أي: أنه يجازيكم^(١) على خلاف ذلك.

قوله ﴿تلك أمة قد خلت﴾ قد مضت هذه الآية، وأعيدت^(٢) ها هنا: لأن الحجاج إذا اختلفت مواظبه حسن تكريره للتذكير.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣

قوله تعالى: ﴿سيقول السفهاء...﴾^(٣) الآية، نزلت في تحويل القبلة^(٤) قال ابن عباس^(٥): غني بـ «السفهاء»: يهود المدينة و«السفهاء» جمع سفية وهو الخفيف إلى ما لا يجوز له أن يخف فيه ﴿ما ولاهم﴾ أي عدلهم^(٦) وصرّفهم ﴿عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ يعنون: بيت المقدس.

و«القبلة» الوجهة، وهي الفعلة من القابلة: والعرب تقول: ما له قبلة ولا ذبيرة^(٧): إذا لم يهتد لجهة أمره والضمير في «قبلتهم» للنبي ﷺ وأصحابه ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ أي: له أن يأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء ﴿يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ قال ابن عباس^(٨): إلى دين مستقيم، ودين الله يسمى^(٩) الصراط المستقيم (لأنه يؤدي إلى الجنة كما يؤدي الطريق المستقيم)^(١٠) إلى المطلوب.

قوله تعالى: ﴿وكذلك﴾ أي: وكما اخترنا إبراهيم وأولاده، وأنعمنا عليهم بالخنيفة المستقيمة كذلك ﴿جعلناكم أمة وسطا﴾ أي: عدلا خياراً^(١١).

قال أهل المعاني^(١٢): لما صار ما بين الغلو والتقصير خيراً منهما، صار الوسط والأوسط عبارة عن كل^(١٣) ما هو خير.

(١) في (د): يجازيهم.

(٢) في حاشية (أ) «النسخ هاهنا مختلفة ففي بعضها «أعيدت» بغير واو، وفي بعضها «وأعيدت» بالواو وكلاهما صحيح».

(٣) في (د): (سيقول السفهاء من الناس) نزلت الآية.

(٤) انظر تفسير مجاهد ٩٠ وأسباب النزول للواحدي ٢٨ وأسباب النزول للسيوطي ص ٢٥ وابن كثير ١٨٩/١.

(٥) انظر الزجاج ١٩٩/١ والطبري ١٣٠/٣ عن ابن عباس وغرائب النيسابوري ٦/٢ عن ابن عباس ومجاهد، وأحكام القرآن لابن العربي ٤٠/١، الدر ١٤٢/١ عن ابن عباس وابن كثير ٢٨٩/١ عن مجاهد.

(٦) في (د): أعدلهم.

(٧) انظر أدب الكاتب ٣٩ واللسان /دبر. وفي حاشية (أ) «يقال ليس لهذا الأمر قبله ذبيرة إذا لم يعرف وجهه».

(٨) انظر تفسير ابن عباس ص ٢، ٢٠ وتقدم مثله في تفسير سورة الفاتحة.

(٩) في (ج، د): وسمي.

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (د).

(١١) انظر غريب القرآن ٦٤ والطبري ١٤١/٣ والفراء ٨٣/١ ومجاز القرآن ٥٩/١.

(١٢) انظر مجاز القرآن ٥٩/١ والطبري ١٤٢/٣ والبحر ٤٢١/١ وغرائب النيسابوري ١١/٢، وفتح القدير ١٥٠/١.

(١٣) في (هـ): الكل.

قال الله تعالى ﴿قال أوسطهم﴾^(١) قيل في تفسيره: خيرهم^(٢) وأعدلهم^(٣).

قال النبي ﷺ: «خير هذا الدين النمط الأوسط»^(٤)

وأمة محمد ﷺ وسط لأنهم لم يغفلوا غلو^(٥) النصارى ولا قصروا تقصير اليهود في حقوق أنبيائهم بالقتل والصلب.

قوله^(٦) ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ قال ابن عباس - في رواية عطاء -: يريد^(٧): على جميع الأمم، وذلك أن الله تعالى إذا جمع الأولين والآخرين أتى بالناس أمة بعد أمة، فيؤتى بأمة نوح فيسألهم عما أرسل إليهم فينكرون أن نوحا بلغهم ما أرسل به إليهم، فيدعى بأمة محمد ﷺ فيقولون: نشهد^(٨) أنه قد بلغ رسالتك، فكذبوه وعصوك فتقول أمة نوح: هؤلاء كانوا بعدنا فكيف يشهدون علينا؟ فيقولون: ربنا أرسلت إلينا رسولا فأمانا به وصدقناه، فكان^(٩) فيما أنزلت عليه ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ إلى قوله قالوا: ﴿أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾^(١٠).

وقوله ﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ أي: على صدقكم، فهو من باب حذف المضاف وذلك أن محمداً^(١١) عليه السلام يسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم.

وقال ابن جريج^(١٢): قلت لعطاء^(١٣): ما معنى ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾؟ قال: أمة محمد عليه السلام شهداء على من ترك الحق من الناس أجمعين حين جاءه^(١٤) الهدى والإيمان ﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ يشهد على أنهم آمنوا بالحق حين جاءهم وقبلوه وصدقوا به^(١٥).

(١) سورة القلم / ٢٨. (٢) في (هـ): وخيرهم. (٣) في (جـ، هـ) وقال.

(٤) انظر غريب الحديث ٤٨٢/٢ عن علي رضي الله عنه موقوفاً، والفائق ٢٧/٤ عن علي رضي الله عنه موقوفاً والظاهر ٣٨/٢ بلفظ «خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي» وفي الجامع الصغير للسيوطي ١٠/٢ «خير دينكم أيسره» حم طب خد «عن محجن بن الأدرع (طب) عن عمران بن حصين، (طس عد) والضياء: عن أنس وكذا عند ابن عبد البر - في العلم عن أنس «ورمز له بالصحيح - ومجمع الزوائد ٣٠٨/٣ وفيه «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» ومسند أحمد ٣٣٨/٤، ٣٢٢/٥. «والنمط: الطريق المستقيم يعني الغلو في الطاعات والتقصير فيها ليس خيراً من التوسط فيها بل الأمر بالعكس» (حاشية أ).

(٥) في (حـ): على.

(٦) في غير (أ) وقوله.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٢٠ ومجاهد ٩٠ والزجاج ٢٠١/١ والثوري ٥١ وغريب القرآن ٦٥ والتسهيل ٦٢ وصحيح البخاري - كتاب التفسير - باب قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً...﴾ عن أبي سعيد الخدري ١٠٠/٣ والدرر ١٤٤/١ وابن كثير ١٩٠/١ وكنز العمال ٤/٢ وفتح القدير ١٥٢/١ كلها عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً والطبري ١٤٦/٣ عن أبي سعيد مرفوعاً.

(٨) في (د): شهدنا به.

(٩) في (جـ، د، هـ): وكان.

(١٠) سورة الشعراء / ١٠٥ - ١١١.

(١١) في (د): أن رسول الله ﷺ.

(١٥) «فإن قلت لم لم يقل: «لكم شهداء» لأن شهادته لكم لا عليكم؟ قلت: لأنه لما كان الشهيد كالرقيب جيء بكلمة الاستعلاء، كقوله ﴿كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ وقدمت صلة الشهادة أولاً لأن الغرض إثبات شهادتهم على الأمم» (حاشية أ)) والنص من سورة المائدة / ١١٧ وفي الحاشية خطآن:

١ - لأن شهادته لهم لا عليكم.

٢ - كنت أنت الرقيب عليكم. . . .

وقوله تعالى: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾ أي: وما جعلنا تحويل القبلة التي كنت عليها فهو من باب حذف المضاف، ويحتمل أن يكون المفعول الثاني للجعل^(١) محذوفاً على تقدير: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة، فحذف للعلم به.

وقوله ﴿إلا لتعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ أي: لتعلم العلم التي يستحق العامل به الثواب والعقاب، وهو علم بالشيء بعد وجوده والله تعالى يعلم الكائنات ولكن لا يعلمها موجودة إلا إذا وجدت، فكذلك العلم الذي يوجب الثواب والعقاب.

وابن عباس^(٢) يفسر ﴿لتعلم﴾ ها هنا: لنرى^(٣)، وهذا راجع إلى ما ذكرنا، لأنه إنما يراه إذا علمه موجوداً وكان تحويل القبلة إلى الكعبة ابتلاء من الله تعالى لعباده^(٤)، وذلك أن الله تعالى لما وجه نبيه إلى الكعبة قال في ذلك قائلون من الناس، فقال بعضهم: (ما ولاهم^(٥) عن قبلتهم التي كانوا عليها)^(٦) وقال آخرون: قد اشتاق الرجل إلى مولد^(٧) آبائه^(٨)، وقال ابن عباس^(٩) في قوله ﴿من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾، يعني: أهل اليقين من أهل الشك والريبة ومن يوافق الرسول في التوجه إلى الكعبة ممن يرتد عن الدين فيرجع إلى ما كان عليه.

و«الانقلاب على العقب»: عبارة عن الانصراف إلى حيث أقبل منه^(١٠).

وقوله ﴿وإن كانت لكبيرة﴾ أي: وقد كانت التولية إلى الكعبة لثقيلة^(١١) ﴿إلا على الذين هدى الله﴾ أي: هداهم للحق، وهم الذين عصمهم الله حتى^(١٢) صدقوا الرسول في التحول إلى الكعبة.

وقوله ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾: أخبرنا أبو إبراهيم النصرأبادي، أخبرنا إسماعيل بن نجيد أخبرنا محمد بن الحسن بن الخليل النسوي^(١٣) حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله بن موسى^(١٤) حدثنا إسرائيل، عن سماك بن حرب^(١٥) عن عكرمة عن ابن عباس قال:

(١) في (د): للفعل.

(٢) في (ج، د): وقال ابن عباس.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٠ وغرائب النيسابوري ١٧/٢.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ١٩٩/١.

(٥) في (هـ): ولهم.

(٦) انظر مفردات الراغب / قلب ص ٤١١ واللسان / قلب بنحوه والبحر ١/٤٢٤ - ٤٢٥.

(٧) في (د) ثقيلة. «واللام في قوله (لكبيرة) هي لام التوكيد التي تأتي بعد (إن) المخففة من الثقيلة ليفرق بينها وبين «إن» التي بمعنى «ما» (انظر البيان ١/١٢٦).

(٨) في (هـ): حين.

(٩) في (ح): التسري.

(١٤) في (أ) والمطبوعة: عبد الله وقال: وهو تحريف، والثابت من كتاب الجمع ٤٣/١ في ترجمة إسرائيل، ٣٠٤/١ في ترجمة عبيد الله بن موسى أنه روى عن إسرائيل والتذكرة في ترجمته ٣٥٤/١ والطبري ١٦٧/٣ وهو: عبيد الله بن موسى الحافظ الثبت أبو محمد العسلي مولاهم الكوفي المقرئ. العابد من كبار علماء الشيعة ولد بعد العشرين ومائة وهو في عداد وكيع سمع هشام بن عروة وإسماعيل بن أبي خالد وإسرائيل بن يونس وطبقتهم وعنه البخاري والجماعة عن رجل عنه، وثقه يحيى بن معين وقال أبو حاتم ثقة صدوق وأبو نعيم أئقن منه وعبيد الله أثبتهم في إسرائيل توفي سنة ٢١٣ هـ.

(تذكرة ١/٢٥٣ - ٣٥٤).

(١٥) سماك بن حرب بن أوس بن خالد بن نزار بن معاوية بن حارثة بن ربيعة الدهلي الكوفي يكنى أبا المغيرة سمع مصعب بن سعد =

لما وجه رسول الله إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله: كيف بالذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ (١).

وقال الكلبي عن ابن عباس (٢): كان رجال من أصحاب رسول الله ﷺ من المسلمين قد ماتوا على القبلة الأولى منهم أسعد بن زرارة (٣) أبو أمامة (٤) والبراء بن معرور (٥): أحد بني سلمة، وأناس آخرون، فقام عشائهم فقالوا يا رسول الله، توفي إخواننا وهم يصلون إلى القبلة الأولى، وقد صرفك الله إلى قبلة إبراهيم فكيف بإخواننا؟ فأنزل الله ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾. يعني: ليبتل صلاتكم قَبْلَ بيت المقدس، يعني به الأموات أنه قد تقبل منهم.

والمفسرون يجعلون «الإيمان» هنا بمعنى الصلاة (٦) ويمكن أن يحمل «الإيمان» هنا على ما هو عليه من معنى التصديق فيكون معنى الآية ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ يعني تصديقكم بأمر تلك القبلة. قوله (٧) ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ «الرأفة» أشد من الرحمة وأبلغ (٨) يقال: رأفت بالرجل أرأف به رأفة ورأفة، ورؤفت به أرؤف به.

وفي «الرؤوف» قراءتان، إحداهما: على وزن فعول، والثانية على وزن فَعَل (٩)، وفعول أكثر في كلامهم من

= والنعمان بن بشير وجبار بن سمرة ومعاوية بن قره وسعيد بن جبير والشعبي روى له مسلم توفي سنة ١٢٣هـ (الجمع ٢٠٤/١)، والبداية والنهاية ٣٨١/٩.

(١) الحديث رواه الترمذي - أبواب التفسير - باب من سورة البقرة رقم ٤٠٤٤ وقال حسن صحيح ٢٦٧/٤ - ٢٧٧، وأحمد في المسند ٣٢٢/١.

والحاكم في المستدرک - كتاب التفسير - وقال صحيح الإسناد ٢٦٩/٢ كلهم عن حديث ابن عباس - وانظر فتح الباري ٧٩/١ - ٨١ عن البراء.

(٢) انظر الزجاج ٢٠٢/١ - ٢٠٣ وأسباب النزول للواحدي ص ٢٨ - ٢٩ والطبري ١٦٧/٣ عن ابن عباس والفتح الرباني ٧٧/١٨ والبحر ٤٢٦/١ والدر ١٤٦/١ عن البراء.

(٣) قال الحضرمي: وقع في نسخ من الكتاب - أي وسيط الواحدي - قال الكلبي عن ابن عباس كان رجال من أصحاب رسول الله ﷺ منهم أسعد بن زرارة وأبو أمامة والبراء بن معرور أحد بني سلمة. . . هكذا وقع في كثير من النسخ، والصواب - والله أعلم - منهم أسعد بن زرارة أبو أمامة من غير واو العطف فهي كنيته ومعروف بها (عمدة القوي ص ٥/ط).

(٤) أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار قال أبو نعيم إنه أول من أسلم من الأنصار من الخزرج وهو أبو أمامة من الستة الذين عرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام يوم العقبة مات قبل بدر وهو أحد النقباء. (البداية والنهاية ١٤٩/٣ - ١٥٠).

(٥) البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة السيد النقيب أبو بشر الأنصاري الخزرجي أحد النقباء ليلة العقبة وهو ابن عمه سعد بن معاذ وكان نقيب قومه بني سلمة وأول من بايع ليلة العقبة الأولى مات قبل قدوم النبي ﷺ بالمدينة (البداية والنهاية ١٦١/٣ وسير الأعلام ٢٦٧/١).

(٦) انظر الزجاج ٢٠٢/١ وابن عباس ص ٢٠ والطبري ١٦٧/٣ - ١٦٩ عن البراء والسدي وداود بن أبي عاصم وابن عباس وابن زيد، وابن كثير ١٩٢/١ عن البراء وابن عباس.

(٧) في (د): رأفة ورأفة.

(٨) انظر مجاز القرآن ٥٩/١ والخزائن ١٤٠/٢ وغرائب النيسابوري ٢٠/٢ والبحر ٤١٨/١ والطبري ١٧١/٣ وفتح القدير ١٥١/١.

(٩) قرأ أبو عمرو وحزمة والكسائي وأبو بكر «لرؤف» على وزن فَعَل، وحجتهم أن هذا أبلغ في المدح وما جاء في الشعر وقرأ الباقون «لرؤف».

(الحجة لأبي زرعة ١١٦ والسبعة ١٧١ والنشر ٢٢٣/٢ والزجاج ٢٠٣/١ والتبيان ١٢٤/١ والحجة لابن خالويه ٨٩ - ٩٠).

فعل، ألا ترى أن باب صبور وشكور أكثر^(١) من باب حذر ويقظ وإذا كان أكثر في كلامهم كان أولى، يؤكد هذا أن صفات الله قد جاءت على هذا الوزن نحو^(٢): غفور وشكور، ولم يأت شيء منها على وزن فعل.

ومن قرأ على وزن فعل فقد قيل: إنه غالب لغة أهل الحجاز ومنه قول الوليد بن عقبة:

وشر الطالبين^(٣) فلا تكنه يقاتل^(٤) عمه الرؤف الرحيم^(٥)

وكثير ذلك حتى قاله غيرهم، قال جرير^(٦):

تري للمسلمين عليك حقاً كفعل الوالد الرؤف الرحيم^(٧)

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمَرْتَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

قوله ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾:

أخبرنا أبو منصور المنصوري أخبرنا علي بن عمر بن مهدي، حدثنا عبد الوهاب بن عيسى^(٨)، حدثنا أبو هشام

(١) في (د): أكثر في كلامهم.

(٢) ساقطة من (هـ).

(٣) في (هـ): الطالبين - كما في البحر ٤٣٧/١.

(٤) في (ج، د): يقابل.

(٥) البيت ورد في تفسير الطبري ١٧١/٣ بلفظ:

وشر الطالبين ولا تكنه يقاتل عمه الرؤف الرحيم
والشاعر هو الوليد بن عقبة، والبحر ٤٢٧/١:

وشر الظالمين فلا تكنه يقاتل عمه الرؤف الرحيم
والشاعر هو الوليد بن عقبة وكذا فتح القدير ١٥١/١:

وشر الطالبين فلا تكنه يقاتل عمه الرؤف الرحيم
والشاعر هو الوليد بن عقبة (بالتاء) وانظر القرطبي ١٥٨/٢ وهذا من شعر الوليد يحض معاوية على قتال علي رضي الله عنه.

(٦) في (د): وذكر ذلك فقال جرير.

(٧) البيت في ديوان جرير ص ٦٠٨ تحت عنوان: «فيا ابن المطعمين إذا شتونا» - وفي البحر ٤٢٧/١ بلفظ:

تري للمسلمين عليه حقاً كحق الوالد الرؤف الرحيم

والكامل للمبرد والبيت في مدح هشام بن عبد الملك وهو من بحر الوافر. وانظر الزاهر ١٩٣/١ ومجاز القرآن ٢٧١/١ والحجة لابن خالويه ص ٩٠.

(٨) في (د): عبد الملك بن عيسى، وهو: عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب بن أبي حبة أبو القاسم - وراق الجاحظ - روى عنه الدارقطني وثقه الدارقطني وكان صدوقاً توفي سنة ٣١٩ هـ (تاريخ بغداد ٢٨/١١ - ٢٩).

الرفاعي (١)، حدثنا أبو بكر بن عياش (٢)، أخبرنا أبو إسحاق (٣) عن البراء قال: «صلينا مع رسول الله ﷺ بعد قدومه المدينة ستة عشر شهراً نحو بيت المقدس ثم علم الله عز وجل (٤) هوى نبيه عليه السلام (٥) فنزل (قد نرى تقلب وجهك في السماء...) الآية. فأمره أن يولي إلى الكعبة، ومر علينا رجل - ونحن نصلي إلى (٥) بيت المقدس فقال: إن نبيكم ﷺ قد حُولَ إلى الكعبة، فتوجهنا إلى الكعبة، وقد صلينا ركعتين» رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي الأحوص (٦)، ورواه البخاري عن أبي نعيم (٧) عن زهير (٨) كلاهما عن أبي إسحاق (٩).

قال المفسرون (١٠): كانت الكعبة أحب القبلتين إلى رسول الله ﷺ لأنها قبله أبيه إبراهيم عليه السلام، ولأنه كره موافقة اليهود، فقال لجبريل، وددت أن الله تعالى صرفني عن قبله اليهود إلى غيرها، فقال جبريل: إنما أنا عبد مثلك، وأنت كريم علي ريك، فادع ريك وسله (١١)، ثم ارتفع جبريل، وجعل رسول الله ﷺ يديم النظر إلى السماء، رجاء أن يأتيه جبريل بالذي سأل ربه، فأنزل الله تعالى ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ أي: في النظر إلى السماء ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾ أي: لنصيرنك (١٢) تستقبل بوجهك قبلة تحبها وتهواها ﴿فول وجهك﴾ أي: أقبل وحول وجهك ﴿شطر المسجد الحرام﴾ (١٣): قصده ونحوه وتلقاه (١٤) ﴿وحيث ما كنتم﴾ في بر أو بحر ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾ يعني: عند الصلاة.

(١) محمد بن يزيد الكوفي أبو هشام الرفاعي أحد العلماء أخذ عن أبي بكر بن عياش وابن فضيل والطبقة وعنه مسلم والترمذي وابن ماجه والمحاملي وآخرون قال أحمد والمجلي لا بأس به وقال البخاري: رأيتهم مجمعين على ضعفه، وقال البرقاني: أبو هشام ثقة أمرني الدارقطني أن أخرج حديثه في الصحيح (الميزان ٦٨/٤ - ٦٩).

(٢) أبو بكر بن عياش مولى واصل بن حيان الأحمد الأسدي الكوفي قال البخاري: قال إسحاق: سمعت أبا بكر يقول: اسمي وكنتي واحد، روى له البخاري توفي سنة ١٩٣ هـ (كتاب الجمع ٥٩٤/٢).

(٣) في (د): حدثنا أبو بكر بن عياش أبو إسحاق. وأبو إسحاق السبيعي سبق.

(٤) في (د): علم الله تعالى هوى نبيه ﷺ.

(٥) في (د): نحو بيت المقدس.

(٦) أبو الأحوص: سلام بن سليم الحنفي الكوفي الثقة الصدوق روى عن سماك بن حرب وعدة قال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: ثقة متقن وقال ابن مهدي: هو أثبت من شريك توفي سنة ١٧٩ هـ (الميزان ١٧٦/٢ - تهذيب التهذيب ٢٨٢/٤ - ٢٨٣).

(٧) أبو نعيم: الفضل بن دكين وهو الفضل بن عمرو بن حماد بن زهير الثقفي الأحول الملائي الكوفي مولى آل طلحة بن عبيد الله ودكين لقب عمرو ولد سنة ١٣٠ هـ قال النسائي ثقة مأمون وقال يعقوب بن شيبة ثقة صدوق ثبت توفي سنة ٢١٩ هـ. (تهذيب التهذيب ٢٧٠/٨ - ٢٧١ الجمع ٤١٢/٢).

(٨) زهير بن معاوية بن خديج بن خيثمة الجعفي أبو خيثمة الكوفي كان حافظاً متقناً قال أبو زرعة ثقة وقال النسائي ثبت سمع من أبي إسحاق وغيره وعنه أبو نعيم وطائفة توفي سنة ١٧٤ هـ.

(تهذيب التهذيب ٣٥١/٣ - ٣٥٢، الجمع ١٥٢/١ - ١٥٣).

(٩) الحديث رواه مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة ٢١٤/١ - والبخاري - كتاب التفسير - باب قوله تعالى: ﴿سيقول السفهاء﴾ ١٠٠/٣ كلاهما عن البراء.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ص ٩٠ والثوري ص ٥١ والزجاج ٢٠٣/١ وأسباب النزول للواحد ص ٢٩ وغرائب النيسابوري ٢١/٢ - ٢٢ عن ابن عباس والدر ١٤١/١ وعن البراء، ١٤٢/١ عن ابن عباس وأبي العالية.

(١١) ساقطة من (ح) وفي (د) واسله.

(١٢) في (د): أي قصده.

(١٣) في (د) لنصير لك.

(١٤) انظر هذا المعنى في غريب القرآن ص ٦٥ والدر ١٤٧/١ عن مجاهد وابن عباس وأبي العالية وكذا فتح القدير ١٥٥/١ وانظر تفسير

ابن عباس ص ٢٠ ومجاز القرآن ٦٠/١ والفراء ٨٤/١ والطبري ١٧٦/٣ - ١٧٧.

ولما حولت القبلة قالت اليهود: يا محمد، ما أمرت بهذا، وإنما هو شيء من عندك، تبتدعه من تلقاء نفسك فأنزل الله ﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾^(١) أي: إن اليهود عالمون أن المسجد الحرام قبة إبراهيم وأنه الحق.

﴿وما الله بغافل عما يعملون﴾ قال ابن عباس^(٢): يريد أنكم^(٣) يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم، وأن اليهود يطلبون سخطي، وما أنا بغافل عن خزيمهم في الدنيا والآخرة.

قوله^(٤) ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك﴾ الآية قال أهل التفسير^(٥): إن اليهود والنصارى طلبوا من رسول الله ﷺ الآيات فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأياس نبيه ﷺ عن إيمانهم، وذلك أنهم علموا صدق محمد ﷺ بما كانوا يرونه في كتابهم من صفته، وبعته، ولكنهم جحدوا مع تحقق علمهم، وما تغفل الآيات والنذر^(٦) عند من يجحد ما يعرف لذلك^(٧) قال (ما تبعوا قبلتك)^(٨).

وقوله^(٩) ﴿وما أنت بتابع قبلتهم﴾ حسم^(٩) بهذا أطماع اليهود في رجوعه عليه^(١٠) السلام إلى قبلتهم ﴿وما بعضهم﴾ يعني: اليهود والنصارى ﴿بتابع قبلة بعض﴾ أخبر أنهم وإن اتفقوا على عداوة محمد ﷺ فهم مختلفون فيما بينهم، فلا اليهود تستقبل المشرق، ولا النصارى تستقبل بيت المقدس^(١١).

﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ أي: صليت إلى قبلتهم ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾: أن قبلة الله هي^(١٢) الكعبة ﴿إنك إذا لمن الظالمين﴾ أي: إنك إذا مثلهم والخطاب له في الظاهر، وهو في المعنى لأمته^(١٣).

الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلَاهُ فَاَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾

قوله^(٤) ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾ الآية، قال الكلبي^(١٤): يعني عبد الله بن سلام وأصحابه.

(١) انظر صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب قوله ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ عن البراء ١٠٠/٣، وغرائب النيسابوري ٣٤/٢

(٢) انظر تفسير الطبري ١٨٤/٣ بنحوه وغرائب النيسابوري ٣٤/٢ والبغوي ١٢٢/١ عن ابن عباس.

(٣) ساقطة من (د).

(٤) في (د): قوله تعالى .

(٥) في (د): قال المفسرون .

(٦) من (د).

(٧) في (ج): كذلك .

(٨) انظر الزجاج ٢٠٦/١ والدر ١٤٧/١ عن قتادة والربيع ومجاهد وابن جريج وابن عباس وسلمان.

(٩) الحسم: القطع (حاشية أ).

(١٠) في (د): رجوعه ﷺ.

(١١) انظر الدر ١٤٧/١ عن السدي .

(١٢) من (د).

(١٣) انظر الزجاج ١٠٦/١ .

(١٤) انظر تفسير ابن عباس والطبري ١٨٧/٣ - ١٨٨ عن قتادة والربيع وابن عباس والسدي وابن زيد وابن جريج وعنده «يعرف أحبار اليهود

وعلماء النصارى أن البيت الحرام هو القبلة».

يعرفون رسول الله ﷺ بنعته وصفته ومبعثه واسمه في كتابهم، كما يعرف أحدهم ولده إذا رآه^(١) مع الغلمان.

قال عبد الله بن سلام^(٢) لأنا كنت أشد معرفة برسول الله ﷺ مني بابني، فقال له عمر بن الخطاب: وكيف ذلك يا ابن سلام؟ قال: لأني أشهد أن محمد رسول الله حقاً وقيناً^(٣) وأنا لا أشهد بذلك على ابني، لأني لا أدري ما أحدثت النساء فقال عمر: وفقك الله يا ابن سلام. قوله^(٤) ﴿وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق﴾ يعني: الذين يكتمون شأن محمد ﷺ ونعته ﴿وهم يعلمون﴾ لأن الله تعالى بين ذلك في كتابهم ثم قال:

﴿الحق من ربك﴾ أي: هذا الحق من ربك ﴿فلا تكونن من الممترين﴾^(٥)، الشاكين فيما أخبرتك من أمر القبلة وعناد من كتم النبوة، وامتناعهم من الإيمان بك.

«المرية» الشك، ومنه الإمتراء والتمازي. والخطاب للنبي ﷺ والمراد: غيره من الشاكين^(٦).

قوله^(٤) ﴿ولكل وجهة﴾. (٧) أراد: ولكل أهل دين، «الوجهة» اسم لكل متوجه إليه^(٨) وقوله ﴿هو مولياً﴾ قال الزجاج^(٩): «هو» ضمير لكل، والمعنى: كل^(١٠) هو مولياً وجهه، أي: مستقبلها بوجهه.

وقرأ ابن عامر^(١١): (هو مولاها) أي: مصروف إليها، والمعنى: كل ولي جهة. وقوله ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ قال ابن عباس^(١٢) يقول: تنافسوا فيما رغبتكم فيه من الخير فلكل عندي ثوابه، وقال الزجاج^(١٤): أي: فبادروا إلى القبول من الله عز وجل، وولوا وجوهكم حيث أمركم الله أن تولوا.

وقوله ﴿أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً﴾ أي: أينما تكونوا يجمعكم الله للحساب فيجزئكم بأعمالكم. ثم أكد عليه استقبال القبلة أينما كان بأيتين وهما^(١٥):

(١) في (د، هـ): إذ رآه.

(٢) انظر الدر ١٤٧/١ وغرائب النيسابوري ٣٨/٢ والبحر ٤٣٥/١ وابن كثير ١٩٤/١.

(٣) في (د): أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ حقاً يقيناً.

(٤) في (د): قوله تعالى.

(٥) في (د): أي: الشاكين.

(٦) انظر الزجاج ٢٠٧/١ والبحر ٤٣٦/١ وفتح القدير ١٥٤/١ - ١٥٥.

(٧) في (د) (هو مولياً).

(٨) في (د) أعم للمتوجه إليه وانظر غريب القرآن ص ٦٥ والدر ١٤٨/١ عن ابن عباس ومجاهد.

(٩) انظر الزجاج ٢٠٧/١ وغريب القرآن ٦٥ والتبيان ١٢٧/١ وفيه «هو: ضمير اسم الله أو ضمير كل» وكذا في المشكل ١١٣/١ وفتح القدير ١٥٦/١ عن الزجاج.

(١٠) من (د).

(١١) انظر الحجة لأبي زرعة ١١٧ والسبعة ١٧٢ والنشر ٢٢٣/٢ والزجاج ١٠٧/١ والتبيان ١٢٦/١ - ١٢٧ والمشكل ١١٣/١ والدر ١٤٨/١ وهي قراءة ابن عباس، والفراء ٨٥/١ عن ابن عباس وغيره وفتح القدير ١٥٦/١ عن ابن عباس وابن عامر والحجة لابن خالويه ص ٩٠.

(١٢) عند ابن عباس في تفسيره ص ٢١ فبادروا بالطاعات يا أمة محمد وانظر البحر ٤٣٩/١.

(١٣) في غير (أ) يريد.

(١٤) انظر الزجاج ٢٠٨/١.

(١٥) ساقطة من (د).

وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمِمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

قوله ﴿حيث خرجت﴾ وإنما كررت الآيات، لأن هذا من مواضع^(١) التأكيد لأجل النسخ الذي نقلوا به من جهة إلى جهة.

ومعنى ﴿ومن حيث خرجت﴾ أي: للمسافرة^(٢) والبروز إلى البدو ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ فاستقل الكعبة أينما كنت - وما بعد هذا مضى تفسيره -^(٣) إلى قوله ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم﴾ قال المفسرون^(٤): الناس ها هنا: اليهود كانوا يحتجون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين في صلاتهم إلى بيت المقدس، ويقولون: ما درى^(٥) محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن، ويقولون: يخالفنا محمد في ديننا ويتبع^(٦) قبلتنا.

وهذا كان حجبتهم^(٧) التي كانوا يحتجون بها على المؤمنين على وجه الخصومة^(٨) والتمويه بها على الجهال، فلما صرفت القبلة إلى الكعبة بطلت هذه الحجة، ثم قال ﴿إلا الذين ظلموا منهم^(٩)﴾ وهم المشركون فإنهم قالوا: قد تحير محمد في دينه فتوجه إلى قبلتنا، وعلم أنا^(١٠) أهدى سبيلاً منه، ويوشك^(١١) أن يرجع إلى ديننا فهؤلاء تبعوا لهم الخصومة.

و«الحجة» قد تكون بمعنى الخصومة. كقوله ﴿ولا حجة بيننا وبينكم﴾^(١٢). وقال أبو روق^(١٣): حجة اليهود أنهم كانوا قد عرفوا أن النبي ﷺ المبعوث في آخر الزمان^(١٤) قبلته الكعبة وأنه يحول إليها، فلما رأوا محمداً ﷺ يصلي إلى

(١) في (ح): موضع.

(٢) في (ه): للمسافرت.

(٣) وهو قوله تعالى ﴿وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون﴾. ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره.

(٤) انظر غريب القرآن ٦٥ - ٦٦ - الدر ١٤٧/١ عن مجاهد والأخفش ٣٤٤/١ والطبري ١٧٣/٣ - ١٧٤، ٢٠٠ عن مجاهد وابن زيد وغرائب النيسابوري ٤٥/٢.

(٥) في (ح): درا.

(٦) أي معارضتهم ومجادلتهم والمجادلة تسمى حجة وما دافع به الخصم (حاشية (أ)، اللسان / حجج).

(٨) في (د) العمومة.

(٩) من (أ).

(١٠) في (د): أننا أهدى.

(١١) في (د): فيوشك.

(١٢) سورة الشورى / ١٥.

(١٣) عطية بن الحارث الهمداني الكوفي أبو روق، روى عن أنس وأبي عبد الرحمن السلمي وإبراهيم التيمي وعكرمة والضحاك بن مزاحم والشعبي وغيرهم وعنه ابنه يحيى وعمارة والثوري وغيرهم قال أحمد والنسائي ليس به بأس وقال ابن معين صالح وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن سعد: هو صاحب التفسير (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٢٤).

(١٤) في (د): آخر زمان.

الصخرة احتجاجاً بذلك، فصرفت قبلته إلى الكعبة (لثلا يكون لهم عليه^(١)) حجة ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ يريد: إلا الظالمين الذين يكتُمون ما عرفوا من الحق، ومن أنه يحول إلى الكعبة^(٢).

وقوله ﴿فلا تخشوهم﴾ أي: في انصرفكم إلى الكعبة، وفي^(٣) تظاهرهم عليكم في المحاجة والمحاربة ﴿واخشوني^(٤)﴾ في تركها ومخالفتها ﴿ولأتم نعمتي عليكم﴾ بهدايتي إياكم إلى قبة إبراهيم عليه السلام، فتم لكم الملة الحنيفة.

قال عطاء عن ابن عباس: ﴿ولأتم نعمتي عليكم﴾ في الدنيا والآخرة، أما في^(٥) الدنيا: فأنصركم^(٦) على عدوكم وأورثكم أرضهم ودرياهم وأموالهم، وأما في الآخرة ففي رحمتي وجنتي، وأزوجكم الحور^(٧) العين ﴿ولعلمكم تهتدون^(٨)﴾ ولكي تهتدوا بإنعامي عليكم إلى الملة^(٩) الحنيفة.

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

قوله^(١٠) ﴿كما أرسلنا فيكم...﴾ الآية، هذه «الكاف» تتعلق بما قبله^(١١) على تقدير: ولأتم نعمتي عليكم كإرسالنا إليكم رسولاً، أي: أتم هذه كما أتممت تلك وذلك أن إبراهيم عليه السلام دعا بدعوتين: إحداهما^(١٢): قوله ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا...﴾ الآية^(١٣) والثانية: قوله ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم﴾ الآية^(١٤) فالله تعالى قال: كما أجبته دعوته بابتعاث الرسول، كذلك أجبته دعوته بأن أهديكم لدينه وأجعلكم مسلمين.

وقوله ﴿رسولاً منكم﴾ تعرفونه^(١٥) بأصله ونسبه، وباقي الآية مفسر^(١٦)

(١) في (ج، هـ): عليهم.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

وانظر البغوي ١٢٤/١ عن أبي روق وتفسير ابن عباس ص ٢١ والبحر ٤٤١/١ والدر ١٤٧/١ عن ابن عباس وأبي العالية وقتادة والربيع وغرائب النيسابوري ٣٤/٢ والتسهيل ص ٦٣.

(٣) في (ح): من تظاهرهم. وفي (د): في تظاهرهم.

(٤) في (د): واخشون، «أثبتت فيها الياء ولم تثبت في غيرها وكل ذلك صواب وإنما استجازوا حذف الياء لأن كسرة النون تدل عليها». (الفراء ٩٠/١).

(٥) في (أ، هـ): أما الدنيا.

(٨) في (د): أي لكي.

(٦) في (ح): فلا نصركم.

(٩) في (ح): إلى ملة.

(٧) في (ج، د): من الحور، وفي (د): وأزوجكم من الحور.

(١٠) في (د، هـ): قوله تعالى.

(١١) في غير (أ) بما قبلها. وانظر البيان ١٢٩/١ وفتح القدير ١٥٧/١ عن الفراء.

(١٢) في (د): إحداهما. (١٤) سورة البقرة / ١٢٩.

(١٣) سورة البقرة / ١٢٨. (١٥) في (د): معناه تعرفون.

(١٦) في (ج، د): معنى تفسيره. وهو قوله تعالى: ﴿يتلو عليكم آياتنا ويذكركم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ عند تفسير الآية ١٢٩ من سورة البقرة.

قوله (١) «فاذكروني أذكركم» قال ابن عباس وسعيد بن جبير: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي (٢) وروي أن عبد الملك (٣) كتب إلى سعيد بن جبير في مسائل، فقال في جوابها: وتساءل (٤) عن الذكر، الذكر: طاعة الله فمن أطاع الله فقد ذكر الله، ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن أكثر التسييح وتلاوة الكتاب، وتساءل عن قول الله (٥) تعالى «فاذكروني أذكركم» فإن ذلك: أن الله (٦) يقول: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي. ويشهد لصحة هذا ما:

أخبرنا سعيد بن العباس القرشي (٧) - فيما كتب إلي - أن العباس بن الفضل (٨) أخبره (٩) عن أحمد بن نجدة (١٠) حدثنا سعيد بن منصور (١١)، حدثنا عبد الله بن المبارك (١٢)، عن سعيد بن منصور (١٣)، حدثنا عبد الله بن المبارك (١٤) عن سعيد بن أبي أيوب (١٥)، عن أبي هانئ الخولاني (١٦)، عن خالد بن أبي عمران (١٧) قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته (١٨) وصيامه وتلاوته القرآن، ومن عصي الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته (١٩) وصيامه وتلاوته القرآن (٢٠)».

- (١) في (د): قوله تعالى.
- (٢) انظر تفسير ابن عباس ص ٢١ والزجاج ٢١٠/١ والدر ١٤٨/١ والطبري ٣١١/٣ والبحر ٤٤٥/١، والبغوي ١٢٥/١ وفتح القدر ١٥٧/١ كلها عن سعيد بن جبير، ١٥٨/١ عن ابن عباس.
- (٣) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو الوليد من أعظم الخلفاء ودهاتهم نشأ في المدينة فقيهاً واسع العلم متعبداً ناسكاً ولد سنة ٢٦ هـ ومات سنة ٨٦ هـ.
- (الأعلام للزركلي ٣١٢/٤).
- (٤) في (ح): نسأل.
- (٥) في (د، هـ): عن قوله تعالى.
- (٦) في (د): فإن ذلك الله تعالى.
- (٧) في (د): أخبرهم.
- (٨) في (د): أخبرهم.
- (٩) في (د): أخبرهم.
- (١٠) في (د): أخبرهم.
- (١١) في (د): أخبرهم.
- (١٢) في (د): أخبرهم.
- (١٣) في (د): أخبرهم.
- (١٤) في (د): أخبرهم.
- (١٥) في (د): أخبرهم.
- (١٦) في (د): أخبرهم.
- (١٧) في (د): أخبرهم.
- (١٨) في (د): أخبرهم.
- (١٩) في (د): أخبرهم.
- (٢٠) في (د): أخبرهم.

(١٧) الحديث: رواه الطبراني في الكبير عن واقد مولى رسول الله ﷺ ١٥٤/٢٢ والحلية ٣٨٧/١٠ عن واقد، والجامع الصغير ١٦٥/٢ «رواه الطبراني عن واقد» ورمز له بالحسن والجامع الكبير ٧٤٨/٢ «رواه الضياء والبيهقي في الشعب عن أبي عمران مرسلًا». ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب الصلاة باب من أطاع الله فقد ذكره وإن قلت صلاته - عن واقد مولى رسول الله ﷺ، وفيه «رواه»

أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر المعروف بحفدة الخشاب أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الأصفهاني^(١) أخبرنا محمد ابن إسحاق، حدثنا قتيبة، حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ خير منهم، وإن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، وإن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». . . رواه مسلم عن . . . رواه البخاري عن عمر بن حفص^(٢) عن أبيه^(٣) عن الأعمش^(٤).

وقوله ﴿واشكروا لي﴾ تقول العرب^(٥): شكرته وشكرت له ونصحته ونصحت له.

روى^(٦) سعيد المقبري عن أبيه^(٧) عن عبد الله بن سلام: أن موسى قال لربه «يا رب ما الشكر الذي ينبغي لك؟ قال: يا موسى لا يزال لسانك رطباً من ذكرني»^(٨).

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَمُوتٌ بَلْ ءَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

قوله^(٩) ﴿يا أيها الذين ءامنوا استعينوا بالصبر والصلوة﴾ قال مقاتل^(١٠): استعينوا على طلب الآخرة بالصبر

= الطبراني في الكبير وفيه الهيثم بن حماد وهو متروك.

وانظر البداية والنهاية ٣٢٠/٥ عن أبي نعيم بسنده عن واقد. والدر ١٤٩/١ عن خالد.

(١) إبراهيم بن عبد الله بن إسحاق الأصبهاني العدل المعروف بالقصار نزيل نيسابور أبو إسحاق روى عن عبد الله بن سيرويه والسراج وعدة وكان ممن جاوز المائة توفي سنة ٣٧٣ هـ (شذرات ٨٠/٣).

(٢) في (أ، هـ) عمرو، وهو: عمر بن حفص بن غياث بن طلق بن معاوية أبو حفص النخعي سمع أباه وروى عنه البخاري ومسلم وكان ثقة عالماً متقناً مات كهلاً سنة ٢٢٢ هـ.

(شذرات ٥٠/٢، الجمع ٣٤٠/١).

(٣) حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن الحارث بن ثعلبة أبو عمر النخعي الكوفي قاضيها سمع الأعمش وعاصم الأحول وداود بن أبي هند وهشام بن حسان وغيرهم وعنه ابنه عمر وإسحاق الحنظلي وعدة قال النسائي وابن فراش وابن سعد: ثقة زاد ابن سعد مأمون توفي سنة ١٩٥ هـ وكان مولده ١١٧ هـ (تهذيب التهذيب ٤١٥/٣ - ٤١٧ والجمع ٩٢/١ - ٩٣).

(٤) الحديث: رواه مسلم - كتاب الذكر والدعاء - باب الحث على ذكر الله تعالى ٤٦٦/٢، والبخاري - كتاب التوحيد - باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله ٢٧٨/٤ كلاهما عن أبي هريرة.

(٥) انظر الفراء ٩٢/١ وفتح القدير ١٥٧/١ عن الفراء والطبري ٢١٢/٣.

(٦) في (د): روي عن سعيد، سبقت ترجمة سعيد.

(٧) كيسان أبو سعيد المقبري والد سعيد، الليثي المدني مولى امرأة منهم سمع أبا هريرة وأبا سعيد وعبد الله بن وريعة روى عنه ابن سعيد روى له البخاري ومسلم توفي سنة ١٠٠ هـ (الجمع ٤٣٢/٢).

(٨) انظر الدر ١٥٣/١ عن عبد الله بن سلام.

(٩) انظر الطبري ٢١٤/٣ والخازن ١٢٧/١ بلفظه.

(١٠) في غير (أ) قوله تعالى.

على الفرائض، وبالصلوات الخمس في مواقيتها على تمحيص^(١) الذنوب.

﴿إن الله مع الصابرين﴾ قال عطاء عن ابن عباس^(٢): يقول^(٣): إني معكم أنصركم ولا أخذلكم. وقل الزجاج^(٤): تأويله: أن يظهر دينهم^(٥) على سائر الأديان لأن من كان الله معه فهو^(٦) الغالب.

قوله^(٧) ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات﴾: كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله: مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٨). وقوله ﴿بل أحياء﴾^(٩) ذكر المفسرون في حياة^(١٠) الشهداء في سبيل الله ما روي: أن رسول الله ﷺ قال «إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح في ثمار الجنة وتشرب من أنهارها، وتأوي بالليل إلى قناديل من نور معلقة بالعرش»^(١١).

وقوله ﴿لكن لا تشعرون﴾ أي: ما هم فيه من الكرامة والنعيم^(١٢).

قوله^(١٣) ﴿ولنبلونكم﴾ «النون» فيه: للتأكيد و«اللام» جواب قسم محذوف على تقدير: والله لنبلونكم، والمعنى: لنعاملنكم^(١٤) معاملة المبلى لأن الله تعالى يعلم عواقب الأمور، فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعلم العاقبة، ولكنه يعاملهم معاملة من يتلى فمن صبر أثابه على صبره ومن لم يصبر لم يستحق الثواب.

وقوله ﴿بشيء من الخوف﴾ قال ابن عباس^(١٥): يعني: خوف العذو و«الجوع» يعني: المجاعة والقحط و«ونقص من الأموال» يعني: الخسران والنقصان في المال وهلاك المواشي و«والأنفس» يعني: بالموت والقتل والمرض والشيب^(١٦) و«والشمرات» يعني: الجوائح^(١٧) وأن لا تخرج الثمرة كما كانت تخرج. ثم ختم الآية بتبشير الصابرين ليدل على أن من صبر على هذه المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى فقال ﴿وبشر الصابرين﴾ ثم نعتهم فقال:

(١) تمحيص: أي تطهير (حاشية (أ)).

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٢١ وفيه «معين وحافظ وناظر للصابرين على المرابي».

(٥) في (هـ): يظهر دينكم.

(٦) في (ح): كان الغالب.

(٧) ساقطة من (أ).

(٤) انظر الزجاج ٢١١/١، ٢١٢.

(٨) انظر تفسير الرازي ١٤٥/٤ عن ابن عباس والبحر ٤٤٨/١ والزجاج ٢١٢/١ وأسباب النزول للواحدي ص ٣٠ وللسيوطي ص ٢٦.

(٩) قال الزجاج: فإن قال قائل: فما بالنا نرى جثة غير متصرفة؟ فإن دليل ذلك ما يراه الإنسان في منامه وجهته غير متصرفة على قدر ما يرى، والله عز وجل قد توفي نفسه في نومه فقال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ ويتبه المنتبه من نومه فيدركه الانتباه وهو في بقية من ذلك. فهذا دليل أن أرواح الشهداء جائز أن تفارق أجسامهم وهم عند الله أحياء» (٢١٢/١).

(١٠) في (أ)، (د): حيوة.

(١٢) الحديث: رواه أبو داود في السنن - كتاب الجهاد - باب فضل الشهادة رقم ٢٥٢٠ - ١٥/٣، وأحمد في المسند ٢٦٦/١ كلاهما من حديث ابن عباس. والدر ١٥٥/١ عن كعب بن مالك وكذا في سنن ابن ماجه - كتاب الجنائز - رقم ١٤٤٩ والجامع الصغير ١٧/١.

رواه الترمذي عن كعب بن مالك وقال «حسن صحيح» كما جاء في الفتح الرياني ٢٨/١٤.

(١٣) في (د): ما هم فيه من النعيم.

(١٥) في (ح): للنكايه... لنعاملكم.

(١٦) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٢ والبحر ٤٥٠/١ والبغوي ١٢٨/١ كلاهما عن ابن عباس.

(١٧) في (د): والشيت... ولا تخرج.

(١٨) «الجوائح: جمع جائحة وهي المصيبة العظيمة التي تجتاح الأموال أي تستأصلها كلها وسنة جائحة وعن الشافعي كل ما أذهب الثمر

بعضها من أمر سماوي» انظر حاشية (أ).

﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة﴾ أي: نالتهم نكبة مما ذكر ولا يقال فيما يصيب بخير مصيبة ﴿قالوا إنا لله﴾ أي: نحن وأموالنا لله يصنع بنا ما يشاء ﴿وإنا إليه راجعون﴾ إقرار بالفناء والهلاك^(١).

ومعنى «الرجوع إلى الله تعالى»: الرجوع إلى انفراد^(٢) بالحكم، إذ قد ملَّك في الدنيا^(٣) الأحكام فإذا زال حكم العباد رجع الأمر إلى الله^(٤).

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي، حدثنا محمد بن يعقوب بن يوسف حدثنا بحر بن نصر^(٥)، حدثنا ابن وهب^(٦)، أخبرني يونس^(٧)، عن أبي شهاب^(٨)، عن عروة^(٩)، عن عائشة^(١٠) رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

«ما من مصيبة يصاب بها العبد^(١١) المؤمن إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها» رواه مسلم عن أبي الطاهر^(١٢) عن ابن وهب^(١٣).

أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسن السراج حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي^(١٤) حدثنا يحيى بن عبد الحميد^(١٥).

(١) في (ج، هـ): بالهلاك والفناء.

(٢) في (ح): ومعنى الرجوع إلى تعالى: انفراده.

(٣) في (د): إذ قد ملك قوماً في الدنيا.

(٤) في (د): رجع إلى أمر الله.

(٥) في (أ) والمطبوعة: يحيى بن نصر، والمثبت من النسخ وقد جاء في المطبوعة ص ١٨٥ باسم بحر بن نصر، وهو هو الذي هنا وانظر تذكرة الحفاظ ٥٦٦/٢ وتعذيب التهذيب ٢٤٠/١ - ٢٤١ وقد جاء في البداية والنهاية باسم: يحيى بن نصر الخولاني وذكر وفاته سنة ١٦٧ هـ (٤١/١١).

(٦) (٨، ٧، أ) سبق.

(٩) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي المدني يكنى أبا عبد الله وأمه أسماء بنت أبي بكر سمع خالته عائشة أم المؤمنين وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وغيرهم وعنه ابنه هشام وغيره قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث فقيهاً عالماً ثباتاً مأموناً توفي سنة ٩٤ هـ.

(١٠) أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبي ﷺ سمعت النبي ﷺ وروت عن أبيها أبي بكر روى عنها عروة ومسروق وكثير غيرهم توفيت سنة ٥٨ هـ.

(كتاب الجمع ٦٠٩/٢).

(١١) في (د، هـ): يصاب بها المؤمن.

(١٢) الحافظ الفقيه أبو طاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن السرح الأموي مولاهم المصري مصنف شرح الموطأ، وكان من كبار العلماء توفي سنة ٢٥٠ هـ.

(تذكرة الحفاظ ٥٠٤/٢).

(١٣) الحديث رواه مسلم - كتاب البر والصلة - باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، عن عائشة (٤٢٨/٢) والبخاري - كتاب المرض - باب ما جاء في كفارة المرض عن عائشة رضي الله عنها ٢/٤.

(١٤) الحافظ الكبير أبو جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي الكوفي رأى أبا نعيم وسمع أحمد بن يونس ويحيى الحماني ويحيى الحريري وكان من أوعية العلم حدث عنه أبو القاسم الطبراني وأبو بكر الإسماعيلي وصفه المسند وله تاريخ صغير قال عنه الدارقطني: ثقة جليل ولد سنة ٢٠٢ هـ ومات سنة ٢٩٧ هـ (تذكرة الحفاظ ٦٦٢/٢).

(١٥) الحافظ الكبير أبو زكريا ابن الثقة أبي يحيى الحماني الكوفي صاحب المسند، قال أبو حاتم سألت يحيى بن معين عن يحيى=

حدثنا أبو بريدة الكندي^(١) عن علقمة بن مرثد عن ابن سابط^(٢)، عن أبي^(٣) قال:

قال رسول الله ﷺ «من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي، فإنها أعظم المصائب»^(٤).

أخبرنا أبو الحسن بن أبي القاسم العمراني أخبرنا أبو علي بن أبي بكر الفقيه أخبرنا أبو عبد الله محمد بن

اسماعيل الفارسي^(٥) حدثنا أبو محمد عبد الله بن الحسين بن جابر المصيصي^(٦)، حدثنا محمد بن يزيد بن سنان^(٧)

حدثنا ياسين بن معاذ^(٨) عن محارث بن دثار^(٩)، عن أبي صالح عن ثوبان^(١٠) قال:

قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب عبداً مصيبة إلا بإحدى خلتين^(١١)، إما بذنب لم يكن الله ليغفر إلا بتلك

المصيبة، أو بدرجة لم يكن الله ليلغها إياها إلا بتلك المصيبة»^(١٢).

= الحماني فقال: ما له وأجل القول فيه وقال كان يسرد مسنده أربعة آلاف سرداً وأول من صنف بالبصرة - توفي سنة ٢٢٨ هـ. (تذكرة الحفاظ ٤٢٣/٢).

(١) أبو بريدة الكندي: يزيد بن عبد الله بن خصيفة المدني الكندي سمع السائب بن يزيد ويزيد بن قسيط وبسر بن سعيد وعروة بن الزبير روى له البخاري ومسلم (الجمع ٥٧٥/٢).

(٢) عبد الرحمن بن سابط بن عمر الجمحي قال ابن سعد وابن معين: ثقة زاد ابن سعد كثير الحديث توفي سنة ١١٨ هـ. (تهذيب التهذيب ١٨٠/٦ - ١٨١).

(٣) سابط بن أبي حميصة بن عمرو بن وهب بن خزاعة بن جمح القرشي الجمحي أبو عبد الرحمن الصحابي الجليل روى عن النبي ﷺ وعنه ابنه عبد الرحمن قال: «قال رسول الله ﷺ من أصيب بمصيبته...» الحديث (المعجم الكبير للطبراني ١٩٩/٧، أسد البداية ٣٠٥/٢).

(٤) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب الجنائز - باب في الصبر والتسلي بموت سيدنا رسول الله ﷺ عن سابط «رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو بردة عمرو بن يزيد وثقه ابن حبان وضعفه غيره» ٢/٣. ورواه الطبراني في الكبير - عن سابط الجمحي ١٩٩/٧.

والجامع الصغير ٢٠/١ عن سابط ورمز له بالضعيف، وفي كشف الخفاء ٨٢/١.

(٥) محمد بن إسماعيل بن إسحاق بن بحر أبو عبد الله الفارسي الفقيه الشافعي كان ثقة ثيباً فاضلاً سمع أبا زرعة الدمشقي وغيره ورواه الدارقطني وغيره وآخر من حدث عنه أبو عمر بن مهدي توفي سنة ٣٣٥ هـ. (البداية والنهاية ٢١٩/١١).

(٦) في (٥): بن الحسن بن عباس، وهو: عبد الله بن الحسين بن جابر المصيصي البغدادي الأصل روى عن محمد بن المبارك الصوري وجماعة قال ابن حبان: يسرق الأخبار ويقلبها لا يحتج بما انفرد به مات بعد الثمانين ومائتين. (الميزان ٤٠٨/٢، سير الأعلام ٣٠٨/١٣).

(٧) محمد بن يزيد بن سنان الراوي عن أبيه قال الدارقطني ضعيف قلت روى عن جده سنان بن يزيد وابن أبي ذئب وعنه أبو فروة بن محمد وأبو حاتم وجماعة وقال النسائي ليس بالقوي وقال أبو حاتم كان رجلاً صالحاً مات سنة ٢٢٠ هـ. (الميزان ٦٩/٤).

(٨) ياسين بن معاذ الزيات عن الزهري وحماد بن أبي سليمان وعنه مروان بن معاوية وعبد الرزاق كان من كبار فقهاء الكوفة وفقهياً يكنى أبا خلف قال ابن معين: ليس حديثه بشيء وقال البخاري منكر الحديث وقال النسائي متروك وقال ابن حبان يروي الموضوعات مات سنة ١٦١ هـ. (الميزان ٣٥٨/٤ - ٣٥٩ - والموضوعات ٨٥/٣).

(٩) محارب بن دثار من ثقات التابعين وأخبارهم وعلمائهم ولي قضاء الكوفة وحدث عن ابن عمر وجابر وشعبة ومسهرة وعدة وثقه غير واحد وأثنى عليه الثوري وقال ابن سعد لا يحتجون به مات سنة ١١٦ هـ. (الميزان ٤٤١/٣).

(١٠) ثوبان بن جدد القرشي الهاشمي مولى رسول الله ﷺ كنيته أبو عبد الله أصله من اليمن أصابه سباً فمن عليه رسول الله ﷺ وله صحبة توفي سنة ٥٤ هـ.

(كتاب الجمع ٦٨/١).

(١١) الخلة: الخصلة (حاشية أ) واللسان / خلل).

(١٢) الحديث: انظر الجامع الكبير ٦٩٢/١ وفيه «رواه أبو نعيم عن ثوبان». وكذا في كنز العمال ٣٣٩/٣ عن ثوبان.

وقال سعيد بن جبير^(١): لقد أعطيت هذه الآية عند المصيبة ما لم يعطه الأنبياء قبلهم^(٢) ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾، ولو أعطيه الأنبياء لأعطيه يعقوب، إذ يقول: ﴿يا أسفى على يوسف﴾^(٣).

أخبرنا سعيد بن محمد العدل، أخبرنا أبو علي بن أبي موسى أخبرنا جعفر بن محمد بن^(٤) المغلس، حدثنا أبو سعيد الأشج^(٥)، حدثني عقبه بن خالد^(٦) حدثنا سعد بن سعيد^(٧) حدثنا عمر بن كثير بن أفلح^(٨) عن سفينة^(٩)، عن أم سلمة^(١٠) قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من قال عند مصيبتيه ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها أجره الله^(١١) وأخلف له خيراً منها» قالت أم سلمة: فلما هلك أبو سلمة^(١٢) قلت: من خير لي من أبي سلمة؟ ثم عزم^(١٣) الله لي فقلتها، فأخلفني رسول الله ﷺ. رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة^(١٤) عن سعد بن سعيد^(١٥).

(١) انظر الطبري ٢٢٤/٣ والبحر ٤٥٢/١ والبيهقي ١٢٩/١ والدر ١٥٦/١ كلها عن سعيد بن جبير.

(٢) في (د): وذلك (إنا لله...).

(٣) سورة يوسف / ٨٤.

(٤) جعفر بن محمد بن المغلس أبو القاسم حدث عن أبي سعيد الأشج وغيره قال الدارقطني ثقة توفي سنة ٣١٩ هـ (تاريخ بغداد ٢١١/٧ - ٢١٢).

(٥) أبو سعيد الأشج: عبد الله بن سعيد بن حصين الكندي الكوفي سمع عقبه بن خالد ووكيعاً وحفص بن غياث وأبا نعيم الفضل بن دكين وأبا خالد الأحمر توفي سنة ٢٥٧ هـ. (كتاب الجمع ٢٥٢/١).

(٦) عقبه بن خالد بن مسعود السكوني عن عبيد الله بن عمر قال أحمد: أرجو أنه ثقة وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه قال أبو حاتم والنسائي ليس به بأس روى له البخاري ومسلم (الميزان ٨٥/٣، الجمع ٣٨١/١).

(٧) سعد بن سعيد بن قيس بن فهد الأنصاري المدني أخو يحيى سمع عمر بن كثير بن أفلح وسعيد بن مرجانة والقاسم بن محمد توفي سنة ١٤١ هـ (الجمع ١٦٢/١).

(٨) عمر بن كثير بن أفلح المدني مولى آل أبي أيوب الأنصاري روى عن كعب بن مالك وابن عمر وسنينة وغيرهم قال النسائي ثقة ووثقه ابن المدني والعجلي وابن سعد وابن حبان (تهذيب التهذيب ٤٩٣/٧).

(٩) في المطبوعة ابن سفينة: والمثبت ما في تهذيب التهذيب في ترجمة عمر بن كثير بن أفلح سفينة: أبو عبد الرحمن ويقال أبو البخري مولى أم سلمة كان اسمه مهران فلقبه النبي ﷺ لحمله متاع أصحاب النبي ﷺ فقال له: أنت سفينة واشترطت عليه أم سلمة أن يخدم النبي ﷺ وكان من مولدي العرب وأصله من فارس روى له مسلم والبخاري أسلم في أوائل الهجرة وتوفي سنة ٣٥ هـ (البداية والنهاية ٣١٥/٥ - ٣١٧).

(١٠) سبقت ترجمتها.

(١١) في صحيح مسلم: إلا أجره الله في مصيبتيه.

(١٢) أبو سلمة: عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم زوج أم سلمة وبرة بنت عبد المطلب عمه الرسول ﷺ وكان رضيع رسول الله ﷺ ارتضعا من ثوبه مولاة أبي لهب. وكان إسلام أبي سلمة وأبي عبيدة وعثمان والأرقم بن أبي الأرقم قديماً في يوم واحد توفي سنة ٤ هـ من جرح يوم أحد. (البداية والنهاية ٩٠/٤).

(١٣) عرفت على كذا: إذا أردت فعله ومعنى فقلتها: أي هذا الدعاء (حاشية أ).

(١٤) أبو أسامة: حماد بن أسامة الليثي مولى الحسن بن سعد، مولى الحسن بن علي بن أبي طالب، ويقال مولى زيد بن علي، سمع هشام بن عروة والأعمش وعبيد الله بن عمر والثوري وعنه علي بن المدني وعبيد بن إسماعيل وغير واحد روى له البخاري ومسلم توفي سنة ٢٠١ هـ (كتاب الجمع ١٠٣/١ - ١٠٤).

(١٥) الحديث: رواه مسلم - كتاب الجنائز - باب ما يقال عند المصيبة عن أم سلمة (٣٦٦/١).

أخبرنا القاضي أبو بكر الحيري أخبرنا الحسن بن محمد بن إسحاق^(١) حدثنا محمد بن زكريا الغلابي^(٢) حدثنا العباس بن بكار^(٣) حدثنا أبو بكر الهذلي^(٤)، عن الشعبي أن شريحاً^(٥) قال: إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات، أحمد إذ^(٦) لم تكن أعظم منها، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع^(٧) لما أروى فيه من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني^(٨).

قوله «أولئك عليهم صلوات من ربهم»: ذكرنا معنى «الصلوة» فيما تقدم^(٩) والصلوة من الله رحمة ومغفرة وأنشد الأزهري^(١٠):

صلى على يحيى وأشياعه رب كريم وشفيع مطاع

قال: معناه ترحم عليه، وفسر ابن عباس «الصلوات» ها هنا: فقال: مغفرة من ربهم^(١١). وهذا كما يروى أن النبي ﷺ قال:

«اللهم صل على آل أبي أوفى»^(١٢) أي: ارحمهم.

(١) الحسن بن محمد بن إسحاق بن الأزهر أبو محمد الإسفراييني الأزهر بن أخت أبي عوانة الحافظ كان محدث عصره أحسن الناس سماعاً وأصولاً بفائدة خاله فإنه رحل به إلى الري وبغداد والبصرة وسمع منه الحاكم أبو عبد الله وكتب عنه توفي سنة ٣٤٦ هـ (شذرات ٣٧٢/٢ هـ والأنساب ٢٠٥/١ - ٢٠٦).

(٢) محمد بن زكريا الغلابي - بعين معجمة مفتوحة وتخفيف اللام - البصري الإخباري، أبو جعفر عن عبد الله بن رجاء الغداني وأبي الوليد والطبقة وعنه أبو القاسم الطبراني وطائفة هو ضعيف وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يعتبر بحديثه إذا روى عن ثقة وقال الدارقطني يضع الحديث توفي سنة ٢٩٨ هـ. (الأعلام ٣٦٤/٦ - الميزان ٥٥٠/٣).

(٣) العباس بن بكار الضبي بصري عن خاله أبي بكر الهذلي قال الدارقطني: كذاب وقال العقيلي: الغالب على أحاديثه الوهم والمنابر (١٢٩ - ٢٢٢ هـ).

(الميزان ٣٨٢/٢، تاريخ التراث ٥٠٢/١).

(٤) أبو بكر الهذلي: سلمى بن عبد الله البصري إخباري علامة لين الحديث يروي عن السدي وعكرمة وجماعة وعنه ابن المبارك ومسلم بن إبراهيم وجماعة ضعفه أحمد وغيره وقال غندر وابن معين: لم يكن بثقة، وقال أبو حاتم: لين يكتب حديثه. (الميزان ٤٩٧/٤).

(٥) شريح القاضي الفقيه أبو أمية بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي قاضي الكوفة أسلم في حياة النبي ﷺ وانتقل من اليمن زمن الصديق حدث عن عمر وعلي وغيرهما وعنه الشعبي وغيره وهو ثقة وثقه يحيى توفي سنة ٧٨ هـ عن ١١٨ سنة. (سير الأعلام ١٠٠/٤ - ١٠٦).

(٦) في (ح): «إذا» في كل المواضع.

(٧) في (د): الاسترجاع.

(٨) انظر سير أعلام النبلاء ١٠٥/٤، والدر ٦٧/١ كلاهما عن شريح.

(٩) سبق تفسير معنى الصلاة عند تفسير الآية رقم ٣ من سورة البقرة (ويقيمون الصلاة).

(١٠) البيت لبكير بن معدان انظر الزاهر ١٣٨/١ والخزانة ١٩٠/١ بلفظ «رب رحيم». واللسان / صل والزجاج ٢١٥/١ قيل لرجل من قريش يرثي يحيى بن ميسرة صاحب مصعب بن الزبير وقيل للسفاح بن بكير اليربوعي يرثي يحيى بن شداد من يربوع وانظر البيت في كتاب الاختيارين للأخفش الأصغر ص ٣٩٥ منسوب للسفاح بن بكير. أول القصيدة - المفضلية - رقم ٦٢ بلفظ «رب غفور».

(١١) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٢ والخازن ١٢٩/١ عن ابن عباس.

(١٢) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب الزكاة - باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة - ٢٦١/١ وفي كتاب المغازي - باب الحديبية - عن عبد الله بن أبي أوفى ٤٤/٣.

قال ابن كيسان^(١): وجمع الصلوات: لأنه عنى بها رحمة بعد رحمة، وذكر الرحمة بعد الصلوات لإشباع المعنى^(٢) والاتساع في اللفظ ومثله قوله تعالى: ﴿سرههم ونجواهم﴾^(٣) وقال ذو الرمة^(٤):

لمياء في شفتيها حوة لعس وفي اللثات^(٥) وفي أنيابها شنب
فكرر لما اختلف اللفظ.

وقوله ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ قال ابن عباس^(٦): يريد: الذين اهتدوا للترجيح وقيل: إلى الجنة والثواب^(٧).

أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الخشاب، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الأصفهاني أخبرنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا قتيبة^(٨)، حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن سعيد بن المسيب، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال:

نعم العدلان ونعم العلاوة ﴿وأولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾: نعم العدلان، ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ نعم العلاوة^(٩).

﴿إِنَّ الصَّافِيَ وَالْمُرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(١٥٨)

قوله^(١٠) ﴿إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله﴾: هما جبلان معروفان بمكة^(١١) و«شعائر الله» متعبداته التي

(١) انظر غرائب النيسابوري ٦١/٢ والخازن ١٢٩/١.

(٢) أي: لإتمام المعنى، وللإيدان بأن الرحمة غير منقطعة (حاشية أ).

(٣) سورة التوبة ٧٨/ والزخرف ٨٠.

(٤) ذو الرمة - يضم الراء - غيلان بن عقبة بن بهيس بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر أبو الحارث أحد فحول الشعراء وله ديوان مشهور وكان يتغزل في بنت مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري وكانت جميلة وكان هو دميم الخلق أسود اللون توفي سنة ١١٧ هـ (البداية والنهاية ٣٥٩/٩).

انظر البيت في ديوانه ٣٢/١ وغريب الحديث ٥/٤ واللسان/لعس، حوا، والكامل للمبرد ١٦٠/٢ والبحر ٢٤٠/٢ (والبيت من بحر البسيط).

و«اللمى» سمرة في الشفتين وكذلك «الحوة» شبيهة باللمى تضرب إلى السواد وكذلك «اللعمس» يكون بالشفتين والشنب: رقة الأسنان وحادثة مع كثرة الماء.

(٥) اللثات: جمع لثة (حاشية أ) وفي (أ) اللثة وفي (د) اللهاة.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٢ والبغوي ١٢٩/١ والخازن ١٢٩/١.

(٧) انظر البحر ٤٥٢/١ والبغوي ١٢٩/١، والخازن ١٢٩/١.

(٨) في (د): قتيبة بن سعيد.

(٩) انظر فتح الباري ١٣٣/٢ - ١٣٤ وكنز العمال ٣٣٥/٢ والمستدرک - كتاب التفسير - ٢٧٠/٢ والدر ١٥٦/١ وابن كثير ١٩٧/١ والبحر ٤٥٢/١ وغرائب النيسابوري ٦٠/٢ والرازي ١٥٥/٤ كلها عن عمر.

(١٠) في غير (أ) قوله تعالى.

(١١) قال ابن عباس: «الصفوان»: الحجر ويقال للحجارة الملس التي لا تنبت شيئاً والواحدة: صفوانة بمعنى الصفا، والصفنا: للجمع.

فتح الباري ١٤١/٨.

أشعرها الله، أي: جعلها معلوماً لنا وهي كل ما كان من موقف أو مسعى أو منحرف^(١)،^(٢) ﴿فمن حج البيت﴾ أصل الحج في اللغة: زيادة شيء تعظمه قال الزجاج^(٣): أهل الحج: القصد، وكل من قصد شيئاً فقد حجه.

وقوله ﴿أو اعتمر﴾ قال الزجاج^(٤): أي: قصد، وقال غيره^(٥): زاره ﴿فلا جناح عليه﴾ أي: لا إثم عليه ولا حرج ولا ذنب ﴿أن يطوف بهما﴾^(٦).

أخبرنا منصور بن عبد الوهاب البزار، أخبرنا محمد بن أحمد بن سنان، أخبرنا حامد بن محمد بن شعيب^(٧)، حدثنا محمد بن بكار^(٨)، حدثنا إسماعيل بن زكريا^(٩) عن عاصم^(١٠) عن أنس بن مالك. قال:

كانوا يسكنون عن الطواف بين الصفا والمروة، وكانا من شعائر الجاهلية وكنا نتقي الطواف بهما فأنزل الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾^(١١)... الآية

رواه البخاري عن أحمد بن محمد^(١٢)، عن عبد الله، عن عاصم^(١٣).

أخبرني سعيد بن العباس القرشي، أخبرنا العباس بن المفضل النضروي أخبرنا أحمد بن نجدة حدثنا سعيد بن منصور حدثنا هشيم عن داود^(١٤) عن الشعبي، قال:

كان لأهل الجاهلية صنمان يقال لأحدهما: يساف^(١٥) وللآخر: نائلة، وكان يساف على الصفا، وكان نائلة على

= والمروة: حجارة بيض براقه هامش الطبري ٢٢٥/٣.

(١) انظر مجاز القرآن ٦٢/١ واللسان / شعر.

(٢) في (د): قوله.

(٣) انظر الزجاج ٢١٧/١.

(٤) انظر الزجاج ٢١٧/١ والزاهر ١٩٦/١.

(٨) محمد بن بكار بن الريان الهاشمي مولاهم أبو عبد الله البغدادي الرصافي روى عن إسماعيل بن جعفر وابن المبارك وإسماعيل بن زكريا وغيرهم قال عبد الله بن أحمد: كان أبي لا يرى به بأساً وقال الدارقطني ثقة توفي سنة ٢٣٨ هـ. (تهذيب التهذيب ٧٥/٩ - ٧٦).

(٩) إسماعيل بن زكريا الخلقاني الكوفي ببغداد روى عن العلاء بن عبد الرحمن وطبقته قال الذهبي - في المغني - صدوق شيعي قال أحمد: مقارب الحديث وقال ابن معين ضعيف، وقال أيضاً: ثقة توفي سنة ١٧٣ هـ عن ٦٥ سنة. (شذرات الذهب ٢٨٢/١).

(١٠) عاصم بن سليمان الأحول أبو عبد الرحمن البصري - مولى بني تميم - وقيل مولى عثمان بن عفان - سمع أنس بن مالك وأبا عثمان النهدي وغير واحد، وعنه حماد بن زيد وابن المبارك وعبد الواحد بن زياد وغيرهم توفي سنة ١٤١ هـ. (كتاب الجمع ٣٨٣/١).

(١١) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(١٢) هو الأزرقى عن ابن المبارك عن عاصم الأحول وابن المبارك سبق.

(١٣) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب الحج - باب ما جاء في السعي بين الصفا والمروة عن أنس. ٢٨٦/١.

وفي كتاب التفسير - (أن الصفا والمروة...) عن أنس. ١٠١/٣ - ١٠٢.

وانظر الزجاج ٢١٧/١ والثوري ص ٥٣ ومجاهد ص ٩٢ والتبيان ١٣٠/١ وغريب القرآن ص ٦٦ والدر ١٥٩/١ وأحكام القرآن لابن العربي ٤٦/١ عن عاصم عن أنس.

(١٤) سبق وهو داود بن أبي هند.

(١٥) في أسباب النزول للواحدى «أساف» ص ٣١ وكذا في تفسير الطبري ٢٣١/٣ وابن كثير ١٩٩/١ والبحر ٤٥٦/١.

(١٦) في (د): وكانت نائلة.

المروة، وكانوا^(١) إذ طافوا بين الصفا والمروة مسحوهما فلما جاء الإسلام، قالوا: إنما كان أهل الجاهلية يطوفون بينهما لمكان هذين الصنمين وليسا^(٢) من شعائر الحج فأنزل الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾^(٣)، فجعلهما الله من شعائر الحج^(٤).

والآية بظاهرها تدل^(٥) على: إباحة ما كرهوه، ولكن السنة أوجبت الطواف بينهما والسعي وهو قوله ﷺ: «يا أيها الناس كتب عليكم السعي فاسعوا»^(٦).

وهو مذهب الشافعي رحمه الله^(٧).

وقوله ﴿ومن تطوع خيراً﴾ قال الحسن^(٨): يعني به الدين كله^(٩) والمعنى: فعل غير المفترض عليه من طواف وصلاة وزكاة ونوع من الطاعة.

وقرأ حمزة (ومن يطوع) بالياء وجزم العين^(١٠)، وتقديره: يتطوع إلا أن التاء أدمت^(١١) في الطاء لمقاربتها^(١٢)، وهذا حسن لأن المعنى على الاستقبال والشرط والجزاء الأحسن فيهما الاستقبال، وإن كان يجوز أن تقول: من أتاك أعطيته، فتوقع الماضي موضع المستقبل في الجزاء، إلا أن اللفظ: إذا كان وفق المعنى كان أحسن^(١٣).

وقوله ﴿فإن الله شاكراً﴾ أي: مجاز له بعمله، ومعنى «الشاكراً في وصف الله»، المجازي على الطاعة بالثواب ﴿عليم﴾ بنية المتطوع.

(١) في (هـ): فكانوا.

(٢) في (ح): وليسا.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٤) انظر الزجاج ٢١٧/١ والتسهيل ص ٦٥ والطبري ٢٣١/٣ وعن الشعبي والبحر ٤٥٦/١ عنه وابن كثير ١٩٩/١ عنه والدر ١٦٠/١ عنه.

(٥) في (د): تدل بظاهرها.

(٦) الحديث رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس ١١١/١٨٤.

ومسند أحمد ٤٢١/٦، ٤٢٢ عن حبيبة بنت أبي تجرزة بلفظ «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي» ولفظ «اسعوا إن الله كتب عليكم السعي».

والدارقطني - كتاب الحج - عن برة بنت أبي تجرزة واسمها حبيبة رقم ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٢٥٥/٢ - ٢٥٦.

ومجمع الزوائد - كتاب الحج - باب ما جاء في السعي - عن حبيبة، وصفية بنت شيبة. ٢٤٧/٣.

والمستدرک - كتاب معرفة الصحابة - عن حبيبة قال الذهبي: لم يصح ٧٠/٤.

وعلى الحديث للرازي ٢٦٩/١ «سألت أبي عن حديث رواه سعيد بن سليمان عن عبد الله بن المؤمل عن عطاء عن صفية بنت شيبة عن

حبيبة بنت أبي تجرزة عن النبي ﷺ في السعي بين الصفا والمروة قال أبي «رواه غير سعيد عن عبد الله بن المؤمل...».

والجامع الصغير ٧١/١ «رواه الطبراني عن ابن عباس ورمز له بالضعيف».

(٧) في (هـ): رضي الله عنه.

(٨) انظر البحر ٤٥٨/١، والبغوي ١٣٢/١ وابن كثير ٢٠٠/١ كلها عن الحسن.

(٩) ساقطة من (د).

(١٠) قرأ حمزة والكسائي (يطوِّع) بالياء وجزم العين. انظر الحجة لأبي زرعة ١١٨ والسبعة ١٧٢ والنشر ٢٢٣/٢ والتبيان ١٣٠/١ والزجاج

٢١٨/١ والمشكل ١١٥/١ والفراء ٩٥/١ والحجة لابن خالويه ص ٩٠.

(١١) في (د): وفق الجزاء أحسن.

(١٢) في (د): لتقاربها.

(١٣) في (هـ): أدمم.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾

وقوله (١) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ.. الآية، نزلت (٢) في علماء اليهود (٣) . وأراد بـ (البيّنات) الرجم والحدود والاحكام وبـ (الهدى) أمر محمد ﷺ ونعته (٤) ﴿من بعد ما بيناه للناس﴾ لبني إسرائيل ﴿في الكتاب﴾ في التوراة ﴿أولئك﴾ يعني: الذين يكتُمون ﴿يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾، قال ابن عباس: (٥) كل شيء إلا الجن والإنس. وقال قتادة (٦): هم الملائكة والمؤمنون وقال عطاء (٧): الجن والإنس، وقال ابن مسعود (٨): ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين كتموا أمر محمد ﷺ وصفته.

قوله ﴿إلا الذين تابوا﴾ أي (٩) من الكتمان ﴿وأصلحوا﴾ السريرة بإظهار أمر محمد ﷺ ﴿وبينوا﴾ نعتهم ﴿فأولئك أتوب﴾ أعود ﴿عليهم﴾ بالرحمة (١٠).

وقوله ﴿إن الذين كفروا وماتوا﴾ (١١) . . . إلى قوله ﴿والناس أجمعين﴾: قال قتادة والربيع (١٢): أراد بالناس أجمعين: المؤمنين، وقال السدي: (١٣) لا يتلاعن اثنان مؤمنان ولا كافران فيقول أحدهما: لعن الله الظالم، إلا رجعت تلك اللعنة على الكافر لأنه ظالم، فكل واحد من الخلق يلعنه (١٤).

(١) في (ح): وقوله، وفي (د): قوله تعالى .

(٢) في (د): أنزلت .

(٣) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٢ والزجاج ٢١٨/١ والطبري ٢٤٩/٣ والدر ١٦٢/١ عن مجاهد وقاتدة والسدي وابن كثير ٢٠٠/١ عن أبي العالية وغرائب النيسابوري ٦٧/٢ عن ابن عباس وأسباب النزول للواحي ص ٣١ وأسباب النزول للسيوطي ص ٢٧ .

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٢٢ والدر ١٦١/١ عن ابن عباس .

(٥) انظر تفسير ابن عباس ٢٢ والثوري ٥٣ - ٥٤ والفراء ٩٥/١ عن ابن عباس والزاهر ٤٩٤/١ عنه .

(٦) انظر الطبري ٢٥٦/٣ والدر ١٦٢/١ كلاهما عن قتادة وابن كثير ٢٠٠/١ عن قتادة وأبي العالية والربيع .

(٧) انظر البغوي ١٣٣/١ وابن كثير ٢٠٠/١ والدر ١٦٢/١ عن عطاء بن أبي رباح .

(٨) انظر غريب القرآن ص ٦٧ والزاهر ٤٩٤/١ والفراء ٩٥/١ - ٩٦ والدر ١٦٢/١ وغرائب النيسابوري ٧١/٢ كلها عن ابن عباس .

وانظر جميع الآراء عند الزجاج ٢١٨/١ - ٢١٩ والقرطبي ١٨٧/٢ والبحر ٤٥٨ - ٤٥٩ .

(٩) في (د): من الكتمان، وفي (هـ): أي من بعد الكتمان .

(١٠) في (د): والمطبوعة (فأولئك أتوب عليهم) أعده عليهم بالرحمة .

(١١) ساقطة من المطبوعة . وباقى النص: (.. وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة ..) .

(١٢) انظر الطبري ٢٦٢/٣ عن قتادة والربيع والبحر ٤٦٢/١ عن ابن مسعود وقاتدة والربيع والدر ١٦٣/١ عن قتادة .

(١٣) انظر الطبري ٢٦٢/٣ والدر ١٦٣/١ كلاهما عن السدي .

(١٤) قال الزجاج: «فإن قال قائل: كيف يلعنه الناس أجمعون وأهل دينه لا يلعنونه؟ قيل له: إنهم يلعنونه في الآخرة، كما قال الله عز وجل

﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً﴾ . (الزجاج ٢١٩/١) .

﴿خالسدين فيها﴾^(١): باقین في تلك اللعنة دائمين ﴿لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ قال ابن عباس^(٢): لا يمهلون للرجعة ولا للتوبة ولا للمعذرة^(٣).

وَاللَّهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ السَّمَاءِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

وقوله^(٤) ﴿واللهكم إله واحد﴾ قال ابن عباس في رواية الكلبي^(٥): قالت كفار قريش: يا محمد صف وانسب لنا ربك، فأنزل الله سورة الإخلاص وهذه الآية.

وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس^(٦): كان للمشركين ثلاثماية وستون صنما يعبدونها من دون الله فبين الله سبحانه^(٧) أنه إله واحد فأنزل^(٨) هذه الآية.

قال الأزهري^(٩): «الواحد في صفة الله تعالى» له معنيان، أحدهما: أنه واحد لا نظير له، وليس كمثل شيء، والعرب تقول: فلان واحد قومه، وواحد الناس إذا لم يكن له نظير. والمعنى الثاني: أنه إله واحد ورب واحد ليس له في الآلهة والربوبية^(١٠) شريك، لأن المشركين أشركوا معه آلهة، فكذبهم الله تعالى^(١١) فقال ﴿واللهكم إله واحد﴾. قال أصحابنا: ^(١٢) حقيقة «الواحد في وصف الباري سبحانه» أنه واحد لا قسيم له في ذاته، ولا بعض له في وجوده، بخلاف الجملة التي يطلق عليها لفظ الواحد مجازاً كقولهم: دار واحدة وشخص واحد.

وعبر بعض أصحابنا عن «التوحيد» فقال: هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد في أفعاله، لا شريك له يشاركه في إثبات المصنوعات، وواحد في ذاته^(١٣)، لا قسيم له، وواحد في صفاته لا يشبه الخلق فيها.

(١) في (د): أي باقين.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٢ والدر ١٦٣/١ وفتح القدير ٦٣/١ والطبري ٢٦٤/٣ عن أبي العالية والبغوي ١٣٤/١ عن أبي العالية.

(٣) في (ح): للتوبة ولا للرجعة ولا للمعذرة وفي (د) إلى الرجعة.

(٤) في (ح): قوله، وفي (د): قوله تعالى.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٢ والبحر ٤٦٢/١ عن ابن عباس.

(٦) انظر غرائب النيسابوري ٨١/٢ عن عطاء والبحر ٤٦٢/١ عن ابن عباس والوجيز للواحد ص ٤٢/١.

(٧) في (د): الله تعالى.

(٨) فأنزل الله.

(٩) انظر الطبري ٢٦٥/٣ - ٢٦٦ وغرائب النيسابوري ٧٧/٢ والبحر ٤٦٢/١ والخازن ١٣٤/١.

(١٠) في (ج، د، هـ): الاهيته وربوبيته.

(١١) في (ج، هـ) الله عز وجل.

(١٢) ذكره الرازي ١٧٢/٤ وانظر غرائب النيسابوري ٧٥/٢ - ٧٦ - ٧٩ والخازن ١٣٤/١.

(١٣) في (د): أفعاله.

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر حدثنا^(١) إبراهيم بن علي حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا يحيى بن زكريا عن عبيد الله بن أبي زياد^(٢)، حدثنا شهر بن حوشب^(٣) عن أسماء بنت يزيد^(٤) عن النبي ﷺ قال:

في هاتين الآيتين اسم الله الأعظم ﴿واللهكم آله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ و «الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم»^(٥) (٦).

قوله^(٧) ﴿إن في خلق السموات والأرض...﴾ الآية^(٨) قال المفسرون^(٩): لمانزل^(١٠) قوله تعالى: ﴿واللهكم إله واحد﴾ قالت كفار قريش: كيف يسمع الناس إله واحد؟ وتعجبوا وقالوا: إن محمداً يقول: ﴿واللهكم إله واحد﴾ فليأتنا بآية إن كان من الصادقين، فأنزل الله^(١١) هذه الآية، وعلمهم^(١٢) كيفية الاستدلال على الصانع وعلل توحيد، وردد لهم إلى التفكير في آياته، والنظر في مصنوعاته.

وقوله ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ يزيد: تعاقبهما في الذهاب والمجيء، ومنه يقال: فلان يختلف إلى فلان، إذا كان يذهب إليه ويجيء من عنده، فذهابه يخلف^(١٣) مجيئه، ومجيئه يخلف^(١٤) ذهابه، أي يأتي أحدهما خلاف الآخر، أي بعده.

وكل شيء يجيء بعد شيء فهو خلفه^(١٥)، وبهذا فسر قوله تعالى: ﴿جعل الليل والنهار خلفاً﴾^(١٥) قال الفراء^(١٦): يذهب هذا ويجيء هذا.

(١) في (د): أخبرنا.

(٢) عبيد الله بن أبي زياد القداح أبو الحصين المكي عن أبي الطفيل والقاسم بن محمد قال يحيى بن القطان كان وسطاً فلم يكن يذكر وقال ابن معين ضعيف وقال أحمد: صالح الحديث وقال النسائي ليس بالقوي وقال مرة ليس به بأس قال الترمذي عقب حديثه عن شهر عن أسماء «اسم الله الأعظم» هذا حديث صحيح توفي سنة ١٥٠ هـ (تهذيب التهذيب ١٤/٧ - ١٥ والميزان ٨/٣).

(٣) شهر بن حوشب الأشعري عن أم سلمة وأبي هريرة وجماعة وعنه قتادة وداود بن أبي هند قال أحمد: روى عن أسماء بنت يزيد أحاديث حسناً ووثقه ابن معين وقال النسائي وابن عدي ليس بالقوي توفي سنة ١١١ هـ (الميزان ٣/٢٨٣ - ٢٨٥).

(٤) أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصارية الأشهلية أم سلمة - ويقال أم عامر - روت عن النبي ﷺ وعنها شهر بن حوشب وغيره، بايعت النبي ﷺ وشهدت اليرموك (تهذيب التهذيب ١٢/٣٩٩).

(٥) سورة آل عمران ١/٢.

(٦) الحديث: رواه الترمذي - كتاب الدعوات - باب ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ، رقم ٣٥٤٣ عن أسماء وقال حديث حسن صحيح. ١٧٩/٥. ومصنف ابن أبي شيبة ٢٧٢/١٠، ومسند أحمد ٤٦١/٦.

وأبو داود - كتاب الصلاة - باب الدعاء، رقم ١٤٩٦، ٨٠/٢.

والجامع الصغير ٤١/١ ورمز له بالصحيح كلهم عن أسماء.

(٧) في (د): قوله تعالى.

(٨) ساقطة من (أ).

(٩) انظر الطبري ٣/٢٦٩ وغرائب النيسابوري ٨١/٢ عن عطاء والبحر ١/٤٦٤ والدر ١/١٦٣ - ١٦٤ عن أبي الضحى وعطاء وكذا فتح القدير ١/١٦٤ وأسباب النزول للواحدي ص ٣٢ وللسيوطي ص ٢٧ - ٢٨.

(١٠) في (ح): نزلت.

(١٤) في (د): يخلفه.

(١١) في (ج، د): فأنزل الله تعالى.

(١٥) سورة الفرقان / ٦٢.

(١٢) في (د): وأعلمهم.

(١٦) انظر الفراء ٢/٢٧١ وابن كثير ١/٢٠١.

(١٣) في (د): يخالف.

وقوله ﴿والفلك التي تجري في البحر﴾ «الفلك»: يكون واحداً وجمعاً ومذكراً ومؤنثاً، قال الله تعالى: ﴿في الفلك المشحون﴾^(١) فإذا أريد به الواحد ذكره وإذا أريد به^(٢) الجمع أنث كالتي في هذه الآية^(٣).

والآية في الفلك: تسخير الله إياها حتى يجريها^(٤) على وجه الماء، كما قال: ﴿وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره﴾^(٥) ووقفها فوق الماء مع^(٦) ثقلها وكثرة وزنها.

قوله^(٧) ﴿بما ينفع الناس﴾ أي بالذي ينفعهم^(٨) من ركوبها والحمل فيها للتجارات^(٩) فهي تنفع الحامل لأنه يريح، والمحمول إليه لأنه ينتفع^(١٠) بما حمل إليه.

وقوله ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء﴾ يعني: المطر، قال وهب^(١١): ثلاثة ما أظن يعلمهن إلا الله عز وجل^(١٢)، الرعد والبرق والغيم، ما أدري من أين هي وما هي؟ فقيل له: إن الله أنزل من الماء ماء، قال: نعم، ولا أدري أمطر^(١٣) من السماء على السحاب، أم خلق في السحاب^(١٤)؟

قوله^(١٥) ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ أراد بموت الأرض: جدوبتها وبيوستها فسمائها^(١٦) موتاً مجازاً، وذلك أن الأرض إذا لم يصبها مطر لم تنبت ولم تتم نباتا^(١٧) فكانت من هذا الوجه كالميت، وإذا أصابها المطر أنبتت.

قوله^(١٨) ﴿وبث فيها من كل دابة﴾ «البث»: النشر والتفريق^(١٩) ومنه قوله تعالى: ﴿وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾^(٢٠) وقوله ﴿كالفراش المبثوث﴾^(٢١).

قال ابن عباس^(٢٢): يريد كل ما دب^(٢٣) على الأرض من جميع الخلق، من الناس وغيرهم قوله ﴿وتصريف الرياح﴾: تقليبها^(٢٤) قبولا ودبوراً، وشمالاً وجنوباً، وتصريفها مرة بالرحمة ومرة بالعذاب، ومرة حارة ومرة باردة، ولينة وعاصفة.

قال قتادة^(٢٥): قادر والله ربنا إن شاء جعلها رحمة لواقع للسحاب^(٢٦) ونُشرا بين يدي رحمته، وإن شاء جعلها عذاباً ريحاً عقيماً لا تفتح شيئاً إنما هي عذاب على من أرسلت إليه.

(١) سورة يس / ٤١ وانظر قوله: ﴿إلى الفلك المشحون﴾ سورة الصافات / ١٤٠.

(٢) في (د): أراد وفي (هـ) وإذا أريد.

(٣) انظر معنى «الفلك» في غريب القرآن ٢٦٧ والبيان ١٣٣/١ ومجاز القرآن ٦٢/١، والبحر ٤٥٥/١.

(٤) في (هـ): تجري.

(٥) سورة إبراهيم / ٣٢.

(٦) في (د): الماء ثقلها.

(٧) في غير (أ) وقوله.

(٨) في (د): ينفع الناس، وفي (هـ): ينفعهم الناس.

(٩) في (د): التجارات.

(١٠) في (د): لا ينتفع.

(١١) في غير (أ) وقوله.

(١٢) سورة النساء / ١.

(١٣) انظر الخازن ١٣٥/١ عن ابن عباس والطبري ٧٥/٣ والبحر ٤٥٥/١.

(١٤) انظر الطبري ٣/٢٧٥ والدر ١/١٦٤ وفتح القدير ١/١٦٤ كلها عن قتادة.

(١٥) في (د): كلما.

(١٦) في (د): ثقلها.

(١٧) في (د): الحساب.

وقال عبيد بن عمير^(١): يبعث^(٢) الله المنشرة فتقم الأرض قما، ثم يبعث الله المثيرة فتثير سحابا^(٣) ثم يبعث الله^(٤) المؤلفة فتؤلفه، ثم يبعث الله^(٥) اللوايح فتلقح الشجر.

أخبرنا أبو إبراهيم النصرأبادي^(٦)، أخبرنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر الجوهري^(٧)، حدثنا عبد الله بن محمود السعدي^(٨) حدثنا موسى بن يحيى^(٩)، حدثنا عبيدة بن حميد حدثني منصور، عن مجاهد قال:

هاجت الريح على عهد ابن عباس، فجعل بعضهم يسب الريح، فقال^(١٠): لا تسبوا الريح، ولكن قولوا: اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا^(١١).

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري حدثنا محمد بن يعقوب أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرني الثقة^(١٢) عن الزهري^(١٣) حدثني ثابت بن قيس^(١٤) أن أبا هريرة قال:

أخذ الناس ريح بطريق مكة - وعمر بن الخطاب حاج - فاشتدت عليهم، فقال عمر لمن حوله: من يحدثنا عن الريح؟ فلم يرجعوا إليه شيئا، قال: فبلغني الذي سأل عنه عمر فاستحشنت راحتي حتى أدركته فقلت: يا أمير المؤمنين أخبرت أنك سألت عن الريح، واني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«الريح من روح الله تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبها، وسلموا^(١٥) الله خيرها واستعيذوا به من شرها»^(١٦).

(١) انظر تفسير البغوي ٦٢/٤ والخازن ٦٢/٤ كلاهما عن عبيد بن عمير.

(٤) من (ح).

(٢) في (د): يبعث.

(٥) ساقطة من (د).

(٣) في غير (أ) السحاب.

(٦) سبق.

(٧) في جميع النسخ ابن محمد وليست في الترجمة وهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن أحمد المروزي الجوهري الحافظ ابن الحافظ من نقاد الحديث بمرور سمع أباه وكان حافظ ومحمد بن الضريس ومحمد البوشنجي وعبد الله بن أحمد بن حنبل وطائفة توفي بعد الستين وثلاثمائة. (تذكرة الحفاظ ٩٢٩/٣).

(٨) في (د) محمد الشعري، وفي المطبوعة محمد، وهو: الحافظ الثقة محدث مرو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمود بن عبد الله السعدي المروزي سمع حبان بن موسى المروزي وعلي حجر ومحمود بن غيلان وعمر بن شعبة وطبقتهم قال الحاكم ثقة مأمون توفي ٣١١ هـ. (تذكرة الحفاظ ٧١٨/٢ - ٧١٩).

(٩) لعله حبان بن موسى المروزي - كما هو مذكور في التذكرة الراوي عنه سابقة عبد الله السعدي - في جميع النسخ موسى بن يحيى وفي (د) والمطبوعة: موسى بن بحر. حبان بن موسى - بكسر الحاء - يكنى أبا محمد بن سوار السلمي المروزي سمع عبد الله بن المبارك وروى عنه البخاري ومسلم وأكثر عن البخاري وهو ثقة توفي سنة ٢٣٣ هـ (تقريب التهذيب ١٤٧/١ والجمع ١١٦/١).

(١٠) في (د) فقال لهم.

(١١) انظر الدر ١٦٥/١. عن مجاهد.

(١٢) هو سفيان بن عيينة سبق.

(١٣) سبق.

(١٤) ثابت بن قيس الزرقى المدني الأنصاري قال النسائي ثقة وذكره ابن حبان في الثقات (تهذيب التهذيب ١٣/٢).

(١٥) في (د): واسلوا.

(١٦) الحديث رواه الحاكم في المستدرک - كتاب الأدب وقال صحيح على شرط الشيخين ٥٨٥/٤ - والترمذي - كتاب القدر - باب ما جاء في النهي عن سب الريح رقم ٢٣٥٣ - ٢٥٥/٣ وقال حسن صحيح.

وأبو داود - كتاب الأدب - باب ما يقال إذا هاجت الريح رقم ٥٠٩٧ - ٣٢٦/٤ ومسند أحمد ٢٦٨/٢ وشرح السنة للبغوي ٣٩١/٤ و٣٩٢ ومصنف عبد الرزاق ٨/١١ وكلهم عن أبي هريرة.

واختلف^(١) القراء في «الرياح» فقرأ بعضهم بالجمع في مواضع، وبالتوحيد في مواضع والأظهر في هذه الآية الجمع، لأن كل واحدة من هذه الرياح مثل الأخرى في دلالتها على الوحدانية بتصريفها وإذا كان كذلك، فالوجه^(٢) الجمع، وأما من وحد: فإنه يريد الجنس، كما قالوا: أهلك الناس الدينار والدرهم.

وإذا أريد بالريح الجنس: كانت قراءة من وحد كقراءة من جمع^(٣).

وقوله ﴿والسحاب المسخر بين السماء والأرض﴾ أي: المذلل المطيع لله عز وجل في الهواء ﴿لايات﴾ أي: في هذه الأضياء التي ذكرها دلالات على توحيد الله وقدرته ﴿لقوم يعقلون﴾.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١١٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١١٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنَّا كَذَلِكَ يَرْبَهُمُ اللَّهُ أَعْمَلْتُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١١٧﴾

قوله ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً﴾: لما ذكر الله تعالى^(٤) الدلالة على وحدانيته أعلم أن قوماً - بعد هذه الدلالة والبيان - يتخذون الأنداد^(٥) مع علمهم أنهم لا يأتون بشيء مما ذكره^(٦).

ومعنى^(٧) تفسير «الأنداد»^(٨)، قال أكثر المفسرين^(٩): يريد بالأنداد: الأصنام المعبودة من دون الله وقوله ﴿يحبونهم كحب الله﴾ أي: يحبون الأصنام كحب المؤمنين الله تعالى^(٤) (١٠).

ومعنى حب المؤمنين الله: حب طاعته والانقياد^(١١) ومره ليس معنى^(١١) يتعلق بذات القديم سبحانه.

وقوله ﴿والذين ءامنوا أشد حبا لله﴾^(١٢) أي: أثبت وأدوم، وذلك: أن المشركين كانوا يعبدون صنما فإذا رأوا شيئاً أحسن منه تركوا ذلك وأقبلوا على عبادة الأحسن.

وقال قتادة^(١٣): إن الكافر: يعرض عن معبوده وقت البلاء، والمؤمن: لا يعرض عن الله^(١٤) في السراء والضراء والشدة والرخاء.

(١) في (د): واختلفت.

(٢) قرأ: حمزة والكسائي (الريح) وقرأ الباقون (الرياح) وحجتهم اختلافها في مجاريها وتصريفها وتغاير مهابها وجنسها. (انظر الحجة لأبي زرعة ١١٨ - ١١٩ والسبعة ١٧٣ والنشر ٢٢٣/٢ والتبيان ١٣٢/١ والحجة لابن خالويه ص ٩١).

و«ياء» الريح مبدلة من الواو من راح يروح والجمع أرواح (التبيان ١٣٤/١).

(٤) من (أ).

(٧) في (د): وقد مضى.

(٥) في (د): من دون الله.

(٨) انظر ذلك عند تفسير الآية ٢٢ من سورة البقرة.

(٦) انظر الزجاج ٢٢١/١ والبحر ٤٦٩/١.

(٩) انظر الزجاج ٢٢١/١ والطبري ٢٧٩/٣ - ٢٨٠ عن مجاهد وقاتدة والربيع وابن زيد وانظر تفسير ابن عباس ص ٢٣ والدر ١٦٦/١ عن

قتادة وعكرمة والبحر ٤٦٩/١.

(١١) في (د): وانقياد... بمعنى.

(١٠) قاله الفراء ٩٧/١.

(١٢) لأن الله تعالى أحبهم أولاً ثم أحبوه، ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم (حاشية (أ)).

(١٤) في (د) عن الله سبحانه.

(١٣) انظر البيهقي عن قتادة ١٣٦/١.

أخبرنا محمد بن أحمد بن جعفر المزكي، أخبرنا أبو علي^(١) بن أحمد الفقيه، أخبرنا الحسين بن محمد بن مصعب، حدثنا يحيى بن حكيم، حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ كلمة، وأنا أقول أخرى، قال: من مات وهو يجعل لله تعالى ندا دخل النار «وأنا أقول: من مات وهو لا يجعل لله نداً دخل الجنة».

رواه البخاري عن عبدان^(٢)، عن أبي حمزة^(٣)، عن الأعمش^(٤).

قوله تعالى^(٥): ﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ يعني: الذين أشركوا بالله ﴿إذ يرون العذاب﴾ يعني: في الآخرة حين^(٦) يعاينون^(٧) جهنم ﴿أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب﴾^(٨)، تقدير الآية: ولو يرون أن القوة لله جميعاً والمعنى ولو يرى الذين ظلموا شدة عذاب الله وقوته، وجواب «لو» محذوف وتقديره: لعلموا مضرة اتخاذ الأنداد وكثير في التنزيل حذف جواب «لو» كقوله تعالى: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال﴾^(٩) ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾^(١٠)، ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت﴾^(١١)، وقرأ نافع^(١٢) وابن عامر ﴿ولو ترى﴾ بالتاء على مخاطبة^(١٣) النبي ﷺ^(١٤).

والمعنى لو تراهم إذ يرون العذاب رأوا أن القوة لله، أي: أنهم شاهدوا من قدرته ما يتيقنوا معه أنه قوي عزيز وأمر ليس على ما كانوا عليه من جحودهم لذلك أو شكهم فيه^(١٥).

والاختيار كسر «إن» مع المخاطبة، لأن الرؤية^(١٦) واقعة على الذين ظلموا فكان وجه الكلام استئناف «إن» وجواب «لو» تقديره ها هنا: ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب لعجبت أو لرأيت أمراً عظيماً، ثم تستأنف ﴿إن القوة﴾^(١٧).

وقرأ ابن عامر (يرون) بضم الياء وحجته قوله ﴿كذلك يريهم الله أعمالهم﴾^(١٨).

(١) وفي (ج): علي، وفي (د): ابن علي سبق.

(٢) عبدان: المحافظ العالم أبو عبد الرحمن: عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد سمع شعبة وأبا حمزة السكري ومالك بن أنس وابن المبارك وعدة وعنه البخاري والذهلي ويعقوب النسوي وغيرهم توفي سنة ٢٢١ هـ. (تذكرة الحفاظ ٤٠١/١).

(٣) أبو حمزة السكري: محمد بن ميمون المروزي سمع عاصماً الأحول والأعمش وعمر بن موهب وقيس بن وهب وعنه عبدان بن عثمان توفي سنة ١٦٨ (الجمع ٤٥٠/٢).

(٤) الحديث رواه البخاري - كتاب التفسير - باب ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً﴾ عن ابن مسعود (١٠٢/٣).

(٥) في (ح، هـ): قوله. (٨) في (هـ): العقاب. (١١) سورة الأنعام / ٩٣.

(٦) ساقطة من (د). (٩) سورة الزعد / ٣١. (١٢) في (د): ابن نافع.

(٧) في (ج، هـ): عاينوا. (١٠) سورة الأنعام / ٢٧. (١٣) في (د): المخاطبة للنبي ﷺ.

(١٤) انظر الحجة لأبي زرعة ١١٩ - ١٢٠ والسبعة ١٧٤ والنشر ٢٢٤/٢ والزجاج ٢٢١/١ - ٢٢٢ والتبيان ١٣٥/١ والمشكل ١٦٦/١ والأخفش ٣٤٥/١ والحجة لابن خالويه ٩١.

(١٥) في (ح): وشكهم فيه.

(١٦) في (هـ): رؤية.

(١٧) انظر الزجاج ٢٢٢/١ والحجة لأبي زرعة ١١٩ - ٢٢٠ وفي النشر «قرأ أبو حفص ويعقوب: بكسر الهمزة على تقدير: لقالوا أو لقللت» ويحتمل أن يكون على الاستئناف على أن جواب «لو» محذوف أي: لرأيت أو لرأوا أمراً عظيماً وقرأ الباقون: بفتح الهمزة على تقدير: لعلموا أو لعلمت ٢٢٤/٢ وانظر الفراء ٩٧/١ - ٩٨ والأخفش ٣٤٦/١.

(١٨) في (د): حسرات عليهم: وانظر الحجة لأبي زرعة ١٢٠ والسبعة ١٧٤ والنشر ٢٢٤/٢. والنص من سورة البقرة ١٦٧.

قوله ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ (١)﴾ العامل في «إِذْ» معنى شديد (٣) من قوله ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (٤)﴾ إِذْ تَبَرَأَ﴾ كأنه قيل وقت تبرؤ: (٥) الذين ابتعدوا يعني المتبوعين في الشرك والشر ﴿مَنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ يعني: السلفه والأتباع ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ عاينوا جهنم.

وقوله (٦) ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابَ﴾ الباء ها هنا بمعنى «عن» كقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلْ (٧) بِهِ خَيْرًا﴾ أي عنه. و «الأسباب» معناها في اللغة: الحبال، ثم يقال لكل شيء وصلت به إلى موضع أو حاجة تريدها: سبب، ويقال للطريق (٨): سبب، لأنه بسلوكة تصل إلى الموضع الذي تريده، قال الله تعالى ﴿فَاتَّبِعْ سَبِيلًا (٩)﴾ أي: طريقاً و ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ (١٠)﴾: أبوابها، لأن الوصول إليها يكون بدخولها والمودة بين القوم تسمى سبباً، لأنهم بها يتواصلون ومنه قول لبيد:

بل ما تذكر من (١١) نوار وقد نأت (١٢) وتقطعت أسبابها ورمامها (١٣) (١٤)

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة (١٥): يعني: أسباب المودة والوصلات التي كانت بينهم في الدنيا تقطعت (١٦) وصارت مخالفتهم عداوة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ وهم الأتباع ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ أي: رجع إلى الدنيا ﴿فَتَبَرَأَ مِنْهُمْ﴾ وهو جواب التمني بالفاء.

قال الكسائي (١٧): تأويله لو أن لنا (١٨) أن نكر فنتبرأ منهم في الدنيا لو رجعنا إليها ﴿كَمَا تَبَرَّأُوا﴾ هم ﴿مَنَا﴾ اليوم؟.

(١) في (د): إذا.

(٢) في (ج، د): الذين اتبعوا.

(٣) «لأن هذه الآية متصلة بما قبلها لأن المعنى: وأن الله شديد حين تبرؤ المتبوعين في الشرك والشر من أتباعهم السفلة عند رؤيته يقولون: لم ندعكم إلى الضلالة وإلى ما كنتم عليه» حاشية (أ).

(٤) في (د): العقاب.

(٥) في (أ، د): تبرأ.

(٦) في (أ، هـ) فسأل، وفي (ج، د): فسأل، وفي المصحف فسئل، والنص من سورة الفرقان ٥٩/.

(٧) في (د): الطريق.

(٨) في (د): الطريق.

(٩) سورة الكهف / ٨٥.

(١٠) سورة غافر / ٣٧.

(١١) البيت في ديوان لبيد ص ١٦٦ من معلقته رقم ٥١ (من بحر الكامل).

ونوار: اسم امرأة نأت بعدت، الأسباب: الحبال، والرمام: الحبال الضعاف التي أخلقت وكادت تنقطع والتقدير: بل ويحك أي شيء

تذكر من نوار؟ وانظر الزاهر ٩/٢، واللسان / سبب.

(١٥) انظر تفسير ابن عباس ٢٣ ومجاهد ص ٩٤ والثوري ٥٤ وغريب القرآن ٦٨، والطبري ٣/٢٨٩ عن مجاهد والمستدرک - كتاب التفسير -

عن ابن عباس وصححه ٢٧٢/٢ والدر ١٦٦/١ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ومجاز القرآن ٦٣/١ وابن كثير ٢٠٣/١ عن ابن عباس ومجاهد.

(١٦) في (د): انقطعت.

(١٧) انظر الطبري ٣/٢٩٤ عن الربيع والبيان ١/١٣٤.

(١٨) في (د): وتأويله لو أن نكر.

وقوله ﴿ كذلك ﴾ أي: كثيرٌ بعضهم من بعض ﴿ يرهبهم الله أعمالهم حسرات عليهم ﴾ في الآخرة قال الربيع يريد أعمالهم القبيحة التي سلفت منهم في الدنيا، حسرات عليهم في الآخرة، لأنهم إذا رأوا حسن مجازاة الله المؤمنين بأعمالهم الحسنة تحسروا على أن لم تكن أعمالهم حسنة فيستحقوا بها من ثواب الله مثل الذي استحقه المؤمنون^(١).

قال ابن كيسان^(٢): يعني بأعمالهم: عبادتهم الأوثان رجاء أن تقربهم إلى الله تعالى^(٣) فلما عذبوا على ما كانوا يرجون^(٤) ثوابه تحسروا وندموا.

قال ابن عباس: نزلت^(٥) الآية في الكفار الذين أخرجوا النبي ﷺ من مكة.

يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح^(٦): نزلت في الذين حرموا على أنفسهم السوائب والوصائل والبحائر^(٧) وقال في رواية عطاء: معنى المؤمنين خاصة.

ومعنى «الحلال» المباح الذي انحلت عقدة الحظر عنه^(٨) يقال: حل الشيء يحل حلالاً وحلالاً. والأصل في «الطيب» هو ما يستلذ به^(٩) ويستطاب^(١٠) ويوصف به: الطاهر والحلال على جهة التشبيه^(١١)، لأن النجس^(١٢) تكرهه النفس فلا يستلذ والحرام أيضاً غير مستلذ، لأن المشرع يزرع عنه.

ولما وصف الحلال بالطيب، وصف الحرام بأنه خبيث، قال الله تعالى: ﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب ﴾^(١٣). وأراد^(١٤) بالحلال الطيب: ما أحل الله أكله مما حرمه المشركون على أنفسهم من الزرع والأنعام وهو قوله عز وجل^(١٥) ﴿ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر... ﴾^(١٥) الآية وقال ابن عباس في رواية عطاء: يريد قد غنمتم^(١٦) ما ألدتكم، وعلى هذا القول عني بالحلال الطيب: الغنيمة

(١) انظر الطبري ٢٩٨/٣ وغرائب النيسابوري ٤/٢ كلاهما عن الربيع والبحر ٤٧٥/١ عن الربيع وابن زيد وفتح القدير ١٦٦/١ عن أبي العالية والقرطبي ٢٠٧/٢.

(٢) انظر البغوي ١٣٧/١ عن ابن كيسان وغرائب النيسابوري ٩٨/٢.

(٣) في (د): رجاء أن تقربهم الله فلما.

(٤) انظر الطبري ٣٠٠/٣، ٣٠٣ - ٣٠٤ والبحر ٤٧٨/١ وغرائب النيسابوري ٢٠٦/٢، عن الكلبي وأسباب النزول للواحدي ص ٣٢ وفتح

القدير ١٦٧/١ والرازي ٢/٥ عن ابن عباس.

(٧) سيأتي الكلام في ذلك عند تفسير الآية ١٠٣ من سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب، وأكثرهم لا يعقلون ﴾.

(٨) انظر البحر ٤٧٧/١ في معنى «الحلال».

(٩) من (أ).

(١٠) انظر الرازي ٣/٥ في معنى «الطيب».

(١١) في (د): الشبه لأن اليحبير.

(١٢) في (د): أعطيتمكم.

(١٣) سورة المائدة / ١٠٠ وفي (د): ولو أعجبك.

وقال الزجاج^(١): الأجدود أن يكون المعنى: من حيث يطيب لكم، أي: لا تأكلوا من الوجه الذي يحرم.

وقوله^(٢) ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ هي جمع «خطوة» وهي: ما بين القدمين^(٣) يقال: خطوت خطوة، مثل حسوت حسوة والحسوة: اسم ما تحسيت وما كان اسماً من هذا القبيل يجمع بتحريك العين نحو: غرفة وغرفات وظلمة وظلمات، وثمرة وثمرات، وما كان نعناً جمع بسكون العين، نحو: ضخمة وضخمات وعبلة وعبلات و«الخطوة» من الأسماء لا من الصفات فتجمع بتحريك العين.

ومن قرأ بتسكين العين: فإنه نوى الضمة واسقطها^(٤) لثقلها وهو يقدر ثباتها^(٥) لأن ذلك إنما يجوز في صورة الشعر^(٥).

ومعنى ﴿ولا^(٦) تتبعوا خطوات الشيطان﴾ لا تتبعوا سبيله ولا تسلكوا ولا تفقوا أثره، ولا تأتموا به، ولا تطيعوه فيما يزين لكم من تحريم حلال، واستحلال^(٧) حرام في الشرع^(٨).

﴿إنه لكم عدو مبين﴾ قد أبان عداوته لكم بإيائه^(٩) السجود لآدم أبيكم وهو^(١٠) الذي أخرجه من الجنة. ثم بين الله تعالى عداوته فقال:

﴿إنما يأمر كـم بالسوء والفحشاء﴾ قال عطاء عن ابن عباس^(١١): «السوء»: عصيان الله و«الفحشاء»: البخل، وقال في رواية بإذان^(١٢): «السوء» من الذنوب: ما لا حد فيه في الدنيا، و«الفحشاء» ما كان فيه حد^(١٣).

وقال السدي^(١٤) أما «السوء» فالمعصية وأما «الفحشاء» فالزنا.

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٢٥/١.

(٢) في (د): قوله.

(٣) انظر غريب القرآن ٦٨ ومجاز القرآن ٦٣/١ والطبري ٣٠١/٣ وأدب الكاتب ص ٢٤٧ عن الفراء والبحر ٤٧٧/١ والتبيان ١٣٩/١ واللسان / خطأ. والرازي ٣/٥ عن الفراء.

(٤) في (د): فأسقطها... إثباتها.

(٥) قرأ نافع وأبو عمرو وحزمة وأبو بكر والبيزي (خطوات) وحجتهم: أنهم استقلوا الضمتين بعدهما واو في كلمة واحدة، وقرأ الباقون بضم الطاء. انظر الحجة لأبي زرعة ١٢٠ - ١٢١ والسبعة ١٧٤ والنشر ٢٢٦/٢ والتبيان ١٣٩/٢ والزجاج ٢٢٥/١، والحجة لابن خالويه ٩٢ - ٩١.

(٦) في (د): لا.

(٧) في (د): أو استحلال.

(٨) انظر غريب القرآن ص ٦٨، ومجاز القرآن ٦٣/١، ٦٥/٢ وابن كثير ٢٠٣/١.

(٩) في (د): في آياته.

(١٠) في (ج) هو، وفي (هـ): فهو.

(١١) انظر البحر ٤٨٠/١ عن عطاء - والوجيز للواحد ٤٣/١.

(١٢) في (ح) باذا، وهو: أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب بن باذان - ويقال باذام روى عن علي وابن عباس ومولاته أم هانئ وعنه الأعمش والسدي وسماك بن حرب وغيرهم قال ابن المديني عن القطان: لم أر أحداً من أصحابنا تركه وقال ابن معين: ليس به بأس (تهذيب التهذيب ٤١٦/١).

(١٣) انظر البغوي ١٣٨/١ والبحر ٤٨٠/١ كلاهما عن ابن عباس وغرائب النيسابوري ١٠٧/٢ وفتح القدير ١٦٧/١.

(١٤) انظر الطبري ٣٠٣/٣ والدر ١٦٧/١ وفتح القدير ١٦٨/١ كلها عن السدي.

وقوله^(١) ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم الحرث والأنعام هذا قول ابن عباس^(٢) في رواية أبي صالح^(٣) وقال في زواية عطاء: يريد المشركين وكفار أهل الكتاب يعني في نسبتهم^(٤) أشياء مما شرعوها إلى الله تعالى كما ذكره^(٥) الله عنهما في قوله ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا﴾^(٦).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ أَعْيُنُهُمْ لَآيَاتِ اللَّهِ لَا يَعْقِلُونَ
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُلُّ
فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾

قوله^(٧): ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ قال الكلبي^(٨): يعني الذين حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام، وإذا^(٩) قيل لهم: اعملوا بما أنزل الله في القرآن. وقال الضحاك عن ابن عباس^(١٠): نزلت في كفار قريش ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾^(١١). وجدناهم عليه من الدين، فقال الله تعالى: ﴿أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ يتبعونهم؟

وهذا جواب «لو» وهو محذوف، و«الواو» في (أو لو)^(١٢): واو العطف دخلت^(١٣) عليها ألف الاستفهام التي هي للتوبيخ^(١٤).

وقال عطاء: لا يعقلون عظمة الله ولا يهتدون إلى دينه.

وقوله^(١٥) ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ عام ومعناه الخصوص، أي لا يعقلون شيئاً من أمر الدين ثم ضرب الله مثلاً للكفار فقال:

﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق...﴾^(١٦) الآية، «النعيق»^(١٧): صوت الراعي بالغنم، يقال نعق

(١) في (ج، د): قوله.

(٢) في (أ، هـ): قوله.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٢٣.

(٤) في (د): يعني نسبتهم.

(٥) في (هـ): كما ذكره عنهم.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٣ والرازي ٢/٥ عن ابن عباس والبحر ١/٤٨٠ والقرطبي ٢/٢١٠.

(٧) في (د): أي وجدناهم.

(٨) في (د): أولوا.

(٩) في (هـ): دخل.

(١٤) انظر الزجاج ٢٢٦/١ والمشكل ١١٧/١ والتبيان ١٤٠/١ والفراء ٩٨/١ والبيان ١٣٦/١ وقال أبو عبيدة: «الألف: ليست ألف

الاستفهام أو الشك إنما خرجت مخرج الاستفهام تقريراً بغير الاستفهام «أولو كان آبائهم لا يعقلون شيئاً» أي: وإن كان آبائهم

مجاز القرآن ١/٦٣.

(١٥) في (د): قوله تعالى.

(١٦) في المطبوعة: بما لا يسمع.

(١٧) انظر اللسان / نعق والبحر ١/٤٧٧.

ينعق نعقا ونعيقا ونعقانا ونعاقا: إذا صاح بالغنم زجرا، قال الأخطل^(١):

انعق بضأنك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا

قال الأخفش والزجاج وابن قتيبة^(٢): تقدير الآية: ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا في وعظهم ودعائهم إلى الله: كمثل الراعي الذي يصيح بالغنم ويكلمها يقول: كلي واشربي وارعي، وهي لا تفهم شيئا مما يقول لها، كذلك هؤلاء الكفار كالبهائم لا يعقلون عنك ولا عن الله شيئا.
وعلى هذا^(٣): حذف أحد المثليين اكتفاء بالثاني.

وقال ابن عباس في رواية الكلبي: ومثل الكفار في قلة فهمهم وعقلهم كمثل الرعاة يكلمون^(٤) البهم^(٥)، والبهم لا تعقل عنهم شيئا غير أنها تسمع الصوت ولا تفقه وعلى هذا شبه^(٦) الكفار بالرعاة الذين يكلمون ما ﴿لا يسمع إلا دعاء ونداء﴾ وهي البهائم.

وهذا قول مجاهد، قال: هذا مثل ضربه الله للكافر، يسمع ما يقال له ولا يعقل، فمثله كمثل البهيمة، تسمع النعيق، ولا تفهم ولا تعقل^(٧).

ثم وصفهم^(٨) فقال ﴿صم﴾^(٩) قال قتادة^(١٠): صم عن الحق فلا يسمعونهم ﴿بكم﴾ عن الحق فلا ينطقون به^(١١) ﴿عمي﴾ عن الحق فلا يبصرون.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ
وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ قال المفسرون^(١٢) هذا أمر بإباحة، وأراد

(١) شاعر زمانه واسمه: غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو أبو مالك التغلبي النصراني قيل للفرزدق: من أشعر الناس؟ فقال: كفاك بي إذا افتخرت وبجيرير إذا هجا وبابن النصرانية إذا امتدح ولد سنة ١٩ هـ ومات قبل الفرزدق سنة ٩٠ هـ.

(سير الأعلام ٥٨٩/٤ والأعلام ٣١٨/٥) والبيت في ديوان الأخطل ص ٣٩٢، والزاهر ٢٧٩/١ ومجاز القرآن ٦٤/١ واللسان / نعق والبحر ٤٧٧/١ والطبري ٣١٥/٣ يحقر من شأن جرير ويدعوه إلى ملازمة شياحه والقيام عليها إذ لا نصيب له فيما عدا ذلك وهو لا يبرح يتعاطم ويتبجح إذ يلقي ذاته وحيدا ويجبن إذ يواجه المقاتلين.

(٢) انظر الأخفش ١٠٩/١ - ١١٠ والزجاج ٢٢٦/١ وغريب القرآن ٦٨ ومجاز القرآن ٦٣/١ - ٦٤ وفتح القدير ١٦٨/١ عن الزجاج والفراء وسيبويه والبحر ٤٨١/١.

(٣) في (د): وعلى هذا القول.

(٤) «البهم» - بفتح الباء: جمع بهمة وهي: «الصغيرة من أولاد الغنم والمعز والبقر وغيرها والبهيمة: كل ذوات أربع قوائم من دواب البر والماء والجمع بهائم، ويقال في جميع ما تقدم بهام وكل من لا يعيز فهو بهيمة» (اللسان / بهم).

(٦) في (د) تشبه.

(٧) انظر تفسير مجاهد ص ٩٤ والبحر ٤٨٢/١ عن ابن عباس ومجاهد وفتادة وغيرهم والدر ١٦٧/١ عن ابن عباس والفراء ١٩١/١ وابن كثير ٢٠٤/١ عن ابن عباس ومجاهد وأبي العالية والتسهيل ص ٦٨.

(٨) في (هـ): ثم وصفهم الله فقال (صم بكم).

(٩) انظر الطبري ٣١٦/٣ عن قتادة وتفسير ابن عباس ص ٢٣ وابن كثير ٢٠٤/١.

(١٠) في (هـ): فلا ينطقونه.

(١١) انظر الطبري ٣١٧/٣ والبحر ٤٧٨/١ والدر ١٦٨/١.

بـ «الطيبات»: الحلالات من الحرث والأنعام، وما حرمه المشركون منها على أنفسهم.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المزكي^(١)، حدثنا الحسن بن علي بن يحيى الذارمي^(٢) - إملاء - أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي^(٣) حدثنا علي بن الجعد^(٤)، أخبرنا فضيل بن مرزوق^(٥)، عن عدي بن ثابت^(٦) عن أبي حازم^(٧)، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب وإن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾^(٨) وقال ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾^(٩) ثم ذكر الرجل يطيل السفر، يمد يده إلى السماء يقول: يا رب، يا رب. أشعث أغبر مطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟

رواه مسلم عن أبي كريب، عن أبي أسامة، عن فضيل، وهو من الأخبار^(١٠) التي لم يخرجها البخاري^(١١) وقوله ﴿واشكروا لله﴾ أي: إذا كانت العبادة لله واجبة عليكم بأنه إلهكم فالشكر له واجب بأنه محسن إليكم، ثم بين أن المحرم^(١٢) ما هو فقال:

﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾ قال الزجاج^(١٣): «إنما» إذا جعلته كلمة واحدة: كان إثباتاً لما يذكر بعده

(١) سبق.

(٢) الحسين بن علي بن محمد بن يحيى أبو أحمد التميمي النيسابوري يقال له حسيك تربي في حجر الإمام أبي بكر بن خزيمة وكان يقدمه على أولاده، سمع البغوي وأبا عوانة الإسفراييني وابن خزيمة وعنه أبو عبد الله الحاكم وغيره، قال الخطيب: كان ثقة حجة أثبت عليه الحاكم توفي سنة ٣٧٥ هـ. (طبقات الشافعية ٣/٢٧٥).

(٣) سبق.

(٤) علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري الهاشمي مولاهم البغدادي سمع شعبة وغيره وعنه البخاري توفي سنة ٢٣٠ هـ عن ٦٦ سنة (الجمع ١/٣٥٥ - ٣٥٦).

(٥) فضيل بن مرزوق الأغر الرؤاسي يكتى أبا عبد الرحمن من أهل الكوفة سمع شقيق بن عقبة وعدي بن ثابت وعنه يحيى بن آدم وأبو أسامة توفي سنة ١٥٧ وقيل ١٦٠ هـ وقيل سنة ١٧٠ هـ. (سير الأعلام ٧/٣٤٣ تهذيب التهذيب ٨/٢٩٨ - ٣٠٠ الجمع ٢/٤١٥).

(٦) عدي بن ثابت الأنصاري الكوفي سمع البراء بن عازب وجده لأمه عبد العزيز بن يزيد الخطمي وعبد الله بن أبي أوفى وأبا حازم الأشجعي وعنه الأعمش ومسرور. (كتاب الجمع ١/٣٩٨).

(٧) أبو حازم: سلمان الأشجعي الكوفي سمع أبا هريرة وعنه عدي بن ثابت وغيره، قال أحمد وابن معين وأبو داود: ثقة مات في خلافة عمر بن عبد العزيز.

(تقريب التهذيب ٤/١٤٠، الجمع ١/١٩٣).

(٨) سورة المؤمنون ٥١.

(٩) سورة البقرة ١٧٢.

(١٠) في (د): وهو من الأصول.

(١١) الحديث رواه مسلم - كتاب الزكاة - باب قبول الصدقة من الكسب الطيب - عن أبي هريرة ١/٤٠٦ - والترمذي: كتاب الزكاة - باب ما جاء في فضل الصدقة - رقم ٦٥٦ وقال حسن صحيح ٢/٨٥ - ٨٦.

(١٢) في (د): ثم بين المحرم.

(١٣) انظر معاني القرآن للزجاج ١/٢٢٧ والبيان ١/١٣٦.

ونفياً لما سواه، وقوله ﴿إنما حرم﴾ معناه: ما حرم عليكم إلا ما ذكر، وذلك لأن كلمة «إن» للتوكيد في الإثبات و«ما» تكون نفياً فإذا قال القائل: إني بشر، فالمعنى: أنا بشر على الحقيقة، وإذا قال: إنما أنا بشر كان المعنى: ما أنا إلا بشر. و«الميتة»: ما فارقت الروح من غير ذكاة مما يذبح^(١).

قوله ﴿والدم﴾: كانت العرب تجعل الدم في المباعر^(٢) وتشويها ثم تأكلها فحرم الله تعالى الدم.

وقد خصت السنة هذين الجنسيتين، وهو قوله ﷺ^(٣): «أحلت لنا ميتتان ودمان، أما الميتتان: فالجراد والسّمك^(٤)، وأما الدمان: فالكبد^(٥) والطحال^(٦)».

وقد قال الله تعالى ﴿أو دماً مسفوحاً﴾^(٧) فقيد، وأطلق في هذه الآية والمطلق يحمل على المقيد. وقوله ﴿ولحم الخنزير﴾ أراد: الخنزير بجميع أجزائه، وخص اللحم لأنه المقصود بالأكل ﴿وما أهل به لغير الله﴾ معنى «الإهلال» في اللغة: رفع الصوت قال ابن أحمر^(٨):

يهل بالفرقد ركبائها كما يهل الراكب المعتمر

ويقال للمحرم مهل، لرفعه صوته بالتلبية، وللذابح مهل، لرفعه^(٩) الصوت بذكر ما يذبح على اسمه.

ومعنى ﴿وما أهل به لغير الله﴾ قال ابن عباس^(١٠): ما ذبح للأصنام وذكر عليه غير اسم الله وهذا قول جميع

المفسرين.

(١) انظر ابن كثير ٢٥٥/١ وفتح القدير ١٦٩/١.

(٢) المباعر: جمع مبرع وهو: مكان البعر من كل ذوي أربع (اللسان/ بعر وحاشية (أ)).

(٣) في (ح): عليه السلام.

(٤) في (هـ): فالسّمك والجراد.

(٥) في (د): فالكبد.

(٦) الحديث رواه البيهقي في السنن - كتاب الطهارة - باب الحوت يموت في الماء والجراد - عن ابن عمر - (٢٥٤/١). وابن ماجه في

السنن - كتاب الصيد - باب صيد الحيتان والجراد رقم ٣٢١٨ عن ابن عمر (١٠٧٣/٣) - ومسند أحمد ٩٧/٢ والجامع الصغير ١٣/١

ورمزله بالصحيح والجامع الكبير ٢٥/١ وانظر علل الحديث للرازي ١٧/٢ وفيه «قال أبو زرعة: الموقوف أصح» وانظر الضعفاء الكبير

٣٣١/٢ في ترجمة عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يضعف عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال:

روى حديثاً منكراً حديث (أحلت لنا ميتتان...) وكذا في تهذيب التهذيب في ترجمة عبد الرحمن ١٨٧/٦.

(٧) سورة الأنعام/ ١٤٥.

(٨) ابن أحمر الباهلي: من شعراء الجاهلية، أدرك الإسلام، وهو عمر بن أحمد بن فراس بن معن بن أعصر، وكان أعور وعمر تسعين

سنة.

(الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد شاكر ط ١٩٧٧ ص ٣٦٣).

وانظر البيت في الزاهر ١٩٦/١، ٥٧٧ ومجاز القرآن ١٥٠/١ وغريب الحديث ٢٨٦/١ والطبري ٤٩٣/٩ والبحر ٤٧٨/١ والقرطبي

٢٢٤/٢ وفتح القدير ١٧٠/١ واللسان/ هـ. «الفرقد: ولد البقرة، يعني: أن الركب إذا راوا ولد البقرة يرفعون أصواتهم كرفع

الصوت في العمرة» (حاشية (أ)).

(٩) في (د): لرفع.

(١٠) انظر الزجاجة ٢٢٨/١، وغريب القرآن ص ٦٩ والدر ١٦٨/١ عن ابن عباس ومجاهد وأبي العالية ومجاز القرآن ٦٤/١ والفراء ١٠٢/١

والطبري ٣٢١/٣ عن الربيع وابن زيد والبعوي ١٤٠/١ عن الربيع بن أنس وابن كثير ٢٥٥/١ وفتح القدير ١٧٠/١ عن ابن عباس.

الوسيط في تفسير القرآن المجيد/ ج ١٧م

أخبرنا أبو منصور البغدادي، أخبرنا إبراهيم بن أحمد بن رجاء، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله بن جبلة الهروي (١)، حدثنا أبو مصعب (٢)، حدثنا محرز بن هارون (٣) عن الأعرج (٤)، عن أبي هريرة:

أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله سبعة من خلقه، ولعن كل واحد منهم لعنة تكفيه، قال: ملعون ملعون ملعون من عمل عمل قوم لوط، ملعون من ذبح لغير الله، ملعون من أتى شيئاً من البهائم، ملعون من جمع امرأة وابنتها، ملعون من عق والديه، ملعون من انتمى إلى غير مواليه، ملعون من غير حدود الأرض» (٥).

وقوله (٦) «فمن اضطر» أي: أخرج وألجىء، وهو افتعل من الضرورة، قال الأزهري معناه: من ضيق عليه الأمر بالجوع.

وقرىء برفع النون وكسرهما، فمن رفع: فلإتباع ضمة الطاء، ومن كسر: فعلى أصل حركة التقاء الساكنين (٧).

قوله «غير باغ» (٨) «البغي»: الظلم والخروج عن النصفة (٩)، ومنه قوله تعالى: «والذين إذا أصابهم البغي» (١٠).

«ولا عاد» هو من العدو، وهو التعدي في الأمور، يقال: عدا عُدوا وعدوانا (١١) إذا ظلم. قال مجاهد (١٢): «مير قاطع لسبيل (١٣) أو مفارق للأئمة (١٣) أو خارج في معصية الله فله الرخصة. وقال سعيد بن جبير: (١٤) الذي يقطع الطريق

(١) إبراهيم بن عبد الله أبو إسحاق الهروي الحافظ نزيل بغداد سمع إسماعيل بن جعفر وعبد الرحمن بن أبي الزناد وهشيماً وغيرهم ومنه الترمذي وابن ماجه وابن أبي الدنيا والفريابي وأبو يعلى كان صدوقاً عالماً زاهداً عابداً صواماً كبير القدر من أعلم الناس بحديث هاشم مات سنة ٢٤٤ هـ (تذكرة الحفاظ ٢/٤٨٤).

(٢) أبو مصعب: أحمد بن أبي بكر - القاسم - بن الحارث بن زرارة بن مصعب أبو مصعب القرشي الزهري سمع المغيرة بن عبد الرحمن ومالك بن أنس ولد سنة ١٥٠ هـ وتوفي سنة ٢٤٢ هـ (الكاشف ١/٥٣ الجمع ٨/١).

(٣) محرز بن هارون القرشي التميمي المدني - ويقال محرر بالإهمال - عنده ثلاثة أحاديث عن الأعرج وعنه أبو مصعب قال البخاري: «مكرر الحديث - وقد حسن الترمذي له حديث «بادروا بالأعمال...» وقال الدارقطني بإسناده... عن أبي مصعب عن محرز عن الأعرج بن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لعن الله سبعة... الحديث. (الميزان ٣/٤٤٣ - ٤٤٤).

(٤) الأعرج عبد الرحمن بن هرمز سبق.

(٥) الحديث: رواه الحاكم في المستدرک - كتاب الحدود - عن أبي هريرة، قال الذهبي: محرز بن هارون ضعفه. وله شاهد من حديث ابن عباس، قال الحاكم صحيح الإسناد ٤/٣٥٦. والطبراني في الكبير ١١/٢١٨ عن ابن عباس والهشيمي في مجمع الزوائد وقال «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» ١/١٠٣ وانظر الجامع الكبير ١/٦٤٣ - ٦٤٤ «رواه الخرائطي في مساويء الأخلاق والحاكم والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة».

(٦) في (ج، د): قوله.

(٧) انظر غرائب النيسابوري ٢/١٢١ واللسان / ضرر.

(٨) قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي (فَمَنْ اضْطُرَّ) - بضم النون - وحجتهم أنهم كرهوا الضم بعد الكسر لأنه يثقل على اللسان، وهو الباقون - بالكسر - وحجتهم أن الساكنين إذا اجتمعا يحرك أحدهما إلى الكسر. (انظر الحجة لأبي زرعة ١٢٢، والسبعة ١٧٤ - ١٧٥ والنشر ٢/٢٢٥ والتبيان ١/١٤١ والحجة لابن خالويه ص ٩٢).

(٩) في (د): (... ولا عاد).

(١٠) سورة الشورى / ٣٩. (١١) في (د) وعدوا.

(١٢) انظر تفسير مجاهد ٩٤ والطبري ٣/٣٢٢ والدر ١/١٦٨ وابن كثير ١/٢٠٥ عن مجاهد.

(١٣) في (د): السبيل... الأحمية.

(١٤) انظر الطبري ٣/٣٢٢ - ٣٣٣ والدر ١/١٦٨ وابن كثير ١/٢٠٥ وفتح القدير ١/١٧٠ كلها عن سعيد.

فلا رخصة له في شرب الخمر، ولا أكل الميتة، وقال ابن عباس في رواية عطاء: ^(١) ﴿غير باغ﴾ على المسلمين ﴿ولا عاد﴾ عليهم.

وعلى هذا التأويل: كل من عصي بسفره لم تحل له الميتة عند الضرورة لأنه باغ، وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه ^(٢).

وفيه قول آخر: ﴿غير باغ﴾ بأكله من غير اضطرار ﴿ولا عاد﴾ يتعدى ^(٣) الحلال إلى الحرام فأكله وهو غني عنه، وهذا قول الحسن والربيع وابن زيد، وعلى قول هؤلاء: يستبيح العاصي بسفره الرخص، وهو مذهب أهل العراق ^(٤).

وقوله ﴿إن الله غفور﴾ ^(٥) أي: للمعاصي، وفيه إشارة إلى أنه إذا كان يغفر المعصية فإنه لا يأخذ بما جعل فيه الرخصة ^(٦) ﴿رحيم﴾ حيث رخص للمضطر في أكل الميتة.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْرُونَ بِهِءً مِّنَّا قَلِيلًا أَوْلِيَّكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ^(١٧٤) أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَاةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ^(١٧٥) ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهُ نَزْلًا الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ^(١٧٦) لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ^(١٧٧)

قوله تعالى: ﴿إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب﴾: نزلت في رؤساء اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ ^(٧).

(١) انظر تفسير البغوي ١٤٠/١ عن ابن عباس وغريب القرآن ٦٩ والدر ١٦٨/١ عن مجاهد وفتح القدير ١٧٠/١ عنه والأقوال كلها ذكرها الزجاج في معاني القرآن ٢٢٨/١ - ٢٢٩.

(٢) انظر الدر ١٦٨/١ عن مجاهد وسعيد بن جبير والفراء ١٠٣/١ وغرائب النيسابوري ١٢٢/٢ عن الشافعي، والأم للشافعي ٢٢٦/٢.

(٣) في (د): يتعدى - بالياء.

(٤) انظر الطبري ٣٢٤/٣ عن قتادة والحسن والربيع وابن زيد وغرائب النيسابوري ١٢١/٢ - ١٢٢ عن أبي حنيفة والحسن وقاتدة والربيع وابن زيد والدر ١٦٨/١ عن قتادة ومجاز القرآن ٦٤/١ وابن كثير ٢٠٥/١ عن ابن عباس والبحر ٤٨٩/١، والقرطبي ٢٣٢/٢.

(٥) في (أ، د): ﴿غفور رحيم﴾.

(٦) في (د): وقوله.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٤ ومجاهد ٩٣ والزجاج ٢٢٩/١ والطبري ٣٢٧/٣ - ٣٢٨ وغرائب النيسابوري ١٢٥/٢ عن ابن عباس والبحر ٤٩١/١ عنه وأسباب النزول للواحدي ٣٢ وأسباب النزول للسيوطي ٢٩ والدر ١٦٨/١ عن عطاء وعكرمة ١٦٩/١ عن ابن عباس وفتح القدير ١٧١/١ عن عكرمة والسدي وأبي العالية والرازي ٢٥/٥ - ٢٦ عن ابن عباس.

﴿ويشترون به ثمناً قليلاً﴾: ذكرنا تفسيره في قوله ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾^(١).

﴿أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾ أي: إلا ما يؤول عاقبه إلى النار^(٢) كقوله ﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾^(٣). ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾ أي: لا يكلمهم كلاماً يسرهم وينفعهم، فأما التهديد والتوبيخ فقد يكون ﴿ولا يزيهم﴾^(٤) ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم.

قوله^(٥) ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ مضى تفسيره^(٦).

وقوله ﴿فما أصبرهم على النار﴾ المعنى: فما أصبرهم على عمل أهل النار حين تركوا الهدى وأخفوا بالضلالة، وقال الحسن وقتادة والربيع^(٧): ما أجرأهم على أعمال^(٨) أهل النار، قال الفراء: (٩) وهذه لغة يمانية، يقول الرجل: ما أصبرك على كذا يريد: ما أجراؤك عليه. و(ما) على هذا القول: تعجب، كقولك: ما أحسن زيداً ومعنى التعجب من الله: أنه يعجب المخاطبين ويدلهم على أنهم قد حلوا محل من يتعجب منهم^(١٠).

وقال السدي^(١١): هذا على وجه الاستفهام ومعناه^(١٢): ما الذي صبرهم وأي شيء صبرهم^(١٣) على النار حين تراءوا الحق واتبعوا الباطل.

و«ما» على هذا القول للاستفهام لا للتعجب، و«أصبر» بمعنى: صبر، مثل كرم وأكرم^(١٤).

وقوله ﴿ذلك﴾ إشارة إلى قوله ﴿ولهم عذاب أليم﴾^(١٥) أي ذلك العذاب لهم ﴿بأن الله نزل الكتاب بالحق﴾ يعني: التوراة، فاختلفوا فيه، أي: آمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق

(١) انظر تفسير الآية ٤١ من سورة البقرة وما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٢) في (د): في النار.

(٣) سورة النساء / ١٠.

(٤) في (د): أي.

(٥) في (ج، هـ): قوله تعالى.

(٦) انظر تفسير الآية ١٦ من سورة البقرة.

(٧) انظر الطبري ٣/٣٣١ عنهم والدر ١/١٦٩ عن قتادة وأبي العالية وكذا فتح القدير ١/١٧٢، ١/١٧١ عن الحسن ومجاهد وانظر تفسير ابن عباس ٢٤ ومجاهد ٩٤ والثوري ص ٥٥ وغريب القرآن ص ٦٩.

(٨) في (ج، د): عمل.

(٩) انظر الفراء ١/١٠٣ وابن قتيبة في غريب القرآن ٦٩ - ٧٠ والبحر ١/٤٩٤.

(١٠) انظر تفسير ابن كثير ١/٢٠٦.

(١١) انظر تفسير الطبري ٣/٣٣٢ عن السدي وأبي كريب وابن زيد والبحر ١/٤٩٥ عن ابن عباس والسدي والدر ١/١٦٩ عن السدي وفتح القدير ١/١٧٢ عن السدي، وبه قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/٦٤.

(١٢) في (د): ومعناه.

(١٣) ساقطة من (د).

(١٤) انظر التبيان للمكبري وفيه: «ما» في موضع رفع بالابتداء وما بعدها خبر والكلام تعجب عجب الله به المؤمنين و«أصبر» فعل فيه ضمير الفاعل وهو العائد على «ما». ويجوز أن تكون «ما» استفهاماً - وحكمها في الإعراب كحكمها إذا كانت تعجباً - وهي نكرة ونحو موصوفة تامة بنفسها. وقيل: هي نفي أي: فما أصبرهم الله على النار.

(التبيان ١/١٤٢ والمشكل ١/١١٧).

(١٥) يعني الآية ١٧٤ من سورة البقرة.

بعيداً: ﴿لني خلاف طويل وذكرنا معنى «الشقاق» فيما سبق^(١) .

وقوله عز وجل^(٢) ﴿ليس البر﴾ قرىء نصباً ورفعاً^(٣) ، وكلاهما حسن ، لأن اسم ليس وخبرها اجتماعاً في التعريف ، فجاز أن يكون أحدهما^(٤) أيها كان اسماً والثاني خبراً .

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وعطاء^(٥) : كان الرجل في ابتداء الإسلام إذا شهد الشهادتين وصلى إلى أي ناحية^(٦) كان ، ثم مات على ذلك وجبت له الجنة ، فلما هاجر رسول الله ﷺ ، ونزلت الفرائض ، وحدت الحدود ، وصرفت القبلة إلى الكعبة ، أنزل الله هذه الآية فقال ﴿ليس البر﴾ كله أن تصلوا ولا تعملوا غير ذلك ، ولكن البر ما ذكر في قوله ﴿ولكن البر من آمن بالله﴾ .

قال الزجاج^(٧) : معناه : ولكن ذا البر ، فحذف المضاف كقوله ﴿هم درجات﴾^(٨) أي ذوو درجات . وقال قطرب^(٩) والفراء^(١٠) : معناه : ولكن البرير من آمن بالله ، فحذف المضاف وهو كثير في الكلام ، كقوله ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾^(١١) ﴿وسئل القرية﴾^(١٢) .

قوله ﴿والكتاب﴾ قال ابن عباس^(١٣) : يريد : الكتب و«الكتاب» اسم جنس فيجوز وقوعه على الكثير ﴿وءاتى المال على حبه﴾ أي : على حب المال .

قال ابن عباس وابن مسعود^(١٤) : هو أن تؤتبه وأنت صحيح^(١٥) صحيح ، تأمل العيش وتخشى الفقر .

(١) انظر تفسير الآية ١٣٧ من سورة البقرة .

(٢) في (ج ، د) : قوله .

(٣) قرأ حمزة وحفص (ليس البر) نصباً وقرأ الباقون بالرفع - (انظر الحجة لأبي زرعة ١٢٣ والسبعة ١٧٦ والنشر ٢/٢٢٦ والزجاج ١/٢٣١ - ٢٣٢ والتبيان ١/١٤٣) .

(٤) ساقطة من (د) .

(٥) انظر البحر ٢/٢ والخازن ١/١٤٣ عن ابن عباس والبخاري ١/١٤٣ والدر ١/١٦٩ عن ابن عباس ومجاهد وابن كثير ١/٢٠٧ عن ابن عباس والضحاك ومقاتل والطبري ٣/٣٣٨ .

(٦) في (د) : إلى ناحية .

(٧) انظر الزجاج ١/٢٣٢ والتبيان ١/١٤٣ والكامل للمبرد ١/٢٨٧ والبحر ٢/٣ عن الزجاج والمشكل ١/١١٨ .

(٨) سورة آل عمران ١٦٣ ، وفي (د) : (هم درجات عند الله) .

(٩) محمد بن المستنير أبو علي البصري أحد العلماء بالنحو واللغة أخذ عن سيبويه وعن جماعة من علماء البصريين ويقال : إن سيبويه لقبه قطرباً لمباكرته إياه في الاسفار نزل بغداد وسمع منه وكان ثقة فيما يحكيه توفي سنة ٢٠٦ هـ .

(تاريخ بغداد ٣/٢٩٨ - ٢٩٩) .

(١٠) انظر البحر ٢/٣ عن قطرب وفتح القدير ١/١٧٢ عن قطرب والفراء والزجاج ومعاني الفراء ١/٦٢ ، وانظر الزجاج ١/٢٣٢ والتبيان ١/١٤٣ والمشكل ١/١١٨ والأخفش ١/٣٤٨ والتبيان ١/١٣٩ والكامل للمبرد ١/٢٧٨ .

(١١) سورة البقرة / ٩٣ .

(١٢) سورة يوسف / ٨٢ .

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٤ وابن كثير ١/٢٠٧ .

(١٤) انظر مجمع الزوائد - كتاب التفسير - عن ابن مسعود وصححه ٦/٣١٦ .

والطبراني في الكبير ٩٣/٩ والطبري ٣/٣٤٠ - ٣٤١ وفتح القدير ١/١٧٣ والدر ١/١٧٠ كلها عن ابن مسعود والمستدرک - كتاب

التفسير - عن ابن مسعود ٢/٢٧٢ .

(١٥) ساقطة من (ح) .

وقوله ﴿وابن السبيل﴾ قال مجاهد^(١): هو المنقطع^(٢) من أهله يمر عليك. وقال قتادة^(٣): هو الضيف ينزل بالرجل.

قوله ﴿وفي الرقاب﴾ قال جميع المفسرين^(٤): يريد به^(٥) المكاتبين، ويكون التقدير: وفي ثمن الرقاب ﴿والمؤفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ أراد: فيما بينهم وبين الله وبينهم وبين الناس، إذا وعدوا أنجزوا، وإذا حلفوا^(٦) ونذروا وفوا^(٧) وإذا قالوا صدقوا، وإذا أؤتمنوا^(٨) أدوا.

وارتفع «المؤفون» بالعطف على محل «من» في قوله ﴿من آمن﴾ فهو رفع لأنه خبر «لكن» كأنه قال: ولكن المر من آمن بالله والمؤفون^(٩).

وقوله ﴿والصابرين في البأساء﴾ يعني: الفقر^(١٠) وهو اسم من البؤس ﴿والضراء﴾ المرض وانتصب «الصابرين» على المدح، وإن كان معطوفاً^(١١) على مرفوع.

والعرب - إذا تطاول الكلام، اعترضت فيه بالمدح أو الذم، وإن كان حقه الرفع^(١٢) من ذلك قول الشاعر^(١٣):

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبين معاقد الأزر

ف نصب «النازلين، والطيبين» على المدح، وإن كان صفة لاسم^(١٣) مرفوع.

(١) انظر تفسير مجاهد ص ٩٤ والدر ١٧١/١ وفتح القدير ١٧٤/١ كلها عن مجاهد.

(٢) في (د): هو منقطع.

(٣) انظر البحر ٦/٢ عن قتادة والضحاك وابن جبير وغيرهم وابن كثير ٢٠٨/١ عن ابن عباس ومجاهد وفتحة القدير ١٧٤/١ عن ابن عباس وغريب القرآن ص ٧٠.

(٤) انظر التبيان ١٤٤/١ والدر ١٧١/١ عن سعيد بن جبير وابن كثير ٢٠٨/١ وفتح القدير ١٧٤/١ عن سعيد.

(٥) في (د): والمطبوعة: يريد المكاتبين.

(٦) ساقطة من (هـ).

(٧) في (د) أو نذروا أو فوا.

(٨) في جميع النسخ والمطبوعة: ائتمنوا.

وهذا على غير القواعد الإملائية لأن الهمزة واقعة بعد ضم - فالفعل مبني لما لم يسم فاعله - فتكون الهمزة على واو، وانظر قوله تعالى ﴿فليؤد الذي أؤتمن أمانته﴾ سورة البقرة/ ٢٨٣.

(٩) انظر الإعراب في: التبيان ١٤٤/١ - ١٤٥ - والمشكل ١١٨/١ والبيان ١٤٠/١ وفتح القدير ١٧٣/١.

(١٠) في (د): الفقراء... عطفاً.

(١١) انظر الفراء ١٠٥/١ وغرائب النيسابوري ١٣٥/٢ عن أبي علي الفارسي.

(١٢) انظر الكتاب لسبويه ١، ٨٤، ٢١٠، ٢١٣، والطبري ٣٢٩/١ والبحر ٢٠٤/١، والكامل للمبرد ٤٠/٣ والخزانة ٤١/٥ ومجاز القرآن

٦٥/١ - ٦٦، والفراء ١٠٥/١، ٤٥٣، والأخفش ٣٤٩/١ والبيان ٢٧٥/١ - ٢٧٦ وفتح القدير ١٧٣/١، ٥٣٧، وديوان الخرنوق ص ٢٩ انظر ترجمة الشاعرة في مقدمة ديوانها وفي الخزانة ٥٥/٥.

«ومعنى لا يبعدن: لا يهلكن وهو دعاء جاء بلفظ النهي والفعل مبني بنون التوكيد الخفيفة، وموضعه الجزم بلا الدعائية، والآفة: العلة والجزر: جمع جزور، ومعاقد: جمع معقد والأزر: جمع إزار، وهذان البيتان من قصيدة لخرنوق بنت هفان ترثي بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الصبيعي وابنها علقمة بن بشر وأخويه حسان وشرحبيل ومن قتل معه من قومه». (الخزانة ٥٠/٥ - ٥١).

(١٣) في (د): وإن كان صفة لا يكن مرفوع.

قال الخليل: (١) المدح والذم ينصبان على معنى: أعني، فكأنه قال - بعد قوله وآفة الجزر - أعني النازلين بكل معترك.

قوله (٢) ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ يعني: وقت القتال في سبيل الله، و«البأس» اسم للحرب لما فيها من الشدة، (٣) ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: أهل هذه الأوصاف، ومن قام بواحدة منها لم يستحق الوصف بالبر.

أخبرنا أبو بكر الحرث (٤)، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ (٥)، حدثنا محمد بن الحسين الطبركي (٦)، حدثنا محمد بن مهران (٧)، حدثنا وكيع، عن علي بن صالح (٨) عن أبي ميسرة (٩)، قال (١٠):

من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان ﴿ليس البر (أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب)﴾ إلى قوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١١).

(*) (أخبرنا أبو سعيد الفضل بن أحمد بن إبراهيم (١٢)، حدثنا أبو علي بن أبي كريب الفقيه أخبرنا أبو جعفر العنبري الأرحامي (١٣) حدثنا علي بن حجر (١٤) حدثنا عتاب (١٥)، عن المسعودي (١٦)، عن القاسم (١٧) قال:

(١) انظر الخزانة ٤٣/٥ عن الخليل وغيره والرازي ٤٥/٥ عن الخليل.

(٢) في غير (أ) وقوله.

(٣) في (د): قوله.

(٤) سبق.

(٥) في المطبوعة: أبو الشيخ بن الحافظ سبق.

(٦) في (ح): الطبري وفي (د): أبو الحسن: وهو: أبو عبد الله محمد بن الحسين بن علي الطبركي الرازي من أهل الري حدث عن حسان بن حسان كتابه روى عنه أبو بكر محمد بن عبد الله بن يزداد الرازي نزيل بخارى. (الأنساب ٢٠٤/٨).

(٧) محمد بن مهران الجمال أبو جعفر الرازي الحافظ قال أبو حاتم: صدوق وقال مسلمة بن قاسم: ثقة توفي سنة ٢٣٩ هـ (تهذيب التهذيب ٤٧٨/٩ - ٤٧٩).

(٨) علي بن صالح بن صالح بن مسلم بن حيان الهمداني أبو الحسن سمع سلمة بن كهيل وعنه وكيع قال عمرو بن علي: مات سنة ١٥١ (كتاب الجمع ٣٥٩/١).

(٩) أبو ميسرة: عمرو بن شرحبيل: سبق.

(١٠) انظر الدر ١٧٠/١ عن أبي ميسرة.

(١٢) أبو سعيد الفضل بن أحمد بن محمد يعرف بابن أبي الخير الميهني كان صاحب كرامات وآيات يروي عن أبي علي زاهر بن أحمد الفقيه السرخسي وغيره، توفي سنة ٤٤٠ هـ (اللباب ٢٨٥/٣).

(١٣) الشيخ المعمر أبو جعفر محمد بن معاذ بن فره - وقيل ابن فرج - الهروي الماليني حدث عن الحسين بن الحسن المروزي وغيره، توفي سنة ٣١٦ هـ وله نيف وتسعون سنة (سير الأعلام ٤٨٤/١٤ - ٤٨٥).

(١٤) علي بن حُجر بن إبّاس بن مقاتل بن شموخ أبو الحسن السعدي سمع إسماعيل بن عُلَيَّةَ وعيسى بن يونس، توفي سنة ٢٤٤ هـ (كتاب الجمع ٣٥٤/١).

(١٥) عتاب بن بشير أبو الحسن عن خصيف وثابت بن عجلان وعدة وعنه ابن راهويه وعلي بن حجر قال أحمد أحاديثه عن خصيف منكرة وقال ابن معين ثقة مات سنة ١٨٨ هـ. (الكاشف ٢٤٣/٢).

(١٦) المسعودي: عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبية بن عبد الله بن مسعود الهللي المسعودي الكوفي أحد الأعلام وهو أخو أبي العميس عتبة، حدث عنه ابن المبارك وعبد الرحمن بن مهدي ويزيد بن هارون وغيرهم وثقة أحمد وابن المديني توفي سنة ١٦٠ هـ (تذكرة الحفاظ

١٩٧/١).

(١٧) القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود المسعودي أبو عبد الرحمن الكوفي القاضي روى عن أبيه وجده مرسلًا، وعن ابن عمر =

جاء رجل إلى أبي ذر (١) فسأله عن الإيمان، فقرأ عليه ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم...﴾ حتى فرغ من الآية، فقال: ليس عن البر سألتك، إنما سألتك عن الإيمان فقال: ادن مني، فدنا منه فقال:

سأل رجل رسول الله ﷺ عن مثل الذي سألتني، فقرأ عليه مثل الذي قرأت عليك، فأبى أن يرضى كما أبيت من ترضى، فقال: ادن فدنا (٢) منه، فقال:

«المؤمن إذا عمل حسنة سرتة ورجا ثوابها وإذا عمل سيئة ساءته وخاف عقابها» (٣) (٤)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَتْبَعْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَذَلِكَ عَذَابُ آيِسٍ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

قوله عز وجل (٥) ﴿يأيها الذين ءامنوا كتب عليكم القصاص في القتلى﴾ «كتب» ها هنا بمعنى: فرض وأوجب، كقوله ﴿كتب عليكم الصيام﴾ (٦) و«القصاص» فعال من المقاصة، يقال: قاصصته مقاصة وقصاصاً، أقدمته (٧) من أخيه.

وقال الليث (٨): القصاص والتقاص (٩): في الجراحات والحقوق شيء بشيء.

وقوله ﴿الحرُّ بالحرِّ﴾ قال المفسرون (١٠): نزلت (١١) الآية في حين من العرب لأحدهما طول (١٢) على الآخر

= وجابر وسمرة وأرسل عن أبي ذر، روى عنه عبد الرحمن وأبو العميس عتبة ابنا عبد الله المسعوديان وأخوه معن بن عبد الرحمن وأبو إسحاق السبيعي وغيرهم قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث ووثقه ابن معين وغيره توفي سنة ١٢٠ هـ (تهذيب التهذيب ٣٢١/٨ - ٣٢٢).
(١) أبو ذر: جندب بن جنادة الغفاري أحد السابقين الأولين أسلم في أول المبعث وكان رأساً في العلم والزهد والجهاد وصدق الله والإخلاص توفي سنة ٣٢ هـ (تذكرة الحفاظ ١٧/١ - ١٩).
(٢) في المطبوعة: ودنا.

(٣) الحديث رواه: الحاكم - كتاب التفسير - بالفاظ قوية عن أبي ذر، وقال صحيح قال الذهبي: كيف وهو منقطع؟ ٢٧٢/٢.

والطبراني في الكبير بروايتين متقاربتين عن أبي أمامة الباهلي ١٣٨/٨.

وانظر الدر ١٦٩/١ عن أبي ذر، وابن كثير ٢٠٧/١ «رواه ابن مردويه وهذا منقطع» وفتح القدير ١٧٣/١ «أخرجه عبد بن حميد وابن مردويه عن القاسم بن عبد الرحمن».

(٤) إلى هنا ينتهي ما انفردت به النسخة (د).

(٥) في (د، هـ): قوله تعالى.

(٦) سورة البقرة / ١٨٣.

(٩) في (د): قال الليث والتقاص في الجراحات، وفي (ح): القصاص والمقاص.

(١٠) انظر الزجاج ١٣٣/١ والطبري ٣٥٩/٣ عن الشعبي وقتادة ٣٦١/٣ عن أبي مالك وأسباب النزول للواحدي ص ٣٣ وأسباب النزول

للسيوطي ص ٢٩ - ٣٠ والقراء ١٠٨/١ - ١٠٩، والدر ١٧٢/١ - ١٧٣ عن سعيد بن جبير والشعبي وأبي مالك وقتادة وابن كثير

٢٠٩/١ عن سعيد وفتح القدير ١٧٦/١ عن سعيد والشعبي وأبي مالك وأحكام القرآن لابن العربي ٦١/١ عن الشعبي وقتادة

وغيرهم.

(١١) في (د): نزلت هذه الآية.

(١٢) طول: أي فضل وزيادة (حاشية (أ)).

فكانوا يتزوجون نساءهم بغير مهر، فقتل الأوضح منهما^(١) من الشريف قتلى، فحلف الشريف: ليقتلن الحر بالعبد، والذكر بالأثني وليضاعفن الجراح، فأنزل الله هذه الآية يعلم أن الحر المسلم كفؤ للحر المسلم، وكذلك العبد للعبد، والذكر للذكر، والأثني للأثني.

ولم تدل الآية على أن الذكر لا يقتل بالأثني، وقتل الذكر بالأثني مستفاد من إجماع الأمة، لأنهما تساويا^(٢) في الحرمة والميراث، وحد الزنى والقذف وغير ذلك فوجب أن يستويا في القصاص^(٣).

وقوله ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ معنى «العفو» ها هنا: ترك الواجب من أرش جنائية (أو عقوبة ذنب أو ما استوجبه الإنسان بما ارتكبه من جنائية)^(٤) فصصح عنه وترك له من الواجب عليه^(٥).

وقوله ﴿من أخيه﴾ أراد: من دم أخيه، فحذف المضاف للعلم به، وأراد بالأخ المقتول، سماه أخاً للقاتل، فدل على أن أخوة الإسلام بينهما لم تنقطع، وأن القاتل لم يخرج عن الإيمان بقتله.

وفي قوله ﴿شيء﴾: دليل على أن بعض الأولياء إذا عفا سقط القود، لأن شيئاً من الدم قد يبطل^(٦) بعفو البعض، والله تعالى قال ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ والكنائتان في قوله «له» و«أخيه»: ترجعاه إلى «من» وهو القاتل^(٧).

وقوله ﴿فَاتَّبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: فعلى ولي المقتول اتباع بالمعروف في المطالبة بالدية وهو ترك التشديد^(٨) على القاتل في طلب الدية.

وقوله ﴿وَأَدَاءَ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾^(٩) وعلى القاتل تأدية المال إلى العافي بإحسان أمر الله تعالى الطالب أن يطلب بالمعروف، ويتبع الحق الواجب له من غير أن يطالبه بالزيادة أو يكلفه ما لم يوجبه الله، أو يشدد عليه كل هذا تفسير «المعروف» وأمر المطلوب منه بالإحسان في الأداء، وهو ترك المطل والتسويق^(١٠).

وقوله ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ قال ابن عباس^(١١): يريد: حيث جعل الدية لأمتك يا محمد قال قتادة^(١٢) لم تحل الدية لأحد غير هذه الأمة.

قال المفسرون^(١٣): إن الله تعالى كتب على أهل التوراة أن يقيدوا^(١٤) ولا يأخذوا الدية (ولا يعفوا، وعلى أهل

(١) في (د): منهم.

(٢) في (د): يتساويان.

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٢٠٩/١ وفيه «هذه الآية منسوخة، نسختها (النفوس بالنفس)» عن سعيد بن جبير وابن عباس وأبي مالك.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (هـ).

(٥) انظر هذا المعنى في مجاز القرآن ٦٦/١.

(٦) في (د): قد يبطل بعفو البعض، وفي المطبوعة: «قد يبطل البعض» وهو تحريف.

(٧) انظر المشكل ١١٩/١ والتبيان ١٤٥/١ والبيان ١٤٠/١ والدر ١٧٣/١ عن ابن عباس.

(٨) المطل والتسويق: ترك الدفع والتأخير (حاشية (أ)) وانظر تفسير الطبري ٣٦٧/٣ وابن كثير ٢١٠/١ كلاهما عن ابن عباس.

(٩) انظر فتح الباري ١٤٢/٨ والدر ١٧٣/١ وابن كثير ٢١٠/١ كلها عن ابن عباس.

(١٠) انظر الطبري ٣٧٤/٣ والبحر ١٢/٢ والدر ١٧٢/١، وابن كثير ٢١٠/١، وفتح القدير ١٧٧/١ كلها عن قتادة.

(١١) انظر الزجاج ٢٣٤/١ وغريب القرآن ص ٧١ ومسنَد الشافعي ص ١٩٩ والدر ١٧٣/١ عن ابن عباس وفتحة، والرازي ٥٥/٥، والبحر

١٢/٢ وابن كثير ٢٢٠/١ وفتح القدير ١٧٧/١ عن قتادة.

(١٤) يقيدوا - بضم أوله - أي يقتلوا القاتل بالقتيل (اللسان / قود).

الإنجيل أن يعفوا^(١) ولا يقيدوا، ولا يأخذوا الدية^(٢) وخير هذه الأمة بين القصاص والدية والعفو، فقال ﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾ أي: هذا التخفيف بين هذه الأشياء.

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، حدثنا محمد بن يعقوب العقلي أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا سفيان بن عيينة^(٣)، حدثنا عمرو بن دينار^(٤)، أخبرني مجاهد قال: سمعت ابن عباس يقول:

كان في بني إسرائيل القصاص ولم يكن فيهم الدية، فقال الله لهذه الأمة: ﴿كتب عليكم القصاص﴾ إلى قوله ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ قال: «العفو» أن تقبل الدية في العمد ﴿فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾ قال: أمر هذا أن يطلب بمعروف^(٥)، ويؤدى هذا بإحسان ﴿ذلك تخفيف من ربكم﴾ مما كتب على من كان قبلكم^(٦).

أخبرنا أبو بكر بن الحرث التميمي أخبرنا عبد الله بن محمد بن حيان أخبرنا أحمد بن جعفر بن نصر الجمال^(٧) حدثنا عبد الرحمن بن سلمة^(٨)، حدثنا أبو سعيد الصغاني^(٩) حدثنا جرول بن عبد الله^(١٠)، عن أبي حازم عن ابن عباس قال:

لو أكفر^(١١) الله أحداً من أهل التوحيد بذنب لأكفر الذين سفكوا الدم الحرام، وقال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص﴾ ثم قال ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ ثم قال ﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾ قال ابن عباس: فسمى القاتل في أول الآية مؤمناً وفي وسطها أختاً، ولم يؤسه في آخرها من التخفيف والرحمة^(١٢).

وقوله^(١٣) ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ يعني: قتل بعد أخذ الدية والعفو ﴿فله عذاب أليم﴾.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الأصبهاني، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن جعفر الأصبهاني، حدثنا أبو يحيى

(١) في (ح): يعفوا.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٣) سبق.

(٤) في (هـ): عمرو.

(٥) في المطبوعة: بالمعروف.

(٦) ذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٧١ ومسند الشافعي ص ١٩٩ والنسائي ٣٧/٨، وابن كثير ٢١٠/١، والطبري ٣٧٣/٣ - ٣٧٥ وفتح القدير ١٧٦/١ كلها عن ابن عباس.

(٧) أحمد بن جعفر بن نصر الجمال الرازي أبو العباس، حدث عنه أبو محمد عبد الله بن محمد بن زر الخواري وأبو محمد عبد الملك بن علي الشامي (الأنساب ٢٩٤/٣).

(٨) لم أقف عليه.

(٩) في (د): أبو سعد، وهو محمد بن ميسر الصغاني البلخي الضرير حدث ببغداد عن هشام بن عروة وأبي حنيفة وعنه أحمد وأبو كريب قال يحيى: كان جهمياً شيطاناً ليس بشيء وقال النسائي: متروك وقال الدارقطني: ضعيف وقال البخاري فيه اضطراب، (الميزان ٥٢/٤).

(١٠) جرول بن جيفل أبو توبة النميري الحراني عن خليل بن دعلج، صدوق، وقال ابن المديني روى مناكير (الميزان ٣٩١/١ المغني في الضعفاء ١٢٩/١).

(١١) في (د): لو كفر. «أكفرت الرجل: دعوته كافراً، وكفر الرجل: نسبه إلى الكفر» (اللسان / كفر).

(١٢) انظر غرائب النيسابوري ١٣٢/١ - ١٣٣ بنحوه عن ابن عباس والخازن ١٤٧/١ بنحوه، والبغوي ١٤٨/١ بنحوه والرازي ٥٤/٥ عن ابن عباس بنحوه.

(١٣) في (د): قوله.

الرازي، حدثنا سهل بن عثمان العسكري أخبرنا^(١) أبو خالد^(٢)، وعبد الرحيم^(٣)، عن محمد بن إسحاق^(٤)، عن الحرث بن فضيل^(٥)، عن سفيان بن أبي العوجاء السلمي^(٦)، عن أبي شريح الخزاعي^(٧) قال:

قال رسول الله ﷺ: «من أصيب بدم أو بخبل^(٨) - والخبل: الجراحة^(٩) - فهو بالخيار بين إحدى ثلاث، فإن أراد الرابعة فخذوا على يديه، بين أن يقتص أو يعفو، أو يأخذ الدية، فإن فعل شيئاً من ذلك ثم تعدى فإن له نار جهنم خالداً فيها مخلداً»^(١٠).

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾^(١١) قال مقاتل^(١٢): حياة بما ينتهي بعضكم عن دماء بعض مخافة أن يقتل، وقال قتادة^(١٤): جعل الله هذا القصاص حياة وعبرة لأهل السفه والجهل من الناس، وكم^(١٥) من رجل قد همَّ بداهية لولا مخافة القصاص لوقع فيها^(١٦)، ولكن الله حجز بالقصاص عبادة بعضهم عن بعض.

(١) في (د): حدثنا.

(٢) أبو خالد الأحمر: سليمان بن حيان الجعفري الكوفي سمع داود بن أبي هند والأعمش وهشام بن حسان وغيرهم روى له البخاري ومسلم مات سنة ١٨٩ هـ (الجمع ١/١٨١).

(٣) عبد الرحيم بن سليمان الإمام الحافظ المصنف أبو علي الرازي نزيل الكوفة قال يحيى وغيره ثقة وقال أبو حاتم صالح الحديث صنف الكتب توفي ١٨٧ هـ. (سير الأعلام ٧/٣٥٧ - ٣٥٨).

(٤) محمد بن إسحاق بن يسار الإمام الحافظ أبو بكر المظلي المدني مصنف المغازي رأى أنس بن مالك وحدث عن أبيه وعمه موسى والقاسم وعطاء والأعرج والزهرى، قال يحيى: هو ثقة وليس بحجة وقال أحمد: حسن الحديث، وقال ابن المديني حديثه صحيح وقال النسائي ليس بالقوي وقال الدارقطني: لا يحتج به، وقال شعبة: هو أمير المؤمنين في الحديث مات سنة ١٥١ هـ (تذكرة الحفاظ ١٧٢/٢ - ١٧٣).

(٥) الحرث بن فضيل الأنصاري الخطمي أبو عبد الله المدني قال النسائي وابن معين: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات. (تهذيب التهذيب ١٥٤/٢).

(٦) سفيان بن أبي العوجاء السلمي أبو ليلى الحجازي عن أبي شريح قال البخاري: في حديثه نظر يعني «من أصيب بدم أو خبل...» الحديث أخرجه أبو داود وابن ماجه من طريق ابن إسحاق عن الحارث بن فضيل عن هذا الرجل ولا يعرف بغير هذا الحديث وهو حديث منكر (الميزان ٢/١٦٩ - ١٧٠).

(٧) أبو شريح الخزاعي: خويلد بن عمرو بن صخر بن عبد العزى بن معاوية بن عمرو بن ربيعة أسلم يوم الفتح توفي سنة ٦٨ هـ (تهذيب التهذيب ١٢/١٢٥ - ١٢٦ الجمع ٢/١٢٦).

(٨) في (د): أو خبل.

(٩) في (ج، د) الجرح.

(١٠) الحديث رواه أبو داود في السنن - كتاب الديات - باب الإمام يأمر بالعفو في الدم رقم ٤٤٩٦، (٤/١٦٩). بالفاظ متقاربة. وابن ماجه - كتاب الديات - باب من قتل له قتيلاً فهو بالخيار بين إحدى ثلاث رقم ٢٦٢٣، (٢/٨٧٦).

والدارقطني - كتاب الحدود والديات رقم ٥٩ - (٣/٩٦).

ومسند أحمد ٤/٣١ والطبراني في الكبير - بروايات متعددة - ١٨٩/٢٢ - ١٩٠ كلهم من حديث أبي شريح الخزاعي، «وهو ضعيف لضعف سفيان بن أبي العوجاء».

(١١) في (د): قوله تعالى.

(١٢) في غير (أ): حياة.

(١٣) انظر تفسير ابن كثير ١/٢١١ عن مقاتل وغيره والزجاج ١/٢٣٥.

(١٤) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٥، والطبري ٣/٣٨٢، والدر ١/١٧٣، وفتح القدير ١/١٧٧ كلها عن قتادة.

(١٥) في (د): فكم.

(١٦) في (ح): لوقع بها.

وهذا قول أكثر أهل التفسير، قالوا: إن القاتل إذا قُتل قصاصاً أمسك عن القتل من كان يهيم به مخافة أن يقتل، فكان في القصاص حياة للذي هُم بالقتل^(١) وللذي هُم بقتله^(٢).

وقال السدي: كانوا يقتلون بالواحد الاثنین والعشرة والمائة، فلما قصروا على الواحد كان في ذلك حياة، وهذا قول ابن مسعود، قال^(٣): لا يقتل إلا القاتل بجنايته^(٤).

وقوله ﴿يا أولي الألباب﴾ يعني: يا ذوي العقول و«أولي»: بمعنى ذوي^(٥). وقوله ﴿لعلكم تتقون﴾ يعني: إرافة الدماء مخافة القصاص.

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنَّمَا إِمْرُهُ عَلَى الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصِلٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

قوله ﴿كتب عليكم﴾ أي: فرض وأوجب ﴿إذا حضر أحدكم الموت﴾ يريد: أسباب الموت ومقدماته، من العلل^(٦) والأمراض ﴿إن ترك خيراً﴾ أي: مالا، و«الخير»: اسم جامع للمال في كثير من القرآن، كقوله ﴿وما تنفقوا من خير﴾^(٧)، ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾^(٨) و﴿من خير فقير﴾^(٩) ﴿الوصية﴾^(١٠) للوالدين والأقربين بالمعروف ﴿أي: بالعدل الذي لا ينكر، يعني: لا يزيد عن الثلث﴾ حقا ﴿يعني﴾^(١١): حق ذلك عليكم حقا أي: وجب ﴿على المتقين﴾ المؤمنين الذين يتقون الشرك.

وكان السبب في نزول هذه الآية^(١٢): أن أهل الجاهلية كانوا يوصون بما لهم للبعداء رياء وسمعة، فصرف الله تعالى بهذه الآية ما كان يصرف إلى البعداء إلى الأهل والأقرباء، فعمل بها ما كان العمل ثم نسختها^(١٣) آية المواردية

(١) في (د): للذي يهيم.

(٢) انظر غريب القرآن ص ٧٢ والفراء ١١٠/١، والدر ١٧٤/١ عن مجاهد وسعيد بن جبیر وابن كثير ٢١١/١.

(٣) في (ج، د): وقال.

(٤) انظر الطبري ٣٨٣/٣ والدر ١٧٤/١ كلاهما عن السدي.

(٥) في (د): يعني ذوي.

(٦) في (د): من العقل.

(٧) سورة البقرة / ٢٧٢، ٢٧٣.

(٨) سورة العاديات / ٨، وفي (ج، د): (وإنه لحب الخير).

(٩) سورة القصص / ٢٤.

وانظر في معنى (الخير): غرائب النيسابوري ١٥٥/٢ والدر ١٧٤/١ وعن ابن عباس ومجاهد وفتح القدير ١٧٨/١، عنهما.

(١٠) (الوصية) مرفوعة على الاستئناف (الأخفش ٣٥٠/١) أو يقوله (كتب) (البيان ١٤١/١).

(١١) في (د): قوله (حقاً) أي.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٥ والزجاج ٣٣٦/١ والفراء ١١٠/١ والدر ١٧٥/١ عن شريح والرازي ٦٠/٥ عن الأصم.

(١٣) من هنا سقط كبير في النسخة (د) حتى أول قوله تعالى: ﴿مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ الآية ٢٢٨ وسأشير إليه عند اللخوق به إن شاء

في سورة النساء^(١) وكانت الوصية للوالدين والأقربين فرضاً على من مات وله مال ، حتى نسخ حكم الآية ، ولا يجب على أحد وصية لأحد قريب ولا بعيد ، وإذا أوصى ، فله أن يوصي لكل من يشاء من الأقارب والأباعد إلا الوارث .

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ^(٢) ، أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي^(٣) ، حدثنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله^(٤) ، حدثنا مسلم بن إبراهيم^(٥) ، حدثنا أبو بكر الهذلي^(٦) عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم^(٧) عن عمرو بن خارجة^(٨) قال :

كنت تحت ناقة رسول الله ﷺ - وهي تقصع بجرتها^(٩) ولعابها ينوس^(١٠) بين كتفي فسمعته يقول : «ألا إن الله أعطى كل ذي حق حقه ، فلا يجوز للوارث^(١١) وصية^(١٢) .

أخبرنا أبو منصور المنصورى ، أخبرنا علي بن عمر الحافظ حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ، حدثنا داود بن رشيد^(١٣) ، حدثنا إسماعيل بن علي^(١٤) ،

(١) وهي الآية ١١ وانظر الزجاج ٢٣٥/١ ، ٢٣٦ وغريب القرآن ص ٧٢ والدر ١٧٤/١ ، ١٧٥ عن ابن عباس وابن عمر ومجاهد .

(٢) إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن أبو محمد السرخسي مقرأ له علم بالفقه والأدب ، ألف كتاباً في مناقب الشافعي وكان إماماً في علوم كثيرة زاهداً ورعاً توفي سنة ٤١٤ هـ (الأعلام ٣٠١/١ وغاية النهاية ١٦٠/١) .

(٣) أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب بن عبد الله القطيعي أبو بكر راوي مسند أحمد عن ابنه عبد الله كان ثقة كثير الحديث توفي سنة ٣٦٨ هـ .

(البداية والنهاية ٢٩٣/١١) .

(٤) إبراهيم بن عبد الله بن مسلم بن ماعز البصري أبو مسلم الكجي الحافظ المسند وثقه الدارقطني وغيره توفي سنة ٢٩٢ هـ (تذكرة الحفاظ ٦٢٠/٢ - ٦٢١) .

(٥) مسلم بن إبراهيم الأزدي الفراهيدي أبو عمرو البصري الحافظ ، قال ابن أبي خيثمة عن ابن معين ثقة مأمون وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : ثقة صدوق توفي سنة ٢٢٢ هـ .

(تهذيب التهذيب ١٢١/٤ - ١٢٣) .

(٦) سلمى بن عبد الله سبق .

(٧) عبد الرحمن بن غنم الأشعري الشامي - يقال له صحبة - سمع أبا مالك الأشجعي وأبا عامر الأشعري وعنه عطية بن قيس قال أبو عيسى : يقال انه قد أدرك النبي ﷺ ورآه ، توفي سنة ٧٨ هـ (كتاب الجمع ٢٩١/١) .

(٨) عمرو بن خارجة بن المنتفق الأشعري - ويقال الأنصاري ويقال الأسدي حليف أبي سفيان بن حرب - روى عن النبي ﷺ «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه . . . الحديث (تهذيب التهذيب ٢٥/٨) .

(٩) «الجرة بالكسر - : ما يخرج البعير للاجتراره . (حاشية أ) .

(١٠) أي يتحرم (حاشية أ) .

(١١) في (هـ) : لوارث .

(١٢) الحديث : رواه الترمذي - أبواب الوصايا - باب ما جاء : لا وصية لوارث رقم ٢٢٠٤ وقال : هذا حديث حسن صحيح (٢٩٤/٣) ، والنسائي في السنن - كتاب الوصايا - باب إبطال الوصية للوارث (٢٤٧/٦) . والطبراني في الكبير ٣٣/١٧ ، وشرح السنة للبخاري ٢٨٨/٥ - ٢٨٩ .

وأحمد في المسند ١٨٦/٤ ، ١٨٧ ، ٢٣٨ كلهم من حديث عمرو بن خارجة .

(١٣) داود بن رشيد الهاشمي مولاهم الخوارزمي سكن بغداد وكف بصره سمع الوليد بن مسلم وصالح بن عمرو ويحيى بن سعيد وهشيماً وإسماعيل بن علي توفي سنة ٢٣٩ هـ (تهذيب التهذيب ١٨٤/٣ - ١٨٥ ، الجمع ١٣٠/١) .

(١٤) إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن سهم بن مقسم الأسدي البصري مولى بني أسد بن خزيمة ، يكنى أبا بشر - وأمه عليّة مولاة لبني =

حدثنا أيوب^(١)، عن نافع^(٢)، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال:

«ما حق امرئ^(٣) بيت ليلتين وله مال يريد أن يوصي فيه إلا ووصيته مكتوبة عنده». رواه مسلم عن زهير بن حرب^(٤) عن ابن علي^(٥).

و«الخير» في هذه الآية: محمول على المال الكثير، قال ابن عباس: من لم يترك ستين ديناراً لم يترك خيراً^(٦)، وقال طاووس^(٧): من لم يترك ثمانين ديناراً لم يترك خيراً.

قوله «فمن بدله» الكناية تعود إلى الإيصاء، لأن الوصية بمعنى الإيصاء^(٨)، كقوله «فمن جاءه موعظة» أي: وعظ «بعد ما سمعه» من الميت، قال المفسرون^(٩): أي: فمن غير الوصية من الأوصياء والأولياء والشهود بعد ما سمعه من الميت «فإنما إثمته» إثم التبديل «على الذين يدلونه» أي: على من بدل الوصية، وبريء الميت «إن الله سميع» سميع ما قاله الموصي «عليكم» بنيته وما أراد وعليه بما فعله الموصي.

قال الكلبي^(١٠): كان الأولياء والأوصياء يمشون وصية الميت بعد نزول هذه الآية وإن كانت مستغرقة للمال، فأنزل الله قوله:

«فمن خاف من موص» أي: علم، و«الخوف» يستعمل بمعنى العلم، لأن في الخوف طرفاً من العلم وذلك أن القائل إذا قال: أخاف أن يقع أمر كذا، كأنه يقول: أعلم، وإنما يخاف لعلمه بوقوعه، فاستعمل الخوف في العلم، ومنه قوله تعالى: «وأندر به الذين يخافون أن يحشروا»^(١١) وقوله «إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله»^(١٢).

= أسد - سمع أيوب وعبد العزيز وروح بن القاسم ولد سنة ١١٠ هـ قال النسائي ثقة ثبت وقال ابن سعد: ثقة ثبت حجة توفي سنة ١٩٣ هـ (تهذيب التهذيب ٢٧٥/١ - ٢٧٩ والجمع ٢٣/١).

(١) أيوب بن أبي تيمية - كيسان - الإمام أبو بكر السخيتاني أحد الأعلام سمع عمرو بن سلمة الجرمي وأبا العالية وسعيد بن جبيرة وأبا قلابة وعبد الله بن شقيق وغيرهم وعنه شعبة والحمادان قال شعبة: كان أيوب سيد العلماء، وقال ابن عيينة: لم ألق مثله توفي سنة ١٣١ هـ (تذكرة الحفاظ ١٣٠/١ - ١٣٢).

(٢) نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي يكنى أبا عبد الله سمع مولاة وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري، قال البخاري: أصح الأسانيد: مالك، عن نافع، عن ابن عمر توفي سنة ١١٧ هـ (تهذيب التهذيب ٤١٢/١٠ - ٤١٤، الجمع ٥٢٨/٢).

(٣) في (ج، هـ): أن بيت.

(٤) زهير بن حرب بن شداد الشامي النسائي سكن بغداد سمع جرير بن عبد الحميد ويعقوب بن إبراهيم بن سعد ووهب بن جرير وابن علي وابن عيينة روى له البخاري ومسلم توفي سنة ٢٣٤ هـ عن ٧٤ سنة (كتاب الجمع ١٥٣/١ - ١٥٤).

(٥) الحديث: رواه مسلم - كتاب الوصية - الحديث الأول ١١/٢.

والبخاري في الصحيح - كتاب الوصايا - باب ما جاء فيما يؤمر به من الوصية رقم ٨٢٦٢، (١١٢/٣) كلهم من حديث ابن عمر.

(٦) انظر الدر ١٧٤/١ وابن كثير ٢١٢/١ كلاهما عن ابن عباس.

(٧) انظر تفسير ابن كثير ٢١٢/١ عن طاووس.

(٨) انظر البحر ٢٢/٢، والبيان ١٤٢/١.

(٩) سورة البقرة / ٢٧٥.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٥، وغرائب النيسابوري ١٦٠/٢ والدر ١٧٥/١ عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة.

(١١) انظر تفسير البغوي ١٥٠/١ عن الكلبي.

(١٢) في غير (أ) ومنه قوله.

(١٣) سورة الأنعام / ٥١.

(١٤) سورة البقرة / ٢٢٩ وانظر في هذا المعنى: غريب القرآن ص ٧٣.

قوله ﴿جنفاً (أو إثمًا)﴾، أي: ميلاً، يقال: جنف يجنف جنفاً^(١): إذا مال وكذلك تجانف، ومنه قوله تعالى: ﴿غير متجانف لإثم﴾^(٢).

قال ابن عباس^(٣): يريد: خطأ من غير تعمد، وقال السدي وعكرمة والربيع وعطية^(٤): «الجنف»: الخطأ، و«الإثم» العمد.

قال مجاهد^(٥): هذا حين يحضر الرجل وهو يموت، فإذا أسرف أمره^(٦) بالعدل وإذا قصر عن حق قالوا: افعل كذا، أعط فلانا كذا^(٧).

ومعنى الآية: أن الميت إذا أخطأ في وصيته أو خاف فيها متعمداً فلا حرج على من علم ذلك أن يغيره، ويصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم، ومن ولي أو وصي أو والي أمر المسلمين، ويرد الوصية إلى العدل.

قوله ﴿فأصلح بينهم﴾ يعني: بين الورثة والمختلفين في الوصية وهم الموصى لهم. قوله^(٨) ﴿فلا إثم عليه﴾ لأنه متوسط للإصلاح، وليس بمبدل بإثم.

أخبرنا أبو سعيد النضروي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن علي بن زياد^(٩)، أخبرنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطي^(١٠) حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي حدثنا عبد الله بن عصمة^(١١)، حدثنا بشر بن حكيم عن سالم بن كثير، عن معاوية بن قرة^(١٢) عن أبيه^(١٣) عن رسول الله ﷺ قال:

«من حضره الموت فوضع وصيته على كتاب الله كان ذلك كفارة لما ضيع من زكاته في حياته»^(١٤).

(١) جنف - بكسر النون - يجنف - بفتحها - جنفاً فهو جنف - بكسر النون - وأجنف والأثنى جنفاء. والجنف: الميل والجور (اللسان / جنف) وانظر غريب القرآن ص ٧٣ ومجاز القرآن ٦٦/١ والزاهر ١٢١/١.

(٢) سورة المائدة / ٣.

(٣) انظر الدر ١٧٥/١ وابن كثير ٢١٢/١ كلاهما عن ابن عباس.

(٤) انظر تفسير الطبري ٤٠٦/٣ - ٤٠٧ عن السدي والربيع بن أنس وعطية وإبراهيم والضحاك وعطاء، والثوري ص ٥٦ والدر ١٧٥/١ عن ابن عباس ومجاهد، وابن كثير ٢١٢/١ - عن أبي العالية والسدي ومجاهد والضحاك والربيع.

(٥) انظر تفسير مجاهد ص ٩٦، والطبري ٤٠٠/٣ والدر ١٧٥/١ كلاهما عن مجاهد.

(٦) في (أ): أمروا.

(٧) في (أ): أعط كذا فلانا كذا.

(٨) في غير (أ) وقوله.

(٩) في (أ) والمطبوعة: علي بن عبيد الله بن محمد. . والمثبت من (ج، د) وكتب التراجم وهو: عبد الله بن محمد بن علي بن زياد السدي النيسابوري أبو محمد سمع مسدد بن قطن، وصار من المعدلين المحدثين ثم صار ابنه أبو علي وأبو محمد من أجل العدول روى عنه الحاكم أبو عبد الله، توفي سنة ٣٦٦ هـ عن ٨٣ سنة.

(الأنساب ١٣٥/٧، وشذرات الذهب ٥٦/٣).

(١٠) إبراهيم بن إسحاق الأنماطي النيسابوري الحافظ الثبت مصنف التفسير الكبير من كبار الرحالة سمع إسحاق بن راهويه ومحمد بن حميد الرازي توفي سنة ٣٠٣ هـ. (تذكرة الحفاظ ٧٠١/٢).

(١١) عبد الله بن عصمة النسيبي عن حماد بن سلمة وغيره قال ابن عدي: رأيت له منكري ولم أر للمتقدمين فيه كلاماً وذكر له العقيلي حديثاً أنكره في ذكره بأجوج ومأجوج (الميزان ٤٦٠/٢ - ٤٦١).

(١٢) معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رثاب أبو إياس المدني البصري سمع أنس بن مالك وعبد الله بن مَعْقَل ومَعْقَل بن يسار وغيرهم، وعنه شعبة وعوف وسماك وغيرهم روى له البخاري ومسلم. (كتاب الجمع ٤٩٠/٢).

(١٣) قرة بن إياس بن هلال بن رثاب المزني أبو معاوية البصري له صحبة روى عن النبي ﷺ وعنه ابنه معاوية توفي سنة ٦٤ هـ (تهذيب التهذيب ٣٧٠/٨).

(١٤) الحديث: رواه ابن ماجه في السنن - كتاب الوصايا - باب الحيف في الوصية رقم ٢٧٠٥ بلفظ «من حضرته الوفاة فأوصى وكانت =

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾
 أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ
 فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ
 رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ
 الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا
 يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

قوله عز وجل ﴿يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام..﴾ الآية «الصيام» مصدر من صام كالقيام من قام، وأصله في اللغة: الإمساك عن الشيء والترك له ومنه قيل للصمت: صوم، لأنه إمساك عن الكلام، قال الله تعالى ﴿إني نذرت للرحمن صوما﴾^(١) وصام النهار: إذا قام قائم الظهر، وصامت الريح: إذا ركلت وصام الفرس: إذا نام على غير إعلاف، هذا أصله في اللغة^(٢).

وفي الشريعة: هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع، مع اقتران النية به.

وإجماع المفسرين^(٣): على أن المراد بهذا الصيام: صيام شهر رمضان، وكان الفرض في ابتداء الإسلام: هو صوم يوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر، فنسخ ذلك بصيام رمضان، قبل قتال بدر بشهرين.

وقوله ﴿كما كتب على الذين من قبلكم﴾: أي: كما فرض على الأمم من أهل الكتابين قبلكم، أي: أمم متعبدون بالصيام كما تعبد الذين كانوا^(٤) من قبلكم.

وقوله ﴿لعلكم تتقون﴾ قال السدي^(٥): كي تتقوا الأكل والشرب والجماع^(٦) وقت وجوب الصوم. وقال الزجاج^(٧): لتتقوا المعاصي، فإن الصيام وصلة إلى التقى لأنه يكف الإنسان عن كثير مما تطمع إليه^(٨) النفس من المعاصي.

= وصيته على كتاب الله كانت كفارة لما ترك من تركاته في حياته». (٩٠٢/٢).

والطبراني في الكبير ٣٣/١٩ وقال الدولابي - في الكنى والأسماء - «هذا حديث معضل يكاد أن يكون باطلا» (١٥٦/١) وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٢٢١/٣ وانظر اللالي ٤١٧/٢ وتنزيه الشريعة المرفوعة ٣٦٥/٢، كلهم من حديث معاوية بن قرة عن أبيهم.

(١) سورة مريم / ٢٦.

(٢) انظر في معنى الصوم: الزاهر ١٣٩/١ - ١٤٠ وغرائب النيسابوري ١٦٨/٢ البحر ٦٨/٢ واللسان / صوم.

(٣) انظر فتح الباري ١٤٣/٨ والفتح الرباني ٨٠/١٨ والدر ١٧٦/١، ١٧٧ عن معاذ بن جبل وابن عمر والحسن وقتادة والضحاك وعطاء

وابن عباس، والطبري ٤١٤/٣ عن ابن عباس، وابن كثير ٢١٣/١ عن معاذ، وابن مسعود وابن عباس والضحاك وغيرهم وفتح القدير

١٨١/١ عن معاذ.

(٤) في (ح): الذين قبلكم.

(٥) في (ح): الذين قبلكم.

(٦) ساقطة من (ه).

(٧) انظر البحر ٣٠/٢ والدر ١٧٦/١ وفتح القدير ١٨١/١ كلها عن السدي.

(٨) انظر الزجاج ٢٣٨/١ والبحر ٣٠/٢ عن الزجاج.

(٩) في (ح): تطمع فيه النفس، وفي المطبوعة: تطلع عليه النفس. تحريف.

وقوله ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ قال الزجاج^(١): «أَيَّامًا»: ظرف لكتب، كأنه قال^(٢) كتب عليكم الصيام في هذه الأيام^(٣)، وقال الفراء^(٤): هي نصب على خبر ما لم يسم فاعله وهو قوله ﴿كتب﴾ كما تقول: أعطى عبد الله المال. وأراد بـ «الأيام المعدودات» أيام رمضان.

وقوله ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ﴾ أي: فأفطر^(٥) فعدة، أي: فعلية عدة ما أفطر ﴿من أيام آخر﴾ سوى أيام مرضه وسفره، و«العدة» فعله من العد^(٦)، وهي بمعنى المعدودة^(٨) كالطحن بمعنى المطحون^(٩). والمرض الذي يبيح الإفطار هو: كل مرض كان الأغلب من أمر صاحبه بالصوم الزيادة في علته زيادة لا يحتملها.

وحد السفر الذي يبيح الإفطار، ستة عشر فرسخاً^(١٠) فصاعداً، والإفطار رخصة من الله عز وجل^(١١) للمسافر، فمن أفطر فبرخصة الله أخذ، ومن صام ففرضه أدى^(١٢).

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن^(١٣) القاضي، وحدثنا محمد بن يعقوب حدثنا بحر بن نصر^(١٤)، قال: قرىء على ابن وهب^(١٥): أخبرك عمرو بن الحرث^(١٦)، عن أبي الأسود^(١٧) عن عروة بن الزبير عن أبي مرواح^(١٨) عن حمزة بن عمرو^(١٩) أنه قال:

(١) انظر الزجاج ٢٣٨/١.

(٢) في (هـ): كأنه كتب.

(٣) في (حـ): في هذه الآية.

(٤) انظر الفراء ١١٢/١ وفتح القدير ١٨٠/١ عن الفراء والبيان ١٤٩/١ والبحر ٣١/٢، عن الفراء والزجاج ٢٣٨/١ وقال «وليس هذا بشيء لأن الأيام - هاهنا - معلقة بالصوم وعبد الله والمال: مفعولان لأعطي، فلك أن تقيم أيهما شئت مقام الفاعل وليس في هذا إلا نصب الأيام بالصيام».

(٥) في (أ): (من أيام آخر).

(٦) أي فأفطره.

(٨) في المطبوعة: بمعنى المعدود.

(٩) في (هـ): المطون.

(٧) في (حـ): من العدد.

(١٠) الفرسخ: السكون وفراسخ الليل والنهار: ساعاتهما وأوقاتهما، وفراسخ الأيام كذلك والفرسخ من المسافة المعلومة ثلاثة أميال وقيل ستة وهو واحد الفراسخ. (اللسان / فرس).

والميل: القطعة من الأرض وما بين العلمين، وقيل هو مد البصر (اللسان / ميل).

(١١) في (هـ): من الله تعالى.

(١٢) في (حـ): فبرضه أدى.

(١٤) سبق وقد ذكر في المطبوعة - فيما سبق - باسم «يحيى بن نصر» وهنا «بحر بن نصر».

(١٥) سبق وفي (جـ، هـ) ما يوهم أن اسمه: علي بن وهب، وذلك لعدم ذكر ألقاب الابن وفي (حـ) قرأ، وهي في النسختين هكذا: علي ابن وهب فوضع الألف بزيل الإيهام.

(١٦) في (هـ): عمر، وهو: عمرو بن الحرث بن يعقوب الأنصاري مولا هم المصري يكنى أبا أمية المؤدب سمع هشام بن عروة وغيره، وعنه ابن وهب وغيره، قال أبو حاتم كان أحفظ أهل زمانه وقال ابن وهب: ما رأيت أحفظ منه توفي سنة ١٤٨ هـ. (كتاب الجمع ٣٦٤/١، وحسن المحاضرة ٣٠٠/١).

(١٧) أبو الأسود: محمد بن عبد الرحمن بن نوفل بن الأسود بن خويلد بن أسد الأسدي القرشي المدني - يتيم عروة - سمع عروة وعكرمة والنعمان بن أبي العباس وعنه مالك وعمرو بن الحارث وحيوة بن شريح توفي سنة ١١٩ هـ. (كتاب الجمع ٤٤٢/٢).

(١٨) أبو مرواح الليثي سمع أبا ذر وحمزة بن عمرو وعنه عروة بن الزبير روى له البخاري ومسلم. (كتاب الجمع ٦٠٠/٢).

(١٩) حمزة بن عمرو الأسلمي من ولد أسلم بن قصي بن حارثة بن عمرو بن عامر أبو صالح - ويقال أبو محمد - صحابي جليل وذكرت عائشة =

يا رسول الله، أجد بي قوة على الصيام في السفر، فهل علي جناح؟ فقال رسول الله ﷺ: «هي رخصة من الله، فمن أخذ بها فحسن، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه». رواه مسلم عن أبي الطاهر (١) عن ابن وهب (٢).

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر حدثنا عبدان (٣)، حدثنا الحسين بن محمد الذارع (٤) أخبرنا أبو محسن حصين بن نسير (٥)، حدثنا هشام بن حسان، عن عكرمة، عن ابن عباس قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» (٦) قوله (٧) «وعلى الذين يطيقونه أي: يطيقون الصيام، يقال: أطاق يطيق إطاقة وطاقه، كما يقال: أطاع يُطيع إطاعة وطاقه، والطاعة: (٨) اسمان يوضعان موضع المصدر.

وقوله «فدية طعام مسكين» هذه قراءة أهل المدينة والشام (٩)، والمعنى: وعلى الذين يطيقونه فأفطروا فدية طعام.

و«الفدية» البدل - وقد مر ذكره (١٠) - وأضيفت الفدية إلى الطعام لأنها اسم للقدر الواجب، و«الطعام»: اسم يسم

= رضي الله عنها أنه سأل النبي ﷺ عن الصوم في السفر «الحرح» وهو الذي بشر كعب بن مالك بالتوبة توفي سنة ٦١ هـ. (البداية والنهاية ٢٣٠/٨، والجمع ١٠٦/١).

(١) في (هـ): عن أبي طاهر. وهو أحمد بن عمرو سبق.

(٢) الحديث: رواه مسلم - كتاب الصيام - باب التخيير في الصوم والفطر في السفر عن حمزة بن عمرو الأسلمي (٤٥٥/١).

(٣) عبدان: عبد الله بن أحمد بن موسى بن زياد الجواليقي المعروف بعبدان الأهوازي، ولد سنة ٢١٦ هـ وكان أحد الحفاظ الأثبات يحفظ مائة ألف حديث، روى عن هذبة وكامل بن طلحة وعنه ابن صاعد والمحاملي والطبقة توفي سنة ٣٠٦ هـ. (البداية والنهاية ١٢٩/١١).

(٤) الحسين بن محمد بن أيوب الذارع السعدي أبو علي البصري قدم بغداد وروى عن يزيد بن زريع وفضيل بن سليمان وخالد بن الحارث وغيرهم وعنه الترمذي والنسائي والبخاري، قال أبو حاتم: صدوق وقال النسائي ثقة مات سنة ٢٤٧ هـ. (تهذيب التهذيب ٣٦٦/٢).

(٥) في (هـ) أبو محسن حسين، وهو: حصين غير أبي محسن الواسطي سمع حصين بن عبد الرحمن السلمى وروى عنه مسدد. (كتاب الجمع ١٠٩/١).

(٦) الحديث: رواه أبو نعيم في الحلية ٢٧٦/٦ عن ابن عباس، ١٠١/٢ عن علقمة بن عبد الله والطبراني في الكبير ٣٢٣/١١ عن ابن عباس، ١٠٣/١٠ عن ابن مسعود، ومجمع الزوائد - كتاب الصوم - باب الصيام في السفر «رواه الطبراني في الكبير والبخاري والبيهقي في ثقات». عن ابن عباس (١٦٢/٣).

وكشف الأستار عن زوائد البزار - كتاب الصيام - باب إن الله يحب أن تؤتى رخصه - عن ابن عباس وابن عمر رقم ٩٨٩. (٤٦٩/١) (٧) في غير (أ) وقوله.

(٨) في غير (أ) والطاعة والطاقه.

(٩) قرأ نافع وابن عامر (فدية طعام مسكين) بغير تنوين «فدية» وخفف «طعام» بالإضافة وحجته أن الفدية غير الطعام وأن الطعام إنما هو للمفدي وهو الصوم.

وقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالتنوين ورفع (طعام) وحجته أن الطعام هو الفدية.

(انظر الحجة لأبي زرعة ١٢٤ - ١٣٥، والسبعة ١٧٦ والنشر ٢٢٦/٢ والتبيان ١٥٠/١ والأخفش ٣٥١/١، والحجة لابن خالويه ٣، والبحر ٣٧/٢).

(١٠) انظر تفسير الآية ٨٥ من سورة البقرة.

الفدية وغيرها فهذا كقولك: ثوب خز وخاتم حديد، وجمعوا «المساكين» لأن الذين يطيقونه فأضطروا جماعة، وكل واحد منهم يلزمه طعام مسكين.

وقرأ الباقون ﴿فدية﴾ منونة ﴿طعام مسكين﴾ على واحد، جعلوا ما بعد الفدية تفسيراً لها، ووجدوا «المسكين» لأن المعنى: على كل واحد لكل يوم طعام^(١) مسكين ومثل هذا قوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾^(٢)، وليس جميع القاذفين يفرق فيهم جلد ثمانين، إنما على كل واحد منهم ذلك.

وقال أبو زيد: يقال: أتينا الأمير فكسانا كلنا^(٣) حلة، وأعطانا كلنا مائة، معناه: كسا كل واحد منا حلة، وأعطى كل واحد منا مائة.

فأما حكم الآية، فقال ابن عباس والمفسرون^(٤): كان في ابتداء إيجاب الصوم: من شاء صام ومن شاء أفطر وافتدى بالطعام وهو من واحد، ثم نسخ الله تعالى ذلك بقوله ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾^(٥).

وقوله ﴿فمن تطوع خيراً فهو خير له﴾ قال ابن عباس^(٦): زاد في الصدقة على الواحد ﴿وأن تصوموا خير لكم﴾ أي: الصوم خير لكم من الإفطار والفدية، وهذا إنما كان خيراً لهم قبل النسخ، وبعد النسخ: لا يجوز أي يقال الصوم خير من الإفطار والفدية^(٧).

وقوله ﴿شهر رمضان﴾^(٨) قال الفراء^(٩): ارتفع على البدل من «الصيام» كان المعنى: كتب عليكم شهر رمضان، وقال الأخفش^(١٠): ارتفع على أنه خبر ابتداء محذوف، والمعنى: هي شهر رمضان، لأن قوله ﴿شهر رمضان﴾: تفسير للأيام المعدودات.

و«رمضان» لا يتصرف للتعريف وزيادة الألف والنون، مثل عثمان وسعدان واختلفوا في اشتقاقه فقال قوم^(١١): هو

(١) في (ح): إطعام مسكين.

(٢) سورة النور / ٤.

(٣) في (ح): وكسانا كلنا... ومعناه.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٥، والزجاج ٢٣٩/١، وغريب القرآن ٧٣ وصحيح مسلم بشرح النووي ٢٠/٨ - ٢١ - وفتح الباري ١٥٢/٤ والفتح الرباني ١٩/١٤٠ - ١٤١ والطبراني في الكبير ١٢/١٩٥ والدر ١/١٧٧ كلها عن ابن عباس.

(٥) سورة البقرة / ١٨٥ وهي التالية لهذه الآية.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٥ ومجاهد ص ٩٦ والطبري ٣/٤١١ عن ابن عباس والبحر ٢/٣٧ عنه، والطبراني في الكبير ١١/١٦٨ عنه وابن كثير ١/٢١٥ عنه وفتح القدير ١/١٨٠ عن مجاهد.

(٧) انظر الزجاج ١/٢٣٩.

(٨) في (هـ): شهر رمضان الذي.

(٩) انظر الفراء ١/٣٥٢ والبحر ٢/٣٩ عن الأخفش والزجاج ١/٢٤٠ والبيان ١/١٤٤.

(١٠) انظر الأخفش ١/٣٥٢ والبحر ٢/٣٩. عن الأخفش والزجاج ١/٢٤٠ والمشكل ١/١٢١ والتبيان ١/١٥١. قال الزجاج «في رفع شهر» ثلاثة أوجه:

١ - على البدل من «أيام».

١ - الاستئناف.

٢ - «الإغراء». (الزجاج ١/٢٤٠).

٣ - الابتداء. ويجوز النصب على وجهين:

٢ - البدل.

(١١) في (ج، د): فقال بعضهم.

مأخوذ من الرمض، وهو حر الحجارة من شدة حر الشمس، والاسم: الرمضاء، والأرض رمضة، وسمي هذا الشهر رمضان لأن وجوب صومه وافق شدة الحر، وهذا القول حكاه الأصمعي عن أبي عمرو^(١).

ويحكى عن الخليل أنه قال^(٢): مأخذه من الرمضى وهو من السحاب والمطر ما كان في آخر القيظ^(٣) وأول الخريف، وسمي هذا الشهر رمضان، لأنه يغسل الأبدان من الأثام.

أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن محمد النضروي أخبرنا إبراهيم بن أحمد بن رجاء، أخبرنا الحسن بن محمد بن شعبة^(٤) الأنصاري، حدثنا عبد الله بن شبيب المكي^(٥)، حدثنا إسحاق بن محمد الفروي^(٦) حدثنا يزيد بن عبد الملك^(٧)، عن صفوان بن سليم^(٨)، عن عطاء بن يسار^(٩) عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله ﷺ: «شهر رمضان سيد الشهور، وأعظمها حرمة ذو الحجة^(١٠)» وأخبرنا عبد الرحمن^(١١)، أخبرنا أحمد بن جعفر بن مالك القطيعي حدثنا إسحاق بن الحسن الحري^(١٢)، حدثنا مسلم بن إبراهيم أخبرنا عمرو بن حمزة القيسي^(١٣) حدثنا خلف أبو الربيع^(١٤) عن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ - لما حضره شهر رمضان - قال:

(١) انظر الزاهر ٢/٣٦٨ والطبري ٣/٤٤٤ والبحر ٢/٢٦ وغرائب النيسابوري ٢/١٨٠.

(٢) انظر غرائب النيسابوري ٢/١٨٠ عن الخليل والدر ١/١٨٣ عن ابن عمر وأنس وعائشة واللسان / رمض.

(٣) القيظ: صميم الصيف والجمع أقياظ وقد قاظ يومنا: اشتد حره (اللسان / قيظ).

(٤) في جميع النسخ الحسين، وهو الحسين بن محمد بن شعبة الأنصاري، بغدادى معروف قال الدارقطني: تكلم فيه جماعة، وفي تاريخ بغداد قال الدارقطني: لا بأس به، وقال الخطيب: كان ثقة روى عن إسحاق بن شاهين وطبقته وعنه ابن المظفر. (الميزان ١/٥٢٠).

(٥) عبد الله بن شبيب الربيعي المكثر أبو سعيد المدني الأخباري أحد أوعية العلم على ضعفه روى عن إسحاق الفروي وأبي جابر محمد بن عبد الملك وأبي أيوب سليمان وغيرهم قال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث، وقال غيره: يحل ضرب عقه مات قبل الستين ومائتين. (تذكرة الحفاظ ٢/٦١٣ - ٦١٤).

(٦) إسحاق بن محمد الفروي المدني الفقيه روى عن مالك وطبقته مات سنة ٢٢٦ هـ. (شذرات الذهب ٢/٥٨).

(٧) يزيد بن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم النوفلي أبو خالد المدني. قال أبو زرعة: ضعيف الحديث وقال مرة: واهي الحديث وضعفه البخاري وتركه النسائي توفي سنة ١٦٧ هـ. (تهذيب التهذيب ١١/٣٤٧ - ٣٤٨).

(٨) الإمام أبو عبد الله - وقيل أبو الحارث - الزهري مولاهم المدني الفقيه روى عن ابن عمر وجابر وأنس ومولاه حميد بن عبد الرحمن وعدة، وكان ثقة حجة من أعلام الهدى توفي سنة ١٣٢ هـ. (تذكرة الحفاظ ١/١٣٤).

(٩) سبق.

(١٠) الحديث: زوائد البزار - كتاب الصيام - باب فضل شهر رمضان - رقم ٩٦٠ (٤٥٧/١) ومجمع الزوائد - كتاب الصوم - باب في شهر البركة وفضل شهر رمضان رواه البزار وفيه «يزيد بن عبد الملك النوفلي» بلفظ «سيد الشهور رمضان وأعظمها حرمة ذو الحجة» (١٤٠/٣). وانظر المقاصد الحسنة ص ٢٤٤، والجامع الصغير ٢/٣٥ ورمز له بالحسن، كلهم من حديث أبي سعيد.

(١١) في (أ، هـ): عبد الرحمن بن أحمد، وهي ساقطة من (ح): وهو: عبد الرحمن بن حمدان أبو سعد النضروي سبق.

(١٢) إسحاق بن الحسن الحري أبو يعقوب سمع أبا نعيم الفضل بن دكين والقعني وكان ثقة صاحب حديث توفي سنة ٢٨٤ هـ. (شذرات الذهب ٢/١٨٦).

(١٣) عمرو بن حمزة القيسي بصري عن صالح المري قال الدارقطني: ضعيف، وقال ابن عدي مقدار ما يرويه غير محفوظ، وقال البخاري: لا يتابع على حديثه.

(الميزان ٣/٢٥٥).

(١٤) خلف بن مهراة العدوي أبو الربيع البصري إمام مسجد سعيد بن أبي عروبة، روى عن أنس بن مالك وعنه عمرو بن حمزة القيسي وكان

«سبحان الله ماذا تستقبلون وماذا يستقبلكم؟ - قالها ثلاثاً - فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، وحي نزل، أو عدو حضر؟ قال لا، ولكن الله يغفر في أول ليلة من رمضان لكل أهل هذه القبلة»^(١)

وأخبرنا عبد الرحمن، أخبرنا اسماعيل بن نجيد أخبرنا جعفر بن محمد بن سوا^(٢) حدثنا علي بن حجر، حدثنا يوسف بن زياد^(٣) عن همام بن يحيى^(٤)، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن سلمان الفارسي^(٥) قال:

خطبنا رسول الله ﷺ آخر يوم من شعبان، فقال: «يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر^(٦) الصبر، والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزداد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائماً كان له مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص^(٧) من أجره شيء».

قالوا^(٨) يا رسول الله: ليس كلنا نجد ما يفطر الصائم فقال: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على مذقة^(٩) لبن، أو تمر، أو شربة ماء، ومن أشبع صائماً سقاه الله من الحوض شربة لا يظماً حتى يدخل الجنة، وهو شهر أوله رحمة، ووسطه^(١٠) مغفرة، وآخره عتق من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال:

خصلتان ترضون بها ربكم، وخصلتان لا غنى بكم عنهما.

أما الخصلتان اللتان ترضون بها ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفره، وأما الخصلتان^(١١) اللتان لا غنى بكم عنهما^(١٢): فتسألون الجنة، وتعودون من النار^(١٣).

= ثقة صدوقاً خيراً مرضياً وذكره ابن حبان في الثقات. (تهذيب التهذيب ٣/ ١٥٤ - ١٥٥).

(١) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب الصوم - باب في شهور البركة «رواه الطبراني في الأوسط وفيه: خلف أبو الربيع ولم أجد له راو غير عمرو بن حمزة» (١٤٣/٣).

والضعفاء الكبير. في ترجمة عمرو بن حمزة القيسي وهو يتابع على حديثه (٢٦٦/٣).

(٢) جعفر بن محمد بن سوار أبو محمد النيسابوري حدث عن علي بن حجر وقتيبة بن سعيد وأحمد بن حفص السلمي وغيرهم وعنه إسماعيل بن نجيد وغيره وكان ثقة توفي سنة ٢٨٨ هـ. (تاريخ بغداد ٧/ ١٩١).

(٣) يوسف بن زياد البصري أبو عبد الله عن ابن أنعم الأفرقي وابن أبي خالد قال البخاري: منكر الحديث وقال الدارقطني: مشهور بالبواطيل. (الميزان ٤/ ٤٦٥).

(٤) همام بن يحيى بن دينار العوفي مولى بني عوذ الأزدي المحملي الشيباني البصري يكنى أبا بكر سمع قتادة ويحيى بن أبي كثير وثابتاً البنانى وناقياً توفي سنة ١٦٣ هـ (الجمع ٢/ ٥٥٣).

(٥) سلمان الخير الفارسي أبو عبد الله ابن الإسلام أصله من أصبهان - وقيل من رامهرمز - أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، توفي سنة ٣٦ هـ.

(تهذيب التهذيب ٤/ ١٣٧ - ١٣٨).

(٦) في (هـ): الشهر الصبر.

(٧) في (ح): ينقص.

(٨) في (هـ): قال.

(٩) المذيق: اللبن الممزوج بالماء والمذقة: الطائفة منه (اللسان / مذق).

(١٣) الحديث: ذكره السيوطي في الجامع الكبير ١/ ٩٥٤ «رواه ابن خزيمة وقال: إن صح هذا الخبر، والبيهقي الشعب والأصبهاني في=

(١٠) في (ح): وأوسطه.

(١١) في (ج، هـ): وأما اللتان.

(١٢) في (ح): عنها.

أخبرنا الحسن^(١) بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون أخبرنا أحمد بن الحسين الحافظ، حدثنا محمد بن يحيى حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر، عن الزهري عن نافع^(٢) بن أبي أنس، عن أبيه^(٣) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين».

رواه البخاري عن أبي بكير^(٤)، عن الليث، عن عقيل^(٥)، عن الزهري^(٦) - أخبرنا أبو بكر محمد بن عمرو الخشاب، أخبرنا أبو عمرو محمد بن أحمد الجبيري أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا محمد بن عبد الله الأزرق^(٧)، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء أخبرنا الهيثم بن أبي الحواري^(٨)، عن زيد العمي^(٩)، عن أبي نضرة^(١٠)، عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال:

= الترغيب عن سلمان قال الحافظ ابن حجر في أطرافه: مداره على علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ويوسف بن زياد الراوي عنه ضعيف جدا.

وانظر علل الحديث للرازي ذكره بإسناده عن سلمان وقال: هذا حديث منكر.

وانظر بغية الوعاة، ذكره بإسناد الرازي عن سلمان (٤١٠/٢).

وأما ابن الشجري ٢٦٧/١، ١٢/٢ عن سلمان.

(١) وفي (أ) والمطبوعة: الحسين.

(٢) نافع بن مالك بن أبي عامر يكنى أبا سهل عم مالك بن أنس وأخو الربيع بن مالك وأنس بن مالك سمع أباه وعنه الزهري وابن أخيه مالك بن أنس وإسماعيل بن جعفر توفي سنة ١٣٠ هـ (كتاب الجمع ٥٢٨/٢).

(٣) أبوه: مالك بن أبي عامر أبو أنس الأصبحي جد مالك بن أنس سمع طلحة بن عبيد الله وأبا هريرة وعائشة وعنه ابنه أبو سهل نافع، وسالم أبو النضر وسليمان بن يسار توفي سنة ١١٢ هـ وهو ابن ٧٠ أو ٧٢ سنة. (الجمع ٤٧٩/٢).

وقال الذهبي انه توفي عن ٧٤ سنة لأنه قد سمع من عثمان وعمر.

(الكاشف ١١٤/٣، العبر ٦٢/١).

(٤) في (أ، هـ) والمطبوعة: عن أبي بكير والثابت من صحيح البخاري وكتب التراجم وهو: الحافظ الثقة: يحيى بن عبد الله بن بكير بن زكريا المخزومي المصري، سمع الليث بن سعد ويعقوب بن عبد الرحمن ومالك بن أنس وغيرهم وعنه البخاري وبواسطة رجل ومسلم بواسطة توفي سنة ٢٣١ هـ. قال الذهبي: وأين مثل ابن بكير في أمانته ويصره بالفتوى وغزارة علمه.

(كتاب الجمع ٥٦٣/٢ - وتذكرة الحفاظ ٤٢٠/٢).

(٥) عقيل بن خالد بن عقيل مولى عثمان بن عفان الحافظ الحجّة أبو خالد الأموي الأيلي أكثر عن الزهري وجود وحدث عن القاسم وسالم وعكرمة وعنه الليث والمصريون، وثقه ابن معين وغير واحد واحتج به أرباب الصحاح توفي بمصر سنة ١٤٤ هـ وقيل سنة ١٤٢ هـ (تذكرة الحفاظ ١٦١/١ - ١٦٢).

(٦) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب الصيام - باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان (٣٢٥/١). وفي كتاب بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده (٢٢١/٢).

عن يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن الزهري عن ابن أبي أنس عن أبيه عن أبي هريرة.

(٧) في (ج، هـ) والمطبوعة: الأروني، والثابت من هامش (أ) مصححاً وكتب التراجم سبق.

(٨) هكذا في جميع النسخ، ولم أجد هذا الاسم فيما اطلعت عليه من كتب التراجم، ولعل هنا خطأ فقد يكون: «أخبرنا الهيثم عن أبي الحواري زيد العمي» وعليه يستقيم الإسناد فيما أرى.

أما الهيثم فهو: الهيثم بن حميد الدمشقي الحافظ الغساني عن يحيى الذماري وداود بن أبي هند، وعنه علي بن حجر وطائفة وقال دحيم: كان أعلم الأولين والأخرين بقول مكحول، وقال أبو داود: ثقة قدرى، وقال أبو مسهر: ضعيف قدرى. (الميزان ٣٢١/٤).

(٩) زيد بن الحواري العمي أبو الحواري البصري قاضي هراة عن أنس وسعيد بن المسيب وطائفة، وعنه ابنه عبد الرحيم وعبد الرحمن وشعبة وهشيم قال ابن معين: صالح وقال مرة: لا شيء وقال مرة ضعيف يكتب حديثه وقال الدارقطني: صالح. (الميزان ١٠٢/٢).

(١٠) أبو نضرة المنذر بن مالك بن قطعة العوفي - ويقال الغبدي - البصري - والعوقة بطن من عبد القيس - سمع أبا سعيد الخدري وجابر بن

«أعطيت أمي في رمضان خمسا لم يعطهن أحد من قبلي»^(١) أما واحدة: فإذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً، وأما الثانية: فإنهم يُمسون وخلوف^(٢) أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة: فإن الملائكة تستغفر لهم في ليلهم ونهارهم، وأما الرابعة: فإن الله يأمر جنته أن استعدي وتزيني لعبادي، فيوشك أن يذهب عنهم نصب الدنيا وأذاها ويصيرون إلى جنتي وكرامتي، وأما الخامسة: فإذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعاً فقال قائل: أهي ليلة القدر يا رسول الله؟ قال: ألم تر إلى العمال إذا فرغوا من أعمالهم وفوا^(٣).
أخبرنا المفضل بن إسماعيل الإسماعيلي بجرجان^(٤)، أخبرنا الإمام: جدي أبو بكر الإسماعيلي^(٥)، أخبرنا يوسف بن الحكم بن سعيد أبو علي المعروف بديس^(٦)، حدثنا عمار بن عمرو بن هاشم^(٧) حدثنا أبو داود الأحمر^(٨) عن عبد الملك بن عمير^(٩) عن ابن أبي أوفى^(١٠) قال:

قال رسول الله ﷺ: «نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، ودعاؤه مستجاب، وعمله مضاعف»^(١١).

= عبد الله وابن عباس وابن عمر توفي سنة ١٠٩ هـ (كتاب الجمع ٥٠٤/٢).

(١) في (ح): لم يعطهن من قبل.

(٢) «قال أبو عبيد: الخُلوْف: تغير طعم الفم لتأخر الطعام» (اللسان / خلف).

(٣) الحديث: في زوائد البزار - كتاب الصيام - باب فضل شهر رمضان - رقم ٩٦٣ (٤٥٨/١) مع تغاير في الألفاظ عن جابر. ومسنده أحمد ٢٩٢/٢ عن أبي هريرة والجامع الكبير للسيوطي ١٢٢/١ «رواه البيهقي في الشعب عن جابر».

(٤) في (هـ): الفضيل بن إسماعيل إسماعيلي، وهو: المفضل بن إسماعيل بن أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الجرجاني المعمر الشافعي مفتي جرجان ورئيسها ومسندها كان من أذكيا زمانه روى عن جده وطائفة توفي سنة ٤٣١ هـ.
(شذرات الذهب ٣/٣٤٩).

(٥) الإمام الحافظ الثبت شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني كبير الشافعية ولد سنة ٢٧٧ هـ وصنف الصحيح ومعجمه ومسنده عمر قال الحاكم: كان واحد عصره وشيخ المحدثين والفقهاء توفي سنة ٣٧١ هـ.
(طبقات الحفاظ ٣٨٢ - ٣٨٣).

(٦) يوسف بن الحكم بن سعيد أبو علي الضبي الخياط المعروف بديس حدث عن بشر بن الوليد وعمر بن إسماعيل بن مجالد والربيع بن ثعلب وغيرهم قال الدارقطني: صدوق. مات سنة ٢٩٩ هـ. (تاريخ بغداد ١٤/٣١٢).

(٧) في (أ): بن هشام، وهو عمار بن أبي مالك بن هاشم الجني، ضعفه الأزدي. (الميزان ٣/١٦٧ والمغني في الضعفاء ٢/٤٥٩).

(٨) لعله جعفر بن زياد الأحمر الكوفي عن بيان بن بشر وعطاء بن السائب وجماعة، وثقه ابن معين وقال أحمد: صالح الحديث، وقال ابن عدي: هو صالح شيعي مات سنة ١٦٧ هـ (الميزان ١/٤٠٧).

(٩) عبد الملك بن عمير اللخمي الكوفي الثقة أبو عمر القبطي عرف بذلك لفرس له كان اسمه قبطي رأى علياً وروى عن جابر بن سمرة وجندب البجلي وخلق وكان من أوعية العلم قال النسائي: لا بأس به، وقال أحمد ضعيف يغلط وقال أبو حاتم: تغير حفظه ووثقه العجلي توفي سنة ١٣٦ هـ (الميزان ٢/٦٦٠ - ٦٦١).

(١٠) عبد الله بن أبي أوفى - واسمه علقمة - بن أبي الحارث بن أبي سعيد بن رفاعة بن ثعلبة بن هوازن أخوزيد له صحبة وكان من أصحاب الشجرة وكنيته أبو إبراهيم سمع النبي ﷺ وآخر من مات من الصحابة بالكوفة سنة ٨٧ هـ.
(كتاب الجمع ١/٢٤٢ - ٢٤٣).

(١١) الحديث: رواه أبو نُعَيْم في الحلية من حديث ابن مسعود (٨٣/٥).

وانظر الجامع الصغير ٢/١٨٨ «رواه البيهقي في الشعب عن عبد الله بن أبي أوفى» ورمز له بالضعيف وكشف الخفاء ٢/٣٢٥ - ٣٢٩

«رواه البيهقي في الشعب والديلمي في مسند الفردوس وفيه سليمان بن عمرو النخعي أحد الكذابين».

وأمالى بن الشجري ١/٢٨١ بلفظ «نوم الصائم عبادة ونعمه تسبيح».

وكنوز الحقائق ٢/١٣٢ «رواه الديلمي».

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الخيري، أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد الميداني حدثنا محمد بن يحيى حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (ﷺ) (١): يقول الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام (٢)، فإن الصيام لي وأنا أجزي به، وخلوف من الصائم عند الله أطيب من ريح المسك (٣).

رواه مسلم عن حرملة، عن ابن وهب، عن يونس، عن الزهري وقوله ﴿الذي أنزل فيه القرآن﴾:

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد النضروي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن إبراهيم (٤) بن ماسي، حدثنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد (٥) الله، أخبرنا عبد الله بن رجاء بن الهيثم الغداني (٦) أخبرنا عمران (٧)، عن قتادة عن أبي (٨) المليلح، عن وائلة (٩): أن النبي ﷺ قال:

«أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الزبور لثمانية عشرة خلت من رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان» (١٠).

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد التميمي، أخبرنا عبد الله بن جعفر بن حيان، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الرازي أخبرنا سهل بن عثمان العسكري أخبرنا يحيى بن أبي زائدة، عن إسرائيل، عن السدي، وعن محمد بن أبي

(١) في (هـ): قال الرسول.

(٢) في (هـ): يقول الله فالصيام.

(٣) الحديث: رواه مسلم - كتاب الصيام - باب فضل الصيام - عن أبي هريرة (٤٦٥/١).

(٤) عبد الله بن إبراهيم بن أيوب بن موسى أبو محمد البزار أسند الكثير وكان ثقة ثبتاً توفي سنة ٣٦٩ عن ٩٥ سنة. (البداية والنهاية ٢٩٦/١١).

(٥) سبق.

(٦) عبد الله بن رجاء بن عمر الغداني - ثقة من شيوخ البخاري بصري قال عمرو بن علي صدوق كثير الغلط والتصحيف ليس بحجة، وقال النسائي: ليس به بأس وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢١٥ هـ (تهذيب التهذيب ٢٠٩/٥ - ٢١٠).

(٧) عمران بن داود العمي أبو العوام القطان البصري الإمام المحدث سمع يحيى بن أبي كثير وغيره وعنه عبد الله بن رجاء روى البخاري وأصحاب السنن مات في حدود سنة ١٦٠ هـ. (كتاب الجمع ٣٨٩/١ - سير الأعلام ٢٨٠/٧).

(٨) أبو المليلح: عامر بن أسامة بن عمر - ويقال زيد بن أسامة - الهذلي البصري سمع ابن عمر وبريدة بن الحصيب ومعقل بن يسار وعنه أبو قلابة وقاتة وخالد الحذاء وغيرهم توفي سنة ٩٨ هـ. وفي التقريب: عامر بن حنيفة بن ناجية الهذلي: ثقة. (تقريب التهذيب ٤٧٦/٢، الجمع ٣٧٧/١).

(٩) وائلة - بالثاء المثناة - هو ابن الأسقع بن عبد العزيز بن عبد ياليل الليثي صحابي مشهور توفي سنة ٨٣ هـ وله ١٠٥ سنة وقال الذهبي توفي سنة ٨٥ هـ وله ٩٨ سنة.

تقريب التهذيب ٣٢٨/٢ والطبراني في الكبير ٥٢/٢٢ - ٥٣ والعبر ٧٣/١).

(١٠) الحديث: رواه البيهقي في السنن - كتاب الجزية - باب ذكر كتب أنزلها الله قبل نزول القرآن - (١٨٨/٩) ومسند أحمد ١٠٧/٤ بلفظ «أنزلت...» والطبري ٤٤٦/٣ ومجمع الزوائد - كتاب العلم - باب التاريخ «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وفيه عمران بن داود القطان ضعفه يحيى وثقه ابن حبان وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقية رجاله ثقات» ١٩٧/١. والطبراني في الكبير ٧٥/٢٢ «أنزلت...» والجامع الصغير ١٠٩/١ ورمز له بالحسن، كلهم من حديث وائلة.

المجالد^(١) عن مقسم^(٢) قال: قال عطية الأزرق^(٣) لابن عباس:

﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ و﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾^(٤) و﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾^(٥) وقد أنزل في سائر الشهور، فقال: أنه أنزل في رمضان وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم^(٦) أرسلًا في الشهور والأيام^(٧).

وقوله ﴿هدى للناس﴾ أي: هاديا، يعني القرآن ﴿وبيئات﴾ جمع بيئة، يقال بان الشيء يبين بيانًا فهو بَيِّن، مثل: بيع بمعنى: بايع، والبيئات: الواضحات.

قال عطاء عن ابن عباس ﴿وبيئات من الهدى﴾ يريد: من الرشد إلى مرضاة الله^(٨). ﴿والفرقان﴾ يريد: فرق فيه بين الحق والباطل، وبين لكم ما تأتون وما تذررون.

قوله ﴿فمن شهد منكم الشهر﴾ أي: حضر، و«الشهود» في اللغة: الحضور^(٩)، ومفعول «شهد» محذوف، لأن المعنى: فمن شهد منكم البلد، أو بيته في الشهر وانتصاب «الشهر» على الظرف^(١٠).

قوله^(١١) ﴿فليصمه﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين^(١٢): معناه: فليصم ما شهد منه لأنه إن سافر في خلال الشهر كان له الإفطار.

وقوله ﴿ومن كان مريضاً أو على سفر﴾ أعاد تخير المريض والمسافر وترخيصهما في الإفطار لأن الله تعالى ذكر في الآية الأولى تخير المقيم والمسافر والمريض، ونسخ في الثانية تخير المقيم بقوله ﴿فليصمه﴾ فلو اقتصر على هذا^(١٣) احتمل أن يعود النسخ إلى التخير الجميع، فأعاد بعد النسخ ترخيص المسافر والمريض، ليعلم أنه باق على ما كان.

(١) محمد بن أبي المجالد الكوفي سمع عبد الله بن أبي أوفى وعبد الرحمن بن أبيزى وعنه أبو إسحاق الشيباني وشعبة. (كتاب الجمع ٤٦٥/٢ - ٤٦٦).

(٢) مقسم بن نجدة مولى ابن عباس صدوق من مشاهير التابعين ضعفه ابن حزم وقد وثقه غير واحد قال أبو حاتم: صالح الحديث لا بأس به - وقال العجلي والدارقطني: ثقة توفي سنة ١٠١ هـ. (الميزان ٤/١٧٦، تهذيب التهذيب ١٠/٢٨٨، ٢٨٩).

(٣) لم أقف فيما رجعت إليه على هذا الاسم يروي عن ابن عباس، وإنما الذي يروي عن ابن عباس: نافع الأزرق المتوفى سنة ٦٥ هـ وعطية بن الأسود. كما جاء في كتب الأثر.

(٤) سورة الدخان / ٣.

(٥) سورة القدر / ١.

(٦) القرآن المنجم: المنزل قدرًا فقدرًا. (مفردات الراغب / نجم ص ٤٨٣).

(٧) أرسلًا: جمع رسل - بفتح الراء - وهو التابع (حاشية (أ)).

والأثر: في مجمع الزوائد - كتاب التفسير ٦/٣١٦، الدرر ١/١٨٩ وابن كثير ١/٢١٦ وفتح القدير ١/١٨٣ - ١٨٤ كلها عن ابن عباس.

(٨) انظر تفسير الطبري ٣/٤٤٨ بنحوه، والقرطبي ١/١٦٠ وابن كثير ١/٢١٦.

(٩) انظر الكامل للمبرد ٤/١٢٧.

(١٠) انظر غريب القرآن ٧٣ - ٧٤ والمشكل ١/١٢٢ والتبيان ١/١٥٢ والتبيان ١/١٤٤ وفتح القدير ١/١٨٢.

(١١) في غير (أ) وقوله.

(١٢) انظر الزجاج ١/٢٤٠ والدرر ١/١٩٠ عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعلي وابن عمر، والقرآن ١/١٣ وفتح القدير ١/١٨٢.

(١٣) في (هـ): هذا محتمل.

وقوله ﴿يريد الله بكم اليسر﴾ «اليسر» السهولة، يقال: تيسر الأمر إذا سهل ولان.

والمعنى ﴿يريد الله بكم اليسر﴾ بالرخصة للمسافر والمريض ﴿ولا يريد بكم العسر﴾ لأنه لم يشدد ولم يضيّق عليكم وقال الشعبي^(١): إذا اختلف عليكم أمران، فإن أيسرهما: أقربهما إلى الحق، لأن الله تعالى يقول ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازي^(٢)، أخبرنا علي بن محمد بن أحمد بن عطية الحضرمي، أخبرنا الحرث بن أبي أسامة^(٣)، حدثنا أبو يونس سعيد بن يونس حدثنا حماد، عن الجريري^(٤) عن عبد الله بن شقيق^(٥)، عن محجن بن الأدرع^(٦) أن رسول الله ﷺ بلغه أن رجلاً في المسجد يطيل الصلاة فاتاه فأخذ بمنكبه^(٧) ثم قال: «إن الله رضي لهذه الأمة اليسر، وكره لهم العسر - قالها ثلاث مرات - وإن هذا أخذ بالعسر وترك اليسر»^(٨).

وقوله^(٩) ﴿ولتكملوا العدة﴾ يعني: عدة ما أفطرتم إذا أقمتم وبرأتهم فصوموا للفضاء بعدد^(٩) أيام الإقطار بالعدر. قال الفراء^(١٠): معنى الآية: ولتكملوا العدة في قضاء ما أفطرتم.

و«الواو» أو استئناف، و«اللام» من صلة فعل مضمر بعدها، والتقدير: ولتكملوا العدة شرع الرخصة، ومثله قوله ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾^(١١): أي: وليكون من الموقنين أريناه ذلك.

(١) انظر تفسير البغوي ١٥٦/١ عن الشعبي والخازن ١٥٦/١.

(٢) ابن ياكوبين الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبيد الله الشيرازي الصوفي أحد المشايخ الكبار وصاحب محمد بن خفيف وحل وعني بالحديث وكتب بفارس والبصرة وجرجان وخراسان وبخارى ودمشق والكوفة وأصبهان فأكثر وحدث توفي سنة ٤٢٨ هـ. (شذرات الذهب ٢٤٢/٣).

(٣) الحارث بن محمد بن أبي أسامة أبو محمد التميمي وثقه إبراهيم الحربي وقال الدارقطني: صدوق وقال أبو الفتح الأزدي وابن خراش: ضعيف توفي سنة ٢٨٢ هـ.

(تذكرة الحفاظ ٦١٩/٢ - ٦٢٠).

(٤) الجريري: سعيد بن إياس أبو مسعود الجريري البصري من بني قيس بن بكر بن وائل سمع عبد الرحمن بن أبي بكره وعبد الله بن بريدة توفي سنة ١٤٤ هـ. (الجمع ١/١٦٣).

(٥) عبد الله بن شقيق العقيلي البصري - من عقيل بن كعب بن عامر بن ربيعة بن صعصعة بن معاوية بن بكر يكتنأ عبد الرحمن سمع من عثمان وعلي وأبي هريرة وابن عباس وعائشة وابن عمر وغيرهم وعنه سعيد الجريري وخالد الحذاء وحמיד الطويل توفي سنة ١٠٨ هـ. (الجمع ١/٢٧٣ - ٢٧٤).

(٦) محجن بن الأدرع الأسلمي صحابي جليل روى عن النبي ﷺ وعنه عبد الله بن شقيق وحنظلة بن علي الأسلمي ورجاء بن أبي رضاء سكن البصرة وتوفي سنة ٦٠ هـ.

(تهذيب التهذيب ٤٥/١٠ والأعلام ١٧٠/٦).

(٧) في (هـ): بمنكبه.

(٨) الحديث: رواه الطبراني في الكبير ٢٩٨/٢٠، والجامع الصغير ٧٠/١ ورمز له بالصحيح وكنوز الحقائق ٥٥/١ كلهم من حديث محجن.

(٩) في (ح): قوله عدد.

(١٠) انظر معاني القرآن للفراء ١١٣/١.

(١١) سورة الأنعام / ٧٥.

وقرىء ﴿ولتكملوا﴾ بالتشديد^(١)، وفعل وأفعل: يتعاقبان في أكثر الأحوال، كما ذكرنا في «وصى»
«وأوصى»^(٢).

وقوله^(٣) ﴿ولتكبروا الله على ما هداكم﴾ قال ابن عباس^(٤): لتعظموا الله على ما أرشدكم له من شرائع الدين،
وقال كثير من العلماء^(٥): أراد به^(٦) التكبير ليلة الفطر.

وكان أبو سلمة وعروة وسعيد بن المسيب: يجهرون بالتكبير ليلة الفطر لقول الله تعالى ﴿ولتكبروا الله على ما
هداكم﴾^(٧) وقال زيد بن أسلم في هذه الآية: يعني التكبير يوم الفطر^(٨).

﴿ولعلمكم تشكرون﴾ يعني: الرخصة.

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي
لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ اللَّيْلِ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ
عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَشِّرُوهُمْ وَابْتَغُوا مَا
كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ
إِلَى الْإِيلِ وَلَا تَبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني...﴾ الآية: قال الضحاك: سأل بعض الصحابة النبي ﷺ:
أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٩).

(١) قرأ يعقوب وأبو بكر (ولتكملوا) بتشديد الميم وحجتهما: قول الناس: تكلمة الثلاثين، وعن أبي بكر قال: شدتها لقوله (ولتكبروا الله)،
وقرأ الباقون بالتخفيف.

(انظر الحجة لأبي زرة ١٢٦، والسبعة ١٧٧، والنشر ٢٢٦/٢ والحجة لابن خالويه ٩٣، والزجاج ٢٤١/١).

(٢) انظر تفسير الآية ١٣٣ من سورة البقرة.

(٣) في غير (أ) قوله.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٥.

(٥) انظر الطبري ٤٧٩/٣ عن ابن عباس وسفيان وابن زيد والدر ١٩٤/١ عن ابن عباس وأنس وأبي عبد الرحمن السلمي والزهري، وابن
مسعود وعطاء وابن كثير ٢١٨/١.

(٦) في (ح): آرائه.

(٧) انظر البحر ٤٤/٢، والقرطبي ٣٠٦/٢ عن الشافعي.

(٨) انظر تفسير الطبري ٤٧٨/٣ - ٤٧٩ والدر ١٩٤/١ كلاهما عن زيد.

(٩) انظر الدر ١٩٤/١، وابن كثير ٢١٨/١، وفتح القدير ١٨٥/١، والطبري ٤٨٠/٣ كلها عن الصلت بن حكيم بن معاوية بن حيدة
القشيري عن أبيه عن جده، أن أعرابياً قال يا رسول الله: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبي ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿وإذا
سألك عبادي عني...﴾ الآية.

وانظر أسباب النزول للسيوطي ص ٣٠ وغرائب النيسابوري ١٩٢/٢ والبحر ٤٥/٢ عن الحسن والرازي ٩٤/٥ والبغوي ١٥٩/١ عن
الضحاك.

وقوله ﴿فإني قريب﴾ قال عطاء عن ابن عباس^(١): قريب من أوليائي وأهل طاعتي.

وقال أهل المعاني: ^(٢) يريد: قرابة بالعلم، كما قال ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾^(٣) وقال ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾^(٤) يريد: بالعلم.

وقوله ﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾^(٥) قال السدي: ^(٦) ما من مؤمن يدعو الله إلا استجاب له، فإما إن عجل له في الدنيا، وإما إن ادخر له في الآخرة، أو دفع به عنه مكروهاً، ويدل على صحة هذا التفسير ما أخبرنا:

أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم الصوفي أخبرنا محمد بن أحمد بن أيوب^(٧) أخبرنا عبد الله بن رستم الدينوري^(٨)، أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن^(٩)، أخبرنا عمي عبد الله بن وهب^(١٠)، أخبرني طلحة بن عمرو، عن عطاء، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:

«ما قال عبد قط: يا رب يا رب يا رب^(١١) - ثلاثاً - إلا قال الله عز وجل: لبيك عبدي فيعجل من ذلك ما يشاء، ويؤخر ما يشاء»^(١٢).

وما أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا محمد بن يعقوب، أخبرنا أحمد بن حازم الغفاري^(١٣)، حدثنا أبو غسان^(١٤) عن جعفر - يعني الأحمر^(١٥) - عن بيان^(١٦) عن أنس بن مالك قال:

(٣) سورة المجادلة / ٧.

(٤) سورة الحديد / ٤.

(١) انظر تفسير الطبري ٤٨٣/٣ بمعناه.

(٢) انظر تفسير البغوي ١٥٩/١ والخازن ١٥٩/١ وفتح القدير ١٨٤/١.

(٥) في جميع (النسخ) ﴿أجيب دعوة الداعي إذا دعاني﴾ والمثبت من المصحف الشريف.

(٦) انظر تفسير الطبري ٤٨٢/٣ عن السدي، وابن كثير ٢١٨/١ عن عبادة مرفوعاً.

(٧) محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت أبو الحسن المقرئ المعروف بابن شنبوذ روى عن أبي مسلم الكجي وبشر بن موسى وخلف وكانت له حروف في القراءات أنكرت عليه فرجع عنها وكانت قراءات شاذة أنكرها عليه أهل عصره توفي سنة ٣٢٨ هـ. (البداية والنهاية ١١/١٩٤).

(٨) لم أقف عليه.

(٩) أحمد بن عبد الرحمن بن وهب القرشي أبو عبد الله المصري عن عمه ابن وهب والشافعي وعنه أبو داود ضعفه النسائي حدث عنه مسلم في الصحيح وأبو حاتم الرازي وابن خزيمة وابن جرير توفي سنة ٢٦٤ هـ (طبقات الشافعية ٢/٢٦: وحسن المحاضرة ١/٢٩١).

(١٠) في (أ، هـ) والمطبوعة: عمر بن عبد الله: تحريف والمثبت من كتب التراجم والنسخة (ح) وعبد الله بن وهب هو الذي روى عنه ابن أخيه أحمد بن عبد الرحمن سبق.

(١١) في (خ): يا رب يا رب، وفي (هـ): يا رب.

(١٢) الحديث: رواه الحاكم في المستدرک - كتاب الدعاء - وصححه عن أبي هريرة بنحوه (٤٩٧/١)، والجامع الكبير ٧٠٨/١ «رواه الديلمي عن أبي هريرة».

(١٣) أحمد بن حازم بن عزرة الغفاري أبو عمرو الحافظ محدث الكوفة قال ابن حبان: كان متقناً وقال ابن ناصر الدين: كان ثقة توفي سنة ٢٧٦ هـ. (شذرات الذهب ١٦٨/٢ - ١٦٩).

(١٤) أبو غسان: مالك بن إسماعيل بن درهم - ويقال ابن زياد بن درهم - أبو غسان، النهدي: مولاهم الكوفي الحافظ ابن بنت حماد بن أبي سلمة روى عن جعفر بن زياد الأحمر وغيره وعنه البخاري وأبو حاتم وأبو زرعة الرازي. وقال عثمان بن أبي شيبة: صدوق ثبت مهن إمام توفي سنة ٢١٩ هـ (تهذيب التهذيب ٣/١١ - ٤).

(١٥) جعفر بن زياد الأحمر أبو عبد الله - ويقال أبو عبد الرحمن - عن بيان بن بشر والأعمش ومغيرة بن مقسم وغيرهم وعنه أبو غسان وابن إسحاق وابن عيينة وغيرهم قال أحمد: صالح الحديث، وقال ابن معين: ثقة توفي سنة ١٦٧ هـ.

(تهذيب التهذيب ٢/٩٢ - ٩٣).

(١٦) بيان بن بشر الأحمسي المعلم الكوفي يكنى أبا بشر سمع قيس بن أبي حازم والشعبي ووريرة بن عبد الرحمن وأنس بن مالك وإبراهيم

قال أصحاب رسول الله ﷺ: إنا ندعو بدعاء كثير منه ما نرى إجابته ومنه ما لا نرى إجابته، فقال: «والذي نفس محمد بيده، ما منكم من أحد يدعو بدعوة إلا استجيب له، أو صرف عنه مثلها سوءاً، إذا لم يدع بمأثم أو قطيعة رحم» قالوا يا رسول الله: إذا نكث، قال: فالله أكثر وأطيب - ثلاث مرات -^(١).

قال ابن الأنباري^(٢) ﴿أجيب﴾ ها هنا بمعنى: أسمع لأنه أخبر عن قربه وظاهر القرب يدل على السماع، لا على الإجابة، والإجابة: قد تكون في بعض المواضع بمعنى السماع، لأنها تترتب على السماع، فسمى السماع إجابة، كما تقول: دعوت من لا يجيب، أي: من لا يسمع قال الشاعر:

منزلة صم صداها وعفت أرسمها إن سئلت لم تجب^(٤)

أراد: لم تسمع فنفى الإجابة، لأن نفيها يدل على نفي السماع.

وقوله ﴿فليستجيبوا لي^(٥)﴾ أي: فليجيبوني^(٦) بالطاعة وتصديق الرسل^(٧) وأجاب واستجاب بمعنى واحد، وإجابة العبد لله^(٨): الطاعة.

وقوله ﴿لعلهم يرشدون﴾: ليكونوا على رجاء من إصابة الرشد، وهو نقيض الغي

وقوله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ قال المفسرون^(٩): كان الجماع في أول فرض الصيام محرماً في ليالي الصيام، والأكل والشرب بعد العشاء الآخرة، فأحل الله تعالى^(١٠) ذلك كله إلى طلوع الفجر.

= التيمي، وعنه سفيان بن عيينة وأبو عوانة وزهير وجريير وغيرهم روى له البخاري ومسلم. (كتاب الجمع ٥٩/١).
(١) الحديث: رواه عبد الرزاق في المصنف ٤٤٣/١٠ عن أنس.

والمستدرک - كتاب الدعاء - عن أبي سعيد الخدري بالفاظ متقاربة ٤٩٣/١
والترمذي - كتاب الدعاء - باب في انتظار الفرج - عن عبادة رقم ٣٦٣٣ بنحوه وقال حسن غريب صحيح من هذا الوجه. ومصنف ابن أبي شيبة ٢٠١/١٠ عن أبي سعيد والطبراني في الأوسط ١٣٠/١ عن عبادة والحلية ١٣٧/٥ عن عبادة ٣١١/٦ عن أبي سعيد والجامع الكبير ٧١١/١ «رواه أحمد والترمذي عن جابر».

(٢) انظر الزاهر ١٥٤/١ والرازي ١٠٠/٥ - ١٠١ عن ابن الأنباري والبحر ٢٧/٢، ٤٧.
(٣) في (ح): أي دعوت.

(٤) عفت: درست، أرسمها: أعلامها. (حاشية (أ)).

والصدى: ما يرجع عليك من صوت الجبل ومنه قول امرئ القيس:

صم صداها وعفار سمها. (اللسان / صدى، صمم). وصم صدها: أي هلك.

(٥) في (ح): (فليستجيبوا).

(٦) في (أ، هـ): فليجيبوا.

(٧) انظر في هذا المعنى: مجاز القرآن ٦٧/١ والطبري ٤٨٣/٣.

(٨) في (ح، هـ): لله تعالى.

(٩) في (ج، هـ): قوله تعالى.

(١٠) انظر الزجاج ٢٤٣/١ وفتح الباري ١٠٣/٤ وما بعدها ١٤٦/٨، والفتح الرباني ٨٠/١٨ - ٨١ والترمذي - كتاب التفسير - باب من سورة البقرة رقم ٤٠٤٨ عن البراء وقال حسن صحيح ٢٧٨/٤ - ٢٧٩ والدر ١٩٧/١ عن البراء وكعب بن مالك وأبي هريرة وابن عباس.

وقوله (ليلة الصيام) مجازها: ليل الصيام والعرب تضع الواحد الواحد في موضع الجمع (مجاز القرآن ٦٧/١).

(١١) في غير (أ) فأحل الله ذلك.

وقال الوالي عن ابن عباس (١): كان المسلمون في شهر رمضان إذا صلوا العشاء الآخرة حرم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة ثم إن ناساً من المسلمين أصابوا من الطعام والنساء في شهر رمضان بعد العشاء، منهم: عمر بن الخطاب رضي الله عنه - فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

و«الرفث» ها هنا: كناية عن الجماع (٢)، قال ابن عباس: (٣) إن الله حيي يكتني بما يشاء، إن الرفث واللماس (٤) والمباشرة والإفضاء: هو الجماع.

وقال الزجاج (٥): «الرفث»: كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة.

وقال الأخفش (٦): إنما عذاه بيالي، لأنه بمعنى الإفضاء.

وقوله ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ أصل «اللباس»: ما يلبسه الإنسان مما يوارى جسده، ثم المرأة تسمى لباس الرجل، والرجل (٧) لباس المرأة، لانضمام جسد كل واحد منهما إلى جسد صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه فلما كانا يتلبسان عند الجماع سمي كل واحد منهما لباساً للآخر.

قال الربيع (٨): هن فراش لكم وأنتم لحاف لهن، والمفسرون يقولون (٩): هن سكن لكم وأنتم سكن لهن، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة.

والمعنى: إنكم تلبسونهن، وتخالطونهن بالمساكنة، وهن كذلك، أي: قل ما يصبر أحد الزوجين عن الآخر فمن فضل الله أن رخص في إتيانهن ليالي الصيام.

وقوله ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ يقال: خانه واختانه: إذا لم يف له والمعنى: علم الله أنكم كنتم تخونون أنفسكم بالمعصية، أي: لا تؤدون الأمانة في الامتناع عن المباشرة ﴿فتاب عليكم﴾ أي: عاد عليكم بالرخصة ﴿وعفا عنكم﴾ ما فعلتم قبل هذا ﴿فالآن باسروهن﴾: أمر بإباحة.

و«المباشرة»: المجامعة لتلاصق البشريتين ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ أي: اطلبوا ما قضى الله لكم من الولد وهذا قول أكثر المفسرين (١٠).

(١) رواه أحمد في المسند ٤٦٠/٣ عن كعب بن مالك والبحر ٤٨/٢ والدر ١٩٧/١ عن ابن عباس وأسباب النزول للواحي ص ٢٣ وفتح القدير ١٨٧/١ عن ابن عباس وأبو داود في السنن - كتاب الصوم - باب مبدأ فرض الصوم - رقم ٢٣١٣ عن ابن عباس (٢/٢٩٥).

(٢) انظر الكامل للمبرد ١٣١/٢ والبحر ٤٨/٢.

(٣) انظر تفسير الطبري ٤٨٧/٣ والدر ١٩٨/١، ٢٠١ كلاهما عن ابن عباس وتفسير مجاهد ص ٩٧.

(٤) في (ج، هـ): اللباس، وهي مفسرة في هامش (أ): «من اللمس».

(٥) انظر الزجاج ٢٤٢/١، ٢٥٩ والبحر ٢٧/٢ عن الزجاج وابن عباس وفتح القدير ١٨٥/١ عن الزجاج.

(٦) انظر الأخفش ٣١٥/١ - ٣١٦ والبحر ٤٨/٢ وحاشية (أ).

(٧) في (هـ): والرجل يسمى لباس...

(٨) انظر تفسير ابن كثير ٢٢٠/١ عن الربيع بن أنس «هن لحاف لكم وأنتم لحاف لهن».

(٩) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٦ ومجاهد ص ٩٧ والزجاج ٢٤٣/١ والطبري ٤٩٢/٣ عن قتادة والسدي وابن عباس والمستدرک - كتاب

التفسير - وضححه عن ابن عباس ٢٧٥/٢ والدر ١٩٨/١ عن ابن عباس وابن كثير ٢٢٠/١ عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبر

والحسن وغيرهم، وفتح القدير ١٨٧/١ عن ابن عباس.

(١٠) انظر الفراء ١١٤/١، والدر ١٩٨/١ عن ابن عباس وتفسير ابن عباس ص ٢٦ والبحر ٥٠٢ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والزجاج =

﴿وكلوا واشربوا﴾: أمر إباحة ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ فسر النبي ﷺ هذا ببياض النهار وسواد الليل.

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر بن الهيثم الأنباري^(١)، أخبرنا محمد بن أبي العوام^(٢) حدثنا الأسود بن عامر^(٣) حدثنا شريك عن حصين^(٤)، عن عامر^(٥) عن عدي بن حاتم قال: قلت للنبي ﷺ: إني وضعت تحت رأسي خيطين، فلم يتبين لي شيء، قال «إنك لعريض الوساد، إنما ذلك الليل والنهار، أو النهار والليل»

رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن عبد الله بن إدريس^(٦) عن حصين^(٧).

قال سهل بن سعد^(٨): كان الرجل إذا أراد الصوم ربط في رجله خيطين: أسود وأبيض فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له زيهما^(٩) فأنزل الله عز وجل (من الفجر) فعلموا أنه يعني: الليل والنهار^(١٠).

= ٢٤٤/١ وقال «ويجوز أن يكون - وهو الصحيح عندي والله أعلم - «وابتغوا ما كتب الله لكم»: اتبعوا القرآن فيما أبيح لكم فيه وأمرتم به فهو المبتغى» وانظر فتح القدير ١/١٨٦.

(١) محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم بن عمران بن يزيد أبو بكر بن المنذر أصله أنباري سمع أحمد البرجلاني ومحمد بن العوام الرياحي وجعفر بن محمد الصائغ، قال ابن الجوزي: وهو آخر من روى عنهم، قالوا: وكانت أصوله جياداً يخط أبيه وسماعه صحيحاً توفي سنة ٣٦٠ هـ (البداية والنهاية ١١/٢٧٠).

(٢) المحدث الإمام أبو بكر وأبو جعفر: محمد بن أحمد بن يزيد بن أبي العوام سمع يزيد بن هارون وعبد الوهاب بن عطاء وجماعة وعنه ابن الهيثم الأنباري وإسماعيل الصفار وأبو بكر الشافعي قال الدارقطني: صدوق توفي سنة ٢٧٦ هـ (سير الأعلام ١٣/٧).

(٣) في (هـ) أسود وهو: الأسود بن عامر أبو عبد الرحمن الحافظ شاذان أحد الأبيات حدث عن هشام بن حسان وطلحة بن عمرو وشعبة والثوري وطبقتهم وثقه غير واحد توفي سنة ٢٠٨ هـ (تذكرة الحفاظ ١/٣٦٩).

(٤) حصين بن عبد الرحمن السلمي الكوفي الحافظ أبو الهذيل ابن عم منصور بن المعتمر حدث عند شعبة والثوري وأبو عوانة وغيرهم وكان ثقة حجة حافظاً قال أحمد: حصين ثقة مأمون من كبار أصحاب الحديث توفي سنة ١٣٦ هـ عن ٩٣ سنة (تذكرة الحفاظ ١٤٣/١ - ١٤٤).

(٥) هو الشعبي.

(٦) عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن بن الأسود الأودي الكوفي أبو محمد سمع إسماعيل بن أبي خالد وغيره توفي سنة ١٩٢ هـ.

(كتاب الجمع ١/٢٤٦ - ٢٤٧).

(٧) الحديث: رواه مسلم - كتاب الصوم - باب أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر ١/٤٤١، وأبو داود - كتاب الصوم - باب وقت السحور. رقم ٢٣٤٩ (٢/٣٠٤) كلاهما من حديث عدي بن حاتم.

«والوساد والوسادة: المخدة، والجمع: وسائد ووسد» (اللسان / وسد).

وهنا «كناية عن عريض الفقا، كناية عن الأحمق» (حاشية (أ)).

(٨) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة الإمام الفاضل المعمر بقية أصحاب رسول الله ﷺ أبو العباس الخزرجي الأنصاري الساعدي حدث عنه ابنه عباس وأبو حازم والأعرج والزهري وغيرهم وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة توفي سنة ٩١ هـ وكان من أبناء المائة. (سير الأعلام ٣/٤٢٢ - ٤٢٣).

(٩) زيهما أي: لونهما (حاشية (أ))، وفي حاشية (هـ) الزي: اللباس والهيئة.

(١٠) انظر فتح الباري ٤/١٠٧ - ١٠٨ وصحيح مسلم بشرح النووي ٧/٢٠١ - ٢٠٢ والدر ١/١٩٩ وابن كثير ١/٢٢١ وأسباب النزول للواحدي ٣٤ - ٣٥ وأسباب النزول للسيوطي ص ٣٢ كلها عن سهل.

وقوله ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾.

أخبرنا أبو نصر بن إبراهيم^(١) الأسفرايني أخبرنا ابن بطة أخبرنا البغوي، أخبرنا الحكم بن موسى^(٢)، حدثنا الهيثم بن حميد حدثنا ثور بن يزيد^(٣) عن علي بن أبي طلحة عن عبد الله بن زيد^(٤):

«أن رسول الله ﷺ واصل بين يومين وليلة، فاتاه جبريل^(٥) فقال: قبلت مواصلتك ولا تحل لأمتك من بعدك^(٦)، فإن الله تعالى يقول ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ فلا صيام بعد الليل^(٧) وقوله ﴿ولا تبأشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾ قال المفسرون^(٨): كان الرجل يخرج من المسجد وهو معتكف فيجامع أهله^(٩) ثم يعود، فهوا عن ذلك ماداموا معتكفين، فالجماع يفسد الاعتكاف.

وقوله ﴿تلك حدود الله﴾ أشار إلى الأحكام التي ذكرها في هذه الآية و﴿حدود الله﴾ ما منع الله من مخالفتها ومعنى «الحد» في اللغة: المنع، ومنه يقال للبواب حداد، لمنعه الناس من الدخول إلا بالأذن^(١٠).

وقوله ﴿فلا﴾^(١١) تقربوها أي: لا تأتوها ﴿كذلك يبين الله آياته للناس﴾ أي: مثل هذا البيان الذي ذكر ﴿لعلهم يتقون﴾ لكي يتقوا ما حرم الله ومنع منه.

(١) في (أ) والمطبوعة: أبو نصر إبراهيم والذي روى عن ابن بطة - كما تقدم - أبو نصر أحمد بن إبراهيم.

(٢) الحكم بن موسى بن شيرزاد الحافظ الزاهد البائد رأى الإمام مالكا وروى عن ابن المبارك وإسماعيل بن عياش والهيثم بن حميد وعبد الجباري ومسلم وأبو داود وثقه ابن معين والعجلي وقال أبو حاتم: صدوق وقال ابن سعد ثقة كثير الحديث بزار صالح ثبت توفي سنة ٢٣٢ هـ (تذكرة الحفاظ ٤٧٤/٢).

(٣) ثور بن يزيد الكلاعي أبو خالد الحمصي قال ابن معين ومحمد بن عوف والنسائي والعجلي ثقة وقال أبو حاتم صدوق حافظ توفي سنة ١٥٣ (تهذيب التهذيب ٣٣/٣ - ٣٥).

(٤) في (أ) والمطبوعة: عبد الله بن ذر، ولا أدري من هو الذي روى عنه علي بن أبي طلحة والثابت من (ح) وهو: عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي البصري أبو قلابة ابن أخي المهلب تابعي ثقة سمع أنس بن مالك وثابت بن الضحاك وعمه أبو المهلب وعائشة وغيرهم وعنه أيوب وخالد الحذاء ويحيى بن أبي كثير وغيرهم أرسل عن حذيفة وعائشة وطائفة توفي سنة ١٠٧ هـ. (تذكرة الحفاظ ٩٤/١ - الجمع ٢٥١/١).

(٥) في (هـ): فاتاه جبريل فاتاه جبريل.

(٦) في (ح): ولا تحل ولأمتك من بعد.

(٧) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب الصوم - باب في الوصال «رواه الطبراني في الأوسط عن عبد الملك عن أبي ذر ولم أعرف عبد الملك، وبقية رجاله رجال الصحيح» (١٥٨/٣) وفي علل الحديث للرازي «سألت أبي زرعة عن حديث روى يحيى بن حمزة عن ثور عن علي بن أبي طلحة عن علي بن أبي ذر» أن النبي ﷺ واصل بين يومين... الحديث «قال أبو محمد: وقد روى هذا الحديث الوليد عن ثور عن علي بن أبي طلحة عن من لا يتهم عن عبد الملك بن أبي ذر عن النبي ﷺ، فأيهما أصح عنده قال: حديث الوليد أصح» (٢٥٢/١).

وانظر الفتح الرباني ٨٦/١٠ بنحو ما قاله الهيثمي في مجمع الزوائد. ومسنده أحمد ١٢٦/٦ عن أبي ذر.

(٨) انظر الزجاج ٢٤٤/١ وتفسير ابن عباس ص ٢٦ والدر ٢٠١/١ عن ابن عباس والضحاك وقتادة والربيع وابن كثير ٢٢٤/١ عنها ومجاهد والحسن وفتح القدير ١٨٧/١ - ١٨٨ عنهم.

(٩) في (هـ): فيجامع ثم يعود.

(١٠) في (ح): إلا بإذنه - وانظر معنى «الحد» في معاني القرآن للزجاج ٢٤٤/١ - ٢٤٥.

(١١) في (ح): ولا تقربوها، «والفاء»: عاطفة على شيء محذوف تقديره: تنبهوا فلا تقربوها (البيان ١٥٥/١).

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

قوله ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل قال ابن عباس^(١): يعني: باليمين الباطلة والكاذبة يقطع الرجل بها مال أخيه المسلم.

والأكل بالباطل على وجهين: أحدهما: أن يكون على جهة الظلم، من نحو الغضب والخيانة والسرقة والثاني: على جهة الهزء^(٢)، واللعب، كالذي يؤخذ^(٣) في القمار والملاهي ونحو ذلك.

قوله ﴿وتدلوا بها﴾^(٤) أي: لا تدلوا بأموالكم ﴿إلى الحكام﴾ أي: لا تصنعوهم بها، ولا ترشوهم ليقطعوا لكم حقاً لغيركم ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنه لا يحل لكم. ومعنى «الإدلاء» في اللغة: إرسال الدلو وإلقاؤها في البئر، ومنه قوله تعالى: ﴿فادلى دلوه﴾^(٥) ثم جعل كل^(٦) إلقاء قول أو فعل إدلاء^(٧). يقال للمحتج: أدلى بحجته، كأنه يرسلها إلى مراده إدلاء المستقي الدلو ليصل إلى مطلوبه من الماء، وفلان يدلي إلى الميت بقرابة أو رحم، إذا كان يمتم^(٨) إليه.

فمعنى ﴿وتدلوا بها إلى الحكام﴾: تتقربون وتتوصلون بتلك الأموال إليهم ليحموا لكم، وهو قوله ﴿لتأكلوا فريقاً﴾ أي: طائفة ﴿من أموال الناس بالإثم﴾ قال ابن عباس: باليمين الكاذبة. وقال غيره^(٩): بالباطل يعني، بأن ترشوا الحاكم ليقضي لكم ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنكم مبطلون وأنه لا يحل لكم.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ ۗ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾

قوله^(١٠) ﴿يسألونك عن الأهلة...﴾ الآية: «الأهلة» جمع هلال^(١١) وهو غرة القمر حين يراها الناس، سميت هلالاً لأن الناس يهلون بذكر الله، ويذكرها - حين يرون - أي: يرفعون أصواتهم.

قال معاذ بن جبل^(١٢): يا رسول الله إن اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن الأهلة، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١٣).

(١) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٦ وأسباب النزول للسيوطي ص ٣٢ وابن كثير ٢٢٥/١ عن ابن عباس.

(٢) في (ج، هـ): الهزء.

(٣) في (هـ): يدخر.

(٤) في محل الجزم بتكرير حرف النهي، معناه: ولا تدلوا (حاشية (أ)).

(٥) في (ح): ثم جعل كل إدلاء.

(٦) انظر الزاهر ٤٤١/١ والزجاج ٢٤٥/١ والطبري ٥٥١/٣.

(٧) أي: يمتم، ويمت: من المت وهو التقرب، والمت توصل بقرابة، والمائة: الحرمة والوسيلة تقول: فلان يمتم إليك بقرابة. (حاشية (أ)).

(٨) انظر غريب القرآن ص ٧٥ والدر ٢٠٣/١ عن قتادة وابن كثير ٢٢٥/١ عن قتادة.

(٩) في (ج، هـ): قوله تعالى.

(١٠) في المطبوعة: جمع الهلال. وانظر معنى «الأهلة» في معاني القرآن للزجاج ٢٤٦/١ - ٢٤٧، والبحر ٥٩/٢.

(١١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس - ويقال ابن أوس - الأنصاري الخزرجي المدني نزل الشام يكنى أبا عبد الرحمن - ويقال أبو عبد الله - شهد بدرًا والعقبة سمع النبي ﷺ توفي في طاعون عمواس سنة ١٧ أو ١٨ هـ. (الجمع ٤٨٧/٢).

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٦ والدر ٢٠٣/١ وفتح القدير ١٨٩/١ وغرائب النيسابوري ٢٢٢/٢، والقرطبي ٣٤١/٢ كلها عن معاذ.

والبحر ٦١/٢ عن معاذ وثعلبة بن غنم، والرازي ١٢٠/٥ عنهما.

وقال قتادة^(١) ذكر لنا أنهم سألوا نبي الله ﷺ: لم خلقت هذه الأهله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قل هي مواقيت للناس والحج﴾.

أخبر الله تعالى أن الحكمة في زيادة القمر ونقصانه: زوال الالتباس عن أوقات الناس في حجهم وحل ديونهم، وعدد نسائهم، وأجور أجرائهم، ووقت صومهم وإفطارهم.

حدثنا الشيخ أبو معمر المفضل بن إسماعيل - إملاء - بجرجان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة حدثنا جدي: أبو بكر الأسماعيلي أخبرني الحسن بن سفيان، حدثنا حبان^(٢) بن موسى، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا يحيى بن عبيد الله^(٣)، أنه سمع أباة^(٤) يقول: سمعت أبا هريرة يقول:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله جعل الأهلة مواقيت للناس فلا تقدموا الشهر بالصيام، فإذا رأيتموه فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فأتوموا ثلاثين»^(٥).

و«المواقيت»: جمع الميقات، بمعنى: الوقت، كالميعاد بمعنى الوعد^(٦).

وقوله «وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها» قال عامة المفسرين^(٧): كان أهل الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم نقب في بيته نقباً من مؤخره، يخرج منه ويدخل، فأعلمهم الله أن ذلك ليس ببر «ولكن البر من

(١) انظر الدر ٢٠٣/١ عن ابن عباس وفتادة وأبي العالية وكذا فتح القدير ١٨٩/١ عنهم والطبري ٥٥٣/٣ - ٥٥٤ عن ابن عباس وفتادة والربيع وابن جريج، وأحكام القرآن لابن العربي ٩٩/١ عن قتادة وابن كثير ٢٢٥/١ عن أبي العالية وفتادة والربيع بن أنس وعطاء والضحاك والسدي، ومعاني القرآن للفراء ١١٥/١.

(٢) في المطبوعة: حباب ونسبه إلى عمدة القوي والضعيف.

والذي في عمدة القوي «حبان» بحاء مكسورة وباء معجمة بواحدة» فقط ولم يتكلم عن الحرف الأخير أهو باء أو نون.

وهو: حبان - بكسر الحاء وآخره نون - ابن موسى بن سوار يكنى أبا محمد السلمي المروزي سمع ابن المبارك روى عنه البخاري ومسلم وأكثر عنه البخاري وهو ثقة توفي سنة ٢٣٣ هـ (تقريب التهذيب ١٤٧/١، الجمع ١١٦/١).

(٣) يحيى بن عبيد الله بن موهب التيمي القرشي من أهل المدينة يروي عن أبيه وعنه ابن المبارك ويعلى بن عبيد، وكان من خيار عباد الله يروي عن أبيه ما لا أصل له وأبوه ثقة وكان ابن عيينة شديد الحمل عليه. (المجروحين ١٢١/٣).

(٤) عبيد الله بن موهب الهمداني أبو خالد الشامي قاضي فلسطين لعمر بن عبد العزيز ثقة من الثالثة (تهذيب التهذيب ٤٧/٦ وتاريخ الثقات ص ٢٨١، تقريب التهذيب ٤٥٥/١).

(٥) الحديث: رواه الطبراني في الكبير عن طلق بن علي (٣٩٧/٨).

والترمذي: كتاب الصيام - باب ما جاء لا تقدموا الشهر بصوم رقم ٦٧٩ عن أبي هريرة بالفاظ متقاربة وبروايات متعددة وقال الترمذي حسن صحيح (٩٦/٢).

ومجمع الزوائد - كتاب الصوم - باب في الأهلة - عن طلق بن علي بنحوه (١٤٥/٣).

والمستدرک - كتاب الصوم - عن ابن عمر «صحيح الإسناد على شرط الشيخين» (٤٢٣/١).

ومصنف ابن أبي شيبة ٢١/٣ عن أبي هريرة.

وانظر صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب قول النبي ﷺ إذا رأيت الهلال فصوموا - بروايات متعددة بنحوه ٣٢٧/٢.

(٦) انظر البحر ٥٩/٢.

(٧) انظر الزجاج ٢٥١/١ وفتح الباري ١٤٧/٨، الدر ٢٠٤/١ عن البراء وجابر وابن عباس والزهري والسدي والنخعي وعطاء والحسن، وابن كثير ٢٢٥/١ عن البخاري عن البراء والفراء ١١٦/١ - ١١٧ والطبري ٥٥٦/٣ - ٥٥٨ عن البراء ومجاهد والنخعي والزهري والبحر ٦٢/٢ - ٦٣ عن البراء والزهري وفتادة، والرازي ١٢٥/٥.

اتقى ﴿ أي: بر من اتقى مخالفة^(١) الله، وأمرهم بترك سنة الجاهلية^(٢) فقال ﴿وأوتوا البيوت من أبوابها﴾، أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أخبرنا أبو عمرو بن مطر حدثنا أبو خليفة الجمحي^(٣)، حدثنا أبو الوليد^(٤)، والحوضي^(٥) قالوا: حدثنا شعبة^(٦)، أنبأنا أبو اسحاق^(٧) قال: سمعت البراء^(٨) يقول: كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها، فجاء رجل فدخل من قبل بابه، فكأنه غير بذلك، فنزلت هذه الآية ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾. رواه البخاري عن أبي الوليد، ورواه مسلم عن بنادر^(٩) عن غندر^(١٠) عن شعبة^(١١).

واختلفوا في «البيوت» وأخواتها، فقرأوا بضم أولها وكسرة، فمن ضم فهو الأصل لأن فعل يجمع على فعول، ومن كسر فلاجل موافقة الياء فإن الكسرة أشد موافقة للياء من الضمة^(١٢)، ولا يستقبح ذلك، وإن لم يكن فعل، لأن الحركة إذا كانت للتقريب من الحرف لم تكره^(١٣).

ألا ترى أنه لم يجيء في الكلام عند سيبويه على فِعْلٍ إلا إِبْل^(١٤) وقد استعملوا هذا البناء بقصد تقريب الحركة من الحرف، نحو قولهم: ماضٍ لِيهِمْ^(١٥) ورجل ضِحِكٌ، وقالوا في الفعل: شَهِدَ وَلَعِبَ وَقَالُوا - أيضاً - شَعِيرٌ، وَرَغِيفٌ وشَهِيدٌ، وليس في الكلام شيء على وزن فِعِيلٍ.

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُّوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ

(١) في (هـ): أي مخالفة الله.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥١/١.

(٣) أبو خليفة الجمحي: الفضل بن الحباب - واسم الحباب عمرو - بن محمد بن شعيب الجمحي الإمام الثقة محدث البصرة وكان صادقاً مكثراً ولد سنة ٢٠٦ هـ توفي سنة ٣٠٥ هـ (سير الأعلام ٧/١٤ - ١١ التذكرة ٢/٦٧٠ - ٦٧١).

(٤) أبو الوليد الطيالسي: هشام بن عبد الملك البصري الحافظ أحد الأعلام ولد سنة ١٣٣ حدث عن شعبة وعكرمة بن عمار وهشام الدستوائي وعنه البخاري وأبو داود والدارمي وعبد بن حميد، قال أحمد أبو الوليد: شيخ الإسلام ما أقدم عليه أحداً من المحدثين وقال العجلي: ثقة ثبت توفي سنة ٢٢٧ هـ (تذكرة الحفاظ ١/٣٨٢).

(٥) الحوضي: حفص بن عمر بن الحارث بن سخيرة الأزدي أبو عمرو الحوضي البصري قال أبو طالب عن أحمد: ثبت متفنن لا يؤخذ عليه حرف واحد، ووثقه ابن قانع ومسلم وابن وضاح توفي سنة ٢٥٥ هـ (تهذيب التهذيب ٢/٤٠٥ - ٤٠٦).

(٦) سبق.

(٧، ٨) سبق.

(٩، ١٠) سبق.

(١١) الحديث: رواه البخاري - كتاب الحج - باب ﴿وأوتوا البيوت من أبوابها﴾ (٣٠٩/١ - ٣١٠). وكتاب التفسير - باب (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها...) (١٠٤/٣).

ومسلم - كتاب التفسير - باب ٢٧ - (٦٠٩/٢) كلاهما عن البراء.

(١٢) قرأ نافع - في رواية إسماعيل - وورش وأبو عمرو وحفص (البيوت) بضم الياء، وقرأ الباقر بالكسر، وحجتهم: أنهم استقلوا ضم الباء وبعدها ياء مضمومة بعدها واو ساكنة بمنزلة الضم الثالث.

(انظر الحجة لأبي زرة ١٢٧ والسبعة ١٧٨ - ١٧٩ والنشر ٢/٢٢٦ والتبيان ١/٥٧، والحجة لابن خالويه ٩٣ - ٩٤).

(١٣) ساقطة من (هـ).

(١٤) انظر الكتاب ٥٧٤/٣ وأدب الكاتب ٤٧٤ عن سيبويه وشرح القصائد السبع ص ٥٧.

(١٥) «اللهم: الابتلاع، والصفة منه: لَهِم - بفتح اللام وكسر الهاء» (حاشية (أ)).

حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِن قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِن أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَتَقْتُلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ لِلدِّينِ لِلَّهِ فَإِن أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

وقوله (١) ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ قال الربيع وابن زيد: هذه (٢) أول آية نزلت في القتال، فلما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله، ويكف عن من كف عنه (٣).

﴿ولا تعتدوا﴾ أي: لا تبدأوهم ولا تفجأوهم بالقتال قبل تقديم الدعوة ﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾ وقال ابن عباس (٤): لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ والكبير ولا من ألقى إليكم السلم وكف يده، فإن فعلتم ذلك فقد اعتديتم.

قوله ﴿واقتلوهم حيث تفتنموهم﴾ أي: حيث وجدتموهم وأخذتموهم، يقال: تفتننا فلانا في موضع كذا، أي: أخذناه. قال الفراء (٥): ثقف يثقف ثقفا وثقفا.

﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ يعني: مكة (٦) ﴿والفتنة أشد من القتل﴾: وشركهم بالله أعظم من قتلهم إياهم (٧) ﴿ولا تقتلواهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾ نهوا عن ابتدائهم بقتل أو قتال في الحرم حتى يبتدئ المشركون (٨) ﴿كذلك جزاء الكافرين﴾ أن يقتلوا حيثما (٩) وجدوا.

﴿فإن انتهوا﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ يغفر ما كان في شركهم إذا أسلموا.

قوله ﴿واقتلوهم﴾ (١٠) حتى لا تكون فتنة ﴿أي: شرك، يعني: قاتلوهم حتى يسلموا فليس يقبل من المشرك الوثني جزية﴾ ويكون الدين ﴿: الطاعة والعبادة لله﴾ وحده فلا يعبد دونه شيء، ﴿فإن انتهوا﴾ من الكفر ﴿ولا عدوان﴾ أي: لا نهب ولا قتل ولا استرقاق ﴿إلا على الظالمين﴾: الكافرين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها وسمى ما عليهم عدوانا، لأن ما يكون منهم من الكفر عدوانا (١١)، فسمى جزاء ذلك عدوانا، كقوله ﴿جزاء سيئة سيئة مثلها﴾ (١٢).

(١) في (ج، هـ): قوله.

(٢) في (أ) هو وفي المطبوعة: هي.

(٣) انظر تفسير الطبري ٥٦١/٣ - ٥٦٢ عن الربيع بن أنس وابن زيد والزجاج ٢٥١/١، وغرائب النيسابوري ٢٢٧/٢ عن الربيع وابن سيرين ٢٢٦/١ عن أبي العالية وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم والربيع بن أنس.

(٤) انظر تفسير الطبري ٥٦٣/٣ عن ابن عباس والبحر ٦٥/٢ عن ابن عباس ومجاهد وعمر بن عبد العزيز وفتح القدير ١٩١/١ عن ابن عباس وعمر بن عبد العزيز.

(٥) انظر القرطبي ٣٥١/٢ وفتح القدير ١٩٠/١ واللسان / ثقف.

وانظر معنى «ثقف» في تفسير الرازي ١٢٩/٥.

(٦) انظر غريب القرآن ص ٧٦ وتفسير ابن عباس ص ٩٢ والبحر ٦٦/٢.

(٧) انظر غريب القرآن ص ٧٦ وتفسير ابن عباس ص ٢٦ ومجاز القرآن ٦٨/١ والبحر ٦٦/٢.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٢/١ والدر ٢٠٥/١ عن قتادة.

(٩) في (ج، هـ): عدوانا.

(٩) في جميع النسخ: «حيث ما»، والوصل أولى.

(١٢) سورة الشورى / ٤٠.

(١٠) في (هـ): وقاتلواهم.

وقوله (١) ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء (٢): يريد إن قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم في مثله، قال الزجاج (٣): معناه: قتال الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام. ﴿والحرمت قصاص﴾ قال ابن عباس: يريد: إن انتهكوا لكم حرمة فانتهكوا منهم مثل ذلك.

أعلم الله أن أمر هذه الحرمت قصاص لا يكون للمسلمين أن ينتهكوها على سبيل الاعتداء، ولكن على سبيل القصاص، كقوله ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾ (٤) ويدل على هذا المعنى قوله ﴿فمن اعتدى عليكم﴾ أي: ظلم فقاتل ﴿فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ أي: جازوه باعتدائه وقاتلوه فسمى الثاني اعتداء لأنه مجازاة اعتداء (٥)، ﴿واتقوا الله﴾ بطاعته واجتناب معاصيه ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ بالعون والنصرة.

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

قوله ﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾ (٦) كل ما أمر الله به من الخير فهو في سبيل الله وأكثر ما يستعمل في الجهاد، لأنه السبيل الذي يقاتل فيه (٧).

قوله (٨) ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ الباء في بأيديكم (٩): زائدة، يقال لكل من أخذ في عمل قد ألقى يديه (١٠) إليه وفيه، ومنه قول لبيد (١١):

حتى إذا ألفت يداً في كافر

يعني: الشمس إذا (١٢) بدأت في المغيب.

و «التهلكة»: الهلاك، يقال: هلك يهلك هلاكاً وهلكاً وهلكاً وتهلكة (١٣)، ومعنى «الهلاك» الضياع، وهو مصير الشيء بحيث لا يدري أين هو (١٤)، والمعنى ولا تقربوا مما يهلككم لأن من ألقى يده إلى الشيء فقد قرب منه.

وهذا مبالغة في الزجر، وتأكيد في النهي، وكأنه المعنى: لا تقربوا من ترك الإنفاق في سبيل الله، أي لا تمسكوا ولا تبخلوا، وهذا نهى عن ترك النفقة في الجهاد.

(١) في (ج، هـ): قوله.

(٢) انظر الدر ٢٠٦/١ وابن كثير ٢٢٨/١ عن ابن عباس وغيره وفتح القدير ١٩٢/١.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٣/١.

(٤) سورة البقرة / ١٩١.

(٥) ساقطة من (ح).

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٣/١ - ٢٥٤.

(٧) البيت في ديوانه ص ١٧٦ من معلقته (قصيدة رقم ٥١) وهي من بحر الكامل.

وانظر إصلاح المنطق ص ١٢٧، ٣٣٩ والبحر ٧١/٢ والزاهر ٢١٦/١ واللسان / كفر وتكملة البيت: وأجن عورات الثغور ظلامها.

ألفت: يعني الشمس، ألفت يداً في كافر: بدأ في المغيب، الكافر: الليل لأنه يغطي ما حوله، أجن: ستر، عورات الثغور: المواضع

التي تأتي منها المخافة.

(١٢) في (ج، هـ): أي بدأت.

(١٣) وقيل: التهلكة: ما يمكن الاحتراز عنه، والهلاك: ما لا يمكن الاحتراز عنه أي لا يأخذوا في ذلك» (حاشية (أ)).

(١٤) انظر معنى «الهلاك» في مجاز القرآن ٦٨/١ والزجاج ٢٥٥/١ ومعنى «التهلكة»: ذكره الرازي بتمامه ١٢٩/٥.

قال ابن عباس: (١) أنفق في سبيل الله وإن لم يكن لك إلا سهم، أو مشقص (٢) ولا يقولن أحدكم: لا أحد شيئاً.

وقال السدي (٣): أنفق في سبيل الله ولو عقالا، ولا تقل ليس عندي شيء.

قال الزجاج (٤): مغناه: (٥) إنكم إن لم تنفقوا في سبيل الله هلكتم بالمعصية، وجائز أن يكون: هلكتم بتقوى عدوكم عليكم.

وقال أبو أيوب الأنصاري (٦): إنها نزلت فينا معشر الأنصار لما أعز الله دينه ونصر رسوله، قلنا: لو أقمنا في أموالنا، فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى هذه الآية (٧).

وعلى هذا، معنى الآية: لا تتركوا الجهاد فتهلكوا ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ قال ابن عباس (٨): أحسنوا الظن بالله فإنه يضاعف الثواب، ويخلف لكم النفقة.

وعلى قول أبي أيوب، معنى «وأحسنوا» أي جاهدوا في سبيل الله والمجاهد: محسن.

وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا بِرُءُوسِكُمْ حَتَّىٰ بَلَغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَكَرَّوْا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا رَبَّ أُولَىٰ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾

قوله ﴿وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد (٩): أتموهما بمناسكهما وحدودهما وستنهما.

(١) انظر تفسير الثوري ص ٥٩، الدر ٢٠٧/١ عن ابن عباس والطبري ٥٨٤/٣ عنه ومصف ابن أبي شيبة ٣٣١/٥ عنه.

(٢) المشقص: النصل. (حاشية (أ) واللسان / شقص).

(٣) انظر تفسير الطبري ٥٨٦/٣ عن السدي.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٥/١.

(٥) ساقطة من (ج).

(٦) أبو أيوب الأنصاري: خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار، حضر العقبة ونزل عليه الرسول ﷺ حين قدم المدينة في الهجرة وشهد بدرًا وغيرها توفي سنة ٥١ هـ (تاريخ بغداد ١٥٣/١ - ١٥٤، والكاشف ٢٦٨/١ - ٢٦٩ والطبراني في الكبير ١١٧/٤ - ١١٨).

(٧) رواه الترمذي كتاب التفسير - من سورة البقرة - رقم ٤٠٥٣ (٢٨٠/٤).

والطبراني في الكبير ١٧٦/٤ - ١٧٧ وأبو داود الطيالسي ٨١/٢ - ٨٢.

والمستدرك - كتاب الجهاد ٨٤/٢ - ٨٥ وكتاب التفسير ٢٧٥/٢ وصححه.

والدر ٢٠٧/١ - ٢٠٨ وابن كثير ٢٢٨/١ وأسباب النزول للواحدي ص ٣٨ - ٣٩، وأسباب النزول للسيوطي ص ٣٠ وغرر النيسابوري ٢٣٤/٢ - ١٣٧/٥، والرازي ١٣٧/٥، وأحكام القرآن لابن العربي ١١٦/١، كلها عن أبي أيوب.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٧ والثوري ص ٥٦ والطبري ٥٩٥/٣ عن عكرمة والدر ٢٠٨/١ عن عكرمة وابن كثير ٢٣٠/١ عن ابن عباس، والبحر ٧١/٢ عن عكرمة والوجيز للواحدي ٥١/١. وأحكام القرآن لابن العربي ١١٦/١ عن عكرمة.

(٩) أحكام القرآن لابن العربي ١١٧/١ عن مجاهد، وتفسير ابن عباس ص ٢٧.

وتأدية كل ما فيهما. وقال علي وابن مسعود^(١): إتمامهما: أن تحرم بهما من دوية أهلك مؤتفنين^(٢).

والعمرة واجبة في قول علي وابن عباس وهو قول الشافعي في الجديد^(٣)، وقال ابن عباس^(٤): والله إن العمرة لقرينة الحج في كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾.

أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد الطوسي، أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر الحافظ حدثنا محمد بن القاسم بن زكريا^(٥) حدثنا عباد بن يعقوب، حدثنا إبراهيم بن أبي يحيى^(٦)، عن داود^(٧)، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: العمرة واجبة كوجوب الحج، وهو الحج الأصغر^(٨).

أخبرنا محمد^(٩)، أخبرنا علي، حدثنا علي بن الحسن بن رستم، حدثنا محمد بن سعيد أبو يحيى العطار^(١٠)، حدثنا محمد بن كثير الكوفي^(١١)، حدثنا إسماعيل بن مسلم^(١٢)، عن محمد بن سيرين عن زيد بن ثابت^(١٣) قال:

(١) انظر الزجاج ٢٥٥/١ والدر ٢٠٨/١ كلاهما عن علي وابن مسعود والطبري ٨/٤ عن علي وسعيد بن جبيرة والمستدرک - كتاب التفسير - وصححه على شرط الشيخين ٢٧٦/٢ وغرائب النيسابوري ٣٢٩/٢ عن علي وابن مسعود وابن عباس، وابن كثير ٢٣٠/١ عن علي وابن عباس وسعيد بن جبيرة وطاووس، وفتح القدير ١٩٨/١، عن علي وأبي هريرة، وانظر تفسير الثوري ص ٦٠.

(٢) «من الائتلاف: وهو الائتلاف بمعنى الابتداء» (حاشية (أ)).

(٣) انظر فتح القدير ١٩٥/١ عن الشافعي وغيره، والأم للشافعي ١١٣/٢.

(٤) انظر صحيح البخاري - كتاب الحج - باب العمرة - عن ابن عباس (٣٠٤/١).

والدارقطني - كتاب الحج رقم ٢١٩ عن ابن عباس (٢٨٥/٢).

والدر ١٠٩/١ عن ابن عباس، والأم للشافعي ١١٣/٢ عن ابن عباس.

(٥) محمد بن القاسم بن زكريا المحاربي الكوفي تكلم فيه، وقيل: كان يؤمن بالرجعة وقد حدث بكتاب النهي عن حسين بن نصر بن مزاحم، ولم يكن له فيه سماع حدث عنه الدارقطني وغيره توفي سنة ٣٢٦ هـ. (الميزان ١٤/٤).

(٦) إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الفقيه المحدث أبو إسحاق الأسلمي المدني أحد الأعلام روى عن الزهري وابن المنكدر وخلق وعنه الشافعي وابن جريج وهو من شيوخه قال الشافعي: كان قديراً وقال أحمد: قدرني جهمي كل بلاء فيه وقال ابن معين وأبو داود: رافضي كذاب، وقال ابن عدي: لم أجد له حديثاً منكراً إلا عن شيوخ يهتملون، وقد حدث عنه الكبار توفي سنة ١٨٤ (تذكرة الحفاظ ٢٤٦/١ - ٢٤٧).

(٧) هو داود بن أبي هند سبق.

(٨) الخير: رواه الدارقطني - كتاب الجمع رقم ٢٢٠ عن ابن عباس (٢٨٥/٢). والدر ٢٠٩/١ عن ابن عباس.

(٩) علي بن الحسن بن هارون بن رستم أبو الحسن السقطي سمع أبا يحيى محمد بن سعيد العطار والحسن بن عرفة، والحسن بن محمد الصباح الزعفراني وغيرهم، قال الدارقطني: صدوق وقال يوسف القواسي: ثقة. (تاريخ بغداد ٣٨١/١١).

(١٠) محمد بن سعيد بن غالب البغدادي أبو يحيى العطار الضرير قال ابن أبي حاتم كتبت عنه مع أبي وهو صدوق ثقة وقال الخطيب: كان ثقة وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢٦١ هـ. (تهذيب التهذيب ١٨٩/٩).

(١١) محمد بن كثير الكوفي أبو إسحاق عن ليث والحارث بن حصيرة قال أحمد: مزقنا حديثه وقال البخاري: كوفي منكر الحديث، وقال ابن المدني: كتبنا عنه عجائب وخططت على حديثه، ومشاه ابن معين، وقال: شيعي ولم يكن به بأس وقال ابن عدي: الضعيف علي حديثه بين. (الميزان ١٧/٤ - ١٨).

(١٢) إسماعيل بن مسلم المكي أبو إسحاق البصري سكن مكة - ولكثره مجاورته لها قيل له مكي - وكان فقيهاً مفتياً حدث عن الحسن البصري والشعبي وحماد بن سلمة وغيرهم وعنه الأعمش وابن المبارك والسفيانان وخلق، قال عمرو بن علي: كان يحيى وعبد الرحمن لا يحدثان عنه، وقال إسحاق عن ابن عبيدة: كان يخطيء أسأله عن الحديث فما كان يدري شيئاً، وقال أبو طالب عن أحمد: منكر. (تهذيب التهذيب ٣٣١/١ - ٣٣٢).

(١٣) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد مناف بن غنم بن مالك بن النجار أبو خارجة وأبو سعيد - ويقال أبو =

قال رسول الله ﷺ: «إن الحج والعمرة فريضة، لا يضرك بأيهما بدأت»^(١).

أخبرنا أبو حفص عمر بن أحمد الماوردي، حدثنا إسماعيل بن نجيد، حدثنا أبو محمد بن نعيم^(٢)، حدثنا قتيلة ابن سعيد، حدثنا ابن لهيعة، عن عطاء عن جابر:

أن رسول الله ﷺ قال: «الحج والعمرة فريضة واجبتان»^(٣).

أخبرنا أبو طاهر الزيادي، أخبرنا محمد بن الحسن بن محمد أباذي^(٤)، حدثنا أحمد بن يوسف السلمي^(٥)، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا الثوري، عن سمي^(٦) عن أبي صالح^(٧)، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (ص): «العمرتان تكفران ما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف^(٨) عن مالك^(٩)، عن سمي^(١٠).

= عبد الرحمن - كاتب الوحي لرسول الله ﷺ مات سنة ٥١ هـ.
(كتاب الجمع ١/١٤٢).

(١) الحديث: رواه الدارقطني - كتاب الحج - رقم ٢١٧ (٢/٢٨٤).

والمستدرک - كتاب المناسك - باب الحج والعمرة فريضة - وصححه - قال الذهبي: الصحيح أنه موقوف (١/٤٧١) كلاهما عن زيد بن ثابت.

والجامع الصغير ١/١٥١ - «رواه الحاكم في المستدرک عن زيدة ورمز له بالصحيح.

والفتح الرباني ١١/٦١ «وفيه إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف وفي الحديث انقطاع».

(٢) محمد بن نعيم الجرمي الحموي نزيل حماة يروي عن أبي اليمان الحكم بن نافع وأحمد بن شبيب المرزوي قال ابن أبي حاتم محمد بن نعيم كتب عنه أبي.

(الأنساب ٤/٢٣٠).

(٣) الحديث: رواه البيهقي في السنن - كتاب الحج - باب من قال بوجوب العمرة استدلالاً بقوله تعالى: «وأتموا الحج والعمرة لله» عن جابر. (٤/٣٥٠). والمستدرک - كتاب الحج عن ابن عباس بلفظ «الحج والعمرة فريضة على الناس كلهم إلا أهل مكة» وصححه على شرط مسلم. (١/٤٧١).

والفتح الرباني ١١/٦٠ عن جابر «رواه البيهقي في السنن وقال: ابن لهيعة غير محتج به».

(٤) محمد بن الحسن بن محمد بن محمد أباذي أبو طاهر اللغوي - أباز محلة بنيسابور - قال الحاكم - كان من كبار الثقات العالمين بمعاني القرآن والأدب، وكان كثير الحديث توفي سنة ٣٣٦ هـ.

(بغية الوعاة ١/٨٦ تاريخ الإسلام جزء من أثناء ٣٢٨/٣٤٥ ص ١٦٨).

(٥) أحمد بن يوسف بن خالد الإمام الحافظ محدث نيسابور أبو الحسن السلمي النيسابوري حمدان سمع حفص بن عبيد الله وعبد الرزاق ومحمد بن عبيد الطنافسي وغيرهم وعنه مسلم وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وغيرهم متفق على عدالته وجلالته توفي سنة ٢٦٤ هـ عن ٨٢ سنة. (تذكرة الحفاظ ٢/٥٦٥).

(٦) سمي مولى أبي بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشي المخزومي المدني سمع أبا صالح ومولاه أبا بكر بن عبد الرحمن وعنه مالك بن أنس وسفيان بن عيينة توفي سنة ١٣٠ هـ (كتاب الجمع ١/٢٠٧).

(٧) سبق.

(٨) عبد الله بن يوسف أبو محمد التنيسي أصله من دمشق سمع مالكا واللبث ويحيى بن حمزة وغيرهم. قال البخاري: لقيته بمصر سنة ٢١٧ هـ وقال: قال لي الحسن بن عبد العزيز توفي سنة ٢١٧ هـ أو ٢١٨ هـ (كتاب الجمع ١/٢٦٨).

(٩) الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي أبو عبد الله المدني الفقيه أحد أعلام الإسلام روى عن نافع والزهري وعنه ابن مهدي وابن القاسم وأبو مصعب وغيرهم ولد سنة ٩٣ هـ وتوفي سنة ١٧٩ هـ (الكاشف ٣/١١٢).

(١٠) الحديث: رواه البخاري - كتاب الحج - باب العمرة - وجوب العمرة وفضلها عن أبي هريرة «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما». (١/٣٠٤ - ٣٠٥) ولم أجد فيما اطلعت عليه من كتب الحديث رواية بلفظ «العمرتان تكفران...».

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد العدل، حدثنا محمد بن محمد بن إسحاق الحافظ^(١) حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد^(٢)، حدثنا سليمان بن سيف الحراني^(٣)، حدثنا أبو عتاب سهل بن حماد^(٤)، حدثنا عزرة بن ثابت^(٥)، عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال:

قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد»^(٦).

وقوله ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾ أي: حبستم ومنعتم عن إتمام الحج.

وأصل «الحصر، والإحصار»: الحبس^(٧) يقال: من حصرك هاهنا، ومن أحصرك؟ وكل من أحرم بحج أو عمرة وجب عليه الإتمام، فإن أحصره عدو أو سلطان نحر هديا لإحصاره حيث أحصر، وحل من إحرامه، وهو قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾. قال ابن عباس وقتادة^(٨): أعلاه بدنة^(٩)، وأوسطه بقرة، وأدناه^(١٠) شاة، فعليه ما يسر من هذه الأجناس.

و«الهدى» ما يهdy إلى بيت الله^(١١)، جمع هذية، هذه لغة أهل الحجاز^(١٢)، وتيم تقول: هديّة وهديّ مثل:

(١) أبو أحمد الحاكم: محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق النيسابوري الكرابيسي الحافظ الثقة المأمون أحد أئمة الحديث وصاحب التصانيف روى عن ابن خزيمة وعبد الله بن زيدان البجلي ومحمد بن الفيض النسائي وطبقتهم وأكثر الترحال توفي سنة ٣٧٨ هـ (شذرات الذهب ٩٣/٣).

(٢) الإمام الحافظ يحيى بن محمد بن صاعد بن كاتب مولى أبي جعفر المنصور أبو محمد الهاشمي البغدادي قال الدارقطني ثقة ثبت حافظ ولد سنة ٢٢٨ هـ وتوفي سنة ٣١٨ هـ (تذكرة الحفاظ ٧٧٦/٢ - ٧٧٧).

(٣) في المطبوعة: سليمان بن يوسف، وهو: سليمان بن سيف الحافظ الثقة أبو داود الحراني محدث حران سمع يزيد بن هارون وجعفر بن عون وسعيد الضبي وطبقتهم وعن النسائي ووثقه وأخرج له حديث «تابعوا بين الحج والعمرة...» توفي سنة ٢٧٢ هـ. (تذكرة الحفاظ ٥٩٣/٢ - ٥٩٤).

(٤) في (هـ): سهيل، وهو سهل - مكبراً - ابن حماد أبو عتاب الدلال البصري سمع شعبة وغيره عنه حجاج بن الشاعر توفي سنة ٢٠٨ هـ. (تهذيب التهذيب ٢٤٩/٤ - ٢٥٠، الجمع ١٨٧/١).

(٥) في (حـ): والمطبوعة: عروة، وهو: عزرة بن ثابت بن أبي زيد - واسمه عمرو - بن أخطب البصري الأنصاري أخو محمد وعلي سمع ثمامة بن عبد الله بن أنس وأبا الزبير ويحيى بن عقيل، وعنه وكيع وعثمان بن عمر وأبو نعيم وأبو عاصم وهو تابعي ثقة روى له البخاري ومسلم. (تاريخ الثقات ص ٣٣١، الجمع ٤٠٢/١).

(٦) الحديث رواه النسائي في السنن - كتاب الحج - باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة عن ابن عباس. (١١٥/٥).

ومجمع الزوائد - كتاب الحج - باب المتابعة بين الحج والعمرة عن جابر.

والطبراني في الكبير ١٠٧/١١ - ١٨١ عن ابن عباس، ٢٣٠/١٠ عن ابن مسعود والترمذي - كتاب الحج - باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة رقم ٨٠٧ عن ابن مسعود (١٥٣/٢) وقال: حسن صحيح غريب وفيه عن عمر وجابر وغيرهم.

(٧) انظر غريب القرآن ٧٨ ومجاز القرآن ٦٩/١ والأخفش ٣٥٥/١ والقرطبي ٢٧٢/٢ عن ابن السكيت وفتح القدير ١٩٥/١.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٧ والدرر ٢١٣/١ عن ابن عباس وابن كثير ٢٣٢/١ عن ابن عباس والزجاج ٢٥٦/١ والفراء ١١٨/١ وفتح القدير ١٩٦/١ عن الحسن والبحر ٧٣/٢ عن الحسن وقتادة والطبري ٢٨/٤ عن قتادة، ٣٠/٤ عن ابن عباس.

(٩) في البحر ٧٣/٤ عن ابن عمر وعائشة والقاسم وعروة: هو جمل دون جمل، وبقرة دون بقرة ولا يكون الهدى إلا من هذين وعليه فالمراد بالبدنة هاهنا: الجمل.

(١٠) في (جـ، هـ): وأحسه، وهي تفسير «أدناه» في حاشية (أ).

(١١) انظر اللسان / هدى، والبحر ٦٠/٢.

(١٢) وهو جمع سماعي، قال الفراء: أهل الحجاز ويسو أسد يخفون الهدى وسفلي قيس يثقلون وقد قرىء بالتشديد (حتى يبلغ =

مطية ومطى - بالتشديد - قال الفرزدق: (١)

حلفت برب مكة والمصلى وأعناق الهدي مقلدات

وقوله ﴿ولا (٢) تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله﴾ أي: لا تتحللوا من إحرامكم حتى ينحر (٣) الهدي، و«محله»: حيث يحل ذبحه ونحره (٤).

وهكذا (٥) فعل النبي ﷺ وأصحابه حين صُدوا عن البيت نحروا هديهم بالحديبية والحديبية ليست من الحرم (٦)

وقوله ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية﴾

المحرم إذا تأذى بهوام رأسه أو بالمرض، أبيح له الحلق والمداواة بشرط الفدية وهو قوله ﴿ففدية من صيام﴾ وهو صيام ثلاثة أيام يصوم حيث شاء ﴿أو صدقة﴾ وهو إطعام ستة مساكين لكل مسكين مدان (٧) ﴿أو نسك﴾ جمع نسكة وهي الذبيحة (٨)، أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة، وهذه الفدية على التخيير، أيها شاء فعل كما دل عليه ظاهر الآية.

أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبّيد الله المخلدني، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن الحسن السراج (٩)، أخبرنا محمد بن يحيى بن سليمان المروزي (١٠) حدثنا عاصم بن علي (١١) حدثنا شعبة، أخبرني عبد الرحمن الأصفهاني (١٢) سمعت عبد الله بن معقل (١٣) قال:

= الهدي محله) واحده هدية ثم يخفف فيقال هديّة. (انظر فتح القدير ١/١٩٦، وغريب القرآن ٧٨ ومجاز القرآن ١/٦٩ واللسان هدى).

(١) انظر البيت في ديوان الفرزدق ١٠٨/١ تحت عنوان «مواسم من جهنم» وفيها يهجو جريراً. والمصلى: المسجد، والهدي: البدن التي تهدى إلى مكة ومقلدات: معلمات بالنعال لأن البدن كانت تقلد بتعل أو تشعر في سنامها حتى يسيل منها الدم ليعلم أنها هدية.

وانظر فتح القدير ١/١٩٦ والقرطبي ٢/٣٧٨، واللسان / هدى، قلد للفرزدق» والرازي ٥/١٤٨.

(٢) في (ح): لا تحلقوا.

(٣) في (ه): ينهر.

(٤) «قالوا في «محله»: من كان حاجاً محله يوم النحر، ولمن كان معتمراً يوم يدخل مكة» (الزجاج ١/٢٥٧).

(٥) في (ح): وهذا، وفي (ه): وهكذا.

(٦) انظر صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب غزوة الحديبية - عن مروان والمسور بن مخزوم (٣/٤٣). والطبري ٤/٢٤، ٣٧ عن أنس، والدرر ١/٢١٣ عن المسور بن مخزوم.

(٧) «المد: مكيال، وهو رطل وثلاث عند أهل الحجاز والشافعي ورطلان عند أهل العراق وأبي حنيفة». (اللسان / مدد).

(٨) انظر مجاز القرآن ١/٧٠.

(٩) في (ه): أحمد الحسن، وفي المطبوعة: أبو الحسن السراج.

(١٠) محمد بن يحيى بن سليمان بن زيد المروزي - أبو بكر البورق - قال الدارقطني: صدوق، وقال الخطيب: ثقة توفي سنة ٢٩٨ هـ (تهذيب التهذيب ٩/٥١٠).

(١١) عاصم بن علي الواسطي شيخ البخاري محله الصدق يكنى أبا الحسن كان عالماً صاحب حديث، روي عن ابن معين: ليس بشيء وقال أحمد: صدوق وكان من أئمة السنة قوالاً بالحق احتج به البخاري (الميزان ٢/٣٥٤ - ٣٥٥).

(١٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن الأصفهاني الكوفي سمع عبد الله بن معقل وذكوان أبا صالح وعنه شعبة وأبو عوانة وابن عيينة روى له البخاري ومسلم.

(كتاب الجمع ١/٢٨٥).

(١٣) في (أ) المغفل وهو: عبد الله بن معقل بن مقرن المزني الكوفي أبو الوليد سمع عدي بن حاتم وكعب بن عجرة وثابت بن الضحى =

قعدت إلى كعب بن عجرة^(١) في هذا المسجد - مسجد الكوفة - فسألته عن هذه الآية: ﴿فقدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ قال: حملت إلى رسول الله ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال:

«ما كنت أرى^(٢) أن الجهد بلغ منك هذا، أما تجد شاة؟ فقلت: لا، فنزلت هذه الآية ﴿فقدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ قال: صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع من طعام» فنزلت في خاصة ولكم عامة.
رواه البخاري - في التفسير - عن أبي الوليد^(٣) وآدم بن أبي إياس^(٤)، عن شعبة ورواه مسلم عن بندار، عن غندر، عن شعبة^(٥).

وقوله ﴿فإذا أمتم﴾ قال ابن عباس^(٦): أي من العدو، أو كان حج ليس فيه عدو، ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج﴾: هو أن يقدم مكة محرماً فيعتمر في أشهر الحج، ثم يقيم حلالاً بمكة حتى ينشئ منها الحج، فيحج من عامة ذلك، ويكون مستمماً بمحظورات الاحرام لأنه حل بالعمرة إلى حرامه بالحج، فإذا فعل ذلك وجب عليه دم وهو قوله ﴿فما استيسر من الهدى﴾ فإن كان معسراً فعليه صوم عشرة أيام وهو قوله ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج﴾ أي: في أشهر الحج، يصوم ثلاثة أيام قبل يوم النحر، إن شاء متفرقة، وإن شاء متتابعة.

وقوله ﴿وسبعة إذا رجعت﴾ له أن يصومها بعد الفراغ من الحج أين شاء ومتى شاء، ﴿تلك عشرة كاملة﴾ يعني: الثلاثة والسبعة، وهذا ذكرى على طريق التأكيد^(٧)، كقول الفرزدق:

ثلاث واثنتان فهن خمس^(٨)

وقوله ﴿ذلك﴾: أي: ذلك الفرض الذي^(٩) أمرنا به من الهدى والصيام ﴿لمن لم يكن أهله حاضري المسجد

= وعلي بن أبي طالب توفي سنة ٨٨ هـ. (سير الأعلام ٤/٢٠٦، الجمع ١/٢٥٩).

(١) كعب بن عجرة الأنصاري السالمي أبو محمد من بني سالم بن عوف سمع النبي ﷺ وبلاياً، وعنه عبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الله بن معقل توفي سنة ٥٢ هـ عن ٩٢ سنة. (كتاب الجمع ٢/٤٢٩ - ٤٣٠).

(٢) في (هـ): آرا.

(٣) أبو الوليد الطيالسي سبق.

(٤) آدم بن أبي إياس - واسمه عبد الرحمن - بن محمد بن شعيب الخراساني أبو الحسن العسقلاني نشأ ببغداد وارتحل في الحديث وسكن عسقلان إلى أن مات روى عنه البخاري وغيره، قال أحمد: مكين كان من السنة الذين يضبطون الحديث، وقال أبو داود: ثقة، وقال أبو حاتم: ثقة مأمون توفي سنة ٢٢١ هـ (تهذيب التهذيب ١/١٩٦).

(٥) الحديث: رواه البخاري - كتاب التفسير - باب (فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه) (٣/١٠٥).

ومسلم - كتاب الحج - باب جواز حلق الرأس للمحرم (١/٤٩٦).

كلاهما عن عبد الله بن معقل.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٧ وفتح القدير ١/١٩٨ عن ابن عباس.

(٧) انظر مجاز القرآن ١/١٢١، ٧٠.

(٨) انظر البحر ١/٧٩ - ٨٠ قال الفرزدق: ثلاث واثنتان وهي خمس وسادسة تميل إلى شمام.

والقرطبي ٢/٤٠٣ قال الفرزدق: ثلاث واثنتان وهن خمس وسادسة تميل شمامي.

والخازن ١/١٧٩ قال الفرزدق: ثلاث واثنتان وهن خمس وسادسة تميل سهام.

وفتح القدير ١/١٩٧ قال الفرزدق: ثلاث واثنتان فهن خمس وسادسة تميل سهامي.

(٩) في المطبوعة: والذي أمرنا به.

الحرام ﴿أي: لمن كان من الغرباء من غير أهل مكة﴾^(١).

قال الفراء^(٢): واللام في قوله ﴿لمن﴾ معناها: على، وذكر الله تعالى حضور الأهل والمراد به حضور المحرم، ولكن الغالب أن يسكن الرجل حيث أهله ساكنون، وكل من كانت داره على مسافة لا يقصر إليها الصلاة فهو من حاضري المسجد الحرام لأنه يقرب من مكة.

وقوله ﴿واتقوا الله﴾^(٣) قال ابن عباس^(٤): يريد: فيما افترضه عليكم ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ لمن تهاون بحدوده.

وقوله تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات﴾ (تقدير الآية: أشهر الحج أشهر معلومات)^(٥) وهي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة^(٦).

قال ابن عباس^(٧): جعلهن الله سبحانه للحج، فلا يصلح لأحد أن يحرم بالحج إلا في أشهر الحج، فإن أحرم في غير أشهر الحج انعقد إحرامه عمرة.

وسمى الله تعالى شهرين وبعض الثالث أشهراً، لأن العرب توقع لفظ الجمع على الاثنين، كقوله تعالى: ﴿أولئك مبرءون﴾^(٨) يعني: عائشة وصفوان^(٩) قال: ﴿وكننا لحكمهم شاهدين﴾^(١٠) يعني: داود وسليمان، وقال ﴿فقد صغت قلوبكما﴾^(١١)، وقال الشاعر:

ظهرهما مثل ظهور الترسين^(١٢)

(١) قال ابن عباس في تفسيره ص ٢٧ «لأنه ليس على أهل الحرم هدي المتمتع».

وانظر الدر ٢١٧/١، والفراء ١١٨/١ والطبري ١٠٩/٤ - ١١٠ عن الربيع والسدي وقناة ومجاهد وابن عباس وابن كثير ٣٤/١ - ٢٣٥.

(٢) انظر الفراء ١١٨/١ والزجاج ٢٥٨/١، والتبيان ١٦٠/١ وقال أيضاً: «اللام على أصلها، أي: ذلك جائز لمن»، وانظر البحر ٢/٢ وضعفه، والرازي ١٦٠/٥ عن الفراء.

(٣) في (هـ): ما كانت... مصافه... (واتقوا الله).

(٤) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٧ بنحوه، والرازي ١٦٠/٥ عن ابن عباس، والطبري ١١٤/٤، والخازن ١٨٠/١، وفتح القدير ١٧/١ بتمامه.

(٥) ما بين المعقوتين ساقط من (ح).

وانظر تقدير الآية: التبيان ١٦١/١ وغرائب النيسابوري ٢٥٥/٢ والمشكل ١٢٣/١ والتبيان ١٤٦/١.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٧ والطبري ١١٥/٤ عن ابن عباس وابن كثير ٢٣٦/١ عن علي وابن مسعود وابن عباس، والمستدرک - كتاب التفسير - وصححه ٢٧٦/٢، والفراء ١١٩/١، وأحكام القرآن لابن العربي ١٣١/١ عن ابن عباس.

(٧) انظر الدر ٢١٨/١ وابن كثير ٢٣٥/١ كلاهما عن ابن عباس.

(٨) سورة النور / ٢٦.

(٩) صفوان بن المعطل بن رخصة السلمي الذكواني أبو عمرو صحابي شهد المشاهد كلها وهو الذي قال أهل الإفك فيه وفي عائشة ما قالوا، روى عن النبي ﷺ توفي سنة ١٩ هـ (الأعلام ٢٩٦/٣).

(١٠) سورة الأنبياء / ٧٨.

(١١) سورة التحريم / ٤، وانظر معاني القرآن للفراء ١١٩/١.

(١٢) انظر الكتاب لسبويه ٤٨/٢ وفيه «قال الراجز هو خطام المجاشعي» والخزاة ٣١٤/٢ والتبيان ٤٤٦/٢ وصدرة: ومهمهين قذفين مرتين =

وقوله ﴿فمن فرض فيهن الحج﴾ أي: من أوجب على نفسه الحج بالإحرام والتلبية ﴿فلا رفث﴾ قال المفسرون^(١): لا جماع ﴿ولا فسوق﴾ يعني: المعاصي^(٢) كلها ﴿ولا جدال في الحج﴾ هو: أن يجادل صاحبه ويماربه حتى يغضبه، نهى المحرم عن هذا. وذكرنا وجه انتصاب قوله ﴿فلا رفث﴾ عند قوله ﴿لا ريب فيه﴾^(٣).

ومن قرأ بالرفع شبه^(٤) «لا» بـ «ليس» كقول الشاعر:

من صد عن نيرانها فأناب ابن قيس لا براح^(٥)

ولم يختلفوا في نصب ﴿ولا جدال﴾ وذلك أن معنى الأولين: النهي، كأنه قال: لا ترفثوا ولا تفسقوا، ومعنى الثالث: الخير^(٦)، لأن معناه: لا جدال في أن الحج في ذي الحجة، وهذا قول مجاهد وأبي عبيدة^(٧)، قال: معناه: ولا شك في الحج أنه في ذي الحجة^(٨)، إبطالا للنسيء الذي كان يفعله أهل الجاهلية، وأرادوا^(٩) الفرق بين اللفظين، ليكون مخالفة ما بينهما في اللفظ كمخالفة ما بينهما^(١٠) في المعنى.

حدثنا الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأسفراييني^(١١) - إملاء في مسجد عقيل سنة سبع عشرة وأربعمائة -

= ظهراهما مثل ظهور الترسين وهو من شواهد سيبويه، والترس - بالضم - ما يتقى به الضرب من السلاح، والمرت: التي لا تنبت، والمهمه: القفر، والقفذ: البعيد (وهو من بحر السريم).

يصف الشاعر فلاتين لا نبت فيهما، ولا شخص يستدل به، فشيبهما بالترسين.

(١) انظر الزجاج ٢٥٩/١، والفراء ١٢٠/١ وغريب القرآن ٧٩، والطبري ٢٩/٤ عن مقسم وابن عباس والدر ٢١٩/١، ٢٢٠ وابن كثير ٢٣٦/١ واللسان / مرت.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٣٥/٤ عن ابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وطاووس.

(٣) سورة البقرة / ٣.

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (فلا رفث ولا فسوق) بالرفع والتنوين (ولا جدال) نصبا، قال أبو عبيد: وإنما افتقرت الحروف عندهم، لأنهم جعلوا الأولين بمعنى النهي، أي لا يكون ذلك وتأولوا الثالث أنه لا شك في الحج بلا خلاف، وكذا قول ابن عباس ولا جدال في الحج بلا خلاف، وكذا قول ابن عباس ولا جدال في الحج.

وقرأ الباقر بالفتح، وحجته: أنه أبلغ للمعنى المقصود، ألا ترى أنه إذا فتح فقد نفى جميع «الرفث والفسوق» الجنس - وإذا رفع ونون: فكان النفي لواحد.

(انظر الحجة لأبي زرعة ١٢٨ - ١٢٩ والسبعة ١٨٠، والنشر ٢١١/٢ والزجاج ٢٥٩/١ - ٢٦٠ والتبيان ١٦١/١ والزاهر ١٠٥/١ والحجة لابن خالويه ٩٤).

(٥) انظر البيت في الزاهر ١٠٦/١ وديوان الحماسة ١٩٢/١ - ١٩٤ والخزانة ٤٧٦/١، ١٧٢/٢، والكتاب ٥٨/١، ٢٩٦/٢ والبحر ٨٨/٢ والزجاج ٢٦٠/١ واللسان / برح لسعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة قالها في حرب البسوس التي هاجت بين بكر وتغلب، نيرانها: نيران الحرب وشذتها، لا براح: لا مفر، أي: لا هرب.

(٦) في (ح): لا جدال... الجر.

(٧) انظر مجاز القرآن ٧٠/١ والفراء ١٢٠/١ عن مجاهد والدر ٢٢٠/١ عن مجاهد.

(٨) في (ح): أنه في الحجة.

(٩) في (ه): وأراد.

(١٠) ما بين المعقوفتين مكرر في (ه).

(١١) أبو إسحاق الإسفراييني: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الأصولي المتكلم الشافعي أحد الأعلام وصاحب التصانيف كان شيخ خراسان في زمانه، يقال: إنه بلغ مرتبة الاجتهاد توفي سنة ٤١٨ هـ (شذرات ٢٠٩/٣).

حدثنا أبو بكر محمد بن داود بن مسعود^(١) حدثنا محمد بن أيوب^(٢) حدثنا أبو عمر^(٣)، حدثنا أبو عوانة، حدثنا منصور عن أبي حازم، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق فرجع كان كمن ولدته أمه».

رواه مسلم عن سعيد بن منصور، عن أبي عوانة^(٤).

وقوله ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ وفي هذا حث على فعل الخير^(٥)، وإخبار أن الله تعالى ليس بغافل عن فعلهم، فهو مجازيهم بذلك.

قوله ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾،

أخبرنا عمرو بن أبي عمرو المزكي^(٦)، أخبرنا محمد بن مكي^(٧) أخبرنا محمد بن إسماعيل الجعفي^(٨)، حدثني يحيى بن بشر^(٩) حدثنا شبابة^(١٠)، عن ورقاء^(١١)، عن عمرو بن دينار عن عكرمة، عن ابن عباس قال:

كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوها الناس، فأنزل الله لهم وجل ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾^(١٢).

(١) في (هـ): محمد بن يزداد، وكذا في عمدة القوي والضعيف ص ٦ وهو:

محمد بن داود أبو بكر الصوفي ويعرف بالدقي أصله من الدينور أقام ببغداد ثم ارتحل إلى دمشق وقرأ على ابن مجاهد وسمع الحديث توفي سنة ٣٦٠ وقد جاوز المائة (البداية والنهاية ٢٧١/١١).

(٢) محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس البجلي أبو عبد الله الرازي وثقه ابن أبي حاتم والخليل، مصنف كتاب فضائل القرآن ولد سنة ٢٠٠ هـ وتوفي سنة ٢٩٤ هـ (تذكرة الحفاظ ٢/٦٤٣).

(٣) في (هـ): أبو عمرو، وهو: أبو عمرو الدوري شيخ المقرئين في عصره: حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان المقرئ قرأ على الكسائي وإسماعيل بن جعفر ويحيى اليزيدي، وحدث عن طائفة ووصف في القراءات وكان صدوقاً توفي سنة ٢٤٦ هـ. (شذرات ١١١/٢).

(٤) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الجمع - باب فضل الحج والعمرة عن أبي هريرة (١/٥٦٦ - ٥٦٧).

(٥) في (ح): الخيرات.

(٦، ٧) سبق.

(٨) هو البخاري.

(٩) قال الحضرمي في عمدة القوي والضعيف ص ٦: يحيى بن بشر بياض موحد وشين معجمة وراء مهملة وهو الحريري من شيوخ

مسلم، وهو: يحيى بن بشر بن كثير الحريري أبو زكريا البخاري البيكندي سمع شبابة وروح بن عباد ومعاوية بن سلام وغيرهم البخاري ومسلم توفي سنة ٢٣٢ هـ وثقه الدارقطني. (كتاب الجمع ٢/٥٥٨).

وقال ابن سعد: توفي بالكوفة سنة ٢٢٩ (سير الأعلام ١٠/٦٤٧ - ٦٤٨).

(١٠) شبابة بن سوار الفزاري أبو عمرو المدائني ثقة حافظ سمع شعبة وورقاء وإسرائيل والليث بن سعد وعنه علي بن المدني توفي سنة ٢٠٦ هـ (كتاب الجمع ١/٢١٨ - ٢١٩).

(١١) ورقاء بن عمر بن كليب اليشكري صدوق عالم من ثقات الكوفيين نزل المدائن وروى عن عمرو بن دينار ومنصور قال أحمد: ثقة صاحب سنة، وقال أبو داود: قال لي شعبة: عليك بورقاء فإنك لم تلق مثله. (الميزان ٤/٣٣٢).

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٧ والدر ١/٢٢٠ عن ابن عباس وابن كثير ١/٢٣٩ عن عكرمة عن ابن عباس وفتح الباري - كتاب الحج - باب قول الله تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ (٣/٢٩٩).

قال المفسرون: (١) نزلت في ناس من أهل اليمن كانوا يحجون بغير زاد، ويقولون: نحن متوكلون، ثم كانوا يسألون الناس، وربما ظلموهم وغصبوهم، فأمرهم الله أن يتزودوا، فقال ﴿وتزودوا﴾. (٢)
قال سعيد بن جبير (٣): يعني: الكعك والسويق ﴿فإن خير الزاد التقوى﴾ (٤) يعني ما تكفون به وجوهكم عن سؤال، وأنفسكم عن الظلم فهذا نوع تقوى (٥).

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ
فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَانَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ
لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَعْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾

قوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾ قال أبو أمامة التيمي (٦) سألت ابن عمر فقلت: إنا قوم نكري في هذا الوجه (٧)، وإن قوما يزعمون أنه (٨) لا حج لنا قال: أستم تلبون، أستم تطوفون، أستم أستم؟ قلت: بلى، قال: إن رجلا سأل النبي ﷺ عما سألت عنه، فلم يدر ما يرد عليه حتى نزلت ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾

وقال ابن عباس (٩): كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز (١٠) أسواقا في الجاهلية فلما كان الإسلام كأنهم تأثموا أن

(١) انظر تفسير الثوري ص ٦٤ والزجاج ٢٦٠/١ والدر ٢٢٠/١ - ٢٢١ وأسباب النزول للواحي ص ٤١ وأسباب النزول للسيوطي ص ٣٧ والطبري ١٥٦/٤ عن عكرمة عن ابن عباس.

(٢) في (هـ): فأنزل الله تعالى.

(٣) في (هـ): وهذا تقوى.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٥٦/٤ - ١٥٧ عن ابن عمر وسعيد بن جبير، والدر ٢٢١/١ عن سعيد وابن كثير ٢٣٩/١ عنه.

(٥) أبو أمامة - ويقال أبو أمية - التيمي الكوفي روى عن ابن عمر، عنه العلاء بن المسيب وشعبة قال إسحاق بن منصور عن ابن معين: ثقة لا يعرف اسمه وقال أبو زرعة لا بأس به. (تهذيب التهذيب ١٢/١٤).

(٦) وأي: نؤجر الدابة في التوجه إلى الكعبة (حاشية أ).

(٧) في (ج، هـ): أن لا.

(٨) رواه أبو داود في السنن - كتاب الحج - باب الكرى - (١٤٢/٢).

والمستدرک - كتاب الحج - وصححه (٤٤٩/١) والطبري ١٦٤/٤ والدر ٢٢٢/١، وابن كثير ٢٤٠/١ وأسباب النزول للواحي ٤١ وأسباب النزول للسيوطي ص ٣٧ ومسنند أحمد ٥٥/٢ - كلها عن أبي أمامة.

(٩) انظر المستدرک - كتاب التفسير - وصححه (٢٧٧/٢) وأبو داود - كتاب الحج - باب الكرى (١٤٢/٢) وصحيح البخاري - كتاب

الحج - باب التجارة أيام الموسم والبيع في أسواق الجاهلية (٣٠٤/١) وكتاب البيوع - الباب الأول - (٣/٢).

والطبري ١٦٥/٤ والدر ٢٢/١ وابن كثير ٢٣٩/١ وأسباب النزول للواحي ٤١ - ٤٢ وأسباب النزول للسيوطي ص ٣٧ وأحكام القرآن لابن العربي ١٣٥/١ - ١٣٦ كلها عن ابن عباس.

(١٠) عكاظ: وراء قرن المنازل بمرحلة على طريق صنعاء في عمل الطائف على بريد منها، مجنة: سوق أسفل مكة - على بريد منها - وهو سوق لكنانة وأرضها من أرض كنانة، ذو المجاز: سوق الهذيل على يمين الموقف من عرفة على فرسخ من عرفة. (عمدة القوي والضعيف ص ٦).

يتجروا في الحج، فسألوا رسول الله ﷺ: فأنزل الله تعالى ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ في مواسم الحج، وكذلك كان يقرؤها ابن عباس (١).

قوله ﴿فإذا أفضتم من عرفات﴾ معنى «الإفاضة» في اللغة: دفع الشيء حتى يتفرق، ومعنى «أفضتم»: دفعهم بكثرة (٢)، يعني دفع بعضكم (٣) بعضاً، (لأن الناس إذا انصرفوا مزدحمين دفع بعضهم بعضاً) (٤).

و«عرفات» اسم لبقعة معروفة (٥)، قال عطاء (٦): إن جبريل كان يري إبراهيم المناسك، فيقول: عرفت عرفات فسميت عرفات.

وقوله ﴿فاذكروا الله﴾ بالدعاء والتلبية ﴿عند المشعر الحرام﴾ يعني المزدلفة سميت مشعراً، لأنه معلّم للحج، والصلاة، والمقام، والمبيت به، والدعاء عنده من سنن الحج ﴿واذكروه كما هداكم﴾ أي: اذكروه ذكراً مثل هدايته إياكم، أي: يكون جزاء لهديته.

﴿وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾ (٧) وما كنتم من قبل هدايته إلا ضالين (٨) وقال سفيان الثوري (٩): ﴿من قبله﴾ يعني: من قبل القرآن، ذكر الله منته عليهم بالهدى والقرآن.

وقوله ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ ذكرنا معنى «الإفاضة».

وقال عامة المفسرين (١٠) كانت الحمس (١١) لا يخرجون من الحرم إلى عرفات، إنما يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله وسكان حرمه، فلا نخرج من الحرم ولسنا كسائر الناس فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات كما يقف سائر الناس حتى تكون الإفاضة معهم منها.

و«الناس» في هذه الآية: هم العرب كلها غير الحمس.

(١) انظر فتح الباري ٢٣٢/٤ ومختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص ١٢ والدر ٢٢٢/١ كلها عن ابن عباس والبحر ٩٤/٢ عن ابن عباس وابن مسعود وابن الزبير.

(٢) انظر الزجاج ٢٦١/١ وغريب القرآن ص ٧٩ والوجيز للواحيدي ٥٢/١ واللسان / فيض.

(٣) في (ح): دفع بعضهم.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٥) «عرفات»: جمع سمي به موضع واحد وهو عرفة، وأجمع القراء على تنوينه لأنه اسم لبقعة، انظر المشكل ١٢٤/١، والنبيا ١٦٢/١ - ١٦٣ والطبري ١٧١/٤ وابن كثير ٢٤٠/١ والبيان ١٤٨/١.

(٦) انظر الطبري ١٧٣/٤ - ١٧٤ عن ابن عباس وعطاء والدر ١٣٧/١ - ١٣٨ عن مجاهد وابن عباس ٢٢٢/١ عن ابن عباس وعلي وابن عمر، وابن كثير ٢٤١/١ عن عطاء وغيره، وفتح القدير ٢٠٣/١ عن ابن عباس وعلي وابن عمر.

(٧) من و (ح).

(٨) في (أ): الضالين.

(٩) انظر الدر ٢٢٥/١ عن الثوري وفي تفسير ابن عباس ص ٢٧ «وإن كنتم من قبل القرآن ومحمد والإسلام» وانظر البحر ٩٨/٢ وابن كثير ٢٤٢/١.

(١٠) انظر الزجاج ٢٦١/١ والبحر ٩٨/٢ عن عائشة.

(١١) الحمس: قوم من قريش وبنو عامر وبنو صعصعة وثقيف وخزاعة كانوا إذا أحرموا يتحاشون مظاهر الترف ويسموا بذلك لأنهم تشددوا في دينهم (انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥١/١ وغريب القرآن ٧٩ وتفسير ابن عباس ص ٢٨).

وقال قتادة^(١): كانت قريش وكل ابن أخت^(٢) وحليف لهم لا يفيضون من الناس من عرفات، إنما يفيضون من المغمس^(٣)، وكانوا يقولون: نحن أهل حرم الله فلا نخرج من حرمه، فأمرهم الله أن يفيضوا من حيث أفاض الناس (من عرفات)^(٤).

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن محمود، أخبرنا أبو عمرو بن مطر حدثنا أحمد بن إسحاق بن بهلول^(٥)، حدثنا أحمد بن سليمان الواسطي^(٦) حدثنا أبو الوليد الطيالسي، حدثنا عبد القاهر بن السري،^(٧) حدثني ابن الكنانة بن عباس بن مرداس^(٨) (عن أبيه)^(٩)، عن جده عباس بن مرداس^(١٠):

«أن النبي ﷺ دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة، فأكثر^(١١) الدعاء، فأجابه: قد فعلت، إلا ظلم بعضهم بعضاً، فأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها، فقال يا رب أنت قادر على أن تتيب هذا المظلوم خيراً من مظلمته، وتغفر لهذا الظالم، فلم يجبه تلك العشية، فلما كان غداة المزدلفة أعاد عليه الدعاء، فأجابه: أني قد غفرت لهم، قال: ثم تبسم رسول الله ﷺ فقال له أصحابه: تبسمت في ساعة لم تكن تبسم فيها، فقال: تبسمت من عدو الله إبليس، إنه لما علم أن الله استجاب لي في أمي أهوى^(١٢) يدعو^(١٣) بالويل والثبور، ويحشو^(١٤) التراب على رأسه^(١٥)».

(١) انظر تفسير الطبري ١٨٧/٤ والدر ٢٢٧/١ كلاهما عن قتادة، وفتح الباري ١٥٠/٨ - ١٥١ ومسلم بشرح النووي ١٩٦/٨ - ١٩٧ ومسند أحمد ٣٩/١ - ٤٠ والترمذي - كتاب الحج - باب الوقوف بعرفة رقم ٨٨٥ (١٨٤/٢ - ١٨٥).
وأبو داود - كتاب الحج - باب الوقوف بعرفة رقم ١٩١٠ (١٨٧/٢). كلهم عن عائشة.
(٢) «يعني: من ولد من بناتهم اللاتي زوجها قوم من غير قريش» (حاشية (أ)).
(٣) موضع موقف بمكة. (حاشية (أ) واللسان / غمس).
(٤) من (أ).

(٥) أحمد بن إسحاق بن بهلول بن حسان بن أبي سفيان أبو جعفر التنوخي القاضي الحنفي العدل الثقة الرضي، كان فقيهاً نبياً سمع الحديث الكثير توفي سنة ٣١٨ هـ وقد جاوز الثمانين (البداية والنهاية ١٦٥/١١).
(٦) هكذا في جميع النسخ، ولعله: أحمد بن سنان بن أسد بن حيان الحافظ الحجة أبو جعفر الواسطي القطان صاحب المسند سمع أبا معاوية الضريير ووكيعاً وعبد الرحمن بن مهدي وطبقتهم وعنه الجماعة سوى الترمذي. وروى عنه ولد جعفر وابن خزيمة وابن صاعد قال أبو حاتم: ثقة صدوق وقال ابن أبي حاتم هو إمام أهل زمانه توفي سنة ٢٥٩ هـ (تذكرة الحفاظ ٥٢٥١/٢، الجمع ٧/١).
(٧) عبد القاهر بن السري السلمى البصري قال ابن معين: صالح له في سنن أبي داود والترمذي حديث واحد، روى عن عبد الله بن كنانة وحמיד الطويل (الميزان ٦٤٢/٢).

(٨) في المطبوعة: ابن كنانة، وهو: عبد الله بن كنانة بن العباس بن مرداس الأسلمي عن أبيه عن جده في الدعاء عشية عرفة لأمته. وعنه عبد القاهر بن السري فقط قال البخاري: لم يصح حديثه (الكاشف ١٢١/٣، والميزان ٤٧٤/٢).
(٩) إضافة من كتب التراجم، وانظر الميزان ٤٧٤/٢، ٤١٥/٣ فإن ابن كنانة لم يرو هذا الحديث عن جده إنما رواه عن أبيه عن جده. وكنانة بن العباس بن مرداس السلمى عن أبيه في يوم عرفة قال البخاري: «لم يصح حديثه، قلت رواه أبو الوليد الطيالسي عن عبد القاهر بن السري حدثني ابن كنانة عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة...» الحديث... (الميزان ٤١٥/٣).

(١٠) العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمى أبو الهيثم - ويقال أبو الفضل - له صحبة، أسلم قبل الفتح وشهد فتح مكة وهو من المؤلفين قلوبهم وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية نزل البصرة روى عن النبي ﷺ وعنه ابنه كنانة وعبد الرحمن السلمى توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه (تهذيب التهذيب ١٣٠/٥).

(١١) في (ح): فأعاد الدعاء. (١٢) في (ح): أهوا، وفي (ه): أهو. (١٣) في (ج، ه): يدعوا ويحشوا.
(١٤) الحديث: رواه ابن ماجه - كتاب المناسك - باب الدعاء بعرفة رقم ٣٠١٣ - (١٠٠٢/٢) والطبري ١٩٢/٤، والدر ٢٣٠/١ ومسند = الوسيط في تفسير القرآن المجيد/ج ١/م ٢٠

فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ۚ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آتَيْنَا لَكُم مِّنَ النَّارِ ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٠﴾ وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنكُم إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠١﴾

قوله ﴿فإذا قضيتم مناسككم﴾ أي: أديتم وفرغتم من عبادتكم التي أمرتم بها في الحج ﴿فاذكروا﴾ الله كذكركم آباءكم ﴿قال جماعة من المفسرين﴾^(٢): كانت العرب إذا فرغوا من حجهم ذكروا مآثر آبائهم ومفاخرهم، فأمرهم الله عز وجل بذكره، فقال: فاذكروني فأنا الذي فعلت ذلك بكم وبآبائكم، وأحسن إليكم وإليهم^(٣).

وقوله ﴿أو أشد ذكراً﴾ يعني: وأشد^(٤)، أي: وأبلغ مما تذكرون آباءكم وأتم. وقال السدي^(٥): كانت العرب إذا قضت مناسكها - أي فرغت من إراقة الدماء - قاموا بمنى^(٦)، فيقوم الرجل فيقول^(٧): اللهم إن أبي كان عظيم الجفنة، عظيم القبة^(٨) كثير المال، فأعطني مثل ما أعطيت أبي، ليس يذكر الله، إنما يذكر أباه ويسأل أن يعطى^(٩) في الدنيا. وهو قوله ﴿فمن الناس من يقول ربنا آئنا في الدنيا﴾ قال ابن عباس^(١٠): هم المشركون، كانوا يسألون المال من الإبل والغنم وكانوا يقولون: اللهم أسقنا المطر وأعطنا على عدونا الظفر، ولا يسألون حظاً في الآخرة، لأهم

= أحمد ١٤/٤ - ١٥، كلهم من حديث العباس بن مرداس - وذكر العقيلي في الضعفاء الكبير ١٠/٤ في ترجمة كنانة بن عباس بن مرداس قال البخاري: لم يصح - ورواه ابن الجوزي في الموضوعات ٢١٤/٢ - ٢١٦ «حدثنا عبد الله بن كنانة بن عباس بن مرداس السلمي أن أباه حدثه عن أبيه العباس بن مرداس... الحديث، قال ابن حبان: كان منكر الحديث جداً فلا أدري التخليط منه أو من ابنه، ومن أيهما كان: فقد سقط الاحتجاج به».

(١) في (هـ): فاذكروا.

(٢) ما بين المعقوفتين من (ح).

(٣) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٨ والزجاج ٢٦٢/١ والبحر ١٠٢/٢ والدر ٢٣٢/١ عن مجاهد وابن عباس وعبد الله بن الزبير وأنس وسعيد بن جبير وعكرمة وعطاء، وابن كثير ٢٤٣/١ عن ابن جرير، والقراء ١٢٢/١ وفتح القدير ٢٠٦/١ وغرائب النيسابوري ٢٧٥/٢ عن ابن عباس وأسباب النزول للواحدى ٤٢ - ٤٣ وأسباب النزول للسيوطي ٣٧ - ٣٨ والرازي ١٨٣/٥ عن ابن عباس.

(٤) «أشار بهذا الكلام إلى أن «أو» بمعنى «الواو»» (حاشية (أ)).

(٥) انظر تفسير الطبري ١٩٩/٤ والبحر ١٠٢/٢ وابن كثير ٢٤٣/١ والرازي ١٨٣/٥ كلها عن السدي وذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٧٩ والزجاج ٢٦٤/١، أسباب النزول للسيوطي ص ٣٨.

(٦) في (هـ): بمنا.

(٧) في (ح، هـ): ويقول.

(٨) «الجفنة: الكأس، أي كان مضيافاً، والقبة - بالضم - من البناء» (حاشية (أ)).

(٩) في (أ): يعطا.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٨ والزجاج ٢٦٤/١ والطبري ٢٠١/٤ عن أبي بكر بن عياش، وغرائب النيسابوري ٢٧٨/٢ عن ابن عباس وأنس، والدر ٢٣٢/١ عن ابن عباس وغيره وابن كثير ٢٤٣/١ عن ابن عباس وغيره وفتح القدير ٢٠٦/١ عن ابن عباس وابن الزبير ومعاني القراء ١٢٢/١.

(١١) من (د).

كانوا غير مؤمنين بالآخرة، وذلك قوله ﴿وما له في الآخرة من خلاق﴾ أي: حظ ونصيب.

﴿ومنهم من يقول...﴾ الآية، هؤلاء المسلمون يسألون الحظ في الدنيا والآخرة قال عطاء عن ابن عباس^(١): لما أمر رسول الله ﷺ أبا بكر على الموسم عام الفتح وبعث علياً بفاتحة سورة براءة، كان أول من قال ﴿ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ أبو بكر رضي الله عنه، ثم اتبعه علي والناس أجمعون.

قال الحسن^(٢): الحسنة في هذه الآية: العلم والعبادة في الدنيا والجنة في الآخرة. وقال علي بن أبي طالب^(٣): الحسنة في الدنيا: المرأة الصالحة وفي الآخرة: الجنة. وروى أبو الدرداء^(٤): أن رسول الله ﷺ قال: «من أوتي في الدنيا قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر دنياه وآخرته، فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقى عذاب النار»^(٥).

أخبرنا الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد الفارسي^(٦)، أخبرنا الحسين بن علي بن محمد الدارمي أخبرنا أبو القاسم البغوي حدثنا هدية بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس:

ان النبي ﷺ عاد رجلاً قد صار مثل الفرخ، فقال: هل دعوت بشيء؟ فقال: نعم قلت: (٧) اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فجعله لي في الدنيا، فقال رسول الله ﷺ سبحان الله لا طاقة لك بعذاب الله - ثلاثاً - هلا قلت: اللهم ﴿آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾؟

رواه مسلم عن زهير عن عفان^(٨) عن حماد^(٩).

أخبرنا عمرو بن أبي عمرو المزكي أخبرنا محمد بن مكى، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن

(١) انظر البحر ١٠٥/٢ والبغوي ٥٨/٣ - ٥٩.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٠٥/٤ عن الحسن والثوري والبحر ١٠٥/٢ والبغوي ١٨٨/١، وغرائب النيسابوري ٢٨٠/٢ والدر ٢٣٤/١ والقرطبي ٤٣٢/٢ والرازي ١٨٩/٥ كلها عن الحسن.

(٣) انظر تفسير البغوي ١٨٨/١، والبحر ١٠٥/٢ وغرائب النيسابوري ٢٧٩/٢ كلها عن علي، والدر ٢٣٤/١ عن محمد بن كعب.

(٤) أبو الدرداء: عويمر بن زيد رضي الله عنه ويقال: عويمر بن عبد الله ويقال ابن ثعلبة الأنصاري الخزرجي الإمام الرباني وكان يقال: هو حكيم هذه الأمة حفظ القرآن عن رسول الله ﷺ وكان من الذين أوتوا العلم توفي سنة ٣٢ هـ (تذكرة الحفاظ ٢٤/١ - ٢٥).

(٥) الحديث: روى أبو نعيم في الحلية ١٨٢/١ عن ثوبان بنحوه، ٦٥/٣ عن ابن عباس بنحوه ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب النكاح - باب في المرأة الصالحة - عن ابن عباس بلفظ «أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً، وبدناً على البلاء صابراً، وزوجة لا تبغيه خوفاً في نفسها وماله». رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجال الأوسط رجال الصحيح. (٢٧٣/٤).

(٦) أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن ميلة الأصبهاني الفرضي شيخ أصبهان الفقيه القدوة توفي سنة ٤١٤ هـ. (تذكرة الحفاظ ١٠٥٧/٣).

(٧) في (خ): قال قلت.

(٨) عفان بن مسلم الصفار مولى عزة بن ثابت الأنصاري أبو عثمان روى عنه البخاري ومسلم توفي سنة ٢٢٠ هـ وهو ابن ٨٦ سنة. (كتاب الجمع ٤٠٧/١).

(٩) الحديث: رواه مسلم - كتاب الذكر والدعاء - باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا - (٤٧٠/٢).

والترمذي: كتاب الدعوات - باب ما جاء في عقد التيسيح باليد رقم ٣٥٥٤ (١٨٣/٥ - ١٨٤).

كلاهما عن أنس.

اسماعيل، حدثنا مسدد حدثنا عبد الوارث^(١)، عن عبد العزيز^(٢)، عن أنس قال:

كان أكثر دعاء النبي: اللهم ﴿ءاتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾^(٣).

قوله ﴿أولئك لهم نصيب مما كسبوا﴾ قال ابن عباس^(٤): يريد: ثواب ما عملوا وقال الزجاج^(٥): أي: دعاؤهم مستجاب، لأن كسبهم - ها هنا - الدعاء.

﴿والله سريع الحساب﴾ «سريع» فاعل من السرعة: يقال: يسرع يسرعاً وسرعة فهو سريع، و«الحساب» مصدر كالمحاسبة.

قال ابن عباس^(٦): يريد: أنه لا حساب على هؤلاء، إنما يعطون كتبهم بأيمانهم، فيقال لهم: هذه سيئاتكم قد تجاوزتها عنكم، وهذه حسناتكم قد ضعفتموها لكم.

وقال^(٧) ابن الأنباري: معناه: سريع المجازاة للعباد على أعمالهم، وإن كان قد أمهلهم مدة من الدهر، فإن وقت الجزاء عنده قريب^(٨).

قوله تعالى: ﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ يعني: أيام التشريق^(٩)، أيام منى ورمي الجمار، سماها «معدودات»: لقلتها، كقوله ﴿دراهم معدودة﴾^(١٠) وهي ثلاثة أيام بعد النحر، أولها: يوم القر^(١١)، وهو اليوم الحادي عشر من ذي الحجة يستقر الناس فيه بمنى، والثاني: يوم النفر الأول، لأن الناس ينفرون في هذا اليوم من منى، والثالث: هو يوم الثالث عشر، وهو يوم النفر الثاني، وهذه الأيام الثلاثة من يوم النحر كلها أيام^(١٢) النحر وأيام رمي

(١) عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي العنبري أبو عبيدة البصري، قال أبو حاتم صدوق، وقال أبو زرعة والنسائي ثقة، زاد النسائي ثبت توفي سنة ١٨٠ هـ.

(تهذيب التهذيب ٦/٤٤١ - ٤٤٣).

(٢) عبد العزيز بن صهيب الباني مولاهم البصري الأعمى روى عن أنس بن مالك وغيره وعنه عبد الوارث وطائفة قال القطان عن شعبان عبد العزيز أثبت من قتادة وقال هو أحب إلي منه، وقال أحمد: ثقة ثقة وهو أوثق من يحيى بن أبي إسحاق توفي سنة ١٣٠ هـ.

(تهذيب التهذيب ٦/٣٤١ - ٣٤٢).

(٣) الحديث: رواه البخاري - كتاب الدعوات - باب قول النبي ﷺ ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة...﴾ (١١١/٤).

ومسلم - كتاب الذكر والدعاء - باب فضل الدعاء بـ «اللهم آتنا في الدنيا حسنة». (٤٧١/١)، وأبو داود - كتاب الصلاة - باب في الاستغفار رقم ٢٥١٩ (٨٥/٢) كلهم من حديث أنس.

(٤) عند ابن عباس في تفسيره ص ٢٨ «حظ وافز في الجنة» وانظر فتح القدير ٢٠٦/١ عن عطاء.

(٥) انظر الزجاج ١/٢٦٥.

(٦) انظر غرائب النيسابوري ٢/٢٨٠ - ٢٨١ عن ابن عباس.

(٧) في (ح): قال بن.

(٨) انظر الزاهر ١/٩٧ - ٩٨، والبحر ٢/١٠٦ - ١٠٧، والحاظر ٤/٣٠ ابن عباس.

(٩) قال ابن عباس: الأيام المعدودات: أيام التشريق، والأيام المعلومات: أيام العشر (ابن كثير ١/٢٤٤، والفراء ١/١٢٢) وسميت بذلك: لأن لحوم الأضاحي كانت تشرق فيها بمنى للشمس... (اللسان / شرق).

(١٠) سورة يوسف / ٢٠.

(١١) في (ح): المقر.

(١٢) في (هـ): أيام.

الجمار، وهذه الأيام الأربعة مع يوم عرفة: أيام التكبير أذبار الصلوات، يبدأ مع الصبح يوم عرفة، ويختم مع العصر يوم الثالث عشر^(١).

والمراد بـ «الذكر» في هذه الأيام: التكبير أذبار الصلوات، وعند الجمرات يكبر عند كل حصة.

أخبرنا محمد بن محمد بن منصور، أخبرنا علي بن عمر بن مهدي حدثنا عثمان بن السمّك^(٢) حدثنا أبو قلابة^(٣) حدثنا نايل بن نجيع^(٤) عن عمرو بن شمر^(٥) عن جابر^(٦) عن أبي جعفر^(٧) وعبد الرحمن بن سابط^(٨) عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ: إذا صلى الصبح من غداة عرفة يقبل على أصحابه فيقول: على مكانكم، ويقول: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر والله الحمد، ويكبر من غداة عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق^(٩).

وقوله ﴿فمن تعجل في يومين﴾ قال ابن عباس^(١٠) يقول: من نفر من منى في يومين بعد النحر ﴿فلا إثم عليه ومن تأخر﴾ فلا حرج، يعني: من تأخر عن النفر إلى اليوم الثالث حتى نفر فيه^(١١) ﴿فلا إثم عليه﴾ في تأخره.

(١) انظر أحكام القرآن لابن العربي ١٤٢/١ عن علي رضي الله عنه وأبي يوسف وصاحب محمد.

(٢) عثمان بن السمّك أبو عمرو بن أحمد بن عبد الله بن يزيد الرقاق المعروف بابن السمّك قال الخطيب: ثقة ثبت وقال ابن الفضل القطان: ثقة صدوق صالح توفي سنة ٣٤٤ هـ (تاريخ بغداد ٣٠٢/١١ - ٣٠٣).

(٣) عبد الملك بن محمد بن عبد الله أبو قلابة الرقاشي أحد الحفاظ كان يكنى أبا محمد ولكن غلب عليه أبو قلابة سمع يزيد بن هارون وروح بن عباد وأباداود الطيالسي وعنه ابن صاعد والمحاملي روى من حفظه ستين ألف حديث توفي سنة ٢٧٦ هـ. (البداية والنهاية ٥٧/١١).

(٤) في (هـ): نايلة، وهو: ناثل بن نجيع عن سفيان الثوري تكلم فيه الدارقطني وقال ابن عدي: أحاديثه مظلمة يكنى أبا سهل البصري (الميزان ٢٤٤/٤ - ٢٤٥).

(٥) في المطبوعة: عمرو بن شبيب، وهو: عمرو بن شمر الجعفي أبو عبد الله الكوفي الشيعي يروي عن جابر الجعفي عداه في أهل الكوفة روى عنه أهلها كان رافضياً يشتم أصحاب رسول الله ﷺ ويروي الموضوعات عن الثقات قال البخاري: منكر الحديث مات سنة ١٥٧ هـ (الميزان ٢٦٨/٣ - ٢٦٩ المجروحين ٧٥/٢، والموضوعات لابن الجوزي ٩/٣).

(٦) ساقط من المطبوعة وهو: جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي أحد علماء الشيعة قال ابن مهدي: كان جابر الجعفي ورعاً في الحديث ما رأيت أروع منه في الحديث وقال شعبة صدوق وقال وكيع: ثقة وأثنى عليه الثوري وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه: ترك يحيى القطان من حديث جابر الجعفي، وكذبه أبو حنيفة وليث بن أبي سليم، وقال النسائي وابن عيينة متروك وقال الجوزجاني كذاب مات سنة ١٦٧ هـ (الميزان ٣٧٩/١ - ٣٨٤).

وقال السمعاني وابن حبان مات سنة ١٢٨ هـ (الأنساب ٢٧٠/٣ المجروحين ٢٠٨/١).

(٧) ذكر ابن حبان هذا الإسناد فقال: «عن عمرو بن شمر، عن جابر - الجعفي - عن ابن سابط، عن جابر بن عبد الله. الحديث - ولم يذكر أبا جعفر هذا. (المجروحين ١٨٩/١). وأبو جعفر: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (أبو جعفر الباقر) سبق.

(٨) وقال ابن معين: عبد الرحمن بن سابط لم يسمع من جابر ولا من أبي أمامة (الكاشف ١٦٥/٢).

(٩) الحديث: رواه الدارقطني - كتاب العيدين - رقم ٢٧ - عن جابر ٥٠/٢.

ومجمع الزوائد - كتاب الحج - باب التكبير أيام منى - عن ابن مسعود «رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا إسحاق لم يسم من حديثه (٢٦٣/٣)، والمستدرک - كتاب العيدين - تكبيرات التشريق - عن جابر صحيح الإسناد» (٢٢٩/١) والجامع الصغير ١٢٠/٢ عن جابر ورمز له بالحسن.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٨ والطبري ٢١٥/٤ - ٢١٧ عن ابن عباس وغيره والوجيز للواحدي ٥٣/١ والقرطبي ١٣/٣.

(١١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

وقوله ﴿لَمَنِ اتَّقَى﴾ أي: طرح المأثم عن المتعجل والمتأخر يكون إذا اتقيا في حجتهما تضييع شيء مما حده الله وأمر به، حتى لا يظن أن من تعجل أو تأخر خرج عن الأثم دون أن يبقى.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمُهَادُّ ﴿٢٠٦﴾

قوله عز وجل (١) ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ نزلت هذه الآية واللذان بعدها قل الأحنس بن شريق (٢)، وكان حلوا الكلام، حلوا المنظر، يأتي رسول الله ﷺ فيجالسه ويظهر الإسلام، ويخبره أنه يحب وكان يعجب النبي ﷺ كلامه (٣).

قوله ﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾ كان يقول للنبي ﷺ: والله إني بك مؤمن ولك محب (يحلف بالله) (٤) ويشهده على أنه مضمّر ما يقول، وهو كاذب في ذلك ﴿وهو ألد الخصام﴾: «الألد»: الشديد الخصومة (٥)، يقال لددت، فانت تلدّ لددًا ولددًا. و«الخصام» مصدر كالمخاصمة (٦).

قال ابن عباس (٧): يريد: أنه يدع الحق ويخاصم في الباطل.

قوله ﴿وإذا تولى﴾ أي: أعرض وأدبر ﴿سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل﴾ (٨) وذلك: أنه انصرف من بدر بيني زهرة راجعاً إلى مكة، وكان بينه وبين ثقيف خصومة، فبيتهم ليلاً، وأهلك مواشيتهم وأحرق زرعهم. قال السدي (٩): مزروع للمسلمين وحمر، فأحرق الزرع وعقر الحمر، وقال الضحاك ومجاهد (١٠) «تولى»: بمعنى تملك وولى وصار (١١) والياً، ومعناه: إذا ولي سلطاناً جار.

(١) في (هـ): قوله تعالى.

(٢) واسمه أبي بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى الثقفي يكنى أبا ثعلبة كان حليفاً لبني زهرة، فلما رجع بهم في وقعة بدر إلى مكة قيل خنس بهم، فسمي الأحنس، أعطاه النبي ﷺ مع المؤلفلة قلوبهم، مات في أول خلافة عمر رضي الله عنه (أسد الغابة ٦٠/١).

(٣) انظر تفسير الرازي ١٩٧/٥، وأحكام القرآن لابن العربي ١٤٣/١ والوجيز للواحدي ٥٣/١ والطبري ٢٢٩/٤ - ٢٣٠ عن السدي وخرائب النيسابوري ٢٨٧/٢ عن السدي والبحر ١١٣/٢ والزجاج ٢٦٧/١ والدر ٢٣٨/١ عن السدي والكلبي وابن كثير ٢٤٥/١ وأسباب النزول للواحدي ٤٤، وأسباب النزول للسيوطي ٣٨ والقراء ١٢٣/١.

(٤) ساقطة من المطبوعة.

(٥) انظر غريب القرآن ص ٨٠ ومجاز القرآن ٧١/١ والكامل للمبرد ٣٨/١ وفتح القدير ٣٠٨/١ واللسان / لدد.

(٦) «الخصام» جمع خصم نحو كعب وكعب، ويجوز أن يكون مصدراً. (انظر التبيان ١٦٦/١ وخرائب القرآن ص ٨٠، والمشكل ١٢٥/١ والأخفش ٣٥٩/١ والبحر ١١٤/٢ عن الزجاج والبيان ١٤٨/١).

(٧) انظر الدر ٢٣٩/١ عن ابن عباس.

(٨) من هامش (ح) وهو الأوفق لما يأتي بعده من التفسير، وحيث أنها لم تذكر بعد.

(٩) انظر الطبري ٢٢٩/٤ - ٢٣٠ والدر ٢٣٨/١ وفتح القدير ٢٠٩/١ وخرائب النيسابوري ٢٨٧/٢ كلها عن السدي.

(١٠) انظر البحر ١١٥/٢ والدر ٢٣٩/١، وفتح القدير ٢٠٩/١ كلها عن مجاهد، والبغوي ١٩٢/١ عن الضحاك.

(١١) في المطبوعة: بمعنى إذا صار والياً.

وأراد بـ «الحرق» الزرع والنبات، وبـ «النسل» نسل الدواب^(١)، على ما روي أنه أهلك المواشي وأحرق الزرع.

﴿والله لا يحب الفساد﴾ قال الكلبي عن ابن عباس^(٢): لا يرضى بالفساد والعمل بالمعاصي.

وذكر في تفسير «الفساد^(٣)» ها هنا، الخراب، وقطع الدراهم^(٤) وشق الثياب، لا على وجه المصلحة.

وقوله ﴿وإذا قيل له اتق الله﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ: دعاه إلى إجابة الله في ظاهره وباطنه فدعاه الأنفة والكبر إلى الإثم والظلم وهو قوله ﴿أخذته العزة بالإثم^(٥)﴾ معنى «العزة» ها هنا: المنعة والقوة^(٦).

قال قتادة^(٧): إذا قيل له مهلاً مهلاً ازداد^(٨) إقداماً على المعصية.

والمعنى: حملته العزة وحمية الجاهلية (على الفعل بالإثم ﴿فحسبه جهنم﴾ كافيه الجحيم جزاء له وعذاباً)^(٩)

يقال: حسبك كذا، أي: كفاك، وحسبنا الله أي: كافينا الله، قال امرؤ القيس^(١٠):

وحسبك من غنى شيع وري

أي يكفيك والري.

﴿ولبئس المهاد﴾ جهنم، على معنى: بشس الموضوع وبشس المقر، و«المهاد»: جمع المهد، وهو الموضوع

المهياً للنوم^(١١).

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

قوله ﴿ومن الناس من يشري نفسه﴾^(١٢) نفسه... ﴿الآية، قال سعيد بن المسيب^(١٣) أقبل صهيب^(١٤) مهاجراً نحو

(١) انظر فتح الباري ١٥١/٨ عن عطاء، والدر ٢٣٩/١ عن ابن عباس ومجاهد وفتح القدير ٢٠٩/١ عن ابن عباس والوجيز للواحدى ٥٤/١.

(٢) انظر البحر ١١٦/٢ عن ابن عباس والطبري ٢٤٣/٤ بنحوه، والدر ٢٣٩/١ عن عكرمة.

(٣) في (هـ): التفسير الفسأل.

(٤) «أي جعل الدرهم قطعتين وهذا فساد، لأنه يصير قراضة» (حاشية (أ)).

(٥) ساقطة من (هـ).

(٨) في (ح): أراد.

(٦) انظر القرطبي ١٩/٣ والبحر ١١٧/٢ واللسان / عزز.

(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(٧) انظر القرطبي ١٩/٣ عن قتادة والطبري ٢٤٤/٤ بنحوه، والوجيز للواحدى ٥٤/١.

(١٠) البيت في ديوان امرئ القيس ص ١٣٧ من القصيدة رقم ٢٢.

فتوسع أهلها أقطا وسمناً وحسبك من غنى شيع وري

والأقط: شيء يصنع من اللبن المخيض على هيئة الجبن.

(١١) انظر البحر ١١٨/٢ واللسان / مهد.

(١٢) في (هـ): يشترى.

وانظر الزاهر ٩٦/١ واللسان / وسع، والبيت من بحر الوافر.

(١٣) انظر الزجاج ٢٦٩/١ والدر ٢٤٠/١ عن سعيد، وابن كثير ٢٤٧/١ عن ابن عباس وسعيد وعكرمة، وفتح القدير ٢١٠/١ عن سعيد،

وأسباب النزول للواحدى ص ٤٣، وأسباب النزول للسيوطي ص ٣٩، والطبري ٢٨٤/٤ عن عكرمة والربيع وغرائب النيسابوري

٢٩٠/٢ عن سعيد والقرطبي ٢٠/٣ عن سعيد وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢ عن سعيد والحلية ١٥١/١، ١٥٢ عن سعيد والمستدرک-

كتاب معرفة الصحابة باب مناقب صهيب بن سنان مولى رسول الله ﷺ وقال صحيح على شرط مسلم ٣٩٨/٣ وفي رواية أخرى قال:

صحيح الإسناد ٤٠٠/٣.

(١٤) صهيب بن سنان أبو يحيى النمري من النمر بن قاسط ويعرف بالرومي لأنه أقام في الروم مدة كان من كبار السابقين البدرين توفي سنة

٣٨ هـ (سير الأعلام ١٧/٢ - ١٨).

النبي ﷺ فأتبعه نفر من قريش من المشركين^(١) فنزل عن راحلته، ونثر ما في كنانته^(٢) وأخذ قوسه^(٣) ثم قال: يا معشر قريش، إني من أركامكم رجلاً، وإيم الله^(٤): لا تصلون إليّ حتى أرمى ما في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم، فقالوا: دلنا على بيتك ومالك بمكة ونخلي عنك، وعاهدوه إن دلهم أن يدعوه، ففعل فلما قدم على النبي ﷺ قال:

«أبا يحيى ربح البيع، ربح البيع أيا يحيى» وأنزل الله تعالى ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾. و«الشري^(٥)» من الأضداد، يقال شرى: إذا باع، وشري: إذا اشترى قال الله تعالى ﴿وشروه بثمن بخس^(٦)﴾ أي: باعوه.

ومعنى «بيع النفس» ها هنا: بذلها لأوامر الله وما يرضاه.

ونصب «ابتغاء مرضات الله» على المفعول له، أي: لابتغاء مرضات الله ثم نزع اللام منه، و«المرضاة»: الرضا^(٧) يقال: رضي رضا^(٨) ومرضاة.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۚ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۚ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۚ

قوله^(٩) «يا أيها الذين ءامنوا ادخلوا في السلم كافة» قال المفسرون^(١٠): نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه، وذلك: أنهم حين آمنوا بالنبي ﷺ قاموا بشرائعه وشرائع موسى، فعظموا السبت، وكرهوا لحم الإبل وألبانها بعدما أسلموا فأنكر ذلك عليهم المسلمون، فقالوا: إنا نقوى على هذا وعلى هذا، فقالوا^(١١) للنبي ﷺ: إن

(١) في (ح): نفر من المشركين من قريش، وفي (هـ): نفر من قريش فنزل.

(٢) «الكنانة»: جعبة السهام وقال الليث: الكنانة كالجمعة غير أنها صغيرة تتخذ للنبيل» (اللسان / كنان).

(٣) «القوس»: التي يرمى بها وجمعها: أقواس وأقواس وأقياس والتصغير قويس» (اللسان / قوس).

(٤) «إيم» محذوف النون من آخره وأصله «أيمن» وقيل إيم الله وربما حذفوا الياء فقالوا: «أم الله» وربما أبقوا الميم وحدها مضمومة، قالوا «م الله» ثم يكسرونها لأنها صارت حرفاً واحداً فيشبهونها بالياء فيقولون (م الله) وربما قالوا «مُن الله» بضم الميم والنون، و«مِنَ الله» بفتحهما وكسرهما» (اللسان / يمن).

(٥) في (ح): والشرا... شراً.

(٦) سورة يوسف / ٢٠، وانظر معنى (يشري) في غريب القرآن، ٨٠ - ٨١ ومجاز القرآن ٧١/١ والأخفش ٣٦٠/١ والبحر ١٨/٢ -

(٧) في (ج، هـ): الرضي.

(٨) في (ج): رضى.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ص ٢٨ والطبري ٢٥٥/٤ - ٢٥٦ عن عكرمة والبحر ١/١٢٠، وأسباب النزول للواحدى ص ٤٤. وأسباب النزول للسيوطي ص ٣٩ وفتح القدير ٢١١/١ عن عكرمة والدر ٢٤١/١ عن ابن عباس وعكرمة، وابن عباس ٢٤٨/١ عن عكرمة قال ابن كثير «وفي ذكر عبد الله بن سلام مع هؤلاء نظر، إذ يبعد أن يستأذن في إقامة البيت، وهو مع تمام إيمانه نسخه، ورفعته وبطلانها، والتعويض عنه بأعياد الإسلام».

(١١) في (ج، هـ): وقالوا.

التوراة كتاب الله، فدعنا فلنقم بها في صلاتنا، فأنزل الله هذه الآية.

«والسلم» - بكسر السين - الإسلام^(١)، وهو اسم جعل بمنزلة المصدر، كالعطاء من أعطيت، والنبات من أنبت، والفتح لغة^(٢) ويجوز أن يكون بالفتح والكسر: الصلح والمراد بالصلح: الإسلام، لأن الإسلام صلح، ألا ترى أن القتال من أهله موضوع^(٣) وأنهم أهل اعتقاد واحد ويد واحدة في نصرة بعضهم لبعض فسمي الإسلام صلحاً لما ذكرنا.

وقوله ﴿كافة﴾ «الكافة» اسم للجملّة الجامعة لأنها تمنع من الشذوذ والتفرق، والمعنى: ادخلوا في شرائع الإسلام جملة مانعة من شريعة لم تدخلوا فيها.

«والكافة» في اللغة: الحاجزة المانعة، يقال: كفت فلاناً عن السوء فكف يكف كفا، سواء لفظ اللازم، والمجاوز^(٤) ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾: آثاره، ونزغاته فيما زين لكم من تحريم السبت ولحم الجمل ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ ظاهر العداوة أخرج أباكم من الجنة، وقال ﴿لأحتكن﴾^(٥) ذريته^(٥).

وقوله ﴿فإن زلتم﴾ يقال: زلت قدمه تزل زللاً وزلاً وزليلاً^(٦)، إذا دحضت، ومعنى «زلتم»: تنحيتم عن القصد والشرائع في تحريم السبت ولحم الإبل ﴿من بعد ما جاء تكم البيئات﴾ يعني: القرآن ومواعظ^(٧) ﴿فاعلموا أن الله عزيز﴾ في انتقامه لا تعجزونه ﴿حكيم﴾ فيما شرع لكم من دينه.

قوله ﴿هل ينظرون...﴾ الآية، «هل» - ها هنا - استفهام يراد به النفي والإنكار^(٨) كما يقال: هل يفعل هذا إلا مائق^(٩)، أي: ما يفعل، ﴿وينظرون﴾ بمعنى ينتظرون، يقال: نظرته وانتظرته، ومنه قوله تعالى: ﴿انظرونا نقبس من نوركم﴾^(١٠) وقوله ﴿فناظرة بم يرجع المرسلون﴾^(١١) - والمعنى: ما ينتظر التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان إلا العذاب (يوم القيامة، يريد: أنه لا ثواب لهم فلا ينتظرون إلا العذاب)^(١٢) ﴿هو قوله ﴿إلا أن يأتيهم الله﴾ أي: يأتيهم عذاب الله، أو أمر الله فحذف المضاف ومثل هذا قوله ﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾^(١٤) أي: عذاب الله.

(١) انظر التبيان ١٦٨/١ وغريب القرآن ص ٨١، والأخفش ٣٦١/١ والطبري ٢٥٢/٤ عن ابن عباس وابن كثير والكسائي (ادخلوا في السلم كافة) - بالفتح - أي في المسالمة والمصالحة، وقرأ الباقون (في السلم) بالكسر - أي في الإسلام، وقال قوم: هما لغتان انظر الحجة لأبي زرع ١٣٠ والسبعة ١٨٠ - ١٨١.

(٣) «أي المتعدي» (حاشية (أ)).

(٢) أي: متروك (حاشية (أ)).

(٤) أي لاستأصلنهم ولأستولين عليهم ولأصلنهم، (حاشية (أ) وابن كثير ٤٩/٣ والوجيز للواحدى ٢٨٣/١).

(٥) سورة الإسراء / ٦٢.

(٦) في (ج، هـ): زلاً وزللاً وزلولاً.

والزل والدحض معناهما: الزلق. (اللسان / دحض، زلل).

(٧) ساقطة من (هـ).

(٨) سورة الحديد / ١٣.

(٩) انظر التبيان ١٦٩/١.

(١٠) سورة النمل / ٣٥.

(١١) أي أحمق (حاشية (أ))، واللسان / موق).

(١٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح) وفي (هـ): ينتظرون إلا وهو قوله.

(١٣) في (ح): ومنه قوله.

(١٤) سورة الحشر / ٢، وانظر فتح القدير ٢١٠/١ - ٢١١ عن الأخفش، والطبري ٢٦٦/٤.

وقوله ﴿فِي ظِلِّ مِنَ الْغَمَامِ﴾ «الظل» جمع ظلة مثل: حلة وحلج، وهي ما يستظل به من الشمس، ويسمى السحاب ظلة لأنه يستظل بها، ومنه قوله ﴿عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ﴾^(١) أراد: غيما تحته سموم، والمعنى: أن العذاب يأتي فيها ويكون أهول وقوله ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ يعني: الذين وكلوا بتعذيبهم ﴿وَقَضَى الْأَمْرَ﴾ أي: فرغ لهم مما يوعدون به، بل قدر ذلك عليهم وأعد لهم ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ أي: في الجزاء من الثواب والعقاب وذلك أن العباد في الدنيا لا يجازون على أعمالهم ثم إليه بصيرون فيعذب من يشاء ويرحم من يشاء، وهذا كقوله ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾^(٢) وقرئ ﴿ترجع الأمور﴾ - بضم التاء وفتح الجيم - أي: ترد إليه الأمور^(٣).

سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا مِنْ بَيْنِنَا وَمَنْ يَبْدُلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾

قوله ﴿سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (كم آتيناهم من آياتنا من بيننا) معنى «السؤال» - ها هنا - : تكييت للمسئول عنه وتقريع له، لا تعرف منه، كما يقال: سله كم أنعمت عليه فكفر نعمتي؟

كذلك هؤلاء أنعم الله عليهم نعمًا، فلق البحر لهم، وأنجاهم من عدوهم وأنزل عليهم المن والسلوى فكفروا بهذه النعم حير^(٤) لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ولم يبينوا نعمة الله من بعد ما جاءته ﴿التبديل﴾ تصيير الشيء على غير ما كان عليه^(٥).

يريد: من يجعلها نعمة بالكفران وترك الشكر لها ﴿فإن الله شديد العقاب﴾ يعني: لمن فعل ذلك. «والعقاب» عذاب يعقب الجرم.

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾

قوله ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فهي مهمم وطلبتهم ونبيتهم^(٦) فهم لا يريدون غيرها، كقولهم ﴿فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾^(٧).

وإنما قيل ﴿زُيِّنَ﴾ على التذكير لأن الحياة: مصدر فذهب إلى تذكير المصدر كقوله ﴿فمن جاءه موعظة من ربه﴾^(٨). وهذا قول الفراء^(٩) وقال الزجاج^(١٠): تأنيث الحياة ليس بحقيقي، لأن معنى الحياة والبقاء والعيش واحد.

(١) سورة الشعراء / ١٨٩.

(٢) سورة الشورى / ٥٣.

(٣) قرأ ابن عامر والكسائي وحمزة (ترجع) - بفتح التاء في جميع القرآن - وحثهم (ألا إلى الله تصير الأمور) ولم يقل: تصار فلما أسند الفعل إليها بإجماع القراء ردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو، ونافع وعاصم - بالضم - وحثهم (إلى تحشرون) و(تقبلون). انظر الحجة لأبي زرعة ١٣٠ - ١٣١ والسبعة ١٨١ والنشر ٢٠٩/١ والحجة لابن خالويه ٩٥، والزجاج ٢٧٢/١.

(٤) في (هـ): حيث.

(٥) ساقطة من (ح، هـ).

(٦) انظر الدر ٢٤٢/١.

(٧) انظر معاني القرآن للفراء ٤/٦، والرازي ١٢٥/١، والرازي ٤/٦ عن الفراء.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٧٢/١ والبيان ١٤٩/١ والبيان ١٧٠/١ ومجاز القرآن ٨٣/١، والرازي ٤/٦ عن الزجاج.

قوله ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: يسخرون من فقراء المؤمنين ويعيرونهم بالفقر ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك وهم هؤلاء الفقراء ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: لأنهم في الجنة وهي عالية والكافرين في النار وهي هابوية^(١) ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال ابن عباس^(٢): يريد: ان أموال قريظة والنضير تصير إليهم بغير حساب ولا قتال، بأسهل شيء وأيسره. وقال مقاتل^(٣): يرزق من يشاء حين بسط للكافرين وقتل^(٤) على المؤمنين ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يعني ليس فوقه من يحسابه، فهو الملك يعطي من يشاء بغير حساب، وهذا معنى قول الحسن، لأن الله قال^(٥): ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لا يسأل عما يفعل.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾

قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قال ابن عباس^(٦): يعني على عهد إبراهيم كفاراً كلهم. وقال الحسن وعطاء^(٧): ﴿كَانَ النَّاسُ﴾ بعد وفاة آدم إلى مبعث نوح ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: على ملة واحدة وهي الكفر، كانوا

(١) (والذين اتقوا فوقهم) أي: أفضل منهم (مجاز القرآن ٧٢/١) (والذين اتقوا فوقهم) في الجنة (انظر الطبري ٢٧٤/٤ عن قتادة).

(٢) انظر البحر ١٢٩/١ عن عطاء، ١٣١/١ عن ابن عباس وغرائب النيسابوري ٣٠١/٢ والوجيز للواحد ٥٥/١.

(٣) انظر الزجاج ٢٧٣/١ ومجاز القرآن ٧٢/١ وفتح القدير ٢١٤/١ وغرائب النيسابوري ٣٠١/٢ والبحر ١٢٩/٢ عن مقاتل.

(٤) قتر: ضيق الرزق (حاشية (أ)).

(٥) انظر البحر ١٣١/٢ وغرائب النيسابوري ٣٠١/٢.

(٦) انظر تفسير الرازي ١٣/٦ عن ابن عباس وتفسير ابن عباس ص ٢٢٩ وغريب القرآن ص ٩١ والبغوي ٢٠١/١ عن ابن عباس والقرطبي ٣١/٣ عنه.

قال الطبري: «فإن دليل القرآن واضح على أن الذين أحبر الله عنهم أنهم كانوا أمة واحدة، إنما كانوا أمة واحدة على الإيمان ودين الحق، دون الكفر بالله والشرك، وذلك: أن الله عز وجل قال في سورة يونس ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلَفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون﴾ - يونس ١٩ - فتوعد عز وجل ذكره على الاختلاف لا على الاجتماع، ولا على كونهم أمة واحدة، ولو كان اجتماعهم قبل الاختلاف على الكفر ثم كان الاختلاف بعد ذلك، لم يكن إلا بانتقال بعضهم إلى الإيمان، ولو كان ذلك كذلك لكان الوعد أولى بحكمته جل ثناؤه في ذلك الحال من الوعيد، لأنها حال إنابة بعضهم إلى طاعته، ومحال أن يتوعد في حال التوبة والإنابة ويترك ذلك في حال اجتماع الجميع على الكفر والشرك» [انظر تفسير الطبري ٢٨٠/٤] وانظر الدر ٢٤٢/١ عن ابن عباس وفي رواية بسند صحيح قال (كان الناس أمة واحدة) على الإسلام كلهم في رواية أخرى: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، وعن قتادة ٢٤٣/١ وكذا ذكر ابن كثير ٢٥٠/١ عن ابن عباس: كان بين آدم ونوح... «وصححه الحاكم وذكر رواية العوفي عن ابن عباس: أنهم كانوا كفاراً كلهم» قال ابن كثير: «والقول الأول عن ابن عباس أصح سنداً ومعنى، لأن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام». ومثل ذلك في غريب النيسابوري ٣٠٢/٢ - ٣٣٣ عن ابن عباس.

(٧) انظر تفسير الرازي ١٣/٦ وغرائب النيسابوري ٣٠٣/٢ والبغوي ٢٠١/١ كلها عن الحسن وعطاء.

كفاراً كلهم أمثال البهائم ﴿فبعث الله (النبين مبشرين ومنذرين)﴾ نوحاً وإبراهيم وغيرهما من النبيين ﴿وأنزل معهم الكتاب﴾ يعني: الكتب، و«الكتاب» اسم جنس^(١) أريد به الجمع ﴿بالحق﴾ يريد: بالعدل والصدق ﴿ليحكم﴾ أي: الكتاب ﴿بين الناس﴾ بما فيه من البيان ﴿فيما اختلفوا فيه﴾ من الأحكام ﴿وما اختلف فيه﴾ الكناية راجعة إلى الكتاب. والمراد بالكتاب المختلف فيه: التوراة.

قوله ﴿إلا الذين أوتوه﴾ يعني: اليهود، واختلفوا في التوراة: تبديل بعضهم وتحريفهم ﴿من بعد ما جاءهم البينات﴾: الدلالات الواضحات في شأن محمد ﷺ وصحة نبوته ﴿بغيا بينهم﴾ حسداً منهم وطلباً للرياسة ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه﴾ (أي: إلى ما اختلفوا)^(٢) فيه ﴿من الحق﴾ والمعنى: لمعرفة ما اختلفوا فيه، يقال: هديته إلى الشيء وللشيء.

قال ابن زيد^(٣): اختلفوا في القبلة، فصلت اليهود إلى بيت المقدس، وصلت^(٤) النصراني إلى المشرق، فهدانا الله^(٥) للكعبة، واختلفوا في الصيام، وهدانا^(٦) الله لشهر رمضان، واختلفوا في يوم الجمعة، فأخذت اليهود السبت، والنصارى الأحد فهدانا الله له. واختلفوا في إبراهيم^(٧)، فقالت اليهود: كان يهودياً، وقالت النصراني: كان نصرانياً، فهدانا الله تعالى للحق من ذلك، واختلفوا في عيسى فجعلته اليهودية لفرية^(٨)، وجعلته النصراني رءى، فهدانا الله عز وجل للحق من ذلك.

أخبرنا أبو سعيد عبد الرحمن بن الحسن الحافظ^(٩)، أخبرنا أبو الفتح يوسف بن عمر بن مسرور^(١٠)، حدثنا عبد الله (بن محمد بن عبد العزيز، حدثنا عبد الله بن عون حدثنا أبو سفيان محمد بن حميد^(١١))، حدثنا معمر بن راشد^(١٢)، عن الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ في قوله الله عز وجل ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ قال «نحن الآخرون^(١٣) السابقون يوم القيامة بيد^(١٤)» أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتينا من بعدهم، فهدانا الله لما اختلفوا فيه، فاليوم لنا، وغداً لليهود، وبعد غد للنصارى^(١٥).

(١) في (ج، هـ): اسم الجنس.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٨٤/٣ والبغوي ٢٠٢/١ والرازي ١٦/٦ كلها عن ابن زيد والقرطبي ٣٢/٣، والدر ٢٤٣/١، وابن كثير ٢٥٠/١ عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه.

(٤) في (هـ): والصلت.

(٥) في (ح): فهدانا للكعبة.

(٦) في (ح، هـ): فهدانا.

(٧) يوسف بن عمر بن مسرور أبو الفتح القواسمي سمع النبوي وابن أبي داود وابن صاعد وغيرهم وعنه الخلال والعشاري والبغدادي

والتنوخي وغيرهم وكان ثقة ثبتاً يعد من الأبدال، قال الدارقطني: كنا نتبرك به وهو صغير توفي سنة ٣٨٥ هـ عن ٨٥ سنة (البلدية والنهاية ٣١٩/١١).

(١١) أبو سفيان محمد بن حميد المعمرى البصري سمع سفيان ومعمر بن راشد وعنه زهير بن حرب وعبد الله بن عون الهلالي روى له مسلم.

(١٢) وما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(١٣) في (هـ): فهدأ... السابقون السابقون... أتوا... فهدانا.

(١٤) «بيد»: أي غير (حاشية أ، ح).

(١٥) الحديث: رواه البخاري - كتاب الجمعة - باب فرض الجمعة. ١٥٧/١.

وقول (١) ﴿يَاذَنَّهُ﴾ أي: بعلمه وإرادته فيهم، قال ابن عباس (٢): يريد: كاز (٣) في قضائي وقدري.
 قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ...﴾ الآية قال عطاء عن ابن عباس (٤). لما دخل رسول الله ﷺ المدينة اشتد الضر عليهم لأنهم خرجوا بلا مال، وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل (٥) تطيباً لقلوبهم ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾.
 معناه: بل أحسبتم (٦) ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾ (٧) أي: ولم يأتكم و«ما» صلة ﴿مِثْلَ الَّذِينَ﴾ أي: شبه الذين ﴿خَلُّوا﴾ (٨) ﴿مِثْلَ مِثْلِكُمْ﴾ من النبيين والمؤمنين وفي الكلام حذف تقديره: مثل محنة الذين، أو مثل مصيبة الذين من قبلكم، و«المثل، والمثل»: واحد.
 ثم ذكر ما أصابهم فقال ﴿مَسْتَهْمُ الْبِأَسَاءِ﴾ قال عطاء (٨): يريد: الفقر الشديد (٩) ﴿وَالضَّرَاءِ﴾ المرض والجوع ﴿وَوَزَلُّوْا﴾: حركوا بأنواع البلايا والرزايا (١٠) ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ (١١) إلى أن يقول الرسول ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ؟﴾ أي: بلغ منهم الجهد إلى أن استبطأوا النصر، فقال الله تعالى ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ أي: أنا ناصر أوليائي لا محالة، ونصري قريب منهم.
 وقرىء (حتى يقول الرسول) رفعا (١٢)، كما تقول: سرت حتى أدخلها بمعنى: سرت فأدخلها، بمنزلة: سرت فدخلتها، و«حتى» ها هنا - مما لا يعمل في الفعل شيئا، لأنها تلي الجملة، تقول: سرت حتى إنني كال (١٣)، وكقول الفرزدق (١٤)

فيا عجبا حتى كليب تسبني

= وباب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم ١٦٠/١ .
 وفي كتاب بدء الخلق - حديث الغار - باب منه ٢٦٣/٢ .
 ومسلم - كتاب الجمعة - باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ٣٤٠/١ .
 ومسند أحمد ٢٧٤/٢ . كلهم من حديث أبي هريرة .

(١) في (ج، هـ): قوله .

(٢) في تفسير ابن عباس ص ٢٩ «بكرامته وإرادته» .

(٣) في (هـ) كان ذلك .

(٤) انظر غرائب النيسابوري ٣٠٦/٢ عن ابن عباس وفتح القدير ٢١٥/١ عنه وأسباب النزول للواحد ص ٤٤ وعند الطبري ٢٨٩/٤ عن السدي وفتاة حيث يرجعان سبب النزول إلى غزوة الأحزاب . وكذا في غرائب النيسابوري - في رأي آخر له - عنهما ٣٠٦/٢ .

(٥) في (هـ): لرسول الله فأنزل الله تعالى .

(٦) في (ج، هـ): بل حسبتم .

(٧) في (هـ) يأتيتكم . . . خلد .

(٨) ساقطة من (هـ) .

(٩) انظر فتح القدير ١٧٤/١ عن ابن مسعود وفتاة .
 (١٠) غرائب النيسابوري ٣٠٦/٢ .
 (١١) في (ج، هـ): أي إلى أن يقول .

(١٢) قرأ نافع بالرفع وحجته: أنها بمعنى قال، وليست على المستقبل، وإنما ينصب ما كان مستقبلاً، وقرأ الباقون بالنصب، وحجته أنها بمعنى الانتظار .
 انظر الحجة لأبي زرعة ١٣١ - ١٣٢ والسبعة ١٨١، والنشر ٢٢٧/٢، والتبيان ١٧٢/١ والزجاج ٢٧٧/١ والرازي ٢٠/٦ والفراء ١٣٢/١ - ١٣٣ والحجة لابن خالويه ٩٥ - ٩٦ والمشكل ١٢٦/١ - ١٢٧) .

(١٣) الكال: المعبي، وكُلُّ الرجل: إذا تعب. (اللسان/ كليل) .

(١٤) انظر ديوان الفرزدق ١٤٩/١ . ٣١٧/٢

فعملها في الجمل يكون في معناها لا في لفظها، وعلى هذا وجه الآية.

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

قوله ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ...﴾ قال الكلبي عن ابن عباس^(١): نزلت هذه الآية في عمرو بن الجموح الأنصاري^(٢)، وكان شيخاً كبيراً، وعنده مال عظيم فقال: ماذا أنفق من أموالنا، وأين نضعها؟ فنزلت هذه الآية. وقوله ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾^(٣) إلى قوله ﴿وَمَا تَفَعَّلُوا﴾ قال ابن الأثيري^(٤): إن عمرو بن الجموح سأل رسول الله ﷺ عن الصدقة، أين يخص بها عند موته؟ فأنزل الله هذه الآية، فلما نزلت آية الموارث نسخت من هذه الآية التصديق على الوالدين^(٥).

ويقال: إن الإنفاق في هذه الآية لا يراد به الصدقة عند الموت، إنما يراد به النفع في الدنيا، والإيثار بما ينتظرب به الإنسان إلى الله تعالى، فأخبر الله تعالى: أن من قصد ذلك ينبغي له أن يبر بذلك المذكورين في هذه الآية. وعلى هذا الآية محكمة لم ينسخ منها شيء، وهذا معنى قول مقاتل بن حيان^(٦) وقال كثير من أهل التفسير^(٧): هذا كان قبل فرض الزكاة، فلما فرضت الزكاة بالآية التي في البراءة^(٨).

وقوله ﴿وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ أي: أنه يحصيه ويجازي عليه.

= فإعجاباً حتى كليب تسبني كان أباه نهشل أو مجاشع
فإعجاباً حتى كليب تسبني وكانت كليب مدرجا للمشائم
والبيت الأول ضمن قصيدته «أولئك آبائي» والثاني «المؤمن فكلك كل قيد» وهو آخر القصيدة.

وانظر الزجاج ٢٧٨/١، والفراء ١٣٨/١ والخزانة ١٦٩/٣، ٤٠٤/٥ والكتاب ١٨/٣ والبحر ٤٠١/١ والقرطبي ٣٥/٣ وهو من بحر الطويل.

والشاهد: عمل حتى في الجمل في معناها لا في لفظها.

(١) انظر الدر ٢٥٣/١ والرازي ٢٢/٦ - ٢٣ وغرائب النيسابوري ٣١٠/٢ والبحر ١٤١/٢ كلها عن ابن عباس وأسباب النزول للواحي ص ٤٤ - ٤٥ وأسباب النزول للسبوطي ص ٤٠ وفتح القدير ٢١٦/١.

(٢) عمرو بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي الغنمي كان سيد بني سلمة، أسلم حين قدم مصعب بن عمير المدينة واستشهد في غزوة أحد. (سير الأعلام ٢٥٢/١ - ٢٥٣).

(٣) من (أ) وبعده: «واليتامى والمسكين وابن السبيل».

(٤) انظر الزجاج ٢٧٨/١، والطبري ٢٩٤/٤ عن السدي وابن جريج وابن نجيب، والقرطبي ٣٦/٣، والدر ٢٤٣/١.

(٥) في (ح): على الوارث.

(٦) مقاتل بن حيان النبطي أبو بسطام البلخي الخراز مولى بكر بن وائل روى عن سعيد بن المسيب وأبي بردة وعكرمة وسالم بن عبد الله بن عمر وشهر بن حوشب وقتادة والضحاك بن مزاحم وغيرهم، قال النسائي ليس به بأس، وقال الدارقطني: صالح وذكره ابن حبان في الثقات توفي قبل الخمسين ومائة.

(تهذيب التهذيب ٢٧٧/١ - ٢٧٩).

وانظر تفسير ابن كثير ٢٥١/١ عن مقاتل وغرائب النيسابوري ٣١١/٢ عن الحسن والبحر ١٤١/٢ عن الحسن.

(٧) انظر تفسير الطبري ٢٩٤/٤ وغرائب النيسابوري ٣١١/٢ وابن كثير ٢٥١/١ وفتح القدير ٢١٦/١ والبحر ١٤١/٢ كلها عن السدي والدر ٢٤٣/١ عن السدي وابن جريج.

(٨) في (ح، هـ): التي في سورة براءة. وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلُفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ آية ٦٠.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْهَرَامِ فَقَالَ فِيهِ قُلٌ فِيهِ كِبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ دِينَكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

قوله تعالى: ﴿كتب عليكم القتال﴾ قال عطاء^(١): يعني بهذا: أصحاب رسول الله ﷺ خاصة^(٢) لأن القتال مع النبي ﷺ كان فريضة، وما كان يجوز القعود عنه إذا خرج لجهاد عدو. والإجماع اليوم على أنه من فروض الكفاية.

وقوله ﴿وهو﴾ أي: القتال ﴿كره لكم﴾ قال الفراء^(٣): «الكره»: المشقة قمت على كره أي: على مشقة، و«الكره» - بفتح الكاف -: الإيجاب، يقال: أقامني على كره، إذا أكرهك عليه، ولهذا المعنى لم يقرأ - ها هنا - كره - بالفتح - كما قرئ في سائر المواضع بالضم والفتح، لأن المشقة ها هنا أليق من الاجبار، وهذا الكره من حيث المشقة الداخلة على النفس وعلى المال من المؤنة، لا أنهم كانوا يكرهون فرض الله.

وقوله ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾ لأن في الغزو إحدى^(٤) الحسنين إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة ﴿وعسى أن تحبوا شيئاً﴾ يعني: التعود على الغزو ﴿وهو شر لكم﴾ لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والأجر.

وقال ابن عباس: كنت ردف النبي ﷺ فقال: يا ابن عباس، ارض عن الله بما قدر وإن كان خلاف^(٥) هواك، إنه لمثبت^(٦) في كتاب الله عز وجل^(٧) فقلت يا رسول الله أين وقد قرأت القرآن؟ فقال ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾^(٨).

(١) انظر تفسير الطبري ٢٩٥/٤ والدر ٢٤٤/١ والبحر ١٤٣/٢ وأحكام القرآن لابن العربي ١٤٦/١ كلها عن عطاء.

(٢) ساقطة من (أ).

(٣) انظر تفسير الرازي ٢٧/٦، ١٠/١٠ - ١١ عن الفراء، وإصلاح المنطق ص ٩٠ عن الفراء، وأدب الكاتب ص ٢٣٩ والبحر ١٣٤/٢ وغرائب النيسابوري ٣١٢/٢ والطبري ٢٩٧/٤ عن معاذ بن مسلم، واللسان / كره، والحجة لأبي زرعة ١٩٥ - ١٩٦ وسيأتي الكلام عن القراءة عند تفسير الآية ١٩ من سورة النساء.

(٤) في (هـ): أحد.

(٥) في (هـ): رسول الله . . بخلاف.

(٦) أي أن هذا المعنى في كتاب الله تعالى (حاشية (أ)).

(٧) في (هـ): الله تعالى.

(٨) الحديث: رواه الطبري في تفسيره ٢٩٨/٤ - ٢٩٩ عن ابن عباس، قال المحقق «هذا إسناد مظلم، والمتن منكر، لم أجد ترجمة =

وقوله «والله يعلم وأنتم لا تعلمون» أي: يعلم ما فيه مصالحكم ومنافعكم فبادروا إلى ما يأمركم به وإن شئ عليكم.

قوله عز وجل «يستلونك عن الشهر الحرام...» الآية:

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازي بقراءتي عليه، قلت: حدثكم أبو الفضل محمد بن عبد الله بن خميرويه الهروي^(١)، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الخزازي الجكاني^(٢)، حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع أخبرني شعيب بن أبي حمزة، عن الزهري، أخبرني عروة بن الزبير:

أن النبي ﷺ بعث سرية من المسلمين^(٣)، وأمر عليهم عبد الله بن جحش الأسدي^(٤)، فانطلقوا حتى هبطوا^(٥) نخلة، فوجدوا بها عمرو بن الحضرمي^(٦)، في غير تجارة لقريش، في يوم بقي من الشهر الحرام^(٧) فاختصم المسلمون، فقال قائل منهم: غرة هذ^(٨) من عدد وغنم رزقتموه، ولا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا^(٩)، وقال قائل منهم: لا نسلم هذا اليوم إلا من الشهر الحرام، ولا نرى أن تستحلوه لطمع أشقيتم^(١٠) عليه، فغلب على الأمر^(١١) الذين يريدون عرض الدنيا^(١٢)، فشدوا على ابن الحضرمي فقتلوه وغنموا غيره، فبلغ ذلك كفار قريش - وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين - فركب وفد من^(١٣) كفار قريش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا^(١٤): أيحل القتال في شهر الحرام؟ فأنزل الله تعالى «يستلونك عن الشهر الحرام قتال فيه...» إلى آخر الآية^(١٥).

- = «يحيى بن محمد بن مجاهد» ولا «عبيد الله بن أبي هاشم» - يريد المذكورين في إسناد الحديث عند الطبري - ولا أدري ما هم ولفظ الحديث لم أجده، ولا نقله أحد ممن ينقل عن الطبري».
- وانظر الدر ٢٤٤/١ «رواه ابن جرير عن ابن عباس».
- (١) ابن خميرويه العدل أبو الفضل محمد بن عبد الله بن محمد بن خميرويه بن سيار الهروي يحدث هراة روى عن الجكاني وأحمد بن نجدة وجماعة توفي سنة ٣٧٢ هـ (شذرات الذهب ٧٩/٣).
- (٢) الشيخ المحدث الثقة مسند هراة أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى الخزازي الهروي الجكاني - وجكان - محلة على باب مدينة هراة - رحل وسمع من أبي اليمان وأدم بن أبي إياس، وعنه محمد بن عبد الله بن خميرويه والكثير توفي سنة ٢٩٢ هـ (سير الأعلام ٤٥٤/٣).
- (٣) «في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين» (حاشية (أ)).
- (٤) عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن داود بن أسد بن خزيمة أبو محمد الأسدي أمه أميمة بنت عبد المطلب عمه النبي ﷺ أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ على سرية وغنيمته أول غنيمة غنمها المسلمون شهيداً بدرأ وقتل يوم أحد ودفن مع خاله حمزة في قبر واحد وصلى عليهما النبي ﷺ وعمر نيفاً وأربعين سنة. (أسد الغابة ١٩٤/٣ - ١٩٥).
- (٥) في (هـ): حبطوا نخلة، ونخلة: موضع بين مكة والطائف (البداية والنهاية ٢٤٩/٢).
- (٦) عمرو بن الحضرمي - واسم الحضرمي عبد الله - بن عباد أحد الصدق - بطن من حضرموت - قتله واقد بن عبد الله التيمي، وهو أول قتيل بين المسلمين والمشركين قتله المسلمون. (البداية والنهاية ٢٤٩/٣ - ٢٥٠).
- (٧) «وهو شهر رجب» (حاشية (أ)).
- (٨) في (ح، هـ): هذه غرة.
- (٩) في (هـ): أملاً «وإنما قالوا هذه لأنه يجوز أن يكون الشهر تسعة وعشرين يوماً» (حاشية (أ)).
- (١٠) «من الإشفاء وهو الإطلاع على الشيء» (حاشية (أ)). (١٢) ساقطة من (ح).
- (١١) في (هـ): أمر.
- (١٣) في (ح): على النبي ﷺ وقالوا، وفي (هـ): على النبي فقالوا
- (١٤) انظر مجمع الزوائد - كتاب المغازي - سرية عبد الله بن جحش «رواه الطبراني ورجاله ثقات (١٩٨/٦)، والدلائل للبيهقي ١٧/٣ عن =

فحدثهم الله^(١) في كتابه: أن القتال في الشهر الحرام، وأن الذي^(٢) يستحلون من المؤمنين هو أكبر من ذلك، من صددهم عن سبيل الله حين يسجنونهم ويعذبونهم ويحبسونهم أن يهاجروا إلى رسول الله ﷺ وكفرهم بالله وصد المسلمين عن المسجد الحرام في الحج^(٣) والعمرة والصلاة فيه، وإخراجهم أهل المسجد الحرام منه، وهم سكانه من المسلمين، وفتنتهم إياهم عن الدين. فبلغنا أن رسول الله ﷺ عقل^(٤) ابن الحضرمي، وحرّم الشهر الحرام، كما كان يحرمه حتى أنزل الله عز وجل^(٥) ﴿براءة من الله ورسوله﴾^(٦).

فقوله ﴿يستلونك عن الشهر الحرام﴾ يعني: أهل الشرك يسألون عن ذلك على جهة العيب للمسلمين، باستحلالهم القتال في الشهر الحرام.

وقوله ﴿قتال فيه﴾ تقديره: عن قتال^(٧) فيه، وكذا هو في قراءة ابن مسعود^(٨).

﴿قل﴾^(٩) لهم يا محمد ﴿قتال﴾ في الشهر الحرام ﴿كبير﴾ أي: عظيم في الإثم، وتم الكلام ها هنا، ثم قال ﴿وصد عن سبيل الله﴾ يعني: صد^(٩) المشركين رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت عام الحديبية^(١٠). ﴿وكفر به﴾ أي: بالله ﴿والمسجد الحرام﴾: ينخفض بالعطف على «سبيل الله» تقديره وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ﴿وإخراج أهله﴾ أهل المسجد ﴿منه أكبر﴾ أعظم وزرا ﴿عند الله والفتنة﴾ الشرك والكفر ﴿أكبر من القتل﴾ يعني: قتل ابن الحضرمي.

ولما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن جحش - صاحب هذه السرية - إلى مؤمني مكة: إذا غيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام، فغيروهم أنتم بالكفر وإخراج الرسول من مكة، ومنع المؤمنين^(١١) عن البيت^(١٢).

= عروة، وسنن البيهقي - كتاب السير باب ما جاء في نسخ العفو عن المشركين ١٢/٩ - ١٣ عن عروة، ومسنند أحمد ٢٨٩/٥ عن عقبه بن مالك.

والدر ١/٢٥٠ - ٢٥٢، وابن كثير ١/٢٥٢ - ٢٥٤ عن جندب بن عبد الله وابن عباس، وابن مسعود، وعبد الملك بن هشام، والطبري ٤/٣٠٢ - ٣١٢ عن عروة والسدي ومجاهد وابن عباس وأبي مالك الغفاري وعطاء والضحاك وأسباب النزول للواحد ص ٤٥ - ٤٨ وأسباب النزول للسيوطي ص ٤٠.

(١) في (ح، هـ): الله عز وجل.

(٢) في (ح): وأن الذين.

(٣) في (ح): والحج.

(٤) «أي أعطى الدين» حاشية (أ).

(٥) في (ح): حتى أنزل الله على نبيه وفي (هـ): حتى أنزل الله تعالى.

(٦) سورة براءة / ١، وانظر الدر ١/٢٥٢ «سئل سفيان الثوري عن هذه الآية فقال: هذا شيء منسوخ، ولا بأس بالقتال في الشهر الحرام» وكذا عن ابن عباس وعطاء وانظر الزجاج ١/٢٥٣.

(٧) في (ح): عن مال فيه، وفي (هـ): وعن قتال فيه.

(٨) انظر الدر ١/٢٥٢ عن ابن مسعود والربيع ومختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص ١٣ والمصاحف لابن أبي داود ص ٥٨ والفراء ١/١٤١.

(٩) في (ح): قال يعني المشركين أهله منه وأعظم.

(١٠) كيف هذا وهذه السرية كانت قبل غزوة بدر، وعام الحديبية متأخر جداً.

فالأولى أن يراد بذلك: مطلق الصد عن الدخول في سبيل الله - لا في منع المسلمين من دخول البيت عام الحديبية.

(١١) في (ح) من البيت.

(١٢) انظر تفسير مجاهد ص ١٠٤ - ١٠٥ والطبري ٤/٣١٠ - ٣١١ عن الضحاك وقناة وغرائب النيسابوري ٢/٣٠٧ ومنتخب كنز العمال =

وقوله ﴿ولا يزالون﴾ يعني: المشركين ﴿يقاتلوكم﴾ أيها المؤمنون ﴿حتى يردوكم عن دينكم﴾ الإسلام إلى الكفر ﴿إن استطاعوا﴾.

ثم ذكر حكم من يرجع عن الإسلام إلى الكفر فقال ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر﴾ يعني: يبتلى على الردة إلى أن يموت ﴿فأولئك حبطت أعمالهم﴾ أي: بطلت^(١) يقال: حبط عمله، يحبط حبطاً وحبطاً، وأحبطه الله أحباطاً.

والمسلم إذا ارتد ومات على الردة حبط عمله الذي عمله في الإسلام، وبقي في النار خالدًا، وهو قوله عز وجل^(٢) ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

قال الزهري^(٣): ولما فرج الله على^(٤) أهل تلك السرية بهذه الآية ما كانوا فيه من غم بقتالهم في الشهر الحرام، طمعوا فيما عند الله من ثوابه. فقالوا^(٥) يا نبي الله، أنطمع^(٦) أن تكون هذه الغزوة نعطي فيها أجر المجاهدين في سبيل الله؟ فأنزل الله تعالى^(٧) فيهم:

قوله ﴿إن الذين آمنوا﴾ بمحمد والقرآن ﴿والذين هاجروا﴾ فارقوا عشائرهم وأوطانهم ﴿وجاهدوا﴾ المشركين، أي؛ حملوا أنفسهم على الجهد والمشقة في قتالهم ﴿أولئك يرجون رحمت الله﴾ أي: أنهم بما فعلوا على^(٨) رجاء رحمة الله ﴿والله غفور رحيم﴾ غفر لعبد الله بن جحش وأصحابه ما لم يعملوا ورحمهم.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْرَبُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٩)

قوله ﴿يسئلونك عن الخمر والميسر...﴾ الآية، نزلت في جماعة من الصحابة، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: أفتنا في الخمر والميسر، فإنهما مذهبة للعقل مسلبة للمال، فنزلت هذه الآية^(٩).

و﴿الخمر﴾ إنما سميت خمرا، لأنها تخامر العقل، أي: تخالطه، يقال: خامر الداء، إذا خالطه، قال كثير^(١٠):

= ٤٢٣/١ عن علي، وانظر تفسير ابن عباس ص ٣٠ والرازي ٣٥/٦.

(١) انظر مجاز القرآن ٧٣/١ والطبري ٣١٧/٤.

(٢) في (هـ): قوله تعالى (أولئك).

(٣) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٠ والطبري ٣١٩/٤ عن عروة والبحر ١٥١/٢، والبداية والنهاية ٢٥٠/٣ وابن كثير ٢٥٤/١ عن الزهري، وأسباب النزول للواحد ص ٤٦، عن الزهري، والوجيز للواحد ص ٥٨/١.

(٤) في (ج، هـ): فرج الله تعالى عن.

(٥) في (هـ): شهر.

(٦) في (ح): قالوا... أنا نطمع.

(٧) ساقطة من (هـ).

(٨) ساقطة من (ح).

(٩) رواه أبو داود - كتاب الأشربة - باب في تحريم الخمر رقم ٣٦٧٠، ٣٢٥/٣.

والدر ٢٥٢/١، وابن كثير ٢٥٥/١ كلها عن عمر، والبحر ١٥٦/٢، غرائب النيسابوري ٣٢٢/٢، كلاهما عن عمر ومعاذ، وأسباب

النزول للواحد ص ٤٨ - ٤٩ والدر ٣١٤/٢ - ٣١٥ عن أبي هريرة وعمر.

(١٠) كثير - بضم الكاف وفتح المثناة وكسر الباء المشددة - ابن عبد الرحمن بن أبي جمعة بن الأسود بن عامر وهو خزاعي شاعر حجازي =

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر (لعزة من أعراسنا ما استحلحت)^(١)

وهي كل شراب مسكر مغط للعقل، سواء كان عصيراً أو نقيعاً مطبوخاً كان أو نياً. و«الميسر»: القمار والياسر والميسر^(٢): المقامر، وتجمع اليسر: أيساراً.

وقوله ﴿قل فيهما إثم كبير﴾^(٣) أراد: الإثم بسببهما - من المخاصمة والمشاتمة، وقول الفحش والزور، وزوال العقل، والمنع من الصلاة، والقمار يورث العداوة، بأن يصير مال الإنسان إلى غيره بغير جزاء يأخذ عليه.

وقراءة العامة ﴿كبير﴾ - بالياء - لأن الذنب يوصف بالكبر والعظم، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿كباثر الإثم والفواحش﴾^(٤)، ﴿كباثر ما تنهون عنه﴾^(٥). كذلك^(٦) ها هنا ينبغي أن يكون بالياء، ألا ترى أن شرب الخمر والميسر من الكبيرة^(٧).

وقرأ حمزة والكسائي^(٨) - بالثاء - لأنه قد جاء فيها ما يقوي وصف الإثم فيهما بالكثرة، دون الكبر وهو قوله ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة﴾^(٩) فذكر عدداً من الذنوب فيهما^(١٠).

ولأن النبي ﷺ لعن عشرة في سبب^(١١) الخمر^(١٢) فدل على كثرة الإثم فيهما.

= شعراء الدولة الأموية وكنيته أبو صخر واشتهر بكثير عزة - بالإضافة إلى عزة - وهي محبوبته، وغالب شعره تشبيب بها توفي كثير وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد سنة ١٠٥ هـ.

(الخرزانه ٢٢١/٥ - ٢٢٤، البداية والنهاية ٢٨١/٩).

(١) ما بين المعقوفتين من (ح) وحاشية (أ).

وانظر البيت في ديوان جرير ص ١٠٩ تحت عنوان «أسيبي أو أحسني» البيت الأول وفي الخزانة ٥١٤/٥ والكامل للمبرد ٥/٢ والبداية والنهاية ٢٨٦/٩ كلها منسوبة لكثير عزة. والهنئيء والمرئيء: صفتان من هنوء الطعام ومرئته إذا كان سائغاً لا تنغيص فيه، والمخامر: المخالط.

(٢) في (ح): والمياسر والميسر.

وانظر معنى (الميسر) في مجاز القرآن ٧٣/١ والطبري ٣٢١/٤ - ٣٢٢ وتفسير ابن عباس ص ٣٠ والدر ٢٥٢/١ - ٢٥٣ عن ابن عباس ومجاهد وابن عباس.

(٣) في (هـ): كبير ومنافع.

(٤) سورة النجم / ٣٢.

(٥) سورة النساء / ٣١.

(٦) في (ح): ولذلك... الكباثر.

(٧) في (هـ): والكساء.

(٨) سورة المائدة / ٩١.

(٩) وحجة من قرأ (كبير) - بالياء - قوله تعالى ﴿وإثمهما أكبر﴾ ولم يقل أكثر. وحجة من قرأ بالثاء: أن الإثم واحد يراد به الأثام، فوجد في اللفظ ومعناه الجمع والذي يدل عليه (ومنافع للناس) فعودل للإثم بالمنافع، فلما عودل بها حسن أن يوصف بالكثير. (انظر الحجة لأبي زرعة ١٣٢ - ١٣٣ - والسبعة ١٨٢ والنشر ٢٢٧/٢ وشرح الشاطبية ص ١٦٠ والتبيان ١٧٦/١ والحجة (لابن خالويه ٩٦).

(١٠) في (ح): بسبب.

(١١) انظر المستدرک - كتاب البيوع - عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال «لعن الله الخمر، ولعن ساقبها، وشاربها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه، وبائعها، ومبتاعها، وأكل ثمنها» وصححه. (٣٢/١) وكتاب الأشربة وصححه ووافقه الذهبي عن ابن عباس

(١٤٥/٤).

قوله^(١) ﴿ومنافع للناس﴾ منفعة الخمر: ما كانوا يصيرونه من المال في بيعها والتجارة فيها، واللذة عند شربها، والتقوي^(٢) بها. ومنفعة الميسر: ما يصاب من القمار، ويرتفق به الفقراء.

وليست هذه الآية المحرمة للخمر، إنما المحرمة التي في المائة^(٣).

قال قتادة^(٤): في هذه الآية ذمها، ولم يحرمها، وهي يومئذ حلال وقال ابن عباس^(٥): كل شيء فيه قمار^(٦) فهو ميسر حتى لعب الصبيان بالجوز، والكعاب^(٧).

وقوله^(٨) ﴿وإثمهما﴾ أي: الإثم الحاصل ﴿أكبر من نفعهما﴾، لأن نفعهما في الدنيا، وما يحصل من الإثم بسببهما يضر بالأخرة.

وقوله ﴿ويستلونك ماذا ينفقون﴾ نزلت في سؤال عمرو بن الجموح، لما نزل قوله ﴿فللوالدين والأقربين﴾^(٩) في سؤاله، أعاد السؤال، وسأل عن مقدار ما يتفق، فنزل قوله ﴿قل العفو﴾^(٩):

قال ابن عباس: ما فضل من المال والعيال، وهو قول السدي وقاتدة وعطاء^(١٠).

وأصل «العفو» في اللغة: الزيادة، قال الله تعالى ﴿حتى عفوا﴾^(١١) أي زادوا على ما كانوا عليه من العدد.

وقال أهل التفسير^(١٢): أمروا أن ينفقوا الفضل، وكان أهل المكاسب يأخذ الرجل من كسبه ما يكفيه في عا، وينفق باقيه، إلى أن فرضت الزكاة، فنسخت آية الزكاة المفروضة هذه الآية، وكل صدقة أمروا بها قبل نزول الزكاة.

= والطبراني في الكبير ٢٣٣/١٢ عن ابن عباس، ومصنف ابن أبي شيبة ٤٤٧/٥٦ - ٤٤٨ عن ابن عمر - والترمذي - كتاب البيوع - باب ما جاء في بيع الخمر والنهي عن ذلك - رقم ١٣١٣ عن أنس «وهو غريب من حديث أنس، وفي الباب عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر» ٣٨٠/٢ ومسند أحمد ٢٥/٢ عن ابن عمر.

(١) في (ج، هـ): وقوله.

(٢) في (هـ): وتقوي.

(٣) وهو قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ كما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متبهون﴾ (٩١ - ٩٢).

(٤) انظر الدر ٣١٦/١ والفتح الرباني ٨٥/١٨ والبحر ١٥٦/٢ والقرطبي ٦٠/٣ - ٦١، كلها عن قتادة.

(٥) انظر الدر ٣١٩/١ عن ابن عباس ومجاهد والطبري ٣٢٢/٤ - ٣٢٤ عن مجاهد وابن سيرين وطاؤوس وعطاء وسعيد بن جبير.

(٦) في (هـ): القمار.

(٧) الكعاب: فصوص الترد (اللسان / كعب).

(٨) سورة البقرة / ٢١٥.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٠ والبحر ١٥٨/٢، وأسباب النزول للسيوطي ص ٤ والدر ٢٥٣/١ عن ابن عباس.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٠ والدر ٢٥٣/١ والبحر ١٥٨/٢ كلها عن ابن عباس والطبري ٣٣٧/٤ عن ابن عباس وقاتدة والسدي

وعطاء، ومجمع الزوائد كتاب التفسير (٢١٩/٦) وأحكام القرآن لابن العربي ١٥٣/١ عن ابن عباس، وابن كثير ٢٥٦/١ عن ابن

عباس وابن عمرو ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب وقاتدة وعطاء والخراساني والربيع بن أنس وغيرهم.

(١١) سورة الأحزاب / ٩٥.

(١٢) انظر الزجاج ٢٨٥ - ٢٨٦ وغريب القرآن ٨٢ - ٨٣ والدر ٢٥٣/١ عن ابن عباس ومعاذ وثعلبة والسدي، والفراء ١٤١/١، وأحكام

القرآن لابن العربي ١٥٤/١ عن ابن عباس، وابن كثير ٢٥٦/١ عن ابن عباس وعطاء الخراساني والسدي. «وقيل: مبيته بآية الزكاة،

قاله مجاهد وهو أوجه».

واختلف القراء في رفع ﴿العفو﴾ ونصبه^(١)، فمن نصب: جعل «ماذا» اسماً واحداً في موضع نصب، وجواب هذا ﴿العفو﴾ بالنصب، كما تقول في جواب ما أنفقت درهماً، أي: أنفقت درهماً، ومن رفع: جعل «ذا» بعد «ما» بمنزلة الذي، ورد ﴿العفو﴾ عليه، فرفع كأنه قال: ما الذي ينفقون؟ فقال: العفو أي: الذي ينفقون العفو، فيضمرب المبتدأ الذي كان خبراً في سؤال السائل، كما تقول في جواب ما الذي أنفقته؟ مال زيد، أي: الذي أنفقته مال زيد. وقوله ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ أشار إلى ما بين في الإنفاق، كأنه قال: مثل الذي بينه لكم في الإنفاق يبين لكم الآيات، لتفكروا في أمر الدنيا والآخرة فتعرفوا فضل الآخرة على الدنيا.

قال المفسرون^(٢): ﴿لعلكم تتفكرون﴾ في زوال الدنيا وفنائها فتزهّدوا فيها وفي إقبال الآخرة، وبفائها فترغبوا فيها.

قال قتادة^(٣): من تفكر في الدنيا والآخرة عرف ذلك^(٤) فضل إحداهما على الأخرى، عرف أن الدنيا دار بلاء، ثم دار فناء، وعرف أن الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمَنَّى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَا مَآةً مُؤْمِنَةً خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٢١﴾

وقوله ﴿ويستلونك عن اليتامى﴾ قال ابن عباس^(٥): لما أنزل الله تعالى قوله ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾^(٦) وإن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً^(٧) انطلق من كان عنده مال ليتيم فعزل طعامه عن طعامه

(١) قرأ أبو عمرو (قل العفو) بالرفع، والباقون بالنصب.

انظر الحجة لأبي زرعة ١٣٣ - ١٣٤ والسبعة ١٨٢، والنشر ٢/٢٢٧، والنيان ١/١٧٦ وشرح الشاطبية ١٦١ والأخفش ١/٣٦٧ - ٣٦٨ والحجة لابن خالويه ٩٦.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٠ والطبري ٣/٣٤٨ عن ابن عباس وكتادة وابن جريج والدر ١/٢٥٥ عن ابن عباس وكتادة والحسن وابن كثير ١/٢٥٦ عن ابن عباس والبحر ٢/١٦٠ عنه والقرطبي ٣/٦٢.

(٣) انظر الطبري ٤/٣٤٩ والدر ١/٢٥٥ وابن كثير ١/٢٥٦ كلها عن قتادة.

(٤) في (ج، هـ): عرف فضل.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٠ والطبري ٤/٣٤٩، ٣٥٠ وابن كثير ١/٢٥٦ وفتح القدير ١/٢٢٣ كلها عن ابن عباس. والمستدرک-

كتاب الجهاد - ١٠٣/٢، وكتاب التفسير ٢/٢٧٨ - ٢٧٩ عن ابن عباس وصححه وعرّاب النيسابوري ٢/٣٣٣ عن ابن عباس

وسعيد بن جبیر، والدر ١/٢٥٥ عن ابن عباس وعطاء وسعيد بن جبیر وأسباب النزول للواحدی ص ٤٩ وأسباب النزول للمسيوطی

ص ٤١ وأحكام القرآن ١/١٥٤.

(٦) سورة الأنعام ١٥٢، والإسراء ٣٤.

(٧) سورة النساء / ١٠.

وشرا به عن شرا به وجعل يفضل الشيء من طعامه، فيحبس له، حتى يأكله أو يفسد، واشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْتَلُونَكُمُ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ اصْلَحْ لَهُمْ خَيْرًا﴾ يعني: الإصلاح لأموالهم من غير أجره ولا أخذ عون منهم خير وأعظم أجراً ﴿وَإِنْ تَخَالَطَوْهُم﴾ أي: تشاركوهم في أموالهم وتخالطوها بأموالكم^(٢) فتصيبوا من أموالهم عوضاً من قيامكم بأموالهم.

قال الضحاك^(٣): مخالطتهم: ركوب الدابة، وخدمة الخادم، وشرب اللبن، هذا إذا قام^(٤) على مال اليتيم وقوله ﴿فإخوانكم﴾ أي: فهم إخوانكم، والأخوان يعين بعضهم بعضاً ويصيب بعضهم من مال بعض وقوله ﴿والله يعلم المفسد﴾ أي: لأموالهم^(٥) ﴿من المصلح﴾ لها، فاتقوا الله في مال اليتامى ولا تجعلوا مخالطتكم إياهم ذريعة إلى إفساد أموالهم وأكلها بغير حق.

وقوله ﴿ولو شاء الله لأعنتكم﴾ معنى «الإعانت»: الحمل على المشقة التي لا تطاق، يقال: أعنت فلان فلاناً، أي: أوقعه فيما لا يستطيع الخروج منه.

قال ابن عباس^(٦): لو شاء الله لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقاً، وقال آخرون^(٧): ولو شاء الله لكلفكم^(٨) ما يشتد عليكم، وأتمكم في مخالطتهم، ومعناه: التذكير بالنعمة في التوسعة. ﴿إن الله عزيز﴾ في ملكه ﴿حكيم﴾ فلما أمركم به.

قوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن﴾ نزلت في مرثد الغنوي^(٩) كانت له خليلة مشركة في الجاهلية يقال لها «عناق» فلما أسلم قالت له: تزوج بي فسأل رسول الله ﷺ وقال: أيحل لي أن أتزوجها؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وحرم نكاح المشركات^(١٠).

(١) «اليتيم» في اللغة: عبارة عن المنفرد عن أبيه قبل البلوغ لأن من فقد أباه عدم النصرة. (أحكام القرآن لابن العربي ١٥٤/١).

(٢) في (هـ): في أموالكم.

(٣) انظر تفسير الطبري ٣٥٤/٤ عن الضحاك، وفتح القدير ٢٢٣/١ عن ابن عباس.

(٤) في (هـ): إذا أقام.

(٥) في (حـ): (والله يعلم المفسد) أي لأموالكم، وفي (هـ): (والله يعلم المفسد من المصلح) لها أي في أموالهم فاتقوه.

(٦) انظر الطبري ٣٥٩/٤ - ٣٦٠، وغرائب النيسابوري ٣٣٥/٢ والدر ٢٥٥/١ وفتح القدير ٢٢٣/١ كلها عن ابن عباس.

(٧) انظر تفسير الطبري ٣٥٩/٤ عن قتادة والربيع وابن زيد، والزاهر ٤٣٦/١ وابن كثير ٣٥٧/١، وفتح القدير ٢٢٣/١ والبحر ١٦٣/٢ عن

الزجاج وابن جرير.

(٨) في (هـ): لكلكفكم.

(٩) في جميع النسخ: أبي مرثد الغنوي، والثابت من كتب التراجم والآثار - مرثد بن أبي مرثد - كنان - بن الحصين الغنوي له ولأبيه صحبة شديدة

بدرأ وكان حليفي حمزة بن عبد المطلب وكان يحمل الأسارى من مكة إلى المدينة وكانت له صديقة في الجاهلية اسمها «عناق» قل

يوم الرجيع في حياة الرسول ﷺ سنة ٣ هـ.

(أسد الغابة ١٢٧/٤ - ١٢٨ والعقد الثمين ١٦٣/٧ - ١٦٥ والأعلام ٨٦/٨).

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٠، والدر ٥٦/١ وفتح القدير ٢٢٤/١ والبحر ١٦٣/٢، والبغوي ٢١٤/٢، كلها عن مقاتل بن حيان

وأسابب النزول للواحد ٤٩ - ٥٠ وأسباب النزول للسيوطي ص ٤١، والمستدرک - كتاب النكاح وذكر أن الآية نزلت في مرثد الغنوي

وضححه ١٦٦/٢، والرازي ٥٤/٦ عن ابن عباس وأنها نزلت في مرثد الغنوي.

ثم استثنى الحرائر الكتابيات بالآية في المائدة وهي قوله ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾^(١). وقوله ﴿ولأمة مؤمنة خير من مشركة﴾ «الأمة»: المملوكة.

قال السدي^(٢): كانت لعبد الله بن رواحة^(٣) أمة سوداء، فغضب عليها ولطمها ثم أخبر النبي ﷺ بذلك، فقال له: «وما هي يا عبد الله؟ فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسوله^(٤). فقال: هذه مؤمنة، قال عبد الله: فوالذي بعثك بالحق نبياً لأعتقنها ولأتزوجن بها، ففعل، فظعن^(٥) عليه ناس من المسلمين، وعرضوا عليه حرة مشركة، فأنزل الله هذه الآية. وقوله ﴿لو أعجبتكم﴾ يعني: المشركة بمالها وجمالها.

وقوله ﴿ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا﴾ لا يجوز تزويج المسلمة من المشرك بحال^(٥)، وقوله ﴿أولئك﴾ يعني: المشركين ﴿يدعون﴾^(٦) إلى النار أي: إلى الأعمال الموجبة للنار.

﴿والله يدعو إلى الجنة والمغفرة﴾ يقول: إلى التوبة^(٧) والتوحيد والعمل الموجب لهما ﴿بإذنه﴾ أي: بأمره، يعني: أنه بأوامره يدعوكم.

وَيَسْتَلُونَكِ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعِزِّلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقَوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

قوله ﴿ويستلونك عن المحيض﴾ قال أنس بن مالك^(٨): ان اليهود كانت إذا حاضت منهم امرأة أخرجوها من البيت، فلم يؤاكلوها ولم يشاربوها، فسئل رسول الله ﷺ^(٩) عن ذلك فأنزل الله هذه الآية.

و«المحيض»: الحيض، يقال: حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحاضاً ومحيضاً^(١٠).

(١) سورة المائدة / ٥.

(٢) انظر تفسير الطبري ٣٦٨/٤ - ٣٦٩ - الدر ٢٥٦/١ - ٢٥٧ وابن كثير ٢٥٨/١، وفتح القدير ٢٢٥/١ كلها عن السدي وأسباب النزول للواحدي ص ٥٠ وأسباب النزول للسيوطي ص ٤١ - ٤٢.

(٣) عبد الله بن رواحة الأنصاري الأمير بدري نقيب، استشهد بمؤتة سنة ٨ هـ. (الكاشف ٩٦/٢).

(٤) في (هـ): وإنك محمد رسوله... وطعن.

(٥) في (ح): بحال من الأحوال.

(٦) في المطبوعة (يُدْعُونَ) بضم أوله على البناء للمفعول.

(٧) في (هـ): التورية.

(٨) رواه مسلم - كتاب الطهارة - باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله (١٣٨/١ - ١٣٩) والترمذي - كتاب التفسير - باب من سورة البقرة رقم ٤٠٦ وقال حسن صحيح (٢٨٢/٤ - ٢٨٣) وأبو داود - كتاب الطهارة - باب في مؤكلة الحائض ومجامعتها رقم ٢٥٨ (٦٧/١ - ٦٨). ومسند أحمد ١٣٢/٣، كلهم من حديث أنس.

(٩) «السائل هو أبو الدحداح سأله وقال: كيف نصنع بالنساء إذا حضن» (حاشية (أ)).

(١٠) انظر الزجاج ٢٨٩/١، والأخفش ٣٦٨/١، والحيض: معروف، والمحيض: يكون اسماً ويكون مصدرًا وجمع الحائض حوائض وحيض، يقال: حاضت ونفست ودرست وطمئت وضحكت وكادت وأكبرت وصامت وقال المبرد: سمي الحيض حيضاً من

قوله ﴿هو أذى﴾ قال عطاء وقتادة والسدي^(١): أي: قدر وقال مجاهد والكلبي^(٢): دم و«الأذى»: ما يغم ويكر من كل شيء ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ أي: تنحوا عنهن ودعوا مجامعتهن إذا حضن ﴿ولا تقربوهن﴾ لا تجامعوهن، يقال: قرب الرجل امرأته، إذا جامعها قربانا^(٣).

وقوله ﴿حتى يطهرن﴾: أي: يتطهرن^(٤)، ومعناه: يغتسلن بالماء بعد النقاء من الدم، فأدغمت التاء في الطاء ومن قرأ «يطهرن» - بالتخفيف^(٥) - فهو من طهرت المرأة تطهر طهرا وطهارة^(٦)، ومعناه: حتى يفعلن الطهارة التي هي الغسل.

﴿فإذا تطهرن﴾ اغتسلن ﴿فأنوهن من حيث أمركم الله﴾ بتجنبه في الحيض وهو الفرج، قاله مجاهد وإبراهيم وقتادة وعكرمة^(٧). وقال ابن عباس - في رواية الوالبي^(٨) يقول: طأوهن في الفرج، ولا تعدوه إلى غيره ﴿إن الله يحب التوابين﴾ من الذنوب ﴿ويحب المتطهرين﴾ بالماء من الأحداث والنجاسات^(٩).
قوله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾:

أخبرنا محمد بن إبراهيم المزكي، أخبرنا محمد بن يزيد الجوزي^(١٠)، حدثنا إبراهيم بن شريك^(١١) حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس^(١٢)، حدثنا مالك، عن محمد بن المنكدر، عن جابر:

= قولهم: حاض السيل إذا فاض، إذا سال الدم منها في أوقات معلومة، فإذا سال في غير أيام معلومة ومن غير عرق المحيض فهو استحاضة. (اللسان / حيض).

(١) انظر تفسير ابن عباس ص ٣١ والزجاج ٢٩٠/١، والطبري ٣٧٤/٤ عن السدي وقتادة والرازي ٦٤/٦، عن عطاء وقتادة والسدي.
(٢) انظر تفسير الثوري ص ٦٦ وتفسير ابن عباس ص ٣٠ والطبري ٣٧٥/٤، والدر ٢٥٩/١ وفتح القدير ٢٢٧/١ كلها عن مجاهد.
(٣) ﴿إذا قيل: لا تقرب - بفتح الراء - كان معناه: لا تلبس، وإذا كان - بضم الراء - كان معناه: لا تدن منه﴾. (أحكام القرآن لابن العربي ١٦٤/١).

(٤) انظر الزجاج ٢٩٠/١ والدر ٢٦٠/١ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء.
(٥) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (يطهرن) خفيفة، وحجتهم: أن معنى ذلك حتى ينقطع الدم، والباقون بالتشديد، وحجتهم: ما جاء في التفسير: حتى يغتسلن بالماء بعد انقطاع الدم وقوله (فإذا تطهرن).
(٦) انظر الحجة لأبي زرعة ١٣٤ - ١٣٥، والسبعة ١٨٢ والنشر ٢٢٧/٢ والزجاج ٢٩٠/١ والفراء ١٤٣/١ والتهيان ١٦٧/١ والحجة لابن خالويه ٩٦ والبيان ١٥٥/١).

(٦) قال ابن قتيبة «(يطهرن) أي ينقطع الدم يقال طهرت وطهرت إذا رأت الطهر وإن لم تغتسل بالماء» (غريب القرآن ٨٤ والدر ٢٦٠/١ عن ابن عباس).

(٧) انظر الدر ٢٦٠/١ - ٢٦١ عن قتادة وعكرمة ومجاهد وابن كثير ٢٦٠/١ عن ابن عباس ومجاهد.

(٨) انظر تفسير الطبري ٣٨٨/٤ والدر ٢٦١/١ وابن كثير ٢٦٠/١ وفتح القدير ٢٢٧/١ كلها عن ابن عباس.

(٩) وهو قول عطاء انظر الدر ٢٦١/١، والطبري ٣٩٥/٤ عن عطاء.

(١٠) محمد بن يزيد محمد المعدل الجوزي النيسابوري حدث عن أحمد بن محمد بن محمد بن بشار بن أبي العجوز البغدادي وحدث عنه أبو سعد أحمد بن محمد الماليني الصوفي وغيره (الأنساب ٣/٣٥٩، ٣٦٧ - ٣٦٨).

والجوزي: بالزاي (عمدة القوي ص ٦).

(١١) إبراهيم بن شريك بن الفضل أبو إسحاق الأسدي الإمام المحدث الكوفي قال الدارقطني ثقة، وقال ابن الزيات سمعت أبا العباس بن عقدة يقول: «ما دخل عليكم أحد أوثق من إبراهيم بن شريك توفي سنة ٣٠٢ هـ (سير الأعلام ١٤/١٢٠).

(١٢) أحمد بن عبد الله بن يونس الحافظ أبو عبد الله البربوعي الكوفي ولد سنة ١٣٢ هـ وسمع من سفيان وإسرائيل وعاصم بن محمد العمري وغيرهم وعنه أبو زرعة والبخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم قال أبو حاتم: كان ثقة متقناً توفي سنة ٢٢٧ هـ.

(تذكرة الحفاظ ١/٤٠٠ - ٤٠١).

أن اليهود قالوا للمسلمين: من أتى امرأته وهي مدبرة جاء ولدها أحول فأنزل الله عز وجل ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ الآية.

رواه البخاري عن أبي نعيم، ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن سفيان^(١)، عن محمد بن المنكدر^(٢).

ومعنى ﴿نساؤكم حرث﴾^(٣) لكم أي: مزرع ومنبت للولد، قال أهل المعاني^(٤) معناه: ذوات حرث لكم، فيهن تحرثون الولد، فحذف المضاف، وقال الأزهري^(٥) حرث الرجل: امرأته، وأنشد المبرد^(٦):

إذا أكل الجراد حرث قوم فحرثي همه أكل الجراد^(٧)

وقوله ﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ أي: اتوا مواضع حرثكم^(٨) كيف شئتم مقبلة ومدبرة، بعد أن يكون في صمام^(٩) واحد. قال ابن عباس في هذه الآية^(١٠): اتها كيف شئت في الفرج ﴿وقدموا لأنفسكم﴾^(١١) قال عطاء عن ابن عباس^(١٢): يريد: العمل لله بما يحب ويرضى.

وقال مقاتل^(١٣): يقول: قدموا طاعة الله وأحسنوا عبادته ﴿واتقوا الله﴾ فيما حد لكم من الجماع، وأمر الحيض ﴿واعلموا أنكم ملائقوه﴾ راجعون إليه، والمعنى ملائقوا جزائه، إن ثوبا وإن عقابا ﴿وبشر المؤمنين﴾ الذين خافوا وحذروا معصيته.

وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

(١) هو الثوري.

(٢) الحديث: رواه البخاري - كتاب التفسير - باب ﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ ١٠٦/٣ ومسلم - كتاب الطلاق - باب جواز جماع المرأة في قبلها من قدامها ومن ورائها من غير تعرض للدبر ٦٠٦/١ - كلاهما من حديث جابر.

(٣) ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ «إنما أفرد الخير والمبتدأ جمع، لأن الحرث مصدر وصف به وهو في المعنى مفعول، أي) محروثات» (التيان ١٧٨/١).

(٤) انظر (اللسان / حرث) عن الزجاج والرازي ٧١/٦.

(٥) انظر (اللسان / حرث) عن الأزهري والطبري ٣٩٧/٤.

(٦) المبرد: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري النحوي الإخباري صاحب الكامل إمام النحو أبو العباس، كان إماماً علامة وسيماً فصيحاً موثقاً صاحب نوادر وطرف مات سنة ٢٨٦ هـ (سير الأعلام ١٣/٥٧٦ - ٥٧٧).

(٧) البيت في اللسان / حرث منسوب للمبرد، والبحر ١٧٠/٣.

(٨) في (هـ): اتوا مواضع الحرثكم.

(٩) «أي في فم واحده» (حاشية (أ)).

(١٠) روى الترمذي في جامعه - كتاب التفسير رقم ٤٠٦٣ عن أم سلمة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ يعني صماماً واحداً ويروى في صمام واحد «حسين صحيح» (٤/٢٨٤). قال الحضرمي «طلبته في الصحاح فلم يذكر الصمام - بالصاد المهملة - إلا للقاذورة» (عمدة القوي والضعيف ص ٦).

(١١) انظر تفسير ابن عباس ص ٣١ وابن كثير ٢٦٠/١ عن ابن عباس وغريب القرآن ص ٨٥ والتيان ١٧٨/١ والطبري ٢٩٨/٤ عن ابن عباس.

(١٢) انظر تفسير البغوي ٢٢٠/١ عن السدي.

(١٣) انظر البحر ١٧٢/٢ وابن كثير ٢٦٥/١.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾

قوله ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾ قال الكلبي (١): نزلت في عبد الله بن رواحة ينهاه عن قطعة ختنه (٢) على أخته بشير بن النعمان (٣)، حلف أن لا يكلمه، ولا يدخل بيته وبيت خصم له، وجعل يقول: قد حلف بالله أن لا أفعل فلا يحل لي، فأنزل الله هذه الآية. و«العرضة» المانع من الشيء وتقول العرب: هو له دونه عرضة: إذا كان (٤) يمنع من الوصول إليه (٥). قال الحسن وطاوس وقتادة (٦): ولا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة من البر والتقوى من حيث تتعمدون اليمين لتعتلوا بها.

و«الأيمان»: جمع يمين، وهو القسم.

وقوله ﴿أن تبروا﴾ قال الزجاج (٧): تقديره: لا تعترضوا باليمين بالله في أن تبروا، فسقط «في» ووصل الفعل إليه، وقال أبو عبيدة (٨): معناه أن (٩) لا تبروا، فحذفت «لا» كقوله ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ (١٠) وكقوله ﴿رواس أن تميد بكم﴾ (١١)، والمعنى: لئلا تضلوا ولئلا تميد بكم.

وقال أبو العباس: تقديره، لدفع أن تبروا، فحذف المضاف.

ومعنى ﴿أن تبروا﴾: أن تصنعوا الخير، وتصلوا الرحم، وتأمروا بالمعروف ﴿والله سميع عليم﴾ يسمع أيمانكم ويعلم ما تقصدون بها كقوله ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ «اللغو»: الكلام الذي لا فائدة فيه ولا يعتد به، يقال: لغا يلغو لغوا، قال ابن الأنباري (١٢): «اللغو» ما يطرح من الكلام استغناء عنه، ولا يفترق إليه، وقال الزجاج (١٣) وكل ما لا خير فيه مما يؤثم فيه، أو يكون غير محتاج إليه من الكلام، فهو لغو ولغا.

(١) انظر تفسير ابن عباس ص ٣١، والبحر ١٧٦/٢ عن ابن عباس، والبيهقي ٢٢٠/١، والقرطبي ٩٧/٣ وأسباب النزول للواحدي ص ٥٤ والوجيز للواحدي ٦١/١.

(٢) «ختن الرجل: المتزوج بابنته أو بأخته» (اللسان / ختن).

(٣) بشير بن النعمان بن عبيد - ويقال ابن مقرن - بن أوس بن مالك الأنصاري الأوسي قال ابن القديح: قتل يوم الحرة وقتل أبوه يوم الجحمة (الإصابة ٢٦٥/١).

(٤) في (هـ): كانت.

(٥) انظر (اللسان / عرض).

(٦) انظر تفسير ابن عباس ص ٣١ والزجاج ٢٩٢/١ وابن كثير ٢٦٦/١ عن الحسن وطاووس وقتادة وغيرهم والقراء ١٤٤/١ والطبري ٤٢٠/٤ عن طاووس وقتادة والدر ٤٦٨/١ عن طاووس.

(٧) انظر الزجاج ٢٩١/١، والبيان ١٥٥/١ (واللسان / عرض) عن الزجاج.

(٨) في (أ) والمطبوعة: أبو عبيد، والمثبت من (ح، هـ) ومجاز القرآن.

(٩) في (هـ): لا تبروا.

(١٠) سورة النساء / ١٧٦.

(١١) سورة النحل / ١٥، ولقمان / ١٠.

وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٥٧/١، والطبري ٤٢٥/٤، والبيان ١٥٥/١.

(١٢) انظر البحر ١٧٥/٢ عن ابن الأنباري، والبيهقي ٢٢١/١، والطبري ٤٤٦/٤، وغرائب النيسابوري ٣٢٩/٢ وفتح القدير ٣٣٠/١.

(١٣) انظر الزجاج ٢٩٢/١ وعنده «فهو لغو ولغي» وانظر أحكام القرآن لابن العربي ١٧٦/١.

قال مجاهد وعكرمة والشعبي: لغو اليمين: ما يسبق به اللسان من غير عقد ولا قصد، ويكون كالصلة من الكلام، مثل قول القائل: لا والله وبلى والله، وكلا والله، ونحو هذا ولا كفارة فيه ولا إثم، هذا قول عائشة رضي الله عنها^(١).

وقال ابن عباس - في رواية الوالبي - لغو اليمين: أن يحلف الإنسان يرى أنه صادق فيه، ثم يتبين له خلاف ذلك فهو خطأ منه غير عمد، ولا كفارة عليه فيه، ولا إثم، وهو قول الحسن والنخعي والزهري وقتادة والربيع والسدي^(٢).

وقال في رواية وسيم^(٣): اللغو: اليمين في حالة الغضب والضجر، من غير عقد ولا عزم، وهو قول علي رضي الله عنه وطاووس^(٤).

وقوله ﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ أي: عزمتم وقصدتم لأن كسب القلب: العقد والنية ﴿والله غفور حلِيم﴾ معنى «الحليم في صفة الله»: الذي لا يعجل بالعقوبة، بل يؤخر عقوبة الكافرين والعصاة^(٥). و«الحلم» في كلام العرب معناه: الأناة والسكون^(٦).

قوله عز وجل ﴿للذين يؤلون من نسائهم...﴾ الآية يقال: آلى يولي إيلاء: إذا حلف، ويقال لليمين: الآلية^(٧).

قال ابن عباس^(٨): هو أن يحلف بالله لا ينكح امرأته، فحكمه: ما ذكره الله تعالى وهو قوله ﴿تربص أربعة أشهر﴾ و«التربص»: التلبث والانتظار فإن جامع قبل مضي أربعة أشهر لزمته الكفارة والنكاح ثابت، وإن لم يجمع حتى انقضت أربعة أشهر، فإن عفت المرأة ولم تطلب حقها من الجماع (فلا شيء)، ولا يقع به طلاق، وإن طلبت

(١) انظر أحكام القرآن لابن العربي ١٧٦/١ عن عائشة والشافعي، والطبري ٤/٤٢٨ - ٤٣٢ عن عائشة والشعبي وأبي قلابة وأبي صالح وعطاء وعكرمة ومجاهد والدر ١/٢٦٩ وابن كثير ١/٢٦٦ - ٢٦٧ وفتح القدير ١/٢٣٠ - ٢٣١ والفراء ١/١٤٤ كلها عن عائشة، وانظر مجاز القرآن ١/٧٣، وغريب القرآن ص ٨٥ وغرائب النيسابوري ٢/٣٤٩ عن عائشة والشعبي والشافعي وعكرمة.

(٢) انظر تفسير الطبري ٤/٤٣٢ عن ابن عباس وأبي هريرة والحسن والزهري ومجاهد وابن أبي نجيح والنخعي وأبي مالك وزباد والسدي والربيع ومكحول، وغرائب النيسابوري ٢/٣٤٩ - ٣٥٠ عن ابن عباس والحسن ومجاهد ومكحول والنخعي والزهري وسليمان بن يسار وقتادة والسدي. وغريب القرآن ص ٨٥ والدر ١/٢٦٩ - ٢٧٠ عن ابن عباس والنخعي وقتادة وابن كثير ١/٢٦٧ عنهم.

(٣) لم أقف على أحد روى عن ابن عباس بهذا الاسم، وإنما وجدت من المتأخرين: وسيم بن أحمد بن محمد بن ناصر أبو بكر الأندلسي القرطبي أخذ القراءة عن أبي الحسن الأنطاكي وغيره وكتب في الفقه، والحديث والقراءات وحدث بقرطبة إلى أن مات سنة ٤٠٤ هـ (غاية النهاية ٢/٣٥٩).

(٤) انظر تفسير الطبري ٤/٤٣٨ عن ابن عباس وطاووس، وابن كثير ١/٢٦٨ عن ابن عباس، وفتح القدير ١/٢٣١ - ٢٣٢ عن ابن عباس وطاووس ومكحول ومالك والدر ١/٢٦٩ عن طاووس والبحر ٢/١٧٩ عن ابن عباس وعلي وطاووس.

(٥) انظر (اللسان / حلم) بنحوه.

(٦) «الحلم - بكسر الحاء - الأناة والعقل» (اللسان / حلم).

(٧) انظر غريب القرآن ٨٥ - ٨٦، والتبيان ١/١٨٠، ومجاز القرآن ١/٧٣.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ص ٣١، والطبري ٤/٤٧٦ عن ابن عباس، والدر ١/٢٧٠ عن طاووس عن عطاء، وفتح القدير ١/٢٣٣ عن ابن عباس.

حقها) وقف الحاكم زوجها، فإذا أن يطلق وإما أن يطاء، فإن أباهما جميعاً طلق الحاكم عليه بالقهر والجبر وهو قوله ﴿فإن فاءوا﴾ أي: رجعوا^(١) يعني: بالجماع.

﴿وإن عزموا الطلاق﴾^(٢) أي: طلقوا بعد مضي أربعة أشهر ﴿فإن الله سميع﴾ يسمع ما قاله المطلقة ﴿عليم﴾ بما في قلبه.

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِرْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَعْلَمْنَ أَحَقُّ بِرِدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾

قوله ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن...﴾ الآية، يعني: المطلقات المدخول بهن البالغات غير الحوامل، لأن في الآية بيان عدتهن، ومعنى «يتربصن بأنفسهن»: ينتظرن انقضاء «ثلاثة قروء» لا يتزوجن، لفظه خبر ومعناه: الأمر^(٣).

«القروء»: جمع قراء، وجمعه القليل: أقرؤ، وأقراء، والكثير: قروء، وهذا الحرف من الأضداد، يقال للحيض قراء، وللأطهار: قروء، وأقرأت المرأة في الأمرين جميعاً^(٤).

والمراد بالتي في الآية: الأطهار، في قول عائشة رضي الله عنها وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك والشافعي وأهل المدينة^(٥)، قال ابن شهاب: ما رأيت أحداً من أهل بلدنا إلا يقول: «الأقراء»: الأطهار، إلا سعيد بن المسيب. وأكثر المفسرين: على أنها الحيض، وهو قول فقهاء الكوفة^(٦).

قوله^(٧) ﴿ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن﴾ قال ابن عباس وقتادة ومقاتل^(٨):

(٣) انظر التبيان ١/١٨٠.

(١) انظر مجاز القرآن ١/٧٣، والطبري ٤/٤٦٥، وابن كثير ١/٢٦٨.

(٤) أي «الطهر والحيض» (حاشية (أ)).

(٢) الطلاق: اسم للمصدر، والمصدر: التطلاق. (التبيان ١/١٨٠).

(٥) انظر تفسير الطبري ٤/٥٠٦ - ٥٠٩ عن عائشة وابن عمرو وزيد بن ثابت والدر ١/٢٧٤ - ٢٧٥ عن عائشة وابن شهاب وابن عمر وزيد بن ثابت وابن كثير ١/٢٦٩ - ٢٧٠ عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة وتفسير مجاهد ص ١٠٨.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ١/٢٩٦ وما بعدها ففيه ذكر القولين، ومجاز القرآن ١/٧٤، وفتح القدير ١/٢٣٥، والدر ١/٢٧٤ عن عمرو بن دينار ومجاهد وابن عباس وقتادة والطبري ٤/٥٠٠ - ٥٠١ عن ابن عباس ومجاهد والربيع وقتادة، والضحاك وعمرو بن دينار وعكرمة والسدي.

وأعجبني كلام ابن العربي في ذلك حيث يقول:

«كلمة «القراء» كلمة محتملة للطهر والحيض احتمالاً واحداً وبه تشاغل الناس قديماً وحديثاً من فقهاء ولغويين في تقديم أحدهما على الآخر. وأوصيكم ألا تشتغلوا الآن بذلك لوجه: أفرها أن أهل اللغة قد اتفقوا على أن «القراء»: الوقت يكفيك هذا فيصلاً بين المشتغين، وحسماً لداء المختلفين فإذا أرحت نفسك من هذا وقلت: المعنى والمطلقات يتربصن بثلاثة أوقات، صارت الآية مفسرة في العدد محتملة في المعدود: (أحكام القرآن ١/١٨٤).

(٧) في (ح، هـ): وقوله.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ص ٣١ ومجاهد ص ١٠٨ والزجاج ١/٢٩٩ والدر ١/٢٧٥ - ٢٧٦ عن قتادة وابن عباس وابن كثير ١/٢٧٠ عن ابن عباس وغيره.

يعني: الحبل والولد، ومعنى الآية: لا يحل لهن أن يكتمن الحمل ليطلن حق الزوج من الرجعة. قال ابن عباس^(١): وذلك أن المرأة السوء تكتم الحمل شوقاً منها إلى الزوج وتستبطنه العدة، لأن عدة ذات الحمل أن تضع حملها، فيجب عليهن إظهار ما يخلق الله في أرحامهن من الولد، إذ لا مرجع إلى غيرهن فيه.

وقد أغلظ الله القول عليهن حيث قال ﴿إِنْ كُنَّ يَوْمَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

وقوله ﴿وَيَعْلَمَنَّ﴾ هي جمع بعل، يعني: الزوج^(٢) ﴿أَحَقُّ بَرْدَهْنَ﴾ أي: إلى النكاح والزوجية، يعني: أحق بمراجعتهن ﴿فِي ذَلِكَ﴾ أي: في الأجل الذي أمرن أن يتربصن فيه^(٣) ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ لا إضراراً، وذلك: أن الرجل في الجاهلية كان إذا أراد الإضرار بامرأته طلقها واحدة وتركها حتى إذا قرب انقضاء عدتها راجعها، ثم طلقها ثم راجعها. يضارها بذلك فجعل الله الزوج أحق بالرجعة على وجه الإصلاح لا على وجه الإضرار^(٤).

وقوله^(٥) ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: للنساء على الرجال مثل الذي للرجال على النساء من الحق بالمعروف، أي: بما أمر الله به من حق الرجل على المرأة.

أخبرنا أبو بكر الحارثي، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، حدثنا أبو يحيى الرازي، حدثنا سهل بن عثمان العسكري، حدثنا وكيع، عن بشير بن سلمان^(٦)، عن عكرمة، عن ابن عباس قال^(٧):

إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي، لأن الله تعالى يقول ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ^(٨) الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

وقوله ﴿لِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ قال ابن عباس^(٩): بما ساق إليها من المهر وأنفق عليها من المال. وقال مجاهد^(١٠): بالجهد والميراث. وقال الزجاج^(١١): المعنى أن المرأة تنال من اللذة كما ينال الرجل، وله الفضل بنفقتة، وقيامه عليها.

(١) انظر تفسير الطبري ٥٢٢/٤ - ٥٢٣ عن قتادة والسدي وابن كثير ٢٧٠/١ - ٢٧١ بنحوه وفتح القدير ٢٣٧/١ عن ابن عباس.

(٢) انظر مجاز القرآن ٧٤/١ والطبري ٥٢٦/٤ وابن كثير ٢٧١/١.

(٣) انظر معاني الزجاج ٣٠٠/١.

(٤) انظر الدرر ٢٧٨/١ عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وعن الثوري.

(٥) في (ح): قوله تعالى.

(٦) في جميع النسخ: سليمان. «بشير بن سلمان - من غير ياء في سلمان وهو الصواب» (عمدة القوي ص ٧) وهو:

«بشير بن سليمان الكندي أبو إسماعيل الكوفي روى عن أبي حازم الأشجعي وخيثمة وعكرمة ومجاهد وغيرهم وعنه ابنه الحكم

والسفيانان ووكيع وابن المبارك قال أحمد وابن معين والعجلي: ثقة وقال أبو حاتم: صالح الحديث.

(تهذيب التهذيب ٤٦٥/١).

(٧) انظر تفسير الطبري ٥٣٢/٤ وخرائب النيسابوري ٣٦٠/٢ والدرر ٢٧٦/١ وابن كثير ٢٧١/١ والرازي ٩٤/٦ كلها عن ابن عباس.

(٨) إلى هنا ينتهي السقط الكبير من النسخة (د) والذي بدأ عنه قوله (آية الموارث في سورة النساء).

(٩) انظر التفسير البغوي ٢٢٧/١ عن ابن عباس وفتح القدير ٢٣٦/١ والطبري ٥٣٤/٤ عن الشعبي والبحر ١٩٠/٢ عن الشعبي وابن

عباس.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٥٣٣/٤، والدرر ٢٧٦/١ - ٢٧٧ وفتح القدير ٢٣٧/١ كلها عن مجاهد.

(١١) انظر الزجاج ٣٠١/١.

أخبرنا سعد بن محمد الزاهد^(١)، أخبرنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحيري، أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا عباس النرسي^(٢)، حدثنا خالد^(٣)، عن حسين بن قيس^(٤)، عن عكرمة، عن ابن عباس:

أن امرأة من خثعم^(٥)، أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني امرأة أيم، فأخبرني ما حق الزوج^(٦) على الزوجة؟ فإن استطعت ذلك تزوجت، وإلا جلست أيما، فقال^(٧):

«من حق الزوج على الزوجة: إن سألتها نفسها وهي على ظهر بعير^(٨) لا تمنعه نفسها، ومن حق الزوج على الزوجة: أن لا^(٩) تصوم تطوعاً إلا بإذنه، فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يقبل منها، ومن حق الزوج على الزوجة: أن لا تخرج من بيته شيئاً إلا بإذنه فإن فعلت كان الأجر لغيرها والإصر^(٩) عليها، ومن حق الزوج على الزوجة: أن لا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء^(١٠) وملائكة الرحمة وملائكة العذاب^(١١)».

أخبرنا أبو طاهر الزيادي أخبرنا أبو حامد البلالي، أخبرنا أحمد بن منصور المروزي^(١٢)، أخبرنا النضر بن شميل^(١٣) أخبرنا محمد بن عمرو^(١٤)، عن أبي سلمة^(١٥)، عن أبي هريرة قال:

(١) في (هـ): أبو سعيد الزاهدي.

(٢) عباس بن الوليد بن نصر النرسي - بنون مفتوحة وراء ساكنة وسين مهملة - يكنى أبا الفضل ابن عم عبد الأعلى بن حماد مولى بأهله البصري، سمع عبد الواحد بن زياد ومعتز بن سليمان ويزيد بن زريع، روى عنه البخاري ومسلم وثقه ابن معين وغيره توفي سنة ٢٣٨ (كتاب الجمع ٣٦١/١، الميزان ٣٨٦/٢، والكاشف ٦٩/٢).

(٣) خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد الطحان المزني الواسطي يكنى أبا الهيثم - ويقال أبو محمد - من الصالحين يقال إنه اشتكى نفسه من الله ثلاث مرات وهو مولى النعمان بن مقرن توفي سنة ١٧٧ هـ (كتاب الجمع ١١٩/١).

(٤) الحسين بن قيس الرحي أبو علي الواسطي ولقبه جنش روى عن عطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وعنه خالد الواسطي وعلي بن عاصم وحصين بن نمير الهمداني وغيرهم، قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: متروك الحديث وقال الجوزجاني: أحاديثه منكورة. (تهذيب التهذيب ٣٦٤/٢ - ٣٦٥).

(٥) خثعم: اسم جبل، فمن نزله فهم خثعميون، وخثعم: اسم قبيلة أيضاً وهو خثعم بن أتمار من اليمن. (اللسان / خثعم).

(٦) ساقطة من (د).

(٧) في (ج، د): قال.

(٨) في (د): فإن من حق... بعيره... ألا.

(٩) في (ح): مليكة السماء، وهي ساقطة من (هـ).

(١٠) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب النكاح - باب في حق الزوج على المرأة «رواه البزار وفيه حسين بن قيس المعروف

بجنش وهو ضعيف وقد وثقه حصين بن نمير وبقية رجاله ثقات» (٣٠٦/٤ - ٣٠٧)، وكشف الأستار عن زوائد البزار - كتاب النكاح -

باب في حق الزوج على المرأة رقم ١٤٦٤، والترغيب والترهيب ٧٧/٣ «رواه الطبراني بإسناد جيد» كلهم من حديث ابن عباس

(١٢) أحمد بن منصور بن راشد الخنظلي أبو صالح المروزي الملقب بزاج، روى عن النضر بن شميل فأكثر وأبي عامر العقدي وعمربن

يونس وغيرهم وعنه مسلم والحسن بن سفيان وطائفة ذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢٥٧، وقيل سنة ٢٦٠ هـ.

(تهذيب التهذيب ٨٢/١).

(١٣) في (د) بن سهيل، وهو: النضر بن شميل الإمام الحافظ العلامة أبو الحسن المازني البصري اللغوي عالم أهل مرو روى عن هشام بن

عروة وحמיד الطويل وهشام بن حسان وغيرهم قال أبو حاتم: ثقة صاحب سنة وقال العباس بن معصب: كان إماماً في العربية

والحديث، وهو أول من أظهر السنة بمرو خراسان توفي أول سنة ٢٠٤ هـ.

(تذكرة الحفاظ ٣١٤/١ - ٣١٥).

(١٤) محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي المدني روى عن أبي سلمة وطائفة وكان حسن الحديث كثير العلم مشهوراً أخرج له

البخاري مقروناً بآخر توفي سنة ١٤٥ هـ. (شذرات الذهب ٢١٧/١).

(١٥) سبق.

قال رسول الله ﷺ: «لو كنت امرأة لأحد أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، لما عظم (١) الله من (٢) حقه عليها» (٣).

وقوله ﴿والله عزيز حكيم﴾ أي: أنه يأمر كما أراد، ويمتنح كما أحب، ولا يكون هذا إلا عن حكمة بالغة.

الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا نِحْلَ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان﴾ قال عروة بن الزبير وغيره (٤): كان الرجل إذا طلق امرأته ثم ارتجعها قبل أن تنقضي عدتها كان ذلك له، وإن طلقها ألف مرة، فأنزل الله عز وجل (٥) ﴿الطلاق مرتان﴾ فحصر الطلاق وجعل حده ثلاثة، فذكر في هذه الآية طلقتين، وذكر الثالثة في الآية الأخرى وهي قوله ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد﴾ (٦). والآية مختصرة، لأن المعنى: الطلاق الذي يملك فيه الرجعة مرتان (٧).

وقوله ﴿فإمسك بمعروف﴾ «الإمسك»: خلاف الإطلاق وهو مرتفع لأنه خبر ابتداء محذوف على تقدير: فالواجب إذا راجعها بعد الطلقتين إمساك بمعروف أي: بما يعرف شرعاً من إقامة الحق في إمساك المرأة.

وقوله ﴿أو تسريح بإحسان﴾ قال عطاء والسدي والضحاك (٨): هو ترك المعتدة حتى تبين بانقضاء العدة، قال ابن عباس (٩): إذا طلق امرأته طلقتين فليتق الله في التطليقة الثالثة. فإما أن (١٠) يمسكها بمعروف ويحسن صحبتها، أو

(١) في (هـ): أعظم.

(٢) في (د): لما عظم من حقه.

(٣) الحديث رواه الترمذي - كتاب النكاح - باب ما جاء في حق الزوج على المرأة رقم ١١٦٩ عن أبي هريرة «حسن غريب» وفي الباب عن غير أبي هريرة (٢/٣١٤).

وأبو داود - كتاب النكاح - باب في حق الزوج على المرأة رقم ٢١٤٠ (٢/٢٤٤).

وابن ماجه - كتاب النكاح - باب حق الزوج على المرأة رقم ١٨٥٢ (١/٥٩٥).

والمستدرک - كتاب البر والصلة - عن أبي هريرة بنحوه وعن معاذ بلفظه وصححه (٤/١٧٢).

(٤) انظر تفسير الثوري ص ٦٧، وسنن أبي داود - كتاب الطلاق - باب نسخ المراجعة بعد الثلاث عن ابن عباس رقم ٢١٩٥ (٢/٢٥٩) والطبري ٥٣٩/٤ وابن كثير ٢٧٢/١ وأحكام القرآن ١٨٩/١ وفتح القدير ٢٣٩/١ والدر ٢٧٨/١ كلها عن عروة.

(٥) في (د، هـ): الله تعالى.

(٦) الآية التالية رقم ٢٣٠.

(٧) انظر غريب القرآن ص ٨٨ والتبيان ١٨٢/١ والمشكل ١٣٠/١ والبيان ١٥٧/١ وأحكام القرآن لابن العربي ١٩٠/١ تفسيراً لتعريف «الطلاق» بالألف واللام.

(٨) انظر تفسير الطبري ٥٤٦/٤ - ٥٤٧ عن السدي والضحاك، والدر ٢٧٨/١ عن السدي وفتح القدير ٢٣٨/١، ٢٤٠ عن السدي وابن عباس والبحر ٢/١٩٣.

(٩) انظر تفسير الطبري ٥٤٨/٤ وابن كثير ٢٧٢/١ والدر ٢٧٨/١ وفتح القدير ٢٤٠/١ كلها عن ابن عباس.

(١٠) من (أ).

يسرحها بإحسان ولا يظلمها من حقها شيئاً، وهو قوله ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً﴾ لا يجوز للزوج أن يأخذ من امرأته شيئاً مما أعطتها من المهر إلا في الخلع وهو قوله ﴿إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله﴾ أي: يعلمان ويوقنان.

و«الخوف»: يكون بمعنى العلم^(١)، وذلك أن في الخوف طرفاً من العلم، لأنك تخاف ما تعلم، وما لا تعلم لا تخافه، كما أن «الظن» لما كان فيه طرف من العلم جاز أن يكون علماً.

ومعنى الآية: أن المرأة إذا خافت أن تعصي الله في أمر زوجها بغضاً له وخاف الزوج إذا لم تطعه امرأته أن يعتري عليها، حل له أن يأخذ الفدية منها إذا دعت إلى ذلك.

وقرأ^(٢) حمزة: ﴿إلا أن يُخافا﴾ - بضم الياء^(٣) - لأنه بني للمفعول^(٤) بهما وهما الزوجان والمعنى: إلا أن يعلما أنهما لا يقيمان حدود الله.

﴿فإن خفتم﴾ أيها الولاة والحكام، أي: علمتم وغلب على ظنكم أن الزوجين لا يقيمان حدود الله في حرم العشرة وجميل الصحبة ﴿فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ المرأة نفسها من الزوج، أي: لا جناح على الرجل كما يأخذ من المرأة، ولا عليها فيما تقتدي به للخلع.

قوله^(٥) ﴿تلك حدود الله﴾ يريد: ما حده من شرائع الدين ﴿فلا تعتدوها﴾ أي: لا تتجاوزوها إلى غيرها ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ أنفسهم بترك ما أمر الله به.

وقوله ﴿فإن طلقها﴾ يعني: الزوج المطلق ثنتين^(٦) ﴿فلا تحل له﴾ المطلقة ﴿من بعد﴾ أي: من بعد التولية الثالثة ﴿حتى تنكح زوجاً غيره﴾ أي: غير المطلق.

و«النكاح» لفظ يتناول العقد والوطء^(٧) جميعاً، فلا تحل للأول ما لم يصبها الثاني:

وقد ثبتت السنة بهذا عن رسول الله ﷺ:

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي، حدثنا محمد بن يعقوب أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا سفيان عن الزهري، عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها، أنه سمعها تقول:

جاءت امرأة^(٨) رفاعة القرظي^(٩) إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني كنت عند رفاعة فطلقني، فبت طلاقاً،

(١) انظر مجاز القرآن ٧٤/١، والطبري ٥٥٠/٤.

(٢) في (هـ): وقرء... المفعول.

(٣) قرأ حمزة بضم الياء، وحجته: قوله - بعدها (فإن خفتم) فجعل الخوف لغيرهما ولم يقل فإن خافا، وقرأ الباقر بالفتح، وحجته: ما جاء في التفسير: إلا أن يخاف الزوج والمرأة (ألا يقيما حدود الله) فيما يجب لكل واحد منهما على صاحبه من الحق والعشرة.

(انظر الحجة لأبي زرعة ١٣٥ والسبعة ١٨٢، والنشر ٢٧٧/٢، والزجاج ٣٠١/١ - ٣٠٢ والتبيان ١٨٢/١ - والحجة لابن خالويه ٩٧).

(٤) في (د): الولاية.

(٥) في (ج، هـ): وقوله.

(٦) «وتقول للمؤنث، اثنتان. وإن شئت: ثنتان لأن الألف إنما اجتلبت لسكون الثاء فلما تحركت سقطت». (اللسان / ثنى).

(٧) في جميع النسخ: والوطى.

(٨) هي: تميمه بنت وهب بن عبيد من بني النضير (الدر ٢٨٤/١).

(٩) في (هـ): القرظي، وهو:

فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير^(١)، وإن ما^(٢) معه مثل هدبة الثوب، فتبسم رسول الله ﷺ وقال:

تريدن أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى يذوق عسيلتك، وتذوقي عسيلته «وأبو بكر عند النبي ﷺ وخالد بن سعيد بن العاص^(٣) بالباب ينتظر أن يؤذن له، فنادى: يا أبا بكر ألا تسمع ما تجهر به هذه المرأة عند النبي ﷺ؟»^(٤)

وقوله ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ يعني: الزوج الثاني الذي تزوجها بعد الطلقة الثالثة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ على المرأة ولا على الزوج الأول ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ إلى ما كانا عليه من النكاح بعقد جديد ﴿إِنْ ظَنَّا﴾ أي: علما وأيقنا ﴿أَنْ يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي: ما بين الله من حق أحدهما على الآخر ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يَبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ خصص «العالمين» بالذكر، لأنهم الذين ينتفعون ببيان الآيات.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا عَآئِنَ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا فِعْلَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ بِعَضُوكُمْ بِيهٍ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾

وقوله^(٥) ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربن انقضاء العدة، و«البلوغ» ها هنا: بلوغ مقاربة، كما تقول: قد بلغت البلد، إذا قربت منه، و«الأجل» آخر المدة ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: راجعوهن بما يتعارفه^(٦) الناس بينهم مما تقبله النفوس، ولا تنكره العقول.

= رفاعة بن سموال القرظي - وقيل رفاعة بن رفاعة - من بني قريظة وهو خال صفة بنت حبي بن أخطب أم المؤمنين - وهو الذي طلق امرأته ثلاثاً على عهد النبي ﷺ فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير، وطلقها قبل أن يدخل بها. (أسد الغابة ٢/٢٢٨).

(١) عبد الرحمن بن الزبير - بفتح الزاي وكسر الباء - ابن باطا القرظي المدني له صحبة روى حديثه ابن وهب عن مالك عن المسور بن رفاعة عن الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير عن رفاعة بن سموال طلق امرأته ثلاثاً - ولم يقولوا: عن أبيه - وهو المحفوظ (تهذيب التهذيب ١٧٠/٦).

(٢) في جميع النسخ: وإنما، وفي المطبوعة: وإنما أنا معه. وهو تحريف.

«الهدبة والهدبة»: الشعرة النابتة على شفر العين، وهدبة الثوب: خمله وفي حديث امرأة رفاعة: «إن ما معه مثل هدبة الثوب» أرادت: متاعه وأنه رخو مثل طرف الثوب، لا يغني عنها شيئاً.
(اللسان / هذب).

(٣) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي السيد الكبير أبو سعيد القرشي الأموي أحد السابقين الأولين، هاجر إلى الحبشة وقتل يوم أجنادين. (سير الأعلام ١/٢٥٩ - ٢٦٠).

(٤) الحديث: رواه البخاري - كتاب الشهادات - باب شهادة المختيء (٢/٩٩) ومسلم - كتاب الطلاق - باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره (١/٦٠٥) ومسند أحمد ٦/٣٤ - ٣٧ - ٣٨ - والطبري ٤/٥٩١.

والترمذي - كتاب النكاح - باب فيمن يطلق زوجته ثلاثاً فيتزوجها آخر فيطلقها قبل أن يدخل بها رقم ١١٢٧ (٢/٢٩٣).

كلهم من حديث عائشة.

(٥) في غير (أ) وقوله.

(٦) مكررة في (ه).

قال ابن جرير^(١): أي بإشهاد على الرجعة وعقد لها، لا بالوطء، كما يجوز عند أبي حنيفة. ﴿أو سرحوهن بمعروف﴾ أي: اتركوهن حتى تنقضي عدتهن، ويكنن أملاك بأنفسهن ﴿ولا تمسكوهن ضراراً﴾ لا تراجعوهن مضرة، وأنتم لا حاجة بكم إليهن، وكانوا يفعلون ذلك إضراراً بالمرأة.

﴿لتعتدوا﴾^(٢) أي: عليهن بتطويل العدة ﴿ومن يفعل ذلك﴾ الاعتداء ﴿فقد ظلم نفسه﴾ أي: ضرها وأثم فيما بينه وبين الله^(٣) ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزوا﴾ قال أبو الدرداء: كان الرجل في الجاهلية يقول: إنما طلقت وأنا لاعب، فيرجع فيها وينكح^(٤) فيقول مثل ذلك، ويعتق^(٥) فيقول مثل ذلك فيها، فأنزل الله هذه الآية فقرأها رسول الله ﷺ وقال:

«من طلق أو حرر أو نكح أو أنكح، فزعم أنه لاعب فهو جد»^(٦).

وقوله ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ قال عطاء: بالإسلام ﴿وما أنزل عليكم من الكتاب﴾ يعني: القرآن ﴿والحكمة﴾ يعني: مواعظ القرآن ﴿يعظكم به﴾ يدعوكم^(٧) به إلى دينه ﴿واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾ أي: أنه يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، فعلمه بما أتيا وعملا، لأنه لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد. قوله ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن﴾ أي: انقضت عدتهن وبلغ الأجل^(٨) ها هنا: انقضاء العدة لا بلوغ المقاربة.

قوله^(٩) ﴿فلا تعضلوهن﴾ «العضل» المنع: يقال: عضل فلان أمته، إذا منعه من التزوج^(١٠) فهو يعضلها ويعضلها أشد الأخصش:

وإن قصائدني لك فاصطنعي كرائم قد عضلن عن النكاح^(١١)

(١) ابن جرير: الحبر البحر الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ والمصنفات الكثيرة، سمع إسحاق بن أبي إسرائيل ومحمد بن حميد الرازي والطبقة وكان مجتهداً لا يقلد أحداً ولد سنة ٢١٤ هـ وتوفي سنة ٣١٠ هـ ببغداد. (العبير ٤٦٠/١). انظر الزجاج ٣٠٤/١ وغريب القرآن ص ٨٨ والفراء ١٤٨/١ والدر ٢٨٥/١ عن ابن عباس وثور بن يزيد والسدي ومجاهد ومسروق والحسن وعطية وفتح القدير ٢٤٢/١ عن ابن عباس وثور.

(٢) في (د): قوله... الله تعالى... ويعتق... وينكح.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٠٦/٥ عن الحسن.

والطبري ١٣/٥ عن الحسن قال المحقق: «وهذا الحديث ضعيف لإرساله إلى ضعف رواه سليمان بن أرقم، والمشهور ما روي عن أبي هريرة: في رواية أبي داود والترمذي وابن ماجه.

ورواه أبو داود - كتاب الطلاق - باب في الطلاق على الهزل رقم ٢١٩٤ عن أبي هريرة بلفظ «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد، النكاح والطلاق والرجعة» ٢٥٩/٢ وانظر تفسير الرازي ١١٠/٦ وغرائب النيسابوري ٣٦٧/٢ - ٣٦٨ - والبحر ٢٠٨/٢. وابن كثير ٢٨٨/١ والدر ٢٨٦/١ كلها عن أبي الدرداء. والزجاج (٣٠٤/١).

(٤) في (د): أي يدعوكم.

(٥) في (ح): الأجل.

(٦) في (ج، هـ): وقوله.

(٧) في (د) والمطبوعة: التزويج... فإن.

(٨) انظر تفسير الرازي ١١١/٦ عن الأخصش، والبحر ٢٠٦/٢ وعزاه إلى ابن هرمة برواية «وإن قضاء يدي...».

والشاهد فيه هنا: أن العضل بمعنى: المنع، وانظر (اللسان / عضل) ومجاز القرآن ٧٥/١ والزاهر ٥٦١/١ والطبري ٣٤/٥، والأخصش ٣٧١/١، والبحر ١٠٦/٢.

نزلت الآية في أخت معقل بن يسار^(١)، وذلك ما:

أخبرنا به محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن جعفر النحوي أخبرنا محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق، أخبرني أحمد بن محمد بن الحسين^(٢)، حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله^(٣) حدثنا أبي^(٤)، حدثنا إبراهيم ابن طهمان^(٥) عن يونس بن عبيد^(٦)، عن الحسن^(٧) أنه قال في هذه الآية:

حدثني معقل بن يسار^(٨) أنها نزلت فيه قال: «كنت زوجت أختاً لي من رجل^(٩) فطلقها حتى انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوجتك^(١٠) وأكرمك^(١١) وأفرشتك طلقتها^(١٢)، ثم جئت تخطبها، لا والله لا تعود إليها أبداً، قال: وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله عز وجل هذه الآية، فقلت: الآن أفعل يا رسول الله، فزوجتها إياه». رواه البخاري عن أحمد بن حفص^(١٣).

وقوله ﴿أن ينكحن أزواجهن﴾ يريد: الذين كانوا أزواجاً لهن ﴿إذا تراضوا بينهم بالمعروف﴾ يعني: بعقد حلال، ومهر جائز.

(١) أخت معقل بن يسار: اسمها جميل بنت يسار المزنية.

(أسد الغابة ٥٠/٧ - ٥١، ٤١٣ - ٤١٤).

(٢) الإمام المحدث العالم الثقة أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسين بن عيسى الماسرجسي سمع من جده لأمه الحسن بن عيسى بن ماسرجس وإسحاق بن شيان بن فروخ توفي سنة ٣١٣ وهو في عشر المائة.

(سير الأعلام ٤٠٥/١٦ - ٤٠٦ وشذرات ٢/٢٦٦).

(٣) أحمد بن حفص بن عبد الله بن راشد السلمي أبو علي بن أبي عمرو النيسابوري قال النسائي: لا بأس به صدوق قليل الحديث. وقال أيضاً في أسماء شيوخه: ثقة توفي سنة ٢٥٨ هـ.

(تهذيب التهذيب ٢٤/١ - ٢٥).

(٤) حفص بن عبد الله بن راشد أبو عمرو السلمي مولا هم النيسابوري سمع إبراهيم بن طهمان روى عنه ابنه أحمد وروى له البخاري. (كتاب الجمع ٩٣/١).

(٥) إبراهيم بن طهمان الهروي أبو سعيد سكن نيسابور ثم مكة سمع من محمد بن زياد ويونس بن عبيد وأبي حمزة وحسين المعلم وأبي الزبير وأبي حصين توفي سنة ١٦٠ هـ. (كتاب الجمع ١٦/١).

(٦) يونس بن عبيد بن دينار العبدي أبو عبيدة البصري قال ابن سعد وأحمد وابن معين والنسائي: ثقة زاد ابن سعد: كثير الحديث توفي سنة ١٤٠ هـ (تهذيب التهذيب ١١/٤٤٢ - ٤٤٥).

(٧) الحسن البصري.

(٨) معقل بن يسار بن عبد الله بن معين المزني أبو علي صحابي جليل كان ممن بايع تحت الشجرة توفي في خلافة معاوية - ذكر الزركلي وفاته سنة ٦٥ هـ.

(تهذيب التهذيب ١٠/٢٣٥، الأعلام ٨/١٨٨).

(٩) هو البداح ابن عم معقل بن يسار (أسد الغابة ٥٠/٧).

(١٠) في (ج، د): زوجتكها.

(١١) في (ح): فأكرمك.

(١٢) في (ه): وطلقها.

(١٣) الحديث: رواه البخاري - كتاب التفسير - باب ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن﴾ ١٠٦/٣، وفي كتاب النكاح - باب من قال لا نكاح إلا بولي لقول الله تعالى ﴿فلا تعضلوهن﴾ (٢٤٩/٣).

وأبو داود - كتاب النكاح - باب في العضل رقم ٢٠٨٧ (٢/٢٣٠).

والمستدرک - كتاب النكاح - «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه مسلم» (١٧٤/٢) كلهم من حديث معقل.

ونظم الآية: أن ينكحن أزواجهن بالمعروف إذا تراضوا بينهم. وفي الآية: ما يقطع به على صحة قول من قبل: لا نكاح إلا بولي، لإجماع المفسرين: أن الخطاب للأولياء، لو صح نكاح بدون ولي لم يتصور عضل، ولم يكن لشيء الله عن العضل معنى.

وقوله ﴿ذلك يوعظ به﴾ ذلك: إشارة إلى ما سبق، أي: أمر الله الذي تلي عليكم من ترك العضل يوعظ به ﴿من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ خص المؤمنين لأنهم أهل الانتفاع به ﴿ذلكم أزكى لكم﴾ خير لكم وأفضل ﴿وأطهر﴾ لقلوبكم من الريبة. وذلك أنهما إن كان في نفس كل واحد منهما علاقة حب يؤمن أن يتجاوز ذلك إلى غير ما أحل الله.

﴿والله﴾ تعالى ﴿يعلم﴾ (١) ما لكم فيه من الصلاح في العاجل والأجل ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ (٢) وأنتم غير عالمين إلا بما أعلمكم الله (٣).

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدَيْهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا فَأُولَادُكُمْ وَأُولَادُكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنَّهُ أَتَى سَتَدَكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

وقوله (٤) ﴿والوالدات﴾ يعني: الأمهات ﴿يرضعن أولادهن﴾ لفظه لفظ الخبر ومعناه: الأمر (٥)، كما تقول (٦): حسبك درهم، أي: اكتف به، وهو أمر استحباب لا أمر إيجاب، يريد: إنهن أحق بالإرضاع من غيرهن إذا أردن ذلك ولو وجب عليهن الإرضاع ما وجب (٧) لهن الأجرة، وقد أوجب الله لهن الأجرة في سورة الطلاق (٨).

(١) في (د) إلى غير ما أحل الله تعالى والله يعلم.

(٢) من (د).

(٣) ليست في (ج، د).

(٤) في (د): قوله تعالى.

(٥) في (ج، د): وجبت.

(٥) انظر البيان ١/١٥٨، والبحر ٢/٢١١ - ٢١٢.

(٦) في (د): يقال.

(٨) يعني قوله تعالى: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضييقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يرضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى﴾ الآية ٦ من سورة الطلاق.

وقوله (١) ﴿حولين كاملين﴾ أي: ستين، وذكر الكمال لرفع التوهم من أنه على مثل قولهم: أقام فلان بمكان كذا حولين أو شهرين، وإنما أقام حولا وبعض الآخر، ويقولون (٢): اليوم يومان مذ لم أره، وإنما يعنون يوماً وبعض آخر (٣).

وهذا تحديد لقطع النزاع بين الزوجين إذا اشتجرا (٤) في مدة الرضاع فجعل الحولين ميقاتا لهما يرجعان إليه عند الاختلاف، وليس هذا تحديد إيجاب.

وقوله ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ يقال: رضع المولود يرضع رضاعة ورضاعاً (٥)، والمعنى: إن هذا التقدير والبيان لمريدي (٦) إتمام الرضاعة من الأب والأم، وليس فيما دون ذلك وقت محدود ﴿وعلى المولود له﴾ يعني: الأب ﴿ورزقهن وكسوتهن﴾ «الكسوة»: اللباس، يقال: كسوت (٧) فلانا أكسوه كسوة: إذا ألبسته ثوباً.

قال المفسرون (٨): وعلى الزوج رزق المرأة المطلقة وكسوتها إذا أرضعت الولد (٩).

﴿بالمعروف﴾ أي: بما تعرفون أنه عدل على قدر الإمكان (٩) ﴿لا تكلف نفس﴾ أي: لا تلزم ﴿إلا وسعها﴾ ما يسعها فتطبيقه.

وقوله (١٠) ﴿لا﴾ (١١) تضار والدة بولدها﴾ الاختيار: فتح الرأ من «تضار» وموضعه: جزم على النهي، والأصل: لا تضارر، فأدغمت الرأ الأولى في الثانية وفتحت الثانية لالتقاء الساكنين، وهذا الاختيار في التضعيف: إذا كان قبله (١١) فتح أو ألف، تقول في الأمر:

عض يا رجل، وضار زيدا يا رجل.

والمعنى: لا ينزع الولد منها إلى غيرها بعد أن رضيت بإرضاعه وألفها الصبي ولا تلقيه هي إلى أبيه بعدما عرفها، تضار به بذلك (١٢).

(١) في (د): وقوله تعالى.

(٢) في (أ): ويقول.

(٣) في (د) الآخر: وانظر معنى الكلام في (اللسان / شهر).

فقوله (حولين) ظرف و(كاملين) صفة له، وفائدة هذه الصفة: اعتبار الحولين من غير نقص ولولا ذكر الصفة لجاز أن يحمل على ما دون الحولين بالشهر والشهرين.

انظر التبيان ١٨٤/١ - ١٨٥ والطبري ٣٢/٥ - ٣٣.

(٦) في (د، هـ): لمريد.

(٤) «أي اختلفا» حاشية (أ) وفي (د): إذا اشتجرا مدة...

(٧) في (هـ): كسوة.

(٥) انظر اللسان / رضع وفيه أيضاً: «رضع يرضع مثال ضرب يضرب...»

(٨) انظر الزجاج ٣٠٧/١، والطبري ٤٤/٥ عن الضحاك والربيع وابن كثير ٢٨٣/١ عن الضحاك وفتح القدير ٢٤٢/١، ٢٤٧ عن الضحاك.

(٩) في (د): ولده... قوله.

(١٠) في (ج، د): قوله.

(١١) في (د): ولا تضار... فيه فتح.

(١٢) انظر غريب القرآن ٨٩ والطبري ٤٩/٥ - ٥٠ عن مجاهد وقتادة والحسن والضحاك والسدي وابن زيد والدر ٢٨٧/١ - ٢٨٨ عن

سعيد بن جبير ومجاهد وزيد بن أسلم، وابن كثير ٢٨٤/١، والفراء ١٤٩/١ - ١٥٠، والبيان ١٦٠/١.

وقيل معناه: لا تضار والده فتكره على إرضاع الصبي إذا قبل من غيرها وكرهت هي رضاعه^(١)، لأن ذلك ليس بواجب عليها.

﴿ولا مولود له بولده﴾ فيكلف أن يعطي الأم إذا لم يرتضع^(٢) الولد منها أكثر مما يجب لها عليه.

والقولان: على مذهب الفعل المبني للمفعول نهياً.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿لا تضار﴾ برفع الراء على الخبر منسوقاً على قوله ﴿لا تكلف﴾ أتبع ما قبله ليكون أحسن في تشابه اللفظ، وهو خبر بمعنى الأمر والمعنى: ما ذكرنا^(٣).

قوله ﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ هذا منسوق على قوله ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن﴾ المعنى: ^(٤) على وارث الصبي الذي لومات الصبي وله مال ورثه مثل الذي كان على أبيه في حياته.

وأراد بـ ﴿الوارث﴾: من كان^(٥) عصبته كائناً من كان من الرجال في قول عمر بن الخطاب والحسن ومجاهد وعطاء وسفيان^(٦).

وقال آخرون: ^(٧) أراد بـ ﴿الوارث﴾: الصبي نفسه الذي هو وارث أبيه المتوفى، عليه أجر رضاعه من^(٨) ماله إن كان له مال، فإن لم يكن له مال أجبرت أمه على رضاعه ولا يجبر على نفقة الصبي إلا الوالدان، وهو قول مالك والشافعي.

وقوله ﴿فإن أراد﴾^(٩) يعني: الوالدان ﴿فصلاً﴾ فطاماً للولد ﴿عن تراض منهما﴾ يعني: قبل الحولين ﴿وتشاور﴾ معنى: «التشاور»: استخراج^(١٠) الرأي، وكذلك: المشورة والمشورة، ومنه يقال: شرت العسل، إذا استخراجته^(١١).

والمعنى: إنهما إن تشاورا وتراضيا على الفطام قبل الحولين فلا بأس إذا كان الولد قوياً.

(١) في (د) إرضاعه... يرضع.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبان عن عاصم (لا تضار) بالرفع على الخبر وحجتهم: قوله - قبلها - (لا تكلف نفس إلا وسعها) فأتبعوا الرفع نسقاً عليه.

وقرأ الباقون (لا تضار) بالفتح على النهي وحجتهم، قراءة ابن عباس (لا تضار) براءين فدل ذلك على أنه نهي محض.

(انظر الحجة لابن أبي زرعة ١٣٦، والسبعة ١٨٣، والنشر ٢٢٧/٢ - ٢٢٨ والزجاج ٣٠٨/١، والتبيان ١٨٥/١، والمشكل ٣٠/١ - ١٣١ والحجة لابن خالويه ٩٧).

(٣) في (د) بمعنى على وارث.

(٤) في غير (أ) من كان من عصبته.

(٥) انظر تفسير الثوري ٦٧ - ٦٨ وغريب القرآن ٨٩ والدر ٢٨٨/١ عن عطاء وإبراهيم والحسن وعمر، ٢٨٩/١ عن مجاهد، وفتح القلندر ٢٤١/١ عن عطاء وإبراهيم والشعبي وقتادة والحسن وابن سيرين، والطبري ٥٥/٥ عن عمرو الحسن.

(٦) انظر الدر ١٨٩/١ عن قبيصة بن ذؤيب وابن عباس، وفتح القدير ٢٤٦/١ - ٢٤٧ عن قبيصة وعبد الله بن مغفل والشافعي، والطبري ٥٨/٥ عن قبيصة والضحاك وبشير بن النضر المزني، وفتح القدير ٢٤٥/١ عن مالك والضحاك.

(٧) في غير (أ) في ماله.

(٨) في (د، هـ): أراد.

(٩) في (د): استراح.

(١٠) انظر البحر ٢٠٦ - ٢٠٧ واللسان / شور.

وقوله ﴿وإن^(١) أردتم أن تسترضعوا أولادكم﴾ أي: لأولادكم^(٢) وحذفت اللام اكتفاء بدلالة الاسترضاع، لأنه لا يكون إلا للأولاد^(٣).

والمعنى: وإن أردتم أن تسترضعوا لأولادكم مرضع غير الوالدة^(٤) ﴿فلا جناح عليكم﴾^(٥) فلا إثم عليكم ﴿إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف﴾ قال مجاهد والسدي^(٦) إذا سلمتم إلى الأم أجرتها بمقدار ما أرضعت.

وقرأ ابن كثير «ما آتيتم» بقصر الألف، ومعناه: ما فعلتم، يقال: آتيت جميلاً أي: فعلته قال زهير^(٧):

وما يك من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل

يعني: فعلوه وقصدوه. ويكون التسليم على هذه القراءة بمعنى: الطاعة والانقياد لا بمعنى تسليم الأجرة، والمعنى ﴿إذا سلمتم﴾ للاسترضاع^(٨) عن تراض واتفق.

وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء، قال: إذا سلمت أمه ورضي أبوه، لعل له غنى يشتري له مرضعاً^(٩).

ثم أوصى بالتقوى فقال ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾ أي: فلا^(١٠) يترك جزاء شيء من أعمالكم، لأنه بصير بها.

قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم﴾ أي: يموتون ويقبضون، ومعنى «التوفي» أخذ الشيء وافيأ، يقال: توفي الشيء واستوفاه ﴿ويذرون﴾^(١١) يتركون ولا يستعمل منه الماضي ولا المصدر ومثله - أيضاً - يدع في رفض مصدره وماضيه^(١٢).

وقوله ﴿أزواجاً﴾ أي: نساء ﴿يتربصن بأنفسهن﴾ أي: ينتظرن ويحسبن أنفسهن عن^(١٣) التزوج^(١٤) ﴿أربعة أشهر وعشراً﴾ ومعنى الآية: بيان عدة المتوفى^(١٤) عنها زوجها، وأنها تعتد من حين وفاة الزوج^(١٥) أربعة أشهر وعشراً، وذكرت^(١٦) «العشر» بلفظ التأنيث والمراد بها الأيام: تغليبا لليالي على الأيام، وذلك أن ابتداء الشهر يكون بالليل.

(١) في (د): فإن.

(٢) في (هـ): ولادكم.

(٣) انظر التبيان ١٨٦/١ والبيان ١٦٠/١.

(٤) قرأ ابن كثير (ما آتيتم) بقصر الألف، أي ما جثتم وفي الكلام حذف والمعنى: إذا سلمتم ما آتيتم به وقرأ الباقون بالمد أي: أعطيتم وحجتهم (إذا سلمتم) لأن التسليم لا يكون إلا مع الإعطاء.

(انظر الحجة لأبي زرعة ١٣٧، والسبعة ١٨٣ والنشر ٢٢٨/٢ والتبيان ١٨٦/١، والحجة لابن خالويه ٩٧).

(٧) زهير بن أبي سلمى - ربيعة - بن رباح المزني من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية قال ابن الأعرابي: كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً وابناه كعب وبجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرة مات سنة ١٣ قبل الهجرة (الأعلام ٨٧/٣).

والبيت في ديوانه ص ١١٥ بلفظ «فما بك» ومقدمة ديوانه ص ١٥، والبحر ٢/٢١٨، والقرطبي ٣/١٧٣.

توارثه: يعني ورثه كابر عن كابر، والقصيد في هرم بن سنان بن أبي حارثة الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري.

(٨) في (د): الاسترضاع.

(٩) انظر البحر ٢/٢١٩ والطبري ٥/٧٣ وفتح القدير ١/٢٤٧ كلها عن قتادة والزهري.

(١٠) في (د): ولا يترك.

(١١) انظر (ج، د): التزويج... المتوفا.

(١٢) انظر (اللسان / وذر) عن ابن السكيت والليث وابن سيده.

(١٣) في (هـ): علي.

(١٤) في (ج، د): التزويج... المتوفا.

(١٥) في (ح): الزوج أي ينتظرن ويحسبن أنفسهن عن التزويج أربعة أشهر.

(١٦) في (هـ): وذكر.

قال ابن السكيت^(١): يقولون صمنا خمسا من الشهر فيغلبون الليالي على الأيام، لأن ليلة كل يوم قبله. وهذه الآية ناسخة لقوله ﴿متاعاً إلى الحول﴾^(٢).

أخبرنا أبو القاسم السراج^(٣)، حدثنا محمد بن يعقوب المعقلي حدثنا العباسي الدوري^(٤)، حدثنا شبابة بن سوار، حدثنا شعبة، عن حميد بن نافع^(٥)، عن زينب بنت أبي سلمة^(٦)، عن أمها أم سلمة:

«أن امرأة توفي عنها زوجها، واشتكت عينها حتى خشي عليها فسألت النبي ﷺ: أنكتحل؟ فقال: قد كانت إحدان^(٧) تمكث في شر أحلاسها^(٨) في بيتها حولاً كاملاً، فإذا مر كلب رمت ببعرة^(٩)، ثم خرجت، أفلا أربعة أشهر وعشراً؟»

رواه البخاري عن آدم عن شعبة، ورواه مسلم عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة^(١٠).

(١) انظر إصلاح المنطق ص ٢٢٨ والفراء ١٥١/١، والرازي ١٢٦/٦ عن ابن السكيت والطبري ٩١/٥ والبحر ٢٢٣/٢.

(٢) سورة البقرة / ٢٤٠ «ذكر سعيد بن المسيب وأبو العالية وغيرهما: أن الحكمة في جعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً لاحتمال اشتغال الرحم على حمل انتظرن هذه المدة ظهر إن كان موجوداً، وعن قتادة: سألت سعيد بن المسيب: ما بال العشر؟ قال: فيه يتبخ الروح».

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٢٨٥/١ والطبري ٩٢/٥ وغرائب النيسابوري ٣٧٦/٢ وانظر في نسخ الآية: تفسير البحر ٢٢٤/٢ وابن كثير (٢٩٦/١).

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدان أبو القاسم القرشي النيسابوري السراج، روى عن أبي العباس الأصم وأبي منصور محمد بن القاسم الصبغى وأحمد بن عبدوس الطرائفي وجماعة وكان إماماً جليلاً توفي سنة ٤١٨ هـ. (طبقات الشافعية ١١٦/٥).

(٥) في (أ) والمطبوعة: أبو العباس المرزوي، وهو:

العباس بن محمد بن حاتم الحافظ الإمام: أبو الفضل الهاشمي مولاهم الدوري صاحب يحيى بن معين ولد سنة ١٨٥ هـ وسبع عبد الوهاب بن عطاء وشبابة ويحيى بن بكير وغيرهم حدث عنه أهل السنن الأربعة وأبو العباس الأصم وخلق، قال النسائي: ثقة وقال الأصم: لم أر في مشايخي أحسن حديثاً منه، له كتاب في الرجال توفي سنة ٢٧١ هـ. (تذكرة الحفاظ ٥٧٩/٢).

(٥) حميد بن نافع المدني أبو الأفلح الأنصاري مولى صفوان بن خالد - ويقال مولى أبي أيوب - سمع زينب بنت أبي سلمة، روى عنه شبابة وغيره روى له البخاري ومسلم. (كتاب الجمع ٩٠/١ - ٩١).

(٦) زينب بنت أبي سلمة - عبد الله - بن عبد الأسد المخزومي وكان اسمها برة فسمها النبي ﷺ زينب وهي بنت أم سلمة، سمعت النبي ﷺ وأمها وأم حبيبة وعائشة وزينب بنت جحش. (كتاب الجمع ٦٠٧/٢).

(٧) في (د): أحدان يكن.

(٨) الحلس: كساء يكون على ظهر البعير تحت البرذعة، ويسط في البيت تحت الثياب وجمعه أحلاس. (انظر غريب الحديث ٦٠٢/٢، اللسان / حلس).

(٩) قال حميد: فقلت لزينب: وما ترمي بالبعرة عند رأس الحول؟ فقالت زينب: كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حشفاً ولبست شر ثيابها ولم تمس طيباً ولا شيئاً حتى تمر بها سنة، ثم تخرج فتعطي بعة فترمي بها، ثم تراجع بعد ذلك ما شاءت من الطيب أو غيره. والحفش: بيت صغير.

(انظر الدر ٢٩٠/١، وغريب الحديث ٩٦/٢ وسنن أبي داود - كتاب الطلاق باب إحدان المتوفى عنها زوجها ٢٩٠/٢).

(١٠) الحديث رواه البخاري - كتاب الطلاق - باب الكحل للمحادة (٢٨٤/٣) وفي - كتاب الطب - باب الإثمد والكحل من الرمذ (١٢/٤) - ومسلم - كتاب الطلاق - باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة (٦٤٥/١) كلاهما عن حديث أم سلمة.

أخبرنا أبو طاهر الزيادي، قال: حدثنا^(١) أبو الطيب محمد بن المبارك الشعيري^(٢)، حدثنا محمد بن أشرس السلمي^(٣)، حدثنا إبراهيم بن سليمان الزيات^(٤) عن بحر بن كنيز السقاء^(٥) عن الزهري عن عبد الرحمن بن القاسم^(٦) عن أبيه^(٧) عن عائشة رضي الله عنها:

عن النبي ﷺ: قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاثة أيام إلا على زوج، فإنها تحد على الزوج أربعة أشهر وعشراً»^(٨).

وقوله ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ﴾ [فإذا بلغن أجلهن] فلا جناح عليكم ﴿يخاطب الأولياء، لأن الرجال قوامون على النساء فذكر أنهم إذا انقضت عدتهن لا جناح على الأولياء في تخلية سبيلهن﴾ [فيما فعلن] ﴿ليفعلن﴾ في أنفسهن بالمعروف ﴿ما يرون من تزوج الأكفاء بإذن الأولياء، وهذا تفسير «المعروف» لأن التي تزوج نفسها سماها النبي ﷺ زانية^(٩)﴾.

قوله ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء﴾ «التعريض»: ضد التصريح وهو أن تضمن الكلام دلالة على ما تريد. و«الخطبة»: التماس النكاح يقال خطب فلان فلانة، إذا أراد أن يتزوجها^(١٠).

(١) في (د): الزيادي أخبرنا أبو الطيب.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في المطبوعة: أشرف، وهو:

محمد بن أشرس السلمي نيسابوري عن مكّي بن إبراهيم وإبراهيم بن رستم وطائفة منهم في الحديث وتركه أبو عبد الله بن الأخرم الحافظ وغيره، قال أبو الفضل السليماني: محمد بن أشرس لا بأس به (الميزان ٣/٤٨٥ - ٤٨٦).

(٤) إبراهيم بن سليمان البلخي الزيات عن سفيان الثوري قال ابن عدي: ليس بالقوي. (المغني في الضعفاء ١/١٦).

(٥) في (د): بحر السقاء، وفي المطبوعة: بحر بن كثير، وهو:

بحر بن كنيز - بالنون والزاي في آخره - الباهلي أبو الفضل البصري المعروف بالسقاء روى عن الحسن البصري والزهري وقناة وغيرهم وعنه الثوري وابن عيينة ويزيد بن هارون قال أبو حاتم: ضعيف، وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي وقال الدارقطني: متروك توفي سنة ١٦٠ هـ.

(تهذيب التهذيب ١/٤١٨ - ٤١٩).

(٦) عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي أبو محمد المدني كان ثقة إماماً ورعاً كبير القدر وهو خال جعفر الصادق قال ابن عيينة: كان من أفضل أهل زمانه توفي سنة ١٢٦. (تذكرة الحفاظ ١/١٢٦).

(٧) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق الإمام القدوة أبو عبد الرحمن القرشي التيمي المدني الفقيه سمع عمته عائشة وابن عباس ومعاوية وابن عمر وطائفة وعنه ابنه عبد الرحمن والزهري وأبو المنكدر وغيرهم قال ابن سعد: كان إماماً فقيهاً ثقة ربيعاً ورعاً كثير الحديث توفي سنة ١٠٧ هـ (تذكرة الحفاظ ١/٩٦ - ٩٧).

(٨) الحديث رواه: مسلم - كتاب الطلاق - باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة عن أم حبيبة (١/٦٤٦). والترمذي - كتاب الطلاق - باب ما جاء في عدة المتوفى عنها زوجها رقم ١٢١٠ «حسن صحيح» ٢/٣٣٣. ومسند أحمد ٦/٣٧ عن عائشة.

(٩) روى ابن ماجه - في كتاب النكاح - باب لا نكاح إلا بولي - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج المرأة نفسها فإن الزانية هي التي تزوج نفسها». (١/٦٠٦).

وانظر الجامع الصغير ١/١٢٠ عن معاذ، ١/١٢٨ عن ابن عباس «رواه الترمذي وصححه». ومصنف ابن أبي شيبة ٤/١٣٥ عن أبي هريرة وابن عباس.

(١٠) انظر اللسان / عرض، خطب.

قال المفسرون^(١): معنى التعريض بالخطبة: أن يقول لها - وهي في عدة الوفاة - إنك لجميلة، وإنك لصالحة وإنك لنافقة^(٢)، وإن من^(٣) عزمي أن أتزوج وإني فيك لراغب، وما أشبه هذا الكلام.

قوله ﴿أو أكنتم في أنفسكم﴾ أي: أسرتم وأضمرتم من خطبتين. قال مجاهد^(٤): هو إسرار العزم على النكاح دون إظهاره، وقال السدي^(٥): هو أن يدخل فيسلم^(٦) ويهدي إن شاء ولا يتكلم بشيء.

ومعنى (الاكتنان): الإخفاء والستر، يقال أكننت الشيء وكننته إذا سترته لغتان^(٧).

وقوله ﴿علم الله أنكم ستذكرونهن﴾ يعني: الخطبة ﴿ولكن لا تواعدوهن سرأ﴾ قال الشعبي والسدي^(٨): يأخذ ميثاقها أن لا تنكح غيره وقال الحسن وقتادة والضحاك والربيع وعطية^(٩): «السر» هو الزنا، وكان الرجل يدخل^(١٠) على المرأة للريبة^(١١) وهو يعرض بالنكاح ويقول لها: دعيني فإذا وفيت عدتك أظهرت نكاحك، فنهى الله^(١٢) عن ذلك.

وقوله ﴿إلا أن تقولوا قولاً معروفاً﴾ يعني: التعريض بالخطبة كما ذكرناه.

قوله ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾ أي: لا تصححوا^(١٣) عقد النكاح، يعني لا تتزوجوا المعتدة ﴿حتى يبلغ الكتاب أجله﴾ أي: حتى تنقضي عدتها. و«الكتاب»: هو القرآن.

﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم﴾ مطلع على ضمائرهم ﴿فاحذروه﴾ فخافوه ﴿واعلموا أن الله غفور رحيم﴾^(١٤).

(١) انظر الزجاج ٣١٢/١ وغريب القرآن ٨٩ - ٩٠، والدر ٢٩٠/١ - ٢٩١ عن ابن عباس والقاسم ومجاز القرآن ٧٥/١ وفتح القدير ٢٥١/١ عن ابن عباس والطبري ٩٥/٥ - ٩٩ وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والقاسم بن محمد وإبراهيم وسفيان، وغرائب النيسابوري ٣٧٨/٢ عن الشافعي والبحر ٢٢٥/٢ عن ابن عباس والشعبي.

(٢) نفاق السلعة: رواجها (انظر اللسان / نفق، وحاشية أ).

(٣) في (د): وإن في عزمي.

(٤) انظر تفسير مجاهد ص ١١٠ بمعناه.

(٥) انظر الدر ٢٩١/١ عن السدي.

(٦) في (د): هو أن يسلم إذا دخل.

(٧) انظر الزجاج ٣١٢/١ والفراء ١٥٢/١ - ١٥٣، وأدب الكاتب ٢٧٣ والبحر ٢٢١/٢ واللسان / كتن.

(٨) انظر تفسير مجاهد ص ١١٠ والثوري ص ٦٩ والدر ٢٩١/١ عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي مالك ومجاز القرآن ٧٥/١ والطبري ٩٩/٥ عن الشعبي ١٠٨/٥ عن مجاهد وعكرمة والشعبي والسدي، وابن كثير ٢٨٧/١ عن الشعبي.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٠٥/٥ - ١٠٦ عن جابر بن زيد وأبي مجلز والحسن وإبراهيم وقتادة، والضحاك، والدر ٢٩١/١ عن ابن عباس والحسن وأبي مجلز وإبراهيم، ومجاز القرآن ٧٦/١، والزاهر ٣٢٤/٢ وابن كثير ٢٨٧/١ عن الحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم الثوري ص ٦٩.

(١٠) في (د): إذا دخل.

(١١) في (ح): للزنية.

(١٢) في (ج، هـ): الله عز وجل وفي (د): الله تعالى.

(١٣) أي: لا تحققوا (حاشية أ).

(١٤) وأرشدهم إلى إضمار الخير دون الشر، ثم لم يوسهم من رحمته، ولم يقنطهم من عائدته، فقال ﴿واعلموا أن الله غفور رحيم﴾ (ابن كثير ٢٨٧/١).

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصِفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

وقوله ﴿ولا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن...﴾ الآية، قال الزجاج^(١): أعلم الله تعالى^(٢) في هذه الآية: أن عقد التزويج بغير مهر جائز، وأنه لا إثم^(٣) على من طلق من تزوج بها [بغير مهر، كما أنه لا إثم على من طلق من تزوج بها]^(٤) بمهر.

قال ابن عباس في رواية الوالبي في قوله ﴿ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة﴾: قال^(٥): «المس» النكاح، و«الفريضة»: الصداق ومعنى^(٦) «تفرضوا لهن فريضة»: توجبوا^(٧) لهن صداقا.

و«أو» ها هنا: بمعنى «الواو» كقوله ﴿إلى مائة ألف أو يزيدون﴾^(٨) وقال عطاء بن يسار عن ابن عباس - في الرجل يطلق امرأته قبل أن يدخل بها ولم يفرض لها قال: ليس^(٩) لها إلا المتاع، وهو قوله ﴿ومتعوهن﴾ أي: أعطوهن ما يتمتعن^(١٠) به^(١١). والمطلقة قبل الجماع وقبل تسمية المهر: مستحقة للمتعة بالإجماع من العلماء ولا مهر لها^(١٢).

وقوله ﴿على الموسع﴾^(١٣) وهو الذي في سعة من غناه، يقال: أوسع الرجل إذا كثر ماله واتسعت حاله ﴿قدره﴾ أي: قدر إمكانه وطاقته ﴿وعلى المقتتر﴾ وهو المقل الفقير^(١٤)، يقال: أقتتر الرجل، إذا افتقر. ﴿قدره﴾ وقرئ بتحرك الدال^(١٥)، وهما لغتان، يقال: هذا قدر هذا وقدره، واحمل قدر ما تطيق، وقدر ما تطيق.

(١) انظر الزجاج ٣١٤/١ والبحر ٢٣٢/١ عن الزجاج وأبي بكر الأصم.

(٢) من (أ).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (هـ).

(٤) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٣ والدر ٢٩١/١ عن ابن عباس وابن كثير ٢٨٧/١ عنه وغيره والطبري ١٢٠/٥ عنه.

(٥) في (د): والمعنى.

(٦) في (هـ): توجب.

(٨) سورة الصافات ١٤٧، وانظر معنى «أو» في تفسير البحر ٢٣١/٢ وفتح القدير ٢٥٢/١ قال الشوكاني «أو» على بابها لا بمعنى «الواو» لأن الله تعالى رفع الجناح عن المطلقتين ما لم يقع أحد الأمرين فإن وجد المسيس وجب المسمى أو مهر المثل وإن وجد الفرض وجب نصفه مع عدم المسيس وكل واحد منهما جناح ويوضحه ما بعده (وقد فرضتم لهن فريضة) وفي النوع الثاني للمطلقة قبل الدخول.

(٩) في (د): مالها.

(١٠) انظر الدر ٢٩١/١ عن ابن عباس.

(١١) انظر في ذلك تفسير الطبري ١٢٠/٥ والبحر ٢٣٢/٢ - ٢٣٣ وابن كثير ٢٨٧/١ - ٢٨٨.

(١٢) في (هـ): قدره.

(١٣) انظر مجاز القرآن ٧٦/١ واللسان / قتر.

(١٤) قرأ ابن عامر وحزمة والكسائي وحفص (قدره) بفتح الدال في الموضعين وحجتهم أن القدر أن تقدر الشيء بالشيء فيقال: ثوبي على قدر ثوبك فكأنه اسم، والتأويل على ذي السعة ما هو قادر عليه من المتاع، وعلى ذي الإقتار ما هو قادر عليه من ذلك ويقري هذا القراءة قوله (فسالت أودية بقدرها) (الرعد / ١٩).

(١٥) وقرأ الباقون (قدره) بالسكون وحجتهم: أن القدر مصدر مثل الوسع وفي معناه كقولك: قدر فلان ألف درهم أي: وسعه.

(انظر الحجة لأبي زرععة ١٣٧ والسبعة ١٨٤ والتبيان ١٨٩/١).

و«المتعة» غير مقدرة، وهي كما قال الله^(١) تعالى: على الغني قدر إمكانه وعلى الفقير قدر طاقته.

قال ابن عباس والزهري والشعبي والربيع^(٢): أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة أثواب، درع وخمار وإزار ودون ذلك وقاية^(٣)، أو شيء من الورق، وهذا مذهب الشافعي رحمه الله^(٤) قال: أعلاها - على الموسع - خادم، وأوسطها: ثوب وأقلها: أقل ما له ثمن، قال: وحسن ثلاثون درهماً.

وقوله^(٥) ﴿متاعا بالمعروف﴾ أي: متعوهن متاعاً بما تعرفون أنه القصد وقدر الإمكان. وقوله ﴿حقاً على المحسنين﴾ أي: حق ذلك عليهم حقاً بمعنى: وجب.

وقوله تعالى: ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن...﴾ الآية المرأة إذا طلقت بعد تسمية المهر وقل الدخول فالواجب لها نصف المهر، لقوله تعالى: ﴿فانصف ما فرضتم﴾ قال ابن عباس في هذه الآية^(٦): لها نصف صداقها ليس لها أكثر من ذلك.

وقال ابن مسعود^(٧): لها نصف الصداق ما لم يجامعها، وإن جلس بين رجلها. وقوله ﴿إلا أن يعفون﴾ يعني: النساء يتركن ذلك النصف الواجب لهن فلا يطالبن الأزواج به.

وقوله ﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ يعني: الزوج في قول علي ومجاهد والضحاك والحسن ومقاتل بن حيان وابن سيرين وشريح، وابن عباس في رواية عمار بن أبي عمار^(٨). وعفو الزوج: أن يعطيها الصداق كاملاً^(٩).

(١) في (د): كما قال تعالى.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٢١/٥ - ١٢٣ عن ابن عباس والشعبي والربيع والزهري وغيرهم والدر ٢٩١/١ عن ابن عباس وفي رواية ابن عمر: أوفى ما يكون من المتعة ثلاثون درهماً، وابن كثير ٢٨٧/١ عن ابن عباس.

قال الشافعي - في الجديد - لا يجبر الزوج على قدر معلوم إلا على أقل ما يقع عليه اسم المتعة وأحب ذلك إلي: أن يكون أقله ما تجزئ فيه الصلاة.

وقال - في القديم - لا أعرف في المتعة قدرًا إلا أنني أستحسن ثلاثين درهماً (تفسير ابن كثير ٢٨٨/١ وانظر غرائب النيسابوري ٢٨١/٢ عن الشافعي).

(٣) الوَقَايَةُ وَالْوَقَايَةُ وَالْوَقَاءُ وَالْوَقَاءُ وَالْوَقَايَةُ: كل ما وقيت به شيئاً. والوقاية: التي للنساء. (انظر اللسان / وقى).

(٤) ساقطة من (د) وفي (هـ): رحمة الله عليه.

(٥) في (د): قوله تعالى.

(٦) في (أ) والمطبوعة: كقوله؛ ولماذا التشبيه والنص من الآية التي معنا؟

(٧) انظر تفسير الطبري ١٤٢/٥، والدر ٢٩٢/١ وابن كثير ٢٨٨/١ كلها عن ابن عباس.

(٨) انظر الدر ٢٩٢/١.

(٩) في (هـ) في رواية عمار، وهو: عمار بن أبي عمار مولى بني هاشم عن أبي هريرة وابن عباس وعنه حميد وشعبة وحماد بن سلمة وخلق، وثقوه توفي سنة ١٢٠ (الكاشف ٣٠٠/٢، وتقريب التهذيب ٤٨/٢).

(١٠) انظر غريب القرآن ص ٩١ وتفسير ابن عباس ص ٣٣ ومجاهد ص ١١٠ والفراء ١٥٥/١ والدر ٢٩٢/١ عن ابن عباس وابن عمر وعلي وسعيد بن جبيرة ومجاهد والضحاك وشريح وابن المسيب والشعبي ونافع ومحمد بن كعب وفي رواية عن عطاء والحسن وعلقمة والزهري: (الذي بيده عقدة النكاح). هو الولي. وانظر أحكام القرآن لابن العربي ٢١٩/١ عن علي وشريح وابن المسيب وجبير بن مطعم ومجاهد والثوري وأبي حنيفة والشافعي، يعني الزوج. ومنهم من قال إنه الولي، قاله ابن عباس والحسن وعكرمة وطاووس وعطاء وأبو الزناد وزيد بن أسلم.

ولما ذكر الله تعالى عفو المرأة عن النصف الواجب، ذكر عفو الزوج عن النصف الساقط فيستحسن لها أن تعفو ولا تطالبه بشيء، وللرجل أن يعفو ويوفي لها المهر كاملاً.

أخبرنا أبو بكر الحارثي، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ حدثنا أبو يحيى الرازي، حدثنا سهل بن عثمان العسكري، حدثنا يحيى بن أبي زائدة، عن محمد بن عمرو، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب^(١)، قال:

طلق جبير بن مطعم^(٢) امرأته قبل أن يدخل بها، فأعطاها الصداق كاملاً وقال: أنا أحق بالعفو منها^(٣).

وقوله ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى﴾ هذا خطاب للرجال والنساء جميعاً، ومعناه^(٤): وعفو بعضكم عن بعض^(٥) ادعى إلى اتقاء معاصي الله، لأن هذا العفو ندب، فإذا انتدب إليه علم إنه لما كان فرضاً [كان]^(٦) أشد استعمالاً.

وقوله ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ قال ابن عباس^(٧): لا تتركوا أن يتفضل بعضكم على بعض وهذا حث من الله تعالى للزوج والمرأة على الفضل والإحسان، وأمر لهما جميعاً أن يستبقا إلى العفو.

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾

قوله عز وجل^(٨) ﴿حافظوا على الصلوات﴾ قال مسروق^(٩): الحفاظ^(١٠) عليها: الحفاظ^(١١) على وقتها، والسهو عنها: ترك وقتها.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الخشاب، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الأصبهاني، أخبرنا محمد بن إسحاق

(١) يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة اللخمي عن أسامة وعائشة وعنه زيد بن أسلم ومحمد بن عمرو، ثقة رفيع القدر توفي سنة ١٠٤ هـ (الكاشف ٢٦١/٣).

(٢) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي أبو محمد المدني أسلم قبل الفتح وسمع النبي ﷺ وعنه سليمان بن سرد وابنه محمد بن جبير وسعيد بن المسيب ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب توفي سنة ٥٩ هـ وقيل سنة ٥٨ هـ (سير الأعلام ٩٩/٣، كتاب الجمع ٧٦/١).

(٣) انظر الطبري ١٥٢/٥ - ١٥٣ والدر ٢٩٣/١ وغرائب النيسابوري ٢/ ٣٨٢، وأحكام القرآن لابن العربي ٢١٩/١ كلها عن جبير بن مطعم.

(٤) في (د): ومعنا وعفو.

(٥) في (هـ): وعفو بعضكم أذعى.

(٦) ما بين المعقوفتين من الوجيز للواحد ٦٦/١.

(٧) في انظر تفسير ابن عباس ٣٣، والوجيز للواحد ٦٦/١.

(٨) في (د، هـ): قوله تعالى.

(٩) مسروق بن الأجدع الإمام أبو عائشة الهمداني الكوفي الفقيه أحد الأعلام وكان أبوه فارس أهل اليمن في زمانه وهو ابن أخت عمرو بن معديكرب أخذ عن عمر وعلي وابن مسعود وأبي وعنه إبراهيم والشعبي وأبو الضحى وأبو إسحاق وخلق، قال ابن المديني: ما أقدم على مسروق أحداً من أصحاب عبد الله وقد صلى خلف أبي بكر توفي سنة ٦٣ هـ (تذكرة الحفاظ ٤٩/١ - ٥٠).

(١٠) في المطبوعة: المحافظة. وقد ورد في تفسير الطبري بلفظي «الحفاظ، والمحافظة» عن مسروق وانظر الأثر في تفسير الطبري ١٦٨/٥ والدر ٢٩٣/١ كلاهما عن مسروق.

الثقفي، حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن منصور عن مالك بن الحارث^(١)، عن مسروق، قال:

لا يحافظ إنسان على الصلوات الخمس فيكتب بعدهن من الغافلين، وفي تركهن الهلكة^(٢).

أخبرنا أبو منصور البغدادي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن علي بن زياد^(٣) حدثنا محمد بن إبراهيم البوشنجي^(٤)،

أخبرنا النفيلي^(٥)، حدثنا زهير بن معاوية، حدثنا إبراهيم بن مسلم الهجري^(٦) عن أبي الأحوص^(٧) عن عبد الله ابن مسعود قال:

من سره أن يلقي^(٨) الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات حيث ينادى بهن، وما من رجل يتطهر فيحسن طهوره ثم يعمد إلى مسجد من المساجد^(٩) فيضلي فيه إلا كتب الله له بكل خطوة حسنة، أو حط عنه بها خطيئة، أو رفع له بها درجة حتى إن كنا لنقارب بين الخطأ^(٩) وإن صلاة الرجل في الجماعة تزيد على صلاة وحده خمساً وعشرين درجة^(١٠).

قوله ﴿والصلاة الوسطى﴾ اختلفوا فيها، فقال معاذ وابن عباس وابن عمرو وعلي وطاووس وعكرمة ومجاهد: هي صلاة الفجر، وهو اختيار مالك^(١١) والشافعي، لأنها وسطت فكانت بين الليل والنهار، تصلى في سواد من الليل وبياض من النهار وهي أكثر صلاة^(١٢) تفوت الناس، ولأنها بين صلاتي ليل وصلاتي نهار^(١٣).

(١) مالك بن الحارث السلمي الكوفي سمع أبا الأحوص وعبد الرحمن بن يزيد وعلقمة وأبي سعيد وعنه الأعمش ومنصور توفي سنة ٩٤ هـ (الكاشف ١١٣/٣، الجمع ٤٨٢/٢).

(٢) انظر الدر ٢٩٦/١ عن مسروق.

(٣) لم أفق عليه، ولعله: عبد الله بن محمد بن علي بن زياد السمدي أبو محمد المتوفى سنة ٣٦٦ هـ وقد سبقت ترجمته.

(٤) الإمام العلامة الحافظ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعيد العبدي البوشنجي الفقيه المالكي صاحب التصانيف والرحلة الواسعة ولد سنة ٢٠٤ هـ وتوفي سنة ٢٩٠ هـ (تذكرة الحفاظ ٦٥٧/٢ - ٦٥٩).

(٥) النفيلي: عبد الله بن محمد بن علي بن نفيل بن زراع القضاعي الحارثي لقي مالكا وزهير بن أبي معاوية ومحمد بن عمران الحجبي وعنه البوشنجي وأحمد وابن معين وأبو داود روى له البخاري، قال الآجري: سمعت أبا داود يقول: ما رأيت أحفظ من النفيلي توفي سنة ٢٣٤ هـ.

(٦) تذكرة الحفاظ ٤٤٠/٢ - ٤٤١.

(٧) إبراهيم بن مسلم العبدي أبو إسحاق الكوفي الهجري عن عبد الله بن أبي أوفى وأبي الأحوص ضعفه ابن معين والنسائي، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي وقال ابن عدي: إنما أنكروا عليه أكثر روايته عن أبي الأحوص عن عبد الله وعامتها مستقيمة (تهذيب التهذيب ١٦٥/١ - ١٦٦ والميزان ٦٥/١ - ٦٦).

(٨) أبو الأحوص: عوف بن مالك بن نضلة بن خديج الجشمي سمع عبد الله بن مسعود وأبا موسى الأشعري وأبا مسعود البدي وعنه أبو إسحاق السبيعي وعبد الملك بن عمير. (كتاب الجمع ٣٩٨/١).

(٩) في (أ): يلقي.

(٩) في (هـ): مساجد... الخطي.

(١٠) ذكره الطبراني في الكبير ١٢٢/٩ - ١٢٣ ومسنده أحمد ٤١٤/١ - ٤١٥، ٤١٩ والدر ٢٩٦/١ كلهم عن ابن مسعود.

(١١) ساقطة من (أ)، هـ.

(١٢) في (د): أكثر الصلاة.

(١٣) انظر أحكام القرآن لابن العربي ٢٢٥/١ عن ابن عباس وابن عمرو وعلي وأبي أمامة، والدر ٣٠١/١ عن علي وابن عباس وعكرمة =

وقال زيد بن ثابت وأسامة بن زيد وأبو سعيد الخدري وعائشة: إنها الظهر لأنها وسط النهار^(١).
وقال ابن مسعود وأبو هريرة والنخعي وقتادة والحسن والضحاك والكلبي ومقاتل: إنها العصر، وروي ذلك مرفوعاً، ولأنها بين صلاتي نهار وصلاتي ليل^(٢).
وقال قبيصة بن ذؤيب^(٣): إنها المغرب، لأنها وسط في الطول والقصر من بين الصلوات^(٤).
أخبرنا أبو بكر التميمي، أخبرنا أبو محمد بن حيان^(٥) الحافظ حدثنا أبو يحيى الرازي،^(٦) حدثنا سهل بن عثمان حدثنا جعفر بن عون^(٧)، عن أبي حيان التميمي^(٨)، عن أبيه^(٩): أن سائلاً سأل الربيع بن خيثم عن الصلاة الوسطى، أي الصلاة هي؟ فقال له الربيع^(١٠):
أكنت محافظاً عليها لو علمتها؟ قال: وما يمنعني يا أبا يزيد وقد أمر الله بالمحافظة عليها وحث عليها؟ قال الربيع: قال الله تعالى ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ فإنك إن فعلت تصبها، إنما هي واحدة منهن^(١١).

- = وجابر وأبي العالية وابن عمر وأبي أمامة وطاوس وانظر تفسير مجاهد ص ١١١ والفتح الرباني ٢٦٣/٢ عن مالك والشافعي.
(١) انظر الفتح الرباني ٨٩/١٨ عن زيد وأسامة، ومسند أحمد ١٨٣/٥ عن زيد ومسند أحمد ٣٩٢/١ عن ابن مسعود ومصنف عبد الرزاق ٥٧٧/١ - ٥٧٨ والدر ٣٠١/١ عن زيد، ٣٠٢/١ عن أبي سعيد وزيد وعائشة وعلي وابن عمر وعكرمة، وأحكام القرآن لابن العربي ٢٢٥/١ عن زيد والترمذي ١١٧/٢، والطبري ١٦٨/٥.
(٢) انظر غريب القرآن ص ٩١ والترمذي ٢٨٦/٤ عن قتادة وابن مسعود وأبي هريرة والدر ٣٠١/١ - ٣٠٤ عن أبي هريرة، وعلي والحسن وابن مسعود وابن عباس وأبي مالك الأشعري.
روى البخاري بسنده عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوم الخندق: «جسونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس، ملأ الله قبورهم وبيوتهم - أو أجوافهم - ناراً» شك يحيى. (فتح الباري ١٥٧/٨ - ١٥٩).
(٣) قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة بن عمرو بن كليب بن أصرم الخزاعي أبو إسحاق - وقيل أبو سعيد - ولد في عهد النبي ﷺ وكان من فقهاء المدينة سمع أبا هريرة وأم سلمة وعنه مكحول وقال: ما رأيت أعلم منه توفي سنة ٨٦ هـ.
(تذكرة الحفاظ ٦٠/١ - ٦١، والجمع ٤٢٢/٢).
(٤) في (٥): من لا بين إلى الصلوات، وانظر الفتح الرباني ٢٦٣/٢ والدر ٣٠٥/١، والطبري ٢١٤/٥ والبيهقي ٢٤٦/١ كلها عن قبيصة.
(٥) العلامة شيخ الشافعية بخراسان الإمام أبو الطيب سهل ابن الإمام أبي سهل محمد بن سليمان بن محمد العجلي الحنفي ثم الصعلوكي النيسابوري الفقيه الشافعي تفقه على والده، قال الحاكم: هو من أنظر من رأينا تخرج به جماعة وحدث وأملئ توفي سنة ٤٠٤ هـ (سير الأعلام ٢٠٧/١٧ - ٢٠٩).
(٦) انظر الفتح الرباني ٢٦٣/٢ وابن كثير ١٩٤/١ قال ابن كثير «اختاره علي بن أحمد الواحدي في تفسيره المشهور».
(٧) جعفر بن عون بن حريث أبو عون المخزومي القرشي الكوفي سمع الثوري والأعمش وهشام بن سعد وهشام بن عروة وغيرهم توفي سنة ٢٠٧ هـ وهو ابن ٩٧ سنة. (كتاب الجمع ٧٠/١).
(٨) في (د، هـ) والمطبوعة: التميمي، وهو:
يحيى بن سعيد بن حيان أبو حيان التميمي - تيم الرباب - الكوفي سمع أبا زرعة والشعبي وعنه إسماعيل بن علية وابن المبارك وأبو أسامة روى له البخاري ومسلم. (كتاب الجمع ٥٦١/٢).
(٩) سعيد بن حيان التميمي - تيم الرباب الكوفي - روى عن علي وأبي هريرة وشريح القاضي وغيرهم وعنه ابنه أبو حيان ذكره ابن حبان في الثقات وقال العجلي كوفي ثقة. (تهذيب التهذيب ١٩/٤).
(١٠) في (د): فقال الربيع.
(١١) انظر تفسير الطبري ٢٢٠/٥، والدر ٣٠٥/١، وفتح القدير ٢٥٨/١ كلها عن الربيع.

وقوله (١) ﴿وقوموا لله قانتين﴾ قال الزجاج (٢): «القنوت»: العبادة (٣) والدعاء لله في حال القيام، ويجوز أن يقع في سائر الطاعة، لأنه إن لم يكن قيام، بالرجلين فهو قيام بالشيء بالنية (٤).

قال ابن عباس والحسن وقتادة والشعبي: ﴿قانتين﴾: مطيعين (٥) وقال مقاتل والكلبي (٦):

ولكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين (٧) فقوموا أنتم لله في صلاتكم مطيعين.

وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال:

«كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو طاعة» (٨).

وقال مجاهد (٩): من طول القنوت: الخشوع والركود، وغض البصر وخفض الجناح من رهبة الله (١٠)، قال:

وكانت العلماء إذا قام أحدهم إلى الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره إلى شيء أو يلتفت، أو يقلب الحصى (١١)، أو يعبث بشيء، أو يحدث نفسه بشيء من الدنيا - إلا ناسيا - ما دام في صلاته.

قوله ﴿فإن خفتهم﴾ يعني (١٢): عدوا أو سبعا، وما (١٣) الأغلب من شأنه الهلاك ﴿فرجالا﴾ جمع راجل،

مثل: تاجر وتجار، وصاحب وصحاب ﴿أو ركبانا﴾ جمع راكب، مثل: فارس وفرسان.

ومعنى الآية: فإن لم يمكنكم أن تصلوا قانتين موفين للصلاة حقها، فصلوا مشاة على أرجلكم، وركبانا على

ظهور دوابكم، وهذا في حال المسابقة (١٤)، والمطاردة.

(١) في (د، هـ) قوله.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣١٦/١.

(٣) في (د): والمطبوعة: العبادة لله والدعاء لله.

(٤) في (ح): فهو قيام بالنية.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٤ ومجاهد ص ١١١ والزجاج ٣١٦/١ وفتح الباري ١٥٩/٨ - ١٦٠ والدر ٣٠٦/١ عن مجاهد والضحاك والطبري ٢٢٨/٥ - ٢٣٠ عن الشعبي وجابر بن زيد وسعيد بن جبيرة وعطاء والضحاك وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، وعطاء، وغرائب النيسابوري ٣٨٦/٢ عن الحسن والشعبي وقتادة وسعيد بن جبيرة ومقاتل والضحاك وطاووس وفتح القدير ٢٥٨/١ عن جابر بن زيد وعطاء وسعيد بن جبيرة والضحاك والشافعي.

(٦) انظر تفسير البغوي ٢٤٦/١ عن الكلبي ومقاتل، والطبري ٢٣٠/٥ عن ابن عباس والدر ٣٠٦/١ عنه، وفتح القدير ٢٥٨/١ - ٢٥٩ عن ابن عباس والضحاك.

(٧) في (هـ) والمطبوعة: عاصين لله.

(٨) انظر تفسير الطبري ٢٣٠/٥ - ٢٣١ ومسند أحمد ٧٥/٣ والجامع الصغير ٩٢/٢، والحلية لأبي نعيم ٣٢٥/٨ «تفرد به عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث» ومجمع الزوائد - كتاب التفسير «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط وفي إسناد أحمد وأبي يعلى: إن لهيعة، وهو ضعيف» ٣٢٠/٦ كلهم من حديث أبي سعيد.

(٩) انظر تفسير مجاهد ص ١١١، والطبري ٢٣٤/٥ - ٢٣٥ والدر ٣٠٦/١ وفتح القدير ٢٥٩/١ وغرائب النيسابوري ٣٨٦/٢ وشرح معاني الآثار ١٧١/١ كلها عن مجاهد.

(١٠) في (د): الله تعالى.

(١١) في (أ، ح): الحصا.

(١٢) في (د): أي.

(١٣) في (د، هـ) أو.

(١٤) «أي في حالة الحرب» (حاشية (أ)) وفي (ج، د، هـ): المسابقة.

وانظر الوجيز ٦٧/١ واللسان / سيف.

وقوله ﴿فَإِذَا أَمْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾^(١): فصلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها^(٢) ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ يريد: كما افترض عليكم في مواقيتها.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾
وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

قوله^(٣) ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ قال المفسرون^(٤): كان في ابتداء الإسلام إذا مات الرجل لم يكن لامرأته في^(٥) الميراث شيء إلا السكنى والنفقة سنة^(٦)، ما لم تخرج من بيت زوجها، وكان المتوفى يوصي بذلك لها. فإن خرجت من بيت زوجها لم يكن لها نفقة، وكان الحول واجبا عليها في الصبر عن التزوج^(٧)، ثم نسخت هذه الآية بالربع والثلث^(٨)، وتقدير لمدة الوفاة بأربعة أشهر وعشر^(٩).

واختلفوا في رفع الوصية، ونصبها، فمن رفع: تقدير: فعليهم وصية، يضم خبر المبتدأ، ومن نصب: فعلى تقدير: فيوصوا وصية^(٩).

وقوله ﴿مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ أي: متعوهن متاعا بالإفناق عليهن إلى الحول من ﴿غَيْرِ إِخْرَاجٍ﴾ لها من بيت الزوج ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ من قِبَلِ أَنْفُسِهِنَّ قِبَلِ الْحَوْلِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميت ﴿فِي مَا﴾^(١٠) فعلن في أنفسهن من معروف ﴿يعني: التشوف للنكاح﴾^(١١)، والتصنع للأزواج.

(١) في (ج، د، هـ): أي فصلوا.

(٢) في (د): حقوقها. وانظر تفسير ابن كثير ٢٩٦/١.

(٣) في (د): قوله تعالى.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٤ وفتح الباري ١٥٥/٨ - ١٥٦ والدر ٢٠٩/١ عن ابن عباس وعطاء وعكرمة وزيد بن أسلم وقتادة وابن كثير ٢٩٦/١ - ٢٩٧/١ والطبري ٢٥٤/٥ - ٢٥٦ عن ابن عباس وعطاء وقتادة والربيع والضحاك وابن زيد.

(٥) في (د): من الميراث.

(٦) في (د): لسنة... التزويج.

(٧) وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلهن الرِّبْع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد، فإن كان لكم ولد فلهن الثلث مما تركتم﴾ من الآية ١٢ من سورة النساء.

(٨) انظر أحكام القرآن لابن العربي ٢٠٧/١ والناسخ والمنسوخ لأبي القاسم بن سلامة ٩٣ - ٩٦ والبحر ٢٤٤/٢ وابن كثير ٢٩٦/١، والطبري ٢٥٤/٥ - ٢٥٩.

(٩) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم والكسائي بالرفع وحجتهم: قراءة أبي «الوصية لأزواجهم».

(١٠) انظر الحجة لأبي زرعة ١٣٨ والسبعة ١٨٤ والنشر ٢٢٨/٢ والبيان ١٩٢/١، والزجاج ٣١٧/١ والقراء ١٥٦/١ والحجة لابن خالويه ٩٨ والبيان ١٦٣/١ والبحر ٢٤٥/٢.

(١١) في جميع النسخ: فيما.

(١٢) في (د): إلى النكاح.

قوله ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف﴾ قال أبو العالية^(١): في هذه الآية لكل مطلقة متعة، وقال ابن زيد^(٢): لما نزل قوله ﴿ومتعوهن على الموسع قدره﴾ إلى قوله ﴿حقاً على المحسنين﴾^(٣) قال رجل من المسلمين: إن أحسنت فعلت، وإن لم أرد ذلك لم أفعل، فأنزل الله تعالى ﴿وللمطلقات﴾ إلى قوله ﴿حقاً على المحسنين﴾ يعني: المتقين^(٤) الشرك، فبين أن لكل^(٥) مطلقة متاعاً.

وقد ذكرنا الكلام في المتعة عند قوله ﴿ومتعوهن﴾^(٥).

وقوله^(٦) ﴿كذلك يبين الله^(٧) لكم آياته﴾ أي: مثل البيان الذي تقدم فيما ذكر من الأحكام يبين آياته.

قال عطاء^(٨): يريد: يفسر لكم فرائضه لتعملوا بها حتى تفقهوا، وهو قوله ﴿لعلكم تعقلون﴾ أي: يثبت لكم صفة العقلاء باستعمال ما بينا لكم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(٢٤٣) وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْضَاعًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

^(٩) ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم﴾ أي^(١٠): ألم تعلم، ألم ينته علمك إلى هؤلاء؟ ومعنى «الرؤية» ها هنا: رؤية القلب وهو بمعنى العلم^(١١).

قال ابن عباس - في رواية سعيد بن جبير^(١٢) - يعني قوما خرجوا فرارا من الطاعون، وقالوا: نأتي أرضا ليس بها

(١) انظر الدر ٣١٠/١ عن أبي العالية وفتح القدير ٢٦٠/١ عن أبي العالية والطبري ١٢٥/٥ - ١٢٦ عن أبي العالية والحسن وسعيد بن جبير، ٢٦٣/٥ عن سعيد بن جبير، وغرائب النيسابوري ٣٩٠/٢ عن أبي العالية وسعيد بن جبير والزهرى والرازي ١٦١/٦ عنهم.

(٢) انظر الدر ٣١٠/١، والطبري ٢٦٤/٥ وابن كثير ٢٩٧/١ وفتح القدير ٢٦٠/١ كلها عن ابن زيد والرازي ١٦١/٦.

(٣) سورة البقرة / ٢٣٦.

(٤) في (د): المتقى... أن كل... قوله.

(٥) انظر ذلك عند تفسير الآية ٢٣٦.

(٦) ساقطة من (ه).

(٧) في غير (أ) يبين آياته.

(٨) انظر تفسير الطبري ٢٦٥/٥ - ٢٦٦ وابن كثير ٢٩٨/١.

(٩) في (د): قوله تعالى.

(١٠) ساقطة من (ح).

(١١) «وعدي (ترى) بإلى لأن معناه: ألم ينته علمك إلى كذا والرؤية بمعنى العلم. (التيبان ١٩٣/١).

(١٢) انظر تفسير مجاهد ١١١ - ١١٣ والدر ٣١٠/١ عن سعيد وفيه «كانوا أربعة آلاف»، وكذا من طريق عكرمة «من أهل قرية يقال لها ذاوردان». وكذا من طريق السدي «ذاوردان قريب من واسط» ثم مر بهم نبي يقال له حزقيل، وانظر ابن كثير ٢٩٨/١ وفتح القدير ٢٦٢/١ وغرائب النيسابوري ٣٩٠/٢ - ٣٩١، والطبري ٢٦٦/٥ - ٢٦٧ والمستدرک - كتاب التفسير - وصححه على شرط الشيبين ٢٨١/٢ كلها عن ابن عباس.

موت، فخرجوا حتى إذا كانوا بموضع كذا، قال لهم الله موتوا، فماتوا، فمر بهم نبي (١) من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم، فأحياهم، فهو هذه الآية ﴿وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾.

وقوله ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ (٢) تفضل على هؤلاء بأن أحياهم بعد موتهم ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ إنعام الله عليهم بفضله.

قوله ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء (٣): يحرض المؤمنين على القتال ﴿واعلموا أن الله سميع﴾ (٤) لما يقوله المتعلل ﴿عليم﴾ بما يضمه.

قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ «القرض» اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء، يقال: أقرض فلان فلانا، إذا أعطاه ما يتجازاه، منه والاسم منه «القرض» وهو ما أعطيته لتكافئه (٥) عليه.

شبه الله تعالى (٦) عمل المؤمنين لله على ما يرجون من ثوابه بالقرض لأنهم إنما يعطون ما ينفقون ابتغاء ما وعدهم الله من جزيل الثواب.

وقوله ﴿قرضاً حسناً﴾ قال عطاء (٧): يعني: حلالاً، وقال الواقدي (٨): طيبة به نفسه. (٩).

وقوله (١٠) ﴿فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ قرئ بالتشديد (١١) والتخفيف، والرفع والنصب، أما (١٢) التشديد والتخفيف: فهما لغتان.

ومعنى «التضعيف» والاضعاف، والمضاعفة «واحد»، وهو الزيادة على أصل الشيء حتى يصير مثلين أو أكثر.

والرفع: بالنسق على «يقرض» أو الاستثناء، وأما النصب: فعلى جواب الاستفهام بالفاء، لأن المعنى: أيكون قرض (١٣) فيضاعفه؟ (١٤).

(١) وهو حزقيال بن بوري، وهو ابن العجوز (انظر الدر ٣١٤/١) عن ابن وهب.

(٢) في (د): أي تفضل..

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٦٨/٥ عن ابن عباس والبحر ٢٥١/٢ وفتح القدير ٢٦١/١.

(٤) في (ح): سميع عليم.

(٥) هكذا في جميع النسخ وفي تفسير البحر على البناء للفاعل والأولى أن يكون للمفعول وانظر المعنى في البحر ٢٤٨/٢ عن الليث، وفي اللسان / قرض «ولكن قرضاً ههنا اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء».

(٦) في (ج، هـ): الله عز وجل.

(٧) انظر غرائب النيسابوري ٣٩٣/٢ والبغوي ٢٥٢/١ عن ابن المبارك والرازي ١٦٨/٦.

(٨) محمد بن عمر بن واقد الواقدي، الأسلمي أبو عبد الله المدني القاضي أحد الأعلام روى عن الأوزاعي وابن جريج ومالك والثوري وأسامة بن زيد وخلائق قال البخاري متروك الحديث. وقال ابن سعد: كان عالماً بالمغازي والسير والفتوح واختلاف الناس في الحديث، وقال إبراهيم الحربي عن مصعب بن الزبير: ثقة مأمون وقال الدراوردي: الواقدي أمير المؤمنين في الحديث ولد سنة ١٣٠ هـ وتوفي سنة ٢٠٧ هـ. (تهذيب التهذيب ٢٦٣/٩ - ٣٦٦).

(٩) انظر البغوي ٢٥١/١ - ٢٥٢ عن الواقدي، والقرطبي ٢٤٢/٣ عنه، والدر ٣١٣/١ عن ابن زيد والرازي ١٦٨/٦.

(١٠) في (د): قوله تعالى.

(١١) في (هـ): بالتشديد.. وأما.

(١٢) في (د): قرضاً.

(١٣) قرأ ابن كثير (فيضعفه) بالرفع والتشديد وقرأ ابن عامر بالنصب والتشديد وقرأ عاصم (فيضاعفه) بالنصب والتخفيف، وقرأ الباقر بالرفع=

وقال الحسن والسدي^(١): هذا التضعيف لا يعلمه إلا الله، وهو مثل قوله ﴿ويؤت من لدنه أجرا عظيماً﴾^(٢).
وقوله ﴿والله يقبض ويبسط﴾ يعني: يمسك الرزق عن^(٣) يشاء ويضيق عليه ويوسع على من يشاء.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ آلِهِمْ أَيْدِيكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُوتَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل﴾ «الملائكة» الأشراف من الناس وهو اسم^(٤) للجماعة، كالقوم والرهط^(٥) (من بعد موسى) إذ قالوا لنبي لهم ﴿وهو أشمويل^(٦)، وذلك أن الأحداث كثرت في بني إسرائيل، وعظمت فيهم الخطايا، وغلب عليهم عدد لهم فسبوا كثيرا من ذراريهم فسألوا نبيهم ملكا يجتمع^(٧) به أمرهم، وتستقيم به^(٨) حالهم في جهاد عدوهم وهو قوله ﴿أبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله﴾ فقال لهم ذلك النبي^(٩) ﴿هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا﴾^(١٠) تقاتلوا﴾ في سبيل^(١١) الله، يقول: لعلمكم أن تجبنوا عن القتال.
وقرأ نافع ﴿عسيتم﴾ بكسر السين^(١٢) - (وهي لغة، يقال: عسي - بكسر السين) -^(١٣).

= والتخفيف. وحجة من خفف أنهم قالوا: إن الله أسرع من تكرير الفعل إنما هو (كن فكان) (انظر الحجة لأبي زرعة ١٣٨ - ١٣٩ - والسبعة ١٨٤ - ١٨٥ والنشر ٢٢٨/٢ والزجاج ٣٢٠/١، والتبيان ١٩٤/١ - ١٩٥، والفراء ١٥٧/١، والحجة لابن خالويه ٩٨) (١) انظر الدرر ٣١٢/١ - ٣١٣ والطبري ٢٨٦/٥ وفتح القدير ٢٦٢/١ وغرائب النيسابوري ٣٩٣/٢ كلها عن السدي والبحر ٢٥٢/٢ عن الحسن والسدي وابن عباس والقرطبي ٣٤٢/٣ عن الحسن والسدي.

(٢) سورة النساء / ٤٠.

(٣) في (د، هـ): عن من.

(٤) في (هـ): وهم.

(٥) «ليس الملائكة من باب رهط وإن كانا اسمين للجمع لأن رهطاً لا واحد له من لفظه» (اللسان / ملاء) و«قال الجوهري: القوم: الرجال أو النساء لا واحد له من لفظه» (اللسان / قوم).

(٦) أشمويل بن يار بن علقمة ويعرف بابن العجوز وهو من ولد يعقوب، وقيل من نسل هارون (انظر فتح القدير ٢٦٤/١) وقال ابن جرير هو شمويل بن بالي بن علقمة بن ترخام بن إليهو. إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» وكذا عنه ابن كثير في تفسيره ٣٠٠/١ ذكره عن مجاهد ووهب بن منبه.

(٧) في (د): يجمع.

(٨) في غير (أ) وتستقيم حالهم.

(٩) في (ح): النبي ﷺ.

(١٢) انظر الحجة لأبي زرعة ١٣٩ - ١٤٠ والسبعة ١٨٦، والزجاج ٣٢٢/١، والتبيان ١٩٦/١، والنشر ٢٣٠/٢، وفتح القدير ٢٦٤/١.

(١٣) ما بين المعقوفين ساقط من (د).

فقال الملائكة لذلك النبي ﴿وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله﴾؛ أي شيء لنا في ترك القتال ﴿وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ أي: بالسبي^(١) والقهر على نواحينا.

والمعنى: أنهم أجابوا نبيهم بأن قالوا: إنما كنا نزهد في الجهاد إذ كنا^(٢) ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا، فأما إذ^(٣) بلغ الأمر هذا فلا بد من الجهاد.

وقال الله تعالى: ﴿فلما كتب عليهم القتال﴾ فرض عليهم الجهاد ﴿تولوا﴾^(٤) أعرضوا عن القيام به ﴿إلا قليلاً منهم﴾^(٥) وهم الذين عبروا النهر، ويأتي ذكرهم بعد هذا ﴿والله عليم بالظالمين﴾ يعني: المشركين والمنافقين.

قوله^(٦) ﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً﴾ أي: قد أجابكم إلى ما سألتكم من بعث الملك يقاتل وتقاتلون معه ﴿قالوا أنى يكون له الملك علينا﴾ أنكروا ملكه وقالوا: كيف يكون ملكنا؟ ﴿ونحن أحق بالملك منه﴾ لأننا^(٧) من سبط الملوك، ولم يكن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط المملكة^(٨).

﴿ولم يوث سعة من المال﴾ أي: ليس بذي مال كثير فيملك به ﴿قال﴾ ذلك النبي ﴿إن الله اصطفاه عليكم﴾^(٩) اختصه بالملك ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ قال ابن عباس^(١٠): كان طالوت يومئذ أعلم رجل في بني إسرائيل وأجمله^(١١) وأتمه.

و«البسطة» الزيادة في كل شيء^(١٢)، قال الكلبي^(١٣): زاده بسطة في العلم بالحرب، والجسم بالطول، وكان يفوق الناس برأسه ومنكبيه^(١٤)، وإنما سمي «طالوت»: لطوله.

﴿والله يؤتي ملكه من يشاء﴾ يريد: أن الملك ليس بالوراثة، وإنما هو بايتاء الله تعالى واختياره ﴿والله واسع﴾ أي: واسع الرزق والفضل والرحمة وسعت رحمته كل شيء، وهذا كما يقال: فلان كبير عظيم، يراد^(١٥): أنه كبير القدر، كذلك هو واسع بمعنى: أنه واسع الفضل.

ثم انهم سألو نبيهم آية على تملك طالوت:

(١) في (د): السبي... إذا ممنوعين... إذا بلغ... أي أعرضوا.

(٢) ساقطة من (هـ).

(٣) في (د): وقوله.

(٤) في (د): ولأننا.

(٥) انظر تفسير الطبري ٣٠٩/٥ - ٣١١ عن السدي وقتادة والضحاك والربيع وابن عباس «والنبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب ومنه موسى وهارون، والملك كان في سبط يهوذا ومنه داود وسليمان» (غرائب النيسابوري ٣٩٦/٢).

(٦) في (د): أي اختصه.

(٧) انظر البحر ٢٥٨/٢ والدر ٣١٦/١ كلاهما عن ابن عباس.

(٨) «أي في الجسم» (حاشية (أ)).

(٩) انظر مجاز القرآن ٧٧/١.

(١٠) انظر تفسير البغوي ٢٥٦/١ عن الكلبي، والطبري ٣١٣/٥ عن وهب والسدي وغرائب النيسابوري ٣٩٦/٢ والبحر ٢٥٨/٢ والدر

٣١٦/١ عن وهب وفتح القدير ٢٦٦/١ - ٢٦٧ عن ابن عباس وهب.

(١١) في (د): رأسه ومنكبه.

(١٢) في (ج، هـ): يرادا به. وفي المطبوعة: يراد به.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلَكُوا بِاللَّهِ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾

﴿وقال﴾ لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت ﴿٢٤٨﴾ وكان ذلك تابوتاً أنزله الله على آدم فيه طور الأنبياء فتوارثه أولاد آدم، وكان في بني إسرائيل يستفتحون به على عدوهم فغلبتهم العمالقة ﴿٢٤٩﴾ عليه، فرد الله ذلك ﴿٢٤٩﴾ التابوت على طالوت، فلما رآه عنده علموا أن ذلك أمانة ملكه عليهم ﴿٢٤٩﴾.

وقوله ﴿فيه سكينه من ربكم﴾ أي: طمأنينه، وفي أي مكان كان التابوت اطمأنوا إليه وسكنوا، قال الزجاج ﴿٢٤٨﴾: أي فيه ما تسكنون إليه إذا أتاكم. وقال الحسن ﴿٢٤٩﴾: جعل الله لهم في التابوت سكينه تطمئن ﴿٢٤٩﴾ قلوبهم إليه.

وقوله ﴿٢٤٨﴾ ﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون﴾ قال المفسرون: هي لوحان ﴿٢٤٨﴾ من التوراة، ورضاض ﴿٢٤٩﴾ الألواح التي تكسرت ﴿٢٤٩﴾ لما ألقى موسى الألواح، ففيز من المن الذي كان ينزل عليهم ونعلا موسى وعصاه، وعصاه هارون وعصاه ﴿٢٤٩﴾.

وأراد بـ «آل موسى» ﴿٢٤٩﴾ وآل هارون. موسى وهارون، والعرب تقول: آل فلان، يريد: نفسه، وأنشد أبو عبيدة ﴿٢٤٩﴾:

ولا تبك ميتا بعد ميت أجنسه
علي وعباس وآل أبي بكر

(١) في جميع النسخ (فقال...).

(٢) «قال أبو بكر بن مجاهد: «التابوت» بالهاء: قراءة الناس جميعاً ولغة الأنصار: «التابوه» بالهاء (اللسان / توب).

(٣) «العماليق والعمالقة: قوم من ولد عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح وهم أمم تفرقوا في البلاد» (حاشية (أ)).

وانظر تفسير الطبري ٣٢١/٥ - ٣٢٢ عن ابن عباس والدر ٣١٤/١ عن ابن عباس وهوب بن منه، وغرائب النسابوري ٣٩٧/٢.

(٤) في المطبوعة: فرد الله التابوت.

(٥) في (ح): أمانة ملكه.

(٦) انظر الزجاج ٣٢٥/١ والبحر ٢٦٢/٢ عن الزجاج وعطاء والطبري ٢٢٩/٥ عن عطاء ورجحه.

(٧) انظر الدر ٣١٧/١ وابن كثير ٣٠١/١ كلاهما عن الحسن.

(٨) في (د): وتطمئن... قوله... لوحاً... انكسرت.

(٩) «رضاض الشيء: فئاته». (اللسان / رضض).

(١٠) انظر الزجاج ٣٢٥/١ وتفسير ابن عباس ص ٣٥ وغريب القرآن ٩٢، والدر ٣١٤/١ عن ابن عباس ٣١٧/١ عن ابن عباس وهي

صالح وابن كثير ٣٠١/١ عن ابن عباس وغيره، وفتح القدير ٢٦٥/١، ٢٦٧ عن ابن عباس والطبري ٣٣١/٥ عن عكرمة وابن عباس

وقتادة ٣٣٣/٥ عن ابن عباس والثوري وعطية بن سعد.

(١١) في المطبوعة: وأراد بـ «آل هارون».

(١٢) البيت في الكامل للمبرد ٢٦/٤ وانظر ٢٥/٤ «ذكر بعض الرواة أن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب - وكان عاملاً لعلي بن أبي

يريد: أبا بكر نفسه.

وقوله^(١): ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قال المفسرون^(٢): كانت الملائكة تحمل تابوت بني إسرائيل فوق العسكر وهم يقاتلون العدو، فإذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر.

وقوله ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ﴾ أي: في رجوع التابوت إليكم علامة أن الله قد ملك طالوت عليكم^(٣) ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٤) مصدقين بتمليكه عليكم.

قوله^(٥) ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ أي: سار بهم وقطعهم عن موضعهم ﴿قَالَ إِنْ اللَّهُ مِثْلِيكُمْ بِنَهْرٍ﴾^(٦) وهو نهر بين الأردن وفلسطين، وإنما وقع الابتلاء لتمييز الكاذب من الصادق، والمحقق^(٧) من المقصر ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: من أهل ديني وطاعتي ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ وطعم كل شيء ذوقه، يقال: طعمت الماء أطعمه بمعنى: ذقته، وأنشد أبو العباس العرجي^(٨):

فإن شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا
أراد: لم أذق^(٩)، و «النقاخ»: الماء العذب.

وقوله^(٩) ﴿إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ «الغتراف» الأخذ من^(١٠) الشيء باليد أو بألة، و«المغرفة»: الآلة التي يغرف بها، و«المغرفة»: المرة الواحدة، وهي مصدره، و«الغرفة» - بالضم - الشيء المغترف والماء المغروف^(١١).

وقوله^(١٢) ﴿فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾^(١٣) قال المفسرون^(١٤): قال لهم طالوت من شرب من النهر وأكثر فقد عصى الله وخالف أمره، وتعرض لعقابه، ومن اغترف غرفة: أقنعته، فهجموا على النهر بعد عطش شديد أضربهم فوق

= طالب على اليمن - فشحص إليه علي، واستخلف على اليمن عمرو بن أراكة الثقفي فوجه معاوية إلى اليمن بسر بن أرطاة - أحد بني عامر بن لؤي - فقتل عمرو بن أراكة - فجزع عليه عبد الله أخوه جزعاً شديداً فقال أبو عبيدة هذا العشر والبيت من بحر الطويل. وانظر تفسير القرطبي ٦٣/٤.

(٣، ١) في (د): قوله.

(٢) انظر غرائب النيسابوري ٣٩٧/٢ وابن كثير ٣٠١/١ - ٣٠٢ عن ابن عباس والثوري وفتح القدير ٢٦٧/١ عن قتادة.

(٤) في (د): أي مصدقين.

(٥) في (ج، هـ): قوله تعالى.

(٦) «(نهر) بفتح الهاء وسكونها لغتان والمشهور في القراءة: فتحها وأصل النهر والنهار: الاتساع ومنه: أنهر الدم. (انظر التبيان ١٩٩/١ - وفتح القدير ٢٦٥/١).

(٧) في (د): والمحق.

(٨) في (د): للعرجي، وفي (هـ): للعرجي شعر. والعرجي هو: عبد الله بن عمر بن عفان الأموي القرشي من أعيان الشعراء وكان بطلاً شجاعاً مجاهداً - لقب بالعرجي لسكنه قرية العرج قرب الطائف - توفي سنة ١٢٠ هـ.

(اللسان / نقح، وسير الأعلام ٢٦٨/٥، الأعلام ٢٤٦/٤).

وانظر البيت في الزاهر ١٩٨/١، والبحر ٢٦٤/٢، واللسان / نقح، برد. والبرد: النوم، أو الريق.

(٩) في (ج): يريد أطعم: أذق... وقوله.

(١٠) في (أ): عن الشيء.

(١١) ما بين المعقوفتين ساقط من (هـ).

(١٢) في (ج، د): قوله.

(١٣) ساقطة من (هـ).

(١٤) انظر الدر ٣١٧/١ عن ابن عباس والحسن وفتادة وسعيد بن جبير وغرائب النيسابوري ٤٠٠/٢ والبحر ٢٦٦/٢.

أكثرهم في النهر، وأكثروا الشرب، وأطاع قوم قليل عددهم، لم يزيدوا على الاعتراف، فأما من اغترف قوي قلبه، وصح إيمانه، وعبر النهر سالماً وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه ودوابه، والذين شربوا وخالفوا أمر الله أسوأ شفاهم، وغلبهم العطش لم يردوا، وبقوا على شط النهر وجنبوا عن لقاء العدو، ولم يشهدوا الفتح.

وتلك الغرفة لم تكن ملاء^(١) الكف، ولكن المراد بـ «الغرفة» أن يغترف مرة واحدة بقرية أو جرة، وما أهبه ذلك، تكفيه وتكفي دابته^(٢).

وهؤلاء القليل الذين لزموا الاعتراف، كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، لأن النبي ﷺ قال لأصحابه يوم بدر:

«أنتم اليوم على عدة^(٣) أصحاب طالوت حين عبروا النهر، وما جاز معه إلا مؤمن»^(٤).

قال البراء بن عازب: وكنا^(٥) يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً.

وقوله^(٦) ﴿فلما جاوزه هو﴾ جاوز النهر طالوت ﴿والذين ءامنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت﴾^(٧) وجنود

قال ابن عباس والسدي^(٨) يعني: هؤلاء الذين شربوا وخالفوا أمر الله عز وجل^(٩)، وكانوا أهل شك ونفاق وانصرفوا^(١٠) عن طالوت، ولم يشهدوا قتال جالوت. ﴿قال الذين يظنون﴾^(١١) ﴿١٢﴾: يستيقنون ويعلمون ﴿أنهم ملاقوا الله﴾^(١٣): راجعون إليه، يعني: القليل الذين اغترفوا ﴿كم من فئة﴾ جماعة ﴿قليلة﴾ في العدد ﴿غلبت فئة كثيرة﴾ عددهم ﴿بإذن الله﴾ بإرادته^(١٣) كذلك ﴿والله مع الصابرين﴾ على قتال أعدائه بالنصرة والمعونة. يعني: إن النصر مع الصبر.

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ يَأْذِنُ اللَّهُ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ

(١) في (أ): ملاء.

(٢) انظر غرائب النيسابوري ٣٩٩/٢ عن ابن عباس.

(٣) في (هـ): عدد.

(٤) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب المغازي - باب عدة أصحاب بدر - عن البراء (٤/٣) ودلائل النبوة للبيهقي ٣/٦١، ومسند أحمد ٤/٢٩٠، والدر ١/٣١٨ كلها عن البراء.

(٥) في (هـ): كنا.

(٦) في (د): قوله تعالى.

(٧) جالوت ملك الكنعانيين كان ملكه ما بين مصر وفلسطين استعبد بني إسرائيل وضرب عليهم الجزية وأخذ منهم التوراة وكانت العمالة مع ملكهم جالوت قد عظمت نكايتهم في بني إسرائيل حتى كادوا يهلكونهم فقال بنو إسرائيل لنبيهم أشموئيل: ابعث لنا ملكاً نقاتل به سبيل الله (الكامل لابن الأثير ١/٢١٧ - ٢١٨).

(٨) انظر تفسير الطبري ٥/٣٤٨ عن ابن عباس والسدي ٥/٣٥٠ عنهما، والدر ١/٣١٨ عن ابن عباس.

(٩) في (د): الله تعالى.

(١٠) في غير (أ) انصرفوا.

(١١) في (أ): يظنون أنهم وفي (ج) أنهم ملاقوا.

(١٢) في (د): أي.

(١٣) في (د): أي بإرادته الله.

وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمَكَلِيمِ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

قوله ﴿ولما برزوا لجالوت﴾^(١) أي: خرجوا لقتال جالوت ﴿وجنوده قالوا ربنا! غ علينا صبرا﴾.

«الإفراغ» الصب - يقال: أفرغت الإناء إذا صببت ما فيه، والمعنى: اصعب علينا الصبر أتم صب وأبلغه ﴿وثبت أقدامنا﴾ بتقوية قلوبنا ﴿وانصرنا﴾ وأحسن معونتنا ﴿على القوم الكافرين﴾ يريدون: جالوت وجنوده.

قوله ﴿فهزموهم﴾ هذه الآية تتصل^(٢) بما قبلها بتقدير محذوف، كأنه قيل: فأنزل الله صبرا ونصراً فهزموهم أي: كسروهم، ومعنى «الهزم» في اللغة: الكسر، يقال: هزمت العظم القصبة هزماً: إذا كسرت^(٣).

﴿وقتل داوود جالوت﴾^(٤) وكان عبر النهر مع طالوت، رمى جالوت بحجر من مقلاعه فوق بين عيني، فخرج من قفاه فخر قتيلاً^(٥) ﴿وءاتاه الله الملك والحكمة﴾ جمع له بين الملك والنبوة، قال ابن عباس^(٦):

يعني: بعد طالوت ﴿وعلمه مما يشاء﴾ يعني: صنعة الدروع، والتقدير في السرد^(٧) ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ قال ابن عباس ومجاهد^(٨): ولولا^(٩) دفع الله بجنود المسلمين وسرايهم ومرابطهم لغلّب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين، وخرّبوا البلاد والمساجد.

وقال سائر المفسرين: لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفساد لفسدت الأرض بمن فيها. يدل على هذا ما أخبرنا منصور بن عبد الوهاب البزاز، حدثنا^(١٠) أبو عمرو محمد بن أحمد الحيري حدثنا محمد بن المسيب^(١١)

(١) من (ج، د).

(٢) في (ح): متصلة.

(٣) انظر (اللسان / هزم).

(٤) في (د): قوله تعالى.

(٥) انظر تفسير الطبري ٣٥٥/٥ وما بعدها عن وهب بن منبه، وابن كثير ٣٠٣/١ وعده ابن كثير من الإسرائيليات وقال أبو حيان في البحر ٢٦٨/٢ «طول المفسرون في قصة كيفية قتل داوود لجالوت ولم ينص الله على شيء من الكيفية» ثم ذكر مثل هذا الكلام.

(٦) انظر الزجاج ٣٢٩/١ والدر ٣١٩/١ عن السدي والبحر ٢٦٩/٢ عن الضحاك والكلبي والطبري ٣٧٢/٥ عن السدي وغرائب النيسابوري ٤٠٢/٢ وابن كثير ٣٠٣/١ وفيه «بعد شمويل» والبعوي ٢٦٤/١ عن الكلبي والضحاك والقرطبي ٢٥٨/٣ عن ابن عباس.

(٧) انظر تفسير الطبري (وعلمه مما يشاء) يعني علمه صنعة الدروع والتقدير في السرد كما قال الله تعالى ذكره ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم﴾ - سورة الأنبياء / ٨٠، (٣٧١/٥ - ٢٧٢).

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٣٠٣/١ بنحوه والبحر ٢٦٩/٢ عن ابن عباس والقرطبي ٢٦٠/٣، عن ابن عباس والوجيز للواحيدي ٧٢/١.

(٩) في (د): لولا.

(١٠) في (د): أخبرنا.

(١١) محمد بن المسيب الأريغاني الحافظ الجوال الزاهد المفضل شيخ نيسابور الأسفنجي قال الحاكم: كان دقيق الخط وكان هذا كالمشهور من شأنه وعاش ٩٢ سنة وقال ابن ناصر الدين: حدث عن خلق وعنه خلق وكان من العباد المجتهدين والزهاد البكائين توفي سنة ٣١٥ هـ (شذرات الذهب ٢/٢٧١).

حدثنا أبو حميد الحمصي^(١) حدثنا يحيى بن سعيد^(٢)، حدثنا حفص بن سليمان^(٣) عن محمد بن سوقة^(٤)، عن وبرة بن عبد الرحمن^(٥)، عن ابن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء» ثم قرأ ابن عمر ﴿ولولا^(٦) دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾^(٧).

قوله^(٨) ﴿ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ حيث لم يهلكهم بكفرهم ولم يؤخذهم^(٩) عاجلاً بعقوبة جنائياتهم قوله^(١٠) ﴿تلك آيات الله﴾ أي: هذه الآيات التي أنبأتك بها آيات الله، أي: علاماته التي تدل على توحيد^(١١) ﴿تتلوها عليكم﴾^(١٢) نقرأها عليك على لسان جبريل ﴿بالحق﴾^(١٣) أي: بالصدق ﴿وإنك لمن المرسلين﴾ أي: أنت من هؤلاء الذين قصصت آياتهم، لأنك قد أعطيت مثل ما أعطوا وزيادة^(١٤).

﴿تَلِكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَعَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

(١) أحمد بن محمد بن محمد بن المقيرة بن سيار نسب إلى جده أبي حميد الحمصي شيخ الطبري روى عنه النسائي ووثقه وقال ابن أبي حاتم كتبت عنه وهو صدوق ثقة.

(حاشية الطبري ٣٧٤/٥)

(٢) يحيى بن سعيد الحمصي العطار الأنصاري كان صاحب حديث ورحلات إلى مصر والعراق والحرمين قال ابن مضي: ثقة وقال ابن معين: ضعيف وقال أبو داود جائر الحديث وقال ابن خزيمة: لا يحتج به «يحيى بن سعيد، حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة عن ابن عمر - مرفوعاً - «إن الله ليدفع بالمسلم... الحديث» (الميزان ٣٧٩/٤ - ٣٨٠).

(٣) حفص بن سليمان المعافري الكوفي قاضي الكوفة وتلميذ عاصم، حدث عن غلقة بن مرثد وجماعة وعاش تسعين سنة وهو متروك الحديث حجة في القراءات توفي سنة ١٨٠ هـ. (شذرات ٢٩٣/١).

(٤) محمد بن سوقة أبو بكر الغنوي الكوفي سمع سعيد بن جبير وإسماعيل بن زكريا ومروان بن معاوية وغيرهم روى له البخاري ومسلم (كتاب الجمع ٤٣٩/٢).

(٥) وبرة بن عبد الرحمن السلمى - ويقال الحارثي - من مذبح يكنى أبا خزيمة ويقال أبو العباس - يعد في الكوفيين سمع ابن عمر وسعيد بن جبير وهنتم بن الحارث. (كتاب الجمع ٥٤٥/٢).

(٦) في (د): لولا.

(٧) الحديث: انظر الدر ٣٢٠/١ «أخرجه ابن جرير وابن عدي بسند ضعيف وكذا في فتح القدير ٢٦٨/١ والجامع الصغير ٧٢/١ - ٧٣ رواه الطبراني عن ابن عمر ورمز له بالضعيف وتفسير الطبري ٣٧٤/٥ قال المحقق: «الحديث ذكره ابن كثير وقال: هذا إسناد ضعيف وذكره السيوطي في الدر ٣٢٠/١ وعزاه لابن عدي بسند ضعيف، وذكره الذهبي في الميزان في ترجمة يحيى بن سعيد العطار بهذا الإسناد».

وانظر تفسير ابن كثير ٣٠٣/١ عن ابن عمر نقلاً عن ابن جرير وقال «وهذا إسناد ضعيف فإن يحيى هذا هو ابن العطار الحمصي وهو ضعيف جداً».

وانظر الضعفاء الكبير ٤٠٣/٤ - ٤٠٤ في ترجمة يحيى العطار - ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب الأدب - باب ما جاء في الجار - عن ابن عمر «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه يحيى بن سعيد العطار وهو ضعيف» (١٦٤ - ١٦٣/٨).

(٨) ساقطة من (هـ).

(٩) في (د): أي.

(٩) في (د): يأخذهم.

(١٣) في (د): جبريل بالصدق.

(١٠) في (د): قوله تعالى.

(١٤) قاله الزجاج ٣٣٠/١.

(١١) انظر الزجاج ٣٢٩/١.

الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدَنَّهُ رُوحَ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
وَلَكِنْ اُخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾
يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾

قوله (١) ﴿تلك الرسل﴾ يعني: جماعتهم ﴿فضلنا بعضهم على بعض﴾ أي: أنهم لا يسوى بينهم في
الفضيلة وإن استووا في القيام بالرسالة.

وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ: قال «لا تخيروا بين الأنبياء» (٢) وفي هذا نهي عن الخوض في تفضيل
بعض الأنبياء على بعض، فنستفيد من الآية معرفة أنهم متفاوتون في الفضيلة، وننتهي عن الكلام في ذلك لنهيه ﷺ.

وقوله ﴿منهم من كلم الله﴾ يعني: موسى (٣) ﴿ورفع بعضهم درجات﴾ قال مجاهد (٤) أرسل الله محمداً إلى
الناس كافة وقال الزجاج (٥): ليس شيء من الآيات التي أعطاها الأنبياء إلا وقد (٦) أعطى محمداً عليه السلام (٧) وأكثر،
وقال الربيع بن خيثم (٨): لا نفضل على نبينا أحداً ولا نفضل على خليل الله (٩) أحداً.

وقوله ﴿وءاتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾ تقدم فيما سبق تفسير (١٠) هذا ﴿ولولوا شاء الله ما
اقتتل الذين من بعدهم﴾ يعني: من بعد الرسل ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ يعني: من بعدما وضحت لهم البراهين
﴿ولكن اختلفوا فمنهم من ءامن﴾ (١١) ثبت على إيمانه ﴿ومنهم من كفر﴾ كالنصارى بعد المسيح، اختلفوا فصاروا فرقا
ثم تحاربوا ﴿ولولوا شاء الله ما اقتتلوا﴾ كرر المشيئة باقتنائهم (١٢) تأكيداً للأمر، وتكذيباً لمن زعم أنهم فعلوا ذلك من عند
أنفسهم لم يجز به قضاء من الله تعالى ولا قدر (١٣)، ثم قال ﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾ فيوفق من يشاء فضلاً، ويخذل
من يشاء عدلاً.

كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا أنفقوا مما رزقناكم﴾ قال الحسن (١٤): أراد الزكاة المفروضة وقال أبو

(١) في (د): قوله تعالى.

(٢) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب الخصومات - باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي (٦٠/٢).

وأبو داود - كتاب السنة - باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام رقم ٤٦٦٨، (٢١٧/٤) كلاهما من حديث أبي سعيد.

(٣) ونبينا وآدم (انظر فتح القدير ١/٢٦٩).

(٤) انظر تفسير الطبري ٥/٣٧٨ والدر ١/٣٢٢ كلاهما عن مجاهد والزجاج ١/٣٣٠.

(٥) انظر الزجاج ١/٣٣٠.

(١٠) في (د): تقدم قبل تفسير هذا.

(١١) في (د): إلا والذي.

انظر تفسير الآية ٨٧ من سورة البقرة.

(٧) في غير (أ) محمداً ﷺ أكثر.

(١١) في (د): فمنهم من ثبت على إيمانه.

(٨) انظر الدر ١/٣٢٢ عن الربيع.

(١٢) في (ح): بأمثالهم.

(٩) في (د): خليل الله إبراهيم أحداً، قوله.

(١٣) «قال الفاضل في المعالم: سألت رجلاً علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، فقال: طريق مظلم لا
تسلكه، فأعاد السؤال فقال: بحر عميق فلا تلجه، فأعاد السؤال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه» (حاشية أ).

(١٤) انظر غرائب النيسابوري ٣/١٠ والبحر ٢/٢٧٥ كلاهما عن الحسن، وانظر الوجيز للواحي ١/٧٣ والطبري ٥/٣٨٢ عن ابن جريج =

إسحاق^(١): أي أنفقوا في الجهاد وليعن بعضكم بعضاً ﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه﴾ يعني: يوم القيامة، يريد: لا يؤخذ في ذلك اليوم بدل ولا فداء. فذكر لفظ البيع لما فيه من المعاوضة، وأخذ البدل ﴿ولا خلة﴾ «والخلة»^(٢): مصدر الخليل^(٣)، والخلة تنقطع يوم القيامة بين الأخلاء إلا المتقين، كقوله^(٤) ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾^(٥).

وقوله ﴿ولا شفاعة﴾ إنما نفى الشفاعة عاما، لأنه أراد الكافرين، بأن هذه الأشياء لا تنفعهم، ألا ترى أنه قال ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ أي: هم الذين وضعوا أمر الله غير موضعه^(٦).

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

قوله^(٧) ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾:

أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المهرجاني. أخبرنا عبيد الله بن محمد بن محمد الزاهد، أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، حدثنا^(٨)، هارون بن إسحاق^(٩) حدثنا محمد بن عبد الوهاب السكري^(١٠) عن سفيان^(١١) عن

- = «قال: من الزكاة والتطوع» وانظر فتح القدير ٢٧٠/١ «قال ابن عطية: ما تقدم من الآيات في ذكر القتال... يترجح منه أن هذا الندب إنما هو في سبيل الله» وكذا في البحر ٢٧٥/٢ عنه.
- (١) انظر الزجاج ٣٣٢/١ والبحر ٢٧٥/٢ عن الأصم.
- (٢) في (د): والخلة.
- (٣) انظر مجاز القرآن ٧٨/١ وفي (اللسان / خلل) قال الزجاج: والخلة الصداقة يقال: «خاللت الرجل خلالاً».
- (٤) في (هـ): لقوله.
- (٥) سورة الزخرف / ٦٧ وفي (د): «... بعضهم لبعض» الآية، قوله.
- (٦) «روى ابن أبي حاتم عن عطاء بن دينار أنه قال: الحمد لله الذي قال (والكافرون هم الظالمون) ولم يقل: والظالمون هم الكافرون» (انظر تفسير ابن كثير ٣٠٤/١ والطبري ٣٨٥/٥ والبحر ٧٦/٢ وغرائب النيسابوري ١٠/٣).
- (٧) في (ح، هـ): قوله عز وجل، وفي (د): قوله تعالى.
- (٨) في (د): أخبرنا.
- (٩) هارون بن إسحاق بن محمد بن زبيد الهمداني أبو القاسم الكوفي الحافظ روى عن أبيه وحفص بن غياث وابن عيينة والمحارب ومعتمر بن سليمان وعبد الرزاق وغيرهم وعنه البخاري والترمذي والنسائي ذكره ابن حبان في الثقات قال التلمساني: نعم الشيخ توفي سنة ٢٥٨ (تهذيب - التهذيب ٢/١١ - ٣ - والكاشف ٢١٣/٣).
- (١٠) محمد بن عبد الوهاب القناد السكري أبو يحيى الكوفي مولى قيس بن ثعلبة أصبهاني الأصل روى عن أبي حنيفة ومسعر والثوري وغيرهم وعنه هارون بن إسحاق الهمداني وغيره وثقه أحمد وأبو حاتم وقال الترمذي: شيخ ثقة توفي سنة ٢١٢ هـ.
- (تهذيب التهذيب ٣٢٠/٩ - ٣٢١).
- (١١) سبق.

سعيد بن اياس الجريري، عن أبي السليل (١) عن عبد الله بن رباح (٢) عن أبي بن كعب (٣) أن النبي ﷺ قال له (٤): «أي آية من كتاب (٥) الله أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، حتى أعادها ثلاثاً، ثم قلت: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ قال: فضرب على صدري، ثم قال: ليهنك العلم أبا المنذر».

رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي بن شيبه (٦) عن عبد الأعلى (٧)، عن الجريري (٨).

أخبرنا مسعود بن علي بن معاذ (٩)، أخبرنا محمد بن حمدويه القاضي (١٠) أخبرنا خلف بن محمد (١١)، حدثنا محمد بن حريث (١٢) حدثنا إسحاق بن حمزة (١٣) حدثنا عيسى بن موسى الفنجاري (١٤)، عن ابن كيسان (١٥)، حدثني يحيى بن عقيل (١٦) عن يحيى بن يعمر (١٧)، عن ابن عمر: أنه خرج - يعني عمر - ذات يوم والناس سمامان (١٨)،

(١) في (ح): أبو السنابل، وهو: أبو السليل ضريب بن نفيير بن سمير القيسي البصري سمع عبد الله بن رباح الأنصاري وروى عنه الجريري وسليمان التيمي (كتاب الجمع ١/ ٢٢٩).

(٢) عبد الله بن رباح الأنصاري البصري أبو خالد كانت الأنصار تفقهه سمع أبا قتادة وعمران بن حصين وأبي بن كعب وأبنا هريرة وعبد الله بن عمر وعنه وأبو عمران الجوني وأبو السليل ضريب بن نفيير وثابت البناني (كتاب الجامع ١/ ٢٧٢).

(٣) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الخزرجي الأنصاري أبو المنذر سيد القراء شهد العقبة الثانية وبدراً وما بعدها، قال أنس جمع القرآن أربعة - يعني من الأنصار - أبي بن كعب ومعاذ بن جبل - وزيد بن ثابت وأبو زيد، قرأ عليه النبي ﷺ بأمر الله وتسميته، وهو أول من كتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ توفي سنة ٢٠ وقيل سنة ٢٣ هـ (البداية والنهاية ٥/ ٣٤٠ - ٣٤١).

(٤) في (هـ): أن النبي ﷺ قال. (٥) في كتاب الله. (٦) سبق.

(٧) عبد الأعلى بن عبد الأعلى بن حماد أبو محمد السامي البصري ولقبه أبو همام من بني سامة بن لؤي - سمع من سعيد بن أبي عروبة وعبيد الله بن عمر وسعيد الجريري وحמיד الطويل ومعمّر توفي سنة ٢١٨ هـ (الجمع ١/ ٣٢١).

(٨) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الصلاة - باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي (١/ ٣٢٣) وأبو داود - كتاب الصلاة - باب ما جاء في آية الكرسي رقم ١٤٦٠، (٢/ ٧٢) والمستدرک - كتاب معرفة الصحابة - باب فضائل أبي بن كعب وصححه (٣/ ٣٠٤) كلهم من حديث أبي بن كعب.

(٩) مسعود بن علي بن معاذ بن محمد بن معاذ الحافظ المفيد الإمام أبو سعيد السجزي ثم النيسابوري الوكيل تلميذ أبي عبد الله الحاكم توفي سنة ٤٣٨ هـ وقيل سنة ٤٣٩ هـ (تذكرة الحافظ ٣/ ١١١٨).

(١٠) سبق.

(١١) في (ج، هـ): خلف بن محمد الخيام ببخاري: وهو: خلف بن محمد الخيام البخاري أبو صالح مشهور أكثر عنه ابن منده قال الحاكم: سقط حديثه، وقال أبو يعلى: خلط وهو ضعيف جداً توفي سنة ٣٥٠ هـ (الميزان ١/ ٦٦٢).

(١٢، ١٣) لم أقف عليهما.

(١٤) عيسى غنجار أبو أحمد البخاري محدث ما وراء النهر، رحل وحمل عن سفيان الثوري وطبقته قال الحاكم: هو إمام عصره طلب العلم على كبر السن وطوف يروي عن مائة شيخ وحديثه عن الثقات مستقيم توفي سنة ٨٦ هـ (شذرات ١/ ٣١٠).

(١٥) ابن كيسان: صالح بن كيسان المرزوي محمد - ويقال أبو الحارث - الغفاري مولا هم مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز سمع من الزهري وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وعروة ونافع والأعرج وغيرهم توفي بعد الأربعين ومائة (كتاب الجمع ١/ ٢٢٠ - ٢٢١).

(١٦) يحيى بن عقيل البصري الخزاعي سمع يحيى بن يعمر وروى عنه واصل مولى ابن عيينة وعزرة بن ثابت روى له مسلم. (كتاب الجمع ٢/ ٥٧٢).

(١٧) يحيى بن يعمر القاضي أبو سليمان - ويقال أبو عدي - العدواني البصري الفقيه قاضي مرو. روى عن أبي ذر وعائشة وأبي هريرة وابن عمر وعنه يحيى بن عقيل وعبد الله بن بريدة وقاتدة وغيرهم، أول من نطق المصاحف وكان أحد الفصحاء والفقهاء متفق على توثيقه

قيل مات سنة ١٢٨. (تذكرة الحفاظ ١/ ٧٥ - ٧٦، والجمع ٢/ ٥٦٥).

(١٨) «سماطان: جانبان أو فريقان (حاشية أ، هـ) وانظر اللسان / سمط».

فقال: يا أيها الناس أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن؟ فسكت القوم، فقال: هل فيكم ابن أم عبد^(١)؟ قالوا: نعم، وكان قد^(٢) جاء في أخريات الناس، فأوماً^(٣) إليه وقال: ها هنا يا أبا عبد الرحمن^(٤) فدنا منه، قال: هل أتت مخبري بأعظم آية في القرآن؟ فقال: على الخبير سقطت^(٥)، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إن أعظم آية في القرآن ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم...﴾ إلى آخرها^(٦).

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصر أبادي أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن علي القفال حدثنا الحسين بن موسى بن خلف^(٧)، حدثنا إسحاق بن رزيق^(٨) حدثنا إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي^(٩) حدثنا ابن جريح، عن أبي الزبير^(١٠) عن جابر بن عبد الله قال:

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة خرقت^(١١) سبع سموات فلم يلتئم خرقها حتى ينظر الله إلى قائلها فيغفر له، ثم يبعث الله^(١٢) إليه ملكاً فيكتب حسناته ويمحو سيئاته إلى الغد من تلك الساعة»^(١٣).

وقوله ﴿الله﴾: رفع بالابتداء، وما بعده خبره ﴿لا إله إلا هو﴾ نفي إله سواه تأكيد وتحقيق لإلهيته، لأن قولك: لا كريم إلا زيد أبلغ من قولك: زيد كريم.

(١) «عبد الله بن مسعود» (حاشية أ).

(٢) في (أ، هـ): وكان جاء.

(٣) في (ج، هـ): فأوماً.

(٤) في (د): ها هنا أبا، وفي المطبوعة: ها هنا يا عبد الرحمن.

(٥) على الخبير سقطت أي: على العارف به وقعت، وهو مثل سائر للمرب.

(اللسان / سقط، وحاشية أ).

(٦) الحديث: رواه الطبراني في الكبير ١٤٢/٩ - ١٤٣ عن ابن مسعود موقوفاً والهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب التفسير «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (٣٢٣/٧)» والدر ١/٣٢٣ أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر والطبراني وابن الضريس والبيهقي في الشعب والهريري في فضائله. تفسير ابن كثير ١/٣٥٧.

(٧) الحسين بن موسى بن ناصح بن يزيد الخفاف الرسعني أبو سعيد، قدم بغداد وحدث بها روى عنه محمد بن خلف بن حبان وروى ويحيى بن صاعد ومحمد بن مخلد وأبو ذر القراطيسي (الأنساب ١١٩/٦).

(٨) إسحاق بن رزيق الرسعني من أهل رأس العين يروي عن أبي نعيم الملائي وكان راوياً لإبراهيم بن خالد توفي سنة ٢٥٩ هـ (الأنساب ١١٩/٦).

(٩) إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله أبو يحيى التيمي عن أبي سنان الشيباني وابن جريح وطائفة قال ابن عدي: يحدث عن الثقات بالباطيل وقال غيره: كذاب (المغني في الضعفاء ٨٩/١).

(١٠) محمد بن مسلم بن تدرس أبو الزبير المكي القرشي مولى حكيم بن حزام سمع جابر بن عبد الله وعنه ابن جريح مقروناً بعباء بن علي رباح توفي سنة ١٢٨ هـ. (كتاب الجمع ٤٤٩/٢).

(١١) في (هـ) فرقت.

(١٢) في (ج، د): ثم يبعث الله ملكاً وفي (هـ): ثم يبعث إليه ملكاً.

(١٣) الحديث: ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وأعله بقوله: «قال ابن عدي: هذا حديث باطل لا يرويه عن ابن جريح إلا إسماعيل بن يحيى كان يحدث عن الثقات الأباطيل، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات وما لا أصل له عن الإثبات لا تحل الرواية عنه بحال، وقال الدارقطني: كذاب متروك وقال أبو الفتح الأزدي ركن من أركان الكذب». (انظر الموضوعات ٢٤٣/١ - ٢٤٤) وانظر تنزيه الشريعة المرفوعة ٢٨٦/١ واللالء ٢٣٢/١ والفوائد ٢٩٩ - ٣٠٠.

﴿الحي﴾ من له الحياة، وهي صفة تخالف الموت وذا الجمادية ومعنى ^(١) ﴿الحي﴾ في صفة الله ^(٢):
الدائم البقاء ^(٣). و﴿القيوم﴾: مبالغة من القائم قال مجاهد ^(٤): ﴿القيوم﴾: القائم على كل شيء وتأويله: أنه قائم
بتدبير أمر الخلق في إنشائهم، وأرزاقهم، وقال الضحاك ^(٥): ﴿القيوم﴾ الدائم الوجود وقال أبو عبيدة ^(٦) الذي لا يزول
الاستقامة وصف بالوجود حيث لا يجوز عليه التغير بوجه من الوجوه.

وقوله ^(٧) ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ «السنة»: ثقل النعاس، وهو مصدر، يقال ^(٨): وسين يوسن سنة ووسنا ^(٩):
و﴿النوم﴾: الغشبية الثقيلة التي تهجم على القلب فتقطعه عن معرفة الأمور.

وقال الفضل ^(١٠) السنة في الرأس والنوم في القلب. والمعنى: أنه لا يغفل عن تدبير الخلق والعلم بالأشياء.

وقوله ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه﴾ استفهام معناه: الإنكار والنفي أي: لا يشفع عنده أحد إلا بأذنه
وأمره ^(١١)، وذلك: أن المشركين كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم ^(١٢)، فأخبر الله تعالى أنه لا شفاعاة عنده لأحد إلا
بأذنه، يعني: شفاعاة النبي ﷺ وشفاعة بعض المؤمنين لبعض.

وقوله ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ قال مجاهد وعطاء والسدي ^(١٣): ﴿ما بين أيديهم﴾ من أمر الدنيا
﴿وما خلفهم﴾ من أمر الآخرة. وقال الضحاك والكلبي ^(١٤): ﴿ما بين أيديهم﴾ يعني الآخرة لأنهم يقدمون عليها ﴿وما
خلفهم﴾ الدنيا، لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم.

وقوله ^(١٥) ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾ قال الليث ^(١٦): يقال لكل من أحرز شيئاً أو بلغ علمه أقصاه: قد أحاط

به.

(١) في (هـ): ومضى.

(٢) في (د): الله تعالى.

(٣) انظر الزجاج ٣٣٣/١ والطبري ٣٨٦/٥ - ٣٨٧.

(٤) انظر تفسير مجاهد ص ١١١ والدر ٣٢٧/١ والزاهر ١٨٦/١ وفتح القدير ٢٧٣/١.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٦ والطبري ٣٨٩/٥ عن الضحاك.

(٦) انظر مجاز القرآن ٧٨/١ والدر ٣٢٧/١ وفتح القدير ٢٧٣/١ كلاهما عن الحسن.

(٧) في (د): قوله.

(٨) ساقطة من (د).

(٩) وقال الضحاك: «السنة»: الوسنة وهو دون النوم و«النوم»: الاستقال (الطبري ٣٩١/٥) و«السنة»: النعاس من غير نوم، نعاس يبدأ

في الرأس فإذا صار إلى القلب فهو نوم والسنة: ثقل النوم وقيل: النعاس، وهو أول النوم (اللسان / وسنن).

(١٠) انظر فتح القدير ٢٧١/١ عن المفضل وزاد: «والنعاس في العين» وكذا في القرطبي ٢٧٢/٣ والدر ٣٢٧/١.

(١١) في (د): أي بأمره.

(١٢) في (ج، هـ): أن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويزعمون أنها شفيع. انظر هذا المعنى في معاني القرآن للزجاج ٣٣٤/١ وغرائب

النيسابوري ١٧/٣.

(١٣) انظر الدر ٣٢٧/١ وفتح القدير ٢٧٣/١ كلاهما عن مجاهد، والطبري ٣٩٦/٥ عن مجاهد والسدي وابن جريج: وغرائب النيسابوري

١٧/٣ عن مجاهد والسدي والوجيز للواحدي ٧٣/١.

(١٤) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٦ وغرائب النيسابوري ١٧/٣ - ١٨ عن الضحاك والكلبي.

(١٥) في (د): قوله.

(١٦) انظر تفسير الرازي ١١/٧ عن الليث والطبري ٣٩٦/٥ واللسان / حوط.

﴿من علمه﴾ أي: من معلومه، والمفعول يسمى (١) بالمصدر.

وقوله ﴿إلا بما شاء﴾ إلا بما أنبأ به الأنبياء ليكون دليلاً على ثبوت نبوتهم قال ابن عباس (٢): يريد: ما أطلعتهم على علمه.

وقوله ﴿وسع كرسیه السموات والأرض﴾ يقال: وسع فلان الشيء يسعه سعة إذا احتمله وأطاقه وأمكنه القيام به. ويقال: لا يسعك هذا أي: لا تطيقه ولا تحتمله (٤).

وأما «الكرسي» فقال ابن عباس في رواية عطاء والسدي (٥): إنه الكرسي بعينه وهو لؤلؤ، وما السماوات السبع هي الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس والمعنى: إن كرسیه مشتمل بعظمه على السموات والأرض.

قال أبو إسحاق الزجاج (٦): وهذا القول بين لأن الذي نعرفه من الكرسي في اللغة هو (٧) الشيء الذي يعتمد عليه ويجلس عليه، وهذا (٩) يدل على أن الكرسي عظيم عليه السموات والأرضون (١١). وقال بعضهم (١١): ﴿كرسيه﴾: سلطانه وملكه ويكنى عن الملك بالكرسي (١٢).

وروى سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال (١٣): وسع علمه السموات والأرض، وقال أبو إسحاق الزجاج (١٤):

الله أعلم بحقيقة الكرسي إلا أن جملته: انه (١٥) أمر عظيم من أمره. وقوله ﴿ولا يئوده حفظهما﴾ أي لا يثقله ويجهد به يقال: آده يؤوده أوداً إذا اثقله (١٦).

وقوله ﴿وهو العلي العظيم﴾ يقال: علا يعلو علوا فهو عال «وَعَلَى» مثل: عالم وعليم وسماع وسميع، والله (١٧) تعالى على بالاعتدار، ونفوذ السلطان، وعلي عن الأشباه والأمثال (١٨)، يقال: علا فلان عن هذا، إذا كان أرفع محلاً عن

(١) في (د): باسم المصدر.

(٢) انظر الدر ٣٢٩/١ عن ابن عباس وابن كثير ٣٠٩/١.

(٣) في (ج، د) مما اطلعهم وفي (هـ): بما اطلعهم.

(٤) انظر غرائب النيسابوري ١٨/٣ واللسان / وسع.

(٥) انظر الدر ٣٢٨/١ - ٣٢٩ عن ابن عباس وعلي والطبري ٣٩٩/٥ عن ابن زيد وابن كثير ٣٠٩/١ عن ابن زيد:

(٦) انظر الزجاج ٣٣٤/١.

(٧) في (د): والأرض.

(٨) من (د).

(٩) في (هـ): قال بعضهم.

(١٠) في (د): يتعمد.

(١١) انظر فتح القدير ٢٧٢/١.

(١٢) في (هـ): فهذا.

(١٣) انظر الدر ٣٢٧/١ وابن كثير ٣٠٩/١ وفتح القدير ٢٧٣/١ والوجيز للواحدي ٧٣/١ والطبري ٣٧/٥ كلها عن ابن عباس ورجح الطبري. وانظر الزجاج ٣٣٥/١ والثوري ص ٧١ وفتح الباري ١٦٠/٨.

(١٤) انظر الزجاج ٣٣٥/١.

(١٥) في المطبوعة: جملته أمر.

(١٦) «(ولا يئوده) أي: لا يثقله، يقال: آده الشيء يؤوده، وآده يئوده والوَادُ. الثقل» (انظر غريب القرآن ص ٩٣ والزاهر ٥٠٥/١ والأخفش ٣٧٩/٢، ومجاز القرآن ٧٨/١، ١٢٢/٢).

(١٧) انظر اللسان / علا.

(١٨) في (د) والله.

الوصف به، فمعنى العلو في وصف الله تعالى: اقتداره وقهره واستحقاقه صفات المدح.
و﴿العظيم﴾ معناه: أنه عظيم الشأن لا يعجزه شيء ولا نهاية لمقدوره ومعلومه.

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
هُم فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

قوله ﴿لا إكراه في الدين﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم^(١): معنى الآية: لا إكراه في الدين بعد
إسلام العرب، وذلك: أن العرب كانت أمة أمية لم يكن لهم دين ولا كتاب فلم يقبل منهم إلا الإسلام أو^(٢) السيف،
وأكرهوا على الإسلام، ولم تقبل منهم الجزية، فلما أسلموا ولم يبق منهم أحد إلا دخل في الإسلام طوعاً أو كرهاً
أنزل^(٣) الله هذه الآية، فلا يكره على الإسلام أهل الكتاب فإذا أقرؤا بالجزية تركوا.

وقوله ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾ أي: ظهر الإيمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الحجج والآيات الدالة.
و﴿الرشد﴾: إصابة الحق ويرادها هنا: الإيمان ﴿من الغي﴾ يقال غوى يغوي غياً وغبواً، إذا سلك خلاف
طريق الرشد^(٤). قوله^(٥) ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ قال جميع أهل اللغة: «الطاغوت» كل^(٦) ما عبد من دون الله يكون
واحداً وجمعاً، ومؤنثاً ومذكراً^(٧)، وهو في الأصل مصدر نحو الرغبوت والرهبوت.

قال ابن عباس والمفسرون^(٨): «الطاغوت»: الشيطان، وقيل: الأصنام^(٩) وقوله ﴿فقد استمسك بالعروة
الوثقى﴾ استمسك^(١٠) بالشيء: إذا تمسك به والعروة: جمعها عرى، وهي نحو عروة الدلو الكوز، و﴿الوثقى﴾ تأنيث^(١١)
الأوثق.

(١) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٧ والطبري ٤١٣/٥ - ٤١٤ عن قتادة والضحاك وابن عباس والدر ٣٣٠/١ عن قتادة والحسن والبحر
٢٨١/٢ عن الكلبي وفتح القدير ٢٧٥/١.

(٢) في (هـ): الإسلام والسيف.

(٥) في (ج، هـ): وقوله.

(٣) في (د): فأنزل.

(٦) في (هـ): كلما.

(٤) انظر المعنى في فتح القدير ٢٧٥/١، واللسان / غوى.

(٧) انظر التبيان ٣٠٥/١ والمشكل ١٣٧/١، والبيان ١٦٩/١ ومجاز القرآن ١٢٩/١، وانظر الدر ٣٣٠/١ عن مالك بن أنس وكذا فتح
القدير ٢٧٦/١ - ٢٧٧ والطبري ٤١٩/٥ وابن كثير ٣١١/١.

(٨) في (ج، هـ): أن الطاغوت.

وانظر تفسير ابن عباس ص ٣٦ والزجاج ٣٣٦/١ والدر ٣٣٠/١ عن عمر ومجاهد وفتح القدير ٢٧٦/١ عن عمر والطبري ٤١٧/٥ عن
عمر ومجاهد والشعبي والضحاك وقتادة، والسدي وكذا في البحر ٢٨٢/٢ وغرائب النيسابوري ٢٠/٣ عن عمر، والرازي ١٦/٧ عن
عمر ومجاهد وقتادة.

(٩) انظر مجاز القرآن ٧٩/١ والطبري ٤٦١/٨ عن عكرمة وغرائب النيسابوري ٢٠/٣ عن أبي العالية والبحر ٢٨٢/٢.

(١١) في (ح): تأنيثه.

(١٠) ساقطة من (هـ).

قال عطاء عن ابن عباس: العروة الوثقى^(١) شهادة أن لا إله إلا الله وأن ما جاء به محمد ﷺ حق وصدق وقال مجاهد^(٢): هي الإيمان.

وقوله ﴿لا انفصام لها﴾ «الفصم»: كسر الشيء من غير إبانة، يقال: فصمته فانفصم^(٣) قال ابن عباس^(٤): لا انقطاع لها دون رضا الله ودخول الجنة ﴿والله سميع﴾ لدعائك يا محمد بإسلام أهل الكتاب ﴿عليم﴾ بحرصك واجتهادك.

قوله ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ أي: معينهم وناصرهم ومتولي أمورهم، والذي يقرب منهم بالهون والنصرة. وقوله^(٥) ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ أي: من الكفر والضلال إلى الإيمان والهداية ﴿والذين كفروا أولياؤهم﴾^(٦) الطاغوت يعني: رؤساء الضلالة، مثل كعب بن الأشرف^(٧) وحيي بن أخطب^(٨) ﴿يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ يعني اليهود وكانوا مؤمنين بمحمد ﷺ قبل أن بعث، لما يجدونه في كتابهم فلما بعث جحدوه وكفروا به.

وروى مجاهد عن ابن عباس في هذه الآية قال^(٩): كان قوم آمنوا بعيسى وقوم كفروا به، فلما بعث الله محمداً^(١٠) آمن به الذين كفروا بعيسى وكفر به الذين آمنوا بعيسى، فقال الله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ من كفر بعيسى إلى إيمان بمحمد ﷺ^(١١) ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ قال: من إيمان بعيسى إلى كفر بمحمد ﷺ.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ

- (١) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٦ والدر ٣٣٠/١ عن ابن عباس وابن كثير ٣١١/١ عن سعيد بن جبیر والضحاك وكذا الطبري ٤٢١/٥ - ٤٢٢ وفتح القدير ١٧٧/١ عن ابن عباس.
- (٢) انظر تفسير مجاهد ١١٥ والدر ٣٣٠/١ وابن كثير ٣١١/١ وفتح القدير ٢٧٧/١ والطبري ٤٢١/٥ كلها عن مجاهد.
- (٣) انظر غريب القرآن ٩٣ ومجاز القرآن ٧٩/١.
- (٤) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٦، والدر ٣٣٠/١ عن معاذ بن جبل وفتح القدير ٢٧٧/١ عن معاذ.
- (٥) في (د) قوله.
- (٦) في (أ، د، هـ): أولياؤهم.
- (٧) كعب بن الأشرف الطائي من بني نبهان شاعر جاهلي كانت أمه من بني النضير فدان باليهودية وكان سيداً في أخواله يقيم في حصن له قريب من المدينة وما يزال باقياً إلى اليوم أدرك الإسلام ولم يسلم وأكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه وتحريض القبائل عليهم أمر النبي ﷺ بقتله سنة ٣ هـ (الأعلام ٧٩ - ٨٠).
- (٨) حيي بن أخطب النضري جاهلي من الأشداء المعتاة كان ينعت بسيد الحاضر والبادي، أدرك الإسلام وأدى المسلمين فأسروا يوم قريظة ثم قتلوه سنة ٥ هـ.
- (الأعلام ٣٢٠/٢).
- (٩) في (جـ): بمحمد عليه السلام، وفي (هـ): برسول الله ﷺ.
- (١٠) انظر الدر ٣٣٠/١ عن ابن عباس ومجاهد ومقسم، وفتح القدير ٢٧٧/١ عن ابن عباس والطبري ٤٢٦/٥ عن مجاهد ومقسم، ومجمع الزوائد - كتاب التفسير - عن ابن عباس رواه الطبراني وفيه أبو بلال الأشعري وهو ضعيف ٢٢٣/٦.
- (١١) في (هـ): محمداً ﷺ.
- (١٢) ساقطة من (ج، هـ).

قَالَ أَنَا أَحْيَى وَأَمِيتٌ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

قوله ﴿ألم تر إلى الذي حاج [إبراهيم في ربه]﴾^(١) أي: هل انتهت رؤيتك يا محمد إلى من هذه صفته؟ وفي هذا تعجيب للمخاطب و«حاج» جادل وخاصم، وهو نمرود بن كنعان^(٢).

وقوله ﴿أن آتاه الله الملك﴾^(٣) أي: لأن آتاه الله، يريد: بظر الملك حملة على محاجة إبراهيم.

قال ابن عباس^(٤): إن إبراهيم دخل بلدة نمرود ليمتار^(٥)، فأرسل^(٦) إليه نمرود، وقال: من ربك؟ ﴿قال [إبراهيم] ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود ﴿أنا أحيي وأميت﴾ أقتل من شئت، وأستحيي من شئت، فسمى ترك القتل إحياء وعارضه في الحججة بالعبارة دون فعل حياة أو موت على سبيل الاختراع.

وقرأ نافع ﴿أنا﴾ بإثبات ألف بعد النون^(٧) وذلك إنما يجوز في الوقف دون الوصل ولكنه أجرى الوصل مجرى الوقف، وأثبت الألف كما أنشد الكسائي:

أنا سيف العشيرة فاعرفوني حميد قد تذرَّيت السناما^(٨)

فاحتج إبراهيم بحجة مسكتة لا يمكنه أن يقول أنا أفعل ذلك وهو قوله ﴿قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر﴾ أي: تحير أوسكت وانقطعت حجته يقال: بهت الرجل فهو مبهور، إذا تحير قال عروة^(٩):

فما هو إلا أن رآها فجاءة فأبهت حتى ما أكاد أجيب

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح) وفي (د): حاج إبراهيم إلى ربه.

(٢) انظر الدر ٣٣١/١ عن ابن عباس وقتادة وعلي ومجاهد والربيع والسدي وكذا في فتح القدير ٢٧٨/١ والطبري وهو نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ملك بابل الجبار وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الأرض وادعى الربوبية. (انظر تفسير ابن كثير ٣١٣/١ والطبري ٤٣٠/٥ والبحر ٢٦٨/٢ وحاشية أ).

(٣) في موضع نصب مفعول لأجله - عند سيويه - والعامل فيه (حاج). (التيان ٣٠٦/١، والبيان ١٦٩/١).

(٤) انظر الدر ٣٣١/١ عن زيد بن أسلم والسدي، وكذا كنز العمال ٣٦٤/٢ وابن كثير ٣١٣/١ عن زيد وفتح القدير ٢٧٨/١ عن زيد والطبري ٤٣٣/٥ - ٤٣٥ عن زيد.

(٥) «الميرة: الطعام يمتاره الإنسان والميرة: جلب الطعام وهم يمتارون لأنفسهم ويميرون غيرهم ميراً وقد مار عياله وأهله يميرون ميراً وامتار لهم» (اللسان / مير، وحاشية أ).

(٦) في (د): فأرسل الله إليه نمرود.

(٧) وقرأ غير نافع بطرح الألف بعد النون من (أنا) إذا وصلوا في كل القرآن وحجتهم أنها زائد للوقف. (انظر الحججة لأبي زرعة ١٣٢ والسبعة ١٨٧ - ١٨٨ والنشر ٢٣٠/٢ - ٢٣١ والتيان ١٠٧/١ والحججة لابن خالويه ص ٩٩ والبيان ١٧٠/١).

(٨) انظر البيت في تفسير القرطبي ٢٨٧/٣، وفتح القدير ٢٧٧/١ برواية «أنا شيخ... حميداً...» واللسان / أنن، والخزانة ٢٤٢/٥ «حميداً» نسب ياقوت هذا البيت - في حاشية الصحاح - إلى حميد بن بحدل وهو حميد بن حريث بن بحدل من بني كلب بن وبرة وينتهي نسبه إلى قضاعة وهو شاعر إسلامي وعمته مسون بنت بحدل أم يزيد بن معاوية (انظر الخزانة ٢٤٣/٥).

(٩) عروة بن خزام بن مهاجر أبو سعيد العذري كان شاعراً مغرمًا في ابنة عمه وهي عفراء بنت مهاجر واشتهر بحبها فارتحل أهلها من الحجاز إلى الشام فبعضهم عروة فخطبها فامتنع عمه فهلك عروة في حبها وقال هذا البيت ضمن قصيدته، توفي في زمن عثمان رضي الله عنه سنة ٣٠ هـ (الأعلام ١٧/٥، البداية والنهاية ٢٤٠/٧).

﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ لا يجعل جزاءهم على ظلمهم أن يهديهم^(١).

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ أَمْسٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَيْتُ قَالَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّيْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لِحَمًّا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿أو كالذي مر على قرية﴾ قال أكثر المفسرين: هو عزير^(٢)، والقرية هي إيليا وهي بيت المقدس أتى عليها عزير بعد أن^(٣) خربها بخت نصر البابلي^(٤).

وقوله^(٥) ﴿وهي خاوية﴾ أي: ساقطة متهدمة، يقال: خوى الحائط إذا تهدم^(٦) وهو أن ينقلع^(٧) من أصله، ومنه قوله تعالى: ﴿أعجاز نخل خاوية﴾^(٨) أي: منقلعة من أصولها^(٩).

وقوله ﴿على عروشها﴾ أي: على سقفوها، وذلك أن الحيطان كانت قائمة وقد تهدمت سقفوها، ثم انقلعت الحيطان فتساقطت على السقف^(١٠).

وقوله ﴿أنى﴾^(١١) يحيي هذه الله بعد موتها﴾ أي: أنى يعمرها بعد خرابها؟ استبعد أن يفعل الله ذلك، على معنى

= انظر البيت في معاني القرآن للزجاج ٣٣٩/١ والأخفش ٣٣٣/١ والكتاب ٥٤/٣ وديوان الحماسة ٦٧/٢ بزوايه: قال أبو صخر الهذلي:

وما هو إلا أن رآها فجاء فابتهت لا عرف لدي ولا نكر
والخزانة ١٧/٢، والرازي ٢٧/٧ والشاهد فيه: أن أبتهت بمعنى تحير والبيت من بحر الطويل.

(١) في (هـ): أن يهديهم الله تعالى.

(٢) عزير بن جروة - ويقال ابن سويق - بن عديا بن أيوب.. وينتهي إلى هارون بن عمران. وكان يحفظ التوراة فلما بلغ الأربعين أعطاه الله الحكمة.

(الدر ٣٣٢/١ والبداية والنهاية ٤٣/٢).

(٣) في (حـ): بعد أن خربه، وفي (د): بعد ما خربها.

(٤) بخت نصر البابلي كان في ابتداء أمره مسكيناً صعلوكاً مريضاً عالجه رجل كان يقرأ الكتب من بني إسرائيل أرسله ملك الفرس في عسكر إلى الشام وأمره عليهم فساروا وغنموا وعادوا سالمين، فلما كثرت في بني إسرائيل الأحداث والمعاصي دخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس فقتل بني إسرائيل وخرّب بيت المقدس وعاد إلى بابل وأقام في سلطانه إلى ما شاء الله. (الكامل لابن الأثير ٢٠١/١ - ٢٦٦).

وانظر أقوال المفسرين: في تفسير الثوري ص ٧١ والدر ٣٣١/١ - ٣٣٣ عن علي وابن عباس وعكرمة وقتادة وسليمان بن بريدة والضحاك والسدي وعبد الله بن سلام وكعب والحسن ووهب. والطبري ٤٣٩/٥ عنهم وكثر العمال ٢٦٤/٢ وابن كثير ٣١٤/١ عن

علي وغيره وفتح القدير ٢٧٩/١.

(٥) في غير (أ): وهو قوله.

(٧) في (د) إذا تهدم..

(٩) سورة الحاقة / ٧

(٦) في (حـ): (وهي خاوية على عروشها).

(٨) في (حـ) ينقطع..

(١٠) انظر اللسان / خرا

(١١) انظر غريب القرآن ٩٤، والدر ٣٣٣/١ عن السدي وفتح القدير ٢٧٩/١ عن السدي.

(١٢) ((أنى)): في موضع نصب بـ (يحيى) وهي بمعنى «متى» فعلى هذا تكون ظرفاً. ويجوز أن تكون بمعنى «كيف» فيكون موضعها حالاً=

أنه لا يفعل، فأحب الله تعالى أن يريه آية في نفسه وفي إحياء القرية ﴿فأماته الله مائة عام﴾ وذلك: أنه نام فنزع الله منه الروح مائة عام، وكان معه حمار وتين وعصير، فأمات الله حماره أيضاً، فلما مضت مائة سنة أحيا (١) الله تعالى منه عينيه، وسائر جسده ميت، ثم أحيا (١) جسده وهو ينظر ثم نظر إلى حماره فإذا عظامه (٢) بيض تلوح، فسمع صوتاً من السماء: أيتها العظام البالية إن الله يأمرك (٣) أن تكتسي لحماً وجلداً، فكان كذلك، ثم قام بإذن الله ونهق (٤) فذلك قوله ﴿ثم بعثه قال كم لبثت﴾ أي: كم أقمت ومكثت ها هنا؟ ﴿قال لبثت يوماً أو بعض يوم﴾ وذلك: أن الله تعالى أماته ضحى في أول النهار، وأحياه بعد مائة عام في آخر النهار قبل أن تغيب الشمس، فقال ﴿لبثت يوماً﴾ وهو يرى أن الشمس قد غربت، ثم التفت فرأى (٥) بقية من الشمس فقال ﴿أو بعض يوم﴾ بمعنى: بل بعض يوم ﴿قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك﴾ يعني: التين ﴿وشرابك﴾ يعني: العصير ﴿لم يتسنه﴾ لم يتغير ولم ينتن بعد مائة سنة (٦) و«التسنه»: التغير (٧).

وقال قرأ (لم يتسن) بغير هاء (٨)، أخذه من التسني وهو التغير أيضاً بمر السنين عليه.

قال ابن عباس (٩): نظر إلى التين فإذا هو كما اجتناه ونظر إلى العصير فإذا هو كهيئته لم يتغير.

وقوله ﴿وانظر إلى حمارك﴾ أراه الله علامة مكثه مائة سنة يبلى عظام حماره.

قوله (١٠) ﴿ولنجعلك آية للناس﴾ قال المفسرون (١١): جعله الله آية للناس بأن بعثه شاباً أسود الرأس واللحية،

وينوبه شيب.

= من «هذه» لما فيه من الاستفهام.

(انظر التبيان ٢٠٨/١، وفتح القدير ٢٧٩/١).

(١) في (ح): أحيا.

(٢) في (ه): عضاه.

(٣) في (ه): يأمركم.

(٤) في (ح): فنهق.

(٥) في (ه): فرى.

(٦) انظر المستدرک - كتاب التفسير - عن علي رضي الله عنه «صحيح على شرط الشيخين» والسدي، ٤٧١/٥ - ٤٧٢ عن الربيع وابن زيد

ووهب وغرائب النيسابوري ٣٥/٣ عن قتادة والربيع وابن زيد.

(٧) انظر غريب القرآن ٩٤ - ٩٥ وفتح الباري ١٦٠/٨ ومجاز القرآن ٨٠/١ والفراء ١٨٢/١ والبيان ١٧١/١.

(٨) قرأ حمزة والكسائي بحذف الهاء في الوصل، وحجتهم: أن العرب تقول في جميع السنة: سنوات، وفي تصغيرها: سنية، تقول:

سانيت مساناة، فالهاء زيدت لبيان حركة في حال الوقف، وتحذف في الوصل لزوال السبب، وكان الفراء يقول (لم يتسن): لم يتغير

من قوله (من حمأ مسنون) وكان الأصل لم يتسن فقلبت النون الأخيرة ياء استقلاً لثلاث نونات متواليات، وعند الجزم تسقط الياء، ثم

يلحق الفعل الهاء للوقف، فإذا وصل: حذفت لزوال العلة.

(انظر الحجة لأبي زرعة ١٤٢ - ١٤٣ والسبعة ١٨٨ - ١٨٩ والنشر ١٤٢/٢، والزجاج ٣٤٠/١ - ٣٤١ والتبيان ٢٠٩/١ والأخفش

٣٨١/١ والمصاحف لابن أبي داود ص ٤٩ والحجة لابن خالويه ص ١٠٠).

(٩) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٧، وابن كثير ٣١٤/١.

(١٠) من (د).

(١١) انظر الدر ٣٣٣/١ عن عكرمة وتفسير ابن عباس ص ٣٧ والفراء ١٧٣/١ والطبري ٤٧٤/٥ عن الأعمش وغرائب النيسابوري ٣٤/٣

وفتح القدير ٢٨٠/١ عن الأعمش.

وقوله ﴿وانظر إلى العظام﴾ يعني: عظام حمارك «كيف ننشرها» أي: نحيبها، يقال: أنشر الله الميت، قال الله تعالى: ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾^(١)، وقرأ حمزة والكسائي ﴿ننشرها﴾ بالزاي^(٢) من الإنشاز وهو الرفع^(٣).

يقال: أنشزته فنشز، أي: رفعته فارتفع ويقال لما ارتفع من الأرض: نشز ومعنى الآية: كيف نرفعها من الأرض فنردها إلى أماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض.

وقوله^(٤) ﴿قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ أي: قد علمت مشاهدة ما كنت أعلمه غيباً. وقرأ حمزة (بال علم) مجزوماً موصولاً على لفظ الأمر^(٥) كأنه أمر نفسه بذلك. ويجوز أن يكون الله تعالى قال له: أعلم أن الله على كل شيء قدير.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبُكَ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢﴾

قوله^(٦) ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ قال أكثر المفسرين: رأى إبراهيم جيفة بساحل البحر تتناولها^(٧) السباع والطيور ودواب البحر، ففكر كيف يجتمع ما قد تفرق من تلك الجيفة، وتطلعت نفسه إلى مشاهدة ميت يحييه ربه فقال ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ فقال الله عز وجل^(٨) ﴿أو لم تؤمن﴾ وهذه الألف للإيجاب والتقرير، يعني^(٩): أو لست قد آمنت ﴿قال بلى ولكن ليطمئن﴾^(١٠) قلبي. برؤية ما أحب وأشتي مشاهدة^(١١).

(١) سورة عبس ٢٢/ وانظر المعنى في غريب القرآن ٩٥، والتبيان ٢١٠/١، ومجاز القرآن ٨٠/١، والفراء ١٧٣/١.

(٢) ساقطة من (هـ).

(٣) قرأ عاصم وحمزة والكسائي (ننشرها: بالزاي، وقرأ الباقيون بالراء).

(٤) انظر الحجة لأبي زرعة ١٤٤ والسبعة ١٨٩ والنشر ٢٣١/٢ والزجاج ٢٤١/١، والتبيان ٢١٠/١.

(٥) ساقطة من (ح).

(٥) قرأ حمزة والكسائي بالجزم على الأمر وحجتهم: قراءة ابن مسعود (قيل أعلم) وكان ابن عباس يقرأها (قال أعلم) ويقول: أهو خير أم إبراهيم إذ قيل له (وأعلم أن الله عزيز حكيم)؟ وأيضاً ما تقدم (فانظر، وانظر، وانظر) فيكون هنا أيضاً (وأعلم).

وقرأ الباقيون بالرفع وحجتهم: ما جاء في التفسير قالوا: لما عاين من قدرة الله ما عاين ﴿قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ وقالوا:

فلا وجه لأن يؤمر بأن الله على كل شيء قدير وقد عاين وشاهد ما كان يستفهم عنه (انظر الحجة لأبي زرعة ١٤٤ - ١٤٥ والسبعة ١٨٩ والنشر ٢٣١/٢ - ٢٣٢ والزجاج ٣٤٢/١ والتبيان ٢١١/١ والفراء ١٧٣/١ - ١٧٤ والأخفش ٣٧٢/١ والمصاحف لابن أبي داود

٥٨).

(٦) في (د، هـ): قوله تعالى،

(٧) في (ج، د): تتناول.

(٨) في (هـ): فقارب.

(٩) في (د، هـ): الله تعالى.

(١٠) في (د): بمعنى... يطمئن.

(١١) انظر الدرر ٣٣٤/١ وفتح القدير ٢٨٣/١ كلاهما عن ابن عباس والزجاج ٣٤٣/١، وأسباب النزول للواحدي ٥٩ - ٦٠ والطبري =

قال الحسن^(١): كان إبراهيم موقناً بأن الله عز وجل يحيي الموتى، ولكن لا يكون الخبر عند ابن آدم كالمعاينة^(٢) [وقال سعيد بن جبير^(٣) ليطمئن قلبي: لأزداد^(٤) إيماناً.

﴿قال﴾ الله تعالى: ﴿فخذ أربعة من الطير﴾^(٥) قال ابن عباس^(٦): أخذ طاووساً ونسراً وديكاً وغباباً^(٧) ﴿فصرهن إليك﴾ قال أكثر أهل اللغة والتفسير^(٨):

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد^(٩): قطعهن، يقال: صار الشيء يصوره صوراً، إذا قطعه. وقرأ حمزة بكسر الصاد^(١٠)، قال الأخفش^(١١): يقال: صاره يصيره، إذا قطعه وتقدير الآية: خذ إليك أربعة من الطير فصرهن.

﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً﴾ قال المفسرون^(١٢): أمره الله تعالى^(١٣) أن يذبح تلك الطيور وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض، ثم يجزئهن أربعة أجزاء على أربعة أجبل ففعل

= ٤٨٥/٥ - ٤٨٦ عن قتادة والضحاك وابن جريج وابن زيد، وغرائب النيسابوري ٣٦/٣ - ٣٧ عن الحسن والضحاك وقاتدة وعطاء وابن جريج.

(١) انظر الدر ٣٣٦/١ عن الحسن.

(٢) في (ج، د): كالعيان.

(٣) انظر الدر ٣٣٥/١ عن مجاهد والنخعي، والطبري ٤٩٢/٥ - ٤٩٣ عن سعيد بن جبير والضحاك وقاتدة والربيع ومجاهد والبحر ٣٩٩/٢ - عن ابن جبير والنخعي وقاتدة.

قال ابن قتبية (ليطمئن قلبي) بالنظر (غريب القرآن ص ٩٦).

وقال الأخفش: لم يرد رؤية القلب وإنما رؤية العين (فتح القدير ٢٨١/١).

(٤) في (د): ليزداد.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (هـ).

(٦) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٧ وعنده ويطا، بدل «ونسراً» وفي الدر ٣٣٤/١ «وزوال وديك وطاووس». قال ابن كثير: «اختلف

المفسرون في هذه الأربعة ما هي وإن كان لا طائل تحت تعيينها إذ لو كان في ذلك مهم لنص عليه القرآن» تفسير ابن كثير ٣١٥/١ وغرائب النيسابوري ٣٨/٣ عن ابن عباس والرازي ٤٠/٧ عن ابن عباس. و«الطير»: مصدر طار يطير، ثم سمي الجنس بالمصدر، ويجوز أن يكون أصله طيراً مثل سيد، ثم خفف كما خفف سيد (التبيان ٢١١/١).

(٧) في (د): قوله.

(٨) انظر الزجاج ٣٤٣/١ وغريب القرآن ٩٦ والتبيان ٢١٢/١ والدر ٣٣٦/١ عن عطاء ومجاز القرآن ٨٠/١ والفراء ١٧٤/١ واللسان / صير والطبري ٤٩٥/٥ - ٤٩٦.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٧ ومجاهد ص ١١٦ والزجاج ٣٤٣/١، ٣٤٤ والتبيان ٢١٢/١، وفتح الباري ١٦١/٨ والدر ٣٣٦/١ عن ابن عباس وعكرمة وقاتدة وهب والفراء ١٧٤/١ ومجاز القرآن ١٨٠/١ والطبري ٤٩٧/٥ - ٥٠٤ والرازي ٤١/٧ عن ابن عباس وسعيد والحسن ومجاهد.

(١٠) قرأ حمزة بكسر الصاد أي قطعهن وشققهن ومزقهن وقرأ الباقون برفع الصاد أي أملهن واجمعهن والعرب تقول: صر وجهك إلي أي: أقبل علي.

(انظر الحجة ١٤٥ والسبعة ١٩٠، والنشر ٢٣٢/٢ والزجاج ٣٤٣/١، والتبيان ٢١٢/١ والحجة لابن خالويه ص ١٠١).

(١١) انظر الأخفش ٣٨٤/١، والزجاج ٣٤٣/١ - ٣٤٤، والتبيان ٢١٢/١، والرازي ٤١/٧ عن الأخفش.

(١٢) انظر الدر ٣٣٤/١ - ٣٣٥ عن ابن عباس وقاتدة والحسن وطاووس والربيع وغرائب النيسابوري ٣٨/٣ - ٣٩.

(١٣) في (هـ): أمره أن يذبح.

ذلك إبراهيم وأمسك رؤوسهن عنده، ثم دعاهن: تعالين ياذن الله فجعلت أجزاء الطيور يطير بعضها إلى بعض، ثم أتته سعيًا^(١) على أرجلهن وتلقى كل طائر رأسه^(٢)، فذلك قوله ﴿ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز﴾ لا يمتنع عليه ما يريد ﴿حكيم﴾ فيما يدبر ويفعل.

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾

قوله^(٣) ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله...﴾ الآية، هذا حث على الإنفاق في الجهاد، واعد من الله تعالى لمن أنفق في سبيله: أن الواحد يضاعف له بسبعمائة [وهو قوله^(٤) ﴿كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة﴾]^(٥).

أخبرنا أبو سعيد بن أبي رشيد العدل، أخبرنا عمر بن أحمد الواعظ^(٦)، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، حدثنا أبو عمر الدوري^(٧)، أخبرنا أبو إسماعيل المؤدب^(٨)، عن عيسى بن المسيب^(٩) عن نافع عن ابن عمر قال لما نزلت ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة﴾ قال النبي^(١٠) ﷺ: «رب زد أمتي، فنزل ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾^(١١) فقال رسول الله ﷺ: «رب زد أمتي، فنزل^(١٢) قوله ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾^(١٣).

(١) «سعيًا» أي: عدواً، مشياً على الأقدام»، (انظر حاشية أ).

(٢) في (د): برأسه.

(٣) في (د): قوله تعالى.

(٤) في (هـ): فهو قوله.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٦) عمر بن أحمد بن عثمان بن محمد بن زاذان أبو حفص المشهور - ابن شاهين - سمع الكثير وحدث عن الباغندي وأبي بكر بن أبي داود والبغوي وابن صاعد وخلق وكان ثقة أميناً سكن بغداد وله مصنفات عديدة ولد سنة ٢٧٧ وتوفي سنة ٣٨٥ وقد قارب التسعين رحمه الله.

(البداية والنهاية ٣١٦/١ - ٣١٧، وطبقات المفسرين للداودي ٤/٢).

(٧) وفي (هـ): عمرو بن الدوري.

(٨) إبراهيم بن سليمان أبو إسماعيل المؤدب وهو مشهور بكنيته ضعفه يحيى بن معين مرة وقال أخرى: ليس بذلك، وقال هو وأحمد: ليس به بأس، ووثقه الدارقطني. (الميزان ٣٦/١).

(٩) عيسى بن المسيب البجلي الكوفي عن الشعبي قال يحيى والنسائي والدارقطني: ضعيف وقال أبو حاتم وأبو زرعة: ليس بالقوي، وقال أبو داود: هو قاضي الكوفة ضعيف. (الميزان ٣/٣٢٣).

(١٠) في غير (أ) قال رسول الله ﷺ.

(١١) سورة البقرة ٢٤٥، وانظر سورة الحديد ١١.

(١٢) في (هـ): فنزلت إنما.

(١٣) سورة الزمر / ١٠.

الحديث انظر الدر ٣١٣/١ وابن كثير ٣٠٠/١ وفتح القدير ٢٦٢/١ - ٢٦٣ كلها عن ابن عمر.

وقوله (١) ﴿وَاللَّهُ يَضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: من أهل النفقة في طاعة الله (٢) ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ جواد لا يتقصه ما يتفضل به ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن ينفق.

قوله ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَدَىٰ﴾ (٣) ﴿الْمَنَ﴾: الاعتداء بالصنيعة وذكرها. قال المفسرون (٤):

«المن» المذكور في هذه الآية: هو أن يقول: قد أحسنت (٥) إلى فلان ونعشته، وجبرت حاله وأغنيته، يمن بما فعل.

و«الأذى» هو أن يذكر إحسانه لمن لا يحب الذي أحسن إليه وقوفه عليه وما أشبه ذلك من القول الذي يؤذيه. قال قتادة (٦): علم الله أن ناساً يَمُنُونَ بَعْطَائِهِمْ فَكَّرَهُ ذَلِكَ وَتَقَدَّمَ فِيهِ فَمَنْ قَالَ:

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ﴾ (٧) يَتَّيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٨)

﴿قول معروف﴾ أي: كلام حسن ورد على السائل جميل، وقال عطاء (٩): عِدَّةٌ حَسَنَةٌ، ﴿ومغفرة﴾ أي (١٠): تجاوز عن السائل إذا استطال عليه عند رده ﴿خير من صدقة يتبعها أذى﴾ (١١) أي: من (١٢) وتعير للسائل بالسؤال ﴿والله غني﴾ عن صدقة العباد ﴿حليم﴾ إذ لم يعجل بالعقوبة على من يمن ويؤذي بصدقته.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾ [أي: ثواب صدقاتكم] (١٣) ﴿بِالْمَنِّ﴾ هو أن يمن بما أعطى، وقال الكلبي (١٤): بالمن على الله في صدقته ﴿والأذى﴾ (١٥) لصاحبها ﴿كالذي ينفق﴾ (١٦) أي: كإبطال الذين ينفق (١٧) ﴿ماله﴾ وهو المنافق، أنفق ماله من (١٨) غير إيمان ولا احتساب ﴿رِثَاءَ النَّاسِ﴾ يرثي الناس بصدقته ولا

(١) في (د): قوله

(٢) في غير (أ) في طاعته.

(٣) في (د): إذا.

(٤) انظر البحر ٣٠٦/٢ والدر ٣٣٧/١ والحسن والطبري ٥١٧/٥ وابن كثير ٣١٧/١ وفتح القدير ٢٨٤/١ وغرائب النيسابوري ٥٤/٣.

(٥) انظر الطبري ٥١٨/٥ والدر ٣٣٧/١ كلاهما عن قتادة، وفتح القدير ٢٨٧/١ عن الحسن وفتادة.

(٦) في (ج): يقول أحسنت.

(٧) في (د) وقال عدة . . . انظر البحر ١٧٦/٣ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ سورة النساء الآية ٨، وغرائب النيسابوري ٤٩/٣.

(٨) في (ج، هـ): قوله.

(٩) في (هـ) من تجاوز تجاوز.

(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط من (هـ).

(١١) أي بتعير.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٨ وغرائب النيسابوري ٥٠/٣ والبحر ٣٠٨/٢ والبقوي ٢٨٤/١ والرازي ٥٣/٧ كلها عن ابن عباس.

(١٣) ساقطة من (هـ).

(١٤) في (د): وأذى.

(١٥) في (د): في غير إيمان.

(١٦) في (أ): ينفق ماله.

يرجو ثواباً لها. و «الرتاء» فعال^(١) من المرءة^(١)، كما يقال: قتال ومقاتلة، والهمزة فيه عين الفعل^(٢) ﴿فمثلته^(٤)﴾ أي^(٥) مثل هذا المناق المراثي ﴿كمثل صفوان﴾ وهو الحجر الأملس^(٦) ﴿عليه تراب فأصابه وابل﴾ وهو المطر الشديد يقال وبلت السماء تبل وبل^(٧).

﴿فتركه صلدا﴾ وهو الأملس اليابس^(٨) يقال: حجر صلد، وجبين صلد إذا كان براقاً أملس.

وهذا مثل^(٩) ضربه الله لعمل المراثي، وعمل المان المؤذي يري الناس في الظاهر أن له عملاً، كما يرى التراب على هذا الحجر فإذا كان يوم القيامة بطل عمله، لأنه لم يكن لله، كما أذهب المطر ما كان على الحجر من التراب فلا يقدر أحد على ذلك التراب الذي أزاله المطر عن الحجر، وهو قوله ﴿لا يقدرون على شيء﴾ أي: على ثواب شيء ﴿مما كسبوا﴾ أي لا يؤجرون^(١٠) على ما أنفقوا ولا يجدون ثواب ما عملوا ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ أي: يجعل جزاءهم على كفرهم أن يهديهم.

ثم ضرب مثلاً لمن ينفق يريد^(١١) ما عند الله ولا يمن ولا يؤذي فقال:

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأَنَّتْ أَكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيْوَدُ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فَاصْبَاهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لِمَلِكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾

﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله^(١٢) ﴿الله﴾^(١٣): طلباً لرضا الله ﴿وتثبيتاً من أنفسهم﴾ قال

(١) ساقطة من (هـ).

(٢) في (أ، ح) المرءة، وفي (د): المرءة، وفي (هـ): المرآت.

(٣) (رتاء) مفعول لأجله ويجوز أن يكون مصدراً أي ينفق مراثياً.

والهمزة الأولى عين الكلمة، والأخيرة بدل من الياء لوقوعها طرفاً بعد ألف زائدة. (انظر التبيان ٢١٤/١، والمشكل ١٣٩/١).

وفي (د): والهمزة فيه عين الفعل كما يقال قتال ومقاتلة.

(٤) ساقطة من (هـ).

(٥) ساقطة من (د).

(٦) انظر مجاز القرآن ٨٢/١ والأخفش ٣٨٥/١ والتبيان ٢١٥/١ وفتح القدير ٢٨٥/١، عن الأخفش والنحاس.

(٧) انظر اللسان / وبل.

(٨) انظر مجاز القرآن ٨٢/١ و(اللسان / صلد) عن الليث.

(٩) انظر تفسير الطبري ٥٢٦/٥ - ٥٢٧ عن قتادة والضحاك والربيع والدر ٣٣٩/١ عن قتادة والضحاك.

(١٠) في (هـ): يؤجر.

(١١) في (هـ): يريد بها.

(١٢) في (أ): مرضاة... لرضي.

(١٣) في (د): أي طلباً.

السدي وابن زيد^(١): يقينا: وقال الشعبي والكلبي^(٢): يعني: تصديقاً من أنفسهم، قال الزجاج^(٣): ينفقونها مقرين بأنها مما يشيب الله عليها ﴿كمثل جنة بربوة﴾ وهي ما ارتفع من الأرض^(٤).

وقرىء بفتح الراء، وهما لغتان^(٥).

﴿أصابها وابل﴾ وهو المطر الشديد^(٦) ﴿فآتت﴾ أدت وأعطت ﴿أكلها﴾ ما يؤكل منها، ومنه قوله تعالى: ﴿تؤتي أكلها كل حين﴾^(٧) والضم والتخفيف: لغتان^(٨)، قال المفسرون: ﴿أكلها﴾: ثمرها^(٩).

وقوله ﴿ضعفين﴾ قال ابن عباس^(١٠): حملت في سنة من الربيع^(١١) ما تحمل غيرها في سنتين. وقوله ﴿فإن لم يصبها وابل فطل﴾ أي: وأصابها طل، وهو المطر اللين الصغر القطر^(١٢).

يقال: طلّت السماء تطلّ طلا^(١٣) فهي طلة، وطلّت الأرض فهي مطلولة. والمعنى: فأصابها طل، فتلك حالها في إيتاء الثمر وتضاعفه^(١٤) لا ينقص بالطل عن مقداره بالوابل، يقول: كما أن هذه الجنة تثمر في كل حين، ولا تخيب صاحبها قل المطر أو كثر، كذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص قلت نفقته أو كثرت.

قال قتادة^(١٥) هذا مثل ضربه الله لعمل المؤمن، يقول: ليس لخيره خلف كما ليس لخير الجنة خلف علي أي حال، إن أصابها وابل وإن أصابها طل.

(١) انظر فتح القدير ٢٨٥/١ عن السدي وابن زيد وأبي صالح والشعبي، والطبري ٥٣٢/٥ عن قتادة وأبي صالح والدر ٣٣٩/١ عن أبي صالح وابن كثير ٣١٩/١ عن قتادة وابن زيد وأبي صالح.

(٢) انظر الدر ٣٣٩/١ وابن كثير ٣١٩/١ والطبري ٥٣١/٥ كلها عن الشعبي والبغوي ٢٨٥/١ - ٢٨٦ عن الشعبي والكلبي والبحر ٣١١/٢ عن الشعبي والضحاك والكلبي.

(٣) انظر الزجاج ٣٤٦/١ (واللسان / ثبت) عن الزجاج، والبحر ٣١١/٢ عن الزجاج.

(٤) انظر اللسان / ربا، ومجاز القرآن ٨٢/١ والزاهر ٤٤٨/١ والأخفش ٣٨٤/١ - ٣٨٥.

(٥) قرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وهي لغة بني تميم، وقرأ الباقون بضمها وهي أكثر اللغات (انظر الحجة لأبي زرعة ١٤٦، والسبعة ١٩٠، والنشر ٢٣٢/٢ والزجاج ٣٤٦/١ والبيان ٢١٦/١ والزاهر ٤٤٨/١ والحجة لابن خالويه ص ١٠٢ والمستدرک - كتاب التفسير - عن ابن عباس وصححه ٢٨٣/٢).

(٦) في غير (أ) وهو أشد المطر. وانظر غريب القرآن ٩٧ والزاهر ٥٨٠/١ والأخفش ٣٨٦/١.

(٧) سورة إبراهيم / ٢٥.

(٨) أي: ضم الكاف، والتخفيف: إسكان الكاف» (حاشية أ).

قرأ نافع وابن كثير وابن عمرو: بسكون الكاف وحجتهم: أنهم استقلوا الضمات في اسم واحد فأسكنوا الحرف الثاني، وقرأ الباقون

بالضم وحجتهم: إجماعهم على قوله (هذا نزلهم) وقد اجتمعت في كلمة ثلاث ضمات (انظر الحجة لأبي زرعة ١٤٦، والسبعة

١٩٠).

(٩) انظر غريب القرآن ص ٩٧ وتفسير ابن عباس ص ٣٨ والدر ٣٣٩/١ عن مجاهد والسدي.

(١٠) انظر الطبري ٣٨/٥، والبحر ٣١٢/٢ عن عكرمة وعطاء، والبغوي ٢٨٦/١، عنهما والرازي ٥٧/٧ عن عطاء.

(١١) الربيع: التمام والزيادة، وأرأعت الشجرة: كثر حملها (اللسان / ريع).

(١٢) انظر غريب القرآن ٩٧ والزاهر ٥٨٠/١ واللسان / طلل.

(١٣) في (د): تطلّ طلالة.

(١٤) في (د): في أثناء الثمر فيضاعفه...

(١٥) انظر الدر ٣٣٩/١ - ٣٤٠ عن الربيع وفتحة القدير ٢٨٧/١ عن قتادة والطبري ٤٠/٥ عنه.

قوله ^(١) ﴿أبُود أَحْدَكُم﴾ . الآية، قال مجاهد ^(٢): هذا مثل للمفرط في طاعة الله تعالى المشتغل بملأ الدنيا، يحصل في الآخرة على الحسرة العظمى.

وقال ابن عباس ^(٣): هذا مثل للذي ^(٤) يختم عمله بفساد وكان يعمل عملاً صالحاً فمثله كمثل رجل كانت له جنة فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر ﴿فضعف عن الكسب، وله أطفال صغار لا ينفعونه، وهو قوله ﴿وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار﴾ ^(٥) وهي ريح ترتفع وتستدير نحو السماء كأنها عمود ^(٦) ﴿فيه نار فاحترقت﴾ جنته، أحوج ما كان إليها عند كبر سنه ^(٧) وضعف الحيلة، وكثرة العيال، وطفولة الولد، فبقي هو وأولاده عجزاً ^(٨) متحيرين، لا يقدرّون على حيلة، كذلك يبطل الله عمل المنافق والمزائي، حين لا توبة لهما، ولا إقالة من ذنوبهما ^(٩).

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الحارثي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أبو يحيى الرازي حدثنا سهل ابن عثمان حدثنا علي بن مسهر ^(١٠)، عن عبد الملك، عن عطاء، قال:

قال عمر بن الخطاب ^(١١): ما وجدت أحداً يشفيني من هذه الآية ﴿أبُود أَحْدَكُم أن تكون له جنة...﴾ إلى آخر الآية، وابن عباس خلفه، فقال له ابن عباس: أي لأجد في نفسي منها شيئاً، فالتفت إليه عمر فقال، لم تحفظ نفسك؟ تحول ها هنا، فقام فأجلسه، فقال:

هذا مثل ضربه الله ^(١٢)، فقال: أبود أحدكم أن يكون عمره كله لله يعمل بعمل ^(١٣)، أهل الخير، وعمل أهل السعادة، حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختم عمله بخير - حين فني عمره، واقترب أجله - عمل بعمل أهل الشقاوة، وعمل أهل النار، فختم به عمله، فأفسد ذلك عمله كله، كما لو كان لأحدكم جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار، فأتتها نار فأحرقتها، فهذا مثل ضربه الله لهذا ^(١٤).

(١) في (د، هـ): قوله تعالى.

(٢) انظر تفسير مجاهد ص ١١٦ والدر ٣٤٠/١ والطبري ٥٤٤/٥ كلها عن مجاهد والبحر ٣١٣/٢ عن مجاهد وقادة والربيع.

(٣) انظر الدر ٣٤٠/١ والطبري ٥٤٥/٥ والبحر ٣١٣/٢ كلها عن ابن عباس.

(٤) في (هـ): الذي.

(٥) في (هـ): أعصار فيه نار.

(٦) انظر غريب القرآن ص ٩٧ ومجاز القرآن ٨٢/١ وابن كثير.

(٧) في (د): كبر السن وصف.

(٨) في (د): عجز.

(٩) «أي: لا رجوع ولا مغيب لهما» (حاشية أ).

(١٠) علي بن مسهر القرشي أبو الحسن، قال أبو زرعة: صدوق ثقة، وقال النسائي ثقة وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ١٨١ هـ.

(تهذيب التهذيب ٣٨٣/٢ - ٤٨٤).

(١١) في (د) رضي الله عنه، وفي (هـ): قال.

(١٢) في (د): الله تعالى.

(١٣) في (د): بعمل أهل الجنة أهل الخير.

(١٤) انظر المستدرک - كتاب التفسير - عن ابن عباس - صحيح على شرط الشيخين (٢٨٣/٢)، وفي كتاب معرفة الصحابة - عن ابن عباس.

(٥٤٣ - ٥٤٢/٣).

والطبري ٥٤٤/٥ - ٥٤٥ عن عطاء. والقرطبي ٣١٨/٣ - ٣١٩ عن ابن عباس وفتح الباري ١٦٢/٨ وتفسير الثوري ص ٧٢ والدر

٣٤٠/١ عن ابن عباس وعطاء. وكنز العمال ٢٥٥/٢ - ٢٥٦ عن عمر، وابن كثير ٣١٩/١.

وصحيح البخاري - كتاب التفسير - باب قول الله تعالى ﴿أبُود أَحْدَكُم أن تكون له جنة...﴾ عن ابن عباس (١٠٨/٣).

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ
مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ؕ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ
وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ؕ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ؕ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن
يَشَاءُ ؕ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾

قوله (١) ﴿يا أيها الذين ءامنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ قال مجاهد (٢): يعني: التجارة والمعنى ﴿أنفقوا﴾ أي: أدوا (٣) الزكاة ﴿ما كسبتم﴾ بالتجارة والصناعة من الذهب والفضة ﴿ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾ يعني: الحبوب مما تجب فيه (٤) الزكاة ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ «التيمم»: القصد والتعمد (٥)، يقال: أممته وتيممته ويممته، أي: قصدته.

قال المفسرون (٦): كانوا يتصدقون بشار ثمارهم، وردالة أموالهم (فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تيمموا الخبيث﴾ يقول: لا تقصدوا إلى الرديء من أموالكم) (٧) فتفقونه في سبيل الله.

وقراءة (٨) العامة: (ولا تيمموا) مخففة التاء، وعلى حذف إحدى (١١) التاءين، لأن الأصل: لا تيمموا، وقرأ ابن كثير: مشددة التاء على الإدغام (١١).

وقوله ﴿ولستم بأخذيته﴾ أي: يأخذ ذلك الرديء الخبيث لو كان لكم على انسان حق ﴿إلا أن تغمضوا فيه﴾ و«الإغماض» (١٢) في اللغة: غض البصر وإطباق جفن على جفن، ثم صار عبارة عن التسامح والتساهل في البيع وغيره.

يقول: أنتم لا تأخذونه إلا بتساهل، فكيف تعطونه في الصدقة؟

(١) في (د): قوله تعالى .

(٢) انظر تفسير الطبري ٥٥٦/٥ والبحر ٣١٦/٢ وابن كثير ٣٢٠/١ والدر ٣٤١/١ وفتح القدير ٢٩١/١ كلها عن مجاهد والزجاج ٣٤٨/١ وغريب القرآن ٩٧ - ٩٨ .

(٣) في (د): أنفقوا وأدوا زكاة .

(٤) في (د): مما تجب فيها .

(٥) انظر مجاز القرآن ٨٢/١ والزاهر ١٣٥/١ والبحر ٣١٥/٢ عن الخليل .

(٦) انظر صحيح الترمذي - كتاب التفسير - باب من سورة البقرة - عن أبي مالك الغفاري عن البراء رقم ٤٠٧٢ «حسن غريب» (٢٨٧/٤) .
والدر ٣٤٥/١ عن البراء وقتادة والضحاك وجابر وابن عباس وعلي ومجاهد والحسن، وابن كثير ٣٢٠/١ عن ابن عباس والبراء،
والمستدرک ٤٠٢/١، ٢٨٥/٢، والطبري ٥٦٠/٥ - ٥٦٢ عن البراء وعبيدة السلماني ومجاهد وقتادة والحسن، وغرائب النيسابوري
٥٨/٣ عن علي والحسن ومجاهد .

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (د) .

(٨) في (ح): وقرأت، وفي (د): وقرأ .

(٩) في (أ، ح، هـ) والمطبوعة: (لا تيمموا) .

(١٠) في (د): أحد .

(١١) انظر الحجة لأبي زرعة ١٤٦ والنشر ٢٣٢/٢ والتبيان ٢١٩/١ والبيان ١٧٦/١، والبحر ٣١٧/٢ .

(١٢) في غير (أ) الإغماض . وانظر المعنى في مجاز القرآن ٨٣/١ .

وفي هذا بيان أن الفقراء شركاء رب^(١) المال في ماله، فإذا كان ماله جيداً فهم شركاؤه في الجيد، والشريك لا يأخذ الرديء من الجيد إلا بالتساهل^(٢).

أخبرنا أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم الصوفي أخبرنا أبو عمرو بن مطر^(٣) أخبرنا أحمد بن الحسين بن نصر الحذاء^(٤)، أخبرنا علي بن المديني^(٥) حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا عبد الحميد بن جعفر حدثني صالح بن أبي عريب^(٦) عن كثير بن مرة^(٧)، عن عوف بن مالك الأشجعي^(٨) قال:

خرج علينا رسول الله ﷺ - ونحن في المسجد - ويده عصا، وقد علق رجل منا قنوه حشف^(٩) فجعل رسول الله ﷺ^(١٠) يطعن^(١١) القنوه بالعصا ويقول:

«لو أن صاحب هذا - أو قال: رب هذا - تصدق بصدقة أطيب من هذا، ثم قال: إن صاحب هذا^(١٢) يأكل الحشف يوم القيامة»^(١٣).

(١) في (د): ذي المال.

(٢) «هذا إن كان كله جيداً فليس له إعطاء الرديء، فإن كان ماله رديئاً فلا بأس بإعطاء الرديء» (حاشية (أ)).

(٣) في (أ) والمطبوعة: عمرو، سبق.

(٤) أحمد بن الحسين بن نصر أبو جعفر الحذاء قال حمزة بن يوسف السهمي: سألت الدارقطني عنه فقال: ثقة توفي سنة ٢٩٩ هـ. (تاريخ بغداد ٩٧/٤ - ٩٨).

(٥) في المطبوعة: علي المديني. وهو:

علي بن المديني حافظ عصره وقدره أرباب هذا الشأن أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيع السعدي مولا هم المديني ثم البصري صاحب التصانيف ولد سنة ١٦١ هـ وسمع أباه وحماد بن زيد وهشيماً وابن عيينة وعنه الذهلي والبخاري وأبو داود قال حاتم: كان ابن المديني عالماً في الناس في معرفة الحديث والعلل توفي سنة ٢٣٤ هـ (تذكرة الحفاظ ٢/٤٢٨ - ٤٢٩).

(٦) صالح بن أبي عريب عن كثير بن مرة قال ابن القطان لا يعرف حاله روى عنه عبد الحميد بن جعفر وغيره وثقه ابن حبان (حسن المحاضرة ١/٢٦٨، والميزان ٢/٢٩٨).

(٧) كثير بن مرة الحضرمي الحمصي الفقيه عالم أهل حمص كان إماماً عالماً طلابه للعلم أدرك سبعين بدرياً حدث عن معاذ وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وطبقتهم قال النسائي: لا بأس به. (تذكرة الحفاظ ١/٥١١ - ٥٢).

(٨) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغطفاني صحابي جليل شهد مؤتة مع خالد بن الوليد وشهد الفتح وكانت معه راية قومه يومئذ روى عن النبي ﷺ توفي سنة ٧٣ هـ (البداية والنهاية ٨/٣٧١).

(٩) في (د): قنوا حشف.

«القنوه: العذق بما فيه من الرطب والجمع أقناء وقنوان وقنيان» (اللسان / قنا) والحشف: من التمر ما لم ينمو فإذا يبس صلب وفسد ولا طعم له ولا حلاوة، قال الجوهري: الحشف: أردأ التمر. (اللسان / حشف).

(١٠) ساقطة من (هـ).

(١١) في (هـ): يطعنو.

(١٢) في (د): هذا القنوه.

(١٣) الحديث: رواه ابن ماجه - كتاب الزكاة - باب النهي أن يخرج في الصدقة شرماله - رقم ١٨٢١، (٥٨٣/١).

وأبو داود - كتاب الصلاة - باب ما لا يجوز من الثمرة في الصدقة رقم ٦٠٨، (١١١/٢) والمستدرک - كتاب التفسير - «صحيح الإسناد»

٢/٢٨٥. والمستدرک - كتاب الفتن - «صحيح الإسناد» (٤/٤٢٥ - ٤٢٦).

والطبراني في الكبير ١٣/٥٥ ومسند أحمد ٦/٢٣.

كلهم من حديث عوف بن مالك.

وقوله (١) ﴿واعلموا أن الله غني﴾ أي: عن صدقات الناس ﴿حميد﴾ على إحسانه وإنعامه.

قوله (٢) ﴿الشیطان يعدكم الفقر﴾ أي: يخوفكم بالفقر على إنفاق المال والتصدق (٤) به (٥). يقول: أمسك مالك فإنك إن تصدقت افتقرت ﴿ويأمركم بالفحشاء﴾ أي: البخل (٦) ومنع الزكاة (٧).

﴿والله يعدكم﴾ أي: يجازيكم على صدقاتكم ﴿مغفرة منه﴾ لذنوبكم ﴿وفضلاً﴾ وهو أي يخلف عليكم ما أنفقتم ﴿والله واسع﴾ (٨) الفضل لمن أنفق ﴿عليم﴾ بمن ينفق ومن لا ينفق.

قوله تعالى: (٩) ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ قال ابن عباس والمفسرون (١٠): يعني القرآن والفهم فيه، وقال الحسن (١١): يعني: الورع (١٢) في دين الله (١٣) ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ قال مجاهد (١٤): ليست بالنبوة، ولكنه القرآن والعلم والفقه، ﴿وما يذكر إلا أولوا الأبواب﴾ أي: ما يتعظ إلا ذوو العقول.

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَاللَّظَلِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٢٧٠) وَإِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١)

قوله (١٥) ﴿وما أنفقتم من نفقة﴾ يعني: ما أديتم من زكاة مفروضة ﴿أو نذرتم من نذر﴾ يعني: تطوعتم بصدقة.

﴿والنذر﴾: ما يلتزمه (١٦) الإنسان لله بإيجابه على نفسه، وكل ما نوى الإنسان أن يتطوع به فهو نذر.

وقوله (١٧) ﴿فإن الله يعلمها﴾ أي: يجازي به، فدل بذكر العلم على تحقيق الجزاء وعادات الكناية في قوله ﴿يعلمها﴾ إلى «ما» في قوله ﴿وما أنفقتم﴾ لأنها اسم.

(١) في (د): قوله.

(٢) في غير (أ) (والله غني).

(٣) في غير (أ) قوله تعالى.

(٧) انظر تفسير الرازي ٦٤/٧، وفي حاشية (أ) «وقال الكلبي: كل فحشاء في القرآن فهو الزنى إلا هذا».

(٨) في (ج، هـ): واسع عليهم.

(٩) في (ح): قوله.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٩ ومجاهد ص ١١٦ والزجاج ٣٥٠/١ عن ابن مسعود، الدر ٣٤٨/١ عن ابن عباس وأبي الدرداء وأبي العالية والضحاك وقتادة وابن كثير ٣٢٢/١ عن ابن عباس والطبري ٥٧٦/٥ - ٥٧٧ عن ابن عباس وقتادة وأبي العالية وفتح القدير ٢٩١/١ عن ابن عباس وأبي العالية والنخعي.

(١١) انظر تفسير البغوي ٢٩١/١ والقرطبي ٣٣٠/٣ والبحر ٣٢٠/٢ كلها عن الحسن والطبري ٥٧٨/٥ عن ابن زيد ومالك وفتح القدير ٢٩١/١.

(١٢) في (هـ) وقال الحسن: يعني ورع.

(١٣) في (د): أي (ومن...).

(١٤) انظر الدر ٣٤٨/١ وابن كثير ٣٢٢/١ كلاهما عن مجاهد.

(١٥) في غير (أ) قوله تعالى.

(١٦) في (د): ما يلزمه.

(١٧) في (د): قوله.

وقوله ﴿وما للظالمين من أنصار﴾: وعيد لمن أنفق في غير الوجه الذي يجوز له من رياء^(١) أو معصية أو من مال مغضوب مأخوذ من غير وجهه.

والأنصار جمع نصير بمعنى ناصر، يعني: لا أحد^(٢) ينصرهم من عذاب الله.

قوله ﴿إن تَبَدُّوا الصدقات﴾ قال ابن عباس^(٣): نزلت لما سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية؟

قوله^(٤) ﴿فتنمأ^(٥) هي﴾ أي: فنعم شيئاً أبدأؤها^(٦)، وقراءة العامة (فتنمأ)^(٧) - بفتح النون وكسر العين - أن أصل «نعم»: نعم كما قال طرفة^(٨):

نعم الساعون في الأمر المبر

وقرأ نافع (فتنمأ) - بكسر النون والعين - أتبع العين النون في الكسر حذراً^(٩) من الجمع بين ساكنين.

وقرأ أبو عمرو: بكسر النون وجزم العين، واختاره أبو عبيد^(١٠) وقال: هي لغة النبي ﷺ في قوله لعمر بن العاص^(١١):

(١) في (هـ): الرياء.

(٢) في (هـ): لأحد.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٩ وغرائب النيسابوري ٦٦/٣ والرازي ٧١/٧ وأحكام القرآن لابن العربي ٢٣٦/١ عن ابن عباس والوجهين للواحد ٧٩/١ وأسباب النزول للواحد ص ٦٢.

(٤) في (ج، هـ): وقوله.

(٥) في (هـ): (منمأ).

(٦) في (ج، هـ): أبدأها.

(٧) قرأ حمزة والكسائي وابن عامر بفتح النون وكسر العين، وقرأ نافع وابن كثير وعاصم ونافع في رواية ورش بكسر النون والعين. وقرأ نافع في غير رواية ورش وأبو عمرو وعاصم والمفضل بكسر النون وسكون العين.

(انظر الحجة لأبي زرعة ١٤٦ - ١٤٧ والسبعة ١٩٠ والنشر ٢٣٥/٢ والزجاج ٣٥٢/٢ والتبيان ٢٢١/١ والمشكل ١٤١/١ والحجة لابن خالويه ص ١٠٢).

(٨) البيت في ديوان طرفة ص ٥٨ تحت عنوان: «اصبري إنك من قوم صبر»، برواية:

خالتي والنفس قدما إنهم نعم الساعون في القوم المبر

وفي الكتاب ٤٤٠/٤ والقرطبي ٣٣٥/٣ وصدوره:

ما أقلت قدماي إنهم نعم الساعون في الأمر المبر

وانظر غرائب النيسابوري ٦٦/٣ والرازي ٧٢/٧ واللسان / نعم.

(٩) في (د): فرأى.

(١٠) أبو عبيد: الإمام المجتهد البحر القاسم بن سلام البغدادي اللغوي الفقيه صاحب المصنفات، سمع إسماعيل بن جعفر وشريكا القاضي وهشيماً وابن عيينة وطبقتهما قال أحمد بن حنبل: أبو عبيد أستاذ وهو يزداد كل يوم خيراً، وقال أبو داود: ثقة مأمون كان حافظاً للحديث وعلمه وعارفاً بالفقه ورأساً في اللغة وإماماً في القراءات توفي سنة ٢٢٤ هـ. (تذكرة الحفاظ ٤١٧/٢).

(١١) عمرو بن العاص بن وائل الإمام أبو عبد الله - ويقال أبو محمد - السهمي واهبة قریش، ومن يضرب به المثل في الفطنة والخزم - هاجر إلى رسول الله ﷺ مسلماً في أوائل سنة ٨ هـ وحاجب الكعبة عثمان بن طلحة ومرافقاً لخالد بن الوليد ففرح النبي ﷺ بقدمهم وإسلامهم توفي سنة ٤٣ هـ.

(سير الأعلام ٥٤/٣ - ٥٧).

«نعمًا بالمال الصالح للرجل الصالح»^(١)،^(٢) هكذا روي الحديث بسكون العين .

وجمهور المفسرين على أن المراد بـ (الصدقات) في هذه الآية: التطوع لا الفرض لأن الفرض إظهاره أفضل من كتمانها، والتطوع كتمانها أفضل، وهو قوله ﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾^(٣).

قال ابن عباس في رواية الوالبي^(٤): جعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها يقال بسبعين ضعفاً، وجعل صدقة^(٥) الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين^(٦) ضعفاً، وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها.

وقال قتادة^(٧): كل مقبول إذا كانت النية سالحة، وصدقة السر أفضل، وقوله^(٨) ﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم﴾ «التكفير» معناه: التغطية والستر، يقال كفر عن يمينه، أي: ستر ذنب الحنث بما بذل من الصدقة. و«الكفارة» الساترة لما حصل من الذنب.

وقرىء (ونكفر) بالجزم عطفًا على قوله ﴿من سيئاتكم﴾ «من» ها هنا: صلة للكلام^(٩)، يريد: جميع سيئاتكم^(١٠).

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَا يَسَاءُ مَا تَنْفِقُونَ وَمَا تَنْفِقُونَ مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَنْفِسُكُمْ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا أَيْتَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تَنْفِقُونَ مِنْ خَيْرٍ يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾^(٣٧٢) لِلْفُقَرَاءِ

(١) في (هـ): نعمًا بالمال الصالح للرجل.

(٢) الحديث: رواه الحاكم في المستدرک - كتاب البيوع - أول حديث «صحيح على شرط مسلم» (٢/٢) وفي كتاب التفسير - (إن الله نعمًا يعظكم به) (٢٣٦/٢).

ومسند أحمد ٤/١٩٧، ٤/٢٠٢ والحجة لأبي زرة ١٤٦ - ١٤٧. كلهم من حديث عمرو.

(٣) انظر الزجاج ١/٣٥٣، وغرائب النيسابوري ٣/٦٦ وفتح القدير ١/٢٩٠ عن الجمهور.

(٤) انظر تفسير الطبري ٥/٨٣، والدر ١/٣٥٣ وغرائب النيسابوري ٣/٦٧، وابن كثير ١/٣٢٣ وفتح القدير ١/٢٩٢ كلها عن ابن عباس.

(٥) في (هـ): صد الفريضة.

(٦) في (د): من سرها وعشرين، وفي (هـ): بخمسة وعشر.

(٧) انظر الدر ١/٣٥٣ عن قتادة والطبري ٥/٥٨٢ عن قتادة والربيع.

(٨) في (ج، د): قوله.

(٩) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر (نكفر) بالنون ورفع الراء على الاستثناف وحجتهم قوله (فهو خير لكم) لما كان جواب الجزاء في الفاء ولم يكن فعلاً مجزوماً لم يستجيزوا أن ينسقوا على غير جنسه.

وقرأ نافع وحمرزة والكسائي بالجزم وحجتهم: ان الجزم أولى ليخلص معنى الجزاء ويعلم بأن تكفير السيئات إنما هو ثواب للمتصدق على صدقته وجزاء له.

(انظر الحجة لأبي زرة ١٤٧ - ١٤٨ والسبعة ١٩١ والنشر ٢/٢٣٦، والزجاج ١/٣٥٥، والتبيان ١/٢٢١ والمشكل ١/١٤١ والحجة لابن خالويه ص ١٠٢).

(١٠) في (د): صلة الكلام.

(١١) انظر تفسير الطبري ٥/٥٨٦ عن بعض نحويي البصرة، والبحر ٢/٣٢٦ «وفيه الطبري عن فرقة قالت: (من) زائدة في هذا الموضع قال

ابن عطية: وذلك منهم خطأ» وانظر فتح القدير ١/٢٩٠ عن الأخفش وابن عطية.

الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُ
الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ
خَيْرٍ فِاتِ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ

قوله (١) ﴿ليس عليكم هداهم﴾ (٢)

أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد بن الحرث، أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أبو يحيى عبد الرحمن بن
محمد الرازي، حدثنا سهل بن عثمان العسكري، حدثنا جرير عن أشعث بن إسحاق (٣)، عن جعفر بن أبي
المغيرة (٤)، عن سعيد بن جبيرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا إلا على أهل دينكم» فأنزل الله (ليس عليك هداهم) فقال رسول الله ﷺ:
«تصدقوا على أهل الأديان» (٥).

وبهذا الإسناد، عن سهل، حدثنا ابن نمير (٦)، عن الحجاج (٧)، عن سالم المكي (٨)، عن ابن الحنفية (٩) قال:
كان المسلمون يكرهون أن يتصدقوا على فقراء المشركين حتى نزلت هذه الآية ﴿ليس عليك هداهم﴾ فأمروا
أن يتصدقوا عليهم (١٠).

(٢) في (د): الآية.

(١) في غير (أ) قوله تعالى.

(٣) في (هـ): أشعث، وهو: أشعث بن إسحاق بن سعد بن مالك بن هانئ أبو عامر الأشعري القمي روى عن الحسن البصري وجعفر بن
أبي المغيرة وعدة، وعنه جرير بن عبد الحميد، وغيره: قال أحمد: صالح الحديث: وقال ابن معين: ثقة. (تهذيب التهذيب
٣٥٠/١).

(٤) جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي القمي روى عن سعيد بن جبيرة وعكرمة وشهر بن حوشب وأبي الزناد، وعنه ابنه الخطاب وحسان بن علي
العنزي، وذكره ابن حبان في الثقات، وذكر عن أحمد: أنه ثقة وقال أبو نعيم: واسم أبي المغيرة: دينار. (تهذيب التهذيب ١٠٨/٢).

(٥) الحديث: رواه الحاكم في المستدرک - كتاب التفسير - عن سعيد عن ابن عباس «صحيح الإسناد» ٢٨٥/٢ وفي كتاب البر والصلوة
١٥٦/٤. والطبراني في الكبير ٥٤/١٢ عن سعيد عن ابن عباس موقوفاً.

وغرائب النيسابوري ٦٩/٣ وأسباب النزول للسيوطي ص ٥١.

والطبري ٥٨٩/٥ عن سعيد، والدر ٣٥٧/١، وابن كثير ٣٢٣/١ - ٣٢٤.

(٦) عبد الله بن نمير أبو هشام الخارفي - من خارف - الهمداني سمع إسماعيل بن أبي خالد وغيره وعنه ابنه محمد وأبو كريب وأحمد بن
حنبل وغيرهم وثقه ابن معين توفي سنة ١٩٩ هـ (تهذيب التهذيب ٥٧/٦، كتاب الجمع ٢٦٠/١).

(٧) الحجاج بن أرطاة بن ثور بن هبيرة بن شراخيل بن كعب النخعي أبو أرطاة الكوفي القاضي روى عنه عبد الله بن عمرو وغيره أثنى عليه
السفيانان وحمام بن زيد، وقال أحمد: كان من الحفاظ توفي سنة ١٤٥ هـ (تهذيب التهذيب ١٩٦/٢ - ١٩٨، وتهذيب الكمال
٤٢٠/٥ - ٤٢٨).

(٨) سالم المكي تفرد عنه ابن إسحاق. (الميزان ١١٤/٢).

(٩) ابن الحنفية: محمد بن علي بن أبي طالب أبو القاسم المعروف بابن الحنفية وكانت أمه من سبي اليمامة اسمها خولة بنت جعفر بن
قيس بن سلمة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة والد عبد الله والحسن سمع أباه وعمان بن عفان توفي سنة ٨١ هـ وهو

ابن ٦٥ سنة (كتاب الجمع ٤٤٥/٢ - ٤٤٦).

(١٠) انظر الدر ٣١٧/١، وفتح القدير ٢٩٣/١ عن ابن الحنفية، والطبري ٥٨٧/٥ - ٥٨٨ - عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقتادة، وابن كثير
٣٢٣/١ عن ابن عباس.

قال المفسرون^(١): نزلت هذه الآية حين جاءت قتيلة^(٢) أم أسماء بنت أبي بكر^(٣) رضي الله عنه^(٤) إليها تسألها وكذلك جدتها وهما مشركتان فقالت: لا أعطيكما حتى أستأمر رسول الله ﷺ، فإنكما لستما^(٥) على ديني، فاستأمرته^(٦) في ذلك فأنزل الله هذه الآية، فأمرها^(٧) رسول الله ﷺ أن تصدق عليهما.

وهذا في صدقة التطوع، أباح الله أن يتصدق على الجلي^(٨) والذمي، فأما^(٩) الفرض فلا يجوز أن يتصدق به إلا على المسلمين.

ومعنى الآية: ليس عليك هدى من خالفك^(١٠) فتمنعهم الصدقة، ليدخلوا في الإسلام، حاجة منهم إليها.

^(١١) وأراد بالهدى ها هنا: هدى التوفيق، وخلق الهداية، لأنه كان على رسول الله ﷺ هدى البيان والدعوة لجميع الخلق.

وقوله^(١٢) ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ قال ابن عباس: يريد أوليائه^(١٤) ﴿وما تنفقوا من خير﴾^(١٥) من مال، وهو شرط، وجوابه ﴿فلا أنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله﴾ ظاهر خبر، وتأويله: نهى، أي^(١٦) ولا^(١٧) تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله كقوله تعالى: ﴿لا يمس إلا المطهرون﴾^(١٨) و﴿لا تضار والدة بولدها﴾^(١٩).

وفي ذكر «الوجه» في قوله تعالى: ﴿إلا ابتغاء وجه الله﴾ قولان: أحدهما: أن المراد منه تحقيق الإضافة لأن ذكر الوجه يرفع الإيهام أنه له ولغيره^(٢٠) وذلك أنك لما ذكرت الوجه - ومعناه: النفس - دل على أنك تصرف الوهم عن الاشتراك إلى تحقيق الاختصاص فكنت بذلك محققاً للإضافة ومزياً للإيهام الشركة.

(١) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٩ وغرائب النيسابوري ٦٩/٣ عن الكلبي والطبراني في الكبير ٧٨/٢٤ عن أسماء ومسنند أحمد ٦/٣٤٧، ٣٥٥.

وصحيح البخاري - كتاب الهبة - باب الهدية للمشركين - (٩٦/٢).

وصحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين - عن أسماء (٤٠٢/١).

(٢) قتيلة بنت سعد من بني عامر بن لؤي امرأة أبي بكر الصديق وهي أم أسماء وعبد الله اختلف في إسلامها قال ابن الأثير: وفي جميع الروايات أنها مشركة. (أسد الغابة ٧/٢٣٩).

(٣) أسماء بنت أبي بكر الصديق أم عبد الله القرشية التيمية المكية ثم المدنية والدة الخليفة عبد الله بن الزبير وأخت أم المؤمنين عائشة وآخر المهاجرات وفاة توفيت سنة ٧٣ هـ (سير الأعلام ٢/٢٨٧ - ٢٩٥).

(٤) في (د): رضي الله عنها. والجملة ساقطة من (ح).

(٥) في (د): ليستما.

(٧) في غير (أ) وأمرها.

(٨) في (د): وأمرها النبي ﷺ.

(٦) في (ح): واستأمرته.

(٩) «الملي»: أي الكافر الذي لا يكون معه عقد ذمة» (حاشية (أ)).

(١٥) في (ج، د): أي من مال.

وفي (هـ): على الحربي الملي.

(١٦) ساقطة من (ح).

(١٠) في (د): وأما.

(١٧) في (د): فلا.

(١١) في (هـ): خالفك في دينك.

(١٨) سورة الواقعة / ٧٩.

(١٢) في (د): أو أراد.

(١٩) سورة البقرة / ٢٣٣.

(١٣) في (ح): قوله.

(٢٠) «أي الإنفاق لله تعالى» (حاشية (أ)).

(١٤) في (د) قوله.

القول الثاني: أنك إذا قلت: فعلته لوجه زيد^(١) كان أشرف في الذكر من^(٢): فعلته له، لأن وجه الشيء في الأصل، أشرف ما فيه، ثم كثر حتى صار يدل على أشرف الذكر من غير تحقيق وجهه، ألا ترى أنك تقول: وجه الدليل ووجه الرأي ووجه الأمر^(٣) فلا تريد تحقيق الوجه، وإنما تريد أشرف ما فيه من جهة شدة ظهوره وحسن بيانه^(٤).

قوله^(٥) ﴿وما تنفقوا من خير يوف إليكم﴾ يوف لكم جزاؤه، و«التوفية» إكمال الشيء قال ابن عباس: ^(٦) يجازيكم به في الآخرة، وإنما حسن ﴿إليكم﴾ مع التوفية، لأنها تضمنت معنى التأدية ﴿وأنتم لا تظلمون﴾ لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئاً، كقوله ﴿ءاتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً﴾^(٧) يريد: لم تنقص.

كقوله^(٨) ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله﴾ الآية، قال ابن عباس في رواية الكلبي^(٩): هم أهل الصفة، صفة مسجد رسول الله ﷺ وهم نحو من أربعمائة^(١٠) رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر يأبون إليهم فجعلوا أنفسهم في المسجد وقالوا: نخرج في كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ في سبيل الله، فحث الله الناس على (الصدقة)^(١١) عليهم، وكان^(١٢) الرجل إذا أكل وعنده فضل أتاهم به إذا أمسى.

و«اللام» في قوله ﴿للفقراء﴾ متعلق بمحذوف، وتأويله: هذه الصدقات أو النفقة^(١٣) للفقراء، وقد تقدم ما يدل عليه لأنه سبق ذكر الإنفاق والصدقات.

قال ابن الأنباري^(١٤): وهذا كما تقول: عاقل لبيب، إذا تقدم وصف رجل. والمعنى: الموصوف عاقل لبيب. وقوله ﴿الذين أحصروا في سبيل الله﴾ تفسير «الإحصار» قد تقدم عند قوله ﴿فإن أحصرتم﴾^(١٥) قال قتادة: ^(١٦) صبروا أنفسهم في سبيل الله، أي: في طاعته للغزو، فلا يتفرغون إلى طلب المعاش، وقال سعيد بن المسيب^(١٧): هؤلاء قوم أصابتهم^(١٨) جراحات مع رسول الله ﷺ وصاروا زمني فأحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في الأرض. وقال ابن عباس في رواية عطاء^(١٩): هؤلاء قوم من المهاجرين حبسهم الفقر عن الجهاد في سبيل الله فعذبهم الله^(٢٠) فقال ﴿لا يستطيعون ضرباً﴾^(٢١) في الأرض يريد: الجهاد.

(١) في (هـ): لوجه ربي.

(٢) في (حـ): من قول فعلته.

(٣) في (د): ووجه الأمر ووجه الرأي ولا.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٩ وغرائب النيسابوري ٧١/٣ وفتح القدير ٢٩٢/١.

(٧) سورة الكهف / ٣٣.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٩ والدر ٣٥٨/١ عن ابن عباس والقرظي وفتح القدير ٢٩٣/١ عنهما، وغرائب النيسابوري ٧١/٣، والبحر ٣٢٨/٢ عن ابن عباس ومقاتل.

(١١) في غير (أ) أربع مائة. (١١) من (د). (١٢) في (هـ): فكان.

(١٤) انظر غرائب النيسابوري ٧١/٣ بلفظه والبحر ٣٢٨/٢ والقرظي ٣٣٩/٣.

(١٥) انظر ذلك عند تفسير الآية ١٩٦ من سورة البقرة.

(١٦) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٩ والدر ٣٥٨/١ والظري ٥٩٢/٥ والبحر ٣٢٨/٢ كلها عن قتادة، وفتح القدير ٢٩٣/١ عن الربيع.

(١٧) انظر الدر ٣٥٨/١ وغرائب النيسابوري ٧١/٣ وفتح القدير ٢٩٣/١ والبحر ٣٢٨/٢ كلها عن سعيد.

(١٨) في (أ): أصابهم.

(٢٠) في (د): الله تعالى.

(١٩) انظر غرائب النيسابوري ٧١/٣ - ٧٢ عن ابن عباس.

(٢١) في (هـ): لا يستطيعون في الأرض.

يقال: ضربت في الأرض ضرباً، إذا سرت فيها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^(١). وهؤلاء إنما لا يستطيعون الضرب في الأرض لأن الفقر منعهم عن جهاد العدو^(٢) على قول ابن عباس.

وعلى قول سعيد بن المسيب: الزمانة^(٣)، وعلى قول قتادة: لأنهم ألزموا أنفسهم أمر الجهاد، فمنعهم ذلك عن التصرف للمعاش^(٤).

وقوله ﴿يَحْسِبُ الْجَاهِلُ﴾^(٥) يقال: حسبت الشيء أحسبه وأحسبه - بالكسر والفتح - وقرئ بالوجهين^(٦) في القرآن ما كان من مضارع حسب، والفتح أقيس عند أهل اللغة^(٧)، لأن الماضي إذا كان فعل كان المضارع على يفعل، والكسر شاذ وهو حسن لمجيء السمع به^(٨).

وقوله ﴿الْجَاهِلُ﴾: لم يرد^(٩) الجهل الذي هو ضد العلم، وإنما أراد الجهل الذي هو ضد الخبرة، يقول: يحسبهم من لم يختبر أمرهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ وهو ترك السؤال، يقال: عفا عن الشيء، وتعفف عنه، إذا تركه، ومنه قول رؤبة:

فَعَفَ عَنْ أَسْرَارِهَا بَعْدَ الْعَسَقِ^(١٠)

أي: تركها.

وقوله ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ «السيما، والسيما، والسيما»: العلامة^(١١) التي يعرف بها الشيء، قال مجاهد^(١٢): سيماهم التخشع وقال الربيع والسدي^(١٣): أثر الجهد من الحاجة والفقر^(١٤) وقال الضحاك^(١٥): صفة ألوانهم من الجوع، وقال ابن زيد^(١٦): رثاءة ثيابهم.

(١) سورة النساء / ١٠١، وانظر سورة المائدة / ١٠٦.

(٢) في (ح): من جهاد العدو، وفي (د، هـ) عن جهاد للعدو وفي (د) وعلى قول... .

(٣) «يعني الزمانة منعهم عن الجهاد» (حاشية أ).

(٦) انظر الحجة لأبي زرعة ١٤٨ والسبعة ١٩١ والتبيان ٢٢٢/١ والحجة لابن خالويه ١٠٣ وفي البحر ٣٢٨/٢ «قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة - بفتح السين وهو القياس لأن ماضيه بكسر العين - وقرأ باقي السبعة بكسرها وهو مسموع والفتح في السين لغة تميم والكسر لغة الحجاز».

(٧) في (د): قال لأن الماضي.

(٨) «وحسب الشيء يحسبه ويحسبه، والكسر أجود للفتن، وفي الصحاح: يقال أحسبه بالكسر وهو شاذ...» (انظر اللسان / حسب).

(٩) في غير (أ) لم يرد به. والمعنى ذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٩٨.

(١٠) انظر ديوان رؤبة ص ١٠٤ من قصيدة رقم ٤٠ «في وصف المفازة».

وانظر الزاهر ٣٢٤/٢، ومجاز القرآن ٧٦/١ والطبري ٥٩٤/٥ والبحر ٣١٦/٢ وإصلاح المنطق ٢١/٨، ٩٨.

«والعسق - بالعين والسين المهملتين - وعسق بالشيء إذا لزق به». (عمدة القوي والضعيف ص ٧).

(١١) «السومة والسيما والسيما»: العلامة (اللسان / سوم).

(١٢) انظر تفسير مجاهد ص ١١٧، والدر ٣٥٨/١ والطبري ٥٩٦/٥ وفتح القدير ٢٩٣/١، والبحر ٣٢٩/٢، وغرائب النيسابوري ٧٢/٣ كلها عن مجاهد.

(١٣) انظر الدر ٣٥٨/١ وفتح القدير ٢٩٣/١ كلاهما عن الربيع والطبري ٥٩٦/٥، وغرائب النيسابوري ٧٢/٣ كلاهما عن الربيع والسدي والبحر ٣٢٩/٢ عن السدي.

(١٤) في (د): من الفقر والحاجة.

(١٥) انظر غرائب النيسابوري ٧٢/٣ والبغوي ٢٩٥/١ كلاهما عن الضحاك.

(١٦) انظر غرائب النيسابوري ٧٢/٣ والبحر ٣٢٩/٢ والطبري ٥٩٦/٥ - ٢٩٧، والدر ٣٥٨/١ وفتح القدير ٢٩٣/١ كلها عن ابن زيد.

وقوله «لا يستلون الناس إلحافاً» «الإلحاف»: هو الإلحاح في المسألة قال الزجاج^(١): معنى «ألحف»: شمل^(٢) بالمسألة.

و«اللحاف» سمي لحافاً: لأنه يشمل الإنسان، فالملحف الذي يشمل سؤاله كل أحد، ويشمل وجوه الطلب، هذا هو الأصل، ثم يسمى من^(٣) سأل مع الاستغناء ملحفاً.

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أخبرنا إسماعيل بن نجيد أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله، حدثنا أبو عاصم النبيل، عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار (عن رجل من بني أسد^(٤)) قال:

قال رسول الله ﷺ: «من سأل وله أوقية فقد سأل إلحافاً»^(٥).

قال ابن عباس في قوله «لا يستلون الناس إلحافاً» يقول: إذا كان عنده غداء لم يسأل غداء. وإذا كان عنده عشاء لم يسأل غداء^(٦).

وأكثر أهل المعاني، الفراء والزجاج وابن الأنباري قالوا^(٧): هذا نفي للسؤال أصلاً، فهم لا يسألون الناس إلحافاً، ولا غير إلحافاً، لما وصفوا به من التعفف، قالوا: والمعنى: ليس منهم سؤال فيكون إلحافاً كما قال الأعمش^(٨):

لا يغمز الساق من أين ولا وصب ولا يعض على شرسوفه الصفر

معناه: ليس بساقه أين ولا وصب فيغمزها، ليس أن هناك أيناً ولا يغمز.

أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن علي بن زياد حدثنا محمد بن إبراهيم البوشنجي، حدثنا علي بن الجعد، أخبرني حماد بن سلمة عن محمد بن زياد^(٩)، عن أبي هريرة قال:

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٥٧/١ وغريب القرآن ص ٩٨.

وانظر معنى «الإلحاف» في مجاز القرآن ٨٣/١ وفتح الباري ١٦٣/٨ واللسان / لحف.

(٢) في (هـ): شمل بالشملة بالمسئلة.

(٣) في (د): ثم سمي كل سأل.

(٤) الإضافة من الفتح الرباني ٩٢/٩ ومسند أحمد ٣٦/٤ وسنن أبي داود ١١٦/٢، والدر ٣٥٩/١.

(٥) الحديث: رواه أبو داود - كتاب الزكاة - باب من يعطي من الصدقة وحد الغني رقم ١٦٢٧ عن عطاء عن رجل من بني أسد. (١١٦/٢).

ومسند أحمد ٣٦/٥، ٧/٣ عن أبي سعيد برواية «من سأل وله أوقية فقد ألحف».

«والحديث سنده جيد وجهالة الصحابي لا تضر ويقويه حديث أبي سعيد».

(الفتح الرباني ٩٢/٩).

(٦) انظر تفسير البغوي ٢٩٥/١ عن عطاء.

(٧) انظر الزجاج ٣٥٧/١ والفراء ١٨١/١، والقرطبي ٣٤٢/٣ عن الطبري والزجاج والبيان ١٧٩/١ وفتح القدير ٢٩٣/١ عن الطبري والزجاج والجمهور.

(٨) انظر البيت في غريب الحديث ٢٦/١ والكامل للمبرد ٦٥/٤، ١٩٦/٣ والخزانة ١٩٧/١ واللسان / صفر، «لا يغمز الساق» لا يجسها، يصف جلده وتحمله المشاق، «والأين»: الاعياء، «والوصب»: الرجوع «والشرسوف»: العظم الزائد فوق القلب وأطراف الأضلاع: شراسيف، «والصفر»: دابة تعض مع الجوع على الشرسوف (والبيت من بحر السيط).

(٩) محمد بن زياد أبو الحارث القرشي مولى عثمان بن مظعون سمع أبا هريرة وعبد الله بن الزبير وعنه شعبة وإبراهيم بن ظهمان وحماد بن

سمعت رسول الله ﷺ (١) يقول: «إن المسكين ليس الطواف الذي ترده التمرة والتمرتان، والأكلة والأكلتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يسأل الناس إلحافاً» (٢).

أخبرنا أبو بكر أحمد الحيري حدثنا محمد بن يعقوب، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم (٣)، أخبرنا أنس بن عياض (٤)، عن هشام بن عروة (٥) عن أبيه عن الزبير بن العوام (٦) قال:

قال رسول الله ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبة فيأتي بحزمة الحطب (٧) على ظهره (فيبيعها) (٨) فيكف (٩) الله (٨) بها وجهه خير له من أن يسأل الناس (أعطوه أو منعه)» (٨) (١٠).

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ الآية، قال ابن عباس في رواية الكلبي وفي رواية مجاهد عنه (١١): نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب رضي الله (١٢) عنه، لم يكن يملك غير أربعة دراهم (١٣)،

= سلمة قال أحمد: من الثقات أثنى عليه أبو داود، ووثقه النسائي والترمذي توفي سنة نيف وعشرين ومائة. (كتاب الجمع ٤٣٨/٢ وتهذيب التهذيب ١٦٩/٩ - ١٧٠ سير الأعلام ٢٦٢/٥).

(١) في (هـ) سمعت رسول الله أن المسكين.

(٢) الحديث رواه البخاري - كتاب الزكاة - (باب وجوب الزكاة) - باب قول الله تعالى (لا يسألون الناس إلحافاً) وكم الغنى... (٢٥٨/١). وفي كتاب التفسير - باب (لا يسألون الناس إلحافاً) (١٠٩/٣).

وأبو داود - كتاب الزكاة - باب من يعطي من الصدقة وحد الغنى رقم ١٦٣١، (١١٨/٢) ومسنده أحمد (٣٩٥/٢) كلهم من حديث أبي هريرة.

(٣) محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث أبو عبد الله المصري قال النسائي ثقة وقال مرة: صدوق لا بأس به وقال ابن أبي حاتم كتبت عنه وهو صدوق ثقة توفي سنة ٢٦٨ هـ (تهذيب التهذيب ٢٦٠/٩ - ٢٦١ وحسن المحاضرة ٣٠٩/١).

(٤) في (د): عياض، وهو: أنس بن عياض الإمام الثقة محدث المدينة النبوية أبو ضمرة الليثي المدني ولد سنة ١٠٤ هـ وحدث عن هشام بن عروة وغيره وانتهى إليه علو الإسناد ببلده توفي سنة ٢٠٠ هـ (تذكرة الحفاظ ٣٢٣/١ - ٣٢٤).

(٥) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي المدني أبو المنذر - ويقال أبو بكر وأبو عبد الله - سمع أباه وأخاه عبد الله وفاطمة بنت المنذر ولد سنة ٦١ هـ توفي سنة ١٤٧ هـ (كتاب الجمع ٥٤٧/٢).

(٦) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد الأسدي أبو عبد الله حواري رسول الله ﷺ وأحد العشرة المبشرين بالجنة توفي سنة ٣٦ هـ (تهذيب التهذيب ٣١٨/٣ - ٣١٩).

(٧) في جميع النسخ: حطب والمثبت من صحيح البخاري.

(٨) زيادة من صحيح البخاري.

(٩) في (أ): فكف وفي (د، هـ): يكف.

(١٠) الحديث رواه البخاري - كتاب الزكاة - باب وجوب الزكاة - باب الاستعفاف عن المسألة (٢٥٧/١) والترمذي - كتاب الزكاة - باب ما جاء في النهي عن المسألة - رقم ٦٧٥، (٩٤/٢) ومسنده أحمد ١٦٤/١ - ١٦٧ والطبراني في الكبير ١٢٥/١ كلهم من حديث الزبير.

(١١) انظر الدرر ٣٦٣/١ وأسباب النزول للواحدي ص ٦٤ وفتح القدير ٢٩٤/١ وغرائب النيسابوري ٧٤/٣ وأسباب النزول للسيوطي ص ٥١ كلها عن ابن عباس قال السيوطي: «سنده ضعيف».

(١٢) ساقطة من (ح) وفي (هـ): كرم الله وجهه.

(١٣) في (د): درهم.

فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية، فأنزل الله هذه الآية.

أخبرنا أبو بكر التيمي، أخبرنا أبو محمد بن حيان، حدثنا محمد بن يحيى بن مالك الضبي^(١)، حدثنا محمد بن سهل الجرجاني^(٢)، حدثنا عبد الرزاق حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد^(٣) عن أبيه، عن ابن عباس في قوله (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) قال: نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كان عنده أربعة دراهم، فأنفق بالليل واحداً، وبالنهار واحداً، وفي السر واحداً، وفي العلانية واحداً^(٤).

وروى حنش بن عبد الله الصنعاني^(٥) عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في الذين يرتبطون الخيل في سهل الله، ينفقون عليها بالليل والنهار سرا وعلانية^(٦). وروى ذلك مرفوعاً:

أخبرنا أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم الصوفي، أخبرنا إسماعيل بن نجيد أخبرنا محمد بن الحسن الخليل، حدثنا هشام بن عمار^(٧)، حدثنا محمد بن شعيب^(٨) عن أبي مهدي^(٩) عن ابن عريب^(١٠) عن أبيه^(١١) عن جده^(١٢)، عن رسول الله ﷺ قال:

«نزلت هذه الآية ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ في أصحاب الخيل».

(١) لم أقف عليه.

(٢) محمد بن سهل بن عسكر بن عمارة بن دويد - ويقال ابن عسكر - التميمي مولاهم أبو بكر البخاري الحافظ الجوال روى عن عبد الرزاق والفريابي والقاسم بن كثير وغيرهم وعنه مسلم والترمذي والنسائي وأبو حاتم قال النسائي وابن عدي: ثقة توفي سنة ٢٥١ هـ (تهذيب التهذيب ٢٠٧/٩) وذكر في أسباب النزول: محمد بن إسماعيل الجرجاني.

(٣) عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر المكي، روى ابن أبي مريم عن يحيى قال: ليس يكتب حديثه وروى عثمان بن سعيد عن يحيى: ليس بشيء وقال أحمد: ليس بشيء ضعيف قال البخاري: قال وكيع لم يسمع من أبيه. (الميزان ٢/٦٨٢).

(٤) في (د): فأنفق واحداً بالليل، وواحداً بالنهار، وواحداً في السر، وواحداً في العلانية انظر الدر ٣٦٣/١ وابن كثير ٣٢٦/١ عن عبد الوهاب بن مجاهد عن ابن جبير عن أبيه، وأسباب النزول للواحدي ص ٦٤ والبحر ٣٣٠/٢ - ٣٣١ كلها عن ابن عباس.

(٥) حنش بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة السبيعي الصنعاني تابعي شجاع من القادة كان من أصحاب علي وشهد معه الوقائع توفي سنة ١٠٠ هـ (الأعلام ٢/٢٢٢).

(٦) انظر تفسير ابن كثير ٣٢٦/١ والدر ٣٦٣/١ وفتح القدير ٣٩٤/١ وأسباب النزول للواحدي ص ٦٤ كلها عن ابن عباس.

(٧) هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة أبو الوليد السلمي - ويقال الظفري - الدمشقي روى له البخاري توفي سنة ٢٤٥ هـ (كتاب الجمع ٥٤٨/٢ - ٥٤٩).

(٨) محمد بن شعيب بن شابور الإمام المحدث أبو عبد الله الدمشقي نزيل بيروت من موالي بني أمية حدث عن الأوزاعي وطبقته ومنه محمد بن مصفى ودحيم، وثقه دحيم وقال أحمد ما أرى به بأساً توفي سنة ١٩٨ هـ (تذكرة الحفاظ ١/٣١٥ - ٣١٦).

(٩) في أسباب النزول للواحدي ص ٦٢: ابن مهدي، فعله الحافظ الكبير عبد الرحمن بن مهدي أبو سعيد البصري [١٣٥ - ١٩٨] - (تذكرة الحفاظ ١/٣٢٩ - ٣٣٠).

(١٠) هو يزيد بن عبد الله بن عريب المليكي روى عن أبيه عن جده.

(١١) أبوه: عبد الله بن عريب المليكي عن أبيه - قال السيوطي في أسباب النزول بعد ذكر الحديث «يزيد وأبوه مجهولان» وكذا في الدر ٣٦٣/١.

(١٢) عريب أبو عبد الله المليكي عداه في أهل الشام قال البخاري: قيل له صحبة «عن يزيد بن عبد الله بن عريب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «إن هذه الآية» الحديث. (أسد الغابة ٤/٣٤).

وقال رسول الله ﷺ «إن الشيطان لا يخبل أحدا»^(١) في بيته فرس عتيق من الخيل»^(٢).

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا
إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ
إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحُو اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ
لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا
بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ
لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

قوله تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا﴾^(٣) يريد: الذين يعاملون به^(٤)، فنه بالأكمل على ما سواه، كما قال
﴿الذين يأكلون أموال اليتامى﴾^(٥).

و«الربا» في اللغة: الزيادة، يقال: ربا الشيء يربو ربا، وأربنى الرجل إذا عامل في الربا ومنه الحديث «من
أجبنى فقد أربى»^(٦) أي: عامل بالربا هذا معنى الربا في اللغة.

وأما^(٧) في الشرع: فهو اسم للزيادة على أصل المال من غير بيع.

(١) في (د): لأحد.

(٢) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب التفسير - وقال «رواه الطبراني في الكبير والأوسط ويزيد بن عبد الله وأبوه لا يعرفان»
(٣٢٤/٦).

وأسابب النزول للسيوطي ص ٥١ والدر ٣٦٣/١ أخرجه ابن سعد في الطبقات وأبو بكر أحمد بن أبي عاصم في الجهاد وابن المنذر
وابن أبي حاتم وابن عدي والطبراني وأبو الشيخ في العظمة والواحدي عن يزيد بن عبد الله بن عريب عن أبيه عن جده وابن كثير
٣٢٦/١.

والطبقات الكبرى لابن سعد ٤٣٣/٧.

(٣) في جميع النسخ: الربا.

(٤) في (د): يعاملونه.

(٥) سورة النساء / ١٠.

(٦) الحديث رواه الطبراني في الكبير ٣٣٦/٢٠ عن النعمان بن سعد ضمن كتاب رسول الله ﷺ لمسروق بن وائل الحضرمي، ٤٨/٢٢ عن
وائل بن حجر.

وفي الصغير ١٤٣/٢ - ١٤٦ عن وائل. وفي غرائب الحديث ٢١١/١ فيما كتب لوائل بن حجر، والفائق ١٤/١. وانظر معنى «الربا»
في الزاهر ٤٤٧/١ - ٤٤٨، واللسان / ربا.

(٧) في (ج، هـ): فأما.

وقوله ^(١) ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ يعني ^(٢): يوم القيامة من قبورهم ﴿إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان﴾ «التخبط» معناه: الضرب على غير استواء، ويقال للذي يتصرف في أمر ولا يهتدي فيه: يخبط خبط عشواء ^(٣)، ومنه قول زهير:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطىء يعمر فيهم ^(٤)

وتخبطه ^(٥) الشيطان: إذا مسه بخيل أو جنون، يقال: به خبطة من جنون.

وقوله ^(٦) ﴿من المس﴾ «المس»: الجنون، يقال: مس الرجل فهو ممسوس وبه مس وألس، وأصله من المس باليد، كأن الشيطان يمس الإنسان فيجنه، ثم سمي الجنون مساً، كما أن الشيطان يتخبطه برجله فيخبله، فسمي الجنون خبطة ^(٧).

قال قتادة ^(٨): إن أكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً، وذلك علم لأكله الربا يعرفهم به أهل الوقف.

وقوله ^(٩) ﴿ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا﴾ أي: ذلك الذي نزل بهم بقولهم هذا ^(١٠)، واستحللهم إياه، وذلك أن المشركين قالوا: الزيادة على رأس المال بعد محل الدين كالزيادة بالربح في أول البيع، وكان أحدهم إذا حل له مال على إنسان قال لغريمه: زدني في المال حتى أزيدك في الأجل.

فكذبهم ^(١١) الله عز وجل ^(١٢) فقال ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه ^(١٣) موعظة من ربه﴾ أي: وعظ، قال السدي ^(١٤): يعني: القرآن ﴿فانتهى﴾ عن أكل الربا ﴿فله ما سلف﴾ أي: ما أكل من الربا، ليس عليه رده ^(١٥).

ومعنى «سلف»: تقدم ومضى، والسلف ^(١٦): التقدم ^(١٧).

(١) في (د): قوله. (٣) خبط عشواء: وهي الناقة التي في بصرها ضعفت تخبط إذا مشت لا تتوقى شيئاً اللسان / خبط.

(٢) ساقطة من (هـ). (٤) البيت في ديوان زهير ص ٢٩ أول القصيدة، واللسان / خبط لزهير.

(٥) في (د): وتخبط.

(٦) في (د): قوله.

(٧) انظر معنى «المس» في غريب القرآن ٩٨ والنتيان ٢٢٣/١ وفتح الباري ١٦٣/٨ ومجاز القرآن ٨٣/١، واللسان / مس، «والألس»، والألس: ذهاب العقل وتذهيله، قال أبو عبيد: الألس: هو اختلاط العقل وألس الرجل ألساً فهو مألوس أي مجنون ذهب عقله (اللسان / ألس).

(٨) انظر تفسير ابن عباس ص ٤٠ والزجاج ٣٥٧/١ وابن كثير ٣٢٦/١ عن ابن عباس وقتادة ومقاتل والدر ٣٦٥/١ عن ابن عباس والطبري ١٠/٦ عن قتادة والربيع والضحاك وابن زيد، وغرائب النيسابوري ٨٢/٣ ومصنف ابن أبي شيبة ٥٦٢/٦ عن سعيد بن جبير وفتح القدير ٢٩٦/١ عن ابن عباس.

(٩) في (د): قوله.

(١٠) أي: العذاب النازل بهم بسبب قولهم هذا أي: (إنما البيع مثل الربا) (حاشية أ).

(١١) في (هـ): وكذبهم.

(١٢) في (د): الله تعالى.

(١٣) «إنما ذكر جاء لثلاثة أوجه: الحمل على المعنى ولأن التأنيث ليس بحقيقي والفضل بالهاء». (انظر البيان ١/١٨٠).

(١٤) انظر تفسير الطبري ١٤/٦ عن السدي وفتح القدير ٢٩٧/١ عن سعيد بن جبير.

(١٥) في (د): ليس عليه زيادة.

(١٦) في (د): والسلف. وفي (هـ): والسلف هو.

(١٧) «سلف يسلف سلفاً وسلفاً: تقدم والسالف: المتقدم» (اللسان / سلف).

﴿وأمره إلى الله (١)﴾ أي: بعد النهي، إن شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء، وإن شاء خذله حتى يعود ﴿ومن عاد﴾ إلى استحلال الربا ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

قال أبو إسحاق الزجاج (٢): هؤلاء الذين (قالوا إنما البيع مثل الربا) ومن اعتقد هذا فهو كافر.

أخبرنا أبو سعيد عبد الرحمن بن الحسن الحافظ حدثنا (٣) أبو الفضل الشيباني (٤) حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى بن صفوان (٥) حدثنا محفوظ بن يحيى (٦) حدثنا خالد بن يزيد البجلي (٧) حدثنا بيان بن بشر حدثنا إسماعيل بن أبي خالد (٨)، عن عامر (٩) عن الحرث (١٠)، عن علي رضي الله (١١) عنه قال:

«لعن النبي ﷺ في الربا خمساً (١٢): آكله، وموكله، وشاهديه، وكاتبه (١٣)».

قوله ﴿يمحق الله الربا﴾ «المحق» نقصان (١٤) الشيء حالاً بعد حال ومنه المحاق في الهلاك، يقال: محقه الله فانمحق وامتحق.

قال المفسرون (١٥) ﴿يمحق الله الربا﴾ أي: ينقصه ويذهب بركته، وإن كان كثيراً كما يمحق القمر، وقال ابن

(١) في (هـ): إلى الله تعالى.

(٢) في (د): أخبرنا.

(٣) انظر الزجاج ٣٥٨/١.

(٤) أبو الفضل الشيباني: محمد بن عبد الله الشيباني الكوفي عن البغوي وابن جرير وخرائط له رحلة إلى مصر والشام قال المخطيب كتبوا عنه بانتخاب الدارقطني ثم بان كذبه فمزقوا حديثه وكان يضع الأحاديث للرافضة توفي سنة ٣٨٧ هـ. (الميزان ٦٠٦/٣ - ٦٠٨).

(٥) محمد بن أحمد بن يحيى بن صفوان الأنطاكي كان إمام الجامع بأنطاكية يروي عن أبي أيوب سليمان بن عبد الحميد البهراني، ومحمد بن أحمد بن الوليد الأنطاكي وطائفة توفي سنة ٣٠٦ هـ. (الأنساب ٣٧١/١).

(٦) في (د): محفوظ بن بحير.

لعله: محفوظ بن محمود من أصحاب أبي حفص النيسابوري وهو من قدماء مشايخ نيسابور وجلتهم ومن أروعهم وأزهمهم لطريقتهم توفي سنة ٣٠٣ هـ (طبقات الصوفية ٢٧٣).

(٧) خالد بن يزيد ابن أمير العراق خالد بن عبد الله بن أسد البجلي الدمشقي روى عن هشام بن عروة ومحمد بن سودة وعمار الدهني وغيرهم وكان صاحب حديث ومعرفة وليس بالمتقن يتفرد بالمتكبر قال أبو حاتم: ليس بقوي وقال ابن عدي: أحاديثه لا يتابع عليها. (سير الأعلام ٤١٠/٩ - ٤١١).

(٨) إسماعيل بن أبي خالد الإمام الحافظ أبو عبد الله البجلي الأحمسي مولاهم الكوفي أحد الأعلام سمع ابن أبي أوفى وطارق بن شهاب وطائفة وكان حجة متقناً كثيراً عالماً توفي سنة ١٤٥ هـ. (تذكرة الحفاظ ١٥٣/١ - ١٥٤).

(٩) هو الشعبي.

(١٠) الحرث بن سويد التميمي الكوفي - تيم الرباب - أبو عائشة سمع علي بن أبي طالب وابن مسعود قال ابن سعد مات في آخر ولاية عبد الله بن الزبير (الجمع ٩٥/١).

(١١) في (د): عن علي قال.

(١٢) في (ح، د، هـ): خمسة.

(١٣) الحديث: رواه مسلم - كتاب البيوع - باب لعن الله آكل الربا وموكله عن عبد الله وجابر (٦٩٧/١).

والترمذي - كتاب البيوع - باب ما جاء في ترك الشبهات رقم ١٢٢٣ عن علي «حسن صحيح» (٣٤٠/٢).

(١٤) في (د): النقصان في الشيء.

(١٥) انظر تفسير ابن عباس ص ٤٠ وفتح الباري ١٦٤/٨ ومجاز القرآن ٨٣/١ والدر ٨٣/١ وابن كثير ٣٢٨/١ والبحر ٣٣٦/٢ عن ابن عباس وابن مسعود وابن جبير وفتح القدير ٢٩٦/١.

عباس في رواية الضحاك^(١) : يعني لا يقبل الله منه صدقة ولا جهدا ولا حجاً، ولا صلاة^(٢) .

﴿ويربي الصدقات﴾ أي : يزيد فيها وبارك عليها قال عطاء عن ابن عباس : ويربي الصدقات لصاحبها كما يربى أحدكم فصيله^(٣) .

أخبرنا الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، أخبرنا عبد الله بن حامد^(٤) أخبرنا محمد بن الحسن بن الخليل حدثنا سهل بن عمار^(٥) حدثنا يزيد بن هارون حدثنا عياد بن منصور الناجي^(٦) قال : سمعت القاسم بن محمد يقول سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : «إن الله عز وجل يقبل الصدقات ولا يقبل منها إلا الطيب، ويأخذها بيمينه فيريها كما يربي أحدكم مهره - أو فلوه - حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد» .

وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل^(٧) ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات﴾^(٨) و﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾^(٩) .

وقوله ﴿والله لا يحب كل كفار﴾ أي : بتحريم الربا لا يصدق الله ورسوله في ذلك ﴿أثيم﴾ أي : فاجر بأكله ومعنى لا يحبه الله : لا يثني عليه، ولا يثيبه، ولا يرضى فعله .

قوله ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ تفسير هذه الآية قد^(١٠) تقدم فيما مضى .

قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا﴾^(١١) :

(١) انظر تفسير الطبري ١٥/٦ وغرائب النيسابوري ٨٥/٣ والبغوي ٣٠٠/١ والقرطبي ٣٦٢/٣ والبحر ٣٣٦/٢ كلها عن ابن عباس .

(٢) في (د) : ولا صلة .

(٣) انظر الوجيز للواحدي ٨١/١ وفي حاشية أ «وفي الحديث : ما نقصت زكاة من مال قط» «والفصيل : ولد الناقة إذا فضل عن أمه، وأكثر ما يطلق في الإبل وقد يقال في البقر» (اللسان / فصل) .

(٤) عبد الله بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن رستم بن ماهان أبو محمد الماهاني الأصبهاني الراعي روى عنه الحاكم وغيره توفي سنة ٣٨٩ هـ وهو ابن ٨٣ سنة (طبقات الشافعية ٤/٣٠٦ - ٣٠٧) .

(٥) سهل بن عمار النيسابوري عن يزيد بن هارون وغيره متهم، كذبه الحاكم فقال في تاريخه سهل بن عمار العتكي قاضي هراة وكان قاضياً طرسوس وهو شيخ أهل الري في عصره قلت لمحمد بن صالح بن هارون : لم لا تكتبون حديثه؟ فقال : كانوا يمنعون من السماع له توفي سنة ٢٦٧ هـ (الميزان ٢/٢٤٠ وسير الأعلام ١٣/٣٣) .

(٦) عباد بن منصور الناجي أبو سلمة البصري عن عكرمة وجماعة لم يرضه يحيى بن سعيد وقال ابن معين ليس بشيء وضعفه النسائي وقال أبو حاتم : ضعيف يكتب حديثه وقال ابن الجيد : متروك قدرى . مات سنة ١٥٢ هـ (الميزان ٢/٣٧٦ - ٣٧٨) .

(٧) في (د) : هـ : كتاب الله تعالى .

(٨) في (د) : الربى .

(٩) سورة التوبة ١٠٤ .

(١٠) الحديث رواه مسلم - كتاب الزكاة - باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها - عن أبي هريرة بلفظ «ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت ثمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله» وبرواية أخرى قريبة منها . (٤٠٥/١) .

والترمذي - كتاب الزكاة - باب فضل الصدقة - عن أبي هريرة رقم ٦٥٦ بلفظ مسلم وأورده العقيلي ترجمة «عباد بن منصور الناجي» (الضعفاء الكبير ٣/١٣٥ - ١٣٧) .

والطبراني في الصغير ١١٩/١ عن عباد عن القاسم بن محمد عن أبي هريرة .

(١١) في (ح) : هـ : الآية تقدم . وانظر ذلك عند تفسير الآية ٤٣ وكذلك ٨٢ من سورة البقرة .

(١٢) في (د) : هـ : (الربى) الآية .

أخبرنا أبو بكر التيمي، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد الرازي، حدثنا سهل بن عثمان، حدثني داود^(١) عن ابن جريح عن مجاهد قال:

كانت ثقيف^(٢) قد صالحوا النبي ﷺ على أن لهم رباهم على الناس وما كان عليهم من ربا فهو موضوع^(٣). وكان بنو عمرو بن عمير يأخذون الربا على بني المغيرة^(٤) فجاء الإسلام ولهم عليهم^(٥) مال كثير، فجاءوا يطلبون الربا من^(٦) بني المغيرة فرفع ذلك بنو المغيرة، إلى عتاب بن أسيد^(٧) - وكان النبي ﷺ قد استعمل عتابا على مكة، فكتب في ذلك إلى النبي ﷺ فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا﴾ إلى قوله (فأذنوا^(٨)) بحرب من الله ورسوله) فكتب بها النبي ﷺ إلى عتاب ففعلوا^(٩).

ومعنى الآية: تحريم ما بقي ديننا^(١٠) من الربا، وإيجاب أخذ المال دون الزيادة على جهة الربا. وقوله ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ معناه: أن من كان مؤمنا فهذا حكمه كما تقول: إن كنت أخي فأكثر مني معناه: أن من كان أخا أكرم أخاه.

قال الزجاج^(١١): أعلم الله أن من كان مؤمنا قبل عن الله تعالى أمره، ومن أبي فهو حرب أي: كافر^(١٢).

وقال^(١٣) ﴿فإن لم تفعلوا﴾ أي: فإن لم تذر ما بقي من الربا ﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ يقال: أذن بالشيء، إذا علم به، يأذن أذنا وأذانة، قال أبو عبيدة: يقال: آذنته بالشيء فأذن به أي: علم^(١٤).

والمعنى: فإن لم تضعوا الربا الذي قد أمر الله بوضعه عن الناس فاعلموا بحرب من الله ورسوله، وهي القتل في الدنيا والنار في الآخرة، أي: فأيقنوا أنكم تستحقون القتل والعقوبة بمخالفة أمر الله ورسوله.

(١) داود بن عبد الرحمن العطار العبدي أبو سليمان المكي روى عن هشام بن عروة وابن جريح ومعمر وغيرهم وثقه ابن معين وذكره ابن حبان في الثقات ولد سنة ١٠٠ هـ وتوفي سنة ١٧٥ هـ (تهذيب التهذيب ٣/١٩٢).

(٢) ثقيف: حي من قيس، وقد يكون اسماً للقبيلة. (اللسان / ثقف).

(٣) أي يأخذون ما لهم على الناس ولا يعطون ما للناس عليهم.

(٤) بنو عمرو بن عمير من ثقيف، وبنو المغيرة من بني مخزوم (ابن كثير ١/٣٣٠ وأسباب النزول للواحدي ص ٦٥).

(٥) في المطبوعة: ولهم مال كثير.

(٦) في (د): عن بني.

(٧) عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس أبو عبد الرحمن وال أموي قرشي من الصحابة أسلم يوم فتح مكة، واستعمله النبي ﷺ عند مخرجه إلى حنين عليها سنة ٨ هـ وظل عليها حتى مات سنة ١٣ هـ ومن المؤرخين من يقول انه توفي سنة ٢٣ هـ. (الأعلام ٤/٣٥٨).

(٨) ساقطة من (هـ).

(٩) انظر تفسير الطبري ٦/٣٣ عن ابن جريح وغرائب النيسابوري ٣/٨٨ عن ابن عباس والدر ١/٣٦٤ عن ابن عباس ١/٣٦٦ عن ابن جريح ومقاتل وابن كثير ١/٣٣٠ عن زيد بن أسلم وابن جريح ومقاتل والسدي والقراء ١/١٨٢، وفتح القدير ١/٢٩٨ عن ابن جريح.

(١٠) في (هـ): دين.

(١١) في (د): قال أعلم.

(١٢) انظر معاني القرآن للزجاج ١/٣٥٩.

(١٣) في (د): فقال.

(١٤) انظر مجاز القرآن ١/٨٣، والزجاج ١/٣٥٩ والقراء ١/١٨٩ واللسان / أذن.

وقرأ حمزة وعاصم^(١) - في بعض الروايات - (فأذنوا) ممدوداً، أي: فاعلموا من قوله ﴿فقل أذنتكم على سواء﴾^(٢).

والمعنى: فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب، وإذا أمروا بإعلام غيرهم علموا هم لا محالة.

قال سعيد بن جبير^(٣): يقال يوم القيامة لأكل الربا: خذ سلاحك للحرب.

وقوله ﴿وإن تبتم﴾ أي: عن الربا ﴿فلكم رؤوس أموالكم﴾ وإنما شرط التوبة، لأنهم إن لم يتوبوا كفروا ورد حكم الله، وصار مالهم فينا للمسلمين، فلا يكون لهم رؤوس أموالهم^(٤).

وقوله ﴿لا تظلمون﴾ أي: بطلب الزيادة ﴿ولا تظلمون﴾ بالنقصان عن رأس المال. قال المفسرون^(٥): نزلت هذه الآية قال الأخوة^(٦) المربون - يعني: ثقيفاً^(٧) - بل نتوب إلى الله عز وجل، فإنه لا يدان لنا^(٨) بحرب^(٩) الله ورسوله فرضوا برأس المال، وسلموا لأمر الله عز وجل، فشكوا^(١٠) بنو المغيرة العسرة وقالوا: أخرونا^(١١) إلى أن تدك الغلات، فأبوا أن يؤخروا، فأنزل الله تعالى قوله^(١٢):

﴿وإن كان ذو عسرة﴾ و«كان» ها هنا: بمعنى وقع^(١٣) وحدث، أي: إن وقع غريم ذو عسرة، و«العسرة» اسم^(١٤) من الإعسار وهو تعذر الموجود من المال.

وقوله ﴿فنظرة﴾ «النظرة»: اسم من الإنظار، وهو الإمهال، يقال: بعته بنظرة وبنظار^(١٥). والمعنى: فالذي تعاملونه به نظرة، أي: تأخير ﴿إلى ميسرة﴾ وهي مفعلة من اليسر الذي هو ضد العسر، وهو تيسر الموجود من المال، يقال: ميسرة وميسرة وميسور^(١٦).

ومهما علم الإنسان أن غريمه معسر حرم عليه حسبه وملازمته ومطالبته بماله عليه ووجب عليه الإنظار^(١٧) إلى وقت يساره

(١) قرأ حمزة وأبو بكر وعاصم (فأذنوا) ممدوداً مكسوراً الذال وقرأ الباقون بسكون الهمزة وفتح الذال، أي: فاعلموا أنتم. (انظر الحجة لأبي زرعة ١٤٨، والسبعة ١٩١-١٩٢، والنشر ٢/٢٢٦، والتبيان ١/٢٢٤ والزجاج ١/٣٥٩ وغريب القرآن ٨، والزاهر ٧/٢ والحجة لابن خالويه ١٠٣).

وعاصم: هو: عاصم بن أبي النجود بن بهدلة الكوفي الأسدي بالولاء أبو بكر أحد القراء السبعة، تابعي من أهل الكوفة، كان ثقة في القراءات وله اشتغال بالحديث توفي سنة ١٢٧ هـ. (الأعلام ٤/١٢٤).

(٢) سورة الأنبياء/ ١٠٩.

(٣) تفسير الطبري ٦/٢٥ عن سعيد وابن عباس وكذا ابن كثير ١/٣٣٠ والدر ١/٣٦٦، عن ابن عباس والبحر ١/٣٣٩ عن ابن عباس.

(٤) انظر البحر ٢/٣٣٩.

(٨) «أي: لا طاقة ولا قوة لنا» (حاشية أ).

(٩) في (ح): بحرب من الله.

(١٠) في (أ): فشكوا.

(١١) في (ح): أخروا.

(٥) انظر البحر ٢/٣٣٩ وابن كثير ١/٣٣٠.

(٦) في (ح، د): الأخذة.

(٧) ما بين العارضتين ساقط من (د).

(١٢) ساقطة من (د).

انظر معنى «كان»: في التبيان ١/٢٢٥ والمشكل ١٤٣ والأخفش ١/٣٨٩ والبيان ١/١٨١.

(١٣) في (ح): حدث ووقع.

(١٤) في (د): الاسم.

(١٦) انظر التبيان ١/٢٢٥-٢٢٦ والبيان ١/١٨١.

(١٧) في (ه): الأنصار.

(١٥) انظر غريب القرآن ٩٩ والتبيان ١/٢٢٥ والمشكل ١/١٤٣-١٤٤.

أخبرنا أبو عبد الله محمد إبراهيم المزكي، أخبر أبو سهل محمد بن أحمد^(١) بن الحسين الزجاج، أخبرنا^(٢) محمد بن أيوب، أخبرنا القعني^(٣)، حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم^(٤) عن أبيه، عن أبي اليسر^(٥) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنظر معسراً أو وضع له أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»^(٦).

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا بحر بن نصر، حدثنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة^(٧) حدثه، أنه سمع أبو هريرة يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان رجل يداين^(٨) الناس، فإذا أعسر^(٩) المعسرة قال لفتاه: تجاوز عنه، فلعل^(١٠) الله يتجاوز عنا، فلقي الله فتجاوز عنه».

رواه مسلم عن حرمة وعن ابن وهب^(١١).

وقوله^(١٢) «وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون» أعلم الله تعالى أن الصدقة برأس المال على المعسر خير وأفضل من انتظار يسره^(١٣).

قوله تعالى: «واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله» انتصب «يوماً» على المفعول به لا^(١٤) على الظرف، لأنه ليس المعنى: اتقوا في هذا اليوم، ولكن المعنى تأهبوا للقاء هذا اليوم بما تقدمون من العمل الصالح.

«ثم توفى كل نفس ما كسبت»^(١٥) أي: جزاء ما كسبت من الأعمال، قال ابن عباس^(١٦): يريد ثواب عملها خيراً بخير وشرأ بشر.

(٢) في (د): حدثنا.

(١) لم أفق عليه.

(٣) عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي التيمي المدني سكن البصرة يكنى أبا عبد الرحمن سمع مالك بن أنس وإبراهيم بن سعد وطائفة روى عنه البخاري ومسلم توفي سنة ٢٢١ هـ (كتاب الجمع ١/٢٦٠).

(٤) عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه ضعفه يحيى وأبو زرعة ووثقه أحمد وغيره وقال النسائي ليس بالقوي ووثقه معن القزاز وصححه البخاري (الميزان ٢/٤٢٥).

(٥) أبو اليسر بفتح الياء والسين - كعب بن عمرو الأنصاري السلمى من أهل الصفة ممن شهد بدرًا والعقبة وأسر العباس بن عبد المطلب في بدر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وهو آخر من مات من أهل بدر بالمدينة سنة ٥٥ هـ (البداية والنهاية ٨/٨٥).

(٦) الحديث: رواه مسلم - كتاب الزهد والرفائق - باب حديث جابر وقصة أبي اليسر (٢/٦٠٠) والترمذي - كتاب البيوع - باب ما جاء في إنظار المعسر والرفق به - رقم ١٣٢١ وما بعده عن أبي هريرة وأبي اليسر وغيرهما «حسن صحيح غريب» (٢/٣٨٥) والمستدرک - كتاب البيوع - عن أبي اليسر «صحيح على شرط الشيخين» (٢/٢٨ - ٢٩).

(٧) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة مسعود أبو عبد الله الهذلي حليف بني زهرة أحد الفقهاء السبعة سمع عبد الله بن عباس وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري وعائشة وكان إماماً حجة وهو مؤدب عمر بن عبد العزيز توفي سنة ٩٨ (البداية والنهاية ٩/١٩٨) والجمع ١/٣٠١ - ٣٠٢.

(١٠) في (د): ولعل.

(٩) في (د): فإذا عسر عنه.

(٨) في (هـ): بدان... عسر المعسر.

(١١) الحديث: رواه مسلم - كتاب البيوع - باب فضل إنظار المعسر. عن أبي هريرة (١/٦٨٣) بلفظ «كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا، فلقي الله فتجاوز عنه» وكذا البخاري في صحيحه - كتاب بدء الخلق - (حديث الغار) عن أبي هريرة (٢/٢٦٣).

(١٢) في (د): قوله تعالى.

(١٥) في (د): قوله.

(١٣) في (د): الانتظار يسره.

(١٦) انظر تفسير ابن عباس ص ٤٠ والدر ١/٣٧٠ عن سعيد بن جبیر.

(١٤) في (د): المفعول به على الظرف.

﴿وهم لا يظلمون﴾ يريد: وهم لا ينقصون لا أهل الثواب ولا أهل العقاب، قال: وهذه الآية لجميع^(١) الخلق البر والفاجر.

أخبرنا أبو بكر التميمي^(٢)، أخبرنا أبو محمد الحياتي، حدثنا أبو يحيى الرازي حدثنا سهل بن عثمان حدثنا عبد الله بن المبارك عن جوير عن الضحاك، عن ابن عباس قال:

آخر آية نزلت ﴿وأتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾^(٣) قال ابن جريح^(٤): وعاش رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليال وقال سعيد بن جبير ومقاتل: سبع ليال^(٥). قال ابن عباس: قال جبريل للنبي ﷺ: ضعها على رس ثمانين ومائتين من سورة البقرة^(٦).

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِكْ وَلْيُكْتُب بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبُ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨١﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ

(١) في (د): تجمع الخلق.

(٢) في (د): أبو بكر يحيى التميمي وفي (د) سهل بن عثمان بن عبد الله أخبرنا.

(٣) انظر تفسير الثوري ٧٣ والزجاج ٣٦٠/١ وفتح الباري ١٦٤/٨ والدر ٣٧٠/١ عن ابن عباس والسدي وعطية وأبي صالح وسعيد بن جبير ومسند أحمد ٣٦/١ وكنز العمال ٣٧١/٢ وابن كثير ٣٣٣/١ عن ابن عباس والطبري ٤٠/٦ عنه وفتح القدير ٢٩٩/١ عنه والرازي ١٠٤/٧ عنه ومجمع الزوائد - كتاب التفسير - عن ابن عباس «رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات» (٣٢٤/٦). وصحيح البخاري - كتاب البيوع - باب موكل الربا - عن ابن عباس (٨/٢).

(٤) انظر تفسير الطبري ٤١/٦ وابن كثير ١٣٣/١ كلاهما عن ابن جريح والدر ٣٧٠/١ عن سعيد بن جبير.

(٥) انظر القرطبي ٣٧٥/٣ عن سعيد ومقاتل والبخاري ٣٠٤/١ عن سعيد، وفي تفسير ابن كثير ٣٣٣/١، والدر ٣٧٠/١ وفتح القدير ٢٩٩/١ عن سعيد «تسع ليال».

(٦) انظر البحر ٣٤١/١، والرازي ١٠٤/٧ والبخاري ٣٠٤/١ وغرائب النيسابوري ٩٢/٣ والفراء ١٨٣/١ كلها عن ابن عباس.

و«رأس كل شيء أعلاه، قال ابن عقيل: القافية: رأس البيت» (اللسان / رأس).

فالمراد وضع هذه الآية بعد آية ٢٨٠ لتكون الآية رقم ٢٨١.

بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ
وَاللَّهُ بِمَا نَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

قوله (١) ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾: قال ابن عباس (٢): لما حرم الله تعالى الربا أباح السلم بهذه الآية. و«التداين» تفاعل من الدين، ومعناه: تبايعتم بدين، و«الأجل» معناه: الوقت المضروب لانقضاء الأمر، وأصله من التأخير، يقال: أجل الشيء يأجل أجولا، إذا تأخر، والأجل: نقيض العاجل (٣). قال ابن عباس (٤): أشهد أن السلف المضمون إلى أجل مسمى قد أحله الله في كتابه وأذن فيه، ثم قرأ (إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه).

أمر الله تعالى في الحقوق المؤجلة بالكتابة والإشهاد، وهو قوله ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ حفظاً منه للأموال، وذلك أن الذي عليه الدين إذا كانت عليه الشهود والبينة قل (٥) تحدثه نفسه بالطمع في إذهابه (٦)، وهذا أمر ندب وإباحة، فإن كتب فحسن، وإن لم يكتب فلا بأس.

أخبرنا أحمد بن الحسن القاضي (٧)، حدثنا محمد بن يعقوب حدثنا بحر بن نصر، حدثنا ابن وهب، أخبرني الحرث بن نبهان (٨)، عن يزيد بن أبي خالد (٩)، عن أبي أيوب (١٠)، عن أنس بن مالك:

«أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدين فإنه هم بالليل ومذلة بالنهار» (١١)»

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصر أباضي، أخبرنا محمد بن الحسن (١٢) السراج، حدثنا محمد بن حبان بن

(١) في غير (أ) قوله تعالى .

(٢) انظر فتح الباري ٤/٣٣٩ - ٣٤٠ وغرائب النيسابوري ٣/٩٦، والبحر ٢/٣٤٣ كلها عن ابن عباس.

(٣) انظر (اللسان / أجل) «أجل من باب فرح».

(٤) انظر المستدرک - كتاب التفسير - عن ابن عباس صحيح على شرط الشيخين ٢/٢٨٦ والطبري ٦/٤٥ وابن كثير ٢/٣٣٤ والدر ١/٣٧٠ وفتح القدير ١/٣٠٤ كلها عن ابن عباس.

(٥) في (هـ): قل ما تحدثه.

(٦) في (د): بإذهابه.

(٧) في (د): أحمد بن أحمد بن الحسن القاضي

(٨) الحرث بن نبهان أبو محمد البصري روى عنه ابن وهب ومسلم بن إبراهيم وجعفر بن سليمان وغيرهم قال أحمد: رجل صالح لم يكن يعرف الحديث ولا يحفظ منكر الحديث، وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث وقال أبو حاتم: متروك مات ما بين الخمسين والستين ومائة. (تهذيب التهذيب ٢/١٥٨ - ١٥٩).

(٩) لم أقف عليه.

(١٠) أبو أيوب: ميمون بن مهران الإمام القدوة أبو أيوب الرقي عالم أهل الجزيرة روى عن عائشة وأبي هريرة وابن عمر وطائفة، وأرسل عن عمر والزيبر وغيرهما قال النسائي: ثقة توفي سنة ١١٧ هـ وهو من أبناء الثمانين.

(تذكر الحفاظ ١/٩٨ - ٩٩).

(١١) الحديث: انظر كشف الخفاء ١/٢٧١ «رواه الديلمي عن أنس» وكذا في كنوز الحقائق ١/١٣٣، وكتر العمال ٦/٢٣٣ والجامع الصغير ١/١١٧ «رواه البيهقي في الشعب عن أنس» ورمز له بالضعيف.

(١٢) في (أ): الحسين.

الأزهر^(١)، حدثنا عمرو بن مرزوق^(٢) أخبرنا شعبة، عن فراس^(٣)، عن الشعبي، عن سمرة بن جندب^(٤) :
أن رسول الله ﷺ صلى الصبح، فقال: «ها هنا أحد من بني فلان إن صاحبكم محبوس بباب الجنة يدين
عليه»^(٥).

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد السراج، أخبرنا حامد بن محمد الهروي^(٦)، حدثنا بشر بن موسى الأسدي^(٧)،
حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ^(٨) حدثنا سعيد بن أبي أيوب أخبرنا عياش بن عباس^(٩)، عن عبد الرحمن الحجلي^(١٠)
عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال:

«القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين»

رواه مسلم عن زهير بن حرب عن أبي عبد الرحمن المقرئ^(١١).

قوله^(١٢) ﴿وليكتب بينكم كتاب بالعدل﴾ أي: ليكتب كتاب الدين بين المستدين والمدين كاتب بالعدل،

(١) محمد بن حبان بن الأزهر أبو بكر الباهلي البصري حدث ببغداد عن عمرو بن مرزوق وأبي عاصم النبيل وطائفة قال ابن مندة: يس
بذاك وقال أبو عبد الله الصدري: ضعيف وقال أبو القاسم الأبتودي، لا بأس به توفي سنة ٣٠١ هـ.
(الميزان ٥٠٨/٣ - تاريخ بغداد ٢٣١/٥ - ٢٣٢).

(٢) عمرو بن مرزوق الباهلي أبو عثمان البصري قال أبو حاتم: كان ثقة من العباد وقال الحاكم عن الدارقطني: صدوق كثير الوهم، وذكره
ابن حبان في الثقات وقال: ربما أخطأ توفي سنة ٢٢٤ هـ (تهذيب التهذيب ٩٩/٨ - ١٠٠).

(٣) فراس بن يحيى الهمداني صاحب الشعبي وثقه أحمد وابن معين والنسائي توفي سنة ١٢٩ هـ (الميزان ٣٤٣/٣).

(٤) سمرة بن جندب الفزاري حليف الأنصار أبو عبد الرحمن - ويقال أبو عبد الله وأبو سعيد - سمع النبي ﷺ نزل الكوفي وولي البصرة توفي
سنة ٥٩ هـ. (كتاب الجمع ٢٠٢/١ - ٢٠٣).

(٥) الحديث: رواه أبو داود في السنن - كتاب البيوع - باب في التشديد في الدين ٣٣٤، (٢٤٦/٣).

والنسائي في السنن - كتاب البيوع - باب التغليظ في الدين (٣١٥/٧).

ومجمع الزوائد - كتاب البيوع - باب ما جاء في الدين «رجاله ثقات».

والمستدرک - كتاب البيوع - «صحيح على شرط الشيخين» (٢٥/٢).

وزوائد البزار - كتاب البيوع - باب ما جاء في الدين - رقم ١٣٣٩ - (١١٧/٢ - ١١٨) وانظر علل الحديث للرازي «رواه أبو داود
الطيالسي عن شعبة عن فراس عن الشعبي قال سمعت سمرة... الحديث» والشعبي لم يسمع عن سمرة، روى سعيد بن مسروق عن
الشعبي عن سمعان بن مشيخ عن سمرة عن النبي ﷺ (حديث رقم ٥٥٠ - ١٩٢/١).

(٦) حامد بن محمد بن عبد الله بن معاذ الرقاء الهروي قال الخطيب ثقة كوفي توفي سنة ٣٥٦ هـ (تاريخ بغداد ١٧٢/٨ - ١٧٤).

(٧) في (هـ) بشير، وهو: بشر بن موسى الأسدي أبو علي البغدادي المحدث الإمام الثبت قال الدارقطني ثقة نبيل توفي سنة ٢٨٨ هـ
(تذكرة الحفاظ ٦١١/٢).

(٨) في (ح) عبد الرحمن، وهو: عبد الله بن يزيد أبو عبد الرحمن المقرئ مولى آل عمر بن الخطاب، أصله من البصرة وسكن مكة سمع
سعيد بن أبي أيوب وحيوة بن شريح والليث روى له البخاري ومسلم توفي سنة ٢١٣ هـ (كتاب الجمع ٢٦٢/١ - ٢٦٣).

(٩) عياش بن عباس أبو عبد الرحمن القتباني المصري سمع أبا عبد الرحمن الحجلي وغيره وعنه سعيد بن أبي أيوب وغيره روى له البخاري
ومسلم (تذكرة الحفاظ ٤٠٣/١).

(١٠) أبو عبد الرحمن الحجلي: عبد الله بن يزيد المعافري حديثه في المصريين سمع عبد الله بن عمرو وأبا أيوب وأبا سعيد الخدري
وجابر بن عبد الله وعنه عياش بن عباس وغيره. (الجمع ٢٨١/١).

(١١) الحديث: رواه مسلم - كتاب الإمارة - باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياها إلا الدين - عن عبد الله بن عمرو. (١٤٩/٢).

(١٢) في (د): قوله تعالى.

أي: بالحق والإنصاف^(١) لا يكتب لصاحب الدين فضلاً على الذي عليه. ولا ينقصه من حقه، ولا يقدم الأجل ولا يؤخره، ولا يكتب شيئاً يبطل به حقاً لأحدهما هذا هو العدل.

قوله ﴿ولا ياب كاتب أن يكتب﴾ أي: لا يمتنع، يقال: أبي^(٢) فلان الشيء يأباه، إذا امتنع عنه.

قال مجاهد والربيع^(٣): واجب على الكاتب أن يكتب إذا أمر، لأن الله تعالى أمره أن لا يأبى^(٤). وقال الضحاك^(٥): كانت هذه عزيمة واجبة على الكاتب والشاهد فنسخها قوله ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾.

وقوله ﴿كما علمه الله فليكتب﴾ أي: لا ياب أن يكتب كما أمره الله عز وجل^(٦) من العدل.

وقوله^(٧) ﴿وليملل^(٨) الذي عليه الحق﴾ «الإملا، والإملاء»: لغتان قال الفراء^(٩): أمليت: لغة الحجاز وبني أسد، وأمليت: لغة بني تميم وقيس، نزل القرآن باللغتين، قال الله تعالى في اللغة الثانية ﴿فهي تملى عليه﴾^(١٠)

ومعنى الآية: أن الذي عليه الدين يملى^(١١)، لأنه المشهود عليه، فيقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه.

وقوله ﴿ولا يبخص منه شيئاً﴾ «البخص»: النقصان، يقال^(١٢): بخصه حقه أي: نقصه^(١٣) أمر من عليه الحق أن يقر بمبلغ المال الذي عليه^(١٤) ولا ينقص شيئاً.

وقوله^(١٥) ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً﴾ قال مجاهد^(١٦): جاهلاً بالإملاء وقال الضحاك والسدي^(١٧):

طفلاً صغيراً^(١٨) ﴿أو ضعيفاً﴾ قال السدي وابن زيد^(١٩): يعني: عاجزاً أحمق ﴿أو لا يستطيع أن يمل﴾ لخرس، أو عي أو جهل بماله وعليه ﴿فليملل وليه﴾ أي: ولي السفية والعاجز والطفل يعني: قيمة أو واريه، أو من يقوم مقامه في حقه ﴿بالعدل﴾ بالصدق^(٢٠) والحق والإنصاف.

(١) في (ج، هـ): بالعدل بالحق.

(٢) في (أ، د، هـ): أبا، وانظر معنى «الإباء»: (اللسان / أبي).

(٣) انظر تفسير مجاهد ١١٨، والدر ٣٧٠/١ عن مجاهد وابن كثير ٣٣٥/١ عن مجاهد وعطاء والطبري ٥٢/٦ - ٥٣ عن مجاهد وعطاء والربيع وفتح القدير ٣٠٤/١ عن الربيع.

(٤) في (د): ألا ياباً.

(٥) انظر تفسير الطبري ٥٣/٦ والدر ٣٧٠/١ وفتح القدير ٣٠٤/١ كلها عن الضحاك والوجيز للواحدي ٨٢/١.

(٦) في (د، هـ): الله تعالى. (٧) في (د): قوله.

(٨) في (د): قوله.

(٩) انظر الفراء ١٨٣/١ وخرائب النيسابوري ٩٩/٣ عن الفراء والبحر ٣٤٢/٢ وفتح القدير ٣٠٠/١.

(١٠) سورة الفرقان / ٥.

(١١) في (د): أن الذي الدين يملى عليه. . .

(١٢) من (د).

(١٣) في (د): بخسته حقه، أي نقصه.

(١٤) انظر تفسير مجاهد ١١٨ وابن عباس ٤١، والدر ٣٧١/١ والطبري ٥٧/٦ والبحر ٢٤٤/٢ كلها عن مجاهد والفراء ١٨٣/١.

(١٥) انظر تفسير الطبري ٥٧/٦ والدر ٣٧١/١ وفتح القدير ٣٠٤/١ والبحر ٣٤٤/٢، كلها عن الضحاك والسدي.

(١٦) في (د): قوله.

(١٧) انظر تفسير ابن عباس ٤١، ومجاهد ١١٨، والطبري ٦٠/٦ عن مجاهد والسدي وابن زيد والدر ٣٧٠/١ - ٣٧١ عن سعيد بن جبير، والبحر ٣٤٤/٢ والوجيز للواحدي ٨٢/١.

(١٨) في (د) والصدق.

وقوله ^(١) ﴿واستشهدوا﴾ أي: أشهدوا ^(٢) ﴿شهيدين من رجالكم﴾ ^(٣) من أهل ملتكم من الأحرار البالغين دون الصبيان والعبيد ﴿فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان﴾ قال الأخفش والفراء ^(٤): فليكن رجل وامرأتان ^(٥).

والإجماع ^(٦): أن شهادة النساء جائزة ^(٧) في الأموال ^(٨).

وقوله ^(٩) ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ قال ابن عباس ^(١٠) يريد: من أهل الفضل والدين.

وقوله ^(١١) ﴿أن تضل إحداهما﴾ أصل «الضلالة» ^(١٢) في اللغة: الغيبوبة يقال: ضل الماء في اللين، إذا غاب.

ومعنى ﴿أن تضل إحداهما﴾: أي تغيب عن حفظها، أو يغيب حفظها عنها يعني إحدى المرأتين ﴿فتذكر

إحداهما الأخرى﴾ ^(١٣) هذا من التذكير بعد النسيان تقول لها: هل تذكرين يوم شهدنا في موضع كذا، وبحضرتنا فلان أو فلانة؟ حتى تذكر الشهادة.

والتقدير: فتذكر إحداهما الأخرى الشهادة التي احتملتها.

ومن قرأ (فتذكر ^(١٤)) من الإذكار، فهو بهذا المعنى أيضاً، يقال: أذكره الشيء وذكره مثل: فرحه وأفرحه، وهو كثير.

وقرأ حمزة (إن تضل) - بكسر الألف - (فتذكر) بالرفع، وجعل (إن) للجزاء (وتضل) في موضع جزم، وحررت

بالفتح لالتقاء الساكنين كقوله ﴿من يرتد﴾ ^(١٥) والفاء في قوله (فتذكر) جواب الجزاء، كقوله ﴿ومن عاد فينتقم الله منه﴾ ^(١٥).

(١) في (ج، د): قوله.

(٢) في (خ): واستشهدوا شهيدين من رجالكم.

(٣) في (د): أي من أهل.

(٤) ساقطة من (أ).

(٥) انظر معاني القرآن للأخفش ١/٣٩٠ والفراء ١/١٨٤ والطبري ٦/٦١ والبيان ١/١٨٢.

(٦) في (د، ه): وإجماع.

(٧) في (أ): جازي.

(٨) ومع الرجاله (حاشية أ) وانظر الدرر ١/٣٧١ عن الزهري ومكحول والبحر ٢/٣٤٦ عن الشافعي. وانظر أقوال العلماء في شهادة النساء (البحر ٢/٣٤٦ - ٣٤٧).

(٩) في (د): قوله.

(١٠) انظر البحر ٢/٣٤٧ عن ابن عباس والطبري ٦/٦٢ عن الربيع والضحاك والوجيز للواحدي ١/٨٣.

(١١) في (د): أصل الإضلال، وانظر المعنى في (اللسان / ضلل).

(١٢) في (د): الآخر.

(١٣) قرأ حمزة وحده (إن تضل) بكسر الهمزة (فتذكر) بالرفع وتشديد الكاف فجعل (إن) للشرط و(تضل) جزم بالشرط و(تذكر) فعل

مستأنف مثل (ومن عاد فينتقم الله منه) المائة ٥٤ - وقرأ الباقون (أن) بالفتح (فتذكر) بالنصب والتشديد وحجتهم: أنهما لغتان.

وقرأ أبو عمرو وابن كثير (فتذكر) بالتخفيف وحجتهم: أن المرأة مع المرأة - تصيران كذكر.

(انظر الحجة لأبي زرعة ١٥٠ - ١٥١ والسبعة ١٩٣، والبحر ٢/٣٤٩ والنشر ٢/٢٢٦ - ٢٢٧، والزجاج ١/٣٦٤ والبيان ١/٢٢٩)

(١٤) سورة المائدة / ٥٤.

(١٥) سورة المائدة / ٩٥.

قوله^(١) ﴿ولا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ هذا في تحمل الشهادة وكل من دعي ليتحمل الشهادة وجب عليه ترك الإباء في قول قتادة والربيع^(٢).

وقال الشعبي^(٣): هذا إذا لم يوجد غيره، فيتعين عليه الإجابة فإن وجد غيره ممن يتحمل الشهادة فهو مخير. وقال آخرون^(٤): هذا في إقامة الشهادة، قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد إذا استودعته^(٥) ثم احتجت إلى شهادته فلا ينبغي له أن يتخلف عنك حتى يأتي معك إلى الحاكم فيؤديها. وهذا قول مجاهد والسدي وسعيد بن جبير وعكرمة^(٦).

وقوله^(٧) ﴿ولا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا [إِلَى أَجَلِهِ]﴾^(٨) «السامة»: الملال والضجر يقال: سئمت الشيء أسامه سأمًا وسامة^(٩).

يقول: لا يمنعكم الضجر والملالة أن تكتبوا ما شهدتم عليه من الحق صغرًا أو كبرًا، قل أو أكثر.

﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: الكتاب ﴿أَقْسَطُ﴾: أعدل^(١٠) ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ لأن الله أمر به واتباع أمره أعدل من تركه ﴿وَأَقْسَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أي: أبلغ في الاستقامة، لأن الكتاب يذكر الشهود فتكون شهادتهم أقوم من لو شهدوا على ظن ومخيلة^(١١).

قوله^(١٢) ﴿وَأَدْنَى أَلَا تَرْتَابُوا﴾ أي: أقرب إلى أن^(١٤) لا تشكوا في مبلغ الحق والأجل. وقوله^(١٥) ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي: إلا أن تقع تجارة حاضرة^(١٦) ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾^(١٧) فلا جناح في ترك الإشهاد والكتابة فيه لأن ما يخاف في النساء والتأجيل يؤمن في البيع يبدأ بيد.

وقرأ عاصم (تجارة حاضرة) بالنصب^(١٨)، على تقدير: إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة، فأضمر الاسم لدلالة الخبر عليه، ومثله ما أنشد الفراء^(١٩):

(١) في (ج، هـ): وقوله.

(٢) انظر تفسير الطبري ٦/٦٨ - ٦٩ عن قتادة والربيع وابن كثير ١/٣٣٥ عنهما والدر ١/٣٧١ - ٣٧٢ عنهما وابن عباس.

(٣) انظر تفسير الطبري ٦/٦٩ عن الشعبي وتفسير الثوري ٧٣، وفتح القدير ١/٣٠٠ عن عطاء والشعبي.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ص ٤١ والزجاج ١/٣٦٥ والطبري ٦/٦٩ - ٧٢ عن الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير، والدر ١/٣٧٢ عن الحسن.

(٥) في (د): إذا استودعته الشهادة.

(٦) انظر تفسير الطبري ٦/٧٠ وفتح القدير ١/٣٠٤ كلاهما عن ابن عباس وتفسير مجاهد ١١٩ والدر ١/٣٧٢ عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن ومجاز القرآن ١/٨٣ وابن كثير ١/٣٣٥ عن مجاهد وأبي مجلز وغيرهما.

(٧) في (د): قوله.

(١٣) في (أ، ح، هـ): أن لا.

(٨) من (ح).

(١٤) في (د): أي أقرب أي لا تشكو.

(٩) انظر (اللسان / سام).

(١٥) في (ج، د): قوله.

(١٠) في (ح): العدل وفي (د) أي أعدل.

(١٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(١١) المخيلة: الظن. (اللسان / خيل).

(١٧) إضافة للبيان وتمة للنص.

(١٢) من (أ).

(١٨) انظر الحجة لأبي زرعة ١٥١ والسبعة ١٩٣ والنشر ٢/٢٢٧ والزجاج ١/٣٦٦، والتبيان ١/٢٣١ والحجة لابن خالويه ١٠٣.

(١٩) انظر البيت في الكتاب لسبويه ١/٤٧ لمقاس العائذي وانظر الرازي ٧/١٢٠ واللسان / شهب، والطبري ٦/٨١ وغرائب النيسابوري

١٠٣/٣ والفراء ١/١٨٦ وشرح ديوان جرير ٤١١ رقم ٦١ بروايات مختلفة... و«ذا كواكب»: ذا شدائد.

(وهو من بحر الطويل).

فدى لبني ذهل بن شيان نساقتي إذا كان يوماً ذا كواكب أشهباً

أي: إذا كان اليوم يوماً.

(وقوله ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ ذكرنا أن هذا أمر نذب، وليس بواجب^(١)).

وقوله^(٢) ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ نهى الله^(٣) الكاتب والشهيد^(٤) عن المضارة وهو أن يزيد الكاتب، أو ينقص منه، أو يحرف، وأن^(٥) يشهد الشاهد بما لا يستشهد عليه أو يمتنع عن إقامة الشهادة، وهذا قول طاووس والحسن وقتادة وابن زيد^(٦)، وعلى هذا أصله يضارر.

قال ابن عباس^(٧): هو أن يمتنع الكاتب أن يكتب والشاهد أن يشهد، وقال عكرمة^(٨): هو أن يدعى الكاتب والشاهد وهما مشغولان وقيل^(٩): هو أن يدعى الكاتب ليكتب الباطل ويدعى الشاهد ليشهد الزور^(١٠) فعلى هذه الأقوال أصله: لا يضارر^(١١)!

﴿وإن تفعلوا﴾^(١٢) يعني: ما ذكر الله^(١٣) من المضارة ﴿فإنه فسوق بكم﴾ أخبر الله تعالى أن مضارة الكاتب والشاهد فسق^(١٤)، أي: خروج عما أمر^(١٥) الله تعالى به.

قوله ﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً﴾ أمر الله تعالى عند عدم الكاتب في حال السفر بأخذ الرهون، ليكون وثيقة بالأموال، وهو قوله ﴿فرهان مقبوضة﴾ أي: فالوثيقة رهان، وهو جمع رهن، مثل: كلب وكلاب، وكعب وكعاب.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (د) وانظر تفسير الطبري ٨٣/٦ عن الحسن والشعبي.

(٢) في (د): قوله.

(٣) في (ج، هـ) الله تعالى.

(٤) في (د): والشاهد.

(٥) في (ج، هـ): يشهد.

(٦) انظر تفسير الطبري ٨٥/٦ - ٨٦ عن طاووس والحسن وابن زيد وقتادة وغرائب النيسابوري ١٠٤/٣ عن طاووس والحسن وقتادة والدر

٣٧٠/١ - ٣٧٢ عن الحسن وقتادة وطاوس، وابن كثير ٣٣٦/١ عن الحسن وغيرهما، وفتح القدير ٣٠٤/١ عن طاووس والزجاج

٣٦٧/١ وغريب القرآن ص ١٠٠.

(٧) انظر الدر ٣٧/١ عن ابن عباس وغريب القرآن ص ١٠٠.

(٨) انظر تفسير الطبري ٨٨/٦ عن عكرمة وابن كثير ٣٣٧/١ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم، والزجاج ٣٦٧/١ وغريب القرآن

١٠٠ والفراء ١٨٧/١ والدر ٣٧٢/١ عن مجاهد والربيع.

(٩) انظر فتح القدير ٣٠٣/١.

(١٠) في غير (أ) بالزور.

(١١) القول الأول بكسر الراء على البناء للفاعل وهذا يفتح الراء على البناء للمفعول، أي: أن الضرر في الأول واقع من الكاتب والشاهد

والثاني واقع عليهما.

(١٢) في (د): قوله ..

(١٣) في (د): ما ذكر من المضارة.

(١٤) في (د): فسوق.

(١٥) في (د): عما أمره الله.

وقرأ أبو عمرو (فرهن مقبوضة)^(١) وهو أيضاً جمع رهن مثل سقف وسقف، وأنشد أبو عمرو حجة لقراءته قول قعب^(٢) :

بانث سعاد وأمسي دونها عدن وغلقت عندها من قبلك الرهن

والقبض شرط في صحة الرهن، حتى لو رهنه شيئاً ولم يقبضه لم يحكم بصحته^(٣). قوله ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً﴾ أي: لم يخف خيائته وجحوده الحق، فلم يشهد عليه ﴿فليؤد﴾^(٤) الذي أوّمن أمانته ﴿أوّمن﴾: افتعل من الأمانة يقال: أمنتته واثمنتته فهو مأمون ومؤتمن.

أمر الله تعالى المؤتمن بأداء الأمانة وتقوى الله فيما أمن فيه من الحق وهو قوله ﴿وليتق الله ربه﴾.

قوله^(٥) ﴿ولا تكتموا الشهادة﴾ نهي لمن كانت عنده شهادة أن يكتمها ويمتنع من إقامتها ثم أوعد على ذلك فقال^(٦) ﴿ومن يكتمها فإنه أثم قلبه﴾ قال ابن عباس^(٧) يريد: قد أثم قلبه وفجر.

قال المفسرون^(٨): ذكر الله تعالى على كتمان الشهادة نوعاً من الوعيد لم يذكره في سائر الكبائر وهو إثم القلب.

ويقال: إثم القلب سبب مسخه، والله تعالى إذا مسخ قلباً جعله منافقاً وطبع عليه - نعوذ^(٩) بالله من ذلك -.

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ

نَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

قوله عز وجل^(١٠) ﴿الله ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكاً، وهو مالك أعيانه يملك تصريفه وتدبيره^(١١)

(١) قرأ ابن كثير وابن عمرو (فرهن) - بضم الراء وهاء ونون - وحجتها: الفصل بين الرهان في الخيل وبين جمع «رهن» وقال الفراء: الرهن: جمع الجمع وقرأ الباقون (فرهان) قالوا: إن هذا أقيس في العربية أن يجمع «فعل» على «فعال» مثل بحر وبحار. (انظر المحجة لأبي زرعة ص ١٥٢ والسبعة ١٩٤ والنشر ٢٣٧/٤ والزجاج ٣٦٧/١ - ٣٦٨ - والتبيان ٢٣٢/١ والمشكل ١٤٦/١ وغريب القرآن ١٠٠، والفراء ١٨٨/١ والأخفش ٣٩١/١ ومجاز القرآن ٨٤/١ والحجة لابن خالويه ١٠٤ والمستدرک ٢٣٥/٢).

(٢) انظر البيت في مجاز القرآن ٨٤/١، ٢٠٣ والطبري ٩٧/٦ والرازي ١٢٠/٧ واللسان / رهن. والشاعر هو: قعب بن ضمرة ابن أم صاحب من بني عبد الله بن غطفان كان في أيام الوليد بن عبد الملك وله هجاء فيه (الأعلام ٢٠٢/٥).

(٣) في (د، هـ): بصحة ذلك الرهن.

وانظر البحر ٣٥٥/٢ عن عطاء وقتادة والشافعي وغيرهم والدر ٣٧٣/١ عن سعيد بن جبیر.

(٤) في (أ): فليؤدي.

(٥) ساقطة من (ج، هـ).

(٦) في (هـ): قال.

(٧) انظر تفسير الطبري ٩٩/٦ - ١٠٠ والدر ٣٧٣/١ وابن كثير ٣٣٧/١ وفتح القدير ٣٠٥/١ كلها عن السدي وانظر تفسير ابن عباس ص ٤٢.

(٨) انظر تفسير ابن كثير ٣٣٧/١ عن ابن عباس.

(٩) في (هـ): فتعوذ.

(١٠) في (د): قوله، وفي (هـ) قوله تعالى (ما في ..).

(١١) في (ح): تصريفه وتدبيره كأنه يقول: ما كان له ما في السموات والأرض مدعي فله أن يكلفهم ما يعلم أيشق عليهم عدلاً منه، فإن رفعه فضلاً منه.

﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ قال ابن عباس: في رواية سعيد بن جبيل وعطاء: هذه الآية منسوخة وذلك أنها لما نزلت جاء أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف^(١) ومعاذ بن جبل وناس إلى النبي ﷺ وقالوا: كلفنا من العمل ما لا نطيق، إن أهدنا ليجدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه، وأن له الدنيا. فقال النبي ﷺ: «فلعلكم تقولون كما قالت بنو إسرائيل: سمعنا وعصينا^(٢)، قولوا: سمعنا وأطعنا» فقالوا: سمعنا وأطعنا، وشدت ذلك عليهم ومكثوا حولاً فأنزل الله تعالى الفرج والرحمة بقوله ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ فنسخت هذه الآية ما قبلها، فقال النبي ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثوا به أنفسهم^(٣) ما لم يعملوا أو يتكلموا به^(٤)». وهذا قول ابن مسعود وأبي هريرة والقرظي وابن سيرين والكلبي وقتادة^(٥). وقوله ﴿فيغفر لمن يشاء﴾ قرئ رفعاً وجزماً^(٦) فمن جزم: فبالعطف على ما قبله على معنى جواب الشرط، وهو قوله ﴿يحاسبكم به الله﴾ ومن رفع فتقديره: فهو يغفر لمن يشاء.

﴿ويعذب من يشاء﴾ أي: الأمر إليه في المغفرة والعذاب.

ءَا مَنَ الرَّسُولِ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفِرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ

(١) عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهير بن كلاب أبو محمد القرشي الزهري المدني شهد بدرًا، وكان اسمه عبد عمرو فبناه النبي ﷺ عبد الرحمن وأمه الشفاء بنت عوف شهد له النبي ﷺ بالجنة توفي سنة ٣٢ هـ (كتاب الجمع ٢٨١/١).

(٢) في (د): إلى رسول الله ﷺ.

(٣) كما: قال تعالى: ﴿وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا.﴾ سورة البقرة / ٩٣.

(٤) في (د): نفوسهم.

(٥) انظر صحيح البخاري - كتاب العتق - باب الخطأ والنسيان في العتاق والطلاق ونحوه (٨٠/٢) وصحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر عن أبي هريرة (٦٥/١ - ٦٦).

وفي باب بيان قوله: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ عن أبي هريرة وابن عباس ٦٥/١ والترمذي - أبواب الطلاق - باب ما جاء فيمن يحدث نفسه بطلاق امرأته رقم ١١٩٤ عن أبي هريرة «حسن صحيح» (٣٢٨/٢) وفي أبواب التفسير - باب ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ رقم ٤٠٧٦ عن ابن عباس «حسن صحيح» ٢٨٩/٤ - ٢٩٠.

وأبو داود - كتاب الطلاق - باب في الوسوسة بالطلاق رقم ٢٢٠٩ عن أبي هريرة (٢٦٤/٢) والطبري ١٠٥/٦ عن ابن عباس ومسند أحمد ٢٣٣/١ عن ابن عباس.

والمستدرک - كتاب التفسير - عن ابن عباس «صحيح الإسناد» (٢٨٦/٢ - ٢٨٧).

(٦) انظر الدر ٣٧٥/١ عن القرظي وابن كثير ٣٣٨/١ - ٣٣٩ عن أبي هريرة وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وعلي: وفتح القدير ٣٦٥/١ عنهم وغيرهم.

(٧) قرأ عاصم وابن عامر (فيغفر) بالرفع والياء وحجتهما - أن قوله (إن تبدوا): شرط و (يحاسبكم) جزم لأنه جوابه وقد تم الكلام، فيرفع (يغفر) و (يعذب) أي: فهو يغفر ويعذب وقرأ الباقون بالجزم. (انظر الحجة لأبي زرعة ص ١٥٢ والسبعة ١٩٥، والنشر ٢٧٧/٢ والبيان ٢٢٣/١ والمشكل ١٤٦/١ - ١٤٧ والبحر ٣٦٠/٣).

عَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿ءامن الرسول [بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون]﴾ قال الزجاج^(١): لما ذكر الله عز وجل^(٢) في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والطلاق والإيلاء^(٣)، والجهاد ختم السورة بذكر تصديق نبيه ﷺ والمؤمنين بجميع ذلك وهو قوله ﴿كل ءامن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾ وقرأ حمزة «وكتابه» على التوحيد^(٤)، أراد إسم الجنس، كقولهم: كثر الدرهم في أيدي الناس، يراد به الجمع وإن أفرد.

وقوله ﴿لا نفرق﴾^(٥) أي: يقولون: لا نفرق ﴿بين أحد﴾^(٦) من رسله. ومعناه: لا نفعل كما فعل أهل الكتاب، حيث آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض بل نجتمع بين الرسل كلهم في الإيمان بهم.

﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾ أي: سمعنا قوله، وأطعنا أمره ﴿غفرانك ربنا﴾ أي اغفر غفرانك^(٧)، ويستغنى بالمصدر عن الفعل في الدعاء^(٨) نحو: سقيا ورعيا^(٩) ﴿وإليك المصير﴾ هذا إقرار منهم بالبعث.

قوله ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ «الوسع»: اسم لما يسع الإنسان ولا يضيق عنه، وهذه الآية نسخت قوله ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم...﴾ الآية^(١٠).

والمعنى: لا يكلفها إلا يسرها ولا عسرها^(١١).

﴿لها ما كسبت﴾ من العمل بالطاعة ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ من العمل بالإثم والكسب والاكتساب: بمعنى واحد^(١٢).

(١) انظر الزجاج ٣٦٩/١ وفتح القدير ٣٠٧/١ عن الزجاج.

(٢) في (د، هـ): الله تعالى.

(٣) في (ح): والإيلاء والطلاق.

(٤) قرأ حمزة والكسائي (وكتابه) وحجتهما: أن الكتاب هو القرآن فلا وجه لجمعه قال أبو عبيدة: أراد الجنس وقرأ الباقون بالجمع وحجتهم: ما تقدم - اللفظة - وما تأخر (وملائكته... ورسله) فجمع لياتلف الكلام.

(انظر الحجة لأبي زرعة ١٥٢ - ١٥٣ والسبعة ١٩٥ والنشر ٢/٢٣٧ والزجاج ١/٣٦٩ والبيان ١/٢٣٤ والحجة لابن خالويه ١٠٥).

(٥) في (د): لا نفرق بين أحد من رسله.

(٦) «أحد» في معنى الجمع كأنه قال: «لا نفرق بين رسله فنؤمن بواحد ونكفر بواحد».

(انظر غريب القرآن ص ١٠٠، والبيان ١/٢٣٤).

(٧) انظر مجاز القرآن ١/٨٤ والفراء ١/١٨٨ والأخفش ١/٣٩٣ وفتح القدير ١/٣٠٧ عن الزجاج وغيره، والبيان ١/١٨٨ والطبري ١٢٧/٦.

(٨) في (د): بالدعاء.

(٩) «سقاه سقياً وسقاه وأسقاه، وفي الدعاء: سقياً له ورعياً، وسقاه ورعاه، قال له سقياً ورعياً». (اللسان / سقى).

(١٠) قد تقدم الكلام في ذلك في حديث ابن عباس عند تفسير الآية السابقة.

(١١) في (د): لا يكلفها إلا وسعها أي إلا يسرها لا عسرها.

(١٢) «قال سيبويه: كسب: أصاب، واكتسب: تصرف واجتهد وقال ابن جني: عبر عن السيئة بـ«كسب» وعن السيئة بـ«اكتسب» لأن معنى كسب دون سعى اكتسب». (انظر اللسان / كسب).

﴿ربنا لا تؤاخذنا﴾ قال الحسن^(١): معناه: قولوا ربنا، على التعليم للدعاء^(٢) ومعنى ﴿لا تؤاخذنا﴾ لا تعاقبنا
﴿إن نسينا﴾ أي: تركنا شيئاً من اللازم لنا ﴿أو أخطأنا﴾ قال أبو عبيدة^(٣): يقال: أخطأ^(٤) وخطيء لغتان، ومعنى^(٥)
﴿أخطأنا﴾ ها هنا: أئمنا وتعمدنا الإثم.

﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً﴾ أي: عهداً وميثاقاً لا نطيعه ولا نستطيع القيام به ﴿كما حملته﴾ [على الذين من
قبلنا﴾ أي: ^(٦) على اليهود فلم يقوموا به، وهذا قول قتادة ومجاهد^(٧) والسدي^(٨) ^(٩).

قوله ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ أي: من العذاب، كأنهم سألوا الله أن لا يعذبهم بالنار، فإنه لا طاقة لأحد
مع عذاب الله تعالى. ﴿واعف عنا﴾ أي: تجاوز عنا ﴿واغفر لنا﴾ أي: استر ذنوبنا ﴿وارحمننا﴾ أي: تطف بنا^(١٠)
﴿أنت مولانا﴾ أي: ناصرنا^(١١) والذي يلي علينا أمورنا ﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾ في إقامة الحجة عليهم وفي
غلبتنا إياهم، حتى يظهر ديننا على الدين كله كما وعدتنا.

أخبرنا أحمد بن محمد بن الحرث التميمي^(١٢)، أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر^(١٣) حدثنا أبو يحيى
الرازي^(١٤)، حدثنا سهل بن عثمان^(١٥)، حدثنا محبوب^(١٦)، عن طلحة، عن عطاء، عن ابن عباس قال:

لما نزل جبريل^(١٧) بهذه الآية ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا...﴾ حتى ختم السورة، فكلما قالها جبريل
قالهن النبي ﷺ قال «رب العالمين قد فعلت»^(١٨).

(١) انظر تفسير ابن عباس ص ٤٢، والطبري ١٣٢/٦ والبحر ٣٦٧/٢، وابن كثير ٣٤٢/١.

(٢) يعني تعليم للدعاء من الله تعالى لامة محمد ﷺ «حاشية (أ)».

(٣) انظر مجاز القرآن ٣١٨/١، ٣٧٦/١ قال المحقق: «وأما قول أبي عبيدة - الذي تبعه فيه البخاري - حيث قال خطئت بمعنى أخطئت
ففيه نظر، فإن المعروف عند أهل اللغة: أن خطيء بمعنى: أثم، وأخطأ: إذا لم يتعمد أو إذا لم يصب».

«وأخطأ يخطيء: إذا سلك سبيل الخطأ عمداً وسهواً، ويقال: خطيء بمعنى أخطأ، ويقال لمن أراد شيئاً ففعل غيره وأو فعل غير
الصواب: أخطأ». (اللسان/خطأ).

(٤) في (د): أخطيء وخطأ.

(٥) في (هـ): ومعناه.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(٧) انظر معنى «الإصر» في فتح الباري ١٦٦/٨ عن ابن عباس والفراء ١٨٩/١ والطبري ١٣٦/٦ - ١٣٧ عن قتادة وابن عباس وابن جريج
والربيع واللسان / أصر، والدر ٣٧٧/١ عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج وقاتة والربيع والبحر ٣٦٩/٢ عن ابن عباس ومجاهد
والسدي وقاتة وغيرهم.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(٩) محبوب بن محرز التميمي القواريري العطار أبو محرز الكوفي روي عن الأعمش وأسامة بن زيد وطلحة بن عمرو وأبي جعفر الرازي
 وغيرهم قال أبو حاتم عن أبيه يكتب حديثه، قلت: يحتج به، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الدارقطني ضعيف.

(١٠) تهذيب التهذيب ٥٢/١٠.

(١١) في (د): أي انصرنا.

(١٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(١٣) في (د): أي انصرنا.

(١٤) انظر صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب قول الله تعالى ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ عن ابن عباس
(١٥) (١٢، ١٣، ١٤، ١٥) سبق.

(١٦) محبوب بن محرز التميمي القواريري العطار أبو محرز الكوفي روي عن الأعمش وأسامة بن زيد وطلحة بن عمرو وأبي جعفر الرازي
 وغيرهم قال أبو حاتم عن أبيه يكتب حديثه، قلت: يحتج به، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الدارقطني ضعيف.

(١٧) تهذيب التهذيب ٥٢/١٠.

(١٨) في (د): لما أنزل الله جبريل.

(١٩) انظر صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب قول الله تعالى ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ عن ابن عباس
(٢٠) (١٢، ١٣، ١٤، ١٥) سبق.

(٢١) انظر صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب قول الله تعالى ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ عن ابن عباس
(٢٢) (١٢، ١٣، ١٤، ١٥) سبق.

(٢٣) انظر صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب قول الله تعالى ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ عن ابن عباس
(٢٤) (١٢، ١٣، ١٤، ١٥) سبق.

(٢٥) انظر صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب قول الله تعالى ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ عن ابن عباس
(٢٦) (١٢، ١٣، ١٤، ١٥) سبق.

(٢٧) انظر صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب قول الله تعالى ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ عن ابن عباس
(٢٨) (١٢، ١٣، ١٤، ١٥) سبق.

(٢٩) انظر صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب قول الله تعالى ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ عن ابن عباس
(٣٠) (١٢، ١٣، ١٤، ١٥) سبق.

سورة آل عمران

مدنية وآياتها مائتان

أخبرنا أبو سعد محمد بن علي بن أحمد الخفاف^(١)، أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر الحيري، حدثنا إبراهيم بن شريك، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا سلام بن سليم^(٢)، حدثنا هارون بن كثير^(٣)، عن زيد بن أسلم، عن أبيه^(٤) عن أبي كعب قال:

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أماناً على جسر جهنم»^(٥).

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أخبرنا محمد بن جعفر بن مطر حدثنا محمد بن جعفر القرشي^(٦)، أخبرنا أبو نعيم، حدثنا بشير بن المهاجر عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال:

قال رسول الله ﷺ: «تعلموا سورة البقرة وسورة آل عمران، فإنهما الزهراوان وإنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة، كأنهما غمامتان - أو غيابتان - أو فرقان^(٧) من طير صواف»^(٨).

(١) في (د): أبو سعيد، ولعله: محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حبيب أبو سعيد الخشاب النيسابوري الصفار كان محدثاً مفيداً توفي سنة ٤٥٦.

(الوافي بالوفيات ١٣٦/٤).

(٢) سلام بن سليم التميمي السعدي الخراساني ثم المدائني الطويل قال البخاري تركوه وقال ابن معين: لا يكتب حديثه وقال أحمد: منكر الحديث وقال النسائي: متروك توفي سنة ١٧٧ هـ. (الميزان ١٧٥/٢ - ١٧٦).

(٣) هارون بن كثير عن زيد بن أسلم: مجهول. (الميزان ٢٨٦/٤).

(٤) أسلم العدوي مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبو خالد روي عنه ابنه زيد بن أسلم توفي سنة ٨٠ هـ وهو ابن ١١٤ سنة. (كتاب الجمع ٤٤/١ - والكاشف ١١٧/١).

(٥) الحديث: انظر الموضوعات لابن الجوزي ٢٣٩/١ - ٢٤٠ قال ابن الجوزي «وقد فرق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة منه ما يخصها وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك ولا أعجب منهما لأنهما ليسا من أصحاب الحديث وإنما عجت من أبي بكر بن أبي داود كيف فرقه في كتابه الذي صنفه في فضائل القرآن وهو يعلم أنه حديث محال...». وانظر الضعفاء الكبير ١٥٦/١ - ١٥٧ عن أبي بن كعب «فذكر فضل القرآن سورة سورة إلى آخر القرآن - قال ابن المبارك - أظن الزنادقة وضعت».

وانظر اللآلئ المصنوعة ٢٢٦/١ - ٢٢٧ والفوائد المجموعة ص ٢٩٦، وتنزيه الشريعة المرفوعة ٢٨٥/١.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) في (د): فراق.

(٨) الحديث / رواه مسلم في الصحيح - كتاب الصلاة - باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة عن أبي أمامة. والمستدرک - كتاب فضائل القرآن - عن عبد الله بن بريدة عن أبيه صحيح على شرط مسلم (٥٦٠/١).

ومجمع الزوائد - كتاب التفسير - باب فضل القرآن ومن قرأه - عن بريدة، «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» (١٥٩/٧) ومسند أحمد ٣٤٨/٥، ٣٦١، عن بريدة، والزهراوان: النيران والغياية: ما أظلك من فوقك والفرقة: القطعة من الشيء والصواف: المصطفة المتصافة (انظر تفسير ابن كثير ٣٤/١).

الْم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلِ هُدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو
الْإِنْتِقَامِ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ
يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾. ﴿الم﴾ وتفسير الم قد تقدم^(٢)، وكذلك تفسير ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾^(٣).

وقوله ﴿نزل عليك الكتاب﴾^(٤) يعني: القرآن، وإنما قال: نزل ثم قال ﴿وأنزل التوراة﴾ لأن التنزيل للتكثير، والقرآن نزل نجوماً شيئاً بعد^(٥) شيء والتوراة والإنجيل نزلا دفعة واحدة^(٦).

وقوله ﴿بالحق﴾^(٧) أي: بالصدق في أخباره وجميع دلالاته ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾^(٨): موافقاً لما تقدم الخبر به في سائر الكتب، وفي ذلك دليل على صحة نبوة محمد ﷺ.

وقوله ﴿لما بين يديه﴾ من مجاز الكلام، وذلك أن ما بين يديك فهو أمامك، فقيل لكل ما تقدم على الشيء هو بين يديه.

﴿وأنزل التوراة﴾ وهي اسم لكتاب موسى ﴿والإنجيل﴾^(٩) اسم لكتاب عيسى.

﴿من قبل﴾ من قبل القرآن^(١٠) ﴿هدى للناس﴾ هاديين لمن آمن بهما إلى طريق الحق ﴿وأنزل الفرقان﴾ يعني: كتاب محمد ﷺ الذي فرق بين الحق والباطل.

قال السدي^(١١): في الآية تقديم وتأخير، لأن التقدير: وأنزل التوراة والإنجيل وأنزل الفرقان هدى للناس ﴿إن الذين كفروا بآيات الله﴾ بمحمد ﷺ والقرآن ﴿لهم عذاب شديد﴾^(١٢) ﴿في النار﴾ والله عزيز^(١٣) غلب قوي ﴿ذو انتقام﴾ ممن كفر به، يقال: انتقم منه انتقاماً إذا كافأه عقوبة بما صنع.

﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ لا يغيب عن علمه شيء فيهما.

﴿هو الذي يصوركم في الأرحام﴾ جمع رحم، وهي مستقر الولد في بطن الأم^(١٤) ﴿كيف يشاء﴾ ذكر أو

(١) في (ج، د): بسم الله الرحيم.

انظر تفسير الآية الأولى من سورة البقرة.

(٢) في (د): الم الله قد تقدم تفسيره.

(٣) انظر تفسير الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

(٤) في (هـ): الكتاب بالحق.

(٥) سيأتي الكلام عن معنى التوراة والإنجيل واشتقاقهما عند تفسير الآية ٦٥ من سورة آل عمران حسب تفسير المصنف.

(٦) في (ح، د): قوله.

(٧) في (ج، د): أي.

(٨) انظر تفسير البغوي ٣١٨/١ والخازن ٣١٨/١ كلاهما عن السدي.

(٩) في (د): قوله.

(١٠) في (د): أي.

أنثى^(١)، قصيراً أو طويلاً، أسود أو أبيض سعيداً أو شقيماً ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ أَوْهَابٌ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿٩﴾

قوله تعالى^(٢) ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء^(٣): «المحكمات» هي الثلاث آيات في آخر سورة الأنعام ﴿قل تعالوا أتل . . .﴾^(٤) إلى آخر الآيات الثلاث. وهذه الآيات محكمات لأنها لا تحتمل من التأويل غير وجه واحد^(٥).

قال ابن الأنباري^(٦): الآية المحكمة: التي منعت كثرة التأويلات لأنها لا تحتمل إلا تفسيراً واحداً.

﴿هن أم الكتاب﴾ أي: أصل الكتاب الذي يعمل عليه، والآيات الثلاث في الأنعام هن أم كل كتاب^(٧) أنزله الله على النبي، فيهن كل ما أحل وفيهن كل ما حرم^(٨).

ووجد «الأم» بعد قوله ﴿هن﴾ لأنهن بكمالهن أم وليست كل واحدة^(٩)، منهن أم الكتاب على انفرادها.^(١٠)

(١) في (ح) ذكراً وأنثى قصيراً وطويلاً أسود وأبيض، سعيداً وشقيماً.

(٢) في (د): قوله.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٤٣ والزجاج ٣٧٦/١ والدر ٤/٢ عن ابن عباس وابن كثير ٣٤٤/١ عنه والمستدرک - كتاب التفسير - عن ابن عباس (صحيح) ٢٨٨/٢.

والطبري ١٤٧/٦ وقال الشوكاني في فتح القدير «أقول: رحم الله ابن عباس، ما أقل جدوى هذا الكلام المنقول عنه فإن تعيين ثلاث آيات أو عشر أو مائة من جميع آيات القرآن ووصفها بأنها محكمة ليس تحته من الفائدة شيء، فالمحكمات هي أكثر القرآن على جميع الأقوال حتى على قوله المنقول عنه من أن المحكمات: ناسخه ومنسوخه وحلاله وحرامه . . الخ فما معنى تعيين تلك الآيات من آخر سورة الأنعام؟ (فتح القدير ٣١٨/١).

(٤) سورة الأنعام ١٥١ - ١٥٣.

(٥) في (د): (هـ) إلا وجهاً واحداً.

(٦) انظر تفسير القرطبي ٢٨٧/١ - ٢٨٨ عن ابن الأنباري، والزجاج ٣٧٦/١، والطبري ١٧٠/٦، ١٧٧ عن محمد بن جعفر بن الزبير والبحر ٣٨١/٢ عن جعفر بن محمد، ومحمد بن جعفر بن الزبير، والشافعي.

(٧) في (د): (هـ) الكتاب.

(٨) انظر فتح الباري عن مجاهد (منه آيات محكمات) قال الحلال والحرام (وأخر متشابهات) يصدق بعضه بعضاً ١٦٨/٨، وانظر الفراء ١٩٠/١ والطبري ١٧٧/٦ عن مجاهد والبحر ٣٨١/٢ عن مجاهد وعكرمة.

(٩) في (هـ): كل واحد.

(١٠) إنما أفرد (أم) وهو خبر عن جميع لأن المعنى: إن جميع الآيات بمنزلة آية واحدة فأفرد على المعنى.

ويجوز أن يكون أفرد وهو في موضع الجمع ويجوز أن يكون المعنى: كل منهن أم الكتاب. (انظر التبيان ٢٣٨/١، والأخفش ٣٩٤/١، والبحر ٣٨٢/٢، والطبري ١٧٠/٦ - ١٧١).

وقوله^(١) «وأخر» جمع أخرى «متشابهات» يريد^(٢): التي تشابهت على اليهود وهي حروف التهجي في أوائل السور، وذلك لأنهم أولوها على حساب الجمل وطلبوا أن يستخرجوا منها مدة بقاء هذه الأمة، فاختلط عنهم واشتبه^(٣).

والتشابه من القرآن: ما احتمل من التأويل أوجهاً، وسمي متشابهاً: لأن لفظه يشبه لفظ غيره، ومعناه يخالف معناه قال الله تعالى في وصف ثمار الجنة «وأتوا به متشابهاً»^(٤) أي: متفق المناظر مختلف الطعوم^(٥).

ثم يقال لكل ما غمض ودق متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره ألا ترى أنه قيل للحروف المقطعة في أوائل السور متشابه، وليس الشك فيها لمشاكلتها غيرها والتباسها به.

وقوله^(٦) «فأما الذين في قلوبهم زيغ» أي: ميل عن الحق وهم اليهود طلبوا علم أجل هذه الأمة واستخراجها من الحروف المقطعة وهو قوله «فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة» قال مجاهد^(٧): طلب اللبس ليضلوا به جهالهم.

«وابتغاء تأويله» «التأويل»: التفسير ومعناه: ما يؤول إليه الشيء أي: يرجع قال ابن عباس^(٨): «وابتغاء تأويله»: طلب مدة أجل أمة محمد ﷺ قال الله تعالى «وما يعلم تأويله إلا الله»^(٩) يريد: ما يعلم انقضاء مدة ملك أمة محمد ﷺ إلا الله، لأن انقضاء ملك هذه الأمة مع قيام الساعة، ولا يعلم ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل.

ثم ابتداء وقال^(١٠) «والراسخون في العلم» أي^(١١): الثابتون فيه و«الرسوخ» في اللغة: الثبوت في الشيء.

وعند أكثر المفسرين^(١٢): المراد بالراسخين: علماء^(١٣) مؤمني أهل الكتاب قال ابن عباس ومجاهد والسدي:

(١) في (د): قوله.

(٢) في (د): يعني.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ص ٤٣ والفراء ١٩٠/١ والدر ٥/٢ عن جابر بن عبد الله بن رثاب وابن عباس والطبري ١٧٩/٦ - ١٨٠ عن جابر والوجيز للواحد ٨٧/١.

«وحساب الجمل - بتشديد الميم - الحروف المقطعة على أبجد وأجملت الحساب: إذا جمعت آحاده وكملت أفراده» (اللسان / جمل).

(٤) سورة البقرة / ٢٥.

(٥) في (د): المطعوم ثم يقال لكما.

(٦) في (د): قوله.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٩٧/٦ - ١٩٨ عن مجاهد وابن عباس ومحمد بن جعفر والبحر ٣٨٤/٢ عن مجاهد والوجيز للواحد ٨٨/١.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ص ٤٣ والطبري ١٩٩/٦ والبحر ٣٨٣/٢ كلاهما عن ابن عباس والدر ٥/٢ عن ابن عباس وجابر.

(٩) في (د): والراسخون.

(١٠) في (د): فقال.

(١١) ساقطة من (د).

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ص ٤٣ والطبري ٢٠٢/٦ - ٢٠٨ عن ابن عباس وعائشة وعروة ومالك وعمر بن عبد العزيز وكذا في الدر ٢ - ٦.

٧.

وجاء في تفسير الطبري ٢٠٣/٦ عن ابن عباس ومجاهد والربيع ومحمد بن جعفر «أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا

به» وانظر ٢٠٨/٦ عن ابن عباس.

(١٣) في (ح): حكاه.

بقولهم ﴿ءامننا به﴾ سماهم الله تعالى راسخين^(١) في العلم، فرسوخهم في العلم قولهم ﴿ءامننا به﴾ أي: بالمشابهة ﴿كل من عند ربنا﴾ المحكم والمتشابه وما علمناه وما لم نعلمه^(٢).

أخبرنا سعيد بن محمد القري، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الهسنجاني^(٣)، حدثنا عمرو بن عثمان^(٤) حدثنا محمد بن حرب^(٥)، عن أبي سلمة^(٦)، عن أبي حسين^(٧) عن أبي صالح عن ابن عباس قال:

نزل القرآن على أربعة وجوه: فوجه خلال وحرام لا يسع أحداً جهالتهما^(٨)، ووجه عربي تعرفه العرب، ووجه تأويل يعلمه العلماء، ووجه تأويل لا يعلمه إلا الله فمن انتحل فيه علماً فقد كذب^(٩).

وقوله^(١٠) ﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ أي: ما يتعظ بالقرآن إلا ذوو العقول.

قوله ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ أي: ويقول الراسخون: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾.

لا تملها عن الهوى والقصده، كما أزغت قلوب اليهود والنصارى والذين في قلوبهم زيغ ﴿بعد إذ هديتنا﴾ للإيمان^(١١) بالمحكم والمتشابه من كتابك.

وروت أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، ثم قرأ ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذا هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾^(١٢).

(١) في (ج، د): راسخون.

(٢) في (ج، هـ): نعلم.

(٣) إبراهيم بن يوسف بن خالد أبو إسحاق الرازي الهسنجاني - نسبة إلى هسنجان قرية بالري - كان إماماً عالماً محدثاً ثقة توفي سنة ٣٠١ (شذرات الذهب ٢/٢٣٥).

(٤) عمرو بن عثمان بن سعد بن كثير الحمصي الحافظ الثقة محدث حمص عن إسماعيل بن عباس وسفيان بن عيينة وبقية وعنه أبو بكر بن أبي داود وغيره وكان ممن اجتمع له علو الأسانيد إلى المعرفة والإتقان توفي سنة ٢٥٠ هـ (تذكرة الحفاظ ٢/٥٠٩).

(٥) محمد بن حرب بن حرمان النشائي أبو عبد الله الواسطي قال أبو حاتم صدوق ووثقه الطبراني توفي سنة ٢٥٥ هـ (تهذيب التهذيب ١٠٨/٩ - ١٠٩).

(٦) منصور بن سلمة أبو سلمة الخزاعي روى له البخاري ومسلم توفي سنة ٢٠٧ هـ. (كتاب الجمع ٢/٤٩٦).

(٧) أبو حصين: عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي الكوفي سمع أبا صالح وأبا الضحى وغيرهم وعنه شعبة والثوري وطائفة روى له البخاري ومسلم توفي سنة ١٢٨ هـ. (كتاب الجمع ١/٣٤٨ - ٣٤٩).

(٨) في (ح) جهالتهما.

(٩) انظر مقدمة تفسير الثوري ص ١٤، ومقدمة تفسير الطبري ٧٥/١ وابن كثير ٦/١ والدر ٧/٢ وغرائب النيسابوري ٢/٢٩٤ وفتح القدير ٣١٩/١ كلها عن ابن عباس.

(١٠) في (ج، هـ) وفي (د) قوله، قوله تعالى.

(١١) في (د): بالإيمان.

(١٢) الحديث: رواه الترمذي - كتاب القدر - باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن (٣/٣٠٣) وفي أبواب الدعوات - باب ٩٥ رقم ٣٥٨٨. (١٩٩/٥).

ومجمع الزوائد - كتاب القدر - باب ما جاء في القلب (٧/٢١٠ - ٢١١).

وفي كتاب الدعوات - باب الأدعية المأثورة عن رسول الله «رواه أحمد وإسناده حسن» (١٠/١٧٦) ومسنده أحمد ٦/٢٩٤، ٣٠٢ كلهم من حديث أم سلمة.

قوله ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه﴾ يعني: يوم القيامة يجمعهم الله للجزاء في ذلك اليوم، وهذا إقرار من المؤمنين بالبعث ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ يعني: ميعاد الجمع والبعث.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾
كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ
الَّتَقَتَا فِعْءٌ تُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ
بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾

قوله ﴿إن الذين كفروا﴾ قال ابن عباس^(١): يعني: قريظة والنضير ﴿لن تغني عنهم أموالهم﴾ لن تنفع ولن تدفع عنهم أموالهم ﴿ولا أولادهم من الله﴾ قال الكلبي^(٢): من عذاب الله ﴿شيئاً وأولئك﴾ هم وقود النار ﴿أي: هم الذين توقد بهم النار.

﴿كذاب آل فرعون﴾ قال ابن عباس ومجاهد والسدي^(٤): كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر والتكذيب، يريد: إن اليهود كفرت بمحمد ﷺ كعادة آل فرعون في تكذيب موسى بعد ما عرفوا صدقه. والمعنى: دأبهم في الكفر كدأب آل فرعون، و«الدأب» معناه في اللغة: الأمر والشأن والعادة.

﴿والذين من قبلهم﴾ يعني كفار الأمم الخالية ﴿كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب﴾.

﴿قل للذين كفروا﴾ قال ابن عباس^(٥): يعني يهود المدينة، وقال مقاتل^(٦): يعني: مشركي مكة ﴿ستغلبون﴾ ستصيرون مغلوبين بنصرة الله المؤمنين عليكم، وقد فعل ذلك، فاليهود غلبوا بوضع الجزية عليهم والمشركون غلبوا بالسيف.

قوله ﴿وتحشرون﴾^(٧) إلى جهنم ﴿وعيد لهم بالنار.

(١) انظر البحر ٣٨٧/٢ وابن عباس، والوجيز للواحدى ٨٩/١.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٤٣ وفتح القدير ٣٢٠/١ والبحر ٣٨٧/٢، عن الميزد والكلبي والبغوي ٣٢٣/١ عن الكلبي.

(٣) في (د): أولئك.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٤٣ ومجاهد ١٢٢ والطبري ٢٢٤/٦ عن مجاهد وابن زيد وابن كثير ٣٤٩/١ عن ابن عباس ومجاهد وكذا الدرر ٩/٢ وفتح القدير ٣٢٢/١، عنهما والبغوي ٣٢٣/١ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة.

«والدأب» بالتسكين والتحريك أيضاً كنهز ونهر هو: الصنيع والحال والشأن والأمر والعادة كما يقال: «هذا دأبي ودأبك» (انظر معجم القرآن ٨٧/١ وابن كثير ٣٤٩/١ وفتح القدير ٣٢١/١، واللسان/دأب).

(٥) انظر تفسير ابن عباس ٤٣ والدرر ٩/٢ والطبري ٢٢٧/٦ وابن كثير ٣٥٠/١، وغرائب النيسابوري ١٥٨/٣ كلها عن ابن عباس.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٤٣ يقول «يعني كفار مكة» وانظر البحر ٣٩٢/٢ وغرائب النيسابوري ١٥٨/٣ والبغوي ٣٢٤/١ عن مقاتل والوجيز للواحدى ٨٩/١.

(٧) في (د): تحشرون.

وقرىء بالتاء والياء^(١)، قال الفراء^(٢): يجوز في مثل هذا التاء والياء، لأنك تقول في الكلام: قل لعبد الله انه قائم وانك قائم.

وفي حرف عبد الله ﴿قل للذين كفروا إن تنتهوا يغفر لكم﴾^(٣) ما قد سلف^(٤) قوله^(٥) ﴿وبئس المهاده﴾ قال ابن عباس: ﴿بئس ما قد مهد لكم وبئس ما مهدتم لأنفسكم﴾.

قوله ﴿قد كان لكم آية﴾ يخاطب الذين ذكرهم في قوله ﴿قل للذين كفروا﴾ وأراد بـ «الآية»: علامة تدل على صدق محمد ﷺ^(٦).

﴿في فئتين﴾ يعني: رسول الله ﷺ وأصحابه يوم بدر ومشركي مكة حين خرجوا لقتاله ﴿التقتا﴾ اجتمعنا ﴿فئة تقاتل في سبيل الله﴾ وهم المؤمنون^(٧) ﴿وأخرى كافرة﴾ يعني: المشركين ﴿يرونها﴾ ترى الفئة المسلمة الفئة الكافرة ﴿مثلهم﴾ وهم كانوا ثلاثة أمثالهم^(٨).

ولكن الله أرى المسلمين أن المشركين لا يزيدون عن مثلهم، وذلك أن الله كان قد أعلم المسلمين أن المائة منهم تغلب المائتين من الكفار فأراهم المشركين على قدر ما أعلمهم أنهم يغلبونهم لتقوى قلوبهم.

ومن قرأ ﴿ترونها﴾ بالتاء^(٩): فلأن ما قبله خطاب لليهود والمعنى: ترون أيها اليهود المشركين ضعفي المؤمنين، على ما ذكرنا من تقليل الله المشركين في الأعين.

وقوله ﴿رأي العين﴾ يجوز أن تكون مصدرأ^(١٠) يقال: رأيت رأياً ورؤية، ويجوز أن تكون ظرفاً للمكان، كما تقول: ترونها أمامكم.

﴿والله يؤيد﴾ يقوي ﴿بنصره من يشاء﴾ يعني: المؤمنين نصرهم^(١١) يوم بدر على قلتهم ﴿إن في ذلك﴾ أي^(١٢):

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم - بالتاء - على الخطاب - وحجتهم: (قل للذين كفروا) أمره أن يخاطبهم وقرأ حمزة والكسائي - بالياء - وحجتهم: إجماع الفراء على قوله ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ سورة الأنفال/ ٣٨. (انظر الحجة لأبي زرعة ١٥٣ - ١٥٤ - والسبعة ٢٠١ - ٢٠٢ والنشر ٢٣٨/٢ والتبيان ٣٤٣/١ والزجاج ٣٨١/١ والأخفش ٣٩٥/١ - ٣٩٦ والحجة لابن خالويه ١٠٦).

(٢) انظر الفراء ١/٥٤، ١٩١.

(٣) في (ح): لهم.

(٤) انظر مختصر الشواذ لابن خالويه ٥١ عن ابن مسعود والنص من سورة الأنفال/ ٣٨.

(٥) في غير (أ) وقوله.

(٦) انظر تفسير مجاهد ١٢٢ والطبري ٦/٢٢٩ والبحر ٢/٣٩٣ والقرطبي ٤/٢٤ كلها عن مجاهد.

(٧) انظر مجاز القرآن ١/٨٧.

(٨) في (د): المؤمنين.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ص ٤٤، والفراء ١/١٩٤، وابن كثير ١/٣٥٠، والدر ٢/١٠ عن عكرمة.

(١٠) قرأ نافع ويعقوب وسهل (ترونها) بالتاء على الخطاب.

(١١) انظر الحجة لأبي زرعة ١٥٤ - والسبعة ٢٠٢ والنشر ٢/٢٣٨ والتبيان ٢٤٣/١ والمشكل ١/١٥٠ والبحر ٢/٣٩٤.

(١٢) قال أبو عبيدة: «(رأي العين) مصدر، تقول: فعل فلان كذا رأي عيني وسمع أذني» (مجاز القرآن ١/٨٨).

(١٣) في (د): بنصرهم.

(١٤) ساقطة من (د).

فيما فعل من نصرة^(١) المؤمنين ﴿لعبرة﴾ «العبرة»: الاعتبار، وهي الآية التي يعبر^(٢) بها من منزلة الجهل إلى العلم وأصله من العبور وهو النفوذ من جانب إلى جانب^(٣)، لأن المعبر بالشيء تارك جهله وواصل إلى علمه بها رأى^(٤).

وقوله^(٥) ﴿لأولي الأبصار﴾ أي: لأولي العقول، يقال لفلان بصر بهذا الأمر، أي: علم ومعرفة.

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْمَنَاطِرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَ حَسَنِ الْمَعَابِ ﴿١٤﴾

قوله ﴿زين للناس حب الشهوات﴾ أي: بما جعل^(٦) في طباعهم من الميل إلى هذه الأشياء محنة كما قال عز وجل ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم﴾^(٧).

و ﴿الشهوات﴾: جمع الشهوة وهي توقان النفس إلى الشيء ميلا إليه.

و ﴿القناطر﴾: جمع قنطار وهو المال الكثير، حكى أبو عبيدة عن العرب^(٨): أنهم يقولون: هو وزن لا يجد، قال مجاهد^(٩): هو سبعون ألف دينار^(١٠)، وقال معاذ بن جبل^(١١): القنطار ألف ومائتا أوقية، وقال الضحاك^(١٢): اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار، وقال أبو نضرة^(١٣): هو ملء مسك ثور ذهبا^(١٤).

و ﴿المقنطرة﴾ قال قتادة: المال الكثير بعضه على بعض^(١٥). وقوله^(١٦) ﴿والخيل المسومة﴾ «الخيل^(١٨)»: جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والنساء والرهط. فأما^(١٩) «المسومة» فقال ابن عباس في رواية

(١) في (د): نصر.

(٢) في (د) قوله.

(٣) في (د): يعتبر.

(٤) في (هـ): بما جعل الله.

(٥) في (د): إلى جانب منزلة العلم إلى الجهل.

(٦) سورة الكهف / ٧.

(٧) انظر مجاز القرآن ٨٨/١ واللسان / عبر.

(٨) انظر مجاز القرآن ٨٨/١ - ٨٩ والزاهر ٤٣٢/١ وغرائب النيسابوري ١٦٢/٣، واللسان / قنطر، كلها عن أبي عبيدة.

(٩) في (د) هذا هو.

(١٠) انظر الدر ١١/٢ وكنز العمال ٥/٢ وسنن الدارمي ٤٦٨/٢ كلها عن مجاهد.

(١١) انظر اللسان / قنطر عن أبي عبيد، والدر ١٠/٢ - ١١ عن أبي بن كعب ومعاذ وابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وسنن الدارمي ٤٨٨/٢ عن معاذ.

(١٢) انظر الزجاج ٣٨٥/١ وسنن الدارمي ٤٦٧/٢ عن أبي هريرة والدر ١٠/٢ عن أبي هريرة وأنس، ١١/٢ عن ابن عباس والزاهر ٤٣٢/١ عن أبي هريرة وابن كثير ٣٥٢/١ عن الضحاك وابن ماجه في السنن - كتاب الأدب - باب بر الوالدين رقم ٣٦٦٠ عن أبي هريرة مرفوعاً. (١٢٠٧/٢).

(١٣) هو المنذر بن مالك سبق.

(١٤) انظر تفسير ابن كثير ٢٢٢/١ عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري واللسان / قنطر، والزجاج ٨٤/١ وغريب القرآن ص ١٠٢ وسنن الدارمي ٤٦٧/٢ عن أبي نضرة والقراء ١٩٥/١ والدر ١١/٢ عن أبي سعيد والزاهر ٤٣٢/١ عن أبي نضرة.

(١٥) انظر تفسير الطبري ٢٤٩/٦ عن قتادة والربيع من أنس والدر ١١/٢ عن الربيع.

(١٦) في (د): قوله تعالى.

(١٧) في (ح): الخيل.

(١٨) في (د): والخيل.

(١٩) في (أ) وأما.

عطاء^(١): هي الراعية يقال: أسمت الماشية وسومتها إذا رعيتها فهي مسامة ومسومة، ومنه قوله تعالى: ﴿فيه تسيمون﴾^(٢). وقال في رواية الوالبي^(٣): هي المعلمة^(٤) من السيمة التي هي العلامة.

ومعنى «العلامة» ها هنا: الكي في قول المؤرج^(٥) والبلق في قول ابن كيسان^(٦) والشية في قول قتادة^(٧).

قوله^(٨) ﴿والأنعام﴾ جمع نَعَم، والنعم من الإبل والبقر والغنم^(٩) ﴿والحرث﴾^(١٠): الأرض المهيأة للزراعة قوله^(١١) ﴿ذلك متاع الحياة الدنيا﴾ يعني: ما ذكر من هذه الأشياء وهي مما يتمتع به في الدنيا ﴿والله عنده حسن المآب﴾ أي: المرجع يقال آب الرجل ويؤوب أوبة وأيبة وإياباً^(١٢).

وفي هذا ترغيب فيما عند الله من الجنة والثواب إذ ذكر أن عنده حسن المآب. ثم أعلم أن خبراً من جميع ما في الدنيا ما أعد له لأوليائه فقال:

﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَاكَ فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰدِقِينَ وَالْقٰنِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾

﴿قل أؤنبكم﴾ قل لهم يا محمد: أخبركم ﴿بخير من ذلكم﴾ الذي ذكرت ﴿للذين اتقوا﴾ قال ابن عباس^(١٣): يريد المهاجرين والأنصار أراد الله أن يعزيهم^(١٤) ويشوقهم إلى المعاد، ويدخل في هذا كل من آمن بالله واتفق الشرك.

(١) انظر تفسير ابن عباس ٤٤ وغريب القرآن ١٠٢ والدر ١١/٢ عن ابن عباس ومجاز القرآن ٨٩/١ والطبري ٢٥٤/٦ عن ابن عباس وغيره والبحر ٢٩٧/٣ عن ابن عباس.

(٢) سورة النحل / ١٠.

(٣) انظر البحر ٣٩٧/٢ والدر ١١/٢ وفتح الباري ١٦٧/٨ كلها عن ابن عباس والزجاج ٣٨٥/١ ومجاز القرآن ٨٩/١.

(٤) في (ح): المعلومة.

(٥) مؤرج بن عمر بن الحارث بن ثور بن حرملة بن علقمة بن عمرو بن سدوس بن شيان أبو فيد السدوسي صاحب العربية من أصحاب الخليل بن أحمد وقد أسند الحديث عن شعبة بن الحجاج وأبي عمرو بن العلاء. (تاريخ بغداد ٢٥٨/١٣) وانظر غرائب النيسابوري ١٦٢/٣ والبغوي ٣٢٧/١.

(٦) انظر البحر ٣٩٨/٢ وفتح القدير ٣٢٣/١ كلاهما عن ابن كيسان وغرائب النيسابوري ١٦٢/٣ عن الأصم.

(٧) انظر تفسير الطبري ٢٥٤/٦ وغرائب النيسابوري ١٦٢/٣ كلاهما عن قتادة.

(٨) من (د).

(٩) انظر معنى «الأنعام» في تفسير الطبري ٢٥٧/٦ وغريب القرآن ١٠٢ ومجاز القرآن ٨٩/١ والزاهر ٢٩٢/٢ - ٢٩٣.

(١٠) «والحرث» لم يجمع لأنه مصدر بمعنى المفعول» (التيبان ٢٤٥/١).

(١١) في (ج، هـ): وقوله.

(١٢) انظر مجاز القرآن ٨٩/١ والتيبان ٢٤٥/١ وغريب القرآن ١٠٢ والأخفش ٣٩٩/١ - ٤٠٠.

(١٣) انظر تفسير الخازن ٣٢٧/١ عن ابن عباس.

(١٤) في (د): يعرفهم.

وما بعد هذا^(١) قد تقدم تفسيره إلى قوله ﴿ورضوان من الله﴾ وقرئ بضم الراء^(٢) وهي لغة قيس وتميم قال الفراء^(٣): يقال: رضيت رِضاً ورضواناً^(٤) ورضواناً ومرضاة. ﴿والله بصير بالعباد﴾ عالم بهم وإذا كان عالماً بهم جازاهم بما يستحقون.

ثم وصفهم فقال ﴿الذين يقولون ربنا إننا آمننا...﴾ الآية.

ثم زاد في وصفهم فقال ﴿الصابرين﴾ قال^(٥) ابن عباس^(٦): على دينهم وعلى ما أصابهم. ﴿والصادقين﴾ قال قتادة^(٧): هم قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وألستهم، فصدقوا في السر والعلانية ﴿والقانتين﴾ الطائفتين لله^(٨) ﴿والمنفقين﴾ قال ابن عباس^(٩): الذين ينفقون الحلال في طاعة الله^(١٠). ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ قال مجاهد وقاتدة^(١١): يعني: المصلين بالأسحار، جمع سحر، وهو الوقت قبيل^(١٢) طلوع الفجر.

قال الزجاج^(١٣) وصف الله^(١٤) هؤلاء بما وصف ثم بين أنهم مع ذلك لشدة خوفهم يستغفرون بالأسحار.

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾
 إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْسِنَةٌ وَأَنْفٌ وَمَا أَخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
 بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْمَعُ وَبِحَيْثُ شِئْتُمْ
 وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَنْ أَسْلَمُوا فَمَا أَهْتَكُمُ أَتَى الَّذِينَ تَنْسَوْنَ كِتَابَ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ
 وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ قال الزجاج^(١٤): معنى «شهد الله» بين وأظهر لأن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه والله عز وجل^(١٥) قد دل على توحيده بجميع ما خلق، فبين أنه لا يقدر أحد أن ينشئ شيئاً واحداً مما أنشأ^(١٦).

- (١) وهو قوله تعالى: ﴿عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة﴾ انظر تفسير الآية ٥٢ من سورة البقرة.
- (٢) قرأ عاصم - في رواية أبي بكر - بالضم في جميع القرآن إلا في سورة المائدة - الآية الثانية - وقرأ فيها بالضم في رواية الأعشى وحجته أنه فرق بين الاسم «رضوان خازن الجنة» والمصدر وقرأ الباقون بالكسر وحجته: أنهما لغتان معروفتان.
- (٣) انظر الحجة لأبي زرعة ١٥٧ والسبعة ٢٠٢ والنشر ٢/٢٣٨، والتبيان ١/٢٤٦، والزجاج ١/٣٨٦ والبحر ٢/٣٣٩ واللسان / رضى.
- (٤) انظر الحجة لابن خالويه ١٠٦ والطبري ٦/٢٦٢ واللسان / رضى.
- (٥) في (ح): فقال.
- (٦) انظر تفسير ابن عباس ص ٤٤.
- (٧) ساقطة من (د).
- (٨) انظر تفسير الطبري ٦/٢٦٥ والدر ٢/١١ وفتح القدير ١/٣٢٤ كلها عن قتادة، والبحر ٢/٤٠٠.
- (٩) انظر مجاز القرآن ١/٨٩ وابن كثير ١/٣٥٣ والوجيز للواحدى ١/٩٠.
- (١٠) انظر تفسير الطبري ٦/٢٦٥ والبغوي ١/٣٢٨ وابن كثير ١/٣٥٣ والوجيز للواحدى ١/٩١.
- (١١) في (هـ): الله تعالى.
- (١٢) في (هـ): قيل.
- (١٣) انظر معاني القرآن للزجاج ١/٣٨٧.
- (١٤) في (د، هـ): والله تعالى.
- (١٥) انظر الزجاج ١/٣٨٧ وفتح القدير ١/٣٢٥ وعن الزجاج والزاهر ١/١٢٥.
- (١٦) في (ج، د): أنشأه.
- (١٧) في (هـ): الله تعالى.

وقوله (١) ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ أي: وشهد بتوحيده أولو (٢) العلم بما ثبت عندهم قال مقاتل (٣): هم مؤمنو أهل الكتاب وقال عطاء عن ابن عباس (٤): يعني المهاجرين والانصار. وقال السدي والكلبي (٥) يعني علماء المؤمنين كلهم.

وقوله (٦) ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل، كما يقال: فلان قائم بهذا الأمر، أي: يجريه (٧) على الاستقامة في جميع الأمور، والله تعالى يجري التدبير على الاستقامة في جميع الأمور.

أخبرنا الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر أخبرنا إبراهيم بن محمد بن رجا، أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا عمار بن عمر (٨) بن المختار، عن أبيه (٩) عن غالب القطان (١٠) قال: أتيت الكوفة في تجارة، فنزلت قريبا من الأعشى، فكنت أختلف إليه فلما كانت ليلة أردت أن انحدر إلى البصرة قام من الليل يتهدج، فمر بهذه ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾.

ثم قال الأعشى: وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ قالها مرارا.

قلت: لقد سمع فيها شيئا، فصليت معه وودعته، ثم قلت: آية سمعتك ترددها قال: أوما بلغك ما فيها؟ قلت: أنا (١١) عندك منذ ستين لم تحدثني. قال: والله لا أحدثك بها سنة، فكتبت على بابه ذلك اليوم، وأقمت سنة، فلما مضت السنة قلت: يا أبا (١٢) محمد قد مضت السنة، فقال: حدثني أبو وائل عن عبد الله، قال:

قال رسول الله ﷺ: «يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله: إن لعبدني هذا عني عهداً، وأنا أحق من وفي (١٣) بالعهد أدخلوا عبي الجنة» (١٤).

(١) في (د): قوله.

(٢) في (هـ) (وأولوا... أولوا، وكان الأولى أن يتبع الألف في الأولى حسب المصحف ويحذف من الثانية حسب القواعد الإملائية والألف لا تزداد في الأسماء.

(٣) انظر فتح القدير ٣٢٥/١ عن مقاتل والبحر ٤٠٢/٢.

(٤) انظر فتح القدير ٣٢٥/١ عن ابن كيسان والبحر ٤٠٢/٢.

(٥) انظر تفسير الطبري ٢٦٩/٦ والدرر ١٢/٢ كلاهما عن السدي وفتح القدير ٣٢٥/١ عن السدي والكلبي قال الشوكاني «وهو الحق، إذ لا وجه للتخصيص».

(٦) في (هـ) (د): قوله.

(٧) في (د): قوله. وهو: عمار بن عمرو، وهو: عمار بن عمر بن المختار عن أبيه فيه كلام لكن الراوي عنه محمد بن زكريا الغلابي كذاب. (الميزان ١٦٦/٣).

(٨) عمر بن المختار البصري، قال ابن عدي: روى الأباطيل عن يونس بن عبيد.

(المغني في الضعفاء ٤٧٣/٢).

(٩) غالب بن خطاف القطان عن سعيد بن جبير والحسن وعنه شعبة وابن علي وطائفة ثقة مشهور ذكر ابن الجوزي حديثاً لغالب بن خطاف القطان عن الأعشى في (شهد الله... قال: وهو معضل. (الكاشف ٣٧٤/٢).

(١٠) في (هـ): أن.

(١١) في (د): وفاء.

(١٢) في (أ، ح، هـ): يابا.

(١٤) الحديث: رواه الطبراني في الكبير ٢٤٥/١٠ والدرر ١٢/٢ وابن كثير ٣٥٤/١ وفتح القدير ٢٢٧/١ والبغوي في تفسيره ٣٣٠/١ والبحر ٤٠٧/٢.

قوله ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ الأحسن كسر ألف «إن» لأن الكلام الذي قبله قد تم ، ووجه قراءة من قرأ بالفتح : أن تكون الشهادة واقعة على «أن»، على أن يكون بدلاً من الأولى^(١) فكان التقدير: شهد الله أن الدين عند الله الإسلام^(٢) دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه أوليائه ولا يقبل غيره ولا يجزي إلا به^(٣).

ومعنى «الإسلام» في اللغة: الدخول في السلم، أي: في^(٤) الانقياد والمتابعة، ثم من الإسلام ما هو متبعة وانقياد باللسان دون القلب، وهو قوله ﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾^(٥).

ومنه ما هو متابعة وانقياد باللسان والقلب وهو قوله ﴿قال أسلمت لرب العالمين﴾^(٦) روى الحسن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«تعرض الأعمال يوم القيامة فتجيء الصلاة فتقول: أي رب إني الصلاة فيقول الله عز وجل^(٧): إنك على خير، ثم تجيء الصدقة فتقول: أي رب إني الصدقة، فيقول إنك على خير، ويجيء الصيام، وتجيء الأعمال كذلك، ويجيء أحسبه قال الإسلام، فيقول أي رب أنت السلام وأنا الإسلام، فيقول الله: إنك على خير، بك أخذ اليوم وبك أعطي».

ثم قال الحسن ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾^(٨).

= ومجمع الزوائد - كتاب التفسير «رواه الطبراني وفيه عمر بن المختار وهو ضعيف». (٣٢٦ - ٣٢٥/٦) والحلية لأبي نعيم «غريب تفرد به عمر بن المختار عن غالب» (١٨٧/٦ - ١٨٨).

والعلل المتناهية ١١٠/١ «ذكره الخطيب في تاريخه وابن عدي في الكامل والعقيلي والبيهقي في الشعب والطبراني في الزوائد أبو الشيخ في كتاب الثواب كما هو في المغني للعراقي «والضعفاء الكبير ٣/٣٢٥ ذكر الحديث في ترجمة عمار بن عمر بن المختار» هو لا يتابع على حديثه ولا يعرف إلا به».

(١) في (د) : الأول.

(٢) قرأ الكسائي وابن عباس محمد بن عيسى الأصبهاني بالفتح وقرأ الجمهور بالكسر وحجة من فتح: قوله قبلها (شهد الله .) فجعل الشهادة واقعة عليها.

(انظر الحجة لأبي زرعة ١٥٧ - ١٥٨، والسبعة ٢٠٢ - ٢٠٣، والنشر ٢/٢٣٨، والشيان ١/٣٤٨، والزجاج ١/٣٨٦، والفراء ١/١٩٩ - ٢٠٠، والمشكل ١/١٥٢، والبيان ١/١٩٥، والبحر ٢/٤٠٧، والحجة لابن خالويه ١٠٧).

(٣) انظر تفسير الطبري ٦/٢٧٥، والبغوي ١/٣٣٠، والدرر ٢/١٢، وفتح القدير ١/٢٢٦، كلها عن قتادة.

(٤) في (د) : أي الانقياد.

(٥) سورة الحجرات / ١٤.

(٦) سورة البقرة / ١٣١.

(٧) في (ح، د) : فيقول الله إنك، وفي (هـ) : فيقول إنك.

(٨) الحديث رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب البعث - باب ما جاء في الحساب رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط «وليه عباد بن راشد وثقه أبو حاتم وغيره وضعفه جماعة وبقيه رجال أحمد رجال الصحيح». (٣٤٥/١٠).

ومسند أحمد ٢/٣٦٢ وقول الحسن المذكور أيضاً وليس من قول أبي هريرة وإنما ذكر عن الحسن وهو لم يسمع من أبي هريرة.

وانظر تفسير ابن كثير ١/٣٧٩ «تفرد به أحمد قال أبو عبد الرحمن عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل: عباد بن راشد ثقة ولكن الحسن لم يسمع من أبي هريرة» والنص الكريم من سورة آل عمران / ٨٥.

قوله (١) ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب﴾ قال ابن عباس (٢): يعني قريظة والنضير وأتباعهم، يقول: لم تختلف اليهود في صدق نبوة محمد ﷺ لما كانوا يجدونه في كتابهم من نعته. ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ يعني: النبي ﷺ وسمي علماً: لأنه كان معلوماً عندهم.

والمعنى: إنهم كانوا يصدقونه بنعته وصفته قبل بعثه، فلما جاءهم اختلفوا فآمن بعضهم وكفر آخرون فقالوا: لست الذي وعدنا به، كقوله تعالى (٣): ﴿فلما جاءهم ما عرفوا﴾ كفروا به (٤). وقوله ﴿ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾ هذا شرط وجواب يتضمن وعيدا لليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ. وذكر معنى ﴿سريع الحساب﴾ في سورة البقرة (٦).

قوله ﴿فإن حاجوك﴾ أي جادلوك، يعني: اليهود والنصارى ﴿فقل أسلمت وجهي لله﴾ قال الفراء (٧): أخلصت عملي لله.

ومعنى الوجه ها هنا: العمل وتقدم الكلام في هذا عند قوله ﴿بلى من أسلم وجهه لله﴾ (٨).

وقوله (٩) ﴿ومن اتبعن﴾ يريد: المهاجرين والأنصار. ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب﴾ يعني اليهود (١١) ﴿والأميين﴾: يعني العرب. ﴿أسلمتم﴾ قال الفراء والزجاج (١٢): معناه الأمر، أي: أسلموا ومثله قول ﴿فهل أنتم منتهون﴾ (١٣) أي: انتهوا ﴿فإن أسلموا﴾ أي انقادوا للقرآن صدقوا (١٤) بما جئت به ﴿فقد اهتدوا﴾ صاروا مهتدين ﴿وإن تولوا﴾ أعرضوا عنك ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ فليس عليك إلا أن تبلغ الرسالة ﴿والله بصير بالعباد﴾ قال ابن عباس (١٥): يريد بمن آمن بك وصدقك (١٦) وبمن كفر بك وكذبك.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّكَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَأْلَهُم مِّن نَّصْرِكِ ﴿٢٢﴾

قوله ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق﴾ تقدم تفسيره في سورة البقرة (١٧).

- (١) في غير (أ) قوله تعالى .
 (٢) انظر تفسير الطبري ٢٢٧/٦ - ٢٢٨ والبحر ٢/٤١٠ والقرطبي ٤/٤٤ كلها عن الربيع بن أنس .
 (٣) ليست في (هـ) .
 (٤) في (د): فلما جاءهم كفروا به .
 (٥) سورة البقرة / ٨٩ .
 (٦) انظر تفسير الآية ٢٠٢ من سورة البقرة .
 (٧) انظر تفسير الرازي ٧/٢١٢ وغرائب النيسابوري ٣/١٦٨ والبغوي ١/٣٣١ كلها عن الفراء والزاهر ١/٢٠٣ وابن كثير ١/٣٥٤ .
 (٨) سورة البقرة / ١١٢ .
 (٩) في (د، هـ): قوله .
 (١٠) في (أ، د، هـ): ومن اتبعني .
 (١١) عند الزجاج ١/٣٩١ «اليهود والنصارى» وكذا في تفسير ابن عباس ٤٤، والدر ٢/١٣ عن ابن عباس وفتح القدير ١/٣٢٧ عن ابن عباس والطبري ٦/٢٨١ .
 (١٢) انظر الفراء ١/٢٠٢ والزجاج ١/٣٩٢ والتبيان ١/٢٤٩ والتبيان ١/١٩٦ وغرائب النيسابوري ٣/١٦٩ .
 (١٣) سورة المائدة / ٩١ .
 (١٤) في (د): تصدقوا .
 (١٥) انظر تفسير ابن عباس ص ٤٤ .
 (١٦) في (هـ): أو من كفر .
 (١٧) انظر تفسير الآيتين ٦١، ٨٧ من سورة البقرة .

وقوله ﴿ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس﴾ روى أبو عبيدة بن الجراح (١) أن النبي ﷺ قال: «قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة واثنا عشر من عباد بنى إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوه عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار، فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وأنزل الآية فيهم» (٢).
وأخبر بيطان عملهم فقال ﴿أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾ يريد بـ «أعمالهم» ما هم عليه من ادعائهم التمسك بالتوراة وإقامة شريعة موسى، وأراد ببطانها في الدنيا: أنها لم تحقق دعاءهم (٣) وأموالهم وفي الآخرة: لم يستحقوا بها مثوية فصارت كأنها لم تكن.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى (٤): ﴿ألم تر (٥) إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب﴾ يعني: علماء اليهود من قريظة والنضير أعطوا حظا من التوراة لأنهم كانوا يعلمون بعضها ﴿يدعون إلى كتاب الله﴾ قال ابن عباس في رواية الضحاك (٦): المراد بـ ﴿كتاب الله﴾ ها هنا القرآن وهو قول قتادة، قال (٧): دعوا إلى القرآن بعد أن ثبت أنه كتاب الله حيث لم يقدر بشر أن يعارضه.

وقوله ﴿ليحكم بينهم﴾ جعل الله تعالى (٨) القرآن حكما بين اليهود وبين النبي ﷺ (٩) فحكم القرآن عليهم بالضلالة فأعرضوا عنه وهو قوله ﴿ثم يتولى فريق منهم﴾ يعني: من أعرض عن حكم القرآن فلم يؤمن به من رؤساء اليهود.

وقوله ﴿وهم معرضون﴾ قال ابن الأنباري (١٠): يجوز أن يكون المعرضون الباقين (١١) من اليهود ويجوز أن يكون

(١) أبو عبيدة: عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي الأمير القائد فاتح الديار الشامية والصحابي أحد العشرة المبشرين بالجنة وكان لقبه أمين الأمة توفي سنة ١٨ هـ. (الأعلام ٢١/٤).

(٢) انظر الدر ١٣/٢ «أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم». وكذا في فتح القدير ٣٢٨/١ وغرائب النيسابوري ١٧٠/٣ وابن كثير ٣٥٥/١ والطبري ٢٨٥/٦ - ٢٨٦ كلهم من حديث أبي عبيدة.

(٣) في (هـ): تحقن دماؤهن، وحقن دم الرجل: حل به القتل فأنقذه ويقال: حقنت له دمه إذا منعت من قتله وإراقتة وحقنت دمه: منعت من أن يسفك. (اللسان/حقن).

(٤) في (د): قوله.

(٥) في (هـ): ألم ترى.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ص ٤٥ وغرائب النيسابوري ١٧٠/٣ والطبري ٢٨٩/٦ كلاهما عن ابن عباس والبحر ٤١٦/٢ عن الحسن وابن جريج.

(٧) انظر تفسير الطبري ٢٨٩/٦ - ٢٩٠ عن قتادة وابن جريج وأسباب النزول للواحي ص ٧٠ وأسباب النزول للسيوطي ص ٥٤.

(٨) في (د): جعل القرآن.

(٩) في (د): رسول الله ﷺ.

(١٠) انظر البحر ٤١٧/٢ عن ابن الأنباري وغرائب النيسابوري ١٧١/٣.

(١١) في (ج، د): الباقون.

الفريق المتولي هم المعرضون. ثم بين سبب إعراضهم فقال:

﴿ذلك﴾ أي: ذلك الإعراض عن حكمك يا محمد ﴿بأنهم﴾ بسبب اغترارهم ومقاتلتهم حيث ﴿قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات﴾ ومضى تفسير هذا^(١).

وقوله^(٢) ﴿وغيرهم في دينهم﴾ «الغرور»: الاطماع فيما لا يصح.

وقوله ﴿ما كانوا يفترون﴾ يعني: قولهم لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات^(٣).

قوله ﴿فكيف إذا جمعناهم﴾ «كيف» معناه: السؤال عن الحال^(٤)، والتقدير: فكيف حالهم إذا جمعناهم ﴿ليوم﴾ أي لجزاء يوم^(٥) أو لحساب يوم ﴿لا ريب فيه﴾ يعني: يوم القيامة، يجمع الخلق^(٦) فيه للحساب والجزاء.

وتأويل الكلام: أي حالة تكون حال من اغتر بالدعاوى الباطلة إذا جمعوا ليوم الجزاء؟ قوله^(٧) ﴿ووفيت كل نفس﴾ أي: وفرت^(٨) وجوزيت ﴿ما كسبت﴾^(٩) أي: جزاء ما كسبت من خير أو شر. يعني أعطيت كل نفس جزاءها كاملاً ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا ينقص من حسناتهم^(١٠) ولا يزداد على سيئاتهم.

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ
بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك...﴾ الآية، قال ابن عباس^(١١) لما فتح رسول الله ﷺ مكة ووعد أمته^(١٢) ملك فارس والروم، قالت المنافقون واليهود: هيهات هيهات^(١٣) فارس والروم أعز وأمنع من أن يغلب على بلادهم، فأنزل الله هذه الآية.

ومعنى ﴿اللهم﴾ يا الله^(١٤) ﴿مالك الملك﴾ مصرفه ومدبره كما يشاء ﴿تؤتي﴾^(١٥) الملك من تشاء ﴿محمدًا

- (١) انظر تفسير الآية ٨٠ من سورة البقرة.
(٢) في (د): قوله تعالى.
(٣) انظر البحر ٤١٧/٢ والدر ١٤/٢ كلاهما عن مجاهد وابن كثير ٣٥٦/١.
(٤) انظر البيان ١٦٧/١ واللسان / كيف.
(٥) في (د): لجزاء أو لحساب يوم.
(٦) في (ح): يجمع فيه الخلائق.
(٧) في (ح): وقوله...
(٨) في (ح): أي وفيت.
(٩) في (ج، د): بما كسبت.
(١٠) في (ح): حسابهم.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ص ٤٥ بنحوه، والزجاج ٣٩٥/١ والبغوي ٣٣٣/١، عن ابن عباس والطبري ٣٠٠/٦ عن قتادة، والوجيز للواحدي ٩٣/١ وأسباب النزول للواحدي ص ٧٠ عن ابن عباس وأنس بن مالك. والدر ١٤/٢ بنحوه عن قتادة وكذا فتح القدير ٣٣٠/١ وغرائب النيسابوري ١٧٥/٣ والرازي ٤/٨.

(١٢) في (د): منه.

(١٣) «وهيهات وهيهات»: كلمة معناها البعد (اللسان / هيه).

(١٤) اللهم: الميم المشددة عوض عن ياء النداء (انظر التبيان ٢٥٠/١ وفتح القدير ٣٢٩/١ عن الخليل وسيبويه وجميع البصريين والرازي ٢/٨ عن الخليل وسيبويه وغرائب النيسابوري ١٧٤/٣ عن سيبويه).

(١٥) في (د): قول الملك.

وأصحابه ﴿وتنزع الملك ممن تشاء﴾ الروم والعجم ﴿وتعز من تشاء﴾ قال ابن عباس (١): يريد المهاجرين والأنصار ﴿وتذل من تشاء﴾ يريد الروم وفارس، ﴿بيدك الخير﴾ عز (٢) الدنيا والآخرة.

أخبرنا أبو سعيد (٣) عبد الرحمن بن محمد الزمجاري، أخبرنا الإمام أبو سهل محمد بن سليمان الحنفي (٤) حدثنا محمد بن جمعة بن خلف (٥)، حدثنا محمد بن زنبور (٦) حدثنا الحرث بن عمير (٧) حدثنا جعفر بن محمد (٨) عن أبيه عن جده (٩) عن علي بن أبي طالب (١٠) قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن فاتحة الكتاب وآية الكرسي (١١) والآيتين من آل عمران ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ (١٢) و﴿قل اللهم مالك الملك﴾ إلى قوله ﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾ مشفعات، ما بينهن وبين الله حجاب، لما أراد الله أن ينزلهن تعلقن بالعرش فقلن يا رب: تهبطنا إلى أرضك وإلى من يعصيك، قال الله: بي حلفت لا يقرأكن أحد من عبادي دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مأواه على ما كان فيه، وإلا أسكنته حظيرة القدس، وإلا قضيت له في كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة» (١٣).

(١) انظر تفسير ابن عباس ص ٤٥ والبحر ٤١٩/٢ والبغوي ٣٣٤/١ كلاهما عن عطاء.

(٢) في (ح): عن الدنيا.

(٣) في (د): أبو سعد سبق.

(٤) الإمام أبو سهل محمد بن سليمان العجلي الصعلوكي النيسابوري الحنفي نسباً والشافعي مذهباً شيخ الشافعية بخراسان قال به الحاكم: أبو سهل الصعلوكي الشافعي اللغوي المفسر النحوي المتكلم المفتي الصوفي خير زمانه وبقية أقرانه ولد سنة ٢٩٠ هـ ومات سنة ٣٦٩ هـ. (شذرات ٦٩/٣).

(٥) أبو قريش الحافظ الحجة محمد بن جمعة بن خلف القهستاني الأصم سمع محمد بن حميد الرازي ومحمد بن زنبور وأبا كريب وطبقتهما وكان من العلماء الكبار صنف المسند الكبير وصنف حديث مالك وكان يقظاً فهماً حافظاً مات سنة ٣١٣ هـ. (تذكرة الحفاظ ٧٦٦/٢ - ٧٦٧).

(٦) محمد بن زنبور المكي شيخ مشهور وقع لنا من عواليه يروي عنه النسائي والبخاري وأبو عروبة وثقه النسائي وابن حبان وغيرهما وقال ابن خزيمة: ضعيف وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالمتين. واسمه: محمد بن جعفر بن أبي الأزهر أبو صالح المكي المعروف بابن زنبور توفي سنة ٢٤٨ هـ (الميزان ٥٥٠/٣ والعقد الثمين ٤٤٨/١).

(٧) الحرث بن عمير أبو عمير البصري نزيل مكة والد حمزة روى عن أيوب السخيتاني وجعفر بن محمد بن علي وطائفة وعنه ابن عساة وابن مهدي وابنه حمزة وغيرهم وثقه أبو حاتم وحماد بن زيد وابن معين والنسائي ونقل ابن الجوزي عن ابن خزيمة: كذاب وقال ابن حبان: كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات «وروى هذا الحديث» وقال: موضوع والظاهر أن العلة من غيره. (تهذيب التهذيب ١٥٣/٢ - ١٥٤).

(٨) جعفر بن محمد بن علي ابن الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب الإمام أبو عبد الله العلوي المدني الصادق أحد السادة الأعلام وثقه الشافعي وابن معين وقال أبو خاتم: ثقة لا يسأل عن مثله مات سنة ١٤٨ هـ. (١٦٦/١ - ١٦٧).

(٩) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسن زين العابدين - ويقال أبو الحسين ويقال أبو محمد - سمع أباه وطفة بنت حبي والمسور بن مخزوم وعمه بن عثمان وطائفة توفي سنة ٩٤ هـ (تذكرة الحفاظ ٧٥/١ والجمع ٣٥٣/١).

(١٠) في (د، هـ): رضي الله عنه.

(١١) سورة البقرة / ٢٥٥.

(١٢) سورة آل عمران / ١٨.

(١٣) الحديث رواه ابن الجوزي في الموضوعات ٢٤٥/١ وأعله بالحرث بن عمير، قال أبو حاتم الرازي: روى هذا الحديث ولا أصل له. واللالي ٢٢٨/١ وذكر أنه موضوع، والفوائد المجموعة ص ٢٩٧، على خلاف في صحته وتنزيهه الشريعة المرفوعة ٢٨٧/١ وتذكرة =

قوله^(١) ﴿تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل﴾ قال جميع المفسرين^(٢): تجعل ما نقص من أحدهما زيادة في الآخر.

و«الإيلاج» الإدخال، يقال: أولجت الشيء في الشيء، إذا أدخلته فيه^(٣).

﴿وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي﴾ قال أكثر أهل التفسير^(٤): تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن^(٥).

﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾ قال الزجاج^(٦): بغير تقدير وتضييق يقال:

فلان ينفق بغير حساب، إذا كان يوسع في النفقة، وكأنه لا يحسب ما ينفقه.

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْ تَحْقُقُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوْنَ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾

قوله ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾: نزلت^(٧) الآية في قوم من المؤمنين كانوا يباطنون اليهود ويوالونهم، نهى^(٨) الله سبحانه [المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ويوالونهم.

= الموضوعات ص ٦٦، والميزان ٤٤٠/١ في ترجمة الحارث بن عمير قال ابن حبان: موضوع لا أصل له.

والمجروحين لابن حبان ٢٢٣/١ في ترجمة الحارث بن عمير «وذكر حديثاً طويلاً موضوعاً لا أصل له».

والمقد الثمين ٢٥/٤ في ترجمة الحارث بن عمير، «من أحاديثه الموضوعة التي لا أصل لها».

(١) في (هـ): وقوله.

(٢) انظر الزجاج ٣٩٧/١ وغريب القرآن ١٠٣ والدر ١٥/٢ عن ابن عباس وابن مسعود والسدي ومجاهد والضحاك ومجاز القرآن ٩٠/١ وابن كثير ٣٥٦/١ والفراء ٢٠٥/١ وفتح القدير ٣٣٠/١ عن ابن عباس والسدي ومجاهد والضحاك، واللسان / وليج.

(٣) انظر اللسان / وليج.

(٤) انظر الزجاج ٣٩٧/١ وغريب القرآن ١٠٣ وفتح الباري ١٨٦/٨ والدر ١٥/٢ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والفراء ٢٠٥/١ عن ابن عباس وفتح القدير ٣٣٠/١ عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد، والطبري ٣٠٤/٦ - ٣٠٦ عن إبراهيم ومجاهد والضحاك والسدي وقتادة وابن زيد.

(٥) انظر تفسير البغوي ٣٣٥/١ عن عطاء والحسن والدر ١٥/٢ عن الحسن وسلمان ١٦/٢ عن عائشة ومجاز القرآن ٩٠/١ وابن كثير ٣٥٦/١ وفتح القدير ٣٣١/١، عن الحسن وسلمان والطبري ٣٠٦/٦ - ٣٠٧ عنهما والبحر ٤٢١/٢ عنهما.

(٦) انظر الزجاج ٣٩٨/١ وغريب القرآن ١٠٣.

(٧) في (هـ): نزله، وانظر الدر ١٦/٢ والطبري ٢١٣/٦ وغرائب النيسابوري ١٧٧/٣، وفتح القدير ٣٣٢/١ وأسباب النزول للواحدي ص ٧٢ - ٧٣ وأسباب النزول للسيوطي ص ٥٤ - ٥٥. كلها عن ابن عباس والرازي ١٠/٨ - ١١.

(٨) في (د): فنهى.

ثم أوعد على ذلك فقال ﴿ومن^(١) يفعل ذلك﴾ أي: [٢] اتخاذ الأولياء من الكفار ﴿فليس من الله في شيء﴾ أي: من دين الله. والمعنى: أنه قد برىء منه وفازق دينه.

ثم استثنى فقال ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ يقال: تقاه وتقى وتقية^(٣) وتقاه وتقى وتقية^(٤) وهذا في المؤمن إذا كان في قوم كفار ليس فيهم غيره، وخافهم على نفسه وماله فله أن يداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان دفعا عن نفسه. قال ابن عباس^(٥): يعني مداراة ظاهرة.

﴿ويحذركم الله نفسه﴾^(٦) يخوفكم الله على موالة الكفار عذاب نفسه. قال الزجاج^(٧): معنى ﴿نفسه﴾: إياه، كأنه قال: وحذركم الله إياه ﴿وإلى الله المصير﴾ أي: إليه يرجع الخلق كلهم بعد الموت.

قوله^(٨) ﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم﴾ يعني: من مودة الكفار ومولاتهم ﴿أو تبدؤهم﴾ أي: تظهروه ﴿يعلمه الله﴾ أي: يجازيكم على ذلك، لأنه عالم به ﴿ويعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ إتمام التحذير^(٩)، لأنه إذا كان لا يخفى عليه شيء فكيف عليه الضمير؟

وقوله^(١٠) ﴿والله على كل شيء قدير﴾ تحذير من عقاب من لا يعجزه شيء.

قوله^(١١) ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾ يريد: بيان^(١٢) ما عملت بما ترى من صحائف الحسنات ويجوز أن يكون المعنى: جزاء ما عملت بما ترى^(١٣)، من الثواب ﴿وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ قال مقاتل^(١٤): كما بين المشرق والمغرب. وقال الحسن^(١٥): يسر أحد أن لا يلقي عمله أبداً. و«الأمدة» الغاية التي ينتهي إليها^(١٦).

﴿والله رؤوف بالعباد﴾ قال الحسن^(١٧): من رأفته بهم أن حذرهم نفسه ولم يهلكهم من غير تحذير.

(١) في (د): من يفعل.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(٣) في (ح): تقية.

(٤) «وتقوى واتقى بمعنى وقد توقيت واتقيت الشيء وتقيته أتقيه وأتقيه تقى وتقية وتقاه: حذرته والاسم: التقوى». (اللسان / وفي).

(٥) انظر تفسير ابن عباس ص ٤٥ بنحوه والدر ١٦/٢ وابن كثير ٣٥٧/١ وفتح القدير ٢٣٢/١ والوجيز ٩٤/١ والمستدرک - كتاب التفسير - صحیح الإسناد ٢٩١/٢ كلها عن ابن عباس.

(٦) في (د): قوله.

(٧) انظر الزجاج ٣٩٩/١ والبحر ٤٢٥/٢ وفتح القدير ٣٣١/١ كلاهما عن الزجاج.

(٨) في (ج، هـ): قوله تعالى.

(١١) ليست في (أ).

(١٢) في (هـ): يريد ما عملت.

(٩) في (أ): إتمام التحذير.

(١٣) في (٥): بما تراء، وفي (هـ): مما ترى.

(١٠) في (د): قوله.

(١٤) انظر تفسير ابن عباس ص ٤٥ والبعوي ٣٣٧/١ عن مقاتل والبحر ٤٢٠/٢ والوجيز للواحد ٩٥/١.

(١٥) انظر الدر ١٦/٢ - ١٧ وفتح القدير ٢٣٢/١ والطبري ٣٢١/٦ والبحر ٤٣٠/٢ كلها عن الحسن.

(١٦) انظر مجاز القرآن ٩٠/١ والطبري ٣٢٠/٦ والوجيز للواحد ٩٥/١ واللسان / أمدة، ومفردات الراغب / أمدة.

(١٧) انظر الدر ١٧/٢ وابن كثير ٣٥٧/١ - ٣٥٨ وفتح القدير ٣٣٣/١ والطبري ٣٢١/٦، وغرائب النيسابوري ١٨٠/٣ والبحر ٣١/٢

وأسباب النزول للواحد ص ٧٣ كلها عن الحسن.

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾

قوله عز وجل (١) ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ الآية، قال ابن عباس في رواية الضحاك (٢): وقف النبي ﷺ على قريش - وهم في المسجد الحرام يسجدون للأصنام - فقال: «يا معشر قريش، والله لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم» فقالت قريش: إنما نعبد هذه حياءً لله ليقربونا إلى الله (٣) فقال الله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ وتعبدون الأصنام بتقربكم إلى الله (٤) ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ فأنا رسوله إليكم، وحقته عليكم، وأنا أولى بالتعظيم من أصنامكم.

ومعنى: «محبة العبد لله» (٥) إرادته (٦) طاعته، وإيثاره أمره ورضاه بشرائعه. ومعنى «محبة الله للعبد» إرادته لثوابه وعفوه عنه وإنعامه عليه (٧). ومعنى الآية: إن كنتم تحبون طاعة الله وتريدون (٨) رضاه وثوابه فاتبعوني وأطيعوا أمري يشبكم الله ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [والله غفور رحيم].

ثم بين أن طاعة الله معلقة بطاعة الرسول (٩) فلا يتم لأحد طاعة الله مع عصيان الرسول (١٠) فقال:

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قال ابن عباس (١١) يريد محمداً ﷺ فإن طاعتكم له طاعة لي ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن طاعتك (١٢) ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾ لا يغفر لهم ولا يثني عليهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا...﴾ الآية، أي: جعلهم صنفوة خلقة واختارهم بالنبوة والرسالة.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرٰهِيمَ وَآلَ عِمْرٰنَ عَلَى الْعٰلَمِينَ﴾ (٣١) ذُرِّيَّةً بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٣﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ ﴿٣٤﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا

(١) في (د): قوله.

(٢) انظر الدر ١٧/٢ عن الحسن وعباد بن منصور ويحيى بن أبي كثير وابن جريج، وفتح القدير ٣٣/ عنهم، وغرائب النيسابوري ١٨٠/٣ عن الضحاك عن ابن عباس والبحر ٤٣١/٢ عن ابن عباس والوجيز للواحد ٩٥/١، والطبري ٣٢٢/٦ - ٣٢٤ عن الحسن وابن جريج وضعفه ورجح أن يكون الخطاب لوفد نجران.

(٣) في (هـ): إلى الله تعالى فقال الله تعالى قل..

(٤) في (أ): إرادة.

(٥) انظر فتح القدير ٣٣٣/١ بنحوه عن الأزهرى والوجيز للواحد ٩٥/١.

(٦) في (هـ): وتريدن.

(٧) في (د) الرسول ﷺ.

(٨) في غير (أ) رسول وفي (د): رسول ﷺ.

(٩) انظر البحر ٤٣١/٢ والحاظر ٣٣٨/١ كلاهما عن ابن عباس والطبري ٣٢٥/٦.

(١٠) قال أبو عبيدة: «(فإن تولوا) في هذا الموضع: فإن كفروا» (مجاز القرآن ٩٠/١).

كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

وأراد بـ «آل إبراهيم» إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وبـ «آل عمران»^(١) موسى وهارون وإنما خص هؤلاء بالذكر: لأن الأنبياء بأسرهم من نسلهم.

وقوله ﴿على العالمين﴾ يعني^(٢): عالمي زمانهم.

^(٣) ﴿ذرية﴾: نصب على البديل من الذين اصطفاهم ﴿بعضها من بعض﴾ أي: من ولد بعض، لأن الجميع ذرية آدم ثم ذرية نوح ﴿والله سميع﴾ لما تقوله الذرية المصطفاة ﴿عليم﴾ بما تضمنه فلذلك^(٤) فضلها على غيرها.

قوله تعالى^(٥): ﴿إذ قالت امرأة عمران﴾ أي: اذكر يا محمد لقومك هذه القصة وهي: إذ قالت امرأة عمران، يعني حنة^(٦) أم مريم جدة عيسى عليه السلام ﴿إني نذرت لك ما في بطني﴾ معنى ﴿نذرت﴾: أوجبت والنذر: ما يوجب الإنسان على نفسه.

وقوله ﴿محراً﴾ أي: عتيقاً خالصاً لله خادماً للكنيسة، مفرغاً للعبادة ولخدمة الكنيسة^(٧) وكل ما أخلص فهو محراً، يقال: حررت^(٨) العبد، إذا أعتقته.

قال ابن عباس^(٩): ولم يكن يحزر في ذلك الوقت إلا الغلمان فحررت ما في بطنها قبل أن تعلم ما هو، حتى وضعت.

﴿فلما وضعتها﴾^(١٠) إذا هي جارية فـ ﴿قالت﴾ عند ذلك ﴿رب﴾^(١١) إني وضعتها أنثى﴾ اعتذرت إلى الله حين فعلت ما لا يجوز من تحرير الأنثى للكنيسة ﴿والله أعلم بما وضعت﴾ هذا من كلام الله، لا من كلام حنة، ولو كان من كلامها لكان: وأنت أعلم بما وضعت لأنها تخاطب الله تعالى^(١٢).

ومن ضم^(١٣) التاء: جعل هذا من كلام أم مريم قالت ﴿والله أعلم بما وضعت﴾ بعد قولها ﴿رب إني وضعتها أنثى﴾^(١٤).

(١) المراد بعمران هذا: هو والد مريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام (ابن كثير ٣٥٨/١ وهو: عمران بن باشم بن آمون بن منشان حزقيا بن أخريق بن يوثم بن عزاريا... وينتهي إلى سليمان بن داوود عليهما السلام).
(تفسير الطبري ٣٢٨/٦ - ٣٢٩ والبداية والنهاية ٥٦/٢).

(٢) ساقطة من (د). (٣) في (د): قوله. (٤) في (ح): بما يضمروه فكذلك. (٥) في (د): قوله.
(٦) حنة بنت فاووذ بن قبيل امرأة عمران. (انظر الدرر ١٨/٢ عن ابن عباس وابن كثير ٣٥٩/١، والطبري ٣٢٨/٦ والبداية والنهاية ٥٨/٢ وفتح القدير ٣٣٤/١).

(٧) انظر غريب القرآن ١٠٣ ومجاز القرآن ٩٠/١ والطبري ٢٣١/٦ والدرر ١٨/٢ عن ابن عباس وأحكام القرآن لابن العربي ٢٧٠/١.
(٨) في (هـ): حررة.

(٩) انظر الدرر ١٨/٢ عن ابن عباس والطبري ٣٣٢/٦ عن قتادة والسدي والربيع والزجاج ٤٠٤/١ والتبيان ٢٥٤/١ وغريب القرآن ١٠٤.
(١٠) في جميع النسخ فلما وضعت. (١١) ساقطة من (ج). (١٢) ساقطة من (د). (١٣) في (هـ): فلم.

(١٤) قرأ ابن عامر وأبو بكر وعاصم بضم التاء وإسكان العين - (انظر الحجة لأبي زرعة ص ١٦٠ والسبعة ص ٢٠٤ والنشر ٢٣٩/٢ والتبيان ٢٥٤/١ والمشكل ١٥٦/١ وغريب القرآن ١٠٤ والحجة لابن خالويه ١٠٨).

قوله ^(١) ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ أي: ^(٢) في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها ^(٣) لما يلحق الأنثى من الحيض والنفاس.

^(٤) ﴿وإني أعيدها بك ^(٥)﴾ أي: أمنعها وأجيرها بك [﴿وذريتها﴾ يعني: عيسى] ^(٦) ﴿من الشيطان الرجيم﴾ ^(٧): المطرود المرعي بالشهب.

أخبرنا أبو عبد الله ^(٨) محمد بن عبد الله الشيرازي، حدثنا أبو الفضل محمد بن عبد الله بن خيرويه الهروي أخبرنا علي بن محمد الخزامي حدثنا أبو اليمان أخبرني شعيب عن الزهري قال: حدثني سعيد بن المسيب قال: قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ما من بني آدم ^(٩) مولود إلا يمسسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم بنت عمران وابنها عيسى» ^(١٠)

ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم «وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم».

﴿فتقبلها ربها بقبول حسن﴾ أي رضيها، وكان المحرر الذي نذرته حنة، ولم يقبل قبلها أنثى في ذلك المعنى ﴿وأنتبها نباتاً حسناً﴾ (قال ابن الأنباري والزجاج) ^(١١): وأنتبها فنبتت نباتاً حسناً ^(١٢).

قال ابن عباس ^(١٣): يريد في صلاح ومعرفة بالله وطاعة له وخدمة للمسجد ﴿وكفلها زكريا﴾ أي ضمها إلى نفسه، وقام بأمرها ^(١٤) قال الزجاج ^(١٥): ضمن القيام بأمرها يقال: كفل يكفل كفالة فهو كافل، وهو الذي كفل انساناً يعوله وينفق عليه.

(١) في (ج، هـ): وقوله.

(٢) في (ح): أي من.

(٣) في (ح) والغبار الذي فيهما وفي (د): والعباد الذي فيهما وفي (هـ): والعباد الذي فيهما لما يخلق.

(٤) في (د): قوله.

(٥) في (د): أي المطرود.

(٦) في (د): أبو عبد الله بن محمد. سبق.

(٧) في غير (د) ما بين بني آدم من مولود.

(٨) في (د): . . . بك وذريتها من الشيطان الرجيم.

(٩) ما بين المعقوفتين من (أ).

(١٠) الحديث: رواه البخاري - كتاب بدء الخلق - باب (واذكر في الكتاب مريم) ٢/٢٥٣ ومسلم والبخاري - كتاب التفسير - باب (وإني

أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ٣/١١٠.

ومسلم - كتاب الفضائل - باب فضائل عيسى عليه السلام - بالفاظ متقاربة (٢/٣٤١) ومسلم أحمد ٢/٢٣٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٨٨

بروايات متقاربة.

كلهم من حديث أبي هريرة.

(١١) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(١٢) انظر تفسير الرازي ٨/٢٩ عن ابن الأنباري والزجاج ١/٤٠٥ والتبيان ١/٢٥٤، والقرطبي ٤/٦٩ عن المفضل وفتح القدير ١/٣٣٥

والطبري ٦/٣٤٤.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ص ٤٦ بنحوه والدر ٢/١٨ عن ابن عباس.

(١٤) انظر غريب القرآن ١٠٤ والطبري ٦/٣٤٥ والدر ٢/٢٠ عن الربيع ومجاز القرآن ١/٩١ وفتح القدير ١/٣٣٥.

(١٥) انظر الزجاج ١/٣٠٥ وفتح القدير ١/٣٣٥ عن أبي عبيدة والبحر ٢/٤٤١ - ٤٤٢ عن أبي عبيدة.

وفي ﴿زكريا﴾ قراءتان: القصر والمد وهما لغتان، كقولهم: الهيجاء والهيجا. وقرأ حمزة ﴿وكفلها﴾ مشدداً، و﴿زكريا﴾ على هذه القراءة منصوب لأنه المفعول الثاني للتكفيل ومعناه: ضمنها الله زكريا فضمنها إليه^(١).
وقوله^(٢) ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب﴾ لما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها محراباً في المسجد لا يرى إليه إلا بسلم ولا يصعد إليها غيره^(٣).

قال الأصمعي: ﴿المحراب﴾ الغرفة، قال عمر بن أبي ربيعة: (٤)

ربة محراب إذ جنتها لم أدن^(٥) حتى أرتقي سلماً^(٦)

أي: ربة بيت.

قال ابن عباس^(٧): صارت عنده لها غرفة تصعد إليها تصلي فيها الليل والنهار. وقوله ﴿وجد عندها رزقاً﴾ كان زكريا كلما دخل عليها غرفتها وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء تأتيها بها الملائكة من الجنة^(٨).

﴿قال يا مريم أتئى لك هذا﴾ من أين لك هذا؟ ﴿قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ فقال زكريا^(٩): إن الذي رزقك العنب في غير حينه، قادر على أن يرزقني من العقيم الولد فدعا^(١٠) زكريا: إن يهب الله له ولداً، فذلك قوله:

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي (وكفلها) بالتشديد و(زكريا) مقصوراً: وقرأ أبو بكر (زكرياء) بالهمزة والنصب أي: وكفلها الله زكرياه. وحجتهم: أن الكلام تقدمه بإسناد الأفعال إلى الله وهو قوله - قبلها - فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبأها نباتاً حساناً فكذلك أملاً (وكفلها) ليكون معطوفاً على ما تقدمه من أفعال الله. وقرأ الباقون (وكفلها) بالتحفيف، و(«زكرياء») بالمد والرفع قال أبو عبيد (كفلها) أي: ضمنها ومعناه في هذا: ضمن القيام بأمرها.

وحجتهم: قوله ﴿إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم﴾ آية ٤٤/ آل عمران - ولم يقل «يكفل» فالكفالة مسندة إليهم وكذلك في هذا الموضع.

(انظر الحجة لأبي زرعة ١٦٦ والسبعة ٢٠٤ - ٢٠٥ والنشر ٢٣٩/٢ والزجاج ٤٠٥/١ - ٤٠٦ والبيان ٢٥٥/١ والفراء ٢٨/١ والأخفش ٤٠٣/١ - ٤٠٤، والحجة لابن خالويه ١٠٧ والبحر ٤٤٢/٢ والبيان ٢٠١/١).

(٢) في (د): قوله. (٣) انظر الدر ١٨/٢ عن ابن عباس.

(٤) عمر بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الشاعر المشهور، يقال إنه ولد يوم توفي عمر بن الخطاب وختن يوم مقتل عثمان وتزوج يوم مقتل علي وكان مشهوراً بالتغزل المليح البليغ توفي سنة ٩٣ هـ (البداية والنهاية ١٠٣/٩).
(٥) في (ج): لم أدر.

(٦) انظر البيت في معاني القرآن للزجاج ٤٠٦/١ واللسان / حرب ومجاز القرآن ١٤٤/٢ والرازي ٢٩/٨ - ٣٠ والفراء ٤٣٢/١ والزاهر ٥٤١/١ وديوان ابن قيس الرقيات ص ١٢٥ وفيه «قال الأصمعي: المحراب: الغرفة وأنشد: البيت» والقرطبي ٧١/٤ وعزاه إلى بعضهم لوضاح اليمن: وهو عبد الرحمن بن إسماعيل بن كلال - سمي الوضاح لجمال - له قصص تروى مع أم العيين بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الوليد بن عبد الملك فقتله.

(وانظر قول الأصمعي في الزاهر ٥٤١/١ وابن الرقيات ١٢٥ والبحر ٤٣٣/٢ والرازي ٣٠/٨).

(٧) انظر تفسير الطبري ٣٥١/٦ والدر ١٨/٢ كلاهما عن ابن عباس.

(٨) انظر تفسير ابن كثير ٣٦٠/١ عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والنخعي وغيرهم وفيه دلالة على كرامات الأولياء.

(٩) في (د): (.. أنا لك هذا) أي: .

(١٠) انظر المستدرک - كتاب التفسير - «صحيح الإسناد عن ابن عباس» (٢٩٢/٢ - ٢٩٣) وفتح القدير ٣٣٩/١ عن ابن عباس.

(١١) في (هـ): فدعي.

هَذَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَذَكَرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾

﴿هنالك﴾ أي: عند ذلك^(١) ﴿دعا زكريا ربه قال رب^(٢) هب لي من لَدُنْكَ﴾ أي من عندك ﴿ذرية طيبة﴾ نسلا مباركا تقياً ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ قال ابن عباس: يريد لأوليائك وأهل طاعتك. ﴿فنادته الملائكة﴾ وقرأ حمزة ﴿فناداه الملائكة﴾ بالتذكير^(٣). قال الزجاج^(٤): «الجماعة» يلحقها التأنيث للفظ الجماعة، ويجوز أن يعبر عنها بلفظ التذكير، لأنه^(٥) يقال: جمع الملائكة، وهذا كقوله ﴿وقال نسوة في المدينة﴾^(٦).

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ [بِيَحْيَى]﴾ قرئ بفتح «إِنْ» وكسرها^(٧) فمن فتح كان المعنى: فنادته الملائكة بأن الله، ثم حذف الجار، ومن كسر: أضمر القول كأنه يقول: نادته الملائكة فقالت: إِنَّ اللَّهَ، واضمار القول في القرآن كثير، كقوله ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم﴾^(٨) أي: يقولون سلام عليكم. وقرأ حمزة والكسائي ﴿يبشرك﴾ مخففاً من البشر بمعنى التبشير^(٩)، يقال بشره يبشره بشراً. وقوله^(١٠) ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس^(١١): يريد: مصدقاً بعيسى أنه روح الله وكلمته، وسمي عيسى

(١) «هنالك»: أكثر ما يقع «هنا»: ظرف مكان، وهو أصلها وقد وقعت هنا زماناً فهي في ذلك مثل «عند» فإنك تجعلها زماناً وأصلها المكان.

(انظر التبيان ٢٥٦/١، والمشكل ١٥٧/١).

(٢) في (خ): قال هب لي.

(٣) قرأ حمزة والكسائي (فناداه) بألف مماله وبدون تاء، وحجتهما: أن الذي ناداه جبريل والباقون بالتاء وحجتهم: إجماع القراء على قوله (تحمله الملائكة) - البقرة/٢٤٨ - (انظر الحجة لأبي زرعة ١٦٢ والسبعة ٢٠٥ والنشر ٢/٢٣٩، والتبيان ١/٢٥٦؛ ٢٥٧ والزجاج ٤٠٨/١ والفراء ٢١٠/١ والحجة لابن خالويه ١٠٧).

(٤) انظر الزجاج ٤٠٨/١. (٥) في (ح): لأنه لا يقال. (٦) سورة يوسف / ٣٠.

(٧) قرأ حمزة وابن عامر (إِنْ) بكسر الألف وقرأ الباقر بالفتح (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦٢ - ١٦٣ والسبعة ٢٠٥ والتبيان ١/٢٥٧ والفراء ٢١٠/١ - ٢١١ والتبيان ١/٢٠٢).

(٨) سورة الرعد / ٢٣ - ٢٤.

(٩) وقرأ الباقر بالتشديد وحجتهم (فبشرناها بإسحاق) - سورة هود / ٧١ - قال الكسائي وأبو عبيدة هما لغتان.

(انظر الحجة لأبي زرعة ص ١٦٣ والسبعة ٢٠٥ - ٢٠٦ والنشر ٢/٢٣٩، والتبيان ١/٢٥٧ والزجاج ١/٤٠٨ - ٤٠٩ والفراء ١/٢١٢، والحجة لابن خالويه ١٠٧ - ١٠٨).

(١٠) في (و): قوله.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٦، ومجاهد ص ١٢٦ والطبري ٦/٣٧٣ والدرر ٢/٢١ كلاهما عن ابن عباس.

الوسيط في تفسير القرآن المجيد/ج ١/٢٨٣

«كلمة الله» لأنه حدث عند قوله «كن» فوقع عليه اسم الكلمة، لأنه بها كان. وكان يحيى أول من آمن بعيسى وصدقه. (١)

قوله (٢) ﴿وسيداً﴾ قال الضحاك والربيع (٣): «السيد»: الحليم، وقال أبو صالح وسعيد بن جبير (٤): «السيد» التقي، وقال عكرمة (٥): «السيد»: الذي لا يغلبه غضبه وقال الزجاج: «السيد» الذي يفوق في الخير قومه. (٦)

وقوله (٧) ﴿وحصوراً﴾ وهو الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن قال ابن قتيبة (٨): هو فعول بمعنى مفعول، كأنه محصور عنهن، أي: مأخوذ محبوس، ويجوز أن يكون بمعنى فاعل، كأنه حصر نفسه عن الشهوات (٩).

﴿قال رب أنى يكون لي غلام﴾ لما بشر (١١) زكريا بالولد على كبر سنه استخبر الله تعالى عند ذلك فقال ﴿أنى يكون لي غلام﴾ أي: على أي حال يكون ذلك، أتردني (١٢) إلى حال الشباب وامرأتي؟ أم مع حال الكبر؟

﴿وقد بلغني الكبر﴾ وهو مصدر «كبر الرجل»: إذا أسن.

قال ابن عباس (١٣): كان زكريا يوم بشر بالولد ابن عشرين ومائة سنة، وكانت امرأته (١٤) بنت ثمان (١٥) وتسعين سنة.

قوله (١٦) ﴿وامرأتي عاقراً﴾ أي ذات عقر لا تلد (١٧)، قيل له ﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك من الأمر، وهو هبة الولد على

(١) «فرض على يحيى أن يصدق بعيسى وأن يبشر الناس برسالته فهذا معنى التصديق أما اتباعه فغير ممكن - لأن عيسى لم يبدأ رسالته إلا بعد قتل يحيى».

(٢) انظر هامش الزجاج ٤١٠/١ وابن كثير ٣٦١/١ عن الربيع بن أنس والدر ٢١/٢ عن الضحاك ومجاهد وابن عباس وقتادة والسدي. (٢) في (ج، هـ): وقوله.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٤٦ والثوري ٧٦ وغريب القرآن ٢٠٤ وابن كثير ٣٦١/١ عن الضحاك والربيع وغيرهما، والزاهر ٢٢٠/١ من الضحاك والطبري ٣٧٥/٦ عن قتادة والضحاك وسفيان.

(٤) انظر تفسير الطبري ٣٧٥/٦ عن سعيد في إحدى روايته والثوري ٧٦، وابن كثير ٣٦١/١ عن ابن عباس والثوري.

(٥) انظر تفسير الطبري ٣٧٦/٦ وابن كثير ٣٦١/١ والدر ٢٢/٢ كلها عن عكرمة.

(٦) انظر الزجاج ٤١٠/١ وفتح القدير ٣٧٧/١ عن الزجاج والزاهر ٢٢١/١.

(٧) في (د): قوله.

(٨) في (د): القتيبي، وهو:

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الإمام الورع أبو محمد صاحب التصانيف في فنون العلم والأدب روى عن إسحاق بن راهويه وغيره قال الخطيب: كان ثقة ديناً فاضلاً توفي سنة ٢٧٦ وله ٦٣ سنة (العبر ٣٩٧/١، والميزان ٤١٦/٢ - ٤١٧).

(٩) انظر غريب القرآن ٢٠٥ والزجاج ٤١٠/١ وفتح الباري ١٦٧/٨ ومجاز القرآن ٩٢/١ وابن كثير ٣٦١/١ عن ابن عباس وابن السكيت ومجاهد وابن مسعود وكذا في الدر ٢٢/٢.

(١٠) في (د): أن يكون.

(١١) انظر العبارة في معاني القرآن للزجاج ٤١٢/١.

(١٢) في (د): لتردني.

(١٣) انظر البحر ٤٤٩/٢ عن ابن عباس وغرائب النيسابوري ١٩٢/٣ وفتح القدير ٣٣٨/١ والوجيز للواحد ٩٧/١.

(١٤) امرأته: أشيع أم يحيى. (الدر ٢٢/٢ عن شعيب الجاني).

(١٥) في (هـ): ثمانى، وكلاهما حسن. (انظر اللسان / ثمن).

(١٦) في (ج، هـ): قوله. (١٧) العاقر: التي لا تلد، والرجل العاقر: الذي لا يولد له (مجاز القرآن ٩٢/١).

الكبر ﴿يفعل الله ما يشاء﴾ فسبحان من لا يعجزه شيء. فسأل الله علامة يعرف بها وقت حمل امرأته ليزيد في العبادة شكراً على هبة الولد وهو قوله:

﴿قال رب اجعل لي آية﴾ قال المفسرون^(١): إن زكريا لما بشر بالولد سأل الله علامة يعرف بها وقت حمل امرأته ليزيد في العبادة شكراً لله على هبة الولد ف ﴿قال﴾ الله تعالى: ﴿آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا﴾ أي: علامة ذلك أن يمسك لسانك عن الكلام وأنت صحيح سوي، كما قال ﴿آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليلٍ سوياً﴾^(٢).

قال الحسن وقتادة:^(٤) أمسك لسانه ثلاثة أيام فلم يقدر أن يكلم الناس إلا إيماء وجعل ذلك علامة حمل امرأته.

و«الرمز»: الإيماء بالشفيتين والحاجبين والعينين يقال: رمز يرمز ويرمز^(٥) وإنما حبس لسانه عن التكلم بأمور الدنيا وما يدور بين الناس ولم يحبس لسانه عن التسبيح وذكر الله^(٦)، وهو قوله ﴿واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والإبكار﴾.

و«العشي»: جمع عشية، وهي آخر النهار، و«الإبكار» مصدر أبكر إذا صار في وقت البكرة ثم يسمى ما بين طلوع الفجر إلى الضحى إبكراً كما يسمى إصباحاً.^(٧)

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرِمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

وقوله^(٨) ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك^(٩) وطهرتك﴾ قال ابن عباس^(١٠) من ملامسة الرجال، وقيل^(١١): من الحيض والنفاس.

(١) انظر تفسير ابن كثير ١/٣٦٢، والدرر ٢/٢٢٢ عن السدي وابن جريج وفتح القدير ١/٣٣٨.

(٢) في (أ، ح): أن لا.

(٣) سورة مريم / ١٠.

(٤) انظر تفسير الطبري ٦/٣٨٦ عن قتادة وغيره ٦/٣٩٠ عن الحسن وغرائب النيسابوري ٣/١٩٢ عن قتادة.

(٥) انظر اللسان / رمز، والزجاج ١/٤١٣ ومجاز القرآن ١/٩٣ والفراء ١/٢١٣ والأخفش ١/٤٠٥ - ٤٠٦ والطبري ٦/٣٨٩ - ٣٩٠ عن مجاهد والضحاك وابن عباس وغيرهم.

(٦) في (د) الله تعالى.

(٧) انظر معنى ذلك في تفسير الطبري ٦/٣٩١ - ٣٩٢ واللسان / عشا ويكر. والبحر ٢/٤٥٣ ومفردات الرغب / بكر، عشا. وعنده

«العشي: من زوال الشمس إلى الصباح».

(٨) في (د): قوله.

(٩) في (د): اصطفيك.

(١٠) انظر الدرر ٢/٢٤ عن ابن عباس، البحر ٢/٤٥٥ عنه.

(١١) انظر الزجاج ١/٤١٤ والبحر ٢/٤٤٥ عن ابن عباس والسدي وغيرهما والدرر ٢/٢٣.

﴿واصطفاك﴾^(١) على نساء العالمين ﴿قال الاكثرون﴾^(٢): معناه على عالمي زمانها فضلت عليهن. قال الزجاج^(٣): وجائز أن تكون على نساء العالمين كلهن، لأنه ليس في النساء امرأة ولدت من غير أب غير مريم، ولأنها قبلت في التحرير^(٤) للمسجد ولم يكن التحرير في الإناث، فهي مختارة على النسوان كلهن بما لها من الخصائص.

﴿يا مريم اقتني لربك﴾ قال ابن عباس^(٥) قومي للصلاة بين يدي ربك وقال مجاهد: اطلبي^(٦) القيا في الصلاة^(٧) وقال قتادة: ^(٨)أطيعي ربك.

﴿واسجدي واركعي﴾ قدم السجود لفظاً وهو مؤخر في المعنى^(٩)، و«الواو»: لا توجب ترتيباً عند النحويين. وقوله ﴿مع الراكعين﴾ ولم يقل مع الراكعات لأن الراكعين أعم، لوقوعه على الرجال والنساء إذا اجتمعوا. قال المفسرون^(١٠): كلمت الملائكة مريم بهذا شفاها فقامت في الصلاة حتى ورمت قدمها وسالت دما وطحا. قوله^(١١) ﴿ذلك﴾ يعني: ما قص من حديث مريم وزكريا^(١٢) ويحيى ﴿من أنباء الغيب﴾ أخبار ما غاب منك وعن قومك^(١٣) ﴿نوحيه إليك﴾ نلقيه إليك بإرسال جبريل بها^(١٤)، ﴿وما كنت لديهم﴾^(١٥) إذ يُلقون أقلامهم^(١٦) بهم يكفل مريم ﴿فيه إضمار والمعنى: أيهم أرفق بكفالتها.

قال ابن عباس في رواية عطاء^(١٧): هؤلاء جماعة كانوا من الأنبياء اختصموا في مريم كل واحد يقول: أنا ولي بها، فقال زكريا: هي بنت عمي، وخالتها عندي قالوا: فتعالوا حتى نستهم، فجمعوا سهامهم ثم أتوا بها إلى السماء

(١) قيل: هذا الاصطفاء الآخر غير الاصطفاء الأول فالأول: من حيث تقبلها يقول حسن والآخر لولادة عيسى (فتح القدير ٣٣٨/١ والبحر ٤٥٥/٢).

(٢) انظر الزجاج ٤١٤/١ والدر ٢٣/٢ - ٢٤ عن السدي وابن عباس والطبري ٣٩٣/٦ وتفسير ابن عباس ص ٤٨.

(٣) انظر الزجاج ٤١٤/١ وفتح القدير ٣٣٨/١ وعن الزجاج، والبحر ٤٥٦/٢.

(٤) في (د): من التحرير.

(٥) انظر الدر ٢٤/٢ عن ابن عباس والبحر ٤٥٦/٢.

(٦) في (د): أطليل.

(٧) انظر تفسير مجاهد ص ١٢٧ وتفسير ابن عباس ٤٧ والثوري ٧٧، والدر ٢٤/٢ وفتح القدير ٣٤٠/١، والطبري ٤٠١/٦ - ٤٠٢ قلها عن مجاهد، والبحر ٤٥٦/٢ عن مجاهد وابن جريج والربيع.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٤٧ والدر ٢٤/٢ وفتح القدير ٣٤٠/١ كلاهما عن قتادة والطبري ٤٠٣/٦ عن قتادة والسدي.

(٩) انظر الزجاج ٤١٤/١ والبحر ٤٥٦/٢.

(١٠) انظر الزجاج ٤٠٢/٦ عن مجاهد والدر ٢٤/٢ - ٢٥ عن وهب وفتادة والوجيز للواحد ٩٧/١.

(١١) في (د): وقوله.

(١٢) في (د): زكريا ومريم.

(١٣) انظر مجاز القرآن ٩٣/١.

(١٤) ساقطة من (د).

(١٥) (لديهم) أي: عندهم (مجاز القرآن ٩٣/١).

(١٦) «أي قدامهم» (انظر البحر ٤٥٨/٢ واللسان / قلم عن الزجاج وحاشية أ) ومجاز القرآن ٩٣/١.

(١٧) انظر تفسير الطبري ٣٤٨/٦ - ٣٤٩ عن عكرمة والربيع والسدي ٤٠٩/٦ عن ابن عباس والدر ١٨/٢ عن ابن عباس وفيه «أنهم كانوا آراء من ولد هارون».

وقالوا: اللهم من كان أولى بها فليقم سهمه وليغرق البقية، وألقوا سهامهم فارتز^(١) قلم زكريا وانحدرت أقلام الباقين، ففرعهم زكريا.

قال قتادة^(٢): كانت مريم بنت إمامهم وسيدهم عمران بن ماثان، كانوا أهل بيت صالح من الله بمكان، فتشاح^(٣) عليها بنو إسرائيل فاقترعوا بسهامهم أيهم يكفلها ففرعهم زكريا، فكفلها زكريا.

إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِيكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي
وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ
وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن
كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحَدٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ
وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَإِنِّي أَنذَرُكُمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَاللَّعْنَةُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾
مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾

قوله تعالى^(٤): ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِيكَةُ﴾ قال ابن عباس: يريد^(٥) جبريل^(٦) ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ
مِّنْهُ﴾ يعني: عيسى عليه السلام قال الحسن وقتادة^(٧): إنما قيل لعيسى «كلمة الله» لأنه كان بكلمه الله، وهي^(٨)
(كن).

والمعنى: انه كان أوجده بالكلمة وكونه بها، من غير توليد من فعل.

وقوله ﴿اسْمُهُ الْمَسِيْحُ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء والضحاك^(٩): إنما سمي عيسى «مسيحاً» لأنه كان لا يمسح

(١) «أي وقف على الماء» (حاشية أ) وفي اللسان / أرز «أرز يارز أروزا: تقبض وتجمع وثبت فهو أرز وأروز، ورجل أروز: ثابت مجتمع».

(٢) انظر فتح القدير ٣٣٦/١ عن قتادة، والدر ١٨/٢ - ١٩ عن ابن عباس وعكرمة والطبري ٣٥٠/٦ عن قتادة.

(٣) في (ج، د): فتشاح، و«التشاح: الحرص» (حاشية أ) واللسان / شح.

(٤) في (ح): قوله (إذ قالت الملائكة) يريد..

(٥) في (هـ): يعني.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٤٥ والدر ٢٤/٢ عن ابن عباس والوجيز للواحد ٩٨/١.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٤٧ والطبري ٤١١/٦ والبحر ٤٥٩/٢ كلاهما عن قتادة ٤٤٧/٢ عن الحسن وقتادة وابن عباس ومجاهد والسدي
وتقدم مثل هذا الكلام عند تفسير الآية ٣٩ من هذه السورة.

(٨) في (ج، د): وهو.

(٩) انظر تفسير الرازي ٤٩/٨ والبحر ٤٦٠/٢ والزاهر ٤٩٣/١ وغرائب النيسابوري ١٩٨/٣ والبغوي ٣٤٧/١ «كلها عن ابن عباس والدر

٢٥/٢ عن سعيد وابن كثير ٣٦٤/١.

بيده ذا عاهة إلا براً وقال إبراهيم النخعي^(١): «المسيح»: الصديق^(٢).

وقال أبو عبيدة^(٣): هو بالسريانية مشيحا، فعربته العرب.

وقوله ﴿ووجهاً في الدنيا والآخرة﴾ يعني: «الوجه»: ذو الجاه والشرف والقدر يقال: وجه الرجل يوجه فهو وجهه إذا صارت له منزلة رفيعة عند الناس^(٤).

وقوله^(٥) ﴿ومن المقربين﴾^(٦): إلى ثواب الله وكرامته.

وقوله ﴿ويكلم الناس في المهد﴾ يعني: صغيراً، و«المهد»: الموضع الذي مهد لنوم الصبي^(٧).

ويعني بكلامه في المهد: تبرئته أمه مما قُرئت^(٨) به، حين ﴿قال إني عبد الله أتاني الكتاب...﴾ الآية^(٩).
وقوله ﴿وكهلاً﴾ «الكهل»: الذي اجتمع قوته وتم شبابه^(١٠).

وقال ابن عباس^(١١): يريد أنه يتكلم بكلام النبوة كهلاً ﴿ومن الصالحين﴾ قال: يريد مثل: موسى وإسراييل وإسحاق وإبراهيم.

وقوله^(١٢) ﴿قالت ربي أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر﴾ تعجبت حين بشرت بولد من غير أب، لخروج ذلك عن العادة، و«البشر»: الخلق واحده وجمعه سواء^(١٣).

﴿قال كذلك الله يخلق ما يشاء﴾ أي: يخلق الله ما يشاء مثل ذلك من الأمر وهو خلق الولد من غير ميسس^(١٤).

وقوله ﴿ويعلمه الكتاب﴾ يعني: الكتابة ﴿والحكمة﴾ العلم ﴿والتوراة والإنجيل﴾.

﴿ورسولا إلى بني إسرائيل﴾ قال الزجاج^(١٥): وتجعله رسولا ﴿أني﴾^(١٦) قد جئتكم بآية من ربكم. ثم ذكر

(١) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران من مذبح من أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث من أهل الكوفة ولد سنة ٤٦ هـ وتوفي سنة ٩٦ هـ (الأعلام ٧٦/١).

(٢) انظر تفسير الرازي ٤٩/٨ والبحر ٤٦٠/٢ والدر ٢٥/٢ والزاهر ٤٩٣/١ والطبري ٤١٤/٦ كلها عن النخعي وتفسير الثوري ص ٨٨.

(٣) هكذا في جميع النسخ «أبو عبيدة» والمثبت عن أبي عبيد القاسم بن سلام، انظر الزاهر ٤٩٣/١ - ٤٩٤، والقرطبي ٨٩/٤، والبحر ٤٦٠/٢ وفتح القدير ٣٤١/١ كلها عن أبي عبيدة. وفي تفسير الرازي ٤٩/٨ عن أبي عبيدة والليث.

(٤) انظر غريب القرآن ١٠٥ ومجاز القرآن ٩٣/١ والبحر ٤٦١/٢ واللسان /وجه.

(٥) في (د): قوله.

(٦) في غير (أ) أي إلى ثواب.

(٧) انظر اللسان / مهد.

(٨) «القرف»: التهمة والقذف (حاشية أ).

(٩) سورة مريم / ٣٠.

(١٠) انظر الزاهر ٢٦٩/٢، «الكهل من الرجال: الذي جاوز الثلاثين وخطه الشيب» (اللسان /كهل).

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٤٧ بنحوه وابن كثير ٣٦٤/١ وفتح القدير ٣٤١/١ عن الزجاج وغرائب النيسابوري ١٩٩/٣ والبحر ٦٢/٢ عن ابن عباس والقرطبي ٩٠/٤ ابن عباس.

(١٢) في (د): قوله.

(١٣) في (د): وإذا قضا.

(١٤) انظر الزجاج ٤١٧/١ والطبري ٤٢٣/٦ والبيان ٢٠٤/١.

(١٥) في (د): أي.

(١٦) انظر تفسير الآية ١١٧ من سورة البقرة.

تلك الآية فقال ﴿أني أخلق لكم من الطين﴾ أي: أقدر وأصور، و«الخلق» معناه: التقدير في اللغة^(١).

﴿كهية الطير﴾ «الهيئة»: الصورة المهيأة^(٢) من قولهم: هيأت الشيء إذا قدرته ﴿فأنفخ فيه﴾ أي: في الطين ﴿فيكون طيرا بإذن الله﴾.

وقرأ نافع^(٣) ﴿طائرا﴾ على معنى: يكون ما أنفخ فيه طائراً.

قال ابن عباس^(٤): أخذ طيناً فجعل منه خفاشاً، ثم نفخ فيه، فإذا هو يطير ﴿وأبرء الأكمه﴾ أي: أجعله بصيراً بعد الكمه، وهو الذي يولد أعمى^(٥).

﴿والأبرص﴾ وهو الذي به وضح^(٦) ﴿وأحيي﴾^(٧) الموتى بإذن الله ﴿أحيا عازر﴾^(٨) وكان صديقاً له، ودعا سام ابن^(٩) نوح من قبره، فخرج حياً، ومر عليه بابن عجز على سرير ميتاً فدعا الله عيسى فنزل عن سريريه حياً، ورجع إلى أهله، وبقي، ووُلد له^(١٠).

﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ قال مجاهد^(١١): بما أكلتم البارحة، وما خبأتم منه، وقال قتادة^(١٢): بما تأكلون من المائدة، وما تدخرون منها.

وقوله^(١٣) ﴿ومصدقاً﴾ أي: وجئتكم مصدقاً ﴿لما بين يدي﴾ أي: الكتاب الذي أنزل من قبله ﴿ولاحل

(١) دخلقه: تقديره، ولم يرد أنه يحدث معدوماً (اللسان / خلق).

(٢) انظر اللسان / هياً.

(٣) قرأ نافع (فيكون طائراً) قال الكسائي الطائر واحد على كل حال والطير يكون جمعاً وواحداً وحجته: أن الله أخبر أنه يخلق واحداً ثم واحداً.

وقرأ الباقون (طيراً) وحجتهم: أن الله أذن له أن يخلق طيراً كثيراً ولم يخلق واحداً فقط (انظر الحجة لأبي زرعة ١٦٤ والسبعة ٢٠٦ والنشر ٢/٢٤٠ والتبيان ١/٢٦٣).

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٤٨ وفتح القدير ١/٣٤٣ عن ابن عباس والزجاج ١/٤١٨ والطبري ٦/٤٣٥ - ٤٣٦ عن ابن إسحاق وابن جريج. وفي حاشية (أ) «لأنه لم يخلق غير الخفاش وإنما خص الخفاش: لأنه أكمل الطير خلقاً لأن لها ثدياً وأسناناً وهي تحيض قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً، ليمتيز فعل الخالق الحقيقي عن فعل غيره وليعلم أن الكمال لله عز وجل».

(٥) انظر تفسير الطبري ٦/٤٢٩ عن ابن عباس وغريب القرآن ١٠٥ ومجاز القرآن ١/٩٣ والزاهر ١/٣٨٠ عن قتادة والدر ٢/٣٢ عن ابن عباس وفتح القدير ١/٣٤٣ عن ابن عباس.

(٦) «الوضح: بياض الصبح والقمر والبرص والغرة والتحجيل في القوائم» (اللسان / وضح).

(٧) في (أ، هـ): أحيي.

(٨) عازر كان صديقاً لعيسى عليه السلام فمرض فأرسلت أخته إلى عيسى أن عازر يموت فسار إليه وبينهما ثلاثة أيام فوصل وقد مات منذ ثلاثة أيام فأتى قبره فدعا فعاش وبقي حتى ولد له. (الكامل لابن الأثير ١/٣١٥).

(٩) سام بن نوح الجد الثالث ليهود عليه السلام والابن الأكبر لنوح عليه السلام وعن ابن عباس كان لنوح أربعة من الولد: سام وحام ويافث ويحطون، وإن نوحاً سأل الله أن يبارك في سام أفضل البركة وأن يجعل الملك والنبوته في ولد أرفخشذ بن سام. (البداية والنهاية ١/١٢٠، وحسن المحاضرة ١/٣٤).

(١٠) انظر الكامل لابن الأثير ١/٣١٥ وغرائب النيسابوري ٣/٢٠١ والبحر ٢/٤٦٧ والدر ٢/٣٣ عن معاوية بن قره والرازي ٨/٥٧.

(١١) انظر تفسير الطبري ٦/٤٣٤ والبحر ٢/٤٦٧ والدر ٢/٣٥ كلها عن مجاهد.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٦/٤٣٥ - ٤٣٦ والبحر ٢/٤٦٧ والبغوي ٢/٣٥١ كلها عن قتادة والدر ٢/٣٥ وفتح القدير ١/٣٤٣ كلاهما عن

عمار بن ياسر.

(١٣) في (د): قوله.

لكم بعض الذي حُرِّمَ عليكم ﴿ قال المفسرون ^(١): أحل لهم على لسان المسيح: لحوم الإبل والثروب ^(٢)، وأشياء من الطير والحيتان مما كان محرماً في شريعة موسى.

قوله ﴿وجنتكم بآية من ربكم﴾ قال الزجاج: أي لم أحل لكم ^(٣) شيئاً بغير برهان فهو حقيق عليكم اتباعي ^(٤) وإنما وحد «الآية» وكان قد أتاهم بآيات، لأنها كلها جنس واحد في الدلالة على الرسالة.
وقوله ﴿هذا صراط مستقيم﴾ أي: طريق من طرق الدين مستو.

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَأَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿فلما أحس عيسى﴾ قال ابن عباس ^(٥): «أحس»: علم، وقال مقاتل ^(٦): رأى، وقال الزجاج ^(٧): «أحس» في اللغة: علم ووجد ورأى.

وقوله ﴿منهم الكفر﴾ يريد: القتل وذلك أنهم أرادوا قتله حين دعاهم إلى الله فاستنصر ^(٨) عليهم و﴿قال من أنصاري إلى الله﴾ و«الأنصار»: جمع نصير، مثل شريف وأشراف.

ومعنى قوله ﴿إلى الله﴾ أي: مع الله ^(٩).

(١) انظر تفسير الطبري ٢٣٩/٦ عن قتادة والربيع وابن جريج وغرائب النيسابوري ٢٠٢/٣، والبحر ٤٦٨/٢ عن ابن جريج والربيع والنذر ٣٥/٢ عن قتادة والربيع والوجيز للواحدي ٩٩/١.

(٢) الثرب: «شحم قد غشي الكرش والأمعاء رقيق» (حاشية (أ)).

(٣) في (ح): أي أحل.

(٤) انظر الزجاج ٤٢٠/١.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ٤٨.

(٦) انظر البحر ٤٧١/٢ والبغوي ٣٥٢/١ كلاهما عن مقاتل واللسان / حسن، عن الليث.

(٧) انظر الزجاج ٤٢١/١، والفراء ٢١٦/١ وفتح القدير ٣٤٤/١ عن الزجاج واللسان / حسن، عن الزجاج.

(٨) في (د): واستنصر.

(٩) «إلى الله» إلى «في موضع الحال متعلقة بمحذوف وتقديره: من أنصاري مضافاً إلى الله أو إلى أنصار الله، وقيل: مع الله، قال العسكري: وليس بشيء» فإن إلى «لا تصلح أن تكون بمعنى «مع» ولا قياس يعضده» (انظر التبيان ٢٦٤/١، والفراء ١٨/١ والأخفش ٢٠٥/١، ٣١٧) وانظر تفسير الطبري ٤٤٣/٧ - ٤٤٤ عن السدي وابن جريج والدر ٣٥/٢ عن السدي وتفسير ابن عباس ص ٤٨، واللسان / أ.

وقوله^(١) ﴿قال الحواريون﴾ قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير^(٢): كانوا صيادين سموا حواريين لبياض ثيابهم، وقال في رواية عطاء^(٣): كانوا قصارين يحورون الثياب، أي يبيضونها، اتبعوا عيسى وصدقوه، وقال قتادة والكلبي^(٤): الحواريون خواص عيسى وأصفياءه. وقال الزجاج^(٥): الحذاق باللغة يقولون: «الحواريون» صفوة الأنبياء الذين خلصوا في التصديق بهم ونصرتهم ومنه قوله ﷺ:

«... وحواري الزبير بن العوام»^(٦)

وقوله^(٧) ﴿نحن أنصار الله﴾ أي: أنصار دين الله ﴿ءامننا بالله واشهد﴾ يا عيسى ﴿بأننا مسلمون﴾.

قوله^(٨) ﴿ربنا ءامننا بما أنزلت﴾ يعني: ما أنزل الله على عيسى وهو الإنجيل ﴿واتبعنا الرسول﴾ عيسى عليه السلام ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ مع الذين شهدوا للأنبياء بالصدق، أي: أثبت أسماءنا مع أسماهم لنفوز بمثل ما فازوا به من الدرجة والكرامة.

قوله ﴿ومكروا﴾ قال ابن عباس^(٩): إن عامة بني إسرائيل كفروا بعيسى وهموا بقتله، فذلك مكروهم به، حيث أرادوا أن يقتلوه اغتيالاً.

وقوله^(١٠) ﴿ومكر الله﴾ قال المفسرون: (١١) مكر الله بهم بإلقاء شبه عيسى على من دل عليه فجعله الله في صورة عيسى فأخذ وصلب^(١٢) (١٣)

وقوله^(١٤) ﴿والله خير الماكرين﴾ أي: أفضل المجازين بالسيئة العقوبة.

قوله^(١٥) ﴿إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك﴾ أي: قابضك من الأرض وافية تاماً من غير أن تنال اليهود منك شيئاً وهذا قول الحسن والكلبي وابن جريج^(١٥).

(١) ساقطة من (د).

(٢) انظر الزجاج ٤٢٢/١ وفتح الباري ٦٤/٧ والدر ٣٥/٢ عن ابن عباس والفراء ٢١٨/١ والطبري ٤٤٩/٦ عن سعيد بن جبير.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ص ٤٨ والزجاج ٤٢٢/١ والدر ٣٥/٢ عن الضحاك عن ابن عباس والزاهر ١٢١/١ وغبريب الحديث ١٥/٢ والبغوي ٣٥٣/١ عن عكرمة والكلبي.

(٤) انظر تفسير الطبري ٤٥٠/٦ عن قتادة والضحاك والقرطبي ٩٧/٤ عن الكلبي وأبي روق والدر ٣٥/٢، ٣٦ عن الضحاك والفراء ٢١٨/١ وفتح القدير ٣٤٥/١ عن الضحاك وابن عباس.

(٥) انظر الزجاج ٤٤٢/١ ومجاز القرآن ٩٥/١.

(٦) الحديث: رواه البخاري - كتاب بدء الخلق - باب مناقب الزبير بن العوام - عن جابر (٣٠٢/٢).

(٧) في (د): قوله. (٩) انظر تفسير ابن عباس ٤٨ والفراء ٢١٨/١ وغبريب النيسابوري ٢٠٥/٣ والبغوي ٢٥٥/١ عن ابن عباس.

(٨) في (د): وقوله. (١٠) في (د): قوله.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٤٨ والزجاج ٤٢٤/١ والدر ٢٦/٢ والطبري ٤٥٤/٦ كلاهما عن السدي وفتح القدير ٢٤٤/١ وغبريب النيسابوري ٢٠٦/٣ والبغوي ٢٥٥/١ عن ابن عباس.

(١٢) انظر تفسير البغوي ٢٥٥/١ وفتح القدير ٣٤٥/١ - ٣٤٦ كلاهما عن ابن عباس.

(١٣) في (ج، د): فصلب.

(١٤) في (هـ): وقوله.

(١٥) انظر غريب القرآن ١٠٦ والدر ٣٦/٢ عن الحسن وابن كثير ٣٦٦/١ عن الحسن والطبري ٤٥٦/٦ عن الحسن وابن جريج وكعب

الأخبار ومحمد بن جعفر وابن زيد، والبحر ٤٧٣/٢ عن الحسن وابن جريج والضحاك وغيرهم.

وقال ابن عباس في رواية عطاء^(١): هذا مقدم ومؤخر، يريد إني رافعك إلي ومتوفيك بعد أن أهبطك إلى الأرض حتى تكون فيها وتزوج ويولد لك حتى تموت.

وهذا اختيار الفراء، قال: يقال^(٢): إن هذا مقدم ومؤخر والمعنى: إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد إنزالي إياك إلى الدنيا^(٣).

وقوله ﴿ورافعك إلي﴾ أي: إلى سمائي ومحل كرامتي، فجعل ذلك رفعاً إليه للتفخيم والتعظيم.

﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾ أي: مخرجك من بينهم لأن كونه في جملتهم التنجيس له بهم.

﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ قال قتادة والربيع والكلبي ومقاتل^(٤): هم أهل الإسلام من أمة محمد ﷺ، اتبعوا دين المسيح وصدقوه بأنه رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فوالله ما أبعده من دعاه رباً، ومعنى ﴿فوق الذين كفروا﴾ بالبرهان والحجة، ومحتمل بالعز والغلبة.

ثم رجع عن الغيبة إلى الخطاب فقال ﴿ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ من الدين أمر عيسى. ثم يبين ذلك الحكم فقال:

﴿فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا﴾ يعني بالقتل وسي الذراري وأخذ الجزية ﴿[والآخرة]﴾ وفي الآخرة بالنار ﴿ومالهم من ناصرين﴾^(٥): مالهم من يمنعهم من عذاب الله.

﴿وأما الذين آمنوا﴾ بمحمد وعيسى ﴿فيوفيهم أجورهم﴾ يتم لهم جزاءهم^(٦) من الثواب ﴿وإن الله لا يحب الظالمين﴾ لا يرحمهم، ولا يثني عليهم وهم الذين لا يطيعون الله فيما أمرهم به من الإيمان بالرسول والكتب.

وقوله^(٨) ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما تقدم من الخبر عن عيسى ومريم والحواريين ﴿تتلوه عليكم﴾ قال^(٩) ابن عباس^(١٠): نخبرك به بتلاوة جبريل عليك، وتلاوته بأمر الله ومثله قوله ﴿نحن نقص عليك﴾^(١١).

وقوله^(١٢) ﴿من الآيات﴾ أي: العلامات الدالة على نبوتك، لأنها أخبار لا يعلمها إلا قارئ كتاب، أو من يوحى إليه، وأنت أمي لا تقرأ.

وقوله^(١٣) ﴿والذكر الحكيم﴾ يعني: القرآن الحكيم، أي: المانع للفساد وكل ما يقبح ويجوز أن يكون بمعنى المحكم، أي: الممنوع من الباطل.

(١) انظر تفسير ابن عباس ٤٨ والدر ٣٦/٢ عن الحسن والضحاك عن ابن عباس وابن كثير ٣٦٦/١ عن قتادة وغيره وفتح القدير ٣٤٨/١ عن قتادة.

(٢) ساقطة من (د).

(٣) انظر الفراء ٢١٩/١ وفتح القدير ٣٤٤/١ عن الفراء والزجاج ٤٢٥/١.

(٤) انظر تفسير البغوي ٣٥٧/١ عن قتادة والربيع والكلبي ومقاتل والشعبي والدر ٣٧/٢ عن قتادة والحسن والطبري ٤٦٢/٦ - ٤٦٣ عن قتادة والربيع وابن جريج والسدي والحسن، وفتح القدير ٣٤٦/١ عن قتادة وابن جريج والحسن والزجاج ٤٢٦/١ والتبيان ٢٦٥/١ والمشكل ١٦١/١.

(٥) في (د): أي ما لهم. (٨) في (هـ): قوله.

(٦) في (د): قوله. (٩) في (هـ): وقال.

(٧) في (د): جزاؤهم. (١٠) انظر تفسير ابن عباس ص ٤٨ والطبري ٤٦٦/٦. (١١) في (هـ): نافع.

(١١) سورة يوسف / ٣، والكهف / ١٧.

(١٢) في (د): قوله.

(١٣) في (هـ): نافع.

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾

قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله...﴾ الآية:

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد التميمي أخبرنا أبو الشيخ الحافظ حدثنا عبد الرحمن بن محمد الرازي حدثنا سهل بن عثمان العسكري حدثنا وكيع عن مبارك (١)، عن الحسن قال: جاء راهبا نجران (٢) إلى رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام فقال أحدهما: إنا قد أسلمنا قبلك، فقال: كذبتما، إنه يمنعكم من الإسلام ثلاثة: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وقولكم: لله ولد، قال: من أبو عيسى؟ فانزل الله عز وجل (٣) ﴿إن مثل عيسى عند الله...﴾ الآية والمعنى: أن قياس خلق عيسى من غير ذكر كقياس خلق آدم.

ومعنى: ﴿عند الله﴾: أي: في الخلق والإنشاء.

ثم ذكر خلق آدم فقال ﴿خلقته من تراب﴾ يعني: قالباً من تراب لا روح فيه ﴿ثم قال له كن﴾ بشراً ﴿فيكون﴾ بمعنى: فكان وهذا مما أريد بمثال المستقبل فيه الماضي كقوله ﴿تتلوا الشياطين﴾ (٤).

وقوله (٥) ﴿الحق من ربك﴾ قال الفراء والزجاج (٦) ﴿الحق﴾ مرفوع بخبر ابتداء محذوف، على تقدير: الذي أنبأتك به من قصة عيسى الحق، فحذف لتقدم ذكره.

وقال أبو عبيدة (٧): هو ابتداء وخيره ﴿من ربك﴾ كما تقول: الحق من ربك والباطل من الشيطان. وقوله (٨) ﴿فلا تكن من الممترين﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمراد به: نهي غيره عن الشك، كما قال ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ (٩).

(١) مبارك بن حسان السلمي أبو يونس - ويقال أبو عبد الله - البصري ثم المكي روى عن عطاء بن أبي رباح والحسن ونافع مولى ابن عمر قال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات وقال أبو داود: منكر الحديث وقال النسائي: ليس بالقوي. (تهذيب ٢٦/١٠ - ٢٧).

(٢) هما: السيد والعاقب كما في الدر ٣٧/٢ عن ابن عباس وقتادة والسدي وعكرمة وابن جريج وكذا في البحر ٤٧٧/٢.

(٣) في (د، هـ) الله تعالى.

(٤) انظر الدر ٣/٢ أخرجه ابن إسحاق وابن جريج وابن المنذر عن محمد بن جعفر بن الزبير - مطولاً - ٣٧/٢ عن الحسن وأخرجه ابن أبي حاتم، وابن كثير ٣٦٨/١ «رواه ابن إسحاق في السيرة». وفي فتح القدير ٣٤٧/١ عن جابر «أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل»، والدلائل لأبي نعيم ٢٩٧/٢ - ٢٩٩ والطبري ٤٦٨/٦ - ٤٧١ عن عامر وابن عباس وقتادة والسدي وعكرمة ومحمد بن جعفر وابن زيد وانظر ١٥١/٦ - ١٥٣. وسيرة ابن هشام ٢٠٦/٢ وما بعدها، وأسباب النزول للسيوطي ٥٦ وللواحدي ٧٤ والوجيز للواحدي ١٠١/١.

(٥) سورة البقرة ١٠٢/ وفي حاشية (أ) «أي تلت الشياطين».

(٦) انظر الفراء ٢٢٠/١ والزجاج ٤٢٨/١ والمشكل ١٦١/١ وفتح القدير ٣٤٦/١ عن الفراء.

(٧) انظر مجاز القرآن ٩٥/١ وفتح القدير ٣٤٦/١ عن أبي عبيدة.

(٨) في (د) : قوله.

(٩) سورة الطلاق الآية الأولى.

و«الامتراء» الشك، والممتری: الشاك يقال للشك: المرية.

وقوله «فمن حاجك» أي: جادلک وخاصمک «فيه» في عيسى «... فقل تعالوا» أي: اتوا وهلموا «ندع أبناءنا وأبناءكم» قال المفسرون: لما احتج الله تعالى على النصارى من طريق القياس بقوله «إن مثل عيسى...» (١) الآية، أمر النبي ﷺ أن يحتج عليهم من طريق الإعجاز وهو المباهلة.

ومعنى «المباهلة»: الدعاء على الظالم من الفريقين.

فلما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ وفد نجران إلى المباهلة، وخرج رسول الله ﷺ محتضناً الحسين (٢) أخذاً بيد الحسن (٣) وفاطمة (٤) تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول: «إذا دعوت فأمنوا».

فقال أسقف (٥) نجران: يا معشر النصارى أني لأرى (٦) وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة.

ثم قبلوا الجزية وانصرفوا فقال رسول الله (٧) ﷺ:

«والذي نفسي بيده إن العذاب قد تدلى على أهل نجران ولو تلاعنوا لمسحوا قرده وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله (٨) حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى حتى هلكوا» (٩).

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الزعفراني، حدثنا إبراهيم بن محمد بن يحيى حدثنا محمد بن إسحاق

(١) سورة آل عمران / ٥٩.

(٢) الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد القرشي الهاشمي سبط رسول الله ﷺ وابن فاطمة الزهراء ولد سنة ٣ هـ فحنكه الرسول ﷺ بريقه وسماه حسناً وهو أكبر ولد أبيه أشبه الناس برسول الله ﷺ وجهاً اختلف في وفاته من سنة ٤٩ هـ إلى سنة ٥٨ هـ. (البدای والنهایة ٣٦/٨ - ٤٩).

(٣) الحسين بن علي بن أبي طالب ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أبو عبد الله سمع أباه أمير المؤمنين وروى عنه ابنه علي بن الحسين ولداً سنة ٤ هـ وقتل سنة ٦١ هـ وهو ابن ٥٥ سنة. (كتاب الجمع ١/٨٦).

(٤) فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء المؤمنين روت عنها أم المؤمنين عائشة توفيت بعد أبيها ﷺ بستة أشهر وليس له عليه السلام نسل إلا من جهتها، تزوجت ابن عمها علي بن أبي طالب بعد بدر وهي بنت خمس عشرة سنة وخمسة أشهر (البداية والنهایة ٦/٣٧٤ - ٣٧٥).

(٥) «أسقف»: بسين مهملة بعد همزة مضمومة وبعد قاف مضمومة وفاء مشددة: رئيس النصارى. (عمدة القوي والضعيف ص ٨).

(٦) في (د): أرى.

(٧) في (هـ): فقال النبي ﷺ.

(٨) في (د): وأهلها.

(٩) انظر المستدرک - كتاب التاريخ - عن جابر «صحيح على شرط مسلم» (٥٩٤/٢). والدلائل لأبي نعيم (٢/٢٩٨).

والطبري ٦/٤٧٨ - ٤٨٢ عن عامر الشعبي ومحمد بن جعفر والسدي وقادة وابن جريج والدر ٢/٣٨ - ٣٩ عن جابر وابن عباس وقادة والشعبي والأزرقي بن قيس وسلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جده وحذيفة وجابر.

وابن كثير ١/٣٦٨ وما بعدها، وأسباب النزول للواحدي ٧٤ - ٧٥ وغرائب النيسابوري ٣/٢١٣ وكنز العمال ٢/٣٧٩ - ٣٨٠ عن الشعبي.

الثقفي، حدثنا قتيبة حدثنا حاتم بن إسماعيل^(١)، عن بكير بن مسمار^(٢)، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص^(٣) عن أبيه^(٤) قال:

لما نزل قوله تعالى: ﴿ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال: «هؤلاء أهلي» رواه أحمد^(٥) في مسنده^(٦) عن قتيبة^(٧).

وأراد بـ «الأنفس»: بني العم، والعرب تخبر عن ابن العم بأنه نفس، وقد تعالى: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾^(٨) أراد: إخوانكم من المؤمنين.

وقيل^(٩)^(١٠) ﴿ثم نبتهل﴾ «الابتهال» في اللغة على معنيين، أحدهما: التضرع إلى الله، والثاني الالتعان والدعاء بالبهلة وهي اللعنة^(١١)، يقال: عليه بهلة الله أي: لعنته^(١٢). وكلا القولين مروى عن ابن عباس^(١٣) قال - في رواية الكلبي - في قوله (نبتهل) أي: نجتهد في الدعاء وقال في رواية عطاء: ندع الله باللعنة على الكاذبين^(١٤).

وقوله^(١٥) ﴿إن هذا لهو القصص الحق﴾ أي: هذا الذي أوحيناه^(١٦) إليك من الآيات والحجج، و﴿القصص﴾: مصدر، من قولك قص فلان الحديث يقصه قصا وقصصا.

(١) حاتم بن إسماعيل المدني أبو إسماعيل الحارثي قال النسائي: ليس به بأس وقال ابن سعيد: كان ثقة مأموناً كثير الحديث توفي سنة ١٨٦ هـ.

(كتاب الجمع ١٠٧/١ - ١٠٨ وتهذيب التهذيب ١٢٨/٢ - ١٢٩).

(٢) بكير بن مسمار القرشي المدني الزهري أخو مهاجر مولى سعد بن أبي وقاص يكنى أبا محمد سمع عامر بن سعد بن أبي وقاص. روى عنه حاتم بن إسماعيل وأبو بكر الحنفي توفي سنة ١٥٣ هـ. (كتاب الجمع ٥٩/١، والكاشف ١٦٤/١).

(٣) عامر بن سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب القرشي الزهري أخو إبراهيم وإسحاق وعمر ومصعب ومحمد ويحيى ويعقوب سمع أباه وأبا سعيد الخدري توفي سنة ١٠٤ هـ. (كتاب الجمع ٣٧٦/١).

(٤) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب أبو إسحاق القرشي المدني الزهري صحابي جليل شهد بدرأ وشهد له النبي ﷺ بالجنة توفي سنة ٥٥ هـ. وقيل سنة ٥٨ وهو ابن ٧٤ سنة. (كتاب الجمع ١٥٧/١).

(٥) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي شيخ الإسلام وسيد المسلمين في عصره، أبو عبد الله ولد سنة ١٦٤ هـ قال إبراهيم الحري رأيت أحمد كان الله قد جمع له علم الأولين والآخرين وقال أبو زرعة: كان يحفظ ألف ألف حديث توفي سنة ٢٤١ هـ. (تذكرة الحفاظ ٤٣١/٢ - ٤٣٢).

(٦) والمسند: اسم كتاب صنفه الإمام أحمد في الأحاديث (حاشية (أ)).

(٧) الحديث رواه أحمد في مسنده ١٨٥/١.

ومسلم في صحيحه - كتاب الفضائل - باب في فضائل علي بن أبي طالب (٣٦٠/٢).

والمستدرک - كتاب معرفة الصحابة صحيح علي شرط الشيخين (١٥٠/٣). والدلائل لأبي نعيم (٢٩٨/٢).

والترمذي - كتاب التفسير - باب سورة آل عمران - رقم ٤٠٨٥ وصححه (٢٩٣/٤ - ٢٩٤) كلهم من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٨) سورة الحجرات ١١. وانظر البحر ٤٧٩/٢ عن ابن قتيبة، ٤٨١/٢.

(٩) انظر البحر ٤٧٩/٢ عن الواحدي. (١١) انظر مجاز القرآن ٦٩/١ والزاهر ٢١٩/١ واللسان / بهل.

(١٠) في (د): قوله. (١٢) في (ح): أي لعنه.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ٤٨ والدر ٤٠/٢ وفتح القدير ٣٤٨/١ كلاهما عن ابن عباس والبحر ٤٧٩/٢ عن الكلبي.

(١٤) انظر البحر ٤٧٩/٢ والدر ٤٠/٢ كلاهما عن ابن عباس وغريب القرآن ١٠٦.

(١٥) في (ج، هـ): قوله، وفي (د): قوله تعالى.

(١٦) في (د) أوحينا.

﴿القصص الحق﴾ : القرآن الصادق فيما أخبر به .

﴿وما من إله إلا الله﴾ نفي لجميع ما (١) ادعى المشركون أنهم آلهة ، أي أن عيسى ليس بإله كما زعموا .

قوله (٢) ﴿وإن الله لهو العزيز الحكيم﴾ أي : لا أحد يستحق إطلاق هذه الصفة إلا هو .

﴿فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين﴾ أي : فإن عرضوا عما أتيت به من البيان فإن الله يعلم من يفسد خلقه

فيجازيه على ذلك .

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا
يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَتَأْتُمْ هَتُّوْلًا
حَاجِّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ
إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ
لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾

قوله تعالى : ﴿قل يا أهل الكتاب﴾ يعني : اليهود والنصارى ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ يريد

بـ «السواء» العدل، وكذلك في قراءة عبد الله ﴿إلى كلمة عدل﴾ (٣) .

والمعنى : إلى كلمة عادلة مستقيمة مستوية ، إذا أتيناها نحن وأنتم كنا على السواء والاستقامة .

ثم فسر الكلمة فقال (٤) ﴿ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً﴾ (٥) : لا نعبد معه غيره ﴿ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً

من دون الله﴾ قال ابن عباس (٦) : يريد كما اتخذت النصارى عيسى ربا ، واتخذت بنو إسرائيل عزيزاً .

وقال الزجاج (٧) : أي نرجع إلى أن معبودنا الله عز وجل (٨) وأن عيسى بشر كما أننا بشر ، فلا نتخذ (٩) ربا .

(١) في غير (أ) من ادعى .

(٢) ساقطة من (ح) وفي (د، هـ) : وقوله .

(٣) انظر مختصر الشواذ لابن خالويه ص ٢٣ عن ابن مسعود ، والفراء ٢٢٠/١ والطبري ٤٨٧/٦ عن ابن مسعود .

(٤) في (ح) وقال أن لا .

(٥) في (د) : أي لا .

(٦) انظر البحر ٤٨٤/٢ عن مقاتل وعكرمة والزجاج .

(٧) انظر الزجاج ٤٣٢/١ .

(٨) في (د) : الله تعالى .

والأولى أن يراد به العموم كما قال ابن جريج يقول : لا يطع بعضنا بعضاً في معصية الله ويقال : إن تلك الربوبية : أن يطيع الناس

سادتهم وقادتهم في غير عبادة الله وإن لم يصلوا لهم ، ويقوي هذا قوله تعالى : ﴿اتخذوا أحيارهم وربانهم أرباباً من دون الله﴾ سورة

التوبة / ٣١ . (انظر البحر ٤٨٤/٢ ، والطبري ٤٨٨/٦) .

(٩) في غير (أ) تتخذوه .

﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإجابة فخالفوهم أنتم إنكاراً عليهم ﴿فقلوا﴾^(١) اشهدوا بأنا مسلمون ﴿أي: مقرون بالتوحيد منقادون لما أتتنا به الأنبياء.

قوله تعالى: ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ يا أهل الكتاب لم^(٤) تحاجون في إبراهيم ﴿قال ابن عباس والسدي وقتادة: ﴿٥﴾ اجتمعت اليهود ونصارى نجران عند رسول الله ﷺ فتنازعوا في إبراهيم فقالت اليهود: ما كان إلا يهودياً وقالت النصارى ما كان إلا نصرانياً فنزلت هذه الآية.

وقوله ﴿٦﴾ ﴿وما أنزلت التوراة والإنجيل﴾ [إلا من بعده] يريد: ان اليهودية حدثت بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل] ﴿٧﴾ وإنما أنزل الكتابان بعد مهلك إبراهيم^(٨) بزمن طويل، وليس فيهما اسمه بواحد من دين اليهود والنصارى.

واختلفوا في اشتقاق «التوراة» ووزنها من الفعل^(٩).

فقال الفراء^(١٠): هي في الأصل تورية^(١١) على وزن تفعلة، فصارت^(١٢) الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها.

وقال الخليل^(١٣): وزنها فوعلة، وأصلها وورية، ولكن الواو الأولى قلبت تاء كما قالوا: تولج، وهو فوعل ولجت، وقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت^(١٤) تورية^(١٥) وكتبت بالياء على أصل الكلمة.

وأما اشتقاقها: فحكى ابن الأنباري^(١٦) عن الفراء، قال: التوراة معناها الضياء والنور من قول العرب: وري الزند^(١٧) يرى ويورى إذا أظهر النار، فالتوراة سميت لظهور الحق بها^(١٨).

(١) في جميع النسخ: وقولوا.

(٢) في (د): قوله.

(٣) في (ج، د، هـ): قل يا أهل..

(٤) (لم) أصلها دلما وحذفت الألف من «ما» مع حروف الجر للفرق بين الاستهامية والخبرية. (انظر التبيان ٩٣/١، ٢٦٩ واللسان /لم، ٤٠٨١/٥).

(٥) انظر تفسير الطبري ٤٩٠/٦ وابن كثير ٣٧٢/١ والدر ٤٠/٢ وفتح القدير ٣٥٠/١ كلها عن ابن عباس والفراء ٢٢١/١، والدر ٤١/٢ عن قتادة والسدي، وأسباب النزول للسيوطي ٥٧ والوجيز للواحدي ١٠٣/١.

(٦) في (د): قوله.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (هـ).

(٨) في (د): إبراهيم عليه السلام.

(٩) كان الأولى بهذا الكلام أن يكون في أول موضع ذكرت فيه التوراة والإنجيل (سورة آل عمران /٣).

(١٠) انظر الزاهر ١٦٨/١ واللسان / وري، والبحر ٣٧/٢ وغرائب النيسابوري ١٣٣/٣ - ١٣٤ كلها عن الفراء والزجاج ٣٧٤/١ - ٣٧٥ وعزاه إلى الكوفيين.

(١١) في (د): توراة.

(١٢) انظر البحر ٣٧١/٢ وغرائب النيسابوري ١٣٤/٣ كلاهما عن الخليل وسيبويه والزجاج ٣٧٥/١، والتبيان ٣٣٦/١، والمشكل ١٤٩/١ واللسان / وري، والزاهر ١٦٨/١ كلها عن البصريين.

(١٣) في (هـ): فصارة.

(١٤) في (هـ): ابن الأعرابي.

(١٥) في (ج، د): توراة.

(١٦) في (هـ): زند.

(١٧) انظر الزجاج ٣٧٤/١ والزاهر ١٦٨/١ وقال أبو بكر بن الأنباري: ولم يتكلم في معنى «التوراة» غير الفراء، وغرائب النيسابوري ١٣٣/٣ عن الفراء واللسان / وري.

وقال المؤرج (١): هو من التورية وهو التعريض بالشيء وكان أكثر التوراة معارض وتلويحاً من غير إيضاح وتصريح.

وأما «الإنجيل» فقال الزجاج (٢): هو إفعيل من النجل وهو الأصل. وقال ابن الأنباري (٣) «إنجيل» أصل لقوم الذين (٤) نزل عليهم، لأنهم يعملون (٥) بما فيه. وقال قوم (٦): «الإنجيل»: مأخوذ من قول العرب: نجلت الشيء: إذا استخرجته وأظهرته، يقال للماء الذي يخرج من النز (٧): نجل واستنجل الوادي إذا أخرج الماء، فسمي كتاب عيسى «إنجيلاً» لأن الله تعالى أظهره للناس بعد طموس الحق ودروسه.

وقال جماعة (٨): التوراة والإنجيل والزبور: أسماء عربت من السريانية والعبرية وليس يطرد فيها قياس الاسماء العربية، ألا تراهم يقولون لها بالسريانية «توري إنكليون زفوتا» (٩).

وقوله (١٠) ﴿أفلا تعقلون﴾ أي: فساد هذه الدعوى إذ العقل يزجر عن الإقامة على دعوى بغير حجة.

قوله ﴿ها أنتم﴾ «ها» حرف للتنبيه، كأنه قيل (١١): انتبهوا عن غفلتكم ﴿هؤلاء﴾ أي: يا هؤلاء (١٢) جادلتهم وخاصمتهم ﴿فيما لكم به علم﴾ وهو ما وجدوه في كتابهم وأنزل عليهم بيانه وقصته ﴿لم تحتاجون فيما ليس لكم به علم﴾ أي: لم تجادلون في شأن إبراهيم، وليس في كتابكم أنه كان يهودياً أو نصرانياً؟ ﴿والله يعلم﴾ شأن إبراهيم ﴿وأنتم لا تعلمون﴾.

ثم بين حال إبراهيم فقال:

﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً﴾ برأه الله تعالى ونزهه عن الدينين ووصفه بدين الإسلام فقال ﴿ولكن كان حنيفاً مسلماً﴾ الآية، وذكرنا معنى «الحنيف» فيما تقدم (١٣).

قوله تعالى (١٤): ﴿إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ أي: أقرب الناس إليه وأحقهم به ﴿لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ على دينه وملته ﴿وهذا النبي﴾ يعني: محمداً ﷺ (١٥) ﴿والذين آمنوا﴾ يعني: المهاجرين والأنصار والتابعين ممن آمن بمحمد ﷺ.

(١) انظر الزاهر ٤٣٤/١ والبحر ٣٧١/٢ كلاهما عن مؤرج السدوسي واللسان / وري بنحوه.

(٢) انظر الزجاج ٣٧٥/١ والبحر ٣٧١/٢، وغرائب النيسابوري ١٣٤/٣ كلاهما عن الزجاج والتبيان ٢٣٦/١ واللسان / نجل.

(٣) انظر الزاهر ١٦٨/١ - ١٦٩ والبحر ٣٧١/٢ عن الخليل وغيره.

(٤) في (د): الذي.

(٥) في (د، هـ) يعلمون وفي (ج، د): ما فيه.

(٦) انظر التبيان ٣٣٦/١ والزاهر ١٦٩/١ واللسان / نجل.

(٧) في (ج، د) من البئر، و«النز»: بكسر النون وفتحهما والكسر أجود: ما تحلب من الأرض نبع منها النز (انظر اللسان / نز، وحاشية (أ)).

(٨) انظر الزاهر ١٦٨/١ - ١٦٩ وغرائب النيسابوري ١٣٣/٣ والبحر ٣٧١/٢ عن الزمخشري.

(٩) «توري» يعني: التوراة وأنكليون يعني: الإنجيل، وزفوتا يعني: الزبور.

(عمدة القوي والضعيف ص ٨).

(١٠) في (د): قوله.

(١٣) انظر تفسير الآية ١٣٥ من سورة البقرة.

(١٤) في (د): قوله.

(١١) في (د): قال.

(١٥) في (ح): محمداً عليه السلام.

(١٢) في (د): هاؤلا يا هؤلولا قوله حاجتم.

قال الزجاج^(١): أي فهم الذين ينبغي أن يقولوا: إنا على دين إبراهيم. ﴿والله وليّ المؤمنين﴾ أي: ناصرهم ومعينهم.

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَتَّأْهِلِ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَتَّأْهِلِ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيْنَا وَآخِرُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَتُومِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجَّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

قوله ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب﴾ أي: تمت جماعة من اليهود والنصارى، قال ابن عباس^(٢): هم قريظة والنضير وبنو قينقاع، أرادوا أن يستزلوا^(٣) المسلمين عن دينهم ويردوهم إلى الكفر، وهو قوله ﴿لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم﴾ لأن المؤمنين لا يقبلون قولهم وما يدعونهم إليه، فيحصل عليهم الإثم بتمنيهم إضلال المؤمنين ﴿وما يشعرون﴾^(٤) وما يعلمون أن هذا يضرهم ولا يضر المؤمنين.

قوله^(٥) ﴿يا أهل الكتاب﴾ يعني: اليهود ﴿لم تكفرون بآيات الله﴾^(٦): بالقرآن ﴿وأنتم تشهدون﴾ بما يدل على صحة القرآن من كتابكم، لأن فيه نعت محمد ﷺ وذكره^(٧).

قوله^(٨) ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل﴾ تقدم تفسيره عند قوله ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾^(٩).

قوله^(١٠) ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب...﴾ الآية، أن أحبار اليهود قالوا لمن دونهم: اتنوا محمداً وأصحابه أول النهار فقولوا: إنا على دينكم فإذا كان آخر النهار فقولوا: إنا كفرنا بدينكم ونحن على ديننا الأول، فإنه أحرى أن ينقلب أصحابه عن دينهم ويشكوا فيه إذا قلت: نظرنا في كتبنا فوجدنا محمداً ليس بذلك^(١١) الذي وعدنا به^(١٢).

(١) انظر الزجاج ٤٣٣/١.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ص ٤٩ وفيه «كعب بن الأشرف وأصحابه» وفتح القدير ٣٥١/١ وأسباب النزول للواحد ص ٧٩ والطبري ٥٠٠/٦ والبحر ٤٨٨/٢ عن ابن عباس والمفسرين والقرطبي ١١٠/٤.

(٣) في (د): يستزلوا.

(٤) في (د): أي وما.

(٥) في (د): قوله تعالى.

(٦) في (ح): قوله تعالى، وفي (هـ): وقوله.

(٧) في (د): يعني بالقرآن.

(٨) في (ج، د): بذلك.

(٩) انظر تفسير الطبري ٥٠٢/٦ - ٥٠٣ عن قتادة والربيع والسدي.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٥٠٧/٦ - ٥١٠ عن قتادة وأبي مالك والسدي وغيرهم والفراء ٢٢٢/١ وسيرة ابن هشام ١٨٠/٢ - ١٨١، والزجاج ٤٣٧/١ وغريب القرآن ١٠٦، والدرر ٤٢/٢ - ٤٣ عن ابن عباس والسدي، وأسباب النزول للواحد ص ٧٩ - ٨٠ وأسباب النزول للسيوطي ٥٧ والوجيز للواحد ص ١٠٤/١.

وهو قوله ﴿ءامنوا﴾ أي: أظهروا الإيمان ﴿بالذي أنزل على الذين ءامنوا﴾ يعني: القرآن المنزل على المؤمنين ﴿وجه النهار﴾ أول النهار ^(١) ﴿واكفروا آخره﴾ أي: اكفروا به آخر النهار ^(٢) ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن دينهم إلى دينكم.

وقوله ^(٣) ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ هذا من ^(٤) كلام اليهود بعضهم لبعض والمعنى: لا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم اليهودية وقام بشرائعكم ^(٥).

وقوله ^(٦) ﴿قل إن الهدى هدى الله﴾ كلام معترض بين المفعول وفعله وهو من كلام الله لا من كلام اليهود ^(٧).

ومعناه: إن الدين دين الله كقوله ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ ^(٨). وقوله ^(٩) ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ هذا من كلام ^(١٠) اليهود بعضهم لبعض والمعنى: لا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم اليهودية وقام بشرائعكم ﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾ من العلم والحكمة والكتاب والحجة والمن والسلوى والفضائل والكرامات.

أي: لا تقروا بـ ﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾ ﴿إلا لمن تبع دينكم﴾. قوله ^(١١) ﴿أو يحاجوكم﴾ عطف على قوله ﴿أن يؤتى أحد﴾ المعنى: ولا تؤمنوا بأن يحاجوكم ﴿عند ربكم﴾ لأنكم أصح ديناً منهم، فلا يكون لهم عليكم الحجة عند الله وقوله ^(١٢) ﴿قل إن الفضل بيد الله﴾ قال ابن عباس ^(١٣): يريد ما تفضل به عليك وعلى أمتك ﴿يؤتية من يشاء﴾ يعني: هذه الأمة.

وقوله ^(١٤) ﴿يختص برحمته من يشاء﴾ قال الحسن ومجاهد والربيع ^(١٥): بنبوته وقال ابن عباس ^(١٦): بإيانه وقال ابن جريج ^(١٧): بالقرآن والإسلام.

قال عطاء: يريد اختصك وتفضل عليك وعلى أمتك بدينه ورحمته.

﴿والله ذو الفضل ^(١٨)﴾ على أوليائه وأهل طاعته ﴿العظيم﴾ لأنه لا شيء أعظم عند الله من الإسلام.

(١) انظر مجاز القرآن ٩٦/١ والدر ٤٣/٢ عن قتادة والربيع، واللسان / وجه.

(٢) في جميع النسخ: أول النهار وكفروا به آخر النهار.

(٣) قدم المصنف تفسير قوله تعالى: ﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾ ورببتها حسب النظم الكريم.

(٤) في (د): قوله.

(٥) قال الفراء: «انقطع الكلام عند قوله (دينكم) ثم قال لمحمد عليه السلام ﴿قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾».

(انظر الفراء ٢٢٢/١، والمشكل ١٦٢/١، وفتح القدير ٣٥١/١ عن الفراء).

(٨) سورة البقرة / ١٢٠ والأنعام / ٧١ وفي (هـ): قل إن هدى هو الهدى.

(٩) في (د): قوله.

(١٠) في (د): هذا كلام.

(١١) في غير (أ): قوله.

(١٢) في (د): قوله.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ص ٥٠ وعنده «بالنبوة والإسلام وقبلة إبراهيم» والوجيز للواحدى ١٠٥/١.

(١٤) انظر تفسير مجاهد ١٢٩ والطبري ٥١٧/٦ - ٥١٨ عن مجاهد والربيع والبحر ٤٩٧/٢ عن الحسن ومجاهد والربيع والدر ٤٣/٢ عن مجاهد وفتح القدير ٣٥٣/١، عن مجاهد.

(١٥) انظر تفسير ابن عباس ص ٥٠ والبحر ٤٩٧/٢ عن ابن عباس.

(١٦) انظر تفسير الطبري ١٨/٦، والبحر ٤٩٧/٢، والدر ٤٣/٢ وفتح القدير ٣٥٣/١ كلها عن ابن جريج.

(١٧) في (د): ذو الفضل العظيم.

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْتِنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

قوله تعالى^(١): ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه...﴾ الآية قال المفسرون^(٢): أخبرنا الله تعالى في هذه الآية عن اختلاف أحوال أهل الكتاب في الأمانة والخيانة ليكون المؤمنون على بصيرة في ترك الركون إليهم لاستحلالهم أموال المسلمين^(٣).

وقال ابن عباس في رواية الضحاك^(٤): أودع رجل عند عبد الله بن سلام ألفاً ومائتي أوقية من ذهب فأداه إليه فمدحه الله تعالى^(٥)، وأودع رجل فنحاص بن عازوراء^(٦) ديناراً فخانه، وذلك قوله ﴿من إن تأمنه بقنطار^(٧) يؤده إليك﴾ يعني: عبد الله بن سلام ﴿ومنهم من إن تأمنه بدينار^(٨) لا يؤده إليك﴾ يعني: فنحاص.

وقوله^(٩) ﴿إلا ما دمت عليه قائماً﴾ أي: بالإلحاح والخصومة في التقاضي^(١٠)، والمطالبة، عن ابن عباس وقادة ومجاهد^(١١).

قال القتيبي^(١٢): وأصله أن المطالب^(١٣) بالشيء يقوم فيه ويتصرف، والتارك له يقعد عنه، ثم قيل لكل من واظب^(١٤) على مطالبة أمر قام به وإن لم يكن ثم قيام.

(١) في (د): قوله، وفي (هـ): وقوله.

(٢) انظر تفسير الطبري ٥١٩/٦ والفراء ٢٢٤/١ والبحر ٤٩٨/٢ وابن كثير ٣٧٤/١.

(٣) في غير (أ) أموال المؤمنين، وفي (ح) كأموالهم وفي (هـ) أموالهم.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ص ٥٠ وغرائب النيسابوري ٢٢٥/٣ والبحر ٤٩٩/٢ عن ابن عباس والوجيز للواحي ١٠٥/١.

(٥) في (ح): الله عز وجل.

(٦) فنحاص بن عازوراء من أحبار اليهود الذين كانوا يسألون رسول الله ﷺ ويتعتونه ويأتونه اللبس ليلبسوا الحق بالباطل، من بني قينقاع وكان من علمائهم وأحبارهم وصاحب بيت مدراسهم وهو الذي نسب الفقر إلى الله - تعالى الله عن ذلك - والغنى لليهود وفيه نزل ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ - سورة آل عمران ١٨١ - (انظر سيرة ابن هشام ١٣٥/٢، ١٣٧، ١٨٧).

(٧) والباء في «قنطار، ودینار» بمعنى على، والتقدير: من إن تأمنه على قنطار أو على دينار. (انظر تفسير الطبري ٥٢٠/٦ والأخفش ٢٠٥/١، ٤١١).

(٨) الدينار ٢٤ قيراطاً والقيراط ٣ حبات من وسط الشعير فوزنه ٧٢ حبة، والدينار: هو المثقال، والقنطار ٤ أرباع والربع ٣٠ رطلاً والرطل ١٢ أوقية والأوقية ١٦ درهماً والدرهم ٣٦ حبة شعير (انظر أحكام القرآن لابن العربي ٢٧٥/١ ومعجم ألفاظ القرآن /دبر).

(٩) في (د): قوله. (١٠) في (هـ): بالإلحاح والتقاضى.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٥٠، والطبري ٥٢٠/٦ عن قتادة ومجاهد، والبحر ٥٠٠/٢ عن قتادة والزجاج ومجاهد والفراء، وابن كثير ٣٧٤/١.

(١٢) انظر غرائب النيسابوري ٢٢٦/٣ والبحر ٥٠٠/٢ عن ابن قتيبة.

(١٣) في (ح): أن المطالبة. (١٤) في (هـ): واضب.

وقال السدي^(١): يعني إلا ما دمت قائماً على رأسه بالاجتماع معه والملازمة والمطالبة له، فإن أنظرته وأخرته أنكروا وذهب به.

وقوله^(٢) ﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل﴾ أي: ذلك الاستحلال والخيانة بأنهم يقولون: ليس عندنا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل، لأنهم مشركون. والمراد بـ «الأميين» ها هنا: العرب^(٣).

ثم كذبهم الله تعالى فيما قالوا، فقال الله تعالى^(٤): ﴿ويقولون على الله الكذب﴾ لأنه ليس في كتابهم استحلال [الأمانة] وهم يعلمون أنهم كاذبون، يعني لم^(٥) يقولوا ذلك عن جهالة فيعذروا^(٦).

قوله^(٧) ﴿بلى﴾ رد لقولهم ﴿ليس علينا في الأميين سبيل﴾ أي: بلى يكون عليهم سبيل في ذلك.

وقوله ﴿من أوفى بعهده﴾ أي: بما عاهد الله إليه في التوراة وآمن الإيمان بحمد ﷺ والقرآن وأداء الأمانة ﴿واتقى﴾ الكفر والخيانة ونقض العهد ﴿فإن الله يحب المتقين﴾ يعني: من كانت هذه صفته.

قوله عز وجل^(٨) ﴿إن الذين يشترون بعهد الله . . . الآية، نزلت في رجلين اختصما إلى النبي ﷺ في ضيعة فهم المدعى^(٩) عليه أن يحلف، فنزلت الآية فنكل المدعى^(١٠) عليه عن اليمين، وأثر للمدعي حقه.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد، حدثنا محمد بن حماد الأبيوردي، حدثنا أبو معاوية^(١١) عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال:

قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين - وهو فيها فاجر - ليقطع^(١٢) بها مال امرئ^(١٣) مسلم لقي الله وهو عليه غضبان».

فقال الأشعث^(١٤): في والله ذاك، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجددني، فقدمته إلى النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ألك بينة؟» قلت: لا، فقال لليهودي: احلف، فقلت يا رسول الله: إذن^(١٥) يحلف فيذهب

(١) انظر تفسير الطبري ٥٢٠/٦ - ٥٢١ - الدرر ٤٤/٢ والبحر ٥٠٠/٢ وغرائب النيسابوري ٢٢٦/٣ كلها عن السدي وانظر تفسير مجاهد ١٢٩ والوجيز للواحدي ١٠٥/١.

(٢) في (د): قوله.

(٣) انظر غرب القرآن ١٠٦، والطبري ٥٢٢/٦ وفتح القدير ٣٥٤/١ كلاهما عن قتادة والسدي، وابن كثير ٣٧٤/١.

(٤) في (د): فقال (ويقولون . . .).

(٥) في (ح): ما يقولوا.

(٦) ما بين المعقوفتين مكرر في (ح).

(٧) في (د، هـ): قوله تعالى.

(٨) في (أ، هـ): المدعا عليه.

(٩) أبو معاوية: الحافظ الثبت محدث الكوفة محمد بن خازم الكوفي الضرير ولد سنة ١١٣ هـ قال ابن المديني: كتبت عن أبي معاوية ألفاً وخمسمائة حديث توفي سنة ١٩٥ هـ. (تذكرة الحفاظ ١/٢٩٤ - ٢٩٥).

(١٠) في (د): ليقطع.

(١١) في (أ، ح): امرئ.

(١٢) الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي أبو محمد الصحابي الجليل نزل الكوفة وروى عن النبي ﷺ وعن عمر، وعنه أبو وائل والشعبي وقيس بن أبي حازم وغيرهم توفي سنة ٤٠ هـ. (تهذيب التهذيب ١/٣٥٩).

(١٣) في (هـ): إلى رسول الله ﷺ.

(١٤) في (هـ): إذا.

بمالي، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا...﴾ الآية رواه البخاري عن عبدان عن أبي حمزة^(١)، ورواه مسلم عن ابن نمير^(٢) أبي معاوية، كلاهما عن الأعمش^(٣).

ومعنى ﴿يَشْتَرُونَ﴾: يستبدلون ويأخذون ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ أي بما عهد الله إليهم من أداء الأمانة ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ الكاذبة ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرضاً يسيراً من الدنيا وهو ما يحلفون عليه. كاذبين ﴿أَوْلَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ﴾^(٤) لا نصيب لهم من الخير ﴿فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: بكلام يسرهم ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ نظراً يسرهم يعني: نظر الرحمة ﴿وَلَا يَزِيدُهُمْ﴾^(٥) لا يزيدهم خيراً، ولا يثني عليهم.

أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي^(٦)، أخبرنا محمد بن عيسى بن عمرويه^(٧)، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان^(٨)، حدثنا مسلم، حدثنا ابن أبي عمر^(٩)، حدثنا سفيان عن جامع بن أبي راشد^(١٠) أنه سمع شقيق بن سلمة يقول: سمعت ابن^(١١) مسعود يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي^(١٢) الله وهو عليه غضبان» قال

(١) وفي (د): عبد الله.

(٢) محمد بن عبد الله بن نمير الهمداني أبو عبد الرحمن الكوفي الحافظ: قال العجلي وأبو حاتم والنسائي: ثقة زاد أبو حاتم يحتج بحديثه، وزاد النسائي: مأمون توفي سنة ٢٣٤ هـ. (تهذيب التهذيب ٢٨٢/٩ - ٢٨٣).

(٣) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب المساقاة - باب الخصومة في البئر ٥١/٢ ومسلم في الصحيح - كتاب الإيمان - باب وعيد من اقتطع حق مسلم يمين فاجرة بالنار (٦٩/١). كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود. وانظر تفسير ابن عباس ٥٠، وأسباب النزول للواحدي ٥٧ وأسباب النزول للسيوطي ٨٠ - ٨١ والوجيز للواحدي ١٠٥/١ - ١٠٦ وابن كثير ٣٧٥/١ والطبري ٥٢٩/٦ على خلاف في سبب الآية وأنها نزلت في اليهود كما في البحر ٥٠١/٢ وابن كثير ٣٧٥/١ والطبري ٥٢٨ - ٥٢٩.

(٤) في (د): لا خلاق لهم في الآخرة.

(٥) في (د): أي لا.

(٦) محمد بن إبراهيم الفارسي البلخي أبو بكر، حدث بنيسابور عن أبي عمرو بن مطر ومحمد بن الحسن السراج والطبقة، روى عنه أبو بكر البيهقي.

(تاريخ الإسلام جزء من سنة ٤١٧ إلى سنة ٤٣٦ هـ ص ٦٦).

(٧) محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الرحمن بن عمرويه الجلودي أبو أحمد النيسابوري روى صحيح مسلم عن إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه وكان شيخاً ورعاً زاهداً وكان ثوري المذهب روى عنه الحاكم أبو عبد الله وأبو الحسين عبد الغفار الفارسي توفي سنة ٣٦٨ هـ وهو ابن ثمانين سنة.

(الأنساب ٢٨٣/٣ - ٢٨٥، شذرات ٦٧/٣ والبداية والنهاية ٢٩٤/١١ وعمدة القوي والضعيف ص ١٠).

(٨) إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه أبو إسحاق النيسابوري الرجل الصالح راوي صحيح مسلم وعنه محمد بن رافع وغيره ورحل وسمع ببغداد والكوفة والحجاز توفي سنة ٣٠٨ هـ (شذرات ٢٥٢/٢).

(٩) محمد بن يحيى بن أبي عمر أبو عبد الله العدني الحافظ صاحب المسند روى عن الفضيل بن عياض والدروردي وخلق وكان عبداً صالحاً خيراً، قال مسلم وغيره: حجة صدوق توفي سنة ٢٤٣ هـ. (شذرات ١٠٤/٢).

(١٠) جامع بن أبي راشد أخو الربيع بن أبي راشد الصيرفي الكوفي سمع أبا وائل ومنذراً الثوري وأبا يعلى وعنه ابن عيينة والثوري روى له البخاري ومسلم. (الجمع ٧٨/١).

(١١) في (د، هـ): عبد الله بن مسعود.

(١٢) في (د): أتى الله.

عبد الله: ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمناً قَلِيلاً...﴾ ﴿١﴾

أخبرنا محمد بن أحمد بن جعفر، أخبرنا محمد بن بشر بن العباس البصري (١) (٢) (٣) أخبرنا محمد بن إدريس السامي (٤)، (٥) حدثنا سويد بن سعيد (٦) حدثنا حفص بن ميسرة (٧)، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن معبد بن كعب (٨)، عن أخيه عبد الله بن كعب (٩)، عن أبي أمامة (١٠) قال:

كنا عند رسول الله فقال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب له النار، وحرم عليه الجنة»، فقال رجل: يا رسول الله، وإن كان شيئاً يسيراً؟ قال: «وإن كان قضيماً من أراك».

قال حفص بن ميسرة: ما أشهد هذا الحديث، فقال: أليس في كتاب الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمناً قَلِيلاً...﴾

رواه مسلم عن علي بن حجر، عن إسماعيل بن جعفر (١١)، عن العلاء (١٢).

(١) الحديث: رواه مسلم - كتاب الإيمان - باب وعيد من اقتطع مال مسلم بيمينه فاجرة في النار (٦٩/١ - ٧٠) والترمذي - كتاب التفسير - من سورة آل عمران رقم (٥٠٠٠) (٢٩٩/٤ - ٣٠٠) والطبراني في الكبير - روايات متقاربة (٢٣٤/١) ومسنده أحمد ٣٧٧/١ كلهم من حديث ابن مسعود.

(٢) الشيخ الصالح المسند أبو سعيد محمد بن بشر البصري ثم النيسابوري الكرابيسي نسبة إلى بيع الكرابيس وهي الثياب، المحث الفاضل روى عن أبي ليد السامي وابن خزيمة والبخاري وكان ثقة صالحاً توفي سنة ٣٧٨ هـ عن ٨١ سنة. (سير الأعلام ٤١٥/١٦ - ٤١٦ وشذرات ٩٢/٣).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(٤) أبو الوليد محمد بن إدريس بن إياس السامي الإمام المحدث الرجال الصادق سمع سويد بن سعيد وأبا مصعب الزهري وأبا كريب وطبقتهم. (سير الأعلام ٤٦٤/١٤ - ٤٦٥).

«والسامي: بسين مهملة» (عمدة القوي والضعيف ص ٨).

(٥) في (د) قال حدثنا.

(٦) سويد بن سعيد بن سهل بن شهريار الهروي أبو محمد سمع مروان بن معاوية وعلي بن مسهر وحفص بن ميسرة روى له مسلم (كتاب الجمع ٢٠٠/١).

(٧) حفص بن ميسرة الصنعاني - صنعاء الشام - العسقلاني أبو عمر سمع زيد بن أسلم وموسى بن عقبة وهشام بن عروة والعلاء بن عبد الرحمن توفي سنة ١٨١ هـ. (كتاب الجمع ٩٢/١).

(٨) معبد بن كعب بن مالك الأنصاري السلمى المدني سمع أخاه عبد الله وأبا قتادة ربيعي وعنه العلاء بن عبد الرحمن والوليد بن كثير وطائفة توفي سنة ١٠١ هـ. (كتاب الجمع ٤٩٨/٢ وشذرات ١٢٢/١).

(٩) عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري السلمى المدني سمع أباه وابن عباس وأبا أمامة الحارثي وعنه الزهري وأخواه معبد ومحمد وغيرهم توفي سنة ٩٧ هـ.

(كتاب الجمع ٢٥٧/١ - ٢٥٨ الكاشف ١٢١/٢).

(١٠) أبو أمامة الحارثي: إياس بن ثعلبة الأنصاري له صحبة وهو ابن أخت أبي بردة بن نيار أمره الرسول ﷺ بالمقام على أمه يوم بدر، روى عنه عبد الله بن كعب بن مالك. (كتاب الجمع ٤٧/١).

(١١) إسماعيل بن جعفر مولاهم المدني قارىء المدينة بعد نافع، ومحدثها بعد مالك روى عن عبد الله بن دينار والعلاء بن عبد الرحمن وطائفة قال ابن ناصر الدين: كان إماماً مقرئاً أميناً عالماً ثقة مأموناً توفي سنة ١٨٠ هـ. (شذرات ٢٩٣/١).

(١٢) الحديث: رواه مسلم - كتاب الإيمان - باب وعيد من اقتطع مال مسلم بيمينه فاجرة في النار (٦٩/١).

ومسنده أحمد ٢٦٠/٥ والدر ٤٥/٢ كلهم عن حديث أبي أمامة.

أخبرنا أبو سعيد النضروي، أخبرنا إسماعيل بن نجيد، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل^(١)، حدثنا يحيى بن عبد الله مولى بني هاشم^(٢)، حدثنا شعبة عن علي بن مدرك^(٣) عن ابن زرعة^(٤)، عن خرشة بن الحر^(٥) عن أبي ذر: عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكهم، ولهم عذاب أليم، قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقال أبو ذر: خابوا وخسروا يا رسول الله، من هم^(٦)؟»
قال: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب».

رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن غندر، عن شعبة^(٧).

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكَذِبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾

قوله^(٨) ﴿وإن منهم﴾ يعني: من اليهود^(٩) ﴿لفريقاً﴾ جماعة ﴿يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾ قال مجاهد والربيع وقتادة^(١٠): يحرفونه بالتغيير والتبديل وذلك: أنهم يلوون ألسنتهم عن سنن^(١١) الصواب بما يأتون به من عند أنفسهم. وقوله^(١٢) ﴿لتحسبوه من الكتاب﴾ أي: لتحسبوا ما لووا ألسنتهم به مما حرفوه وبدلوه من الكتاب، قال الله تعالى: ﴿وما هو من الكتاب﴾^(١٣).

(١) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الرحمن البغدادي قال الخطيب والنسائي: ثقة، زاد الخطيب: ثبت توفي سنة ٢٩٠ هـ (تهذيب التهذيب ١٤١/٥ - ١٤٣).

(٢) يحيى بن عبد الله بن بكر المصري مولى بني مخزوم صاحب مالك والليث وأكثر عنهما روى عنه البخاري وأبو زرعة وأبو حاتم وروى مسلم عن رجل عنه. كان من أوعية العلم مع الصدق والأمانة توفي سنة ٢٣١ هـ. (تذكرة الحفاظ ٢/٢٤٠).

(٣) علي بن مدرك النخعي الكوفي أبو مدرك سمع أبا زرعة هرم بن عمرو بن جرير وعنه شعبة توفي سنة ١٢٠ هـ. (كتاب الجمع ١/٣٥٤ - ٣٥٥).

(٤) هرم بن عمرو بن جرير بن عبد الله أبو زرعة البجلي الكوفي سمع أبا هريرة وجده جرير بن عبد الله وخرشة بن الحر وابن عمر، وعنه علي بن مدرك وفضيل بن غزوان وطائفة (كتاب الجمع ١/٥٥٥).

(٥) خرشة بن الحر الفزاري الكوفي كان في حجر عمر، سمع أبا ذر وغيره، روى عنه أبو زرعة بن عمر وسليمان مات في ولاية بشر بن مروان على الكوفة.

(كتاب الجمع ١/١٢٧).

(٦) في (هـ): من هم يا رسول الله.

(٧) الحديث: رواه مسلم - كتاب الإيمان - باب غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية عن أبي ذر. ٥٧/١.

و«أسبل إزاره: أرخاه، قال ابن الأعرابي وغيره: المسبل: الذي يطول ثوبه إلى الأرض إذا مشى، وإنما يفعل ذلك كبراً واختيالاً» (اللسان / سبل).

(٨) في غير (أ) قوله تعالى.

(٩) في (هـ): يعني اليهود.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٥٠ ومجاهد ١٢٩ والزجاج ٤٤٣/١ والدر ٤٦/٢ عن مجاهد وابن كثير ٣٧٦/١ والطبري ٥٣٦/٦ كلاهما عن مجاهد وقتادة والربيع بن أنس وغيرهم.

(١٢) في (د) قوله.

(١١) في (ح) تبين، وفي (هـ) السنن.

(١٣) في (ح): الآية وتمامها ﴿ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾.

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

قوله ﴿ما كان لبشر أن يؤتیه الله الكتاب...﴾ الآية، قال ابن عباس في رواية الكلبي: إن اليهود والنصارى احتجوا بأنهم أولى بإبراهيم وبدينه فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «كلا! (١) الفريقين منه ومن دينه بريء» فغضبوا وقالوا يا محمد: والله ما تريد إلا أن تتخذك رباً، فأنزل الله عز وجل (٢) هذه الآية (٣).

قال قتادة (٤): يقول: ما ينبغي ﴿لبشر أن يؤتیه الله الكتاب والحكم﴾ يعني الفقه والعلم ﴿والنبوة﴾ ثم يأمر بعبادة الله أن يتخذوه رباً من دون الله.

والمعنى: ما كان لبشر أن يجمع بين هذين، بين النبوة وبين دعاء الخلق إلى عبادة غير الله [وهو قوله ﴿ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾] (٥).

﴿ولكن كونوا﴾ أي: ولكن يقول: كونوا ﴿ربانيين﴾ قال ابن عباس (٦): معلمين، وقال قتادة وسعيد بن جبیر (٧) فقهاء علماء حكماء.

قال سيويه (٨): زادوا ألفاً ونوناً في «الرباني» إذا أرادوا تخصيصاً بعلم الرب كما قالوا شعراني ولحياني. ف «الرباني» على هذا القول: منسوب إلى الرب على معنى التخصص بعلم الرب أي: يعلم الشريعة وصفت الرب.

وقال المبرد (٩): «الرباني»: الذي يرب العلم ويرب الناس، أي: يعلمهم ويصلحهم. وعلى هذا القول «الرباني»: من الرب الذي هو بمعنى التربية.

(١) في (ج، د، هـ): كلي.

(٢) في (د): الله تعالى وهي ساقطة من (هـ).

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٥٠، وفتح القدير ٣٥٥/١ - ٣٥٦ عن ابن عباس وابن كثير ٣٧٧/١ والطبري ٥٣٩/٦ وسيرة ابن هشام ١/٢/١ والوجيز للواحدي ١٠٦/١ - ١١٧ وأسباب النزول للواحدي ص ٨٢، ٨٣ والدر ٤٠/٢ - ٤١، ٦٢ والبحر ١٤/٢ وأسباب النزول للسيوطي ص ٥٨.

(٤) انظر تفسير الطبري ٥٣٩/٦ - ٥٤٠ عن قتادة وابن كثير ٣٧٧/١ عن الحسن.

(٥) إضافة لليان.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٥٠ وغريب القرآن ١٠٧ والبحر ٥٠٦/٢ والدر ٤٧/٢ والبغوي ٣٧٢/١ كلها عن ابن عباس.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٥٠، ومجاهد ١٣٠، والثوري ٧٩ والزجاج ٤٤٤/١، والدر ٤٧/٢ عن ابن عباس وابن مسعود وابن جبیر، ٢٨٦/٢ عن قتادة والطبري ٥٤٠/٦ - ٥٤٢ عن قتادة وسعيد بن جبیر والحسن وغيرهم والبحر ٥٠٦/٢ عن قتادة وأبي رزين.

(٨) انظر الكتاب ٣٨٠/٣ واللسان/رب، وغرائب النيسابوري ٢٣٠/٣ والرازي ١١١/٨، كلها عن سيويه، والزجاج ٤٤٣/١ - ٤٤٤ والزاهر ٢٧٩/١ وفتح القدير ٣٥٥/١.

والشعراني: كثير الشعر، واللحياني: عظم اللحية.

(٩) انظر فتح القدير ٣٥٥/١ والبحر ٢٠٦/٢ والبغوي ٣٧٢/١ وغرائب النيسابوري ٢٣٠/٣ كلها عن المبرد، والطبري ٥٤٣/٦ والدر ٤٧/٢ عن ابن زيد.

وقوله^(١) ﴿بِمَا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْعِلْمُ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ سَمِعَهُ وَمِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَمَنْ كُنْتُمْ عَدُوًّا لَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ وبما كتبت عليهم العلم بالكتاب ﴿وبما كتبت تدرسون﴾ وبما كتبت دارسين للكتاب .

قال الزجاج^(٢): كونوا معلمي الناس بعلمكم ودرستم علموا الناس^(٣) وبينوا لهم . ومن قرأ ﴿تعلمون﴾ بالتشديد^(٤)، فالمعنى: بكونكم معلمين، أي: علموا الناس الكتاب وبينوا لهم صفة محمد ﷺ وما فيه من الحق والصواب، حتى تستحقوا هذه الصفة وتكونوا معلمين .

ومعنى ﴿تدرسون﴾: تقرأون، ومنه قوله ﴿ودرسوا ما فيه﴾^(٥) .

وقوله^(٦) ﴿ولا يأمرکم﴾ من قرأ بالرفع، قطعه مما^(٧) قبله . قال ابن جريج^(٨): ولا يأمرکم محمد^(٩) .

ومن نصب: كان المعنى: ما كان^(١٠) لبشر أن يأمرکم فيكون نصباً بالنسق على قوله ﴿أن يؤتیه﴾^(١١) قال الزجاج^(١٢): معنى الآية: ولا يأمرکم أن تعبدوا الملائكة والنبیین لأن الذين قالوا إن عيسى إله عبده واتخذوه رباً، وقال قوم من الكفار: إن الملائكة أربابنا يقال لهم^(١٣): الصابئون .

وقوله ﴿وأمرکم بالكفر﴾ استفهام معناه الإنكار، أي: لا يفعل ذلك ﴿بعد إذ أنتم مسلمون﴾ أي: بعد إسلامكم .

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ التَّوَّابِينَ

(١) في (د): قوله .

(٢) انظر الزجاج ٤٤٤/١ .

(٣) في (ح): علموا الناس الكتاب .

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (تَعْلَمُونَ) بفتح التاء وتخفيف اللام المفتوحة وإسكان العين وحجتهم: قال أبو عمرو: قوله ﴿بِمَا كُتِبَ تَدْرُسُونَ﴾ ولم يقل تدرسون بالتشديد .

وقرأ الباقون بضم التاء وفتح العين وكسر اللام المشددة وحجتهم: أنها أبلغ في المدح لأن المعلم لا يكون معلماً حتى يكون عالماً، وما روي عن مجاهد: وما علموه حتى علموه .

(انظر الحجة لأبي زرععة ١٦٧ - ١٦٨ - والسبعة ٢١٣ والنشر ٢/٢٤٠ والزجاج ٤٤٤/١ والتبيان ١/٢٧٤ والفراء ١/٢٢٤ والحجة لابن خالويه ١١٢) .

(٥) سورة الأعراف / ١٦٩ .

(٦) في (د): قوله .

(٧) في (ح): عما قبله .

قرأ ابن عامر وعاصم وحزمة بالنصب وحجتهم أنها نسق على قول (ما كان لبشر أن يؤتیه) . (ثم يقول للناس) . . (ولا أن يأمرکم) . وقرأ الباقون بالرفع على الاستثاف .

(انظر الحجة لأبي زرععة ١٦٨ والسبعة ٢١٣ والنشر ٢/٢٤٠ والتبيان ١/٢٧٥، والزجاج ٤٤٤/١ والمشكل ١/١٦٤ - ١٦٥ والفراء ١/٢٢٤ والأخفش ١/٤١٢، والتبيان ١/٢٠٨ والحجة لابن خالويه ١١١) .

(٨) انظر تفسير الرازي ١١٣/٨ والدرر ٢/٤٧ وفتح القدير ١/٣٥٦ كلها عن ابن جريج .

(٩) في (هـ): ولا يأمرکم .

(١٠) في جميع النسخ: وما كان . تحريف . (١٢) انظر الزجاج ٤٤٤/١، والرازي ١١٣/٨ عن الزجاج .

(١١) في (د): أن يؤتیه الله . (١٣) في (ج، هـ): يقال انهم .

الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَئِنْ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

قوله ﴿وَأَذِ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ...﴾ الآية، قال قتادة^(١): هذا ميثاق قد أخذه^(٢) الله من النبيين أن يصدق بعضهم بعضاً، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته إلى عباده، فبلغت الأنبياء وأخذوا موثيق أهل الكتاب في كتابهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصدقوه وينصروه، وذلك قوله ﴿لَمَّا﴾^(٣) آتيتكم من كتاب وحكمة ﴿ها هنا﴾ بمعنى الشرط والجزاء والمعنى: لئن آتيتكم ومهما آتيتكم من كتاب وحكمة.

وقرأ حمزة ﴿لَمَّا﴾ - بكسر اللام^(٤) - وهي متعلقة^(٥) بالأخذ، لأن المعنى: أخذ الله ميثاقهم لما أوتوا من الكتاب والحكمة، أي: لأنهم الأفاضل وأصحاب الكتب والشرائع.

وقرأ نافع^(٦) ﴿آتيناكم﴾ بالمد، وحجته ﴿آتينا داوود زبوراً﴾^(٧) ﴿وآتيناها الحكم صيباً﴾^(٨) ﴿وآتيناها الكتاب المستبين﴾^(٩).

وقوله^(١٠) ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ﴾ [يعني ثم جاء أممكم^(١١) وأتباعكم وخرج الكلام على النبيين لأن ما لزمهم لزم أممهم^(١٢)]

وقوله^(١٣) ﴿رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ يعني: محمداً ﷺ^(١٤) جاء بالقرآن بصدق التوراة في الأخبار والأقاصيص.

قوله^(١٥) ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ يريد: إن أدركتموه ﴿قَالَ أَأَقْرَبْتُمْ﴾ أي: قال الله للنبيين أأقرتكم بالإيمان والنصرة له ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ أي: قبلتم ﴿قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ أي: قال الله للنبيين: اشهدوا أنتم على أنفسكم وعلى أتباعكم ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم.

قوله ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ قال ابن عباس^(١٦) فمن أعرض عما جئت به وأنكر ما عاهد الله عليه. وقال الزجاج^(١٧): فمن أعرض عن الإيمان بعد أخذ الميثاق وظهور آيات النبي ﷺ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن العهد والإيمان.

(١) انظر تفسير الطبري ٥٥٥/٦ والذري ٤٧/٢ كلاهما عن قتادة وفتح القدير ٣٥٦/١، عن قتادة وسعيد بن جبير والحسين وطاووس والسلب.

(٢) في (أ): قد أخذ الله.

(٣) (لَمَّا) من فتح «اللام» فهي «لام» الابتداء، وهو جواب لما دل عليه من معنى القسم لأن أخذ الكتاب إنما يكون بالإيمان والعهد، فاللام: جواب قسم و«ما» بمعنى الذي في موضع رفع بالابتداء، والهاء محذوفة تقديره: للذي آتيتكم من كتاب والخبر (من كتاب وحكمة) وقيل (لتؤمنن به). (انظر حاشية (أ) والمشكل ١٦٥/١ والفراء ٢٢٥/١ وفتح القدير ٣٥٦/١).

(٤) انظر الحجة لأبي زرة ١٦٨ - ١٦٩ والسبعة ٢١٣ والنشر ٢٤١/٢ والزجاج ٤٤٣/١ - ٤٤٥، والبيان ٢٧٥/١ والفراء ٢٥٥/١ والمشكل ١٦٥/١ والحجة لابن خالويه ١١١ والبيان ٢٠٩/١).

(٥) في (د): وهو متعلق.

(١١) في (د): قوله.

(٦) في (د): وقال نافع.

(٧) سورة النساء / ١٦٣.

(٨) سورة مريم / ١٢.

(٩) سورة الصافات / ١١٧.

(١٠) وانظر الحجة لأبي زرة ١٦٩ والسبعة ٢١٤ والنشر ٢٤١/٢.

(١١) في (د): قال الزجاج، وانظر الزجاج ٤٤٦/١ والبحر ٥١٤/٢ عن علي رضي الله عنه وغيره والرازي ١٢١/٨.

(١٢) انظر فتح القدير ٣٥٧/١.

(١٣) في (ج، هـ) وقوله.

قوله ﴿أَفغير دين الله يبغون﴾ أي: أبعده أخذ الميثاق عليهم بالإيمان بمحمد ﷺ (١) يطلبون ديناً غير دين الله وهو ما جاء به محمد ﷺ (١).

ومن قرأ بالتاء: فلأن ما قبله خطاب، كقوله ﴿ءأقررتم وأخذتم﴾ (٢) والياء: على الاخبار عنهم (٣) وقوله (٤) ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ قال ابن عباس في رواية مجاهد (٥): يعني عند أخذ الميثاق وهو قوله ﴿ألسنت بربكم﴾ (٦) وقال قتادة (٧) أما المؤمن فأسلم طوعاً فنفعه (٨)، وأما الكافر فأسلم كارهاً في وقت اليأس فلم ينفعه ذلك.

وقال عطاء عن ابن عباس (٩): يريد بـ «أهل السماوات والأرض»: الملائكة والمهاجرين والأنصار وعبد القيس طوعاً، وسائر الناس أسلموا كرهاً، خوفاً من السيف.

وقوله ﴿وإليه ترجعون﴾ وعيد (١٠) لمن أعرض عن دين الله، والمعنى: أيغون (١١) غير دين الله مع أن مرجعهم إليه، فيجازيهم على تركهم دينه.

قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرٰهِيْمَ وَإِسْمٰعِيْلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾

قوله (١٢) ﴿قل ءامنا بالله...﴾ الآية، في هذه الآية إنكار على الكفار من (١٣) اليهود والنصارى فيما ذهبوا إليه من الإيمان ببعض النبيين دون بعض، وأمر (١٤) للنبي ﷺ وأمته أن يقولوا: آمنا بالله وبجميع الرسل وما أنزل عليهم لا نفرق بين جميعهم في الإيمان بهم، كما فعلت اليهود والنصارى.

قوله ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً﴾ إلى قوله ﴿من الخاسرين﴾ قال ابن عباس (١٥) يريد خسر ثواب الله،

(١) في (ح): محمد عليه السلام.

(٢) سورة آل عمران / ٨١.

(٣) قرأ أبو عمرو وحفص وعياش ويعقوب وسهل (بيغون) بالياء وحجتهم: أن الخطاب قد انتهى والباقون بالتاء وحجتهم: قوله قبلها ﴿أقررتم وأخذتم﴾ فيكون نسقاً عليه أو ابتداءً مجدداً. (انظر الحجة لأبي زرعة ١٧٠ والسبعة ٢١٤ والنشر ٢/٢٤١، والتبيان ١/٢٧٧ والبحر ٢/٥١٥، والحجة لابن خالويه ١١٢).

(٤) في (د): قوله.

(٥) انظر تفسير الطبري ٦/٥٦٥، والدر ٢/٤٨، وابن كثير ١/٣٧٩ والبحر ٢/٥١٥، وفتح القدير ١/٣٥٨ كلها عن ابن عباس.

(٦) سورة الأعراف / ١٧٢.

(٧) انظر تفسير الطبري ٦/٥٦٧ والبحر ١/٥١٥ والدر ٢/٤٨ وفتح القدير ١/٣٥٨ كلها عن قتادة.

(٨) في (د) ففعله إيمانه.

(٩) انظر تفسير الطبري ٦/٦٧، والدر ٢/٤٨ كلاهما عن مطر الوراق والحسن، وابن كثير ١/٣٧٨ - ٣٧٩ عن عطاء بن أبي رباح مرفوعاً، قال ابن كثير: «وفيه غرابة»، والفراء ١/٢٢٥.

(١٣) في (هـ): على اليهود.

(١٠) في (د): وعيداً.

(١٤) في (د): وأمر النبي، وفي (هـ): دون بعض للنبي.

(١١) في (هـ): بيغون.

(١٥) انظر غرائب النيسابوري ٣/٢٤١ والبحر ٢/٥١٧.

(١٢) ساقطة من (أ).

وصار إلى عذابه وخسر الحور العين، وقال الزجاج (١): يعني خسر عمله، حيث لم يجاز به الجنة والثواب. كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَلِيدٌ فِيهَا لَا يَخْفَى عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾

قوله ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم﴾ قال ابن عباس (٢): يعني اليهود وقريظة والنضير ومن بدینهم، كفروا بمحمد ﷺ بعد أن كانوا قبل مبعثه مؤمنين به وكانوا يشهدون له بالنبوة، فلما بعث وجاءهم بالآيات والمعجزات كفروا بغياً وحسداً.

ومعنى ﴿كيف يهدي الله﴾ أي: لا يهديهم الله، كما قال ابن الرقيات (٣):

كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء

أي: لا نوم لي ولا أنام، ومثله قوله ﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله﴾ (٤) أي: لا يكون لهم عهد.

قال الزجاج (٥): أعلم الله تعالى أنه لا جهة لهديتهم، لأنهم قد (٦) استحقوا أن يضلوا بكفرهم لأنهم قد كفروا بعد البينات.

وقوله (٧) ﴿وجاءهم البينات﴾ يجوز أن يزيد ما بين لهم في التوراة والإنجيل، وهو قول ابن عباس (٨). ويجوز أن يريد: ما أتى به النبي ﷺ من الكتاب والآيات والمعجزات.

وقوله (٩) ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ قال ابن عباس (١١): لا يرشد من نقض عهده (١١) الله وظلم نفسه.

(١) انظر الزجاج ٤٤٨/١.

(٢) انظر تفسير الطبري ٥٧٤/٦ - ٥٧٥ - الدر ٤٩/٢ والبحر ٥١٧/٢ كلها عن ابن عباس والحسن والرازي ١٢٦/٨ - ١٢٧ وغراب النيسابوري ٢٤٢/٣ كلاهما عن ابن عباس، والزجاج ٤٤٨/١.

(٣) عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك من بني عامر بن لؤي شاعر قريش في العصر الأموي أكثر شعره في الغزل وله مدح وفخر ولقب بـبن قيس الرقيات لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رقية. مات سنة ٨٥ هـ. (الأعلام ٣٥٢/٤).

وانظر البيت في ديوانه ص ٩٥ من القصيدة رقم ٣٩ وإصلاح ص ٢١١ والطبري ٥١٨/٢ والقرطبي ١٢٩/٤، واللسان / شعاء، والفاء ٤٣٢/١، ٣٠٠/٣ وفتح القدير ٣٥٩/١ (والبيت من بحر الخفيف).

وغارة شعواء: فاشية متفرقة، وأشعى القوم الغارة إشعاء: أشعلوها (اللسان / شعاء وحاشية (أ)).

(٤) سورة التوبة / ٧.

(٦) في (د): لأنهم استحقوا.

(٥) انظر الزجاج ٤٤٨/١.

(٧) ساقطة من (ح) وفي (د): قوله.

(٨) انظر تفسير الطبري ٥٧٤/٦ - ٥٧٥ - البحر ٥١٧/٢ والدر ٤٩/٢ كلها عن ابن عباس.

(٩) في (د) قوله: (والله لا يهد القوم...).

(١٠) انظر تفسير الطبري ٥٧٦/٦ والخازن ٣٧٦/١ عن ابن عباس والرجيز للواحيدي ١٠٩/٢.

(١١) في (د): عهد.

وقوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ قال ابن عباس: راجعوا^(١) الإيمان بالله والتصديق بنبيه^(٢) ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أعمالهم، وقال الزجاج^(٣): معنى «أصلحوا» أظهروا للناس أنهم كانوا على ضلال، وأصلحوا ما كانوا أفسدوه من تغييرهم من تبعهم ممن لا علم عنده.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أعلم الله تعالى أن من سعة رحمته وتفضله أن يغفر لمن اجترأ^(٤) عليه هذا الاجتراء، وذلك أن^(٥) الذي فعلوا لا غاية وراءه في الكفر وهو أنهم كفروا بعد تبين الحق لهم .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا فَلَنْ يُقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩١﴾

قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ قال ابن عباس^(٦): نزلت في اليهود، كفروا بمحمد ﷺ قبل بعثته^(٧) ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ بالإقامة على كفرهم حتى هلكوا عليه.

وقال قتادة^(٨): إن اليهود كفروا بعمسى والإنجيل بعد إيمانهم بأبيائهم وكتبهم ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ بكفرهم بمحمد والقرآن.

﴿لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ﴾ لأنهم لا يتوبون إلا عند حضور الموت [﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾].

وقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا﴾ فلن يقبل من أحدهم ملء^(٩) الأرض ذهباً ﴿ملء الشيء﴾ قدر ما يملأه^(١٠)، يقال ملء القدح. وانتصب ﴿ذَهَبًا﴾ على التفسير. قال الزجاج: ^(١١) المعنى لو قدم ملء الأرض ذهباً يتقرب به إلى الله ما ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى^(١٢) من العذاب بملء الأرض ذهباً لم يقبل منه.

أخبرنا عبد القاهر بن طاهر، أخبرنا إبراهيم بن أحمد بن رجاء، أخبرنا أبو الطيب محمد بن القاسم بن جعفر

(١) في (أ، د، هـ): راجعوا إلى الإيمان، وفي (ح): رجعوا إلى الإيمان والمثبت من الوجيز للواحد ١/١٠٩.

(٢) في (أ): لنبيه، وفي الوجيز وتصديق نبيه، وفي (د): نبيه ﷺ.

(٣) انظر الزجاج ١/٤٤٩.

(٤) في (أ، د، هـ): اجترأ.

(٥) في (د): وذلك لأن.

(٦) انظر غرائب النيسابوري ٢/٢٤٤، والزجاج ١/٤٥٢ والدرر ٢/٤٩ عن ابن عباس.

(٧) في (أ): كفروا بمحمد قبل بعثته.

(٨) انظر تفسير الطبري ٦/٥٧٨ - ٥٧٩ والدرر ٢/٤٩ وفتح القدير ١/٣٦٠ كلها عن قتادة وغرائب النيسابوري ٢/٢٤٥ عن الحسن وفتادة،

وأسياب النزول للواحد ٨٤.

(٩) في (د): بمحمد ﷺ.

(١٠) في (أ): ملاء.

(١١) انظر الزجاج ١/٤٥٠.

(١٢) في (أ): ولو افتدى به.

الكوكبي (١)، حدثنا العباس بن يزيد بن أبي حبيب (٢) حدثنا يزيد بن زريع (٣)، وخالد بن الحرث، (٤) قال: حدثنا سعيد (٥) عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك قال:

قال رسول الله ﷺ: «يقال للكافر يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت مفتدياً به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد (٦) سئلت بما هو أيسر من ذلك فلم تفعل (٧)».

رواه مسلم عن القواريري (٨)، عن معاذ بن هشام (٩) عن أبيه (١٠) عن قتادة (١١).

لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ وَمَا نُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

قوله عز وجل (١٢) ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ﴾ قال عطاء ومقاتل: ﴿البر﴾: التقوى في هذه الآية (١٣)، وقال أبو

- (١) محمد بن القاسم بن جعفر بن محمد بن خالد بن بشر أبو الطيب المعروف بالكوكبي حدث عن قعنب بن المغيرة بن قعنب وإبراهيم بن عبد الله بن الجند والحسين بن الحكم الحيري وغيرهم وكان ثقة توفي سنة ٣١٧ هـ. (تاريخ بغداد ٣/ ١٨١).
- (٢) في (٥): أبو العباس وهو: العباس بن يزيد بن أبي حبيب البصري البحراني الحافظ الإمام القاضي أبو الفضل أحد من جمع بين علو الرواية ومعرفة الحديث حدث عن يزيد بن زريع وغندر وابن عيينة وعبد الرزاق وغيرهم قال الدارقطني: ثقة مأمون توفي سنة ٢٥٨ هـ. (تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٠٣ - ٥٠٤).
- (٣) يزيد بن زريع العيشي أبو معاوية البصري قال أحمد: إليه المنتهى في الثبت بالبصرة وقال ابن معين والنسائي وأبو حاتم: ثقة زاد أبو حاتم: إمام توفي سنة ١٨٢ هـ. (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٢٥ - ٢٢٨).
- (٤) خالد بن الحارث أبو عثمان الهجيمي البصري الحافظ أخو سليم، سمع حميداً الطويل وشعبة والثوري والطائفة قال أحمد: إليه المنتهى في الثبت بالبصرة وقال ابن ناصر الدين: كان من الحفاظ الثقات المأمونين توفي سنة ١٨٦ هـ. (كتاب النجم ١/ ١٢١، شذرات ١/ ٣٠٩).
- (٥) سعيد بن أبي عروبة أبو النصر البصري قال ابن معين والنسائي وأبو زرعة ثقة زاد أبو زرعة مأمون توفي سنة ١٥٦ هـ. (تهذيب التهذيب ٤/ ٦٣ - ٦٤).
- (٦) في (٥): فقد.
- (٧) سقط من (ج، د): «فلم تفعل».
- (٨) القواريري: عبيد الله بن عمر بن مسرة الإمام الحافظ محدث الإسلام أبو سعيد الجشمي مولاهم البصري القواريري الزجاج نزل بغداد ولد سنة ١٥٢ هـ حدث عنه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم وثقه يحيى وابن سعد توفي سنة ٢٣٥ هـ. (سير الأعلام ١١/ ٤٤٢ - ٤٤٥).
- (٩) معاذ بن هشام بن أبي عبد الله - واسمه سنبر - الدستوائي البصري سكن اليمن ثم البصرة حدث عن أبيه وابن عون وشعبة وغيرهم وثقه بNDAR وعبيد الله بن عمر القواريري وأبو هشام الرفاعي وغيرهم قال ابن معين: صدوق وليس بحجة وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢٠٠ هـ. (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٩٦ - ١٩٧).
- (١٠) هشام بن أبي عبيد الله الدستوائي - دستواء من نواحي الأهواز، كان يبيع الثياب التي تجلب فيها فنسب إليها؛ يكنى أبا بكر الربيعي بن بكر بن وائل سمع قتادة وغير واحد وعنه ابنه معاذ ويحيى القطان توفي سنة ١٥٣ هـ. (كتاب النجم ٢/ ٥٤٧ - ٥٤٨).
- (١١) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب صفة القيامة - باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً ٢/ ٥٢٣ عن أنس ومسنده أحمد (١٢) في (د، هـ): قوله تعالى.
- (١٣) انظر تفسير ابن عباس ٥٢ وغرائب النيسابوري ٤/ ٤ والبحر ٢/ ٥٢٣ عن مقاتل وابن حبان وابن كثير ١/ ٢٠٧ عن الضحاك.

روق^(١) الخير. وقال مسروق وعمرو بن ميمون^(٢): ﴿البر﴾: الجنة^(٣).

وقوله ﴿حتى تنفقوا مما تحبون﴾ قال الضحاك^(٤): يعني الزكاة، يقول: حتى تخرجوا زكاة أموالكم وقال الحسن^(٥): كل شيء أنفقته المسلم من ماله ويبتغي به وجه الله فإنه من الذي عنى^(٦) الله سبحانه بقوله ﴿حتى تنفقوا مما تحبون﴾ حتى الثمرة.

أخبرنا أبو نصر أحمد بن إبراهيم المزكي، أخبرنا عبيد الله بن محمد الزاهد أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، أخبرنا عبد الواحد بن غياث، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: لما نزلت ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ قال أبو طلحة^(٧): يا رسول الله: أرى ربنا يسألنا من أموالنا، وإنني أشهدك أنني قد جعلت أرضي بيرحا^(٨) لله عز وجل^(٩)، فقال رسول الله ﷺ: «اجعلها في قرابتك». فجعلها بين أبي بن كعب، وحسان بن ثابت، رواه مسلم عن محمد بن حاتم^(١٠)، عن بهز^(١١)، عن حماد^(١٢). أخبرنا سعيد^(١٣) بن محمد المقرئ، أخبرنا محمد بن جعفر بن مطر، أخبرنا جعفر بن محمد بن الليث^(١٤)، حدثنا موسى بن مسعود^(١٥)، حدثنا شبل^(١٦)، عن ابن أبي نجیح^(١٧)، عن مجاهد في قوله ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ قال:

(١) سبق ٢٦٧ وانظر الأثر: في البحر ٥٢٣/٢ عن أبي روق والزجاج ٤٥٢/١.

(٢) عمرو بن ميمون الأودي أبو عبد الله الكوفي قال العجلي وابن معين والنسائي: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٧٤ هـ (تهذيب التهذيب ١٠٩/٨ - ١١٠).

(٣) انظر تفسير ابن عباس ص ٥٢، والطبري ٥٨٧/٦ عن عمرو والحسن والسدي، وابن كثير ٣٨١/١ عن عمرو وفتح القدير ٣٦٠/١ - ٣٦١ عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وعطاء والسدي وعمرو ومسروق، والدر ٥١/٢ عن ابن مسعود وعمرو ومسروق والسدي.

(٤) انظر البحر ٥٢٣/٢ عن الضحاك والحسن وابن كثير ٢٠٧/١ عن الضحاك ومقاتل وابن عباس وغرائب النيسابوري ٤/٤ عن ابن عباس.

(٥) انظر غرائب النيسابوري ٤/٤ عن الحسن.

(٦) أبو طلحة: زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن النجار الخزرجي الأنصاري شهد بدرًا وسمع النبي ﷺ وروى عنه ابن عباس وأنس وابنه عبد الله توفي سنة ٣٤ هـ، وصلى عليه عثمان بن عفان وكان له يوم مات سبعون سنة. (الجمع ١٤٢/١).

(٨) هذه اللفظة كثيراً ما تختلف ألفاظ المحدثين فيها فيقولون: «بيرحاء - بفتح الباء وكسرهما ويفتح الراء وضمها والمد فيها ويفتحهما والقصر - وهو اسم مال وموضع بالمدينة وقال الزمخشري - في الفائق - إنها فيعمل من البراح وهي الأرض الظاهرة».

(٩) في (هـ): الله تعالى.

(١٠) محمد بن حاتم بن ميمون المروزي ثم البغدادي القطيعي المؤدب أبو عبد الله سمع يحيى القطان وبهز بن أسد وأسباط وابن عيينة وعنه مسلم وكان إماماً حافظاً من الموثقين توفي سنة ٢٣٥ هـ (كتاب الجمع ٤٧٠/٢، وشذرات ٨٦/٢).

(١١) بهز بن أسد العمي أبو الأسود سمع شعبة وحماد بن سلمة وجرير بن حازم وعنه محمد بن حاتم ومحمد بن يشار روى له البخاري ومسلم توفي سنة ١٩٨ هـ. (الجمع ٦٢/١ - ٦٣).

(١٢) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الزكاة - باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوجة والأولاد عن أنس (٤٠١/١) ومسنده أحمد ١١٥/٣، ١٤١ عن أنس.

(١٣) في (أ): إسماعيل، وفي (ح): سعيد بن محمد المقري سبق.

(١٤) جعفر بن محمد بن الليث الزياتي ضعفه الدارقطني وقال: كان يتهم في سماعه. (الميزان ٤١٥/١ والمغني في الضعفاء ١٣٤/١)

(١٥) موسى بن مسعود النهدي البصري أبو حذيفة سمع الثوري وزائدة وعنه البخاري توفي سنة ٢٢٠ هـ. (كتاب الجمع ٤٨٤/٢ - ٤٨٥)

(١٦) شبل بن عباد أبو داود المكي مقرئ ثقة ضابط من أجل أصحاب ابن كثير مولده سنة ٧٠ هـ وهو الذي خلفه في القراءة وروى عنه الفراء أبو حذيفة موسى بن مسعود وغيره، توفي قريباً من سنة ١٦٠ هـ. (غاية النهاية ٣٣٣/١ - ٣٣٤).

(١٧) في (أ) عن أبي نجیح وهو: عبد الله بن أبي نجیح المكي صاحب التفسير أخذ عن مجاهد وعطاء وهو من الأئمة الثقات قال ابن =

كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولا^(١) - ويوم جلولا فتحت مدائن كسرى في قتال سعد بن أبي وقاص - فدعا بها عمر فأعتقها، وقال: إن الله تعالى يقول ﴿لن تتالوا البر حتى تنفقوا بما تحبون﴾^(٢).

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣) ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٤) ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٥) ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^(٦) ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا كَانَتْ مِنْ دَخْلِهِ كَانَ أُمَّةً وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٧)

قوله تعالى^(٣): ﴿كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل...﴾ الآية، قال المفسرون^(٤): لما ادعى النبي ﷺ أنه على ملة إبراهيم عليه السلام قالت اليهود كيف وأنت تأكل لحوم الإبل والبانها؟ فقال النبي ﷺ^(٥): كان ذلك حلالاً^(٦) لإبراهيم فنحن نحله، فقالت اليهود: كل شيء أصبحنا اليوم نحرمه فإنه كان محرماً على إبراهيم ونوح، فأنزل الله تعالى تكذيباً لهم ﴿كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه﴾ وهو يعقوب، وذلك أنه مرض مرضاً فندر لئن^(٧) عافاه الله ليحرم^(٨) أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحبها إليه لحمان الإبل والبانها^(٩) فحرمها الله على ولده، وكان هذا قبل نزول التوراة وذلك قوله ﴿من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها﴾ لتعرفوا أن هذا التحريم إنما كان من جهة^(١٠) يعقوب ولم يكن في زمن إبراهيم ولا نوح ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيما تدعون.

= المديني: كان يرى الاعتزال أما الحديث فهو فيه ثقة وأما الرأي فكان قديماً معتزلياً، قلت في هؤلاء: ثقات وما ثبت عنهم القدر أو لعلمهم تابوا. (الميزان ٥١٥/٢).

(١) «جلولا - بفتح الجيم - قرية بناحية فارس» (عمدة القوي والضعيف ص ٨).

(٢) انظر تفسير مجاهد ص ١٣١ والطبري ٥٨٨/٦ عن مجاهد وغرائب النيسابوري ٤/٤، والدر ٥٠/٢ وفتح القدير ٣٦٠/١ كلاهما عن عمر.

(٣) في (د): قوله تعالى.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٥٢ وابن كثير ٣٨١/١ - ٣٨٢ والطبري ٩/٧ - ١١ عن الضحاك وابن عباس وابن جريج وقتادة وأسباب النزول للواحد ص ٨٤ والبحر ٢/٣، عن أبي روق وابن السائب والدر ٥١/٢ عن ابن عباس والفتح الرباني ١٠٥/١٨ والرازي ١٣٧/٨.

(٥) في (هـ): فقال رسول الله ﷺ.

(٦) حلاً وحلالاً بمعنى واحد (انظر غريب القرآن ١٠٧ وابن عباس ٥٢ والتبيان ٢٧٩/١ والأخفش ٤١٤/١ - ٤١٥ واللسان / حلال).

(٧) في (أ): لأن.

(٨) في (د): ليحرم الله أحب.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٤/٧ عن ابن عباس وابن جريج، والزجاج ٤٥٣/١، ومجاهد ١٣٢ والفراء ٢٢٦/١، وغرائب النيسابوري ٤/٤ عن ابن عباس وأبي العالية وعطاء ومقاتل، وفتح القدير ٣٦٢/١ عن ابن عباس.

(١٠) في (هـ): حجة يعقوب ولم يكن في زمان.

فلما ثبتت عليهم الحجة بكتابهم قال الله تعالى :

﴿فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك﴾ من بعد ظهور الحجة بأن التحريم كان من جهة يعقوب ولم يكن محرماً^(١) قبله ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ أنفسهم.

قوله ﴿قل صدق الله﴾ فيما أخبر ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً﴾ وملة محمد عليه السلام^(٢) داخلة في ملته فمن اتبع ملة إبراهيم فقد اتبع ملة محمد عليه السلام^(٢).

قوله عز وجل^(٣) ﴿إن أول بيت وضع للناس...﴾ الآية روى عطاء عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال^(٤): «إن أول لمعة^(٥) وضعت على الأرض موضع البيت ثم مدت^(٦) منها الأرض، وإن أول جبل وضعه الله على هذه الأرض أبي قبيس^(٧) ثم مدت منها الجبال»^(٨).

وهذا قول مجاهد، قال^(٩): خلق الله هذا البيت قبل أن يخلق شيء من الأرض بألفي سنة.

وقال ابن عباس^(١٠) هو أول بيت، بناه آدم في الأرض^(١١)، وقال علي رضي الله عنه^(١٢) هو أول بيت مبارك وهدى وضع للناس.

أخبرنا أبو الحسن الفسوي^(١٣)، أخبرنا أحمد بن محمد الفقيه^(١٤)، حدثنا إسماعيل بن محمد الصفار^(١٥)، حدثنا سعدان بن نصر^(١٦)، حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش، عن إبراهيم التيمي^(١٧)، عن أبيه^(١٨)، عن أبي ذر^(١٩) قال:

(١) في (د): من قبله. (٣) في (ح): قوله تعالى.

(٢) في (د، هـ): محمد ﷺ. (٤) من (د).

(٥) في (أ): جبل أبي قبيس. (٦) في (د): جذب. (٧) في (أ): جبل أبي قبيس.

(٨) ذكره العقيلي في ترجمة عبد الرحمن بن علي بن عجلان القرشي وذكر الحديث «عن أحمد بن إبراهيم القرشي قال حدثنا سليمان بن عبد الرحمن قال حدثنا عبد الرحمن بن عجلان القرشي قال حدثني عبد الملك بن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: إن أول لمعة من الأرض...» الحديث، قال العقيلي: عبد الرحمن عن ابن جريج: مجهول ينقل الحديث حديثه غير محفوظ. (انظر الضعفاء الكبير ٣٤١/٢).

(٩) انظر الدر ١٢٧/١ - ١٢٨ عن مجاهد ٥٢/٢ عن ابن عمرو وأبي هريرة والطبري ٢٠/٧ عن مجاهد، وقال العقيلي: هذه الرواية أولى.

(الضعفاء الكبير ٣٤٢/٢).

(١٠) انظر الدر ١٢٩/١ عن ابن عباس، ١٣١/١ عن عطاء.

(١١) في (د): على الأرض. (١٢) في (ح): القشيري، وفي غير (د) أبو الحسين، سبق.

(١٣) انظر الدر ١٢٦/١ وفتح القدير ٣٦٣/١ كلاهما عن علي والزاهر ١٨٨/٢.

(١٤) أبو حامد أحمد بن محمد بن شاذل الفقيه الشافعي مفتي هراة ومحدثها ومفسرها وأديبها رحل الكثير وعني بالحديث وروى عن محمد بن عبد الرحمن السلمي والحسن بن سفيان والطبقة توفي سنة ٣٥٥ هـ وقيل سنة ٣٥٨ هـ. (شذرات ٣٦/٣).

(١٥) إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح أبو علي الصفار النحوي، ولد سنة ٢٤٧ هـ قال ياقوت والذهبي: علامة بالنحو واللغة ثقة أمين وقال الدارقطني: ثقة توفي سنة ٣٤١ هـ (بغية الوعاة ٤٥٤/١).

(١٦) سعدان بن نصر بن منصور أبو عثمان الثقفي البزاز قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: صدوق وسئل عنه الدارقطني فقال: ثقة مأمون توفي سنة ٢٦٥ هـ. (تاريخ بغداد ٢٠٥/٩ - ٢٠٦).

(١٧) إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي - تيم الرباب - أبو أسماء الكوفي كان عابداً سمع أباه والحارث بن سويد وعنه الأعمش ويونس بن عبيد توفي سنة ٩٢ هـ وقيل سنة ٩٤ هـ (كتاب الجمع ١٩/١).

(١٨) يزيد بن شريك بن طارق التيمي والد إبراهيم عداة في أهل الكوفة سمع علي بن أبي طالب وأبا ذر وأبا مسعود الأنصاري وحذيفة روى له البخاري ومسلم (الجمع ٥٧٤/٢).

(١٩) في (هـ): عن أبي زيد.

قلت يا رسول الله (١): أي مسجد وضع على الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام، قال: قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قال: قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم الأرض لك (٢) مسجد، فضل أينما أدركتكم الصلاة.

رواه مسلم عن أبي كريب عن أبي معاوية (٣).

أخبرنا أبو بكر التميمي، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ حدثنا أبو يحيى الرازي، حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا أبو الأحوص، عن سماك عن خالد بن عرعة (٤)، عن علي رضي الله عنه قال:

قال له رجل: حدثني عن هذا البيت، أهو أول بيت وضع في الأرض؟ فقال لا، ولكنه أول بيت وضعت فيه البركة والهدى ومقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً (٥).

وقوله ﴿للذي ببكة﴾: «بكة» (٦) هي مكة، فأبدلت (٧) الميم بباء كقولهم سمد رأسه وسبده، وضربة لازم ولازب (٨).

وقال أبو مالك وإبراهيم: بكة: موضع البيت، ومكة: القرية (٩).

وقوله: ﴿مباركاً﴾ أي: كثير الخير، بأن جعل فيه وعنده البركة ﴿وهدي﴾ قال الزجاج (١١): المعنى: إذا هدى قال: ويجوز أن يكون على معنى: وهو هدى. ومعنى كونه هدى ﴿للعالمين﴾: أنه قبلة صلاتهم.

(١) في (د): برسول ﷺ.

(٢) في (د): لك الأرض.

(٣) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب المساجد - الباب الأول (٢١٢/١). والبخاري - كتاب الأنبياء - باب (١٠)، ومسنده أحمد ١٥٦/٥، ١٥٧ كلهم من حديث أبي ذر.

(٤) خالد بن عرعة التميمي الكوفي تابعي ثقة، روى عن علي بن أبي طالب روى عنه سماك بن حرب والقاسم بن عوف. (تاريخ الثقات ص ١٤٠).

(٥) انظر المستدرک - كتاب التفسير - «صحيح على شرط مسلم» (٢٩٢/٢ - ٢٩٣) والطبري ١٩/٧ والبحر ٥/٣ والدر ١٢٦/٢ والقرآن ٢٢٧/١ وابن كثير ١٧٨/١ كلها عن علي رضي الله عنه).

(٦) ساقطة من (ح).

(٧) في (د): وأبدلت، وفي (هـ): وأبدل.

(٨) ذكره الراغب في المفردات / بكة.

سبده الرجل شعره إذا سرجه وبله وتركه، وقال أبو عبيد: سبده شعره وسمده: إذا استأصله حتى ألحقه بالجلد، وقال أبو عمرو: سبده شعره وسبده وأسبده وسبته وأسبته وسبته: إذا حلقة وقيل: إذا نبت والتسبيد: ترك الدهن والغسل وبعض يقول: التسبيد - بالميم - ومعناها واحد.

(انظر اللسان / سبده، والزاهر ٦٠٣/١ وأدب الكاتب ٣٧٤ وحاشية (أ)).

(٩) انظر تفسير الطبري ٢٤/٧ عن أبي مالك وإبراهيم وغريب القرآن ١٠٧ - ١٠٨ والزجاج ٤٥٤/١ وابن كثير ٣٨٣/١ عن أبي مالك وإبراهيم وعكرمة وميمون بن مهران وغيرهم والدر ٥٣/٢ عن عكرمة وأبي مالك الغفاري والزهري ومجاهد واللسان / بكك بن مجاهد.

(١٠) في (د): قوله.

(١١) انظر الزجاج ٤٥٤/١ وغرائب النيسابوري ١٣/٢ عن الزجاج.

وقوله (١) ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم﴾ قال مجاهد (٢): أثر قدميه (٣) في المقام آية بينة .
وقال المفسرون (٤): الآيات التي فيها: أمن الخائف، وامتناع الطير من العلو عليه، واستشفاء المريض به،
وتعجيل العقوبة لمن انتهك فيه (٥) حرمة وإهلاك أصحاب الفيل لما قصدوا إخراجهم .
وقال زيد بن أسلم: الآيات البينات: مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً وهذا اختيار الزجاج، لأنه قال:
ومن الآيات أيضاً: أمن من دخله، وقال (٦) ومعنى أمن من دخله: أن إبراهيم سأل الله عز وجل أن يؤمن سكان مكة وقال
﴿رب اجعل هذا البلد آمناً﴾ (٧)، فجعل الله عز وجل أمن مكة آية لإبراهيم فلم يطمع في أهلها جبار (٨)، وكان فيما
عطف الله تعالى من قلوب العرب في الجاهلية على من لاذ بالحرم حتى يؤمنوه آية بينة (٩) .
يدل على هذا قول قتادة في قوله ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ قال (١١): كان ذلك في الجاهلية، فأما اليوم: إن
سرق (١٢) فيه أحد قطع، ولو قتل (١٣) فيه قتل .
وقوله (١٤) ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ وقرىء (حج البيت) بالكسر (١٥)، والمفتوح مصدر، وهو لغة أهل
الحجاز والمكسور: اسم للعمل، قال سيبويه (١٦): ويجوز أن يكون مصدرًا كالعلم والذكر .
قوله (١٧) ﴿من استطاع إليه سبيلاً﴾ قال الزجاج (١٨): موضع ﴿من﴾ خفض على البدل من ﴿الناس﴾، والمعنى (١٩):
ولله على من استطاع من الناس حج البيت .

(١) في (د): قوله .

(٢) انظر تفسير مجاهد ١٣٢، وابن كثير ٣٨٤/١، والدر ٥٤/٢ والطبري ٢٨/٧ كلها عن مجاهد .

(٣) في (هـ): القديمة .

(٤) انظر الزجاج ٤٥٥/١ - ٤٥٦ وابن كثير ٣٨٤/١ والبحر ٧/٣ وفتح القدير ٣٦٢/١ .

(٥) في (ج، هـ): لمن انتهك حرمة .

(٦) في (د، هـ): قال . . . سأل الله تعالى .

(٧) سورة إبراهيم / ٣٥ وانظر سورة البقرة / ١٢٦ .

(٨) في (د): إيجاب .

(٩) انظر الدر ٥٤/٢ عن الحسن وزيد بن أسلم، وفتح القدير ٣٦٤/١ وعن الحسن والزجاج ٤٥٥/١ والطبري ٢٧/٧ عن الحسن .

(١٠) في (د): يدل على قول قتادة .

(١١) انظر تفسير الطبري ٢٩/٧ وفتح القدير ٣٦٤/١ كلاهما عن قتادة، والدر ٥٤/٢ عن قتادة ومجاهد .

(١٢) في (د، هـ): فإن سرق .

(١٣) في (د، هـ): وإن قتل . . .

(١٤) في (د): قوله .

(١٥) قرأ حمزة والكسائي وحفص - بكسر الحاء - والباقون بالفتح، وهما لغتان لأهل الحجاز وبنى أسد والكسر لغة أهل نجد، وقيل: إن

الفتح مصدر، والكسر اسم .

(١٦) انظر الحجة لأبي زرععة ١٧٠ والسبعة ٢١٤ والنشر ٢٤١/٢ والزجاج ٤٥٦/١، والتبيان ٢٨١/١ والحجة لابن خالويه (١١٢) .

(١٧) انظر الكتاب ١٠/٤ والزاهر ١٩٥/١ والبحر ١٠/٣ كلاهما عن سيبويه والطبري ٤٥/٧ - ٤٦ .

(١٨) في (ج، هـ): وقوله .

(١٩) انظر الزجاج ٤٥٦/١ والتبيان .

(١٩) في (ح): والمعنى .

وجمهور أهل العلم على أن معنى الاستطاعة الموجبة للحج: القوة، فمن قوي في نفسه بالكون^(١) على الرحلة وجب عليه الحج إذا ملك الزاد^(٢) والراحلة.

وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبيرة ومجاهد، ومذهب الشافعي وأحمد وإسحاق^(٣).

أخبرنا منصور بن عبد الوهاب البزاز، أخبرنا أبو عمرو ومحمد بن أحمد الحيري حدثني عبدان الأهوازي، حدثنا سهل بن عثمان العسكري، حدثنا يحيى بن أبي زائدة، عن سعد بن طارق^(٤)، عن سعيد بن عبيدة^(٥) عن ابن عمر:

أن النبي ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس، على أن تعبد الله وتكفر بما دونه وإقام الصلاة المفروضة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام رمضان». رواه مسلم عن سهل بن عثمان^(٦).

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا محمد بن يعقوب المعقلي، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سعيد بن سالم^(٧)، عن إبراهيم بن يزيد^(٨)، عن محمد بن عباد بن جعفر^(٩)، قال: قعدنا إلى عبد الله بن عمر فسمعته يقول:

«سأل رجل رسول الله ﷺ: قال: ما الحاج؟ قال: الشعث التفل^(١٠) فقام آخر فقال: يا رسول الله، أي الحج أفضل؟ قال: العج الثج، فقام آخر فقال: يا رسول الله ما السبيل؟ قال: الزاد والراحلة^(١١)».

(١) في (٥): بالركوب، والمعنى: «فلا تلحقه المشقة» (حاشية أ)، وكان عليه كوناً وكياناً وأكثان وهو من الكفالة (اللسان / كون).

(٢) في (ح): للزاد.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٥٢ والثوري ٧٨ - ٧٩، والدر ٥٦/٢ عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة والحسن وعطاء والفتح الرافعي ٤٢/١١ وابن كثير ٣٨٥/١ - ٣٨٦، والطبري ٣٧/٧ - ٣٩ عن عمر وابن عباس وسعيد بن جبيرة والحسن والأم للشافعي ٩٦/٢ وما بعدها.

(٤) في (٥): سعيد سبق.

(٥) سعد بن عبيدة أبو حمزة السلمى ختن أبي عبد الرحمن السلمى سمع ابن عمر والبراء، وأبا عبد الرحمن والمستورد، وثقة النسائي توفي بعد المائة في ولاية عمر بن هبيرة على الكوفة. (كتاب الجمع ١٦٠/١ - ١٦١ وسيار الأعلام ٩/٥).

(٦) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الإيمان - باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس، عن ابن عمر (٢٦/١).

(٧) سعيد بن سالم القداح أبو عثمان المكي قال عثمان الدارمي عن ابن معين: ثقة وقال النسائي ليس به بأس وقال الساجي: ضعيف مات قبل الماتين بقليل. (تهذيب التهذيب ٣٥/٤).

(٨) إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي عن طاووس وعطاء وعدة وعنه وكيع جماعة قال أحمد والنسائي: متروك وقال ابن معين: ليس بثقة وقال البخاري سكتوا عنه قال ابن سعد: مات سنة ١٥١ وقال ابن عدي: يكتب حديثه (الميزان ٧٥/١).

(٩) في (٥): محمد بن عباد عن جعفر، وهو: محمد بن عباد بن جعفر المخزومي القرشي المكي المدني سمع جابر بن عبد الله وعبد الله ابن عباس وابن عمر وابن عمرو وعبد الله بن المسيب روى له البخاري ومسلم قال ابن سعد كان ثقة قليل الحديث ووثقه أبو زرعة وابن معين (الجمع ٤٤٥/٢)، والعقد الثمين ٤١/٢).

(١٠) «الشعث: المغبر الرأس، المتلف الشعرة، الذي لم يدهن» «التفل: الذي ترك استعمال الطيب من التفل وهي الرياح الكريمة».

«العج: عج يعج ويعج عجاجاً وضع يضح: رفع الصوت بالتلبية».

«الثج: صب الدم، وسيلان ماء الهدى، يعني: الذبيح».

(انظر المستدرک ٤٥١/١، والزاهر ٢٧/٢، واللسان / شعث، تفل، عجاج، ثجج).

(١١) الحديث: رواه الترمذي - كتاب التفسير، باب من سورة آل عمران - رقم ٤٠٨٤ قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث

إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي وقد تكلم بعض أهل العلم في إبراهيم من جهة حفظه. (٣٩٢/٤).

وزوائد البزار - كتاب الحج - باب الحاج الشعث التفل رقم ١٠٩٩ (١٧/٢). والمستدرک - كتاب الحج - باب السبيل الزاد والراحلة =

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أخبرنا أبو عمرو بن مطر حدثنا عبدان الجواليقي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا صدقة بن يزيد^(١)، عن العلاء^(٢)، عن أبيه^(٣)، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تبارك^(٤) وتعالى قال: إن عبداً أصححت له جسمه، وأوسعت عليه في الرزق، لم يفد إلي في كل خمسة أعوام عاماً لمحروم»^(٥).

أخبرنا الفضيل بن أحمد الصوفي، أخبرنا أبو علي بن أبي موسى^(٦)، حدثنا محمد بن معاذ بن الفرغ حدثنا علي بن خشرم^(٧)، حدثنا عيسى بن يونس^(٨) حدثنا عثمان بن عطاء^(٩)، عن أبيه^(١٠) عن ابن مسعود:

= «عن أنس قال: قيل يا رسول الله ما السبيل؟ قال: الزاد والراحلة». صحيح على شرط الشيخين. (٤٤٢/١). وفي رواية عن أبي بكر أن رسول الله ﷺ سئل أي العمل أفضل؟ قال العج والتج «صحيح الإسناد» (٤٥١/١). والدارقطني - كتاب الحج - في حديثين رقم ١٠، ١١ (٢١٧/٢).

ومصنف ابن أبي شيبة ٩٠/٤ كلهم من حديث ابن عمر غير الحاكم.

(١) صدقة بن يزيد الخراساني ثم الشامي عن العلاء بن عبد الرحمن وعنه الوليد بن مسلم ضعفه أحمد وقال أبو حاتم: صالح وقال أبو زرعة الدمشقي: ثقة وقال البخاري: منكر الحديث، وقال الوليد بن مسلم حدثنا صدقة بن يزيد الخراساني... «إن عبداً أصححت...» الحديث. (الميزان ٣١٣/٢).

(٢) العلاء بن المسيب بن رافع التغلبي - ويقال الكاهلي - من أهل الكوفة، سمع أباه وسهلاً وفضيل بن عمر وروى له البخاري ومسلم (كتاب الجمع ٣٧٩/١).

(٣) المسيب بن رافع أبو العلاء الكاهلي الأسدي يكنى بابنه العلاء الكوفي التغلبي سمع البراء بن عازب وتميم بن طرفة، وعنه ابنه أبو العلاء ومنصور والأعمش روى له البخاري ومسلم توفي سنة ١٠٥ هـ. (كتاب الجمع ٥٠٥/٢).

(٤) في (أ): أن الله تعالى.

(٥) الحديث: رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية قال «ولا يصح والعلاء بن المسيب كثير الغلط، قال الدارقطني: وقد رواه عبد الرزاق عن الثوري عن العلاء عن أبيه ورواه ابن فضيل عن العلاء عن يونس بن حبان عن أبي سعيد ولا يصح منها شيء» (٥٦٦/٢).

والضعفاء الكبير، ذكر الحديث في ترجمة صدقة بن يزيد، قال العقيلي وهو ضعيف وقال البخاري: منكر الحديث (٢٠٧/٢). ومجمع الزوائد - كتاب الحج - باب الحث على الحج «رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى ورجال الجميع رجال الصحيح» (٢٠٦/٣). والجامع الصغير ٧٧/١ «رواه أبو يعلى وابن حبان» ورمز له بالضعف.

وانظر علل الرازي: قال ابن أبي حاتم: «سألت أبي عن حديث رواه الوليد عن صدقة عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة... الحديث. قال أبي: هذا عندي وهم وإنما كما رواه خلف بن خليفة عن العلاء بن المسيب عن أبيه عن أبي سعيد عن النبي ﷺ ومنهم من يقفه». (علل ابن أبي حاتم ٢٨٦/١).

وانظر ٢٩٠/١ - ٢٩١ «سألت أبي وأبا زرعة عن هذا الحديث قالوا: هذا عندنا منكر من حديث العلاء بن عبد الرحمن وهو من حديث العلاء بن المسيب أشبه... وهو مضطرب وعن أبي سعيد موقوف أشبه».

(٦) في (د): أبو علي بن موسى، سبق.

(٧) علي بن خشرم بن عبد الرحمن بن عطاء أبو الحسن المروزي قال النسائي وغيره: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢٥٧ هـ. (تهذيب التهذيب ٣١٦/٧ - ٣١٧).

(٨) عيسى بن يونس ابن الإمام أبي إسحاق السبيعي الكوفي رأى جده وسمع أباه وهشام بن عروة والأعمش وغيرهم وعنه حماد بن سلمة وعلي بن خشرم وخلق قال ابن المديني: ثقة مأمون وقال محمد بن سعد كان ثقة ثبتاً توفي سنة ١٨٧ هـ (تذكرة الحفاظ ٢٧٩/١ - ٢٨١).

(٩) عثمان بن عطاء بن أبي سليم الخراساني أبو مسعود يروي عن أبيه وغيره وعنه ابنه محمد وابن شعيب وضمرة وابن وهب، ضعفه مسلم وابن معين والدارقطني وقال دحيم: لا بأس به وقال أبو حاتم: يكتب حديثه توفي سنة ١٥٥ هـ (الميزان ٤٨/٣ - ٤٩).

(١٠) عطاء بن أبي مسلم الخراساني - واسم أبي مسلم عبد الله - كان من أهل بلخ سكن الشام روى له مسلم ولد سنة ٥٠ هـ ومات سنة =

عن النبي ﷺ قال: «من لم يحج، ولم يوض بحج، ولم يحج عنه لم يقبل له يوم القيامة عمل»^(١)»^(٢).

أخبرنا أبو حسان المزكي، أخبرنا هارون بن محمد الاسترأبادي، أخبرنا إسحاق بن أحمد الخزاعي، أخبرنا أبو الوليد الأزرقى، أخبرنا جدي أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج^(٣) أخبرني ابن جريح قال:

بلغنا أن اليهود قالت: بيت المقدس أعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء ولأنه في الأرض المقدسة، وقال المسلمون: الكعبة أعظم، فبلغ ذلك للنبي ﷺ فتزل ﴿إن أول بيت وضع للناس﴾ حتى بلغ ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم﴾ وليس ذلك في بيت المقدس ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ وليس ذلك في بيت المقدس^(٤) ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ وليس ذلك في بيت المقدس^(٥).

وقوله^(٦) ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ قال ابن عباس والحسن وعطاء^(٧): جحد فرض الحج وزعم أنه ليس بواجب عليه، وهذا قول جماعة من المفسرين.

قال الضحاك^(٨): لما نزلت آية الحج جمع رسول الله ﷺ أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال: «إن الله كتب عليكم الحج فحجوا» فأمن به^(٩) المسلمون وكفر الباقون فأنزل الله تعالى قوله^(١٠) ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾

= ١٣٥ هـ وقيل سنة ١٣٣ هـ. (كتاب الجمع ١/٣٨٧ - ٣٨٨).

(١) في (هـ) لم يقبل الله له يوم القيامة عملاً.

(٢) الحديث: قال ابن حاتم سألت أبي عن حديث رواه المحاربي عن عبد الحميد بن جعفر عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «الدين خمس لا يقبل الله منها شيئاً دون شيء شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والحياة بعد الموت هذه واحدة، والصلوات الخمس عمود الدين لا يقبل الله الإيمان إلا بالصلوات، والزكاة طهور من الذنوب لا يقبل الله الإيمان ولا الصلاة إلا بالزكاة فمن فعل هؤلاء ثم جاء رمضان فترك صيامه متممداً لم يقبل الله منه الإيمان ولا الصلاة ولا الزكاة فمن فعل هؤلاء الأربع ثم تسر له الحج فلم يحج ولم يوض لحجه ولم يحج عنه بعض أهله لم يقبل الله منه الأربع التي قبلها لأن الحج فريضة من فرائض الله تعالى». قال أبي: هذا حديث منكر، يحتمل أن يكون هذا كلام عطاء الخراساني وإنما هو عبد الحميد بن جعفر شيخ كوفي.

(علل الحديث للرازي ٢/٢٩٣ - ٢٩٤، ٢/١٥٦).

(٣) أبو ساج عثمان عمرو بن ساج القرشي الجزري روى عن محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة وابن جريح والكلبي وغيرهم وعنه سعيد بن سالم القداح ومعتز بن سليمان وطائفة وكان قاضياً وهو مقرب الحديث لا يتابع توفي حوالي سنة ١٨٠ هـ.

(تاريخ التراث ١/٥٥٢ والميزان ٣/٣٤).

(٤) في (د): قوله.

(٥) انظر أسباب النزول للواحد ص ٨٤ والدر ٢/٥٢ «أخرجه ابن المنذر والأزرقى عن ابن جريح» وفتح القدير ١/٣٦٤ عن ابن جريح، والبحر ٣/٥ عن مجاهد.

(٦) في (د): قوله فمن كفر.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٥٢ والزجاج ١/٤٥٦ والبيهقي ١/٣٨٨ عن ابن عباس وعطاء، والبحر ٣/١٢ عن ابن عباس والضحاك والحسن وعطاء ومجاهد وعمران القطان، والدر ٢/٥٧ عن ابن عباس، وابن كثير ١/٣٨٦ عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما والقراء ١/٣٨٧ والطبري ٧/٤٧ عن عطاء والحسن وابن عباس وغيرهم والوجيز للواحد ١/١١١.

(٨) انظر تفسير الطبري ٧/٤٩ - ٥٠، والدر ٢/٥٧ وفتح القدير ١/٣٦٥ - ٣٦٦ كلها عن الضحاك وأسباب النزول للسيوطي ص ٥٩ وابن كثير ١/٣٨٦ بنحوه عن عكرمة.

(٩) في (د): فأنزل الله (ومن كفر).

(١٠) في (د): أقام به.

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُصَدِّدُونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

قوله (٩٨) ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ هذا استفهام معناه التوبيخ . والمراد بـ «الآيات» ما أنزل الله على محمد عليه السلام وما أوتي من المعجزات والعلامات التي تدل على صدقه .

وقوله ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ قال ابن عباس (٢): يريد أنه حاضر لأعمالكم (٣) ومعنى الآية: أن الله تعالى وبخهم على كفرهم وأخبر أنه لا ينفعهم الاستمرار به لأنه شهيد على أعمالهم .

قوله تعالى: (٤) ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُصَدِّدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ ءَامَنَ﴾ يعني: بتكذيب النبي ﷺ وأن صفته ليست في كتابهم ، ولا تقدمت البشارة عندهم .

وقوله (٥) ﴿تَبِعُونَهَا عِوَجًا﴾ (٦) أي: تطلبون لسبيل الله الزيف والتحريف بالشبه التي تلبسون بها على الناس ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ بما في التوراة أن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام .

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ
وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَتَأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ
مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۗ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

قوله تعالى (٧): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: الأوس والخزرج ﴿إِن تَطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ...﴾ الآية .

قال عكرمة (٨): كان بين هذين الحيين من الأوس والخزرج قتال في الجاهلية، فلما جاء الإسلام اصطلحوا

(١) في (هـ): قوله تعالى وفي (ح) قوله (يا أهل...).

(٢) في (هـ): قال يريد..

(٣) انظر الزجاج ٤٥٧/١ والبحر ١٣/٣ بنحوه.

(٤) في (د): قوله وفي (هـ) وقوله.

(٥) في (د): وقوله.

(٦) العوج - بكثر العين - في الدين، وكذا في الكلام والعمل، فإذا كان في شيء قائم نحو الحائط والجذع فهو عوج - مفتوح الأول.

(مجاز القرآن ٩٨/١ وغرائب النيسابوري ٢١/٤ عن الزجاج (وحاشية (أ)).

(٧) في (د): قوله يا أيها الذين يعني..

(٨) انظر الزجاج ٤٦١/١ والدر ٥٧/٢ - ٥٨ عن زيد بن أسلم وعكرمة ومجاهد، وفتح القدير ٣٦٧/١ - ٣٦٨ عن زيد والطبري ٥٥/٧ -

٨٣ عن زيد والسدي ومجاهد وعكرمة، وأسباب النزول للواحدي ٨٤ - ٨٦، وأسباب النزول للسيوطي ٥٩ - ٦٠، والرازي ١٥٩/٨

والوجيز للواحدي ١١١/١.

وألف الله بين قلوبهم، فجلس يهودي^(١) في مجلس فيه نفر من الأوس والخزرج، فأشدد^(٢) شعراً قاله أحد الحيين في حربهم فدخلهم من ذلك شيء، فاجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال، فنزلت هذه الآية إلى قوله ﴿لعلكم تهتدون﴾.

فجاء النبي ﷺ حتى قام بين الصفيين فقرأهن، ورفع صوته^(٣)، فلما سمعوا صوت رسول الله ﷺ أنصتوا له وجعلوا يستمعون، فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً، وجثوا ليكون.

قوله^(٤): ﴿وكيف تكفرون...﴾ الآية، قال الزجاج^(٥): أي: على أي حال يقع منكم الكفر، وآيات الله التي تدل على توحيده، ونبوة نبيه محمد ﷺ^(٦) ﴿تتلى عليكم وفيكم رسوله﴾ محمد ﷺ^(٧) بين أظهركم ﴿ومن يعتصم بالله﴾ يتمسك بحبل الله ويمتنع به ﴿فقد هدي إلي صراط مستقيم﴾ يعني: الإسلام.

قوله ﴿يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته﴾^(٨) قال^(٩) ابن مسعود: ﴿حق تقاته﴾: أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر^(١٠).

وقال الكلبي عن ابن عباس^(١١): لما نزلت هذه الآية شق على المسلمين مشقة شديدة ولم يطبقوا ذلك. و﴿حق تقاته﴾: أن يطاع فلا يعصى طرفة عين، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى، فلم يطق ذلك العباد، فأنزل الله على نبيه عليه السلام^(١٢) ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾^(١٣) يقول: ما أطقتم، فلم يكلف العباد من طاعته وعبادته إلا ما استطاعوا فنسخت هذه الآية ما قبلها^(١٤).

(١) وهو شاس بن قيس اليهودي، وكان شيخاً عظيماً الكفر، شديد الطعن على المسلمين (حاشية أ).

(٢) في (د): وأنشد.

(٦) في (د) محمد رسول الله.

(٣) في (ح): صوت النبي.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٤) في (هـ): وقوله.

(٨) في (ح): الآية.

(٥) انظر الزجاج ٤٥٨/١ والوجيز للواحدي ١١١/١.

(٩) في (أ): فقال.

(١٠) انظر المستدرک - كتاب التفسير - «صحيح على شرط الشيخين» (٢/٢٩٤).

ومجمع الزوائد - كتاب التفسير - «رواه الطبراني بإسنادين أحدهما رجاله رجال الصحيح» (٦/٣٢٦).

والطبراني في الكبير ٩٣/٩ والطبري ٦٥/٧، وفتح القدير ٣٦٨/١ وابن كثير ٣٨٧/١ والدرر ٥٩/٢ كلهم عن ابن مسعود، وانظر تفسير ابن عباس ٥٣ والثوري ٧٩ والزجاج ٤٥٨/١.

(١١) انظر تفسير الطبري ٦٩/٧ عن قتادة والربيع بن أنس والسدي وابن زيد، والدرر ٥٩/٢ وغرائب النيسابوري ٢٧/٤ وفتح القدير ٣٦٨/١ كلها عن ابن عباس.

(١٢) في (هـ): على نبيه ﷺ (اتقوا...).

(١٣) سورة التغابن / ١٦.

(١٤) انظر الزجاج ٤٥٨/١ - ٤٥٩ والدرر ٥٩/٢ عن ابن مسعود والربيع بن أنس وفتحة والناسخ والمنسوخ لأبي القاسم بن سلامة ١٠٦ - ١٠٨ وابن كثير ٣٨٨/١ عن سعيد بن جبيرة وأبي العالية والربيع وفتحة ومقاتل وزيد بن أسلم والسدي. وانظر تفسير الطبري ٦٨/٧ وما بعدهم عنهم.

وقال بعضهم هي محكمة وليست منسوخة، يروى هذا عن ابن عباس ومعنى (حق تقاته) أن يجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وأبائهم وأمهاتهم.

(انظر الطبري ٦٧/٧ - ٦٨ وفتح القدير ٣٦٨/١ وابن كثير ٣٨٨/١).

وقال قتادة^(١): ﴿حق ثقاته﴾: أن يطاع فلا يعصى، ثم أنزل الله التخفيف واليسر بعد ذلك فقال ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾.

أخبرنا أبو بكر الأصبهاني، أخبرنا أبو بكر المقرئ^(٢)، حدثنا العباسي بن أحمد البرتي^(٣)، حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا يعقوب بن عبد الله الأشعري^(٤) عن ليث^(٥)، عن مجاهد، عن أبي سعيد قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أوصني، قال: عليك بتقوى الله، فإنه جماع كل خير، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية المسلمين، وعليك بذكر الله وتلاوة كتابه فإنه نور لك في الأرض وذكر لك في السماء^(٦) واخزن لسانك إلا من خير، فإنك بذلك تغلب الشيطان^(٧).

قوله^(٨) ﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ مفسر في سورة البقرة^(٩).

قوله عز وجل^(١٠) ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ قال عبد الله^(١١): «حبل الله»: الجماعة وقال الضحاك وقاتادة والسدي^(١٢): «حبل الله»: القرآن، وقال أبو عبيدة^(١٣) «الاعتصام بحبل الله»: هو ترك الفرقة واتباع القرآن لأن المؤمن إذا اتبع القرآن أمن من العذاب.

(١) انظر الزجاج ٤٥٨/١ والدر ٥٩/٢ عن ابن عباس وسعيد بن جبير وابن كثير ٣٨٨/١ عن قتادة وغيره والطبري ٦٨/٧ عن قتادة والبحر ١١/٣ عن ابن مسعود والربيع وقاتادة.

(٢) أحمد بن العباس بن عبيد الله أبو بكر البغدادي المعروف بابن الإمام نزيل خراسان أستاذ ماهر قرأ على أبيه وعلى أحمد بن سهل الأسناني وأبي بكر بن مجاهد وغيرهم وقرأ عليه الحاكم أبو عبد الله والقاضي أبو بكر الحيري وغيرهما توفي سنة ٣٥٥ هـ. (غاية النهاية ٦٤/١).

(٣) العباس بن أحمد بن محمد بن عيسى أبو حبيب القاضي البرتي سمع عبد الأعلى بن حماد وعنه أبو بكر الشافعي قال أبو بكر المقرئ: حدثنا عباس بن أحمد بن محمد أبو حبيب (تاريخ بغداد ١٢/١٥٢ - ١٥٣).

(٤) في (أ) ابن الأشعري وهو: يعقوب بن عبد الله الأشعري القمي عالم أهل قم روى عن جعفر بن أبي المغيرة وليث بن أبي سليم قال النسائي وغيره: ليس به بأس، وقال الدارقطني: ليس بالقوي. قلت: أخرج له البخاري تعليقا وروى عنه الهيثم بن خارجة وأبو الربيع الزهراني توفي سنة ١٧٤ هـ (الميزان ٤/٤٥٢).

(٥) ليث بن أبي سليم بن زعيم القرشي - واسم أبي سليم أنس - مولى عنبسة بن أبي سفيان الكوفي توفي سنة ١٤٣ هـ. (كتاب الجمع ٤٣٣/٢).

(٦) في (د): وذكره لك واخزن لسانك إلا في خير.

(٧) الحديث: رواه الطبراني في الصغير «عن عبد الأعلى بن حماد النرسي عن يعقوب بن عبد الله القمي عن ليث عن مجاهد عن أبي سعيد، وقال: لا يرى إلا بهذا الإسناد تفرد به يعقوب القمي» (٦٦/٢ - ٦٧).

ومجمع الزوائد - كتاب الوصايا - باب وصية رسول الله ﷺ «رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أحمد ثقات وفي إسناد أبي يعلى ليث بن أبي سليم وهو مدلس» (٢١٥/٤).

والجامع الصغير ٦٢/٢ رواه بلفظه عن أبي سعيد ورمز له بالضعف.

(٨) في (ج، هـ): قوله.

(٩) انظر تفسير الآية ١٣٢ من سورة البقرة.

(١٠) في (د): قوله، وفي (هـ): قوله تعالى.

(١١) انظر تفسير الطبري ٧١/٧ والبغوي ٣٩١/١، الدر ٦٠/٢ كلها عن ابن مسعود.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٧١/٧ - ٧٢ عن قتادة والسدي والضحاك وابن مسعود والبغوي ٣٩١/١ عن قتادة والسدي، والدر ٦٠/٢ وابن كثير ٣٨٨/١ - ٣٨٩، وفتح القدير ٣٦٨/١ كلها عن ابن مسعود.

(١٣) في (ج، د): أبو عبيد، وانظر مجاز القرآن ١٠١/١ والدر ٦١/٢ عن أبي العالية وابن كثير ٣٨٨/١، والزاهر ٣٠٦/٢ - ٣٠٧.

وروى معمر عن قتادة في قوله ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ قال: بعهد الله وبأمره^(١) قال ابن الأنباري: ^(٢) سمي عهد الله حبلاً، لأنه سبب النجاة، كالحبل الذي يتمسك به للنجاة من بئر ونحوها.

وقوله^(٣) ﴿وَلَا تَفْرُقُوا﴾ قال ابن عباس^(٤): أي كما كنتم في الجاهلية مقتتلين على غير دين الله. وقال الزجاج^(٥): أي تناصروا على دين الله ولا تفرقوا.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بدين الإسلام ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ يعني: ما كان بين الأوس^(٦) والخزرج من الحرب التي تطاولت عشرين ومائة سنة، إلى أن ألف الله بين قلوبهم بالإسلام، فزال تلك الأحقاد، وصاروا إخواناً في الإسلام متوادين، وذلك قوله ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ أي: برحمته، يعني^(٧): الإسلام إخواناً.

قوله^(٨) ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ «شفا الشيء»: حرفه، مثل شفاء البئر، والجمع الأشفاء^(٩).

قال ابن عباس^(١٠): يريد لو متم على ما كنتم عليه في الجاهلية لكنتم من أهل النار ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ أي: خلصكم ونجاكم بدينه الإسلام، ومحمد عليه السلام^(١١)، يقال: أنقذته وتنقذته، أي^(١٢): خلصته^(١٣).

وقوله^(١٤) ﴿كَذَلِكَ﴾ ^(١٥) أي: كالبيان الذي ذكر ﴿يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لكي تهتدوا^(١٦).

وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾
وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِمَا خَلِدُوا فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾

قوله ﴿ولتكن منكم أمة﴾ الخطاب للمؤمنين في هذه الآية، أي: كونوا أمة ﴿يدعون إلى الخير﴾

(١) انظر تفسير الطبري ٧١/٧ والدر ٦١/٢ كلاهما عن قتادة والزجاج ٤٦٠/١.

(٢) انظر الزاهر ٣٠٦/٢ - ٣٠٧.

(٤) انظر تفسير الطبري ٧٧/٧ عن قتادة والخازن ٣٩١/١ - ٣٩٢.

(٥) انظر الزجاج ٤٦٠/١.

(٦) انظر تفسير الطبري ٧٧/٧ - ٧٨ والدر ٦١/٢ كلاهما عن ابن إسحاق قال: «كانت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين ومائة سنة حتى قام الإسلام فاطفاً الله ذلك وألف بينهم».

(٧) في (هـ): وزالت.

(٨) في (د) في الإسلام.

(١٠) والنشبية: شفوان - بالواو - (انظر اللسان / شفي والأخفش ٤١٦/١ والطبري ٨٥/٧ ومفردات الراغب / شفا، وفيه والجمع أشفاء).

(١١) انظر في الطبري ٨٨/٧ وفتح القدير ٣٦٩/١ كلاهما عن السدي.

(١٢) في (د): بدين الإسلام ومحمد ﷺ، وفي (هـ) بدينه ومحمد ﷺ.

(١٣) في (هـ): إذا خلصته.

(١٤) «قال الأزهري: نقول: نقذته وأنقذته واستنقذته وتنقذته، أي خلصته ونجيته» (اللسان / نقذ).

(١٥) في (د): قوله.

(١٦) في (ج، هـ): كذلك يبين الله لكم.

مقاتل (١): إلى الإسلام ﴿ويأمرون بالمعروف﴾ يقولون بطاعة الله ﴿وينهون عن المنكر﴾ عن معصية الله ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ يعني الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيايدي أخبرنا محمد بن إبراهيم بن الفضل المعمرى (٢)، حدثنا محمد بن يحيى الذهلي (٣)، حدثنا أبو همام الدلال (٤)، حدثنا هشام بن سعد (٥)، عن (عمرو بن) عثمان بن هانئ، عن عاصم ابن عمر (٦)، عن عروة (٨)، عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله ﷺ فعرفت في وجهه أنه قد حضره شيء فتوضأ (٩) وخرج وما كلم أحداً، فقع على المنبر فقال:

«أيها الناس إن الله تعالى يقول: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، من قبل أن تدعوني فلا أجيبكم، وتسالوني فلا أعطيكم، وتستصروني فلا أنصركم» (١٠).

وقوله (١١) ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا﴾ يعني: اليهود والنصارى تفرقوا بالعداوة والمخالفة ﴿واختلفوا﴾ بعد ما جاءهم البينات يعني: صاروا فرقاً مختلفين وكتابهم واحد.

قوله ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء (١٢): تبيض وجوه المهاجرين وتسود وجوه قريظة والنضير الذين كذبوا بمحمد عليه السلام (١٣) وقال في رواية سعيد بن جبير (١٤): تبيض وجوه أهل السنة

(١) انظر الدر ٦٢/٢ عن مقاتل والطبري ٩٠/٧.

(٢) محمد بن إبراهيم بن الفضل الهاشمي المزكي من أكابر شيوخ نيسابور وكان ثقة توفي سنة ٣٤٧ هـ. (تاريخ الإسلام - جزء من سنة ٣٤٥ هـ - سنة ٣٧٠ هـ ص ٣٢).

(٣) سبق.

(٤) أبو همام الدلال محمد بن محبوب بصري مشهور روى عن الثوري وطبقته توفي سنة ٢٢١ هـ (شذرات ٤٩/٢).

(٥) هشام بن سعد القرشي المدني مولى لآل أبي لهب بن عبد المطلب يكنى أبا سعيد وقال أبو عباد سمع زيد بن أسلم وعثمان بن حيان الدمشقي وابن الزبير ونافعاً (كتاب الجمع ٥٥٠/١).

(٦) إضافة من كتب التراجم.

عمرو بن عثمان بن هانئ المدني مولى عثمان روى عن القاسم بن محمد بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن عثمان وقيل ابن قتادة ووهب بن كيسان وغيرهم وعنه هشام بن سعد وغيره ذكره ابن سعد في الطبقة الخامسة من أهل المدينة وقال: روى عن الكوفيين وهو مستور (تهذيب التهذيب ٧٩/٨ تقريب التهذيب ٧٥/٢).

(٧) عاصم بن عمر بن عثمان أحد المجاهيل روى عن عروة عن عائشة حديث «مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم». (تهذيب التهذيب ٥٣/٥).

(٨) سبق. وفي (هـ): عن عاصم بن عروة.

(٩) في (هـ): فتوضى.

(١٠) الحديث: رواه ابن ماجه - كتاب الفتن - باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رقم ٤٠٠٤ الحديث فقط. (١٣٢٧/٢).

وابن حبان في صحيحه كتاب البر والصلة رقم ٢٩٠ (٤٤٩/١) ومجمع الزوائد - كتاب الفتن - باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «روى ابن ماجه بعضه ورواه أحمد والبخاري وفيه عاصم بن عمر أحد المجاهيل» (٢٦٦/٧).

ومسند أحمد ١٥٩/٦ كلهم من حديث عائشة والجامع الصغير ١٥٥/٢ ورمز له بالصحيح.

(١١) في (د): قوله.

(١٢) انظر القرطبي ١٦٧/٤ عن عطاء والبحر ٢٢/٣.

(١٤) انظر تفسير ابن كثير ٣٩٠/١ وفتح القدير ٣٧١/١ والقرطبي ١٦٧/٤ كلها عن ابن عباس والبحر ٢٢/٣، والدر ٦٣/٢ عن ابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري.

(١٣) في (د، هـ): بمحمد ﷺ.

وتسود وجوه أهل البدعة ﴿فأما الذين اسودت وجوههم﴾ فقال لهم ﴿أكفرتم بعد إيمانكم﴾ قال ابن عباس (١)
«هم اليهود شهدوا لمحمد عليه السلام بالنبوة، فلما قدم عليهم كذبوه وكفروا به.

وقال قتادة (٢): هم أهل البدع كلهم.

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أخبرنا مأمون بن أحمد بن مأمون السري (٣)، حدثنا إبراهيم بن يوسف الهسنجاني، حدثنا نصر بن علي (٤) حدثنا أبي (٥)، حدثنا حميد بن مهران، عن أبي غالب (٦)، عن أبي أمامة (٧) عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ قال: هم الخوارج (٨).

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾

قوله ﴿تلك آيات﴾ قال ابن عباس (٩): يعني القرآن ﴿نتلوها عليك﴾ نعرفك إياها ونبينها (١٠) ﴿بالحق﴾ بأنها حق ﴿وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾ فيعاقبهم بلا جرم.

قال الزجاج (١١): أعلم الله تعالى أنه يعذب من يعذبه باستحقاقه.

(١) انظر تفسير البغوي ٤٠٢/١ والقرطبي ١٦٧/٤ كلاهما عن عكرمة، والدر ٦٣/٢ عن الضحاك وغرائب النيسابوري ٣٦/٤ عن عكرمة والزجاج والأصم، وكذلك الرازي ١٧٢/٨، وانظر الزجاج ٤٦٥/١.

(٢) انظر تفسير الطبري ٩٤/٧ والبغوي ٤٠٢/١ كلاهما عن قتادة وفتح القدير ٣٧٠/١.

(٣) مأمون بن أحمد السلمي الهروي حدث عن هشام بن عمار وعنه الجويباري أني بطامات وفضائح قال ابن حبان: دجال، سألته: متى دخلت الشام؟ قال: سنة ٢٥٠ هـ قلت: فإن هشاماً الذي تروي عنه مات سنة ٢٤٥ هـ فقال: هذا هشام بن عمار آخر. (الميزان ٤٢٩/٣).

(٤) نصر بن علي بن نصر بن علي الجهضمي الأزدي البصري أبو عمرو والد علي سمع أباه وغيره وعنه البخاري ومسلم قال النسائي ثقة ووثقه أبو حاتم توفي سنة ٢٥٠ هـ، (تذكرة الحفاظ ٥١٩/٢، الجمع ٥٣١/٢).

(٥) علي بن نصر بن علي الجهضمي أبو الحسن البصري سمع قره بن خالد والمثنى بن سعيد وشعبة وخالد بن قيس والليث بن سعيد، وعنه ابنه نصر بن علي. (كتاب الجمع ٣٥٥/١).

(٦) اسمه جزور وقيل سعد بن الحزور وقيل نافع مولى خالد بن عبد الله القسري - وقيل غير ذلك - أبو غالب صاحب أبي أمامة الباهلي روى عنه وعن أنس بن مالك وأم الدرداء قال ابن معين: صالح الحديث وقال النسائي: ضعيف، وقال الدارقطني: ثقة وقال ابن حبان: «منكر الحديث على قلته لا يجوز الاحتجاج به إلا بما يوافق الثقات وهو صاحب حديث الخوارج» (تهذيب التهذيب ١٩٧/١٢، المجروحين ٢٦٧/١).

(٧) أبو أمامة الباهلي صدي بن عجلان بن وهب بن عمرو بن عامر بن رباح. من بني غيلان سمع النبي ﷺ توفي سنة ٨٦ هـ وهو ابن ١١ سنة (كتاب الجمع ٢٢٦/١).

(٨) الحديث: رواه الترمذي - كتاب التفسير - من سورة آل عمران - رقم ٤٠٨٦ «حديث حسن» (٢٩٤/٤). والطبراني في الكبير ٣٢٥/٨ والطبري ٩٤/٧ ومسند أحمد ٢٦٢/٥ والدر ٦٣/٢ كلهم من حديث أبي أمامة.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ص ٥٣.

(١١) انظر الزجاج ٤٦٦/١.

(١٠) في (هـ): ونبينها لك.

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ
ءَامَنَ أَهْلُ الْأَكْتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْيُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ
يُضْرُوكُمْ إِلَّا آذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا
تُفَقُّوْا إِلَّا بِجَبَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَجَبَلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبِعَصْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكِ يَأْتِهِمْ
كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكِ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾^(١) قال الفراء والزجاج^(٢): كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ
قالا^(٣): ويجوز أن يكون معنى^(٣) ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ أنتم خير أمة، كقوله ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُنْتُمْ كَثِيرًا﴾^(٤) وقال في
موضع آخر ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾^(٥).

قال ابن عباس^(٦): يريد أمة محمد عليه السلام^(٧)، وقال الزجاج: أصل هذا الخطاب لأصحاب رسول الله
ﷺ وهو يعم سائر أمة^(٨).

وقوله^(٩) ﴿أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ﴾ قال أبو هريرة^(١٠): خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى
يدخلوا^(١١) في دين الإسلام.

وقال عكرمة ومجاهد^(١٢): خير الناس^(١٣) لأنه لم يؤمر أحد بالقتال غير محمد ﷺ فأنتم تسبون الروم وفارس
تدخلونهم في دينكم.

أخبرنا عبد القاهر بن طاهر^(١٤)، أخبرنا محمد بن يزيد الجوزي^(١٥)، أخبرنا إبراهيم بن شريك، حدثنا

(١) في (أ): خير أمة أخرجت.

(٢) انظر الفراء ٢٢٩/١ والزجاج ٤٦٦/١ - ٤٦٧ والتبيان ٢٨٤/١ والطبري ١٠٦/٧ وفتح القدير ٣٧١/١.

(٣) في (د): ولا يجوز أن يكون مع كنتم.

(٤) سورة الأعراف / ٨٦.

(٥) سورة الأنفال / ٢٦ وفي (د): إذا كنتم، وإذا أنتم.

(٦) انظر الدرر ٦٤/٢ عن ابن عباس والزجاج ٤٦٦/١.

(٧) في (د، هـ): أمة محمد ﷺ.

(٨) انظر صحيح البخاري - كتاب التفسير - من سورة آل عمران (١١٣/٣).

وفتح الباري ١٨١/٨، والدرر ٦٤/٢، والطبري ١٠٣/٧.

والمستدرک - كتاب معرفة الصحابة - فضائل هذه الأمة وصحيح الإسناد ٨٤/٤ وسنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب في الأسير يوتق

رقم ٢٦٧٧ (٥٦/٣) كلهم عن أبي هريرة.

(١١) في (د): حتى يدخلون.

(١٢) انظر تفسير مجاهد ص ١٣٣ والدرر ٦٤/٢ عن عكرمة.

(١٣) في (د): خير الناس للناس.

(١٤) سبق.

(١٥) في (د): محمد بن يزيد عن الجوزي سبق.

شهاب بن عباد (١)، حدثنا حماد بن زيد (٢)، عن بهز بن حكيم (٣)، عن أبيه (٤)، عن جده (٥):

عن النبي ﷺ أنه قال: «أنتم وفيتم سبعين أمة، وأنتم خيرها وأكرمها على الله» (٦).

وأخبرنا عبد القاهر، أخبرنا أبو الحسن السراج، حدثنا الحسن بن المثنى (٧)، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا سفيان الثوري، عن موسى الجهني (٨)، عن الشعبي قال:

قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون من أمي، وأربعون من سائر الناس» (٩).

(١) شهاب بن عباد العبدي الكوفي يكنى أبا عمرو سمع إبراهيم بن حميد الرواسي وعنه البخاري ومسلم توفي سنة ٢٢٤ هـ. (كتاب الجمع ٢١٩/١).

(٢) حماد بن زيد بن درهم الأزرق الأزدي الجهضمي مولى آل جرير بن حازم البصري أبو إسماعيل وكان ضريراً يحفظ حديثه كله ولد في ولاية سليمان سنة ٩٦ هـ وتوفي سنة ١٧٩. (كتاب الجمع ١٠٢/١ - ١٠٣).

(٣) بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة أبو عبد الملك القشيري روى عن أبيه وهشام بن عروة وعنه الحمادان وسليمان التيمي وغيرهم ورواه ابن معين وقال صحيح الإسناد وقال أبو زرعة صالح وقال أبو حاتم: هو شيخ يكتب حديثه ولا يحتج به وقال النسائي ثقة. (تهذيب التهذيب ٤٩٨/١).

(٤) حكيم بن معاوية أبو بهز تابعي ثقة. (تاريخ الثقات ١٣٠).

(٥) معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة القشيري روى عن النبي ﷺ وعنه ابنه حكيم وغيره (تهذيب التهذيب ٢٠٥/١٠ - ٢٠٦).

(٦) الحديث: رواه الترمذي - كتاب التفسير - من سورة آل عمران رقم ٤٠٨٧ بلفظ «إنكم تمون...» حديث حسن ٢٩٤/٤. والمستدرک - كتاب معرفة الصحابة - باب فضائل هذه الأمة «صحيح الإسناد» ٨٤/٤ ومسند أحمد ٤٤٧/٤، ٣/٥، ٥/٥. وابن ماجه - كتاب الزهد - باب صفة أمة محمد ﷺ رقم ٤٢٨٨ (٢/١٤٣٣).

والطبراني في الكبير ٤٢٢/١٩، كلهم من حديث بهز عن أبيه بن معاوية البهزي عن أبيه معاوية بن حيدة، والدرر ٦٤/٢ وفيه «صححه الحاكم» والجامع الصغير ١٠١/١ ورمز له بالحسن.

(٧) الحسن بن المثنى بن معاذ العبدي أبو محمد من نبلأه الثقات سمع عفان وأبا حذيفة النهدي وعدة ولد سنة ٢٠٠ هـ وتوفي سنة ٢٩٤ هـ. (سير الأعلام ٥٢٦/١٣ - ٥٢٧).

(٨) موسى بن عبد الله الجهني من ثقات الكوفيين وعبادهم حدث عن شعبة والقطان ومجاهد وثقه أحمد وابن معين وتوفي سنة ١٤٤ هـ. (تهذيب التهذيب ٣٥٤/١٠ - ٣٥٥ والميزان ٢٠٩/٤).

(٩) الحديث: رواه الترمذي - كتاب صفة الجنة - باب ما جاء في كم صف أهل الجنة رقم ٢٦٧٠ عن بريدة «حديث حسن» (٨٨/٤) - (٨٩).

وابن ماجه - كتاب الزهد - باب صفة أمة محمد ﷺ رقم ٤٢٨٩ عن بريدة (٢/١٤٣٤) ومجمع الزوائد - كتاب الزهد - باب ما جاء في فضل الأمة «رواه الطبراني وفيه القاسم بن غصن وهو ضعيف» عن ابن عباس. (٧٠/١٠).

وفي كتاب أهل الجنة - باب في كثرة من يدخل الجنة من أمة نبينا محمد ﷺ - «رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه سويد بن عبد العزيز وهو ضعيف جداً» عن أبي موسى. وعن ابن مسعود «رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري في الثلاثة ورجالهم رجال الصحيح غير الحارث بن حصيرة وقد وثق».

وعن ابن عباس «رواه الطبراني وفيه خالد بن يزيد الدمشقي وهو ضعيف وقد وثق».

وعن معاوية بن حيدة «رواه الطبراني وفيه حماد بن عيسى الجهني وهو ضعيف» (٤٠٣/١٠) والطبراني ٤١٩/١٩ عن بهز عن أبيه عن جده، ٢٢٧/١٠ عن ابن مسعود ٣٤٨/١٠ - ٣٤٩ عن ابن عباس وفي الصغير ٣٤/١ عن ابن مسعود.

والمتدرک - كتاب الإيمان - بعدة روايات - عن ابن بريدة عن أبيه «صحيح على شرط مسلم» وفي رواية: أنه مرسل. وعن ابن مسعود وفيه «عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود لم يسمع من أبيه في أكثر الأقاويل» ٨٢/١.

ومسند أحمد ٣٤٧/٥ عن بريدة.

أخبرنا أبو سعيد عبد الرحمن بن الحسن التاجر، أخبرنا أبو يعقوب يوسف بن أحمد بن يوسف^(١)، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله المقرئ^(٢)، حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي^(٣)، حدثنا محمد بن بشر العبدي^(٤)، حدثنا مسعر^(٥)، عن علي بن مدرك عن أبي بردة^(٦)، عن أبيه أنه:

سمع رسول الله ﷺ يقول: «أمي مرحومة، لا حساب عليها في الآخرة ولا عذاب»^(٧).

وذكر عيسى ابن مريم أمة محمد عليه السلام^(٨) فقال: أخف الناس^(٩) أحلاماً وأثقلهم ميزاناً، فأما خفة أحلامهم: فلعنهم البهائم^(١٠) وأما ثقل موازينهم: فذلت^(١١) السننهم بكلمة ثقلت على من كان قبلهم، لا إله إلا الله^(١٢).

= وانظر علل الحديث للرازي، قال ابن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه القاسم بن غصن عن موسى الجهني عن أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «أهل الجنة عشرون ومائة صف..» قالوا: هذا خطأ إنما هو موسى الجهني عن الشعبي مرسلًا. قال: والخطأ من القاسم قلت: ما حال القاسم؟ قالوا: ليس بقوي (علل الحديث ٢/٢١٥).

(١) في (د): أبو يعقوب بن يوسف حدثنا عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الله المقرئ. يوسف بن أحمد بن يوسف بن الدخيل الصيدلاني أبو يعقوب المكي روى عن أبي جعفر العقيلي كتابه في الضعفاء ورواه عنه، وروى عنه أبو عبد الله محمد بن أحمد القزويني توفي سنة ٣٨٨ هـ. (العقد الثمين ٧/٤٨٢).

(٢) محدث دمشق أبو الميمون عبد الرحمن بن عبد الله بن راشد البجلي توفي سنة ٣٤٧ هـ. (تذكرة الحفاظ ٣/٧٩٨ - ٧٩٩).

(٣) أحمد بن يحيى بن زكريا الأودي أبو جعفر الكوفي الصوفي العابد روى عن حماد بن سلمة وزيد بن الحباب ومحمد بن بشر العبدي ومحمد بن عبيد الطنافسي وغيرهم وعنه النسائي وزكريا بن يحيى الساجي وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي قال أبو حاتم: ثقة «قال النسائي: لا بأس به» توفي سنة ٢٦٤ هـ. (تهذيب الكمال ١/٥١٧ - ٥١٨).

(٤) في جميع النسخ: عمر بن بشر العبدي، والمثبت من كتب التراجم.

محمد بن بشر الحافظ الثقة أبو عبد الله العبدي الكوفي حدث عن هشام بن عروة وخلق، قال أبو داود: هو أحفظ من كان بالكوفة، وعن أبي نعيم قال: ذاكروني محمد بن بشر بأحاديث مسعر وقال ابن معين ثقة توفي سنة ٢٠٣ هـ. (تذكرة الحفاظ ١/٣٢٢).

(٥) في (أ): محمد بن مسعر. مسعر بن كدام بن زهير بن عبيدة بن الحارث الهلالي العامري من قيس غيلان الكوفي أبو سلمة سمع فتادة وطائفة وعنه سفيان بن عيينة وغيره توفي سنة ١٥٥ هـ. (كتاب الجمع ٢/٥١٩).

(٦) أبو بردة: هو ابن أبي موسى الأشعري الفقيه، قيل اسمه الحارث وقيل عامر قال ابن سعد والعجلي ثقة وقال ابن خراش صدوق توفي سنة ١٠٤ هـ.

(تهذيب التهذيب ١٢/١٨).

(٧) الحديث: رواه أبو داود - كتاب الفتن والملاحم - باب ما يرجى في القتل رقم ٤٢٧٨ بالفاظ متقاربة. (١٠٥/٤).

وكذا في المستدرک - كتاب الفتن - «صحيح الإسناد» (٤٤٤/٤).

وفي كتاب التوبة - «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه إنما أخرج مسلم وحده حديث طلحة بن يحيى عن أبي بردة عن أبي موسى: أمي أمة مرحومة» (٢٥٤/٤).

ومسند أحمد ٤/٤١٠، ٤١٨ والطبراني في الأوسط ١/٢٨.

والجامع الصغير ١/٦٥ ورمز له بالصحيح. كلهم من حديث أبي موسى.

(٨) في غير (أ) محمد ﷺ. (٩) في (د): أخف أحلاماً.

(١٠) «وتلك اللعنة للبهائم لا تكون إلا من خفة عقولهم» (حاشية (أ)).

(١١) «والذل - بالكسر - اللين وهو ضد الصعوبة والذل والذل: ضد الصعوبة ذل يذل ذلاً وذلاً فهو ذلول» (اللسان / ذل).

(١٢) روى أبو نعيم «عن أشعص بن عبد الرحمن بن زيد، عن أبيه عن جده زيد بن الحارث: سئل عيسى ابن مريم عن أشرط الساعة، =

ثم مدحهم^(١) بما فيهم من الخصال الحميدة، وأخبر بها عنهم فقال ﴿تأمرون^(٢) بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾.

قوله^(٣) ﴿لن يضرركم إلا أذى﴾ أي: ضرراً يسيراً باللسان مثل الوعيد والبهت ﴿وإن يقاتلوكم يولوكم الأديبار﴾ أي: ينهزمون فيجعلون مآخبرهم^(٤) مما يليكم.

وهذا وعد من الله تعالى لنبيه^(٥) والمؤمنين بالنصرة على أهل الكتاب وهزيمتهم عند القتال^(٦)، فلم يقاتل يهود المدينة رسول الله ﷺ والمسلمين إلا ولوا^(٧) منهزمين.

قوله ﴿ضربت عليهم الذلة﴾ فسرناه في سورة البقرة^(٨).

﴿أينما ثقفوا﴾ صودفوا ووجدوا ﴿إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾ أي: بعهد من الله وعهد من^(٩) المؤمنين، يعني: الذمة والأمان الذي يأخذونه من المؤمنين بإذن الله، فيحقن دماءهم، ويمنع فروجهم وأموالهم عن الاغتنام والسبي وباقي الآية تقدم تفسيره في سورة البقرة^(١٠).

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْحَدُونَ﴾^(١١) ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١٢) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ

قوله ﴿ليسوا سواء﴾^(١١) أخبر الله تعالى أن أهل الكتاب غير متساوين، ثم أخبر بافتراءهم^(١٢) فقال ﴿من

= قال: من أشراتها إذا كان أمة محمد ﷺ أخف الناس أحلاماً وأقربهم من الله عز وجل، قالوا يا نبي الله وما خفة أحلامهم وقربهم من الله؟ قال: أما خفة أحلامهم فإن أحدهم يلعن البهيمة، وأما قربهم من الله، فإن خوان أحدهم يوضع فما يرفع حتى يغفر له لقوله باسم الله والحمد لله. (الحلية ٣٢/٥ - ٣٣).

(١) في (د): مدحهم الله.

(٢) في (أ): تأمرون.

(٣) في (د): قوله تعالى... ضرر يسير.

(٤) في (أ، ح): ما أخبرهم.

(٥) في (د): نبيه ﷺ.

(٦) انظر الزجاج ٤٦٧/١ - ٤٦٨ والوجيز للواحدي ١١٤/١.

(٧) في (د): رسول الله رسول الله والمسلمين إلا ولوا منهزمين.

(٨) راجع تفسير الآية ٦١ من سورة البقرة.

(٩) في (د): أي بعهد من الناس.

(١٠) باقي الآية وهو ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ذلك ما عصوا وكانوا يعتدون﴾ وانظر تفسير الآية ٦١ من سورة البقرة.

(١١) العرب تجوز مثل هذا، أن يقولوا: أكلوني البراغيث، قال أبو عبيدة: سمعتها من أبي عمرو الهذلي وكان وجه الكلام أن يقول: أكلني البراغيث. (انظر مجاز القرآن ١٠١/١، وانظر البحر ٤٣/٣ عن أبي عبيدة وضعفها بأنها لغة رديئة).

(١٢) في (د): ثم أخبرنا فراقهم.

أهل الكتاب أمة قائمة ﴿ قال ابن عباس (١) : أي : على الحق (٢) وعلى أمر الله ، لم يتركوه كما تركه (٣) الآخرون ، وقال السدي (٤) : قائمة بطاعة الله .

﴿ يتلون آيات الله ﴾ (٥) يقرأون كتاب الله ﴿ آتاء الليل ﴾ (٦) ساعاته ، الواحد إني ، مقصور و«إني» مثل نحي (٧) .

أراد : مؤمني أهل الكتاب ﴿ وهم يسجدون ﴾ أي : يصلون .

وقوله ﴿ ويأمرون بالمعروف ﴾ قال ابن عباس (٨) : بتوحيد الله ﴿ وينهون عن المنكر ﴾ عن الشرك بالله . وقال الزجاج (٩) : يأمر (١٠) باتباع النبي عليه السلام (١١) وينهون عن الإقامة على مشاقته .

﴿ ويسارعون في الخيرات ﴾ (١٢) يبادرونها خوف الفوت بالموت ، ويجوز أن يكون المعنى : يعملونها غير متساقلين فيها .

(١٣) ﴿ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ﴾ (١٤) لن يعدموا ثوابه ، ولن يجحدوا جزاءه (١٥) ومن قرأ بالياء فهو كناية وإخبار عن الأمة القائمة .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

قوله ﴿ إن الذين كفروا ﴾ يعني اليهود ﴿ لن تغني عنهم ﴾ لن تدفع عنهم الضرر إذا نزل بهم ﴿ أموالهم ولا

(١) انظر تفسير الطبري ١٢٣/٧ ، والدر ٦٥/٢ وفتح القدير ٣٧٥/١ كلها عن ابن عباس وغريب القرآن ١٠٨ .

(٢) في (هـ) : يعني الحق .

(٣) في (هـ) : كما ترك .

(٤) انظر تفسير الطبري ١٢٣/٧ والبحر ٣٤/٣ كلاهما عن السدي .

(٥) في (حـ) : أي يقرؤون .

(٦) في (د) : أي آتاء الليل أي ساعاته .

وانظر معنى (آتاء) في مجاز القرآن ١٠٢/١ والطبري ١٢٦/٧ عن قتادة والربيع وابن جريج ، والبحر ٣٤/٣ عن قتادة والربيع .

(٧) «النحي» : زق السمّن ، جرة فخار يجعل فيها اللبن ليمخض (اللسان / نحا وحاشية (أ ، هـ) .

(٨) انظر تفسير ابن عباس ص ٥٤ .

(٩) في غير (أ) النبي ﷺ .

(١٠) في (د) : أي يبادرونها .

(١١) انظر الزجاج ٤٧١/١ .

(١٢) في (جـ ، د) : وقوله ، وفي (هـ) : قوله .

(١٣) في (د) : يأمر .

(١٤) في جميع النسخ (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه) بناء الخطاب ، وكذا في الوجيز ١١٥/١ .

قرأ حمزة والكسائي وحفص - بالياء - وحجتهم قوله - قبلها - (من أهل الكتاب . .) وقرأ الباقون - بالتاء - وحجتهم (كتم خير أمة تأمرون . . .) .

(انظر الحجة لأبي زرة ١٧٠ - ١٧١ والسبعة ٢١٥ والنشر ٢٤١/٢ والتبيان ٢٨٧/١ والزجاج ٤٧١/١ والحجة لابن خالويه ١١٣) .

(١٥) في (أ) جزاؤة .

﴿أولادهم﴾ المعنى (١): لن تغني عنهم أموالهم في الصدقات ولا أولادهم في الشفاعات بخلاف المؤمن (٢) فإن المؤمن ينفعه ماله في الكفارات والصدقات، وأولاده في الشفاعة، ثم ذكر بطلان نفقاتهم فقال:

﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا﴾ قال مجاهد (٣): يعني جميع نفقات الكفار في الدنيا وصدقاهم وقال مقاتل (٤): يعني نفقة سفلة اليهود على علمائهم.

وقوله (٥) ﴿كمثل ريح فيها صر﴾ «الصر»: البرد الشديد (٦).

قال الزجاج (٧): أعلم الله تعالى أن ضرر نفقتهم عليهم كضرر هذه الريح على هذا الزرع، وهو قوله ﴿أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم﴾ بالكفر والمعصية ﴿فأهلكته الريح وما ظلمهم الله﴾ لأن كل ما فعله (٨) بخلقه فهو منه عدل ﴿ولكن أنفسهم يظلمون﴾ بالكفر والعصيان.

والمعنى: إن هؤلاء رجوا فائدة نفقاتهم، فعادت عليهم بالمضرة، كما رجا أصحاب الزرع عائدة زروعهم (٩) فضرتها الريح فأهلكتها.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰئِنتُمْ ءَأُولَآءِ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا ءَأَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُل مَّا مُؤْمِنُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

قوله (١١) ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم﴾ نزلت (١١) في النهي عن مداخلة اليهود (١٢)

(١) في (ح): ولا أولاهم لن تغني . . وفي (د): (ولا أولادهم) المعنى: تغني.

(٢) في (د): المؤمنين.

(٣) انظر تفسير مجاهد ١٣٣، والدر ٦٥/٢ والطبري ١٣٥/٧ كلاهما عن مجاهد.

(٤) انظر البحر ٣٧/٣ عن مقاتل وغرائب النيسابوري ٥١/٤.

(٥) في (د): قوله.

(٦) انظر غريب القرآن ١٠٩ وفتح الباري ١٦٦/٨ ومجاز القرآن ١٠٢/١ والطبري ١٣٦/٧ عن ابن عباس وقتادة وعكرمة والسدي والدر ٦٥/٢ عن ابن عباس.

(٧) انظر الزجاج ٤٧٢/١.

(٨) في (هـ): فعل الله.

(٩) في (ح): فائدة زروعهم، وفي (د) فائدة زرعهم والعائدة: الفائدة (حاشية أ)).

(١٠) في (د): قوله تعالى.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٥٥ ومجاهد ١٣٤ والدر ٦٦/٢ وفتح القدير ٣٧٧/١ وأسباب النزول للسيوطي ٦١ وأسباب النزول للواحدي ٨٨ كلها عن ابن عباس ومجاهد، والطبري ١٤١/٧ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، والبحر ٣٨/٣ عن ابن عباس وقتادة والسدي والريبي.

(١٢) «المراد بالمداخلة: أن يخالطوهم بالمحبة والمودة، يدخلوا محبتهم في الباطن؛ أي دخل كل واحد من المسلمين واليهود في بيت الآخر لأن تلك المداخلة علامة الخلوص في المحبة» (حاشية أ).

والمنافقين و«بطانة الرجل» خاصته الذين يستبطنون أمره، وأصله من البطن.

وقوله ﴿من دونكم﴾ أي: من دون المسلمين ومن غير أهل ملتكم.

وقوله^(١) ﴿لا يألونكم خيالاً﴾ يقال: ألا يألو، إذا فتر وضعف وقصر، و«الألو» التقصير^(٢) و«الخيال»: الفساد والشر.^(٣)

والمعنى: لا يدعون جهدهم في مضرتكم وفسادتكم.

قال الزجاج^(٤): أي لا يبقون غاية في إلقائكم فيما يضركم.

وقوله^(٥) ﴿ودوا ما عتتم﴾ «ما» ها هنا «ما^(٦)» المصدر، والمعنى ودوا عتتكم، وهو دخول المشقة على الإنسان، ووقوعه فيما لا يستطيع الخروج منه^(٧) قال السدي^(٨): تمنوا ضلالكم عن دينكم.

وقوله^(٩) ﴿قد بدت البغضاء﴾ من أفواههم ﴿قد ظهرت عداوتهم بالشتيمة والوقية في المسلمين وإطلاع المشركين على أسرارهم﴾ وما تخفي صدورهم ﴿من العداوة، والخيانة﴾ أكبر ﴿أعظم مما أظهروا﴾ قد بينا لكم الآيات ﴿قال السدي^(١١): قد بينا آياتهم لتعرفوهم بها﴾ إن كتم تعقلون ﴿موقع نفع البيان.

﴿ها أنتم أولاء تحبونهم﴾ قال الزجاج^(١٢): «ها» تنبيه دخل على «أنتم»، و«أولاء» في معنى الذين، كأنه قيل: ها أنتم الذين تحبونهم ﴿ولا يحبونكم﴾ أي: تريدون لهم الإسلام، وهو خير الأشياء، وهم يريدونكم على الكفر، وهو الهلاك.

﴿وتؤمنون بالكتاب كله﴾ قال ابن عباس^(١٣): يريد بالذي أنزل على محمد والذي أنزل على عيسى والذي أنزل على موسى.

وقوله^(١٤) ﴿وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾ أي: عضوا الأنامل من الغيظ عليكم، ففيه تقديم وتأخير.

و«الغيظ» الاغضاب، يقال: غاظه^(١٥)، أي: أغضبه^(١٦).

و«الأنامل» أطراف الأصابع، الواحدة^(١٧): أنملة. وعض الأصابع واليد من فعل المغضب الذي فاته ما لا يقدر

(١) في (د): قوله.

(٢) انظر اللسان / خبل، ومفردات الراغب / خبل، ومجاز القرآن: ١٠٣/١، والبحر ٣/٣٩.

(٣) انظر الزجاج ١/٤٧٣. (٤) في (د): قوله.

(٥) في (د): قوله.

(٦) في (ج، د): بمنزلة المصدر.

(٧) انظر معنى (عتتم) في اللسان / عنت، والبحر ٣/٣٩ وفي حاشية (أ) «العنت: شدة الضرر».

(٨) انظر تفسير الطبري ٧/١٤٣ والدر ٢/٦٦ كلاهما عن السدي.

(٩) في (د، هـ): قوله.

(١٠) في (هـ) قد بدت من أفواههم.

(١١) انظر الزجاج ١/٤٧٥ والقراء ١/٢٣١ - ٢٣٢ والزاهر ٢/٢٧٩.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٧/١٤٩ والدر ٢/٦٦ كلاهما عن ابن عباس والزجاج ١/٤٧٥.

(١٣) في (د): قوله.

(١٤) في (د): غاضه.

(١٥) «الغيظ»: الغضب وقيل: الغيظ غضب كامن للعاجز وقيل: هو أشد الغضب (اللسان / غيظ).

(١٦) في (د): الواحدة. وانظر تفسير الطبري ٧/١٥٣ واللسان / نمل. ومفردات الراغب / نمل.

على^(١) أن يتداركه أو يرى شيئاً يكرهه ولا يقدر أن يغيره.

قال المفسرون^(٢): وإنما^(٣) ذلك لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم، وصلاح ذات بينهم، وقوله ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ أمر الله نبيه أن يدعو عليهم بهذا، وهو أن يدوم غيظهم إلى أن يموتوا ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ بما فيها من خير وشر. وقال ابن الأبياري^(٤): معناه ما تخفيه^(٥) القلوب من المضمرات.

قوله ﴿إن تمسككم^(٦) حسنة تسؤهم﴾ أي: إن نالكم نصر^(٧) وغنيمة وخصب تسؤهم، وتخزنهم، يقال: ساءه كذا: إذا أحزنه، يسؤوه مساءة^(٨).

﴿وإن تصبكم سيئة﴾ أي: نالكم ضد ذلك ﴿يفرحوا^(٩) بها وإن تصبروا﴾ على ما تسمعون^(١٠) من أذاهم ﴿وتتقوا﴾ مقاربتهم في دينهم، والمحبة لهم ﴿لا يضركم كيدهم شيئاً﴾.

ضمن الله للمؤمنين النصر إن صبروا، وأعلمهم أن عداوتهم وكيدهم غير ضار لهم. وقرئ «لا يضركم» بن ضاره إذا أضره^(١١).

﴿إن الله بما يعملون محيط﴾ أي: عالم به، لا يخفى عليه شيء من ذلك. قال قتادة في هذه الآية: إذا رأوا من أهل الإسلام ألفة وجماعة وظهروا على عدوهم غاظهم ذلك وساءهم، وإذا رأوا فرقة واختلافاً، أو أصيب المسلمون سرهم وأعجبوا به^(١٢).

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ

(١) في (د) ما لا يقدر أن .

(٢) انظر تفسير الطبري ١٥١/٧ - ١٥٢ والدر ٦٦/٢ عن قتادة وغرائب النيسابوري ٥٥/٤ .

(٣) في (د): إنما .

(٤) انظر مجاز القرآن ١٠٣/١ والبحر ٤٢/٣ وغرائب النيسابوري ٥٥/٤ .

(٥) في (ح): معناه تخفيه، وفي (د) معناه ما تخفي، وفي (هـ): معناه بحقيقته .

(٦) في (د): تمسكهم .

(٧) في (د): إن نالكم نصرة .

(٨) «ساءه يسؤهن سوءاً أو سوءاً أو سوءاً وسواء وسواية وسوائية وساءة ومساية ومساءة ومسانية: فعل به ما يكرهه، نقيض سره، والاسم: السوء - بالضم -» (اللسان / سوا) .

(٩) في (د): فرحوا .

(١٠) في (أ): تستمعون .

(١١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (لا يضركم) بكسر الضاد وسكون الراء وحجتهم: قوله ﴿لا ضير لنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ - سورة الشعراء/ ٥٠ - وكانت في الأصل: يضيركم فاستثقلت الكسرة على الياء فنقلت حركة الكسرة إلى الضاد فصارت يضيركم ودخل الجيم على الراء فاللقى ساكنان فطرحت الياء فصارت يضركم .

وقرأ الباقون (يضركم) بضم الضاد وتشديد الراء وضمها من ضر يضر، وحجتهم: أن ضر في القرآن أكثر من ضار من ذلك (ضراً لا نفعاً) - سورة الفرقان/ ٣ .

(انظر الحجة لأبي زرعة ١٧١ والسبعة ٢١٥ والنشر ٢٤٢/٢، والتبيان ٢٨٨/١ - ٢٨٩ والزجاج ٤٧٦/١ - ٤٧٧ والقراء ٢٣٢/١ والزاهر ١٧٤/٢ والأخفش ٤١٩/١ - ٤٢٠ والحجة لابن خالويه ١١٣، والبحر ٤٣/٣ والرازي ٢٠٣/٨) .

(١٢) انظر تفسير الطبري ١٥٥/٧ - ١٥٦ والدر ٦٦/٢ كلاهما عن قتادة .

أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٦﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٢٨﴾ بَلَىٰ إِنَّ نَصِيرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُطْمِئِن قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا التَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٣٠﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٣١﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣٣﴾

قوله تعالى (١): ﴿وإذ غدوت من أهلك..﴾ الآية، قال المفسرون (٢): هذا كان يوم أحد، غدا رسول الله ﷺ من منزل عائشة إلى أحد، فجعل يصف أصحابه للقتال (٣).

وقوله (٤) ﴿تبوء المؤمن﴾ يقال: بواته منزلاً وبوات له منزلاً. أي: أنزلته إياه، و«المبأة» المنزل (٥)، وقوله (٦) ﴿مقاعد للقتال﴾ أي: مراكز ومثابت قال ابن عباس (٧): كل رجل لمقعده.

﴿والله سميع عليم﴾ يسمع قولكم ويعلم ما في ضمائرکم، وذلك أن رسول الله ﷺ استشار أصحابه (٨) في الخروج إلى أحد. فمنهم من أشار عليه بالمقام في المدينة، ومنهم من أشار عليه بالخروج إليهم (٩) فقال الله تعالى (١٠): أنا أسمع ما يقوله المشيرون، وأعلم ما يضمرون.

قال المسور بن مخزوم (١١): قلت لعبد الرحمن بن عوف: أي خال، أخبرني عن قصتكم يوم أحد قال: اقرأ

(١) في (ج، هـ): قوله تعالى .

(٢) انظر تفسير ابن عباس ص ٥٥ ومجاهد ١٣٤، وابن كثير ٣٩٩/١ والدرر ٦٧/٢ عن ابن عباس وفتح القدير ٣٧٧/١ والطبري ١٦٠/٧ عن قتادة وابن عباس والربيع والسدي وابن إسحاق، والرازي ٢٠٤/٨ عن ابن عباس والسدي وابن إسحاق والربيع والأصم وأبي مسلم - وواحد: جبل بالمدينة (اللسان / أحد).

(٣) في (هـ): القتال، وكانت يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث من الهجرة وكان المسلمون ٧٠٠ والمشركون ٢٠٠٠.

(٤) انظر البحر ٤٥/٣ وابن كثير ٣٩٩/١ وغرائب النيسابوري ٥٩/٤ والطبري ١٦٢/٧ والدرر ٦٧/٢).

(٥) في (د): قوله (تبوء المؤمن مقاعد).

(٦) انظر اللسان / بدأ، والبحر ٤٥/٣، والطبري ١٦٤/٧.

(٧) في (ح): قوله.

(٨) انظر غرائب النيسابوري ٦٠/٤، والبحر ٤٥/٣ عن ابن عطية، والقرطبي ٢٣٧/٤، ٢٣٨ عن ابن عباس والرازي ٢٠٥/٨.

(٩) في (د): الصحابة.

(١٠) انظر الفتح الرباني ٥١/٢١ - ٥٢ ومجمع الزوائد ١٠٧/٦ كلاهما عن جابر والدرر ٦٧/٢ - ٦٨ عن الزهري وابن حبان وعاصم بن عمر وقتادة والحصين بن عبد الرحمن بن سعد بن معاذ والسدي.

(١١) في (د): فقال تعالى .

(١٢) المسور بن مخزوم بن نوفل بن أهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري أبو عبد الرحمن روي عن النبي ﷺ وعن أبيه وخاله عبد الرحمن بن عوف وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية وغيرهم توفي سنة ٦٤ هـ (تهذيب التهذيب ١٠/١٥١).

العشرين ومائة من آل عمران، تجد قصتنا ﴿وإذ غدوت من أهلك نبوىء المؤمنين﴾ إلى قوله ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة﴾ (١)

قوله ﴿إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ أي: تجبنا، يعني: بني سلمة وبني حارثة، هما بالانصراف مع عبد الله بن أبي (٢) المنافق، فعصمهما الله، وهو قوله ﴿والله وليهما﴾ أي: ناصرهما.

وقال جابر بن عبد الله (٣): ﴿فإننا نزلت ﴿إذ همّت طائفتان﴾ نحن الطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة، وما نحب أنهن لم تنزل لقبول الله تعالى: ﴿والله وليها﴾.

قوله تعالى: (٤) ﴿ولقد نصركم الله ببدر...﴾ (٥) الآية، «بدر»: اسم موضع نصر هناك رسول الله ﷺ

وقوله تعالى (٦): ﴿وأنتم أذلة﴾ جمع ذليل، أي: بقلة العدد، وضعف الحال بقلة السلاح والمال.

أخبرنا أبو سعد النضروي، أخبرنا أبو بكر القطيعي، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبي، حدثنا يحيى، عن شعبة حدثني أبو إسحاق عن حارثة (٧) قال: سمعت علياً يقول:

لم يكن فارساً يوم بدر غير المقداد (٨).

أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المهرجاني، أخبرنا عبيد الله بن محمد بن محمد بن بطة، أخبرنا أبو القاسم المنيعي، حدثنا سويد بن سعيد حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر (٩) قال: أول من قاتل علياً فرس في سبيل الله، المقداد بن الأسود.

(١) سورة آل عمران / ١٥٤ وانظر البحر ٤٤/٣ والدر ٦٧/٢ وأسباب النزول للواحدي ٨٨ - ٨٩ وأسباب النزول للسيوطي ٦١ كلها عن مسور.

(٢) عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي المشهور بابن سلول - وسلول جدته لأبيه - رأس المنافقين مات سنة ٩ هـ وصل عليه رسول الله ﷺ وألبسه قميصه وفيه نزل (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً...) سورة التوبة ٨٤/ (الأعلام ١٨٨/٤ - والعبر ١٠/١).

(٣) انظر صحيح البخاري - كتاب التفسير - من سورة آل عمران (إذ همّت طائفتان...) عن جابر (١١٣/٣).
ومسند الحميدي ٥٢٨/٢، وفتح الباري ٢٨٦/٧، ١٨١/٨، وصحيح مسلم بشرح النووي ٦٦/١٦ - ٦٧، والدر ٦٨/٢ وابن كثير ٤٠٠/١ وأسباب النزول للسيوطي ٦١ - كلها عن جابر.

(٤) في (ح): وقوله، وفي (د): قوله.

(٥) بدر: بئر لرجل من جهينة يقال له بدر بن النارين فسميت به، عن يمين طريق مكة، بين مكة والمدينة.

(انظر الدر ٦٩/٢، وابن كثير ٤٠١/١، والطبري ١٧٠/٧، ١٧١).

(٦) في غير (أ) وقوله.

(٧) حارثة بن مضرب العبدي الكوفي روى عن عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم وعنه أبو إسحاق السبيعي قال الجوزقاني عن أحمد: حسن الحديث وقال عثمان الدارمي عن ابن معين: ثقة (تهذيب التهذيب ١٦٦/٢ - ١٦٧).

(٨) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن عمرو بن سعد الكندي كان في حجر الأسود بن عبد يغوث الزهري فنسب إليه من المهاجرين الأولين وذو المقال المحمود يوم بدر وأحد الفرسان توفي سنة ٣٣ هـ وهو ابن ٧٠ سنة (كتاب الجمع ٥١٥/٢ والبدية والنهاية ٢٦٢/٣ - ٢٦٤).

وانظر مسند أحمد ١٢٥/١، ومنتخب الكنز ٩٩/٥ والدلائل للبيهقي ٣٨/٣، كلهم عن علي رضي الله عنه والسيرة الحلبية ٥٩/٢ قال: ولا ينافي وجود غيره، كالزبير ومرثد.

(٩) زر بن حبیش الإمام القدوة أبو مريم الأسدي الكوفي عاش ١٢٠ سنة وحدث عن عمر وأبي عبد الله وعلي وحذيفة وعنه عاصم بن بهدلة قرأ عليه القرآن وأثنى عليه توفي سنة ٨٢ هـ (تذكرة الحفاظ ٥٧/١).

أخبرنا أحمد، أخبرنا عبيد الله، أخبرنا المنيعي، حدثنا وهب بن بقية^(١) أخبرنا خالد بن عبد الله عن عمرو بن يحيى^(٢)، عن عامر بن عبد الله بن الزبير^(٣)، عن عبد الله بن الزبير^(٤)، عن عامر بن ربيعة^(٥) - وكان من أصحاب بدر - قال:

كان يوم بدر الاثنين صبيحة سبعة عشر^(٦) من رمضان^(٧).

أخبرنا أبو منصور البغدادي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن الحسن السراج حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، أخبرنا سلمة بن الفضل الأبرش^(٨)، عن إسحاق بن راشد، عن كثير بن سليمان^(٩)، عن مقسم^(١٠)، عن ابن عباس قال:

كان عدد أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً.

(١) وهب بن بقية الواسطي ولقبه وهبان يكنى أبا محمد سمع خالد بن عبد الله روى عنه مسلم توفي سنة ٢٣٩ هـ (كتاب الجمع ٥٤٢/٢).
(٢) في (هـ) عمر، وهو: عمرو بن يحيى بن عمار بن أبي الحسن المازني الأنصاري المدني سمع أباه وعباد بن تميم وعباس بن سهل وسعيد بن يسار وغيرهم وعنه خالد بن عبد الله ويحيى الأنصاري ويحيى بن أبي كثير وغيرهم (كتاب الجمع ٣٧٠/١).
(٣) عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام الإمام الرباني أبو الحارث الأسدي المدني أحد العباد سمع أباه وعمرو بن سليم وعنه ابن جريج ومالك وطائفة مجمع على ثقته توفي سنة ١٢١ هـ. (سير الأعلام ٢١٩/٥ - ٢٢٠ والكامل لابن الأثير ٢٤٠/٥).
(٤) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد الأسدي أمير المؤمنين أبو بكر وأبو خبيب القرشي المكي ثم المدني أحد الأعلام أول مولود للمهاجرين بالمدينة وله صحبة ورواية حدث عنه أخوه عروة وابناه عامر وعباد وغيرهم توفي سنة ٧٣ هـ. (سير الأعلام ٣٦٣/٣ - ٣٧٩).

(٥) عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك أبو عبد الله العنزي - عنز وائل - من حلفاء آل عمر بن الخطاب العدوي من السابقين الأولين أسلم قبل عمر وهاجر الهجرتين وشهد بدرأ حدث عنه ولده عبد الله وابن عمرو وابن الزبير وأبو أمامة بن سهل وغيرهم توفي سنة ٣٥ هـ (سير الأعلام ٣٣٣/٢ - ٣٣٤).

أثبت هذا الإسناد من مصنف ابن أبي شيبة فقد أورده هكذا: «حدثنا عفان قال حدثنا خالد بن عبد الله قال أخبرنا عمرو بن يحيى عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن عامر بن ربيعة البدري قال: كانت بدر يوم الاثنين لسبع عشرة من رمضان». (المصنف ٣٥٣/١٤ - ٣٥٤).

والذي ورد في نسخ «وهب بن بقية، خالد بن عبد الله، عمرو بن يحيى عن عمرو بن عامر عن عامر بن عبد الله عن عامر بن ربيعة» مع اختلاف بين النسخ.

(٦) في (ح): سبع عشرة، وفي (د، هـ): سبع عشر.

(٧) انظر البحر ٤٨/٣ وعلل الحديث للرازي ٣٣٠/١ عن هشام بن عروة عن أبيه، وابن كثير ٤٠٠/١ والبداء والنهاية ٢٦٩/٣ ومصنف ابن أبي شيبة ٣٥٣/١٤ - ٣٥٤.

(٨) سلمة بن الفضل الأبرش قاضي الري وراوي المغازي عن ابن إسحاق يكنى أبا عبد الله ضعفه ابن راهويه وقال البخاري: في حديثه بعض المناكير وقال النسائي: ضعيف وقال ابن المديني ما خرجنا من الري حتى رمينا بحديث سلمة توفي سنة ١٦١ هـ. (الميزان ١٩٢/٢).

(٩) إسحاق بن راشد الجزري أبو سليمان الحراني - وقيل الرقي - مولى بني أمية وقيل مولى عمر - روى عن الزهري وميمون بن مهران وعدة وعنه عتاب بن بشير ومعمر ومسعر وغيرهم وثقه ابن معين وقال أبو حاتم شيخ وقال النسائي: ليس به بأس وقال العجلي ثقة وذكره ابن حبان في الثقات توفي في خلافة أبي جعفر (تهذيب التهذيب ٢٣٠/١ - ٢٣١).

(١٠) كثير بن سليمان أبو الحسن البجلي الأحمسي يعد في الكوفيين سمع علي بن أبي طالب وزيد بن أرقم وحضر مع علي الحرب بالنهروان.

(تاريخ بغداد ٤٨٠/١٢).

وقوله (١) ﴿فَاتقُوا اللهَ لعلكم تَشكرون﴾ أي: اتقوا عقاب الله بالعمل بطاعته لتقوموا بشكر نعمته.

قوله ﴿إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم...﴾ الآية قال الشعبي (٢) بلغ المؤمنين أن كرز بن جابر الحنفي (٣) يريد أن يمد المشركين، فشق ذلك عليهم، فأنزل الله ﴿ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم﴾ الآية.

قوله (٤) ﴿بلى﴾ تصديق لوعده الله بالإمداد والكفاية ﴿إن تصبروا﴾ على لقاء العدو (٥) ﴿وتتقوا﴾ معصية الله ومخالفة نبيه (٦) ﴿ويأتوكم من فورهم هذا﴾.

وأصل «الفور» غليان القدر، يقال: فارت القدر تغور فوراً، ثم يقال للغضبان فار فائره، إذا اشتد غضبه (٧).

قال ابن عباس وقتادة والربيع (٨): من وجههم، وقال مجاهد (٩): من غضبهم.

وقوله (١٠) ﴿يمددكم ربكم﴾ أصل «المد والامداد» في اللغة: الزيادة يقال مد النهر، ومد الماء، إذا زاد ومدته نهر آخر، ومنه قوله تعالى: ﴿والبحر يمدد من بعده سبعة أبحر﴾ (١١) أي: يزيد منه، وأكثر ما يستعمل الإمداد في الخير ومنه قوله ﴿ويمددكم بأموال وبنين﴾ (١٢) (١٣) ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين﴾ (١٤)، ﴿وأمددناهم بفاكهة ولحم﴾ (١٥).

وقوله ﴿يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ أي (١٦): يزد في عددكم بهذا العدد من الملائكة

(١) انظر تفسير ابن عباس ٥٥ والطبري ١٧١/٧ - ١٧٢ عن قتادة والحسن وابن كثير ٤٠٠/١، والدر ٦٩/٢ عن قتادة، وغرائب النيسابوري ٤٠٠/٢ ومسنده أحمد ٢٩٠/٤ وصحيح البخاري - كتاب المغازي - باب عدة أصحاب بدر - عن البراء ٤/٣، وراجع تفسير الآية ٢٤٩ من سورة البقرة.

(٢) في (د): قوله.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٧٣/٧ - ١٧٤ وابن كثير ٤٠١/١ والدر ٦٩/٢ وفتح القدير ٣٧٩/١ وأسباب النزول للسيوطي ٦١ كلها عن الشعبي.

في الدر ٦٩/٢ كرز بن جابر المحاربي - وهكذا عند الطبري ١٧٤/٧. كرز بن جابر بن حسيل بن حبيب بن عمرو بن شيان بن محارب بن فهر بن مالك القرشي الفهري أسلم بعد الهجرة وقتل يوم الفتح.

(أسد الغابة ٤/٤٦٨).

(٤) في (د): قولوا.

(٥) في (د): العدوا.

(٦) في (د): نبيه ﷺ.

(٧) انظر اللسان / فور، والطبري ١٨٢/٧ وما بعدها عن عكرمة وأبي صالح ومجاهد والضحاك.

(٨) انظر تفسير الطبري ١٨١/٧ عن عكرمة وقتادة والحسن وغيرهم وتفسير ابن عباس ٥٥، والزجاج ٤٧٩/١ وابن كثير ٤٠١/١ عن الحسن وقتادة والربيع والسدي، والدر ٦٩/٢ عنهم، وفتح القدير ٣٧٩/١ عنهم و(اللسان / فور) عن الزجاج وفي النسخة (هـ) قلب: قدم ذكر الأثر ثم ذكر: أصل الفور.

(٩) انظر تفسير مجاهد ١٣٥، والطبري ١٨٢/٧ والدر ٦٩/٢ وابن كثير ٤٠١/١ وفتح القدير ١٧٩/١ كلها عن مجاهد.

(١٠) في (د): قوله. (١٤) سورة المؤمنون / ٥٥.

(١١) سورة لقمان / ٢٧. (١٥) سورة الطور / ٢٢.

(١٢) سورة نوح / ١١. وانظر في ذلك (اللسان / مدد، ومفردات الراغب / مد).

(١٣) في (د): قوله. (١٦) في (ح): مسومين: يزد، وفي (د) مسومين: أي يزيد.

ومن فتح الواو من «المسومين» فمعناه: معلمين، قد سوموا، فهم مسومون و«السومة» العلامة، ومن كسر الواو: نسب الفعل اليهم^(١)، لما روي أن النبي ﷺ قال يوم بدر:

«سوموا^(٢) فإن الملائكة قد سومت»^(٣).

قال ابن عباس^(٤): كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض، قد أرسلوها في ظهورهم.

وقال الحسن^(٥): مسومين بالصوف في نواصي الخيل وأذنانها.

وقال عباد بن عبد الله بن الزبير^(٦): كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء معتجرا^(٧)، فنزلت الملائكة عليها^(٨) عمائم صفر^(٩).

قوله ﴿وما جعله الله^(١٠)﴾ أي: ما جعل الله ذكر المدد ﴿إلا بشرى لكم﴾ و«البشرى»: اسم من الإيثار والتبشير.

﴿ولتطمئن قلوبكم به﴾ فلا تجزع من كثرة العدو وقلة عدوكم.

وقوله^(١١) ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ أراد الله أن لا يركن المؤمنون إلى الملائكة، وأعلمهم أنهم وإن خسروا

(١) قرأ نافع وابن عامر وحزمة والكسائي - بفتح الواو - وحثتهم (منزليين) - بفتح الزاي مجمعاً عليه إذ كانوا مفعولين ردوا قوله (مسومين) إذ كانت صفة مثل معنى الأول. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم - بالكسر - وحثتهم: ما جاء في التفسير عن مجاهد قال: كانوا سوموا نواصي خيولهم بالصوف الأبيض، وما ورد أنهم نزلوا معتمين بعمائم صفر.

(انظر الحجة لأبي زرع ١٧٣ والسبعة ٢١٦ والنشر ٢٤٢/٢ والتبيان ٢٩١/٢، والزجاج ١٧٩/١ والحجة لابن خالويه ١١٣ - ١١٤).

(٢) في (هـ): عن النبي ﷺ.

(٣) في (د): تسوموا... تسومت.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عمير بن إسحاق ٣٥٨/١٤. وسنن سعيد بن منصور عن عمير بن إسحاق ٣/٢ ص ٣١٠ والطبري في تفسيره بلفظ «تسوموا فإن الملائكة قد تسومت» عن عمير بن إسحاق القرشي أبو محمد مولى بني هاشم. قال المحقق: فهذا الحديث مرسل، وعن رجل يكتب حديثه ولا يحتج به (١٨٦/٧).

والدر ٧٠/٢ «أخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير عن عمير بن إسحاق».

وكنوز الحقائق ١٠٦/١ «رواه ابن أبي شيبة».

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٤٠٢/١، والدر ٧٠/٢ وفتح القدير ٣٧٩/١ كلها عن ابن عباس.

(٦) انظر تفسير مجاهد ١٣٥، وابن كثير ٤٠١/١ عن علي والدر ٧٠/٢ عن علي وقتادة.

(٧) في (د) عباد بن الزبير وهو:

عباد بن عبد الله بن الزبير بن العوام الكبير القاضي أبو يحيى القرشي الأسدي حدث عن أبيه وجدته أسماء وخالة أبيه عائشة وعنه ابنه يحيى وابن عمه هشام بن عروة وابن أبي مليكة وغيرهم (سير الأعلام ٢١٧/٤).

(٨) والمعجر والعجار: ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها، الاعتجار: العمامة دون التلحي.

(اللسان / عجر، حاشية (أ)).

(٩) في (هـ): وعليها.

(١٠) انظر غريب القرآن ١٠٩ والدر ٧٠/٢، وابن كثير ٤٠٢/١ وفتح القدير ٣٧٩/١ والطبري ١٨٨/٧ عن عباد وعبد الله بن الزبير.

(١١) في (أ، ج، هـ): إلا بشرى.

(١٢) في (د): قوله.

وقاتلوا، فما النصر^(١) إلا من عند الله ليستعينوا به ويتوكلوا عليه.

والإمداد بالملائكة: بشرى لهم، وطمأنينة لقلوبهم، لما في البشر من الضعف فأما حقيقة النصر فهو من عند الله
﴿العزیز الحکیم﴾.

وقوله^(٢) ﴿ليقطع طرفا من الذين كفروا﴾ أي: ليهلك طائفة، وليقتل قطعة^(٣).

قال السدي^(٤) ليهدم ركنا من أركان الشرك بالقتل والأسر، فقتل من قادتهم وسادتهم يوم بدر سبعون وأسر
سبعون.

وقوله^(٥) ﴿أو يكتهم﴾ «الكت» في اللغة: صرع الشيء على وجهه، يقال كتبه فانكبت، ثم يذكر والمراد به
الإخزاء والهلاك واللعن والهزيمة والإذلال.. هذا ما ذكره المفسرون في تفسير «الكت»^(٦).

وقوله^(٧) ﴿فينقلبوا خائبين﴾ أي: يرجعوا وينصرفوا ولم يدركوا ما أملوا.

قوله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء...﴾ الآية:

أخبرنا أبو صادق محمد بن شاذان^(٨)، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن هشام بن ملاس
القمي^(٩)، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال:

رمي رسول الله ﷺ يوم أحد، فكسرت رباعيته، وأدمي وجهه، وجعل الدم يسيل على وجهه، فجعل يمسح الدم
عن وجهه ويقول:

«كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم» فأنزل الله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء
يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾^(١٠).

(١) في (هـ): نصر.

(٢) في (د): قوله.

(٣) انظر مجاز القرآن ١٠٣/١.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٩٣/٧، والبحر ٥٢/٣ والبغوي ٤١٦/١ كلها عن السدي وغريب القرآن ص ١١٠.

(٥) في (د) قوله.

(٦) انظر الزجاج ٤٨٠/١ وغريب القرآن ١١٠ - ١١١، وتفسير ابن عباس ٥٥، والطبري ١٩٣/٧ والذري ٧٠/٢ عن مجاهد وقتادة والربيع
واللسان / كت، والرازي ٢١٧/٨ والثاء في «كت» أصل، وقيل هي مبدلة من «الدال» وهو من كبته: أصبت كبته (انظر التبيان
٢٩١/١ وغريب القرآن ١١٠ - ١١١، ومجاز القرآن ١٠٣/١، والمشكل ١٧٤/١ واللسان / كت).

(٧) في (د): قوله.

(٨) الشيخ الفقيه الإمام الأديب المسند أبو صادق محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن شاذان النيسابوري الصيدلاني سمع من أبي
العباس الأصم وغيره توفي سنة ٤١٥ هـ. (سير الأعلام ٤٠١/١٧).

(٩) محمد بن هشام بن ملاس أبو جعفر النميري الدمشقي روى عن مروان بن معاوية الفزاري وغيره وكان صدوقاً توفي سنة ٢٧٠ هـ عن
٩٧ سنة (شذرات ١٦٠/٢).

(١٠) الحديث: رواه مسلم - كتاب الجهاد - باب غزوة أحد (١٠٢/٢).

والترمذي - كتاب التفسير - (من سورة آل عمران) رقم ٤٠٨٨، ٤٠٨٩ «حسن صحيح» (٢٩٤/٤ - ٢٩٥) كلاهما من حديث أنس

ومعنى «أو» في قوله ﴿أو يتوب﴾ معنى «حتى»^(١) و«إلى أن»^(٢). قال الفراء: ومثل هذا في الكلام^(٣): لألزمك أو تعطيني حقي، على معنى: إلى^(٤) أن تعطيني وحتى تعطيني^(٥). ولما نفى الأمر عن نبيه، ذكر أن جميع الأمر له، فقال:

﴿ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء﴾ قال ابن عباس^(٥): الذنب العظيم للموحدين ﴿ويعذب من يشاء﴾ قال: يريد المشركين على الذنب الصغير ﴿والله غفور﴾ لأوليائه ﴿رحيم﴾ بهم.

يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة﴾ قال المفسرون^(٦) إنهم^(٧) كانوا يزيدون على المال ويؤخرون الأجل، كلما أخرج عن أجل إلى غيره زيد زيادة، قال مجاهد^(٨): يعني ربا الجاهلية. ﴿واتقوا الله﴾ بطاعته ﴿لعلكم تفلحون﴾ كي تسعدوا وتبقوا في الجنة، قال الزجاج^(٩): «المفلح»: الذي أدرك ما أمل من الخير.

قوله^(١٠) ﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾ قال ابن عباس^(١١): يهدد المؤمنين إن استحلوا ما حرم الله عليهم من الربا مما أوجب به النار، وقال الزجاج^(١٢) اتقوا أن تحلوا ما حرم الله، فإن من أحل شيئاً مما حرم الله فهو كافر بالإجماع.

﴿وأطيعوا الله والرسول﴾ فيما يأمران به من النهي عن أكل الربا ﴿لعلكم ترحمون﴾.

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ

(١) في (أ، د): واستصلاحهم والمثبت من (ج، هـ) والوجيز.

(٢) في (ج، د): إلا أن.

(٣) في (ح): في كلام.

(٤) انظر الفراء ٢٣٤/١ وفتح القدير ٣٧٨/١ عن الفراء والطبري ١٩٤/٧ والزجاج ٤٨٠/١ والبيان ٢٢١/١.

(٥) انظر غرائب النيسابوري ٧٠/٤ والبحر ٥٤/٣ كلاهما عن ابن عباس.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٥٦، والثوري ٨٠، والزجاج ٤٨١/١، وغريب القرآن ١١١، والدر ٣٦٦/١ عن مجاهد وزيد بن أسلم، ٧١/٢ عن مجاهد وسعيد بن جبيرة وفتح القدير ٣٨٢/١ عن مجاهد وأسباب النزول للسيوطي ٦٣ والطبري ٢٠٤/٧ - ٢٠٥ عن عطاء وابن زيد، والرازي ٢/٩.

(٧) في غير (أ) هو أنهم كانوا.

(٨) انظر تفسير الطبري ٢٠٤/٧ والدر ٣٦٥ كلاهما عن مجاهد.

(٩) انظر الزجاج ٣٩/١، ٤٨١.

(١٠) من (أ) وفي (هـ): وقوله.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ص ٥٦.

(١٢) انظر الزجاج ٤٨١/١ والبحر ٥٥/٣ عن الزجاج.

يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾
 وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا
 اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَنصُرُ اللَّهُ الْعَمَلِينَ ﴿١٣٦﴾

قوله ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾ قال عطاء عن ابن عباس^(١): لا تصروا على الذنب، إذا أذنب أحد فليسرع الرجوع، يغفر الله له.

وقال في رواية الكلبي^(٢): إلى التوبة من الزنا وشرب الخمر.

وفي الكلام محذوف على تقدير: وسارعوا إلى^(٣) موجب مغفرة من ربكم.

﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾ قال ابن عباس: يريد لرجل واحد من أوليائه^(٤). وقال كريب: أرسلني ابن عباس إلى رجل من أهل الكتاب أسأله عن هذه الآية فأخرج أسفار^(٥) موسى فنظر فقال: يلفق^(٦) كما يلفق الثوب، فلما طولها فلا يقدر أحد قدره^(٧).

وقال في رواية أبي صالح: الجنان^(٨) أربع: جنة عدن، وهي الدرجة العليا^(٩) وجنة الفردوس، وجنة النعيم، وجنة المأوى، وكل جنة منها كعرض السموات والأرض لو وصل بعضها إلى بعض^(١٠).

﴿أعدت﴾ في الآخرة ﴿للمتقين﴾ الشرك والفواحش. ثم وصفهم فقال:

﴿الذين ينفقون في السراء والضراء﴾ قال ابن عباس^(١١): في اليسر والعسر. وسمى «اليسر» سراء، لأنه يسر الإنسان، وسمى «العسر» ضراء لأنه يضر الإنسان.

﴿والكاظمين الغيظ﴾ يقال^(١٢): كظم غيظه، إذا سكت عليه ولم يظهره بقول أو فعل، قال المازد^(١٣): تأويله كتمه على امتلائه منه.

(١) انظر تفسير الطبري ٢٠٧/٧ بنحوه.

(٢) انظر تفسير القرطبي ٢٠٣/٤ عن الكلبي، وعند ابن عباس في تفسيره ص ٥٦ بادرُوا بالتوبة من الربا وسائر الذنوب.

(٣) في (هـ): وسارعوا علي.

(٤) انظر غرائب النيسابوري ٧٤/٤ والوجيز للواحدى ١١٩/١.

(٥) «الأسفار جمع سفر وهو الكتاب» (حاشية أ).

(٦) ولفقت الثوب الفقه لفقاً: وهو أن تضم شقة إلى أخرى «اللسان / لفق وحاشية (أ)».

(٧) انظر الدرر ٧٢/٢.

(٨) الجنان - بكسر الجيم - جمع الجنة وأما الجنان - بفتح الجيم - فهو القلب، وليس له معنى هاهنا» (حاشية (أ)).

(٩) في (أ، هـ): درجة العليا.

(١٠) انظر البحر ٥٨/٣ والقرطبي ٢٠٤/٤ كلاهما عن الكلبي.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٥٦ والدرر ٧٢/٢ والطبري ٢١٤/٧ وفتح القدير ٣٨٢/١ كلها عن ابن عباس.

(١٢) في (أ): فقال.

(١٣) انظر تفسير الطبري ٢١٤/٧ والبحر ٥٦/٣ وغرائب النيسابوري ٧٥/٤ والبيغوي ٤٢٠/١ واللسان / كظم.

والمعنى: الكافين غضبهم عن إمضائه، يردون غيظهم في أجوافهم ويصبرون فلا يظهرون.

أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن علي بن زياد، حدثنا محمد بن إبراهيم البوشنجي، حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا سعيد بن عبد الله المعاذي^(١)، عن يحيى بن أيوب^(٢) عن زيان بن فائد^(٣) عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني^(٤) عن أبيه^(٥):

عن رسول الله ﷺ قال: «من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق فيخيره في الحور العين، يزوجه منهن أيها شاء»^(٦).

وقوله^(٧) ﴿والعاقين عن الناس﴾ قال ابن عباس^(٨): عن المماليك إذا أذنب واحد منهم ذنباً عفواً^(٩) عنه لما يرجون^(١٠) من ثواب الله، وقال زيد بن أسلم ومقاتل^(١١): أي ممن ظلمهم وأساء إليهم.

وقوله^(١٢) ﴿والله يحب المحسنين﴾ قال ابن عباس^(١٣): يريد الموحدنين الذين هذه الخصال فيهم.

قوله ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء^(١٤): نزلت الآية في نهبان التمار^(١٥)، أته

(١) سعيد بن عبد الله بن أسعد المعافري المصري من كبار أصحاب مالك تفقه بآب وهب وابن القاسم مات سنة ١٧٣ هـ (حسن المحاضرة ٤٤٦/١).

(٢) يحيى بن أيوب الغافقي المصري عن بكير بن الأشج ويزيد بن أبي حبيب قال الذهبي في العبر: كان كثير العلم فقيه النفس توفي سنة ١٦٣ هـ (حسن المحاضرة ٤٠٠/١).

(٣) زيان بن فائد المصري أبو جوين الحمزاوي عن سهل بن معاذ عن أبيه وعن الليث ورشد بن سعد وجماعة ضعفه ابن معين وقال أحمد أحاديثه منكير، وقال أبو حاتم صالح، وقال ابن يونس: كان على مظالم وكان من أعدل ولاتهم مات سنة ١٥٥ هـ (حسن المحاضرة ٢٧٤/١، والميزان ٦٥/٢).

(٤) سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه ضعفه ابن معين وذكره ابن حبان في الثقات وقال: لست أدري أوقع التخليط منه أو من صاحبه زيان بن فائد. (الميزان ٢٤١/٢).

(٥) معاذ بن أنس الجهني الأنصاري نزل مصر روى عن النبي ﷺ وعن أبي الدرداء وكعب الأحبار وعنه ابنه سهل ولم يرو عنه غيره وهو لين الحديث إلا أن أحاديثه حسان في الفضائل والرغائب. (تهذيب التهذيب ١٠/١٨٦).

(٦) الحديث: رواه أبو داود - كتاب الأدب - باب من كظم غيظاً رقم ٤٧٧٧ (٢٤٨/٤) والترمذي - كتاب البر والصلة - باب في كظم الغيظ رقم ٢٠٩ (٢٥١/٣).

وفي كتاب صفة القيامة - باب ١٥ - رقم ٢٦١١ «حسن غريب» ٦٧/٤.

والطبراني في الكبير ١٨٨/٢٠ ومسند أحمد ٤٣٨/٣، ٤٤٠.

والطبراني في الصغير ١٢٢/٢، والدرر ٧٣/٢ «رواه البيهقي وأحمد وعبد بن حميد وحسنه الترمذي».

كلهم من حديث سهل بن معاذ عن أبيه.

(٧) في (د، هـ): قوله.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٥٦ والدرر ٧٢/٢ عن أبي العالية وفتح القدير ٣٨١/١ عن الزجاج وغيره، والبغوي ٤٢١/١ عن الكلبي.

(٩) في (ج، هـ) عفوت. (١١) انظر تفسير الطبري ٢١٥/٧ - ٢١٦ عن زيد بن أسلم والبغوي ٤٢١/١ عن زيد ومقاتل.

(١٠) في (أ، ح، د): يرجوا. (١٢) في (د): قوله.

(١٣) انظر تفسير البغوي ١٩/٥ والخازن ١٩/٥ كلاهما عن ابن عباس.

(١٤) انظر تفسير ابن عباس ٥٦ وأسباب النزول للواحد ٩٠، وأسد الغابة ٣٠٩/٥ والبحر ٥٩/٣.

(١٥) نهبان التمار أبو مقل، «عن ابن عباس في قوله عز وجل ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ وقوله ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾ سورة هود/ ١١٤ - قال: «يريد نهبان التمار أته امرأة حسناء... القصة». (أسد الغابة ٣٠٩/٥).

امرأة حسناء تتباع منه تمرآ، فضمامها إلى نفسه وقبلها، ثم ندم على ذلك، فأتى (١) النبي عليه السلام (٢) فذكر له ذلك فنزلت هذه الآية.

ومعنى «الفاحشة» ها هنا: الزنا.

وقوله ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ قال الكلبي ومقاتل (٣): هو ما دون الزنا من قبلة أو لمسة أو نظر فيما لا يحل، مثل الذي فعل نهبان.

وقوله (٤) ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ قال الضحاك (٥): ذكروا العرض الأكبر على الله عز وجل (٦). وقال مقاتل والواقدي (٧): تفكروا أن الله سائلهم عنه.

وقوله ﴿فَاسْتَغْفِرُوا لذنوبهم﴾ أي: قالوا اللهم (٨) اغفر لنا ذنوبنا فإننا تبنا إليك وندمنا ﴿وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ لم يقوموا ولم يدوموا، بل تابوا وأقروا واستغفروا.

أخبرنا عبد القاهر بن ظاهر، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي، حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا عبد الحميد بن عبد الرحمن (٩) عن عثمان بن واقد (١٠)، عن أبي نصيرة (١١)، قال:

لقيت مولى (١٢) لأبي بكر الصديق، فقلت: سمعت من أبي بكر شيئاً؟ قال: نعم، سمعته يقول:

قال رسول الله ﷺ: «لم يصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة» (١٣).

(١) في (د): فاتا.

(٢) في غير (أ) فاتى النبي ﷺ وذكر له.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٥٦ وغرائب النيسابوري ٧٨/٤ عن الكلبي ومقاتل والبحر ٥٩/٣ عنهما والبغوي ٤٢٢/١ عنهما.

(٤) في (د، هـ): قوله.

(٥) انظر غرائب النيسابوري ٧٨/٤ والبحر ٥٩/٣ والرازي ١٠/٩ كلها عن الضحاك.

(٦) في (د، هـ): على الله تعالى.

(٧) انظر غرائب النيسابوري ٧٨/٤ والبحر ٥٩/٣ والرازي ١٠/٩ كلها عن مقاتل والواقدي.

(٨) في (د): ربنا.

(٩) عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني الكوفي أبو يحيى مولاهم التميمي روى عن الأعمش وجماعة، قال أبو داود: كان داعية إلى الإرجاء وقال النسائي: ليس بالقوي روى له البخاري توفي سنة ٢٠٢ هـ. (شذرات ٢/٣، والجمع ٣١٨/١).

(١٠) عثمان بن واقد بن محمد العمري عن نافع بن جبير وسعيد مولى المهدي ووكيع وزيد بن الحباب وجماعة وثقه ابن معين وضعفه أبو داود. (الميزان ٥٩/٣).

(١١) أبو نصيرة: مسلم بن عبيد الواسطي روى عن أنس بن مالك وأبي عسيب مولى رسول الله ﷺ وعن مولى لأبي بكر - أبي رجاء - ومنه ابن واقد العمري ويزيد بن هارون وثقه أحمد وقال البزار: مولى أبي بكر مجهول، قال الذهبي: قد عرف أنه يقال له أبو رجاء. (الميزان ١٠٥/٤ وتهذيب التهذيب ٢٥٦/١٢، ٣٩٥).

(١٢) هو أبو رجاء العطاردي مولى أبي بكر الصديق وهو مقل خرج له أبو داود والترمذي قال البزار: مجهول، قلت: قد عرف. (المصدر السابق في ترجمة أبي نصيرة).

(١٣) الحديث: رواه أبو داود - كتاب الصلاة - باب في الاستغفار رقم ١٥١٤ (٨٤/٢) والترمذي - كتاب الدعوات - الباب الأول رقم ٣٠٣٠ قال الترمذي «هذا حديث غريب إنما نعرفه من حديث أبي نصيرة وليس إسناده بالقوي» (٢١٨/٥).

وشرح السنة للبغوي ٧٩/٥ - ٨٠ والمقاصد الحسنة ٣٥٩ والجامع الصغير ١٤٣/٢ ورمز له بالضعيف، والدر ٧٨/٢ والطبري ٢٢٥/٧ - ٢٢٦ قال المحقق «حديث حسن».

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفارسي، أخبرنا علي بن أحمد^(١) محمد بن عطية، حدثنا الحرث بن أبي أسامة، حدثنا عبد العزيز بن أبان^(٢) حدثنا شعبة، عن عثمان بن المغيرة^(٣)، سمعت علي بن ربيعة - من بني أسد - يحدث عن أسماء - أو ابن أسماء - من بني فزارة^(٤)، قال (قال علي بن أبي طالب)^(٥) حدثني أبو بكر - وصدق أبو بكر - قال:

قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر له»، وقرأ هاتين الآيتين ﴿ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾^(٦)، ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم﴾^(٧). وقوله^(٨) ﴿وهم يعلمون﴾ قال مجاهد^(٩): يعلمون أنه^(١٠) يغفر لمن استغفر ويتوب على من تاب إليه^(١١). ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «من علم أني ذو قدرة على أن أغفر له^(١٢) غفرت له ولا أبالي^(١٣)».

(١) في (د): حدثنا محمد بن عطية، سبق.

(٢) أبو خالد الأموي الكوفي أحد المتروكين هو عبد العزيز بن أبان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن العاصي القرشي حدث عن مسعر وطائفة وعنه ابن أبي أسامة قال أحمد: متروك وقال يحيى: كذاب خبيث حدث بأحاديث موضوعة مات سنة ٢٠٧ هـ. (الميزان ٦٢٢/٢).

(٣) في (د): عن عثمان بن المغيرة، وهو: عثمان بن المغيرة الثقفي أبو المغيرة الكوفي قال أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي والمجلى ثقة.

(تهذيب التهذيب ١٥٥/٧ - ١٥٦).

(٤) أسماء بن الحكم الفزاري يروي عن علي بن أبي طالب وغيره وعنه علي بن ربيعة الوالي قال أبو حاتم وابن حبان: يخطيء. (الأنساب ٢٩٨/٩).

وقال المجلى: كوفي تابعي ثقة. (تاريخ الثقات ص ٦٣).

وقال الذهبي: أسماء قد وثق وما له سوى هذا الحديث وهذا حديث حسن.

(الميزان ٢٥٥/١ - ٢٥٦).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (د). (٦) سورة النساء / ١١٠.

(٧) الحديث: رواه أبو داود - كتاب الصلاة - باب في الاستغفار رقم ١٥٢١ (٨٦/٢) والترمذي - كتاب التفسير - باب من سورة آل عمران رقم ١٠٩٢ قال الترمذي: «هذا حديث رواه شعبة وغير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعه، ورواه مسعر وسفيان عن عثمان بن المغيرة فلم يرفعه، ولا نعرف لأسماء غير هذا الحديث» (٢٩٦/٤).

وأخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير ١٠٦/١.

وابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة - باب ما جاء في أن الصلاة كفارة رقم ١٣٩٥ (٤٤٦/١).

ومسند أحمد ٢/١، ٩ والطبراني في الأوسط ١/٣٤٨ - ٣٤٩.

كلهم من حديث أسماء عن علي رضي الله عنه.

(٨) في (د، هـ) قوله.

(٩) انظر تفسير مجاهد ١٣٦، وابن كثير ٤٠٨/١ عن مجاهد وغيره.

(١٠) في (د، هـ): يعلمون أنه غفور رحيم يغفر. . .

(١٣) انظر الجامع الصغير ٢/٨٣ «رواه الطبراني والحاكم عن ابن عباس» ورمز له بالضعيف وابن كثير ٥١٠/١ عنه والطبراني في الكبير ٢٤١/١١ عن ابن عباس.

والمستدرک - كتاب التوبة - عن ابن عباس «حديث صحيح الإسناد» قال الذهبي العدني واه (٢٦٢/٤).

ثم ذكر جزاء المستغفرين من الذنب فقال:

﴿أُولَئِكَ جزاؤهم مغفرة من ربهم﴾ إلى قوله^(١) ﴿ونعم أجر العاملين﴾ أي: نعم أجر العاملين المغفرة. قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيَمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَّحَى الْكٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾

قوله ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ «السنن»: جمع السنة، وهي المثال المتبع والإمام المؤتم به، وسنة الله: أمره ونهيه، وسنة النبي عليه السلام^(٢): طريقته. يقول الله تعالى: قد مضت مني فيمن كان قبلكم من الأمم^(٣) الماضية المكذبة الكافرة سنن يامهالي واستدراجي إياهم، حتى يبلغ الكتاب فيهم أجلي الذي أجلته في إهلاكهم، وبقيت لهم آثار في الدنيا، فيها أعظم الاعتبار.

﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة^(٤)﴾ آخر أمر ﴿المكذبين﴾ منهم.

وقوله^(٥) ﴿هذا بيان للناس﴾ يعني: القرآن بيان من العمى ﴿وهدى﴾ من الضلال ﴿وموعظة﴾ من الجهل^(٦) ﴿للمتقين﴾ يعني: هذه الأمة.

قوله ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا﴾ هذه الآية تسلية للنبي ﷺ وللمسلمين من الله تعالى، لما نالهم يوم أحد من القتل والجرح^(٧).

ومعنى ﴿ولا تهنوا﴾: لا تضعفوا^(٨) يقال: وهن يهن وهنا فهو واهن، إذا ضعف في العمل^(٩).

قال المفسرون^(١٠): لا تهنوا عن جهاد عدوكم، ولا تحزنوا، على ما فاتكم من الغنمة، فإنكم أنتم الأعلون أي: لكم تكون العافية بالنصر والظفر.

قوله^(١١) ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ يعني: إن الإيمان يوجب ما ذكر من ترك الوهن والحزن، أي: من كان مؤمناً يجب أن لا يهن ولا يحزن لثقتة بالله عز وجل^(١٢).

وقوله^(١٣) ﴿إن يمسسكم قرح﴾ أي: يصيبكم يقال: مسه أمر كذا، ومسته الحاجة إذا أصابته.

(١) وتمامها ﴿وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾.

(٢) في غير (أ) النبي ﷺ.

(٣) في (د). المم.

(٤) ساقطة من (د).

(٩) انظر غريب القرآن ١١٢ ومجاز القرآن ١٠٤/١ والدر ٧٩/٢ عن مجاهد.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٥٧ والطبري ٢٣٤/٧ والدر ٧٨/٢ - ٧٩ عن الزهري وابن جريج.

(١١) في (ج، د): وقوله.

(١٢) في (د، ه): بالله تعالى.

(١٣) في (ج، ه): قوله وفي (د): قوله تعالى

(٥) في غير (أ) قوله.

(٦) في (ه): وموعظة للمتقين.

(٧) في (ح): والجزع.

(٨) في (د): لا تضعوا.

و «القرح» قرىء بضم القاف وفتح^(١)، وهما لغتان في غض السلاح ونحوه مما يجرح الجسد، مثل: الضعف والضعف.

يقول: إن أصابكم جرح يوم أحد فقد أصاب المشركين مثله يوم بدر، وهو قوله ﴿فقد مس القوم قرح مثله﴾. وقوله^(٢) ﴿وتلك الأيام﴾ قال ابن عباس^(٣): يعني أيام الدنيا ﴿نداولها بين الناس^(٤)﴾ قال الحسن وقتادة والسدي والربيع^(٥): نصرها مرة لفرقة ومرة لفرقة.

و «الدولة»: الكرة، يريد: أنه أдал المسلمين من المشركين يوم بدر، وأدال المشركين من المسلمين يوم أحد. ﴿وليعلم الله الذين ءامنوا﴾^(٦) أي: ليعلمهم مميزين^(٧) بالإيمان ومن غيرهم أي: إنما يجعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين إذا أصابته نكبة^(٨).

والمعنى: ليقع ما علمه غيباً مشاهدة للناس، وليعلم ذلك كائناً موجوداً كما علمه غيباً. المجازاة إنما تقع بما يعلمه موجوداً، لا بما علمه غيباً.

وقوله^(٩) ﴿ويتخذ منكم شهداء﴾ أي: وليكرم قوماً بالشهادة ﴿والله لا يحب الظالمين﴾ قال ابن عباس^(١٠): يعني المشركين.

وفي هذا إشارة إلى أنه إنما يدل^(١١) الكافرين على المؤمنين لما ذكر، لا لأنه يحبهم. وإذا أдал^(١٢) المؤمنين أдалهم نصرة لهم ومحبة^(١٣) منه إياهم.

قوله^(١٤) ﴿وليمحص الله الذين ءامنوا﴾ أي: ليطهرهم من ذنوبهم ويسقطها عنهم. قال المبرد: تأويل قول الناس «محص عنا ذنوبنا»: أذهب ما تعلق بنا من الذنوب^(١٥).

فمعنى قوله ﴿وليمحص الله الذين ءامنوا﴾ ليخلصهم من ذنوبهم قال الزجاج^(١٦) معنى الآية: جعل الله الأيام

(١) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم (قُرح) بضم القاف وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بالفتح قال الفراء: كان القرح بالضم: ألم الجراح وبالفتح الجراح بأعيانها، وقال الكسائي: هما لغتان مثل الضعف والضعف وقول الفراء أولى بالصواب لتصيرهما لمعنيين والدليل قوله ﴿ولا تنهوا في ابتغاء القوم إن تكونوا يألون فإنهم يألون كما تألون﴾ - سورة النساء/ ١٠٤ - فدل على أنه أراد: إن يمسكم ألم من أيدي القوم فإن بهم مثل ما بكم. (انظر الحجة لأبي زرعة ١٧٤ والسبعة ٢١٦ والنشر ٢٤١/٢ والتبيان ٢٩٤/١، والفراء ٢٣٤/١، والزجاج ٤٨٣/١ والمشكل ١٧٤/١ وغريب القرآن ١١٢، والأخفش ٤٢١/١، والحجة لابن خالويه ١١٤).

(٢) في (د): وقوله.

(٤) في (د): (نداولها).

(٣) انظر تفسير ابن عباس ص ٥٧.

(٥) انظر تفسير الطبري ٢٣٩/٧ - ٢٤٠ عن الحسن وقتادة والربيع وابن عباس والدر ٧٩/٢ عن الحسن وقتادة والسدي.

(٦) في (د): قوله تعالى.

(١١) في (د، هـ): يريد.

(٧) في (د): ممتزين.

(١٢) أدل.

(٨) انظر الزجاج ٤٨٤/١ والفراء ٣٣٤/١.

(١٣) في (ج): ومحنة.

(٩) في (د): قوله تعالى (ويتخذ منكم).

(١٤) في (ج، هـ): وقوله.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٥٧.

(١٥) ذكره ابن منظور في اللسان / محص، والزجاج ٤٨٤/١، والبحر ٧٣/٣ كلها عن المبرد، والزاهر ١٠٧/١ عن المبرد.

(١٦) انظر الزجاج ٤٨٤/١ والرازي ١٨/٩ وغرائب النيسابوري ٨٥/٤ كلاهما عن الزجاج.

مداولة بين الناس ليمحص المؤمنين إذا أдал عليهم ﴿ويمحق الكافرين﴾ ويستأصلهم إذا أдал عليهم، فقابل تمحص المؤمنين بمحق الكافرين لأن تمحص هؤلاء هو بإهلاك ذنوبهم، نظير محق الكافرين بإهلاك أنفسهم.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴿١٤٣﴾

قوله ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة...﴾ الآية، خطاب للذين انهزموا يوم أحد، فقيل لهم: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة كما دخل الذين قتلوا وبذلوا مهجتهم^(١)، وثبتوا على ألم الجراح والضرب، من غير أن تسلكوا^(٢) طريقهم وتصبروا صبرهم وهو قوله ﴿ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ أي: ولما تجاهدوا فيقع العلم به. والمعنى: ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم، لأنه يعلمه غيبا.

قوله^(٣) ﴿ويعلم الصابرين﴾ انتصب على الصرف عن العطف، قال ابن الأنباري^(٤) هذه «الواو» يسميها أهل النحو «واو الصرف» والذي بعدها ينصب على خلاف ما قبلها، كما تقول العرب: لا تأكل السمك وتشرب اللبن، أي: لا تجمع بينهما، ولا تأكل السمك في حال شربك اللبن^(٥).

قوله ﴿ولقد كنتم تمنون الموت...﴾ الآية، قال المفسرون^(٦) كانوا^(٧) يتأسفون على ما فاتهم من بدر، ويتمنون يوماً مع رسول الله ﷺ ثم انهزموا يوم أحد فاستحقوا^(٨) العقاب. قوله ﴿من قبل أن تلقوه﴾ يعني: من قبل يوم أحد.

وقوله^(٩) ﴿فقد رأيتموه﴾ أي: رأيتم أسباب الموت، وما يتولد منه الموت كالسيف والأسنة^(١٠) ﴿وأنتم

(١) «المهجة: دم القلب، ولا بقاء للنفس بعدما تراق مهجتها، ويقال: خرجت مهجته أي روحه، وقيل المهجة: خالص النفس» (اللسان / مهج، وحاشية أ).

(٢) في (د): سلخوا.

(٣) في غير (أ) وقوله.

(٤) انظر الفراء ٢٣٥/١ - ٢٣٦ والبيان ٢٢٣/١ والرازي ١٩/٩ والبحر ٦٦/٣ عن مذهب الكوفيين والطبري ٢٤٧/٧ وفيه:

ونصب (ويعلم الصابرين) على الصرف، أو «الصرف» أن يجتمع فعلاان ببعض حروف النسق، وفي أوله ما لا يحسن إعادته مع حرف النسق، فينصب الذي بعد حرف العطف على الصرف، لأنه مصروف عن معنى الأول، ولكن يكون مع جحد أو استفهام أو نهي في أول الكلام وذلك كقولهم: لا يسعني شيء ويضيق عنك لأن (لا التي مع «يسعني» لا يحسن إعادتها مع قوله «يضيق عنك») فلذلك نصب. والقراءة في هذا الحرف على النصب.

(٥) في (د): شرب اللبن.

(٦) انظر تفسير مجاهد ١٣٧ بنحوه، والطبري ٢٤٨/٧ - ٢٤٩ عن مجاهد وقتادة والربيع وغيرهم والذري ٧٩/٢ - ٨٠ عن ابن عباس والضحاك ومجاهد والربيع والحسن والسدي وفتح القدير ٣٨٧/١ عن ابن عباس وأسباب النزول للسيوطي ٦٣ والوجيز للواحي ١٢٢/١.

(٧) في (ج، هـ): كانوا يتمنون ويتأسفون.

(٨) في (ح): واستحقوا.

(٩) في (د): قوله.

(١٠) انظر غريب القرآن ١١٣ والفراء ٢٣٦/١ والبيان ٢٢٣/١.

تنظرون ﴿ أي : وأنتم بصراء تتأملون الحال في ذلك كيف هي ، فلم انهزمتم؟ وهذا محذوف، وهو مراد، لأنه موضع العتاب ^(١) .

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَكَانَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

قوله ﴿وما محمد إلا رسول..﴾ الآية، لما نعي رسول الله ﷺ وأشيع ^(٢) أنه قد قتل، قال بعض المسلمين: ليت لنا من يأخذ أماناً من أبي سفيان. وقال ناس من أهل النفاق: إن كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الأول، فأنزل الله تعالى هذه الآية ^(٣).

وقوله ^(٤) ﴿قد خلت من قبله الرسل﴾ معناه: أنه يموت كما ماتت الرسل من قبله ﴿أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ أي: أنقلبون ^(٥) على أعقابكم إن مات محمد أو قتل؟ ويقال لكل من عاد إلى ما كان عليه ورجع وراءه: انقلب على عقبه ^(٦).

وقوله ^(٧) ﴿ومن ينقلب على عقبه فلن يضر الله شيئاً﴾ فيه معنى الوعيد، أي: فإنما ^(٨) يضر نفسه ^(٩) باستحقاق العقاب ^(١٠).

(١) «فإن قيل: ما معنى قوله (وأنتم تنظرون) بعد قوله (فقد رأيتموه)؟ قيل: ذكره تأكيداً، وقيل: لأن الرؤية قد تكون بمعنى العلم، فقال (وأنتم تنظرون) ليعلم أن المراد بالرؤية النظر». (حاشية أ).
(٢) في (د): وقيل (حاشية أ).

(٣) انظر تفسير مجاهد ١٣٧ - ١٣٨ والدر ٢/٨٠ - ٨١ عن ابن عباس والضحاك وابن جريج والسدي وعطية، وفتح القدير ١/٣٨٨ عن الضحاك وأسباب النزول للواحدي ٩٢، وللسيوطي ٦٤ وغرائب النيسابوري ٩١/٤ والطبري ٧/٢٥٣ عن قتادة والربيع. وهناك رأي ثالث لم يذكره المصنف وهو «وقال أناس من عليه أصحاب النبي ﷺ قاتلوا على ما قاتل عليه محمد نبيكم حتى يفتح الله لكم أو تلحقوا به». ذكره الطبري ٧/٢٥٣ وما بعدها عن قتادة والربيع وأنس بن النضر وأبي نجيح وانظر الدر ٢/٨٠ ولعل اقتصار المصنف على ما تقدم لمناسبة العتاب في قوله تعالى: ﴿أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم...﴾.

(٤) في (د): قوله.

(٥) في (د) أي: تنقلبون.

(٦) في (ج، د): عقبه.

(٧) في (ج، د، هـ): العذاب.

وانظر مجاز القرآن ١/١٠٤ ومفردات الراغب / قلب، واللسان / قلب.

﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ قال ابن عباس^(١): يريد الطائعين لله من المهاجرين والأنصار. وقال عبد الرحمن بن عوف في قوله ﴿أفئن مات أو قتل﴾^(٢): هو صباح الشيطان يوم أحد: قتل محمد^(٣).

قوله ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾ قال الزجاج^(٤): «اللام» في «النفس» معناها: النقل^(٥)، بتقدير: وما كانت^(٦) نفس لتموت إلا بإذن الله قال ابن عباس: يريد بقضائه وقدره^(٧).

والمراد بهذا: الحوض على الجهاد من حيث لا يموت أحد فيه إلا بإذن الله. قال ابن الأنباري^(٨): غاب الله بهذا المنهزمين يوم أحد رغبة في الدنيا وضنا بالحياة^(٩) وأخبرهم أن الحياة لا تزيد ولا تنقص وأن الموت بأجل عنده لا يتقدم ولا يتأخر.

وقوله^(١٠) ﴿كتاباً مؤجلاً﴾ أي: كتب الله ذلك كتاباً إلى أجله في اللوح المحفوظ^(١١).

﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها﴾ أي: من يرد بطاعته وعمله زينة الدنيا وزخرفها نؤته منها ما نشاء مما قدرناه له، كقوله ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء﴾^(١٢).

وعني بهذا: الذين تركوا المركز^(١٣) يوم أحد طلباً للغنيمة ورغبة في الدنيا. ﴿ومن يرد ثواب الآخرة﴾ أي: من كان قصده بعمله ثواب الآخرة ﴿نؤته منها﴾ يعني: الذين ثبتوا يوم أحد حتى قتلوا.

أعلم الله أنه يجازي كلا على قصده وإرادته، كما روي عنه النبي^(١٤) ﷺ في قوله: «الأعمال بالنيات»^(١٥).

قوله تعالى: ﴿وكأين من نبي...﴾ الآية، معنى «كأين»: كم^(١٦)، وتأويله الكثير لعدد الأنبياء الذين هم صفتهم.

(١) انظر تفسير الطبري ٢٥٢/٧ والبحر ٦٩/٣.

(٢) في (د): انقلبتم على أعقابكم.

(٣) انظر الدر ٦٧/٢ عن عبد الرحمن بن عوف.

(٤) انظر الزجاج ٣٨٨/١ والتبيان ٣٩٧/١ ومجاز القرآن ١٠٤/١ وغرائب النيسابوري ٩١/٤ عن الزجاج والأخفش، والبغوي ٤٤٠/١ عن الأخفش.

(٥) في (ج، د): كان.

(٦) أي منقولة من خبر كان إلى اسمه (حاشية أ).

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٥٧ وفتح القدير ٣٨٦/١ والقرطبي ٢٢٦/٤ وغرائب النيسابوري ٩١/٤ عن ابن عباس والوجيز للواحدي ١٢٣/١ والرازي ٢٣/٩ عن ابن عباس.

(٨) انظر تفسير الطبري ٢٥١/٧ والبحر ٧٢/٣ وفتح القدير ٣٨٦/١.

(٩) سورة الإسراء ١٦/.

(١٠) في (هـ): بالحياة الدنيا.

(١١) في (د): قوله.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٢٦١/٧ والأخفش ٤٢٢/٢.

(١٣) في (د): عن رسول الله.

(١٤) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب بدء الوحي - الحديث الأول (١/٥ - ٦) والترمذي - كتاب الجهاد - باب ما جاء من يقال

رياء وللدنيا رقم ١٦٩٨ (٣/١٠٠) كلاهما من حديث عمر.

(١٦) أصل (كأين) أي: دخلت عليها «كاف التشبيه» وصار في معنى «كم» التي للتكثير كما جعلت «الكاف» مع «ذا» في قولهم «كذا» لمعنى لم يكن لكل منهما.

وثبت في المصاحف بنون بعد الياء لأنها كلمة نقلت من أصلها فالوقف عليها بالنون اتباعاً للمصحف (انظر التبيان ٢٩٧/١، والمشكل ١٧٥/١، واللسان / كين).

وقرأ ابن كثير ﴿وكائن﴾^(١) بوزن كاعن^(٢) وهما لغتان بمعنى واحد، وأكثر ما جاء في الشعر على هذه اللغة، قال جرير:

وكائن^(٣) بالأباطح من صديق يراني لو أصبت هو المصابا^(٤)

قوله^(٥) ﴿قاتل معه ربيون كثير﴾ يجوز أن يكون القتل مسنداً^(٦) إلى ﴿نبي﴾، ويجوز أن يكون مسنداً إلى ﴿ربيون﴾، وكذلك الوجهان من قراءة من قرأ ﴿قاتل﴾^(٧) و«الربيون»: الجماعات الكثيرة، الواحد^(٨): ربيّ وهو قول جميع المفسرين^(٩).

قوله^(١٠) ﴿فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا﴾ قال الزجاج^(١١): ما جبنوا عن^(١٢) قتال عدوهم، وما افتروا^(١٣) ﴿وما استكانوا﴾ وما خضعوا لعدوهم.

والآية احتجاج على المنهزمين يوم أحد، وذلك أن صائحاً صاح: قد قتل محمد فاضطرب أمر المسلمين واختلفوا فيما بينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية يعاتبهم على ما كان من فعلهم، ويحضهم على الجهاد بسلوك طريقة صحابة الأنبياء^(١٤).

قال ابن الأنباري: أي فقد كان واجباً عليكم أن تقاتلوا على أمر نبيكم لو قتل كما قاتل أمم الأنبياء بعد قتلهم، ولم يرجعوا عن دينهم.

(١) انظر الحجة ١٧٤ - ١٧٥، والسبعة ٢١٦ والنشر ٢٤٢/٢، والتبيان ٢٩٧/١ - ٢٩٨، والمشكل ١٧٥/١ - ١٧٦ والحجة لأبي زرعة ١٧٤، وفتح القدير ٣٨٦/١، والخزانة ٣٩٧/٥ والقرطبي ٢٢٩/٤ والرازي ٢٥/٩.

(٢) في (هـ): عاعن.

(٣) في (د): وكائن من.

(٤) انظر البيت في ديوانه ص ٣١ من بائية له في مدح الحجاج، والزجاج ٤٨٩/١، والبيان ٢٢٥/١، والحجة لأبي زرعة ١٧٤، وفتح القدير ٣٨٦/١، والخزانة ٣٩٧/٥ والقرطبي ٢٢٩/٤ والرازي ٢٥/٩.

يقول: إن ثمة صحباً له يشاطرونه ويقاسمونهم أحزانه، كأنهم أصيبوا بمثل ما أصيب به. و«الأباطح» جمع أبطح، وهو كل مكان متسع، ويقصد به منشؤه بالصحراء.

(٥) في (ج، هـ): وقوله.

(٦) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (قتل معه) أي: وكم من نبي قتل قبل محمد ﷺ ومعه ربيون كثير وحتجتهم: أن ذلك أنزل معاتبته لمن أدبر عن القتال يوم أحد إذ صاح الصائح: قتل محمد ﷺ وقرأ الباقون (قاتل معه) وحتجتهم: قوله (فما وهنوا) قالوا: لأنهم لو قتلوا لم يكن لقوله (فما وهنوا) وجه معروف لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهنوا بعدما قتلوا.

وأن (قاتل) أبلغ في مدح الجميع من معنى (قتل).

(٧) انظر الحجة لأبي زرعة ١٧٥ - ١٧٦، والسبعة ٢١٧، والنشر ٢٤١/٢ والتبيان ٢٩٩/١، والمشكل ١٧٦/١ - ١٧٧، والأخفش ٤٢٣/١، والحجة لابن خالويه ١١٤.

(٨) في (ح): الواحدة.

(٩) انظر الزجاج ٤٩٠/١ والتبيان ٢٩٩/١ وغريب القرآن ١١٣ ومجاز القرآن ١٠٤/١، وفتح القدير ٣٨٦/١ عن الزجاج، والطبري ٣٦٥/٧ وغرائب النيسابوري ٩٤/٤ عن الزجاج والفراء.

(١٠) في (ح): وقوله، وليست في (د).

(١١) في (د): افتروا.

(١٢) انظر الزجاج ٤٩٠/١.

(١٣) في (د): صلى الله على نبينا وعليهم أجمعين.

(١٤) في (د، هـ): على قتال.

قوله ﴿وما كان قولهم﴾ أي: عند لقاء العدو ﴿إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا﴾ أي^(١): تجاوزنا الحد في المعاصي ﴿وثبت أقدامنا﴾ بالقوة من عندك والنصرة^(٢).

قال الزجاج^(٣): أي ثبتنا على دينك، وإذا ثبتوا على^(٤) دينهم ثبتوا في حربهم.

﴿وانصرونا على القوم الكافرين﴾ هذا تعليم من الله تعالى، دعاء الاستفتاح والنصرة على الكافرين عند لقاءهم في الحرب.

قوله^(٥) ﴿فأتاهم الله ثواب الدنيا﴾ النصر والظفر والغنيمة ﴿وحسن ثواب الآخرة﴾ يعني: الأجر والمغفرة ﴿والله يحب المحسنين﴾^(٦).

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾

قوله ﴿يا أيها الذين ءامنوا إن تطيعوا الذين كفروا﴾ قال ابن عباس^(٧): يعني: اليهود، وقال السدي^(٨) يعني أبا سفيان وأصحابه، وقال علي رضي الله عنه^(٩): يعني المنافقين في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة: ارجعوا إلى دين آبائكم.

وقوله ﴿يردوكم على أعقابكم﴾ أي: يرجعوكم إلى أول أمركم الشرك بالله ﴿فتنقلبوا خاسرين﴾ فتصير خائبين^(١٠) من المغفرة والجنة.

﴿بل الله مولاهم﴾ ناصرهم ومعينهم، أي: استغنوا عن موالة الكفار، فلا تستنصروهم فإني وليكم وناصركم.

ثم وعدهم خذلان أعدائهم فقال:

(١) انظر الفراء ٢٣٧/١، والطبري ٢٦٩/٧، ٢٧٣ عن ابن زيد، وفتح القدير ٣٨٧/٢.

(٢) من (د، هـ).

(٣) انظر الزجاج ٤٩١/١.

(٤) في (ج، هـ): هي دينهم.

(٥) ساقطة من (ج، د).

(٦) من (هـ).

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٥٨، والطبري ٢٧٧/٧، والدر ٨٣/٢ كلاهما عن ابن جريج.

(٨) انظر تفسير الطبري ٢٧٧/٧ وغرائب النيسابوري ٩٦/٤ والدر ٨٣/٢ وفتح القدير ٣٩٠/١ كلها عن السدي.

أبو سفيان: صحر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف والد معاوية كان رئيس المشركين يوم أحد ورئيس الأجزاب يوم الخندق

أسلم زمن الفتح وشهد حنيناً والطائف توفي سنة ٣١ هـ. (تهذيب التهذيب ٤١١/٤).

(٩) انظر غرائب النيسابوري ٩٦/٤ عن علي، وفتح القدير ٣٨٨/١.

(١٠) أول ص ١٢٤ من النسخة (هـ) وهي مكررة في الرقم السدي مع سابقتها.

﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ قال السدي^(١): لما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد إلى مكة، هموا بالرجوع لاستئصال المسلمين، فألقى الله في قلوبهم الرعب، فمضوا ولم يرجعوا.

﴿الرعب﴾: الخوف الذي يحصل في القلب والتخفيف والتثقل فيه لغتان كالكتب والرسل^(٢).

وقوله^(٣) ﴿بما أشركوا بالله﴾ أي: بإشراكهم، و«ما» ها هنا: للمصدر، والمعنى: بما عدلوا بالله ومن عدل بالله شيئاً من خلقه فهو كافر.

قوله ﴿ما لم ينزل به سلطاناً﴾ أي: حجة وبرهاناً في قول جميع المفسرين^(٤) يعني: الأوثان التي عبدوها مع الله.

﴿وماواهم﴾ أي: مرجعهم ومصيرهم إلى ﴿النار﴾^(٥) وبس مئوى الظالمين ﴿هي و«المئوى»: المكان الذي يقيم به^(٦)، وهذا ذم لمكانهم من النار.

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۗ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۖ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الرِّسَالِ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتَيْتُمُ عَمَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَحْزِنُونَ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۗ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾

قوله عز وجل^(٧) ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه﴾ أي: تقتلونهم قتلاً شديداً كثيراً.

(١) انظر تفسير الطبري ٢٨٠/٧ والدر ٨٣/٢ وأسباب النزول للواحدي ٩٢ - ٩٣ وغرائب النيسابوري ١٠١/٤ كلها عن السدي.

(٢) قرأ ابن عامر والكسائي (الرعب) بضم العين، وقرأ ابن كثير وعاصم ونافع وأبو عمرو وحمزة بإسكان العين وهما لغتان.

(انظر الحجة لأبي زرعة ١٧٦، والسبعة ٢١٧ والتبيان ٣٠٠/١ والنشر ٢١٥/٢ - ٢١٦).

(٣) في (د، هـ): قوله.

(٦) ذكره ابن منظور (اللسان / ثوا).

(٤) انظر الزجاج ٤٩٢/١ والطبري ٢٧٩/٧.

(٧) في (د): قوله، وفي (هـ): قوله تعالى.

(٥) في (د): للنار.

قال أبو عبيدة والزجاج^(١): «الحسن» الاستئصال بالقتل، يقال: جراد محسوس، إذا قتله البرد.
قال المفسرون^(٢): كان المسلمون يوم أحد يقتلون المشركين قتلاً ذريعاً حتى ولو هاربين، وانكشفوا منهزمين،
فذلك قوله ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه﴾ أي: بعلمه وإرادته.
ثم أخل الرماة بالمكان الذي ألزمهم رسول الله ﷺ إياه، فحمل حينئذ خالد بن الوليد^(٣): من وراء المسلمين
وتراجع المشركون وقتل من المسلمين سبعون رجلاً ثم هزموا.
وقوله^(٤) ﴿حتى إذا فشلتم﴾ أي: جبتم عن عدوكم، يقال: فشل الرجل عن الحرب يفشل إذا ضعف وذهبت
قوته وإنه لفشل وفشل^(٥).
وقوله ﴿وتنازعتم في الأمر﴾ أي: اختلفتم وكان اختلافهم أن المشركين لما انهزموا في أول الأمر قال بعض
الرماة^(٦) الذين كانوا عند المركز: ما مقامنا هنا وقد انهزم القوم، وقال بعضهم: لا نجاوز^(٧) أمر رسول الله ﷺ.
وقوله ﴿وعصيتم﴾ أي: بترك المركز ﴿من بعدما أراكم ما تحبون﴾ من الظفر والنصر والفتح ﴿منكم من يريد
الدنيا﴾ يعني: الذين تركوا المركز وأقبلوا إلى النهب ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾ يعني: الذين ثبتوا حتى قتلوا.
أخبرنا الإمام أبو طاهر الزيادي، أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم العدل^(٨) حدثنا محمد بن مسلم بن
وارة^(٩)، حدثنا أحمد بن المفضل^(١٠)، حدثنا أسباط^(١١) عن السدي، عن عبد خير^(١٢)، عن ابن مسعود، قال:

- (١) انظر مجاز القرآن ١٠٤/١ وفتح القدير ٣٨٩/١ عن أبي عبيدة والقرطبي ٢٣٥/٤ عن أبي عبيدة، والزجاج ٤٩٢/١ والطبري ٨٧/٧ - ٢٨٨ عن الحسن وغيره، والزاهر ٣٣١/١ وغريب القرآن ١١٣ والدر ٨٥/٢ - ٨٦ عن عبد الرحمن بن عوف وابن عباس ومجاهد والضحاك.
(٢) انظر المستدرک - كتاب التفسير - عن ابن عباس «صحيح الإسناد» (٢٩٦/٢ - ٢٩٧) والطبري ٢٨١/٧ - ٢٨٥ عن السدي والبراء وابن عباس وابن إسحاق والدر ٨٣/٢ عن عروة وابن عباس وفتح القدير ٣٨٩/١.
(٣) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي أبو سليمان سيف الله، أسلم قبل غزوة مؤتة بشهرين وكان النصر على يده يومئذ، روى عنه ابن خالته ابن عباس وعلقمة وجبير بن نصير توفي سنة ٢١ هـ. (الكاشف ٢٧٥/١).
(٤) في (٥): قوله. (٥) انظر اللسان / فشل. (٦) في (هـ): الرماة. (٧) في (ح): لا تجاوز.
(٨) في (د) أبو يحيى: وهو: علي بن إبراهيم بن سلمة الحافظ العلامة الثقة الجامع أبو الحسن القزويني القطان الذي روى عن ابن ماجة سنه ولد سنة ٢٥٤ هـ رحل وروى عن أبي حاتم الرازي وطبقته توفي سنة ٣٤٥ هـ عن ٩١ سنة.
(النجوم الزاهرة ٣١٦/٣ والشذرات ٣٧٠/٢).
(٩) الحافظ الثبت الكبير أبو عبد الله محمد بن مسلم بن عثمان بن وارة الرازي روى عنه النسائي والبخاري خارج صحيحه ومحمد بن المسيب الأرياني وابن مجاهد وابن أبي حاتم وقال هو ثقة صدوق، وقال النسائي: ثقة صاحب حديث توفي سنة ٣٧٠ هـ. (تذكرة الحفاظ ٥٧٥/٢ - ٥٧٦).
(١٠) في (د) المظفر وهو: أحمد بن المفضل القرشي الأموي أبو علي الكوفي الحضري روى عن الثوري وأساطيل وإسرائيل وغيرهم وعنه ابن أبي شيبة وأبو زرعة وأبو حاتم، أنى عليه أبو بكر بن أبي شيبة توفي سنة ٢١٥ هـ (تهذيب التهذيب ٨١/١).
(١١) أسباط بن نصر الهمداني أبو يوسف - ويقال أبو نصر - روى عن إسماعيل السدي وسماك بن حرب ومنصور بن المعتمر وغيرهم وعنه أحمد بن المفضل الحضري وطائفة قال النسائي ليس بالقوي وقال البخاري صدوق وذكره ابن حبان في الثقات. (تهذيب التهذيب ٢١١/١ - ٢١٢).
(١٢) عبد خير بن يزيد بن بجيد بن جوني بن عبد عمرو بن عبد يعرب بن الصائد الهمداني الكوفي أبو عمارة أدرك الجاهلية وروى عن أبي =

ما كنت أدري أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا، حتى نزل فينا ما نزل يوم أحد ﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة﴾^(١).

قوله^(٢) ﴿ثم صرفكم عنهم﴾ أي: ردكم عنهم بالهزيمة على معنى صرف وجوهكم عنهم وهذا صريح^(٣) في أن المعصية مخلوقة لله، حيث أضاف انهزامهم إلى نفسه فقال ﴿صرفكم عنهم﴾ ولم يقل: انصرفتم.

قوله^(٤) ﴿ليتليكم﴾ أي: ليختبركم بما جعل عليكم من الدبرة والهزيمة فتبين الصابر من الجازع، والمخلص من المنافق ﴿ولقد عفا عنكم﴾ ذنبكم بعضيان الرسول والانهزام ﴿والله ذو فضل على المؤمنين﴾ قال ابن عباس: يريد المغفرة.

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الصوفي، أخبرنا إسماعيل بن نجيد، أخبرنا محمد بن الحسن بن الخليل، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم^(٥)، عن أبيه^(٦)، عن سهل بن سعد قال:

جرح رسول الله ﷺ يوم أحد، وكسرت ربايعيته^(٧) وهشمت البيضة^(٨) على رأسه وكانت فاطمة بنته تغسل الدم عنه، وعلي بن أبي طالب يسكب عليها الماء^(٩) بالمجن فلما رأته فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقته، حتى إذا صار رماداً ألزمته الجرح، فاستمسك الدم^(١٠).

قوله ﴿إذ تصعدون﴾ يقال: أصعد في البلاد، إذا سار ومضى، ومعنى ﴿تصعدون﴾: تبعدون في الهزيمة^(١١).

= بكر وابن مسعود وعلي وزيد بن أرقم وعائشة وعنه ابنه المسيب وأبو إسحاق السبيعي والشعبي وغيرهم وثقه ابن معين والعجلي عاش ١٢٠ سنة (تهذيب التهذيب ١٢٤/٦).

(١) انظر مجمع الزوائد - كتاب التفسير - رواه الطبراني في الأوسط وأحمد ورجال الطبراني ثقات عن ابن مسعود (٣٢٨/٦). والطبري ٢٩٥/٧ - ٢٩٦، وابن كثير ٤١٣/١ والدر ٨٤/٢، ٨٦ كلهم عن ابن مسعود.

(٢) في (ج، هـ): وقوله.

(٣) في (د): تصريح.

(٤) في غير (أ) وقوله.

(٥) عبد العزيز بن أبي حازم - واسمه سلمة - بن دينار أبو تمام الأسلمي مولاهم المدني سمع أباه ويزيد بن الهاد وهشام بن عروة وعنه علي بن المدني وغيره توفي سنة ١٨٤ هـ (الجمع ٣٠٨/١).

(٦) سلمة بن دينار أبو حازم الأعرج المخزومي سمع سهل بن سعد وعبد الله بن أبي قتادة ويزيد بن رومان وغيرهم توفي سنة ١٣٣ هـ وقيل سنة ١٣٥ وقيل سنة ١٤٠ هـ (الجمع ١٩١/١).

(٧) «الرباعية» مثل الثمانية: إحدى الأسنان الأربع التي تلي الشاي، بين الثنية والناب قال الأصمعي: للإنسان من فوق نيتان ورباعيتان بعدهما ونابان وضاحكان وستة أرجاء من كل جانب وناجدان، وكذلك من أسفل (اللسان / ربع).

(٨) «البيضة»: من السلاح، سميت بذلك لأنها على شكل بيضة النعام. (اللسان / بيض).

(٩) في (ج، د): يسكب عليها بالمجن، و«المجن» الترس (اللسان / جن، مجن، وفتح الباري ٢٨٣/١).

(١٠) أخرجه مسلم في الصحيح - كتاب الجهاد - باب غزوة أحد وفيه «الصفقة بالجرح» (١٠١/٢ - ١٠٢). والبخاري - كتاب المغازي - باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد (٢٦/٣)، والطبراني في الكبير ٢١١/٦، وفتح الباري ٢٨٢/١ - ٢٨٣، ٧١/٦ - ٧٣. كلهم من حديث سهل بن سعد.

(١١) انظر المعنى في مجاز القرآن ١٠٥/١ وغريب القرآن ١١٤، والقراء ٢٣٩/١ والأخفش ٤٢٤/١.

﴿ولا تلوون على أحد﴾ لا تعرجون ولا تقيمون، يقال: مضى فلم يلو على شيء، أي: لم يعرج، وأصله من لي العنق في الالتفات ثم استعمل في ترك التعرّيج^(١).

﴿والرسول يدعوكم في أخراكم﴾ أي: من خلفكم يقول: إليّ عباد الله إليّ عباد الله^(٢).

يقال: جاء فلان في آخر الناس وآخره الناس، وأخرى الناس إذا جاء خلفهم^(٣). وقوله^(٤) ﴿فأثابكم غمّاً بغم﴾ «الباء» بمعنى «اللام»، أي: جعل مكان ما ترجعون^(٥) من الثواب أن غمكم بالهزيمة، وظفر^(٦) المشركين (بغم^(٧)) أي: بغمكم رسول الله ﷺ إذ عصيتموه فعصيتهم^(٨) أمره، فالغم الأول لهم، والثاني للنبي عليه السلام وهذا القول اختيار الزجاج^(٩).

قوله^(١٠) ﴿والله خبير بما تعملون﴾ تذكير للتحذير^(١١).

قوله^(١٢) ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنةً نعاساً﴾ قال المفسرون^(١٣): إن المشركين لما انصرفوا يوم أحد كانوا يتوعدون^(١٤) المسلمين بالرجوع، ولم يأمن المسلمون كرتهم، وكانوا تحت الحَجَف^(١٥) متأهبين للقتال فأنزل الله تعالى عليهم دون المنافقين أمنة، فأخذهم النعاس.

قال ابن عباس^(١٦): آمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف، وإنما ينعس من أمن^(١٧) والخائف لا ينام.

قال أبو طلحة: رفعت رأسي يوم أحد فجعلت لا أرى أحداً من القوم إلا وهو^(١٨) يمشي تحت حجفته من النعاس قال: وكنت^(١٩) ممن ألقى عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدي، فأخذه، ثم يسقط السوط من يدي فأخذه^(٢٠).

(١) انظر في ذلك: اللسان / لوى، ومفردات الزاغب / لوى.

(٢) انظر مسند الإمام أحمد ٣/٣٧٦، عن جابر، والطبري ٧/٣٠١، ٣٠٢-٣٠٣ عن قتادة والسدي «قال المحقق» انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/١٥٠ ومعاني القرآن للفراء ١/٣٣٩ وسيرة ابن هشام ٣/١٢١. والدر ٢/٨٧ عن ابن عباس، وابن كثير ١/٤١٤، وفتح القدير ١/٣٩٠ «أخرجه ابن جرير وابن المنذر».

(٣) انظر الفراء ١/٢٣٩.

(٤) في (د): قوله.

(٥) في (ج، د): ترجعون.

(٦) في (ج، هـ): وقوله.

(٧) في (د): يأمّن، وفي (هـ): يمين.

(٨) في (د): يمين.

(٩) انظر الفراء ١/٤٩٣ والرازي ٩/٤٠ عن الزجاج والطبري ٧/٣١٣ وفتح القدير ١/٣٩٢ كلها عن ابن عباس.

(١٠) في (د): يمين، وفي (هـ): يمين.

(١١) في (ج): من القوم يمشي.

(١٢) في (د): فكنت.

(١٣) انظر صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب (أمنة نعاساً) عن أنس (٣/١١٤) والترمذي - كتاب التفسير - باب من سورة آل عمران رقا

٤٠٩٣، ٤٠٩٥ عن أنس عن أبي طلحة (٤/٢٩٧)، والمستدرک - كتاب التفسير - (٢/٢٩٧). ودلائل أبي نعیم . (٢/٤٢١).

و «الأمنة» مصدر كالأمن، يقال: أمن فلان يأمن أمنا وأمنة وأماناً^(١). و «النعاس» بدل^(٢) من الأمنة.

قوله^(٣) ﴿يغشى طائفة منكم﴾ قرئء بالياء والتاء^(٤) فمن قرأ بالياء، فلأن النعاس هو الغاش، والعرب تقول: غشيني النعاس، وقل ما غشيني الأمن.

ومن قرأ بالتاء، جعل الأمنة هي الغاشية، لأن الأصل الأمنة، والنعاس بدل، والأمنة هي المقصود، وإذا حصلت الأمنة حصل النعاس.

وقوله^(٥) ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾ يعني: المنافقين، عبد الله بن أبي، ومعتب بن قشير^(٦) وأصحابهما، كان همهم خلاص أنفسهم^(٧).

يقال: أهمني^(٨) الشيء، أي: كان من همي وقصدي.

قوله^(٩) ﴿يظنون بالله غير الحق﴾ أي: يظنون أن أمر محمد ﷺ مضمحل، وأنه لا ينصر ﴿ظن الجاهلية﴾ وهي زمان الفترة قبل الإسلام.

والتقدير: ظن أهل الجاهلية، أي: أنهم كانوا على جهالتهم في ظنهم هذا. ﴿يقولون هل لنا من الأمر من^(١٠) شيء﴾ هذا استفهام معناه الجحد، أي: ليس لنا من النصر والظفر شيء كما وعدنا، بل هو للمشركين، يقولون ذلك على جهة التكذيب فقال^(١١) الله تعالى: ﴿قل إن الأمر كله لله﴾ قال ابن عباس^(١٢): يريد القضاء والقدر والنصرة والشهادة وقرأ أبو عمرو ﴿كله﴾ بالرفع على الابتداء و«الله» الخبر^(١٣).

(١) انظر غريب القرآن ١١٤ والبيان ٣٠٢/١.

(٢) في (هـ): بدلاً.

(٣) في غير (أ) وقوله.

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر (يغشى) بالياء وحجتهم - أيضاً - أن الجميع أسندوا الفعل في قوله (إذ يغشيكم النعاس) إلى النعاس.

وقرأ حمزة والكسائي بالتاء والإمالة رداً على (أمنة) وحجتها: قوله (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) فذكر من غشيته الأمنة ثم أتبعه وبعضهم خائف لم تغشه.

(انظر الحجة لأبي زرعة ١٧٦ - ١٧٧ والسبعة ٢١٧ والنشر ٢٤٢/٢ والزجاج، ٤٩٤/١، والبيان ٣٠٣/١، والفراء ٢٤٠/١ والحجة لابن خالويه ١١٤ - ١١٥).

(٥) في (د): قوله.

(٦) معتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطف بن ضبيعة بن زيد بن مالك الأنصاري الأوسي، شهد العقبة وبدراً وأحدًا، لا عقب له. (أسد الغابة ٢٢٥/٥).

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٥٨ والزجاج ٤٩٤/١ والطبري ٣٢٠/٧ - ٣٢٢ عن قتادة والربيع وابن إسحاق وابن زيد وابن جريج والدرر ٨٨/٢ عن ابن جريج وابن عباس والحسن.

(٨) في (د، هـ): من الأمر شيء.

(٨) في (ح): همني، وانظر اللسان / همم.

(٩) في (د): وقال الله.

(٩) في (ج، هـ): وقوله.

(١٢) انظر تفسير القرطبي ٢٤٢/٤ والبغوي ٤٣٧/١ كلاهما عن ابن عباس، وغرائب النيسابوري ١١٠/٤ والخازن ٤٣٦/١.

(١٣) انظر الحجة لأبي زرعة ١٧٧ والسبعة ٢١٧ والنشر ٢٤٢/٢ والبيان ٢٤٢/٢ والحجة لابن خالويه (١١٥).

قال الفراء (١): ومثله مما قطع مما قبله قوله (٢) ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ (٣) ومن هذا أيضاً: ما أجازته (٤) سيويه من قولهم: أين (٥) تظن زيد ذاهب (٦).

وقوله (٧) ﴿يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك﴾ من الشك والتفاق، وتكذيب الوعد بالنصرة ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا﴾ (٨) يعنون: أنهم خرجوا كرهاً ولو كان الأمر بيدهم لم يخرجوا.

أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد المزكي، أخبرنا عبيد الله بن بطة الزاهد، أخبرنا أبو القاسم البغوي، حدثنا (٩) ابن الأموي (١٠) حدثني أبي (١١) عن ابن إسحاق (١٢) حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير (١٣)، عن أبيه عن عبد الله عن الزبير (١٤) قال:

والله إني لمع رسول الله ﷺ، وإن النعاس ليغشانا بعد الغم والكرب الذي كنا فيه إذ سمعت معتب بن قشير - ما أسمعها (١٥) إلا كالحلم - يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا (١٦).

ثم رد الله تعالى عليهم هذا الكلام بقوله تعالى: ﴿قل لو كنتم في بيوتكم﴾ أيها المنافقون ولم تخرجوا إلى أحد ﴿لبرز الذين كتب عليهم القتال إلى مضاجعهم﴾ يعني: لو تخلفوا عن القتال لخرج الذين كتب عليهم القتال، ولم يكن لينجيهم قعودهم.

ويريد بـ «المضاجع»: مصارعهم للقتل إلى حيث يسقطون هناك قتلى.

وقوله (١٧) ﴿وليتلى الله ما في صدوركم﴾ قال الزجاج (١٨): أي ليختبر ما في صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيباً، لأن المجازاة إنما تقع على ما علمه مشاهدة.

(١) انظر الفراء ٢٤٣/١.

(٢) في (ج): وقوله، وهي ساقطة من (هـ).

(٣) سورة الزمر / ٦٠.

(٤) في (د): اختيار.

(٥) في (د): أي تظن.

(٦) انظر الكتاب ١٢٤/١.

(٧) في (ج، د): قوله.

(٨) في (ج، د): ها هنا.

(٩) في (د): أخبرنا.

(١٠) ابن الأموي: سعيد بن يحيى بن أبان بن سعيد بن العاصي بن أمية بن عبد شمس القرشي، أبو عثمان البغدادي سمع أباه وعنه البخاري ومسلم توفي سنة ٢٤٩ هـ. (كتاب الجمع ١٧١/١).

(١١) يحيى بن أبان بن سعيد بن العاصي بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي الكوفي أبو أيوب أخو عتبة وعبيد وعبد الله، سمع الأعمش وابن جريج وطائفة، وعنه ابنه سعيد ومخلد بن مالك وداد بن رشيد توفي سنة ١٩٤ هـ وثقه ابن معين. (كتاب الجمع ٥٦٢/٢، وتهذيب التهذيب ٢١٣/١١ - ٢١٤).

(١٢) ابن إسحاق صاحب السيرة سبق.

(١٣) يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه وعن جده وعنه هشام بن عروة وابن إسحاق وثقه ابن معين ومات شاباً. (الميزان ٣٨٨/٤).

(١٤) عن عبد الله بن الزبير.

(١٥) في (د): سمعتها.

(١٦) انظر تفسير الطبري ٣٢٣/٧ وأسد الغابة ٢٢٥/٥ والدرر ٨٨/٢ وفتح القدير ٣٩٢/١ والدلائل لأبي نعيم ٤٢١/٢ وأسباب النزول للسيوطي ٦٤ - ٦٥ والبداية والنهاية ٣١١/٣ كلها عن الزبير.

(١٧) في (د): قوله.

(١٨) انظر الزجاج ٤٩٥/١ وتفسير ابن عباس ٥٨.

وتقدير الآية: وليبتلي الله ما في صدوركم فعل ما فعل يوم أحد.

وقوله ﴿وليمحص ما في قلوبكم﴾ قال قتادة^(١): ليظهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه في لقاء الأمتة، وصرف العدو، وإعلان سرائر المنافقين.

وهذا التمحيص خاص للمؤمنين دون المنافقين ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ أي: بما فيها من خير وشر.

قوله ﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان﴾ يعني: الذين انهزموا يوم أحد ﴿إنما استزلهم الشيطان﴾ أي: حملهم على الزلة، وكسبهم^(٢) الزلة ﴿ببعض ما كسبوا﴾ قال مقاتل^(٣): يعني معصيتهم النبي عليه السلام وتركهم المركز ﴿ولقد عفا الله عنهم﴾ غفر لهم تلك الخطيئة، قال قتادة في هذه الآية^(٤): تولى أناس من أصحاب النبي ﷺ^(٥) يوم أحد عن القتال وعن نبي الله، وكان ذلك من أمر الشيطان فأنزل الله ما تسمعون أنه قد تجاوز عن ذلك وعفا عنهم^(٦).

أخبرنا سعيد بن محمد بن أحمد بن حيان^(٧)، أخبرنا عبد الله بن محمد بن الحسن المروزي^(٨)، حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب^(٩)، حدثنا محمد بن الليث^(١٠)، حدثنا علي بن الحكم^(١١) حدثنا سلام القاري^(١٢) عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب:

أن عثمان بن عفان^(١٣) رفع صوته على عبد الرحمن بن عوف - وهو يومئذ خليفة - فقال له عبد الرحمن:

(١) انظر الخازن ٤٣٧/١ عن قتادة والزاهر ١٠٧/١ - ١٠٨ وغرائب النيسابوري ١١٢/٤.

(٢) وكسبهم - بتشديد السين - أي: حملهم، (عمدة القوي والضعيف ص ٨).

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٥٩ والدر ٥٩/٢ عن قتادة وسعيد بن جبير، وغرائب النيسابوري ١١٤/٤ والبحر ٩١/٣ والخازن ٤٣٧/١ والقرطبي ٢٤٤/٤ والرازي ٥٢/٩.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٥٩ والطبري ٣٢٨/٧ والدر ٨٩/٢ كلاهما عن قتادة.

(٥) في غير (أ) أصحاب رسول الله.

(٦) في (هـ): تجاوز عنهم وعفا عن ذلك.

(٧) في (أ): سعيد بن أحمد.

(٨) في (هـ): محمد بن الحسن، وهو: عبد الله بن محمد بن الحسن الكاتب أبو الحسين البغدادي زعم أنه سمع علي بن المدني وكان يعرف بالنبيل قل من روى عنه ويقي إلى سنة ٣٢٦ هـ لا يفرح به. (الميزان ٤٩٤/٢).

(٩) محمد بن أحمد بن محبوب التاجر المحبوبي أبو العباسي محدث مرو وشيخها ورئيسها روى جامع الترمذي عن مؤلفه توفي سنة ٣٤٦ هـ (شذرات ٣٧٣/٢).

(١٠) محمد بن الليث بن محمد بن يزيد أبو بكر الجوهري روى عنه أبو بكر بن مقسم وعبد الباقي بن قانع وأبو بكر القطعي وغيرهم وكان ثقة توفي سنة ٢٩٩ هـ.

(تاريخ بغداد ١٩٦/٣).

(١١) علي بن الحكم الأنصاري المروزي من قرية تدعى غراء سمع أبا عوانة وغيره وعنه البخاري توفي سنة ٢٢٦ هـ (كتاب الجمع ٣٥٦/١).

(١٢) أبو المنذر سلام بن سليم المزني مولاهم البصري ثم الكوفي النحوي المقرئ أخذ عن عاصم بن أبي النجود وأبي عمرو وحدث عن ثابت البناني وهو شيخ يعقوب الحضرمي المقرئ قال ابن معين لا بأس به وفي رواية لا شيء، وقال أبو حاتم صدوق صالح الحديث توفي سنة ١٧١ هـ (العبر ٢٠٠/١، والميزان ١٧٧/٢).

(١٣) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب أبو عبد الله يكنى بابنه من رقية بنت رسول الله =

بأيش^(١) ترفع صوتك عليّ ولقد شهدت بدرًا ولم تشهد، وبايعت رسول الله ﷺ ولم تبايع - يعني بيعة الرضوان - وفررت يوم أحد ولم أفر.

فقال له عثمان^(٢): أما قولك شهدت بدرًا ولم تشهد، فإن رسول الله ﷺ خلفني على ابنته، وأما ما ذكرت أنك^(٣) بايعت رسول الله ﷺ ولم أبايع فإن رسول الله ﷺ بعني إلى أناس من المشركين، فلما أبطأت عليه ضرب يمينه على شماله فقال: هذه لعثمان، فشمال^(٤) رسول الله ﷺ خير من يميني، ولقد علمت ذلك^(٥) أنت، وأما قولك فررت يوم أحد، فلمت بذنب عفا الله لي^(٦) عنه^(٧).

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَىٰ لَوْ كَانُوا
عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾
وَلَيْن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَيْن مِثْمٌ أَوْ قِتْلَةٌ
لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾

قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ الآية، قال ابن عباس^(٨) يريد قومًا من المنافقين قالوا فيمن بعثه رسول الله ﷺ من السرايا إلى بئر معونة^(٩) وإلى الرجيع، فأصيبوا: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا.

= ﷺ شهد له النبي ﷺ بالجنة استخلف في أول المحرم سنة ٢٤ هـ واستشهد يوم الجمعة ٨ من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ (كتاب الجمع ٣٤٧/١).

(١) «وقالوا: أي شيء ثم خفت الياء وحذفت الهمزة تخفيفاً وجعلا كلمة واحدة فقبل أيش قاله الفارابي» (المصباح المنيّر / شيا).

(٢) في (د): فقال عثمان.

(٣) في (هـ): بأنك.

(٤) في (د): وشمال.

(٥) في (ج، د): ذاك.

(٦) في (د): عفا الله عنه.

(٧) انظر فتح الباري - باب مناقب عثمان - عن عبد الله بن عمر (٤٧/٧ - ٣٨).

وفي كتاب المغازي - باب قوله الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ...﴾ عن ابن عمر ٢٩١/٧ والفتح الرباني ١٠٤/٢٣ - ١٠٥ ومسلم أحمد ٦٨/١، ٧٥.

والترمذي - كتاب المناقب - باب ٧٩ رقم ٣٧٩٢ «حسن صحيح» ٢٩٣/٥ - ٢٩٤.

ومجمع الزوائد ٨٤/٩ - ٨٥ عن سعيد بن المسيب، والدر ٨٩/٢ عن شقيق القرظي ٢٤٤/٤ والبحر ٩١/٣ والمطالب العلية ٥٢/٤ - ٥٣ عن سعيد بن المسيب.

(٨) انظر البحر ٩٣/٣ عن بكر بن سهل الدمياطي.

(٩) «بئر معونة: وهي بين أرض بني عامر وحرة بني سليم كلا البلدين منها قريب وهي إلى حمرة بني سليم أقرب» (وهي من أرض نجد» (سيرة ابن هشام ١٣٧/٣ - ١٣٨).

وفي (سيرة ابن هشام ١٣٦/٣) «بعث رسول الله ﷺ أصحاب بئر معونة في صفر على أربعة أشهر من أحد».

والرجيع: ماء لهذيل بناحية الحجاز على رأس الهدأة - بين عسفان ومكة على سبعة أميال من عسفان - ويوم الرجيع في سنة ثلاث من الهجرة.

(سيرة ابن هشام ١٢٠/٣ - ١٢١).

وقوله (١) ﴿وقالوا لإخوانهم﴾ أي: في النفاق ﴿إذا ضربوا في الأرض﴾ أي: ساروا وسافروا فيها ﴿أو كانوا﴾ (٢) غزى ﴿جمع غاز، مثل: صائم وصوم ونائم ونوم﴾ (٣).

وفي الآية محذوف يدل (٤) عليه الكلام والتقدير: إذا ضربوا في الأرض فماتوا، أو كانوا (٥) غزى فقتلوا. ﴿لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا﴾ وهذا (٦) الظاهر يدل على موتهم وقتلهم.

وقوله تعالى: ﴿ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم﴾ أي: ليجعل ظنهم أنهم لو لم يحضروا الحرب اندفع عنهم القتل، حسرة في قلوبهم وحسرتهم في مقاتلتهم التي كانوا كاذبين فيها على القضاء والقدر أشد عليهم مما نازلهم في قتل إخوانهم وموتهم.

وتقدير معنى الآية: لا تكونوا كهؤلاء، الكفار عن هذا القول منهم ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم دونكم.

﴿والله يجيبي ويميت﴾ أي: ليس ينفع الإنسان تحرزه من إتيان أجله على ما سبق في علم الله ﴿والله بما تعملون بصير﴾ - بالياء والتاء -، فمن قرأ بالتاء فلأن الآية خطاب وهو قوله ﴿ولا تكونوا﴾ ومن قرأ بالياء فللغيبية التي قبلها وهي قوله ﴿وقالوا لإخوانهم﴾ (٧).

قوله ﴿ولئن قتلتم في سبيل الله﴾ «اللام» في «لئن»: لام القسم بتقدير: والله لئن قتلتم في سبيل الله أيها المؤمنون ﴿أو متم﴾ في سبيل الله.

وقرىء «متم» - بكسر الميم - (٨) وهو شاذ، ونظيره في الصحيح: فضل يفضل.

والخطاب للمؤمنين، يقول الله (٩) تعالى ﴿ولئن قتلتم﴾ في الجهاد ﴿أو متم﴾ ليغفرن لكم، وهو قوله ﴿لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون﴾ من أعراض الدنيا التي تتركون القتال في سبيل الله للاشتغال بجمعها.

وقرأ حفص ﴿يجمعون﴾ بالياء (١٠)، ويكون المعنى: لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعه غيركم مما تركوا القتال لجمعه.

(١) في (د): قوله.

(٢) في (ح): وكانوا.

(٣) في غير (أ) مثل نائم ونوم وصائم وصوم.

(٤) في (د): وكانوا.

(٥) في (هـ): وهذه.

(٦) في (د): وكانوا.

(٧) في (د): وكانوا.

(٨) في (د): وكانوا.

(٩) في (د): وكانوا.

(١٠) في (د): وكانوا.

(١) في (د): قوله.

(٢) في (ح): وكانوا.

(٣) في غير (أ) مثل نائم ونوم وصائم وصوم.

(٤) في (د): وكانوا.

(٥) في (هـ): وهذه.

(٦) في (د): وكانوا.

(٧) في (د): وكانوا.

(٨) في (د): وكانوا.

(٩) في (د): وكانوا.

(١٠) في (د): وكانوا.

﴿ولئن متم﴾ يريد: مقيمين عن الجهاد ﴿أو قتلتم﴾ مجاهدين ﴿لإلى﴾ (١) الله تحشرون﴾ يعني: في الحاليين، وهذا تهديد بالحشر وتحذير من القيامة.

فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
وَسَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

قوله ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ (٢) «ما» ها هنا: صلة لا تمنع «الباء» من عملها فيما عملت فيه، وهي كثرة في القرآن، كقوله ﴿عما قليل﴾ (٣) و﴿جند ما هنالك﴾ (٤)، ﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ (٥).

والمعنى: فبرحمة من الله ﴿لنت لهم﴾ أي: سهلت أخلاقك، وكثر احتمالك. يقال: لان يلين لينا وليانا إذا راق وحسن خلقه وانقاد (٦).

﴿ولو كنت فظًّا﴾ «الفظ»: الغليظ (٧) الجانب، السيء الخلق، يقال: ففظت تفظ فظاظه، فأنت فظ (٨).

وقال الكلبي (٩): لو كنت فظًّا في القول ﴿غليظ القلب﴾ في الفعل ﴿لأنفصوا﴾ (١٠) من حولك ﴿لنفرقوا ونفروا منك. وقوله (١٢) ﴿فاعف عنهم﴾ أي: عن الشيء يكون (١٣) منهم ﴿واستغفر لهم﴾ من ذلك الذهب ﴿وساورهم في الأمر﴾ قال قتادة (١٤) أمر الله تعالى نبيه أن يشاور أصحابه في الأمور وهو يأتيه وحى السماء (١٥)، لأنه أطيب لأنفس القوم إذا شاور بعضهم بعضاً.

وقال الضحاك (١٦) ما أمر الله نبيه بالمشورة إلا لما يعلم «ما» (١٧) فيها من الفضل. وروى عمرو بن دينار عن ابن

(١) في (هـ): إلا إلى. (٢) في (د، هـ): لنت لهم. (٣) سورة المؤمنون / ٤٠.

(٤) سورة ص / ١١.

وانظر في معنى «ما»: الزجاج ٤٩٧/١ وتفسير ابن عباس ٥٩ والتبيان ٣٥٥/١ وغريب القرآن ١١٤ والمشكل ١٧٨/١ ومجاز القرآن ١٠٧/١ والفراء ٢٤٤/١ - ٢٤٥ والأخفش ٤٢٧/١ والطبري ٣٤٠/٧ والدر ٨٩/٢ وابن كثير ٤٢٠/١ كلاهما عن قتادة وفتح القدير ٣٩٣/١ قال ابن كيسان: إنها نكرة في موضع جر بالياء و«رحمة» بدل منها.

(٥) سورة النساء / ١٥٥، والمائدة / ١٣.

(٦) انظر اللسان / لين، ومفردات الراغب / لين، والمصباح المنير / لان.

(٧) في (حـ): فظًّا غليظ الجانب.

(٨) انظر اللسان / فظظ، ومفردات الراغب / فظ، والمصباح المنير / فظ.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٥٩، والبغوي ٤٣٨/١ عن الكلبي والوجيز للواحدى ١٢٧/١.

(١٠) في (د): (لأنفصوا من حولك) أي.

(وانظر في معنى (انفصوا): مجاز القرآن ١٠٧/١ والزاهر ٢٧٤/١ والوجيز للواحدى ١٢٧/١).

(١١) في (هـ): من جانبك.

(١٢) في (جـ، هـ) الشيء الذي يكون.

(١٣) في (د): قوله.

(١٤) انظر تفسير الطبري ٣٤٣/٧ - ٣٤٤ عن قتادة والربيع والدر ٩٠/٢ عن قتادة.

(١٥) في (د): (الوحي من السماء، وفي (هـ): وحى الله من السماء.

(١٦) انظر تفسير الطبري ٣٤٤/٧، والدر ٩٠/٢ عن الضحاك بن مزاحم.

(١٧) من (هـ).

عباس في قوله ﴿وشاورهم في الأمر﴾ قال: يريد أبا بكر وعمر^(١).

وقوله تعالى^(٢): ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ أي: على ما تريد إيماءه ﴿فتوكل على الله﴾ لا على المشاورة. ومعنى «التوكل»: تفويض الأمر إلى الله للثقة بحسن تدبيره.

إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾

وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ أي: من الناس^(٣)

والمعنى: إن ينصركم الله لم يضركم خذلان من خذلكم^(٤)

﴿وإن يخذلكم﴾ معنى «الخذلان» القعود عن النصرة وقت الحاجة إليها. ﴿فمن ذا الذي ينصركم [من بعده﴾ هذا استفهام بمعنى النفي، أي: لا ينصركم^(٥) أحد من بعده.

وقال الكلبي^(٦) ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ﴾ يعني أصحاب رسول الله ﷺ كما فعل يوم بدر ﴿فلا غالب لكم وإن يخذلكم﴾ كما كان يوم أحد ﴿فمن ذا الذي ينصركم﴾ أي: يمنعكم من عدوكم.

وقوله ﴿من بعده﴾ ظاهر الكناية^(٧) يعود إلى اسم الله تعالى. والمعنى: على حذف المضاف بتقدير: من بعد خذلانه.

وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلُ وَمَنْ يُغْلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تَوَقَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾

قوله عز وجل^(٨) ﴿وما كان لِنبي أن يغُل﴾ روى عكرمة عن ابن عباس^(٩): فقدت قطيفة حمراء يوم بدر

(١) انظر الدر ٩٠/٢ وفتح القدير ٣٩٥/١ كلاهما عن ابن عباس.

هذا «مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحي عليه، ووجوب طاعته على الخلق فيما أحبوا أو كرهوا، قال بعض العلماء: هو خاص، والمعنى: أي شاورهم فيما ليس عندك فيه من الله عهد أي: نص، وقال الكلبي: ناظرهم من المناظرة في لقاء العدو ومكايد الحرب عند الغزوة» (حاشية أ).

(٢) في (د): قوله.

(٣) انظر المصباح المنير / وكل، واللسان / وكل.

(٤) انظر اللسان / خذل، ومفردات الراغب / خذل، والمصباح المنير / خذل.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ه).

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٥٩ وغرائب النيسابوري ١٢٣/٤ والرازي ٦٨/٩ كلاهما عن ابن عباس والبغوي والخازن ٤٣٩/١.

(٧) في (ه): الكتاب.

(٨) في (د، ه) قوله تعالى.

(٩) انظر الترمذي في جامعه - كتاب التفسير - رقم ٤٠٩٦ عن ابن عباس «حسن غريب» (٢٩٧/٤ - ٢٩٨) وتفسير الثوري ٨١ والطبري ٣٤٨/٧ - ٣٤٩ وابن كثير ٤٢١/١ وأسباب النزول للواحدي ٩٣ - ٩٤ وللسيوطي ٦٥ كلها عن ابن عباس، والدر ٩١/٢ عن ابن عباس وسعيد بن جبیر، والوجيز ١٢٧/١ وسنن أبي داود - كتاب الحروف والقراءات - رقم ٣٩٧١ عن ابن عباس (٣١/٤) والرازي = الوسيط في تفسير القرآن المجيد/ج ١/م ٣٣

مما أصيب من المشركين فقال أناس: لعل النبي ﷺ أخذها فأنزل الله تعالى ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾ أي: يخون من الغلول، وهو الخيانة وأصله أخذ الشيء في خفية^(١) يقول: ما كان لنبي أن يخون فيكم الغنيمة من أصحابه.

و«أن» مع الفعل بمنزلة المصدر. كأنه قيل: ما كان لنبي الغلول، أراد: ما غل^(٢) نبي ينفي عن الأنبياء الغلول.

وقرىء ﴿يغفل﴾ - بضم الياء وفتح الغين - من الاغلال، وهو النسبة إلى الغلول^(٣) قال الفراء^(٤): قرأ أصحاب عبد الله ﴿يغفل﴾ يريدون: أن يسرق ويخون، وذلك جائز، وإن لم يقل: ﴿يغفل﴾، فيكون مثل قوله^(٥) تعالى: ﴿فإنهم لا يكذبونك﴾ و﴿لا يكذبونك﴾^(٦).

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن إبراهيم النجار^(٨)، حدثنا سليمان بن أيوب الطبراني^(٩)، حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد النرسي^(١٠)، حدثنا أبو عمر الدوري المقرئ، عن أبي محمد البيهقي^(١١) عن أبي عمرو بن العلاء، عن مجاهد عن ابن عباس:

أنه كان ينكر على من يقرأ ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾ ويقول: كيف لا يكون له أن يغفل، وقد كان يقتل، قال الله ﴿ويقتلون الأنبياء﴾^(١٢) ولكن المنافقين اتهموا النبي ﷺ في شيء من الغنيمة، فأنزل الله تعالى: ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾^(١٣).

= ٧٠/٩ عن عكرمة وسعيد بن جبير، وأحكام القرآن لابن العربي ٢٩٩/١.

(٢) في (د): ما غلا.

(١) في (ح) من خفية وفي (أ): في خيفة.

(٣) قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو (أن يغفل) - بفتح الياء وضم الغين - وحثهم: أن النبي ﷺ جمع الغنائم في غزاة فجاه جماعة فقالوا: ألا تقسم لنا؟ فقال ﷺ: لو أن لكم مثل أحد ذهباً ما منعكم درهماً أتروني أغلكم مغنمكم؟ فنزلت ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾ أي: ما ينبغي له أن يجوز في القسم. وحجة أخرى: أن المستعمل في الكلام العرب أن يقال لمن فعل ما لا يجوز له: أن يفعل: ما كان له أن يفعل كذا وكذا ولا يقال: أن يفعل.

وقرأ الباقون - بضم الياء وفتح الغين - وتأويله: ما كان لنبي أن يخان، وحثهم ما ذكر عن قتادة ما كان لنبي أن يغله أصحابه الذين معه من المؤمنين وقال آخرون، معنى ذلك: وما كان لنبي أن يتهم بالغلول.

(انظر الحجة لأبي زرعة ١٧٩ - ١٨١ والسبعة ٢١٨ والنشر ٢٤٣/٢ والتبيان ٣٠٦/١ والزجاج ٤٩٨/١ - ٤٩٩ والمشكل ١٧٥/١ وغريب القرآن ١١٤ - ١١٥، والأخفش ٤٢٧/١ والزاهر ٤٦٩/١ والحجة لابن خالويه ١١٥ - ١١٦).

(٤) انظر الفراء ٢٤٦/١ وغريب القرآن ١١٥ والحجة لأبي زرعة ١٨١ كلاهما عن الفراء.

(٥) في (د): وإن لم يغفل، وفي (هـ): وإن لم يكن.

(٨) في (هـ): البخاري.

(٦) في غير (أ) مثل قولهم.

(٩) في (أ) سليمان بن إبراهيم.

(٧) سورة الأنعام / ٣٣ وسيأتي الكلام في قراءتها هناك.

(١٠) في (د): المرسي، وهو: محمد بن أحمد بن يزيد بن النرس حدث عن أبي عمر الدوري المقرئ وروى عنه أبو القاسم الطبراني «أخبرنا محمد بن عبد الله بن شهريار قال: أنبأنا سليمان بن أحمد الطبراني قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن يزيد النرسي البغدادي قال: أنبأنا أبو عمر حفص بن عمر الدوري المقرئ عن أبي محمد البيهقي عن أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس: أنه كان ينكر على من يقرأ ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾» (تاريخ بغداد ٣٧٢/١ - ٣٧٣).

(١١) أبو محمد البيهقي: يحيى بن المبارك البيهقي المقرئ صاحب التصانيف الأدبية وتلميذ أبي عمرو بن العلاء، بصري فزل بغداد أخذ عن الخليل وغيره وحدث عن أبي عمرو بن العلاء وعنه ابنه محمد وأبو عمر الدوري وخلق توفي سنة ٢٠٢ هـ عن ٧٤ سنة. (شذرات ٤/٢).

(١٢) سورة آل عمران ١١٢/.

(١٣) انظر تاريخ بغداد ٣٧٢/١ - ٣٧٣ والثوري ٨١ وغرائب النيسابوري ١٢٩/٤ والدرر ٩١/٢ عن ابن عباس.

أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبيد الله المخلدي، أخبرنا إبراهيم بن أحمد بن رجاء، أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي، حدثنا عبد الواحد بن غياث^(١) حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، قال: سمعت أبا حميد الساعدي^(٢) يقول:

استعمل رسول الله ﷺ ابن اللتبية^(٣) على الصدقة، فلما جاء قال: هذا لكم وهذه الهدية أهديت إلي، فقال النبي ﷺ: ألا جلست في بيت أمك وأبيك حتى تأتيك هديتك؟ ثم قال: أما^(٤) والذي نفس محمد بيده، ما يأخذ أحدكم شيئاً بغير حقه إلا جاء يوم القيامة وهو يحمله على عنقه، فلا أعرفن^(٥) رجلاً يجيء يوم القيامة وهو يحمل على عنقه بغير آله رغاء^(٦)، أو بقرة لها خوار^(٧)، أو شاة تُعير^(٨)، ثم بسط يده حتى رأيت بياض أبطيه فقال: ألا هل بلغت - ثلاثاً - رواه مسلم عن أبي كريب، عن أبي أسامة عن هشام بن عروة^(٩)

وقوله تعالى: ﴿ثم توفي كل نفس ما كسبت﴾ قال ابن عباس^(١٠): يريد تجازى ثواب عملها ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً.

أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَاؤُنْهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٦﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ
وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٧﴾

قوله ﴿أفمن اتبع رضوان الله﴾ يعني: بالعمل بطاعته والإيمان به ﴿كمن باء بسخط من الله﴾ في العمل بمعصية الله والكفر به، قال ابن عباس^(١١) ﴿أفمن اتبع رضوان الله﴾ يريد: المهاجرين والأنصار ﴿كمن باء بسخط من الله﴾ يريد: المنافقين.

وقال الزجاج^(١٢): يروي أن النبي ﷺ حين أمر المسلمين يوم أحد بالحرب اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة

(١) في (د): عتاب، وفي (هـ): عثاث، سبق.

(٢) عبد الرحمن بن سعد بن المنذر - ويقال: ابن سعد بن مالك - أبو حميد الساعدي الأنصاري المدني سمع النبي ﷺ مات في آخر خلافة معاوية.

(كتاب الجمع ١/٢٨٢).

(٣) عبد الله بن اللتبية الأزدي استعمله رسول الله ﷺ على بعض الصدقات «الحديث عن أبي حميد الساعدي» (أسد الغابة ٣/٣٧٤). وفي تفسير الطبري ٧/٣٥٩ «ابن الأتبية».

(٤) في (هـ): ثم قال والذي.

(٥) في (د، هـ): فلا أعرفن.

(اللسان / رغا).

(٦) «الخوار: صوت الثور وما اشدت من صوت البقرة والعجل وقد خار يخور خوارا»: (اللسان / خور).

(٨) يعرث العنز تيعر - بكسر العين - يُعارا - بضم الياء -: صاحت (اللسان / يعر وحاشية أ).

(٩) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الإمارة - باب تحريم هدايا العمال - عن عروة عن أبيه عن أبي حميد (٢/١٢٨) وأبو داود - كتاب الخراج - باب هدايا العمال رقم ٢٩٤٦ عن أبي حميد (٣/١٣٤ - ١٣٥) وفتح الباري - كتاب الهبة - باب من لم يقبل الهدية لعله - عن أبي حميد (٥/١٦٨).

(١٠) انظر تفسير الطبري ٧/٣٦٤ والخازن ١/٤٤١.

(١١) انظر غرائب النيسابوري ٤/١٣١ والخازن ١/٤٤٢ والرازي ٩/٧٤.

(١٢) انظر الزجاج ١/٥٠١ وغرائب النيسابوري ٤/١٣١ والرازي ٩/٧٤ كلاهما عن الزجاج.

من المنافقين، فأعلم الله أن من اتبع نبيه اتبع رضوان الله، وأن من تخلف عنه فقد باء بسخط من الله.
ومعنى «بأه به»^(١) : احتمله ورجع به، وذكرنا هذا في سورة البقرة^(٢).

قوله ﴿هم درجات عند الله﴾ أي : أهل درجات، أو ذو^(٣) درجات، فحذف المضاف والمعنى : أن المؤمنين ذوو درجة^(٤) رفيعة، والكافرين ذوو درجة^(٥) خسيصة.

قال ابن عباس^(٦) : يعني أن من اتبع رضوانه ومن باء بسخط منه مختلفو^(٧) المنازل عند الله، فلمن اتبع رضوانه الكرامة والثواب، ولمن باء بسخط منه المهانة والعذاب.

وهذا قول الكلبي، قال^(٨) أهل الجنة بعضهم أفضل من بعض، وكل في فضل وكرامة، وأهل النار بعضهم أسوأ عذاباً من بعض، وكل في عذاب وهوان.

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لِنِي ضَلَّالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾

قوله ﴿لقد من الله على المؤمنين﴾ أي : أنعم عليهم وأحسن إليهم ﴿إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ هذا^(٩) خاص للعرب لأن النبي ﷺ كان من العرب، ولم يكن حي من أحياء العرب إلا وقد ولده وله فيهم نسب، وير بني تغلب، لأنهم كانوا نصارى فظهره الله منهم^(١٠)

ومعنى ﴿من أنفسهم﴾ من نسيهم، قال ابن عباس^(١١) : يريد من نسيهم وهو من ولد إسماعيل وهذا قول عائشة، رضي الله عنها، لأنها قالت : هذا للعرب خاصة^(١٢).

وقال آخرون : المراد به^(١٣) المؤمنون كلهم، ومعنى ﴿من أنفسهم﴾ أنه واحد منهم يعرفونه ويعرفون نسبه وليس بملك ولا أحد من غير بني آدم، وهذا القول اختيار الزجاج، قال : لو كانت المنة فيه أنه من العرب لكان العجم لا منة عليهم ولكن المنة فيه أنه قد خبر أمره وشأنه، وعلم صدقه بعد أن علموا أنه كان واحداً منهم فكان أيسر عليهم معرفة أحواله من الصدق والأمانة^(١٤).

(١) في (د) : ومعنى باء.

(٢) انظر تفسير الآية ٦١ من سورة البقرة.

(٣) في (أ) : أو ذو، وفي (ح) : وذو، وفي (د) : أو ذووا، وفي (هـ) : أي ذو.

(٤) في (أ، ح، هـ) : ذو، وفي (د) : ذووا، وفي (هـ) : ذو درجات.

(٥) في (هـ) : دركة درجة.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٦٠ والبغوي ٤٤٢/١ والخازن ٤٤٣/١ كلاهما عن ابن عباس والوجيز ١/١٢٨.

(٩) في (أ) : وهو.

(٧) في (أ، ح، د) : مختلفوا وفي (هـ) : مختلفي.

(١٠) انظر البحر ٣/١٠٣.

(٨) انظر تفسير القرطبي ٤/٢٦٣ والبغوي ٧/٣٢ بنحوه عن عطاء.

(١١) انظر البحر ٣/١٠٣ عن ابن عباس وقتادة وغرائب النيسابوري ٤/١٣٣.

(١٢) انظر تفسير القرطبي ٤/٢٦٤ والدر ٢/٩٣ كلاهما عن عائشة وفتح القدير ١/٣٩٥.

(١٣) في (ح) : أراد به المؤمنين، وفي (د) : أراد المؤمنين.

(١٤) انظر الزجاج ١/٥٠٢ - ٥٠٣ وابن كثير ١/٤٢٤.

وقوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ أي: وما كانوا من قبل محمد إلا في ضلالة^(١) كقوله ﴿وإن كنتم من قبله لمن الظالمين﴾^(٢).

أَوْ لَمَّا أَصَبْتُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانَ فَيَا ذُنَّ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنَقُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أِطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرءُوا عَنَّا أَنْفُسَكُمْ أَلَمْ تَكُنْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾

قوله^(٣) ﴿أولما أصابتكم مصيبة﴾ يعني: أو حين أصابتكم، ألف الاستفهام دخلت على واو العطف، وأراد بـ «المصيبة»: ما أصابهم يوم أحد. وقوله^(٤) ﴿قد أصبتم مثليها﴾ يعني: يوم بدر، وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين، وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين وأسروا سبعين^(٥) ﴿قلتم أني هذا﴾ قلتم من أين أصابنا هذا القتل والهزيمة وقد تقدم الوعد بالنصر^(٦) ونحن مسلمون ورسول الله ﷺ فينا؟

﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ أي: إنكم تركتم المركز، وطلبتم الغنيمة وعصيتم الرسول، فمن قبلكم جاء الشر^(٧).

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ أي: يأخذكم الفداء، وذلك أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ يوم بدر فقال: يا محمد إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الأسارى وقد أمرك أن تخيرهم بين أن يقدموا الأسارى فيضربوا أعناقهم وبين أن يأخذوا^(٨) الفداء على أن يقتل منهم عدتهم، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لقومه.

فقالوا: يا رسول الله عشائرتنا وأخواننا، لا، بل تأخذ فداءهم فنقوى به على قتال العدو ويستشهد منا بعددهم فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلاً عدد أسارى أهل بدر، فهو^(٩) معنى قوله ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ أي: يأخذكم واختياركم القتل^(١٠).

(٣) في (د، هـ): وقوله.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(٤) في (ح): قوله.

(٢) سورة البقرة / ١٩٨.

(٥) انظر الزجاج ٥٠٣/٢ وغريب القرآن ١١٥ والطبري ٣٧١/٧ - ٣٧٢ عن قتادة وغرائب النيسابوري ١٣٤/٤ والبغوي ٤٤٣/١ - ٤٤٤ والدر ٩٣/٢ - ٩٤ وعن عكرمة وقاتدة، وأسباب النزول للواحدي ٩٤ والسيوطي ٦٥، وفتح القدير ٣٩٧/١ عن عكرمة.

(٦) في (د): بالنصر.

(٧) انظر الزجاج ٥٠٣/١ والفراء ٢٤٦/١ وغرائب النيسابوري ١٣٤/٤ والدر ٩٣/٢ عن ابن عباس وابن جريج.

(٨) في (هـ): تأخذ.

(٩) في (د): فهذا.

(١٠) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٨٦/١٢ - ٨٧، والدر ٩٣/٢ وابن كثير ٤٢٥/١ وفتح القدير ٣٩٧/١ والطبري ٣٧٦/٧ وغرائب

النيسابوري ١٣٤/٤ والبحر ١٠٧/٣ ودلائل البيهقي ١٣٧/٣ ومصنف ابن أبي شيبة ٣٦٦/١٤ - ٣٦٨.

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: من النصر مع الطاعة وترك النصر مع المخالفة.

قوله ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقِيٍّ الْجَمْعَانِ﴾ يعني: يوم أحد التقى فيه المشركون والمسلمون ﴿فِيَاذَنَ اللَّهُ﴾ وقال ابن عباس^(١) فبقضاء الله ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ أي: ليظهر إيمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بفشلهم وقلة صبرهم على ما ينزل بهم.

وذكرنا معنى «علم الله» فيما لا يزال مع سبق علمه بالكائنات فيما لم يزل^(٢).

قال ابن عباس^(٣): يريد بالذين نافقوا: عبد الله بن أبي وأصحابه، وذلك أنهم انصرفوا عن رسول الله ﷺ يوم أحد، فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام^(٤): أذركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم، ودعاهم إلى القتال في سبيل الله [فذلك^(٥)] قوله ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا﴾^(٦) في سبيل الله أو ادفعوا.

قال السدي^(٧): ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا إن لم تقاتلوا معنا. وقال جماعة من المفسرين^(٨): ﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾ عن أهلكم وبلدكم وحريمكم^(٩) إن لم تقاتلوا في سبيل الله.

﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَّاكُمْ﴾ أي: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، يعنون: لا يكون اليوم قتال ولو نعم أنه يكون قتال لا تبعنناكم، ونافقوا بهذا القول لأنه كان في قلوبهم خلاف ما تكلموا به، قال الله تعالى ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ يريد: إنهم بما أظهروا من خذلان المؤمنين صاروا أقرب [إلى الكفر منهم]^(١٠) إلى الإيمان^(١١) وذلك أنهم قبل هذا كانوا بظاهر حالهم أقرب إلى الإيمان حتى هتكوا أنفسهم بما فعلوا وقالوا مما^(١٢) لم يكن في قلوبهم ذلك وهو قوله ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ أي: من النفاق.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ يعني^(١٤): عبد الله بن أبي وأصحابه قالوا لإخوانهم من المنافقين ﴿وَقَعَدُوا﴾ هم^(١٥) عن الجهاد مع رسول الله ﷺ «والواو»: للحال ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ في القعود عن الحرب يعنون:

= والترمذي في جامعه - كتاب السير - باب ما جاء في قتل الأسارى والفداء رقم ١٦١٤ «قال الترمذي: «حسن غريب من حديث الثوري، لا نعرفه إلا من حديث أبي زائدة» (٦٤/٣) كلهم من حديث علي رضي الله عنه.

(١) انظر تفسير ابن عباس ٦٠ وغرائب النيسابوري ١٣٥/٤ وابن كثير ٤٢٥/١. (٢) انظر تفسير الآية ١٤٣ من سورة البقرة.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٦٠ وعنده «فقال عبد الله بن جبيرة» والدر ٩٤/٢ والطبري ٣٧٨/٧ - ٣٧٩.

(٤) في (هـ) بن عمر، وهو: عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنيم بن كعب بن سلمة أحد النقباء في بيعة العقبة والد جابر بن عبد الله استشهد يوم أحد سنة ٣ هـ. (البداية والنهاية ١٦١/٣).

(٥) في (ح): فذلکم.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٧) انظر تفسير الطبري ٣٧٩/٧ - ٣٨٠ عن السدي وابن كثير ٤٢٥/١ عن ابن عباس وعكرمة والفراء ٢٤٦/١، والدر ٩٤/٢ عن ابن عباس وغرائب النيسابوري ١٣٥/٤، والرازي ٨٥/٩ كلاهما عن السدي وابن جريج، وفتح القدير ٣٩٨/١ عن ابن عباس والضحاك والوجيز ١٢٩/١.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٦٠ وغرائب النيسابوري ١٣٥/٤ وفتح القدير ٣٩٦/١. (١١) في (ح): للإيمان.

(٩) في (د): وحرمتکم.

(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(١٤) انظر تفسير مجاهد ١٣٩ والطبري ٣٨٣/٧ عن قتادة والسدي ومجاهد والربيع وابن كثير ٤٢٥/١، وغرائب النيسابوري ١٣٦/٤ والدر

٩٤/٢ عن قتادة والربيع وجابر والسدي وابن جريج.

(١٥) في (د): وقعدوا عن الجهاد.

شهداء أحد ﴿ما قتلوا﴾. فرد الله تعالى عليهم وقال ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿فادءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ أي: إن^(١) صدقتم أن الحذر ينفع من القدر^(٢).

ومعنى «الدرء» في اللغة: الدفع، ومنه قوله تعالى: ﴿ويدرؤا^(٣) عنها العذاب﴾.

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾
 ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

قوله ﴿ولا^(٤) تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا...﴾ الآية.

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أخبرنا إسماعيل بن أحمد الخلالى أخبرنا عبد الله بن زيدان البجلي، حدثنا أبو كريب، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن محمد بن إسحاق، عن إسماعيل بن أمية^(٥)، عن أبي أنزير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال:

قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق؟ لئلا يزهدوا في الجهاد ولا يتكلوا عند الحرب^(٦)، فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾^(٧).

(١) من الوجيز ١/١٢٩.

(٢) في (ج): مع القدر.

(٣) في (أ): وبدء، وفي (ج) وبدء، وفي (د، هـ): ويدرأ والتصحیح من المصحف والنص من سورة النور / ٨.

(٤) في (هـ): فلا.

(٥) في جميع النسخ وأسباب النزول للواحدى إسماعيل بن أبي أمية خطأ. والمثبت من كتب الحديث.

وانظر في ذلك: سنن أبي داود ٣/١٥ والفتح الرباني ١٨/١٠٩ والطبري ٧/٣٨٥ وهو: إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي روى عن ابن المسيب ونافع مولى ابن عمر وعكرمة مولى ابن عباس وأبي الزبير وغيرهم وعنه ابن إسحاق وابن جريج والثوري وغيرهم وثقه ابن معين وأبو حاتم والنسائي وأبو زرعة زاد أبو حاتم: رجل صالح توفي سنة ١٣٩ هـ، وقيل سنة ١٤٤ هـ روى له البخاري ومسلم (تهذيب التهذيب ١/٢٨٣، الجمع ٢/٢٤).

(٦) في (ج، د): عن الحرب.

(٧) و«نكل عنه ينكل وينكل نكولاً ونكل: نكص، يقال: نكل عن العدو وعن اليمين ينكل - بالضم - أي جبن، ونكله عن الشيء: صرفه عنه...» (اللسان / نكل).

أخبرنا أبو بكر بن الحرث، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، أخبرنا أحمد بن الحسين الحذاء، أخبرنا علي بن المدني، حدثنا موسى بن إبراهيم بن بشير بن الفاكه الأنصاري^(١)، أنه سمع طلحة بن خراش^(٢)، قال: سمعت^(٣) جابر بن عبد الله قال:

نظر إليَّ رسولُ الله ﷺ فقال: ما لي أراك مهتماً^(٤)؟ قلت: يا رسول الله قتل أبي وترك دُنياً وعبالاً، فقال: ألا أخبرك؟ ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحاً^(٥) فقال: يا عبدي سلمي أعطك، قال: أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية، فقال: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب فأبلغ من ورائي، فأنزل الله ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً...﴾ الآية^(٦).

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيزي أخبرنا حاجب بن أحمد، حدثنا محمد بن حماد:

حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة^(٧)، عن مسروق قال: سألت عبد الله عن هذه الآية ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾ قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، إن^(٨) أرواحهم كطير خضر تسرح في الجنة في أيها شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش، فبينما هم كذلك إذ اطلع ربك عليهم اطلاعة، فقال: سلوني ما شئتم، فقالوا: يا ربنا ماذا نسألك، ونحن في الجنة نسرح في أيها شئنا^(٩)؟ قال: فلما رأوا أنهم لا يتركون من أن يسألوا، قالوا: يا ربنا نسألك أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا في الدنيا حتى نقتل في سبيلك، فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تركهم.

= الحديث: رواه أبو داود - كتاب الجهاد - باب في فضل الشهادة - رقم ٣٥٢٠ (١٥/٣) والمستدرک - كتاب الجهاد - ٨٨/٢ في كتاب التفسير ٢٩٧/٢ - ٢٩٨ وصححه، ومصنف ابن أبي شيبة ٢٩٤/٥ - ٢٩٥ والطبري ٣٨٥/٧ وأسباب النزول للواحدي ٩٤ - ٩٥ وللسيوطي ٦٥ - ٦٦ وابن كثير ٤٢٧/١، والفتح الرباني ١٠٩/١٨، ومسند أحمد ٢٦٦/١، والدرر ٩٥/٢ كلهم من حديث ابن عباس.

(١) موسى بن إبراهيم بن بشير بن الفاكه الأنصاري الحرامي عن طلحة بن خراش مدني صالح روى عنه يحيى بن حبيب بن عربي ودهيم عبد الرحمن بن إبراهيم (الميزان ١٩٩/٤).

(٢) طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمة الأنصاري ثم السلمي عن جابر وغيره وعنه الدراوردي وجماعة قال النسائي: صالح الحديث وقال الأزدي له ما ينكر (الميزان ٢٣٨/٢).

(٣) في (٥): قال سمعت حسان بن محمد قال جابر... وليست في كتب الحديث. انظر ابن كثير ٤٢٧/١.

(٤) «الهم: الحزن وجمعه هموم وهمه الأمر همأ ومهمة وأهمه فاهتم واهتم به... وأهمني الأمر... إذا أفلقتك وأحزنتك...» (اللسان / همم).

(٥) «المكافحة: مصادفة الوجه بالوجه مفاجأة، كفضه كفحاً وكافحه مكافحة وكفاحاً: لقيه مواجهة». (اللسان / كفح).

(٦) رواه الترمذي - كتاب التفسير - من سورة آل عمران - رقم ٤٠٩٧ «حسن غريب» (٢٩٨/٤) والمستدرک - كتاب معرفة الصحابة - «صحيح الإسناد» ٢٠٤/٣، وابن ماجه - المقدمة - باب فيما أنكرت الجهمية رقم ١٩٠ (٦٨/١). والدرر ٩٥/٢ «رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه» وابن كثير ٤٢٧/١. كلهم من حديث جابر بن عبد الله.

(٧) عبد الله بن مرة الحارثي الكوفي سمع ابن عمر ومسروقاً والبراء بن عازب وأبا الأحوص وعنه منصور والأعمش توفي سنة ١٠٠ هـ - كتاب الجمع ٢٥٩/١).

وفي تفسير الطبري عن أبي الضحى ٣٨٦/٥.

(٨) عند مسلم: فقال.

(٩) في (هـ): نشأ.

رواه مسلم عن يحيى بن يحيى، عن أبي معاوية^(١). وقوله ﴿بَلْ أَحْيَاءُ﴾ الأصح في حياة الشهداء ما روينا^(٢) عن النبي ﷺ:

أن أرواحهم في أجواف طير، وأنهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون. وقيل: إن أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيامة كأرواح الأحياء من المؤمنين الذين باتوا على الوضوء.

وقوله ﴿عند ربهم﴾ أي في دار كرامته، ومعنى «عنده» معنى القرب والإكرام بحضور دار السلام. وقيل: ﴿عند ربهم﴾ أي: في علمه. وقوله ﴿يرزقون﴾ أي: من ثمار الجنة كما روينا^(٣).

﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ أي: بما نالوا من الكرامة ﴿ويستبشرون﴾: «الاستبشار»: السرور بالبشارة يبشر بها.

﴿بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾ أي: أنهم يفرحون بإخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء يقولون: إخواننا يقتلون كما قتلنا، فيصييون من كرامة الله ما أصابنا^(٤)، وهو قوله ﴿ألا﴾^(٥) خوف عليهم ولا هم يحزنون.

قوله ﴿يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله﴾ قرئ^(٦) بالفتح والكسر، فمن فتحها: فعلى معنى: وبأن الله^(٧) فهي معطوفة على «الباء»^(٨)، في ﴿بنعمة﴾ ومن كسرها: استأنف^(٩).

قوله ﴿الذين استجابوا لله والرسول...﴾ الآية، قال المفسرون^(١٠): لما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد ندموا وقالوا: قتلتموهم حتى إذا لم يبق^(١١) إلا قليل تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يهرب العدو ويريه من نفسه وأصحابه قوة، فندبهم للخروج في طلب أبي سفيان، فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من الجروح^(١٢) فذلك قوله ﴿الذين استجابوا لله والرسول﴾ أي: أجابوهما^(١٣) ﴿من بعدما أصابهم القرع﴾ أي: الجراحات وألمها^(١٤) ﴿الذين أحسنوا منهم﴾ أي: بطاعة الرسول ﴿وأتقوا﴾ معصيته ومخالفته ﴿أجر عظيم﴾.

(١) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الإمارة - باب في بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون - عن ابن مسعود ١٥٠/٢. والترمذي ٢٩٨/٤ - ٢٩٩ - ومصنف عبد الرزاق ٢٦٣/٥، وابن كثير ٤٢٦/١.

(٢) في (د): قوله.

(٣) من (هـ).

(٤) في (ج، د): روينا.

(٥) في (د): تقرأ.

(٦) في (د): كما روي.

(٧) في (ح): صابنا.

(٨) في (ح): لا.

(٩) في (د): في الباء في نعمة.

(١٠) قرأ الكسائي وحده (وإن) - بكسر الهمزة - على الاستئناف والباقون - بالفتح - عطفًا على (بنعمة...).

(١١) انظر الحجة لأبي زرعة ١٨١، والسبعة ٢١٩، والنشر ٢/٢٤٤، والبيان ١/٣١٠ والزجاج ١/٥٥٥ والفراء ١/٣٤٧ والبيان ١/٢٣١ والحجة لابن خالويه (١١٦).

(١٢) في (د): قوله تعالى، وفي (هـ): وقوله.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ٦٠ وفتح الباري ٧/٢٩٩ والدرر ٢/٨٣ عن السدي ٢/١٠١ عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن حزم وابن عباس، وابن كثير ١/٤٢٨ - ٤٢٩ عن ابن عباس وأسباب النزول للواحدي ٩٦ - ٩٧ وللسيوطي ٦٦، والطبري ٧/٤٠١ عن السدي وغرائب النيسابوري ٤/١٤١ والرازي ٩/٩٧ وصححه والدلائل للبيهقي ٣/٢١٧.

(١٤) في (د): أجاموا، وانظر فتح الباري ٨/١٨٣ في معنى «استجابوا».

(١٥) في (د): يبقا.

(١٦) في (د): والمهالك، وانظر فتح الباري ٨/١٨٣ في معنى «القرع».

(١٧) في (هـ): الجرح.

أخبرنا عمرو بن أبي عمرو المزكي، أخبرنا محمد بن مكي أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل (١) حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة:

﴿الذين استجابوا لله والرسول...﴾ إلى آخرها، قالت لعروة: يا ابن أختي، كان أبواك منهم، الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ يوم أحد ما أصاب، وانصرف عنه خاف أن يرجعوا، فقال: من يذهب في أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلاً، كان منهم أبو بكر والزبير (٢).

قوله تعالى (٣): ﴿الذين قال لهم الناس﴾ الآية، قال مجاهد ومقاتل وعكرمة والواقدي والكلبي (٤): إن ما سفيان حين أراد أن ينصرف يوم أحد قال: يا محمد إن موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل فقال رسول الله ﷺ: ذلك بيننا إن شاء الله.

فلما كان العام المقبل (٥) خرج أبو سفيان في أهل مكة، حتى نزل مجنة، ثم ألقى الله تعالى في قلبه الرعب فبدأ له الرجوع، فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي (٦) فبعثه أبو سفيان وقال (٧): ثبت عنا محمداً وخوفه حتى لا يلقانا ببدر الصغرى ولأن يكون الخلف من قبله أحب إلي، فأتى (٨) نعيم المسلمين فوجدهم يتجهزون لميعاد أبي سفيان، وقال: قد أتوكم في بلدكم وصنعوا بكم ما صنعوا (٩)، فكيف بكم إذا أغرتم عليهم في بلدكم وهم أكثر وأنتم أقل؟

فذلك قوله ﴿الذين قال لهم الناس﴾ يعني: نعيماً، فأطلق لفظ الناس على الواحد، كما تقول: انتظرت قوماً فجاء واحد منهم، قد جاء الناس (١٠).

وقال السدي (١١): ﴿الناس﴾ ها هنا: المنافقون، قالوا للمسلمين حين تجهزوا للمسير لميعاد أبي سفيان: إن أتيتموهم في ديارهم لا يرجع منكم أحد.

(١) هو البخاري.
(٢) انظر فتح الباري ٢٩٩/٧ وصحيح مسلم بشرح النووي ٣٦٦/٢ - ٣٦٧ في كتاب الفضائل - باب فضائل طلحة والزبير - ومسند الحميدي ١/١٢٨، والدرر ٢/١٠٢ وابن كثير ١/٤٢٩، والطبري ٧/٤٠٢ وستن سعيد بن منصور ٣/٢ ص ٣٢٧ والمستدرر - كتاب التفسير - من سورة آل عمران وصححه على شرط الشيخين ٣/٢٩ وأسباب النزول للواحدى ٩٦ - ٩٧ والدلائل للبيهقي ٣١٢/٢ كلهم من حديث عائشة.

(٤) في (ح): القابل.

(٣) في (د): قوله.

(٥) انظر الزجاج ١/٥٥٥ - ٥٠٦، ومجمع الزوائد ٦/١٢١، عن ابن عباس والدرر ٢/١٠١ - ١٠٣ عن عكرمة عن ابن عباس والسدي ومجاهد وقتادة، وابن كثير ١/٤٣١ عن مجاهد، والفراء ١/٣٤٧ والطبري ٧/٤١١ عن مجاهد وغرائب النيسابوري ٤/١٤٢، عن ابن عباس وأسباب النزول للواحدى ٦٦ - ٦٧.

(٦) نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن حلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع أبو سلمة الغطفاني الأشجعي أسلم زمن الخندق وهو الذي خذل الأحزاب ثم سكن المدينة روى عن النبي ﷺ وعنه ابنه سلمة بن نعيم مات سنة ٣٠ هـ في خلافة عثمان (تهذيب التهذيب ١٠/٤٦٦، والأعلام ٩/١٤).

(٧) في (د): فقال.

(٩) في (ه): فقال... وضعوا ما صنعوا.

(٨) في (د): فأتا.

(١٠) قال أبو عبيدة: (الذين قال لهم الناس) وقع المعنى على رجل واحد، والعرب تفعل ذلك فيقول الرجل: فعلنا وإنما يعني نفسه، وفي القرآن (إنا كل شيء خلقناه بقدر) والله هو الخالق. (مجاز القرآن ١/١٠٨).

(١١) انظر تفسير الطبري ٧/٤٠٩ - ٤١٠ وغرائب النيسابوري ٤/١٤٣ كلاهما عن السدي وفتح القدير ١/٤٠٠.

وقوله^(١) ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ يعني: أبا(٢) سفيان وأصحابه ﴿فَاخْشَوْهُمْ فزادهم إيماناً﴾ زادهم قول الناس لهم إيماناً، أي: تصديقاً و يقيناً.

قال الزجاج^(٣): زادهم ذلك التخويف ثبوتاً في دينهم، وإقامة على نصرته نبيهم ﴿وقالوا حسبنا الله﴾ أي: الذي^(٤) يكفيننا أمرهم الله ﴿ونعم الوكيل﴾ أي: الموكول إليه الأمور، فعيل بمعنى مفعول.

قال ابن عباس^(٥): آخر كلام إبراهيم عليه السلام حين لقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل، وقال نبيكم مثلها، ثم قرأ^(٦) هذه الآية.

قوله ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ خرج في أصحابه حتى وافوا بدر الصغرى^(٧) - وكانت موضع سوق لهم يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام - فلم يلقوا أحداً من المشركين - ووافقوا السوق فباعوا واشتروا وربحوا وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين^(٧)، فذلك قوله ﴿فانقلبوا﴾ أي: انصرفوا^(٨)، ﴿بنعمة من الله وفضل﴾^(٩).

قال السدي ومجاهد^(١٠) «والنعمة» ها هنا: العافية و«الفضل» التجارة.

وقوله^(١١) ﴿لَمْ يمسسهم سوء﴾ أي: لم يصبهم قتل ولا جراح ﴿واتبعوا رضوان الله﴾ في طاعة رسوله^(١٢) ﴿والله ذو فضل عظيم﴾ تفضل على المؤمنين بما تفضل به.

وقوله ﴿إنما ذلكم الشيطان﴾ أي: ذلك الذي يخوفكم أيها المؤمنون هو الشيطان، يوقع في قلوبكم الخوف من الكفار، وهو قوله ﴿يخوف أولياءه﴾ أي^(١٣): يخوفكم بأوليائه^(١٤) وهم المشركون فحذف المفعول الثاني وحرف الجر^(١٥). قال الفراء^(١٦) ومثله قوله ﴿لينذر يوم التلاق﴾^(١٧) ومعناه: لينذركم بيوم التلاق وقوله ﴿لينذر بأساً شديداً﴾^(١٨) أي: لينذركم بآس شديد.

(١) في (د): قوله.

(٢) في (د): أبو سفيان، وفي (هـ): أبي سفيان.

(٣) انظر الزجاج ٥٠٦/١. (٤) في (د): حسبنا الله الذي، وفي (هـ): الذين يكفيننا.

(٥) انظر المستدرک - كتاب التفسير - عن ابن عباس - وصححه على شرط الشيخين ٢٩٨/٢ - والقرطبي ٢٨٢/٤، والدر ١٠٣/٢ كلها عن ابن عباس.

(٦) في (د): ثم هذه الآية.

(٧) في (هـ): غالمين.

(٨) في (ح): فانقلبوا بنعم ..

(٩) انظر تفسير الطبري ٤١٠/٧ - ٤١٢ عن عكرمة وابن عباس وقتادة ومجاهد وسنن سعيد بن منصور ٣/٢ ص ٣٢٧ عن عكرمة، ومجمع

الزوائد ١٢١/٦ عن ابن عباس، والدر ١٠١/٢ عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم والزهرى، وانظر تفسير ابن عباس ص ٦٠.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٤١٥/٧ عن مجاهد والسدي، والدر ١٠٣/٢ - ١٠٤ عن مجاهد والسدي وعكرمة.

(١١) في (د، هـ): قوله.

(١٢) في (د): رسول الله ﷺ.

(١٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(١٤) في (ح): أولياءه، وفي (د): بأوليائه.

(١٥) انظر غريب القرآن ١١٦ وابن عباس ص ٦٠ والتبيان ٣١١/١، والبيان ٢٣١/١، والدر ١٠٤/٢ عن عكرمة وفي مصاحف ابن أبي

داود ص ٧٤ قرأ ابن عباس (يخوفكم أولياءه) وانظر ص ٨٨ عن عطاء، والطبري ٤١٦/٧ عن ابن عباس، والبحر ١٢٠/٣.

(١٦) انظر الفراء ١٢٤٨/١ والأخفش ٤٢٨/١ وفتح القدير ٤٠٠/١ عن الفراء والزجاج وأبي علي الفارسي وغرائب النيسابوري ١٤٤/٤ عنهم والطبري ٤١٧/٧.

(١٧) سورة غافر / ١٥.

(١٨) سورة الكهف / ٢.

والذي يدل على هذا قراءة أبي بن كعب ﴿يخوفكم بأوليائه﴾^(١).

﴿فلا تخافوهم﴾ أي: لا تخافوا أولياء الشيطان ﴿وخافون﴾^(٢) إن كنتم مؤمنين ﴿أي: خافوني في ترك أمري إن كنتم مصدقين بوعدي، وقد أعلمتكم أنني أنصركم عليهم فقد سقط عنكم الخوف﴾^(٣).

وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزَابًا فِي الْآخِرَةِ
وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٧﴾

وقوله^(٤) ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ أكثر القراء على ﴿يحزنك﴾ بفتح الياء - وقرأ نافع - بضم الياء^(٥) - وحزن وأحزن بمعنى واحد، يقال: حزني الأمر وأحزني، ذكر ذلك الخليل وسيبويه وأبو زيد الزجاج^(٦) وأراد بـ ﴿الذين يسارعون في الكفر﴾: المنافقين واليهود، وتأويله: يسارعون في نصرة الكفر^(٧).

﴿إنهم لن يضرروا الله شيئاً﴾ يعني: ان عائد الوبال^(٨) في ذلك عليهم، لا على غيرهم.

وقال عطاء^(٩): لن يضرروا أولياء الله شيئاً ﴿يريد الله ألا﴾^(١٠) يجعل لهم حظاً في الآخرة ﴿أي: نصيباً في الجنة.

إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ
نَمَلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نَمَلِي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾

قوله ﴿إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان﴾ أي: اختاروا^(١١) الكفر واتخذوه بدلاً من الإيمان ﴿لن يضرروا الله شيئاً ولهم عذاب أليم﴾.

قوله ﴿ولا يحسبن الذين كفروا﴾ قال ابن عباس^(١٢) يعني المنافقين وقريظة والنضير، وقال مقاتل^(١٣) يعني مشركي مكة.

وقوله ﴿أنما نملي لهم خير لأنفسهم﴾ «الإملاء»: الإمهال والتأخير، قال الأصمعي^(١٤) يقال أملي^(١٥) عليه الزمان، أي: طال^(١٦) عليه، وأملي له: أي طول له وأمهله.

(١) انظر البحر ١٢٠/٣ عن أبي والنخعي. (٢) في (أ، ج، هـ): وخافوني. (٣) في (هـ) الخوف عنكم. (٤) في غير (أ) قوله.

(٥) قرأ نافع (يُحزنك) - بضم الياء - في كل القرآن إلا في قوله (لا يحزنهم الفرع الأكبر) سورة الأنبياء ١٠٣ - وحجته: قول العرب: هذا أمر محزن، وقرأ الباقون - بالفتح - وهما لغتان. قال الأزهري: اللغة الجيدة على ما قرأ به أكثر القراء، وحجة نافع أنهما لغتان. (انظر الحجة لأبي زرعة ١٨١ - والسبعة ٢١٩ والنشر ٢٤٤/٢ والتبيان ٣١٢/١، والحجة لابن خالويه ١١٦ والرازي ١٠٣/٩).

(٦) انظر الكتاب ٥٦/٤ - ٥٧ عن الخليل، ومجاز القرآن ١٦٦/١ واللسان / حزن عن أبي زيد.

(٧) في (د): الكفرة.

(٨) في جميع النسخ: أن لا، والمثبت من المصحف.

(٩) في (هـ): لوبال.

(١٠) في (ح): اختاروا بدلاً، وفي (د): اختاروه بدلاً.

(١١) انظر البحر ١٢١/٣.

(١٢) عند ابن عباس في تفسيره ٦١ «اليهود» وانظر البحر ١٢٤/٣ عن ابن عباس وفتح القدير عن مجاهد قال «هم المنافقون» ٤٠٥/١.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ٦١ في رأي له، والبحر ١٢٤/٣ عن مقاتل.

(١٤) انظر الرازي ١٠٧/٩، وغرائب النيسابوري ١٤٨/٤، واللسان / ملاكها عن الأصمعي وانظر غريب القرآن ١١٦، ومجاز القرآن

(١٥) في (د): أطال.

(١٦) في (د): أملا.

١٠٨/١، والطبري ٤٢١/٧.

قال ابن عباس في قوله ﴿أَنَا نَمْلِي لَهُمْ﴾ يريد تماديهم في معاصي الله (١) قوله (٢) ﴿إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا﴾ أي: إنما نطول أعمارهم في الكفر ليزيد إثمهم، فيكون ذلك أشد لعقوبتهم.

قال الزجاج (٣): هؤلاء قوم أعلم الله نبيه أنهم لا يؤمنون أبداً، وأن بقاءهم يزيدهم إثماً وكفراً (٤).

أخبرنا أحمد بن الحسن القاضي، أخبرنا حاجب بن أحمد حدثنا محمد بن حماد، حدثنا محمد بن الفضيل (٥) عن عبيدة (٦)، عن إبراهيم (٧) قال:

قال عبد الله بن مسعود: ما من عين تطرف (٨) إلا والموت خير لها من الحياة فقيل له: يا أبا عبد الرحمن أليس المؤمن يزداد صلاةً ويزيد صوماً ويزداد خيراً؟ فقال: إن الله عز وجل (٩) يقول ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ (١٠) فإن كان برأ فما عند الله خير للأبرار، فقيل له: رأيت الكافر أليس إن مات عجل إلى النار، وهو في الدنيا يأكل ويشرب ويلبس؟ (١١) فقال: إن الله عز وجل يقول ﴿وَلَا يَحْسِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا﴾ ولا يزدادون في الدنيا حياة إلا ازدادوا إثماً (١٢).

مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

قوله تعالى (١٣): ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ الآية: نزلت في المنافقين وتمييزهم عن المؤمنين. ومعنى الآية: وما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين ﴿على ما أنتم عليه﴾ من التباس المنافق (١٤) بالمؤمن، والمؤمن بالمنافق

(١) انظر تفسير الطبري ٤٢٣/٧.

(٢) في (هـ): وقوله. وفي (ح): قوله (ليزدادوا) أي نطول.

(٣) انظر الزجاج ٥٠٧/١ والبحر ١٢٤/٣ عن الزجاج.

(٤) في غير (أ) كفراً وإثماً.

(٥) محمد بن فضيل بن غزوان كوفي صدوق مشهور يكنى أبا عبد الرحمن روى عن أبيه وحسين وبيان بن بشر وعاصم الأحول وعنه أحمد وابن راهويه وكان صاحب حديث ومعرفة وقرأ القرآن على حمزة وثقه ابن معين وقال أحمد حسن الحديث وقال ابن سعد لا يحتج به توفي سنة ١٩٥ هـ. (الميزان ٩/٤ - ١٠).

(٦) عبيدة بن معتب الضبي أبو عبد الكريم الكوفي روى عن إبراهيم النخعي والشعبي وأبي وائل وغيرهم وعنه محمد بن فضيل والثوري وشعبة قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: ترك الناس حديثه، وقال الدوري عن يحيى: ليس بشيء وقال النسائي ضعيف. (تهذيب التهذيب ٨٦/٧ - ٨٧).

(٧) هو النخعي.

(٨) في (د): تطرق، «وتطرق: أي ترك» (حاشية أ، واللسان / طرف).

(٩) في (د، هـ): إن الله تعالى.

(١٠) سورة آل عمران / ١٩٨.

(١١) في (هـ): إن الله تعالى ولا تحسبن.

(١٢) انظر الطبراني في الكبير ١٦٥/٩ والبحر ١٢٤/٣ والدر ١٠٤/٢، والطبري ٤٤٣/٧، ٤٩٥، والمستدرک - كتاب التفسير - «صحيح

على شرط الشيخين» ٢٩٨/٢.

كلها عن ابن مسعود، وفتح القدير ٤٠٥/١ عن ابن مسعود وأبي الدرداء والقرطبي وأبي برزة.

(١٣) في غير (أ) قوله.

(١٤) في (د): المنافقين.

﴿حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ أي (١): المتناق من المؤمن. قال مجاهد (٢): فميز الله يوم أحد المؤمنين من المنافقين، حيث (٣) أظهروا النفاق وتحلفوا عن رسول الله ﷺ.

وفي ﴿يميز﴾ قراءتان: التخفيف والتشديد (٤)، وهما لغتان، يقال: ميزت الشيء بعض من بعض فأنا أميزه ميلاً، وميزته تمييزاً، أي فرقته (٥) وفصلت بينه ومنه الحديث:

«من ماز أذى من (٦) الطريق فهو له صدقة» (٧). ﴿وما كان الله ليطالعكم على الغيب﴾ فتعرفوا (٨) المنافق من المؤمن قبل التمييز (٩) و«الإطلاع» أن تطلع إنساناً على أمر لم يكن علم به، يقال: أطلعته على كذا أي أعلمته (١٠) (١١) ﴿ولكن الله يجتبي﴾ أي: يختار لمعرفة ذلك ﴿من رسله من يشاء﴾ (١٢) قال ابن عباس (١٣) يريد أنت يا محمد من اصطفيته (١٤) وأطلعت على هذا الغيب.

ثم أمر بالإيمان بجميع الرسل ووعدهم الأجر العظيم على ذلك فقال ﴿فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتكفروا فلکم أجر عظیم﴾.

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨﴾

قوله ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم﴾ نزله في البخلين بالزكاة الواجبة عليهم (١٥)

(١) في (ج): ألا.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٦١ والطبري ٤٢٥/٧، والدر ١٠٤/٢ كلاهما عن مجاهد.

وانظر في سب نزول الآية: الزجاج ٥٠٨/١ - ٥٠٩ والفراء ٢٤٨/١ وأسباب النزول للواحد ٩٧.

(٣) في (ج، د): حين.

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر - بالتخفيف - وحجتهم: قوله (الخبيث من الطيب) والتشديد إنما يدخل في الكلام للتكثير، وقرأ حمزة والكسائي بالتشديد من ميزت بين الشئين أميز تمييزاً إذا خلصته.

(انظر المحجة لأبي زرع ١٨٢، والسبعة ٢٢٠ والنشر ٢٤٤/٢ والبيان ٣١٤/١ والمحجة لابن خالويه ١١٨).

(٥) في (د) ميزته وفي (هـ): فرعته.

(٦) في (د): من ماز من الطريق، وفي (هـ): من ماز أذى فهو له صدقة «وماز الشيء: أي نحاه وأزاله» (الفتح الرباني ١٩٧/١٩).

(٧) انظر مسند أحمد ١٩٦/١ من حديث أبي عبيدة، وغرائب النيسابوري ١٩٤/٤ مع زيادة «وحجة» والفتح الرباني ١٩٧/١٩ «رواه

أحمد والبخاري وأبو يعلى وفيه يسار بن أبي سيف ولم أر من وثقه ولا جرحه وبقيه رجاله ثقات. والصواب: بشار بن أبي سيف الجرمي الشامي نزل البصرة مقبول، بدل يسار الذي أسند الهيثمي عنه في زوائد البخاري.

ومصنف ابن أبي شيبة ٢٨/٩ من حديث أبي عبيدة.

(٨) في (هـ): فتعرف.

(٩) في (هـ): قبل التمييز.

(١٢) في جميع النسخ والوجيز ١٣٢/١ «من يشار من الرسل».

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ٦١ والوجيز للواحد ١٣٢/١.

(١٠) في (هـ): كذي أي أعلمته كذي.

(١٤) في (د): أطسه.

(١١) في (د): قوله.

(١٥) انظر تفسير الطبري ٤٣٢/٧ عن السدي، والبحر ١٢٧/٣ من السدي وغيره والخازن ٤٥٧/١ عن ابن عباس والشعبي ومجاهد، والدر

١٠٥/٢ عن السدي ومسروق ومجاهد، وأسباب النزول للواحد ٩٨.

قال ابن عباس ﴿بما آتاهم الله من فضله﴾ يريد^(١): من الذهب والفضة والحيوان والثمار^(٢)، ففسروه بالأشياء التي تجب فيها الزكاة.

وقوله تعالى: ﴿بل هو شر لهم﴾ قال الحسن^(٣): لأنهم نالوا به عذاب الله ﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ يجعل ما بخل به من المال حية يطوقها يوم القيامة في عنقه تنهشه من قرنه^(٤) إلى قدمه.

أخبرنا أحمد بن الحسن القاضي^(٥) حدثنا محمد بن يعقوب المعقلي، أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان بن عيينة،^(٦) سمعت جامع بن أبي راشد وعبد الملك بن أعين^(٧)، أنهما سمعا أبا وائل يخبر عن عبد الله بن مسعود يقول^(٨):

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا مُثِّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع^(٩) يفر منه، وهو يتبعه، حتى يطوقه في عنقه» ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ ﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾^(١٠) وقوله تعالى^(١١): ﴿والله ميراث السموات والأرض﴾ يعني: أنه يفني أهلها، وتبقى الأملاك والأموال ولا مالك لها إلا الله عز وجل^(١٢) وقوله تعالى: ﴿والله بما تعملون خبير﴾ من قرأ بالياء فلأن ما قبله على الغيبة، وذلك قوله ﴿سيطوقون﴾. ﴿والله بما يعملون خبير﴾ من منعمهم الحقوق فيجازيهم عليه.

ومن قرأ بالتاء، فلأن ما قبل هذه الآية خطاب وهو قوله ﴿وإن تؤمنوا وتتقوا﴾^(١٣)

(١) ساقطة.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ص ٦١، والبحر ٣/١٢٧ عن ابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة والشعبي ومجاهد وأحكام القرآن لابن العربي ٣٠٣/١ عن ابن عباس.

(٣) انظر الوجيز للواحدى ١/١٣٢.

(٤) في (هـ): فرقه، «القرن: للثور وغيره، وموضعه من رأس الإنسان قرن وجمعه قرون». (اللسان / قرن).

(٥) في (د): أحمد بن الحسن الحيري، وهو هو.

(٦) في (د): قال.

(٧) عبد الملك بن أعين الكوفي أخو عمران عن أبي عبد الرحمن السلمي وأبي وائل وعنه السفيانان روى له البخاري ومسلم مقروناً بآخر، شعبي صدوق صالح الحديث يكتب حديثه قاله أبو حاتم وقال العجلي كوفي تابعي ثقة وذكره ابن حبان في الثقات. (الكاشف ٢٠٧/٢، وتهذيب التهذيب ٦/٢٨٥).

(٨) ساقطة من (أ).

(٩) «الأقرع من الحيات: الذي قرع السم، أي: جمع في رأسه فذهب شعره» (حاشية أ).

(١٠) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب الزكاة - إثم مانع الزكاة - عن أبي هريرة بنحوه (٢٤٤/١). وكذا في كتاب التفسير - باب (ولا يحسبن الذين يبخلون) - عن أبي هريرة بنحوه (١١٤/٣).

والترمذي: كتاب التفسير - باب (ولا يحسبن الذين يبخلون) رقم ٥٠٠٠ عن ابن مسعود «حسن صحيح» (٢٩٩/٤ - ٣٠٠).

وسنن النسائي - كتاب الزكاة - باب التغليظ في حبس الزكاة - عن ابن مسعود (١١/٥).

ومسند أحمد ١/٣٧٧ عن ابن مسعود، والدر ٢/١٠٥ «رواه الترمذي والحاكم وصحاه».

(١١) في (ج، د): قوله، وفي (هـ): وقوله.

(١٢) (د، هـ): إلا الله تعالى. وانظر الفراء ١/٢٤٩.

(١٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو - بالياء - إخباراً عن الكفرة، والباقون بالتاء.

(انظر المحجة لأبي زرعة ٧١٨٤ والسبعة ٢٢٠، والنشر ٢/٢٤٥).

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ
وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا الْآثْمُونَ لِرَسُولٍ حَقًّا يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ
كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾

قوله تعالى (١): ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ قال المفسرون (٢): نزلت هذه الآية في اليهود، قالوا - لما نزل قوله ﴿من ذا الذي يقرض الله قرصاً حسناً﴾ (٣) - إن الله فقير يستقرضنا (٤) ونحن أغنياء. يروى أن قائل هذا رجل من اليهود يقال له فنحاص، قال: لو كان الله غنياً لما (٥) استقرضنا أموالنا، فقال الله تعالى (٦) ﴿سنكتب ما قالوا﴾ أي: نأمر الحفظة بإثبات قولهم في صحائف أعمالهم. وذلك أظهر في الحجّة عليهم. وقرأ حمزة (سيكتب) (٧) - بضم الياء - اعتباراً بقراءة عبد الله (ويقال ذوقوا عذاب الحريق) (٨). وهو اسم للدار الملتهبة، وهو بمعنى المحرق. ذلك بما قدمت أيديكم﴾ أي: ذلك العذاب بما سلف لكم من الإجماع ﴿وأن الله﴾ وبأن الله ﴿ليس بظلام للعبيد﴾ فيعاقبهم بلا جرم (٩).

قوله تعالى: ﴿الذين قالوا إن الله عاهد إلينا...﴾ الآية، قال السدي (١٠): إن الله أمر بني إسرائيل في

(١) في غير (أ) قوله.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ص ٦١، والزجاج ٥١١/١، والدر ١٠٥/٢ - ١٠٦ عن عكرمة والسدي ومجاهد وابن عباس، وكذا الطبري ٤٤١/٧ - ٤٤٣، وابن كثير ٤٣٣/١ - ٤٣٤ وفتح القدير ٤٠٧/١ كلاهما عن ابن عباس، وغرائب النيسابوري ١٥٣/٤ عن عكرمة ومحمد بن إسحاق والسدي ومقاتل وغريب القرآن ١١٦، وأسباب النزول للواحدي ٩٨ - ٩٩ وللسيوطي ص ٦٧. والوجيز للواحدي ١٣٢/١.

(٣) سورة البقرة / ٢٤٥، والحديد / ١١.

(٤) في (٥): سيقرضنا.

(٥) في غير (أ) ما

(٦) في (٥): فقال تعالى.

قرأ حمزة (سيكتب) - الياء المضمومة - وقتلهم الأنبياء بالرفع على ما لم يسم فاعله (ويقول) وقرأ الباقون (سنكتب) - بالنون ونصب (وقتلتهم الأنبياء) (ونقول) - بالنون. انظر الحجة لأبي زرعة ١٨٤ - ١٨٥ والسبعة ٢٢١ والنشر ٢٤٥/٢ والتبيان ٣١٥/١، والفرع ٢٤٩/١ والحجة لابن خالويه ١١٧ والبحر ١٣١/٣.

(٧) في (٥): سيكتب ما قالوا اعتباراً.

(٨) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ١٣١/٣ والطبري ٤٤٥/٧ قال أبو جعفر «فأغفل قارئ ذلك وجه الصواب فيما قصد إليه من تأويل القراءة التي تنسب إلى عبد الله وخالف الحجة من قراءة الإسلام، وذلك: أن الذي ينبغي لمن قرأ (سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء) على وجه ما لم يسم فاعله أن يقرأ (ويقال) لأن قوله (ونقول) عطف على قوله (سنكتب) فالصواب من القراءة أن يوقف بينهما في المعنى بأن يقرأ جميعاً على مذهب ما لم يسم فاعله، أو على مذهب ما يسم فاعله.

فأما أن يقرأ أحدهما على مذهب ما لم يسم فاعله والآخر على وجه ما قد سمي فاعله من غير معنى الجاه على ذلك فاخيار خارج عن الفصيح من كلام العرب».

(٩) انظر مجاز القرآن ١١٠/١ والبحر ١٣٠/٣ - ١٣١ والطبري ٤٤٦/٧.

(١٠) في (٥): قوله أن الله عهد.

(١١) انظر تفسير الرازي ١٢١/٩ والبغوي ٤٦٠/١ وغرائب النيسابوري ١٥٥/٤ وأسباب النزول للواحدي ص ٩٩ كلها عن السدي.

التوراة: من جاءكم يزعم أنه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار إلا المسيح ومحمداً^(١)، فإنهما يأتيان بغير قربان.

و«القربان»: البر الذي يتقرب به إلى الله، وأصله المصدر من قولك: قرب^(٢) قربانا ومثل الكفران والرجحان والخسران، ثم سمي به نفس المتقرب به.

قال عطاء^(٣) كانت^(٤) بنو إسرائيل يذبحون لله، فيأخذون الثروب وأطياب اللحم فيضعونها وسط البيت، والسقف مكشوف، فيقوم النبي ويناجي ربه، وبنو إسرائيل خارجون حول البيت، فتنزل نار بيضاء لها حفيف^(٥) ولا دخان لها، فتأكل ذلك القربان، فقال الله تعالى إقامة للحجة عليهم ﴿قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات﴾ المعجزات الظاهرات^(٦) ﴿وبالذي قلت﴾ يعني: أكل النار القربان ﴿فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾ فيما ذكرتم؟ قوله تعالى^(٧): ﴿فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك﴾ هذه الآية تعزية للنبي ﷺ في تكذيب اليهود إياه، وبيان أنهم إن كذبوه فالتكذيب عادة للأمم، وسائر الرسل فقد كذبوا كما كذب.

وقوله ﴿جاءوا بالبينات﴾ أي: جاءوا^(٨) أهمهم بالمعجزات الظاهرة ﴿والزير﴾ أي: الكتب وهو جميع زبور و«الزبور»: الكتاب بمعنى المزبور، أي: المكتوب يقال: زبرت الكتاب أي كتبه^(٩).

وقرأ ابن عامر (وبالزير) أعاد الباء وإن كان مستغنى^(١٠) عنه لضرب من التأكيد^(١١) ﴿والكتاب المنير﴾ الهادي إلى الحق من قولك: أنرت الشيء أنيره^(١٢) إنارة أي بينته وأوضحته^(١٣).

(١) في (د، هـ): ومحمد.

(٢) في (هـ): قربت، وانظر اللسان / قرب، ومفردات الراغب / قرب.

(٣) انظر غرائب النيسابوري ١٥٥/٤ والخازن ٤٦٠/١ كلاهما عن عطاء والدر ١٠٦/٢ عن ابن جريج وابن عباس، وفتح القدير ٤٠٧/١ عن ابن عباس.

(٤) في (د): كان بنوا.

(٥) «أي صوت» حاشية أ.

(٦) في (د): والمعجزات الظاهرة.

(٧) في غير (أ) قوله.

(٨) في (أ): جاؤا بالبينات أي جاؤا.

(٩) انظر مجاز القرآن ٣٥٩/١ والزاهر ١٦٩/١ - ١٧٠ وقال الزجاج: كل كتاب أي حكمة (غرائب النيسابوري ١٥٦/٤ عن الزجاج وكذا البحر ١٣٣/٣ عن الزجاج والمصباح المنير / زير).

(١٠) في (ح): مستغن وفي (د): مستغناً.

(١١) قرأ ابن عامر (وبالزير) بالباء، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام، وقرأ الباقون (والزير) بغير باء قال قوم من أهل النحو: هما سواء، وقال الخليل: مررت بزيد وعمرو مروراً واحداً، كأنك مررت بهما في حال واحد، فكذلك: جاء الرسل بالبينات والزير في حال وفي وقت واحد.

ومررت بزيد وعمرو مرورين، هذا لا يكون في وقت واحد، فكذلك قوله (جاءوا بالبينات) ثم جاءوا بالزير، وأراد بالبينات: المعجزات ثم جاءوا بعد ذلك بالزير أي بالكتب.

(انظر الحجة لأبي زرعة ١٨٥ والسبعة ٢٢١ والنشر ٢٤٥/٢ - ٢٤٦ والتبيان ٣١٧/١ والحجة لابن خالويه ١١٨).

(١٢) في (ح): أنرت أنيره، وفي (د): أنرت الشيء أنزه.

(١٣) انظر اللسان / نور.

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَاعٌ الْفُرُورِ ﴿١٨٥﴾

وقوله (١) ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ ذائقة: فاعلة من الذوق، وهذا وعد من الله تعالى بالموت، ووهيد للمكذبين بالقرآن، لأنهم إذا ماتوا حصلوا على خسران (٢) وحسرة وهو قوله ﴿وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾ فمن عمل صالحاً وفي (٣) وأكمل أجره بدخول الجنة والتبعيد من النار، وهو قوله (٤) ﴿فمن زحرج عن النار﴾ أي: بعد عنها ﴿وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ أي: ظفر بالخير ونجا من الشر.

قال الزجاج (٥): يقال لكل من نجا من هلكة وظفر بما يغتبط (٦) به فاز. وتأويل «فاز» تباعد عن المكروه، ولقي ما يحب (٧).

وقوله (٨) ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ يريد العيش في هذه الدار (٩) الفانية يغر الإنسان بما يمينه من طول البقاء وسينقطع عن قريب.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: لتختبرن في أموالكم بالخسران (١٠) والنقصان حتى يتبين الجازع من الصابر، والمخلص من المنافق، وأنفسكم بالأمراض.

والخطاب للمهاجرين، أخذ المشركون أموالهم بمكة، وباعوا رباعهم (١١) وعذبوهم ﴿ولتسمعن من الذي أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ يعني: اليهود ﴿ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾

أخبرنا الحسن بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن الفضل التاجر، أخبرنا أحمد بن الحسن الحافظ، حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه (١٢):

أن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعراً، وكان يهجو النبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش في شعره، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدم رسول الله ﷺ يؤذون النبي ﷺ وأصحابه أشد الأذى، فأمر الله (١٣) نبيه

(٦) في (د): يغتبطه.

(٧) انظر اللسان / فوز.

(٨) في (ج، هـ): وقوله.

(٩) في (هـ): الدنيا.

(١٠) في (د): بالخسرات.

(١) في غير (أ) قوله.

(٢) في (د): خسرات.

(٣) في (د): وأنى.

(٤) في (د): من النار قوله.

(٥) انظر الزجاج ١/٥١٣.

(١١) «والربيع: المنزل والدار بعينها والوطن متى كان وبأي مكان كان، وجمعه أربع ورباع وربوع وأرباع» (اللسان / ربيع).

(١٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري أبو الخطاب المدني سمع جده كعباً وأباه وعمه عبد الله روى عنه الزهري وفي

في خلافة هشام بن عبد الملك.

(كتاب الجمع ١/٢٨٥، وتهذيب التهذيب ٦/٢١٤ - ٢١٥).

(١٣) في (د): فأمر الله تعالى إلى.

بالصبر على ذلك وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم . . . الآية (١)﴾ .
وقوله (٢) ﴿وإن تصبروا﴾ على الأذى الذي ينالكم (٣) ﴿وتتقوا﴾ بترك المعارضة (٤) ﴿فإن ذلك من عزم الأمور﴾
أي: مما يعزم عليه من الأمر، لظهور رشه (٥)، وكان هذا قبل نزول آية السيف.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ
ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾

قوله ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ الآية نزلت في يهود المدينة أخذ الله ميثاقهم في التوراة
ليبين شأن محمد ونعته ومبعثه ولا يخفونه، وهو قوله ﴿لتبينته للناس ولا تكتُمونه﴾ .
قال الحسن (٦): هذا مثال ميثاق الله تعالى على علماء أهل الكتاب أن يبينوا للناس ما في كتابهم، وفيه ذكر
رسول الله ﷺ والإسلام.

وتقرأ هذه الآية بالياء على الغيبة، وبالناء على حكاية المخاطبة التي كانت في وقت أخذ الميثاق (٧) ومثله قوله
تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون﴾ (٨) بالياء والناء.

وقوله (٩) ﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾ قال ابن عباس (١٠): أي ألقوا ذلك الميثاق خلف ظهورهم ﴿واشتروا به ثمنًا
قليلًا﴾ يعني: ما كانوا يأخذونه (١١) من سفلتهم برئاستهم في العلم.
وقوله ﴿فبئس ما يشترون﴾ قال ابن عباس: قبح شراؤهم وخسروا.

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ^٤

(١) انظر سنن أبي داود - كتاب الخراج - باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة رقم ٣٠٠٠ (١٥٤/٣) والطبري ٤٥٦/٧ - ٤٥٨
والدلائل لليهقي ٩٨/٣ ومجمع الزوائد ١٩٥/٦ - ١٩٦ والدرر ١٠٧/٢ وفتح القدير ٤٠٩/١، وأسباب النزول للواحيدي ٩٩ - ١٠٠
وللسيوطي ٦٧.

(٢) في (د): قوله.

(٣) في (د): ينالهم.

(٤) في (د): بترك المعصية والمعارضة.

(٥) في (د): شدة.

(٦) انظر غرائب النيسابوري ١٥٩/٤ عن الحسن وقتادة والطبري ٤٦٠/٧ عن ابن جريج. وانظر في سبب نزول الآية: الزجاج ٥١٤/١
والطبري ٤٦٠/٧ عن ابن عباس والسدي وغرائب النيسابوري ١٥٩/٤ عن سعيد بن جبير والسدي والدرر ١٠٧/٢ - ١٠٨ عن ابن
عباس والسدي.

(٧) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم - بالياء - وحجتهم (فنبذوه) ولم يقل: فنبذتموه وقرأ الباقر - بالناء - وحجتهم: أنه يحكي
اللفظ الذي خوطبوا به في وقت أخذ الميثاق عليهم.

(٨) انظر الحجة لأبي زرعة ١٨٥ - ١٨٦ والسبعة ٢٢١ والنشر ٢٤٦/٢ والتبيان ٣١٨/١ والزجاج ٥١٤/١.

(٩) سورة البقرة / ٨٣.

(١٠) في (د): قوله.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ص ٦٢.

(١٢) في (د): يأخودون من سفلتهم برياستهم العلم قوله وبئس.

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

قوله ﴿لا تحسبن الذين يفرحون...﴾ الآية، قال أبو سعيد الخدري (١): نزلت في رجال من المنافقين كانوا يتخلفون عن رسول الله ﷺ في الغزو، ويفرحون بعودهم عنه، فإذا قدم (٢) اعتذروا إليه، فيقبل عذرهم، وأحبوا أن يحمدوا بما ليسوا عليه من الإيمان.

وقال عكرمة ومجاهد (٣): اليهود فرحوا بإضلال الناس وبنسبة الناس إليهم إلى العلم، وليسوا كذلك.

وقوله ﴿بما أتوا﴾ (٤) قال الفراء (٥): بما (٦) فعلوا، كما قال ﴿لقد جئت شيئاً فريباً﴾ (٧) أي: فعلت فعلاً (٨).

وقوله (٩) ﴿بمفازة﴾ (١٠) أي: بمنجاة من النار (١١)، والمعنى: لا تحسبن هؤلاء أنهم ينجون من العذاب.

قوله ﴿والله ملك السموات والأرض﴾ أي: يملك تدبيرهما وتصريفهما على ما يشاء. وهذا تكذيب للمؤمنين

قالوا: ﴿إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ (١٢)

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٨٩﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩٠﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١٩٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنتِي بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا

(١) انظر صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب (لا تحسبن الذين يفرحون) ١١٥/٣ وصحيح مسلم - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - الباب العاشر - ٥١٢/٢.

والطبري ٤٦٥/٧ وابن كثير ٤٣٧/١ وأسباب النزول للواحدي ١٠١ وللسيوطي ٦٨.

(٢) في (هـ): قام.

(٣) انظر تفسير الطبري ٤٦٦/٧ عن عكرمة ٤٦٩/٧ عن مجاهد والدر ١٠٩/٢ عن عكرمة وابن عباس ومجاهد والمستدرک - كتاب التفسير وصححه عن ابن عباس (٢/٢٩٩).

(٤) في (د): أتوا.

(٥) انظر الفراء ٢٥٠/١ والبغوي ٤٦٥/١ عن الفراء وغرائب النيسابوري ١٦٠/٤.

(٦) في (د): لما فعلوا.

(٧) سورة مريم / ٢٧.

(٨) ساقطة من (د).

(٩) في (ج، د): قوله.

(١٠) في (د) بمفازة من العذاب.

(١١) انظر اللسان / فوز عن الزجاج.

(١٢) سورة آل عمران / ١٨١.

وَأَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتَلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّتِ
بَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا إِلَّا نَهَرٌ نَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

قوله (١) ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ﴾ قال ابن عباس: بت في بيت ميمونة (٢) فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة (٣) ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر في السماء فقال: ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ثم قام فتوضأ واستن فصلى إحدى عشرة (٤) ركعة (٥). وتفسير الآية قد تقدم في سورة البقرة (٦).

قوله ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا﴾ أي: قائمين ﴿وَقُعُودًا﴾ قاعدين ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ مضطجعين. والمعنى: أنهم يصلون في جميع هذه الأحوال على قدر إمكانهم في صحتهم وسقمهم. قال عمران بن حصين (٧): كانت بي بواسير، فسألت النبي ﷺ فقال:

«صل (٩) قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب» (١١)

وقوله (١١) ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليدلهم ذلك على قدرة الصانع وتوحيده وحكمته ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا (١٢)﴾ أي: (١٣) ويقولون ربنا ما خلقت هذا الخلق ﴿بِاطِلًا﴾ لغير (١٤) شيء، خلقته دليلاً على حكمتك وكمال قدرتك.

(١) في (د): قوله تعالى.

(٢) ميمونة بنت الحارث الهلالية أم المؤمنين رضي الله عنها روى عنها ابن أختها ابن عباس وابن أختها عبد الله بن شداد وابن أختها يزيد بن الأصم وابن أختها خالد بن الوليد توفيت سنة ٥١ هـ. (سير الأعلام ٢٢٨/٢ والكاشف ٤٨٢/٣).

(٣) في (هـ): فتحدث رسول الله ساعة مع أهله.

(٤) في (د): إحدى عشر.

(٥) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب التفسير - باب (إن في خلق السماوات... ١١٦/٣، وأبو داود - كتاب الطهارة - باب السواك لمن قام من الليل رقم ٥٨ (١٥/١)، والطبراني في الكبير ٤١٦/١١، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩ وابن كثير ٤٣٩/١ - ٤٤٠ والدر ١١٠/٢ وفتح القدير ٤١٢/١ كلهم عن ابن عباس.

(٦) انظر تفسير الآية ١٦٤.

(٧) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف عبد تميم بن سالم بن غاضرة بن سلول الخزاعي أبو نجد سمع النبي ﷺ ونزل البصرة، توفي سنة ٥٢ هـ. (كتاب الجمع ٣٨٨/١). من هنا سقط من (أ) إلى قوله ﴿فيما بينكم حوائجكم وحقوقكم به﴾ في تفسير الآية الأولى من سورة النساء.

(٩) في (د، هـ): صلى.

(٨) في (د): فسألت رسول الله ﷺ.

(١٠) الحديث: رواه البخاري في الصحيح في كتاب الصلاة - باب ما جاء في التقصير وكم يقيم حتى يقصر - باب صلاة القاعد (١٩٥/٣). والمستدرک - كتاب صلاة التطوع «صحيح على شرط الشيخين» وأخرجه البخاري مختصراً (٣١٥/١)، وأبو داود - كتاب الصلاة - باب في صلاة القاعد رقم ٩٥٢ (٢٥٠/١) وابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة - باب ما جاء في صلاة المريض رقم ١٢٢٣ (٣٨٦/١). كلهم من حديث عمران بن حصين.

(١٢) في (د): هذا باطلاً.

(١١) في (د): قوله.

(١٣) انظر مجاز القرآن ١١١/١ وفيه «العرب تختصر الكلام ليخففوه، لعلم المستمع بتمامه فكأنه في تمام القول: ويقولون: «ربنا ما خلقت هذا باطلاً». وانظر الوجيز للواحدي ١٣٦/١.

(١٤) في (هـ): بغير.

﴿سبحانك﴾ تنزيهاً لك عما لا يجوز في (١) وصفه ﴿فقتنا عذاب النار﴾ أي : قد اعترفنا بوحدايتك فلا تعذبنا بالنار.

قوله ﴿ربنا إنك من تدخل النار﴾ قال قتادة (٢) : إنك من تدخل في النار ﴿فقد أخزيتك﴾ قال شمر بن حمدويه (٣) : فضحته . وقال المفضل (٤) : أهلكته .

قال عمرو بن دينار: قدم علينا جابر بن عبد الله في عمرة (٥) فسأله عن هذه الآية فقال: أليس قد أخزاه حين أهلكه بالنار، إن دون ذلك لخزيا (٦)

﴿ما للظالمين﴾ يريد الكافرين ﴿من أنصار﴾ أعوان يمنعونهم من عذاب الله .

قوله ﴿ربنا إنا سمعنا منادياً﴾ المنادي محمد ﷺ من قول ابن عباس والأكثرين .

قال قتادة: ينبئكم الله عن مؤمني الإنس كيف قالوا، وعن مؤمني الجنة كيف قالوا، أما مؤمنو الجنة (فقالوا) إنا سمعنا قرآنا عجبا) وأما مؤمنو الإنس فقالوا (إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان).

وقال محمد بن كعب القرظي: هو كتاب الله ليس كل أحد لقي رسول الله ﷺ .

قوله ﴿ينادي للإيمان﴾ قال أبو عبيدة: هذا على التقديم والتأخير أي سمعنا منادياً للإيمان ينادي ﴿أن آمنوا بربكم فآمنوا ربنا فاعف لنا ذنوبنا﴾ .

وقوله ﴿وكفر عنا سيئاتنا﴾ أي غطها عنا حتى لا نراها وجمع بين غفران الذنوب وتكفير السيئات، لأن غفران الذنوب بفضلته ورحمته وتكفير السيئات بالطاعات كتكفير الحنث بالصوم والظهار بالإعتاق فالمغفرة بفضلته من غير سبب والتكفير بسبب طاعة .

والسيئات: الأعمال القبيحة يقال: سوات الرجل فعله أي قبحته عليه وعبته بما صنع .

وقوله (٧) ﴿وتوفنا مع الأبرار﴾ قال ابن عباس (٨) : مع الأنبياء والمعنى: توفنا في جملتهم .

قوله (٩) ﴿ربنا وءاتنا ما وعدتنا على رسلك﴾ قال الكلبي (١٠) على لسان رسلك، والمعنى: أن المؤمنين

(١) في (د): من وصفك .

(٢) في (د): قوله .

(٣) في (د): والمغفرة، وفي (هـ): فالمغفرة من تفضله، وفي (ح): بفضلته ورحمته .

(٤) في (ح): سبب طاعته .

(٥) في (د): سواً .

(٦) «ساء يسوءه سؤاً وسؤاً وسؤاء وسؤاية وسؤائية وسؤاءة وسؤاية ومساءة ومساية ومساءة ومساوية» : فعل به ما يكره نقيض سزه، ويقال: ساء ما عمل فلان صنيعاً يسوء، أي: قبح صنيعه صنيعاً . (اللسان / سواً) .

(٧) في (د) قوله .

(٨) انظر تفسير ابن عباس ص ٦٣ .

(٩) ساقطة من (ح) .

(١٠) انظر تفسير الطبري ٤٨٣/٧ والزجاج ٥١٧/٢ والرازي ١٤٧/٩ والبيان ٢٣٦/١ وفتح القدير ٤١١/١ والبحر ١٤٢/٣ عن الطبري ومن عطية .

يدعون الله تعالى بأن ينجز لهم ما وعدهم^(١) من الثواب على لسان الرسل.

وقوله^(٢) ﴿وَلَا تَخْزَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: لا تفضحنا ولا تهنا^(٣) ولا تهلكنا.

قوله ﴿فَاسْتَجَابْ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: دعاهم.

وقوله ﴿أَنْتَى لَا أَضِيعُ عَمَلٌ عَامِلٌ مِنْكُمْ﴾ يعني: لا يضيع لأحد عندي^(٤) عمل رجلاً كان أو امرأة وهو قوله

﴿مَنْ ذَكَرَ^(٥) أَوْ أَنْتَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي: حكم جميعكم^(٦) حكم واحد منكم فيما أفعل بكم من مجازاتكم على أعمالكم وترك تضييعها لكم.

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي^(٧)﴾ يعني: المؤمنين الذين أخرجوا من مكة وآذاهم

المشركون فهاجروا منها إلى المدينة.

﴿وَقَاتِلُوا﴾ المشركين ﴿وَقَاتِلُوا﴾ وقرأ ابن عباس - مشدداً - لتكرر القتل فيهم والتخفيف يقع على القليل

والكثير، وقرأ حمزة ﴿وَقَاتِلُوا﴾ وهو كقراءة العامة، لأن «الواو» لا توجب ترتيباً^(٨) ﴿[لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سِيئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ]﴾.

وقوله^(٩) ﴿ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ قال الزجاج^(١٠): هو مصدر مؤكد لما قبله لأن معنى لأدخلنهم جنات:

لأئيبهم^(١١)

لَا يَعْزَنُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا أُوتِيتُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّسَ الْمُهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ

اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ

لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا

(١) في (ح): ما وعد لهم.

(٢) في (د): قوله.

(٣) في (ح): لا تفضحنا ولا تهلكنا (فاستجاب لهم) دعاهم.

(٤) في (د): عنده عمل رجل.

(٥) في (هـ): قوله أو أنتى.

(٦) في (ح): جميعهم.

(٧) في (هـ): سبيل.

(٨) في (ح): قاتلوا وقاتلوا وهو كقراءة غير العامة.

(٩) قرأ ابن كثير وابن عامر (وقاتلوا وقاتلوا) - مشددة - وقرأ نافع وعاصم وأبو عمرو (وقاتلوا وقاتلوا) - مخففة - وقرأ حمزة والكسائي (وقاتلوا

وقاتلوا) يبدأ بالمفعولين قبل الفاعلين على معنى: يقتل بعضهم فيقتل الباقون الباقين، قال أحمد بن يحيى: هذه القراءة أبلغ في

المدح، لأنهم يقاتلون بعد أن يقتل منهم.

(انظر الحجة لأبي زرععة ١٨٧ والسبعة ٢٢١ والنشر ٢/٢٤٦ والبيان ١/٢٣٧).

(١٠) في (د): قوله.

(١١) انظر الزجاج ١/٥١٨ والبيان ١/٢٣٧ وفتح القدير ١/٤١٣ عن البصريين.

(١٢) في (د): لأئيبهم.

يَسْتُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿١٩٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

قوله ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا﴾^(١) نزلت في مشركي مكة^(٢)، وذلك أنهم كانوا يتجرون ويتعمرن، ومعنى تقلبهم ﴿في البلاد﴾: تصرفهم للتجارات. أعلم الله تعالى أن ذلك مما لا ينبغي أن يغبطوا به لأن مصيرهم بكفرهم إلى النار^(٣) ولا يمتعون بما جمعوا، وهو قوله:

﴿متاع قليل ثم ماواهم جهنم﴾ قال الزجاج^(٤) ذلك الكسب والريح متاع قليل. ثم ذكر المؤمنين فقال:

﴿لكن الذين اتقوا ربهم﴾ إلى قوله^(٥) ﴿نزلا من عند الله﴾.

«النزل» ما يهياً للضيف أو القوم^(٦) إذا نزلوا موضعاً. قال الكلبي^(٧): جزاء وثواباً. ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾ مما يتقلب فيه الكفار في دار الدنيا.

قوله^(٨) ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله...﴾ الآية.

أخبرنا أبو الفضل أحمد بن محمد بن يوسف العروضي^(٩)، حدثنا أبو عمرو بن مطر - إملاء - أخبرنا جعفر بن أحمد بن سنان الواسطي^(١٠)، حدثنا محمد بن بكار الباهلي^(١١)، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن حميد عن أسد قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: قوموا فصلوا على أخيكم النجاشي^(١٢) فقال بعضهم يأمرنا أن نصلي على علي عجلج^(١٣)

(١) في (د): في البلاد.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٦٣ وغريب القرآن ١١٧ والزجاج ٥١٨/١ والدر ١١٣/٢ عن عكرمة والسدي.

(٣) في (ح): أن يغبطوا لأن مصيرهم إلى النار.

(٤) انظر الزجاج ٥١٩/١ وفي البيان ٢٣٨/١ «تقلبهم متاع قليل».

(٥) وتماها ﴿لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدن فيها﴾.

(٦) في (د): لقوم، وانظر اللسان / نزل، ومفردات الراغب / نزل، والمصباح المنير / نزل.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٦٣ ومجاز القرآن ١١٢/١ والبحر ١٤٧/٣ عن ابن عباس والقرطبي ٣٢٢/٤ عن الهروي.

(٨) في (هـ): وقوله.

(٩) الشيخ أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف النهشلي النيسابوري الأديب العروضي الصفار الشافعي شيخ النحو حدث عن أبي العباس الأصم وأبي الوليد الفقيه وأبي الفضل المزكي روى عنه أبو الحسن الواحدي وبه تأدب ولد سنة ٣٣٤ هـ وتوفي سنة ٤٢٠ هـ (بغية الوعاة ٣٦٩/١ وسير الأعلام ٣٨٩/١٧).

(١٠) جعفر بن أحمد بن سنان بن أسد الواسطي القطان الحافظ أبو محمد سمع أباه وأبا كريب وبندار وطبقتهم وعنه ابن عدي أبو عمرو بن حمدان أبو بكر المقرئ وخلق توفي سنة ٣٠٧ هـ (سير الأعلام ٣٠٨/١٤).

(١١) محمد بن بكار بن الزبير العيشي الصيرفي البصري، روى عن يزيد بن زريع ومعتمر بن سليمان ويحيى القطان وغيرهم وعنه مسلم وأبو داود وجمع غير واحد بينه وبين محمد بن بكار بن الريان والكلام محتمل لأن أكثرهم أطلقوا القول في محمد بن بكار من غير نسبة. (تهذيب التهذيب ٧٦/٩ - ٧٧).

(١٢) النجاشي: أصحمة بن أبحر ملك الحبشة، والنجاشي: اسم الملك، مات بعد فتح خيبر سنة ٩ هـ وصلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب وكان ممن حسن إسلامه ولم يهاجر ولا رؤية له. (البداية والنهاية ٧٧/٣ - ٧٨).

(١٣) «العلاج»: الرجل من كفار العجم (اللسان / علاج، والمصباح المنير / علاج).

من الحبشة، فأنزل الله تعالى ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾^(١).

وهذا قول ابن عباس وجابر وقتادة، إن الآية نزلت في النجاشي حين مات وصلى عليه رسول الله ﷺ بالمدينة، فقال المنافقين: إنه يصلي على نصراني لم يره قط^(٢).

وقال ابن جريج وابن زيد: نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه^(٣)، وقال مجاهد: نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم^(٤). قوله ﴿وما أنزل إليكم﴾ يعني القرآن ﴿وما أنزل إليهم﴾ يعني: التوراة ﴿خاشعين لله﴾ قال الزجاج^(٥): لما ذكر^(٦) الذين كفروا من أهل الكتاب في قوله ﴿فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً﴾^(٧) ذكر حال من آمن من أهل الكتاب وأخبر أنهم صدقوا في حال خشوعهم^(٨) فقال ﴿خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً﴾ أي: عرضاً من الدنيا كفعل اليهود الذين غيروا التوراة.

ثم وعدهم الأجر مع ذلك فقال^(٩) ﴿أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب﴾ ومضى الكلام في «سرعة الحساب»^(١٠).

قوله^(١١) ﴿يا أيها الذين ءامنوا اصبروا﴾^(١٢) قال الحسن: على دينكم فلا تدعوه لشدة^(١٣).

وقال زيد بن أسلم^(١٤) اصبروا على الجهاد - ﴿وصابروا﴾ عدوكم [فلا يكون أصبر منكم] ﴿ورابطوا﴾ أقيموا على جهاد عدوكم^(١٥) بالحرب.

(١) انظر صحيح مسلم - كتاب الجنائز - باب التكبير على الجنازة عن أبي هريرة - وجابر وعمران بن حصين (٣٨٠/١).

ومجمع الزوائد - كتاب الجنائز - باب الصلاة - على الغائب «رواه الطبراني والبخاري والبيهقي في الثقات» (٣٨/٣). وزوائد البزار - كتاب الجنائز - باب الصلاة على الغائب - رقم ٨٣٢ عن أنس (٣٩٢/١).

والترمذي - كتاب الجنائز - باب ما جاء في الصلاة على القبر رقم ١٠٤٤ «عن أبي هريرة وجابر وعمران بن حصين حسن صحيح».

(٢) (٢٥٢/٢) وفتح الباري - كتاب الجنائز - باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه (٩٠/٣) وباب الصفوف على الجنازة ١٤٥/٣ -

١٤٦، وباب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد ١٥٥/٣، وباب التكبير على الجنازة أربعاً ١٥٧/٣.

(٣) انظر الدر ١١٣/٢ عن جابر وقتادة وأنس والحسن وغرائب النيسابوري ١٧٢/٤ عنهم وأسباب النزول للواحدي ١٠٣ - ١٠٤ وللسيوطي ٦٩.

(٤) انظر تفسير الطبري ٤٩٩/٧، وغرائب النيسابوري ١٧٢/٤ كلاهما عن ابن جريج وابن زيد والبحر ١٤٨/٣ عن ابن جريج وابن زيد ومقاتل والدر ١١٣/٢.

(٥) انظر تفسير الطبري ٤٩٩/٧، وغرائب النيسابوري ١٧٢/٤ والدر ١١٣/٢ كلها عن مجاهد.

(٦) انظر الزجاج ٥١٩/١.

(٧) في (هـ): لما ذكر الله.

(٨) سورة آل عمران / ١٨٧.

(٩) في (هـ): فأخبر أنهم صدقوا في حال خشوع.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٦٤ ومجاهد ١٤١ والزجاج ٥٢٠/١ وابن كثير ٤٤٤/١ عن الحسن والدر ١١٤/٢ عن الحسن والقرطبي والطبري ٥٠٢/٧ عن الحسن، وغرائب النيسابوري ١٧٣/٤ عن الحسن والرازي ١٥٦/٩ عن الحسن.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٦٤ والطبري ٥٠٣/٧ والدر ١١٤/٢ كلاهما عن زيد وغرائب النيسابوري ١٧٣/٤ عن الفراء.

(١٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (د) وفي (هـ) تكرار: ورابطوا أقيموا على جهاد عدوكم فلا يكون أصبر منكم ورابطوا أقيموا على جهاد

عدوكم بالحرب.

وأصله من مرابطة الخيل، وهو ارتباطها^(١) بإزاء العدو في بعض الثغور ثم سمي ملازمة الجهاد رباطاً ومرابطة^(٢) وهذا قول أكثر المفسرين^(٣) وفيه قول آخر.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الزاهد، أخبرنا أبو علي بن أبي بكر الفقيه حدثنا محمد بن معاذ الماليني، حدثنا الحسين بن الحسن بن حرب المروزي^(٤)، حدثنا ابن المبارك، أخبرنا مصعب بن ثابت^(٥) حدثني (داود بن صالح^(٦) قال: قال أبو سلمة^(٧) بن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وربطوا﴾؟ قلت: لا. قال: إنه لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يربطوا فيه ولكن انتظار الصلاة خلف الصلاة.

رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه، عن أبي محمد المزني^(٨)، عن أحمد بن نجدة.

ودليل صحة هذا القول: الحديث الصحيح الذي أخبرنا أبو نصر محمد بن محمد بن عبد الله بن زكريا الجوزقي، أخبرنا بشر بن أحمد المهرجاني، أخبرنا محمد بن يحيى بن سليمان المروزي، حدثنا أبو عبد القاسم بن سلام، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة:

أن رسول الله ﷺ قال^(٩): «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: إسباغ^(١٠) الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة إلى الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط فذلكم الرباط^(١١)»

(١) في (هـ): ارتباطها.

(٢) انظر اللسان / ربط.

(٣) انظر غريب القرآن ١١٧، ومجاز القرآن ١١٢/١ والطبري ٥٠٨/٧ - ٥٠٩.

(٤) الحسين بن الحسن بن حرب المروزي الخافظ صاحب ابن المبارك بمكة سمع من هشيم والكبار توفي سنة ٢٤٦ هـ. (شذرات ١١١/٢).

(٥) مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوان عن أبيه وعطاء ونافع وعنه وابنه عبد الله وعبد الرزاق ضعفه يحيى وأحمد وقال أبو حاتم لا يحتج به وقال النسائي ليس بالقوي (الميزان ١١٨/٤ - ١١٩).

(٦) داود بن صالح بن دينار النمار المدني مولى الأنصار روى عن أبي أمامة بن سهل والقاسم وسالم وأبيه وعنه هشام بن عزوة وابن جريج وطائفة قال حرب عن أحمد لا أعلم به بأساً، وذكره ابن حبان في الثقات (تهذيب التهذيب ١٨٨/٣).

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٨) في (هـ): رسول الله ﷺ.

(٩) أبو محمد المزني عبد الله بن محمد بن عثمان بن المختار المزني الواسطي كان ثقة توفي بواسطة سنة ٣٧٣ هـ (النجوم الزاهرة ١٤٤/٤).

والأثر: رواه الحاكم في المستدرک - كتاب التفسير - «صحيح الإسناد» ٣٠١/٢، والرازي ١٥٦/٥ والدرر ١١٣/٢ وابن كثير ٤٤٤/١ وفتح القدير ٤١٥/١ والطبري ٥٠٤/٧ والبحر ١٤٩/٣ وأسباب النزول للواحدي ١٠٤ كلها عن أبي سلمة بن عبد الرحمن.

(١٠) ساقطة من (د).

(١١) في (د): إسباغ... وكثرة الرواح.

(١٢) في (هـ): ثلاثاً.

رواه مسلم عن قتيبة وعلي بن حجر كلاهما عن إسماعيل بن جعفر^(١) وإنما سمي انتظار الصلاة رباطاً^(٢) لأن كل من صبر على أمر وإنما سمي انتظار بعد الصلاة رباطاً^(٣)، لأن كل من صبر على أمر يقال: ربط قلبه عليه^(٤)، وربط نفسه، وقال لييد: رابط الجأش على كل وجل أي: صابر ثابت^(٥)

ولهذا قال أبو عبيدة وابن الأباري في قوله ﴿ورابطوا﴾: اثبتوا وداوموا^(٦) ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾

(١) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الطهارة - باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره (١/١٢٣)، والترمذي في جامعه - كتاب الطهارة - باب ما جاء في إسباغ الوضوء رقم ٥١ (١/٣٦).

والطبري ٥٠٦/٧ - ٥٠٧، ومسند أحمد ٢/٢٧٧ - ٤٣٨ كلهم من حديث أبي هريرة.

«وإسباغ الوضوء: المبالغة في إتمامه» (اللسان / سبغ).

«وإسباغ الوضوء على المكاره: ابن الأثير: جمع مكره وهو ما يكرهه الإنسان ويشق عليه والكره - بالضم والفتح - المشقة، المعنى: أن يتوضأ مع البرد الشديد والعلل التي يتأذى معها بمس الماء، ومع إعوازه، والحاجة إلى طلبه، والسعي في تحصيله، أو ابتياعه بالثمن الغالي، وما أشبه ذلك من الأسباب الشاقة» (اللسان / كره).

(٢) في (هـ): رباط.

(٣) في (هـ): رباط.

(٤) ساقطة من (د).

(٥) تكملة البيت:

يئد السير عليها ركب رابط الجأش على كل وجل

ويئد: يغذ السير ويعمله وأكثر ما يكون ذلك ليلاً، والوجل: الخوف.

انظر ديوان لييد ص ١٤٠ «ورابط الجأش، وربط الجأش أي: شديد القلب» (اللسان / ربط).

(٦) انظر مجاز القرآن ١/١١٢، والبغوي ١/٤٧٢ عن أبي عبيدة.

الوسيط

في تفسير القرآن المجيد

تأليف

أبي الحسن علي بن أحمد الواهبي النيسابوري

المتوفى سنة ٤٦٨ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبدالموجود

الدكتور أحمد محمد صيرة

الدكتور أحمد عبد الفتحي الجمل

الدكتور عبد الرحمن عويس

قدمه وقضله

الأستاذ الدكتور عبدالحفي الفرماري

كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

الجزء الثاني

المحتوى

سورة النساء - سورة يوسف

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ٩٤٢٤/١١ - تكس: Le 41245 Nasher
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣
فاكس: ٤٧٨١٣٧٣/١٢١٢ - ٦٠٢١٣٣/٩٦١١/٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النساء

مدنية وآياتها سبعون ومائة

أخبرنا الأستاذ أبو عثمان سعيد بن محمد بن المقرئ الزعفراني، أخبرني أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر، حدثنا إبراهيم بن شريك حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا سلام بن سليم المدايني، حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب قال:

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل من ورث ميراثاً وأعطى من الأجر كمن اشترى محرراً، وبرىء من الشرك، وكان في مشيئة الله عز وجل الذين يتجاوز عنهم»^(١).

أخبرنا الحسن بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن الفضل أخبرنا أحمد بن الحسن الحافظ، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا عثمان بن صالح السهمي^(٢)، حدثني ابن وهب، أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب حدثني حميد بن عبد الرحمن^(٣) عن المسور بن مخرمة، أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: تعلموا سورة البقرة وسورة النساء وسورة المائدة وسورة الحج وسورة النور فإن فيهن الفرائض^(٤).

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۚ ﴿١﴾ وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۚ ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثًى وثلثَ وَرَبِّعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آدْفَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ۚ ﴿٣﴾ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ۚ ﴿٤﴾

قوله^(٥) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ قال ابن عباس^(٦): الخطاب لأهل مكة.

(١) الحديث: انظر ما سبق نظير هذا الحديث عند افتتاح تفسير سورة آل عمران.

(٢) عثمان بن صالح بن صفوان السهمي أبو يحيى المصري، قال ابن حاتم عن أبيه: كان شيخاً صالحاً وقال الحاكم عن الدارقطني: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢١٩.

(تهذيب التهذيب ١٢٢/٧ - ١٢٣).

(٣) حميد بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة القرشي أبو إبراهيم - ويقال أبو عبد الرحمن - سمع أبا هريرة وأبا سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو ومعاوية وعبد الله بن عمر وأم سلمة وأبا بكره والنعمان بن بشير توفي سنة ١١٥ هـ وهو ابن ٩٣ سنة، (كتاب الجمع ٨٨/١ - ٨٩).

(٤) انظر كنز العمال ٣١٣/٢ عن السور، والدر ٢١/٢ «رواه الحاكم وصححه والبيهقي في الشعب» والمستدرک - كتاب التفسير - سورة النور - «صحيح على شرط الشيخين». (٣٩٥/٢).

(٥) ساقطة من (د).

(٦) الذي في تفسير ابن عباس ص ٦٤ أنه عام وقد يكون خاصاً، وانظر الدر ٣٣/١ «كل ما في القرآن (يا أيها الناس) فهو مكّي، وكل ما فيه =

﴿الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ يعني: آدم ﴿وخلق منها زوجها﴾ حواء^(١) خلقت من ضلع من أضلاع آدم^(٢). ولذلك قال النبي ﷺ.

«إن المرأة خلقت من ضلع^(٣) فإن ذهبت تقيمها^(٤) كسرتها وإن تركتها وفيها عوج^(٥) استمعت بها^(٦)».

وقوله ﴿وبث﴾ أي: فرق ونشر، و«البث» التفريق، ومنه قوله ﴿وزرابي مبثوثة﴾^(٧) أي: متفرقة في المجالس^(٨) وخلق الله الخلق فبثهم في الأرض.

وقوله ﴿منهما﴾ أي: من آدم وحواء، وهما أبو البشر، وفي هذا بيان قدرة الله تعالى، حيث خلق آدم وكان نفساً واحدة، ثم خلق منه حواء^(٩) ثم خلق منهما الرجال والنساء على كثرتهم.

قوله ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به^(١٠)﴾ أي: تساءلون^(١١)، فأدغم التاء في السين ومن خفف حذف ولم يدغم^(١٢). والمعنى: تساءلون^(١٣) فيما بينكم حوائجكم وحقوقكم به، فتقولون: أسألك بالله وأنشدك بالله، ونشدتك الله^(١٤)، وكذا كانت العرب تقول له^(١٥).

= (يا أيها الذين آمنوا) فمدني» عن ابن مسعود والضحاك وعلقمة وميمون وعكرمة، وانظر البحر ١٥٣/٣ وفتح القدير ٤١٦/١ والوجيز للواحد ١٣٨/١.

(١) في (د): يعني حواً وكذلك...

(٢) انظر الزجاج ١/٢ والطبري ٥١٥/٧ عن قتادة ومجاهد وابن كثير ٤٤٨/١.

(٣) في (د): طلع أعوج.

(٤) في (هـ): تقومها.

(٥) في (د): اعوجاج.

(٦) الحديث: انظر صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق - باب قوله الله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة...﴾ بالفاظ متقاربة. (٢٢٩/٢).

وصحيح مسلم - كتاب الرضاع - باب الوصية بالنساء (٦٢٥/١).

والترمذي - كتاب الطلاق - باب ما جاء في مداراة النساء رقم ١٢٠٠ (٣٣٠/٢).

والمستدرک - كتاب البر والصلة - «صحيح على شرط الشيخين» (١٧٤/٤).

ومصنف ابن أبي شيبة ٢٧٥/٥ كلها بالفاظ متقاربة عن أبي هريرة وسمره.

(٧) سورة الغاشية / ١٦.

وانظر غريب القرآن ١١٨ والفراء ٢٥٢/١، والطبري ٥١٦/٧.

(٨) في (د): مفرقة في المجلس.

(٩) انظر الدر ١١٦/٢ عن ابن عباس ومجاهد وابن عمر والضحاك «أن حواء خلقت من شخص آدم».

(١٠) ساقطة من (هـ).

(١١) في (د): تساءلون به فأدغم.

(١٢) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر (تساءلون) - مشددة السين - وقرأ عاصم والكسائي وحزمة - بالتخفيف.

(انظر الحجة لابن خالويه ١١٨، والسبعة ٢٢٦ والنشر ٢٤٧/٢، والتبيان ٢٢٦/١ والفراء ٢٥٣/١ والأخفش ٤٣٠/١، والتبيان

(٢٤٠/١).

(١٣) في (د): فأدغم التاء في السين فيما بينكم وحوائجكم ومن هنا عودة النسخة (أ).

(١٤) في (د): نشدتك الله وأنشدك بالله.

(١٥) انظر اللسان / نشد «وقولهم: نشدتك بالله وبالرحم معناه: طلبت إليك بالله وبحق الرحم». وقال أبو العباس: نشدتك الله قال: النشيد

الصوت أي سألتك بالله بالرفع نشيدي، أي: صوتي» وانظر الدر ١١٧/٢ عن مجاهد والفراء ٢٥٢/١.

وقوله (١) ﴿والأرحام﴾ قال قتادة ومجاهد والسدي والضحاك وابن زيد (٢) والفراء والزجاج (٣): واتفقوا الأرحام أن تقطعوها (٤) فهي عطف على اسم الله في قوله ﴿واتقوا الله﴾.

والمعنى: واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها وهذا ينبيء بوجوب صلة الرحم أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو علي الميداني، حدثنا محمد بن يحيى الذهلي حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري حدثني أبو عبد الرحمن (٥)، أن رَدَاداً الليثي (٦) أخبره، عن عبد الرحمن بن عوف.

أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «قال الله تعالى: أنا الرحمن (٧) خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته» (٨).

أخبرنا (٩) أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم الصوفي أخبرنا محمد بن علي القفال الشاشي أخبرنا الحسين بن موسى بن خلف الرسغي (١٠) حدثنا إسحاق بن سيار (١١)، حدثني عمران بن هارون الرملي (١٢)، حدثني سليمان بن حيان حدثني داود بن أبي هند عن الشعبي عن ابن عباس قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليعمر بالقوم الديار ويكثر لهم الأموال، وما نظر إليهم مذ خلقهم بغضاً، وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: يصلتهم أرحامهم» (١٣).

(١) في (د): قوله.

(٢) في (هـ): وابن الزيد.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٦٤ ومجاهد ١٤٣ والثوري ٨٥ والزجاج ٢/٢ والدر ١١٧/٢، عن ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وعكرمة، والطبري ٥٢١/٧ - ٥٢٢ عن السدي وقتادة وابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك والربيع وابن زيد، ومجاز القرآن ١١٣/١ والفراء ٢٥٢/١ والأخفش ٤٣٠/١، وغرائب النيسابوري ١٧٨/٤ عن مجاهد وقتادة والسدي والضحاك والفراء وابن زيد والزجاج، وابن كثير ٤٤٨/١ عن الحسن والربيع وعكرمة وغيرهم.

(٥) وفي (أ): أبو سليمان.

(٦) رداد الليثي ما حدث عنه سوى أبي سلمة فحدثه عن عبد الرحمن والده في صلة الرحم (الميزان ٤٧/٢).

(٧) في (د) قال الله تعالى خلقت، وفي (هـ): إني.

(٨) الحديث: رواه الترمذي - كتاب البر والصلة - باب ما جاء في قطيعة الرحم رقم ١٩٧٢ وصححه (٢١٠/٣ - ٢١١).

وأبو داود - كتاب الزكاة - باب في صلة الرحم رقم ١٦٩٤ (١٣٣/٢).

والمستدرک - كتاب البر والصلة «روي بأسانيد واضحة، صحيح على شرط مسلم» ١٥٧/٤ - ١٥٨ ومسنده أحمد ١٩١/١ - ١٩٤ كلهم من حديث عبد الرحمن بن عوف.

(٩) في (د): قال.

(١٠) في (د): الرسعني سبق.

(١١) إسحاق بن سيار محدث نصيبين توفي سنة ٢٧٣ هـ (تذكرة الحفاظ ٢/٢٣٦).

(١٢) عمران بن أبي عمران الرملي عن بنية بن الوليد أتى بخبر كذب هو آفته (الميزان ٣/٢٤٠).

(١٣) الحديث: رواه أبو نعيم في الحلية بالفاظ متقاربة وقال «هذا حديث غريب من حديث داود والشعبي تفرد به عمران الرملي عن أبي حاتم» (الحلية ٤/٣٣١).

ومجمع الزوائد - كتاب الأدب - باب صلة الرحم وقطعها «رواه الطبراني وإسناده حسن» (١٥٢/٨).

والمستدرک - كتاب البر والصلة - قال الذهبي «تفرد به عمران بن موسى الرملي الزاهد عن أبي خالد، قال: وإن كان حفظه فهو صحيح»

وقال الحاكم «غريب صحيح» ٤/١٦١ والجامع الكبير للسيوطي ١/١٧٧ «رواه الطبراني والحاكم عن ابن عباس» والطبراني في الكبير

١٢/٨٦ عن ابن عباس.

وقرأ حمزة ﴿والأرحام﴾ بالخفض^(١)، وضعف النحويون كلهم هذه القراءة واستقبلوها.

قال الزجاج^(٢): إجماع النحويين أنه يقبح باسم ظاهر على اسم مضمّر^(٣) في حال الخفض إلا بإظهار الخافض^(٤) كقوله ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾^(٥) ويستقبح^(٦) النحويون: مررت به وزيد لأن المكني المخفوض حرف متصل غير منفصل، فكأنه^(٧) كالتنوين في الاسم، فقبح أن يعطف باسم يقوم بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه. وقال سيبويه^(٨): لا يجوز عطف الظاهر على المكني المخفوض من غير إعادة الخافض إلا في ضرورة الشعر وأشد^(٩).

فاليوم قريت تهجوننا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام^(١٠) من عجب

وقوله^(١١) ﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾ «الرقيب»: الحافظ: يقال: رقب يرقب رقبة ورقباً^(١٢) ومعناه: أنه يرقب عليكم أعمالكم، فاتقوه فيما نهاكم عنه.

قوله^(١٣) ﴿وءاتوا اليتامى أموالهم﴾ الخطاب^(١٤) للأوصياء وأولياء اليتامى أي: أعطوهم أموالهم إذا بلغوا ﴿ولا تبدلوا الخبيث بالطيب﴾ يقال: تبدل الشيء بالشيء، إذا أخذه مكانه.

(١) انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٠ وقد أجاد أبو زرعة في الدفاع عن قراءة حمزة، قال: ومن قرأ (والأرحام) - بالكسر - فالمعنى: تساءلون به وبالأرحام، وقال أهل التفسير: هو قوله: أسالك بالله وبالرحم وقد أنكروا هذا وليس بمنكر، لأن الأئمة أسندوا قراءتهم إلى النبي ﷺ، وأنكروا - أيضاً - أن الظاهر لا يعطف على المضمّر المجرور إلا بإظهار الخافض وليس بمنكر وإنما المنكر أن يعطف الظاهر على المضمّر الذي لم يجر له ذكر فنقول: مررت به وزيد، وليس هذا بحسن، فأما أن يتقدم لها وذكر فهو حسن، وذلك: عمرو مررت به وزيد، فكذلك الهاء في قوله (تساءلون به) وتقدم ذكرها وهو قوله (واتقوا الله). ومثله قول الشاعر:

فاليوم أصبحت تهجوننا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب

(وانظر السبعة ٢٢٦، والنشر ٢/٢٤٧، والبيان ١/٣٢٦ - ٣٢٧، والمشكل ١/١٨٧، وغريب القرآن ١١٨، والحجة لابن خالويه ١١٨ - ١١٩، والبيان ١/٢٤٠ والبحر ٣/١٥٧ - ١٥٩ والرازي ٩/١٦٤).

(٥) سورة القصص / ٨١.

(٢) انظر الزجاج ٢/٢.

(٦) في (هـ): واستقبح.

(٣) في (هـ): مظمر.

(٧) في (ج، هـ): وكأنه.

(٤) في (د): الحافظ بقوله فخسفنا به وبداره.

(٨) انظر الكتاب ٢/٣٨٢ والخزانة ٥/١٢٣ عن سيبويه والزجاج ٣/٢ والمشكل ١/١٨٧ - ١٨٨.

(٩) البيت للأعشى وينسب لعمرو بن مغديكرب ولخفاف بن ندبة - ولغيرهم - وقربت: من التقرب في السيز وهو الإسراع، أي أسرع إلى شتمنا وهجوننا في زمن سيء فلا عجب منكما. والشاهد: عطف الأيام على الكاف، والبيت من شواهد النحو الشائعة في باب الجر. وانظر البيت في تفسير الرازي ٩/١٦٤ قال الرازي: «والعجب من هؤلاء النحويين أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بهذين البيتين المجهولين ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة ومجاهد مع أنهما من أكابر علماء السلف في علم القرآن».

وانظر فتح القدير ١/٤١٨ والحجة لابن خالويه ١١٩ والكتاب ٢/٣٨٣ والبحر ٢/١٢٨، ٣/١٥٨ والخزانة ٥/١٢٣ والقرطبي ٥/٣ والزجاج ٢/٣ (والحاشية) والحجة لأبي زرعة ١٩٠ (والحاشية).

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف قائلها (الخزانة ٥/١٢٩).

وهو من بحر البسيط، و«هجاه يهجو هجواً وهجاء وتهجاء - ممدود - شتمه بالشعر» والشم: قبح الكلام وليس فيه قذف، والشمم (اللسان / هجا، اللسان / شتم).

(١٠) في (د): في الأيام.

(١٣) في (هـ): قوله تعالى.

(١١) في (د): قوله.

(١٤) في (د) والخطاب.

(١٢) انظر مجاز القرآن ٢/١١٣ والأخفش ١/٤٣١ والطبري ٧/٥٢٣.

قال المفسرون^(١): كان ولي اليتيم يأخذ الجيد من ماله ويجعل الرديء مكانه فيجعل الزائف^(٢) بدل الجيد والمهزول بدل السمين^(٣) فهى الله تعالى عن ذلك.

قال السدي^(٤): لا تضع بعيراً مهزولاً مكان بعير سمين، تقول^(٥): بعير ببعير، وشاة مهزولة مكان شاة سميئة، وثوباً خلقاً مكان ثوب جديد، تقول^(٥) ثوب بثوب وشاة بشاة.

وأراد بـ «الخيث»: الحرام، وهو ما يأخذه من مال اليتيم بدل ماله الحلال. قوله^(٦) ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ أي: لا تضيفوها في الأكل إلى أموالكم وقال السدي^(٧): يقول: ولا تخلطوها بأموالكم ثم تأكلوها جميعاً.

﴿إنه﴾ يعني: إن أكل أموالهم ﴿كان حوباً كبيراً﴾ «الحوب والحوب والحاب»: الإثم الكبير^(٨).

وقوله^(٩): ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى﴾ «الإقسط»: العدل، يقال أقسط الرجل، إذا عدل^(١٠) ومنه قوله ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾^(١١).

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازي أخبرنا أبو الفضل محمد بن عبد الله بن خميرويه، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الخزازي حدثنا أبو اليمان بن نافع، أخبرني شعيب عن الزهري قال:

كان عروة بن الزبير يحدث أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قول الله عز وجل ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى﴾ قالت عائشة: هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة^(١٢) نسائها، فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن من النساء، رواه البخاري عن أبي اليمان^(١٣). وعلى هذا التفسير تقدير الآية: ^(١٤) ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في نكاح اليتامى فحذف المضاف وقوله^(١٥)

(١) انظر تفسير الثوري ٨٦، والطبري ٥٢٥/٧ عن إبراهيم الضحاك، وابن كثير ٤٤٩/١ عن سعيد بن المسيب والزهري والدر ١١٧/٢ عن سعيد والضحاك والزهري وإبراهيم والسدي.

(٢) في (ح): الزيف، وفي (د): الزليف.

(٣) في (هـ) مكان السمين.

(٤) انظر تفسير الطبري ٥٢٥/٧ عن السدي والزهري، وابن كثير ٤٤٩/١ والدر ١١٧/٢ كلاهما عن السدي، والثوري ٨٦.

(٥) في (د): تقال.

(٦) في (ج، هـ): وقوله، وفي (د): قوله تعالى.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٦٤-الثوري ٨٦-حاشية، والطبري ٥٢٨/٧ وابن كثير ٤٤٩/١ كلاهما عن السدي.

(٨) انظر مجاز القرآن ١١٣/١ والزاهر ٩٧/١-٩٨ والفراء ٢٥٣/١ والطبري ٥٢٩/٧ وفتح الباري ١٩٧/٨ وابن كثير ٤٤٩/١.

(٩) في (د) قوله.

(١٠) انظر غريب القرآن ١١٩، والأخفش ٤٣١/١.

(١١) سورة الحجرات ٩.

(١٢) «أي أدنى من صداقها» حاشية أ.

(١٣) الحديث: رواه البخاري في صحيحه - كتاب المظالم - باب شركة اليتيم وأهل الميراث (٧٥/٢)، وفي كتاب التفسير - سورة النساء -

(١١٧/٣).

ومسلم في الصحيح - أبواب التفسير - (٦٠٦/٢).

والطبري ٥٣١/٧ - ٥٣٣ أسباب النزول للواحدي ١٠٥، وابن كثير ٤٤٩/١، ٤٥٠ - وكلهم من حديث عائشة.

(١٥) في (ح): وقوله تعالى، وفي (هـ، د): قوله.

(١٤) انظر البيان ٢٤١/١.

﴿فانكحوا ما طاب لكم﴾ أي : من غيرهن وقال أكثر المفسرين^(١) : يقول : فإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى وهمكم ذلك ، فكذلك خافوا في النساء أن لا^(٢) تعدلوا فيهن ، فلا تزوجوا أكثر ما يمكنكم إمساكنهن والقيام بحقهن لأن النساء كاليتامى في الضعف والعجز .

وهذا قول ابن عباس - في رواية الوالبي - وسعيد بن جبيرة وقتادة والربيع والضحاك والسدي .

وقوله^(٣) ﴿ما طاب لكم﴾ أي^(٤) : حل لكم ﴿من النساء﴾ يعني : من اللاتي يحل نكاحهن ، دون المحرمات اللاتي ذكرن في قوله ﴿حرمت عليكم أمهاتكم . . .﴾ الآية^(٥) .

و«ما» ها هنا : بمعنى «من» كقوله ﴿والسما وما بناها﴾^(٦) وقال مجاهد^(٧) : معناه فانكحوا النكاح الذي طاب لكم من النساء ، ف«ما» على هذا عبارة عن النكاح .

وقوله^(٨) ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ معناه : اثنتان اثنتين ، وثلاثاً ثلاثاً ، وأربعاً أربعاً . على اختلاف الأحوال لأن الأربعة إنما يحل نكاحهن إذا لم يتقدما ثلاث وكذلك الثلاث إذا لم يتقدما اثنتان^(٩) .

ولا تدل الآية على إباحة التسع ، وإن كان مجموع هذه الأعداد تسعاً^(١٠) لأن الله تعالى خاطب العرب بأفصح اللغات ، وليس من شأن البليغ أن يعبر في العدد عن التسعة باثنتين وثلاثة وأربعة فمن قال : أعط زيداً اثنتين وثلاثة وأربعة وهو يريد تسعة كان ذلك أعياً^(١١) كلام .

قوله^(١٢) ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا﴾ أي : في الأربعة^(١٣) بالحب والجماع^(١٤) ﴿فواحدة﴾ أي : فليتكح كل واحد منكم واحدة من الحرائر ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ من الجوارى لأنه لا يلزم فيهن من الحقوق كالذي^(١٥) يلزم في الحرائر من التسوية بينهن في القسمة .

(١) انظر الزجاج ٤/٢ والبيان ٣٢٨/١ والطبري ٥٣٦/٧ والدر ١١٨/٢ عن سعيد بن جبيرة وابن عباس والضحاك ومجاهد والفراء ٢٥٣/١ وفتح القدير ٤٢٣/١ عن مجاهد وأبي موسى وسعيد بن جبيرة .

(٢) في (د) : إلا أن . (٥) سورة النساء / ٢٣ وانظر الدر ١١٩/٢ عن أبي مالك وعائشة والحسن وسعيد بن جبيرة .

(٣) في (د) : قوله . (٦) سورة الشمس / ٥ .

(٤) في (د) ، (هـ) : أي ما حل لكم . (٧) انظر تفسير مجاهد ١٤٤ والفراء ٢٥٣/١ - ٢٥٤ والدر ١١٨/٢ - ١١٩ عن مجاهد .

(٨) في (د) قوله .

(٩) (مثنى وثلاث ورباع) «الواو ليست للعطف الموجب للجمع في زمن واحد لأنه لو كان كذلك لكان عياً ، إذ من إدراك الكلام أن تفصل التسعة هذا التفصيل ولأن الجمع غير صحيح أيضاً ، لأن مثنى ليست عبارة عن ثنتين بل ثنتين ثنتين وثلاث عن ثلاث ثلاث ، وهذا المعنى يدل على أن المراد : التخير لا الجمع وهو متصور على البذل من «ما» للعدل والوصف ، و«مثنى» : لا يتون لأنه مصروف عن حده ، والحد أن يقولوا اثنتين وكذلك ثلاث ورباع لا توين فيهما . انظر مجاز القرآن ١١٥/١ والأخفش ٤٣١/١ والبيان ٢٤١/١ .

(١٠) في (هـ) : تسعة .

(١١) في (هـ) : أعبي .

«عبي بالامر عياً وعبي وتعابا واستعيا وهو عي وعبي وعيان : عجز عنه ولم يطق إحكامه» . (اللسان / عيا) .

(١٢) في غير (أ) وقوله .

(١٣) في (ح) : ألا تعدلوا في الأربعة بالتسوية بينهن في القيام بحقوقهن (فواحدة) أي فليتكح كل واحد منكم واحدة بالحب والجماع (فواحدة أو ما ملكت) .

(١٥) في (د) : كما كذي .

(١٤) انظر تفسير الطبري ٥٤٨/٧ والدر ١١٩/٢ كلاهما عن الضحاك .

وقوله (١) ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعْمَلُوا﴾ (٢) أي: نكاح الأربع على قلة عددهن (٣) أقرب إلى العدل وأبعد من الظلم.

ومعنى ﴿تَعْمَلُوا﴾ (٤): تميلوا وتجوروا عن جميع (٥) المفسرين: و«العول»: الميل في الحكم إلى الجور.

قال الفراء: عال الرجل يعول عولاً، إذا مال وجار، وهذا قول ابن عباس والحسن وإبراهيم وقتادة والربيع وعكرمة والفراء والزجاج وابن الأنباري (٦).

وقوله ﴿وَعَاتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ «الصدقات»: المهور، واحدتها صدقة (٧)، «النحلة» معناها في اللغة: الديانة والملة والشريعة، يقال: فلان يتنحل كذا، إذا كان يتدين به، ونحلته كذا، أي دينه (٨).

ولهذا قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد في قوله ﴿نِحْلَةً﴾ أي: فريضة (٩).

والخطاب للأزواج، أمروا بإيتاء النساء مهورهن تديناً، لأنه مما أوجبه الله لهن.

وقال الكلبي: ﴿نِحْلَةً﴾ هبة وعطية، يقال: نحلنا فلاناً شيئاً أنحلته نحلة أي أعطيه (١٠). والمعنى: أن الله جعل الصداق نحلة للنساء، فأمر الأزواج بإعطاء مهور النساء من غير مطالبة منهن، ولا مخاصمة فيه، لأن ما يأخذ بالمحاكمة لا يقال له نحلة.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المزكي، أخبرنا أبو سهل أحمد بن الحسين القاضي (١١)، حدثنا محمد بن أيوب الرازي، أخبرنا القعني، حدثنا عبد الله بن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب (١٢)، عن أبي الخير (١٣)، عن عقبة (١٤) قال:

(١) في (د): قوله.

(٢) في (ح): عددهم.

(٣) في (ح): أن لا تعدلوا وفي (د) تعلقوا.

(٤) في (ج): تعدلوا.

(٦) انظر مجاز القرآن ١١٧/١ وتفسير ابن عباس ٦٤ ومجاهد ١٤٤ والثوري ٨٧، والزجاج ٧/٢، وغريب القرآن ١١٩، وفتح الباري ١٩٧/٨ والفراء ٢٥٥/١، والدر ١١٩/٢ عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبي رزين وأبي مالك والضحاك. والطبري ٥٤٩/٧ - ٥٥١ عن الحسن ومجاهد وعكرمة وإبراهيم وأبي مالك وقتادة والربيع والسدي وابن عباس والزاهر ٢٣٩/١.

(٧) انظر غريب القرآن ١١٩، ومجاز القرآن ١١٧/١ والأخفش ٤٣٣/١.

(٨) انظر اللسان / نحل.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٦٤ والزجاج ٨/٢ والطبري ٥٥٣/٧ عن قتادة وابن جريج وابن زيد، والرازي ١٨٠/٩ عن ابن عباس وقتادة وابن زيد، وابن كثير ٤٥١/١ عن الزهري عن عروة عن عائشة وقتادة وابن جريج، والدر ١٢٠/٢ عن ابن جريج وابن زيد وقتادة.

(١٠) انظر تفسير البغوي ٤٧٧/١ وغرائب النيسابوري ١٨٨/٤ والرازي ١٨٠/٩ كلها عن الكلبي وانظر غريب القرآن ١٢٠ والفراء ٢٥٦/١ والزاهر ٢٦٦/٢.

(١١) أحمد بن الحسين بن علي أبو حامد المروزي المعروف بابن الظميري من حفاظ الحديث من أهل طبرستان عارف بالتاريخ تفقه ببغداد وبلغ وتولى قضاء القضاة بخراسان توفي سنة ٣٧٦ هـ (الأعلام ١١١/١ - ١١٢).

(١٢) يزيد بن أبي حبيب - واسمه سويد - الأزدي أبو رجاء المصري فقيه مصر وشيخها لقي عبد الله بن الحارث بن جزء وروى عن سالم ونافع وعكرمة وعطاء وخلق وثقه أبو زرعة وابن سعد وقال كان ثقة كثير الحديث توفي سنة ١٢٨ هـ.

(تهذيب التهذيب ١١/٣١٨ - ٣١٩ وحسن المحاضرة ١/٢٩٩).

(١٣) أبو الخير المصري: مرثد بن عبد الله اليزني المصري الفقيه مفتي أهل مصر تفقه بعقبة بن عامر - ويزن: بطن من حمير - سمع عقبة بن عامر وعنه يزيد بن أبي حبيب توفي سنة ٩٠ هـ (تذكرة الحفاظ ١/٧٣).

(١٤) عقبة بن عامر الجهني أبو حماد صحابي مشهور توفي سنة ٦٠ هـ (تقريب التهذيب ٢/٢٧).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أحق الشرط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج» رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف، عن الليث، ورواه مسلم عن محمد بن المثنى، عن يحيى القطان، عن عبد الحميد بن جعفر^(١)، كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب^(٢).

أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل^(٣)، حدثنا محمد بن يعقوب^(٤) حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا سعيد بن سليمان^(٥)، حدثنا يوسف بن محمد بن يزيد بن صيفي بن صهيب^(٦)، حدثني أبي^(٧)، عن عمه عبد الحميد^(٨)، عن جده صهيب قال:

قال رسول الله ﷺ: «من أصدق امرأة صداقاً وهو^(٩) مجمع على أن لا يوفىها إياه، ثم مات ولم يعطها إياه، لقي الله زانياً»^(١٠).

وقوله^(١١) ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً﴾ قال الفراء والزجاج^(١٢) فإن طابت أنفسهن لكم عن شيء^(١٣) من

(١) وفي (ج): عبد الحميد عن جعفر.

(٢) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب الشروط - باب الشروط في المهر عند عقد النكاح (١١٧/٢) ومسلم في الصحيح - كتاب النكاح - باب الوفاء بالشروط في النكاح (٥٩٣/١) كلاهما من حديث عقبه بن عامر.

(٣) في (د): محمد بن يونس، وهو: الشيخ الثقة المأمون أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل بن شاذان الصيرفي ابن أبي عمرو النيسابوري سمع من والده وأبي عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني وأبي حامد أحمد بن محمد بن شعيب وعنه البيهقي والمخطيب وخلق توفي سنة ٤٢١ هـ (سير الأعلام ١٧/٣٤٩ - ٣٥٠).

(٤) ابن الأزمز الإمام الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني النيسابوري ويعرف أبوه بابن الكرمانى ولد سنة ٢٥٠ هـ وصلى على جنازة محمد بن يحيى الذهلي روى عنه الحاكم أبو عبد الله ويحيى بن إبراهيم المزكي وابن منده وكان من أئمة هذا الشأن قال الحاكم: كان صدر أهل الحديث ببلدنا يحفظ ويفهم صنف مستخرجاً على الصحيحين والمسند الكبير وكتاباً على صحيح مسلم توفي سنة ٣٤٤ هـ. (تذكرة الحفاظ ٣/٨٦٤ - ٨٦٥).

(٥) سعيد بن سليمان الحافظ المسند أبو عثمان الضبي البزاز سعدويه الواسطي سمع حماد بن سلمة وطبقته وعنه البخاري وأبو داود وإبراهيم الحري قال أبو حاتم ثقة مأمون توفي سنة ٣٢٥ هـ. (تذكرة الحفاظ ١/٣٩٨ - ٣٩٩).

(٦) يوسف بن محمد بن يزيد بن صيفي بن صهيب بن سنان قال البخاري فيه نظر، وقال أبو حاتم لا بأس به وذكره ابن حبان في الثقات روى حديث «من أصدق امرأة صداقاً». الحديث (الميزان ٤/٤٧٣ - ٤٧٤).

(٧) محمد بن يزيد بن صيفي بن صهيب عن أبيه عن جده، قال البخاري: مختلف في حديثه. (الميزان ٤/٦٦).

(٨) عبد الحميد بن زياد - ويقال ابن زيد - بن صيفي بن صهيب بن سنان التيمي مولا هم روى عن أبيه زياد بن صيفي وشعيب بن عمرو بن صهيب وعنه ابن عمه - ويقال ابن أخيه - يوسف بن محمد بن صيفي، قال أبو حاتم: شيخ روى له ابن ماجه وذكره ابن حبان في الثقات (تهذيب التهذيب ٦/١١٤ - ١١٥، وانظر ٦/١١٨).

(٩) في (د): صداقاً ومجمع.

(١٠) الحديث: رواه الطبراني في الكبير ٨/٤٠٨ ومسند أحمد ٤/٣٣٢ والجامع الصغير ١/١١٨ وزمزه بالضعيف. ومجمع الزوائد - كتاب النكاح - باب فيمن نوى أن لا يؤدي صداق امرأته «رواه أحمد والطبراني، وفي إسناد أحمد رجل لم يسم بيقية رجاله ثقات، وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم» (٤/٢٨٤).

وانظر العلل المتناهية ٢/٦٢٣ - ٦٢٤ روي بثلاث طرق قال المؤلف «هذا حديث لا يصح ففي الطريق الأول: عثمان بن خالد قال ابن حبان: يروي عن الثقات ما لا يشبه حديثهم ولا يجوز الاحتجاج بإفراده والثاني: فيه يوسف بن محمد قال العقيلي لا يتابع على حديثه. والثالث: فيه محمد بن أبان ترك الناس حديثه وقال يحيى لا يكتب حديثه» والضعفاء الكبير ٤/٤٥١ في ترجمة يوسف بن محمد بن يزيد بن صيفي ولا يتابع على حديثه قال البخاري فيه نظر.

(١١) في (د): قوله. (١٢) انظر الفراء ١/٢٥٦، ٢/١٦٦ والزجاج ٢/٩.

(١٣) في (د): بشيء.

الصداق ﴿فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ معنى «الهنيء»: الطيب المساغ الذي لا ينقصه شيء و«المريء» المحمود العاقبة التام الهضم الذي لا يضر ولا يؤذي^(١).

قال المفسرون^(٢): لا تخافون به في الدنيا مطالبة ولا في الآخرة تبعه^(٣) أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد التميمي أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، حدثنا أبو يحيى الرازي، حدثنا سهل بن عثمان العسكري حدثنا أبو مالك عن جوير^(٤)، عن الضحاك عن ابن عباس:

عن النبي ﷺ: أنه سئل عن هذه الآية ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ قال: «إذا جادت المرأة لزوجها بالعطية غير مكرهة لا يقضي به عليه سلطان، ولا يؤخذ الله به^(٥) في الآخرة»^(٦).

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۚ وَابْتُلُوا آلِيَنَّمَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۗ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ۚ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ۚ

قوله تعالى^(٧): ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي: يقول لا تعتمد إلى مالك الذي حولك الله، وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وبنيتك فيكونوا هم الذين يقومون عليك، ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحه، وكن^(٨) أنت الذي تنفق عليهم في كسوتهم، ورزقهم ومؤنتهم. ف«السفهاء» هم النساء والصبيان، هذا قول الحسن وقتادة وسعيد بن جبيرة والسدي^(٩).

وقوله ﴿التي جعل الله لكم قياماً﴾ قال عطاء عن ابن عباس^(١٠): قياماً لمعاشكم وصلاح دنياكم، قال الزجاج^(١١) التي جعلها الله تقيمكم^(١٢) فتقومون بها قياماً.

(١) انظر الزجاج ٩/٢ وغرائب النيسابوري ١٨٩/٤ واللسان / هنا، والبحر ١٦٧/٣، والطبري ٥٦٠/٧.

(٢) في (هـ): المفسرين. وفي (أ) قال المفسرون يقولون.

(٣) انظر البحر ١٦٦/٣، ١٦٩ والطبري ٥٥٦/٧ - ٥٥٧ عن حضرمي وقتادة والوجيز للواحدي ١٣٩/١. (١٣) ساقطة من (أ).

(٦) انظر تفسير الطبري ٥٥٦/٧ عن ابن عباس وقتادة وغرائب النيسابوري ١٨٩/٤ عن ابن عباس ومصنف ابن أبي شيبة ١٩٢/٦ عن إبراهيم النخعي.

(٧) في (د): «ولا تؤتوا السفهاء أموالهم».

(٨) في (د): ولكن.

(٩) انظر تفسير مجاهد ١٤٤، والزجاج ١٠/٢، وغريب القرآن ١٢٠، والبغوي ٤٧٨/١ عن ابن عباس والدر ١٢٠/٢ - ١٢١ عن ابن

عباس وابن مسعود والحسن وسعيد بن جبيرة وقتادة، وابن كثير ٤٥٢/١ عنهم والقراء ٢٥٦/١ والرازي ١٨٥/٩ عن ابن عباس والحسن

وقتادة وسعيد بن جبيرة، والطبري ٥٦١/٧ - ٥٦٣، ٥٧٠ عن ابن عباس والحسن والسدي والضحاك وقتادة ومجاهد وأبي مالك والوجيز

لِلواحدي ١٤٠/١.

(١٠) انظر تفسير مجاهد ١٤٥ والطبري ٥٧٠/٧ وفتح الباري ١٩١/٨ كلاهما عن ابن عباس.

(١٢) في (د): جعل الله لكم فتقومون.

(١١) انظر الزجاج ١٠/٢ ومجاز القرآن ١١٧/١.

قال الكسائي: «القيام» ها هنا: اسم بمعنى القوام وهو ما يقوم به الشيء^(١).

قال ابن قتيبة^(٢) يقال: هذا قوام أمرك وقيام أمرك، أي ما يقوم به أمرك.

وقرأ نافع «قيماً»^(٣) قال الأخفش: قياماً وقواماً وقيماً وقوماً: واحداً، فـ «القيم» عنده مصدر في معنى القيام^(٤).

وقال غيره: «القيم»: جمع قيمة، والدنانير والدرهم قيم الأشياء، واختار الزجاج هذا الوجه فقال: من^(٥) قرأ «قيماً» فالمعنى: أموالكم التي جعلها الله قيماً للأشياء فبها تقوم أموركم^(٦).

وقوله^(٧) ﴿وارزقوهم فيها واكسوهم﴾ «الرزق من العباد»: هو الأجر الموظف يقال: رزق فلان عياله كذا وكذا، أي^(٨): أجرى عليهم.

وإنما قال ﴿فيها﴾ ولم يقل «منها» لأنه أراد: اجعلوا لهم فيها رزقاً، كأنه أوجب ذلك لهم في المال^(٩) قال ابن عباس^(١٠) يريد أنفقوا عليهم منها.

ومعنى ﴿واكسوهم﴾: ألبسوهم الثياب يقال: كسوت فلاناً ثوباً فاكتساه، أي: لبسه و«الكسوة»: ما يكتسى^(١١) من الثياب.

وقوله^(١٢) ﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ أي: عِدَّة جميلة من البر والصلة^(١٣) تقول: إذا ربحت في سفرتي هذه^(١٤) أحسنت إليكم، وإن غنمت في غزاتي أعطيتكم^(١٥).

قوله تعالى: ﴿وابتلوا اليتامى﴾ قال الحسن وقتادة ومجاهد^(١٦): اختبروهم في عقولهم وأديانهم.

وكيفية هذا الابتلاء: أن يرد إليه الأمر في نفقته عند مراعاة^(١٧) الحلم ليعرف^(١٨) كيف تدبيره وتصرفه.

وإن كانت جارية يرد إليها ما يرد إلى النساء من أمور البيت وتدبير الغزل والقطن. ﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾ أي:

(١) انظر فتح القدير ٤٢٥/١ عن الكسائي والقراء، والتبيان ٣٣١/١ والحجة لأبي زرعة ١٩١ عن الكسائي.

(٢) انظر غريب القرآن ص ١٢٠.

(٣) قرأ نافع وابن عامر (قيماً) - بغير ألف، والباقون بالألف.

(٤) انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٠ - ١٩١ والسبعة ٢٢٦ والنشر ٢٤٧/٢ والتبيان ٣٣٠/١ - ٣٣١، والزجاج ١٠/٢، والمشكل ١٨٨/١ - ١٨٩ والحجة لابن خالويه (١١٩).

(٥) انظر البيان ٢٤٣/١ عن الأخفش، وغريب القرآن ١٢٠ والطبري ٥٦٨/٧ - ٥٦٩.

(٥) في (د، هـ): ومن.

(٦) انظر الزجاج ١٠/٢ وغريب القرآن، والتبيان ٣٣٠/١ والبيان ٢٤٣/١ وفتح القدير ٤٢٦/١ عن البصريين.

(٧) في (د): قوله.

(٨) في (هـ): كذا وكذى إذا.

(١٢) في (ح): وقوله لهم قولاً، وفي (د): قوله وقولوا.

(١٣) في (د): وأصله.

(٩) انظر التبيان ٣٣١/١ وغرائب النيسابوري ١٩٢/٤.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٥٧١/٧ والدر ١٢١/٢ كلاهما عن ابن عباس.

(١١) في (د): ما يكسا.

(١٦) انظر تفسير ابن عباس ٦٥ ومجاهد ١٤٥ والطبري ٥٧٤/٧ عن الحسن وقتادة ومجاهد ومجاز القرآن ١١٧/١ وابن كثير ٤٥٢/١ عن ابن

عباس والحسن ومجاهد والسدي ومقاتل والدر ١٢١/٢ عن مجاهد وابن عباس والحسن.

(١٧) في (هـ): مراهنته «وراهق الغلام فهو مراهنق إذا قارب الاحتلام» (اللسان / رهنق).

(١٨) في (د): فيعرف.

حال النكاح من الاحتلام^(١) وإنزال الماء ﴿فإن ءانستم﴾ أي: عرفتم ورأيتم و«الإيناس» الإبصار، ومنه قوله ﴿ءانس من جانب الطور ناراً﴾^(٢).

وقوله^(٣) ﴿منهم رشداً﴾ قال ابن عباس والسدي^(٤): هو الصلاح في العقل وحفظ المال. وقال الشافعي^(٥): الرشيد من يكون صالحاً في دينه مصلحاً لماله.

وقوله^(٦) ﴿ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا﴾ يقول: لا تبادروا بأكل أموالهم قبل كبرهم^(٧) ورشدهم حذراً أن يبلغوا، فيلزمكم تسليم المال إليهم ﴿ومن كان غنياً﴾ من الأوصياء وأولياء التيامي ﴿فليستعفف﴾ أي: عن مال اليتيم وليتركه.

يقال: استعف عن الشيء، وعف عنه، إذا امتنع منه وتركه^(٨).

﴿ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾ وهو أن يأخذ من ماله بقدر قيامه وأجرة عمله والغني يستعف كما أمره الله، فإن أخذ الأجرة حلت له في مقابلة عمله.

أخبرنا الأستاذ أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا شعيب بن محمد البيهقي^(٩)، أخبرنا مكي بن عبدان^(١٠)، حدثنا أبو الأزهر^(١١)، حدثنا روح^(١٢)، حدثنا ابن جريج، أخبرني بكير بن عبد الله الأشجعي^(١٣)، أنه سمع القاسم بن محمد يقول^(١٤):

(١) في (د): الأحلام وتديبر. (٢) سورة القصص / ٢٩ وانظر فتح القدير ١/٤٢٦ عن الأزهرى. (٣) في (د): قوله.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٦٥ والطبري ٧/٥٧٦ عن ابن عباس وابن كثير ١/٤٥٣ عن ابن عباس وسعيد بن جبیر، والدر ٢/١٢١ عن ابن عباس والسدي.

(٥) انظر غرائب النيسابوري ٤/١٩٢ - ١٩٣ عن الشافعي والطبري ٧/٥٧٦ عن الحسن، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٣٢٢ عن الشافعي والحسن وابن كثير ١/٤٥٣.

(٦) ساقطة من (د).

(٧) في (د): ما لهم كبرهم.

وانظر معنى «بداراً» في مجاز القرآن ١/١١٧ والطبري ٧/٥٨٠ والأخفش ١/٤٣٤، وفتح الباري ٨/١٩٤ والدر ٢/١٢١ عن الحسن، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٣٢٣.

(٨) انظر اللسان / عفف، ومفردات الراغب / عف، والمصباح المنير / عف.

(٩) شعيب بن محمد بن شعيب بن محمد بن إبراهيم العجلي أبو صالح البيهقي ولد سنة ٣٠٩ وسمع بخراسان أبا نعيم عبد الملك ومكي بن عبدان وأبا بكر بن الأنباري بالعراق وعنه الحاكم أبو عبد الله وغيره توفي سنة ٣٩٦ هـ (طبقات الشافعية ٣/٣٠٣).

(١٠) مكي بن عبدان أبو حامد التميمي النيسابوري الثقة الحجة روى عن عبد الله بن هاشم والذهلي وطائفة توفي سنة ٣٢٥ هـ (شذرات ٢/٣٠٧).

(١١) أحمد بن الأزهر بن منيع بن سليل بن إبراهيم العبدي النيسابوري أبو الأزهر قال صالح جزرة: صدوق وقال النسائي والدارقطني: لا بأس به وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢٦٣ هـ (تهذيب التهذيب ١/١١ - ١٣).

(١٢) روح بن عبادة بن العلاء بن حسان بن عمرو بن مرثد أبو محمد القيسي البصري سمع عبد الملك بن جريج وشعبة وسعيد بن أبي عمرو ومالك بن أنس توفي سنة ٣٠٥ هـ (كتاب الجمع ١/١٣٧ - ١٣٨).

(١٣) بكير بن عبد الله الأشجعي - ويقال المخزومي، ويقال الزهري - أبو يوسف - ويقال أبو عبد الله - كان من صلحاء المدينة قال ابن المديني: لم يكن بعد كبار التابعين أعلم من ابن شهاب ويحيى الأنصاري وبكير الأشج وقال ابن حبان: من ثقات مصر وقرائهم توفي سنة بضع

وعشرين ومائة (الجمع ١/٥٨ - ٥٩ وحسن المحاضرة ١/٢٩٨).

(١٤) ساقطة من (ح).

حضرت ابن عباس فاستفتاه رجل فقال: أيتام لي (١)، لهم لقاح، فأشرب من فضل ألبانها؟ فقال: ألسنت ترد نادتها، وتلوط حوضها، وتكفي مهنتها (٢)؟ قال: بلى، قال: فأشرب من فضل ألبانها غير مضر بأولادها، ولا ناهك في الجلب (٣) (٤).

وقوله (٥) ﴿فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم﴾ هذا وصية من الله تعالى للأولياء بالإشهاد عليهم على دفع المال إذا دفعوه إلى الأيتام، لكي إن وقع اختلاف أمكن أن يقيم البينة على أنه رد المال إليه.

قوله ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ قال ابن عباس (٦): مجازياً للمحسن والمسيء (٧)، و«الحسيب» بمعنى المحاسب، و«الباء» في ﴿بالله﴾ زيادة، و«حسيباً» منصوب (٨) على الحال. والمعنى: وكفى بالله في حال الحساب.

قوله ﴿للرجال نصيب﴾ الآية قال ابن عباس في رواية الكلبي: إن أوس بن ثابت الأنصاري (٩) توفي وترك ثلاث بنات وامرأته يقال لها أم كحة (١٠)، فقام رجلان من بني عمه فأخذوا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئاً، فجاءت أم كحة إلى رسول الله ﷺ وذكرت له ذلك فنزلت هذه الآية (١١).

قال المفسرون (١٢): كانت العرب في الجاهلية لا تورث النساء ولا الصغار شيئاً وإن كانوا ذكوراً، وإنما كانت

(١) في (د): أيتام لهم لقاح. «الجمهوري: اللقاح - بكسر اللام - الإبل بأعيانها الواحدة لقوح وهي الحلوب». (اللسان / لفتح).

(٢) نادتها: من ند البعير، إذا نفر وذهب على وجهه، ولاط الحوض، إذا أصلحه بالطين والمهنة: الخدمة. (عمدة القوي والضعيف ص ٩).

(٣) «ونهكت الناقة حلباً أنهكها، إذا نقصتها فلم يبق في ضرعها لبن» (اللسان / نهك).

(٤) انظر تفسير الطبري ٥٨٨/٧ - ٥٨٩ وابن كثير ٤٥٣/١ والدر ١٢٢/٢ كلها عن القاسم والثوري ص ٩١ (٥) في (د) قوله.

(٦) انظر الزاهر ٩٧/١ والبغوي ٤٨٢/١ والوجيز للواحد ١٤١/١.

(٧) ساقطة من (د).

(٨) في (هـ) منسوب على الحال (وانظر التبيان ٣٣٢/١، والبيان ٢٤٣/١).

(٩) أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة الأنصاري الخزرجي النجاري أخو حسان بن ثابت الشاعر شهد العقبة وبدراً توفي يوم أحد وفيه نزل وفي امرأته للرجال نصيب مما ترك الوالدان. (أسد الغابة ١٦٥/١ - ١٦٦).

(١٠) أم كحة: بضم الكاف والحاء المهملة - زوج أوس بن ثابت نزلت فيها آية الموارث. (أسد الغابة ٣٨١/٧، وعمدة القوي والضعيف ص ٩).

(١١) انظر تفسير الطبري ٥٩٨/٧ عن عكرمة «نزلت في أم كحة وابنة كحة وثعلبة وأوس بن سويد، كان أخدهما زوجها والآخر عم ولدها، فقالت يا رسول الله توفي زوجي وتركني وابنته...».

وانظر ٣١/٨ عن السدي «كان أهل الجاهلية لا يورثون الجوارى ولا الصغار من الغلمان، لا يرث الرجل من ولده إلا من أطاق القتال، فمات عبد الرحمن أخو حسان بن ثابت وترك امرأة يقال لها أم كحة - بالجيم - وترك خمس أخوات فجاء الورثة يأخذون المال فشكت أم كحة ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾.

وانظر تفسير الرازي ١٩٤/٩ عن ابن عباس والرجلان هما: سويد وعرفجة.

وكذا عنه البغوي ١٩٥/٤ عن ابن عباس والرجلان هما: سويد وعرفجة.

وأسد الغابة ٣٨١/٧ - ٣٨٢ عن ابن عباس.

قال ابن كثير «سيأتي هذا الحديث بسياق آخر عند آيتي الموارث، والله علم» (٤٥٥/١).

(١٢) انظر الزجاج ١٢/٢ وغريب القرآن ١٢١ وتفسير ابن عباس ٦٥ والطبري ٥٩٧/٧، ٥٩٩ عن قتادة وابن زيد، ٣١/٨ عن السدي، وابن كثير ٤٥٤/١، والدر ١٢٢/٢ - ١٢٣ عن ابن عباس وسعيد بن جبير، وأحكام القرآن ٣٢٧/١ عن قتادة.

تورث الكبار ومن طاعن بالرماح وحاز الغنيمة فأبطل الله ذلك عليهم، وأعلم أن حق الميراث على ما ذكر من الفرض.

وقوله ﴿نصيياً مفروضاً﴾ قال الأخفش^(١): هو نصب على معنى: جعل لهم نصيباً، والآية تدل على هذا لأن قوله ﴿للرجال نصيب﴾، و﴿للنساء نصيب﴾ يدل على معنى: جعل لهم نصيباً.

وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۖ
وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ
إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۖ

قوله ﴿وإذا حضر القسمة﴾ يعني: قسمة المال بين الورثة ﴿أولوا القربى﴾^(٢) ذوو القربات الذين يحزنون ولا يرثون ﴿واليتامى والمساكين فآرزقوهم منه﴾^(٣) هذا على الندب والاستحباب يستحب للوارث أن يرضخ^(٤) لهؤلاء بشيء من التركة بقدر ما تطيب به نفسه^(٥) من الذهب والورق، ويقول لهم عند قسمة العقار والرقيق [﴿وقولوا لهم﴾ قولاً معروفاً] وهو أن يقول: بورك فيكم^(٦).

قال ابن عباس في رواية عطاء والكليبي^(٧): هذه الآية منسوخة بآية الموارث وإباحة الثلث للميت يجعله حيث يشاء من القربات واليتامى والمساكين.

قوله^(٨) ﴿وليخش الذين لو تركوا...﴾ الآية، قال ابن عباس في رواية عطاء^(٩) كان الرجل إذا حضرته الوفاة قعد عنده أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا له: انظر لنفسك فإن ولدك لا^(١٠) يغنون عنك من الله شيئاً، فيقدم الرجل ماله، ويحجب ولده.

وهذا قبل أن تكون الوصية في الثلث، فكره الله تعالى ذلك^(١١) منهم وأنزل ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم

(١) انظر الأخفش ٤٢٢/١، ٤٣٤، والبيان ٢٤٤/١.

(٢) في (هـ): أولي القربى يعني ذو القربات.

(٣) «الهاء» في (منه) تعود إلى القسمة، وإن كانت مؤنثة لأنها بمعنى المقسوم. (البيان ٢٤٤/١).

(٤) في (د): يرضخ، ورضخ له من ماله يرضخ رضخاً: أعطاه وقيل: الرضخ والرضخة العطية (اللسان / رضخ).

(٥) في (د): النفس.

(٦) انظر الزجاج ١٣/٢.

(٧) انظر أحكام القرآن لابن العربي ٣٢٩/١ عن ابن عباس وسعيد وقتادة والزجاج ١٣/٢ والطبري ٧/٨ - ١١ وابن كثير ٤٥٥/١ والدر

١٢٣/٢ عن عكرمة عن ابن عباس هي محكمة «وعن مقسم عن ابن عباس» هي قائمة بعمل بها وقضى بها أبو موسى وهي محكمة عند يحيى بن يعمر وسعيد بن جبيرة وعائشة. وهي منسوخة من طريق عطاء عن ابن عباس والعمري عن ابن عباس ومجاهد عن ابن عباس وقال بالنسخ سعيد بن المسيب وأبو مالك وأبو صالح، وصحيح البخاري - كتاب التفسير - عن ابن عباس. وهي محكمة وليست بمنسوخة ١١٨/٣ وانظر الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ذكر القولين ص ١١٢ - ١١٣.

(٨) في (د): قوله تعالى.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٦٥ والطبري ١٩/٨ عن ابن عباس والرازي ١٩٨/٩، والدر ١٢٣/٢ - ١٢٤ عن ابن عباس.

(١٠) في (ح): ولدك لا يغني.

(١١) في (د): فكره الله تعالى منهم فأنزل الله.

ذرية ضعافاً أي: أولاداً صغاراً ﴿خافوا عليهم﴾ الفقر ﴿فليتقوا الله﴾ فليخافوا الله إذا قعدوا عند أحد من إخوانهم وهو في الموت ﴿وليقولوا قولاً سديداً﴾ عدلاً، وهو أن يأمره أن يخلف ماله لولده، ويتصدق بما دون الثلث، وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي^(١).

و«السديد»: العدل والصواب من القول، يقال: سدداً وسداداً وسديداً^(٢).

قوله^(٣) ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾ سماه بما يؤول إليه في العاقبة، كقوله ﴿أعصر خمراً﴾^(٤) ومنه قوله عليه السلام في الشارب من آية الذهب والفضة: ﴿إنما يجرجر في بطنه نار جهنم﴾^(٥).

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن أحمد المخلي، أخبرنا الحسين بن علي بن يحيى الدارمي، حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسين الماسرجسي أخبرنا شيبان بن فروخ^(٦)، حدثنا حماد بن سلمة^(٧)، عن أبي هارون العبدي^(٨) عن أبي سعيد الخدري:

أن رسول الله ﷺ قال في حديث المعراج: «فإذا أنا برجال قد وكل بهم رجال يفكون لحاهم، وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها في أفواههم فتخرج من أديبارهم، فقلت يا جبريل: من هؤلاء؟ قال: ﴿الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾»^(٩).

أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن جعفر^(١٠)، أخبرنا أبو عمرو محمد أحمد الحيزي، أخبرنا أحمد بن

(١) انظر تفسير ابن عباس ٦٥ والطبري ٢٠/٨ - ٢١ عن الحسن وقتادة والسدي وسعيد وغيرهم وابن كثير ٤٥٦/١ عن ابن عباس ومجاهد وفتح القدير ٤٣٠/١ عن ابن عباس.

(٢) انظر اللسان / سدد، والمصباح المنير / سدد، وغريب القرآن ١٢١.

(٣) في (ج، هـ): قوله تعالى.

(٤) سورة يوسف / ٣٦.

(٥) انظر صحيح مسلم - كتاب الأشربة - باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة ٢٢٧/٢ - ٢٢٨ وسنن البيهقي ١٤٦/٤ وابن ماجه ١١٣٠/٢ ومسند أحمد ٣٠٤/٦ - ٣٠٦. كلهم من حديث أم سلمة. والطبراني في الصغير ١١٥/١ عن ابن عباس. والجامع الصغير ٨٤/١ ورمز له بالصحيح.

(٦) شيبان بن فروخ الحيطي أبو محمد الأيلي وفروخ يكنى أبا شيبه سمع سليمان بن المغيرة ومهدي بن ميمون وعبد الوارث وحماد بن سلمة وغيرهم توفي سنة ٢٣٧ هـ.

(الجمع ٢١٥/١).

(٧) في (د): أحمد.

(٨) أبو هارون العبدي: عمارة بن جوين روى عن أبي سعيد الخدري وابن عمر تابعي لين بكرة، كذبه حماد بن زيد وقال شعبة: لئن أقدم فتضرب عني أحب إلي من أن أحدث عن أبي هارون، وقال أحمد: ليس بشيء، وقال ابن معين ضعيف لا يصدق في حديثه وقال النسائي متروك مات سنة ١٣٤ هـ (الميزان ١٧٣/٣ - ١٧٤).

(٩) في (أ، هـ): رواه مسلم عن شيبان بن فروخ. وانظر الدر ١٢٤/٢ «رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي سعيد» وكذا في فتح القدير ٤٣٠/١ وابن كثير ٤٥٦/١، وغرائب النيسابوري ١٩٨/٤. والطبري ٢٧/٨ قال المحقق «والأثر: أخرجه ابن كثير، والسيوطي في الدر نسبه لابن جرير وابن أبي حاتم».

(١٠) في (هـ): أحمد بن محمد بن عبد الرحمن.

علي بن المشني، حدثنا عقبة بن مكرم^(١)، حدثنا يونس بن بكير^(٢)، أخبرنا زياد بن المنذر^(٣)، عن نافع بن الحرث^(٤)، عن أبي هريرة^(٥) :

أن رسول الله ﷺ قال يبعث الله عز وجل^(٦) قوماً من قبورهم تأجج^(٧) أفواههم ناراً، فقيل: من هم يا رسول الله؟ فقال: ألم تر أن الله يقول (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً)؟^(٨).

وقوله ﴿وَيُصِلُّونَ سَعِيرًا﴾ يقال: صلى^(٩) الكافر النار يصلها صلا وصلاء وهو صال^(١٠) النار، إذا قاسى حرها وشدتها، ومنه قوله ﴿إلا من هو صال^(١١) الجحيم^(١٢)﴾ ومن ضم الياء^(١٣) فهو من قولهم: أصلاه الله حر النار إصلاءً، قال الله تعالى: ﴿فسوف نصليه ناراً﴾^(١٤).
و «السعير» النار المستعرة^(١٥) يقال: سعرت النار أسعرها سعراً^(١٦) وهي مسعورة وسعير.

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ

(١) عقبة بن مكرم الضبي الكوفي روى عن ابن عيينة ويونس بن بكير ولم تقع له رواية في الكتب الستة توفي سنة ٢٤٣ هـ. (العبر ٣٤٦/١).

(٢) يونس بن بكير بن واصل الشيباني أبو بكر الجمال وثقه ابن معين وقال النسائي ليس بالقوي وفي موضع آخر: ضعيف وذكره ابن حبان في الثقات توفي ١٩٩ هـ.
(تهذيب التهذيب ١١/٤٣٤ - ٤٣٥).

(٣) زياد بن المنذر الهمداني - وقيل الثقفي ويقال النهدي - أبو الجارود الكوفي الأعمى عن أبي هريرة والحسن وعنه مروان بن معاوية ومحمد بن سنان العوفي وعدة قال ابن معين كذاب وقال النسائي وغيره متروك وقال ابن حبان كان رافضياً يضع وقال الدارقطني متروك توفي سنة ١٥٠ هـ (الميزان ٢/٩٣، الأعلام ٣/٩٣).

(٤) نفع بن الحارث أبو داود الأعمى الهمداني الدارمي ويقال السبيعي - الكوفي القاضي ويقال اسمه نافع - روى عن عمران بن حصين ومعتل بن يسار وأبي هريرة الأسلمي وابن عباس وغيرهم قال ابن معين: وضاع وقال أبو حاتم منكر الحديث وقال النسائي متروك (تهذيب التهذيب ١٠/٤٧٠ - ٤٧٢).

(٥) في (هـ) بريدة وهو: فضلة بن عبيد بن الحارث أبو هريرة الأسلمي سكن البصرة سمع النبي ﷺ وتوفي في إمارة يزيد بن معاوية (الجمع ٥٣٤/٢).

(٦) في (د): بعث الله قوماً. (٧) في (د): تأجج من، وفي (ح): أفواههم فقيل.

(٨) الحديث: انظر فتح القدير ١/٤٣٠ أخرجه ابن أبي شيبة وأبو يعلى والطبراني وابن حبان في صحيحه وكذا في الجامع الكبير للسيوطي ١/٩٨٩. ومجمع الزوائد كتاب التفسير - من سورة النساء - «رواه أبو يعلى والطبراني وفيه زياد بن المنذر وهو كذاب» وابن كثير ١/٤٥٦ والدرر ٢/١٢٤ كلهم من حديث أبي هريرة.

(٩) في (ح): صل. (١١) في (د): قاسا.

(١٠) في (أ، د، هـ): صالى. وانظر اللسان / صلا.

(١٢) في (د): النار، والنص من سورة الصفات / ١٦٣.

(١٣) قرأ ابن عامر وأبو بكر (ويصلون سعيراً) - بضم الياء - أي يفعل بهم على ما لم يسم فاعله، وحثتهما: قوله (سأصليه سقر) سورة المدثر / ٢٦ - وقال قوم (يصلون) يحرقون. وقرأ الباقون - بفتح الياء - وحثتهم (لا يصلها إلا الأشقى) سورة الليل / ١٥. (انظر الحجة لأبي زرعة ١٩١، والسبعة ٢٢٧ والنشر ٢/٢٤٧ والزجاج ٢/١٤ والبيان ١/٣٣٤ والحجة لابن خالويه ١٢٠ ومفردات الراغب / صلا).

(١٤) سورة النساء / ٣٠. (١٥) في (د): المسعرة.

(١٦) في (ح): سعيراً، وانظر اللسان / سعر «وسعر النار والحرب يسعرها سعراً، وأسعرهما وسعمرهما أوقدهما وهيجهما، واستعرت وتسعرت: استوقدت، ونار سعير: مسعورة»

كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا بَوَيْهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ
 وَلَدٌ وَوَرِثَةٌ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ
 ءَابَاءُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾
 * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ
 مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ
 لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ
 دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَعَلَّةٍ أَوْ امْرَأَةٌ وَهِيَ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ فَإِنْ
 كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ
 وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾
 وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ
 مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

قوله ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ الآية، أخبرنا محمد بن محمد بن أحمد المنصورى، أخبرنا علي بن
 عمر الحافظ حدثنا يحيى بن صاعد، حدثنا أحمد بن المقدم (١)، حدثنا بشر بن المفضل (٢)، حدثنا عبد الله بن
 محمد بن عقيل (٣)، عن جابر بن عبد الله قال:

جاءت امرأة (٤) بابنتين لها، فقالت: يا رسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس (٥) أو قالت (٦) سعد بن الربيع (٧) قتل

- (١) أحمد بن المقدم أبو الأشعث البصري العجلي المحدث سمع حماد بن زيد وطائفة وقال الذهبي في المغني ثقة ثبت توفي سنة ٢٥٣ هـ (شذرات ١٢٧/٢).
- (٢) بشر بن المفضل بن لاحق الإمام المحدث الثقة أبو إسماعيل الرقاشي مولاهم البصري الخافظ العابد حدث عن حميد الطويل وخالد الحذاء وسهيل بن أبي صالح والجريري وعنه أحمد بن المقدم، وابن حنبل، وابن المدني وغيرهم إليه المنتهى في الثبت بالبصرة توفي سنة ١٨٧ هـ (تذكرة الحفاظ ٣٠٩/١ - ٣١٠).
- (٣) عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي ضعفه ابن معين وقال ابن المدني لم يدخله مالك في كتبه واحتج به أحمد وإسحاق وقال أبو حاتم وغيره: لين الحديث. وقال الترمذي صدوق (الميزان ٤٨٤/٢ - ٤٨٥).
- (٤) هي حبرية بنت سهل بن ثعلب بن الحارث بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الأنصارية كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس (تهذيب التهذيب ٤٠٨/١٢) وبنت سعد بن الربيع: لم يعرف بهما (أسد الغابة ٤١٧/٧).
- (٥) ثابت بن قيس له أولاد ذكور وقتل باليمامة (الكاشف ١٧١/١).
- ولم يذكره ابن إسحاق فيمن استشهد يوم أحد وإنما ذكر سعد بن الربيع (سيرة ابن هشام ٦٣/٣ وما بعدها).
- (٦) في (د): قال.
- (٧) سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي البصري النقيب الشهيد يوم أحد سنة ٣ هـ (سير الأعلام ٣١٨/١).

معك يوم أحد، وقد استفاء^(١) عمهما مالهما وميراثها فلم^(٢) يدع لهما مالا إلا أخذه، فما ترى يا رسول الله؟ فوالله ما ينكحان أبداً إلا ولهما مال، قال:

فقال: «يقضي الله في ذلك، فنزلت سورة فيها ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ، فَتَزَلَّتْ سُورَةٌ فِيهَا ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِيزَكَّرُ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَىيْنَ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَدْعُ لِي الْمَرْءَةَ وَصَاحِبَهَا، فَقَالَ لِعَمَّهَا: أَعْطَهُمَا الثَّلَاثِينَ وَأَعْطَ أُمَّهُمَا الثَّمَنَ، وَمَا بَقِيَ فَلَكَ»^(٣).

ومعنى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ قال الزجاج^(٤) يفرض عليكم، لأن الوصية من الله فرض، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ﴾^(٥) وهذا من الفرض المحكم علينا. ثم بين ما أوصى فقال ﴿لِلَّذِكْرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَىيْنَ﴾ يعني: [للابن من الميراث مثل حظ الأنثيين]^(٦).

ثم ذكر نصيب الإناث من الأولاد فقال ﴿فَإِنْ كُنَّ﴾ يعني الأولاد^(٧) ﴿نِسَاءٌ فَوْقَ اثْنَيْنِ فَلَهُنَّ ثَلَاثًا مِمَّا تَرَكَ﴾ وأجمعت الأمة على أن: للبتين الثلثين إلا ما روي عن ابن عباس: أنه ذهب إلى ظاهر الآية وقال: الثلثان فرض الثلاث من البنات لأن الله تعالى قال ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَيْنِ﴾^(٨) فجعل الثلثين للنساء إذا زدن على الثلثين^(٩) وهذا غير مأخوذ به^(١٠).

(١) «أي استرجع حقهما من الميراث وجعله فيئاً له، والفيء: الغنيمة». (اللسان / فيأ، وحاشية أ).

(٢) في (ج، هـ): ولم يدع.

(٣) الحديث: رواه الترمذي - كتاب الفرائض - باب ما جاء في ميراث البنات رقم ٢١٧٢ «حسن صحيح» (٢٨٠/٣). والحاكم في المستدرک - كتاب الفرائض - وصححه ٣٣٤/٤، ٣٤٢.

وأبو داود - كتاب الفرائض - باب ما جاء في ميراث الصلب رقم ٢٨٩١ (١٢٠/٣ - ١٢١) وسير أعلام النبلاء - في ترجمة سعد بن الربيع - (٣١٩/١).

وأسد الغابة - في ترجمة ابنتي سعد بن الربيع - (٤١٧/٧).

ومسنّد أحمد ٣٥٢/٣ كلهم من حديث جابر.

(٤) انظر الزجاج ١٥/٢ والتبيان ٣٣٤/١. (٧) في (ح): يعني أولاد، وفي (د): يعني الأولاد للابن من الميراث مثل نصيب البنتين.

(٥) سورة الأنعام / ١٥١. (٨) في (ح): فلن فجعل.

(٩) في (د): اثنتين.

(١٠) في تفسير ابن عباس ص ٦٥ قال «إبتنين أو أكثر» وهو خلاف ما نسب إليه هنا.

ويقول الزجاج: «فإن قال قائل: إنما ذكر لنا ما فوق الثلثين وذكر واحدة، فلم أعطيت البنات الثلثين فسوى بين الثلثين والجماعة؟ فقد قال الناس في هذا غير قول، قال بعضهم: أعطيت البنات الثلثين بدليل: لا تفرض لهما مسمى والدليل هو قوله ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ مَرُّهُ هَلْكَ لَيْسَ لَوْ وَلَدٌ لَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ النساء / ١٧٦. فقد صار للأخت النصف، كما أن للابنة النصف ﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّلَاثُونَ﴾ فأعطيت البنات الثلثين كما أعطيت الأختان. وأعطيت جملة الأخوات الثلثين قياساً على ما ذكر الله عز وجل في جملة البنات.

وفي الآية نفسها دليل على أن للبتين الثلثين، لأنه إذا قال (للذكر مثل حظ الأنثيين) وكان أول العدد - أي أقل العدد - ذكر وأنثى فللذكر الثلثان وللأنثى الثلث، فقد بان من هذا أن للبتين الثلثين، والله قد أعلم أن ما فوق الثلثين لهما الثلثان. وجميع هذه الأقوال التي ذكرنا حسن جميل بين، فأما ما ذكر عن ابن عباس من أن البنتين بمنزلة البنت فهذا لا أحسبه صحيحاً عن ابن عباس وهو يستحيل في القياس لأن منزلة الابنتين منزلة الجمع، فالواحد خارج عن الابنتين.

(معاني القرآن للزجاج ١٦/٢ - ١٧).

وانظر فتح القدير ٤٣١/١ - ٤٣٢ وغرائب النيسابوري ٢٠٤/٤ - ٢٠٥ والخازن ٤٩٠/١.

ووجه الآية، أن ﴿فوق﴾ ها هنا: صلة لا معنى له، كقوله ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾^(١)، يريد: فاضربوا الأعناق.

وسمى البنتين جماعة، لأن الإثنيين جماعة عند العرب، والله تعالى يقول ﴿فقد صغت قلبكما﴾^(٢) وقال ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾^(٣). فسمى الثنية باسم الجمع، فثبت بهذا البيان أن ثلثي التركة للبنتين، وأن نصفها للواحدة، وهو قوله ﴿وإن كانت واحدة فلها النصف﴾.

وقرأ نافع ﴿واحدة﴾ - بالرفع - على معنى: وإن وقعت واحدة^(٤). وتم بيان ميراث الأولاد.

ثم ذكر ميراث الوالدين فقال ﴿ولأبويه﴾ يعني: أبوي الميت، ولم يجر له ذكر فكنى عن غير مذكور ﴿لكل واحد منهما﴾ من الأبوين ﴿السدس إن كان له﴾ للميت ﴿ولد﴾ أو ولد ابن^(٥). واسم «الولد» يقع على ما ولد الابن^(٦) ﴿فإن لم يكن له ولد وورثه﴾^(٧) أبواه فلأمه الثلث ﴿إذا مات ولم يخلف غير أبويه كان ثلث المال للأم، والباقي للأب.

وقرأ حمزة^(٨) - بكسر الهمزة إذا وليتها كسرة أو ياء - نحو: فلأمه ﴿أو بيوت أمهاتكم﴾^(٩) وفي أمها (أتبع) الهمز ما قبلها من الياء والكسرة^(١٠).

قال أبو إسحاق الزجاج^(١١) إنهم استقلوا الضمة بعد الكسرة في قوله ﴿فلأمه﴾ وليس من كلام العرب مثل فعل - بكسر الفاء وضم العين.

فإن كان للميت أخوان عاد نصيب الأم من الثلث إلى السدس وهو قوله ﴿فإن كان له إخوة فلأمه السدس﴾. وأجمعت الأمة على أن الأخوين^(١٢) يحجبان الأم من الثلث إلى السدس والأخ الواحد لا يحجب.

(١) سورة الأنفال / ١٢.

(٢) سورة التحريم / ٤.

(٣) سورة المائدة / ٣٨.

(٤) انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٢، والسبعة ٢٢٧ والنشر ٢٤٧/٢ - ٢٤٨ والتبيان والزجاج ١٥/٢ والحجة لابن خالويه ١٢٠.

(٥) في (ح): ولد ابن وفي (ه): أولد ابن.

(٦) في (ه): الولدين.

(٧) من هنا صحيفة مكررة في (أ) وتنتهي بقوله «والمراد بالكلام...» وتزيد الصفحة التالية المكررة سطرًا وتنتهي بقوله «قال ابن عباس» وأعلها إشارة بالتكرار.

(٨) قرأ حمزة والكسائي - بكسر الهمزة - إذا كانت قبلها كسرة أو ياء ساكنة، وحجتها أنها استقلتا ضم الألف بعد كسرة أو ياء فكسر الكسرة والياء ليكون عمل اللسان من جهة واحدة. وقرأ الباقون - بالضم - على الأصل.

(٩) انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٢ والسبعة ٢٢٧ - ٢٢٨ والنشر ٢٤٨/٢ والتبيان ٣٣٤/١ والزجاج ٢١/٢ والتبيان ٢٤٤/١ والحجة لابن خالويه ١٢٠.

(١٠) سورة النور / ٦١ وفي جميع النسخ: وبيوت أمهاتكم.

(١١) انظر شرح الشاطبية بشرح علي محمد الضباع ص ١٨٠:

وفي أم مع في أمها فلأنه
وفي أمهات النحل والنور والزمر

(١٢) انظر الزجاج ١٧/٢.

(١٣) في (ه): أخوين.

وابن عباس يخالف في هذه المسألة وهي ما أخبرناه:

أبو إسحاق أحمد بن محمد المفسر، ^(١) أخبرنا شعيب بن محمد أخبرنا مكّي بن عبدان حدثنا أبو الأزهرى، حدثنا روح ^(٢) حدثنا ابن جريج، قال حدثت عن ابن أبي ذيب ^(٣) عن شعبة ^(٤):

عن ابن عباس أنه دخل على عثمان بن عفان فقال: إن الأخوين لا يردان الأم إلى السدس، إنما قال الله تعالى: ﴿فإن ^(٥) كان له إخوة فلأمه السدس﴾ والأخوان في لسان قومك وكلام العرب ليسا بإخوة، ^(٦) فقال عثمان: لا أستطيع أن أنقض أمراً كان قبلي وتوارثه الناس وجرى في الأمصار ^(٧).

قال العلماء: هذا غلط من ابن عباس لأن الاثنين ^(٨) يسميان بالجمع في كثير من الكلام حكى سيبويه: أن العرب تقول: قد وضعا ^(٩) رحالهما، يريدون: رحلي رحلتيهما ^(١٠).

وقال ابن الأنباري ^(١١): التنية عند العرب أول الجمع، ومشهور في كلامهم إيقاع الجمع على التنية ومن ذلك ^(١٢) قوله تعالى: ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ ^(١٣) يعني حكم داود وسليمان عليهما السلام.

(١) في (د): قال.

(٢) ساقطة من (أ).

(٣) في (ح): عن أبي نيب، وهو: محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب - واسمه هشام - بن شعبة أبو الحارث سمع الزهري وسعيد المقبري وناقياً توفي سنة ١٥٩ هـ (كتاب الجمع ٤٤٤/٢).

(٤) قال الحضرمي «وقع في نسخة في سند حديث ابن جريج: أنا ابن جريج قال حدثت عن ابن أبي ذيب عن شعبة عن ابن عباس. وهو خطأ.

والصواب: سعيد بدل شعبة - وهو سعيد بن أبي سعيد المقبري، فإن سعيد بن أبي سعيد روى عن الصحابة عن أبي هريرة وأبي شريح وغيرهم وهو من التابعين وعاش حتى مات بخلافة هشام بن عبد الملك وأما شعبة فلم يدرك ابن عباس لأنه ولد سنة ٨٣ وتوفي سنة ١٨٠ هـ وابن عباس توفي سنة ٦٩ هـ قبل ولادة شعبة بأربع عشرة سنة (عمدة القوي والضعيف ص ٩).

ولكنني وافقت النسخ وأثبت «شعبة» لتضعيف الرواية، لا لتقويتها.

(٥) في (ح، د، هـ): إن كان.

(٦) هذا خلاف ما جاء في تفسير ابن عباس حيث أثبت عنده ما عليه الأمة، انظر ص ٦٥ - ٦٦.

(٧) ويقول الزجاج «والإجماع على خلاف ما روي عنه...» (معاني القرآن للزجاج ١٨/٢ - ١٩).

وانظر ابن كثير ٤٥٦/١ وفتح القدير ٤٣٣/١ ومنتخب الكنز ٢١١/٤ - ٢٢٥.

والمستدرک - كتاب الفرائض «وصححه» عن ابن عباس ٣٣٥/٤.

والطبري ٤٠/٨ عن ابن عباس، قال المحقق: «وقد عقب ابن كثير عليه بقوله وفي صحة هذا الأثر نظر فإن شعبة هذا - أي مولى ابن عباس - تكلم فيه مالك بن أنس ولو كان هذا صحيحاً عن ابن عباس لذهب إليه أصحابه الأخصاء به، والمنقول عنهم خلافه» وانظر البغوي ٤٩٠/١ - ٤٩١ عن ابن عباس.

(٨) في (هـ): لاثنين.

(٩) في (د): وضع.

(١٠) انظر الكتاب ٤٩/٢ والزجاج ٢٠/٢.

(١١) انظر تفسير الخازن ٤٩١/١ عن ابن الأنباري ومجاز القرآن ١١٨/١ والطبري ٤٣/٨، والأخفش ٤٣٦/١.

(١٢) في (أ): وذلك وفي (ح): فذلك.

(١٣) سورة الأنبياء / ٧٨.

قوله ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾ أي : هذه الأنصبة إنما تقسم بعد قضاء الدين وإنفاذ وصية الميت في ثلثه .

وقرىء ﴿يوصي﴾ بفتح الصاد وكسرهما^(١) - فمن كسر: فلأن المعنى من بعد وصية يوصيها الميت ومن فتح الصاد: فإنه يؤول في المعنى إلى يوصى، ألا ترى أن الموصي هو الميت .

وقوله ﴿ءاباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا﴾ أي : إنكم لا تدرون أي هؤلاء أنفع لكم في الدنيا فتعطونه من الميراث ما يستحق، ولكن الله تعالى قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمه منه، ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فأفسدتم وضيعتم، وهذا معنى قوله ﴿فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً﴾ .

قال عطاء ﴿كان عليماً﴾ بخلقه قبل أن يخلقهم ﴿حكيماً﴾ حيث فرض للصغار مع الكبار^(٢) .

أخبرنا أبو منصور المنصورى، حدثنا علي بن عمر بن مهدي، حدثنا الحسين بن إسماعيل^(٣)، حدثنا يوسف بن موسى^(٤)، حدثنا عمرو بن حمران^(٥)، عن عوف عن سليمان بن جابر الهجري^(٦)، قال: قال عبد الله بن مسعود:

قال لي رسول الله ﷺ: «تعلموا القرآن وعلموه الناس^(٧) [وتعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا الفرائض وعلموها الناس] ^(٨) فإني امرؤ مقبوض، وإن العلم سيقبض وتظهر الفتن، حتى يختلف اثنان في الفريضة، ولا يجدان من يفضل بينهما^(٩)» .

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصر أباضي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي بجرجان، أخبرنا

(١) انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٣، والسبعة ٢٢٨ والنشر ٢/٢٤٨ والأخفش ١/٤٣٨ والحجة لابن خالويه ص ١٢٠ .

(٢) انظر تفسير الطبري ٥١/٨ والخازن ١/٤٩١ وابن كثير ١/٤٥٩ بنحوه عن ابن عباس، والبحر ٣/١٨٧ وفتح القدير ١/٤٣٤ عن الزجاج .

(٣) الحسين بن إسماعيل بن محمد العنبي أبو عبد الله المحاملي ثقة مأمون توفي سنة ٣٣٠ هـ . (شذرات ٢/٣٢٦) .

(٤) يوسف بن موسى بن عبد الله أبو يعقوب القطان المروي المروزي رحل إلى الآفاق البعيدة في طلب الحديث وحدث عن ابن راهويه وعلي بن حجر وأبي كريب وكان ثقة صدوقاً توفي سنة ٢٩٦ وثقه الخطيب .

(سير الأعلام ٥١/١٤، والمنتظم ٦/٨٩) .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) سليمان بن جابر الهجري روى عن ابن مسعود - وقيل عن أبي الأحوص عن ابن مسعود وعنه عوف الأعرابي روى له الترمذي والنسائي حديثاً واحداً في تعليم الفرائض «الحديث» ولم يعرف سليمان (تهذيب التهذيب ٤/١٧٧، والميزان ٢/١٩٨) .

(٧) في (د): للناس .

وفي (ج، هـ): وتعلموا الفرائض وعلموها الناس وتعلموا العلم وعلموه الناس .

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (د) .

(٩) الحديث: رواه الترمذي - كتاب الفرائض - باب ما جاء في تعليم الفرائض رقم ٢١٧٠، بالفاظ متقاربة وقال «فيه اضطراب» (٢٧٩/٣) .

وسنن البيهقي - كتاب الفرائض - باب الحث على تعليم الفرائض (٢٠٨/٦) .

والمستدرک - كتاب الفرائض - «وصححه» (٣٣٣/٤) .

ومجمع الزوائد - كتاب الفرائض - باب في علم الفرائض «رواه أبو يعلى والبخاري وفي إسناده من لم أعرفه» (٢٢٣/٤) . كلهم من حديث ابن مسعود .

محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي^(١)، حدثنا حفص بن أبي العطف^(٢)، حدثني أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «تعلموا الفرض^(٣) وعلموه الناس، فإنه نصف العلم وهو ينسى، وهو أول شيء ينزع من أمتي»^(٤). ثم بين الله تعالى ميراث الأزواج فقال:

﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد﴾ كل امرأة ماتت ولا ولد لها كان لزوجها نصف ميراثها، فإن كان لها ولد كان للزوج الربع وهو قوله ﴿فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين﴾ يعين: أن الميراث إنما يستحق بعد إنفاذ الوصية، وقضاء الدين.

وقوله^(٥) ﴿ولهن الربع مما تركن إن لم يكن لكم ولد﴾ يعني: للمرأة ربع المال إذا لم يكن للزوج ولد، فإن كان للزوج^(٦) ولد^(٧) كان للمرأة الثمن وهو قوله ﴿فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركن من بعد وصية توصون بها أو دين﴾ إلى ها هنا بيان ميراث الأزواج والزوجات.^(٨)

ثم بين ميراث ولد الأم فقال^(٩) ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة﴾ كل من مات ولا ولد له ولا والد فهو كلالة ورثته، وكل وارث ليس بوالد للميت فهو كلالة مورثة. ف «الكلالة»: اسم يقع على الوارث والموروث، إذا كانا بالصفة التي ذكرنا. يقال: رجل كلالة، وامرأة كلالة، وقوم كلالة، لا تشئ ولا تجمع لأنه مصدر كاللدالة والوكالة.

يقال: كل الرجل يكل كلالة، أي: صار كلاً، وهو الذي لا ولد له ولا والد^(١٠) والمراد ب «الكلالة» في هذه الآية الأخ للأم إذا مات.

(١) إبراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام. بن خويلد بن أسد الأسدي أبو إسحاق الحزامي المدني سمع الوليد بن مسلم وأنس بن عياض وعنه البخاري قال أبو حاتم صدوق توفي سنة ٢٣٦ هـ. (كتاب الجمع ٢٠/١ وتهذيب التهذيب ١٦٦/١ والتقريب ٤٤/١).

(٢) حفص بن عمر بن أبي العطف - مولى بني سهم - روى عن أبي الزناد وعنه إبراهيم بن المنذر الحزامي قال البخاري: منكر الحديث وقال أبو حاتم: منكر الحديث يكتب حديثه على الضعف الشديد مات سنة ١٩٠ هـ. (تهذيب التهذيب ٤٠٩/٢).

(٣) في (د، هـ): الفرائض.

(٤) الحديث: رواه البيهقي في السنن - كتاب الفرائض - باب الحث على تعليم الفرائض (٢٠٩/٦) والمستدرک - كتاب الفرائض - «وصححه» قال الذهبي حفص بن عمر: وإه بمره (٣٣٢/٤).

وانظر العليل لابن الجوزي، قال المصنف: هذا حديث لا يصح وقال البخاري حفص بن عمر: منكر الحديث (١٣٧/١).

وفي الضعفاء الكبير قال البخاري: حفص بن عمر بن أبي العطف المدني عن أبي الزناد: منكر الحديث (٢٧١/١).

وكذا في الميزان ٥٦٠/١، والحديث رواه ابن ماجه ٩٠٨/٢ والدارقطني ٦٧/٤.

(٥) في (د): قوله.

(٦) في (ح): فإن كان ولد، وفي (د): فإن كان له ولد.

(٧) في (ح): ولد الأم فإن.

(٨) في (د): ذكرناها.

(٩) في (ج، هـ): ويقال وفي (د): وقال.

(١٠) انظر التبيان ٣٣٦/١ والمشكل ١٩٢/١ والبيان ٢٤٥/١ واللسان / كلل، والبحر ١٨٨/٣.

قوله ﴿وله أخ أو أخت﴾ يعني: من الأم بإجماع المفسرين^(١)، وكذلك في قراءة سعد بن أبي وقاص «وله أخ أو أخت من أمه»^(٢).

﴿فلكل واحد منهما السدس﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: وله أخ أو أخت من أمه فلكل واحد منهما السدس، وفرض^(٣) الواحد من ولد الأم السدس، فإن كانوا أكثر من واحد اشتركوا في الثلث، الذكر والأنثى فيه سواء، وهو قوله ﴿فإن﴾^(٤) كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو ذين غير مضار﴾ أي: غير مدخل الضرر على الورثة، وهو أن يوصي بدين ليس عليه، يريد بذلك ضرر الورثة، فمنع الله منه.

وقوله ﴿وصية من الله﴾ قال ابن عباس^(٥): فريضة من الله ﴿والله عليم﴾ بما دبر من هذه الفرائض ﴿حليم﴾ عمن عصاه بأن أخر عقوبته^(٦) وقبل توبته.

قوله جل جلاله^(٧) ﴿تلك حدود الله﴾ قال ابن عباس^(٨): يريد ما حد الله من فرائضه في الميراث ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ في شأن الموارث ﴿يدخله جنات﴾^(٩) وقرأ نافع - بالنون - والمعنى فيه كالمعنى بالياء^(١٠).

﴿ومن يعص الله ورسوله﴾ قال مجاهد^(١١): فيما افترض^(١٢) من الموارث، وقال عكرمة عن ابن عباس^(١٣): من لم يرض بقسم الله ويتعد^(١٤) ما قال الله يدخله ناراً - خالداً فيها ﴿وله عذاب مهين﴾^(١٥).

وَأَلَّتِي يَأْتِينَكَ الْفَلْحَشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا

(١) انظر غريب القرآن ١٢١ ومجاز القرآن ١١٨/١ والفراء ١٥٧/١ وتفسير ابن عباس ص ٥٦٦ يقول الزجاج: «إنما استدل على أن الكلاله هاهنا الإخوة للأم دون الأب بما ذكر في آخر السورة أن للأختين الثلثين، وأن للإخوة كل المال.

فعلم هاهنا - لما جعل للواحد السدس وللأثنين الثلث ولم يزدادوا على الثلث شيئاً ما كانوا - علم أنه يعني بهم الإخوة للأم» (معاني القرآن للزجاج ٢٤/٢).

«وإخوة الأم يخالفون بقية الورثة من وجوه:

١ - أنهم يرثون مع من أدلوا به وهي الأم.

٢ - لا يرثون إلا في الكلاله.

(انظر تفسير ابن كثير ٤٦٠/١).

(٢) انظر تفسير الطبري ٦١/٨ - ٦٢ وابن كثير ٤٦٠/١ والدر ١٢٦/٢ والبحر ١٦٠/٣ كلها عن سعد بن أبي وقاص.

(٣) في (ح): نفرض الواحد من ولد للأم.

(٤) في (د): وإن.

(٦) في (د): بأن آخره.

(٧) في (ج، هـ): وقوله، وفي (د): قوله.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ص ٦٦.

(٨) انظر تفسير الطبري ٦٩/٨ والدر ١٢٨/٢ كلاهما عن ابن عباس ومجاز القرآن ١١٩/١ والطبري ٧١/٨ عن مجاهد وقتادة.

(٩) في (ج، د): يدخله.

(١٠) قرأ نافع وابن عامر (ندخله) بالنون إخباراً لله عن نفسه وقرأ الباقون - بالياء - وحجتهم سياق الآية (ومن يطع الله ورسوله) فيكون كلاماً واحداً.

(انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٣ والسبعة ٢٢٩ والنشر ٢٤٨/٢ والتبيان ٤٣٧/١ والحجة لابن خالويه ١٢٠ والبحر ١٩٢/٣).

(١١) انظر تفسير الطبري ٧١/٧٨ والدر ١٢٨/٢ كلاهما عن مجاهد.

(١٢) في (أ): اقتص وفي (د): فرض.

(١٣) انظر الخازن ٤٩٥/١ والدر ١٢٨/٢ كلاهما عن ابن عباس.

(١٤) في (أ) ويتعدى.

(١٥) انظر الخازن ٤٩٥/١ عن الكلبي والدر ١٢٨/٢ عن سعيد بن جبيرة.

فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَقَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَتَادُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ أَلْتَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَرَاءُ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾

قوله جل جلاله^(١) ﴿واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم﴾ أي: يفعلن الزنا ﴿فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾ أي: من المسلمين ﴿فإن شهدوا﴾ عليها^(٢)، بالزنا ﴿فأمسكوهن في البيوت﴾^(٣) احبسوهن في السجون ﴿حتى يتوفاهن﴾^(٤) الموت وكان هذا في ابتداء الإسلام، المرأة إذا زنت حبست في البيت حتى تموت، والرجل إذا زنى أودى بالتعير والضرب بالنعال فنزلت^(٥) ﴿الزانية والزاني فاجلدوا...﴾ الآية^(٦) هذا حكم البكر.

فإن كانا محصنين رجما بسنة^(٧) رسول الله ﷺ وهو سبيلهما الذي جعله^(٨) الله لهما في قوله ﴿أو يجعل الله لهن سبيلاً﴾.

أخبرنا سعيد بن محمد الزاهد^(٩)، أخبرنا أبو علي بن أحمد الفقيه، أخبرنا أبو القاسم البغوي، حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة، عن قتادة، عن الحسن بن حطان بن عبد الله^(١٠)، عن عبادة بن الصامت^(١١):

عن النبي ﷺ قال: «خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً والبكر يجلد وينفى، والثيب يجلد ويرجم».

(١) في (ح-): قوله عز وجل، وفي (د): قوله، وفي (هـ): قوله تعالى.

(٢) في (ح-): عليهن.

(٣) في (ج، د): أي احبسوهن.

(٤) في (د): يتوفهن.

(٥) في (هـ) فنزلت الآية ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ وتغريب عام.

(٦) سورة النور / ٢.

وانظر الزجاج ٢٧/٢ والطبري ٧٤/٨ - ٧٥ عن مجاهد وابن عباس وقاتادة وابن كثير ٤٦٢/١ والفراء ٢٥٨/١، والدر ٢٩٣/٢ عن ابن

عباس والوجيز للواحد ١٤٣/١.

(٧) في (ج، د): لسنة.

(٨) في (ج-): جعل.

(٩) في (هـ): محمد بن الزاهد.

(١٠) حطان بن عبد الله الرقاشي البصري صاحب زهد وورع وعلم قرأ على أبي موسى الأشعري عرضاً وقرأ عليه الحسن البصري روى عن

أبي موسى وعبادة بن الصامت وهو ثقة روى له مسلم والأربعة توفي سنة نيف وسبعين، قاله الذهبي تخميناً.

(غاية النهاية ٢٥٣/١ - ٢٥٤ والكاشف ٢٣٩/١ والجمع ١/١٢٨).

(١١) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن نهد بن غنم الخزرجي أبو الوليد الأنصاري المدني شهد بدرًا توفي سنة ٣٤ هـ وله ٧٢ سنة

(الجمع ١/٣٣٤).

رواه مسلم عن بندار، عن غندر عن شعبة (١).

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري حدثنا محمد بن يعقوب أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الوهاب عن يونس عن الحسن، عن عبادة بن الصامت:

أن النبي ﷺ قال: «خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» (٢).

قوله «واللذان» قرأ ابن كثير - بالتشديد - (٣) وكذلك «هذان وهاتين» جعل التشديد عوضاً من الحذف الذي لحق الكلمة ألا ترى أن قولهم «ذا» قد حذف «لامها» وقد حذفت الياء من «الذنان» «وهذان» وكان حقهما في الثانية اللذيان وهذيان فجعل التشديد فيه عوضاً من الحرف المحذوف عنه في الثانية.

وقوله «يأتيناها منكم» يعني: الفاحشة، والمعنى: يفعلان الزنا «فأذوهما» يعني التعيير باللسان والتوبيخ كما ذكرنا.

قوله (٤) «فإن تابا» من الفاحشة «وأصلحا» العمل فيما بعد «فأعرضوا عنهما» فتركوا أذاهما وقد ذكرنا حكم هذه الآية في التي قبلها (٥).

وقوله (٦) «إن الله كان تواباً رحيماً» معنى «التواب في صفة الله تعالى»: أنه يتوب على عبده بفضلته ومغفرته إذا تاب إليه من ذنبه (٧).

قوله تعالى (٨): «إنما التوبة على الله» أي: التوبة التي أوجب الله - بفضلته - على نفسه «للذين يعملون السوء بجهالة» قال ابن عباس (٩): يريد أن ذنب المؤمن جهل منه، وقال السدي (١٠): كل من عصى الله تعالى فهو جهالة

(١) الحديث: رواه مسلم في الصحيح كتاب الحدود - باب حد الزاني - عن عبادة بلفظ «البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» (٤٨/٢).

(٢) الحديث أشبه بما ذكره مسلم الذي عزاه المصنف إليه قبله.

ورواه أبو داود - كتاب الحدود - باب في الرجم - رقم ٤٤١٥ عن عبادة بتغاير يسير ١٤٤/٤ و«نسخ الجلد، فلا يجمع بين الجلد والرجم والصواب: أن الجلد والرجم مجهولان على حالين، فالمعنى: يجلد إن لم يجتمع فيه شرائط الرجم وهي الحرية والتكليف والإصابة في النكاح الصحيح، ويرجم إن اجتمع فيه الشرائط» (حاشية أ).

(٣) انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٣ - ١٩٤ والسبعة ٢٢٩ والنشر ٢٤٨/٢ والبيان ٣٣٩/١ والبيان ٢٤٦/١ والحجة لابن خالوية ١٢١.

(٤) من (ج، د).

(٥) أي «وهذا كان في أول الإسلام ثم نسخته قوله «الزانية والزاني فاجلدوا...» الآية، من الوجيز ١٤٤/١ وانظر تفسير ابن عباس ص ٦٧ والدر ١٣٠/٢.

(٦) في (ج، د) قوله وليست في (هـ).

(٧) ذكره ابن منظور في اللسان / توب.

(٨) في (ح): قوله عز وجل، وفي (د): وقوله.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٦٧ والطبري ٩٠/٨ وابن كثير ٤٦٣/١ والدر ١٣٠/٢ كلها عن ابن عباس والوجيز ١٤٤/١.

(١٠) انظر تفسير مجاهد ١٤٩ والثوري ٩٢، والطبري ٨٩/٨ وابن كثير ٤٦٣/١ والدر ١٣٠/٢ كلها عن مجاهد وفتح القديز ٤٤٠/١ عن ابن عباس والقرطبي ٩٢/٥ عن السدي والرازي ٤/١٠، ١٣، ٥ عن الحسن.

عمداً كان أو غير^(١) ذلك قال الزجاج^(٢) معنى «الجهالة» ها هنا: أنهم في اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية جهال.

وقوله ﴿ثم يتوبون من (٣) قريب﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي^(٤): «القريب»: ما بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت، وقال في رواية عطاء^(٥): ولو قبل الموت بفوق ناقة^(٦).

أخبرنا أبو بكر التميمي، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، حدثنا أبو يحيى الرازي حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا عبدة، عن خارجة بن مصعب^(٧)، عن زيد بن أسلم، عن عبد الرحمن بن البيهقي^(٨) قال:

سمعت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من تاب قبل أن يموت بيوم قبل الله توبته» فحدثت بها رجلاً آخر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تاب قبل أن يموت بنصف يوم قبل الله توبته» فحدثت بها رجلاً آخر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تاب قبل أن يموت بضحوه قبل الله منه توبته» فحدثت بها رجلاً آخر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تاب قبل أن يغرغر بنفسه قبل الله منه توبته»^(٩).

قوله عز وجل^(١٠) ﴿وليس التوبة للذين يعملون السيئات﴾ قال عطاء عن ابن عباس^(١١) يريد الشرك.

(١) انظر تفسير الطبري ٨٩/٨ والبغوي ٤٩٧/١ وفتح القدير ٤٣٨/١ - ٤٤٠ كلها عن قتادة وابن كثير ٤٦٣/١ والدر ١٣٠/٢ كلاهما عن قتادة وأبي العالية والقرطبي ٩٢/٥ عن قتادة وغيره.

(٢) انظر الزجاج ٢٨/٢ والقرطبي ٩٢/٥ وفتح القدير ٤٣٩/١ كلاهما عن الزجاج.

(٣) في (هـ): ثم يتوبون قريب.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٦٧ والطبري ٩٤/٨ وفتح القدير ٤٤٠/١ وابن كثير ٤٦٣/١ كلها عن ابن عباس والزجاج ٢٨/٢ والفراء ٢٥٩/١ والدر ١٣٠/٢ عن ابن عباس والضحاك.

(٥) انظر تفسير الرازي ٧/١٠ عن عطاء والبحر ١٩٨/٣ عن ابن عباس والدر ١٣١/٢ عن ابن عمر، وفتح القدير ٤٤٠/١ عن الحسن.

(٦) «والفوق والفوق»: ما بين الحلبتين من الوقت، وفوق الناقة: رجوع اللبن في ضرعها بعد حلبها» (اللسان / فوق، ومفردات الراغب / فوق).

(٧) خارجة بن مصعب أبو الحجاج السرخسي الفقيه عن بكير بن الأشجّ وزيد بن أسلم وأيوب وطائفة وهاه أحمد، وقال ابن معين: ليس بثقة وقال أيضاً: كذاب، وقال البخاري: تركه ابن المبارك ووكيع وقال الدارقطني وغيره: ضعيف، وقال ابن عدي: هو ممن يكتب حديثه توفي سنة ١٦٨ هـ.

(الميزان ٦٢٥/١ - ٦٢٦ والمغني في الضعفاء ٢٠٠/١).

(٨) عبد الرحمن بن البيهقي من مشاهير التابعين يروي عن ابن عمرو ولينه أبو حاتم وقال الدارقطني ضعيف لا تقوم به حجة وذكره ابن حبان في الثقات فقال روى عنه زيد بن أسلم وسماك بن الفضل وابنه محمد وغيرهم وقيل: كان من كبار الشعراء توفي سنة ٩٠ هـ. (الميزان ٥٥١/٢ والأعلام ٧٩/٤).

(٩) الحديث: رواه الحاكم في المستدرک - كتاب التوبة - (٢٥٧/٤ - ٢٥٨).

ومجمع الزوائد - كتاب التوبة - باب إلى متى تقبل توبة العبد «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن وهو ثقة» (١٩٧/١٠).

ومسند أحمد ٤٢٥/٣، ٣٦٢/٥ والفتح الرباني ٣٣٩/١٩ «بعضه أحاديث الباب» كلهم من حديث عبد الرحمن به البيهقي.

(١٠) في غير (أ) قوله.

(١١) انظر الدر ١٣١/٢ عن ابن عباس.

وقال عكرمة عنه في هذه الآية: هم أهل الشرك^(١). وقال سعيد بن جبير^(٢): نزلت الأولى في المؤمنين يعني قوله ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ...﴾ الآية، والوسطى في المنافقين يعني قوله ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ...﴾^(٣) والأخرى في الكافرين يعني ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾.

ومعنى الآية: لا توب لمشرك ولا لمنافق إذا تاب عند حضور الموت، وهو النظر إلى ملك الموت، ولا لمن مات كافراً، لأن التوبة لا تقبل في الآخرة.

﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: هياناً وأعدنا^(٤)، يقال: أعتدت الشرع^(٥) فهو معتد وعتيد^(٦).

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾

قوله عز وجل^(٧) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا...﴾ الآية، قال ابن عباس والمفسرون^(٨): كان الرجل في الجاهلية إذا مات كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء تزوجها، وإن شاءوا زوجها، وإن شاءوا لم يزوجها فترلت هذه الآية.

وأعلم الله أن ذلك حرام، وأن الرجل لا يرث المرأة من الميت. وقرئ ﴿كْرِهًا﴾ - بفتح الكاف وضمها^(٩) -

(١) انظر الدر ١٣١/٢ عن عكرمة.

(٢) انظر تفسير الخازن ٤٩٨/١ عن سعيد بن جبير والطبري ١٠٠/٨ عن الربيع وابن كثير ٤٦٤/١ عن ابن عباس وأبي العالية والربيع بن أنس والدر ١٣٠/٢ وفتح القدير ٤٣٩/١ كلاهما عن أبي العالية والربيع.

(٣) في (أ): للذين.

(٤) في (هـ): واعتدنا.

(٥) في (د): للشيء.

(٦) انظر اللسان / عتد، ومفردات الراغب / عتد، والمصباح المنير / عتد.

(٧) في غير (أ) قوله تعالى.

(٨) انظر تفسير مجاهد ١٥٠ والثوري ٩٢ والزجاج ٢٩/٢ وغريب القرآن ١٢٢ وفتح الباري ١٩٨/٨ - ١٩٩، ٢٧٠/١٢ عن عطاء عن ابن عباس والرازي ١٠/١٠ وأحكام القرآن لابن العربي ٣٦١/١ عن ابن عباس والطبري ١٠٤/٨ - ١٠٥ عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن كثير ٤٦٥/١ والفراء ٢٥٩/١ والدر ١٣١/٢ - ١٣٢ عن ابن عباس وأبي أمامة وعكرمة وأبي مالك والزهري وزيد بن أسلم، وأسباب النزول للواحيدي ١٠٧ - ١٠٨ وللسيوطي ٧٢، وصحيح البخاري - كتاب التفسير - ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ عن ابن عباس ١١٨/٣.

(٩) قرأ حمزة والكسائي - بالضم - والباقون بالفتح قال ابن عباس: من قرأ بالضم أي بمشقة ومن قرأ بالفتح أي إجهاراً.

(انظر المحجة لأبي زرعة ١٩٥ - ١٩٦ والسبعة ٢٢٩ والنشر ٢٤٨/٢ والتبيان ٣٤٠/١ وغريب القرآن ١٢٢ والمحجة لابن خالويه ١٢٢).

وهما لغتان كالفقر والفقر والضعف والضعف ﴿ولا تعضلوهن لئذهبوا ببعض ما أتيتموهن﴾ المنهي عن العضل ها هنا الأزواج (١) نهوا أن يمسكوهن إذا لم يكن لهم فيهن حاجة إضراراً بهن حتى يفتدين ببعض مهورهن .

وقوله ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ يعني: الزنا في قول عطاء والحسن والسدي (٢).

وقال ابن مسعود وقتادة (٣): هي النشوز. فإذا زنت امرأة تحت رجل، أو نشزت عليه حل له أن يسألها الخلع وأن يضارها ويسيء معاشرتها لتفتدي منه بالمهر.

ثم قال ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ يعني: قبل الإتيان بالفاحشة.

قال ابن عباس (٤): يريد اصحبوهن بما يجب لهن عليكم من الحق، قال الزجاج (٥): هو النصفة في المبيت (٦) والنفقة، والإجمال في القول (٧).

وقوله (٨) ﴿فإن كرهتموهن﴾ إلى قوله (٩) ﴿خيراً كثيراً﴾ قال عطاء (١٠) يريد فيما كرهتم مما هو الله رضا خير كثير وثواب عظيم.

قال المفسرون: الخير الكثير في المرأة المكروهة: الولد الصالح، وربما يكون فرطاً.

قوله جل جلاله (١١) ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ قال الوالبي عن ابن عباس (١٢): إن كرهت امرأتك وأعجبك غيرها، فأردت أن تطلق هذه وتزوج تلك، فلا يحل لك أن تأخذ من مهر التي كرهت شيئاً، وإن كثر، وهو قوله تعالى: ﴿وَأْتِيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً﴾ أي: لا ترجعوا فيما أعطيتموهن من المهر إذا كرهتموهن، وأردتم طلاقهن (١٣).

(١) في (ح): النهي، وفي (د): للأزواج وفي (هـ): المنهي هاهنا عن الفصل...

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٦٧ والزجاج ٣٠/٢ والطبري ١١٥/٨ - ١١٦ وابن كثير ٤٦٦/١ كلاهما عن الحسن وعطاء والسدي والدر ١٣٢/٢ عن الحسن وفتح القدير ٤٤٢/١ عن الحسن وأبي قلابة وابن سيرين.

(٣) انظر تفسير الطبري ١١٦/٨ - ١١٧ عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة والضحاك والبخاري ٤٩٩/١ عن ابن مسعود وقتادة وابن كثير ٤٦٦/١ عن ابن عباس وعكرمة والضحاك، والدر ١٣٢/٢ عن ابن عباس وقتادة والضحاك وابن مسعود وفتح القدير ٤٤٢/١ عن ابن عباس وقتادة والضحاك.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٢١/٨ وابن كثير ٤٦٦/١ وفتح القدير ٤٤٢/١ عن عكرمة ومقاتل.

(٥) انظر الزجاج ٣٠/١ والرازي ١٢/١٠ عن الزجاج.

(٦) في (د): البيت.

(٧) في (هـ): في قول.

(٨) في (ج، د): قوله.

(٩) وتامه ﴿فمعى أن تكروهوا شيئاً ويجعل الله فيه﴾.

(١٠) انظر تفسير الطبري ١٢٢/٨ عن مجاهد.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٦٧، والطبري ١٢٢/٨ - ١٢٣ والدر ١٣٣/٢ وفتح القدير ٤٤٢/١ كلها عن ابن عباس والسدي وابن كثير ٤٦٦/١ عن ابن عباس.

(١٢) في غير (أ) قوله.

(١٣) انظر الدر ١٣٣/٢ وفتح القدير ٤٤٢/١ كلاهما عن ابن عباس.

وقوله (١) ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بَهْتَانًا﴾ أي: ظلماً (٢) وهذا استفهام إنكار، قال ابن عباس (٣): يريد أن أخذك إياه بعدما دخلت بها بهتان وإثم عظيم.

ثم قال على وجه الإنكار والتوبيخ:

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ أي: وصل بعضكم إلى بعض بالجماع. ولا يجوز للزوج الرجوع في شيء من المهر بعد المنيس.

و«الإفشاء» معناه الوصول، يقال: أفضى إليه، أي: وصل إليه بالملامسة معه (٤).

وقوله ﴿وَأَخْذُنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ قال أكثر المفسرين (٥): هو قولهم عند العقد: زوجتكها على ما أخذ الله للنساء (٦)، من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

وقال أبو العالية: أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله (٧).

وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ۚ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۚ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَن تَسْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ

(١) في (د): قوله.

(٢) انظر مجاز القرآن ١/١٢٠.

(٣) انظر غرائب النيسابوري ٤/٢٢٠ عن ابن عباس وغيره.

(٤) انظر الفراء ١/٢٥٩، وفتح القدير ١/٤٤٣ عن الفراء والطبري ٨/١٢٥ واللسان / فضا والمصباح المنير / فضا.

(٥) انظر تفسير مجاهد ١٥١، وغريب القرآن ١٢٣ عن ابن عباس والطبري ٨/١٢٧ - ١٢٨ عن قتادة والضحاك والسدي وابن سيرين والرازي ١٠/١٦٧ عن السدي وعكرمة والفراء وكذا غرائب النيسابوري ٤/٢٢١ عنهم والفراء ١/٢٥٩ والدر ٢/١٣٣ عن ابن عباس وقاتدة وابن أبي مليكة وأنس والضحاك ومجاهد.

(٦) في (ح): النساء.

(٧) انظر تفسير البحر ٣/٢٠٧ عن مجاهد وابن زيد وعكرمة الطبري ٨/١٢٩ - ١٣٠ عن جابر وعكرمة والربيع وابن كثير ١/٤٦٧ عن الربيع والدر ٢/١٣٤ عن مجاهد وعكرمة وكذا فتح القدير ١/٤٤٣ عنهما وغرائب النيسابوري ٤/٢٢١ عن ابن عباس ومجاهد وكذا الرازي ١٠/١٦٧ عنهما.

يَدِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مَنْ فَنَيْتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفَحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْنَّ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾

قوله عز وجل (١) ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾ كانت العرب يتزوج الرجل امرأة أبيه من بعد موته التي ليست بأمه، فنهى الله تعالى عنه وحرمه (٢).

وقوله (٣) ﴿إلا ما قد سلف﴾ يعني: لكم ما قد سلف فإن الله تجاوز عنه (٤). و«سلف» معناه: تقدم ومضى، يقال: سلف يسلف سلوفاً فهو سالف (٥).

وقوله (٦) ﴿إنه﴾ أي: أن ذلك النكاح ﴿كان فاحشة﴾ قبيحاً ﴿ومقتاً﴾ وهو أشد البغض، يقال: مقته يمقته مقتاً.

وهذا إخبار عما كان في الجاهلية، أعلموا أن هذا الذي حرم عليهم لم يزل منكراً في قلوبهم، ممقوتاً عندهم.

وقوله (٧) ﴿وساء سيلاً﴾ أي: قبح هذا الفعل طريقاً، يقال: ساء الشيء يسوء فهو سئء إذا قبح (٨).

قوله جل جلاله (٩) ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ كل امرأة يرجع نسبك بالولادة إليها من جهة أبيك، أو من جهة أمك بإثباتك (١٠) رجعت إليها، أو بذكور (١١) فهي أمك.

وقوله ﴿وبناتكم﴾ كل أنثى رجعت نسبها إليك بالولادة بدرجة أو بدرجات بإثبات أو ذكور فهي بنتك.

وقوله ﴿وأخواتكم﴾ كل أنثى ولدها شيء ولدك في الدرجة الأولى فهي أختك. وقوله ﴿وعماتكم﴾ هي

جمع العممة وكل ذكر رجعت نسبك إليه فأخته عمتك وقد تكون العممة من جهة الأم وهي أخت أبي أمك.

(١) في (د): قوله تعالى، وفي (هـ): قوله.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٦٧ والزجاج ٢٩/٢ والرازي ١٧/١٠ والدر ٢/١٣٤ والطبري ٨/١٣٣.

(٣) في (د): قوله إلا ما قد سلف فإن الله.

(٤) قال أبو عبيدة: «نهامهم أن ينكحوا نساء آباؤهم ولم يحل لهم ما سلف - أي ماضى ولكنه يقول: إلا ما فعلتم» (مجاز القرآن ١/١٤٠).

(٥) انظر اللسان / سلف.

(٩) في (د): قوله تعالى.

(٦) في (د): قوله.

(١٠) في (د): وإبانت.

(٧) في (ج، د): قوله.

(١١) في (ح): ذكور، وفي (د): ذكوراً.

(٨) «إذا قبح» ساقط من (ح) وانظر اللسان / سواً.

وقوله ﴿وخالاتكم﴾ كل أنثى رجع نسبك إليها بالولادة فأختها خالتك وقد تكون الخالة من جهة الأب وهي أخت أم أبيك (١).

وقوله ﴿وبنات الأخ﴾ التحديد (٢) في هؤلاء كالتحديد في بنت الصلب. وهؤلاء النسوة اللاتي ذكرن من محرمات بالنسب.

ثم ذكر المحرمات بسبب حدث فقال ﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم﴾ وهؤلاء سميت (٣) أمهات: للحرمة - كأزواج النبي ﷺ سماهن الله تعالى أمهات المؤمنين - فكل أنثى انتسبت إليها باللبن فهي أمك فالتى أرضعتك: أو أرضعت امرأ أرضعتك أو رجلاً أرضعتك فهي أمك.

وقوله ﴿وأخواتكم من الرضاعة﴾ أخوات الرضاعة (٤) ثلاث: وهي الصغيرة الأجنبية التي أرضعتها أمك بلبان (٥) أبيك، سواء أرضعتها معك أو مع ولد قبلك أو بعدك. وأم الرضاعة وأخت الرضاعة لم تحرماً، فكان الرضاع سبب تحريمهما.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحبري الجرشي (٦) في دار السنة إمام سنة سبع عشرة وأربعمائة، أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني (٧)، حدثنا أحمد بن حازم الغفاري، حدثنا قبيصة بن عقبة (٨)، عن سفيان، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب عن علي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى حرم من الرضاعة ما حرم من النسب» (٩) فثبت بهذا الحديث أن السبع المحرمات بالنسب على التفصيل الذي ذكره الله محرمات باللبن.

وقوله (١٠) ﴿وأمهات نسائكم﴾ حد (١١) أم امرأتك كحد أمك سواء كانت من اللبن أو من النسب، وهي تحرم بنفس

(١) «العمة: كل امرأة شاركت أبك ما علا في أصله.

والخالة: كل امرأة شاركت أمك ما علت في أصلها أو أحدهما» (أحكام القرآن ١/٣٧٢).

(٢) في (هـ) التهديد. أراد بالتحديد: التعريف يعني: الأخت تعريفها يعلم مما ذكرنا في تعريف بنت الصلب فتعريف بنت الأخت أن يقال: كل أنثى رجع نسبها إلى أخيك بالولادة إلى آخر التعريف المذكور في تعريف بنت الصلب (حاشية أ).

(٣) في (هـ): سمين.

(٤) في (ح): الرضاع.

(٥) في (د): أرضعتها بلبان.

(٦) في (د): الحسن وفي (ج، د، هـ): الجرشي.

(٧) أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني الكوفي محدث الكوفة ثقة صدوق توفي سنة ٣٥١ (تذكرة الحفاظ ٣/٨٨٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٠/٢٥٩).

(٨) أبو عامر قبيصة بن عقبة بن محمد بن سعيد بن سفيان بن عقبة بن ربيعة بن حبيب الكوفي السوائي روى عنه أحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبي شيبة والبخاري، وغيرهم، كان ثقة صالحاً كثيراً من الحديث توفي سنة ٢٢٥ هـ. (الأنساب ٧/١٨٢ - ١٨٣).

(٩) الحديث: رواه الترمذي - كتاب الرضاع - باب ما جاء يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب رقم ١١٥٦ «حديث صحيح» (٢/٣٠٧). ومسند أحمد ١/١٣٢ كلاهما من حديث علي

وسنن أبي داود - كتاب النكاح - باب يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب رقم ٢٠٥٥ عن عائشة (٢/٢٢١).

(١٠) في (د): قال الله تعالى.

(١١) في (د): حرمة.

العقد على زوج بنتها لأن الله تعالى أطلق التحريم ولم يقيد^(١) بالدخول. وقوله^(٢) ﴿وربائبكم﴾ جمع الربيبة وهي بنت امرأة الرجل من غيره^(٣).

وقوله ﴿اللاتي في حجوركم﴾ يعني: اللاتي ربيتموهن في حجوركم، وهي جمع حجر الإنسان. والمعنى: في ضمانكم وتربيتمكم.

والربيبة لا تحرم بمجرد العقد على الأم، وإنما تحرم بالدخول بالأم لقوله تعالى: ﴿من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم﴾ أي: في نكاح الربائب إذا لم تدخلوا بالأمهات.

وقوله ﴿وحلائل أبنائكم﴾ «الحليل والحليلة»: الزوج والمرأة، سميا بذلك لأنهما يحلان في موضع واحد. وقوله ﴿الذين من أصلابكم﴾ إحتراز^(٤) عن المتبني، وكان المتبني في صدر الإسلام بمنزلة الابن. وقوله ﴿وأن تجمعوا بين الأختين﴾ يحرم على الرجل أن يجمع في النكاح بين أختين في النسب أو باللبن.

وقوله^(٥) ﴿إلا ما قد سلف﴾ قال الكلبي^(٦): مضى في الجاهلية فإنكم لا تؤاخذون^(٧) به في الإسلام، وهم كانوا يجمعون في الجاهلية بين الأختين، فحرم الله تعالى ذلك رحمة لهذه الأمة، إذ علم شدة غيرة النساء بعضهم على بعض.

قال ابن عباس^(٨): كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين.

قوله عز وجل^(٩) ﴿والمحصنات من النساء﴾ يعني: ذوات الأزواج وهن محرمات على كل أحد إلا على أزواجهن لذلك عطفن^(١٠) على المحرمات في الآية التي قبلها.

و«الإحصان» يقع على معان^(١١) منها: الحرية كقوله ﴿والذين يرمون المحصنات﴾^(١٢) يعني الحرائر، ومنها: العفاف كقوله ﴿محصنات غير مسافحات﴾^(١٣) يعني: عفاف ومنها: الإسلام، من ذلك قوله ﴿فإذا أحصن﴾^(١٤) أي: أسلمن، ومنها: كون المرأة ذات زوج من ذلك قوله ﴿والمحصنات من النساء﴾^(١٥).

ثم استثنى من ذوات الأزواج فقال ﴿إلا ما ملكت أيما نكح﴾ يريد: إلا ما ملكتموهن بالسبي من دار الحرب، فإنها تحل لمالكها، ولا عدة عليها فتستبرأ بحيضة وتوطأ.

أخبرنا أحمد بن محمد بن الحرث، أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان حدثنا أبو يحيى الرازي، حدثنا

(١) في (د): يقيد.

(٢) في (د): قوله.

(٣) انظر مجاز القرآن ١/١٢١، والزاهر ١/٢٨٦ والزجاج ٢/٣٤.

(٤) انظر تفسير الطبري ٨/١٣٧ والرازي ١٠/٣٨ والبحر ٣/٢١٣ وتفسير ابن عباس ٦٧ والدر ٢/١٣٤ عن قتادة والضحاك.

(٥) في (أ، هـ): تؤخذون.

(٦) انظر تفسير القرطبي ٥/١١٩ عن محمد بن الحسن، والدر ٢/١٣٤ عن ابن عباس ٢/١٣٧ وعن مقاتل وفتح القدير ١/٤٥٤ عن

مقاتل بن سليمان.

(٧) في (ج، هـ): قوله، وفي (د): قوله تعالى.

(٨) في (هـ): عطفهن.

(٩) في (ج، هـ): معاني.

(١٢) سورة النور / ٤.

(١٣) و (١٤) سورة النساء / ٢٥.

(١٥) انظر في ذلك: مجاز القرآن ١/١٢٢ والفراء ١/٢٦٠ والدر ٢/١٣٩.

سهل بن عثمان العسكري، حدثنا عبد الرحيم عن أشعث بن سوار^(١) عن عثمان البتي^(٢)، عن أبي الخليل^(٣)، عن أبي سعيد الخدري قال:

لما سبى رسول الله ﷺ أهل أوطاس^(٤)، قلنا: يا رسول الله كيف نفع^(٥) على نساء قد عرفنا أنسابهن وأزواجهن، فأنزل الله هذه الآية ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيما نكم﴾^(٦).

وإذا وقع السب على الزوجين الحربيين أو على أحدهما انقطع النكاح بينهما وكان من سبي أوطاس خلق كثير وقع السبي عليهن مع نسائهم، ونادى منادى رسول الله ﷺ - ألا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض حيضة^(٧) فأباح وطأهن بعد الاستبراء لانفساخ نكاحهن

قوله ﴿كتاب الله عليكم﴾ قال ابن عباس يريد هذا ما حرم، يعني كتب تحريم ما ذكر من النساء عليكم.

قوله ﴿وأحل لكم ما وراء ذلك﴾ وقرئ بضم الألف - والفتح أشبه بما قبله، لأن معنى ﴿كتاب الله عليكم﴾ كتب الله عليكم كتاباً، وأحل لكم فبناء الفعل للفاعل هنا.

ومن بنى^(٨) الفعل للمفعول به، فقال^(٩): وأحل لكم فهو في المعنى يؤول إلى الأولى وذلك مراعاة ما قبله وهو قوله ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾^(١٠) و﴿ما وراء ذلكم﴾ ما سوى هذه النساء اللاتي حرمت^(١١).

(١) أشعث بن سوار الكندي الأفرق النجار بالكوفة لقي الشعبي وغيره وهو من الضعفاء الذين روى لهم مسلم متابعة ضعفه أحمد وابن معين والدارقطني وقد وثقه بعضهم وقال الثوري: هو أثبت في مجالده توفي سنة ١٣٦. (شذرات ١/١٩٣).

(٢) عثمان بن مسلم بن هرمز البصري البتي - بفتح الباء الموحدة وتشديد التاء المثناة نسبة إلى البت اسم موضع - روى عن أنس بن مالك والشعبي وصالح بن أبي مريم أبي الخليل وعنه شعبة وغيره وثقه أحمد وابن معين وابن سعد وغيرهم (الأنساب ٧٨/٢ - والميزان ٥٩/٣ - ٦٠).

(٣) أبو الخليل صالح بن أبي مريم الضبي البصري سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل وروى عن أبي سعيد الخدري وعنه قتادة وأيوب وأبو علقمة الهاشمي روى له البخاري ومسلم. (كتاب الجمع ١/٢٢٢).

(٤) «أوطاس»: موضع عند الطائف وفي القاموس: وإد بديار هوازن. (الفتح الرباني ٥٥/١٧).

(٥) «أي نسقط عليها، أي من أجل الجماع» (حاشية أ).

(٦) الحديث: رواه مسلم - كتاب الرضاع - باب جواز وطء المسبية بعد الاستبراء، (١/١٦٨ - ١/٦١٩) والترمذي: كتاب النكاح - باب ما جاء في الرجل يسبي الأمة ولها زوج وهل يحل له وطؤها رقم ١٢٤١ (٢/٣٠٠). وفي أبواب التفسير - سورة النساء - رقمي ٥٠٠٥، ٥٠٠٦ «حديث حسن» ٣٠١/٤ - ٣٠٢ وأبو داود - كتاب النكاح - باب في وطء السبايا رقم ٢١٥٥ (٢/٢٤٧). كلهم من حديث أبي سعيد.

(٧) الحاكم (٢/١٩٥) في المستدرک في کتاب النکاح وأبو داود (٢/٢٤٨) (٢١٥٧) والترمذي (٣/٦٣) في السير وأحمد (٣/٢٨) (٨٧). (٨) في (د): بنا. (٩) في (هـ): قال.

(١١) قرأ حمزة والكسائي وحفص (وأحل) - بضم الألف وكسر الحاء - على ما لم يسم فاعله وحجتهم: أن ابتداء التحريم - في الآية الأولى - أجرى على تلك تسمية الفاعل وهو قوله ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ وما ذكر بعده، فأجرى التحليل عقب التحريم وعلى لفظه فكانه قال: حرم عليكم كذا، وأحل لكم كذا. وقرأ الباقون - بالفتح - وحجتهم: قربه من ذكر «الله» فجعلوا الفعل مسنداً إليه.

(١٢) (انظر المحجة لأبي زرعة ١٩٨ والسبعة ٢٣١ والنشر ٢/٢٤٩، والزجاج ٢/٣٦ والبيان ١/٣٤٦ والمحجة لابن خالويه ١٢٢).

في غير (أ) التي حرمت وانظر المعنى في: مجاز القرآن ١/١٢٣ والقراء ١/٢٦١ والدر ٢/١٣٩ عن أبي مالك وتفسير ابن عباس

وقوله (١) ﴿ان تبتغوا﴾ أي: تطلبوا ﴿بأموالكم﴾ أما بنكاح وصداق، أو بملك وثمر ﴿محصنين﴾ متعفين عن الزنا ﴿غير مسافحين﴾ غير زانين، و«السفاح، والمسافحة»: الزنا. (٢)

وقوله ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ يعني: فما استمتعتم وتلذذتم من النساء بالنكاح الصحيح ﴿فآتوهن أجورهن﴾ مهورهن. ﴿فريضة﴾ فإن استمتع بالدخول بها آتى المهر تاماً، وإن استمتع بعقد النكاح آتى نصف المهر.

وقوله (٣) ﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة﴾ قال الزجاج (٤): لا إثم عليكم في أن تهب المرأة للزوج مهرها، أو يهب الرجل للمرأة تمام المهر إذا طلقها قبل الدخول.

﴿إن الله كان عليماً﴾ بما يصلح أمر العباد ﴿حكيماً﴾ فيما بين لهم من عقد النكاح.

- قوله جل جلاله (٥) ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً﴾ «الطول» الغناء (٦) والسعة والقدرة، يقال: فلان ذو طول

أي: ذو قدرة في ماله يراد بالقدرة هاهنا: القدرة على المهر.

وقوله ﴿أن ينكح المحصنات المؤمنات﴾ يريد الحرائر. فمن فتح الصاد أراد: أنهن أحصن لحريتهن ولم يتبدلن

كالإماء (٧) فهن محصنات، ومن كسر الصاد أراد: أنهن أحصن أنفسهن لحريتهن ولم يبرزن بروز الأمة فهن محصنات (٨).

وقوله (٩) ﴿فمما ملكت أيمنانكم﴾ أي: فليتزوج مما ملكت أيمنانكم. قال ابن عباس (١٠): يريد جارية أخيك في

الإسلام وهو أن يتزوج الرجل بمن (١١) يملك غيره ممن تكون على مثل (١٢) حاله في الإسلام وهو قوله ﴿من فتياتكم المؤمنات﴾.

«الفتيات»: المملوكات والإماء جمع، فتادة تقول العرب للأمة: فتاة وللعبدة فتى (١٣) وأفاد التقييد

(١) في (د): قوله.

(٢) انظر مجاز القرآن ١٢٣/١ وفي حاشية واه أي مأخوذ من سفح الماء وصبه وهو النبي والزاهر ١٧٦/٢.

(٣) في (ح-): وقوله فلا، وفي (د): قوله ولا.

(٤) انظر الزجاج ٣٨/٢ وغرائب النيسابوري ١٩/٥ عن الزجاج ومجاز القرآن ١٢٣/١، والطبري ١٨/٨ عن ابن زيد.

(٥) في غير (أ) قوله.

(٦) في (ج، د): الغني.

وانظر المعنى في: مجاز القرآن ١٢٣/١ والزاهر ٥٣٣/١ - ٥٣٤، والطبري ١٨٢/٨.

(٧) في (ح-): لحرمتهن ولم يتبدلن وفي (د): لحرمتهن ولم يتبدلن كالأمة، وفي (ه-): ولم يتبدلن كأمة.

(٨) اتفق القراء على فتح الصاد في قوله (والمحصنات من النساء).

وقرأ الكسائي - بكسر الصاد - في جميع القرآن وحجته أنهن أحصن أنفسهن بالإسلام والعفة، وقرأ الباقون - بفتح الصاد - أي: أحصنهن أزواجهن أو إسلامهن.

(انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٦ - ١٩٧ والسبعة ٢٣٠ والنشر ٢٤٩/٢ والحجة لابن خالويه ١٢٢).

(٩) في (د): قوله (فمما ملكت أيمنانكم) فليتزوج.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٦٨ وابن كثير ٤٧٥/١ والدرر ١٤١/٢ - ١٤٢ والطبري ١٨٦/٨، وغرائب النيسابوري ٢٠/٥ كلها عن ابن عباس.

(١١) في (ج، د): بما، وفي (د): ما.

(١٢) في (د): فتا، وانظر مجاز القرآن ١٢٣/١.

(١٣) في (ح-): مثال.

بـ ﴿المؤمنات﴾ : انه لا يجوز التزوج بالأمة الكتابية، وهو قول مجاهد وسعيد والحسن ومذهب مالك والشافعي (١).
 وعند أبي حنيفة يجوز التزوج بالأمة الكتابية (٢) والآية حجة عليه.
 وقوله (٣) ﴿والله أعلم بإيمانكم﴾ قال الزجاج (٤) : أي: اعملوا (٥) على الظاهر من الإيمان فإنكم محاسبون بما
 ظهروا، والله يتولى السرائر والحقائق.
 وقوله (٦) ﴿بعضكم من بعض﴾ أي: في النسب كلكم بنو آدم فلا يتداخلنكم الأنفة من تزوج الإماء عن
 الضرورة.
 وقوله جل جلاله (٧) ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن﴾ قال ابن عباس (٨) : يريد أخطبها إلى سيدها. ونكاح الأمة دون
 إذن السيد باطل.
 وقوله (٩) ﴿وإتوهن أجورهن﴾ أي: مهورهن ﴿بالمعروف﴾ من غير مظل ولا إضرار.
 وقوله ﴿محصنات﴾ يريد: عفاف غير مسافحات ﴿غير زوان﴾ ولا متخذات أخذان ﴿جمع خدن وهو الذي
 يخادنك﴾ (١٠).
 قال قتادة والضحاك (١١) : (المسافحة): هي التي تؤجر نفسها معلنة بالزنا، والتي تتخذ الخدن: هي التي تزني
 سرا.
 وكانت العرب في الجاهلية يعيرون الزنا العلانية (١٢)، ولا يعيرون اتخاذ الأخدان فجاء الله تعالى بالإسلام فهدم
 ذلك وقال ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ (١٣).
 قال قتادة (١٤) : نهى الله تعالى عن نكاح المسافحة وذات الخدن.
 وقوله: ﴿فإذا أحصن﴾ أي: الأزواج على معنى تزوجن، ومن فتح الألف (١٥)، فمعناه أسلمن. و«الإحصان»

(١) انظر تفسير الطبري ١٨٨/٨ - ١٨٩ عن مجاهد ومالك بن أنس وغيرهما ورجح الطبري قول من قال: هو دلالة على تحريم نكاح إماء
 أهل الكتاب فإنهن لا يحللن إلا بملك اليمين (١٩٠/٨) وانظر غرائب النيسابوري ٢٠/٥ عن الشافعي ومجاهد وسعيد والحسن
 وفتح القدير ٤٥٠/١ عن أهل الحجاز قال الشوكاني «وجوزه أهل العراق»، ٤٥٥/١ - ٤٥٦ عن مجاهد، والدر ١٤٢/٢ عن مجاهد
 قال «لا يصلح نكاح إماء أهل الكتاب، وفي رواية أخرى لمجاهد قال: ومما وسع الله به على هذه الأمة نكاح الأمة واليهودية والنصرانية
 وإن كان موسراً».

(٢) انظر غرائب النيسابوري ٢٠/٥ - ٢١ عن أبي حنيفة.

(٣) في (د، هـ) : قوله.

(٤) انظر الزجاج ٤٠/٢ وغرائب النيسابوري ٢١/٥ عن الزجاج.

(٥) انظر البحر ٢٢٢/٣ عن الحسن وعطاء بن المسيب وغيرهم، وغرائب النيسابوري ٢١/٥ وفتح القدير ٤٥١/١، والرازي ٦١/١٠.

(٦) في (د) : قوله.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٩٤/٨، عن قتادة والضحاك، وابن كثير ٤٧٥/١ عن ابن عباس والضحاك وأبي هريرة والسدي وغيرهم وغرائب
 النيسابوري ٢٣/٥.

(٨) في (د) : علانية. (١٣) سورة الأعراف / ٣٣، وانظر الطبري ١٩٣/٨، والدر ١٤٢/٢، وفتح القدير ٤٥٦/١ كلها عن ابن عباس.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٩٤/٨ عن قتادة، وفتح القدير ٤٥١/١.

(١٠) انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٦ - ١٩٧ والسبعة ٢٣٠، والنشر ٢٤٩/٢، والتبيان ٣٤٩/١.

(١١) انظر تفسير الطبري ١٩٤/٨ عن قتادة، وفتح القدير ٤٥١/١.

(١٢) انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٦ - ١٩٧ والسبعة ٢٣٠، والنشر ٢٤٩/٢، والتبيان ٣٤٩/١.

معناه في اللغة: المنع، ومنه قوله ﴿أحصنت فرجها﴾^(١) أي منعتة عن الزنا.

وقوله^(٢) ﴿فإن أتين بفاحشة﴾ أي: زنا ﴿فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾ أي: عليهن نصف الحد، و«المحصنات» ها هنا: الأبيكار اللاتي أحصنهن العفاف وهدهن مائة، ويتنصف في حق الأمة إذا زنت^(٣).

وقوله^(٤) ﴿ذلك﴾ يعني: نكاح الأمة عند عدم الطول^(٥) ﴿لمن خشي العنت منكم﴾ يعني: الزنا وهو أن يخاف شدة الشبق^(٥) والغلظة على الزنا، فيلقى العذاب في الآخرة، أو الحد^(٦) في الدنيا.

أباح الله نكاح الأمة بشرطين: أحدهما في أول الآية، وهو عدم الطول، والثاني في آخر الآية وهو خوف العنت.

ثم قال ﴿وأن تصبروا﴾ أي: عن تزوج الإمام^(٧) ﴿خير لكم﴾ لثلاثي تصير الولد عبداً ﴿والله غفور رحيم﴾^(٨).

- قوله جلّ جلاله^(٩) ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ قال ابن عباس: ليبين لكم ما يقربكم إلى طاعته^(١٠). وقال

غيره: ليبين لكم شرائع دينكم، ومصالح أموركم^(١١) ﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ يريد: دين إبراهيم وإسماعيل، دين الحنيفية ﴿ويتوب عليكم﴾ يرجع بكم من معصيته التي كنتم عليها قبل هذا إلى طاعته التي أمركم بها ﴿والله عليم﴾ بما يصلحكم ﴿حكيم﴾ في تدبيره فيكم.

- ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ يخرجكم من كل ما يكره إلى ما يحب ويرضى ﴿ويريد الذين يتبعون

الشهوات﴾ قال مجاهد^(١٢): هم الزناة يريدون أن يزني أهل الإسلام وهو قوله ﴿أن تميلوا ميلاً عظيماً﴾.

وقال ابن زيد^(١٣): هم جميع أهل الباطل في دينهم، يريدون أن تميلوا ميلاً عظيماً عن الحق وقصد السبيل

بالمعصية فتكونوا مثلهم.

- ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ يعني: في أحكام الشرع، وفي جميع ما يسره الله لنا وسهله علينا، ولم يثقل

التكليف كما ثقل على بني إسرائيل.

(١) سورة التحريم / ١٢.

(٢) في (د) قوله.

(٣) قال الزجاج وأي عليهن نصف الحد، والحد مائة جلدة على الحر والحرّة غير المحصنين، وعلى المحصنين الرجم إلا أن

الرجم قتل والقتل لا نصف له وإنما عليهن نصف الشيء الذي له نصف وهو الجلد (معاني الزجاج ٤١/٢ ومجاز القرآن ١٢٣/١

وغرائب النيسابوري ٢٤/٥).

(٤) في (ج) ذلك.

(٥) «الشبق: شدة الغلظة وطلب النكاح، والغلظة: شهوة الضراب، الغلظة: هيجان شهوة النكاح». اللسان/ شبق، غلم، وحاشية (أ).

(٦) في (د) والحد.

(٧) انظر غرائب النيسابوري ٢٥/٥ والدر ١٤٢/٢ - ١٤٣ عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد.

(٨) في (د) (يريد الله).

(٩) في غير (أ) قوله.

(١٠) من (هـ).

(١١) انظر البحر ٢٢٥/٣ والبيهقي ٥١١/١ كلاهما عن عطاء.

(١٢) انظر البحر ٢٢٥/٣ والطبري ٢٠٩/٨ وغرائب النيسابوري ٢٥/٥ وابن كثير ٤٧٩/١.

(١٣) انظر تفسير مجاهد ١٥٣ وابن عباس ٦٩ والطبري ٢١٣/٨ والدر ١٤٣/٢ كلاهما عن مجاهد.

(١٤) انظر تفسير الطبري ٢١٤/٨ عن ابن زيد، وابن كثير ٤٧٩/١.

﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ قال ابن عباس والأكثرين: (١): يضعف عن الصبر عن الجماع، ولا يصبر عن النساء، فلذلك أباح الله (٢) له نكاح الأمة.
قال الزجاج (٣): أي يستميله هواه وشهوته فهو ضعيف في ذلك.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٤) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٥)

- قوله عز وجل (٤): ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ أي: بما لا يحل لكم في الشرع كالربا والغصب والسرقة والخيانة.
و«الباطل»: اسم جامع لكل ما لا يحل.

نهى الله تعالى بهذه الآية عن جميع المكاسب الباطلة بالشرع، ثم قال ﴿إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ أي: إلا أن تقع تجارة برضاء البيعين، يرضى كل واحد منهما بما في يده.

وقرىء «تجارة» - بالنصب (٥) - على تقدير: إلا أن تكون التجارة تجارة، كما قال: إذا كان يوماً ذا كواكب أشعنا. أي: إذا كان اليوم يوماً.

وقوله (٦) ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ أي: لا يقتل (٧) بعضكم بعضاً، لأنكم أهل دين واحد، فأنتم كنفس واحدة، هذا قول ابن عباس والأكثرين (٨).

وذهب قوم إلى أن هذا نهي عن قتل الإنسان نفسه ويدل على صحة هذا التأويل (٩) ما أخبرنا:

أبو منصور محمد بن محمد المنصوري، أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر الحافظ، حدثنا أبو بكر بن أبي داود (١٠)، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي (١١)، قال: سمعت يحيى بن أيوب، يحدث عن

(١) انظر تفسير ابن عباس ٦٩، والثوري ٩٣ والطبري ٢١٦/٨ وابن كثير ٤٧٩/١ كلاهما عن طاووس والدر ١٤٣/٢ عن ابن عباس وطاووس، والوجيه للواحد ١٤٨/١.

(٢) من (هـ). (٣) انظر الزجاج ٤٤/٢، والبيهقي ٥١٢/١ عن ابن كيسان. (٤) في غير (أ) قوله. (٥) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر - بالرفع - جعلوا (تكون) بمعنى الحدوث والوقوع وقرأ عاصم وحمره والكسائي - بالنصب - على إضمار اسم كان وهي خبرها.

(انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٩ والسبعة ٢٣١ والنشر ٢٤٩/٢ والزجاج ٤٤/٢ والتبيان ٣٥١/١ والأخفش ٤٤١/١) وتقدم نظير ذلك في سورة البقرة عند تفسير الآية ٢٨٢.

(٦) ساقطة من (د). (٧) في (هـ) يقتلوا.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٦٩ والزجاج ٤٥/٢ وغريب القرآن ١٢٥ والدر ١٤٤/٢ عن أبي صالح وعكرمة ومجاهد وعطاء والسدي.

(٩) في (هـ) على صحة ما أخبرنا.

(١٠) أبو بكر بن أبي داود: عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني الحافظ صاحب التصانيف وثقه الدارقطني فقال ثقة إلا أنه كثير الخطأ وقال الخليلي: حافظ إمام وقته عالم متفنن توفي سنة ٣١٦ هـ. (لسان الميزان ٢٩٣/٣ - ٢٩٧).

(١١) جرير بن حازم بن زيد أبو النصر الأزدي العتكي البصري سمع الحسن البصري وأبا رجاء الغطاردي ومحمد بن سيرين وروى عنه ابنه

يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس^(١)، عن عبد الرحمن بن جبير^(٢)، عن عمرو بن العاص قال:

احتلمت في ليلة باردة - وأنا في غزوة ذات السلاسل - فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي معني من الاغتسال، فقلت: إني سمعت الله يقول ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾ فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً^(٣).

فدل هذا الحديث على أن عمرأ^(٤) تناول في الآية إهلاك نفسه، لا نفس غيره ولم ينكر ذلك عليه النبي ﷺ.

- قوله جل جلاله^(٥) ﴿ومن يفعل ذلك﴾ كان ابن عباس يقول: الإشارة تعود إلى كل ما نهي عنه من أول السورة إلى هذا الموضع^(٦).

وقال قوم: الوعيد راجع إلى أكل المال بالباطل وقتل النفس المحرمة^(٧).

وقوله ﴿عدواناً وظلماً﴾ معنى «العدوان»: أن يعدوا ما أمر الله تعالى به^(٨) ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ أي: إنه قادر على إيقاع ما توعد به من إدخال النار.

- قوله عز وجل^(٩) ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه...﴾ الآية، «الاجتناب»: المباحة عن الشيء وتركه جانباً. واختلفوا في الكبائر ما هي؟

فأخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المرزكي، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا يعقوب بن

= وهب وعبد الله بن وهب وأبو عاصم النبيل وخلق ولد سنة ٨٥ وتوفي سنة ١٧٠ هـ.
(كتاب الجمع ٧٤/١).

(١) عمران بن أبي أنس العامري المصري عن سليمان الأغر وابن المسيب وعنه ابنه عبد الحميد ويزيد بن أبي حبيب صدوق توفي سنة ١١٧ هـ (حسن المحاضرة ١/٢٧٠، والميزان ٣/٢٣٤).

(٢) عبد الرحمن بن جبير المصري الفقيه الفرضي المؤذن العامري روى عن عمرو بن العاص وعقبة بن نافع وأبي الدرداء والمستورد بن شداد وغيرهم قال النسائي ثقة وذكره ابن حبان في الثقات شهد فتح مصر توفي سنة ٩٧ هـ (تهذيب التهذيب ٦/١٥٤ - ١٥٥).

(٣) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب التيمم - باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت ٧٢/١. وأبو داود في السنن - كتاب الطهارة - باب إذا خاف الجنب البرد أيتمم رقم ٣٣٤ (٩٢/١). والمستدرک - كتاب الطهارة - وصححه (١٧٧/١ - ١٧٨). كلهم من حديث عمرو بن العاص.

(٤) في (ج، هـ) عمروا.

(٥) في (ج) قوله، وفي (د، هـ) وقوله.

(٦) انظر تفسير الطبري ٨/٢٣٠ وغرائب النيسابوري ٥/٢٩ والمستدرک ١/٥٩ عن ابن عباس.

(٧) ذكره ابن عباس في تفسيره ٦٩ والطبري ٨/٢٣٠ والزجاج ٢/٤٥ وغرائب النيسابوري ٥/٢٩ عن الزجاج والدرر ٢/١٤٥ عن سعيد بن جبير وابن جريج.

(٨) في (ج) ما أمر الله به، وفي (د) ما أمر به، وفي (هـ) أن يعدوا ما أمر الله به.

(٩) في (ج، هـ) قوله تعالى وفي (د) وقوله تعالى.

إبراهيم^(١)، حدثنا إسماعيل بن علي، أخبرنا سعيد الجريري^(٢)، حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكر^(٣)، عن أبيه^(٤) قال:

كنا عند النبي ﷺ فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فاستوى جالسا قال: وشهادة الزور وقول الزور فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت».

رواه البخاري عن قيس بن حفص^(٥)، ورواه مسلم عن عمر بن الناقد^(٦) كلاهما عن إسماعيل بن علي^(٧). أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصر أبادي، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، أخبرنا محمد بن أيوب، أخبرنا العباس بن الفضل البصري^(٨)، حدثنا حرب بن شداد^(٩)، حدثنا عبد الله بن عمير الليثي^(١٠)، عن أبيه، عن جده^(١١) قال:

كنت مع النبي ﷺ في حجة الوداع فسمعتة يقول: «الكبائر سبع، أعظمن إشراف^(١٢) بالله وقتل النفس المؤمنة^(١٣)، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، فمن لقي الله وهو بريء منهن كان معي في بحبوحة الجنة^(١٤)، مصاريحها من ذهب^(١٥)».

(١) يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري أبو يوسف المدني قال ابن معين وابن سعد والعجلي ثقة زاد ابن سعد مأمون روى له البخاري توفي سنة ٢٠٨ هـ (كتاب الجمع ٥٨٨/٢، وتهذيب التهذيب ٣٨٠/١١ - ٣٨١).

(٢) في (هـ) سعيد بن الجريري.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن أبي بكر - نفع - بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج البصري هو أول مولود للإسلام بالبصرة يكنى أبا بحر - ويقال أبو حاتم - سمع أباه وعنه سعيد الجريري ومحمد بن سيرين وغيرهما قال المدائني توفي سنة ٩٦ هـ.

(٤) أبو بكر - نفع - بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن عوف الثقفي الصحابي المشهور توفي سنة ٥٢ هـ (تقريب التهذيب ٣٠٦/٢).

(٥) قيس بن حفص أبو محمد الدارمي مولاهم البصري سمع عبد الواحد بن زياد وابن علي وخالد بن الحرث روى عنه البخاري توفي سنة ٢٢٩ هـ (الجمع ٤١٨/٢).

(٦) الحافظ الكبير أبو عثمان عمرو بن محمد بن بكير بن شاور البغدادي نزيل الرقة روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وأبو يعلى والبغوي والقرطبي وخلق وقال أحمد: كان يتحرى الصدق وقال أبو حاتم: ثقة أمين توفي سنة ٢٣٢ هـ. (تذكرة الحفاظ ٤٤٥/٢ - ٤٤٦).

(٧) الحديث: رواه البخاري - كتاب الشهادات - باب ما قيل في شهادة الزور (١٠٢/٢) وفي كتاب الأدب - باب عقوق الوالدين من الكبائر - ٤٨/٤. ومسلم - كتاب الإيمان - باب بيان الكبائر وأكبرها (٥٠/١ - ٥١). كلاهما من حديث أبي بكر.

(٨) العباس بن الفضل أبو عثمان الأزرق البصري روى عن حرب بن شداد وهمام بن يحيى وعنه عباس الدوري ومحمد بن العتريس قال البخاري: ذهب حديثه قال إبراهيم بن عبد الله بن الجنيدي: سمعت يحيى ومثل عن عباس الأزرق فقال: كذاب خبيث وقال ابن معين: ضعيف (الميزان ٣٨٥/٢ - ٣٨٦) وتهذيب التهذيب ١٢٨/٥.

(٩) حرب بن شداد الشكري القطان البصري وهو القصار كنيته أبو الخطاب سمع يحيى بن أبي كثير وعنه عبد الرحمن بن مهدي وأبو داود الطيالسي توفي سنة ١٦١ هـ. (كتاب الجمع ١١١/١) وتهذيب التهذيب ٢٢٤/٢.

(١٠) عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي أبو هاشم يروي عن عائشة وابن عباس وابن عمر وثقه ابن أبي حاتم توفي سنة ١١٣ هـ (سير الأعلام ١٥٧/٤ - ١٥٨).

(١١) عمير بن قتادة بن سعد بن عامر بن جندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة الليثي الجندعي الكوفي روى عن النبي ﷺ وعنه ابنه عبيد وحده. (تهذيب التهذيب ١٤٨/٨).

(١٢) في (أ) الإشراف. (١٣) في (أ) المؤمن، وهي ساقطة من (د).

(١٤) في (ج، د) جنة «وبحبوحة الجنة: أي في وسط الجنة» (حاشية أ).

(١٥) الحديث: رواه الطبراني في الكبير ٤٨/١٧ وإسناده العباس بن الفضل الأزرق، عن حرب بن شداد عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الحميد بن سنان عن عبيد بن عمير عن أبيه. وفي إسناد آخر: «عن يحيى بن أبي كثير عن عبيد بن عمير الليثي عن أبيه (٤٧/١٧)»

وقال ابن عباس في رواية الوالبي^(١): «الكبائر» كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب ، وقال في رواية ابن سيرين^(٢): كل ما نهي عنه فهو كبيرة.

وقال الحسن وسعيد بن جبير والضحاك^(٣): كل ما جاء في القرآن مقروناً بذكر الوعيد فهو كبيرة^(٤) نحو: قتل النفس وقذف المحصنة والزنا وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف.

أخبرنا عبد القاهر بن طاهر، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، أخبرنا جعفر بن محمد بن الليث الزياتي، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا سهل، عن قيس بن سعد^(٥) عن سعيد بن جبير:

أن رجلاً قال لابن عباس: يا ابن عباس، كم الكبائر سبع هي؟ قال: هي سبعمائة^(٦) أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار^(٧).

إِنْ تَجْتَبِئُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ۚ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۗ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۚ ۚ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ وَمَا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَعَاثُوهُمْ ۗ نَصِيبُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۚ ۚ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ۖ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۗ فَالَّذِينَ حَفِظْتُ لَهُمْ ۗ فَالَّذِينَ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۗ وَالَّذِينَ تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ ۗ

(٤٨) . ومجمع الزوائد - كتاب الإيمان - باب فيما بني عليه الإسلام، رواه الطبري في الكبير ورجاله موثقون (٤٨/١) . والمستدرک - كتاب الإيمان - «وعدها تسعاً بدل سبع» (٥٩/١) .

وانظر الضعفاء الكبير «حدثنا محمد بن أيوب قال أخبرنا العباس بن الفضل الأزرق قال حدثنا حرب بن شداد قال حدثني يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ الحديث وفي الكبائر أحاديث صالحة وأسانيد من غير الوجه. (٤٥/٣)

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤٨٦/١ والدر ١٤٦/٢ وفتح القدير ٤٥٨/١ والطبري ٢٤٦/٨، كلها عن ابن عباس.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٤٨٦/١ والدر ١٤٥/٢ - ١٤٦ وفتح القدير ٤٥٨/١ والطبري ٢٤٤/٨ وغرائب النيسابوري ٣٣/٥ كلها عن ابن عباس.

(٣) انظر الزجاج ٤٥/٢ والطبري ٢٤٧/٨ عن سعيد والحسن ومجاهد والضحاك وغرائب النيسابوري ٣٤/٥ عن ابن عباس والدر ١٤٦/٢ عن سعيد والضحاك.

(٤) في (ج، هـ) كبير.

(٥) في (د) قيس بن سعيد وهو: قيس بن سعد الحبشي المكي يكنى أبا عبد الله ويقال إنه مولى نافع بن علقمة وقيل: مولى أم علقمة سمع عطاء بن أبي رباح وطاوساً وعمرو بن دينار توفي سنة ١١٩ هـ (الجمع ٤١٩/٢).

(٦) في غير (أ) سبع مائة.

(٧) انظر الزجاج ٤٦/٢ والطبري ٢٤٥/٨ والدر ١٤٦/٢ كلاهما عن سعيد بن جبير وابن كثير ٤٨٦/١ وفتح القدير ٤٥٨/١ كلاهما عن ابن عباس.

فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾

وقوله ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ يعني: ما دون الكبائر ومثل النظر والكذبة واللمسة والقبلة^(١). وهذه تقع مكفراً بالصلوات الخمس.

أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، حدثنا محمد بن عيسى بن عمرو بن إبراهيم بن محمد، حدثنا مسلم^(٢)، حدثني هارون بن سعيد الأبلبي^(٣)، حدثنا ابن وهب، عن أبي صخر^(٤)، أن عمر بن إسحاق^(٥) - مولى زائدة^(٦) - حدثه عن أبيه^(٧) عن أبي هريرة:

أن رسول الله ﷺ كان يقول: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفّرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»^(٨).

أخبرنا أبو منصور البغدادي أخبرنا القاسم بن غانم بن حمويه الطويل^(٩) حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي العبدي حدثنا عبد الله بن أبي بكر المقدمي^(١٠) حدثنا جعفر بن سليمان^(١١) سمعت مالك بن دينار^(١٢) يقول: سمعت أنس بن مالك يقول:

(١) انظر غريب القرآن ١٢٥ والوجيز للواحدي ١٤٨/١.

(٢) هو الإمام مسلم القشيري.

(٣) هارون بن سعيد بن الهيثم الأبلبي سمع ابن وهب - روى عنه مسلم توفي سنة ٢٦٣ هـ. (كتاب الجمع ٥٥٢/٢. وتذكرة الحفاظ ٥٤٨/٢).

(٤) أبو صخر: حميد بن زياد - ويقال حميد بن صخر - ويقال حماد بن زيد - الخراط المدني سمع عمر بن إسحاق مولى زائدة وأبا سلمة بن عبد الرحمن وأبا حازم بن دينار وعنه ابن وهب وحيدة ويحيى القطان وغيرهم روى له مسلم. (الجمع ٩١/١).

(٥) عمر بن إسحاق المدني مولى زائدة عن أبيه وعنه أبو صخر حميد بن زياد وأسامة بن زيد صدوق. (كتاب الجمع ٣٤٣/١ - ٣٤٤، والميزان ١٨٢/٣).

(٦) زائدة: هو ابن قدامة أبو الصلت الثقفي البكري الكوفي روى له البخاري ومسلم توفي سنة ١٦٢. (كتاب الجمع ١٥٥/١ - ١٥٦).

(٧) إسحاق أبو عبد الله مولى زائدة المدني سمع أبا هريرة روى له مسلم. (كتاب الجمع ٢٣/١).

(٨) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الطهارة - باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفّرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر (١١٧/١). ومسند أحمد ٤٠٠/٢ كلاهما من حديث أبي هريرة.

(٩) لم أقف عليه.

(١٠) عبد الله بن أبي بكر المقدمي أخو محمد يروي عن جعفر بن سليمان وحماد قال ابن عدي: ضعيف وله عن جعفر عن مالك بن دينار عن أنس مرفوعاً «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» قال أبو حاتم: هذا حديث منكر (الميزان ٣٩٨/٢ - ٣٩٩).

(١١) جعفر بن سليمان الإمام أبو سليمان الضبيعي البصري من ثقافت الشيعة وزهادهم حدث عن ثابت البناني ومالك بن دينار وأبي عمران الجوني وغيرهم وثقة ابن معين وقال ابن سعد كان ثقة فيه ضعف وقد روى له الجماعة سوى البخاري توفي سنة ٧٨ هـ. (تذكرة الحفاظ ٢٤١/١).

(١٢) مالك بن دينار من علماء البصرة وزهادها المشهورين وكان ينسخ المصاحف وثقه النسائي وغيره وقال بعضهم: صالح الحديث. وقال الأزدي: يعرف وينكر قلت استشهد به البخاري واحتج به النسائي وذكره ابن حبان في الثقات يكتنأ أبا يحيى يروي عن أنس بن مالك توفي سنة ١٣٠. (الميزان ٤٢٦/٣).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تحدثوا بهذا الحديث شاباً حدثاً^(١)، ولا شيخاً مارقاً،^(٢) إلا إن الشفاعة لأهل الكباثر من أمتي» قال: ثم تلا هذه الآية ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَاثِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سِيئاتِكُمْ وَنَدْخِلْكُمْ مَدْخِلاً كَرِيماً﴾^(٣).

وقرىء «مدخلاً» - بفتح الميم - على تقدير: وندخلكم فتدخلون مدخلاً، ومن قرأ - بضم الميم -^(٤) جاز أن يكون مصدرأ، وجاز أن يكون مكاناً^(٥)، والأولى أن يكون مكاناً لأن المفسرين قالوا في قوله ﴿مدخلاً كريماً﴾ هو الجنة^(٦).

- قوله عز وجل^(٧) ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ...﴾ الآية، قال مجاهد: قالت أم سلمة: يغزو الرجال ولا يغزو، وإنما لنا نصف الميراث، فليتنا كنا رجالاً، فجاهدنا وغزونا وكان لنا مثل أجر الرجال، فنزلت هذه الآية^(٨).

وفي هذه الآية نهي أن يتمنى أحد مال غيره، فإن ذلك هو الحسد، وقد جاء في الحديث: «لا يتمنين أحدكم مال أخيه، ولكن ليقل: اللهم ارزقني، اللهم أعطني مثله»^(٩).

وقوله^(١٠) ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ أي: من الجهاد^(١١) ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ حفظ فزوجهن،

(١) «ورجال أحداث السن، وحدثانها، وحدثاؤها، ويقال: هؤلاء قوم حدثان: جمع حدث، وهو الفتى السن، ورجل حدث: أي شاب، وكل فتى من الناس والدواب والإبل: حدث». (اللسان/حدث).

(٢) «المارق: وهو الخارج من السنة» (حاشية (أ)).

(٣) الحديث: رواه الإمام أحمد في مسنده ٢١٣/٣.

وانظر كشف الخفاء رواه أحمد وابن خزيمة بلفظ «الشفاعة لأهل الكباثر من أمتي» ولأحمد عن مالك بن دينار عن أنس بزيادة ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَاثِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ...﴾ الآية (١٠/٢) والمقاصد الحسنة، عن أنس مرفوعاً وصححه ابن خزيمة (٢٥٢).

وانظر علل الحديث للرازي «سألت أبي عن حديث رواه عبد الله بن بكر المقدمي، عن جعفر بن سليم الضبيعي عن مالك بن دينار عن أنس أن رسول الله ﷺ قال شفاعتي لأهل الكباثر من أمتي ثم قرأ ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَاثِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سِيئاتِكُمْ وَنَدْخِلْكُمْ مَدْخِلاً كَرِيماً﴾. سمعت أبي يقول: هذا حديث منكرو».

(٤) قرأ نافع (مدخلاً) - بفتح الميم - وقرأ غيره - بالضم - وحجتهم قوله (وقل رب أدخلني مدخل صدق) الإسراء / ٨٠. (انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٩ - ٢٠٠ والسبعة ٢٣٢ والنشر ٢٤٩/٢ والزجاج ٤٦/٢ والتبيان ٣٥١/١ - ٣٥٢ والتبيان ٢٥١/١ والحجة لابن خالويه ١٢٢ - ١٢٣).

(٥) في (ج) يكون موضعاً، وفي (د) يكون كله مكاناً.

(٦) انظر تفسير الطبري ٢٦٠/٨ عن السدي والدر ١٤٨/٢ - ١٤٩ عن السدي وقناة والوجيز ١٤٨/١.

(٧) في (ج) قوله تعالى، وفي (د)، (هـ) قوله.

(٨) انظر تفسير مجاهد ١٥٤ عن ابن عباس ٦٩، وابن كثير ١/٨٧ - ٤٨٨ عن مجاهد والفراء ١/٢٦٤ - ٢٦٥ والدر ٢/١٤٩ عن مجاهد وعكرمة والمستدرک - كتاب التفسير - «صحيح على شرط الشيخين إن كان مجاهد سمع من أم سلمة» (٢/٣٠٥ - ٣٠٦) والطبري ١/٢٦١، وغرائب النيسابوري ٣٧/٥ وأسباب النزول للواحدي ١١٠ وللسيوطي ٧٣ - ٧٤. والترمذي - كتاب التفسير - من سورة النساء رقم ٥٠١١ «حديث مرسل» (٤/٣٠٣ - ٣٠٤).

(٩) انظر تفسير الطبري ٢٦٣/٨ - ٢٦٤ عن الحسن وعطاء والبغوي ٥٦١١ والقرطبي ٥/١٦٤ كلاهما عن الكلبي، والطبري ١/٢٦١ وابن كثير ١/٤٨٨، وفتح القدير ١/٤٦١، والدر ٢/١٤٩ كلها عن ابن عباس. قال السيوطي في الدر «رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس».

(١٠) في (ج) أي.

(١١) في (د) قوله وللرجال.

وطاعة أزواجهن، أي: لكل واحد من الفريقين حظ من الثواب ﴿واستلوا الله من فضله﴾ أي: إن احتجتم إلى مال غيركم، وأعجبكم أن يكون لكم مثل ماله، فسلوا الله أن يعطيكم مثل ذلك من فضله.

أخبرنا أبو سعد النضروي، أخبرنا إسماعيل بن نجيد، أخبرنا محمد بن عبدوس بن كامل^(١) أخبرنا محمد بن عبد الله الرازي^(٢)، حدثنا حماد بن واقد^(٣) قال: سمعت إسرائيل بن يونس، عن أبي إسحاق الهمداني، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود^(٤) قال:

قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله من فضله، فإنه يحب أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج»^(٥).

- قوله عز وجل^(٦) ﴿ولكل﴾ أي: ولكل واحد من الرجال والنساء ﴿جعلنا موالى﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد^(٧): عصبه، وقال السدي: ورثة^(٨).

﴿مما ترك الوالدان والأقربون﴾ أي: يرثون، أو يعطون ما ترك والداه وأقربوه^(٩) من ميراثهم له ﴿والذين عاقدت^(١٠) أيمانكم﴾ يعني: الحلفاء في قول جميع المفسرين^(١١).

وكان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل ويقول له: دمي دمك، وناري نارك، وحربي حربك، وسلمي سلمك، وترثني وأرثك، فلما قام الإسلام جعل للحليف السدس وهو قوله ﴿فآتوهم نصيبهم﴾ ثم نسخ ذلك بقوله ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾^(١٢).

(١) الحافظ الثبت المأمون محمد بن عبدوس بن كامل السلمى البغدادي السراج أبو أحمد صديق عبد الله بن أحمد بن حنبل، وأكثر الناس عنه لثقتة وضبطه توفي سنة ٢٩٣ هـ. (تذكر الحفاظ ٦٨٣/٢ - ٦٨٤).

(٢) محمد بن عبد الله الكوفي ثم الرازي المقري ولقبه داهر حدث عن ليث بن أبي سليم والأعمش وعنه ابنه عبد الله وحميد بن زنيح تكلم فيه أبو حاتم ولم يُرك. (الميزان ٦٠٣/٣).

(٣) حماد بن واقد العيشي أبو عمرو الصغار روى عن إسرائيل بن يونس وغيره قال ابن معين: ضعيف وقال البخاري: منكر الحديث له عند الترمذي حديث واحد وهو «انتظار الفرج» وأعلمه. (تهذيب التهذيب ٢١/٣).

(٤) في (٥) عن أبي مسعود.

(٥) الحديث: رواه الترمذي: - في جامعه - كتاب الدعوات باب في انتظار الفرج رقم ٣٦٤٢ قال الترمذي «هكذا روى حماد بن واقد هذا الحديث وحماد ليس بالحافظ، وروى أبو نعيم هذا الحديث عن إسرائيل عن حكيم بن جبير عن رجل عن النبي ﷺ «وحدث أبي نعيم أشبه أن يكون أصح» (٢٢٥/٥ - ٢٢٦).

والطبراني في الكبير ١٢٥/١٠ والطبري ٢٦٨/٨ وابن كثير ٤٨٨/١، كلهم من حديث ابن مسعود.

(٦) في غير (أ) قوله.

(٧) انظر تفسير مجاهد ١٥٤ والثوري ٩٣ وغريب القرآن ١٢٥، والطبري ٢٧٠/٨ - ٢٧١، عن مجاهد وقتادة وابن زيد، وابن كثير ٤٨٩/١، وفتح القدير ٤٦٢/١ كلاهما عن ابن عباس والدرر ١٥٠/٢ عن ابن عباس وابن زيد ومجاهد.

(٨) ذكره ابن عباس في تفسيره ص ٦٩، والطبري ٢٧٠/٨ - ٢٧١ عن ابن عباس والسدي وابن كثير ٤٨٨/١ - ٤٨٩ عن ابن عباس وفتح الباري ١٩٩/٨ عن ابن عباس.

(٩) في (٥) أو أقربوه. (١٠) في جميع النسخ (عاقدت) وهي قراءة وستاتي.

(١١) انظر تفسير مجاهد ١٥٥ والثوري ٩٤ والزجاج ٤٦/٢ وغريب القرآن ١٢٦ وفتح الباري ٢٠٠/٨ والطبري ٢٧٤/٨ - ٢٧٥ عن عكرمة والحسن وسعيد بن جبير وابن عباس، وقتادة وتفسير قتادة - ١٠٠ والدرر ١٥٠/٢ عن ابن عباس وسعيد وقتادة ومجاز القرآن ١٢٥/١ والناسخ لابن سلامة ١٣٢ - ١٣٤.

(١٢) سورة الأحزاب/ ٦.

وقريء «عقدت^(١)» وكلا القرائتين معناهما واحد، أي: أحكمت أيمانكم^(٢) و«الأيمان»: يحتمل أن يكون جمع يمين من اليد، ويحتمل أن يكون من القسم وذلك أنهم كانوا يضربون صفقة البيعة بأيمانهم، ويأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد، ويتحالفون عليه أيضاً.

وقوله ﴿إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾^(٣) قال عطاء^(٤): يريد لم يغب عنه علم ما خلق ويرا^(٥).

- قوله جل جلاله^(٦) ﴿الرجال قوامون على النساء...﴾ الآية، قال المفسرون لطم رجل امرأته فجاءت إلى النبي^(٧) ﷺ تطلب القصاص، فنزلت هذه الآية^(٨).

ومعنى قوله ﴿قوامون على النساء﴾ مسلطون على تأديبهن، والأخذ فوق أيديهن فعلى المرأة أن تطيع زوجها في طاعة الله.

و«القوام»: المبالغ في القيام، يقال: هذا قيم المرأة وقوامها للذي يقوم بأمرها ويحفظها. قال المفسرون: وليس بين المرأة وزوجها قصاص إلا في النفس والجروح وكان النبي^(٩) ﷺ قد أوجب القصاص في اللطم، فلما نزلت هذه الآية قال:

«أردنا أمراً، وأراد الله أمراً، والذي أراد الله خير» ورفع القصاص^(٩).

وقوله^(١٠) ﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ يعني: بما فضل الله الرجال على النساء بالعقل والجسم والعلم والعزم والجهاد والشهادة والميراث.

وقوله ﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾ يعني: المهر والإنفاق عليهن.

أخبرنا الأستاذ الإمام أبو طاهر الزيادي، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال، أخبرنا^(١١) أحمد بن منصور المروزي، أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، لما عظم الله من حقه عليها»^(١٢).

(١) في (ج) وعقدت وكلي، وفي (د) عقدت وكلي وفي (هـ) وعقدت وكلي.

(٢) قرأ عاصم وحمره والكسائي (عقدت) - بغير ألف - وحجتهم أن الأيمان عقدت بينهم لأن في قوله (أيمانكم) حجة على أن أيمان الطائفتين هي عقدت ما بينهما وفي إسناد الفعل إلى الأيمان كفاية في الحجة. وقرأ الباقر (عاقدت) بالألف - وحجتهم: أن العقد كان من الفريقين. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٠١ - ٢٠٢، والسبعة ٢٣٣، والنشر ٢٤٩/٢، والتبيان ١/٣٥٣ والحجة لابن خالويه ١٢٣).

(٣) في (د) الآية.

(٤) انظر تفسير الخازن ١/٥١٨ عن عطاء والبحر ٣/٢٣٨ وغرائب النيسابوري ٤٠/٥.

(٥) في (ج) وبري.

(٨) انظر تفسير مجاهد ١٥٥ ومسند أحمد ٤٤٤/٥ عن سويد بن مقرن ومنتخب الكنز ١/٤٣٠ عن علي والدرر ٢/١٥١ عن الحسن وابن كثير ١/٤٩١ عن علي والحسن وفتح القدير ١/٤٦٢، والطبري ٨/٢٩١ عن الحسن وقتادة وفي غرائب النيسابوري «عن مقاتل أن سعد بن الربيع - وكان من نقباء الأنصار - نثرت عليه امرأته حبيبة بنت سويد بن أبي زهير فطمها». ٤١/٥، وكنز العمال ٢/٣٨٧ - ٣٨٨، عن

علي، والرازي ١٠/٨٨ عن ابن عباس وأحكام القرآن لابن العربي ١/٤١٥ عن الحسن.

(٩) المصادر السابقة. (١٠) في (د) قوله. (١١) في (د) حدثنا.

(١٢) الحديث: تقدم عند تفسير الآية ٢٢٨ من سورة البقرة.

أخبرنا أبو إبراهيم أبي القاسم الصوفي، أخبرنا بشر بن أحمد المهرجاني، أخبرنا محمد بن يحيى بن سليمان المرزوي، حدثنا خلف بن هشام^(١) حدثنا حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد^(٢)، عن بشير بن يسار^(٣) عن حصين بن محصن^(٤)، أن عمته^(٥) أتت النبي ﷺ فقالت:

«ألك بعل؟ فقالت^(٦): نعم، قال: فكيف أنت له؟ قالت: ما أنوه^(٧) إلا ما أعجز عنه، فقال لها: اعلمي أنه جنتك و نارك»^(٨).

وقوله^(٩) «فالصالحات» يعني النساء الصالحات «قانتات» مطيعات لأزواجهن «حافظات للغيب» قال مجاهد وقتادة: لغيب^(١٠) أزواجهن، وقال أبو روق: يحفظن فروجهن في غيبة أزواجهن^(١١). «بما حفظ الله» أي: بما حفظهن الله^(١٢) في إيجاب المهر والنفقة وإيصاء الزوج بهن.

^(١٣) «واللاتي تخافون نشوزهن» والنشوز» ها هنا: معصية الزوج وهو الترفع عليه بالخلاف^(١٤)، قال عطاء^(١٥): هي أن لا تتعطر له، وتمنعه نفسها وتتغير عما كانت تفعله من الطوعية. «فعضوهن» بكتاب الله وذكرهن الله وما أمرهن به «واهجرهن في المضاجع» قال ابن عباس^(١٦): هو أن يوليها ظهره على الفراش ولا يكلمها، وقال

(١) الإمام أبو محمد خلف بن هشام البزار شيخ القراء والمحدثين ببغداد سمع من مالك بن أنس وطبقته وله اختيار خالف فيه حمزة في أماكن وكان عابداً صالحاً كثير العلم صاحب سنة توفي سنة ٢٢٩ هـ (شذرات الذهب ٦٧/٢، والمعبر ٣١٨/١).

(٢) يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو بن ثعلبة أبو سعد المدني القاضي قال ابن سعد والمعجلي والنسائي: ثقة زاد ابن سعد: ثبت حجة وزاد النسائي: مأمون توفي سنة ١٤٦ (كتاب الجمع ٥٦١/٢ وتهذيب التهذيب ٢٢١/١١ - ٢٢٣).

(٣) بشير بن يسار المدني - مولى الأنصار - سمع رافع بن خديج وأنس بن مالك وسويد بن النعمان، وعنه يحيى بن سعيد الأنصاري وغيره (كتاب الجمع ٥٥/١).

(٤) حصين بن محصن الأنصاري المدني روى عن عمته له لها صحبة وعن هرمي بن عمرو الواقفي وعنه بشير بن يسار وغيره ذكره ابن حبان في الثقات روى له النسائي ويقال له صحبة. (تهذيب التهذيب ٣٨٩/٢).

(٥) يقال اسمها: أسماء وهي صحابية لها حديث (تهذيب التهذيب ٤٨٨/١٢). وعن الطبراني في الكبير (نساء غير منميات ممن لهن صحبة) (١٨٣/٢٥).

(٦) في غير (أ) قالت.

(٧) «من الأول، وهو التقصير» (حاشية ١).

(٨) الحديث: رواه الطبري في الأوسط ٣٢١/١ ومسند أحمد ٣٤١/٤ ومسند الحميدي ١٧٢/١ والمستدرک - كتاب النكاح - باب حق الزوج على زوجته «وصححه» ١٨٩/٢ ومجمع الزوائد - كتاب النكاح - باب حق الزوج على المرأة «رواه أحمد والطبراني ورجال رجال الصحيح» ٣٠٦/٤، والدرر ١٥٢/٢. كلهم من حديث حصين.

(٩) في (د) قوله والصالحات.

(١٠) في (د) للغيب، وانظر تفسير ابن عباس ٦٩ وغريب القرآن ١٢٦ والدرر ٥١/٢ وفتح القدير ٤٦٢/١ كلاهما عن مجاهد وقتادة والقراء ٢٦٥/١ والطبري ٢٩٥/٨ عن قتادة.

(١١) انظر تفسير الطبري ٢٩٥/٨ عن السدي وسفيان والدرر ١٥١/٢. عن مقاتل وفتح القدير ٤٦٢/٢١.

(١٢) في (هـ) بما حفظ الله لهن.

(١٤) انظر تفسير الطبري ٢٩٩/٨ وحاشية أ.

(١٥) ذكره أبو حيان في البحر ٢٤١/٣ عن عطاء والطبري ٣٠٠/٨ عن عطاء.

(١٦) انظر تفسير ابن كثير ٤٩٢/١ والدرر ١٥٥/٢، وأحكام القرآن ٤١٨/١ كلها عن ابن عباس والطبري ٣٠٢/٨ - ٣٠٣ عن السدي والضحاك.

الشعبي ومجاهد^(١): هو أن يهجر مضاجعتها فلا يضاعفها^(٢).

﴿واضربوهن﴾ يعني: ضرباً غير مبرح^(٣)، قال ابن عباس^(٤): أدباً مثل اللكزة. وللزوج أن يتلافى نشوز امرأته بما أذن الله له^(٥) فيه، ومما ذكر في هذه الآية.

﴿فإن أظعنكم﴾^(٦) أي: فيما يلتمس منهن^(٧) ﴿فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾ قال ابن عباس: لا تتجنوا عليهن العلل^(٨).

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٥﴾ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾

- قوله جل جلاله^(٩) ﴿وإن خفتم﴾ أي: علمتم ﴿شقاق بينهما﴾ أي: عداوة وخلاف ما^(١٠) بينهما ﴿فابعثوا حكماً من أهله﴾ المأمور ببعث الحكمين السلطان الذي يتراعى الزوجان^(١١) فيما شجر بينهما إليه و«الحكم»: بمعنى الحاكم وهو المانع من الظلم.

وقوله ﴿من أهله وحكماً من أهلها﴾ أي: من أقارب هذا وأقارب تلك ﴿إن يريدان إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾ قال عامة المفسرين^(١٢): إن أراد الحكمان إصلاحاً يوفق الله بين الزوج والمرأة حتى يصطلحا.

(١) في (د) مجاهد والشعبي.

(٢) انظر تفسير مجاهد ١٥٦ والطبري ٣٠٤/٨ عن مجاهد والشعبي وإبراهيم، وابن كثير ٤٩٢/١ عن مجاهد والشعبي وقيادة وغيرهم، وأحكام القرآن ٤١٨ عن الشعبي وقيادة والحسن وإبراهيم وغيرهم.

(٣) والبرح: الشر والعذاب الشديد وضربه ضرباً مبرحاً: شديداً، وضرباً غير مبرح: أي غير شاق (اللسان/برح).

(٤) انظر تفسير الطبري ٣١٤/٨ عن ابن عباس.

لكزه يكره لكزاً: وهو الضرب بالجمع في جميع الجسد، أي ضربه بجمع كفه. (اللسان/لكز، والمصباح/لكز).

(٥) في (أ) بما أذن الله فيه، وفي (ج، هـ) بما أذن الله له.

(٦) في (أ) قال. (٧) ساقطة من (أ).

(٨) انظر تفسير الطبري ٣١٧/٨، والدر ١٥٥/٢ كلاهما عن ابن عباس وغريب القرآن ١٢٦ ومجاز القرآن ١٢٥/١، والفراء ٢٦٥/١، والوجيز للواحد ١٥٠/١.

(٩) في (ج، د) قوله، وفي (هـ) وقوله.

(١٠) في (ج) عداوة وخلافاً. وفي (د) قوله فابعثوا.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٧٠ ومجاهد ١٥٦، وأحكام القرآن لابن العربي ٤٢٦/١ عن ابن عباس ومجاهد والزجاج ٥٠/٢ والطبري

(١٢) ٣٢٠/٨ - ٣٢١ عن علي ٣٣٢/٨ عن مجاهد وسعيد بن جبير وابن عباس والسدي وغيرهم، والدر ١٥٦/٢ - ١٥٧ عن ابن عباس

والحسن وقيادة وعلي ومجاهد

﴿إن الله كان عليماً﴾ بما في قلب الزوجين من المودة ﴿خبيراً﴾ بما يكون منهما.

- قوله عز (١) وجل ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾.

أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المهرجاني (٢)، أخبرنا عبيد الله بن محمد الزاهد (٣)، أخبرنا أبو القاسم البغوي (٤)، أخبرنا عبيد الله بن محمد العسي (٥) حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي المليح (٦)، عن روح بن عائد (٧)، عن أبي العوام (٨) عن معاذ بن جبل قال:

كنت رديفاً للنبي ﷺ على جمل أحمر فقال: «يا معاذ، قلت: لبيك (٩)، قال: هل تدري ما حق الله على العباد قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً (١٠)، هل تدري ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حقهم على الله إذا هم فعلوا ذلك أن يغفر لهم وأن يدخلهم الجنة» (١١).

أخبرنا المفضل بن إسماعيل بن أحمد الإسماعيلي، أخبرنا جدي الإمام أبو بكر الإسماعيلي، حدثنا عبد الله بن الصقر السكري (١٢)، حدثنا أحمد بن المقدم، حدثنا عبد الله بن خراش (١٣)، حدثنا العوام بن حوشب (١٤)، عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن ابن مسعود قال:

أتى النبي ﷺ أعرابي فقال: يا نبي الله أوصني، قال «لا تشرك بالله شيئاً، وإن قطعت أو حرقت، ولا تدع الصلاة لوقتها، فإنها ذمة الله تعالى (١٥)، ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر (١٦)» (١٧).

(٢، ٣، ٤) سبق.

(١) في (ج) قوله وفي (د، هـ) قوله تعالى.

(٥) عبيد الله بن محمد أبو محمد العسي الحافظ الثبت الكوفي المقرئ قال ابن معين وأبو حاتم: ثقة زاد حاتم: صدوق توفي سنة ٢١٣ هـ. (تذكرة الحفاظ ١/٣٥٣ - ٣٥٤).

(٩) في (ج، هـ) فقلت.

(٦) أبو المليح: عامر بن أسامة.

(١٠) في (د) قال.

(٧، ٨) لم أقف عليهما.

(١١) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب الجهاد - باب اسم الفرس والحمار (١٤٦/٢) ومسلم - كتاب الإيمان - باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (٣٣/١، ٣٤) والترمذي - كتاب الإيمان - باب افتراق هذه الأمة - رقم ٢٧٨١ «حسن صحيح» (٤/١٣٥ - ١٣٦) ومسنده أحمد ٥/٢٣٤، كلهم عن حديث معاذ بالفاظ متقاربة.

(١٢) عبد الله بن الصقر بن نصر بن موسى بن هلال بن عيسى بن عبد الله بن راشد أبو العباس السكري كان ثقة وقال الدارقطني: صدوق توفي سنة ٣٠٢ هـ. (تاريخ بغداد ٩/٤٨٢ - ٤٨٣).

(١٣) عبد الله بن خراش بن حوشب عن عمه العوام بن حوشب ضعفه الدارقطني وغيره وقال النسائي: ليس بالقوي وقال أبو زرعة ليس بشيء وقال أبو حاتم ذاهب الحديث وهو أخو شهاب قال البخاري: منكر الحديث ذكره البخاري فيمن مات بين الستين والسبعين ومائة (الميزان ٢/٤١٣، وتهذيب التهذيب ٥/١٩٨).

(١٤) العوام بن حوشب بن يزيد الشيباني أبو عيسى الواسطي قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: ثقة وقال ابن معين وأبو زرعة ثقة توفي سنة ١٤٨ هـ.

(١٦) في (هـ) شيء.

(١٥) في (ج، هـ) الله عز وجل.

(١٧) الحديث: رواه ابن ماجه في السنن - كتاب الفتن - باب الصبر على البلاء رقم ٤٠٣٤ عن أبي الدرداء (٢/١٣٣٩).

ومجمع الزوائد - كتاب الوصايا - باب وصية رسول الله رواه الطبراني وفيه شهر بن حوشب وحديثه حسن وبقية رجاله ثقات «عن أبي الدرداء» (٤/٢١٦، ٢١٧)، والفتح الرباني ١٩/٢٩٨ عن معاذ والترغيب والترهيب ١/١٩٥ عن أبي الدرداء، ١/١٩٦ عن معاذ وعن أميمة مولاة رسول الله ﷺ، كلها بالفاظ متقاربة.

قوله^(١) ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ قال ابن عباس^(٢): برأ بهما مع اللطف ولين الجانب ولا يغلظ لهما في الجواب، ولا يحد النظر إليهما، ولا يرفع صوته عليهما يكون بين أيديهما مثل العبد بين يدي السيد تدللاً لهما.

﴿وبذي القربى﴾ قال^(٣): يصله ويتعطف عليه ﴿واليتامى﴾ يرفق بهم ويدنيههم ويمسح رأسهم^(٤) ﴿والمساكين﴾ يبذل يسير^(٥)، أو رد جميل ﴿والجار ذي القربى﴾ يعني: الذي بينك وبينه قرابة، فله حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام ﴿والجار الجنب﴾ هو الذي ليس بينك وبينه قرابة، يقال: رجل جنب إذا كان غريباً متباعداً عن أهله، وقوم^(٦) أجنب، والجنبابة: البعد.

أخبرنا أبو طاهر الزيايدي أخبرنا أحمد بن يعقوب الثقفي^(٧)، أخبرنا الحسن المثنى، حدثنا عفان بن مسلم حدثنا محمد بن طلحة^(٨)، عن زبيد^(٩) عن مجاهد، عن عائشة:

أن النبي ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»^(١٠).

أخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق^(١١)، حدثنا محمد بن الحسن السراج، حدثنا يوسف بن يعقوب القاضي^(١٢)، حدثنا سليمان بن حرب^(١٣)، حدثنا شعبة، حدثنا أبو عمران الجوني، قال: سمعت طلحة^(١٤)، يقول^(١٥): إن عائشة

(١) في (د) وقوله.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٧٠ والطبري ٣٣٤/٨ والرازي ٩٥/١٠ وغرائب النيسابوري ٣٢٤/١ والخازن ٥٢٢/١.

(٣) في (د) أي ومن (أ).

(٤) انظر غرائب النيسابوري ٣٢٥/١ عن ابن عباس.

(٥) في (ج) وقومه، (وانظر المصباح المنير/ جنب، ومفردات الراغب/ جنب واللسان / جنب).

(٦) أحمد بن يعقوب بن أحمد بن مهران الثقفي النيسابوري الزاهد، أبو سعيد العابد الثقة توفي سنة ٣٤٠ هـ. (تاريخ الإسلام جزء من ستة الذهب ٣٢٨ - ٣٤٥ ص ٢٠٦).

(٨) محمد بن طلحة بن مصرف اليمامي الكوفي قال النسائي ليس بالقوي وقال العجلي ثقة وقال العقيلي عن أحمد ثقة قال ابن معين: ضعيف صدوق وله أوهام توفي سنة ١٧٦ وقيل سنة ١٦٦ هـ (تقريب التهذيب ١٧٣/٢ وتهذيب التهذيب ٢٣٨/٩ - ٢٣٩، وشذرات الذهب ١/١٦٤).

(٩) زبيد بن الحارث بن عبد الكريم اليمامي الكوفي من بني يام بن رافع بن مالك بن همدان يكنى أبا عبد الرحمن - ويقال أبو عبد الله - سمع أبا وائل والشعبي وإبراهيم ومجاهداً وعنه محمد بن طلحة وغيره قال يحيى القطان: زبيد ثبت وقال أبو حاتم وغيره ثقة توفي سنة ١٢٤ هـ (سير الأعلام ٢٩٦/٥ - ٢٩٨ والجمع ١/١٥٥).

(١٠) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب الأدب - باب الوصاة بالجار (٥٣/٤) ومسلم - كتاب البر والصلة - باب الوصية بالجار والإحسان إليه ٤٤٥/٢ والترمذي - كتاب البر والصلة - باب ما جاء في حق الجوار رقم (٢٠٠٨) ٢٢٤/٣ كلهم من حديث عائشة. (١١) في (هـ) أبو عبد الله بن إسحاق.

(١٢) يوسف بن يعقوب القاضي أبو محمد الأزدي ولي قضاء البصرة وواسط ثم الجانب الشرقي ولد سنة ٢٠٨ هـ وسمع مسلم بن إبراهيم وسليمان بن حرب وطبقتهما وصف السنن وكان حافظاً ديناً عفيفاً مهيباً قال ابن ناصر الدين ثقة توفي سنة ٢٩٧ هـ. (شذرات الذهب ٢/٢٢٧).

(١٣) سليمان بن حرب الحافظ أبو أيوب الواشحي الأزدي البصري قاضي مكة سمع شعبة والحمادين وطبقتهما وعنه أحمد وإسحاق وأبو زرعة وأبو حاتم وأبو داود والبخاري توفي سنة ٢٢٤ هـ (تذكرة الحفاظ ١/٣٩٣).

(١٤) طلحة بن عبد الله بن عثمان بن عبيد الله بن معمر التيمي القرشي سمع عائشة وعنه أبو عمران الجوني روى له البخاري في «الشفعة» وحديث «إن لي جارين» (الجمع ١/٢٣٢ - ٢٣٣).

(١٥) من (د).

قالت: يا رسول الله إن لي جارين فأيهما أبدأ؟ فقال: بأقربهما منكم باباً». رواه البخاري عن حجاج بن منهال^(١)، عن شعبة^(٢).

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن معقل، حدثنا محمد بن يحيى الذهلي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذني جاره».

رواه مسلم عن حرملة، عن ابن وهب، عن يونس عن الزهري^(٣).

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الزمخاري، حدثنا عبد الله بن بيان الحريري^(٤) حدثنا علي بن حسنيبه القطان^(٥)، حدثنا محمد بن عبد الله المنادي^(٦)، حدثنا أبو هذبة^(٧)، عن أنس بن مالك قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن الجار ليتعلق بالجار يوم القيامة يقول^(٨): يا رب أوسعت علي أخي وقترت علي، أمسى طويلاً بطني، ويمسي هذا شعبان، سله لم أغلق بابه عني وحرمني ما قد أوسعت عليه، فالجار متعلق بالجار يوم القيامة^(٩)».

وقوله^(١٠) «والصاحب بالجنب» قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والضحاك^(١١) هو الرفيق في السفر، له حق الجوار وحق الصحبة.

«وابن السبيل» هو الضيف يجب قراه^(١٢) إلى أن يبلغ حيث يريد، قال ابن عباس: هو عابر السبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل عنك^(١٣).

(١) حجاج بن منهال السلمى مولاهم الأنطاقي البصري أبو محمد سمع شعبة وجريز بن حازم وابن عيينة وعنه البخاري توفي سنة ٢١٧ هـ (كتاب الجمع ١/٩٩).

(٢) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب الأدب - باب حق الجوار في قرب الأبواب، عن عائشة (٥٤/٤).

(٣) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الإيمان - باب الحث على إكرام الجار والضيف من حديث أبي هريرة (٣٨/١ - ٣٩).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) علي بن حسنيبه أبو الحسن القطان حدث عن محمد بن زياد الزيايدي وإسحاق الشهيدى ويحيى بن حكيم وغيرهم وكان ثقة توفي سنة ٣٠٠ هـ. (تاريخ بغداد ١١/٤٢١ - ٤٢٢).

(٦) في (ج) محمد بن محمد بن عبد الله... وهو: محمد بن عبد الله بن يزيد بن أبي داود المنادي أبو جعفر البغدادي قال أبو حاتم صدوق وقال عبد الله بن أحمد ومحمد بن عبدوس بن كامل: ثقة توفي سنة ٢٧٢ هـ (تهذيب التهذيب ٩/٣٢٥ - ٣٢٦).

(٧) أبو هذبة: إبراهيم بن هذبة الفارسي ثم البصري حدث ببغداد وغيرها بالأباطيل قال عباس عن ابن معين: قدم أبو هذبة فاجتمع عليه الخلق فقالوا: أخرج رجلك، كانوا يخافون أن تكون رجله رجل حمار أو شيطان وقيل: كان رقاصاً بالبصرة يدعى إلى العرائس فيرقص لهم قال النسائي وغيره: متروك توفي بعد المائتين (الميزان ١/٧١ - ٧٢).

(٨) وقد كذب ابن معين وعلي وقال أبو حاتم بن حبان هو دجال لا يحل لمسلم أن يكتب حديثه (الموضوعات لابن الجوزي ٣/٢٣٥).

(٩) في (ج)، (د) فيقول.

(١٠) انظر كنز العمال ٥٧/٩ عن أنس، وذكره الذهبي في الميزان في ترجمة بشير بن زياد الخراساني «قال ابن عدي له ما ينكر» ثم ذكر الحديث (الميزان ١/٣٢٨).

(١١) في (د) قوله.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ٧٠ ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبيرة وعكرمة والضحاك والسدي، ومجاز القرآن ١/١٢٦ والزاهر ٢/٣٠٤. وابن كثير ١/٤٩٥ عن مجاهد وابن عباس وعكرمة وقتادة، والدرر ٢/١٥٩ عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة.

(١٣) في (هـ) قراوه، «وقرى الضيف: أضافه، وأحسن إليه» (اللسان / قرا). وانظر غريب القرآن ١٢٧، والزاهر ٢/٣٠٤.

(١٤) في (هـ) يرتحل عنك، وانظر تفسير ابن كثير ١/٤٩٥ عن ابن عباس، والطبري ٨/٣٤٦ عن مجاهد والربيع.

﴿وما ملكت أيما نكم﴾ يريد: المملوك، تحسن رزقه، وتعفو عنه فيما يخطىء. وقوله ﴿إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾ قال ابن عباس: يريد بـ «المختال»: العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الله، و«الفخور»: الذي يفخر على عباد الله بما حوله الله من كرامته وما أعطاه من نعمته^(١).

أخبرنا أحمد بن الحسن الحرشي، أخبرنا حاجب بن أحمد، حدثنا عبد الرحيم بن منيب، أخبرنا النضر بن شمیل، أخبرنا عوف، عن خلاص بن عمرو^(٢)، عن أبي هريرة:

أن رسول الله ﷺ قال «بينما رجل شاب ممن كان قبلكم يمشي في حلة مختالاً فخوراً، إذ ابتلعت الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم تقوم الساعة^(٣)»^(٤).

أخبرنا أبو طاهر الزيايدي، حدثنا أبو حامد البلالي، حدثنا عبد الرحمن بن بشر^(٥)، حدثنا بشر بن السري^(٦)، حدثنا حنظلة بن أبي سفيان^(٧)، عن سالم^(٨) قال: سمعت^(٩) ابن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من جر ثوبه من الخيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة^(١٠)».

أخبرنا المفضل بن إسماعيل الإسماعيلي، أخبرني جدي الإمام أبو بكر الإسماعيلي، أخبرني إسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان الأنماطي^(١١)، حدثنا هشام بن عمار عن سعيد بن يحيى اللخمي^(١٢)، حدثنا عبد الله بن أبي

(١) انظر تفسير ابن عباس ص ٧٠ بنحوه، والطبري ٣٥٠/٨ وغرائب النيسابوري ٤٧/٥ عن ابن عباس.

(٢) خلاص بن عمرو الهجري البصري سمع أبا هريرة وأبا رافع روى عنه عوف الأعرابي وقتادة، قال أحمد ثقة ثقة وقال أبو داود ثقة لم يسمع من علي وقال ابن معين ثقة مات قبل المائة (الجمع ١٢٨/١، والميزان ٦٥٨/١).

(٣) في (د، هـ) القيامة.

(٤) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب اللباس - باب من جر ثوبه من الخيلاء (٢٤/٤) ومسلم - كتاب اللباس والزينة - باب تحريم التبخر في المشي مع إعجابه بثيابه (٢٣٨/٢ - ٢٣٩).

(٥) عبد الرحمن بن بشر بن الحكم بن حبيب بن مهران العبدي أبو محمد النيسابوري قال ابن أبي حاتم: صدوق توفي سنة ٢٦٠ (تهذيب التهذيب ١٤٤/٦ - ١٤٥).

(٦) بشر بن السري الأفيه العصري سكن مكة وكان صاحب مواعظ يتكلم بها، فسمي الأفوه يكنى أبا عمرو سمع حماد بن سلمة وسفيان الثوري وطائفة وعنه علي بن المدني وغيره روى له البخاري ومسلم توفي سنة ١٩٥ (كتاب الجمع ٥٢/١).

(٧) حنظلة بن أبي سفيان الجمحي القرشي من أهل مكة - واسم أبي سفيان - الأسود - سمع سالمًا وعكرمة بن خالد والقاسم ورافعًا، وعنه إسحاق بن سليمان الرازي وأبو عاصم ومكي بن إبراهيم وعبد الله بن نمير ووکیع توفي سنة ١٥١ هـ. (كتاب الجمع ١١٠/١).

(٨) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عمر العدوي سمع أباه وأبا هريرة وغيرهما وعنه حنظلة بن أبي سفيان وطائفة قال العجلي وابن سعد: ثقة توفي سنة ١٠٦ هـ. (كتاب الجمع ١٨٨/١ وتهذيب التهذيب ٤٣٦/٣ - ٤٣٨).

(٩) في (ج، هـ) عن سالم سمعت ابن عمر، وفي (د) عن سالم قال ابن عمر.

(١٠) الحديث: رواه البخاري - كتاب بدء الخلق - باب مناقب المهاجرين ٢/٢٩٠ وفي كتاب اللباس - باب من جر إزاره من غير خيلاء، وباب من جر ثوبه من الخيلاء ٢٣/٤ - ٢٤.

ومسلم في الصحيح - كتاب اللباس والزينة - باب تحريم جر الثوب خيلاء ٢/٢٣٧. والترمذي - كتاب اللباس - باب ما جاء في كراهية جر الإزار - رقم ١٧٨٤ وفي باب ما جاء في جر ذيول النساء - رقم ١٧٨٥ (١٣٧/٣) وأبو داود - كتاب اللباس - باب في قدر موضع الإزار - رقم ٤٠٩٤ (٦٠/٤) ومصنف ابن أبي شيبة ١٩٩/٨ كلهم من حديث ابن عمر بروايات متقاربة.

(١١) في (أ، هـ) إسحاق بن إبراهيم وهو: إسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان أبو يعقوب الأنماطي سمع من هشام وغيره وثقه الدارقطني توفي سنة ٣٠٢ هـ. (تاريخ بغداد ٦/٣٨٤ - ٣٨٥).

(١٢) سعيد بن يحيى اللخمي سعدان أبو يحيى الكوفي نزيل دمشق عن الأعمش وابن أبي خالد وعنه هشام بن عمار وعلي بن حجر وعدة =

حميد^(١)، عن أبي المليح، عن عباد بن حصين^(٢)، قال:

إنطلقنا حاجين فمررنا على أبي ذر، فقلنا: حدثنا عن النبي ﷺ قال:

ثلاثة لا خلاق لهم: المختال الفخور، ثم قرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾، والمنان الذي لا يفعل خيراً إلا من به، ثم قرأ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^(٣)، والذي يشتري بيمينه ثمناً قليلاً ثم قرأ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ءَأُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي ءَآخِرَةِ﴾^(٤).

- قوله عز وجل^(٥) ﴿الَّذِينَ يَخْلُونُ﴾ نزلت في اليهود، قال قتادة^(٦): هم أعداء الله أهل الكتاب، بخلوا بحق الله عليهم، وكتبوا الإسلام ومحمداً، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة. قال الكلبي^(٧): هم اليهود بخلوا أن يصدقوا من أتاهم صفة محمد ﷺ ونعته، وأمروا قومهم بالبخل وهو كتمان أمره، وذلك قوله ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ﴾.

وقرىء «بالبخل» وهما لغتان^(٨)، مثل: الثكلى والثكل^(٩).

قال^(١٠): يأمرون سفلتهم بكتمان نعت محمد ﷺ ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال ابن عباس^(١١): يزيد العلم بما في التوراة مما عظم الله به أمر محمد ﷺ وأمه.

ثم أوعدهم بالنار فقال ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ^(١٢) عَذَابًا مُهِينًا﴾ وهو النار يذللهم الله فيها ويخزيهم.

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ ءَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِءِآيَاتِهِ ءَآخِرَةُ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ

= وثقه ابن حبان فقال: ثقة مأمون وقال أبو حاتم: محله الصدق وقال الدارقطني: ليس بذلك (الميزان ١٦٢/٢ - ١٦٣).

(١) في (أ، ج، د) عبيد، وهو: عبد الله بن أبي حميد أبو الخطاب عن أبي المليح الهذلي ضعفه محمد بن المشي وقال البخاري منكر الحديث وقال النسائي متروك وقال أحمد: ترك حديثه. (الميزان ٥/٣).

(٢) في (د) عباد بن الحسن وهو: عباد بن حصين بن يزيد بن عمرو الحبطي التميمي أبو جهضم فارس تميم في عصره توفي سنة ٨٥ هـ. (الأعلام ٢٨/٤).

(٣) سورة البقرة/٢٦٤.

(٤) سورة آل عمران/٧٧.

الحديث: انظر المستدرک - كتاب الجهاد - بنحوه عن أبي ذر ٨٨/٢ - ٨٩. والفتح الرباني ١٩ / ١٨٨ - ١٨٩ بنحوه عن أبي ذر.

(٥) في (ج، هـ) قوله تعالى، وفي (د) قوله.

(٦) انظر تفسير الطبري ٣٥٢/٨ والدرر ١٦٢/٢ كلاهما عن قتادة والزجاج ٥٣/٢.

(٧) انظر تفسير الرازي ٩٨/١٠، وغرائب النيسابوري ٤٨/٥، وفتح القدير ٤٦٧/١ والبيغوي ٤٥٨/١ كلها عن ابن عباس والخازن

٤٥٨/١ عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج، وابن كثير ٤٩٦/١ عن ابن عباس والخازن ٤٥٨/١ عن ابن عباس ومجاهد والدرر

١٦٢/٢ عن سعيد بن جبیر والبحر ٣٤٦/٣ عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد.

(٨) قرأ حمزة والكسائي - بفتح الباء والخاء - وقرأ الباقون - بضم الباء وسكون الخاء - وهما لغتان. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٠٣ والسبعة

٢٣٣ والنشر ٢٤٩/٢ والزجاج ٥٣/٢، والتبيان ٣٥٦/١ والحجة لابن خالويه ١٢٣).

(٩) «الثكل: الموت والهلاك، والثكلى: فقدان الحبيب، والثكلى: فقدان الولد» (اللسان / ثكلى).

(١٠) في (ج، د) أي.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٧٠ ومجاهد ١٥٨.

(١٢) في (د) واعتدنا لهم.

قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يَضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾

- قوله جل جلاله^(١) ﴿والذين^(٢) ينفقون أموالهم رياء الناس﴾ نزلت في المنافقين^(٣) كانوا ينفقون أموالهم رياء^(٤) لا لوجه الله ﴿ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً﴾^(٥)، قال الكلبي^(٦): هذا في الآخرة، يجعل الله الشياطين قراءهم في النار، يقرن مع كل كافر.

يقول الله: ﴿ومن يكن الشيطان له قريناً﴾ [صاحباً ﴿فساء قريناً﴾ يقول: بشس صاحب الشيطان]^(٧).

- قوله^(٨) ﴿وماذا عليهم لو ءامنوا بالله...﴾ الآية، هذا احتجاج على هؤلاء المنافقين الذين ذكروهم الله بأنهم لا يؤمنون بالله وذلك أن الإنسان يحاسب نفسه فيما عليه وله، فإذا ظهر لها عليه في فعل شيء من استحقاق العقاب^(٩) تركه، وإذا ظهر ما يستحق من الثواب في عمل شيء عمله، ولزم ذلك الشيء، يقول الله: ليتفكروا ولينظروا ماذا عليهم في الإيمان لو آمنوا^(١٠).

وهذا حث من الله تعالى لهم على الإيمان والنظر في شأن محمد ﷺ وصدقه والإنفاق في سبيل الله وهو قوله ﴿وأنفقوا مما رزقهم الله﴾ قال ابن عباس: تصدقوا مما^(١١) تفضل الله به عليهم ﴿وكان الله بهم عليماً﴾ يعلم ما ينفقون^(١٢) رياء.

- قوله جل جلاله^(١٣) ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ قال عطاء عن ابن عباس^(١٤): لا ينقص مثقال ذرة^(١٥) من عمل منافق إلا جازاه ﴿وإن تك﴾^(١٦) حسنة ﴿أي: وإن تكن الذرة حسنة.

ومن قرأ بالرفع^(١٧) كان المعنى: وإن تحدث حسنة، أو إن تقع حسنة.

(٢) في (أ) الذين.

(١) في (ج، هـ) وقوله، وفي (د) قوله.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٧٠ والزجاج ٥٣/٢ والطبري ٣٥٦/٨ عن مجاهد، والبحر ٢٤٧/٣ عن السدي والزجاج وغيرهما.

(٤) في (ج) أموالهم لا لوجه الله.

(٥) في (د) صاحباً فساء قريناً يقول: بشس صاحب الشيطان.

(٦) انظر غرائب النيسابوري ٤٨/٥ والبحر ٢٤٨/٣ عن الزمخشري وغيره والخازن ٥٢٦/١.

(١٠) في (د) آمنوا بالله.

(١١) في (أ) بما تفضل.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (د).

(١٢) في (د، هـ) ينفقونه.

(٨) في (ج، هـ) قوله تعالى.

(١٣) في غير (أ) قوله.

(٩) في (ج، هـ) العذاب.

(١٤) انظر تفسير ابن عباس ٧٠ بنحوه، وابن كثير ٤٩٧/١ عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير، والزاهر ٦١٣/١.

(١٦) في (هـ) وإن ترك حسنة.

(١٥) في (هـ) لا ينقص من عمل.

(١٧) قرأ نافع وابن كثير (حسنة) بالرفع - على معنى وإن تحدث أو تقع، والباقون - بالنصب - على الخبر (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٠٣،

والسبعة ٢٣٣ والنشر ٢٤٩/٢ والزجاج ٥٤/٢ - ٥٥، والتبيان ٣٥٨/١، والفراء ٢٦٩/١، والحجة لابن خالويه ١٢٣).

قال ابن عباس (١): ﴿وإن تك (٢) حسنة﴾ يريد: من مؤمن ﴿يضاعفها﴾ بعشرة أضعافها، وقال السدي (٣) هذا عن الحساب والقصاص، فمن بقي له من الحساب (٤) مثقال ذرة يضاعفها (٥) الله إلى سبعمائة ضعف، وإلى الأجر العظيم وهو قوله ﴿ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ يعني: تفضل عليه بأكثر من العشرة الأضعاف وقال الكلبي: «الأجر العظيم»: الجنة (٦).

- قوله جل جلاله (٧) ﴿فكيف إذا جئنا...﴾ الآية، قال الزجاج (٨) أي: فكيف (٩) يكون حال هؤلاء القوم الذين ذكرهم الله من المنافقين والمشركين يوم القيامة وهو قوله ﴿إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾؟ قال المفسرون: يؤتى (١٠) بني كل أمة يشهد عليها ولها (١١).

﴿وجئنا بك﴾ يا محمد ﴿على هؤلاء﴾ المنافقين والمشركين ﴿شهداء﴾ (١٢) تشهد عليهم بما فعلوا.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المزكي، أخبرنا محمد بن جعفر بن مطر، حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي، حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا أبو الأحوص، عن سعيد بن مسروق (١٣) عن أبي الضحى قال: قال عبد الله بن مسعود:

قال لي رسول الله ﷺ: اقرأ، قال: قلت: كيف أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال (١٤) إني أحب أن أسمع من غيري، قال: فافتتحت سورة النساء فقرأت (١٥) حتى بلغت ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ قال: فغمزني بيده وقال: حسبك، فنظرت إليه وعيناه تدمعان (١٦).

أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المزكي، أخبرنا عبيد الله بن محمد بن محمد بن بطة، (١٧) أخبرنا عبد الله بن

(١) انظر تفسير ابن عباس ٧٠، والوجيز للواحدى ١٥١/١.

(٢) في (هـ) وإنه تكن.

(٣) انظر تفسير الطبري ٣٦٢/٨ - ٣٦٣ عن ابن مسعود والخازن ٥٢٧١.

(٤) في (ج، هـ) من الحسنات.

(٥) في (ج) ضاعفها وفي (د) ضاعفها الله له.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٧٠ والطبري ٣٦٨/٨ عن ابن مسعود وابن زيد وسعيد بن جبيرة، وابن كثير ٤٩٨/١ عن أبي هريرة والحسن وقتادة والضحاك والدرر ١٦٣/٢ عن أبي هريرة وابن مسعود.

(٧) في (ج، هـ) قوله، وفي (د) وقوله.

(٨) انظر الزجاج ٥٥/٢.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٧٠ والزجاج ٥٥/٢، وابن كثير ٤٩٨/١ والدرر ١٦٣/٢ - ١٦٤ عن ابن جريج.

(١٠) في (ج، د) أي شهد.

(١١) سعيد بن مسروق بن عدي والد سفيان الثوري - من ثور بن عبد مائة بن أد بن طابخة - التيمي الكوفي سمع عبد الرحمن بن أبي نعيم وأبا الضحى والشامي وغيرهم وعنه ابنه سفيان وشعبة وأبو الأحوص وأبو عوان وخلق وتوفي سنة ١٢٨ هـ (كتاب الجمع ١٦٩/١).

(١٢) في (د) فقال.

(١٣) في (ج) النساء حتى بلغت، وفي (د) فافتتحت سورة النساء حتى بلغت وفي (هـ) حتى إذا بلغت.

(١٤) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب التفسير - باب قوله تعالى (فكيف إذا جئنا...) (١١٩/٣) ومسلم - كتاب الصلاة -

باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر (٣٢٠/١). وأبو داود - كتاب العلم - باب في

القصص رقم ٣٦٦٨ (٣٢٤/٣). كلهم من حديث ابن مسعود.

(١٧) في (د) ابن نصر.

عبد العزيز، حدثنا أبو الكامل الفضيل بن الحسين الجحدري^(١)، حدثنا فضيل بن سليمان^(٢)، حدثني يونس بن محمد بن فضالة^(٣)، عن أبيه^(٤) - وكان أبوه ممن صحب النبي ﷺ [هو وجده^(٥) أن رسول الله ﷺ]^(٦) أتاهم في بني ظفر، فجلس على الصخرة التي في مسجد بني ظفر، ومعه عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وناس من أصحابه فأمر رسول الله ﷺ قارئاً فقرأ حتى^(٧) انتهى إلى هذه الآية ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ بكى رسول الله ﷺ حتى اضطرب لحياة وجنابه، وقال يا رب هذا شهدت على من أنا^(٨) بين ظهريه فكيف بمن^(٩) لم أراه؟^(١٠)

- قوله عز وجل ﴿يومئذ﴾ يعني يوم إذ ذاك، يعني يوم القيامة، وهو إذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴿يود الذين كفروا﴾^(١١) يتمنون ﴿وعصوا﴾^(١٢) الرسول ﴿في الدنيا. و«الواو» ها هنا: للحال التي كانوا عليها من معصية الرسول في الدنيا.

﴿لو تسوى بهم الأرض﴾ قال قتادة^(١٤): ودوا لو تخرقت بهم الأرض فساخوا فيها. وقال الزجاج^(١٥): يودون أنهم كانوا والأرض سواء. وقال ابن الأنباري^(١٦): ودوا^(١٧) أنهم يستون مع تراب الأرض ويدخلون في جملتها.

(١) في (د) الحجزي، وهو: الفضيل بن الحسين أبو كامل الجحدري البصري سمع حماد بن زيد وأبا عوانة وعبد الواحد بن زياد وعنه مسلم توفي سنة ٢٣٧ هـ. (الجمع ٤١٤/٢، ٤١٥ وتهذيب التهذيب ٨/٢٩٠ - ٢٩١).

(٢) فضيل بن سليمان سمع موسى بن عقبة وعمرو بن أبي عمرو ومسلم بن أبي مريم وأبا حازم بن سلمة وعنه محمد بن أبي بكر وأحمد بن المقدم وابن المديني وغيرهم وحديثه في الكتب الستة وهو صدوق، قال أبو حاتم: ليس بالقوي وقال ابن معين: ليس بثقة (كتاب الجمع ٤١٤/٢ والميزان ٣/٣٦١).

(٣) يونس بن محمد بن فضالة الأنصاري ثم الظفري أبو محمد من الأنصار ثم من الأوس بعد في أهل المدينة (أسد الغابة ٥/٥٣٠، والطبراني في الكبير ٣/٢٤٤).

(٤) محمد بن فضالة الأنصاري الظفري صحابي جليل، ويقال: محمد بن أنس بن فضالة ولأبيه صحة ولجده أيضاً، روى فضيل بن سليمان عن يونس بن محمد بن فضالة: «أن رسول الله ﷺ أتاهم...» الحديث (أسد الغابة ٥/٨٠ - ٨١ والطبراني في الكبير ١٩/٢٤٣).

(٥) فضالة الأنصاري ثم الظفري صحابي جليل (أسد لغاية ٤/٣٦٢).

(٦) في (هـ) ممن صحب رسول الله ﷺ أتاهم في بني ظفر.

(٧) في (د) حتى إذا.

(٩) في (د) من لم أراه.

(٨) في (هـ) إنما بين.

(١٠) الحديث: رواه الطبري في الكبير (١٩/٢٤٣ - ٢٤٤)، وجمع الزوائد - كتاب التفسير - من سورة النساء - «رواه الطبراني ورجاله ثقات» (٤/٧). وابن كثير ١/٤٩٨ - كلهم من حديث محمد بن فضالة. وانظر الدر ٢/١٦٣ «أخرجه ابن أبي حاتم، والبخاري في معجمه، والطبراني بسند حسن عن محمد بن فضالة الأنصاري وكان من صحب النبي ﷺ».

(١١) في غير (أ) قوله.

(١٢) في (ج) يومئذ يود..

(١٣) في (د) وعصوا وجئنا بك على هؤلاء شهيداً يوم يود الذين كفروا يتمنون وعصوا الرسول أي في الدنيا.

(١٤) انظر الدر ٢/١٦٤ وفتح القدير ١/٤٦٨ كلاهما عن قتادة، والبخاري ١/٥٢٩ عن قتادة وأبي عبيدة.

(١٥) انظر الزجاج ٢/٥٦.

(١٦) انظر غريب القرآن ١٢٧ ومجاز القرآن ١/١٢٨ والطبري ٨/٣٧٢ والبحر ٣/٢٥٣.

(١٧) في (د) يودون.

وقرأ نافع «تسوى»^(١) من التسوي، يقال: تسوى فتسوى، والمعنى: تسوى فأدغم التاء في السين لقربه منها وحذف حمزة^(٢) التاء، ولم يدغمها فقرأ «تسوى» - مفتوحة^(٤) التاء خفيفة السين^(٥).
 وقوله^(٦) ﴿ولا يكتُمون الله حديثاً﴾ استئناف كلام في الإخبار عن الكفار، أنهم^(٧) لا يكتُمون الله حديثاً في القيامة لأن ما عملوه ظاهر^(٨) عند الله لا يقدرون على كتمانها.
 وقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: هذا حين يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم فحينئذ يكتُمون الله حديثاً.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

- قوله جل جلاله^(٩) ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ قال المفسرون^(١٠): صنع عبد الرحمن بن عوف طعاماً ودعا أناساً من أصحاب محمد^(١١) ﷺ فطعموا وشربوا، وحضرت^(١٢) صلاة المغرب فتقدم بعض القوم فصلى بهم المغرب فقرأ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾^(١٣) فلم يقمها^(١٤)، فأنزل الله تعالى ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ أي: لا تصلوا إذا كنتم سكارى.^(١٥)

(١) في (أ) لوتسرى، في (د) يتسوى.

(٢) مكررة في (أ).

(٣) في (ج) همزة وحرف التاء وفي (د) حره.

(٤) في (د) مفتوحة لها.

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (تسوى) - بضم التاء على ما لم يسم فاعله وحجتهم: أن المعنى يود الذين كفروا أن يجعلهم الله تراباً فيسوي بهم الأرض كما فعل بالبهائم ثم رد إلى ما لم يسم فاعله، وقرأ نافع وابن عامر (تسوى) - بتشديد السين والواو - والأصل تتسوى ثم أدغمت التاء في السين أي يودون لو صاروا تراباً فكانوا سواءهم والأرض. وقرأ حمزة والكسائي (تسوى) بفتح التاء وتخفيف السين - أسند الفعل إلى الأرض (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٠٣ - ٢٠٤ والسبعة ٢٣٤ والنشر ٢/٢٤٩ والبيان ١/٣٥٩ - ٣٦٠ والأخفش ١/٤٤٧ والحجة لابن خالويه ١٢٤ والبيان ١/٢٥٤ - ٢٥٥).

(٦) في (د) قوله.

(٨) في (د) ظاهراً.

(٩) في (ج، هـ) وأنهم.

(١٠) في (د) قوله تعالى، وفي (د) قوله.

(١١) انظر تفسير الثوري ٩٦، والزجاج ٥٦/٢ وكنز العمال ٣٨٦/٢ والدر ١٦٤/٢ - ١٦٥ عن علي وعكرمة وابن كثير ١/٥٠٠، والمستدرک - كتاب التفسير «وصححه» ٣٠٧/٢ والترمذي - كتاب التفسير - من سورة النساء رقم ٥٠١٦ «حسن غريب صحيح» ٣٠٥/٤ وأسباب النزول للسيوطي ٧٥ - ٧٦ وللواحدي ١١٢ - ١١٣ والطبري ٣٧٦/٨ عن علي. والرازي ١٠٧/١٠ وأحكام القرآن لابن العربي ١/٤٣٣ عن علي.

(١١) في (د، هـ) رسول الله.

(١٢) في (د) فلم يتمها.

(١٤) في (د) فلم يتمها.

(١٣) المراد سورة الكافرون.

(١٥) في (هـ) (لا تقربوا الصلاة).

﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾ قال ابن عباس^(١): يريد ما تقرأون وتثبتوا حدود الصلاة وتكبيرها وخشوعها. فكان المسلمون بعد نزول هذه الآية يجتنبون السكر والشراب أوقات الصلاة^(٢) فإذا صلوا العشاء شربوها^(٣).

وقوله^(٤) ﴿ولا جنباً﴾ «الجنب» الذي يجب عليه الغسل لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع يقال: جنب الرجل يجب جنباً وجنابة، فهو جنب وأجنب مثله^(٥).

﴿إلا عابري سبيل﴾ «العابر» فاعل من العبور وهو قطع الطريق يقال: عبرت النهر والطريق عبوراً، إذا قطعت من هذا الجانب إلى الجانب الآخر^(٦).

روى^(٧) الليث عن يزيد بن أبي حبيب^(٨): أن رجلاً من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم جنابة ولا ماء عندهم، فيريدون^(٩) الماء ولا يجدون ممراً إلا في المسجد فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال عطاء بن يسار عن ابن عباس^(١٠) في قوله ﴿إلا عابري سبيل﴾ لا تقرب المسجد وأنت جنب إلا أن يكون طريقك فيه فتمر ماراً ولا تجلس^(١١) وقال سعيد بن جبيرة^(١٢): الجنب يمر في المسجد ولا يجلس فيه، وهذا قول سعيد بن المسيب والحسن والضحاك وعكرمة والزهري ومذهب الشافعي - وعند هؤلاء: يجوز للجنب المرور بالمسجد إذا كان طريقه إلى الماء.

ومعنى الآية: نهى الجنب عن دخول المسجد حتى يغتسل وهو قوله ﴿حتى تغتسلوا﴾ إلا إذا كان ماراً بالمسجد.

وقوله^(١٣) ﴿وإن كنتم مرضى﴾ جمع مريض، وعُني به: المريض الذي يضره مس الماء كصاحب الجدري^(١٤) والجروح والحروق، ومن يتضرر باستعمال الماء.

(١) انظر البحر ٢٥٦/٣ عن ابن عباس والثوري بنحوه، والدر ١٦٥/٢ عن سعيد بن جبيرة بنحوه.

(٢) في (ح) الصلوات.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٥٠٠/١ عن قتادة والوجيز للواحد ١٥٢/١.

(٤) في (د) قوله.

(٥) انظر التبيان ٣٦١/١ وفتح القدير ٤٦٨/١ والمصباح المنير (جنب).

(٦) انظر اللسان/ عبر والمصباح المنير/ عبر.

(٧) في (أ) وروى.

(٨) انظر تفسير الطبري ٣٨٤/٨ وابن كثير ٥٠١/١ والدر ١٦٦/٢ كلها عن يزيد أبي حبيب.

(٩) في (د) فيردون.

(١٠) في (أ) قال عطاء بن يسار في قوله وفي (ج) في هذه الآية وفي (د) قال عطاء عن ابن عباس.

(١١) انظر تفسير مجاهد ١٥٨ والطبري ٣٨٢/٨ وابن كثير ٥٠١/١ كلاهما عن عطاء عن ابن عباس والدر ١٦٦/٢ عن عطاء ومجاز القرآن ١٢٨/١.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٣٨٢/٨ عن سعيد بن جبيرة وابن عباس والحسن وعكرمة والزهري وغيرهم، والدر ١٦٦/٢، وابن كثير ٥٠١/١ كلاهما عن ابن عباس وأبي عبيدة وعطاء وابن مسعود وأنس وجابر، ٥٠٢/١ عن الأئمة الثلاثة مالك وأبي حنيفة والشافعي.

(١٣) في (د) قوله وإن كنتم مرضى جمع مرض.

(١٤) «الجدري والجدري» - بضم الجيم وفتح الدال ويفتحهما - لغتان: قروح في البدن وتنفض عن الجلد ممتلئة ماء ثم تنتفخ (اللسان/ جدر، والمصباح المنير / جدر).

﴿أو على سفر﴾ المسافر إذا أعوزه الماء تيمم، طال سفره أو قصر لهذه الآية^(١). قوله^(٢) ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ يعني الذي أحدث بالتبرز إلى الغائط وهو المطمئن من الأرض^(٣)، وكانوا يتبرزون هناك ليغيبوا عن أعين الناس، ثم قيل للحدث غائط^(٤)، إذا كان سبباً له.

وقوله^(٥) ﴿أو لامستم النساء﴾ وقرىء «لمستم»^(٥).

فمعنى «اللمس» في اللغة: طلب الشيء باليد ها هنا وها هنا، قال لبيد:

يلمس الأحلاس في منزله بيديه كاليهودي المصل^(٦)

واختلف المفسرون في «اللمس» المذكور ها هنا على قولين:

أحدهما: أن المراد به الجماع وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، وهؤلاء لا يحكمون بانتقاض الطهر باللمس، وهو مذهب الكوفيين^(٧).

والقول الثاني: أن المراد باللمس ها هنا: التقاء البشريتين سواء كان بجماع أو غيره، وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي وإبراهيم ومنصور ومذهب الشافعي وهؤلاء يوجبون الطهارة على من أفضى بشيء من بدنه إلى عضو من أعضاء المرأة^(٨).

وهذا القول أولى، لأن حقيقة اللمس في اللغة باليد، وحمل الآية على الحقيقة أولى.

وقوله^(٩) ﴿فتيمموا صعيداً طيباً﴾ قال ابن عباس: فتعمدوا الأرض وتربتها^(١٠). والمراد بـ «التيمم» ها هنا:

(١) قال ابن كثير «والسفر معروف ولا فرق فيه بين الطويل والقصير» (تفسير ابن كثير ٥٠٢/١) وقال أبو حيان «وظاهر قوله تعالى (أو على سفر) مطلق السفر فلولم يجد الماء في الحضر جاز له التيمم عند مالك وأبي حنيفة ومحمد» (البحر ٢٥٨/٣).

(٢) في (ج، هـ) وقوله.

(٣) انظر معنى «الغائط» في غريب الحديث ١٥٦/١ وابن كثير ٥٠٢/١ والدرر ١٦٦/٢ ومجاهد وفتح القدير ٤٧٠١.

(٤) في (ج) غائطاً، وفي (هـ) إذا كان.

(٥) قرأ حمزة والكسائي (لمستم) - بغير ألف - جملاً الفعل للرجال دون النساء وحجتهم: أن اللمس ما دون الجماع كالقبلة والغمزة.

وقرأ الباقون - بالألف - (لامستم) أي: جامعتم والملاسة لا تكون إلا من اثنين وحجتهم ما روي في التفسير بمعنى الجماع.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٠٤ - ٢٠٦ والسبعة ٢٣٤، والنشر ٢٥٠/٢ والتبيان ٣٦١/١ والحجة لابن خالويه ١٢٤).

(٦) انظر البيت في ديوانه ص ١٢٤ والخزانة ٣/٣٦٨، والدرر ٢/١٦٧. ومعنى يلمس: يطلب والأحلاس: جمع حلس وهو كساء رقيق يوضع على ظهر البعير، ومنزله: مكان نزوله، والمصل: المصلي، يعني: أنه لا يعقل من غلبة النعاس فهو يطلب الأحلاس بيديه مائلاً كأنه يهودي يصلي على شق وجهه (والبيت من بحر الرمل).

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٧٠ ومجاهد ١٥٩، وفتح الباري ٨/٢١٩، والدرر ٢/١٦٦ عن علي وابن عباس ٢/١٦٧ عن الحسن، ومجاز القرآن ١/١٢٨، وابن كثير ٥٠٢/١ عن ابن عباس ومجاهد وعلي وأبي بن كعب وطاووس والحسن وغيرهم.

(٨) انظر الدرر ٢/١٦٦ - ١٦٧ عن ابن مسعود وابن عمرو والشافعي ومحمد بن سيرين وعبيدة والشعبي، وغرائب النيسابوري ٥/٥٨ عن ابن عمر وابن مسعود والشعبي وإبراهيم والشافعي، والحجة لأبي زرعة ٢٠٤ عن ابن عمر، والطبراني في الكبير ٩/٢٨٦ عن ابن مسعود، وابن كثير ٥٠٣/١ عن ابن مسعود وابن عمر والشعبي وإبراهيم وزيد بن أسلم والشافعي والمشهور عن أحمد.

ثم عقب ابن كثير بقوله «قال ابن جرير» وأولى القولين - في ذلك بالصواب - قول من قال: عني الله بقوله (أو لامستم النساء) الجماع دون غيره من معاني المس ولصحة الخبر عن رسول الله ﷺ «أنه قبل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ». (انظر رأي ابن جرير في تفسيره ٨/٣٩٦).

(٩) في (د) قوله. (١٠) انظر تفسير ابن عباس ٧١ وفتح الباري ٨/٢١٩ وابن كثير ٥٠٤/١ عن ابن عباس والدرر ٢/١٦٧ عن الثوري.

التمسح بالتراب، وذكرنا معناه في اللغة في سورة البقرة^(١) وأما «الصعيد» فقال أبو عبيدة والفراء^(٢): الصعيد: التراب. وقال ابن الأعرابي^(٣): الصعيد: الأرض بعينها، وقال الزجاج^(٤): الصعيد: وجه الأرض، وقال الشافعي^(٥): لا يقع اسم صعيد إلا على تراب ذي غبار.

و«الطيب من الأرض»: اسم لما ينبت، بدليل قوله ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾^(٦).

وقوله^(٧) ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ قال ابن عباس^(٨): تضرب بكفيك^(٩) على وجه الأرض، ثم تردهما إلى وجهك، ثم تضرب الثانية بكفيك فتمسح^(١٠) واحدة بالأخرى إلى المرفقين.

والتيمن من خصائص هذه الأمة ومما أكرمهم الله تعالى به، وأما ابتداء التيمم، فهو ما أخبرنا أبو منصور بن طاهر التيمي، أخبرنا أبو عبد الله بن يزيد الجوزي، حدثنا علي بن الحسن الصفار^(١١)، حدثنا يحيى بن يحيى، قال: قرأت على مالك بن أنس عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه:

«عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء^(١٢)، - أو بذات الجيش - انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ، على التماسه وأقام الناس معه - وليسوا على ماء، وليس معهم ماء - فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت^(١٣) برسول الله ﷺ وبالناس معه وليسوا على ماء، قالت: فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ رأسه على فخذي قد نام فقال: أحبست رسول الله ﷺ والناس معه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ قالت: فعاتبني أبو بكر، وجعل يطعن بيده في خاصرتي^(١٤) فلا يمنعي من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم، فتيمموا.

فقال أسيد بن حضير^(١٥) - وهو أحد النقباء - ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد».

(١) انظر ذلك عند تفسير الآية ٢٦٧ / البقرة.

(٢) انظر مجاز القرآن ١/ ١٢٨، ٣٩٣ والزاهر ٢/ ٨٣ عن أبي عبيدة، والفراء ١/ ٢٧٠، ١٣٤٢، وغريب القرآن ١٢٧، والدرر ٢/ ١٦٧ عن عمرو بن قيس الملائي.

(٣) انظر فتح القدير ١/ ٤٧٢ عن ابن الأعرابي وغيره.

(٤) انظر الزجاج ٢/ ٥٨ وفتح الباري ٨/ ٢٠٢ والزاهر ١/ ١٣٥.

(٥) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٥٠٤، وفتح القدير ١/ ٤٧٢ كلاهما عن الشافعي، والطبري ٨/ ٤٠٨.

(٦) سورة الأعراف/ ٥٨.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٧١ بنحوه والزجاج ٢/ ٥٨ وابن كثير ١/ ٥٠٤ وشرح معاني الآثار ١/ ١١٠.

(٩) في (د) بكفيه.

(١١) علي بن الحسن الصفار روى عن وكيع بن الجراح وغيره قال ابن معين وغيره: ثقة قلت: هو المتهم بحديث «من حفظ على أمي أربعين حديثاً» (الميزان ٣/ ١٢١).

(١٢) «والبيداء: الفلاة، والمفازة المستوية يجري فيها الخيل» (اللسان/ بيد).

(١٤) «الخصر: وسط الإنسان وجمعه: خصور والخصران والخاصرتان: ما بين الحرقفة والقصيرى وهو المستدق فوق الوركين» (المصباح المنير/ خصر، واللسان/ خصص).

(١٥) أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك الأوسي أبو يحيى صحابي كان شريفاً في الجاهلية والإسلام مقدماً في قبيلته الأوس من أهل المدينة شهد العقبة الثانية وكان أحد النقباء الأثني عشر توفي سنة ٢٠ هـ (الأعلام ١/ ٣٣٠).

رواه مسلم عن يحيى بن يحيى، ورواه البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس^(١)، كلاهما عن مالك^(٢).
وأخبرنا أبو منصور، أخبرنا القاسم بن غانم بن حمويه، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد، حدثنا مسلم^(٣)
حدثنا عبد الرزاق، حدثنا الثوري، عن خالد الحذاء^(٤)، عن أبي قلابه، عن عمرو بن بجدان^(٥) عن أبي ذر قال:
قال رسول الله ﷺ: «التيتم طهور المسلم ولو إلى عشر سنين، فإذا وجدت الماء فأمسه بشرتك فإياه
طهور»^(٦).

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾

- قوله عز وجل^(٧) ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ قال ابن عباس^(٨) يعني اليهود ﴿يشترون
الضلالة﴾ قال الزجاج^(٩): يؤثرون^(١٠) التكذيب بالنبي^(١١)، ﷺ ليأخذوا على ذلك الرشى^(١٢) ﴿ويريدون أن تضلوا
السبيل﴾ أي: تضلوا طريق الهدى.
- ﴿والله أعلم بأعدائكم﴾ أي: أعرف بهم فهو يعلمكم ما هم عليه ﴿وكفى بالله ولياً﴾ أي: كفى الله ولياً
لكم. و«الياء»: زائدة للتوكيد.

- (١) إسماعيل بن أبي أويس - واسمه عبد الله - بن عبد الله بن أويس بن مالك بن عامر أبو عبد الله بن أبي أويس الأصبحي المدني ابن أخت
مالك بن أنس سمع مالكا وأخاه عبد الحميد وعنه البخاري ومسلم توفي سنة ٢٢٦ هـ (كتاب الجمع ١/٢٥ - ٢٦).
- (٢) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الحيض - باب التيمم (١٥٨/١). والبخاري في الصحيح - كتاب التيمم - الباب الأول
(١٦٩/١ - ٧٠) وفي كتاب بدء الخلق - باب فضل أبي بكر (٢٩١/٢ - ٢٩٢) كلاهما من حديث عائشة
- (٣) هو الإمام أبو الحجاج القشيري.
- (٤) خالد بن مهران الحذاء البصري المجاشعي مولاهم - ويقال القرشي ويقال مولى بني عامر - من بني مجاشع سمع أبا قلابه عبد الله بن
زيد وسيار بن سلامة أبا المنهال وحفصة بنت سيرين وعكرمة والوليد بن مسلم وعنه الثوري وشعبة وهشيم وغيرهم توفي سنة ١٤٢ هـ
(كتاب الجمع ١/١٢٠ - ١٢١).
- (٥) عمرو بن بجدان العامري ذكره ابن حبان في الثقات وقال المعجلي: بصري تابعي ثقة وقال ابن القطان لا يعرف وقال الذهبي:
عمرو بن بجدان عن أبي ذر مرفوعاً «الصعيد وضوء المسلم...» الحديث، حسنه الترمذي - روى عنه أبو قلابه وقد وثق عمرو مع
جهالته (تهذيب التهذيب ٧/٨ والميزان ٣/٢٤٧).
- (٦) الحديث: رواه الترمذي - كتاب الطهارة - باب ما جاء في التيمم للمنجب رقم ١٢٤ «حسن صحيح» (٨١/١). والدارقطني - كتاب
الطهارة - باب في جواز التيمم لمن لم يجد الماء سنين كثيرة أرقام من ١ - ٦ (١٨٦/١ - ١٨٧). وزوائد البزار - كتاب الطهارة - باب
التيمم - رقم ٣١٠ (١٥٧/١). وعلل الحديث للرازي ١/١١ وصححه بسنده المذكور، ومسنده أحمد ٥/١٨٠، والمستدرک - كتاب
الطهارة «هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه» (١٧٧/١). كلهم من حديث أبي ذر بالفاظ متقاربة.
- (٧) في غير (أ) قوله تعالى.
- (٨) انظر تفسير ابن عباس ٧١ والطبري ٨/٤٢٧ - ٤٢٨ عن قتادة وعكرمة وابن عباس والدر ٢/١٦٥٨ عن ابن عباس وعكرمة.
- (٩) انظر الزجاج ٢/٥٩ وغرائب النيسابوري ٥/٦٠ عن الزجاج.
- (١٠) في (هـ) يورثون.
- (١١) في (د) لمحمد ﷺ.
- (١٢) في (د) الرشا ويريدون أن تضل.

ومعنى الآية: أن ولاية الله ونصرته إياكم تغنيكم عن غيره من هؤلاء اليهود ومن جرى مجراهم ممن تطمعون في نصرته.

قال الزجاج^(١): أعلمهم الله تعالى أن عداوة اليهود وغيرهم من الكفار لا تضرهم شيئاً، إذ ضمن لهم النصره والولاية في قوله ﴿وَكُفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾.

مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا^(٤٦)

- قوله جل جلاله^(٢) ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم﴾ أي: قوم أو فريق يحرفون الكلم، وهو جمع الكلمة^(٣).

قال الكلبي ومقاتل: هم اليهود يغيرون صفة محمد ﷺ وزمانه ونبوته في كتابهم^(٤) ﴿ويقولون سمعنا﴾ قولك ﴿وعصينا﴾ أمرك ﴿واسمع غير مسمع﴾ كانوا يقولون للنبي ﷺ: اسمع، ويقولون في أنفسهم لا سمعت^(٥).

وقوله ﴿وراعنا﴾^(٦) ذكرنا في سورة البقرة: أن هذا كان سباً بلغتهم^(٧). ومعنى^(٨) ﴿لياً بالستهم﴾ أي: قلباً للكلام بها، وهو أنهم كانوا يحرفون «راعنا» عن طريق^(٩) المراعاة إلى السب بالرعونة.

﴿ولو لو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا﴾ مكان قولهم سمعنا وعصينا ﴿واسمع﴾^(١٠) وأنظرننا﴾ بدل راعنا ﴿لكان خيراً لهم﴾ عند الله ﴿وأقوم﴾ أي: أعدل وأصوب ﴿ولكن لعنهم الله﴾ أي: أبعدهم الله عن رحمته مجازاة لهم ﴿بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾ يعني بـ «القليل» عبد الله بن سلام وأصحابه^(١١).

وقال السدي: «القليل» قولهم: الله ربنا والجنة حق، والنار حق، فهذا قليل من إيمانهم^(١٢). قال الزجاج^(١٣): والتقدير على هذا القول: فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً لا يجب أن يسموا مؤمنين.

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٤٦٧/١ - ٤٦٨ عند تفسير قوله تعالى (لن يضرركم إلا أذى) من الآية ١١١ من سورة آل عمران، وانظر أيضاً عند تفسير قوله (وإن تصبروا وتنفقوا لا يضرركم كيدهم شيئاً) من الآية ١٢٠.

(٢) في غير (أ) قوله.

(٣) في (ح) الكلم وانظر مجاز القرآن ١٢٩/١.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٧١ والرازي ١٠/١١٧٧.

(٥) انظر الزجاج ٦١/٢ وغريب القرآن ١٢٨ والبيان ٣٦٣/١، والطبري ٤٣٤/٨، وابن كثير ٥٠٧/١ والدرر ١٦٨/٢ كلها عن ابن عباس.

(٦) في (د) قوله راعنا ذكرناه في سورة البقرة.

(٧) انظر ذلك عند تفسير الآية ١٠٤ من سورة البقرة.

(٨) في (د) وقوله.

(٩) في (ج، هـ) من طريق.

(١٠) في (د) وعصينا (واسمع).

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٧١ وابن كثير ١٢٣/١ عن قتادة.

(١٢) انظر البحر ٢٦٤/٣ وفتح القدير ٤٧٥/١ وابن كثير ١٢٤/١ والطبري ٣٣١/٢ ورجحة الرازي ١٠/١٢٠ ورجحه أبو علي الفارسي.

(١٣) انظر الزجاج ٦١/٢ والبيان ٢٥٧/١ وغرائب النيسابوري ٦٣/٥ والطبري ٤٣٩/٨ عن قتادة.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ ءَامَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدَقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزُكُّونَ مِنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ اَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾

- قوله عز وجل (١) ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب﴾ يخاطب اليهود ﴿ءامنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم﴾ يعني القرآن ﴿من قبل أن نطمس وجوهاً﴾.

«الطمس»: المحو، يقال: طمسته نطمس، أي: درس (٢).

قال ابن عباس (٣): نجعلها كخف البعير، أو كحافر الفرس، على معنى: نمحو ما فيها من عين وفم وأنف وحاجب.

﴿فتردها على أدبارها﴾ قال قتادة (٤): نحول وجوههم قبل ظهورهم.

يقال: لما نزلت هذه الآية أتى عبد الله بن سلام رسول الله ﷺ قبل أن يأتي أهله وأسلم (٥) وقال: يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي في قفائي (٦).

وقال النخعي: أقبل كعب (٧) من اليمن يحج بيت المقدس، فذهب إليه، فبينما هو فيه سمع رجلاً من المهاجرين

(١) في غير (أ) قوله.

(٢) انظر اللسان/ طمس، والمصباح المنير/ طمس، ومفردات الراغب/ طمس، ومجاز القرآن ١/١٢٩ والبحر ٣/٢٦٥ - ٢٦٦.

(٣) انظر البحر ٣/٢٦٧ والبغوي ١/٥٤٢ كلاهما عن ابن عباس وغريب القرآن ١٢٨، والطبري ٨/٤٤٤.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٧١ بنحوه، والطبري ٨/٤٤٠ - ٤٤١ وابن كثير ١/٥٠٧ كلاهما عن ابن عباس وفتاوة وعطية العوفي، والفرق ١/٢٧٢ وفتح القدير.

(٥) في (د) فأسلم.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٧١ وغرائب النيسابوري ٥/٦٤.

(٧) كعب الأحبار: كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق تابعي كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود وأسلم في زمن أبي بكر وقدم المدينة في دولة عمر وأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة توفي سنة ٣٢ هـ عن مائة وأربع سنين (الأعلام ٦/٨٥).

يقراً في جوف الليل هذه الآية، فأتى عمر رضي الله عنه فأسلم. ويروى أن عمر قرأ هذه الآية عليه، فقال كعب: يا رب آمنت، يا رب، أسلمت، مخافة أن يصيبه هذا الوعيد^(١).

وقوله^(٢) ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ أي: نمسخهم قردة، كما فعلنا بأوائلهم^(٣). ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ قال ابن عباس: لا راد لحكمه، ولا ناقض لأمره^(٤).

- قوله عز وجل^(٥) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾ الآية: هذه الآية دليل قاطع في مسألتين كبيرتين من الأصول:

إحديهما^(٦): أن من ارتكب الكبائر من المسلمين إذا مات على الإيمان لم يخلده الله في النار، وإنما يخلد المشرك في النار دون المسلم. والثانية: أن الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فيعفو عن من يشاء ويغفر لمن يشاء، لا حجر عليه في شيء من ذلك ولا حكم عليه لأحد، تكديماً للقدرية حيث قالوا: لا يجوز أن يغفر الكبيرة ويعفو عن المعاصي^(٧).

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الزمجاري، أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب المفيد^(٨) حدثنا أحمد بن عبد الرحمن السقطي^(٩) حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا إسرائيل، عن ثوير^(١٠)، عن أبيه^(١١) عن علي رضي الله عنه، قال: ما في القرآن آية أرجى عندي من هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١٢).

أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد التميمي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ حدثنا محمد بن

(١) انظر تفسير الطبري ٤٤٦/٨ وابن كثير ٥٠٨/١ والدر ١٦٨/٢ - ١٦٩ كلها عن إبراهيم.

(٢) في (د) قوله.

(٣) انظر تفسير الطبري ٤٤٧/٨ - ٤٤٨ عن قتادة والحسن والسدي.

(٤) انظر تفسير الرازي ١٢٣/١٠ عن ابن عباس والخازن ٥٤٣/١ وغرائب النيسابوري ٦٤/٥، والوجيز ١٥٣/١.

(٥) في (د) قوله وفي (هـ) قوله تعالى.

(٦) في (ج، د) إحداهما. وكل صواب.

(٧) انظر في ذلك فتح القدير ٤٧٥/١ - ٤٧٦ والوجيز للواحد ١٥٣/١.

(٨) محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب أبو بكر المفيد ولد سنة ٢٨٤ هـ وكان من الحفاظ وسافر الكثير وحدث عن أبي يعلى الموصلي وأحمد بن عبد الرحمن السقطي وعفان وروى مناكير وعن أشياخ مجهولين توفي سنة ٣٧٨ هـ (المنتظم ١٤٤/٧ - ١٤٥).

(٩) أحمد بن عبد الرحمن السقطي أبو العباس روى عن يزيد بن هارون وعنه أبو بكر المفيد قال الذهبي: شيخ لا يعرف إلا من جهة المفيد (تاريخ بغداد ٣٤٤/٤ والميزان ١١٦/١).

(١٠) ثوير بن أبي فاختة - سعيد بن علاقة الهاشمي أبو الجهم الكوفي مولى أم هانئ روى عن أبيه وابن عمرو وزيد بن أرقم وابن الزبير ومجاهد وغيرهم وعنه الأعمش وإسرائيل والثوري وغيرهم قال عمرو بن علي: كان يحيى وعبد الرحمن لا يحدثان عنه وكان سفيان يحدث عنه وقال أبو حاتم: ضعيف وقال الدارقطني: ستروك. (تهذيب التهذيب ٣٦/٢).

(١١) سعيد بن علاقة أبو فاختة الهاشمي مولى أم هانئ قدم الشام وروى عن علي وأم هانئ وعائشة وابن مسعود وغيرهم وعنه ابنه ثوير وغيره قال العجلي والدارقطني: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات شهد مع علي مشاهده (تهذيب التهذيب ٧٠/٤ - ٧١).

(١٢) رواه الترمذي - كتاب التفسير - من سورة النساء - عن علي رضي الله عنه (٣١٣/٤). والبحر ٢٦٩/٣، والدر ١٦٩/٢ «رواه الفريابي والترمذي وحسنه» وفتح القدير ٤٧٦/١ كلها عن علي رضي الله عنه.

عبد الله بن رسته^(١)، حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حرب بن سريج^(٢) حدثنا أيوب السختياني، عن نافع، عن ابن عمر قال:

كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا نبينا ﷺ يقول: ﴿إن الله لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلكَ لمن يشاء﴾.

وقال النبي ﷺ «إني ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا ورجونا^(٣). أخبرنا عمرو بن أبي عمرو المزكي، أخبرنا محمد بن مكّي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل^(٤)، حدثنا موسى بن إسماعيل^(٥)، حدثنا مهدي بن ميمون^(٦)، حدثنا واصل الأحمد^(٧)، عن المغرور بن سويد^(٨)، عن أبي ذر قال:

قال رسول الله ﷺ: «أتاني آت من ربي فأخبرني - أو قال بشرني - أنه^(٩) من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق»^(١٠).

(١) الحافظ المحدث الصدوق أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن رسته بن الحسن بن عمرو بن زيد الضبي المدني من كبراء أصبهان كتب الكثير وروى عن شيبان بن فروخ وغيره وعنه الطبراني وأبو الشيخ وأخرون توفي سنة ٣٠١ هـ. (سير الأعلام ١٦٣/١، وتاريخ الإسلام جزء من سنة ١٠٣ - ٣١٣ ص ٤٩).

(٢) حرب بن سريج - بالسين المهملة والجيم المعجمة - المنقري البصري البزار أبو سفيان روى عن ابن أبي مليكة وأيوب السختياني وثقه ابن معين ولينه غيره، قال ابن عدي في حديثه غرائب أرجو أنه لا بأس به وقال ابن حبان يخطيء كثيراً توفي سنة ١٦٢ هـ. (شذرات ٢٥٦/١، والميزان ١/٤٦٩ - ٤٧٠، وعمدة القوي والضعيف ص ٩).

(٣) الحديث: رواه الترمذي - كتاب صفة القيامة - رقم ٢٥٥٢ «حسن صحيح غريب» ٤/٤٥ ومجمع الزوائد - كتاب التفسير - من سورة النساء - «رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير حرب بن سريج وهو ثقة» عن ابن عمر (٥/٧). وفي كتاب البعث - باب الشفاعة - عن ابن عباس «بلفظة» (٣٧٨/١٠) وفي كتاب التوبة - باب الاستغفار لأهل الكبائر من المسلمين «رواه البزار وإسناده جيد» (٢١٠/١٠ - ٢١١). والميزان في ترجمة حرب بن سريج «يسنده ومثته» (٤٦٩/١). والدرر ١٦٩/٢ وابن كثير ١١١/١ وفتح الباري ١/٤٧٦ والطبري ٨/٤٥٠. والجامع الصغير ١/٤٠. ومسند أحمد ٣/٢١٣. كلهم من حديث ابن عمر. (٤) هو الإمام البخاري.

(٥) موسى بن إسماعيل أبو سلمة المنقري التبوذكي البصري الحافظ الحجة أحد الأعلام سمع من شعبة وحماد بن سلمة وعنه البخاري وأبو حاتم وابن الضريس قال ابن المديني: من لم يكتب عن أبي سلمة لم يكتب عن رجل. وقال أبو حاتم: لا أعلم بالبصرة ممن أدركنا أحسن حديثاً من أبي سلمة توفي سنة ٢٢٣ هـ. (تذكرة الحفاظ ١/٣٩٤ - ٣٩٥).

(٦) مهدي بن ميمون المعولي الأزدي الحافظ أبو يحيى المعولي مولا هم البصري حدث عن ابن سيرين وأبي رجاء العطاردي والحسن البصري. وواصل الأحمد وخلقه وعنه أبو سلمة المنقري وغيره وثقه أحمد وشعبة توفي سنة ١٧٢ هـ.

(٧) واصل بن حيان الأحمد الكوفي سمع المعروفين سويد وأبا وائل وإبراهيم النخعي روى عنه شعبة ومهدي بن ميمون والثوري توفي سنة ١٢٠ هـ. (الجمع ٢/٥٤٣).

(٨) المعروفين سويد أبو أمية الأسدي الكوفي سمع أبا ذر وعبد الله بن مسعود - روى عنه الأعمش وواصل والمغيرة بن عبد الله الشكري وروى له البخاري ومسلم (الجمع ٢/٥١٧).

(٩) في جميع النسخ: أن من مات، والمثبت من صحيح البخاري.

(١٠) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله (٢١٥/١).

ومسلم - كتاب الإيمان - باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ١/٥٢. والترمذي: - كتاب الإيمان - باب افتراق هذه الأمة رقم ٢٧٨٢ (٤/١٣٦). ومسند أحمد ٥/١٥٢. كلهم من حديث أبي ذر.

وقوله (١) ﴿ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾ أي: اختلق ذنباً غير مغفور. قال الزجاج (٢): يقال: افترى فلان الكذب، إذا اعتمله واختلقه، وأصله من الفري وهو بمعنى القطع.

- قوله عز وجل (٣) ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾ قال ابن عباس في رواية الكلبي (٤): نزلت في اليهود، أتوا بأطفالهم إلى النبي ﷺ فقالوا: يا محمد هل على هؤلاء من ذنب؟ فقال: لا، فقالوا: والله ما نحن إلا كهيتهم، ما عملناه (٥) بالنهار كفر عنا بالليل، وما عملناه (٦) بالليل كفر عنا بالنهار فكذبهم الله تعالى. ومعنى ﴿يزكون أنفسهم﴾: يزعمون أنهم أذكىاء، وتفسير «التزكية» قد مر (٧).

وقوله ﴿بل الله يزكي من يشاء﴾ يجعل من يشاء زاكياً، قال ابن عباس: يريد: أهل التوحيد (٨) ﴿ولا (٩) يظلمون فتيلاً﴾ قال ابن عباس: يريد (١٠) ولا ينقصون من الثواب قدر فتيل النواة، يريد: القشرة (١١) التي حول النواة فيما بينها وبين البسرة (١٢).

قال الفراء: «الفتيل»: ما فتلت بين أصبعيك من الوسخ، وهو قول السدي (١٣) وقال ابن السكيت (١٤): «القطمير»: القشرة الرقيقة على النواة، و«الفتيل»: ما كان في شق النواة، و«النقير»: النكتة في ظهر النواة.

قال الأزهري (١٥): وهذه الأشياء كلها تضرب أمثالاً للشيء الثافه الحقيق القدر أي: لا يظلمون قدرها، قال النابغة:

(١) في (د) قوله.

(٢) انظر الزجاج ٦٢/٢ ومجاز القرآن ١٢٩/١.

(٣) في غير (أ) قوله.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٧١ ومجاهد ١٦١ والزجاج ٦٢/٢ - ٦٣، وابن كثير ٥١١/١، عن مجاهد وابن عباس والسدي، والدر ١٧٠/٢ عن ابن عباس ومجاهد وأبي مالك وعكرمة والسدي والفراء ٢٧٢/١ وفتح القدير ٤٧٨/١، وغرائب النيسابوري ٦٦/٥ كلاهما عن ابن عباس وانظر أسباب النزول للواحدي ١١٤، وللسيوطي ٧٨.

(٥) في (ج)، وما، وفي (هـ) وما عملنا.

(٦) في (د، هـ) وما عملنا.

(٧) في (د) وقد مر تفسير «التزكية» وانظر تفسير الأيتين ١٢٩، ١٧٤ من سورة البقرة.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٧١.

(٩) في (د) لا يظلمون.

(١٠) في (ح) قال: أي ولا... وفي (د) قال: لا..

(١١) في (د) القشر الذي.

(١٢) في (ح) التمرة. انظر الأثر: في تفسير ابن عباس ٧١، والطبري ٤٥٨/٨، والدر ١٧١/٢ كلها عن ابن عباس «والبسر: ما لوّن ولم ينضج وإذا نضج فقد أرتب، البسر: أوله طلع ثم خلال ثم بلع ثم بسر ثم رطب ثم تمر، الواحد بُسرة وجمعها بُسرات وبُسر» (اللسان/ بس).

(١٣) انظر الفراء ٢٧٣/١ وتفسير ابن عباس ٧١، والطبري ٤٥٧/٨ - ٤٥٨ عن ابن عباس والسدي وابن كثير ٥١٢/١ والدر ١٧١/٢ وفتح القدير ٤٧٨/١ كلها عن ابن عباس، وغريب القرآن ١٢٩، والزجاج ٦٣/٢.

(١٤) انظر تفسير الرازي ١٢٧/١٠ واللسان/ فتل، نقر وغرائب النيسابوري ٦٦/٥ كلها عن ابن السكيت ومجاز القرآن ١٢٩/١ والزاهر ٣٥٨/١ وغريب القرآن ١١٩، وتفسير ابن عباس ٧١ ومجاهد ١٦١ والدر ١٧١/٢ عن ابن عباس ومجاهد وعطية وفتح القدير ٤٧٨/١ عن ابن عباس.

(١٥) انظر (اللسان/ فتل) عن أبي منصور والخازن ٥٤٥/١، والرازي ١٢٧/١٠.

يجمع الجيش ذا الألو ف ويغزو ثم لا يرزأ العدو فتيلاً (١)

- قوله جل جلاله (٢) ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب﴾ هذا تعجيب للنبي ﷺ وهي قولهم: يكفر بما ما نعمله (٣) ﴿وكفى به﴾ أي: كفى هو، يعني افتراءهم ﴿إثماً مبيتاً﴾ وتأويل هذا: تعظيم إثمهم.

- قوله عز وجل (٤) ﴿ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب﴾ يعني: علماء اليهود الذين أعطوا علم أمر النبي (٥) ﷺ ﴿يؤمنون بالحيث والطاغوت﴾ كل معبود من دون الله فهو حيث (٦).

قال ابن عباس في رواية عطية: «الجبت»: الأصنام و«الطاغوت» تراجمة الأصنام الذين يكونون بين أيديهم يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس (٧).

وفي رواية الوالبي «الجبت»: الكاهن، و«الطاغوت» الساحر (٨). وقال الكلبي «الجبت» في هذه الآية: حبي بن أخطب و«الطاغوت» كعب بن الأشرف، سميا بذلك لإغوائهما الناس ولطاعة اليهود لهما في معصية الله تعالى (٩).

وقوله ﴿ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾ وذلك أن حينا وكعباً لقياً قريشاً بالموسم فقال (١٠) لهما المشركون: أنحن أهدى طريقاً أم محمد وأصحابه؟ فقالا: بل أنتم أهدى سبيلاً، وأقوم طريقاً وأحسن من الذين آمنوا ديناً، وهما يعلمان أنها كاذبان، حملهما على ذلك حسد محمد وأصحابه (١١).

قال الزجاج (١٢): وهذا دليل على معاندة اليهود لأنهم زعموا أن المشركين الذين لا يصدقون بشيء من الكتب وعبدوا الأصنام أهدى طريقاً من الذين يؤفقونهم على كثير مما يصدقون به. ثم أنزل الله فيهم قوله:

- ﴿أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً﴾ (١٣) ناصراً يتصره، ومانعاً من عذاب الله. ثم

وصفهم بالبخل فقال:

(١) انظر البيت في ديوان النابغة ص ١٣٥ في هجاء النعمان من قصيدته «وارث الصائغ الجبان» والدر ١٧١/٢ للنابغة برواية «ثم لا يرزأ

الأعادي فتيلاً». يرزأ: يصيب بضرر، فتيلاً: شيئاً بقدر القتل يقول: إنه يجمع الجيش ألوفاً للغزو ولكنه لا يصيب من العدو شيئاً.

(٢) في غي (أ) قوله.

(٣) في (ج) نعلمه.

(٤) في (ج، هـ) وقوله، وفي (د) قوله.

(٥) في (هـ) محمد ﷺ.

(٦) هذا قول الزجاج ٦٤/٢ وغريب القرآن ١٢٨ ومجاز القرآن ١٢٩/١ وابن كثير ٥١٢/١ عن مالك.

(٧) انظر تفسير الطبري ٤٦١/٨ والرازي ١٢٨/١٠ وابن كثير ٥١٢/١ والدر ١٧٢/٢ وفتح القدير ٤٧٩/١ كلها عن ابن عباس.

(٨) انظر تفسير الرازي ١٢٨/١٠ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والطبري ٤٦٤/٨ عن سعيد بن جبيرة وفتح الباري ٢٠٢/٨ عن جرير

والدر ١٧٢/٢ عن أبي العالية، والبحر ٢٧١/٣ والبغوي ٥٤٥/١ كلاهما عن ابن سيرين.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٧١ والدر ١٧٢/٢ وفتح القدير ٤٧٩/١ كلاهما عن ابن عباس والرازي ١٢٨/١٠ وغرائب النيسابوري ٧/٥

كلاهما عن الكلبي والزجاج ٦٤/٢، وغريب القرآن ١٢٨.

(١٠) في (ج) قال.

(١١) انظر تفسير الطبري ٤٦٦/٨ - ٤٦٩ عن ابن عباس وعكرمة والسدي ومجاهد، وأسباب النزول للمواحيدي ١١٤ - ١١٥، وللسيطوي ٧٨

وابن كثير ٥١٣/١ عن عكرمة وابن عباس، وفتح القدير ٤٧٨/١ - ٤٧٩ عن ابن عباس.

(١٢) في (د) أي ناصراً.

(١٣) انظر الزجاج ٦٤/٢.

- ﴿أُم لَّهُمْ﴾^(١) على معنى: بل أ لهم ﴿نصيب من الملك﴾ وهذا استفهام معناه الإنكار، أي: ليس لهم ذلك.

وقوله^(٢) ﴿فإذا لا يؤتون الناس نقيراً﴾ قال الفراء^(٣): هذا جواب لجزء مضمّر كأنك قلت: ولئن كان لهم نصيب لا يؤتون الناس نقيراً إذاً.

قال الزجاج^(٤): وتأويل^(٥) «إذا»: إن كان الأمر كما جرى، أو كما ذكرت، يقول القائل: زيد يصير إليك فتقول: إذا أكرمه، أي: إن كان الأمر على ما تصف وقع إكرامه^(٦).

قال ابن عباس «النقير»: نقرة في ظهر^(٧) النواة، منها تنبت النخلة^(٨).
قال الزجاج^(٩): وذكر «النقير» ها هنا: تمثيل، المعنى لبخلوا بالقليل.

- قوله عز وجل^(١٠) ﴿أُم يَحْسُدُونَ النَّاسَ...﴾ الآية، حسدت اليهود محمداً ﷺ على ما آتاه الله^(١١) من النبوة، فقال الله تعالى ﴿أُم يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ على معنى: بل أيحسدون^(١٢) الناس، يعني: محمد ﷺ^(١٣) وإنما جاز أن يقع عليه لفظ «الناس» وهو واحد، لأنه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون في جماعة ومثله قوله ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾^(١٤).

وقوله ﴿على ما آتاهم الله من فضله﴾ يعني: النبوة، وقد علموا أن النبوة كانت في آلهم ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة﴾ يعني: النبوة، يريد ما كان في بني إسرائيل من الكتاب والنبوة. وكانوا^(١٥) من آل إبراهيم لأنهم كانوا أولاد إسحاق بن إبراهيم، ومحمد ﷺ كان ولد إسماعيل بن إبراهيم.
وهذا الذي ذكرنا قول الحسن وابن جريج وقتادة واختيار الزجاج^(١٦).

وقوله^(١٧) ﴿وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾ قال مجاهد^(١٨): يعني النبوة، لأن الملك لمن له الأمر والطاعة. والأنبياء لهم الطاعة والأمر^(١٩).

(١) في (ج، د) أم لهم نصيب من الملك.

(٢) في (د) قوله.

(٥) في (د) في تأويل.

(٦) في (هـ) الكرامة.

(٧) في (هـ) ظهور.

(٨) في (هـ) ظهور.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٧٢ والطبري ٤٧٣/٨ وفتح القدير ٤٧٨/١ كلاهما عن ابن عباس والقرطبي ٢٩٤/٥ عن ابن عباس وقتادة وغريب القرآن ١١٩ ومجاز القرآن ١٣٠/١ والفراء ٢٧٣/١.

(٩) انظر الزجاج ٦٥/٢.

(١٠) في (ج، هـ) وقوله وفي (د) قوله.

(١١) في (ح) حسدت محمداً عليه السلام على ما آتاهم.

(١٢) في (ح) بل يحسدون، وفي (د) بل يحسدون يعني.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ٧٢ ومجاهد ١٦٢ والزجاج ٦٧/٢ وابن كثير ٥١٣/١.

(١٤) سورة النحل / ١٢٠.

(١٥) في (ح) وكان، وفي (د) فكانوا.

(١٦) انظر الزجاج ٦٧/٢ والدر ١٧٣/٢ عن قتادة وأبي مالك وابن جريج.

(١٧) في (د) قوله تعالى.

(١٨) انظر تفسير مجاهد ١٦٢ وابن عباس ٧٢ والطبري ٤٨٠/٨ عن مجاهد، والدر ١٧٣/٢ عن مجاهد والحسن.

(١٩) في (د) لهم الأمر والطاعة.

- قوله عز وجل (١) ﴿فمنهم من آمن به﴾ قال ابن عباس والأكثر (٢): من أهل الكتاب من آمن بمحمد ﷺ ﴿ومنهم من صد عنه﴾ أعرض (٣) ولم يؤمن ﴿وكفى بجهنم سعيراً﴾، عذاباً لمن لا يؤمن.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا نُصِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَنِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَمُوتْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَوُدَّخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (٥٧)

- قوله عز وجل (٤) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني: بمحمد ﷺ والقرآن ﴿سوف نصليهم نارا﴾ ندخلهم نارا (٥) ﴿كلما نضجت﴾ لانت بحرارتها ﴿جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾ (٦)، قال ابن عباس (٧): يبدلون جلودهم بيضاء كأمثال القراطيس، وقال الحسن (٨): بلغنا، أنهم (٩) تنضجهم كل يوم سبعين ألف مرة، تأكل جلودهم ولحومهم، قال: وغلظ لحوم أهل النار أربعون ذراعاً وما بين منكي أحدهم مسيرة ثلاثة أيام (١٠).

أخبرنا أبو نصر المهرجاني، أخبرنا ابن بطة (١١)، أخبرنا أبو القاسم البغوي، حدثنا داود بن رشيد، حدثنا مروان بن معاوية (١٢) حدثنا يزيد بن سنان (١٣)، حدثنا أبو يحيى الكلاعي (١٤)، عن المقدم بن معدي كرب (١٥)، قال

(١) في (ح) قوله، وفي (د) قوله تعالى، وفي (هـ) وقوله.

(٢) انظر تفسير مجاهد ١٦٢ والزجاج ٦٨/٢ والبحر ٢٧٤/٣ وابن كثير ٥١٤/١ والدر ١٧٣/٢ كلاهما عن مجاهد.

(٣) في (د) أي أعرض، وفي (هـ) ومنهم من صد أعرض عنه.

(٤) في (ج، هـ) قوله تعالى وفي (د) قوله.

(٥) من (د، هـ).

(٦) في (د) بغيرها.

(٧) انظر البحر ٢٧٤/٣، وفتح القدير ٤٨٠/١ كلاهما عن ابن عباس، وابن كثير ٥١٤/١ والدر ١٧٤/٢ والطبري ٤٨٤/٨ كلها عن ابن عمر.

(٨) انظر تفسير الطبري ٤٨٥/٨ عن الحسن والربيع بن أنس، وابن كثير ٥١٤/١ عن الحسن والدر ١٧٤/٢ عن الحسن والربيع وابن عمر.

(٩) في (هـ) أنها.

(١٠) قال الزجاج: «فإن قال قائل: بدل الجلد الذي عصى بالجلد الذي غير العاصي، فذلك غلط من القول لأن العاصي والأثم هو الإنسان لا الجلد. وجائز أن يكون بدل الجلد النضج وأعيد كما كان جلده الأول كما تقول: صنعت من خاتمي خاتماً آخر فأنت وإن غيرت الصوغ فالفضة أصل واحد، وقد كان الجلد قد بلي بعد البعث فإنشأه بعد النضج كإنشائه بعد البعث». (الزجاج ٦٨/٢ - ٦٩ والأخفش ٤٤٩/١، والطبري ٤٨٥/٨ - ٤٨٦).

(١١) في (د) أبو بطير، سبق.

(١٢) في (ج، د) هارون سبق.

(١٣) يزيد بن سنان أبو قرة الراوي مولى بني تميم عن ميمون بن مهران وزيد بن أبي أنيسة وعنه ابنه محمد ووكيع، ضعفه ابن معين وأحمد وابن المديني وقال البخاري مقارب الحديث حدث بالكوفة توفي سنة ١٥٥ (الميزان ٢٢٧/٤).

(١٤) سليم بن عامر أبو يحيى الكلاعي الشامي سمع المقدم بن الأسود وهو كوفي تابعي ثقة وثقه يعقوب بن سفيان والنسائي وابن حبان وغيرهم. (تاريخ الثقات ١٩٩، والجمع ٢٠١/١ والطبراني في الكبير ٢٥٤/٢٠، ٢٨١ وتهذيب التهذيب ١٦٦/٤).

(١٥) المقدم بن معدي كرب أبو كريمة الكندي الشامي سمع النبي ﷺ وروى عنه خالد بن معدان وغيره توفي سنة ٨٧ وهو ابن ٩١ سنة (الجمع ٥٠٨/٢ والطبراني في الكبير ٢٠١/٢٠).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر^(١) من بين السقط إلى الشيخ الفاني يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين^(٢) سنة، المؤمنون منهم في خلق آدم، وقلب أيوب، وحسن يوسف، مرداً مكحلين، قلنا: يا رسول الله فكيف بالكافر^(٣)؟ قال: يعظم للنار حتى يصير غلظ جلده أربعين ذراعاً^(٤)، وحتى يصير الناب مثل أحد^(٥)».

وعن جابر بن عبد الله قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾ فبكى^(٦) واشتد بكاءه، فبكينا لبكائه، فلما أفاق قال: تبدل ليجدد عليهم العذاب، وهو قوله ﴿ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً﴾ أي: هو قوي لا يغلبه شيء، وهو مع ذلك حكيم فيما دبر.

ولما ذكر ما أعد^(٥) للكافرين من العذاب ذكر ثواب المؤمنين فقال:

- ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ إلى قوله ﴿وندخلهم ظلاً ظليلاً﴾ أي: دائماً لا تنسخه الشمس، كما تنسخ ظلال الدنيا.

وقال الحسن^(٦) ﴿ظلاً ظليلاً^(٧)﴾ لا يدخله الحر والسما^(٨)م، قال الزجاج^(٩) معنى «ظليل» يظل من الريح والحر، وليس كل ظل كذلك أعلم الله تعالى أن ظل الجنة ظليل لا حر فيه ولا برد. وقال مقاتل ﴿ظلاً ظليلاً﴾ يعني أكتان القصور لا فرجة فيها ولا خلل.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٥٨)

- قوله عز وجل^(١١) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ أجمع المفسرون على^(١١) أن الآية نازلة^(١٢) في شأن مفتاح الكعبة، وذلك أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة طلب المفتاح، فقيل: إنه مع عثمان بن طلحة الحنظلي^(١٣) وكان من بني عبد الدار وكان يلي سدانة^(١٤) الكعبة، فوجه إليه علياً رضي الله عنه فأبى دفعه إليه، وقال: لو

(١) في (د) الحشر ما بين السقط والشيخ. والسقط: الولد الذي يسقط من بطن أمه قبل تمامه (اللسان/سقط).

(٢) في غير (أ) أبناء ثلاثين.

(٣) في (د) فكيف الكافر.

(٥) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب البعث - باب كيف يحشر الناس - رواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن، وليس في الرواية الأولى «أبناء ثلاث وثلاثين»، وقال في الرواية الثانية «رواه الطبراني وفيه يزيد بن سنان أبو فروة الرهاوي وهو ضعيف» (٣٣٣/١٠ - ٣٣٤) ورواه الطبراني في الكبير عن المقداد بن الأسود ٢٥٦/٢٠ وعن المقدام بن معدني كرب ٢٨١/٢٠ بالفاظ متقاربة.

(٦) في (د) فبكا.

(٨) انظر تفسير القرطبي ٢٥٥/٥ والبحر ٣/٢٧٥ كلاهما عن الحسن، والزجاج ٦٩/٢ وغرائب النيسابوري ٧٢/٥ وفتح القدير ٤٨٠/١.

(٩) في غير (أ) ظل ظليل.

(١٠) والسما^(٨)م: جمع السموم، وهو الريح الحارة (حاشية).

(١١) انظر الزجاج ٦٩/٢.

(١٥) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عبد الدار العبدي الحنظلي أسلم هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص سنة ٨ وهو صاحب مفتاح الكعبة توفي في أول خلافة معاوية. (البداية والنهاية ٢٥/٨ - ٢٦).

(١٦) والسادن: خدام الكعبة وبيت الأصنام وسدانة الكعبة: خدمتها وتولي أمرها. (اللسان سدن).

علمت أنه رسول الله لم أمنعه المفتاح، فلوى^(١) عليّ يده، وأخذته منه قسراً^(٢) حتى دخل رسول الله ﷺ البيت وصلى فيه فلما خرج قال له العباس: بأبي أنت اجمع لي السدانة مع السقاية، وسأله أن يعطيه المفتاح، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

فأمر رسول الله ﷺ علياً برده إليه، فردّه^(٣) إليه عليّ والطف في القول، فقال أخذته مني قهراً ورددته عليّ باللطف، قال: لأن^(٤) الله تعالى أمرنا برده عليك وقرأ عليه الآية، فأتى للنبي ﷺ وأسلم^(٥).

ثم إنه هاجر ودفع المفتاح إلى أخيه شيبه^(٦) فهو في ولده إلى اليوم^(٧).

أخبرنا أبو حسان المزكي، أخبرنا هارون بن محمد الاسترابادي، حدثنا أبو محمد الخزازي، حدثنا أبو الوليد الأزرقى، حدثنا جدي عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج، عن مجاهد في هذه الآية قال^(٨): نزلت في عثمان بن طلحة:

قبض النبي ﷺ مفتاح الكعبة فدخل الكعبة يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه الآية فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح وقال: «خذوها يا بني طلحة بأمانة الله لا ينزعها منكم إلا ظالم»^(٩).

قال ابن عباس^(١٠): هذه الآية عامة في كل أمانة، تؤدي الأمانة إلى البر والفاجر، والرحم توصل برة كانت أ فاجرة. وقال ابن عمر وابن مسعود^(١١): الفرج أمانة، والبصر أمانة والأمانة^(١٢) في كل شيء: في الوضوء والصلاة والزكاة والجنابة والصوم وفي الكيل والوزن وأعظم من ذلك الودائع، ولا إيمان لمن لا أمانة له.

و«الأمانة»: مصدر سُمّي به المفعول، ولذلك^(١٣) جمع أمانات لأنه أخلص اسماً، قال الشاعر^(١٤):

فأخلفن ميعادي وخن أمانتي
وليس لمن خسان الأمانة دين

(١) في (د) فلول.

(٣) في (هـ) فرد.

(٤) في (ح) إن.

(٢) في (أ) وأخذ قسراً وفي (ج) وأخذ منه قسراً، وفي (د) قهراً.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ٧٢ والزجاج ٦٩/٢ - ٧٠ والفتح الرباني ١٥٢/٢١ والدر ١٧٤/٢ عن ابن عباس وابن جريج، وابن كثير ٥١٥/١ - ٥١٦ وأسباب النزول للواحدى ١١٦ - ١١٧ وللسيوطي ٧٩ وغرائب النيسابوري ٧٦/٥ - ٧٧ وأحكام القرآن لابن العربي ٤٤٩/١ - ٤٥٠ والطبري ٤٩١/٨ - ٤٩٢ عن ابن جريج.

(٦) شيبه بن عثمان أبي طلحة بن عبد العزى القرشي العبدري المكي الحنفي كان مشاركاً لابن عمه عثمان الحنفي في سدانة البيت وخاله مصعب بن عمير وحجبة البيت بنو شيبه من ذريته توفي سنة ٥٩ هـ (سير الأعلام ١٢/٣ - ١٣، والكاشف ١٧/٢).

(٧) في (د) إلى الآن.

(٨) انظر الدر ١٧٤/٢ - ١٧٥ عن ابن جريج، وفتح القدير ٤٨٠/١ - ٤٨١ عن ابن عباس وابن جريج وأسباب النزول للواحدى ١١٧ وللسيوطي ٧٩، وكنز العمال ٣٨٣/٢.

(٩) رواه الطبراني في الكبير ١٢٠/١١ عن ابن عباس وفي الأوسط ٣٠١/١ عن ابن عباس والهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب الحج - باب في أمر مكة من الأذان والحجبة «رواه الطبراني في الكبير والأوسط» وأعله بعبد الله بن المثلث وقد وثقه ابن حبان وابن معين في رواية ١٢/٣، ومصنف عبد الرزاق ٨٥/٥ عن ابن جريج عن أبي مليكة والدر ١٧٥/٢ عن ابن عباس.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٤٩٢/٨ - ٤٩٣ والدر ١٧٥/٢ كلاهما عن ابن عباس وابن زيد، وابن كثير ٥١٥/١ عن ابن عباس.

(١٣) في (د) وكذلك.

(١١) انظر الدر ١٧٥/٢ عن ابن عمر.

(١٤) لم أقف عليه.

(١٢) ساقطة من (هـ).

أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن جعفر النحوي، أخبرنا محمد بن أحمد بن سنان، أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى^(١)، حدثنا وهب، حدثنا خالد عن حسين، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «يا أيها الناس إنه لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»^(٢).

وقوله^(٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ أي: نعم شيئاً يعظكم به الله، يعني: أداء الأمانة والحكم بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ لما تقولون في الأمانة والحكم ﴿بصيراً﴾ بما تعملون فيهما.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

- وقوله عز وجل^(٤) ﴿يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ قال الحسن وعطاء^(٥): اتباع الكتاب والسنة^(٦) ﴿وأولي الأمر منكم﴾ قال ابن عباس في رواية الوالي^(٧): هم الفقهاء والعلماء وأهل الدين الذين يعلمون الناس معالم دينهم، وأوجب الله تعالى^(٨) طاعتهم، وهذا قول مجاهد والحسن والضحاك.

وفي رواية عطاء: هم الولاة. وهو قول ابن زيد، قال: هم الأمراء والسلاطين لما أمروا بأداء الأمانة في الرعية في قوله^(٩) ﴿إن الله يأمركم...﴾ الآية، أمرت الرعية بحسن الطاعة لهم فيما يوافق الحق^(١٠).

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، حدثنا إبراهيم بن أحمد بن رجاء حدثنا مسدد بن قطن^(١١)، حدثنا داود بن رشيد، حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر^(١٢)، أخبرني زريق - مولى بني

(١) في (د) مثنى، سبق.

(٢) الحديث: في مجمع الزوائد - كتاب العلم - باب اتباع الكتاب والسنة «رواه الطبراني في الكبير وفيه حسن بن قيس الملقب بحنش وهو متروك الحديث» عن ابن عباس (١٧٢/١) والطبراني في الكبير ٢٨٠/١٠ عن ابن مسعود، ٢١٣/١١ عن ابن عباس ومسنده أحمد ١٥٤/٣ عن أنس. وزوائد البزار - كتاب الإيمان - باب لا إيمان لمن لا أمانة له رقم ١٠٠ عن أنس ٦٨/١. والجامع الصغير ١٨٩/٢ عن أنس ورمز له بالصحيح.

(٣) في (د، هـ) قوله.

(٤) في (ج، هـ) قوله، وفي (د) قوله تعالى.

(٥) في غير (أ) عطاء والحسن.

(٦) انظر تفسير الطبري ٤٩٦/٨ والدر ١٧٦/٢ كلاهما عن عطاء.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٧٢ ومجاهد ١٦٢ - ١٦٣ والطبري ٥٠٠/٨ - ٥٠١ عن مجاهد وابن عباس والحسن وغيرهم وغرائب النيسابوري ٨٠/٥ عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك والدر ١٧٦/٢ - ١٧٧ وابن كثير ٥١٨/١ كلاهما عن ابن عباس وجابر ومجاهد والضحاك والمستدرک - كتاب العلم - عن ابن عباس ١٢٣/١.

(٨) في غير (أ) أوجب الله.

(٩) في غير (أ) بقوله.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٤٩٧/٨ - ٤٩٨ عن ابن عباس وابن زيد وأبي هريرة والدر ١٧٦/٢ عن أبي هريرة وابن زيد والزجاج ٧٠/٢.

(١١) مسدد بن قطن النيسابوري روى عن جده لأمه بشر بن الحكم وطبقته بخراسان والعراق قال الحاكم: مزكى عصره وكان المقدم في الزهد والورع توفي سنة ٣٠١ هـ. (شذرات ٢٣٦/٢ - ٢٣٧).

(١٢) عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي الشامي سمع زريق بن حيان وبسر بن سعيد وعمير بن هاني وعنه الوليد بن مسلم وابن المبارك توفي سنة ١٥٣ هـ (الجمع ٢٨٩/١).

فزارة - (١) أنه سمع مسلم بن قرظة (٢)، يحدث عن عوف بن مالك الأشجعي يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا من ولي عليه والٍ فراه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة الله» (٣) رواه مسلم عن داود بن رشيد (٤).

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ، أخبرنا عبد الله بن أحمد المروزي (٥)، أخبرنا أبو عبد الرحمن بن أبي داره (٦) حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاد (٧) حدثنا سلمة بن سليمان (٨) عن عبد الله بن المبارك أخبرنا الحسن بن عياش (٩) عن عمرو بن ميمون (١٠) عن أبيه قال:

قال مسلمة بن عبد الملك (١١): أليس قد أمرتم بطاعتنا يعني ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ قال: قلت: إن الله قد انتزعه منكم إذ خالفتم الحق، قال الله تعالى ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ قال: فأين الله؟ قلت: الكتاب، قال: فأين الرسول؟ قلت: السنة (١٢).

والمعنى: فإن (١٣) تنازعتم في شيء وأنتم وأمرؤكم فردوا الحكم فيما تنازعتم فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﴿ذلك خير﴾ أي: ردكم ما اختلفتم فيه إلى الكتاب والسنة وترككم التجادل خير ﴿وأحسن تأويلاً﴾ قال قتادة والسدي (١٤) وأحمد: عاقبة.

(١) زريق بن حيان الفزاري مولاهم أبو المقدم كان على جواز مصر زمن الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز سمع مسلم بن قرظ الأشجعي الشامي روى عنه يزيد بن جابر، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر وعبد الله بن يزيد بن جابر. (كتاب الجمع ١٤١/١).

(٢) مسلم بن قرظة الأشجعي ابن عم عوف بن مالك الأشجعي سمع منه وروى عنه زريق بن حيان وربيعه بن زيد (الجمع ٤٩٣/٢). (٤٩٤).

(٣) عند مسلم: ولا ينزعن يداً من طاعة.

(٤) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الإمارة - باب خيار الأئمة وشرارهم - ضمن حديث عوف بن مالك الأشجعي. (١٣٨/٢).

(٥) لعله: عبد الله بن محمد المروزي، سبق.

(٦) أبو عبد الرحمن عبد الله بن أبي داره توفي سنة ٢٩٥ هـ (الكامل لابن الأثير ١٣/٨).

(٧) في (د) مهران وهو: محمد بن عبد الله بن قهزاد من أهل مرو سمع سلمة بن سليمان وعبد الله بن عثمان عبدان وعلي بن الحسن بن شقيق روى عنه مسلم توفي سنة ٢٦٢ هـ (كتاب الجمع ٤٧٣/٢).

(٨) سلمة بن سليمان المروزي سمع عبد الله بن المبارك وغيره وعنه أحمد بن أبي رجاء ومحمد بن عبد الله بن قهزاد وروى له البخاري ومسلم (كتاب الجمع ١٩٢/١).

(٩) الحسن بن عياش أخو أبي بكر بن عياش يكنى أبا محمد من أهل الكوفة سمع جعفر بن محمد وروى عنه يحيى بن آدم روى له مسلم (كتاب الجمع ٨٥/١).

(١٠) عمرو بن ميمون بن مهران أبو عبد الله الجزري سمع أباه وسليمان بن يسار وعمر بن عبد العزيز بن مروان وعنه الثوري وزهير بن معاوية وشريك بن عبد الله وابن المبارك قال ابن معين ثقة وقال ابن خراش صدوق توفي سنة ١٤٥ روى له البخاري ومسلم. (تاريخ بغداد ١٨٩/١٢ - ١٩٠، والجمع ٣٦٩/١).

(١١) مسلمة بن عبد الملك بن مروان القرشي الأموي أبو سعيد وأبو الأصبع الدمشقي روى عن عمر بن عبد العزيز وعنه عبد الملك بن أبي عثمان وعبيد الله بن قرظة وعيينة وولده سفيان بن عيينة وغيرهم توفي سنة ١٢٠ هـ (البداية والنهاية ٣٦٩/٩ - ٣٧٠).

(١٢) انظر تفسير الطبري ٥٠٥/٨ والدرر ١٧٨/٢ كلاهما عن ميمون والبحر ٢٧٨/٣ عن أبي حازم. (١٣) في (هـ) أن.

(١٤) في (د) أي أحمد، وانظر تفسير ابن عباس ٧٢، والزجاج ٧١/٢ وغريب القرآن ١٣٠، والدرر ١٧٨/٢ والطبري ٥٠٦/٨ كلاهما عن قتادة والسدي وابن كثير ٥١٨/١ عن السدي.

و «العاقبة» تسمى «تأويلاً» لأنها مأل (١) الأمر، يقال: إلى هذا مأل (٢) الأمر وتأويله أي: عاقبه (٣).

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۚ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿١١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿١٣﴾

- قوله جل جلاله (٤) ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون...﴾ الآية، «الزعم والزعم»: لغتان وأكثر ما يستعمل «الزعم» بمعنى القول فيما لا يتحقق، يقال: زعم فلان إذا لم يدر لعله كذب أو باطل، ومنه قوله تعالى: ﴿هذا الله بزعمهم﴾ (٥) أي: بقولهم الكذب (٦).

قال المفسرون (٧): وقع نزاع بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين (٨) فقال اليهودي: بيني وبينك أبو القاسم، يعني النبي ﷺ وعلم أنه لا يقبل الرشوة وقال المنافق: بيني وبينك كعب بن الأشرف، لأنه علم أنه يأخذ الرشوة، فأنزل الله ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم ءامنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ يعني المنافقين ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾ يعني: كعب بن الأشرف (٩)، وقال عطاء: يعني: حيي بن أخطب. ﴿وقد أمروا أن يكفروا به﴾ قال ابن عباس (١٠): أمروا أن لا يوالوا غير أهل دينهم ﴿ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾ أي: ضلالاً لا يرجعون عنه إلى دين الله أبداً.

(١) في (د) ما آل.

(٢) في (هـ) ما آل.

(٣) انظر اللسان / أول، والمصباح / أول، ومفردات الراغب / أول.

(٤) في (ج، د) قوله وفي (هـ) قوله تعالى.

(٥) سورة الأنعام / ١٣٦.

(٦) الزعم والزعم والزعم: ثلاث لغات: القول، وقيل: هو القول يكون حقاً ويكون باطلاً قال الليث: إذا شك فلم يُدر لعله كذب أو باطل قيل: زعم فلان... (اللسان/زعم).

(٧) انظر الزجاج ٧٢/٢ ومجاهد ١٦٣ - ١٦٤ والدرر ١٧٨/٢ - ١٧٩ عن ابن عباس وقتادة والربيع وتفسير ابن عباس ٧٢ وابن كثير ١/١٩٥ والطبري ٨/٥٠٨ عن الشعبي وغرائب النيسابوري ٨٣/٥ عن ابن عباس والرازي ١٠/١٥٣ - ١٥٤ وأحكام القرآن ١/٤٥٥ مع اختلاف في الروايات.

(٨) في (هـ) بين رجل من المنافقين وبين يهودي.

(٩) انظر تفسير الطبري ٨/٥١١ - ٥١٣ عن ابن عباس والضحاك والربيع ومجاهد، وكذا في الدرر ٢/١٧٩ وانظر مثل ذلك عند تفسير الآية ٢٥٧ من سورة البقرة.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٨/٥١١ والخازن ١/٥٥٢ - ٥٥٣ عن ابن عباس بنحوه والوجيز للواحدي ١/١٥٦.

ومعنى الآية: تعجيب للنبي ﷺ من جهل من يعدل عن حكم الله إلى حكم الطاغوت مع زعمه بأنه مؤمن^(١) بالله ورسوله وما أنزل إليه من قبله^(٢).

- قوله جل جلاله^(٣) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لهؤلاء المنافقين ﴿تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني^(٤) في القرآن من الأحكام ﴿وإلى الرسول﴾ إلى حكمه ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ أي: يعرضون عنك إلى غيرك.
- قوله عز وجل^(٥) ﴿فَكَيْفَ﴾ أي: فكيف يحتالون ويصنعون ﴿إِذَا أَصَابْتَهُمْ مِصْيَبَةٌ﴾ عقوبة من الله مجازاً على ما صنعوا وهو قوله ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: من التكذيب والكفر بالقرآن والرسول؟ ثم عاد الكلام إلى ما سبق من القصة فقال ﴿ثُمَّ جَاءَكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ وذلك أن المنافقين أتوا نبي^(٥) الله ﷺ: وحلفوا أنهم ما أرادوا بالعدول عنه في المحاكمة [إلا إحساناً وتوفيقاً] أي^(٦): إلا توفيقاً بين الخصوم أي: جمعاً وتأليفاً، وإحساناً بالتقريب في الحكم دون الحمل على مر الحق، وكل ذلك كذب، منهم لأن الله تعالى قال:

- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الكذب والخيانة والشرك والنفاق، ﴿فَاعْرَضْ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تعاقبهم ﴿وعظهم﴾ بلسانك ﴿وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾ قال ابن عباس: خوفهم بالله^(٧)، وقال الحسن^(٨): قل لهم: إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم، فهذا القول البليغ، لأنه^(٩) يبلغ من نفوسهم كل مبلغ، وقال الزجاج^(١٠): أعلمهم أنهم إن ظهر منهم رد لحكمك وكفر^(١١) فالقتل.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦﴾

- قوله جل جلاله ﴿وما أرسلنا من رسول﴾ «من»: دخلت للتأكيد والمعنى: وما أرسلنا رسولا ﴿إلا ليطاع بإذن الله﴾ أي: بأمر الله، يعني إن طاعة الرسول وجبت بأمر الله الذي دل على وجوب طاعته.

قال الزجاج^(١٢): أي^(١٣): إلا ليطاع لأن الله تعالى قد أذن في ذلك وأمر به قوله تعالى^(١٤) ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ بعضيانك وموالاتهم الكفار حتى يحكموهم ﴿جاءوك فاستغفروا لله﴾ أي: تابوا إلى الله ونزعوا عما هم عليه ﴿واستغفر لهم الرسول﴾ سأل الله لهم أن يغفر لهم ما تقدم من تكذيبهم ﴿لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾.

فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا

(١) في (ج، د) لمؤمن، وفي (هـ) يؤمن.

(٢) في (د) قبل.

(٣) في غير (أ) قوله.

(٤) انظر تفسير الطبري ٥١٥/٨ والبحر ٢٨١/٣ والبعث ٥٥٤/١.

(٥) انظر تفسير القرطبي ٢٦٥/٥ والبحر ٢٨١/٣ والبعث ٥٥٤/١ كلها عن الحسن.

(٦) في (د) لا.

(٧) انظر الزجاج ٧٣/٢.

(٨) في (هـ) أو كفر.

(٩) انظر الزجاج ٧٤/٢.

(٤) في (حـ) الله تعالى في القرآن.

(٥) في (هـ) أتوني ﷺ.

(٦) إضافة لليان.

(١٣) ساقطة من (د).

(١٤) في غير (أ) قوله.

(١٥) في (هـ) لوجد، وفي (د) لوجدوا الله تواباً.

فَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾

- قوله عز وجل (١) ﴿فلا﴾ أي: ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك، ثم استأنف القسم فقال ﴿وربك لا يؤمنون﴾ (٢) وهذا قول عطاء ومجاهد والشعبي: إن الآية نازلة في قصة اليهودي والمنافق، وهي متصلة بما قبلها (٣). وقال آخرون: هذه مستأنفة نازلة في قصة أخرى وهي ما أخبرنا:

عبد الرحمن بن حمدان العدل، أخبرنا أحمد بن جعفر بن مالك القطيعي أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب عن الزهري، أخبرني عروة بن الزبير، عن أبيه، أنه كان يحدث أنه خاصم رجلاً من الأنصار (٤) إلى النبي ﷺ في شراج الحرة (٥)، كانا يسقيان بهما كلاهما، فقال النبي ﷺ: إسق ثم أرسل إلى جارك، فغضب الأنصاري وقال يا رسول الله أن كان ابن عمك (٦)، فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال: إسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر (٧) فاستوعى (٨) رسول الله ﷺ للزبير حقه وكان النبي ﷺ قبل ذلك أشار على الزبير برأي أراد فيه سعة له وللأنصاري فلما أحفظ (٩) الأنصاري رسول الله ﷺ استوعى للزبير حقه في صريح الحكم.

قال عروة: قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية أنزلت إلا في ذلك ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك﴾. الآية.

رواه البخاري عن علي بن عبد الله، عن محمد بن جعفر عن معمر ورواه مسلم عن قتيبة عن الليث كلاهما عن الزهري (١٠).

وقوله (١١) ﴿فيما شجر بينهم﴾ أي: اختلف واختلط، يقال: شجر يشجر شجوراً وشجراً ومشاجرة في الأمر، إذا

(١) في (ح، د) قوله، وفي (هـ) وقوله.

(٢) في (د) فلا وربك.

(٣) انظر تفسير الطبري ٥٢٣/٨ - ٥٢٤ والدر ١٨٠/٢ كلاهما عن مجاهد والشعبي وعكرمة.

(٤) قيل هو حاطب بن أبي بلتعة وانظر فتح الباري نقلاً عن الواحدي وغيره» (٢٧/٥).

(٥) شراج: سيل الماء وإنما أضيف إلى الحرة: لكونها فيها والحرة: موضع معروف بالمدينة. (المصدر السابق ٢٨/٥).

(٦) بفتح همزة (أن) وهي للتعليل كأنه قال: «حكمت له بالتقديم لأجل أنه ابن عمك» وقيل إن شرطية والجواب محذوف.

(٧) والجدر - بفتح الجيم وسكون الدال - الحواجز التي تحبس الماء وهو جمع جدار، (المصدر السابق ٢٨/٥).

(٨) فاستوعى: استحفظ.

(٩) أحفظ: أغضب (حاشية أ).

(١٠) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب الصلح - باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم البين (١١٤/٢ - ١٢٥).

رواه البخاري في الصحيح - كتاب المساقاة - باب سكر الأنهار ٥١/٢ - ٥٢. رواه البخاري في الصحيح - كتاب التصير - سورة النساء

(فلا وربك). ١٢٠/٢. ومسلم في الصحيح - كتاب الفضائل - باب وجوب اتباعه ﷺ ٣٣٧/٢. وغرائب النيسابوري ٨٨/٥ - ٨٩

«والقصة بين الزبير وحاطب بن أبي بلتعة» والدر ١٨٠/٢، والطبري ٥١٩/٨ - ٥٢٠، ومسنند أحمد ١٦٥/١ - ١٦٦.

(١١) في (د) قوله.

نازعه مشاجرة، وتشاجروا وتشاجرا، واشتجروا، ولك ذلك لتداخل^(١) كلام بعضهم في بعض^(٢).

وقوله^(٣) ﴿ثم لا يجدوا^(٤) في أنفسهم حرجاً مما قضيت﴾ قال ابن عباس: يعني^(٥) ضيقاً مما قضيت، يعني يرضون بقضائك^(٦)، وقال الزجاج^(٧): لا تضيق صدورهم بقضيتك ﴿ويسلموا تسليماً﴾ لما يأتي من حكمك لا يعارضون بشيء، أي: يبذلون الرضا لحكمك^(٨)، ويتركون السخط والمنازعة.

- قوله عز وجل^(٩) ﴿ولو أنا كتبنا عليهم﴾ أي: فرضنا وأوجبنا، قال المفسرون^(١٠): كتب الله تعالى على بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم وكتب على المهاجرين أن يخرجوا من ديارهم فقال الله تعالى ولو أنا كتبنا على هؤلاء ما كتبنا على غيرهم وهو قوله ﴿أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم﴾ كسرهما^(١١) عاصم وحزمة، لالتقاء الساكنين ومر ضمهما: فلأنهما حلا محل الهمزة المضمومة فضمتا كما ضمت هي، وإن كانتا منفصلتين.

قال الزجاج: وللكسرة^(١٢) والضممة في هذه الحروف وجهان جيدان، ولست أعرف لفصل أبي عمرو بين هذين الحرفين خاصة، إلا أن يكون رواية^(١٣).

قوله^(١٤) ﴿ما فعلوه إلا قليل^(١٥) منهم﴾ قال الحسن^(١٦): أخير عن علمه فيهم، يعني ما يفعل ذلك إلا من قد علم الله منه ذلك، وهم قليل.

وارتفع^(١٧) ﴿قليل﴾ على البدل من «الواو» في (فعلوه) كقولك: ما أتاني أحد إلا^(١٨) زيد ترفع^(١٩) زيداً على البدل من أحد.

ومن نصب (إلا قليلاً) فإنه جعل النفي^(٢٠) بمنزلة الإيجاب، وذلك أن قولك: «ما جاءني أحد» كلام تام، كما أن

(١) في (أ) الكلام.

(٢) في (د) قوله.

(٣) انظر مجاز القرآن ١٣١/١ والبحر ٢٨٢/٣ واللسان / شجر.

(٤) في (هـ) يجدون. (٥) في غير (أ) يريد.

(٦) انظر تفسير الخازن ٥٥٦/١ والبحر ٢٨٤/٣ عن ابن عباس والطبري ٥١٨/٨ وغرائب النيسابوري ٨٩/٥ وغريب القرآن ١٣٠.

(٧) انظر الزجاج ٧٤/٢، والرازي ١٦٥/١٠ عن الزجاج.

(٨) في (د) الرضى وفي (هـ) الرضا بحكمك.

(٩) في (ج، هـ) وقوله، وفي (د) قوله.

(١٠) انظر تفسير مجاهد ١٦٤ والطبري ٥٢٦/٨ عن مجاهد والدر ١٨١/٢ عن مجاهد والسدي.

(١١) «أي النون في (أن اقتلوا) والواو في (أو اخرجوا)» (حاشية أ). قرأ عاصم وحزمة (أن اقتلوا) وكذا (أو اخرجوا) بكسر النون والواو، وقرأ

ابن عامر وابن كثير والكسائي بضمهما. (وانظر الحجة لأبي زرعة ١٢٢ - ١٢٣ والسبعة ٢٣٤ والنشر ٢٢٥/٢ والتبيان ٣٧٠/١ والزجاج ٧٥/٢ - ٧٦ والحجة لابن خالويه ٩٢.

(١٢) في (ج، د) والكسرة.

(١٣) انظر الزجاج ٧٦/٢ وانظر الحجة لأبي زرعة ١٢٢ - ١٢٣ عن أبي عمرو، وكذا السبعة ص ٢٣٤ «أي النون والواو، فإنه كسر النون

وضم الواو، وقوله: إلا إن يكون رواية وقع في الموضوع لأن أبا عمرو إنما فصل بينهما للرواية، يعني لأنه نقل إليه النون مكسوراً والواو

مضموماً وهذا دليل على أن القراء لم يقرءوا القرآن بمجرد الاستقامة على القواعد العربية بل بالنقل إليهم». (حاشية أ).

(١٤) في غير (أ) وقوله.

(١٥) في (هـ) قليلاً، وهي قراءة ستاتي.

(١٨) في (هـ) إلى زيد.

(١٦) انظر تفسير البغوي ٥٦/١ عن الحسن ومقاتل وابن كثير ٥٢١/١ - ٥٢٢.

(١٩) في (د) فيرفع.

(١٧) في (هـ) ورفع.

(٢٠) في (د) النفس.

«جاءني القوم^(١)» كذلك فنصب^(٢) مع النفي كما نصب مع الإيجاب، من حيث اجتماعهما في أن كل واحد منهما كلام تام^(٣).

﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به﴾ أي: ما يؤمرون به^(٤) ﴿لكان خيراً^(٥) لهم﴾ في دينهم وفي الآخرة ﴿وأشدّ ثبباً﴾ تصديقاً بأمر الله، أي: ذلك أشدّ ثبباً منهم لأنفسهم في الدين.

﴿وإذا^(٦) لأتيناهم﴾ أي: لو فعلوا ما وعظوا^(٧) به لأتيناهم ﴿من لدنا﴾ مما لا يقدر عليه غيرنا ﴿أجرأ^(٨) عظيماً﴾ وهو الجنة.

- ولهديناهم صراطاً مستقيماً﴾ قال ابن عباس^(٩): أرشدناهم إلى دين مستقيم يريد: دين الحنيفية لا دين اليهودية.

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾

- قوله عز وجل^(١٠) ﴿ومن يطع الله والرسول...﴾ الآية، قال السدي^(١١): إن ناساً من الأنصار قالوا يا رسول الله إنك تسكن الجنة في أعلاها، ونحن نشتاك إليك فكيف نصنع؟ فنزلت الآية.

وقال الشعبي: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ - وهو يبكي فقال^(١٢): ما يبكيك يا فلان؟ فقال: يا رسول الله: بالله الذي لا إله إلا هو لانت أحب إلي من نفسي وأهلي ومالي وولدي وإني لأذكرك وأنا في أهلي فيأخذني مثل الجنون حتى أراك^(١٣)، وذكرت موتي وأنت ترفع مع النبيين، وإني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئاً فأنزل الله ﴿ومن يطع الله﴾ أي: في الفرائض ﴿والرسول﴾ أي: في السنن ﴿فأولئك﴾ يعني المطيعين ﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾ أي: أنه يستمتع برؤية النبيين وزيارتهم والحضور معهم، فلا يتوهمن من أجل أنهم في أعلى^(١٤) عليين أنه لا يراهم^(١٥).

(١) في القول. (هـ) القول. (٢) في (د) فتنصب.

(٣) قرأ ابن عامر (ما فعلوه إلا قليلاً) بالنصب - وكذا هو في مصاحف الشام وقرأ الباقون - بالرفع - (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٠٦ - ٢٠٧ والسبعة ٢٣٥ والنشر ٢/٢٥٠، والتبيان ١/٣٧٠ والزجاج ٢/٧٦ - ٧٧ ومجاز القرآن ١/١٣١ والأخفش ١/٤٤٩ والتبيان ١/٢٥٨ والمصاحف لابن أبي داود ص ٤٥ والحجة لابن خالويه ١٢٤ - ١٢٥).

(٤) انظر مجاز القرآن ١/١٣١.

(٥) في (هـ) خيراً. (٦) في (د) (لأتيناهم).

(٧) في (د) ما يوعظون. (٨) في (هـ) أجرأ.

(٩) كثيراً ما يفسر ابن عباس «الهدى» بمعنى «الرشاد» انظر تفسيره ٧٦، وانظر الخازن ١/٥٥٧ عن ابن عباس.

(١٠) في غير (أ) قوله.

(١١) انظر تفسير الطبري ٨/٥٣٤ - ٥٣٥ والدرر ٢/١٨٢ كلاهما عن السدي والربيع ومسروق وقتادة وغرائب النيسابوري ٥/٩٢ عن السدي وأسباب النزول للسيوطي ٨٣.

(١٢) في (هـ) قال وفي (أ، د) وما. (١٣) في (أ) حتى أريك. (١٤) في (د) أعلا.

(١٥) انظر المعجم الصغير للطبراني ١/٢٦ والأوسط ١/٢٩٦ كلاهما عن عائشة، والكبير ١٢/٨٦ - ٨٧ عن الشعبي عن ابن عباس، والحلية لأبي نعيم ٤/٢٣٩ - ٢٤٠ والدرر ٢/١٨٢ عن عائشة وفتح القدير ١/٤٨٥ «رواه الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والضياء»

وقوله ^(١) ﴿والصديقين﴾: كل من صدق بكل ما أمر الله، لا يدخله شك، وصدق الأنبياء فهو صديق وهو قول الله تعالى ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾ ^(٢).

وقال ^(٣) الكلبي ^(٤): الصديقون: أفاضل أصحاب النبي ﷺ وقال مقاتل ^(٥): الصديقون أول من صدق الأنبياء حين عاينهم ^(٦).

وقوله ^(٨) ﴿والشهداء﴾ يعني: القتلى في سبيل الله ﴿والصالحين﴾ هم سائر المسلمين ﴿وحسن أولئك﴾ يعني: الأنبياء وهؤلاء ﴿رفيقاً﴾ صاحباً.

وسمي صاحب رفقاً، لارتفاقك به وبصحبه ويقال للجماعة في السفر «رفقة» لارتفاق بعضهم بعض.

و«الرفيق» لأن الواحد في التمييز ينوب عن الجماعة، نحو قولك: هو أجمل فني، المعنى: هو أجمل الفتيان ^(١٠).

- قوله ﴿ذلك﴾ أي: ذلك الثواب وهو الكون مع النبيين والصديقين ﴿الفضل﴾ ^(١١) من الله ﴿تفضل به على من

أطاعه﴾ وكفى بالله عليمًا ﴿أي: أنه لا يضيع عنده عمل عامل لأنه لا يخفى عليه شيء.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُدُوا حُدْرَكُمْ فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ

= المقدسي في صفة الجنة وأخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس بنحوه، والطبري ٥٣٤/٨ عن سعيد بن جبير وغرائب النيسابوري ٩٢/٥ عن الكلبي وذكر اسم ذلك الصحابي صاحب القصة فقال هو ثوبان مولى رسول الله ﷺ. وعن مقاتل أنه رجل من الأنصار. ومجمع الزوائد - كتاب التفسير - من سورة النساء - عن عائشة «رواه الطبراني في الصغير الأوسط ورجاله من رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة» (٧/٧) وانظر أسباب النزول للواحدي ١٢٢ - ١٢٣.

(١) في (د) قوله.

(٢) سورة الحديد/١٩.

(٣) في غير (أ) قال.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٧٤ والبحر ٢٨٧/٣ وغرائب النيسابوري ٩٣/٥ وفتح القدير ٤٨٥/١.

(٥) في (ج، هـ) رسول الله.

(٦) في (د) وقال الصديقون.

(٧) انظر تفسير الطبري ٥٣٠/٨ والبحر ٢٨٧/٣ وغرائب النيسابوري ٩٣/٥.

(٨) في (د) قوله.

(٩) في (ج، هـ) رفقاً.

(١٠) انظر الفراء ١٦٨/١ والأخفش ٤٥٠/١ والبيان ٢٥٨/١ واللسان/ رفق، والمصباح المنير/ رفق.

(١١) في جميع النسخ: فضل.

يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾
 الَّذِينَ ءَامَنُوا يَقُولُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَقُولُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ
 الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾

- قوله عز وجل (١) ﴿يا أيها الذين ءامنوا خذوا حذرکم﴾ (٢) هذه الآية حث من الله على الجهاد. و«الجذر»
 بمعنى الحذر، كالمثل وتقول العرب: خذ حذرک أي: احذر (٣). والمعنى: احذروا عدوكم بأخذ العدة والسلاح.
 وقوله (٤) ﴿فانفروا ثبات﴾ (٥) يقال: نفر القوم ينفرون نفراً، إذا نهضوا لقتال عدو وخرجوا لحرب (٦).
 و«الثبات» (٧) جماعات متفرقة، واحدها «ثبة» قال قتادة (٨): الثبات: الفرق وقال مقاتل: عصباً متفرقين (٩).
 (١٠) ﴿أو انفروا جميعاً﴾ خيرهم الله تعالى بين أن يقاتلوا جميعاً وبين أن يقاتل بعضهم دون بعض، فدل على أن
 الجهاد ليس من فروض الأعيان (١١).

- قوله عز وجل (١٢) ﴿وإن منكم لمن لئيطئن﴾ يعني: عبد الله بن أبي، كان (١٣)، يتخلف عن رسول الله ﷺ إذا
 خرج لغزو، والخطاب للمؤمنين وجعله منهم من حيث الظاهر (١٤) وهو حقن الدم والموارثة. و«التبطئة»: التأخر عن
 الأمر تقول العرب: ما بطأ بك عنا، أي: ما أخرك، يقال: بطوء بطأً وأبطأ إبطاءً وبطأً تبطئةً، بمعنى واحد (١٥)
 قال مقاتل ﴿ليطئن﴾ أي: ليتخلفن عن الجهاد (١٦) وقال الكلبي: ليتأقلن (١٧) ﴿فإن أصابتكم مصيبة﴾ من القتل
 وجهد من العيش ﴿قال قد أنعم الله علي﴾ بالعود ﴿إذ لم أكن معهم شهيداً﴾ أي: لم أحضر معهم فيصيبني ما أصابهم
 من البلاء والشدة.

(١) في (ج، د) قوله تعالى وفي (هـ) قوله.

(٢) في (هـ) حذرهم.

(٣) انظر اللسان/ حذر، وفتح القدير ٤٨٦/١ عن الفراء والبحر ٢٩٠/٣.

(٤) في (د) قوله.

(٥) في غير (ج) (فانفروا).

(٦) في (أ) وخرجوا الحرب. وانظر اللسان/ نفر، ومفردات الراغب/ نفر، والمصباح المنير/ نفر، وأصل نفر: التفرق.

(٧) في (د) الثبات هو.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٧٤ ومجاهد ١٦٥ والدر ١٨٣/٢ والطبري ٥٣٧/٨ عن قتادة ومجاهد.

(٩) انظر تفسير الطبري ٥٣٧/٨ - ٥٣٨ عن ابن عباس والسدي والضحاك والفراء ٢٧٥/١ وابن كثير ٥٢٤/١ عن مقاتل وغيره والدر

١٨٣/٢ عن ابن عباس والسدي وفتح القدير ٤٨٧/١ عن ابن عباس.

(١٠) في (حـ) قوله وفي (د) قوله وانظروا.

(١١) (و) (أو) في (أو انفروا) للتخيير وقال ابن عباس: هذه الآية نسختها (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) - سورة التوبة ١٢٢ -

(البحر ٢٩٠/٣).

(١٢) في (ج، هـ) وقوله وفي (د) قوله.

(١٤) في (هـ) ومن حيث. وانظر تفسير ابن عباس ٧٤ وابن كثير ٥٢٤/١ عن ابن جريج وابن جرير، والدر ١٨٣/٢ عن مقاتل بن حيان.

(١٥) انظر اللسان/ بطأ ومفردات الراغب/ بطؤ، والمصباح/ أبطأ.

(١٦) انظر تفسير ابن كثير ٥٢٤/١ والدر ١٨٣/٢ كلاهما عن مقاتل بن حيان.

(١٧) انظر تفسير ابن عباس ٧٤ ، والزجاج ٧٩/٢.

- ﴿ولئن أصابكم فضل من الله﴾ فتح ونصر وغنيمة ﴿ليقولن﴾ هذا المنافق قول نادم حاسد ﴿يا ليتني كنت معهم﴾ لأسعد بمثل (١) ما سعدوا به من الغنيمة.

وقوله ﴿كأن لم تكن بينكم وبينه مودة﴾ متصل في النظم بقوله ﴿قد أنعم الله عليّ إذ﴾ (٢) لم أكن معهم ﴿كأن لم تكن بينكم وبينه مودة﴾.

قال ابن الأنباري (٣): كأن لم يعاقدكم على الإسلام ولم يبايعكم على الصبر والثبات فيه على ما ساء وسر. وقرئ (تكن) بالياء والتاء (٤) فالتأنيث على الأصل والتذكير يحسن إذا كان التأنيث غير حقيقي سيما إذا وقع فاصل بين الفعل والفاعل.

وقوله (٥) ﴿فأفوز فوزاً عظيماً﴾ قال مقاتل (٦): أخذ نصيباً وافرأ، وإنما قال هذا: حرصاً على الدنيا وميلاً إليها ولا رغبة في الثواب. ولما ذم الله تعالى المنافق بالاحتباس عن الجهاد، أمر المؤمنين بالقتال فقال سبحانه.

- ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون (٧) الحياة الدنيا بالآخرة﴾ أي: يبيعون يقال: شريت بمعنى بعث (٨). والمعنى: أنهم يختارون الجنة على البقاء في الدنيا فيجاهدون طلباً للشهادة (٩) في سبيل الله. ﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل﴾ شهيداً ﴿أو يغلب﴾ فينظر (١٠) ويقتل هو، فكلاهما سواء في الثواب، وهو قوله ﴿فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ قال ابن عباس: ثواباً لا صفة له (١١).

- قوله جل جلاله (١٢) ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله﴾ قال المفسرون: هذا حض من الله تعالى على الجهاد في سبيله لاستنقاذ المؤمنين من أيدي المشركين (١٣).

والمعنى: لا عذر لكم في ترك القتال في سبيل الله ﴿و﴾ في ﴿المستضعفين (١٤) من الرجال والنساء والولدان﴾

(١) في (د) مثل.

(٢) انظر الزجاج ٨٠/٢ والبحر ٢٩٣/٣ عن ابن عطية ومقاتل، والقرطبي ٢٧٦/٥، والوجيز للواحد ١٦٠/١ وابن كثير ٥٢٤/١ وفتح القدير ٤٨٦/١.

(٤) قرأ ابن كثير وحفص - بالتاء - لتأنيث المودة كقوله (ولا تقبل منها شفاعه) سورة البقرة/ ٤٨ - وقرأ الباقون - بالياء - وحجتهم: أن المودة والود: بمعنى واحد، كما أن الموعظة بمعنى الوعظ كقوله (فمن جاءه موعظه) - سورة البقرة/ ٢٧٥. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٠٨، والسبعة ٢٣٥، والنشر ٥٠/٢، والبيان ٣٧٢/١ والحجة لابن خالويه ١٢٥).

(٥) في (د) قوله.

(٦) انظر الدر ١٨٣/٢ عن مقاتل.

(٧) في (د، هـ) يشترتون.

(٨) انظر تفسير الطبري ٥٤٢/٨ عن السدي وابن زيد، والأخفش ٤٥٠/١ والدر ١٨٣/٢ عن السدي.

(٩) في (د) الشهادة.

(١٠) في (هـ) فليظفر.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٧٤ وعنده «ثواباً وافرأ في الجنة»، والدر ١٨٣/٢ عن سعيد بن جبير، وفتح القدير ٤٨٧/١ عن ابن عباس.

(١٢) في غير (أ) قوله.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ٧٤ وابن كثير ٥٢٥/١ والدر ١٨ - ١٨٤ عن مجاهد وابن عباس.

(١٤) (والمستضعفين) عطف على اسم الله، أي: وفي سبيل المستضعفين. (انظر البيان ٣٧٣/١ وغريب القرآن ١٣٠ والمشكل

قال ابن عباس (١): يريد: قوماً بمكة قد أستضعفوا فحبسوا وعذبوا، قال: وكنت أنا وأمي من المستضعفين، ولم يكن لهم قوة يمتنعون بها من المشركين، ولم يقدروا أن يهاجروا إلى المدينة فكانوا يدعون الله ويقولون ﴿ربنا أخرجنا﴾ إلى المدينة دار الهجرة ﴿من هذه القرية﴾ يعني: مكة ﴿الظالم أهلها﴾ يريد: جعلوا لله شركاء.

قال الزجاج (٢) ﴿الظالم أهلها﴾: نعت للقرية. وإنما وحد ﴿الظالم﴾ لأنه صفة يقع موضع الفعل، يقال: مررت بالقرية الصالح أهلها، أي: التي صلح أهلها ﴿واجعل لنا من لدنك ولياً﴾ ول (٣) علينا رجلاً من المؤمنين يوالينا ويقوم بأمرنا ﴿واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾ ينصرنا على عدونا ويمنعنا منهم.

فاستجاب الله دعاءهم، وولى عليهم رسول الله ﷺ - لما فتحت مكة - عتاب بن أسيد فكان ينصف المظلوم من الظالم، والضعيف من الشديد.

- قوله عز وجل (٤) ﴿الذين ءامنوا يقاتلون في سبيل الله﴾ في نصرة دين الله وهو سبيله الذي يؤدي إلى ثوابه ورحمته ﴿والذين كفروا﴾ يعني: المشركين واليهود والنصارى ﴿يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ في طاعة الشيطان ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان﴾ قال ابن عباس (٥): يعني: عبدة الأصنام (٦) ﴿إن كيد الشيطان﴾ سعيه في إيقاع الضرر بالمؤمنين على جهة الاحتيال ﴿كان ضعيفاً﴾ (٧) يعني: خذلانه إياهم يوم قتلوا بيدر.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْفِتْنَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ النَّاسِ وَلَئِنَّ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ لَهُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نُصِبْهُمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾

- قوله عز وجل (٨) ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم﴾ الآية، نزلت الآية في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ منهم: عبد الرحمن بن عوف، والمقداد بن الأسود، وقدامة بن مظعون (٩)، وسعد بن أبي وقاص، كانوا يقولون

(١) انظر فتح الباري ٢٠٥/٨ والتبيان ٣٧٣/١ والمشكل ٢٠٣/١ والأخفش ٤٥٠/١.

(٢) انظر الزجاج ٨٢/٢ والتبيان ٣٧٣/١ والمشكل ٢٠٣/١ والأخفش ٤٥٠/١.

(٣) في (د) الأوثان.

(٤) في (ح) ولي.

(٥) في (هـ) يعني ضعيفاً.

(٦) في غير (أ) قوله.

(٧) في (ح، هـ) قوله تعالى وفي (د) قوله.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ص ٣٦.

(٩) قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي أبو عمرو وهو أخو عثمان بن مظعون وخال حفصة وعبد الله ابني

عمر بن الخطاب وكان تحته صفة بنت الخطاب وهو من السابقين للإسلام هاجر إلى الحبشة وشهد بدرًا وغيرها توفي سنة ٣٦ هـ

(أسد الغابة ٤/ ٣٩٤-٣٩٦).

للنبي ﷺ أذن لنا في قتال المشركين، فيقول لهم: كفوا أيديكم فإني لم أؤمر بقتالهم.

فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمروا بالقتال كرهه بعضهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية (١).

وقوله (٢) ﴿كفوا أيديكم﴾ قال ابن عباس: عن قتال عبدة الأصنام لأن الله تعالى لم يأمر بقتالهم (٣).

قال الزجاج (٤): كان المسلمون قبل أن يؤمروا بالقتال قالوا للنبي ﷺ: لو أذنت لنا أن نقاتل المشركين، فأمرنا بالكف وأداء ما افترض عليهم من غير القتال، وهو قوله ﴿وأقيموا الصلوة واءتوا الزكوة فلما كتب﴾ فرض ﴿عليهم القتال إذا فريق منهم (٥)﴾ يعني: جماعة منهم ﴿يخشون الناس﴾ المشركين ﴿كخشية الله﴾ كما يخشون (٦) الله ﴿أشد خشية﴾ قال الحسن (٧): هذا كان منهم لما في طبع البشر من المخافة لا على كراهة (٨) أمر الله بالقتال. ﴿وقالوا﴾ جزعاً من الموت وحرصاً على الحياة ﴿لم كتبت علينا القتال﴾ لولا أخرتنا إلى أجل قريب ﴿أن هلا﴾ تركتنا حتى نموت بأجلنا وعافيتنا من القتل؟ ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿متاع الدنيا قليل (٩)﴾ أي: ما تمتعون به من الدنيا وعيشها قليل ﴿والآخرة خير﴾ يعني: الجنة ﴿لمن اتقى﴾ الله ولم يشرك به شيئاً.

أخبرنا الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد الفارسي حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق حدثني محمد بن إسحاق بن خزيمة (١١)، قال: حدثنا عتبة بن عبد الله اليمحمدي (١٢)، حدثنا ابن المبارك، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم (١٣) عن المستورد بن شداد الفهري (١٤) قال: سمعت رسول الله ﷺ

(١) انظر تفسير ابن عباس ٧٤ والزجاج ٨٣/٢ والدر ١٨٤/٢ عن ابن عباس وقتادة وابن كثير ٥٢٦-٥٢٥/١ والرازي ١٨٤/١٠-١٨٥ وفتح القدير ٤٨٨/١ والطبري ٥٤٩/٨-٥٥٠ عن ابن عباس وقتادة والسدي وأسباب النزول للواحدي ١٢٣-١٢٤ وللسيرطي ٨٣ والبحر ٢٩٧/٣ عن ابن عباس والمستدرک- كتاب الجهاد ٦٦/٢-٦٧ وفي كتاب التفسير ٣٠٧/٢ «صحیح علی شرط البخاری» عن ابن عباس. هذا وقد ذكر ابن جرير عن مجاهد وابن عباس أن الآية في صنع اليهود. عن ابن عباس (فلما كتبت عليهم القتال إذا فريق منهم) إلى قوله (لم كتبت علينا القتال): نهى الله تبارك وتعالى هذه الأمة أن يصنعوا صنيعهم (تفسير الطبري ٥٥٨/٨ والبحر ٢٩٧/٣).

(٢) في (د) قوله.

(٣) انظر الدر ١٨٤/٢ عن ابن عباس وقتادة.

(٤) انظر الزجاج ٨٣/٢.

(٥) في (ج) إذا فريق منهم جماعة وفي (د) إذا فريق أي جماعة وفي (هـ) إذا فريق جماعة.

(٦) في (أ) يخشون من الله.

(٧) انظر تفسير القرطبي ٢٨١/٥ عن الحسن وغرائب النيسابوري ١٠٢/٥ والوجيز للواحدي ١٦١/١ «قرأ الحسن (قل متاع الدنيا قليل) قال: رحم الله عبداً صحبها على حسب ذلك وما الدنيا كلها أولها وآخرها إلا كرجل نام نومة فرأى في منامه بعض ما يحب ثم استيقظ (تفسير ابن كثير ٥٢٦/١).

(٨) في (هـ) كراهته.

(٩) في (خ) هل لا تركتنا نموت.

(١٠) ساقطه من (ح).

(١١) الحافظ الكبير إمام الأئمة شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمى النيسابوري ولد سنة ٢٢٣ هـ وعني بهذا الشأن في الحدائث سمع من عتبة بن عبد الله اليمحمدي المروزي والطبقة فأكثر وجوده وصنف واشتهر اسمه وانتهت إليه الإمامة والحفظ في عصره بخراسان توفي سنة ٣١١ هـ. (تذكرة الحفاظ ٧٢٠/٢-٧٣٠).

(١٢) عتبة بن عبد الله اليمحمدي الأزدي خزيمة أبو عبد الله المروزي روى عن مالك وابن المبارك وابن عيينة وغيرهم وعنه النسائي والترمذي وابن خزيمة وغيرهم قال النسائي: ثقة وقال في موضع آخر: لا بأس به توفي سنة ٢٤٤ هـ (التهذيب ٩٧/٧-٩٨).

(١٣) قيس بن أبي حازم عوف بن الحارث الأحمسي البجلي تابعي جليل أدرك الجاهلية ورحل إلى النبي ﷺ ليبياعه فقبض وهو في الطريق سكن الكوفة وروى عن الأصحاب العشرة وهو أجود الناس إسناداً توفي سنة ٨٤ هـ. (الأعلام ٥٨/٦ تاريخ بغداد ٤٥٢/١٢-٤٥٥ والنجم ٤١٧/٢-٤١٨).

(١٤) المستورد بن شداد بن عمرو بن حنبل بن الأحنف بن حبيب بن عمرو بن سفيان بن محارب بن دثار القرشي الفهري الحجازي له ولأبيه صحبة روى عن النبي ﷺ وعن أبيه وعنه قيس بن أبي حازم وغيره توفي بمصر سنة ٤٥ هـ (تهذيب التهذيب ١٠٦/١٠-١٠٧).

يقول: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم (١) فلينظر بم يرجع» (٢)

وقوله ﴿ولا تظلمون فتيلاً﴾ قال ابن عباس: لا ينقصون (٣) من ثواب أعمالهم فتيل النواة (٤). ثم أعلمهم أن آجالهم لا تخطئهم ولو تحصنوا (٥) بأمع الحصون فقال:

- ﴿أيناً (٦) تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ أي: في حصون وقصور مطولة رفيعة (٧)، وقال السدي وقتادة (٨): يعني بروج السماء الأثني (٩) عشر، يقال: شاد بناءه وأشاده وشيده، إذا رفعه.

وقوله (١٠) ﴿وإن تصبهم حسنة﴾ إلى قوله ﴿من عندك﴾ هذا من قول اليهود والمنافقين عند مقدم النبي ﷺ المدينة، وكان قد بسط عليهم الرزق، فلما كفروا أمسك عنهم بعض الإمسك، فقالوا: ما رأينا أعظم شؤماً (١١) من هذا، نقصت ثمارنا وغللت أسعارنا، منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه (١٢) فذلك قوله ﴿وإن تصبهم حسنة﴾ يعني الخصب ورخص الأسعار ﴿يقولوا هذه (١٣) من عند الله وإن تصبهم سيئة﴾ (١٤) جذب وغلاء الأسعار قالوا هذه ﴿من عندك﴾ من شؤم محمد (١٥) ﴿قل كل من عند الله﴾.

قال ابن عباس (١٦): أما الحسنة فأنعم الله بها (١٧) عليك وأما السيئة فابتلاك بها ﴿فمال هؤلاء (١٨) القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ لا يفهمون القرآن وتأويله فيؤمنوا ويعلمون أن الحسنة والسيئة من عند الله.

- قوله عز وجل (١٩) ﴿ما أصابك من حسنة (٢٠)﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء (٢١): ما أصابك من حسنة يوم بدر من النصر والغنيمة ﴿فمن الله وما أصابك من سيئة﴾ يوم أحد من القتل والهزيمة ﴿فمن نفسك﴾ فبذنبك.

(١) اليم: البحر (حاشية أ).

(٢) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الجنة وصفة نعيمها - باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ٥٤٠/٢. والترمذي - كتاب الزهد - باب ما جاء في هوان الدنيا على الله - رقم ٢٤٢٥ (٣٨٤/٣) ومسند أحمد ٢٢٨/٤ - ٢٢٩ والطبراني في الصغير ١٩٨/١ - وفي الكبير ٣٠١/٢٠ - كلهم من حديث المستورد.

(٣) في (د) مؤمن.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٧٥.

(٥) انظر غريب القرآن ١٣٢/٢، ومجاز القرآن ١٣٢/٢، والفراء ٢٧٧/١ وغريب الحديث ٧٣/٢ واللسان/ شيد.

(٦) انظر الدرر ١٨٤/٢ عن السدي وأبي العالية وسفيان، وابن كثير ٥٢٦/١ عن السدي «وضعفه»، والقرطبي ٢٨٣/٥ عن السدي «قال ابن عطية: وهذا لا يعطيه ظاهر اللفظ، والبغوي ١٠٦/٥ عن عطاء عن ابن عباس وأحكام القرآن لابن العربي ٤٦١/١ عن مالك.

(٩) في (هـ) الأثنا.

(١٠) في (د) قوله.

(١١) في (ح) شر.

(١٢) انظر الزجاج ٨٤/٢ والفراء ٢٧٨/١ وتفسير ابن عباس ٧٥ وغرائب النيسابوري ١٠٤/٥.

(١٣) في (هـ) هذا.

(١٤) في (د) أي جذب.

(١٥) انظر غريب القرآن ١٣٠.

(١٦) انظر تفسير الطبري ٥٥٧/٨ والدرر ١٨٥/٢ كلاهما عن ابن عباس.

(١٧) في (د) به.

(١٨) في (أ، د، هـ) فما لهؤلاء قال الفراء هـ (فمال) كثرت في الكلام حتى توهموا اللام متصلة ب (ما) وأنها حرف في بعضه، ولاتصال القراءة لا يجوز الوقف على اللام، لأنها خافضة (معاني الفراء ٢٧٨/١).

(١٩) في غير (أ) قوله.

(٢٠) في (د) فمن الله.

(٢١) انظر تفسير الطبري ٥٥٨/٨ عن ابن عباس والدرر ١٨٥/٢ عن ابن عباس وابن زيد.

قال: وهذا مخاطبة من الله^(١) تعالى للنبي ﷺ والمراد به أصحابه والنبي من ذلك^(٢) بريء. قال الزجاج^(٣): هذا خطاب للنبي ﷺ يراد^(٤) به الخلق ومخاطبة النبي ﷺ تكون للناس جميعاً، لأنه ﷺ لسانهم^(٥).

ومعنى ﴿وما أصابك من حسنة فمن الله﴾ أي: ما أصبتم من غنيمة أو أتاكم من خصب فمن تفضل الله عليك ﴿وما أصابك من سيئة﴾ أي: من جذب وهزيمة في حرب^(٦) ﴿فمن نفسك﴾ أي: أصابكم ذلك بما كسبت أيديكم^(٨).

وقال قتادة^(٩) ﴿فمن نفسك﴾ عقوبة لذنبك يا ابن آدم، وكذلك قال الحسن والسدي وابن جريج والضحاك ﴿فمن نفسك﴾ فبذنبك، وهذا كقوله ﴿وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم﴾^(١٠) والحسنة تكون بمعنى الخصب والسيئة^(١١): بمعنى الجذب، قال الله تعالى ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾^(١٢) يعني: الخصب والجذب.

ولا تعلق للقدرية بهذه الآية، لأن الحسنة والسيئة المذكورتين^(١٣) هنا لا ترجعان إلى الطاعة والمعصية وأكساب العباد بحال، لأن الحسنة التي يراد بها الخير والطاعة لا يقال فيها: أصابتنى، إنما يقال: أصبتها وليس في كلام العرب أصابت فلاناً حسنة، على معنى عمل خيراً، وكذلك أصابته سيئة، على معنى عمل معصية، غير موجود في كلامهم، إنما يقولون: أصاب سيئة إذا عملها واكتسبها.

قوله^(١٤) ﴿وأرسلناك للناس رسولا﴾ قال ابن عباس^(١٥): يريد أنك قد بلغت رسالاتي ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ على ما بلغت [من رسالات ربك]^(١٦).

- قوله جل جلاله^(١٧) ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ قال ابن عباس^(١٨): يريد إن طاعتكم لمحمد ﷺ طاعة لله. وقال الحسن: جعل الله طاعة رسوله طاعته وقامت به الحجة على المسلمين^(١٩).

وذكر الشافعي - في الرسالة - في باب فرض طاعة الرسول - هذه الآية وقال: إن كل فريضة فرضها الله في كتاب كالحج والصلاة والزكاة، لولا بيان رسول الله ﷺ ما كنا نعرف كيف نأتيها ولا كيف^(٢٠) يمكننا أداء شيء من العبادات^(٢١).

(١) في (هـ) وهذا من الله مخاطبة.

(٢) في (ح، هـ) قال أبو إسحاق. وفي (د) قال أبو إسحاق الزجاج.

(٤) في (ح) ويراد.

(٥) انظر الزجاج ٨٤/٢ وغريب القرآن ١٣١ وابن كثير ٥٢٨/١.

(٦) في غير (أ) عليكم.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٧٥ والزجاج ٨٤/٢ والبيان ٢٦١/١.

(٩) انظر تفسير الطبري ٥٥٨/٨ عن قتادة وابن كثير ٥٢٨/١ عن قتادة والحسن والسدي وابن جريج والزجاج ٨٤/٢ والدر ١٨٥/٢ عن

قتادة وابن عباس وابن زيد.

(١٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(١٠) سورة الشورى/ ٣٠.

(١٧) في (ج، د) قوله وفي (هـ) وقوله.

(١١) في (د) تكون بمعنى.

(١٨) انظر تفسير الطبري ٥٦١/٨.

(١٢) سورة الأعراف/ ٦٨.

(١٩) انظر تفسير الخازن ٥٦٣/١ عن الحسن.

(١٣) في (هـ) المذكورين.

(٢٠) في (ج، هـ) ولا كان، وفي (د) ولا يمكننا.

(١٤) من (ج، د).

(٢١) في (هـ) العبادة.

(١٥) انظر تفسير ابن عباس ص ٧٥.

وإذا كان الرسول ﷺ من الشريعة بهذه المنزلة، كانت طاعته على الحقيقة طاعة لله عز وجل (١).

وأخبرنا الإمام أبو طاهر الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص الزاهد (٢)، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله العيسي (٣)، أخبرنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع الإمام فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصي الله ومن عصى الإمام فقد عصاني» (٤).

وقوله (٥) ﴿ومن تولى﴾ قال ابن عباس ومقاتل (٦): أعرض عن طاعتك (٧) يا محمد ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ حافظاً من التولي والإعراض (٨). ثم أمر بعد ذلك بالجهاد والإكراه على الدين بالسيف.

وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِيقَ الَّذِي قَدْ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأَلَّهُمْ لِيَوْمِئَذٍ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٨٢﴾ فِيهِ أَخْبَلْنَاكَ كَثِيرًا ﴿٨٣﴾

- قوله عز وجل (٩) ﴿ويقولون طاعة﴾ يعني: المنافقين كانوا يقولون للنبي ﷺ: طاعة لأمرك (١٠)، قال مقاتل (١١) كانوا إذا دخلوا على النبي ﷺ قالوا: مرنا بما شئت فأمرك طاعة [وقال النحويون (١٢): معناه أمرنا طاعة] (١٣) أي: أمرنا وشأننا أن نطيعك.

﴿فإذا برزوا﴾ خرجوا (١٤) ﴿من عندك بيئت طائفة منهم﴾ قال الزجاج (١٥) كل أمر فكر فيه بليل فقد بيت، ومنه

(١) ذكره الخازن في تفسيره/٥٦٣/١ عن الشافعي والرازي. ١٩٣/١٠ - ١٩٤ عن الشافعي.

(٢) في (هـ) أبو بكر بن محمد وهو الإمام الزاهد المعمر أبو بكر محمد بن عمر بن حفص النيسابوري السمسار العابد سمع منه أبو طاهر الزيادي وأبو إسحاق المزكي وطائفة أثنى عليه الحاكم وقال توفي سنة ٣٥ هـ وله ٩٢ سنة (سير الأعلام ٣٧٦/١٥).

(٣) إبراهيم بن عبد الله بن عمر العيسي الكوفي القصار المسند خاتمة أصحاب وكيع توفي سنة ٢٧٩ هـ. (تذكرة الحفاظ ٦٣٥/٢). و«العيسي» بعين مهملة وباء موحدة ساكنة وسين مهملة (عمدة القوي والضعيف ٩).

(٤) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب الجهاد والسير - باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به (١٦٣/٢) وفي كتاب الأحكام - الحديث الأول قول الله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (٢٣٣/٤). ومسلم في الصحيح - كتاب الامارة - باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٢٩/٢) وابن ماجه في السنن - كتاب الجهاد - باب طاعة الإمام - رقم ٢٨٥٩ (٢/٩٥٤). وشرح السنة للبخاري «بلفظه وسنده» وقال «حديث متفق على صحته» (٤٠/١١٠ - ٤١) وكذا أحمد في المسند ٤٧١/٢ كلهم من حديث أبي هريرة.

(٥) في (د) قوله.

(٨) في (د) الإعراض والتولي.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ص ٧٥.

(٩) في غير (أ) قوله.

(٧) في (ج، د) طاعة محمد ﷺ.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٧٥ والطبري ٥٦٢/٨، وابن كثير ٥٢٩/١، والدرر ١٨٥/٢ - ١٨٦ عن ابن عباس والسدي.

(١١) انظر البحر ٣٠٤/٣ وفتح القدير ٤٩٠/١ كلاهما عن ابن عباس، والبخاري ٥٦٣/١ والرازي ١٩٤/١٠.

(١٢) انظر الزجاج ٨٥/٢ والتبيان ٣٧٥/١ والفراء ١٧٨/١ والأخفش ٤٥١/١ والمشكل ٢٠٤/١ والبخاري ٥٦٣/١ عن النحويين، والبيان ٢٦١/١.

(١٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (هـ).

(١٥) انظر الزجاج ٨٦/٢، والرازي ١٩٥/١٠ عن الزجاج وبجاز القرآن ١٣٢/١ - ١٣٣.

(١٤) ليست في (د).

قوله ﴿إذ يبيتون ما لا يرضى من القول﴾^(١) وقال ابن عباس: يريد ما أضمر في قلوبهم غير ما يقولون^(٢).
وقال ابن قتيبة^(٣): ﴿ويقولون طاعة﴾ بحضرتك (إذا خرجوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي يقول)
أي: قالوا وقدروا ليلاً غير ما أعطوه نهاراً.

﴿والله يكتب ما يبيتون﴾ أي: يحفظ عليهم ليجازوا به^(٤). ﴿فأعرض عنهم﴾ قال ابن عباس^(٥): فاصفح عنهم
وذلك أن الله تعالى نهى عن قتل المنافقين ﴿وتوكل على الله﴾^(٦) اعتمد بأمرك عليه ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ معتمداً
وملجأً.

- قوله جل جلاله^(٧) ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ يعني: المنافقين، ومعنى^(٨) «تدبرت الشيء»: نظرت في
عاقبته يقول: أفلا يتأملون القرآن ويتفكرون فيه؟ ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ قال ابن
عباس^(٩): لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب وباطل واختلاف^(١٠).

وقال الزجاج^(١١): لولا أنه من عند الله لكان ما فيه من الأخبار عن الغيب مما يسره المنافقون وما يبيتونه مختلفاً
بعضه حق وبعضه باطل لأن الغيب لا يعلمه إلا الله.

وقال أهل المعاني^(١٢): ﴿لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ أي: لو كان من عند مخلوق لكان على قياس كلام العباد
بعضه بليغ حسن وبعضه مردول فاسد، فلما كان جميع القرآن بليغاً ولم يختلف، عرف أنه من عند الله، وليس - بحمد
الله - في القرآن اختلاف تناقض، ولا اختلاف تفاوت.

فأما اختلاف القراءات، واختلاف مقادير الآيات والسور، واختلاف الأحكام في الناسخ والمنسوخ فكل حسن
وحق، وليس ذلك اختلافاً يؤدي إلى فساد وتناقض^(١٣).

(١) سورة النساء/ ١٠٨.

(٢) انظر تفسير الطبري ٥٦٥/٨ وفتح القدير ٤٩٠/١ كلاهما عن ابن عباس.

(٣) انظر غريب القرآن ١٣١، والبعوي ٥٦٣/١ عن ابن قتيبة وأبي عبيدة.

(٤) في (د) قوله.

(٥) انظر الوجيز للواحدي ١٦٣/١ «وصفح عنه بصفح صفحاً: أعرض عن ذنبه» (اللسان/ صفح).

(٧) في غير (أ) قوله.

(٦) في (ج، د) أي اعتمد.

(٨) ساقطه من (أ).

(٩) انظر تفسير الخازن ٥٦٤/١، والبعوي ٥٦٤/١ كلاهما عن ابن عباس، وفتح القدير ٤٩١/١ عن قتادة.

(١٠) في غير (أ) كذب واختلاف وباطل.

(١١) انظر الزجاج ٨٧/٢.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٥٦٧/٨ عن قتادة وابن زيد، والرازي ١٩٧/١٠ والبعوي ٥٦٤/١ والخازن ٥٦٤/١، وغرائب النيسابوري ١٣/٥.

وفتح القدير ٤٩١/١.

(١٣) اختلاف التناقض: ما ضاده من كل جهة، ولا يوجد في الكتاب والسنة شيء من ذلك أبداً... قال القاضي أبو بكر: لا يجوز تعارض
أي القرآن والآثار وما يوجهه العقل... وقال الكرمانى: الاختلاف على وجهين: اختلاف تناقض: وهو ما يدعى فيه أحد الشئيين إلى
خلاف الآخر وهذا هو المنتع على القرآن. واختلاف تلازم: وهو ما يوافق الجانبين، وكاختلاف وجوه القراءات واختلاف مقادير السور
والآيات واختلاف الأحكام... (انظر الإتيان ٣٠/٢ - ٣١). «قال ابن زيد: إن القرآن لا يكذب بعضه بعضاً، ولا ينقض بعضه بعضاً
ما جهل الناس من أمره فإنما هو من تقصير عقولهم وجهالتهم وقرأ (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً). قال: فحق
على المؤمن أن يقول: كل من عند الله، يؤمن بالمشابه، ولا يضرب بعضه ببعض، إذا جهل أمراً ولم يعرفه أن يقول: الذي قال الله
حق، ويعرف أن الله لم يقل قولاً وينقضه، ينبغي أن يؤمن بحقيقة ما جاء من الله». (انظر الدر ١٨٦/٢، والطبري ٥٦٧/٨).

وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

- قوله جل جلاله (١) ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف...﴾ (٢) الآية، نزلت في قوم كانوا يرجفون بسرايا رسول الله ﷺ ويخبرون بما وقع بها (٣) من هزيمة، وبما أدركت من غنيمة قبل أن يخبر بها النبي ﷺ (٤) فيضعفون قلوب المؤمنين ويؤذون النبي ﷺ بسبقهم إياه بالأخبار، فأنزل الله تعالى ﴿وإذا جاءهم﴾ يعني المنافقين وأصحاب الأراجيف ﴿أمر من الأمن﴾ حديث فيه أمن ﴿أو الخوف﴾ (٥) يعني الهزيمة ﴿أذاعوا به﴾ أفشوه وأظهوره (٦)، ولو سكتوا عنه حتى يكون الرسول هو الذي يفشيه وأولو (٧) الأمر مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﴿لعلمه الذين يستنبطونه﴾ (٨) ﴿يتبعونه﴾ (٩) ويطلبون علم ذلك ﴿منهم﴾.

ومعنى «الاستنباط» في اللغة: الاستخراج (١١).

وقوله (١١) ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ قال ابن عباس ﴿فضل الله﴾: الإسلام ﴿ورحمته﴾: القرآن (١٢). ﴿لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي: تم الكلام عند قوله ﴿لاتبعتم الشيطان﴾ ثم استثنى «القليل» من قوله ﴿أذاعوا به﴾ أي: أذاعوا به إلا قليلاً، يعني بـ «القليل» المؤمنين. وهذا القول اختيار الكسائي (١٣) والفراء (١٤).

قال في رواية عطاء: ﴿لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾ ممن عصم الله (١٥).

(١) في (ح) وقول، وفي (د، هـ) قوله.

(٢) في (أ) أمر من الأمن الآية، وفي (د) أو الخوف نزلت.

(٣) في (د) بما وقع وبما.

(٤) في غير (أ) رسول الله ﷺ. وانظر في سبب النزول: تفسير الطبري ٥٦٨/٨ - ٥٧٠ عن السدي وابن جريج، والفراء ٢٧٩، والدر ١٨٦/٢ عن ابن جريج وابن عباس وفتح القدير ٤٩١/١ - ٤٩٢ عن ابن عباس والوجيز للواحدي، ١/١٦٣.

(٥) في جميع النسخ: أو خوف.

(٦) انظر مجاز القرآن ٣٣/١ والفراء ٢٧٩/١.

(٧) في (ح) أو أولي.

(٨) في (د) منكم.

(٩) في (ح) فيتبعونه، وفي (هـ) يتطبعونه.

(١٠) انظر غريب القرآن ١٣٢، ومجاز القرآن ١٣٤/١ والزاهر ٢٩١/١ والطبري ٥٧١/٨ وفتح الباري ٢٠٧/٨.

(١١) في (د) قوله.

(١٢) انظر البحر ٢٤٤/١ عن أبي العالية والبيهقي ٥٦٥/١ والوجيز للواحدي ١/١٦٣.

(١٣) في (ج، د) الكلبي.

(١٤) انظر تفسير ابن عباس ٧٦ والطبري ٥٧٥/٨ والدر ١٨٧/٢ وابن كثير ٥٣٠/١ كلها عن ابن عباس والبحر ٣٠٨/٣ عن ابن عباس وابن زيد والكسائي والفراء وغيرهم، وفتح القدير ٤٩١/١ - ٤٩٢ عن ابن عباس - والكسائي والفراء والأخفش وأبي عبيدة وابن جريج، والفراء ٢٧٩/١ - ٢٨٠ والأخفش ٤٥١/١، والزجاج ٨٩/٢، والبيان ٣٧٦/١، والمشكل ٢٠٤/١ والبيان ٢٦٢/١ وغرائب النيسابوري ١١٦/٥ عن الفراء والمبرد، والخازن ٥٦٥/١ عن ابن عباس والفراء والطبري، والبيهقي ٥٦٥/١ عن الكلبي والفراء.

(١٥) انظر تفسير الطبري ٥٧٦/٨ - ٥٧٧ عن الضحاك وغيره، والبيان ٢٦٢/١، والبيان ٣٧٦/١.

قال ابن الأنباري (١): وهم الذين اهتدوا بعقولهم لترك عبادة الأوثان (٢) والاشراك بالله بغير رسول الله ولا كتاب مثل: زيد بن عمرو بن نفيل (٣)، وورقة بن نوفل، والبراء الشني (٤) وأبي ذر الغفاري، وطلاب الدين.

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾

وقوله عز وجل (٥) ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك﴾ أمر الله نبيه عليه السلام بالجهاد، ولو كان وحده لأنه قد ضمن له النصر (٦).

ومعنى، ﴿لا تكلف إلا نفسك﴾ لا ضرر عليك في فعل غيرك، ولا تهتم بتخلف من يتخلف عن الجهاد فعليهم ضرر ذلك.

﴿وحرص المؤمنين﴾ حضهم (٧) على القتال ﴿عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا﴾. «عسى» معناها الإطماع والإطماع من الله واجب، لأن إطماع الكريم إيجاب (٨).

و «البأس»: الشدة في كل شيء، ومعنى ﴿بأس الذين كفروا﴾: شدة حربهم، وقد أنجز الله وعده بكف بأس هؤلاء الذين ذكروهم الله (٩).

﴿والله أشد بأساً﴾ أشد (١٠) عذاباً، «والعذاب» يسمى بأساً لما فيها من الشدة، ومنه قوله ﴿فمن يتصربنا من بأس الله إن جاءنا﴾ (١١) ﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ (١٢).

﴿وأشد تنكيلاً﴾ يقال: نكلت بفلان (١٣)، إذا عاقبته عقوبة تنكل غيره عن ارتكاب مثله، أي تجنبه (١٤) وقال الحسن وقتادة: ﴿أشد تنكيلاً﴾ عقوبة (١٥).

مَنْ يَسْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَسْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا

(١) انظر غرائب النيسابوري ١١٦/٥ والبحر ٣٠٧/٣ والبغوي ٥٦٥/١ والخازن ٥٦٥/١ والرازي ٢٠٢/١٠ والقرطبي ٢٩٢/٥.

(٢) في (هـ) أوثان، وفي (أ) والأشراك.

(٣) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن كعب بن لؤي القرشي العدوي وكان الخطاب والد عمر عمه وأخاه لأمه وكان زيد قد ترك عبادة الأوثان وفارق دينهم وكان لا يأكل إلا ما ذبح على اسم الله وحده وكان على دين إبراهيم. توفي سنة ١٧ قبل الهجرة. (الأعلام ١٠٠/٣، والبداية والنهاية ٢٣٧/٢).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في (ج، د) قوله تعالى، وفي (هـ) قوله.

(٦) في (د، هـ) النصر.

(٧) في (ج، د) وحضهم، وانظر المعنى في مجاز القرآن ١٣٤/١١.

(٨) انظر مجاز القرآن ١٣٤/١ وغرائب النيسابوري ١١٧/٥.

(٩) ليست في (د).

(١٢) سورة الأنبياء/ ١٢.

(١٣) في (د) فلان.

(١٠) ساقطه من (ح).

(١٤) انظر اللسان/ نكلي، ومفردات الراغب/ نكلي.

(١١) في (د) (.. من بأس الله)، سورة غافر/ ٢٩.

(١٥) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ٧٦، والبحر ٣٠٩/٣ عن الحسن وقتادة، والطبري ٥٨٠/٨، والدر ١٨٧/٢ كلاهما عن قتادة.

كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيَّنًا ۝٨٥ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيْبًا ۝٨٦

- قوله جل جلاله^(١) ﴿من يشفع شفاعَةً حسنةً﴾ قال الكلبي^(٢): يصلح بين اثنين ﴿يكن له [نصيب]﴾ أي^(٣) أجر ﴿منها ومن يشفع شفاعَةً سيئةً﴾ يمشي بالنميمة ﴿يكن له [كفل]﴾ إثم ﴿منها﴾.

وقال^(٤) مجاهد: شفاعة حسنة وشفاعة سيئة: شفاعة الناس بعضهم لبعض^(٥).

قال الحسن^(٦): ما يجوز في الدين أن يشفع فيه فهو شفاعة حسنة، وما لا يجوز أن يشفع فيه فهو شفاعة سيئة. قال: ومن يشفع شفاعَةً حسنةً كان له فيها أجر وإن لم يشفع، لأن الله تعالى قال ﴿من يشفع﴾ ولم يقل: من يشفع. ويؤيد هذا قول النبي^(٧) ﷺ: «اشفعوا تؤجروا»^(٨).

أخبرنا أبو صادق محمد بن أحمد بن شاذان الصيدلاني^(٩)، حدثنا محمد بن يعقوب المعقلي^(١٠)، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، أخبرنا حفص بن عمر^(١١)، حدثني ابن جريج، عن عطاء، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في ملكه، ومن أعان على خصومة بغير علم كان في سخط الله حتى ينزع»^(١٢).

وأما الكفل فقال أبو عبيدة والفراء وجميع أهل اللغة: الكفل الحظ والنصيب، وهو قول مجاهد والسدي، والربيع وأبن زيد.

وقوله^(١٣) ﴿وكان الله على كل شيء مقبلاً﴾ قال الفراء وابن قتيبة: المقبلة: المقندر يقال: آتت على الشيء إذا قدر عليه.

(١) في غير (أ) قوله تعالى.

(٢) قاله ابن عباس في تفسيره ٧٦، والبحر ٣/٣٠٩ عن مقاتل والكلبي وغرائب النيسابوري ١١٨/٥ - ١١٩ عن الحسن ومجاهد والكلبي وابن زيد.

(٣) ما بين المعقوفين من (د).

(٤) في (د) قال.

(٥) انظر تفسير مجاهد ١٦٧ والطبري ٨/٥٨١ وابن كثير ١/٥٣١ والدر ٢/١٨٧ وفتح القدير ١/٩٤٣ - ٩٩٤ كلها عن مجاهد.

(٦) انظر تفسير الطبري ٨/٥٨١ - ٥٨٢ والدر ٢/١٨٧ كلاهما عن الحسن.

(٧) في غير (أ) قوله.

(٨) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب بدء الخلق - باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها (١/٢٤٩). ومسلم - كتاب البر والصلة - باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام (٢/٤٤٦) كلاهما من حديث أبي موسى.

(٩) في (هـ) أخبرنا أحمد بن شاذان الصيدلاني وفي باقي النسخ أحمد بن محمد. وقد سبق تحت اسم: محمد بن أحمد.

(١٠) في (د) محمد بن يعقوب - في رواية - المعقلي.

(١١) حفص بن عمر بن أبي القاسم الحبطي الرملي نزل بغداد وحدث عن عبد الملك بن جريج وغيره وعنه محمد بن إسحاق الصاغاني وغيره - ثم روى الخطيب بسنده هذه الحديث قال ابن معين: ليس بشيء وقال علي بن الحسن بن حبان وجدت في كتاب أبي: لم يكن بثقة ولا مأمون أحاديثه أحاديث كذب (تاريخ بغداد ٢٠٠/ - ٢٠١).

(١٢) الحديث: رواه أبو داود - كتاب الأقضية - باب فيمن يعين على خصومه من غير أن يعلم أمرها - رقم ٣٥٩٧، ٣٥٩٨ (٣/٣٠٥). ومجمع الزوائد - كتاب الأحكام - باب في الشهود «رواه الطبراني في الأوسط وفيه رجاء السقطي ضعفه ابن معين ووثقه ابن حبان» ٢٠١/٤ وفي باب فيمن أعان في خصومة.

(١٣) في (ح) قوله وفي (د، هـ) قوله تعالى.

وهو قول السدي، وابن زيد واختيار الكسائي. وقال آخرون: المقيت الحافظ وهو قول ابن عباس وقتادة واختيار الزجاج قال: معنى المقيت الحفيظ الذي يعطي الشيء قدر الحاجة من الحفظ، وقال مجاهد (المقيت) الشهيد.

قوله جل جلاله ﴿وَإِذَا حَيَّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ التحية: السلام يقال: حيا يحيي (١) تحية إذا سلم: قال ابن عباس: ﴿وَإِذَا حَيَّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ يريد السلام ﴿فَحَيَّوْا بِأَحْسَنِ مِنْهَا﴾ وهو الزيادة على التحية إذا كان المسلم من أهل الإسلام، (٢) يريد ورحمة الله وبركاته، وإذا كان من غير أهل دين الإسلام يقول وعليكم، لا يزيد على ذلك وهو قوله: ﴿أَوْ رُدُّوْهَا﴾ قال الضحاك: إذا قال: السلام عليكم فقلت وعليكم [السلام] (٣) ورحمة الله وإذا قال السلام عليكم ورحمة الله فقلت وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقد حيينه بأحسن منها وهنا منتهى السلام (٤).

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصر آبادي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي أخبرني الحسن بن سفيان حدثنا عبد الله بن عمر (٥) الحفص حدثنا أبو أسامة حدثني موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد (٦)، عن أبي أمامة، عن مالك بن التيهان (٧) قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال السلام عليكم كتب له عشر حسنات، ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتب له عشرون حسنة، ومن قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب له ثلاثون حسنة» (٨).

قوله (٩) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ قال ابن عباس (١٠) مجازياً، وقال الزجاج (١١): أي يعطي كل شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه أي يكفيه.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُجَمِّعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْفَيْصَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ هَادٍ﴾

(١) في غير (د) حبي.

(٢) في (د) يعني، وانظر تفسير ابن عباس ص ٧٦ والزجاج ٩٢/٢ والفراء ٢٨٠/١.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(٤) انظر تفسير الطبري ٥٨٦/٨ عن السدي وابن جريج والنخعي والدر ١٨٨/٢ عن الحسن والرازي ٢١٢/١٠

(٥) عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان الأموي أبو عبد الرحمن الجعفي قال أبو حاتم صدوق وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢٣٨ هـ (كتاب الجمع ١/٢٦٩، تهذيب التهذيب ٣٣٢/٥ - ٣٣٣).

(٦) أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس بن جابر الأنصاري روى عن أبيه وعبد الله بن رافع مولى أم سلمة وجابر بن زيد الجهني وعنه إسماعيل بن أبي أمية وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبي حبيب ذكره ابن حبان في الثقات (تهذيب التهذيب ٤٠١/١).

(٧) مالك بن التيهان بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة الأنصاري أبو الهيثم حليف بني عبد الأشهل، كان يكره الأصنام في الجاهلية ويقول بالتروحيد هو وأسعد بن زرارة، وكانا من أول من أسلم من الأنصار بمكة من الستة وفي أهل العقبة الأولى الاثني عشر وفي السبعين توفي سنة ٢٠ هـ. (سير الأعلام ١/١٨٩ - ١٩٠).

(٨) الحديث: رواه الطبراني في الكبير ٩٢/٦ «عن أبي أمامة عن أبيه وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف»، ٢٥٩/١٩ «عن أبي أمامة عن مالك بن التيهان». ومجمع الزوائد - كتاب الأدب - باب أجر السلام. «رواه الطبراني وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف» ٣١/٨ وانظر العلل المنتهية لابن الجوزي ٧١٩/٢ قال المؤلف: «هذا حديث لا يثبت، قال أحمد: لا يحل عندي الرواية عن موسى بن عبيدة وقال يحيى: ليس بشيء».

(٩) في (ج، هـ) وقوله.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٧٦.

(١١) انظر الزجاج ٩٣/٢.

سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوْا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرْتُمْ فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمَّ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَّاءَ إِلَيْكُمْ أَسَلَّمَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾

- قوله عز وجل (١) ﴿الله لا إله إلا هو ليجمعنكم﴾ هذه «لام» القسم، كأنه قال: والله ليجمعنكم في الموت أو في القبور ﴿ إلى يوم القيامة ﴾ سميت «القيامة» لأن الناس يقومون من قبورهم . ﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾ قال ابن عباس (٢) : يريد موعداً لا خلف لوعده، وقال مقاتل (٣) : لا أحد أصدق من الله في أمر البعث .

- قوله جل جلاله (٤) ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾ نزلت في قوم قدموا المدينة يزعمون أنهم مهاجرون، ثم أرتدوا بعد ذلك، وأستأذنوا رسول الله ﷺ أن يرجعوا إلى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها، فأختلف المسلمون فيهم، فقاتل: يقول: هم منافقون، وقائل يقول: هم مؤمنون (٥)، فبين الله تعالى نفاقهم (٦) .

ومعنى الآية: فما لكم مختلفين في هؤلاء المنافقين ﴿والله أركسهم بما كسبوا﴾ أي: ردهم إلى الكفر. يقال: ركست الشيء وأركسته (٧) : لغتان إذا رددته وقلبت آخره على أوله (٨) .

قال الزجاج (٩) : تأويل ﴿أركسهم﴾ نكسهم وردهم إلى حكم الكفار من الذل والصغار والسبي والقتل ﴿بما كسبوا﴾ بما أظهروا من الارتداد.

وقوله (١٠) ﴿أتريدون أن تهدوا من أضل الله﴾ قال ابن عباس: ترشدوا من لم يرشده (١١) الله، أي: أتقولون: هؤلاء مهتدون والله قد أضلهم ﴿ومن يضل الله فلن تجد له سبيلاً﴾ طريقاً إلى الجنة .

- قوله جل جلاله (١٢) ﴿ودوالو تكفرون كما كفروا﴾ أي: أنهم يودون لكم الكفر كما فعلوا هم فتكونون أنتم وهو

(١) في غير (أ) قوله .
 المصدر السابق ٩٣/٢، واللسان/ قوم، والرازي ٢١٧/١٠ عن الزجاج .
 (٢) تفسير الطبري ٩٥٣/٨ والخازن ٥٦٩/١ والوجيز للواحد ١٦٤/١ .
 (٣) انظر تفسير ابن عباس ٧٦ ومجاهد ١٦٨ والزجاج ٩٣/٢ - ٩٤ بنحوه وفتح الباري، ٢٠٦/٨ والفتح الرباني ١١٥/١٨ والدر ١٩٠/٢ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة، والطبري ٩/٩ - ١٠ عن مجاهد - والترمذي ٣٠٦/٤ عن زيد بن ثابت، ومسند أحمد ١٨٤/٥، ١٨٧، ١٨٨ وأسباب النزول للواحد ١٢٥، وأحكام القرآن لابن العربي ٤٦٨/١ - ٤٦٩ عن مجاهد وابن عباس .
 (٤) في (د) أركسه .
 (٥) انظر الفراء ٢٨١/١ وفتح القدير ٤٩٥/١ عن الفراء والنضربن شميل والكسائي، واللسان/ ركس .
 (٦) انظر الزجاج ٩٤/٢ وغريب القرآن ١٣٣ ومجاز القرآن ١٣٦/١ والدر ١٩١/٢ عن ابن عباس .
 (٧) في (د) قوله .
 (٨) من لم يرشد .
 (٩) في (ج، هـ) وقوله، وفي (د) قوله .

سواء في الكفر ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء﴾ أي: لا (١) توالوهم فإنهم أعداء لكم ﴿حتى يهاجروا﴾ (٢) في سبيل الله حتى يرجعوا إلى النبي ﷺ ودار الهجرة ثانياً.

﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الهجرة وقبول حكم الإسلام ﴿فخذوهم﴾ بالأسر ﴿ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً﴾ قال ابن عباس (٣): ولا تستنصروا بهم على عدوكم.

- قوله عز وجل (٤) ﴿إلا الذين يصلون إلى قوم...﴾ الآية، هذا الاستثناء راجع إلى القتل، لا إلى الموالاة (٥) لأن موالاة (٦) المشركين والمنافقين حرام بكل حال.

ومعنى ﴿يصلون إلى قوم﴾ يتصلون بهم، ويدخلون فيما بينهم بالحلف والجوار قال ابن عباس: يريد: يلجأون إلى قوم ﴿بينكم وبينهم ميثاق﴾ وهم: بنو مدلج (٧) في قول الحسن (٨). وقال الضحاك (٩): بنو بكر بن زيد مناة. وقال مقاتل: هم خزاعة وجذيمة بن عبد مناف (١٠).

وقوله (١١) ﴿أو جاءوكم حصرت صدورهم﴾ معنى «حصرت» (١٢): ضاقت، وكل من ضاق صدره بأمر فقد حصر. وهؤلاء الذين وصفوا بضيق الصدر عن القتال هم بنو مدلج، كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد أن لا يقاتلوه (١٣) فنهى الله تعالى عن قتال هؤلاء المرتدين إن اتصلوا بأهل عهد المسلمين، إما بخلف أو بجوار، لأن من انضم إلى قوم ذوي عهد مع النبي ﷺ فلهم حكمهم في حقن الدم والمال.

وقوله (١٤) ﴿أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم﴾ كان بنو (١٥) مدلج قد عاهدوا أن لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشاً أن لا يقاتلوهم أيضاً، فهو قوله ﴿أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم﴾ يعني: قريشاً.

ثم من الله تعالى على المسلمين بكف بأس المعاهدين فقال ﴿ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم﴾ يعني: إن ضيق صدورهم عن قتالكم إنما هو لقذف الله الرعب في قلوبهم.

(١) في (د) أولياء توالوهم.

(٢) في (د) تهاجروا.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٧٦ بتحوه، وابن كثير ٥٣٣/١ عن ابن عباس.

(٤) في (هـ) الموالاة - وانظر التبيان ٣٧٨/١ والمشكل ٢٠٥/١، والقراء ٢٨١/١، والبيان ٢٦٣/١ والبغوي ٥٧١/١ في معنى «الاستثناء».

(٥) بنو مدلج: قبيلة من كنانة، ومنهم القافة - مدلج بضم الميم - (اللسان/ دلج).

(٨) انظر تفسير ابن كثير ٥٣٣/١ والدر ١٩١/٢ كلاهما عن الحسن والزجاج ٩٥/٢.

(٩) انظر غرائب النيسابوري ١٢٨/٥ والخازن ٥٧١/١ كلاهما عن ابن عباس وفتح القدير ٤٩٦/١ والبغوي ٥٧١/١ عن ابن عباس والضحاك.

(١٠) انظر غرائب النيسابوري ١٢٨/٥ والبغوي ٥٧١/١ كلاهما عن مقاتل والبحر ٣١٥/٣، وفتح القدير ٤٩٧/١ كلاهما عن ابن عباس، والطبري ١٩/٩ عن عكرمة.

(١١) في (د) قوله.

(١٢) في (د) أي ضاقت. وانظر غريب القرآن ٣٤ ومجاز القرآن ١٣٦/١ وفتح الباري ٢٠٦/٨ والزاهر ٥٢٥/١١ والدر ١٩١/٢ عن السدي.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ٧٦ والزجاج ٩٥/٢ والقراء ٢٨٢/١ وغرائب النيسابوري ١١٢٩/٥ عن الجمهور ومنتخب الكثر ٤٣٤/١.

(١٤) في (ح) وهو قوله وفي (د) قوله.

(١٥) في (د) كانوا بنوا... الا يقاتلون.

﴿فإن اعتزلوكم﴾ أي: اعتزلوا قتالكم ﴿وألقوا إليكم السلم﴾: أي المقادة^(١) والاستسلام ﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾ في قتالهم وسفك دمائهم.

سَتَجِدُونَ ءآخِرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوا بِيَدَيْكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوهُ إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْزَلُوا كُرُّهُم وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيَدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

- قوله جل جلاله^(٢) ﴿ستجدون ءآخريين﴾ قال ابن عباس^(٣): هم بنو عبد الدار وقال الكلبي^(٤): هم أسد وغطفان وقال الحسن^(٥)، هم قوم من المنافقين كانوا يظهرون الإسلام ليأمنوا المسلمين ويظهرون^(٦) لقرمهم الموافقة لهم ليأمنوهم، وهو قوله ﴿يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم﴾ أطلع الله نبيه على نفاقهم ﴿كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها﴾ كلما ردوا إلى الشرك وخلوا فيه ﴿فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم﴾ لم يتركوا قتالكم، ولم ينقادوا لكم بعهد أو صلح، ولم يقبضوا أيديهم عن قتالكم ﴿فخذوهم﴾ بالأسر ﴿واقتلوهم حيث ثقتموهم﴾ وجدتموهم ﴿وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً﴾ حجة بينة في قتلهم ولأنه ليس لهم عهد ولا ميثاق.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَدَّقُوا فَإِن كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

- قوله جل جلاله^(٧) ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً...﴾ الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة^(٨) حين قتل

(١) «وأعطاه مقادته: انقاد له، والانقياد: الخضوع تقول: قدته فانقاد واستقاد لي إذا أعطاك مقادته» (اللسان قود) وفي حاشية أ «مصدر ميمي بمعنى الانقياد».

(٢) في غير (أ) قوله.

(٣) انظر تفسير البغوي ٥٧٢/١ عن الضحاك عن ابن عباس.

(٤) انظر تفسير البغوي ٥٧٢/١ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وتفسير ابن عباس ٧٦ وغرائب النيسابوري ١١٣٠/٥ والبحر ٣١٨/٣ عن مقاتل.

(٥) انظر البحر ٣١٩/٣ عن الحسن والزجاج ٩٦/٢ بنحوه والطبري ٢٧/٩ وفتح القدير ٤٩٧/١ كلاهما عن مجاهد وغريب القرآن ١٣٤ وابن كثير ٥٣٣/١.

(٦) في (ح) فيظهرون.

(٧) في (ح) قوله عز وجل، وفي (د) قوله، وفي (هـ) قوله تعالى.

(٨) عياش بن أبي ربيعة المخزومي - واسمه عمرو - ذو الرحمين بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي كان أحد المستضعفين =

الحارث بن زيد (١) ظنه كافراً ولم يشعر بإسلامه فقتله (٢).

قال قتادة (٣): «وما كان لمؤمن» أي: ما كان له ذلك فيما أتاه الله من ربه وأمره به.

وقوله (٤) «إلا خطأ» جميع أهل النحو والمعاني (٥): على أن هذا استثناء منقطع من الأول، على معنى: ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً البتة إلا أن يخطيء المؤمن فكفارة خطئه (٦) ما ذكر من بعد. وصفة قتل الخطأ: هو أن يرمي إلى عرض أو إلى صيد فيخطيء فيصيب إنساناً فيقتله. وكذلك لو قتل رجلاً ظنه كافراً، كما ظن عياش بن أبي ربيعة، وكان مسلماً، كان قتل خطأ.

والواجب فيه الدية والكفارة، وهو قوله «ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة» قال المفسرون (٧): هي المصلية المدركة عند عامة الفقهاء (٨): يجوز وإن كانت صغيرة إذا كان أبواها (٩) مسلمين أو أحدهما. وقوله «ودية مسلمة إلى أهله» يعني: جميع ورثته.

وصفة الدية في قتل الخطأ: أن تكون مخففة، مائة من الإبل: عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون، وعشرون ابن لبون، وعشرون حقة، وعشرون جذعة (١٠).

وظاهر القرآن أوجب أن تكون الدية على القاتل في الخطأ (١١)، غير أن النبي ﷺ بين (١٢) أن تكون الدية في

= بمكة وهاجر الهجرتين وكان النبي ﷺ يدعو له بالنجاة في القنوت، استشهد في وقعه اليرموك سنة ١٥ هـ. (شذرات ٢٨/١ وتهذيب التهذيب ١٩٧/٨).

(١) الحارث بن زيد بن أبي انيسة - أخو بني معيص - نزل فيه (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ) كان يؤذي المسلمين بمكة وهو على شركه، فأسلم ولم يعلم أصحاب النبي ﷺ إسلامه حتى كان في هجرته قتله عياش بن أبي ربيعة ولا يظن أنه أسلم (أسد الغابة ٣٩٤/١).

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٧٧ ومجاهد ١٦٩ - ٧٠ والطبري ٣٢/٩ - ٣٤ عن مجاهد وعكرمة والسدي وكذا الدر ١٩٢/٢ - ١٩٣ وابن كثير ٥٣٤/١ عن مجاهد وأسباب النزول للواحدي ١٢٥ - ١٢٦ وللسيوطي ٨٦ والرازي ٢٢٧/١٠.

(٣) انظر تفسير الطبري ٣٠/٩ والدر ١٩٢/٢ كلاهما عن قتادة.

(٤) في (د) قوله.

(٥) في (ح) والمتكلمين. وانظر الزجاج ٩٧/٢، ومجاز القرآن ١٣٦/١ - ١٣٧ والبيان ٣٨٠/١ والبيان ٢٦٤/١ والمشكل ٢٠٥/١ وغرائب النيسابوري ١٣٢/٥ - ١٣٣ والطبري ٣١/٩ وابن كثير ٥٣٤/١.

(٦) في (أ) خطاءه وفي (ج، هـ) خطائه وفي (د) ما ذكر بعد.

(٧) انظر تفسير الطبري ٣٥/٩ - ٣٦ عن الشعبي وابن عباس وإبراهيم والحسن وقتادة، والفراء ٢٨٢/١ والدر ١٩٣/٢ عن ابن عباس.

(٨) انظر تفسير الطبري ٣٦/٩ عن عطاء وابن كثير ٥٣٤/١ عن ابن جرير والجمهور.

(٩) في (د، هـ) أبواه.

(١٠) انظر أحكام القرآن لابن العربي ٤٧٥/١ «فإن عدمت فقيمتها» والطبري ٤٧/٩ وابن كثير ٥٣٥/١ والدر ١٩٣/٢ كلها عن ابن مسعود

مرفوعاً. بنت المخاض: الحوامل من النوق وقال ثعلب: العشار التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر وابن المخاض: إذا استكمل

سنة من يوم ولد ودخل في الثانية لأن أمه لحقت بالمخاض من الإبل (اللسان/ مخض). وبنت لبون: ذات اللبن، وابن لبون: ولد

الناقة إذا كان في العام الثاني وصار لها لبن (اللسان/ لبن). والحقة: وهي التي دخلت في السنة الرابعة (اللسان/ حقق). والجذعة:

وهي التي دخلت في الخامسة. (اللسان/ جلع).

(١٢) في (ج، د) سن.

(١١) في (د) في الخطأ على القاتل.

الخطأ على العاقلة وهم الأخوة وبنو الأخوة والأعمام وبنو الأعمام (١).

وقوله (٢) ﴿إلا أن يصدقوا﴾ أصله: يتصدقوا، فأدغمت التاء في الصاد ومعنى «التصدق» الإعطاء والمعنى: إلا أن يتصدقوا بالدية، فيعفوا ويتركوا (٣) الدية فتسقط.

وقوله ﴿فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحريروا رقبته مؤمنة﴾ يعني: إن كان المقتول خطأ مؤمناً وقومه كفار، فعلى قاتله تحرير رقبة مؤمنة، وليس فيه دية، لأن ورثته كفار فلا يرثونه (٤).

وقوله (٥) ﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحريروا رقبته مؤمنة﴾ هذا في الذمي الذي يقتل خطأ، فيجب فيه الدية والكفارة.

قال ابن عباس (٦): هذا الرجل يكون معاهداً ويكون قومه أهل عهد، فتسلم إليهم دية ويعتق الذي أصابه رقبة.

وقوله (٧) ﴿فمن لم يجد﴾ يعني: الرقبة أو ثمنها ﴿فصيام شهرين متتابعين﴾ أي: فعلية ذلك به بدلا عن الرقبة، والتتابع واجب، حتى لو أفطر يوماً استأنف.

وقوله (٨) ﴿توبة من الله﴾ أي: اعملوا بما أوجبه (٩) للتوبة من الله، أي: ليقبل الله توبتكم فيما اقترفتموه من ذنوبكم.

- قوله عز وجل (١٠) ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ صورة القتل (١١) العمد: أن يقصد القتل بالسيف أو غيره من الآلات التي بها يقصد القتل غالباً، جرح أو لم يجرح، كالحجر الثقيل، والحديد الثقيل، وكذلك التخنيق والتغريق والتحريق، وما أشبهها.

والآية نزلت في كافر قتل مؤمناً وهو أن مقيس بن صباية (١٢) كان قد أسلم هو وأخوه هشام (١٣) فقتل بنو النجار أخاه

(١) روى أبو داود في سننه - كتاب الديات - باب دية الجنين عن جابر: أن امرأتين من هذيل قتلت إحداهما الأخرى ولكل منهما زوج وولد، فجعل رسول الله ﷺ دية المقتولة على عاقلة القاتلة، وبرأ زوجها وولدها وقال: فقال عاقلة المقتولة: ميراثنا لنا؟ قال: فقال رسول الله ﷺ لا ميراثنا لزوجها وولدها رقم ٤٥٧٥، (٤/١٩٢) وانظر الزجاج ٩٧/٢ ومسند أحمد ٤/٢٤٦، ٢٤٩ عن المغيرة بن شعبه.

(٢) في (ج، د) قوله.

(٤) انظر الفراء ١/٢٨٢ - والدر ٢/١١٩٤ عن إبراهيم وابن عباس، والطبري ٩/٣٩ - ٤٠. والمستدرک - كتاب التفسير - وصححه عن ابن عباس ٢/٣٠٧ - ٣٠٨.

(٥) في (ج) قوله.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ص ٧٦، والطبري ٩/٤ والدر ٢/١٩٤ كلاهما عن ابن عباس.

(٧) في (د) قوله.

(٨) في (ج) قوله.

(١٠) في (ج، هـ) قوله تعالى وفي (د) وقوله.

(٩) في (هـ) أوجب، وفي (د) أوجب التوبة.

(١١) في (د) قتل.

(١٢) مقيس - بكسر الميم وسكون القاف وفتح الباء وسين مهملة - ابن صباية الفهري - والأشهر السهمي - من بني سهم بن عمرو بن عصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر - «ذكر ابن الأثير قصة أخيه هشام وقتله لزهير» قتله النبي ﷺ يوم فتح مكة سنة ٨هـ. (الأعلام ٨/٢١٠ - وأسد الغابة/ ٤٠٠ وعمدة القوي بالضعيف ص ٩).

(١٣) هشام بن صباية بن سيار بن عبد الله بن كلب الكناني الليثي أخو مقيس بن صباية «وذكر القصة عن ابن عباس» قال أبو عمر: قتل سنة ست مسلماً في غزوة ذي قرد وقال ابن منده: قتل في غزوة بني المصطلق ستة ست. (أسد الغابة ٥/٤٠٠ - ٤٠١).

هشاماً^(١) خطأ، فأرسل رسول الله ﷺ مقيساً ومعه زهير بن عياض الفهري^(٢) - وكان من المهاجرين من أهل بدر - إلى بني النجار ليدفعوا إلى مقيس قاتل أخيه إن علموه، أو يجمعوا له دية أخيه إن لم يعلموا القاتل، فجمعوا لمقيس دية أخيه، فلما صارت إليه وثب على زهير فقتله وارتد إلى الشرك، وقال في ذلك آياتاً منها:

فأدركت ثأري واضطجعت مؤسراً وكنت إلى الأوثان أول راجع^(٣)

وقوله^(٤) ﴿فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾ إلى آخر الآية^(٥) وعيد شديد لمن قتل مؤمناً متعمداً حرم الله به قتله، وحظر به سفك دمه، وقد وردت في قتل المؤمن أخبار شداد. أخبرنا أبو بكر الحارثي، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد الرازي، حدثنا سهل بن عثمان العسكري، حدثنا عبيدة، عن عمار الدهني^(٦)، عن سالم بن أبي الجعد^(٧)، قال:

كنت عند ابن عباس فسأله رجل فقال: رجل قتل مؤمناً متعمداً، فقال ابن عباس جزاؤه جهنم خالداً فيها - إلى آخر الآية - قال: فإن تاب وآمن وعمل صالحاً فقال ابن عباس وأنى له التوبة وقد سمعت نبيكم ﷺ يقول:

«ويح^(٨) له قاتل المؤمن يجيء يوم القيامة حامل رأسه بيمينه - أو بيساره - وفي يده الأخرى قاتله، يقول: يا رب هذا قتلتني».

فوالذي نفسي بيده لقد نزلت على نبيكم فما نسخت حتى قبض، يعني: هذه الآية ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾^(٩).

(١) في (د) هاشماً.

(٢) في (د) زهيراً، وهو: زهير بن عياض الفهري من بني الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري «عن ابن عباس: أرسل رسول الله ﷺ مقيس بن صبابه ومعه زهير بن عياض الفهري من المهاجرين - وكان من أهل بدر وحضر أحداً - إلى بني النجار فجمعوا لمقيس دية أخيه، فلما صارت الدية إليه وثب على زهير بن عياض فقتله وارتد إلى الشرك».

(٣) انظر الدرر ١٩٥/٢ والبحر ٣٢٦/٣ وأسد الغابة ٤٠١١/٥ والكامل لابن الأثير ١٩٤/٢ وأحكام القرآن لابن العربي ٤٧٣/١.

(٤) في (د) قوله فجزاه.

(٥) وتامها (غضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً).

(٦) عمار بن معاوية الدهني والد معاوية بن عمار عن سالم بن أبي الجعد وأبي الطفيل وسعيد بن جبيرة وأبي الزبير وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم والناس وما علمت أحداً تكلم فيه إلا العقيلي توفي سنة ١٣٣ هـ. (الميزان ١٧٠/٣ - ١٧٢).

(٧) سالم بن أبي الجعد، واسمه رافع - الأشجعي مولاهم الكوفي وهو أخو عبيد وزيد وعمران ومسلم بنو أبي الجعد سمع جابر عبد الله والنعمان بن بشير وأنس بن مالك. وعبد الله بن عمرو وغيرهم توفي سنة ٩٨ هـ. (كتاب الجمع ١٨٨/١).

(٨) ويح: كلمة رحمة، تقول: ويح لزيد، ترفع على الابتداء ولك أن تقول: ويحاً منصوباً بإضمار فعل كأنك قلت: ألزمه الله ويحاً، هذا على تقدير عدم الإضمار ويجوز أن تقول: ويح زيد بالإضافة فمنصوب - أيضاً - بإضمار فعل كما مر (حاشية أ).

(٩) ذكره الحميدي في مسنده ٢٢٨/١ عن سالم والأثر يكمله ذكره الطبري ٦٣/٩ - ٦٤ والدرر ١٩٦/٢ والترمذي - كتاب التفسير - باب من

سورة النساء - رقم ٥٠٢٠ وحسنه وقال: «وقد روي عن عمرو بن دينار عن ابن عباس موقوفاً» (٣٠٦/٤ - ٣٠٧) وابن ماجه في السنن -

كتاب الديات - باب هل لقاتل المؤمن توبة رقم ٢٦٢١ (٨٧٤/٢) وسنن النسائي - كتاب تحريم الدم - باب تعظيم الدم (٨٥/٧) -

(٨٦). وفي كتاب القسامة - باب ما جاء في كتاب القصاص من المجتبى مما ليس في السنن تأويل قول الله عز وجل (ومن يقتل مؤمناً

متعمداً... (٦٢/٨ - ٦٣). ومسند أحمد ٢٢/١، ٢٤٠، وانظر سنن البيهقي ١٥/٧ وفتح الباري ٢٠٧/٨ وصحيح البخاري -

كتاب التفسير - (من يقتل مؤمناً متعمداً...) عن ابن عباس ١٢٠/٣ - ١٢١

أخبرنا أبو القاسم السراج، أخبرنا محمد بن محمد بن الحسن الكارزي^(١) أخبرنا علي بن عبد العزيز^(٢)، أخبرنا أبو عبيدة، حدثنا حجاج^(٣)، عن ابن جرير، أخبرني القاسم بن أبي بزة^(٤) أنه سأل سعيداً: هل لمن قتل مؤمناً توبة؟ فقال: لا، فقرأ عليه هذه الآية ﴿والذين﴾^(٥) لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ إلى قوله ﴿إلا من تاب﴾. . فقال سعيد: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها عليّ، فقال: هذه آية مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء^(٦).

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، أخبرنا يحيى بن ساسويه^(٧)، حدثنا سويد بن نصر^(٨)، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن سالم التيمي^(٩) عن حميد عن أنس:

عن النبي ﷺ قال: «أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة»^(١٠).

أخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق^(١١)، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار، أخبرنا

(١) محمد بن محمد بن الحسن بن الحارث الكارزي كان صحيح السماع مقبولاً في الرواية قال الحاكم: وجدته طلب الحديث إلى العراق والشام والحجاز، وحدث بنيسابور غير مرة توفي بمكة سنة ٣٦٢ هـ. (معجم البلدان ٢٠٤/٧، وغاية النهاية ٢٣٩/٢).

(٢) علي بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور الحافظ الصدوق أبو الحسن البغوي شيخ الحرم ومصنف المسند سمع أبا عبيد والقعيني وعفان ومسلم بن إبراهيم وخلاتق وعنه ابن أخيه أبو القاسم البغوي قال الدارقطني: ثقة مأمون وقال ابن أبي حاتم صدوق توفي سنة ٢٨٦ هـ وعاش بضعا وتسعين عاماً. (تذكرة الحفاظ ٦٢٢/٢ - ٦٢٣).

(٣) حجاج بن محمد الحافظ أبو محمد المصيصي الأعمور أحد الأثبات ترمذي الأصل سمع ابن جريج والطبقة قال ابن معين: أثبت أصحاب ابن جريج وقال أحمد ما كان أضبط وأصح حديثه وأشدّ تمهده للحروف توفي سنة ٢٠٦ هـ. (تذكرة الحفاظ ٣٤٥/١).

(٤) في (هـ) برزة، وهو: القاسم بن أبي بزة وهو ابن نافع بن أبي بزة واسم أبي بزة يسار المكي فارسي من همدان، ويقال: إن نافعاً مولى لبعض أهل مكة وقال أبو حاتم الرازي: هو مولى عبد الله بن السائب بن صفيي المخزومي سمع سعيد بن جبيرة وعنه ابن جريج توفي سنة ١٢٤ هـ (الجمع ٤٢٠/٢).

(٥) في (حـ) الذين، سورة الفرقان/ ٦٨ - ٧٠. وتامها (ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً).

(٦) انظر سنن أبي داود - كتاب الفتن والملاحم - باب في تعظيم قتل المؤمن رقم ٤٢٧٣ عن سعيد بن جبيرة وانظر رقم ٤٢٧٢ عن زيد بن ثابت ورقم ٤٢٧٤، ٤٢٧٥ عن ابن عباس (١٠٤/٤ - ١٠٥) وانظر صحيح مسلم ٦٠٨/٢ وسنن النسائي ٨٥/٧ - ٨٦، ٦٣/٨ ومسند أحمد ٢٤٠/١ وسنن البيهقي ١٦/٧ والمستدرک ٤٠٣/٢، والدرر ١٩٦/٢ كلها عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس.

(٧) يحيى بن ساسويه بسنين مهملتين الأولى مفتوحة بعد ألف والثانية مضمومة بعد واو ثم ياء معجم باثنتين من تحت وهاء. (عمدة القوي والضعيف ص - ١٠).

(٨) سويد بن نصر المروزي، رحل وكتب عن ابن المبارك وابن عيينة وعمر تسعين سنة توفي سنة ٢٤٠ هـ (شذرات الذهب ٩٤/٢).

(٩) سالم أبو النصر وهو ابن أبي أمية مولى عمر بن عبيد بن معمر القرشي التيمي المدني سمع أبا مرة مولى أم هانئ وسليمان بن يسار وعميراً مولى ابن عباس ونافعاً مولى أبي قتادة وعامر بن سعد وطائفة وعنه مالك وابن عيينة وموسى بن عقبة مات في زمن مروان. (كتاب الجمع ١٨٨/١ - ١٨٩).

(١٠) الحديث: رواه الحاكم في المستدرک - كتاب الإيمان - بلفظ «إن الله عز وجل أبى على من قتل مؤمناً - قالها ثلاثاً» عن عقبة بن مالك (١٨/١ - ١٩). وكشف الخفاء «رواه الطبراني والضياء في المختارة عن أنس» (٣٦/١١) وكذا الجامع الصغير ورمز له بالصحيح (٥/١).

(١١) في (د) أبو عبد الله بن إسحاق.

الحكم بن موسى^(١)، حدثنا محمد بن سلمة^(٢)، عن محمد بن إسحاق، عن إبراهيم بن المهاجر^(٣)، عن إسماعيل بن مولى عبد الله بن عمرو^(٤) - عن عبد الله بن عمرو^(٥) قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لقتل المؤمن أعظم^(٦) عند الله من زوال الدنيا»^(٧) ومذهب أهل السنة: أن قاتل المؤمن عمداً له توبة.

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى^(٨)، أخبرنا^(٩) أبو عمرو بن نجيد أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري^(١٠)، حدثنا هشام بن حسان، قال: كنا عند محمد بن سيرين فقال له رجل من القوم «ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه^(١١) جهنم حتى ختم الآية، فقال محمد: أين أنت من هذه الآية؟» إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء^(١٢) أخبرنا أبو بكر التميمي، أخبرنا عبد الله بن محمد الحافظ أخبرنا العباس بن حمدان^(١٣)، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الشهيد^(١٤)، قال: سمعت قريش بن أنس^(١٥) يقول

(١) وقع في جميع النسخ: الحسن بن موسى، والمثبت في كتب السنة وانظر علل الحديث للرازي ٢/٣٤٠ قال ابن أبي حاتم «حدثنا أبو زرعة عن الحكم بن موسى عن محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن إبراهيم بن مهاجر عن إسماعيل مولى عبد الله بن عمرو عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا» فقال أبو زرعة: هكذا حدثنا الحكم.

(٢) محمد بن سلمة بن عبد الله الإمام المفتي أبو عبد الله الحراني روى عن خاله أبي عبد الرحيم خالد بن أبي يزيد وابن إسحاق وطائفة وعنه أحمد بن حنبل وغيره قال ابن سعد: كان ثقة فاضلاً توفي سنة ١٩٢ (تذكرة الحفاظ ١/٣١٦).

(٣) إبراهيم بن المهاجر بن جابر الجلي الكوفي أبو إسحاق سمع صفية بنت شيبة وأبا الشعثاء سليمان وعنه شعبة وأبو الأحوص روى له مسلم. (كتاب الجمع ١/٢٣) وتهذيب التهذيب ١/١٦٧ - ١٦٨).

(٤) إسماعيل السهمي - مولى عبد الله بن عمرو بن العاص - روى عن مولاة حديث «لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا» وعنه إبراهيم بن المهاجر روى له النسائي هذا الحديث الواحد وذكره ابن حبان في الثقات. (تهذيب التهذيب ١/٣٣٧).

(٥) في (أ) عمر، وفي (هـ) عمر.

(٦) في (ح) عند الله أعظم.

(٧) الحديث: رواه الترمذي - كتاب الدييات - باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن - رقم ١٤١٤ برواية «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم» قال وروي موقوفاً وهو أصح (٢/٤٢٦): والطبراني في الصغير ١/٢١٤ بلفظه «ولم يروه عن إبراهيم إلا محمد بن إسحاق تفرد به محمد بن سلمة». وعلل الحديث للرازي ٢/٣٤٠ بإسناده ولفظه وفيه «الحكم بن موسى» بدل الحسن بن موسى والجامع الصغير «رواه الترمذي والنسائي» ورمز له بالصحيح. (٢/١٢٣) كلهم من حديث عبد الله بن عمرو.

(٨) في (ج، د) محمد بن إبراهيم بن يحيى.

(٩) في (د) حدثنا.

(١٠) في (ج، هـ) إبراهيم بن عبد الله الأنصاري حدثنا هشام. محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري البخاري الأتس البصري الفقيه قاضي البصرة ثم قاضي بغداد ولد سنة ١١٨ هـ روى عنه البخاري وأبو حاتم وأبو مسلم الكجي وخلق وثقه ابن معين وغيره وقال النسائي ليس به بأس وقال أبو داود تغير تغيراً شديداً توفي سنة ٥١٢ هـ.

(١١) في (أ) «ومن يقتل مؤمناً متعمداً».

(١٢) سورة النساء/ ٤٨، ١١٦ وانظر الدرر ٢/١٩٧ عن هشام بن حسان.

(١٣) لم أقف عليه.

(١٤) في (د) الشهيد: وهو: إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد الشهيد أبو يعقوب البصري روى عنه الترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم قال النسائي: ثقة، وقال الدارقطني: ثقة مأمون وقال: هو وأبوه وجده ثقات توفي سنة ٢٥٧ هـ. (تهذيب التهذيب ١/٢١٣).

(١٥) قريش بن أنس عن ابن عون وجماعة صدوق مشهور وثقه يحيى بن معين والنسائي وابن المديني وقال النسائي تغير قبل موته يست سنين، وقال البخاري: اختلط ست سنين في البيت (الميزان ٣/٣٨٩).

كنت عند عمرو بن عبيد (١) في بيته، فأنشأ يقول: يؤتى بي يوم القيامة فأقام بين يدي الله تعالى، فيقول (٢): قلت: إن القاتل في النار؟ فأقول: أنت قلت، ثم تلا هذه الآية ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ حتى فرغ منها. فقلت - وما في البيت أصغر مني - : أرايت أن قال (٣) لك: فإني قلت ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ من أين علمت أنني لا أشاء أن أغفر لهذا؟ قال: فما استطاع أن يرد علي شيئاً (٤).

وأما ما روي عن ابن عباس وغيره من السلف، أنهم قالوا: لا توبة للقاتل فإن الأولى لأهل الفتوى سلوك سبيل التغليظ، سيما في القتل. يدل على ذلك ما روي: أن سفيان سئل عن عقوبة القاتل قال: كان أهل العلم إذا سئلوا قالوا: لا توبة له وإذا ابتلي الرجل قالوا له: تب (٥).

أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد العزيز المروزي (٦)، فيما أذن لي (٧) روايته عنه قال أخبرنا محمد بن الحسين (٨)، أخبرنا محمد بن يحيى، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا أبو داود الخفري (٩)، حدثنا سفيان، عن أبي سعيد عن عطاء:

عن ابن عباس، أن رجلاً سأله: أقاتل المؤمن توبة؟ فقال: لا وسأله آخر: أقاتل المؤمن توبة؟ فقال: نعم، فقيل له: قلت لذلك: لا توبة لك، ولذلك: لك توبة قال: جاءني ذلك ولم يكن قتل، فقلت: لا توبة لك لكي لا يقتل، وجاءني هذا وقد قتل، فقلت: لك توبة لكي لا يلقي بيده إلى التهلكة (١٠).

فأما (١١) تأويل قوله تعالى ﴿فجزاؤه جهنم﴾ فقد روي مرفوعاً عن النبي ﷺ أنه قال: «هو جزاؤه أن جازاه (١٢) (١٣)»

(١) في (ح) عمر، وهو: عمرو بن عبيد بن باب البصري أبو عثمان المعتزلي القدري مع زهده وتألوه روى عن الحسن وأبي قلابة وعنه الحمادان وعبد الوارث ويحيى القطان وطائفة وكان أبوه من شرط الحجاج قال ابن معين: لا يكتب حديثه وقال النسائي: متروك الحديث مات سنة ١٤٣ هـ. (الميزان ٣/ ٢٧٣ - ٢٧٩).

(٢) في (ح) فيقول الله، وفي (هـ) فيقول لي.

(٣) في (أ) كان لك.

(٤) انظر الدر ٢/ ١٩٧ - ١٩٨ عن قريش بن أنس، والميزان ٣/ ٢٧٣ - ٢٧٩ في ترجمة عمرو بن عبيد وكذا الضعفاء الكبير ٣/ ٢٨١ - ٢٨٢ في ترجمته وكذا تهذيب التهذيب ٨/ ٧١ - ٧٢ وقال يونس: كان عمرو يكذب في الحديث وقال يحيى بن معين: كان يدعو إلى بدعة. ٢٧٧/٣ - ٢٨١.

(٥) انظر تفسير الثوري ٩٦، وغرائب النيسابوري ١٤٢/٥ عن ابن عباس.

(٦) لم أقف عليه. وقد ورد محدث بأسم محمد بن عبد العزيز الفقيه أبي عبد الرحمن فلعله هو وسياي.

(٧) في غير (أ) فيما أجازاه له.

(٨) في (د) الحسن وهو: محمد بن الحسين بن محمد بن مهران المروزي الحدادي أبو الفضل شيخ مرو القاضي الكبير قال الحاكم: كان شيخ مرو في الحديث والفقه والتصوف والفتيا توفي سنة ٣٨٨ هـ وكان من أبناء التسعين (سير الأعلام ١٦/ ٤٧٠).

(٩) عمر بن سعد بن عبيد الكوفي أبو داود الخفري قال الدارمي عن ابن معين: ثقة وقال أبو حاتم: صدوق وكان رجلاً صالحاً توفي سنة ٢٠٣ هـ. (تهذيب التهذيب ٧/ ٤٥٢ - ٤٥٣).

(١٠) انظر الدر ٢/ ١٩٨ عن ابن عباس.

(١١) في (ح) وأما تأويل قوله فجزاؤه.

(١٢) الحديث: انظر الدر ٢/ ١٩٧ رواه ابن أبي حاتم والطبراني وأبو القاسم بن بشر بسند ضعيف عن أبي هريرة، وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث عن أبي مجلز. وأبو داود في السنن - كتاب الفتن والملاحم - باب في تعظيم قتل المؤمن رقم ٤٢٧٦ عن أبي مجلز في قوله تعالى (.. فجزاؤه جهنم) قال: هي جزاؤه فإن شاء الله أن يتجاوز عنه فعل (٤/ ١٠٥). والطبري ٩/ ٦١ عن أبي مجلز وأبي صالح والمحلية لأبي نعيم ٢/ ٢٨١ عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة وذكره العقيقي في ترجمة =

وروى (١) عاصم بن أبي النجود عن ابن عباس في قوله ﴿جزاءه جهنم﴾ قال: هي جزاؤه، فإن شاء عذبه، وإن شاء غفر له (٢).

وبهذا قال عون بن عبد الله (٣)، ويكرين عبد الله (٤) وأبو صالح، وقد يقول الإنسان لمن يزجره عن أمر: إن فعلته فجزاؤك القتل والضرب، ثم [إن لم يجازه بذلك] (٥) لم يكن ذلك منه كذباً.

والأصل في هذا: أن الله تعالى يجوز أن يخلف الوعيد، وإن كان لا يجوز أن يخلف الوعد، بهذا وردت السنة عن رسول الله ﷺ فيما:

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الأصبهاني (٦). [أخبرنا عبد الله بن محمد الأصبهاني (٧)] حدثنا زكريا بن يحيى الساجي (٨) وأبو حفص السلمي (٩) وأبو يعلى الموصلي، قالوا (١٠): حدثنا هذبة بن خالد، حدثنا سهيل بن أبي حزم، حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «من وعده الله على عمله ثواباً فهو منجزه له، ومن أوعده على عمله عقاباً فهو بالخيار» (١١).

أخبرنا أبو بكر، أخبرنا عبد الله، أخبرنا محمد بن حمزة (١٢)، حدثنا أحمد بن الخليل (١٣)، حدثنا الأصمعي، قال: جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء فقال (١٤): يا أبا عمرو، يخلف (١٥) الله ما وعده؟ قال: لا، قال:

= العلاء بن ميمون - وهو لا يتابع على حديثه، ولا يعرف إلا به - قال المحقق ضعفه الذهبي نقلاً عن المصنف. (الضعفاء الكبير ٣٤٦/٣).

(١) في (هـ) عن عاصم.

(٢) انظر الدر ١٩٧/٢ عن عاصم وعون بن عبد الله وأبي صالح.

(٣) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود اهذلي خطيب راوية شاعر كان من آدب أهل المدينة وسكن الكوفة فاشتهر فيها بالعبادة والقرابة توفي نحو سنة ١٥ هـ. (الأعلام ٢٨٠/٥).

(٤) بكر بن عبد الله بن عمرو الإمام القدوة الواعظ الحجة أبو عبد الله المزني البصري أحد الأعلام يذكر مع الحسن وابن سيرين حدث عن المغيرة بن شعبة وابن عباس وابن عمر وأنس وكان ثقة ثباتاً كثير الحديث حجة فقيها توفي سنة ١٠٦ هـ (الأعلام/ ٥٣٢ - ٥٣٥).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(٦) في (ح) الأصبهاني وفي (هـ) الأصبهاني سبق.

(٧) ساقطة من (هـ).

(٨) زكريا بن يحيى بن داود الحافظ أبو يحيى الساجي أحد الأثبات ما علمت فيه جرحاً أصلاً وقال أبو الحسن القطان مختلف فيه في الحديث وثقه قوم وضعفه آخرون توفي سنة ٣٠٧ هـ. (الميزان ٧٩/٢).

(٩) لم أقف عليه. (١٠) في (ح) قال.

(١١) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب التوبة - باب ما جاء في وعد الله ووعيده «رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط ورفعه سهيل بن أبي حزم وقد وثق على ضعفه، وبقية رجاله رجال الصحيح» عن أنس (٢١١/١٠). والدر ١٧٠/٢ وكنوز الحقائق ١٢٢/٢، كلهم من حديث أنس.

(١٢) محمد بن حمزة بن عمارة بن حمزة بن يسار الأصبهاني الفقيه أبو عبد الله والد الحافظ أبي إسحاق توفي سنة ٣٢١ (الوافي بالوفيات ٢٥/٣ - ٢٦).

(١٣) أحمد بن الخليل البغدادي جور - المعروف بجور - يروي عن الأصمعي وأبي بكر بن عياش، قال الدارقطني ضعيف لا يحتج به يقف إلى بعد سنة ٢٦٠ هـ. (الميزان ٩٦/١).

(١٤) وفي (أ) أبي عمرو بن أبي العلاء قال.

(١٥) يخلف: «أيخلف فهمزة الاستفهام محلوفة» (حاشية أ).

أفرايت من أوعده الله على عمل عقاباً، أيخلف الله وعده فيه؟ فقال أبو عمرو بن العلاء من العجمة أتيت يا أبا عثمان؟ إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا تعد عاراً ولا خلفاً أن تعد شراً ثم لا تفعله، ترى ذلك كرمًا وفضلاً، وإنما الخلف أن تعد خيراً ثم لا تفعله.

قال: فأوجدني هذا في العرب، قال: أما سمعت قول الأول:

وإني وإن أوعدته أو عدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدتي^(١)

والذي ذكره أبو عمرو بن العلاء - رحمه الله - مذهب الكرام، ويستحسن عند كل أحد خلف الوعيد كما قال السري الموصل^(٢):

إذا وعد السر أنجز وعده وإن أوعد الشر فالعفو مانعه

وأحسن يحيى بن معاذ^(٣) في هذا الفصل حيث قال: الوعد والوعيد حق، فالوعد حق العباد على الله، ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا. ومن أولى بالوفاء من الله؟.

والوعيد حقه على العباد، قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا فإن شاء عفا وإن شاء أخذ، لأنه حقه، وأولاهما^(٤) برنا الكرم والعفو إنه غفور رحيم^(٥).

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا^(٦)

- قوله عز وجل^(١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: سرتهم وغزوتهم نزلت في أسامة بن زيد وأصحابه، بعثهم رسول الله ﷺ سرية، فلقوا رجلاً كان قد انحاز بغنم له إلى جبل - وكان قد أسلم - فقال لهم: السلام عليكم لا إله إلا الله محمد رسول الله، فبدر إليه أسامة فقتله وأستاقوا غنمه^(٢).

(١) انظر الحوار: في تفسير الرازي ١٨٣/٧ - ١٨٤ نقلاً عن الواحدي، وعيون الأخبار ١٤٢/٤ والبغوي ٥٧٨/١ والميزان ٢٧٣/٣ - ٣٧٩ وكذا البيت وسير الأعلام ٤٠٨/٦ - ٤٠٩ في ترجمة أبي عمرو بن العلاء، والبيت لعامر بن الطفيل (انظر ترجمته في الأعلام ٢٠/٤) والزاهر ١٣٦/٢ واللسان/ وعد، وديوان عامر بن الطفيل ص ٥٨ تحت عنوان «أخلف إيعادي وأنجز موعدتي»، وينجوه في ديوان السري الموصل ص ٩٣.

(٢) الرقا الشاعر أبو الحسن السري بن أحمد الكندي الموصل. صاحب الديوان المشهور مدح سيف الدولة بن حمدان والكبار قال ابن خلكان: كان في صباه يرفو ويطرز ويتولع بالأدب وينظم الشعر توفي سنة ٣٦٢ هـ. (شذرات الذهب ٧٣/٣، والبداية والنهاية ٢٧٤/١١). وانظر البيت في ديوانه ص ١٦٩ في مدح سيف الدولة وتفسير الرازي ١٨٣/٧.

(٣) يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي الزاهد حكيم زمانه وواعظ عصره روى عن إسحاق بن سليمان الرازي وغيره تكلم في علم الكلام فأحسن الكلام فيه توفي سنة ٢٥٨ هـ. (شذرات ١٣٨/٢).

(٤) في (هـ) وأوليئهما.

(٥) انظر غرائب النيسابوري ١٤٧/٣ - ١٤٨ بنحوه. من هنا تبدأ النسخة (و) تبدأ بالبسمة أعلا الصفحة ويبدأ السطر الأول بقوله: بسم الله الرحمن الرحيم، قوله تعالى.

(٦) في غير (أ) قوله تعالى.

(٧) انظر صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات (٥٩/٣) ومسلم - كتاب الإيمان - باب تحريم =

قوله (١) ﴿فتبينوا﴾ يقال: تبينت الأمر، أي: تأملته وتثبت فيه ومنه قوله ﷺ: «ألا إن التبين من الله، والعجلة من الشيطان، فتبينوا (٢)». وقرئ (فتثبتوا)، والمعنيان متقاربان (٣).

﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم (٤)﴾ أي: لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية ﴿لست مؤمناً﴾ فتقتلوه وتأخذوا ماله.

ومن قرأ (السلم) (٥) أراد الانقياد والاستسلام للمسلمين ومنه قوله ﴿وألقوا إلى الله يومئذ السلم (٦)﴾ أي: استسلموا لأمره وقوله (٧) ﴿تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾ [جميع متاع الدنيا عرض] (٨)، يقال: إن الدنيا حاضر، قال ابن عباس (٩): يعني الغنائم ﴿ف عند الله مغنم كثيرة﴾ يعني ثواباً كثيراً لمن ترك قتل من ألقى إليه السلام (١٠) ﴿كذلك كتتم من قبل فمن الله عليكم﴾ [قال سعيد بن جبیر] (٨): كتتم تكتمون إيمانكم في المشركين، فمن الله عليكم بإظهار الإسلام (١١).

[وقال قتادة: كتتم ضلالاً فمن الله عليكم بالإسلام] (٨) وهداكم له (١٢).

ثم أعاد الأمر بالتبين فقال ﴿فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ قال عطية العوفي: هو خير أنكم قتلتموه على ماله (١٣).

قال ابن عباس: ثم استغفر رسول الله ﷺ لأسامة بن زيد وأمره أن يعتق رقبة (١٤).

= قتل المؤمن بعد أن قال لا إله إلا الله (٥٤/١) والترمذي - كتاب التفسير - من سورة النساء - رقم ٥٠٢١ (٣٠٧/٤) والمستدرک - کتاب معرفة الصحابة ١١٦/٣ وشرح السنة للبغوي (٢٤١/١٠ - ٢٤٢)، وسنن أبي داود - کتاب الجهاد - باب على ما یقاتل المشركون رقم ٢٦٤٣ (٤٤/٣ - ٤٥) والبدایة والنهاية ٢٢٤/٤ - ٢٢٥، والدرر ١٩٩/٢ - ٢٠٢ وابن كثير ٥٣٨/١ - ٥٣٩ والطبري ٧٢/٩ - ٨٠ بروايات متعددة مع اختلاف في اسم القاتل واسم المقتول. وتفسير ابن عباس ٧٧، والزجاج ٩٩/٢، ومسند أحمد ٢٢٩/١ وأحكام القرآن لابن العربي ٤٨٠/١.

(١) في (ج، هـ، و) وقوله.

(٢) الحديث: رواه الطبراني في الكبير - عن سهل بن سعد برواية «الأناة من الله والعجلة من الشيطان فتبينوا» (١٤٨/٦) وغريب الحديث ٣٢/٢ بلفظه والمقاصد الحسنة عن الحسن مرسلاً «رفعه» ص ١٥١ كشف الخفاء «رواه العسكري عن الحسن البصري مرسلاً» (٢٩٥/١) والجامع الصغير ١٢٤/١ عن سهل - كما ذكره الطبراني - ورمز له بالصحيح.

(٣) قرأ حمزة والكسائي وخلف (فتثبتوا) - بالثاء المثناة، وكذلك في الحجرات - أي فتأنوا وتوقفوا حتى تتبينوا صحة الخبر، وقرأ الباقون - بالثاء المثناة - أي: فأفصحوا وأكشفوا، وحثهم: الحديث (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٠٩ والسبعة ٢٣٦ والنشر ٢٥١/٢ والزجاج ٩٨/٢ والتيان ٣٨٢/١ والفراء ٤٥٢/١ - ٤٥٣ والحجة لأبي خالويه ١٢٦).

(٤) في (و) لست مؤمناً.

(٥) في (د) السلام - قرأ نافع وابن عامر وحمزة (السلم) - بغير ألف - وقرأ الباقون (السلام) بالألف - أي: التحية وحثهم: أن المقتول قتل لهم: السلام عليكم.

(٦) سورة النحل / ٨٧.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ص ٧٧.

(٧) في (د) وقوله.

(١٠) في (د، هـ، و)، السلام.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

(١١) انظر غرائب النيسابوري ١٤٤/٥، والرازي ٥/١١ وابن كثير ٥٤٠/١، والدرر ٢٠١/٢ والفتح القدير ٥٠٢/١ كلها عن سعيد.

(١٢) انظر تفسير البغوي ٥٧٩/١ والدرر ٢٠١/٢ كلاهما عن قتادة.

(١٣) انظر الوجيز للواحدي ١١٦٨/١.

(١٤) انظر تفسير البغوي ٥٧٨/١ - ٥٧٩ والخازن ٥٧٨/١ كلاهما عن ابن عباس. وانظر الترمذي - كتاب المناقب - مناقب زيد بن حارثة رقم

٣٩٠٤ «عن ابن عمر حسن صحيح» «أنه كان من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ» ٣٤١/٥ - ٥٤٢.

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ ٩٥ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۙ ٩٦

- قوله عز وجل (١) ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ «الضرر»: النقصان وهو كل ما يضرك وينقصك من عمى ومرض وعلة (٢).

قال زيد بن ثابت: كنت عند النبي ﷺ حين نزلت عليه ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ولم يذكر ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ فقال ابن أم مكتوم (٣) فكيف وأنا أعمى لا أبصر؟ فتغشى النبي ﷺ الوحي ثم سري (٤) عنه فقال: اكتب ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ فكتبتها (٥).

وقرىء (غير) رفعا ونصبا، فمن رفع، فهو صفة للقاعدين، والمعنى: لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر، أي: لا يستوي القاعدون من الأصحاء والمجاهدون وإن كانوا كلهم مؤمنين.

ومن نصب (غير) جعله استثناء من القاعدين، يعني: لا يستوي القاعدون إلا أولو الضرر، وهذا الوجه اختيار الأخفش، قال: لأنه استثنى بها قوم لم يقدرُوا على الخروج (٦)، وهو أيضاً قراءة النبي ﷺ فيما أخبرنا: أحمد بن عبيد الله المخلد (٧)، أخبرنا محمد بن محمد بن يعقوب الحافظ حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا أبو عمر الدوري، حدثنا علي بن حمزة الكسائي، حدثنا ابن أبي الزناد، (٨) عن أبيه، عن خارجة بن زيد (٩) عن أبيه:

(١) في (ج، د، هـ) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٢) انظر اللسان/ ضرر، والمصباح المنير/ ضرر، ومفردات الراغب/ ضرر.

(٣) ابن أم مكتوم: مختلف في اسمه، فأهل المدينة يقولون: عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم بن راحة القرشي العامري، وأهل العراق يسمونه: عمراً، كان ضريباً مؤذناً لرسول الله ﷺ مع بلال وسعد القرظ وأبي محذورة هاجر إلى المدينة وكان النبي ﷺ يستخلفه عليها، استشهد يوم القادسية أو بعدها. (سير الأعلام ١/ ٣٦٠ - ٣٦٥).

(٤) ثم سُري عنه: بتشديد الراء أي: كشف عنه (عمدة القوي والضعيف ص ١٠).

(٥) انظر صحيح البخاري - كتاب التفسير - (لا يستوي القاعدون...) ١٢١/٣. والترمذي - كتاب الجهاد - باب الأول رقم ١٧٢١ «حسن صحيح» ١١٠/٣ وفي كتاب التفسير - من سورة النساء - برقم ٥٠٢٤ (٤/٣٠٨ - ٣٠٩). وسنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب في الرخصة في القعود من العذر رقم ٢٥٠٧، (٣/١١) والمستدرک - كتاب الجهاد - «صحيح الإسناد» ٨١/٢ - ٨٢ كلهم من حديث زيد.

(٦) قرأ نافع والكسائي وابن عامر (غير) - بالنصب - وقرأ ابن كثير - في رواية - بالنصب وقرأ الباقون - بالضم -. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢١٠ - ٢١١ والسبعة ٢٣٧ والنشر ٢/٢٥١ والتبيان ١/٣٨٣ والزجاج ٢/٩٩ والمشكل ١/٢٠٦ والطبري ٩/٨٥ - ٨٦ والحجة لابن خالويه ١٢٦ ..) وانظر الأخفش ١/٤٥٣ والرازي ١١/٧ عن الأخفش.

(٧) في (د) عبد الله.

(٨) في (د) ابن أبي زيادة، وهو: عبد الرحمن بن أبي الزناد - عبد الله - بن ذكوان المدني أبو محمد أحد العلماء الكبار وآخر المحدثين لهشام بن عروة ضعفه ابن معين فقال مرة: ليس بشيء، وقال أخرى: لا يحتج به، وكذا قال أبو حاتم وضعفه النسائي وقال أحمد: مضطرب الحديث، ووثقه مالك. قلت: قد مشاه جماعة وعدلوه وكان من الحفاظ المكثرين لاسيما عن أبيه وهشام بن عروة حتى قال ابن معين: هو أثبت الناس في هشام بن عروة توفي سنة ١٧٤ هـ (الميزان ٢/٥٧٥ - ٥٧٦).

(٩) خارجة بن عبد بن ثابت أبو زيد الأنصاري النجاري المدني أخو إسماعيل سمع أباه وغيره وعنه الزهري وعبد الملك بن بكر بن عبد الرحمن بن هشام مات سنة ٩٩ هـ (كتاب الجمع ١/١٢٦).

أن النبي ﷺ قرأ ﴿غير أولي الضرر﴾ - نصباً - (١) وقوله (٢) ﴿والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾ عطف على قوله (القاعدون (٣)) والمعنى : ليس المؤمنون (٤) القاعدون عن الجهاد من غير عذر والمؤمنين المجاهدون سواء، إلا أولي الضرر، فإنهم يساوون المجاهدون، لأن الضرر أقعدهم عن الجهاد.

وقوله ﴿فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين﴾ يعني من أهل العذر ﴿درجة﴾ وذلك أم المجاهدين مباشرين للطاعة فلهم فضيلة على القاعدين من أهل العذر، وإن كانوا هم على نية الجهاد وقصده.

وقوله ﴿وكللاً وعد الله الحسنى﴾ قال مقاتل (٥) : يعني المجاهد والقاعد [المقدور والحسنى : الجنة. قول ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين﴾ (٦) أجرأ عظيماً﴾ يعني : القاعدين من غير عذر، والمجاهدون مفضلون عليهم بدرجات. قال ابن محيريز (٧) : هي سبعون درجة، ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمّر سبعين (٨) خريفاً (٩).

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المزكي أخبرنا أبو عمرو بن مطر أخبرنا إبراهيم بن علي الذهلي، حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا المغيرة بن عبد الرحمن الحزامي، عن أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج من بيته إلا جهاداً (١٠) في سبيله، وتصديق كلمته، بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة».

رواه مسلم عن يحيى بن يحيى (١١).

- قوله ﴿درجات منه﴾ يعني : منازل بعضها أعلى من بعض من منازل الكرامة قال السدي : فضلوا بسبعمائة درجة.

(١) روى أبو داود في سننه - كتاب الحروف والقراءات - الحديث السابع رقم ٣٩٧٥ بسنده «وعنده (غير) - بالرفع -».

(٢) في (د) قوله.

(٣) في (د) والقاعدون.

(٤) في (د) ليس المؤمنين.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ٧٧ والبغوي ٥٨١/ عن مقاتل والطبري ٩٦/٩ والبحر ٣٣٢/٣ - ٣٣٣ وخرائب النيسابوري ١٤٦/٥.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (د).

(٧) عبد الله بن محيريز بن جناد بن وهب القرشي الجمحي أبو محيريز المكي أحد الأعلام سكن بيت المقدس وحدث عن عبادة بن الصامت ومعاوية وأبي سعيد وجماعة قال الأوزاعي: من كان مقتدياً فليقتد بمثل ابن محيريز توفي سنة ٩٩ هـ. (تذكرة الحفاظ ٦٨/١ - ٦٩).

(٨) في (ح) سبعون خريفاً.

(٩) انظر تفسير الطبري ٩٨/٩ والدرر ٢٠٥/٢ وفتح القدير ٥٠٤/١ كلها عن ابن محيريز وفرس جواد: بين الجودة، والآنثى: جواد أيضاً وجاد الفرس: أي صار رائعاً بوجود جودة، فهو جواد للذكر والآنثى وتضمير الفرس: أن تشد عليها سروجها وتضميرها: أن تشد عليها سروجها وتجلل بالأجلة، وعلفها قبل أن يسابق عليه (اللسان/ جود، ضم).

(١٠) في (و) مجاهداً.

(١١) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الإمارة - باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله عن أبي هريرة برواية «لا يخرج من بيته إلا جهاداً، .. من أجر أو غنيمة» (٢ / ١٤٦) والبخاري في صحيحه - كتاب الجهاد والسير - باب قول النبي ﷺ أحلت لكم الغنائم عن أبي هريرة (٢ / ١٩٢).

وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيله، بين الدرجتين كما بين السماء والأرض»^(١).

وقوله^(٢) «وكان الله غفوراً رحيماً» يريد: للفريقين جميعاً، للمجاهدين^(٣) والقاعدتين.

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الظَّالِمِينَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا^(٤) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَمْتَدُونَ سَبِيلًا^(٥) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا^(٦) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا^(٧)

- قوله عز وجل^(٤) «إن الذين توفاهم الملائكة» قال الفراء^(٥): إن شئت جعلت «توفاهم» ماضياً، وإن شئت كان على الاستقبال، يريد: تتوفاهم، فحذفت إحدى التاءين.

وقوله^(٦) «ظالمني أنفسهم» أي: بالمقام في دار الشرك. نزلت الآية^(٦) في قوم كانوا قد أسلموا ولم يهاجروا، حتى خرج المشركون إلى بدر فخرجوا معهم فقتلوا يوم بدر، فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وقالوا لهم: ما ذكر الله سبحانه وهو قوله «قالوا فيم»^(٧) كنتم» أي: أكنتم في المشركين أم في المسلمين؟ وهذا سؤال توييح وتعبير.

فاعتذروا بالضعف عن مقاومة أهل الشرك وهو قوله «قالوا كنا مستضعفين في الأرض» يعني: أرض مكة، فحاجتهم الملائكة بالهجرة عن دارهم، وهو قوله «قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها» يعني: المهاجرة إلى المدينة مع المسلمين. وذلك أن الله تعالى لم يرض بإسلام أهل مكة حتى يهاجروا^(٨)، ولذلك قال «فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً» وذلك أنهم خرجوا مع المشركين يكثرون سوادهم فقتلوا معهم.

ثم ذكر أهل العذر في التخلف عن الجهاد فقال:

(١) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب التوحيد - باب وكان عرشه على الماء - ضمن حديث أبي هريرة ٢٨١/٤ ومصنف ابن أبي شيبة ٣٠٤/٥ وشرح السنة للبخاري ٢٤٦/١٠ ومسند أحمد ٣٣٥/٢ كلهم من حديث أبي هريرة.

(٢) في (د) قوله.

(٣) في (و) المجاهدين.

(٤) في غير (أ) قوله تعالى.

(٥) انظر الفراء ٢٨٤/١ والرازي ١١/١١ عن الفراء وذكره الزجاج بتمامه ١٠٢/٢ والتبيان ٣٨٤/١ وغرائب النيسابوري ١٤٨/٥.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٧٨ وفتح الباري ٢١١/٨ - ٢١٢ وغرائب النيسابوري ١٤٨/٥، والطبري ١٠٢/٩ - ١٠٣، والطبراني في الكبير ٢٧٢/١١، وابن كثير ٥٤٢/١ كلها عن ابن عباس والدرر ١٠٥/٢ - ١٠٦ عن ابن عباس وعكرمة وقتادة وابن زيد وأسباب النزول

للواحد ١٣١ - ١٣٢ وللسيطوي ٨٨ - ٨٩.

(٧) في (د) فيما.

(٨) انظر غرائب النيسابوري ١٢٧/٥ وكانت الهجرة واجبة إلى أن فتحت مكة وفي ١٢٩/٥ «قال أبو مسلم: إنه تعالى لما أوجب الهجرة على كل من أسلم استثنى من له عذر».

- ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ يريد: الذين أقعدهم عن الهجرة الضعف وقال ابن عباس^(١): هم ناس من المسلمين كانوا بمكة لا يستطيعون أن يخرجوا^(٢) منها فيها جروا، فعذرهم الله، فهم أولئك قال: كنت أنا وأمي ممن عذر الله. وقوله^(٣) ﴿لا يستطيعون حيلة﴾ أي: لا يقدرّون على حيلة في الخروج من مكة ولا على نفقة، ولا قوة ﴿ولا يهتدون سبيلاً﴾^(٤): لا يعرفون طريقاً إلى المدينة دار الهجرة.

- ﴿فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم...﴾ الآية، قال الزجاج: اعلم الله أن هؤلاء راجون العفو كما يرجح المؤمنون.

و«عسى»: كلمة ترجي^(٥)، وما أمر الله أن يرجي^(٦) من رحمته فمنزلة الواقع، وكذلك الظن بأرحم الراحمين.

- قوله ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً﴾^(٧) قال الزجاج: المعنى: يجد في الأرض مهاجراً، لأن المهاجر لقومه والمرامم بمنزلة واحدة وإن اختلف اللفظان، وهو مأخوذ من الرغام وهو التراب، يقال راغمت فلاناً أي هجرته وعاديته ولم أبال رغم أنفه، وإن لصق أنفه بالتراب^(٨).

وقال أبو عمرو بن العلاء في قوله ﴿مراغماً﴾ الخروج عن العدو برغم أنفه^(٩) وقال ابن قتيبة^(١٠): المرامم والمهاجرة واحدة يقال: راغمت وهاجرت وذلك أن الرجل كان إذا أسلم خرج عن قومه مراغماً، أي: مغاضباً لهم، فقيل للمذهب^(١١) مراغم. قال ابن عباس في رواية^(١٢) الوالبي: منحولاً من أرض إلى أرض وقال مجاهد^(١٣) متزحزحاً^(١٤) عما يكره وقال ابن زيد^(١٥) مهاجراً.

وقوله ﴿وسعة﴾ أي: من الرزق وقال قتادة ﴿وسعة﴾ من العيلة إلى الغنى^(١٦).

- (١) انظر الطبري ١٠٢/٩، ١٠٩، والطبراني ٢٧٢/١١ وصحيح البخاري - كتاب التفسير قوله تعالى (إلا المستضعفين...) ١٢٢/٣ وفتح الباري ١٧٢/٢، ٢١٢/٨، والدرر ٢٠٦/٢ وابن كثير ٥٤٢/١ كلها عن ابن عباس.
- (٢) في (و) الخروج.
- (٣) في (د) قوله.
- (٤) في (هـ) أي يعرفون وفي (د) أي لا يعرفون.
- (٥) في (جـ، د) ترجى.
- (٦) في (هـ) يرجأ.
- (٧) في (حـ) وسعة.
- (٨) انظر الزجاج ١٠٤/٢ والخازن ٥٨٣/١، واللسان/ رغم، عن الزجاج.
- (٩) انظر البحر ٣٢٧/٣ والخازن ٥٨٣/١ واللسان/ رغم.
- (١٠) انظر غريب القرآن ١٣٤ ومجاز القرآن ١٣٨/١ والزاهر ٦٢٣/١ عن أبي عبيدة.
- (١١) «للمذهب»: أي الطريق «حاشية ١».
- (١٢) انظر تفسير ابن عباس ٧٨ والدرر ٢٠٧/٢ وفتح القدير ٥٠٦/١ كلاهما عن ابن عباس والطبري ١١٩/٩ - ١٢٠ وابن كثير ٤٣/١ كلاهما عن ابن عباس والضحاك والحسن.
- (١٣) انظر تفسير مجاهد ١٧١ والطبري ١٢٠/٩ وابن كثير ٥٤٣/١ والدرر ٢٠٧/٢ وفتح القدير ٥٠٦/١ كلها عن مجاهد.
- (١٤) في (جـ) مزحزحاً، وهي رواية أخرى لمجاهد عند الطبري ١٢٠/٩.
- (١٥) في (جـ، د) أبو زيد - وانظر تفسير الطبري ١٢٠/٩ - ١٢١، والدرر ٢٠٧/٢ كلاهما عن ابن زيد وفتح القدير ٥٠٥/١ عن ابن زيد وأبي عبيدة.
- (١٦) قال ابن عباس ٧٨ «في المعيشة» وانظر الطبري ١٢٢/٩ وابن كثير ٥٤٣/١، والدرر ٢٠٧/٢ كلها عن قتادة.

وقال أهل المعنى: ﴿وسعة﴾ في إظهار الدين، وذلك أن المشركين كانوا قد ضيقوا عليهم في أمر دينهم حتى منعوهم^(١) من إظهاره.

قوله عز وجل^(٢) ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله...﴾ الآية، قال ابن عباس في رواية عطاء: كان عبد الرحمن بن عوف يخبر أهل مكة بما ينزل فيهم من القرآن فكتب بالآية التي نزلت ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم...﴾ فلما قرأها المسلمون قال ضمرة بن جندب^(٣) الليثي لبيته - وكان شيخاً كبيراً - احملوني فإني لست من المستضعفين، وإني لأهتدي إلى الطريق، فحملوه على سرير متوجهاً إلى المدينة، فلما بلغ التنعيم^(٤) أشرف على الموت، فصفق بيمينه على شماله، وقال: اللهم هذه لك وهذه لرسولك، أبايعك على ما بايعك^(٥) به رسول الله ﷺ فمات حميداً فبلغ خبره^(٦) أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا^(٧): لو وافى المدينة لكان أتم أجراً فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية، وهذا قول جماعة المفسرين^(٨).

ومعنى ﴿وقع أجره على الله﴾: وجب ثوابه^(٩)، والمؤمن إذا قصد طاعة ثم أعجزه العذر عن إتمامها كتب الله له ثواب تمام تلك الطاعة. وهذا معنى قوله ﴿ثم يدرکه الموت فقد وقع أجره على الله﴾.

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتِهِمْ فَاذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠١﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا

(١) في (و) يمنعوهم. وانظر تفسير الطبري ١٢٢/٩ والبغوي ٥٨٣/١، وغرائب النيسابوري ١٥١/٥.

(٢) ليست في (ج، هـ، و) وفي (د) قوله.

(٣) في جميع النسخ حبيب بن ضمرة وفي مجمع الزوائد والطبراني في الكبير، وابن كثير والدر، وأسد الغابة، وغيرها وهو: ضمرة بن عمرو الخزاعي - وقيل ضمرة - بن جندب، وقيل ضمضم - عن ابن عباس: أن عبد الرحمن بن عوف كتب إلى أهل مكة (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم... الآية (أسد الغابة ٦١/٣)). وترجم له مرة أخرى تحت اسم: جندب بن ضمرة الليثي (المصدر السابق ٣٥٩/١).

(٤) والتنعيم: مكان بين مكة والمدينة، بقرب من مكة (اللسان/ نعم).

(٥) في (و) بايع.

(٦) في (و) حديثه.

(٧) ليست في (ح).

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٧٨، والطبراني ٢٧٢/١١ وأسد الغابة ٦١/٣ وغرائب النيسابوري ١٥٠/٥ وفتح القدير ٥٠٦/١ كلها عن ابن عباس وتفسير مجاهد ١٧٠ وابن كثير ٥٤٣/١ عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة، والدر ٢٠٧/٢ - ٢٠٨ عن ابن عباس وسعيد وقتادة وعكرمة والسدي والطبري ١١٧/٩ - ١١٨ عنهم والوجيز للواحدي ١٦٩/١.

(٩) انظر مجاز القرآن ١٣٨/١.

اللَّهُ فِيمَا وَقَعُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾

- قوله جل جلاله (١) ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة...﴾ الآية، يقال: قصر الصلاة وأقصروها وقصرها، كل ذلك جائز (٢).

وفرض المسافر أربع، إلا إن رخص له في القصر، إن شاء أخذ بالرخصة وإن شاء أتم على أصل الفرض لأن الله تعالى قال ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا﴾ وهذا اللفظ للإباحة، لا للإيجاب.

وقوله (٣) ﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ قال ابن عباس (٤): يريد أن يقتلكم ومثل هذا قوله ﴿على خوف من فرعون وملثهم أن يفتنهم﴾ (٥) أي: يقتلهم.

وظاهر قوله ﴿إن خفتم﴾ يوجب أن القصر لا يجوز إلا عند الخوف، وليس الأمر على ذلك، فإن القصر مباح في السفر عند الأمن، ولكن الآية نزلت على غالب أسفار النبي ﷺ وأكثرها لم تخل عن خوف العدو، والقصر في الأمن جائز.

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، حدثنا محمد بن يعقوب المعقلي أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن ابن جريج قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار (٦) عن عبد الله بن أمية (٧) قال:

قلت لعمر بن الخطاب: فيم إقصار الناس للصلوة اليوم، وإنما قال الله ﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ وقد ذهب ذلك اليوم؟ فقال: عجبت منه فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته» (٨) أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي، أخبرنا أبو النصر محمد بن محمد بن يوسف (٩) حدثنا الفضل بن

(١) في غير (أ) وقوله، وفي (د) قوله تعالى.

(٢) انظر اللسان/ قصر، والمصباح المنير/ قصر.

(٣) في (د) قوله.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٧٨.

(٥) سورة يونس/ ٨٣.

(٦) عبد الرحمن بن عبد الله بن عمار المكي القرشي روى عن أبي هريرة. وابن عمر وابن الزبير وعبد الله بن عباس وغيره قال ابن سعد وأبو سعد وأبو زرعة والنسائي ثقة. (تهذيب التهذيب ٣١٣/٦).

(٧) يعلى بن أمية بن أبي عبيدة التيمي المكي - ويقال يعلى بن مينة ومينة أمة نسب إليها، وهي أخت عتبة بن غزوان - روى عن النبي ﷺ وعنه ابن عمر وبنوه صفوان وعثمان ومحمد وأخوه عبد الرحمن وعبد الله بن بابيه ومجاهد وعطاء وعكرمة توفي سنة ٣٧ هـ (سير الأعلام ١٠٠/٣ - ١٠١ والأعلام ٢٦٩/٩).

(٨) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب المساجد - باب صلاة المسافر وقصرها (٢٧٧/١) والترمذي كتاب التفسير - من سورة النساء رقم ٥٠٢٥ حسن صحيح (٣٠٩/٤) وأبو داود - كتاب الصلاة - باب صلاة المسافر رقم ١١٩٩ (٣/٢) وشرح السنة للبخاري ١٦٨/٤ وقال هذا حديث صحيح، ومسنده أحمد ٢٦، ٢٥/١، ومصنف عبد الرزاق ٥١٧/٢ والطبري ١٢٤/٩ - ١٢٥ كلهم من حديث يعلى بن أمية.

(٩) محمد بن محمد بن يوسف بن الحجاج أبو النصر الفقيه الطوسي كان عالماً ثقة عابداً له رحلة في طلب الحديث وكان من أئمة خراسان توفي سنة ٣٤٤ هـ عن تسعين سنة (البداية والنهاية ٢٢٩/١١، وسير الأعلام ٤٩٠/١٥ - ٤٩١).

عبد الله بن مسعود الشكري^(١)، حدثنا مالك بن سليمان الهروي^(٢)، حدثنا يزيد بن إبراهيم التستري^(٣)، عن محمد بن سيرين، عن ابن عباس قال:

«سافر رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة لا يخاف إلا الله يصلي ركعتين»^(٤)

- قوله عز وجل ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ . . . الآية أخبرنا الأستاذ أبو عثمان سعيد بن محمد المقرئ^(٥) - قراءة عليه في داره بالحيرة سنة خمس وعشرين وأربعمائة - حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن زياد السمندي^(٦) - سنة ثلاث وستين - أخبرنا المفضل بن محمد الجندي - بمكة في المسجد الحرام سنة أربع وثلاثمائة - أخبرنا علي بن زياد اللحجي^(٧)، حدثنا أبو قرة موسى بن طارق^(٨) قال: ذكر سفیان، عن منصور، عن مجاهد قال: حدثنا أبو عياش الزرقني^(٩) قال: صلينا مع رسول الله ﷺ الظهر، فقال المشركون: قد كانوا على حال، لو كنا^(١٠) أصبنا منهم غرة^(١١) فقالوا: تأتي عليهم صلاة هي أحب إليهم من آبائهم، فقال: ^(١٢) وهي العصر، قال: فنزل جبريل بهؤلاء الآيات بين الأولى^(١٣) والعصر ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ وهم بعسفان^(١٤)، وعلى المشركين خالد بن الوليد^(١٥).

(١) الفضل بن عبد الله بن مسعود الشكري الهروي عن مالك بن سليمان يروي العجائب قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به بحال،

شهرته عند من كتب من أصحابنا حديثه تغني من التطويل في أمره، فلا ادري أكان يقبلها أو تدخل عليه (الميزان ٣/٣٥٣).

(٢) مالك بن سليمان الهروي قاضي هراة عن إسرائيل وشعبة وغيرهما قال العقيلي: فيه نظر وكذا قال السليمانى وضعفه الدارقطني (الميزان ٣/٤٢٧).

(٣) يزيد بن إبراهيم التستري أبو سعيد البصري التميمي قال عبد الله بن أحمد عن أبيه ثقة وقال أبو زرعة والنسائي ثقة توفي سنة ١٦٣ (تهذيب التهذيب ١١/٣١١ - ٣١٢).

(٤) الحديث: رواه الترمذي - كتاب السفر باب التفسير في السفر - رقم ٢٤٥ وصححه (٢/٢٦) والطبراني في الكبير ١١/١١٨، ١٢/١٩٢ وفي الصغير ١/٣١١ ومسنده أحمد ١/٢٢٦ ومصنف عبد الرزاق ٢/٥١٦ كلهم من حديث ابن عباس

(٥) في (ج، د) سعد.

(٦) في (د) السيدي.

(٧) أبو الحسن علي بن زياد اللحجي سمع ابن عيينة وغيره وعنه المفضل بن محمد الجندي وكان مستقيم الحديث (الأنساب ٣/٣٢١، واللباب ٣/١٢٩). «علي بن زياد اللخمي هكذا وقع بالخاء المعجمة والميم نسبة إلى لحم وهو خطأ حسن وصوابه اللحجي نسبة إلى البلبل المعروف باليمن قريبا من عدن، وهذا الرجل كان مشهوراً بلحج وهو كنانى النسب مات سنة ٢٣٥ هـ وشيخه أبو قرة موسى بن طارق» (عمدة القوي والضعيف ص ١٠).

(٨) في (د) أبو مرة، وهو موسى بن طارق أبو قرة الزبيدي صاحب ابن جريج صدوق قال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به ووثقه ابن حبان وهو شيخ علي بن زياد اللحجي مات سنة ٢٠٣ هـ (الميزان ٤/٢٠٧ عملة القوي والضعيف ٢٠).

(٩) أبو عياش الزرقني زيد بن الصامت - وقيل ابن النعمان وقيل عبد الرحمن بن معاوية بن الصامت - ابن زيد خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق بن عبد بن حارثة بن غضب بن جشم بن الخزرج روى عن النبي ﷺ حديث صلاة الخوف بعسفان وعنه مجاهد وأبو صالح الزيات مات في خلافة معاوية. (تهذيب التهذيب ١٢/١٩٣).

(١٠) في (د) فلو كنا.

(١١) «الغرة: الغفلة، أي كانوا غافلين عن حفظ مقامهم وما هم فيه من مقابلة العدو». (اللسان/ غر).

(١٢) في (د) قال وهي صلاة العصر.

(١٣) الأولى: الظهر (حاشية أ).

(١٤) عُسْفَان - بضم اوله وسكون السين - قرية جامعة بين مكة والمدينة (اللسان/ عسف).

(١٥) الحديث: رواه أبو داود - كتاب الصلاة - باب صلاة الخوف - رقم ١٢٣٦ (١١/٢ - ١٢) والترمذي - كتاب التفسير - من سورة النساء رقم =

قال الزجاج^(١): «الماء والميم» في «فيهم»^(٢) يعودان على المؤمنين، أي: «وإذا كنت» أيها النبي مع المؤمنين في غزواتهم وخوفهم «فأقمت الصلاة»، أي: أقمتها، «واقامة الصلاة»: الابتداء في تأديتها «فلتقم طائفة منهم معك» أي: فلتقف، يقال: قام الرجل إذا وقف ومنه قوله «وإذا أظلم عليهم قاموا»^(٣) أي: وقفوا قال ابن عباس^(٤): تصفهم يصلون معك.

«ولياخذوا أسلحتهم» أي: وليأخذ الباقون^(٥) أسلحتهم «فإذا سجدوا» أي: فإذا سجدت^(٦) الطائفة التي قامت معك «فليكونوا من ورائكم» أي: الذين أمروا بأخذ السلاح.

قوله^(٧) «ولنأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك» قال ابن عباس^(٨): يريد الذين كانوا من ورائهم من لم يكونوا صلوا فليصلوا معك^(٩) وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم يريد: الذين صلوا أولاً^(١٠).

«ود الذين كفروا لو تغفلون» أي: يتمنى الكفار لو كنتم مشتغلين كلكم بالصلاة غافلين «عن أسلحتكم وأمتعتكم»^(١١) فيميلون عليكم ميلاً واحدة «فيصدونكم بالقتال» ولا جناح عليكم إن كان أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم» قال ابن عباس^(١٢): يريد: نقل السلاح على المريض وفي المطرة فرخص لهم في وضع الأسلحة^(١٣).

وقوله «وخذوا حذرکم» أي: راعوا العدو وراقبوهم بقلوبكم كيلا يغفلون.

- قوله جل جلاله^(١٤) «فإذا قضيت الصلاة» يعني: صلاة الخوف «فأذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم» يعني^(١٥) المرضى الذين لا يستطيعون الجلوس^(١٦) «فإذا اطمأنتم» أي: في بلادكم وزالت حركة السفر «فأقيموا الصلاة» فأتموها^(١٧). «إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً»^(١٨) فرضاً مؤقتاً، قال ابن عباس^(١٩): فريضة بأوقاتها. والمراد بالمصدرها هنا: المفعول، يقال وقته بمعنى وقته^(٢٠).

= ٥٠٢٦ حسن صحيح (٤/٣٠٩-٣١٠) والمستدرک کتاب صلاة الخوف. وصححه (١/٣٣٧-٣٣٨) والطبرانی في الكبير ٢٤٣/٥

والطبري ١٣١/٩ ومصنف عبد الرزاق ٥٠٥/٢ ومسند احمد ٥٩/٤ كلهم من حديث ابي عیاش

(١) انظر الزجاج ١٠٥/٢.

(٢) في (هـ) هم.

(٣) سورة البقرة/٢٠

(٤) انظر الدر ٢١٢/٢ عن ابن عباس.

(٥) في (د) وليأخذوا الواقفين.

(٦) في (د) إذا.

(٧) في (د) قوله.

(٨) انظر تفسير الطبري ١٤٩/٩ والدر ٢١٤/٢

كلاهما عن ابن عباس.

(٩) انظر غريب القرآن ١٣٥ ومجاز القرآن ١٣٨/١ والدر ٢١٣/٢ عن مجاهد وقتادة.

(١٠) في (د) قال ابن عباس.

(١١) انظر تفسير ابن كثير ٥٥٠/١، والدر ٢١٥/٢ كلاهما عن ابن عباس والزجاج ١٠٨/٢ بنحوه.

(١٢) انظر مجاز القرآن ١٣٩/١.

(٩) في (د) أول

(١٠) في جميع النسخ / عن امتعتكم واسلحتكم

(١١) في (د) مرضاً.

(١٢) انظر تفسير الطبري ١٦٣/٩ والدر ٢١٤/٢ كلاهما عن ابن عباس.

(١٣) من (أ، د).

(١٤) في (ج، د) قوله وفي (هـ) وقوله، وفي (و) قوله تعالى.

(١٥) في غير (أ) هم المرضى.

(١٦) في (هـ) بالجلوس.

وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ^ط وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ^ه وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا^{١٠٤}

- قوله جل جلاله (١) ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم﴾ (٢): لا تضعفوا عن طلب العدو يعني: أبا (٣) سفيان وأصحابه، وذلك أنهم لما انصرفوا من أحد أمر الله نبيه ﷺ أن يسير في آثارهم، فندب النبي ﷺ الناس، فاشتكوا ما بهم من الجراحات، فأنزل الله هذه الآية (٤).

وقوله (٥) ﴿إن تكونوا تألمون [فإنهم يألمون كما تألمون]﴾ و«الألم»: الوجع وقد ألم الرجل يألم ألماً فهو ألم (٦).

وقال قتادة (٧): إن كنتم تتوجعون فإنهم يتوجعون كما تتوجعون، أي: أن ألمتم جراحكم، فهم أيضاً في مثل حالكم من ألم الجراح.

﴿وترجون من الله﴾ (٨) من الأجر والثواب والنصرة ﴿ما لا يرجون﴾ هم ﴿وكان الله عليماً﴾ بخلقه ﴿حكيماً﴾ فيما حكم لأوليائه بالثواب ولأعدائه بالعقاب.

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا^{١٠٥}
وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا^{١٠٦} وَلَا تَجِدَلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا^{١٠٧} يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى
مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا^{١٠٨} هَتَأْتُمْ هَتُؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ
يُجَدِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا^{١٠٩} وَمَنْ يَعْمَلْ سُوًّا أَوْ يَظْلِمَ نَفْسَهُ ثُمَّ
يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا^{١١٠} وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا^{١١١} وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا^{١١٢}

- قوله عز وجل (٩) ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ نزلت في رجل يقال له طعمة بن أبيرق (١١)، سرق درعاً،

(١) في (ح) وقوله، وغير (أ) قوله. (٣) في (د) أبو سفيان.

(٢) في (ج)، (د) أي لا. (٤) انظر تفسير ابن عباس ٧٩ والطبري ١٧٣/٩ عن ابن عباس والوجيز للواحدى ١٧١/١.

(٥) في (د) قوله.

(٦) انظر الاخفش ٤٥٤/١ واللسان/ ألم، ومفردات الراغب/ ألم.

(٧) انظر الدر ٢١٥/٢ عن قتادة وتفسير ابن عباس ٧٩، والزجاج ١٠٨/٢.

(٨) في (د) قوله وترجون من الله أي الأجر.

(٩) في (د) قوله، وفي (هـ)، و وقوله تعالى

(١٠) طعمة بن أبيرق بن عمرو بن حارثة بن ظفر بن الخزرج بن عمرو شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا بدرأ، وطعمة يتكلم في إيمانه

(اسد الغابة ٧٥/٣).

فاستودعها يهودياً، فوجدت عنده، فقال: استودعنيها طعمة بن أبيرق، فأنكر وقال: إنما سرقها اليهودي، فاجتمع قوم طعمة وقوم اليهودي، فانطلقوا إلى النبي ﷺ وكان هوى رسول الله ﷺ مع طعمة فنزل قوله (١) تعالى ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب﴾ (٢) القرآن ﴿بالحق﴾ لا بالتعدي في الحكم ﴿لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ بما علمك الله ﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾. «الخصيم»: الذي يخاصمك.

أي لا تكن (٣) مخاصماً، ولا دافعاً عن خائن، يعني: طعمة وقومه.

- ﴿واستغفر الله﴾ قال السدي: مما أردت من الجدال عن طعمة، وقال ابن عباس: من همك يقطع اليهودي.

- ﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم﴾ يعني: طعمة ومن عاونه من قومه وهم يعلمون أنه شارق.

و «الاختيان» كالحيانة، يقال: خانه واختانه وقد ذكرنا ذلك عند قوله ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ (٤).

ومعنى [﴿يختانون أنفسهم﴾]: (٥) يخونونها بالمعصية، والعاصي خائن لأنه مؤتمن على دينه.

وقد صرحت الآية بالنهي عن المجادلة عن الظالمين، ألا ترى أن رسول الله ﷺ قد جادل عن طعمة على غير بصيرة فعاتبه الله (٦) بهذا، وأمره بالاستغفار، ونهاه عن المعاودة إلى مثله (٧).

فما ظنك بمن يعلم ظلم الظالم ثم يستجيز معاونته؟

وقوله (٨) ﴿إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً﴾ أي: خائناً فاجراً، وذلك أن طعمة خان في الدرع وأثم في رمية (٩) اليهودي.

- قوله جل جلاله (١٠) ﴿يستخفون من الناس﴾ «الاستخفاء» الاستتار، يقال استخفيت من فلان، أي: تواريت منه، قال الله تعالى ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ (١١) أي: مستتر (١٢) - والمعنى: يستترون من الناس، يعني: طعمة وقومه كيلا يطلعوا على كذبهم وخيانتهم [﴿ولا يستخفون﴾] ولا يستترون ﴿من الله وهو معهم﴾ أي: عالم بما يخفون وما

(١) في غير (أ) فنزلت. وانظر في سبب النزول: تفسير ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه «عن قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق - بشر وبشير ومبشر - وكان بشير رجلاً منافقاً يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله بعض العرب... فابتاع عمي رفاعة بن زر جملاً من الدرهم فجعله في مشربة له وفي المشربة سلاح له درعان وسيفاهما وما يصلحهما فعدا عدتي من تحت الليل فنقب المشربة وأخذ الطعام والسلاح وأسم اليهودي: لبيد بن سهل أو زيد بن السمين هكذا في الدر ٢١٦/٢-٢١٧، وابن كثير ١/٥٥٠-٥٥١ والطبري ٩/١٧٧-١٨١ والطبراني في الكبير ٩/٢١-١٩ والمستدرک ٤/٣٨٥-٣٨٨، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) في (ج) الكتاب بالحق أي القرآن وفي (د) الكتاب أي القرآن، وفي (و) الكتاب بالحق لا بالتعدي.

(٣) في (د) أي تكن.

(٤) سورة البقرة / ١٨٧.

(٥) ليست في (و).

(٦) في (د) فعاتبه الله تعالى هذا.

(٧) انظر الدر ٢١٧/٢ عن ابن زيد.

(٨) انظر اللسان/ خفا، والمصباح المنير/ خفى، ومفردات الراغب/ خفى.

يعلنون ﴿إذ يبيتون﴾ يهيتون ويقدرّون ﴿ما لا يرضى﴾ [ما لا يرضاه الله ﴿من القول﴾ وهو أن طعمة قال: أرمي اليهودي بأنه سارق الدرّ، وأحلف أنني لم أسرقها، فتقبل يميني، لأنني على دينهم ولا تقبل يمين اليهودي^(١). ﴿وكان الله بما يعملون محيطاً﴾ أحاط بسرائرهم^(٢).

ثم خاطب قوم طعمة فقال:

- ﴿ها أنتم هؤلاء جادلتم﴾ خاصتم ﴿عنهم﴾ عن طعمة وقومه، يعني: جماعة من الأنصار من قرابة طعمة جادلوا عنه عن قومه ﴿فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة﴾ أي: لا أحد يفعل ذلك ﴿أم من﴾^(٣) يكون وكيلاً ﴿أي: لا يكون عليهم يوم القيامة وكيل﴾^(٤) يقوم بأمرهم ويخاصم عنهم.

ثم عرض التوبة على طعمة بقوله:

- ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله...﴾^(٥) الآية:

[أخبرنا أبو نصر محمد بن محمد بن علي بن عبدش^(٦)] [٧] أخبرنا الحسين بن علي الدارمي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن نصر بن سندوية^(٨)، حدثنا إبراهيم بن راشد^(٩)، حدثنا داود بن مهرا^(١٠)، حدثني عمر بن يزيد الفأفأ^(١١)، عن أبي إسحاق، عن عبد خير، عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - [قال رأيت على المنبر - يعني: علياً]^(١٢) وهو يقول: سمعت أبا بكر الصديق: رضي الله عنه، وهو الصدوق - يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد أذنب ذنباً فقام فتوضأ^(١٣) فأحسن الوضوء ثم قام يصلي فاستغفر الله إلا كان حقاً على الله أن يغفر له».

ينادي على المنبر: صدق أبو بكر صدق^(١٤) أبو بكر، ذلك بأن الله قال ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾^(١٥).

- [قوله جل جلاله^(١٦) ﴿ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه﴾ أي: إنما ضرب بما فعل نفسه، لأنه لا يؤخذ غير الأثم

(١) انظر الزجاج ١١٢/٢، والطبري ١٨٦/٩ عن السدي.

(٢) في (د) سرائرهم.

(٣) في جميع النسخ: أمن.

(٤) في (د) وكيلاً.

(٨) أحمد بن نصر بن سندويه بن يعقوب بن حسان أبو بكر المعروف بحيشون البندار سمع يوسف القطان والحسن بن عرفة وطائفة وعنه الدارقطني وغيره قال أبو القاسم الأزهرى عن الدارقطني: صدوق كتبنا عنه توفي سنة ٣٢١ هـ (تاريخ بغداد ١٨٢/٥).

(٩) إبراهيم بن راشد الأدمي شيخ لمحمد بن مخلد، وثقه الخطيب واتهمه ابن عدي. (الميزان ٣٠/١).

(١٠) داود بن مهرا أبو سليمان الدباغ سمع داود بن عبد الرحمن العطار وسفيان بن عيينة وطائفة وعنه إبراهيم بن راشد الأدمي وغيره قال وثقه العجلي وغيره توفي سنة ٢١٧ هـ (تاريخ بغداد ٣٦٢/٨ - ٣٦٣).

(١١) لم أقف عليه.

(١٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ج).

(١٣) في (د) وتوضأ وفي (هـ) فتوضى.

(١٤) في (هـ) مرتين.

(١٥) رواه ابن ماجه في السنن - كتاب إقامة الصلاة - باب ما جاء في أن الصلاة كفارة رقم ١٣٩٥ (٤٤٦/١) ومسنده أحمد ٢/١، ٩، ١٠ عن علي، وتقدم مثله عند تفسير الآية ١٣٥ من سورة آل عمران.

(١٦) في غير (أ) قوله.

بإثمهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بالسارق ﴿حَكِيمًا﴾ حكم بالقطع على طعمة في السرقة (١) [٢]

- قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ قال الكلبي (٣): لما نزلت هذه الآيات (٤) عرف قوم طعمة أنه الظالم فأقبلوا عليه وقالوا (٥): بؤ بالذنب واتق الله، فقال: لا والذي يُحلف به ما سرقها إلا اليهودي، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ يقول: بيمينه الكاذبة ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ يعني سرقة الدرع ورميه بها اليهودي ﴿فَقَدْ احْتَمَلَ بِهِتَانًا﴾ برمييه اليهودي البريء ﴿وَإِثْمًا مَبِينًا﴾ يعني: يمينه الكاذبة.

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

- قوله جل جلاله (٦) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ قال ابن عباس (٧): بالنبوة والعصمة ﴿لَهَمَّتْ﴾ الفراء والزجاج (٨): المعنى لقد همت ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِنْ يُضْلُوكَ﴾ يخطئوك في الحكم، وذلك: أنهم سألوا النبي ﷺ أن يجادل عن طعمة ويرمي بسرقة اليهودي.

﴿وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لأنهم يعملون عمل الضالين (٩) بتعاونهم على الإثم والعدوان، وشهادتهم بالزور والبهتان ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ لأن الضرر على من شهد بغير حق. ثم ذكر منته عليه فقال ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ قال الزجاج (١١): بين لك في كتابه ما فيه الحكمة التي لا يقع معها ضلال ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ يعني: من أحكام الدين ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة والعصمة ﴿عَظِيمًا﴾.

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ﴾ ﴿جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنشَاءً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا أُخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ ﴿وَلَا ضَلَّحْنَهُمْ وَلَا مُمِيتَهُمْ وَلَا مُرْتَدِّعَهُمْ فَلْيَبْتِكُنْ إِذْ أَنْتَ الْأَنْعَمِ وَلَا مَرْتَدِّعِهِمْ﴾

(١) في (د) سرقة.

(٢) ما بين المعقوفين ساقطة من (و).

(٣) انظر الدر ١١٧/٢ عن ابن زيد والخازن ٥٩٦/١.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٨٠ وغرائب النيسابوري ١٧٠/٥ والوجيز للواحدي ١٧٣/١.

(٥) انظر الفراء ٢٨٧/١ والزجاج ١١٣/٢ والمستدرک ٣٨٦/٤ - ٣٨٧.

(٦) في (و) الضلال.

(٧) انظر الزجاج ١١٣/٢.

(٨) ليست في (و).

(٩) في (هـ) يضررك.

فَلْيَغْيِرْكَ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا
 مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۗ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا
 يَخْرُجُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ
 الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ - وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ
 الصَّالِحَاتِ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ
 أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾
 وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾

- قوله عز وجل (١) ﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾ «النجوى» سر بين اثنين ومنه قوله ﴿ما يكون من نجوى
 ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ (٢) قال مجاهد (٣): هذه الآية عامة بين الناس، يريد: أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس
 ويخوضون فيه من الحديث، إلا ما كان من أعمال الخير، وهو قوله ﴿إلا من أمر بصدقة﴾ قال أبو عبيدة (٤): إلا في
 نجوى من أمر بصدقة، ثم حذف المضاف.

﴿أو معروف﴾ قال ابن عباس: (٥) بصلة رحم أو بطاعة لله، ويقال لأعمال البر كلها: معروف، لأن العقول
 تعرفها.

وقوله (٦) ﴿أو وإصلاح بين الناس﴾ هذا مما حث عليه رسول الله، فقال لأبي أيوب الأنصاري: «ألا أدلك على
 صدقة هي خير لك من حمر النعم؟» قال: نعم (٨) يا رسول الله، قال: تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينهم

(١) في غير (أ) قوله.

(٢) ليست في (ج، د) والآية من سورة المجادلة / ٧.

(٣) انظر تفسير البغوي ٥٩٧/١ عن مجاهد وغرائب النيسابوري ١٧٣/٥، الدرر ٢١٨/٢ عن عكرمة.

(٤) انظر مجاز القرآن ١٣٩/١ وغرائب النيسابوري ١٧٤/٥، والرازي ٤١/١١ كلاهما عن أبي عبيدة، والزجاج ١١٥/٢ والأخفش
٤٥٤/١.

وانظر التبيان ٣٨٩/١ والمشكل ٢٠٨/١ والبيان ٢٦٧/١.

(٥) ذكره الخازن ٥٩٧/١، والبغوي ٥٩٧/١.

(٦) في (د) قوله وإصلاح.

(٧) والعرب تقول: خير الإبل حمرها وصهبها وبعير أحمر: لونه مثل لون الزعفران، وقيل إذا لم يخالط حمرته شيء وحمر النعم: كرائمها
وهو مثل في كل نفيس. (المصباح/الحمر، واللسان/حمر).

(٨) في (د) فقال نعم، وفي (هـ) فقال بلى.

إذا تباعدوا»^(١) وروى أم حبيبة^(٢) أن النبي ﷺ قال: «كلام ابن آدم كله عليه لا له، إلا ما كان من أمر»^(٣) بمعروف أو نهي عن المنكر، أو ذكر لله»^(٤).

وروي أن رجلاً قال لسفيان: ما أشد هذا الحديث، فقال سفيان: ألم تسمع قول الله ﷻ «لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة...» فهذا هو بعينه^(٥) ثم أعلم الله أن ذلك إنما ينفع من ابتغى ما عند الله، فقال «ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات»^(٦) الله فسوف تؤتية أجراً عظيماً» ثواباً لا حد له.

- قوله جل جلاله^(٧) «ومن يشاقق الرسول...» الآية، قال ابن عباس^(٨): ثم حكم رسول الله ﷺ على طعماً بالقطع، فهرب ولحق بالمشركين^(٩)، فنزل قوله «ومن يشاقق الرسول» أي: خالفه «من بعد ما تبين له الهدى» ظهر له أن دين الله الإسلام^(١٠)، وأن ما أتى به محمد ﷺ حق وصدق «ويتبع غير سبيل المؤمنين» غير دين الموحدين. وذلك أن طعمة ترك دين الإسلام، وخالف المسلمين^(١١). «نوله ما تولى» ندعه وما^(١٢) اختار لنفسه «ونصه جهنم» ندخله إياها^(١٣) «وساءت مصيراً» ساءت جهنم موضعاً يصار إليه.

- قوله عز وجل^(١٤) «إن الله لا يغفر أن يشرك به...» مضى الكلام في هذه الآية في هذه السورة^(١٥).

(١) الحديث: رواه البزار في الزوائد - كتاب الأدب - باب الإصلاح بين الناس رقم ٢٠٦٠ عن أنس ٤٤١/٢، والطبراني في الكبير ١٣٨/٤ عن أبي أيوب «وفي إسناده موسى بن عبيدة وهو متروك» ٣٠٧/٨ عن أبي أمامة الباهلي.

ومجمع الزوائد - كتاب الأدب - باب ما جاء في الإصلاح بين الناس - عن أبي أمامة «رواه الطبراني وفيه عبد الله بن حفص صاحب أبي أمامة لم أعرفه وبقيته رجاله ثقات» وعن أنس «رواه البزار وفيه عبد الرحمن بن عبد الله العمري وهو متروك» ٧٩/٨ - ٨٠.

(٢) أم حبيبة: رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف زوج النبي ﷺ هاجرت إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب وزوجها عبيد الله بن جحش بن رثاب مات بآرض الحبشة نصرانياً فخلف عليها رسول الله ﷺ أنكحه إياها عثمان بن عفان بآرض الحبشة ولدت قبل الهجرة بخمس وعشرين سنة وماتت سنة ٤٤ هـ.

(الأعلام ٦٠/٣ والطبراني في الكبير ٢٣/٢١٨).

(٣) في (د) إلا من كان في أمر.

(٤) الحديث: رواه الترمذي - كتاب الزهد - باب ما جاء في حفظ اللفظ رقم ٢٥٢٥ «حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن يزيد بن خنيس» (٣٢/٣ - ٣٣). والطبراني في الكبير ٢٣/٢٤٣ قال المحقق: «ومحمد بن يزيد قال الحافظ: مقبول أي عند المتابعة ولا متابع له - فيما يعلم - فالحديث ضعيف».

وابن ماجة في السنن - كتاب الفتن - باب كف اللسان في الفتنة رقم ٣٩٧٤ (١٣١٥/٢) والجامع الصغير ٩٧/٢ ورمز له بالصحيح، كلهم من حديث أم حبيبة.

(٥) انظر الطبراني في الكبير ٢٣/٢٤٣ وابن كثير ١/٥٥٤ والبحر ٣/٣٤٩ كلها عن سفيان والسائل هو: سعيد بن حسان.

(٦) في (ح)، (د) ابتغا. (٣) في (أ)، (و) مرضاة.

(٧) في غير (أ) قوله، وفي (هـ) قوله تعالى: «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى». وفي (د) أي يخالفه.

(٨) انظر الزجاج ٢/١١٦ وابن كثير ١/٥٥٢ والطبراني ٩/١٨٥ - ١٨٩ عن ابن زيد والسدي والضحاك، ٩/٢٥٥ عن ابن جرير، والمستدرک ٤/٣٨٧.

والترمذي - كتاب التفسير - من سورة النساء رقم ٥٠٢٧ «حديث غريب ويروى عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلًا» في قصة طعمة عن قتادة بن النعمان (٤/٣١٠ - ٣١٣).

(٩) في (د) وهرب ولحق المشركين، وفي (هـ) والتحق بالمشركين.

(١٠) في (ح) أن الإسلام دين الله.

(١١) في (د) قوله.

(١٣) في (هـ) جهنم.

(١٤) في غير (أ) قوله.

(١٥) انظر ذلك عند تفسير الآية ٤٨ من سورة النساء.

(١٢) في (ح) فيما اختار.

- قوله جل جلاله (١) ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ قال ابن عباس (٢) : يعني عبادتهم الأوثان «اللوات والعزرى ومناة» وأشباهاها من الآلهة التي كانوا يعبدونها وقال الحسن (٤) : لم يكن حي من أحياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه (٥) فيسمونه «أنتى بني فلان» فأنزل الله ﴿إِلَّا أَنَا﴾.

وقال مقاتل وقتادة والضحاك (٦) : ﴿إِلَّا أَنَا﴾ إلا مواتاً لا روح فيه (٧). وقوله (٨) ﴿وإن يدعون إلا شيطانا مريدا﴾ [أي : ما يعبدون بعبادتهم لها إلا شيطانا مريدا] (٩) بطاعتهم له في عبادتها، فتلك العبادة إذا ليست للأوثان بل هي للشيطان.

قال الزجاج (١٠) : يعني بـ «الشيطان» ها هنا : إبليس وهم إذا أطاعوه فيما سول لهم، فقد عبدوه، و«المريد» الخبيث الشرير، وشيطان مريد ومارد واحد (١١) قال الزجاج : ومعنى «مريد» خارج عن الطاعة (١٢).

- وقوله (١٣) ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس : دحره (١٤) الله وأخرجه من الجنة ﴿وقال﴾ يعني : إبليس ﴿لأنخذن من عبادك نصيباً مفروضاً﴾ قال ابن عباس يعني من اتبعه وأطاعه (١٥) وقال الكلبي (١٦) : ﴿نصيباً مفروضاً﴾ : معلوماً. وكل من أطاع إبليس (١٧) فيما يزينه له فهو من نصيبه المفروض.

- قوله تعالى (١٨) ﴿وَلَا ضَلَمْنَهُمْ﴾ قال ابن عباس (١٩) : عن (٢٠) سبيل الهدى وطرق الحق. و «إضلاله» : وسواس ودعاء إلى الباطل ولو كان إليه شيء من الضلالة سوى الدعاء إليها لأضل جميع الخلق ولكنه كما قال رسول الله ﷺ : «خلق إبليس مزيناً وليس إليه من الضلالة شيء» (٢١) يعني (٢٢) انه يزين للناس الباطل وركوب الشهوات ولا يخلق لهم الضلالة.

(١) في غير (أ) وقوله، وفي (د) قوله.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٨٠ والزجاج ١٢٠/٢ والفراء ٢٨٨/١ وغريب القرآن ١٣٥، والطبري ٢٠٧/٩ عن أبي مالك والسدي وابن زيد.

(٤) انظر تفسير الطبري ٢٠٩/٩ وغرائب النيسابوري ١٧٦/٥ والرازي ٤٦/١١ والدر ٢٢٣/٢ وفتح القدير ٥١٨/١ كلها عن الحسن.

(٥) في (ج) يعبدونها تسمى.

(٦) انظر تفسير مجاهد ١٧٤ والزجاج ١٢٠/٢ والطبري ٢٠٨/٩ عن قتادة وابن عباس، والحسن، ومجاز القرآن ١٤٠/١ والدر ٢٢٣/٢ عن الحسن وقتادة.

(٧) في (و) فيها. (٨) في (د) قوله. (٩) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

(١٠) انظر الزجاج ١١٧/٢ وابن كثير ٥٥٦/١.

(١١) انظر اللسان / مرد، والمصباح المنير / مرد، ومفردات الراغب / مرد.

(١٢) انظر الزجاج ١١٨/٢.

(١٣) في غير (أ) قوله.

(١٤) في (ج)، (د) الكلبي محمد بن السائب. وانظر الدر ٢٢٣/٢ عن الكلبي.

(١٥) ساقطة من (هـ). (١٨) في غير (أ) وقوله وفي (د) قوله. (١٩) انظر تفسير ابن عباس ٨٠. (٢٠) في (د) من سبيل.

(٢١) الحديث : انظر تنزيه الشريعة المرفوعة ٣١٥/١، والميزان ٦٣٤/١ وتذكرة الموضوعات ص ٦٨ والمجروحين ٢٨١/١ كلها في ترجمة خالد بن عبد الرحمن المطار العبدي أبو الهيثم ليس بمعروف بالنقل وحديثه غير محفوظ ترك حديثه لأجل هذا الحديث، وانظر اللالي ٢٥٤/١ والموضوعات لابن الجوزي ٢٧٢/١ - ٢٧٣، قال العقيلي : خالد بن عبد الرحمن ليس بمعروف بالنقل ولا يعرف لهذا الحديث أصل وقال الدارقطني : خالد هذا مجهول لا أعلمه روي شيئاً غير هذا الحديث، وانظر الضعفاء الكبير ٨/٢ - ٩ في ترجمة خالد بن عبد الرحمن العبدي أبي الهيثم المطار.

(٢٢) في (د)، (هـ) قوله.

وقوله ﴿وَلَا مَنِيهِمْ﴾^(١) التمنية: تسهيل سبيل إدراك المنية وهو ما يتمناه الإنسان^(٢)، والشيطان يمني الإنسان بأن يجيل إليه إدراك ما يتمناه من المال وطول العمر.

قال ابن عباس^(٣): يريد تسويق التوبة وتأخيرها وقال الكلبي^(٤): ولأمنهم أنه لا جنة ولا نار ولا بعث وقال الزجاج^(٥): أجمع لهم مع الإضلال أن أوهمهم أنهم ينالون من الآخرة خطأ.

وقوله^(٦) ﴿وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَسْتَكْنِ إِذْ أذَانَ الْأَنْعَامَ﴾ «البتك» القطع^(٧)، و«التبتك»: التقطيع وهو في هذا الموضع: قطع آذان البحيرة عند جميع أهل التفسير^(٨).

وقوله ﴿وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرْنَ خَلْقَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس^(٩): يريد دين الله وهو قول مجاهد والحسن والضحاك وقتادة والسدي وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبيرة. ومعنى: «تغيير دين الله»: تبديل الحرام حلالاً، والحلال حراماً ومن ارتكب محظوراً أو أتى منهيّاً فقد غير دين الله.

^(١٠) ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١١): من يطعه فيما يدعوه إليه من الضلال ﴿فَقَدْ خَسِرَ خَسِرَانًا مَبِينًا﴾ خسر الجنة ونعيمها.

- قوله جل جلاله^(١٢) ﴿يَعْدَهُمْ وَيَمْنِهِمْ﴾ معنى «وعد الشيطان وتمنيته»: ما يصل إلى قلب الإنسان من نحو ما يجده من أنه سيطول عمره وتنال من الدنيا لذتك وتعلو على أعدائك. وكل هذا غرور وتمنية، وستهجم عن قريب على الأجل^(١٣)، وقد أبطل أيام عمره في رجاء ما لم يدرك منه شيئاً. فالعاقل من لم يعرج على هذا، وجد في الطاعة، وعلم أنه^(١٤) سينقطع عن الدنيا قريباً، وصدق الله في قوله ﴿وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: إلا ما يخبرهم بايها^(١٥) النفع فيما فيه الضرر.

- قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ﴾ يعني: الذين اتخذوا الشيطان ولياً ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مرجعهم ومصيرهم إليها ﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ يقال: حاص عن الأمر إذا عدل عنه^(١٦). والمعنى: أنهم لا بد لهم من ورودها والخلود فيها فلا معدل لهم عنها.

(١) في (ح) والمنية.

(٢) انظر اللسان/ منى.

(٥) انظر الزجاج ١١٩/٢.

(٦) في (د) قوله.

(٣) انظر تفسير الخازن ٥٩٩/١ عن ابن عباس والبحر ٣٥٣/٣ وابن كثير ٥٥٦/١.

(٧) انظر مجاز القرآن ١٤٠/١.

(٤) انظر تفسير الخازن ٥٩٩/١ عن الكلبي وتفسير ابن عباس ٨٠ والبحر ٣٥٣/٣.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٨٠ والزجاج ١١٩/٢ وغريب القرآن ١٣٦ والطبري ٢٢٤/٩ عن قتادة والسدي والضحاك.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٨٠ ومجاهد ١٧٤ والثوري ٩٧ والزجاج ١١٩/٢ وغريب القرآن ١٣٥ والطبري ٢١٨/٩ - ٢١٩ والدر ٢٢٤/٢ كلاهما عن ابن عباس والضحاك، وإبراهيم وسعيد بن جبيرة ومجاهد والحسن وقتادة والسدي وابن كثير ٥٥٦/١ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وغيرهم.

(١٠) في (ح، د) قوله.

(١٤) في (د) وعلم أن.

(١١) في (د) أي، وفي (ح) من يطيعه.

(١٥) في (د) بالهام.

(١٢) في غير (أ) قوله.

(١٦) في (أ) لا يجدون.

(١٣) في (هـ) أجل.

(١٧) وهو رأي أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٤٠/١ والطبري ٢٢٦/٩ واللسان/ حيص، والمصباح المنير/ خاص.

- قوله عز وجل^(١) ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ظاهر إلى قوله^(٢) :

- ﴿ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب﴾ أكثر المفسرين^(٣) : على أن هذا في المسلمين وأهل الكتاب وذلك أن المسلمين قالوا: نحن أهدي منكم وقال أهل الكتاب: نحن أهدي منكم، فأنزل الله هذه الآية، يقول: ليس ثواب الله بالأمنية ﴿من يعمل سوءاً يعجز به﴾ .

قال الحسن^(٤) هذا في الكفار خاصة لأنهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير، والمؤمن يجازى بأحسن عمله، ويتجاوز عن سيئاته ثم قرأ ﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا﴾ الآية^(٥) .

وقال آخرون: هذا عام في كل من عمل سوءاً من مسلم وكافر ولكن المؤمن يجزى به في الدنيا^(٦) .

أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن محمد الزمجاري، وأخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب المفيد، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن السقطي حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي^(٧)، عن أبي بكر الصديق، قال: قلت: كيف الصلاح يا رسول الله بعد هذه الآية ﴿من يعمل سوءاً يعجز به﴾ فقال: «غفر الله لك يا أبا بكر، ألسنت تمرض؟ ألسنت تنصب؟ ألسنت تصيبك اللأواء^(٨)؟ قلت: بلى، قال: فذلك ما تجزون^(٩) .

أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد الواعظ^(١٠)، أخبرنا أبو صالح البيهقي حدثنا مكى بن عبدان حدثنا أبو الأزهرى، حدثنا روح، حدثنا إبراهيم بن يزيد حدثنا عبد الله بن إبراهيم^(١١)، قال: سمعت أبا هريرة يقول:

لما نزلت ﴿ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يعجز به﴾ بكينا وحزنا وقلنا: يا رسول الله ما أبقت هذه الآية من شيء قال:

«أما والذي نفسي بيده إنها لكما أنزلت ولكن أبشروا وقاربوا وسددوا إنه لا يصيب أحداً منكم مصيبة إلا كفر الله تعالى بها خطيئة، حتى الشوكة يشاكها أحدكم في قدمه^(١٢) .

(١) في (ج، هـ) قوله وفي (د، و) قوله تعالى .

(٢) وتامه ﴿سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أبداً وعد الله حقاً ومن صدق من الله قيبلاً﴾ .

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٢٨/٩ - ٢٢٩ وابن كثير ٥٥٧/١ والدرر ٢٢٥/٢ - ٢٢٦ ، كلها عن ابن عباس ومسروق وقتادة والسدي والضحاك وأبي صالح ، وأسباب النزول للسيوطي ٩٤ وللواحدى ١٣٤ - ١٣٥ وأسد الغابة ٤٤٤/٦ عن بعض الصحابة والرازي ٥٢/١١ .

(٤) في (د) وقال الحسن ، وانظر تفسير الطبري ٢٣٧/٩ - ٢٣٨ عن الحسن والضحاك وابن زيد ، والدرر ٢٢٨/٢ ، ٢٣٠ عن الحسن .

(٥) سورة الزمر / ٣٥ ، وتامها ﴿ويجزئهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ .

(٦) انظر تفسير الطبري ٢٣٦/٩ عن قتادة وعائشة ومجاهد والدرر ٢٢٧/٢ - ٢٢٨ عن عائشة ومحمد بن المنتشر والربيع وابن مسعود .

(٧) أبو بكر بن أبي زهير الثقفي - واسم أبيه معاذ - بن رباح روى عن أبيه وله صحبة وأنس بن مالك وأرسل عن أبي بكر الصديق وعنه إسماعيل بن أبي خالد وغيره مقبول من الثالثة . (تهذيب التهذيب ٢٤/١٢ ، والتقريب ٣٩٦/٢) .

(٨) «النصب: التعب» و«اللأواء: الشدة» (حاشية أ) .

(٩) الحديث رواه الحاكم في المستدرک كتاب معرفة الصحابة «صحيح الإسناد» عن أبي بكر ووافقه الذهبي ومسند أحمد ١١/١ والطبري

٢٤١/٩ - ٢٤٣ بستة أسانيد وابن كثير ٥٥٧/١ والدرر ٢٢٦/٢ كلهم من حديث أبي بكر والحديث مرسل .

(١٠) في (هـ) الواعد .

(١١) عبد الله بن إبراهيم بن فارط الزهري من أهل المدينة سمع أبا هريرة وغيره، روى عنه عمر بن عبد العزيز وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو صالح السمان روى له مسلم . (الجمع ٢٧١/١) .

(١٢) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب البر والصلة - باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن (بنحوه) ٤٢٨/٢ والترمذي - =

أخبرنا أحمد بن الحسن القاضي حدثنا محمد بن يعقوب حدثنا بحر بن نصر، حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو ابن الحرث عن بكر بن سواده^(١) عن عبيد بن عمير، عن عائشة - رضي الله عنها -:

أن رجلاً تلا هذه الآية ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ فقال: إنا لنجزى بما عملنا هلكننا فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «نعم يجزى به في الدنيا بمصيبة في جسده وماله وما يؤذيه»^(٢).

وقوله^(٣) ﴿ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾ قال ابن عباس^(٤) ﴿ولياً﴾ يمنعه ﴿ولا نصيراً﴾^(٥) ينصره، وتأويل هذه الآية ظاهر في الكفار، وأما في المسلمين فإنه ناصر لأحد في القيامة دون الله تعالى ولا ولي للمسلمين غير الله، وشفاعة الشافعين تكون بإذن الله.

قال قتادة: ثم أفلح^(٦) الله حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان بقوله:

- ﴿ومن يعمل من الصالحات...﴾ الآية، قال المفسرون^(٧): بين الله تعالى بهذه^(٨) الآية فضيلة المؤمنين على غيرهم.

قال مسروق^(٩) لما نزل قوله تعالى ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾^(١٠) قال أهل الكتاب للمسلمين: نحن وأنتم سواء فنزل ﴿ومن يعمل من الصالحات﴾ وما بعده من قوله ﴿ومن أحسن ديناً...﴾ الآية.

وقوله^(١١) ﴿ولا يظلمون نصيراً﴾ قال ابن عباس^(١٢): «النقير»: النقرة التي تكون^(١٣) في ظهر النواة، ينبت الله منها^(١٤) النخلة، يزيد: لا يتقصون قدر منبت النواة.

- قوله عز وجل^(١٥) ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله﴾ يعني: توجه بعبادته إلى الله خاضعاً له ﴿وهو محسن﴾ قال ابن عباس^(١٦): موحد لله لا يشرك به شيئاً ﴿واتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾، ملة إبراهيم: داخله في ملتنا،

= كتاب التفسير - من سورة النساء رقم ٥٠٢٩ «حديث حسن غريب» (٣١٤/٤) ومسند الحميدي ٤٨٥/٢ كلهم من حديث أبي هريرة والطبري ٢٤٠/٩.

(١) بكر بن سواده بن ثمامة الجذامي الفقيه عداه في أهل مصر سمع عبد الرحمن وجبير وغيره وعنه عمرو بن الحرث وغيره توفي سنة ١٢٨ هـ (الجمع ٥٨/١ حسن المحاضرة ٢٩٨/١).

(٢) الحديث: رواه السيوطي في الدر ٢٢٧/٢ «أخرجه أحمد والبخاري في تاريخه وأبو يعلى وابن جرير والبيهقي في شعب الإيمان بسند صحيح عن عائشة»، والطبري ٢٣٦/٩ - ٢٣٧، ومسند أحمد ٦٦/٦ وأبو داود - كتاب الجنائز - باب عيادة النساء رقم ٣٠٩٣ (بنحوه) (١٨٤/٣) ومجمع الزوائد - كتاب التفسير - من سورة النساء - رواه أحمد وأبو يعلى ورجالها رجال الصحيح (١٢/٧) - كلهم من حديث عائشة.

(٣) في (د) قوله.

(٥) في (د) و ناصر.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ص ٨١.

(٧) وانظر تفسير ابن كثير ٥٥٧/١ عن قتادة والدر ٢٢٥/٢ - ٢٢٦ عن السدي والضحاك.

وانظر الدر ٢٣٠/٢ عن عكرمة و قتادة ومسروق.

(٨) في (د) هذه الآية.

(١٠) في (د) من يعمل.

(٩) انظر تفسير الطبري ٢٢٨/٩ والرازي ٥٥/١١ والدر ٢٣٠/٢ كلها عن مسروق.

(١١) في (د) هـ، و وقوله.

(١٢) انظر الدر ١٧١/٢ عن ابن عباس وغريب القرآن ٢٢٩، والطبري ٢٤٩/٩ عن مجاهد وابن عطية، واللسان/نقر.

(١٣) في (د) النقرة تكون.

(١٥) في (ج)، و وقوله، وفي (د) هـ) قوله.

(١٤) في (أ) منه وفي (و) فيها.

(١٦) انظر تفسير ابن عباس ٨١.

وفي ملتنا زيادة على ملة إبراهيم، فمن^(١) اتبع الإسلام فقد اتبع ملة إبراهيم، وذكرنا^(٢) معنى «الحنيف»^(٣).

وقوله^(٤) «واتخذ الله إبراهيم خليلاً» قال الزجاج^(٥): «الخليل» المحب، والمحب الذي ليس في محبته خلل^(٦). فجائز أن يكون إبراهيم^(٧) سمي خليل الله لأنه الذي أحبه الله محبة تامة، وأحب الله هو محبة تامة، قال: وقيل^(٧):

«الخليل»: الفقير، فجائز أن يكون سمي فقيراً لله، أي: الذي يجعل فقره وفاقته إلى الله و«الخلة»: الحاجة، و«الخلة»: الصداقة^(٨).

قال ابن عباس «واتخذ الله إبراهيم خليلاً» صفيّاً بالرسالة والنبوة^(٩). أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المزكي، أخبرنا محمد بن يزيد الجوري حدثنا إبراهيم بن شريك، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي المهلب الكناني^(١٠) عن عبيد الله بن زحر^(١١)، عن علي بن يزيد^(١٢)، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً^(١٣) وإنه لم يكن نبي إلا له^(١٤) في أمته خليل، ألا وإن خليلي أبو بكر»^(١٥).

أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن محمد النضروي، أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسن السراج، أخبرنا محمد

(٣) انظر ذلك عند تفسير الآية ١٣٥ من سورة البقرة.

(٤) في (د، و) قوله.

(١) في (و) ذلك من اتبع.

(٢) في (و) وذكرنا فيما مضى.

(٥) انظر الزجاج ١٢٢/٢ والقرطبي ٤٠٠/٥ عن الزجاج، والزاهر ٦٠٤/١.

(٦) في (د) إنما سمي.

(٧) وانظر الزجاج ١٢٢/٢، والزاهر ٦٠٥/١.

(٨) انظر الزجاج ١٢٣/٢ والزاهر ٦٠٤/١ واللسان / خلل «والخلة - بفتح الخاء - الحاجة».

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٨١.

(١٠) في (د) عن المهلب.. وهو: أبو المهلب الكناني: مطرح بن يزيد الأسدي الكوفي عداة في الشاميين روى عن عبيد الله بن زحر وبشر بن نمير وجماعة وعنه أبو بكر بن عياش وعاصم بن أبي النجود وخلق قال الدوري عن ابن معين: ليس بشيء وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث. (تهذيب التهذيب ١٧١/١٠).

(١١) عبيد الله بن زحر الضمري الإفريقي ضعفه ابن معين وقال الحاكم: لين الحديث روى عن علي بن يزيد الألهماني وخالد بن أبي عمران والأعمش وجماعة قال ابن حبان يروي الموضوعات فإذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات. (تهذيب التهذيب ١٢/٧ - ١٣، والموضوعات ٢٢٤/١).

(١٢) علي بن يزيد بن أبي هلال الألهماني - ويقال الهلالي - أبو عبد الملك.. ويقال أبو الحسن - الدمشقي روى عن القاسم بن عبد الرحمن صاحب أبي أمامة نسخة كبيرة وعنه عبيد الله بن زهر وغيره ضعفه أحمد وابن معين وقال البخاري: منكر الحديث ضعيف مات في العشرين الثاني بعد المائة.

(تهذيب التهذيب ٣٩٦/٧ - ٣٩٧). وقال النسائي متروك (الموضوعات لابن الجوزي ٢٢٤/١).

وفي أسباب النزول للواحدي «عن القاسم بن أبي أمامة» خطأ.

(١٣) ليست في (و).

(١٤) في (هـ) وله.

(١٥) الحديث: رواه الطبراني ٢٣٧/٨ عن أبي أمامة الباهلي. ومجمع الزوائد - كتاب المناقب - باب جامع في فضل أبي بكر - «رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهماني وهو ضعيف» عن أبي أمامة (٤٥/٩) والجامع الصغير ٦٦/١ «رواه الطبراني عن أبي أمامة» ورمز له بالضعيف.

ابن عبد الله الحضرمي، حدثنا موسى بن إبراهيم المروزي^(١) حدثنا ابن لهيعة، عن أبي قبيل^(٢) عن عبد الله بن عمرو قال:

قال رسول الله ﷺ: «يا جبريل لم اتخذ الله إبراهيم خليلاً؟ قال: لإطعامه الطعام يا محمد»^(٣).

- قوله جل جلاله^(٤) ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إخبار عن سعة قدرته وكثرة مملوكاته ليرغب إليه بالطاعة ﴿وكان الله بكل شيء محيطاً﴾ علم إحاطة وهو العلم بالشيء من كل وجه حتى لا يشد عنه شيء.

وَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّذِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١١٧﴾ وَإِنْ أَرَأَيْتُمْ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَعْمَلُوا كُلَّ الْمِئَلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٩﴾ وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُعْنِ اللَّهُ كِلَا مَنِ سَعْتِهِ^٥ وَكَانَ اللَّهُ وَسِعًا حَكِيمًا ﴿١٢٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٢١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٢٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ^٦ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٢٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّهُ أَوْ نَعَسْتُمْ فَلَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ ﴿١٢٥﴾

(١) موسى بن إبراهيم أبو عمران المروزي عن ابن لهيعة كذبه يحيى وقال الدارقطني وغيره: متروك (الميزان: ٤/١٩٩).

(٢) في (أ) أبو خليل، «أبو قبيل: بقاف مفتوحة وباء موحدة من تحت مكسورة وباء - معجمة بنقطتين من تحت ولام واسمه: يحيى بن هانيء المعافري» (عمدة القوي والضعيف ص ١).

أبو قبيل: يحيى بن هانيء بن ناصر المعافري المصري وثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة وقال أبو حاتم: صالح الحديث وكان له علم بالملاحم والفتن روى عن عقبه بن عامر وابن عمرو توفي بالأندلس سنة ١٢٨ هـ.

(الميزان ١/٦٢٤ وحسن المحاضرة ١/٢٩٨).

(٣) الحديث: رواه الطبري في تفسيره بنحوه ٩/٢٥٢ - وكذا ابن كثير ١/٥٥٩ - ٥٦٠ والدر ١/٢٣٠ - ٢٣١ ورواه أبو حيان في البحر

٣/٣٥٦ بلفظه وكذا في أسباب النزول للواحي ١٣٥.

(٤) في غير (أ) قوله.

- قوله عز وجل^(١) ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ يطلبون منك الفتوى، وهو^(٢) تبين المشكل من الأحكام.
- ﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾ يبين لكم الحكم فيهن، أي: في توريثهن، وكانت العرب لا تورث النساء والصبيان شيئاً من الميراث - كما ذكرنا أول السورة - فنزلت الآية في توريث اليتامى.
- وقوله^(٣) ﴿وما يتلى عليكم﴾ موضع «ما» رفع، لأن المعنى: الله يفتيكم والكتاب يفتيكم، يعني آية الموارث في أول هذه السورة^(٤).
- وقوله^(٥) ﴿في يتامى النساء﴾ يعني: في النساء اليتامى، فأضيفت الصفة إلى الاسم كما تقول: كتاب الكامل، ويوم الجمعة، وهذا قول الكوفيين، وعند البصريين لا يجوز إضافة الصفة إلى الموصوف^(٦).
- والمراد بـ «النساء» ها هنا: أمهات اليتامى، أضيفت إليهن أولادهن اليتامى وقوله^(٧) ﴿اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن﴾ قال ابن عباس^(٨): يريد: ما فرض لهن من الميراث ﴿وترغبون﴾ عن ﴿أن تنكحوهن﴾ لدمامتهن^(٩).
- قالت عائشة - رضي الله عنها -: نزلت في اليتيمة، يرغب وليها نكاحها ولا ينكحها فيعضلها^(١٠) طمعاً في ميراثها، فنهى^(١١) عن ذلك.
- وقوله^(١٢) ﴿والمستضعفين من الولدان﴾ يعني: الصغار من الصبيان قال ابن عباس^(١٣) يريد: أنهم لم يكونوا يورثون صغيراً^(١٤) من الغلمان ولا من الجوارى، وهو عطف على ﴿يتامى النساء﴾.

(١) في (ج، هـ) قوله وفي (د، و) قوله تعالى.

(٢) في (د، هـ، و) وهي: «والفتيا والفتوى: ما أفتى به الفقيه - الفتح في «الفتوى» لأهل المدينة، والفتيا: تبين المشكل من الأحكام» (اللسان / فتا).

(٣) في (د) قوله ما يتلى.

وفي إعراب «ما» وجوه: الجر عطفًا على الضمير المجرور بـ «في»، والنصب على معنى: نيين لكم ما يتلى، والرفع عطفًا على ضمير المتكلم في (يفتيكم) أو على اسم على الله، أو مبتدأ وخبر محذوف، تقديره: وما يتلى عليكم في الكتاب يبين لكم. (انظر التبيان ٣٩٣/١، والمشكل ٢٠٩/١، والبيان ٢٦٧/١).

(٤) انظر تفسير الآية السابعة من سورة النساء، وانظر في سبب النزول: تفسير الطبري ٢٥٣/٩ - ٢٥٤ عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة وشعبة والدر ٢٣١/٢ - ٢٣٢ عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة ومجاهد وقتادة.

(٥) في (د) قوله في يتامى النساء يعني النساء.

(٦) انظر البحر ٣٦٢/٣ والبيان ٢٦٧/١.

(٧) في (د، و) قوله.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٧١ والوجيز للواحدى ١٧٦/١.

(٩) «لدمامتهن: أي لقبهن» حاشية (أ).

(١٠) في (هـ) فيعضلها.

(١١) في (و) فنهى الله عن ذلك. انظر صحيح البخاري - كتاب التفسير (ويستفتونك في النساء) ١٢٢/٣، والطبري ٢٥٤/٩ وابن كثير ٥٦١/١ والدر ٢٣١/٢ ومسلم بشرح النووي ١٥٢/١٨ - ١٥٦ كلهم من حديث عائشة.

(١٢) في (د) قوله.

(١٣) انظر تفسير الطبري ٢٦٥/٩ - ٢٦٦ وابن كثير ٥٦١/١ والدر ٢٣١/٢ والمستدرک ٣٠٨/٢ عن ابن عباس وغيره.

(١٤) في (و) صغار.

والمعنى: يفتيكم في المستضعفين أن تعطوهم حقوقهم لأن ما يتلى عليكم في باب اليتامى^(١) من قوله ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ يدل على الفتيا في إعطاء حقوق الصغار من الميراث.

وقوله ﴿وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ قال الفراء^(٢): «أن» في موضع خفض على معنى: ويفتيكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط.

قال ابن عباس: يريد بالعدل في مهورهن، وفي موارثهن^(٣).

﴿وما فعلوا من خير﴾^(٤) يريد: من حسن فيما أمرتكم به ﴿فإن الله كان به عليماً﴾ يجازيكم عليه ولا يضيع لكم شيئاً منه^(٥).

- قوله تعالى ﴿وإن امرأة خافت...﴾^(٦) الآية.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، حدثنا محمد بن يعقوب أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن ابن المسيب، أن ابنة محمد بن مسلمة^(٧) كانت عند رافع بن خديج^(٨)، فكره منها أمراً، إما كبيراً وإما غيره، فأراد طلاقها فقالت: لا تطلقني وأمسكني واقسم لي ما بدا لك، فأنزل الله تعالى ﴿وإن امرأة خافت﴾ أي: علمت ﴿من بعلها﴾ زوجها ﴿نشوزاً﴾ ترفعا عليها لبغضها ﴿أو إعراضاً﴾ عنها لموجدة أو أثره^(٩).

قال مقاتل^(١٠): ﴿نشوزاً﴾: عصياناً يعني الأثرة وهو قول ابن عباس ﴿أو إعراضاً﴾ عنها لما به من الميل إلى أخرى^(١١).

وقوله ﴿فلا جناح عليهما أن يصلحا﴾^(١٢) بينهما صلحاً جعل الله تعالى الصلح جائزاً بين الرجل والمرأة إذا رضيت منه بإيثار غيرها عليها.

(١) في (ج، د) عليكم من باب، وفي (د) في يتامى النساء.

(٢) انظر الفراء ٢٩٠/١، والزجاج ١٢٥/٢، والتبيان ٣٩٤/١، والمشكل ٢٠٩/١ والبيان ٢٦٨/١.

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٦٦/٩ وغرائب النيسابوري ١٩٧/٥ والمخازن ٦٠٥/١ كلها عن ابن عباس والبحر ٣٦٢/٣ عن ابن عباس ومجاهد.

(٤) في (د) قوله.

(٥) في غير (أ) شيء منه وفي (د) منه شيئاً.

(٦) في غير (أ) قوله.

(٧) لم ألق عليه. وأبوها: محمد بن سلمة بن خالد الأنصاري الصحابي المذكور في الطبقة الأولى من الأنصار أسلم على يد مصعب بن عمير وأخى الرسول ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح شهد بدرًا والمشاهد كلها توفي سنة ٤٣ هـ.

(النجوم الزاهرة ١٢٥/١).

(٨) رافع بن خديج بن عدي بن يزيد بن جشم بن حارثة بن الحارث الأنصاري الحارثي أبو عبد الله سمع النبي ﷺ توفي سنة ٧٣ (كتاب الجمع ١٣٩/١).

(٩) انظر في سبب النزول: المستدرک - كتاب التفسير - (صحيح على شرط الشيخين) ٣٠٨/٢ - ٣٠٩ - والطبري ٢٧٥/٩ وابن كثير ٥٦٣/١ والدرر ٢٣٢/٢ وأسباب النزول للواحدي ١٣٧ وللسيطوي ٩٥ كلها عن سعيد بن المسيب وغيره.

(١٠) انظر الفراء ٢٩٠/١ وابن كثير ٥٦٣/١ عن سعيد بن المسيب.

(١١) انظر تفسير الطبري ٢٧٢/٩ وابن كثير ٥٦٣/١ كلاهما عن ابن عباس.

(١٢) في (أ) يصلحا وهي قراءة سيأتي الكلام عنها.

قال المفسرون^(١): هذا الصلح في القسمة وهو أن يقول الرجل لامرأته: إنك دميمة أو قد دخلت في السن، وأريد أن أتزوج عليك شابة جميلة وأوترها عليك في القسم بالليل والنهار، فإن رضيت فأقيمي، وإما كرهت خلعت سبيلك، فإن رضيت بذلك وإلا كان الواجب على الزوج تمام^(٢) حقها من المقام عندها، أو تسريحها بإحسان. وكل^(٣) ما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز وهو أن تترك له من مهرها^(٤) أو بعض أيامها، ومعنى ﴿يصلحها﴾ يتصلحها فأدغم^(٥) التاء في الصاد.

وقرىء ﴿يصلحها﴾ من الإصلاح عند التنازع، كقوله ﴿فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً فأصلح بينهم﴾^(٦). وقوله ﴿والصلح خير﴾ من النشوز والإعراض والفرقة يقول: إن يصلحها على شيء خير من أن يتفرقا أو يقيما على النشوز والإعراض.

وقوله: ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ أي ألزمت البخل قال المفسرون: أحضرت نفس كل واحد من الرجل والمرأة شحاً بحقه قبل صاحبه فالمرأة تشح على مكانها من زوجها. والرجل يشح على المرأة بنفسه إذا كان غيرها أحب إليه منها.

وقوله: ﴿وإن تحسنوا﴾ أن تصلحوا ﴿وتتقوا﴾ الجور والميل ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾.

- قوله عز وجل ﴿ولن تستطيعوا...﴾ الآية قال المفسرون لن تقدروا على التسوية بينهم في المحبة التي هي ميل الطباع، لأن ذلك مما لا تقدرون عليه ﴿ولو حرصتم﴾ أي اجتهدتم ﴿فلا تميلوا كل الميل﴾ إلى التي تحبون في النفقة والقسمة.

قال أبو عبيدة: لا يقدر أحد على العدل بين الضرائر بقلبه وليس يؤاخذ به، لأنه لا يستطيع ولا يملكه، لكن عليه أن لا يميل بنفسه وهو الذي وقع عليه النهي قال الشافعي: بلغنا أن رسول الله ﷺ كان يقسم فيقول «اللهم هذا قسمي فيما أملك^(٧) وأنت أعلم فيما لا أملك» يعني: محبته لعائشة. وقوله ﴿فتذروها كالمعلقة﴾ قال ابن عباس لا أيما ولا ذات بعل.

(١) انظر غريب القرآن ١٣٦، وابن كثير ٥٦٢/١ - ٥٦٣ عن عائشة وعلي وابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد والشعبي، والدرر ٢٣٢/٢ - ٢٣٣ عن عائشة وسعيد بن المسيب وعمر وعلي وابن عباس.

(٢) في (و) إتمام.

(٣) في (ج)، (و) وكلما.

(٤) في (و) المهر.

(٥) في غير (أ) فأدغمت.

(٦) سورة البقرة / ١٨٢.

قرأ عاصم وحزمة والكسائي (أن يُصلحها) بضم الياء وسكون الصاد وكسر اللام - وحجتهم في ذلك: أن العرب إذا جاءت مع الصلح بـ «بين» قالت: أصلح القوم بينهم وأصلح الرجلان بينهما قال الله عز وجل (فأصلحوا بينهما) وإذا لم تأت بـ «بين» قالوا: تصلح الرجلان، وأيضاً: مجيء المصدر (صلحاً) على غير بناء الفعل ولو كان (يصلحها) لكان المصدر «تصلحها». وقرأ ابن كثير وابن نافع وابن عامر وأبو عمرو (يصلحها) بفتح الياء والتشديد وفتح اللام - أي: يتصلحها وحجتهم: أن المعروف من كلام العرب إذا كان بين إثنين مشاجرة أن يقولوا: تصلح القوم فهم يتصلحون.

(٧) رواه الترمذي في النكاح (٣٠٤/٢) (١١٤٩) وأبو داود في النكاح (٢٤٢/٢) (٢١٣٤) والحاكم في المستدرک (٢٤٢/٢).

قال المفسرون: يقول: لا تميلوا إلى الشابة كل الميل فتدعوا الأخرى كالمنوطة لا في الأرض وفي السماء كذلك هذه لا تكون مخلاة فتزوج ولا ذات بعل يحسن عشرتها.

﴿وإن تصلحوا﴾ بالعدل في القسم ﴿وتتقوا﴾ الجور ﴿فإن الله كان غفوراً رحيماً﴾ لما ملت إلى التي تحبها.

- قوله تعالى ﴿وإن يفرقا﴾ الآية ذكر الله تعالى جواز الصلح بين الزوجين إن أحبا أن يجتمعا ويتألفا فإن أبت الكبيرة الصلح وأبت إلا التسوية بينها وبين الشابة فترقا بالطلاق، فقد وعد الله لهما أن يغني كل واحد منهما عن صاحبه بعد الطلاق، وهو قوله ﴿يغن الله كلاً من سعته﴾ قال الكلبي أمر الله المرأة بزواج أو الزوج بامرأة.

﴿وكان الله واسعاً﴾ الجميع خلقه في الرزق والرحمة ﴿حكيماً﴾ فيما حكم ووعظ وعلم ذكر ما يوجب الرغبة إليه في طلب الخير منه فقال:

﴿و الله ما في السموات وما في الأرض﴾ أي: هو مالك ما فيها ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ يعني: اليهود والنصارى ﴿وإياكم﴾ أوصى ﴿أن اتقوا الله وإن تكفروا﴾ بما أوصاكم به ﴿فإن الله ما في السموات وما في الأرض﴾ يعني أن له ملائكة من السماوات والأرض هم أطوع له منكم. ﴿وكان الله غنياً﴾ لا حاجة له. والله تعالى غني بذاته لأنه قادر على ما يريد ﴿حميداً﴾ محموداً على نعمه.

قوله جل جلاله ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس﴾ قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين ﴿ويأت بأخري﴾ قال مقاتل: يخلق غيركم أمثل وأطوع له منكم.

- ﴿من كان يريد ثواب الدنيا﴾ قال ابن عباس: يريد متاع الدنيا ﴿فعند الله ثواب الآخرة﴾ قال الزجاج: كان مشركو العرب لا يؤمنون بالبعث والحساب وكانوا مقرين بأن الله خالقهم فكان تقربهم إلى الله تعالى إنما هو ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها فأعلم الله تعالى أن خير الدنيا والآخرة عنده فينبغي أن يطلب من عنده ثواب الدنيا والآخرة.

- قوله عز وجل^(١) ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط﴾^(٢) قوام: مبالغة من قائم. قال ابن عباس: كونوا قوالين^(٣) بالعدل في الشهادة على من كانت^(٤) ﴿ولو على أنفسكم﴾ وقال الزجاج^(٥): قوموا بالعدل، واشهدوا لله بالحق، وإن كان الحق على نفس الشاهد أو على^(٦) والديه أو أقربيه.

وشهادة الإنسان على نفسه: إقراره بما عليه من الحق فكأنه قيل: ولو كان لأحد عليكم حق فأقروا على أنفسكم.

وقوله^(٧) ﴿إن يكن غنياً أو فقيراً﴾ أي: أن يكن^(٨) المشهود غنياً أو فقيراً، قال ابن عباس: يقول^(٩): لا تحابوا غنياً لغناه، ولا ترحموا فقيراً لفقره^(١٠) وقال عطاء: لا تحيفوا على الفقير، ولا تعظموا الغني فتمسكوا على القول فيه.

(١) في غير (أ) قوله وفي (خ) قوله تعالى.

(٢) في (هـ) شهداء.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٨٢، والطبري ٣٠٤/٩ والبغوي ٦٠٩/١ والبحر ٣٦٩/٣ كلها عن ابن عباس.

(٥) انظر الزجاج ١٢٩/٢.

(٦) في (و) وعلى والديه وأقربيه.

(٧) في (جـ، د) قوله - - - (٩) ساقطة من (و).

(١٠) انظر تفسير الطبري ٣٠٤/٩ والدرر ٢٣٤/٢ وفتح القدير ٥٢٤/١ - ٥٢٥ كلها عن ابن عباس.

وقوله (١) ﴿فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ أي: أعلم بهما لأنه يتولى علم أحوالهما من الغنى والفقر، وهذا معنى قول الحسن: الله أعلم بغناهم وفقهم.

وقوله (٢) ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [قالت مقاتل (٣): فلا تتبعوا الهوى في الشهادة واتقوا الله] (٤) أن تعدلوا عن الحق إلى الهوى، وهذا من العدول الذي هو الميل والجور، قال ابن عباس (٥): تميلوا عن الحق.

وقوله (٦) ﴿وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تَعْرَضُوا﴾ قال مجاهد (٦): ﴿وَإِنْ تَلَّوْا﴾ تبدلوا الشهادة ﴿أَوْ تَعْرَضُوا﴾ تكتمونها فلا تقيمونها وهذا من لي اللسان، كأنه لواها من الحق إلى الباطل. وقال السدي (٨): «اللي» دفع الشهادة و«الإعراض»: الجحود. وقرئ ﴿تَلَّوْا﴾ - بواو واحدة (٩) من ولاية الشيء، وهو الإقبال (١٠) عليه، وخلاف الإعراض عنه. والمعنى: إن تقبلوا أو تعرضوا.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازي المقبل المحسن بإحسانه والمسيء المعرض بإعراضه. وقال قطرب (١١) ﴿وَإِنْ تَلَّوْا﴾ من الولاية، يريد: إن تلووا القيام بالحق وتولوه (١٢)، وتعرضوا عنه فلا تقوموا به.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ ءَ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٤﴾

- قوله عز وجل (١٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا﴾. (١٤) الآية، قال ابن عباس في رواية الكلبي (١٥): نزلت في مؤمني أهل الكتاب، قالوا: يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابتك وبموسى والتوراة، ونكفر بما سواه من الكتب والرسل (١٦).

(١) في (د) قوله فالله أولى بهما وفي (و) أي أعلم بما.

(٢) في (د) قوله.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

(٥) انظر فتح القدير ١/٢٥٥ عن ابن عباس.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٨٢.

(٦) انظر تفسير مجاهد ١٧٨ والطبري ٩/٣٠٨ وابن كثير ١/٥٦٥ والدر ٢/٢٣٤ كلها عن مجاهد.

(٧) في (هـ) فإن.

(٨) انظر تفسير الطبري ٩/٣٠٨ عن السدي والزجاج ٢/١٢٩.

(٩) قرأ حمزة وابن عامر (تلوا) بضم اللام - وفيه وجهان - أحدهما: أن يكون أصله تلوا فأبدل من الواو المضمومة همزة فصار تلؤوا - بإسكان اللام - ثم طرحت الهمزة وطرحت حركتها على اللام. ويجوز أن يكون من الولاية. وقرأ الباقون (تلوا) - بواو من لويت فلاناً حقه لياً، أي: دافعته ومماطلته يقال: لوى فلان غريمه.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢١٥ - ٢١٦ والسبعة ٢٣٩ والنشر ٢/٢٥٢ والزجاج ٢/١٢٩ والتبيان ١/٣٩٨، والمشكل ١/٢١٠ والفراء ١/٢٩١ والأخفش ١/٤٥٦ والحجة لابن خالويه ١٢٧).

(١٣) في (جـ، هـ) قوله وفي (د، و) قوله تعالى.

(١٠) في غير (أ) وهي إقبال.

(١٤) ليست في (د، هـ).

(١١) انظر الزجاج ٢/١٢٩ والطبري ٩/٣١٠ وضعفه.

(١٥) في (د) قال ابن عباس نزلت.

(١٢) في (أ) أو تعرضوا وفي (حـ) أي تعرضوا.

(١٦) انظر تفسير ابن عباس ٨٢، والدر ٢/٢٣٤ وفتح القدير ١/٥٢٥ كلاهما عن ابن عباس وغرائب النيسابوري ٥/٢٠٨ وأسباب النزول للواحدى ١٣٨ كلاهما عن الكلبي.

وقال الضحاك: ^(١) الخطاب لليهود والنصارى يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ بموسى والتوراة وعيسى والإنجيل ﴿ءامنوا﴾ بمحمد ﷺ والقرآن.

وقال جماعة من المفسرين ^(٢): الخطاب للمؤمنين وتأويل ﴿ءامنوا بالله﴾ ^(٣) أقيموا وثبتوا ودوموا عليه. وقال مجاهد ^(٤): الآية خطاب للمنافقين وذلك أنهم آمنوا في الظاهر بالسنتهم وكفروا بقلوبهم فقال الله تعالى: ﴿ءامنوا﴾ بقلوبكم [﴿بالله ورسوله﴾].

وقوله ^(٥) ﴿والكتاب الذي على رسوله﴾ قال ابن عباس ^(٦): يريد القرآن ﴿والكتاب الذي أنزل من قبل﴾ يريد كل كتاب نزل على النبيين، وذلك أنه اسم الجنس ^(٧) فصلح للعموم.

- قوله عز وجل ^(٨) ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا...﴾ الآية، أكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت في اليهود ^(٩).

قال قتادة ^(١٠): آمنت اليهود بالتوراة ثم كفرت بمخالفتها، ثم آمنت بالإنجيل ثم كفرت بمخالفته ﴿ثم ازدادوا كفراً﴾ بمحمد ﷺ والقرآن ^(١١) ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ ما أقاموا على ذلك لأن الله أخبر أنه يغفر كفر الكافر إذا انتهى فإذا أطلق القول بأنه لا يغفر لهم، علم أن المراد به: ما أقاموا عليه.

﴿ولا يهديهم سبيلاً﴾ طريق ^(١٢) هدى. وهذا إخبار عن في معلوم الله أنه لا يؤمن.

بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُّونَ
عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾

- قوله جل جلاله ^(١٣) ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً﴾ قال المفسرون ^(١٤): إن المنافقين كانوا يتولوا اليهود، فألحقوهم بالتبشير في العذاب، ومعنى «بشرهم»: أخبرهم. ثم وصفهم فقال:

(١) انظر الدرر ٢٣٤/٢ وفتح القدير ٥٢٥/١ كلاهما عن الضحاك.

(٢) انظر الزجاج ١٢٩/٢ - ١٣٠ وغرائب النيسابوري ٢٠٨/٥ وابن كثير ٥٦٦/١ وفتح القدير ٥٢٤/١.

(٣) ليست في (و).

(٤) انظر الدرر ٢٣٥/٢ عن مجاهد والزجاج ١٣٠/٢ وفتح القدير ٥٢٤/١.

(٥) في (د) قوله.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٨٢ والطبري ٣١٢/٩.

(٧) في (د) اسم للجنس.

(٨) في غير (أ) وقوله، وفي (د) قوله.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٨٣، والزجاج ١٣٠/٢ والفراء ٢٩٢/١، وفتح القدير ٥٢٨/١ عن قتادة.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٣١٥/٩، والدرر ٢٣٤/٢ وفتح القدير ٥٢٨/١ كلها عن قتادة والفراء ٢٩٢/١.

(١١) في (ج، د) قوله.

(١٢) في (د) طريقاً.

(١٣) في غير (أ) قوله وفي (ح) قوله تعالى.

(١٤) انظر تفسير ابن عباس ٨٣ وفتح القدير ٥٢٦/١.

- ﴿الذين يتخذون الكافرين﴾ يعني: اليهود ﴿أولياء من دون المؤمنين﴾ كان المنافقون يوالون اليهود ويتوهمون أن لهم القوة والمنعة وذلك قوله ﴿أيتفون عندهم العزة﴾ أي: القوة بالظهور على محمد ﷺ وأصحابه. والمعنى: أيطلبون أن يتقروا^(١) بهم فيظهروا على المسلمين؟

وقوله^(٢) ﴿فإن العزة لله جميعاً﴾^(٣) أي: الغلبة والقوة لأنه عزيز بعزه ومعز من عز من عباده بما خلق من العزة، فله العزة جميعاً من كل وجه.

وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثَلْتُمْ^(٤) إِنْ اللَّهُ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤١﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤٢﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٣﴾ مُدْبِئِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٤﴾

- قوله تعالى^(٤) ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب...﴾ الآية، قال المفسرون^(٥): الذي نزل عليهم في الكتاب^(٦): النهي عن مجالستهم، وهو قوله ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض^(٧) عنهم...﴾ الآية.

وكان المنافقون يجلسون إلى أحبار اليهود فيسخرون من القرآن ويكذبون به فنهى الله المسلمين عن مجالستهم.

وقوله ﴿أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزاء^(٨) بها﴾ أي: إذا سمعتم المكفر بآيات الله والاستهزاء بها ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ أي يأخذوا في حديث غير الكفر والاستهزاء. ﴿إنكم إذا مثلتم^(٩)﴾ [أي: إنكم كافرون مثلهم]^(١٠) لأن من رضي بالكفر فهو كافر. وهذا يدل على أن من

(١) في (د) يتقروا.

(٢) «(جميعاً): بالتذكير لأن (العزة) في المعنى (العز) ولذا لم يقل: جمعاء» (البيان ٢٧٠/١).

(٤) في غير (أ) قوله، وفي (ح) وقوله.

(٥) انظر الزجاج ١٣٢/٢، والدر ٢٣٥/٢ عن إبراهيم النخعي والسدي وفتح القدير ٥٦١/١ والوجيز ١٧٩/١.

(٦) من (د).

(٧) في (ح) في آياتنا... الآية وتماها ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسبك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ سورة الأنعام/ ٦٨.

(٨) في (د) ويستهزوا.

(٩) «أي: أمثالهم وقد يأتي» مثل «- أيضاً - للثنتين والجماعة كما يأتي للواحد». (البيان ٢٧١/١).

(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

رضي بمنكر يراه، خالط أهله^(١) كان في الإثم بمنزلة المباشر^(٢). وقد ورد النهي في هذه الآية عن القعود مع الذين يخوضون في آيات الله بالباطل فلا يجوز القعود عند من يتكلم في القرآن وتفسيره بالباطل.

وقوله^(٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ...﴾ الآية، يريد: أنهم كما اجتمعوا على الاستهزاء يجتمعون في جهنم على العقاب.

- قوله تعالى^(٤) ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ...﴾ هذه الآية - أيضاً - من صفة المنافقين قال الكلبي^(٥): ينتظرون بكم الدوائر والأحداث ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: ظهور على اليهود ﴿قَالُوا﴾ للمؤمنين ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ فَأَعْطَوْنَا مِنَ الْغَنِيمَةِ﴾ وإن كان للكافرين نصيب ﴿قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٦): ظفر على المسلمين ﴿قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ﴾ ألم نغلب عليكم.

و «الاستحواذ»: الاستيلاء على الشيء^(٧) ومنه قوله ﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾^(٨) أي: غلب قال المبرد^(٩): معناه: ألم نغلبكم على رأيكم^(١٠) ونصرفكم عن الدخول في جملة المؤمنين.

وقوله ﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾ أي: بتخديلمهم عنكم ومراسلتنا إياكم بأخبارهم، ومراد المنافقين بهذا الكلام: إظهار المنعة على الكافرين، أي: فاعرفوا لنا الحق هذا عليكم ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بين المؤمنين والمنافقين، قال ابن عباس^(١١) يريد أنه أخرج عقاب المنافقين إلى الموت، ووضع عنهم السيف في الدنيا.

وقوله^(١٢) ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ قال ابن عباس والسدي: حجة يوم القيامة^(١٣).

أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الحشاش أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الأصبهاني أخبرنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا قتيبة، حدثنا جرير عن الأعمش عن زر^(١٤)، عن يسيع^(١٥) قال: كنت عند علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال رجل: يا أمير المؤمنين أ رأيت قول الله تعالى ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ وهم يقاتلونهم

(١) في (هـ) وخالة أهلها.

(٢) انظر غرائب النيسابوري ٢١٤/٥ - ٢١٥ عن أهل العلم، والبحر ٣/٣٧٤.

(٣) في (د) قوله.

(٤) في غير (أ) قوله.

(٥) المصدر السابق ص ٨٣.

(٦) انظر غريب القرآن ١٣٦ ومجاز القرآن ١/١٤١.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٨٣.

(٨) سورة المجادلة ١٩ وانظر مفردات الراغب / حوذ، واللسان / حوذ.

(٩) انظر تفسير البغوي ١/٦١٢ عن المبرد والبحر ٣/٣٧٥ وابن كثير ١/٥٥٧ وفتح القدير ١/٥٢٧، ٥٢٨ كلاهما عن السدي.

(١٠) في (هـ) ألم نغلبكم ونصرفكم.

(١١) انظر غرائب النيسابوري ٢١٦/٥ وفتح القدير ١/٥٢٧ والرازي ١١/٨٣ والوجيز للواحد ١/١٨٠.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٩/٣٢٨ وابن كثير ١/٥٦٧ كلاهما عن ابن عباس والسدي والبحر ٣/٣٧٦ عن علي وابن عباس والدر ٢/٢٣٥.

عن ابن عباس وأبي مالك والسدي وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠٩.

(١٣) ذرين عبد الله بن زرارة المرهبي الكوفي الهمداني تابعي ثقة قال أحمد: لا بأس به هو أول من تكلم في الإرجاء وقال الأزدي: يتكلمون فيه كان مرجئاً وقال أبو داود: كان مرجئاً وقال ابن معين والنسائي ثقة وروى له البخاري ومسلم (تقريب الميزان ٢/٢٢)، وكتاب الجمع ١/١٣٣).

(١٤) يسيع بن معدان الحضرمي والكندي - ويقال له أسيع - كوفي تابعي ثقة من الطبقة الثالثة (تقريب التهذيب ٢/٣٨٠، وعمدة القوي والضعيف ص ١٠).

فيظهورون عليهم، فقال علي - رضي الله عنه - ادنه ادنه، ثم قال: ﴿فإن الله﴾^(١) يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين يوم القيامة ﴿على المؤمنين سيلاً﴾^(٢) قال أهل المعاني^(٣): وذلك أن الله يظهر ثمرة إيمان المؤمنين، ويصدق موعدهم^(٤) ولم يشركهم الكفار في شيء من اللذات وكما شاركهم اليوم حتى يعلموا أن الحق معهم دونهم.

- قوله عز وجل^(٥) ﴿إن المنافقين يخادعون الله﴾ يعملون على المخادع بما يظهرونه من الإيمان ويبطنون خلافه من الكفر، ﴿وهو خادعهم﴾ مجازيهم على خداعهم وذلك أنهم يعطون نورا كما يعطى المؤمنون فإذا مضوا على الصراط طفيء نورهم وبقوا في الظلمة^(٦).

﴿وإذا قاموا إلى الصلوة﴾^(٧) أي: مع المؤمنون ﴿قاموا كسالى﴾^(٨) متثاقلين لأنهم لا يرجون لها^(٩) ثواباً ولا يخافون على تركها عقاباً ﴿يراءون الناس﴾ بصلاتهم لكي يراهم الناس مصلين^(١٠) لا يريدون بها وجه الله. قال قتادة^(١١): والله لولا الناس ما صلى المنافقون، وما يصلون إلا رياء وسمعة.

أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي أخبرنا إبراهيم بن أحمد بن رجاء، حدثنا مسدد بن قطن حدثنا عمرو بن زرارة حدثنا أبو جنادة عن الأعمش عن خيثمة عن عدي قال:

قال رسول الله ﷺ «يؤمر يوم القيامة بناس من الناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها، وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا: أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون^(١٢) بمثلها، فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أرتينا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا، قال: ذلك أردت بكم، كنتم إذا خلوتهم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين، تراءون الناس بخلاف ما تعطونني^(١٣) من قلوبكم، هبتم الناس ولم تهابوني، أجللتم الناس ولم تجلوني، وتركتم للناس ولم تتركوا لي، فاليوم أذيقكم العذاب^(١٤)، مع حرمتكم من الثواب^(١٥).

وقوله^(١٦) ﴿ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾ قال الحسن^(١٧): إنما قل ذلك لأنهم يعملونه رياء، ولو أرادوا به وجه الله لكان كثيراً. وقال قتادة^(١٨): إنما قل لأن الله لم يقبله وما رد الله فهو قليل وما قبله فهو كثير.

(١) في (د) الله يحكم.

(٢) انظر تفسير الثوري ٩٨ وكنز العمال ٣٩٠/٢ والدرر ٢٣٥/٢ وابن كثير ٥٦٧/١ وفتح القدير ٥٢٨/١ والبحر ٣٧٦/٣ والطبري ٣٢٧/٩ والرازي ٨٣/١١ والمستدرک - كتاب التفسير - «صحيح الإسناد» ٣٠٩/٢. كلهم عن علي رضي الله عنه.

(٣) انظر فتح القدير ٥٢٧/١ ذكره ابن عطية عن أهل التأويل.

(٤) في (ح) موعدهم.

(٥) انظر غرائب النيسابوري ٣/٦ عن ابن عباس والدرر ٣٣٥/٢ عن الحسن والسدي وفتح القدير ٥٣٠/١ عن الحسن والسدي ومجاهد وسعيد بن جبیر.

(٦) في (د) بها أحد قط.

(٧) في (ح) قوله.

(٨) في الحديث المتقدم: بخلاف ما في قلوبكم.

(٩) في (د) كسلى.

(١٠) في (د) لا يرجون ثواباً ولا يخافون على تركهم.

(١١) في (و) يصلون.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٣٣١/٩ والدرر ٢٣٦/٢

(١٣) انظر تفسير الطبري ٣٣٢/٩ والدرر ٢٣٦/٢ كلاهما عن الحسن.

(١٤) انظر تفسير الطبري ٣٣٢/٩

(١٥) انظر تفسير الطبري ٣٣٢/٩ والدرر ٢٣٦/٢ وغرائب النيسابوري ٤/٦ والرازي ٨٥/١١ كلها عن قتادة.

- قوله عز وجل (١) ﴿مذبذبين بين ذلك﴾ يقال: ذبذبه فتذبذب أي: حركة فتحرك، وهو كتحريك شيء ما معلق بين السماء والأرض (٢).

ومعنى ﴿بين ذلك﴾: بين الكافرين والمؤمنين، يعني: أنهم مرددون (٣) بين الكفر والإيمان.

قال السدي وقتادة (٤): ليسوا بمشركين مصرحين بالشرك، وليسوا (٥)، بمؤمنين ﴿لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ قال ابن عباس (٦): لا من الأنصار ولا من اليهود.

أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن بلال، أخبرنا محمد بن إسماعيل بن سمر الأحمسي (٧)، حدثنا أبو معاوية عن محمد بن سوقة عن أبي جعفر (٨) عن ابن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ: «مثل المنافق مثل الشاة بين الربضين» (٩)، إن جاءت إلى هذه نظحتها، وإن جاءت إلى هذه نظحتها» (١٠).

وقوله ﴿ومن يضل الله فلن تجد له سيلاً﴾ قال ابن عباس (١١): من أضله (١٢) الله فلن تجد له ديناً.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَنْجِدُوا الْكَافِرِينَ ؕ أَوْلِيَآءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ؕ أُرِيدُونَ أَن يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ۗ إِنَّ الْمُنٰفِقِينَ فِي الدَّرَكِ اْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۗ ۝١٤٥ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۗ ۝١٤٦ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ ؕ وَأَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۗ ۝١٤٧

(١) في غير (أ) قوله، وفي (و) وقوله.

(٢) انظر اللسان / ذب، ومفردات الراغب / ذب.

(٣) في (ح) مترددون. وفي (د) مردودون.

(٤) انظر تفسير الطبري ٣٣٤/٩ عن السدي وقتادة والرازي ٨٥/١١ وابن كثير ٥٦٩/١، والدر ٢٣٦/٢ كلها عن قتادة.

(٥) في (ج، د) ولا بمؤمنين.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٨٣ والطبري ٣٣٥/٩ وابن كثير ٥٦٨/١ والدر ٢٣٦/٢ وفتح القدير ٥٣٠/١ كلها عن مجاهد.

(٧) محمد بن إسماعيل بن سمر الأحمسي أبو جعفر الكوفي السراج روى عن أبي معاوية وابن عيينة وطائفة وعنه الترمذي والنسائي وابن

ماجة وغيرهم قال ابن أبي حاتم: سئل عنه أبي فقال: صدوق، وسمعت منه مع أبي وهو ثقة توفي سنة ٢٦٠ هـ.

(تهذيب التهذيب ٥٨/٩ - ٥٩).

(٨) أبو جعفر القاريء المدني المخزومي مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة - اسمه - يزيد بن القعقاع، وقيل غير ذلك - روى عن مولاة

وأبي هريرة وابن عمر وغيرهم قال ابن معين والنسائي ثقة وقال أبو حاتم صالح الحديث. مات في ولاية مروان.

(تهذيب التهذيب ٥٨/١٢).

(٩) «بين الربضين: مريض غنمين، وروي بين الربضين»، الربض: الغنم نفسها و«الربض/ موضعها الذي تربض فيه» (اللسان /

ربض). وفي (هـ) مثل الشاتين الربضيتين.

(١٠) الحديث: رواه الطبراني في الصغير ٢١١/١ ومسند أحمد ٣٢/٢، ٤٧، ٦٨... وسنن الدارمي ٩٣/١ ومسند الحميدي ٣٠٢/٢ -

٣٠٣ والجامع الصغير ١٥٥/٢ ورمزه بالصحيح، كلهم من حديث ابن عمر.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٨٣.

(١٢) في (و) من أضل.

- قوله جل جلاله^(١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال المفسرون^(٢):
 نهى الله المؤمنين أن يوالوا اليهود من قريظة والنضير، وأوعدهم على ذلك بقوله ﴿أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً
 مبيناً﴾ حجة بينة^(٣) في عقابكم بموالاة الكفار؟ أي: إنكم إذا واليتموهم صارت الحجة عليكم في عقابكم.
 - قوله عز وجل^(٤) ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ قال ابن عباس^(٥) في أسفل النار. قال
 الأخفش وأبو عبيدة^(٦): جهنم أدراك، أي: منازل، وكل منزل منها درك.
 وقال الضحاك^(٧): «الدرج»: إذا كان بعضها فوق بعض، و«الدرك»: إذا كان بعضها أسفل من بعض. وقرئ
 «الدرك» - بفتح الراء وجزمه - وهما لغتان^(٨).
 قال الزجاج^(٩): الاختيار فتح الراء لأنه أكثر في الاستعمال^(١٠). وقوله^(١١) ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ أي: مانعاً
 يمنعهم من عذاب الله من جهة شافعة أو غير ذلك.
 - ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من النفاق ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ العمل لله ﴿وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ وثقوا^(١٢) به والتجأوا إليه
 ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ من شائب الرياء^(١٣).
 قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - المنافقون^(١٤) شر من كفر بالله وأولاهم بمقتته، وأبعدهم من الإنابة إليه
 لأنه شرط عليهم في التوبة: الإصلاح والاعتصام ولم يشرط ذلك على غيرهم ثم شرط الإخلاص لأن النفاق ذنب
 القلب والإخلاص توبة القلب.
 ثم قال ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يقل: فأولئك المؤمنون^(١٥)، أو من المؤمنين، غيظاً عليهم. ثم أوقع أجر
 المؤمنين في التسويق لانضمام المنافقين إليهم فقال ﴿وَسَوْفَ يُوْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.
 - قوله جل جلاله^(١٦) ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ...﴾ الآية «ما» استفهام معناه التقرير، أي: إن الله لا يعذب
 الشاكر المؤمن.

(١) في غير (أ) قوله وفي (و) قوله تعالى.

(٢) في (ج، د) وابن عباس، وانظر تفسير الطبري ٣٣٦/٩ وابن كثير ٥٧٠/١.

(٣) انظر تفسير الطبري ٣٣٧/٩ عن عكرمة وابن كثير ٥٧٠/١ عن ابن عباس وغيره والدر ٢٣٦/٢ وفتح القدير ٥٣٠/١ كلاهما عن ابن عباس، قال «كل سلطان في القرآن فهو حجة».

(٤) في غير (أ) قوله.

(٥) انظر تفسير الطبري ٣٣٩/٩ وفتح الباري ٢١٤/٨ وابن كثير ٥٧٠/١ والدر ٢٣٦/٢ كلها عن ابن عباس.

(٦) انظر مجاز القرآن ١٤٢/١ والزجاج ١٣٥/٢ واللسان / درك كلاهما عن أبي عبيدة.

(٧) انظر تفسير الرازي ٨٧/١١ عن الضحاك والبحر ٣٨٠/٣ عن ابن عباس ومفردات الراغب / درك.

(٨) قرأ حمزة والكسائي وعاصم - بسكون الراء - وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بفتحها - وهما لغتان (انظر الحجة لأبي زرعة ٢١٨ والسبعة ٢٣٩ والنشر ٢٥٣/٢، والزجاج ١٣٥/٢ - ١٣٦ والتبيان ٤٠١/١ والفراء ٢٩٢/١، والحجة لابن خالويه ١٢٧).

(٩) انظر الزجاج ١٣٦/٢.

(١٠) في (هـ) أكثر استعمالاً.

وانظر اللسان / شوب «والشائبة: واحدة الشوائب وهي الأقدار والأدناس».

(١١) في (د) سائر الرياء.

(١٢) في (و) وثقوا.

(١٣) انظر البحر ٣٨٠/٣.

(١٤) انظر البحر ٣٨٠/٣.

(١٥) في (د) المؤمنين.

(١٦) في غير (أ) قوله.

قال ابن عباس في رواية عطاء: ما يريد الله بعذاب خلقه ﴿إِنْ شَكَرْتُمْ﴾^(١) اعترفتم بإحسانه ﴿وَأَمْنْتُمْ﴾ بنبيي، وهذا على التقديم والتأخير، أي: إن أمتم وشكرتم لأن الإيمان يقدم على سائر الطاعات، ولا تنفع طاعة دون الإيمان.

أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، أخبرنا محمد بن عيسى بن عمرو بن إبراهيم بن محمد، أخبرنا مسلم، حدثنا هدا بن خالد حدثنا همام، حدثنا قتادة، حدثنا أنس بن مالك، عن معاذ بن جبل قال:

«كنت ردف رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل، فقال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم سار ساعة، ثم قال^(٢): يا معاذ بن جبل قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق العباد على الله، إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ألا يعذبهم»^(٣).

وقال قتادة في هذه الآية: إن الله لا يعذب شاكراً ولا مؤمناً^(٤).

﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ شاكراً للقليل من أعمالكم ﴿عَلِيمًا﴾ بنياتكم.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾^(١٤٨) إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾^(١٤٩) إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١٥٢)

- قوله عز وجل^(٥) ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ قال عطاء عن ابن عباس^(٦) نزلت الآية في الضيافة ينزل الرجل بالرجل عنده سعة فلا يضيفه فإن تناوله بلسانه فقد عذره الله، وهو قوله ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ معنى: لا يحب الله أن يجهر بالقبیح في القول، لكن المظلوم يجهر بشكواه.

وقال قتادة والحسن والسدي وابن زيد: هذه الآية عامة في كل مظلوم وله أن يتصر من ظالمه^(٧) بالدعاء عليه بما لا يعتدي فيه^(٨).

(١) في (د) المؤمنين.

(٢) في (أ) ساعة وقال، وفي (د) ساعة قال.

(٤) انظر تفسير الطبري ٣٤٣/٩ والدر ٢٣٧/٢ وفتح القدير ١/٥٣٠ كلها عن قتادة.

(٥) في (ج، هـ) قوله وفي (د، و) قوله تعالى.

(٦) انظر تفسير مجاهد ١٧٩ والزجاج ١٣٧/٢ وغريب القرآن ١٣٦ والدر ٢٣٧/٢ والطبري ٣٤٦/٩ - ٣٤٧ وأسباب النزول للواحدي ٣٨ وللسيوطي ٩٦ كلها عن مجاهد، والفراء ٢٩٣/١.

(٧) في (د) ممن ظلمه.

(٨) انظر تفسير الطبري ٣٤٤/٩ - ٣٤٨ والدر ٢٣٧/٢ كلاهما عن ابن عباس والحسن وفتادة والسدي وابن زيد، وفتح القدير ١/٥٣١ عن ابن عباس.

وقوله ﴿وكان الله سميعاً﴾ أي: لقول المظلوم ﴿عليماً﴾ بما في قلبه فليتنق الله ولا يقل إلا الحق.

- قوله جل جلاله^(١) ﴿إن تبدوا خيراً﴾ قال ابن عباس^(٢): يريد من أعمال البر مثل الصدقة والضيافة ﴿أو تعفوا عن سوء﴾ يأتيك من أخيك المسلم ﴿فإن الله كان عفواً﴾ لمن عفا ﴿قديراً﴾ على ثوابه.

- قوله جل جلاله^(١) ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسوله﴾ يعني: اليهود كفروا بعيسى والإنجيل ومحمد ﷺ والقرآن ﴿ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله﴾ أي: بين الإيمان بالله ورسوله.

ولا يصح الإيمان بالله والتكذيب برسوله أو ببعض منهم، وذلك قوله ﴿ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض﴾ لا يصح التصديق ببعض الأنبياء دون بعض لأن كل نبي قد دعا إلى تصديق من بعده من الأنبياء فإذا كذبوهم فقد كذبوا من تقدم منهم.

وقوله^(٣) ﴿ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً﴾ بين إيمان ببعض الرسل^(٤) وكفر ببعض مذهباً يذهبون إليه.

- ﴿أولئك الكافرون حقاً﴾ ذكر «حق»^(٥) «ها هنا: تأكيد لكفرهم، إزالة لتوهم من يتوهم أن إيمانهم ببعض الرسل يزيل عنهم اسم الكفر. ثم نزل في المؤمنين قوله تعالى:

- ﴿والذين آمنوا بالله ورسوله﴾ ولم يفرقوا بين أحد منهم... ﴿إلى آخر الآية﴾^(٦).

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَلْيَنًا فَأَعْفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُوسَىٰ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ وَفَلْنَا لَهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا وَقَلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِثْقَالَ عِلْيَظٍ ﴿١٥٤﴾

- قوله جل جلاله^(٨) ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء﴾ قال المفسرون^(٩): إن اليهود قالوا للنبي ﷺ إن كنت صادقاً أنك نبي فاتنا بكتاب جملة من السماء كما أتى به موسى فأنزل الله هذه الآية.

وقوله ﴿فقد سألو موسى أكبر من ذلك﴾ يعني: السبعين الذين ذكرنا قصتهم عند قوله ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾^(١٠).

(١) في غير (أ) قوله.

(٢) انظر البحر ٣/٣٨٥ عن ابن عباس.

(٣) في (د) قوله.

(٤) في (هـ) بين إيمان ببعض وكفر ببعض الرسل.

(٨) في غير (أ) قوله وفي (و) قوله تعالى.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٨٤ والزجاج ١٣٨/٢ وابن كثير ٥٧٢/١ عن القرظي والسدي وقتادة والطبري ٣٥٦/٩ عن القرظي والسدي وكذا الدرر ٢/٢٣٨ عنهما وفتح القدير ٥٣٥/١ عن القرظي وابن جريج وأسباب النزول للواحدي ١٣٨ وللسيوطي ٩٦.

(١٠) سورة البقرة / ٥٥.

وقوله ^(١) ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ يعني: الذين خلفهم موسى مع هارون حين خرج لميقات ربه. وقوله ﴿مَنْ يَبْدُ مَا جَاءَتْهُمْ الْبِنَاتُ﴾ يعني: العصا واليد وقلق البحر ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ ولم نستأصل عبدة العجل ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مَبِينًا﴾ حجة بينة قوي بها على من ناواه ^(٢).

- قوله جل جلاله ^(٣) ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ مفسر في سورة البقرة إلى قوله ^(٤) ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْتَدُوا فِي السَّبْتِ﴾ أي: لا تعتدوا باقتناص السمك فيه. يقال: عدا عُدوا وعُدوا وعُدَّاء وعُدُّوانا، أي: ظلم وجاوز الحد ^(٥).

وقرأ نافع (لا تَعُدُّوا) - ساكنة العين مشددة الدال - أراد: لا تعتدوا ثم أدغم التاء في الدال لتقاربهم، وورش ^(٦) (لا تَعْدُوا) - فتح العين - وذلك أنه لما أدغم التاء في الداخل نقل حركتها إلى العين.

وقوله ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ قال ابن عباس ^(٧): عهداً مؤكداً في النبي ﷺ.

فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَالِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
يَكْفُرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ^(١٥٥) وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ^(١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا
الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ
مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ^(١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ^(١٥٨) وَإِنْ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ^(١٥٩)

- قوله تعالى ^(٨) ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثاقَهُمْ﴾ «ما» هنا: صلة مؤكدة والآية تفسرها ظاهر إلى قوله ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ يقال: طبع الله على قلب الكافر، أي: ختم عليه فلا يعي وعظماً ولا يوفق للخير ^(٩). قال الزجاج جعل الله مجازاتهم على كفرهم أن طبع على قلوبهم ^(١٠).

وقوله ^(١١) ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قد مر ^(١٢) في هذه السورة.

(١) في (د) قوله.

(٢) «ناوَاهُ: عاداه» (حاشية أ).

(٣) في غير (أ) وقوله (وفي (د) قوله.

(٤) في (و) وقوله.

(٥) وانظر تفسير الآية ٥٨ من سورة البقرة. «وعدا عليه عُدُوا وَعُدَّاءُ وَعُدُّوانًا وَعُدُّوانًا وَعُدُّويًا وتعدى واعتدى كله: ظلم» (المصباح المنير عدا، واللسان / عدا، ومفردات الراغب / عدا).

(٦) وورش: شيخ الإقراء بالديار المصرية أبو سعيد عثمان بن سعيد القيرواني ثم المصري صاحب نافع ولد سنة ١١٠ هـ وأخذ القراءة عن نافع وهو الذي لقبه بورش لشدة بياض انتهت إليه رياضة الإقراء بالديار المصرية في زمانه وكان ماهراً بالعربية توفي سنة ١٩٧ هـ (شذرات ١/٣٤٩ والأعلام ٤/٣٦٦).

قرأ نافع (لا تعدوا) بإسكان العين وتشديد الدال - وحجته قوله تعالى: ﴿وكانوا يعتدون﴾ - سورة البقرة / ٦١ - وقرأ وورش (لا تعدوا) - بفتح العين - نقل فتحة التاء إلى العين مثل «يهدي». وقرأ الباقون (لا تعدوا) - خفيفة الدال - من عدا يعلمو إذا جاوز الحد، وحجته قوله تعالى ﴿إذ يعدون في السبت﴾ سورة الأعراف / ١٢٦.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢١٨، والسبعة ٢٤٠ والنشر ٢/٢٥٣ والتبيان ١/٤٠٣، والحجة لابن خالويه ١٢٨).

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٨٥.

(٨) في غير (أ) قوله (وفي (و) وقوله.

(٩) انظر الزجاج ٢/١٣٩، والطبري ٩/٣٦٥ عن قتادة.

(١٠) في (د، هـ) قوله.

(١٢) في (د) قدم (و) تقدم وانظر ذلك عند تفسير الآية ٤٦.

- قوله عز وجل ﴿وبكفرهم﴾ يعني: بالمسيح ووجدوا أنه نبي ﴿وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً﴾ حين رموها بالزنا، وزعموا أن عيسى لغير رُشد^(١).

﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح [عيسى ابن مريم]﴾ اليهود تدعي أنهم قتلوا المسيح، وكذبوا في ذلك، قال^(٢) الله تعالى ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ أي: ألقى شبهه على غيره حتى ظنوا لما رأوه أنه المسيح. وذلك أن عيسى - عليه السلام - لما أراد الله تعالى رفعه إلى السماء قال لأصحابه: أيكم يرضى أن يلقي عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة؟ فقال رجل منهم: أنا، فألقي عليه شبهه فقتل وصلب وهم يظنون أنهم قتلوا عيسى^(٣).

وقوله^(٤) ﴿وإن الذين اختلفوا فيه﴾ أي: في قتله، وكان اختلافهم فيه أنهم لما قتلوا الشخص المشبه به، كان الشبه قد ألقى على وجهه، ولم يلق عليه^(٥) شبه جسد عيسى، فلما قتلوه ونظروا إليه قالوا: الوجه وجه عيسى، والجسد جسد غيره، فذلك اختلافهم فيه.

وقوله^(٦) ﴿لفي شك منه﴾ أي: من قتله ﴿ما لهم به﴾ بعيسى ﴿من علم﴾ قُتل أو لم يقتل ﴿إلا اتباع الظن﴾ لكنهم^(٧) يتبعون الظن في قتله ﴿وما قتلوه يقيناً﴾ وما قتلوا المسيح على يقين من أنه المسيح.

- ﴿بل رفعه الله إليه﴾ أي: إلى الموضع الذي لا يجري لأحد سوى الله فيه حكم، فكان رفعه إلى ذلك الموضع رفعاً لأنه رفع عن أن يجري عليه حكم العباد.

يؤكد هذا أن الحسن قال^(٨) ﴿بل رفعه الله إليه﴾ أي: إلى السماء، كما قال ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله﴾^(٩) وكانت الهجرة إلى المدينة.

﴿وكان الله عزيزاً﴾ في اقتداره على نجاة من يشاء من عباده ﴿حكيماً﴾ في تدبيره في نجاة عيسى.

- قوله جل جلاله^(١٠) ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ قال الزجاج^(١١): المعنى: وما منهم أحد إلا ليؤمنن به، أي: بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به، حتى تكون الملة^(١٢) واحدة ملة الإسلام.

قال عطاء عن ابن عباس: إذا نزل عيسى^(١٣) إلى الأرض لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا أحد ممن يعبد غير الله

(١) «لغير رُشدة» - بكسر الراء وإسكان الشين المعجمة وفتح الدال المهملة يقال: هو لغير رُشدة ولِغية - بكسر اللام والغين المعجمة - إذا كان لغير نكاح (عمدة القوي والضعيف ص ١٠) وانظر تفسير ابن عباس ٨٥ والزجاج ١٣٩/٢ والطبري ٣٦٧/٩ عن ابن عباس والسدي وجوير، وابن كثير ٥٧٣/١ عن السدي وابن عباس.

(٢) في (د) قول الله.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٨٥ والزجاج ١٤٠/٢ والطبري ٣٦٨/٩ - ٣٧٠ عن وهب وقتادة وابن كثير ٥٧٤/١ وفتح القدير ٥٣٥/١ كلاهما عن ابن عباس والدر ٢٣٨/٢ عن ابن عباس وقتادة ومجاهد.

(٤) في (د) قوله تعالى.

(٥) في (د) على شبه.

(٦) في (د) قوله.

(٧) في (د) أي لكنهم.

(٨) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ٨٥ وفتح القدير ٣٤٦/١ عن الحسن.

(٩) سورة النساء / ١٠٠.

(١٠) في غير (أ) قوله وفي (و) قوله تعالى.

(١١) انظر الزجاج ١٤١/٢ - ١٤٢ والفراء ٢٩٤/١.

(١٢) في (ج، د) ملة.

(١٣) من (أ، د).

إلا آمن به وصدقه وشهد أنه روح الله وكلمته وعبده ونبيه، وهذا قول الحسن وقتادة وسعيد بن جبير^(١).

أخبرنا محمد بن إبراهيم الفارسي أخبرنا أبو أحمد محمد بن عيسى الثوري أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أخبرنا مسلم حدثنا عبد بن حميد^(٢) عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدثنا أبي^(٣)، عن صالح عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة يقول:

قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر^(٤) الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد».

ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا - إن شئتم - «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته»^(٥). قوله «ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً» على أن قد بلغ رسالة ربه وأقر بالعبودية على نفسه^(٦).

فِظْلُمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَنَكِينِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

- قوله تعالى^(٧) «فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم» قال مقاتل^(٨): كان الله عز وجل حرم على أهل التوراة أن يأكلوا الربا، ونهاهم أن يأكلوا أموال الناس ظلماً، فأكلوا الربا وأكلوا أموال الناس بالباطل

(١) انظر تفسير ابن عباس ٨٥ والدر ٢٤١/٢ عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وأبي مالك والحسن وكذلك الطبري ٢٨١/٩ وابن كثير ١/٧٧٧ وللزجاج رأي آخر وهو: «ما من أحد إلا ليؤمنن بعيسى ممن كفر به قبل موته لأن الميت قبل موته يعاين عمله فيعلم صالحه من طالحه، وكل كافر إذا عاين آمن بكل نبي كفر به قبل موته».

(الزجاج ١٤٢/٢، والفراء ١/٢٩٥).

وعن ابن عباس «ما من يهودي إلا ليؤمنن بعيسى قبل موته» - أي اليهودي - (الدر ٢٤١/٢) وعن محمد بن الحنفية: الهاء راجعة إلى أهل الكتاب كلهم. وعن شهر بن حوشب: الهاء راجعة إلى «النصارى».

(٢) عبد بن حميد الحافظ أبو محمد الكشي صاحب المسند والتفسير - واسمه عبد الحميد فخفف - سمع يزيد بن هارون والطبقة وكان ثقة ثبتاً توفي سنة ٢٤٩ هـ. (شذرات ١٢٠/٢).

(٣) إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الحافظ الإمام أبو إسحاق الزهري المدني سمع أباه قاضي المدينة والزهري وصالح بن كيسان وغيرهم وعنه ابنه يعقوب وسعد وأحمد بن حنبل وغيره مات سنة ١٨٤ هـ. (تذكرة الحفاظ ١/٢٥٢ - ٢٥٣).

(٤) في (د) يكسر.

(٥) الحديث: رواه البخاري - كتاب بدء الخلق - باب نزول عيسى ابن مريم ٢٥٦/٢ ومسلم - كتاب الإيمان - باب نزول عيسى ابن مريم حكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ (٧٦/١) والترمذي - كتاب القدر - باب ما جاء في نزول عيسى ابن مريم رقم ٢٣٣٤ (٣/٣٤٤) ومسلم أحمد ٢٤٠/٢. كلهم من حديث أبي هريرة.

(٦) في (ج، هـ، و) قوله.

(٦) ذكره الطبري ٣٩٠/٩ عن قتادة.

(٨) انظر تفسير الطبري ٣٩١/٩ والدر ٢٤٦/٢ كلاهما عن قتادة وتفسير مجاهد ١٨١ وابن كثير ١/٥٨٤، والخازن ١/٦٢١ عن مقاتل.

وصدوا عن دين الله وعن الإيمان بمحمد ﷺ فحرم الله عليهم عقوبة لهم ما ذكر في قوله ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر...﴾ الآية (١).

- قوله (٢) ﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ يعني: ما أخذوه من الرشى في الحكم وغير ذلك. قوله ﴿وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً﴾ خص «الكافرين منهم» لأنه علم أن منهم من يؤمن فيأمن العذاب.

- قوله جل جلاله (٣) ﴿لكن الراسخون في العلم منهم﴾ هذا استثناء لمؤمني أهل الكتاب. وعني بـ«الراسخين»: المبالغين في علم الكتاب، كعبد الله بن سلام وعدة نفر. قال الزجاج (٤): يعني أنهم بعلمهم وبصيرتهم وثبوتهم في علمهم آمنوا بالنبي ﷺ.

وقوله ﴿والمؤمنون﴾ قال ابن عباس (٥) ﴿والمؤمنون﴾ من أمة محمد (٦) ﷺ.

قوله (٧) ﴿والمقيمين الصلوة﴾ نص سيبويه على أن ﴿والمقيمين﴾ (٨): نصب على المدح والعرب تقول: جاءني قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدائد، على معنى: أذكر المطعمين وهم المغيثون وكذلك هذه الآية هنا معناها: أذكر المقيمين (٩) وهم المؤتون الزكاة.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنِّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾

- قوله جل جلاله (١٠) ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...﴾ الآية قال ابن عباس (١١): إن جماعة من اليهود قالوا للنبي ﷺ:

(١) سورة الأنعام / ١٤٦.

(٢) في (٥) قوله.

(٣) في غير (أ) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٧) في (ج، هـ، و) وقوله.

(٨) في (د) المقيمين.

(٩) (ج، هـ) المقيمين الصلاة.

وانظر الكتاب ٦٣/٢، ٦٦ والزجاج ١٤٤/٢ وفتح القدير ٥٣٧/١ عن سيبويه والفراء ١٠٦/١ - ١٠٧ والطبري ٣٩٥/٩ وضعفه حيث قال: «وأما من وجه ذلك إلى النصب على وجه المدح لـ«الراسخين في العلم» - وإن كان ذلك قد يحتمل على بعد من كلام العرب لما ذكرت قبله من العلة وهو أن العرب لا تعدل عن إعراب الاسم المنعوت بنعت في نعته إلا بعد تمام خبره - وكلام الله جل ثناؤه أفصح الكلام فغير جائز توجيهه إلا إلى الذي هو أولى به من الفصاحة».

واختار أن يكون «المقيمين» في موضع خفض نسقاً على «ما» التي في قوله ﴿بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ وأن يوجه معنى «المقيمين الصلاة» إلى الملائكة. وانظر غرائب النيسابوري ٢٣/٦ - ٢٤ عن البصريين ثم طعن الكسائي في قولهم - كما ذهب الطبري -.. وانظر التبيان ٤٠٧/١ والمشكل ٢١٢/١ والبيان ٢٧٥/١ ومجاز القرآن ١٤٢/١.

(١٠) في غير (أ) قوله وفي (و) قوله تعالى.

(١١) انظر تفسير الطبري ٤٠٠/٩ وأسباب النزول للسيوطي ٩٧، وابن كثير ٥٨٥/١ والدرر ٢٤٦/٢ وفتح القدير ٥٣٩/١ كلها عن ابن

ما أوحى الله ولا إلى أحد من بعد موسى فكذبهم الله وأنزل ﴿إنا أوحينا إليك﴾ الآية.

وقوله^(١) ﴿وإنا أنزلنا كتاباً زبوراً﴾ «الزبور»: الكتاب وكل كتاب زبور، وهو فعول بمعنى مفعول، كالرسول والركوب والحلوب، وأصله من زبرت الكتاب^(٢) بمعنى كتبت. وقرأ حمزة (زُبوراً)^(٣) - بضم الزاي - على أنه جمع «زبر» وهو الكتاب سمي المفعول باسم المصدر، ثم جمعه كما يسمى المكتوب كتاباً، ثم يجمع على كتب.

- قوله تعالى^(٤) ﴿ورسلنا قد قصصناهم عليك...﴾ الآية، قال الكلبي^(٥): يقول من الرسل من قد سميانهم لك في القرآن وعرفناكهم إلى من بعثوا وما رد عليهم قومهم ومنهم من لم نسمه لك.

وقوله^(٦) ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ أي: مخاطبة من غير واسطة، وتأکید «كلم»^(٧) بالمصدر: يدل على أنه سمع كلام الله حقيقة، لا كما تقول القدرية: إن الله تعالى خلق كلاماً في محل فسمع موسى ذلك الكلام^(٨) لأنه لا يكون ذلك كلام الله.

قال أحمد بن يحيى^(٩): لو قال: وكلم الله من غير أن يؤكد بالمصدر لا حتمل كما قالوا فلما قال ﴿تكليماً﴾ سقط الشك الذي كان يدخل في الكلام لأن أفعال المجاز لا تؤكد بذكر المصادر، لا يقال: أراد الحائط أن يسقط إرادة.

- قوله جل جلاله^(١٠) ﴿رسلاً مبشرين﴾ أي: بالجنة لمن أطاع ﴿ومندرين﴾ بالنار لمن عصى ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ لأنه لو لم يبعث الرسل لكان للناس حجة في ترك الطاعة والتوحيد والمعرفة لأن هذه الأشياء إنما وجبت ببعث الرسل، وقد قال في آية أخرى ﴿ولو أنا أهلكتهم بعباد من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسلاً^(١١) فبين أنهم كانوا يحتجون بعدم الرسل^(١٢) لو لم تبعث إليهم﴾ وكان الله عزيزاً ﴿في اقتداره على إنجاز موعوده على السنة رسله﴾ ﴿حكيماً﴾ في إرساله الرسل.

لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَعْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾

(١) في (د) وقوله تعالى.

(٢) من (أ)، وانظر الزاهر ١/١٦٩ - ١٧٠ ومجاز القرآن ١/٣٥٩ وفتح القدير ١/٥٣٨ وقد تقدم مثل ذلك عند تفسير الآية ١٨٤ من سورة آل عمران.

(٣) قرأ حمزة (زُبوراً) - بضم الزاي - حيث وقع هذا الحرف أي كتباً وصحفاً جمع زبر وزبور كبيت وبيوت وقرأ الباقون - بالفتح - وحجتهم: أن الآثار كذا جاءت، «زُبور داود» كما جاء توراة موسى وإنجيل عيسى. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٢٩ والسبعة ٢٤٠ والنشر ١/٢٥٣ والبيان ١/٤٠٩ والزجاج ٢/١٤٥ والحجة لابن خالويه ١٢٨).

(٤) في غير (أ) وقوله وفي (د) قوله.

(٧) ليست في (د).

(٥) انظر تفسير ابن عباس ٨٦ والمخازن ١/٦٢٤.

(٨) في (د) كلام أنه لا يكون.

(٦) في (د) قوله.

(٩) انظر الزجاج ٢/١٤٦ بنحوه وفتح القدير ١/٥٣٨ عن الفراء والنحاس والبيان ١/٤٠٩، والبيان ١/٢٧٧، والبحر ٣/٣٩٨ عن ثعلب.

(١٠) في غير (أ) قوله.

(١٢) في غير (أ) الرسول.

(١١) سورة طه / ١٣٤.

يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَقْلُوبُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وُلْدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾

- قوله عز وجل (١) ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك﴾ قال المفسرون (٢): إن رؤساء مكة قالوا: يا محمد سألنا اليهود عنك وعن صفتك فزعموا أنهم لا يعرفونك في كتابهم فأتينا بمن يشهد لك أن الله بعثك إلينا رسلاً، فنزل ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك﴾ قال الزجاج (٣) «الشاهد»: هو المبين لما يشهد به والله عز وجل يبين ما أنزل إليه بنصب المعجزة له وبين صدق نبيه بما يغني عن بيان أهل الكتاب (٤). وقوله ﴿أنزله بعلمه﴾ أي: أنزله وفيه علمه قال الزجاج (٥): أنزل القرآن الذي فيه علمه ﴿والملائكة يشهدون﴾ من قامت له المعجزة شهدت له الملائكة بصدقه ﴿وكفى بالله (٦) شهيداً﴾ تسلياً للنبي (٧) ﷺ عن شهادة أهل الكتاب بشهادة الله والملائكة (٨).

- قوله جل جلاله (٩) ﴿إن الذين كفروا﴾ يعني اليهود ﴿وصدوا عن سبيل الله﴾ دين الإسلام بقولهم: ما نعرف صفة محمد في كتابنا ﴿قد ضلوا ضلالاً بعيداً﴾ بعدوا عن سبيل الخير، فلا يهتدون.

- قوله ﴿إن الذين كفروا﴾ يعني اليهود ﴿وظلموا﴾ محمداً ﷺ بكتمانه نعتة ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ [يعني: من مات منهم على الكفر] (١١) ﴿ولا يهديهم﴾ (١١) طريقاً يعني: دين الإسلام.

- ﴿إلا طريق جهنم﴾ (١٢) يعني طريق اليهودية وهو طريق جهنم ﴿خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً﴾ لأنه قادر على أن يخلق لهم العذاب والألم شيئاً بعد شيء إلى ما لا يتناهى.

- قوله جل جلاله (١٣) ﴿يا أيها الناس﴾ قال ابن عباس: يريد المشركين ﴿قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم﴾ أي بالهدى والصدق وشهادة أن لا إله إلا الله ﴿فآمنوا خيراً لكم﴾ قال الزجاج (١٤): قال الخليل وجميع

(١) في غير (أ) قوله وفي (و) قوله تعالى .

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٨٦ والطبري ٤٠٩/٩ وأسباب النزول للواحدي ١٣٨ وابن كثير ٥٨٩/١ كلها عن ابن عباس.

(٣) انظر الزجاج ١٤٦/٢ والزاهر ١٢٥/١، ١٢٧.

(٤) في (د) وملائكته.

(٥) في (و) أهل مكة وقوله بعلمه.

(٦) انظر الزجاج ١٤٦/٢.

(٧) في (د) وكفا وفي (هـ) شهيداً.

(٨) في (د) النبي .

(٩) «(إلا طريق جهنم): استثناء من جنس الأول لأن الأول في معنى العموم إذ كان في سياق النفي» (انظر التبيان ٤١١/١).

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٨٦ والطبري ٤١٢/٩ والبحر ٤٠٠/٣ عن ابن عباس.

(١١) ذكره الزجاج عن الخليل والبصريين ١٤٧/٢ مع إيضاح أكثر فيقول: «لأنك إذا قلت: أنته خيراً لك، فأنت تدفعه عن أمر وتدخله في غيره.»

البصريين: هذا محمول على المعنى كأن معنى قوله «ءامنوا خيراً لكم»^(١): اثنا خيراً لكم.

وقوله^(٢) «وإن تكفروا» أي: بتكذيب محمد ﷺ «فإن الله ما في السموات والأرض» ملكاً واقتداراً عليه، أي: أنه غني عنكم وعن إيمانكم «وكان الله عليماً» بما يكون منكم من إيمان وكفر «حكيماً» في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم.

- قوله جل جلاله^(٣) «يا أهل الكتاب» يريد: النصارى «لا تغلوا في دينكم» أي: لا تتجاوزوا حد الحق يقال: غلا يغلو غلواً إذا جاوز الحق^(٤).

والنصارى غلت في المسيح، فجاوزوا به منزلة الأنبياء حتى جعلوه إلهاً. وذلك أن الماريعقوية - نصارى أهل نجران - قالوا: عيسى هو الله، وقالت النسطورية: هو ابن الله، وقال المرقسية: هو ثالث ثلاثة.

فأنزل الله تعالى «يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم»^(٥).

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المطوعي^(٦)، أخبرنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحيري، أخبرنا أحمد بن علي بن المشني، حدثنا محمد بن عبد الرحمن^(٧)، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن عوف الأعرابي، عن زياد بن حصين^(٨)، عن أبي العالية عن ابن عباس قال:

قال رسول الله: «إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»^(٩).

= كأنك قلت: انته واثت ما هو خير لك وادخل فيما هو خير لك. وانظر التبيان ٤١١/١ وفتح القدير ٥٤٠/١ كلاهما عن الخليل وسيبويه، والمشكل ٢١٣/١ عن سيبويه والطبري ٤١٤/٩ عن البصريين والبيان ٢٧٨/١. وقال أبو عبيدة «نصب على ضمير جواب: يكن خيراً لكم» (مجاز القرآن ١٤٣/١).

(١) في (د) قال الزجاج.

(٢) في (د) قوله.

(٣) انظر مجاز القرآن ١٤٣/١. واللسان / غلا، ومفردات الراغب / غلا.

(٤) عن ابن عباس قال «وافترقوا ثلاث فرق، قالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء، فهؤلاء اليعقوبية وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء النسطورية، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله وهؤلاء المسلمون، فظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوهما» (الدرر ٢٣٨/٢).

وفي تفسير ابن عباس: «ثم نزل في نصارى نجران؛ النسطورية - وهم الذين قالوا عيسى ابن الله، والماريعقوية - وهم الذين قالوا: عيسى هو الله، والمرقسية: وهم الذين قالوا: ثالث ثلاثة والملكانية: وهم الذين قالوا: عيسى والرب شريكان فأنزل الله فيهم «قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم»» (تفسير ابن عباس ٨٦).

(٦) أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن يالويه المزكي لحق أبا بكر القطان توفي سنة ٤١٠ هـ (تذكرة الحفاظ ١٠٥١/٣).

(٧) محمد بن عبد الرحمن بن سهم بن حكيم الأنطاكي روى عن ابن المبارك وبقية ومعتمر بن سليمان وغيرهم وعنه أبو يعلى الموصلي ومسلم وأبو القاسم البغوي ذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢٤٣ هـ (تهذيب التهذيب ٢٩٦/٩ - ٢٩٧).

(٨) زياد بن الحصين بن قيس الرياحي البصري أبو جهمة سمع أبا العالية الرياحي وعنه الأعمش وغيره روى له مسلم. (كتاب الجمع ١٤٩/١).

(٩) الحديث: رواه الحاكم في المستدرک وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ٤٦٦/١، والطبراني في الكبير ١٥٦/١٢ ومسند أحمد ٣٤٧/٣ والحلية ٢٢٣/٢ وابن ماجه - كتاب المناسك - باب قدر حصى الرمل - رقم ٣٠٢٩ (١٠٠٨/٢) وعمل الحديث للرازي ٢٧٦/١ وصححه بهذا السند - ضمن حديث ابن عباس بلفظ «إياكم والغلو فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو» والجامع الصغير ١١٦/١ ورمز له بالصحيح. كلهم من حديث ابن عباس.

وقوله^(١) ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ أي: فليس لله ولد ولا زوجة ولا شريك هذا هو الحق. ثم أخبر عن عيسى فقال ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ ذكرنا تفسير هذا في سورة آل عمران^(٣). قال الكلبي: يعني قوله (كن) فكان من غير أب^(٤).

وقوله ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي: من خلقه وإحداثه وذلك أن الله تعالى لما أخرج الأرواح من ظهر آدم لأخذ الميثاق عليهم ثم ردها إلى صلبه أمسك عنده روح عيسى إلى أن أراد خلقه، ثم أرسل ذلك الروح إلى مريم فدخل فيها فكان منه عيسى وهذا قول أبي بن كعب^(٥).

أخبرنا أبو إبراهيم بن أبي القاسم الواعظ^(٦)، حدثنا أبو عمرو بن نجيد، أخبرنا محمد بن الحسن بن الخليل، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة^(٧) حدثنا ابن جابر عم عمير بن هانيء^(٨)، عن جنادة بن أبي أمية^(٩) عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله^(١٠)، وأن عيسى عبد الله وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق، والبعث حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة شاء».

رواه مسلم عن داود بن رشيد عن الوليد بن مسلم عن ابن^(١١) جابر^(١٢).

وقوله^(١٣) ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ قال الزجاج^(١٤): لا تقولوا آلها^(١٥) ثلاثة، يعني: قولهم الله وصاحبه وابنه.

(١) في (د، و) قوله. (٢) (ابن) ليست في (هـ). (٣) انظر تفسير الآية ٣٩ من سورة آل عمران.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٨٦ والبغوي ١/٢٧٢ وابن كثير ١/٥٩٠، والطبري ٩/٤١٩ والدرر ٢/٢٤٨ كلاهما عن قتادة وسبق مثل هذا عند تفسير الآية ٣٩، ٤٥ من سورة آل عمران.

(٥) انظر المستدرک ٢/٣٢٣ - ٣٢٤، ٢/٣٧٣ والطبري ٩/٤٢١ - ٤٢٢ والقرطبي ٦/٢٢٢ كلها عن أبي بن كعب.

(٦) في (د، هـ) إبراهيم بن أبي... وفي (د) بن أبو القاسم.

(٧) صدقة بن خالد أبو العباس مولى أم البنين بنت أبي سفيان بن حرب أخت معاوية الأموي القرشي سمع زيد بن واقد وعنه هشام بن عمار روى له البخاري (الجمع ١/٢٢٥).

(٨) عمير بن هانيء العنسي الداراني تابعي روى عن معاوية وابن عمر وجماعة وعنه معاوية بن صالح والأوزاعي وطائفة وثقه العجلي وقال النسوي: لا بأس به وقال أبو داود كان قدراً قتل سنة ١٢٧ هـ. (الميزان ٣/٢٩٧).

(٩) جنادة بن أبي أمية - واسم أبي أمية كثير - الدوسي - والصواب الدوسي - سمع عبادة بن الصامت وعنه عمير بن هانيء وغيره توفي سنة ٦٧ هـ روى له البخاري ومسلم (كتاب الجمع ١/٧٩).

(١٠) ليست في (هـ).

(١١) في (د) عن أبي جابر، وفي (و) عن جابر.

(١٢) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الإيمان - باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار عن عبادة بلفظ «من قال أشهد... من أي أبواب الجنة الثمانية شاء» (٣٣/١).

والبخاري في الصحيح - كتاب بدء الخلق - باب قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾ إلى قوله ﴿فإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ عن عبادة بلفظ «من شهد...» (٢/٢٥٤).

(١٣) في (ج، د) قوله.

(١٤) انظر الزجاج ٢/١٤٨ وفتح القدير ١/٥٤١ والزجاج وتفسير ابن عباس ٨٦، والفراء ١/٢٩٦ والبيان ١/٢٧٩ وقال أبو عبيدة: «لا تقولوا هم ثلاثة» (مجاز القرآن ١/١٤٤، وفتح القدير ١/٥٤١ عن أبي عبيدة والفراء).

(١٥) في (د) آلها.

﴿انتهوا خيراً لكم﴾ أي: اتنوا بالانتهاء عن قولكم [خيراً لكم مما تقولون] ﴿إنما الله إله واحد سبحانه﴾ نزه نفسه^(١) ﴿أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكاً وخلقاً من غير شريك في ذلك، وإذا استحال الشرك في وصفه استحال الولد ﴿وكفى بالله كيلاً﴾ أي: مفوضاً إليه القيام بتدبير ملكه الذي لا ملك أوسع منه.

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٦﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ
وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَخْدُونَ لَهُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٧﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٨﴾ فَأَمَّا
الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٩﴾

- قوله تعالى^(٢) ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ المفسرون يقولون: «الاستكاف والاستكبار» واحد^(٣).

قال الكلبي^(٤): لَنْ يَتَعَزَّزَ وَقَالَ الْأَخْفَشُ وَمَقَاتِلٌ^(٥): لَنْ يَأْنِفَ وَقَالَ الزَّجَّاجُ^(٦): أَي: لَيْسَ^(٧) يَسْتَنْكِفُ
الَّذِي^(٨) يَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِلَهٌ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ من كرامة الله والمواطن الشريفة وهم أكبر من
البشر.

ثم أوعد من استكبر عن عبادة الله تعالى فقال ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ الآية.

- قوله عز وجل^(٩) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قال ابن عباس^(١٠): يريد بـ «البرهان» النبي
ﷺ وما جاء من البيان. (١١) وإنما قيل للنبي ﷺ برهان، لما معه من المعجزة التي تشهد بصدقه.

وقوله^(١٢) ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ يريد: القرآن، سماه نوراً، لأنه يتبين به الأحكام، كما يتبين الأشياء
بالنور^(١٣).

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٢) في (ج، د، هـ) قوله.

(٣) انظر تفسير الطبري ٤٢٤/٩ وابن كثير ٥٩١/١ وفتح القدير ٥٤٣/١ كلاهما عن ابن عباس، واللسان / نكف، عن المفسرين.

(٤) انظر تفسير الطبري ٤٢٧/٩ والبغوي ٦٢٨/١.

(٥) وهو قول الزجاج ١٤٩/٢ وابن عباس ٨٦ وغريب القرآن ٣٧ ومجاز القرآن ١٤٤/١، وفتح القدير ٥٤٢/١ عن الزجاج.

(٦) انظر الزجاج ١٤٨/٢ واللسان / نكف عن الزجاج والوجيز للواحد ١٨٧/١.

(٧) في (د) أي لن.

(٨) في (ج، و) الذين.

(٩) في غير (أ) قوله.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٨٧ والثوري ٩٨ والطبري ٤٢٧/٩.

(١١) في (ج، د، هـ) البيئات.

(١٢) في (د) قوله

(١٣) في (ج، د، و) كما يتبين بالنور.

- قوله (١) ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ امتنعوا به من زيغ الشيطان (٢) ﴿فَسَيَدْخُلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ قال ابن عباس (٣) : يريد: الجنة ﴿وفضل﴾ يتفضل عليهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ﴿ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً﴾ ديناً مستقيماً.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمْرٌ أَمْرٌ هَلْكَ لَيْسَ لَكَ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أُثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشُّلْثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

- قوله جل جلاله (٤) ﴿يَسْتَفْتُونَكَ...﴾ الآية أنزل الله تعالى في الكلاله آيتين، إحداهما (٥): في الشتاء وهي التي في أول السورة، والأخرى في الصيف وهي هذه الآية [ولهذا (٦) تسمى هذه الآية] (٧) آية الصيف. أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، أخبرنا أبو خليفة، حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة حدثنا أبو إسحاق، قال: سمعت البراء بن عازب يقول: آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ وآخر سورة أنزلت «براءة» رواه البخاري عن أبي الوليد، ورواه مسلم عن بندار عن غندر كلاهما عن شعبة (٨).

أخبرنا أبو بكر الفارسي، أخبرنا محمد بن عيسى بن عمرو بن محمد بن إبراهيم بن محمد حدثنا مسلم حدثنا عمرو الناقد، حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر أنه سمع جابر بن عبد الله يقول (٩) : مرضت فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر يعوداني ماشيين، فأغمي علي، فتوضأ ثم صب علي من وضوئه فأفقت، فقلت: يا رسول الله كيف أقضي في مالي؟ فلم يرد علي شيئاً حتى نزلت آية الميراث ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ (١٠)

(١) من (أ) وفي (هـ) وقوله.

(٢) امتنعوا عن زيغ.

(٤) في غير (أ) قوله وفي (و) قوله تعالى.

(٥) في (ج، د) أحدهما وفي (و) إحداهما.

(٦) في (هـ) ولهذي.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (د) والآية الأولى رقم ١٢ من سورة النساء.

(٨) رواه البخاري في الصحيح - كتاب التفسير - ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ...﴾ (١٢٣/٣) ومسلم - كتاب الفرائض - باب

— آخر آية أنزلت آية الكلاله (٤/٢) والطبري ٤٣٣/٩، وابن كثير ٥٩٢/١ كلهم من حديث البراء.

(٩) في (د) قال أتاني رسول الله.

(١٠) انظر صحيح البخاري - كتاب المرضى - باب عيادة المغمى عليه (٣/٤). ومسلم - كتاب الفرائض - باب ميراث الكلاله - الباب الأول

(٢/٢ - ٣).

والترمذي - كتاب الفرائض - باب ما جاء في ميراث الأخوات رقم ٢١٧٨ (٢٨٢/٣). وفي كتاب التفسير - (يستفتونك...) رقم ٥٠٠٢

(٣٠١/٤).

وسنن أبي داود - كتاب الفرائض - باب في الكلاله رقم ٢٨٨٦ (١١٩/٣). كلهم من حديث جابر.

قال ابن عباس^(١) يريد: من ليس له ولد ولا والد^(٢) ﴿إن امرؤ هلك ليس له ولد﴾ أراد: ولا والد فاكتمى بذكر أحدهما عن الآخر، ودل^(٣) على المحذوف: أن الفتيا في الكلالة، والكلالة من ليس له ولد ولا والد، فإن كان له أحدهما لم يسم كلالة.

وقوله^(٤) ﴿وله أخت﴾ أراد: من أبيه وأمه، لأن ذكر أولاد الأم قد سبق في أول السورة ﴿فلها نصف ما ترك﴾ هذا بيان فرضها عند الانفراد، ولها نصف المال بالتسمية.

وقوله^(٥) ﴿وهو يرثها إن لم يكن لها ولد﴾ يعني: أن الأخ يستغرق ميراث الأخت إذا لم يكن للأخت ولد، وهذا في الأخ من الأب والأم، أو من الأب.

وقوله ﴿فإن كانتا اثنتين﴾ ظاهر إلى قوله ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾.

وروي أن أبا بكر الصديق قال في خطبته: ألا إن الآية التي أنزل الله تعالى في أول سورة النساء في شأن الفرائض أنزلها الله في الولد والوالد^(٦)، والآية الثانية أنزلها في الزوج والزوجة والإخوة من الأم^(٧)، والآية التي ختم بها سورة النساء أنزلها في الإخوة والأخوات من الأب والأم، والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله مما جرت به الرحمة من العصبية^(٨).

وقوله ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ أي: لثلاث تضلوا، أو: أن لا تضلوا وهذا كقوله تعالى ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾^(٩) أي: لثلاث تزولا. هذا قول الفراء والكسائي^(١٠).

وقال البصريون: المحذوف ها هنا: مضاف، على تقدير: يبين الله لكم كراهة أن تضلوا فحذف المضاف^(١١).

(١) انظر تفسير ابن عباس ٨٧ والدر ٢٥٠/٢ عن ابن عباس والزجاج ٢٤/٢.

(٢) في (ج، د) قال.

(٣) في (د) دل.

(٤) في (د) قوله تعالى، وفي (هـ) قوله.

(٥) في (د) قوله.

(٦) آية ١١.

(٧) آية ١٢.

(٨) انظر الدر ٢٥١/٢ والطبري ٤٣١/٩ ومتنح الكنز ٢٠٦/٤ كلها عن أبي بكر الصديق.

(٩) سورة فاطر/ ٤١.

(١٠) انظر الفراء ٣٨٣/١ والبحر ٤٠٩/٣ عن الفراء والكسائي والزجاج، والطبري ٤٤٥/٩ والزجاج ١٤٩/٢، والبيان ٢٨١/١ وفتح القدير ٥٤٤/١ عن الفراء والكسائي.

(١١) ذكره الزجاج ١٤٩/٢ - ١٥٠ وفتح القدير ٥٤٤/١ عن البصريين، والبيان ٢٨١/١. وقال العكبري «(أن تضلوا) فيه ثلاثة أوجه أحدها: أنه مفعول يبين أي: يبين لكم ضلالكم لتعرفوا الهدى، والثاني: هو مفعول له تقديره: مخافة أن تضلوا. والثالث: تقديره لثلاث تضلوا - وهو قول الكوفيين - ومفعول يبين على هذا الوجه محذوف أي يبين لكم الحق. (البيان ٤١٤/١، والمشكل ٢١٥/١ - ٢١٦).

سورة المائدة

مدنيّة وآياتها عشرون ومائة

أخبرنا أبو سعد محمد بن علي بن أحمد الخفاف^(١)، أخبرنا محمد بن جعفر بن مطر حدثنا إبراهيم بن شريك، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا سلام بن سليم، حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي امامة، عن أبي بن كعب قال:

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في دار الدنيا عشر حسنات، ومحي عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات»^(٢).

«بسم الله الرحمن الرحيم»

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مُجْلُوا شَعْنِ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْمَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَفِعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

﴿يا أيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود﴾^(٣) قال ابن عباس في رواية الوالي: بالعهود^(٤)، يعني: ما أحل وما حرم، وما فرض وما حد في القرآن^(٥)، وقال مجاهد^(٦): ما عقد الله على العباد وما أحل لهم وحرم عليهم، وقال الضحاك^(٧): بالعهود التي أخذ الله على هذه الأمة أن يوفوا بها مما أحل وحرم، ومما فرض من الصلاة وسائر الفرائض.

(١) في (ج، و) أبو سعيد.

(٢) الحديث: سبق الكلام في مثل ذلك الحديث في أوائل السور المتقدمة.

وانظر الموضوعات لابن الجوزي ٢٣٩/٢ - ٢٤٠، واللائيء المصنوعة ٢٢٦/١ - ٢٢٧ والفوائد المجموعة ٢٩٦/١، وتنزيه الشريعة المرفوعة ٢٨٥/١.

(٣) في (د) قوله تعالى.

(٤) في (ج) بالعقود، وفي (د) العقود.

(٥) انظر تفسير الطبري ٣٢/٦ (طبعة دار المعرفة / لبنان ط ١٩٨٠/٤)، والبحر ٤١١/٣، وابن كثير ٣/٢، وفتح القدير ٧/٢، والدر ٢٥٣/٢، وأحكام القرآن لابن العربي ٥٢٤/٢ كلها عن ابن عباس.

(٦) انظر تفسير مجاهد ١٨٣ والطبري ٣٣/٦، والبحر ٤١١/٣ كلها عن مجاهد.

(٧) انظر تفسير ابن كثير ٣/٢ عن الضحاك، والطبري ٣٣/٦ عن ابن جريج.

و «العقود»: أوكد العهود، جمع العقد، بمعنى المعقود، وهو الذي أحكم وما فرضه الله علينا فقد أحكم ذلك ولا سبيل إلى نقضه بحال^(١).

وقال مقاتل بن حيان «أوفوا بالعقود» بالعهود التي عهد الله^(٢) إليكم في القرآن مما أمركم من طاعته^(٣) أن تعملوا بها، ونهيكم الذي نهاكم عنه، وبالعهد الذي بينكم وبين المشركين، وفيما يكون من العهد بين الناس^(٤). ثم ابتداء كلاماً آخر فقال «أحلت لكم بهيمة الأنعام» و «البهيمة» اسم لكل ذي أربع من دواب البر والبحر^(٥)، وقال الزجاج^(٦): كل حي لا يميز فهو بهيمة^(٧). و «الأنعام» جمع النعم، وهي الإبل والبقر والغنم وأجناسها^(٨).

والمراد بـ «بهيمة الأنعام»: الأنعام، وزاد ذكر «البهيمة» للتأكيد، كما يقال نفس الإنسان وهذا قول الحسن والربيع والضحاك^(٩) والسدي وابن عباس في رواية عطاء قالوا: هي الأنعام كلها. وقال في رواية الكلبي: «بهيمة الأنعام»: وحشها، كالظباء^(١٠) وحمر الوحش.

وقوله «إلا ما يتلى عليكم» أي: إلا ما يقرأ عليكم في القرآن مما حرم عليكم، وهو قوله «حرمت عليكم الميتة..... الآية»^(١١).

وقوله^(١٢) «غير محلي الصيد وأنتم حرم» يقال: رجل حرام وقوم حرم أي: محرمون^(١٣) والمعنى: إلا أن تحلوا الصيد في حال الإحرام فإنه لا يحل لكم إذا كنتم محرمين.

وقوله «إن الله يحكم ما يريد» قال الزجاج^(١٤): أي: الخلق له، يحل منه ما يشاء لمن يشاء، ويحرم ما يريد^(١٥).

- قوله عز وجل^(١٦) «يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله» قال أبو عبيدة^(١٧) «الشعائر» في كلام العرب: الهدايا المشعرة، أي المعلمة. وقال الزجاج: هي ما أشعر أي أعلم، ليهدى إلى بيت الله الحرام^(١٨).

(١) انظر اللسان / عقد.

(٢) في (د) أعهد.

(٣) في (هـ) من طاعة.

(٤) انظر الدر ٢٥٣/٢ عن مقاتل.

(٥) انظر اللسان: نعم، ومفردات الراغب / نعم، والمصباح المنير / نعم «الأنعام» تطلق على الأنواع الثلاثة، فإذا انفردت الإبل فهل «نعم» وإن انفردت البقر والغنم لم تسم «نعماً».

(٦) في (د) والسدي والضحاك، وانظر غريب القرآن ١٣٨، والطبري ٣٣/٦ عن الحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي والضحاك، وكما ابن كثير ٣/٢، والدر ٢٥٣/٢ عن ابن عباس والحسن وقتادة والربيع وأحكام القرآن ٥٢٩/٢ عن السدي والربيع والضحاك.

(٧) في (ج) كالظبي، وفي (هـ) كالظباء.

وانظر تفسير ابن عباس ٨٧، والزجاج ١٥٣/٢ - ١٥٤، والفراء ٢٩٨/١، والطبري ٣٤/٦، وأحكام القرآن ٥٢٩/٢ والبغوي ٣/٢ عن الكلبي.

(٨) سورة المائدة / ٣.

(٩) في (د) قوله.

(١٠) انظر الزجاج ١٥٥/٢، وابن عباس ٨٧.

(١١) في (و) يحل منه ما يشاء ويحرم ما يشاء.

(١٢) انظر مجاز القرآن ١٤٥/١، وفتح الباري ٢١٦/٨.

(١٣) في غير (أ) قوله، وفي (هـ) وقوله وفي (ج) وقوله.

(١٤) انظر مجاز القرآن ١٥٦/١، وغرائب النيسابوري ٤٦/٦ والرازي ١٢٨/١١ كلاهما عن أبي عبيدة.

(١٥) انظر معاني الزجاج ١٥٥/٢.

نزلت في الحطيم بن ضبيعة^(١)، أتى النبي ﷺ من اليمامة إلى المدينة، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام فلم يسلم، فلما خرج مرسح^(٢) المدينة فاستاق الإبل فطلبوه فعمزوا عنه، فلما خرج رسول الله ﷺ عام القضية^(٣) سمع تلبية حجاج اليمامة، فقال^(٤) لأصحابه: هذا الحطيم وأصحابه فدونكم - وكان قد قلد ما نهب من سرح النبي ﷺ وأهداه إلى الكعبة - فلما توجهوا في طلبه أنزل الله تعالى هذه الآية^(٥).

والمعنى: لا تحلوها بإباحتها والإغارة عليها. وقوله^(٦) ﴿ولا الشهر الحرام﴾ أي: بالقتال فيه ﴿ولا الهدي﴾ وهي كل ما^(٨) أهدي إلى بيت الله من ناقة أو بقرة وشاة ﴿ولا القلائد﴾ هي جمع قلادة، وأراد: ولا ذوات القلائد، يعني: الهدايا المقلدة. وعلى قول ابن عباس: أراد ولا أصحاب القلائد وهم الذين قلدوا بعيرهم ليأمنوا^(٩).

وكانت الحرب في الجاهلية قائمة بين العرب إلا في الأشهر الحرم^(١٠)، فمن وجد في غير الأشهر الحرم أصيب منه، إلا أن يكون مشعراً بدنة^(١١)، أو سائقاً هدياً أو مقلداً نفسه وبعيره من لحاء شجر الحرم، أو محرماً بعمرة إلى البيت، فلا يتعرض لهؤلاء. فأمر الله المسلمين بإقرار هذه الأمانة على ما كانت عليه في الجاهلية، لضرب من المصلحة إلى أن نسخها^(١٢).

وقوله^(١٣) ﴿ولا آمين البيت الحرام﴾ أي: قاصديه^(١٤)، يعني: الذين يريدون الحج ﴿يبتغون فضلاً من ربهم﴾ يعني: التجارة ﴿ورضواناً﴾ بزعمهم وفيما يظنون.

وهذه الآية من أولها إلى ها هنا منسوخة بقوله ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾^(١٥). وقوله ﴿وإذا حللتم

(١) في (ج، هـ، و) حطيم، قال الحضرمي: «ذكره السهيلي في شرح السيرة فقال فيه «الحطم» واسمه شريح بن ضبيعة، فلعل الذي وقع في كتاب الواحد تصغيره، (عمدة القوي والضعيف ص ١٠). وهو: الحطم بن ضبيعة أخو بني عبد القيس بن ثعلبة خرج في بكر بن وائل واجتمع إليه المشركون واشتد حصاره على المسلمين شهراً كاملاً، وذلك في حرب ردة أهل البحرين، قتله قيس بن عاصم سنة ١٢ هـ. (الكامل لابن الأثير ٢/٣٦٩ - ٣٧٠).

(٢) السرح: القطيع (حاشية «أ»).

(٣) أي عام قضاء العمرة التي أحصر عنها في العام الماضي (حاشية أ).

(٤) في (أ) وقال.

(٥) في (هـ) رسول الله.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٨٨ وعنده «شريح بن ضبيعة» والطبري (٦/٣٨ - ٣٩) عن السدي وعكرمة، والدر ٢/٢٥٤ عنهما وفيهما «الحطيم بن هند البكري» وكذا ابن كثير ٥/٢ عن ابن عباس وفيه «الحطم بن هند البكري» وأحكام القرآن لابن العربي ٢/٥٣٧.

(٧) في (د) قوله.

(٨) في (د) وهو كلما.

(٩) انظر تفسير ابن كثير ٤/٢ - ٥، والدر ٢/٢٥٤ كلاهما عن ابن عباس، وتفسير مجاهد ١٨٣، وغريب القرآن ١٣٩، والتبيان ١/٤١٥.

(١٠) في (د) الشهر الحرام، وفي (هـ) أشهر الحرم.

(١١) في (هـ) البدنة.

(١٢) انظر الزجاج ٢/١٥٦، والطبري ٦/٣٩ - ٤٠ عن ابن زيد وقتادة والضحاك وغيرهم والدر ٢/٢٥٤ عن قتادة ومجاهد والضحاك.

(١٣) في (د) قوله.

(١٤) «أي» ساقطة من (ج، د، و) وفي (د) قاصدين.

(١٥) سورة التوبة ٥/ وفي جميع النسخ «اقتلوا» وانظر الزجاج ٢/١٥٦ وابن كثير ٥/٢ عن ابن عباس، والطبري ٦/٤٠ عن قتادة والسدي والدر ٢/٢٥٤ عن قتادة.

فأصطادوا ﴿ أي : إذا خرجتم من إحرامكم حل لكم الصيد ، قال الزجاج ^(١) : هذا لفظ أمر معناه الإباحة ، لأن الله تعالى حرم الصيد على المحرم وأباحه إذا حل من إحرامه ، وليس أنه واجب عليه إذا حل أن يصطاد .

وقوله ﴿ ولا يجرمنكم ﴾ [شثنان قوم] ﴿ الجرم ﴾ معناه في اللغة : الكسب ، والجارم الكاسب ^(٢) .

﴿ والشثنان ﴾ : البغض [يقال : شئت الرجل أشنؤه ^(٣) ، شتتاً وشتناً ، إذا بغضته ويجوز شتناً - بسكون النون] ^(٤) .

﴿ أن صدوكم ﴾ أي : لأن صدوكم ﴿ عن المسجد الحرام ﴾ ومن أجل أن صدوكم . ومن قرأ ﴿ إن صدوكم ﴾ - بكسر (إن) جعله للجزاء على معنى : ﴿ إن صدوكم عن المسجد الحرام ﴾ فلا تكسبوا عدواناً ^(٥) .

ومعنى الآية : لا يحملنكم بغض كفار مكة ﴿ أن صدوكم ﴾ يوم الحديبية ﴿ عن المسجد الحرام أن تعتدوا ﴾ على حجاج اليمامة ، فتستحلوا منهم محرماً ، وتمنعوهم عن المسجد الحرام كما منعكم كفار مكة ^(٦) ، أو تعرضوا للهدى ^(٧) .

وقوله ^(٨) ﴿ وتعاونوا ﴾ قال الفراء ^(٩) ليعن بعضكم بعضاً ﴿ على البر ﴾ وهو ما أمرت به ﴿ والتقوى ﴾ ترك ما نهيت عنه .

قال الزجاج ^(١٠) : ما مضى من هذه الآية كله منسوخ ، إلا تعاون المسلمين على التقوى . وقوله ^(١١) ﴿ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ قال عطاء : يريد : معاصي الله والتعدي في حدوده ^(١٢) .

ثم حذرهم فقال ﴿ واتقوا الله ﴾ فلا ^(١٣) تستحلوا ما حرم ﴿ إن الله شديد العقاب ﴾ إذا عاقب .

(١) انظر الزجاج ١٥٦/٢ وغريب القرآن ١٣٩ .

(٢) انظر غريب القرآن ١٣٩ ، والزاهر ٣٧٥/١ ، والأخفش ٤٦٠/٢ واللسان / جرم .

(٣) في (أ) أشنؤه ، وفي باقي النسخ : اشناه .

وانظر غريب القرآن ١٤٠ ، ومجاز القرآن ١٤٧/١ ، والزاهر ٣٧٥/١ ، والأخفش ٤٥٩/٢ ، واللسان / شتاً ، وقرأ نافع (شثنان) بإسكان النون - وكذا عاصم وابن عامر وأبو بكر ، وقرأ الباقون - بالفتح - فمن سكن فقد يكون مصدرًا كلياً ويكون صفة كسكران ، أي : مبغض قوم ، قال الجوهري : وهو شاذ في اللغة لأن لم يجيء من المصادر عليه - والفتح هو الاختيار لأن المصادر مما أوله مفتوح ج أكثرها محرراً مثل : غليان من غلى وضربان من ضرب ، قال الفراء «الشثنان» بالإسكان - الاسم - وبالفتح المصدر (انظر الحجة لأبي زرعة ٢١٩ - ٢٢٠ ، والسبعة ٢٤٢ ، والنشر ٢٥٣/٢ ، والزجاج ١٥٦/٢ ، والتبيان ٤١٦/١ ، والتبيان ٢٨٣/١ ، واللسان شتاً ، والبحر ٤٤٢٢/٣ .

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (و) .

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (إن صدوكم) - بكسرة الهمزة - وحجتها : أن الآية نزلت قبل فعلهم وصددهم ، قال البيهقي : معناه : لا يحملنكم بغض قوم أن تعتدوا إن صدوكم . وقرأ الباقون - بالفتح - لأن صدوكم وحجتهم : أن الصد قد وقع من الكفار وسورة المائدة في آخر نزل من القرآن .

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٢٠ ، والسبعة ٢٤٢ ، والنشر ٢٥٤/٢ ، والتبيان ٤١٧/١ ، والزجاج ١٥٧/٢ والمشكل ٢١٧/١ - ٢١٨ والفراء ٣٠٠/١ ، والحجة لابن خالويه ١٤٩) .

(١٠) انظر الزجاج ١٥٧/٢ .

(١١) في (د) قوله تعالى .

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ٨٨ ، والبحر ٤٢٣/٣ عن عطاء .

(١٣) في (هـ) أن لا .

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (هـ) .

(٧) انظر أسباب النزول للسيوطي ص ٩٩ .

(٨) في (د) ، (هـ) قوله .

(٩) انظر الفراء ٣٠٠/١ ، والطبري ٤٣/٦ ، وفتح القدير ٧/٢ .

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ
وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾

- قوله عز وجل (١) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ مفسر في سورة البقرة، إلى قوله: ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ (٢) وهي التي
تنخق فتموت، و«الإنخاق»: إنعصار الحلق، يقال خنقه فانخق (٣).

قال قتادة (٤): كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة، حتى إذا ماتت أكلوها، قال الزجاج (٥): وبأي وجه اختنقت
فهي حرام.

﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾: المضروبة حتى تموت ولم تذك، قال الزجاج (٦): هي التي تقتل ضرباً يقال: وقذتها أقدتها
وقذاً.

﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ هي التي تقع من جبل أو من موضع مشرف فتموت، يقال: تردي، إذا سقط في قلب أو من جبل،
ومنه قوله ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾ (٧) أي: سقط في النار (٨).

﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ التي تنطحها شاة (٩) أو كبش فتموت.

وقوله (١٠) ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾ قال قتادة (١١): كان أهل الجاهلية إذا جرح السبع شيئاً (١٢) فقتله وأكل منه أكلوا ما
بقي، فحرمه الله، والتقدير: وما أكل منه السبع.

وقوله ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ (١٣) أي: إلا ما أدرتكم ذكاته وهي الذبح، يقال: ذكى فلان الشاة إذا ذبحها الذبح التام
يجوز معه الأكل ولا يحرم (١٤).

(١) في غير (أ) قوله، وفي (و) قوله تعالى. وانظر تفسير الآية ١٧٣ من سورة البقرة.

(٢) في (د) والمُنْخَنِقَةُ إلى قوله وهي التي.

(٣) «الخنق» بكسر النون: مصدر قولك: خنقه يخنقه خنقاً وخنقاً فهو مخنوق وخنيق. «(اللسان / خنق) وانظر مجاز القرآن ١٥١/١،

والفراء ٣٠١/١، والزاهر ٣٨٦/١ والطبري ٤٤/٦ عن ابن عباس.

(٤) انظر تفسير الطبري ٤٥/٦، وابن كثير ٨/٢، وفتح القدير ٩/٢ كلها عن قتادة والدر ٢٥٦/٢ عن ابن عباس.

(٥) انظر الزجاج ١٥٨/٢.

(٦) انظر الزجاج ١٥٨/٢، وغريب القرآن ١٤٠، والطبري ٤٥/٦ عن ابن عباس وفتحة المصباح المنير / وقد واللسان: وقد، ومفردات

الراغب: وقد، ومجاز القرآن ١٥١/١، والفراء ٣٠١/١، والزاهر ٣٨٦/١.

(٧) سورة الليل / ١١.

(٨) انظر غريب القرآن ١٤٠، ومجاز القرآن ١٥١/١، والفراء ٣٠١/١، والزاهر ٣٨٦/١ والطبري ٤٥/٦ عن ابن عباس والسدي.

(٩) في (ج) نطحها كبش أو شاة، وفي (د)، (هـ) تنطحها كبش أو شاة، وفي (و) نطحها شاة أو كبش.

(١٠) في (أ) شاه.

(١١) في (د) قوله.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٤٦/٦، وغرائب النيسابوري ٥١/٦ كلاهما عن قتادة وأحكام القرآن لابن العربي ٥٣٩/٢ عن ابن عباس وفتحة

ومجاز القرآن ١٥١/١، وابن كثير ١٠/٢، وفتح القدير ٩/٢.

(١٣) في (ج) إلا ما ذكيتم بالتشديد.

(١٤) انظر اللسان / ذكاه والمصباح / ذكى.

وهذا إستثناء من جميع هذه المحرمات التي ذكرت .

قال ابن عباس (١) يقول: ما أدركت من هذا كله وفيه روح فأذبحه فهو حلال وإدراك حياته أن توجد له عين تطرف، أو ذنب يتحرك، فأكله جائز إذا ذكي .

وقوله (٢) ﴿وما ذبح على النصب﴾ قال ابن عباس (٣): يريد: الأصنام التي تنصب وتعبد (٤) من دون الله . وقال الفراء (٥): ﴿النصب﴾: الآلة التي تعبد من أحجار، قال الزجاج: ﴿النصب﴾ حجارة كانت لهم يعبدونها، وهي الأوثان (٦) . . . وتقدير الآية على هذا القول: وما ذبح على اسم النصب .

وقال مجاهد وقتادة وابن جريج (٧): كانت حول البيت أحجار كان أهل الجاهلية يذبحون عليها، وكانوا يعظمون هذه الحجارة ويعبدونها .

وقوله ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ أي: تطلبوا علم ما قسم لكم (٨) من الخير والشر بالأزلام قال المفسرون: (٩) كان أهل الجاهلية إذا أراد أحدهم سفراً أو غزواً أو تجارة أو غير ذلك طلب من الأزلام، وهي قدام كانت في الكعبة عند سدنة البيت مكتوب على بعضها أمرني ربي، وعلى بعضها: نهاني ربي، فإن خرج السهم الأمر مضى لحجته، وإن خرج السهم الناهي لم يمض، وواحد الأزلام: زُلمَ وزَلَمَ (١٠) .

قال الزجاج (١١)؛ أخبر الله تعالى أن الاستقسام بالأزلام حرام، ولا فرق بين ذلك وبين قول المنجمين: لا يخرج من أجل نجم كذا، وأخرج من أجل طلوع نجم كذا لأن الله تعالى يقول ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ (١٢) ذلك دخول في علم الله الذي هو غيب، فهو حرام كالإزلام التي ذكرها الله تعالى .

وقد روى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من تكهن أو استقسم، أو تطير تردده عن سفره لم ينظر إلى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة» (١٣) .

(١) انظر تفسير ابن عباس ٨٨، والطبري ٤٦/٦، وابن كثير ١١/٢ كلاهما عن ابن عباس وقتادة والزجاج ١٥٩/٢، وغريب القرآن ١٤٨، وأحكام القرآن لابن العربي ٥٤٠/٢ عن ابن عباس وزيد بن ثابت .

(٢) في (د، هـ) قوله .

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٨٨، وغريب القرآن ١٤٠ - ١٤١، والبيان ٤١٨/١، وفتح الباري ٢٢٣/٨، والدر ٢٥٦/٢ .

(٤) في (ج، د، و) تعيد .

(٥) انظر الفراء ٣٠١/١، وابن عباس ٨٨، وغريب القرآن ١٤٦ .

(٦) انظر الزجاج ١٦٠/٢ ومجاز القرآن ١٥٢/١ .

(٧) انظر تفسير مجاهد ١٨٥، والطبري ٤٨/٦ عنه، والدر ٢٥٧/٢ عن مجاهد، وابن كثير ١١/٢ عن مجاهد وابن جريج .

(٨) في (د) ما قسم من الخير .

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٨٨، ومجاهد ١٨٥، والزجاج ١٦٠/٢، وغريب القرآن ١٤١، وفتح الباري ٣٢٣/٨، والفراء ٣٠١/١، والطبري ٤٩/٦، والدر ٣٥٦/٢، وابن كثير ١١/٢ كلها عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة ومجاهد .

(١٠) انظر معنى (الأزلام) في مجاز القرآن ١٥٣/١، والبيان ٤١٨/١، وفتح الباري ٣٢٣/٨، وعمدة القوي والضعيف ص ١٩، والمصباح: زلم، واللسان / زلم .

(١١) انظر الزجاج ١٦٠/٢ - ١٦١ .

(١٢) سورة لقمان / ٣٤ .

(١٣) الحديث: رواه أبو نعيم في الحلية ١٧٤/٥ عن أبي الدرداء . ومجمع الزوائد - كتاب الطب باب - فيمن أتى كاهناً أو عرافاً رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات عن أبي الدرداء . (١١٨/٥) .

وقوله ^(١) ﴿ذَلِكُمْ فَسُقْ﴾ أي: الاستقسام بالأزلام فسق، وهو كل ما يخرج به من الحلال ^(٢) إلى الحرام.

وقوله ^(٣) ﴿الْيَوْمَ يَتَسَّسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ قال الكلبي ^(٤): نزلت لما دخل رسول الله ﷺ مكة في حجة الوداع، يتس أهل مكة أن يرتد المسلمون راجعين إلى دينهم.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أن يظهروا على دينكم ﴿وَإِخْشَوْهُمْ﴾ ^(٥) في مخالفة أمري.

وقوله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أجمعوا على أن المراد بـ ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم عرفة، وهذه الآية نزلت يوم الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر والنبي ﷺ واقف بعرفات على ناقته العضباء ^(٦). ومعنى ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أي: ببيان الفرائض والسنن والحدود والأحكام والحلال والحرام، فلم ينزل بعد هذه الآية شيء من الفرائض.

قال ابن عباس في رواية الوالبي ^(٧): بعث الله نبيه ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدق به المؤمنون زادهم الصلاة، فلما صدقوا به زادهم الزكاة، فلما صدقوا به زادهم الصيام، فلما صدقوا به زادهم الحج، فلما صدقوا به زادهم الجهاد ثم أكمل لهم الدين، فقال ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ^(٨).

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الزمجاري بها أخبرنا أحمد بن جعفر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبي، حدثنا جعفر بن عون ^(٩)، قال أخبرني أبو عميس ^(١٠)، عن قيس بن سالم ^(١١)، عن طارق بن شهاب ^(١٢) قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال: يا أمير المؤمنين إنكم تقرؤون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: وأي آية هي؟ قال: قوله عز وجل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾. قال ^(١٣): فقال عمر - رضي الله عنه - والله إنني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ،

(١) في (د) قوله.

(٢) في غير (أ) عن الحلال.

(٣) في (ج، د) قوله تعالى، وفي (د) قوله، وفي (هـ) وقوله تعالى.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٨٨، والطبري ٥١/٦، عن مجاهد وابن زيد، والقرطبي ٦٠/٦ عن الضحاك، وفتح القدير ١٢/٢ عن ابن عباس، والرازي ١١/١٣٧.

(٥) في غير (ج) وإخشون.

(٦) انظر صحيح البخاري - كتاب التفسير - من سورة المائدة - ١٢٣/٣، وفتح الباري ٢١٧/٨ - ٢١٨، وتفسير الثوري ٩٩، والفتح الرباني ١٢٥/١٢٦ - ١٢٧ وصحيح مسلم ٦٠٥/٢، وابن كثير ١٢/٢، ١٣، والدرر ٢٥٧/٢ - ٢٥٨.

(٧) في (هـ) في الدالبي، وفي (د) بعث الله النبي ﷺ.

(٨) انظر تفسير البغوي ١٨٩/٦، والخازن ١٨٩/٦ كلاهما عن ابن عباس. و«بها: أي بزمجاره» (حاشية أ، هـ).

(٩) في (و) جعفر بن محمد بن عون.

(١٠) أبو عميس: عتبة بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أخو عبد الرحمن المسعودي الهذلي الكوفي سمع إياس بن سلمة وقيس بن مسلم وابن أبي مليكة وغيرهم وعنه جعفر بن عون وأبو أسامة، وأبو معاوية الضرير وأبو نعيم. (كتاب الجمع ٣٩٩/١).

(١١) قيس بن مسلم الجدلي - من قيس عيلان - الكوفي أبو عمرو سمع طارق بن شهاب وعنه الثوري وشعبة توفي سنة ١٢٠هـ. (كتاب الجمع ٤١٨/٢).

(١٢) طارق بن شهاب بن عبد شمس بن سلمة بن هلال بن عوف بن جشم بن زفر بن عمرو بن لؤي بن درهم بن معاوية بن أحمس البجلي الأحمسي أبو عبد الله رأى النبي ﷺ وغزا في خلافة أبي بكر وعمر وثلاثاً وثلاثين غزوة وسمع عمر وأبا موسى وأبا بكر وابن مسعود توفي سنة ٨٣هـ. (كتاب الجمع ٢٣٤/١).

(١٣) ساقط من (د).

والساعة التي نزلت على رسول الله ﷺ عشية عرفة يوم الجمعة.

رواه البخاري عن الحسن بن الصباح^(١)، ورواه مسلم عن عبد بن حميد كلاهما عن جعفر بن عون.

أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد بن الحرث^(٢)، أخبرنا عبد الله بن محمد الحافظ، حدثنا أبو يحيى الرازي، حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا ابن فضيل، عن هارون بن أبي وكيع^(٣)، عن أبيه^(٤)، قال:

لما نزلت هذه الآية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ - وهو يوم الحج الأكبر^(٥) - بكى عمر بن الخطاب، فقال له رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ فقال: يا رسول الله إنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا كمل فإنه لا يكمل شيء إلا نقص، فقال: صدقت^(٦).

وقوله^(٧) ﴿وأتممت عليكم نعمتي﴾ يريد: أنه أنجز لهم ما وعدهم في قوله ﴿ولأنتم نعمتي عليكم﴾^(٨) وكان من تمام نعمته أن دخلوا^(٩) مكة آمنين مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين.

وقوله ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾.

أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، حدثنا عبدوس بن أحمد الحافظ^(١٠)، حدثنا الحسين بن عبد الله بن حمران الرقي^(١١)، حدثنا عصمة بن فضالة^(١٢)، حدثنا موسى بن عقبة^(١٣)، عن القسم بن محمد،

(١) الحسن بن الصباح البزار أبو علي الواسطي ثم البغدادي سمع ابن عيينة وإسحاق الأزرق وروح بن عبادة وجعفر بن عون وغيرهم روى له البخاري توفي سنة ٢٤٩ هـ. (كتاب الجمع ٨٣/١).

(٢) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب التفسير - أول سورة المائدة - ١٢٣/٣، ومسلم - كتاب التفسير - الحديث الخامس ٦٠٥/٢ كلاهما عن طارق بن شهاب عن عمر.

(٣) هارون بن عنترة بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن بن أبي وكيع الكوفي روى عن أبيه ومحارب بن دثار وسعيد بن جبير وغيرهم وعنه ابنه عبد الملك وغيره قال ابن معين وأبو زرعة لا بأس به مستقيم وقال البرقاني: سألت الدارقطني عنه فقال يحتج به وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ١٤٢ هـ (تهذيب التهذيب ٩/١١ - ١٠).

(٤) عنترة بن عبد الرحمن الكوفي الشيباني روى عن عمر وعلي وابن عباس وأبي الدرداء وعنه ابنه هارون وغيره ذكره ابن حبان في الثقات روى له النسائي حديثاً واحداً عن ابن عباس وثقه أبو زرعة وأبو حاتم. (تهذيب التهذيب ١٦٢/٨ - ١٦٣).

(٥) في (هـ) أكبر بكا، وفي (د) بكا.

(٦) الحديث: رواه ابن جرير في تفسيره ٥٢/٦ عن هارون بن عنترة عن أبيه، وكذا ابن كثير ١٣/٢، والبحر ٤٢٦/٣، والدرر ٢٥٨/٢.

(٧) في (د) قوله. (٨) سورة البقرة / ١٥٠.

(٩) في (د) نعمته عليهم أن أدخلهم وفي (هـ) نعمه.

(١٠) عبدوس بن أحمد بن عباد الثقفي الهمداني الحافظ المجود أبو محمد - واسمه عبد الرحمن - قال شيرويه - في تاريخ همدان - روى عنه عامة أهل الحديث ببلدنا وكان يحسن هذا الشأن ثقة متقناً، قال صالح بن أحمد الحافظ سمعت أبي يقول كان عبدوس ميزان بلدنا في الحديث توفي سنة ٣١٢. (تذكرة الحفاظ ٧٧٣/٢).

(١١) في (ج، هـ) حمدان، وهو الحافظ المسند أبو علي الحسين بن عبد الله بن يزيد بن الأزرق الرقي المالكي القطان الجصاص رحل وصنف وثقه الدارقطني توفي سنة ٣١٠ هـ (سير الأعلام ٢٨٦/١٤ - ٢٨٧).

(١٢) عصمة بن محمد بن فضالة بن محمد بن فضالة بن محمد بن شريك بن جميع بن مسعود الأنصاري الخزرجي حدث عن موسى بن عقبة وغيره قال ابن معين: يروي أحاديث كذباً كان كذاباً قد رأته كان شيخاً له هيئة ومنظر من أكذب الناس، وقال مرة: كان يضع الحديث قال الدارقطني: متروك. (تاريخ بغداد ٢٨٦/١٢).

(١٣) موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي المدني أبو محمد مولى الزبير بن العوام أخو إبراهيم ومحمد، سمع نافعا وكريباً وعنه أنس بن =

عن عائشة - رضي الله عنها - : عن رسول الله ﷺ قال: قال عز وجل: «إني نظرت في الأديان فارتضيت لكم الإسلام ديناً، فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق، فإن البخل بعيد عن الله بعيد عن الجنة بعيد عن الناس قريب من النار»^(١).

وقوله^(٢) ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ قال الزجاج^(٣): من دعت الضرورة في مجاعة. و«المخمصة»: خلاء البطن من الطعام جوعاً^(٤).

﴿غير متجانف لإثم﴾ قال قتادة^(٥): غير متعرض لمعصية وأصله من «الجنف» الذي هو الميل ﴿غير متجانف﴾ غير مائل ﴿لإثم﴾ وهو أن يأكل من الميتة فوق الشبع تلذذاً^(٦) وقوله ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ قال ابن عباس^(٧): غفر الله له ما أكل مما حرم عليه حين اضطر إليه ورحيم بأوليائه حيث أحل لهم ما حرم عليهم في المخمصة إذا اضطروا إلى أكلها.

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُوهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٢﴾

- قوله جل جلاله^(٨) ﴿يسألونك ماذا أحل لهم...﴾ الآية.

= عياض، ويحيى الأنصاري ومالك وابن جريج مات سنة ١٤١. (كتاب الجمع ٤٨٣/٢).

(١) الحديث: انظر مجمع الزوائد - كتاب الزكاة - باب في السخاء «رواه الطبراني في الأوسط عن عمران بن حصين - بنحوه - وفيه عمرو بن الحصين العقيلي، وهو متروك». وبنحوه عن عائشة «رواه الطبراني في الأوسط وفيه سعيد بن محمد الوراق وهو ضعيف (١٢٧/٣)، وفي كتاب الأدب - باب ما جاء في حسن الخلق عن جابر رواه الطبراني في الأوسط وفيه إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر وهو ضعيف وكذلك مقدم بن داود». وعن عمران بن الحصين - بنحوه - «رواه الطبراني وفيه عمرو بن الحصين وهو متروك. (٢٠/٨). والجامع الصغير ٦٧/١ عن عمران» ورمز له بالضعيف.

وانظر المجروحين لابن حبان ١٣٤/٢ «عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ قال جبريل: قال الله تبارك وتعالى: «إن الدين ارتضيته لنفسي ولم يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق، فأكرموا بهما ما صحبتموه» ذكره عند ترجمة عبد الملك بن مسلمة - وهو شيخ يروي المناكير الكثيرة - وانظر علل الحديث للرازي ٣٤٣/٢.

(٢) في (د) قوله.

(٣) انظر الزجاج ١٦٢/٢.

(٤) ذكره ابن منظور في اللسان: خمص، وانظر غريب القرآن ١٤١، ومجاز القرآن ١٥٣/١ والأخفش ٤٦١/٢، والطبري ٥٥/٦.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ٨٨، وغريب القرآن ١٤١، والقراء ٣٠١/١، والطبري ٥٥/٦، والدر ٢٥٩/٢ كلاهما عن قتادة.

(٦) انظر مجاز القرآن ١٥٣/١، والزاهر ١٢١/١.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٨٨ بنحوه، والطبري ٥٦/٦.

(٨) في (ج)، (و) قوله تعالى، وفي (د)، (هـ) قوله.

روي أن عدي بن حاتم وزيد الخيل^(١) جاءا إلى رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله إنا قوم نصيد الصيد بالكلاب والبيزة^(٢) وقد حرم الله عز وجل الميتة، فماذا لنا منها؟ فنزلت هذه الآية^(٣).

وقوله ﴿قل أحل لكم الطيبات﴾^(٤) قال المفسرون: أحل الله للعرب^(٥) ما استطاعوا مما لم ينزل بتحريمه تلاوة مثل: الضباب واليرابيع والأرانب وغيرها، فكل حيوان استطابته العرب فهو حلال، وكل حيوان استخبثته العرب فهو حرام، وهو قوله ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾^(٦).

و«الطيب» في اللغة: المستلذ، والحلال المأذون فيه يسمى - أيضاً - طيباً تشبيهاً بما هو مستلذ^(٧).

وقوله^(٨) ﴿وما علمتم من الجوارح﴾ يريد: وصيد ما علمتم^(٩)، فحذفه. و«الجوارح»: الكواصب من الطير والسباع، الواحدة: جارحة، سميت جوارح لأنها تكسب أربابها الطعام بصيدها، وهي الكلاب والفهود والبيزة والصقور والزمج والعقاب^(١٠) فما اصطادت من هذه الجوارح صيداً فقتلته^(١١) فهو حلال.

وقوله ﴿مكلبين﴾ «المكلب» الذي يُعلم الكلاب أخذ الصيد، يقال للمصائد: مكلب، ومعنى ﴿مكلبين﴾: مؤدبين^(١٢).

(١) في (هـ) زيد بن الخليل، وهو: زيد بن مهلهل بن زيد بن منبه أبو منكب الطائي كان من أحسن العرب وأطول رجلاً يسمى زيد الخيل لخمس أفراس كن له، قدم على رسول الله ﷺ في وفد طيء - وهو سيدهم - فأسلم وحسن إسلامه ثم سماه الرسول ﷺ زيد الخير توفي سنة ٩ هـ (البداية والنهاية ٦٣/٥، والأعلام ١٠١/٣).

(٢) البيزة: جمع البازي والبياز: لغة في البازي والجمع أبواز وبيزان. (اللسان: باز، بوز).

(٣) ذكره ابن كثير ١٥/٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وكذا الدر ٢٦٠/٢، وكذا فتح القدير ١٦/٢، وأسباب النزول للواحدي ١٤٢، وللسيوطي ١٠٠ - ١٠١.

وصحيح البخاري - كتاب الوضوء - باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان وسؤر الكلاب ٤٤/١. وأبو داود - كتاب الصيد - باب في الصيد رقم ٢٨٤٧ ١٠٨/٣ كلاهما عن عدي.

(٤) في (د) قوله.

(٥) في (د) ما.

(٦) سورة الأعراف/ ١٥٧، وانظر غرائب النيسابوري ٥٨/٦، والبحر ٤٢٨/٣، والبعثي ١٢/٢، والحاخاني ١٢/٢، وابن كثير ١٥/٢ عن مقاتل، وفتح القدير ١٢/٢، واللسان / طيب.

و«الضب»: دوية من الحشرات معروف وهو يشبه الورل تشبه الجرذون وهي أنواع فمنها ما هو على قدر الجرذون ومنها ما هو أكبر منه، ومنها دون العنز وهو أعظمها (اللسان/ ضب). والمصباح / الضب) واليرابيع - والعامة تقول: جربوع - جمع يربوع: دوية نحو الفأرة لكن ذنبه واذناه أطول منها ورجلاه أطول من يديه عكس الزرافة. (المصباح/ ربع، واللسان / ربع).

(٧) في (د) المستلذ الحلال من المأذون. انظر اللسان / طيب.

(٨) في (د) قوله تعالى.

(٩) في (د) ما علمتم من الجوارح.

(١٠) انظر غريب القرآن ١٤١، ومجاز القرآن ١٥٤/١، والزاهر ٣٧٠/١ والأخفش ٤٦٤/٢ و«الزُمج» بضم الزاي وتشديد الميم المفتوحة وجيم - طائر دون العقاب (عمدة القوي والضعيف ص ١٠) و«العقاب: طائر من الجوارح» (اللسان: عقب، والمصباح: عقب).

(١١) في غير (أ) في اصطادات هذه الجوارح، وفي (ج، د) فقتله.

(١٢) «المكلب»: الذي يغري الكلب على الصيد، ويقال للذي يعلمها أيضاً مكلب، ونصب (مكلبين) على الحال، أي: في حال مكلبين هذه الجوارح، أي: إغرائكم إياها على الصيد، وذكر الكلاب، لأنها أكثر وأهم، والمراد: جميع جوارح الصيد (حاشية أ).

﴿تعلمونهن مما علمكم الله﴾ تؤدبونهن لطلب الصيد، وأن لا يأكلن الصيد كما أدبكم الله ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم﴾ إذا كان الضاري معلماً ثم صاد صيداً فجرحه وقتله وأدرکه الصائد ميتاً فهو حلال إذا لم يأكل منه.

فإن أكل منه، فعند ابن عباس وطاووس والشعبي والسدي: لم يحل أكله وهو الأظهر من مذهب الشافعي^(١) وعند جماعة من الصحابة: يحل وإن أكل، وهو أحد قولي الشافعي^(٢).

وقوله^(٣) ﴿واذكروا اسم الله عليه﴾ إذا أرسلتم الكلاب واطلقتموها على الصيد والأولى للصائغ^(٤) أن يرسل الجارحة على اسم الله، فإن نسي حل أكل صيده كالذابح من المسلمين إن نسي اسم الله على ذبيحته حل أكلها.

- قوله جل جلاله^(٥) ﴿اليوم أحل لكم الطيبات﴾ كرر إحلال الطيبات تأكيداً ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾ يعني: ذبائح اليهود والنصارى، وإن لم يذكر اسم الله وذكروا عيسى وعزيراً.

قال الشعبي وعطاء^(٦): في النصراني يذبح فيقول: باسم المسيح، فالأكل يحل منه^(٧)، فإن الله تعالى قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون.

وقوله ﴿وطعامكم حل لهم﴾ يريد: ذبائحنا لهم حلال^(٨)، فإذا اشتروها منا كان الثمن لنا حلالاً، واللحم لهم حلال، قال الزجاج ﴿وطعامكم حل لهم﴾ تأويله: حل لكم أن تطعموهم^(٩).

وقوله^(١٠) ﴿والمحصنات من المؤمنات﴾ قال مجاهد^(١١): يعني الحرائر، وقال ابن عباس^(١٢): يريد العفاف من المؤمنات.

وقوله ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ قال ابن عباس^(١٣) يريد الحرائر وإماء أهل الكتاب حرام نكاحهن^(١٤).

(١) انظر تفسير الطبري ٦/ ٥٩ - ٦٠ عن ابن عباس والشعبي وطاووس وسعيد بن جبيرة وإبراهيم والسدي، وابن كثير ١٠/٢ عن أبي هريرة وابن عباس والحسن والشعبي وأبي حنيفة وأحمد والشافعي - في المشهور - وكذا ١٦/٢ عن الشافعي وطائفة، قال ابن كثير «وهو الصحيح من مذهب الشافعي وهو أنه إذا أكل الكلب من الصيد يحرم مطلقاً» والفراء ٣٠٢/١.

(٢) انظر تفسير الطبري ٦١/٦ عن سلمان وقتادة وسعيد بن المسيب وشعبة، والزجاج ١٦٤/٢، وابن كثير ١٠/٢ عن علي وسعيد وسلمان وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس «أن الصيد يؤكل وإن أكل منه الكلب» حتى قال سعيد وسلمان وأبو هريرة وغيرهم: يؤكل ولم لم يبق منه إلا بضعة، وإلى ذلك ذهب مالك والشافعي في القديم.

وانظر فتح القدير ١٤/٢ عن بعض الشافعية، وأحكام القرآن ٥٤٧/٢ عن الشافعي.

(٣) في (د، هـ) قوله. (٤) في (د) فالأولى. (٥) في غير (أ) قوله تعالى، وفي (د) قوله.

(٦) انظر تفسير الطبري ٦٥/٦ عن الشعبي وعطاء وغيرهم وأحكام القرآن لابن العربي ٥٥٥/٢ عن الشعبي والشافعي، وفتح القدير ١٤/٢ - ١٥. عن الشعبي وغيره.

(٧) في (ج) حلال. (٨) في (و) حلال لهم. (٩) انظر الزجاج ٦٥/٢. (١٠) في (د) قوله.

(١١) انظر تفسير مجاهد ١٨٦، والطبري ٦٧/٦، وابن كثير ٢٠/٢ والدر ٢٦١/٢ كلها عن مجاهد، وابن عباس ٨٨ والزجاج ١٦٥/٢.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ٨٨، والزجاج ١٦٥/٢، والدر ٢٦١/٢ عن الضحاك.

(١٣) في (د) قال ابن عباس في رواية مجاهد، وانظر تفسير ابن عباس ٨٨ ومجاهد ١٨٦ والزجاج ٣٩/٢، ١٦٥، والطبري ٦٧/٦ عن مجاهد وسفيان والسدي.

(١٤) انظر تفسير ابن عباس ٨٩، وقال الزجاج: والكتاب يدل على أن الأمة إذا كانت غير مؤمنة لم يجز التزوج بها لقوله ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً...﴾ سورة النساء ٢٥ (الزجاج ١٦٥/٢ - ١٦٦).

واختلفوا في الحريات من أهل الكتاب، فعن ابن عباس: لا يحل نكاحهن، وإنما يحل نكاح الذميات^(١).
وعن الحسن وسعيد بن المسيب: يحل نكاح الكتابيات ذميات كن أو حريات^(٢).
وقوله^(٣) ﴿إِذَا عَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ يعني: مهرهن، وتقييداً التحليل بإيتاء المهور يدل على تأكيد وجوبه.
وقوله ﴿مَحْصِنِينَ غَيْرِ مَسَافِحِينَ﴾ يعني: تنكحوهن بالمهر والبينة غير معالنين بالزنا ﴿وَلَا مَتَّخِذِينَ﴾^(٤) أخدانٍ
تسرون بالزنا.

قال الزجاج^(٥): حرم الله الجماع على جهة السفاح وعلى جهة اتخاذ الصديقة وأحلّه على جهة الإحصان وهو
التزويج^(٦).

وقوله ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ قال ابن عباس ومجاهد^(٧): بالله الذي يجب الإيمان به وقال
الكليبي^(٨): بشهادة إن لا إله إلا الله، فجعل كلمة التوحيد إيماناً.

وقال مقاتل^(٩): يقول بما أنزل على محمد ﷺ^(١٠) فسمى القرآن إيماناً لأنه يجب الإيمان به.

وقال الزجاج ﴿وَمَنْ يَكْفُرُ^(١١) بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ أي: من بدل شيئاً مما أحل الله فجعله حراماً، أو أحل
شيئاً مما حرم الله فهو كافر بالإجماع وقد حبط جميع ما تقرب به إلى الله^(١٢).

وقوله^(١٣) ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ قال ابن عباس: خسر الثواب^(١٤).

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا
بُرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ
وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۖ وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيقَاتَهُ الَّتِي وَاتَّفَقْتُمْ بِهَا إِذْ قُلْتُمْ
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۗ

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢٠/٢ عن ابن عباس.

(٢) انظر تفسير الطبري ٦٩/٦ عن الحسن وابن المسيب.

(٣) في (د) قوله تعالى.

(٧) انظر تفسير الطبري ٧٠/٦، والبحر ٤٣٣/٣، وغرائب النيسابوري ٦٤/٦ والرازي ١٤٩/١١ كلها عن ابن عباس ومجاهد وانظر تفسير
ابن عباس ٨٩ والثوري ١٠٠.

(٨) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ٨٩ والبحر ٤٣٣/٣، والبغوي ١٦/٢، والرازي ١٤٩/١١ كلها عن النبي.

(٩) انظر تفسير البغوي ١٦/٢ عن مقاتل، والبحر ٤٣٣/٣ عنه وغرائب النيسابوري ٦٤/٦ عن قتادة.

(١٠) في (ج) محمد عليه السلام وسمي.

(١١) في (هـ) من يكفر.

(١٢) انظر الزجاج ١٦٦/٢، والبحر ٤٣٣/٣ عن الزجاج.

(٤) في (د) ومتخذي.

(٥) انظر الزجاج ١٦٦/٢.

(٦) في (د) الزوج.

(١٣) في (د) قوله.

(١٤) انظر البغوي ١٦/٢ عن ابن عباس والطبري ٧٠/٦.

- قوله عز وجل (١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ قال زيد بن أسلم (٢): يعني إذا قمتم من النوم. قال الزجاج: المعنى: إذا أردتم القيام إلى الصلاة كقوله ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ (٣) المعنى: إذا أردت أن تقرأ قال ابن الأنباري (٤): وهذا كما تقول: إذا أتجرت فاتجر في البز (٥)، وإذا آخيت فأخ أهل الحساب، يريد: إذا أردت التجارة، وإذا أردت مؤاخاة الناس.

وقوله ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ هي جمع مرفق، وهو المكان الذي يرتفق به أي: يتكأ عليه من اليد، وكثير من النحويين يجعلون ﴿إِلَى﴾ ها هنا: بمعنى «مع»، ويوجبون غسل المرفق، وهو مذهب أكثر العلماء (٦).

وقوله ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ «المسح» مسحك شيئاً بيدك كمسح العرق عن جبينك وكمسحك رأسك في وضوئك (٧).

وظاهر الآية: لا يوجب التعميم في مسح الرأس، لأنه إذا مسح البعض فقد حصل ماسحاً (٨)، ولا يلتفت إلى قول من قال: إن «الباء» توجب التعميم، لأن ذلك لا يعرفه أهل النحو (٩).

وقوله (١٠) ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ في «الأرجل» قراءتان: النصب والخفض أما النصب فهو ظاهر إلا أنه عطف على المغسول، لوجوب (١١) غسل الرجلين بإجماع لا يقدر فيه قول من خالف.

وأما الكسر: فقال أبو حاتم وابن الأنباري: الكسر بالعطف على المسح غير أن المراد بالمسح في الأرجل الغسل، روي ذلك عن ابن زيد أنه قال: المسح خفيف الغسل، قالوا: تمسحت للصلاة في معنى توضأت. قال أبو حاتم وذلك أن المتوضيء لا يرضى بصب الماء على أعضائه حتى يمسحها مع الغسل فسمي الغسل مسحاً.

وعلى هذا: الرأس والرجل ممسوحان، إلا أن المسح في الرجل المراد به الغسل، يدل على ذلك ذكر التحديد

(١) في (د، هـ، و) قوله تعالى.

(٢) انظر تفسير الطبري ٧٢/٦ وأحكام القرآن لابن العربي ٥٥٩/٢، وابن كثير ٢١/٢ والدر ٢٦٢/٢، وفتح القدير ١٩/٢ كلها عن زيد. وانظر الزجاج ١٦٦/٢، والبحر ٤٣٤/٣، وغرائب النيسابوري ١٣/١.

(٣) سورة النحل / ٩٨.

(٤) البز: الثياب، وقيل: ضرب من الثياب، وقيل: البز من الثياب أمتعة البزاز، وقيل البز: متاع البيت خاصة، والبزاز: بائع البز وحرفته البزازة: (اللسان / بز وحاشية أ).

(٦) انظر الزجاج ١٦٧/٢ وفتح القدير ١٧/٢، واللسان / إلى «عن العباس وجماعة من النحويين. قال العكبري: قيل (إلى) بمعنى «مع» كقوله ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ - سورة هود ٥٢ - وليس هذا بالمختار، والصحيح: أنها على بابها وأنها لانتهاء الغاية، وإنما وجب غسل المرافق بالسنة، وليس بينهما تناقض لأن (إلى) تدل على انتهاء الفعل، ولا يتعرض بنفي المحدود إليه ولا بإثباته ألا ترى أنك إذا قلت سرت إلى الكوفة، فغير متنتع أن تكون بلغت أول حدودها ولم تدخلها وأن تكون دخلتها فلقد قام الدليل على أنك دخلتها لم يكن متناقضاً لقولك: سرت إلى الكوفة، فعلى هذا تكون (إلى) متصلة بـ «اغسلوا» ويجوز أن تكون في موضع الحال، وتتعلق بمحذوف والتقدير: وأيديكم مضافة إلى المرافق. (التيبان ٤٢١/١، واللسان / إلى عن المبرد والزجاج).

(٧) «والمسح: إمرارك يدك على الشيء السائل أو المتطبخ تريد إذهابه بذلك كمسحك رأسك من الماء وجبينك من الرشح مسحه مسحاً وتمسح منه وجه» (اللسان / مسح).

(٨) هكذا بالنصب في جميع النسخ على أن «حصل» بمعنى «صار».

(٩) انظر النبيان ٤٤٢/١ وابن كثير ٢٤/٢ وفتح القدير ١٧/٢ وشرح معاني الآثار ٣٠/١ - ٣١.

(١٠) في (د) قوله.

(١١) في (هـ) المفصول غسل فوجب الرجلين إجماع.

وهو قوله «إلى العكبين» والتحديد إنما جاء في المغسول لا في الممسوح^(١).

وقال جماعة من أهل المعاني^(٢): «الأرجل» معطوفة على الرؤوس في الظاهر لا في المعنى، قد ينسق بالشيء على غيره والحكم فيها مختلف، كما قال^(٣):

يا ليت بعلك قد غدا متقلداً سيفاً ورمحاً

المعنى: وحاملاً رمحاً. وكذلك قول الآخر: علفتها تبناً وماء بارداً^(٤) المعنى: وسقيتها ماء.

فكذلك المعنى في الآية وامسحوا برؤوسكم واغسلوا أرجلكم، فلما لم يذكر الغسل عطف «الأرجل» على «الرؤوس» في الظاهر.

و«كعب الإنسان» ما أشرف من فوق رصغه عند قدمه، وقال الأصمعي: الكعبان: الناشزان من جانبي القدم^(٥). والأخبار متواترة بوجود الغسل والوعيد لمن ترك من قدمه لمعة لم يصبها الماء. أخبرنا أبو صالح منصور بن عبد الوهاب البزار، أخبرنا محمد بن أحمد بن سنان المقرئ، حدثنا علي بن حمدويه^(٦)، حدثنا سلمة بن شبيب^(٧)، حدثنا الحسن بن محمد بن أعين^(٨)، حدثنا معقل بن عبيد الله^(٩)، عن أبي

(١) قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص (وأرجلكم) - بالفتح - ومن حجتهم: ذكر التحديد وهو للمغسول وعن ابن مسعود قال: خللوا بين الأصابع بالماء لا تلحقها النار. وقال ابن جريج: قلت لعطاء: هل علمت أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ مسح على القدمين؟ فقال: والله ما أعلمه. وقال الفراء: وقد يعطف بالاسم على الاسم ومعناه كما قال عز وجل «يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين» ثم قال «وحوور عين» - سورة الواقعة ١٧/ - ٢٢ - وهن لا يطاف بهن على أزواجهن. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة، وأبو بكر وعاصم (وأرجلكم) بالكسر عطفاً على الرؤوس وحجتهم: ما روي عن ابن عباس أنه قال: الوضوء غسلتان ومسحتان.

وقال الشعبي: نزل جبريل عليه السلام بالمسح، ألا ترى أنه أهمل ما كان مسحاً ومسح ما كان غسلًا في التيمم. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٢١ - ٢٢٣، والسبعة ٢٤٦ - ٢٤٧، والنشر ٢٥٤/٢، والزجاج ١٦٧/٢، والبيان ٤٢٢/١ - ٤٢٤، والمشكل ٢١٩/١ - ٢٢٠، والحجة لابن خالويه ١٢٩، والبيان ٢٨٥/١، عن أبي زيد الأنصاري والجرجاني ٤٣٧/٣ عن داود واللسان / كعب).

(٢) انظر التبيان ٤٢٢/١ - ٤٢٤ والمشكل ٢٢٠/١ والحجة لأبي زرعة ٢٢٣ عن الفراء والبيهقي ١٩/٢ والخازن ١٩/٢. (٣) انظر البيت: معاني الفراء ١٢١/١، ١٢٣، ٤٧٣، والزاهر ١٤٧/١ ومجاز القرآن ٦٨/٢، والزجاج ١٦٨/٢، والأخفش ٤٦٦/٢، والكامل للمبرد ٣٣٤/١، ٣٧١، والخزانة ٢٣١/٢، ١٤٢/٣، والطبري ١٤٠/١، والحجة لأبي زرعة ٢٢٢ وأحكام القرآن لابن العربي ٥٧٨/٢. والشاعر هو: عبد الله بن الزبير.

(٤) انظر الفراء ١٤/١ «أنشد بعض بني أسد يصف فرسه»:

علفتها تبناً وماء بارداً حتى شئت همالة عينها

والزجاج ١٦٨/٢، والخازن ١٣١/٢، ١٤٠/٣ «ولا يعرف قائله» وأحكام القرآن لابن العربي ٧٨/٢.

(٥) انظر اللسان / كعب، والقرطبي ٩٦/٦ عن الأصمعي والجمهور، والزجاج ١٦٨/٢ والخازن ١٩/٢، والطبري ٨٧/٦، وغرائب النيسابوري ٧٤/٦، والبحر ٤٢٧/٢.

(٦) في (د) علي بن أحمد، وهو: علي بن الحسن بن محمد بن حمدون بن سنجان السنجاني كان أحد فقهاء الشافعيين، ورد نيسابور قاضياً بها سنة ٣١٦ هـ. (طبقات الشافعية ٤٤٤/٣).

(٧) سلمة بن شبيب أبو عبد الرحمن الحجري النيسابوري السلمي قال النسائي: ما علمنا به بأساً وقال الحاكم: هو محدث أهل مكة والمتفق على إتقانه وصدقه توفي سنة ٢٤٧ هـ (تهذيب التهذيب ١٤٦/٤ - ١٤٧).

(٨) الحسن بن محمد بن أعين القرشي الحراثي - مولى أم عبد الملك بنت محمد بن مروان أبو علي سمع معقل بن عبيد الله وزهير بن معاوية وطائفة وعنه سلمة بن شبيب وغيره توفي سنة ٢١٠ هـ (كتاب الجمع ٨٢/١).

(٩) معقل بن عبيد الله الجزري أبو عبد الله عن عطاء ونافع وميمون بن مهران وأبي الزبير وعنه الحسن بن محمد بن أعين وهي نسخة رواها =

الزبير، عن جابر قال: أخبرني عمر بن الخطاب: أن رجلاً توضع فترك موضع ظفر على قدمه، فأبصره النبي ﷺ فقال له: ارجع فأحسن وضوءك، فرجع فتوضأ ثم صلى. رواه مسلم عن سلمة بن شبيب^(١).
أخبرنا محمد بن أحمد بن جعفر العدل، أخبرنا محمد بن عبد الله بن زكريا الحافظ^(٢)، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الفقيه^(٣)، حدثني عبيد بن شريك القطعي^(٤) حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن حيوة بن شريح^(٥)، عن عقبة بن مسلم^(٦)، عن عبيد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي^(٧) قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للأعقاب بطون الأقدام من النار»^(٨).

أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي، أخبرنا عمرو بن عبد الله البصري^(٩)، حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب^(١٠)، أخبرنا خالد بن مخلد^(١١)، حدثنا محمد بن جعفر، سمعت زيد بن أسلم، قال: أخبرني عطاء بن

= مسلم عن سلمة بن شبيب قال أحمد صالح الحديث، ولابن معين فيه قولان أحدهما ضعيف والآخر لا بأس به وروى الكوسج عن ابن معين: ثقة توفي سنة ١٦٦ هـ.

(الميزان ١٤٦/٤، وكتاب الجمع ٥١٣/٢).

(١) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الطهارة - باب وجوب استيعاب جمع أجزاء محل الطهارة - عن جابر ١٢١/١.

(٢) أبو الحسن محمد بن عبد الله بن زكريا بن حيوة النيسابوري ثم المصري القاضي سمع بكر بن سهل الدماطي والنسائي وطائفة توفي سنة ٣٦٦ هـ وله تسعون سنة. (شذرات ٥٧/٣).

(٣) أبو العباس الدغولي محمد بن عبد الرحمن الحافظ الفقيه روى عن عبد الرحمن بن بشر بن الحكم ومحمد بن إسماعيل الأحمسي وطبقتهما وكان من كبار الحفاظ توفي سنة ٣٢٥ هـ (العبر ٢٥/٢).

(٤) عبيد بن عبد الواحد بن شريك أبو محمد اليزار حدث عن آدم بن أبي إياس ويحيى بن بكير وسعيد بن أبي مريم المصريين ونعيم بن حماد المروزي وغيرهم قال الدارقطني صدوق، وقال أبو مزاحم: كان أحد الثقات توفي سنة ٢٨٨ هـ (تاريخ بغداد ٩٩/١١ - ١٠٠).

(٥) حيوة بن شريح بن صفوان التجيبي أبو زرعة المصري الفقيه الزاهد أحد الزهاد والعلماء السادة قال حرب عن أحمد: ثقة ثقة، وقال ابن معين: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ١٥٨ هـ. (تهذيب التهذيب ٦٩/٣ - ٧٠).

(٦) عقبة بن مسلم التجيبي أبو محمد القاضي المصري إمام جامعها عن ابن عمر وابن عمرو وعنه حيوة بن شريح وثقه العجلي توفي قريباً من سنة ١٢٠ هـ. (حسن المحاضرة ٢٦٩/١).

(٧) عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معدي كرب بن عمرو بن عصم بن عمرو بن عويج بن عمرو بن زيد أبو الحارث الزبيدي نزيل مصر صحابي مشهور روى عن النبي ﷺ وشهد فتح مصر ذكر أبو جعفر الطحاوي أن وفاته كانت بـ «سقط القدور» قرية أسفل مصر وكان اسمه العاصي فسماه النبي ﷺ عبد الله وهو آخر من توفي من الصحابة بمصر سنة ٨٦ هـ (تهذيب التهذيب ١٧٨/٥ - ١٧٩، والتقريب ٤٠٧/١، والبداية والنهاية ٦٧/٩). ويتشرف المحقق بالانتساب لجواره ومن خدام مسجده وراثة عن آبائه بقرية «سقط تراب» - الآن من قرى مركز «المحلة الكبرى».

(٨) الحديث رواه الترمذي - كتاب الطهارة - باب ما جاء «ويل للأعقاب من النار» رقم ٤١ «حديث حسن صحيح». (٣٠/١).

والمستدرک - كتاب الطهارة - هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ١٦٢/١ ومجمع الزوائد - كتاب الطهارة - باب فيمن لم يحسن الوضوء رواه أحمد والطبري ورجاله ثقات ٢٤٠/١. ومسنند أحمد ١٩١/٤. كلهم من حديث عبد الله بن الحارث.

وصحيح البخاري - كتاب الوضوء - باب غسل الأعقاب - عن أبي هريرة «ويل للأعقاب من النار» ٤٣/١.

(٩) الإمام القدوة والزاهد الصالح أبو عثمان عمرو بن عبد الله بن درهم النيسابوري المطوعي الغازي المعروف بالبصري سمع محمد بن عبد الوهاب الفراء وغيره وعنه أبو طاهر الزيادي وغيره أثنى عليه الحاكم توفي سنة ٣٣٤ هـ (سير الأعلام ٣٦٤/١٥ - ٣٦٥).

(١٠) محمد بن عبد الوهاب بن حبيب بن مهران العبدي أبو محمد الفراء النيسابوري قال النسائي: ثقة وقال مسلمة بن الحجاج ثقة صدوق توفي سنة ٢٧٢ هـ (تهذيب التهذيب ٣١٩/٩ - ٣٢٠، وسير الأعلام ٦٠٧/١٢).

(١١) خالد بن مخلد الإمام المحدث أبو الهيثم الفطواني الكوفي سمع مالكا وسليمان بن بلال وعدة وعنه البخاري والجماعة والدارمي وهو

يسار، عن عبد الله الصنابحي^(١)، قال:

«سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا توضأ المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت من وجهه، فإذا^(٢) غسل يديه خرجت من يديه حتى تخرج من بين أظافره، فإذا^(٣) مسح رأسه خرجت من رأسه حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت من رجليه حتى تخرج من تحت أظفاره، فإذا عمد إلى الصلاة كان مشبه إلى المسجد وصلاته نافلة له»^(٤).

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا بحر بن نصر، قال: قرئ علي بن وهب أخبرك مالك بن أنس، عن سهل بن أبي صالح^(٥)، عن أبيه، عن أبي هريرة:

أن رسول الله ﷺ قال: «إذا توضأ العبد المسلم - أو المؤمن - فغسل وجهه خرج^(٥) من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء - فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشها يده مع الماء - أو مع آخر قطر الماء - فإذا^(٦) غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء - أو مع آخر قطر الماء - حتى يخرج نقياً من الذنوب».

رواه مسلم عن أبي الطاهر، عن ابن وهب^(٧).

أخبرنا عبد الرحمن بن الحسن التاجر، حدثنا محمد بن عبد بن الحسين القطراني^(٨) حدثنا أبو مليك محمد بن عبد العزيز الكلابي^(٩)، حدثنا سفيان بن وكيع^(١٠)، حدثنا سفيان بن عيينه، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت:

= شيعي صدوق يأتي بغرائب وبمناكير مات سنة ٢١٣ هـ وقال ابن معين: ما به بأس. (تذكرة الحفاظ ٤٠٦/١ - ٤٠٧).

(١) عبد الله الصنابحي مختلف في صحبته روى عن النبي ﷺ وعنه عبادة بن الصامت وعطاء بن يسار قال الدوري قال ابن عبد الله الصنابحي روى عنه المؤمنون يشبه أن يكون له صحبة - وفيه ذكر حديث «إذا توضأ العبد المسلم...» (تهذيب التهذيب ٩٠/٦ - ٩١). وترجم له الذهبي في سير الأعلام (٥٠٧ - ٥٠٥/٣) تحت اسم عبد الرحمن وقال «وبعضهم يهيم فيه فيقول: عبد الله وبعضهم يقول أبو عبد الرحمن».

(٢) في (هـ) وإذا.

(٣) الحديث رواه - الترمذي - كتاب الطهارة - باب ما جاء في فضل الطهور: «حسن صحيح» (٤/١) وابن ماجه - كتاب الطهارة - باب ثواب الطهور رقم ٢٨١ (١٠٣/١ - ١٠٤) ومسند أحمد ٤/٤٨٨.

والمستدرک - كتاب الطهارة - خروج الخطايا بالوضوء «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» (١٢٩/١ - ١٣٠).

(٤) سهل بن أبي صالح - واسمه ذكوان - السمان أبو يزيد المدني قال أحمد: ما أصلح حديثه روى له البخاري ومسلم توفي سنة ١٣٨ هـ - كتاب الجمع ١/٢٠٧ - ٢٠٨، وتهذيب التهذيب ٤/٢٦٣ - ٢٦٤.

(٥) في (د) خرجت.

(٦) في (هـ) وإذا.

(٧) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الطهارة - باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء - عن أبي هريرة ١٢١/١.

(٨) محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ويعرف بالشيخ الصدوق محدث إمامي كبير لم ير في القميين مثله نزل بالسند وارتفع شأنه في خراسان له نحو ثلاثمائة مصنف توفي سنة ٣٨١ هـ (الأعلام ٧/١٥٩) والقطراني: منسوب إلى القطران. (عمدة القوي والضعيف ص ١٠).

(٩) لم أقف عليه.

(١٠) سفيان بن وكيع بن الجراح أبو محمد الرواس قال البخاري: يتكلمون فيه لأشياء لقوه إياها، وقال أبو زرعة يهيم بالكذب وبلاؤه ممن يلقنه. (الميزان ٢/٧٣).

قال رسول الله ﷺ: «تحشر أمتي يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، فيقال هؤلاء أمة محمد ﷺ فيتمنى الخلائق أنهم كانوا أمة محمد ﷺ» (١).

وقوله (٢) ﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾ (٣)، فأدغمت التاء في الطاء، لأنهما من مكان واحد. قال مقاتل: فاغتسلوا (٤). وباتي الآية مشروح في سورة النساء (٥)، إلى قوله ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ يعني: من ضيق في الدين، ولكنه جعله واسعاً حين (٦) رخص في التيمم ﴿ولكن يريد ليظهركم﴾ من الأحداث والجنابات والذنوب والخطيئات، لأن الوضوء يكفر الذنوب.

روى أبو أمامة أن النبي ﷺ قال: «الطهور يكفر ما قبله ويصير الصلاة نافلة» (٧). وقوله (٨) ﴿وليتم نعمته عليكم﴾ أي: ببيان الشرائع، وقال محمد بن كعب القرظي: بغفران الذنوب.

أخبرنا سعيد بن محمد العدل، أخبرنا أبو علي بن أبي بكر الفقيه حدثنا محمد بن معاذ الماليني، حدثنا الحسين بن الحسن بن حرب المروزي (٩)، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا أبو معشر المدني (١٠) حدثني محمد بن كعب حدثني عبد الله بن واره (١١)، عن حمران (١٢) - مولى عثمان - قال:

مرت على عثمان (١٣) فخارة من ماء (١٤)، فدعا به فتوضأ فأسبغ (١٥) وضوءه، ثم قال: لو لم أسمع من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً ما حدثتكم به، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(١) الحديث: انظر كنوز الحقائق ٢٢/٢ «رواه الطبراني» ٢٣/٢ «رواه ابن ماجه» والمتفق عليه من حديث أبي هريرة. وانظر صحيح البخاري - كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء والغر المحجلون - عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل». ٣٨/١.

(٢) في (د) قوله.

(٣) «جنباً: للمفرد والمنى والجمع، والذكر والأنثى - بلفظ واحد» (مجاز القرآن ١٥٥/١).

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٨٩، والدرر ٢٦٣/٢ عن قتادة، وفتح القدير ١٨/٢.

(٥) في (د) مشروح في النساء، وانظر تفسير الآية ٤٣.

(٦) في (د) حتى.

(٧) الحديث: رواه الإمام أحمد في المسند برواية «ما من عبد يسمع أذان صلاة فقام إلى وضوئه إلا غفر له ما سلف من ذنوبه وقام إلى صلاته وهي نافلة». ٢٥٤/٥.

وبرواية «إن الوضوء يكفر ما قبله ثم تصير الصلاة نافلة» ٢٦١/٥.

ومجمع الزوائد - كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء «رواه أحمد من طريق صحيحة» ٢٢٣/١ والطبراني في الكبير ١٤٧/٧. كلهم من حديث أبي أمامة.

(٨) في (د، و) قوله.

(٩) في (د) أبو مشعر، سبق.

(١٠) في (د) المقرئ سبق.

(١١) في (د) عبد بن داود، وهو: عبد الله بن واره كان في حياة النبي ﷺ روى عنه محمد بن كعب القرظي عن حمران مولى عثمان أنه توضأ فأسبغ الوضوء «الحديث» (أسد الغابة ٢٢٦/٣).

(١٢) حمران بن أبان - مولى عثمان بن عفان - سمع عثمان ومعاوية وعنه عطاء بن أبي رباح وأبو التياح والوليد بن مسلم أبو بشر وعروة بن الزبير وزيد بن أسلم وغيرهم طال عمره وتوفي سنة نيف وثمانين روى له البخاري ومسلم (كتاب الجمع ١١٥/١، وسير الأعلام ١٨٣/٤).

(١٥) في (و) وأسبغ.

(١٤) في (د) فخارة ماء.

(١٣) في (هـ) مرة.

«ما توضعاً عبد^(١) فأسبغ وضوءه ثم قام إلى الصلاة إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى^(٢)».

وقال محمد بن كعب: وكنت إذا سمعت الحديث من رجل من أصحاب رسول الله ﷺ التمسته في القرآن فالتسنت هذا فوجدته ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك﴾^(٣) فعلمت أن الله لم يتم النعمة عليه حتى غفر ذنوبه ثم قرأت الآية التي في سورة المائدة ﴿إذا قمتم إلى الصلاة﴾ حتى بلغت^(٤) ﴿ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم﴾ فعرفت^(٥) أن الله لم يتم عليهم النعمة حتى غفر لهم^(٦).
وقوله^(٧) ﴿لعلكم تشكرون﴾ قال عطاء: ^(٨) لكي تشكروا نعمتي، وتطيعوا أمري^(٩).

- قوله عز وجل^(١٠) ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ قال مقاتل: يعني بـ «النعمة» الإسلام ﴿وميثاقه الذي واثقنا به﴾ قال مجاهد والكلبي ومقاتل^(١١): هو ما أخذ عليهم حين أخرجهم من ظهر آدم، وأشهدهم على أنفسهم: ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى.

وقال جماعة من المفسرين^(١٢): يعني بالميثاق حين بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في كل ما أمر ونهى والأيمان التي أخذت عليهم يوم بيعة العقبة، ويوم بيعة الرضوان.

قال السدي^(١٣) وكل مؤمن آمن بالله ورسوله فهذا داخل في هذا الميثاق. وقوله^(١٤) ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾^(١٥) قال ابن عباس: بخفيات القلوب والضمير^(١٦) والنيات.

(١) في (د) عبداً.

(٢) الحديث: رواه الإمام أحمد في المسند ٥٧/١، ٥٩، ٦٨، ومجمع الزوائد - كتاب الطهارة - باب ما جاء في الوضوء «رواه أحمد وهو في الصحيح ورجاله موثوقون» ٢٢٩/١. وانظر صحيح البخاري - كتاب الوضوء - باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً - بنحوه - ٤٢/١. ومسلم - كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء والصلاة عقبه - بنحوه - ١١٥/١. وعمل الحديث للرازي رواه بإسناده وصححه برواية «ما من عبد توضعاً وأسبغ وضوءه...» ١٥٣/١. كلهم من حديث حمران عن عثمان.

(٣) سورة الفتح / ١ - ٢.

(٤) في غير (د) بلغ.

(٥) في (د) فعلمت.

(٦) انظر تفسير البغوي ٢٢/٢، والدرر ٢٦٤/٢ كلاهما عن محمد بن كعب.

(٧) في (د) قوله.

(٨) انظر تفسير الطبري ٨٩/٦، والقرطبي ١٠٨/٦.

(٩) في (د، هـ) قوله، وفي (ج) قوله، وليست في (ج).

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٨٩، والطبري ٩٠/٦ عن ابن عباس، وفتح القدير ١٩/٢.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٧٩، ومجاهد ١٨٧، والطبري ٩٠/٦، والدرر ٢٦٥/٢، وفتح القدير ١٩/٢ - ٢٠ كلها عن مجاهد وابن كثير ٢٠/٢ عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل والسدي وغرائب النيسابوري ٨٤/٦ عن الكلبي ومقاتل.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٩٠/٦ عن ابن عباس، والقرطبي ١٠٨/٦ - ١٠٩ عن ابن عباس والسدي، وابن كثير ٣٠/٢، وفتح القدير ٩/٢ عن جمهور المفسرين.

(١٣) انظر تفسير الطبري ٩٠/٦ بنحوه عن السدي، والبحر ٤٤٠/٣.

(١٤) في (د) قوله.

(١٥) في (أ) بما يصنعون.

(١٦) في (هـ) في الضمير، وانظر تفسير ابن عباس ٧٩ قال «بما في القلوب»، والطبري ٩٠/٦ - ٩١.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ءَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

- قوله جل جلاله (١) ﴿يا أيها الذي ءامنوا كونوا قوامين لله﴾ معنى القيام لله أن تقوم لله بالحق في كل ما يلزم القيام به من الأمر بالمعروف والعمل به، والنهي عن المنكر وتجنبه.

﴿شهداء لله﴾ تشهدون بالعدل ﴿ولا يجرمنكم شتان قوم على ألا تعدلوا﴾ أي: لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل ﴿اعدلوا﴾ في الولي والعدو ﴿هو أقرب للتقوى﴾ أي: هو أقرب لانتقاء النار.

- قوله جل جلاله (٢) ﴿يا أيها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم...﴾ الآية، قال المفسرون: دخل رسول الله ﷺ ومعه جماعة من أصحابه على بني النضير - وكانوا قد عاهدوا النبي ﷺ على ترك القتال وعلى أن يعينوه في الديات - فقال النبي ﷺ: رجل من أصحابي أصاب (٣) رجلين معهما أمام متى فلزمني ديتها فأريد أن تعينوني، فقالوا: اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا، وهموا باغتياهم والفتك بهم، فأذن الله تعالى به حتى فاتوا بأنفسهم، فهو قوله ﴿إذ هم قوم﴾ يعني: يهود بني النضير ﴿أن يسطوا إليكم أيديهم﴾ بالقتل والاغتيال ﴿فكف أيديهم عنكم﴾ بأن أخبركم حتى خرجتم من عندهم.

ثم أخبر الله تعالى عن نقض بني إسرائيل عهد الله، كما نقضت هذه الطبقة فقال:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١١﴾ فِيمَا نَقَضْتُمُ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَتَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ

(١) في غير (أ) قوله، وفي (ج) قوله تعالى.

(٢) في غير (أ) قوله.

(٣) في (هـ) أصحاب. وانظر في ذلك: الزجاج ١٧١/٢، والطبري ٩٢/٦ - ٩٤ عن عاصم بن عمرو وقاتدة ومجاهد ويزيد بن أبي زياد وعكرمة وغيرهم، وابن كثير ٣١/٢ عن ابن إسحاق ومجاهد وعكرمة، وفتح القدير ٢٠/٢ عن ابن عباس وأسباب النزول للواحدي ١٤٣ - ١٤٤، والسيوطي ١٠٣. ودلائل النبوة لأبي نعيم ٤٢٢/٢ - ٤٢٣، والدلائل للبيهقي ٣٥٤/٣ - ٣٥٥. والرازي ١٨٢/١١ - ١٨٣ عن ابن عباس والكلبي ومقاتل، والقاتل هو: عمرو بن أمية الضمري، والمقتولان رجلان من بني سليم.

تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيْٓ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾

- ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل﴾ قال الكلبي ومقاتل^(١): أخذ الله ميثاقهم على أن يعملوا بما في التوراة ﴿وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾ «النقيب» الأمين الكفيل^(٢) على قومه.

أخذ من كل سبط منهم نقيب فبعثوا إلى مدينة الجبارين الذين أمر موسى بالقتال معهم ليقفوا على أحوالهم ويرجعوا بذلك إلى قومهم، فرجعوا ينهون عن قتالهم، وكانوا قد تواتقوا بينهم أن لا يفعلوا، فنكثوا العهد إلا رجلين كالب بن يوفنا^(٣)، ويوشع بن نون^(٤).

﴿وقال الله إني معكم﴾ بالعون والنصرة والدفع عنكم بهذه الشرائط، وهي^(٥) قوله ﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وءامتم برسلي وعزرتموهم﴾ «التعزير»: التوقير، والتعزير النصر باللسان والسيف.

قال عطاء^(٦): يريد: وقرتموهم، وقال السدي^(٧): نصرتموهم بالسيف، وقال مقاتل: أعتتموهم^(٨).

﴿وأقرضتم الله﴾^(٩) قال ابن عباس^(١٠) يعني الصدقات للفقراء والمساكين ﴿قرضاً حسناً﴾ قال الضحاك^(١١):

(١) انظر تفسير الطبري ٩٥/٦ عن أبي العالية وفتح القدير ٢٢/٢ - ٢٣ عن أبي العالية وابن عباس، والبحر ٤٤٧/٣، والخازن ٢٥/٢ (٢) في غير (أ) الكفيل الأمين، وانظر مجاز القرآن ١٥٦/١ في معنى «النقيب».

(٣) كالب - بفتح الكاف واللام وياء معجمة بواحدة - ابن يوفنا - بياء معجمة بالثتين من تحت مضمومة وفاء مفتوحة ونون مشددة بعدها ألف ختن موسى على أخته مريم بنت عمران، وهو من سبط يهوذا. (البحر ٤٥٥/٤، وعمدة القوي والضعيف ص ١٠).

(٤) يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف وهو ابن أخت موسى وقد كان نبي بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام وهو الذي خرج من مصر ودخل بهم بيت المقدس، وهو الذي حبست عليه الشمس حتى دخلها. (البداية والنهاية ٣١٨/٦ - ٣١٩).

وانظر تفسير مجاهد ١٨٨ - ١٨٩، والطبري ٩٦/٦ عن الربيع والسدي ومجاهد وغرائب النيسابوري ٩٣/٦ عن مجاهد والسدي والكلبي، والدر ٢٦٧/٢، وفتح القدير ٢١/٢، ٢٢ كلاهما عن مجاهد.

(٥) في (د) وهو.

(٦) انظر مجاز القرآن ١٥٦/١، ٢١٧/٢، وفتح القدير ٢١/٢ عن أبي عبيدة، والطبري ٩٨/٦ عن أبي عبيدة، وابن زيد. «قال الرازي» لكان التعزير هو التوقير لكان قوله تعالى (وتعزروه وتوقروه) تكراراً (الرازي ١١١/١٨٦).

(٧) انظر تفسير الطبري ٦٨/٦ عن السدي، وتفسير مجاهد ص ١٩٠، والدر ٢٦٧/٢ وفتح القدير ٢٢/٢ كلاهما عن مجاهد وتفسير ابن عباس ٩٠، وغريب القرآن ١٤١، واللسان: عزز «ورجح هذا المعنى».

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٩٠، والدر ٢٦٧/٢، وفتح القدير ٢٢/٢ كلاهما عن ابن عباس.

(٩) في (هـ) قرضاً حسناً.

وانظر تفسير القرطبي ١١٤/٦، والبغوي ٢٦/٢، والرازي ١١٦/١١ ورشحه «لأنه قد سبق إيتاء الزكاة الواجبة».

(١٠) وانظر تفسير القرطبي ١١٤/٦، وفتح القدير ٢١/٢.

(١١) في (و) قال مقاتل.

تبتغون به وجه الله، وقال ابن المبارك: حلالاً طيباً من أموالكم^(١). وقوله^(٢) ﴿فمن كفر بعد ذلك منكم﴾ أي: بعد العهد والميثاق ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ أخطأ قصد الطريق، ثم أخبر عن نقضهم فقال^(٣):

- ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ «ما»: صلة مؤكدة، يريد: فينقضهم، كما قال ﴿فبما رحمة من الله﴾^(٤).

قال قتادة^(٥): انهم كذبوا الرسل بعد موسى، وقتلوا الأنبياء، ونبذوا كتاب الله، وضيعوا فرائضه.

وقوله ﴿لعناتهم﴾ قال ابن عباس^(٦): عذبناهم بالعجزية، وقال مقاتل^(٧): عذبناهم بالمشخ، وقاء عطاء أخرجناهم من رحمتنا، وهو اختيار الزجاج قال: باعدناهم من الرحمة.

﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ «القسوة»: الصلابة والشدة في كل شيء، يقال قسا يقسو قسوة فهو قاس وحجر قاس^(٨). وقرأ حمزة (قسية) على وزن فعيلة بمعنى قاسية مثل عالم وعليم^(٩).

قال ابن عباس ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ يابسة عن الإيمان^(١٠) ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ يعني: صفة محمد ﷺ وآية الرجم ﴿ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾ قال ابن عباس^(١١): تركوا نصيباً مما أمروا به في كتابهم من اتباع محمد والإيمان به^(١٢).

﴿ولا تزال تطَّلَعُ على خائنة منهم﴾ أي: على خيانة، قال مقاتل: يعني بـ «الخيانة»: الغش للنبي ﷺ، وقال يمان بن زباب^(١٣): على كذب وفجور، وقال عطاء: على خيانة منهم مثلما خانوك حين هموا بقتلك^(١٤):

(١) انظر تفسير البغوي ٢٥٢/١ عن ابن المبارك، وانظر معنى «القرض الحسن» عند تفسير الآية ٢٤٥ من سورة البقرة.

(٢) في (د) قوله.

(٣) ساقطة من (د).

(٤) سورة آل عمران: ١٥٩، وانظر فتح الباري ٢١٦/٨.

(٥) انظر الدر ٢٦٨/٢ بنحوه عن قتادة.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٩٠، والرازي ١١/١٨٦، وغرائب النيسابوري كلاهما عن ابن عباس.

(٧) انظر غرائب النيسابوري ٩٥/٦، والرازي ١١/١٨٦، والبحر ٣/٤٤٥ كلها عن الحسن ومقاتل.

(٨) انظر غرائب النيسابوري ٩٥/٦، والرازي ١١/١٨٦، والبحر ٣/٤٤٥ كلها عن عطاء والزجاج ٢/١٧٤.

(٩) انظر مجاز القرآن ١/١٥٨، والزاهر ١/٤٤٣ - ٤٤٤، وغرائب النيسابوري ٩٥/٦.

(١٠) قرأ حمزة والكسائي (قسية) - بغير ألف مشددة - وحجتها: أن فعلاً أبلغ في الذم والمدح من فاعل وقال آخرون: بل معنى قسية غير

معنى القسوة، وإن معنى القسية التي ليست بخالصة الإيمان، أي التي قد خالطها كفر فهي فاسدة، ولذا قال للدرهم الذي قد خالطه

شيء من نحاس وغيره قسية. وقرأ الباقون (قاسية) وحجتهم إجماعهم على قوله تعالى ﴿فويل للقاسية قلوبهم﴾ - سورة الزمر ٢٢/٢٢ -

(انظر الحجة لأبي زرع ٢٢٣ - ٢٢٤ والسبعة ٢٤٣ والنشر ٢/٢٥٤ والتبيان ١/٤٢٧، والزجاج ٢/١٧٤ والحجة لابن خالويه ١٢٩).

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٩٠، والزجاج ٢/١٧٤، وغريب القرآن ١٤٢ والطبري ٦/٩٩.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ٩٠، والزجاج ٢/١٧٤، وغريب القرآن ١٤٢، ومجاز القرآن ١/١٥٨ والرازي ١١/١٨٧ وغرائب النيسابوري

٩٦/٦ كلاهما عن ابن عباس.

(١٣) يمان بن زباب خراساني مفسر له «معاني القرآن» قال الدارقطني ضعيف من الخوارج (عمدة القوي والضعيف ص ١٠، والميزان

٤/٤٦٠). وانظر تفسير الطبري ٦/١٠٠ وفتح القدير ٢/٢٣ كلاهما عن قتادة والقرطبي ٦/١١٦ والدر ٢/٢٦٨ عن مجاهد.

(١٤) انظر تفسير الطبري ٦/١٠٠ - ١٠١ عن مجاهد وعكرمة وابن كثير ٢/٣٢ عن مجاهد وغيره، والدر ٢/٢٦٨ عن مجاهد.

وقوله ﴿إلا قليلاً منهم﴾ يعني: من أسلم منهم ولم ينقضوا العهد ﴿فاعف عنهم واصفح﴾ منسوخ بآية السيف (١) ﴿إن الله يحب المحسنين﴾ يعني: المعافين المتجاوزين. قال ابن عباس: إذا عفوت فأنت محسن (٢).

- قوله عز وجل (٣) ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم﴾ قال مقاتل (٤) أخذ عليهم الميثاق كما أخذ على أهل التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويتبعوه، وهو مكتوب عندهم في الإنجيل.

﴿فنسوا حظاً مما ذكروا به﴾ فتركوا ما أمروا به من الإيمان بمحمد ﷺ فكان ذلك الحظ ﴿فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ قال المؤرج (٥): حرشنا بعضهم على بعض، وقال النضر (٦): هيحنا، وقال الكلبي (٧): ألقينا بينهم العداوة والبغضاء.

قال مجاهد وقتادة والسدي (٨): يعني: بين اليهود والنصارى، وقال الربيع (٩) يعني: بين النصارى خاصة وذلك لما بين فرق النصارى من الاختلاف والعداوة، وهذا اختيار الزجاج قال: تأويل ﴿فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء﴾ أي: صاروا فرقاً يكفر بعضهم بعضاً. ﴿وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾ وعيد لهم (١٠).

قال قتادة (١١): لما ذكر نقضهم العهد وتركهم ما أمروا به دعاهم على إثر ذلك إلى الإيمان بمحمد ﷺ فقال - ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب﴾ قال عطاء عن ابن عباس (١٢): يريد: تكتمون [مما في التوراة والإنجيل، لأنهم أخفوا منه آية الرجم وأمر] (١٣) محمد ﷺ وصفته. ﴿ويعفوا عن كثير﴾ يتجاوز عن كثير مما كتموه فلا يخبرهم بكتمانه.

وقوله ﴿قد جاءكم من الله نور﴾ ضياء من الضلالة وهدى، يعني: الإسلام، وقال قتادة (١٤) يعني: النبي ﷺ وهو

(١) انظر تفسير الطبري ١٠١/٦، وابن كثير ٣٣/٢، وفتح القدير ٢٣/٢ كلها عن قتادة والدر ٢٦٨/٢ عن مجاهد، والناسخ والمنسوخ لابن سلامة ص ١٥٠.

(٢) انظر غرائب النيسابوري ٩٦/٦، والرازي ١٨٨/١١ كلاهما عن ابن عباس.

(٣) في غير (أ) قوله وفي (و) قوله تعالى.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٩٠، والرازي ١٨٨/١١، والبحر ٤٤٧/٣ عن قتادة وابن كثير ٣٣/٢.

(٥) في (و) مؤرج وانظر البحر ٤٤٣/٣ عن مؤرج، والطبري ١٠٢/٦.

(٦) في (ج، د) النضر بن شميل، وانظر البحر ٤٤٣/٣ عن النضر ومجاز القرآن ١٥٩/١.

(٧) وهو قول ابن عباس وتفسيره ص ٩٠ وابن كثير ٣٣/٢.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٩٠، والطبري ١٠٢/٦ - ١٠٣ عن مجاهد وقتادة والسدي وغيرهم والبحر ٤٤٧/٣ عنهم.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٠٣/٦، والبحر ٤٤٧/٣، والدر ٢٦٨/٢ وابن كثير ٣٣/٢ كلها عن الربيع، قال الزجاج: «وتأويل ﴿فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء﴾ أنهم صاروا فرقاً يكفر بعضهم بعضاً، ومنهم النسطورية واليعقوبية والملكانية - وهم الروم - فكل فرقة منهم تعادي الأخرى» (الزجاج ١٧٦/٢).

(١٠) في (هـ) وعيداً.

(١١) انظر تفسير الطبري ١٠٢/٦ - ١٠٣ عن قتادة.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ٩٠، والطبري ١٠٣/٦، وأسباب النزول للسيوطي ١٠٤ كلاهما عن ابن عباس.

(١٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (و) وبعدها: محمداً.

(١٤) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ٩٠، والطبري ١٠٣/٦، والدر ٢٦٨/٢ كلاهما عن قتادة والزجاج ١٧٦/٢، وفتح القدير ٢٣/٢ عن الزجاج.

اختيار الزجاج: قال: «النور» محمد ﷺ وهو الذي يبين ﴿وكتاب مبين﴾ يعني: القرآن فيه بيان^(١) ما يختلفون فيه.

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَعْزُبُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَتَأَهَّلَ الْكُتَّابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

- قوله جل جلاله^(٢) ﴿يهدى به الله﴾ أي بالكتاب المبين ﴿من اتبع﴾^(٣) رضوانه ﴿اتبع ما رضيه الله تعالى مما مدحه وأنتى عليه، وهو دين الإسلام ﴿سبل السلام﴾ قال ابن عباس^(٤): يريد: دين الإسلام دين الله، والسلام: اسم من أسماء الله تعالى.

وقال الزجاج^(٥): جائز أن يكون أراد طريق السلام، أي: طرق^(٦) السلامة التي من سلكها سلم في دينه، ويجوز أن يكون أراد: سبل دار السلام، كما قال ﴿لهم دار السلام﴾^(٧) ويراد بها طرق الجنة، ولكنه على حذف المضاف. وقوله^(٨) ﴿ويخرجهم من الظلمات إلى النور﴾^(٩) قال ابن عباس^(١٠): من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ﴿بإذنه﴾ أي بتوفيقه وإرادته ﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾.

قال الحسن: هو الذي يأخذ بصاحبه حتى يؤديه إلى الجنة: يعني: الإسلام. ثم أخبر بكفر النصارى فقال: ^(١١)

- ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ وذلك أنهم اتخذوه رباً ومعبوداً وجعلوه إلهاً ﴿قل فمن يملك من الله شيئاً﴾ فمن يقدر أن يدفع من عذاب الله شيئاً ﴿إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم﴾ وهذا احتجاج على

(١) في (ج، و) يعني في بيان ما يختلفون فيه.

(٢) في غير (أ) وقوله، وفي (د) قوله.

(٣) في (هـ) التبع.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٩٠، والخازن ٢٨/٢ عن ابن عباس والطبري ١٠٤/٦ عن السدي.

(٥) انظر الزجاج ١٧٦/٢ والطبري ١٠٤/٦ وغرائب النيسابوري ٩٨/٦.

(٦) في (د) طريق السلامة وهي ساقطة من (و).

(٧) سورة الأنعام / ١٢٧.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٩٠، والطبري ١٠٤/٦.

(٩) في (د) قوله تعالى.

(١٠) انظر البحر ٤٤٨/٣ عن الحسن.

(١١) في (د) بإذنه.

النصارى وهو: لو كان المسيح إلهاً لقد رعى على دفع أمر الله إذا أتى بإهلاكه وإهلاك غيره.

- قوله جل جلاله^(١) ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ قال ابن قتيبة^(٢): يعنون أنه من حذبه وعطفه^(٣) علينا كالأب المشفق، وقيل إن هذا من باب حذف المضاف، معناه: نحن أبناء رسل الله.

قال ابن عباس^(٤): إنما قالوا هذا حين حذرهم النبي ﷺ عقوبة الله.

وقوله^(٥) ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ أي: لم عذب من قبلكم من اليهود والنصارى بذنوبهم، وهم الذين مسخهم الله تعالى قرده وخنزير من أصحاب السبت وأصحاب المائدة.

وهذا احتجاج عليهم^(٦)، وتكذيب لقولهم ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ لأن الوالد لا يعذب ولده والحبيب لا تطيب نفسه بتعذيب حبيبه.

ثم صرح بتكذيبهم فقال ﴿بل أنتم بشر ممن خلق﴾ كسائر بني آدم مجزيون بالإحسان والإساءة ﴿يعفو لمن يشاء﴾ قال عطاء^(٧): لمن يوحده ﴿ويعذب من يشاء﴾ من لا يوحده، وقال السدي^(٨): يهدي منكم من يشاء فيعفو له، ويميت منكم^(٩) من يشاء على كفره فيعذبه.

﴿والله ملك السماوات والأرض وما بينهما﴾ أي: أنه [يملك ذلك لا شريك له فيعارضه^(١٠)] وهو يملك المغفرة لمن يشاء والتعذيب لمن يشاء ﴿وإليه المصير﴾ وإليه يؤول أمر العباد في الآخرة.

- قوله عز وجل^(١١) ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم] على فترة من الرسل﴾ قال ابن عباس^(١٢): على انقطاع من الأنبياء. يقال: فتر الشيء يفتر فتوراً، إذا سكنت حدته وانقطع عما كان عليه^(١٣).

والنبي ﷺ بعث بعد انقطاع الرسل، لأن الرسل كانت متواترة بعضها في إثر بعض إلى وقت رفع الله عيسى عليه السلام.

وقوله^(١٤) ﴿أن تقولوا﴾ أي: لثلاث تقولوا ﴿ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾ فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾.

(١) في غير (أ) قوله تعالى، وفي (د) قوله.

(٢) انظر تفسير البغوي ٢٨/٢، والهازم ٢٩/٢.

(٣) «الحذب: الشفقة، (حاشية (أ)).»

(٤) انظر تفسير الطبري ١٠٥/٦ - ١٠٦، والرازي ١٩٢/١١، وابن كثير ٣٥/٢، والدر ٢٦٩/٢ كلها عن ابن عباس.

(٥) في (د)، (هـ) قوله.

(٩) في (و) ويميت منهم.

(٦) في (و) لهم.

(١٠) ما بين المعقوفتين مكرر في (هـ).

(٧) انظر تفسير الطبري ١٠٦/٦.

(٨) انظر تفسير الطبري ١٠٦/٦، والدر ٢٦٩/٢، وفتح القدير ٢٥/٢ كلها عن السدي. (١١) في غير (أ) وقوله، وفي (د) قوله.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ٩١، والرازي ١٩٤/١١، وغرائب النيسابوري ١٠٠/٦، والهازم ٢٩/٢ كلها عن ابن عباس والزجاج ١٧٧/٢، والطبري ١٠٧/٦ عن قتادة.

(١٣) انظر اللسان: فتر، والمصباح / فتر، ومفردات الراغب: فتر.

(١٤) في (د) قوله.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مِمَّا تَرْضَوْنَ فَأْتُوا بِالنَّافِلَاتِ ﴿٢٠﴾ يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِنَّ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾

- قوله تعالى (١) ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ قال الكلبي (٢): جعل منكم أنبياء على عهد موسى بن عمران وهم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه، فانطلقوا معه إلى الجبل.

﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ قال ابن عباس (٣): جعل لهم الخدم والحشم، وقال مجاهد (٤): كل من لا يدخل عليه إلا بإذنه فهو ملك، وقال قتادة (٥): كانوا أول من ملك الخدم وسخر لهم (٦) من بني آدم، وقال السدي يعني: وجعلكم أحراراً تملكون أنفسكم بعدما كنتم في أيدي القبط (٧) بمنزلة العبيد وأهل الجزية (٨).

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا محمد بن أبي مريم (٩)، حدثنا ابن لهيعة (١٠)، عن دراج (١١)، عن أبي الهيثم (١٢)، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ (١) في غير س (أ) قوله وفي (هـ) وقوله.

(٢) انظر تفسير الخازن ٣٠/٢ عن الكلبي، والفراء ٣٠٣/١، والطبري ١٠٨/٦، والبحر ٤٥٢/٣ عن مقاتل والكلبي.

(٣) انظر تفسير الثوري ١٠١، وابن كثير ٣٦/٢ عن ابن عباس، والدر ٢٦٩/٢ عن ابن عباس وقاتة.

(٤) ذكره القرطبي ١٢٤/٦ عن ابن عباس، وانظر الزجاج ١٧٧/٢، والرازي ١٩٦/١١ وخرائب النيسابوري ١٠٤/٦ كلاهما عن الزجاج، والفراء ٣٠٣/١، والطبري ١٠٩/٦ عن مجاهد.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٠٨/٦ - ١٠٩، وابن كثير ٣٧/٢، والدر ٢٦٩/٢، وفتح القدير ٢٨/٢ كلها عن قتادة.

(٦) في (و) الخدم من بني آدم.

(٧) في (د) أيد القبط.

(٨) انظر تفسير الطبري ١٠٩/٦، والرازي ١٩٦/١١، وابن كثير ٣٧/٢، وخرائب النيسابوري ١٠٤/٦ وفتح القدير ٢٧/٢ كلها عن السدي.

(٩) في غير (د) ابن أبي مريم، ولم أقف عليه.

(١١) دراج بن سمعان بن التجيبي بن أسامة التجيبي أبو السمع المصري القاضي مولى عبد الله بن عمرو بن العاص - يقال اسمه عبد الرحمن ودراج لقب - ولد سنة ١٢٥ هـ يروي عن أبي الهيثم العتوري قال أحمد: أحاديثه مناكير ولينة، وقال عباس عن يحيى ليس به بأس، وقال عثمان بن سعيد عن يحيى: ثقة، وقال النسائي: منكر الحديث وقال أبو حاتم: ضعيف مات سنة ١٨٢ هـ.

(الأنساب ٢٥/٣ - ٢٦، الميزان ٢٤/٢ - ٢٥، وحسن المحاضرة ٢٦٦/١).

(١٢) أبو الهيثم العتوري: سليمان بن عمرو - نسه إلى عتورة بطن من كنانة - يروي عن أبي سعيد وعنه دراج وغيره وثقه ابن معين =

قال: كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم وامرأة ودابة كتب ملكاً^(١).

أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، أخبرنا (أبو أحمد بن عيسى)، أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثنا أبو الحسن القشيري^(٢)، حدثنا أبو الظاهر أخبرنا ابن وهب، حدثني أبو هانئ، أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال: ألسنا من^(٣) فقراء المهاجرين؟

فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟

قال: نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإن لي خادماً، قال: فأنت

من الملوك^(٤).

وروي أن الحسن تلا هذه الآية فقال: وهل الملك^(٥) إلا مركب وخادم ودار؟ وقوله ﴿وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْت أَحَدًا مِنْ

العالمين﴾ قال مجاهد والكلبي^(٦): بأن ظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، وفلق لهم البحر، وأنجاهم من عدوهم.

- قوله تعالى^(٧) ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ قال قتادة^(٨): هي الشام كلها، وقال عكرمة والسدي^(٩):

هي أريط، وقال الكلبي^(١٠): دمشق وفلسطين. ومعنى ﴿المقدسة﴾: المطهرة^(١١)، وتلك الأرض طهرت من الشرك، وجعلت مسكناً وقراراً للأنبياء.

= (الكاشف ١/٣٩٩، وحسن المحاضرة ١/٣٥٨ - ٣٥٩).

(١) الحديث: رواه الطبري ١٠٩/٦ موقوفاً، والدر ٢/٢٦٩ عن ابن عباس ٢/٢٦٩ - ٢٧٠ عن أبي سعيد «أخرج ابن أبي حاتم»، وابن كثير ٣٧/٢، قال ابن أبي حاتم: ذكر عن ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ «الحديث وهذا حديث غريب» وفتح القدير ٢/٣٨ عن ابن عباس. وما بين المعقوفتين مكرر في (ج).

(٢) هو الإمام مسلم.

(٣) في (هـ) ألسنا فقراء من المهاجرين.

(٤) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/١١٠، والطبري ٦/١٠٨، وابن كثير ٢/٣٦، والدر ٢/٢٧٠، وفتح القدير ٢/٢٧، وصحيح مسلم ٢/٥٩٠.

(٥) في (أ) الملوك، وانظر تفسير الطبري ٦/١٠٩، وابن كثير ٢/٣٦، والدر ٢/٢٧٠ كلها عن الحسن.

(٦) انظر تفسير الطبري ٦/١٠٩، والدر ٢/٢٧٠ كلاهما عن مجاهد، والزجاج ٢/١٧٧، والقراء ١/٣٠٣، وابن كثير ٢/٣٧، وفتح القدير ٢/٢٩ عن مجاهد وابن عباس.

(٧) في (د) قوله.

(٨) انظر تفسير الطبري ٦/١١٠، والدر ٢/٢٧٠، وفتح القدير ٢/٢٧، كلها عن قتادة.

(٩) انظر تفسير الطبري ٦/١١٠ عن السدي وابن عباس وابن زيد، والرازي ١١/١٩٧ عن عكرمة والسدي وابن زيد، والدر ٢/٢٧٠ عن ابن عباس، وفتح القدير ٢/٢٧ عن ابن عباس والسدي، وابن كثير ٢/٣٧٦ عن عكرمة عن ابن عباس.

قال ابن كثير: «وفي ذلك نظر، لأن أريحا ليست هي المقصودة بالفتح ولا كانت في طريقهم إلى بيت المقدس، وقد قدموا من بلاد مصر... إلا أن يكون المراد بأريحا: أرض بيت المقدس».

(١٠) في (أ، هـ) قال الكلبي والسدي، وفي (د). قال: والسدي.

وانظر تفسير ابن عباس ٩١، والرازي ١١/١٩٧ عن الكلبي، والزجاج ٢/١٧٨، وفتح القدير ٢/٢٧ عن الزجاج وغريب القرآن ١٤٢ والقراء ١/٣٠٤، واللسان / قدسي.

(١١) انظر مجاز القرآن ١/١٦٠، واللسان / قدسي، ومفردات الراغب / قدسي.

وقوله^(١) ﴿التي كتب الله لكم﴾ قال ابن عباس والسدي^(٢): أمركم بدخولها، وفرض عليكم دخولها ﴿ولا تردوا على أديباركم﴾ لا ترجعوا إلى دينكم الشرك بالله وإلى معصيته^(٣) ﴿فتنقلبوا خاسرين﴾.

- ﴿قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين﴾ قال المفسرون^(٤): هم العمالقة فرقة من عاد. وأراد بـ «الجبارين»: الطوال الأقوياء العظام، من قولهم: رجل جبار، إذا كان طويلاً عظيماً، تشبيهاً بالجبار^(٥) من النخل، وهو الذي فات الأيدي بطوله^(٦). قال قتادة^(٧): كانت لهم أجسام وخلق عجب ليس لغيرهم.

أخبر الله تعالى أنهم أبوا على موسى دخول تلك القرية، واعتلوا بأن فيها قوماً جساماً^(٨) أقوياء لا يطيقونهم، وأنهم لا يدخلونها حتى يخرج منها هؤلاء القوم، فذلك قوله ﴿فإن يخرجوا منها فإننا داخلون﴾.

- قوله عز وجل^(٩) ﴿قال رجلان﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقاتدة^(١٠): هما يوشع بن نون وكالب ﴿من الذين يخافون﴾ الله في مخالفة أمره ﴿أنعم الله عليهما﴾ بالإسلام، قال عطاء^(١١): بالصلاح والفضل واليقين.

﴿ادخلوا عليهم الباب...﴾ الآية، قال المفسرون^(١٢): إنهما قالا لبني إسرائيل: نحن أعلم بالقوم، إنهم قد ملثوا منا رعباً، إنا رأيناهم فكانت أجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة وإنكم تغلبونهم، وذلك قوله ﴿فإذا^(١٣) دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتكولوا﴾ في نصره^(١٤) إياكم على الجبارين ﴿إن كنتم مؤمنين﴾. مصدقين بما أتاكم به رسوله.

- ﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها﴾ قال المفسرون^(١٥): إن عشرة من النقباء نقضوا العهد وقالوا لبني إسرائيل: رأينا حصوناً منيعة^(١٦)، وجابرة، ولا يدان لكم بهم، فجبين القوم وخافوا، ولم يثقوا بنصر الله، وقالوا لموسى ﴿فأذهب^(١٧) أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾. قال الحسن: هذا القول كفر منهم بالله^(١٨).

(١) في (د) قوله.

(٢) انظر تفسير الطبري ١١١/٦، والدر ٢٧٠/٢، وفتح القدير ٢٩/٢ كلها عن السدي، وابن كثير ٣٧/٢ عن ابن عباس.

(٣) في (د) ومعصيته.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٣٧/٢، والدر ٢٧٠/٢ عن زيد بن أسلم وابن عباس، وفتح القدير ٢٧/٢.

(٥) في (د) شبيهاً بالجبار من الفقل.

(٦) انظر اللسان / جبر، والزاهر ١٧٧/١.

(٧) انظر الدر ٢٧٠/٢ عن قتادة.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٩١، ومجاهد ١٨٩، والطبري ١١١/٦ عن مجاهد، وابن كثير ٣٨/٢ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية

والسدي والربيع بن أنس، والدر ٢٧٠/٢ عن ابن عباس وعطية، وفتح القدير ٢٩/٢ عن ابن عباس.

(٩) انظر تفسير القرطبي ١٢٧/٦، وفتح القدير ٢٨/٢.

(١٠) انظر الدر ٢٧١/٢ عن قتادة، وفتح القدير ٢٢/٢، ٢٨ عن مجاهد.

(١١) في (د) وإذا.

(١٢) في (د)، و نصرته.

(١٣) انظر تفسير الطبري ١١٦/٦ عن الضحاك وابن عباس، والدر ٢٧٠/٢، وفتح القدير ٢٩/٢ كلاهما عن ابن عباس.

(١٤) في (هـ) مانعة.

(١٥) في (د) يا موسى اذهب.

(١٦) انظر تفسير القرطبي ١٢٨/٦، والبحر ٤٥٦/٣ كلاهما عن الحسن، وغرائب النيسابوري ١٠٨/٦، وفتح القدير ٢٨/٢.

وقال المفسرون^(١): إنما قالوا هذا جهلاً منهم، وفسقوا بذلك، لأن الله تعالى سماهم فاسقين في هذه القصة، وكذلك موسى سماهم فاسقين، وهو قوله ﴿فأفرق﴾^(٢) بيننا وبين القوم الفاسقين^(٣)، وقوله ﴿فلا تأس على القوم الفاسقين﴾^(٤).

قال الزجاج^(٥): أعلم الله أن أهل الكتاب لم يزالوا غير قابلين من الأنبياء قبل النبي ﷺ وأن الخلاف شأنهم.

أخبرنا سعيد بن محمد بن أحمد الزاهد^(٦)، أخبرنا أبو علي بن أحمد الفقيه، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن أسد الهروي^(٧)، حدثنا حمدان بن عمر^(٨)، حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم^(٩)، حدثنا الأشجعي^(١٠) عبيد الله، عن سفيان، عن مخارق^(١١)، عن طارق بن شهاب، عن ابن مسعود قال: قال المقداد - وهو على فرس يوم بدر -: يا رسول الله، إنا لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن امض^(١٢) ونحن معك، فكانه سري عن رسول الله ﷺ. رواه البخاري عن حمدان بن عمر^(١٣).

أخبرنا أبو سعد بن أبي رشيد العدل، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن أبي عدي^(١٤)، عن حميد، عن أنس:

أن النبي ﷺ يوم خرج إلى بدر استشار الناس، فأشار عليه أبو بكر، ثم استشارهم^(١٥) فأشار عليه عمر، فسكت، فقال رجل من الأنصار: إنما يريدكم، قالوا: يا رسول الله، لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب

(١) انظر تفسير القرطبي ١٢٨/٦، والبحر ٤٥٦/٣، والرازي ٢٠٠/١١ عن المفسرين.

(٢) في (د) ففرق.

(٣) سورة المائدة / ٢٥.

(٤) سورة المائدة / ٢٦.

(٥) انظر الزجاج ١٧٩/٢.

(٦) في (د) سعد، وفي (هـ) شعيب.

(٧) المحافظ محمد بن أحمد بن أسد الهروي الأصل البغدادي أبو بكر كان إماماً ثقة ثبتاً توفي سنة ٣٢٣ هـ (شذرات ٣٠٠/٢).

(٨) حمدان بن عمر: هو أحمد بن عمر - لقبه حمدان - أبو جعفر البغدادي سمع أبا النضر هاشم بن القاسم وغيره وعنه البخاري في تفسيره سورة المائدة حديثاً واحداً توفي سنة ٢٥٨ هـ (كتاب الجمع ١١/١، تاريخ بغداد ١٧٤/٨ - ١٧٥).

(٩) هاشم بن القاسم أبو النضر الكناني من بني ليث بن كنانة من أنفسهم خراساني الأصل سمع شعبة بن الحجاج وعبد الرحمن المسعودي وعبيد الله الأشجعي وغيرهم وعنه أحمد وابن معين وآخرون قال أحمد: أبو النضر شيخنا من الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر ووثقه ابن معين ولد سنة ١٣٤ هـ وتوفي سنة ٢٠٧ هـ (تاريخ بغداد ٦٣/١٤ - ٦٥).

(١٠) الأشجعي الإمام المحافظ الثبت أبو عبد الرحمن عبيد الله بن عبد الرحمن الكوفي سمع إسماعيل بن أبي خالد وهاشم بن عروة وغيرهما ثم لزم سفيان الثوري وعنه أبو النضر وابن معين: صالح ثقة توفي سنة ١٨٢ هـ (تذكرة الحفاظ ٣١١/١ - ٣١٢).

في جميع النسخ الأشجعي عن عبيد الله والأشجعي هو عبيد الله الراوي عن الثوري وانظر الإسناد عند البخاري ١٢٤/١.

(١١) مخارق بن عبد الله بن جابر - ويقال بن خليفة - ويقال مخارق بن عبد الرحمن - الأحمسي الكوفي سمع طارق بن شهاب وغيره وعنه سفيان الثوري وإسرائيل - في تفسير سورة المائدة عند البخاري - (كتاب الجمع ٥٢٢/٢).

(١٢) في (د) امضي.

(١٣) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب التفسير - (فاذهب أنت وربك فقاتلا...) ١٢٤/٣ والطبراني في الكبير ٢٦٢/١ كلاهما عن ابن مسعود.

(١٤) وفي (ح، د) محمّد بن عدي.

(١٥) في (و) استشار الناس.

أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن والله لو ضربت أكبادها حتى تبلغ برك الغماد^(١) لكنا معك^(٢).
- قوله تعالى^(٣) ﴿قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي﴾^(٤) قال الكلبي^(٥): لما قالوا: اذهب^(٦) أنت وربك غضب موسى، وكان رجلاً حديداً^(٧)، ف﴿قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ يقول: لم يطعني منهم إلا نفسي وأخي [والمعنى: لا أملك إلا طاعة نفسي وأخي]^(٨).

﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ فاقض واحكم بيننا وبين القوم العاصين.

- ﴿قال فإنها﴾^(٩) فإن الأرض المقدسة ﴿محرمة عليهم﴾ ممنوعة منهم دخولها ﴿أربعين سنة﴾ قال ابن عباس^(١٠): حرم الله على الذين عصوا دخول بيت المقدس^(١١) فأتوا في التيه، ولم يدخل بيت المقدس ممن خرج من مصر أحد، لا موسى ولا هارون إلا الرجلان اللذان قالا (أدخلوا عليهم الباب) يوشع وكالب، دخلا بأبناء الذين خرجوا من مصر بعدما تاهوا أربعين سنة.

وقال الكلبي^(١٢): قال الله تعالى لموسى: إذ سميتهم فاسقين فإنها محرمة عليهم. وقوله^(١٣) ﴿يتيهون في الأرض﴾ يقال: تاه يتيه تَوَهًا وتَوَّهًا إذا تحير ولم يهتد، وأرض تيه، وتيهاء ومتيهة: يتيه فيها الإنسان^(١٤).

قال مجاهد والحسن^(١٥): كانوا يصبحون حيث أمسوا، ويمسون حيث أصبحوا. وقوله^(١٦) ﴿فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ قال ابن عباس: يريد: لا تحزن على القوم الذين عصوك وعصوني.

- (١) «برك الغماد - بياء مكسورة في أوله -: موضع باليمن، وقيل: مدينة النجاشي» (عمدة القوي والضعيف ص ١١).
- (٢) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الجهاد - باب غزوة بدر - ٩٥/٢. ومسنده أحمد ١٠٥/٣، ١٨٨، ومصنف عبد الرزاق ٣٥٠/٥ كلهم من حديث أنس.
- (٣) في (د) قوله.
- (٤) في (و) فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين.
- (٥) انظر تفسير الطبري ١١٦/٦، والدر ٢٧١/٢ كلاهما عن السدي، والبحر ٤٥٩/٣ عن ابن عباس.
- (٦) في (هـ) فأذهب.
- (٧) ليست في (د). «ورجل حديد وحُداد من قوم أحذاء وأحذة وحُداد: يكون في اللسان والفهم والغضب... واستحد: غضب» (اللسان / حد).
- (٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).
- (٩) انظر تفسير الطبري ١١٧/٦ عن ابن عباس والسدي، وابن كثير ٤٠/٢، والدر ٢٧١/٢ - ٢٧٢ كلاهما عن ابن عباس، والمشكل ٢٢٣/١.
- (١٠) في (و) البيت المقدس.
- (١١) انظر تفسير ابن عباس ٩٢، والطبري ١١٩/٦ عن ابن عباس، والبيهقي ٣٣/٢، والخازن ٣٣/٢.
- (١٢) في (د) قوله.
- (١٣) انظر اللسان / تيه، ومفردات الراغب / تيه.
- (١٤) انظر تفسير الطبري ١١٩/٦، والدر ٢٧٢/٢، وفتح القدير ٢٢/٢ كلها عن مجاهد.
- (١٥) انظر تفسير ابن عباس ٩٢، والطبري ١١٩/٦، والدر ٢٧٢/٢ كلاهما عن ابن عباس، وغريب القرآن ١٤٢، قال الأخفش «فهي من أسي يأسى أسي شديداً، وهو الحزن، ويش من اليأس وهو انقطاع الرجاء، وهو من يست، وأما أسوت تأسو أسواً، فهذا الدواء للحرجة، وأست أووس أسواً، فهو في معنى أعطيت» (الأخفش ٤٦٧/٢ - ٤٦٨) وانظر التبيان ٤٣١/١، ومجاز القرآن ١٦١/١، وغريب القرآن ١٤٢).

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمَكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُنَوِّلتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾

- قوله عز وجل (١) ﴿واتل عليهم﴾ وقرأ على قومك ﴿نبا﴾ خبر (٢) ﴿ابني آدم﴾ قابيل وهاويل ﴿بالحق﴾ كما كان ﴿إذ قربا﴾ (٣) قربانا كان هاويل صاحب غنم، فنظر إلى خير كثير فتقرب إلى الله تعالى، ونظر (٤) قابيل إلى شر قمحه فتقرب به إلى الله تعالى، فنزلت نار من السماء فاحتملت قربان هاويل، ولم تحمل قربان قابيل، فعلم أن الله تعالى قد قبل من أخيه ولم يقبل منه فحسده، وهو قوله ﴿فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال﴾ هاويل (٥) ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ قال ابن عباس: قال له هاويل: إنما يتقبل الله ممن كان زاكي القلب (٦).

والمعنى: من المتقين للمعاصي.

- قوله جل جلاله (٧) ﴿لئن بسطت إلي يدك لتقتلني [ما أنا بياسط يدي إليك لأقتلك]﴾ يقول هاويل لأخيه: لئن بدأتني بالقتل فما أنا بالذي أبدوك بالقتل ﴿إني أخاف الله رب العالمين﴾ في قتلك.

(١) في (ح، هـ) قوله وفي (د، و) قوله تعالى.

(٢) ليست في (أ) وفي (د) أي خبر.

(٣) في (هـ) إذا.

(٤) في (ح) فنظر.

(٥) ليست في (ح، د).

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٩٢.

«لما أهبط آدم إلى الأرض كان له ولدان: هاويل وقابيل، فقرب كل واحد منهما قربانا، وكان قربان هاويل خيرا من قربان قابيل، فتقبل قربان هاويل ولم يتقبل قربان قابيل، فحسده على ذلك، وقتل قابيل هاويل» (انظر تمة المختصر ١٨/١، وتفسير مجاهد ١٩٣ والزجاج ١٨٢/٢، والطبري ١٢٠/٦ عن ابن عمرو وابن عباس ومجاهد وغيرهم، والدرر ٢٧٣/٢ عنهم، والكامل لابن الأثير ٤٢/١).

(٧) في (ح، و) قوله تعالى، وفي (د، هـ) قوله.

- ﴿إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة^(١): تحتل إثم قتلي^(٢) وإثمك الذي كان منك قبل قتلي .

وقال الزجاج^(٣): ترجع إلى الله بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك . ﴿فتكون من أصحاب النار﴾ بالإثمين ﴿وذلك جزاء الظالمين﴾ قال ابن عباس: يريد: إن جهنم جزاء من قتل أخاه ظلماً^(٤) .

- قوله جل^(٥) جلاله ﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه﴾ قال مجاهد^(٦): [شجعت نفسه على قتل أخيه، وقال قتادة^(٧)، زينت^(٨) له نفسه^(٩)، وقال ابن زباب^(١٠) سهلت له ذلك، واختاره الأزهري فقال: المعنى: سهلت له نفسه قتل أخيه، أي: جعلته سهلاً وهونته^(١١) . وتقدير الكلام: فصورت له نفسه أن قتل أخيه طوع له سهل عليه .

﴿فأصبح من الخاسرين﴾ قال ابن عباس: خسر ديناه^(١٢) وآخرته، أما الدنيا فأسخط^(١٣) والديه وبقي بلا أخ، وأما الآخرة فأسخط ربه وصار إلى النار^(١٤) .

أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد حدثنا محمد بن حماد، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق^(١٥)، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ^(١٦) قال: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل» .

رواه مسلم عن ابن نمير عن أبي معاوية، ورواه البخاري عن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه، كلاهما عن الأعمش^(١٧)، أخبرنا أبو نصر أحمد بن علي القاضي^(١٨) حدثنا محمد بن يعقوب^(١٩)، حدثنا محمد بن إسحاق

(١) انظر تفسير ابن عباس ٩٢، وغرائب النيسابوري ١١٦/٦، والرازي ٢٠٧/١١ كلاهما عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة، ومجاهد ١٩٣، وغريب القرآن ١٤٢، والدر ٢٧٤/٢، والطبري ١٢٤/٦، وابن كثير ٤٤/٢ كلها عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك .

(٢) في (و) إثم القتل .

(٣) انظر الزجاج ١٨٢/٢ - ١٨٣، والرازي ٢٠٧/١١، وغرائب النيسابوري ١١٦/٦ كلاهما عن الزجاج .

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٩٢ .

(٥) في غير (أ) قوله .

(٦) انظر تفسير مجاهد ١٩٣، والطبري ١٢٦/٦، وفتح القدير ٣٢/٢ كلاهما عن مجاهد، ومجاز القرآن ١٦٢/١ .

(٧) في (و) سخابة يعني قتل لعن وقال مجاهد .

(٨) في (د) تزينت .

(٩) انظر تفسير الطبري ١٢٦/٦، والدر ٢٧٥/٢، وفتح القدير ٣٢/٢ كلها عن قتادة والبيان ٤٣٢/١ .

(١٠) في (د) يمان بن ديان: تسهلت، وفي (هـ، و) يمان: سهلت .

(١١) انظر تفسير الرازي ٢٠٨/١١ عن المفسرين، وفتح ٣١/٢، واللسان / طوع عن الأزهري .

(١٢) في غير (أ) خسر آخرته وديناه .

(١٣) في (د) فسخط .

(١٤) انظر البحر ٤٦٥/٣، والخازن ٤٠/٢ كلاهما عن ابن عباس، والطبري ١٢٦/٦، وغرائب النيسابوري ١١٨/٦ .

(١٥) في (د) مشروق .

(١٦) في (حـ) عن عبد الله بن مسعود قال لا تقتل . .

(١٧) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات - باب إثم من سن القتل ٤١/٢ .

والبخاري في الصحيح - كتاب بدء الخلق - باب (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) ٢٢٩/٢، وفي كتاب الديات -

باب قول الله تعالى ﴿ومن أحيأها﴾ . ١٨٦/٤ كلاهما من حديث ابن مسعود .

(١٩) سبق .

(١٨) في (د، و) العافي، لم أقف عليه .

الصغاني، حدثنا عفان، حدثنا همام، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «ابن آدم الذي قتل أخاه عليه نصف عذاب أهل النار»^(١).

أخبرنا أبو سعد بن أبي بكر الغازي^(٢)، أخبرنا محمد بن محمد بن إسحاق الحافظ^(٣)، حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الرفاء^(٤)، حدثنا محمد بن حميد^(٥)، حدثنا سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق^(٦)، عن حكيم بن جبير^(٧) عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عمرو قال:

قال رسول الله ﷺ: «أشقى الناس رجلان: عافر ناقة ثمود، وابن آدم الذي قتل أخاه، ما يسفك على الأرض إلا لحقه منه شيء لأنه أول من سن القتل»^(٨).

- قوله عز وجل^(٩) ﴿فَبِعَثِ اللَّهُ غَرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ قال المفسرون^(١٠): إن قابيل لما قتل أخاه تركه بالجراة، ولم يدر ما يصنع به، لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم، فحمله في جراب على ظهره حتى أروح^(١١) ﴿فَبِعَثِ اللَّهُ غَرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ يثير التراب من الأرض.

قال ابن عباس^(١٢): وكانا غرابين اقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه، وقابيل ينظر، ثم بحث في الأرض حتى جعل حفرة فدفنه فيها، ففعل قابيل مثلما فعل الغراب.

(١) الحديث: انظر الدر ٢٧٦/٢ «أخرجه ابن جرير والبيهقي في الشعب عن ابن عمرو» وكشف الأستار عن زوائد البزار - كتاب العلم باب في من سن سنة سيئة رقم ١٩٠ عن ابن عمرو بلفظ «ابن آدم الذي قتل أخاه ليقاسم أهل النار نصف عذابهم قسمة صحاحاً ١٠٧/١، والطبري «قال عبد الله بن عمرو: إنا لنجد ابن آدم القاتل يقاسم أهل النار قسمة صحيحة العذاب عليه شطر عذابهم» وقد روي عن النبي ﷺ بنحو ما روي عن ابن عمرو. ١٢٥/٦.

(٢) ذكر في موضع آخر باسم: محمد بن عبد الرحمن بن محمد الغازي، لم أقف عليه.

(٣) في (ح) محمد بن أحمد بن إسحاق، وفي (و) أحمد بن محمد بن محمد بن إسحاق.

(٤) محمد بن إبراهيم الرفاء حدث عن إبراهيم بن سعيد الجوهري وروى عنه أبو بكر بن مسلم الختلي (تاريخ بغداد ٤٠٠/١).

(٥) محمد بن حميد الرازي أبو عبد الله الحافظ روى عن جرير بن عبد الحميد ويعقوب القمي وخلق وكان من أوعية العلم أثنى عليه أحمد وقال ابن خزيمة: لو عرفه أحمد لما أثنى عليه. خرج له الترمذي وأبو داود وقال ابن أبي شيبة: كثير المناكير، قال البخاري فيه نظر مات - سنة ٢٤٨ هـ (شذرات ١١٨/٢).

(٦) في (ح) بين أبي إسحاق.

(٧) حكيم بن جبير الأسدي - ويقال مولى الحكيم بن أبي العاصي - الثقفى الكوفي؛ - روى عن أبي وائل والنخعي وأبي صالح السمان وغيرهم قال أحمد: ضعيف الحديث مضطرب وقال ابن معين: ليس بشيء وقال الدارقطني: متروك (تهذيب التهذيب ٤٤٥/٢ - ٤٤٦).

(٨) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب التفسير - سورة المائدة - برواية «أشقى الناس ثلاثة... ثم ذكر الحديث» ولم يذكر الثالث، قال الهيثمي: «قلت سقط من الأصل الثالث، والظاهر أنه قاتل علي رضي الله عنه وفيه ابن إسحاق وهو مدلس» ١٤/٧. وفي كتاب الفتن - باب فيمن سن القتل - عن ابن عمرو ٢٩٩/٧ والطبري في التفسير ١٢٥/٦ عن ابن عمرو، والجامع الصغير ٤٣/١ عن ابن عمر ورمز له بالصحيح.

(٩) في غير (أ) قوله.

(١٠) انظر تفسير الطبري ١٢٧/٦ عن ابن عباس، وابن كثير ٤٥/٢ - ٤٦ عن السدي وابن عباس ومجاهد وعطية وابن إسحاق، والدر ٢٧٥/٢ - ٢٧٦ عن ابن مسعود وابن جريج ومجاهد وابن عباس، وفتح القدير ٣٢/٢ عن ابن مسعود وناس من الصحابة.

(١١) «أروح اللحم: تغيرت رائحته» (اللسان / روح).

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ٩٢، ومجاهد ١٩٤، والطبري ١٢٧/٦، والدر ٢٧٦/٢ كلاهما عن ابن عباس.

وتقدير الكلام: يبحث في الأرض على غراب ميت ﴿ليريه كيف يوارى سوءة^(١) أخيه﴾ كيف يستر جيفة أخيه، ﴿قال﴾ قابيل ﴿يا ويلتي﴾^(٢) أي: قد لزمني الويل بحملي^(٣) جيفة ميت ﴿أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين﴾ على حملة والتطواف به حين رأى الغراب فعل ذلك.

- قوله تعالى^(٤) ﴿من أجل ذلك﴾ أي: بسبب قتل قابيل أخاه ﴿كتبنا^(٥) على بني إسرائيل﴾ قال عطاء: قضينا، وقال الكلبي^(٦): فرضنا على بني إسرائيل ﴿أنه من قتل نفساً بغير نفس﴾ وجب عليه^(٧) القصاص ﴿أو فساد في الأرض﴾ يعني: الإشراف بالله ﴿فكأنما قتل الناس جميعاً﴾ قال مجاهد: من^(٨) قتل نفساً محرمة يصلح النار بقتلها، كما يصلحها لو قتل الناس جميعاً.

وقال المحسن^(٩): يجب عليه القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه القتل لو قتل الناس جميعاً.

وقال سعيد بن جبير^(١٠) من استحلت قتل نفس فهو كذلك في دماء الناس^(١١) كلهم [لا يتخرج^(١٢) لها]. ﴿ومن أحيها﴾ مخافة من الله، وتخرجاً^(١٣) من قتلها فكذلك يرى دماء الناس كلهم^(١٤) حراماً.

وهذا كما يروي^(١٥) عن قتادة والضحاك، أنهما قال^(١٦): عظم الله أجرها، وعظم وزرها، فمن استحلت قتل مسلم بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً، لأنهم لا يسلمون منه، ﴿ومن أحيها﴾ فحرمها وتورع عن قتلها ﴿فكأنما أحيها الناس جميعاً﴾ لسلامتهم عنه.

قال مجاهد^(١٧): ومن يقتلها فقد أحيها.

قوله^(١٨) ﴿ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات﴾ قال ابن عباس^(١٩): بأن لهم صدق ما جاءوا به من الفرائض والحلال والحرام^(٢٠) ﴿ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون﴾ مجاوزون حد الحق.

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي

(١) في (أ) سوءة.

(٢) في (هـ) يا ويلتنا.

(٣) في (هـ) بحمل.

(٤) في غير (أ) قوله.

(٧) في (و) عليها.

(٨) في (حـ) وقال مجاهد، وفي (هـ) قال مجاهد، وانظر تفسير مجاهد ١٩٤، وابن كثير ٤٧/٢، وفتح القدير ٣٣/٢ كلاهما عن مجاهد، وغريب القرآن ١٤٣.

(٩) انظر تفسير ابن كثير ٤٧/٢، وفتح القدير ٣٤/٢ كلاهما عن ابن زيد.

(١٣) في (د) وتخرجها.

(١٠) انظر تفسير ابن كثير ٤٧/٢ عن سعيد بن جبير والمحسن.

(١٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (حـ).

(١١) في (و) المسلمين.

(١٥) في (د) روي.

(١٢) في (د، و) يتحرم.

(١٦) انظر تفسير قتادة ١١٨، وتفسير الطبري ١٣١/٦، وابن كثير ٤٧/٢ كلاهما عن قتادة.

(١٧) انظر تفسير مجاهد ١٩٤، والطبري ١٣٠/٦، وابن كثير ٤٧/٢ كلاهما عن مجاهد.

(١٨) في (حـ، هـ) قوله تعالى.

(٢٠) في (حـ) ثم إن كثيراً منهم في الأرض.

(١٩) انظر تفسير الطبري ١٣٢/٦.

الْآخِرَةَ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَتْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾

- قوله عز وجل (١) ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله...﴾ الآية، نزلت في قصة العرنين، وهي ما أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبد الله الشيباني (٢)، أخبرنا إسماعيل بن نجيد، أخبرنا أبو مسلم الكجي، حدثنا عبد الرحمن بن حماد (٣):

حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس: أن رهطاً من عكل وعرينة (٤) أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف (٥)، فاستوخمنا المدينة، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود أن يخرجوا فيها فيشربوا من ألبانها وأبوالها (٦)، فقتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الزود، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم، فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم، وتركهم في الحرة حتى ماتوا على حالهم.

قال قتادة: ذكر لنا أن الآية نزلت فيهم ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله...﴾ الآية رواه مسلم عن ابن المشي (٧)، عن عبد الأعلى، عن سعيد، إلى قوله قتادة (٨).

(١) في غير (أ) قوله، وفي (و) قوله تعالى.
(٢) في (د) ابن الشيباني وفي أسباب النزول: أبو نصر أحمد بن عبيد الله المخلدي وهو: أحمد بن عبيد بن أحمد بن ثابت أبو نصر البخاري الفقيه المعروف بالثابتي قدم بغداد وهو حدث فسمع من أبي القاسم بن حبابه وأبي طاهر المخلص وأبي القاسم الصيدلاني وغيرهم ودرس فقه الشافعي على أبي حامد الأسفراييني، كان ليلاً توفي سنة ٤٤٧ هـ (تاريخ بغداد ٤/٢٣٩ - ٢٤٠).
(٣) عبد الرحمن بن حماد بن شعيب - ويقال ابن عمارة - أبو سلمة الشعبي البصري - ويقال العنبري - سمع ابن عون وغيره وعنه البخاري وطائفة توفي سنة ٢١٢ هـ، (تهذيب التهذيب ٦/١٦٤، كتاب الجمع ١/٢٩١).
(٤) «عكل» - بضم المهملة وإسكان الكاف - قبيلة من تيم الرباب، وعُرينة - بالعين والراء المهملتين والنون مصغراً -: حي من قضاة وحي من بجيلة، والمراد الثاني «فتح الباري ١/٢٦٨».
(٥) «والريف»: أرض فيها زرع» واستوخمنا: استقلنا من الوخامة، أي: نحن أهل ماشية من ذوات الضرع، والمعنى: أنهم من أهل البادية لا من أهل المدن، والزود: من الإبل ما بين الثنتين إلى التسع - وكانت سنة ست - «الفتح الرباني ١٦/١٢٤، وحاشية أ». «وسمل أعينهم»: السمل: أن تفتق العين بحديد أو بغير ذلك.
وأما قطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم، فيروى - والله أعلم - أن هذا كان في أول الإسلام قبل أن تنزل الحدود، فنسخ بالنهي عن المثلة» (غريب الحديث ١/١٧٣ - ١٧٥).

(٦) في (هـ) ففعلوا ذلك فصحوا.

(٧) في جميع النسخ «عن المشي».

(٨) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب القسامة - باب حكم المحاربين والمرتدين - عن أنس ٢/٣٨.

وانظر تفسير الطبري ٦/١٣٣، وأسباب النزول للواحيدي ١٤٤ كلاهما عن قتادة.

وانظر الحديث - صحيح البخاري - كتاب - الوضوء - باب أبواب الإبل والدواب والغنم ومرابضها - عن أنس بالفاظ متقاربة ١/٥٣ -

٥٤. وفي مواضع أخرى من صحيح البخاري.

ومعنى ﴿يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: يعصونهما ولا يطيعونهما، وكل من عصاك فهو حرب لك .
 ﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي: بالقتل^(١) والسرقه وأخذ الأموال، فكل من أخذ السلاح على المسلمين فهو محارب لله ولرسوله، وإن كان في بلد كالمكابر في البلاد، وهذا قول مالك والأوزاعي ومذهب الشافعي^(٢).
 وقوله تعالى^(٣) ﴿أَنْ يَقْتُلُوا...﴾ إلى قوله ﴿أَوْ يَنْفُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ قال الوالي عن ابن عباس: «أو»: دخلت للتخيير ومعناها: الإباحة، إن شاء الإمام قتل، وإن شاء صلب، وإن شاء نفى، وهذا قول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد^(٤).

وقال ابن عباس - في رواية - عطية - : «أو»: ليست للإباحة، إنما هي مرتبة للحكم^(٥) باختلاف الجنابة، فمن قتل وأخذ المال صلب وقتل، ومن أخذ المال ولم يقتل قطع، ومن سفك الدماء وكف عن الأموال قتل، ومن أخاف^(٦) السبيل ولم يقتل نفي، وهذا قول قتادة والسدي ومذهب الشافعي^(٧).

قال الشافعي^(٨): ويحد كل واحد بقدر فعله، فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثاً ثم ينزل، ومن وجب عليه القتل دون الصلب قتل ودفع إلى أهله يدفونه، ومن وجب عليه القطع دون القتل قطعت يده اليمنى، ثم حسمت^(٩)، ثم رجله اليسرى ثم حسمت، وذلك معنى قوله ﴿من خلاف﴾.

وقوله ﴿أَوْ يَنْفُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس^(١٠): هو أن يهدر الإمام دمه، فيقول^(١١): من لقيه فليقتله هذا فيمن لم يقدر عليه.

فأما المقبوض عليه فنفيه من الأرض بالحبس^(١٢) والسجن، لأنه إذا سجن وضع من التقلب في البلاد فقد نفي منها أنشد ابن قتيبة وابن الأنباري قول بعض المسجونين:

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأحياء فيها ولا موتى

(١) في (د) القتل.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٩٣، وابن كثير ٥٠/٢ عن مالك والليث والأوزاعي وأحمد بن حنبل، والدر ٢٧٩/٢ عن الشعبي والأشعث وقاتدة وعطاء، وفتح القدير ٣٤/٢ عن مالك، والشافعي وأبي ثور.

(٣) في غير (أ) قوله، وفي (هـ) قوله.

(٤) انظر تفسير مجاهد ١٩٥، والطبري ١٣٨/٦ عنهم، وكذا الدر ٢٧٨/٢ - ٢٧٩، وابن كثير ٥٠/٢ - ٥١ عنهم، وانظر أحكام القرآن ٦٠٠/٢ عن ابن المسيب ومالك.

(٥) في (د) الحكم.

(٦) في (د) خاف.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٩٣، والطبري ١٣٦/٦ - ١٣٧ عن ابن عباس وقاتدة والسدي، وسعيد بن جبير، والدر ٢٧٨/٢ - ٢٧٩ عن قتادة وعطاء وسعيد بن المسيب وابن عباس، وابن كثير ٥١/٢ عن ابن عباس وقاتدة والسدي وغيرهم، وأحكام القرآن لابن العربي ٥٩٩/٢ عن الحسن وقاتدة وابن عباس والشافعي وجماعة.

(٨) انظر غرائب النيسابوري ١٢٤/٦، وفتح القدير ٣٥/٢ - ٣٦ كلاهما عن الشافعي.

(٩) والحسم: المنع، وحسمه الشيء يحسمه حسماً: منعه إياه (اللسان / حسم).

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٩٣، والزجاج ١٨٦/٢، وابن كثير ٥١/٢ عن ابن عباس.

(١١) في (د) فليقول.

(١٢) في (د) فأما المقبوض فنفيه من الأرض الحبس.

إذا جاءنا السجن يوماً لحاجة . عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا^(١)

وقوله^(٢) ﴿ذلك لهم خزي في الدنيا﴾ أي : فضيحة وهوان ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وهذا للكفار الذين نزلت فيهم الآية .

ثم جرى حكم هذه الآية على المحاربين من المسلمين، فبقي العذاب العظيم في الآخرة للكافرين . والمسلم إذا عوقب بجنايته^(٣) في الدنيا، كانت عقوبته كفارة له^(٤) .

- قوله تعالى^(٥) ﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم﴾ أكثر أهل التفسير: على أن المراد بهذا الاستثناء المشرك المحارب إذا آمن وأصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التي ذكرها^(٦) الله تعالى، ولا يطالب بشيء مما أصاب، لا مال ولا دم، وكذلك لو آمن من بعد القدرة عليه لم يطالب^(٧) بشيء .

قال الزجاج^(٨): جعل الله التوبة للكفار تدرأ عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كفرهم ليكون ذلك ادعى إلى الدخول في الإسلام .

فأما المسلم المحارب إذا تاب واستأمن من قبل القدرة عليه، فقال السدي^(٩): هو كالكافر إذا آمن لا يطالب^(١٠) بشيء إلا إذا أصيب عنده مال بعينه فإنه يرد إلى أهله .

وبهذا حكم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في حارثة بن^(١١) بدر، وكان قد خرج محارباً وذلك ما :

(١) انظر غرائب النسابوري ١٢٦/٦ . قال صالح بن عبد القدوس حين حبسه على تهمة الزندقة وطال حبسه « وكذا تفسير الرازي ٢١٧/١١ ، والبحر ٤٧١/٣ ، وعيون الأخبار ٨١/١ - ٨٢ .

وقبلهما: إلى الله أشكو إنّه موضع الشكوى وفي يده كشف المصيبة والبلوى .
وبعدها: وتعجبنا الرؤيا بحل حديثنا إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا

(٢) في (د) قوله .

(٣) ساقطة من (د) .

(٤) روى أبو داود في السنن - كتاب الحدود - باب ما جاء في المحاربة - عن محمد بن سيرين، قال: كان هذا قبل أن تنزل الحدود - يعني: حديث أنس - رقم ٤٣٧١ .

وعن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في المشركين رقم ٤٣٧٢ ١٣٢/٤ .

(٥) في (د، هـ، ح) قوله .

(٦) في (د) التي ذكره الله ولا يطلب .

(٧) في (د) لم يطلب بشيء .

وانظر تفسير ابن عباس ٩٣ ، والطبري ١٤٢/٦ عن عكرمة والحسن ومجاهد، وابن كثير ٥٢/٢ ، والدر ٢٧٧/٢ عن ابن عباس ٢٧٩/٢ عن قتادة وعطاء، والبيان ٢٩٠/١ .

(٨) انظر الزجاج ١٨٧/٢ .

(٩) انظر تفسير الطبري ١٤٣/٦ - ١٤٤ ، والدر ٢٧٩/٢ - ٢٨٠ كلاهما عن السدي .

(١٠) في (د) لا يطلب .

(١١) حارثة بن بدر بن حصين التميمي الغداني تابعي من أهل البصرة - وقيل أدرك النبي ﷺ له أخبار في الفتوح وقصة مع عمر وعلي، أمره علي على قتال الخوارج توفي سنة ٦٤ . (الأعلام ١٦٢/٢) .

أخبرنا أبو بكر الحارثي، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، حدثنا أبو يحيى الرازي حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا يحيى، حدثنا خالد^(١)، عن عامر^(٢) قال:

كان حارثة بن بدر التميمي أفسد^(٣) في الأرض وحارب، فأتى سعيد بن قيس^(٤) فانطلق سعيد إلى علي - رضي الله عنه - فقال يا أمير المؤمنين، ما جزاء من حارب وسعى في الأرض فساداً؟ قال: أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض، قال: فإن تاب قبل أن يقدر عليه، قال: تقبل توبته، قال: فإنه حارثة بن بدر، فاتاه به فأمنه، وكتب له كتاباً^(٥).

وقال الشافعي^(٦): يسقط عنه بتوبته قبل القدرة عليه حد الله، ولا تسقط حقوق بني آدم ما كان قصاصاً أو مظلمة في مال.

- قوله عز وجل^(٧) ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ أي: اتقوا عقابه بطاعته ﴿وابتغوا﴾ اطلبوا ﴿إليه الوسيلة﴾ ومعنى «الوسيلة»^(٨) الوسيلة والقربة من وسل إليه، إذا تقرب إليه^(٩).

[قال ابن عباس^(١٠): «وابتغوا إليه الوسيلة» القربة، وقال قتادة^(١١): تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه^(١٢)، وقال الكلبي: اطلبوا إليه^(١٣) القربة بالأعمال الصالحة^(١٤).

﴿وجاهدوا في سبيله﴾ في طاعته ﴿لعلكم تفلحون﴾ كي تسعدوا وتبقوا في الجنة.

- قوله تعالى^(١٥) ﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً...﴾ الآية^(١٦)، أخبرنا الله تعالى أن

(١) مجالد بن سعيد بن عمير بن بسطام بن ذي مران بن شرحبيل بن ربيعة الكوفي روى عن الشعبي وغيره وعنه ابنه إسماعيل وإسماعيل بن أبي خالد ويحيى القطان وجريير بن حازم وخلق ضعفه ابن معين، وقال النسائي ليس بالقوي، وقال مرة: ثقة توفي سنة ١٤٤ هـ. (تهذيب التهذيب ٣٩/١٠ - ٤٠).

(٢) ساقطة من (د).

(٣) في (ج، و) عن الشعبي، وفي (د) ابن الشعبي.

(٤) سعيد بن قيس بن زيد من بني زيد بن مريب فارسي من سلالة ملوك همذان كان خاصاً بالإمام علي بن أبي طالب وقاتل معه يوم صفين توفي سنة ٥٠ هـ.

(٥) (الأعلام ٣/١٥٣).

(٦) انظر تفسير الطبري ١٤٣/٦، وابن كثير ٥٢/٢، والدر ٢٧٩/٢، وفتح القدير ٣٧/٢، ومنتخب الكنز ٤٣٨/١ كلها عن الشعبي.

(٧) انظر الأم ١٣٩/٤ وما بعدها، وأحكام القرآن لابن العربي ٦٠٣/٢، وغرائب النيسابوري ١٢٦/٦، وذلك بعد القدرة عليه، وفتح القدير ٣٦/٢ كلها عن الشافعي، وضعفه الشوكاني.

(٨) في (ج، هـ، و) قوله تعالى، وفي (د) قوله.

(٩) في (هـ) الوسيلة، وفي (و) يعني الوسيلة.

(١٠) انظر اللسان / وسل، والمصباح المنير: وسل، ومفردات الراغب: وسل.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٩٣، والزجاج ١٨٧/٢، ومجاز القرآن ١٦٤/١، وابن كثير ٥٢/٢ عن ابن عباس، والمستدرک ٣١٢/٢ عن حذيفة، وفتح القدير ٣٨/٢ عن ابن عباس وحذيفة.

(١٢) في (د) اطلبوا القربة.

(١٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

(١٤) انظر تفسير الطبري ١٤٧/٦، وابن كثير ٥٢/٢، والدر ٢٨٠/٢ وفتح القدير ٣٨/٢ كلها عن قتادة.

(١٥) انظر تفسير ابن عباس ٩٣، ومجاهد ١٩٥، وغريب القرآن ١٤٣، والطبري ١٤٦/٦ عن أبي وائل، والدر ٢٨٠/٢.

(١٦) في غير (أ) قوله.

(١٧) وتماها ﴿ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم﴾.

الكافر يوم القيامة لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها، ثم (١) فدى بذلك نفسه من العذاب لم يقبل منه ذلك الفداء، ثم أخرج أنهم خالدون في النار لا يخرجون فقال:

- ﴿يريدون أن يخرجوا من النار﴾ وإرادتهم الخروج يحتمل وجهين: أحدهما: أنهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج (٢) منها، كما قال الله تعالى: ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾ (٣).

والثاني (٤): أنهم يتمنون ذلك ويردونه بقلوبهم، كقوله تعالى ﴿ربنا أخرجنا منها﴾ (٥) قال الله تعالى ﴿وما هم بخارجين منها﴾.

أخبرنا محمد بن أحمد بن جعفر المزكي، أخبرنا أبو علي بن أبي موسى (٦) أخبرنا الحسين بن محمد بن مصعب (٧)، حدثنا يحيى بن حكيم، حدثنا أبو داود (٨)، حدثنا المسعودي، عن يزيد الفقير (٩) عن جابر قال: يخرج قوم من النار بعد أن احترقوا، قال: قلت: أليس الله يقول (١٠): ﴿يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها﴾؟ قال: اقرأ ما قبلها، إنما هذه للكفار ﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه...﴾ الآية كلها (١١).

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِّنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾

- قوله عز وجل (١٢) ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ قال الحسن والسدي والشعبي: أراد الأيمان (١٣).

(١) في (د) ثم قال فدى.

(٢) في (و) الخروج.

(٣) سورة السجدة / ٢٠.

(٤) في (د) للثاني.

(٥) سورة المؤمنون / ١٠٧.

(٦) في (هـ) أبو علي بن موسى.

(٧) في (د) الحسن.

(٨) أبو داود الطيالسي: المحافظ الكبير سليمان بن داود بن الجارود الفارسي الأصل مولى آل الزبير البصري أحد الأعلام المحافظ قال الفلاس وابن المديني: ما رأيت أحفظ منه، وقال رفيقه ابن مهدي: هو أصدق الناس توفي سنة ٢٠٤ هـ. (تذكرة المحافظ ٣٥١/١ - ٣٥٢).

(٩) سمي فقيراً، لوجع كان يفقار ظهره، وهو يزيد بن صهيب (عمدة القوي والضعيف ص ١٩) وهو يزيد بن صهيب الفقير أبو عثمان الكوفي قال ابن معين وأبو زرعة والنسائي: ثقة وقال أبو حاتم وابن خراش صندوق سمع جابر بن عبد الله وغيره (كتاب الجمع ٥٧٤/٢ - ٥٧٥، وتهذيب التهذيب ٣٣٨/١١).

(١٠) في (أ) يقول الله تعالى.

(١١) انظر الدر ٢٨٠/٢، وفتح القدير ٣٨/٢ كلاهما عن يزيد الفقير، وانظر تفسير الطبري ١٤٧/٦ عن يزيد النحوي عن عكرمة أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس...

(١٢) في غير (أ) قوله تعالى، وفي (ج) قوله.

(١٣) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ٩٢ والخازن ٤٧/٢ عن الحسن والسدي والشعبي، والطبري عن ابن مسعود وإبراهيم والسدي ١٤٨/٦.

وكذلك في قراءة عبد الله ﴿فاقطعوا أيمانهما﴾^(١) وأراد: يميناً من هذا ويميناً من هذه فجمع قال الفراء والزجاج^(٢): كل شيء موحد من خلق الإنسان إذا ذكر مضافاً إلى اثنين فصاعداً جمع فليل قد هشت رؤوسهما وملكت ظهورهما ويطونهما ضرباً، ومثله قوله تعالى ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾^(٣) وذلك أن الإضافة تبين أن المراد بالجمع التثنية، فإذا قلت: شبت بطونهما، علم أن للثنتين بطينين والتثنية في «هما» أغنتك عن التثنية في «بطن».

وهذه الآية مجملة في إيجاب القطع على السارق، وتفصيل ذلك مأخوذ من السنة وقوله^(٤) ﴿جزاء بما كسباً﴾ قال الزجاج: نصب لأنه مفعول له، والمعنى فاقطعوها لجزاء فعلهما، وكذلك ﴿نكالا من الله﴾. قال ابن شهاب نكل الله بالقطع في السرقة عن أموال الناس.

﴿والله عزيز﴾ في انتقامه من السارق ﴿حكيم﴾ فيما أوجبه من قطع يده.

قال الأصمعي: كنت أقرأ سورة المائدة ويجني أعرابي، فقرات هذه الآية فقلت: نكالا من الله والله غفور رحيم - سهواً - فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ قلت كلام الله، قال أعد، فأعدت «والله غفور رحيم» فقال ليس هذا كلام الله، فتبتهت وقرأت «والله عزيز حكيم» فقال: أصبت هذا كلام الله، قلت له: أتقرأ القرآن؟ قال: لا قلت: فمن أين علمت أنني أخطأت؟ قال: يا هذا، عز فحكمت فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع.^(٥)

- قوله عز وجل^(٦) ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه﴾ قال ابن عباس^(٧): أي تاب بنية صادقة وترك ظلم الناس فإن الله يتجاوز عنه [ولا يسقط عنه القطع بالتوبة]. قال مجاهد (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح) تاب الله عليه والحد كفارة له^(٨).

وقال الكلبي^(٩): ﴿فمن تاب بعد ظلمه وأصلح﴾ العمل بعد القطع والسرقة فإن الله يتجاوز عنه^(١٠).

- قوله تعالى^(١١) ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء﴾ قال الضحاك^(١٢): يعذب من يشاء على الذنب الصغير إذا قام عليه ﴿ويغفر لمن يشاء﴾ الذنب الكبير إذا نزع عنه.

وقال السدي^(١٣): يهدي من يشاء فيغفر له، ويعذب من يشاء فيميتة على كفره.

(١) انظر الزجاج ١٨٩/٢، والرازي ٢٢٧/١١ وهي قراءة شاذة والتبيان ٤٣٥/١ والدر ٢٨٠/٢ والفراء ٣٠٦/١ ومختصر الشواذ لابن خالويه ٣٣ كلها عن ابن مسعود.

(٢) انظر الفراء ٣٠٦/١-٣٠٧، والخزاعة ٥٣٥/٧ عن الفراء والزجاج ١٨٩/٢ والتبيان ٢٩٠/١ وقال أبو عبيدة: «ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الجمع موقع هذا الجمع على الاثنين» (مجاز القرآن ٩/١ - ١٠).

(٣) انظر الزجاج ١٩٠/٢ والرازي ٢٢٩/١١ عن الزجاج.

(٤) انظر البحر ٣٨٣/٣ والرازي ٢٢٩/١١ عن الأصمعي.

(٥) سورة التحريم / ٤.

(٦) في (د، هـ) قوله.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٩٣ والقرطبي ١٧٤/٦ والرازي ٢٣٠/١١.

(٨) انظر تفسير الطبري ١٤٩/٦ والدر ٢٨١/٢ وفتح القدير ٤٠/٢ كلها عن مجاهد.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٩٣، والطبري ١٤٩/٦ عن ابن عباس.

(١٠) ما بين المعقوفتين مكرر في (د).

(١١) في غير (أ) قوله.

(١٢) انظر البحر ٤٨٥/٣ عن ابن عباس والضحاك، والبغوي ٥٠/٢ عن ابن عباس والطبري ١٠٦/٦.

(١٣) تقدم مثل ذلك عن السدي عند تفسير الآية ١٨ من السورة.

﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْزِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلشَّحْتِ إِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾

- قوله جل جلاله (١) ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ قال الزجاج (٢): أي لا يحزنك مسارعتهم في نصره الكفر إذ كنت موعوداً النصر (٣) عليهم.

وقوله ﴿من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ قال ابن عباس (٤): هم المنافقون ﴿ومن الذين هادوا﴾ يعني يهود المدينة ﴿سماعون للكذب﴾ [أي: فريق سماعون للكذب] (٥) يسمعون منك ليكذبوا عليك (٦)، أي: إنما يجالسونك ويسمعون منك ليكذبوا عليك، ويقولوا إذا خرجوا من عندك: سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منك.

﴿سماعون لقوم آخرين لم يأتوك﴾ يعني: يهود خيبر.

قال الزجاج: أي: هؤلاء عيون لأولئك الغيب، ينقلون إليهم أخبارك (٧).

﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾ [من بعد أن وضعه الله مواضعه] (٨) يعني: آية الرجم ﴿يقولون﴾ يعني يهود

(١) في غير (أ) قوله تعالى، وفي (د) قوله.

(٢) انظر الزجاج ١٩٠/٢.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٩٣، والدر ٢٨١/٢. وفتح القدير ٤٣/٢ كلاهما عن ابن عباس، والزجاج ١٩١/٢.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ج).

(٦) في (د) منكم ليكذبوا عليكم.

(٧) انظر الزجاج ١٩١/٢.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (ه).

خير لليهود المدينة ﴿إن أوتيتم هذا فخذوه﴾ قال المفسرون^(١): إن رجلاً وامرأة من أشرف أهل خيبر زنيا فكان حدهما الرجم، فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما، فبعثوا الزانيين إلى بني قريظة ليسألوا محمداً ﷺ عن قضائه في الزانيين إذا أحصنا، ما حدهما، قالوا: إن أفتاكم بالجلد فخذوه واجلدوا الزانيين وإن أفتاكم بالرجم فلا تعملوا به، فذلك قوله تعالى ﴿إن أوتيتم هذا﴾^(٢) يعني: الجلد ﴿فخذوه﴾ فاقبلوه واعملوا به ﴿وإن لم تؤتوه﴾ يعني: الجلد ﴿فاحذروا﴾ أن تعملوا بغير الجلد.

حدثنا^(٣) القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحبري - إملاء سنة عشر وأربعمائة أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي، حدثنا محمد بن حماد الأبيوردي، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن البراء بن عازب قال:

مر على النبي ﷺ بيهودي محمماً^(٤) مجلوداً، فدعاهم، فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا^(٥): نعم، فدعا رجلاً من أشرفهم فقال أنشدك بالله^(٦) الذي أنزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال: لا، ولولا أنك نشدني لم أخبرك، نجد حد الزاني في كتاب الرجم، ولكنه كثير^(٧) في أشرفنا، فكنا إذا أخذنا^(٨) [الشريف تركناه^(٩)]، وإذا أخذنا الوضيع أقمنا عليه حد الله، فقلنا تعالوا نجتمع على شيء نقيمه على^(١٠) الشريف والوضيع، فاجتمعنا^(١١) على التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأمر به فرجم، فأنزل الله عز وجل ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ إلى قوله ﴿إن أوتيتم هذا فخذوه﴾. يقولون: اتوا محمداً ﷺ فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوا به، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا.

رواه مسلم عن يحيى بن يحيى، عن أبي معاوية^(١٢).

وقوله^(١٣) ﴿ومن يرد الله فنته﴾ قال ابن عباس ومجاهد: ضلالته^(١٤)، وقال الحسن وقتادة^(١٥): عذابه، وقال

(١) انظر تفسير ابن عباس ٩٤، والزجاج ١٩٢/٢ - ١٩٣، والفتح الرباني ١٢٩/١٨ والدرر ٢٨١/٢ - ٢٨٣ عن أبي هريرة وابن عباس وجابر، وابن كثير ٥٩/٢، وفتح القدير ٤٣/٢ - ٤٤ عن أبي هريرة وابن عمر، والطبري ١٥٠/٦ عن أبي هريرة والرازي ٢٣٢/١١ - ٢٣٣ عن المفسرين وأحكام القرآن لابن العربي ٦١٩/٢ - ٦٢٠.

(٢) في (ج، هـ، و) هذا فخذوه يعني الجلد فاقبلوه.

(٣) في (د، و) أخبرنا.

(٤) في (د) رسول الله يهودي.

(٥) «محمماً» وهو تسويد الوجه بالفحم (حاشية أ).

(٦) في (ج) فقالوا.

(٧) في (د) أنشدك الله.

(٨) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الحدود - باب رجم اليهود وأهل الذمة في الزنى ٥٤/٢ - ٥٥. وأبو داود في السنن - كتاب الحدود - باب في رجم اليهوديين رقم ٤٤٤٨/٤ - ١٥٤. ومسنند أحمد ٢٨٦/٤، وأسباب النزول للواحدي ١٤٥، وللمسيوطي ١٠٦/١، والطبري ١٥٠/٦. كلهم من حديث البراء بن عازب مع تغاير في بعض الألفاظ.

(٩) في (ج، هـ، د) وقوله في (و) ضلاله.

(١٠) انظر البحر ٤٨٨/٣ عن ابن عباس ومجاهد والدرر ٢٨٣/٢ عن ابن عباس، والطبري ١٥٤/٦، وغرائب النيسابوري ١٤٣/٦، وفتح القدير ٤١/٢.

(١١) انظر البحر ٤٨٨/٣ عن الحسن وقتادة.

الزجاج: قيل فضيحته وقيل: كفره^(١).

﴿فلن تملك من الله شيئاً﴾ لن تغني عنه، ولن تدفع عذاب الله عنه ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾ وقال ابن عباس^(٢): أن يخلص نياتهم، وقال الزجاج: أن يهديهم^(٣). ودلت هذه الآية على أن الله تعالى غير مرید إسلام الكافر، وأنه لم يطهر قلبه من الشك والشرك، ولو فعل ذلك لأمن، فهذه الآية من أشد الآيات على القدرية.

وقوله^(٤) ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ خزي المنافقين: هتك سترهم بإطلاع النبي ﷺ على كفرهم، وخزي اليهود فضيحتهم بظهورهم وكذبهم في كتابه الرجم وأخذ الجزية منهم. ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وهو الخلود في النار.

- قوله جل جلاله^(٥) ﴿سماعون للكذب﴾ قال الحسن^(٦): يعني حكام اليهود يسمعون الكذب ممن يكذب عندهم في دعواهم ويأتيهم برشوة فيأخذونها ويأكلونها، فسمعوا كذبه وأكلوا رشوته فهو قوله ﴿أكلون للسحت﴾ وهو كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار^(٧)، والمراد بـ «السحت» ها هنا: الرشوة في الحكم.

قال مسروق: كنت جالساً عند عبد الله^(٨) بن مسعود فقال له رجل: ما السحت قال: الرشى في الحكم^(٩). أخبرنا الفضل بن أحمد بن محمد بن إبراهيم^(١٠)، أخبرنا أبو علي بن أبي موسى، أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن نيروز الأنماطي^(١١)، حدثنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن نافع^(١٢)، حدثنا علي بن الحسن السامي^(١٣)،

(١) انظر الزجاج ١٩٣/٢، والبحر ٤٨٨/٣، والدر ٢٨٢/٢ - ٢٨٣، وفي كليهما: «الرشى في الدين قال سفيان: يعني في الحكم»، ومنتخب

(٢) انظر تفسير الخازن ٥٤/٢ عن ابن عباس.

(٣) انظر الزجاج ١٩٣/٢.

(٤) انظر تفسير الرازي ٢٣٥/١١، والبحر ٤٨٨/٣ كلاهما عن الحسن، والطبري ١٥٤/٦ - ١٥٥ عن الحسن وقتادة والدر ١٨٣/٢ عن ابن عباس والحسن.

(٥) انظر مجاز القرآن ١٦٦/١، وغريب القرآن ١٤٣، واللسان / سحت ومفردات الراغب / سحت.

(٦) في (د) عند ابن مسعود.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٥٤/٦ - ١٥٥، والدر ٢٨٢/٢ - ٢٨٣، وفي كليهما: «الرشى في الدين قال سفيان: يعني في الحكم»، ومنتخب الكتبي ٤٣٨/١ عن مسروق، وذكر الطبري «قيل لعبد الله: ما السحت؟ قال الرشوة قالوا: في الحكم؟ قال: ذلك الكفر» وروى الأثر عن الضحاك وابن عباس ١٥٥/٦.

(٨) في (أ، هـ، و) الفضيل، وفي الفضيل بن محمد، سبق ٣٠٣.

(٩) في (د) سرور الأنماطي، وهو: محمد بن إبراهيم بن نيروز أبو بكر سمع محمد بن عمرو بن نافع ويزيد بن محمد الرمادي وأبا حفصة وغيرهم وعنه الدارقطني وجماعة ذكره يوسف القواس في جملة شيوخه توفي سنة ٣١٨ هـ.

(شذرات ٢/٢٨٠، وتاريخ بغداد ٤٠٨/١).

(١٢) في (د) رافع وهو: محمد بن عمرو بن نافع المصري حدث عنه محمد بن إبراهيم بن نيروز الأنماطي. (تاريخ بغداد ٤٠٨/١ في ترجمة ابن نيروز).

(١٣) علي بن الحسن بن يعمر السامي عن سعيد بن أبي عروبة ومالك وعنه الربيع بن سليمان المرادي وجماعة قال ابن حبان: لا يحل كتب حديثه إلا على جهة التعجب.

(الميزان ٣/١١٩).

حدثنا خليل بن دعلج^(١) عن قتادة، عن أنس قال:

قال رسول الله ﷺ: من أخذ رشوة في الحكم كانت سترًا بينه وبين الجنة^(٢) وقوله^(٣) ﴿فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾ هذا تخيير للنبي ﷺ في الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إليه، إن شاء حكم وإن شاء ترك .
قال إبراهيم والشعبي وعطاء وقتادة^(٤): هذا التخيير ثابت^(٥) اليوم لحكام المسلمين، إن شاءوا حكموا بينهم بحكم الإسلام، وإن شاءوا أعرضوا.

وقال الحسن وعكرمة والسدي^(٦): هذا التخيير منسوخ بقوله ﴿وأن أحكم بما أنزل الله﴾ ومذهب الشافعي - رضي الله عنه - أنه يجب على الحاكم منا أن يحكم بين أهل الذمة الذين قبلوا الجزية ورضوا بجريان أحكامنا عليهم إذا تحاكموا إليه، لأن في إمضاء حكم الإسلام عليهم صغاراً لهم^(٧).

وقوله^(٨) ﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾ قال عكرمة عن ابن عباس^(٩): كان النضير أشرف من قريظة، فكان إذا قتل رجل النضير^(١٠) رجلاً من قريظة أدى مائة وسق من تمر، وإذا قتل رجلاً من قريظة رجلاً من النضير قتل، فلما بعث النبي ﷺ قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة فقالوا: ادفعوه إلينا نقتله^(١١)، فقالوا: بيننا وبينكم النبي ﷺ فاتوه فنزلت ﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾ النفس بالنفس.

- قوله عز وجل^(١٢) ﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله﴾ هذا تعجيب^(١٣) من الله تعالى لنبيه ﷺ

(١) في (د) دحلج، وهو: خليل بن دعلج السدوسي سكن الموصل ثم حدث بدمشق ثم سكن بيت المقدس روى عن قتادة وعطاء وثابت البناني وعن سخبرة وضمرة بن ربيعة والوليد بن سليم وغيرهم قال أحمد وابن معين ضعيف وقال أبو حاتم: صالح ليس بالمتين حدث عن قتادة أحاديث منكرة، وقد عدّه الدارقطني في المتروكين ولم يخرج له أحد من الستة، وقال أبو عروبة: كذاب يضع الحديث كذب كذباً فاحشاً.

(تهذيب التهذيب ١٥٨/٣، الميزان ٦٦٤/١، والموضوعات ١٤٤/١).

(٢) الحديث: انظر كنز العمال ١٢٠/٦ عن أنس بلفظ «لئن أخذ الرشوة في الحكم كانت سترًا بينه وبين الجنة». بدون عزو.

(٣) في (ج، د) قوله.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٥٨/٦، والرازي ١٣٥/١١ كلاهما عن الشعبي وعطاء وقتادة وغيرهم، والدر ٢٨٥/٢ عن الشعبي والزهري وعطاء.

(٥) في (هـ) تخيير اليوم.

(٦) في (و) وقتادة، وانظر الطبري ١٥٨/٦ عنهم وكذا الرازي ٢٣٥/١ والزجاج ١٩٤/٢ - ١٩٥، والدر ٢٨٤/٢ - ٢٨٥ عن ابن عباس وعكرمة والسدي، ٢٩٠/٢ عن مجاهد وقتادة وابن عباس، وابن كثير ٦٠/٢ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي وغيرهم والمستدرک - كتاب التفسير «صحيح الإسناد» عن ابن عباس ٣١٢/٢.

(٧) انظر غرائب النيسابوري ١٤٥/٦، وفتح القدير ٤٢/٢ كلاهما عن الشافعي وغيره والرازي ٢٣٥/١١.

(٨) في غير (أ) قوله.

(٩) انظر مجمع الزوائد ١٥/٧ - ١٦، والفتح الرباني ١٣٠/١٨، والدارقطني ١٩٨/٣ وزوائد ابن حبان ٤٣٠ والنسائي ١٨/٨ - ١٩ وابن كثير ٦٠/٢ والدر ٢٨٤/٢ - ٢٨٥ رقم ٤٤٩٤ عن ابن عباس ١٦٨/٤.

(١٠) في (د) من بني النضير.

(١١) في (د) ادفعوه إليه بقتله.

(١٢) في (ج، هـ) وقوله، وفي (د) قوله، وفي (هـ) قوله (وكيف يحكمونك) هذا.

(١٣) في (د) تعجب، وفي (أ، ج، د، هـ) نيه.

من تحكيم اليهود إياه بعد علمهم بما في التوراة من حكم الزاني وخذته، ثم إعراضهم وتركهم القبول لحكمه، فعدل عما يعتقدونه حكماً إلى ما يجحدون أنه من عند الله، طلباً للرخصة، فظهر جهلهم في هذه القصة.

وقوله^(١) ﴿فيها حكم الله﴾ قال ابن عباس: يريد^(٢): الرجم ﴿ثم يتولون من بعد ذلك﴾ أي: يعرضون عما في التوراة من الحكم ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾^(٣) وما أولئك الذين^(٤) يعرضون عن الرجم بالمؤمنين^(٥).

- قوله تعالى^(٦) ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى﴾ بيان الحكم الذي جاءوا يستفتون فيه النبي ﷺ ﴿ونور﴾ بيان أن أمر محمد ﷺ حق ﴿يحكم بها النبيون﴾ من لدن موسى إلى عيسى.

قال ابن عباس^(٧): وذلك أن الله بعث في بني إسرائيل ألوفاً من الأنبياء ليس معهم كتاب، إنما بعثهم بإقامة التوراة، وهو قوله ﴿الذين أسلموا﴾ أي: الذين انقادوا لحكم التوراة.

﴿للذين هادوا﴾ قال ابن عباس^(٨): تابعوا من الكفر، أي يحكمون بالتوراة لهم وفيما بينهم.

﴿والربايون والأحبار﴾ فقهاء اليهود وعلمائهم، واحداً خبّر وخبّر ﴿بما استحفظوا من كتاب الله﴾.

قال ابن عباس^(٩): بما استودعوا وكلفوا حفظه من كتاب الله ﴿وكانوا عليه شهداء﴾ كانوا شهداء على الكتاب أنه من عند الله ﴿فلا تخشوا الناس﴾ في إظهار صفة محمد ﷺ.

﴿واخشون﴾^(١٠) في كتمان ذلك والخطاب لعلماء اليهود ﴿ولا تشتروا﴾ ولا تستبدلوا ﴿بآياتي﴾^(١١) بأحكامي وفرائضي ﴿ثمناً قليلاً﴾ يعني: متاع^(١٢) الدنيا، وهو قليل، لأنه ينقطع ويذهب.

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [اختلفوا في هذا وفيما بعده من قوله ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم﴾^(١٣) الظالمون، ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾.

فقال جماعة^(١٤) إن الآيات الثلاث نزلت في الكفار ومن غير حكم الله من اليهود وليس في أهل الإسلام منها شيء، لأن المسلم - وإن ارتكب كبيرة - لا يقال له كافر وهذا قول قتادة والضحاك وأبي صالح ورواية البراء عن النبي ﷺ.

(١) في (و) قوله.

(٢) نظر تفسير ابن عباس ٩٤، والطبري ١٠٦/٦ عن السدي.

(٥) في (د) بمؤمنين.

(٦) في (ج، د) قوله.

(٤) في (ج) الذين أي.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٩٤.

(٨) انظر الزجاج ١٩٥/٢ والقرطبي ١٨٩/٦ والزاهر ٢٢٥/٢ - ٢٢٦.

(٩) انظر غريب القرآن ١١٤ والزجاج ١٩٥/٢.

(١٠) في غير (د) واخشوني.

(١١) ليست في (و)، وفي (ج، د) بآياتي أي.

(١٢) في (و) متاع الحياة الدنيا.

(١٣) ما بين المعقوفين مكرر في (أ).

(١٤) انظر مسند أحمد ٢٤٦/١، والفتح الرباني ١٨/١٣٠ - ١٣١، والطبري ١٦٣/٦ - ١٦٤ عن أبي صالح والضحاك وعكرمة وغيرهم،

وابن كثير ١٦٠/٢ - ١٦١ عن ابن عباس وفتادة ومقاتل، والدر ٢٨١/٢ عن ابن عباس، ٢٨١/٢ عن ابن عباس وأبي صالح

والضحاك.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المزكي^(١)، أخبرنا أبو الهيثم أحمد بن محمد بن غوث الكندي^(٢)، حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة عن البراء بن عازب:

عن النبي ﷺ: أنه رجم يهودياً ويهودية ثم قال ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾، [﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾]^(٣)، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ قال: نزلت كلها في الكفار.

رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة^(٤).

قال قتادة في الآيات الثلاث^(٥): ليست والله كما تأولها أهل الشبهات وأهل البدع وأهل الفري على الله وعلى كتابه، وإنما أنزل ما تسمعون في أهل الكتاب حينما نبذوا كتاب الله، وعطلوا حدوده، وتركوا أمره، وقتلوا رسله. وقال الوالي عن ابن عباس^(٦): من جحد شيئاً من حدود الله فقد كفر، ومن أقرها ولم يحكم بها فهو ظالم فاسق.

وقال طاووس^(٨): قلت لابن عباس، ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر؟ قال هو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله.

وقال عبد العزيز بن يحيى^(٩): إنها تقع على جميع ما أنزل الله، لا على بعضه وكل من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، وأما من حكم بما أنزل الله من التوحيد وترك الشرك، ثم لم يحكم بما أنزل الله من الشرائع فليس هو من أهل هذه الآية.

وقال ابن مسعود والحسن والسدي^(١٠) هذه الآيات عامة في اليهود وفي هذه الأمة^(١١) فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر.

(١) في (د) أبو محمد، وفي (و) عبد الله بن محمد.

(٢) في (د) بن عون الكندي، لم أقف عليه.

(٣) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الحدود - باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى - عن البراء (٥٤/٢ - ٥٥).

(٤) انظر تفسير الطبري ١٦٤/٦، والدر ٢٨٨/٢ كلاهما عن قتادة.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٦٦/٦، وابن كثير ٦١/٢، والدر ٢٨٦/٢، وفتح القدير ٤٥/٢ كلها عن ابن عباس.

(٦) انظر الطبري ١٦٦/٦، وابن كثير ٦١/٢، والدر ٢٨٦/٢، وفتح القدير ٤٥/٢ وأحكام القرآن ٦٢٥/٢ كلها عن طاووس عن ابن عباس

والمستدرک - كتاب التفسير «صحيح الإسناد» عن ابن عباس ٣١٣/٢.

(٩) عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكنتاني المكي سمع عبد الله بن معاذ الصنعائي ومروان بن معاوية وابن عيينة والشافعي وغيرهم قدم بغداد في أيام المأمون وجرى بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن وكان من أهل الفضل والعلم وله

مصنفات توفي سنة ٢٤٠ هـ (تاريخ بغداد ٤٤٩/١٠، والعبر ٣٤١/١) وانظر الأثر في تفسير الرازي ٦/١٢، وغرائب النيسابوري

١٤٩/٦ كلاهما عن عبد العزيز بن يحيى الكنتاني.

(١٠) انظر تفسير الطبري ١٦٦/٦ عنهم، وابن كثير ٦١/٢ عنهم والدر ٢٨٣/٢، ٢٨٦ عن ابن مسعود والحسن والنخعي.

(١١) في (و) هذه الآية.

أخبرنا أبو بكر الحارثي^(١)، أخبرنا عبد الله بن محمد بن حيان^(٢)، حدثنا أبو يحيى الرازي^(٣)، حدثنا سهل بن عثمان العسكري^(٤)، حدثنا أبو عبيدة^(٥) عن عمار، عن مسلم بن صبيح، عن مسروق، عن ابن مسعود قال: ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر، ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو ظالم، ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو فاسق^(٦).

وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥﴾

- قوله عز وجل^(٧) ﴿وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ قال الوالي عن ابن عباس^(٨): أخبر الله بحكمه في التوراة وهو أن النفس تقتل بالنفس، إلى قوله ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ فما بالهم يخالفون فيقتلون بالنفس النفسين ويفقؤون بالعين^(٩) العينين.

وقال مجاهد عن ابن عباس: أن [الله كتب]^(١٠) على بني إسرائيل القصاص في القتل، ليس بينهم دية في نفس ولا جرح، وذلك قوله تعالى ﴿وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ﴾ تقتل ﴿بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ﴾ تفتقاً ﴿بِالْعَيْنِ﴾.

ومن رفع^(١١) «العين» فإنه عطف جملة على جملة، ولم يجعل الواو للاشتراك في الناصب كما جعله من نصب. وقوله ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ تعميم بعد التخصيص، لأنه ذكر العين بالعين والأنف بالأنف وما بعدهما، وهذا من

(١)، (٢)، (٣)، (٤) سبق.

(٥) في (ج، د، هـ) عبيده.

(٦) انظر تفسير ابن كثير ٦١/٢ عن مسروق وعلقمة عن ابن مسعود والدر ٢٨٣/٢ عن مسروق عن ابن مسعود.

(٧) في غير (أ) قوله، وفي (د) قوله تعالى.

(٨) انظر تفسير الطبري ١٦٧/٦، وأحكام القرآن لابن العربي ٦٢٥/٢، وابن كثير ٦٢/٢، والدر ٢٨٨/٢ وفتح القدير ٤٨/٢ كلها عن ابن عباس.

(٩) في (ج) بالنفس النفس ويفقؤون العين بالعين.

(١٠) من (هـ). وانظر الدارقطني ٩٩٩/٣، والزجاج ٢٣٤/١، والرازي ٧/١٢، وأحكام القرآن ٦٢٥/٢، والطبري ١٦٧/٦ - ١٦٨ والدر ١٧٣/١ كلها عن ابن عباس.

(١١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسِّنَّ بالسِّنِّ) كلها بالنصب (والجروح) رفعاً وحجتهم ذكرها الزبيدي عن أبي عمر: رفع على الابتداء: يعني: والجروح من بعد ذلك قصاص، وحجة أخرى: هي إنما اختار الانقطاع عن الكلام الأول والاستئناف بـ (الجروح) لأن خبر الجروح يتبين فيه الإعراب.

وقرأ الكسائي - كلها بالرفع - وحجته في ذلك ضجة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قرأ (والعين بالعين والأنف بالأنف) - كلها بالرفع - قال الزجاج: رفعه على العطف على موضع (النفس بالنفس) والعامل فيها المعنى «وكنبتنا عليهم» النفس «أي قلنا لهم النفس» ويجوز أن يكون على الاستئناف.

واختار الفراء الرفع، وقد أجمعوا على الرفع في قوله ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ - سورة الأعراف/ ١٢٨ - فكان إلحاق ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه أولى.

وقرأ نافع وعاصم وحمة - جميع ذلك بالنصب - وحجتهم: أنهم جعلوا الواو للاشتراك في النصب (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٢٥ - ٢٢٧، والسبعة ٢٤٤، والنشر ٢٥٤/٢، والبيان ٤٣٩/١، والزجاج ١٩٦/٢، والفراء ٢٩٠/١ - ٣١٠).

الجروح أيضاً، والقصاص في الجروح إنما يثبت فيما يمكن أن يقتص فيه^(١)، مثل الشفتين والذكر والأنثيين والقدمين واليدين، فأما ما لا يمكن القصاص فيه من رضة^(٢) لحم أو كسر عظم أو جراحة في البطن ففيه أرش^(٣).

وقوله ﴿فمن تصدق به﴾ أي: عفا عن القصاص الذي وجب له ﴿فهو كفارة له﴾ قال ابن عباس^(٤): مغفرة له عند الله وثواب عظيم، وقال الشعبي^(٥): كفارة لمن تصدق به.

أخبرنا الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد الدينوري^(٦)، حدثنا عمر بن الخطاب^(٧)، حدثنا عبد الله بن الفضل^(٨)، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا جرير، عن مغيرة^(٩)، عن الشعبي عن عبادة^(١٠) بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق من جسده بشيء^(١١) كفر الله عنه بقدره من ذنوبه»^(١٢).

وَقَفَيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٧﴾

- قوله جل جلاله^(١٣) ﴿وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم﴾ أي: جعلناه يقفوا آثار النبيين الذي كانوا قبله، أي: يتبعهم في شرعهم وكتابهم، وهو قوله ﴿مصدقاً﴾^(١٤) لما بين يديه من^(١٥) التوراة ﴿بعث عيسى بتصديقه.

﴿وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة﴾ ليس هذا تكريراً^(١٦) للأول، لأن الأول

(١) في (د) منه فيه.

(٢) والرض: الدق الجريش، رض الشيء يرضه رضاً فهو مرضوض ورضيض ورضضة: لم ينعم دقه وقيل رضه رضاً كسره، ورضاضة: كسارة (اللسان / رضض).

(٣) والأرش من الجراحات: ليس له قدر معلوم، وقيل: هودية الجراحات (اللسان / أرش).

(٤) انظر تفسير البحر ٤٩٧/٣ والبغوي ٥٩/٢ كلاهما عن ابن عباس وغيره والفراء ٣١٢/١، وفتح القدير ٤٧/٢.

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٦٣/٢ عن الشعبي والدر ٢٨٨/٢ عن جابر وابن عمر والحسن.

(٦) الحسين بن محمد بن حبش أبو علي الدينوري المقرئ صاحب موسى بن جرير الرقي توفي سنة ٣٧٣ هـ (شذرات ٨١/٣).

(٧) في (د) رضي الله عنه، وهو: عمر بن الخطاب السجستاني الحافظ نزيل الأهواز عن أبي عاصم والفرابي وعنه أبو داود وابنه وأبو سعيد بن الأعرابي وخلق توفي سنة ٢٦٤ (الكاشف ٣٠٩/٢).

(٨) عبد الله بن الفضل - ويقال أبي الفضل - المدني أبو رجاء الخراساني عن هشام ابن حسان، منكر الحديث ذكره البنانى، وقال العقيلي: منكر الحديث. (الميزان ٤٧٢/٢).

(٩) مغيرة بن مقسم الفقيه الحافظ أبو هشام الضبي مولاهم الكوفي الأعمى ولد أعمى وكان عجباً في الذكاء حدث عن أبي وائل والشعبي ومجاهد وخلق، وعنه شعبة والثوري وجرير وغيرهم وثقه أحمد والعجلي. (تذكرة الحفاظ ١٤٣/١).

(١٠) في (د) قتادة. (١١) في (د) شيء.

(١٢) الحديث: رواه أحمد في المسند ٣٣٠/٥ عن عبادة بلفظ «من تصدق عن جسده بشيء كفر الله تعالى عنه بقدر ذنوبه».

ومجمع الزوائد - كتاب الديات - باب ما جاء في العفو عن الجاني والقاتل عن عبادة - «رواه أحمد والطبراني ورجال المسند رجال الصحيح». ٢٠٢/٦.

(١٣) في (ح) قوله، (د)، (هـ) وقوله، وفي (و) قوله تعالى.

(١٤) في (ح) ومصدقاً. (١٥) في (أ)، (هـ) لما بين يديه من الكتاب يعني التوراة.

(١٦) في (ح) بتكرير الأول، وفي (د)، (هـ) تكرير للأول.

لعيسى، والثاني للإنجيل، لأن الإنجيل^(١) أنزل وفيه ذكر التصديق بالتوراة، كما أن عيسى جاء يدعو الناس إلى التصديق بالتوراة.

وقوله ﴿وهدى وموعظة﴾^(٢) معناه: هادياً وواعظاً ﴿للمتقين﴾ الذين يتقون الشرك.

- قوله جل جلاله^(٣) ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ هذا إخبار عما فرض عليهم في ذلك الوقت من الحكم بما تضمنه الإنجيل.

والتقديرو: قلنا وليحكم أهل الإنجيل، ثم حذف القول، وحذف القول في القرآن كثير. و«اللام» فل «ليحكم»^(٤): لام الأمر، ولذلك جزم ﴿وليحكم﴾^(٥). وقرأ حمزة (وليحكم) - بكسر اللام وفتح الميم^(٦) - على معنى: آتينا الإنجيل ليحكم، فيكون كقوله^(٧) ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس﴾^(٨).

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرْتُمْ أَنْ يَفْتَسُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

- قوله عز وجل^(٩) ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق...﴾ الآية، قال قتادة^(١٠): لما أخبر الله تعالى بصنيع أهل الكتاب قبلكم وبحكمهم بغير ما أنزل الله، وعظ^(١١) نبيه ﷺ والمؤمنين بموعظة بليغة، فقال ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾، قال مقاتل^(١٢): يعني: القرآن لم ينزل عبثاً.

﴿مصدقاً لما بين يديه من الكتاب﴾ قال ابن عباس^(١٣): يريد: كل كتاب أنزله الله تعالى على الأنبياء.

﴿ومهيماً عليه﴾ قال الوالي والسدي وقاتدة والحسن^(١٤): أميناً وشاهداً على الكتب التي خلت قبله، فما أخطأ

(١) ساقطة من (د) وكتبت آخر الجملة.

(٢) في (و) للمتقين.

(٣) في غير (أ) وقوله، وفي (د) قوله.

(٤) وقرأ الباقون (وليحكم) - ساكنة اللام والميم - على الأمر، وحجتهم: أن الله عز وجل أمر بالعمل بما في الإنجيل، كما أمر نبينا ﷺ في الآية التي بعدها بالعمل بما أنزل الله بقوله ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله﴾ (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٢٧ - ٢٢٨، والسبعة ٢٤٤، والنشر ٢٥٤/٢، والبيان ٤٤٠/١، والزجاج ١٩٧/٢ - ١٩٨، والفراء ٣١٢/١، والحجة لابن خالويه ١٣١، والبيان ١٩٤/١).

(٥) في (د) قوله.

(٦) سورة النساء / ١٠٥.

(٧) في (د) قوله.

(٨) انظر الدرر ٢٨٩/٢ عن ابن عباس.

(٩) في غير (أ) وقوله، وفي (د) قوله.

(١٠) انظر الدرر ٢٨٩/٢ عن قتادة.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ص ٩٥.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ص ٩٥، والطبري ١٧٢/٦، وابن كثير ٦٥/٢ كلاهما عن الوالي وابن عباس والسدي وقاتدة ومجاهد والحسن والدرر ٢٨٩/٢ عن ابن عباس، وغريب القرآن ١٤٤.

أهل الكتاب بأمر، فإن كان في القرآن فصدقوا، وإلا فكذبوا.

وقال جماعة من أهل اللغة: «المهمين»: الرقيب الحافظ، يقال: هيمن الرجل يهيمن هيمنة إذا كان رقيباً على الشيء، وهو قول الخليل وأبي عبيدة^(١): قال أبو عبيدة^(٢): «المهمين»: الشاهد المصدق، واحتج بقول حسان:

إن الكتاب مهمين لنبينا والحق يعرفه ذوو الألباب^(٣)

وقوله^(٤) ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله﴾ يعني: بين اليهود بالقرآن، والرجم على الزانيين ﴿ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾ يقول [لا^(٥) تتبعهم عما عندك من الحق فتركه وتبعهم، كما تقول]^(٦): لا تتبع زبداً^(٧) عن رأيك، أي: لا تترك رأيك وتبعه.

وقوله^(٨) ﴿لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً﴾ «الشرعة والشرعة»: واحدة^(٩)، وهي ما شرع الله للعباد من الصلاة والصوم والنكاح والحج وغيره، معناها^(١٠) في اللغة: الطريقة، لشرع الناس فيها.

و«المنهاج»: الطريق الواضح، يقال: نهج الأمر وأنهج، لغتان، إذا وضح^(١١) قال ابن عباس والحسن ومجاهد: ﴿شرعةً ومنهاجاً﴾: سبيلاً وسنة^(١٢).

قال قتادة^(١٣): الخطاب للأمم الثلاث، أمة موسى، وأمة عيسى، وأمة محمد صلوات الله عليهم أجمعين، للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، والدين واحد، لا يقبل الله إلا الإخلاص^(١٤).

وقوله^(١٥) ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ على أمر واحد، ملة الإسلام ﴿ولكن ليلوكم﴾ أي: ليختبركم ﴿في ما آتاكم﴾ أعطاكم من الكتاب والسنن^(١٦) ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ سارعوا في الأعمال الصالحات ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً﴾ أنتم وأهل الكتاب ﴿فنبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ من الفرائض والدية والسنن.

- وقوله^(١٧) ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ قد^(١٨) ذكرنا أن هذا ناسخ للتخيير في قوله ﴿فاحكم بينهم وأعرض عنهم﴾^(١٩).

ومعنى ﴿بما أنزل الله﴾: بحدود الله، وما أنزل في كتابه. ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ قال مقاتل^(٢٠): إن رؤساء اليهود

(١) في (د) وأبو عبيدة. وانظر تفسير الرازي ١١/١٢، وغرائب النيسابوري ١٥٥/٦ كلاهما عن الخليل وأبي عبيدة، والزجاج ١٩٧/٢، والزاهر ١٨١/١ عن أبي عبيدة، وفتح القدير ٤٧/٢.

(٢) في (هـ) وقال أبي عبيدة.

(٣) انظر البيت في تفسير الرازي ١١/١٢، والبحر ٥٠١/٣، والخازن ٥٩/٢، والبغوي ٦٠/٢، والقرطبي ٢١٠/٦.

(٤) في (د) قوله. (٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ج). (٨) في (د) واحد وهو.

(٥) في (د) ولا. (٧) في (ح) لا تتبع عن رأيك. (٩) في (و) ومعناه.

(١٠) انظر اللسان / شرع، وغريب القرآن ١٤٤، وفتح القدير ٤٧/٢ - ٤٨، والطبري ١٧٤/٦، والأخفش ٤٧١/٢.

(١١) انظر تفسير الثوري ١٠٣، والطبري ١٧٥/٦ عن ابن عباس ومجاهد، وابن كثير ٦٦/٢ عن ابن عباس ومجاهد والحسن وعكرمة، والدر ٢٩٠/٢ عن ابن عباس وقتادة، وفي تفسير ابن عباس ص ٩٥ «فرائض وسنن». واللسان / شرع عن ابن عباس.

(١٢) انظر تفسير الطبري ١٧٤/٦، وابن كثير ٦٦/٢، والدر ٢٩٠/٢ كلها عن قتادة.

(١٣) في (ح) المخلص. (١٥) في (د) والسنة. (١٧) في (أ) وقد.

(١٤) في (د، و) قوله. (١٦) في (د، هـ) قوله، وفي (و) قوله تعالى. (١٨) انظر تفسير الآية ٤٢ من هذه السورة.

(١٩) انظر تفسير الطبري ١٧٧/٦، وغرائب النيسابوري ١٥٧/٦ - ١٥٨، والدر ٢٩٠/٢، وابن كثير ٦٧/٢، وفتح القدير ٤٩/٢ كلها عن =

قال بعضهم لبعض: انطلق بنا إلى محمد لعلنا نفتنه ونرده عما هو عليه، وإنما هو بشر، فأتوه، وقالوا له: قد (١) علمت أنا إن اتبعناك لأتبعك الناس، وإن لنا خصومة، فاقض لنا على خصومنا (٢) إذا تحاكمنا إليك ونحن نؤمن بك ونصدقك، فأنزل الله تعالى ﴿ولا تتبع أهواءهم، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ قال ابن عباس: يردوك (٣) إلى أهوائهم.

قال أبو عبيدة (٤): كل من صرف عن الحق إلى الباطل وأميل عن القصد فقد فتن. وقوله (٥) ﴿فإن تولوا﴾ فإن عرضوا عن الإيمان والقرآن ﴿فاعلم﴾ [أنما يريد الله أن يعرضهم من أجل أن الله يريد أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا بالقتل والجلاء والجزية ﴿ببعض ذنوبهم﴾ ويجازيهم بالباقي في الآخرة ﴿وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾ يعني: اليهود.

- قوله جل جلاله (٦) ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ قال المفسرون (٧): معناه: أتطلب اليهود في [حكم] (٨) الزانيين حكماً لم يأمر الله تعالى به، وهم أهل كتاب، كما يفعل أهل الجاهلية.

وقرأ ابن عامر (٩) ﴿تبغون﴾ - بالياء - على معنى: قل لهم يا محمد أفحكم الجاهلية تبغون؟ ﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ قال الزجاج: أي: من أبين تبين عدل الله في حكمه (١٠).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٥١﴾ فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فِصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَأُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَدْمِيرٌ ٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْتُوا لَا الَّذِينَ ءَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتِ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبِحُوا خَسِيرِينَ ٥٣﴾

- قوله عز وجل (١١) ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ قال عطية: جاء عبادة بن الصامت فقال: يا رسول الله، إن لي موالي من اليهود كثير عددهم حاضر نصرهم، وإني أبرأ إلى الله تعالى ورسوله من ولاية اليهود، وأوي إلى الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبي: لكن أخاف الدوائر ولا أبرأ من ولاية اليهود، فأنزل الله تعالى فيهما (١٢) هذه الآية والتي بعدها (١٣).

= ابن عباس، والبحر ٣/٥٠٣ - ٥٠٤ عن ابن عباس ومقاتل، وأسباب النزول للواحدي ١٤٧ وللسيوطي ١٠٧.

(١) في (أ) لقد.

(٢) في (ح، د، هـ) يردونك، وانظر تفسير الرازي ١٤/١٢ عن ابن عباس، وغرائب النيسابوري ١٥٨/٦، وفتح القدير ٤٨/٢.

(٤) في (ح، هـ، و) أبو عبيد، وانظر تفسير الرازي ١٤/١٢، وغرائب النيسابوري ١٥٨/٦.

(٦) في غير (أ) قوله.

(٥) في (د) قوله.

(٨) من معاني القرآن للزجاج.

انظر الحجة لأبي زرعة ٢٢٨، والسبعة ٢٤٤، والنشر ٢/٢٥٤، والتبيان ١/٤٤٢، والحجة لابن خالويه ١٣١.

(٩) في (هـ) ابن عباس.

(١١) في (ح، هـ) قوله تعالى، وفي (د، و) قوله.

(١٢) في (و) فيهم.

(١٣) انظر الزجاج ١/١٩٨.

(١٣) انظر تفسير الطبري ٦/١٧٧ - ١٧٨، وأسباب النزول للواحدي ١٤٧ - ١٤٨، وللسيوطي ١٠٧، وابن كثير ٢/٦٨ - ٦٩، وفتح القدير

٥٢/٢، والدرر ٢/٢٩٠ - ٢٩١ كلها عن عطية العوفي عن عبادة.

ومعنى «لا تتخذوهم أولياء»: لا تعتمدوا على الإستنصار بهم، ولا توالوهم. أخبرني محمد بن عبد العزيز المروزي - فيما أجاز لي - أخبرني محمد بن الحسين الحدادي، أخبرنا محمد بن يحيى، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا وكيع، أخبرنا إسرائيل عن سماك، عن عياض الأشعري^(١).

عن أبي موسى، أنه وفد إلى عمر بن الخطاب فقال: إن عندنا نصرانياً كاتباً من حاله وحاله^(٢)، فقال: قاتلك الله، أما سمعت قول الله تعالى ﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ ألا اتخذت حنيفاً؟ قال: قلت: دينه له، ولي كتابته، قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله^(٣) ثم أوعد على موالاتهم فقال ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ قال ابن عباس^(٤): كافر مثلهم، وقال الزجاج^(٥): من عاضدهم^(٦) على المسلمين فإنه معهم. ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ قال ابن عباس^(٧): لا يرشد الكافرين ولا المشركين ولا المنافقين.

- قوله جل جلاله^(٨) ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ يعني: عبد الله بن أبي وأصحابه من المنافقين^(٩) ﴿يسارعون فيهم﴾ قال الكلبي ومجاهد^(١٠): يسارعون في موالة اليهود ومصانعتهم، وقال الزجاج^(١١): في معاونتهم على المسلمين.

﴿يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه من جذب أو قحط ولا يعطوننا الميرة والقرض.

﴿فعمى الله أن يأتي بالفتح﴾ يعني^(١٢): فتح مكة في قول الكلبي والسدي^(١٣)، وقال الضحاك: فتح ق اليهود^(١٤)، وقال قتادة ومقاتل^(١٥): بالقضاء الفصل من نصر محمد على من خالفه.

(١) عياض بن غنم الأشعري شهد اليرموك وحدث عن جماعة من الصحابة وعنه الشعبي وسماك بن حرب وحسين بن عبد الرحمن روى له مسلم وغيره توفي سنة ٧٧ هـ.

(كتاب الجمع ٤٠٢/١، والبداية والنهاية ٢٤/٩، وسير الأعلام ١٣٨/٤ - ١٣٩).

(٢) قوله من حاله وحاله: حكاية ما وقع في كلام أبي موسى، كأنه قال: إنه يكرم المسلمين، ومن حاله أن يعطي عطاء كثيراً (حاشية أ).

(٣) انظر كنز العمال ٢٠٥/٩، والدر ٢٩١/٢، وابن كثير ٦٨/٢، والرازي ١٦/١٢ كلها عن عياض، وغرائب النيسابوري ١٦٠/٦، وأحكام القرآن لابن العربي ٦٣٤/٢.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٧٩/٦، والرازي ١٦/١٢، وغرائب النيسابوري ١٦٠/٦، وفتح القدير ٥٢/٢ كلها عن ابن عباس.

(٥) انظر الزجاج ١٩٨/٢.

(٦) في (ح) عاهدتهم.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٧٦ في معنى «الهدى».

(٨) في غير (أ) قوله تعالى، وفي (د) قوله.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٩٥، والطبري ١٨٠/٦ عن عطية، والدر ٢٩١/٢ عن عطية ومجاهد.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٩٦، والطبري ١٨٠/٦ عن مجاهد، وفتح القدير ٥٢/٢ عن عطية.

(١١) انظر غريب القرآن ١٤٤. (١٢) في (و) يريد.

(١٣) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ٩٦ وغريب القرآن ١٤٤، والدر ٢٩٢/٢، وابن كثير ٦٨/٢، والطبري ١٨١/٦ كلها عن السدي، والبغوي ٦٣/٢ عن السدي والكلبي.

(١٤) عن (و) فتح قرض.

(١٥) انظر تفسير البغوي ٦٣/٢ عن الضحاك، وفتح القدير ٥٠/٢، والبحر ٥٠٨/٣.

(١٦) انظر تفسير الطبري ١٨١/٦، والدر ٢٩٢/٢ كلاهما عن قتادة، والبغوي ٦٣/٢ عن قتادة ومقاتل، وابن كثير ٦٨/٢.

﴿أو أمر من عنده﴾ أي: خصب وسعة لمحمد (١) وأصحابه، وقال مقاتل: يعني: القتل (٢). والجللاء لليهود. ﴿فيصبحوا﴾ يعني: المنافقين ﴿على ما أسروا في أنفسهم﴾ من موالاته اليهود ودس الأخبار إليهم ﴿نادمين﴾ - قوله عز وجل (٣) ﴿ويقول الذين ءامنوا﴾، وقرأ أبو عمرو (ويقول الذين (٤)) - نصباً على معنى: وعسى أن يقول الذين آمنوا، وقرأ أهل الحجاز (يقول) بغير واو - استغناء عن حرف العطف، لملابسة هذه الآية بما قبلها. قال الزجاج: ﴿ويقول الذين ءامنوا﴾ في وقت إظهار الله نفاق المنافقين ﴿أهؤلاء﴾ يعني المنافقين ﴿الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ حلفوا بالله بأعظ الأيمان أنهم مؤمنون ﴿إنهم لمعكم﴾ (٥).

أي: إن المؤمنين حينئذ يتعجبون من كفرهم وحلفهم بالباطل، قال الله تعالى ﴿حبطت أعمالهم﴾ بطل (٦) كل خير عملوه بكفرهم وغشهم المسلمين ﴿فأصبحوا خاسرين﴾ خسروا الدنيا بافتضاحهم، والآخرة بفوت الثواب والمصير إلى النار.

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ٥٦ إِنَّهَا لَكُنْتُمْ أَهْلَ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ٥٧ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ٥٨ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ ٥٩ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ٦٠ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ٦١ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ٦٢ وَإِذَا جَاءَكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ٦٣ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكَلِهِمْ

(١) في (هـ) بمحمد.

(٢) في (د) بالقتل.

وانظر تفسير ابن عباس ٩٦، والبحر ٥٠٨/٣ عن مقاتل وابن السائب.

(٣) في (أ) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

قرأ أبو عمرو (ويقول) - بالنصب - عطفًا على قوله ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ وأن يقول الذين آمنوا وقرأ أهل الحجاز (يقول) - بالرفع بغير واو - وكذلك هي في مصاحفهم، وحجتهم: ما روي عن مجاهد في تفسيره ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ فتح مكة ﴿أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾ ﴿يقول الذين ءامنوا﴾ أي: حينئذ يقول الذين آمنوا.

وقرأ أهل الكوفة (ويقول) - بالرفع والواو - على الانقطاع، أو عطفًا على قوله ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم﴾، ﴿ويقول الذين ءامنوا﴾ أي: وترى الذين آمنوا يقولون (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣٠ - ٢٣١، والسبعة ٢٤٥، والنشر ٢٥٤/٢، والتبيان ٤٤٤/١ والمشكل ٢٢٨/١ - ٢٢٩، والفراء ٣١٣/١، والأخفش ٤٧٢/٢ «ومنع أبو عمر من قراءة النصب»، والمصاحف لابن أبي داود ص ٣٧ والحجة لابن خالويه ١٣١ - ١٣٢).

(٦) في (د) حبطت أعمالهم بكل خير.

(٥) في غير (أ) إنهم معكم.

(٤) ليست في (و).

السُّحَّتْ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ لَوْلَا يَنْهَهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِنَّمِ وَأَكْلِهِمُ السُّحَّتْ
لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ
كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

- قوله تعالى (١١) ﴿يا أيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ وقرأ أهل الحجاز (يرتدد) (١١)، بإظهار دالّين، قال الزجاج (١٢): وهو الأصل، لأن الثاني إذا سكن من المضاعف ظهر التضعيف نحو (إن يمسسكم) ويجوز في اللغة: إن يمسسكم، لأنه يحرك (١٤) الثاني بالفتح عند الإدغام.

قال الحسن: علم الله أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم، فأخبر أنه ﴿[فسوف يأتي الله]﴾ (٥) بقوم يحبهم ويحبونه ﴿واختلفوا في ذلك القوم من هم؟

فقال علي بن أبي طالب والحسن والضحاك وقاتدة وابن جريح: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومنكري الزكاة (٦).

قال قتادة: لما قبض الله نبيه ﷺ ارتد عامة العرب، إلا أهل مكة وأهل المدينة وأهل البحرين من عبد قيس، فقال المرتدون: أما الصلاة فنصلي، وأما الزكاة فلا تغصب أموالنا، فكلم أبو بكر في ذلك فقال: والله لا أفرق بين ما جمع الله، قال الله ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ (٧) والله لو منعوني عقلاً مما أدوا إلى رسول الله (٨) ﷺ لقاتلتهم عليه، فبعث الله عصابات مع أبي بكر، فقاتل على ما قاتل عليه نبي الله ﷺ حتى أقرروا بالماعون وهو الزكاة المفروضة.

قال أنس بن مالك (٩): كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا: أهل القبلة، فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده، فلم يجدوا بدا من الخروج على إثره.

(١) في (ح. د) قوله، وفي (و) وقوله.

(٢) قرأ نافع وابن عامر (يرتدد) - بدالين - وحجتها: إجماع الجميع في سورة البقرة ﴿ومن يرتد منكم عن دينه﴾ - آية ٢١٧ - . والإظهار لغة أهل الحجاز وهو الأصل لأن التضعيف إذا سكن الثاني من المضاعفين ظهر التضعيف نحو قوله ﴿إن يمسسكم قرح﴾ - سورة آل عمران/ ١٤٠ - (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣٠، والسبعة ٢٤٥، والنشر ٢/ ٢٥٥، والبيان ١/ ٤٤٥، والزجاج ٢٠٠/ المصاحف لابن أبي داود ٣٧- ٤٣، والحجة لابن خالويه ١٣٢).

(٣) في (و) يتحرك. (٤) في جميع النسخ أنه سيأتي بقوم، وفي (ح) يحبونهم.

وانظر تفسير الرازي ١٢/ ١٩، وغرائب النيسابوري ٦/ ١٦٢، وكلاهما عن الحسن، وفتح القدير ٢/ ٥٢ عن الحسن وقاتدة.

(٥) انظر تفسير الطبري ٦/ ١٨٢ - ١٨٣، والرازي ١٢/ ١٩، وغرائب النيسابوري ٦/ ١٦٥ كلها عن علي والحسن وقاتدة والضحاك وابن جريح، وابن كثير ٢/ ٧٠ عن الحسين، والدر ٢/ ٢٩٢ عن الضحاك والحسن وقاتدة.

(٦) انظر المستدرک - كتاب الزكاة (صحيح الإسناد) ١/ ٣٨٦ - ٣٨٧، والطبري ٦/ ١٨٣، والدر ٢/ ٢٩٢ وفتح القدير ٢/ ٥٢ كلها عن قاتدة.

(٧) سورة البقرة/ ٤٣، ٨٣، ١١٠، وسورة النساء/ ٧٧، وسورة النور/ ٥٦ وسورة المزمّل/ ٢٠.

(٨) في (و) النبي.

(٩) انظر تفسير البغوي ٢/ ٦٤، والخازن ٢/ ٦٤ كلاهما عن أنس، وفتح القدير ٢/ ٥٢ عن قاتدة.

وقال ابن مسعود^(١): كرهنا ذلك في الابتداء وحمدناه في الانتهاء ورأينا ذلك^(٢) رشداً.

وقال الحسن: لولا ما فعل أبو بكر لألحد الناس في الزكاة إلى يوم القيامة.

وقال أبو بكر بن عياش^(٣): سمعت أبا حصين يقول: ما ولد لآدم في ذريته بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر ولقد قام يوم الردة مقام نبي من الأنبياء.

وقال آخرون: المراد بقوله ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم...﴾ الآية، الأشعريون وهو تفسير النبي ﷺ على ما:

أخبرنا الأستاذ أبو إبراهيم الواعظ، أخبرنا الإمام أبو بكر الإسماعيلي، أخبرنا أبو خليفة الجمحي، حدثنا أبو عمرو الحوضي، حدثنا شعبة، عن سماك عن عياض الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ قال رسول الله ﷺ «هم قوم هذا» يعني: أبا موسى الأشعري.

رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه عن عثمان بن السماك، عن عبد الملك بن محمد، عن وهب بن جريز عن شعبة^(٥).

وقوله^(٦) ﴿أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين﴾ قال ابن عباس^(٧): تراهم للمؤمنين كالولد لوالدهم وكالعبد لسيده، وهم في الغلظة على الكافر كالسبع على فريسته، وهذا^(٨) كقوله ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾^(٩).

قال الزجاج في هذه الآية: يقول^(١٠) الله تعالى: إن ارتد أحد عن دينه الذي هو الإيمان فسوف يأتي الله بقوم مؤمنين غير منافقين، أذلة على المؤمنين، أي: جانبهم لين للمؤمنين ليس أنهم أذلة مهانون، أعزّة على الكافرين، أي: جانبهم غليظ على الكافرين^(١١).

قوله^(١٢) ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ لأن المنافقين كانوا يراقبون الكفار^(١٣) ويظاهرونهم ويخافون لومهم، فأعلم الله أن الصحيح الإيمان لا يخاف في نصرته الدين بيده ولسانه^(١٤) لومة لائم.

(١) انظر تفسير البغوي ٦٤/٢، والخازن ٦٥/٢ كلاهما عن ابن مسعود.

(٢) في (د) ورأيناه رشداً.

(٣) انظر المصدرين السابقين عن أبي بكر بن عياش.

(٤) في (ح، هـ) وهو تفسير النبي ﷺ ما.

(٥) الحديث: رواه الحاكم في المستدرک - كتاب التفسير «صحيح على شرط مسلم» ٢١٣/٢ والطبراني في الكبير ٣٧١/١٧، والبرق ٢٩٢/٢، وتاريخ بغداد ٣٩/٢.

ومجمع الزوائد - كتاب التفسير - من سورة المائدة - «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» ١٦/٧ كلهم عن حديث عياض الأشعري.

(٦) في (د) وقوله.

(٧) انظر تفسير الخازن ٦٦/٢، والقرطبي ٢٢٠/٦ كلاهما عن ابن عباس، والبغوي ٦٦/٢ عن عطاء.

(٨) في (و) وهو.

(٩) سورة الفتح / ٢٩.

(١٠) في (و) يقول إن ارتد.

(١١) انظر الزجاج ٢٠٠/٢ - ٢٠١.

(١٢) من (أ، هـ).

(١٣) ساقطة من (د).

(١٤) في (و) وسانه، والعبارة ذكرها الزجاج ٢٠١/٢.

أخبرنا أبو معمر المفضل بن إسماعيل الإسماعيلي، أخبرنا الإمام جدي أبو بكر الإسماعيلي، حدثنا^(١) عبد الله بن الصقر السكري، حدثنا الفضل بن السخيت^(٢) حدثني صالح بن بيان^(٣)، عن المسعودي، عن القسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود قال:

قال رسول الله ﷺ: «من أراد الجنة لا شك فلا يخف في الله لومة لائم»^(٤).

وقوله^(٥) ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ أي: محبتهم لله ولين جانبهم للمؤمنين، وشدتهم على الكافرين، تفضل من الله عليهم، لا توفيق لهم إلا به^(٦).

- قوله عز وجل^(٧) ﴿إنما وليكم الله ورسوله...﴾^(٨) الآية، قال ابن عباس في رواية عطية العوفي: نزلت في قصة عبد الله بن أبي وعبادة بن الصامت حين تبرأ من اليهود وقال^(٩): أتولى الله ورسوله والذين آمنوا^(١٠).

وقال جابر بن عبد الله^(١١): إن اليهود هجروا من أسلم منهم ولم يجالسوهم، فقال عبد الله بن سلام: يا رسول الله، إن قومنا قد هجرونا، وأقسموا أن لا يجالسونا، فنزلت هذه الآية، فقال: رضينا بالله ورسوله^(١٢) وبالمؤمنين أولياء.

والآية عامة في جميع المؤمنين، فكل مؤمن ولي لكل مؤمن، لقوله تعالى ﴿والمؤمنين﴾^(١٣) والمؤمنات بعضهم أولياء بعض^(١٤)، ونحو هذا روي عن أبي جعفر الباقر، قال: نزلت في الذين آمنوا، فقيل له: إن أناساً^(١٥) يقولون: إنها نزلت في علي بن أبي طالب، فقال: علي من الذين آمنوا^(١٦).

(١) في (و) أخبرنا.

(٢) الفضل بن سخيت عن صالح بن بيان الساحلي وعبد الرزاق وطائفة قال ابن معين: ما سمع عبد الرزاق لعن الله من يكتب عنه وهو أبو العباس السندي كذاب رواها الختلي عن يحيى (الميزان ٣/٣٥١، وتاريخ بغداد ١٢/٣٦٢).

(٣) صالح بن بيان الثقي - ويقال العبدي - ويعرف بالساحلي من أهل الأنبار ولي قضاء سیراف وحدث عن شعبة والثوري وعبد الرحمن المسعودي وعنه الفضل بن سخيت وغيره، قال الدارقطني وأبو نعيم الأصفهاني: متروك الحديث. وقال أبو بكر الخطيب: أحاديثه كلها واهية الإسناد غير محفوظة المتون إلا من طريق لا تثبت به حجة. (تاريخ بغداد ٩/٣١٠ - ٣١١، والميزان ٢/٢٩٠، والموضوعات ٢/٦٩).

(٤) الحديث: روى أبو نعيم في الحلية بسنده عن ابن مسعود قال: ينتهي الإيمان إلى الورع، ومن أفضل الدين أن لا يزال باله غير خال عن ذكر الله عز وجل، ومن رضي بما أنزل الله من السماء إلى الأرض دخل الجنة إن شاء الله، ومن أراد الجنة لا شك فيها فلا يخف في الله لومة لائم.

قال أبو نعيم: الحديث موقوف على ابن عباس (٢٤٩/٩).

(٥) في (ح، د) قوله.

(٨) في (و) والذين آمنوا.

(٦) العبارة ذكرها الزجاج ٢/٢٠١.

(٩) في غير (أ) وقال.

(٧) في (ح، د) قوله تعالى، وفي (د، و) قوله.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٦/١٨٦، والبغوي ٢/٦٦، والدر ٢/٢٩١، ٢٩٣ كلها عن عطية وابن عباس.

(١١) انظر غرائب النيسابوري ٦/١٦٦ - ١٦٧، والبغوي ٢/٦٦ - ٦٧، والخازن ٢/٦٦، وأسباب النزول للواحدي ١٤٨ كلها عن جابر.

(١٢) سورة التوبة / ٧١.

(١٣) في (د) ورسوله.

(١٤) في (هـ، و) ناساً.

(١٥) في (د) والمؤمنين.

(١٦) انظر تفسير الطبري ٦/١٨٦، والبغوي ٢/٦٧، وسير الأعلام ٤/٤٠٦، وابن كثير ٢/٧١، والدر ٢/٢٩٤ كلها عن أبي جعفر

محمد بن علي الباقر.

وقوله ﴿وهم راكمون﴾ قال ابن عباس^(١): يعني صلاة التطوع بالليل والنهار، وإنما أفرد الركوع بالذكر تشريفاً له.

- قوله جل جلاله^(٢) ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا﴾ يعني: يتولى القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين، قال ابن عباس^(٤): يزيد المهاجرين والأنصار ﴿فإن حزب الله هم الغالبون﴾.

معنى «الحزب» في اللغة: الجماعة، وحزب الرجل: أصحابه الذين معه على رأيه، والمؤمنون حزب الله، والكافرون حزب الشيطان^(٥).

قال الحسن^(٦): ﴿حزب الله﴾ جند الله، وقال أبو روق: أولياء الله^(٧) ومعنى ﴿هم الغالبون﴾: أنهم غلبوا^(٨) اليهود، فقتلوا قريظة، وأجلوا بني النضير من ديارهم، وغلبوهم^(٩) عليها، وبقي عبد الله بن سلام وأصحابه الذين تولوا الله ورسوله والذين آمنوا^(١٠).

- قوله تعالى^(١١) ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً﴾^(١٢) قال ابن عباس: كان رجال من اليهود آمنوا ثم نافقوا وكان ناس من المسلمين يودونهم، فأنزل الله^(١٣) تعالى هذه الآية.

ومعنى (اتخاذهم الدين هزواً ولعباً): تلاعبهم بالدين^(١٤) وإظهارهم ذلك باللسان واستبطنهم الكفر.

وقوله^(١٥) ﴿والكفار﴾ يعني: كفار مكة، وهو نسق على قوله ﴿من الذين أتوا الكتاب من قبلكم﴾ يعني^(١٦): اليهود.

ومن نصب: كان نسقاً على قوله ﴿لا تتخذوا الذين اتخذوا﴾ كأنه قال: ولا تتخذوا الكفار^(١٧) أولياء واتقوا

(١) انظر تفسير البغوي ٦٧/٢ عن ابن عباس، والبحر ٥١٤/٣.

(٢) في غير (أ) وقوله، وفي (د) قوله.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٩٦ وعنده «يعني محمداً وأصحابه» وعند ابن كثير ٧١/٢ عن ابن عباس «من أسلم فقد تولى الله ورسوله والذين آمنوا» والبغوي ٦٧/٢، والحاازن ٦٧/٢ كلها عن ابن عباس.

(٥) ذكره ابن منظور في اللسان / حزب، وانظر مفردات الراغب / حزب.

(٦) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ٩٦، وغرائب النيسابوري ١٧٠/٦، والرازي ٣٢/١٢ كلاهما عن الحسن.

(٧) انظر غرائب النيسابوري ١٧٠/٦، والرازي ٣٢/١٢ كلاهما عن أبي روق.

(٨) في (د) غلبوا عامة اليهود.

(٩) في (أ) وغلبوا.

(١٣) في (د) فأنزل هذه.

وانظر تفسير الطبري ١٨٧/٦، والدر ٢٩٤/٢، وأسباب النزول للواحدى ١٤٩، وللسيوطى ١٠٨ وفتح القدير ٥٦/٢ وغرائب

النيسابوري ١٧٠/٦ كلها عن ابن عباس زاد النيسابوري: كان رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد أظهر الإسلام ثم نافقا. «والوجيز

لِلواحدى ٢١٠/١، والرازي ٣٢/١٢.

(١٤) في (د) في الدين.

(١٥) في (و) وهو قوله والكفار أولياء.

(١٦) في غير (أ) وهم اليهود.

(١٧) قرأ أبو عمرو والكسائي (من قبلكم والكفار) - بالخفض - على النسق على (الذين أتوا الكتاب) المعنى: من الذين أتوا الكتاب ومن الكفار.

الله ﴿ بطاعته ﴾ ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ بوعده، وعيده، أي: فلا توالوهم واتركوا موالاتهم.

- قوله عز وجل^(١) ﴿ وإذا ناديتم إلى الصلوة اتخذوها^(٢) هزواً ولعباً ﴾ أي: إذا دعوتم الناس إلى الصلاة بالأذان. «والنداء»: الدعاء بأرفع الصوت^(٣).

قال المفسرون: كان المؤذن إذا أذن للصلوة تضاحكت اليهود فيما بينهم، وتغامزوا على طريق السخف^(٤) والمجون، استهزاء بالصلوة، وتجهيلاً لأهلها، وتنفيراً للناس عنها، وعن الداعي إليها^(٥).

﴿ ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ ما لهم في إجابتهم لو أجابوا إليها، وما عليهم في استهزائهم بها.

- قوله جل جلاله^(٦) ﴿ قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن ءامنا بالله ﴾ الآية.

يقال: نقمتم على الرجل أنقم، إذا أنكرت عليه شيئاً وبالغت في كراهته^(٧).

قال ابن عباس^(٨): إن نفرأ من اليهود سألوا رسول الله ﷺ عنمن يؤمن به من الرسل فقال: أومن ﴿ بالله وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل ﴾ إلى قوله: ﴿ ونحن له مسلمون ﴾^(٩)، فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم، ولا ديناً شراً من دينكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي بعدها.

ومعنى ﴿ هل تنقمون منا ﴾: هل تكهرون منا وتتكرون علينا^(١٠) ﴿ إلا أن ءامنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من

قبل ﴾ وهذا مما ينكر أو يعاب به.

وقوله^(١١) ﴿ وإن أكثرتم فاسقون ﴾ قال الزجاج: المعنى: هل تكهرون^(١٢) إلا إيماننا وفسقكم [أي: إنما كرهتم

= وقرأ الباقر - بالنصب - على النسق على قوله ﴿ لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً ﴾ ولا تتخذوا الكفار (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣٠ - ٢٣١، والسبعة ٢٤٥، والنشر ٢/٢٥٥، والتبيان ١/٤٤٦، والزجاج ٢/٢٠٤ والقراء ١/٣١٣، والبيان ١/٢٩٨ والحجة لابن خالويه ١٣٢).

(١) في غير (أ) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٢) في (د) واتخذوها.

(٣) انظر اللسان / ندى، والمصباح / ندى، ومفردات الراغب / ندا.

(٤) السُّخْفُ والسُّخْفُ والسُّخْفُ: رقة العقل، سُخْفٌ - بالضم - سخافة فهو سخيْفٌ. والسُّخْفُ ضعف العقل (اللسان / سخف، وحاشية (أ)).

و«مجن الشيء» يمجن مجنوناً، إذا صلب وغلظ، ومنه اشتقاق الماجن لصلابة وجهه وقلة استحيائه (اللسان / مجن).

(٥) انظر تفسير ابن عباس ٩٦، والطبري ١٨٨/٦ عن السدي، وأسباب النزول للواحدى ١٤٩، والدر ٢/٢٩٤، وفتح القدير ٥٦/٢ كلها عن ابن عباس، وغرائب النيسابوري ١٧١/٦ عن الكلبي، والرازي ١٢/٣٣، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/٦٣٤.

(٦) في غير (أ) قوله.

(٧) انظر اللسان / نقم، ومفردات الراغب: نقم، والمصباح / نقم.

(٨) انظر تفسير الطبري ١٨٩/٦، وغرائب النيسابوري ١٧٩/٦، وأسباب النزول للسيوطي ١٠٨، والرازي ١٢/٣٤ والدر ٢/٢٩٤ - ٢٩٥ كلها عن ابن عباس، والوجيز للواحدى ١/٢١١.

(٩) سورة البقرة / ١٣٦.

(١٠) انظر مجاز القرآن ١/١٧٠، والطبري ١٨٨/٦.

(١١) في (د) قوله.

(١٢) في (د) تتكرون.

إيماننا وأنتم تعلمون أننا على حق، لأنكم فسقتم^(١) بأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة وكسيكم الأموال، وهذا معنى قول الحسن: لفسقكم نعمتم علينا^(٢).

- قوله جل جلاله ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك [مثوبة عند الله]﴾ يقول الله تعالى لشيء ﷺ: قل لليهود: هل أخبركم بشر مما نعمتم من إيماننا^(٣) ثواباً وجزاءً ﴿من لعنه الله﴾ أي: هو من لعنه الله ﴿وغضب عليه﴾ يعني: اليهود ﴿وجعل منهم القردة والخنازير﴾ يعني بـ «القردة» أصحاب السبت وبـ «الخنازير» كفار مائدة عيسى^(٤).

وقال الوالي عن ابن عباس: إن المسخين من أصحاب السبت، لأن شبابهم مسخوا قردة، ومشايخهم خنازير^(٥).

وقوله^(٦) ﴿وعبد الطاغوت﴾ قال الزجاج^(٧): ﴿عبد﴾ نسق على ﴿لعنه الله﴾ لأن المعنى: لعنه الله وعبد الطاغوت، أي: أطاع الشيطان فيما سول له.

وقرأ حمزة (وعبد) - بضم الباء - (الطاغوت) - بالكسر -^(٨) على تأويل: وجعل منهم عبد الطاغوت، وأراد بـ «العبد»: العبد، فضمت الباء للمبالغة، قال أوس بن حجر^(٩):

أبني لبيني إن أمكم أمة وإن أباكم عبد
أراد: عبداً، فضم الباء.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٢) انظر الزجاج ٢٠٥/٢ والفراء ٣١٣/١، وغرائب النيسابوري ١٧٨/٦ عن الحسن.

(٣) في (و) على إيماننا.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ص ٩٦ يقول (وجعل منهم القردة) في زمن داود النبي ﷺ والخنازير بعد أكلهم من المائدة، وانظر غرائب النيسابوري ١٨٠/٦.

(٥) انظر البحر ٥١٨/٣ عن ابن عباس، وغرائب النيسابوري ١٨٠/٦، وفتح القدير ٥٥/٢ - ٥٦ عن مجاهد.

(٦) في (د) قوله.

(٧) في (و) قال: عبد نسق على قوله.

(٨) قال الفراء: الباء تضمها العرب للمبالغة في المدح والذم، نحو: رجل حذر ويقظ، فتأويل (عبد) أنه بلغ الغاية في طاعة الشيطان، وكذا قراءة مجاهد.

قال الزجاج: وكان اللفظ لفظ واحد يدل على الجميع، كما تقول للقوم: منكم عبد العصا، يريد: إن فيكم عيد العصا.

وقرأ الباقون (وعبد) ولهم في ذلك حجتان، إحداهما: النسق على قوله (من لعنه الله) و(عبد الطاغوت)، والثانية: أن ابن مسعود وأبى قرءا (وعبدوا الطاغوت) حملاً على معنى (من) كما قال (ومنهم من يستمعون إليك) على المعنى ثم قال (ومنهم من ينظر إليك) - سورة يونس ٤٢ - ٤٣ - على اللفظ.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣١ - ٢٣٢ والسبعة ٢٤٦، والنشر ٢٥٥/٢، والزجاج ٢٠٦/٢ - ٢٠٧، والفراء ٢١٤/١، والتبيان ٢٤٨/١ والمشكل ٢٣١/١، والحجة لابن خالويه ١٣٢ - ١٣٣).

(٩) أوس بن حجر بن مالك التميمي أبو شريح شاعر تميم في الجاهلية - أو من كبار شعرائها وهو زوج أم زهير بن أبي سلمى عمر طويلاً ولد يدرك الإسلام، في شعره حكمة ورقة مات سنة ٢ قبل الهجرة (الأعلام ٣٧٤/١) وانظر البيت في ديوانه ص ٢١ من القصيدة رقم ٨ وكلمة (عبد) ساكنة في ديوانه، وانظر غرائب النيسابوري ١٨٠/٦، والفراء ٣١٤/١ - ٣١٥، والزاهر ٤٧٩/١، والحجة لأبي زرعة ٢٣١ واللسان: عبد.

وليس «عبد» لفظ جمع، لأنه ليس في أبنية الجموع^(١) شيء على هذا البناء، ولكنه واحد يراد به الكثرة، كقوله ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾^(٢).

وقوله ﴿أولئك﴾ أي: أهل هذه الصفة ﴿شر مكاناً﴾ من المؤمنين، قال ابن عباس^(٣): لأن مكانهم سقر، ولا شر في مكان المؤمنين حتى يقال: اليهود شر مكاناً منهم، ولكن هذا مبني على كلام الخصم وكذلك قوله ﴿قل﴾^(٤) هل أنبئكم بشر من ذلك ﴿لأنهم قالوا: لا نعرف أهل دين شرأ منكم، فقل لهم﴾^(٥) شر منهم من كان بهذه الصفة. وقوله^(٦) ﴿وأضل عن سواء السبيل﴾ أي: عن^(٧) قصد الطريق.

- قوله عز وجل^(٨) ﴿وإذا جاءكم قالوا ءامنا...﴾ الآية، قال الكلبي إن جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ وقالوا: ^(٩) صدقنا أنك رسول الله وهم يسرون الكفر، وهو قوله ﴿وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به﴾ أي: دخلوا وخرجوا كافرين، والكفر معهم في كلتي حالتهم^(١٠).

﴿والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾ أي: من نفاقهم وإبطانهم الكفر.

- ﴿وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان﴾ قال ابن عباس^(١١): يجترئون على الخطأ والتعدي على الناس بما لا يحل ﴿وأكلهم السحت﴾ يعني: الرشي في الحكم ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾^(١٢) ذم لفعالهم.

- قوله^(١٣) ﴿لولا﴾ هلا^(١٤) ﴿ينهاهم﴾ عما يرتكبونه من القبيح ﴿الربانيون والأحبار﴾ فقهاء اليهود، وعلمائهم ﴿لبئس ما كانوا يصنعون﴾.

قال الضحاك^(١٥): ما في القرآن آية أخوف عندي من هذه الآية، أساء الله الشاء^(١٦) على الفريقين على اليهود وعلى العلماء بترك النكير عليهم فيما صنعوا. ودلت الآيتان على أن: تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه.

- قوله عز وجل^(١٧) ﴿وقالت اليهود يدا الله مغلولة﴾ قال المفسرون: إن الله تبارك وتعالى كان قد بسط^(١٨) على

(١) في (د) المجموع.

(٢) (لا تحصوها) ليست في (ج، د) والنص من سورتي إبراهيم / ٣٤، والنحل / ١٨، وانظر الزجاج ٢/ ٢٠٦.

(٣) انظر تفسير الرازي ١٢/ ٣٧، وغرائب النيسابوري ٦/ ١٨١ كلاهما عن ابن عباس، والخازن ٢/ ٦٩.

(٤) ليست في (ج، د).

(٥) في (د) لا نعرف أهل شر منكم فقل له.

(٦) في (ج، هـ) قوله، وليست في (د).

(٧) انظر تفسير الطبري ٦/ ١٩١ - ١٩٢ عن قتادة وابن عباس، والخازن ٢/ ٦٩، والدر ٢/ ٢٩٥، وفتح القدير ٢/ ٥٦. كلها عن قتادة، والرازي ١٢/ ٣٨.

(٨) في (ج، د) حالتهم، وفي (و) حالهم.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ص ٩٧ بنحوه.

(١٠) في غير (أ) يفعلون. خطأ.

(١١) انظر تفسير الطبري ٦/ ١٩٣، والرازي ١٢/ ٤٠، وابن كثير ٢/ ٧٤، والدر ٢/ ٢٩٦ كلها عن الضحاك بن مزاحم، وفتح القدير ٢/ ٥٦ - ٥٧ عن الضحاك وابن عباس.

(١٢) في (د) إلينا.

(١٣) في (د) قوله، وفي (هـ، و) قوله تعالى.

(١٤) في (د) إن الله بسط.

اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالأ وأخصبهم ناحية، فلما عصوا الله في محمد ﷺ وكذبوا به كف الله عنهم ما بسط عليهم من النعمة فعند ذلك قالت اليهود: يد الله مغلولة، أي: مقبوضة عن العطاء على جهة الصفة بالبخل، وهذا قوله قتادة والضحاك وعكرمة والكلبي^(١).

وقال الزجاج^(٢): أخبر الله تعالى بعظيم فريتهم فقال ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ أي: يده ممسكة عن الإسباغ علينا، كما قال عز وجل ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾^(٣) أي: لا تمسكها عن الإنفاق.

وقوله^(٤) ﴿غلت أيديهم﴾ أي: جعلوا بخلاء وألزموا البخل، فهم أبخل قوم ولا يلقي يهودي أبداً غير لئيم بخيل^(٥).

وقال الحسن^(٦): ﴿غلت أيديهم﴾ في نار جهنم على الحقيقة^(٧)، أي: شددت إلى أعناقهم.

وتأويله^(٨): أنهم جوزوا على هذا القول بأن غلت أيديهم في نار جهنم. ﴿ولنعنا بما قالوا﴾ أي^(٩): عذبوا في الدنيا بالجزية، وفي الآخرة بالنار.

أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز الفقيه^(١٠)، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد القزويني^(١١)، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر، حدثنا سهل بن عمار، حدثنا حفص بن عبد الله، حدثنا أبو عصمة نوح بن أبي مريم^(١٢) عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال:

قال رسول الله ﷺ من لعن شيئاً لم يكن للجنة أهلاً، رجعت اللعنة على اليهود بلعنة الله إياهم^(١٣).

(١) انظر تفسير الطبري ١٩٤/٦ عن قتادة والضحاك، وابن كثير ٧٥/٢ عن قتادة وابن عباس والضحاك والسدي وعكرمة، والبحر ٥٢٣/٣ عن ابن عباس والكلبي، والرازي ٤٠/١٢ - ٤١، والوجيز للواحد ٢١٢/١.

(٢) في غير (أ) قال الزجاج، وانظر الزجاج ٢٠٨/٢، وعنده «الأتساع» بذكر «الإسباغ» وانظر الفراء ٣١٥/١، وغريب القرآن ١٤٤.

(٣) سورة الإسراء ٢٩. (٤) في (د) قوله. (٥) في (ج) بخيل لئيم.

(٦) انظر تفسير الرازي ٤١/١٢، وغرائب النيسابوري ١٨٧/٦ كلاهما عن الحسن، وفتح القدير ٥٧/٢.

(٧) في (د) وعلى الحقيقة. (٨) في (و) وتأويل هذا. (٩) من (أ).

(١٠) أبو عبد الرحمن النيلي محمد بن عبد العزيز بن عبد الله شيخ الشافعية بخراسان روى عن أبي عمرو بن حمدان وجماعة قال الأسنوي: كان إماماً في المذهب أديباً شاعراً صالحاً زاهداً ورعاً سمع الحديث وأملى وطال عمره ولد سنة ٣٥٧ هـ وتوفي سنة ٤٣٦ هـ (شذرات ٢٥٨/٣).

(١١) علي بن العباس بن محمد بن أحمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسن العلوي القزويني، قال الأزهرى قدم علينا في سنة ثيف وثمانين وثلاثمائة، وقال أبو عبد الله بن بكير: كان هذا العلوي حافظاً (تاريخ بغداد ٢٧/١٢).

(١٢) نوح بن أبي مريم يزيد بن عبد الله أبو عصمة الرازي عالم أهل «مروه» وهو نوح الجامع لأنه أخذ الفقه عن أبي حنيفة وابن أبي ليلى، والحديث عن حجاج بن أرطاة، والتفسير عن الكلبي ومقاتل والمغازي عن ابن إسحاق، وروي عن الزهري وابن المنكدر وعنه نعيم بن حماد وسويد بن نصر، قال أحمد: لم يكن بذاك في الحديث وقال مسلم وغيره متروك الحديث وقال البخاري: منكر الحديث، وقال الحاكم وضع أبو عصمة حديث فضائل القرآن الطويل مات سنة ١٧٣ هـ. (الميزان ٢٧٩/٤ - ٢٨٠).

(١٣) الحديث: روى الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب الأدب - باب فيمن لعن من ليس بأهل للعنة - عن أبي موسى «إن استطعت أن لا تلعن شيئاً فافعل فإن اللعنة إذا خرجت من صاحبها فكان الملعون لها أهلاً أصابته وإن لم يكن لها أهلاً فكان اللاعن لها أهلاً رجعت عليه، وإن لم يكن لها أهلاً أصابت يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً، فإن استطعت أن لا تلعن شيئاً أبداً فافعل». رواه الطبراني وفيه: علي بن الجعد، وثقة ابن حبان، وقال ابن معين: يضع الحديث، وكذبه، وفيه من لم أعرفه ٧٤/٨.

وقوله^(١) ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ هذا جواب لليهود، ورد لما افتروه وإبطال لما بهتوا فيه، أجيئو على قدر كلامهم لما قالوا ﴿يَدَا اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ يريدون به: تبخيل الله، فقيل ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أي: هو جواد ﴿يَنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾. ومعنى التثنية في ﴿يَدَاهُ﴾: المبالغة في الجود والإنعام.

ومذهب قوم إلى أن معنى «اليد» في هذه الآية: النعمة، فقالوا في قوله ﴿يَدَا اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: نعمة الله مقبوضة، وفي قوله ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ نعمته^(٢)، أي: نعمة الدنيا والآخرة ﴿يَنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ يرزق كما يريد، إن شاء قتر وإن شاء وسع^(٣).

وقوله^(٤) ﴿وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ أي: كلما أنزل عليك شيء من القرآن كفروا به فيزيد^(٥) كفرهم^(٦)، «وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي: بين اليهود والنصارى عن الحسن ومجاهد^(٧) وقيل: أراد طوائف اليهود، وهو اختيار الزجاج^(٨)، قال: جعلهم الله مختلفين في دينهم^(٩) متباغضين، وهو أحد الأسباب التي أذهب الله^(١٠) بها جدهم وشوكتهم.

﴿كَلِمًا أَقْدَمُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ قال ابن عباس: كلما أرادوا محاربتك ردهم الله تعالى وألزمهم الخوف منك ومن أصحابك، وهذا قول الحسن^(١١).

وقال قتادة^(١٢): هذا عام في كل حرب طلبتها^(١٣) اليهود، فلا تلقى اليهود ببدة إلا وجدتهم^(١٤) من أذل الناس.

وقوله ﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾^(١٥) قال الزجاج^(١٦): أي يجتهدون في دفع الإسلام ومحو ذكر النبي ﷺ من كتبهم.

(١) في (د، هـ) قوله... هذا جواب لليهود.

(٢) في (هـ) أي نعمته: نعمة الدنيا.

(٣) وقال ابن جني: أكثر ما تستعمل الأيدي في النعم لا في الأعضاء، واليد: النعمة والإحسان تصطنعه والمنة والصنيعة، وفي الحديث «اليد العليا خير من اليد السفلى» العليا: المعطية، والسفلى السائلة... ٤.

(اللسان: يدي، وانظر الأخص ٤٧٣/٢، وغرائب النيسابوري ١٨٥/٦، والبحر ٥٢٣/٣).

(٤) في (د) قوله.

(٥) في (د) فيزيدهم، وفي (هـ) ويزيد.

(٦) في (ج، د) قوله وألقينا.

(٧) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ٩٧، والطبري ١٩٥/٦ عن مجاهد، وغرائب النيسابوري ١٩٠/٦ عن الحسن ومجاهد، والدر ٢٩٧/٢ عن الربيع.

(٨) في (أ) وهو اختيار وقال، وانظر الزجاج ٢٠٩/٢.

(٩) في (هـ) دينه.

(١٠) في (ج) التي أذهب بها جدهم «والجد: البخت والحظ والرزق» (اللسان / جدد).

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٩٧، والدر ٢٩٧/٢ عن الحسن، والزجاج ٢٠٩/٢.

(١٢) انظر تفسير الطبري ١٩٦/٦، وغرائب النيسابوري ١٩١/٦ والدر ٢٩٧/٢ كلها عن قتادة.

(١٣) في (ج، هـ) طلبته.

(١٤) في (د، هـ) وجدتم من أذل الناس قوله.

(١٥) في (أ) يسعون.

(١٦) انظر الزجاج ٢١٠/٢، وفتح القدير ٥٨/٢.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلْنَا لَهُمُ الْجَنَّةَ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾

- قوله جل جلاله (١) ﴿ولو أن أهل الكتاب ءامنوا﴾ صدقوا محمداً ﷺ ﴿واتقوا﴾ اليهودية والنصرانية ﴿لكفرنا عنهم سيئاتهم﴾ التي عملوها قبل أن تأتيهم. والمعنى: محونا ذنوبهم التي سلفت بالإيمان بك.
- ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل﴾ قال ابن عباس (٢): عملوا بما فيها من التصديق بك، والوفاء (٣) لله، وأظهروا ما فيها ﴿لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ قال ابن عباس (٤): لأنزلت عليهم القطر (٥)، وأخرجت لهم من نبات الأرض كلما أرادوا.

وقوله (٦)، ﴿منهم أمة مقتصدة﴾ أي: مؤمنة، وهم العادلة غير الغالية ولا المقصرة، ومعنى الاقتصاد في اللغة: الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير (٧). ﴿وكثير منهم ساء ما يعملون﴾ بش شيئاً عملهم، قال ابن عباس: عملوا القبيح وما لا يرضي الله تعالى مع التكذيب للنبي ﷺ (٨).

- قوله عز وجل ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ قال الحسن: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الله بعثني بالرسالة (٩) فضقت بها ذرعاً وعرفت (١٠) أن الناس مكذبي، فأوعدني (١١) فيها: لأبلغها أو ليعذبني» (١٢). وقال ابن الأنباري (١٣) كان النبي ﷺ يجاهر ببعض القرآن أيام كان بمكة ويخفي بعضه، إشفافاً على نفسه من

(١) في غير (أ) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٢) وهو قول الزجاج ٢/٢١٠، وانظر الدر ٢/٢٩٧، وفتح القدير ٢/٥٨ - ٥٩ كلاهما عن مجاهد، والرازي ١٢/٤٦.

(٣) في (د) ولو فالله.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٩٧، والطبري ٦/١٩٧، والدر ٢/٢٩٧ كلاهما عن ابن عباس، والفراء ١/٣١٥، وغريب القرآن ١٤٤.

(٥) القطر: أي المطر (حاشية أ).

(٦) في (د) قوله.

(٧) انظر اللسان: قصد، ومفردات الراغب / قصد.

(٨) انظر تفسير البغوي ٢/٧٣، والخازن ٢/٧٣ كلاهما عن ابن عباس والطبري ٦/١٩٨.

(٩) في (ج، د، و) برسالته.

(١٠) في (و) وعلمت.

(١١) في (د) فأوعدوني.

(١٢) الحديث: روى أبو نعيم في الحلية بسنده عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال «إن الله تعالى أرسلني برسالة فضقت بها ذرعاً، وعلمت أن الناس مكذبي فأوعدني إن لم أبلغها ليعذبني». قال أبو نعيم: «غريب بهذا اللفظ عن أبي هريرة، وعطاء، تفرد به كلثوم في النسخة» ٥/٥٠٢.

وانظر مسند الحميدي ٢/٣٩٠ - ٣٩٢ عن عون بن مالك الجشمي عن أبيه، والدر ٢/٢٩٨، وفتح القدير ٢/٦٠، وأسباب النزول

للسيوطي ١٠٩، وأسباب النزول للواحيدي ١٥٠ كلها عن الحسن.

(١٣) انظر القرطبي ٦/٢٤٢، والوجيز للواحيدي ١/٢١٤.

تسرع^(١) المشركين إليه وإلى أصحابه، فلما أعزه الله بالمؤمنين^(٢) قال له ﴿بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾.

والمعنى: بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك مجاهرًا به، فإن أخفيت منه شيئاً لخوف يلحقك ﴿فما بلغت رسالته﴾ قال ابن عباس^(٣): يقول إن كتمت آية مما أنزلت^(٤) إليك لم تبلغ رسالتي.

يعني: أنه إن ترك إبلاغ البعض كان كمن لم يبلغ، وحاشا^(٥) لرسول الله ﷺ أن يكتم شيئاً مما أوحى إليه، فقد قالت عائشة - رضي الله عنها - من زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول ﴿بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾^(٦).

وقوله^(٧) ﴿والله يعصمك من الناس﴾ أي: يمنعك^(٨) أن ينالك بسوء من قتل أو أسر.

قالت عائشة - رضي الله عنها - كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة فقال: يا أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله^(٩).

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ، أخبرنا إسماعيل بن نجيد، أخبرنا محمد بن الحسن بن الخليل حدثنا محمد بن العلاء^(١٠)، حدثنا الجُماني، حدثنا التضر^(١١) عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يحرس وكان عمه أبو طالب يرسل كل يوم رجالاً من بني هاشم يحرسونه، حتى نزلت هذه الآية، فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه، فقال: يا عماء، إن الله قد عصمني من الجن والإنس^(١٢).

(١) في (د) اشتقاقاً على نفسه عن شرع.

(٢) في (أ) بعباده المؤمنين.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٩٨/٦، والخازن ٧٤/٢، وابن كثير ٧٨/٢ كلها عن ابن عباس.

(٤) في (و) أنزل إليك ولم، وفي (ج) فلم تبلغ، وفي (د) ثم تبلغ.

(٥) في (و) وحاشى.

(٦) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الإيمان - باب معنى قول الله عز وجل ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ ٨٩/١. والترمذي - كتاب

التفسير - باب من سورة الأنعام رقم ٥٠٦٣ «حسن صحيح» ٣٢٨/٤.

وصحيح ابن حبان - كتاب الوحي - ذكر تعداد عائشة قول ابن عباس: من أعظم الفرية رقم ٦٠ (٢٢٩/١ - ٢٣٠).

والبخاري في الصحيح - كتاب التفسير - باب (يا أيها الرسول بلغ) ١٢٥/٣، وفي كتابه التوحيد، باب (يا أيها الرسول بلغ) ٣٠٥/٤.

(٧) في (د) قوله.

(٨) ليست في (د).

وانظر معنى (يعصمك) في مجاز القرآن ١٧١/١، والزاهر ٥٧٩/١.

(٩) في (د) إن رسول الله، وفي غير (أ) كان رسول الله.

(١٠) الحديث: رواه الترمذي - كتاب التفسير - باب من سورة المائدة (يا أيها الرسول بلغ...) رقم ٥٠٣٧ «حديث غريب» ٣١٧/٤.

والمستدرک - كتاب التفسير - «صحيح الإسناد» ٣١٣/٢.

والطبري ١٩٩/٦، وأسباب النزول للسيوطي ١٠٩، والدلائل للبيهقي ١٨٤/٢ كلهم عن حديث عائشة.

(١١) في (د) أخبرنا ابن العلاء.

(١٢) التضر بن عبد الرحمن أبو عمر الخراز عن عكرمة وغيره وعن وكيع والمحاربي وجماعة ضعفه أحمد والدارقطني، وقال البخاري:

ضعيف ذاهب الحديث، وقال النسائي متروك، وقال ابن عدي: يكتب حديثه مع ضعفه. (الميزان ٢٦٠/٤).

(١٣) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب التفسير - من سورة المائدة «رواه الطبراني وفيه التضر بن عبد الرحمن وهو ضعيف».

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ قال ابن عباس^(١): لا يرشد من كذبك وأعرض عن ذكرى.

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُتِمُّوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ وَلِيُزِيدَكُمْ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾

- وقوله جل جلاله^(٢) ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾^(٣) قال ابن عباس^(٤): لستم على شيء من الدين حتى تعلموا بما في الكتابين من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان صفته ونعته، وهو قوله ﴿حتى تقيموا التوراة والإنجيل﴾ أي: تقيموا أحكامهما وما يجب عليكم فيها - وقد سبق تفسير هذا إلى قوله ﴿فلا تأس على القوم الكافرين﴾^(٥). وهذا تسلية للنبي ﷺ، يقول: لا تحزن على أهل الكتاب إن كذبوك.

- قوله جل جلاله^(٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ - سبق تفسير هذه الآية في سورة البقرة^(٧) - وارتفع الصابئون في هذه الآية بالابتداء، على التقديم في الكلام والتأخير، على تقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن منهم بالله^(٨)... إلى آخر الآية، والصابئون والنصارى كذلك أيضاً كما تقول: إن عبد الله ومحمد قائم، تريد: إن عبد الله قائم ومحمد كذلك، هذا مذهب الخليل وسيبويه^(٩).

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا إِنَّا جَاءُكُمْ بِبُرْهَانٍ بَيِّنٍ وَنَحْنُ بِكُمْ عَلَىٰ حَكِّ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٨﴾ فَكَفَرُوا بِآيَاتِنَا فَجَاءَهُمُ الْبُرْهَانُ بَيِّنٌ وَنَحْنُ بِكُفْرَانِهِمْ عَلَىٰ حَكِّ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٩﴾ وَجَحِشُوا بِالَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ لِيُخْرِجَهُمُ الْبِلَادَ الَّتِي بَدَعُوا فِيهَا لِيُبْطِلُوا كَلِمَاتِ اللَّهِ الْعِزَّةَ الَّتِي لَمْ يَكْفُرْ يَوْمَ يَكْفُرُ الْأَكْثَرُونَ ﴿٧٠﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ مَا كُنَّ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ إِنَّمَا حَسِبْتُ أَنَّكُمُ الْغَافِلِينَ ﴿٧٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَسِبْتُ أَنَّكُمُ الْغَافِلِينَ ﴿٧٣﴾ قُلْ إِنَّمَا حَسِبْتُ أَنَّكُمُ الْغَافِلِينَ ﴿٧٤﴾ قُلْ إِنَّمَا حَسِبْتُ أَنَّكُمُ الْغَافِلِينَ ﴿٧٥﴾ قُلْ إِنَّمَا حَسِبْتُ أَنَّكُمُ الْغَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ قُلْ إِنَّمَا حَسِبْتُ أَنَّكُمُ الْغَافِلِينَ ﴿٧٧﴾ قُلْ إِنَّمَا حَسِبْتُ أَنَّكُمُ الْغَافِلِينَ ﴿٧٨﴾ قُلْ إِنَّمَا حَسِبْتُ أَنَّكُمُ الْغَافِلِينَ ﴿٧٩﴾ قُلْ إِنَّمَا حَسِبْتُ أَنَّكُمُ الْغَافِلِينَ ﴿٨٠﴾

= والطبراني في الكبير ٢٥٦/١١ - ٢٥٧، والدر ٢٩٨/٢ كلهم عن ابن عباس. وانظر أسباب النزول للسيوطي ص ١١٠ «ومن غريب ما ورد في سبب نزولها...»

وقال الحضرمي «وفي هذا الكلام نظر، لأن سورة المائدة مدنية من غير خلاف، وموت أبي طالب كان في مكة قبل الهجرة، فلولم تذكر «الآية» لزال الإشكال لأن حراسته بمكة» (عمدة القوي والضعيف ١١).

(١) انظر تفسير الخازن ٧٤/٢ عن ابن عباس، والطبري ٢٠٠/٦.

(٢) في غير (أ) قوله تعالى، وفي (د) قوله.

(٣) في (أ) لستم قال ابن عباس.

(٤) انظر تفسير القرطبي ٢٤٤/٦، والطبري ٢٠٠/٦، وفتح القدير ٦٢/٢، ٦٤ كلها عن ابن عباس، وابن كثير ٨٠/٢.

(٥) وهو قوله ﴿وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً﴾ وانظر تفسير الآية ٦٤ من هذه السورة.

(٦) في غير (أ) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٧) انظر تفسير الآية ٦٢.

(٨) في (د) واليوم الآخر.

(٩) انظر الكتاب ٤٤/٢ - ١٥٥، وفتح القدير ٦٢/٢ عن الخليل وسيبويه، والزجاج ٢١٢/٢، والفراء ٣١٠/١ - ٣١١، ومجاز القرآن

١٧٢/١ - ١٧٣، والبيان ٢٩٩/١.

الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِيْ اِسْرَائِيْلَ اَعْبُدُوْا اللّٰهَ رَبِّيْ وَرَبَّكُمْ اِنَّهٗم مِّنْ يُشْرِكِ بِاللّٰهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا وُجِدَ النَّارُ وَمَا لِلظّٰلِمِيْنَ مِنْ اَنْصَارٍ ﴿٧٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوْا اِنَّ اللّٰهَ تَالِثُ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ اِلٰهٍ اِلَّا اِلٰهٌ وَاحِدٌ وَاِنْ لَّمْ يَنْتَهُوْا عَمَّا يَقُوْلُوْنَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ﴿٧٧﴾ اَفَلَا يَتُوْبُوْنَ اِلَى اللّٰهِ وَيَسْتَغْفِرُوْنَهُ وَاللّٰهُ عَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ اِلَّا رَسُوْلٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهٖ الرُّسُلُ وَاُمُّهُ صِدِيْقَةٌ كَاْنَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ اَنْظُرْ كَيْفَ بُيِّنْ لَهُمُ الْآيٰتِ ثُمَّ اَنْظُرْ اَنْفُ يُؤْفَكُوْنَ ﴿٧٥﴾ قُلْ اَتَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَّلَا نَفْعًا وَاللّٰهُ هُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ لَا تَغْلُوْا فِيْ دِيْنِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوْا اَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوْا مِنْ قَبْلُ وَاَضَلُّوْا كَثِيْرًا وَّضَلُّوْا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيْلِ ﴿٧٧﴾

- قوله جل جلاله^(١) ﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ - مفسر إلى آخر الآية في سورة البقرة^(٢).

- قوله تعالى^(٣) ﴿وحسبوا ألا تكون فتنة﴾ قال ابن عباس: ظنوا أن الله لا يعذبهم^(٤)، ولا يبتلوا بقتل الأنبياء

وتكذيب الرسل.

وقريء (ألا تكون) - رفعاً^(٥) - على تقدير: أنه لا تكون، ثم خففت المشددة وحذف الضمير^(٦).

وقوله^(٧) ﴿فعموا وسموا﴾ أي: عن الهدى فلم يعقلوه، قال الزجاج^(٨): تأويله أنهم لم يعملوا بما سمعوا، وربما رأوا من الآيات، فصاروا كالعمي الصم.

﴿ثم تاب الله عليهم﴾ بإرساله محمداً ﷺ داعياً إلى الصراط المستقيم، فكانوا بذلك معرضين للتوبة ﴿ثم عموا وسموا كثير منهم﴾ بعد تبين الحق، يعني: الذين لم يؤمنوا منهم ﴿والله بصير بما يعملون﴾ من قتل الأنبياء وتكذيب الرسل^(٩).

(١) انظر تفسير الآية ٦٢.

(٢) انظر تفسير الآية ٨٧.

(٣) في غير (أ) قوله وفي (ج) وقوله.

(٤) في (د) أن لا يعذبهم الله، وانظر تفسير ابن عباس ص ٩٨ بنحوه، والخازن ٧٦/٢.

(٥) في (و) بالرفع.

قرأ أبو عمر وحمة والكسائي - بالرفع - كما في موضع آخر (ألا يقدرين على شيء) - سورة الحديد ٢٩/ أي: إنهم لا يقدرين.

وقرأ الباقون (ألا تكون) - نصياً - ونصبه بـ «أن» و«لا»: لا تفصل بين العامل والمعمول فيه وحجتهم: قوله ﴿وما لنا ألا نقاتل في سبيل

الله﴾ - سورة البقرة ٢٤٦ -، ﴿وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله﴾ - سورة الحديد/ ١٠ - وما أجمعوا عليه يرد المختلف فيه إليه.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣٣، والسبعة ٢٤٧، والنشر ٢/٢٥٥، والتبيان ١/٤٥٢، والزجاج ٢/٢١٤، والمشكل ١/٢٣٣، ومجاز

القرآن ١/١٧٤ والأخفش ١/١٠٤، والحجة لابن خالويه ١٣٣ - ١٣٤).

(٦) في (و) وحذفت الضمة.

(٨) انظر الزجاج ٢/٢١٣.

(٩) في (و) الرسل عليهم السلام.

(٧) في (د، و) قوله.

- قوله ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ إلى قوله ﴿من﴾ (١) يشرك بالله فقد حرم الله عليه

الجنة ﴿

حدثنا (٢) إسماعيل بن أحمد الواعظ، أخبرنا عبد الله بن محمد الحافظ، أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسن حدثنا محمد بن يحيى الذهلي، حدثنا محمد بن عبيد (٣)، عن الأعمش، عن أبي سفيان (٤)، عن جابر قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان (٥)؟ قال: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار.

رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي معاوية، عن الأعمش (٦).

وأخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن الحسن الحافظ، أخبرنا أبو حفص الكتاني (٧)، حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمر التمار (٨) حدثنا يحيى بن معين (٩)، حدثنا الأنصاري، عن سفيان، عن أبي الزبير عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: ألا أعلمكم ما علم نوح ابنه؟ قالوا: بلى، قال (١٠): يا بني إني أمرت أن لا تشرك بالله شيئاً، فإنه من يشرك بالله شيئاً فقد حرم الله عليه الجنة، وأنهاك عن الكبائر، فإنه لا يدخل الجنة من كان قلبه فيه مثقال حبة من خردل من كبر (١١).

(١) في غير (و) ومن يشرك: خطأ.

(٢) في (د) أخبرنا.

(٣) محمد بن عبيد بن أبي أمية - واسمه عبد الرحمن، ويقال إسماعيل: الطنافسي أبو عبد الله الكوفي الأحمد روى عن الأعمش وغيره وعنه الذهلي وغيره قال العجلي كوفي ثقة وكان عثمانياً وكان حديثه أربعة آلاف يحفظها، وثقه النسائي والذارقطني توفي سنة ٢٠٤ هـ. (تهذيب التهذيب ٣٢٧/٩ - ٣٢٨).

(٤) أبو سفيان: طلحة بن نافع القرشي مولاهم المكي سمع جابر بن عبد الله وغيره وعنه الأعمش وحسين وأبو بشر بن المشي وسعيد وحجاج السلمي توفي سنة ١٢٤. (كتاب الجمع ٢٣٢/١، والعقد الثمين ٧٢/٥).

(٥) «الموجبة»: تكون من الحسنات والسيئات وأوجب الرجل: أتى بموجبه من الحسنات أو السيئات، وأوجب الرجل إذا عمل عملاً يوجب له الجنة أو النار. (اللسان / وجب).

(٦) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الإيمان - باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة. . عن جابر ٥٢/١.

(٧) عمر بن إبراهيم بن أحمد بن كثير بن هارون بن مهرا بن حفص المقرئ المعروف بالكتاني سمع أبا القاسم البغوي وأبا بكر بن مجاهد وأبا بكر النيسابوري وغيرهم ولد سنة ٣٠٠ هـ وتوفي سنة ٣٩٠ هـ، مقرئ محدث ثقة آخر من قرأ على ابن مجاهد وثقة الخطيب (غاية النهاية ٥٨٧/١ - ٥٨٨ وتاريخ بغداد ٢٦٩/١١).

(٨) أحمد بن محمد بن عبيد الله أبو الحسن التمار المقرئ حدث عن يحيى بن معين وعثمان بن أبي شيبة وأبي همام الوليد بن شعيب وغيرهم وعنه أبو حفص الكتاني وغيره وكان ثقة - توفي سنة ٣١٩ هـ. (تاريخ بغداد ٥٢/٥ - ٥٣).

(٩) يحيى بن معين الإمام الفرد سيد الحفاظ أبو زكريا المري مولاهم البغدادي مولده في سنة ١٥٨ هـ روى عنه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وأبو زرعة وأبو يعلى وأحمد بن الحسن الصوفي وخلاتق قال النسائي: أبو زكريا الثقة المأمون أخذ الأئمة في الحديث وقال ابن المدني: لا نعلم أحداً من لدن آدم عليه السلام - كتب من الحديث ما كتب يحيى بن معين، وقال: انتهى علم الناس إلى يحيى بن معين توفي سنة ٢٣٣ هـ (تذكرة الحفاظ ٤٢٩/٢ - ٤٣١).

(١٠) ليست في (أ).

(١١) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب الوصايا - باب وصية نوح عليه السلام «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات» عن

- قوله ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ قالت النصارى - لعنهم الله - الإلهية مشتركة بين الله ومريم وعيسى، وكل واحد من هؤلاء إله، والله أحد ثلاثة آلهة، يبين هذا قول الله تعالى للمسيح ﴿أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾^(١)؟

ولا بد أن يكون في الآية إضمار واختصار، لأن المعنى إنهم قالوا: إن الله ثالث ثلاثة آلهة، فحذف ذكر الآلهة لأن المعنى مفهوم، ولا يكفر من يقول: إن الله ثالث ثلاثة إذا لم يرد^(٢) به الآلهة، لأنه ما من اثنين إلا والله ثالثهما بالعلم، كقوله تعالى ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾^(٣). والذي يبين أنهم أرادوا بالثلاثة: الآلهة، قوله في الرد عليهم ﴿وما من إله إلا إله واحد﴾^(٤) وإن لم يتهوا عما يقولون ﴿من الكفر والشرك﴾ ليمسّن الذين كفروا منهم ﴿أي: ليصيبن الذين أقاموا على هذا القول﴾ عذاب أليم ﴿.

- قوله ﴿أفلا يتوبون إلى الله﴾^(٥) قال الفراء: هذا أمر في لفظ الاستفهام وكقوله ﴿فهل أنتم متهون﴾^(٦) أي: انتهوا، والمعنى: إن الله يأمرهم بالتوبة والاستغفار من هذا الذنب العظيم.

- قوله ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ أي: انه رسول ليس بإله، كما أن من قبله من الرسل لم يكونوا آلهة ﴿وأمه﴾^(٧) صديقة ﴿صدقت بآيات الله، كما قال في صفتها﴾ وصدقت بكلمات ربها وكتبه ﴿^(٨).

﴿كانا يأكلان الطعام﴾ كانا يعيشان بالغذاء كما يعيش سائر الأدميين، فكيف يكون إلهاً^(٩) من لا يقيمه إلا أكل الطعام؟

قال ابن عباس: يريد: هما لحم ودم يأكلان ويشربان ويبولان ويتغوطان^(١٠). قال ابن قتيبة^(١١): هذا أطف ما يكون من الكناية، لأنه عبر عن الحدث بالطعام، وذلك أن من أكل الطعام فلا بد له من أن يحدث^(١٢) فلما ذكر أكل الطعام صار كأنه أخبر عن عاقبته، والطعام والحدث ليسا من أوصاف الآلهة.

قوله ﴿انظر كيف نبين لهم الآيات﴾ قال ابن عباس: نفسر لهم أمر ربوبيتي ﴿ثم انظر أنى يؤفكون﴾ يصرفون عن

= ابن عمر وبألفاظ متقاربة (٤/٢١٩ - ٢٢٠)، وذكره ابن حبان في ترجمة موسى بن عبيدة الربذي عن عبد الله بن دينار عن جابر بألفاظ متقاربة. (المجروحين ٢/٢٣٥).
ورواه أحمد في المسند ٢/١٧٠ عن ابن عمر كما ذكر الهيثمي. وكذا الحاكم - المستدرک - كتاب الإيمان وصححه عن ابن عمر. ٤٩/١.

(٣) سورة المجادلة / ٧.

(١) سورة المائدة / ١١٦.

(٤) في (أ) إلا إله واحد فإن.

(٢) في (أ، هـ) إذا لم يرد الآلهة.

(٥) في (د) ويستغفرونه قال الفراء وهذا أمر من لفظ. وانظر الفراء ٢/٢٠٢ وغرائب النيسابوري ٧/٧، والبحر ٣/٣٣٦ والبغوي ٢/٧٧ والرازي ١٢/٦٠ كلها عن الفراء، والتبيان ١/٤٥٩.

(٦) سورة المائدة / ٩١.

(٩) في (د) الاها، وفي (هـ) إله.

(٧) في (د) وأما.

(١٠) انظر البحر ٣/٣٣٧ عن بعض المفسرين.

(٨) سورة التحريم / ١٢.

(١١) انظر غريب القرآن ١٤٥، والكامل للمبرد ٢/٢٩١، والخازن ٢/٧٨.

(١٢) في (د) وذلك من أكل الطعام لا بد له أن يحدث، وفي (و) وذلك أنه من أكل الطعام لا بد له أن يحدث.

الحق الذي يؤدي إليه تدبر الآيات (١). يقال: أفكه بأفكه إفكاً، إذا صرفه، وكل من صرف عن شيء، فهو (٢) مأفوك عنه.

- ﴿قُلْ لِلنَّصَارَى﴾ «أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا» لأنه لا يملك النفع والضر إلا الله تعالى ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْكَفِيمُ﴾ لكفركم ﴿الْعَلِيمُ﴾ (٣) بضميركم.

- قوله (٤) ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ - تقدم تفسيره في سورة النساء (٥).

قوله (٦) ﴿غَيْرِ الْحَقِّ﴾ مغناه: مخالفاً للحق، أي: في دينكم المخالف للحق، وذلك أنهم خالفوا الحق في دينهم، ثم غلوا فيه بالإصرار عليه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: رؤساء الضلالة من فريقى اليهود والنصارى، والآية خطاب للذين كانوا في عصر النبي ﷺ، نهوا أن يتبعوا أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم وأن يقلدوهم فيما هبوا.

(والأهواء): جمع هوى، والمراد بها (٧): المذاهب التي تدعو إليها الشهوة دون الحجة.

وقوله (٨) ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ يعني: من اتبعهم على هواهم ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ عن قصد الطريق والمعنى: إنهم ضلوا بإضلال غيرهم.

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾

- قوله (٩) ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ يعني: أصحاب السبت وأصحاب المائدة، أما أصحاب السبت: فإنهم لما اعتدوا (١٠)، قال داود: اللهم العنهم واجعلهم آية ومثلاً لخلقك (١١) فمسخوا قردة.

وأما أصحاب المائدة: فإنهم لما أكلوا من المائدة ولم يؤمنوا قال عيسى: اللهم العنهم كما لعنت أصحاب

(١) انظر غريب القرآن ١٤٥، ومجاز القرآن ١٧٤/١ - ١٧٥ والطبري ٢٠٣/٦. «أفك يأفك، وأفك يأفك، وأفك إفكا وأفوكا وأفكا وأفكا، إذا كذب، والأفك - بالفتح. مصدر قولك أفكه عن الشيء بأفكه أفكا: صرفه عنه وقلبه ورجل مأفوك: مخدوع عن رأيه (اللسان / أفك).

(٧) في (هـ) والمراد بهذا.

(٢) في غير (هـ) عن شيء: مأفوك عنه.

(٨) في (د) قوله.

(٣) في (د) عليم.

(٩) في (هـ) وقوله.

(٤) في (و) قوله تعالى.

(١٠) في (و) في السبت.

(٥) انظر تفسير الآية ١٧١.

(١١) في (هـ) بخلقك.

(٦) في (ج، و) وقوله.

السبت، فأصبحوا خنازير. . . وهذا قول الحسن وقتادة ومجاهد^(١).

قوله^(٢) ﴿ذَلِكْ بِمَا عَصَوْا﴾ الله والرسول ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون ما أمر به. أخبرنا الحاكم أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي^(٣)، أخبرنا أبو عمر بن مطر، حدثنا آدم بن موسى بن عمران الولايعي^(٤)، حدثنا أبو محمد جعفر بن علي الخواري^(٥)، حدثنا محمد بن إسماعيل العلوي^(٦) حدثني عمي موسى بن جعفر^(٧) عن مالك بن أنس، عن أبي سهل بن مالك، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «دوروا مع القرآن حيثما^(٨) دار، قالوا: يا رسول الله أرأيت إن لم نطق ذلك؟ قال: كونوا كحواري عيسى ابن مريم، شقوا بالمناشير في الله وصلبوا في جذوع النخل في الله^(٩)، قالوا: يا رسول الله أرأيت إن لم نطق ذلك؟ قال: قتل في طاعة الله خير من حياة في معصية الله، إن بني إسرائيل ملكتهم ملوك بعد أنبيائهم فغيروا سنتهم، وعملوا فيهم بغير الحق، فلم يمنهم ذلك من جورهم أن حابوهم وضاحكهم وأكلوهم^(١٠) وشاربوهم، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض، ولعنوا على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، لتأمرن^(١١) بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليلسطن الله عليكم شراركم فيدعوا عليهم خياركم فلا يستجاب لهم^(١٢).

- وقوله^(١٣) ﴿كَانُوا لَا يَتَّهَوْنَ عَنْ مَنكَرِ فَعْلُوهُ﴾ «التناهي» تفاعل من النهي، أي كانوا لا ينهى بعضهم بعضاً عن المناكير^(١٤).

(١) انظر تفسير ابن عباس ٩٩، والطبري ٢٠٥/٦، والدر ٣٠١/٢، وفتح القدير ٦٦/٢ كلها عن قتادة ومجاهد وأبي مالك، وغرائب النيسابوري ١١/٧، والرازي ٦٣/١٢، والبحر ٥٣٩/٢ كلاهما عن أكثر المفسرين.

(٢) من (ج، د).

(٣) في (و) أبو محمد.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في (أ) جعفر علي، وفي (د) الخوارزمي وهو: جعفر بن أبي الحسن الخواري قال الدارقطني: متروك. (الميزان ٤٠٥/١).

(٦) محمد بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الجعفري من أهل المدينة يروي عن حاتم بن إسماعيل وموسى بن جعفر وسفيان بن حمزة، قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: منكر الحديث يتكلمون فيه. (الأنساب ٢٦٧/٣ - ٢٦٨).

(٧) موسى بن جعفر بن محمد بن علي العلوي الملقب بالكاظم عن أبيه قال ابن أبي حاتم صدوق إمام، وقال أبو حاتم الرازي: ثقة إمام. (الميزان ٢٠١/٤).

(٨) في (هـ، و) حيث دار.

(٩) في (و) النخل قالوا.

(١٠) الحديث: انظر الجامع الصغير ١٦/٢ «دوروا مع كتاب الله حيثما دار».

رواه الحاكم عن حذيفة ورمز له السيوطي بالصحيح. وانظر ١٢٢/ لتأمرون بالمعروف «رواه الطبراني في الأوسط ورمز له بالحسن» وهذه الجملة في المستدرک - كتاب قتال أهل البغي - وياقي الحديث مختلف ١٤٨/٢.

وانظر مجمع الزوائد - كتاب الفتن - باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - عن أبي هريرة - بلفظ «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليلسطن الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم» رواه الطبراني في الأوسط والبيزار وفيه حيان بن علي وهو متروك وقد وثقه ابن معين في رواية وضعفه في غيرها ٢٢٦/٧. والطبراني في الكبير ٩٠/٢٠ بنحوه عن معاذ بن جبل، والطبري ٢٠٦/٦ عن ابن زيد وأبو نعيم في الحلية ١٦٥/٢ - ١٦٦ بنحوه عن معاذ.

(١٣) في (د) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(١٤) في (أ) المنكر.

قال ابن عباس: كان بنو إسرائيل ثلاث فرق، فرقة اعتدت في السبت، وفرقة نهتهم ولكنهم لم يدعوا مجالستهم ولا مواكلتهم، وفرقة لما رأوهم يعتدون ارتحلوا عنهم، وبقيت الفرقتان المعتدية والناهية المخالطة فلعنوا جميعاً. ولذلك قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون^(١) عن المنكر، ولتأخذن على يدي السفية، ولتأطرنه على^(٢) الحق أطراً، أو ليضرين^(٣) الله قلوب بعضكم على بعض، ويلعنكم كما لعنهم^(٤)». ثم ذم فعلهم بقوله ﴿لبس ما كانوا يفعلون﴾.

- قوله^(٥) ﴿ترى كثيراً منهم﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن^(٦): يعني من المنافقين ﴿يتولون الذين كفروا﴾ - اليهود ﴿لبس ما قدمت لهم أنفسهم﴾ بس ما قدموا من العمل لمعادهم ﴿أن سخط الله عليهم﴾ - والباقي^(٧) ظاهر إلى قوله:

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ إِنَّكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِيَتٍ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَسْمِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَلْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾

- ﴿لتجدن أشد الناس عداوة...﴾ الآية، قال المفسرون: إن اليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين حسداً للنبي ﷺ، وكان ينبغي^(٨) أن يكونوا أقرب إلى المؤمنين لأنهم يؤمنون بموسى والتوراة والكفار كانوا يكذبون بهما، ولكنهم^(٩) حسدوا النبي ﷺ والمؤمنين.

(١) في (د) ولتنهن و«الأطر: عطف الشيء تقبض على أحد طرفيه فتعوجه، أطره يأطره ويأطره فاناطر انطاراً وأطره فتاطر: عطفه فانعطف، وتاطره على الحق: تعطفوه عليه» (اللسان / أطر).

(٢) في (هـ) إلى الحق.

(٣) في (د) ليضرين.

(٤) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب الفتن - باب وجوب إنكار المنكر عن أبي موسى، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ٢٦٩/٧.

وانظر الترمذي - كتاب - باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - عن حذيفة رقم ٢٢٥٩ بألفاظ مختلفة وحسنه ٣١٦/٣ - ٣١٧.

(٥) في (د) قوله تعالى.

(٦) في (و) والشعبي.

(٧) وهو قوله (وفي العذاب هم خالدون - ٨١ - ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون).

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٩٩، والزجاج ٢١٩/٢ عن عكرمة، والوجيز للواحدي ٢١٧/١، والدر ٢٩١/٢.

(٩) في (د) لكنهم حسدوا النبي ﷺ والمؤمنين.

قوله^(١) ﴿ولنجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والسدي: يعني: النجاشي ووفده الذين قدموا من الحبشة على رسول الله ﷺ وآمنوا به^(٢) ولم يرد جميع النصارى، مع ظهور عداوتهم للدين^(٣).

وقوله^(٤) ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً﴾ قال الزجاج^(٥): «القسس والقسيس»: من رؤساء النصارى، ويجمع القسيس: قسيسين^(٦)، وقال قطرب: القسيس: العالم بلغة الروم^(٧).

و«الرهبان» جمع راهب، مثل فارس وفرسان، و«الرهبانية» مصدر: الراهب والترهب: التعبد في صومعة^(٨). قال ابن الأنباري^(٩): مدحهم الله تعالى بالتمسك بدين عيسى، وأنهم استعملوا في أمر محمد ﷺ ما أخذ عليهم^(١٠) في التوراة والإنجيل.

فتأويل قوله ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً﴾: ذلك بأن منهم علماء بوصاة^(١١) عيسى عليه السلام. الدليل على ذلك قوله ﴿وأنهم لا يستكبرون﴾ أي: عن اتباع الحق والإذعان إليه كما استكبر اليهود وعبداء الأوثان.

- قوله ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول...﴾ الآية، قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد: النجاشي وأصحابه، قرأ عليهم جعفر الطيار - بالحبشة - (كهيعص)^(١٢) فما زالوا يبكون حتى فرغ من القراءة فذلك قوله ﴿ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾: يريد الذي نزل على محمد ﷺ وهو الحق.

أخبرنا الحسن بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن الفضل التاجر، أخبرنا أحمد بن محمد بن

(١) في (ج، د، هـ) وقوله.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٩٩، والطبري ٢/٧ - ٣ عنهم، وابن كثير ٨٥/٢ عن ابن عباس وعطاء بن أبي رباح والسدي، والزجاج ٣٢٠/٢، والفراء ٣١٨/١، وأسباب النزول للواحدي ١٥٢، وللسيوطي ١١١، والدرر ٣٠٢/٢ - ٣٠٣ عن عطاء ومجاهد وعبد الله بن الزبير وسعيد بن جبير وعروة وقتادة والسدي وابن عباس وفتح القدير ٦٨/٢ - ٦٩ عن مجاهد وعطاء وابن الزبير، واللسان / قسس عن الفراء.

(٣) قال أبو بكر الرازي: من الجهال من يظن أن في هذه الآية مدحاً للنصارى وإخباراً بأنهم خير من اليهود وليس كذلك لأن ما في الآية من ذلك إنما هو صفة قوم قد آمنوا بالله وبالرسول ﷺ يدل عليه ما ذكره في نسق التلاوة من إخبارهم في مقالتي الطائفتين: أن مقالة النصارى أقيح وأشد استحالة وأظهر فساداً من مقالة اليهود، لأن اليهود تقر بالتوحيد في الجملة، وإن كان فيها مشبه ببعض ما اعتقدته في الجملة من التوحيد بالثبني. (انظر البحر ٤/٤).

(٤) في (ج، هـ، و) وقوله.

(٥) انظر الزجاج ٢/٢٢٠، واللسان: قسس، والبحر ٣/٤.

(٦) يجمع القسيس قسيسين، ساقطة من (و).

(٧) انظر تفسير الرازي ٦٧/١٢ وغرائب النيسابوري ١٤/٧ والبغوي ٨١/٢ وفتح القدير ٦٧/٢ كلها عن قطرب.

(٨) انظر اللسان: رهب، والمصباح: رهب.

(٩) انظر تفسير الخازن ٨١/٢، ٨٣ عن قتادة، والقرطبي ٢٥٨/٦.

(١٠) في (و) ما أخذ في التوراة.

(١١) (أي بوصية) حاشية (أ).

(١٢) المراد من أول سورة مريم.

الحسن الحافظ، حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو صالح - كاتب الليث^(١)، حدثني الليث، حدثني يونس، عن ابن شهاب، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام^(٢)، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، قالوا:

لما كانت وقعة بدر وقتل فيها صناديد الكفار، قال^(٣) كفار قريش: إن نأركم بأرض الجبشة فبعثوا عمرو^(٤) بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة^(٥)، وأهدوا للنجاشي، وسمع^(٦) رسول الله ﷺ يبعث قريش عمرو بن العاص^(٧)، وابن أبي ربيعة، فبعث عمرو بن أمية الضمري^(٨) وكتب معه إلى النجاشي، فقرأ كتاب رسول الله ﷺ، ثم دعا جعفر^(٩) أن يقرأ عليهم القرآن، فقرأ عليهم سورة مريم فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع، وهم الذين أنزل الله فيهم ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾ إلى قوله ﴿تري أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمننا فآكتبنا مع الشاهدين﴾^(١٠).

قال ابن عباس^(١١): مع أمة محمد ﷺ الذين يشهدون بالحق. وقال الزجاج^(١٢): مع من شهد من أنبيائك ومؤمني عبادك بأنك لا إله غيرك.

- وقوله^(١٣) ﴿وما لنا لا نؤمن بالله...﴾ الآية، قال المفسرون^(١٤): إن هؤلاء الوفد لما رجعوا إلى قومهم لأموهم على ترك دينهم، فأجابوهم بهذا.

(١) عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني المصري أبو صالح - كاتب الليث بن سعد على أمواله، وهو صاحب حديث وعلم مكث وله مناكير حدث عن معاوية بن صالح والليث وموسى بن علي وخلق، قال عبد الملك بن شعيب بن الليث: ثقة مأمون توفي سنة ٢٢٢ هـ. (الميزان ٢/٤٤٠، وحسن المحاضرة ١/٣٤٦).

(٢) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي المدني الفقيه أحد الفقهاء السبعة، يقال اسمه محمد والأصح أن اسمه كنيته روي عن أبيه وعن عمار بن ياسر وعائشة وأبي هريرة وجماعة استصغر يوم الجمل فزد هو وعروة بن الزبير وكان ثقة حجة فقيهاً إماماً وكان يقال له: راهب قريش توفي سنة ٩٤ هـ (تذكرة الحفاظ ١/٦٣ - ٦٤، والعبر ١/٨٣).

(٣) في (د) و قالت.

(٤) في (هـ) عمر.

(٥) عبد الله بن أبي ربيعة - واسمه عمرو - بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومي أبو عبد الرحمن المكي والد عمر الشاعر له صحبة ولاة النبي ﷺ الجند ومخالفها فلم يزل عليها حتى مات في أيام عثمان توفي سنة ٣٥ هـ. (تهذيب التهذيب ٥/٣٠٨، والعقد الثمين ٥/١٣٦).

(٦) في (د) عمرا وابن.

(٦) في (د) فسمع.

(٨) عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله الضمري الكناني من أبطال الصحابة أسلم بعد أحد وأسز يوم بئر معونة بعثه النبي ﷺ رسولا إلى النجاشي روى عنه بنوه والشعبي وأبو قلابة وعدة توفي زمن معاوية نحو سنة ٥٥. (الأعلام ٥/٢٣٨ - الكاشف ٢/٣٢٤، وسير الأعلام ٣/١٧٩).

(٩) في (ج)، د) بجعفر. ثم أمر جعفر.

(١٠) انظر مسند أحمد ١/٢٠١ - ٢٠٣ عن جعفر، ٥/٢٩٠ - ٢٩٢ عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة.

والدير ٢/٣٠٢ «أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وأبو نعيم في الحلية والواحدي من طريق طارق بن شهاب» وكذا في فتح القدير

٦٩/٢، وانظر الطبري ٥/٧ عن عروة، والمستدرک - كتاب التفسير «صحيح الإستاذ» عن أبي موسى ٢/٣٠٩ - ٣١٠.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١٠٠، والطبري ٥/٧، وابن كثير ٢/٨٦، وفتح القدير ٢/٦٩ كلها عن ابن عباس.

(١٢) انظر الزجاج ٢/٢٢٠، والبحر ٤/٦ عن الزجاج.

(١٣) في (د) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(١٤) انظر الزجاج ٢/٢٢١، وغرائب النيسابوري ٧/١٦، وفتح القدير ٢/٦٩ عن سعيد بن جبیر، والمستدرک - كتاب التفسير - عن ابن عباس. «صحيح الإستاذ» ٢/٣١٣، والخازن ٢/٨٣ عن ابن عباس.

وقوله ^(١) ﴿ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين﴾ يعني: أمة محمد ﷺ، دليله قوله تعالى ﴿يرثها عبادي الصالحون﴾ ^(٢).

- قوله ﴿فأثابهم الله بما قالوا...﴾ الآية إنما علق الثواب بمجرد القول لأنه سبق من وصفهم ما يدل على إخلاصهم فيما قالوا ^(٣)، وهو المعرفة ^(٤) في قوله ﴿مما عرفوا من الحق﴾ والبكاء المؤذن بحقيقة الإخلاص، واستكانة القلب ومعرفته إذا اقترن به القول فهو الإيمان الحقيقي الموعود عليه الثواب.

وقال ابن عباس في قوله ﴿بما قالوا﴾ يعني ^(٥): بما سألوا من قولهم فاكتبنا مع الشاهدين وقولهم ﴿ونطمع ^(٦) أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين﴾، وهذا يدل على مسألتهم الجنة.

وعلى هذا التفسير «القول»: معناه المسألة.

وقوله ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ وذلك جزاء المحسنين﴾ يعني: الموحدين ^(٧) المؤمنين.

ولما ذكر الله الوعد لمؤمني أهل الكتاب، ذكر الوعيد لمن كفر منهم وكذب فقال:

- ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

- قوله ^(٨) ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ «الطيبات» اللذيات التي تشتهيها

النفوس، وتميل إليها القلوب.

قال المفسرون: هم ^(٩) قوم من أصحاب النبي ﷺ أن يرفضوا الدنيا ويحرموا على أنفسهم المطاعم الطيبة، والمشارب اللذيذة، وأن يصوموا النهار ويقوموا ^(١٠) الليل ويخصوا أنفسهم، فأنزل الله هذه الآية ^(١١).

واعلم أن الطيبات لا ينبغي أن تجتنب، وسمى الخصاء اعتداء فقال ﴿ولا تعتدوا﴾ أي: لا تجبوا أنفسكم،

هذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وإبراهيم ^(١٢).

(١) في (د) قوله.

(٢) سورة الأنبياء / ١٠٥ وفي (أ) إن الأرض يرثها عبادي الصالحون، وفي (د) إنما الأرض... وفي (هـ) يرثه.

(٣) في (د) بما قالوا.

(٤) في (هـ) المغفرة.

(٥) ساقطة من (ج، د).

(٦) في (هـ) نطمع، وفي (ج، هـ) (ونطمع أن يدخلنا ربنا).

وانظر غرائب النيسابوري ١٦/٧ عن ابن عباس.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١٠٠، والزجاج ٢/٢٢١، والترمذي ٤/٣١٩ عن ابن عباس والطبري ٧/٧، والدرر ٢/٣٠٧ - ٣٠٨ كلاهما عن ابن عباس، وأبي مالك وعكرمة وقتادة وإبراهيم وأبي قلابة وعائشة، وابن كثير ٢/٨٧ - ٨٨ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والسدي، والفراء ١/٣١٨، وأسباب النزول للواحي ١٥٢ - ١٥٣ وللسيوطي ١١١ - ١١٢ والرازي ١٢/٧٠، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/٦٣٧ عن ابن عباس.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ١٠٠، والطبري ٨/٨ عن ابن عباس، والدرر ٢/٣٠٨ عن السدي ومجاهد وابن عباس.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد^(١)، حدثنا عبد الرحيم بن منيب، حدثنا الفضل بن موسى^(٢)، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، قال: سمعت قيساً يذكر قال: قال عبد الله بن مسعود:

كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ليس لنا نساء، فقلنا له: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم قرأ هذه الآية ﴿تَحْرِمُوا طَيِّبَاتَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

رواه البخاري عن عمرو بن عون^(٣)، عن خالد، ورواه مسلم عن ابن نمير، عن أبيه، كلاهما عن إسماعيل بن أبي خالد^(٤).

ثم أمرهم أن يأكلوا مما أحل^(٥) لهم فقال:

- ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ قال ابن عباس^(٦): يريد من طيبات الرزق اللحم وغيره.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ، إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرَ أَيْمَانَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ^(٧)

- قوله تعالى^(٧) ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ قال المفسرون: إن القوم لما حرموا الطيبات من المأكول والمنكح حلّفوا على ذلك، فلما نزل قوله^(٨): ﴿لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٩) قالوا يا رسول الله وكيف نصنع بأيماننا فانزل الله تعالى هذه الآية^(١٠).

وتقدم الكلام في معنى «لغو اليمين» في سورة البقرة^(١١).

وقوله^(١٢) ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ وقرئ بالتشديد والتخفيف وبالألف^(١٣) يقال: عقد فلان

(١) في (ج، د) الطوسي.

(٢) السيناني الحافظ الإمام الحجة أبو عبد الله الفضل بن موسى المروزي أحد أئمة خراسان - وسينان من قرى مرو - رحل وسمع قال أبو نعيم: ثبت وقال وكيع: ثقة صاحب سنة ولد سنة ١١٥ هـ وتوفي سنة ١٩٢ هـ (تذكرة الحفاظ ١/٢٩٦ - ٢٩٧).

(٣) عمرو بن عون الحافظ الثبت أبو عثمان السلمي الواسطي البزاز روى عنه البخاري وأبو داود وأبو زرعة وخلق وثقه جماعة. قال أبو زرعة: قل من رأيت أثبت منه وقال أبو حاتم ثقة حجة توفي سنة ٢٢٥ هـ (تذكرة الحفاظ ٢/٤٢٦).

(٤) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب التفسير - (لا تحرموا ما أحل الله لكم) ٣/١٢٥، ومسلم - كتاب النكاح - باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيض ثم نسخ ١/٥٨٥ كلاهما عن حديث ابن مسعود.

(٥) في (هـ) أحل الله لهم.

(٦) رواه الترمذي في كتاب التفسير - من سورة المائدة - عن ابن عباس ٤/٣١٩.

(٧) في (د) قال لا يؤاخذكم.

(٨) انظر تفسير الطبري ٧/١٠، وأحكام القرآن ٢/٦٣٨، والدرر ٢/٣١١ - ٣١٢، وفتح القدير ٢/٧٧ كلها عن ابن عباس - وابن كثير ٢/٨٨.

(٩) انظر تفسير الآية ٢٢٥.

(١٠) في (د، هـ) وقوله.

(١١) قرأ حمزة والكسائي وعاصم (عَقَدْتُمْ) - بتخفيف القاف - أي أوجبتهم، وحجتهم: أن الكفارة تلزم الحانث إذا عقد يمينًا يحلف مرة

اليمين والمعهد، إذا وكده وأحكمه، وعقد وعاقده^(١). قال مجاهد: هو ما عقد عليه قلبك وتعمدته^(٢).

وقوله^(٣) ﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين﴾ لكل مسكين مد، وهو ثلاثا^(٤) من وهذا قول ابن عباس وزيد بن ثابت والحسن^(٥) ومذهب الشافعي.

وقوله ﴿من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ قال ابن عباس^(٦): كان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه سعة وقوتاً وسط وقوتاً دون ذلك، فأمروا بالوسط، وهو يعود إلى ما ذكرنا من قدر المد، لأنه وسط في طعام الواحد، ليس بسرف ولا تقتير.

وقوله ﴿أو كسوتهم﴾ «الكسوة» معناها: اللباس، وهي^(٧) كل ما يكتسى به والتي تجزىء في الكفارة أقل ما يقع عليه اسم الكسوة، إذا رأوا رداء^(٨)، أو قميص أو سراويل أو عمامة أو مقنعة، ثوب واحد لكل مسكين^(٩).

وقوله ﴿أو تحرير رقبة﴾ يعني: اعتاق رقبة، ويجب أن تكون سليمة من عيب يمنع من العمل، ولا يجوز إعتاق الرقبة الكافرة في شيء في الكفارات. والحالف مخير بين هذه الثلاثة.

وقوله^(١٠) ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾ قال قتادة^(١١): من ليس عنده ما يفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته فهو غير واجد، وجاز له الصيام.

قال الشافعي^(١٢): إذا كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة

= واحدة، كما يلزم بحلف مرات كثيرة إن كان ذلك على الشيء الواحد.

ولأن «فعلت» يراد به رددت الفعل مرة بعد مرة، وإذا شددت القاف سبق إلى وهم السامع أن الكفارة لا تجب على الحانث العاقد على نفسه يميناً بحلف مرة واحدة حتى يكرر الحلف وهذا خلاف جميع الأمة فإذا خفت زال الإشكال. وقرأ أبو عامر (عاقدم) أي تحالفتم.

وقرأ الباقون (عقدتم) بالتشديد وحجتهم ذكرها أبو عمرو فقال: (عقدتم) أي وكدتم وتصديقها. قوله ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ - سورة النحل/٩١ - والتوكيد هو ضد اللغو في اليمين، واللغو ما لم يكن باعتقاد.

وأيضاً: أن الأيمان جمع يمين فكانهم أسندوا الفعل إلى كل حالف عقد على نفسه يميناً (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣٤، والسبعة ٢٤٧، والنشر ٢/٢٥٥ والتبيان ١/٤٥٧ والحجة لابن خالويه ١٣٤).

(١) انظر اللسان: عقد والمصباح المنير: عقد.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٠/٧، وفتح القدير ٧٢/٢ كلاهما عن مجاهد والدر ٣١٢/٢ وأحكام القرآن ٢/٦٤٤ كلاهما عن مجاهد.

(٣) في (د) قوله.

(٤) في (أ، د، هـ) ثلاثاً منا. وانظر غرائب النيسابوري ٢٤/٧، وابن كثير ٩٠/٢ كلاهما عن ابن عباس وزيد بن ثابت والحسن وسعيد

ابن المسيب والشافعي والدر ٣١٢/٢ عن ابن عباس وزيد وابن عمر وأبي هريرة وأسماء بنت أبي بكر.

(٥) ليست في (و).

(٦) انظر تفسير الطبري ١٥/٧ وابن كثير ٨٩/٢ والدر ٣١٣/٢ كلها عن ابن عباس.

(٧) في (أ) والكسوة معناها اللباس وهي، وفي (د) وهو، وفي (هـ) أو كسوتهم معناها: اللباس كل.

(٨) في (ج) رداً أو قميصاً وفي (هـ) قميص.

(٩) انظر تفسير ابن كثير ٩٠/٢ عن الشافعي وآخرين.

(١٠) ساقطة من (د).

(١١) انظر تفسير الطبري ١٩/٧ وابن كثير ٩١/٢ والدر ١٣٤/٤ كلها عن قتادة.

(١٢) انظر تفسير الطبري ١٩/٧، والرازي ٧٧/١٢، وغرائب النيسابوري ٢٧/٧ كلها عن الشافعي.

بالإطعام، وإن (١) لم يكن عنده هذا القدر (٢)، فله الصيام، وهو (٣) صيام ثلاثة أيام متتابعات في قول ابن عباس والحسن وقتادة (٤).

وقال مجاهد: هو مخير في التابع والتفريق (٥).

وقوله (٦) ﴿ذلك كفارة إيمانكم﴾ أي: ذلك الذي يغطي على آثامكم وحث إيمانكم ﴿واحفظوا إيمانكم﴾ (٧) عن الحنث فلا تحتثوا، وقال ابن عباس: لا تحلفوا (٨).

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾
 إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾
 لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾

- قوله تعالى ﴿يا أيها الذين ءامنوا إنما الخمر والميسر...﴾ الآية، أخبرنا القاضي أبو بكر الحيزي، حدثنا محمد بن يعقوب، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم (٩)، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحرث (١٠) أن ابن شهاب حدثه عن سالم بن عبد الله:

أن أول ما حرمت الخمر، أن سعد بن أبي وقاص وأصحاباً له شربوا فاقتلوا، فكسر أنف سعد فأنزل الله تعالى ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾ (١١).

أخبرنا أحمد بن محمد بن [الحرث، أخبرنا عبد الله بن محمد بن] (١٢) جعفر بن حيان، حدثنا أبو يحيى

(١) في (د) ولم.

(٢) في (هـ) القد.

(٣) في (د) والصيام.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ١٠٠، والطبري ٢٠/٧ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبي وإبراهيم، والدر ٣١٤/٢ عن ابن عباس ومجاهد والحسن وأبي وابن مسعود، والفراء ٣١٨/١.

(٥) انظر الدر ٣١٤/٢ عن مجاهد قال «كل صوم في القرآن فهو متتابع إلا قضاء رمضان فإنه عدة من أيام أخرى»، وانظر الطبري ٢٠/٧. (٦) في (د) قوله.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (هـ).

(٨) انظر تفسير ابن عباس ١٠٠، والقرطبي ٢٨٥/٦.

(٩) في (أ) عبد محمد بن عبد الله بن الحكم.

(١٠) في (أ) عمر.

وانظر صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ٣٦٤/٢ - ٣٦٥ والطبري ٣٧/٧، والدر

٣١٥/٢، والفتح الرباني ١٣٢/١٨ - ١٣٣ كلهم عن سالم.

(١١) في (د) لعلكم تفلحون.

(١٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

عبد الرحمن بن محمد الرازي، حدثنا سهل بن عثمان العسكري، حدثنا عبد الرحيم، عن زكريا بن أبي زائدة^(١)، عن أبي إسحاق، عن أبي مسرة قال:

قال عمر بن الخطاب: اللهم بين لنا في الخمر، فإنها تذهب المال والعقل، فأنزلت الآية التي في سورة البقرة ﴿يستلونك عن الخمر والميسر﴾^(٢)، فدعي^(٣) عمر فقرأت عليه، فلم ير فيها ذلك البيان فقال: اللهم بين لنا في الخمر فإنها تذهب المال والعقل، فأنزلت الآية التي في سورة النساء ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾^(٤) فدعي عمر فقرئت عليه، فلم ير فيها ذلك البيان، فقال: اللهم بين لنا في الخمر فإنها تذهب المال والعقل فأنزلت الآية ﴿إنما الخمر والميسر...﴾ حتى بلغ إلى قوله ﴿فهل أنتم متتهون﴾ فقال عمر: انتهينا يا رب^(٥).

قال ابن عباس في قوله ﴿إنما الخمر﴾: يريد الخمر من جميع الأشربة التي تخمر حتى تشتد وتسكر^(٦).

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن أحمد الشيباني، أخبرنا محمد بن محمد بن يعقوب الحافظ، أخبرنا محمد بن زمان وحبیب الحضرمي أن محمد بن رمح حدثهم، أخبرنا الليث عند يزيد بن أبي حبيب أن خالد بن كثير، حدثهم أن السري بن إسماعيل حدثهم أن الشعبي حدثه أنه سمع النعمان بن بشير يقول قال رسول الله ﷺ إن من الحنطة خمراً ومن الشعير خمراً ومن الزبيب خمراً ومن العسل خمراً وأنا أنهى عن كل مسكر^(٧).

أخبرنا الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفرايني - إملاءً في مسجد عقيل سنة ست عشرة^(٨) وأربعمائة - أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي الجوسقاني^(٩)، أخبرنا الحسن بن سفيان^(١٠)، حدثنا علي بن حجر، حدثنا سلمة بن صالح^(١١)، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال:

قال رسول الله ﷺ: ما أسكر كثيره، فقليله حرام^(١٢).

(١) زكريا بن أبي زائدة بن ميمون بن فيروز الهمداني الأعمى الكوفي أبو يحيى مولى عمرو بن عبد الله الوداعي - واسم أبي زائدة خالد، ويقال هبيرة - سمع الشعبي وخالد بن سلمة توفي سنة ١٤٨ هـ. (كتاب الجمع ٥٣٠/٢).

(٢) سورة البقرة / ٢١٩. (٣) في (و) فدعا. (٤) سورة النساء / ٤٣.

(٥) الحديث: رواه الترمذي - كتاب التفسير - باب سورة المائدة رقم ٥٠٤٣ وصححه عن عمر ٣٢٠/٤ - ٣٢١.

وأبو داود - كتاب الأشربة - باب في تحريم الخمر - رقم ٣٦٧٠/٣ - ٣٢٥. ومسنده أحمد ٥٣/١، والطبري ٢٢/٧ كلهم عن حديث عمر.

(٦) انظر البحر ١٥٤/٢.

(٧) أخرجه أبو داود في الأشربة باب الخمر (٣٦٧٦) (٣٦٧٧) والترمذي في الأشربة ١٩٧/٣ (١٩٣٤) والحاكم (١٤٨/٤) في الأشربة وصححه ووافقه الذهبي.

(٨) في (د) ستة.

(٩) أبو جعفر محمد بن علي الجوسقاني من أهل أسفرايين روى عنه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأسفرايني توفي سنة ٣٥٠ هـ (الأنساب ٣٧٠/٣٠).

(١٠) في (ج، د) الحسين.

(١١) سلمة بن صالح الأحمر واسطي عن ابن المنكدر وغيره يكتنأ أبا إسحاق كان قاضي واسط روى عن ابن معين: ليس بثقة، وقال مرة: ليس بشيء كتبت عنه وقال النسائي ضعيف يروي حديث «ما أسكر كثيره فقليله حرام» (الميزان ١٩٠/٢ - ١٩١).

(١٢) الحديث: رواه الترمذي - كتاب الأشربة - باب ما أسكر كثيره فقليله حرام رقم ١٩٢٧ «حسن غريب عن جابر» وفي الباب عن غيره.

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، حدثنا إبراهيم بن علي، حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا سفيان بن عيينه، عن الزهري، عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «كل شراب أسكر فهو حرام».

رواه البخاري عن علي بن المديني، ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى كلاهما عن سفيان بن عيينة^(١).

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، حدثنا محمد بن يعقوب، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أخبرنا ابن وهب، حدثني حميد بن زياد أبو صخر^(٢)، أن رجلاً حدثه عن عمارة بن حزم^(٣)، أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص - وهو في الحجر بمكة^(٤)، وسئل عن الخمر - فقال: والله إن عظيماً عند^(٥) الله الشيخ مثلي - وأخذ بلحيته يكذب في هذا المقام على نبي الله ﷺ، جاءني رجل - وأنا في هذا المقام - فسألني عن الخمر، فقلت: ذاك رسول الله ﷺ، اذهب فسله^(٦) وارجع إلي فأخبرني ما قال لك، فنظرت إليه حتى قعد إلى رسول الله ﷺ ثم رجعت إلى فقال لي سألته عن الخمر، فقال:

«هي أكبر الكبائر، وأم الفواحش، من شرب الخمر ترك الصلاة ووقع أمه وخالته وعمته»^(٧).

أخبرنا عبد الرحمن بن الحسن الحافظ، أخبرنا أحمد بن شاذان، حدثنا أبو القسم البغوي، حدثنا أبو نصر التمار^(٨)، حدثنا كوثر بن حكيم^(٩) عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: إن الله لعن الخمر وعاصرها والمعتصر والجالب والمجلوب إليه والبائع والمشتري والساقى والشارب، وحرّم ثمنها على المسلمين^(١٠).

= وأبو داود - كتاب الأشربة - باب النهي عن المسكر رقم ٣٦٨١/٣ ٣٢٧.

والبيهقي في السنن - كتاب الأشربة - باب ما أسكر كثيره فقليله حرام ٢٩٦/٨ ٣٤٣، وشرح السنة للبغوي ٢٥١/١١ «هذا حديث حسن غريب من حديث جابر». كلهم من حديث جابر.

(١) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب الأشربة - باب الخمر من العسل وهو البتع ٣٢١/٣.

ومسلم - كتاب الأشربة - باب بيان أن كل مسكر خمر وكل خمر حرام ١٩٩/٢ كلاهما من حديث عائشة.

(٢) في (د) ابن صخر سبق.

(٣) عمارة بن عمرو بن حزم النجاري الأنصاري تابعي شريف سيد من أهل المدينة روى عن أبي بن كعب وغيره وعنه سلمة بن دينار، وعمر بن كثير وطائفة وتوفي سنة ٧٣ هـ (الأعلام ١٩٤/٥ والكاشف ٣٠٣/٢).

(٤) في (هـ) وهجر مكة.

(٥) في (د) عظم الله عند الشيخ.

(٦) في (د، هـ) فساله.

(٧) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب الأشربة - باب ما جاء في الخمر ومن يشربها «رواه الطبراني وعتاب لم أعرفه وابن لهيعة حديثه حسن وفيه ضعف» عن ابن عمرو ٦٨/٥، والدارقطني - كتاب الأشربة - رقم ٣ «لفظ الحديث» عن ابن عباس ٢٤٧/٤، والجامع الصغير ١٢/٢ عن ابن عباس، ١٢/٢ - ١٣ عن ابن عمر ورمز لهما بالصحيح.

(٨) عبد الملك بن عبد العزيز أبو نصر التمار سمع مالك بن أنس وكوثر بن حكيم والحمادين وغيرهم وعنه مسلم وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وغيرهم قال النسائي: ثقة توفي سنة ٢٢٨ هـ (تاريخ بغداد ٤٢٠/١٠ - ٤٢٢).

(٩) كوثر بن حكيم عن عطاء ومكحول وهو كوفي نزل حلب وحدث عنه مبشر بن إسماعيل وأبو نصر التمار قال أبو زرعة: ضعيف وقال ابن معين: ليس بشيء وقال أحمد أحاديثه بواطيل ليس بشيء، وقال الدارقطني وغيره: متروك وقال البخاري: منكر الحديث. (الميزان ٤١٦/٣).

(١٠) الحديث: رواه الحاكم في المستدرک - كتاب البيوع وصححه ٣٢/٢. ومسلم أحمد ٢٥/٢ ومصنف ابن أبي شيبة ٤٤٧/٦ - ٤٤٨ كلهم من حديث ابن عمر بالفاظ متقاربة وانظر مثل ذلك تفسير الآية ٢١٩ من سورة البقرة والحديث ذكره ابن حبان - في ترجمة كوثر بن حكيم. (المجروحين ٢٢٨/٢).

أخبرنا محمد بن محمد بن محمد^(١) بن أحمد المنصوري، أخبرنا أخبرنا علي بن عمر الحافظ حدثنا أبو عمر القاضي حدثنا علي بن اشكاب^(٢) حدثنا علي بن ربيعة^(٣)، حدثنا الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعم^(٤)، عن الوليد بن عباد^(٥)، قال: سمعت عبد الله بن عمرو^(٦) يقول:

قال رسول الله ﷺ «الخمير أم الخبائث، ومن شربها لم يقبل الله منه صلاة»^(٧) أربعين يوماً، فإن مات وهي في بطنه مات ميتة جاهلية^(٨). أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الغازي^(٩)، أخبرنا محمد بن بشر بن العباس البصري^(١٠)، أخبرنا محمد بن إدريس السامي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا محمد بن عبيد بن واقد، حدثنا محمد بن سليمان الأصبهاني^(١١)، عن سهيل بن أبي صالح^(١٢)، عن أبيه، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ «مدمن الخمر كعابد وثن»^(١٣).

(١) القاضي أبو عمر المالكي محمد بن يوسف بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم القاضي ببغداد ومعاملاتها في سائر البلاد وكان من أئمة الإسلام عالماً ومعرفة وفصاحة وبلاغة وعقلاً ورياسة روى الكثير عن المشايخ وعنه الدارقطني وغيره من الحفاظ وله مصنفات توفي سنة ٣٢٥ هـ عن ٧٨ سنة (البداية والنهاية ١١/١٧١ - ١٧٢).

(٢) في (د) علي بن ساكار، وهو: علي بن الحسين بن إبراهيم بن الحريرة إشكاب المحدث أبو الحسن قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه مع أبي وهو صدوق ثقة توفي سنة ٢٦١ هـ (تذكرة الحفاظ ٢/٥٥٩ وتهذيب التهذيب ٧/٣٠٢).

(٣) محمد بن ربيعة الكلبي عن الأعمش قال ابن معين: لا بأس به وقال مرة: ثقة وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وقال الأزدي: فيه لين ونظر، وقال عثمان بن أبي شيبة: كذاب. (الميزان ٣/٥٤٥).

(٤) في (أ، د، هـ) نعيم، وهو: الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعيم - بضم النون وسكون المهملة - البجلي الكوفي روى عن أبيه وفاطمة بنت علي بن أبي طالب وعبادة بن الوليد وغيرهم وعنه محمد بن ربيعة وطائفة قال ابن معين: ضعيف وقال أبو حاتم: صالح الحديث وذكره ابن حبان في الثقات (تهذيب التهذيب ٢/٤٣١).

(٥) الوليد بن عباد بن الصامت المدني الأنصاري أبو عبادة، يقال إنه ولد في آخر زمن النبي ﷺ سمع أباه وروى عنه ابنه عبادة توفي في خلافة سليمان بن عبد الملك، وهو أخو يحيى بن عبادة. (كتاب الجمع ٢/٥٣٦).

(٦) في (أ، هـ) عمر، وفي (د، و) عمر.

(٧) ليست في (د).

(٨) الحديث: رواه الدارقطني - كتاب الأشربة - الحديث الأول ٤/٢٤٧ ومجمع الزوائد - كتاب الأشربة - باب ما جاء في الخمر ومن يشربها «رواه الطبراني في الأوسط» عن شيخه سباب بن صالح ولم أعرفه ٦/٧٢، وذكره الرازي في علل الحديث وصحح إسناده ٢/٢٨، ومسند أحمد ٢/٣٥ والجامع الصغير ٢/١٣ «طس» ورمز له بالصحیح وكذا في كشف الخفاء ١/٣٨٢ كلهم من حديث ابن عمرو.

(٩) في (هـ) الرازي.

(١٠) في (د، هـ) بشير.

(١١) محمد بن سليمان الأصبهاني عن سهيل بن أبي صالح وعطاء بن السائب قال أبو حاتم لا بأس به يكتب حديثه ولا يحتج به وقال النسائي: ضعيف وقال ابن عدي: هو قليل الحديث: أخطأ في غير شيء ذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ١٨١ هـ (الميزان ٣/٥٦٩، وتهذيب التهذيب ٩/٢٠١).

(١٢) في (د) سهل بن صالح.

(١٣) الحديث: رواه ابن ماجه في السنن - كتاب الأشربة - باب مدمن الخمر رقم ٣٣٧٥ ٢/١١٢٠، وانظر كشف الخفاء ٢/٢٠٠ - ٢٠١ والدرر ٢/٣٢٣ «وقال البخاري ولا يصح من حديث أبي هريرة» والعلل المتناهية لابن الجوزي ٢/٦٧١ قال المؤلف: لا يصح تفرد به محمد بن سليمان الأصبهاني وانظر تذكرة الموضوعات ١٠٧. ومسند أحمد ١/٢٧٢ عن ابن عباس.

وانظر الحديث للرازي «سألت أبي عن حديث رواه الحسن بن عطية وعبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من لقي الله وهو مدمن خمر كان كعابد وثن» ورواه أحمد بن يونس فقال: عن إسرائيل عن =

الوسيط في تفسير القرآن المجيد/ ج ٢/ ١٥٣

أخبرنا أبو سعيد فضيل بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن نيروز الأنماطي،^(١) حدثنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن نافع العصري، حدثنا علي بن الحسن الشامي، حدثنا عبيد الله بن عمر العمري^(٢)، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: لا تجالسوا شربة^(٣) الخمر، ولا تشيعوا جنازتهم، ولا تزوجوهم ولا تتزوجوا إليهم، فإن شارب الخمر يبعث يوم القيامة مسوداً وجهه مزرقة عيناه، يدلع لسانه^(٤) على صدره يسيل لعابه على بطنه، يقدره من يراه^(٥).

﴿والميسر﴾: القمار كله، وتقدم معنى الكلام فيه^(٦).

﴿والأنصاب﴾ قال ابن عباس^(٧): ألتهتهم التي نصبوها يعبدونها، واحدها: نصب. والأزلام سهام مكتوب عليها: خير وشر - ومعنى الكلام فيه الانصاب والأزلام^(٨). وقوله^(٩) ﴿رجس من عمل الشيطان﴾ أي: قبيح مستقذر يقال: رجس الرجل رجساً، ورجس إذا عمل قبيحاً^(١٠).

قال الزجاج^(١١)، بالغ الله تعالى في ذم هذه الأشياء فسمها رجساً، وأعلم أن الشيطان يسول ذلك لبني آدم وقد قرن الله تعالى تحريم الخمر بتحريم عبادة الأوثان تغليظاً وإبلاغاً في النبي عن شربها.

لذلك قال ابن عباس^(١٢): لما حرمت الخمر مشى أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعض فقالوا: حرمت الخمر، وجعلت^(١٣) عدلاً للشرك.

وقوله^(١٤) ﴿فاجتنبوه﴾ أي كونوا جانباً^(١٥) منه ﴿لعلكم تفلحون﴾.

- قوله تعالى^(١٦) ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر﴾ أما الخمر فقال

= ثوير عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال أبي: حديث حكيم عندي أصح، قلت لأبي فحكيم بن جبيرة أحب إليك أم ثوير؟ فقال ما فيهما إلا ضعيف غال في التشيع، قلت فأيهما أحب إليك؟ قال هما متقاربان.

وسألت أبي عن حديث رواه المؤمل بن إسماعيل عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «مدمر الخمر كعابد وثن» سمعت أبي يقول هذا خطأ إنما هو كما رواه حسن بن صالح عن محمد بن المنكدر قال حدثت عن ابن عباس عن النبي ﷺ ٣٧/٢.

(١) في (د) أخبرنا الشيخ.

(٢) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أبو عثمان العدوي القرشي المدني سمع نافعاً وغيره توفي سنة ١٤٤ هـ روى له البخاري ومسلم.

(كتاب الجمع ٣٠٢/١ - ٣٠٣).

(٣) «شربة»: جمع شارب ككفرة: جمع كافر» (خاشية أ).

(٤) «يدلع لسانه»: يخرجها» (عمدة القوي ص ١١).

(٥) الحديث: أورده ابن الجوزي في الموضوعات ٤٢/٣ وقال: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ وفيه جماعة ضعفاء - يعني في إسناده المذكور عنده - وانظر تنزيه الشريعة ٢٣٠/٢، واللائء المصنوعة ٢٠٥/٢.

(٦) انظر تفسير الآية ٢١٩ من سورة البقرة.

(٧) انظر فتح الباري ٢٢٤/٨.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٨٨ وغريب القرآن ١٤٦.

(٩) ساقطة من (د).

(١٠) انظر تفسير الآية ٣ من سورة المائدة.

(١١) في (د) قوله تعالى.

(١٢) في (د) قوله.

(١٣) في (ح) أي كنتم، وفي (و) منه جانباً.

(١٤) انظر اللسان / رجس، والمصباح / رجس.

(١٥) في (ح، د) قوله.

(١٦) انظر الزجاج ٢٢٤/٢.

ابن عباس^(١): «إن رجلاً من الأنصار كان مؤاخياً لسعد بن أبي وقاص، فدعاه إلى الطعام وشربوا مسكراً، فوقع بين الأنصاري وبين سعد^(٢) مراء ومفاخرة فأخذ الأنصاري لحي بعير فضرب به وجه سعد حتى أثر في وجه سعد.

وأما الميسر فقال قتادة^(٣): كان الرجل يقامر على أهله وماله، فيقمر ويبقى حريباً^(٤) سليباً، فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء إلى ماله في يدي^(٥) غيره.

وقوله^(٦): ﴿ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة﴾ وذلك أن من اشتغل بشرب الخمر أو القمار ألهاه ذلك^(٧) عن ذكر الله وعبادته.

ثم أمر بالانتهاه عن هذه الأشياء فقال ﴿فهل أنتم متتهون﴾ قال ابن عباس^(٨): قالوا: انتهينا ربنا.

قال ابن الأنباري^(٩): بين^(١٠) تحريم الخمر في قوله ﴿فهل أنتم متتهون﴾ إذ^(١١) كان معناه فانتهوا.

قال الفراء^(١٢): ردد عليّ أعرابي: هل أنت ساكت، هل أنت ساكت، وهو يريد: اسكت اسكت، ولما ذكر الأمر باجتناب الخمر وما بعدها، أمر بالطاعة فقال:

- ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ فيما يأمرانكم ﴿واحذروا﴾ المحارم والمناهي ﴿فإن توليتم﴾ أعرضتم عما

أمرتم ﴿فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ معناه: الوعيد، كأنه قيل: فاعلموا أنكم قد استحققتم العقاب^(١٣) لتوليتكم عما بلغ رسولنا. و «البلاغ» معناه: التبليغ، و «المبين»: الظاهر، أي: ليس على رسولنا إلا أن يبلغ ويبين.

- وقوله^(١٤): ﴿ليس على الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ الآية، قال المفسرون: لما نزل

تحريم الخمر والميسر قالوا: يا رسول الله^(١٥)، ما نقول في إخواننا الذين مضوا وهم يشربون ويأكلون الميسر؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١٦) وقوله^(١٧): ﴿فيما طعموا﴾ يعني: من الخمر والميسر.

(١) انظر الدر ٣١٥/٢، والفتح الرباني ١٨/١٣٢، وصحيح مسلم ٣٦٤/٢ - ٣٦٥، وانظر ما تقدم في تفسير الآية السابقة.

(٢) في (د) وسعد.

(٣) انظر تفسير الطبري ٧/٢٣، والدر ٢٣٠/٢ كلاهما عن قتادة.

(٤) «يبقى حريباً - بحاء مهملة وراء مهملة مكسورة بعد ياء معجمة يائنتين وياء موحدة - يقال: حربه يحربه إذا أخذ ماله وتركه بلا شيء» (عمدة القوي والضعيف ص ١١).

(٥) في (ح، د، و) يد غيره.

(٦) في (د) قوله.

(٨) انظر الدر ٣١٤/٢ عن أبي هريرة، ٣١٥/٢ عن بريدة، ٣١٨/٢ عن محمد بن قيس.

(٩) انظر البحر ٤/١٥، والخازن ٢/٩٠.

(١٠) ساقطة من (د).

(١١) في (أ، هـ) إذا.

(١٢) ذكره ابن منظور في اللسان / هلل عن الفراء.

(١٣) في (د) ﴿﴾.

(١٤) انظر تفسير ابن عباس ٧١٠/٨ وفتح الباري ٨/١٢٤ - ١٢٥، والفتح الرباني ١٨/١٣٢ - ١٣٣ ومسلم بشرح النووي ١٣/١٤٨ - ١٤٩،

ومسند أحمد ١/٢٣٤، والطبري ٧/٢٤ - ٢٥، وصحيح البخاري - كتاب المظالم - باب صب الخمر في الطريق ٢/٦٩. والترمذي -

كتاب النصير - رقم ٥٠٤٤، ٥٠٤٥، ٣٢٠/٤ - ٣٢١.

والمستدرک - كتاب الأشربة - «صحيح على شرط مسلم» ٤/٢٤١ - ١٤٢.

(١٧) في (د) قوله.

وقوله ^(١) ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ [يعني: المعاصي والشرك ﴿ثم اتقوا﴾] ^(٢) داموا على الاتقاء ﴿ثم اتقوا وأحسنوا﴾ اتقوا ظلم العباد مع ضم الإحسان إليه.

أخبرنا أبو إسحاق الثعالبي، أخبرنا شعيب بن محمد البيهقي، أخبرنا مكي بن عبدان، حدثنا أبو الأزهر ^(٣)، حدثنا روح، حدثنا سعيد عن قتادة قال:

لما أنزل الله تحريم الخمر في «المائدة» - بعد غزوة الأحزاب - قال في ذلك رجال من أصحاب رسول الله ﷺ: أصيب فلان يوم بدر، وفلان يوم أحد وهم يشربونها، ونحن نشهد أنهم في الجنة. فأنزل الله تعالى ﴿ليس على الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾. الآية.

يقول: ^(٤) شربها القوم على تقوى من الله وإحسان، وهي يومئذ حلال، ثم حرمت فيما بعد ^(٥).

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَلْبُوتَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ^(٩٤) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَهُ طَعَامًا مُّسَكِينَ أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا لَّيْذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو نِقَامٍ ^(٩٥) أَجَلَ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرْمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ^(٩٦)

- قوله تعالى ^(١) ﴿يا أيها الذين ءامنوا ليلبوتكم الله بشيء من الصيد...﴾ الآية، أي: ليختبرن طاعتكم من معصيتكم ^(٢) بصيد البر خاصة، وكان هذا عام الحديدية، كانت الوحش والطيور ^(٣) تغشاهم في رحالهم كثيرة وهم محرمون، فنهوا عنها ابتلاء ^(٤) قوله ^(٥) ﴿تناله أيديكم﴾ يعني: الفراع ^(٦) وصغار الوحش ﴿ورماحكم﴾ ^(٧) يعني: الكبار ﴿ليعلم الله﴾ ليرى الله ﴿من يخافه بالغيب﴾ من يخاف الله ولم يره، كقوله ﴿من خشي الرحمن بالغيب﴾ ^(٨) ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ بعد النهي ﴿فله عذاب أليم﴾ قال ابن عباس: يوسع ظهره ويطنه جلدًا، ويسلب ثيابه ^(٩).

(١) في (د)، (و) قوله.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (و).

(٣) في (د) حدثنا الأزهر.

(٤) في (ح) يقول الله.

(٥) انظر غرائب النيسابوري ٣٥/٧، وابن كثير ٩٧/٢، والرازي ٨٥/١٢، والدر ٣٢٧/٢ كلها عن مقاتل.

(٦) في (ح)، (ه) وقوله.

(٧) في (و) يعني الصغار من الوحش والفرخ.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ١٠١ بنحوه، والرازي ٨٦/١٢، والدر ٣٢٧/٢، وغرائب النيسابوري ٣٥/٧ كلها عن ابن عباس.

(٩) سورة ق / ٣٣.

- قوله تعالى (١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ حرم الله تعالى قتل الصيد على المحرم فليس له أن يتعرض للصيد ما دام محرماً .

قوله (٢) ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ قال الزهري: (٣): نزل القرآن بالعمد، وجرت السنة في الخطأ، يعني: أن المخطيء في قتل الصيد الحق بالمتعمد في وجوب الجزاء عليه بالسنة.

وهذا مذهب عامة الفقهاء. قال ابن جريح: قلت لعطاء: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ فمن قتله خطأ يغرم، وإنما جعل الغرم على من قتله متعمداً، قال: يعظم بذلك حرمة الله، ومضت به السنن (٤). وقوله (٥) ﴿فَجَزَاءَهُ مِثْلَ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ﴾ أي: فعليه جزاء مماثل للمقتول. ففي النعامة: بدنة، وفي حمار الوحش: بقرة، وفي الضبع: كبش، وفي [الظبي: شاة، وفي الغزال]: (٦) جمل.

ومن قرأ ﴿فَجَزَاءَهُ مِثْلَ مَا قَتَلَ﴾ على الإضافة إلى «مثل» (٧)، كان معناه: فجزاء ما قتل، ويكون «المثل»: صلة، كما تقول: أنا أكرم مثلك، أي: أكرمك، ومعنى القراءتين (٨) سواء.

وقوله (٩) ﴿يُحْكَمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد: يحكم في الصيد بالجزاء رجلان صالحان منكم من أهل ملتكم ودينكم، فقيهان عدلان، فينظران إلى أشبه الأشياء به من النعم فيحكمان به (١٠).

﴿هدياً بالغ الكعبة﴾ قال ابن عباس (١١): يريد: إذا أتى مكة ذبحه وتصدق به ﴿أو كفارة طعام مساكين﴾ يعني: أو عليه - بدل الجزاء - الكفارة، وهي طعام مساكين.

(١) في (د) قوله.

(٢) في (ح، هـ، و) وقوله.

(٣) في (د) الأزهري.. وجرت السنة في الخطأ.

وانظر تفسير الطبري ٢٨/٧، وأحكام القرآن ٦٦٨/٢، وابن كثير ٩٨/٢، والدر ٣٢٧/٢ كلها عن الزهري.

(٤) انظر تفسير الطبري ٢٨/٧ عن ابن جريح، وأحكام القرآن ٦٦٨/٢ عن ابن عباس وعمر وعطاء والحسن والنخعي والدر ٣٢٧/٢ عن الشافعي وعمر بن دينار وسعيد بن جبيرة وعمر وعطاء ومجاهد، وفتح القدير ٧٩/٢ عن ابن عباس.

(٥) في (د، و) قوله، وفي (د) فجزاء من قتل.

والصيد المحظور: «قال الشافعي: إنه البري المتوحش المأكول اللحم، أما الأول فلقوله بعد ذلك (أحل لكم صيد البحر) وأما المتوحش: فيدخل فيه نحو الظبي وإن صار مستأنساً، ويخرج الإنس وإن صار متوحشاً إبقاء لحكم الأصل، وأما كونه مأكولاً: فلقوله تعالى: ﴿وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدِ الْبَرِّ مَا دُمَّتْ حُرْمًا﴾ فيعلم منه أن مما يحل أكله في غير الإحرام» (غرائب النيسابوري ٣٥/٧ - ٣٦).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (د)، .

(٧) في (د) إلى المثل.

(٨) في (ح) القولين.

وانظر الدر ٣٢٨/٢ عن المفسرين بتوسع.

قرأ عاصم وحزمة والكسائي (فجزة) - منون - (مثل) - بالرفع - على معنى: فعليه جزاء مثل الذي قتل، فتكون (مثل) من نعت للجزاء. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (فجزة) - مضموم - (مثل): - مضافة - فكأنه قال: فجزاء مثل المقتول واجب عليه، أي فداؤه. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣٥ - ٢٣٦، والسبعة ٢٤٧ - ٢٤٨، والنشر ٢٥٥/٢، والتهيان ٤٦٠/١، والزجاج ٢٢٨/٢، والحجة لابن خالويه ١٣٤).

(٩) في (ح، هـ، د) وقوله.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ص ١٠١ بنحوه، والزجاج ٢٢٨/٢، وابن كثير ٩٩/٢، وفتح القدير ٧٨/٢، والطبري ٣١/٧، وغرائب النيسابوري ٤٠/٧ عن ابن عباس بلفظه.

(١١) انظر تفسير الطبري ٣٠/٧، وابن كثير ١٠٠/٢ كلاهما عن ابن عباس، والدر ٣٣٠/٢ عن مجاهد وعطاء وابن عباس.

وقرىء بإضافة كفارة إلى طعام^(١)، وذلك أنه لما خير المكفر بين ثلاثة أشياء: الهدى والطعام والصيام، استجيزت الإضافة لذلك، كأنه قيل: كفارة طعام لا كفارة هدى ولا كفارة صيام.

قال الشافعي: إذا قتل صيداً فإن شاء جزاء بمثله، وإن شاء قوم المثل دراهم ثم [يشترى]^(٢) بالدرهم طعاماً، ثم يتصدق به، وإن شاء صام عن كل مد^(٣) يوماً، وهو قوله ﴿أو عدل ذلك صياماً﴾.

قال الفراء^(٤): «العدل»: ما عادل الشيء من غير جنسه، و «العدل»: المثل.

قال ابن الأعرابي: «عدل الشيء وعدله سواء: مثله.

والجزاء إنما يجب فيما يؤكل لحمه من الدواب والطيور، فأما ما لا يؤكل لحمه فلا جزاء في قتله، أخبرنا القاضي أبو بكر الحبري، حدثنا محمد بن يعقوب، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا مالك، عن نافع عن ابن عمر^(٧):

أن رسول الله ﷺ قال: «خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح، الغراب، والجدأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور»^(٨).

قوله^(٩) ﴿ومن عاد فينتقم الله منه﴾ قال عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبيرة: إذا عاد إلى قتل الصيد محرماً بعدما حكم عليه في المرة الأولى^(١٠) حكم عليه ثانياً فهو بصدد الوعيد، لقوله ﴿فينتقم الله منه﴾ أي: يكافئه عقوبة بما صنع ﴿والله عزيز﴾ منيع ﴿ذو انتقام﴾ من أهل معصيته، أي: ذو مكافأة لهم بالعقوبة.

(١) قرأ نافع وابن عامر (أو كفارة) غير منون (طعام) خفض، وحجتهما: قوله (إن هذا لهو حق اليقين) - سورة الواقعة/ ٩٥ - فأضاف الحق إلى اليقين وهما واحد، وقوله (ولدار الآخرة) سورة يوسف/ ١١٠ - وقال الفراء: إنما جاز أن تضاف الكفارة إلى الطعام، لاختلاف اللفظين. وقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحزمة والكسائي (أو كفارة) منوناً - (طعام) رفعاً، وحجتهم: أن الطعام هو الكفارة، فلا يضاف الشيء إلى نفسه.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣٧، والسبعة ٢٤٨، والنشر ٢/٢٥٥، والتبيان ١/٤٦١-٤٦٢، والمشكل ١/٢٣٨، والأخفش ٢/٤٧٦-٤٧٧، والحجة لابن خالويه ١٣٤-١٣٥).

(٢) من (٥).

(٣) في (أ) عن كل يوم مداً.

وانظر تفسير الرازي ١٢/٩٥، وابن كثير ٢/١٠٠ كلاهما عن الشافعي، والطبري ٧/٣٥ عن عطاء وابن عباس ومجاهد وعكرمة، والدر ٢/٣٢٨ عن ابن عباس والضحاك.

(٤) انظر الفراء ١/٣٢٠، والرازي ١٢/٩٥، والزاهر ١/٢٤٥، والبغوي ٢/٩٣، وفتح القدير ٢/٧٨ كلها عن الفراء.

(٥) انظر تفسير الرازي ١٢/٩٥ عن ابن الأعرابي والزجاج، والزجاج ٢/٢٢٩، والزاهر ١/٢٤٥، وفتح القدير ٢/٧٨ كلها عن البصريين.

(٦) في (و) أخبرنا.

(٧) في (و) عن ابن عمر قال: قال رسول الله.

(٨) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب الحج - باب ما يقتل المحرم من الدواب ١/٣١٤ - مسلم - كتاب الحج - باب ما يندب

للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم ١/٤٩٤ - الترمذي - كتاب الحج - باب ما جاء ما يقتل المحرم من الدواب رقم ٨٣٩

١٦٦/٢ - وأبو داود - كتاب الحج - باب ما يقتل المحرم من الدواب رقم ١٨٤٦ - ١٦٩/٢ - ١٧٠ كلهم من حديث ابن عمر.

(٩) ساقطة من (هـ، و).

(١٠) انظر الطبري ٧/٣٩ عنهم، والدر ٢/٣٣١ عنهم وابن عباس.

- قوله ^(١) ﴿أَحْلَ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ﴾ قال ابن عباس: ^(٢) يريد: ما أصيب من داخل البحر، وعني بـ «البحر» جميع المياه والأنهار داخلية في هذا.

وقوله ^(٣) ﴿وِطْعَامِهِ﴾ يعني: ما لفظه البحر أو حسر عنه الماء ^(٤) ﴿مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ منفعة للمقيم والمسافر، تأكلون وتبيعون، ويتزود منه عابر السبيل.

﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دَمْتُمْ حَرَمًا﴾ كل صيد صاده المحرم من البر أو صيده له بأمره لم يحل له أكله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا تستحلوا الصيد في الإحرام، ثم حذرهم بقوله ﴿الَّذِي إِلَيْهِ تَحْشَرُونَ﴾ فيجزيكم بأعمالكم ^(٥).

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَةَ الذِّكْرَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ﴾ ^(٦) ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ^(٧)

- قوله تعالى ﴿جعل الله الكعبة﴾ ^(٦) قال مجاهد: ^(٧) سمي البيت كعبة لتربيعها، وقال ابن أبي نجیح ^(٨): إنما سميت الكعبة لأنها مربعة مكعبة على عمل الكعب. و﴿البيت الحرام﴾ معناه: أن الله تعالى قد حرم أن يصاد عنده، وأن يختلى ما عنده من الخلاء، وأن يعضد ^(٩) شجرة، وما عظم من حرمة.

قوله ^(١٠) ﴿قياماً للناس﴾ أي: سبباً لقيام الناس إليها بالحج وقضاء النسك، فيصلح بذلك دينهم، لأنه يحط عنهم الذنوب والأوزار عندها، ويغفر لهم ما أقرفوه قبل حجها.

وقال جماعة من المفسرين: ^(١١) ﴿جعل الله﴾ حج ﴿الكعبة البيت الحرام قياماً﴾ لمعاش الناس ومكاسبهم بما يحصل لهم في زيارتهم من التجارة وأنواع البركة.

قال سعيد بن جبیر: من أتى هذا البيت يريد شيئاً للدنيا والآخرة أصابه ^(١٢). وقوله ^(١٣) ﴿والشهر الحرام﴾ يريد:

(١) في (د) بعد حكم.

(٢) في (د) قوله تعالى.

(٣) انظر تفسير ابن كثير ١٠١/٢ عن ابن عباس وابن جرير وأبي بكر الصديق وزيد بن ثابت وخلق.

(٤) في (ح) البيت، وفي (هـ، و) البيت الحرام.

(٥) انظر أحكام القرآن لابن العربي ٦٩٢/٢، والدرر ٣٣٣/٢ كلاهما عن مجاهد وعكرمة، والطبري ٤٩/٧ عن عكرمة، وقال مجاهد «لأنها مربعة».

(٦) انظر تفسير الطبري ٤٩/٧ عن ابن أبي نجیح.

(٧) «وأن يعضد شجره: يقطع» (حاشية أ).

(٨) في (ح، هـ، و) وقوله.

(٩) انظر الدرر ٢٢٢/١ عن ابن عباس وابن عمر وأبي الزبير ومجاهد وقتادة، ٣٣٤/٢ عن زيد بن أسلم وانظر تفسير الآية ١٩٨ من سورة البقرة.

(١٠) في (د) الكعبة الحرام، وفي (د) الكعبة قيا.

(١١) انظر الدرر ٢١٢/٢ عن سعيد بن جبیر.

الأشهر الحرم، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يتغاورون ويسكفون الدماء بغير حقها، فإذا دخل الشهر الحرام أمنوا على أموالهم وأنفسهم وانسطوا في متاجرهم، وكذلك إذا أهدى الرجل هدياً، أو قلد بغيره من لحاء شجر الحرم أمن كيف تصرف، وذلك قوله ﴿والهدي والقلائد﴾ ولو لم يؤمن الله العرب بهذه الأشياء لفستت الأرض وفني الناس.

وقوله (١) ﴿ذلك﴾ (٢) لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ قال ابن قتيبة (٣): فعل الله ذلك لعله بما فيه صلاح شؤونهم ليعلموا أنه كما علم ما فيه الخير لهم أنه يعلم أيضاً ما في السموات وما في الأرض.

قال ابن (٤) الأنباري: ذكر الله في هذه السورة غيوباً كثيرة من أخبار الأنبياء - عليهم السلام وتباعهم (٥) وأشياء من أحوال المنافقين واليهود كانت مستورة عن النبي ﷺ والمسلمين، فلما دل عليها قال ﴿ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ أي: ذلك يدلكم على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض، وأنه لا تخفى عليه خافية.

- قوله ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب﴾ قال الكلبي (٦): لمن استحل الحرام ﴿وأن الله غفور رحيم﴾ لم

تاب.

أخبرنا عبد القاهر بن طاهر البغدادي، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي، حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا خارجة، عن الغلاء عن أبيه، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: ﴿لو يعلم (٧) المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجهته أحد ولو يعلم (٨) الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جهته (٩) أحد﴾ (٩).

ولما أندر الله بشدة العقاب، أخبر أنه ليس على الرسول إلا التبليغ (١٠) فقال:

مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾

- ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ (١١) أي: فقد بلغ وأندر وبشر ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ أي: لا

يخفى عليه شيء مما تظهرون وما تسرون.

(١) في (د) قوله.

(٢) ليست في (أ).

(٣) انظر تفسير الطبري ٥٠/٧ - ٥١، والقرطبي ٣٢٦/٦، والبحر ٢٦/٤، والبخاري ٩٧/٢، وفتح القدير ٧٩/٢.

(٤) في (د، هـ) قال، وانظر الزجاج ٢٣٢/٢ ذكره ثم عقب بقوله «ودليل هذا القول: قوله عز وجل ﴿ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾».

وانظر البحر ٢٦/٤، والبخاري ٩٧/٢ كلاهما عن الزجاج.

(٥) في غير (أ) وأتباعهم، وفي (د) وأتباعهم.

(٦) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ١٠١.

(٧) في (هـ) يعلموا المؤمنوا... يعلموا الكفار.

(٨) في (و) من رحمته.

(٩) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب التوبة - باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ٤٩٤/٢. والترمذي - كتاب الدعوات - باب ما جاء في فضل التوبة والاستغفار رقم ١٠ ٢٠٩/٥ كلاهما من حديث أبي هريرة.

(١٠) في (هـ) بلاغ.

(١١) في (و) البلاغ.

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْثُ وَالطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْءَانُ بُدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بُحَيْرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أُولُو كَانٍ ءِآبَاءُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِيمَنبَيْتِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

- قوله تعالى ﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب﴾^(١) روى جابر أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن الخمر كانت تجارتي، وإنني أعتقدت^(٢) من بيعها مالاً فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة^(٣) الله؟ فقال النبي ﷺ: إن أنفقت في حج، أو جهاد، أو صدقة، لم يعدل عند الله جناح بعوضة، إن الله لا يقبل إلا الطيب^(٤).
وأنزل الله تصديقاً لقول رسوله ﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب﴾ قال عطاء والحسن: الحرام^(٥) والحلال.
﴿ولو أعجبت كثرة الخبيث﴾ معنى «الإعجاب»: السرور بما يتعجب منه، تقول: يعجبني المال والغنى أي: يسرني، قال عطاء عن ابن عباس^(٦): يريد: أن أهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا، وما عند الله خير وأبقى.
ثم أمر بالتقوى فقال ﴿فاتقوا﴾^(٧) الله يا أولي الألباب... الآية.

- قوله تعالى^(٨) ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم﴾ قال المفسرون إن رسول الله ﷺ سئل حتى أحفوه^(٩) بالمسألة، فقام مغضباً خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: لا تسألوني عن شيء في مقامي هذا إلا أخبرتكموه، فقام رجل من بني سهم كان يطعن في نسبه وهو عبد الله بن حذافة^(١٠) فقال: يا نبي الله من أبي؟

(١) في (هـ) خبيث.

(٢) في (و) اعتقلت.

واعتقدت: أي جمعت (حاشية أ).

(٣) في (هـ) بطاعت.

(٤) الحديث: رواه السيوطي في أسباب النزول نقلاً عن الواحدي ص ١١٤، وأسباب النزول للواحدي ١٥٧، وغرائب النيسابوري ٤٩/٧ - ٥٠، والبحر ٢٧/٤ كلهم من حديث جابر.

(٥) في (ح، د، و) الحلال والحرام،

وانظر تفسير ابن عباس ١٠٢، والبحر ٢٧/٤ عن ابن عباس والحسن، والدرر ٣٣٤/٢ عن أبي هريرة، وفتح القدير ٨١/٢.

(٦) ذكره الخازن ٩٧/٢.

(٧) في (ح، د، هـ) واتقوا.

(٨) في (د) قوله.

(٩) «أحفاه»: ألح عليه في المسألة، وأحضى السؤال: رده (اللسان / حفا، المصباح / حفي).

(١٠) في (ج، د) أبي قيس، وهو: عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سعد بن عمرو القرشي السهمي أبو حذافة أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة مع أخيه قيس روى عن النبي ﷺ توفي نحو سنة ٣٣ هـ. (تهذيب التهذيب ١٨٥/٥).

فقال: أبوك حذافة بن قيس، وقام آخر فقال: يا رسول الله أين أبي؟ فقال: في النار وقام آخر فقال: يا رسول الله الحج علينا في كل عام؟ فقال رسول الله ﷺ: ويحك، وما يؤمنك أن أقول نعم، والله لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، فأتركوني ما تركتكم وإنما هلك من كان من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فأنزل الله هذه الآية (١).

وسأل عن موضع أبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في النار فهو مما يسوء السائل بيانه. وأما من سأل عن نسبه، فإنه لم يأمن من أن يلحقه النبي ﷺ بغير أبيه فيفتضح فضيحة تبقى عليه بسؤال لم يكلف ذلك.

وأما السائل عن الحج، فقد سأل عما كان مرفوعاً عنه، لأنه كان ظاهر ما نزل من فرض الحج كفاية، فلو كان العدد في الوجوب مراراً لبين في التنزيل أو على لسان الرسول، فسؤاله إذاً عن شيء عفا الله وهو قوله ﴿عفا الله عنها﴾.

وهذا مؤخر في النظم مقدم في المعنى: لأن التقدير: لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم عفا الله عنها.

ومعنى ﴿عفا الله عنها﴾: أي: كف وأمسك عن ذكرها، فلم يوجب فيها حكماً. قال الزجاج (٢): أعلم الله أن السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع، فإذا ظهر فيه الجواب ساء ذلك، ولا وجه في المسألة عما عفا الله عنه (٣) ولا فيما فيه إن ظهر فضيحة على السائل.

وقوله (٤) ﴿وإن تسألوا عنها﴾ أي: عن أشياء ﴿حين ينزل القرآن﴾ فيها من فرض أو إيجاب أو نهى أو حكم ومست حاجتكم إلى ما هو من جملة ما نزل فيه القرآن وليس في ظاهرها دليل على شرح ما بكم إليه حاجة، فإذا سألتهم (٥) عنها حيثنذ ﴿تبد لكم﴾.

- قوله (٦) ﴿قد سألتها قوم من قبلكم﴾ أي: (٧) سأل الآيات التي بهم غنى عنها فتكلفوا سألها، كقوم عيسى سألوا المائدة ثم كفروا بها، وقوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها وكفروا بها.

- قوله تعالى (٨) ﴿ما جعل الله من بحيرة﴾ أي: ما أوجها (٩) ولا أمر بها. و «البحيرة»: فعيلة من البحر وهو الشق، يقال: بحر ناقته، أي شق أذنها، وهي بمعنى المفعولة.

قال المفسرون (١٠): البحيرة: الناقة إذا نتجت خمسة أبطن شقوا أذنها، وامتنعوا عن ركوبها (١١) وذبحها ولا يجز

(١) انظر صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب وقت الظهر عند الزوال ١٠٤/١. وكتاب التفسير - من سورة المائدة (لا تسألوا عن أشياء... ١٢٦/٣). ومسلم - كتاب الفضائل - باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما يقع ونحو ذلك ٣٣٨/٢ - ٣٣٩، والطبري ٥٢/٧ - ٥٣، وابن كثير ١٠٤/٢ - ١٠٥، والزجاج ٢٣٢/٢ - ٢٣٣، وفتح الباري ١٥١/١ - ١٥٢، ٢٢٦/٨ - ٢٢٧، ومسلم بشرح النووي ١١٢/١٥، وما بعدها، والفتح الرباني ١٥٩/١، ١٤/١١ - ١٩.

(٢) انظر الزجاج ٣٣٣/٢.

(٣) في (د) عفا الله إن ظهر.

(٤) في (د) قوله.

(٥) في (هـ) سئمت.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ١٠٢، والزجاج ٢٣٤/٢ - ٢٣٥، وغريب القرآن ١٤٧، وابن كثير ١٠٧/٢ - ١٠٨، والدرر ٣٣٧/٢ كلاهما عن

ابن عباس، ومجاز القرآن ١٧٩/١ - ١٨٠.

(١١) في (هـ) كركوبها.

لها وبر، ولا يحمل على ظهرها، ولا تمنع من ماء ولا مرعى^(١).

وقوله ﴿ولا سائبة﴾ قال أبو عبيدة^(٢): كان الرجل إذا مرض أو قدم من سفر نذر نذراً، أو شكر نعمة، سيب بغيراً، فكان بمنزلة^(٣) البحيرة في جميع ما حكموا لها.

وقال الفراء^(٤): إذا ولدت الناقة عشرة أبطن كلها إناث سيبت فلم تركب^(٥). وقال ابن عباس: ^(٦) هي التي تسب للأصنام، أي: تعتق لها، وقال سعيد بن المسيب: السائبة من الإبل، كانوا يسيبونها لطواغيتهم^(٧).

وقوله^(٨) ﴿ولا وصيلة﴾^(٩) الوصيلة من الغنم: كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً جعلوه لألتهم، فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت^(١٠) أخاه فلم يذبحوا الذكر لألتهم^(١١).

وقوله^(١٢) ﴿ولا حام﴾ قال ابن عباس وابن مسعود: إذا^(١٣) نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره^(١٤) وسبب لأصنامهم فلا يحمل عليه.

قال قتادة: كان هذا كله تشديد شددته الشيطان على أهل الجاهلية في أموالهم وتغليظاً^(١٥).

وإن أول من فعل ذلك عمرو بن لحي^(١٦).

أخبرنا أبو عبد الرحمن بن أبي حامد المزكي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد الشيباني^(١٧)، أخبرنا

(١) في (ح، و) عن ماء، وفي (هـ) ولا تمنعوا عن ماء ولا مرعاً.

(٢) في (أ) وقال أبو عبيدة.

وانظر مجاز القرآن ١/١٨٠، والزجاج ٢/٢٣٥، وغريب القرآن ١٤٧، وابن كثير ٢/١٠٨ عن أبي روق والسدي.

(٣) في (هـ) بمن زلة.

(٤) انظر الفراء ١/٣٢٢، والزاهر ٢/١١٧، وابن كثير ٢/١٠٨ عن محمد بن إسحاق.

(٥) في (هـ) تركبوا.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١٠٢، وغرائب النيسابوري ٧/٦٢ عن ابن عباس، وفتح الباري ٨/٢٢٨، والزاهر ٢/١١٧.

(٧) انظر تفسير الطبري ٧/٦٠، وابن كثير ٢/١٠٧، والدر ٢/٣٣٧ كلها عن سعيد.

(٨) في (هـ) ولا وصيلة ولا حام.

(٩) في (أ) جعلوها.

(١٠) في (هـ) وصلة، وفي (و) وصلت أخاها فلا.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١٠٢، والزجاج ٢/٢٣٥، ومجاز القرآن ١/١٨٠، وغريب القرآن ١٤٧، وابن كثير ٢/١٠٨ عن ابن عباس،

والدر ٢/٣٣٧، والزاهر ٢/١١٧.

(١٢) في (د) قوله.

(١٣) في (ح) وإذا، وفي (هـ) إذا نتجت.

(١٤) في (هـ) حما ذهره.

انظر تفسير ابن عباس ١٠٢، والدر ٢/٣٣٧ - ٣٣٨ عن أبي الأحوص عن أبيه وابن عباس ومجاز القرآن ١/١٧٩ والزجاج ٢/٢٣٥،

وغريب القرآن ١٤٨، وفتح الباري ٨/٢٢٩، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/٧٠١.

(١٥) في (د) تغليظاً، وانظر الدر ٢/٣٣٩ بنحوه عن قتادة.

(١٦) عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف الأزدي من قحطان أول من بحر البحيرة وسبب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي وغير دين

إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ودعا العرب إلى عبادة الأوثان. (تاريخ بغداد ٥/١٧٣، والأعلام ٥/٢٥٧).

(١٧) محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيباني أبو بكر الجوزقي - نسبة إلى جوزق قرية بنيسابور - الحافظ المعدل شيخ نيسابور =

محمد بن عبد الرحمن السرخسي^(١)، أخبرنا أبو بكر بن أبي خيثمة^(٢)، أن الفضل بن غانم^(٣) حدثهم، حدثنا سلمة^(٤)، عن أبي إسحاق^(٥)، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي^(٦) أن أبا صالح السمان حدثه، أنه سمع أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبة في النار، وأنه كان^(٧) أول من غير دين إسماعيل، ونصب^(٨) الأوثان، وسبب السائبة، وبحر البحيرة، ووصل الوصيلة وحلى الحامي^(٩)».

وقوله ﴿ولكن الذين كفروا يفتنون على الله الكذب﴾ قال ابن عباس^(١٠): يريد عمرو بن لحي وأصحابه يقولون على الله الأباطيل في تحريم هذه الأنعام^(١١)، وهم جعلوها محرمة لا^(١٢) الله عز وجل [حرمها]^(١٣).

وقوله^(١٤) ﴿وأكثرهم لا يعقلون﴾ قال الشعبي وقناة^(١٥): يعني: الأتباع لا يعقلون أن ذلك كذب واقتراء على الله من الرؤساء الذين حرموا هذه الأنعام.

- قوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم﴾ يعني: لهؤلاء المشركين الذين يحرمون على أنفسهم هذه الأنعام ﴿تعالوا إلى ما أنزل الله﴾ في القرآن من^(١٦) تحليل ما حرمتم على أنفسكم ﴿قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾ من الدين والمنهاج

- = ومحدثها ومصنف الصحيح روى عن السراج وأبي حامد الشري والطبقة توفي سنة ٣٨٨ هـ عن ٨٢ سنة (شذرات ١٢٩/٣ - ١٣٠).
- (١) محمد بن عبد الرحمن بن محمد السرخسي الدغولي أبو العباس الإمام الحافظ الفقيه - الثبت كان من أئمة هذا الشأن ومن كبار الحفاظ أنثى عليه ابن عدي وابن خزيمة وغيرهما توفي سنة ٣٢٥ هـ (شذرات ٣٠٧/٢).
- (٢) في (د) خيثمت، وهو: أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب الحافظ الحجّة أبو بكر بن الحافظ النسائي ثم البغدادي صاحب التاريخ الكبير سمع آباءه وأبا نعيم وعفان بن مسلم وخلفاً قال الدارقطني: ثقة مأمون، وقال الخطيب: ثقة عالم متقن حافظ أخذ علم الحديث عن أحمد بن حنبل وابن معين توفي سنة ٢٧٩ هـ عن ٩٤ سنة (تذكرة الحفاظ ٥٩٦/٢).
- (٣) الفضل بن غانم الخزاعي عن مالك قال يحيى: ليس بشيء، وقال الدارقطني: ليس بالقوي وقال الخطيب: ضعيف (الميزان ٣٥٧/٣).
- (٤) في (د) بن سلمة، سبق ٥٧٨.
- (٥) أبو إسحاق الشيباني الإمام سليمان بن فيروز الكوفي الحافظ مولى بني شيبان متفق على ثقته توفي سنة ١٤١ هـ (تذكرة الحفاظ ١٥٣/١).
- (٦) محمد بن إبراهيم بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعيد بن تيم أبو عبد الله التميمي القرشي المدني توفي سنة ١٢٠ هـ. (كتاب الجمع ٤٣٤/٢، وتهذيب التهذيب ٦٥/٩).
- (٧) ليست في (ج، هـ).
- (٨) في (و) فنصب.
- (٩) الحديث: صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق - باب قصة خزاعة ٢٦٨/٢ - ٢٦٩. وصحيح مسلم - كتاب صفة الجنة - باب القر يدخلها الجبارون ٥٣٩/٢.
- ومسند أحمد ٢٧٥/٢. كلهم من حديث أبي هريرة.
- (١٠) انظر تفسير ابن عباس ١٠٢، وغرائب النيسابوري ٦٣/٧ عن ابن عباس.
- (١١) في (د) يقولون.
- (١٢) في (أ) إلا الله.
- (١٣) من الوجيز.
- (١٤) في (د) قوله.
- (١٥) انظر تفسير الطبري ٦٠/٧ - ٦١ عن الشعبي وقناة، والدر ٣٣٩/٢ عن الشعبي.
- (١٦) في (ج) في تحليل.

﴿أو لو كان أبائهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾ مضى تفسيره (١).

- قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ قال الفراء وابن الأباري (٢): هذا أمر من الله، تأويله (٣) احفظوا أنفسكم من ملابسة المعاصي.

قال الزجاج (٤): إذا قلت: عليك زيداً، فتأويله: ألزم زيداً، وعليكم أنفسكم معناه: ألزموا أمر أنفسكم، فإنما ألزمكم الله أمرها.

﴿لا يضرركم من ضل﴾ من أهل الكتاب ﴿إذا اهتديتم﴾ ولا تدل الآية على جواز ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بأن يتأول فيقال: إذا حفظ المرء نفسه عن المعاصي وكان مهتدياً لم يضره ضلال غيره من أهل دينه، ولا يجب عليه الأمر بالمعروف، وقد صرح أبو بكر الصديق رض الله عنه بهذا فيما:

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد [الزعفراني، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يعقوب] (٥) المفيد، حدثنا (٦) أحمد بن عبد الرحمن السقطي، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال:

يا أيها (٧) الناس إنكم تقرؤون هذه الآية تضعونها على غير موضعها ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرركم من ضل إذا اهتديتم﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب» (٨).

قال أبو عبيدة (٩): خاف الصديق أن يتأول الناس الآية على غير متأولها فيدعوهم إلى ترك الأمر بالمعروف فأراد أن يعلمهم أنها ليست كذلك، وأنه لو كان وجهها ذلك ما (١٠) تكلم رسول الله ﷺ بخلافها.

والذي أذن الله في الإمساك عن تغييره من المنكر: الشرك الذي ينطق به المعاهدون من أجل أنهم أهل ملل يتدينون بها، ثم قد صولحوا على أن شرطهم ذلك. فأما الفسوق والعصيان والريب من أهل الإسلام فلا تدخل في هذه

(١) انظر تفسير الآية ١٧٠ من سورة البقرة.

(٢) انظر الفراء ٣٢٢٢/١ - ٣٢٢٣، والبيان ٣٠٧/١، وانظر تفسير ابن عباس ١٠٢.

(٣) في (ج، د) معناه.

(٤) انظر الزجاج ٢٣٥/٢.

(٥) الحديث: رواه الترمذي - كتاب الفتن - باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر رقم ٢٢٥٧، روي بطرق كثيرة عن إسماعيل ورفعه بعضهم ووقفه بعضهم ٣١٦/٣.

وفي كتاب التفسير - من سورة المائدة رقم ٥٠٥٠ «حسن صحيح» ٣٢٢/٤. وأبو داود في السنن - كتاب الملاحم - باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رقم ٤٣٣٨. ٤٣٢/٤.

ومسند أحمد ٢/١، ٥، ٧، ٩، كلهم عن أبي بكر.

وانظر علل الحديث للرازي «سمعت وأبا زرعة وسئل عن حديث رواه شعيب عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر عن النبي ﷺ «الحديث» قال أبو زرعة: وقد وقف ابن عيينة ووكيع ويحيى القطان عن إسماعيل ويونس بن أبي إسحاق ورواه يونس عن طارق بن بيان بن بشر بن قيس عن أبي بكر موقوف، ورواه الحكم عن قيس عن أبي بكر موقوف قال أبو زرعة: وأحسب إسماعيل بن أبي خالد كان يرفعه مرة ويوقفه مرة. (٩٨/٢).

(٩) انظر تفسير الطبري ٦٤/٧ عن السدي، والبحر ٣٦/٤.

(١٠) في (أ) جاء تكلم.

الآية، والذي يدل على صحة هذه الجملة ما أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، [أخبرنا أبو بكر عبد الله بن يحيى^(١) الطلحي، حدثنا^(٢) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أسيد الأصبهاني، حدثنا محمد بن عامر بن^(٣) إبراهيم^(٤) حدثنا أبي^(٥) عن عمر بن خليفة الأنصاري^(٦)، عن كثير بن أبي كثير^(٧)، قال: حدثنا ابن عباس وهو يومئذ ضرير في بصره - وذكر عتيق بن عثمان فقال رحمه الله:

قعد على منبر رسول الله ﷺ - يوم سمي^(٨) خليفة رسول الله ﷺ - فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم مد يده فوضعها على المجلس الذي كان رسول الله ﷺ يجلس عليها^(٩) من منبره، ثم قال: سمعت الحبيب - وهو جالس في هذا المجلس - إذ^(١٠) تاول^(١١) «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم» فسرهما^(١٢) وكان تفسيره لها أن قال: نعم، ليس من قوم عمل فيهم بمنكر وسن فيهم بقبیح، فلم يغيروه ولم ينكروه إلا وحق على الله أن يعمهم بالعقوبة جميعاً ثم لا يستجاب لهم.

ثم أدخل أصبعيه في أذنيه فقال: إلا أكن سمعتها من الحبيب قصمتها^(١٣) ولا بن مسعود - رضي الله عنه في هذه الآية طريقة أخرى وهي ما: أخبرنا أبو بكر الحارثي، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، حدثنا أبو يحيى الرازي، حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا عبد الله، عن أبي جعفر^(١٤)، عن الربيع، عن أبي العالية قال:

- (١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).
- (٢) في (د) أخبرنا.
- (٣) الإمام المجدد والحافظ الرحال صاحب المسند الكبير أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أسيد الأصبهاني سمع نصر بن علي الجهضمي وابن القرات وغيرها وعنه أبو بكر الطلحي وعثمان بن السماك وآخرون توفي سنة ٣١٠ هـ. (سير الأعلام ١٤/٤١٦ - ٤١٧).
- (٤) محمد بن عامر بن إبراهيم الإمام العلامة أبو عبد الله الأشعري مولاهم الأصبهاني سمع أباه وأبا داود والطيالسي قال ابن أبي حاتم صدوق توفي سنة ٢٦٧ هـ وكان من أبناء الثمانين (سير الأعلام ١٢/٥٩٤ - ٥٩٥).
- (٥) عامر بن إبراهيم بن واقد بن عبد الله الأصبهاني المؤذن مولى أبي موسى الأشعري روي عن مالك بن أنس وحماد بن سلمة وإسماعيل بن خليفة، وعنه ابنه محمد وإبراهيم ويونس بن حبيب وغيرهم قال عمر بن علي: حدثنا عامر بن إبراهيم وكان ثقة من خيار الناس توفي سنة ٢٠١ هـ. (تهذيب التهذيب ٦١/٥).
- (٦) عمر بن خليفة - ويقال ابن أبي خليفة - عن هشام بن حسان قال العقيلي: منكر الحديث (الميزان ٣/١٩٢).
- (٧) في (و) عن كثير: وهو كثير بن أبي كثير المزني خادم ابن عباس روى عنه وعنه عمر بن خليفة وهشام بن حسان. (تهذيب التهذيب ٤٢٧/٨).
- (٨) في (د) يوم خليفة.
- (٩) في (ج، د) يجلس عليها من منبره.
- (١٠) في (أ، هـ) إذا، وفي (ج، د) فإذا.
- (١١) في (و) ثم فسرهما.
- (١٢) الحديث: رواه أبو داود في السنن - كتاب الملاحم - باب الأمر والنهي - رقم ٤٣٣٦، ٤٣٣٧ (٤/١٢١ - ١٢٢) بنحوه عن ابن مسعود، وكثر العمال ٦٨١/٢ - ٢٨٢ عن ابن عباس.
- (١٣) أبو جعفر الرازي التميمي: يقال اسمه عيسى بن أبي عيسى عبد الله بن ماهان مروزي الأصل سكن الري روي عن الربيع بن أنس وحميد الطويل وعاصم بن أبي النجود والأعمش وعطاء بن السائب وكثير بن أبي سليم وغيرهم قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: ليس يقوي وقال حنبل عن أحمد: صالح الحديث، وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين: ثقة قال ابن عبد البر: ثقة عالم بتفسير القرآن. (تهذيب التهذيب ١٢/٥٦ - ٥٧).

كانوا عند ابن مسعود فوقع بين رجلين ما يكون بين الناس حتى قام كل منهما إلى صاحبه، فقال بعضهم ألا أقوم إليهما فأمرهما^(١١) بالمعروف وأنهاهما عن المنكر؟ فقال بعضهم: عليك نفسك، إن الله تعالى يقول^(١٢) ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ فسمعها ابن مسعود فقال: مه، لم يجيء تأويل هذه الآية بعد، إن القرآن حين نزل^(١٣) كان منه أي مضي تأويلها من قبل أن ينزل، ومنه أي وقع تأويلها على عهد رسول الله ﷺ، ومنه أي وقع تأويلها بعد رسول الله ﷺ بسنين ومنه أي يقع^(١٤) تأويلها عند الساعة^(١٥) ما ذكر من أمر الساعة، ومنه^(١٦) أي يقع ما ذكر من الحساب والجنة والنار، فما دامت قلوبكم واحدة، ولم تلبسوا شيعاً، ولم يذق بعضهم بأس بعض فمروا وانهاؤا، فإذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعاً وذاق بعضهم بأس بعض فامروا ونفسه^(١٧).

ويدل على صحة ما ذهب إليه ابن مسعود في تأويل هذه الآية ما أخبرنا أحمد بن الحسن القاضي، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أخبرنا العباس بن الوليد بن يزيد^(١٨)، أخبرني محمد بن شعيب، أخبرنا عتبة بن أبي حكيم^(١٩) حدثني عمرو بن جارية^(٢٠)، عن أبي أمية^(٢١) قال: أتينا أبا ثعلبة الخشني^(٢٢) فقلنا^(٢٣): كيف نصنع بهذه الآية؟ قال: آية^(٢٤) آية؟ فقلت ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ فقال أما والله لقد سألت عنها خيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال:

(١) في (ج) ألا أقوم فأمرهما، وفي (د) ألا أقوم أمرهما.

(٢) في (ج، د) قال.

(٣) في (د) حين نزل منه.

(٤) في (هـ) وقع.

(٥) في (و) وما ذكر.

(٦) في (ج) فمته أي يقع وفي (أ، هـ) وقع.

(٧) انظر تفسير الطبري ٦١/٧ - ٦٢ عن ابن مسعود، وابن كثير ١٠٩/٢ - ١١٠، والدر ٣٣٩/٢ - ٣٤٠ كلاهما عن أبي العالية وسنن البيهقي ٩٢/١٠ عن ابن مسعود ومجمع الزوائد - كتاب التفسير - من سورة المائدة - «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» عن ابن مسعود ١٩/٧.

(٨) العباس بن الوليد بن يزيد العذري البيروتي المحدث العابد، روى عن أبيه ومحمد بن شعيب وجماعة قال أبو داود كان صاحب ليل توفي سنة ٢٧٠ هـ وله مائة سنة (شذرات ١٦٠/٢).

(٩) عتبة بن أبي حكيم الهمداني الأردني روى عن عمرو بن جارية اللخمي وقتادة ومكحول قال أبو حاتم صالح وقال ابن معين: ضعيف وقال مرة: ثقة وليه أحمد وهو متوسط حسن الحديث قال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به توفي سنة ١٤٧ هـ. (الميزان ٢٨/٣، وتهذيب التهذيب ٩٤/٧ - ٩٥).

(١٠) عمرو بن جارية - بجيم وراء مهملة بعدها ياء معجم مثناة من تحت - هو اللخمي يقال: إنه عم عتبة بن أبي حكيم روى عن أبي أمية الشيباني وعروة بن محمد بن عمار بن ياسر وعنه عتبة بن أبي حكيم ذكره ابن حبان في الثقات. (عمدة القوي ص ١١، وتهذيب التهذيب ١١/٨).

(١١) أبو أمية الشيباني الدمشقي اسمه يحمى - وقيل اسمه عبد الله - بن أخامر روى عن معاذ بن جبل وأبي ثعلبة الخشني وكعب الأحبار وعنه عمرو بن جارية اللخمي وغيره ذكره ابن حبان في الثقات وقال أبو حاتم أدرك الجاهلية. (تهذيب التهذيب ١٥/١٢).

(١٢) أبو ثعلبة الخشني صحابي جليل شهد بيعة الرضوان وغزا حيناً واختلف في اسمه واسم أبيه والأشهر منها: جرثوم بن ناشر روى عن النبي ﷺ وعن جماعة من الصحابة توفي سنة ٨٥ هـ وقيل في أول إمرة معاوية. (البداية والنهاية ١٣/٨).

(١٣) في (د، و) فقلنا له.

(١٤) في (و) أي آية.

«نعم اتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت الأمر لا يدان لك به، فعليك نفسك ودع أمر العوام، وذكر الحديث (١). وقوله ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً﴾ قال عطاء (٢): مصيركم من خالقكم ﴿فبينكم بما كنتم تعملون﴾ قال: يجازيكم بأعمالكم.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتَّانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَنكُرُكُمْ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُرِيَ عَلَيْهَا فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ تَوَكُّبًا وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا ﴿١٠٧﴾ وَإِن مِّنْ أَحَدٍ مِّنكُمْ عَلَىٰ يَمِينٍ مِّنْ غَيْرِنَا فَأَدْبَرَ كَبْفَهُ لَمْ يَشْهَدْ نَبَأَ الْوَأُولَىٰ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٨﴾ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ آيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا لِلَّهِ يُهْدِيَ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٩﴾

- قوله عز وجل (٣) ﴿يا أيها الذين ءامنوا شهادة بينكم...﴾ الآية قال المفسرون: إن تميمًا الداري (٤) وأخاه عدياً (٥) - كانا نصرانيين - خرجا إلى الشام ومعهما بديل (٦) مولى عمرو بن العاص - وكان مسلماً مهاجراً، خرجوا (٧) تجاراً، فلما قدموا الشام مرض بديل، فكتب كتاباً فيه نسخة جميع ما معه، وطرحه في جوالقه (٨) ولم يخبر صاحبه بذلك، وأوصى إليهما وأمرهما أن يدفعا متاعه إذا رجعا إلى أهله، ومات بديل - رحمه الله - فأخذنا من متاعه إناء من فضة منقوشاً بالذهب، ودفعنا باقي المتاع إلى أهله لما قدما (٩)، ففتشوا فأصابوا الصحيفة بذكر ما كان معه وفيه ذكر الإناء، فقالوا لتميم وعدي: إنا فقدنا من متاعه إناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال، فقالا: ما ندري إنما أوصى إلينا بشيء

(١) الحديث: رواه الترمذي في كتاب التفسير - من سورة المائدة - رقم ٥٠٥١ «حسن غريب» ٣٢٣/٤، وأبو داود - كتاب الملاحم - باب الأمر والنهي رقم ٤٣٤١ ٤/١٢٣.

والمستدرک - كتاب الرقاق - «صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي ٤٢٢/٤ والطبراني في الكبير ٢٢: ٢٢٠، والحلية ٢/٣٠ وشرح السنة للبغوي ١٤/٣٤٧ - ٣٤٨ كلهم من حديث أبي ثعلبة وفي آخره «فإن من ورائكم أيام الصبر فيه مثل قبض على الجمر للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله...».

(٢) انظر تفسير الطبري ٦/٦٥، والبحر ٤/٣٧.

(٣) في (ج، د) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٤) في (أ) إن تميم، وهو: تميم بن أوس بن خارجة الداري الصحابي أسلم سنة تسع روى عنه أنس وشهر وقبيصة بن ذؤيب توفي سنة ٤٠ هـ روى له البخاري ومسلم ١٨ حديثاً. (الكاشف ١/١٦٧ - ١٦٨ وتهذيب التهذيب ٦/٧١).

(٥) عدي بن بداء كان نصرانياً قال أبو نعيم: لا يعرف لعدي إسلام (أسد الغابة ٤/٥٦ - ٦).

(٦) بديل أبي مريم: بديل بن مارية مولى عمر بن العاص السهمي روى عنه المطلب بن أبي وداعة وابن عباس قصة الجام - إناء من فضة - لما سافر هو وتميم الداري وعدي بن بداء (أسد الغابة ١/٢٠٣).

(٧) في (هـ) خرج.

(٨) «الجوالق والجوالق وعاء والجمع جوالق - يفتح الجيم» (اللسان / جلق).

(٩) في (د) لما قدموا.

وأمرنا أن ندفعه إليكم فدفعناه، وما لنا بالإلناء من علم، فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل هذه الآية والتي بعدها^(١).

ف قوله ﴿شهادة بينكم﴾ قال الفراء^(٢): أي ليشهدكم اثنان ﴿إذا حضر أحدكم الموت﴾ أي: أسبابه ومقدماته ﴿حين الوصية﴾ وقت وصيته ﴿اثنان﴾ ذوا عدل منكم من أهل دينكم وملتكم ﴿أو إخوان من غيركم﴾ من غير أهل ملتكم في قول عامة المفسرين.

قال شريح^(٣): إذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته فأشهد يهودياً أو نصرانياً أو أي كافر فشهادته جائزة.

وقال آخرون^(٤): لا تجوز شهادة أهل الذمة في شيء من أحكام المسلمين، ولا يقبل قولهم، ولا يثبت بشهادتهم حكم، وعليه الناس اليوم.

وقالوا في قوله ﴿ذوا عدل منكم﴾ أي: من حيكم وقبيلتكم ﴿أو إخوان من غيركم﴾ أي: من غير قبيلتكم ورفقتكم، هو قول الحسن والسدي وابن موسى، قالوا ﴿ذوا عدل منكم أو إخوان من غيركم﴾ قال: ^(٥) كلهم مسلمون.

قوله ﴿إن أنتم ضربتم في الأرض﴾ إن سافرتم وسرتم فيها ﴿فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونها من بعد الصلاة﴾ قال عامة المفسرين^(٦): من بعد صلاة العصر، وأهل الأديان يعظمون ذلك الوقت ويتجنبون فيه الأكاذيب والحلف الكاذب^(٧) ﴿فيقسهان﴾ فيحلفان ﴿بالله إن ارتبتم﴾ شككتم في قول الآخرين^(٨) الذين ليسا من أهل ملتكم.

وقوله ﴿لانشترى به ثمناً﴾ أي: لا يبيع عهد الله بعرض تأخذه من الدنيا ﴿ولو كان ذا قربي﴾ ولو كان المشهود له^(٩) ذا قربي، والمعنى لا نحاي في شهادتنا أحداً ولو كان ذا قربي ﴿ولا نكتم شهادة الله﴾ أضيف الشهادة إلى الله،

(١) انظر صحيح البخاري - كتاب الوصايا - باب قول الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت﴾ . ١٣٣/٢ - ١٣٤.

والترمذي - كتاب التفسير - باب من سورة المائدة - رقم ٥٠٥٣ . ٣٢٥/٣.

وسنن أبي داود - كتاب الأضحية - باب شهادة أهل الذمة وفي الوصية في السفر رقم ٣٦٠٦ (٣/٣٠٧ - ٣٠٨).

والطبري ٧٥/٧، وابن كثير ١١٢/٢، والدر ٣٤١/٢ - ٣٤٢، وفتح القدير ٨٨/٢ - ٨٩.

(٢) انظر الفراء ٣٢٣/١. وفي (د) أي يشهدكم.

(٣) انظر تفسير الطبري ٦٧/٧، وابن كثير ١١١/٢، والدر ٣٤٣/٢ كلها عن شريح وانظر الزجاج ٢٣٧/٢ - ٢٣٨ والقراء ٣٢٤/١، والطبري ٦٧/٧ عن سعيد بن المسيب وسليمان التيمي وإبراهيم، والدر ٣٤٢/٢ - ٣٤٣ عن ابن عباس وسعيد بن المسيب.

(٤) انظر الزجاج ٢٣٧/٢ - ٢٣٨ والطبري ٦٨/٧ - ٦٩ عن الزهري والحسن وعكرمة وعبيدة والدر ٣٤٣/٢ عن الزبير وعكرمة وابن شهاب.

(٥) في (و) قالوا.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١٠٣ والزجاج ٢٣٨/٢ والطبري ٧٢/٧ وأحكام القرآن ٧٢٤/٢ عن شريح والشعبي وابن جبير وقتادة وابن كثير ١١٢/٢ عن ابن عباس وابن جبير وإبراهيم وقتادة وعكرمة والدر ٣٤٢/٢ عن عكرمة، ٣٤٤/٢ عن عبيدة وفتح القدير ٩٠/٢ عن عبيدة.

(٧) في (هـ، د) الكاذبة.

(٨) في (د) الآخر من الذين ليسنا... قوله.

(٩) في (أ) المشهود له عليه وفي (ح) عليه، وفي (و) عليه له.

لأمره بإقامتها والنهي عن كتمانها ﴿إنا إذا لمن الأثمين﴾ أي (١): إن كتمانها لكنا من الأثمين.

ولما رفعوهما إلى رسول الله ﷺ ونزلت الآية أمرهم (٢) رسول الله ﷺ «أن يستحلفوهما بالله الذي لا إله إلا هو» قبضنا (٣) له غير هذا ولا كتماناً، فحلفا على ذلك وخلي سبيلهما. ثم أطلع على إثناء من فضة معهما فارتفعوا إلى النبي ﷺ فنزل قوله:

- ﴿فإن عثر على أنهما استحقا إثماً﴾ أي: فإن أطلع على أنهما أتيا خيانة واستوجبا إثماً بيمينهما الكاذبة ﴿فأخران يقومان مقامهما﴾ أي: مقام الشاهدين اللذين من غيركم ﴿من الذين استحق عليهما﴾ أي: من ورثة الميت وهم الذين استحق (٤) عليهم الوصية ﴿الأوليان﴾ (٥) أي: الأقربان للميت.

وقرأ حمزة (٦) ﴿الأولين﴾ وهو نعت لجميع الورثة المذكورين في هذه الآية في قوله ﴿من الذين استحق عليهم﴾ [وتقديره من الأولين الذين استحق عليهم] (٧) الإيصاء.

وإنما قيل لهم الأولين، لتقدم ذكرهم في قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم﴾ وكذلك ﴿اثنان ذوا عدل منكم﴾ وذكر (٨) في اللفظ قبل قوله ﴿أو أخران من غيركم﴾ وقرأ حفص (استحق) - بفتح الحاء والتاء - بمعنى وجب والمعنى: فأخران من الذين وجب عليهم الإيصاء بتوصية ميتهم وهم ورثته.

وقوله (٩) ﴿فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما﴾ قال ابن عباس (١٠): ليميننا أحق من يمينهما.

وسميت اليمين هاهنا شهادة، لأن اليمين كالشهادة على ما يجب عليه أنه كذلك. ﴿وما اعتدينا﴾ فيما قلنا من أن شهادتنا أحق من شهادتهما.

فلما نزلت هذه الآية قام (١١) عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة (١٢) السهميان فحلفا بالله أنهما (١٣) ما خليا

(١) في (د) أي كتمانها.

(٢) في (د) أمرها.

(٤) في (د) استحقوا.

(٥) في (ج) للأوليان.

(٣) في (أ، د، و) قبضنا.

(٦) قرأ حمزة وعاصم - في رواية أبي بكر (استحق) بضم التاء (الأولين) جمعاً، قال الفراء: كان ابن عباس أيضاً يقرأ (الأولين) يجعله نعتاً للذين، وحجة ما قاله ابن عباس قال: رأيت إن كان الأوليان صغيرين كيف يقومان مقامهما.

وقرأ الباقون (استحق) بضم التاء (الأولياء) وتأويلها: الأولى فالأولى، قال الفراء: أراد وليي المورث يقومان مقام النصرانيين إذا اتفقا.

أنهما قد خانا. وقرأ حفص (استحق) بفتح التاء (الأوليان) على الشبهة، ورفع بـ (استحق).

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣٨ - ٢٣٩ والسبعة ٢٤٨ - ٢٤٩ والنشر ٢٥٦/٢، والتبيان ٤٦٩/١، والزجاج ٢٣٩/٢، والحجة لأبي خالويه ١٣٥).

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ١٠٣.

(٨) في (د) ذكر.

(١١) في (هـ) قوم.

(٩) في (د) قوله.

(١٢) المطلب بن أبي وداعة الحارث بن صبيبة بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر أسلم بن الفتح، أسر والده في بدر وهو أول من فدى أسيراً فدى والده بأربعة آلاف درهم. (أسد الغابة ١٩٠/٥ والطبراني في الكبير

٢٨٨/٢٠).

(١٣) في (د) إن هما.

وكذبا، فدفع (١) الإتيان إليهما وإلى أولياء الميت (٢).

- قوله ﴿ذَلِكَ أَدْنَى﴾ (٣) [أن يأتوا بالشهادة على وجهها] أي: ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين أدنى إلى الإتيان بالشهادة (٤) على ما كُتِبَ ﴿أو يخافوا﴾ أي أقرب إلى أن يخافوا ﴿أن ترد أيمان﴾ على أولياء الميت ﴿بعد أيمانهم﴾ فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا ذلك الحكم. ﴿واتقوا الله﴾ أن تحلفوا أيمانا كاذبة، أو تخونوا أمانة ﴿واسمعوا﴾ الموعدة ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ وعيد لهم بحرمان الهداية.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبِ﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِبِي أَيْنَ مَرِّمَ أَذْكَرَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٦﴾ وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِيَعْقِبِي أَيْنَ مَرِّمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقْوُونَ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٠٩﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٠﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَزَلْتُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١١﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِبِي أَيْنَ مَرِّمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٢﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٣﴾ إِنْ

(١) في (د) فدفعاً.

(٢) انظر تفسير الطبري ٧/٧٥، والدرر ٢/٣٤٢ كلاهما عن عكرمة، ثم إن تميم الداري أسلم وبايع النبي ﷺ وكان يقول: صدق الله ورسوله أنا أخذت الإتيان.

(٣) في (هـ) أدنى.

(٤) في (هـ) بالشهادة على وجهها أي.

تَعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَعَفَّرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٩﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ وَمَنْ جَنَّتْ بِجَرِيٍّ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٠﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١١﴾

- قوله عز وجل (١) ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ الآية انتصب (٢) «اليوم» بفعل محذوف على تقدير: احذروا واذكروا يوم (٣) يجمع الله الرسل ﴿فيقول ماذا أجبتكم﴾ قال الكلبي: ماذا أجابكم قومكم في التوحيد (٤).

ومعنى المسألة من الله للرسل: التوبيخ للذين أرسلوا إليهم. ﴿قالوا لا علم لنا﴾ قال ابن عباس: إن للقيامة زلازل وأهوالاً حتى تزول القلوب عن مواضعها فإذا رجعت القلوب شهدوا لمن صدقهم وعلى من كذبهم وهذا قول الحسن ومجاهد والسدي، قالوا: من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب، ثم يجيئون بعدما تئب إليهم عقولهم (٥).

وحكى ابن الأنباري (٦) عن جماعة من أهل التفسير أنهم قالوا: معنى الآية لا حقيقة لعلمنا إذ كنا نعلم جوابهم وما كان من أفعالهم وقت حياتنا (٧)، ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا، وإنما الجزاء يستحق بما يقع به الخاتمة مما (٨) يموتون عليه، فلما خفي (٩) عليهم الذي ماتت عليه الأمم لم يكن لعلمهم حقيقة فقالوا (لا علم لنا).

يدل على صحة هذا التأويل قوله ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾ أي: أنت الذي يعلم ما غاب (١٠) ونحن نعلم ما نشاهد، ولا نعلم ما في البواطن.

(١) في (د، و) قوله تعالى.

(٢) في (ج، د) انتصاب.

(٣) في (هـ) يوماً.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ١٠٣، والطبري ٨١/٧.

(٥) انظر الزجاج ١٤٠/٢، والفراء ٣٢٤/١، والدر ٣٤٤/٢ - ٣٤٥ عن ابن عباس والبعوي ١٠٨/٢ عن ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي والرازي ١٢٢/١٢ - ١٢٣ عن ابن عباس وضعفه يقول الله تعالى في صفة أهل الثواب (لا يحزنهم الفزع الأكبر) وذكر عن ابن عباس قولاً آخر «إنهم (قالوا لا علم لنا) لأنك تعلم ما أظهروا وما أضمرنا، ونحن لا نعلم إلا ما أظهروا، فعلمك فيهم أنفد من علمنا فلهذا المعنى نفوا العلم عن أنفسهم، لأن علمهم عند الله كلاً علم».

(انظر غريب القرآن ١٤٨، والطبري ٨٢/٧، وابن كثير ١١٤/٢، والدر ٣٤٤/٢ كلها عن الحسن ومجاهد والسدي).

(٦) في (هـ) ابن الأعرابي.

وانظر الزجاج ٢٤١/٢، والبحر ٤٨/٤ عن ابن جريج، والرازي ١٢٣/١٢، وفتح القدير ٩٠/٢ والخازن ١٠٧/٢، والطبري ٢/٧ عن ابن جريج، قال ابن جرير: «وأما الذي قاله ابن جريج من أن معناه ماذا عملت الأمم بعدكم وماذا أحدثوا؟ فتأويل لا معنى له، لأن الأنبياء لم يكن عندها من العلم بما يحدث بعدها إلا بما أعلمها الله من ذلك. . . وظاهر خبر الله تعالى ذكره عن مسألته إياه يدل على غير ذلك».

(٧) في (أ) حيوتنا.

(٨) في (أ) فما يموتون.

(٩) في (د) خفيت.

(١٠) في (د) ما يجب.

- قوله^(١) ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ مفسر في سورة البقرة وآل عمران^(٢) إلى قوله ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ أي: منعهم عن قتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني: ما ذكر في هذه الآية من معجزات عيسى - عليه السلام - ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أي: ما هذا الذي جئت به إلا سحر. ومن قرأ ﴿إِلَّا سَاحِرٌ﴾ أشار به إلى الشخص، يعني: عيسى^(٣)

- قوله^(٤) ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ﴾^(٥) قال عامة المفسرين^(٦) أي: ألهمتهم، كما قال ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾^(٧) أي: ألهمها وقذف في قلوبها - وباقي الآية ظاهر.

- قوله^(٨) ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قال ابن الأنباري^(٩): لا يجوز لأحد أن يتوهم على الخواريين أنهم شكوا في قدرة الله، ولا يدل قولهم ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ على أنهم شكوا في استطاعته، وهذا كما يقول الإنسان لصاحبه هل تستطيع أن تقوم معي، وهو يعلم أنه مستطيع للقيام، لكنه يريد: هل يسهل عليك وهل يخف عليك، وكذلك في الآية: هل يقبل ربك دعاءك وهل يسهل عليك^(١٠) إنزال المائدة.

وقرأ الكسائي (تستطيع) - بالتاء - (ربك) نصباً^(١١) - على معنى: هل تستطيع سؤال ربك ومرادهم بالاستفهام: التلطف في استدعاء السؤال، كما تقول لصاحبك هل تستطيع كذا؟ وأنت عالم أنه يستطيع، ولكن قصدك بالاستفهام التلطف.

- (١) في (د، هـ) قوله تعالى .
 (٢) انظر تفسير الآيات ٧٨، ٢٥٣ من سورة البقرة، و٤٨، ٤٩ من سورة آل عمران .
 (٣) قرأ حمزة والكسائي (إلا ساحراً) - بالالف - وحجتها: الإجماع في قوله (فقالوا ساحر كذاب) سورة غافر / ٢٤ .
 وقرأ الباقون (إلا سحر) وحجتهم قوله (إن هذا إلا سحر يؤثر) سورة المدثر/ ٢٤ - و قوله (سحر مستمر) سورة القمر / ٣ وأخرى ذكرها الزبيدي عن أبي عمرو فقال: ما كان في القرآن (مبين) فهو سحر - بغير ألف - وما كان (عليم) فهو ساحر . (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣٩ - ٢٤٠، والسبعة ٢٤٩ والنشر ٢/٢٥٦ والتبيان ١/٤٧٢، والحجة لابن خالويه ١٣٥) .
 (٤) في (ج، هـ، د) قوله تعالى .
 (٥) في (هـ) حوارين .
 (٦) انظر تفسير ابن عباس ١٠٤ والزرجاج ٢/٣٤٢، وغريب القرآن ١٤٨ - ١٤٩ ومجاز القرآن ١/١٨٢، والفراء ١/٣٢٥، والزاهر ٣/٣٥٣، والطبري ٧/٨٣، وابن كثير ٢/١١٥ عن الحسن والسدي، والدرر ٢/٣٤٦ وفتح القدير ٢/٩٢ كلاهما عن السدي وفتادة .
 (٧) سورة النحل / ٦٨ .
 (٨) في (ج، د) قوله تعالى .
 (٩) انظر البحر ٤/٥٣ عن ابن الأنباري والأخفش ٢/٤٨١، والطبري ٧/٨٤، وفتح القدير ٢/٩٢ .
 (١٠) في (ر) يسهل عليه .

(١١) قرأ الكسائي (هل يستطيع) بالتاء (ربك) بنصب الباء مع إدغام اللام في التاء أي: هل تقدر يا عيسى أن تسأل ربك لأنهم كانوا مؤمنين، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: كان القوم أعلم بالله من أن يقولوا (هل يستطيع ربك) إنما قالوا: هل يستطيع ربك، وحجته: قبلها (وإذ أوحيت إلى الخواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا) قال أهل البصرة: المعنى هل يستطيع سؤال ربك مثل (واسأل القرية) . وقرأ الباقون (هل يستطيع ربك): فعل وفاعل أي: هل يستجيب ربك لك إن سألكه وإنما أرادوا بذلك أن يأتيهم بآية يستدلون بها على صدقه .

وحجة: قول عيسى لهم: (اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) استعظاماً لما قالوه، فقالوا (نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا) .

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٤٠ - ٢٤١ - والسبعة ٢٤٩، والنشر ٢/٢٥٦، والتبيان ١/٤٧٣، والزرجاج ٢/١٢٤٣ والفراء ١/٣٢٥، والترمذي ٤/٢٥٨ والمستدرک کتاب التفسیر «صحیح الإسناد» ٢/٢٣٨ .

قال ابن عباس^(١): قال عيسى لأصحابه: هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوماً ثم لا تسألون^(٢) شيئاً إلا أعطاكم^(٣) فصاموا ثلاثين يوماً ثم قالوا: يا معلم الخير قد فعلنا الذي أمرتنا فسل من أمرتنا أن نصوم له أن يطعمنا، فذلك قوله ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾.

«والمائدة»^(٤): الخوان بما عليه من الطعام». ﴿قال﴾ عيسى ﴿اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ أي اتقوا الله أن تسألوه شيئاً لم تسأله الأمم قبلكم.

- قوله^(٥) ﴿قالوا نريد أن نأكل منها﴾ أي: نريد سؤال المائدة من أجل هذا ﴿وتطمئن قلوبنا﴾ تزداد يقيناً، وذلك أن الدلائل كلما كثرت قويت المعرفة في النفس ﴿ونعلم أن قد صدقتنا﴾ في أننا إذا صمنا ثلاثين لا نسأل الله شيئاً إلا أعطانا.

وقوله^(٦) ﴿ونكون عليها من الشاهدين﴾ أي: نقر الله بالوحدانية ولك بالنبوة من جهة ذلك الدليل الذي نراه فل المائدة، فدعا عيسى وقال:

- ﴿اللهم [ربنا] أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وءآخرتنا﴾ أي: نتخذ ذلك اليوم الذي تنزل^(٧) فيه عيداً، نعظمه نحن ومن يأتي بعدنا.^(٨)

﴿وآية منك﴾ دلالة على توحيدك وصحة نبوة نبيك ﴿وارزقنا﴾ عليها طعاماً نأكله ﴿وأنت خير الرازقين﴾

- ﴿قال الله إنني منزلها عليكم فمن يكفر بعدمكم﴾ أي: بعد إنزال المائدة ﴿فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾ يعني: جنساً من العذاب لا يعذب به غيرهم.

قال الزجاج^(٩): فهذا العذاب جائز أن يجعل لهم في الدنيا، وجائز أن يكون لهم في الدنيا، وجائز أن يكون في الآخرة.

واختلف العلماء في نزول المائدة، فقال الحسن^(١٠): والله ما نزلت المائدة، وإن القوم لما سمعوا الشرط في

(١) انظر تفسير الطبري ٨٥/٧، وابن كثير ١١٦/٢، والدرر ٣٤٨/٢، وفتح القدير ٩٤/٢ كلها عن ابن عباس.

(٢) في (ج، د، و) تسلوه، وفي (هـ) تسلون.

(٣) في (د) أعطاكموه.

(٤) في (هـ) المائدة: الخوان مما عليه. قال أبو عبيدة: أصلها أن تكون مفعولة فجاءت فاعلة كما يقولون: تطلقه بائة وعيشة راضية، وإنما

ميد صاحبها بما عليها من الطعام، فيقال: مادني يميني (مجاز القرآن ١٨٢/١، واللسان / ميد عن أبي عبيدة) وانظر الزاهر ٧٧/١

والطبري ٨٥/٧، وابن كثير ١١٦/٢، والدرر ٢٤٦/٢ عن سعيد بن جبير وفتح القدير ٩٣/٢ عن قطرب.

(٥) من (أ، د).

(٦) في (د، و) قوله.

(٧) في (د) نتخذ يوماً تنزل فيه عيداً.

«مجاز والعيد هاهنا: عائدة من الله علينا وحجة وبرهان (مجاز القرآن ١٨٣/١).

(٨) قال الزجاج: وقيل في التفسير: إنها نزلت عليهم في يوم الأحد وكان عليها خبز وسمك فالنصارى تجعل الأحد عيداً فيما قيل لذلك

(الزجاج ٢٤٣/٢، والفراء ٣٢٥/١ - ٣٢٦).

(٩) انظر الزجاج ٢٤٤/٢، والرازي ١٣٢/١٢ عن الزجاج.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٨٧/٧، وابن كثير ١١٩/٢ والدرر ٣٤٨/٢ - ٣٤٩، والرازي ١٣٢/١٢ - ١٣٣ كلها عن الحسن ومجاهد.

قوله ﴿فمن يكفر بعد منكم﴾ استعفوا، وقالوا: لا نريدها وهذا أيضاً قول مجاهد. والصحيح أنها نزلت، قال ابن عباس^(١): نزلت الملائكة بمائدة من السماء عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات، فأكلوا منها حتى شبعوا، وقال الكلبي: نزلت وعليها خبز ورز وبقل^(٢).

أخبرنا أبو منصور البغدادي، أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسن السراج حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا الحسن بن قزعة^(٣)، حدثنا سفيان بن حبيب^(٤)، عن سعيد، عن قتادة، وعن خلاص بن عمرو، عن عمار بن ياسر^(٥) قال:

قال رسول الله ﷺ: أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحمًا، وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد^(٦)، فخافوا وادخروا ورفعوا، فمسحوا قردة وخنازير^(٧).

- ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس . . .﴾ الآية هذا استفهام معناه التوبيخ لمن ادعى ذلك على المسيح^(٨)، ويكذبهم^(٩) المسيح فيكون ذلك توبيخاً لهم، وهو قوله ﴿قال سبحانه﴾ أي: برأتك من سوء ﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ أي: لست استحق العبادة فأدعو الناس إليها ﴿إن كنت قلتة فقد علمته﴾ لأنه لا يخفى عليك علم^(١٠) شيء ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ قال ابن عباس^(١١): تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك.

(١) انظر تفسير الطبري ٨٦/٧ عن ابن عباس والزجاج ٢/٢٤٣، وابن كثير ٢/١١٤ - ١١٥ عن ابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي وعطية، والدر ٢/٣٤٦ - ٣٤٨ عن سلمان وابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي وابن جبير وابن الأنباري عن وهب وعطية وكتادة، وفتح القدير ٢/٩٤ عن ابن عباس وعمار.

(٢) انظر تفسير البغوي ٢/١١١ عن الكلبي، وابن كثير ٢/١١٧، وفتح القدير ٢/٩٤ كلاهما عن عكرمة والرز والرنز: لغة في الأرز (اللسان / رز).

(٣) الحسن بن قزعة بن عبيد الهاشمي أبو علي - ويقال أبو محمد - الخلقاني البصري روي عن سفيان بن حبيب وغيره وعنه الترمذي والنسائي وابن ماجه والبخاري وغيرهم قال يعقوب بن شيبة وأبو حاتم: صدوق وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢٥٠ هـ (تهذيب التهذيب ٢/٢١٦).

(٤) سفيان بن حبيب البصري البزار روي عن عاصم الأحوال وطائفة قال أبو حاتم: ثقة أعلم الناس بحديث سعيد بن أبي عروبة توفي سنة ١٨٦ هـ (شذرات ١/٣٠٩).

(٥) عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة بن الحصين بن ثعلبة المخزومي حليف لهم - ويقال مولا لهم يكنى أبا اليقظان شهد بدرًا وسمع النبي ﷺ شهد صفين مع علي بن أبي طالب سنة ٣٧ هـ وهو ابن نيف وتسعين سنة. (كتاب الجمع ١/٣٩٩ - ٤٠٠).

(٦) ليست في (أ).

(٧) الحديث: رواه الترمذي - كتاب التفسير - من سورة المائدة رقم ٥٠٥٤ قال الترمذي «هذا حديث غريب ورواه أبو عاصم وغير واحد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن خلاص عن عمار موقوفًا ولا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث الحسن بن قزعة ثم ذكر نحوه رقم ٥٠٥٥ عن سعيد ولم يرفعه وقال: «وهذا أصح من حديث الحسن بن قزعة ولا نعلم للحديث المرفوع أصلاً» (٣٢٦/٤).

وكذا قال ابن كثير بعد ذكر حديث عمار: الموقوف أصح وهو الصواب وخلاص عن عمار منقطع (البداية والنهاية ٣/٨٦ - ٨٧) وانظر الميزان في ترجمة خلاص بن عمرو (الميزان ١/٦٥٨).

(٨) انظر غرائب النيسابوري ٧/٨٣ والدر ٢/٣٤٩ عن ابن جريج وفتح القدير ٢/٩٤.

(٩) في (د، و) وتكذيبهم.

(١٠) في (د) لا يخفى عليك شيء.

(١١) انظر تفسير البغوي ٢/١١٤ والخازن ٢/١١٤ كلاهما عن ابن عباس وفتح القدير ٢/٩٥ واللسان: نفس.

والمعنى: تعلم ما أخفيه من سري وغيبي ولا أعلم ما تخفيه أنت ولم تطلعنا عليه فلما كان سر عيسى يخفيه في نفسه، جعل أيضاً سر الله مما يخفيه الله في نفسه ليزدوج الكلام ويحسن النظم.

وقال الزجاج^(١): «النفس» في اللغة تقع عبارة عن حقيقة الشيء، فمعنى «تعلم ما في نفسي» أي: تعلم ما أضمره «ولا أعلم ما في نفسك» أي: لا أعلم ما في حقيقتك وما عندي^(٢) علمه.

والتأويل: إنك تعلم ما أعلم، ولا أعلم ما تعلم، يدل على هذا قوله «إنك أنت علام الغيوب». ثم ذكر ما قال لقومه فقال:

- «ما قلت لهم إلا ما أمرتني به» فسر ذلك فقال «أن الله ربي وربكم» أي: أمرتهم بعبادتك لأنك ربي وربهم «وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم» كنت أشهد على ما يفعلون ما كنت مقيماً فيهم «فلما توفيتني» يعني: وفاة الرفع إلى السماء من قوله «إني متوفيك ورافعك إلي»^(٣)، «كنت أنت الرقيب عليهم» الحفيظ عليهم تحفظ أعمالهم «وأنت على كل شيء شهيد» قال ابن عباس^(٤): شهدت مقالتي فيهم وبعد ما رفعتني إليك شهدت ما يقولون بعدي.

- قوله «إن تعذبهم فإنهم عبادك». الآية قال الحسن وأبو العالية «إن تعذبهم» في إقامتهم على كفرهم «وإن تغفر لهم» فبتوبة كانت منهم^(٥).

وقال ابن الأنباري^(٦): هذا على التبعيض، أي إن تعذب بعضهم الذين أقاموا على الكفر فهم عبادك، وإن تغفر لبعضهم الذين انتقلوا عن الكفر إلى الإسلام فأنت في ذلك قاهر غالب عادل^(٧) لا يعترض عليك معترض.

وهذا اختيار الزجاج، لأنه قال: والذي عندي: أن عيسى عليه السلام قد علم أن منهم من آمن ومنهم من أقام على الكفر، فقال عيسى في جميعهم: إن تعذب من كفر بك فإنهم عبادك أنت^(٨) العادل فيهم، وإن تغفر لهم لمن أفلح منهم وآمن فأنت في مغفرتك لهم عزيز لا يمتنع عليك ما تريد حكيم في ذلك.

- قوله^(٩) «قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم» أي: ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في هذا اليوم، ولأنه يوم الجزاء، وما تقدم في الدنيا الصدق^(١٠) إنما يتبين نفعه في هذا اليوم.

قال المفسرون^(١١): هذا تصديق لعيسى فيما قال، وذلك أنه كان صادقاً في الدنيا ولم يقل للنصارى: اتخذوني إلهاً فنفعه صدقه.

(١) انظر الزجاج ٢٤٥/٢ - ٢٤٦، واللسان: نفس عن الزجاج.

(٢) في جميع النسخ وما عندك علمه وهي ساقطة من (هـ)، والمثبت من معاني الزجاج.

(٣) سورة آل عمران / ٥٥.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ١٠٥.

(٥) انظر تفسير الرازي ١٣٧/١٢، والبخاري ١١٥/٢، وفتح القدير ٩٦/٢ عن ابن عباس.

(٦) انظر الزجاج ٢٤٦/٢ - ٢٤٧ وغرائب النيسابوري ٨٤/٧ والبحر ٦٢/٤ والبيهقي ١١٤/١.

(٧) ساقطة من (د).

(٩) من (أ، د) وفي (د) قوله تعالى.

(٨) في (ج، د) وأنت العادل.

(١٠) في (د) صدقهم، وفي (و) فإنما.

(١١) انظر تفسير البيهقي ١١٥/٢ - ١١٦ عن قتادة والدرر ٣٥٠/٢ عن قتادة والسدي.

ومن قرأ (هذا يوم) - بالرفع - فعلى الابتداء والخبر جعل «اليوم» خبر المبتدأ الذي هو «هذا» والمعنى: قال الله: هذا اليوم يوم منفعة الصادقين.

ومن قرأ - بالنصب - فعلى الظرف على تقدير [قال الله هذا] يعني: ما تقدم ذكره في يوم ينفع الصادقين صدقهم أي^(١): قال الله هذا في يوم القيامة^(٢).

وقوله ﴿رضي الله عنهم﴾ أي: بطاعتهم^(٣) ﴿ورضوا عنه﴾ بثوابه ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ قال الحسن^(٤): فازوا بالجنة ونجوا من النار. قال مقاتل^(٥): ثم عظم نفسه عما قالت النصارى من أن معه إليها^(٦) فقال:

- ﴿الله ملك السموات والأرض﴾ قال الحسن^(٧): يريد خزائن السماوات^(٨) وهي المطر وخزائن الأرض وهي

النبات.

قوله ﴿وما فيهن وهو على كل شيء قدير﴾ إشارة إلى أن الآمال^(٩) يجب أن تتعلق بالله تعالى لعظيم ملكه وسعة

قدرته.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ج).

(٢) قرأ نافع (هذا يوم) بالنصب والمعنى: هذه الأشياء تقع في يوم ينفع الصادقين.. وقرأ الباقون (يوم) بالرفع على الخبر (وهذا) مبتدأ فإن

سأل وقال: لم أضفت اليوم إلى الفعل، والفعل لا يدخله الجر، وعلامة الإضافة سقوط التنوين من (يوم)؟

فالجواب عنه: أن إضافة أسماء الزمان إلى الأفعال في المعنى ومعناه أنك تضيف إلى المصادر والتقدير: هذا يوم نفع الصادقين،

وكذلك قوله (يوم تبيض وجوه) سورة آل عمران ١٠٦ أي يوم ابيضاض الوجوه واسوداد الوجوه، وإنما أضيفت إلى المصادر. (انظر

الحجة لأبي زرعة ٢٤٢ والسبعة ٢٥٠ والنشر ٢/٢٥٦ والنبيان ١/٤٧٧ والزجاج ٢/٢٤٧، والحجة لابن خالويه ١٣٦).

(٣) في (و) بطاعته.

(٤) وهو قوله ابن عباس في تفسيره ص ١٠٥ والخازن ٢/١١٦.

(٥) انظر تفسير الطبري ٧/٩٢ والبحر ٤/٦٤ والخازن ٢/١١٦ وفتح القدير ٢/٩٥-٩٦.

(٦) في (د) الأما.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ص ١٠٥ وسبق مثل هذا عن الحسن.

(٨) في (أ) خزائن السموات والأرض.

(٩) في (و) إشارة الآمال.

سورة الأنعام

مكيّة وآياتها خمس وستون ومائة

عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود قال: أنزلت سورة الأنعام ومعها سبعون ألف ملك^(١).
 أخبرنا أبو سعد محمد بن علي الخفاف، أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر، حدثنا إبراهيم بن شريك
 الأسدي، حدثنا أحمد بن يونس حدثنا سلام بن سليم المدائني، حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه،
 عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب قال:
 قال رسول الله ﷺ: «أنزلت عليّ سورة الأنعام جملة واحدة، وتبعها^(٢) سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح
 والتحميد والتكبير والتهليل،^(٣) ومن قرأ سورة الأنعام صلى الله عليه، واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل
 حرف في سورة الأنعام يوماً وليلة»^(٤).

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المزكي^(٥)، أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي الوراق^(٦)، حدثنا
 جعفر بن محمد بن سوار، حدثنا محمد بن عبيد الأسدي^(٧) حدثنا بشير بن زاذان^(٨)، حدثني أبو الحجاج رشدين بن
 سعد^(٩)، عن محمد بن مسلم، عن أبي صالح - رفع الحديث الى النبي ﷺ - قال: «من قرأ ثلاث آيات من أول

(١) انظر الزجاج ٢/٢٤٩، والدر ٢/٣-٤ عن ابن مسعود وعطاء ومجاهد، وابن كثير ٢/١٢٢ عن ابن عباس وابن مسعود.

(٢) في (ج، و) ومعها.

(٣) في (أ) بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير.

(٤) الحديث: رواه الطبراني في الصغير ١/٨١ عن ابن عمر، والدر ٢/٣ عن ابن عباس وابن عمر، ٣/٣ عن أبي بن كعب، والحلية
 ٤٤/٣ عن ابن عمر.

ومجمع الزوائد - كتاب التفسير - سورة الأنعام - عن ابن عمر «رواه الطبراني في الصغير وفيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف».
 وانظر الموضوعات لابن الجوزي ١/٢٤٠، وتنزيه الشريعة المرفوعة ١/٢٨٥، والفوائد المجموعة ٢٩٦، واللائحة المصنوعة
 ٢٢٦/١ - ٢٢٧.

(٥) في (د) أبو عبيد.

(٦) في (د) بن عبد الرزاق، وهو: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن حنوب الزاهد الوراق الحنوبي البكاء من أهل نيسابور سمع
 ابن خزيمة ومحمد بن البوشنجي وجعفر بن محمد بن سوار وغيرهم وعنه الحاكم أبو عبد الله وأثنى عليه توفي سنة ٣٦٢ هـ، وهو ابن
 ٩٥ سنة (الأنساب ٢/٢٦٧ - ٢٦٨).

(٧) في (د) عبيد الله، وهو: محمد بن عبيد الله بن عبد الملك الأسدي الهمداني الجلاب عن ابن عيينة وجماعة وعنه أبو حاتم والترمذي
 وأبو بشر الدولابي وخلق، صالح عابد توفي سنة ٢٤٣ هـ (الكاشف ٣/٧٤).

(٨) بشير بن زاذان ضعفه الدارقطني وغيره واتهمه ابن الجوزي (المغني في الضعفاء ١/١٠٨ والميزان ١/٣٢٨).

(٩) رشدين بن سعد المهري المصري أبو الحجاج عن زهرة بن معبد ويونس بن يزيد وعنه قتيبة وأبو كريب وخلق، قال أحمد: لا يبالى

سورة الأنعام حين يصبح وكل الله به سبعين ألف ملك [يحفظونه، وكتب له مثل أعمالهم إلى يوم القيامة، ونزل ملك] من السماء السابعة معه مرزبة من حديد كلما أراد الشيطان أن يلقي في قلبه شيئاً من الشر ضربه بها، وجعل بينه وبين الشيطان سبعين ألف حجاب، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى: ابن آدم، ابق تحت ظلي، وكل من ثمار جنتي، واشرب من ماء الكوثر، واغتسل من ماء السلسيل، فأنت عبدي وأنا ربك، لا حساب عليك ولا عذاب.

أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان العدل، أخبرنا أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسين هارون، حدثنا إسحاق بن محمد بن مروان، وحدثنا أبي، حدثنا نصر بن مزاحم، عن محمد بن عبيد الله، عن أبي إسحاق الشيباني:

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّىٰ عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي
الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾

- (١) ﴿الحمد لله﴾ قال ابن عباس^(١): يريد على كل فعال، وبكل لسان، وعلى نعم الإسلام، وعلى صحة

الأبدان...

وقوله (٣) ﴿الذي خلق السموات والأرض﴾ قال الزجاج^(٤): ذكر أعظم الأشياء المخلوقة، لأن السماء بغير عمد ترونها، والأرض غير مائدة بنا ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ «جعل» هاهنا: بمعنى خلق، كقوله ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾^(٥) وقال الحسن^(٦): أراد بـ «الظلمات»: الكفر و«النور»: الإيمان، وقال السدي: يعني^(٧): الليل والنهار، وقوله (٢) ﴿ثم الذين كفروا﴾ يعني عبدة الأوثان ﴿يربهم يعدلون﴾ قال مجاهد: يشركون به غيره^(٨).

يقال: عدل الكافر بربه عدلاً وعدولاً، إذا سوى به غيره فعبده، و«العدل»: التسوية، عدل الشيء بالشيء، إذا سواه به^(٩).

= عن روى وليس به بأس، وقال: أرجو أنه صالح الحديث، وقال ابن معين: ليس بشيء، قلت: كان صالحاً عابداً سيء الحفظ غير متعمد توفي سنة ١٨٨ هـ (الميزان ٥٩/٢ - ٥١).

(١) في (د)، و قوله تعالى.

(٢) انظر الدر ١١/١ بنحوه عن ابن عباس، والبحر ٤/٦٧.

(٣) في (د) قوله.

(٤) انظر الزجاج ٢/٢٤٩.

(٥) سورة الأنبياء/٣٠، وانظر مجاز القرآن ١/١٨٥، والبيان ١/٣١٣.

(٦) في (د) قال ابن عباس، وانظر تفسير ابن عباس ١٠٥، والدر ٤/٣ عن ابن عباس، وفتح القدير ٢/٩٨ - ٩٩ عن ابن عباس والحسن، والبحر ٤/٦٨ عن الحسن.

(٧) في (د) بمعنى، وبه قال الزجاج ٢/٢٤٩، والطبري ٧/٩٢، والدر ٣/٤ كلاهما عن السدي.

(٨) انظر تفسير الطبري ٧/٩٣، والدر ٣/٣٤ كلاهما عن مجاهد.

(٩) انظر اللسان / عدل، والمصباح المنير / عدل، ومفردات الراغب / عدل.

قال الزجاج: ^(١) أعلم الله تعالى أنه خالق ما ذكر ^(٢) في هذه الآية، وأن خالقها لا شيء مثله، ثم أعلم أن الكفار يجعلون له عدلاً فيعبدون الحجارة والموات.

- قوله ^(٣) ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ قال ابن عباس ^(٤): يعني: آدم، والخلق من نسله ﴿ثم قضى أجلاً﴾ يعني: أجل الحياة ^(٥) إلى الموت ﴿وأجل مسمى عنده﴾ ^(٦) يعني: أجل الموت إلى البعث وقيام الساعة. وهذا قول ابن عباس والحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك ومقاتل.

قال ابن عباس ^(٧): إن الله تعالى قضى لكل نفس أجلين، من مولده إلى موته ومن موته إلى مبعثه، فإذا كان الرجل صالحاً واصلاً لرحمه زاد الله له ^(٨) في أجل الحياة من أجل الممات إلى البعث، وإذا كان غير صالح ولا واصل لرحمه ^(٩) نقصه الله من أجل الحياة وزاد في أجل البعث، وذلك قوله ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾ ^(١٠).

^(١١) ﴿ثم أنتم﴾ يا معشر المشركين بعد هذا البيان ﴿تمترون﴾ تشكون وتكذبون بالبعث.

- قوله ^(١٢) ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ قال الزجاج وابن الأنباري ^(١٣): هو المعبود في السموات والأرض، كما تقول: هو الخليفة في الشرق والغرب.

﴿يعلم سركم﴾ ما تسرون مما لا يطلع عليه غيركم ﴿وجهركم﴾ ما تجهرون به وتعلنونه ﴿ويعلم ما تكسبون﴾ معنى: «الكسب» الفعل لاجتلاب نفع أو دفع ضرر ^(١٤) ولهذا لا يوصف فعل الله سبحانه بأنه كسب.

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ

(١) انظر الزجاج ٢/٢٤٩.

(٢) في (د) ما في ذكر هذه.

(٣) في (ح، و) وقوله.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ١٠٥، والدر ٤/٣، وفتح القدير ٢/٩٩ كلاهما عن ابن عباس، والطبري ٧/٩٤ عن مجاهد والضحاك والسدي، وابن كثير ٢/١٢٣.

(٥) في (و) الحياة الدنيا.

(٦) «أي وقت مؤقت» (مجاز القرآن ١/١٨٥) (وأجل): مرفوع بالابتداء (الاحفش ٢/٤٨٢).

(٧) انظر تفسير الطبري ٧/٩٤ عن الحسن وقتادة والضحاك، وغريب القرآن ١٥٠، وابن كثير ٢/١٢٣، وفتح القدير ٢/٩٨-٩٩ كلاهما عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك، وسعيد بن جبيرة ومجاهد وعكرمة ومقاتل وزيد بن أسلم وعطية، والدر ٣/٤ عن ابن عباس وقتادة ومجاهد.

(٨) في (د) زاد الله في أجل.

(٩) في (ج، د) للرحم.

(١١) في (ح، د) قوله.

(١٢) في (و) قوله تعالى.

(١٠) سورة فاطر ١١/.

(١٣) انظر الزجاج ٢/٢٥٠، والقرطبي ٦/٣٩٠، وفتح القدير ٢/٩٩، والبحر ٤/٧٢ عن الزجاج.

(١٤) في (د) ضرر.

تُمْكِنَ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مَدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾

- قوله ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم﴾ قال عطاء ^(١): يريد: القرآن ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾ تاركين التفكير فيها.

- ^(٢) ﴿فقد كذبوا﴾ يعني: مشركي مكة ﴿بالحق لما جاءهم﴾ قال ابن عباس ^(٣): بما جاءهم به الصادق الأمين عن الله تعالى ﴿فسوف يأتيهم أبناء ما كانوا يستهزؤون﴾ أي: أخبار استهزائهم وجزاؤه فهذا وعيد لهم على استهزائهم بالقرآن. والمعنى: سيعلمون عاقبة استهزائهم إذا عذبناهم.

- قوله: ﴿ألم يروا﴾ يعني: مشركي مكة ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ من أمة وجماعة يعني: من أهلك من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل. والقرن: الأمة من الناس، وأهل كل مدة قرن ^(٤).

قوله ^(٥) ﴿مكناهم في الأرض ما لم تمكن ^(٦)﴾ قال ابن عباس ^(٧): أعطيناهم ما لم نعطيكم يعني: وسعنا عليهم في كثرة العبيد والمال والأنعام.

يقال: مكنته ومكنت له، إذا أقدرت على الشيء بإعطاء ما يصح به الفعل من العدة ^(٨) وفي هذا رجوع من الخبر إلى الخطاب. ﴿وأرسلنا السماء﴾ يعني: المطر ﴿عليهم مدراراً﴾ كثير الدر ^(٩).

يقال: سحاب مدرار وغيث مدرار، إذا تتابع منه المطر. ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ بكفرهم وتكذيبهم ﴿وأنشأنا﴾ خلقنا ^(١٠) ﴿ومن بعدهم قرناً آخريين﴾.

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آسَٰهُزَيُّ رُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهزِئُونَ ﴿١٠﴾

- قوله ^(١١) ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس﴾ قال الكلبي: قال مشركون مكة ^(١٢): لن نؤمن لك يا محمد حتى

(١) انظر تفسير الطبري ١١٩/٢ عن عطاء، وفتح القدير ١٠٢/٢ عن قتادة.

(٢) في (ح، د) قوله.

(٣) انظر تفسير البغوي ١١٩/٢ عن عطاء، والبحر ٧٤/٤.

(٤) انظر مجاز القرآن ١٨٥/١، وفتح القدير ١٠٢/٢، واللسان / قرن، والمصباح / قرن، ومفردات الراغب / قرن.

(٥) في (ح، و) وقوله.

(٦) في (د) يكن.

(٧) انظر تفسير الطبري ٩٦/٧، والدر ٥/٣، وفتح القدير ١٠٢/٢ كلها عن قتادة.

(١٠) في (د) أي خلقنا، وفي (د) خلقنا.

(٨) انظر مفردات الراغب / مكن، والمصباح / مكن.

(١١) في (ح) وقوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٩) انظر اللسان / درر.

(١٢) في (أ) مشركو العرب.

وانظر أسباب النزول للواحدي ١٥٩، وغرائب النيسابوري ١٠٥/٧ - ١٠٦ كلاهما عن الكلبي والبغوي ١١٩/٢ - ١٢٠ عن الكلبي

تأتينا بكتاب من عند الله معه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله وأنتك رسوله، فنزلت هذه الآية. و«القرطاس»: كأنه يتخذ من بردى يكون بمصر، وكل كاغد قرطاس^(١).

قوله ﴿فلمسوه بأيديهم﴾ قال قتادة^(٢): فعابنوا ذلك معاينة ومسوه^(٣) بأيديهم ﴿لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ قال الزجاج^(٤): لو رأوا الكتاب ينزل من السماء لقالوا سحر، أخبر الله سبحانه أنهم يدفعون^(٥) الدليل حتى لو أتاهم الدليل مدركاً بالحس لنسبوه إلى السحر.

- قوله^(٦) ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك﴾ قال المفسرون^(٧): طلبوا ملكاً يروونه يشهد فقال الله تعالى ﴿ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر﴾ لأهلكوا بعذاب الاستئصال، وقال مجاهد وعكرمة: لقامت الساعة^(٨) ﴿ثم لا ينظرون﴾ قال ابن عباس^(٩): لا يؤخرون لتوبة، لأنه يجب أن يجروا على سنة من قبلهم ممن طلبوا^(١٠) الآيات فلم يؤمنوا فأهلكوا، كعاد وثمود.

- قوله^(١١) ﴿ولو جعلناه ملكاً﴾ أي: لو جعلنا الرسول ملكاً كما يطلبون ﴿لجعلناه رجلاً﴾ لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته، ولذلك كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الإنس^(١٢) ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ يقال: لبست الأمر البسه لبساً، إذا شبهته وجعلته مشكلاً^(١٣). قال الضحاك^(١٤): ولخطلنا عليهم ما يخطون حتى يشكوا فلا يدروا أملك هو أم آدمي؟ ثم عزى نبيه ﷺ عن تكذيب المشركين فقال:

- ﴿ولقه استهزىء برسول من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم^(١٥)﴾ قال عطاء: فحل وقال الربيع^(١٦): نزل، [وقال الضحاك: أحاط^(١٧)] وقال الفراء: يقال حاق بهم يحيق حيقاً وحيوقاً^(١٨) وقال الزجاج^(١٩): أحاط بهم العذاب

- (١) ذكره ابن منظور في اللسان / قرطس، «البردى - بالفتح - نبت معروف، واحده بردية» (اللسان / برد) والكاغد: معروف، وهو فارسي (مرب) (اللسان / كغد).
- (٢) انظر تفسير الطبري ٩٦/٧ - ٩٧، والدر ٥/٣ كلاهما عن قتادة.
- (٣) في (ح، و) ولمسوه.
- (٤) انظر الزجاج ٢٥٢/٢.
- (٥) في (و) يبتغون.
- (٦) في (ح، و) قوله تعالى، وفي (د) قوله قالوا.
- (٧) انظر تفسير ابن عباس ١٠٦، وابن كثير ٦٣/٢، ٣١٠/٣، والدر ٥/٣، وفتح القدير ١٠٢/٢ كلاهما عن محمد بن إسحاق.
- (٨) انظر تفسير الطبري ٩٧/٧ عن مجاهد وعكرمة، والدر ٥٥/٣ وفتح القدير ١٠٢/٢ كلاهما عن مجاهد، وتفسير الثوري ص ١٠٦.
- (٩) انظر تفسير الطبري ٩٧/٧، وفتح القدير ١٠٢/٢ كلاهما عن ابن عباس.
- (١٠) في (د) طلب الآيات لا يؤمنوا، وفي (و) طلب.
- (١١) في (ح، و) وقوله.
- (١٢) انظر اللسان / لبس، والمصباح / لبس.
- (١٣) انظر تفسير ابن عباس ١٠٦، والدر ٥/٣، وفتح القدير ١٠٢/٢ كلاهما عن ابن عباس، وابن كثير ١٢٤/٢ عن ابن عباس والضحاك.
- (١٤) في (ح) بالذين سخروا بهم قال عطاء: فحل بالذين سخروا منهم، وفي (د، و) قال عطاء: فحل بالذين سخروا منهم. وانظر تفسير الطبري ١٢٠/٢ عن عطاء، والبحر ٦٦/٤.
- (١٥) انظر تفسير البغوي ١٢٠/٢ عن الربيع بن أنس، وتفسير ابن عباس ١٠٦، والطبري ٩٨/٧ والبحر ٦٦/٤.
- (١٦) ما بين المعقوفتين مكرر في (أ)، وانظر البحر ٦٦/٤، والبغوي ١٢٠/٢ كلاهما عن الضحاك والطبري ٩٨/٧.
- (١٧) انظر غرائب النيسابوري ١٠٨/٧ عن الفراء، واللسان / حيق عن الفراء، والطبري ٩٨/٧، والبحر ٦٦/٤ والقرطبي ٣٩٤/٦، وفتح القدير ١٠١/٢.
- (١٨) انظر الزجاج ٢٥٤/٢، والرازي ١٦٣/١٢، واللسان / حيق كلاهما عن الزجاج.

الذي هو جزاء استهزائهم . كما تقول: أحاط بفلان عمله، وأهلكه كسب، أي: جزاء كسبه . ثم حذر كفار مكة عذاب الأمم الخالية فقال: (١)

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١١﴾

- ﴿قل سيروا﴾ سافروا ﴿في الأرض ثم انظروا﴾ اعتبروا ﴿كيف كان عاقبة المكذبين﴾ مكذبي الرسل، قال قتادة: دمر الله عليهم، ثم صيرهم إلى النار.

قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتِّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصِرْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْتُكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾

- قوله (١) ﴿قل لمن ما في السموات والأرض﴾ هذا أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ بسؤال قومه، [ثم أمره بالجواب فقال] (٢) ﴿قل لله﴾ جاء السؤال والجواب من جهة واحدة، وهذا (٤) إخبار عن عظم ملكه.

ثم أخبر أنه أوجب على نفسه الرحمة تلطفاً في الاستدعاء إلى الإنابة فقال ﴿كتب﴾ ريبكم (٥) ﴿على نفسه الرحمة﴾ قال ابن عباس (٦): قضى لنفسه أنه أرحم الراحمين.

أخبرنا أبو الحارث محمد بن عبد الرحيم الأثري بجرجان (٧). أخبرنا أبو الحسن علي بن المشي (٨). أخبرنا

(١) انظر تفسير الطبري ٩٩/٧، والدر ٥/٣ - ٦ كلاهما عن قتادة.

(٢) في (ح) قوله تعالى.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٤) في (د) وهو إخبار.

(٥) ليست في (د).

(٦) انظر تفسير الطبري ٩٩/٧، والبحر ٨١/٤.

(٧) أبو الحارث محمد بن عبد الرحيم بن الحسن بن سليمان الأثري الخيوشاني الاستوائي كان قد رحل وسمع الكثير وكان قديماً صاحب

حديث طاف في أكناف خراسان وحصل الكثير وكانت وفاته سنة نيف وثلاثين وأربعمائة. (الأنساب ٤٣/٥).

(٨) علي بن المشي الكوفي عن أبي إسحاق، ضعفه الأزدي (الميزان ١٥٢/٣).

محمد بن إسحاق الرملي^(١). حدثنا هشام بن عمار حدثنا مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي» رواه مسلم عن زهير بن حرب عن سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد^(٢).

وقوله^(٣) ﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة﴾ هذا ابتداء كلام، و «اللام» فيه: لام القسم، كأنه قال: والله ليجمعنكم إلى يوم القيامة^(٤).

قال الزجاج^(٥): معناه: ليجمعنكم إلى اليوم الذي أنكرتموه، وهو اليوم الذي لا ريب فيه ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ أي: بالشرك بالله تعالى أوبقوا أنفسهم ﴿فهم لا يؤمنون﴾ لما سبق لهم من القضاء بالشقاوة والخسران.

- قوله^(٦) ﴿وله ما سكن في الليل والنهار﴾ قال ابن عباس^(٧): له ما استقر في الليل والنهار من خلق. وهذا عام في كل مخلوق، لأن كل ما طلعت عليه الشمس وما غربت^(٨) فهو من ساكني الليل والنهار. ولهذا قال ابن الأعرابي^(٩): وله ما حل في الليل والنهار.

وقال أهل المعاني^(١٠) في الآية محذوف، والتقدير: وله^(١١) ما سكن وتحرك في الليل، والنهار، فحذف ذكر الحركة واكتفى بذكر السكون، كقوله ﴿سزابل تقيكم الحر﴾^(١٢) يعني: الحر والبرد.

- قوله^(١٣) ﴿قل أغير الله أتخذ ولياً﴾ هذا استفهام معناه الإنكار، أي: لا أتخذ ولياً غير الله ولا أعبد سوا ﴿فاطر السموات والأرض﴾ خالقهما ابتداء لا على مثال سبق. و «الفطرة»: ابتداء الخلقة. قال ابن عباس: كنت لا أدري ما ﴿فاطر السموات والأرض﴾ حتى احتكم إلي أعرابيان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: أنا ابتدأت حفرها.

وقال ابن الأعرابي: يقال^(١٤) هو أول من فطر هذا، أي: ابتدأه^(١٥) قوله^(١٦) ﴿وهو يطعم ولا يطعم﴾ قال السدي

(١) في (ح) الدليلي، سبق.

(٢) الحديث: صحيح مسلم - كتاب التوبة - باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه عن أبي هريرة ٤٩٣/٢. وصحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب (وكان عرشه على الماء) عن أبي هريرة ٢٨١/٤.

(٣) في (د) قوله.

(٤) انظر الأخفش ٤٨٢/٢، وفتح القدير ١٠٣/٢ عن الفراء.

(٥) انظر الزجاج ٢٥٤/٢.

(٦) في (ح)، (و) قوله تعالى.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ١٠٦، والطبري ١٠١/٧، والدر ٦/٣، وفتح القدير ١٠٦/٢ كلها عن السدي.

(٨) ساقط من (و)،.

(٩) انظر اللسان / سكن عن ابن الأعرابي، وغرائب النيسابوري ١١٤/٧، والرازي ١٦٨/١٢.

(١٠) انظر تفسير البغوي ١١٢/٢، والبحر ٨٣/٤، وغرائب النيسابوري ١١٤/٧، وفتح القدير ١٠٤/٢، والرازي ١٦٨/١٢.

(١١) ساقط من (و).

(١٢) في غير (أ) قوله تعالى.

(١٣) سورة النحل / ٨١.

(١٤) في (ح)، (و) وقوله.

(١٥) ذكره ابن منظور في اللسان / فطر عن ابن عباس وابن الأعرابي، وانظر الطبري ١٠١/٧، وابن كثير ٤٦/٣، والبحر ٨٤/٤، والرازي

١٦٨/١٢ والدر ٧/٣، وفتح القدير ١٠٦/٢ كلها عن ابن عباس.

(١٦) في (ح)، (و) وقوله.

والكلبي^(١): يرزق ولا يرزق ﴿قل إنني أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ من هذه الأمة^(٢)، أي: قيل لي: كن أول المسلمين ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ أي: أمرت بدين الحنيفة، ونهيت عن الشرك.

- ﴿قل﴾ للمشركين ﴿إنني أخاف إن عصيت ربي﴾ فيما أمرت به ونهيت عنه ﴿عذاب يوم عظيم﴾ وهو يوم القيامة.

- ﴿من يصرف عنه﴾ العذاب ﴿يومئذ فقد رحمه﴾ فقد أوجب الله له الرحمة لا محالة أي: له مع صرف العذاب عنه الرحمة. وقرأ حمزة (يَصْرِف) - بفتح الياء وكسر الراء - أي: يصرف الله عنه العذاب يومئذ، يعني: يوم القيامة فقد رحمه^(٣). ﴿وذلك الفوز المبين﴾ لأنه فاز بالرحمة ونجا من العذاب.

- وقوله^(٤) ﴿وإن يمسسك الله بضرٍ﴾ أي؛ إن جعل الضر يمسسك ويصيبك، وهو اسم جامع لكل ما يتضرر به الإنسان من فقر ومرض وزمانة، كما أن الخير: اسم جامع لكل ما ينتفع به الإنسان^(٥). قوله^(٦) ﴿فلا كاشف له إلا هو﴾ أي: لا يكشف ذلك الضر الذي أصابك غير الله، ولا يصرفه عنك غيره. وقوله^(٧) ﴿وإن يمسسك بخير﴾ يصبك بغنى وسعة في الرزق وصحة في الجسم ﴿فهو على كل شيء قدير﴾ من الغنى والفقر.

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن محمد البغدادي . حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن شيبان الرملي^(٨)، حدثنا عبد الله بن ميمون القداح^(٩)، عن شهاب بن خراش^(١٠)، عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الله بن عباس أنه قال:

(١) انظر تفسير ابن عباس ١٠٦، وغريب القرآن ١٥١، وابن كثير ١٥٢/٢، والطبري ١٠٢/٧ عن السدي، وكذا الدر ٧/٣، وفتح القدير ١٠٦/٢.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١٢٥/٢.

(٣) قرأ حمزة والكسائي وعاصم - في رواية أبي بكر - (من يَصْرِف) مفتوحة الياء مكسورة الراء، وحجتهم: قوله قبلها ﴿قل لمن ما في السموات والأرض قل لله﴾ وأيضاً فقد ختم الكلام بمثل معنى يصرف فقال (فقد رحمه) ولم يقل، فقد رُحم، فيكون على نظير مما لم يسم فاعله. وقرأ الباقون (يُصْرِف) بضم الياء وفتح الراء، وحجتهم: أن هذا الوجه أقل إضماراً لأنه إذا قال ﴿من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه﴾ أي: فقد رحمه الله لأنه تقدمه (إن عصيت ربي) وفي يصرف ذكر العذاب وإذا قال (يَصْرِف) أضمر ذكر العذاب، وفي قراءتهم ذكر العذاب في (يصرف) فحسب، أي: إن (يَصْرِف) - بالفتح - لا يفهم المصروف إلا بتقدير (يصرف) بالضم فيها معنى المصروف المستفاد مما سبق (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٤٣، والسبعة ٢٥٤ والنشر ٢/٢٥٧، والبيان ١/٤٨٤ - ٤٨٥، والزجاج ٢/٢٥٦ والمشكل ١/٢٤٧، والحجة لابن خالويه ١٣٧).

(٤) في غير (أ) قوله.

(٦) في (ح، و) وقوله.

(٥) انظر اللسان / ضرر.

(٧) من (أ). الشيخ الكبير مسند خراسان علي بن محمد بن محمد بن أحمد بن عثمان البغدادي الطرازي الحنبلي الأديب من كبار النيسابوريين حدث عن أبي العباس الأصم وغيره وعنه الخطيب، وغيره توفي سنة ٤٢٢ هـ (سير الأعلام ١٧/٤٠٩).

(٨) أحمد بن شيبان الرملي أبو عبد المؤمن روى عن ابن عيينة وجماعة وثقة الحاكم وقال ابن حبان: يخطيء وقال صالح الطرابلسي ثقة مأمون أخطأ في حديث واحد توفي سنة ٢٧٥ وقيل سنة ٢٦٨ هـ (شذرات ٢/١٥٤، وتهذيب التهذيب ١/٣٩، وسير الأعلام ١٢/٣٤٦).

(٩) عبد الله بن ميمون القداح المكي قال أبو حاتم: متروك، وقال البخاري: ذاهب الحديث، وقال أبو زرعة: واهي الحديث، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بما انفرد به توفي سنة ١٨٠ هـ (الميزان ٢/٥١٢، والأعلام ٤/٢٨٦).

(١٠) شهاب بن خراش بن حوشب بن يزيد بن الحارث الشيباني الحوشي أبو الصلت الواسطي ابن أخي العوام روى عن أبيه وعمه وقتادة = الوسيط في تفسير القرآن المجيد/ ج ٢/ ١٧م

«أهدي إلى رسول^(١) الله ﷺ بغلة، أهداها له كسرى^(٢) فركبها بجبل من شعر ثم أردفني خلفه، ثم سار ملياً^(٣) ثم التفت إلي فقال: يا غلام، فقلت: لبيك يا رسول الله، قال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فقد مضى القلم بما هو كائن، فلو جهد الناس أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدرُوا عليه، ولو جهد الناس أن يضروك بما لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا، واعلم أن مع الصبر النصر، وأن مع الكرب الفرج، وأن مع العسر اليسر^(٤)».

- قوله^(٥) ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ «القهر»: الغلبة، والله القاهر^(٦) القهار قهر خلقه بقدرته وسلطانه فصرفهم على ما أراد طوعاً وكرهاً، يقال: أخذت الشيء قهراً، إذا أخذته دون رضا صاحبه، ومعنى «القاهر^(٧)» في صفة الله تعالى: «يعود إلى أنه القادر الذي لا يعجزه شيء».

ومعنى ﴿فوق﴾ هاهنا: أن قهره قد استعلى عليهم فهم تحت التسخير والتذليل بما علاهم من الاقتدار الذي ينفك عنه أحد،^(٨) ﴿و[هو الحكيم] الخبير﴾ العالم بالشيء.

- قوله ﴿قل أي شيء أكبر شهادة﴾ قال المفسرون^(٩): قال أهل مكة للنبي ﷺ: اثنا بمن يشهد لك بالنبية فإن اليهود والنصارى ينكرونها، فنزلت هذه الآية قال مجاهد: ^(١٠) أمر محمد ﷺ أن يسأل قريشاً، ثم أمر أن يخبرهم فيقول^(١١) ﴿الله شهيد بيني وبينكم﴾.

= وغيرهم وعنه عبد الرحمن بن مهدي وآدم بن أبي إياس والهشام بن خارجة قال ابن المبارك والمدائني وابن عمار: ثقة وقال ابن معين لا بأس به، وقال مرة: ثقة توفي سنة ١٧٤ هـ (تهذيب التهذيب ٤/ ٣٦٦ - ٣٦٧).

(١) في (ح، و) النبي ﷺ.

(٢) آخر الأكاسة مطلقاً يزوجه بن شهر يار بن برون بن هرمز أنوشروان المجوسي الفارسي انهزم من جيش عمر فاستولوا على العراق وهرب إلى مرو وولت أيامه ثم ثار عليه أمراء دولته وقتلوه سنة ٣٠ هـ، وكان ملكه ضعيفاً وضعفت مملكة فارس وزال ملكهم بالإسلام إلى الأبد.

(سير الأعلام ٢/ ٢٠٩، وتتممة المختصر ١/ ٧٦).

(٣) «ملياً: أي طويلاً، أي ساعة طويلة» (اللسان / ملا).

(٤) الحديث: رواه الطبراني في الكبير ١١/ ١٢٣، ١١/ ٢٢٣، والحلية ١/ ٤١٣، والترمذي كتاب صفة القيامة - باب ٢٢ - رقم ٦٣٥ بنحو «حسن صحيح» ٤/ ٧٦، والمستدرک - كتاب معرفة الصحابة - «هذا حديث كبير عال من حديث عبد الملك بن عمير عن ابن عباس، إلا أن الشيخين رضي الله عنهما لم يخرجوا شهاب بن خراش ولا القداح في الصحيحين - وقد روى الحديث بأسانيد عن ابن عباس غير هذا».

قال الذهبي: قلت: لأن القداح قال أبو حاتم: متروك، والآخر: مختلف فيه، وعبد الملك لم يسمع من ابن عباس - فيما أرى ٣/ ٥٤١ - ٥٤٢.

وقال الحضرمي: «وقع في حديث ابن عباس قال أهدى إلى النبي ﷺ بغلة أهداها له كسرى، هكذا وقع وسيط الواحدي وغيره. ولم يصح ذلك، والمعروف أنه لم يكن بينه وبين كسرى مهادة، وأنه مزق كتابه فدعا ﷺ بتمزيق ملكه فكان، والمعروف أن المهدي للبغلة وغيرها هو المقوقس ملك مصر - والله أعلم (عمدة القوي والضعيف ص ١١ - ١٢).

(٥) في (ح، و) قوله تعالى.

(٦) في (ح) القهار القاهر، وفي (د) يقهر.

(٧) انظر التبيان ١/ ٤٨٥ - ٤٨٦، والبحر ٤/ ٨٩، والوجيز للواحدى ١/ ٢٣٤.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ١٠٧، وأسباب النزول للواحدى ١٦٠. وغرائب النيسابوري ٧/ ١١٩ عن الكلبي، والرازي ١٢/ ١٧٥ - ٧٦ عن ابن عباس.

(٩) انظر تفسير الطبري ٧/ ١٠٣، والدرر ٣/ ٧ كلاهما عن مجاهد.

(١٠) في (ح) بأن يقول.

قال الزجاج: أمر الله نبيه^(١) ﷺ أن يحتج عليهم بأن شهادة الله في نبوة نبيه أكبر شهادة، وأن القرآن الذي أتى به يشهد له أنه رسول الله ﷺ، وهو قوله ﴿وَأوصي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ يريد: من أمتي إلى يوم القيامة.

قال الفراء: المعنى ومن بلغه^(٢) القرآن من بعدكم، وكان مجاهد يقول: حيثما يأتي القرآن فهو داع^(٣) ونذير، ثم قرأ هذه الآية، وقال القرظي: من بلغه القرآن فكانما رأى النبي ﷺ وكلمه^(٤).

قوله ﴿أنتم لتشهدون أن مع الله الهة أخرى﴾ هذا استفهام معناه الجحد والإنكار عليهم بهذه الشهادة، ثم أمر رسوله ﷺ بنفي هذه الشهادة عن نفسه بقوله ﴿قل لا أشهد﴾ ثم أمره بتوحيده والتبري مما سوى الإسلام فقال ﴿قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون﴾.

الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَنْ نَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾

- قوله ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ يعني: اليهود والنصارى ﴿يعرفونه﴾ يعرفون محمداً بالنبوة والصدق بما وجدونه مكتوباً عندهم في^(٥) صفته ونعته ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾.

- وقد تقدم تفسير هذا في سورة البقرة - وباقي الآية مفسر في هذه السورة^(٦).

- قوله ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ قال ابن عباس: ^(٧) ومن أكفر ممن اختلق على الله كذباً فأشرك به الآلهة، والمعنى: لا أحد أظلم منه.

﴿أو كذب بآياته﴾ يعني: القرآن، وهم اليهود والنصارى كذبوا القرآن ومعجزاته ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ قال ابن عباس^(٨): لا يسعد من جحد ربوبية ربه وكذب رسله^(٩).

(١) في (د) أمر الله أن يحتج.

وانظر الزجاج ٢٥٦/٢ - ٢٥٧.

(٢) في (أ) بلغ، وانظر الفراء ٣٢٩/١، والطبري ١٠٤/٧، عن ابن عباس والسدي، والدر ٧/٣، وفتح القدير ١٠٦/٢ كلاهما عن ابن عباس.

(٣) في (ح)، (د) داعي، وانظر تفسير الطبري ١٠٤/٧، والدر ٧/٣ كلاهما عن مجاهد.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٠٤/٧، وابن كثير ١٢٦/٢، والدر ٧/٣، وفتح القدير ١٠٦/٢ كلها عن القرظي وغرائب النيسابوري ١٢١/٧ عن سعيد بن جبير.

(٥) في (ح)، (د) من صفته.

(٦) انظر تفسير الآية ١٤٦ من سورة البقرة. وباقي الآية هو ﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ انظر تفسير الآية ١٢ من هذه السورة.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ١٠٧، والطبري ١٠٥/٧.

(٨) انظر تفسير البغوي ١٨٧/٢، والخازن ١٨٧/٢ كلاهما عن ابن عباس، والبحر ٢٦٦/٤ عن عطاء.

(٩) في (و) رسوله وقوله.

- قوله: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾ انتصب «يوم» بمحذوف تقديره: واذكر يوم نحشرهم، يعني: يوم القيامة يجمع الله فيه الكفار والمشركين ثم يسألهم سؤال توبيخ عما أشركوا بالله من الأوثان وهو قوله ﴿ثم نقول للمؤمنين وأصنام شركائهم﴾ قال المفسرون^(١): إن المشركين كانوا يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم عند الله فقبل لهم يوم القيامة: أين شركائكم الذين كنتم تزعمون أنها تشفع لكم؟

- قوله ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ وقرئء بالياء، لأن الفتنة بمعنى الافتتان فجاز تذكيره، وقرئء (فتنتهم) رفعاً ونصباً، فمن رفع جعله اسم كان وجعل ﴿إلا أن قالوا﴾ الخبر، ومن نصب جعل ﴿إلا أن قالوا﴾ الاسم و ﴿فتنتهم﴾ الخبر^(٢).

قال الزجاج^(٣): تأويل هذه الآية تأويل حسن لطيف، وذلك أن الله تعالى ذكر فيما^(٤) تقدم أمر المشركين وأنها مفتونون بشركهم، ثم أعلم أنه لم يكن افتتاهم بشركهم وإقامتهم عليه إلا أن تبرؤوا منه وانتفوا عنه، وهو قولهم ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾. قرئء (ربنا) بالمخفص على نعت (الله) ومن نصب جعله منادى مضافاً^(٥).

- قال الله عز وجل^(٦) ﴿وانظر﴾ يا محمد ﴿كيف كذبوا على أنفسهم﴾ باعتذارهم بالباطل وجحد شركهم في الآخرة، قاله قتادة وعطاء^(٧).

قوله^(٨) ﴿وضل عنهم﴾ أي: زال وبطل ﴿ما كانوا يفترون﴾ بعبادته^(٩) من الأصنام فلم تغن عنهم شيئاً، وذلك

(١) انظر تفسير ابن عباس ١٠٧ وابن كثير ٤٥/٤ عن قتادة والسدي ومالك وابن زيد وزيد بن أسلم، والدر ٨/٣، وفتح القدير ٢٠٦/٢ كلاهما عن عكرمة.

(٢) قرأ ابن كثير وحفص (ثم لم تكن) بالياء (فتنتهم) بالرفع اسماً لكان والخبر (إلا أن قالوا) وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو بكر (ثم لم تكن) بالياء (فتنتهم) بالنصب خيراً لكان والاسم (إلا أن قالوا) وأنت الفعل لأنه جاء ملاصقاً للفتنة، وإنما جاز ذلك لأن الفتنة هي القول والقول هو الفتنة فجاز أن تحل محله.

وأيضاً: إن المصدر قد يقدر مذكراً ومؤنثاً، والتقدير ثم لم تكن فتنتهم إلا مقاتلهم.

وقرأ حمزة والكسائي (ثم لم يكن) بالياء (فتنتهم) بالنصب على الخبر وحجتهم: إجماع القراء في قوله ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا﴾ سورة النمل ٥٦.

وفي حرف عبد الله (فما كان فتنتهم) فهذا دليل على التذكير.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٤٣ - ٢٤٤، والسبعة ٢٥٤ - ٢٥٥، والنشر ٢٥٧/٢، والتبيان ٤٨٧/١، والزجاج ٢٥٨/٢، والمشكك ٢٤٨/١، والحجة لابن خالويه ١٣٦ - ١٣٧، ومجاز القرآن ١٨٨/١).

(٣) انظر الزجاج ٢٥٨/٢ - ٢٥٩، والرازي ١٢/١٨٢، وغرائب النيسابوري ٧/١٢٣، وفتح القدير ١٠٧/٢ كلها عن الزجاج.

(٤) في (ح) فيما تقدم من أمر، وفي (د) فيها تقدم.

(٥) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر (والله ربنا) بالكسر فيهما على النعت والثناء، وحجتهم: أنك إذا قلت: أحلف بالله ربنا كان أحسن من أن تقول: أحلف بالله يا رب وقرأ حمزة والكسائي (والله) بالكسر (ربنا) بالنصب أي: يا ربنا على النداء، وحجتهم أن الآية ابتدئت بمخاطبة الله إياهم إذ قال للمؤمنين أشركوا (أين شركائكم) فجرى جوابهم إياه على نحو سؤاله لمخاطبتهم إياه فقالوا: (والله ربنا) بمعنى: والله يا ربنا (ما كنا مشركين) فأجابوه مخاطبين له، كما سألهم مخاطبين.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٤٤، والسبعة ٢٥٥، والنشر ٢٥٧/٢، والتبيان ٤٨٧/١، والزجاج ٢٥٩/٢، والفراء ٣٣٠/١، والأخفش ٤٨٣/٢، والحجة لابن خالويه ١٣٧، والدر ٨/٣).

(٦) في (ح)، و قال الله تعالى، وفي (د) قوله تعالى.

(٧) انظر تفسير الطبري ٧/١٠٦، والدر ٨/٣، وفتح القدير ١٠٩/٢ كلها عن قتادة، وابن كثير ١٢٧/٢ عن عطاء.

(٨) في (ح) وقوله، وفي (و) قوله تعالى. (٩) في غير (أ) بعبادتهم - وفي (د)، و فلم تغني.

أنهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها لهم، فبطل ذلك في ذلك اليوم.

وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَقًّا إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْنَا نُرْدُ وَلَا نُنْكَدِبُ بِتَابِتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾

- وقوله (١) ﴿ومَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ..﴾ الآية نزلت في نفر من المشركين منهم النضر بن الحرث (٢)، جلسوا إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ القرآن، فقالوا للنضر: ما يقول محمد؟ فقال: أساطير الأولين مثلما كنت أحدثكم عن القرون الماضية (٣).

وقوله (٤) ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ «الأكنة»، هو ما ستر الشيء يقال: كنتت الشيء وأكنتته: سترته (٥). قال ابن عباس ﴿ومَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآن ﴿وجعلنا على قلوبهم﴾ غطاءً أن يفهموه (٦) ويعوه. قال الزجاج: والتقدير: كراهة أن يفقهوه، فحذف المضاف (٧). ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ «الوقر»: الثقل في الأذن، قال ابن عباس (٨): صمما، وقال الضحاك: ثقلاً (٩).

وليس المعنى أنهم لم يعلموا ولم يسمعوا، ولكنهم حرموا الانتفاع به، فكانوا بمنزلة من لم يعلم ولم يسمع. وهذه الآية دلالة صريحة على أن الله تعالى يقلب القلوب، فيشرح بعضها للهدى، ويجعل بعضها في أكنة فلا يفقه صاحبها (١٠) كلام الله تعالى ولا يؤمن به، وهو قوله ﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها﴾ أي: كل علامة تدلهم على نبوتك لا يصدقوا بها هذا حالهم في البعد عن الإيمان (١١) ﴿حتى إذا جاؤوك يجادلونك﴾ يخاصمونك في الدين ﴿يقول الذين كفروا﴾ (١٢) إن هذا إلا أساطير الأولين (١٣) ما هذا القرآن إلا ما سطره الأولون، أي: كتبوه من أحاديثهم وواحد «الأساطير»: أسطورة، مثل أحذوتة وأحاديث. وقال أبو زيد الأخفش: لا واحد لها مثل عبايد وأباييل (١٤).

(١) في (ح، و) وقوله تعالى، وفي (د) قوله.

(٢) في (ح) الحرث بن النضر، وهو: النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي الرهيني قتله علي بن أبي طالب بالصفراء صبراً يوم بدر وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ وهو ابن خالة النبي ﷺ (الأنساب ١٩٧/٦، والأعلام ٣٥٧/٨).

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١٠٧، وأسباب النزول للواحدي ١٦٠، وغرائب النيسابوري ١٢٨/٧، والرازي ١٨٥/١٢ - ١٨٦ كلاهما عن ابن عباس، وهؤلاء النفر هم: أبو سفيان والوليد بن المغيرة، وعقبة وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأمية وأبي ابنا خلف، والحرث بن عامر وأبو جهل والنضر بن الحرث..

(٤) في (د) قوله.

(٥) انظر مجاز القرآن ١٨٨/١، والمشكل ٢٤٨/١، والأخفش ٤٨٥/٢، واللسان / كتن.

(٦) في (د، و) يفقهوه، وانظر تفسير ابن عباس ص ١٠٧.

(٧) انظر الزجاج ٢٥٩/٢، والبيان ٣١٧/١.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ١٠٧، وغريب القرآن ١٥٢، ومجاز القرآن ١٨٩/١، والدر ٨/٣ عن السدي.

(٩) وبه قال الزجاج ٢٥٩/٢، واللسان / وقر.

(١٠) في (أ، د) صاحبه.

(١١) في (ح، د) قوله.

(١٤) وقال الزجاج: واحد الأساطير أسطورة، كما قالوا: أحذوتة وأحاديث.

- قوله ^(١) ﴿وهم ينهون عنه﴾ يعني: المشركين ينهون الناس عن اتباع محمد ﷺ ﴿ويتأون^(٢) عنه﴾ يتباعدون عنه فلا يؤمنون، ^(٣) وهذا قول الكلبي والحسن والسدي ^(٤). و«التأي»: البعد، نأى ينأى ^(٥) نأياً.

وقال ابن عباس وعمرو بن دينار وسعيد بن جبير: نزلت في أبي طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ ويتباعد عما جاء به ^(٦). وقوله ^(٧) ﴿وإن يهلكون﴾ أي؛ وما يهلكون بالتباعد عنه ﴿إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ أنهم يهلكونها.

- قوله ﴿ولو ترى﴾ يا محمد المشركين ﴿إذ وقفوا على النار﴾ أي: عاينوها ووقفوا عندها، فهم موقوفون على أن يدخلوها ^(٨) ﴿فقالوا يا ليتنا نرد﴾ إلى الدنيا، يتمنون الرد لكي يؤمنوا ويصدقوا وهو قوله ﴿ولا تكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾ فقد شاهدنا وعايننا ما لا تكذب معه أبداً.

ومن نصب ﴿ولا تكذب﴾ و﴿ونكون﴾ قال الزجاج: نصب على الجواب بالواو ^(٩) في التمني، كما تقول: ليتنا

= والأساطير: الأباطيل، والأساطير: أحاديث لا نظام لها، واحدها إسطار وإسطارة وأسطير وأسطيرة وأسطور وأسطورة، وقال قوم أساطير جمع أسطار وأسطار جمع سطر.

وقال أبو الحسن - الأخصي - لا واحد له. (اللسان / سطر).

وانظر الأخصش ٤٨٦/٢، والطبري ١٠٩/٧ عن الأخصش، والرازي ١٨٨/١٢، وغرائب النيسابوري ١٢٩/٧ كلاهما عن أبي زيد وفتح القدير ١٠٨/٢ ذكر الأقوال كلها.

والعبايد: الخيل المتفرقة في ذهابها ومجيئها، (اللسان / عبد). والأبايل: جماعة في تفرقة. (اللسان / أبل).

(١) في (ج، و) قوله.

(٢) في (و) وبنون.

(٣) في (ج، د) أي.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ١٠٧، والزجاج ٢٦١/٢، والطبري ١٠٩/٧، والدر ٨/٣ - ٩ كلاهما عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن كثير ١٢٧/٣ عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية ومجاهد وقتادة والضحاك.

(٥) ساقطة من (د)، وانظر غريب القرآن ١٥٢، ومجاز القرآن ١٨٩/١، واللسان / نأى.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١٠٧، والثوري ١٠٦ - ١٠٧، والزجاج ٢٦٢/٢ ورجح الرأي الأول، وابن كثير ١٢٧/٢ عن ابن عباس

وعطاء بن دينار وجماعة، والدر ٨/٣ عن ابن عباس وابن دينار والقاسم، وأسباب النزول للواحدي ١٦٠، وللسيوطي ١١٧ والمستدرک - كتاب التفسير - «صحيح على شرط الشيخين» عن ابن عباس ٣١٥/٢.

(٧) في (د) قوله.

(٨) في (د) على يدخلوها.

(٩) في (د) قالوا في التمني كما تقول ليت تصير إلينا ونكرمك.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي وعاصم - في رواية أبي بكر - (ولا تكذب) (ونكون) بالرفع فيهما، جعلوا الكلام منقطعاً عن الأول، قال الزجاج: المعنى: أنهم تمتوا الرد وضمنوا أنهم لا يكذبون، المعنى: يا ليتنا نرد ونحن لا تكذب بآيات ربنا ونكون من المذنبين، أو يا ليتنا نرد ويا ليتنا لا تكذب.

وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم - في رواية حفص - (ولا تكذب) (ونكون) بالنصب فيهما جعلاه جواب التمني، لأن الجواب بالواو ينصب كما ينصب بالفاء.

وفي رواية ابن ذكوان قرأ ابن عامر (ولا تكذب) بالرفع (ونكون) بالنصب، جعل الأول نسقاً، والثاني جواباً. المعنى: يا ليتنا نرد فنكون من المؤمنين، وحجته: قوله ﴿لو أن لي كرة فأكون من المحسنين﴾ سورة الزمر/٥٨ - (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٤٥، والسبعة ٢٥٥ والنشر ٢٥٧/٢، والتبيان ٤٨٩/١، والزجاج ٢٦٢/٢ - ٢٦٣، والمشكل ٢٤٩/١، ٢٥٠، والحجة لابن خالويه ١٣٧ - ١٣٨).

تصير إلينا ونكرمك، المعنى: ليت مصيرك يقع وإكرامنا. والمعنى^(١): ليت ردنا وقع وأن^(٢) لا نكذب ونكون من المؤمنين.

- قوله^(٣) ﴿بَلْ بَدَأْ لَهُمْ﴾^(٤) «بل» هاهنا: رد^(٥) لكلامهم، يقول الله تعالى: ليس على ما قالوا من أنهم ردوا لأنوا^(٦) بدأ لهم ﴿مَا كَانُوا يَخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ فلذلك اعتذروا وتمنوا الرد، وذلك أن المشركين كانوا يجحدون الشرك في بعض المواقف كما أخبر عنهم بقوله ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٧) فينطق الله جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر، فذلك حين بدأ لهم أي: ظهر لهم ما كانوا يخفون: يكتمون ويسترون^(٨) من الشرك. ﴿وَلَوْ رَدُّوا﴾ إلى الدنيا ﴿لَعَادُوا لِمَا نَهَوْا عَنْهُ﴾. قال ابن عباس: إلى^(٩) ما نهوا عنه من الشرك. ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم ﴿وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۚ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾

- ﴿وقالوا﴾ يعني: منكري البعث ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ ما الحياة إلا هذه الحياة التي نحن فيها ولا حياة بعدها، وهو قوله ﴿وما نحن بمبعوثين﴾.

- قوله^(١٠) ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم﴾ أي: على مسألة ربهم وتوبيخه إياهم بكفرهم وهو قوله ﴿قال أليس هذا بالحق﴾ يقول الله لهم: أليس هذا البعث حقاً؟ فيفرون حين لا ينفعهم ذلك ويقولون ﴿بلى وربنا﴾ فيقول الله تعالى ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ أي: بكفركم بالبعث.

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾

- قوله ﴿قد خسر الذين كذبوا بقاء الله﴾ إنما وصفوا بالخسران، لأنهم باعوا الإيمان بالكفر، فعظم خسرانهم في ذلك البيع. ومعنى ﴿بلىقاء الله﴾: بالبعث والثواب والعقاب والمصير إلى الله.

قوله^(١١) ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة﴾ يعني: الوقت الذي تقوم فيه القيامة. و «البغتة»: الفجأة^(١٢)، يعني:

(١) في غير (أ) والمعنى في الآية.

(٢) في (د) أن ولا نكذب أي إن رددنا لا نكذب.

(٧) سورة الأنعام / ٢٣.

(٨) في (ح، د) ويسرون.

(٣) في (ح) قوله تعالى.

(٩) في (أ) أي ما نهوا، وانظر تفسير ابن عباس ١٠٨.

(٤) في (د) ما كانوا يخفون من قبل.

(١٠) في غير (أ) قوله تعالى.

(٥) في (و) ردأ.

(١١) في (ح، د) وقوله.

(٦) بل بدأ لهم.

(١٢) انظر مجاز القرآن ١٩١/١، والزاهر ٨/٢.

إنها تأتي فجأة لا يعلمها أحد فينتظرها. و ﴿قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها﴾ التفريط: التضييع والترك^(١). أي: على تركنا وضيعنا من عمل الآخرة في الدنيا. ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾ «الأوزار»: الأثقال من الإثم^(٢) قال ابن عباس: يريد: آثامهم وخطاياهم^(٣).

قال المفسرون^(٤): إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيبه ريحاً فيقول: أنا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبني أنت اليوم، فذلك قوله ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾^(٥)، أي: ركبانا.

وإن الكافر إذا خرج من قبره استقبله أقيح شيء صورة وأخبثه ريحاً فيقول: أنا عملك السيء طالما ركبتني فل الدنيا فأنا أركبك اليوم، وذلك قوله ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾ وهذا قول قتادة والسدي.

وقوله^(٦) ﴿ألا ساء ما يزرعون﴾ يقال: وزرت الشيء آزره وزرا، إذا حملته^(٧). قال ابن عباس: بش الحمل^(٨) حملوا.

قوله^(٩) ﴿وما الحياة الدنيا﴾ يعني: الحياة في هذه الدار ﴿إلا لعب ولهو﴾ أي: باطل وغرور لأنها تنفض وتفتني، كاللعب واللهو لذة فانية عن قرب. ﴿وللدار الآخرة﴾ يعني: الجنة ﴿خير للذين يتقون﴾ الشرك ﴿أفلا يعقلون﴾ أنها كذلك فيصلوا لها.

وقرأ ابن عامر «ولدار الآخرة» بالإضافة^(١٠)، قال الفراء: يضاف الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان، كقولهم: بارحة الأولى، ويوم الخميس، وحق اليقين.

= فالجواب عن ذلك: أن العرب إذا اجتهدت في الإخبار عن عظيم تقع فيه جملة نداء فلفظه ما يتبه والمنبه غيره... (الزجج ٢٦٤/٢).

(١) انظر مجاز القرآن ١٩٠/١، والرازي ١٢/١٩٨ عن أبي عبيدة.

(٢) (أوزارهم): واحدها وزر - مكسورة الأول - ومجازها: آثامهم، والوزر والوزر: واحد، يسط الرجل ثوبه فيجعل فيه المتاع فيقال له: احمل وزرك ووزرك ووزرتك - (مجاز القرآن ١٩٠/١).

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١٠٨، والرازي ١٢/١٩٩ عن ابن عباس، وغريب القرآن ١٥٢.

(٤) انظر تفسير الطبري ٧/١١٤، والدر ٣/٩ كلاهما عن السدي وعمرو بن قيس الملائي، والرازي ١٢/١٩٩، وغريب النيسابوري ٧/١٣٤، كلاهما عن المفسرين، وابن كثير ٢/١٢٩ عن ابن أبي حاتم عن عمرو بن قيس والسدي.

(٥) سورة مريم / ٨٥. (٦) انظر مجاز القرآن ٢/٢٦٤، والأخفش ٢/٤٨٧.

(٦) في (د) قوله، وفي (و) وقوله تعالى. (٨) في (ح، د) ما حملوا. وانظر تفسير ابن عباس ص ١٠٨.

(٩) في (و) وقوله.

قرأ ابن عامر (ولدار الآخرة) بلام واحدة مع الإضافة وحجته قوله ﴿كيف كان عقاب الذين من قبلهم ودار الآخرة﴾ - سورة يوسف/ ١٠٩ - وإجماع القراء على ذلك فردوا ما اختلف فيه إلى ما اتفق عليه.

وقرأ الباقون (وللدار الآخرة) بلامين مع الرفع نعتاً للدار وحجتهم قوله ﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون﴾ - سورة الأعراف/ ١٦٨ - وقرأ نافع وابن عامر وحفص (أفلا تعقلون) بالتاء - أي قل لهم: أفلا تعقلون. وقرأ الباقون بالياء وحجتهم: أن صدر الآية خبر.

(انظر الحجة لأبي زرع ٢٤٦، والسبعة ٢٥٦، والنشر ٢/٢٥٧، والبيان ١/٤٩٠، والمشكل ١/٢٥١ والمصاحف لابن أبي داود ص ٤٥).

(١٠) في (و) مضاف.

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّئِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَيْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَيَّاتٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتُ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾

- قوله (١) ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون﴾ هذا تسلية للنبي ﷺ وتعزية عما يواجهه به قومه من التكذيب.

- قال أبو ميسرة: «مر النبي ﷺ بأبي جهل وأصحابه فقالوا: يا محمد، إنا والله لا نكذبك (٢)، وإنك عندنا صادق، ولكن نكذب ما جئت به» فنزلت هذه الآية (٣).

- وقوله (٤) ﴿فإنهم لا يكذبونك﴾ قال ابن عباس وقتادة والسدي ومقاتل (٥): هذا في المعاندين الذين عرفوا صدق محمد ﷺ وأنه غير ذلك كاذب فيما يقول، ولكنهم عاندوا وجحدوا فأنزل الله تعالى فيهم ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون﴾ في العلانية إنك كذاب مفتر ﴿فإنهم لا يكذبونك﴾ في السر يعلمون أنك صادق، وقد (٦) عرفوا صدقك فيما مضى ﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ بالقرآن بعد المعرفة.

وقال قتادة: (٧) يعلمون أنك رسول الله، ولكن يجحدون، كقوله ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا﴾ (٨) وقرأ الكسائي ﴿لا يكذبوك﴾ مخففاً (٩)، واحتج بأن العرب تقول: كذبت الرجل إذا نسبت إلى الكذب وإلى (١٠) صنعة الأباطيل من القول، وأكذبت (١١)، إذا أخبرت أن الذي تحدث به كذب ليس هو الصانع له.

(١) في (ح، و) قوله تعالى.

(٢) في (ح) ما نكذبك.

(٣) الحديث: رواه الترمذي - كتاب التفسير - من سورة الأنعام - رقم ٥٠٥٨ عن علي، ورقم ٥٠٥٩ عن ناجية بن كعب ٣٢٦/٤ - ٣٢٧، والمستدرک - كتاب التفسير «صحيح على شرط الشيخين» قال الذهبي: ما خرجنا لناجية شيئاً ٣١٥/٢ وأسباب النزول للواحدي ١٦١، والسيوطي ١١٧، وابن كثير ١٢٩/٢، والدر ٩/٣ عن علي.

(٤) في (د، و) قوله.

(٥) ساقطة من (د) وفي (ح) قد.

(٦) انظر تفسير الطبري ١١٥/٧ - ١١٦ عن السدي وخرائب النيسابوري ١٣٦/٧ عن السدي ومقاتل، وابن كثير ١٢٩/٢ عن أبي صالح وقتادة والزهري، والدر ١٠/٣ عن قتادة والحسن وأبي صالح.

(٧) انظر تفسير ابن كثير ١٢٩/٢ عن قتادة وأبي صالح، والدر ١٠/٣، وفتح القدير ١١٣/٢ كلاهما عن قتادة.

(٨) سورة النمل / ١٤.

(٩) في (د) مخفف.

(١٠) في (ح، و) صيغة.

(١١) في (د) وأكذبت أنا.

قرأ نافع والكسائي (لا يكذبونك) بإسكان الكاف وتخفيف الذال، وقرأ الباقون (لا يكذبونك) بفتح الكاف وتشديد الذال، قال ابن

عباس: لا يسمونك كذاباً ولكن ينكرون آيات الله بالسنتهم، وقلوبهم موقنة بأنهم من عند الله.

وحجتهم قوله ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا﴾ سورة الأنعام/ ٣٤ - قال الزجاج: وتفسير (لا يكذبونك) أي: لا =

وقال الفراء: معنى التخفيف، لا يجعلونك كذاباً، ولكن يقولون: إن ما جئت به باطل. (١)

ويجوز أن يكون معنى القراءتين سواء، يقال كذبت وأكذبت، إذا نسبت إلى الكذب. ثم أخبر الله تعالى أن الرسل قبله قد كذبتهم الأمم فقال:

- ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك﴾ قال ابن عباس: من لدن نوح إليك ﴿فصبروا على ما كذبوا﴾ رجاء ثوابي ﴿وأوذوا﴾ حتى نشروا بالمناشير وحرقوا بالنار ﴿حتى أتاهم نصرنا﴾ بتعذيب من كذبهم ﴿ولا مبدل لكلمات الله﴾ لا ناقض لما (٢) حكم به، وقد حكم في كتابه بنصر أنبيائه كقوله ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ (٣) وكقوله (٤) ﴿ولقد سبقت كلمتنا﴾. الآيات (٥). ﴿ولقد جاءك من نبي المرسلين﴾ أي خبرهم في القرآن، وكيف أنجيناهم ودمرنا قومهم.

- قوله ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم﴾ أي: عظم عليك وشق أن تعرضوا عن الإيمان بك (٦) وبالقرآن.

وكان رسول الله ﷺ يحرص على إيمان قومه أشد الحرص، وكانوا إذا سأله آية أراد أن يريهم الله ذلك طمعاً في إيمانهم، فقال الله عز وجل ﴿فإن استطعت أن تبغي نفقاً في الأرض﴾ وهو السرب له مخلص إلى مكان آخر (٧) ﴿أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية﴾ يقول الله تعالى: إن استطعت أن تغوص في الأرض، أو ترقى في السماء فتأتي قومك بآية فافعل (٨).

قال الزجاج (٩): أعلم الله أنه بشر لا يقدر على الإتيان بالآيات، وفي تعجيزه عن الإتيان بما سألوا أمره بالصبر إلى أن يدخل وقت العقاب.

قوله (١٠) ﴿فلو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾. أخبر الله تعالى أنهم إنما تركوا الإيمان بمشيئة الله (١١)، ونافذ قضائه (١٢) فيهم، ولو شاء الله لاجتمعوا على الإيمان، كما قال ﴿فلو شاء لآمن من في الأرض كلهم جميعاً﴾ (١٣).

قوله (١٤) ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ فإنه يؤمن بك بعضهم دون بعض، وإنهم لا يجتمعون على الهدى ثم ذكر من يؤمن فقال:

= يقدر أن يقولوا لك فيما أنبأت به مما في كتبهم كذبت. ووجه آخر: إنهم لا يكذبونك بقلوبهم، أي: يعلمون أنك صادق بدليل قوله

﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٤٧ - ٢٤٩، والسبعة ٢٥٧، والنشر ٢٥٧/٢ - ٢٥٨، والبيان

٤٩١/١، والزجاج ٢٦٦/٢. وغريب القرآن ١٥٣، والمشكل ٢٥١/١، والفراء ٣٣١/١، والحجة لابن خالويه ١٣٨).

(١) انظر الفراء ٣٣١/١، والحجة لأبي زرعة ٢٤٧ نقلاً عن الفراء.

(٢) سورة المجادلة ٢١/٢.

(٣) ساقطة من (د) وفي (ح، و) وقوله.

(٤) سورة الصافات ١٧١ - ١٧٣ وهي ﴿لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾.

(٥) في (د) به والقرآن.

(٦) ذكره ابن منظور في اللسان / نفق، وانظر غريب القرآن ١٥٣، والزاهر ٢٣٠/١ - والطبري ١١٧/٧، وابن كثير ١٣٠/٢ عن ابن عباس، والدرر ١٠/٣ عن ابن عباس وقتادة.

(٧) انظر الأخفش ٤٨٨/٢، والبيان ٣٢٠/١، والطبري ١١٧/٧ عن ابن عباس.

(٨) انظر الزجاج ٢٦٧/٢.

(٩) في (أ) قضائهم.

(١٠) سورة يونس / ٩٩.

(١١) من (أ، د).

(١٢) في (د) وقوله.

(١٣) في (و) بمشيئته.

- ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾ قال مجاهد وقتادة: ^(١) يعني المؤمنون الذين يسمعون الذكر فينتفعون به، وقال الزجاج ^(٢): يعني الذين يسمعون سماع قابلين. ﴿والموتى يعثهم الله﴾ يعني: الكفار، يقول الله سبحانه وتعالى: إنما يستجيب للحق المؤمنون، فأما الموتى وهم الكفار فإن الله يعثهم في الآخرة ﴿ثم إليه يرجعون﴾ يرجعون فيجزئهم بأعمالهم.

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ^(٣٧) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُرَّاهُ إِلَيْكُمْ وَمَا مِنْ يُحْشِرُونَ ^(٣٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّوا وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ^(٣٩)

- ﴿وقالوا﴾ يعني: رؤساء قريش ﴿لولا﴾ هلا ﴿أنزل عليه آية من ربه﴾ يعنون نزول ملك ^(٣) يشهد بالنبوة ﴿قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ما عليهم في الآية من البلاء في إنزالها.

- قوله ^(٤) ﴿وما من دابة في الأرض﴾ قال ابن عباس: يريد: كل ما دب ^(٥) على الأرض وجميع البهائم.

وقال الزجاج: ^(٦) جميع ما خلق الله في الأرض من حيوان لا يخلو إما أن يدب وإما أن يطير، وهو قوله ﴿ولا طائر يطير بجناحيه﴾ وذكر «الجناح» تأكيد، كقولك ^(٧) نعجة أنثى، وكلمته بقمي، ومشيت برجلي.

وقوله ^(٨) ﴿إلا أمم أمثالكم﴾ قال مجاهد ^(٩): أصناف مصنفة تعرف بأسمائها. يريد: أن كل جنس من الحيوان أمة تعرف باسمها، كالطير والظباء ^(١٠) والذئاب والأسود مثل بني آدم يعرفون بالإنس والناس.

وقال الزجاج ^(١١): يعني أمثالكم في أنهم يعثون، لأنه قال ﴿والموتى يعثهم الله﴾ ثم أعلم أنه ما من دابة ولا طائر إلا أمثالكم ^(١٢) في الخلق والموت والبعث ^(١٣).

(١) انظر تفسير الطبري ١١٨/٧، والدر ١٠/٣ كلاهما عن مجاهد وقتادة.

(٢) انظر الزجاج ٢٦٨/٢.

(٣) في غير (أ) الملك.

(٤) في (ح، و) قوله تعالى.

(٥) في (د) كلما.

وانظر تفسير الخازن ١٣٥/١ عن ابن عباس، والطبري ٢٧٥/٣، ١١٩/٧، والبحر ٤٥٥/١، ١١٩/٤، وانظر تفسير الآية ١٦٤ من سورة البقرة.

(٦) انظر الزجاج ٢٦٩/٢.

(٩) انظر تفسير الطبري ١١٩/٧، وابن كثير ١٣١/٢، والدر ١٠/٣ كلها عن مجاهد.

(٧) في (ح، د) كقوله.

(١٠) في (ح) الظبي.

(٨) في (د) قوله.

(١١) انظر الزجاج ٢٦٩/٢، والبحر ١٢٠/٤ عن الزجاج.

(١٢) في (د) قال مجاهد: أصناف مصنفة.

(١٣) في (و) في الخلق والبعث والموتى.

يدل على صحة هذا التأويل ما: أخبرنا أبو القاسم بن عبدان^(١)، حدثنا محمد بن عبدالله بن محمد الضبي، أخبرني أبو عبدالله محمد بن عبدالله الصنعاني^(٢)، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد^(٣)، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن جعفر الجزري^(٤) عن يزيد بن الأصم^(٥)، عن أبي هريرة في قوله عز وجل ﴿أَمْ أَمْثَلُكُمْ﴾ قال: يحشر الخلق كلهم يوم القيامة، البهائم والدواب والطيور وكل شيء، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ^(٦) للجماة من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً، فذلك حين يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً^(٧).

وقال القتيبي^(٨): يريد أنهما مثلنا في طلب الغذاء وابتغاء الرزق وتوقي المهالك.

وقوله^(٩) ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء^(١٠): ما تركنا من شيء إلا وقد بيناه لكم وهذا من العام الذي أريد به الخاص، لأن المعنى: ما فرطنا في الكتاب من شيء بالعباد إليه حاجة إلا وقد بيناه، إما نصاً، وإما دلالة، وإما مجملاً، وإما مفصلاً، كقوله ﴿وَنَزَّلْنَا^(١١) عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: لكل شيء يحتاج إليه في أمر الدين. وقال في رواية الوالي^(١٢): ما تركنا شيئاً إلا وقد كتبناه في أم الكتاب. وعلى هذا القول المراد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾: اللوح المحفوظ المشتمل على ما كان ويكون، كما روي في الخبر^(١٣): «جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة».

(١) أبو القاسم عبد الحميد بن عبد الرحمن بن أحمد العبداني من أهل ريكنز عبدان كان إماماً فاضلاً يروي عن أبي بكر بن أبي الهيثم الترابي وأبي محمد مكي بن عبد الرزاق - الكشيبي وخاله القاضي أبو الحسن علي بن الحسن الدهقاني: (الأنساب ٣٤٨/٨).

(٢) في جميع النسخ: محمد بن علي، وهو:

محمد بن عبد الله الصنعاني أبو عبد الله آخر من روى في الدنيا عن إسحاق بن إبراهيم رحل المحدثون إليه في سنة ٣٦٧ هـ، وتوفي سنة ٣٧٠ هـ (شذرات ٧٥/٣).

(٣) الشيخ العالم المسند الصدوق أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عباد الصنعاني الدبري راوية عبد الرزاق سمع تصانيفه منه سنة ٢١٠ هـ، وسماعه صحيح ولد سنة ١٩٥ هـ. قال الحاكم سألت الدارقطني عنه. فقال: صدوق ما رأيت فيه خلافاً توفي سنة ٢٨٥ هـ. (سير الأعلام ٤١٦/٣ - ٤١٧).

(٤) جعفر بن برهان مفتي الجزيرة ومحدثها الإمام أبو عبد الله الكلابي مولاهم الرقي حدث عن يزيد بن الأصم وميمون بن مهران وعطاء بن أبي رباح وابن شهاب وعنه السفينان ومعمر وزهير بن معاوية وآخرون، عن الثوري قال: ما رأيت أفضل منه، وقال أحمد: لم يسمع من الزهري وهو لين فيه خاصة، وقال النسائي وغيره: ليس به بأس توفي سنة ١٥٤ هـ (تذكرة الحفاظ ١/١٧١ - ١٧٢).

(٥) يزيد بن الأصم - والأصم اسمه عبد عمرو - بن عدس بن معاوية يكنى أبا عوف وأمه برزة بنت الحارث أخت ميمونة الهلالية زوج النبي ﷺ سمع أبا هريرة وغيره توفي سنة ١٠٣ هـ (كتاب الجمع ٥٧٩/٢).

(٦) في (و) أنه يأخذ.

(٧) انظر الدر ١١/٣، وابن كثير ١٣١/٢، وفتح القدير ١١٥/٢، والطبري ١٢٠/٧، والمستدرک - كتاب التفسير - «صحيح الإسناد» ٣١٦/٢ كلهم عن أبي هريرة.

(٨) في (ح)، و ابن قتيبة، وانظر تفسير الطبري ١٣٢/٢ عن ابن قتيبة، وغرائب النيسابوري ١٤١/٧ عن المفسرين، والبحر ١٢٠/٤ عن ابن عطية.

(٩) في (د) قوله تعالى.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ١٠٩، وغريب القرآن ١٥٣.

(١١) في (د) وأنزلنا، سورة النحل ٨٩/.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ١٠٩، والطبري ١١٩/٧، والدر ١١/٣ كلاهما عن ابن عباس.

(١٣) في غير (أ) كما روي في الحديث.

وقوله^(١) ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ أي: مع الخلق إلى الموقف للحساب^(٢) والجزاء كما روينا عن أبي هريرة. وقد قال الله تعالى ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾^(٣).

- قوله^(٤) ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ يعني: بما جاء^(٥) به محمد ﷺ ﴿صُمُّ﴾ عن القرآن لا يسمعونهُ ﴿وَبِكُمْ﴾ عن القرآن لا ينطقون به ﴿في الظلمات﴾ يعني: ظلمات الشرك والكفر. ثم أخبر أنهم صاروا كذلك بمشيئة الله تعالى فقال ﴿من يشأ الله يضلله..﴾^(٦) الآية.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ غَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٢﴾

- وقوله^(٧) ﴿قل أرايتكم﴾ قال الفراء: العرب^(٨) تقول: أرايتك وهم يريدون: أخبرني، كما تقول: أرايتك إن فعلت كذا ماذا تفعل؟ أي أخبرني، وترك التاء إذا أردت هذا المعنى موحدة^(٩) على كل حال، تقول: أرايتك^(١٠)، وأرايتكما، وأرايتكن^(١١).

وحذف الكسائي همزة الرؤية فقرأ «أرايتكم»^(١٢) بالتخفيف كما قالوا: ويلمه^(١٣) وقرأ نافع بتلحين الهمزة ولم يحذفها^(١٤).

= رواه الطبراني في الكبير - ضمن حديث ابن عباس . . . فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة» ٣٠٣/١٠ والترمذي - كتاب التفسير - سورة ن - رقم ٣٣٧٥ «حسن صحيح غريب» ٩٦/٥، ومجمع الزوائد - كتاب القدر - باب جف القلم بما هو كائن «رواه الطبراني ورجاله ثقات» ١٨٩/٧ - ١٩٠، وفي باب سبب الهداية - عن ابن عمرو «رواه أحمد بإسنادين والبزار والطبراني ورجال أحد إسنادي أحمد ثقات» ١٩٣/٧ - ١٩٤.

(١) في (د) وقوله تعالى - وفي (و) قوله.

(٢) في (و) للجزاء والحساب.

(٣) سورة التكاوير / ٥.

(٤) في (د) (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم).

أخرج أبو الشيخ عن أبي يوسف المدني قال: كل مشيئة في القرآن إلى ابن آدم منسوخة نسختها ﴿من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ (الدر ١١/٣).

(٧) في (ح، د) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٨) في (د) يقول العرب، وفي (ح) أرايتك كذا.

(١١) في (أ، د) أرايتكن، وانظر الفراء ٣٣٣/١، والرازي ٢٢٢/١٢، واللسان / رأى كلاهما عن الفراء، والزجاج ٢٧٠/٢، والأخفش ٤٨٩/٢.

(١٢) في (ح، د) أرايتكم.

(١٣) «ورجل وَيَلْمُهُ وَيُلْمُهُ كقولهم في المستجد ويلمه، يريدون: ويل أمه، كما يقولون لأب لك، يريدون: لا أب لك، فركبوه وجعلوه كالشيء الواحد» (اللسان / ويل).

(١٤) قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر، وبنو عمرو (أرايتكم، أرايتم، أرايت) في كل القرآن بالهمز وحجتهم: أنهم لم يختلفوا فيما كان من غير استفهام، فكذلك إذا دخل حرف الاستفهام فالحرف على أصله.

وقرأ نافع (أرايتكم، أرايتم) بالألف من غير همز، وحجته: أنه كره اجتماع همزتين، وقرأ الكسائي (أرايتكم) بغير همز، وحجته: إجماع العرب على ترك الهمز في المستقبل في قولهم ترى ونرى فبني الماضي على المستقبل مع زيادة الهمزة في أولها، فإذا لم تكن في أولها همزة الاستفهام لم يترك الهمزة مثل رأيت.

قال ابن عباس: (١) ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿أرأيتم إن أتاكم عذاب الله﴾ يريد: الموت ﴿أو أتتكم الساعة﴾ القيامة ﴿أغير الله تدعون﴾ يريد: إلى من تتضرعون؟ إلى هذه الأصنام.

يريد: إنكم عند العذاب وعند الموت والشدائد تخلصون وتوحدون، وأنتم اليوم لا تصدقوني، احتج الله عليهم بما لا يدفعون، لأنهم كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله ولم يلجأوا في كشفه إلا إليه، لأنه لا يملك كشف البلاء إلا هو. وقوله (٢) ﴿إن كنتم صادقين﴾ جواب قوله ﴿أرأيتم﴾ لأنه بمعنى أخبروني، كأنه قيل لهم: إن كنتم صادقين أخبروني من تدعون عند نزول البلاء بكم؟

- ﴿بل﴾ (٣) إياه تدعون ﴿نفى دعاءهم غير الله في الشدائد، وأثبت دعاءهم إياه﴾ فيكشف ما تدعون إليه ﴿أي: فيكشف الضر الذي من أجله دعوتهم﴾ (٤) ﴿إن شاء وتسنون ما تشركون﴾ تتركونهم فلا تدعونهم لأنه ليس عندهم نفع ولا ضرر.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾

- قوله (٥) ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم﴾ في الآية محذوف تقديره: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك رسلاً فخالفوهم ﴿بالبأساء﴾ يعني: الشدة والفقير ﴿والضراء﴾ (٦) وهي الأمراض والأوجاع ﴿لعلهم يتضرعون﴾ لكي يتضرعوا (٧)، ومعنى «التضرع»: التذلل والانقياد للطاعة.

- ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿إذ جاءهم بأسنا﴾ عذابنا ﴿تضرعوا﴾ (٨) . قال الزجاج: أعلم الله نبيه أنه قد أرسل قبله (٩) إلى قوم بلغوا من القسوة إلى أن أخذوا بالشدة في أنفسهم وأموالهم فلم يخضعوا ولم يتضرعوا، وهو قوله ﴿ولكن قست قلوبهم﴾ فأقاموا على كفرهم ﴿وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ قال ابن عباس (١٠): زين لهم الشيطان (١١) الضلالة التي هم عليها، فأصروا على معاصي الله.

= (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٥٠، والسبعة ٢٥٧، والنشر ٣٩٧/١ - ٣٩٨، والتبيان ٤٩٤/١ - ٤٩٥، والزجاج ٢٧٠/٢، والحجة لابن خالويه ١٣٩).

(١) انظر تفسير ابن عباس ١٠٩ بنحوه.

(٢) في (د) قوله.

(٣) في (د) بلى.

(٤) في (د) دعوتهم.

(٥) في (ح، و) قوله تعالى.

وانظر الزجاج ٢٧١/٢ - ٢٧٢.

(١٠) انظر تفسير الخازن ٣٣/٢ عن ابن عباس، والطبري ١٢٣/٧، وفتح القدير ١١٦/٢.

(١١) من (أ).

- قوله ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ قال ابن عباس^(١): تركوا ما وعظوا به، وقال مقاتل^(٢): تركوا ما دعاهم إليه الرسل. ﴿فتحننا عليهم أبواب كل شيء﴾.

قال ابن عباس ومقاتل والسدي^(٣): رخاء الدنيا ويسرها وسرورها. وقال الزجاج^(٤): أبواب كل شيء كان مغلقاً عنهم من الخير.

وقوله^(٥) ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا﴾ حتى ظنوا أن ذلك باستحقاقهم ففرحوا بذلك الرخاء والنعمة. ﴿أخذناهم بفتنة﴾ فاجأهم عذابنا من حيث لا يشعرون. قال الحسن: من وسع عليه فلم^(٦) ير أنه يمكر به فلا رأي له، ومن قتر^(٧) عليه فلم ير أنه ينظر إليه فلا رأي له، ثم قرأ هذه الآية وقال: مكر بالقوم ورب الكعبة، أعطوا حاجاتهم ثم أخذوا.

أخبرنا أبو صادق محمد بن أحمد بن شاذف، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا عبدالله بن صالح، حدثني حرملة بن عمران^(٨) عن عقبة بن مسلم، عن عقبة بن عامر، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطي للعبد ما يحب^(٩) وهو مقيم على معصية فإنما ذلك منه استدراج، ثم تلا ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحننا عليهم أبواب كل شيء﴾. إلى آخر الآيتين^(١٠).

وقوله^(١١) ﴿فإذا هم مبلسون﴾ «الإبلاس»: البأس من النجاة عند ورود^(١٢) الهلكة قال ابن عباس^(١٣): آيسون من كل خير، وقال الزجاج^(١٤): «المبلس»: الشديد الحسرة البائس الحزين.

- قوله ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ «دابر القوم»: آخرهم الذي يدبرهم، ودابر الرجل: عقبه، ويقال:

(١) انظر تفسير ابن عباس ١٠٩، والطبري ١٢٣/٧، والدر ١١/٣، وفتح القدير ١١٦/٢ - ١١٧ كلها عن ابن عباس.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٢٣/٧، والدر ١١/٣، وفتح القدير ١١٧/٢ كلها عن ابن جريج.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١٠٩، والطبري ١٢٣/٧ عن مجاهد وقتادة وابن جريج والسدي والفراء ٢٣٥/١، وابن كثير ١٣٢/٢ عن الزهري، والدر ١١/٣، وفتح القدير ١١٧/٢ كلاهما عن مجاهد وقتادة.

(٤) انظر الزجاج ٢٧٢/٢.

(٥) في (د) قوله.

(٦) في (د) برا.

(٧) في (د) قرا.

انظر تفسير الرازي ٢٢٦/١٢، وابن كثير ١٣٢/٢، والدر ١٢/٣ كلها عن الحسن.

(٨) حرملة بن عمران بن قراد التجيبي أبو حفص المصري جد حرملة صاحب الشافعي سمع - عبد الرحمن بن شماسه وعنه ابن وهب وجري بن حازم وثقه أحمد ويحيى توفي سنة ١٦٠ هـ (حسن المحاضرة ٢٧٢/١، كتاب الجمع ١١٢/١، والكاشف ٢١٣/١).

(٩) في (و) ما أحب.

(١٠) الحديث: رواه أحمد في مسنده ١٤٥/٤، والطبراني في الكبير ٣٣٠/١٧ - ٣٣١، والطبري ١٢٤/٧ ومجمع الزوائد - كتاب التفسير - من سورة الأنعام - «رواه أحمد والطبراني». ٢٠/٧، وفي كتاب الزهد «رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه الوليد بن العباس المصري وهو ضعيف» ٢٤٥/١٠، والجامع الصغير ٢٦/١ «أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب» ورمز له بالحسن.

(١١) في (د، و) قوله.

(١٢) انظر غريب القرآن ١٥٤، ومجاز القرآن ١٩٢/١، والفراء ٣٣٥/١.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ١٠٩.

(١٤) في (د) وقال: المبلسي، انظر الزجاج ٢٧٣/٢، والرازي ٢٢٦/١٢، وغريب النيسابوري ١٤٦/٧ كلاهما عن الزجاج، والزاهر ١٨٣/١.

دبر فلان القوم يدبرهم دبراً ودبوراً ، إذا كان آخرهم . قال الكلبي ﴿دابِر القوم﴾ : دابِرهَم الذي يختلف في آخر القوم^(١) . والمعنى : أنهم استوصلوا بالعذاب فلم تبق منهم باقية .

قوله^(٢) ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ قال الزجاج^(٣) : حمد الله نفسه على أن قطع دابِرهَم ، لأن ذلك نعمة على الرسل^(٤) الذين كذبوهم ، فذكر الحمد ها هنا تعليم لهم ولمن آمن بهم أن يحمداوا الله على كفايته شر الذين ظلموا ، وليحمد محمد وأصحابه ربهم إذا أهلك المشركين المكذبين .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرَ كَيْفَ نَصَرَ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ^(٥) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ^(٦)

- قوله^(٥) ﴿قل أريتكم﴾ أيها المشركون ﴿إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم﴾ أي : أذهبها أصلاً حتى لا تبصروا ولا تسمعوا ﴿وختم على قلوبكم﴾ حتى لا تعرفوا شيئاً مما تعرفون من أمور الدنيا ﴿من إله غير الله يأتيكم به﴾ أي : بما أخذ منكم ، يعني : هل يقدر أحد على رد هذه الأعضاء عليكم غير الله ؟ وهذا كقوله ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾^(٦) .

وقوله^(٧) ﴿انظر كيف نصرف الآيات﴾ نبين لهم في القرآن العلامات التي تدل على توحيد الله ونبوة نبيه ﷺ ﴿ثم هم يصدفون﴾ قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة : ثم هم يعرضون^(٨) . و «الصدف» : الميل عن الشيء ، يقال : صدف ، إذا عدل ومال^(٩) .

- ﴿قل أريتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة﴾ قال ابن عباس والحسن : ليلاً أو نهاراً^(١٠) . ﴿هل يهلك إلا القوم الظالمون﴾ قال الزجاج^(١١) : هل يهلك إلا أنتم ومن أشبهكم ، لأنكم كفرتم وعاندتم ، فقد علمتم أنكم ظالمون .

(١) انظر غريب القرآن ١٥٤ ، ومجاز القرآن ١٩٢/١ ، والزاهر ٥٧٣/١ ، والبحر ١٣١/٤ ، والطبري ١٢٤/٧ عن ابن زيد ، والرازي ٢٢٦/١٢ ، واللسان / دبر .

(٢) في (ج ، و) وقوله .

(٣) انظر الزجاج ٢٧٣/٢ ، والخازن ١٣٤/٢ عن الزجاج .

(٤) في (د) الرسول .

(٦) سورة البقرة / ٢٠ .

(٧) في (د) وقوله .

(٥) ليست في (و) .

(٨) انظر تفسير ابن عباس ١٠٩ ، والزجاج ٢٧٣/٢ ، وغريب القرآن ١٥٤ ، والطبري ١٢٥/٧ ، وابن كثير ١٣٣/٢ كلاهما عن مجاهد وقتادة ، والدر ١٢/٣ عن ابن عباس ، وفتح القدير ١١٨/٢ عن مجاهد .

(٩) انظر اللسان / صدف ، والمصباح / صدف ، ومفردات الراغب / صدف .

(١٠) انظر تفسير البغوي ١٣٤/٢ عن ابن عباس والحسن ، والرازي ٢٢٨/١٢ ، وغرائب النيسابوري ١٤٧/٧ ، والبحر ١٣٢/٤ كلها عن الحسن ، وقال ابن عباس في تفسيره ص ١٠٩ (بغتة) فجأة (أو جهرة) معاينة ، وكذا في مجاز القرآن ١٩٣/١ ، وانظر الطبري ١٢٦/٧

عن مجاهد وفتح القدير ١١٧/٢ .

(١١) انظر الزجاج ٢٧٤/٢ ، وفتح القدير ١١٧/٢ عن الزجاج .

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

- وقوله (١) ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين﴾ بالثواب لمن آمن ﴿ومنذرين﴾ بالنار لمن كفر، أي: إنما قصدهم التبشير والإنذار، لا أن يأتوا بما يُقترح عليهم من الآيات. ثم ذكر ثواب من صدق فقال ﴿فمن ءامن وأصلح﴾ العمل ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ وذكر عقاب المكذبين فقال:

- ﴿والذين كذبوا بآياتنا..﴾ الآية

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن آتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

- وقوله (٢) ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ «الخزائن» جمع الخزانة، وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء.

قال الزجاج: أعلمهم النبي ﷺ أنه لا يملك خزائن الله التي (٣) منها يرزق ويعطي ولا الغيب فيخبرهم بما غاب عنه مما مضى وما سيكون، وليس بملك يشاهد من أمور الله ما لا يشاهده البشر، وهو قوله ﴿ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ أي: ما أنبأكم من غيب (٤) فيما مضى وفيما سيكون فهو بوحى من الله. ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾. قال قتادة (٥): الكافر والمؤمن، وقال سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك (٦): الضال والمهتدي ﴿أفلا تفكرون﴾ أي: لا يستويان (٧).

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وِلْيٌ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَىٰ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرَدْتَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ

(١) في (ح، د) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٢) في غير (أ) قوله.

(٣) في (و) الذي منها يرزق ولا يعلم، وانظر الزجاج ٢٧٤/٢.

(٤) في (د) الغيب.

(٥) في (و) قوله تعالى وأنذر به الذين.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١١٠، والطبري ١٢٧/٧، والدر ١٢/٣، وفتح القدير ١٢٠/٢ كلها عن قتادة.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٢٧/٧، والدر ١٢/٣ كلاهما عن مجاهد، وفتح القدير ١١٩/٢.

وَأَصْلَحَ فَاتَّهُمْ غُفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾

- قوله (١) ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ قال ابن عباس (٢): خوف بالقرآن ﴿الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم﴾ يريد: المؤمنين يخافون يوم القيامة وما فيها من الأهوال علماً بأنه سيكون ﴿ليس لهم من دونه﴾ أي: غير الله ﴿وَيُؤْتِي وَلَا يَشْفَعُ﴾ لأن شفاعة الرسل والملائكة للمؤمنين إنما تكون بإذن الله تعالى ﴿لعلهم يتقون﴾ كي يخافوا فينتهوا عما نهيتهم.

- قوله ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ...﴾ (٣) الآية.

أخبرنا (٤) سعيد بن محمد المقرئ، [أخبرنا أبو الحسين (أحمد) محمد بن أحمد بن جعفر، أخبرنا أبو عمرو أحمد بن محمد (الحيري) (٥) حدثنا أحمد بن يوسف، حدثنا أحمد بن المفضل، حدثنا أسباط عن السدي، عن أبي سعيد الأزدي (٦)، عن أبي الكنود (٧)، عن خباب بن الأرت (٨) قال:

جاء الأقرع بن حابس التميمي (٩) وعيينة بن حصن الفزاري (١٠) فوجدوا (١١) النبي ﷺ قاعداً مع بلال (١٢) وعمار وصهيب وخباب في ناس من فقراء المؤمنين، فلما رأوهم حولهم (١٣) حقروهم فأتوه فخلوا به فقالوا: إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب (١٤) فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب قعوداً مع هؤلاء الأعداء، فإذا نحن

(١) في (و) قوله تعالى وأنذر به الذين.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ١١٠، والزجاج ٢/٢٧٥، وغرائب النيسابوري ١٥١/٧ عن ابن عباس والزجاج.

(٣) في (أ) بالغداة والعشي.

(٤) في (د) أخبرني.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (د).

(٦) أبو سعد الأرحبي الكوفي قارئ الأزدي ويقال أبو سعيد روى عن زيد بن أرقم وأبي الكنود وعنه إسماعيل بن عبد الرحمن السدي وغيره ذكره ابن حبان في الثقات (تهذيب التهذيب ١٢/١٠٦).

(٧) أبو الكنود الأزدي الكوفي قيل اسمه عبد الله بن عامر وقيل عبد الله بن عمران وقيل غير ذلك روى عن علي وخباب وابن مسعود وابن عمر وعنه أبو سعد الأزدي ذكره ابن حبان في الثقات روى له ابن ماجه حديثه عن خباب في سبب نزول قوله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾ (تهذيب التهذيب ١٢/٢١٣).

(٨) خباب بن الأرت يكنى أبا يحيى وقيل أبو عبد الله مولى عتبة بن غزوان وقيل مولى ثابت بن الأرت ابن أم أنمار الخزاعية شهد بدرًا مع النبي ﷺ توفي سنة ٣٧ هـ (كتاب الجمع ١/١٢٤).

(٩) الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان المجاشعي الدارمي التميمي صحابي من سادات العرب في الجاهلية أسلم مع وفد تميم وشهد حنيناً وفتح مكة والطائف وكان من المؤلفين قلوبهم توفي سنة ٣١ هـ (الأعلام ١/٣٤٣).

(١٠) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جويه بن لودان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بين ذبيان الفزاري أبو مالك أسلم قبل الفتح وقيل بعده - وشهد حنيناً والطائف وكان من المؤلفين قلوبهم ومن الأعراب الجفاة ارتد سنة ١١ هـ فأسره خالد بن الوليد وحمله إلى أبي بكر فاعلن إسلامه فاطلقه (أسد الغابة ٤/٣٣١).

(١١) في غير (د) فوجدوا.

(١٢) بلال بن رباح التيمي مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وهو مؤذن النبي ﷺ يكنى أبا عبد الله ويقال أبو عبد الكريم ويقال أبو عمر سمع النبي ﷺ توفي سنة ٢٠ هـ وهو ابن بضع وستين سنة (كتاب الجمع ١/٦٠).

(١٣) في (د) فلما رأوهم حقروهم.

(١٤) ساقطة من (د).

جتناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فأقمهم معهم إن شئت، قال: نعم، فأنزل الله تعالى هذه الآية وما بعدها.

ومعنى قوله ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾: يعبدون الله تعالى بالصلوات المكتوبة في قول عامة المفسرين^(١). وقال قتادة: يعني: صلاة الصبح وصلاة العصر^(٢).

وقوله^(٣) ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ قال ابن عباس: يطلبون ثواب الله، ويعملون ابتغاء مرضاة الله^(٤). والمعنى: يريدون الله بطاعتهم، ويذكر لفظ «الوجه» للتعظيم، كما تقول: هذا وجه الرأي. قال الزجاج: أي لا يقصدون بعبادتهم إلا إياه^(٥).

أخبرنا أبو عبد الرحمن بن أبي حامد العدل^(٦)، حدثنا أبو علي بن أحمد الفقيه أخبرنا^(٧) أبو يعلى محمد بن زهير الأيلي^(٨)، حدثنا عمر بن يحيى بن نافع^(٩)، حدثنا الحرث بن غسان^(١٠)، حدثنا أبو عمران الجوني، عن أنس بن مالك:

عن النبي ﷺ قال: «تعرض أعمال بني آدم في صحف مختمة، فيقول الله تعالى إقبلوا هذا ودعوا هذا، فتقول الملائكة: ما علمنا إلا خيراً، فيقول الله: هذا ما أريد به وجهي [وهذا ما لم يرد به وجهي]^(١١) ولا أقبل إلا ما أريد به وجهي^(١٢)».

= الحديث: رواه ابن ماجة - كتاب الزهد - باب مجالسة الفقراء - رقم ٤١٢٧ ١٣٨٢/٢ - ١٣٨٣ ومجمع الزوائد - كتاب التفسير - من سورة الأنعام - رواه أحمد والطبراني ورجال الصحيح غير كردوس وهو ثقة ٢٠/٧ - ٢١.

والطبراني في الكبير ٧٦/٤ - ٧٧، والحلية لأبي نعيم ١٤٦/١ - ١٤٧، ٣٤٤/١ - ٣٤٥ والدلائل للبيهقي ٣٥٢/١ - ٣٥٣، وأسباب النزول للسيوطي ١١٨ - ١١٩، وابن كثير ١٣٤/٢ - ١٣٥ قال ابن كثير: «وهذا حديث غريب فإن هذه الآية مكية والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر». وأي غرابة في هذا فقد وقع ذلك قبل إسلامهما، أكان يقع ذلك منهما بعد إسلامهما أم ظن ابن كثير أن الحادثة وقعت عليهما لا منهما؟

(١) انظر تفسير ابن عباس ١١٠، والدر ١٤/٣، وفتح القدير ١٢١/٢ كلاهما عن ابن عباس، والطبري ١٢٩/٧ - ١٣٠ عن ابن عباس ومجاهد وقاتة وإبراهيم والحسن، وابن كثير ١٣٤/٢ عن مجاهد وقاتة وابن المسيب والحسن.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٢٩/٧، والدر ١٤/٣، وفتح القدير ١٢١/٢ كلها عن مجاهد.

(٣) من (ح، و) وفي (د) قوله.

(٤) انظر تفسير البيهقي ١٣٦/٢ - ١٣٧، والبحر ١٣٦/٤ كلاهما عن ابن عباس.

(٥) انظر الزجاج ٢٧٦/٢ بنحوه.

(٦) في (د، و) أخبرنا عبد الرحمن.

(٧) في (د) حدثنا.

(٨) محمد بن زهير الأيلي حدث عنه زاهر بن أحمد السرخسي وغيره، قال الدارقطني: أخطأ في أحاديث ما به بأس، وقال ابن غلام الزهري: اختلط قبل موته بسنين توفي سنة ٣١٨ هـ (الميزان ٥٥١/٣).

(٩) لم أقف عليه، ولعله محمد بن عمرو بن نافع.

(١٠) الحرث بن غسان البصري حدث عن أبي عمران الجوني عن أنس مرفوعاً «يجاء يوم القيامة بصحف مختمة... الحديث» وله عن ابن جريج قال العقيلي: حدثنا بضاكير (الميزان ٤٤١/١)، والمغني في الضعفاء (١٤٣/١).

(١١) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(١٢) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب البعث - باب ما جاء في الحساب.

رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح ٣٥٠/١٠.

وانظر الضعفاء الكبير ٢١٨/١ - ٢١٩ في ترجمة الحارث بن غسان المري، ذكر الحديث بنحوه ثم قال العقيلي: وقد حدث هذا الشيخ=

قوله (١) ﴿ما عليك من حسابهم من شيء﴾ أي: من حساب رزقهم من شيء فتملهم وتطردهم (٢) ﴿وما من حسابك عليهم من شيء﴾ أي: ليس رزقك عليهم ولا رزقهم عليك، وإنما يرزقك وإياهم الله، فدعهم يدنوا منك ولا تطردهم ﴿فتكون من الظالمين﴾.

قال الأنباري: عظم الأمر في هذا على النبي ﷺ وخوف بالدخول في جملة الظالمين، لأنه كان قد هم بتقديم الرؤساء وأولي الأموال على الضعفاء وذوي المسكنة، فأعلمه الله أن ذلك غير جائز.

- قوله (٣) ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض﴾ أي كما ابتلينا قبلك الغني بالفقير، ابتلينا أيضاً هؤلاء بعضهم ببعض، كما قال ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ (٤).

قال الكلبي (٥): ابتلى هؤلاء الرؤساء من قريش بالموالي، فإذا نظر الشريف إلى الوضيع قد آمن قبله أنف أن يسلم ويقول: سبقني هذا بالإسلام فلا يسلم، وهو قوله ﴿ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا﴾ يريدون الفقراء والضعفاء.

والاستفهام هنا معناه الإنكار (٦)، كأنهم أنكروا أن يكونوا سبقوهم بفضيلة أو خصوا بمنة، فقال الله تعالى ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ أي: بالذين يشكرون نعمته إذا من عليهم بالهداية. أي إنما يهدي الله إلى دينه من يعلم أنه يشكر نعمته.

والاستفهام في قوله ﴿أليس الله﴾ معناه التقرير، أي: أنه كذلك.

- قوله (٧) ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا﴾ الآية.

قال الحسن وعكرمة (٨): نزلت في الذين سأل المشركون طردهم، فكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام ويقول: «الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرني أن أبدأهم بالسلام» وهو قوله ﴿فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾.

قال ابن عباس: قضى لكم (٩) ربكم على نفسه الرحمة.

= بمنكري، والحديث بغير هذا اللفظ في معنى الرياء. وكذا ذكره الذهبي في ترجمة الحارث نقلاً عن العقيلي (الميزان ٤٤١/١) كلهم من حديث أنس.

(١) في (و) وقوله.

(٢) في غير س (أ) فتطردهم.

(٣) في (و) قوله تعالى.

(٤) سورة الفرقان / ٢٠.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ١١٠، والطبري ١٣٢/٧ عن ابن عباس، والخازن ١٣٨/٢.

(٦) انظر فتح القدير ١١٩/٢ - ١٢٠ عن النحاس.

(٧) في (ح) قوله عز وجل، وفي (و) قوله تعالى.

(٨) انظر تفسير الطبري ١٣٢/٧ - ١٣٣ وابن كثير ١٣٥/٢، وأسباب النزول للواحدي ١٦٣ وغرائب النيسابوري ١٥٤/٧ كلها عن عكرمة،

والرازي ٢/١٣، وفي الدلائل للبيهقي ٣٥١/١ عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال «الحمد لله الذي جعل من أمي من أمرت

أن أصبر نفسي معهم».

(٩) في غير (أ) قضى ربكم لكم.

وقال الزجاج: معنى «كتب»: أوجب ذلك إيجاباً مؤكداً^(١).

قوله^(٢) ﴿أَنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءٌ أَبْجَهَالَةً﴾ يعني: أنه بجهله أثر العاجل القليل على الأجل الكثير، كقوله ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾^(٣).

وقوله^(٤) ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: رجع عن ذنبه ولم يصر على ما فعل ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ واختلفوا في قوله ﴿أَنَّهُ﴾ و﴿فَأَنَّهُ﴾^(٥)، فمن فتحهما، جعل الأولى تفسيراً للرحمة كأنه قيل: كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم، ثم جعل الثانية بدلاً من الأولى كقوله ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مَخْرُجُونَ﴾^(٦).

ومن كسرهما^(٧)، كسر الأولى على الحكاية، كأنه لما قال ﴿كُتِبَ رَبِّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ قال إنه من عمل منكم سوءاً بجهالة، وكسر الثانية لأنها دخلت على ابتداء^(٨) وخبر وهي مستأنفة.

وأما نافع، فإنه أبدل الأولى من «الرحمة» ففتحها، واستأنف ما بعد الفاء^(٩).

- قوله^(١٠) ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ﴾ يقول: وكما فصلنا ذلك في هذه السورة دلالتنا^(١١) وأعلامنا على المشركين، كذلك نميز ونبين لك حجتنا في كل حق ينكره أهل الباطل. ومعنى «التفصيل»: التمييز للبيان.

قوله^(١٢) ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ عطف على المعنى، كأنه قيل: ليظهر الحق وليستبين. و«السييل»: يذكر ويؤنث، فلذلك قرئ ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ بالتاء والياء، هذا فيمن رفع السبيل، ومن نصب السبيل، كانت التاء للخطاب، أي ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ يا محمد^(١٣) ﴿سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ يقال: استبان الشيء واستبنته.

(٣) سورة النساء / ١٧.

(٤) في (د) قوله.

(١) انظر الزجاج ٢/ ٢٧٩، وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ١١٠.

(٢) في (ح، و) وقوله.

(٥) ساقطة من (د) وفي (و) ومن، وفي (ح، د) فمن فتحها.

(٦) سورة المؤمنون / ٣٥.

(٧) في (ح) ومن كسرهما.

(٨) في (ح، د) الابتداء والخبر.

(٩) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي (إنه، فإنه) - بالكسر فيهما - على الحكاية. . . وقرأ عاصم وابن عامر (أنه - فإنه) بالفتح فيهما.

وقرأ نافع (أنه، فإنه) بالفتح في الأولى والكسر في الثانية.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٥٢ - ٢٥٣، والسبعة ٢٥٨، والنشر ٢/ ٢٥٨، والزجاج ٢/ ٢٧٨، والتبيان ١/ ٥٠٠، والمشكل

١/ ٢٥٣ - ٢٥٤، والقراء ١/ ٣٣٦ - ٣٣٧ والأخفش ٢/ ٤٩٠، والحجة لابن خالويه ١٣٩ - ١٤٠).

(١٠) في (و) قوله تعالى.

(١١) في (أ) ودلالتنا.

(١٢) في (ح) وقوله.

(١٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (ولتستبين) بالتاء (سبيل) رفعا، وكذلك قرأ حفص وعاصم وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (ولتستبين)

بالياء (سبيل) رفعا، والسييل يذكر ويؤنث، وقرأ نافع (ولتستبين) بالتاء (سبيل) نصبا، أي ولتستبين أنت يا محمد، والمراد الأمة.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٥٣، والسبعة ٢٥٨، والنشر ٢/ ٢٥٨، والزجاج ٢/ ٢٧٩ - ٢٨٠، والتبيان ١/ ٥٠١، والقراء ١/ ٣٣٧،

والزاهر ٢/ ٢٠٩، والأخفش ٢/ ٤٩٠، والحجة لابن خالويه ١٤١).

قال ابن عباس^(١): ﴿ولتستبين﴾ يا محمد ﴿سبيل المجرمين﴾ فيما جعلوا لله من الشركاء، وما بينت^(٢) من سيئهم يوم القيامة ومصيرهم إلى الخزي.

قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِئُكُمْ أَهْوَاءُكُمْ قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾

- قوله ﴿قل إنني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله﴾ يعني: الأصنام نهيت عن عبادتها ﴿قل لا أتبع أهواءكم﴾. قال ابن عباس^(٣): يريد: دينكم.

قال الزجاج^(٤): أي إنما عبدتموها على طريق الهوى، لا على طريق البينة والبرهان، فإنا لا أتبعكم على ذلك.

﴿قد ضللت إذا^(٥)﴾ إن عبادتها ﴿وما أنا من المهتدين﴾ الذين سلكوا سبيل الهدى.

- قوله^(٦) ﴿قل إنني على بينة من ربي﴾ «البينة»: الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل.

قال ابن عباس^(٧): يريد: على يقين من ربي، وقال الزجاج: أنا على أمر بين لا متبع لهوى^(٨).

﴿وكذبتهم به﴾. أي: بالبيان الذي أتيتكم به وهو القرآن، والبينة والبيان بمعنى واحد. ﴿ما عندي ما تستعجلون﴾

(١) انظر الزجاج ٢/٢٧٩، والفراء ١/٣٣٧، والطبري ٧/١٣٤، وابن كثير ٢/١٣٦.

(٢) في (د) يكتب، وفي (و) تبينت.

(٣) انظر فتح القدير ٢/١٢٢.

(٤) انظر الزجاج ٢/٢٨٠.

(٥) «معنى (إذا) معنى الشرط، المعنى: «قد ضللت إن عبادتها» (الزجاج ٢/٢٨٠).

(٦) في (د) قوله تعالى.

(٧) عند ابن عباس في تفسيره ص ١١٠ «على بيان من ربي».

(٨) انظر الزجاج ٢/٢٨١.

به ﴿ قال ابن عباس والحسن^(١) : يعني العذاب، كانوا يقولون: يا محمد اثنتا بالذي تعدنا، كقوله ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾^(٢).

﴿إن الحكم إلا لله﴾ ما الحكم الذي يفصل به بين المختلفين بإيجاب الثواب والعقاب إلا لله ﴿يقص الحق﴾ أي: يقول الحق، ومعناه: إن جميع ما أنبا به وأمر به فهو من أقاصيص الحق وقرء «يقضي الحق»^(٣) ومعناه: يقضي القضاء الحق.

﴿وهو خير الفاصلين﴾ خير من يفصل بين الحق والباطل.

- قوله ﴿قل لو أن عندي ما تستعجلون به﴾^(٤).

[قال ابن عباس: يقول لمحمد ﷺ: قل^(٥) لو أن عندي ما تستعجلونه به]^(٦) من العذاب لم أمهلك ساعة، وهو قوله ﴿لقضي الأمر بيني وبينكم﴾ [أي: لو كان الأمر بيدي لأنبأتكم بما^(٧) تستعجلون به من العذاب ولفصل الأمر بيني وبينكم]^(٨) ﴿والله أعلم بالظالمين﴾ يعني: أنتم ظلمتم إذ كذبتُموني^(٩) بعد علمكم بصدقتي وأمانتي، والله أعلم بكم إن شاء عاجلكم بالعقوبة، وإن شاء أخرها.

- قوله^(١٠) ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ قال ابن عباس والضحاك ومقاتل والحسن والسدي: مفاتيح الغيب: خزائن الغيب^(١١)!

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، أخبرنا محمد بن عثمان بن أبي سويد^(١٢)،

(١) انظر تفسير ابن عباس ١١٠، والطبري ١٣٥/٧، وأسباب النزول للواحدي ١٦٤، وغرائب النيسابوري ١٥٦/٧ عن الكلبي.

(٢) سورة الحج / ٤٧، والعنكبوت / ٥٣، ٥٤.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وعاصم (يقص) بضم القاف والصاد المهملة والمعنى: ان جميع ما أنبا الله به أو أمر به فهو من أقاصيص الحق، واحتج ابن عباس لهذه القراءة بقوله (نحن نقص عليك) - سورة يوسف/ ٣ - وقال (إن هذا القرآن يقص) - سورة النمل / ٧٦ - وأخرى قال مجاهد: لو كان (يقضي) لكانت يقضي بالحق بإثبات الباء، والباء مع القضاء، والعرب تقول: قضيت بالحق، قال تعالى ﴿والله يقضي بالحق﴾ - سورة غافر/ ٢٠ - وقرأ الباقون (يقضي) بالضاد المعجمة وسكون القاف من قضى يقضي إذا حكم وفصل. وحثهم: قوله (وهو خير الفاصلين) والفصل يكون في القضاء لا في القصص، وكان أبو عمرو يعتبر بهذه وقال: إنما الفصل في القضاء لا في القصص.

وكان الكسائي يعتبرها بقراءة ابن مسعود، قال: وفي قراءته (يقضي بالحق).

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٥٤، والسبعة ٢٥٩، والنشر ٢/٢٥٨، والتبيان ١/١٥٠١ والزجاج ٢/٢٨١ - ٢٨٢ والفراء ١/٣٣٧ - ٣٣٨، والحجة لابن خالويه ١٤٠ - ١٤١).

(٧) في (ح، و) ما.

(٨) ما بين المعقوفتين عليه خط في (أ).

(٩) في (د) وكذبتُموني.

(١٠) في (ح، و) قوله تعالى.

(٤) في (ح) لقضي الأمر بيني وبينكم.

(٥) ساقطة من (ح).

انظر تفسير ابن عباس ١١٠، والطبري ٧/١٣٦.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(١١) في (د) خزائن الله.

وانظر تفسير ابن عباس ١١١، والطبري ٧/١٣٦، والدر ٣/١٥، وفتح القدير ٢/١٢٣ وأحكام القرآن ٢/٧٣٨ كلها عن السدي

والبغوي ٢/١٤٠ عن الضحاك ومقاتل، والبحر ٤/١٤٤ - ١٤٥ عن السدي وابن عباس.

(١٢) محمد بن عثمان بن أبي سويد الذراع بصري معمر روى عن عثمان بن أبي الهيثم ومسلمة بن إبراهيم وعنه ابن عدي وضعفه وقال:

أصيب بكتبه فكان يشبهه عليه وأرجو ألا يتعمد الكذب توفي قبل ثلاثمائة عن بضع وتسعين سنة. (الميزان ٣/٦٤١ - ٦٤٢، وسير

الأعلام ١٤/٤٩).

حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله [لا يعلم متى تقوم (١) الساعة إلا الله، ولا يعلم ما تغيض (٢) الأرحام إلا الله] (٣). ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا تعلم نفس (٤) بأبي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله». رواه البخاري عن (٥) محمد، عن سفيان (٦).

وقوله (٧) ﴿ويعلم ما في البر والبحر﴾ قال مجاهد (٨): البر: القفار، والبحر: كل قرية فيها (٩) ماء، لا يحدث فيهما شيء إلا بعلم (٩) الله ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾.

قال الزجاج (١٠): المعنى: أنه يعلمها ساقطة وثابتة. كما تقول: ما يجيئك أحد إلا وأنا أعرفه، ليس تأويله إلا وأنا أعرفه في حال مجيئه فقط.

وقوله ﴿ولا حبة في ظلمات الأرض﴾ يعني: في الثرى (١١) تحت الأرض ﴿ولا رطب ولا يابس﴾.

قال ابن عباس (١٢): يريد ما ينبت وما لا ينبت ﴿إلا في كتاب مبين﴾.

قال الزجاج (١٣): يجوز أن يكون الله أثبت ذلك في كتاب (١٤) من قبل أن يخلق الخلق، كما قال ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ (١٥) فأعلم الله أنه أثبت ما خلق (١٦) من خلقه.

(١) في (أ) تقع.

(٢) في (و) ما في الأرحام.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٤) في (ح) ولا تعلم ماذا تكسب غداً وما تدري.

(٥) محمد بن يوسف بن واقد أبو عبد الله الفريابي سماع الأوزاعي والثوري وإسرائيل وغيرهم، وعنه البخاري ومسلم ولد سنة ١٢٦ هـ. قال البخاري: حدثنا محمد بن يوسف وكان من أفضل أهل زمانه، وقال النسائي: ثقة توفي سنة ٢١٢ هـ (كتاب الجمع ٤٥٢/٢ - ٥٣، وتهذيب التهذيب ٥٣٥/٩ - ٥٣٧).

(٦) الحديث: رواه البخاري بروايات.

كتاب الاستسقاء - باب لا يدرى متى يجيء المطر إلا الله، عن ابن عمر ١٨٣/١ - ١٨٤.

وفي كتاب التفسير - (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو) عن ابن عمر ١٢٨/٣.

وفي كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ عن ابن عمر ٢٧٤/٤، والرواية الأخيرة أقرب إلى ما ذكره المصنف مع التقديم والتأخير.

(٧) في (د، و) قوله.

(٨) انظر تفسير البغوي ١٤١/٢، والبحر ١٤٥/٤ كلاهما عن مجاهد.

(٩) في (د) كل قرية ماء... يعلمه الله.

(١٠) انظر الزجاج ٢٨٢/٢.

(١١) في (د) البر.

(١٢) انظر الدرر ١٥/٣، وفتح القدير ١٢٤/٢ كلاهما عن ابن عباس، والبغوي ١٤١/٢ عن عطاء، والبحر ١٤٦/٤.

(١٣) انظر الزجاج ٢٨٢/٢، والرازي ١١/١٣ عن الزجاج.

(١٤) في (د) كتاب مبين.

(١٥) في (د) من قبل نبرأها، سورة الحديد/٢٢.

(١٦) في (ح، و) من قبل خلقه.

أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان العدل، أخبرنا القاسم بن غانم بن حمويه الطويل، [حدثني حمويه بن الحسين الطويل] (١) حدثني أحمد بن الخليل البغدادي (٢)، حدثنا يزيد بن هارون، عن محمد بن إسحاق عن نافع، عن ابن عمر:

أن النبي ﷺ قال: «ما من زرع على الأرض، ولا ثمار على أشجار، إلا عليها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا رزق فلان ابن فلان، وذلك قول الله عز وجل في محكم كتابه ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ (٣).

- قوله (٤) ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ قال ابن عباس (٥): يقبض أرواحكم في منامكم ﴿ويعلم ما جرحتم﴾ ما كسبتم من العمل ﴿باليوم ثم يعثكم فيه﴾ يرد (٦) إليكم أرواحكم. قال قتادة (٧): البعث ها هنا: اليقظة.

﴿ليقبضى أجل مسمى﴾ أي: أعماركم المكتوبة، قال السدي (٨): يعني أجل الحياة إلى الموت ﴿ثم إليه مرجعكم﴾ بعد الموت ﴿ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾ يخبركم بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا.

- ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ - تقدم تفسيره (٩) ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾ قال ابن عباس (١٠) من الملائكة يحصون أعمالكم، كقوله ﴿وإن عليكم لحافظين﴾ (١١) وقال قتادة (١٢) يحفظون يا ابن آدم رزقك وعملك وأجلك، فإذا وفيت ذلك قبضت إلى ربك.

﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا﴾ يعني: أعوان ملك الموت ﴿وهم لا يفرطون﴾ لا يضيعون ولا يغفلون ولا يتوانون.

- ﴿ثم رُدوا إلى الله﴾ (١٣) يعني: العباد يردون بالموت إلى الله ﴿مولاهم الحق﴾ الذي يتولى أمورهم ﴿ألا له

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ)، وهو: حمويه بن الحسين بن أحمد بن الخليل معاصر لابن صاعد لا يوثق به وخبره باطل، قال: حدثنا يزيد بن هارون عن ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً «ما من زرع... الحديث» حدث بحديث كذب لا يعرف. (الميزان / ١ / ٦٠٩، والمغني في الضعفاء / ١ / ١٩٣).

(٢) أحمد بن الخليل أبو علي التاجر البغدادي روى عن يزيد بن هارون وحجاج بن محمد وروح بن عبادة وغيرهم. قال النسائي والحاكم وأبو يحيى الخفاف: ثقة زاد الحاكم مأمون توفي سنة ٣٤٨ هـ (تهذيب التهذيب / ١ / ٢٧ - ٢٨).

(٣) الحديث: انظر الدر ١٥ / ٣ «أخرجه الخطيب في تاريخه بسند ضعيف عن ابن عمر» وفتح القدير ١٢٣ / ٢ - ١٢٤، والعلل المتناهية / ١ / ١٥٣. قال المصنف: هذا حديث غريب، والآلية المصنوعة ٢ / ٢٦٤، والفوائد المجموعة ٣١٧.

(٤) في (و) قوله تعالى.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ١١١، وفتح القدير ١٢٤ / ٢.

(٦) في (ح) برده، وفي (د) أي برده.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٣٨ / ٧، والدر ١٦ / ٣ كلاهما عن قتادة.

(٨) انظر تفسير الطبري ١٣٨ / ٧، وفتح القدير ٩٨ / ٢ كلاهما عن السدي.

(٩) راجع تفسير الآية ١٨ من هذه السورة.

(١٠) سورة الانفطار / ١٠.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١١١.

(١٢) انظر تفسير الطبري ١٣٩ / ٧، والدر ١٦ / ٣ وكلاهما عن قتادة.

(١٣) في (ح)، (د) قوله.

الحكم ﴿أي: القضاء فيهم﴾^(١) ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ إذا حاسب فحسابه سريع، كقوله ﴿والله سريع الحساب﴾^(٢). وقد مضى.

قُلْ مَنْ يُجِيبُكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَنَّا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ اللَّهُ يُجِيبُكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ أَصْحَابَ مَا تُحِبُّونَ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾

- قوله ﴿قل من يجيبكم﴾^(٣) وقرئ بالتخفيف، وهما لغتان، يقال: نجاه وأنجاه، قال الله تعالى ﴿فأنجاه الله من النار﴾^(٤) وقال ﴿ونجيننا الذين آمنوا﴾^(٥) وقوله ﴿من ظلمات البر والبحر﴾ قال ابن عباس: من أهوالهما وكرباتهما، قال^(٦): وكانت قريش تسافر في البر والبحر، فإذا ضلها الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين^(٧)، فأنجاهم.

قال الزجاج ﴿ظلمات البر والبحر﴾^(٨): شدائدهما، والعرب تعبر عن الشدة بالظلمة يقولون لليوم^(٩) الشديد يوم مظلم.

وقوله ﴿تدعونه تضرعاً﴾ أي: تظهرون إليه الضراعة في الدعاء، وهو شدة الفقر إلى الشيء والحاجة إليه ﴿وخفية﴾ سراً بالنية، أي: تضرعون فقركم وحاجتكم إليه كما تظهرون. وقرئ ﴿وخفية﴾^(١٠) - بكسر الخاء - وهما لغتان.

- (١) في (ح. و) بينهم.
 (٢) سورة البقرة/٢٠٢، والنور/٣٩، وراجع تفسير الآية الأولى.
 (٣) في (ح) قل يجيبكم.
 (٤) سورة العنكبوت/٢٤.
 (٥) في (د) ونجيناه، وفي غير (أ) الذين آمنوا معه، سورة فصلت/١٨.
 قرأ عاصم وحزمة والكسائي (ينجيكم) بالتشديد من نجي ينجي، وحجتهم: قوله (قل من يجيبكم) وإجماعهم على التشديد فيها فكان إلحاق نظير لفظه به أولى من المخالفة بين اللفظين. وقرأ الباقون بالتخفيف وحجتهم: قوله (لئن أنجينا من هذه) ولم يقل نجيتنا) الحجة لأبي زرع ٢٥٥، والسبعة ٢٥٩، والنشر ٢/٢٥٩، والتبيان ١/٥٠٤، والزجاج ٢/٢٨٣، والحجة لابن خالويه ١٤١ (٦) في (د) قوله.
 (٧) في (د) وكرباتهما قريش.
 (٨) في (د) مخلصين له فأنجاهم الله. انظر تفسير ابن عباس ١١١، والدرر ٣/١٦، والطبري ٧/١٤١ كلاهما عن قتادة.
 (٩) لست في (د).
 (١٠) في (د) اليوم وانظر الزجاج ٢/٢٨٤.
 (١١) في جميع النسخ خيفة بدون واو.
 قرأ عاصم - في رواية أبي بكر - (وخيفة) - بكسر الخاء - وقرأ الباقون بالضم وهما لغتان (انظر الحجة لأبي زرع ٢٥٥، والسبعة ٢٥٩، والنشر ٢/٢٥٩، والتبيان ١/٥٠٤، والزجاج ٢/٢٨٤، والقراء ١/٣٣٨ والحجة لابن خالويه ١٤١).
 «والخفية - بالضم - الإخفاء - والخيفة بالكسر - من الخوف والرهبه» (الأخفش ٢/٤٩٠)

﴿لئن أنجيتنا من هذه﴾^(١) الظلمات والشدائد ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ من المؤمنين الطائعين لله .

وقرأ أهل الكوفة (لئن أنجانا) حملوه على الغيبة، لقوله قبله ﴿تدعونه﴾^(٢).

- قوله^(٣) ﴿قل الله ينجيكم منها﴾ أي: من تلك الشدائد التي دعوتموه لينجيكم منها ﴿ومن كل كرب﴾ وهو

الغم الذي يأخذ بالنفس، يقال: كربه الغم، وإنه لمكروب^(٤).

قال الزجاج^(٥): أعلمهم^(٦) الله أن الذي دعوه وأقروا به هو ينجيهم، ثم هم يشركون معه الأصنام التي قد علموا

أنها^(٧) لا تنفع ولا تضر.

ثم أعلمهم أنه قادر على تعذيبهم فقال:

- ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾^(٨) قال ابن عباس: يريد من السماء كما حسب

قوم لوط^(٩) وكما رمى أصحاب الفيل ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ يريد: كما خسف بقارون^(١٠).

وهو قول السدي وابن جريج ومقاتل، قالوا: ﴿عذاباً من فوقكم﴾ الصيحة والحجارة والريح والغرق بالطوفان

﴿أو من تحت أرجلكم﴾ الرجفة والخسف^(١١).

وقوله^(١٢) ﴿أو يلبسكم شيعاً﴾.

(١) في (د) قوله.

(٢) قرأ الكوفيون عاصم وحزمة والكسائي (لئن أنجانا) بالألف - وحجتهم أنها في مصاحفهم بغير تاء. وقرأ الباقون (لئن أنجيتنا) بالياء على

الخطاب لله، وحجتهم: قوله (لئن أنجيتنا من هذه) - سورة يونس/٢٢ - وهو مجمع عليه فردوا عليه ما اختلفوا فيه، قرأ بهذا

الحجازيان ابن كثير ونافع وأهل الشام وابن عامر وأبو عمرو. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٥٥، والسبعة ٢٥٩، والنشر ٢/٢٥٩، والتبيان

٥٠٥/١، والفراء ٣٣٨/١، والحجة لابن خالويه ١٤١ - ١٤٢، والمصاحف لابن أبي داود ٣٩، ٤٨).

(٣) ليست في (و) وفي (أ) قوله ينجيكم منها.

(٤) ذكره ابن منظور في اللسان/ كرب.

(٥) انظر الزجاج ٢/٢٨٤ - ٢٨٥.

(٦) في (أ) أعلم.

(٧) في (أ) أنه لا تنفع.

(٨) في (و) أو من تحت أرجلكم.

(٩) لوط ابن أخي إبراهيم الخليل أبو هارون بن آزر وهو تارح آمن لوط بعمه إبراهيم وهاجر معه إلى مصر وعاد إلى الشام وأرسله الله إلى

أهل سدوم أهل كفر وفاحشة فدعاهم ونهاهم فلم يلتفتوا، كانوا يأتون الرجال ويقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر فأهلكهم الله

(تنمة المختصر ١/٢٦ - ٢٧).

(١٠) قارون ابن عم موسى رزقه الله مالاً عظيماً قيل إن مفتاح خزائنه كانت حمل أربعين بغلاً وبنى داراً صفحها بالذهب فتكبر بماله على

موسى وبغى في الأرض واتهم موسى بالسرقة والفجور فدعا عليهم الأرض بأن تأخذهم فابتلعهم ثم خسف بقارون وبيداره وقومه.

(تنمة المختصر ١/٢٢).

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١١١، والزجاج ٢/٢٨٥، وغريب القرآن ١٥٤، وغرائب القرآن ١٦٤/٧ والطبري ١٤١/٧ عن السدي

ومجاهد، وابن كثير ٢/١٤٣ عن السدي ومجاهد وأبي مالك وابن زيد وسعيد بن جبير والدر ٣/١٦ عن ابن عباس ومجاهد، والرازي

٢٢/١٣.

(١٢) في (د) قوله.

قال الزجاج^(١): بمعنى «يلبسكم» يخلط أمركم خلط اضطراب، لا خلط اتفاق. و(الشيعة): جمع شيعة، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، والجمع شيع وأشياع^(٢).

قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل والسدي^(٣): يث فيكم الأهواء المختلفة فتصيرون فرقاً يقاتل بعضهم بعضاً ويخالف بعضهم بعضاً، وهو معنى قوله «ويذيق بعضهم بأس بعض» أي: بالخلاف والقتال.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا محمد بن علي بن دحيم، حدثنا أحمد بن حازم الغفاري أخبرنا يعلى بن عبيد^(٤)، حدثنا عثمان بن حكيم، عن عامر بن سعد، عن أبيه قال:

أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى مرنا على مسجد بني معاوية، فدخل فضلى^(٥) ركعتين وصلينا، فناجى ربه طويلاً، ثم قال: «سألت ربي ثلاثاً، سأله ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسأله ألا يهلك أمتي بالنسأة فأعطانيها، وسأله ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها».

رواه مسلم عن ابن نصير، عن أبيه، عن عثمان بن حكيم^(٦).

وقال أبي بن كعب^(٧) في هذه الآية: هي^(٨) أربع خلال كلهن عذاب فجاء منهن^(٩) اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمسة وعشرين سنة، لبسوا شيعاً وذاق بعضهم بأس بعض.

وقوله^(١٠) «انظر كيف تصرف» أي: نبين لهم «الآيات» في القرآن «لعلهم يفقهون» يعلمون.

وَكَذَّبَ بِهٖ قَوْمُكَ وَهٗوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى

(١) انظر الزجاج ٢/٢٨٥، والخازن ٢/١٤٣ عن الزجاج، وانظر مجاز القرآن ١/١٩٤، والأخفش ٢/٤٩٢.

(٢) ذكره ابن منظور في اللسان/ شيع.

(٣) انظر تفسير الطبري ٧/١٤٢ - ١٤٣ عن ابن عباس ومجاهد والسدي، وابن زيد وابن كثير ٢/١٤٣، والدر ٣/١٦ - ١٧ كلاهما عن ابن عباس ومجاهد، وفتح القدير ٢/١٢٦ عن ابن عباس، والزجاج ٢/٢٨٥.

(٤) يعلى بن عبيد بن أبي أمية الإيادي أبو يوسف الطنافسي الحنفي مولاها الكوفي سمع الأعمش وإسماعيل بن أبي خالد وعبد العزيز وسفيان العصفري وطائفة قال أحمد: صحيح الحديث وكان صالحاً في نفسه ووثقه ابن معين توفي سنة ٢٠٩ هـ (كتاب الجمع ٥٨٧/٢، وتهذيب التهذيب ١١/٤٠٢ - ٤٠٣).

(٥) في (أ) وصلّى.

(٦) الحديث رواه مسلم في الصحيح - كتاب الفتن - باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض عن عامر بن سعد عن أبيه باختلاف يسير.

(٧) في (د) أبي بن كعب، انظر تفسير الطبري ٧/١٤٣ عن أبي العالية ٧٥/١٤٦ - ١٤٧ عن أبي، والبحر ٤/١٥١ عن أبي وأبي العالية، والدر ٣/١٧، وابن كثير ٢/١٤٢، وفتح القدير ٢/١٢٧ كلها عن أبي، ومجمع الزوائد - كتاب التفسير - باب من سوا الأنعام «رواه أحمد ورجاله ثقات» عن أبي ٧/٢١.

(٨) في (ج) هن أربع.

(٩) ساقطة من (ح).

(١٠) في (د) قوله، وفي (ح) ... تصرف الآيات.

مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذُكِّرُوا لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾

- قوله ﴿وكذب به قومك﴾ يعني: بالقرآن ﴿وهو الحق قل لست عليكم بوكيل﴾. قال الحسن^(١): لست عليكم بحافظ حتى أجازيكم على تكذيبكم وأعمالكم، إنما أنا منذر والله المجازي بأعمالكم.

والمعنى: لم أؤكل بحفظكم ومنعكم من الكفر، وهذا مما نسخته آية القتال.

- ﴿لكل نبياً مستقر﴾ لكل خبر يخبره الله تعالى وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير.

قال مجاهد^(٢): لكل نبأ حقيقة إما في الدنيا وإما في الآخرة.

﴿وسوف تعلمون﴾ ما كان^(٣) في الدنيا فسوف ترونه، وما كان في الآخرة فسوف يبدو لكم.

- قوله^(٤) ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ قال المفسرون: كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا

في رسول الله ﷺ والقرآن، فشتوا واستهزؤوا، فأمرهم الله تعالى ألا يقعدوا معهم فقال ﴿فأعرض عنهم﴾ حتى يخوضوا في حديث غيره^(٥).

وقال ابن عباس^(٦): أمر الله تعالى رسول ﷺ فقال: إذا رأيت المشركين يكذبون بالقرآن وبك ويستهزؤون فاترك

مجالستهم حتى يكون خوضهم في غير القرآن. ﴿وإما ينسبك الشيطان﴾^(٧) وقرأ ابن عامر ﴿ينسبك﴾ - بالتشديد - وأفعل وفعل يجريان مجرى واحد^(٨).

قال ابن عباس^(٩): يريد: إن نسيت فقعدت ﴿فلا تقعد بعد الذكرى﴾ وقم إذا ذكرت.

﴿مع القوم الظالمين﴾^(١٠) يعني: المشركين.

- قوله ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾ قال ابن عباس^(١١): قال المسلمون لئن كنا كلما استهزأ

(١) انظر البحر ١٩٧/٤ عن الحسن، وغرائب النيسابوري ١٦٥/٧، وفتح القدير ١٢٨/٢.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ١١١، والطبري ١٤٧/٧ عن ابن عباس، وابن كثير ١٤٣/٢ عن مجاهد، والدر ٢٠/٣ عن ابن عباس ومجاهد.

(٣) في (د) أي لم يكن.

(٤) في (و) قوله تعالى.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ١١٢، والطبري ١٤٨/٧ - ١٤٩ عن السدي وابن جريج، والدر ٢٠/٣ - ٢١ عن مجاهد وقتادة والسدي وابن جريج ومقاتل.

وقال السدي: نسختها هذه الآية التي في سورة النساء (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها...) الآية، ثم

أنزل بعد ذلك (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) (الدر ٢١/٣). وانظر تفسير ابن كثير ١٤٤/٢ عن مجاهد والسدي وابن جريج.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١١٢، والطبري ١٤٨/٧ عن مجاهد.

(٧) في (ح، د) قوله.

(٨) انظر الحجة لأبي زرعة ٢٥٦، والسبعة ٢٦٠، والنشر ٢٥٩/٢، والبيان ٥٠٦/٢، والحجة لابن خالويه ١٤٢).

(٩) انظر تفسير الطبري ١٤٩/٧ عن السدي عن أبي مالك، وابن كثير ١٤٤/٢ عنهما وسعيد بن جبير، والدر ٢٠/٣ عنهم وقتادة، وذكره

الرازي ٢٥/١٣.

(١٠) في (د) قوله.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١١٢، والرازي ٢٦/١٣، وغرائب النيسابوري ١٦٦/٧، والبغوي ١٤٥/٢ كلها عن ابن عباس.

المشركون^(١) بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف بالبيت، فنزل ﴿وم
على الذين يتقون﴾ أي: الشرك، والكبائر^(٢) والفواحش ﴿من حسابهم﴾ من آثامهم ﴿من شيء ولكن ذكرى﴾ يقول
ذكروهم بالقرآن، فرخص لهم في مجالستهم على ما أمروا به من المواعظ لهم ﴿لعلهم يتقون﴾ الاستهزاء والخوض

وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا
كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ قَدْلٍ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ
أَبْسَلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾

- قوله ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهوا﴾ يعني: الكفار الذين إذا سمعوا آيات الله استهزؤا بها وتلاعبوا
عن ذكرها ﴿وذكر به﴾ وعظ بالقرآن ﴿أن تبسل نفس بما كسبت﴾ قال الحسن ومجاهد وعكرمة^(٣): تسلم للهلكة.

و«الإبسال»: أن يبسل الرجل فيخذل، يقال: أبسلته بجنايته^(٤)، أي: أسلمته بها، وهو الترك^(٥).

ومعنى الآية: وذكرهم بالقرآن إسلام الجانين بجنایاتهم لعلهم يخافون فيتقون. وقوله^(٦) ﴿ليس لها﴾ أي
للنفس المبسلة ﴿من دون الله ولي ولا شفيع﴾ يعني في الآخرة^(٧). ﴿وإن تعدل كل عدل﴾ وإن تفد كل فداء ﴿لا
يؤخذ منها﴾ قال ابن عباس^(٨): إن تفد بالدنيا وما فيها لا يؤخذ منها.

وقال قتادة: لو جاءت بملء الأرض ذهباً لم يقبل منها^(٩).

﴿أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا﴾^(١٠) أسلموا للهلاك ﴿لهم شراب من حميم﴾ وهو الماء الحار ﴿وعذاب أليم﴾
موجع^(١١) مؤلم ﴿بما كانوا يكفرون﴾ بكفرهم بالله والقرآن.

قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ
الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلُوبَهُ هُدًى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا

(١) في (د) المشركين.

(٢) في غير (أ) أي الكبائر والشرك.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٥٠/٧ عن الحسن ومجاهد وعكرمة والرازي ٢٨/١٣ عن الحسن ومجاهد والبحر ١٥٥/٤ عن الحسن وعكرمة
وابن كثير ١٤٤/٢ عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والدر ٢١/٣ عن ابن عباس والزجاج ٢٨٧/٢، ومجاز القرآن ١٩٤/١،
وغريب القرآن ١٥٥.

(٤) في (و) بما جني.

(٥) انظر اللسان/ بسل.

(٦) في (د) قوله.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ١١٢ بنحوه، والطبري ١٥١/٧ عن ابن زيد.

(٨) انظر تفسير الطبري ١٥١/٧ عن قتادة والسدي، والدر ٢١/٣ عن قتادة.

(٩) في (ح، د) قوله.

(١٠) في غير (أ) مؤلم موجع.

لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتِقُواهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

- قوله (١) ﴿قل أئذعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا﴾ قال ابن عباس (٢): يقول: أئعبد من دون الله ما ليس عنده منفعة لنا إن عبدناه، وإن عصيناه لم يكن عنده لنا مضرة (٣).

والمعنى: أنه جماد لا يقدر على فعل شيء.

وقوله (٤) ﴿ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله﴾.

قال الكلبي (٥): نرد وراءنا إلى الشرك بالله ﴿كالذي استهوته﴾ استمالته وزينت له هواه ﴿الشياطين﴾ يقال: إستهواه الشيطان بكيد، إذا استغواه (٦) ﴿في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى إئتنا﴾.

قال ابن عباس (٧): هذا مثل ضربه الله تعالى للآلهة ومن يدعو إليها وللدعاة الذين (٨) يدعون إلى الله، كمثل رجل ضل عن الطريق (٩) إذ نادى مناد: يا فلان ابن فلان، هلم (١٠) إلى الطريق [وله أصحاب يدعونه يا فلان هلم إلى الطريق] (١١) فإن اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقه إلى الهلكة، وإن أجاب من يدعو إلى الهدى اهتدى إلى الطريق.

قوله (١٢) ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ رد على من دعا إلى عبادة الأصنام (١٣)، وزجر عن إجابته، كأنه قيل: لا تفعل ذلك لأن هدى الله هو الهدى لا هدى غيره.

﴿وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾ قال الزجاج (١٤) العرب تقول: أمرتك (١٥) لتفعل وأن تفعل وبأن تفعل. والمعنى: أمرنا لننقاد ونطيع لرب العالمين.

- قوله ﴿وأن أقيموا الصلوة واتيقوا﴾ (١٦) أي: أمرنا أيضاً بإقامة الصلاة والالتقاء ﴿وهو الذي إليه تحشرون﴾ تجمعون إلى الموقف للحساب.

- قوله (١٧) ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق﴾ «الباء» ها هنا بمعنى «اللام» أي: خلقها للحق (١٨).

(١) في (و) وقوله. (٤) في (د) قوله، وفي (و) قوله عز وجل.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ١١٢. (٥) وهو قول ابن عباس ص ١١٢، وينحوه قال الزجاج ٢٨٧/٢، والبحر ٤/١٥٦.

(٣) في (و) لم يكن لنا منه مضرة. (٦) انظر اللسان/ هوى، ومفردات الراغب/ هوى.

(٧) انظر تفسير الطبري ٧/١٥٣، وابن كثير ٢/١٤٥، وفتح القدير ٢/١٣٢ كلها عن ابن عباس، والدر ٣/٢١ - ٢٢ عن ابن عباس وقتادة.

(٨) في (د) والذين.

(٩) في (أ، ح) إذا نادى.

(١٠) في (د) لهم.

(١١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح، و).

(١٢) في (ح، و) وقوله.

(١٣) في (أ) الأوثان.

(١٤) انظر الزجاج ٢٨٨/٢، والقرطبي ٧/١٩ عن الفراء.

(١٥) في (أ) أمرتكم.

(١٦) ليست في (أ، و)، وفي (د) وأمرنا.

(١٧) من (أ، د).

(١٨) في (ح، د) أي ما خلقها إلا للحق.

أي: لإظهار الحق، وهو إظهار صنعه وقدرته^(١) ووحدانيته قوله^(٢) ﴿ويوم يقول﴾ أي: وقدر وقضى يوم يقول ﴿كن فيكون﴾ أي: جميع ما يخلق في ذلك الوقت.

المعنى: ويوم يقول للشيء كن فيكون، وهذا يدل على سرعة أمر البعث والساعة كأنه قال: ويوم يقول للخلق: موتوا فيموتون، وانتشروا فينتشرون.

﴿قوله الحق﴾ ابتداء وخبر، أي: قوله الصدق الكائن^(٣) الواقع لا محالة، أي: إن ما وعده الله حق كائن.

﴿وله الملك يوم ينفخ في الصور﴾ كقوله ﴿مالك﴾^(٤) يوم الدين ﴿والمعنى: إن الملوك يومئذ ملكهم زائل﴾^(٥)، فتكون حقيقة الملك^(٦) لله وحده، كما قال ﴿والأمر يومئذ لله﴾^(٧) وله الأمر في كل وقت، ولكن لا أمر لأحد في ذلك اليوم مع أمر الله تعالى.

و«الصور»: قرن ينفخ فيه في قول جميع المفسرين^(٨).

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ يعلم ما غاب عن العباد وما يشاهدونه، فليس يغيب عن علمه شيء. ﴿وهو الحكيم الخبير﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرْ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرِنكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۖ﴾^{٧٤} وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۖ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ أَيْلُ رءَا كُوكِبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ ٱلْأَفْلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رءَا ٱلْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رءَا ٱلشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلذِّى فَطَرَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

- قوله^(٩) ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه عازر﴾ قال جماعة من المفسرين: آزر أبو إبراهيم قال الفراء^(١٠) والزجاج: ليس بين النسابين اختلاف أن اسم أبي إبراهيم تارح، والذي في القرآن يدل على أن اسمه آزر، فكان آزر لقب^(١١) له.

(١) ليست في (أ).

(٢) في (ح، و) وقوله.

(٣) في (ح) والكافر.

(٤) في غير (أ) ملك، سورة الفاتحة/٤.

(٨) انظر معاني الزجاج ٢/٢٩٠، وغرائب النيسابوري، ١٦٩/١، والدر ٣/٢٢ عن ابن عمر وابن مسعود ومجاهد.

(٩) في (و) قوله تعالى.

(١٠) في (د، و) الزجاج والفراء.

(١١) في (د) لقباً.

وانظر الفراء ١/٣٤٠، والزجاج ٢/٢٩٠، وفتح القدير ٢/١٣٣ عن الفراء والزجاج وغرائب النيسابوري ٧/١٧١، والرازي ١٣/٣٧ كلاهما عن الزجاج.

قال ابن الأنباري^(١): قد يغلب على اسم الرجل لقبه حتى يكون به أشهر منه باسمه، فجاز أن يكون أزر لقباً أبطل الاسم لشهرته، فخير الله تعالى بأشهر اسميه^(٢)، لأن اللقب مضارع للاسم.

وقوله^(٣) ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ هذا استفهام معناه الإنكار والتوبيخ لمن عبد الصنم [إني أراك وقومك في ضلال مبين].

- وقوله^(٤) ﴿وكذلك نري إبراهيم﴾ قال الزجاج^(٥): ومثل ما وصفنا من قول إبراهيم لأبيه نريه ﴿ملكوت السموات والأرض﴾ للاعتبار والاستدلال.

و«الملكوت» بمنزلة الملك، لأن التاء زيدت للمبالغة كالرغبت^(٦) والرهبوت.

قال مجاهد وسعيد بن جبير^(٧): كشف له عن السماوات^(٨) والأرض حتى العرش، وأسفل الأرض^(٩).

أخبرنا أبو بكر الحارثي، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، حدثنا أبو يحيى الرازي، حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا زياد^(١٠)، عن ليث^(١١)، عن شهر بن حوشب، عن سلمان قال:

لما رأى^(١٢) إبراهيم ملكوت السماوات والأرض أبصر رجلاً على فاحشة فدعا عليه، ثم أبصر آخر على فاحشة^(١٣) فدعا عليه، فقال له^(١٤) الرب تعالى: لا تفعل فإنك عبد مستجاب الدعوة^(١٥)، وإنما أنا من^(١٦) عبيدي على ثلاث خلال، إما أن يتوب في آخر زمانه فأقبل منه، وإما أن أخرج منه ذرية طيبة تعبدني^(١٧)، وإما أن يتولى فإن^(١٨) جهنم من ورائه^(١٩).

وقال قتادة^(٢٠): ملكوت السماوات: الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض: الجبال والشجر والبحار، وذلك

= «وتأرجح: بالتاء المثناة من فوق بعدها ألف وراء مفتوحة مهملة وحاء مهملة» (عمدة القوي والضعيف ١٢) وأزر: هو تأرجح بن ناحور بن ساروخ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح كان يصنع الأصنام ويعطيها إبراهيم لبيعها فيقول إبراهيم: من يشتري ما يضره ولا ينفعه، ولما أمر إبراهيم بدعاء قومه إلى التوحيد دعا أباه فلم يجبه (تتمة المختصر ٢٣/١ - ٢٤).

(١) انظر تفسير الطبري ١٥٩/٧، والرازي ٣٧/١٣ - ٣٨.

(٢) في (د) أسمائه.

(٣) في (ح، د) قوله.

(٤) في (د) قوله.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ١١٣، وابن كثير ١٥٠/٢ عن مجاهد وسعيد وعطاء والسدي، والدر ٢٣/٣ - ٢٤ عن ابن عباس ومجاهد والسدي.

(٦) زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي العامري أبو محمد الكوفي روى عن عبد الملك بن عمرو وحמיד الطويل والأعشى وغيرهم وعنه سهل بن عثمان وأحمد بن حنبل وعبد الملك بن هشام صاحب السيرة وغيرهم قال أحمد: ليس به بأس وضعفه ابن المديني توفي سنة ١٨٣ هـ. (تهذيب التهذيب ٣/٣٧٦ - ٣٧٧).

(٧) في (و) الليث، سبق ص ٤٨.

(٨) في (د) رأى.

(٩) ساقطة من (و).

(١٠) في (و) فقال الرب.

(١١) انظر تفسير الطبري ١٦١/٧ عن سلمان وعطاء، ومصنف ابن أبي شيبة ١٨٠/١٣ - ١٨١ والبغوي ١٤٨/٢ كلاهما عن سلمان، وغرائب النيسابوري ١٧٣/٧ عن ابن عباس، والدر ٢٤/٣ - ٢٥ عن علي وعطاء وشهر ومعاذ وسلمان الفارسي.

(١٢) انظر تفسير الطبري ١٦١/٧، والخازن ١٤٩/٢، والدر ٢٥/٣ كلها عن قتادة.

أن الله تعالى أراه هذه الأشياء حتى نظر إليها مستدلاً بها على خالقها، وهو قوله (١) ﴿وليكون من الموقنين﴾ عطف على المعنى، لأن معنى الآية: نرى ملكوت السماوات والأرض، أي: ليستدل (٢) بها وليكون من الموقنين (٣).

- وقوله (٤) ﴿فلما جن عليه الليل﴾ يقال: جن عليه الليل، إذا ستره بظلمته جنًا وجناتًا وجنوناً وأجنه الليل أيضاً، إذا أظلم عليه (٥).

وقوله (٦) ﴿رءا كوكباً﴾ قال المفسرون (٧): لما شب إبراهيم في السرب الذي ولد فيه قال لأبويه: أخرجاني فأخرجاه من السرب وانطلقا به حين (٨) غابت الشمس فنظر إبراهيم إلى الإبل (٩) والخيول والغنم فقال: ما لهذه يد من أن يكون لها رب وخالق.

ثم تفكر ونظر في خلق السماوات والأرض فقال: إن الذي خلقتني ورزقني ربي، ما لي إله غيره. ثم نظر فإذا المشتري قد طلع - ويقال الزهرة - وكانت تلك (١٠) الليلة في آخر الشهر، فرأى الكوكب قبل القمر، فـ ﴿قال هذا ربي﴾ أي: تقولون: هذا ربي، وإضمار القول في القرآن كثير، كقوله ﴿ربنا تقبل منا﴾ (١١) أي: يقولان (١٢) ربنا. وكان (١٣) إبراهيم قال لقومه: تقولان هذا ربي، أي هذا الذي يدبرني، لأنهم كانوا أصحاب نجوم، يرون التدبير في الخليقة لها.

وقيل: إنه قال: هذا ربي على جهة الاحتجاج على قومه، كأنه قال: هذا ربي عندكم وفيما تظنون وفي زعمكم كقوله ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ (١٤) أي عند نفسك. والوجهان ذكرهما الزجاج وابن الأبياري (١٥).

وفي قوله ﴿فلما أفل قال لا أحب الأفلين﴾ دلالة على أن ما غاب بعد ظهوره فليس برب، لأن ما ظهر وأفل كان حادثاً مدبراً مسخراً مصرفاً، وذلك ينافي صفة الإله المعظم (١٦).

- قوله ﴿فلما رءا القمر بازغاً﴾ يقال: بزغ القمر إذا ابتداء في الطلوع (١٧).

اعتبر إبراهيم في القمر والشمس، كما اعتبر في النجم، وكانت حجته فيها على قومه كالحجة في الكواكب، وهو قوله ﴿هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾.

(١) في (ح، و) وقوله، وفي (د) قوله.

(٢) في (د) استدل به.

(٣) انظر اللسان/ جنن «وقال الزجاج: يقال: جن عليه الليل وأجنه الليل إذا أظلم حتى يستره بظلمته».

(٤) في (د) قوله.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ١١٣، والطبري ٧/١٦٣ عن ابن إسحاق، والدرر ٣/٢٥ عن قتادة والسدي، و«السرب: ما للرجل من أهل ومال» (اللسان/ سرب).

(٦) في (د) حتى غابت.

(٧) في (و) الخيل والإبل.

(٨) في (د) كانت في آخر الشهر.

(٩) سورة البقرة/ ١٢٧.

(١٠) انظر الزجاج ٢/٢٩٢، وفتح القدير ٢/١٣٣، والبنجر ٤/١٦٦ عن ابن الأبياري، والفراء ١/٣٤١، والأخفش ٢/٤٩٦.

(١١) في (و) العظيم، وانظر معنى (أفل) في غريب القرآن ١٥٦ ومجاز القرآن ١/٩٩، وابن كثير ٣/١٥١.

(١٢) انظر مجاز القرآن ١/٢٠٠، واللسان/ بزغ.

ومعنى ﴿لئن لم يهدني ربي﴾^(١): لئن لم يشتني على الهدى^(٢)، ليس أنه لم يكن مهتدياً، والأنبياء لم يزالوا يسألون الله عز وجل الثبات على الإيمان، وإبراهيم يقول ﴿وأجئني وبني أن نعبد الأصنام﴾^(٣).

- قوله ﴿فلما رءا الشمس بازغة قال هذا ربي﴾ قال ابن الأنباري^(٤): إنما قال ﴿هذا﴾^(٥) والشمس مؤنثة لأن الشمس بمعنى الضياء والنور، فحمل الكلام على التأويل، وأعان^(٦) على التذكير أيضاً: أن^(٧) الشمس ليس فيها علامة التأنيث، وأنشد قول الأعشى:

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل أبقالها^(٨)

فذكر أبقل إذ كانت الأرض عارية من علامات التأنيث.

وقوله ﴿هذا أكبر﴾ أي: من الكوكب والقمر، فلما توجهت الحجة على قومه ﴿قال [يا قوم] إني بريء مما تشركون﴾.

- ﴿إني وجهت وجهي﴾ قال الزجاج^(٩): جعلت قصدي بعبادتي وتوحيدي لله عز وجل - وباقي الآية مفسر فيما تقدم^(١٠).

وَحَاجَّهٖ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾

- قوله عز وجل ﴿وحاجه قومه﴾ قال ابن عباس^(١١): خصموه وجادلوه في آلهتهم، وخوفوه بها، فقال منكراً عليهم ﴿أتحاجونني في الله﴾ أي: في توحيد الله ﴿وقد هدان﴾^(١٢) أي: بين لي ما به اهتديت والتشديد على «النون»

(١) ليست في (ح، و).

(٢) في (د) الهداية.

(٣) سورة إبراهيم / ٣٥.

(٤) انظر المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١٤٥/١ - ١٤٦، وفتح القدير ١٣٤/٢.

(٥) انظر الكتاب ٤٦/٢ لعامر بن جوين، واللسان/ بقل، ومجاز القرآن ٦٧/٢، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٣٦٣/١، والكمال

للمبرد ٢٧٩/٢، والطبري ٤٣٢/١، والفراء ١٢٧/١، والخزانة ٤٥/١ «وهو من شواهد سيبويه - الشاهد الثاني» - ٥٠/١

وعزه لعامر، وانظر ترجمته ٥٣/١ (والبيت من بحر المتقارب).

(٩) انظر الزجاج ٢٩٤/٢.

(١٠) باقي الآية هو (للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين).

وانظر معنى «فطر» في تفسير الآية ١٤ من هذه السورة، ومعنى «حنيفاً» في تفسير الآية ١٣٥ من سورة البقرة.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١١٣، والدرر ٢٦/٣ عن ابن عباس والربيع، وفتح القدير ١٣٥/٢ عن ابن عباس.

(١٢) في جميع النسخ: هداني.

لاجتماع النونين وإدغام أحدهما في الآخر، وحذف نافع إحدى النونين تخفيفاً^(١).

قوله ﴿ولا أخاف ما تشركون به﴾ أي: هذه الأشياء التي تعبدونها لا تضر ولا تنفع ولا أخافها ﴿إلا أن يشاء ربي شيئاً﴾ لكن أخاف مشيئة ربي أن يعذبني ﴿وسع ربي كل شيء علماً﴾ علمه علماً تاماً وتعلق به علمه ﴿أفلا تتذكرون﴾ أفلا تعظون فتركون عبادة الأصنام.

ثم أنكر خوفه ألهمهم^(٢) فقال:

- ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾؟ وهذا سؤال تعجيز عن تصحيح الخوف ﴿ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً﴾.

قال ابن عباس^(٣): يريد: ما ليس لكم في إشراكه بالله حجة.

﴿فأي الفريقين أحق بالأمن﴾ أحق بأن يأمن من^(٤) العذاب، الموحد أو المشرك؟ ﴿[إن كنتم تعلمون]﴾.

ثم بين أن الأحق^(٥) بالأمن هو، فقال:

- ﴿الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ قال جماعة المفسرين^(٦): لم يخلطوا إيمانهم بشرك، ونحو هذا روي مرفوعاً.

أخبرنا الحاكم أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي^(٧)، أخبرنا أبو عمر ومحمد بن جعفر بن مطر، حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، والقاسم بن زكريا المطرز^(٨)، ويوسف بن موسى المروزي، وعبد الله بن زيدان الجلي، وأبو الحسين السمناني قالوا: حدثنا أبو كريب، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة^(٩)، عن عبد الله بن مسعود قال:

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحزمة والكسائي (أتجاجوني) - بالتشديد - والأصل: أتجاجوني بنونين الأولى علامة الرفع والثانية مع ياء المتكلم في موضع النصب، فاجتمع حرفان من جنس واحد، فأدغموا الأولى في الثانية (أفغير الله تأمروني) - سورة الزمر/ ٦٤ - وقرأ نافع وابن عامر (أتجاجوني) - بالتخفيف - لكراهة الجمع بين نونين، فحذفت إحدى النونين طلباً للتخفيف. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٥٧ - ٢٥٨، والسبعة ٢٦١، والنشر ٢/ ٢٥٩، والبيان ١/ ٥١٢ - ٥١٣، والحجة لابن خالويه ١٤٣، والبيان ٣٢٨/١).

(٢) في (د) اللهم.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١١٣، وابن كثير ٢/ ١٥٢ عن ابن عباس وغيره.

(٤) في (د) أي أحق بأن يأمن العذاب.

(٥) في (د) ثم بين الأحق.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١١٤، وغريب القرآن ١٥٦، وابن كثير ٢/ ١٥٣ عن أبي بكر وعمر وأبي بن كعب وسلمان وحذيفة وابن عباس وابن عمر ومجاهد وعكرمة والنخعي وقتادة والضحاك والسدي. والدر ٣/ ٢٧ عن أبي وابن عباس وابن جبير.

(٧) في (د) محمد بن الفارسي.

(٨) القاسم بن زكريا بن يحيى البغدادي أبو بكر الحافظ الثقة المقرئ ويعرف بالمطرز قال الخطيب ثقة ثبت توفي سنة ٣٠٥ هـ (تذكرة الحفاظ ٢/ ٧١٧).

(٩) علقمة بن قيس بن عبد الله فقيه العراق الإمام أبو شبل النخعي الكوفي خال إبراهيم النخعي وعم الأسود ولد في حياة النبي ﷺ ولحق الجاهلية وسمع من عمر وعثمان وابن مسعود وعلي وأبي الدرداء وجود القرآن على ابن مسعود وتفقه به وكان من أنبل أصحابه، وكان فقيهاً بارعاً إماماً ثباً فيما ينقل صاحب خير وورع توفي سنة ٦٢ هـ، (تذكرة الحفاظ ١/ ٤٨).

لما نزلت ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: ألا ترون إلى قول لقمان^(١) لابنه ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾^(٢). رواه مسلم عن أبي كريب^(٣).

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي حدثنا إسحاق الحنظلي، حدثنا جرير، وأبو معاوية، ووكيع، جميعاً على الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود وقال:

لما نزلت ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك؟

قال: ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم). رواه البخاري عن إسحاق عن وكيع عن قتيبة عن جرير، ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي معاوية ووكيع^(٤).

وقوله^(٥) ﴿أولئك لهم الأمن﴾ قال ابن عباس^(٦): من العذاب ﴿وهم مهتدون﴾ قال: أرشد إلى دين الله. أخبرنا الشيخ أبو معمر المفضل بن إسماعيل، أخبرنا الإمام حيري أبو بكر الإسماعيلي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حدثنا محمد بن حميد، حدثنا محمد بن المعلى^(٧)، حدثنا زياد بن خيثمة^(٨)، عن أبي داود، عن عبد الله بن سخبرة^(٩)، عن سخبرة^(١٠) قال:

قال رسول الله ﷺ: «من ابتلي فصبر، وأعطى فشكر، وظلم فاستغفر، وظلم فغفر، ثم سكت.

فقالوا: ماذا يا رسول الله؟

(١) عن ابن عباس: كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً، وقال سعيد بن المسيب: كان لقمان من سودان مصر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة. (تفسير ابن كثير ٤٤٣/٣).

(٢) سورة لقمان/ ١٣.

(٣) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الإيمان - باب صدق الإيمان وإخلاصه - عن ابن مسعود ٦٤/١.

(٤) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب الإيمان - باب ظلم دون ظلم ١٥/١ وفي كتاب بدء الخلق - باب (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) آخر حديث ٢٣٥/٢ وفي كتاب التفسير - (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) ١٢٨/٣ وفي كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم - الحديث الأول ١٩٥/٤ ومسلم في الصحيح - كتاب الإيمان - باب صدق الإيمان وإخلاصه ٦٤/١ كلاهما من حديث ابن مسعود.

(٥) في (د) قوله.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١١٤، والزجاج ٢٩٥/٢.

(٧) محمد بن المعلى الرازي عن ابن إسحاق وعنه مهراة الجمال ذكر له العقيمي حديثاً وما تعرض إلى تضعيفه (الميزان ٤٥/٤).

(٨) زياد بن خيثمة الجعفي الكوفي سمع سماك بن حرب وعنه شجاع بن الوليد قال ابن معين وأبو زرعة: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات روى له مسلم (كتاب الجمع ١٤٩/١، وتهذيب التهذيب ٣٦٤/٣).

(٩) عبد الله بن سخبرة عن أبيه عن أبي داود الأعمى روى له الترمذي حديثاً واحداً وضعفه. (تهذيب التهذيب ٢٣١/٥).

(١٠) سخبرة الأزدي - ويقال الأسدي - والد عبد الله بن سخبرة له صحبة روى عنه ابنه عبد الله روى حديثه أبو داود الأعمى عن عبد الله بن سخبرة - وليس بالأزدي - عن النبي ﷺ «من ابتلي فصبر وأعطى فشكر». الحديث، روى الترمذي بعضه، وقال البخاري: هو الأزدي.

قال: أولئك لهم الأمن وهم مهتدون»^(١).

- قوله^(٢) ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾ الآية، يعني: ما جرى بينه وبين قومه من المجادلة والزمارة إياهم الحجة.

قال ابن عباس: يريد: ألهمناها إبراهيم وأرشدناه إليها^(٣).

﴿نرفع درجات من نشاء﴾ أي: بالعلم والفهم والفضيلة والعقل، كما رفعنا درجة إبراهيم حتى اهتدى وحاج قومه في التوحيد [﴿إن ربك حكيم عليم﴾].

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٨٤ وَرَكَرَبًا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنْ الصَّالِحِينَ ٨٥ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ٨٦ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٨٧ ذَلِكَ هَدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٨٨ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَافِرِينَ ٨٩ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةُ قُلْ لَا اسْتَكْبَرُ عَلَيْهِ أَجْرٌ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٩٠

- ﴿ووهبنا له﴾ لإبراهيم ﴿إسحاق﴾ وولداً لصلبه^(٤) ﴿ويعقوب﴾ وولداً لإسحاق، كما قال ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة﴾^(٥).

﴿كُلًّا﴾ من هؤلاء المذكورين ﴿هدينا﴾ أرشدنا إلى ديننا ﴿ونوحا هدينا من قبل﴾ هؤلاء ﴿ومن ذريته﴾ قال عطاء^(٦): يريد من ذرية إبراهيم، وقال الفراء^(٧): «الهاء» في ﴿ذريته﴾: لنوح.

قال الزجاج^(٨): كلا القولين جائز، لأن ذكرهما جميعاً قد جرى.

(١) الحديث: انظر الدر ٣/٢٧ - ٢٨ عن سخيرة «أخرجه البغوي في معجمه وابن أبي حاتم وابن نافع والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب» والجامع الصغير ٢/١٥٩ ورمز له بالحسن، ومجمع الزوائد - كتاب الزهد - باب ما جاء في الشكر والصبر «رواه الطبراني وفيه أبو داود الأعمى وهو متروك» ٢٠/٢٨٤، والطبراني في الكبير ٧/١٦٣.

(٢) في (و) قوله تعالى.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١١٤.

(٤) في (د) ولد الصلب.. ولد اسحق.

(٥) سورة الأنبياء/٧٢.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١١٤ في رأي له، والقرطبي ٧/٣١ عن ابن عباس.

(٧) انظر الفراء ١/٣٤٢، وفتح القدير ٢/١٣٦ عن الفراء، والطبري ٧/١٧٢، والبيان ١/٥١٥، وابن كثير ٢/١٥٥، وتفسير ابن عباس ١١٤ في رأي آخر له.

(٨) انظر الزجاج ٢/٢٩٦.

والعلماء بالنسب يقولون: الكناية تعود إلى نوح، لأنه ذكر في جملة من عد من هذه الذرية يونس^(١) ولوطاً، ولا شك أنهما لم يكونا من ذرية إبراهيم^(٢).

[﴿ومن ذريته داود وسليمان وأيوب وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين﴾].

- [﴿وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾].

- وقوله^(٣) ﴿[وإسماعيل] واليسع﴾ وقرأ حمزة (والليسع) - بتشديد اللام، وتخفيفها - وكلاهما واحد في أنه اسم لنبى معروف، واللام الواحدة أشهر في اسمه.

قال الزجاج^(٤): يقال فيه اليسع والليسع - بتشديد اللام وتخفيفها - وكلاهما خارج عما عليه الأسماء الأعجمية في حال التعريف، نحو إبراهيم وإسماعيل^(٥)، ألا ترى أنه لم يجيء شيء منها على هذا النحو وإذا كان كذلك يقضى على السلام بالزيادة، كما أنشدته الفراء^(٦):

وجدنا الوليد بن يزيد مباركاً شديداً بأعباء الخلافة كاهله

وقوله ﴿[ويونس ولوطاً] وكلاً فضلنا على العالمين﴾ يعني: وكلاً من المذكورين ها هنا فضلنا على عالمي زمانهم.

(١) يونس بن متى كان من قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الأصنام فبعثه الله إليهم بالنهي عن عبادتها والأمر بالتوحيد فأقام فيهم ثلاثاً وثلاثين يدعوهم فلم يؤمن غير رجلين فلما أيقنوا الهلاك رجعوا إلى الله وأخلصوا النية فكشف الله عنهم العذاب ولم تكن قرية رد الله عنهم العذاب بعدما غشيهم إلا قوم يونس (الكامل لابن الأثير ١/٣٦٠ - ٣٦١).

(٢) انظر التبيان ١/٥١٥، والمشكل ١/٢٥٩.

(٣) في (د) قوله.

قرأ حمزة والكسائي (والليسع) بلامين وحجتهم: أنه أشبه بالأسماء الأعجمية، ودخول الألف واللام في (اليسع) قبيح، لأنك لا تقول: اليحيى، وتشديد اللام أشبه بالأسماء الأعجمية. وقرأ الباقون (اليسع) بلام واحدة - وحجتهم: عن أبي عمرو: هو مثل اليسر، وإنما هو يسر ويسع فردت الألف واللام، فقال: اليسع مثل اليعمد - قبيلة من العرب - واليرمع - الحجارة.

قال الأصمعي: كان الكسائي يقرأ (الليسع) ويقول: لا يكون يفعل كما لا يكون اليحيى قال: فقلت له: اليرمع واليعمد: حي من اليمن، فسكت.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٥٩ - ٢٦٠ - والسبعة ٢٦٢، والنشر ٢/٢٦٠، والتبيان ١/٥١٦، والزجاج ٢/٢٩٦، والمشكل ١/٢٥٩ - ٢٦٠، والفراء ١/٣٤٢، والأخفش ٢/٤٩٦ - ٤٩٧، والحجة لابن خالويه ١٤٤، والتبيان ١/٢٣٠، والرازي ١٣/٦٦).

(٤) انظر الزجاج: ٢/٢٩٦، والرازي ١٣/٦٦ عن الزجاج.

واليسع: هو ابن أخطوب بن العجوز، قال ابن الأثير: لما انقطع إلياس عن بني إسرائيل بعث الله تعالى اليسع. (تفسير الطبري ٧/١٧٣، والكامل لابن الأثير ١/٢١٤).

(٥) في غير (أ) إسماعيل وإبراهيم.

(٦) انظر الفراء ١/٣٤٢، ٣/٤٠٨، والبيت من قصيدة لابن ميادة الرماح بن أبرد والشاهد دخول «أل» على الاسم الذي لا ينصرف في ضرورة الشعر.

وانظر فتح القدير ٢/١٣٧، والحجة لابن خالويه ١٤٤، والطبري ٧/١٧٣، والقرطبي والخزانة ٢/٢٢٦، والبداية والنهاية ٦/٢٧١ برواية: رأيت يزيد بن الوليد. . وليس الوليد بن يزيد.

والوليد هو ابن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو العباس الأموي الدمشقي ولد سنة ٩٠، وبويع بالخلافة بعد عمه هشام سنة ١٢٥ هـ، وقتل سنة ١٢٦ هـ. (البداية والنهاية ١٠/٦).

- قوله^(١) ﴿ومن آبائهم﴾ قال الزجاج^(٢): أي هدينا هؤلاء الذين ذكرناهم^(٣) وهدينا بعض آبائهم ﴿وذرياتهم وإخوانهم﴾ ف «من» ها هنا: للتبعض - ﴿واجتبتناهم﴾ واصطفيناهم ﴿وهديناهم إلى صراط مستقيم﴾ يعني: التوجيه دين الله.

- ﴿ذلك هدى الله﴾ قال ابن عباس^(٤): يريد ذلك دين الله الذي هم عليه ﴿يهدى به من يشاء [من عباده]﴾ [يهدى بذلك الدين من يشاء]^(٥) إلى صراط^(٦) مستقيم.

﴿ولو أشركوا﴾^(٧) قال: يريد: لو عبدوا غيري ﴿لحبط﴾ لبطل وزال عنهم ﴿ما كانوا يعملون﴾ لأن العمل يقبل مع الشرك.

- ﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب﴾ يعني: الكتب التي أنزلها عليهم ﴿والحكم﴾ يعني: العلم^(٨) والفظه ﴿فإن يكفر بها﴾ بآياتنا ﴿هؤلاء﴾ يعني: أهل مكة ﴿فقد وكلنا بها قوماً﴾ أرصدنا لها قوماً ووقفناهم للإيمان، وهم المهاجرون والأنصار، وهو قوله ﴿ليسوا بها بكافرين﴾.

- ﴿أولئك الذين هدى الله﴾ يعني: النبيين الذين ذكرهم الله ﴿فبهدهم اقتده﴾ قال الكلبي^(٩): بشرائهم وسنتهم اعمل.

وقال الزجاج: أي أصبر كما صبروا على تكذيب قومهم^(١٠).

وأكثر القراء أثبتوا «الهاء» في ﴿اقتده﴾ ساكنة في الوصل والوقف موافقة للمصحف والوجه عند التحوين الإثبات في الوقف، والحذف في الوصل، لأن هذه الهاء للسكت، فلا تثبت في الإدراج.

وقرأ ابن عامر - بكسر الهاء^(١١) - وخطأه ابن مجاهد^(١٢) وقال: هذه هاء وقف لا تحرك في حال من الأحوال، وقال أبو علي الفارسي^(١٣): جعل ابن عامر «الهاء» كناية عن المصدر لا «هاء» الوقف، كأنه قال: فبهدهم اقتد الاقتداء^(١٤)

(١) في (و) وقوله.

(٢) انظر الزجاج ٢/٢٩٦.

(٣) في (أ) ذكرهم، وفي (ح) ذكرناهم وهديناهم.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ١١٤.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٦) قرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف (اقتد) - بغير هاء - في الوصل وإثباتها في الوقف للرسم.

وحجتهم: أن الهاء إنما دخلت للوقف وليبيان الحركة في حال الوقف، فإذا وصل القارئ قراءته اتصلت الدال بما بعدها فاستغني عن الهاء لزوال السبب الذي أدخلها من أجله فطرحها.

وقرأ الباقون (اقتده) في الوصل والوقف، وحجتهم: أنها مثبتة في المصاحف، فكروها إسقاط حرف من المصحف.

وقرأ ابن عامر (اقتده) - بكسر الدال وإشمام الهاء الكسر - في رواية هشام - والإشباع - في رواية ابن ذكوان (اقتد هي) جعلها اسماً (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦٠، والسبعة ٢٦٢، والنشر ١٤٢/٢، والنيبان ٥١٧/١ والزجاج ٢/٢٩٧ والحجة لابن خالويه ١٤٥ وهامش السبعة ص ٢٦٢ عن أبي علي الفارسي).

(١٢) مقرأ العراق أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، روى عن سعدان بن نصر الرماد وخلق وقرأ علي قنبل وأبي الزعرير وجماعة وكان ثقة بصيراً بالقراءات وعللها عديم النظير توفي سنة ٣٢٤ هـ عن ٨٠ سنة (شذرات الذهب ٢/٣٠٢).

(١٣) أبو علي الفارسي: الحسن بن محمد بن عبد الغفار النحوي صاحب التصانيف ببغداد قال ابن خلكان: كان إمام وقته في علم النحو صنف كتاب الإيضاح والتكملة والمقصود والممدود والحجة في القراءات وغيرها، ولد سنة ٢٨٨ هـ، وتوفي سنة ٣٧٧ هـ (شذرات

الذهب ٣/٨٨ - ٨٩).

(١٤) في (د) اقتدا اقتدا والفعل على المصدر.

والفعل يدل على المصدر، فكفى عنه كما حكى سيويه من قولهم: من كذب كان شراً له، أي: كان الكذب شراً له^(١).

وقوله^(٢) ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: على القرآن، لا أطلب مالا تعطونه ولا جعلاً ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ﴾ قال ابن عباس^(٣): موعظة للخلق أجمعين.

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِينَ تُبَدُّونَهَا بُدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾

- قوله^(٤) ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ قال ابن عباس^(٥): ما عظموا الله حق تعظيمه وقال أبو العالية^(٦): ما وصفوه^(٧) حق صفته، وقال أبو عبيدة^(٨) ما عرفوه حق معرفته.

﴿إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي^(٩): قالت اليهود: يا محمد أنزل الله عليك كتاباً؟

قال: نعم.

قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً، فأنزل الله تعالى ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى﴾ يعني: التوراة ﴿نوراً﴾ ضياء ﴿وهدى﴾ هادياً للناس ﴿تجعلونه قراطيس﴾.

قال المفسرون^(١٠): تكتبونه في قراطيس مقطعة حتى لا تكون مجموعة^(١١) لتخفوا منها ما شئتم، وهو^(١٢) قوله

(١) انظر الكتاب ٣٩١/٢.

وانظر كلام النحويين في التبيان ٥١٧/١، والمشكل ٢٦٠/١.

وكل شيء من نبات الباء والواو في موضع الجزم فالوقف عليها بالهاء ليلفظ به» (الأخفش ٤٩٧/٢).

(٢) في (ح) إلى قوله، وفي (د) قوله.

(٤) في (ح)، و قوله عز وجل، وفي (د) قوله تعالى.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ١١٤، والزجاج ٢٩٧/٢، والرازي ٧٣/١٣، وغرائب النيسابوري ١٨٧/٧ كلاهما عن ابن عباس، والقراء ٣٤٣/١ والدر ٢٩/٣ عن السدي وأبي مالك.

(٦) انظر تفسير الرازي ٧٢/١٣، وغرائب النيسابوري ١٨٧/٧، والخازن ١٥٧/٢ كلها عن أبي العالية، وغريب القرآن ١٥٦.

(٧) في (و) وصفوا الله.

(٨) انظر مجاز القرآن ٢٠٠/١، والرازي ٧٢/١٣، وغرائب النيسابوري ١٨٧/٧، والخازن ١٥٧/٢ كلها عن الأخفش وغريب القرآن ١٥٦.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ١١٤، والطبري ١٧٧/٧، وفتح القدير ١٤١/٢ كلاهما عن ابن عباس والدر ٢٩/٣ عن ابن عباس والسدي وعكرمة وابن جبير والقرظي، وأسباب النزول للسيوطي ١٢٠، وللواحدي ١٦٤.

(١٠) انظر تفسير الطبري ١٧٩/٧ عن عكرمة، والدر ٢٩/٣ عن ابن جريج، وابن كثير ١٥٦/٢ وفتح القدير ١٣٩/٢.

(١١) في (د) مجموعاً.

(١٢) ساقطة من (و).

﴿تبدونها وتخفون كثيراً﴾ قال الفراء^(١): تبدون ما تحبون وتكتمون صفة محمد ﷺ.

وقرأ أبو عمرو ﴿يجعلونه﴾ وما بعده بالياء - على الغيبة - لقوله ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾^(٢).

[وقوله^(٣) ﴿وعُلِّمْتُمْ ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾ الأكثرون على: أن هذا خطاب لليهود.

يقول: علمتم على لسان محمد ﷺ ما لم تعلموا]^(٤).

قال الحسن^(٥): جعل لهم ما جاء به محمد ﷺ فضيعوه ولم ينتفعوا به.

وقال مجاهد^(٦): هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة^(٧) مما علمهم على لسان محمد ﷺ.

قوله^(٨) ﴿قل الله﴾ جواب لقوله^(٩) ﴿من أنزل الكتاب﴾؟ ﴿قل الله﴾ أي: الله أنزله ﴿ثم ذرهم في خوضهم﴾ في باطلهم وما يخوضون فيه من الكذب ﴿يلعبون﴾ يعملون ما لا يجدي^(١٠) عليهم، والعرب تقول لمن كان عمل عملاً لا ينتفع به^(١١): إنما أنت لاعب. وحقيقة هذا الكلام التهديد.

ثم ذكر القرآن فقال:

- ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ معنى «المبارك»: الكثير الخير، ومعنى «البركة» ثبوت الخير على الازدياد والنماء، وأصلها في اللغة: الثبوت^(١٢).

قال الكلبي: المبارك: فيه مغفرة لذنوبهم، وتوبة من أعمالهم^(١٣).

(١) انظر الفراء ٣٤٣/١، وتفسير ابن عباس ١١٥، والبحر ١٧٨/٤.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً) - بالياء جميعاً - قال أبو عمرو: يعني أهل الكتاب (وعلمتم ما لم تعلموا) يعني المسلمين، لأن العرب لم يكن لها قبل ذلك كتاب، وحقته: قوله تعالى ﴿جاء به موسى نوراً وهدى للناس﴾ أي يجعله الناس قراطيس يعني اليهود، فلما قرب الفعل منهم جعل الفعل لهم.

وقرأ نافع وعاصم وحزمة والكسائي وابن عامر بالتاء قال أبو عبيد: «التاء» تختار للمخاطبة قبلها، وبعدها والتي قبلها قوله (قل من أنزل الكتاب) والتي بعدها قوله (وعلمتم ما لم تعلموا) فكان قراءتهم ما توسط بين الخطابين من الكلام على لفظ ما قبله وما بعده ليألف نظام الكلام على سياق واحد.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦٠ - ٢٦١، والسبعة ٢٦٢ - ٢٦٣، والنشر ٢٦٠/٢ والتبيان ٥١٨/١ - ٥١٩، والحجة لابن خالويه ١٤٥).

(٣) ليست في (ح) وفي (د) قوله.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من و (و).

(٥) انظر تفسير البغوي ١٥٩/٢ عن الحسن، وفتح القدير ١٤١/٢ بنحوه عن قتادة، والوجيز للواحدي ٢٥٠/١.

(٦) انظر تفسير الطبري ١٧٩/٧، وابن كثير ١٥٦/٢، وفتح القدير ١٤١/٢ كلها عن مجاهد.

(٧) في (د، و) فيما علمهم، وفي (ح) فلما.

(٨) في (ح، و) وقوله.

(٩) في غير (أ) لقولهم.

(١٠) في (أ) مما لا يجدي، وفي (د) ما لا يجري.

(١١) في (و) لا يجدي.

وانظر الزجاج ٢٩٨/٢، وغرائب النيسابوري ١٩١/٧، واللسان/لعب.

(١٢) انظر اللسان/ برك، والمصباح/ برك، ومفردات الراغب/ برك.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ١١٥.

وقال أهل المعاني^(١): معنى قوله للقرآن ﴿مبارك﴾ أنه كثير خيره، دائم منفعته، يبشر^(٢) بالثواب والمغفرة، ويزجر عن الفحش والمعصية، إلى ما لا يعد من بركاته.

وقوله ﴿مصدق الذي بين يديه﴾ موافق لما تقدمه من الكتب.

وقوله ﴿ولتندر أم القرى﴾ قال الزجاج: المعنى: أنزلناه للبركة والإنذار^(٣).

و«أم القرى»: مكة، سميت أم القرى، لأن الأرض كلها دحيت من تحتها، فهي أصل الأرض كلها^(٤).

والمعنى: ولتندر أهل أم القرى، فحذف المضاف.

﴿ومن حولها﴾ قال ابن عباس^(٥): يريد: جميع الآفاق.

ومن قرأ (ولينذر) - بالياء - جعل الفعل للكتاب^(٦).

وقوله ﴿والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به﴾ أي: من آمن بالآخرة حقيقة آمن بالقرآن، فأما من آمن بالآخرة ولم يؤمن بالقرآن فإنه لم يؤمن بالآخرة إيماناً حقيقياً فلم يعتد^(٧) بإيمانه مع كفره بالقرآن، ألا ترى أنه قال ﴿وهم على صلواتهم يحافظون﴾ فدل على أنه أراد المؤمنين الذي يحافظون على الصلوات.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ أَلْهُونٍ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكَبْتُمْ مَا Χَوْلْتُمْ وَأَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

- قوله^(٨) ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ - تقدم تفسيره في هذه السورة^(٩) - ﴿أو قال أوحى إلي ولم

يوح^(١٠) إليه شيء﴾.

(١) انظر تفسير الرازي ١٣/٨٠ عن أهل المعاني، وغرائب النيسابوري ٧/١٩١، والبحر ٤/١٧٩ والخازن ٢/١٥٩، واللسان/ برك عن الزجاج.

(٢) في (د) مبشر.

(٣) انظر الزجاج ٢/٢٩٨.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ١١٥، وغريب القرآن ١٥٦، والطبري ٧/١٨٠ عن قتادة، وفتح القدير ٢/١٤١ عن قتادة وعطاء، وغرائب النيسابوري ٧/١٩١، والخازن ٢/١٥٩ - كلاهما عن ابن عباس، والدر ٣/٢٩ عن ابن عباس وقاتة.

(٥) انظر تفسير الطبري ٧/١٨٠، والدر ٣/٢٩، وفتح القدير ٢/١٤١ كلها عن ابن عباس.

(٦) قرأ عاصم - في رواية أبي بكر - (ولينذر) - بالياء - وحجته: قوله (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) أي: لينذر الكتاب أهل مكة ومن حولها، وقرأ الباقون - بالتاء - وحجتهم، قوله ﴿إنما أنت منذر﴾ سورة الرعد/٧ - (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦١، والسبعة ٢٦٣، والنشر ٢/٢٦٠، والزجاج ٢/٢٩٨، والبيان ١/٥١٩ - ٥٢٠، والحجة لابن خالويه ١٤٥).

(٩) انظر تفسير الآية ٢١.

(٧) في (و) يعتدوا.

(١٠) في (د) بوحى.

(٨) في (و) قوله تعالى.

قال قتادة^(١): يعني مسيلمة الكذاب^(٢) ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ قال ابن عباس^(٣): يريد: المستهزئين، وهو^(٤) اختيار الزجاج، قال: هذا جواب لقولهم ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾^(٥).

وقوله^(٦) ﴿ولو ترى إذ الظالمون﴾ يعني: الذين ذكرهم من المغترين والمدعين الوحي إليهم كذباً والقائلين سأُنزِلَ مثل ما أنزل الله ﴿في غمرات الموت﴾ شدائده ومكراهه، جمع غمرة، وهي^(٧) ما تغشى الإنسان مما يكرهه. ﴿والملائكة﴾ يعني: ملائكة العذاب^(٨) ﴿بأسطوا أيديهم﴾ بالتعذيب يضربونهم ويعذبونهم^(٩) ﴿أخرجوا أنفسكم﴾ أي: يقولون لهم: أخرجوا أنفسكم.

قال المفسرون^(١٠): إن نفس المؤمن تنشط في الخروج للقاء ربه، ونفس الكافر تكره ذلك ويشق عليها الخروج، لأنها تصير إلى أشد العذاب، فهؤلاء الكفار^(١١) تكرههم الملائكة على نزع الروح كرهاً.

وجواب «لو» مضمرة على تقدير: ولو رأيت ذلك لرأيت عجباً، أو أمراً فظيماً. وقوله^(١٢) ﴿اليوم تجزون عذاب الهون﴾ «الهون»: الهوان^(١٣)، ومنه قوله ﴿أيمسكه على هون﴾^(١٤).

قال الزجاج^(١٥): يعني العذاب الذي يقع به الهوان الشديد. ثم ذكر أن هذا العذاب جزاء كذبهم على الله فقال ﴿بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ عن الإيمان بالقرآن لا تصدقونه ولا تؤمنون به.

- وقوله^(١٦) ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾ قال الفراء^(١٧): «فرادى» جمع وإحداها فرد وفرد وفريد وفردان. قال ابن عباس^(١٨): يريد: بلا مال ولا ولد قال ابن كيسان^(١٩): جئتمونا مفردين مما كنتم تعبدون ومن المظاهرين^(٢٠) لكم.

(١) انظر تفسير ابن عباس ١٦٥، والزجاج ٢٩٨/٢، والطبري ٢٨١/٧ عن قتادة وعكرمة، وكذا ابن كثير ١٥٧/٢، والفراء ٣٤٤/١، والقر ٣٠/٣ عن قتادة وعكرمة وابن جريج، والبخاري ١٦٠/٢ عن قتادة وأسباب النزول للواحدي ١٦٤ وللسيوطي ١٢٠.

(٢) مسيلمة الكذاب: هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي - أو ثمامة - ولد ونشأ باليمامة في القرية المسماة اليوم بالجبية ولقب في الجاهلية بالرحمان - وعرف برحمان اليمامة - قتله خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ. في خلافة أبي بكر (شذرات الذهب ١/٣١)

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١١٥، والزجاج ٢٩٨/٢، والبخاري ٢٦١/٢، عن ابن عباس، والطبري ١٨٢/٧ وأسباب النزول للواحدي ١٦٥، وللسيوطي ١٢٠ - ١٢١.

(٤) في (د) وهما.

(٥) سورة الأنفال / ٣١.

(٦) في (د) قوله تعالى.

(٧) انظر تفسير ابن كثير ١٥٧/٢، والبخاري ١٦١/٢، والدر ٣٠/٣ - ٣١ عن ابن عباس.

(٨) ساقطة من (و).

(٩) في (د) قوله.

(١٠) سورة النحل/ ٥٩، وانظر معنى (الهون) في غريب القرآن ١٥٦، ومجاز القرآن ١/٢٠٠، والدر ٣٢/٣ عن ابن عباس ومجاهد.

(١١) انظر الزجاج ٢٩٩/٢.

(١٢) في (د)، (و) قوله تعالى.

(١٣) انظر الفراء ٣٤٥/١، والرازي ٨٧/١٣ عن الفراء واللسان/ فرد عن الفراء.

(١٤) انظر تفسير ابن عباس ١١٥، والبحر ٤/١٨٢ عن ابن عباس.

(١٥) انظر البحر ٤/١٨٢ عن ابن كيسان، وفتح القدير ١٤٠/٢.

(١٦) في (د) المصاهرين.

قوله (١) ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حفاة عراة (٢) كما خرجتم من بطون أمهاتكم ﴿وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم﴾ أي: ما ملكناكم، يقال: خوله الشيء، أي: ملكه إياه (٣) قال ابن عباس (٤): ﴿وتركتم ما خولناكم﴾ يريد: من النعيم والمال والعبيد والرباع (٥) والمواشي.

﴿وما (٦) نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾ قال المفسرون (٧): إن المشركين زعموا أنهم يعبدون الأصنام لأنهم شركاء الله وشفعاءهم عنده والمعنى: أنهم شركاء لي في عبادتكم.

وقوله (٨) ﴿لقد تقطع بينكم﴾ قال الزجاج (٩): الرفع أجود، ومعناه: لقد تقطع وصلكم، والنصب جائز على معنى: لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم.

وقال ابن الأنباري (١٠): التقدير: لقد تقطع ما بينكم، فحذف «ما» لوضوح معناه. وقال ابن عباس (١١): لقد تقطع بينكم، يريد وصلكم ومودتكم، وقال الحسن (١٢): لقد تقطع الأمر بينكم وقال قتادة (١٣): ما بينكم من الوصل. ﴿ووصل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ ذهب عنكم ما كنتم تكذبون في الدنيا.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَىِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ تَوَفَّكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِيَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

(١) من (أ، د).

(٢) في (و) عراة حفاة.

(٣) انظر غريب القرآن ١٥٧، واللسان/ خول.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٨٥/٧، والدر ٣٢/٣، وفتح القدير ١٤٢/٢ كلها عن السدي.

(٥) الرباع: الداره (اللسان/ ريع، وحاشية أ).

(٦) في (د) ما نرى.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٨٥/٧ عن السدي، والدر ٣٢/٣، وفتح القدير ١٤٢/٢ كلاهما عن عكرمة، وأسباب النزول للسيوطي ١٢١.

(٨) في (د) قال.

(٩) انظر الزجاج ٣٠٠/٢، والدر ٣٢/٣ عن يحيى بن يعمر والأعرج.

(١٠) انظر البيان ٣٣٢/١.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١١٥، والطبري ١٨٥/٧ عن ابن عباس، والفراء ٣٤٥/١، مجاز القرآن ٢٠٠/١.

(١٢) انظر الدر ٣٢/٣ عن الحسن.

(١٣) انظر تفسير الطبري ١٨٥/٧، والدر ٣٢/٣، وفتح القدير ١٤٢/٢ كلها عن قتادة.

قرأ نافع والكسائي وحفص (بينكم) - بالفتح - أي: لقد تقطع ما بينكم كذا قال أهل الكوفة واستدلوا بقراءة عبد الله لأن قراءته (لقد تقطع ما بينكم) و «ما» موصولة و «بين» صلة وحذفوا الموصول وهو «ما» وبقيت الصلة وهي (بينكم).

وعند أهل البصرة غير جائز هذا لأن الصلة والموصول اسم واحد، ومحال أن يحذف صدر الاسم ويبقى آخره، ولكن التقدير: لقد تقطع الأمر بينكم، و «بين» نصب على الظرف عند الجميع، وإنما الخلاف في تقدير الكلام.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم - في رواية أبي بكر - وابن عامر وحمزة (بينكم) - بالضم.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦١ - ٢٦٢، والسبعة ٢٦٣، والنشر ٢/٢٦٠، والتبيان ١/٥٢٢ والنزجاج ٢/٣٠٠، والفراء ١/٣٤٥،

والمشكل ١/٢٦٢ - ٢٦٣، والمستدرک ٢/٢٣٨، والحجة لابن خالويه ١٤٥).

يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا
نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ
مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

- قوله تعالى (١) ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ قال الكلبي (٢) : الحب : ما لم يكن له نوى مثل البر والشعير. والنوى : مثل نوى التمر والخوخ وغيرهما، فلقهما الله تعالى بالنبات. وقال الحسن وقتادة والسدي (٣) : فلق الحبة عن السنبله، والنواة عن النخلة. وقال الزجاج (٤) : يشق الحبة اليابسة والنواة واليابسة فيخرج منها ورقاً أخضر وقال مجاهد (٥) : يعني : الشقين اللذين فيهما (٦) وقوله ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ قال ابن عباس (٧) : يخرج من النطفة بشراً حياً، ثم يخرج النطفة الميتة من الحي.

وقال عطاء (٨) : يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن (٩). قال الزجاج (١٠) : يخرج النبات الغض الطري من الحب اليابس، ويخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي. ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ فَانِي تَوْفِكُونَ﴾ قال ابن عباس (١١) : يريد : الله وحده يفعل هذا، فكيف تكذبون؟ والمعنى : كيف تصرفون عن الحق بعد هذا البيان؟

- قوله ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ «الصبح والصبح والإصباح» : أول ما يبدو من النهار، يقال : فلق الله الصبح، أي أباده وأوضحه. ومعنى ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ مبدئه وموضحه، وذلك أن الفلق معناه في اللغة : الشق، وذلك راجع إلى الإبداء والإيضاح (١٢). وقوله (١٣) ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا﴾ «السكن» : ما سكنت إليه، يريد : أن الناس يسكنون في الليل سكون الراحة، بأن جعل الله لهم ذلك سكناً (١٤).

(١) في (ح) قوله عز وجل.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ١١٥ بنحوه، والرازي ٩٠/١٣، وغريب القرآن ١٥٧، والبحر ١٨٤/٤ عن إسماعيل الضير.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١١٥، والطبري ١٨٦/٧، والدر ٣٣/٣ كلاهما عن قتادة والسدي والبغوي ١٦٢/٢ عن الحسن وقتادة والسدي.

(٤) انظر الزجاج ٣٠٠/٢، والبغوي ١٦٢/٢ عن الزجاج، وتفسير ابن عباس في رأي له ١١٥.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٨٦/٧، والدر ٣٣/٣ كلاهما عن مجاهد، وفتح القدير ١٤٥/٢ عن مجاهد وأبي مالك.

(٦) في (د) فيها قوله.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ١١٥، والطبري ١٨٧/٧، والرازي ٩٢/١٣، والفراء ٣٠٥/١٠ - كلها عن ابن عباس، وفتح القدير ١٤٥/٢ عن مجاهد ٣٣٠/١٥ عن ابن عباس وابن مسعود.

(٨) انظر تفسير البغوي ٣٣٥/١ عن الحسن وعطاء والرازي ٩٢/١٣ عن ابن عباس والخازن ١٦٢/٢ عن ابن عباس والحسن وراجع تفسير

الآية ٢٧ من سورة آل عمران.

(٩) في (و) تخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر.

(١٠) انظر الزجاج ٣٠٠/٢، وتفسير ابن عباس ١١٥،

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١١٥، ونحوه قال الزجاج ٣٠٠/٢.

(١٢) انظر اللسان / صبح، فلق، والمصباح / صبح، فلق، ومفردات الراغب / صبح، فلق.

(١٣) في (د) قوله.

(١٤) انظر تفسير الطبري ١٨٨/٧، والخازن ١٦٣/٢ عن ابن عباس، والدر ٣٣/٣، وفتح القدير ١٤٥/٢ كلاهما عن قتادة.

قال الكلبي: يسكن فيه الخلق ويرجعونه إلى أوطانهم، وهو مثل قوله ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾^(١) وقرأ أهل الكوفة ﴿وجعل الليل﴾ لأن اسم الفاعل الذي قبله بمعنى الماضي فلما كان فاعل بمنزلة فعل عطف عليه فعل لموافقته له^(٢) في المعنى، ويدل ذلك أنه بمنزلة فعل قوله ﴿والشمس والقمر﴾ بالنصب، ألا ترى أنه لما كان المعنى في (جاعل) جعل نصب الشمس والقمر، لأن الليل في موضع نصب في المعنى، فرد الشمس والقمر على معناه^(٣) وأما «الحسبان»: فهو مصدر كالحساب، يقال: حسبت أحسب حساباً وحسباناً^(٤) وقال الأخفش وأبو عبيدة^(٥) والمبرد: هو جمع حساب كركاب وركبان، وشهاب، وشهبان. ومعنى ﴿والشمس والقمر حسباناً﴾ أي: بحساب لا يتجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما^(٦) ﴿وذلك تقدير العزيز﴾ في ملكه يصنع ما أراد ﴿العليم﴾ بما قدر من خلقهما.

- قوله^(٧) ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ وذلك أن راكبي البحار وسالكي^(٨) القفار إنما يهتدون في الليل لمقاصدهم بالنجوم لولاها لضلوا ولم يهتدوا. ﴿قد فصلنا الآيات﴾ بينا الدلائل على قدرتنا ﴿لقوم يعلمون﴾.

- ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة﴾ يعني: آدم ﴿فمستقر ومستودع﴾ قال ابن الأنباري^(٩): أراد^(١٠) فلکم مستقر ومستودع. قال ابن عباس: مستقر في الرحم، ومستودع في الصلب^(١١). وقال كريب: كتب حبر تيباء إلى ابن عباس يسأله عن هذه الآية، فكتب إليه: المستودع: الصلب، والمستقر: الرحم^(١٢).

(١) سورة يونس / ٦٧.

(٢) في (د) لموافقته في المعنى.

(٣) قرأ عاصم وحمزة والكسائي (وجعل) وحجتهم: أن الأفعال التي عطفت عليه جاءت بلفظ الماضي، وهو قوله - بعدها - ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم﴾، ﴿وهو الذي أنشأكم﴾ ﴿وهو الذي أنزل﴾ فلأن تكون معطوفة على شبيها ويكون ما تقدمها جرى بلفظها أولى. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (وجاعل) - بالالف - (الليل) - بالكسر - وحجتهم: قوله (فأجروا) (جاعل الليل) على لفظ ما تقدمه إذا أتى في سياقه.

ونصبوا (والشمس والقمر) على تأويل: وجعل الشمس والقمر حساباً.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦٢، والسبعة ٢٦٣، والنشر ٢/٢٦٠، والبيان ١/٥٢٣ والزجاج ٢/٢٠١، والحجة لابن خالويه ١٤٦).

(٤) انظر اللسان / حسب عن التهذيب للأزهري، واللسان / حسب عن أبي العباس.

(٥) في (و) أبو عبيد، وانظر الأخفش ٢/٤٩٨، وفتح القدير ٢/١٤٢ عن الأخفش، ومجاز القرآن ١/٢٠١، ٢/٢٤٢ واللسان / حسب عن الأخفش وأبي الهيثم، والرازي ١٣/٩٩. عن أبي الهيثم، والزاهر ٢/٨٢ - ٨٣.

(٦) في (د) قوله.

(٧) في (د) قوله تعالى.

(٨) في (ر) وساكني.

(٩) انظر الزاهر ١/٢٧٦، والزجاج ٢/٣٠٢، وفتح القدير ٢/١٤٣، والحجة لأبي زرعة ٢٦٢ عن الزجاج.

(١٠) ساقطة من (و).

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١١٦، والرازي ١٣/١٠٣، والطبري ٧/١٩١، والدر ٣/٣٦، وابن كثير ٢/١٥٩، وفتح القدير ٢/١٤٦،

والمستدرک - كتاب التفسير وصححه ٢/٣١٦ كلها عن ابن عباس.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٧/١٩٢، والرازي ١٣/١٠٣ كلاهما عن كريب.

وأما من كسر القاف^(١)، فقال العوفي: كل مخلوق قد فرغ من خلقه فهو المستقر الذي قد خلق واستقر^(٢) في الرحم، والمستودع: قد استودع في الصلب. [وقال عكرمة^(٣): المستقر: الذي قد خلق واستقر في الرحم، والمستودع: الذي قد استودع في الصلب^(٤)].

والتقدير على هذه القراءة: فمنكم مستقر ومستودع، والمستقر - بفتح القاف - اسم للمكان، وهو بمعنى المقر، وبكسر القاف بمعنى القار، يقال: قر مكانه واستقر. والمستودع مثل المودع، يقال: استودعته الشيء وأودعته، وهو الإنسان المودع في الصلب.

أخبرنا الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا شعيب بن محمد البيهقي، أخبرنا مكي بن عبدان، حدثنا أبو الأزهر، حدثنا روح، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، وأبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: قال لي ابن عباس^(٥): هل تزوجت؟ قلت: لا. قال: أما إنه ما كان من مستودع في ظهره فسيخرجه الله تعالى.

- قوله ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء﴾ يعني: المطر ﴿فأخرجنا به نبات كل شيء﴾ لأن كل ما ينبت فنباته بالماء ﴿فأخرجنا منه خضراً﴾ «الخضر»؛ مثل الأخضر، كالعور مثل الأعور. يعني: ما كان رطباً أخضر مما ينبت من القمح والشعير وغيرهما. ﴿نخرج منه﴾ من الخضر ﴿حَباً متراكباً﴾ بعضه على بعض في سنبلة واحدة. قوله^(٦) ﴿ومن النخل من طلعها﴾ وهو أول منها من العذق^(٧) ﴿قنوان دائية﴾ قال قتادة^(٨): عذوق متدلّية، وهي جمع قنوة، وإذا ثبتت قلت: قنوان - بكسر النون - قاله أبو عبيدة، ثم جاء جمعه على لفظ الاثنين، مثل صنو وصنوان^(٩)، والإعراب في النون للجمع، وليس لهما في كلام العرب نظير، ومعنى ﴿دائية﴾: تدنو^(١٠) ممن يجتنيها.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (فمستقر) - بكسر القاف - جعل الفعل له، أي: فمنكم مستقر ومنكم مستودع، تقول: قر الشيء يقر واستقر يستقر بمعنى واحد، وحثهم ذكرها البيهقي - بقوله: فمستقر في الرحم، يعني الولد، ومستودع في أصلاب الرجال. وعن الحسن البصري قال: مستقر في القبر ومستودع في الدنيا يوشك أن يلحق بصاحبه. وقال الزجاج: وجائز أن يكون (فمستقر) أي فمنكم مستقر في الأحياء ومنكم مستودع في الثرى فجعل أبو عمرو «المستقر» فاعلاً و«المستودع» مفعولاً.

وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي (فمستقر) - بفتح القاف - وحثهم: إجماع الجميع على فتح الدال في «مستودع» على معنى: أن الله استودعه، فكذلك «مستقر» موجه إلى أن الله استقره في مقره فهو مستقر كما هو مستودع في مستودعه، وقوله (ويعلم مستقرها ومستودعها) يشهد بالفتح. (وانظر الحجة لأبي زرعة ٢٦٢ - ٢٦٣، والسبعة ٢٦٣، والنشر ٢/٢٦٠، والتبيان ٢/٥٢٣ - ٥٢٤، والزجاج ٢/٣٠١ - ٣٠٢، والفراء ١/٣٤٧، والمشكل ١/٢٦٣، والحجة لابن خالويه ١٤٦).

(٢) في (و) فاستقر.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٩١/٧ عن عكرمة.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح، و).

(٥) انظر تفسير الطبري ١٩١/٧، ١٩٣، والمستدرک ٢/١٦٠، والدرر ٣/٣٦ كلها عن سعيد.

(٦) في (و) وقوله.

(٧) ذكره ابن منظور في اللسان/ طلع

(٨) انظر تفسير ابن عباس ١١٦، والطبري ١٩٥/٧، والدرر ٣/٣٦ كلاهما عن قتادة، والزجاج ٢/٣٠٢ - ٣٠٣.

(٩) انظر مجاز القرآن ١/٢٠٢، والزجاج ٢/٣٠٢ والأخفش ٢/٤٩٩، والطبري ٧/١٩٤ وغريب القرآن ١٥٧، وفي اللسان/ قنوة وفي الحديث:

أنه خرج فرأى أقناء معلقة، منها قنوة حشف، القنوة: العذق بما فيه من الرطب وجمعه أقناء. عن أبي حنيفة: والجمع أقناء وقنوان

وقنابان. ومن قال قنوة فإنه يقول للاثنين قنوان - بالكسر - والجمع قنوان - بالضم - ومثله صنو وصنوان.

(١٠) في (د) تدنوا ومن.

قال الزجاج^(١): ولم يقل: منها قنوان بعيدة اكتفاء^(٢) بذكر القرية، كما قال: ﴿سراويل^(٣) تقيكم الحر﴾ قال ابن عباس في رواية الوالي ﴿قنوان دائية﴾ يعني: قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض^(٤).

وقوله ﴿وجنات من أعناب﴾ الوجه كسر التاء، لأنها في موضع نصب نسقاً على قوله ﴿خضراً﴾ أي: فأخرجنا خضراً وجنات من أعناب، ومن رفع فقال^(٥) ابن الأنباري: رفعت بمضمرة بعدها تأويله: وجنات من أعناب^(٦) أخرجناها، فجرى مجرى قول العرب أكرمت عبد الله وأخوه، يريدون: وأخوه أكرمه أيضاً^(٧).

وقوله^(٨) ﴿والزيتون والرمان﴾ يعني: وشجر الزيتون وشجر الرمان ﴿مشتبهاً وغير متشابه﴾ قال المفسرون: مشتبهاً ورقهما^(٩) مختلفاً ثمهما^(١٠) ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر﴾ انظروا إليه أول ما يعقد نظر استدلال واعتبار، و«الثمر» جمع ثمرة، ويجمع على ثمار^(١١) أيضاً وثمر مثل خشبة وخشب وأكمة وأكم. [وينعه] و«الينع»: النضج، يقال: ينع ينوع - بالفتح في الماضي والكسر في المستقبل - ويقال أيضاً - بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل^(١٢). وقوله ﴿إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾ قال ابن عباس^(١٣): يصدقون أن الذي يخرج هذا النبات قادر على أن يحيي الموتى.

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾
بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَذَى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾
ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا

(١) انظر الزجاج ٣٠٣/٢، وغرائب النيسابوري ٢٠٠/٧ - ٢٠١، وفتح القدير ١٤٤/٢ كلاهما عن الزجاج.
(٢) في (و) اكتفى.

(٣) سورة النحل/٨١، وفي (ح) وسراويل.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٩٥/٧، والدر ٣٦/٣، وفتح القدير ١٤٦/٢ كلها عن ابن عباس.

(٥) في (د) قال ابن الأنباري.

(٦) في (د) من أعناب ومن رفع قال أي آخر جناها.

(٧) قرأ محمد بن أبي ليل والأعمش وأبو بكر في رواية عنه عن عاصم (وجنات) - بالرفع - قال الفراء: ولورفعت «الجنات» تتبع «القنوان» كان صواباً... وجهت على أنه مبتدأ محذوف الخبر.

وقرأ الباقون - بالنصب - نسقاً على قوله (خضراً)... (انظر الحجة لأبي زرعة ٤٦٤، والتبيان ٥٢٥/١، والبحر ١٩٠/٤، والحجة لابن خالويه ١٤٦، واختار الزجاج - النصب ٣٠٣/٢ وكذا الطبري ١٩٥/٧ وانظر القرطبي ٤٩/٧. وانظر الطبري ١٩٥/٧ عن الكسائي، والبحر ١٩٠/٤ وفتح القدير ١٤٤/٢ كلاهما عن سيبويه والكسائي والفراء).

(٨) في (د) قوله.

(٩) في (ح، د) ورقها... وثمرها، وفي (و) مشتبهاً ثمهما مختلفاً ورقهما، وانظر تفسير الطبري ١٩٥/٧، والدر ٣٦/٣، وفتح القدير ١٤٤/٢، ١٤٦، كلها عن قتادة، وابن كثير ١٥٩/٢ عن قتادة وغيره.

(١٠) في (ح، د) قوله.

(١١) في (د) أثمار.

انظر اللسان: / ثمر، والمصباح/ ثمر - ومفردات الراغب/ ثمر «والجمع ثمار وثمرات وثمر».

(١٢) وانظر اللسان/ ينع، والمصباح/ ينع، ومفردات الراغب/ ينع، ومجاز القرآن ٢٠٢/١، ٢٠٧/١ وابن كثير ١٥٩/٢.

(١٣) ذكره الخازن ١٦٥/٢، وانظر الطبري ١٩٧/٧، وابن كثير ١٦٠/٢.

تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

- قوله ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ المراد بـ «الجن» هاهنا: الشياطين قال الحسن^(١): أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان فيجعلوهم شركاء لله. وتقدير الآية: وجعلوا الجن شركاء لله. ويجوز أن يكون «الجن» بدلاً من الشركاء مفسراً لها.

وقوله ﴿وخلقهم﴾ يجوز أن تكون الكناية عن هؤلاء الذين جعلوا لله شركاء، والمعنى إن الله خلقهم ثم جعلوا له شركاء لا يخلقون ويجوز أن تعود الكناية على «الجن» فيكون المعنى: والله خلق الجن فكيف يكون شركاء لله^(٢)؟
وقوله ﴿وخرقوا له بنين وبنات﴾ قال الفراء^(٣): معنى «خرقوا»: افتعلوا ذلك كذباً وكفراً وخرقوا وخرقوا وخلقوا واخلقوا بمعنى واحد، يقال: خلق فلان الكلمة واخلقها، وخرقها وخرقها، إذا افتعلها وابتدعها كذباً^(٤).
وقرأ نافع (وخرقوا) - مشددة - والتشديد للمبالغة والتكثير^(٥). قال المفسرون^(٦): إن كفار العرب قالوا للملائكة^(٧) بنات الله، وزعمت النصرى بأن المسيح ابن الله، واليهود أن عزيزاً ابن الله، فأعلم الله أنهم اختلفوا ذلك بغير علم^(٨) أي: لم يذكره، وإنما تكذباً^(٩).

- قوله ﴿بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد﴾ من أين يكون له ولد، ولا يكون الولد إلا من صاحبة؟^(١٠)
﴿ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء﴾ أي: أنه خالق كل شيء، وخالق الأشياء لا مثل له، والولد لا يصح إلا مع المماثلة، ومن لا يصح أن يكون له مثل لا يصح أن يكون له ولد. ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ لأنه هو الخالق له.
- وقوله^(١١) ﴿ذلكم الله﴾ أي: ذلك الذي خلق كل شيء وعلم كل شيء ﴿ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه﴾ قال ابن عباس^(١٢): فاطيعوه ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ بالحفظ له والتدبير فيه.

- قوله ﴿لا تدركه الأبصار﴾ «الإدراك»: الإحاطة بكنه الشيء وحقيقته، وهو غير الرؤية، لأنه يصح أن يقال رآه وما أدركه^(١٣). فالأبصار^(١٤) ترى الباري - عز وجل - ولا تحيط به، كما أن القلوب تعرفه ولا تحيط به قال تعالى ﴿ولا يحيطون به علماً﴾^(١٥).

(١) انظر تفسير البغوي ١٦٥/٢ وغريب النيسابوري ٢٠٣/٧ كلاهما عن الحسن وغيره، والزجاج ٣٠٤/٢، وفتح القدير ١٤٧/٢، والبحر ١٩٣/٤ عن الحسن.

(٢) في (و) له. وانظر في ذلك معاني الزجاج ٣٠٤/٢، وغرائب النيسابوري ٢٠٣/٧ - ٢٠٤، والبحر ١٩٣/٤.

(٣) انظر الفراء ٣٤٨/١، والرازي ١١٧/١٣ عن الفراء، والزجاج ٣٠٥/٢، وغريب القرآن ١٥٧، ومجاز القرآن ٢٠٣/١، والطبري ١٩٧/٧، واللسان/ خرق عن الفراء.

(٤) انظر اللسان/ خرق.

(٥) انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦٤، والسبعة ٢٦٤، والنشر ١٦١/٢، والبيان ٥٢٦/١، والحجة لابن خالويه ١٤٧، واللسان/ خرق.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١٤٧، والزجاج ٣٠٥/٢، وابن كثير ١٦٠/٢، والدرر ٣٧/٣ عن السدي وفتادة والبحر ١٩٣/٤.

(٧) في (ح) للمليكة، وفي (د) للملائكة بنات الله وزعموا.

(٨) في (ح، د) كذباً.

(٩) في (د) صاحبة.

(١٢) في (د) وما أدركه الأبصار، وانظر البحر ١٩٥/٤، واللسان/ بصر

(١٣) في (ح) والأبصار.

(١٠) في (ح، د) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(١٤) سورة طه/ ١١٠.

(١١) انظر تفسير الطبري ١٦٦/٢، واللسان/ عبد.

قال ابن عباس في رواية عطاء: كَلَّتْ أَبْصَارُ الْمَخْلُوقِينَ عَنِ الْإِحْاطَةِ بِهِ^(١) وقال سعيد بن المسيب: لا تحيط به الأبصار.

وعلى هذا التفسير نقول: إن الباري سبحانه يُرى ولا يُدرك، لأن معنى الإدراك: الإحاطة بالمرئي، وإنما يجوز ذلك على من كان محدود وله جهات.

وذهب جماعة من أهل التفسير إلى تخصيص هذه الآية، قال ابن عباس في رواية أبي صالح: ^(٢) تنقطع عنه الأبصار في الدنيا. وقال مقاتل: لا تراه الأبصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة^(٣).

والدليل على أن هذه^(٤) الآية مخصوصة بالدنيا: قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾^(٥) فقيده^(٦) النظر إليه بيوم القيامة وأطلق في هذه، والمطلق يحمل على المقيد.

أخبرنا أبو بكر الحارثي، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، حدثنا أبو بشر محمد بن عمران بن الجنيد^(٧)، حدثنا أبو بكر الصَّفَّار^(٨)، حدثنا عباد بن صهيب^(٩)، عن عمرو، عن الحسن في قوله ﴿لا تدركه الأبصار﴾ قال: في الدنيا^(١٠).

وقال الحسن^(١١): يراه أهل الجنة في الجنة، واحتج بقوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ قال: ينظرون إلى وجه الله عز وجل^(١٢). وقوله ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ أي: يراها وهي لا تراه مع رؤيته إياها، وهذا لله تعالى لأنه^(١٣) يرى ولا يُرى.

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢٦١/٢ عن ابن عباس، والبغوي ١٦٨/٢ عن عطاء.

انظر تفسير البغوي ١٦٨/٢، والحاظن ١٦٦/٢، والبحر ١٩٥/٤ كلها عن سعيد، والزجاج ٣٠٦/٢ والطبري ١٩٩/٧ عن ابن عباس وعطية، وابن كثير ١٦١/٢ عن عطية وعكرمة، والدر ٣٧/٣ عن ابن عباس.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ١١٦، والبغوي ١٦٨/٢ عن ابن عباس، وابن كثير ١٦١/٢ عن إسماعيل بن علي.

(٣) انظر تفسير البغوي ١٦٨/٢ عن مقاتل.

(٤) في (د) الدليل على هذه.

(٥) سورة القيامة/ ٢٢ - ٢٣ وفي (د) ناضرة.

(٦) في (د) فقيدوا.

(٧) في (د) أبو بشير، لم أقف عليه.

(٨) في (ح، و) أبو بكر البصري الصفار، وفي (د) النصري.

ولعله: أبو حفص عمر بن يزيد السيارى البصري الصفار المتوفى سنة ٢٤٠هـ. روى عن عباد بن العوام وعبد الوهاب الثقفي وابن أبي عدي وطائفة وعنه أبو داود وعبدان الأهوازي وبقي بن مخلد وكثيرون وثقه أهل الحديث (تهذيب التهذيب ٥٠٥/٧).

(٩) عباد بن صهيب البصري أحد المتروكين عن هشام بن عروة والأعمى قال ابن المديني: ذهب حديثه وقال البخاري والنسائي وغيرهما: متروك وقال ابن حبان: كان قدريا داعية. (الميزان ٢٦٧/٢).

(١٠) انظر تفسير ابن كثير ١٦١/٢ عن إسماعيل بن علي وهشام بن عبد الله، والدر ٣٧/٣، وفتح القدير ١٤٩/٢ كلاهما عن الحسن وإسماعيل بن علي.

(١١) انظر الدر ٣٧/٣ عن الحسن.

(١٢) في (د) وقال ينظرون إلى وجه الله تعالى، قوله.

(١٣) في (د) لا.

وإنما خص ﴿الأبصار﴾ بإدراكه إياها مع أنه يدرك كل شيء للمعنى الذي ذكرنا، لأن غير الله تعالى لا يجوز أن يرى البصر ولا يراه البصر.

وقوله (١) ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ قال الأزهري (٢): معناه الرفيق بعباده. وروى عمرو بن أبي عمرو (٣) عن أبيه قال: اللطيف: الذي يوصل إليك إربك في رفق، يقال: لطف الله لك، أي: أوصل إليك ما تحب برفق قال ابن عباس ﴿وهو اللطيف﴾ بأوليائه ﴿الخبير﴾ بهم (٤).

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا أَدْرَسَتْ وَلِنُبينَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾

- قوله (٥) ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾ «البصائر»: جمع البصيرة، وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به (٦). قال الكلبي (٧): يعني بينات القرآن (٨) ﴿فمن أبصر فلنفسه﴾ فمن صدق القرآن وآمن بمحمد ﷺ فلنفسه عمل ﴿ومن عمي﴾ عن الحق ولم يصدق ﴿فعلينا﴾ فعلى نفسه جنى العذاب، لأن الله غني عن خلقه ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ قال الحسن: أي برفيق (٩) على أعمالكم حتى أجازيكم بها. قال الزجاج (١٠): أي لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ عليكم. وهذا قبل الأمر بالقتال، فلما أمر بالقتال صار حفيظاً عليهم.

- قوله ﴿وكذلك نصرف الآيات﴾ قال ابن عباس (١١): نبين الآيات في القرآن في كل وجه يدعوهم بها ويخوفهم. ﴿وليقولوا درست﴾ قال ابن الأنباري (١٢): هذا عطف على مضمرة في المعنى، التقدير: يصرف الآيات ليلزمهم الحججة وليقولوا درست (١٣). و «اللام» في ﴿وليقولوا﴾ لام العاقبة والصورورة، لأن عاقبة تصرف الآيات أدت إلى هذا القول الذي قالوه، كقوله ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً﴾ (١٤).

(١) في (د) قوله.

(٢) انظر البحر ١٨٤/٤ عن الأزهري، واللسان/ لطف، والبيهقي ١٦٨/٢، والخازن ١٦٨/٢ كلاهما عن الزهري، وفتح القدير ١٤٨/٢.

(٣) عمرو بن أبي عمرو الشيباني ذكره الزبيدي في الطبقة الثالثة من اللغويين، وقال توفي سنة ٢٣١ هـ (بغية الرواة ٢٢٨/٢).

وانظر اللسان/ لطف عن أبي عمرو، والبحر ١٤٨/٤ عن ابن الأعرابي.

(٤) انظر تفسير البيهقي ١٦٨/٢، والخازن ١٦٨/٢ كلاهما عن ابن عباس.

(٥) في (و) قوله تعالى.

(٦) انظر اللسان/ بصر.

(٧) قاله ابن عباس في تفسيره ص ١١٦، والبحر ١٩٦/٤ عن الكلبي.

(٨) في (ح، د) قوله.

(٩) أي رقيب، وانظر البحر ١٩٧/٤ عن الحسن.

(١٠) انظر الزجاج ٣٠٧/٢، وانظر البحر ١٩٧/٤، وفتح القدير ١٤٩/٢ كلاهما عن الزجاج.

(١١) ساقطة من (ح، د).

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ١١٦، والخازن ١٦٨/٢، واللسان/ درس عن ابن عباس.

(١٣) انظر تفسير الرازي ١٣/١٣٥، والبحر ١٩٨/٢، والقرطبي ٥٨٨/٧، وغرائب النيسابوري ٢١١/٧، والبيان ٣٣٤/١، وفتح القدير ١١٤٩/٢، والوجيز للواحد ٢٥٥/١.

(١٤) سورة القصص ٨/، وانظر الزجاج ٣٠٧/٢-٣٠٨، والبيان ٥٢٨/١، والوجيز ٢٥٥/١.

ومعنى ﴿درست﴾: قرأت على غيرك، يقال: درست الكتاب أدرسه درساً ودراسة. قال ابن عباس ﴿وليقولوا﴾ يعني: أهل مكة حين يقرأ عليهم القرآن ﴿درست﴾ تعلمت من يسار^(١) وجبر^(٢) وقرأت علينا تزعم أنه من عند الله. وقال الفراء^(٣): تعلمت من يهود، وقال الزجاج^(٤): قرأت كتب أهل الكتاب.

ومن قرأ «دارست» فمعناه: قرأت على اليهود، وقرأوا عليك، وذاكرتهم حتى تعلمت منهم. وقرأ ابن عامر «دَرَسْتُ». أي: هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة قد درست تقادمت وانمحت^(٥) من قولهم: درس الأثر يدرس دروساً.

وقوله^(٦) ﴿ولنبيته لقوم يعلمون﴾ قال ابن عباس^(٧): يريد: أولياءه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد. قال ابن الأنباري^(٨): يعني: ان تصريف الآيات ليشقى^(٩) بها قوم ويسعد آخرون فمن قال: درست ودارست فهو شقي، ومن تبين الحق فهو سعيد.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾

- ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾ أي: لو شاء الله لجعلهم مؤمنين ﴿وما جعلناك عليهم حفيظاً﴾ أي: لم تبعث

(١) يسار أبو فكيهة مولى صفوان بن أمية وكان النبي ﷺ إذا جلس مع المستضعفين خباب وعمار وأبي فكيهة يسار مولى صفوان وأشباههم هزئت منهم قريش (أسد الغابة ٥١٨/٥).

(٢) جبر: غلام نصراني عبد لابن الحضرمي، كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يجلس عند المروة عند مبيعة هذا الغلام وكان كفار مكة يقولون: والله ما يعلم محمداً مما يأتي به إلا جبر النصراني غلام ابن الحضرمي فأنزل الله في ذلك ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر...﴾ سورة النحل/ ١٠٣ - (سيرة ابن هشام ٤٢٠/١).

انظر تفسير ابن عباس ١١٦، والبغوي ١٦٨/٢ - ١٦٩ عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك، والبحر ١٩٧/٤ عن الضحاك.

(٣) انظر الفراء ٣٤٩/١، والبغوي ١٦٩/٢ عن الفراء.

(٤) انظر الزجاج ٣٠٧/٢.

(٥) في (ح، و) انمحت وتقادمت، وفي (د) تقادمت ونمحت.

وقرأ نافع وعاصم وحمرزة والكسائي (درست) - ساكنة السين بغير ألف - أي: قرأت، وتعلمت، أي: درست أنت يا محمد كتب الأولين وتعلمت من اليهود والنصارى، - وحجتهم: قراءة عبد الله ﴿وليقولوا درس﴾ دل على أن الفعل له وحده.

وقرأ أبو عمرو وابن كثير (دارست) - بألف - أي: ذاكرت أهل الكتاب.

وقرأ ابن عامر درست - بفتح السين وتسكين التاء - أي: درست هذه الأخبار التي تتلوها علينا، أي مضت وأمحت.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦٤ - ٢٦٥، والنشر ٢٦١/٢، والتبيان ٢٥٨/١، والزجاج ٣٠٧/٢، والفراء ٣٤٩/١، والأخفش ٤٩٩/٢، والمشكل ٢٦٤/١، والمصاحف لابن أبي داود ٨٢، والمستدرک ١٣٩/٢، والحجة لابن خالويه ١٤٧).

(٦) في (د) قوله.

(٧) انظر تفسير البغوي ١٦٩/٢، والبحر ١٩٨/٤ كلاهما عن ابن عباس.

(٨) ذكره الخازن ١٦٩/٢، والبغوي ١٦٩/٢.

(٩) في (د) ليشقا، وفي (أ) ليشقى بها قوماً.

لتحفظ المشركين من العذاب، إنما بعثت مبلغاً، فلا تهتم لشركهم، فإن ذلك بمشيئة الله تعالى.

- قوله (١) ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾ الآية، قال قتادة (٢): كان المسلمون يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك عليهم (٣)، فنهاهم الله أن يستسبوا لربهم قوماً جهلة لا علم لهم بالله. وقال الوالي عن ابن عباس (٤): قالوا يا محمد لتنتهين عن سبك آلهتنا أولهجون ربك، فنهاهم الله تعالى أن يسبوا أوثانهم ﴿فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ أي: ظلماً بالجهل، يقال: عدا فلان عدواً وعدواناً، أي: ظلم ظلماً جاوز القدر (٥).

وقال السدي وغيره (٦): معناه لا تسبوا الأصنام فیسبوا من أمركم بما أنتم عليه من عيبتها فيعود ذلك إلى الله، لأنهم [كان يصرحون بسبب الله تعالى، لأنهم] (٧) كانوا يقولون بأن الله خالقهم وإن أشركوا.

قوله (٨) ﴿كذلك زيننا لكل أمة عملهم﴾ يعني: كما زيننا (٩) لهؤلاء المشركين عبادة الأوثان وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان، وكذلك زيننا لكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية.

قال ابن عباس: يريد؛ زينت لأوليائي وأهل طاعتي محبتي وعبادتي، وزينت لأعدائي وأهل معصيتي كفر نعمتي وخذلتهم حتى أشركوا (١٠).

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ وَتَقَلَّبُ أَفْسَدَتُهُمْ وَابْتَصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّا أَكْثَرُهُمْ يُجَاهِلُونَ ﴿١٢﴾

- قوله ﴿وأقسموا بالله [جهد أيمانهم]﴾ قال الكلبي ومقاتل (١١): [إذا حلف الرجل بالله (١٢)] فهو جهد يمينه. والمعنى: اجتهدوا في المبالغة في اليمين. ﴿لئن جاءتهم آية لئؤمنن بها﴾ سألت (١٣) قريش رسول الله ﷺ أن يأتيهم

(١) في (و) قوله تعالى.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٠٧/٧، وابن كثير ١٦٤/٢، والدر ٣٨/٣، وأسباب النزول للواحدي ١٦٦ وللسيوطي ١٢١ كلها عن قتادة.

(٣) في (أ) عليهم ذلك.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ١٦٤/٢، والدر ٣٨/٣، وفتح القدير ١٥١/٢، وأسباب النزول للواحدي ١٦٥ كلها عن ابن عباس.

(٥) في (و) الحد. وانظر الزاهر ٥٢٧/١، ومفردات الراغب/ عدا، واللسان/ عدا.

(٦) انظر تفسير ابن كثير ١٦٤/٢، والدر ٣٨/٣ كلاهما عن السدي.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٨) في (ح، و) وقوله.

(٩) في (ح، د) يعني زيناً.

(١٠) انظر تفسير القرطبي ٦١/٧ - ٦٢ عن ابن عباس.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١١٧، وغرائب النيسابوري ٢١٣/٧، والخازن ١٧١/٢ كلاهما عن الكلبي ومقاتل والبيهقي ١٧١/٢ عن الكلبي ومجاهد.

(١٢) ما بين المعقوفين مكرر في (د).

(١٣) في (و) وسألت.

بآية وحلفوا ليؤمنن بها، وسأل (١) المسلمون رسول الله ﷺ ذلك، وعلم الله أنهم لا يؤمنون، فقال تعالى ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ أي: إنه هو القادر على الإتيان بها متى شاء ﴿وما يشعركم﴾ أي: وما يدريكم إيمانهم، فحذف مفعول يشعركم. قال الزجاج (٢): أي لستم تعلمون الغيب، ولا تدرّون أنهم يؤمنون.

ثم استأنف فقال ﴿أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ ومن قرأ ﴿أنها﴾ - بالفتح - فهو بمعنى لعلها [كأنه قال: لعلها] (٣) إذا جاءت لا يؤمنون (٤)، و «أن» بمعنى «لعل» كثير في كلامهم. تقول العرب: اتت السوق أنك تشتري لنا شيئاً، أي: لعلك، ذكر ذلك الخليل والفراء. قال الفراء (٥): ويجوز على هذه القراءة أن تجعل ﴿لا﴾ صلة فيكون (٦) التقدير: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون. والمعنى على هذا أنها إذا جاءت لم يؤمنوا، والخطاب للمؤمنين.

وقرأ حمزة ﴿تؤمنون﴾ - بالتاء - والخطاب على هذه القراءة في قوله ﴿وما يشعركم﴾ للكفار الذين أقسموا. وهو قول مجاهد، قال: وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت (٧).

- قوله ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾ «التقلب والقلب»: واحد، وهو تحويلك الشيء عن وجهه ومعنى تقلب الأفئدة والأبصار: هو أن الواجب من مقتضى الآية أن يؤمنوا إذا جاءتهم الآية فعرفوها بقلوبهم ورأواها بأبصارهم، فإذا لم يؤمنوا كان ذلك بتقلب الله قلوبهم وأبصارهم عن وجهها الذي يجب أن يكون عليه، وهو معنى ما قاله المفسرون: نحول بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم الآية فلا يؤمنون كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة مثل انشقاق القمر وغيره من الآيات (٨). وفي الآية محذوف تقديره: فلا (٩) يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة. والكناية في ﴿به﴾ يجوز أن تعود على القرآن، ويجوز أن تعود على النبي ﷺ. ﴿ونذرهم﴾ (١٠) في طغيانهم يعمهون﴾ قال عطاء: أخذهم وأدعهم في ضلالتهم يتمادون (١١).

= انظر تفسير ابن عباس ١١٧، والزجاج ٣٠٩/٢ - ٣١٠، والطبري ٢٠٩/٧ - ٢١٠، والدرر ٣٩/٣ كلاهما عن مجاهد ومحمد بن كعب، والفراء ٣٤٩/١ - ٣٥٠ وابن كثير ١٦٤/٢ عن محمد بن كعب، وأسباب النزول للواحدي ١٦٧، وللسيوطي ١٢١.

(١) في (د) وسألوا

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٢) انظر الزجاج ٣١٠/٢.

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر (إنها إذا جاءت) - بكسر الألف - على الاستئناف، وقر الباقر (أنها .) - بالفتح - قال الخليل: «إن» معناها «لعل».

(٥) انظر الحجة لأبي زرع ٢٦٥ - ٢٦٦، والسبعة ٢٦٥، والنشر ٢٦١/٢، والتبيان ٥٣٠/١ - ٥٣١، والزجاج ٣١٠/٢، ومجاز القرآن ٢٠٤/١، والفراء ٣٥٠/١، والأخفش ٥٠١/٢، والبيان ٣٣٤/١ - ٣٣٥ والحجة لابن خالويه ١٤٧.

(٥) انظر الزجاج ٣١٠/٢، والحجة لأبي زرع، وغرائب النيسابوري ٢١٣/٧ كلها عن الخليل والفراء ٣٥٠/١، وفتح القدير ١٥٢/٢ عن الخليل والفراء.

(٦) من هنا سقط كبير في النسخة (و) ينتهي عند قوله: بالجر على تقدير: زين لكثير من المشركين (في تفسير الآية ١٣٧).

(٧) وقرأ الباقر (يؤمنون) إخباراً عنهم، وحجتهم قوله (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) ولم يقل: أفئدتكم (انظر الحجة لأبي زرع ٢٦٧، والسبعة ٢٦٥، والنشر ٢٦١/٢ - والحجة لابن خالويه ١٤٧) عن حمزة وابن عامر، وعن مجاهد.

(٨) انظر تفسير الطبري ٢١٤/٧ عن ابن زيد ومجاهد، والبعوي ١٧٢/٢ عن ابن عباس، وابن كثير ١٦٥/٢، والدرر ٣٩/٣ كلاهما عن مجاهد، وفتح القدير ١٥٢/٢.

(٩) في (د) لا.

(١٠) في (د) وذرههم.

(١١) انظر تفسير البغوي ١٧٢/٢ عن عطاء، والدرر ٣٩/٣ عن ابن عباس.

- قوله^(١) ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾ كان المشركون يقولون للنبي ﷺ: أرنا الملائكة يشهدون^(٢) لك بالنبوة، أو ابعث لنا بعض موتانا حتى^(٣) نسألهم أحق ما تقول أم باطل، فقال الله عز وجل ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾ كما سألوهم^(٤) ورأوهم عياناً ﴿وكلمهم الموتى﴾ فشهدوا لك بالنبوة ﴿وحشرنا^(٥)﴾ جمعنا ﴿عليهم كل شيء﴾ في الدنيا ﴿قبلاً﴾ وقبل أي: معاينة، يقال: لقيت فلاناً قبلاً وقبلاً وقبلاً^(٦) ومقابلة، أي: مواجهة. قال أبو عبيدة والفراء والزجاج: أي معاينة^(٧).

﴿وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله﴾ أخبر الله نبيه ﷺ بما سبق في علمه وقضائه من الشقوة عليهم وأنهم لا يؤمنون بالله تعالى، إلا أن يهديهم الله ويسهل ذلك عليهم، وهو معنى قوله ﴿إلا أن يشاء الله﴾^(٨) ولكن أكثرهم يجهلون ﴿لا يعلمون أنهم لو أوتوا^(٩)﴾ بكل آية ما آمنوا.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَقَدْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوا فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِصَّغَىٰ إِلَيْهِمْ أَقْسَدُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَاهُمْ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

- وقوله^(١١) ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا﴾ الآية، وقال المفسرون^(١٢) هذا تعزية للنبي ﷺ يقول: كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك^(١٣) عدواً ليعظم ثوابه على ما يقاس آذاه. و﴿عدوا﴾ في معنى أعداء.

(١) في (د) قوله تعالى.

(٢) في (ح، د) تشهد.

(٣) في (ح) نسألهم حتى نسألهم.

(٤) في (ح، د) سأوا، وفي (أ) ورأهم انظر تفسير ابن عباس ١١٧، وغرائب النيسابوري ٣/٨، وفتح القدير ١٥٢/٢.

(٥) في (ح، د) وحشرنا عليهم.

(٦) ساقطة من (د).

(٧) انظر مجاز القرآن ٢٠٤/١، والفراء ٥٠١/١، والزجاج ٣١١/٢، والرازي ١٥٠/١٣، وغرائب النيسابوري ٤/٨ كلاهما عنهم والأخفش ٥٠١/٢، وغريب القرآن ١٥٨، والمشكل ٢٦٥/١، والتبيان ٥٣٢/١.

وقرأ عاصم وحزمة والكسائي (قبلاً) - مضمومة القاف والياء - جمع قبيل، قال الزجاج: ويجوز أن يكون قبلاً جمع قبيل ومعناه الكفيل وقال الفراء: ويجوز أن يكون قبلاً من قبل وجوههم أي ما يقابلهم، والمعنى: لو حشرنا عليهم كل شيء فقابلهم.

وقرأ نافع وابن عامر (قبلاً) - بكسر القاف وفتح الباء - أي عياناً.

(وانظر الحجة لأبي زرع ٢٦٧ - ٢٦٨، والسبعة ٢٦٦، والنشر ٢٦٢/٢، والتبيان ٥٣٢/١، والزجاج ٣١١/٢ والمشكل ٢٦٥/١ والفراء ٣٥١/١، والأخفش ٥٠١/٢).

(٨) ﴿إلا أن يشاء الله﴾؛ استثناء منقطع. (انظر التبيان ٥٣٢/١، والمشكل ٢٦٦/١).

(٩) في (د) أتوا.

(١٠) في (ح) قوله تعالى، وفي (د) قوله.

(١١) انظر الزجاج ٣١٢/٢، والطبري ٣/٨ - ٤، وفتح القدير ١٥٣/٢.

(١٢) في (د) ملك.

ثم فسر^(١) العدو فقال ﴿شياطين الإنس والجن﴾ يعني: مردة الإنس والجن. و «الشيطان»: كل عات متمرّد من الجن والإنس^(٢). قال قتادة ومجاهد والحسن^(٣): إن من الجن شياطين ومن الإنس شياطين، وإن - الشيطان من الجن إذا أعياه المؤمن وعجز عن إغوائه ذهب إلى متمرّد من الإنس - وهو شيطان الإنس - فأغواه بالمؤمن ليفتنه. يدل على هذا ما روي أن النبي قال لأبي ذر: «هل تعودت بالله من شر شياطين^(٤) الجن والإنس؟ قال: قلت: وهل للإنس من شياطين؟ قال: نعم، هم شر من شياطين الجن»^(٥). [وقال مالك بن دينار^(٦): إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن]^(٧). وذلك أنني إذا تعودت بالله من شيطان الجن ذهب عني، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عياناً.

وقوله^(٨) ﴿يوحى بعضهم إلى بعض﴾ أي: يلقي ويسر إليه^(٩) ﴿زخرف القول﴾ باطله وكذبه، و «الزخرف»: الباطل من الكلام الذي زين بالكذب، يقال: فلان يزخرف كلامه، إذا زينه بالباطل والكذب^(١٠). والمعنى: ان هؤلاء الشياطين يزينون الأعمال القبيحة لبني آدم ويفرونهم^(١١) ﴿غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ ولو^(١٢) شاء لمنعهم من الوسوسة ﴿فذرهم وما يفترون﴾ قال ابن عباس^(١٣): يريد ما زين لهم إبليس وغرهم به. - قوله ﴿ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ «الصغو»: الميل، يقال: صغأ إلى كذا يصغو، إذا مال إليه. وقال ابن الأنباري^(١٤): فعلنا بهم ذلك لكي تصغى إلى الباطل أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة. ﴿وليرضوه﴾ وليرضوا الباطل من القول فيحبوه ﴿وليقترفوا ما هم مقترفون﴾ أي: ليكتسبوا وليعملوا ما هم عاملون. والاقتراف: الكسب، يقال: اقترف ذنباً، أي: عمله^(١٥).

(١) في (د) يحشر.

(٢) في (ح، د) الإنس والجن، انظر تفسير الطبري ١/١١١، وغرائب النيسابوري ٥/٨ عن ابن عباس.

(٣) انظر غرائب النيسابوري ٥/٨ عنهم، وابن كثير ٢/١٦٦، والدرر ٣/٤٠ كلاهما عن قتادة والفراء ١/٣٥١ وفتح القدير ٢/١٥٤ عن ابن عباس وقاتة.

(٤) في (أ) شيطان.

(٥) الحديث: سنن النسائي - كتاب الاستعاذة - باب الاستعاذة من شر شياطين الإنس ٨/٢٧٥ وزوائد البزار - كتاب العلم - باب اغتنام خلوة العالم رقم ١٦٠ ١/٩٣ ومسند أحمد ٥/١٧٩، ٢٦٥، والطبراني في الكبير ٨/٢٥٨ - ٢٥٩، ومجمع الزوائد - كتاب العلم - باب السؤال للانتفاع وإن كثر «رواه أحمد والطبراني في الكبير، ومداره على علي بن يزيد وهو ضعيف» ١/١٥٩.

وفي رواية أخرى «رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط وعند النسائي طرف منه، وفيه - المسعودي وهو ثقة ولكنه اختلط» ١/١٦٠. (٦) انظر غرائب النيسابوري ٥/٨، والبحر ٤/٢٠٧ كلاهما عن مالك.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (د).

(٨) في (د) ويعرفهم.

(٩) في (ح) لو شاء، وفي (د) أي لو شاء.

(١٠) في (د) يلقي إليه ويسر، وانظر الزاهر ٢/٣٥٣.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١١٧، وغرائب النيسابوري ٦/٨ عن ابن عباس.

(١٢) في (أ) صغى، وفي (د) صغأ كذا، وانظر اللسان/ صغأ، ومجاز القرآن ١/٢٠٥، وغرائب النيسابوري ٦/٨، وابن كثير ٢/١٦٧، وفتح القدير ٢/١٥٤ كلاهما عن ابن عباس.

(١٣) انظر تفسير الخازن ٢/١٧٤ عن ابن الأنباري، وتفسير ابن عباس ١١٧، والطبري ٦/٨، وفتح القدير ٢/١٥٤.

(١٤) انظر غريب القرآن ١٥٨، والفراء ١/٣٥١، وفتح القدير ١٥٣ - ١٥٤ عن ابن عباس.

أَفْغِيرَ اللَّهُ أَتَّبَعِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَالِكُمْ إِلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَهْرَ الْأَيْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأَيْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

- قوله (١) ﴿أفغير الله أتبعي حكماً﴾ «الحكم، والحاكم» واحد، قال الكلبي والعوفي: قل لأهل مكة أفغير الله أطلب قاضياً بيني وبينكم ﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً﴾ مبنياً فيه أمره ونهيه ﴿والذين ءاتيناهم الكتاب﴾ يعني: علماء أهل الكتاب ﴿يعلمون أنه﴾ أن القرآن ﴿منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾ من الشاكين أنهم (٢) يعلمون ذلك.

- قوله (٣) ﴿وتمت كلمة ربك﴾ يعني: ما ذكر من وعد ووعد وثواب وعقاب ومن قرأ على الواحد أراد الجمع أيضاً، و «الكلمة» تقع على الكثير، تقول العرب: قال زهير في كلمته يعنون قصيدته (٤).

وقوله (٥) ﴿صدقاً وعدلاً﴾ قال ابن عباس (٦): يريد لا خلف لمواعيده، لا في أهل طاعته ولا في أهل معصيته وقال قتادة ومقاتل (٧) ﴿صدقاً﴾ فيما وعد ﴿وعدلاً﴾ فيما حكم. ﴿لا مبدل لكلماته﴾ قال ابن عباس (٨): لاراد لقضائه،

(١) في (د) قوله تعالى.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١٦٧/٢، والخازن ١٧٤/٢، وفتح القدير ١٥٥/٢، والرازي ١٥٩/١٣.

(٣) في (د) قوله تعالى.

(٤) قرأ عاصم وحزمة والكسائي (وتمت كلمة ربك) - على التوحيد - وحجتهم: إجماع الجميع على التوحيد في قوله (وتمت كلمة ربك الحسنی) سورة الأعراف/ ١٣٧ - (وتمت كلمة ربك لأملان جهنم) سورة الأنعام/ ١١٥ - وقرأ الباقون - على الجمع - وحجتهم: أنها مكتوبة بالتاء فدل ذلك على الجمع وعلى أن الألف التي قبل التاء اختصرت في المصحف. وأخرى: أن الكلمات جاءت بعدها بلفظ الجمع فقال (لا مبدل لكلماته) وفيها إجماع فكان الجمع في الأول أشبه بالصواب للتوفيق بينهما إذ كانا بمعنى واحد.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦٨، والسبعة ٢٦٦، والنشر ٢٦٢/٢، والحجة لابن خالويه ١٤٨).

(٥) في (د) قوله.

(٦) انظر تفسير القرطبي ٧١/٧ عن ابن عباس، وغرائب النيسابوري ٨/٨، وفتح القدير ١٥٥/٢.

(٧) انظر تفسير الطبري ٨/٨، وابن كثير ١٦٧/٢، والدر ٤٠/٣، وفتح القدير ١٥٦/٢ كلها عن قتادة، والبغوي ١٧٥/٢ عن قتادة ومقاتل.

(٨) انظر تفسير البغوي ١٧٥/٢ عن ابن عباس، والخازن ١٧٥/٢.

ولا مغير لحكمه، ولا خلف لموعده ﴿وهو السميع﴾ لتضرع أوليائه ولقول أعدائه ﴿العليم﴾ بما في قلوب الفريقين.

- قوله ^(١) ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض﴾ قال ابن عباس ^(٢): يريد: الذين لبسوا على دينك، وهم أكثر من المؤمنين، إن تطعمهم في أكل الميتة ﴿يضلوك عن سبيل الله﴾ دين الله الذي رضيه لك. ذلك أن المشركين جادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين في أكل الميتة، وقالوا: تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم؟ ^(٣) ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ يريد: دينهم الذي هم عليه ظن وهوى لم يأخذه عن بصيرة وحجة ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ يكذبون ويفترون.

- قوله ﴿إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله﴾ قال الزجاج: موضع «من» رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام ^(٤). المعنى: إن ربك هو أعلم أي الناس يضل عن سبيله، وهذا قول الكسائي والفراء والمبرد أخبر الله تعالى أنه أعلم بالفريقين بالضالين عن سبيله والمهتدين، فيجازي كلاً بما يستحق.

- قوله ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ جواب لقول المشركين: تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم؟ والمعنى: كلوا مما ذكر على اسم الله، والميتة لم تذبح على اسم الله، فلا يجوز أكلها. وقوله ﴿إن كنتم بمؤمنين﴾ تأكيد أن ما أباحه الشرع فهو طيب يحل تناوله.

- ^(٥) ﴿وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ وأي شيء يقع لكم في ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ﴿وقد فصل لكم ما حرم عليكم﴾ يعني: في قوله ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ ^(٦) أي: بينت لكم المحرمات مفصلة مبينة فاتركوها وكلوا مما ذبح على اسم الله.

وقوله ^(٧) ﴿إلا ما اضطررتم إليه﴾ أي دعتمكم الضرورة لشدة المجاعة إلى أكله مما حرم. ^(٨) ﴿وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم﴾ أي: يضلون باتباع أهوائهم والمعنى: يضلون بامتناعهم من أكل ما ذكر اسم الله عليه وغير ذلك مما لا شيء يوجبه في شرع، نحو السائبة والبحيرة ومما كان يفعله ^(٩) أهل الجاهلية.

ومن قرأ (ليضلون) ^(٩) - بضم الياء - أراد: عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين الذين اتخذوا البحائر

(١) في (ح) وقوله.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ١١٨.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١١٨، والزجاج ٣١٤/٢، والفراء ٣٠٢/١، والدر ٤١/٣ - ٤٢، وفتح القدير ١٥٧/٢ كلاهما عن ابن عباس، وأسباب النزول للواحد ١٦٧، وللسيوطي ١٢٢.

(٤) انظر الزجاج ٣١٤/٢، والبحر ٢١٠/٤ عن الكسائي والمبرد والزجاج، والفراء ٣٥٢/١، والطبري ٩/٨، وفي (من) وجهان: أحدهما: هي بمعنى الذي، أو نكرة موصوفة بمعنى فريق، فعلى هذا تكون في موضع نصب بفعل دل عليه أعلم لا بنفس أعلم، لأن أفعال لا يعمل في الاسم الظاهر النصب، والتقدير: يعلم من يضل.

والوجه الثاني: أن (من) استفهام في موضع رفع مبتدأ و (يضل) الخبر والجملة نصب - (يعلم) المقدره (انظر التبيان ٥٣٤/١ - ٥٣٥، والمشكل ٢٦٦/١ - ٢٦٧، وغرائب النيسابوري ٩/٨، والبحر ٢١٠/٤).

(٧) في (ح، د) قوله.

(٥) في (د) قوله.

(٨) في (أ) ومما تأكلون بفعله.

(٦) سورة المائدة/ ٣.

(٩) في (د) ليضلوا.

قرأ حمزة وعاصم والكسائي (ليضلون) - بفتح اللام وضم الياء - وحثهم في وصفهم بالإضلال أن الذين أخبر الله عنهم بذلك قد ثبت لهم أنهم ضالون بما تقدم من وصفه جل وعز إياهم بالكفر به قبل أن يصفهم بالإضلال، فلا معنى إذا لوصفهم بالضلال وقد تقدم أنهم =

والسوايب. قال الزجاج^(١): يعني الذين يحلون الميتة وينظرونكم في إحلالها. ﴿إن ربك هو أعلم بالمعتمدين﴾
يعني: المجاوزين الحلال إلى الحرام.

- قوله ﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾ أكثر المفسرين^(٢): على أن ﴿ظاهر الإثم﴾ الإعلان بالزنا، ﴿وباطنه﴾
الاستسار به. قال ابن عباس: كانت العرب يحبون الزنا، وكان الشريف يشرف أن يزني فيستر ذلك، فحرم الله الزنا
فقال ﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾^(٣).

وقال آخرون: هذا عام في كل إثم، قال مجاهد: يعني: معصية الله في السر والعلانية وهذا قول قتادة. وقال
ابن الأنباري: يريد: وذروا الإثم من جميع جهاته، وقال الزجاج: الذي يدل عليه الكلام: اتركوا الإثم ظهر أو بطن
أي: لا تقربوا ما حرم عليكم سراً ولا جهراً^(٤). ثم أوعد على فعل الإثم^(٥) بالجزاء فقال ﴿إن الذين يكسبون الإثم
سيجزون بما كانوا يفترون﴾.

- قوله ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ قال ابن عباس: يريد الميتة والمنخقة. إلى قوله ﴿وما ذبح
على النصب﴾^(٦). وقال الكلبي: يعني ما لم يذك، أو ذبح^(٧) لغير الله، وقال عطاء: نهى عن ذبائح كانت تذبح
قريش والعرب على الأوثان^(٨).

قوله ﴿وإنه لفسق﴾ يعني: وإن أكل مما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة لفسق، أي: خروج عن الحق والدين
﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوهم﴾ أي: يوسوس الشيطان لوليه فيلقي في قلبه الجدل بالباطل وهو
ذكر من أن المشركين جادلوا المؤمنين في الميتة. قال ابن عباس^(٩): أوحى الشياطين إلى أوليائهم من الإنس: كيف

= ضالون فكان وصفهم بأنهم يضلون يأتي بفائدة غير ما تقدم من وصفهم في الكلام الأول. وأخرى: جاء في التفسير أنها نزلت في قوم
مشركين. وقرأ أهل الحجاز والشام والبصرة (ليضلون) - بفتح الياء - أي ليضلون هم، وحجتهم: قوله ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل
عن سبيله﴾ - سورة النحل / ١٢٥ - وقوله ﴿وأولئك هم الضالون﴾ - سورة آل عمران / ٩٠ - وصفهم بالضلال لا بالاضلال. (انظر
الحجة لأبي زرعة ٢٦٩ - ٢٧٠، والسبعة ٢٦٧، والنشر ٢٦٢، والحجة لابن خالويه ١٤٨).

(١) انظر الزجاج ٣١٥/٢، وغرائب النيسابوري ١٠/٨ عن الزجاج، وتفسير ابن عباس ١١٨.
(٢) انظر تفسير ابن عباس ١١٨، والزجاج ٣١٥/٢، والطبري ١١/٨ عن الضحاك، وغريب القرآن ١٥٩، والفراء ٣٥٢/١، وابن كثير
١٦٨/٢ عن السدي.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١٢٢، والدر ٥٥/٣ عن ابن عباس.
(٤) انظر تفسير الطبري ١١/٨، والدر ٤٢/٣ كلاهما عن مجاهد وقتادة والربيع، وابن كثير ١٦٨/٢ عن مجاهد وقتادة وغرائب النيسابوري
١٠/٨ عن ابن الأنباري، والزجاج ٣١٥/٢ - ورجحه.

(٥) في (د) على فعل ذلك بالجزاء وقال.
(٦) سورة المائدة/ ٣.

وانظر تفسير البغوي ١٧٧/٢، والدر ٤٢/٣ كلاهما عن ابن عباس.

(٧) في (د) يذبح، وانظر تفسير القرطبي ٧٤/٧، وابن كثير ١٦٩/٢ كلاهما عن ابن عباس، والزجاج ٣١٥/٢.

(٨) انظر تفسير الطبري ١٥/٨، وابن كثير ١٦٩/٢، والدر ٤٢/٣، والبحر ٢١٢/٤ كلها عن عطاء.

(٩) رواه الترمذي - كتاب التفسير - باب من سورة الأنعام - رقم ٥٠٦٤ «حسن غريب» ٣٢٨/٤ - ٣٢٩ وستن البيهقي - كتاب الصيد
والذبائح - باب سبب نزول قوله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ٢٤٠/٩ - ٢٤١، والمستدرک ١١٣/٤، ٢٣١، والطبري ١٣/٨،
والدر ٤٢/٣، والزجاج ٣١٦/٢ كلهم عن ابن عباس.

تعبدون شيئاً لا تأكلون ما يقتل، وأنتم تأكلون ما قتلتم؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وإن أطمعتموهم﴾ يعني: في استحلال الميتة ﴿إنكم لمشركون﴾

قال الزجاج^(١) وفي هذا دليل على أن كل من أحل شيئاً مما حرم الله، أو حرم شيئاً مما أحل الله فهو مشرك. فإن قيل: كيف أباحتم ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية والآية كالنص في التحريم؟ قلنا: إن المفسرين فسروا ﴿ما لم يذكر اسم الله عليه﴾ في هذه الآية بالميتة، ولم يحمله أحد على ذبيحة المسلم [إذا ترك التسمية. وفي الآية أشياء تدل على أن الآية في تحريم الميتة منها قوله ﴿وإنه لفسق﴾ ولا يفسق أكل ذبيحة المسلم^(٢) التارك للتسمية، ومنها قوله ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم^(٣)﴾ والمناظرة إنما كانت في الميتة بإجماع من المفسرين، لا في ذبيحة تارك التسمية من المسلمين، ومنها قوله ﴿وإن أطمعتموهم إنكم لمشركون﴾ والشرك: استحلال الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها^(٤).

وقد أخبرنا أبو منصور المنصوري^(٥)، أخبرنا علي بن عمر الحافظ، حدثنا عبد الباقي بن قانع^(٦)، حدثنا محمد بن نوح العسكري^(٧)، حدثنا يحيى بن يزيد الأهوازي^(٨)، حدثنا أبو همام^(٩)، عن مروان بن سالم^(١٠)، عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: «سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي الله، فقال النبي ﷺ اسم الله على فم^(١١) كل مسلم^(١٢)».

وأخبرنا أبو منصور، أخبرنا علي، حدثنا^(١٣) الحسين بن إسماعيل المحاملي، حدثنا أبو حاتم الرازي^(١٤)، حدثنا

(١) انظر الزجاج ٣١٦/٢، وغرائب النيسابوري ١١/٨، والبغوي ١٧٨/٢ كلاهما عن الزجاج.

(٢) في (د) ليجادلوهم.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (د).

(٤) انظر تفسير ابن عباس ١١٨، وابن كثير ١٧١/٢ عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والدر ٤٢/٣ عن ابن عباس، والبحر ٢١٢/٤.

(٥) في (د) منصور سبق.

(٦) عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الحافظ العالم المصنف أبو الحسين الأموي مولا هم البغدادي صاحب معجم الصحابة كان واسع الرحلة كثير الحديث قال البرقاني: البغداديون يوثقونه وهو عندي ضعيف قال الدارقطني كان يحفظ ولكنه يخطئ ويصر (٢٦٥) - ٣٥١ هـ (تذكرة الحفاظ ٨٨٣/٣).

(٧) محمد بن نوح الحافظ أبو الحسن الجنديسابوري روى عن الحسن بن عرفة وغيره وعنه الدارقطني وغيره توفي سنة ٣٣١ هـ (شذرات الذهب ٢٩١/٢).

(٨) يحيى بن يزيد الأهوازي محمد بن الزبرقان - روى حديثاً في أكل الطين لم يصح، والرجل لا يعرف. (الميزان ٤١٤/٤).

(٩) أبو همام الأهوازي: محمد بن الزبرقان روى عن سليمان التيمي وموسى بن عبيدة وعبد الله بن عون ويونس بن عبيد وغيرهم وعنه ابن المديني ويندار قال ابن المديني: ثقة وقال البخاري: معروف الحديث (تهذيب التهذيب ١٦٦/٩).

(١٠) مروان بن سالم الغفاري أبو عبد الله الشامي الجزري مولى بني أمية روى عن الأعمش والأوزاعي وابن جريج وغيرهم وعنه أبو همام محمد بن الزبرقان وغيره قال أحمد والعقيلي: ليس بثقة، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال الساجي: كان يضع الحديث أبو همام عن رواية ابن سالم عن مروان بن سالم عن الأوزاعي عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة «الحديث» (تهذيب التهذيب ٩٣/١٠ - ٩٤، والميزان ٩٠/٤ - ٩١).

(١١) لم أطلع على هذه الكلمة فيما راجعت من كتب الحديث.

(١٢) الحديث: سنن البيهقي - كتاب الصيد والذبائح - باب من ترك التسمية وهو ممن تحل ذبيحته ٢٤٠/٩، والدارقطني ٢٩٥/٤، ومجمع الزوائد «رواه الطبراني» وفيه مروان بن سالم وهو متروك ٣٠/٤ كلهم من حديث أبي هريرة.

(١٣) في (أ) علي بن الحسن.

(١٤) أبو حاتم الرازي: محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي الحافظ الكبير قال النسائي: ثقة، قال الخطيب: كان أجد =

محمد بن يزيد، حدثنا معقل عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «المسلم يكفيه اسمه وإن نسي أن يسمي حين يذبح فليس وليذكر اسم الله ثم ليأكل»^(١).

وأخبرنا عمرو بن أبي عمرو، أخبرنا محمد بن مكي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل^(٢)، حدثنا أحمد بن المقدم، حدثنا محمد عبد الرحمن الطفاوي^(٣)، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة: «أن قوماً قالوا: يا رسول الله^(٤)، إن قوماً يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا فقال النبي ﷺ: سموا الله عليه وكلوا»^(٥).

أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾

- قوله^(١) «أومن كان ميتاً فأحييناه» يعني: كافرأ ضالاً^(٢) فهديناه «وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس» يعني: ديناً وهدي وإيماناً، قال قتادة؛ «النور» هاهنا كتاب الله بينة من الله عزوجل مع المؤمن بها يعمل وبها يأخذ واليها ينتهي^(٣). «كمن مثله في الظلمات» أي: كمن هو في الظلمات، و «المثل» صلة، يعني: الكافر يكون في

= الأئمة الحفاظ الأئمة توفي سنة ٢٧٧ هـ، (تهذيب التهذيب ٣١/٩ - ٣٢).

(١) الحديث: سنن البيهقي - كتاب الصيد والذبائح - باب من ترك التسمية وهو ممن تحل ذبيحته ٢٣٩/٩، ومصنف عبد الرزاق ٤٧٩/٤.

(٢) الإمام البخاري.

(٣) محمد بن عبد الرحمن الطفاوي شيخ مشهور ثقة روى عنه أحمد بن حنبل والناس قال ابن معين ما به بأس، وقال أبو حاتم: منكر الحديث، وكذا قال أبو زرعة، ووثقه ابن معين توفي سنة ١٨٧ (الميزان ٦١٨/٣).

(٤) في (٥) يا رسول الله ﷺ ... أذكر.

(٥) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب البيوع - باب من لم ير الوسوس ونحوها من الشبهات ٤/٢، وأبو داود - كتاب الأضاحي - باب ما جاء في أكل اللحم لا يدري أذكر اسم الله عليه أم لا ٢٨٢٩ - ١٠٤/٣ وسنن البيهقي - كتاب الصيد والذبائح - باب من ترك التسمية وهو ممن تحل ذبيحته ٢٣٩/٩.

(٦) في (ح) وقوله.

(٧) في (ح، د) ضالا وكافرا.

انظر فتح القدير ١٥٩/٢ عن ابن عباس قال: كان كافرا ضالا فهديناه.

(٨) انظر تفسير الطبري ١٨/٨، والدرر ٤٣/٣ - ٤٤ كلاهما عن قتادة.

(٩) في (د) وقوله.

ظلمات الكفر والضلالة ﴿ليس بخارج منها﴾ ليس بمؤمن أبداً. وقال زيد بن أسلم^(١): نزلت في عمر بن الخطاب - رضي الله عنه^(٢) - وأبي جهل - لعنه الله -

وقال الحسن^(٣) الآية عامة في كل مؤمن وكافر، وهو اختيار الزجاج، قال: الآية عامة في كل من هداه الله وكل من أضله^(٤)، فأعلم الله تعالى أن مثل المهتدي مثل الميت الذي أحيى وجعل مستضيئاً في الناس بنور الحكمة والإيمان، ومثل الكافر مثل من هو^(٥) في الظلمات التي لا يخلص منها.

وقوله ﴿كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ قال ابن عباس: يريد: زين - لهم^(٦) الشيطان عبادة الأصنام.

- قوله ﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها﴾ يعني: كما أن فساق مكة أكابرها، كذلك جعلنا فساق كل قرية أكابرها. قال ابن عباس: أكابر مجرمي مكة: المستهزون^(٧) وأراد بـ «الأكابر»: الرؤساء المترفين. قال الزجاج^(٨): وإنما جعل الأكابر فساق كل قرية، لأنهم بما^(٩) أعطوا من الرياسة والسعة أقرب^(١٠) إلى المكر والكفر بدليل قوله ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾^(١١).

وقوله^(١٢) ﴿ليمكروا فيها﴾ قال مجاهد: هو أنهم أجلسوا^(١٣) على كل طريق من طرق مكة أربعة ليصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ ويخبروهم أنه شاعر كاهن^(١٤) ﴿وما يمكرون إلا بأنفسهم﴾^(١٥) لأن وبال مكرهم يعود عليهم، كأنه قيل: وما يضرون بذلك المكر إلا أنفسهم، قال ابن عباس^(١٦) لأنهم يقتلون ويصيرون إلى أشد العذاب ﴿وما يشعرون﴾ أنهم يمكرون بها.

- قوله^(١٧) ﴿وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن﴾ لك، لن نصدقك ﴿حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله﴾ قال ابن عباس^(١٨) حتى يوحى إلينا ويأتينا جبريل فيخبرنا أن محمداً صادق، كما قالوا ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾^(١٩).

(١) انظر تفسير الطبري ١٧/٨ عن الضحاك، وابن كثير ١٧٢/٢، والدر ٤٣/٣ عن زيد، وابن عباس والضحاك، وفتح القدير ١٦٠/٢ عن زيد وابن عباس، وأسباب النزول للسيوطي ١٢٢، وللواحدي ١٦٨.

(٢) من (د).

(٣) انظر تفسير الخازن ١٧٩/٢ عن الحسن، وابن كثير ١٧٢/٢، والزجاج ٣١٦/٢.

(٤) في (د) أظله.

(٥) في (د) هوى.

(٦) في (ح، د) زين الشيطان لهم. وانظر تفسير البغوي ١٧٩/٢ عن ابن عباس، والبحر ٢١٤/٤ عن الحسن.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ١١٨، والطبري ١٩/٨، والدر ٤٤/٣ كلاهما عن عكرمة.

(٨) انظر الزجاج ٣١٧/٢، والرازي ١٣/١٧٤، وغرائب النيسابوري ١٥/٨ كلاهما عن الزجاج.

(٩) في (ح، د) لما أعطوا.

(١٢) في (ح، د) قوله.

(١٠) في (ح) قرب إلى الكفر والكفر.

(١٣) في (ح) جلسوا.

(١١) سورة الشورى/ ٢٧.

(١٤) انظر تفسير الخازن ١٧٩/٢ عن مجاهد، والبحر ٢١٥/٤.

(١٥) في (د) أنفسهم.

(١٨) انظر غرائب النيسابوري ٢٥/٨ - ١٦ عن ابن عباس والحسن.

(١٦) انظر تفسير ابن عباس ١١٨ بنحوه.

(١٩) سورة الإسراء/ ٩٢.

(١٧) في (ح، د) قوله تعالى.

وقال الضحاك^(١): سأل كل واحد من القوم أن يخص بالرسالة والوحي، كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منسورة﴾^(٢). وقوله^(٣) ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ يعني: إنهم ليسوا لها بأهل، وذلك أن الوليد بن المغيرة^(٤) قال: والله لئن كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك، لأني أكبر منك سنّاً وأكثر منك مالاً، فأنزل الله هذه الآية^(٥).

قال أهل المعاني^(٦): الأبلغ في تصديق الرسل أن لا يكونوا قبل مبعثهم مطاعين^(٧) في قومهم، لأن الطعن كان يتوجه إليهم فيقال: إنما كانوا أكابر ورؤساء فاتبعوا، فكان الله أعلم حيث يجعل الرسالة ليتيم أبي طالب دون أبي جهل والوليد بن المغيرة وأكابر مكة.

وقوله^(٨) ﴿سيسيب الذين أجرموا صغاراً عند الله﴾ قال الزجاج^(٩): أي هم وإن كانوا أكابر في الدنيا فسيصيبهم عند الله صغاراً ومذلة. «والصغار»: المذلة، يقال منه صغر يصغر صُغراً وصغاراً فهو صاغر^(١٠).

- قوله^(١١) ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ يقال: شرح الله صدره فانشرح أي وسع صدره لقبول الخير فتوسع^(١٢). وقال ابن الأعرابي: «الشرح»: الفتح و«الشرح»: البيان، وقوله ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾^(١٣). أي فتحه ووسع له.

«روي أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية فقال: إن النور إذا دخل القلب انشرح وانفسح. فقيل له: وهل لذلك من علامة؟ قال: نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزول الموت»^(١٤). وقوله^(١٥) ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ وقرأ ابن كثير (ضيقاً) - ساكنة الياء - وهو من باب «الميت والميت» في أن المخفف مثل المشدد في المعنى^(١٦).

(١) انظر غرائب النيسابوري ١٥/٨ عن الضحاك، وفتح القدير ١٦٠/٢ عن ابن جريج.

(٢) سورة المدثر/ ٥٢.

(٣) في (د) قوله.

(٤) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو عبد شمس من قضاة العرب في الجاهلية ومن زعماء قريش وزنادقتها أدرك الإسلام وهو شيخ هرم فعاده وواقوم دعوته وهو والد سيف الله خالد بن الوليد ولد سنة ٩٥ قبل الهجرة ومات سنة ١ هـ بعد الهجرة بثلاثة أشهر. (الأعلام ١٤٤/٩).

(٥) انظر غرائب النيسابوري ١٥/٨ عن الوليد بن المغيرة، والبغوي ١٧٩/٢ - ١٨٠، والرازي ١٧٥/٣.

(٦) انظر الزجاج ٣١٨/٢، والخازن ١٨٠/٢ عن أهل المعاني بلفظه، والبحر ٢١٦/٤.

(٧) «أي ينبغي أن لا يكون النبي مطاع قوم، بل يكون من أوسط الناس» (حاشية أ).

(٨) في (ح، د) قوله.

(٩) انظر الزجاج ٣١٨/٢، واللسان/صغر.

(١٠) انظر غريب القرآن ١٥٩، ومجاز القرآن ٢٠٦/١، ومفردات الراغب/صغر، واللسان/صغر.

(١١) في (ح) قوله تعالى.

(١٢) سورة الزمر/ ٢٢ وانظر اللسان/شرح، والبحر ٢٠٥/٤ كلاهما عن ابن الأعرابي، وغريب القرآن ص ١٥٩.

(١٣) انظر العليل المتناهية ٨٠٣/٢ «تقرده به عبد الله بن محمد بن المغيرة، وروي عن طرق كلها وهم، وهو الضواب عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر عبد الله بن المسور مرسلاً عن النبي ﷺ، كذلك قاله الثوري، وابن المسور: متروك» ومصنف ابن أبي شيبة

٢٢٢-٢٢١/١٣ عن أبي جعفر وابن مسعود. والمستدرک - كتاب الرقاق «قال الذهبي: عدي ساقط» عن ابن مسعود ٣١١/٤، وانظر

الزجاج ٣١٨/٢، والدرر ٤٤/٣، ٤٥، وعيون الأخبار ٣٢٨/٢ عن عمرو بن مرة.

(١٥) في (ح، د) قوله.

(١٦) قرأ ابن كثير وحده (ضيقاً) - خفيفة بحذف الياء الثانية - وقرأ الباقر بالادغام (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧١، والسبعة ٢٦٨، والنشر

٢٦٢/٢، والبيان ٥٣٧/١).

و «الحرج»: الشديد الضيق، وقد حرج صدره، إذا ضاق. وقرىء (حرجاً) (١) - بكسر الراء - فمن فتح الراء كان وصفاً بالمقدر، والمعنى: ذا حرج، كما قالوا: رجل دَنَفٌ (٢)، أي ذو دنف، ومن كسر فهو نعت مثل دَنَفٌ و فرِق (٣). والمعنى: أن قلبه (٤) غير مشروح للإيمان، قال ابن عباس (٥): إذا سمع ذكر الله اشماز قلبه، وإذا ذكر شيئاً من عبادة الأوثان ارتاح إلى ذلك.

قوله ﴿كأنما يصعد في السماء﴾ أي: يتصعد في السماء، فأدغمت التاء في الصاد. وقرأ أبو بكر (يصاعد) وهو مثل يتصعد في المعنى، وقرأ ابن كثير (يصعد) من الصعود (٦). والمعنى: أنه في نفوره عن الإسلام وثقله عليه بمنزلة من يكلف ما لا يطيقه كما أن صعود السماء لا يستطاع. قال الزجاج (٧): كأنه قد كلف أن يتصعد إلى السماء يجد من ثقل ذلك مثلما يجد من الصعود إلى السماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه. قال ابن عباس (٨): يقول: فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء، فكذلك لا يقدر على أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه حتى يدخله الله في قلبه.

قوله ﴿كذلك﴾ أي: مثل ما قصصنا عليك ﴿يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ قال ابن عباس (٩): هو الشيطان، أي يسلطه عليهم، وقال عطاء وابن زيد (١٠): «الرجس»: العذاب، وقال الزجاج: «الرجس»: اللعنة في الدنيا، والعذاب في الآخرة (١١). وانقطع كلام القدرية - لعنهم الله (١٢) - عند (١٣) هذه الآية، وخرست ألسنتهم، فإنها قد صرحت بتعلق إرادة الله بالهداية والإضلال وتهيئة أسبابهما.

(١) قرأ نافع وأبو بكر (حرجاً) بكسر الراء - وقرأ الباقون بالفتح وهما لغتان، وحجة من فتح قوله (وما جعل عليكم في الدين من حرج) - سورة الحج/ ٧٨ - (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧١، والسبعة ٢٦٨، والنشر ٢/٢٦٢، والتبيان ١/٥٣٧، والزجاج ٢/٣١٩، والفراء ٣٥٣/١ - ٣٥٤، والحجة لابن خالويه ١٤٩).

(٢) «رجل دَنَفٌ ودِنْفٌ ومدنف ومدنف: براه المرض حتى أشفى على الموت» (اللسان/دنف)

(٣) «ورجل فَرِقٌ وفَرِقٌ وفَروقٌ وفَروقٌ وفَروقٌ وفَروقٌ وفاروق وفارقة: فرع شديد الفرق «الهاء» في كل ذلك ليست لتأنيث الموصوف بما هي فيه، إنما هي إشعار بما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة (اللسان/فرق)».

(٤) في (د) قلند.

(٥) انظر تفسير البغوي ١٨١/٢، والخازن ١٨١/٢ كلاهما عن ابن عباس.

(٦) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي (يَصْعَدُ) الأصل: يتصعد فأدغموا التاء في الصاد وقرأ ابن كثير - وحده - (يصعد) - خفيفاً - من صعد يصعد، وحجته قوله - ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ - سورة فاطر/ ١٠ -، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (يصاعد) الأصل يتصاعد فأدغم التاء في الصاد والمعنى واحد في كل (انظر الحجة لأبي زرعة والسبعة ٢٦٨ - ٢٦٩، والنشر ٢/٢٦٢، والزجاج ٢/٣١٩، والتبيان ١/٥٣٨، والحجة لابن خالويه ١٤٩).

(٧) انظر الزجاج ٢/٣١٩.

(٨) انظر تفسير ابن كثير ٢/١٧٥، والدر ٣/٤٥، وفتح القدير ٢/١٦٢ كلها عن ابن عباس.

(٩) انظر تفسير ابن كثير ٢/١٧٥، والطبري ٨/٢٤، والرازي ١٣/١٨٤، وغرائب النيسابوري ٨/١٧٧ كلها عن ابن عباس.

(١٠) انظر تفسير ابن كثير ٢/١٧٥، والطبري ٨/٢٤ كلاهما عن ابن زيد، والرازي ٣/١٨٤، والبغوي ٢/١٨١، وغرائب النيسابوري ٨/٢٧٧ كلها عن عطاء، ومجاز القرآن ١/٢٠٦، - والزاهر ٢/٢١٣ - ٢١٤.

(١١) انظر الزجاج ٢/٣١٩، والرازي ١٣/١٨٤، وغرائب النيسابوري ٨/١٧٧ كلاهما عن الزجاج.

(١٢) من (ج).

(١٣) في (د) عن.

وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ هَلُمَّ دَارَ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾

- قوله ﴿وهذا صراط ربك مستقيماً﴾ قال ابن عباس^(١): يعني التوحيد، وقال ابن مسعود^(٢): يعني القرآن. وقال عطاء^(٣): يريد: هذا^(٤) الذي أنت عليه يا محمد دين ربك مستقيماً. ومعنى^(٥) استقامة صراط الله: أنه يؤدي سالكه إلى دار الخلود في النعيم.

وقوله^(٦) ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون﴾ قال عطاء: يريد أصحاب النبي ﷺ قبلوا مواعظ الله تعالى وانتهوا عما نهاهم^(٧) الله عنه.

- قوله^(٨) ﴿لهم دار السلام﴾ قال الحسن والسدي^(٩): السلام: هو الله عز وجل، وداره: الجنة. ومعنى «السلام» في اسم الله تعالى: ذو السلام أي السلامة من الآفات والنقائص^(١٠).

قال الزجاج^(١١): يجوز أن تكون الجنة سميت دار السلام، لأنها دار السلامة الدائمة التي لا تنقطع.

وقوله^(١٢) ﴿عند ربهم﴾ أي: مضمونة لهم عند ربهم حتى يدخلوها^(١٣). وقوله ﴿وهو وليهم﴾ أي: يتولى إيصال النافع ودفع المضار عنهم ﴿بما كانوا يعملون﴾ في الدنيا من الطاعات.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَحْ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَلْبَانًا الَّذِي أَجَلْتَنَا قَالَ النَّارُ مَثُونَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُذَرُّونَكُم لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾

- قوله^(١٣) ﴿ويوم يحشرهم جميعاً﴾ يعني: الجن والإنس يجمعون في موقف القيامة فيقال لهم ﴿يا معشر

(١) انظر تفسير الآية ٦ من سورة الفاتحة.

(٢) ذكره القرطبي ٨٣/٧، والبيهقي ١٨٢/٢، وغرائب النيسابوري ٢١/٨، والرازي ١٨٧/١٣ كلاهما عن ابن عباس.

(٣) في (د) يريد الذي.

(٤) في (أ) نهيهم، وفي (ج) نهي.

(٥) في (د) فمعنى.

(٦) في (د) قوله تعالى.

(٧) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ١١٩، والزجاج ٣٢٠/٢، وغريب القرآن ١٦٠، والخازن ١٨٢/٢ عن الحسن والسدي والطبري.

(٨) ٢٥/٨، والدر ٤٥/٣، وفتح القدير ١٦٢/٢ كلها - عن السدي.

(٩) انظر اللسان/سلم.

(١٠) انظر الزجاج ٣٢٠/٢، واللسان/سلم عن الزجاج.

(١١) في (د) قوله.

(١٢) في (د) يدخلوها.

(١٣) في (ج) قوله تعالى.

الجن قد استكثرت من الإنس ﴿ أي: من إغواء الإنس وإضلالهم ﴿ وقال أولياؤهم ﴾ يعني: الذين أضلهم الجن ﴿ من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض ﴾ ومعنى (١) استمتاع الجن بالإنس: طاعتهم لهم فيما يغرونهم به من الضلالة والكفر والمعاصي .

واستمتاع الإنس بالجن: أن الجن زينت لهم الأمور التي يهرونها حتى يسهل عليهم فعلها ويشهونها (٢)، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء، واختيار الزجاج (٣) والمراد بـ «الجن» في هذه الآية: الشياطين .

قوله (٤) ﴿وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾ يعني: أجل البعث والنشور ﴿قال النار مثواكم﴾ قال ابن عباس (٥) : يريد: فيها مقامكم ﴿خالدين فيها إلا ما شاء الله﴾ قال ابن عباس (٦) : استثنى الله تعالى قوماً قد سبق في علمه (٧) أنهم يسلمون ويصدقون النبي ﷺ . و«ما» على هذا القول (٨) بمعنى «من» .

وقوله ﴿إن ربك حكيم عليم﴾ حكم للذي (٩) استثنى بالتصديق، وعلم ما في قلوبهم من البر والتقوى .

- قوله ﴿وكذلك﴾ أي: وكما خذلنا عصاة الجن والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض ﴿نولي بعض الظالمين بعضاً﴾ نسلط بعضهم على بعض حتى كان منهم ما كان ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من المعاصي .

- قوله ﴿يا معشر الجن والإنس﴾ «المعشر»: كل جماعة أمرهم واحد، والجمع (١٠) : المعاشر .

﴿ألم يأتكم﴾ (١١) رسل منكم ﴿ قال مجاهد (١٢) : الرسل من الإنس، والنذر من الجن، وهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلغون الجن ما سمعوا وينذرونهم، كما قال الله تعالى ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾ (١٣) .

وقوله ﴿يقصون عليكم آياتي﴾ يقرؤون عليكم كتيب ﴿وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ يخبرونكم ويخوفونكم بيوم القيامة ﴿قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ شهدنا أنهم قد بلغوا، يقول الله تعالى ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ حين (١٤) لم

(١) في (ح، د) قوله .

(٢) «الشهوة: معرفة . . وهذا شيء يشبه الطعام: أي يحمل على اشتهاه» (اللسان/شها) .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ١٧٦/٢ عن ابن عباس والحسن، والدر ٤٥/٣ عن الحسن، والزجاج ٣٢٠/٢، والفراء ٣٥٤/١ .

(٤) في (ح) قوله . (٥) انظر تفسير ابن عباس ١١٩ .

(٦) انظر تفسير الطبري ٢٦/٨، وغرائب النيسابوري ٢٣/٨، والدر ٤٥/٣، والخازن ١٨٣/٢ والبغوي ١٨٣/٢ كلها عن ابن عباس .

(٧) في (د) في علم الله .

(٨) في (د) على هذا المعنى من قوله .

(٩) في (د) حكم الذي

(إلا ما شاء الله) استثناء منقطع، لأنه من غير جنسه . ويجوز أن يكون من جنسه على وجهين، أحدهما: أن يكون استثناء من الزمان،

والمعنى يدل عليه، لأن الخلود يدل على الأبد، فكأنه قال: خالدون فيها في كل زمان إلا زمن مشيئة الله . والثاني «ما» بمعنى «من»

(انظر التبيان ٥٣٨ - ٥٣٩، والمشكل ٢٧٠/١، والبيان ٣٤٠/١)

(١٠) في (ح، د) والجميع المعاشر، وانظر غرائب النيسابوري ٢٤/٨ عن أهل اللغة، واللسان/عشر عن الليث .

(١١) في (د) ألم يأتكم .

(١٢) انظر تفسير البغوي ١٨٤/٢، والدر ٤٦/٣ كلاهما عن مجاهد، وتفسير ابن عباس ١١٩ بنحوه وابن كثير ١٧٧/٢ عن ابن عباس،

والزجاج ٣٢١/٢، والطبري ٢٧/٨، والوجيز للواحد ٢٦١/١ .

(١٣) سورة الأحقاف/ ٢٩

(١٤) في (ح، د) حتى لم يؤمنوا

يؤمنوا ولم يصدقوا الرسل ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ قال مقاتل^(١): يعني: حين شهدت عليهم الجوارح بالشرك والكفر.

- قوله ﴿ذلك أن لم يكن ربك﴾ أي ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل وأمر عذاب من كذبهم لأنه لم يكن ربك ﴿مهلك القرى بظلم﴾ قال الكلبي^(٢): لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل أن تأتيهم الرسل.

وقوله ﴿بظلم﴾ يعني: بظلمهم الذي هو ذنوبهم ومعاصيهم. وقوله ﴿وأهلها غافلون﴾ يعني: أهل القرى غافلون لم يندروا ولم تبلغهم الرسل.

- وقوله^(٣) ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ أي: ولكل عامل بطاعة الله درجات جزاء من أجل ما عملوا ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾ قال ابن عباس: يريد: عمل المشركين وهذا وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم.

وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنْ مَا تُوْعَدُونَ لَأَتِيَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾

- ﴿وربك الغني﴾^(٤) عن عباده^(٥) خلقه ﴿ذو الرحمة﴾ [قال ابن عباس^(٦): بأوليائه وأهل طاعته وقال الكلبي^(٧): ذو الرحمة] وذو التجاوز. ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ وعيد لأهل مكة بالإهلاك ﴿ويستخلف من بعدكم ما يشاء﴾ وينشئ من بعدكم خلقاً آخر ﴿كما أنشأكم﴾ خلقكم ابتداء ﴿من ذرية قوم آخرين﴾ يعني: آباءهم الماضين. - ﴿إن^(٨) ما توعدون﴾ من مجيء الساعة والحشر والنشر ﴿لآت وما أنتم بمعجزين﴾ بفائتين^(٩). يقال: أعجزني فلان، أي فائتي فلم أقدر عليه^(١٠).

قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾

- وقوله^(١١) ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ قال الزجاج^(١٢): اعملوا على ما أنتم عليه يقال للرجل إذا

(١) انظر تفسير البغوي ١٨٥/٢، والقرطبي ٨٧/٧ كلاهما عن مقاتل، والبحر ٢٢٣/٤، وغرائب النيسابوري ٢٥/٨.

(٢) انظر تفسير البغوي ١٨٥/٢ عن الكلبي، والزجاج ٣٢٢/٢، والبحر ٢٢٤/٤ عن الزجاج والقيصري، والفراء ٣٥٥/١.

(٣) في (د) قوله لكل.

(٤) في (ح) قوله، وفي (د) قوله تعالى.

(٥) في (أ) وربك الغني ذو الرحمة قال ابن عباس.

(٦) انظر تفسير البغوي ١٨٦/٢، والخازن ١٨٦/٢، والبحر ٢٢٥/٤ كلها عن ابن عباس.

(٧) انظر تفسير البغوي ١٨٦/٢، والخازن ١٨٦/٢، والبحر ٢٢٥/٤ كلها عن الكلبي.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(٩) في (ح، د)، إنما، وفي (د) إنما توعدون أي..

(١٠) في (د) فائتين.

(١١) انظر مجاز القرآن ٢٠٦/١ واللسان/عجز.

(١٢) في (ح، د) قوله.

(١٣) انظر الزجاج ٣٢٣/٢، والبغوي ١٨٦/٢ عن الزجاج.

أمرته أن يثبت على حاله: على مكانتك يا فلان، أي اثبت على ما أنت عليه. ومعنى هذا الأمر: هو المبالغة في الوعيد.

وقرىء ﴿مَكَانَاتِكُمْ﴾ والوجه: الإفراد، لأنه مصدر، والمصادر في أكثر الأمر مفردة وقد يجمع في بعض الأحوال^(١).

ومعنى الآية: اعملوا ما أنتم عليه^(٢) عاملون ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ ما أمرني ربي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ قال ابن عباس^(٣): يعني الجنة لكم أم لنا.

وقرىء (يكون) - بالياء^(٤) - «العاقبة» غير حقيقي، فهو كقوله ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾^(٥). وقوله ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ﴾ قال ابن عباس^(٦): يريد: لا يسعد من كفر نعمتي وأشرك بي^(٧).

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ مَا فَعَلُوا فَنَدَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَأَ بِرِزْقِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرْمَتٌ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَمُحَرَّمٌ عَلَى

= قال الزجاج: «فإن قال قائل: فكيف يجوز أن يأمرهم النبي ﷺ أن يقيموا على الكفر فيقول لهم (اعملوا على مكانتكم)؟ فإنما معنى هذا الأمر المبالغة في الوعيد، لأن قوله ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ﴾ قد أعلمهم أن من عمل بعملهم فإلى النار مصيره، فقال لهم: أقيموا على ما أنتم عليه إن رضيتم العذاب بالنار (الزجاج ٣٢٣/٢، وانظر الحجة لابن خالويه ١٥٠، والخازن ١٨٧/٢).

(١) قرأ عاصم - وحده - في رواية أبي بكر (مكاناتكم) على الجمع في كل الجمع في كل القرآن، ويروي عنه (مكاناتكم) وقرأ الباقر (مكاناتكم) على التوحيد، وهو الأوجه لأن الواحد ينوب عن الجمع، ولا ينوب الجمع عن الواحد (انظر الحجة لابي زرع ٢٧٢، والسبعة ٢٦٩، والنشر ٢٦٣/٢، والزجاج ٣٢٣/٢، والحجة لابن خالويه ١٤٩ - ١٥٠).

(٢) ساقطة من (ج، د).

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١٢٠، وابن كثير ١٧٨/٢ عن ابن عباس.

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي (انظر الحجة لابي زرع ٢٧٢، والسبعة ٢٧١، والنشر ٢٦٣/٢ والفراء ٣٥٦/١ والحجة لابن خالويه ١٥٠).

(٥) سورة البقرة/ ٢٧٥.

(٦) انظر تفسير البيهقي ١٨٧/٢، والخازن ١٨٧/٢ كلاهما عن ابن عباس، والبحر ٢٢٦/٤ عن عطاء.

(٧) في (ج) زيادة: لا يسعد من كذب أنبياء الله ورسوله.

أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ
خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا
كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

- قوله ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً﴾ قال ابن عباس وجماعة من المفسرين^(١): كان
المشركون يجعلون لله تعالى من حروثهم وثمارهم وأنعامهم^(٢) نصيباً وللأوثان نصيباً، فما كان للأوثان أنفق عليها
وما^(٣) كان لله أطعم الضيفان والمساكين ولا يأكلوا من ذلك كله شيئاً، فما سقط مما جعلوه لله في نصيب الأوثان تركوه
وقالوا: إن الله غني عن هذا، وإن سقط مما جعلوه للأوثان في نصيب الله التقطوه وردوه إلى نصيب الصنم وقالوا: إنه
فقير، فذلك قوله ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام﴾^(٤).

قال ابن عباس^(٥): مما خلق من الثمر والقمح والضأن والمعز والإبل والبقر ﴿نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم﴾
بكذبهم واعتقادهم الفاسد ﴿وهذا لشركائنا﴾ يعني: ما جعلوه لآلهتهم من أموالهم. والآلهة كانوا شركاءهم^(٦) في
أموالهم حيث جعلوا لها نصيباً.

قوله ﴿فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم﴾. قال الحسن والسدي^(٧):
هو أنه إذا هلك الذي لأوثانهم أخذوا بدله مما لله، ولا يفعلون مثل ذلك فيما لله.

وقال قتادة^(٨): كانوا إذا أصابتهم السنة استعانوا^(٩) بما جزعوا لله ووفروا ما جزعوا لشركائهم، فذلك قوله ﴿فما
كان لشركائهم﴾ يعني: من تمام الحرث والأنعام ﴿فلا يصل إلى الله﴾ يعني: إلى المساكين، وإنما قال ﴿إلى الله﴾
لأنهم كانوا يفرزون لله ويسمونهم نصيباً لله^(١٠)، وما كان لله من التمام فهو يصل إلى آلهتهم.

ثم ذم فعلهم فقال ﴿ساء ما يحكمون﴾ بشس الحكم حكمهم حيث صرفوا ما جعلوا لله على جهة التبرير إلى
الأوثان.

(١) انظر تفسير ابن عباس ١٢٠، والطبري ٣٠/٨ عن ابن عباس، وابن كثير ١٧٩/٢ عن ابن عباس ومجاهد وقاتة والسدي وغيرهم والدر
٤٧/٣، وفتح القدير ١٦٦/٢ كلاهما عن ابن عباس ومجاهد، وغريب القرآن ١٦٠ - ١٦١، والرازي ٢٠٤/١٣ عن ابن عباس
والحسن

(٢) في (ح، د) وأنعامهم وثمارهم.

(٣) في (د) ما كان لله.

(٤) في (ح، د) نصيباً.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ١٢٠، وابن كثير ١٧٩/٢ عن ابن عباس.

(٦) في (د) شركائهم.

(٧) انظر تفسير الرازي ٢٠٤/١٣، وغرائب النيسابوري ٣٠/٨ كلاهما عن الحسن والسدي، وابن كثير ١٧٩/٢ عن ابن عباس والسدي
ومجاهد، والطبري ٣١/٨ عن السدي.

(٨) انظر تفسير الطبري ٣١/٨، والرازي ٢٠٤/١٣، وغرائب النيسابوري ٣٠/٨ كلها عن قتادة.

(٩) في (د) استغلوا.

(١٠) في (د) نصيب الله.

- قوله ﴿وكذلك﴾ أي: ومثل ذلك الفعل القبيح ﴿زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾. قال مجاهد^(١): ﴿شركاؤهم﴾: شياطينهم أمروهم بأن يثدوا^(٢) أولادهم - خشية العيلة. وسميت الشياطين «شركاء» لأنهم أطاعوهم في معصية الله تعالى، وأضيفت الشركاء إليهم لأنهم اتخذوها، كقوله تعالى ﴿أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾^(٣).

وقرأ ابن عامر (زُين) بضم الزاي - (قُتل) - رفعاً - (أولادهم) - بالنصب (شركائهم)^(٤) - بالجر - على تقدير: زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم ولكنه فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به وهو الأولاد، والمفعول به: مفعول المصدر^(٥).

قال أبو علي الفارسي: وهو قبيح قليل الاستعمال، ولكنه قد جاء في الشعر كما أنشده أبو الحسن الأخفش^(٦):

فـزججتها مـتمكناً
زج القلوص أبي مزاده

وأضيف القتل - في هذه القراءة - إلى الشركاء وإن لم يتولوا ذلك، لأنهم هم الذين زينوا ودعوا إليه^(٧) فكأنهم فعلوا ذلك. وقوله^(٨) ﴿لِيُرَدُّوهم﴾ قال ابن عباس^(٩): يريد في النار. و«الإرداء»: الإهلاك، ومنه قوله ﴿إن كدت لتردين﴾^(١٠).

(١) انظر تفسير الطبري ٣٢٢/٨، وابن كثير ١٧٩/٢، والدر ٤٧/٣ كلها عن مجاهد، وابن عباس ١٢٠، والفراء ٣٥٧/١.

(٢) في (ج، د) يادوا، وكذا في هامش (أ) «من الواد وهو دفن الحي»

(٣) في (أ) «تدعون من دون الله» وفي (ج، د) «تزعمون من دون الله» والنص من الآية ٢٢ من سورة الأنعام، أما زيادة «من دون الله» فهي من الآية ٤٠ من سورة فاطر - «قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله».

(٤) إلى هنا ينتهي المقطع من النسخة (و).

(٥) انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧٣ - ٢٧٤، والسبعة ٢٧٠، والنشر ٢٦٣/٢ - ٢٦٥، والبيان ٥٤٠/١ - ٥٤١، والمشكل ٢٧١/١ - ٢٧٢، والفراء ٣٥٧/١ - ٣٥٨، والمصاحف لابن أبي داود ٤٥، والحجة لابن خالوية ١٥٠ - ١٥١، والطبري ٣٣/٨ عن بعض قراء الشام.

(٦) انظر الفراء ٣٥٨/١، والرازي ٢٠٦/١٣، والكتاب ١٧٦/١، وفتح القدير ١٦٦/٢، والبيان ٣٤٢/١، والطبري ٣٣/٨، وغرائب النيسابوري ٣١/٨، والخزانة ٤١٥/٤، ٤١٦، والبحر ٢٢٩/٤ - ٤٣٠ عن الأخفش وأبي علي الفارسي.

زججتها: دفعتها، والقلوص: الناقة الفتية، وأبي مزادة: كنية رجل، والشاعر: قال أبو الحسن: سمعت عيسى بن عمر ينشد، وفي الحجة لأبي زرعة ص ٢٧٣ والخزانة ٢٥١/٢ القائل غير معروف.

والشاهد فيه: أنه فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به، خفض «أبي مزادة» في ضرورة الشعر وكان الأولى أن يفتح (والبيت من مجزوء الكامل).

قال النيسابوري في غرائب القرآن: «والحق عندي في هذا المقام أن القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه، والقراءات السبع كلها متواترة، فكيف يمكن تحطئة بعضها؟ فإذا ورد في القرآن المعجز مثل هذا التركيب لزم القول بصحته وفضاحته، وألا يلتفت إلى أنه هل ورد له نظير في أشعار العرب وتراكيبهم أم لا، وإن ورد فكثير أم لا...» (غرائب النيسابوري ٣١/٨).

«قال السمين: قراءة ابن عامر متواترة صحيحة، وقد تجرأ كثير من الناس على قارئها بما لا يتبني وهو أعلى القراء السبعة سندا وأقدمهم هجرة... وقال أبو علي الفارسي...» (الخزانة ٤٢٢/٤ - ٤٢٣).

قال ابن خلف: هذا البيت يروى لبعض المدنيين المولدين، وقيل: هو لبعض المخشئين ممن لا يحتج بشعره. (الخزانة ٤١٥/٤).

(٧) في (د) ودعوا الله.

(٨) في (د) قوله.

(٩) انظر غرائب النيسابوري ٣١/٨، والخازن ١٨٨/٢ كلاهما عن ابن عباس.

(١٠) في (أ، د) لترديني، والنص من سورة الصافات ٥٦، وانظر اللسان / ردى.

وقوله ﴿وليلبسوا عليهم دينهم﴾ قال ابن عباس (١) : يدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين إسماعيل فرجعوا عنه بلبس الشياطين وتزيينها لهم القبائح.

ثم أخذ أن جميع ما فعلوا كان بمشيئته فقال ﴿ولو شاء الله ما فعلوه﴾ ثم أوعدهم ﴿فذرهم وما يفترون﴾ يتقولون على الله الكذب.

- قوله (٢) ﴿وقالوا هذه أنعام وحرث حجر﴾ «الحجر» في اللغة: الحرام (٣).

والمعنى: أنهم حرموا أنعاماً وحرثاً وجعلوه لأصنامهم فقالوا ﴿لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم﴾ أعلم الله تعالى أن هذا التحريم زعم منهم، لا حجة لهم فيه ولا برهان.

﴿وأنعام حرمت ظهورها﴾ نحو البحيرة والسائبة (٤) والحامي ﴿وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها﴾ يذبحونها لألهتهم ولا يذكرون اسم الله عليها ﴿افتراء عليه﴾ - للافتراء (٥) على الله، وهو أنهم زعموا أن الله تعالى أمرهم بذلك.

- ﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا﴾ يعني: أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حياً ظهر خالص للرجال دون النساء، وما ولد (٦) ميتاً أكله الرجال والنساء، وهو قوله ﴿خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾ يعني: النساء. وإنما قيل ﴿خالصة﴾ لأن «ما» في قوله ﴿ما في بطون هذه الأنعام﴾: عبارة عن الأجنة، فجاء تأنيث ﴿خالصة﴾ لتأنيث معنى «ما»، وجاء تذكير «محرم» على لفظ «ما» (٧).

وقوله (٨) ﴿وإن يكن ميتة﴾ قرأ ابن كثير - بالياء - ﴿ميتة﴾ (٩) - بالرفع - لأن المراد بـ «الميتة» الميت. والميتة: تقع على المذكر والمؤنث كالدابة والشاة.

وابن عامر يلحق الفعل علامة التأنيث لأن الميتة في اللفظ مؤنثة.

وقرأ عاصم (تكن) - بالتاء - (ميتة) - بالنصب (١٠) - على معنى: وإن تكن الأجنة ميتة. ومن قرأ - بالياء - (ميتة) - بالنصب - كان التقدير: وإن يكن ما في بطون الأنعام ميتة، ولفظ «ما» مذكر (١١).

وقوله ﴿فهم فيه شركاء﴾ يعني: الرجال والنساء ﴿سيجزئهم وصفهم﴾ سيجزيهم الله تعالى جزاء وصفهم الذي

(١) انظر تفسير البغوي ١٨٨/٢ عن ابن عباس، والبحر ٢٣٠/٤.

(٢) في (ح)، و قوله تعالى.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١٢٠، وغريب القرآن ١٦١، والأخفش ٥٠٤/٢، ومجاز القرآن ٢٠٧/١، وابن كثير ١٨٠/٢ عن ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي. . . والدر ٤٧/٣ عن ابن عباس وقتادة.

(٤) في (و) والوصيلة.

(٨) في (د)، و قوله.

(٥) في (ح)، و الافتراء، وفي (د) أي للافتراء.

(٩) ليست في (د)، وفي غير (أ) رفعاً.

(٦) في (ح) وما ولد منها، وفي (د) وجا ولد.

(١٠) في (و) نصب.

(٧) انظر تفسير الطبري ٣٦/٨، والبيان ٣٤٣/١.

(١١) قرأ ابن عامر (وإن تكن) بالتاء، (ميتة) رفع، و (تكن) بمعنى الحدوث والوقوع أي: وإن تقع أو تحدث ميتة. وقرأ ابن كثير (وإن يكن) بالياء، (ميتة) رفع، ذكر الفعل لأن تأنيث الميتة غير حقيقي، وقرأ أبو بكر (وإن تكن) بالتاء، (ميتة) نصب وقرأ نافع وأبو عمرو وحمة والكسائي وحفص (وإن يكن) بالياء، (ميتة) نصب. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧٤ - ٢٧٥، والسبعة ٢٧٠ - ٢٧١، والنشر ٢٦٦/٢، والبيان ٥٤٢/١ - ٥٤٣، والزجاج ٣٢٤/٢ - ٣٢٥، والحجة لابن خالويه ٢٥١، والأخفش ٥٠٥ - ٥٠٦، والمشكل ٢٧٣/١).

هو كذب، وهو أنهم أحلوا ما حرم الله، وحرموا ما أحل الله، ونسبوا ذلك إلى الله والله أحكم وأعلم^(١) [من أن يفعل ذلك، وهو قوله ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(٢)].

- قوله^(٣) ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ يعني: الذين كانوا يدفنون بناتهم أحياء. قال قتادة^(٤): هذا صنيع أهل الجاهلية، كان أحدهم يقتل بنته مخافة السبي عليها والفاقة، ويغذو كلبه.

﴿سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: كانوا يفعلون ذلك للسفه والجهل من غير أن أتاهم في ذلك علم ﴿وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾ يعني: حرموا على أنفسهم من الأنعام والحرم وقالوا: إن الله أمرنا به.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٥) وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ^(٦) ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الصَّانِئِينَ وَمِنَ الْمَعْرِئَاتِ إِنَّ قُلَّ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أُمَّ الْأَنْثِيَيْنِ أَمَا اسْتَمَلْتِ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثِيَيْنِ نِعُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^(٧) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلَّ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أُمَّ الْأَنْثِيَيْنِ أَمَا اسْتَمَلْتِ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثِيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

- وقوله^(٥) ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ أي: أظهر وأبدع^(٨) ﴿جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾ يعني ما يعرش له من الكروم^(٩) و﴿غَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ ما قام على ساق، كالشجر والزروع^(٨)، و﴿النَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ﴾ يعني: ثمر النخل وحب الزرع لكل واحد^(٩) منهما طعم غير طعم الآخر، فمن ثمر النخل: الحامض والمر والحلو والجيد والرديء، وكل حب من الحبوب له طعم آخر. ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ - تقدم تفسيره^(١٠).

﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ أمر بإباحة ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ وجصاده وهما لغتان كالجزاز والجزاز، والقطف والقطف^(١١).

(١) في (حـ)، و أعلم وأحكم.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

(٤) انظر تفسير الطبري ٣٨/٨، والدر ٤٨/٣ كلاهما عن قتادة، ومجاز القرآن ١/٣٧٥.

(٥) في (حـ)، و قوله تعالى، وفي (د) قوله.

(٦) في غير (أ) أبدع وأظهر.

(٧) في (د) وله من الكرم.

(٨) قرأ ابن عامر وأبو عمرو وعاصم (يوم حصاده) - بفتح الحاء - وقرأ الباقون - بالكسر - وهما نعتان. قال الفراء: بالكسر: حجازية، وأهل

نجد وتميم بالفتح. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧٥، والسبعة ٢٧١).

والجز: جز الشعر والصوف والحشيش ونحوه، وجز النخلة بجزها جزاً وجزراً وجزراً. (اللسان/ جز) «قطف الشيء يقطفه قطفاً».

قال ابن عباس والحسن وسعيد بن المسيب^(١): يعني العشر ونصف العشر، وهذا في النخيل، لأن ثمارها إذا حصدت وجب إخراج ما يجب منها من الصدقة.

والزرع محمول عليه في وجوب الإخراج، إلا أنه لا^(٢) يمكن ذلك عند الحصاد فيؤخر ذلك إلى زمان التنقية.

وقوله^(٣) ﴿ولا تسرفوا﴾ قال ابن عباس في رواية الكلبي^(٤): عن ثابت بن قيس الأنصاري^(٥) فصرم خمسمائة نخلة وقسمها^(٦) في يوم واحد ولم يترك لأهله شيئاً فكره الله ذلك له وأنزل ﴿ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾^(٧) أسرف حين لم يترك لأهله شيئاً.

قال الزجاج^(٨): والتأويل على هذا أن الإنسان إذا أعطى كل ماله ولم يوصل إلى عياله شيئاً فقد أسرف لأنه قد جاء في الخبر «أبدأ بمن تعول»^(٩) فهذا مجاوزة حد الإعطاء.

قال سعيد بن المسيب^(١٠): معناه لا تمنعوا الصدقة، وتأويل هذا: لا تتجاوزوا الحد في البخل والإمساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة.

- قوله ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشاً﴾ أي: وأنشأ من الأنعام حمولة: وهي ما أطاق العمل من الإبل، وفرشاً: وهو الصغار^(١١) من الإبل التي لا تحمل^(١٢). ﴿كلوا مما رزقكم الله﴾ قال الزجاج^(١٣): لا تحرموا ما حرمتم مما جرى ذكره ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ لا تسلكوا طريقه ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ ظاهر العداوة أخرج أبانك من الجنة، وقال ﴿لاحتكن ذريته﴾^(١٤).

= وقطفاناً وقطافاً (عن اللحياني): قطعه (اللسان/ قطف).

(١) انظر تفسير الطبري ٣٩/٨ - ٤٠ عن ابن عباس وابن الحنفية، ٤٢/٨ - ٤٣ عن ابن عمر وإبراهيم والسدي، والرازي ١٣/١١٣ عن ابن عباس وابن المسيب والحسن وطاووس والضحاك، وابن كثير ١٨٢/٢ عن ابن عباس والسدي وإبراهيم والحسن وغيرهم والدر ٤٩/٣ عن ابن عباس وعطية والسدي.

(٢) في (أ) إلا أنه يمكن.

(٣) في (د) قوله.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ١٢١، والثوري ١٠٩ - ١١٠، والزجاج ٣٢٧/٢، وابن كثير ١٨٢/٢، والدر ٤٩/٣ كلاهما عن ابن جريج، والرازي ١٣/٢١٤، وأسباب النزول للسيوطي ١٢٢.

(٥) ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري خطيب الأنصار ومن شهد له الرسول ﷺ بالجنة روى عن النبي ﷺ وعنه بنوه وأنس بن مالك قتل باليمامة (الكاشف ١/١٧١).

(٦) في غير (أ) قسمها.. فكره الله له ذلك.

(٧) في (د) المفسرين.

(٨) انظر الزجاج ٣٢٧/٢.

(٩) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الزكاة - باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى - من حديث حكيم بن حزام.

(١٠) (٤١٣/١). وأبو داود في السنن - كتاب الزكاة - باب الرجل يخرج من ماله - عن أبي هريرة رقم ١٦٧٦/٢ - ١٢٩.

(١١) انظر تفسير الطبري ٤٦/٨، والدر ٤٩/٣ كلاهما عن سعيد، وابن كثير ١٨٢/٢ عن سعيد والقرظي.

(١٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(١٣) انظر غريب القرآن ١٦٢، ومجاز القرآن ٢٠٧/١، والفراء ٣٥٩/١، والطبري ٤٦/٨.

(١٤) انظر الزجاج ٣٢٨/٢.

(١٥) سورة الإسراء ٦٢/٢.

- قوله^(١) ﴿ثمانية أزواج﴾ وهي الضأن والمعز والإبل والبقر، وجعلها ثمانية وهي أربعة، لأنه أراد ذكراً وأنثى من كل صنف، فالذكر زوج والأنثى زوج، قال الله تعالى ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾^(٢).

[وهو قوله ﴿من الضأن اثنتين﴾^(٣) يعني: الذكر والأنثى]^(٤). والضأن: ذوات الصوف من الغنم. ﴿ومن المعز اثنتين﴾ وقرىء بفتح العين، وهما لغتان^(٥)، والمعز: ذوات - الشعر من الغنم.

وقوله^(٦) ﴿قلء الذكزين حرم أم الأثنيين﴾ كان المشركون^(٧) يحرمون أجناساً من النعم بعضها على الرجال والنساء، وبعضها على النساء دون الرجال، فاحتج الله عليهم بهذه الآية والتي بعدها فقال ﴿قل الذكزين﴾ من الضأن والمعز ﴿حرم﴾ الله عليكم ﴿أم الأثنيين﴾ فإن حرم الذكزين منهما فكل ذكورهما حرام، وإن حرم الأثنيين منهما فكل الإناث حرام.

وقوله^(٨) ﴿أما اشتملت عليه أرحام الأثنيين﴾ يقول: وإن كان قد حرم ما اشتملت عليه أرحام الأثنيين من الضأن والمعز فقد حرم الأولاد، وكلها أولاد، فكلها حرام.

وقوله^(٩) ﴿نبئوني بعلم﴾ قال الزجاج: أي فسروا ما حرمتهم^(٩) بعلم ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن الله حرم ذلك.

- وقوله^(١٠) ﴿ومن الإبل اثنتين﴾ - مفسر إلى قوله - ﴿أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا﴾ أي: هل شاهدتم الله حرم هذا إذ كنتم لا تؤمنون برسول. ثم بين أنهم فعلوا ذلك كذباً على الله فقال ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم﴾.

قال ابن عباس^(١١) يريد: عمرو بن لحي ومن جاء بعده ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ قال: يريد المشركين. ثم أعلم أن التحريم والتحليل إنما يثبت بالوحي والتنزيل فقال:

قُلْ لَا آجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ

(١) في غير «أ» قوله تعالى. وانظر الزاهر ٢/٢١٠، والأخفش ٢/٥٠٦ - ٥٠٧، والفراء ١/٣٥٩، والدر ٣/٥٠ عن ابن عباس والسدي وفتادة.

(٢) سورة النجم / ٤٥.

(٣) في (أ) الاثنيين: تحريف.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح، و).

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (المعز بفتح العين، وقرأ الباقون - ساكنة العين - وهما لغتان. والأصل تسكين العين، لأنه جمع معاز مثل تاجر وتجر وصاحب وصحب، وحجتهم: إجماع الجميع على تسكين الهمزة في «الضأن» وهو جمع ضائن، كما عر، والهمزة والعين من حروف الحلق، فردوا ما اختلفوا إلى ما أجمعوا عليه. والعرب تفتح إذا كان فيها حرف من حروف الحلق مثل نهر ونهر. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧٥ - ٢٧٦، والسبعة ٢٧١، والنشر ٢/٢٦٦، والتبيان ١/٥٤٤، والحجة لابن خالويه ١٥٢).

(٦) في (د) قوله.

(٧) انظر الزجاج ٢/٣٢٩، وابن كثير ٢/١٨٣، والدر ٣/٥٠ عن طاووس.

(٨) في (د) قوله أم.

(٩) في (و) أي فسروا بعلم ما حرمتهم، وانظر الزجاج ٢/٣٢٩.

(١٠) في (د، و) قوله.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١٢١.

خَنِزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾
 وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِذَا
 حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن
 كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرَدُّ بِأَسْمُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

- ﴿قل لا أجد في ما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه﴾ على أكل يأكله ﴿إلا أن يكون ميتة﴾ أي: إلا أن يكون المأكول ميتة^(١).

ومن قرأ (تكون) - بالتاء - كان التقدير عنده اسماً مؤنثاً، كأنه قيل: إلا أن تكون العين أو النفس أو الجثة ميتة. وقرأ ابن عامر (إلا أن تكون) بالتاء (ميتة) - بالرفع - على معنى: إلا أن تقع أو تحدث ميتة.

وقوله^(٢) ﴿أو دماً مسفوحاً﴾ يقال: سفح الدم، والدم سفحاً، إذا صبه، وسفح هو سفحاً، إذا سال^(٣). قال ابن عباس^(٤): يريد: ما يخرج من الأنعام وهي أحياء، وما يخرج من الأوداج عند الذبح، ولا يدخل في هذا الكبد والطحال لجمودهما، ولا ما يختلط باللحم من الدم فإنه غير سائل.

أخبرنا أحمد بن الحسن القاضي، حدثنا محمد بن يعقوب المعقلي أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ: «أحلت ميتان ودمان، الميتان: الحوت والجراد، والدمان: الكبد والطحال»^(٥) وقوله ﴿أو فسقاً أهل لغير الله به﴾^(٦) قال ابن عباس^(٨): يريد: ما ذبح على النصب. والمحرمات من المظعمات أكثر من هذا، ولكن الذي حرم بوحى القرآن هو ما ذكره^(٩) في هذه الآية، والباقي حرم بالسنة.

- قوله ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾ قال ابن عباس^(١٠): هو البعير والنعامة. ﴿ومن البقر والغنم

(١) قرأ نافع وأبو عمرو والكسائي وعاصم (إلا أن يكون) - بالياء - (ميتة) - بالنصب - هذا هو الوجه، لأن الاسم المضممر في (يكون) مذكورة وهو قوله (قل لا أجد في ما أوحى إلي محرماً) ولم يقل: محرمة، وقال الزجاج: تقديره إلا أن يكون المأكول ميتة. وقرأ ابن كثير وحجة (تكون) - بالتاء - (ميتة) بالنصب. وقرأ ابن عامر - وحده - (تكون) - بالتاء - (ميتة) - رفعاً - تكون: بمعنى الوقوع والحدوث. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧٦، والسبعة ٢٧٢، والنشر ٢/٢٦٦، والتبيان ١/٥٤٥، والمشكل ١/٢٧٥ - ٢٧٦، والقراء ١/٣٦٠ - ٣٦١).

(٢) في (د) قوله.

(٣) انظر غريب القرآن ١٦٢، والزاهر ٢/١٧٦، ومجاز القرآن ١/٢٠٧، واللسان /سفح.

(٤) انظر غرائب النيسابوري ٣٨/٨، والدر ٣/٥١ كلاهما عن ابن عباس.

(٥) الحديث: تقدم عند تفسير الآية ١٧٣ من سورة البقرة.

(٦) في (د) قوله.

(٧) ليست في (أ).

(٨) انظر تفسير ابن عباس ١٢١.

(٩) في (ح) ما ذكرنا، وفي (د) و (و) ما ذكر.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٨/٥٤، وابن كثير ٢/١٨٥، والدر ٣/٥٣، وفتح الباري ٨/٢٣٧ كلها عن ابن عباس وغيره والزجاج ٢/٣٣١

حرمنا عليهم شحومهما ﴿ يعني: شحوم الجوف، وهي الشروب وشحم الكليتين ^(١) . قوله ^(٢) ﴿ إلا ما حملت ظهورهما ﴾ قال قتادة: ما علق ^(٣) بالظهر والجنب من داخل بطونهما.

﴿ أو الحوايا ﴾ وهي المباعر، واحدها: حاوية وحرية وحوايا ^(٤) . يعني: وما حملت من الشحم . ﴿ أو ^(٥) ما اختلط بعظم ﴾ يعني: شحم الإلية في قول جميعهم ^(٦) .

وقال ^(٧) ابن جريج: كل شحم في القوائم والجنب والرأس والأذنين ^(٨) والعينين فهو مما اختلط بعظم، وهو حلال لهم، إنما حرم عليهم الثرب وشحم الكلية.

وقوله ^(٩) ﴿ ذلك جزيناهم بغيهم ﴾ أي: ذلك التحريم عقوبة لهم بقتلهم الأنبياء وأخذهم الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل، فهذا بغيهم، وهذا كقوله ﴿ فظلم من الذين هادوا... ﴾ الآية ^(١٠) . وقوله ^(٩) ﴿ وإنا لصادقون ﴾ أي: في الإخبار عن التحريم وعن بغيهم وفي كل شيء.

- ﴿ فإن كذبوك ﴾ فيما تقول ﴿ فقل ربكم ذو رحمة واسعة ﴾ لذلك ^(١١) لا يعجل عليكم بالعقوبة ﴿ ولا يُرد بأسه ﴾ عذابه إذا جاء الوقت ﴿ عن القوم المجرمين ﴾ يعني: المكذبين.

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفَّ

(١) انظر تفسير الطبري ٥٥/٨ عن قتادة والسدي وابن زيد، وابن كثير ١٨٥/٢ عن السدي والثرب: الشحم الرقيق الذي يكون على الكرش.

(٢) في (ح، و) وقوله.

(٣) في (ح) ما علق بالجنب والظهر وفي (و) إلا ما على الظهر، وانظر تفسير الطبري ٥٥/٨، وابن كثير ١٨٥/٢ كلاهما عن ابن عباس، والدر ٥٣/٣ عن قتادة.

(٤) انظر الزجاج ٣٣١/٢، وغريب القرآن ١٦٣، والدر ٥٣/٣ عن ابن عباس وأبي صالح، ومجاهد، والأخفش ٥٠٨/٢ - ٥٠٩، والبيان ٣٤٧/١. «والمباعر: واحدها مبعر بفتح الميم وكسرها - وهو حيث يجتمع البعر من الأمعاء (اللسان/ بعن).

(٥) في (و) وما.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١٢١، والزجاج ٣٣١/٢، والفراء ٢٦٣/١، والطبري ٥٦/٨، والدر ٥٣/٣ عن ابن عباس.

(٧) في (ح، د) قال ابن جريج.

(٨) في غير (أ) في العينين والأذنين. وانظر تفسير الطبري ٥٦/٨، وابن كثير ١٨٥/٢ كلاهما عن ابن جريج، والزجاج ٣٣١/٢ - ٣٣٢ والدر ٥٣/٣ عن ابن عباس.

(٩) في (د) قوله.

(١٠) سورة النساء/ ١٦٠.

(١١) ساقطة من (ح) وفي (د) كذلك، وفي (و) أي لذلك.

عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَنَّمَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَنَّمَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥١﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَنَّمَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

- ﴿سيقول الذين أشركوا﴾ (١) إذا لزمتهم الحجة وتيقنوا باطل ما هم عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا ءابؤنا ولا حرمنا من شيء﴾.

قال المفسرون (٢): إن المشركين جعلوا قولهم ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾ حجة على إقامتهم على الشرك فقالوا: إن الله تعالى رضي منا (٣) ما نحن عليه وأراده منا وأمرنا به، ولو لم يرض ذلك منا لحال بيننا وبينه.

ولا يكون هذا حجة لهم على أن ما هم عليه من الدين حق، لأن الأشياء كلها تجري بمشيئة الله تعالى، فلو كانوا على صواب لأن ذلك بمشيئة الله لكان من خالفهم وجب أن يكون عندهم أيضاً على صواب، لأنهم أيضاً على ما شاء الله، فينبغي ألا يقولوا: إنهم ضالون، فبان أنه لا حجة لهم في قولهم ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾ ولو كان الأمر على ما قالوه، لأنهم تركوا أمر الله تعالى وتعلقوا بمشيئة (٥) الله.

وأمر الله بمعزل عن إرادته، لأنه يريد لجميع الكائنات غير أمر بجميع ما يريد، فعلى العبد أن يتبع الأمر، وليس له أن يتعلق بالإرادة (٦) بعد ورود الأمر.

قوله (٧) ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ كما كذب هؤلاء كذب كفار الأمم الخالية أنبياءهم ﴿حتى ذاقوا بأسنا﴾ شدة عذابنا ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾.

قال ابن عباس: من كتاب نزل من عند الله في تحريم ما حرمتهم. ﴿إن تتبعون﴾ ما تتبعون فيما أنتم عليه ﴿إلا الظن﴾ لا العلم واليقين ﴿وإن أنتم إلا تخرصون﴾ وما أنتم إلا خارصين (٨) كاذبين.

- قوله (٩) ﴿قل فله الحجة البالغة﴾ قال الزجاج (١٠): حجته البالغة: تبيته أنه الواحد وإرساله الأنبياء بالحجج التي يعجز (١١) عنها المخلوقون. وهذا معنى قول المفسرين: والله (١٢) الحجة البالغة بالكتاب والرسول والبيان.

(١) في (ح، و) قوله.

(٢) انظر الزجاج ٣٣٢/٢ - ٣٣٣، والطبري ٥٧/٨، وابن كثير ١٨٦/٢، والدر ٥٤/٣ عن ابن عباس.

(٣) في (د) رضي عنا.

(٤) في (د) ولو كانوا.

(٥) في (ح، و) بمشيئته، وهي ساقطة من (د).

(٦) في غير (أ) بالمشيئة.

(٧) في (ح، د) وقوله.

(٨) في (د) عجز.

(٩) في (د) الله.

(١٠) انظر الزجاج ٣٣٣/٢.

﴿قلو شاء لهداكم أجمعين﴾ وهذا يدل على أنه ما شاء إيمان الكافر، ولو شاء لهداه. أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي، أخبرنا محمد بن جعفر بن مطر، أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي^(١)، حدثنا إبراهيم بن الحجاج^(٢)، حدثنا جويرية بن أسماء^(٣) قال:

سمعت علي بن زيد تلا هذه الآية ﴿قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ فنادى بأعلى صوته: إنقطع والله ما هنا كلام القدرية^(٤).

- قوله^(٥) ﴿قل هلم شهداءكم﴾. الآية «هلم»: كلمة دعوة إلى شيء، تقول: هلم يارجل، وكذلك للثنين والجمع^(٦) والمؤنث موحد، وهذه الكلمة تستعمل تارة بمعنى دعاء المخاطب كقولك: هلم إلي، أي: ادن مني وتعال، وتارة تستعمل بمعنى التعدية كقولك: هلم الطعام. وورد القرآن بالمعنيين، قال الله تعالى ﴿والقاتلين لإخوانهم هلم إلينا﴾^(٧)، وقال في هذه الآية ﴿قل هلم شهداءكم﴾^(٨).

قال الزجاج^(٩): هاتوا وقربوا شهداءكم ﴿الذين يشهدون أن الله حرم هذا﴾ يعني: ما ذكر من الحرث والأنعام مما حرمه المشركون، يقول: اتوا بمن يشهد^(١٠) لكم أن هذا التحريم جاءكم من الله. ﴿فإن شهدوا﴾ هم وقالوا^(١١): نشهد بذلك ﴿فلا تشهد معهم﴾ لا توافقهم على دينهم ومقاتلتهم ﴿ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا﴾ يعني: هؤلاء

(١) في (أ) أبو بكر بن جعفر، وهو: جعفر بن محمد بن الحسين بن المستفاض التركي أبو بكر الفريابي. قال الخطيب ثقة حجة توفي سنة ٣٠١ هـ. (تذكرة الحفاظ ٢/٦٩٢ - ٦٩٤).

(٢) إبراهيم بن الحجاج النيلي أبو إسحاق البصري، وثقه الدارقطني وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢٣٢ هـ (تهذيب التهذيب ١١٤/١).

(٣) جويرية بن أسماء بن عبيد بن مخراق الضبي المصري أبو مخراق سمع نافعاً مولى ابن عمر ومالك بن أنس وعنه عبد الله بن محمد بن أسماء وحبان بن هلال وحجاج بن منهال توفي سنة ١٧٣ هـ (كتاب الجمع ١/٧٨ - ٧٩).

(٤) انظر الدر ٣/٥٤، وفتح القدير ٢/١٧٦ كلاهما عن علي بن زيد.

(٥) في (و) قوله تعالى.

(٦) في (ح) والجمع، وفي (د) الاثنين، وفي (و) والجميع والمؤنث والموحد.

(٧) سورة الأحزاب ٢١٨.

«هلم: للرب فيها لغتان، إحداهما: أن تكون بلفظ واحد، وعلى هذا فهي اسم للفعل، وينبت ولوقوعها موقع الأمر المبني، ومعناها: احضروا.

والثانية: تختلف، فتقول: هلما وهلموا وهلمي وهلممن، فعلى هذا هي فعل. واختلفت في أصلها، فقال البصريون: أصلها «ها الميم» أي: أقصد، فأدغمت الميم في الميم، وتحركت اللام، فاستغني عن همزة الوصل، فبقي «لم» ثم حذفت ألف «ها» التي للتنبيه، لأن اللام في «لم» في تقدير الساكنة إذا كانت حركتها عارضة ولحق حرف التنبيه مثال الأمر كما يلحق غيره من المثل. ولفتح «الميم» فيها وجهان: أحدهما: أنها حركت لالتقاء الساكنين.

الثاني: أنها فتحت من أجل التركيب كما فتحت خمسة عشر وبابها (انظر التبيان ١/٥٤٦ - ٥٤٧، والمشكل ١/٢٧٧، وفتح الباري ٨/٣٣٨، ومجاز القرآن ١/٢٠٨).

(٨) في غير (أ) الذين يشهدون.

(٩) انظر الزجاج ٢/٣٣٣.

(١٠) في (د) شهد.

(١١) في (د) هم قالوا.

المحرمين ما أحل الله ﴿والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون﴾ يشركون الأصنام (١).
قوله (٢) ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم﴾ [عليكم..] الآية، يجوز أن يكون ﴿عليكم﴾ من صلة ﴿أتل﴾
عليكم ﴿كأنه قال﴾ (٣)؛ أتل عليكم ما حرم ربكم (٤)، ويجوز أن تكون من صلة «التحريم».

قال ابن الأنباري: (٥) ويجوز أن يكون ﴿عليكم﴾ إغراء وانقطع عند قوله ﴿ما حرم ربكم﴾ ثم قال: عليكم ألا
تشركوا به شيئاً، كما قال ﴿عليكم أنفسكم﴾ (٦). وقوله (٧) ﴿ألا تشركوا به شيئاً﴾ قال الزجاج (٨): يجوز أن يكون هذا
محمولاً على المعنى، فيكون: أتل عليكم ألا تشركوا، والمعنى: أتل عليكم تحريم الشرك. قال: وجائز أن يكون
على معنى: أوصيكم ألا تشركوا به شيئاً، لأن قوله ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ محمول على معنى: أوصيكم بالوالدين
إحساناً.

قوله (٩) ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾ يقال: أملق الرجل فهو مملق، إذا افتقر (١٠) قال ابن عباس: (١١) يريد:
مخافة الفقر، وقد صرح بهذا في قوله ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ (١٢).

وهذا في النهي عن الوأد، كانوا يدفنون البنات أحياء خوف الفقر، فضمن الله لهم الرزق فقال ﴿نحن نرزقكم
وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ قال ابن عباس (١٣) كانوا يكرهون أن يزنا علانية فيفعلون ذلك سرّاً،
فنهاهم الله عن الزنا سرّاً وعلانية. (١٤) قوله ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ قال - ابن عباس: إلا بالقود (١٥)،
يعني: القصاص.

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الصوفي (١٦)، أخبرنا علي بن أحمد بن محمد بن كمارويه القاضي (١٧)، حدثنا

(١) في (د) أي يشركون للأصنام.

(٢) في غير (أ) قوله تعالى.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

قال الفراء: أصل «تعال» تفاعل من العلوي: ارتفع، ثم أكثروا استعماله حتى جعلوه بمنزلة أقبل، يقال للرجل: تعال، وللرجلين:

تَعَالَيَا، وللرجال: تَعَالَوْا، وللنمرأة: تَعَالِي، وللمرأتين: تَعَالَيَا، وللنوسة: تَعَالَيْنِ (الزاهر ٢/٢٧٧).

(٥) ذكره أبو حيان وقال: وهذا بعيد لتضكيك الكلام عن ظاهره (البحر ٤/٢٥٠)، وانظر الرازي ١٣/٢٣١ والبيان ١/٣٤٩، والخازن

١٩٩/٢، وغرائب النيسابوري ٤٦/٨، وفتح القدير ١٧٦/٢.

(٦) سورة المائدة / ١٥٥.

(٧) في (د) قوله، وفي (ح) وقوله لا تشركوا.

(١٠) انظر غريب القرآن ١٦٣، ومجاز القرآن ١/٢٠٨، وغرائب النيسابوري ٤٦/٨، واللسان / ملق.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١٢٢، والزجاج ٢/٣٣٤، والطبري ٨/٦١، وابن كثير ٢/١٨٨ كلاهما عن ابن عباس.

(١٢) سورة الإسراء / ٣١.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ١٢٢، والطبري ٨/٦١، والدر ٣/٥٥ كلها عن ابن عباس.

(١٤) من (أ).

(١٥) في (ح) بالقول. وانظر تفسير ابن عباس ١٢٢.

(١٦) في (أ) سعيد بن إبراهيم، سبق.

(١٧) علي بن أحمد بن محمد بن يوسف أبو الحسن القاضي السامري من أهل سر من رأى سمع إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي وكان ثقة

صدوقاً صالحاً توفي سنة ٤٠٢ هـ (المنتظم ٧/٢٥٩).

محمد بن الحسين الزعفراني^(١)، حدثنا محمد بن أحمد بن أبي العوام، حدثنا أبي^(٢)، حدثنا يحيى بن سابق^(٣) عن خيشمة بن خليفة^(٤) عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن^(٥)، عن أبي جعفر الباقر، عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان فيما أعطى الله تعالى موسى في الألواح^(٦): ولا تقتل النفس التي حرمت إلا بالحق فتضيق عليك الأرض برحبها والسماء بأقطارها وتبوء بسخطي في^(٧) النار»^(٨).

وقوله ﴿ذَلِكُمْ﴾ يعني: ما ذكر في هذه الآية ﴿وَصَاكُم﴾ أمركم ﴿بِهِ﴾ به^(٩) لعلكم تعقلون ﴿لَكِي تَعْرِفُوا﴾^(١٠) ذلك.

- قوله ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: «^(١١) يريد: إن كنت له وصياً فأصلحت ماله وقمت لله في ضيعته أكلت بالمعروف إن احتجت إليه، وإن كنت غنياً عنه فعف عن أكله. وقال الزجاج: ^(١٢) التي هي أحسن: هو حفظ ماله عليه، وتثميته بما يوجد السبيل إليه.

وقوله^(١٣) ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ «الأشد»: مبلغ الرجل الحكمة والمعرفة^(١٤). قال الفراء: واحدها «شد» في القياس ولم أسمع^(١٥) لها بواحد^(١٦). وفسر بلوغ الأشد في هذه الآية بالاحتلام^(١٧)، وقال أبو إسحاق^(١٨): بلوغ أشده، أن

(١) محمد بن الحسين بن محمد بن سعيد أبو عبد الله الزعفراني الواسطي سمع أحمد بن الخليل البرجلاني وأحمد بن أبي خيشمة النسائي وزكريا الساجي وكان ثقة توفي سنة ٣٣٧ هـ. (تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٠).

(٢) لم أفق عليه.

(٣) يحيى بن سابق المدني عن أبي حازم المدني وزيد بن أسلم وجماعة وعنه قتيبة وعلي بن حجر وداود بن رشيد، وعدة، يقال له الخلقاني قال أبو حاتم ليس بالقوي، وقال ابن حبان يروي الموضوعات عن الثقات (الميزان ٤/ ٣٧٧).

(٤) في (و) خيشمة عن خليفة، وهو: خيشمة بن خليفة عن ربيعة الرأي قال الأزدي: ضعيف وهو كوفي. (الغني في الضعفاء ١/ ٢١٥، والميزان ١/ ٦٦٩).

(٥) ربيعة بن أبي عبد الرحمن - فروخ - المدني الفقيه ربيعة الرأي مولى آل المنكدر التميمي أبو عثمان سمع السائب بن يزيد وأنساً وابن المسيب وعنه شعبة ومالك وثقه أحمد وغيره واحتج به أصحاب الكتب كلها توفي سنة ١٣٦ هـ (الميزان ٢/ ٤٤).

(٦) في (د) أعطى الله في الألواح.

(٧) في (أ، د) بسخطي والنار.

(٨) الحديث: انظر الدر ٣/ ١٢٢ «أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم في الحلية وابن لال في مكارم الأخلاق عن جابر» وانظر الحلية ٣/ ٢٦٥ - ٢٦٦ - رواه بسنده ثم قال: غريب من حديث أبي جعفر، وحديث ربيعة لم نكتبه إلا بهذا الإسناد من هذا الوجه والله أعلم.

(٩) في (د) أمركم لعلكم.

(١٠) في (ح) لكي تعرفوا.

(١١) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٤٥٣ عن ابن عباس، والدر ٢/ ١٢١، ١٢٢ عن ابن عباس، ٣/ ٥٥ عن ابن زيد.

(١٢) انظر الزجاج ٢/ ٣٣٥.

(١٣) في (د) قوله. (١٤) ذكره ابن منظور في اللسان/ شدد.

(١٥) في غير (أ) يسمع.

(١٦) ذكره ابن منظور في اللسان/ شدد عن الفراء، والرازي ١٣/ ٢٣٤، والمذكر والمؤث لابن الأنباري ١/ ٥٩٧ - ٥٩٩، وغرائب النيسابوري ٨/ ٤٧ كلها عن الفراء، والبحر ٤/ ٢٥٣، وفتح القدير ٢/ ١٧٧.

«أبو الهيثم: واحدة الأنعم نعمة، وواحدة الأشد شدة، قال: والشدة: القوة، - والجلادة» (اللسان/ شدد).

(١٧) في (أ) باحتلام، وانظر تفسير ابن كثير ٢/ ١٨٩ عن الشعبي ومالك وغير واحد من السلف، والبحر ٤/ ٢٥٢ عن الشعبي وزيد بن أسلم ويحيى بن يعمر وربيعه ومالك وأبي حنيفة.

(١٨) انظر الزجاج ٢/ ٣٣٥ - ٣٣٦.

يؤنس منه الرشد مع أن يكون بالغاً، فحينئذ يجب دفع المال إليه. ﴿وأوفوا الكيل﴾ أتموه ولا تنقصوا منه^(١) شيئاً ﴿والميزان﴾ أي: وزن الميزان ﴿بالقسط﴾ بالعدل، لا يخس ولا شطط ﴿لا تكلف نفساً إلا وسعها﴾^(٢) إلا ما يسرها ولا تضيق عنه، وذلك أنه لو كلف المعطي الزيادة لضاقت نفسه عنها، وكذلك لو كلف الآخذ الرضا بالتقصان.

﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ قال ابن عباس^(٣): إذا شهدتم أو تكلمتم فقولوا الحق ﴿ولو كان ذا قريب﴾ أي: ولو كان المشهود له وعليه ولدك وقربتك. ﴿وبعهد الله أوفوا﴾ أي: ﴿٤﴾ وبما عاهدتم الله عليه فأوفوا به ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ لتذكروه وتأخذوا به.

- قوله ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً﴾ قال الفراء^(٥): تفتح «أن» بمعنى^(٦): وأتل عليكم^(٧) أن هذا صراطي مستقيماً، وإن شئت قلت: ذلكم وصاكم به وبأن هذا^(٨). وسيبويه يقول: التقدير: ولأن هذا صراطي مستقيم فاتبعوا، كقوله ﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة﴾^(٩) قال سيبويه: ولأن هذه أمتكم.

وقرأ ابن عامر (وأن) - مفتوحة مخففة من المشددة - والتقدير: وأنه هذا، ثم حذف الضمير وخففت ومن كسر «إن» استأنف بها^(١٠).

قال ابن عباس: يريد: ديني دين الحنيفة أقوم الأديان وأحسنها، وقال مقاتل^(١١): الذي ذكر في هذه الآيات من أمره ونهيه صراطي مستقيماً ﴿فاتبعوه ولا تتبعوا السبل﴾ قال ابن عباس: اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأصنام^(١٢)، وقال مجاهد^(١٣): يعني: البدع والشبهات. وقال مقاتل^(١٤): يعني طريق الضلالة^(١٥) فيما حرموا على

(٢) ليست في (د).

(١) في (د) ولا تنقصوه شيئاً.

(٣) وبمثلته قال الزجاج ٣٣٦/٢.

(٤) في (ح، و) بما، وفي (د) ما.

(٥) انظر الفراء ٣٦٤/١، والبغوي ٢٠٠/٢، والقرطبي ١٣٧/٧، والحجة لأبي زرعة ٢٧٧، كلها عن الفراء، والتبيان ٥٤٩/١، وفتح القدير ١٧٨/٢ عن الفراء والكسائي.

(٦) في (و) معناه.

(٧) ساقطة من (ح) وفي (د)، (و) عليهم.

(٨) في (و) هذا صراطي.

(٩) سورة المؤمنون ٥٢/، وفي (ح، د) (وإن هذه أمتكم). وانظر الكتاب ١٢٦/٢ - ١٢٧ والقرطبي ١٣٧/٧، وفتح القدير ٨٧/٢ كلاهما عن سيبويه والخليل، والتبيان ٥٤٩/١.

(١٠) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم (وأن هذا صراطي) - بفتح الألف وتشديد النون - وحجتهم: ذكرها الزبيدي فقال: على معنى وصاكم به. وبأن هذا صراطي، وقال آخرون: نسق على قوله (أتل). وقرأ حمزة والكسائي (وإن) - بكسر الألف وتشديد النون - على الاستئناف، وحجتهما في أن الكلام هو الاستئناف: قوله (وهذا صراط ربك مستقيماً) سورة الأنعام ١٢٦ - على الابتداء والخبر. وقرأ ابن عامر (وأن) - بفتح الألف وتخفيف النون - عطف على قوله (ألا تشركوا به شيئاً) (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧٧، والسبعة ٢٧٣ والنشر ٢٦٦/٢، والتبيان ٥٤٩/١، والحجة لابن خالويه ١٥٢).

(١١) انظر البحر ٢٥٤/٤.

(١٢) في غير (أ) الأوثان، وانظر تفسير ابن عباس ١٢٢، والفراء ٢٦٤/١، والطبري ٦٤/٨.

(١٣) انظر تفسير الطبري ٦٥/٨، والبحر ٢٥٤/٤، والدرر ٥٦/٣، كلها عن مجاهد.

(١٤) انظر تفسير الطبري ٦٥/٨ عن ابن عباس، والبحر ٢٥٤/٤ عن مقاتل.

(١٥) في غير (أ) الضلالات.

أنفسهم من الأنعام والحرث. ﴿فتفرق بكم عن سبيله﴾^(١) فتضل وتميل وتخالف بكم عن دينه. قال المفسرون: هذه الآيات محكمات لم ينسخن شيء، من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار.

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَفْعَلُ نَفْسًا إِيْمَانًا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

- وقوله^(٢) ﴿ثم آتينا موسى الكتاب﴾ «ثم» أوجب تأخير الخبر بعد الخبر الأول، يريد: ثم أخبركم بعد ما أخبرتكم بنزول التوراة على موسى فدخلت «ثم» لتأخير الخبر، لا لتأخير النزول. ذكر ذلك الزجاج وابن الأنباري^(٣).

قوله^(٤) ﴿تماماً على الذي أحسن﴾ أي: على الذي أحسنه موسى من العلم وكتب الله القديمة فيكون «أحسن» بمعنى: علم. وأراد بقوله ﴿تماماً﴾ على ذلك: زيادة على ذلك. قال الزجاج^(٥): و «تماماً» منصوب مفعول له، وكذلك ﴿وتفصيلاً﴾. والمعنى: آتينا، للتمام والتفصيل ﴿لكل شيء وهدى ورحمة﴾. وقوله^(٦) ﴿لعلهم بقاء ربهم يؤمنون﴾ قال ابن عباس^(٧): كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب.

- ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ يعني: القرآن ﴿فاتبعوه واتقوا﴾ اتبعوا حلاله، واتقوا حرامه ﴿لعلكم ترحمون﴾ لتكونوا راجين للرحمة^(٨).

- ﴿أن تقولوا﴾ قال الفراء^(٩): «أن» متعلقة بـ «اتقوا» والتأويل^(١٠): اتقوا أن تقولوا. وعند البصريين معناه:

(١) انظر تفسير الطبري ٦٤/٨ عن ابن عباس والسدي، وابن كثير ١٨٧/٢، والدر ٤/٢ كلاهما عن ابن عباس. وراجع تفسير الآية ٧ من سورة آل عمران.

(٢) في غير (أ) قوله.

(٣) انظر الزجاج ٣٣٦/٢، والبحر ٢٥٥/٤ عن الزجاج والرازي ٣/١٤، والطبري ٦٦/٨، وابن كثير ١٩١/٢.

(٤) في (ح، و) وقوله.

(٥) انظر الزجاج ٣٣٧/٢، والبيان ٣٥٠/١.

(٦) في (د، و) قوله.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ١٢٢.

(٨) في (د) الرحمة.

(٩) انظر الفراء ٣٦٦/١، والرازي ٥/١٤ عن الفراء، وفتح القدير ١٨٠/٢ عن الفراء، والكسائي، والمشكل ٢٧٨/١، وغريب القرآن

أنزلناه كراهة أن تقولوا، ثم حذف المضاف^(١) ﴿إنما أنزل الكتاب﴾ يعني: التوراة والإنجيل ﴿على طائفتين من قبلنا﴾ يعني: اليهود والنصارى ﴿وإن كنا عن دراستهم لغافلين﴾^(٢) وما كنا عن تلاوة كتبهم إلا غافلين.

قال المفسرون: ^(٤) الخطاب لأهل مكة، والمراد: إثبات الحجة عليهم بإنزال القرآن كيلا يقولوا يوم القيامة إن التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما^(٥)، فقطع الله معاذيرهم بإنزال القرآن.

قال الكسائي^(٦): ﴿وإن كنا عن دراستهم لغافلين﴾ لا نعلم ما هي، لأن كتابهم لم يكن بلغتنا، فأنزل الله كتاب بلغتهم كيلا يعتذروا بأن الكتاب لم يأتهم وأن الرسول يبعث إليهم. وهذا معنى قوله:

- ﴿أو تقولوا﴾^(٧) يا معشر العرب ﴿لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم﴾ من اليهود والنصارى ﴿فقد جاءكم بين

من ربكم﴾ رسول من ربكم بلسان عربي مبين حين لم تعرفوا دراسة الطائفتين ﴿وهدى ورحمة﴾ يعني: القرآن ﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله﴾ بعد هذا البيان ﴿وصدف﴾^(٨) أعرض ﴿عنها﴾ ثم أوعدهم فقال ﴿سنجزى الذين يصدفون...﴾ الآية.

- قوله^(٩) ﴿هل ينظرون﴾ معنى ينظرون: ينتظرون، و «هل» استفهام معناه النهي، أي: لا ينتظرون ﴿إلا أو

تأتيهم الملائكة﴾ عند الموت لقبض أرواحهم وهذا خبر بمعنى النهي، أي: يجب أن لا ينتظروا بعد تكذيبك إلا أو تأتيهم الملائكة عند الموت فيقعوا^(١٠) في العذاب. ﴿أو يأتي ربك﴾ قال ابن عباس: ينزل ^(١١) أمر ربك فيهم بالقتل وقال الزجاج^(١٢) المعنى: أو يأتي أهلاك ربك إياهم بعذاب عاجل أو بالقيامة. ﴿أو يأتي بعض آيات ربك﴾ قال عامر المفسرين: ^(١٣) يعني: طلوع الشمس من مغربها، وهذا إنما ينتظره من تأخر في الوجود من مكذبي هذه الأمة^(١٤). ﴿يو ياتي بعض آيات ربك لا يتفع نفساً إيمانها لم تكن ءامنت من قبل﴾^(١٥) أي: لا ينفعها الإيمان عند الآية التي تضطرها إلى الإيمان، لأن الله تعالى لو بعث على كل من لم ^(١٦) يؤمن عذاباً لاضطر الناس إلى الإيمان وسقط التكليف والجزاء.

(١) انظر الزجاج ٣٣٨/٢، والتبيان ٥٥٠/١، والأخفش ٥٠٩/٢، والطبري ٦٨/٨، وفتح القدير ١٨٠/٢ كلاهما عن البصريين.

(٢) في غير (أ) وهم.

(٣) من (د).

(٤) انظر تفسير ابن عباس ١٢٢، والدر ٥٦/٣ عن قتادة.

(٥) في (د) عما فيما.

(٦) انظر تفسير القرطبي ١٤٤/٧ عن الفراء والكسائي، والرازي ٥/١٤، والطبري ٦٩/٨ عن السدي، والبيهقي ٢٠٢/٢.

(٧) في (د) ويقولوا.

(٨) في (ح) وصدو، وفي (د) وصدف عنها أي أعرض، وانظر غريب القرآن ١٦٤.

(٩) في (و) قوله تعالى.

(١٠) في (د) ويقعوا.

(١١) في غير (أ) ينزل، وانظر البحر ٢٥٨/٤ عن ابن عباس، وفتح القدير ١٨١/٢.

(١٢) انظر الزجاج ٣٣٩/٢، والبحر ٢٥٨/٤ عن الزجاج.

(١٣) انظر الزجاج ٣٣٩/٢، وتفسير ابن عباس ١٢٣، والثوري ١١٠، وغريب القرآن ١٦٤، والفتح الرباني ١٨/١٤٢ - ١٤٣، والفراء

٣٦٦/١، والطبري ٧٠/٨ - ٧١ عن مجاهد وفتادة والسدي، والدر ٥٧/٣ عن ابن مسعود ومجاهد.

(١٤) في (د) مكذبي لمدة الآية.

(١٦) في (د) من لا يؤمن عذاباً لضطر.

(١٥) ليست في (و).

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد^(١)، حدثنا أبو صالح، حدثني الليث، حدثني جعفر بن ربيعة^(٢)، عن عبد الرحمن بن هرم قال: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت من المغرب آمن الناس كلهم، وذلك حين ﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن ءامنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾^(٣) وقوله^(٤) ﴿قل انتظروا﴾ قال ابن عباس^(٥): انتظروا يا أهل مكة ﴿إنا منتظرون﴾ بكم العذاب يوم القيامة أو قبلها في الدنيا.

إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾
جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾

- قوله^(٦) ﴿إن الذين فرقوا دينهم﴾ قال مجاهد وقتادة ومقاتل والسدي والكلبي^(٧): هم اليهود والنصارى، وذلك أنهم اختلفوا فصاروا فرقا يكفر بعضهم بعضاً، وآمنوا ببعض ما في أيديهم وكفروا ببعض، وذلك قوله ﴿وكانوا شيعاً﴾ أي: فرقا وأحزاباً في الضلالة.

وقرأ حمزة ﴿فاروقا دينهم﴾ أي: باينوه وخرجوا عنه، وهذا يؤول إلى معنى ﴿فرقوا﴾ ألا ترى أنهم لما آمنوا ببعض وكفروا^(٨) ببعض فاروقه كله، فخرجوا عنه، ولم يتبعوه^(٩).

وروي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «يا عائشة ﴿إن الذين فرقوا﴾^(١٠) دينهم وكانوا شيعاً^(١١) هم أصحاب البدع وأهل الأهواء وأصحاب - الضلالة - من هذه (١٢) الأمة»^(١٣).

(١) في (و) حاجب بن محمد.

(٢) جعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة القرشي من أهل مصر يكنى أبا نافع سمع أبا الخير مرثد والأعرج وطائفة وعنه الليث ويكر بن نصر توفي سنة ١٣٥ هـ (كتاب الجمع ٦٩/١).

(٣) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب التفسير - آخر سورة الأنعام ١٢٩/٣ ومسلم - كتاب الإيمان - باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ٧٧/١ وأبو داود - كتاب الملاحم - باب أمارات الساعة - رقم ٤٣١٢ ٤٤٣/٤ ١١٥ من حديث أبي هريرة.

(٤) في (ح) قوله قل فانتظروا.

(٥) في (و) قوله تعالى.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١٢٣.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ١٢٣، والزجاج ٣٣٩/٢، والدر ٦٣/٣ عن قتادة، ومجاهد، والسدي وابن عباس، وابن كثير ١٩٦/٢ عن مجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن عباس والطبري ٧٧/٨ عن قتادة والسدي.

(٨) في (د) لما آمنوا ببعض فاروقه.

(٩) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر (فرقوا) - مشددة - من التفريق وحجتهم: قوله بعدها (وكانوا شيعاً) أي صاروا فرقا وأحزاباً، قال عبد الوارث: وتصديقها قوله - (كل حزب بما لديهم فرحون) - سورة المؤمنون ٥٣ - بذلك على أنهم صاروا أحزاباً، وفرقا.

وقرأ حمزة والكسائي (فاروقا) - بالفتح - ومعنى فاروقا: أي زایلوا، وقد روي أن رجلاً قرأ عند علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (إن الذين فرقوا دينهم) فقال علي: لا والله ما فرقوه، ثم قرأ (إن الذين فرقوا دينهم) أي تركوا دينهم الحق الذي أمر الله باتباعه ودعاهم إليه. (وانظر الحجة لأبي زرعة ٢٧٨، والسبعة ٢٧٤، والنشر ٢٦٦/٢، والتبيان ٥٥٢/١ والفراء ٣٦٦/١، ومنتخب الكثر ٤٤٠/١، وكنز العمال ٤٠٧/٢، والحجة لابن خالويه ١٥٢).

(١٠) في غير (أ) فاروقا.

(١١) ليست في (ح).

(١٢) ليست في (د).

(١٣) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب التفسير - من سورة الأنعام عن أبي هريرة بلفظ «(إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست =

أخبرنا أبو بكر الحارثي، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، حدثنا عبدان حدثنا ابن مصفى^(١)، حدثنا بقرية^(٢)، عن شعبة، عن مجالد، عن الشعبي، عن شريح، عن عمر: ^(٣) أن النبي ﷺ قال لعائشة: ﴿إن الذين فرقوا^(٤) دينهم وكانوا شيعاً﴾ هم أصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة^(٥).

قوله^(٦) ﴿لست منهم في شيء﴾ قال المفسرون: يقول^(٧) لست من قتالهم في شيء ثم نسخته آية القتال. هذا إذا كان المراد بالآية اليهود والنصارى على ما روي مرفوعاً، معنى قوله ﴿لست منهم في شيء﴾ أي: أنت منهم بري وهم منك براء، أي: لم تلبس^(٨) بشيء من مذاهبهم، والعرب تقول: إن فعلت كذا فلست مني ولست منك أي: كل واحد منا بريء من صاحبه. قوله ﴿إنما أمرهم إلى الله﴾ يعني: في الجزاء والمكافأة ﴿ثم ينبتهم بما كانوا يفعلون﴾ إذا وردوا القيامة.

- وقوله^(٩) ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ قال عطاء عن ابن عباس^(١٠) يريد: من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر حسنات ﴿ومن جاء بالسئة﴾ يريد: الخطيئة ﴿فلا يجزي إلا مثلها﴾ أي: إلا جزاء مثلها، لا يكون أكثر منها.

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيزي، أخبرنا محمد بن علي بن دحيم، حدثنا إبراهيم بن عبد الله العباسي^(١١)، حدثنا وكيع عن الأعمش، عن معمر بن سويد عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله تعالى: من جاء بالحسنة فله عشرة أمثالها أو أزيد ومن جاء بالسئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر». رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع^(١٢).

= منهم في شيء قال: هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة «رواه الطبري في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير معلى بن نفيذ وهو ثقة» ٢٢/٧ - ٢٣. والطبراني في الأوسط ٣٨٤١ عن أبي هريرة.

(١) محمد بن مصفى بن بهلول القرشي أبو عبد الله الحمصي الحافظ قال أبو حاتم: صدوق، وقال النسائي: صالح، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان يخطيء توفي سنة ٢٤٦ هـ (تهذيب التهذيب ٤٦٠/٩ - ٤٦١).

(٢) بقرية بن الوليد بن صابر بن كعب بن حمير أبو محمد الكلاعي الحمصي قال أبو حاتم الرازي: سألت أبا مسهر عن حديث لبقرية فقال: احذر حديث بقرية وكن منها على ثقة فإنها غير ثقة، وقال ابن معين: إذا حدث عن الثقات فهو صالح وقال مرة: ثقة، وقال مرة ضعيف توفي سنة ١٩٧ هـ. (تاريخ بغداد ١٢٣/٧ - ١٢٧).

(٣) وفي (أ) عن مجاهد.

(٤) في غير (د) فرقوا.

(٥) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب التفسير - من سورة الأنعام - بلفظ «أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء، ليس لهم توبة، أنا منهم بريء وهم مني براء» رواه الطبري في الصغير وإسناده جيد عن عمر ٢٢/٧٠ ورواه في كتاب العلم - باب في البدع، والأهواء - «رواه الطبراني في الصغير وفيه بقرية ومجالد بن سعيد وكلاهما ضعيف ١٨٨/١ والطبراني في الصغير ٢٠٣/١ بإسناده عن محمد بن مصفى . . عن عمر».

(٦) في (ج)، و وقوله.

(٧) ساقطة من (أ)، وفي (د) يقولون وانظر تفسير ابن عباس ١٢٣، والزجاج ٣٣٩/٢، والفراء ٣٦٦/١.

(٨) في (ج)، د تلبس.

(٩) في (ج) قوله عز وجل، وفي (د) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ١٢٣.

(١١) ساقطة من (أ).

(١٢) الحديث: صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى - عن أبي ذر.

حدثنا أبو القاسم السراج - إملاء - أخبرنا محمد بن المؤمل بن الحسن ^(١) حدثنا الفضل بن محمد البيهقي ^(٢)، حدثنا أبو صالح، حدثني بن سليم ^(٣) عن أنس قال:

قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل «الحسنة بعشرة أمثالها إلى الزيادة والسيئة بواحدة، وأنا أغفر لابن آدم إن لم يشرك بي شيئاً، وإن كان عليه قراب الأرض ذنباً غفرت له، ولا أبالي» ^(٤).

أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الخشاب، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الأصفهاني أخبرنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا قتيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن شمر بن عطية ^(٥)، عن أشياخ من التيم، عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله علمني شيئاً ينفعني قال: إذا عملت سيئة فاعمل حسنة فإنها عشر أمثالها، قال: قلت يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال نعم، هي ^(٦) أحسن الحسنات ^(٧). قوله ^(٨) «وهم لا يظلمون» قال ابن عباس ^(٩): لا ينقص ثواب أعمالهم.

قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ بَنِيَّ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزْرًا وَازِرَةً وَلَا نُزْرًا أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ

(١) الإمام رئيس نيسابور أبو بكر محمد بن المؤمل بن الحسين بن عيسى بن ماسرجس النيسابوري سمع الفضل بن محمد الشعراني والحسين بن الفضل وعدة وكان أبو علي الحافظ يقرأ عليه تاريخ أحمد بن حنبل توفي سنة ٣٥٠ هـ. (سير الأعلام ٢٣/١٦ - ٢٤).

(٢) الفضل بن محمد البيهقي الشعراني عن سعيد بن أبي مريم قال أبو حاتم: تكلموا فيه وقال الحاكم: كان أديباً فقيهاً عارفاً بالرجال وهو ثقة، لم يطعن فيه بحجة توفي سنة ٢٨٢ هـ. (الميزان ٣/٣٥٨، والمغني ٢/٥١٣).

(٣) كثير بن سليم الضبي البصري المدائني أبو سلمة عن أنس بن مالك وغيره وعنه أبو صالح كاتب الليث وأحمد بن يونس ضعفه ابن المديني وأبو حاتم وقال النسائي: متروك وقال أبو زرعة: واه توفي سنة ١٧٠ هـ. (الميزان ٣/٤٠٥).

(٤) الحديث: رواه أحمد في المسند ٥/١٥٥ بنحوه، وابن ماجه - كتاب الأدب - باب فضل العمل رقم ٣٨٢١ (٢/١٢٥٥) والمستدرک - كتاب التوبة - بلفظ «الحسنة بعشر أمثالها أو أزيد والسيئة بواحدة أو أغفرها، ولو لقيتني بقراب الأرض خطايا ما لم تشرك بي لقيتكم بقرابها مغفرة» صحيح الإسناد ٤/٢٤١. كلهم من حديث أبي ذر.

(٥) في غير (أ) بشر بن عطية، وهو: شمر بن عطية الأسدي الكاهلي الكوفي صدوق ثقة من السادسة. (تاريخ الثقات ٢٢٣، والتقريب ١/٣٤٥).

(٦) في (د) لهي.

(٧) الحديث: انظر الدر ٣/٦٤ «أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي ذر» والجامع الكبير ١/٧٢، رواه أحمد عن أبي ذر.

ومسند أحمد ٥/١٦٩ عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله أوصني قال: إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها قال: قلت: يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله قال هي أفضل الحسنات. ومجمع الزوائد - كتاب الأذكار - باب ما جاء في فضل لا إله إلا الله «رواه أحمد ورجاله ثقات إلا شمر بن عطية حدث عن أشياخه عن أبي ذر ولم يسم أحداً منهم» ١٠/٨١ وأبو نعيم في الحلية بسنده عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله علمني عملاً يقربني من الجنة ويباعدني من النار قال: إذا عملت سيئة فاعمل حسنة فإنها عشر أمثالها قال: قلت يا رسول الله، لا إله إلا الله من الحسنات؟ قال: هي أحسن الحسنات كفواً جوده يونس بن بكير ٤/٢١٧ - ٢١٨. والحديث بلفظه في طبقات الشافعية للسبكي ١/١٤٢ «رواه الطبري في كتاب الدعاء من حديث أبي ذر».

(٩) ليست في (د).

(٨) في (ج، و) وقوله، وفي (د) قوله تعالى. وانظر تفسير ابن عباس بنحوه ص ١٢٣.

فَإِنِّي كُنْتُ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلَفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَسْأَلُوكُمْ فِي مَاءِ آتَانِكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

- قوله ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً﴾ قال الزجاج^(١): أما نصب ﴿ديناً﴾ فمحمول على المعنى، لأنه لما قال ﴿هداني ربي إلى صراط مستقيم﴾ دل على عرفني، فكأنه قال: عرفني. وقوله^(٢) ﴿قيماً﴾ قال ابن عباس: مستقيماً^(٣) ومن قرأ ﴿قيماً﴾ فهو مصدر كالصغير والكبير والشعب^(٤) وذكرنا معنى ﴿قيماً﴾ في أول سورة النساء^(٥) وقوله^(٦) ﴿ملة إبراهيم حنيفاً﴾ «ملة بدل من ديناً قيماً وحنيفاً»^(٧) منصوب على الحال من إبراهيم، والمعنى: عرفني ملة إبراهيم في حال حنيفيته.

- قوله^(٨) ﴿قل إن صلاتي ونسكي﴾ قال ابن عباس: يريد^(٩): ذبيحتي، وقال مقاتل: حججتي^(١٠). وقل الزجاج: كل ما تقربت^(١١) به إلى الله تعالى، إلا أن الغالب عليه أمر الذبح. وقوله^(١٢) ﴿ومحياي ومماتي﴾ أي: حياتي وموتي^(١٣) ﴿الله رب العالمين﴾^(١٤) أي: هو يحييني ويميتني. وقرأ نافع «ومحياي» - ساكنة الياء - وهو شاذ غير مستعمل لأن فيه جمعاً بين الساكنين لا يلتقيان على هذا الوجه^(١٥). قال الزجاج^(١٦): أما «ياء» محياي فلا بد من فتحها لأن قبلها

(١) انظر الزجاج ٣٤٢/٢ والبيان ٣٥١/١ والمشكل ٢٧٩/١، والبيان ٥٥٣/١.

(٢) في (د) قوله.

(٣) وبه قال الزجاج ٤٣٢/٢ والأخفش ٥١٠/٢، والطبري ٨٢/٨.

(٤) قرأ ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي (قيماً) - مكسورة القاف مفتوحة الياء - أي: مستقيماً والأصل «قوم» فقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار - قام فلما اعتل الفعل اعتل المصدر فقيل قيم. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (قيماً) مفتوحة القاف مشددة الياء وحجتهم: قوله ﴿ذلك الدين القيم﴾ - سورة التوبة ٣٦ ﴿فيها كتب قيمة﴾ - سورة البينة ٣ - قال الفراء: في هذه الكلمة لغات للعرب تقول: هذا قيام أهله وقوام أهله وقيم أهله وقيم أهله. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧٨ - ٢٧٩، والسبعة ٢٧٤، والحجة لابن خالويه ١٥٢).

(٥) راجع تفسير الآية ٥ من سورة النساء.

(٧) ليست في (د).

(٦) في (ج، و) وقوله.

(٨) ليست في (و) وفي (د) قوله أن صلاتي.

(٩) ليست في (د). وانظر تفسير ابن عباس ١٢٣، وغريب القرآن ١٦٤ والدرر ٦٦/٣ وابن كثير ١٩٨/٢ والطبري ٨٣/٨ كلها عن مجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة والسدي.

(١٠) وهو رأي آخر لابن عباس في تفسيره ١٢٣، والدرر ٦٦/٣ عن مقاتل وقتادة.

(١٣) في (ج) ومماتي.

(١١) في (د) كلما يتقرب، وانظر الزجاج ٣٤٣/٢، وغريب القرآن ١٦٤.

(١٤) في غير (أ) (الله) وفي (د) الله تعالى هو.

(١٢) في (د) قوله.

(١٥) قرأ نافع (ومحياي) ساكنة الياء (ومماتي) الله بفتح الياء. وقرأ الباقون (ومحياي) مفتوحة الياء (ومماتي) الله ساكنة الياء (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧٩، والسبعة ٢٧٤، والنشر ٢٦٧/٢، والبيان ٥٥٣/١، والزجاج ٣٤٣/٢). وانظر الحجة لأبي زرعة عند قوله تعالى ﴿قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ - الآية ٣٠ من سورة البقرة - تراه يقول: فأما من فتح «الياء» فعلى أصل الكلمة وذلك أن الياء اسم للمتكلم والاسم لا يخلو من أن يكون مضمرأ أو مظهرأ، فإذا كان ظاهراً أعرب، وإذا كان مضمرأ بني على حركة كالكاف في «ضربتك» والياء في «قمت». وكذلك «الياء» وجب أن تكون مبنية على حركة، لأنها علامة إضمار وهي خلف من المعربة، والدليل على ذلك قوله ﴿ومماتي أدراك ماهية﴾ (حسابية) لأن الهاء إنما أتت بها للسكت لتبين بها حركة ما قبلها، وأما من سكن «الياء» فإنه عدل بها عن أصلها استقلالاً للحركة عليها، لأن الياء حرف ثقيل، فإذا حرك ازداد ثقلأ على ثقله. وفي ياءات الإضافة أربع لغات:

١ - فتح الياء على أصل الكلمة. ٢ - إسكانها تخفيفاً. ٣ - إثبات الهاء بعد الياء. ٤ - الحذف (انظر الحجة ٩٥ - ٩٦).

(١٦) انظر الزجاج ٣٤٣/٢ وانظر الكتاب ٥٢٧/٣، ٣٥٢/٢ والقرطبي ١٥٢/٧ وفتح القدير ١٨٥/٢ كلاهما عن يونس.

ساكتاً ومثل هذا ما جوزه يونس ^(١) من قوله: اضربننا زيداً، واضربننا زيداً، وسيبويه ينكر لك من قول يونس. ومعنى الآية: أنه يخبر بأنه إنما يتوجه بالصلاة وسائر المناسك إلى الله تعالى لا إلى غيره كما كان المشركون يذبحون لأصنامهم فأعلم أنه لله وحده ﴿لا شريك له﴾ وقوله ^(٢) ﴿وبذلك أمرت﴾ قال ابن عباس: بذلك أوحى إلي ﴿وأنا أول المسلمين﴾ قال قتادة ^(٣) أول المسلمين من هذه الأمة، وقال مقاتل: أول المخلصين ^(٤) من أهل مكة.

[حدثنا محمد بن علي بن حبيب ^(٥)] أخبرنا محمد بن الفضل بن محمد السلمي ^(٦) أخبرنا جدي، حدثنا علي بن حجر، حدثنا النضر بن إسماعيل الكوفي ^(٧)، عن أبي حمزة الثمالي ^(٨)، عن سعيد بن حبير، عن عمران بن حصين: أن رسول الله ﷺ قال: يا فاطمة قومي إلى أضحيتك فاشهديها، فإنه يغفر لك عند أول قطرة من دمها كل ذنب عملته ^(٩)، وقولي: إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين. قال عمران: قلت يا رسول الله، هذا لك ولأهل بيتك خاصة، فأهل ذلك أنتم، أم للمسلمين عامة؟ قال: «بل للمسلمين عامة» ^(١٠).

- قوله ﴿قل أغير الله أبغي رباً [وهو رب كل شيء]﴾ قال ابن عباس ^(١١): سيداً وإلهاً وهو سيد كل أحد ﴿ولا تكسب كل نفس نفس إلا عليها﴾ لا تجني نفس ذنباً إلا أخذت به وكان إثمه على الجاني نفسه ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ قال ابن عباس ^(١٢): إن الوليد بن المغيرة كان يقول: اتبعوا سبيلي أحمل أوزاركم، فقيل ^(١٣) ﴿ولا تزر وازرة

(١) يونس بن حبيب الضبي - بالولاء - أبو عبد الرحمن ويعرف بالنحوي، علامة بالأدب كان إمام نحاة البصرة في عصره أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم قال أبو عبيدة اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملاً كل يوم ألواحي من حفظه ولد سنة ٩٤ هـ وتوفي سنة ١٨٢ هـ (الأعلام ٣٤٤/٩).

(٢) في (د) قوله.

(٣) انظر تفسير الطبري ٨٣/٨، وابن كثير ١٩٨/٢ وفتح القدير ١٨٥/٢ كلها عن قتادة.

(٤) في (د) المصلحين، وانظر البحر ٢٦٢/٤.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

(٦) أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري روى الكثير عن جده. وأبي العباس السراج وخلق واختلط قبل موته بثلاثة أعوام فتجنّبوه توفي سنة ٣٨٧ هـ (شذرات ١٢٦/٣).

(٧) النضر بن إسماعيل أبو المغيرة البجلي الكوفي القاضي عن محمد بن سوقة وأبي حمزة الثمالي والأعمش، قال يحيى ليس بشيء، وقال النسائي وأبو زرعة ليس بالقوي وقال ابن حبان: فحش خطؤه حتى استحق الترك وقال ابن عدى: أرجو أنه لا بأس به وقال العجلي: ثقة مات سنة ١٨٢ هـ (الميزان ٢٥٥/٤).

(٨) أبو حمزة الثمالي: ثابت بن أبي صفية الكوفي عن أنس وعدة، وعنه وكيع وأبو نعيم وخلق، ضعفه مات سنة ١٥٠ هـ (الكاشف ١٧١/١، والأعلام ٨١/٢).

(٩) في (د) عملته.

(١٠) الحديث: انظر الدر ٦٦/٣ «أخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي عن عمران» وكذا في فتح القدير ٢٠٧/٢ والجامع الكبير

٩٧٥/١ «رواه الحاكم والطبراني»، والمستدرک - كتاب الأضاحي - وصححه، قال الذهبي: أبو حمزة: ضعيف جداً ٢٢٢/٤ ومجمع

الزوائد - كتاب الأضاحي - باب فضل الأضحية وشهود ذبحها «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه أبو حمزة الثمالي وهو ضعيف»

والطبراني في الكبير ٢٣٩/١٨ كلهم من حديث عمران.

(١١) انظر تفسير البغوي ٢٠٧/٢ عن ابن عباس والطبري ٨٣/٨.

(١٢) انظر تفسير البغوي ١٠٨/٢، والخازن ٢٠٨/٢ كلاهما عن ابن عباس والبحر ٤٦٣/٤. (١٣) في (د) فقيل له.

وزر أخرى ﴿ ولا تؤخذ نفس آئمة يائمه أخرى أي : يؤخذ أحد بدين غيره ﴾ ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴿ .

- وقوله (١) ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ هو الذي جعلكم يا أمة محمد خلائف الأمم الماضية في الأرض بأن أهلكتهم وأورثكم الأرض بعدهم ﴿ ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴾ في المعاش، والغنى والرزق، قاله الكلبي ومقاتل والسدي (٢) ﴿ ليلوكم في ما آتاكم ﴾ ليختبركم فيما رزقكم، والمعنى ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب. ﴿ وإن ربك سريع العقاب ﴾ لأعدائه، يعد النبي ﷺ بهلاك أعدائه وقتلهم ﴿ وإنه لغفور ﴾ لأوليائه ﴿ رحيم ﴾ بهم .

أخبرنا أبو منصور البغدادي، أخبرنا أبو عمرو بن مطر (٣)، حدثنا إبراهيم بن علي، حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية، عن حجاج، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لو تعلمون قدر سعة رحمة الله تعالى لانكلتم عليها وما عملتم إلا قليلاً»، ولو تعلمون قدر غضب الله تعالى لظننتم أن لا تنجوا وأن لا ينفعكم منه شيء» (٤).

(١) في (د) قوله تعالى .

(٢) انظر تفسير ابن عباس ١٢٣، والدر ٦٧/٣ عن مقاتل، والطبري ٨٤/٨، وفتح القدير ١٨٦/٢ كلاهما عن السدي.

(٣) في (ج) أبو عمر ومحمد بن مطر، وفي (د)، و) محمد بن جعفر بن مطر.

(٤) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب التوبة - باب في رحمة الله تعالى «رواه البزار وإسناده حسن» عن أبي سعيد.

(٢١٣/١٠)

سورة الأعراف

مكية وآياتها ست ومائتان

أخبرنا الشيخ الإمام، الصالح، الزاهد، أبو عبد الله، محمد بن الحسين بن محمد الفرخاني^(١) السمناني، بعد أن قدم حاجاً في شوال، سنة تسع عشرة وخمسائة قال: أخبرنا الإمام، أبو الحسن، علي بن أحمد الواحدي [رحمة الله عليه في سنة ست وستين وأربعمائة]^(٢) قال:

تفسير سورة الأعراف^(٣)

أخبرنا أبو سعد: محمد بن علي الحيري^(٤) أخبرنا أبو عمرو: محمد بن جعفر المؤذن، حدثنا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس^(٥) نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم، عن أبيه^(٦) عن أبي أمامة عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً، وكان آدم شفيحاً له يوم القيامة».

بسم الله الرحمن الرحيم

الْمَصِّ ۚ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِئُنذِرَ بِهِ ۖ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۚ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ۚ فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۚ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ

(١) الفرخاني: بفتح الفاء وضم الراء المشددة وفتح الحاء وفي آخرها النون هذه النسبة إلى فرخان، وهو اسم لبعض أجداد المتسبب انظر الأنساب (٤/٣٦١) ٨

(٢) ما بين المعكوفين سقط في أ، ج.

(٣) في (ب) سورة المص، وسورة الأعراف مكية إلا ثمان آيات وهي قول (واسألهم عن القرية) إلى قوله (وإذ نتقنا الجبل فوقهم) وقد أخرج ابن الضريس والنحاس في ناسخه، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل من طرق عن ابن عباس قال: سورة الأعراف نزلت بمكة. وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير مثله، وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن قتاده قال: آية من الأعراف مدنية وهي (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) - إلى آخر الآية. وسائرهما مكية. انظر فتح القدير (٢/١٨٧) وانظر الدر المنثور (٣/٦٧) - تفسير القرطبي (٧/١٠٤) - روح المعاني (٨/٧٤) - تفسير البغوي (٢/١٤٧) - البحر المحيط (٤/٢٦٩) - التحرير والتنوير (٨/٦).

(٤) الحيري: بكسر الحاء المهملة، وسكون الياء المنقوطة باثنتين، وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى الحيرة وهي بالعراق عند الكوفة وبخراسان بنيسابور - انظر الأنساب (٢/٢٩٧).

(٥) أحمد بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن قيس الكوفي التميمي اليربوعي ثقة حافظ من كبار العاشرة مات سنة سبع وعشرين - انظر تقريب التهذيب (١/١٩) - شذرات الذهب (٢/٥٩).

(٦) أسلم العدوي، مولى عمر بن الخطاب ثقة مخضرم - انظر تقريب التهذيب (١/٦٤) - شذرات الذهب (١/٨٨).

أَرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلِنَسْتَكْرِتَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصِبَنَ عَلَيْهِمْ بِعَلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ
فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَمْ
كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

﴿الْمَصْر﴾ قال ابن عباس^(١): «أنا الله أعلم وأفضل»^(٢) ﴿كتاب﴾ أي: هذا كتاب ﴿أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه﴾.

قال ابن عباس: «ضيق»^(٣)، والمعنى: لا يضيق صدرك بالإبلاغ، وتأدية ما أرسلت به.

وقوله: ﴿لنتذرب﴾ قال الفراء: اللام في لتذرب، منظوم بقوله: أنزل، على تقدير: كتاب أنزل إليك لتذرب به^(٤) ﴿وذكرى للمؤمنين﴾ ومواعظ للمصدقين^(٥)، ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾ اتبعوا القرآن^(٦)، قال الحسن: يا ابن آدم، أمرت باتباع كتاب الله، والله ما نزلت آية إلا ويجب أن تعلم فيم أنزلت وما معناها^(٧) ﴿ولا تتبعوا من دون أولياء﴾ لا تتخذوا غيره أولياء تطيعونهم في معصية الله، ﴿قليلاً ما تذكرون﴾ قليلاً يا معشر المشركين تذكركم واتعاطاكم، والأصل: تتذكرون، فادغمت التاء في الذال، وحذف حمزة التاء، فخفف الذال، وقرأ ابن عامر يتذكرون، بياء وتاء^(٨) أي: قليلاً ما يتذكرون هؤلاء الذين ذكروا بهذا الخطاب.

ثم خوفهم بإهلاك من كذب قبلهم فقال: ﴿وكم قرية أهلكناها﴾ يعني: أهلكتنا أهلها، فحذف المضاف ﴿فجاءها بأسنا بيئاتاً﴾ عذابنا ليلاً، يقال: بات ببيت بيئاتاً وبيئته، والبيات هنا مصدر يراد به الصفة^(٩)، أي: جاءها

(١) أخرجه ابن جرير الطبري (٢٩٣/١٢) رقم (٤٣١٠) - (٤٣١١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٧/٣) وزاد نسبه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الأسماء والصفات، وذكره السمرقندي في بحر العلوم في أول سورة الأعراف بتحقيقنا، وذكره الحافظ ابن كثير (٣٨٢/٣) وابن الجوزي في زاد المسير (١٦٤/٣)، تفسير القرطبي (١٠٩/١)، والرازي (١٣/١٤)، والبغوي (٤٤/١)، وأبو حيان (٢٦٦/٤) والألوسي في روح المعاني (٧٤/٨).

(٢) قال الواحدي: وعلى هذا التفسير فهذه الحروف واقعة في موضع جمل، والجمل إذا كانت ابتداء وخبراً فقط لا موضع لها من الإعراب فقوله: أنا الله أعلم، لا موضع لها من الإعراب - انظر تفسير الرازي (١٣/١٤).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٧/٣)، وعزاه لأبي الشيخ عن الضحاک، وذكره البغوي في تفسيره (١٤٨/٢) عن أبي العالية، وأبو حيان في البحر (٢٦٦/٤)، عن الحسن وذكره أيضاً عن الفراء - وانظر مجاز القرآن ٢١٠/١ والقرطبي (١٠٤/٧) وفتح القدير (١٣٧/٢)، وبحر العلوم في تفسير الآية وأخرج الطبري في تفسيره (٢٩٦/١٢) عن مجاهد وقناة والسدي: شك منه.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء (٣٧٠/١)، وقال السمرقندي في البحر: (لنتذرب) أي لتخوف بالقرآن أهل مكة.

(٥) نسب الفخر الرازي هذا المعنى لابن عباس (١٥/١٤).

(٦) دلت هذه الآية على ترك اتباع الآراء مع وجود النص - انظر تفسير القرطبي (١٠٥/٧).

(٧) ذكره الفخر الرازي في تفسيره (١٦/١٤).

(٨) من خفف حذف إحدى التاءين وهي الثانية، وهما زائدتان إلا أن الأولى تدل على معنى الاستقبال، والثانية إنما دخلت على معنى (فعلت الشيء) على تمهل نحو قولك تفهمت الشيء أي أخذت على مهل ومن شدد أدغم التاء في الذال لقرب مكان هذه من مكان هذه انظر حجة القراءات (٢٧٩)، وانظر النشر (٢٦٧/٢) - شرح شعله على الشاطبية (٣٨٦) وانظر إتحاف فضلاء البشر (٤٤/٢).

(٩) يريد بقوله «الصفة» أي صفة حالهم وليس المراد صفة في الإعراب، لأن (بيئاتاً) نصب على المصدر في موضع الحال - انظر البيان لابن الأنباري (٣٥٤/١).

بأسنا بائتين نائمين، ﴿أو هم قائلون﴾ القيلولة: الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر، وإن لم يكن مع ذلك نوم^(١). قال الزجاج: «جاءكم بأسنا مرة ليلاً، ومرة نهاراً، فاعتبروا بهلاك من شئتم منهم»^(٢).

ومعنى الآية: إنهم جاءهم بأسنا، وهم غير متوقعين له، إما ليلاً وهم نائمون، أو نهاراً وهم قائلون. ﴿فما كان دعواهم﴾ أي دعاؤهم، وتضرعهم، والدعوى: اسم يقوم مقام الادعاء والدعاء^(٣)، حكى سيبويه: «اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين^(٤)» وقوله ﴿إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين﴾ قال ابن الأنباري: يقول لم يكن قولهم أن جاءهم العذاب، إلا الاعتراف بالظلم، والإقرار بالإساءة^(٥).

قوله ﴿فلنسالن الذين أرسل إليهم﴾ قال: الضحاك «الذين أرسل إليهم: الأمم الذين أتاهم الرسل، يسألون، هل بلغكم الرسل ما أرسلوا به إليكم»^(٦).

﴿ولنسالن المرسلين﴾ يعني الأنبياء، هل بلغتكم قومكم ما أرسلتم به؟ وماذا أجابكم قومكم^(٧)؟ وقال السدي «تسأل الأمم ماذا عملوا فيما جاءت به الرسل؟ ويسأل الرسل هل بلغوا ما أرسلوا به»^(٨).

﴿فلنقصن عليهم بعلم﴾ [أي]^(٩): لنخبرنهم بما عملوا منا ﴿وما كنا غائبين﴾ عن الرسل والأمم، وما بلغت، وما رد عليهم قومهم، قوله تعالى: ﴿والوزن يومئذ الحق﴾ يعني يوم السؤال^(١٠).

(١) لسان العرب (٣٧٩٦/٥) - ترتيب القاموس (٧٢٥/٣) - الصحاح (١٨٠٨/٥)، غريب القرآن (١٦٥)، .. مجاز القرآن (٢١٠/١)، النهاية في غريب الحديث (١٣٣/٤) - المصباح المنير (٧١٦/٢).

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٣١٧/٢)، - تفسير البغوي (١٤٨/٢)، تفسير القرطبي (١٠٦/٧)، تفسير الرازي (١٩/١٤).

(٣) انظر لسان العرب (١٣٨٥/٢)، مجاز القرآن (٢١٠/١)، تفسير البغوي (١٤٨/٢)، تفسير الرازي (١٩/١٤)، تفسير الطبري (٨١/٨)، روح المعاني (٨٠/٨).

(٤) انظر الكتاب (٤٠/٤).

(٥) البيان لابن الأنباري (٣٥٤/١) - انظر معالم التنزيل للبغوي (١٤٨/٢).

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور بنحوه عن ابن عباس ٦٧/٣، وعزاه لابن جرير (١٢ - ٣٠٦) رقم (٤٣٢٤) وابن المنذر، وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث، وانظر ابن كثير (٣٨٤/٣).

(٧) المراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريرهم، والذي نفى بقوله تعالى: ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون «سؤال الاستعلام أو الأول في موقف الحساب والثاني في موقف العقاب - انظر تفسير أبي السعود ٢١٢/٢، معالم التنزيل للبغوي (١٤٨/٢)، تفسير الرازي ٢١/١٤، البحر المحيط (٢٧٠/٤)، الكشاف (٨٨/٢).

(٨) انظر تخريج الأثر السابق وانظر الدر المنثور ٦٧/٣ - الطبري (٣٠٦/١٢).

(٩) سقط في أ، ب.

(١٠) بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن وزنه للأعمال يوم القيامة حق أي: لا جور فيه ولا ظلم فلا يزداد في سيئات مسيء، ولا ينقص من حسنات محسن. وأوضح هذا المعنى في مواضع آخر كقوله: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) وقوله: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها) الآية إلى غير ذلك من الآيات. قوله تعالى (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) بين تعالى في هذه الآية الكريمة: أن من ثقلت موازينهم اقلحوا، ومن خفت موازينهم خسروا بسبب ظلمهم، ولم يفصل الفلاح والخسران هنا. وقد جاء في بعض المواضع ما يدل على أن المراد بالفلاح هنا كونه في عيشة راضية في الجنة، وأن المراد بالخسران هنا كونه في الهاوية من النار، وذلك في قوله: (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية، وأما من خفت موازينه فأما هوية، وما أدراك ما هية نار حامية). وبين أيضاً خسران من خفت موازينه بقوله: (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون. تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون) إلى غير ذلك من الآيات. انظر ضوء البيان (٢٩١/٢ - ٢٩٢).

وعامة المفسرين: على أن المراد بهذا الوزن وزن أعمال العباد (١).

قال ابن عباس: توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان، فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة، فيوضع في كفه الميزان فتثقل حسناته على سيئاته (٢) فذلك قوله: ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ وهذا كقوله: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾ (٣) الآية، وإنما قال موازينه على الجمع، لأن «من» في معنى الجمع، ألا ترى أنه قال: ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ بالجمع (٤) وبعض المفسرين يذهب إلى أن الوزن يعود إلى الصحف التي فيها أعمال العباد (٥).

قوله: ﴿ومن خفت موازينه﴾ قال ابن عباس: يؤتى بعمل الكافر في أقبح صورة، فيوضع في كفة الميزان فيخف وزنه (٦)، فذلك قوله: ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ أي صاروا إلى العذاب ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ بجحودهم بما جاء به محمد ﷺ.

أخبرنا منصور بن عبد الوهاب البزاز (٧)، أنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحيري، أنا أحمد بن محمد بن محمد بن بشار (٨) أنا عمر بن محمد (٩) أنا أبي أنا (١٠) عصام بن طليق (١١) عن داود (١٢) عن الشعبي عن مسروق عن عائشة - رضي الله عنها -

(١) انظر معالم التنزيل للبيهقي (١٤٩/٢)، تفسير القرطبي (١٠٧/٧)، تفسير الرازي (٢٢/١٤)، تفسير الطبري (٣١٢/١٢)، ابن كثير (٣٨٥/٣)، تفسير أبي السعود (٢١٣/٣)، روح المعاني (٨٢/٨-٨٣)، التحرير والتنوير (٢٩/٨).

(٢) ذكره السيوطي في الدرر (٦٩/٣) وعزاه لأبي الشيخ، انظر تفسير الطبري (٣١١/١٢)، تفسير القرطبي (١٠٨/٧)، والفخر الرازي (١٤/٨).

(٣) الأنبياء «٤٧».

(٤) قال الزجاج: إنما جمع الله الموازين هنا فقال (فمن ثقلت موازينه) ولم يقل ميزانه لوجهين: الأول: أن العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد، فيقولون: خرج فلان من مكة على البغال. والثاني: أن المراد من الموازين هنا جمع موزون، لا جمع ميزان، وأراد بالموازين الأعمال الموزونة. انظر تفسير الرازي (٢٣/١٤) - انظر البحر المحيط (٢٧٠/٤)، تفسير البيهقي (١٤٩/٢) الكشاف (٨٩/٢) روح المعاني (٨٤/٨) - تفسير أبي السعود (٢١٢/٢).

(٥) تفسير الطبري (٣١٠/١٢) وانظر المراجع السابقة.

(٦) ذكره البيهقي في معالم التنزيل ١٤٩/٢، وابن الجوزي في زاد المسير (١٧١/٣)، وتفسير القرطبي (١٠٨/٧)، والسمرقندي في بحر العلوم في تفسير الآية.

(٧) البزاز: بفتح الباء المنقوطة بواحدة، والزباين المعجمتين بينهما الف هذه اللفظة تقال لمن يبيع البز وهو الثياب، انظر الأنساب (٣٣٨/١).

(٨) أحمد بن محمد بن بشار بن رجاء، أبو بكر، ويعرف بابن أبي العجوز، وثقه الدارقطني، مات في شعبان من سنة إحدى عشرة وثلاثمائة - انظر تاريخ بغداد ٤٠٠/٤ - ٤٠١.

(٩) عمر بن محمد بن الحسن بن الزبير الأسدي، بفتح المهملة، الكوفي، المعروف بابن التل، بفتح المثناة بعدها لام، صدوق، ربما وهم، من الحادية عشرة قال البخاري مات سنة خمس ومائتين. انظر تقريب التهذيب (٦٢/٢) - الخلاصة (٢٧٧/٢).

(١٠) محمد بن الحسن بن الزبير الأسدي الكوفي، لقبه التل بفتح المثناة وتشديد اللام صدوق فيه لين، قال أبو حاتم: شيخ، وقال مرة: ليس بشيء، وقال أبو داود: صالح يكتب حديثه، وقال ابن عدي له أفراد ولم أر حديثه بأساً. قال البخاري مات سنة مائتين - انظر الخلاصة (٣٩٣/٢)، تقريب التهذيب (١٥٤/٢).

(١١) عصام بن طليق، بفتح أوله وتخفيف اللام، الطفاوي بضم المهملة بعدها فاء خفيفة ضعيف، من السابعة وقال البخاري: منكر الحديث - انظر تقريب التهذيب (٢١/٢) - الخلاصة (٢٢٨/٢).

(١٢) داود بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي، الزعافري، بزاء مفتوحة ومهملة وكسر الفاء، أبو يزيد الكوفي، الأعرج، عم عبد الله بن إدريس ضعيف، مات سنة إحدى وخمسين، انظر تقريب التهذيب (٢٣٥/١)، الخلاصة (٣٠٧/١).

قالت: كان رسول الله ﷺ نائماً في حجري، فقطرت دموعي على خده فاستيقظ، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: ذكرت القيامة وهولها، فهل تذكرون أهاليكم يا رسول الله؟ قال: أما في ثلاثة مواطن لا يذكر أحد فيها أحداً إلا نفسه، عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند الصحف حتى يعلم أيأخذ صحيفته بيمينه أم بشماله، وعند الصراط حتى يجاوزه (١).

وقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - «إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة، باتباعهم في الدنيا الحق، وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة، باتباعهم في الدنيا الباطل، وخفتهم عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف (٢)».

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٢﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٣﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٤﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٥﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٦﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٨﴾ قَالَ أَخْرِجْهَا مِنْهَا مَذْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ وَبَقَادُمْ أَسْكُنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿١١﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحٍ ﴿١٢﴾ فَدَلَّهُمَا بِمُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَ تَيْهَمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤﴾ قَالَ اهْبِطُوا

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٠/٤) كتاب السنة باب في ذكر الميزان (٤٧٥٥)، والحاكم في المستدرک (٥٧٨/٤) كتاب الأحوال باب بشارة النبي للمسلمين وقال: هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة رضي الله عنها - وأم سلمة، وأقره الذهبي، وذكره الهيثمي في المجمع مطولاً (٣٦١/١٠) عن عائشة رضي الله عنها - وعزاه لأحمد، وقال فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف، وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح. وأما إسناده المصنف ضعيف لضعف داود بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي، قال ابن معين: ليس بشيء، وذكره البخاري في الكبير (٢٣٩/٢) فلم يذكر فيه جرحاً، وقال ابن المديني: أنا لا أروي عنه، وقال عنه ابن حبان: يقبل إذا روى عن ثقة، وذكره العقيلي في الضعفاء ٤٠/٢ وضعفه الحافظ في التقریب (٢٣٥/١) كما أوضحنا في ترجمته.

(٢) ذكر ذلك سيدنا أبو بكر - رضي الله عنه حين حضره الموت في وصيته لعمربن الخطاب - رضي الله عنه انظر معالم التنزيل للإمام البهوي (١٤٩/٢).

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾

قوله: ﴿ولقد مكناكم في الأرض﴾ قال ابن عباس: ملكناكم في الأرض، يريد ما بين مكة إلى اليمن وما بين مكة إلى الشام ومعنى التمكين في الأرض التمليك والقدرة^(١) والخطاب لقريش، وكان الله تعالى قد فضلهم على العرب، وكانوا يتجرون فيما بين مكة والشام واليمن آمنين، ويكسبون الأموال، وهو قوله ﴿وجعلنا لكم فيها معاش﴾ وهي جمع المعيش والمعيشة وهي ما يعاش به^(٢) من المكاسب والتجارات^(٣)، وقوله ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ قال ابن عباس: [يريد]^(٤) أنكم غير شاكرين لأنعمي، ولا طائعين^(٥) ﴿ولقد خلقناكم﴾ يعني آدم، وإنما قال بلفظ الجمع، لأنه أبو البشر، وفي خلقه خلق من يخرج من صلبه، ﴿ثم صورناكم﴾ يعني ذريته في ظهر آدم، كما روي «إن الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهره في صورة الذر»^(٦).

ويجوز أن يكون المراد بقوله: ﴿ثم صورناكم﴾ آدم، ولا يجوز أن يكون المراد بقوله ﴿ثم صورناكم﴾ تصوير ذريته في الأرحام، لقوله ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾، لأن هذا كان قبل تصوير ذرية آدم في الأرحام^(٧).

قوله عز وجل: ﴿قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك﴾ معنى هذا السؤال^(٨) التوبيخ لإبليس [لعنه الله]^(٩) وإظهار

(١) أصله مشتق من المكان فمعنى مكته ومكنه له، وضع له مكاناً قال تعالى: «أو لم نمكن لهم حرماً آمناً» ومثله قولهم: أرض له، ويكنى بالتمكين عن الأقدار وإطلاق التصرف لأن صاحب المكان يتصرف في مكانه وبيته، ثم يطلق على التثبيت والتقوية والاستقلال بالأمر، ويقال هو مكن بمعنى ممكن، فعمل بمعنى مفعول، قال تعالى: (إنك اليوم لدينا مكين أمين) فهو كناية أيضاً بمرتبة ثانية، أو هو مجاز مرسل مرتب على المعنى الكنائي. والتمكين في الأرض تقوية التصرف في منافع الأرض والاستظهار بأسباب الدنيا، بأن يكون في منعه من العدو، وفي سعة في الرزق وفي حسن حال قال تعالى: (إنا مكنا له في الأرض)، وقال: (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة) الآية فمعنى مكته: جعله متمكناً، ومعنى مكن له: جعله متمكناً لأجله أي: رعيماً له مثل حمده وحمده له، فلم تزد اللام ومجوزها إلا إشارة إلى أن الفاعل فعل ذلك رغبة في نفع المفعول، ولكن الاستعمال أزال الفرق بينهما وصير مكته ومكن له بمعنى واحد، فكانت اللام زائدة كما قال أبو علي الفارسي، ودليل ذلك قوله تعالى هنا: (مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم) فإن المراد بالفعلين هنا شيء واحد لتعين أن يكون معنى الفعلين مستوياً ليظهر وجه فوت القرون الماضية في التمكين على تمكين المخاطبين إذ التفاوت لا يظهر إلا في شيء واحد ولكن كون القرون الماضية أقوى تمكناً من المخاطبين كان يقتضي أن يكون الفعل المقترن بلام الأجل في جانبهم، لا في جانب المخاطبين، وقد عكس هنا. وبهذا البيان يجمع بين قول الراغب باستواء فعل مكته ومكن له، وقول الزمخشري: بأن مكن له بمعنى جعل له مكاناً، ومكنه بمعنى أثبتته، وكلام الراغب أمكن عربية، وقد أهملت التنبيه على هذين الرأيين كتب اللغة. واستعمال التمكين في معنى التثبيت والتقوية كناية أو مجاز مرسل، لأنه يستلزم التقوية. وقد شاع هذا الاستعمال حتى صار كالصريح أو كالحقيقة. انظر التحرير والتنوير (١٣٧/٧).

(٢) في ب فيه.

(٣) المعاش جمع معيشة، ويحتمل أن يكون وزنها مفعلة ومفعلة بكسر العين وضمها قالهما سيبويه. انظر البحر المحيط (٢٧١/٤) وانظر إنحاف فضلاء البشر (٤٤/٢)، وتفسير الطبري (٣١٦/١٢)، وتفسير القرطبي ١٠٩/٧، تفسير ابن كثير (٣٨٦/٣)، وبحر العلوم للسمرقندي في تفسير الآية، وتفسير الرازي (٢٥/١٤)، روح المعاني (٨٥/٨)، تفسير أبي السعود (٢١٤/٣).

(٤) سقط في أ. (٥) ورد معنى هذا في: تنوير المقاييس لابن عباس (٨٢/٢). (٦) سيأتي بمزيد إيضاح.

(٧) انظر معالم التنزيل للبخاري (١٥٠/٢)، تفسير الطبري (٣٢٠/١٢)، تفسير الرازي (٢٦/١٤)، تفسير القرطبي (١٠٩/٧)، وبحر

العلوم للسمرقندي في تفسير الآية وتفسير أبي السعود (٢١٤/٣)، تفسير روح المعاني (٨٦/٨).

(٨) في ب القول. (٩) سقط في أ.

عناده للأمر، و (لا) في قوله ﴿أَلَا تَسْجُدُ﴾ قال الفراء: هي صلة، والمعنى «ما منعك أن تسجد»^(١) ونحو هذا قال الكسائي، والزجاج^(٢)، وقوله: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ معناه منعني من السجود له فضلي عليه، وأني خير منه، إذ كنت نارياً وكان طينياً وهو قوله ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ قال ابن عباس: «كانت الطاعة أولى إبليس من القياس، فعصى ربه، وقاس، وأول من قاس إبليس، فكفر بقياسه»^(٣)، فمن قاس الدين بشيء من رأيه، قرنه الله مع إبليس، وإنما كفر إبليس، لأنه قاس في مخالفة النص^(٤)، وإنما يذم من القياس^(٥) ما خالف النص.

(١) انظر معاني القرآن للفراء (١/٣٧٤).

(٢) وظاهر الآية يقتضي أنه تعالى طلب من إبليس ما منعه من ترك السجود. وليس الأمر كذلك، فإن المقصود طلب ما منعه من السجود، ولهذا الإشكال حصل في الآية قولان:

القول الأول وهو المشهور: أن كلمة (لا) صلة والتقدير: ما منعك أن تسجد؟ - وله نظائر في القرآن كقوله: (لا أقسم بيوم القيامة) (١) معناه: أقسم. وقوله: (وحرام على قرية أهلكتناها أنهم لا يرجعون) الأنبياء (٩٥) أي يرجعون. وقوله: (لئلا يعلم أهل الكتاب) الحديد: (٢٩) أي: ليعلم أهل الكتاب، وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والأكثرين.

والقول الثاني: أن كلمة (لا) ههنا مفيدة، وليست لغواً، وهذا هو الصحيح، لأن الحكم بأن كلمة من كتاب الله لغو لا فائدة فيها مشكل صعب، وعلى هذا القول ففي تأويل الآية وجهان: الأول: أن يكون التقدير: أي شيء منعك عن ترك السجود؟ ويكون هذا الاستفهام على سبيل الإنكار ومعناه أنه ما منعك عن ترك السجود كقول القائل لمن ضربه ظلماً: ما الذي منعك من ضربي، أدينك، أم عقلك أم حياؤك؟! والمعنى: أنه لم يوجد أحد هذه الأمور وما امتنع من ضربي. الثاني: قال القاضي: ذكر الله المنع وأراد الداعي، فكانه قال: ما دعاك إلى أن لا تسجد؟ لأن مخالفة أمر الله تعالى حالة عظيمة يتعجب منها، ويسأل عن الداعي إليها. الرازي (٢٧/١٤) وانظر مجاز القرآن (١/٢١١) معاني القرآن للزجاج (٢/٣٢٢) تفسير الطبري (٨/٩٦)، غريب القرآن لابن قتيبة (١٦٥) تفسير القرطبي (٧/١٠١).

(٣) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٢/١٥٠، تفسير القرطبي ٧/١٠١، البحر المحيط ٤/٢٧٣، ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/٧٢ عن الحسن، وعزاه لابن جرير.

(٤) وحجة إبليس لعنه الله في قوله: (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) هي باطلة، لأنه عارض النص بالقياس، ولهذا قال بعض السلف: أول من قاس إبليس، وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس كما ذكر هنا المصنف رحمه الله. ويظهر فساده بالعقل من وجوه خمسة.

(أحدها): أنه ادعى أن النار خير من الطين، وهذا قد يمنع، فإن الطين فيه السكينة والوقار والاستقرار والثبات والإمساك، ونحو ذلك، وفي النار الخفة - والحلدة والطيش، والطين فيه الماء والتراب. الثاني: أنه وإن كانت النار خيراً من الطين، فلا يجب أن يكون المخلوق من الأفضل أفضل، فإن الفرع قد يختص بما لا يكون في أصله، وهذا التراب يخلق منه الحيوان والمعادن والنبات ما هو خير منه، والاحتجاج على فضل الإنسان على غيره بفضل أصله على أصله حجة فاسدة احتج بها إبليس، وهي حجة الذين يحتجون بأنسابهم، وقد قال النبي ﷺ: من قصر به عمله لم يبلغ به نسيبه (ابن ماجه ٢٢٥). والثالث: أنه وإن كان مخلوقاً من طين، فقد حصل له بنفخ الروح المقدسة فيه ما شرف به فلهذا قال: (فإذا سوته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) الحجر (٢٩) فعلق السجود بأن ينفخ فيه من روحه، فالموجب للتفضيل هذا المعنى الشريف الذي ليس لإبليس مثله. الرابع: أنه مخلوق بيدي الله تعالى كما قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدِي﴾ (ص ٧٥) وهو كالأثر المروي عن النبي ﷺ مرسلًا، وعن عبد الله بن عمرو في تفضيله على الملائكة حيث قالت الملائكة: يا رب! قد خلقت لبني آدم الدنيا يأكلون فيها، ويشربون ويلبسون وينكحون، فاجعل لنا الآخرة كما جعلت لهم الدنيا، فقال: لا أفعل، ثم أعادوا فقال: لا أفعل، ثم أعادوا فقال: وعزتي لا أجعل صالح من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان. الخامس: أنه لو فرض أنه أفضل فقد يقال: إكرام الأفضل للمفضول ليس بمستنكر. انظر التفسير الكبير للإمام ابن تيمية. (٤/٢٨٢ - ٢٨٣) وانظر زاد المسير لابن الجوزي (٣/١٧٤) وتفسير القرطبي (٧/١٠١ - ١١١).

(٥) والقياس يطلق في اللغة ويراد به: التسوية، والتقدير، وفي اصطلاح أهل العلم: حمل معلوم على معلوم لمساواة بينهما في علة =

قوله تعالى: ﴿قال فاهبط منها﴾ أي انزل من السماء^(١) ﴿فما يكون لك أن تتكبر فيها﴾ قال ابن عباس: يريد أن أهلها ملائكة متواضعون خاشعون^(٢) ﴿فاخرج إنك من الصاغرين﴾ الأذلاء. قال الزجاج: إن إبليس استكبر بإبائه السجود، فأعلمه الله أنه صاغر بذلك^(٣)، ﴿قال أنظرنني﴾ أمهلي وأخرنني ﴿إلى يوم يعثون﴾ إلى يوم البعث، فأبى الله ذلك عليه، وأنظره إلى النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم، لأنه بين مدة المهلة في موضع آخر، وإن لم تبين في هذه السورة وهو قوله ﴿إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾^(٤) وهو النفخة الأولى ﴿قال فيما أغويتني﴾ قال ابن عباس: أضللتني^(٥) وقال ابن الأنباري «أي فيما أوقعت في قلبي من الغي الذي كان سبب هبوطي من السماء^(٦)» والباء للقسمة^(٧)، أي يا غواثك إياي، والمعنى: بقدرتك عليّ ونفاذ سلطانك في ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ [على الطريق المستقيم]^(٨) الذي يسلكونه إلى الجنة، وهو دين الله الإسلام، بأن أزين لهم الباطل، وما يكسبهم المأثم.

أخبرنا سعيد بن محمد بن أحمد العدل أنا جدي أنا أبو عمرو الجبيري، نا علي بن سعيد بن جرير النسائي، نا

= الحكم. أو هو إثبات مثل حكم معلوم في معلوم آخر لاشترائهما في علة الحكم. أو هو حمل مجهول الحكم على معلوم لمساواة بينهما في علة الحكم. وانظر تفصيل مباحث الأصول في المحصول للرازي (١٨/٢/٢)، الإحكام للامدي (٢٦١/٣)، البرهان ٧٤٥/٢، المستصفى للغزالي ٥/٢، الإيهام لابن السبكي ٥/٣، أصول الشاشي ص (٣٢٥)، تيسير التحرير (٢٦٣/٣) فواتح الرحموت ٢٤٦/٢، شرح التنقيح ص (٣٨٣)، المنتهى لأبن الحاجب ص (١٢٢) نشر البنود (١٠٤/٢)، وانظر نبراس العقول للشيخ عيسى منون ص (٩) وما بعدها. والحق في هذا أن الرأي المذموم والقياس المتكلف المنهي عنه فهو ما لم يكن جارياً على الأصول المذكورة في كتب الفقهاء المعتمدين.

(١) عزا الفخر الرازي لابن عباس أن الهبوط كان من الجنة وعزا أمر الهبوط من السماء لبعض المعتزلة، وأيد هذا البغوي في معالمه (١٥١/٢) وذكر أنه هبط من السماء بكلمة «قيل» والنسبة إلى المعتزلة، وحكى السمرقندي في بحر العلوم والقرطبي في التفسير (١١٢/٧) أن الهبوط كان من السماء وقال ابن عطية: أهبط أولاً، وأخرج من الجنة، وصار في السماء، لأن الأخبار تظافرت أنه أغوى آدم وحواء من خارج الجنة، ثم أمر آخراً بالهبوط من السماء مع آدم وحواء والحية وهذا كله بحسب ألفاظ القصة - انظر البحر المحيط (٢٧٤/٤) وقال الزمخشري في الكشاف (٩٠/٢): فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة إلى الأرض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين - وحكى ابن كثير (٣٣٩/٣)، عن مقاتل بن سليمان أنه أهبط من الجنة، وحكى أبو السعود (٢١٧/٢) أن الهبوط من الجنة، وأما ما قيل من أن المراد الهبوط من السماء فيرده أن وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد، فلا بد أن يحمل على أحد الوجهين قطعاً، وتكون وسوسته على الوجه الأول بطريق النداء من باب الجنة، كما روي عن الحسن البصري.

(٢) انظر الطبري (٣٢٩/١٢) تفسير الرازي (٣٠/١٤) وذكر ذلك القرطبي هذا القول بلا نسبة (١١٣/٧).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٣٢٤٢/٢).

(٤) سورة الحجر (٣٧ - ٣٨)، انظر تفسير البغوي (١٥١/٢)، تفسير الرازي (١٤/٣١)، روح المعاني (٩١/٨)، تفسير أبي السعود

(٢١٧/٣)، تفسير القرطبي (١١٢/٧)، تفسير البحر المحيط ٢٧٥/٤، تفسير فتح القدير (١٩٢/٢).

(٥) أخرجه الطبري في التفسير ٣٣٢/١٢ رقم (٤٣٦١). وذكره ابن كثير في التفسير ٣٨٩/٣، وأبو حيان في البحر المحيط ٢٧٥/٤،

وزاد السيوطي نسبه في الدرر ٧٢/٣ لابن المنذر وابن أبي حاتم واللالكائي في السنة.

(٦) البيان لابن الأنباري ٣٥٥/١ - انظر معالم التنزيل للبغوي (١٥١/٢).

(٧) وللباء أربعة عشر معنى انظرها في مغني اللبيب لابن هشام (١٠١/١) وما بعدها، الإتيان في علوم القرآن (١٨٢/٢) وما بعدها.

(٨) سقط في ب.

أبو النضر نا أبو عقيل^(١)، نا موسى بن المسيب^(٢) أخبرني سالم بن أبي الجعد عن سيرة بن أبي فاكه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال له أتسلم، وتذر دينك ودين آبائك؟ فعصاه، فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال له: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر مثل الفرس في الطول^(٣)»، فعصاه، فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: هو جهد النفس والمال، فتقاتل، فقتل، وتَنَحَّح المرأة، وَيُقَسِّم المال، فَعَصَاهُ، فجاهد قال - رسول الله ﷺ - فمن فعل ذلك منكم، ومات، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة^(٤)».

قوله: ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي^(٥) - يعني -: من الدنيا، ﴿ومن خلفهم﴾ من الآخرة أتاهم من بين أيديهم، فزين لهم الدنيا ودعاهم إليها ﴿ومن خلفهم﴾ فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة، ولا نار، وقوله: ﴿وعن أيمانهم﴾ قال الوالبي عن ابن عباس: من قبل حسناتهم، ﴿وعن شمائلهم﴾ من قبل سيئاتهم^(٦) وهذا قول قتادة^(٧) قال ﴿وعن أيمانهم﴾ من قبل حسناتهم أبطنهم عنها ﴿وعن شمائلهم﴾ أزين لهم السيئات والمعاصي، وأدعوهم إليها، وأمرهم بها، أتاك يا ابن آدم، من كل وجه، غير أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله تعالى. وقال أهل المعاني^(٨): ذكر الله تعالى هذه الجهات مبالغة في التوكيد، والمعنى: ثم لآتينهم من جميع الجهات، وهو اختيار الزجاج، قال الزجاج الحقيقة - والله أعلم - أتصرف لهم في الإضلال من جميع جهاتهم^(٩). وقوله: ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ قال ابن عباس: يريد أن أكثرهم لإبليس طائعون، والله عاصون، قوله تعالى: ﴿قال أخرج منها﴾ قال الكلبي: «من الجنة»^(١٠) ﴿مذءوما﴾ الذأم: الاحتقار، [يقال] ذأمت الرجل، أذأته،

(١) عبد الله بن عقيل أبو عقيل الثقفي الكوفي، نزيل بغداد صدوق، انظر تقريب التهذيب (٤٣٤/١).

(٢) موسى بن المسيب أو السائب الثقفي، أبو جعفر الكوفي البزاز صدوق لا يلتفت إلى الأزدي في تضعيفه - انظر تقريب التهذيب ٢٨٨/٢، الكاشف (١٨٩/٣).

(٣) الطُول والطَّيْل بالكسر: الحبل الطويل يُشَدُّ أَحَدُ طَرَفَيْهِ فِي وَتِدٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَالطَّرْفُ الْآخَرُ فِي يَدِ الْفَرَسِ لِيَدُورَ فِيهِ وَيُرْعَى، وَلَا يَذْهَبُ لُوجْهَهُ. وَطَوَّلَ وَأَطَالَ بِمَعْنَى، أَي: شَدَّهَا فِي الْحَبْلِ النَّهَائِيَةِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ (١٤٥/٣) ترتيب القاموس (١١٢/٣)، ولسان العرب لابن منظور (٢٧٢٧/٤).

(٤) إسناده المصنف رحمه الله حسن، والحديث أخرجه النسائي (٢١/٦) كتاب الجهاد باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد حديث (٣١٣٤)، وأحمد في المسند (٤٨٣/٣) والطبراني في الكبير (١٣٨/٧) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٩٣/٥)، والبخاري في التاريخ (١٨٨/٤) (٢٤٣١)، أورده الهيثمي في موارد الظمان ص (٣٨٥)، كتاب الجهاد باب في فضل الجهاد (١٦٠١) وذكره العراقي في تخريجه على الاحياء، وعزاه للنسائي، وقال اسناده صحيح (٣٢٢/٣) وذكره الحافظ في تخريجه على الكشاف (٩٣/٢)، وزاد نسبه لأبي يعلى، وقال تبيين أحدهما: قوله «بأطرقه» ضبطه ثابت في الدلائل بكسر الراء وبمثنائه ويضم الراء وبهاء ثانيهما: قوله «بأطرقه» وقع عند الطيبي، وذكر الحديث الحافظ ابن كثير في التفسير (٣٨٩/٢)، وابن الأثير في أسد الغابة (٣٢٤/٢). (٥) ذكره البغوي في تفسيره (١٥٢/٢)، والطبري في التفسير (٣٣٨/١٢)، والسيوطي في الدرر (٧٣/٣)، وعزاه لابن أبي حاتم، وذكره القرطبي (١١٤/٧) بلا نسبة.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٣٨/١٢)، وذكره السيوطي في الدرر في الموضوع السابق وعزاه لابن أبي حاتم.

(٧) انظر الطبري (٣٣٩/١٢) رقم (٤٣٧٢) وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٣٩٠/٣)، والبغوي في معالم التنزيل (١٥٢/٢) عن قتادة.

(٨) كالفرء والزجاج وابن الأنباري وغيرهم عن صنفا في معاني القرآن.

(٩) معاني القرآن للزجاج (٣٢٤/٢)، وانظر تفسير الرازي (٣٥/١٤) بلا نسبة بحر العلوم للسمرقندي في تفسير الآية.

(١٠) ذكره الطبري في التفسير (٣٤٢/٢)، وذكره السمرقندي في تفسير الآية عن الكلبي ومقاتل، وأخرجه البغوي في التفسير (١٥٢/٢)، وذكره القرطبي بلا نسبة ١١٤/٧، وكذلك الألوسي في روح المعاني (٩٦/٨)، وأيضاً أبو السعود في التفسير

(١١) سقط في ب، ج.

(١٢) وأبو حيان في التفسير (٢٧٦/٤).

إذا احتقرته وذمته وَعَيْتَهُ^(١)، قال ابن قتيبة^(٢): مذءوماً مذموماً بأبلغ الذم، ﴿مدحوراً﴾ منفياً مطروداً، والدحر: الطرد والإبعاد^(٣) وقوله ﴿لمن تبعك منهم﴾ أي من ولد آدم، واللام لام القسم، على تقدير: والله لمن تبعك منهم ﴿لأملأن﴾^(٤) جهنم منكم أجمعين﴾ قال ابن عباس: لمن أطاعك منهم ﴿لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾ يعني المشركين والمنافقين، والكافرين، وقرناءهم من الشياطين^(٥). ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ الآية مفسرة في سورة البقرة^(٦) وقوله ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾ الوسوسة حديث النفس^(٧)، قال الله تعالى: ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه﴾^(٨) والمعنى حدثهما الشيطان في أنفسهما ﴿ليدي لهما﴾ هذه لام العاقبة، وذلك أن عاقبة تلك الوسوسة أدت إلى ظهور عورتهما، وإنما كانت الوسوسة للمعصية، لا لظهور العورة، ولكن تأدت العاقبة إلى ذلك [فصار]^(٩) كقوله ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً﴾^(١٠) وقوله ﴿ما ووري عنهما من سوءاتهما﴾ أي: ما ستر من المواراة، ومنه قوله: ﴿يوارى سوءة أخيه﴾^(١١).

قال ابن عباس: «كانا قد ألبسا ثوباً يستر العورة منهما، فلما عصيا تهافت عنهما ذلك الثوب»^(١٢) ﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين﴾ لا تموتان إلى يوم القيامة، كما لا تموت الملائكة، والتقدير: إلا أن لا تكونا، وعند البصريين: إلا كراهة أن تكون ملكين^(١٣). ﴿أو تكونا من الخالدين﴾ أي لا تموتان، فتبقيان أبداً ﴿وقاسمهما﴾ قال ابن عباس وقتادة: «حلف لهما بالله حتى خدعهما، وإنما يخدع المؤمن بالله تعالى قال إبليس: إني خلقت قبلكما، وأنا أعلم منكما، فاتبعاني أرشدكما»^(١٤).

وكان بعض أهل العلم يقول: «إنه من خادعنا بالله خدعنا»^(١٥). وقوله: ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾ أي: إني

(١) انظر المفردات للراغب (٢٦٢)، ترتيب القاموس (٢٦٧/٢)، مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢١١/١)، الصحاح (١٩٢٥/٥)، وانظر تفسير الطبري (٣٤٤/١٢).

(٢) تفسير غريب القرآن ص (١٦٦).

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢١٢/١) المفردات للراغب ص (٢٣٨)، ابن قتيبة غريب القرآن المصدر السابق، ولسان العرب (١٣٣٤/٢)، ترتيب القاموس (١٥٤/٢).

(٤) قرأ الجمهور «لمن» بفتح اللام، والظاهر أنها اللام الموطئة للقسم، ومن شرطية في موضع رفع على الابتداء، وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب القسم المحذوف قبل اللام الموطئة، ويجوز أن تكون اللام لام الابتداء، ومن موصولة، ولأملأن جواب قسم محذوف بعد من تبعك، وذلك، القسم المحذوف وجوابه في موضع خبر من الموصولة. وقرأ الجحدري وعصمة عن أبي بكر عن عاصم لمن تبعك منهم بكسر اللام انظر تخريج هذه القراءة من البحر المحيط (٢٧٧/٤ - ٢٧٨).

(٥) انظر تنوير المقباس (٨٤/٢).

(٦) آية رقم ٣٥.

(٧) انظر لسان العرب ٤٨٣٠/٦.

(٨) سورة (ق) ١٦.

(٩) قال في البحر المحيط (٢٧٩/٤) قوله «إلا أن تكونا ملكين» استثناء مفرغ من المفعول من أجله، أي: ما نهاكما ربكما لشيء إلا كراهة أن تكون ملكين، ويقدره الكوفيون إلا أن تكونا وإضمار الاسم وهو كراهة أحسن من إضمار الحرف وهو «لا» وانظر البيان للمكبري (٥٦٠/١)، ومشكل إعراب القرآن (٣٠٨/١).

(١٠) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة (٣٥١/١٢) (١٤٣٩٦)، وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٣٩٣/٣)، وذكره البغوي في تفسيره (١٥٣/٢)، وذكره الفخر الرازي في تفسيره (٤١/١٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧٥/٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(١١) هكذا ذكره السيوطي عن قتادة انظر المصادر السابقة.

أنصح لكما من دعائكما إلى أكل هذه الشجرة، قوله: ﴿فدلّاهما بغرور﴾ التدلّية إرسال الدلو في البئر، [والمعنى ها هنا: غرهما وأطمعهما] ^(١) قال الأزهري ^(٢) «أصله تدلية العطشان في البئر، ليروي من الماء، فلا يجد الماء، فيكون مدلي بالغرور ثم وضعت التدلية موضع الإطعام فيما لا يجدي نفعاً، فيقال: دلّاه إذا أطمعه في غير مطمع قال ابن عباس: غرهما باليمن، وكان آدم لا يظن أن أحداً يحلف بالله كاذباً» ^(٣)، [قوله] ^(٤): ﴿فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما﴾ قال الكلبي: «فلما أكلا منها تهافت لباسهما عنهما، فأبصر كل واحد منهما عورة صاحبه، فاستحيا» ^(٥) ﴿وظفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ يقال: طفق يفعل كذا: إذا أخذ في فعله، ومعنى يخصفان يطبقان على أبدانهما الورق، وقال الزجاج: «يعلان ورقة على ورقة، ليسترا سوءاتهما» ^(٦) وقال قتادة: «أقبلا، وجعللا يرقعان، ويصلان عليهما من ورق الجنة، وهو ورق التين، حتى صار كهيئة الثوب» ^(٧) ﴿وناداهما ربهما ألم أنهما عن تلكما الشجرة﴾ قال عطاء: بلغني أن الله تعالى ناداهما أفراراً مني يا آدم؟ قال: [لا] ^(٨)، بل حياء منك يا رب، ما ظننت أن أحداً يحلف باسمك كاذباً ^(٩) وقوله: ﴿وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾ قال ابن عباس: بين العداوة، حيث أبى السجود لآدم، وقال: ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ ثم أقرأ على أنفسهما بالظلم ^(١٠)، ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ الآية، وذكرنا أن هذه الكلمات التي كانت سبب قبول توبتهما، وقوله ﴿قال اهبطوا﴾ إلى آخر الآية مفسر في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿قال فيها تحيون وفيها تموتون﴾ الآية قال الكلبي: في الأرض تعيشون، [وفي الأرض قبوركم] ^(١١)، ومن الأرض تخرجون ^(١٢) من قبوركم للبعث ^(١٣). ولما ذكر عري آدم من علينا باللباس الذي يستر بها العورة.

يَنْبِيءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تِكْمِمْ وَرِدِشًا وَرِبَاسَ النَّفْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ

(١) سقط في ج.

(٢) تهذيب اللغة (١٧١/١٤)، اللسان (١٤١٨/٢)، الصحاح (٢٣٣٩/٦)، وانظر البحر المحيط (٢٧٩/٤).

(٣) ذكره الرازي في التفسير الكبير (٤١/١٤) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧٥/٣) عن السدي.

(٤) سقط في أ، ب. (٥) ذكره البغوي (١٥٣/٢).

(٦) معاني القرآن (٣٢٧/٢)، تفسير البغوي (١٥٣/٢)، ذكره الرازي في تفسيره (٤١/١٤) بلا نسبة.

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧٥/٣) وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم، وذكره البغوي بلا نسبة (١٥٣/٢)

وقوله «ورق التين» أخرجه الطبري في تفسيره (٣٥٤/١٢) رقم (١٤٤٠٤) عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن

جبير عن ابن عباس، وأخرج الحاكم في المستدرک (٣١٩/٢) عن عمرو بن قيس الملائي عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن

عبال قال: «هو ورق التين» انظر تفسير ابن كثير (٣٩٤/٣).

(٨) سقط في ب، ج.

(٩) أخرجه الطبري (٣٥٤/١٢) رقم (١٤٤٠٣) وقد رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عن الحسن، عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ

والموقوف أصح إسناداً وقد ذكر الحافظ ابن كثير هذا الأثر بنحوه عن علي بن الحسن بن إشكاب، عن علي بن عاصم عن

سعيد بن أبي عروبة به مرفوعاً، وعزاه لابن أبي حاتم، انظر تفسير ابن كثير (١١٤/١)، وأخرجه البغوي عن أبي بن كعب مرفوعاً

(١٥٣/٢) وذكره الرازي (٤١/١٤) وعزاه لعطاء كما هنا، وذكره السمرقندي في بحر العلوم في تفسير الآية.

(١٠) انظر تنوير المقياس (٨٦/٢) تفسير الطبري (٣٥٥/١٢) البحر المحيط (٢٨١/٤) وذكره الفخر الرازي (٤٢/١٤) والبغوي

(١٥٤/٢) بلا نسبة.

(١١) سقط في أ.

(١٢) قرأ حمزة والكسائي وابن عامر «ومنها تخرجون» بفتح التاء، وقرأ الباقون «تخرجون» بالضم على ما لم يسم فاعله - انظر النشر

(٢٦٧/٢)، حجة القراءات (٢٨٠).

(١٣) انظر تنوير المقياس (٨٦/٢) وذكره البغوي في التفسير (١٥٤/٢) وذكره الرازي في التفسير (٤٢/١٤).

يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنَدَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَمِيمًا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ مَا لَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

فقال: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم﴾ قال صاحب النظم^(١): إن الله تعالى أنزل المطر، فأنبت به النبات فاتخذ الناس من النبات اللباس، فأوقع الإنزال على اللباس لما كان يسببه ما ينزل، وهو المطر وقوله ﴿وريشاً﴾^(٢) وقرىء ورياشاً^(٣)، وهما المال والمعاش قال أبو عبيدة: «الريش والرياش»^(٤): ما ظهر من اللباس. وقال الفراء^(٥): «يجوز أن يكون الرياش جمع ريش، كما قالوا: لبس ولباس». وقال زيد بن علي^(٦): «اللباس: هذا الذي تلبسون، يواري سوءاتكم، والريش والرياش [الذي]»^(٧) تتجملون به من الثياب^(٨).

وقوله: ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾ قرىء: بالنصب والرفع^(٩)، فمن قرأ بالنصب حمل على أنزل، من قوله: ﴿قد أنزلنا﴾ والمعنى على هذه القراءة هو أن يتقي الله، فيستر عورته فلا يطوف عارياً كفعل أهل الجاهلية. قال ابن الأنباري^(١٠): «ولباس التقوى هو اللباس الأول، وإنما أعاده لما أخبر عنه بأنه خير من التعري، إذ كان جماعة من أهل

(١) هو أبو علي الجرجاني صاحب «نظم القرآن» انظر هذا القول في بحر العلوم للسمرقندي بلا نسبة، وقد تحدث ابن تيمية عنه بشيء من التفصيل (٢٨٦/٤) انظر البحر المحيط (٢٨٢/٤).

(٢) قرأ نافع وابن عامر والكسائي «وريشاً ولباس التقوى» بالنصب عطفوا على الريش وقرأ الباقون بالرفع قال الزجاج: ورفع على ضربين أحدهما: أن يكون مبتدأ، ويكون ذلك من صفته، ويكون «خبر» خبر الابتداء، والمعنى: ولباس التقوى المشار إليه خبر ويجوز أن يكون «لباس التقوى» مرفوعاً بإضمار (هو). والمعنى: وهو لباس التقوى، أي: وستر العورة للباس المتقين - انظر حجة القراءات (٢٨٠ - ٢٨١)، البحر المحيط (٢٩٣/٤ - ٢٩٤).

(٣) هي قراءة عثمان وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسلمي وعلي بن الحسين وابنه زيد وأبو رجاء، ووزين حيش وعاصم في رواية، وأبو عمرو في رواية - انظر البحر المحيط (٢٨٢/٤)، والمحتسب لابن جني (٢٤٦/١).

(٤) مجاز القرآن ٢١٣/١، وانظر تفسير بحر العلوم عند تفسير هذه الآية، واختاره ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٦٤/١٢).

(٥) معاني القرآن ٣٧٥/١ البحر المحيط (٢٨٢/٤) وذكر هذا القول الرازي بلا نسبة (٤٣/١٤).

(٦) زيد بن علي بن عبد الله القارسي أبو القاسم الفسوي النحوي اللغوي. قال ابن عساكر في تاريخه وابن العديم في تاريخ حلب: كان فاضلاً عالماً بعلم اللغة والنحو، عارفاً بعلوم كثيرة، ومات بطرابلس في ذي الحجة، وقيل ذي القعدة سنة سبع وستين وأربعمائة - انظر بغية الوعاة (٥٧٣/١).

(٧) سقط في أ.

(٨) وفي معالم التنزيل وغيره عن زيد بن علي قال: لباس التقوى الآلات التي يبقى بها في الحرب كالدرع والمغفر والساعد والساقين، وذكر قول زيد الذي ذكره المصنف رحمه الله، ولم ينسبه لأحد وانظر روح المعاني للألوسي (١٠٤/٨)، البحر المحيط (٢٨٣/٤).

(٩) تقدم قبل قليل.

(١٠) انظر البيان لابن الأنباري (٣٥٨/١) والبغوي في التفسير (١٥٥/٢) والرازي في التفسير ٤٣/١٤ وانظر بحر العلوم للسمرقندي عند تفسير هذه الآية.

الجاهلية يتعبدون بالتعري في اللطواف بالبيت». ومن رفع: فعلى أنه مبتدأ، ومعناه على هذه القراءة ما قال قتادة والسدي: «لباس التقوى الإيمان»^(١). وقال عطية «العمل الصالح»^(٢). وقال سعيد بن جبير: «السمت الحسن»^(٣). وقال الكلبي العفاف^(٤).

والمعنى: لباس التقوى خير لصاحبه إذا أخذ به وأقرب له إلى الله تعالى مما خلق له من اللباس والرياش للتجميل، وقوله: ﴿ذلك من آيات الله﴾ أي إنزاله اللباس، وخلق له إياه مما يدل على التوحيد ﴿لعلهم يذكرون﴾ لكي يتعظوا. قوله: ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان﴾.

قال ابن عباس: «لا يخدعنكم» وعنه أيضاً: «لا يضلنكم»^(٥). ﴿كما أخرج أبويعكم من الجنة﴾ [يعني آدم وحواء]^(٦) ﴿ينزع عنهما لباسهما﴾ أضاف نزع اللباس إلى الشيطان وإن لم يتول ذلك، لأنه كان بسبب منه، فأسند ذلك إليه ﴿ليريهما سوءاتهما﴾ ليري آدم سوءة حواء، ويرى حواء سوءة آدم^(٧)، واللام في ﴿ليريهما﴾ لام العاقبة^(٨). وقوله: ﴿إنه يراكم هو وقبيله﴾ قال ابن عباس: «هو وولده»^(٩). وقال ابن زيد: «نسله»^(١٠) وقال ابن قتبية «أصحابه

(١) ذكره البغوي في التفسير (١٥٥/٢) والحافظ ابن كثير في التفسير (٣٩٦/٣)، والرازي في التفسير (٤٣/١٤) وأبو حيان في البحر عن ابن جريج (٢٨٣/٤) والألوسي في روح المعاني (١٠٤/٨) وأبو السعود بلا نسبة (٢٢٢/٣) وذكره السمرقندي في بحر العلوم عند تفسير الآية بلا نسبة. والسيوطي في الدر (٧٦/٣).

(٢) ابن الجوزي في زاد المسير (١٨٣/٣) معالم التنزيل للبغوي (١٥٥/٢) ذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٣٩٦/٣) الرازي في التفسير (٤٣/١٤) والألوسي في التفسير (١٠٤/٨) وأبو حيان في البحر عن ابن عباس (٢٨٣/٤) والقرطبي في التفسير (١٨٤/٧).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١٨٣/٣)، والبغوي عن عثمان بن عفان (١٥٥/٢) وذكره الرازي بلا نسبة (٤٣/١٤) وذكره أبو حيان في البحر عن عثمان وابن عباس (٢٨٣/٤) وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٣٩٦/٣) وانظر القرطبي (١٢١/٧) وذكره أبو السعود في التفسير بلا نسبة (٢٢٢/٣) ويؤيد هذا، الحديث الذي رواه الحافظ ابن جرير الطبري حيث قال حدثني المشي، حدثنا إسحاق بن الحجاج، حدثنا إسحاق بن إسماعيل عن سليمان بن أرقم، عن الحسن قال: رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه - على منبر رسول الله ﷺ - عليه قميص فوهي محلول الزر، وسمته يأمر بقتل الكلاب وينهى عن اللعب في الحمام، ثم قال: يا أيها الناس، اتقوا الله في هذه السراير، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: والذي نفس محمد بيده ما عمل أحد قط سراً إلا ألبسه رداء علانية، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ثم تلا هذه الآية «وريشاً» - ولم يقرأ: وريشاً - ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله، قال السمت الحسن الطبري في التفسير (٣٦٨، ٣٦٧/١٢) (١٤٤٤٦) والحافظ ابن كثير (٣٩٧/٣) وضعفه، وذكره السيوطي في الدر (٧٦/٣) وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١٨٣/٣) وذكره البغوي في التفسير (١٥٥/٢) وذكره أبو حيان عن ابن عباس في البحر (٢٨٣/٤) وذكره الرازي بلا نسبة (٤٤/١٤) وذكره أيضاً بلا نسبة السمرقندي في بحر العلوم. قال الحافظ ابن كثير (٣٩٧/٣) وكل هذه متقاربة. وقال أبو حيان في البحر (٢٨٣/٤) والأحسن أن يجعل عاماً فكل ما يحصل به الإتياء المشروع فهو من لباس التقوى.

(٥) ذكره البغوي بلا نسبة في تفسيره (١٥٥/٢) وذكره السمرقندي في بحر العلوم عند تفسير الآية، زاد المسير لابن الجوزي (١٨٤/٣) الخازن (٢٢٠/٢).

(٦) سقط في أ.

(٧) معالم التنزيل للبغوي (١٥٥/٢) وحكى الرازي ما ذهب إليه الواحدي هنا عن ابن عباس انظر التفسير (٤٥/١٤) ولكن الأليق بهذا المقام «ليري كلا منهما عورة نفسه».

(٨) انظر تفسير الفخر الرازي (٤٥/١٤). (٩) ذكره البغوي في التفسير (١٥٥/٢) والخازن في التفسير (٢٢٠/٢).

(١٠) أخرجه الطبري في التفسير (٣٧٧/١٢) وذكره السيوطي في الدر (٧٦/٣)، وعزاه لابن أبي حاتم وحكاها الرازي عن «الليث» في

وجنده»^(١) وقال مجاهد: قبيلة الجن والشياطين^(٢) «من حيث لا ترونهم» قال ابن عباس: «إن الله تعالى جعلهم يجرّون من ابن آدم مجرى الدم»^(٣)، وصدور بني آدم مساكن لهم، كما قال: «الذي يوسوس في صدور الناس»^(٤) فهم يرون بني آدم، وبنو آدم لا يرونهم^(٥) «وقال قتادة «والله، إن عدواً يراك من حيث لا تراه، لشديد المؤنة، إلا أن عصمه الله»^(٦) وقوله «إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون»^(٧) قال الزجاج: سلطناهم عليهم يزيدون في غيبتهم، كما قال: «إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين»^(٨) الآية^(٩)، وقوله: «وإذا فعلوا فاحشة» قال ابن عباس ومجاهد: يعني طوافهم بالبيت عراة، رجالاً ونساءً^(١٠)، وقال عطاء: يريد الشرك^(١١) وقال الزجاج: «الفاحشة ما يشتد قبحه من الذنوب»^(١٢) قوله «قل أمر ربي بالقسط» قال ابن عباس: «بلا إله إلا الله»^(١٣) وقال الضحاك: بالتوحيد^(١٤) وقال السدي: «بالعدل»^(١٥) وقال الزجاج: هذا رد لقولهم: «والله أمرنا بها»^(١٦) وقوله: «وأقيموا وجوهكم عند كل

(١) تفسير غريب القرآن ص(١٦٦)، وانظر البغوي (١٥٥/٢) وانظر تفسير أبي السعود (٢٢٢/٣) وتفسير الفخر الرازي (٤٥/١٤) وينحوه في البحر (٢٨٤/٤).

(٢) أخرجه الطبري في التفسير (٣٧٧/١٢) والبغوي في التفسير عن قتادة (١٥٥/٢) وانظر زاد المسير (١٨٤/٣).

(٣) كما ثبت في الخبر الصحيح المسند.

(٤) سورة الناس (٥).

(٥) ابن الجوزي في زاد المسير (١٨٤/٣) وانظر البحر المحيط (٢٨٤/٤)، والقرطبي (١٢٠/٧).

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧٦/٣) وعزاه لعبد بن حميد. وأبي الشيخ وذكره البغوي في تفسيره (١٥٥/٢) عن مالك بن دينار، وانظر الخازن (٢٢١/٢).

(٧) سورة مريم «٨٣».

(٨) معاني القرآن للزجاج (٣٢٩/٢) البغوي (١٥٥/٢) الرازي (٤٦/١٤).

(٩) أخرجه عنهما البغوي في التفسير (١٥٥/٢) وأخرجه الطبري عن مجاهد (٣٧٧/١٢) أثر (١٤٤٦٢)، وابن كثير في تفسيره (٣٩٨/٣) وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١٨٤/٣) والخازن بالبغوي (٢٢١/٢) والسيوطي في الدر (٧٧/٣) وعزاه لابن جرير الطبري، وابن المنذر، وأبي الشيخ عن ابن عباس، وذكره عن مجاهد، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم، وقال القرطبي في تفسيره: وهذا القول قول أكثر المفسرين، قال الرازي: اعلم أن في الناس من حمل الفحشاء على ما كانوا يجرمون من البحيرة والسائبة وغيرهما وفيهم من حمل على أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء والأولى أن نحكم بالتعميم والفحشاء عبارة عن كل معصية كبيرة، فيدخل فيه جميع الكبائر، واعلم أن ليس المراد منه أن القوم كانوا يسلمون كون تلك الأفعال فواحش ثم كانوا يزعمون أن الله أمرهم بها، فإن ذلك لا يقوله عاقل، بل المراد أن تلك الأشياء كانت في أنفسها فواحش، والقوم كانوا يعتقدون أنها طاعات وأن الله أمرهم بها. الرازي (٤٦/١٤) وانظر القرطبي (١٢٠/٧).

(١٠) ذكره البغوي في تفسيره (١٥٥/٢) وابن الجوزي في زاد المسير (١٨٥/٣) والقرطبي في تفسيره (١٢٠/٧) عن الحسن - انظر تفسير الخازن (٢٢١/٢).

(١١) معاني القرآن (٣٣٠/٢) وذكره البغوي في تفسيره (١٥٥/٢) بلا نسبة.

(١٢) ذكره البغوي (١٥٦/٢) والقرطبي في تفسيره (١٢١/٧) والرازي في تفسيره (٤٨/١٤) وانظر تنوير المقباس (٨٨/٢) روح المعاني (١٠٧/٨)، البحر المحيط (٢٨٧/٤).

(١٣) ذكره البغوي (١٥٦/٢) والألوسي في روح المعاني (١٠٧/٨) وأبو حيان في البحر (٢٨٧/٤) والخازن (٢٢٢/٢).

(١٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٧٧/١٢) وذكره البغوي في تفسيره (١٥٦/٢)، والرازي (٤٨/١٤) والألوسي في روح المعاني (١٠٧/٨) والخازن (٢٢١/٢) وذكره السيوطي في الدر المنثور عن مجاهد (٧٧/٣) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(١٥) معاني القرآن (٣٣٠/٢).

(١٦) ذكره البغوي (١٥٦/٢) وأبو حيان في البحر (٢٨٧/٤) وذكره القرطبي في تفسيره (١٢١/٧) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد

مسجد ﴿ قال مجاهد، والسدي: وجهوا وجوهكم حينما كنتم في الصلاة إلى الكعبة ^(١) ﴾ وادعوه مخلصين له الدين ﴿ وحدوه، ولا تشركوا به شيئاً ﴿ كما بدأكم تعودون ﴿ قال ابن عباس: «يُبْعَثُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا وَالْكَافِرُ كَافِرًا» ^(٢)، وقال سعيد بن جبير: «كما كتب عليكم تكونون» ^(٣) وقال القرظي: «من ابتداء الله خلقه على الشقاوة، صار إلى ما ابتداء عليه خلقه، وإن عمل بأعمال أهل السعادة، ومن ابتداء خلقه على السعادة، صار إلى ما ابتداء عليه خلقه، وإن عمل بأعمال أهل الشقاء، كيابليس، والسحرة» ^(٤)، وهذا القول اختيار القفال قال: «بدأكم في الخلق شقياً وسعيداً، وكذلك تعودون على الشقاء، والسعادة» ^(٥) ويدل على صحة هذه الأقوال ما حدثني إسماعيل بن أحمد الواعظ [شيخ الإسلام] ^(٦) أنا: محمد بن الفضل بن محمد السلمي أنا جدي أنا يوسف [بن موسى] ^(٧) أنا جرير، عن الأعمش عن أبي سفيان، عن جابر، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يبعث كل عبد على ما مات عليه». رواه مسلم ^(٨) عن قتبية، عن جرير.

وقال الحسن ومجاهد: «كما بدأكم، فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئاً، كذلك تعودون يوم القيامة أحياء» ^(٩). وهذا القول اختيار الزجاج، لأنه قال: احتج الله تعالى عليهم في إنكارهم البعث، فقال: ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ أي: فليس بعثكم بأشد من ابتدائكم ^(١٠) [واختاره أبو علي الفارسي] ^(١١) وقال: الآية من باب حذف المضاف، والتقدير كما بدأ خلقكم، ثم حذف المضاف، وقيل ﴿ كما بدأكم ﴾ قوله ﴿ تعودون ﴾ معناه يعود خلقكم، ثم حذف المضاف وصارت المخاطبة في الفعل، فقيل تعودون ^(١٢) وقوله: ﴿ فريقياً هدى ﴾ قال ابن عباس: «أرشد إلى دينه وهم أولياؤه» ^(١٣) ﴿ وفريقياً حق عليهم الضلالة ﴾ وهم أولياء الشيطان، فخذلهم الله، فصاروا أولياء لإبليس، ومعنى ﴿ حق عليهم الضلالة ﴾ أي: بالكلمة الأزلية، والإرادة السابقة ^(١٤).

= المسير (١٨٥/٣)، والخازن في تفسيره (٢٢٢/٢).

(١) ذكره الطبري في تفسيره (٣٨٢/١٢) (١٤٤٨٥) والبغوي في تفسيره (١٥٦/٢)، والرازي في تفسيره (٤٩/١٤) وذكره السيوطي في الدر (٧٧/٣) وزاد نسبه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٨٨/١٢) (١٤٤٨٦)، وابن كثير في تفسيره (٣٩٩/٣) والبغوي في تفسيره (١٥٦/٢) والخازن (٢٢٢/٢)، روح المعاني (١٠٨/٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٨٣/١٢) (١٤٤٨٣)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣٩٩/٣) والبغوي في تفسيره (١٥٦/٢) والبحر (٢٨٨/٤) والخازن (٢٢٢/٢) والألوسي في روح المعاني (١٠٨/٨)، والقرظي (١٢١/٧)، والسيوطي في الدر (٧٧/٣) وزاد نسبه لابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٤) معاني القرآن (٣٧٦/١). قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كما بدأكم أولاً كذلك يعيدكم آخراً، واختار هذا القول ابن جرير وأيده بما رواه من حديث سفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج كلاهما، عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «يا أيها الناس، إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا» كما بدأنا أول خلق نعيده، وعدأ علينا إنا كنا فاعلين - انظر تفسير الطبري (٣٨٥/١٢) (١٤٤٩٩) (١٤٥٠٠ - ١٤٥٠٢).

(٥) سقط في أ، ب. (٦) سقط في أ. (٧) أخرجه مسلم (٢٢٠٦/٤) (٨٣).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٨٥/١٢) (١٤٤٩٥) وذكره البغوي في تفسيره (١٥٦/٢) والرازي (٤٩/١٤).

(٩) معاني القرآن (٣٣١/٢).

(١٠) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان الإمام أبو علي الفارسي النحوي. المشهور أوحد زمانه في علم العربية، أخذ عن الزجاج وابن السراج، وقال كثير من تلامذته إنه أعلم من المبرد وكان متهماً بالاعتزال وصف الإيضاح في النحو والتكملة في التصريف. توفي ببغداد سنة سبع وسبعين وثلثمائة، ولم يقل شعراً إلا ثلاثة أبيات. انظر بغية الوعاة (٤٩٦/١ - ٤٩٧) إنباه الرواة (٢٧٣/١).

(١٢) زاد المسير (١٨٦/٣).

(١١) سقط في ج.

(١٣) قلت: ومعنى: (حق عليهم الضلالة) ثبتت لهم الضلالة ولزموها. ولم يقلعوا عنها، وذلك أن المخاطبين كانوا مشركين كلهم =

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُدُوًا زَيْتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زَيْتَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِيْنَ ءَامَنُوْا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطٰنًا وَأَنْ تَقُولُوْا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُوْنَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُوْنَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُوْنَ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زيتكم عند كل مسجد﴾.

أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد العطار نا: محمد بن عبد الله بن محمد الضبي نا: محمد بن يعقوب نا ابراهيم بن مرزوق^(١) نا: ابو داود الطيالسي نا: شعبة نا سلمة بن كهيل^(٢)، قال: سمعت مسلم البطين^(٣)، يحدث عن سعيد بن جبير، عن، ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت عريانة في الجاهلية، وعلى فرجها خرقة، وهي تقول:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أَجْلَهُ

فترلت هذه الآية ﴿خذوا زيتكم عند كل مسجد﴾.

رواه مسلم^(٤)، عن بندار، عن غندر، عن شعبة، قال ابن عباس: «أمرهم الله تعالى أن يلبسوا ثيابهم ولا

= فلما أمروا بأن يعبدوا الله مخلصين افرقوا فريقين: فريقاً هداه الله إلى التوحيد، وفريقاً لازم الشرك والضلالة، فلم يطرأ عليهم حال جديد وبذلك يظهر حسن موقع لفظ (حق) هنا دون أن يقال أضله الله، لأن ضلالهم قديم مستمر اكتسبوه لأنفسهم، كما قال تعالى في نظيره: ﴿فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ - ثم قال - ﴿إن تحرص على هداهم، فإن الله لا يهدي من يضل﴾ فليس تغيير الأسلوب بين (فريقاً هدى) وبين: (فريقاً حق عليهم الضلالة) تحاشياً عن إسناد الإضلال إلى الله، كما توهمه صاحب الكشاف، لأنه قد أسند الإضلال إلى الله في نظير هذه الآية وفي آيات كثيرة، ولكن اختلاف الأسلوب لاختلاف الأحوال.

(١) إبراهيم بن مرزوق بن دينار، الحافظ الحجة أبو إسحاق البصري نزيل مصر سمع أبا داود الطيالسي وعثمان بن عمر وطبقتهم، حدث عنه النسائي فيما ذكر الحافظ ابن عساكر وحده قال النسائي: صالح وقال ابن يونس: كان ثقة ثباتاً، مات في جمادى الآخرة سنة سبعين وميتين انظر سير أعلام النبلاء (١٢/٣٥٤ - ٣٥٥)، والجرح والتعديل (٢/١٣٧)، تهذيب التهذيب (١/١٦٣) ميزان الاعتدال (١/٦٥).

(٢) سلمة بن كهيل بن حصين الإمام الثبت الحافظ أبو يحيى الحضرمي ثم التميمي الكوفي، وتنته: بطن من حضرموت. دخل على ابن عمر، وعلى زيد بن أرقم، وحدث عن أبي جحيفة السوائي وجندب الجلي، وأبي الطفيل، وسويد بن غفلة، وسعيد بن جبير ومجاهد، والشعبي، وعدة، قال علي بن المديني: له مثنان وخمسون حديثاً، وقال أحمد بن حنبل: كان متقناً للحديث، وقال أحمد العجلي: تابعي ثقة ثبت في الحديث قال يحيى بن سلمة: ولد أبي في سنة سبع وأربعين، ومات يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين ومئة وقال أحمد بن حنبل: مات سنة إحدى وعشرين في آخرها يوماً. انظر سير أعلام النبلاء (٥/٢٩٨ - ٢٩٩)، طبقات ابن سعد (٦/٣١٦)، التاريخ الكبير (٤/٧٤)، التاريخ الصغير (١/٣١١) الجرح والتعديل (٤/١٧٠)، تهذيب التهذيب (٤/١٥٥).

(٣) مسلم بن عمران البطين، ويقال ابن أبي عمران، أبو عبد الله الكوفي، ثقة - انظر تقريب التهذيب (٢/٢٤٦).

(٤) إسناده المصنف حسن، والحديث صحيح أخرجه الطبري في التفسير (١٢/٣٩٠) (٤/١٤٥٠)، وأخرجه مسلم (٤/٢٣٢٠) في كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: ﴿خذوا زيتكم عند كل مسجد﴾ (٢٥/٣٠٢٨)، وأخرجه النسائي (٥/٢٣٣) في كتاب مناسك الحج، باب قوله عز وجل: «خذوا زيتكم» (٢٩٥٦) وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٣١٩) في كتاب التفسير سورة =

يتعروا^(١) وقال الكلبي: «الزينة ما وارى العورة عند كل مسجد، كطواف أو صلاة»^(٢)، وقال طاوس^(٣): لم يأمرهم بالحرير ولا الديداج^(٤)، ولكن كان أهل الجاهلية يطوف أحدهم بالبيت عريان، ففي ذلك يقول: ﴿خذوا زيتكم عند كل مسجد﴾ وهذا قول جماعة المفسرين^(٥)، وقوله: ﴿وكلوا واشربوا﴾ كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام في أيام حجهم إلا قوتاً، ولا يأكلون دسماً، يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون: نحن أحق أن نفعل، فقال الله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ بتحريم ما أحلت لكم من اللحم والدمس^(٦) ﴿إنه لا يحب المسرفين﴾ يعني الكافرين الذين فعلوا ذلك^(٧) قوله: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده﴾ أي من حرم أن تلبسوا في طوافكم ما يستركم؟ ﴿والطيبات من الرزق﴾ يعني ما حرموه على أنفسهم أيام حجهم من اللحم والدمس. ﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ قال الفراء^(٨): ﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ مشتركة، وهي لهم في الآخرة خالصة.

= الأعراف، وقال: صحيح الإسناد، ووقفه الذهبي - وانظر تفسير ابن كثير (٤٠١/٣) وانظر البغوي (١٥٤/٢، ١٥٧) وأبو حيان البحر (٢٨٩/٤) وذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه لابن أبي شيبة، ومسلم والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في سننه، عن ابن عباس. وذكره القرطبي في التفسير (١٢٢/٧) وذكره السمرقندي في تفسيره قبل هذا الموضوع بقليل. وذكره الألوسي في روح المعاني (١٠٩/٨) وذكره السيوطي في الدر (٧٨/٣) عن سعيد بن جبيرة وعزاه لعبد بن حميد.

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٣٩١/١٢) (١٤٥٠٨) وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٤٠١/٣) وابن الجوزي في زاد المسير (١٨٦/٣) بنحوه في تنوير المقباس (٨٩/٢) وذكره السيوطي في الدر (٧٨/٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم، وابن مردويه. (٢) ذكره البغوي في التفسير (١٥٧/٢) الخازن (٢٢٣/٢).

(٣) طاوس بن كيسان، الفقيه القدوة عالم اليمن، أبو عبد الرحمن الفارسي ثم اليمني الجندي الحافظ، كان من أبناء الفرس الذين جهزهم كسرى لأخذ اليمن له، سمع من زيد بن ثابت، وعائشة، وأبي هريرة، وزيد بن أرقم، وابن عباس، ولازم ابن عباس مدة، وهو معدود في كبراء أصحابه، وروى عن جابر وسراقة بن مالك، وابن عمر وعبد الله بن عمرو وعدة، وهو حجة باتفاق. وروى عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: إني لأظن طاوساً من أهل الجنة، وتوفي عام ستة ومئة. انظر سير أعلام النبلاء (٣٨/٥)، طبقات ابن سعد (٥٣٧/٥)، التاريخ الكبير (٣٦٥/٤) الجرح والتعديل (٥٠٠/٤) التاريخ الصغير (٢٥٢/١) حلية الأولياء (٣/٤)، تهذيب الأسماء واللغات (٢٥١/١)، تذكرة الحفاظ (٩٠/١) طبقات القراء (٣٤١/١)، شذرات الذهب (١٣٣/١).

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧٨/٣) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وروى أيضاً عن طاوس أنه قال: الشملة من الزينة ذكره أيضاً في الدر المنثور السابق، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد، وابن المنذر وأبي الشيخ. وانظر البحر المحيط (٢٨٩/٤).

(٥) انظر تفسير الطبري (٣٨٩/١٢) البحر المحيط (٢٨٩/٤) تفسير ابن كثير (٤٠١/٣) انظر الدر المنثور (٧٨/٣)، الفخر الرازي (٥٠/١٤) معالم البغوي (١٥٧/٢) روح المعاني (١٠٩/٨) - القرطبي (١٢٢/٧) زاد المسير (١٨٦/٣) بحر العلوم للسمرقندي انظر الآية.

(٦) انظر المعالم للبغوي (١٥٧/٢) أسباب النزول للمصنف رحمه الله ﷺ (٢٢٢) روح المعاني للألوسي (١١٠/٨) الرازي (٥١/١٤) البحر المحيط (٢٩٠/٤) ونحو هذا انظر الطبري (٣٩٤/١٢ - ٣٩٥) وابن كثير (٤٠٣/٣).

(٧) وهذا نهاية التهديد، لأن كل من لا يحبه الله تعالى بقي محروماً عن الثواب، لأن معنى محبة الله تعالى العبد بإصالة الثواب إليه، فعدم هذه المحبة عبارة عن عدم حصول الثواب، ومتى لم يحصل الثواب فقد حصل العقاب لانعقاد الإجماع على أنه ليس في الوجود مكلف لا يثاب ولا يعاقب. انظر الرازي (٥٢/١٤).

وقال الحافظ ابن كثير (٤٠٣/٣) عند تفسير هذه الآية: إن الله لا يحب المتعدين حده في حلال أو حرام الغالين فيما أحل أو حرم بإحلال الحرام وبتحريم الحلال، ولكنه يحب أن يحلل ما أحل، ويحرم ما حرم، وذلك العدل الذي أمر به.

(٨) انظر معاني القرآن (٣٧٧/١) الرازي (٥٤/١٤) وذكره البغوي في التفسير بلا نسبة (١٥٧/٢).

وهذا معنى قول ابن عباس^(١) والمفسرين: «شارك المسلمين المشركون في الطيبات في الحياة الدنيا، فأكلوا من طيبات طعامها، ولبسوا من خيار ثيابها، ونكحوا من صالح نساءها ثم يخلص الله تعالى الطيبات في الآخرة للذين آمنوا، وليس للمشركين فيها شيء» وقرأ نافع: «خالصة» رفعا على أنه خبر بعد خبر كما تقول زيد عاقل لبيب.

والمعنى: قل هي ثابتة للمؤمنين في الحياة الدنيا، خالصة يوم القيامة^(٢)، قوله: «وكذلك تفصل الآيات» نبيها «لقوم يعلمون» أي أنا الله لا شريك لي، قوله: «قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن» قال ابن عباس: «يريد سر الزنا، وعلانيته»^(٣) «والإثم» قال الضحاك: «الذنب الذي لا حد فيه»^(٤). وقال السدي: «الإثم المعصية»^(٥) وقال عطاء^(٦) «يريد الخمر»، قال ابن الأنباري^(٧): «الإثم لا يكون من أسماء الخمر، لأن العرب ما سمها وإنما قط، لا في الجاهلية ولا في الإسلام، ولكن قد تكون الخمر داخلة تحت الإثم كقوله: «قل فيهما إثم كبير»^(٨) «والبغي» ظلم الناس وهو أن يطلب ما ليس له و«وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا» قال مقاتل «ما لم ينزل به كتابا فيه حجة بأن معه شريكا»^(٩) «وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون» يعني من تحريم الحرب والأنعام في قول مقاتل^(١٠)، وقال غيره: «هذا عام في تحريم القول في الدين من غير يقين»^(١١) قوله: «ولكل أمة أجل» قال عطاء،

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٣٩٩/١٢) البغوي في التفسير (١٥٧/٢) البحر المحيط (٢٩١/٤) الرازي (٥٣/١٤) زاد المسير (١٨٩/٣).

(٢) حجة القراءات (٢٨١) وقرأ الباقون: «خالصة» نصبا على الحال كما نقول: المال لزيد خالصا، انظر الحجة المصدر السابق، والنشر لابن الجزري (٢٦٩/٢) إتحاف فضلاء البشر (٤٧/٢) البحر المحيط (٢٩١/٤) البغوي (١٥٧/٢) القرطبي (١٢٨/٧) الرازي (٥٤/١٤) انظر الدر المنثور (٨١/٣)، بحر العلوم للسمرقندي عند تفسير الآية.

(٣) تنوير المقباس (٩٠/٢) وذكره البغوي بلا نسبة (١٥٧/٢).

(٤) ذكره البغوي في التفسير (١٥٨/٢) ابن الجوزي (١٩١/٣) الخازن (٢٢٥/٢).

(٥) أخرجه الطبري في التفسير (٤٠٣/٢) (١٤٥٥٢)، والحافظ ابن كثير في التفسير (٤٠٤/٣) وابن الجوزي في زاد المسير (١٩١/٣) والخازن في التفسير (٢٢٥/٢) والبغوي (١٥٨/٢).

(٦) وبه قال ابن عباس والحسن البصري انظر روح المعاني (١١٢/٨) البغوي (١٥٨/٢) البحر المحيط (٢٩٢/٤) الخازن (٢٢٥/٢)، القرطبي (١٢٩/٧) الرازي (٥٥/١٤) أبو السعود (٢٢٤/٣) ابن الجوزي (١٩١/٣).

(٧) البيان (٣٦٠/١).

(٨) سورة البقرة «٢١٩» قلت: وممن ذهب إلى أن الإثم بمعنى الخمر الأصمعي، وقد استشهدوا بالشعر فأنشدوا: شربت الإثم حتى ضل عقلي كذا الإثم يذهب بالعقول وقال آخر: نشرب الإثم بالصواع جهارا وترى المسك بيننا مستعارا وقد أنكر جماعة أن يكون الإثم بمعنى الخمر، فقال القراء: الإثم ما دون الحد، والاستطالة على الناس. وقال النحاس: فإما أن يكون الإثم الخمر، فلا يعرف ذلك، وحقيقة الإثم أنه جميع المعاصي، كما قال الشاعر:

إنني وجدت الأمر أرشدني تقوى الإله وشره الإثم

وأنكره ابن العربي أيضاً وقال: «ولا حجة في البيت، لأنه لو قال شربت الذنب، أو شربت الوزر لكان كذلك، ولم يوجب قوله: أن يكون الذنب والوزر اسمان من أساء الخمر كذلك الإثم والذي أوجب التكلم بمثل هذا الجهل باللغة وبطريق الأدلة في المعاني، وقال أبو حيان: إن هذا التفسير غير صحيح هنا، لأن السورة مكية، ولم تحرم الخمر إلا بالمدينة بعد أحد، وقال عن البيت: وهو مصنوع مخلق، وقال الألويسي والمشهور أن ذلك من باب المجاز، لأن الخمر نسب الإثم - البحر المحيط (٢٩٢/٤) - القرطبي (١٢٩/٧) - روح المعاني (١١٢/٨).

(٩) ابن الجوزي (١٩٢/٣) والبغوي (١٥٨/٢) الخازن (٢٢٥/٢) والسمرقندي في بحر العلوم في تفسير الآية.

(١٠) البغوي (١٥٨/٢)، ابن الجوزي (١٩٢/٣).

(١١) وإليه الإشارة بقوله: «وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون» انظر الفخر الرازي (٥٦/١٤) وانظر البغوي في التفسير (١٥٨/٢) الخازن

والحسن، وابن عباس «يعني أجل الهلاك والعذاب» (١) ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ للعذاب لا يتأخرون ولا يتقدمون، حتى يعذبوا، وذلك حين سألوا النبي ﷺ العذاب، فأنزلت هذه الآية (٢).

يَبْنِيْ عَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِيْ لَا تَقْبَلُوهَا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾
وَالَّذِينَ كَذَبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيحُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا إِنَّا
مَا كُنْتُمْ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا فَنَنْفِسُهم أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ أَذْخَلُوا فِي
أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا
جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَبْتُمْ وَأَوْلَيْتُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِنَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأُخْرَبْتُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقضون عليكم آياتي﴾ قال ابن عباس: «فرائضي وأحكامي» (٣) ﴿فمن اتقى﴾ قال يريد اتقاني، وخافني، وأصلح ما بيني وبينه (٤) ﴿فلا خوف عليهم﴾ إذا خاف الناس ﴿ولا هم يحزنون﴾ إذا حزنوا، ثم ذكر المكذبين، فقال: ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ الآية قوله: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ أي ظلم أشنع من الكذب على الله؟ ومعنى ﴿افترى على الله كذباً﴾ قال: ابن عباس: «جعل له صاحبة وولداً وشريكاً» (٥)، ﴿أو كذب بآياته﴾ بالقرآن ﴿أولئك ينالهم نصيهم من الكتاب﴾ ما كتب لهم من العذاب، وقضي عليهم، وهو سواد الوجه، وزرقة العيون. قال عطية عن ابن عباس: كتب لمن يفترى على الله تعالى أن وجهه مسود (٦) واحتج بقوله: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ (٧)، وقال الربيع وابن زيد، والقرظي: نصيهم من الكتاب: ما كتب لهم من الأرزاق والأعمال والأعمار والآجال (٨). فإذا فنيت ﴿جاءتهم رسلنا يتوفونهم﴾ قال ابن عباس: «يعني الملائكة يقبضون

= في التفسير (٢٢٥/٢) وابن الجوزي في زاد المسير (١٩٢/٣).

(١) ذكره البغوي في التفسير (١٥٨/٢) وذكر ذلك السمرقندي عند تفسير هذه الآية بلا نسبة.

(٢) انظر البغوي (١٥٨/٢) الألوسي (١١٢/٨) زاد المسير (١٩٢/٣).

(٣) ذكره البغوي في التفسير (١٥٨/٢) وذكره القرطبي في التفسير (١٣٠/٧) بلا نسبة، والخازن (٢٢٦/٢) وقال الرازي في التفسير

(٥٧/١٤) قيل: القرآن، وقيل: الدلائل، وقيل: الأحكام والشرايع، والأولى دخول الكل فيه، لأن جميع هذه الأشياء آيات الله

تعالى، لأن الرسل إذا جاءوا فلا بد وأن يذكرها جميع هذه الأقسام.

(٤) انظر البغوي (١٥٨/٢) الخازن (٢٢٦/٢) القرطبي (١٣٠/٧) تنوير المقباس (٩٢/٢).

(٥) انظر تفسير البغوي (١٥٨/٢) والخازن (٢٢٦/٢).

(٦) ابن الجوزي (١٩٣/٣) والبغوي (١٥٩/٢) والسمرقندي في بحر العلوم عند تفسير الآية. الرازي في التفسير (٥٩/١٤) تنوير

المقباس (٩٢/٢) والطبري في التفسير (٤١٣/١٢) (١٤٥٨٨) وابن كثير في التفسير (٤٠٥/٣).

(٧) سورة الزمر «٦٠».

(٨) الطبري عن محمد بن كعب القرظي (٤١٣/١٢) (١٤٥٩٠) وابن كثير (٤٠٥/٣) وذكره الأخير أيضاً عن الربيع بن أنس، وابن =

أرواحهم^(١). ﴿قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله﴾ سؤال تبكيت وتقريع ﴿قالوا ضلوا عننا﴾ بطلوا وذهبوا ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ إعترفوا عند معاينة الموت، وأقروا على أنفسهم بالكفر. قوله تعالى: ﴿قال ادخلوا في أمم﴾ أي: قال الله لهم ادخلوا في أمم يعني مع أمم كافرة ﴿قد خلعت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة﴾ من هذه الأمم النار ﴿لعمت أختها﴾ يعني التي تسبقها إلى النار، وهي أختها في الدين لا في النسب، قال ابن عباس: «يريد يلعنون من كان قبلهم»^(٢) وقال الزجاج^(٣): «لعمت أختها، لأنهم ضل بعضهم باتباع بعض» ﴿حتى إذا ادركوا فيها﴾ تداركوا وتلاحقوا فيها ﴿جميعاً قالت أوراهاهم﴾ يعني آخرهم دخولاً النار، وهم الأتباع ﴿لأولاهم﴾ دخولاً [النار]^(٤) وهم القادة والرؤساء ﴿ربنا هؤلاء أضلونا﴾ قال ابن عباس: «لأنهم شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إلهاً»^(٥) ﴿فأنهم عذاباً ضعفاً من النار﴾ أضعف^(٦) عليهم العذاب، بأشد مما تعذبنا به ﴿قال﴾ الله تعالى: ﴿لكل ضعف﴾ أي: للتابع والمتبوع عذاب مضاعف، لأنهم قد دخلوا في الكفر جميعاً ﴿ولكن لا تعلمون﴾ ما لكل فريق [من الكافرين]^(٧) منكم من العذاب، ﴿وقالت أولاهم لأوراهاهم﴾ قالت الرؤساء للاتباع ﴿فما كان لكم علينا من فضل﴾ تخفيف من العذاب، لأنكم كفرتم كما كفرنا.

= الجوزي في زاد المسير (١٩٣/٣) والبيهقي في التفسير (١٥٩/٢) والخازن في التفسير ٢٢٦/٢ والرازي في التفسير ٥٩/١٤ وانظر البحر المحيط (٢٩٤/٤) الألوسي في التفسير (١١٥/٨) والقرطبي في التفسير (١٣٠/٧) وقال الحافظ ابن كثير في المصدر السابق: وهذا القول قوي في المعنى، والسياق يدل عليه قوله (حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) ويصير المعنى في هذا الآية كما في قوله: (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم لبنا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) .. يونس (٦٩، ٧٠).

- (١) انظر المعالم للبيهقي (١٥٩/٢) زاد المسير (١٩٣/٣) تنوير المقباس (٩٢/٢) القرطبي (١٣٠/٧) - الألوسي (١١٥/٨) - البحر المحيط (٢٩٥/٤) - بحر العلوم للسمرقندي عند تفسير الآية - أبو السعود (٢٢٦/٣).
- (٢) ابن الجوزي زاد المسير (١٩٤/٣) تنوير المقباس (٩٣/٢) القرطبي (١٣١/٧) - وانظر البيهقي (١٥٩/٢) - وانظر البحر المحيط (٢٩٥/٤) - وانظر الرازي (٦١/١٤).
- (٣) معاني القرآن (٣٣٦/٢) وانظر البحر المحيط (٢٩٥/٤).
- (٤) في ج (في النار).
- (٥) انظر الطبري (٤١٧/١٢).

(٦) والضعف على ما قال أبو عبيد، ونص عليه الشافعي في الوصايا - مثل الشيء مرة واحدة، وعن الأزهري: أن هذا المعنى عرفي، والضعف في كلام العرب وإليه يرد كلام الله تعالى المثل إلى ما زاد، ولا يقتصر على مثلين، بل هو غير محصور واختاره هنا غير واحد وقال الراغب: الضعف بالفتح مصدر، وبالكسر اسم كالشيء والثني، وضعف الشيء هو الذي يشبهه، ومتى أضيف إلى عدد اقتضى ذلك العدد مثله، نحو أن يقال: ضعف عشرة، وضعف مائة، فذلك عشرون ومائتان بلا خلاف، وعلى ذلك قول الشاعر:

جزيتك ضعف الورد لئنا اشتكيتيه وما أن جزاك الضعف من أحد قبلي

وإذا قيل: اعطه ضعفي واحد اقتضى ذلك الواحد ومثليه، وذلك ثلاثة، لأن معناه الواحد والبلدان يزواجه. هذا إذا كان الضعف مضافاً، فإذا لم يكن مضافاً قلقت: الضعفين فقد قيل: يجري مجرى الزوجين في أن كل واحد منهما يزواج الآخر فيقتضي ذلك اثنين، لأن كل واحد منهما يضاعف الآخر فلا يخرجان منهما.

انظر الألوسي (١١٦/٨) وانظر لسان العرب (٢٥٨٨/٤) ترتيب القاموس (٢٦/٣ - ٢٧) الصحاح (١٣٩٠ - ١٣٩١) مفردات الراغب (٤٣٨) وما بعدها - مجاز القرآن (٢١٤/١) تنبيه: قرأ أبو بكر (لكل ضعف ولكن لا يعلمون) بالياء إخبار عن غيب، المعنى ولكن لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر. وقرأ الباقون بالناء أي: ولكن لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل فريق منكم من العذاب حجة القراءات لابن زنجلة (٢٨١) الشر (٢٦٩/٢) إتحاف فضلاء البشر (٤٨/٢).

(٧) سقط في ج.

إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۖ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَتَرَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا مِنَّا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

قوله: ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي: بحججنا وأعلامنا التي تدل على نبوة الأنبياء، وتوحيد الله تعالى ﴿واستكبروا عنها﴾ ترفعوا عن الإيمان بها، والانقياد لها ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾^(١) أي لدعائهم، ولا لأعمالهم، ولا لشيء مما يريدون به الله تعالى، وقال الضحاك عن ابن عباس: ﴿لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء، وتفتح لأرواح المسلمين﴾^(٢): ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ السولوج: الدخول^(٣)، والسم: ثقب الإبرة والخياط: ^(٤) ما يخاط به، والمعنى: لا يدخلون الجنة أبداً، وذلك: أن الشيء إذا علق كونه بما لا يجوز كونه، استحال كونه، كما يقال: ﴿لا يكون هذا حتى يشيب الغراب ويبيض القار﴾ وكذلك نجزي المجرمين ﴿ومثل ما وصفنا نجزي من كذب بآياتنا واستكبر عن الإيمان بها، قوله: ﴿لهم من جهنم مهاد﴾ أي

(١) قرأ أبو عمرو (لا تُفْتَحُ) بالتاء، والتخفيف، وقرأ حمزة والكسائي بالياء والتخفيف، وقرأ الباقون بالتاء والتشديد وحجة التاء قوله: (وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) ذهبوا إلى جماعة الأبواب وحجة من قرأ بالياء هي أنه لما فصل بين المؤنث وبين فعله بفواصل صار الفاصل كالعرض من التانيث والتذكير، والتانيث في هذا النوع قد جاء بهما التنزيل فمن الأول قوله: ﴿لَنْ يَبَالَغَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَاؤِهَا﴾ ومن التانيث قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ ولو ذكر أو أنث فعل اللحم كان جائزاً حسناً فأما التشديد فإنه من التفتح مرة بعد مرة أخرى وهذا هو المختار لأنه عن جماعة وحجتهم قوله ﴿مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ ولم يقل: (مفتوحة) وقال: ﴿وَعُلِّقَتْ الْأَبْوَابُ﴾ ومن خفف دل على المرة الواحدة، ومعنى قوله: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ أي: لا يستجاب لهم دعاؤهم فتفتح لهم أبواب السماء انظر حجة القراءات (٢٨١ - ٢٨٢).

(٢) أخرجه الطبري في التفسير (٤٢١/١٢ - ٤٢٢) وبه قال السدي وغير واحد، ويؤيده ما قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن المنهال - هو ابن عمرو - عن زاذان عن البراء: أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح الفاجر، وأنه يصعد بها إلى السماء قال: فيصعدون بها فلا تمر على ملا من الملائكة إلا قالوا: (ما هذه الروح الخبيثة؟) فيقولون: (فلان) بأقبح أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى يتنهبوا بها السماء، فيستفتحون بابها له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ (لا تفتح لهم أبواب السماء) الآية. وهكذا رواه وهو قطعة من حديث طويل رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن المنهال بن عمرو به وقد رواه الإمام أحمد بطوله وانظر الطبري (٤٢٤/١٢) (١٤٦٢٤)، وانظر تفسير ابن كثير (٤٠٧/٣ - ٤٠٨) وذكره السيوطي في الدر المشور وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ. وانظر المعالم للبلغوي (١٦٠/٢) البحر المحيط (٢٩٧/٤) والقرطبي (١٣٢/٧). الرازي (٦٣/١٤).

(٣) انظر لسان العرب (٤٩١٣/٦) ترتيب القاموس (٦٥٤/٤) المفردات (٨٣٥).

(٤) وكل ثقب من عين أو أنف أو أذن أو غير ذلك، فهو سم، والجميع سموم انظر مجاز القرآن (٢١٤/١) لسان العرب (٢١٠٢/٣) ترتيب القاموس (٦١٨/٢) - المفردات (٣٥٢).

فراش، وهو كل ما يمهد^(١): أي يبسط ويفرش ﴿ومن فوقهم غواش﴾ وهي: كل ما يغشاك أي يستر^(٢). قال المفسرون^(٣): «هذا إخبار عن إحاطة النار بهم من كل جانب، فلهم منها غطاء، ووظاء، وفراش، ولحاف، وكذلك نجزي الظالمين﴾ قال ابن عباس: «يريد الذين أشركوا به، واتخذوا من دونه إلهاً»^(٤) قوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ ونُسح الإنسان: ما يقدر عليه، وليس معنى الوسع بذل المجهود وأقصى الطاقة، والله تعالى لم يكلف العباد ما يشق ويتعذر عليهم ولكنه كلفهم ما يطيقون، ولا يعجزون عنه، وقد قال معاذ بن جبل^(٥) في الآية: «إلا يسرها، لا عسرها، ولو كلفها طاقتها لبلغت مجهودها» وقوله ﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ فصل بين الابتداء والخبر بما ليس بأجنبي، لأنه لما ذكر عملهم الصالح ذكر أن ذلك العمل مما يسعهم ولا يعسر عليهم، قوله تعالى ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ النزع^(٦) قلع الشيء من مكانه، والغل: الحقد^(٧) الكامن في الصدور، والمعنى أذهبنا الأحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا وإلى هذا أشار علي رضي الله عنه، فقال: إني لأرجو أن أكون أنا، وعثمان وطلحة، والزيبر من الذين قال الله تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾^(٨).

أخبرنا عمرو بن أبي عمرو المزكي^(٩) أخبرنا محمد بن مكّي، أنا: محمد بن يوسف عن محمد بن إسماعيل نا: الصلت بن محمد^(١٠) نا: يزيد بن زريع في قوله: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ قال: حدثنا سعيد عن قتادة، وعن أبي المتوكل، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على

(١) انظر مجاز القرآن (٢١٤/١) وقال الأزهري: أصل المهد في اللغة الفرش يقال للفرش مهاده لمواتاته. لسان العرب (٤٢٨٦/٦) ترتيب القاموس (٢٩٠/٤) المفردات (٧٢٣).

(٢) مجاز القرآن (٢١٤/١) لسان العرب (٣٢٦١/٥) المفردات (٥٤١) ترتيب القاموس (٣٦٩/٣).

(٣) البغوي (١٦٠/٢) الخازن (٢٢٩/٢) البحر المحيط (٢٩٨/٤) تنوير المقياس (٩٥/٢) وعبر عنهم بالمجرمين تارة، وبالظالمين

(٤) ابن الجوزي في زاده (١٩٩/٣) والرازي في التفسير (٦٥/١٤) تنوير المقياس (٩٥/٢) وعبر عنهم بالمجرمين تارة، وبالظالمين أخرى إشعاراً بأنهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بكل واحد من ذنوب الوصفين القبيحين، وذكر الجرم مع الحرمان من دخول الجنة والظلم مع التعذيب على أنه أعظم الجرائم والجرائر.

(٥) ذكره الفخر الرازي في تفسيره عن معاذ (٦٥/١٤).

(٦) انظر لسان العرب (٤٣٩٥/٦) المفردات (٧٤٣).

(٧) قال أهل اللغة وهو الذي يغفل بلطفه إلى حميم القلب، أي: يدخل، ومنه الغلول، وهو الوصول بالحيلة إلى الذنوب الدقيقة، ويقال: انغل في الشيء وتغلل فيه إذا دخل فيه بلطافة كالحب يدخل في حميم الفؤاد. انظر لسان العرب (٣٢٨٥/٥) الصحاح (١٧٨٣/٥) المفردات (٥٤٤).

(٨) أخرجه الطبري في التفسير (٤٣٨/١٢) (١٤٦٦٢)، (١٤٦٦١)، وابن كثير في التفسير (٤١١/٣)، الرازي في التفسير (٦٦/١٤) القرطبي (١٣٣/٧) البحر المحيط (٢٩٨/٤) ابن الجوزي (١٩٩/٣) البغوي (١٦٠/٢) أبو السعود (٢٢٨/٣) بحر العلوم للسمرقندي عند تفسير هذه الآية الألويسي (١٣٠/٨) وذكره السيوطي في الدر (٨٥/٣) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٩) عمرو بن أبي عمرو وإسحاق بن مرار الشيباني وقد أخذ علم أبيه وتصدر للقراءة عليه وأبوه حي، مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين وقال الأزهري: مات سنة اثنين وثلاثين ومائتين. انظر معجم الأدباء (٧٣/١٦ - ٧٤). بغية الوعاة (٢٢٨/٢).

(١٠) الصلت بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي المغيرة المحدث أبو همام الخاركي البصري الثقة. وخارك: ساحل البصرة. قال أبو حاتم: صالح الحديث. وذكره ابن حبان في الثقات. انظر سير أعلام النبلاء (١٠/٤٢٦ - ٤٢٧)، التاريخ الكبير (٤/٣٠٤)، الجرح والتعديل (٤/٤٤١)، اللباب (١/٤١٠) الكاشف (٢/٣١)، تهذيب التهذيب (٤/٤٣٥).

قنطرة بين الجنة والنار، فيُقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقوا، أُذن لهم في دخول الجنة. والذي نفسي بيده لأحدهم أهدي بمنزلة في الجنة منه بمنزلة كان في الدنيا^(١) وقوله: ﴿وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ إذا استقر أهل الجنة في منازلهم قالوا: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ أي: لهذا الثواب، بما وفقنا له من العمل الذي أدى إلى هذا^(٢)، وهذا معنى قول الزجاج^(٣) «هدانا لما صبرنا إلى هذا». وقوله: ﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ دليل على أن المهتدي من هداه الله، وأن من لم يهده الله لم يهتد، وقوله: ﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ [هذا من قول أهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عياناً، قالوا: لقد جاءت رسل ربنا بالحق]^(٤) ﴿ونودوا أن تلکم الجنة﴾ قيل لهم هذه تلکم الجنة التي وعدتم بها في الدنيا^(٥)، ﴿أورثموها﴾ أوتيتم ميراثاً من الكفار بإيمانكم وكفرهم، وذلك أنه ما من أحد إلا وله منزل في الجنة، ثم يقال لأهل الكفر يوم القيامة بعد ما يرون منازلهم في الجنة هذه منازلکم لو عملتم بطاعة الله، ثم يقال يا أهل الجنة، رثوهم بما كنتم تعملون، فيقسم بين أهل الجنة منازلهم.

أخبرنا سعيد بن محمد الزاهد المطوعي^(٦)، أنا جدي أنا: أبو عمرو أحمد بن محمد الجرشي^(٧)، نا: محمد بن علي الوارق^(٨)، نا يوسف بن يعقوب الصفار نا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد إلا وله منزل في الجنة، ومنزل من النار، فأما الكافر فإنه يرث المؤمن في منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة»^(٩) فذلك قوله: ﴿تلکم الجنة أورثموها بما كنتم تعملون﴾ قال ابن عباس: «توحدون الله تعالى وتقومون بفرائضه»^(١٠).

(١) والحديث أخرجه البخاري (١١٥/٦) في كتاب المظالم باب قصاص المظالم (٢٤٤٠) (٦٥٣٥) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٠٤/٢) (١١٨٦/٢١٢)، وأخرجه أحمد في المسند ١٣/٣، ٥٧، ٦٣، ٧٤، والطبري في التفسير ٣٧/١٤ من طرق عن قتادة به، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة باب حشر الناس، ١٨٠/٢ (٣٣٩) وابن منده في كتاب الإيمان (٧٩٣/٣) والبغوي في شرح السنة ١٩٦/١٥ وفي التفسير (١٦٠/٢ - ١٦١).

(٢) في ب، ج (هدانا).

(٤) سقط في أ.

(٣) معاني القرآن ٣٣٩/٢.

(٥) ذكر الزجاج في كلمة (أن) هاهنا وجهين: الأول: أنها مخففة من الثقيلة، والتقدير (أنه) والضمير للشأن، والمعنى: تودوا بأنه تلکم الجنة أي نودوا بهذا القول والثاني: قال: وهو الأجود عندي أن تكون (أن) في معنى تفسير النداء، والمعنى: ونودوا، أي تلکم الجنة، والمعنى: قيل لهم تلکم الجنة كقوله (وانطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا) ص (٦) يعني أي امشوا. قال: إنما قال (تلکم) لأنهم وعدوا بها في الدنيا، فكانه قيل لهم هذه تلکم التي وعدتم بها. انظر الرازي (٦٧/١٤). وانظر البحر المحيط (٣٠٠/٤) روح المعاني (١٢١/٨) وأبو السعود (٢٢٩/٣) القرطبي (١٣٤/٧).

(٦) المطوعي: بضم الميم، وتشديد الطاء المهملة وفتحها، وكسر الواو وفي آخرها العين المهملة، وهذه النسبة إلى المطوعة، وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو والجهاد وربطوا في الثغور وتطوعوا بالغزو فقصدهم الغزو في بلاد الكفر انظر الأنساب ٣٢٦/٥ - ٣٢٧.

(٧) أبو عمرو الحيري الحافظ الإمام الرحال أحمد بن محمد بن أحمد بن حفص بن مسلم النيسابوري، سبط أحمد بن عمرو الحرشي، وكان شيخ نيسابور في الحشمة والثروة والتركية. مات في ذي القعدة سنة سبع عشرة وثلاث مائة. انظر تذكرة الحفاظ (٧٩٨/٣ - ٧٩٩)، سير أعلام النبلاء (٤٩٢/١٤).

(٨) الوراق: بفتح الواو وتشديد الراء وفي آخرها القاف، هذا اسم لمن يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها. وقد يقال لمن يبيع الورق - هو الكاغد - ببغداد: الوراق أيضاً. انظر الأنساب (٥٨٤/٥).

(٩) أخرجه البخاري ١١٥/٥ في كتاب المظالم باب قصاص المظالم (٢٤٤٠، ٦٥٣٥). وأحمد في المسند ٦٣/٣ وانظر ابن الجوزي في الزاد (٢٠٠/٣) والسيوطي في الدرر (١٠١/٤).

(١٠) وذهب أهل التفسير أنه بسبب مطلق الأعمال، فبمطلقها نالهم الرحمة فبلغوا الجنة وقال الحافظ ابن كثير (٤١٢/٣) وإنما وجب =

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ
بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾

قوله: ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً﴾ قال ابن عباس: «وجدنا ما وعدنا ربنا في الدنيا من الثواب حقاً»^(١). ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً﴾ وهذا سؤال تعبير وتقريب ﴿قالوا نعم﴾ وقرأ الكسائي: نعم: بكسر العين^(٢) وهما لغتان في بعض الكلام، والمعروف بفتح العين^(٣) ﴿فأذن مؤذن بينهم﴾ فنادى مناد أسمع الفريقين ﴿أن لعنة الله على الظالمين﴾ وقرئ: مخففاً (أن لعنة الله) رفعاً^(٤)، على معنى أنه لعنة الله، ثم حذف الإضمار، وخففت، كقوله: ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾^(٥) ثم وصف الظالمين فقال: ﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ يمنعون الناس عن طاعة الله ﴿ويبغونها عوجاً﴾ قال ابن عباس: «يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله»^(٦) ﴿وهم بالآخرة﴾ أي بالدار الآخرة والمصير إلى الله ﴿كافرون﴾.

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوُا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ
يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

﴿وبينهما﴾ يعني بين أهل الجنة وأهل النار ﴿حجاب﴾ وهو الأعراف التي قال الله تعالى فيها ﴿وعلى

= الحمل على هذا لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ واعلموا أن أحدكم لن يدخله عمله الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل وانظر البحر المحيط (٣٠٠/٤) القرطبي (١٣٤/٧) الرازي (٦٨/١٤).
(١) ذكره البغوي بلا نسبة (١٦١/٢) والرازي في التفسير عن ابن عباس (٦٩/١٤) وانظر تنوير المقباس (٩٦/٢) وانظر الدر المنثور (٨٦/٣).

(٢) وحجته في ذلك ما روي في الحديث: أن رجلاً لقي النبي ﷺ بمنى فقال (أنت الذي يزعم أنه نبي)؟ فقال (نعم) بكسر العين. وروي أيضاً أن عمر سأل رجلاً شيئاً فقال (نعم) فقال قل (نعم) إنما النعم الإبل. وقرأ الباقون نعم بالفتح وهما لغتان، المحجة لابن زنجلة (٢٨٢) النشر لابن الجزري (٢٦٩/٢) إتحاف فضلاء البشر (٤٩/٢) البغوي (١٦١/٢) البحر المحيط (٣٠٠/٤) القرطبي (١٣٤/٧) الرازي - (٧٠/١٤) الألويسي (١٢٢/٨) أبو السعود (٢٢٩/٣).

(٣) يقصد المصنف رحمه الله المشهور ولا عبرة بمن أنكر الكسر وهي لغة نسبت إلى كنانة وهذيل، وأثبتها أهل اللغة بالنقل الصحيح، أما قول عمر لا أراه صحيحاً لما فيه من المخالفة لأصح الفصح.

(٤) قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بإسكان التون مخففة ورفع لعنه على (أن) مخففة من الثقيلة اسمها ضمير الشأن (لعنة) مبتدأ، والظرف بعده خبره، والجملة خبر (أن) وافقهم اليزيدي وابن محيصن من الفردة وقرأ الأخوان (وهما حمزة والكسائي) وابن عامر والبيزي أن لعنة الله يتقبل أن ونصب لعنة وقرأ عصمة عن الأعمش أن بكسر الهمز والتثنية، ونصب لعنة على إضمار القول أو اجراء أذن مجرى قال.

إتحاف فضلاء البشر (٤٩/٢ - ٥٠) البحر المحيط (٣٠١/٤) النشر (٢٦٩/٢) حجة القراءات (٢٨٣) البغوي (١٦١/٢) الرازي (٧١/١٤) روح المعاني (١٢٣/٨). القرطبي (١٣٤/٧).

تنبيه: قال الواحدي: من شدد فهو الأصل، ومن خفف أن فهي مخففة من الشديدة على إرادته إضمار القصة.

(٥) سورة يونس ١٠ وانظر كلام الواحدي في الرازي (٧١/١٤).

(٦) والموج: بكسر العين في الدين والأمر والأرض وكل ما لم يكن قائماً وبالفتح في كل ما كان قائماً كالحائط والرمح ونحوهما.

المعالم للبغوي (١٦٢/٢) روح المعاني (١٢٣/٨) أبو السعود (٢٢٩/٣) والأثر عند البغوي المصدر السابق.

الأعراف ﴿ وهي جمع عرف وهو كل عال^(١) مرتفع، قال ابن عباس: «يريد سور الجنة» وهو سور بين الجنة والنار^(٢) وقوله: ﴿رجال﴾ قال ابن عباس والمفسرون: «هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فمنعتهم حسناتهم من النار ومنعتهم سيئاتهم من الجنة، فيقومون على سور الجنة، ثم يدخلهم الله الجنة برحمته، وهم آخر من يدخل الجنة»^(٣) وقوله: ﴿يعرفون كلاً بسيماهم﴾ يعرفون أصحاب الجنة ببياض وجوههم، وأهل النار بسواد وجوههم، لأن موضعهم مرتفع، فهم يرون الفريقين ﴿ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾ إذ نظروا إلى أهل الجنة سلموا عليهم ﴿لم يدخلوها﴾ لم يدخلوا الجنة ﴿وهم يطمعون﴾ في دخولها، قال حذيفة: «لم يكن الله ليخيب طمعهم»^(٤) وقال الحسن: «والله ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريد بها بهم»^(٥) ﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار﴾ التلقاء جهة اللقاء، وهي جهة المقابلة^(٦)، يقال: هو تلقاؤك كقولك هو حذاءك^(٧)، قال الكلبي: «إذا نظروا إلى أهل النار تعوذوا بالله منها وقالوا: ﴿ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾»^(٨).

(١) قال أبو عبيدة: على بناء سور لأن كل مرتفع من الأرض عند العرب أعراف قال:

كل كنانز لَحْمه نِيف كالعَلَم المُوفى على الأعراف

وقال الشماخ:

وظلّت بأعراف تعالي كأنها رماح نحاهما وجهة الريح راكز

مجاز القرآن (٢١٥/١) وانظر اللسان (٢٨٩٨/٤) المفردات للراغب (٤٩٧). وانظر الطبري (٤٤٩/١٢).

(٢) أخرجه الطبري ٤٥١/١٢ (١٤٦٧٩) وذكره ابن كثير ٤١٤/٣ وذكره البغوي بلا نسبة في التفسير ١٦٢/٢ تنوير المقباس ٩٦/٢

الرازي في التفسير ٧٢/١٤ وحكاها السمرقندي في تفسيره عن ابن قتيبة انظر بحر العلوم عند هذه الآية.

(٣) الطبري ٤٥٣/١٢ (١٤٦٨٦)، ٤٥٤/١٢ البغوي ١٦٢/٢ القرطبي ١٣٥/٧ وانظر بحر العلوم للسمرقندي عند تفسيره للآية. انظر

تفسير ابن كثير ٤١٤/٣ الرازي ٧٢/١٤ البحر المحيط ٣٠١/٤ روح المعاني ١٢٣/٨ - ١٢٤ أبو السعود ٢٣٠/٣ وذكره السيوطي

في الدر المنثور ٨٧/٣ وعزه لعبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وهناد بن السري، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن

أبي حاتم، وأبي الشيخ، والبيهقي في البعث، قلت وممن نص على هذا القول سيدنا حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد

من السلف والخلف رحمهم الله وقد جاء في حديث مرفوع رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن إسماعيل حدثنا

عبيد بن الحسين، حدثنا سليمان بن داود حدثنا النعمان بن عبد السلام، حدثنا شيخ لنا يقال له: أبو عباد، عن عبد الله بن

محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله ﷺ عن استوت حسناته وسيئاته فقال: (أولئك أصحاب الأعراف لم

يدخلوها وهم يطمعون). وهذا حديث غريب من هذا الوجه، ورواه من وجه آخر عن سعيد بن سلمة بن أبي الحسام عن محمد بن

المنكدر عن رجل من مزينة. انظر التفسير لابن كثير (٤١٤/٣). وانظر الدر المنثور (٨٧/٣).

(٤) انظر الخازن (٢٣٤/٢) وبنحوه الرازي ٧٥/١٣ وبنحوه عند البغوي (١٦٣/٢).

(٥) أخرجه الطبري في التفسير (٤٦٥/١٢) (١٤٧٢٩) وابن كثير (٤١٧/٣)، والبغوي في التفسير (١٦٣/٢) عن أبي العالية، الخازن

(٢٣٤/٢). وذكره السمرقندي في بحر العلوم عند تفسير الآية. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨٩/٣) وعزه لعبد الرزاق، وابن

جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٦) ولذلك كان ظرفاً من ظروف المكان.

(٧) وهو في الأصل مصدر استعمل ظرفاً، ونقل الواحدي عن ثعلب عن الكوفيين والمبرد عن البصريين أنهما قالوا: لم يأت من

المصادر على تفعال إلا حرفان تبيان وتلقاء فإذا تركت هذين استوى ذلك القياس، فقلت في كل مصدر تفعال بفتح التاء مثل تسيار

وترسال، وقلت في كل اسم تفعال بكسر التاء مثل تمثال وتقصار ومعنى الآية: أنه كلما وقعت أبصار أصحاب الأعراف على أهل

النار تضرعوا إلى الله تعالى في أن لا يجعلهم من زمريهم والمقصود من جميع هذه الآيات التخويف، حتى يقدم المرء على النظر

والاستدلال ولا يرضى بالتقليد، ليفوز بالدين الحق، فيصل بسببه إلى الثواب المذكور في هذه الآيات، ويتخلص عن العقاب

المذكور فيها. الرازي (٧٥/١٤).

(٨) انظر معالم التنزيل (١٦٣/٢) الخازن في التفسير (٢٣٤/٢) روح المعاني (١٢٥/٨).

وَنَادَى أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْلُوا الَّذِينَ
أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾

قوله: ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم﴾ ينادي أصحاب الأعراف قوماً من أهل النار رؤساء المشركين، فيقولون لهم: ﴿ما أغنى عنكم جمعكم﴾ الأموال واستكباركم عن عبادة الله ثم يرون في الجنة جماعة من ضعفاء المسلمين وفقراءهم، [وهم] ^(١): مثل بلال، صهيب، عمار، خباب، فيقولون للمشركين ﴿أهلؤا الذين أقسمتم﴾ حلفتهم وأنتم في الدنيا ﴿لا ينالهم الله برحمة﴾ وهذا استفهام إنكار، ثم يقول الله تعالى لأصحاب الأعراف ﴿ادخلوا الجنة لا خوف عليكم﴾ حين يخاف أهل النار ﴿ولا أنتم تحزنون﴾ حين يحزنون.

وَنَادَى أَصْحَابَ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا
عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ
كَمَاسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِتَابِينَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

قوله: ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة﴾ الآية قال عطاء: عن ابن عباس: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار بفرج بعد اليأس فقالوا: يا رب إن لنا قرابات من أهل الجنة، فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فنظروا إلى قرابتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم، فعرفوهم، ونظر أهل الجنة إلى قرابتهم من أهل جهنم، فلم يعرفوهم، قد اسودت وجوههم، وصاروا خلقاً آخر، فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، وأخبروهم بقرابتهم ^(٢) ﴿أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾ قال السدي، وابن زيد: «يعني الطعام» ^(٣) قال الزجاج: أعلم الله تعالى أن ابن آدم غير مستغن عن الطعام والشراب وإن كان معذباً، فأعلمهم أهل الجنة أن الله حرم طعامهم وشرابهم على أهل النار بقولهم ﴿إن الله حرهما على الكافرين﴾ ^(٤) وهذا تحريم منع ^(٥)، لا تحريم تعبد.

أخبرنا عمر بن محمد بن عمر المارودي أنا: أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن حمدويه، نا: أبو بكر محمد بن

(١) سقط في أ.

(٢) البغوي في التفسير (١٦٣/٢ - ١٦٤) الخازن (٢٣٥/٢) ابن الجوزي في زاد المسير (٢٠٨/٣)، أبو حيان في البحر (٣٠٤/٤) - (٣٠٥)، القرطبي (١٣٨/٧) الرازي (٧٦/١٤).

(٣) أخرجه الطبري (٤٧٣/١٢) (١٤٧٤٩) وابن كثير (٤١٩/٣) وانظر البغوي (١٦٣/٢) وابن الجوزي في زاد المسير (٢٠٨/٣) الألويسي (١٢٦/٨) البحر المحيط (٣٠٥/٤). وذكره السيوطي في الدر (٩٠/٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) معاني القرآن ٣٤٤/٢ وذكر قول الزجاج السمرقندي في بحر العلوم عند هذه الآية: وانظر البحر المحيط (٣٠٥/٤).

(٥) كقول القائل:

حرام على عيني أن تطعما الكرى

انظر البحر المحيط (٣٠٥/٤) وقال الألويسي (١٢٦/٨) أي منع كلاً منهما، أو منعهما منع المحرم عن المكلف، فلا سبيل إلى ذلك قطعاً ولا يحمل على معناه الشائع، لأن الدار ليست بدار تكليف.

منصور الشيعي^(١)، نا نصر بن على الجهضمي، نا: موسى بن المغيرة^(٢)، نا: أبو موسى الصفار^(٣)، قال: سألت ابن عباس: أو سئل أي الصدقة أفضل؟ فقال: قال رسول الله ﷺ «أفضل الصدقة الماء، أما رأيت أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة: قالوا أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله»^(٤). أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبيد الله الشيباني^(٥)، أنا إبراهيم بن رجاء، أنا عبد الله بن محمد البغوي^(٦)، نا كامل بن طلحة^(٧) نا: ابن لهيعة، نا أبو قبيل عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: «من سقى مسلماً شربة من ماء باعده الله بها من النار بقدر شوط^(٨) فرس^(٩)».

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أنا: أبو عمرو بن مطر، أنا: أبو الحسن محمد بن الحسين بن سماعة الحضرمي، نا: عبيد الله بن موسى، نا موسى بن عبيدة^(١٠)، عن أيوب بن خالد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ وسلم قال: من سقى شربة من ماء، حيث يقدر على الماء، أعطاه الله بكل شربة سبعين ألف حسنة، وإذا سقاها حيث لا يقدر على الماء، فكأنما أعتق عشر رقاب من ولد إسماعيل^(١١).

وروي سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله: ﴿أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾ قال: «ينادي الرجل أخاه، يا أخي، قد احترقت فأغثنى، فيقول: إن الله حرهما على الكافرين»^(١٢).

- (١) أبو بكر محمد بن منصور النضر بن إسماعيل، المعروف بابن أبي الجهم الشيعي قال ابن ماکولا: هو من شيعة بني العباس، وقال أبو بكر الخطيب: هو من شيعة المنصور. مات سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة. انظر الأنساب (٥٠٢/٣ - ٥٠٣).
- (٢) موسى بن المغيرة عن أبي موسى الصفار مجهول، وشيخه لا يعرف. انظر ميزان الاعتدال (٢٢٤/٤).
- (٣) أبو موسى الصفار مجهول، انظر ميزان الاعتدال (٥٧٨/٤).
- (٤) إسناده ضعيف لجهالة موسى بن المغيرة، وأبو موسى الصفار كما تقدم آنفاً والحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده (٧٧/٥) (٢٦٧٣/٣٤٦) وذكره الهيثمي في المجمع (١٣١/٣، ١٣٢) باب سقي الماء، وقال رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط، وفيه موسى بن المغيرة، وهو مجهول. وذكره الذهبي في الميزان (٢٢٤/٤) (٨٩٢٩). وأخرجه ابن كثير في التفسير ٤٢٠/٣ عن ابن أبي حاتم، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨٩/٣ - ٩٠) وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب. وله شواهد عند أحمد من حديث سعد بن عباد انظر الدر المنثور المصدر السابق.
- (٥) هذه النسبة إلى شيبان قبيلة من بكر بن وائل. انظر الأنساب (٤٨٢/٣).
- (٦) عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، أبو القاسم البغوي الحافظ الصدوق، مسند عصره، وتكلم قوم فيه، ونسبوه إلى الكذب. مات ليلة الفطر سنة سبع عشر وثلاثمائة رحمه الله. انظر ميزان الاعتدال (٤٩٢/٢ - ٤٩٣).
- (٧) كامل بن طلحة الجحدري. شيخ مشهور حدث عنه البغوي والناس. قال أبو حاتم وغيره: لا بأس به. وقال أحمد بن حنبل: ما أعلم أحداً يدفعه بحجة. حديثه مقارب ولد ستة خمس وأربعين ومائة. وثقه أحمد والدرقاظني، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، ومات سنة إحدى وثلاثين ومائتين. انظر ميزان الاعتدال (٤٠٠/٣).
- (٨) قال ابن منظور قال الأصمعي: شاط شوط شوطاً إذا عدا شوطاً إلى غاية وقد عدا شوطاً أي طلقاً. انظر لسان العرب (٢٣٦٠/٤)، ترتيب القاموس (٧٥٧/٢).
- (٩) والحديث في إسناده ابن لهيعة وفيه مقال انظر الكلام عليه في تحقيقنا على شرح السنة للبغوي.
- (١٠) موسى بن عبيدة بن نسط الزندي أبو عبد العزيز المدني ضعيف، وكان عابداً مات سنة ثلاث وخمسين ومائة، انظر تقريب التهذيب (٢٨٦/٢)، ميزان الاعتدال (٢١٣/٤). ابن معين (٥٩٣/٢) لسان الميزان (٤٠٤/٧).
- (١١) إسناده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة الزندي كما تقدم آنفاً والحديث أخرجه ابن ماجه بنحوه (٨٢٦/٢) في كتاب الرهون باب المسلمون شركاء في ثلاث (٢٤٧٤) وقال البوصيري إسناده - يقصد إسناده ابن ماجه - ضعيف لضعف علي بن زيد. وذكره الهيثمي في المجمع (١٣٣/٣) وعزاه للطبراني في الأوسط، وذكره المنذري في الترغيب (٧٦/٢) وذكر ابن الجوزي في الموضوعات بنحوه (١٧٠/٢) وانظر الفوائد المجموعة للشوكاني (٧٣، ١٨٦) وابن عراق في تنزيه الشريعة (١٣٩/١).
- (١٢) أخرجه الطبري في التفسير (٤٧٣/١٢ - ٤٧٤) (١٤٧٥١) وروي من وجه آخر عن سعيد بن ابن عباس مثله ابن كثير (٤١٩/٣) =

أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمر النيسابوري، أنا حمزة بن شبيب المعمرى، أنا عمرو بن عبد الله البصري، أنا محمد بن عبد الوهاب أنا جعفر بن عون، أنا: موسى بن عبيدة، أخبرنا محمد بن كعب القرظي بلغني أنه لما اشتكى أبو طالب^(١)، شكواه التي قبض فيها، قالت له قريش يا أبا طالب أرسل إلى ابن أخيك، فيرسل إليك من هذه الجنة التي ذكر شيئاً يكون لك شفاء، فخرج الرسول، حتى وجد رسول الله ﷺ، وأبا بكر جالسا معه، فقال: يا محمد إن عمك يقول لك: يا ابن أخي، إني كبير ضعيف سقيم، فأرسل إلي من جنتك هذه التي تذكر من طعامها وشرابها شيئاً يكون لي فيه شفاء، فقال أبو بكر: إن الله حرهما على الكافرين، فرجع إليهم الرسول فأخبرهم، فقال: بلغت محمد الذي أرسلتوني به، فلم يجر إلي شيئاً، وقال: أبو بكر إن الله حرهما على الكافرين، فحملوا أنفسهم عليه، حتى أرسل رسولاً من عنده فوجده الرسول في مجلسه فقال له مثل ذلك فقال رسول الله ﷺ: «إن الله حرهما على الكافرين طعامها وشرابها»^(٢). قوله: «الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً» قال ابن عباس: «يريد المستهزئين»^(٣).

والمعنى: تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم، واستهزؤوا به «فاليوم ننسأهم» قال ابن عباس: «تتركهم في جهنم»^(٤). «كما نسوا لقاء يومهم هذا» كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، يعني تركهم العمل بطاعة الله لذلك اليوم «وما كانوا بآياتنا يجحدون» ما: في موضع جر، بالعطف على: ما في قوله كانوا وما بمعنى: المصدر، أي ولجحدهم بآياتنا.

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ سَوَّاهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾

قوله: «ولقد جئناهم بكتاب» يعني القرآن، «فصلناه على علم» بيناه بعلم لم يقع منا فيه سهو ولا غلط «هدى ورحمة» قال الزجاج^(٥): أي: «فصلناه هادياً وذو رحمة» «لقوم يؤمنون» به وهذا يدل على أن القرآن جعل هدى لقوم أريد به هدايتهم دون غيرهم ممن كذب به، قوله: «هل ينظرون» أي ما ينظرون إلا تأويله، يريد عاقبته، وما وعد الله فيه من البعث والنشور، والعقاب والحساب، والمعنى كأنهم ينتظرون ذلك وإن كانوا جاحدين،

= ابن الجوزي (٢٠٩/٣) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٩٠/٣) عن ابن عباس، وعزاه لابن أبي شينة، وعبد بن حميد وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(١) هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي ﷺ وكافله، ولد سنة خمس وثمانين قبل الهجرة وتوفي سنة ثلاث قبل الهجرة. انظر الأعلام (١٦٦/٤).

(٢) إنساده ضعيف جداً لضعف موسى بن عبيدة الربذي تقدم الكلام عليه. والحديث أخرجه المصنف رحمه الله في أسباب النزول (٢٦٤) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٩٠/٣) عن أبي صالح، وعزاه لابن أبي شيبه، وابن أبي حاتم. وانظر بحر العلوم للسمرقندي عند تفسيره هذه الآية وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٤٢٠/٣) ونسبة لابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الرازي في التفسير (٧٧/١٤) وتنوير المقياس (٩٨/٢).

(٤) الطبري (٤٧٦/١٢) (١٤٧٥٨) وتنوير المقياس (٩٨/٢). ذكره البغوي في التفسير بلا نسبة (١٦٤/٢) والقرطبي أيضاً (١٣٩/٧) وذكره الرازي أيضاً (٧٧/١٤) وعزاه للأكثرين.

(٥) قال الزجاج «هدى» في موضع نصب، انظر معاني القرآن (٣٤١/٢) الرازي (٧٨/١٤) القرطبي (١٣٩/٧) وذكره البغوي بلا نسبة (١٦٤/٢).

لأنه يأتيهم لا محالة، وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ قال ابن عباس: يريد يوم القيامة^(١) ﴿يقول الذين نسوا من قبل﴾ أي: تركوا العمل له، والإيمان به، من قبل مجيئه، ﴿قد جاءت رسلنا بالحق﴾ آمنوا وصدقوا حين لا ينفعهم ذلك ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ يطلبون شافعاً يشفع لهم ﴿أو﴾ هل ﴿نُردُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فنعمل على غير الذي كنا نعمل﴾ نوحده الله، ونؤمن برسله، قال الله تعالى: ﴿قد خسروا أنفسهم﴾ أهلكوها بالعذاب وصاروا إلى الخزي ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ سقط عنهم ما كانوا يقولون من أن مع الله إلهاً آخر.

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ السَّمَاءَ يَطَّلِبُ حَيْثُ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٥٤
 ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمَعْتَدِينَ ٥٥
 وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ٥٦
 وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ لَكُمْ وَيَمْدِدْ سُدُورَكُمْ لِيُجِيبَ دُعَاءَ الْكَاذِبِينَ ٥٧
 وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۗ لَكُمْ فِيهَا حَيَاتٌ لَّعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ٥٨

قوله عز وجل ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ قال المفسرون: «أراد في مقدار ستة أيام لأن اليوم من لدن طلوع الشمس إلى غروبها فكيف يكون يوم ولا شمس ولا سماء، وهذا معنى قول مجاهد: «إن ذلك رتب على الأيام الأحد والاثني والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة فأجتمع الخلق فيه^(٢)».

قال ابن الأنباري: «أراد الله أن يوقع في كل يوم أمراً من خلقه، تستعظمه الملائكة وجميع المشاهدين^(٣) له» وقوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ أي أقبل على خلقه، وقصد إلى ذلك بعد خلق السماوات والأرض^(٤)، وهذا قول

(١) الطبري (٤٧٩/١٢) (١٤٧٦٧) وابن كثير (٤٢١/٣) وبنحوه في تنوير المقباس (٩٩/٢) وذكره القرطبي بلا نسبة في تفسيره (١٣٩/٧) وذكره أبو حيان في البحر ٣٠٦/٤ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٠/٣ وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وانظر تفسير أبي السعود ٢٣٢/٣.

(٢) انظر الطبري (٤٨٢/١٢) ابن كثير (٤٢٢/٣) وانظر البغوي ١٦٤/٢ والبحر المحيط (٣٠٧/٤) القرطبي (١٤٠/٧) الخازن (٢٣٦/٢) وانظر الدر المنثور ٩١/٣ الألويسي (١٣٢/٨) تفسير أبي السعود (٢٣٢/٣).

(٣) وبنحوه عند القرطبي في التفسير (١٤٠/٧). وانظر الفخر الرازي (٨٢/١٤).

(٤) أقول وبالله التوفيق وإنما يجب أن يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم، من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكيف، ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، «وليس كمثل شيء وهو السميع البصير» بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزازي شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة، والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى - ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى فالاستواء على العرش صفة لله تعالى يجب الإيمان بها بلا كيف وبكل العلم فيه إلى الله عز وجل وسأل رجل مالك بن أنس عن =

الفراء، وأبي العباس^(١) والزجاج^(٢)، وقال آخرون: «استوى معناه استولى^(٣)»، واحتجوا بقول البعيث:

ثُمَّ اسْتَوَى بِشَرِّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مَهْرَاقٍ

وخص العرش بالإخبار عن الاستيلاء عليه لأنه أعظم المخلوقات.

وقوله: ﴿يغشي الليل النهار﴾ وقرئ: بالتشديد^(٤) والإغشاء والتغشية إلباس الشيء بالشيء، قال الزجاج: والمعنى: أن الليل يأتي على النهار ويغطيه^(٥) ولم يقل: ويغشي النهار الليل، لأن في الكلام دليلاً عليه، وهذا كما قال: ﴿سراييل تقيكم الحر﴾^(٦) ولم يذكر البرد، للعلم به. وقوله: ﴿يطلبه حثيثاً﴾ الحثيث المعجل السريع، يقال: حثثت فلاناً إذا أمرته بالعجلة^(٧)، قال ابن عباس: «يطلب الليل النهار، لا غفلة^(٨) له والمعنى أن الليل يستمر في طلب النهار على مناج من غير فتور يوجب التأخر عن وقته» «والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره» أي وخلق هذه الأشياء جاريات في مجاريها بأمر الله تعالى، ومعنى تسخيرهن تذليلهن لما يراد منها [من] ^(٩) طلوع وسير وأقول^(١٠)، على حسب إرادة المدبر فيهم، وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الاستئناف^(١١)، «ألا له الخلق» لأنه خلقهم ﴿والأمر﴾ له أن يأمر في خلقه بما يشاء ﴿تبارك الله رب العالمين﴾ قال ابن عباس: «تبارك الله أي ارتفع، والمبارك المرتفع^(١٢)» وقال ابن الأنباري: «تبارك الله باسمه، يتبرك في كل شيء^(١٣)». وقال أهل المعاني: «تبارك الله، استحق التعظيم فيما لم يزل، ولا يزال^(١٤)».

= قوله: «الرحمن على العرش استوى» كيف استوى؟ فأطرق رأسه ملياً، وعلاه الرخصاء ثم قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالاً، ثم أمر به فأخرج. انظر البغوي (١٦٥/٢).

(١) إمام النحو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، البصري التحوي، الأخباري، صاحب الكامل، وكان إماماً، فصيحاً جميلاً، وسيماً مفوهاً ثقة، صاحب نوادر وطرف مات المبرد في أول سنة ست وثمانين ومئتين. انظر سير أعلام النبلاء (٥٧٦/١٣) - (٥٧٧)، إنباه الرواة: (٢٤١/٣ - ٢٥٣) وفيات الأعيان: (٣١٣/٤، ٣٢٢)، بغية الوعاة (٢٦٩/١ - ٢٧١).

(٢) انظر تهذيب اللغة للأزهري (١٢٤/١٣) م سوى.

(٣) وهذا قول المعتزلة وجماعة من المتكلمين، انظر البغوي ١٦٥/٢، القرطبي (١٤١/٧) وانظر البحر المحيط ٣٠٨/٤، روح المعاني ١٣٥/٨، وذكره السمرقندي في تفسير بحر العلوم عند تفسير هذه الآية. تفسير أبي السعود (٢٣٢/٣).

(٤) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: (يغشي الليل النهار) بالتشديد، وفي الرعد أيضاً من غشى يغشي أي: يغشي الله الليل والنهار. وحجتهم أن هذا فعل يتردد ويتكرر، وذلك أن كل يوم وكل ليلة غير اليوم الآخر وغير الليلة الأخرى، فالتغشية مكررة مرددة لمجيئها يوماً بعد يوم وليلة بعد ليلة، وفي التنزيل: (فغشاها ما غشى). وقرأ الباقون: بالتخفيف. وحجتهم قوله (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) وقال: (كانما أغشيت وجوههم قطعاً) ولم يقل: (غشيت) انظر حجة القراءات (٢٨٤) وانظر النشر (٢٦٩/٢) إتحاف فضلاء البشر (٥١/٢) البحر المحيط (٣٠٨/٤ - ٣٠٩)، القرطبي (١٤١/٧) الرازي (٩٦/١٤) البغوي (١٦٥/٢).

(٥) انظر البغوي (١٦٥/٢) زاد المسير (٢١٣/٣) الرازي (٩٦/١٤).

(٦) انظر لسان العرب (٧٧٣/٢)، ترتيب القاموس (٥٨٨/١).

(٧) أخرجه الطبري في التفسير (٤٨٣/١٢) تنوير المقباس (١٠٠/٢) وانظر القرطبي (١٤٢/٧) البغوي (١٦٥/٢).

(٨) سقط في ب. (١٠) لسان العرب (٩٨/١) ترتيب القاموس، (١٦١/١) المفردات (٢٣).

(١١) انظر حجة القراءات (٢٨٤) النشر (٢٦٩/٢)، إتحاف فضلاء البشر (٥١/٢) البحر المحيط (٣٠٩/٤) البغوي (١٦٥/٢) القرطبي (١٤٢/٧)، أبو السعود (٢٣٢/٣).

(١٢) ذكره البغوي في التفسير بلا نسبة (١٦٥/٢)، وينحوه في المقباس (١٠٠/٢). قال الأزهري: تبارك تعالى وتعاظم وارتفع، انظر تهذيب اللغة (٢٣٠/١٠).

(١٣) انظر البغوي (١٦٥/٢)، زاد المسير (٣١٤/٣) تهذيب اللغة (٢٣٠/١٠).

(١٤) التهذيب (٢٣٠/١٠).

وقوله ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾ التضرع التذلل والتخشع^(١) والخفية خلاف العلانية^(٢)، ويقال: خفية^(٣) بالكسر، والسنة والأدب في الدعاء أن يكون خفياً لهذه الآية، ولما روي:

أن النبي - ﷺ - قال: «خير الرزق ما يكفي، وخير الذكر الخفي»^(٤) وقال الحسن: «بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً، ولقد أدركنا أقواماً ما كان [وجهه]^(٥) الأرض من عمل، ويقدر أن يعملوه في السر، فيكون علانية أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يسمع لهم صوت إن كان، إلا همساً بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله سبحانه يقول: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾ وأن الله ذكر عبداً صالحاً، ورضي فعله، فقال: ﴿إذ نادى ربه نداء خفياً﴾^(٦)، قوله: ﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ أي بالجهر في الدعاء، قاله الكلبي ومعنى المعتدين: ^(٧) المجاوزين ما أمروا به، وقوله ﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ قال المفسرون: «الإفساد في الأرض: العمل فيها بالمعاصي وسفك الدماء»^(٨). وقوله ﴿بعد إصلاحها﴾ بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسول - ﷺ - وبيان الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله تعالى، وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك، والكلبي^(٩) وقال عطية: «معناه لا تعصوا في الأرض، فيمسك الله المطر، ويهلك الحرث بمعاصيكم»^(١٠). وعلى هذا معنى قوله ﴿بعد إصلاحها﴾^(١١) بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب، ﴿وادعوه خوفاً وطمعاً﴾ قال ابن عباس: «خوفاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه»، ﴿إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ قال الزجاج: إنما قيل قريب، لأن الرحمة والغفران، [والعفو]^(١٢) في معنى واحد^(١٣). ونحو هذا قال الأخفش^(١٤).

(١) وهو إظهار ذل النفس من قولهم: ضرع فلان لفلان، وتضرع له: إذا أظهر الذل له في معرض السؤال، لسان العرب (٤/٢٥٨٠)،

ترتيب القاموس (٣/٢٣)، النهاية في غريب الحديث (٣/٨٥)، المفردات ص ٤٣٧.

(٢) يقال: أخفيت الشيء: إذا سترته. المفردات ص (٢١٩)، لسان العرب (٢/١٢١٨)، ترتيب القاموس ٨٦/٢.

(٣) قرأ عاصم وحده في رواية أبي بكر عنه بكسر الخاء هاءنا وفي الأنعام والباقون بالضم وهما لغتان. انظر الرازي (١٤/١٠٦)،

النشر (١/٢٦٩)، إتحاف فضلاء البشر (٢/٥١).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١/١٧٢) وأبو يعلى (٢/٨١)، وذكره الهيثمي في الموارد (٢٣٢٣)، وابن حجر في المطلب (٣٢٧١)،

وفي المجمع للهيثمي (١٠/٨١).

(٥) سقط من أ، ب.

(٦) سورة مريم (٣) وذكره البغوي في التفسير (٢/١٦٦)، والخازن (٢/٢٤٠)، الرازي في التفسير (١٤/١٠٧)، وأخرجه الطبري في

التفسير ٤٨٥/١٢ - (١٤٧٧٧)، وابن كثير في التفسير (٣/٤٢٤) وابن الجوزي في الزاد (٣/٢١٥)، والقرطبي في التفسير

(٧/١٤٣) البحر المحيط (٤/٣١٠ - ٣١١)، روح المعاني (٨/١٣٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٩٢ - ٩٣) وزاد

نسبته لابن المبارك وأبي الشيخ.

(٧) انظر البحر المحيط (٤/٣١١) الخازن (٢/٢٤١) وذكره القرطبي بلا نسبة (٧/١٤٤) الرازي في التفسير ١٠٨/١٤.

(٨) انظر البغوي (١/١٦٦) الرازي (١٤/١٠٨) زاد المسير (٣/٢١٥).

(٩) انظر البغوي (٢/١٦٦)، الخازن (٢/٢٤٢)، زاد المسير (٣/٢١٦)، روح المعاني (٨/١٤٠) البحر المحيط (٤/٣١٢)، القرطبي

(٧/١٤٥)، الرازي (١٤/١٠٨ - ١٠٩).

(١٠) البغوي (٢/١٦٦)، زاد المسير (٣/٢١٥)، البحر المحيط (٤/٣١٢)، وقال: هذا نهي عن إيقاع الفساد في الأرض، وإدخال

ماهيته في الوجود، فيتعلق بجميع أنواعه من إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان. وقال: وما روي عن المفسرين من

تعيين نوع الإفساد والإصلاح، ينبغي أن يحمل ذلك على التمثيل، إذ ادعاء تخصيص شيء من ذلك لا دليل عليه.

(١١) البغوي في التفسير (٢/١٦٦)، تنوير المقباس (٢/١٠٠)، القرطبي بلا نسبة (٧/١٤٥)، ابن كثير (٣/٤٢٥)، روح المعاني

(٨/١٤٠)، بحر العلوم عند هذه الآية.

(١٢) سقط من ب.

(١٣) معاني القرآن (٢/٤٤)، الرازي (١٤/١١١).

(١٤) هاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدعاء: دعاء العبادة، ودعاء المسألة، فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة، =

[وأما] (١) الرحمة بمعنى الإنعام، فلذلك ذكر، وقال سعيد بن جبير: «الرحمة ها هنا الثواب» (٢) وقال النضر بن شميل: الرحمة مصدر، ومن حق المصادر التذكير، (٣) كقوله: ﴿فمن جاءه موعظة من ربه﴾ (٤) قوله: ﴿وهو الذي يرسل الرياح نشراً﴾ جمع نشور، (٥) مثل رسول ورسول، والنشور بمعنى المنشر، كالركوب بمعنى المركوب، يقال: أنشر الله الريح، فنشرت أي أحيها، فحييت، وخفف ابن عامر العين، فقرأ نشراً كما يقال: كتب ورسول وقرأ حمزة نشراً، (٦) وهو مصدر نشرت الشيء ضد طويته، والمراد بالمصدر المفعول، أرسلها الله منشورة بعد انطوائها، وقيل: عاصم بشرا بالباء (٧) جمع بشور أي: (٨) تبشر بالمطر والرحمة من قوله: ﴿يرسل الرياح بشراً﴾ (٩) وقوله: ﴿بين يدي

= ويراد به مجموعهما وهما متلازمان، فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره ودفعه، وكل من يملك الضر والنفع، فإنه هو المعبود، لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر، ولهذا أنكر تعالى على من عبد من دونه، ما لا يملك ضرا ولا نفعاً، وذلك كثير في القرآن كقوله تعالى: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك﴾، وقال: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ فنفي سبحانه عن هؤلاء المعبودين الضر، والنفع القاصر والمتعدي، فلا يملكون لأنفسهم ولا لعابدهم، وهذا كثير في القرآن بين تعالى أن المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر، فهو يدعو للنفع والضر دعاء المسألة، ويدعو خوفاً ورجاء دعاء العبادة، فعلم أن النوعين متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، وعلى هذا فقوله: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ يتناول نوعي الدعاء، ويكل منها فسرت الآية قيل: أعطيه إذا سألتني، وقيل: أتبيه إذا عبدني، والقولان متلازمان، وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معني كليهما، أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعاً، فتأمله فإنه موضوع عظيم النفع، وقل من يفظن له، وأكثر آيات القرآن دالة على معنيين فصاعداً، فهي من هذا القبيل. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل﴾ فسر (الدلوك) بالزوال وفسر بالغروب وليس بقولين، بل اللفظ يتناولهما معاً، فإن الدلوك هو الميل، ودلوك الشمس ميلها، ولهذا الميل مبتدأ ومنتهى، فمبتدأه الزوال ومنتهاه الغروب، واللفظ يتناول لهما بهذا الاعتبار ومثاله أيضاً تفسير الغاسق «بالليل وتفسيره بالقمر» فإن ذلك ليس باختلاف بل يتناولهما لتلازمهما فإن القمر آية الليل ونظائره كثيرة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم﴾ أي دعاؤكم إياه وقيل: دعاؤه إياكم إلى عبادته، فيكون المصدر مضافاً إلى المفعول، ومحل الأول مضافاً إلى الفاعل، وهو الأرجح من القولين وعلى هذا فالمراد به نوعي الدعاء، وهو في دعاء العبادة أظهر، أي ما يعبا بكم لولا أنكم ترجونه، وعبادته تستلزم مسألته، فالنوعان داخلان فيه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ فالدعاء يتضمن النوعين، وهو في دعاء العبادة أظهر، ولهذا أعقبه ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ الآية ويفسر الدعاء في الآية بهذا وهذا، وروى الترمذي عن النعمان بن بشير - قال: - سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: إن الدعاء هو العبادة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ الآية، قال الترمذي حديث حسن صحيح. انظر تفصيل ذلك عند شيخ الإسلام في تفسيره (٢٩٥/٤) وما بعدها صحيح.

- (١) سقط من أ، ب. (٢) البغوي في التفسير (١٦٦/٢) والبحر المحيط (٣١٣/٤) وبنحو عند ابن كثير بلا نسبة (٤٢٥/٣).
- (٣) وهذا قريب من قول الزجاج، لأن الموعظة بمعنى الوعظ، انظر الرازي (١١١/١٤) القرطبي (١٤٥/٧) البحر المحيط (٣١٣/٤) روح المعاني ١٤٣/٨.
- (٤) سورة البقرة (٢٧٥).
- (٥) انظر لسان العرب (٤٤٢٤/٦) المفردات ص/٧٥٠، ترتيب القاموس (٣٧١/٤) مجاز القرآن (٢١٧/١).
- (٦) والكسائي يفتح النون وسكون الشين، قال الفراء: النش من الرياح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب، فكان الفراء ذهب إلى أن النش صنف من صنوف الرياح، ونوع من أنواعها، خجة القراءات ص (٢٨٥).
- (٧) وإسكان الشين الحجة ص (٢٨٦).
- (٨) انظر قراءات هؤلاء القراء في الحجة (٢٨٥ - ٢٨٦) النشر (٢٧٠/٢)، إتحاف فضلاء البشر (٥٢/٢)، البحر المحيط (٣١٦/٤)، الرازي (١١٣/١٤)، الطبري (٤٩٠/١٢ - ٤٩١) القرطبي (١٤٦/٧) البغوي ١٦٧/٢، روح المعاني (١٤٥/٨) ابن كثير (٤٢٥/٣).
- (٩) سورة الروم ٤٦.

رحمته ﴿ قال الكلبي ﴾ «قدام مطره والرياح تتقدم المطر، وتؤذن به^(١)، ﴿حتى إذا أقلت﴾ أي: حملت هذه الرياح ﴿سحاباً ثقلاً﴾ بما فيها من الماء، يقال: أقل فلان الشيء إذا حملة^(٢) ﴿سقناه﴾ [سقنا السحاب]^(٣) ﴿لبلدٍ ميتٍ﴾ قال ابن الأنباري: إلى بلد يحتاج إلى المطر، لانقطاعها عنه^(٤) ﴿فأنزلنا به﴾ بذلك البلد ﴿الماء فأخرجنا به﴾ بذلك الماء ﴿من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى﴾ نحى الموتى مثل ذلك الإحياء الذي وصفناه في البلد الميت فإحياء الأموات كإحياء الأرض بالنبات ﴿لعلكم تذكرون﴾ قال الزجاج: «لعلكم بما بيناه لكم تستدلون على توحيد الله، وأنه قادر على بعث الأموات»^(٥) قوله ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾ الآية، قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر بالأرض العذبة التربة، وبالأرض السبخة الملحة، شبه المؤمن الذي إذا سمع القرآن وعاه، وعقله، وانتفع به، فبان أثره عليه بالبلد الطيب، إذ كان البلد الطيب يمرع، يخصب، ويحسن أثر المطر عليه، وشبه الكافر الذي يسمع القرآن، ولا يؤثر فيه أثراً محموداً بالبلد الخبيث إذ كان لا يمرع، ولا يخصب ولا يتبين أثر المطر فيه^(٦)» وقوله: ﴿والذي خبث﴾ قال الكلبي: هو السبخة من الأرض»^(٧) ﴿لا يخرج إلا نكداً﴾ النكد: العسر الممتنع من إعطاء الخير^(٨)، والمصدر النكد، يقال: نكد نكداً فهو نكد وأنكد قال ابن الأنباري: «النكد العسر البطيء البعيد الخير وأنشد:

لَا تُنْجِزِ الْوَعْدَ إِنْ وَعَدْتَ وَإِنْ أُعْطِيَْتَ أُعْطِيتَ تَأْفِهًا نَكِدًا^(٩)

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ ۖ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٥﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي

(١) انظر البغوي (١٦٧/٢) والخازن في التفسير (٢٤٢/٢) انظر تفسير النخعي الرازي (١١٤/١٤) وانظر ابن كثير في التفسير (٤٢٦/٣).

(٢) قال صاحب الكشاف: واشتقاق الإقلال من القلة، لأن من يرفع شيئاً فإنه يرى ما يرفعه قليلاً وانظر لسان العرب (٤٩٤/١) ترتيب القاموس (٤١٢/١).

(٣) سقط من أ.

(٤) ذكره البغوي في التفسير بلا نسبة (١٦٧/٢)، وينحوه عند الرازي في التفسير (١١٦/١٤). وانظر تفسير بحر العلوم للسميرقندي عند هذه الآية.

(٥) معاني القرآن للزجاج (٣٤٦/٢). وينحو هذا عند الرازي (١١٧/١٤).

(٦) أخرجه الطبري (٤٩٦/١٢، ٤٩٧) (١٤٧٨٦) (١٤٧٨٧)، وابن كثير (٤٢٦/٣)، البغوي في التفسير (١٦٧/٢ - ١٦٨) الخازن (٢٤٤/٢)، البحر المحيط ٣١٨/٤، الرازي (١١٧/١٤). بحر العلوم للسميرقندي عند هذه الآية. القرطبي (١٤٧/٧)، وذكره

السيوطي في الدر (٩٣/٣) وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم وابن المنذر وذكره من وجه آخر وعزاه لأبي الشيخ عن مجاهد، ومن طريق آخر عن قتادة وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ، ومن طريق آخر عن السدي نسبة لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وانظر بقية الروايات في المصدر المتقدم.

(٧) البغوي في التفسير (١٦٨/٢)، والخازن (٢٤٤/٢) وابن الجوزي في الزاد (٢١٩/٣)، الطبري (٤٩٧/١٢).

(٨) على وجه البخل انظر لسان العرب (٤٥٣٨/٦)، ترتيب القاموس (٤٣٦/٤) المفردات ص (٧٧٠)، وقال الليث: النكد: الشؤم واللؤم وقلة العطاء، ورجل أنكد ونكد قال:

وأعط ما أعطيته طيباً لا خير في المنكود والناكد

انظر تفسير الفخر الرازي (١١٨/١٤).

(٩) انظر البيت في مجاز القرآن (٢١٧/١) زاد المسير (٢٣٠/٣) تفسير الطبري (٤٩٥/١٢) البحر المحيط ٣١٥/٤، روح المعاني =

رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ أٰبَلٰغَكُمْ رِسٰلَتِ رَبِّيْ وَاَنْصَحُ لَكُمْ وَاَعْلَمُ مِّنَ اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿١٢﴾ اَلَمْ نَعَبِّرْكُمْ اَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلٰى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوْا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوْهُ فَاَنْجَيْنٰهُ وَاَلَّذِيْنَ مَعَهُۥ فِي الْفُلْكِ وَاَعْرَفْنَا الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيٰتِنَا اِنَّهُمْ كَانُوْا قَوْمًا عَمِيْنًا ﴿١٤﴾

قوله ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ قرىء: رفعاً وخفضاً^(١) فأما من خفض، فقال الفراء: ﴿يجعل ﴿غيره﴾ نعناً للإله، وقد يرفع، فيجعل تابعاً للتأويل في ﴿إله﴾ ألا ترى أن الإله لو نزع من ﴿من﴾ كان رفعاً؟^(٢) ونحو هذا قال الزجاج: سواء، قال: «الرفع على معنى: (٣) ما لكم إله غيره، ودخلت ﴿من﴾ مؤكدة، ومن خفض جعله صفة لإله، وقوله: ﴿أبلغكم رسالات ربي﴾ وقرأ أبو عمرو^(٤): أبلغكم مخففة من الإبلاغ وكلاهما قد جاء في التنزيل، فالتخفيف قوله: ﴿فإن تولوا فقد أبلغتكم﴾^(٥) والتشديد قوله: ﴿فما بلغت رسالته﴾^(٦) وقوله ﴿وأنصح لكم﴾^(٧) قال ابن عباس: «أدعوكم إلى ما دعاني الله إليه وأحب لكم ما أحب لنفسي»^(٨) ﴿وأعلم من إله ما لا تعلمون﴾ وأعلم أن ربي غفور لمن رجع عن معاصيه، وأن عذابه أليم شديد لمن أصر على معاصيه ﴿أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم﴾ قال ابن عباس: «موعظة من الله»^(٩) ﴿على رجل منكم﴾ قال الفراء: «على بمعنى مع ها هنا»^(١٠) وقال ابن قتيبة: «على لسان رجل منكم»^(١١) وقوله ﴿إنهم كانوا قوماً عمين﴾ قال ابن عباس: «عميت قلوبهم عن معرفة

= (١٤٧/٨). حاشية الشهاب ١٧٧/٤ اللسان (تفه).

(١) انظر إتحاف فضلاء البشر (٥٢/٢) الحجة لابن زنجلة (٢٨٦) النشر (٢٧٠/٢) البحر المحيط (٣٢٠/٤) الفخر (١٢٠/١٤) البغوي ١٦٨/٢، القرطبي (١٤٩/٧) روح المعاني (١٥٠/٨).

(٢) معاني القرآن للفراء (٣٨٢/١)، البحر المحيط (٣٢٠/٤)، البيان (٣٦٦/١) القرطبي (١٤٩/٧).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٣٤٨/٢).

(٤) وحجته قوله تعالى ﴿لقد أبلغتكم رسالات ربي﴾ فرد أبو عمرو ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه، حجة القراءات (٢٨٧)، وقرأ الباقون بالتشديد، انظر المصدر السابق النشر (٢٧٠/٢) إتحاف فضلاء البشر (٥٣/٢) البحر المحيط (٣٢١/٣) البغوي

(١٦٨/٢) القرطبي (١٤٩/٧). روح المعاني (١٥٢/٨) وانظر كلام الواحدي في الرازي (١٢٣/١٤).

(٥) سورة هود (٥٧).

(٦) سورة المائدة (٦٧).

(٧) قال الفراء: لا تكاد العرب تقول: نصحتك إنما تقول: نصحت لك ويجوز أيضاً نصحتك. قال النابغة:

نصحت بني عوف فلم يتقبلوا رسولي ولم تنجح لديهم رسائلي

وحقيقة النصح الإرسال إلى المصلحة، مع خلوص النية من شوائب المكروه، والمعنى: أني أبلغ إليكم تكاليف الله، ثم أرشدكم

إلى الصواب الأصح. انظر الرازي (١٢٣/١٤)، البحر المحيط (٣٢١/٣).

(٨) ذكره الفخر الرازي بلانسة في التفسير (٣٢١/١٤) والبغوي أيضاً (١٦٩/٢)، والخازن (٢٤٦/٢).

(٩) البغوي في التفسير (١٦٩/٢)، الخازن (٢٤٦/٢) والقرطبي بلا نسبة، وانظر البحر المحيط (٣٢٢/٤)، وانظر أبو السعود (٢٣٦/٣).

(١٠) كما تقول: جاء بالخبر على وجهه ومع وجهه كلاهما جائز، معاني القرآن (٣٨٣/١) الرازي (١٢٤/١٤) وانظر القرطبي (١٥٠/٧)

وانظر البحر المحيط (٣٢٢/٤) الألوسي (١٥٣/٨).

(١١) غريب القرآن (١٦٩) الرازي (١٢٤/١٤) البحر المحيط (٣٢٢/٤) القرطبي (١٥٠/٧)، أبو السعود (٢٣٦/٣)، الألوسي

(١٥٣/٨).

الله وقدرته وشدة بطشه»^(١) وقال الزجاج: «عموا عن الحق والإيمان، يقال: رجل عم إذا كان أعمى القلب، ورجل أعمى في البصر»^(٢)، قال زهير:

وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدِ عَمٍ^(٣)

﴿وَالِى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٤) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ^(٥) قَالَ يَنْقَوْمِ لَيْسَ بِ سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٦) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ^(٧) أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ^(٨) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأُنَبِّئْنَا بِمَا نَعْبُدُونَ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ^(٩) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَظْبٌ أَلْتَجِدُونَ لِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ^(١٠) فَأَجَبْتَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ^(١١)

وقوله: ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾ أي: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً، يعني ابن أبيهم^(١٢)، قال الكلبي: «ليس بأخيهم في الدين، ولكن في النسب»^(١٣). ﴿قال يا قوم اعبدوا الله﴾ قال ابن عباس: «وحدوا الله»^(١٤) ﴿ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ أفلا تخافون نعمته؟ ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لترك في سفاهة﴾ في حمق وجهل، قال

(١) الرازي في التفسير (١٢٥/١٤) البغوي (١٦٩/٢)، الخازن (٢٤٦/٢)، القرطبي (١٥٠/٧)، روح المعاني (١٥٤/٨)، أبو السعود (٢٣٧/٣).

(٢) معاني القرآن (٣٤٧/٢) البغوي (١٦٩/٢)، الرازي (١٢٥/١٤).

(٣) عجزيت وصدرة:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ السَّوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ

وهو لزهير ص (١١٠) انظر شرح القصائد العشر للبريزي ص (١٥٣) التهذيب ٢٤٥/٣ (عمى) تفسير الرازي ١٤/١٥٣، معاهد التنصيص ١/٣٢٥ اللسان (عمى) شرح القصائد التسع لابن النحاس (٣٥٥/١) المعلقات العشر للشقيبي (٧٩) ومعنى البيت: أي أعلم ما مضى في أمس، وما أنا فيه اليوم، لأنه شيء قد رأيته، فاما ما في غد فلا علم لي به، لأنني لم أراه.

(٤) وهذا منقول عن ابن عباس، انظر القرطبي (١٥٠/٧).

(٥) البغوي (١٦٩/٢) الخازن (٢٤٦/٢)، الرازي (١٢٦/١٤)، بحر العلوم للسمرقندي انظر آية (٦٥) أبو السعود (٢٣٧/٣)، روح المعاني (١٥٤/٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٩٥/٣)، وعزاه لأبن المنذر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٦) تنوير المقباس (١٠٣/٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٩٥/٣ - ٩٦) وعزاه لإسحاق بن بشر وابن عساكر من طريق مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس، ومن طريق ابن إسحاق عن رجال سماهم، ومن طريق الكلبي جميعاً. السمرقندي المصدر السابق أبو السعود (٢٣٧/٣) روح المعاني (١٥٥/٨).

ابن عباس: «تدعوننا إلى دين لا نعرفه»^(١) ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ فيما جثت به وقال مقاتل: «فيما تقول من نزول العذاب»^(٢) وقوله ﴿وأنا لكم ناصح أمين﴾ [قال «الضحك»: (٣) «أمين على الرسالة»^(٤)، وقال الكلبي: «كتب فيكم قبل اليوم أميناً»^(٥) وقوله: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ يذكرهم النعمة عليهم، يقول: اذكروا أن الله أهلك قوم نوح، واستخلفكم بعدهم ﴿وزادكم في الخلق بسطة﴾ فضيلة في الطول، قال ابن عباس: «يريد أنكم أجسم وأنتم من آبائكم الذين ولدوكم»، [وكان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعاً]^(٦) ﴿فأذكروا الله﴾^(٧) نعم الله عليكم، واحدها إلى وألي^(٨) ﴿لعلكم تفلحون﴾ قال ابن عباس: «كي تسعدوا وتبقروا في الجنة» وقوله: ﴿فأئتنا بما تعدنا﴾ من نزول العذاب ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في أول العذاب نازل إلينا، وقال عطاء: «إن كنت من الصادقين في نبوتك وإرسالك إلينا»^(٩) قوله: ﴿قال قد وقع عليكم﴾ أي وجب، ونزل، ومثله: ﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾^(١٠) أي أصابهم ونزل بهم وقوله: ﴿من ربكم رجس وغضب﴾ قال ابن عباس: «عذاب وسخط»^(١١) ﴿أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وءابؤكم﴾ قال المفسرون: «كانت لهم أصنام»^(١٢) يعبدونها، سموها أسماء مختلفة، فلما دعاهم الرسول إلى التوحيد استكبروا»^(١٣) وقوله: ﴿ما نزل الله بها من سلطان﴾ أي: من حجة وبرهان لكم في عبادتها ﴿فانتظروا﴾ العذاب ﴿إني معكم من المتظرين﴾ للذي يأتيكم من العذاب^(١٤)، في تكذيبكم إياي وما بعد هذه الآية ظاهر إلى قوله:

(١) البغوي في التفسير (١٦٩/٢) الخازن (٢٤٧/٢).

(٢) البغوي (٢٦٩/٢) الخازن، (٢٤٧/٢)، السمرقندي في تفسير الآية.

(٣) سقط في أ.

(٤) البغوي (١٧٠/٢)، الخازن (٢٤٧/٢) وانظر البحر المحيط (٣٢٤/٤).

(٥) البغوي (١٧٠/٢)، الخازن (٢٤٧/٢)، بحر العلوم للسمرقندي الآية (٦٨).

(٦) البغوي في التفسير (١٧٠/٢) الخازن (٢٤٨/٢)، الرازي (١٢٨/١٤) بحر العلوم الآية (٦٩)، القرطبي (١٥١/٧) البحر

المحيط لأبي حيان (٣٢٥/٤)، أبو السعود (٢٣٩/٣)، روح المعاني (١٥٦/٨).

(٧) سقط في ب، ج.

(٨) قال الأعشى:

أبيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحماً ولا يخون إلى

قال الواحدي نظير الآلاء الأناء، واحدها: أنا وإني وإني، وزاد صاحب الكشاف في الأمثلة فقال: ضلع وأضلاع، وعنب وأعنان.

انظر الرازي (١٢٨/١٤).

(٩) بنحوه في توير المقياس (١٠٤/٢) وانظر تفسير السمرقندي (٦٩).

(١٠) أبو حيان في البحر (٣٢٥/٤) بحر العلوم الآية (٧٠)، روح المعاني (١٥٧/٨) وانظر الخازن (٢٤٨/٢).

(١١) الأعراف (١٣٤).

(١٢) أبو حيان في البحر (٣٢٥/٤)، ذكره ابن كثير في التفسير (٤٣١/٣)، البغوي (٧٠/٢)، الخازن (٢٤٨/٢)، روح المعاني

(١٥٩/٨)، وبحر العلوم آية (٧١). القرطبي (١٥١/٧)، ذكره السيوطي في الدر المنثور (٩٦/٣)، وعزاه لابن جرير وابن المنذر

وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(١٣) وهي صمود، وصداء، والهباء، والعزة، واللات.

(١٤) البغوي في التفسير (١٧٠/٢) الخازن (٢٤٨٢)، الطبري (٥٢٣/١٢، ٥٠٧/١٢ - ٥٠٨) البحر المحيط (٣٢٦/٤)، القرطبي

(١٥١/٤)، روح المعاني (١٥٩/٨)، الرازي (١٣٠/١٤)، الأصنام لابن الكلبي، التكملة (١١٠ - ١١١)، ابن كثير (٤٣١/٣)،

بحر العلوم للسمرقندي آية (٧١).

(١٥) في أ، ج العقوبة.

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَأذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ آتَتْ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَتُنْتَدِينَنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٩﴾

﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ أي دالة على قدرة الله ورسالته ، ولهذا جاز أن يكون آية حالاً لأنها بمعنى دالة، فكانت تلك الناقة آية من سائر النوق، لأنها خرجت من حجر صلد تمخض واضطرب، كاضطراب المرأة عند الولادة، وقوله: ﴿فذروها تأكل في أرض الله﴾ أي سهل الله عليكم أمرها، فليس عليكم رزقها ولا مؤنتها^(١) ولا تمسوها بسوء ولا تصيوها بعقر فيأخذكم عذاب أليم وعيد لهم. ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد﴾ أي أهلكهم واستخلفكم بعدهم ﴿وبوأكم في الأرض﴾ أعطاكم فيها منازل ومساكن، وهو قوله: ﴿تتخذون من سهولها قصوراً﴾ قال ابن عباس: «تبنون القصور بكل موضع»^(٢) ﴿وتنحتون الجبال بيوتاً﴾ كانوا يشققون بيوتاً [في الجبال]^(٣) يسكنونها شتاء ويسكنون القصور بالصيف، ويروى: أنهم لطول أعمارهم كانوا يحتاجون إلى أن ينحتوا بيوتاً في الجبال، لأن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل (فناء) أعمارهم^(٤) قوله: ﴿قال الملأ﴾^(٥) قال الفراء: «الملأ القوم من الرجال ليس فيهم امرأة»^(٦) وقال ابن عباس: «يريد الأشراف الذين استكبروا أي عن عبادة الله»^(٧) ﴿للذين استضعفوا﴾ يريد المساكين ﴿لمن آمن منهم﴾ بدل من قوله ﴿للذين استضعفوا﴾ لأنهم المؤمنون ﴿أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه﴾ استفهام

(١) المؤنة النفقة. لسان العرب (٤٣٠٢/٦)، ترتيب القاموس (٢٩٩/٤).

(٢) تنوير المقباس (١٠٦/٢)، القرطبي (١٥٢/٧)، البحر المحيط (٣٢٩/٤)، الرازي في التفسير (١٣٣/١٤)، روح المعاني (١٦٣/٨).

(٣) سقط في أ.

(٤) القرطبي (١٥٢/٧) البحر المحيط (٣٢٩/٤) البغوي (١٧٤/٢)، روح المعاني (١٦٤/٨).

(٥) قرأ ابن عامر في قصة صالح (وقال الملأ الذين استكبروا من قومه) بزيادة واو كذلك في مصاحفهم، وقرأ الباقون بغير الواو فمن قرأ بالواو عطفه على ما قبله، ومن قرأ بغير الواو ابتداء بغير عطف. حجة القراءات لابن زنجلة (٢٨٧)، النشر (٢٧٠/٢)، إتحاف فضلاء البشر (٥٤/٢)، البحر المحيط (٣٢٩/٤).

(٦) معاني القرآن للفراء (٣٨٣/١).

(٧) البغوي (١٧٤/٢)، روح المعاني (١٦٤/٨)، تنوير المقباس (١٠٦/٢).

إنكار ﴿قالوا إنا بما أرسلنا به مؤمنون﴾ أفرأوا بالإيمان بصالح وبما أرسل به، فقال المستكبرون: ﴿إنا بالذي ءامنتم به كافرون فمقروا الناقة﴾ قال الأزهري: «العقر عند العرب قطع عرقوب البعير، ثم جعل النحر عقراً، لأن ناجر البعير يعقره ثم ينحره^(١)» وقوله: ﴿وعتوا عن أمر ربهم﴾ يقال: عتا يعتو عتواً إذا استكبر،^(٢) ومنه يقال: جبار عات، قال مجاهد: «العتو الغلوف في الباطل»^(٣) والمعنى: عصوا الله، وتركوا أمره في الناقة، وكذبوا نبينهم، وقالوا: ﴿يا صالح أنتما بما تعدنا﴾ من العذاب ﴿إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة﴾ قال الفراء: والزجاج: «هي الزلزلة الشديدة»^(٤) وهو قول الكلبي^(٥) يقال: ﴿٦﴾ رجف الشيء يرجف رجفاً ورجفانا^(٧) إذا تحرك ﴿فأصبحوا في دارهم﴾ يعني بلدهم ﴿جاثمين﴾ قال ابن عباس: «خامدين ميتين لا يتحركون»^(٨)، وقال ابن الأنباري: قال المفسرون معنى جاثمين بعضهم على بعض، أي عند نزول العذاب [بهم]^(٩)، سقط بعضهم على بعض كما يجثم الطير^(١٠).

أخبرنا أبو القاسم بن عبدان: أنا محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه أخبرني محمد بن علي الصنعاني أنا اسحاق بن إبراهيم بن عباد أنا: عبد الرزاق، أنا معمر، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم^(١١)، عن أبي الزبير عن جابر قال: لما مر النبي ﷺ بالحجر^(١٢)، قال: لا تسألوا الآيات قد سألها قوم صالح، فكانت الناقة ترد من هذا الفج، وتصد

(١) تهذيب اللغة (١/٢١٥)، لسان العرب (٤/٣٠٣٣)، ترتيب القاموس (٣/٧٢٢). وانظر قول الأزهري في تفسير البغوي (٢/١٧٤)، والرازي (١٤/١٣٤)، روح المعاني (٨/١٦٥).

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٢٨)، لسان العرب (٤/٢٨٠٤).

(٣) ذكره الرازي في التفسير (١٤/١٣٤ - ١٣٥) - البغوي (٢/١٧٤) الخازن (٢/٢٥٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٩٩)، وعزه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٤) معاني القرآن للفراء (١/٣٨٤)، والزجاج (٢/٣٥١)، وانظر قولهما في تفسير الرازي (١٤/١٣٥)، روح المعاني (٨/١٦٥)، البحر المحيط (٤/٣٣١)، وبنحوه عند البغوي (٢/١٧٥)، والقرطبي (٧/١٥٤)، انظر أبو السعود (٣/٢٤٤)، تنوير المقباس (٢/١٠٨).

(٥) تنوير المقباس (٢/١٠٨)، وانظر المصادر السابقة.

(٦) والقاتل الليث كما في التفسير الكبير للفخر الرازي (١٤/١٣٥).

(٧) كرجفان البعير تحت الرجل، وكما يرجف الشجر إذا رجفته الريح، وأصله حركة مع صوت، ومنه قول الله تعالى ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ (النازعات: ٦) وقال الشاعر:

ولما رأيت الحج قد آن وقتُهُ وظللت مطايا القوم بالقوم تَرْجُفُ

الرازي (١٤/١٣٥) وانظر القرطبي (٧/١٥٤).

(٨) البغوي (٢/١٧٥)، تنوير المقباس (٢/١٠٨) القرطبي (٧/١٥٤) أبو السعود (٣/٢٤٤)، البحر المحيط (٤/٣٣١) روح المعاني (٨/١٦٥)، وأخرج عبد بن حميد عن قتادة «فأصبحوا في دارهم جاثمين» قال: ميتين، ذكره السيوطي في الدر (٣/٩٩) وذكره مثله عن ابن زيد، وعزه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٩) سقط في أ.

(١٠) البغوي (٢/١٧٥)، مجاز القرآن (١/٢١٨)، معاني القرآن للزجاج (٢/٣٥١)، بحر العلوم للسمرقندي آية (٧٨)، زاد المسير (٣/٢٢٦)، الرازي (١٤/١٣٥)، قال أبو عبيدة: الجثوم للناس والطيور، بمنزلة البروك للابل فجثوم الطير: هو وقوعه لاطئاً بالأرض في حال سكونه بالليل.

(١١) عبد الله بن عثمان بن خثيم، القاريء المكي، أبو عثمان، صدوق، مات سنة اثنتين وثلاثين. انظر تقريب التهذيب (١/٤٣٢)، الكاشف (٢/١٠٨).

(١٢) الحجر بكسر ثم السكون، اسم ديار ثمود، بوادي القرى: وهي موضع بين المدينة والشام كانت مساكن ثمود، وهي بيوت منحوتة في الجبال مثل المقابر. معجم البلدان (٢/٢٥٥) مرادف الاطلاع (١/٣٨١).

من هذا الفج، ، فعتوا عن أمر ربهم، ففقروها، فأخذتهم الصيحة، فأحمد الله تعالى من تحت السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله، قيل من هو؟ قال: أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه^(١)، قوله ﴿فتولى عنهم﴾ لما نزل بهم العذاب، تولى صالح عنهم، ﴿وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم﴾ قال ابن عباس: «خوفتكم من الله ومن عقابه»^(٢) ﴿ولكن لا تحبون الناصحين﴾ لا تجيرونهم إلى ما يدعونكم إليه، وخطابه إياهم بعد كونهم جائمين كخطاب النبي ﷺ قتل بدر، فقيل له: أتكلم هؤلاء الجيف، فقال «ما أنتم بأسمع منهم، لكنهم لا يقدرون على الجواب»^(٣).

وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ مُّسْرِفُونَ ﴿٨٢﴾ وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ ﴿٨٣﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

«قوله تعالى: ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة﴾ يعني إتيان الذكران في قول جميع المفسرين^(٤) ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ قالوا: «ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط»^(٥) ﴿إنكم لتأتون الرجال﴾^(٦)

(١) أحمد في المسند (٢٩٦/٣)، وابن حبان ص ٢٦ أورده الهيثمي في الموارد ٢١١٢، والحاكم (٣٤٠/٢)، وأخرجه ابن جرير نحوه في تفسير عن المشي عن إسحاق، عن عبد الرزاق بإسناده (٥٣٨/١٢) (١٤٨١٨). وقال الحافظ ابن كثير في التفسير (٤٣٦/٣) وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة، وهو على شرط مسلم، وذكره الحافظ في البداية (١١/٥)، (١٣٧/١)، وذكره الهيثمي في المجمع (١٩٧/٦)، وعزه - للبخاري والطبراني في الأوسط، وأحمد بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) تنوير المقباس (١٠٨/٢)، بحر العلوم ٧٩، أبو السعود (٢٤٤/٣)، روح المعاني (١٦٦/٨).

(٣) البخاري (٢٧٤/٣) في كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر (١٣٧٠، ٣٩٨٠، ٤٠٢٦) مسلم (٢٢٠٣/٤) في كتاب الجنة باب عرض مقعد الميت عليه (٢٨٧٤/٧٧)، وانظر تفسير ابن كثير (٤١١٢/٣ - ٤١٣، ٤٤٠)، السيرة لابن هشام (٦٣٨/١)، (٦٣٩)، وانظر تفسير البغوي (١٧٥/٢)، البحر المحيط (٢٣٢/٤)، الرازي (١٣٦/١٤)، روح المعاني (١٦٦/٨)، تفسير أبي السعود (٢٤٤/٣)، القرطبي (١٥٥/٧).

(٤) البغوي (١٧٩/٢)، البحر المحيط (٣٣٣/٤). القرطبي (١٥٥/٧) بحر العلوم آية (٨٠)، أبو السعود (٢٤٤/٣)، الألوسي (١٦٩/٨).

(٥) أخرجه الطبري (٥٤٨/١٢) (١٤٨٣٥) وفيه (ما رؤى) وابن كثير في التفسير ٤٤١/٣، معاني القرآن للزجاج ٣٥٢/٢، والبغوي في التفسير (١٧٩/٢)، والبحر المحيط برواية الطبري ٣٣٣/٤، وأبو السعود في التفسير (٢٤٥/٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٠٠/٣)، وزاد نسبه لابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والبيهقي، وابن عساكر.

(٦) قرأ نافع وحفص «إنكم لتأتون الرجال» بكسر الألف على الخبر وقرأ أبو عمرو «أينكم» بهمز ثم بمد بعد الهمز، أصل الكلمة إنكم ثم دخلت همزة الاستفهام وصار أنكم، فاستقل الجمع بين الهمزتين، فأدخل بينهما ألفاً ليعيد المثل عن المثل ويزول الاجتماع، فيخفف اللفظ فصار: أنكم، ثم لين الثانية فصار: أنكم. وحجته أن العرب تستقل الهمزة الواحدة، فتخففها في أخف أحوالها وهي ساكنة نحو - كأس وبأس - وتقلبها ألفاً، فإذا كانت تخففها وهي وحدها، فإن تخففها ومعها مثلها أولى وقرأ ابن كثير: (أينكم) همزة واحدة غير مطولة، وهو أن تحقق الأولى وتخفف الثانية، والثانية إذا خففت جعلت بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركة الهمزة، وهو هنا همزة مكسورة، والأصل: إنكم ثم دخلت همزة الاستفهام فصار أنكم، ثم لين الثانية فصار: أينكم قرأ ابن عامر =

يعني الفاحشة، وهذا استفهام إنكار^(١) ﴿شهوة من دون النساء﴾ يقال: شها يشها شهوة إذا اشتهى^(٢)، والمعنى تشتهونهم، فتأتونهم وتركون النساء ﴿بل أتم قوم مسرفون﴾ مجاوزون ما أمرتم به ﴿وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم﴾ يعني لوطاً وأتباعه من المؤمنين ﴿من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: «يتنزهون عن أدبار الرجال»^(٣) وهذا إخبار عن ربهم على نبينهم بأفصح جواب حين جعلوا تنزههم عن الفاحشة سبباً لإخراجهم إياه من القرية، وهذا معنى قول قتادة عابوهم بغير عيب، ودموهم بغير ذم^(٤) ﴿فأنجيناه وأهلنا﴾ - يعني - ابنتيه ﴿إلا امرأته﴾ يعني زوجته ﴿كانت من الغابرين﴾ الباقيين في عذاب الله ﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾ امطر الله عليهم حجارة من السماء، كما قال في آية أخرى: ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾^(٥).

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْمِيمًا بَيْنَنَا
مِن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ
صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأذْكُرُوا
كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ
مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ
الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ
لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَٰئِكَ كَرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْرَأْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِن عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مَنَا

= في رواية هشام: ءاتنكم بهميتين بينهما مدة وهو أن تزداد الألف بين الهمزتين، ليعبد المثل عن المثل، فيخف اللفظ بالهمزتين مع الحائل بينهما وهو المدة وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة: ءاتنكم بهميتين. وحجتهم أن الهمزة حرف من حروف المعجم، كغيره من سائر الحروف، جاز الجمع بينهما من غير تغيير كقوله: «أتمدون بمال» «ولعلكم تفكرون» فجعلوا الهمزتين كغيرهما من سائر الحروف، فافهم ذلك وقس وابن على هذا جميع ما يأتي في القرآن من هذا النوع، من اختلاف القراء حجة القراءات (٢٨٧ - ٢٨٨)، وانظر النشر (٢/٢٧٠)، إتحاف فضلاء البشر (٢/٥٤).

(١) انظر كلام الواحدي في الرازي (١٣٧/١٤).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) أخرجه الطبري في التفسير (٥٥٠/١٢) (١٤٨٣٦، ١٤٨٣٩)، وابن كثير في التفسير (٤٤٢/٣)، والبيهقي (١٨٠/٢)، وأبو حيان في البحر (٣٣٥/٤)، وانظر القرطبي (١٥٧/٧)، وتنوير المقياس (١١٩/٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٠٠/٢) وزاد نسبه لعبد الرزاق وابن المنذر، وروي عن مجاهد وقال وأخرج الفريابي، وابن أبي شيبة وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ وذكره...

(٤) أخرجه الطبري (٥٥٠/١٢) (١٤٨٤١)، وابن كثير في التفسير (٤٤٢/٣)، ابن الجوزي في زاد المسير (٢٢٧/٣). وذكره القرطبي (١٥٧/٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٠٠/٣)، وزاد نسبه لعبد بن حميد، وأبي الشيخ.

(٥) سورة الحجر ٧٤.

وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا
لَخَسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَفْنَوْا فِيهَا
الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَنَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُرُوا لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ
وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأَ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾

قوله ﴿وإلى مدين﴾ وهم قبيلة من ولد إبراهيم، بعث الله إليهم شعيباً وهو قوله ﴿أخاهم شعيباً﴾ وهو شعيب بن توبة بن مدين بن إبراهيم الخليل (١) وقوله ﴿قد جاءكم بينة من ربكم﴾ قال عطاء: «موعظة» (٢) ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ قال المفسرون: إن قوم شعيب كانوا أهل كفر بالله، وبخس للمكيال والميزان، فأمرهم شعيب بتوحيد الله، وإتمام الكيل والوزن (٣)، ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ يعني: من المكيل والموزون ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ لا تعملوا فيها بالمعاصي، بعد أن أصلحها الله بالأمر بالعدل وإرسال الرسل ﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون﴾ قال الكلبي والسدي وقتادة: «لا تقعدوا على طريق الناس، تخوفون أهل الإيمان بشعيب» (٤) ﴿وتصدون عن سبيل الله من آمن به﴾ قال الوالي: عن ابن عباس: «كانوا يجلسون في الطريق، فيخبرون من يأتي عليهم أن شعيباً كذاب فلا يفتنكم عن دينكم» (٥) ﴿وتبغونها عوجاً﴾ قال مجاهد: «تلتسون لها الزيف» (٦) وقال الحسن: «لا تستقيمون على طريق الهدى» (٧) وقال الزجاج: «يريد العوجاج والعدول عن القصد» وقوله (٨): ﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم﴾ قال الكلبي: «كثر عددكم، وذلك أنه كان مدين بن إبراهيم وزوجه بنت لوط فولدت، حتى كثر عدد أولادها» (٩) ﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يعني آخر أمر قوم

(١) وهذا قول عطاء، وفي اسمه خلاف، وشعيب عليه السلام رسول لأهل مدين، وهو من أنفسهم اسمه في العربية شعيب - عليه السلام - واسمه في التوراة (يَثْرُون) ويسمى أيضاً (زَعُوئِيل) وهو ابن (تويلي) بن (انويب) بن (رعويل) بن عيفا بن مدين، وقد خلط في نسب شعيب جمع عظيم من المفسرين والمؤرخين فتجنبه...

(٢) البحر المحيط (٣٣٦/٤)، بنحو هذا ذكره ابن كثير (٤٤٣/٣)، وأنكر الزجاج هذا القول وقال: لا تقبل نبوة بغير معجزة.

(٣) انظر البغوي (١٨٠/٢) الخازن (٢٦١/٢)، ابن الجوزي في زاد المسير (٢٢٨/٣)، تفسير ابن كثير (٤٤٣/٣)، الرازي (١٤٢/١٤)، أبو السعود (٢٤٧/٣)، روح المعاني (١٧٧/٨)، البحر المحيط (٣٣٧/٤). وذكره السيوطي في الدر (١٠٢/٣)، وعزاه لإسحاق بن بشر وابن عساکر.

(٤) الطبري (٥٥٦/١٢)، ٥٥٧ - ١٤٨٤٦ - ١٤٨٥٠، البغوي (١٨١/٢)، زاد المسير (٢٢٦/٣)، الخازن (٢٦٢/٢) بحر العلوم آية (٨٦) أبو حيان في البحر (٣٣٨/٤)، القرطبي (١٥٩/٧) روح المعاني (١٧٨/٤)، أبو السعود (٢٤٧/٣)، الرازي (١٤٢/١٤) - ١٤٣، وابن كثير (٤٤٤/٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٠٢/٣) وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

(٥) انظر المصادر السابقة، وذكره أيضا السيوطي المصادر السابقة، ونسبه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٦) بحر العلوم للسمرقندي آية (٨٦)، البغوي (١٨١/٢) والخازن (٢٦٢/٢) وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٠٢/٣) وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٧) بنحوه عند ابن كثير في التفسير (٤٤٤/٣).

(٨) معاني القرآن (٣٥٤/٢) وانظر المعالم للبغوي (١٨١/٢).

(٩) ذكره أبو حيان في البحر (٣٤٠/٤)، والرازي (١٤٣/١٤) روح المعاني (١٧٩/٤).

لوط ﴿وإن كان طائفة منكم ءامنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا﴾ أي إن اختلفتم في رسالتي فصرتم فريقين مكذبين ومصدين ﴿فاصبروا حتى يحكم الله بيننا﴾ أي بتعذيب المكذبين وانجاء المصدقين. ﴿وهو خير الحاكمين﴾ لأنه الحكم العدل الذي لا يجور فكان من جواب قومه أن ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ عن عبادة الله وتوحيده ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين ءامنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾ ولا تفارقكم^(١) على مخالفتنا فقال شعيب: ﴿أو لو كنا كارهين﴾ يعني أو تجبروننا على ملتكم وإن كرهننا ذلك ﴿قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم﴾ وذلك أنهم كانوا يدعون أن الله أمرهم بما كانوا عليه من الكفر، فقال شعيب: ﴿بعد إذ نجانا الله منها﴾ أي من ملتكم إن عدنا فيها كنا مفترين على الله ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء ربنا﴾ أي ما كنا لنرجع في ملتكم بعد إذ وقفنا على أنها ضلالة إلا أن يريد الله إهلاكنا، فإن الله يسعد من يشاء بالطاعة، ويشقى من يشاء بالمعصية، قال الزجاج^(٢): «المعنى وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يكون قد سبق في علم الله ومشيئته أن نعود فيها» وتصديق ذلك قوله: ﴿وسع ربنا كل شيء علماً﴾ قال ابن عباس: «يعلم ما يكون قبل أن يكون»^(٣) ﴿على الله توكلنا﴾ في كل أمورنا ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ قال ابن عباس، والحسن، وقتادة والسدي: «احكم واقض»^(٤) وقال الفراء: «وأهل عمان يسمون القاضي الفاتح»^(٥) لأنه يفتح مواضع الحق»^(٦) وقال الزجاج: «المعنى أظهر أمرنا، حتى يفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بأن تنزل بهم من العذاب والهلكة ما يظهر أن الحق معنا»^(٧) وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿الذين كذبوا شعيباً كان لهم يغنوا فيها﴾ أي كأن لم يقيموا في دارهم ولم يكونوا هناك بعد الإهلاك، يقال غني القوم في مكانهم إذا أقاموا به والمغنى المنزل وقوله ﴿فكيف آسى على قوم كافرين﴾ أي كيف يشتد حزني عليهم إذا أهلكهم الله؟ يقال: آسيت على الشيء آسى آسى إذا اشتد^(٨) حزنك عليه، وهذا استفهام معناه الإنكار أي لا آسى عليهم.

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾

(١) في ج ولا تفارقكم.

(٢) معاني القرآن (٣٥٥/٢) البغوي (١٨١/٢)، وانظر الرازي (١٤٥/١٤) القرطبي (١٦٠/٧).

(٣) القرطبي (١٦٠/٧)، وبنحوه البغوي (١٨٢/٢)، الرازي (١٤٦/١٤)، أبو السعود (٢٥١/٣)، تنوير المقباس (١١١/٢)، بحر العلوم آية (٨٩).

(٤) الرازي (١٤٧/١٤)، البغوي (١٨٢/٢). بحر العلوم المصدر السابق، تنوير المقباس (١١١/٢)، ابن كثير ٤٤٤/٣، البحر المحيط (٣٤٤/٤)، وذكره السيوطي في الدر بنحوه ١٠٣/٣، وعزه لأبن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في الوقف والابتداء، والبيهقي في الأسماء والصفات، وعزه من طريق السدي لابن أبي حاتم.

(٥) وهي لغة حمير وقيل مراد، انظر البحر المحيط (٣٤٤/٤) روح المعاني (٥/٩).

(٦) معاني القرآن للفراء (٣٨٥/١)، وانظر قول الفراء في تفسير الرازي (١٤٧/١٤) والبحر المحيط (٣٤٥/٤).

(٧) معاني القرآن للزجاج (٣٥٧/٢) وانظره في البحر المحيط (٣٤٥/٤)، والرازي (١٤٧/١٤).

(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٢٢/١) لسان العرب (٨٣/١).

وقوله: ﴿وما أرسلنا في قرية﴾ قال ابن عباس «يريد في مدينة»^(١)، والقرى في كتاب الله كله المدائن وقوله: ﴿من نبي﴾ هو محذوف الصفة لأن التقدير من نبي فكذب أو فكذبه أهلها ﴿إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء﴾ يعني الفقر والجوع والأسقام ﴿لعلهم يضرعون﴾ أي يتذللون ويستكينون ﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة﴾ يعني بالسيئة البؤس والمرض، وبالْحَسَنَةِ الغنى والصحة، والمعنى: أنه يعطيهم بدل ما كانوا فيه من البؤس والمرض المال والصحة، أخبر الله أنه يأخذ أهل المعاصي بالشدة تارة وبالرخاء تارة وقوله ﴿حتى عفوا﴾ أي كثروا وزادوا وكثرت أموالهم، يقال: عفا الشعر والوبر إذا كثر^(٢) وقال مجاهد: كثرت أموالهم وأولادهم: ﴿وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء﴾ - يعني - لما صاروا على الرخاء قالوا قد مس آباءنا من الدهر الشدة والرخاء، وتلك عادة الدهر ولم يكن ما مسنا عقوبة من الله فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم لم يقلعوا عن دينهم بما مسهم من الضراء، وقوله: ﴿فأخذناهم بغتة﴾ أي لما فسدوا على الأمرين جميعاً أخذناهم بغتة، آمن ما كانوا ليكون أعظم في الحسرة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بنزول العذاب وإنما أخبر الله تعالى بهذا عن الأمم السالفة، فليعتبر أولئك المشركون الذين كانوا يكذبون محمداً ﷺ، قوله: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا﴾ قال ابن عباس: «وحدوا الله واتقوا الشرك»^(٣) ﴿لفتحنا﴾^(٤) عليهم بركات من السماء والأرض﴾ قال: «يريد الأمطار والخصب، وكثرة المواشي والأنعام»^(٥) ﴿ولكن كذبوا﴾ الرسل ﴿فأخذناهم﴾ بالجدوبة والقحط ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من الكفر والمعصية. ثم خوف كفار مكة فقال:

أَفَأَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوِ شَاءَ أَصَابْنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطَّبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿أفأمن أهل القرى﴾ قال ابن عباس: «يعني مكة وما حولها»^(٦) ﴿أن يأتيهم بأسنا﴾ عذابنا ﴿بيئاتاً﴾ ليلاً ﴿وهم نائمون أو آمن﴾ هذه واو العطف دخلت عليه همزة استفهام، وقرأ نافع أو بسكون الواو فيكون المعنى أفأمنوا إحدى هذه العقوبات،^(٧) والضحى صدر النهار^(٨) وقت انبساط الشمس،

(١) انظر القرطبي (١٦١/٧)، ونحو هذا انظر الرازي (١٥٠/١٤).

(٢) تفسير الرازي (١٥٠/١٤)، القرطبي (١٦١/٧)، البحر المحيط (٣٤٧/٤)، أبو السعود (٢٥٣/٣)، روح المعاني (٩/٩).

(٣) البغوي في التفسير (١٨٣/٢) البحر المحيط ٣٤٧/٤، وحكاة القرطبي عن ابن زيد (١٦١/٧). ذكره السيوطي في الدر

(٤) (١٠٣/٣)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وانظر تفسير ابن كثير (٤٤٦/٣).

(٥) بحر العلوم للسمرقندي آية ٩٦، ونحو هذا القرطبي (١٦١/٧) وانظر تنوير المقياس (١١٤/٢).

(٦) قرأ ابن عامر (لَفْتَحْنَا) بالشديد أي مرة بعد مرة ووجهه قوله: (بركات من السماء) ولم يقل: بركة، وقرأ الباقون بالتخفيف، أرادوا

الواحد، حجة القراءات لأبن زنجلة ص (٢٨٨)، إتحاف فضلاء البشر (٥٥/٢)، البحر المحيط (٣٤٨/٤) روح المعاني

(١١/٩) أبو السعود (٢٥٣/٣).

(٦) انظر تفسير البغوي (١٨٣/٢) بحر العلوم المصدر السابق، تنوير المقياس (١١٤/٢)، الرازي (١٥١/١٤) تفسير أبي السعود

(٢٣٥/٣) البحر المحيط (٣٤٨/٤) وانظر القرطبي (١٦١/٧)، ابن كثير (٤٤٧/٣)، روح المعاني (١٠/٩).

(٧) البغوي (١٨٣/٢)، تنوير المقياس (١١٤/٢) القرطبي (١٦٢/٧)، أبو السعود (٢٥٣/٣)، روح المعاني (١١/٩)، (١٢).

(٨) وابن كثير وابن عامر. وجعلوه نسقا في الاستفهام، كما تقول: أتمت أو. قعدت؟ وقرأ الباقون (أَوْ آمِن) بفتح الواو جعلوا واو عطف

دخلت عليها ألف الاستفهام. حجة القراءات (٢٨٩). النشر (٢٧٠/٢)، إتحاف فضلاء البشر (٥٥/٢)، البحر المحيط

(٣٤٩/٤)، القرطبي (١٦٢/٧)، الرازي (١٥١/١٤) البغوي (١٨٤/٢). روح المعاني (١٢/٩).

(٩) انظر لسان العرب (٢٥٥٩/٤)، ترتيب القاموس (١٤/٣)، المفردات ص (٤٣٤).

قال الحسن: ^(١) المعنى انهم لا يجوز لهم أن يؤمنوا ليلاً ولا نهاراً بعد تكذيب الرسل، وقوله ﴿وهم يلعبون﴾ أي وهم في غير ما ينفعهم ويعود عليهم بنفع، ومن اشتغل بدنياه وأعرض عن آخرته فهو كاللاعب وقوله: ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ قال المفسرون: مكر الله استدراجهم إياهم بالنعم والصحة ليظروا ويتمادوا في المعصية والغي فيكون ذلك في الحقيقة اضراً بهم من حيث لا يشعرون ﴿أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها﴾ يعني كفار مكة ومن حولهم، يقول: أول نبين لهم أنا ﴿لو نشاء أصبناهم بذنوبهم﴾ أي أخذناهم وعاقبناهم كما عاقبنا من قبلهم، وقوله ﴿ونطبع على قلوبهم﴾ قال: الزجاج ^(٢): هذا مستأنف منقطع عما قبله لأن قوله أصبنا ماض، ونطبع مستقبل والمعنى: ونحن نطبع على قلوبهم: قال ابن الأنباري: «ويجوز أن يكون معطوفاً على أصبنا إذا كان بمعنى نصيب» ^(٣)

(١) تفسير البغوي (١٨٥/٢)، البحر المحيط (٣٤٩/٤)، القرطبي (١٦٢/٧)، روح المعاني (١٢/٩)، الرازي (١٥١/١٤)، تفسير ابن كثير (٤٤٧/٤).

(٢) معاني القرآن (٣٦١/٢)، والفراء (٣٨٦/١)، وانظر الرازي (١٥٣/١٤)، القرطبي (١٦٢/٧)، وانظر أبو السعود (٢٥٤/٣). ثبت في الأصل وغيره هكذا قال الزجاج وابن الأنباري هذا مستأنف والتصحيح من معاني القرآن وغيره.

(٣) فوضع الماض موضع المستقبل عند وضوح معنى الاستعمال كما قال تعالى ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ أي إن يشاء يدل عليه قوله ﴿ويجعل لك قصوراً﴾. قال أبو حيان: جعل لو شرطية بمعنى إن، ولم يجعلها التي هي لما كان سيقع لوقع غيره ولذلك جعلنا أصبنا بمعنى نصيب، ومثال وقوع لو موقع إن قول الشاعر:

لا يلفك الرجيك إلا مظهراً خلق الكرام ولو تكون عديماً

قال أبو حيان: وهذا الذي قاله ابن الأنباري، رده الزمخشري من جهة المعنى، لكن بتقدير أن يكون، ونطبع بمعنى طبعنا، فيكون قد عطف المضارع على الماضي الذي هو جواب لو نشاء، فجعله بمعنى نصيب، فتأول المعطوف عليه وهو الجواب، ورده إلى المستقبل، والزمخشري تأول المعطوف ورده إلى الماضي، وأنتج رد الزمخشري أن كلا التقديرين لا يصح، قال الزمخشري: فإن قلت: هل يجوز أن يكون ونطبع بمعنى طبعنا، كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا، ويعطف على أصبناهم؟ قلت: لا يساعد هذا المعنى، لأن القوم كان مطبوعاً على قلوبهم، موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والإصابة بها وهذا التفسير يؤدي إلى خلوهم عن هذه الصفة، وأن الله تعالى لو شاء لآتصفوا بها وقال أبو حيان وهذا الرد ظاهر الصحة، وملخصه أن المعطوف على الجواب، سواء تأولنا المعطوف عليه أم المعطوف، وجواب لو لم يقع بعد، سواء كانت حرفاً لما كان سيقع لوقع غيره، أم بمعنى إن الشرطية والإصابة لم تقع، والطبع على القلوب واقع، فلا يصح أن يعطف على الجواب، فإن تأول ونطبع على معنى ونستمر على الطبع على قلوبهم، أمكن التعاطف، لأن الاستمرار لم يقع بعد، وإن كان الطبع قد وقع، وقال أبو عبد الله الرازي: تقرير صاحب الكشاف على أقوى الوجوه هو ضعيف، لأن كونه مطبوعاً عليه في الكفر لم يكن منافياً لصحة العطف، وكان قد قرر أن المعنى أو لم يبين للذين نبقهم في الأرض بعد إهلاكنا من كان قبلهم فيها أن نهلكم بعدهم، وهو معنى قوله: ﴿أن لو نشاء أصبناهم﴾ أي يعقاب ذنوبهم، ونطبع على قلوبهم أي: لم نهلكهم بالعذاب، نطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون: أي لا يقبلون لا يتعظون ولا يتزجرون، وإنما قلنا: إن المراد إما الإهلاك وإما الطبع على القلب، لأن الإهلاك لا يجتمع مع الطبع على القلب، فإنه إذا أهلكه يستحيل أن يطبع على قلبه والعطف في (ونطبع) بالواو يمنع ما ذكره، لأن جعل المعنى على أنه إما الإهلاك وإما الطبع، وظاهر العطف بالواو ينبو عن الدلالة على هذا المعنى، فإن جعلت الواو بمعنى أو أمكن ذلك وكذلك ينبو عن قوله: ﴿إن لم نهلكهم بالعذاب ونطبع على قلوبهم﴾ العطف بالواو، وأورد أبو عبد الله الرازي من أقوال المفسرين، ما يدل على أن كونه مطبوعاً عليه في الكفر لا ينافي صحة العطف، فقال أبو علي: ويعني به والله اعلم الجبائي الطبع سمة في القلب من نكتة سوداء أن صاحبها لا يفلح، وقال الأصم: أي يلزمهم ما هم عليه، فلا يتوبون إلا عند المعايبة فلا تقبل توبتهم، وقال أبو مسلم: الطبع الخذلان أي أنه يخذل الكافر فيرى الآية فلا يؤمن بها، ويختار ما اعتاد وألف، وهذه الأقوال لا يمكن معها العطف إلا على تأويل أن تكون الواو بمعنى أو، وأجاز الزمخشري في عطف (ونطبع) وجهين آخرين: أحدهما ضعيف، والآخر خطأ، قال الزمخشري: فإن =

وفي هذا تكذيب للقدرية^(١) وبيان أن الله إذا شاء طبع على قلب، فلا يفقه هدى، ولا يعي خيراً.

تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

قوله: ﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها﴾ يعني القرى التي أهلك أهلها، نتلو عليك من أخبارها، لما فيها من الاعتبار ربما كانوا عليه من الاعتزاز، حتى أتاهم العذاب ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات والآيات ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ بعد ما رأوها ﴿بما كذبوا من قبل﴾، رؤيتهم تلك العجائب ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ أي: مثل ذلك الذي طبع الله على قلوب كفار الأمم الخالية يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم ألا يؤمنوا أبداً، قوله: ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾ قال ابن عباس: يريد الوفاء بالعهد الذي عاهدهم عليه، حين أخرجهم من صلب آدم، حيث يقول: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾^(٢)، ﴿وإن وجدنا أكثرهم لفاسيقين﴾ عاصين ناقضين للعهد.

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تُوَكُّ يَا كَلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾

= قلت: بم يتعلق قوله تعالى ﴿ونطبع على قلوبهم﴾؟ قلت: فيه أوجه أن يكون معطوفاً على ما دل عليه معنى «أو لم يهد لهم» كأنه قيل: (يقفلون عن الهداية) (ونطبع على قلوبهم) أو على (يرثون الأرض) بقوله: إنه معطوف على مقدر وهو (يقفلون عن الهداية) ضعيف لأنه إضمار، لا يحتاج إليه، إذ قد صح أن يكون على الاستئناف من باب العطف في الجمل، فهو معطوف على مجموع الجملة المصدرية بأداة الاستفهام، وقد قاله الزمخشري وغيره، وقوله: إنه معطوف على (يرثون) خطأ لأنه إذا كان معطوفاً على يرثون كان صلة (للذين) لأن المعطوف على الصلة صلة، ويكون قد فصل بين إيعاض الصلة بأجنبي من الصلة، وهو قوله: «أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم» سواء قدرنا أن لو نشاء في موضع الفاعل ليهد، وفي موضع المفعول فهو معمول ليهد، لا تعلق له بشيء من صلة الذين، وهو لا يجوز، ومعنى قوله: «أصبناهم بذنوبهم» بمقاب ذنوبهم، أو يضمن أصبناهم معنى أهلكناهم، فهو من مجاز الإضمار أو التضمن ونفي السماع، والمعنى نفي القبول والاتعاظ المترتب على وجود السماع، جعل انتفاء فائدته انتفاء له. انظر البحر (٣٥١/٤ - ٣٥٢).

(١) وهم المعتزلة وهذا لقبهم، ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، وانظر تفصيل ضلالتهم في الملل والنحل للشهرستاني (٤٣/١) وما بعدها.

(٢) سورة الأعراف (١٧٢) القرطبي (١٦٣/٧) الرازي (١٥٣/١٤)، البغوي (١٨٥/٢)، البحر المحيط ٣٥٤/٤، تفسير ابن كثير ٤٤٩/٤، روح المعاني ١٦/٩ - ١٧، تفسير أبي السعود ٢٥٦/٣، وذكره السيوطي في الدر عن الحسن ١٠٤/٣، وعزاه لابن أبي حاتم وذكره أيضاً عن أبي العالبة (١٠٥/٣)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وذكره أيضاً عن أبي بن كعب، وعزاه لابن جرير.

قوله ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ من بعد الأنبياء الذين جرى ذكرهم ﴿موسى بآياتنا﴾ بما آتيناه من المعجزات ﴿إلى فرعون وملئه فظلموا بها﴾ قال ابن عباس «فكذبوا بها»^(١)، قال الزجاج «جعلوا بدل الإيمان بها الكفر»^(٢) ﴿فانظر كيف كلف عاقبة المفسدين﴾ فانظر بعين قلبك كيف فعلنا بهم، وكيف عاقبناهم قوله: ﴿حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق﴾ على هنا بمعنى الباء، قال الفراء^(٣): «العرب تجعل على بمعنى الباء، يقولون رميت على القوس، وبالقوس، وجئت على حال حسنة وبحال حسنة» وفي حرف عبد الله^(٤) «حقيق بأن لا أقول»^(٥)، [والمعنى أنا حقيق بأن لا أقول]^(٦) وقيل نافع عليّ مشددة بالياء^(٧) قال الزجاج: المعنى واجب على ترك القول على الله إلا بالحق وهو أنه لا إله غيره^(٨) والمعنى أن موسى عليه السلام قال: «واجب عليّ أن لا أقول في وصف الله تعالى إلا ما هو الحق، وهو توحيدهِ وتنزيهه عن الشريك»^(٩) ﴿قد جئتمكم بيئة من ربكم﴾ قال ابن عباس: «يعني العصا»^(١٠) ﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾ أطلق عنهم وخلهم، وكان فرعون قد استخدمهم في الأعمال الشاقة من نحو ضرب اللبن، ونقل التراب، وقوله: ﴿فإذ هي ثعبان مبين﴾

الثعبان الحية الضخم الذكر،^(١١) [وهو]^(١٢) من أعظم الحيات، قال الكلبي: «ملأت الحية دار فرعون، ثم فتحت فاهها، فإذا شدقها ثمانون ذراعاً، ثم شدت على فرعون لتبتلعه، فوثب فرعون عن سريزه وهرب، وقام به بطنه ذلك اليوم أربعمئة مرة، ولم يستمسك بطنه بعد ذلك اليوم حتى هلك»^(١٣) ثم أدخل موسى [يده جيب مدرعته ثم أخرجها فإذا]^(١٤) هي بيضاء للناظرين لها شعاع ساطع يغلب شعاع الشمس، يضيء ما بين السماء والأرض، فذلك قوله: ﴿ونزع يده﴾ أي أخرجها من جيبه ﴿فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ فلما رأوا ذلك قالوا ﴿إن هذا لساحر عليم﴾ يعنون أنه حاذق بالسحر، نسبوا ذلك إلى السحر ﴿يريد أن يخرجكم﴾ يا معشر القبط ﴿من أرضكم﴾ ويزيل ملككم

(١) انظر البغوي ١٨٥/٢، بحر العلوم آية ١٠٣، تفسير ابن كثير ٤٤٩/٣، أبو السعود ٢٥٧/٣، القرطبي ١٦٣/٧.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٦٢/٢.

(٣) معاني القرآن للفراء (٣٨٦/١) وبه قال أبو الحسن والفارسي، انظر البحر المحيط (٣٥٥/٤) وانظر قول الفراء في روح المعاني (١٨/٩) الرازي (١٥٦/١٤)، البغوي ١٨٥/٢، وانظر القرطبي (١٦٤/٧)، أبو السعود (٢٥٧/٣) وانظر إتحاف فضلاء البشر (٥٥/٢).

(٤) أي: قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ووافقه الأعمش.

(٥) وهذه القراءة شاذة لمخالفتها الرسم العثماني، انظر مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص ٥٠، وانظر تفسير الرازي (١٥٦/١٤) وانظر أبو السعود (٢٥٨/٣) والقرطبي (١٦٤/٧)، البحر المحيط (٣٥٦/٤).

(٦) سقط في أ.

(٧) انظر المصادر السابقة، وانظر حجة القراءات لابن زنجلة (٢٨٩) النشر ٢٧٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ٥٥/٢.

(٨) معاني القرآن للزجاج (٣٦٢/٢) وانظر الفخر الرازي (١٥٦/١٤) البغوي ١٨٥/٢.

(٩) في ب، ج (الشرك).

(١٠) البغوي ١٨٥/٢، بحر العلوم آية ١٠٥، البحر المحيط ٣٥٦/٣.

(١١) القرطبي (١٦٤/٧)، روح المعاني (١٩/٩)، الرازي (١٥٩/١٤)، البغوي (١٨٥/٢).

(١٢) في ج (وهي).

(١٣) انظر هذا في البحر المحيط (٣٥٧/٤)، عن ابن عباس روح المعاني (١٩/٩)، الرازي (١٥٩/٤)، وانظر تفسير أبي السعود

(٢٥٨/٣) وانظر تفسير الطبري (١٥/١٣)، ابن كثير (٤٥١/٣) البغوي (١٨٦/٢).

(١٤) سقط في أ.

بتقوية بني إسرائيل عليكم، فقال فرعون لما قال الملائكة ذلك: ﴿فماذا تأمرون﴾^(١) قال ابن عباس: «ما الذي تشيرون به علي؟»^(٢) ﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ وقرئ بالهمزة وهما لغتان، يقال أرجأت الأمر وأرجيته إذا أخرته، ومنه قوله تعالى ﴿مرجون لأمر الله﴾ و﴿ترجي من تشاء﴾ فيهما «القراءتان»^(٣) «والمعنى أخره، وأخر أمره، ولا تعجل عليه، ثم

(١) ذكر الزجاج فيه ثلاثة أوجه: الأول: أن كلام الملائكة من قوم فرعون تم عند قوله: (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره)، ثم عند هذا الكلام قال فرعون مجيباً لهم: (فماذا تأمرون) واحتجوا على صحة هذا القول بوجهين: أحدهما: أن قوله (فماذا تأمرون) خطاب للجمع لا للواحد، فيجب أن يكون هذا كلام فرعون للقوم. أما لو جعلناه كلام القوم مع فرعون، لكانوا قد خاطبوه بخطاب الواحد لا بخطاب الجمع. وأجيب عنه: بأنه يجوز أن يكونوا خاطبوه بخطاب الجمع تفخيماً لشأنه، لأن العظيم إنما يكتفى عنه بكناية الجمع، كما في قوله تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ الحجر: (٩) ﴿إنا أرسلنا نوحاً﴾، (نوح: ١)، ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ - القدر (١) والحجة الثانية: أنه تعالى لما ذكر قوله (فماذا تأمرون) قال بعده: (قالوا أرجه)، ولا شك أن هذا كلام القوم وجعله جواباً عن قولهم (فماذا تأمرون) فوجب أن يكون القائل لقوله: (فماذا تأمرون) غير الذي قالوا أرجه، وذلك يدل على أن قوله: (فماذا تأمرون) كلام لغير الملاء من قوم فرعون. وأجيب عنه: بأنه لا يبعد أن القوم قالوا: (إن هذا لساحر عليم) ثم قالوا لفرعون ولأكابر خدمه: (فماذا تأمرون) ثم أتبعوه بقولهم: (أرجه وأخاه) فإن الخدم والأتباع يفوضون الأمر والنهي إلى المخدوم والمتبوع أولاً، ثم يذكرهم ما حضر في خواطرهم من المصلحة.

والقول الثاني: أن قوله (فماذا تأمرون) من بقية كلام القوم، واحتجوا عليه بوجهين: الأول: أنه منسوق على كلام القوم من غير فاصل، فوجب أن يكون ذلك من بقية كلامهم، والثاني: أن الرتبة معتبرة في الأمر، فوجب أن يكون قوله (فماذا تأمرون) خطاباً من الأدنى مع الأعلى، وذلك يوجب أن يكون هذا من بقية كلام فرعون معه، وأجيب عن هذا الثاني: بأن الرئيس المخدوم، قد يقول للجمع الحاضر عنده من رهنه ورعيته: ماذا تأمرون؟ ويكون غرضه منه تطييب قلوبهم وإدخال السرور في صدورهم، وأن يظهر من نفسه كونه معظماً لهم ومعتقداً فيهم. ثم إن القائلين بأن هذا من بقية كلام قوم فرعون ذكروا وجهين: أحدهما: أن المخاطب بهذا الخطاب هو فرعون وحده، فإنه يقال للرئيس المطاع: ما ترون في هذه الواقعة، أي ما ترى أنت وحدك، والمقصود أنك وحدك قائم مقام الجماعة، والغرض منه التنبيه على كماله ورقة شأنه وحاله. والثاني: أن يكون المخاطب بهذا الخطاب هو فرعون وأكابر دولته وعظماء حضرته، لأنهم هم المستقلون بالأمر والنهي والله اعلم الرازي (١٤/١٦٠ - ١٦١).

(٢) البغوي ٢/١٨٦، روح المعاني (٢١/٩) تفسير ابن كثير (٣/٤٥٢)، أبو السعود (٣/٢٥٩)، البحر المحيط (٤/٣٥٩).

(٣) قرأ ابن كثير وهشام عن ابن عامر: (أرجئته) مهموزة بواو بعد الهاء في اللفظ. وأصل هذه الهاء التي للمضمر أن تكون مضمومة بعدها واو كقولك: (ضربت بها فتى) و(مررت بهو فتى). على الهاء من المذكر كما زيدت، زعم سيويه: (أن الواو زيدت الألف في المؤنث) كقولك: ضربتها ومررت بها ليستوي المذكر والمؤنث في باب الزيادة وعلامة الأمر في (أرجئته) تكون الهمزة وقرأ أبو عمرو (وأرجئته) مضمومة الهاء من غير إشباع، اكتفاء بالضممة عن الواو لأنها نابت عن الواو. وأخرى: أن الهاء ليست بحاجز حصين، فكان الساكن الذي قبلها ملاققاً للساكن الذي بعدها، فتحذف الواو - كما يحذف الساكن عند ملاقة ساكن وقرأ نافع والكسائي: (أرجئته) بغير همزة وبجر الهاء، يصلان بياء. والأصل في هذه الهاء الضمة ولكنهم قلبوا الواو بياء لأنكسار ما قبلها، - أعني كسرة الجيم - وإنما اختار الكسرة على الضمة التي هي الأصل، لاستئصال الضمة بعد الكسرة وقرأ الحلواني عن نافع: (أرجه) بكسر الهاء من غير إشباع. وحجته هي أن الكسرة تدل على الياء وتنب، كما قال: (أكرمني) و(أهانني) والأصل: أكرمني وأهانني. وقرأ عاصم وحزمة: (أرجه) بترك الهمزة وسكون الهاء. وحجتهما ذكرها الفراء قال: إن من العرب من يسكن الهاء إذا تحرك ما قبلها، فيقول: ضربته ضرباً مديداً فيزلون الهاء وأصلها الضمة بمنزلة أنتم وأصل الميم الرفع ولم يصلوها بواو. والذي يدل على ما قال أنك تردّها إلى الأصل مع المضمر فنقول: رأيتهم قال الله تعالى: ﴿فقد رأيتهم وأنتم تنظرون﴾ فأجريا الهاء من غير إشباع قال أهل النحو: هذا غلط لأن الكسرة لا تجوز في الهاء إذا سكن ما قبلها نحو منهم بكسر الهاء. قال: وإنما يجوز كسر الهاء إذا كان ما قبلها ياء أو كسرة فتكسر الهاء لأجلهما، وله وجه قد ذكره بعض النحويين قال: إن الهمزة لما سكنت للجزم، وبعدها الهاء ساكنة على لغة من يسكن، فكسر الهاء لالتقاء الساكنين وليس هذا كقولهم: منهم، لأن الهاء هنالك لا تكون إلا متحركة انظر ابن زنجلة (٢٨٩ وما بعدها)، وانظر النشر (٢/١٠٧) إتحاف فضلاء البشر (٢/٥٦)، وانظر البحر المحيط (٤/٣٥٩ - ٣٦٠).

طلبوا معارضة المعجزة، بالحيلة، فقالوا ﴿وَأرسل في المدائن حاشرين﴾ قال ابن عباس: «يريد في مدائن صعيد مصر رجالاً يجشرون إليك من فيها من السحرة»^(١) وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد ﴿يأتوك بكل ساحر^(٢) عليم﴾
 وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّمَا أَن تُلْقَىٰ وَإِنَّمَا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن ألقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فغلبوا هنالك وَانْقَلَبُوا صَعْرِينَ ﴿١١٩﴾ وَألقى السحرة ساجدين ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَأَمَّنَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَّنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَن ءَأَذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَن ءَأَمَّنَّا بِرَبِّنَا لَمَّا جَاءَ تَتَّارَبْنَا أفرغ علينا صبراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾

﴿وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً﴾ ما لا تعطينا ﴿إن كنا نحن الغالين﴾ لموسى ﴿قال نعم﴾ أجابهم فرعون إلى ما سألوا من المال على الغلبة، كأنه قال: نعم لكم ذلك ﴿وإنكم لمن المقربين﴾ عندي في المنزلة، قال الزجاج^(٣) «أي ولكم مع الأجر المنزلة الرفيعة عندي» فقالت السحرة لموسى ﴿إما أن تلقى﴾ عصاك ﴿وإما أن نكون نحن الملقيين﴾ ما معنا من الحبال والعصي ﴿قال﴾ لهم موسى: ﴿اللقوا﴾ [ما أنتم ملقون]^(٤) ﴿فلما ألقوا سحروا أعين الناس﴾ قلبوها عن صحة إدراكها بما موهوا، من تلطف الحيلة، حتى رأوا الحبال حيات، ﴿واسترهبوهم﴾ قال المبرد: أرهبوهم والسين زائدة^(٥) وقال المؤرج^(٦): «أفرعوهم»^(٧) وقال الزجاج: «استدعوا رهبة الناس»^(٨) ﴿وجاءوا بسحر

(١) تفسير البغوي (١٨٦/٢)، روح المعاني (٢٣/٩)، تفسير أبي السعود (٢٥٩/٣)، تفسير الرازي (١٦٣/١٤) البحر المحيط (٣٦٠/٤).

(٢) قرأ حمزة والكسائي «بكل سحار عليم» بالألف بعد الحاء، وكذلك في يونس، وقرأ الباقون «يأتوك بكل ساحر» الألف قبل الحاء، انظر حجة القراءات (٢٩١ - ٢٩٢)، النشر (٢٧٠/٢ - ٢٧١) إتحاف فضلاء البشر (٥٧/٢).

(٣) معاني القرآن (٣٦٦/٢)، وذكره البغوي في التفسير (١٨٧/٢)، وانظر القرطبي (١٦٥/٧).

(٤) سقط في أ.

(٥) وقوله السين زائدة فيه إساءة أدب مع القرآن الكريم، الأولى أن يعبر عنها بقوله: (صلة) وقول المبرد انظره في الرازي (١٦٦/١٤).

(٦) مؤرج بن عمرو بن الحارث السدوسي النحوي أبو فيد البصري قال الزبيدي: كان عالماً بالعربية إماماً في النحو وقال الحاكم: أحد الأئمة من أهل الأدب، سنع من قره بن خالد وأبي عمرو بن العلاء. وعنه النضر بن شميل، وكان يقول: قدمت من البادية، ولا معرفة لي بالمقياس في العربية، وإنما كانت معرفتي قريحتي، وأول ما تعلمت القياس في حلقة أبي زيد الأنصاري مات سنة خمس وتسعين - وقيل: أربع وتسعين - ومائة وقيل: عاش إلى بعد المائتين. انظر البغية (٣٠٥/٢) ووفيات الأعيان (١٣٠/٢) إنباه الرواة (٣٢٧/٣) تاريخ بغداد (٢٥٨/١٣) معجم الأدباء (١٩٣/٧) المزهري (٢٣٢/٢).

(٧) ذكره السمرقندي في بحر العلوم بلا نسبة آية (١١٦) وانظر البحر المحيط (٣٦٢/٤)، البغوي (١٨٧/٢).

(٨) معاني القرآن للزجاج (٣٦٦/٢)، انظر الرازي (١٦٦/١٤)، وانظر البحر المحيط (٣٦٢/٤).

عظيم ﴿ وذلك أنهم القوا حبالا غلاظا، فإذا هي حيات قد ملأت الوادي، يركب بعضها بعضاً، فأوحى الله تعالى ﴿ إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ﴿ تتبلع وتلقم، وقرأ حفص «تلقف» مخففاً،^(١) يقال لقفت الشيء ألقفته لفتاً، إذا أخذته، فأكلته وابتلعت، ومثله تلقفته [والتلقفته]^(٢) قال المفسرون: «لما ألقى موسى العصى صارت حية عظيمة، حتى سدت الأفق ثم فتحت فهاها ثمانين ذراعاً وابتلعت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم^(٣)»، وهو قوله: ﴿ ما يأفكون ﴾ يأتيون بالإفك وهو الكذب^(٤)، وذلك أنهم زعموا أن حبالهم حيات، وكذبوا في ذلك، إنما كانوا جعلوا فيها الزئبق، وصوروها بصور الحيات فاضطرب الزئبق، لأنه لا يستقر، قوله ﴿ فوقع الحق ﴾ قال الحسن ومجاهد: «ظهر»^(٥) وقال الفراء: «فتبين الحق من السحر»^(٦) وذلك أن السحرة قالوا: لو كان ما صنع موسى سحراً لبقيت حبالنا وعصينا ولم تفقد، فلما فقدت علموا أن ذلك من أمر الله تعالى^(٧)، فذلك قوله ﴿ وبطل ما يعملون ﴾ أي: زال وذهب بأن فقد ما عملوا به السحر من الحبال والعصي ﴿ فغلبوا هنالك ﴾ أي: غلب فرعون وقومه عند ذلك الجمع، ﴿ وانقلبوا ﴾ وانصرفوا من ذلك الموضع ﴿ صاغرين ﴾ ذليلين ﴿ وألقى السحرة ساجدين ﴾ قال ابن عباس: «خروا لله سامعين مطيعين»^(٨) ﴿ قالوا مانا يرب العالمين ﴾ قال فرعون: إياي تعنون؟ قالوا: لا، ﴿ رب موسى وهارون قال فرعون أمتم به قبل أن أذن لكم ﴾^(٩) أصدقتم موسى من قبل أمري إياكم؟ ﴿ إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة ﴾ قال الكلبي:

(١) انظر حجة الفراءات لابن زنجلة (٢٩٢)، النشر (٢٧١/٢)، إتحاف فضلاء البشر (٥٨/٢) البحر المحيط (٣٦٣/٤)، البغوي

(٢) (١٨٨/٢)، القرطبي (١٦٦/٧)، الرازي (١٦٦/١٤)، بحر العلوم آية (١١٦)، روح المعاني (٢٥/٩).

(٣) سقط في أ.

(٤) انظر تفسير الرازي (١٦٧/١٤)، وانظر البحر المحيط (٣٦٤/٤) البغوي (١٨٧/٢).

(٥) انظر لسان العرب (٩٧/١)، ترتيب القاموس (١٦٠/١).

(٦) البغوي في التفسير (١٨٨/٢)، وأبو حيان في البحر (٣٦٤/٤)، الرازي (١٦٧/١٤) القرطبي عن مجاهد (١٦٦/٧) وذكره الألويسي عن مجاهد والحسن، روح المعاني (٢٥/٩) تنوير المقياس (١١٨/٢) بحر العلوم آية (١١٨) وذكره السيوطي في

الدر (١٠٧/٣) عن مجاهد وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير، وابن المنذر، وأبي الشيخ.

(٧) معاني الفراء (٣٩١/١) انظر تفسير الرازي (١٦٧/١٤) وانظر روح المعاني (٢٥/٩).

(٨) قال أهل المعاني: الوقوع: ظهور الشيء بوجوده نازلاً إلى مستقره، وسبب هذا الظهور ما ذكره المصنف رحمه الله بقوله: وذلك أن السحرة الخ. وانظر تفسير الرازي (١٦٧/١٤)، البحر المحيط (٣٦٤/٤).

(٩) انظر روح المعاني (٢٦/٩)، بحر العلوم آية (١٢٠)، وقال الأخفش من سرعة ما سجدوا، كأنهم ألقوا، انظر المصدرين السابقين، وانظر البغوي (١٨٨/٢) الرازي (١٦٨/١٤).

(٩) قرأ ورش عن نافع وحفص: (قال فرعون أمتم به) على لفظ الخبر بغير استفهام. أي: صدقتم به وقرأ نافع واليزي عن ابن كثير، وأبو عمرو وابن عامر: قال فرعون أمتم؟ بالهمز والمد على الاستفهام، أي: أجعلتم له الذي أراد؟ في (أمتم) ثلاث ألفات: ألف الاستفهام بمعنى التوبيخ، والألف الوسطى ألف أفعل وهي ألف القطع، والأخيرة فاء الفعل. والأصل أمتم فخفف مثل آدم قرأ ابن كثير في رواية القواس: (قال فرعون وامتتم) بواو اللفظ إذا وصل ولا يهزم، واعلم أن هذه الهمزة إذا خففت لم تكن بين بين بل تنقلب واو لأن جعلها بين بين هو أن تكون بين الهمزة والألف، والألف لا تقع قبلها ضمة - فمنعت ضمة النون في (قال فرعون) أن تجعل الهمزة بين بين وجرت مجرى الهمزة في (جؤن) إذا خففت قلبت واو فتقول: جون وكذلك كل همزة مفتوحة قبلها ضمة، فإنك إذا خففتها قلبتها واو مثل: (لا يؤاخذكم الله) (والمؤلفة). وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (قال فرعون أمتتم) بهمزتين وحجتهم أن الهمزة حرف من حروف المعجم كثيرة من سائر الحروف، جاز الجمع بينهما نحو ما يجتمع في الكلمة حرفان، فيؤتي بكل واحد منهما من غير تغيير كقوله: (لعلكم تفكرون) فجعلوا الهمزتين كغيرهما من سائر الحروف. وانظر النشر (٢٧١/٢)، إتحاف فضلاء البشر (٥٨/٢).

«الصنيع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في مصر، قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر» (١)
 ﴿لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ما صنعتم ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾ الأيمان ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ اليسرى وهو قوله
 ﴿مَنْ خَلَّابٍ﴾ يعني من كل شق طرفاً ﴿ثُمَّ لَأَصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قالوا: ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ قال ابن عباس
 «راجعون إلى ربنا بالتوحيد والإخلاص» (٢) ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا﴾ وما تكره منا شيئاً، ولا تطعن علينا قال ابن عباس: «ما له
 عندك من ذنب، ولا ركبتنا منك مكروها تعذبنا عليه، إلا إيماننا بآيات ربنا» (٣)، يعني ما أتى به موسى آمنوا بها أنها من
 عند الله، لا يقدر على مثلها إلا الله ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ قال مجاهد: «اصبر علينا الصبر عند الصلب والقطع
 حتى لا نرجع كفاراً» (٤) ﴿وَتُوفِنَا مُسْلِمِينَ﴾ مخلصين على دين موسى.

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرُكَ وَآءِ الْهَيْتِكَ قَالَ سُنُقِلُ آبَاءَهُمْ
 وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ
 لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا
 جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ
 تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾

قوله ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أئذذ موسى وقومه ليفسدوا في الأرض﴾ هذا إغراء من الملأ لفرعون
 على موسى، وإنكار أن يتركه مقيماً على مخالفته، وأرادوا بالإفساد في الأرض دعاءهم الناس إلى مخالف
 فرعون في عبادته، وتجهيلهم إياه وقوله ﴿ويذرك﴾ قال ابن الأنباري: «الواو نائية عن الفاء» (٥). وهو قول
 الزجاج، قال: نصب ويذرك على جواب الاستفهام بالواو، (٦) والمعنى أيكون منك أن تذذ موسى وأن
 يذرك (٧) موسى وإلهتك، [وهي] (٨): جمع إله، قال الكلبي عن ابن عباس (٩): كان فرعون صنع لقوم

(١) ذكره البغوي (١٨٨/٢). وانظر القرطبي (١٦٦/٧) والبحر المحيط (٣٦٥/٤).

(٢) بنحوه عند البغوي (١٨٨/١)، وانظر تنوير المقياس (١١٨/٢).

(٣) الرازي (١٧٠/١٤)، ونسبه البغوي لعطاء (١٨٩/٢) وذكره أبو حيان في البحر ونسبه لعطاء (٣٦٦/٤).

(٤) الرازي في التفسير (١٧٠/١٤)، وذكره القرطبي بلا نسبة (١٦٦/٧) ومعنى الإفرغ: في اللغة الصب. يقال: درهم مفرغ: إذا كان
 مصبواً في قالبه وليس بمضروب وأصله من إفرغ الإناء، وهو صب ما فيه حتى يخلو الإناء، وهو من الفراع، فاستعمل في الصبر
 على التشبيه بحال إفرغ الإناء وفي الآية فوائد: الفائدة الأولى: (أفرغ علينا صبراً) أكمل من قوله: أنزل علينا صبراً، لأننا ذكرنا أن
 إفرغ الإناء: هو صب ما فيه بالكلية، فكانهم طلبوا من الله كل الصبر لا بعضه، الفائدة الثانية: أن قوله: (صبراً) مذكور بصيغة
 التذكير، وذلك يدل على الكمال والتمام: أي صبراً كاملاً تماماً كقوله تعالى: ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ البقرة:
 (٩٦)، أي على حياة كاملة تامة. والفائدة الثالثة: أن ذلك الصبر من قبلهم ومن أعمالهم، ثم إنهم طلبوه من الله تعالى وذلك يدل
 على أن فعل العبد لا يحصل إلا بتخليق الله وقضائه. انظر الرازي (١٧٠/١٤ - ١٧١).

(٥) انظر معاني القرآن للفراء (٣٩١/١)، والقرطبي (١٦٧/٧)، ونحو هذا عند الرازي (١٧٢/١٤).

(٦) انظر معاني القرآن (٣٦٧/٢)، القرطبي (١٦٧/٧)، الرازي (١٧٢/١٤) روح المعاني (٢٩/٩).

(٧) انظر المعاني المتقدم والرازي المتقدم.

(٨) في ب، ج (وهو).

(٩) الفخر الرازي (١٧٢/١٤)، تفسير البغوي (١٨٩/٢) الزجاج (٣٦٧/٢)، بحر العلوم آية (١٢٧)، روح المعاني (٢٩/٩)، =

أصنام صنغاراً، وأمرهم بعبادتها، وقال: أنا ربكم، ورب هذه الأصنام، فذلك قوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾^(١) ﴿قال سقتل أبناهم ونستحي نساءهم﴾ قال ابن عباس: «كان فرعون قد ترك قتل أبناء بني إسرائيل، فلما كان زمن أمر موسى ما كان، أمر بإعادة القتل عليهم»^(٢) ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ وإنا على ذلك قادرون، فشكا بنو إسرائيل إعادة القتل على أبنائهم فقال موسى لقومه ﴿استعينوا بالله واصبروا﴾ على ما يفعل بكم ﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده﴾ أطمعهم موسى أن يعطيهم الله أرض فرعون وقومه بعد إهلاكهم ﴿والعاقبة للمتقين﴾ قال ابن عباس: الجنة لمن إتقى الله^(٣) وقال غيره «العاقبة ها هنا النصر والظفر»^(٤) ﴿قالوا أودينا﴾ بالقتل الأول ﴿من قبل أن تأتينا﴾ بالرسالة ﴿ومن بعدما جئنا﴾ بإعادة القتل على أبنائنا ﴿قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم﴾ فرعون [وقومه]^(٥) ﴿ويستخلفكم في الأرض﴾ يملككم ما كان يملك فرعون وقومه، ﴿فينظر كيف تعملون﴾ قال الزجاج «يرى ذلك بوقوعه منكم، لأن الله تعالى لا يجازي عباده على ما يعلمه منهم، إنما يجازيهم على ما يقع منهم»^(٦).

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقِصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَّا إِنَّمَا طَّيَّرْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٩﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٠﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ

= القرطبي (١٦٧/٧) تفسير أبي السعود (٢٦٢/٣).

نتبه: قرأ الجمهور «ويدرك» بالياء، وفتح الراء، عطفاً على «ليفسدوا» وقرأ نعيم بن مسيرة والحسن بخلاف عنه: (ويدرك) بالرفع عطفاً على (أتذر) بمعنى أتذره، ويدرك أي: أتطلق له ذلك، أو على الاستئناف أو على الحال على تقدير: وهو يدرك. وقرأ الأشهب العقيلي والحسن بخلاف عنه: (ويدرك) بسالجم عطفاً على التوهم، كأنه توهم النطق يفسدوا جزماً على جواب الاستفهام، كما قال: ﴿فأصدق وأكون من الصالحين﴾، أو على التخفيف من ويدرك. وقرأ أنس بن مالك (ونذرك) بالنون ورفع الراء انظر البحر المحيط (٣٦٧/٤) الرازي (١٧٢/١٤) القرطبي (١٦٧/٧)، روح المعاني (٢٨/٩ - ٢٩)، إتحاف فضلاء البشر (٦٠/٢).

(١) سورة النازعات (٢٤).

(٢) البغوي في التفسير (١٨٩/٢)، بحر العلوم آية (١٢٧)، انظر تفسير ابن كثير (٤٥٧/٣) الألوسي (٢٩/٩)، أبو السعود (٢٦٢/٣). وقوله سقتل، قرأ نافع وابن كثير بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، لكثرة القتل مرة بعد مرة. حجة القراءات (٢٩٤) إتحاف فضلاء البشر (٦٠/٢)، النشر لابن الجزري (٢٧١/٢).

(٣) انظر تفسير البغوي (١٨٩/٢)، القرطبي (١٦٨/٧)، البحر المحيط (٣٦٨/٤)، تنوير المقباس (١١٩/٢).

(٤) تفسير الرازي (١٧٣/١٤)، البحر المحيط (٣٦٨/٤) تفسير البغوي (١٨٩/٢)، قلت: المراد بالعاقبة هنا: عاقبة أمورهم في الحياة الدنيا، ليناسب قوله: ﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده﴾ وتشمل عاقبة الخير في الآخرة، لأنها أهم ما يلاحظه المؤمنون.

(٥) سقط في ب، ج.

(٦) معاني القرآن (٣٦٧/٢)، وانظر قول الزجاج في تفسير الرازي (١٧٤/١٤)، وانظر القرطبي (١٦٨/٧).

ونحو هذا عند الألوسي في روح المعاني (٣٠/٩) وأبي السعود (٣٦٣/٣).

مَعَاك بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾
فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ
كَانُوا يُسْتَزَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَلَرْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ
بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

قوله ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾ قال الزجاج: السنين في كلام العرب الجدوب يقال: مستهم السنة، والمعنى السنة، وشدة السنة (١) قال الفراء: «بالسنين بالقحط والجدوبة عاماً فعاماً» (٢) قال المفسرون: «والسنين لأهل البوادي ونقص من الثمرات لأهل القرى» (٣) ﴿لعلهم يذكرون﴾ قال الزجاج: «وذلك أن أحوال الشك تترقق القلب، وترغب فيما عند الله، وفي الرجوع إليه» (٤) ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وإذا مسه الشر فذودعاء عريض﴾ (٥)؟ قوله تعالى: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة﴾ يعني الغيث والخصب والثمار، والمواشي والألبان والسعة في الرزق والعافية والسلامة ﴿قالوا لنا هذه﴾ أي إنا مستحقوه على العادة التي جرت لنا في سعة أرزاقنا في بلادنا، ولم يعلموا أنه من الله تعالى، فيشكروا عليه ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ يعني القحط والجذب ﴿يطيروا بموسى ومن معه﴾ يتشاءموا بهم، وقالوا إنما أصابنا هذا الشر بشؤم موسى وقومه قال الله تعالى: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ قال ابن عباس: شؤمهم عند الله ومن قبل الله (٦) أي: إنما جاءهم الشؤم بكفرهم بالله ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الذي أصابهم من الله تعالى قوله ﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية﴾ مهما: كلمة تستعمل للشرط والجزاء، أصلها: ماما، الأولى للجزاء والثانية زيدت تأكيداً، كما يزداد في سائر حروف الجزاء، نحو أما، ومتى ما، ثم أبدلوا من ألف ما الأولى هاء كراهة لتكرار اللفظ فصار مهما، هذا قول «الخليل» وجميع البصريين (٧) ومعنى الآية: أنهم قالوا لموسى: متى ما أتيتنا بآية، مثل اليد والعصا، «لتسحرنا بها» جعلوا ذلك سحراً فإننا لنا نؤمن بك، ولن نصدقك، فلما كذبه أرسل الله عليهم أنواع العذاب، وهو قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ وهو الماء الذي يغشى كل مكان (٨).

(١) معاني القرآن (٣٦٧/٢)، وانظر قول الزجاج عند الرازي (١٧٥/١٤)، وانظر القرطبي (١٦٨/٧) وانظر البحر المحيط (٣٦٩/٤).

(٢) معاني القرآن للفراء (٣٩٢/١) وانظر الرازي (١٧٥/١٤)، روح المعاني (٣١/٩) البحر المحيط (٣٦٩/٤) وانظر القرطبي (١٦٨/٧).

(٣) وبه قال قتادة، انظر تفسير البغوي (١٩٠/٢) وذكره أبو حيان في البحر عن ابن عباس (٣٦٩/٤)، وفي أبي السعود عن ابن عباس (٢٦٣/٣) ونقله الرازي عن قول المفسرين (١٧٥/١٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٠٨/٣) عن قتادة وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) معاني القرآن للزجاج (٣٦٨/٢)، وانظر كلام الزجاج عند الرازي (١٧٥/١٤)، والبغوي (١٩٠/٢).

(٥) سورة فصلت (٥٤).

(٦) تفسير البغوي (١٩٠/٢)، انظر تفسير ابن كثير (٤٥٧/٣) الرازي (١٧٦/١٤) وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٠٨/٣)، وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٧) انظر العين (٣٥٨/٣) الكتاب لسيبويه (٥٩/٣) وانظر المفصل لابن يعيش (٨/٤)، وحكى الرازي في تفسيره عن الكسائي أن الأصل (مه) التي بمعنى الكف: أي اكفف دخلت على (ما) التي للجزاء، كأنهم قالوا: اكفف ما تأتنا به من آية فهو كذا وكذا، وانظر بحر العلوم للسمرقندي آية (١٣٢)، والبحر المحيط (٣٧١/٤)، روح المعاني (٣٣/٩)، القرطبي (١٧٠/٧).

(٨) الأكثرون على أن هذا الطوفان هو المطر الكثير وقد روي عن عطاء أنه قال: الطوفان هو الموت، وروي الواحدي رحمه الله بإسناده خيراً عن النبي ﷺ أنه قال: الطوفان هو الموت، وهذا القول مشكل، لأنهم لو أميتوا لم يكن لإرسال سائر أنواع العذاب عليهم =

قال المفسرون: ^(١) « لما أبى فرعون وقومه الإيمان: عا عليهم موسى فأرسل الله عليهم السماء بالماء، فامتألت بيوت القبط ماء، حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ^(٢) من جلس منهم غرق، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة، ودام ذلك عليهم سبعة أيام فقالوا: ﴿يا موسى ادع لنا ربك﴾ يكشف عنا، فنؤمن لك، فدعاربه، فرفع عنهم الطوفان، فأثبت الله لهم في تلك السنة ما لم يثبت قبل ذلك من الكلا والزرع، فقالوا: ما كان ذلك [الماء] ^(٣) إلا نعمة علينا فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم حتى إن كانت لتأكل الأبواب والسقوف» قال عطاء: « بلغني أي الجراد لما سلط على قوم فرعون أكل أبوابهم، حتى أكل مساميرهم وكانت لا تدخل بيوت بني إسرائيل، ولا يصيبهم من ذلك شيء» ^(٤) ومما يذكر من الأخبار في الجراد ما أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد المقري ^(٥) أخبرني الحسين بن محمد الثقفي، ^(٦) أخبرنا الحسن بن إسماعيل بن خلف الخياط، ^(٧) أنا محمد بن الحسين بن الفرج، ^(٨) نا: محمد بن عبيد الله، ^(٩) نا هاشم بن القاسم نا: زياد بن عبد الله بن علاقة ^(١٠) عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي ^(١١) عن ابنه عن جابر وأنس بن مالك ^(١٢) عن رسول الله -

= فائدة، بل لو صح هذا الخبر لوجب حمل لفظ الموت على حصول أسباب الموت، مثل المطر الشديد والسيل العظيم، وغيرهما. انظر الرازي (١٨٧/١٤)، وانظر تفسير الطبري (٥٠/١٣) وتفسير ابن كثير (٤٥٨/٣).

(١) انظر تفسير البيهقي (١٩١/٢)، القرطبي (١٧١/٧)، وانظر تفسير الطبري (٥٧/١٣)، البحر المحيط (٣٧٢/٤)، وذكره السيوطي بنحوه (١٠٨/٣)، وعزه لابن جرير وابن أبي حاتم، وانظر تفسير الرازي (١٧٧/١٤).

(٢) وهي عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق، لسان العرب (٤٢٩/١) الصحاح (١٤٥٣/٤)، المعجم الوسيط (٨٤/١).
(٣) سقط في ب.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٠٩/٣)، وعزه لأبي الشيخ. وذكره أيضاً عن مجاهد، وعزه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٥) هذه النسبة إلى قراءة القرآن وإقرائه، اختص بهذه النسبة جماعة من المحدثين.

(٦) بفتح التاء المثلثة والقاف والفاء، هذه النسبة إلى ثقيف، وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، وقيل إن اسم ثقيف قسي، ونزلت أكثر هذه القبيلة بالطائف وانتشرت منها في البلاد. انظر الأنساب (٥٠٨/١ - ٥٠٩).

(٧) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفي آخرها الطاء المهملة، يقال لمن يحيط الثياب انظر الأنساب (٤٢٥/٢)
(٨) محمد بن الحسين بن الفرج، أبو ميسرة الهمداني، كان أحد من يفهم شأن الحديث، وصف مسنداً سمع منه، وقدم بغداد وحدث بها عن كامل بن طلحة الجحدري وطبقته. انظر تاريخ بغداد (٢٢٨/٢).

(٩) محمد بن عبيد الله بن يزيد المنادي أبو جعفر بن أبي داود بن المنادي. روى عن حفص بن غياث، وأبي أسامة، وروح بن عبادة، وأبي بدر شجاع بن الوليد، وأبي النضر هاشم بن القاسم، ووضاح بن يحيى النهشلي وإسحاق بن يوسف الأزرق، وعبد الوهاب الخفاف، ويزيد بن هارون، ويونس بن محمد، وعبد الله بن بكر السهمي، وعفان ومكي بن إبراهيم وغيرهم انظر التهذيب (٣٢٥/٩).

(١٠) في ب، ج «زياد بن عبد الله حدثني علاقة» وفي أ (زياد أخو بني علاقة) والصواب ما أثبتناه زياد بن عبد الله بن علاقة العقيلي أبو سهل الحراني كان خليفة أخيه محمد على القضاء وروى عن أبيه وعبد الكريم الجزري وموسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي وغيرهم. وعنه أخوه محمد وأبو النضر، وأبو كامل مظفر بن مدرك وأبو سلمة الخزاعي قال ابن معين ثقة، التهذيب (٣٧٧/٣).

(١١) موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أبو محمد المدني روى عن أبيه وأبي بكر بن أبي الجهم وإسماعيل بن أبي حكيم وعبد الله بن أبان بن عثمان، وعنه عقبه بن خالد السكوني المجدر ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، وموسى بن عبيدة الرليدي، وزياد بن عبد الله بن علاقة وعبد الله بن نافع الصائغ وغيرهم، ضعفه ابن معين وقال مرة ليس بشيء ولا يكتب حديثه، وقال البخاري عنده مناكير. التهذيب (٣٦٨/١٠) ميزان الاعتدال (٢١٨/٤) التقريب (٢٨٧/٢) الضعفاء للعقيلي (١٦٩/٤) التاريخ الكبير للخازني (٢٩٥/١/٤) ابن معين (٩٥٦/٢).

(١٢) إسناده ضعيف جداً لضعف موسى بن محمد كما تقدم والحديث أخرجه الترمذي (٢٣٧/٤) في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في =

ﷺ - أنه كان يدعو على الجراد، يقول «اللهم أهلك الجراد، اللهم اقطع دابره، اللهم اقتل كباره، وأهلك صغاره وأفسد بيضه، وخذ بأفواهه من معاشنا وأرزاقنا، إنك سميع الدعاء».

وأخبرنا أحمد بن محمد أخبرنا الحسين، نا: علي بن محمد لؤلؤ^(١) جعفر بن مسلم بن عمر الخراز،^(٢) نا: داود بن بكر التستري^(٣) حدثني النصر بن واضح نا أبو أمية بن يعلى^(٤) عن أبي الزناد عن الأعرج،^(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله - ﷺ - «في صدر الجراد مكتوب جند الله الأعظم^(٦)».

وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي - ﷺ - قال «إن مريم بنت عمران سألت ربها أن يطعمها لحمًا لا دم له، فأطعمها الله الجراد»^(٧) وقال الأوزاعي: «كان بيروت رجل يذكر أنه رأى رجلاً راكباً على جرادة، وعليه خفان طويلان، ويقول بيده هكذا فحيثما أشار، انساب الجراد إلى ذلك الموضع، فبلغنا أن ذلك كان ملك الجراد»^(٨)، حدثنا محمد بن علي بن حبيب الوراق، نا: الحسن بن أحمد الشيباني،^(٩) أنا: محمد بن حمدون بن خالد نا:

= الدعاء على الجراد (١٨٢٣) وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وموسى بن محمد بن إبراهيم التيمي قد تكلم فيه وهو كثير الغرائب والمناكير، وأخرجه ابن ماجه (١٠٧٣/٢) في كتاب الصيد، باب صيد الحيتان والجراد (٣٢٢١) وإسناده كسابقه.

(١) أثنى عليه الطوسي انظر معجم المؤلفين (٢٢٧/٧).

(٢) بفتح الخاء المنقوطة والراء المهملة المشددة، وفي آخرها زاي معجمة، هذه النسبة إلى خرز الأشياء من الجلود كالقرب والسيور وغيرها انظر الأنساب (٣٣٤/٢).

(٣) بالتاء المضمومة المنقوطة من فوق نقطتين، وسكون السين المهملة وفتح التاء المعجمة أيضاً بنقطتين من فوق، والراء المهملة هذه النسبة إلى تستر بلدة من كور الأهواز من بلاد خوزستان يقولها الناس شوشر وبها قبر البراء ابن مالك رضي الله. انظر الأنساب (٤٦٥/١).

(٤) إسماعيل بن يعلى أبو أمية الثقفي البصري عن نافع وهشام بن عروة وعنه زيد بن الحباب وشيبان قال يحيى: ضعيف ليس حديثه بشيء وقال مرة: متروك الحديث وقال النسائي والدارقطني: متروك، وقد مشاه شعبة وقال: اكتبوا عنه فإنه شريف وقال البخاري سكتوا عنه انظر التهذيب (٢٥٤/١) التاريخ الكبير (٣٧٧/١) (١١٩٨) العقيلي في الضعفاء (٩٥/١) الميزان (٢٥٤/١).

(٥) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج أبو داود المدني مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. روى عن أبي هريرة وأبي سعيد، وعبد الله بن مالك بن بحينة وابن عباس، ومحمد بن مسلمة الأنصاري ومعاوية بن أبي سفيان ومعاوية بن عبد الله بن جعفر وأبي سلمة بن عبد الرحمن وأسيد بن رافع بن خديج وخلق وعنه زيد بن أسلم وصالح بن كيسان والزهرى، وأبو الزبير ويحيى بن سعيد وربيعه وموسى بن عقبة، وعمرو بن أبي عمرو وأبو الزناد عبد الله بن ذكوان وأيوب وجعفر بن ربيعة وسعد بن إبراهيم وخلق التهذيب (٢٩٠/٦).

(٦) إسناده ضعيف جداً وعلته إسماعيل بن يعلى كما تقدم ترجمته والحديث مروى عند الطبراني في الكبير والأوسط ذكره الهيثمي في المجمع (٤٢/٤) عن أبي زهير النيسري وقال وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير واستغربه (٤٩٥/٣) فقال غريب جداً.

(٧) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢٥٨/٩) في كتاب الصيد والذبائح باب ما جاء في أكل الجراد، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٦٦/٨) وذكره الهيثمي في المجمع (٤٢/٤) باب ما جاء في الجراد، وقال رواه الطبراني في الكبير وفيه بقية، وهو ثقة، ولكنه مدلس ويزيد العيني لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، وذكره الذهبي في الميزان (٢٥٩/٤) (٩٠٧١) ضمن ترجمة النفر بن عاصم الهجيمي قال الأزدي متروك.

(٨) ذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٤٦٠/٣) وعزاه لابن عساكر من حديث علي بن زيد الخرائطي عن محمد بن كثير.

(٩) بفتح الشين المعجمة وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها، والباء الموحدة بعدها وفي آخرها النون هذه النسبة إلى شيبان الأنساب (٤٨٢/٣).

سليمان بن سيف نا يحيى بن حماد^(١) نا عبيد الله بن واقد المسمعي حدثني عيسى بن شبيب الهذلي^(٢) حدثني محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قل الجراد في سنة من سني عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فاغتم بذلك، فأرسل ركباً إلى اليمن، وراكباً إلى الشام وراكباً إلى العراق يسألون هل رأى من الجراد شيئاً أم لا؟ فأثابته الراكب الذي دخل اليمن بقبضة من جراد، فألقاه بين يديه، فلما رآه كبر ثلاثاً، ثم قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: خلق الله ألف أمة، منها ستمائة في البحر، وأربعمائة في البر، وأول كل شيء يهلك من هذه الأمم الجراد، فإذا أهلكت تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه^(٣)، قال المفسرون «فمعجوا من ذلك، وأعطوا موسى عهد الله لأن كشف الله ذلك أن يؤمنوا، فدعا موسى، فكشف الله الجراد، وكان قد بقي من غلاتهم^(٤) بقية، فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا، فما نحن بتاركي ديننا، فبعث الله عليهم القمل، وهو الدبى^(٥) الصغار التي لا أجنحة لها» وهذا قول مجاهد والسدي وقاتدة وقول ابن عباس في رواية عطاء^(٦) وقال في رواية سعيد بن جبيرة: «القمل: السوس الذي يخرج من الحنطة^(٧)» وهو قول الحسن قال: «القمل دواب سود صغار^(٨) فتتبع القمل ما بقي من حروثهم، فأكله ولحس الأرض، فجزعوا، وخافوا الهلاك، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الدبى، فقالوا: ما نحن لك بمؤمنين ولا مرسلين معك بني إسرائيل فدعا عليهم موسى، فأوحى الله إليه أن يقوم على حافة النيل، ويشير بعصاه إلى أدناه وأقصاه، ففعل ذلك موسى، فتداعت الضفادع بالنقيق من كل جانب حتى أعلم بعضها بعضاً، ثم خرجت مثل الليل الدامس، حتى دخلت بيوتهم بغتة، وامتلت منها أبنيتهم. وأفنيتهم وأطعمتهم فكان لا يكشف أحدهم ثوباً ولا إناء ولا طعاماً ولا شراباً إلا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع، وهم أن يتكلم، فيشب الضفدع في فيه، وينام أحدهم فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذراعاً، بعضها فوق بعض، وصارت عليه ركاماً، حتى ما يستطيع أن يتحول بشقه الآخر، وكان أحدهم يفتح فاه لأكلته، فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه، وكانوا لا يعجزون عجزاً إلا تشدخت^(٩) فيه، ولا يطبخون قدرأ إلا امتلأت ضفادع، فضجر آل فرعون من ذلك، وضاق عليهم أمرهم، فبكوا وشكوا إلى موسى، وقالوا: اكشف عنا هذا البلاء، فإننا نتوب هذه المرة، فأخذ بذلك عهدهم، وموائيقهم ثم دعا

(١) يحيى بن حماد بن أبي زياد الشيباني مولاهم أبو بكر، ويقال أبو محمد البصري ختن أبي عوانة. روى عن أبي عوانة وعكرمة بن عمار وشعبة وحماد بن سلمة وهمام بن يحيى وجريير بن حازم وجوهرية بن أسماء وغيرهم وثقه أبو حاتم انظر التهذيب (١٩٩/١١).

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (٣٩٧/٤).

(٣) أخرجه اللدلمي في المسند (١٨٧/٢) وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب (٣١١/٢) كتاب الأطعمة. باب الجراد (٢٣٣٩) وعزاه الحافظ لأبي يعلى وقال البوصيري: سنده ضعيف، لضعف محمد بن عيسى بن كيسان، وقال رواه الحارث بن أبي أسامة وفيه أيضاً محمد بن عيسى.

(٤) قال ابن منظور (٣٢٨٨/٥) والغلة الدخول من كراء دار وأجرة غلام أو فائدة أرض.

(٥) يفتح الدال المهملة وتخفيف الباء الموحدة الجراد قبل أن يطير، الواحدة دبة، حياة الحيوان (٢٩٥/١). لسان العرب (١٣٢٥/٢)، ترتيب القاموس (١٤٩/٢).

(٦) انظر تفسير الطبري (٥٤/١٣، ٥٥) وابن كثير (٤٦١/٣) البغوي في التفسير (١٩٢/٢) القرطبي (١٧٢/٧)، البحر المحيط (٣٧٣/٤) الرازي (١٧٨/١٤) وانظر الدر المنثور (١١٠/٣) زاد المسير (٢٤٩/٣)، روح المعاني (٣٤/٩).

(٧) انظر المصادر السابقة.

(٨) انظر المصادر السابقة.

(٩) الشدخ: الكسر في شيء رطب، وقيل هو التهشم لسان العرب (٢٢١٣/٤) وانظر ترتيب القاموس (٦٨٥/٢).

﴿موسى﴾^(١) ربه، فكشف عنهم الضفادع ثم نقضوا العهد، فأرسل الله تعالى عليهم الدم فسال النيل عليهم دماً، وصارت مياههم كلها دماً، فما يستقون من الآبار إلا وجدوه دماً^(٢) عبيطاً^(٣)، قال قتادة: «ذكر لنا أن فرعون كان يجمع بين الرجلين في إناء واحد» القبطي والإسرائيلي، فكان ما يلي الإسرائيلي ماء وما يلي القبطي دماً، وقال مجاهد^(٤): «كان يستقي الإسرائيلي من النيل ماء طيباً ويستقي الفرعوني دماً» فذلك قوله: ﴿ءآيات مفصلات﴾ قال المفسرون^(٥): «وكان العذاب يمكث عليهم من السبت إلى السبت، وبين العذاب إلى العذاب شهر» وقوله: ﴿فاستكبروا﴾ أي عن عبادة الله ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾ قوله: ﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ أي نزل بهم العذاب، يعني الجراد وما ذكر بعده ﴿قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ أي بما أمرك وأوصاك أن تدعوه به ﴿لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه﴾ يعني إلى الأجل الذي غرقهم الله فيه ﴿إذ هم ينكثون﴾ ينقضون العهد ﴿فانتقمنا منهم﴾ كافأناهم عقوبة بما صنعوا ﴿فأغرقناهم في اليم﴾ في البحر ﴿بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ تاركين الاعتبار بها والتفكير فيها ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون﴾ يعني بني إسرائيل كان قوم فرعون قد استدلوهم بقتل أبنائهم، واستخدام نسائهم. فأهلكهم الله بالغرق ومكثهم من منازلهم ومسكنهم، وأعطاهم أرضهم، وهو قوله: ﴿مشارق الأرض ومغاربها﴾ يريد جهات شرق أرض «الشانم» و «مصر»^(٦) و جهات غربها ﴿التي باركنا فيها﴾ بإخراج الزروع والثمار، والنبات والأشجار والأنهار ﴿وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل﴾ قال ابن عباس: «مواعيد ربك التي لا خلف فيها»، ولا ناقض لها^(٧) قال الزجاج: «يعني - ما عداهم الله تعالى من إهلاك عدوهم، واستخلافهم في الأرض»^(٨) وهو قوله: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض﴾ إلى قوله ﴿يحذرون﴾^(٩) وقوله ﴿بما صبروا﴾ أي على عذاب فرعون وصنيعه بهم ﴿ودمرنا ما كان يصنع

(١) سقط في أ، ج.

(٢) بعد أن ذكر الحافظ ابن كثير هذه القصة قال: وروي نحو هذا عن ابن عباس والسدي وقاتة وغير واحد من علماء السلف، وانظر القصة في الطبري (٥٨، ٥٧/١٣) (١٥٠١٤) وانظر (٥٨/١٣) وانظر تفسير ابن كثير (٤٦١/٣ - ٤٦٢).

(٣) قال ابن الأثير غير الضيغ النهاية في غريب الحديث (١٧٢/٣)، لسان العرب (٢٧٨٥/٤).

(٤) البغوي (١٩٢/٢)، القرطبي (١٧٢/٧) الألوسي في روح المعاني (٣٥/٩) البحر المحيط (٣٧٣/٤)، وذكره السيوطي في الدر (١١٠/٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن مجاهد وذكره من وجه آخر وعزاه لعبد بن حميد المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٥) تفسير الرازي (١٧٨/١٤) تفسير البحر المحيط (٣٧٣/٤) البغوي (١٩٣/٢) الطبري (٦٩/١٣) تفسير أبي السعود (٢٦٥/٣) بحر العلوم آية (١٣٣) زاد المسير (٢٥١/٣) وذكره السيوطي في الدر (١١٠/٣) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٦) تفسير البغوي (١٩٤/٢) القرطبي (١٧٣/٧) البحر المحيط (٣٧٦/٤)، تفسير الطبري (٧٦/١٣)، ابن كثير (٤٦٤/٣) روح المعاني (٣٧/٩) بحر العلوم آية (١٣٧) الرازي (١٨١/١٤)، والسيوطي في الدر (١١١/٣) وعزاه لعبد بن حميد وعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر.

(٧) انظر المعنى الآتي.

(٨) معاني القرآن للزجاج (٣٧١/٢) الرازي (١٨١/١٤) الطبري (٧٨ - ٧٧/١٣) روح المعاني (٣٩/٩) ابن كثير (٤١٤/٣) بحر العلوم (١٣٧) البغوي (١٩٤/٢) القرطبي (١٧٣/٧).

(٩) والآيات (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) (القصص ٥ - ٦).

فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴿ قال مقاتل ^(١): «أهلكتنا ما عمل فرعون وقومه بأهل مصر، وما بنوا من المنازل والبيوت قال ابن عباس: «يعرشون يسقفون من القصور والبيوت ^(٢)» وقال الزجاج ^(٣): «يقال: عَرَشَ يَعْرِشُ وَيَعْرِشُ إِذَا بَنَى ^(٤)».

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَخْبَرْنَا لَدُنَّ عَادَ عَنْ قَوْمِ هَارَانَ ﴿١٤١﴾ فَسَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٢﴾

وقوله: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾ يقال: جاوز الوادي إذا قطعه وجاوز بغيره عبر به ﴿فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم﴾ قال ابن عباس: «يعبدونها مقيمين عليها ^(٥)» يقال لكل من لزم شيئاً وواظب عليه عكف يعكف ويعكف ^(٦) قال قتادة: «كان أولئك القوم نزولاً بالرقعة ^(٧)» فلما رأوا ذلك ﴿قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾ هذا إخبار من عظيم جهل بني إسرائيل حيث توهموا أنه يجوز عبادة غير الله بعد ما رأوا الآيات ولذلك ﴿قال﴾ لهم موسى ﴿إنكم قوم تجهلون﴾ قال ابن عباس ^(٨): «جهلتم نعمة ربكم فيما صنع بكم».

أخبرنا أحمد بن محمد بن الحارث ^(٩) أن عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ نا [أبو يحيى الرازي ^(١٠)] نا:

(١) تفسير البغوي (١٩٤/٢) وانظر روح المعاني (٣٩/٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٤/٣) عن مجاهد وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) ابن جرير الطبري (٧٨/١٣، ٧٩) وابن كثير في التفسير (٤٦٤/٣) القرطبي (١٧٤/٧). البغوي في التفسير عن مجاهد (١٩٤/٢) انظر البحر المحيط (٣٧٧/٤) انظر تفسير أبي السعود (٢٦٧/٣) بحر العلوم للسمرقندي آية (١٣٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (١١٤/٣) وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

(٣) معاني القرآن للزجاج (٣٧١/٢)، والرازي (١٨١/١٤) والقرطبي (١٧٤/٧) وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٢٧/١).

(٤) قرأ ابن عامر وأبو بكر (يعرشون) بضم الراء، وقرأ الباقون بكسر الراء، حجة القراءات لابن زنجلة (٢٩٤/٧) النشر (٢٧١/٢) إتحاف فضلاء البشر (٦١/٢).

(٥) البغوي (١٩٤/٢) الرازي (١٨٢/١٤) البحر المحيط (٣٧٧/٤) روح المعاني (٤٠/٩) بحر العلوم آية (١٣٨) أبو السعود (٢٦٧/٣).

(٦) قرأ حمزة والكسائي (يعكفون) بكسر الكاف، وقرأ الباقون بالضم وهما لغتان كما حكاهما المصنف رحمه الله. انظر حجة القراءات لابن زنجلة (٢٩٤) النشر (٢٧١/٢) إتحاف فضلاء البشر (٦١/٢).

(٧) الرازي في التفسير (١٨٢/١٤)، البغوي (١٩٤/٢) وأبو حيان في البحر (٣٧٧/٤) القرطبي (١٧٤/٧)، روح المعاني (٤٠/٩) وانظر تفسير أبي السعود (٢٦٧/٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١١٤/٣)، وعزاه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وانظر تفسير الطبري (٨١/١٣) وابن كثير (٤٦٤/٣).

(٨) بنحوه انظر البغوي (١٩٤/٢) وابن كثير (٤٦٤/٣).

(٩) أبو بكر الحارثي ترجم له أبو نعيم في تاريخ أصفهان (١٦٠/١).

(١٠) الحافظ الكبير أبو يحيى الرازي إمام جامع أصبهان ومصنف المسند والتفسير، حدث عن سهل بن عثمان وعبد العزيز بن يحيى =

سهل بن عثمان العسكري نا سفيان عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي (١) - رضي الله عنه - «أرسل رسول الله - ﷺ - حين أتى حنيناً (٢) مر بشجرة يعلق المشركون عليها أسلحتهم وأمتعتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط (٣) كما لهم ذات أنواط فقال: الله أكبر، هذا كما قال قوم موسى، اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، لتركب سنن الذين من قبلكم (٤)».

قوله: ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ﴾ يعني الذين كانوا يعبدون الأصنام ﴿مَتَّبِعْ مَا هُمْ فِيهِ﴾ مهلك ما هم فيه من العبادة والتباعد الهلاك والتبديد: الإهلاك (٥) ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال ابن عباس: «يريد أن عملهم للشيطان ليس لله في نصيب» (٦).

﴿قَالَ﴾ لهم موسى ﴿أَغْيِرْ اللَّهُ أَيْغِيَكُمْ﴾ (٧) ﴿أَطْلُبْ لَكُمْ﴾ إلهاً معبوداً، وهذا استفهام وإنكار ﴿وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قال ابن عباس: «أكرمكم من بين الخلائق أجمعين» (٨) ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ مفسر إلى آخر الآية في سورة البقرة.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٩) ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا سَجَدَ لِرَبِّهِ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ

= والحسين بن عيسى الزهري وطبقتهم وحدث عنه أبو أحمد العسال وأبو الشيخ والطبراني وآخرون وكان من الثقات توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين رحمه الله تعالى. انظر تذكرة الحفاظ (٢/٦٩٠ - ٦٩١).

(١) أبو واقد الليثي صحابي مختلف في اسمه، وله أربعة وعشرون حديثاً اتفقا على حديث وانفرد بآخر. وعنه ابن المسيب وعروة وجماعة مات سنة ثمان وستين. انظر الخلاصة (٣/٢٥٢).

(٢) وهو واد قريب من مكة وقيل: الطائف انظر مراد الاطلاع ٤٣٢/١.

(٣) اسم شجرة بعينها كانت للمشركين قبهم الله ينوطون بها سلاحهم: أي: يعلقونه بها ويعكفون حولها وأنواط جمع انوط وهو مصدر سمي به المنوط. النهاية لابن الأثير (٥/١٢٨) لسان العرب (٦/٤٥٧٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/٤١٢) في كتاب الفتن باب ما جاء لتركيين سنن من كان قبلكم (٢١٨٠) وقال حسن صحيح، وأخرجه أحمد في المسند (٥/٢١٨) من طرق، وابن أبي عاصم في السنة (١/٣٧) (٧٦).

(٥) قال الليث: التبار: الهلاك يقال: تبر الشيء يتبر تباراً والتبديد الإهلاك ومنه قوله تعالى: ﴿تَبَرْنَا تَبِيرًا﴾. (الفرقان: ٣٩) ويقال للذهب المنكر المتفتت التبر. انظر لسان العرب (١/٤١٦) ترتيب القاموس (١/٣٥٦)، وانظر مجاز القرآن (١/٢٢٧) الرازي (١٤/١٨٢).

(٦) انظر البحر المحيط (٤/٣٧٨).

(٧) قال الواحدي - رحمه الله - يقال بغيت فلاناً شيئاً، وبغيت له قال تعالى ﴿يَبْتَغُونَكَ﴾ التوبة: (٤٧) أي: يبتغون لكم، وفي انتصاب قوله ﴿إِلَهُاءُ﴾ وجهان: أحدهما: الحال كأنه قيل: أطلب لكم غير الله معبوداً. ونصب «غير» في هذا الوجه على المفعول به. الثاني أن ينصب ﴿إِلَهُاءُ﴾ على المفعول به «وغيره» على الحال المقدمة التي لو تأخرت كانت صفة كما تقول أبتغيتكم إلهاً غير الله.

(٨) البغوي (٢/١٩٤) الرازي (١٤/١٨٣) انظر القرطبي (٧/١٧٤) وانظر تفسير أبي السعود (٣/٢٦٨) بحر العلوم آية (١٤٠) البحر المحيط (٤/٣٧٩) روح المعاني (٩/٤١).

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أُصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُمْ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾

قوله: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾ [تقدير الآية^(١)] واعدناه انقضاء ثلاثين ليلة يترقب بعدها المناجاة^(٢) قال المفسرون^(٣): «كان تلك الثلاثين ذو القعدة أمره الله أن يصوم فيها ليكلمه» قال ابن عباس: «صامهن ليلهن ونهارهن فلما انسلخ الشهر، كره أن يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم، فتناول شيئاً من نبات الأرض فمضغه، فأوحى الله إليه لا كلمتك، حتى يعود فوك على ما كان عليه، أما علمت أن رائحة فم الصائم أحب إلي من ريح المسك وأمره بصيام من ذي الحجة»^(٤) فذلك قوله: ﴿واتمناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾ أي تم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى أربعين ﴿وقال موسى لأخيه هارون أخلفني في قومي﴾ لما أراد موسى الانطلاق إلى الجبل للمناجاة استخلف أخاه هارون على قومه: فقال له أصلح قال ابن عباس^(٥): «يريد الفرق بهم والإحسان إليهم ومعناه أصلح أمرهم» ﴿ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ أي: لا تطع من عصى الله ولا توافقه على أمره ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا﴾ أي: في الوقت الذي وقتنا له ﴿وكلمه ربه﴾ خصه الله بأن أسمعته كلامه من غير أن يكون بينهما أحد، قال المفسرون^(٦): «لما أراد الله أن يكلم موسى أهبط إلى الأرض ظلمة سبع فراسخ»^(٧).

فلما دنا موسى من الظلمة طرد عنه شيطانه وطرده هوام الأرض ونحى عنه ملكاً، ثم كلمه الله وكشطت^(٨) له السماء فرأى الملائكة قياماً في الهواء ورأى العرش بارزاً وكان بعد ذلك لا يستطيع أحد أن ينظر إليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل على وجهه برفع، حتى مات وقالت له امرأته: أنا أيم^(٩) منك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه

(١) سقط في أ.

(٢) في ج المناظرة.

(٣) الطبري (١٣/٨٦)، وابن كثير (٣/٤٦٥) البغوي في التفسير (٢/١٩٥) القرطبي (٧/١٧٥) روح المعاني (٩/٤٣) بحر العلوم آية (١٤٢) البحر المحيط (٤/٣٨٠) أبو السعود (٣/٢٦٨) وذكر السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس (٣/١١٤) وعزاه لأبن المنذر، وابن أبي حاتم وأبي الشيخ من طرق. وأخرجه أيضاً السيوطي من طرق انظرها في الدر المنثور.

(٤) ذكره القرطبي في التفسير (٧/١٧٥) وذكره السيوطي في الدر (٣/١١٥)، وعزاه للدليمي السمرقندي في بحر العلوم آية (١٤٢).

(٥) البغوي عن ابن عباس (٢/١٩٥)، بحر العلوم المصدر السابق القرطبي (٧/١٧٧).

(٦) وفي البغوي أربع فراسخ (٢/١٩٦)، وانظر الدر المنثور (٣/١١٩).

(٧) وقيمتها بالمتري يساوي (٥٥٤٤م).

(٨) والكشط: القلع، انظر لسان العرب (٥/٣٨٨٢)، ترتيب القاموس (٤/٥٤).

(٩) والأيم في الأصل هي التي لا زوج لها، بكرا كانت أو ثيباً، مطلقة كانت أو متوفى عنها، لسان العرب (١/١٩١) ترتيب القاموس

فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها في [وجهه] ^(١) وخرت لله ساجدة، وقالت: ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة قال موسى: لك ذلك إن لم تتزوجي بعد فإن المرأة لآخر أزواجها ^(٢).

أخبرنا أبو بكر الحارثي ^(٣) نا أبو الشيخ الحافظ نا عبد الرحمن بن داود بن منصور ^(٤) نا عثمان بن خرزاذ ^(٥) نا الحسين بن حماد نا: عمرو بن هاشم عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله عز وجل ناجي موسى بمائة ألف وأربعين ألف كلمة في ثلاثة أيام وصايا كلها، فكان فيما ناجاه أن قال له: يا موسى لم يتصنع المتصنعون بمثل الزهد في الدنيا ولم يتقرب المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم، ولم يتعبد المتعبدون بمثل البكاء من خيفتي، قال موسى: يا إله البرية كلها ماذا أعددت لهم قال: أما الزاهدون في الدنيا فأبيحهم جنتي، حتى يتوؤؤوا فيها حيث شاءوا، وأما الورعون عما حرمت عليهم فإنه إذا كان يوم القيامة لم يبق عبد إلا ناقشته الحساب، وأما البكاءون من خيفتي فأولئك لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه ^(٦)» وقوله: «قال رب أرني أنظر إليك» قال الزجاج ^(٧): «المعنى أرني نفسك» أنظر إليك أي قد سمعت كلامك، فإني أحب أن أراك ولو كانت الرؤية لا تصح في وصف الله، ما سأل موسى ذلك لأنه كان أعلم بالله من أن يسأل ما يستحيل في وصفه، وفي وقوله «لن تراني» دليل على جواز الرؤية لأنه لو كان مستحيل الرؤية لقال: لا أرى، قال ابن عباس في رواية عطاء: «لن تراني في الدنيا ^(٨)» قال مقاتل ^(٩): «لما قال موسى «أرني أنظر إليك» قال له ربه: «لن تراني» ولكن اجعل بيني وبينك ما هو أقوى منك، وهو الجبل «فإن استقر مكانه» أي سكن وثبت «فسوف تراني» وإن لم يستقر مكانه فإنك لا تطيق رؤيتي «فلما تجلى ربه» أي ظهر ويان ^(١٠) «للجبل» قال الكلبي: «هو أعظم جبل بمدين ^(١١) يقال له زبير» «جعلته دكاً» أي مدقوقاً، يقال: دككت الشيء أدكته دكاً إذا دققتة قال الأخفش ^(١٢): كأنه قال: دكه دكاً «ومن قرأ دكاً» ^(١٣) فمعناه: جعله مثل

(١) في أ، ج وجهها.

(٢) البغوي في التفسير (١٩٥/٢ - ١٩٦) وذكر السيوطي في الدر شظرا منه ١١٦/٣، وعزاه لأبي الشيخ، وبنحوه أيضاً في نفس المصدر عزاه لابن المنذر.

(٣) هذه النسبة إلى قبائل متعددة انظر الأنساب (١٥٠/٢).

(٤) أبو محمد الفارسي عبد الرحمن بن داود بن منصور، كان من أهل الفقه كثير الحديث انظر تاريخ أصفهان (١١٥/٢).

(٥) أبو جعفر عثمان بن خرزاذ الأنطاكي، ذكره ابن حبان في الثقات (٤٥٥/٨).

(٦) إسناده ضعيف جداً، وعلته عمر بن هشام الجني كوفي، قال البخاري: فيه نظر، وذكره ابن حبان في المجروحين التاريخ الكبير (٣٨١/١/٣)، والتهذيب (١١١/٨)، الضعفاء للعقيلي (٢٩٤/٣)، المجروحين لابن حبان ٧٧/٢ الميزان ٢٩٠/٢ أيضاً فيه جوير بن سعيد، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال الجوزجاني: لا يشتغل بالحديث، وقال النسائي والدارقطني وغيرهما متروك الميزان (٤٢٧/١) المجروحين (٢١٧/١) وانظر الضعفاء للعقيلي (٢٠٥/١) والتهذيب (١٢٣/٢) والحديث أخرجه الطبراني في الكبير ١٢٠/١٢، وذكره الهيثمي في المجمع (٢٠٦/٨) باب ذكر موسى الكليم ﷺ وقال: رواه الطبراني وقال وفيه جوير وهو ضعيف جداً، وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٢١٨/١).

(٧) معاني القرآن للزجاج (٣٧٣/٢) البغوي (١٩٦/٢) روح المعاني ٤٥/٩، الرازي (١٩٠/١٤).

(٨) انظر البغوي (١٩٦/٢)، القرطبي (١٧٧/٧)، البحر المحيط (٣٨٢/٤)، بحر العلوم آية (١٤٣)، تنوير المقياس (١٢٥/٢).

(٩) انظر بحر العلوم آية ١٤٣، انظر روح المعاني (٤٥/٩).

(١٠) البغوي (١٩٦/٢)، البحر المحيط (٣٨٣/٤)، بحر العلوم المصدر السابق.

(١٢) تفسير الرازي (١٩١/١٤) انظر البحر المحيط (٣٨٥/٤)، وانظر البغوي ١٩٧/٢، بحر العلوم (١٤٣)، حجة القراءات لابن زنجلة (٢٩٥).

(١٣) قرأ حمزة والكسائي بالمد والهمز وقرأ الباقون منونا انظر حجة القراءات (٢٩٥). وانظر النشر (٢٧١/٢)، إتحاف فضلاء البشر =

دكاء فحذف المضاف^(١)، والدكاء الناقة التي لا سنام لها وقال المبرد: «جعلهُ أرضاً دكاء» وهي الأرض التي لا تبلغ أن تكون تلاً^(٢)، قال المفسرون^(٣): «ساخ الجبل في الأرض، فهو يذهب حتى الآن».

أخبرنا أبو حسان المزكي أن أبو علي محمد بن أحمد بن بالويه^(٤) نا: محمد بن صالح الصيمري^(٥) نا: النضر بن مسلمة نا: محمد بن الحسن بن زباله عن معاوية الضال^(٦) عن الخالد بن أيوب^(٧) عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ - لما تجلّى ربه للجبل جعله دكاء صار لعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة بالمدينة «أحد» و«ورقان»^(٨) و«رَضْوَى»^(٩). ووقع ثلاثة بمكة: «ثور» و«ثبير»^(١٠) و«حراء»^(١١) وقوله: «وخر موسى صعقاً» قال ابن عباس والحسن وابن زيد^(١٢): «مغشياً عليه» فلما أفاق ﴿قال سبحانك﴾ تنزيهاً لك عن

= (٦٢/٢)، وانظر تفسير الرازي (١٩١/١٤) البحر المحيط (٣٨٤/٤ - ٣٨٥)، بحر العلوم المصدر السابق، البغوي (١٩٧/٢) القرطبي (١٧٧/٧) أبو السعود (٢٧٠/٣) روح المعاني (٤٥/٩).

(١) كما قال تعالى ﴿وأسأل القرية التي﴾ يوسف: (٨٢).

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٧٣/٢، البيان لابن الأنباري (٣٧٤/١)، وانظر حجة القراءات (٢٩٥).

(٣) ابن جرير الطبري (٩٨/١٣)، وذكره الحافظ ابن كثير (٤٦٨/٣) بصيغة التمریض وعزاه لابن مردويه، وذكر القرطبي في التفسير (١٧٧/٧).

(٤) الإمام المفيد الرئيس أبو بكر، محمد بن أحمد بن بالويه الجلاب النيسابوري من كبراء بلده. ارتحل به ابوه فسمع من: محمد بن غالب تَمَّام، ومحمد بن ریح البزَّاز، ومحمد بن يونس الكندي، وبشر بن موسى، وموسى بن الحسن الجُلَّاجي. وعنه أبو علي الحافظ، وابن مندة، والحاكم، وعدة. قال الحاكم: سمعته يقول: قال لي ابن خزيمة: بلغني أنك كتبت عن محمد بن جرير الطبري تفسيره. قلت: نعم كتبت كله إملأه، فاستعاره مني. قال الحاكم: وسمعتة يقول: كتبت عن عبد الله بن أحمد بن حنبل ثلاث مئة جزء. قال الحاكم: توفي في رجب سنة أربعين وثلاث مئة انظر السير (٤١٩/١٥).

(٥) بفتح الصاد المهملة، وسكون الباء المنقوطة باثنتين من تحتها، وفتح الميم وفي آخرها الراء. هذه النسبة إلى موضعين: أحدهما: منسوب إلى نهر من أنهار البصرة، يقال له «الصيمر» عليه عدة قرى. وأما الصيمة: فبلدة بين ديار الجبل، وخوزستان. الأنساب (٥٧٦/٣).

(٦) الضال: بفتح الصاد المشددة المنقوطة، وفي آخرها اللام، وليس هذا من الضلالة في الدين، بل اشتهر بهذه الصفة أبو عبد الرحمن، معاوية بن عبد الكريم الثقفي الضال، من آل أبي بكر، وإنما سمي «الضال» لأنه ضل في طريق مكة فقيل له: الضال، وكان من عقلاء أهل البصرة، ومتقنهم وفتاتهم، يروي عن الحسن وابن سيرين. وروى عنه قتيبة بن سعيد، ومحمد بن عبيد بن حسان الأنساب (٥/٤).

(٧) الخالد بن أيوب روى عن أبيه بصري وروى عنه جرير بن حازم قال يحيى: لا شيء. وقال أبو حاتم: منكر الحديث الميزان (٦٢٨/١).

(٨) بالفتح ثم الكسر والقاف وآخر نون بوزن ظربان ويروى بسكون الراء، وهو جبل أسود بين العرج والرؤينة على يمين المصعد من المدينة إلى مكة، وهو من جبال تهامة مراد الاطلاع (١٤٣٤/٣).

(٩) بفتح أوله وسكون ثانيه: جبل بين مكة والمدينة قرب ينبع، مراد الاطلاع (٦٢٠/٢).

(١٠) بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة، وراء قبل الأثرة أربعة: ثبير غيني وثير الأعرج وثير الأثرة وثير منى قال الأصمعي: ثبير الأعرج هو المشرف بمكة، وثير غيني وثير الأعرج هما جراء وثير مراد الاطلاع ٢٩٢/١.

(١١) ذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ٤٦٨/٣ وعزاه لابن مردويه، وقال: هذا حديث غريب بل منكر.

وذكره السيوطي في الدر المشثور (١١٩/٣) وعزاه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ وابن مردويه، وذكره أيضاً في الدر (١٢٠/٣) وعزاه لأبي نعيم في الحلية. وذكره البغوي في التفسير (١٩٧/٢) وقال (ووقع في بعض التفاسير) ثم ذكره وذكره ابن حبان في البحر عن أنس (٣٨٤/٤).

(١٢) البغوي في التفسير (١٩٨/٢) القرطبي (١٧٧/٧) الرازي (١٩١/١٤) البحر المحيط (٣٨٤/٤) بحر العلوم آية (١٤٣) تفسير أبي =

السوء ﴿تبت إليك﴾ من مسألتي الرؤية^(١) وذلك أنه سألها من غير استئذان من الله، فلذلك تاب^(٢) ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ قال مجاهد والسدي^(٣): «أول قومي إيماناً» وقال أبو العالية^(٤): «أول من آمن أنه لا يراك أحد قبل يوم القيامة» وقال الزجاج^(٥): «أي: أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا» قال ﴿يا موسى إني اصطفيتك على الناس﴾ أي اتخذتك صفوة ﴿برسالاتي وبكلامي﴾^(٦) يعني تخصيصه بكلامه من غير واسطة وذلك أن من أخذ العلم عن العالم المعظم كان أجل رتبة ممن أخذه عن واحد أخذه عنه كما تقول في الأسانيد إلى النبي ﷺ فإن أقربها إليه أعزها وأجلها^(٧) وقوله: ﴿فخذ ماء أتيتك﴾ قال ابن عباس^(٨): «ما فضلتك به وكرمتك» ﴿وكن من الشاكرين﴾ لأنعمي والطائعين لي، قوله: ﴿وكتبنا له في الألواح﴾ قال ابن عباس^(٩): «يريد ألواح التوراة».

وروي عن النبي ﷺ - أنه قال: «الألواح التي انزلت على موسى كانت من سدر الجنة وكان طول اللوح اثني عشر

= السعود (٢٧٠/٣) روح المعاني (٤٦/٩) تنوير المقباس (١٢٥/٢).

(١) الرؤية: هي انكشاف المرئي انكشافاً تاماً بحاسة البصر، وهي مغايرة للعلم.

ومنه أن ينظر بالأبصار ولكن بلا كيف ولا انحصار
للمؤمنين إذ بجائز علق هذا ولمختار دنيا ثبتت

(٢) انظر الطبري (١٠٢/١٣) البغوي (١٩٨/٢) روح المعاني (٤٦/٩)، تفسير أبي السعود (٢٧٠/٣) البحر المحيط (٣٨٥/٤)، الرازي ١٩١/١٤ القرطبي ١٧٧/٧.

(٣) الطبري ١٠٤/١٣ ابن كثير ٤/٤٦٩، القرطبي ١٧٨/٧، البحر المحيط ٤/٣٨٦، البغوي ٢/١٩٨ السيوطي في الدر ٣/١٢٠ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ ٢/١٩٨.

(٤) أبو حيان في البحر ٤/٣٨٦ الطبري ١٠٣/١٣ القرطبي (١٧٨/٧) ابن كثير ٤/٤٦٩ وانظر البغوي (٢/١٩٨) أبو السعود (٣/٢٧٠) الرازي ١٩١/١٤ وذكره السيوطي في الدر ٣/١٢٠ وعزاه لعبد بن حميد.

(٥) معاني القرآن ٢/٣٧٤ وانظر المصادر السابقة.

(٦) قرأ نافع وابن كثير (برسالتني) على التوحيد وحجتهما ما بعده (بكلامي) وقرأ الباقون (برسالاتي) على الجمع، أرسله مراراً حجة القراءات لابن زنجلة ص ٢٩٥ النشر ٢/٢٧٢ إتحاف فضلاء البشر ٢/٦٢.

(٧) وهذا ما يسمى عند أهل الصناعة الإسناد العالي: وهو ما قرب رجال سنده من رسول الله ﷺ بسبب قلة عددها، بالنسبة إلى سند آخر يرد بذلك الحديث بعينه بعدد كثير، أو بالنسبة لمطلق الأسانيد، وأجله ما كان بإسناد صحيح، ولا التفات إلى العلوم مع ضعفه، وإن وقع في بعض المعاجم، ومن العلوم القرب من إمام من أئمة الحديث كمالك، وإن كثر بعده إلى رسول الله ﷺ ومنه القرب إلى الصحيحين وأصحاب السنن والمسانيد، والأول العلوم الحقيقي، وما بعده العلوم النسبي. قال الحافظ في شرح النخبة: «وفي العلوم النسبي الموافقة وهي الوصول إلى الشيخ أحد المصنفين من غير طريقة، كأن يروي البخاري عن قتبية عن مالك حديثاً، فإذا روي من طريق البخاري كان العدد إلى قتبية ثمانية، وإذا روي من غير طريقه، كان العدد إليه سبعة، فالراوي من الثاني وافق البخاري في شيخه مع علو الإسناد على الإسناد إليه. وفي العلوم النسبي البدل، وهو الوصول إلى شيخ شيخه كذلك. وفيه أيضاً المساواة، وهي استواء عدد الإسناد من الراوي إلى آخره مع إسناد أحد المصنفين، وفيه المصافحة وهي الاستواء مع تلميذ ذلك المصنف».

(٨) بنحوه في البغوي ٢/١٩٨ وفي البحر ٤/٣٨٧ وفي أبي السعود ٣/٢٧٠، وتنوير المقباس ٢/١٢٦ روح المعاني ٩/٥٦ الرازي ١٩٢/١٤.

(٩) القرطبي بلا نسبة ٧/١٧٩ وأخرجه البغوي عن ابن عباس ٢/١٩٩ وذكر السيوطي في الدر عن عكرمة رضي الله عنه (٣/١٢٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن مردويه وذكره في الدر عن ابن عباس بنحوه (٣/١٢١) وعزاه لابن أبي حاتم، وانظر بحر العلوم للسمرقندي آية ١٤٥.

ذراعاً^(١)» وقال الكلبي^(٢): «كانت من زبرجدة خضراء» وقال مقاتل^(٣): «وكتبنا له في الألواح كنقش الخاتم» وقال ابن جريج^(٤): «كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر [واستمد]^(٥) من نهر النور»، وقوله: «من كل شيء» قال السدي^(٦): «مما أمروا به ونهوا عنه» وهذا معنى قول ابن عباس^(٧): «مما افترض وأحل وحرم ونهى وأمر» «موعظة» نهياً عن الجهل «وتفصيلاً لكل شيء» هداية إلى كل أمر هو الله رضا «فخذها بقوة» قال ابن عباس^(٨): «بجد والمعنى بصحة وعزيمة» لأنه لو أخذها بضعف نية لأداه إلى فتور العمل^(٩) به، وقوله: «وأمر قومك يأخذوا بأحسنها» قال عطاء عن ابن عباس^(١٠): «يحلوا حلالاتها ويحرموا حرامها، ويتدبروا أمثالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند متشابهها» وقال قطرب^(١١): «يأخذوا بأحسنها أي بحسنها وكلها حسن» وقال أهل المعاني^(١٢): «أحسنها الفرائض^(١٣) والنوافل^(١٤) وهي ما يستحق عليها الثواب، وأدونها في الحسن المباح^(١٥) لأنه لا يستحق عليه حمد ولا ثواب» «سأريكم دار الفاسقين» قال عطاء والحسن ومجاهد^(١٦): «هي جهنم» أي: فلتكن منكم على ذكر لتحذروا أن

- (١) وذكره البغوي في التفسير (١٩٩/٢)، وذكره الألوسي في التفسير (٥٧/٩) وعزاه لابن أبي حاتم، وذكره الخازن (٢٣٦/٢) وذكره السيوطي في الدر (١٣٠/٣) عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده، وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.
- (٢) البغوي في التفسير (١٩٩/٢) أبو حيان في البحر (٣٨٧/٤)، القرطبي عن مجاهد (١٧٩/٧) الرازي (١٩٣/١٤)، روح المعاني (٥٧/٩)، أبو السعود (٢٧٠/٣)، وذكره السيوطي في الدر (١٢١/٣) عن مجاهد وعزاه لابن أبي حاتم.
- (٣) ووهب انظر تفسير البغوي (١٩٩/٢) والقرطبي (١٧٩/٧)، وانظر تفسير أبي السعود (٢٧٠/٤).
- (٤) البغوي (١٩٩/٢)، وأبو حيان في البحر (٣٨٧/٤)، والقرطبي (١٧٩/٧) الرازي (١٩٣/١٤)، روح المعاني (٥٧/٩) وذكره السيوطي في الدر (١٢٠/٣ - ١٢١) وعزاه لأبي الشيخ.
- (٥) سقط في ب.
- (٦) انظر القرطبي (١٧٩/٧) البغوي (١٩٩/٢) وذكره السيوطي في الدر (١٢١/٣) وعزاه لأبي الشيخ وذكر مثله عن مجاهد وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.
- (٧) البحر المحيط (٣٨٧/٤) وانظر المصادر السابقة.
- (٨) أبو حيان في البحر (٣٨٨/٤) البغوي (٢٠٠/٢) الرازي (١٩٣/١٤) القرطبي (٧٩/٧) والألوسي (٥٨/٩)، وينحوه عند الطبري (١١٠/١٣)، وابن كثير (٤٧١/٤)، بحر العلوم للسمرقندي آية (١٤٥)، وذكره السيوطي في الدر (١٢٦/٣)، وعزاه لابن جرير الطبري.
- (٩) انظر المصادر السابقة.
- (١٠) البغوي (٢٠٠/٢)، بحر العلوم للسمرقندي آية (١٤٥)، البحر المحيط (٣٨٨/٤) القرطبي (١٧٩/٧).
- (١١) وابن الأنباري البحر المحيط (٣٨٨/٤) تهذيب اللغة للأزهري (٣١٨/٤) الرازي (١٩٣/١٤) البغوي (٢٠٠/٢)، تفسير أبي السعود (٢٧١/٣).
- (١٢) معاني الزجاج (٣٧٥/٢)، البغوي (٢٠٠/٢)، الرازي (١٩٣/١٤)، البحر المحيط (٣٨٨/٤)، القرطبي (١٧٩/٧) روح المعاني (٥٩/٩).
- (١٣) جمع فريضة: وهو الفعل الذي طلبه الشارع طلباً جازماً، سواء كان بدليل قطعي كالقرآن والسنة المتواترة أو كان بدليل ظني كخبر الأحاد والفرض والواجب مترادفان عند الجمهور، خلافاً للأحناف والخلاف بينهم لفظي انظر المستصفي للغزالي (٦٦/١) الأحكام للامدي (٥٠/١)، وانظر شرح جمع الجوامع (٨٨/١).
- (١٤) جمع نافلة وهي الفعل الذي طلبه الشارع طلباً غير جازم. وهي والمندوب والمستحب والتطوع، والمرغب فيه، ألفاظ مترادفة انظر منهاج الأصول (٤) والبزدوي مع كشف الأسرار (٣٨٠/٢) نهاية السؤل (٤٦/١) والمعتمد (٣٦٧/١) المحصول (٢٩/١) التحصيل (١٥) جمع الجوامع (٨٩/١).
- (١٥) انظر المستصفي (٦٥/١) روضة الناظر (٩٠/١) المحصول (١٠٣/١/١) الأمدي (٧٣/١) إرشاد الفحول ٦.
- (١٦) الطبري (١١١/١٣) وينحوه عند ابن كثير (٤٧١/٤) بحر العلوم آية (١٤٥)، القرطبي (١٧٩/٧)، روح المعاني (٦٠/٩) أبو حيان =

تكونوا منهم وهذا تهديد لمن خالف أمر الله، وقال قتادة سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون (١) الماضية الذي خالفوا أمر الله، لتعتبروا بها قوله: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ قال ابن عباس (٢): يريد الذين يتجبرون (٣) على عبادي ويحاربون أوليائي حتى لا يؤمنوا بما جئت به، وشرحه ابن الأنباري والزجاج فقال ابن الأنباري: المعنى سأصرفكم عن قبول آياتي والتصديق بها لعنادهم الحق، وعوقبوا بحرمان الهداية وهذا كقوله ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ (٤) وقال الزجاج: أي: أجعل جزاءهم الإضلال عن هداية آياتي. قال ومعنى يتكبرون: أنهم يرون أنهم أفضل الخلق وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم وقال ابن جريج (٥): الآيات خلق السماوات والأرض، يعني أصرفهم عن الاعتبار بما فيها وإن يروا سبيل الرشد (٦) يعني الهدى والبيان الذي جاء من الله ﴿لا يتخذوه سبيلاً﴾ دينا ﴿وإن يروا سبيل الغي﴾ طاعة الشيطان وضلالته ﴿يتخذوه سبيلاً﴾ دينا ﴿ذلك بأنهم﴾ قال الزجاج (٧): فعل الله ذلك بأنهم ﴿كذبوا بآياتنا﴾ جحدوا الإيمان بها ﴿وكانوا عنها﴾ أي عن النظر فيها والتدبر لها ﴿غافلين﴾ قوله: ﴿والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة﴾ يعني ولقاء الدار الآخرة التي هي موعد الثواب والعقاب ﴿حبطت أعمالهم﴾ صارت كأنها لم تكن، وقوله: ﴿هل يجوزون إلا ما كانوا يعملون﴾ هذا استفهام تقرير يعني أنهم لا يجوزون إلا بما يستحقون من العقاب، وهو قوله: ﴿إلا ما كانوا يعملون﴾ أي إلا بما كانوا أو على ما كانوا يعملون. وَأَتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَّهُمْ خُورًا الرَّيْرُ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدَّ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَعْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾ أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل للميقات ﴿من حلبيهم﴾ الحلبي جمع حلبي مثل ثدي وثدي ومن كسر الحاء (٨) ...

= في البحر (٣٨٩/٤) الرازي ١٩٤/١٤ والدر المثور (١٢٦/٣).

(١) ابن كثير ٤٧١/٣ البحر ٣٨٩/٤ القرطبي ١٧٩/٧ الرازي ١٩٤/١٤، روح المعاني ٦٠/٩.

(٢) ذكره البغوي ٢٠٠/٢. (١٩) في ج (يتحبرون عن عبادتي).

(٣) سورة الصف (٥).

القرطبي (١٨٠/٧) بحر العلوم آية (١٤٦) الألوسي روح المعاني (٦٠/٩)، أبو السعود (٢٧١/٣) وأخرج السيوطي في الدر المثور عن السدي بنحوه (١٢٧/٣) وبنحوه عند الطبري عن سفيان بن عيينة بن ١١٢/١٣ وابن كثير (٣٧٢/٤).

(٤) معاني القرآن (٣٧٦/٢) البحر المحيط ٣٨٩/٤.

(٥) البغوي (٢٠٠/٢) والسمرقندي في بحر العلوم المصدر السابق، القرطبي ١٨٠/٧ وذكره السيوطي في الدر المثور (١٢٧/٣) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ.

(٦) قرأ حمزة والكسائي المرشد: بفتح الراء والشين. وقرأ الباقون بضم الراء وسكون السين وهما لغتان مثل السقم والسقم، والحزن والحزن، حجة القراءات (٢٩٥ - ٢٩٦). النشر ٢٧٢/٢ إتحاف فضلاء البشر ٦٢/٢.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣٧٦/٢. وانظر القرطبي ١٨٠/٧.

(٨) قرأ حمزة والكسائي: (من حلبيهم) بكسر الحاء. وقرأ الباقون: بالضم وحتهم: أن الضم هو الأصل، وفيه علم الجمع. وذلك أن الحلبي جمع حلبي مثل حنفي والأصل حلوي مثل قلب وقلوب فلما سبقت الواو الياء، قلب الواو ياء، فأدغمت في الياء فصارت حلبي بضم الحاء واللام، فاجتمعت ضمتان وبعدها ياء مشددة، فكان ذلك أشد ثقلاً فكسرت اللام لمجيء الياء فصارت حلبي بضم الحاء وكسر اللام. وحجة من كسر الحاء: هي أنه استنقل ضمة الحاء بعد كسر اللام وبعدها ياء، فكسر الحاء لمجاورة =

فقال الزجاج^(١): «اتبع الحاء كسرة اللام» قال المفسرون^(٢): إن بني إسرائيل كان لهم عيد يتزينون فيه، ويستعيرون من القبط الحلي فاستعاروا حلي القبط لذلك اليوم فلما أخرجهم الله من مصر، وغرقهم الله بقيت تلك الحلي في أيديهم، فجمعها السامري^(٣)، فصاغها عجباً وأعلمهم أن إلههم وإله موسى عنده^(٤) فذلك قوله: ﴿عجباً جسداً له خوار﴾ وأكثر أهل التفسير على أنه صار جسداً ذا لحم ودم^(٥)، وقال وهب: «جسداً لحماً ودماً^(٦)» وقال قتادة: «جعل الله جسداً لحماً ودماً له خوار» وقال الحسن^(٧): «قبض السامري قبضة من أثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذف ذلك التراب في فم العجل، فتحول لحماً ودماً وخار خورة واحدة» قال الله تعالى منكرآ عليهم ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم﴾ أي: لا يستطيع كلاماً، فيدعو إلى رشد أو يصرف عن غي^(٨)، ﴿ولا يهديهم سبيلاً﴾ أي: لا يرشدهم إلى دين، وقوله: ﴿اتخذوه﴾ أي: إلهاً ومعبوداً، كقوله: ﴿ثم اتخذتم العجل من بعده﴾^(٩) ﴿وكانوا ظالمين﴾ قال ابن عباس^(١٠): «مشركين» قوله تعالى: ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ قال ابن عباس والمفسرون^(١١): ندموا على عبادة العجل «قال الفراء^(١٢) والزجاج^(١٣)»: يقال: للنادم على ما فعل المتحسر على ما فرط فيه قد سقط في

= كسرة اللام. وأخرى أنهم قد أجمعوا على قوله: (من عَصِيْهِمْ) فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه. انظر الحجة (٢٩٥) - (٢٩٦) وانظر النشر (٢٧٢/٢) إتحاف فضلاء البشر (٦٢/٢) البغوي (٢٠١/٢) الرازي (٦/١٥) أبو السعود (٢٧٣/٣) روح المعاني (٦٣/٩) البحر المحيط (٣٩٢/٤) القرطبي (١٨٠/٧).

(١) انظر معاني القرآن (٣٧٦/٢) والقرطبي ١٨١/٧.

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٤٧٤/٣) والرازي في التفسير (١١/١٥)، والألوسي في التفسير (٦٧/٩) وذكره السيوطي في الدر (١٢٧/٣) وعزاه لأحمد وعبد بن حميد، والبزار، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه. (٣) موسى بن ظفر ينسب إلى قرية تدعى سامرة، ولد عام قتل الأبناء، وأخفته أمه في كهف جبل، فغذاه جبريل انظر القرطبي (١٨١/٧).

(٤) وذكره القرطبي ١٨١/٧ والسمرقندي في بحر العلوم آية ١٤٧ وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٢٧/٢) وعزاه لعبد الرزاق، وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن قتادة.

(٥) ومعنى اتخذوا عجباً: صورة عجل، وهذا من مجاز الصورة، وهو شائع في الكلام. والجسد: الجسم الذي لا روح فيه فهو خاص بجسم الحيوان إذا كان بلا روح، والمراد أنه كجسم العجل في الصورة والمقدار، إلا أنه ليس بحي وما وقع في القصص: أنه كان لحماً ودماً ويأكل ويشرب، فهو من وضع القصاصين، وكيف القرآن يقول من حليهم ويقول له خوار، فلو كان لحماً ودماً لكان ذكره أدخل في التعجب منه. والخوار بالخاء المعجمة: صوت البقر، وقد جعل صانع العجل في باطنه تجويفاً على تقدير من الضيق مخصوص، واتخذ له آلة نافخة خفية، فإذا حركت آلة النفخ انضغط الهواء في باطنه وخرج من المضيق، فكان له صوت كالخوار، وهذه صنعة كصنعة الصفارة والمزمار، وكان الكنعانيون يجعلون مثل ذلك لصنعها المسمى بعلا. انظر التحرير والتنوير (١٠٩/١ - ١١٠) وانظر زاد المسير ٦١/٣ القاسمي ٢٨٥٧/٧ وأبي حيان ٣٩٢/٤ البغوي ٢٠١/٢. ابن كثير ٤٧٣/٣.

(٦) البغوي ٢٠١/٢ روح المعاني ٦٣/٩ أبو السعود ٢٧٣/٣.

(٧) البغوي ٢٠١/٢ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٢٧/٢ وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٨) البغوي ٢٠١/٢ تفسير أبو السعود ٢٧٣/٣ ذكره السيوطي في الدر ١١٥/٣ عن ابن عباس، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم، وعزاه أيضاً عن مجاهد في نفس المصدر ١٢٧/١ لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٩) سورة البقرة ٩٢. (١٠) البغوي ٢٠١/٢ القرطبي ١٨١/٧ بحر العلوم آية (١٤٨).

(١١) بحر العلوم المصدر السابق الرازي ٨/١٥ مجاز القرآن ٢٢٨/١ روح المعاني ٦٤/٩ ابن كثير ٤٧٣/٤ ونحو هذا في البحر ٢٩٢/٤ تفسير أبي السعود ٢٧٣/٣ والقرطبي ١٨٢/٧ البغوي ٢٠١/٢، وذكره السيوطي في الدر ١٢٧/٣ وعزاه لابن المنذر.

(١٢) معاني القرآن ٣٩٣/١ القرطبي ١٨٢/٧.

(١٣) معاني القرآن للزجاج ٣٧٨/٢ الرازي ٨/١٥ روح المعاني ٦٤/٩ أبو السعود ٢٧٣/٣ البحر المحيط ٣٩٣/٤.

يده وأسقط» قال الأزهري^(١): والمراد سقط الندم في يده، «ورأوا أنهم قد ضلوا» وعلموا أنهم قد ابتلوا بمعصية الله «قالوا لمن لم يرحمنا ربنا» الآية، وهذا الندم والاستغفار إنما كان بعد رجوع موسى إليهم.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۚ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ
وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ فِي الْأَعْدَاءِ
وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ
الرَّحِيمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَعَمِنُوا إِن رَّبُّكَ مِن بَعْدِهَا غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾

قوله «ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا» الأسف الشديد الغضب، يقال: أسفني فأسفت، أي أغضبني^(٢) ومنه قوله: «فلما أسفونا انتقمنا منهم»^(٣) وقال السدي والكلبي: «الأسف الحزين»^(٤) «قال» موسى لقومه «بئسما خلفتموني من بعدي» يقال: خلفه بما يكره إذا عمل خلفه ذلك العمل، قال ابن عباس: «يريد اتخاذهم العجل وكفرهم بالله»^(٥) وقوله «أعجلتم أمر ربكم» قال ابن عباس^(٦): «يعني ميعاد ربكم فلم تصبروا له» ونحو هذا قال الحسن: «وعد ربكم الذي وعدتم من الأربعين ليلة»^(٧) وقال الكلبي: «أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر من ربكم»^(٨) «والألواح التي فيها التوراة».

روى ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الخبر كالمعاينة، إن الله قد أخبر موسى أن قومه قد ضلوا فلما يكسر الألواح فلما عاين ذلك كسر الألواح»^(٩) وقوله: «وأخذ برأس أخيه يجره إليه» قال الكلبي^(١٠): «بذؤابة»^(١١) أخيه وشعره بيده اليمنى ولحيته اليسرى لأنه توهم أنه عصى الله بمقامه فيما بينهم وتركه اللحق به، فقال له هارون «ابن أم» أراد أمي، فحذف الياء، وأبقى الكسرة دليلاً على المحذوف كما قالوا: يا غلام أقبل^(١٢)، ومن فتح

(١) تهذيب اللغة ٣٩٢/٨ القرطبي ١٨٢/٧.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٢٨/١، وانظر تفسير الطبري ١٣/١٢٠ - ١٢١.

(٣) سورة الزخرف (٥٥).

(٤) البغوي في التفسير ٢٠١/٢ القرطبي ١٨٢/٧ البحر المحيط ٣٩٤/٤ روح المعاني ٦٥/٤.

وذكره السيوطي في الدرر ١٢٧/٣ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، من طرق عن ابن عباس، وأخرجه من وجه آخر عن ابن عباس، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٤٧٤/٣ البحر المحيط (٣٩٥/٤) بحر العلوم آية ١٥٠ أبو السعود (٢٧٤/٣) روح المعاني ٦٦/٩.

(٦) بحر العلوم آية (١٥٠) البغوي عن الحسن ٢٠٢/٢ القرطبي ١٨٣/٧ الرازي عن ابن عباس ١٠/١٥ البحر المحيط ٣٩٤/٤.

(٧) انظر المصادر السابقة.

(٨) انظر المصادر السابقة.

(٩) أخرجه أحمد في المسند ٢٧١/١ وابن حبان كذا في الموارد (٢٠٧٨) - والهيثمي في المجمع ١٥٣/١ والخطيب في التاريخ ٣٦٠/٣ وابن عبد البر في الاستدكار ١٤٩/١ وابن عدي في كامله ٢٠٣/١.

(١٠) البغوي في التفسير ٢٠٢/٢ بحر العلوم آية ١٥٠ القرطبي ١٨٤/٧ فتح القدير ٢٤٨/٢ أبو حيان في البحر المحيط ٣٩٥/٤.

(١١) وهو الشعر المضفور من شعر الرأس، انظر لسان العرب، ترتيب القاموس ٢٤٥/١، النهاية في غريب الحديث ١٥١/٢.

(١٢) وهذا النداء نداء استضعاف وترفق، وعادة العرب تتلطف وتحنن بذكر الأم كما قال:

الميم^(١)، جعل ابن وأم شيئاً واحداً، نحو خمسة عشر وقوله: ﴿إن القوم استضعفوني﴾ قال الكلبي^(٢): «استدلوني وقهروني» و﴿كادوا﴾ وهموا أن يقتلوني ﴿فلا تسمت بي الأعداء﴾ يعني أصحاب العجل ﴿ولا تجعلني﴾ في موجدتك^(٣) علي ﴿مع القوم الظالمين﴾ الذين عبدوا العجل قوله: ﴿قال رب اغفر لي﴾ أي ما صنعت إلى أخي من الإنكار عليه، وهو بريء مما يوجب العتب عليه ﴿ولأخي﴾ إن قصر في الإنكار على عبدة العجل ﴿وأدخلنا في رحمتك﴾ قال عطاء^(٤): «في جنتك» و﴿وأنت أرحم الراحمين﴾.

أخبرنا محمد بن عبد العزيز الفقيه أنا محمد بن الفضل السلمي أنا أحمد بن حمدون بن رستم^(٥) نا عبد الرحمن بن محمد ابن بنت المبارك بن فضالة نا عثمان بن عبد الله الشامي^(٦) نا: سلمة بن سليمان البصري^(٧) حدثني محمد بن المنكدر عن عبد الله بن عمر قال: رجع رسول الله ﷺ من غداة الحديبية فنزل على ماء لقوم، فقال رسول الله ﷺ: من القوم؟ فقالوا: نحن المسلمون وإذا امرأة تحطب تنوراً^(٨) لها، فلما ارتفع الوهج نحت بابن لها عن وجهه، فأتتنا، فقالت: أنيكم محمد رسول الله؟ قلنا لها نعم فأتت النبي ﷺ فقالت: أأنت تزعم أنك رسول الله؟ فقال: بلى قالت: أأنت تزعم أن الله أرحم الراحمين؟ قال لها بلى، قالت: أي رسول الله أو تزعم أن الله أرحم الراحمين أفأنت تزعم أن الله أرحم بالعباد من الأمهات بأولادهن؟ قال لها: بلى، قالت أولست تزعم هذا؟ قال: بلى، قالت: فإن الوالدة لا تطيب نفسها أن تلقي ولدها في النار فبكي رسول الله ﷺ حتى أخضلت لحيته ثم قال: إن الله لا يعذب من عباده إلا المارد المتمرد الذي يتمرد على ربه وأبي أن يقول: لا إله إلا الله^(٩) قوله: ﴿إن الذين اتخذوا العجل﴾ يعني اليهود الذين كانوا في عصر رسول الله ﷺ غيرهم بصنع آباءهم ونسبه إليهم قوله: ﴿سيتألمهم غضب من ربهم﴾ عذاب في الآخرة ﴿وذلة في الحياة الدنيا﴾ يعني الجزية، وقال عطاء^(١٠): «يعني ما أصاب قريظة، والنضير من

= يا ابن أمي ويا شقيق نفسي . وقال آخر:

يا ابن أمي فذلك نفسي ومالي .

انظر البحر المحيط ٣٩٦/٤ القرطبي (١٨٤/٧) فتح القدير (٢٤٨/٢).

(١) انظر الحجة (٢٩٧ - ٢٩٨) وانظر النشر (٢٧٢/٢) إتحاف فضلاء البشر ٦٣/٢ البحر المحيط ٣٩٦/٤ القرطبي ١٨٤/٧ الرازي

١١/١٥ البغوي ٢٠٢/٢ أبو السعود ٢٧٤/٣ فتح القدير ٢٤٨/٢ روح المعاني ٦٨/٩ .

(٢) القرطبي ١٨٥/٧ بحر العلوم آية ١٥٠ . روح المعاني ٦٨/٥ أبو السعود ٢٧٤/٣ .

(٣) الموجده: الغضب . لسان العرب ٤٧٦٩/٦ . (٤) ذكره السمرقندي بلا نسبة في بحر العلوم آية ١٥١ .

(٥) أحمد بن حمدون، أبو حامد الأعمشي، الحافظ النيسابوري . سمع علي بن خشرم قال الحاكم: كان أبو علي الحافظ يقول: حدثنا

أحمد بن حمدون إن حلت الرواية عنه وأنكر عليه أحاديث . قال الحاكم: أحاديثه كلها مستقيمة، انظر ميزان الاعتدال ٩٤/١ -

٩٥

(٦) عثمان بن عبد الله، الأموي الشامي . عن ابن لهيعة وحماد بن سلمة، وجماعة، هو فيما قيل: عثمان بن عبد الله، بن عمرو، بن

عفان . قال ابن عدي: كان يسكن بنصيبين ودار البلاد . يروي الموضوعات عن الثقات . انظر ميزان الاعتدال (٤١/٣) .

(٧) بفتح الباء الموحدة، وسكون الصاد المهملة، وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى البصرة . انظر الأنساب ٣٦٣/١ .

(٨) هو الذي يخبر فيه، لسان العرب ٤٥٠/١ .

(٩) إسناده إلى المصنف رحمه الله ضعيف جداً، وعلته إسماعيل بن يحيى الشيباني قال العقيلي: لا يتابع علي حديثه، وقال ابن حبان:

لا تحل الرواية عنه كما تقدم والحديث عند ابن ماجه ١٤٣٦/٢ في كتاب الزهد باب ما يرجى من رحمه الله يوم القيامة (٤٢٩٧)

وقال الشهاب البوصيري ٣١٩/٣ هذا إسناده فيه إسماعيل بن يحيى وهو متهم، وعبد الله ضعيف، وأخرجه العقيلي في الضعفاء

٩٦/١، وقال: ولا يتابع علي حديثه .

(١٠) أما قول الجزية فقال القرطبي فيه بعد . وانظر أثر عطاء في البغوي ٢٠٢/٢ القرطبي ١٨٦/٧ البحر المحيط ٣٩٧/٤ وانظر الرازي =

الجلاء والنفي» ﴿وكذلك نجزي المفترين﴾ قال ابن عباس^(١): «كذلك أعاقب من أتخذ إلهاً من دوني» وقال سفيان بن عيينة^(٢): «هذا لكل مبتدع ومفتر إلى يوم القيامة» ﴿والذين عملوا السيئات﴾ قال ابن عباس^(٣): «يزيد الشرك» ﴿ثم تابوا من بعدها﴾ أي: رجعوا عنها وتركوها ﴿إن ربك من بعدها لغفور﴾ لهم ﴿رحيم﴾ بهم، وقوله ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَابُ فِي سُخْتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾^(٤) وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي أَتَّهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾^(٥) ﴿وَكَتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٨)

﴿ولما سكت عن موسى الغضب﴾ أي: سكن وزهدت حدته وفورته ﴿أخذ الألواح﴾ التي كان ألغها ﴿في نسختها﴾ وفي المكتوب فيها وذلك المكتوب انتسخ من أصل فسمي نسخة ﴿هدى﴾ من الضلالة ﴿ورحمة﴾ من العذاب ﴿للذين هم لربهم يرهبون﴾ يريد الخائفين من ربهم واللام في ﴿لربهم﴾ زيادة للتوكيد كقوله: ﴿ردف لكم﴾^(٤) وقد يزداد حرف الجر توكيداً وإن كان مستغنى عنه، يقال: ألقى يده وبيده، وفي القرآن ﴿الم يعلم بأن الله يرى﴾^(٥) قوله تعالى: ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا﴾ معناه: من قومه، فخذت من ووصل الفعل فنصب^(٦)، قال

= ١٢/١٥ وانظر فتح القدير ٢/٢٥٠.

(١) البحر المحيط ٤/٣٩٧ بنحوه في روح المعاني ٧٠/٩ وانظر فتح القدير ٢/٢٥٠.

(٢) أخرجه الطبري ١٣/١٣٦ (١٥١٥١) بنحوه أيضاً عن أبي قلابة الجرمي ١٣/١٣٥ (١٥١٤٩). البحر المحيط ٤/٣٩٧ روح

المعاني ٧٠/٩ البغوي ٢/٢٠٢ ونحوه عند القرطبي بلا نسبة ٧/١٨٦.

(٣) بحر العلوم آية ١٥٣ القرطبي ٧/١٨٦ البحر المحيط ٤/٣٩٧ تفسير ابن كثير ٣/٤٧٥ والراجح في هذا العموم أي: أي نبينا كانت

لعموم المغفرة، ولا داعي للتخصيص.

(٤) سورة النمل (٧٢).

(٥) سورة العلق (١٤).

(٦) يقال: اخترت من الرجال زيذا، واخترت الرجال زيذاً وأنشدوا قول الفرزدق:

السدي^(١): أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل فاختر موسى سبعين رجلاً ليعتذروا فلما سمعوا كلام الله، قالوا أرنا الله جهرة ف ﴿أخذتهم الرجفة﴾ وهي: الرعدة والحركة الشديدة حتى كادت أن تبين مفاصلهم، وتنقض ظهورهم، وخاف موسى عليهم الموت فبكى ودعا، وخاف أن يتهمه بنو إسرائيل على السبعين إذا عاد إليهم، ولم يصدقوه بأنهم ماتوا ﴿قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل﴾ خروجنا ﴿وإياي﴾ فكان بنو إسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهموني ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ هذا استفهام على تأويل الجحد أراد لست تفعل ذلك، أي لا تهلكنا بما فعل عبدة العجل هذا قول «ابن الأنباري»^(٢) وقال المبرد^(٣): «هذا استفهام استعطاف، أي لا تهلكنا» وقوله: ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ أي تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن إلا فتنتك أي اختبارك وابتلاؤك أضللت بها قوماً فافتنوا وهديت قوماً فعصمتهم، حتى ثبتوا على دينك، فذلك معنى قوله ﴿تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا﴾ ناصرنا والذي يتولى أمورنا ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة﴾ قال ابن عباس: «أقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة»^(٤) ﴿وفي الآخرة﴾ يريد وفي الآخرة حسنة وهي الجنة ﴿إننا هدنا إليك﴾ قال جميع المفسرين «تبنا ورجعنا إليك بتوبتنا»^(٥) [والهود الرجوع]^(٦) ﴿قال عذابي أصيب به من أشاء﴾ قال ابن عباس: «يريد على الذنب اليسير»^(٧) ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ قال الحسن وقناة «إن رحمته وسعت في الدنيا البر والفاجر وهو يوم القيامة للمتقين خاصة»^(٨) قال عطية العوفي: «إن الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن، فيعيش فيها فإذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراج»^(٩).

= ومنها الذي اختار الرجال سماحة وجوداً إذا هب الرياح الزعازع

قال أبو علي: والأصل في هذا الباب أن من الأفعال ما يتعدى إلى المفعول الثاني بحرف واحد، ثم يتسع فيحذف حرف الجر، فيتعدى الفعل إلى المفعول الثاني، من ذلك قولك: اخترت من الرجال زيدا، ثم يتسع فيقال: اخترت الرجال زيدا، وقولك: أستغفر الله من ذنبي، وأستغفر الله ذنبي قال الشاعر:

أستغفر الله ذنباً لست أحصيه

ويقال أمرت زيدا بالخير، وأمرت زيدا الخير قال الشاعر:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به

انظر الرازي (١٥/١٥) - روح المعاني ٧٢/٩.

(١) البغوي في التفسير ٢٠٣/٢ وأخرجه الطبري ١٤٠/١٣ (١٥١٥٢) وابن كثير في التفسير ٤٧٧/٣ والرازي في التفسير ١٧/١٥ تفسير أبي السعود ٢٧٧/٣ بحر العلوم للسمرقندي ١٥٥ روح المعاني ٧٣/٩.

(٢) انظر القرطبي ١٨٨/٧ أبو السعود نقلاً عن ابن الأنباري ٢٧٧/٣، الرازي ١٧/١٥ فتح القدير ٢٥٢/٢ روح المعاني نقلاً عن ابن الأنباري ٧٤/٩.

(٣) القرطبي ١٨٨/٧ البحر المحيط ٤٠٠/٣ أبو السعود ٢٧٧/٣ الرازي ١٧/١٥ البغوي ٢٤٠/٢ فتح القدير ٢٥٢/٢ روح المعاني ٧٥/٩.

(٤) أبو السعود عن ابن عباس ٢٧٨/٢ والألوسي في روح المعاني ٧٥/٩.

(٥) معاني الزجاج ٣٨٠/٢ الرازي ١٨/١٥ - ١٩ بحر العلوم آية (١٥٥). القرطبي ١٨٨/٧ وانظر تفسير الطبري ٤٩/٩ البحر المحيط ٤٠١/٤، تفسير أبي السعود ٢٧٨/٣ فتح القدير ٢٥٢/٢ البغوي ٢٠٤/٢ روح المعاني ٧٥/٩ - ٧٦ مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٢٩/١ وانظر الدر المنثور ١٢٩/٣ تفسير سفيان الثوري (١١٤).

(٦) سقط في ب، ج. ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٤٠١/٤.

(٨) ذكره السمرقندي في بحر العلوم آية (١٥٦) والبغوي في التفسير (٢٠٤/٢) ويتحوه في تفسير أبي السعود ٢٧٨/٣ وتنوير المقباس ١٣١/٢ البحر المحيط ٤٠١/٤.

(٩) ذكره البغوي في التفسير ٢٠٤/٢.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفارسي^(١) أنا محمد بن عبد الله بن خميرويه أنا علي بن محمد الخزاعي أنا: أبو اليمان أخبرني شعيب^(٢) عن الزهري أخبرني أبو سلمة عن أبي هريرة قال: «قام رسول الله ﷺ في الصلاة وقمنا معه فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً، فلما سلم رسول الله ﷺ قال للأعرابي لقد تحجرت واسعاً يريد رحمة الله عز وجل» رواه البخاري عن أبي اليمان^(٣).

وقال قتادة وسفيان بن عيينة في قوله ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ قال: «قال إبليس أنا من ذلك الشيء فأنزل الله ﴿فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة﴾ إلى آخر الآية فتمنتها اليهود والنصارى وقالت: نحن نؤمن «بالتوراة» و «الإنجيل» ونؤدي «الزكاة» فاختلسها الله من إبليس واليهود والنصارى فجعلها لهذه الأمة خاصة^(٤) فقال: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾ وهو نبيكم كان أمياً لا يكتب^(٥) ﴿الذي يجدونه مكتوباً عندهم﴾ في التوراة والإنجيل^(٦) يجدون نعته ونبوته وأمره^(٧).

(١) بفتح الفاء بعدها الألف والراء المكسورة، وفي آخرها السين المهملة. هذا الاسم لعدة من المدن الكبيرة انظر الأنساب (٣٣٢/٤).

(٢) شعيب بن أبي حمزة، واسمه دينار الأموي مولاهم أبو بشر الحمصي، روى عن الزهري، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، وأبي الزناد، وابن المنكدر ونافع وهشام بن عروة وغيرهم وثقه ابن معين مات سنة اثنتين انظر التهذيب (٣٥١/٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٢/١٠) في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهايم، (٦٠١٠) وأخرجه أبو داود ١٠٣/١ في كتاب الصلاة باب الدعاء في الصلاة (٣٨٠) حجرت بمهملة ثم جيم ثقيلة، ثم راء أي ضيقت وزناً ومعنى، ورحمة الله واسعة، كما قال الله تعالى، واتفقت الروايات على أن حجرت بالراء، لكن نقل ابن التين أنها في رواية أبي ذر بالزاي، وقال: وهما بمعنى، والقائل - يريد رحمة الله - بعض رواته وكأنه أبو هريرة، قال ابن بطلان: أنكر ﷺ على الأعرابي، لكونه بخل برحمة الله على خلقه، وقد أثنى الله تعالى على من فعل خلاف ذلك حيث قال «والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان» وقوله في الرواية الأخرى احتظرت بحاء مهملة وظاء مشالة، بمعنى امتنعت. ماخوذ من الحظار بكسر أوله، وهو الذي يمنع ما وراءه. الفتح (٤٥٣/١٠).

(٤) أخرجه الطبري ١٥٧/١٣ القرطبي ١٨٨/٧ البيهقي في الشعب ٢٦٧/١، البغوي ٢٠٤/٢ السمرقندي في بحر العلوم آية ١٥٦ البحر المحيط ٤٠٢/٤.

(٥) قال الزجاج: معنى «الأمي» الذي هو على صفة أمة العرب، قال عليه الصلاة والسلام «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» فالعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرأون، والنبي عليه الصلاة والسلام كان كذلك، فلهذا السبب وصفه بكونه أمياً. قال أهل التحقيق وكونه أمياً بهذا التفسير، كان من جملة معجزاته وبيانه من وجوه الأول: أنه عليه الصلاة والسلام، كان يقرأ عليهم كتاب الله تعالى منظوماً مرة بعد أخرى من غير تبديل ألفاظه ولا تغيير كلماته، والخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها، فإنه لا بد وأن يزيد فيها وأن ينقص عنها بالقليل والكثير، ثم إنه عليه الصلاة والسلام مع أنه ما كان يكتب وما كان يقرأ كان يتلو كتاب الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تغيير، فكان ذلك من المعجزات، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ستقرئك فلا تنسى﴾ الأعلى (٦) والثاني: أنه لو كان يحسن الخط والقراءة، لصار منهما في أنه ربما طالع كتب الأولين، فحصل هذه العلوم من تلك المطالعة، فلما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على العلوم الكثيرة، من غير تعلم ولا مطالعة، كان ذلك من المعجزات، وهذا هو المراد من قوله «وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذا لارتاب المبطلون» العنكبوت (٤٨). الثالث: أن تعلم الخط شيء سهل، فإن أقل الناس ذكاء وفضة يتعلمون الخط بأدنى جهد، فعدم تعلمه يدل على نقصان عظيم في الفهم، ثم إنه تعالى آتاه علوم الأولين والآخرين، وأعطاه من العلوم والحقائق ما لم يصل إليه أحد من البشر، ومع تلك القوة العظيمة في العقل والفهم، جعله بحيث لم يتعلم الخط الذي يسهل تعلمه على أقل الخلق عقلاً وفهماً، فكان الجمع بين هاتين الحالتين المتضادتين جارياً مجرى الجمع بين الضدين، وذلك من الأمور الخارقة للعادة وجار مجرى المعجزات. الرازي (٢٠/١٥).

(٦) سقط في أ، ب.

(٧) لأن ذلك لو لم يكن مكتوباً لكان ذكر هذا الكلام من أعظم المنفردات لليهود والنصارى عن قبول قوله لأن الإصرار على الكذب =

أخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق نا: مأمون بن أحمد بن مأمون نا: علي بن سعيد العسكري (١) حدثني محمد بن الضوء عن أبيه الصلصال بن الدهممس قال: كنا عند النبي ﷺ فقال لنا: إن عبادة بن الصامت عليل امضوا بنا لنعوده فوثب رسول الله ﷺ وأمنا، واتبعناه فاجتاز في طريقه برجل من اليهود يمرض ابناً له فمال إليه فقال «يا يهودي هل تجدونني عندكم مكتوباً في التوراة؟» فأوماً إليه اليهودي برأسه يعلمه انهم لا يجدونه عندهم في التوراة مكتوباً فقال له ابن اليهودي والله يا رسول الله إنهم يجدونك عندهم في التوراة مكتوباً ولقد طلعت وإن في يده لسفراً من التوراة يقرأ فيه صفتك، وصفة أصحابك وذكرك، فلما رآك ستره عنك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، فكانت آخر ما تكلم به الغلام حتى قضى نحبه فقال رسول الله ﷺ أقيموا على أخيكم، حتى تقضوا حقه قال: فحلنا بين اليهودي وبينه وتولينا أمره، حتى وأريناها وانصرفنا (٢) وقوله «يأمرهم بالمعروف» قال ابن عباس: يريد مكارم الأخلاق وصلة الأرحام (٣) «وينهاهم عن المنكر» عبادة الأوثان وقطع الأرحام (٤) «ويحل لهم الطيبات» يعني ما كان يحرمه أهل الجاهلية من البحائر والسوائب وغيرها (٥) «ويحرم عليهم الخبائث» الميتة والدم وما ذكر معهما (٦) «ويضع عنهم إصرهم» قال الزجاج (٧): «الإصر ما عقدته من عقد ثقيل» قال: سعيد بن جبير (٨): هو شدة العبادة والأغلال التي كانت عليهم» قال المفسرون هي الشدائد التي كانت عليهم كقطع أثر البول، وقتل النفس في التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة ووجوب القصاص دون الدية، وترك العمل بتة في السبت فشبهت هذه الشدائد بالأغلال التي تجمع اليد إلى العنق تمثيلاً (٩) «فالذين آمنوا به» بمحمد ﷺ من اليهود «وعزروه» ووقروه

= والبهتان من أعظم المنفرت، والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله، وينفر الناس عن قبول قوله، فلما قال ذلك دل هذا على أن ذلك النعت كان مذكورا في التوراة والإنجيل، وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته. الرازي (٢١/١٥).

(١) الإمام المحدث الرحال، أبو الحسن، علي بن سعيد بن عبد الله العسكري، نزيل الري. حدث عن: عمرو بن علي الصيرفي، محمد بن المثنى، ويعقوب اللؤلؤي، والزيبر بن بكار وطبقتهم. روى عنه: أبو الشيخ، وأبو بكر القباب، وأبو عمرو بن حمدان، وأبو عمرو بن مطر وآخرون. ومن تأليفه كتاب: السرائر وغير ذلك. توفي سنة خمس وثلاث مئة وقيل: توفي سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة بالري. سير أعلام النبلاء ٤٦٣/١٤ الشذرات (٢٤٦/٢) طبقات الحفاظ (٣١٥) الرسالة المستترفة ص (٥٥).

(٢) إسناده المصنف رحمه الله ضعيف جداً وعلته محمد بن الضوء قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به، وقال الذهبي: ليس بثقة فان حديثه باطل، وقال: وكان معروفاً بالزور وشرب الخمر، ميزان الاعتدال ٩٨٦/٣ (٧٧٠٧) ومن غير طريق المصنف رحمه الله أخرجه أحمد (٤١١/٥) وقال ابن كثير ٤٨١/٣ إسناده جيد قوي.

(٣) حكاة أبو حيان في البحر عن ابن عباس وعطاء ٤٠٣/٤. وحكاة القرطبي في التفسير عن عطاء ١٩٠/٧ - ١٩١. وحكاة البغوي عن عطاء ٢٠٥/٢، وانظر فتح القدير ٢٥٢/٢.

(٤) انظر المصادر السابقة.

(٥) الطبري ٦٦/١٣ بحر العلوم ١٥٧ الرازي ٢١/١٥ انظر ابن كثير ٤٨٧/٣ البغوي ٢٠٦/٢ روح المعاني ٨١/٩ فتح القدير ٢٥٢/٢ البحر المحيط ٤٠٤/٤.

(٦) في سورة المائدة الآية الثالثة.

(٧) معاني القرآن للزجاج ١/٢ وانظر تفسير الرازي ٢٢/١٥، انظر فتح القدير ٢٥٢/٢.

(٨) حجة القراءات لابن زنجلة ٢٩٨ البحر المحيط ٤٠٤/٤. وانظر الرازي ٢٢/١٥ وحكاة البغوي عن قتادة في التفسير ٢٠٦/٢.

(٩) انظر معاني الزجاج ٣٨١/٢ الرازي ٢٢/١٥ تفسير البغوي ٢٠٦/٢ تفسير أبي السعود ٢٧٩/٣ - ٢٨٠ القرطبي ١٩١/٧، البحر المحيط ٤٠٤/٤ روح المعاني ٨١/٩.

قرأ ابن عامر (ويضع عنهم أصرهم) على الجمع: أي أثقالهم تقول (أصر وأصار) مثل (جذع وأجذاع). وفي قراءته همزتان: الأولى ألف الجمع والثانية أصلية، فلما اجتمعت همزتان لينوا الثانية، والأصل: (أأصارهم) ابن زنجلة (٢٩٨) النشر (٢٧٢/٢) إتحاق فضلاء البشر (٦٥/٢) القرطبي (١٩١/٧).

الوسيط في تفسير القرآن المجيد/ج ٢٧م/٢

﴿ونصروه﴾ على عدوه ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ يعني القرآن ﴿أولئك هم المفلحون﴾ [وما يليها ظاهر التفسير]^(١)، قوله ﴿ومن قوم موسى أمة﴾ قال أكثر المفسرين: «انهم قوم وراء الصين، آمنوا بالنبي ﷺ وتركوا تحريم السبت يجمعون ولا يتظالمون»^(٢) ﴿يهدون بالحق﴾ يدعون إلى الحق ﴿وبه يعدلون﴾ وبالحق يحكمون، وقال قتادة: كان بعض أهل العلم يحدثنا أن موسى لما أخذ الألواح قال رب إني أجد في الألواح أمة، خير أمة أخرجت للناس يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر رب فاجعلهم أمي، قال تلك أمة أحمد، قال: إني أجد في الألواح أمة وهم الآخرون في الخلق والسابقون في دخول الجنة، رب فاجعلهم أمي، قال: تلك أمة أحمد، قال: إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها وكان من قبلهم يقرؤونها نظراً حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ولم يعوه، رب فاجعلهم أمي، قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر يقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعداء الدجال رب فاجعلهم أمي. قال: تلك أمة أحمد قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف رب فاجعلهم أمي، قال تلك أمة أحمد قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسية لم يكتب عليه شيء وإن عملها كتبت له سية واحدة، رب فاجعلهم أمي، قال: تلك أمة أحمد، فذكر لنا أن موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد فأعطي موسى اثنتين قال الله تعالى ﴿يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالتني وبكلامي﴾^(٣).

وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَئَ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّةً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ آبَ أَصْرَبَ بِعَصَاكَ الْحَاجِرَ فَأَنْجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَازُكُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

وقال: ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ فرضي نبي الله موسى كل الرضا [قال أبو

(١) سقط في ج.

(٢) البغوي ٢٠٦/٢ القرطبي ١٩٢/٧ البحر المحيط ٤٠٦/٤ الرازي ٢٧/١٥.

(٣) سورة الأعراف ١٤٤ أخرجه الطبري في التفسير ١٢٣/١٣ وقال الحافظ ابن كثير وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً، ولا يصح استناده إلى حكاية قتادة، وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء، وهو جدير بالرد، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب، وفيهم كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة، ٤٧٤/٣ وأورده ابن كثير ٤٧٦/٣ وقال القرطبي ١٨٣/٧ ولا التفات لما روي عن قتادة إن صح عنه، ولا يصح أن إلقاء الألواح إنما كان لما رأى فيها من فضيلة أمة محمد ولم يكن ذلك لأتمته. وهذا قول ردي لا ينبغي أن ينسب هنا إلى موسى ﷺ.

العالية وابن جريج والربيع بن أنس: هم قوم موسى تمسكوا بطريقة ولم يزيغوا ولما وقع الاختلاف في القوم اعتزلوا وصاروا إلى أن بلغوا وراء «الصين»^(١) وقال آخرون: هم عبد الله بن سلام^(٢) وأصحابه^(٣) قوله تعالى: ﴿وقطعناهم﴾ يعني قوم موسى يقول: فرقناهم ﴿اثنتي عشرة أسباطاً أمماً﴾ يعني أولاد يعقوب وكانوا اثني عشر ابناً كل واحد [منهم سبطاً فكانوا]^(٤) اثني عشر سبطاً قال الفراء: وإنما قال اثنتي عشرة والسبط مذكر لأن بعده أمماً فذهب التانيث إلى الأمم^(٥) وقال الزجاج^(٦): «المعنى وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة أسباطاً فالأسباط من نعت الفرقة والتانيث في العدد وإنما وقع لتقدير الفرقة في الكلام، ولهذا جمع الأسباط وإن كان ما فوق العشرة من العدد لا يفسر بالجمع» والأسباط في الحقيقة نعت المفسر المحذوف وهو الفرقة^(٧)، وقوله ﴿فانبجست﴾ بجس الماء وانبجاسه: انفجاره^(٨) يقال: بجس الماء يبجس وانبجس وتبجس إذا تفجر وهذه الآية واللذان بعدها مفسرة في سورة البقرة.

وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَعِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾

قوله تعالى ﴿واسألهم﴾ يعني أسباط اليهود سؤال تقرير وتوبيخ يقرهم النبي ﷺ قديم كفرهم ومخالفة أسلافهم الأنبياء في ارتكاب المعاصي ونجسهم بما لا يعلم إلا بوحى، وتلك القرية هي أيلة^(٩) في قول ابن عباس برواية الوالبي^(١٠) وقوله:

(١) تقدم وقال عنه الحافظ ابن كثير (٤٩١/٣) إنه خبر عجيب، وذكره الطبري في التفسير ١٧٣/١٣ وقال الشيخ شاکر ولا حجة في رواية موقفة على السدي وقال الألوسي ٨٤/٩ بعد حكايتها وضعف هذه الحكاية ابن الخازن، وأنا لا أراها شيئاً، ولا أظنك تجد لها سنداً يعول عليه ولو أتبعنا نفقا في الأرض أو سلما في السماء.

وانظر تفسير الخازن ٣٠٠/٢، وضعفه الرازي نقلا عن بعض المحققين ٢٧/١٥.

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٤٠٦/٤، وانظر الرازي ٢٧/١٥ بحر العلوم آية (١٥٩) وانظر تفسير البغوي ٢٠٦/٢ وانظر فتح القدير ٢٥٥/٢.

(٣) ما بين المعكوفين سقط في ب، ج.

(٤) سقط في أ، ب.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٣٩٧/١ الرازي ٢٨/١٥ القرطبي ١٩٣/٧ البغوي ٢٠٧/٢.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٢٨٣/٢ الرازي ٢٨/١٥ القرطبي ١٩٣/٧ البغوي ٢٠٧/٢.

(٧) وقال أبو علي الفارسي ليس قوله (أسباطاً) تمييزاً، ولكنه بدل من قوله (اثنتي عشرة) الرازي (٢٨/١٥).

(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٣٠/١.

(٩) بالفتح مدينة على ساحل بحر القلزم بما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، مراصد الاطلاع ١٣٣/١.

(١٠) الطبري ١٨٠/١٣ (١٥٢٥٢) البغوي ٢٠٨/٢ ونسبه في البحر لابن مسعود وأبي صالح عن ابن عباس والحسن وابن جبير وقادة=

﴿التي كانت حاضرة البحر﴾ أي: التي هي مجاورة البحر ويقربه وعلى شاطئه ﴿إذ يعدون في السبت﴾ أي: يظلمون فيه بصيد السمك قال ابن عباس: «يصيدون الحيتان ويفعلون ما نهوا عنه^(١)» ﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً﴾ ظاهرة على الماء جمع شارع وشارعة^(٢) قال المفسرون^(٣): إن اليهود أمروا بتعظيم السبت وحرم عليهم فيه الصيد فإذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها فإذا انقضى السبت ذهبت فلم تر إلى السبت المقبل، بلاء ابتلوا به فذلك قوله: ﴿ويوم لا يسبون لا تأتيهم﴾ أي يوم لا يفعلون سبتهم لا تأتيهم الحيتان وانقطع الكلام [ثم قال]^(٤): ﴿كذلك نبلوهم﴾ أي: مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم ويجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله: ﴿كذلك﴾ والمعنى: تأتيهم الحيتان مثل ذلك الإتيان الذي يأتي يوم السبت، ثم استأنف فقال ﴿نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ أي: نشد عليهم المحنة بفسقهم وعصيانهم الله تعالى، والوجهان ذكرهما الزجاج وابن الأنباري^(٥) قوله تعالى: ﴿وإذ قالت أمم منهم﴾ قال أهل التفسير^(٦): «افترق أهل القرية ثلاث فرق فرقة صادت وأكلت، وفرقة نهت وزجرت، وفرقة أمسكت عن الصيد وقالت للفرقة الأولى الناهية ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾ لأموهم على موعظة قوم يعلمون أنهم غير مقلعين فقالت الفرقة الناهية ﴿معذرة إلى ربكم﴾ أي موعظتنا إياهم معذرة، والمعنى أن الأمر بالمعروف واجب علينا موعظة هؤلاء عذراً إلى الله تعالى، ومن نصب معذرة^(٧) فعلى معنى نعتذر معذرة وقوله: ﴿ولعلمهم يتقون﴾ أي: وجائز عندنا أن يتفعلوا^(٨) بالموعظة فيتقوا الله ويتركوا المعصية قوله: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ قال ابن عباس «تركوا ما وعظوا به»^(٩) ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء﴾ - يعني - الفرقة الناهية ﴿وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس﴾ قال المفسرون: «بشديد من العذاب»^(١٠) يقال: بؤس يبؤس بؤساً إذا اشتد فهو بئس وقرأ نافع ببئس^(١١) جعل بئس الذي

= والسدي وعكرمة (٤١٠/٤) انظر الرازي ٣١/١٥ القرطبي ١٩٤/٧ تفسير ابن كثير ٤٩٢/٣، روح المعاني ٩٠/٩ والشوكاني في الفتح بلا نسبة ٢٥٦/٢.

(١) الطبري ٢٠٨/٢ الرازي ٣١/١٥ البحر المحیط ٤١٠/٤ القرطبي ١٩٤/٧ فتح القدير ٢٥٧/٢ روح المعاني ٩٠/٩.

(٢) وكل شيء دان من شيء فهو شارع، ودار شارعة: أي دنت من الطريق، ونجوم شارعة: أي دنت من المغيب، وقال الليث: حيتان شرع رافعة رؤوسها، مجاز القرآن (١/٢٣٠).

(٣) انظر تفسير الطبري ١٨٣/١٣، ١٨٤ ابن كثير ٤٩٢/٣ الرازي ٣١/١٥ - ٣٢ القرطبي ١٩٤/٧ البغوي ٢٠٨/٢ البحر المحیط ٤١٠/٤ - ٤١١ فتح القدير ٢٥٧/٢.

(٤) سقط في ب. (٥) معاني القرآن للزجاج ٣٨٥/٢ وانظر تفسير الرازي ٣٢/١٥ القرطبي ١٩٤/٧.

(٦) البحر المحیط ٤١٢ القرطبي ١٩٥/٧ الرازي ٣٣/١٥ انظر فتح القدير ٢٥٧/٢ وانظر البغوي ٢٠٨/٢.

(٧) قالو معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون) ١٦٤.

قرأ حفص عن عاصم: «قالوا معذرة» بالنصب على المصدر. وقرأ الباقون: (معذرة) بالرفع. قال سيبويه: معناه موعظتنا إياهم معذرة فالمعنى أنهم قالوا: الأمر بالمعروف واجب علينا، فعلينا موعظة هؤلاء لعلمهم يتقون. انظر الحجة لابن زنجلة ص (٣٠٠). وانظر النشر ٢٧٢/٢ إتحاف فضلاء البشر ٦٦/٢ البحر المحیط ٤١٢/٤، القرطبي ١٩٥/٧ فتح القدير ٢٥٧/٢ البغوي ٢٠٨/٢ الرازي ٣٢/١٥، روح المعاني ٩١/٩ تفسير أبي السعود ٢٨٥/٢.

(٨) في ج (أن يتفعلوا بالمعذرة).

(٩) بحر العلوم للسمرقندي آية ١٦٥ البغوي ٢٠٩/٢ انظر تفسير الرازي ٣٣/١٥ وانظر البحر المحیط ٤١٢/٤ وانظر تفسير أبي السعود ٢٨٦/٣، وانظر فتح القدير ٢٥٧/٢ وانظر روح المعاني ٩٢/٩.

(١٠) معاني القرآن للزجاج ٣٨٦/٢ البحر المحیط ٤١٢/٤ البغوي ٢٠٩/٢، فتح القدير ٢٥٧/٢، أبو السعود ٢٨٦/٣ القرطبي ١٩٦/٧ الرازي ٣٣/١٥، روح المعاني ٩٢/٩ - ٩٣ بحر العلوم آية ١٦٥.

(١١) انظر في هذا وفيما بعدها النشر ٢٧٢/٢ حجة القراءات لابن زنجلة ص ٣٠٠ إتحاف فضلاء البشر ٦٦/٢ البحر المحیط ٤١٢/٤ -

هو فعل اسماً فوصف به ومثله ما روي: «أن الله تعالى ينهى عن قيل وقال»^(١) وقراءة ابن عامر كقراءة نافع إلا أنه حقق الهمزة وقراءة أبي بكر^(٢) بيثس مثل «ضيغم» و«وحيدر»^(٣) وهو كثير في الصفة ثم فسر ذلك العذاب الشديد [فقال]^(٤): ﴿فلما عتوا عما نهوا عنه﴾ المعنى: عتوا عن ترك ما نهوا عنه واستكبروا عن تركه ﴿قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ وهذا مفسر في سورة البقرة^(٥).

وروي ابن جريج عن عكرمة قال: دخلت على ابن عباس وهو يقرأ في المصحف ويكي فقلت: ما بيكيك؟ قال: هل تعرف أيلة؟ قلت: وما أيلة؟ قال: قرية كان بها ناس من اليهود حرم الله عليهم صيد الحيتان يوم السبت وكانت تأتيهم يوم سبتهم شرعاً، تأتي واردة إلى الماء بيضاء سماناً كأمثال المخاض^(٦) بأفنتيهم وأبنتيهم فإذا كان في غير يوم السبت لم يدركوها ولم يجدها إلا بمشقة، ثم إن رجلاً منهم أخذ حوتاً يوم السبت فربطه إلى رد^(٧) في الساحل، وتركه في الماء حتى إذا كان الغد أخذه فأكله ففعل ذلك أهل بيت منهم حتى فشا ذلك فيهم وكثر، فافترقوا عند ذلك ثلاث فرق وقالت الفرقة الناهية للفرقة الظالمة: والله لا نبايتكم في مكان وفارقوهم فعدوا عليهم يوماً وضربوا باب السور فلم يجيبهم أحد فتسور عليهم واحداً فقال: يا عباد الله [قد صاروا]^(٨) قردة والله لها أذنان تتعاري ثم فتح الباب ودخل الناس عليهم فعرفت القردة أنسابها من الأنس فيأتي القرد إلى نسيه من الأنس فيحتك به ويقول الإنسان: أنت فلان؟ فيشير برأسه أي نعم ويكي فيقول لهم الإنس: أما إنا حذرناكم غضب الله وعقابه أن يصيبكم بخسف أو مسخ قال ابن عباس فاسمع الله يقول: ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا﴾ فلا أدري ما فعلت الفرقة الثالثة فقال عكرمة: فقلت له: جعلني الله فداك ألا تراهم قد أنكروا حيث قالوا: ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾ وإن لم يقل الله: أنجيتهم لم يقل أيضاً أهلكتهم، فأعجبه قولي فرضي وأمر لي ببردين^(٩) فكسانيهما^(١٠) وهذا أيضاً قول الحسن قال: نجت فرقتان وهلكت فرقة^(١١) وقال ابن زيد^(١٢): نجت الناهية وهلكت الفرقتان وهذه الآية أشد آية في ترك النهي عن المنكر، قوله: ﴿وإذ تأذن ربك﴾ تأذن بمعنى أذن أي: أعلم وقال ربك ﴿ليبعثن عليهم﴾ على اليهود ﴿إلى يوم

= ٤١٣. القرطبي ١٩٦/٧ البغوي ٢٠٩/٢ تفسير الرازي ٣٣/١٥ فتح القدير ٢٥٧/٢.

(١) أخرجه البخاري ٣٩٨/٣ في كتاب الزكاة باب قول الله تعالى ﴿يسألون الناس إلحافاً﴾ (١٤٧٧) وأخرجه مسلم ١٣٤٠/٣ في كتاب الأفضية باب النهي عن كثرة المسائل ١٧١٥/١٠.

(٢) شعبة بن عياش بن سالم، أبو بكر الحنات بالنون الأسدي، النهشلي، الكوفي، الإمام العلم راوي عاصم، اختلف في اسمه على ثلاثة عشر قولاً أصحابها شعبة، وقيل أحمد وعبد الله وعنترة وسالم وقاسم ومحمد، وغير ذلك، ولد سنة خمس وتسعين. وكان إماماً كبيراً عالماً عاملاً وكان يقول: أنا نصف الإسلام، وكان من أئمة السنة غاية النهاية (٣٢٥/١).

(٣) وهما من أسماء الأسد.

(٤) سقط في أ، ب.

(٧) أي إلى حافة البحر.

(٨) سقط في أ، ب.

(٥) انظر الآية رقم ٦٥.

(٩) نوع من الثياب معروف، والبردة: الشملة المخططة، وقيل كساء أسود مربع تلبسه الأعراب النهاية في غريب الحديث ١١٦/١.

(١٠) أخرجه الطبري في التفسير ١٨٨/١٣ - ١٩٠ (١٥٢٧٢) وابن كثير في التفسير ٣/٤٩٤ - ٤٩٥ وذكره الرازي في التفسير ٣٣/١٥ والبغوي ٢٠٩/٢ القرطبي ١٩٥/٧ والشوكاني في فتح القدير ٢٥٩/٢ وعزه لعبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه وانظر روح المعاني ٩٢/٩ بحر العلوم آية (١٦٥).

(١١) القرطبي ١٩٥/٧ البغوي ٢٠٩/٢.

(١٢) البغوي ٢٠٩/٢ روح المعاني ٩٢/٩ ونقله الرازي عن ابن عباس ٣٣/١٥ وقال الحافظ ابن كثير ٣/٤٩٦ والروح إلى قول عكرمة في نجاته الساكتين أولى.

القيامة من يسومهم سوء العذاب ﴿١﴾ قال المفسرون (١): هم العرب محمد - ﷺ - وأمه بعثهم الله على اليهود [إلى يوم القيامة] (٢) يقاتلونهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿٣﴾ إن ربك لسريع العقاب ﴿٤﴾ لمن استحق تعجيله لأنه لا يتأخر عن وقت إرادته .

وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَدِّهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّمَّنْ قَدْ كُتِبَ عَلَيْهِمُ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُشَقُّونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

﴿وقطعناهم في الأرض أُمَّمًا﴾ فرقههم الله فنشتت أمرهم ولم تجتمع لهم كلمة ﴿منهم الصالحون﴾ قال «ابن عباس» ومجاهد (٣): «هم الذين أدركوا النبي ﷺ وآمنوا به» ﴿ومنهم دون ذلك﴾ يريد الذين كفروا ﴿وبلوناهم﴾ عاملناهم معاملة المبلي المختبر ﴿بالحسنات﴾ وهي: الخصب والعافية ﴿والسيئات﴾ وهي الجذب والشدائد وكل واحد من الحسنات والسيئات يدعوا إلى الطاعة أما النعم فلا ترباطها والازدياد منها وأما النقم فلكتشفها، والسلامة منها وقوله: ﴿لعلهم يرجعون﴾ قال ابن عباس (٤) «كي يتوبوا» ﴿فخلف﴾ بعد هؤلاء الذين قطعهم الله ﴿خلف﴾ من اليهود وهم أولادهم الذين أتوا بعدهم قال ابن السكيت يقال هذا خلف صدق وهذا خلف سوء، وهؤلاء خلف سوء، جمع وواحدة سواء وأنشد:

وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ (٥)

وقال الزجاج «يقال للقرن الذي يجيء في أثر قرن خلف (٦) وقوله: ﴿ورثوا الكتاب﴾ يعني التوراة أخذوها من آبائهم، ﴿يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ جميع متاع الدنيا عرض، يقال: «الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر» (٧) قال ابن عباس: «ما أشرف لهم من الدنيا أخذوه» (٨) وأراد بالأدنى العالم الأدنى، وهو الدار الفانية

(١) الطبري ٢٠٥/١٣ تفسير ابن كثير ٤٩٧/٣ البحر المحيط ٤١٤/٤ فتح القدير ٢٦٠/٢ القرطبي ١٩٧/٧ الرازي ٣٥/١٥ وانظر روح المعاني ٥٩/٩ وانظر تفسير أبي السعود ٢٨٧/٣ .

(٢) سقط في ب، ج .

(٣) القرطبي ١٩٧/٧ الرازي ٣٦/١٥ البحر المحيط ٤١٤/٤ فتح القدير ٢٦٠/٢ تفسير أبي السعود ٢٨٧/٣ روح المعاني ٩٥/٩ .

(٤) البغوي ٢١٠/٢ البحر المحيط ٤٥١/٤ انظر القرطبي ١٩٧/٧، وروح المعاني ٩٥/٩ .

(٥) عجز بيت للبيد بن ربيعة وصدرة:

ذهب الذين يعاش في أكتافهم

انظر ديوانه ص ٣٦ وانظر البيت في البحر المحيط (٤١٥/٤) والرازي في التفسير (٣٧/١٥) وفي القرطبي (١٩٧/٧) وفتح القدير

(٢/٢٦٠) روح المعاني (٩٦/٩) وانظر بقية التخريج في تحقيقنا على البحر المحيط .

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٣٨/٢ والفراء ٣٩٩/١ البحر المحيط ٤١٥/٤ الرازي ٣٦/١٥ وحكاية البغوي في التفسير بلا نسبة ٢١٠/٢ .

(٧) أخرجه الشافعي في المسند ١٤٨/١ (٤٢٩) وانظر تفسير القرطبي ٣٣٩/٥ ونسبة أبو حيان لأبي عبيدة، انظر البحر ٤١٦/٤ وكذلك الرازي في التفسير ٣٧/١٥ .

(٨) الطبري ٢١٢/١٣ وابن كثير ٤٩٨/٣ البغوي ٢١٠/٢ الشوكاني في فتح القدير ٢٦١/٢ .

﴿ويقولون سيففر لنا﴾ قال المفسرون^(١) «هذا إخبار عن حرصهم على الدنيا وإصرارهم على الذنوب، إذا أشرف لهم شيء من الدنيا أخذوه حلالاً كان أو حراماً، ويتمنون على الله المغفرة، وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه قال الله تعالى ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق﴾ فقالوا الباطل، وهو ما أوجبوا على الله من مغفرة ذنوبهم التي لا يتوبون منها، وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار ﴿ودرسوا ما فيه﴾ وقرأوا ما فيه فهم ذاكرون لذلك ولو عقلوا لعملوا للدار الآخرة، وهو قوله: ﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ قوله: ﴿والذين يمسكون بالكتاب﴾ يقال: مسكت بالشيء وتمسكت به واستمسكت به وامسكت به، وروى أبو بكر عن عاصم: «يُمْسِكُونَ» مخففة^(٢)، وهو رديء^(٤) لأنه لا يقال أمسكت بالشيء [وإنما يقال: أمسكت الشيء]^(٥)، ومعنى يمسكون بالكتاب يؤمنون به ويحكمون بما فيه، قال عامة المفسرين: «نزلت في [بني إسرائيل]^(٦) مؤمني أهل الكتاب^(٧)».

﴿وَإِذْ نَقَّنا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧١)

قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَقَّنا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ أي رفعناه باقتلاع له من أصله يقال نقفه ينتقه نقفاً إذا قلعه من أصله. وقوله: ﴿كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ﴾ كل ما أظلك من سقف بيت أو سحابة أو جناح حائط فهو ظلة والجمع ظلل وقوله: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ أي: علموا وأيقنوا وذكرنا تفسير هذه الآية في سورة البقرة عند قوله: ﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾ الآية^(٨). أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي أنا أبو سعيد عبد الله بن محمد بن نصر الميرادي أنا محمد بن أيوب أنا محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الرازي نا نصر بن باب عن داود عن الشعبي عن ابن عباس أنه قال: «إني لأعلم لأي شيء سجدت اليهود على حرف جباهها لما رفع الله الجبل فوقهم كأنه ظلة سجدوا فجعل أحدهم ينظر بشقه وهو ساجد متى يقع عليه الجبل فكانت سجدة رضي الله بها عنهم فاتخذوها سنة^(٩)» وباقى الآية مفسرة في سورة البقرة.

(١) القرطبي ١٩٨/٧ والزجاج ٣٨٨/٢ الشوكاني في الفتح ٢٦٠/٢. البغوي ٢١٠/٢ الرازي ٣٧/١٥ بحر العلوم آية ١٦٧.

(٢) البحر المحيط ٤١٧/٤ البغوي ٢١٠/٢ القرطبي ١٩٨/٧ أبو السعود ٢٨٨/٣ روح المعاني ٩٦/٩-٩٧ فتح القدير ٢٦٠/٢.

(٣) انظر النشر ٢٧٣/٢ حجة القراءات ص ٣٠١ إتحاف فضلاء البشر ٦٨/٢. البحر المحيط ٤١٧/٤-٤١٨ البغوي ٢١١/٢ القرطبي ١٩٩/٧، انظر الرازي ٣٧/١٥ أبو السعود ٢٨٨/٣ روح المعاني ٩٨/٩ فتح القدير ٢٦١/٢.

(٤) وقال في البسيط والتشديد أقوى، وتعبيره هنا بالرداءة مردود، لأن القراءة من القراءات العشر المتواترة التي لا تثبت بالقياس،

والجواب عن قراءة أبي بكر أن العرب تزيد الباء، وفي كتاب الله تعالى ﴿عينا يشرب بها عباد الله﴾ الإنسان (٦) أي: يشربها،

والباء صلة فكذلك تقول أمسكت بالشيء معناه: أمسكت الشيء.

(٥) سقط في أ.

(٦) سقط في أ، ب.

(٧) انظر فتح القدير للشوكاني ٢٦٢/٥ البغوي ٢١١/٢ روح المعاني ٩٨/٩ تفسير أبي السعود ٢٨٨/٤، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذا هو الأعم عند الأصوليين.

(٨) انظر الآية رقم ٦٣.

(٩) إسناده ضعيف لضعف ناصر بن باب أبو سهل، قال ابن معين: ليس حديثه بشيء، وقال البخاري: يرمونه بالكذب، وقال: ما كان به

باس وإنما أنكر عليه حين حدث عن إبراهيم الصائغ الميزان ٢٥٠/٤ المجروحين ١٥٣/٣ الضعفاء للعقيلي ٣٠٢/٤ (١٩٠٢).

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَنُهَلِكُمَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

قوله عز وجل : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ الآية .

أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان العدل أنا أحمد بن جعفر بن مالك القطيعي نا عبد الله بن أحمد بن حنبل نا مصعب الزبيري (١) حدثني مالك عن زيد ابن أبي أنيسة (٢) أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبرني عن مسلم بن يسار الجهني (٣) أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سئل عن هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الآية . فقال عمر بن الخطاب : سمعت رسول الله - ﷺ - سئل عنها فقال : «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال : خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون ، فقال رجل : يا رسول الله فقيم العمل ؟ فقال رسول ﷺ : إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به في الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار» رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه (٤) عن ابن الأخرم عن حامد بن أبي

= وأخرجه الطبري في التفسير ٢١٨/١٣ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٤٠/٣ وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وذكره الشوكاني في فتح القدير (٢٦٢/٢) وعزاه لابن أبي حاتم .

(١) في أ (مصعب الزهري) وهو خطأ ، وصوابه مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، الأسدي أبو عبد الله الزبيري المدني ، سكن بغداد . روى عن أبيه ومالك والدروردي وابن أبي حازم وخلق وثقة الدارقطني وجماعة انظر التهذيب (١٦٢/١٠) .

(٢) زيد بن أبي أنيسة ، واسمه زيد الجزري أبو أسامة الرهاوي ، كوفي الأصل غنوي مولايم روى عن أبي إسحاق السبيعي وعطاء بن أبي رباح ، وعطاء بن السائب ، وأبي الزبير وأبي الزناد ، والحكم بن عتيبة ، وسعيد بن أبي بردة ، وطلحة بن مصرف ، وأبي زيد عبد الملك بن ميسرة الزراد ، وعدي بن ثابت ، وعمرو بن مرة ، والمنهال بن عمرو ويحيى بن الحصين ، ويونس بن خباب ، والزهري ، وغيرهم . وعنه مالك ، ومسعر ، ومفضل بن عبيد الله ، وأبو عبد الرحيم الحراني ، وعبيد الله بن عمرو الرقي وغيرهم . وروى عنه مجالد بن سعيد وهو في عداد شيوخه ، قال ابن معين : ثقة ، وقال النسائي : ليس به بأس انظر التهذيب (٣٩٧/٣) .

(٣) مسلم بن يسار الجهني . عن عمر قوله في تفسيره إذا أخذ ربك . وقيل عن نعيم بن زبيدة عن عمر وعنه عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي ذكره ابن حبان في الثقات . وقال العجلي : بصري تابعي ثقة . انظر التهذيب (١٠١/١٤٢) .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ٢٧/١ ، ٣٢٤/٢ ، ٥٤٤ وصححه الحاكم وتعبه الذهبي في الموضع الأول وقال (فيه إرسال) وأخرجه مالك في الموطأ ٨٩٨/٢ وأخرجه أبو داود في كتاب السنة رقم ٤٧٠٣ (٤٧٠٤) والترمذي في التفسير رقم (٣٠٧٥) وقال حسن وأحمد في المسند ٤٤/١ - ٤٥ وابن أبي عاصم في السنة رقم (١٩٦ ، ٢٠١) وابن حبان في صحيحه أورده الهيثمي في الموارد ١٨٠٤ وذكره السيوطي في الدر ١٤٢/٣ وزاد نسبه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والآجري في الشريعة وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات ، وأخرجه البغوي في التفسير ٢١١/٢ وقال : ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلاً ، وذكره الرازي في التفسير ٣٩/١٥ والقرطبي في التفسير ٢٠٠/٧ وأخرجه الحافظ ابن كثير في التفسير ٥٠٣/٣ وذكره الشوكاني في فتح القدير ٢٦٣/٢ وعزاه لمالك وأحمد وعبد بن حميد والبخاري في التاريخ ، وأبو داود والترمذي وحسنه ، والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات والضياء في المختارة .

حامد المقرئ عن إسحاق بن سليمان^(١) عن مالك .

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أنا أبو بكر محمد بن جعفر بن الهيثم الأنباري جعفر بن محمد بن شاکر^(٢) نا الحسين بن محمد المروزي نا جرير وعن كلثوم بن جبر^(٣) عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس عن النبي - ﷺ - أخذ الله عز وجل الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فشرها بين يديه ثم كلمهم قبلاً [معابنة]^(٤) فقال ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين تلاها إلى قوله ﴿المبطلون﴾^(٥) قوله تعالى: ﴿من ظهورهم﴾ قال الزجاج: «هو بدل من بني آدم المعنى: وإذا أخذ ربك من ظهور بني آدم»^(٦) وقال الكتاني: «لم يذكر ظهر آدم وإنما أخرجوا جميعاً من ظهره لأن الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالده الأبناء من الآباء فاستغني عن ذكر آدم لما علم أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره»^(٧) قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبیر: «لما خلق الله آدم مسح ظهره فأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فقال: ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى، فنودي يومئذ أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة»^(٨)، وقال مقاتل: «إن الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منها ذرية بيضاء كهيئة الذر [يتحركون]^(٩)، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منها ذرية سوداء كهيئة الذر يتحركون فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم: ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى، فقال للبيض: هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال ثم أعادهم جميعاً في صلبه فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء» قال الله تعالى فيمن نقض العهد الأول ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾^(١٠) وهذا قول جماعة المفسرين^(١١) وقالت طائفة

(١) إسحاق بن سليمان الرازي أبو يحيى العبدي، كوفي نزل الري. روى عن مالك وابن أبي ذئب، وحرز بن عثمان، وحنظلة بن أبي سفيان، وافلح بن حميد، وداود بن قيس الفراء، ومغيرة بن مسلم السراج، وعنبسة بن سعيد الرازي، وأبي جعفر الرازي، وغيرهم وعنه قتيبة وعمرو الناقد وغيرهم ثقة انظر التهذيب (٢٣٤/١).

(٢) جعفر بن محمد بن شاکر الصائغ أبو محمد البغدادي. روى عن عمرو بن حماد بن طلحة وأبي نعيم وأبي غسان النهدي وحبان بن موسى ومعدويه ومعاوية بن عمرو الأزدي وغيرهم. قال أبو الحسين بن المنادي: كان ذا فضل وعبادة وزهد وانتفع به خلق كثير في الحديث. قال: وتوفي يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من ذي الحجة سنة (٢٧٩) أكثر الناس عنه لثقة وصلاحه. انظر التهذيب (١٠٢/٢).

(٣) كلثوم بن جبر أبو محمد، ويقال أبو جبر البصري، روى عن عبد الله بن الزبير وأبي الغادية الجهني، وأنس وأبي الطفيل، وسعيد ابن جبیر، وقرعة بن يحيى، ومسلم بن يسار وغيرهم وثقه أحمد وابن معين وقال النسائي ليس بالقوي انظر التهذيب (٤٤٢/٨). سقط في ب، ج.

(٤) إسناد المصنف حسن والحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٧٢/١، وأخرجه النسائي في التفسير ٥٠٦/١ وأخرجه الطبري في التفسير ٢٢٢/١٣، وابن كثير في التفسير ٥٠١/٣ وابن أبي عاصم في السنة رقم (٢٠٢) والحاكم في المستدرک ٢٧/١، ٥٤٤/٢ وصححه وأقره الذهبي وذكر السيوطي في الدر ١٤٢/٣ وزاد نسبه لابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس مرفوعاً وذكره الشوكاني في الفتح ٢٦٣/٢.

(٦) معاني القرآن ٣٩٠/٢ القرطبي ٢٠١/٧ وانظر البغوي ٢١٢/٢ فتح القدير ٢٦٣/٢ بحر العلوم آية ١٧٢ تفسير أبي السعود ٢٨٩/٣.

(٧) القرطبي ٢٠٢/٧ الرازي ٣٩/١٥، ٤٣ وانظر تفسير أبي السعود ٢٨٩/٣ بحر العلوم آية ١٧٢ وانظر تفسير روح المعاني ١٠٠/٩.

(٨) أشار له الحافظ ابن كثير في التفسير ٥٠٦/٣ والرازي في التفسير ٣٩/١٥ بحر العلوم للسمرقندي آية ١٧٢.

(٩) سقط في ب، ج.

(١٠) سورة الأعراف ١٠٢.

(١١) البغوي ٢١٢/٢، الرازي ٣٩/١٥.

منهم^(١): إن أهل السعادة من الذرية أقرؤا طوعاً وإن أهل الشقاوة أقرؤا تقيّة وكرها وذلك معنى قوله: ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾^(٢) وقال الزجاج: جائز أن يكون الله تعالى جعل لأمثال الذر فهما يعقل به، كما قال ﴿قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾^(٣) وكما قال: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾^(٤) وقوله ﴿شهدنا﴾ قال الكلبي^(٥): «لما قالت الذرية بلى قال الله للملائكة اشهدوا، فقالوا: شهدنا» وقال السدي^(٦): «هو خبر من الله تعالى عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم» ويحسن الوقف على قوله: بلى، لأن كلام الذرية^(٧) قد انقطع^(٨) وقوله: ﴿أن تقولوا﴾ معناه لئلا تقولوا، كما قال: ﴿وألقي في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾ ويجوز أن يكون التقدير: شهدنا كراهية أن تقولوا وقرأ أبو عمرو^(٩) بالياء، لأن الذي تقدم من الياء على الغيبة وكذا الوجهين حسن لأن الغيب هم المخاطبون في المعنى قال المفسرون: «وهذه الآية تذكير بما أخذ على جميع المكلفين من الميثاق واحتجاج عليهم لئلا يقول الكفار إنا كنا عن هذا الميثاق غافلين لم نحفظه ولم نذكره^(١٠)» ونسيانهم لا يسقط الاحتجاج بعد أن أخبر الله بذلك على لسان صاحب المعجزة، وإذا صح ذلك يقول الصادق قام في النفوس مقام الذكر، فاحتجاج به قائم ثم قطع عذر الكفار بقوله: ﴿أو تقولوا إنما أشرك أبائنا من قبل﴾ [لا يستطيع أحد من الذرية الكافرة أن يقول يوم القيامة: إنما أشرك أبائنا من قبلنا]^(١١)، ونقضوا العهد ﴿وكنا ذرية من بعدهم﴾ [فاقتدينا بهم]^(١٢) ﴿أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ أفتعذبنا بما فعل المشركون المكذبون بالتوحيد؟ فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله بأخذ الميثاق بالتوحيد على كل واحد من الذرية، قوله تعالى ﴿وكذلك نفضل الآيات﴾ أي: وكما بينا في أخذ الميثاق نبين الآيات، ليتدبرها العباد فيرجعوا إلى مدلولها ويعملوا بموجبها، وهو بمعنى قوله: ﴿ولعلمهم يرجعون﴾ أي: ولكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر إلى التوحيد.

(١) البغوي ٢/٢ بحر العلوم آية ١٧٢ الأروسي ١٠٥/٩.

(٢) سورة آل عمران ٨٣.

(٣) سورة النمل ١٨.

(٤) سورة الأنبياء ٧٩ وانظر معاني القرآن للزجاج ٣٩٠/٢ البغوي ٢١٢/٢ الرازي ٤٠/١٥.

(٥) البغوي ٢١٢/٢ وانظر البحر المحيط ٤٢١/٤.

(٦) البغوي ٢١٢/٢ البحر المحيط ٤٢١/٤ وانظر القرطبي ٢٠٢/٧.

(٧) لأن (أن) متعلقة بما قبل بلى من قوله (وأشهدهم على أنفسهم) لئلا يقولوا. القرطبي ٢٠٢/٧.

(٨) قرأ ابن عامر وأبو عمرو: (من ظهورهم ذرياتهم) بالالف وكسر التاء. وحجتهم أن الذريات: الأعتاب المتناشلة وأنها إذا كانت كذلك كانت أكثر من الذرية. وقرأ أهل مكة والكوفة: (ذريتهم) وحجتهم أن الذرية لما في الحجور وما يتناسل بعد، والدلالة على ذلك قوله تعالى (وأولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم) فلا شيء أكثر من ذرية آدم، والذين لم يرهه آدم من ذريته أكثر من الذين رآهم، وقد أجمعوا هنا على ذرية بلا خلاف بين الأمة، فكان رد ما اختلفوا إلى ما أجمعوا عليه أولى بالصواب انظر الحجة (٣٠١).

(٩) انظر حجة القراءات (٣٠٢) وانظر النشر ٢٧٣/٢ إتحاف فضلاء البشر ٦٩/٢ القرطبي ٢٠٢/٧، الرازي ٤٤/١٥ البحر المحيط ٤٢١/٤.

(١٠) الطبري ١٣/٣٢٠ ابن كثير ٣/٥٠٠ الرازي ٤٤/١٥ البحر المحيط ٤٢٠/٤ - ٤٢١، البغوي ٢١٢/٢ - ٢١٣ أبو السعود ٢٨٩/٣ - ٢٩٠ روح المعاني ٩/١٠٠ - ١٠١ فتح القدير ٢٦٣/٢.

(١١) سقط في ب.

(١٢) سقط في ج.

وَأْتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنشَخْ مِنْهَا فٱتَّبَعَهُ الشَّيْطٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْعٰوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوٰهُ فَشَلَّهُمْ كَمَثَلِ ٱلْكَلبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلهٖتْ أَوْ تَرُكْهُ يَلهٖتْ ؕ ذٰلِكَ مَثَلِ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايٰتِنَا فَٱقْصِصْ ٱلْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايٰتِنَا وَٱنْفُسِهِمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِلْ فَٱوْلٰئِكَ هُمُ ٱلْخٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ الذي ءاتيناه ءاياتنا﴾ أي: اقرأ وقصص على قومك خبر الذي علمناه حجج التوحيد وفهمناه أدلته ﴿فانسلخ منها﴾ أي: خرج منها وفارقها ﴿فاتبعه الشيطان﴾ لحقه وأدركه ﴿فكان من العاوين﴾ قال ابن عباس: «أطاع الشيطان فكان من الضالين^(١)، نزلت الآية في «بلعم ابن باعوراء»، كان عنده اسم الله الأعظم فقصده موسى بلده الذي هو فيه وغزى أهله وكانوا كفاراً، فلم يزل قوم بلعم به حتى دعا عليهم وكان مجاب الدعوى بذلك الاسم الذي كان عنده فاستجيب له، ووقع موسى وبنو إسرائيل في التيه بدعائهم، فقال موسى: يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه؟ قال: بدعاء «بلعم» قال موسى: فكما سمعت دعاءه علي، فاسمع دعائي عليه، فدعا موسى عليه أن ينزع منه الاسم الأعظم والإيمان، فنزع الله منه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء^(٢)، وقال ابن عباس في رواية الوالبي: «هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم، وكان يعلم اسم الله الأكبر فلما نزل بهم موسى أتاه بنو عمه وقومه وقالوا: إن موسى رجل حديد، ومعه جنود كثيرة وإنه إن يظهر علينا يهلكنا فداع الله أن يردهم عنا قال: إني إن دعوت عليهم ذهب دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، فسلخه الله مما كان عليه^(٣)» وقوله: ﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ وبقائه للعمل بها فكنا نرفع به منزلته ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ سكن إلى الدنيا ومال إليها والأرض في هذه الآية عبارة عن الدنيا، وذلك أن الدنيا هي الأرض، لأن ما فيها من العقار والرياح^(٤) والضياع^(٥) كلها أرض وسائر متاعها يستخرج منها، وقوله: ﴿واتبع هواه﴾ إنقاد لما دعاه إليه الهوى، قال ابن زيد^(٦): «كان هواه مع القوم» وهذه الآية هي أشد الآي على ذوي العلم^(٧) وذلك أن الله تعالى أخبر أنه أتاه آياته من اسمه الأعظم، والدعوات المستجابة والعلم والحكمة فاستوجب بالسكون إلى الدنيا

(١) بحر العلوم للسمرقندي ١٧٥ والرازي في التفسير ٤٦/١٥ تفسير أبي السعود ٢٩٢/٩ روح المعاني ١١١/٩.

(٢) ذكره الحاكم في المستدرک، دون ذكره القصة عن عبد الله بن مسعود ٣٢٥/٢ والهيثمي في المجمع ٢٥/٧ عن عبد الله بن مسعود وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وذكره البغوي في التفسير مع ذكر القصة ٢١٣/٢ وينحوه عند الشوكاني في الفتح

٢٦٥/٢. وذكره السمرقندي في بحر العلوم آية ١٧٥ وذكره الرازي في التفسير ٤٥/٧ وانظر تفسير روح المعاني ١١١/٩ - ١١٢.

وردت القصة بأن التيه كان روحاً وراحة لموسى عليه السلام وإنما عذب به بنو إسرائيل.

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٥٥/١٣، ٢٥٨ القرطبي ٢٠٣/٧، الرازي ٤٥/١٥ روح المعاني ١١١/٩ - ١١٢ وانظر تفسير ابن كثير ٥٠٨/٤.

(٤) في أ، ج (الدباغ) بالباء، والرياح المنازل، النهاية في غريب الحديث ١٨٩/٢ لسان العرب ١٥٦٣/٣.

(٥) العيال وأصله مصدر ضاع يضيع ضياعاً، فسمي العيال بالمصدر، وفي اللسان المال من النحل والكرم وهي الأرض المغلة، لسان العرب ٢٦٢٤/٤، النهاية ١٠٨/٣.

(٦) البغوي في التفسير ٢١٦/٢ القرطبي ٢٠٤/٧ الشوكاني في فتح القدير ٢٦٥/٢.

(٧) انظر تفسير الرازي ٤٦/١٥ - ٤٧ البغوي ٢١٦/٢.

وإتباع الهوى تغيير النعمة عليه والإسلاخ منها ومن الذي يسلم من هاتين الخلتين إلا من عصمه الله، ثم ضرب [الله] (١) له مثلاً فقال: ﴿فمثلته كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ يقال: لهث الكلب يلهث يلهث لهثاً ولهثاً: إذا دلح لسانه، قال مجاهد (٢): «هذا مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به والمعنى أن هذا الكافر إن زجرته لم ينزجر، وإن تركته لم يهتد، فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب فإنه إن طرد وحمل عليه بالطرد كان لاهثاً وإن ترك وربض (٣) كان لاهثاً، وذلك أن بلعم زجر ونهي عن الدعاء [على موسى] (٤) وخاطبته أتانه التي كان يركبها بذلك فلم ينزجر ولم ينتفع بالزجر وهذا التمثيل لم يقع لكل كلب وإنما وقع بالكلب اللاهث وذلك أحسن ما يكون وأبشعه» ثم عم بهذا التمثيل جميع من يكذب بآيات الله فقال: ﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ وقال ابن عباس (٥) «يريد أهل مكة كانوا يتمنون هادياً يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله فلما جاءهم من لا يشكون في صدقه كذبوه، فلم يهتدوا لما تركوا ولم يهتدوا لما دعوا بالرسول والكتاب» وقوله ﴿فأقصص القصص﴾ قال عطاء: «قصص الذين كفروا وكذبوا أنبياءهم» (٦) ﴿لعلهم يتفكرون﴾ يتعظون قوله: ﴿سَاءَ مَثَلًا﴾ يقال: ساء الشيء يسوء فهو سئىء إذا قبح، قال ابن عباس: يريد بأس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا (٧)، قال الزجاج «وتقدير الكلام ساء مثلاً مثل القوم، ثم حذف المضاف وانتصب مثلاً على التمييز، وساء ها هنا بمنزلة بأس» (٨) ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ من يتول الله هدايته فهو المهتدي ﴿ومن يضلل﴾ من أضله الله وخذله ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ خسروا الآخرة ونعيمها.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْدَانٌ لِّآلِيسَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)

قوله: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم﴾ الآية، أخبر الله تعالى أنه خلق كثيراً من الجن والإنس للنار، وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة، ومن خلقه الله لجهنم فلا حيلة له في الخلاص منها.

أخبرنا الأستاذ أبو طاهر [الزيادي] (٩) أنا محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليل القطان نا] (١٠) محمد بن يزيد

(١) سقط في ب، ج.

(٢) البغوي في التفسير ٢١٦/٢ القرطبي ٢٠٥/٧.

(٣) والربض للكلب كالبروك للإبل، لسان العرب ٣/١٥٥٨ النهاية ٢/١٨٥.

(٤) سقط في أ.

(٥) الرازي ٤٧/١٥ بحر العلوم آية ١٧٥ روح المعاني ٩/١١٦ البحر المحيط ٤/٤٢٥.

(٦) انظر البحر المحيط ٤/٤٢٥ وانظر فتح القدير ٢/٢٦٦، روح المعاني ٩/١١٦.

(٧) البغوي في التفسير ٢/٢١٦ انظر تفسير الرازي ١٥/٤٨ البحر المحيط ٤/٤٢٥.

(٨) الرازي ١٥/٤٨ بحر العلوم آية ١٧٦ انظر فتح القدير ٢/٢٦٦، البغوي ٢/٢١٦ القرطبي ٨/٢٠٥ البحر المحيط ٤/٤٢٥ روح

المعاني ٩/١١٦.

(٩) بكسر الزاي وفتح الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفي آخرها الدال المهملة، هذه النسبة إلى اسم بعض أجداد المنتسب إليه، أبو

طاهر الزيادي الفقيه الأديب الشروطي، ولد سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وسمع الحديث سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، وتفقه سنة

ثمان وعشرين، وأبوه كان من أعيان العباد المترك به وبدعائه، وتوفي بعد سنة أربعمائة. انظر الأنساب (٣/١٨٥).

(١٠) سقط في ج.

السلمي نا مؤمل بن إسماعيل^(١) نا سفيان الثوري نا طلحة بن يحيى بن طلحة^(٢) عن عمته عائشة بنت طلحة^(٣) عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ «إن الله خلق الجنة، فخلق لها أهلاً [خلقهم لها]^(٤) وهم في أصلاب آبائهم [وخلق النار فخلق لها أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم]» رواه مسلم^(٥) عن إسحاق بن منصور^(٦) عن محمد بن يوسف عن سفيان أخيراً أحمد بن الحسن الحيري نا أبو بكر محمد بن أحمد المفيد^(٧) نا علي بن عباد بن محمد نا بكار بن عبد الله السيريني^(٨) عن ابن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ -

(١) مؤمل بن إسماعيل العدوي مولى آل الخطاب، وقيل مولى بني بكر أبو عبد الرحمن البصري نزيل مكة روى عن عكرمة بن عمار وأبي هلال الراسبي ونافع بن عمر الجمحي وشعبة والحمادين والسفيانيين وغيرهم وثقه ابن معين وقال البخاري منكر التهذيب (٣٨٠/١٠).

(٢) طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمي المدني، نزيل الكوفة، روى عن أبيه وأعمامه، وابني عميه إبراهيم بن محمد بن طلحة، ومعاوية بن إسحاق بن طلحة، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، ومجاهد بن جبر، وأبي بردة بن أبي موسى وغيرهم وعنه السفيانان وخلق انظر التهذيب (٢٧/٥).

(٣) عائشة بنت طلحة بن عبيد الله التيمية، أم عمران أمها أم كلثوم بنت أبي بكر روت عن خالتها عائشة، وعن ابنها طلحة بن عبد الله ابن عبد الرحمن وحبيب بن أبي عمرو وابن أخيها طلحة بن يحيى بن طلحة وابن أخيها الآخر معاوية بن إسحاق وابن ابن أخيها موسى بن عبيد الله بن إسحاق والمنهال بن عمرو وفضيل بن عمرو وعطاء بن أبي رباح وعمر بن سعيد وغيرهم. قال ابن أبي مريم عن ابن معين: ثقة حجة، وقال العجلي: مدنية تابعة ثقة، وقال أبو زرعة اللشمقي حدث عنها الناس لفضلها، وأدبها، وذكرها ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب ٤٣٦/١٢ - ٤٣٧.

(٤) سقط في أ، ب.

(٥) إسناده المصنف رحمه الله ضعيف جداً، وعلته محمد بن يزيد السلمى متروك، انظر لسان الميزان للحافظ ابن حجر ٤٣٠/٥ والحديث من غير طريق المصنف صحيح أخرجه مسلم ٢٠٥٠/٤ في كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٣٠) - ٢٦٦٢/٣١ وأخرجه أبو داود ٢٢٩/٤ في كتاب السنة باب في ذراري المشركين ٤٧١٣ النسائي ٥٧/٤ في الجنائز باب الصلاة على الصبيان ١٩٤٧ وأخرجه البغوي في التفسير ٢١٧/٢.

(٦) الحافظ الإمام الفقيه، أبو يعقوب إسحاق بن منصور المروزي، الفقيه نزيل نيسابور سمع سفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان، ووكيع بن الجراح، وعبد الرزاق والفريابي وطبقتهم وتخرج بأحمد وإسحاق. روى عنه الجماعة سوى أبي داود وأبو العباس السراج وابن خزيمة وأحمد بن حمدون الأعمشي وخلق كثير. قال مسلم: ثقة مأمون. وقال النسائي: ثقة ثبت. توفي في جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى. انظر تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٢٤ - ٥٢٥).

(٧) بضم الميم وكسر الفاء وسكون الباء المنقوطة من تحتها بنقطتين وفي آخرها الدال المهملة، هذه اللفظة لمن يفيد الناس الحديث عن المشايخ وأبو بكر محمد بن أحمد بن محمد يعقوب بن عبد الله الجرجاني المفيد من أهل جرجانيا، وكان مكثراً من الحديث رحلاً في طلبه وإنما سماه المفيد موسى بن هارون الحافظ. الأنساب (٣٥٧/٥).

(٨) بكسر السين المهملة، وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين بعدها راء وياء أخرى. هذه النسبة إلى والد محمد بن سيرين وهو بكار بن عبد الله بن محمد بن سيرين السيريني، من أهل البصرة. يروي عن ابن عون والعمري أشياء مقلوبة لا يتابع عليها. قال أبو حاتم بن حبان: لا يعجبني الاحتجاج بخبره إذا انفرد، روى عنه إبراهيم بن سعيد الجوهري. انظر الأنساب (٣٥٩/٣ - ٣٦٠) وقال البخاري (١٢٢/٢/١) يتكلمون فيه، وقال أبو زرعة: ذاهب الحديث وروى أحاديث منكر، وقال يحيى: كتبت عنه ليس به بأس، وعده ابن حبان في المجروحين (١٩٧/١) الضعفاء للعقيلي (١٥٠/١) إسناده ضعيف أخرجه عند أحمد في المسند من طريق عمرو بن العاص ١٦٧/٢ والترمذي في السنن ٣٩١/٤ في كتاب القدير باب ما جاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة والنار، (٢١٤١) وقال حسن غريب صحيح والخطيب في التاريخ ١٠١/١١ وأبو نعيم في تاريخ أصفهان ٥٣/٢، وذكر الهيثمي في المجمع ١٨٨/٧.

«إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آباءهم وأسماء آبائهم وقبائلهم مجملاً عليهم لا يزداد فيهم، ولا ينقص إلى يوم القيامة [وخلق النار وخلق لها أهلاً وخلقهم لها وهم في أصلاب آباءهم، بأسماءهم وأسماء آبائهم وقبائلهم مجملاً عليهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم إلى يوم القيامة]».

وقوله ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ قال: «الكلبي»: «لا يعقلون بها الخير والهدى» ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ سبيل الهدى والرشاد ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ مواظ الله والقرآن والمعنى أنهم في تركهم الحق وإعراضهم عنه بمنزلة من لا يفقه، ولا يبصر، ولا يسمع، وقوله: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ قال مقاتل^(١): يأكلون ويشربون، ولا يلتفتون إلى الآخرة كما تأكل الأنعام وتشرب لا هم لها إلا الأكل كذلك الكافر ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ قال الزجاج^(٢): وذلك أن الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء يعلم أكثرهم أنه معاند فيقدم على النار ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عن أمر الآخرة وما فيها من العذاب.

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَايُنِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمِّي لَهُمْ آيَةٌ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أُولَئِكَ يَنْفَكِرُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ حِجَّتِهِ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أُولَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ قال المفسرون^(٣): هي ما ذكره أبو هريرة عن رسول الله - ﷺ - وهو ما أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي أنا محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليل نا أحمد بن يوسف السلمى نا عبد الرزاق بن همام الحميري نا معمر بن راشد عن همام بن منبه^(٤) قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله - ﷺ - قال: «لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة، إنه وتر يحب الوتر» رواه مسلم^(٥) عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق.

(١) البغوي بلا نسبة ٢١٧/٢ القرطبي ٢٠٦/٢ البحر المحيط ٤/٢٧.

(٢) معاني القرآن ٣٩٢/٢ الرازي ٥٤/١٥ القرطبي ٢٠٦/٢ البغوي ٢١٧/٢ البحر المحيط ٤/٢٧ فتح القدير ٢/٢٦٧ روح المعاني ١٢٠/٩.

(٣) الرازي ٥٤/١٥ وما بعدها البغوي ٢١٧/٢ القرطبي ٢٠٦/٢ تفسير ابن كثير ٣/٥١٥ البحر المحيط ٤/٢٩ فتح القدير ٢/٢٦٨ بحر العلوم آية (١٨٠) روح المعاني ١٢٣/٩.

(٤) همام بن منبه بن كامل بن شيخ اليماني، أبو عقبة الصنعاني الأناوي. روى عن أبي هريرة ومعاوية وابن عباس وابن عمر وابن الزبير. وعنه أخوه وهب بن منبه وابن أخيه عقيل بن معقل بن منبه وعلي بن الحسن بن اتش ومعمر بن راشد وثقه ابن معين وذكره ابن حبان في الثقات التهذيب (٦٧/١١).

(٥) أخرجه مسلم ٤/٢٠٦٣ في كتاب الذكر باب أسماء الله تعالى ٦/٥ ٢٦٧٧ وأحمد في المسند ٢/٣١٤ وأخرجه البخاري ٣/٢٥٩، ١٤٥/٩ طبعة دار الفكر والترمذي رقم (٣٥٠٦)، (٣٥٠٧)، (٣٥٠٨) والحميدي (١١٣٠) وابن حبان أورده الهشبي في الموارد (٢٣٨٤) وأبو نعيم في الحلية والخطيب في التاريخ ١٠/٣٧١. وهنا قد ينشأ سؤال وهو: هل الأسماء محصورة في هذا العدد؟ أجاب الحافظ ابن كثير رحمه الله في التفسير فقال: ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى ليست منحصرة في التسعة والتسعين، =

قوله ﴿فادعوه بها﴾ دعاءه بها تعظيمه بذكرها كقولك: «يا قدير» «يا عليم» «يا عزيز» «يا كريم»^(١١) ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائهم﴾ معنى الإلحاد في اللغة: الميل عن القصد وقال ابن السكيت: «الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه»^(١٢) يقال: قد ألحد في الدين ولحد به وبه قرأ حمزة يلحدون من لحد^(١٣)، والذين يلحدون في أسمائهم هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه فسموا بها أو ثابتهم، وزادوا فيها، ونقصوا منها فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا قول ابن عباس ومجاهد^(١٤) وقال الكلبي^(١٥) ويقال: الذين يلحدون [في أسمائهم] الذين يكذبون، وعلى هذا فكل من سمي الله بما لم يسم به نفسه ولم ينطق به كتاب ولا ورد به توقيف، فقد كذب في ذلك ومال عن الحق وقوله: ﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾ أي: جزاء ما كانوا يعملون في الآخرة [جزاء ما كانوا في الدنيا]^(١٦) قوله: ﴿وممن خلقنا أمة﴾ الآية قال عطاء عن ابن عباس «يريد [الله]^(١٧) أمة محمد - ﷺ - وهم المهاجرون والأنصار والتابعون [لهم]^(١٨) بإحسان»^(١٩) وقال قتادة: «بلغنا أن نبي الله - ﷺ - (كان إذا قرأ هذه الآية قال هذه لكم، وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها)^(٢٠) ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ قال الكلبي: يعني أهل مكة كذبوا بمحمد والقرآن ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ قال ابن عباس: «سنمكر بهم»^(٢١) وقال الضحاك: «كلما جدوا معصية جددنا لهم نعمة»^(٢٢) وقال الأزهري: «سنأخذهم قليلاً قليلاً من حيث لا يحتسبون»^(٢٣) وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النعيم ما يقتبطون به، ويركنون إليه، ثم يأخذهم على غرثهم أغفل ما يكونون ﴿وأملئ لهم﴾ الإملاء:

= بدليل ما رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٩١/١، ٤٥٢) عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أعلمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحاً فقيل: يا رسول الله أفلا تعلمها؟ فقال: بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها. وقد أخرجه الإمام أبو حاتم بن حبان البستي في صحيحه بمثله. وذكره الفقيه الإمام أبو بكر بن العربي، أحد أئمة المالكية في كتابه تحفة الأحوذى ٢٨١/١٠ أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم فالله أعلم.

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٣٣/١. (٢) الرازي ٥٩/١٥ تفسير البغوي ٢١٧/٢.

(٣) انظر النشر ٢٧٣/٢ إتحاف فضلاء البشر ٧٠/٢ الرازي ٥٩/١٥ البحر المحيط ٤٣٠/٤ القرطبي ٢٠٨/٧ البغوي ٢١٧/٢ روح المعاني ١٢١/٩ بحر العلوم ١٨٠ أبو السعود ٢٩٦/٣.

(٤) البغوي ٢١٨/٢ ابن كثير ٥١٧/٣ - القرطبي ٢٠٨/٧ الطبري ٢٨٢/١٣ (١٥٤٥٣) بحر العلوم آية ١٨٠ البحر المحيط ٤٣٠/٤ الرازي ٥٩/١٥ فتح القدير ٢٧٠/٢.

(٥) الطبري ٢٨٣/١٣ (١٥٤٥٦) وابن كثير ٥١٧/٣ البغوي ٢١٨/٢ عن ابن عباس وأبو حيان في البحر ٤٣٠/٤ وذكره الشوكاني عن ابن عباس، وعزاه لابن أبي حاتم وابن جرير.

(٦) من ب فقط. (٧) سقط في ب، ج. (٨) سقط في أ، ب.

(٩) البغوي ٢١٨/٢ بحر العلوم آية (١٨١) وأبو حيان في البحر ٤٣٠/٤، الرازي ٦٠/١٥ ورفعته القرطبي ٢٠٩/٧.

(١٠) أخرجه ابن جرير ٢٨٦/١٣ (١٥٤٦٠) وابن كثير ٥١٨/٣ أبو حيان في البحر ٤٣٠/٢ والرازي في التفسير ٦٠/١٥ وذكره السيوطي في الدر ١٤٩/٣ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(١١) ذكره البغوي ٢١٨/٢ عن عطاء في الدر ١٤٩/٣ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(١٢) البغوي في التفسير ٢١٨/٢ بحر العلوم آية ١٨٢ زاد المسير ٢٩٥/٣ - القرطبي ٢٠٩/٧. البحر المحيط ٤٣١/٤.

(١٣) تهذيب اللغة (٦٤٢/١٠).

الإمهال وإطالة المدة، وهو نقيض الإعجال، يقول أمهلهم وأطيل لهم مدة عمرهم ليمتادوا في المعاصي ﴿إن كيدي متين﴾ قال ابن عباس إن مكري شديد^(١) قوله: ﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة﴾ قال الحسن وقتادة^(٢): إن النبي ﷺ: قام ليلاً على الصفا يدعو قريشاً فخذاً فخذاً فيقول: يا بني فلان، يا بني فلان يحذرهم بأس الله وعقابه فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، بات يصوت حتى الصباح فأنزل الله هذه الآية وحثهم على التفكير في أمر الرسول ليعلموا أنه إنما دعا للإنذار لا لما نسبه إليه الجهال، والمعنى: أو لم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة، والجنة حالة من الجنون ﴿إن هو﴾ ما محمد ﴿إلا نذير﴾ منذر مخوف إياكم عذاب الله ﴿مبين﴾ يبين لكم الهدى وطريق الرشده، ثم حثهم على النظر المؤدي إلى العلم فقال: ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾ ليستدلوا على أن لها صانعاً مدبراً دبرها على ما أراد، ومضى تفسير ملكوت السموات والأرض في سورة الأنعام^(٣) وقوله: ﴿وما خلق الله من شيء﴾ أي: وفيما خلق الله من الأشياء كلها قال «ابن عباس»: «يريد من جليل وصغير»^(٤) ﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ أي: [وفي أن]^(٥) لعل آجالهم قريبة فيهلكوا على الكفر ويصيروا إلى النار ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ يعني: بأي كتاب غير ما جاء به محمد ﷺ يصدقون؟ يعني أنه لا نبي بعده ولا كتاب بعده كتابه فإن لم يؤمنوا [بكتابه لم يؤمنوا]^(٦) بكتاب بعده لأنه لا وحي بعده ثم ذكر سبب إعراضهم عن الإيمان فقال: ﴿من يضل الله فلا هادي له﴾.

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن يحيى أنا محمد بن جعفر بن مطر أنا جعفر بن محمد بن الليث الزياتي نا عبيد الله بن محمد بن عائشة نا حماد بن سلمة عن خالد الحذاء عن عبد الأعلى [بن عبد الأعلى]^(٧) عن عبد الله بن الحارث قال: خطبنا عمر بن الخطاب «بالجابية»^(٨) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل الله فلا هادي له فقال نصراني: تركس تركس فقال عمر: ما يقول؟ قالوا: [يقول]^(٩): إن الله يهدي ولا يضل قال: كذبت يا عدو الله، الله خلقك وهو أضلك وهو يدخلك النار إن شاء الله لولا قرب [عهد برسول الله ﷺ لضربت عنقك]^(١٠) وقوله: ﴿ويذرهم﴾ رفع بالاستئناف والانقطاع^(١١) مما قبله، وقرأ أبو عمرو بالياء^(١٢) لتقدم اسم الله تعالى وقرأ حمزة بالياء والجزم ووجه ذلك فيما يقول سيويه^(١٣): أنه عطف على موضع الفاء وما بعدها من قوله: ﴿فلا هادي

(١) الرازي في التفسير ٦١/١٥ البغوي في التفسير ٢١٨/٢ وأبو حيان في البحر ٤٣١/٤ القرطبي ٢٠٩/٧ فتح القدير ٢٧١/٢ -

(٢) أخرجه الطبري ٢٨٩/١٣ (١٥٤٦١) وابن كثير في التفسير ٥١٩/٢، وأبو حيان في البحر ٤٣١/٤.

وذكره الرازي في التفسير ٦٢/١٥ والبغوي في التفسير ٢١٩/٢ وذكر أبو السعود في التفسير ٢٩٨/٣ وذكره الشوكاني في فتح القدير

٢٧٢/٢، وعزه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ. وذكره السمرقندي في بحر العلوم آية ١٨٤

والقرطبي في التفسير ٢٠٩/٧.

(٣) سورة الأنعام آية رقم (٧٥).

(٧) سقط في أ.

(٤) بنحوه عند القرطبي ٢١٢/٧ والشوكاني في فتح القدير ٢٧١/٢.

(٨) وضع.

(٥) سقط في ب.

(٩) سقط في ب.

(٦) سقط في أ.

(١٠) إسناده المصنف رحمه الله ضعيف لضعف جعفر بن محمد ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/١٥٠ وعزه لابن أبي حاتم.

(١١) سقط في أ.

(١٢) انظر حجة القراءات ص (٣٠٣) النشر ٢٧٣/٢ إتحاف فضلاء البشر ٢/٧٠٧، ٤٣٣/٤ القرطبي ٢١٢/٧ الرازي ٦٥/١٥ البحر

المحيط ٤٣٣/٤ أبو السعود ٣٠٠/٣ فتح القدير ٢٧٢/٢.

(١٣) الكتاب ٩٠/٣ وانظر البحر المحيط ٤٣٣/٤ والرازي ٦٥/١٥.

له ﴿ لأن موضعها جزم بجواب الشرط والحمل على الموضع كثير. قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة﴾ قال الحسن وقتادة: هم قريش قالت لمحمد - ﷺ - أسر إلينا متى الساعة ^(١) ! قال الزجاج ^(٢) «الساعة ها هنا الساعة التي يموت فيها الخلق» ﴿أيان مرساها﴾ متى يقع إثباتها ومعنى أيان: الاستفهام عن الوقت الذي لم يجيء والمرسى ها هنا مصدر بمعنى الإرساء [وهو الإثبات] ^(٣) ﴿قل إنما علمها﴾ أي العلم بوقتها [ووقوعها] ^(٤) ﴿عند ربي لا يجليها لوقتها﴾ لا يظهرها في وقتها ﴿إلا هو﴾ والتجلية إظهار الشيء، وقوله ﴿نقلت في السموات والأرض﴾ قال ابن عباس: «نقلت على أهل السموات وأهل الأرض» ^(٥) يريد كلهم خائفون منها المحسن والمسيء ﴿لا تأتكم إلا بغتة﴾ فجأة على غفلة منكم وذلك أشد لها.

أخبرنا أبو القاسم السراج ^(٦) أنا عبد الله بن محمد بن موسى الكعبي ^(٧) أنا حمدان بن صالح الأشج ^(٨) نا عبد الصمد بن حسان ^(٩) نا إبراهيم بن طهمان عن محمد بن زياد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - «تقوم الساعة على رجل في فيه لقمة فلا يلوكها ولا يسفها، وعلى رجلين قد نشرا بينهما ثوباً فلا يتبايعانه ولا يطويانه» ^(١٠).

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنَهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ نُفِثَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ^(١٨٧) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ

(١) انظر أسباب النزول للمصنف رحمه الله ٢٢٤ البغوي ٢/٢١٩ الرازي ١٥/٦٥ والقرطبي ٧/٢١٢ ابن كثير ٣/٥٢٠ البحر المحيط ٤/٤٣٣ فتح القدير ٢/٢٧٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٩٣ انظر روح المعاني ٩/١٣١.

(٣) سقط في ب.

(٤) سقط في ب.

(٥) أبو حيان في البحر ٤/٤٣٤ واختار ابن جرير الطبري ١٣/٢٩٦، أن المراد فقل علم وقتها على أهل السموات والأرض كما قال قتادة.

(٦) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدان. أبو القاسم القرشي، النيسابوري السراج. روى عن أبي العباس الأصم وأبي منصور محمد بن القاسم الصبغي، وأحمد بن محمد بن عبدوس الطرافي وجماعة. روى عنه أبو بكر الخطيب، وأبو صالح المؤذن، وفاطمة بنت الدقاق وجماعة. وكان إماماً جليلاً مات في صفر سنة ثمان عشرة وأربعمائة ابن السبكي (٥/١١٦).

(٧) المحدث العالم الصادق أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى بن كعب الكعبي النيسابوري سمع الفضل بن محمد الشعراني واليسع بن زيد المكي صاحب سفيان بن عيينة واسماعيل بن قتيبة وعلي بن عبد العزيز وتمتاما وعدة. روى عنه: الحاكم وأبو نصر بن قتادة وأبو عبد الرحمن السلمي ومحمد بن محمد بن أبي صادق. تزيل مصر وآخرون ذكره الحاكم فقال: محدث كثير الرحلة والسماع، صحيح السماع توفي سنة تسع وأربعين وثلاث مئة انظر السير (١٥/٥٣٠) الأنساب (١٠/٤٤٤).

(٨) بفتح الألف والشين المعجمة، وفي آخرها الجيم الأنساب (١/١٦٤).

(٩) أبو يحيى المروري قاضي هراة. حدث عن زائدة والثوري وإسرائيل والكوفيين.

وحدث عنه: الذهلي أيضاً، ومحمد بن عبد الوهاب الفراء وأحمد بن يوسف السلمي. مات سنة عشر ومائتين انظر السير (٩/٥١٧)

التاريخ الكبير (٦/١٠٥) ميزان الاعتدال (٢/٢٦٠) لسان الميزان (٤/٢٠)

(١٠) أخرجه البخاري ١٣/٨٨ في كتاب الفتن باب ٢٥ (٧١٢١) ومسلم ٤/٢٢٧٠ في كتاب الفتن باب قرب الساعة حديث

السُّوءَ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

وقوله: ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ تقديره: يسألونك عنها كأنك حفي بها ثم حذف الجار والمجرور وحذف من الإحفاء وهو الإلحاح في السؤال والمعنى: كأنك عالم بها، أكثرت المسألة عنها وهذا قول مجاهد والضحاك وابن زيد^(١) ﴿قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أن عند الله حين سألوا محمداً ﷺ عما لم أطلعه عليه [وقوله]^(٢): ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا﴾ الآية قال الكلبي: حين نزلت قال أهل مكة: يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتري من الرخيص لتربح عليه عند الغلاء وبالأرض التي تريد أن تجذب فترحل منها، فأنزل الله تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا﴾ الآية^(٣) أي: اجتلاب نفع بأن أربح ﴿ولا ضرا﴾ أي دفع ضرر بأن ارتحل من الأرض قبل أن تجذب إلا ما شاء الله أن أملكه ﴿ولو كنت أعلم الغيب﴾ ما يكون قبل أن يكون ﴿لاستكثرن من الخير﴾ لا دخرت في زمان الخصب لزمان الجذب ﴿وما مسني السوء﴾ وما أصابني الضرر والفقر ﴿إن أنا﴾ ما أنا ﴿إلا نذير﴾ قال ابن عباس^(٤): «لمن لا يصدق بما جئت به» ﴿وبشير﴾ لمن اتبعني وآمن بي.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيْشُرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْتَعِيبُكُمْ سِوَاهُ عَلَيْكُمْ أَدْعُوهُمْ وَمَا أَنتُمْ بِصَامِعِينَ ﴿١٩٣﴾

وقوله تعالى ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ يعني آدم ﴿وجعل منها زوجها لیسکن إليها﴾ لیأنس بها ویأوی إليها ﴿فلما تغشاهما﴾ جامعها قال الزجاج^(٥): «كنى أحسن الكناية» والغشيان إتيان الرجل امرأته، وقد غشيتها وتغشاهما إذا علاها وقوله: ﴿حملت حملاً خفياً﴾ يعني النطفة والمني ﴿فمرت به﴾ بذلك الحمل الخفيف أي قامت وقعدت، لم يتقلها ﴿فلما أثقلت﴾ صارت إلى حال الثقل ودنت ولادتها ﴿دعوا الله ربهما﴾ يعني حواء وآدم ﴿لئن آتيتنا صالحاً﴾ بشر سويًا مثلنا ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ لك على ذلك ﴿فلما آتاهما صالحاً﴾ جعل له شركاء فيما آتاهما ﴿قال المفسرون^(٦): «لما حملت حواء آتاهما إبليس في غير صورته التي عرفته فقال لها: ما الذي في بطنك؟ قالت: ما أدري قال: إني أخاف أن يكون بهيمة أو كلباً أو خنزيراً وما يدريك من أين يخرج؟ أمن دبرك فيقتلك؟ أم ينشق بطنك؟ فخافت

(١) البغوي ٢٢٠/٢ أبو حيان في البحر ٤٣٥/٤ القرطبي ٢١٣/٧ فتح القدير ٢٧٣/٢. تفسير أبي السعود ٣٠١/٣ بحر العلوم آية ١٨٧، روح المعاني ١٣٤/٩.

(٢) سقط في ب.

(٣) الطبري في التفسير ٣٠٢٣/١٣ ابن كثير ٥٢٧/٣ المصنف رحمه الله في أسباب النزول ص (٢٢٥) والرازي في التفسير ٦٨/١٥ والبغوي في التفسير ٢٢٠/٢ وأبو حيان في البحر ٤٣٦/٤.

(٤) البغوي في التفسير ٢٢٠/٢.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣٩٤/٢.

(٦) الرازي في التفسير ٧٠/١٥ والقرطبي ٢١٤/٧ والبغوي ٢٢١/٢، انظر بحر العلوم آية (١٨٩) انظر فتح القدير ٢٧٦/٢.

حواء فذكرت ذلك لأدم فلم يزالا في هم من ذلك ثم أتاهما وقال لها: إن سألت الله أن يجعله خلقاً آخر سويّاً مثلك ويسهل عليك خروجه حتى تلقيه من بطنك سهلاً أتسمينه عبد الحارث ولم يزل بها حتى غرّها، فلما ولدت ولدأ سوي المخلوق سمته عبد الحارث برضا آدم وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث فذلك قوله ﴿فلما أتاهما صالحاً جملاً له﴾ أي لله ﴿شركاء﴾ يعني إبليس فأوقع الجميع موقع الواحد، أراد: جملاً له شريكاً إذ سميّه عبد الحارث ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا لله^(١).

وقد روي أن النبي - ﷺ - قال «خدعهما مرتين، خدعهما في الجنة، وخدعهما في الأرض»^(٢) قال قتادة^(٣): «أشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة» ويعني أنهما لم يذهبا إلى أن الحارث ربهما لكنهما قصدا إلى أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به أنه مملوك كما قال الشاعر^(٤):

وَأِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًّا^(٥)

وقرأ نافع (شركا)^(٦) بكسر الشين ووجهه: أنه حذف المضاف بتقدير جملاً له ذا شرك أي شريكاً وتم الكلام ثم عاد إلى الخبر عن الكفار ونزه نفسه عن إشراكهم فقال: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ قال ابن عباس: «يريد أهل مكة»^(٧) وهذا قول مقاتل والسدي^(٨) ثم أنكروا عليهم فقال ﴿أيشركون﴾ بالله في العبادة ﴿ما لا يخلق شيئاً﴾ يعني الأصنام ﴿وهم يخلقون﴾ يريد: وهم مخلوقون ﴿ولا يستطيعون لهم نصراً﴾ قال ابن عباس^(٩): «إن الأصنام لا تنصر من أطاعها» ﴿ولا أنفسهم ينصرون﴾ قال الحسن^(١٠): «لا يدفعون عن أنفسهم مكروه من أرادهم بشرّاً أو نحوه» ثم خاطب المؤمنين فقال: ﴿وإن تدعوهم إلى الهدى﴾ وإن تدعوا المشركين إلى الإسلام ﴿لا يتبعوكم﴾ وقرأ نافع بالتخفيف^(١١) وهما لغتان اتبعه وتبعه تبعاً ﴿سواء عليكم أذعوتموهم﴾ إلى الدين وعبادة الله ﴿أم أنتم صامتون﴾ أي: صمتتم عن ذلك الدعاء، لتركهم الانقياد للحق وهذا كقوله ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾^(١٢).

(١) وقد روى الترمذي وأحمد حديثاً عن سمرة بن جندب في تسويل الشيطان لحواء، أن تسمى ولدها عبد الحارث، والحارث اسم إبليس قال الترمذي: حسن غريب، وضعفه ابن العربي في أحكام القرآن والقرطبي، والحديث لا يدل على تفسير الآية، لكن الترمذي (٢٦٧/٥) جعله في باب تفسير سورة الأعراف، والحديث معلول من ثلاثة أوجه: أحدها: أن عمر بن إبراهيم هذا، هو البصري، وقد وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي لا يحتج به، ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعاً والله أعلم. الثاني أنه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعاً، كما قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه «و» حدثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي العلاء بن الشخير، عن سمرة بن جندب قال: سمى آدم ابنه عبد الحارث. الثالث: أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً، لما عدل عنه. انظر تفسير ابن كثير ٥٢٩/٣، وانظر تفسير القرطبي (٢١٥/٧).

(٢) إسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن زيد، وقد ذكره البغوي في التفسير ٢٢١/٢ الطبري ٣١٨/١٣ وذكر القرطبي ٢١٥/٧ وذكره السيوطي في الدرر ١٥١/١٣ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) الرازي ٧٢/١٥ القرطبي ٢١٥/٧ البغوي ٢٢١/٢.

(٤) صدر بيت انظر القرطبي (٢١٥/٧) والرازي (٧٢/١٥) وعجزه:

وما فيّ إلا نيك من شيمة العبيد

(٦) حجة القراءات ص (٣٠٤) النشر ٢٧٣/٢ إتحاف فضلاء البشر ٧١/٢ البغوي ٢٢١/٢ الرازي ٧٣/١٥ البحر المحيط ٤٤٠/٤. القرطبي ٢١٥/٧.

(٧) البغوي ٢٢١/٢.

(٨) انظر المصدر السابق.

(٩) انظر المصدر السابق.

(١٠) انظر المصدر السابق.

(١١) حجة القراءات ٣٠٥ النشر ٢٧٣/٢ إتحاف فضلاء البشر ٧١/٢.

(١٢) يس ١٠.

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَمْ أَرْجُلْ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أَأْذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكَمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَبْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يُنظِرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال المفسرون^(١): «يعني الأصنام» ﴿عباد أمثالكم﴾ قال الكلبي: «ملوكون وقال الأخفش^(٢) عباد أمثالكم في التسخير أي إنهم مسخرون مذللون لأمر الله ﴿فادعوهم فليستجيبوا لكم﴾ قال ابن عباس^(٣): «فاعبدوهم هل يشيرونكم أو يجازونكم» ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إِنْ لَكُمْ عِنْدَهُمْ مَنفَعَةٌ وَثَوَابًا أَوْ شِفَاعَةٌ وَنَصْرَةٌ ثُمَّ فَضَّلَ بَنِي آدَمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: ﴿أَلَمْ أَرْجُلْ يَمْشُونَ بِهَا﴾ مشي بني آدم ﴿أَمْ لَمْ أَيْدٍ﴾ كما لبني آدم ﴿يَبْطِشُونَ﴾ يأخذون ﴿بِهَا﴾ ومعنى البطش: تناول والأخذ بشدة عرفهم الله تعالى أنهم مفضلون عليهم بالأرجل الماشية والأيدي الباطشة والأعين البصيرة والأذان السامعة فكيف يعبدون من هم أفضل منه؟ وفي هذا بيان جهالتهم ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿ادعوا شركاءكم﴾ الذين تعبدون من دون الله ﴿ثُمَّ كِيدُوا﴾ أنتم وشركاؤكم ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ لا تمهلوني واعجلوا في كيدي قال الحسن: «إنهم كانوا يخوفونه بالهتيم فقال الله تعالى: ﴿قُلْ ادعوا شركاءكم﴾ الآية» ثم ذكر أن الله يتولى حفظه ونصرته، فقال: ﴿إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ أي القرآن، أي إنه يتولاني وينصرني كما أيدني بإنزال الكتاب ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ قال ابن عباس^(٤): «يريد الذين لا يعدلون بالله شيئاً» أي إن الله يتولاهم بنصره فلا يضرهم عداوة من عادهم وقوله: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا﴾ قال الحسن^(٥): «يعني المشركين والمعنى: وإن تدعوا أيها المؤمنون المشركين إلى الهدى لا يسمعون أي لا يعقلوا ذلك بقلوبهم فلا يجيبونكم ﴿وتراهم ينظرون إليك﴾ بأعينهم ﴿وهم لا يبصرون﴾ بقلوبهم والمفسرون على أن الآية في صفة الأصنام وبيان ما هي عليه من النقص^(٦) ومعنى ﴿يُنظِرُونَ إِلَيْكَ﴾ قال ابن الأنباري^(٧): «يخيل إليك أنهم مبصرون لأن لها أعينا مصنوعة مركبة بالجواهر، وهم غير مبصرين في الحقيقة».

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾

(١) البغوي ٢٢٢/٢ القرطبي ٢١٧/٧ البحر المحیط ٤٤٢/٤ تفسير ابن كثير ٥٣٢/٣ زاد المسير ٣٠٦/٣ أبو السعود ٣٠٦/٣ فتح القدير ٢٧٨/٢.

(٢) البغوي ٢٢٢/٢ روح المعاني ١٣٤/٩ القرطبي ٢١٧/٧ بحر العلوم ١٩٧.

(٣) البغوي ٢٢٢/٢ القرطبي ٢١٧/٧.

(٤) البغوي ٢٢٣/٢ الرازي ٧٧/١٥.

(٥) البغوي ٢٢٣/٢ أبو حيان في البحر ٤٤٧/٤ القرطبي ٢١٨/٧ وانظر الطبري ٣٢٥/١٣ وابن كثير ٥٣٤/٣.

(٦) البغوي ٢٢٣/٢ زاد المسير ٣٠٦/٣.

(٧) أبو السعود ٣٠٧/٣ ابن كثير ٥٣٤/٣ فتح القدير ٢٧٨/٢ الرازي ٧٨/١٥ بحر العلوم ١٩٨.

وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا أُجْتَبِيَّتْهَا قُلْ إِنَّمَا أُنزِلَ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾
قوله تعالى: ﴿خذ العفو﴾ الآية.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الأصبهاني^(١) أنا محمد بن أحمد بن علي الحيري أنا: الحسن بن سفيان نا أبو بكر بن أبي شيبة^(٢) نا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: ما أنزل الله هذه الآية ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾ إلا في أخلاق الناس رواه البخاري^(٣) عن يحيى^(٤) عن وكيع.

العفو: ما أتى بغير كلفة ذكرنا ذلك عند قوله ﴿ماذا ينفقون قل العفو﴾^(٥) قال مجاهد والحسن^(٦): «أمر أن يأخذ عفو أخلاق الناس» والمعنى: أقبل الميسور من أخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيتولد منه البغضاء ﴿وأمر بالعرف﴾ [العرف]^(٧)، والعارفة، والمعروف: ما يعرف كل أحد صوابه وتستحسنه النفوس قال مقاتل وعروة والضحاك: وأمر بالمعروف^(٨) ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ صن نفسك عن مقابلتهم، على سفههم، قال قتادة^(٩): في هذه الآية أخلاق^(١٠) أمر الله بها نبيه - ﷺ - ودله عليها: «وهذه الآية أجمع لمكارم الأخلاق».

أخبرنا عمرو بن أبي عمرو المزكي أنا: محمد بن مكي أنا محمد بن يوسف أنا: محمد بن إسماعيل البخاري

(١) الحافظ الإمام المجود أبو بكر أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن منجويه اليزدي الأصبهاني نزيل نيسابور من الحفاظ الأئمة المصنفين. حدث عن الإمام أبي بكر الإسماعيلي، وإبراهيم بن عبد الله النيسابوري وإسماعيل بن نجيد وأبي بكر بن المقرئ وأبي مسلم عبد الرحمن بن شَهْدَل وأبي عبد الله بن مندة وخلق كثير مات من خامس المحرم سنة ثمان وعشرين وأربعمائة انظر السير (٤٣٨/١٧) اللباب (٢٦١/٣) تذكرة الحفاظ (١٠٨٥/٣) العبر (١٦٤/٣) الوافي (٢١٧/٧) الشذرات (٢٣٣/٣).

(٢) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي مولاهم أبو بكر الحافظ الكوفي. روى عن أبي الأحوص وعبد الله بن إدريس وابن المبارك وشريك وهشيم وأبي بكر بن عياش وإسماعيل بن عياش وجرير بن عبد الحميد وأبي أسامة وخلق وروى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه وروى له النسائي بواسطة وخلق قال البخاري وغير واحد: مات سنة خمس وثلاثين ومائتين في المحرم.

(٣) أخرجه البخاري ١٥٥/٨ في كتاب التفسير سورة الأعراف باب خذ العفو ٤٦٤٢ وأخرجه أبو داود ٢٥/٤ في كتاب الأدب باب التجاوز في الأمر ٤٧٨٧ وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ٥٣٥/٣ وأخرجه الطبري في التفسير ٣٢٦/٣ - ٣٢٧ وذكره السيوطي في الدر ١٥٣/٢ وعزاه لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة والبخاري وأبو داود والنسائي والنحاس في ناسخه، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٤) يحيى بن موسى بن عبد ربه الخُدَّاني بضم المهملة الأولى، أبو زكريا بفتح المعجمة ثم مثناة البلخي عن الوليد بن مسلم ووكيع وي زيد بن هارون وعنه البخاري والسراج، وقال: ثقة مأمون قال البخاري: مات سنة أربعين ومائتين. انظر الخلاصة ١٦١/٣. (٥) آية (٢١٩).

(٦) أخرجه الطبري في التفسير ٣٢٦/٣ و(١٥٥٣٥) و(١٥٥٣٩)، (١٥٥٤٢) وابن كثير ٥٣٥/٣ والبغوي في التفسير ٢٢٣/٢، وانظر روح المعاني ١٤٦/٩ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥٣/٣ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد.

(٧) سقط في ب، ج. (٨) تفسير الطبري ١٣/٣٣١ تفسير ابن كثير ٥٣٦/٣ - ٥٣٧ وينحوه عند القرطبي ٢١٩/٧.

(٩) أخرجه الطبري في التفسير ١٣/٣٣٢ (١٥٥٥٢) وابن كثير ٥٣٧/٣، ذكره السيوطي في الدر ١٥٤/٣ وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير.

(١٠) وهو قول جعفر الصادق. البغوي ٢٢٤/٢ الرازي ٧٨/١٥، القرطبي ٢١٩/٧ أبو السعود ٣٠٨/٣ البحر المحيط ٤٤١/٤.

أنا أبو اليمان نا شعيب عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس قال: «قدم عينية بن حصن على ابن أخيه الحربن قيس وكان من النفر الذين يدينهم عمر، فقال عينية لابن أخيه: يا ابن أخي هل لك وجه عند هذا الأمير، فتستأذن لي عليه فاستأذن الحر لعينية فأذن له عمر فلما دخل عليه قال: ها يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر، حتى هم أن يوقع به فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ - ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ وإن هذا من الجاهلين قال: فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافاً عند كتاب الله تعالى»^(١) قال ابن زيد: «لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ - «كيف يارب والغضب» فتزل قوله: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ﴾^(٢) نزغ الشيطان: وسأوسه ونخسه، في القلب بما يسول^(٣) للإنسان من المعاصي قال ابن عباس^(٤) «يريد يعرض لك من الشيطان عارض» وقال الزجاج: «إن نالك من الشيطان أدنى وسوسة»^(٥) ﴿فاستعذ بالله﴾ اطلب النجاة من تلك الوسوسة بالله [أي]^(٦): قل أعوذ بالله من الشيطان [الرجيم]^(٧) «إنه سمع» لدعائك «عليم» بما عرض لك قوله تعالى: ﴿إن الذين اتقوا﴾ قال ابن عباس^(٨) «يريد المؤمنين الذين اتقوا الكفر والشرك والفواحش» ﴿إذا مسهم طائف من الشيطان﴾ وقرئ: طيف^(٩)، قال الليث: «طائف الشيطان وطيف الشيطان ما يغشى الإنسان من وسأوسه»^(١٠) وقال الفراء: «الطائف والطيف سواء وهو ما كان كالخيال، والشيء يلم بك»^(١١) وقال أبو عمرو^(١٢): «الطائف ما يطوف حول الشيء وهو هنا ما يطوف به من وسوسة الشيطان»^(١٣) والطيف اللمة والوسوسة» قال ابن عباس: «إذا مسهم عارض من وسوسة الشيطان» وقال مجاهد وسعيد بن جبير^(١٤) في هذه الآية: «هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله فيكظم الغيظ» وروى ليث عن مجاهد^(١٥): «هو الرجل يهمل بالذنب فيذكر الله فيدعه» وهو قوله: ﴿تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ أي يبصرون مواقع خطيئهم بالتذكر والتفكير، قال السدي «إذا زلوا زلة

- (١) أخرجه البخاري ١٥٥/٨ في كتاب التفسير سورة الأعراف باب خذ العفو ٤٦٤٣، وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ٥٣٦/٣ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥٣/٣ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ابن عباس.
- (٢) البغوي في التفسير ٢٢٤/٢، والشوكاني في فتح القدير ٢٧٩/٢. والقرطبي في التفسير ٢٢١/٢ والرازي ٧٩/١٥ وأبو السعود في التفسير ٣٠٨/٣ البحر المحيط ٤٤٨/٤.
- (٣) انظر لسان العرب ٣/٢١٥٧.
- (٤) البغوي ٢٢٤/٢ وينحوه عند القرطبي ٧/٢٢١.
- (٥) معاني الزجاج ٢/٣٩٦ البغوي ٢٢٤/٢ القرطبي ٢٢١/٢ فتح القدير ٢٧٩/٢ بحر العلوم آية ٢٠٠.
- (٦) سقط في أ، ب.
- (٧) سقط في أ، ب.
- (٨) البغوي بلا نسبة ٢٢٤/٢ السمرقندي في بحر العلوم آية ٢٠١ القرطبي بلا نسبة ٧/٢٢٢.
- ذكره السيوطي في الدر المنثور عن مجاهد ٣/١٥٥ وعزه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.
- (٩) وهي قراءة نافع وابن عامر وعاصم وحمة، انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٣٠٥ النشر ٢/٢٧٥ إتخاف فضلاء البشر ٧٣/٢ البغوي ٢٢٤/٢، البحر المحيط ٤٤٩/٤ القرطبي ٧/٢٢٢ الرازي ١٥/٨٠-٨١.
- (١٠) بنحوه عند البغوي ٢/٢٢٥.
- (١١) معاني القرآن للفراء ١/٤٠٢ الرازي ١٥/٨١.
- (١٢) البحر المحيط ٤٤٩/٤ حجة القراءات لابن زنجلة ٣٠٥ انظر البغوي ٢/٢٢٤.
- (١٣) انظر تنوير المقياس ٢/١٥٠، وانظر روح المعاني ٥/١٤٨ وانظر أبو السعود ٣/٣٨٠.
- (١٤) البغوي في التفسير ٢/٢٢٥ أبو حيان في البحر ٤/٤٥٠ بحر العلوم آية ٢٠٢.
- (١٥) البغوي ٢/٢٢٥ أبو حيان في البحر ٤/٤٥٠.

تابوا» وقال مقاتل^(١): «إن المتقي إذا أصابه نزع من الشيطان تذكر وعرف أنها معصية، فأبصرها فنزع من مخالفة الله» وقوله ﴿وإخوانهم﴾ يعني إخوان المشركين من الشياطين، قال الكلبي^(٢): «لكل كافر أخ من الشياطين» ﴿يمدونهم في النفي﴾ يطولون لهم الإغواء حتى يستمروا عليه كقوله ﴿ويمدهم في طغيانهم﴾^(٣) ومن قرأ: بضم الياء^(٤) من الإمداد فقد استعمل ما هو للخير في ضده وذلك أن الإمداد إنما جاء فيما لم يحمد كقوله: ﴿وأمددناهم بفاكهة﴾^(٥)، ﴿نمدهم به من مال وبين﴾^(٦)، ﴿أتمدوني بمال﴾^(٧) وقوله: ﴿ثم لا يقصرون﴾ الإقصار: الكف عن الشيء يقال: أقصر عن الشيء إذا كف عنه وانتهى^(٨)، قال الضحاك ومقاتل^(٩): يعني المشركين لا يقصرون عن الضلالة ولا يبصرونها بخلاف ما قال في المؤمنين ﴿تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ وروي عن ابن عباس^(١٠) أنه قال: «لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسون عنهم» وعلى هذا قوله: ﴿ثم لا يقصرون﴾ من فعل المشركين والشياطين جميعاً. قوله: ﴿وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها﴾ قال الفراء^(١١): «العرب تقول: أجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته إذا افتعلته من قبل نفسك» قال الكلبي^(١٢): «إن أهل مكة كانوا يسألون النبي ﷺ تعتاً فإذا تأخرت اهتموه وقالوا لولا اجتبيتها، أي هلا أحدثتها وأنشأتها» وقال قتادة^(١٣): «هلا افتعلتها من قبل نفسك» وقال ابن زيد^(١٤): «لولا تقولتها وجئت بها من قبل نفسك؟» فأعلمهم ﷺ أن الآيات من قبل الله تعالى بقوله: ﴿قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي﴾ أي: ليس الأمر إلي إنما أتبع الوحي من الله تعالى قوله ﴿هذا﴾ أي هذا القرآن الذي أتيت به ﴿بصائر من ربكم﴾ دلائل تقود إلى الحق وقال المفسرون^(١٥): «حجج وبرهان من ربكم».

(١) البغوي ٢٢٥/٢ أبو حيان في البحر ٤/٤٥٠. قال الواحدي رحمه الله: اختلفوا في الطيف فقيل إنه مصدر، وقال أبو زيد يقال: طاف يطوف طوفاً وطوفاً إذا أقبل وأدبر وأطاف يطيف إطافة إذا جعل يستدير بالقوم ويأتيهم من نواحيهم وطاف الخيال يطيف طيفاً إذا ألم في المنام، قال ابن الأنباري: وجائز أن يكون طيف أصله طَيفَ إلا أنهم استقلوا التشديد فحذفوا إحدى الياءين وأبقوا ياء ساكنة، فعلى القول الأول هو مصدر، وعلى ما قاله ابن الأنباري هو من باب هين وهين، وميت وميت ويشهد لصحة قول ابن الأنباري قراءة سعيد بن جبير (إذا مسهم طيف) بالتشديد. هذا هو الأصل في الطيف، ثم سمي الجنون والغضب والوسوسة طيفاً لأنه لمة من لمة الشيطان تشبه لمة الخيال قال الأزهري: الطيف في كلام العرب الجنون، ثم قيل للغضب طيف، لأن الغضبان يشبه المجنون. وأما الطائف فيجوز أن يكون بمعنى الطيف مثل العافية والعاقبة ونحو ذلك مما جاء المصدر فيه على فاعل وفاعلة. انظر الرازي (٨١/١٥)

(٢) البغوي ٢٢٥/٢ انظر القرطبي ٧/٢٢٣ وانظر تفسير الرازي ١٥/٨٢. (٣) سورة البقرة ١٥.

(٤) حجة القراءات لابن زنجلة ص (٣٠٦) النشر ٢/٢٧٥ إتحاف فضلاء البشر ٢/٧٣ القرطبي ٧/٢٢٣ البحر المحيط ٤/٤٥١ الرازي (٨٢/١٥)، فتح القدير ٢/٢٨٠.

(٥) سورة الطور ٢٢. (٦) سورة المؤمنون ٥٥.

(٧) سورة النمل ٣٦ وانظر هذه النقول في الرازي عن الواحدي رحمه الله (٨٢/١٥).

(٨) ذكر ذلك الرازي ١٥/٨٢ نقلاً عن الواحدي. (٩) البغوي ٢/٢٢٥.

(١٠) البغوي ٢/٢٢٥ وذكره السيوطي في الدر ٣/١٥٥، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس، وانظر الرازي في التفسير ١٥/٨٢.

(١١) الرازي ١٥/٨٢ القرطبي ٧/٢٢٤ البحر المحيط ٤/٤٥١ البغوي ٢/٢٢٥ روح المعاني ٩/١٤٩ فتح القدير ٢/٢٨٠.

(١٢) البغوي ٢/٢٢٥ انظر البحر المحيط ٤/٤٥١.

(١٣) البغوي ٢/٢٢٥ البحر المحيط ٤/٤٥١.

(١٤) روح المعاني ٩/١٤٩ البحر المحيط ٤/٤٥١.

(١٥) البغوي ٢/٢٢٥ البحر المحيط ٤/٤٥١ القرطبي ٧/٢٢٤ تفسير ابن كثير ٤/٥٤٠ فتح القدير ٢/٢٨٠.

وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً
وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

قوله ﴿وإذا قرئ القرآن﴾ الآية نزلت في تحريم الكلام في الصلاة، وكانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم
فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمر بالاستماع إلى قراءة القرآن والسكوت للإستماع ، وهو قوله : ﴿فاستمعوا لله
وأنصتوا﴾ (١) وقال قوم : «نزلت في ترك الجهر بالقراءة وراء الإمام» (٢).

أخبرنا أبو منصور المنصورى (٣) أنا علي بن عمر الحافظ (٤) نا عبد الله بن سليمان بن الأشعث (٥) نا العباس بن
الوليد بن مزيد (٦) أخبرني أبي أنا الأوزاعي أنا عبد الله بن عامر حدثني زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة في هذه
الآية قال : «نزلت في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة» (٧) ولا تدل الآية على ترك القراءة خلف الإمام
لأن هذا الإنصات المأمور به إنما هو نهي عن الكلام في الصلاة أو عن الجهر كما ذكرنا وعلى هذا فحكم الظاهر ممتثل
عند الشافعي لأن السنة عنده أن يسكت الإمام بعد فراغه من الفاتحة فيقرأ المأموم الفاتحة في حال سكتة الإمام على أن
قراءة الفاتحة مخصوصة بالسنة لقوله - ﷺ - «إذا كنتم خلفي فلا تقرأوا إلا بفاتحة الكتاب فإنه لا صلاة إلا بها» (٨)
وقوله ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ قال ابن عباس : «يعني بالذكر القراءة في الصلاة» (٩) ﴿تضرعاً وخيفة﴾ قال ابن زيد (١٠) :

(١) أخرجه الطبري في التفسير ٣٤٥/١٣ (١٥٥٨٢) وابن كثير في التفسير ٥٤١/٣. وانظر تفسير البغوي ٢٢٥/٢ والقرطبي
٢٢٥/٧.

(٢) البغوي في التفسير ٢٢٥/٢. روح المعاني ١٥٠/٩. واختلف أهل العلم في القراءة خلف الإمام في الصلاة فذهب جماعة إلى
إيجابها سواء جهر الإمام بالقراءة أو أسر. روي ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس ومعاذ، وهو قول الأوزاعي والشافعي. وذهب
قوم إلى أنه يقرأ فيما أسر الإمام فيه بالقراءة، ولا يقرأ إذا جهر. روي ذلك عن ابن عمرو وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد،
وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك وأحمد وإسحاق. وذهب قوم إلى أنه لا يقرأ سواء أسر الإمام أو جهر. يروي ذلك عن جابر
وبه قال الثوري وأصحاب الرأي، ويتمسك من لا يرى القراءة خلف الإمام بظاهر هذه الآية. ومن أوجها قال الآية في غير الفاتحة،
وإذا قرأ الفاتحة يتبع سكتات الإمام ولا ينازع الإمام في القراءة. انظر البغوي (٢٢٦/٢).

(٣) أبو منصور السواق محمد بن محمد بن عثمان البغدادي البندار، وثقه الخطيب. انظر الشذرات (٢٦٥/٢).

(٤) يفتح الحاء وكسر الفاء وفي آخرها الظاء المعجمة، هذا لقب جماعة من أئمة الحديث لحفظهم ومعرفته والذب عنه. انظر الأنساب
(١٥٤/٢).

(٥) عبد الله بن سليمان بن الأشعث: الإمام العلامة الحافظ شيخ بغداد، أبو بكر النجستاني صاحب التصانيف. ولد بسجستان في سنة
ثلاثين ومائتين صنف (السنن والمصاحف وشريعة القاريء والناسخ والمنسوخ والبعث وأشياء) انظر السير (٢٢١/١٣).

(٦) عباس بن الوليد بن مزيد العذري أبو الفضل البيروتي روى عن أبيه وعقبة بن علقمة البيروتي وعبد الحميد بن بكار وقرأ عليه القرآن
ومحمد بن شعيب بن شابور، وشعيب بن إسحاق وخلق قال النسائي ليس به بأس انظر التهذيب (١٣١/٥).

(٧) إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن عامر الأسلمي، وهو عند الطبري (٣٤٧/١٣) وذكره السيوطي في الدرر ١٥٥/٣، وزاد نسبه لابن
أبي حاتم وأبي الشيخ، وابن مردويه وابن عساکر.

(٨) بنحوه عند البيهقي في جزء القراءة (٥٤)، وأخرجه الدارقطني ١٢١، وأسانيده ضعيفة. وأخرجه البغوي في التفسير ٢٢٦/٢.

(٩) البغوي في التفسير ٢٢٦/٢، والقرطبي في التفسير ٢٢٥/٧ وذكر الشوكاني في الفتح ٨٢/٢ وعزاه لابن جرير وابن المنذر
والبيهقي.

(١٠) البغوي ٢٢٦/٢ وذكره السيوطي في الدرر ١٥٧/٣ وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ.

«يريد يتضرع إلي ويخاف مني» أمر في صلاة الإسرار أن يقرأ في نفسه وفيما يرفع فيه الصوت بالقراءة: أمر أن يقرأ دون الجهر وهو قوله: ﴿ودون الجهر من القول﴾ والمسنون دون الجهر لقوله في آية أخرى ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ الآية، وقوله ﴿بالغدو والأصالح﴾ الغدو جمع غدوة والأصالح واحدها أصلٌ وواحد الأصلُ أصيلٌ^(١) قال الزجاج: «الأصالح العشيات جمع الجمع»^(٢) قال «ابن عباس»: يريد بكرة وعشيا يعني الصلوات^(٣) قال قتادة^(٤): «أمر الله بذكره ونهى عن الغفلة» وهو قوله: ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ قوله: ﴿إن الذين عند ربك﴾ يعني الملائكة، قال الزجاج^(٥): «يعني أنهم بالقرب من رحمة الله تعالى ومن فضله» ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ أي: لا يتعظمون عن عبادته ﴿ويسبحونه﴾ يذكرونه بالتسبيح، كأنه قيل: من هو أكبر منك شأنًا أيها الإنسان لا يستكبرون عن عبادة الله وتسبيحه والصلاة له، وهو قوله ﴿وله يسجدون﴾.

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد حدثنا عبد الرحيم بن منيب نا يعلى بن عبيد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ - «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي ويقول: يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت، فلي النار» رواه مسلم^(٦) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي معاوية عن الأعمش. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الفارسي أنا محمد بن محمد إسحاق أنا محمد بن محمد بن سليمان الواسطي^(٧) نا هشام بن عمار نا هقل بن زياد^(٨) نا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة حدثني ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع النبي - ﷺ - وأتبه بوضوئه وحاجته، فقال: «سلني، فقلت: مرافقتك في الجنة، فقال: أو غير ذلك؟ فقلت هو ذلك، قال فأعني على نفسك بكثرة السجود» رواه مسلم^(٩) عن الحكم بن موسى عن هقل.

(١) قال الفراء: واحدها أصلٌ وواحد الأصلُ الأصيل. قال: يقال جئناهم مؤصلين أي عند الأصل، ويقال الأصيل مأخوذ من الأصل، واليوم بليته إنما يبدأ بالشروع من أول الليل وآخر نهار كل يوم متصل بأول ليل اليوم الثاني، فسمي آخر النهار أصيلاً لكونه ملاصقاً لما هو الأصل لليوم الثاني انظر الرازي (٨٨/١٥).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٩٨/٢، بحر العلوم آية ٢٠٦، القرطبي ٢٢٥/٧.

(٣) انظر تنوير المقباس ١٥١/٢.

(٤) معاني القرآن ٣٩٨/٢.

(٥) ذكره الشوكاني في الفتح ٢٨٢/٢ وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، روح المعاني ١٥٥/٩ وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم وإسناد المصنف رحمه الله حسن.

(٦) أخرجه مسلم ٨٧/١ في كتاب الإيمان باب بيان إطلاق اسم الكفر على تارك الصلاة ٨١/١٣٣، وأحمد في المسند ٤٤٣/٢ وابن ماجه في السنن ٣٣٤/١ في كتاب الإقامة باب سجود القرآن ١٠٥٢ وأخرجه البغوي في التفسير ٢٢٧/٢.

(٧) محمد بن محمد بن سليمان أبو بكر الباغندي الحافظ المعمر يروي عن شيبان بن فروخ وطبقته وكان مدلساً وفيه شيء. قال ابن عدي: أرجو أنه كان لا يعتمد الكذب، وقال الإسماعيلي: لا أتهمه، ولكنه خيب التذليل ومصحف أيضاً. وقال السلمي: سألت الدارقطني عن محمد بن محمد الباغندي فقال: مخلط مدلس، يكتب عن بعض أصحابه ثم يسقط بينه وبين شيخه ثلاثة وهو كثير الخطأ - رحمه الله تعالى - انظر الميزان (٢٦/٤ - ٢٧).

(٨) الهقل بن زياد بن عبيد الله، ويقال ابن عبيد السكسكي مولاهم أبو عبد الله الدمشقي كاتب الأوزاعي سكن بيروت، وهقل لقب واسمه محمد وقيل: عبد الله روى عن الأوزاعي وحريز بن عثمان، وخالد بن دريك، وبكر بن خنيس وطلحة بن عمرو والمكي، وعمر ابن قيس، وهشام بن حسان والمثنى بن الصباح، ومعاوية بن يحيى الصدفى وغيرهم. وعنه ابنه محمد والليث بن سعد وهو أكبر منه وأبو مسهر، ومروان بن محمد وخلق وهو ثقة حافظ انظر التهذيب (٦٤/١١ - ٦٥).

(٩) إسناد المصنف ضعيف لضعف محمد بن محمد الواسطي، والحديث صحيح بغير إسناد المصنف، أخرجه مسلم ٣٥٣/١ في كتاب =

أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الإسفرايني^(١) أنا أبو عبد الله بن بطة أنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حدثني إبراهيم بن هاني^(٢) نا أبو عبد الرحمن المقرئ نا ابن لهيعة حدثني الحارث بن يزيد أخبرني كثير الأعرج^(٣) قال: سمعت أبا فاطمة^(٤) يقول: قال لي رسول الله - ﷺ - «أكثر من السجود فإنه لا يسجد عبد الله سجدة إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه بها خطيئة»^(٥).

= الصلاة باب فضل السجود (٤٨٩/٢٢٦). وأخرجه أحمد في المسند ٥٩/٤ وأخرجه أبو داود ٣٥/٢ في كتاب التطوع باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل ١٣٢٠، والنسائي ٧٧/٢ في كتاب التطبيق باب فضل السجود.

(١) أحمد بن محمد بن أحمد الأسفرايني الشيخ أبو حامد شيخ طريقة العراق حافظ المذهب وإمامه جيل من جبال العلم منبع وحبر من أبحار الأمة رفيع. ولد سنة أربع وأربعين وثلاثمائة. وقدم بغداد شاباً فتفقه على الشيخين: ابن المرزبان والداركي حتى صار أحد أئمة وقته. وحدث عن عبد الله بن عدي وأبي بكر الإسماعيلي وأبي الحسن الدارقطني وإبراهيم بن محمد بن عبدك الأسفرايني وغيرهم. روى عنه سليم الرازي. توفي الشيخ أبو حامد في شوال سنة ست وأربعمائة ودفن بداره ثم نقل سنة عشرة إلى المقبرة. انظر طبقات الشافعية (٦١/٤) وما بعدها.

(٢) إبراهيم بن هاني، النيسابوري أبو إسحاق نزيل بغداد روى عن المقرئ ومحمد بن كثير المصيصي، وأبي غسان وعبيد الله بن موسى وأبي عاصم النبيل، وأبي نعيم، وعفان وسعيد بن عفير، وحجاج بن نصير ثقة صدوق. الجرح والتعديل ١٤٤/٢.

(٣) كثير بن قليب بن موهب الصدفي المصري الأعرج شهد فتح مصر. روى عن أبي فاطمة الدوسي وكان معه بذات الصواري. التهذيب (٤٢٥/٨).

(٤) أبو فاطمة الليثي، ويقال الأزدي الدوسي له صنحة قيل اسمه أنيس، وقيل عبد الله بن أنيس شهد فتح مصر وسكن الشام روى عن النبي ﷺ وعنه كثير بن قليب الصدفي، وكثير بن مرة، وأبو عبد الرحمن الحلبي، ومسلمة بن عبد الله الجهني مرسلًا. ذكره ابن السميع وأبو زرعة الدمشقي فيمن نزل الشام من الصحابة، وقال المفضل الغلابي أبو فاطمة الأزدي قبره بالشام إلى جنب قبر فضالة بن عبيد انظر التهذيب ٢٠١/١٢.

(٥) إسناده المصنف رحمه الله حسن والحديث أخرجه مسلم ٣٥٣/١ في كتاب الصلاة باب فضل السجود ٤٨٨/٢٤٥، وأخرجه أحمد ١٤٨/٥ وأخرجه الترمذي ٢٣٠/٢ في كتاب مواقيت الصلاة باب ما جاء في كثرة الركوع والسجود (٣٨٨)، وقال حسن صحيح والنسائي ٢٢٨/٢ في التطبيق باب ثواب من سجد لله، وأخرجه ابن ماجه ٤٥٧/١ في كتاب إقامة الصلاة باب في كثرة السجود.

سورة الأنفال

مدنية وآياتها خمس وسبعون

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الزعفراني (١) أنا عمرو محمد بن جعفر بن مطر نا إبراهيم بن شريك نا أحمد بن عبد الله بن يونس نا سلام بن سليم نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامه عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا له شفيع وشاهد يوم القيامة أنه بريء من النفاق وأعطي من الأجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ويرفع له عشر درجات، وكان العرش وحملته يصلون عليه أيام حياته في دار الدنيا» (٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

﴿يسألونك عن الأنفال﴾ الآية، النفل الغنيمة (٣)، وجمعه أنفال قال المفسرون: «اختلف أهل بدر في الغنائم فقال الشبان لنا الغنائم لأننا أبلينا، وقالت الأشياخ: كنا رداء (٤) لكم ولو انهزمتم لانحزمت إلينا فلا تذهبوا بها دوننا فأنزل الله هذه الآية» (٥) ومعنى يسألونك عن الأنفال أي: عن حكمها وعلمها سؤال استفتاء، قال الزجاج (٦): «إنما سألوها عنها لأنها كانت حراما على من كان قبلهم» وقال صاحب النظم: «معناه يسألونك عن الأنفال لمن هي؟ يدل على هذا قوله: ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ يحكمان فيها على ما أَرَادَا ويضعانها حيث شاءا، فلما نزلت هذه الآية قسمها رسول الله

(١) بفتح الزاي المنقوطة وسكون العين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة. انظر الأنساب ١٥٣/٣.

(٢) قال الفيروز ابادي حديث وا هي.

(٣) انظر المغرب (١١٤/٢) الصحاح (٦٣/١) المصباح (٧٤٧/٢) وانظر شرح فتح القدير (٥١٠/٥) المغني لابن قدامة (٢٢٦/٩) حاشية ابن عابدين (١٥٢/٤).

(٤) والردء: العون والنصير لسان العرب ١٦١٩/٣.

(٥) وهو عند أبي داود من حديث طويل ٧٧/٣ في الجهاد باب في النفل ٢٧٣٧، البغوي ٢/٢٢٧، القرطبي ٧/٢٢٩ البحر المحيط ٤٥٥/٤، تفسير الطبري ١٣/٣٦٤ ابن كثير ٣/٥٤٥ فتح القدير ٢/٢٨٢ الرازي ١٥/٩٣ انظر الدر المنثور ٣/١٥٨.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٩٩ الرازي ١٥/٩٣.

﴿بين أهل بدر على السواء﴾^(١) وقوله: ﴿فاتقوا الله﴾ أي بطاعته واجتناب معاصيه ﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾ أي المنازعة الواقعة بينكم في الأنفال ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ قال الزجاج^(٢): «أقبلوا ما أمرتم به في الغنائم وغيرها» ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ يعني أن الإيمان يوجب القبول من الله ورسوله وهذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فإن الله خُصَّسه للرسول﴾^(٣) الآية، وكانت الغنائم يومئذ خاصة للنبي - ﷺ - فنسخها الله بالخمس، قوله: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ تأويله: إذا ذكرت عظمة الله وقدرته وما خوف به من عصاه، فزعت قلوبهم، يقال: وجل يوجل فهو وجل إذا خاف يقول: إنما المؤمن الذي إذا خوف بالله^(٤) فرق قلبه وانقاد لأمره خوفاً من عقابه وفيه إشارة إلى إلزام أصحاب بدر بطاعة الرسول - ﷺ - فيما يرى من قسمة الغنائم، وقوله: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾ قال ابن عباس^(٥): «تصديقاً وقيناً» والمعنى أنهم يصدقون بالأولى والثانية والثالثة، وكل ما يأتي من عند الله، فيزيد تصديقهم ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ قال ابن عباس^(٦): يتقون لا يرجون غيره. ثم زاد في وصفهم فقال: ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ الآية ثم حقق لهم الإيمان فقال ﴿أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ قال ابن عباس: «برئوا من الكفر»^(٧) وقال مقاتل^(٨): «أولئك هم المؤمنون لاشك في إيمانهم كشك المنافقين» ﴿لهم درجات عند ربهم﴾ قال عطاء^(٩): «يعني درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم» ﴿ورزق كريم﴾ يعني ما أعد الله لهم في الجنة.

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿١٠﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَانَمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١١﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَدَّ بِذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿١٢﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٣﴾

قوله ﴿كما أخرجك ربك﴾ أي أمرك بالخروج ودعاك إليه ﴿من بيتك﴾ يعني المدينة ﴿بالحق﴾ أي: بالوحي ذلك أن جبريل أتاه وأمره بالخروج، قال المفسرون^(١٠): «إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بالخروج من المدينة

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣٢٢/٥ وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٥٤٨/٣) وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥٩/٣ ونسبه

لأحمد وعبد بن حميد، وابن جرير وأبي الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقي في سننه عن أبي أمامة، قال سألت عبادة بن الصامت . . . وذكره الشوكاني في فتح القدير ٢٨٣/٢ والبغوي في التفسير ٢٢٨/٢ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤٠٠/٢ . القرطبي ٢٣٢/٧ وانظر تفسير البغوي ٢٢٩/٢ .

(٣) سورة الأنفال ٤١ . (٤) الفرق الخوف لسان العرب ٣٤٠٠/٥ .

(٥) الطبري ٣٨٦/١٣ (١٥٦٨٤) الرازي ٩٦/١٥ - ٩٧/١٥ القرطبي ٢٣٣/٧ ابن كثير ٥٥١/٣ فتح القدير ٢٨٦/٢ روح المعاني

١٦٥/٩ البغوي ٢٢٩/٢، وذكره السيوطي في الدر ١٦٢/٣ وزاد نسبه لابن أبي حاتم .

(٦) البغوي ٢٢٩/٢ انظر تفسير ابن كثير ٥٥٢/٣، وانظر فتح القدير ٢٨٥/٢ وذكره السيوطي في الدر ١٦٢/٣ وعزاه لابن جرير، وابن

أبي حاتم .

(٧) البغوي ٢٢٩/٢ تفسير ابن كثير ٥٥٢/٣ فتح القدير ٢٨٦/٢ وذكره السيوطي في الدر ١٦٢/٣ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم .

تفسير ابن كثير ٥٥٣/٣ .

(٨) البغوي ٢٢٩/٢ .

(٩) البغوي ٢٢٩/٢ - ٢٣٠ .

(١٠) انظر تفسير الطبري ٣٩٥/١٣ تفسير ابن كثير ٥٥٤/٣ تفسير الرازي ١٠٢/١٥، البحر المحيط ٤٦٢/٤ تفسير البغوي ٢٣٠/٢ فتح

القدير ٢٧٨/٢ السيوطي في الدر المنثور ١٦٣/٣ .

لطلب غير قريش، وكره ذلك طائفة من المؤمنين، لأنهم علموا أنهم لا يظفرون بالغير عفواً دون قتال فذلك قوله ﴿وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون﴾ يعني كراهة الطبع التي تلحق في السفر والقتال، ومعنى الكاف في ﴿كما﴾ قال الفراء والزجاج^(١): «أي: امض لأمر الله في الغنائم كما مضيت لأمره في الخروج وهم له كارهون» قال الزجاج^(٢): «قل الأنفال لله والرسول كما أخرجك ربك من بيتك بالحق» ويكون التأويل: نفل من شئت وإن كرهوا، كما أخرجك ربك من بيتك وإن كرهوا، قوله: ﴿يجادلونك في الحق﴾ قال المفسرون: «إن رسول الله - ﷺ - وأصحابه خرجوا لطلب غير قريش، فمنعت قريش غيرها بالنفير فالتقوا وأمروا بالقتال، ولم يكونوا أعدوا له أهبة فشق ذلك عليهم، وقالوا: هلا أخبرتنا، فكنا نعد له، وجادلوه طلباً للرخصة في ترك القتال، إذ كانوا رجالاً ولم يكن فيهم إلا فارسان فخافوا»^(٣)، فذلك قوله: ﴿كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ أي لشدة كراهتهم للقتال كأنهم يساقون إلى الموت عياناً، قوله: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين﴾ يعني العير والنفير، وقال قتادة: الطائفتان إحداهما أبو سفيان أقبل بالغير من الشام والطائفة الأخرى: أبو جهل معه نفير قريش^(٤) وقوله: ﴿أنها لكم﴾ يدل على إحدى ﴿وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ أي: تودون أن الطائفة التي ليس فيها حرب ولا سلاح وهي العير تكون لكم، والمراد بالشوكة السلاح ﴿ويريد الله أن يحق الحق﴾ يظهره ويعليه^(٥) ﴿بكلماته﴾ بعداته التي سبقت من إظهار الدين وإعزازه بقوله: ﴿ليظهره على الدين كله﴾^(٦) ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ يستأصلهم حتى لا يبقى منهم أحد يعني كفار العرب ﴿ليحق الحق﴾ أي يقطع دابرهم، ليحق الحق بإظهاره وإعلانه أمره ﴿ويبطل الباطل﴾ بإهلاكه وإفناؤه على كره من المشركين وهو قوله: ﴿ولو كره المجرمون﴾.

إِذ تَسْتَعْثِنُ رَبِّكَ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ لِكُمْ أَنِّي مُّمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْتُعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾

قوله عز وجل ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ أي تطلبون منه المعونة والغوث، قال المفسرون^(٧): «تستجيرون به من عدوكم وتدعونه بالنصر عليهم».

(١) انظر معاني الفراء ٤٠٣/١ البغوي نقلاً عن المبرد ٢٣٠/٢ القرطبي ٢٣٣/٧ - ٢٣٤، فتح القدير ٢٨٧/٢ روح المعاني ١٦٩/٩.

(٢) الزجاج ٤٠٠/٨ القرطبي ٢٣٤/٧، فتح القدير ٢٨٧/٢ البحر المحيط ٤٦٢/٤.

(٣) الطبري ٣٩٥/١٣، انظر الدر المنثور ١٦٤/٣.

(٤) البغوي ٢٣٢/٢ البحر المحيط ٤٦٣/٤ والسيوطي في الدر ١٦٩/٣، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي

حاتم وأبي الشيخ عن قتادة.

(٥) في أ (ويعلنه)، وفي ب (ويغلب).

(٦) سورة التوبة: ٣٣ وسورة الفتح: ٣٨، وسورة الصف: ٩.

(٧) البحر المحيط ٤٦٥/٤ الرازي ١٠٤/١٥ - ١٠٥، انظر البغوي ٢٣٣/٢، انظر تفسير القرطبي ٢٣٥/٧ روح المعاني ١٧٣/٩.

أخبرنا سعيد بن محمد بن أحمد بن جعفر أنا أبو علي بن أبي موسى أنا إبراهيم بن عبد الله الزيني^(١) أنا بندار عمر بن يونس^(٢) نا عكرمة بن عمار^(٣) حدثني أبو زميل^(٤) حدثني عبد الله بن عباس عن عمر بن الخطاب قال: «نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فاستقبل القبلة ثم مد يده فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض فما زال يهتف بربه ماداً يديه، مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأنزل الله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ الآية» رواه مسلم^(٥) عن هناد بن السري^(٦) عن ابن المبارك عن عكرمة.

وقوله ﴿فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ متابعين بعضهم في إثر بعض وقال أبو حاتم^(٧) ومعناه بألف من الملائكة جاءوا بعد المسلمين على آثارهم، يقال: ردفه وأردفه إذا جاء بعده ومن قرأ بفتح الدال^(٨)

(١) بفتح الزاي وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وبعدها النون وفي آخرها الباء المنقوطة بواحدة هذه النسبة إلى زينب بنت سليمان بن علي وظني أنها زوجة إبراهيم الإمام أم محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي والمنسب إليها بيت قديم ببغداد: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الهاشمي الزيني الإمام يزوي عن أبي موسى الزمن روى عنه أبو علي بن حبش المقرئ. وأبو منصور محمد بن محمد بن علي بن أبي تمام الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي الزيني يروي عن عيسى بن علي الوزير توفي سنة نيف وسبعين وأربعمائة الأنساب (١٩١/٣).

(٢) عمر بن يونس بن القاسم الحنفي أبو حفص اليمامي الجرجسي، روى عن أبيه وعكرمة بن عمار وأيوب بن عتبة وأيوب بن النجار وخباب بن فضالة، وجهضم بن عبد الله وعاصم بن محمد بن زيد العمري، ويحيى بن عبد العزيز الأردني ومحمد بن عبد الله بن طاوس وملازم بن عمرو وغيرهم. روى عنه ابن ابنه أحمد بن محمد بن عمر وأبو ثور الكلبي، وعمر والناقد وخلق. وقال أحمد ثقة، ولم أسمع منه، وقال ابن معين والنسائي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (٥٠٦/٧ - ٥٠٧).

(٣) عكرمة بن عمار العجلي أبو عمار اليمامي بصري الأصل روى عن الهرماس بن زياد وله صحبة، وإياس بن سلمة بن الأكوع، وسالم بن عبد الله بن عمر، وأبي زميل سماك بن الوليد الحنفي، وضمضم بن جوس، وشداد بن عمرو وطائفة وعنه شعبة والثوري ووكيع ويحيى القطان، وابن المبارك، وابن مهدي، ويحيى بن أبي زائدة، وقراد أبو نوح وعمر بن يونس اليمامي، وعلي بن ثابت الجزري، وأبو النصر وخلق فيه ضعف انظر التهذيب (٢٦١/٧).

(٤) سماك بن الوليد الحنفي أبو زميل اليمامي سكن الكوفة، روى عن ابن عباس وابن عمر ومالك بن مرثد، وعروة بن الزبير. وعنه ابنه زميل وابن ابنه عبد ربه بن بارق وشعبة ومسلم وعكرمة بن عمار وغيرهم. قال أحمد وابن معين والعجلي ثقة، وقال أبو حاتم صدوق لا بأس به وقال النسائي ليس به بأس. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الدارقطني وقيل سماك بن زيد. وقال ابن عبد البر أجمعوا على أنه ثقة. انظر التهذيب (٢٣٥/٤ - ٢٣٦).

(٥) أخرجه مسلم (١٣٨٣/٣) في كتاب الجهاد باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ١٧٦٣/٥٨ وهو عند البخاري ٣٣٥/٧ في كتاب المغازي باب قول الله تعالى ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾.

(٦) هناد بن السري بن مصعب بن أبي بكر بن شبر بن صعفوق بن عمرو بن زرارة بن عدس بن زائدة بن عبد الله بن دارم التميمي الدارمي أبو السري الكوفي. روى عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، وهشيم وأبي بكر بن عياش، وعبد الله بن إدريس وأبي الأحوص وحفص بن غياث، ويحيى بن زكرياء بن أبي زائدة وأبي معاوية الضرير وإسماعيل بن عياش وشريك وأبي زيد عيثر بن القاسم وخلق ثقة انظر التهذيب (٧٠/١١).

(٧) محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي أبو حاتم: حافظ للحديث من أقران البخاري ومسلم. ولد في الري وإليها نسبه. وتنقل في العراق والشام ومصر وبلاد الروم وتوفي ببغداد. له طبقات التابعين وكتاب الزينة وتفسير القرآن العظيم والأعلام (٢٧/٦).

(٨) قرأ بها نافع: «مردفين» بفتح الدال مفعول بهم أي: الله أزدفهم أي: بعثهم على آثار من تقدمهم. قال أبو عبيد: تأويله أن الله تبارك وتعالى أزدف المسلمين بهم. وكان مجاهد يفسرها: مُمدِّين وهو تحقيق هذا المعنى. وقرأ =

فمعناه بألف أردف الله المسلمين بهم. قال مجاهد: الإرداف إمداد المسلمين بهم قوله تعالى: ﴿وما جعله الله﴾ الآية مفسرة في سورة آل عمران^(١) وقوله: ﴿إذ يغشاكم النعاس أمنة منه﴾ ذكرنا تفسيره عند قوله: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً﴾^(٢) الآية والمعنى أن الله أمنهم أمتاً حتى غشيهم النعاس ومن قرأ يُغشِيكُمْ أو يُغشِيكُمْ^(٣)، أسند الفعل في هذا إلى الله، وقوله: ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به﴾ قال الوالي عن ابن عباس: «إن المسلمين لما بايتوا المشركين ببدر، أصابت منهم جماعة جنابات وكان المشركون سيقوهم إلى الماء وغلبوهم عليه فساءهم عدم الماء عند حاجتهم إليه فأنزل الله تعالى مطراً سال منه الوادي، حتى اغتسلوا وتطهروا»^(٤) وقوله: ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ يعني وسوسته التي تكسب عذاب الله وذلك أن الشيطان وسوس إليهم وقال لهم: كيف ترجون الظفر وقد غلبوكم على الماء؟ وأنتم تصلون مجنبيين ومحدثين وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكم نبيه، وقوله: ﴿وليربط على قلوبكم﴾ الربط معناه الشد، يقال لكل من صبر على أمر: ربط قلبه، وعلى صلة، والمعنى: وليربط قلوبكم بما أنزل من الماء فتثبت ولا تضطرب [بوسوسة الشيطان]^(٥)، وقوله: ﴿ويثبت به الأقدام﴾ وذلك أن المسلمين كانوا قد نزلوا على كتيب تغوص فيه أرجلهم فلبده^(٦) المطر حتى تثبت عليه الأقدام ﴿إذ يوحى ربك إلى الملائكة﴾ يعني الذين أمد بهم المسلمين ﴿أنى معكم﴾ بالعون والنصرة ﴿فثبتوا الذين آمنوا﴾ قال مقاتل^(٧): يعني بشروهم بالنصر فكان الملك يسير أمام الصف في صورة الرجل ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم وقال الزجاج^(٨): جائز

= الباقون: مُردفين بكسر الدال أي: جاؤوا بعدهم على آثارهم أي: ردفوا أصحاب رسول الله ﷺ (وأردف) بمعنى ردف قال الشاعر:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنوننا

قال أبو عبيد: أراد بقوله أردفت: ردت أي: جاءت بعدها. ألا ترى أن الجوزاء تطلع بعد طلوع الثريا وعلى أثرها. وقال ابن عباس: مردفين أي: متتابعين وقال آخرون منهم أبو عمرو: مردفين: أي: أردف بعضهم بعضاً، فالإرداف أن يحمل الرجل صاحبه خلفه. تقول: ردت الرجل أي: ركبت خلفه، وأردفته إذا أركبته خلفي. وقال آخرون منهم أبو بكر بن مجاهد: مردفين أي: متقدمين لمن وراءهم، كان من يأتي بعدهم ردف لهم أي أتوا في ظهورهم. فعلى هذا الوجه لا يكون (أردف) بمعنى (ردف)، لأنهم أردفوا خلفهم. انظر حجة القراءات ٣٠٧ - ٣٠٨.

وانظر النشر ٢/ ٢٧٥ [تحاف فضلاء البشر ٧٧/٢ والبحر المحيط ٤/ ٤٦٥].

(١) انظر الآية (١٢٦).

(٢) سورة آل عمران آية ١٥٤.

(٣) قرأ أبو عمرو وابن كثير: إذ يغشاكم بالألف النعاس رفع. فعل الفعل النعاس. لأنك تقول: غشيني النعاس يغشاني وحجتهما في أن الفاعل هو النعاس قوله: أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم ألا ترى أن النعاس هو الذي يغشى فهو الفاعل والقصة واحدة، فلذلك اختاروا هذا الوجه. وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة: إذ يغشيكم بضم الياء وتشد الشين، النعاس نصب. أي الله يغشيكم النعاس. وحجتهما: أن الفعل أتى عقب ذلك مسنداً إلى الله وهو قوله (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان). فكان الأولى بما قبله أن يكون خيراً عن الله أنه هو الفاعل له ليتنظم الكلام على سياق واحد. وحجة التشديد قوله: (فَغَشَاها ما غَشَى). وقرأ أهل المدينة: (إذ يُغشِيكُمْ) بضم الياء وسكون الغين. (النعاس) نصب أي: يغشيكم الله النعاس. وحجتهما قوله: (فَأَغَشَيْنَاهُمْ فهم لا يبصرون) انظر حجة القراءات (٣٠٨) وانظر النشر ٢/ ٢٧٦ [تحاف فضلاء البشر ٧٧/٢ البحر المحيط ٤/ ٤٦٧].

(٤) البغوي ٢/ ٣٢٤، القرطبي ٧/ ٢٣٧/٧ الرازي ١٥/ ١٠٧ فتح القدير نقلاً عن الزجاج ٢/ ٢٩١، وانظر الدر المنثور ٣/ ١٧١.

(٥) سقط في ب.

(٦) أي: جعله قوياً. انظر لسان العرب ٦/ ٣٩٨٤.

(٧) البغوي ٢/ ٢٣٥ القرطبي ٢/ ٢٤٠ البحر المحيط ٤/ ٤٧٠ روح المعاني ٩/ ١٧٧، الرازي ١٥/ ١٠٩.

(٨) معاني القرآن ٢/ ٤٠٤، البحر المحيط ٤/ ٤٧٠ روح المعاني ٩/ ١٧٧.

أن يكونوا يشبثونهم بأشياء يلقونهم في قلوبهم تقوى بها وقال الحسن^(١): «فثبتوا الذين آمنوا بقتالكم المشركين» وقوله: ﴿سألني في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ قال عطاء: «يريد الخوف من أوليائي^(٢)» ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ يعني الرؤوس لأنها فوق الأعناق قال عطاء^(٣): يريد كل هامة وجمجمة وجائر أن يكون أمراً للملائكة، وهو الظاهر، قال ابن الأنباري^(٤): «إن الملائكة حين أمرت بالقتال لم تعلم أين تقصد بالضرب من الناس، فعلمهم الله تعالى أن يضربوا الرؤوس» وقوله: ﴿واضربوا منهم كل بنان﴾ قال ابن عباس وابن جريج والسدي^(٥): «يعني الأطراف من اليدين والرجلين» وقال الفراء «يعني الأيدي والأرجل^(٦)» قال ابن الأنباري^(٧): «البنان أطراف الأصابع فاكتمى الله به من جملة اليد والرجل» ﴿ذلك بأنهم﴾ أي: ذلك الضرب بأنهم ﴿شاقوا الله ورسوله﴾ قال ابن عباس^(٨): «حاربوا الله وحاربوا رسوله» والمعنى خالفوا أمر الله ورسوله ثم أوعد المخالف لهما بباقي الآية ﴿ذلكم﴾ أي ذلك الضرب ﴿فدوقوه وأن للكافرين عذاب النار﴾ وعيد للكفار بعداب النار بعدما نزل بهم من ضرب الأعناق وكل بنان.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ ٱلْأَدْبَارَ ۗ وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ ۗ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ ٱلْمَصِيرَ ۗ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَارَمَيْتُمْ وَإِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۗ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ ٱلْكَافِرِينَ ۗ

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا﴾ أي متدائنين لقتالكم، قال الليث: «الزحف» جماعة يزحفون إلى عدولهم بمرّة فهو الزحف وجمعه الزحوف».

قال الزجاج: إذا واقتموهم للقتال فلا تنهزموا^(١)، وهو قوله: ﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ أي: لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم ﴿ومن يولهم يومئذ﴾ يعني يوم لقاء الكفار ﴿دبره﴾ إلا متحرفاً لقتال﴾ أي: متعطفاً كأنه يطلب عودة يمكنه إصابتها ينحرف عن وجهه ويرى أنه منهزم، ثم يكر^(٢) ﴿أو متحيزاً﴾ أي متنعياً منضمّاً ﴿إلى فتنة﴾ جماعة من المسلمين يريدون العودة إلى القتال، [ومعنى الآية النهي عن الانهزام بين يدي الكفار إلا أن يكون متحرفاً لقتال أو

(١) البغوي ٢٣٤/٢ روح المعاني ١٧٧/٩.

(٢) البغوي في التفسير ٢٣٥/٢.

(٣) الهامة الرأس بنحوه عند الطبري ٤٣٠/٣، الرازي ١٠٩/١٥ وابن كثير في البحر المحيط ٤٧٠/٤، وانظر فتح القدير ٢٩٣/٢.

وذكره القرطبي بلفظ المصنف وعزه لابن عباس ٧/٢٤٠، وذكره الألبوسي عن عطاء ١٧٨/٩.

(٤) البغوي ٢٣٥/٢.

(٥) الطبري ٤٣٢/١٣ وابن كثير ٥٦٦/٣ والبغوي ٢٣٥/٢ الرازي ١٠٩/١٥ القرطبي ٧/٢٤٠ فتح القدير ٢٩٣/٢.

(٦) معاني القرآن للفراء ٤٠٥/١ البحر المحيط ٤٧١/٤.

(٧) البغوي ٢٣٥/٢ القرطبي ٧/٢٤٠ روح المعاني ١٧٨/٩.

(٨) بنحوه عند الرازي ١٠٩/١٥ وانظر تفسير أبي السعود ٤/١١.

(٩) البغوي ٢٣٦/٢ انظر القرطبي ٧/٢٤١. البحر المحيط ٤٧٣/٤ فتح القدير ٢٩٣/٢.

(١٠) معاني القرآن ٢/٤٠٥.

(١١) هو الرجوع انظر لسان العرب ٥/٣٨٥١.

منضماً إلى جماعة يعودون للقتال^(١) فإذا انهزم ونوى التحيز إلى فئة من المسلمين ليستعين بهم ويعود إلى القتال لم يلحقه هذا الوعيد، وهو قوله: ﴿فقد بآء بغضب من الله﴾ وأكثر المفسرين على أن هذا [الوعيد]^(٢) خاص فيمن انهزم يوم بدر ولم يكن لهم أن ينحازوا لأنه لم يكن يومئذ في الأرض فئة للمسلمين فأما بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض وهذا قول أبي سعيد الخدري وابن عباس في رواية الكلبي والحسن وقتادة والضحاك^(٣).

أخبرنا أحمد بن الحسن الخيري أنا محمد بن يعقوب بن يونس أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن أبي زياد^(٤) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى^(٥) عن ابن عمر قال: بعثنا رسول الله في سرية فلقوا العدو فحاص الناس حيصة فأتينا المدينة فتحبأنا بها وقلنا يا رسول الله نحن الفرارون قال بل أنتم العكارون وأنا فيئتكم [رواه] الثعلبي^(٦) «عن» عبد الله بن محمد الرازي^(٧) عن علي بن محمد بن عمير عن إسحاق بن إبراهيم عن هشام بن عبيد الله^(٨) عن كريب عن يزيد بن أبي زياد^(٩).

(٢) سقط في ب.

(١) سقط في أ.

(٣) الطبري ٣٤٨/١٣، تفسير ابن كثير ٥٦٩/٣ البغوي ٢٣٦/٢ - ٢٣٧، الرازي ١١١/١٥ فتح القدير ٢٩٤/٢. القرطبي ٢٤٢/٧ البحر المحیط ٤٧٤/٤، روح المعاني ١٨٢/٩، قال الألويسي في تفسيره: هذا خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به في تضاعيف القصة إظهاراً للاعتناء به وحثاً على المحافظة عليه (١٨٠/٩) وانظر تفسير أبي السعود ١٢/٤.

(٤) يزيد بن زياد، ويقال ابن أبي زياد، ويقال يزيد بن زياد بن أبي زياد المدني، مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، ويقال اسم أبي زياد مسرة ويقال إنهما اثنان، روى عن محمد بن كعب القرظي، وعبد الله بن رافع مولى أم سلمة. وعنه ابن إسحاق، ومالك وقال الترمذي: مدني روى عنه مالك وغير واحد وقال النسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات انظر التهذيب ٣٢٨/١١.

(٥) عبد الرحمن بن أبي ليلى، واسمه يسار، ويقال بلال، ويقال داود بن بلال بن بليل بن أحيحة بن الجلاح بن الحرش بن جحجبا بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن أوس الأنصاري الأوسي أبو عيسى الكوفي والد محمد ولد لست بقين من خلافة عمر، روى عن أبيه وعمر وعثمان وعلي وسعد وحذيفة ومعاذ بن جبل وعنه ابنه عيسى وابن عبد الله بن عيسى، وعمرو بن ميمون الأودي وهو أكبر منه، والشعبي وثابت البناني، والحكم بن عتيبة وحصين بن عبد الرحمن. وقال ابن أبي حاتم قلت: لأبي يصح لابن أبي ليلى سماع من عمر، قال: لا، قال أبو حاتم روى عن عبد الرحمن أنه رأى عمر، وبعض أهل العلم يدخل بينه وبين عمر البراء بن عازب، وبعضهم كعب بن عجرة، انظر التهذيب ٢٦٠/٦ - ٢٦١.

(٦) إسناده المصنف ضعيف، وعلمه عبد الله بن محمد الرازي والحديث صحيح من غير طريق المصنف، أخرجه أحمد ٧٠/٢، ٨٦/٢، ١٠٠، ١١١ وأخرجه أبو داود ٤٦٦/٣ في كتاب الجهاد باب في التولي يوم الزحف ٢٦٤٧ وأخرجه الترمذي (١٨٦/٤) في كتاب الجهاد باب الفرار من الزحف (١٧١٦) وقال حديث حسن. وذكره ابن كثير ٥٦٧/٣ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، قال ابن كثير قال أهل العلم العكارون أي: المطافون، قلت: والعكار الذي يفر إلى إمامه لينصره ليس يريد الفرار من الزحف. انظر لسان العرب ٣٠٥٥/٤ وذكره السيوطي في الدرر ١٧٤/٣ وزاد نسبه لسعيد بن منصور وابن سعد وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبخاري في الأدب المفرد، وابن المنذر والنحاس وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان.

(٧) عبد الله بن داهر بن يحيى بن داهر الرازي، أبو سليمان المعروف بالأحمري عن أبيه وعنه أحمد بن أبي خيثمة. قال أحمد ويحيى: ليس بشيء. قال: وما يكتب حديثه إنسان فيه خير. وقال العجلي: رافضي خبيث. وقيل: اسمه عبد الله بن محمد. انظر الميزان ٤١٦/٢.

(٨) هشام بن عبيد الله الرازي البيتي بكسر السين المهملة. روى عن بسر بن سليمان، وعنبسة بن الأزهر، وعبد الوارث بن سعيد، ومالك وعبد العزيز بن المختار، والليث، وحماد بن زيد، وأبي عوانة وغيرهم. روى عنه بقية بن الوليد، وهو أكبر منه والحسن بن عروة، وأحمد بن أيوب المرادي وطائفة انظر التهذيب (٤٧/١١).

(٩) سقط في ب، ج.

وذهب قوم إلى أن الفرار من الزحف من الكبائر وأن من فر من الزحف إذا لم يزيدوا على ضعف المسلمين لحق الوعيد. وقوله: ﴿وماواه جهنم﴾ لا يدل على التخليد ومعناه: أن مرجعه إليها إلى وقت الرحمة والشفاعة، قوله تعالى ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ قال الكلبي: بالملائكة جبريل ومن معه^(١) وقال أهل المعاني: «لأن الله تعالى تولى نصرهم بأن شجع قلوبهم وألقى الرعب في قلوب المشركين^(٢)»، ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ قال المفسرون^(٣) «إن جبريل قال للنبي - ﷺ - يوم بدر: خذ قبضة من تراب فارمهم بها فخرج رسول الله - ﷺ - من العرش فأخذ قبضة من حصبة الوادي فرمى بها في وجه القوم وقال: شأته الوجوه فلم يبق مشرك إلا دخل عينه منها شي وشغل بعينه فكان ذلك سبب هزيمتهم» قال الزجاج^(٤): «أعلم الله تعالى أن كفأ من حصباء لا يملأ عيون ذلك الجيش الكبير برمية بشر وأنه تعالى تولى إيصال ذلك إلى أبصارهم فقال: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ ووليلى المؤمنين منه بلاء حسناً» ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والأجر والمشوبة ﴿إن الله سميع﴾ لدعائكهم ﴿عليم﴾ بنياتكم» قوله ﴿ذلكم﴾ أي: الأمر ذلكم الذي ذكرت ﴿وأن الله موهن كيد الكافرين﴾ بإلقاء الرعب في قلوبهم، وتفريق كلمتهم قال ابن عباس: «يقول: إني قد أوهنت كيد عدوكم حتى قتلت جابرتهم وأسرت أشرافهم^(٥)»

إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا وَلَنْ نُعْنِيَنَّ عَنْكُمْ فَمَنْكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

قوله: ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾ قال ابن عباس^(١): «إن أبا جهل قال يوم بدر قبل القتال: اللهم أنصر أفضل الفريقين، وأكرم الدينين، وأرضاهما عندك فنزلت هذه الآية» قال عبد الله بن ثعلبة: «كان المستفتح أبا جهل، وإنه قال حين التقى القوم: اللهم أينما كان أقطع للرحم وأتانا بما لا يعرف، فافتتح عليه الغداة فأنزل الله تعالى: ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾^(٢) إن تستنصروا لأهدى الفتيتين فقد جاءكم النصر» وهذا قول الحسن ومجاهد والسدي والضحاك

(١) بنحوه عند البغوي ٢/٢٣٧، والقرطبي ٧/٢٤٤.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٠٦، وانظر تفسير الرازي ١٥/١١٢.

(٣) الطبري ١٣/٤٤٥ (١٥٨٢٧)، وابن كثير ٣/٥٧١ والرازي في التفسير ١٥/١١٢، وبنحوه عند مسلم ٣/١٣٩٨ في كتاب الجهاد باب في غزوة حنين، وانظر تفسير أبي السعود ٤/١٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٠٧ البغوي ٢/٢٣٨.

(٥) ذكره الرازي في التفسير ١٥/١١٤. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: (مُوَهَّن) بالتشديد كيد نصب من وَهَّنَ يُوَهِّنُ مثل قَتَلَ يُقْتَلُ.

وحجتهم في ذلك أن التشديد إنما وقع لتكرر الفعل، وذلك ما ذكره الله من تثبيت أقدام المؤمنين بالغيث، وربطه على قلوبهم وتقليله إياهم في أعينهم عند القتال، ذلك منه شيء بعد شيء، وحال بعد حال في وقت بعد وقت، فكان الأولى بالفعل أن يشدد لتردد هذه الأفعال فكانه أوقع الوهن بكيد الكافرين مرة بعد مرة فوجب أن يقال: موهن لهذه الغلة. وقرأ أهل الكوفة وأهل الشام موهن بإسكان الواو من أوهن يُوَهِّنُ فهو موهن مثل أَيْقَنَ يُوقِنُ فهو موقن وهما لغتان مثل كرم وأكرم وكلهم ينصبون (كيد) وينونون (موهن). إلا حفصاً عن عاصم فإنه أضافه فقرأ: (موهن كيد). ومثله بالغ أمره. فمن نون أراد الحال والاستقبال كقولك: الأمير خارج الآن أو غداً، ومن لم ينون جاز أن يريد الماضي والاستقبال. انظر الحجة ٣٠٩ - ٣١٠، وانظر النشر ٢/٢٧٦ إتحاف فضلاء البشر ٧٨/٢.

(٦) الطبري ١٣/٤٥٣، القرطبي ٧/٢٤٥ البغوي ٢/٢٣٩، الرازي ١٥/١١٤.

(٧) أخرجه الطبري ١٣/٤٥٣، ٤٥٤ (١٥٨٤٦)، وابن كثير ٣/٥٧٢، وأخرجه النسائي ١/٥١٨ والحاكم في المستدرک ٢/٣٢٨، والبيهقي في الدلائل ٣/٧٤ وأحمد ٥/٤٣١.

وقوله ﴿وإن تنتهوا﴾ أي عن الشرك بالله ﴿فهو خير لكم وإن تعودوا﴾ لقتال محمد ﴿نعد﴾ عليكم بالقتل والهزيمة ﴿ولن تغني عنكم فتكم﴾ جماعتكم ﴿شيثاً ولو كثرت﴾ في العدد ﴿وإن الله مع المؤمنين﴾ بالعون والنصر، فمن كسر^(١) إن فهو منقطع عما قبله، ومن فتح كان وجهه: ولأن الله مع المؤمنين أي لذلك لن تغني عنكم فتكم شيثاً.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

قوله: ﴿يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه﴾ ولا تعرضوا عنه ﴿وأنتم تسمعون﴾ موعظتي وما أعددت لأولياتي وأعدائي من الثواب والعقاب وقال ابن عباس^(٢): لا تولوا عن رسول الله ﷺ وأنتم تسمعون ما نزل من القرآن».

﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ [قال ابن عباس^(٣): يعني اليهود قريظة والنضير قال الزجاج^(٤): «معنى قوله ﴿سمعنا وهم لا يسمعون﴾^(٥) أنهم سمعوا سماع عداوة وبغضاء فلم يتفقهوا^(٦) ولم يتفكروا^(٧) فيما سمعوا فكانوا بمنزلة من لم يسمع» وقال مقاتل^(٨): «يعني المنافقين الذين يقولون سمعنا سماع قابل وليسوا كذلك» قوله: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم﴾ قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل^(٩): «يريد نقرأ من بني عبد الدار كانوا صماً عن الحق فلا يسمعون بكماً عن التكلم به» فكل ما دب على الأرض فهو من جملة الدواب بين الله تعالى أن هؤلاء الكفار شر ما دب على وجه الأرض من الحيوان، وقوله: ﴿الذين لا يعقلون﴾ أي الذين لا يقبلون القرآن ولا يعقلون الموعظة، قوله: ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾ لو علم أنهم يصلحون بما يورده عليهم من حججه وآياته

= ذكره السيوطي في الدر ٣/١٧٥، وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد، والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ وابن مردويه وابن منده، والحاكم وصححه، وألبهقي في الدلائل. وانظر الشوكاني في الفتح ٢/٢٩٧، البغوي ٢/٢٣٨، وانظر القرطبي ٧/٢٤٥ الرازي ١٥/١١٤.

(١) قرأ نافع وابن عامر وحفص: ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين بفتح الألف أي: ولأن الله مع المؤمنين، فلما حذفت اللام جعلت أن في محل النصب كأنه قال: ولن تغني عنكم فتكم لكثرتها، لأن الله مع المؤمنين. وحجتهم في ذلك أنها مردودة على قوله قبلها: (وأن الكافرين) وأن الله موهن (وأن الله مع المؤمنين) فيكون الكلام واحداً يتبع بعضه بعضاً. انظر الحجة ٣١٠، وانظر النشر ٢/٢٧٦ إتحاف فضلاء البشر ٢/٧٨، البحر المحيط ٤/٤٧٩.

(٢) البغوي ٢/٢٤٠.

(٣) أبو حيان في البحر المحيط ٤/٤٧٩ القرطبي ٧/٢٤٦ فتح القدير ٢/٢٩٨.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٠٨.

(٥) ما بين المعقوفين سقط في ج.

(٦) في أ (فلم يتهموا)، وفي ج (فلم يتفهموا).

(٧) في ب، ج (ولم يتذكروا).

(٨) انظر تفسير الطبري ١٣/٤٥٨، ابن كثير، البحر المحيط ٤/٤٨٠ القرطبي ٧/٢٤٦.

(٩) البغوي ٢/٢٤٠، الطبري ١٣/٤٦٠ - ٤٦١، ابن كثير ٣/٥٧٤ البحر المحيط ٤/٤٨٠، القرطبي ٧/٢٤٦، والسيوطي في الدر ٢/١٧٦، وفتح القدير ٢/٢٩٨.

لأسمعهم إياها سماع تفهم وتعليم ﴿ولو أسمعهم﴾ بعد أن علم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك، و﴿لتولوا وهم معرضون﴾ لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَخطفَكُمُ النَّاسُ فَيَأْخُذُوا بِكُمْ وَبِصْرِهِ وَرَزَقِكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾

قوله: ﴿يا أيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول﴾ أجيبوهما بالطاعة ﴿إذا دعاكم﴾ الرسول ﴿لما يحييكم﴾ قال السدي^(١): «هو الإيمان وهو حياة القلب، والكفر موته» وقال قتادة^(٢): «يعني القرآن وفيه الحياة والنجاة والعصمة والقرآن سبب الحياة بالعلم» والأكثرون على أن معنى قوله: ﴿لما يحييكم﴾ الجهاد قال الفراء إذا دعاكم إلى إحياء أمركم بالجهاد لأن أمرهم إنما يقوى به^(٣) وقال الزجاج^(٤): أي لما يكون سبباً للحياة الدائمة في نعيم الآخرة وهو الجهاد وقال ابن قتيبة^(٥): «يعني الشهادة لأن الشهداء أحياء عند ربهم وسبب الشهادة الجهاد» وقوله: ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان وهذا قول ابن عباس وسعد بن جبير وعطاء^(٦) وقال السدي^(٧): «يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر إلا بإذنه» وقوله: ﴿وأنه إليه تحشرون﴾ أي: للجزاء على الأعمال، قوله: ﴿واتقوا فتنة﴾ قال الزبير بن العوام^(٨): «نزلت هذه الآية ونحن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وما أرانا من أهلها، وإذا نحن المعنيون بها» يعني ما كان يوم الجمل، قال السدي ومقاتل والضحاك والحسن وقاتدة^(٩): «هذا في قوم مخصوصين من أصحاب

(١) الطبري ٤٦٤/١٣ و(١٥٨٦٧)، البغوي ٢/٢٤٠، الرازي ١٥/١١٨، وابن كثير ٣/٥٧٥.

(٢) الطبري ٤٦٤/١٣ - ٤٦٥ (١٥٨٧٢)، البغوي ٢/٢٤٠، الرازي (١١٨/١٥) وابن كثير ٣/٥٧٥ القرطبي ٧/٢٤٧، وذكره السيوطي في الدرر ٣/١٧٦، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر. وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد، وانظر فتح القدير ٢/٢٩٩.

(٣) معاني القرآن للفراء ١/٤٠٧، وانظر الرازي ١٥/١١٩، الطبري ١٣/٤٦٥ سيرة ابن هشام ١/٦٦٩، البغوي ٢/٢٤٠ القرطبي ٩/٢٤٧ البحر المحيط ٤/٤٨١ انظر روح المعاني ٩/١٩٠، فتح القدير ٢/٢٩٩ أبو السعود ٤/١٦.

(٤) معاني القرآن للزجاج، وانظر المصادر السابقة.

(٥) انظر تفسير البغوي ٢/٢٤٠ البحر المحيط ٤/٤٨١ الرازي ١٥/١١٨ روح المعاني ٩/١٩٠.

(٦) أخرجه الطبري ١٣/٤٦٨ (١٥٨٨١)، والبغوي ٢/٢٤١، وابن كثير ٣/٥٧٥، وأخرجه الحاكم موقفاً ٢/٣٢٨ وصححه ووافقه الذهبي وعزاه ابن كثير لابن مردويه من وجه آخر مرفوعاً، وقال: ولا يصح لضعف إسناده، والموقوف أصح وذكره أبو حيان في البحر ٤/٤٨١، والقرطبي ٧/٢٤٠٧ فتح القدير ٢/٣٠٠.

(٧) أخرجه الطبري ١٣/٤٧١ (١٥٩٠١) البغوي ٢/٢٤١ وابن كثير في التفسير ٣/٥٧٥ أبو حيان في البحر ٤/٤٨١، القرطبي ٧/٢٤٨.

(٨) أخرجه الطبري ١٣/٤٧٣، ٤٧٤، (١٥٩٠٣) (١٥٩٠٦) وابن كثير في التفسير ٣/٥٧٨ وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب ٣/٣٣٦ وضعفه البوصيري، وانظر فتح القدير ٢/٣٠٠.

وذكره البغوي في التفسير ٢/٢٤١ والرازي في التفسير ١٥/١٢٠ وانظر البحر المحيط ٤/٤٨٣.

(٩) البغوي ٢/٢٤١ انظر تفسير ابن كثير ٣/٥٧٨ القرطبي ٧/٢٤٨ وانظر تفسير الطبري ١٣/٤٧٤ فتح القدير ٢/٣٠٠.

محمد - ﷺ - أصابتهم الفتنة يوم الجمل» أمر الله تعالى باتقاء الفتنة التي تتعدى المظالم، فتصيب الصالح والطالح جميعاً، ولا تقتصر على الذين ظلموا دون غيرهم قال الكلبي (١) : تصيب الظالم والمظلوم ولا تكون للظلمة وحدهم خاصة دون غيرهم ولكنها عامة وقال ابن زيد (٢) أراد بالفتنة افتراق الكلمة، ومخالفة بعضهم بعضاً، قوله: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل﴾ قال المفسرون (٣) : يعني النبي - ﷺ - ومن معه [حين] (٤) كانوا بمكة في ابتداء الإسلام قبل الهجرة مستضعفين ﴿في الأرض﴾ قال ابن عباس (٥) : «في أرض مكة» ﴿تخافون﴾ إن خرجتم منها ﴿أن يتخطفكم الناس﴾ يستلبكم المشركون من العرب ﴿فأواكم﴾ يعني جعل لكم مأوى ترجعون إليه، يعني المدينة دار الهجرة ﴿وأيدكم بنصره﴾ وقواكم بالأنصار وقال الكلبي (٦) : «يعني يوم بدر قواكم بالملائكة ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ أحل لكم الغنائم ولم تحل لأحد قبلكم» والمعنى: قابلوا حالكم التي أنتم عليها الآن بتلك الحالة المتقدمة ليتبين لكم موضع النعمة، وتشكروا عليه، وهو قوله: ﴿لعلكم تشكرون﴾.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا ءَمَلْتُمْ وَأُولَئِكَمُ فَتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

قوله: ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تخونوا الله والرسول﴾ نزلت الآية في «أبي لبابة [ابن عبد المنذر]» (٧) حين بعثه رسول الله - ﷺ - إلى قريظة لما حاصروهم وكان أهله وولده فيهم فقالوا يا أبا لبابة ما ترى لنا؟ أنزل على حكم سعد فينا؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه أي: إنه الذبح فلا فعلوا فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله - قال أبو لبابة: «ما زلت قدماي من مكاني حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله» (٨) وقوله: ﴿وتخونوا أماناتكم﴾ عطف على النهي، المعنى: ولا تخونوا أماناتكم قال ابن عباس في رواية الوالبي: «الأمانات الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد» (٩) يقول: لا تنقصوها، يقول الكلبي: «أما خيانة الله ورسوله فعصيتهما وأما خيانة الأمانة فكل أحد مؤتمن على ما افترض الله عليه، إن شاء خانها وإن شاء أداها» (١٠) لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى» وقوله: ﴿وأنتم

(١) البغوي ٢/٢٤١، فتح القدير ٢/٢٩٩.

(٢) البغوي ٢/٢٤١، روح المعاني ٩/١٩٢ أبو السعود ٤/١٦.

(٣) البغوي ٢/٢٤٢، الرازي ١٥/١٢١ فتح القدير ٢/٣٠١، القرطبي ٧/٢٥٠ أبو السعود ٤/١٧.

(٤) سقط في ب.

(٥) انظر المصادر السابقة.

(٦) البغوي ٢/٢٤٢ القرطبي ٧/٢٥٠ أبو حيان في البحر ٤/٤٨٥، روح المعاني ٩/١٩٥، وانظر تفسير الرازي ٧/١٢١،

والشوكاني في فتح القدير ٢/٣٠١.

(٧) سقط في ب، ج.

(٨) أخرجه الطبري في التفسير ١٣/٤٨١ - ٤٨٢ (١٥٩٢٣) سيرة ابن هشام ٢/٢٣٦ و ٢٣٧ أسد الغابة ٥/٢٨٤، ٢٨٥ الإصابة

للحافظ ابن حجر ٤/١٦٧، تفسير ابن كثير ٣/٥٨١ والبغوي في التفسير ٢/٢٤٢، وأبو حيان في البحر ٤/٤٨٦، والقرطبي في

التفسير ٧/٢٥٠ تفسير الرازي ١٥/١٢١ تفسير أبو السعود ٤/١٧ فتح القدير ٢/٣٠٢، وذكره السيوطي في الدر ٣/١٧٨ وزاد

نسبته لسعيد.

(٩) أخرجه الطبري ١٣/٤٨٥ (١٥٩٣١)، وابن كثير في التفسير ٣/٥٨٢ البغوي ٢/٢٤٣ القرطبي ٧/٢٥١ وروح المعاني ٢/١٩٦.

(١٠) بنحوه في البحر ٤/٤٨٦، وانظر فتح القدير ٢/٣٠٢.

تعلمون ﴿أي: تعلمون﴾^(١) أنها أمانة من غير شبهة وقال صاحب النظم: «أنتم تعلمون أن ما فعلتم من الإشارة إلى الخلق خيانة لله ورسوله» وقوله: ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ أي: محنة يظهر بها ما في النفس من اتباع الهوى أو تجنبه وكان لأبي لبابة^(٢) مال وولد وأهل في قريظة لذلك مال إليهم في إطلاعهم على أن حكم سعد فيها القتل، وقوله ﴿وأن الله عنده أجر عظيم﴾ قال ابن عباس^(٣): «يريد لمن نصح لله ولرسوله وأدى أمانته» وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ إن تقوه باجتناب المعاصي^(٤) ﴿يجعل لكم فرقاناً﴾ بين حقاك وباطل من يبيغكم سوء من أعدائكم^(٥) بنصره إياكم عليهم وهذا قول «مقاتل» وقال عكرمة والسدي^(٦) فرقاناً نجاة يعني أن الله يفرق بينكم وبين من تخافون، فتنجون والفرقان مصدر لفرق ﴿ويكفر عنكم سيئاتكم﴾ يمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ أي: أنه يملك الفضل العظيم فاستفوا بالطلب من عنده دون غيره.

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴿٣٠﴾

قوله: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة^(٧) إن مشركي قريش تأمروا في دار الندوة في مكة بالنبي ﷺ فقال بعضهم: قيدوه تربص به ريب المنون وقال بعضهم: أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه وقال أبو جهل ما هذا برأي ولكن اقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربون بأسياهم ضربة رجل واحد فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل فاقوى بنو هاشم على حرب قريش كلها فيرضون بأخذ الدية فأوحى الله عز وجل إلى نبيه ﷺ بذلك وأمره بالخروج إلى المدينة فخرج إلى الغار^(٨) فذلك قوله: ﴿ليثبوتك﴾ أي: ليوثقوك ويشدوك وكل من شد فقد أثبت لأنه لا يقدر على الحركة في الذهاب والمجيء وقال السدي: ليحبسوك في بيت^(٩) ﴿أو يقتلوك﴾ كما قال اللعين أبو جهل ﴿أو يخرجوك﴾ من مكة إلى طرف من أطراف الأرض ﴿ويمكرون ويمكر الله﴾ قال الزجاج: «ومكر الله بهم إنما هو مجازاً ونصر للمؤمنين^(١٠)» ﴿والله خير الماكرين﴾ لأنه أهلك هؤلاء الذين دبروا لنبيه الكيد وخلصه منهم وذكرنا معنى هذا عند قوله: ﴿ومكروا ومكر الله﴾^(١١) الآية.

(١) سقط في ب.

(٢) انظر مسند الإمام أحمد ٤٥٢/٣، ٤٥٣، ٥٠٢.

(٣) ذكره البغوي في التفسير ٢٤٣/٢.

(٤) في أ، ج (الخيانة).

(٥) بنحوه عند البغوي ٢٤٣/٢ عن أبي إسحاق.

(٦) الطبري ٤٨٨/٣، تفسير ابن كثير ٥٨٣/٣، البغوي ٢٤٣/٢ القرطبي في التفسير ٢٥٢/٧، وأبو حيان في البحر ٤٨٦/٣ وذكره

الشوكاني في فتح القدير ٣٠٣/٢، وعزه لابن جرير.

(٧) أخرجه الطبري في التفسير ٤٩٤/١٣ (١٥٩٦٥)، وابن كثير ٥٨٥/٣، وابن إسحاق كذا في سيرة ابن هشام ٤٨٠/١ - ٤٨٣ وذكره

الشوكاني في فتح القدير ٣٠٤/٢ والرازي في التفسير ١٢٤/١٥ والبغوي في التفسير ٢٤٣/٢ وأبو السعود في التفسير ١٨/٤،

وأبو حيان في البحر ٤٨٧/٤.

(٨) انظر المصادر السابقة.

(٩) القرطبي ٢٥٢/٧، البغوي ٢٤٤/٢، الرازي ١٢٥/١٥، روح المعاني ١٩٧/٩.

(١٠) معاني القرآن للزجاج ٤١٠/٢، وانظر روح المعاني ١٩٨/٩، وانظر فتح القدير ٣٠٣/٢.

(١١) سورة آل عمران ٥٤.

وَإِذْ أُنزِلَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾

قوله: ﴿وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ الآية، قال «المفسرون»: كان النضر بن الحارث خرج إلى الحيرة^(١) تاجراً فاشترى أحاديث كليله ودمنة^(٢) وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين وهو منهم فقرأ عليهم فلما قص رسول الله ﷺ شأن القرون الماضية قال النضر: لو شئت لقلت مثل هذا، إن هذا إلا ما سطر الأولون في كتبهم [فدمهم الله تعالى]^(٣) بدفعهم الحق كذباً وافتراء وادعائهم الباطل بعد ما أبان التحدي فكهم وأنهم عجزوا عن إتيان^(٤) سورة مثله، وذكرنا معنى الأساطير في سورة الأنعام^(٥).

وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا لِمَا كُنَّا نَسْتَكْبِرُ فَاتْمُرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ارْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِمُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا لِمَا كُنَّا نَسْتَكْبِرُ﴾ الآية، قال النضر بن الحارث^(١): اللهم إن كان هذا الذي يقوله محمد حقاً من عندك ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ كما أمطرتها على قوم لوط ﴿أَوْ ارْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي ببعض ما عذبت به الأمم وإنما قالوا هذا لشبهة تمكنت من نفوسهم ولو عرفوا بطلان ما هم عليه ما قالوا مثل هذا القول مع علمهم بأن الله قادر على ذلك، فطلبوا إمطار الحجارة من السماء إعلاماً أنهم في غاية الثقة في أن أمر محمد ليس بحق وإذا لم يكن حقاً لم يصبهم هذا البلاء الذي طلبوه من عند أنفسهم، لأنهم شرطوا كونه حقاً.

أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المقرئ أنا عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى^(٧) أنا الحسن بن

(١) البغوي ٢/٢٤٥، ابن كثير ٣/٥٨٧، القرطبي ٧/٢٥٢، الرازي ١٥/١٢٦.

(٢) بالكسر ثم السكون وراء مدينة كانت على ثلاث أميال من الكوفة على النجف مرصد الاطلاع ١/٤٤١.

(٣) سقط في أ، ب.

(٤) في أ، ب (عن سورة).

(٥) انظر الآية رقم ٢٥.

(٦) الطبري ١٣/٥٠٦، البغوي ٢/٢٤٥، الرازي ١٥/١٢٦، القرطبي ٧/٢٥٢، ابن كثير ٣/٥٨٩، البحر المحيط ٤/٤٨٨، أبو

السعود ٤/١٩، روح المعاني ٩/١٩٩ الدر المنثور ٣/١٨٠، واختلف أهل العلم فيمن قال هذه المقالة وسيحكي ذلك المصنف

رحمه الله، فقال مجاهد وابن جبير: قاتل هذا هو النضر بن الحارث، وقال أنس بن مالك رضي الله عنه قاتله أبو جهل. وهو

مروي عند البخاري ومسلم، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

قال الحافظ ابن حجر ولا ينافي نسبة القول إلى النضر بن الحارث ما في الصحيح لاحتمال أن يكونا قلاه، ولكن نسبه إلى أبي

جهل أولى. وانظر الدر المنثور ٣/١٨٠، وانظر البغوي ٢/٢٤٥. انظر المصادر السابقة.

(٧) عبد الرحمن بن إبراهيم المزكي. سمع أبا حامد بن الشريقي، وأبا حامد بن بلال، ومحمد بن الحسين القطان، وإسماعيل الصفار،

ومحمد بن عمر بن حفص، والأصم. وخرجت له العوالي. قال الحاكم: كان من عقلاء الرجال والعباد وثقة الخطيب انظر السير

محمد بن إسحاق نا محمد بن زكريا الغلابي نا العباس بن بكار نا عامر بن عبد الله عن أبي الزناد قال: «قال معاوية لرجل من أهل اليمن أجهل قومك حيث قالوا: ﴿ربنا باعد بين أسفارنا﴾^(١) وحيث ملكوا أمرهم امرأة^(٢) فقال: أجهل من قومي قومك، حيث قالوا حين دعاهم النبي ﷺ: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ ألا قالوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فأهدنا له^(٣)؟ وجميع المفسرين على أن هذا من قول النضر بن الحارث^(٤) وروي في الصحيحين أن هذا من قول أبي جهل لعنه الله.

أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر أنا محمد بن عبد الله بن الحاكم الحافظ^(٥) نا محمد بن يعقوب الشيباني نا أحمد بن النضر بن عبد الوهاب^(٦) نا عبيد الله بن معاذ^(٧) نا أبي^(٨) نا شعبة عن عبد الحميد صاحب الزيادي^(٩) سمع أنس بن مالك يقول: قال أبو جهل: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من

(١) سورة سبأ (١٩).

(٢) وهي بلقيس.

(٣) إسناده واه، فيه محمد بن زكريا الغلابي البصري الأبخاري أبو جعفر، قال الذهبي ضعيف وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن منده تكلم فيه، وقال الدارقطني: يضع الحديث، الميزان ٥٥٠/٣ (٧٥٣٧) والعباس الضبي قال الدارقطني كذاب، وقال العقيلي الغالب على حديثه الوهم والمناكير الميزان ٣٨٢/٢، والأثر ذكره أبو حبان في البحر المحيط ٤٨٩/٤.

(٤) تقدم.

(٥) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الضبي النيسابوري الحاكم، ويعرف أيضاً بابن البيع بكسر الباء المشددة صاحب المستدرک وتاريخ نيسابور وفضائل الشافعي وغيرها. كان فقيهاً حافظاً ثقة حجة، انتهت إليه رئاسة أهل الحديث حتى حدث الأئمة عنه في حياته. ولد سنة إحدى وعشرين وثلثمائة وأول سماعه سنة ثلاثين، وشرع في التصنيف سنة سبع وثلاثين وبلغت مصنفاته قريباً من ألف جزء حديثية ثم أطلب عبد الغافر في مدحه إلى أن قال: مضى إلى رحمة الله تعالى، ولم يخلف بعده مثله، في ثامن صفر سنة خمس وأربعمائة، وقد ترجمه الحافظ أبو موسى المدني في مصنف مفرد. طبقات الشافعية للأسنوي (١٩٥/١) وفيات الأعيان (١٩٣/٤).

(٦) أحمد بن النضر بن عبد الوهاب النيسابوري أبو الفضل. روى عن هذبة بن خالد، وأبي مصعب، وابن أبي عمرو، وعبيد الله بن معاذ العبيري وغيرهم. روى عنه البخاري في تفسير سورة الأنفال، ولم ينسبه، وأبو عبد الله بن الأخرم، وأبو زكريا العبيري وغيرهم. قال الحاكم: هو أحد أركان الحديث. كان البخاري إذا ورد نيسابور ينزل عند الأخوين محمد وأحمد ابني النضر، وقد روى عنهما في الجامع وإسنادهما واحد. انظر التهذيب (٨٧/١ - ٨٨).

(٧) عبيد الله بن معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان بن الحر بن مالك بن الخشخاش العبيري أبو عمرو البصري الحافظ. روى عن أبيه وأخيه المثنى، ومعتز بن سليمان، ويحيى القطان وبشر بن المفضل، وخالد بن الحارث ووكيع وغيرهم. وعنه مسلم، وأبو داود وخلق ووثقه أبو حاتم انظر التهذيب (٤٨/٧).

(٨) معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان بن الحارث بن مالك بن الخشخاش العبيري أبو المثنى التميمي الحافظ البصري قاضياً. روى عن سليمان التيمي، وهيد الطويل وابن عون وأبي نونس حاتم بن أبي صغيرة وبهز بن حكيم، وعاصم بن محمد بن زيد وعمران بن حدير، وعوف الأعرابي وفرج بن فضالة، وقرّة بن خالد، وكهمس بن الحسن، ومحمد بن عمرو بن علقمة وورقاء بن عمرو وسعيد بن أبي عروبة، وشعبة وعبيد الله بن الحسن العبيري وغيرهم. وعنه ابنه عبيد الله والمثنى وعبد الرحمن بن أبي الزناد، وهو من أقرانه، وأحمد وإسحاق وأبو خيثمة، ويحيى بن معين وخلق قال ابن سعد: كان ثقة، ولي قضاء البصرة لهارون، ثم عزل. وتوفي في ربيع الآخر. انظر التهذيب ١٩٤/١٠ - ١٩٥.

(٩) عبد الحميد بن دينار، وهو ابن كرديد وقيل: ابن واصل البصري صاحب الزيادي ومنهم من جعلهما اثنين. روى عن أنس وأبي رجاء العطاردي، وثابت البناني والحسن البصري وأبي الوليد عبد الله بن الحارث البصري وغيرهم. وعنه شعبة ومهدي بن ميمون، وحماد بن زيد وإسماعيل بن عليّة وغيرهم، قال أحمد وابن معين ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (١١٤/٦).

السماء أو اثنتا بعداب أليم ﴿ فنزلت: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ رواه البخاري (١) عن أحمد بن النضر ورواه مسلم (٢) عن عبيد الله بن معاذ.

قال المفسرون (٣): «ما كان الله ليعذب هؤلاء المشركين وأنت فيهم مقيم بين أظهرهم» قال ابن عباس (٤): «لم تعذب قرية حتى يخرج النبي منها والذين آمنوا ويلحق بحيث أمر» ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ وما كان الله معذب هؤلاء الكفار وفيهم المؤمنون يستغفرون قال ابن عباس (٥): «وهم يستغفرون يعني المؤمنين» قال ابن الأنباري (٦): «وما كان الله معذبهم﴾ والمؤمنون بين أظهرهم يستغفرون فأوقع العموم على الخصوص ووصفوا بصفة بعضهم وقال ابن عباس (٧) في رواية الوالي وعطاء: وهم يستغفرون أي وفيهم من قد سبق لهم من الله الدخول في الإيمان يريد إن كان معهم قوم كان في علم الله أن يسلموا منهم أبو سفيان بن حرب أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب (٨) والحارث بن هشام (٩) وحكيم بن حزام (١٠) وهذا القول اختيار الزجاج (١١) قال: «وما كان الله معذبهم وفيهم من يؤول أمره

(١) في كتاب التفسير باب قوله: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) (٤٦٤٩).

(٢) في كتاب صفات المنافقين باب في قوله (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) (٢٧٩٦/٣٧). ابن كثير ٥٩٠/٣.

(٣) الطبري ٥٠٩/١٣، البغوي ٢٤٦/٢، السيوطي في الدر المنثور ١٨١/٣.

(٤) البغوي ٢٤٦/٢ القرطبي ٢٥٣/٧، انظر فتح القدير ٣٠٤/٢.

(٥) الطبري ٥١٦/١٣، البغوي ٢٤٦/٢ البحر المحيط (٤٩٠/٤) ابن كثير ٥٩٠/٣.

(٦) انظر المصادر السابقة.

(٧) الطبري ٥١٦/١٣، البغوي ٢٤٦/٢ أبو حيان في البحر ٤٩٠/٤، ابن كثير ٥٩٠/٣.

(٨) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة. أرضعتها حليلة السعدية، قال ابن المبارك وإبراهيم بن المنذر وغيرهما: اسمه المغيرة، وقيل: اسمه كنيته، والمغيرة أخوه وكان ممن يشبه برسول الله ﷺ. وكان أبو سفيان ممن يؤذي النبي ﷺ ويهجو، ويؤذي المسلمين، وإلى ذلك أشار حسان بن ثابت في قصيدته المشهورة:

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

ويقال: إن علياً علمه لما جاء ليسلم أن يأتي النبي ﷺ من قبل وجهه، فيقول: تالله لقد آترك الله علينا الآية، ففعل فأجابه لا تشرب عليكم الآية، فأنشده أبو سفيان:

لعمرك إنني يوم أحمل راية ليغلب خيل اللات خيل محمد

فكالمدلج الحيران أظلم ليلة فهذا أواني حين أهدى فأهتدي

الآيات، وأسلم أبو سفيان في الفتح. الإصابة (٨٦/٧).

(٩) الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أبو عبد الرحمن القرشي المخزومي وأمه: أم الجلاس أسماء بنت مخربة بن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم التيمية، وهو أخو أبي جهل لأبويه، وابن عم خالد بن الوليد، وابن عم حنتمة أم عمر بن الخطاب على الصحيح، وقيل: أخوها وشهد بدرأ كافرأ فانهمز وعير بفراره ذلك. وأسلم يوم الفتح. اسد الغابة (٤٢٠/١).

(١٠) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي القرشي الأسدي، وأمه وأم أخويه خالد وهشام: صفة، وقيل: فاختة بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزي، وحكيم ابن أخي خديجة بنت خويلد، وابن عم الزبير بن العوام. ولد في الكعبة، وذلك أن أمه دخلت الكعبة في نسوة من قريش وهي حامل فأخذها الطلق فولدت حكيماً بها، وهو من مسلمة الفتح، وكان من أشرف قريش، ووجهها في الجاهلية والإسلام وكان من المؤلفلة قلوبهم أعطاه رسول الله ﷺ يوم حنين مائة بعير ثم حسن إسلامه. وشهد بدرأ مع الكفار، ونجا منهزماً، فكان إذا اجتهد في اليمين قال: والذي نجاني يوم بدر ولم يصنع شيئاً من المعروف في الجاهلية إلا وصنع في الإسلام مثله. انظر أسد الغابة ٤٥/٢.

(١١) معاني القرآن للزجاج ٤١٢/٢ البغوي ٢٤٦/٢، الرازي ١٢٧/١٥.

إلى الإسلام، والمراد بالتعذيب في هذه الآية تعذيب الاستئصال ثم ذكر المشركين خاصة وأنه معذبهم بالسيف [غير عذاب الاستئصال]^(١)، فقال: ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾ أي: لم لا يعذبهم الله بالسيف ﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ يعني المؤمنين بمنعونهم أن يطوفوا بالبيت ﴿وما كانوا أولياءه﴾ قال الحسن^(٢) إن المشركين قالوا: نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم وقال: ﴿إن أوليائه إلا المتقون﴾ ليس أولياء المسجد إلا المتقين الكفر، والشرك والفواحش ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ذلك، قوله: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ المكاء الصفي يقال: مكأ يكمو مكوا ومكأ إذا جمع يديه ثم صفر فيهما والتصدية: التصفيق وهو ضرب اليد على اليد قال ابن عباس^(٣): «كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون» فقال الزجاج^(٤): «أعلم الله أنهم كانوا مع صدهم أولياء المسجد الحرام وكان تقربهم إلى الله بالصفير والتصفيق» قال ابن الأنباري^(٥): «المكأ والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله تعالى أخبر أنهم جعلوا مكان الصلاة التي أمروا بها المكأ والتصدية فالزمهم ذلك أعظم الأوزار، [وقوله: ﴿فذوقوا العذاب﴾ يعني عذاب السيف يوم بدر ﴿بما كنتم تكفرون﴾ تجحدون توحيد الله]^(٦).

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾

قوله ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله﴾ الآية قال مقاتل والكلبي^(٧) نزلت في المطعمين يوم بدر وكان اثني عشر رجلاً^(٨): أبو جهل ابن هشام وأخوه الحارث بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وأبي بن خلف^(٩) وعتبة^(١٠)

(١) سقط في ب.

(٢) البغوي ٢/٢٤٧، انظر تفسير ابن كثير ٣/٥٩٢، البحر المحيط ٤/٤٩١. فتح القدير ٢/٣٥، أبر السعدي ٤/٢٠. وذكره السيوطي في الدرر ٣/١٨٣ وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والضياء.

(٣) الرازي ١٥/١٢٨ أبو حيان في البحر ٤/٤٩١، القرطبي ٧/٢٥٤ أبو السعود ٤/٢٠، روح المعاني ٩/٢٠٣ فتح القدير ٢/٣٠٧ انظر البحر المحيط ٤/٤٩١.

(٤) معاني القرآن ٢/٤١٢.

(٥) البيان ١/٣٨٧، والبغوي ٢/٢٤٧، روح المعاني ٩/٢٠٣.

(٦) سقط في ج.

(٧) أبو حيان في البحر ٤/٤٩٢، الرازي ١٥/١٢٩، البغوي ٢/٢٤٧، أبو السعود، ٤/٢٠ روح المعاني ٩/٢٠٤.

(٨) انظر طبقات ابن سعد ٢/١٣.

(٩) أبي بن خلف بن وهيب كان من أسارى بدر، فلما من عليه النبي ﷺ بالفداء توعد النبي ﷺ بالقتل فقتله النبي ﷺ يوم أحد انظر نسب قريش (٣٨٧).

(١٠) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أبو الوليد كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية. كان موصوفاً بالرأي، والحلم والفضل خطيباً نافذ القول. نشأ يتيماً في حجر حرب بن أمية. وأول ما عرف عنه توسطه للصلح في حرب الفجار بين هوازن وكنانة وقد رضي الفريقان بحكمه، وانقضت الحرب على يده. وكان يقال: لم يسد من قريش مملق إلا عتبة وأبو طالب فإنهما سادا بغير مال. أدرك الإسلام وطفى فشهد بدرأ مع المشركين. وكان ضخماً الجثة عظيم الهامة طلب خوذة بلسها يوم بدر فلم يجد ما يسع هامته فاعتجر على رأسه بثوب له، وقاتل قتالاً شديداً فأحاط به علي بن أبي طالب والحمة وعبيدة بن الحارث فقتلوه الأعلام (٤/٢٠٠).

وشيبة^(١) ابنا ربيعة ومنبه^(٢) ونبيه^(٣) ابنا الحجاج وأبو البخترى بن هشام^(٤) وزمعة بن الأسود^(٥) والعباس بن عبد المطلب قوله: ﴿ليصدوا عن سبيل الله﴾ أي: ليمنعوا الناس عن الإيمان يتوهين الدين والظعن في الإسلام ثم أخبر بباقي الآية أن عاقبة إنفاقهم الحسرة، وكونهم مغلوبين والحشر إلى النار، وهو قوله: ﴿والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب﴾ أي: إنما يحشرون إليها ليميز بين الكافر والمؤمن بأن يجعل الكفار في جهنم وهو قوله: ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض﴾ يعني في جهنم يضيقتها عليهم ﴿فيركمه جميعاً﴾ الركن جمعك شيئاً فوق شيء حتى يصير مركوماً ركاماً كالرمل والسحاب^(٦) أي يجمع الخبيث، حتى يصير كالسحاب المركوم وهو أن بعضهم يكون فوق بعض في النار، مجتمعين فيها وهو قوله: ﴿فيجعلهم في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾ لأنهم اشتروا بأموالهم عذاب الله في الآخرة.

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَالُوا هُمْ حَتَّى لَا تُكُونَ فَتَنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ كَلَّهُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ نَعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنَعَمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

قوله: ﴿قل للذين كفروا﴾ يعني: «أبا سفيان» وأصحابه ﴿إن يتهوا﴾ عن تكذيب محمد وقاتله والشرك بالله ﴿يغفر لهم ما قد سلف﴾ تقدم منهم من الزنا والربا والشرك والقتل وإذا أسلم الكافر الحربي كان كيوم ولدت أمه لا ذنب له، قال يحيى بن معاذ في هذه الآية: إن توحيداً لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر أرجو أن لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب^(٧)، ﴿وإن يعودوا﴾ لقتالك ﴿فقد مضت سنت الأولين﴾ بنصر الله رسله ومن آمن على من كفر ﴿وقاتلوهم﴾ يقول: قاتلوا كفار مكة ﴿حتى لا تكون فتنة﴾ شرك بالله وكفر ﴿ويكون الدين كله لله﴾ [ويكون الدين^(٨)] خالصاً [لله]^(٩) وليس فيه شرك [بالله تعالى]^(١٠) يعني في جزيرة العرب لا يعبد غير الله ﴿فإن انتهوا﴾ عن الشرك والقتال ﴿فإن الله بما يعملون بصير﴾ عالم بأعمالهم يجازيهم مجازاة البصير ﴿وإن تولوا﴾ عن الإيمان وأبو أن يدعوا الشرك ﴿فاعلموا أن الله مولاكم﴾ ناصركم وهذا تطيب لنفوس المؤمنين عند إعراض الكافرين بأن العاقبة لهم لأن الله ناصرهم ومعينهم، وهو [قوله]^(١١) ﴿نعم المولى ونعم النصير﴾

(١) شيبة بن ربيعة بن عبد شمس: من زعماء قريش في الجاهلية، أدرك الإسلام، وقتل على الوثنية. ولما كانت وقعة بدر حضرها شيبة مع مشركهم، ونحر تسع ذبائح لإطعام رجالهم، وقتل فيها. انظر الأعلام ١٨١/٣.

(٢) منبه بن الحجاج السهمي: نديم جاهلي من أشرف قريش في الجاهلية وزنادقتها. قال ابن حبيب: تعلموا الزندقة من نصارى الحيرة. وكان منبه نديماً لطعيمة بن عدي وحضر معه وقعة بدر، ونحر منبه عشراً من الإبل، وقتله أبو قيس الأنصاري في تلك الوقعة. الأعلام (٢٧٩/٧).

(٣) نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة السعدي السهمي القرشي، أبو الرزام: شاعر من ذوي الوجاهة في قريش قبل الإسلام. كان نديماً للنضر بن الحارث. وقتل مع أخيه مشركين في وقعة بدر (بين مكة والمدينة) الأعلام (٨/٨).

(٤) العاصي أو العاصي بن هشام بن المغيرة المخزومي: أخو أبي جهل. كان ينادمه في الجاهلية العاصي بن سعيد بن العاص بن أمية. ويقال لها أحماً قريش وقتلا يوم بدر على الشرك. قتل الأول عمر بن الخطاب، والثاني علي بن أبي طالب. انظر الأعلام

(٨) سقط في أ.

٢٤٧/٣.

(٩) سقط في أ.

(٥) قتل يوم بدر على الشرك انظر نسب قريش ٢١٨.

(١٠) سقط في ب، ج.

(٦) انظر لسان العرب ١٧٢١/٣.

(١١) سقط في أ.

(٧) البغوي ٢/٢٤٨، الرازي ١٥/١٣٠، زاد المسير ٣/٣٥٧.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِئِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادَكُمُ كَثِيرًا لَفِشَلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء﴾ أي أخذتموه من أموال المشركين قسراً ﴿فإن لله خمسه﴾ هذا افتتاح كلام لأن الأشياء كلها لله وقوله ﴿وللرسول﴾ كان لرسول الله ﷺ خمس الخمس من الغنيمة يصنع فيه ما شاء وأما اليوم فإنه يصرف إلى مصالح المسلمين والأهم السلاح والكراع^(١)، وقوله: ﴿ولذي القربى﴾ هم: بنو هاشم وبنو المطلب^(٢) خاصة دون سائر قريش يقسم بينهم خمس الخمس حيث كانوا^(٣) للذكر مثل حظ الأنثيين^(٤) وهم الذين حرمت عليهم الصدقة المفروضة قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى أغناكم عن أوساخ الناس بهذا الخمس^(٥)». أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي^(٥): نا محمد بن يعقوب أنا الربيع أنا الشافعي أنا مطرف بن

(١) لسان العرب ٣٨٥٨/٥.

(٢) انظر القرطبي ١٠/٨ الطبري ٥٥٤/١٣ تفسير الرازي ١٢٢/١٥ البغوي ٢٤٩/٢ - ٢٥٠ فتح القدير ٣١٠/٢. ابن كثير

٦/٤. واختلف العلماء في ذوي القربى على ثلاثة أقوال: قريش كلها قاله بعض السلف لأن النبي ﷺ لما صعد الصفا جعل

يهتف: (يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، يا بني كعب يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار) الحديث.

وقال الشافعي وأحمد وقتاده وابن جريج ومسلم بن خالد: بنو هاشم وبنو عبد المطلب، لأن النبي ﷺ لما قسم ذوي القربى بين بني

هاشم، وبني عبد المطلب قال: (إنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد) وشبك بين

أصابعه أخرجه النسائي والبخاري وقال البخاري: قال الليث حدثني يونس وزاد: ولم يقسم النبي ﷺ لبني عبد الشمس ولا لبني

نوفل شيئاً. قال ابن إسحاق: وعبد شمس وهاشم والمطلب أخوة لام وأمهم عاتكة بنت مرة. وكان نوفل لأخاهم لأبيهم. قال

النسائي: وأسهم النبي ﷺ لذوي القربى، وهم بنو هاشم وبنو المطلب بينهم الغني والفقير. وقد قيل: إنه للفقير، ومنهم

دون الغني كاليتامى وابن السبيل - وهو أشبه القولين بالصواب عندي والله أعلم بالصغير والكبير والذكر والأنثى سواء، لأن الله

تعالى جعل ذلك لهم وقسمه رسول الله ﷺ فيهم. وليس في الحديث أنه فضل بعضهم على بعض. الثالث: بنو هاشم خاصة قاله

مجاهد، وعلي بن الحسين. وهو قول مالك والثوري والأوزاعي وغيرهم.

(٣) سورة النساء ١١.

(٤) بنحوه عند مسلم ٧٥٢/٢ في كتاب الزكاة باب ترك استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة (١٠٧٢/١٦٧).

(٥) أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن حفص بن مسلم بن يزيد القاضي أبو بكر بن أبي علي ابن الشيخ المحدث أبي

عمرو الحيري. مولده سنة خمس وعشرين وثلاثمائة. تفقه على الأستاذ أبي الوليد النيسابوري. ودرس الكلام والأصول على

أصحاب الشيخ أبي الحسن الأشعري. وسمع أبا علي محمد بن أحمد الميداني وحاجب بن أحمد وأبا الغباس الأصم وأبا

مازن^(١) عن معمر بن راشد عن ابن شهاب قال : أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : « لما قسم رسول الله ﷺ ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب، أتيناها أنا، وعثمان بن عفان فقلنا: يا رسول الله هؤلاء إخواننا من بني هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله فيهم رأيت إخواننا من بني المطلب أعطيتهم وتركنا وإنما قرباتهم وقرباتنا واحدة فقال رسول الله ﷺ: [إنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام]^(٢) وإنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد هكذا، وشبك بين أصابعه^(٣) » قوله « واليتامى » هم أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم « والمساكين » قال ابن عباس^(٤): « يريد المحتاجين وهم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين » « وابن السبيل » المنقطع في سفره فلا يترك صنف من هذه الأصناف بغير حظ في قسمة الخمس ويجوز تفضيل بعضهم على بعض بمقدار الحاجة هذا الذي ذكرناه كيفية قسمة الخمس من الغنيمة وهي المذكورة في القرآن، والباقي في أربعة أخماس، وهي للغانمين الذين باسروا القتال للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم عند الشافعي^(٥) وعند أبي حنيفة^(٦) للفارس سهمان وللراجل سهم.

أخبرنا محمد بن إبراهيم المزكي أنا أبو عمرو بن مطر نا إبراهيم بن علي الذهلي^(٧) نا يحيى بن يحيى^(٨) أنا

= سهل بن زياد وأبا أحمد بن عدي وغيرهم بنيسابور ومكة وبغداد والكوفة وجرجان. روى عنه أبو عبد الله الحاكم وهو أكبر منه والإمامان أبو بكر الخطيب والبيهقي، وأبو صالح المؤذن، وأسعد بن مسعود العتيبي وخلاتق، آخرهم موتاً عبد الغفار بن محمد الشيرازي. وكان كبير خراسان رياة وسوددا وثروة وعلماً وعلو إسناد ومعرفة بمذهب الشافعي. توفي في شهر رمضان سنة إحدى وعشرين وأربعمائة. الطبقات الكبرى (٦/٤).

(١) مطرف بن مازن الصنعاني. حدث عن معمر، وابن جريج وعنه الشافعي، وداود بن رشيد. كذبه يحيى بن معين، وقال النسائي: ليس بثقة وقال آخر: واه. وقال ابن أبي حاتم: توفي بالرقة، ويقال بمنج فيقال: في سنة إحدى وتسعين ومائة. انظر ميزان الاعتدال ١٢٥/٤ - ١٢٦ التاريخ الكبير (٥٧٠/٢) الضعفاء للعقيلي (٢١٦/٤).

(٢) سقط في ب.

(٣) إسناده المصنف ضعيف جداً لضعف مطرف بن مازن كما تقدم آنفاً والحديث من غير طريق المصنف عند البخاري ٦/١١٦. في كتاب المناقب باب مناقب قريش (٣٥٠٢). وأخرجه أحمد في المسند (١٠/٤)، وأخرجه أبو داود (٣/١٤٥)، في كتاب الخراج باب في مواضع قسم الخمس، وأخرجه النسائي ٧/١٣٠ في كتاب قسم الفيء.

(٤) البغوي ٢/٢٥٠، وانظر تفسير ابن كثير ٨/٤.

(٥) مغني المحتاج ٤/٢٢٧، وانظر روضة الطالبين ١٠/٢٧٥، انظر شرح فتح القدير ٥/٦٩، حاشية ابن عابدين ٤/١٣٧، الكافي ١/٤٧٥، المغني لابن قدامة ٩/٢٥٨، وانظر تفسير البغوي ٤/٢٥٠.

(٦) انظر المصادر السابقة.

(٧) يضم الذال المعجمة وسكون الهاء، وفي آخرها اللام، هذه النسبة إلى قبيلة معروفة وهو ذهل بن ثعلبة وإلى ذهل بن شيان كان منها جماعة كثيرة من العلماء والكبراء. انظر الأنساب ٣/١٨.

(٨) ابن بكر بن عبد الرحمن شيخ الإسلام، وعالم خراسان أبو زكريا التميمي المنقري النيسابوري الحافظ. كتب ببلده وبالبحجاز والعراق والشام ومصر. لقي صغاراً من التابعين منهم كثير بن سليم وأخذ عنه وعن عبد الله بن جعفر المخرمي، ويزيد بن المقدم وزهير بن معاوية، ومالك وشريك القاضي وسعير بن الخمس وأبي عقيل يحيى بن المتوكل، وسليمان بن بلال والليث بن سعد، وعبد الرحمن بن أبي الموال، وعطاف بن خالد وإبراهيم بن سعد وابن أبي الزناد، والمنكدر بن محمد وداود بن عبد الرحمن العطار ومسلم بن خالد ومعاوية بن عبد الكريم، وخلف بن خليفة ويزيد بن زريع وعبثر بن القاسم وأمم سواهم. وعنه: البخاري ومسلم وحמיד بن زنجويه، ومحمد بن نصر المروزي وأحمد بن سيار، وعثمان بن سعيد الدارمي ومحمد بن رافع القشيري ومحمد بن يحيى الذهلي وخلق وهو ثقة انظر السير (١٠/٥١٢).

خالد بن عبد الله بن خالد^(١) عن عبد الله بن شقيق عن رجل من بلقين^(٢) عن ابن عم له قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو بوادي القرى^(٣) قلت: ما تقول في هذا المال؟ قال: «الله خمسه وأربعة أحماسه لهؤلاء يعني المسلمين، قلت: فهل أحد أحق به من أحد، قال لا ولو انتزعت منهما من جنك لم تكن به أحق من أخيك المسلم»^(٤) وقوله ﴿إِنْ كُنتُمْ أُمَّتُمْ بِاللَّهِ﴾ قال الزجاج - المعنى - أعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول يأمر أن فيه ما يريد، إن كنتم أمتكم بالله أي فاقبلوا ما أمرتم في الغنيمة إن كنتم أمتكم بالله يعني قوله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ لأن هذا نزل عليه يوم بدر حين اختلفوا في الغنائم وإذا آمنوا بهذا صدروا في أمر الغنيمة عن أمر الرسول ﷺ وإذا صدروا عن أمره عملوا فيها بموجب هذه الآية، وقوله ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ قال الوالبي عن ابن عباس^(٥) «يعني يوم بدر فرق الله [فيه]^(٦) بين الحق والباطل» وهو ﴿يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانَ﴾ حزب الله وحزب الشيطان.

أخبرنا سعيد بن محمد الزاهد أنا أبو علي بن أبي بكر الفقيه نا أحمد بن الحسين الجنيدي نا زياد بن أيوب^(٧) نا هشيم نا إسماعيل بن سالم^(٨) سمعت الشعبي يقول^(٩): «ليلة سبع عشرة من رمضان ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان» وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال ابن عباس^(١٠): «قدير على نصركم وأنتم أقله أدلة» وقوله ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدَّةِ الدُّنْيَا﴾ قال ابن السكيت^(١١): «عدوة الوادي وعدوته جانبه، والجمع عدى وعدى والدنيا تأنيث الأدنى وضدها

(١) خالد بن عبد الله بن خالد الأحديب وهو ابن عبد الله بن محرز ابن أخي صفوان بن محرز المازني روى عن الحسن البصري وصفوان بن محرز وزرارة بن أوفى، وربيع بن لوط روى عنه سليمان التيمي، وعوف وعاصم وأبو بشر وإبراهيم بن طهمان انظر الجرح والتعديل (٣/٣٣٩).

(٢) بلقين أصله: بنو القين حي من بني أسد كما قالوا: (بلحارث)، (وبلهجيم) يعنون: بني الحارث، وبني الهجيم، تخفف العرب ذلك، فتحدف بعض حروف هذه الإضافة. تاج العروس م (قين).

(٣) وهو وادي بين المدينة والشام مرادص الاطلاع ١٤١٧/٣.

(٤) الحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٣٢٤/٦ في كتاب قسم الفيء باب إخراج الخمس من رأس الغنيمة، وذكره الحافظ في ابن كثير في التفسير ٤/٤ وعزاه للبيهقي وقال إسناده صحيح.

(٥) الطبري ٥٦١/١٣ (١٦١٣٠)، (١٦١٣٤) البغوي ٢٥١/٢ وابن كثير ٩/٤ البحر المحيط ٤٩٩/٤ الرازي ١٣٣/١٥ القرطبي ١٥/٨ فتح القدير ٣١٣/٢ روح المعاني ٥/١٠ وذكره السيوطي في الدرر ٣/١٨٧ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس، أبو السعود ٤/٢٣.

(٦) سقط في ب، ج.

(٧) زياد بن أيوب بن زياد البغدادي أبو هاشم طوسي الأصل. روى عن عبد الله بن إدريس، وابن عليه، وأبي عبيد الحداد، وأبي بكر بن عياش، ومروان بن معاوية، وهشيم، ووكع، وزياد البكائي، ومحمد بن يزيد الواسطي، وعلي بن غراب، وميمون بن سليمان، ويزيد بن هارون وعمر وعلي ابني عبيد ويحيى بن أبي عيينة وجماعة. وعنه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وخلق ثقة انظر التهذيب (٣/٣٥٥).

(٨) إسماعيل بن سالم الأسدي أبو يحيى الكوفي روى عن الشعبي وحبيب بن أبي ثابت وعلقمة بن وائل، وأبي صالح السمان وسعيد بن المسيب وغيرهم. وعنه ابنه يحيى والعلاء بن المسيب، وهشيم وأبو عوانة والثوري وغيرهم. قال ابن المديني له نحو عشرة أحاديث، وقال ابن سعد ثقة ثبت وقال يعقوب الفسوي: لا بأس به، كوفي ثقة، وقال أبو علي الحافظ: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (٣٠١-٣٠٢).

(٩) وذكره أبو حيان عن ابن عباس ومجاهد، ومقسم والحسن وقتادة البحر ٤/٤٩٩، وذكره البغوي في التفسير بلا نسبة ٢/٢٥١، وذكره الطبري عن سيدنا علي ١٣/٥٦٢ (١٦١٣٥)، وقال ابن كثير ٩/٤ إسناده جيد قوي وانظر الدرر المشهور ٣/١٨٨.

(١٠) الرازي ١٣٣/١٥، البغوي في التفسير ٢/٢٥١، تفسير أبي السعود ٤/٢٣.

(١١) الرازي نقلًا عن ابن السكيت ١٥/١٣٤. وانظر البحر المحيط ٤/٤٩٩، القرطبي ٨/١٥، وانظر البغوي ٣/٢٥٢، فتح القدير

٢/٣١١، أبو السعود ٤/٢٣، روح المعاني ١٠/٦. البغوي ٢/٢٥٢.

[القصوى] (١) وهي تأنيث الأقصى، وما كان من النعوت على فعلى من بنات الواو فإن العرب تحوله إلى الياء، نحو الدنيا من دنوت والعليا من علوت لأنهم يستقلون الواو مع ضم الأول وليس في هذا اختلاف إلا أن أهل الحجاز قالوا القصوى فأظهروا الواو، وهو نادر وغيرهم يقولون القصيا» قال المفسرون (٢): «إذ أنتم نزول بشفير الوادي الأدنى في المدينة وعدوكم نزول بشفير الوادي الأقصى إلى مكة وكان الجمعان قد نزلا الوادي الذي بيدر على هذه الصفة» والركب [جمع راكب] (٣) يعني العير أبا سفيان وأصحابه ﴿أسفل منكم﴾ في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر ﴿ولو تواعدتم﴾ للقتال ﴿لاختلفتم في الميعاد﴾ لكثرتهم وقتلتكم ﴿ولكن﴾ جمعكم الله من غير ميعاد ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ أي في علمه وحكمه وهو أنه أراد أن يعز الإسلام وأهله ويذل الشرك وأهله. ﴿ليهلك من هلك عن بينة﴾ أكثر أهل العلم على أن المراد بالهلاك ها هنا الكفر والضلال وبالحياة الاهتداء والدين، والمعنى: ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه فقطعت عذره، ويؤمن من آمن على مثل ذلك وهو قوله: ﴿ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع﴾ لدعائكم ﴿عليم﴾ بياتكم قوله: ﴿إذا يريكم الله في منامك قليلاً﴾ أي في عينك التي هي موضع النوم قال ابن عباس (٤): «إذ يريكم الله في منامك قليلاً أي لتحتكروهم وتجترى عليهم» ﴿ولو أراكم كثيراً لفشلتم﴾ لجبتهم وتأخرتم عن حربهم ﴿ولتنازعتم في الأمر﴾ اختلفتم فيما بينكم ﴿ولكن الله سلم﴾ سلمكم من المخالفة والفشل ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ قال ابن عباس (٥): «علم ما في صدوركم من الحب لله» ﴿وإذ يريكم وهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً﴾ قال مقاتل: «لما التقوا قتل الله المشركين في أعين المسلمين» قال ابن مسعود (٦): «لقد قللوا في أعيننا بيدر حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة وأسرنا رجلاً فقلنا: كم أنتم؟ قال: ألف» وقوله: ﴿ويقللکم في أعينهم﴾ قال: ابن عباس (٧): «ليجترئوا عليكم بالقتال ولا تنهزموا» وقال الكلبي (٨): «استقل المؤمنون المشركين ليجترى بعضهم على بعض» ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ من نصر المسلمين على المشركين ﴿والى الله ترجع الأمور﴾ قال ابن عباس (٩): «وبعد هذا مصيركم إلي، فأكرم أوليائي، وأعاقب أعدائي».

يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِيهَا فَانْتَبِئُوا وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

(١) سقط في أ.

(٢) القرطبي ١٥/٨، الرازي ١٥/١٣٤، ابن كثير ٤/١٠، البحر المحيط ٤/٥٠٠ الدر المنثور ٣/١٨٨.

(٣) سقط في ب، ج.

(٤) الطبري ١٣/٥٧٢، البغوي ٢/٢٥٣، ابن كثير ٤/١٣، الرازي ١٥/١٣٥ البحر المحيط ٤/٥٠١، الدر المنثور ٣/١٨٨، وانظر تفسير أبي السعود ٢/٢٤، فتح القدير ٢/٣١٣.

(٥) البغوي ٢/٢٥٢.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ١٣/٥٧٢ (١٦١٥٦)، وابن كثير ٤/١٣، البغوي ٢/٢٥٣، القرطبي ٨/١٦، وأبو حيان في البحر ٤/٥٠٢، وذكره الشوكاني في فتح القدير ٢/٣١٤، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم وابن أبي شيبة، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وانظر تفسير أبي السعود ٣/٢٤.

(٧) البغوي ٢/٢٥٣، وانظر روح المعاني ١٠/٩، وانظر تفسير أبي السعود ٤/٢٤.

(٨) ذكر البغوي في التفسير عن الكلبي ٢/٢٥٣، ونحوه عن عكرمة رضي الله عنه انظر تفسير ابن كثير ٤/١٣، والدر المنثور ٣/١٨٩، وانظر فتح القدير ٢/٣١٤.

(٩) بنحوه عند القرطبي ٨/١٦، وانظر تنوير المقباس ٢/١٦٧، البغوي ٢/٢٥٣.

خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ الْفَتَنَانَ نَكَصَ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّهُمْ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾

قوله ﴿يأياها الذي آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا﴾ قال الكلبي^(١): «إذا لقيتم جماعة العدو، فاثبتوا لعدوكم» ﴿واذكروا الله قال قتادة^(٢): «أمر الله بذكره، وهم أشغل ما يكونوا عند الضراب بالسيف» وقال غيره^(٣): «أراد بالذكر ههنا الدعاء بالنصر والظفر» ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ فيما يأمركم به ﴿ولا تنازعوا﴾ لا تختلفوا فيما بينكم ﴿فنفشلوا﴾ فتنجنوا عن عدوكم ﴿وتذهب ريحكم﴾ جلدكم وجدكم، وقال مجاهد^(٤): «نصرتكم» وقال السدي «جرأتكم» وقال الأخفش^(٥) «دولتكم»، والريح ههنا: كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المزداد، والعرب تقول: «هبّت ريح فلان، إذا أقبل أمره على ما يريد، وركذت ريحه، إذا أدبر أمره» وقال ابن زيد وقتادة^(٦) يعني: ريح النصر لم يكن نصر قط، إلا ريح يعنها الله، يضرب بها وجوه العدو، ومنه قوله ﷺ: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور»^(٧) قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً﴾ الآية قال جماعة المفسرين^(٨): يعني قريشاً، خرجوا من مكة ليحموا غيرهم فخرجوا معهم القيان^(٩) والمعازف يشربون الخمر وتعزف عليهم القيان، فذلك قوله: ﴿بطراً ورفاء الناس﴾ قال الزجاج^(١٠): «البطر: الطغيان في النعمة وترك شكرها والرياء: إظهار الجميل [ليري]»^(١١) مع إبطان القبيح» يقال: رأى يرى رياء ومرآة قال قتادة^(١٢): «هؤلا

(١) روح المعاني ١٣/١٠.

(٢) روح المعاني ١٣/١٠، القرطبي ١٧/٨، وأبو حيان في البحر ٥٠٣/٤، وذكره السيوطي في الدر ١٨٩/٣، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وذكره الشوكاني في الفتح ٣١٦/٢.

(٣) البغوي ٢٥٣/٢، أبو حيان في البحر ٥٠٣/٤.

(٤) البغوي ٢٥٣/٢، انظر القرطبي ١٧/٨، وأبو حيان في البحر ٥٠٣/٤، وذكره السيوطي في الدر ١٨٩/٣، وعزاه للفرجاني وابن أبي شيبه، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن مجاهد، والشوكاني في الفتح ٣١٦/٢.

(٥) ذكره أبو حيان في البحر نقلاً عن الزمخشري ٥٠٣/٤، الرازي ١٣٨/١٥ روح المعاني ١٤/١٠.

(٦) القرطبي ١٨/٨، وأبو حيان في البحر ٥٠٤/٤، الرازي ١٣٨/١٥، روح المعاني ١٤/١٠، ذكره السيوطي في الدر ١٨٩/٣، وعزاه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن ابن زيد.

(٧) أخرجه البخاري ٦٠٤/٢ في كتاب الاستسقاء باب قوله ﷺ (نصرت بالصبا) (١٠٣٥، ٣٢٠٥، ٣٣٤٣، ٤١٠٥)، ومسلم ١٦٧/٢ في كتاب الاستسقاء باب ريح الصبا، وأحمد في المسند ٢٢٨/١، ٣٢٤، ٣٤١، ٣٥٥، ٣٧٣، وعبد الرزاق في المصنف ٢٠٠٢، والطبراني في الكبير ٦٠/١١، والطحاوي في مشكل الآثار ٤٠١/١ والطبراني في الصغير ١٠٧/٢، والبيهقي في الدلائل ٤٤٨/٣.

(٨) الطبري في التفسير ٥٨١/١٣، وابن كثير ١٦/٤، والبغوي في التفسير ٢٥٤/٢ والقرطبي ١٨/٨، فتح القدير ١٣١٦/٢ وأبو حيان في البحر ٥٠٤/٤، الرازي ١٣٨/١٥، روح المعاني ١٤/١٠، انظر الدر المنثور ١٩٠/٣.

(٩) وهن الإماء المغنيات، انظر لسان العرب ٣٧٩٩/٥.

(١٠) معاني القرآن ١٥٠/٤، والبغوي ٢٥٤/٢، الرازي ١٣٨/١٥.

(١١) سقط في ج.

(١٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١١٠/٣، باب سياق قصة بدر عن مغازي موسى بن عقبة، وأخرجه الطبري ٥٨٠/١٣، والبغوي في

أهل مكة خرجوا ولهم بغني وفخر» فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إن قريشاً أقبلت بفخرها وخيلائها لتحادك ورسولك» فنهى الله المؤمنين أن يكونوا مثلهم وأمرهم بإخلاص النية والحسبة في نصرته الدين وقوله: ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ أي بمعادة المسلمين وتكذيب الداعي إليها، قال ابن عباس^(١): «يضلون عن دين الله» ﴿والله بما يعملون محيط﴾ أي أنه عالم بما يعملون فهو يجازيهم^(٢) قوله تعالى: ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم﴾ قال الكلبي^(٣): «يعني مسيرهم إلى بدر» ﴿وقال لا غالب لكم اليوم من الناس﴾ وذلك أنهم لما أجمعوا السير خافوا بني كنانة لأنهم كانوا يطلبونهم بدم، فأتاهم إبليس في صورة سراقه بن مالك الكناني^(٤) وقال: أنا جار لكم على بني كنانة، وذلك قوله ﴿وإني جار لكم﴾ أي حافظ لكم منهم فلا يصل إليكم من جهتهم مكروه ﴿فلما تراءت الفئتان﴾ التقى الجمعان من المسلمين والمشركين، وصارتا بحيث رأى أحدهما الآخر رأى إبليس جبريل ينزل ومعه الملائكة فولى مدبراً، وهو قوله: ﴿نكص على عقبيه﴾ يقال: نكص ينقص نكوصاً: إذا تأخر عن الشيء وجبن، قال ابن عباس «رجع مولياً»^(٥) وقال ابن قتيبة^(٦): «رجع القهقري» وقال الكلبي^(٧): «كان إبليس لعنه الله في صف المشركين على صورة سراقه آخذاً بيد الحارث بن هشام فرأى الملائكة حين نزلت من السماء فنكص على عقبيه فقال له الحارث: يا سراقه، أفراراً من غير قتال؟ فقال [له: يا حارث]^(٨) ﴿إني أرى ما ترون إني أخاف الله [والله شديد العقاب]^(٩)﴾ ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهمز الناس» قال قتادة^(١٠): «صدق عدو الله في قوله: ﴿إني أرى ما لا ترون﴾ وكذب في قوله: ﴿إني

= التفسير ٢٥٤/٢، وذكره الشوكاني في الفتح ٣١٦/٢، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وذكره أبو حيان ٥٠٤/٤، والرازي في التفسير ١٣٨/١٥، وذكره السيوطي في الدر ١٩٠/٣.

(١) وذكر الواحد في فيه ثلاثة أوجه: الأول: أن يكون قوله (ويصدون عن سبيل الله) بمنزلة صادين. الثاني: أن يكون قوله بطراً ورتاء بمنزلة ييطرون ويرأون. وأقول: إن شيئاً من هذه الوجوه لا يشفي الغليل، لأنه تارة يقيم الفعل مقام الاسم، وأخرى يقيم الاسم مقام الفعل، ليصبح له كون الكلمة معطوفة على جنسها، وكان من الواجب عليه أن يذكر السبب الذي لأجله عبر عن الأولين بالمصدر، وعن الثالث بالفعل. وأقول: إن الشيخ عبد القاهر الجرجاني ذكر أن الاسم يدل على التمكين والاستمرار، والفعل على التجدد والحدوث، قال: ومثاله في الاسم قوله تعالى (وكلبهم باسط ذراعيه بالصيد) الكهف (١٨) وذلك يقتضي كون تلك الحالة ثابتة راسخة، ومثال الفعل قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض) يونس (٣١) وذلك يدل على أنه تعالى يوصل الرزق إليهم ساعة فساعة هذا ما ذكره الشيخ عبد القاهر: الرازي (١٣٩/١٥) فتح القدير ٣١٥/٢.

(٢) في أ (يمازيكم).

(٣) أخرجه الطبري ٩/١٤، ابن كثير في التفسير ١٦/٤، القرطبي ١٨/٨، البغوي ٢٥٤/٢، وأبو حيان ٥٠٤/٤، وذكره السيوطي في الدر ١٩٠/٣، وعزاه لابن المنذر.

(٤) سراقه بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة الكناني المدلجي يكنى أبا سفيان. يعد في أهل المدينة ويقال: سكن مكة. روى عنه الصحابة: ابن عباس وجابر ومن التابعين: سعيد بن المسيب وابنه محمد بن سراقه. مات سراقه بن مالك سنة أربع وعشرين أول خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل إنه مات بعد عثمان والله أعلم. انظر أسد الغابة ٣٣١/٢ - ٣٣٣.

(٥) الطبري ٩/١٤، ابن كثير ١٦/٤.

(٦) ونسبه البغوي للنضر بن شميل، انظر تفسير البغوي ٢٥٤/٢ والألوسي بلا نسبة ١٥/١٠، وأبو السعود بلا نسبة ٢٦/٤.

(٧) الطبري في التفسير ٧/١٤ ابن كثير ١٧/٤، والبغوي ٢٥٤/٢ - ٢٥٥، وانظر تفسير القرطبي ١٩/٨، وأبو حيان في البحر ٥٠٥/٤، وانظر تفسير الرازي ١٤٠/١٥، انظر الدر المثور ١٩٠/٣.

(٨) سقط في أ، ب.

(٩) جملة (والله شديد العقاب) سقط في أ، ب.

(١٠) أخرجه الطبري في التفسير ٩/١٤، وابن كثير ١٨/٤، والبغوي ٢٥٥/٢.

أخاف الله ﴿١﴾، والله ما به مخافة الله ولكن علم أنه لا قوة له فأوردتهم وأسلمهم، وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه ﴿٢﴾ وقال عطاء (١): «إني أخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك» قوله: ﴿إذ يقول المنافقون﴾ قال ابن عباس: من الأوس والخزرج وأهل المدينة (٢) ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ قوم من قريش كانوا قد أسلموا ولم يهاجروا، فخرجوا مع من خرج من مكة لقتال رسول الله ﷺ وقالوا: إن كان محمد في كثرة خرجنا إليه فلما رأوا قلة عدد المسلمين، قالوا: ﴿غر هؤلاء دينهم﴾ إذ خرجوا مع قلة عددهم لحرب قريش مع كثرتهم ولا يشكون في أن قريشاً تغلبهم، قال الله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم﴾ أي: ومن يسلم أمره إلى الله ويتق به وبقضائه فإن الله قوي عزيز يفعل بأعدائه ما شاء، حكيم في خلقه.

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١﴾
ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢﴾ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً
أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤﴾ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾

قوله ﴿ولو ترى﴾ يا محمد ﴿إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة﴾ يعني الذين قتلوا بيدر ﴿يضربون وجوههم﴾ إذا أقبلوا على المسلمين ﴿وأدبارهم﴾ إذا ولبوا ﴿وذوقوا﴾ ويقولون لهم ذوقوا ﴿عذاب الحريق﴾ قال ابن عباس (٣): «يقولون لهم ذلك بعد الموت» وقال الحسن (٤): «كان مع الملائكة مقامع كلما ضربوا التهب النار في الجراحات» فذلك قوله: ﴿وذوقوا عذاب الحريق ذلك﴾ أي ذلك العذاب الذي وقع بكم ﴿بما قدمتم أيديكم﴾ بما كسبتم وجنيتم من قبائح أعمالكم ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ لا يظلم عباده بعقوبتهم على كفرهم وإن كان كفرهم مخلوقاً له لأن له أن يتصرف في مملوكه كما شاء فيستحيل نسبة الظلم إليه، قوله: ﴿كذاب آل فرعون﴾ قال الزجاج (٥): «معناه عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون في كفرهم» قال ابن عباس (١): «هو أن آل فرعون أيقنوا أن موسى نبي من الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد بالصدق والدين فكذبوه، وجحدوا نبوته فأنزل الله بهم عقوبته كما أنزل بال فرعون» وذلك قوله: ﴿كذبوا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي﴾ قادر لا يغلبه شيء ﴿شديد العقاب﴾ لمن كفر به وكذب رسله، قوله: ﴿ذلك لأن الله﴾ أي ذلك الأخذ والعقاب لأن الله لا يغير ما أنعم به على قوم لو لم يغيروا هم بالكفران وترك الشكر، فإذا غيروا هم غير الله ما بهم فسلبهم النعمة وأخذهم بالعقاب، قال السدي (٦)

(١) البغوي في التفسير ٢/٢٥٥.

(٢) الرازي ١٥/١٤١، وأبو حيان في البحر ٤/٥٠٥، انظر تفسير أبي السعود ٤/٢٦.

(٣) البغوي ٢/٢٥٥، الرازي ١٥/١٤٣، القرطبي ٨/٢٠، أبو حيان في البحر ٤/٥٠٦.

(٤) البغوي ٢/٢٥٦، الرازي ١٥/١٤٢-١٤٣، القرطبي ٨/٢٠، تفسير أبي السعود ٤/٢٧، روح المعاني ١٠/١٧.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٢٠، والبغوي ٢/٢٥٦، الرازي ١٥/١٤٤، فتح القدير ٢/٣١٨.

(٦) البغوي ٢/٢٥٦.

(٧) البغوي ٢/٢٥٦، الرازي في التفسير ١٥/٢٠، القرطبي ٨/٢٠، وذكره الشوكاني في الفتح ٢/٣١٨، وغزاه لابن أبي حاتم، وأبي

«والنعمة التي أنعم الله عليهم محمد ﷺ أنعم الله به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله إلى الأنصار» ﴿كذاب﴾ أي كصنيع ﴿ءال فرعون كفروا بآيات ربهم﴾ يعني أهل مكة كذبوا بمحمد ﷺ والقرآن، كما كذبوا هم بموسى عليه الصلاة والسلام والتوراة ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ يعني أهل مكة أهلكهم الله بيدر ﴿وأغرقتنا ءال فرعون﴾ ذكر عقوبة الفريقين لما شبه فعل أحدهما بفعل الآخر ﴿وكل﴾ من الفريقين ﴿كانوا ظالمين﴾ [ثم ذكر اليهود] ^(١).

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مِرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَمَا تَتَّقَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِرُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَالْأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾

فقال: ﴿إن شر الدواب عند الله﴾ أراد بالدواب الإنس خاصة كأنه قال: إن شر الناس عند الله ﴿الذين كفروا﴾ قال مقاتل ^(٢): «يعني يهود قريظة منهم كعب بن الأشرف وأصحابه» وهم الذين قال الله: ﴿الذين عاهدت منهم﴾ أي من اليهود ﴿ثم ينقضون عهدهم في كل مرة﴾ أي: كلما عاهدتهم نقضوا العهد ولم يفوا به ﴿وهم لا يتقون﴾ نقض العهد ﴿فإما تتقنهم في الحرب﴾ قال الليث ^(٣): «يقال: ثقنا فلانا في موضع كذا، أي أخذناه» قال الزجاج ^(٤): «ومعناه الإدراك بسرعة» قال الكلبي ^(٥): «أي أسرتهم في الحرب» وقال مقاتل ^(٦): «إن أدركتهم في القتال وأسرتهم» ﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ التشريد: التنفير والتفريق، والمعنى: فرق بهم جمع كل ناقض، أي: أفعال بهم فعلاً من القتل والتنكيل يفرق عنك من خلفهم من أهل مكة، وأهل اليمن قال ابن عباس ^(٧): «نكل بهم تنكيلاً، يشرد غيرهم من ناقدي العهد» ﴿لعلهم يذكرون﴾ النكال فلا ينقضون العهد، والتأويل فشرد بقتلهم والاتكاء فيهم من بعدهم، يكن ذلك تخويفاً لهم من نقض العهد فلا يتقضوا. قوله: ﴿وإما تخافن﴾ قال ابن عباس ^(٨): «تعلمن» ﴿من قوم خيانة﴾ نقضاً للعهد ﴿فانبذ إليهم﴾ انبذ عهودهم التي عاهدتهم عليها إليهم، يقول: إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضا فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطت لهم ليكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء، فلا يتوهموا أنك نقضت العهد

(١) سقط في ج.

(٢) البغوي ٢/٢٥٧، القرطبي ٨/٢٠، الرازي ١٥/١٤٦، أبو حيان في البحر ٤/٥٠٨، وذكره السيوطي في الدر ٣/١٩١.

(٣) الرازي ١٥/١٤٦.

(٥) البغوي ٢/٢٥٧.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٢٠.

(٦) البغوي ٢/٢٥٧.

(٧) البغوي ٢/٢٥٧، الرازي ١٥/١٤٦، انظر تفسير القرطبي ٨/٢١، وأبو حيان ٤/٥٠٩، روح المعاني ١٠/٢٢، وذكره السيوطي

في الدر ٣/١٩١، وعزاه لابن جرير.

(٨) انظر تفسير البغوي ٢/٢٥٧، تفسير ابن كثير ٤/٢٢، أبو حيان ٤/٥٠٩.

بنصب الحرب وهذا معنى قوله ﴿على سواء إن الله لا يحب الخائنين﴾ الذين يخونون في عهودهم، وغيرها، قوله ﴿ولا يحسن الذين كفروا سبقوا﴾ قال ابن الأنباري^(١): «معنى الآية أن أولئك الذين انهزموا يوم بدر، أشفقوا من هلكة تنزل بهم، فلما لم تنزل طغوا وبغوا فقال الله: لا تحسبن أنهم سبقوا بسلامتهم الآن، فإنهم لا يعجزوننا فيما يستقبل من الأوقات ومن قرأ لا يحسبن بالياء^(٢)، فقال الأحفش^(٣): «ولا يحسن النبي الذين كفروا سبقوا» وقرأ ابن عامر: «أنهم يفتح الألف على تقدير: لا تحسبنهم سبقوا، لأنهم لا يفوتون قوله ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ كل ما يتقوى به على حرب العدو من آلة الجهاد، فهو مما عنى الله بقوله ﴿من قوة﴾، والمفسرون^(٤) يقولون: «يعني السلاح من السيف والرماح والقسبي^(٥)، والنشاب^(٦)».

أخبرنا محمد ابن أبي بكر المطوعي^(٧) أنا محمد بن أحمد بن علي المقري أنا أحمد بن علي بن المثنى نا هارون بن معروف^(٨) نا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي علي تمامة بن شفي^(٩): أنه سمع عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي» رواه مسلم^(١٠) عن هارون بن معروف. قوله: ﴿ومن رباط الخيل﴾ يعني ربطها، واقتنائها للغزو وهي من أقوى عدد الجهاد ﴿ترهبون به﴾ تخيفون به ﴿عدو الله وعدوكم﴾ يعني مشركي مكة وكفار العرب ﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ قال مجاهد ومقاتل^(١١): «يعني قريظة» قال «السدي»^(١٢): هم فارس

(١) البيان ٣٩٠/١.

(٢) النشر ٢٧٧/٢، إتحاف فضلاء البشر ٨١/٢، وانظر أبو حيان في البحر ٥١٠/٤، والقرطبي ٢٣/٨، انظر البغوي ٢٥٨/٢، روح المعاني ٢٣/٩.

(٣) انظر البحر المحيط ٥١٠/٤، وروح المعاني ٢٣/١٠ - ٢٤.

(٤) انظر البغوي ٢٥٨/٢، القرطبي ٢٤/٨، روح المعاني ٢٤/١٠، فتح القدير ٣٢٠/٢، الرازي ١٤٨/١٥، انظر الدر المشور ١٩٢/٣.

(٥) انظر لسان ٣٧٧٣/٥.

(٦) النشاب النبل والسهم قال ابن منظور: ٤٤٢٠/٦ والنشاب السهم وقوم نشابة يرمون بالنشاب.

(٧) تقدم الكلام على نسبة المطوعي.

(٨) هارون بن معروف المروزي أبو علي الخزاز الضري، نزيل بغداد، وروى عن ابن المبارك، وهشيم، ويحيى ابن أبي زائدة، وابن عيينة، وابن وهب وأبي ضمرة ويشر بن السري، وحاتم بن إسماعيل والوليد بن مسلم، ومروان بن شجاع وغيرهم. روى عنه مسلم وأبو داود. انظر التهذيب ١١/١١.

(٩) تمامة بن شفي الهمداني الأحرجي، ويقال الأصحبي أبو علي المصري. سكن الإسكندرية، روى عن فضالة بن عبيد، وعقبة بن عامر، وأبي ربحانة الأزدي وعبد الله بن زهير الغافقي وقبيصة بن ذؤيب وعنه عمرو بن الحارث، وعبد الرحمن بن حرملة الأسلمي، وعبد العزيز بن أبي الصعبة، ويكر بن عمرو ويزيد بن أبي حبيب، وابن إسحاق وعدة. قال النسائي ثقة، وقال ابن يونس توفي في خلافة هشام بن عبد الملك قبل العشرين ومائة. وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب ٢٨/٢.

(١٠) إسناده المصنف ظاهرة السلامة، والحديث أخرجه مسلم (١٥٢٢/٣) في كتاب الإمارة باب فضل الرمي (١٩١٧/١٦٧)، وأبو داود رقم (٢٥١٤)، والترمذي (٣٠٨٣) وابن ماجه (٢٨١٣).

(١١) البغوي (٢٥٩/٢)، وأخرجه الطبري (٣٦/١٤) (١٦٢٤٠، ١٦٢٣٩)، وابن كثير (٢٦/٤)، وأبو حيان (٥١٣/٤)، وانظر القرطبي (٢٦/٨)، انظر روح المعاني (٢٦/١٠)، فتح القدير (٣٢٣/٢).

(١٢) البغوي ٢٥٩/٢، وأخرجه الطبري (٣٦/١٤) (١٦٢٤١)، وابن كثير ٢٦/٤ وأبو حيان في البحر ٥١٣/٤، القرطبي ٢٦/٨، انظر روح المعاني ٢٦/١٠، فتح القدير ٣٢٣/٢.

وقال الحسن وابن زيد^(١) هم المنافقون لا تعلمونهم لأنهم معكم يقولون لا إله إلا الله ﴿وما تنفقوا من شيء في سبيل الله﴾ من آله وسلاح وصفراء وبيضاء في طاعة الله ﴿يوف إليكم﴾ يوفركم أجره ﴿وأنتم لا تظلمون﴾ لا تنقصون من الثواب، قوله: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ قال المفسرون^(٢): «إن مالوا إلى الصلح فمل إليه» قال الكلبي^(٣): يعني قريظة وقال الحسن^(٤): «يعني المشركين» وأكثر المفسرين^(٥) على أن هذا منسوخ بآية السيف^(٦)، قوله: ﴿وتوكل على الله﴾ أي ثق به ﴿إنه هو السميع﴾ لقولكم ﴿العليم﴾ بما في قلوبكم ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾ بالصلح لتكف عنهم ﴿فإن حسبك الله﴾ فإن الذي يتولى كفايتك الله ﴿هو الذي أيدك بنصره﴾ يوم بدر ﴿وبالمؤمنين﴾ يعني الأنصار ﴿وألف بين قلوبهم﴾ يعني بين قلوب الأوس والخزرج وهم الأنصار ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم﴾ للعداوة التي كانت بينهم في الجاهلية ﴿ولكن الله ألفت بينهم﴾ لأن قلوبهم بيده، يؤلفها كيف يشاء قال «الزجاج»^(٧): «وهذا من الآيات العظام، وذلك أن النبي ﷺ بعث إلى قوم أنفتهم شديدة ونصرت بعضهم لبعض بحيث لو لطم رجل من قبيلة لطمه قاتل عنه قبيلته حتى يدركوا ثاره، فألف الإيمان بين قلوبهم حتى قتل الرجل أخاه وابنه وأباه» قوله ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ أي في كفاية كل ما تحتاج إليه ﴿ومن اتبعك من المؤمنين﴾ يعني المهاجرين والأنصار.

أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني^(٨) أنا عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ نا أبو بكر بن أبي عاصم^(٩) نا صفوان بن المغلس نا إسحاق بن بشر^(١٠) نا خلف بن خليفة^(١١) عن أبي هاشم الرماني^(١٢) عن سعيد بن جبيرة

(١) البغوي ٢/٢٥٩، وانظر تفسير الرازي ١٥/١٤٩.

(٢) البغوي ٢/٢٦٠، ابن كثير ٤/٢٧، وأبو حيان ٥/٥١٣، الرازي ١٥/١٤٩، القرطبي ٨/٢٦٦.

(٣) ذكره الطبري عن مجاهد ١٤/٤٣ «١٦٢٥١» وفيه نظر، انظر تفسير ابن كثير ٤/٢٧، روح المعاني ١٠/٢٧، فتح القدير ٢/٣٢٢.

(٤) انظر البحر المحيط ٤/٥١٣.

(٥) انظر الطبري ١٤/٣٦، وابن كثير ٤/٢٧ - ٢٨، البغوي ٢/٢٦٠، الرازي ١٥/١٥٠، فتح القدير ٢/٣٢٢، القرطبي ٨/٢٧٧،

البحر المحيط ٤/٥١٣ روح المعاني ١٠/٢٧٧.

(٦) وهي قوله تعالى (فإذا انسلخ الأشهر الحرم التوبة ٥).

(٧) الرازي ١٥/١٥١، انظر البحر المحيط ٤/٥١٤، وانظر القرطبي ٨/٢٨.

(٨) بكسر الألف أو فتحها، وسكون الصاد المهملة، وفتح الباء الموحدة، والهاء وفي آخرها النون بعد الألف هذه النسبة إلى أشهر بلدة بالجيال. تسمى بالعجمية سهان، وسباه العسكر وهان الجمع، وكان جموع عساكر الأكامرة تجتمع إذا وقعت لهم واقعة في هذا الموضع مثل عسكر فارس وكرمان وكور الأهواز والجيال فعرّب وقيل: أصبهان. انظر الأنساب ١/١٧٥.

(٩) حافظ كبير إمام بارع متبع للآثار كثير التصانيف. قدم أصبهان على قضائها، ونشر بها علمه. قال أبو الشيخ: كان من الصيانة والعفة بمحل عجيب. وقال أبو بكر بن مردويه: حافظ كثير الحديث صنف المسند والكتب انظر السير (١٣/٤٣٠).

(١٠) إسحاق بن بشر روى عن سفيان بن عيينة قال الحافظ الذهبي في الميزان صدوق (٨/١٨٨).

(١١) خلف بن خليفة بن صاعد الأشجعي، مولاهم أبو أحمد كان بالكوفة ثم انتقل إلى واسط فسكنها مدة ثم تحول إلى بغداد فأقام بها إلى حين وفاته ورأى عمرو بن حريث صاحب النبي ﷺ قال ابن معين صدوق انظر التهذيب (٣/١٥٠).

(١٢) أبو هشام الرماني الواسطي. اسمه يحيى بن دينار وقيل: ابن الأسود، وقيل: ابن أبي الأسود، وقيل: ابن نافع رأى أنساً. روى عن أبي وائل، وأبي مجلز، وأبي العالية، وعكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن وأبي قلابة، وعبد الله بن بريدة، وحبيب بن أبي ثابت، وزادان بن أبي عمر الكندي، وحماد بن أبي سليمان وغيرهم قال أبو حاتم فقيه صدوق وذكره ابن حبان في الثقات انظر التهذيب ١٢/٢٦١ - ٢٦٢، ٢/٣٢٤، الرازي ١٥/١٥٣، القرطبي ٨/٢٩، البغوي ٢/٢٦٠. وقال الحافظ ابن كثير ٤/٣١: وفي هذا نظر، لأن هذه الآية مدنية، وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة، وقبل الهجرة إلى المدينة.

عن ابن عباس قال: أسلم مع رسول الله ﷺ تسعة وثلاثون رجلاً وامرأة ثم إن عمر أسلم فصاروا أربعين فنزل جبريل بقوله: **يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴿٦٤﴾ **يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ** ﴿٦٥﴾ **الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴿٦٦﴾

﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ قال الفراء: المعنى: يكفيك الله ويكفي من اتبعك [من المؤمنين] ^(١) قال: وإن شئت جعلت ﴿من﴾ في موضع رفع وهو أحب ^(٢) إلي قال الزجاج ^(٣): «ومن رفع فعلى العطف على الله والمعنى: فإن حسبك الله، وأتباعك من المؤمنين» قوله: ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال﴾ التحريض الحث على الشيء، قال ابن عباس ^(٤): «حرضهم على نصر دين الله» ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ يريد الرجل من المسلمين بعشرة من الكفار في القتال ﴿وإن يكن منكم﴾ أيها المؤمنون ﴿مائة﴾ رجل ﴿يغلبوا ألفاً من الذين كفروا﴾ قرىء يكن بالياء ^(٥) والتاء فمن قرأ بالياء فلأنه يراد بالمائة المذكور لأنهم رجال في المعنى، يدل على ذلك قوله: ﴿يغلبوا﴾ ومن قرأ بالتاء فللتأنيث لفظ المائة، وكان «أبو عمرو» يقرأ هذا، قوله: ﴿فإن يكن منكم مائة صابرة﴾ بالتاء، لأن التأنيث لها هنا أشد مبالغة، حيث وصفت المائة بالصابرة ولم يقل صابرون، وهناك قال يغلبوا فكان إلى التذكير أقرب وقوله: ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ أي أن المشركين يقاتلون على غير احتساب، ولا طلب ثواب فلا يثبتون إذا صدقتهم القتال لأنهم يقاتلون على جهالة قال الوالبي عن ابن عباس: «أمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل عشرة من الكفار فشق ذلك عليهم فرحمهم وأنزل ﴿الآن خفف الله عنكم﴾» ^(٦) قال الكلبي ^(٧): «هون الله عليكم وعلم أن فيكم ضعفاً»، وقرىء «ضعفاً» ^(٨) وهما لغتان مثل الفقر والفقر ﴿فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين﴾ قال ابن عباس ^(٩): «صار الرجل برجلين كان كتب عليهم ألا يفر رجل من عشرة، ثم قال: الآن خفف الله عنكم، وكتب عليهم ألا يفر مائة من مائتين» وقوله: ﴿بإذن الله﴾ بيان أنه لا تقع الغلبة، إلا أن يريد الله ذلك ﴿والله مع الصابرين﴾ قال ابن عباس ^(١٠): «يريد الذين صبروا على دينهم وعلى طاعة الله».

(١) سقط في ب، ج.

(٢) معاني القرآن للفراء ١/٤١٧، فتح القدير ٢/٣٢٤، الرازي ١٥/١٥٣.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٢٣، وانظر المصادر السابقة.

(٤) انظر تفسير البغوي ٢/٢٦٠.

(٥) انظر النشر ٢/١٧٧، وإتحاف فضلاء البشر ٢/٨٣، وانظر البحر المحيط ٤/٥١٧، الرازي ١٥/١٥٤.

(٦) البخاري ٨/١٦٣، في كتاب التفسير باب (الآن خفف الله عنكم) (٤٦٥٣) وزاد الشوكاني نسبه في الفتح للنحاس في ناسخه وابن مردويه، والبيهقي في السنن.

(٧) ومعنى قول الكلبي عند جميع المفسرين.

(٨) النشر ٢/٢٧٧، إتحاف فضلاء البشر ٢/٨٣، البغوي ٢/٢٦١، البحر المحيط ٤/٥١٧-٥١٨، الرازي ١٥/١٥٦.

(٩) البخاري ٨/١٦٣ في كتاب التفسير، باب (الآن خفف الله عنكم)، وانظر تفسير ابن كثير ٤/٣١، القرطبي ٨/٣٠، فتح القدير

٢/٣٢٥.

(١٠) انظر تفسير الرازي ١٥/١٥٦.

مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَشْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ تَوَلَّىٰ كَتَبٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

قوله: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يشخن في الأرض﴾ الآية.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطاووسي نا محمد بن حماد نا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن (١) مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: «لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى قال رسول الله ﷺ: ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأصلك فاستبقهم واستأن بهم، لعل الله يتوب عليهم، وقال عمر: كذبوه وأخرجوه بدمهم فاضرب أعناقهم وقال عبد الله بن رواحة [يا رسول الله] (٢) انظر وادياً كثير الحطب فادخلهم فيه ثم أضرم عليهم ناراً، وقال العباس: قطعت رحمك فسكت رسول الله ﷺ ولم يجبههم ثم دخل فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر، وقال ناس يأخذ بقول عبد الله ثم خرج عليهم فقال إن الله عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر كمثلك إبراهيم قال: ﴿فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ (٣) وإن مثلك يا أبا بكر كمثلك عيسى قال: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ (٤) وإن مثلك يا عمر كمثلك موسى: قال ﴿ربنا أطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم﴾ (٥) الآية، ومثلك يا عمر كمثلك نوح قال: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ (٦) ثم قال رسول الله ﷺ أنتم اليوم عالة، فلا يملكن منهم أحد إلا بقاء أو ضرب عتق فأنزل الله تعالى: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يشخن في الأرض﴾ إلى آخر الآيات الثلاث (٧).

أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان العدل أنا أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي نا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي نا أبو نوح قراد (٨) نا عكرمة بن عمار نا سماك الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر، استشار رسول الله ﷺ أبا بكر، وعمر، فقال أبو بكر يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإنني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله، فيكونوا لنا عضداً، فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنتي من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه، وتمكن عليا من عقيل (٩)، فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه، فيضرب

(١) عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق بن الحارث بن سلمة بن كعب بن وائل بن جمل بن كنانة بن ناجية بن مراد الجملي المرادي أبو عبد الله الكوفي الأعمى وثقه ابن معين انظر التهذيب (١٠٢/٨).

(٢) سقط في أ، ب. (٤) سورة المائدة ١١٨.

(٣) سورة إبراهيم ٣٦. (٥) سورة يونس ٨٨. (٦) سورة نوح ٢٦.

(٧) أخرجه أحمد في المسند ٢٢٧/٥، وأخرجه الترمذي في جامعه ٢٧١/٥ في كتاب التفسير سورة الأنفال. وذكره الهيثمي في المجمع ٨٦/٦، وعزاه لأحمد وأبي يعلى والطبراني، وقال: وفيه أبو عبيدة ولم يسمع من أبيه، ولكن رجاله ثقات.

(٨) عبد الرحمن بن عزوان الخزاعي، ويقال الضبي أبو نوح المعروف بقراد. سكن بغداد.

روى عن جرير بن حازم، وشعبة وعكرمة بن عمار، وعوف الأعرابي، والليث بن سعد، ومالك ويونس بن أبي إسحاق وغيرهم وثقه

ابن سعد وقال ابن معين صالح انظر التهذيب (٢٤٧/٦ - ٢٤٨).

(٩) عقيل بفتح أوله ابن أبي طالب بن عبد مناف القرشي الهاشمي أخو علي وجعفر، وكان الأسن يكنى أبا يزيد... تأخر إسلامه إلى =

عنته حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هودة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قال عمر فأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد قال عمر بن الخطاب: غدوت إلى رسول الله ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق، وإذا هما يبكيان فقلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ: أبكي للذي عرض على أصحابك من الفداء لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة وأنزل الله ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾ إلى قوله: ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ رواه مسلم^(١) عن هناد بن السري عن ابن المبارك عن عكرمة.

قال المفسرون: «يقول: ما كان لنبي أن يجبس كافراً قدر عليه من عبدة الأوثان للفداء وللمن قبل الإثخان قبل الأرض»، قال قتادة^(٢): «كان هذا يوم بدر فاداهم رسول الله بأربعة آلاف ولعمري، ما كان أنخن رسول الله ﷺ يومئذ وكان أول قتال قاتل المشركين» ومعنى (يشخن في الأرض) قال الزجاج^(٣): «يبالغ في قتل أعدائه» وقال الفراء: «حتل يغلب على كثير من الأرض»^(٤) وقال ابن الأعرابي^(٥): «أنخن إذا غلب وقهر» «تريدون عرض الدنيا» تريدون الفداء ﴿والله يريد الآخرة﴾ قال ابن عباس^(٦): «يريد لكم الجنة» ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ ان الغنائم لك ولأمتك حلال ﴿لمسكم فيما أخذتم﴾ من الفداء ﴿عذاب عظيم﴾ هذا قول سعيد بن جبير وقتادة^(٧) ورواية الوالبي وأبي الجوزاء^(٨) عن ابن عباس^(٩) وقال الحسن^(١٠): «إنهم أخذوا الفداء قبل أن يؤمروا به فعاب الله ذلك عليهم وقال محمد بن إسحاق^(١١) ﴿لولا كتاب من الله سبق أي لا أعذب إلا بعد النبي - ولم يكن نهاهم - لعذبتكم﴾ وهذا قول ابن مسعود ومجاهد^(١٢) وقال ابن زيد وجماعة: «سبق من الله العفو عنهم والأي عذب أحد أمهم شهد بدرأ ولم يكن أحد من المؤمنين ممن حضر إلا أحل الغنائم غير عمر جعل لا يلقى أسيراً إلا ضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: ﴿لو عذبنا في هذا الأمر ما نجا غير عمر﴾»^(١٣)

= عام الفتح، وقيل أسلم بعد الحديبية، وهاجر في أول سنة ثمان، وكان أسيراً يوم بدر ففداه عمه العباس، ووقع ذكره في الصحيح في مواضع، وشهد غزوة مؤتة انظر الإصابة ٢٥٥/٤.

(١) إسناده ظاهره السلامة، والحديث أخرجه مسلم ١٣٨٣/٣، في كتاب الجهاد باب الإمداد بالملائكة ١٤٦٣/٥٨، والبيهقي في التفسير ٦١/٢، وأحمد في المسند ٢٤٣/٣، وابن كثير ٣٢/٤.

(٢) انظر تفسير الرازي ١٥٧/١٥، وما بعدها، وفتح القدير ٣٢٥/٢.

(٣) ذكره البيهقي عن ابن عباس ٢٦٢/٢، وانظر القرطبي ٣٢/٨.

(٤) معاني القرآن ٤٢٥/٢، البيهقي ٢٦٢/٢، الرازي ١٦٠/١٥.

(٥) وقال المصنف أيضاً رحمه الله الإثخان في كل شيء عبارة عن قوته وشدته يقال قد أنخنه المرض إذا اشتد قوة المرض عليه، وكذلك أنخنه الجراح، والشخانة الغلظة فكل شيء غليظ فهو شخين.

(٦) انظر تفسير البيهقي ٢٦٢/٢.

(٧) البيهقي ٢٦٢/٢.

(٨) أوس بن عبد الله الربعي أبو الجوزاء البصري من ربيعة الأزدي عن أبي هريرة وعائشة وابن عباس وعبد الله بن عمرو وصفوان بن عسال وعنه بديل بن ميسرة، وأبو الأشهب، وعمرو بن مالك وقتادة وغيرهم وثقه العجلي. انظر التهذيب (٣٨٣/١).

(٩) البيهقي (٢٦٢/٢) البيهقي (٢٦٢/٢).

(١٠) انظر البحر المحيط ٥١٩/٤، البيهقي ٢٦٢/٢.

(١١) أبو حيان ٥١٩/٤، انظر فتح القدير ٣٢٦/٢، انظر السيرة لابن هشام ٦٧٦/١، ابن كثير ٣٤/٤، والطبري ٦٩/١٤.

(١٢) أبو حيان في البحر ٥١٩/٤، وانظر المصادر السابقة. (١٣) أبو حيان في البحر ٥١٩/٤، وانظر المصادر السابقة.

(١٤) أخرجه الطبري في التفسير بإسناد ضعيف ٧١/١٤، وانظر أبو حيان في البحر ٥١٩/٤، البيهقي ٢٦٢/٢، انظر روح المعاني

وقال ابن عباس: (١) قال رسول الله ﷺ: «لو نزل عذاب ما سلم منه إلا عمر» وقال مجاهد (٢): قال النبي ﷺ لعمر: «كاد أن يصيبنا في خلافك بلاء» ولما نزل هذا أمسكوا أيديهم عن الغنائم فنزل قوله: ﴿فكفوا عما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم﴾ قال ابن عباس (٣): «غفر لكم ما أخذتم من الفداء ورحمكم لأنكم أولياؤه».

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

قوله: ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً﴾ صدقاً وإسلاماً ﴿يؤتكم خيراً مما أخذ منكم﴾ من الفداء، نزلت في العباس (٤) وكان أسر يوم بدر ومعه عشرون أوقية من ذهب كان خرج بها ليطعم الناس وكان أحد العشرة الذين ضمنوا طعام أهل بدر ولم يكن بلغته النوبة حتى أسر، فأخذت معه فأخذها رسول الله ﷺ منه، قال: فكلتمه أن يجعل ذلك في فدائي فأبى علي، وقال: (أما شيء خرجت به تستعين به علينا فلا) قال: فأعطاني الله خيراً مما أخذ مني عشرين عبداً كلهم يضرب بمال كثير وأدنانهم يضرب عشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية، وأنا أرجو المغفرة من ربي (٥) وهو قوله: ﴿والله غفور رحيم﴾ قوله: ﴿وإن يريدوا خيانتك﴾ [الآية] (٦) نزلت في العباس وأصحابه من الأسارى (٧)، قال ابن جريج: «أراد بالخيانة هنا الخيانة في الدين وهو الكفر» يعني إن كفروا بك ﴿فقد خانوا الله من قبل﴾ أي: كفروا بالله ﴿فأمكن منهم﴾ المؤمنين ببدر حتى قتلوهم، وأسروهم وهذا تهديد لهم إن عادوا إلى القتال ومعاداة المؤمنين ﴿والله عليم﴾ بخيانة إن خانوها ﴿حكيم﴾ في تدبيره عليهم ومجازاتهم أياهم قوله: ﴿إن الذين ءامنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ يعني المهاجرين الذين هجروا ديارهم وأموالهم

(١) هذا موقوف على ابن عباس، والمرفوع قد سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٢٩/٢، في التفسير وضححه، ووافقه الذهبي.

(٣) الرازي ١٦٢/١٥، انظر البحر المحیط ٥٢٠/٤.

(٤) البغوي ٢٦٣/٢، الرازي ١٦٢/١٥، الطبري ٧٣/١٤، ابن كثير ٣٦/٤، فتح القدير ٣٢٨/٢.

(٥) انظر المصادر السابقة، وانظر البخاري ١٩٤/٦ في كتاب الجهاد باب فداء المشركين.

(٦) سقط في ب.

(٧) انظر المصادر السابقة، وانظر أسباب النزول للمصنف ص (٢٣٨) والحاكم في المستدرک ٣٢٤/٣.

وقومهم في نصره الدين ﴿والذين ءاؤوا ونصروا﴾ يعني الأنصار أسكنوا المهاجرين ديارهم ونصروهم على أعدائهم ﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ قال المفسرون^(١): «يعني في الميراث كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة وكان الذي آمن ولم يهاجر لا يرث قريبه المهاجر وهو قوله: ﴿والذين ءامنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾ وقرئ من ﴿ولايتهم﴾ بكسر الواو وفتح^(٢) وهما لغتان من الولي والوالي كالوكالة والوكالة وبابهما، والفتح أجود لأنه أكثر في الدين والكسر في السلطان، قال ابن الأنباري^(٣): «كان الله تعالى تعبدهم في أول الهجرة بأن لا يرث المسلمون المهاجرين إخوانهم الذين لم يهاجروا ولا يرثون هم أخوانهم، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ وقوله: ﴿وإن استنصروكم في الدين﴾ أي: وإن استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا فلا تخذلوهم [وانصروهم]^(٤) ﴿إلا﴾ أن يستنصروكم ﴿على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ عهد فلا تغدروا ولا تنقضوا العهد، قوله: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ حض الله المؤمنين على التواصل فجعل المهاجرين والأنصار أهل ولايته في الدين دون من سواهم وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض، ثم قال: ﴿إلا تفعلوه﴾ قال ابن عباس^(٥): «إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به» وقال ابن جريج^(٦): «يقول: إلا تعاونوا وتناصروا في الدين» ﴿تكن فتنة في الأرض﴾ يعني الشرك وفساد كبير وذلك أنه إذا لم يتول المؤمن المؤمن توليا يدعو غيره ممن لا يكون مؤمناً إلى مثل ذلك ولم يتبرأ من الكافر بما يصرفه عن كفره، أدى ذلك إلى الضلال والفساد في الدين فإذا هجر المسلم أقاربه الكفار ونصر أقاربه المسلمين كان ذلك أدعى إلى الإسلام، وترك الكفر لأقاربه الكفار وقوله ﴿والذين ءامنوا﴾ إلى قوله: ﴿هم المؤمنون حقاً﴾ أي هم الذين حققوا إيمانهم بما يقتضيه من الهجرة والنصرة خلاف من أقام بدار الشرك ﴿والذين ءامنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ قال ابن عباس^(٧): «يريد الذين هاجروا بعد الحديبية، وهي الهجرة الثانية» وقوله: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ قال جماعة المفسرين^(٨): «هذا نسخ للميراث بالهجرة ورد للموارث إلى أولي الأرحام» وذلك أنهم كانوا لا يتوارثون بالرحم وإنما يتوارثون بالهجرة كان الأخوان إذا أسلما فهاجر أحدهما، فمات لم يرثه الذي لم يهاجر حتى فتحت مكة فرد الله الميراث إلى أولي الأرحام.

روى عكرمة عن ابن عباس^(٩) أن النبي - ﷺ - آخا بين أصحابه فكانوا يتوارثون بذلك حتى نزلت ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ فتوارثوا بالنسب وقوله: ﴿في كتاب الله﴾ قال الزجاج^(١٠): «في حكم الله» ويجوز أن يعني بالكتاب ها هنا القرآن أي هم في فرض كتاب الله أولى بأرحامهم ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ مما خلق وفرض وحدّ عليهم.

(١) البخاري في التفسير سورة النساء، والطبري ٧٩/١٤ وما بعدها، وابن كثير ٣٩/٤، البغوي ٢/٢٦٤، القرطبي (٣٧/٨) البحر

المحيط ٥٢٢/٤، الرازي ١٥/١٦٦، فتح القدير ٢/٣٢٩، روح المعاني ١٠/٣٧-٣٨.

(٢) النشر ٢/١٧٧، إتحاف فضلاء البشر ٢/٨٤، البحر المحيط ٤/٥٢٢، الرازي ١٥/٢٦٤.

(٣) انظر القرطبي ٣٧/٨، البحر المحيط ٤/٥٢٢، فتح القدير ٢/٣٢٩، البغوي ٢/٢٦٤.

(٤) سقط في ب. (٥) البغوي ٢/٢٦٤، القرطبي ٨/٣٨.

(٦) البغوي ٢/٢٦٤، القرطبي ٨/٣٨. والمعنى: إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت الفتنة في الناس، وهو التباس

الأمر، واختلاط المؤمن بالكافر فيقع بين الناس فساد منتشر.

(٧) البغوي ٢/٢٦٤، القرطبي ٨/٣٨، أبو حيان ٤/٥٢٣ الرازي ١٥/١٦٩.

(٨) البغوي ٢/٢٦٥، القرطبي ٨/٣٨، البحر المحيط ٤/٥٢٣، الرازي ١٥/١٧٠، فتح القدير ٢/٣٣٠.

(٩) أخرجه أبو داود في السنن (٣/١٢٨) في كتاب الفرائض، باب نسخ ميزان العقد بميراث الرحم ٢٩٢١.

(١٠) انظر معاني القرآن ٢/٤٢٥، والبغوي ٢/٢٦٥.

سورة التوبة

مدنية وآياتها تسع وعشرون ومائة

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الزمجاري نا أحمد بن جعفر بن مالك نا عبد الله بن أحمد بن حنبل نا أبي نا محمد بن جعفر نا عوف^(١) عن يزيد الفارسي قال: قال لنا ابن عباس: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عهدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المثين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتهما في السبع الطوال؟ قال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد وكان إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده يقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة وبراءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها وقبض فيها رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، وظننا أنها منها فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتهما في السبع الطوال.^(٢)

أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أنا أبو عمر بن مطر أنا أبو خليفة الجمحي نا أبو الوليد، نا شعبة نا أبو اسحاق قال سمعت البراء يقول آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾^(٣) وآخر سورة نزلت براءة، رواه البخاري^(٤) عن أبي الوليد.

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ مَخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ إِن يَسْتَم فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ

(١) عوف بن أبي جميلة العبدي الهجري أبو سهل البصري، المعروف بالأعرابي واسم أبي جميلة بندوية، ويقال بل بندوية اسم أمه، واسم أبيه رزينة وقال أبو حاتم صدوق صالح، وقال النسائي ثقة ثبت. انظر التهذيب (١٦٦/٨ - ١٦٧).

(٢) أخرجه الترمذي ٢٥٤/٥ في كتاب التفسير ٣٠٨٦، وابن حبان كما في الإحسان ١/١٢٥، وأخرجه أبو داود ٢٠٨/١، ٢٠٩ في كتاب الصلاة، باب من جهر بها ٧٨٦، وأحمد في المسند ١/٥٧، والحاكم في المستدرک ٢/٣٣٠. أخرجه البغوي في التفسير ٢/٢٦٥، وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير، وعزاه لأحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدرکه من طرق أخر عن عوف الأعرابي به، وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) سورة النساء ١٧٦.

(٤) في كتاب التفسير سورة النساء براءة من الله ورسوله إلى الذين (٤٦٥٤).

فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ
فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾

قوله: ﴿براءة من الله﴾ الآية قال المفسرون: ^(١) «أخذت العرب تنقض عهوداً بينها وبين رسول الله ﷺ فأمره الله أن ينقض عهودهم» قال الزجاج: ^(٢) «أي: قد برىء الله ورسوله من إعطائهم العهود والوفاء بها إذ نكثوا» والخطاب في ﴿عاهدتم﴾ لأصحاب رسول الله ﷺ والمتولي للعقد رسول الله ﷺ لكنهم أدخلوا في الخطاب، لأنهم راضون بفعله. وقوله: ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾ يقال: ساح يسبح سياحة وسيوحاً، قال الزجاج: ^(٣) «معناه: اذهبوا فيها، وأقبلوا وأدبروا» وقال المفسرون: ^(٤) «هذا تأجيل من الله للمشركين أربعة أشهر، فمن كانت مدة عهده أكثر من أربعة أشهر حطه إلى الأربعة ومن كانت مدته أقل من أربعة، رفعه إلى الأربعة» قال الزهري: الأربعة أشهر شوال وذو القعدة، وذو الحجة والمحرم لأن هذه الآية نزلت في شوال قال ابن عباس ^(٥) في رواية الوالبي: «حد الله للذين عاهدوا رسول الله ﷺ أربعة أشهر يسبحون في الأرض حيث ما شاءوا وأحل من ليس له عهد عند انسلاخ الأشهر الحرم فإذا انسلخ الأشهر الحرم أمره أن يضع السيف فيهم حتى يدخلوا في الإسلام» وقوله: ﴿واعلموا أنكم غير معجزي الله﴾ قال ابن عباس: ^(٦) «حيثما كنتم وحيثما توجهتم لا يعجز الله عن نعمته فيكم» وقال الزجاج: ^(٧) «أي: وإن أجلتهم هذه الأربعة الأشهر فلن تفوتوا الله» ﴿وأن الله مخزي الكافرين﴾ بالقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة والإخزاء الإذلال بما فيه من الفضيحة والعار، قوله: ﴿وأذان من الله ورسوله﴾ الأذان الإعلام ^(٨) وهو اسم من الأيدان، يقال: أذن إيداناً [وأذاناً] ^(٩) وقوله ﴿إلى الناس﴾ أي للناس، يقال: هذا إعلام لك وإليك وأراد بالناس المؤمن والمشرك [والكافر] ^(١٠) لأن الكل داخلون في هذا الإعلام، [قوله]: ^(١١) ﴿يوم الحج الأكبر﴾ اختلفوا فيه، فقال عمر وسعيد بن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس ومجاهد: انه يوم عرفة ^(١٢) ونحو هذا روى المسور بن مخرمة عن النبي ﷺ [مرفوعاً] ^(١٣)

أخبرنا سعيد بن محمد الزاهد أنا محمد بن عبد الله بن الفضل أنا أحمد بن محمد بن الحسن المحافظ ثنا

(١) انظر تفسير الطبري ٩٥/١٤، وانظر بن كثير ٤/٤٦، البغوي ٢/٢٢٦.

(٢) معاني القرآن ٢/٤٢٩.

(٣) البغوي ٢/٢٦٦، معاني القرآن للزجاج ٢/٤٢٩.

(٤) الطبري ١٠١/١٤ (١٦٣٦٦)، وابن كثير ٤/٤٦، البغوي ٢/٢٦٦، الرازي ١٥/١٧٥ - ١٧٦.

(٥) الطبري ٩٨/١٤ (١٦٣٥٧)، ابن كثير ٤/٤٥.

(٦) انظر تفسير البغوي ٢/٢٦٦، وانظر الرازي ١٥/١٧٦.

(٧) معاني القرآن ٢/٤٢٩.

(٨) انظر أنيس الفقهاء (٧٦).

(٩) سقط في أ.

(١٠) سقط في أ، ب.

(١١) سقط في أ، ب.

(١٢) الطبري ١١٤/١٤، ابن كثير ٤/٥٠، البغوي ٢/٢٦٨، فتح القدير ٢/٣٣٣، الرازي ١٥/١٧٦ - ١٧٧، القرطبي ٨/٤٥، روح

المعاني ١٠/٤٦.

(١٣) سقط في أ، ب.

محمد بن حيويه^(١) ويحيى بن محمد بن يحيى، قالوا: نا عبد الرحمن بن المبارك العيشي^(٢) نا عبد الوارث بن سعيد نا ابن جريج عن محمد بن قيس^(٣) عن المسور بن مخرمة قال: «خطبنا رسول الله ﷺ بعرفات فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: فإن هذا يوم الحج الأكبر وذكر الحديث»^(٤) وقال ابن عباس في رواية عطاء: «يوم الحج الأكبر يوم النحر»^(٥) وهو قول الشعبي والنخعي والسدي وسعيد بن جبير ورواية ابن أبي أوفى^(٦) عن النبي ﷺ.

أخبرنا محمد بن إبراهيم المزكي أنا أبو بكر بن عبد الله بن يحيى الطلحي نا أحمد بن سعيد بن شاهين^(٧) نا محمد بن بكار نا حفص بن عمر قاضي حلب عن سليمان الشيباني عن عبد الله بن أبي أوفى: ان النبي ﷺ قال يوم الأضحى هذا يوم الحج الأكبر^(٨) ومعنى الحج الأكبر الحج بجميع أعماله، والحج الأصغر العمرة، وقال قوم: يوم الحج الأكبر حين الحج، أيامه كلها، كما يقال: «يوم الجمل ويوم صفين ويوم بعثت»^(٩) لأن كل حرب من هذه الحروب دامت أياماً كثيرة» وقوله: ﴿إن الله بريء من المشركين﴾ أي من عهد المشركين فحذف المضاف ﴿ورسوله﴾

(١) وهذا النسبة لبعض أجداد المنتسب إليه. الإمام المحدث الثقة المسند أبو عمر محمد بن العباس بن محمد بن زكريا بن يحيى البغدادي الخزاز ابن حيوية من علماء المحدثين. سمع أبا بكر محمد بن محمد الباغندي، ومحمد بن خلف بن المرزبان، وعبد الله بن إسحاق المدائني، وأبا القاسم البغوي وابن أبي داود، وعبيد بن المؤمل وعبيد الله بن عثمان صاحب ابن المدني، ويدير بن الهيثم وأبا حامد الحضرمي ومحمد بن هارون بن المجدر وطبقتهم. حدث عنه: أبو بكر البرقاني، وأبو الفتح بن أبي الفوارس، وأحمد بن محمد العتيقي، وأبو محمد الخلال، وعلي بن المحسن التنوخي، وأبو محمد الجوهري وآخرون. السير (٤٠٩/١٦).

(٢) عبد الرحمن بن المبارك بن عبد الله العيشي الطفاوي، ويقال السدوسي أبو بكر ويقال أبو محمد البصري الخلقاني. انظر التهذيب (٢٦٣/٦).

(٣) محمد بن قيس الأسدي الوالبي من أنفسهم أبو نصر، ويقال أبو قدامة ويقال أبو الحكم الكوفي. روى عن الشعبي ومحارب بن دثار وأبي عون الثقفي، وحמיד الطويل، وزيد بن علاقة وعلي بن ربيعة الوالبي، والحكم بن عتيبة وعطاء بن السائب، وأبي الهند الهمداني وغيرهم. روى عنه حفيده وهب بن إسماعيل بن محمد بن قيس والثوري وشعبة وعلي بن مسهر، وحفص بن غياث، ويحيى بن سعيد الأموي، ووكيع وأبو نعيم وآخرون. ذكره ابن حبان في الثقات وقال كان من المتقين. انظر التهذيب ٤١٢/٩ - ٤١٣.

(٤) أخرجه الطبري في التفسير ١١٦/١٤، وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ٥١/٤، وقال مرسل، وقال عمر بن الوليد الشني: حدثنا شهاب بن عباد العصري عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: هذا يوم عرفة هذا يوم الحج الأكبر فلا يصومنه أحد. قال: فحججت بعد أبي فأتيت المدينة فسألت عن أفضل أهلها فقالوا: سعيد بن المسيب فأتيته فقلت: إني سألت عن أفضل أهل المدينة، فقالوا: سعيد بن المسيب فأخبرني عن صوم يوم عرفة فقال: أخبرك عن من هو أفضل مني مائة ضعف عمر أو ابن عمر كان ينهى عن صومه. ويقول: هو يوم الحج الأكبر. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وهكذا روي عن ابن عباس وعبد الله بن الزبير ومجاهد وعكرمة وطاوس. أنهم قالوا: يوم عرفة هو يوم الحج الأكبر. انظر تفسير ابن كثير ٥٠/٤ - ٥١ والمختار أنه يوم النحر. (٥) الطبري ١١٧/١٤، وما بعدها، وابن كثير ٥١/٤، والبغوي ٢٦٨/٢ الرازي ١٧٧/١٥، فتح القدير ٣٣٣/٢، القرطبي ٤٥/٨، روح المعاني ٤٦/١٠.

(٦) انظر المصادر السابقة وأثر الطبري ١٦٤٠٠.

(٧) أحمد بن سعيد بن شاهين أبو العباس. سمع شيبان بن فروخ، ويعقوب بن حميد بن كاسب ويحيى بن معين، ومصعب بن عبد الله الزبيري ومسعود بن جويرية. روى عنه عبد الصمد بن علي الطستي، وأبو بكر الشافعي، ودمليج بن أحمد، وعبد الله بن يحيى الطلحي الكوفي، وأبو القاسم الطبراني. مات في سنة ثلاث وتسعين ومائتين. انظر تاريخ بغداد ١٧١/٤.

(٨) الحديث أخرجه أبو داود ١٩٥/٢ في كتاب الحج، باب الحج الأكبر.

(٩) ويوم بعثت يوم مشهور من أيام العرب كان بين الأوس والخزرج.

رفع بالابتداء وخبره مضمرة على معنى: ورسوله أيضاً بريء قال المفسرون: «لما فتح الله مكة سنة ثمان من الهجرة وخرج رسول الله ﷺ إلى تبوك^(١) وأرجف المنافقون الأراجيف جعل المشركون ينقضون عهودهم فأمر الله رسوله ﷺ بإلقاء عهودهم إليهم فلما كانت سنة تسع بعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميراً على الموسم، ليقيم للناس الحج وبعث معه بأربعين آية من صدر براءة، ليقرأها على أهل الموسم، فلما سار دعا رسول الله ﷺ علياً فقال: اخرج هذه القصة من صدر براءة وأذن بذلك في الناس إذا اجتمعوا فخرج علي على ناقه رسول الله ﷺ العضاء حتى أدرك أبا بكر بذئ الحليفة فرجع أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء؟ قال: لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وأنك صاحبني على الحوض؟ قال: بلى يا رسول الله فسار أبا بكر أميراً على الحج وعلي ليؤذن براءة^(٢) وذكر الزجاج: ^(٣) السبب في تولية علي تلاوة براءة قال: «إن العرب جرت عاداتها في عقد عهودها ونقضها، أن يتولى ذلك عن القبيلة رجل منها وكان جائزاً أن يقول العرب إذا تلا عليها نقض العهد من الرسول من هو من غير رهطه هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود، فأزاح النبي ﷺ العلة في ذلك» وشرح عمرو بن بحر الجاحظ^(٤) هذه القصة فقال: «إن النبي ﷺ بعث أبا بكر أميراً على الحج وولاه الموسم وبعث علياً يقرأ على الناس آيات من سورة براءة وكان أبو بكر الإمام، وعلي المؤتم به، وكان أبو بكر الخطيب وعلي المستمع وكان أبو بكر الرافع الموسم ولم يكن لعلي أن يرفع حتى يرفع أبو بكر، وأما قوله ﷺ: لا يبلغ عني إلا رجل مني فإن هذا ليس بتفضيل منه لعلي على غيره، ولكن عامل العرب على مثل ما كان بعضهم يتعارفه من بعض كعادتهم في عقد الحلف وحل العقد كان لا يتولى ذلك إلا السيد منهم أو رجل من رهطه ديناً، كأخ أو عم فلذلك قال النبي ﷺ هذا القول».

ويدل على هذا ما لجملة الحديث الصحيح الذي أخبرنا عمرو بن أبي عمرو المزكي أنا محمد بن مكى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل البخاري أنا عبد الله بن يوسف نا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: «بعثني أبو بكر في تلك الحجة في المؤذنين، بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى، ألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال أبو هريرة: فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر براءة وألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان»^(٥) وقوله: ﴿فَإِنْ تَبُتُمْ﴾ رجع إلى خطابات المشركين يريد فإن رجعتم عن الشرك إلى توحيد الله ﴿فهو خير لكم﴾ من الإقامة على الشرك ﴿وإن توليتم﴾ عن الإيمان ﴿فاعلموا أنكم

(١) وهي بفتح التاء، وضم الباء وهي في طرف الشام صانه الله تعالى من جهة القبلة، وبينها وبين مدينة النبي ﷺ نحو أربعة عشر مرحلة وبينها وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة، وكانت غزوة رسول الله ﷺ تبوك سنة تسع من الهجرة، ومنها راسل عظماء الروم وجاء إليه ﷺ من جاء وهي آخر غزواته بنفسه. قال الأزهري أقام النبي ﷺ بتبوك بضعة عشر يوماً والمشهور تركه صرف تبوك للتأنيث والعلمية ورويته في صحيح البخاري في حديث كعب في أواخر كتاب المغازي عن كعب، ولم يذكر عن رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوكاً هكذا هو في جميع النسخ تبوكاً فيها أيضاً توج بالجميم انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٤٣/٣.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٥٧/٥ في كتاب التفسير سورة التوبة ٣٠٩١، وقال: حسن غريب، والطبري في التفسير ١٠٧/١٤ - ١٠٨ (١٦٣٧٧) وأحمد في المستدرك ٢٨٣/٣.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٤٢٨/٢.

(٤) انظر قول الحافظ في التفسير الفخر الرازي ١٧٥/١٥.

(٥) الحديث أخرجه البخاري ٥٦٩/١ في كتاب الصلاة، باب ما يستمر من العورة (٣٦٩، ١٦٢٢، ٣١٧٧، ٤٣٦٣، ٤٦٥٥، ٤٦٥٦، ٤٦٥٧) ومسلم ٩٨٢/٢ في الحج لا يحج البيت مشرك ١٣٤٧/٤٣٥.

غير معجزى الله ﴿ لا تعجزونه عن تعذيبكم ولا تفوتون بأنفسكم من أن يحل بكم عذابه في الدنيا ثم أوعدهم بعذاب الآخرة فقال: ﴿وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾ قوله ﴿إلا الذين عاهدتكم من المشركين﴾ قال المفسرون: ^(١) «استثنى الله طائفة وهم بنو ضمرة حي من كنانة» أمر النبي ﷺ بإتمام عهودهم، وكان قد بقي لهم من مدة عهدهم تسعة أشهر وقوله: ﴿ثم لم ينقصوهم﴾ أي من شروط العهد ﴿شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً﴾ لم يعاونوا عليكم عدواً ﴿فأتوموا إليهم عهدهم إلى مدتكم﴾ أي إلى انقضاء مدتكم ﴿إن الله يحب المتقين﴾ يجب من اتقاه بطاعته، واجتناب معاصيه قوله: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾ أي: مضى وذهب، وذهابها بانسلاخ المحرم ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ أي: في الحل والحرم ﴿وخذوهم﴾ بالأسر ﴿واحصروهم﴾ قال ابن عباس: ^(٢) «يريد إن تحصنوا فاحصروهم» والحصر ها هنا المنع عن الخروج من محيط ﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾ أي: على كل طريق يأخذون فيه، والمرصد الموضع الذي يرقب فيه العدو ﴿فإن تابوا﴾ من الشرك ﴿وأقاموا الصلاة﴾ المفروضة ﴿وآتوا الزكاة﴾ من الأموال العين والمواشي والثمار ﴿فخلوا سبيلهم﴾ حتى يذهبوا حيث شاءوا ﴿إن الله غفور﴾ لمن تاب وآمن ﴿رحيم﴾ به ﴿وإن أحد من المشركين﴾ الذين أمرتكم بقتلهم ﴿استجارك﴾ طلب منك الأمان والجوار ﴿فأجره﴾ من القتل ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ القرآن وما أمر به ونهى عنه ﴿ثم أبلغه أمانه﴾ الموضع الذي يأمن فيه ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾ أي الأمر ذلك، وهو أن يعرفوا، ويجاروا لجهلهم، فربما يعرفون فيسلمون ثم قال على وجه الإنكار

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَأَسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٧﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿٩﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنَفَصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١١﴾

﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله﴾ أي لا يكون لهم عهد وهم يقدرون وينقضون ﴿إلا الذين عاهدتكم عند المسجد الحرام﴾ وهم بنو ضمرة الذين ذكرنا ﴿فما استقاموا لكم﴾ في وفاء العهد ﴿فاستقيموا لهم﴾ على الوفاء بإتمام أجلهم ﴿إن الله يحب المتقين﴾ من اتقى الله في أداء فرائضه والوفاء بعهده لمن عاهده، قوله: ﴿كيف وإن يظهروا عليكم﴾ أي كيف يكون للمشركين عهد وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم، يقدروا عليكم، ويظفروا بكم ﴿لا يرقبوا فيكم﴾ لا يحفظوا فيكم ﴿إلا﴾ قرابة ﴿ولا ذمة﴾ عهداً ﴿يرضونكم بأفواههم﴾ يقولون كلاماً حلواً ﴿وتأبى قلوبهم﴾ الوفاء بما يقولون ﴿وأكثرهم فاسقون﴾ كاذبون ناقضون للعهد ﴿اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً﴾ استبدلوا بالقرآن متاع الدنيا ﴿فصدوا عن سبيله﴾ فأعرضوا عن طاعته ﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ من اشترائهم الكفر بالإيمان ثم ذمهم بترك المراقبة للعهد والذمة للمؤمنين بقوله:

﴿لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون﴾ المجاوزون للحلال إلى الحرام بنقض العهد ﴿فإن تابوا﴾ من الشرك ﴿وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة﴾ قال ابن مسعود: ^(١) «أمرتم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فمن لم يترك فلا صلاة له» وقال ابن زيد: ^(٢) «رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه، أباي الله أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة» وقال المفسرون ^(٣):
الماخاة بين المسلمين موقوفة على فعل الصلاة والزكاة مع الشهادة، لأن الله تعالى قال:

﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فأخوانكم في الدين﴾ أي فهم إخوانكم في الدين ﴿ونفصل الآيات﴾
نينها ﴿لقوم يعلمون﴾ أنها من عند الله، قوله: ﴿وإن نكثوا أيمانهم﴾ جمع يمين بمعنى القسم يعني مشركي قريش،
يقول: إن نقضوا عهدهم يقال نكث العهد إذا نصبه ونكث يمينه إذا خالف موجبها، وقوله: ﴿وطعنوا في دينكم﴾ أي
عابوا دينكم، قال الزجاج: ^(٤) «وهذه الآية توجب قتل الذمي إذا طعن في الإسلام لأن العهد معقود عليه ألا يطعن فإن
طعن فقد نكث» وقوله: ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ يعني رؤوس قريش ^(٥) وقادتهم وهم أبو جهل وأميمة بن خلف ^(٦)
وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، ^(٧) والأصل في أئمة أئمة، لأنها جمع إمام مثل: مثال
وأمثله ولكن لما اجتمعت الميمان ادغمت الأولى في الثانية وألقيت حركتها على الهمزة فصارت أئمة فأبدل من الهمزة
المكسورة ياء، كراهة لاجتماع الهمزتين، وهذا هو الاختيار عند جميع النحويين ومن قرأ بهمزتين ^(٨) راعى الأصل
وليس بالوجه ^(٩) وقوله: ﴿إنهم لا أيمان لهم﴾ قال الفراء: ^(١٠) لا عهود لهم والمعنى لا أيمان لهم صادقة لأنه قد
أثبت لهم الأيمان في قوله: ﴿نكثوا أيمانهم﴾ فالمنفي غير المثبت، ومن قرأ بالكسر، فقال الفراء: ^(١١) «يريد أنهم كفرة
لا إسلام لهم، قال: وقد يكون المعنى لا تؤمنوهم فيكون مصدر قولك: أمنتهم إيماناً» ^(١٢) وهذا هو الوجه، لأن المشرك

(١) البغوي ٢/٢٧١.

(٢) ابن كثير في التفسير ٤/٥٤، والقرطبي عن ابن عباس ٨/٤٨.

(٣) الرازي ١٥/١٨٦.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٣٤، الرازي ١٥/١٨٧.

(٥) الطبري ١٤/١٥٤ (١٦٥٢١)، وابن كثير ٤/٥٩، الرازي ١٥/١٨٧، البغوي ٢/٢٧٢، فتح القدير ٢/٣٤٢، روح المعاني ١٠/٥٩، انظر الدر المنثور ٣/٢١٥.

(٦) أمية بن خلف بن وهب من بني لؤي: أحد جبايرة قريش في الجاهلية، ومن سادتهم. أدرك الإسلام ولم يسلم، وهو الذي عذب بلالا الحبشي في بداية ظهور الإسلام. أسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر فرآه بلال فصاح بالناس يحرضهم على قتله فقتلوه. انظر الأعلام ٢/٢٢٢.

(٧) سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي العامري أمه حبي بنت قيس بن ضبيس بن ثعلبة بن حيان بن غنم بن مليح بن عمرو الخزاعية. يكنى أبا يزيد. أحد أشرف قريش وعقلائهم وخطبائهم وساداتهم. أسر يوم بدر كافراً. وكان الذي أسره يوم بدر مالك بن الدخشم. وأسلم سهيل يوم الفتح. انظر أسد الغابة ٣/٤٨٠.

(٨) قرأ ابن عامر وأهل الكوفة: (فقاتلوا أئمة الكفر) بهمزتين. الهمزة الأولى ألف الجمع: والثانية أصلية لأنها جمع إمام. والأصل أئمة: أفعلة مثل حمار وأحمرة، ولكن الميمين لما اجتمعتا نقلوا كسرة الميم إلى الهمزة فأدغموا الميم في الميم فصارت (أئمة) بهمزتين. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: (أئمة) بغير مد بهمزة واحدة. كأنهم كرهوا الجمع بين همزتين في بنية واحدة ولا اعتبار بكون الأولى زائدة كما لم يكن بها اعتبار في آدم. انظر الحجة ٣١٥. وانظر النشر ١/٣٧٨، إتحاف فضلاء البشر ٢/٨٧.

(٩) وهذا قول لا يلتفت إليه، لأن القراءات متواترة فلا عبرة بمن خالف، ولو كان الواحدي.

(١٠) معاني القرآن للفراء ١/٤٢٥، والرازي ١٥/١٨٧.

(١٢) انظر المصدر السابق.

(١١) البغوي ٢/٢٧٢.

لا يقر على دينه فلا يؤمن كما يؤمن أهل الذمة، فالإيمان ههنا يراد به الذي هو ضد التخويف، فإن جعلته الذي هو ضد الكفر كان تكريراً، لأن قوله ﴿أئمة الكفر﴾ يدل على أنه لا إيمان لهم، وقوله: ﴿لعلهم يتبهون﴾ قال ابن عباس (١) «كي يتبهوا عن الشرك بالله» ثم حض المؤمنين على قتالهم، فقال:

أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ فَأَلْحَقُ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ فَتِلْوُهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾

﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم﴾ وهذا يدل على أن قتال الناكثين أولى من قتال غيرهم من الكفار ليكون ذلك زجراً لغيرهم عن النكث وأراد بنكث اليمين ههنا أنهم نقضوا عهد الصلح بالحديبية، وأعانوا بني بكر على خزاعة، وهم كانوا حلفاء رسول الله ﷺ ﴿وهموا بإخراج الرسول﴾ يعني حين اجتمعوا في دار الندوة للمكر به ﴿وهم بدأوكم أول مرة﴾ يعني بالقتال يوم بدر، وذلك أنهم قالوا حين سلم العير: لا نصرف حتى نستأصل محمداً ومن معه، وقال جماعة من المفسرين (٢) «أراد أنهم قاتلوا حلفاءك خزاعة، فبدأوا بنقض العهد»، وقوله: ﴿أتخشونهم﴾ أي أتخافون أن ينالكم من قتالهم مكروه، فتركون قتالهم ﴿فإن الله أحق أن تخشوه﴾ فمكروه عذاب الله أحق أن يخشى في ترك قتالهم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ مصدقين بعقاب الله وثوابه ثم وعدهم النصر بقوله: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ أي بقتلهم بسيوفكم ورماحكم ﴿ويخزهم﴾ يذلهم بالقهر والأسر ﴿وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ قال ابن عباس والسدي ومجاهد (٣) يعني بني خزاعة وذلك أن قريشاً أعانت بني بكر عليهم حتى نكأوا فيهم فشفى الله صدورهم من بني بكر بالنبي والمؤمنين وذلك أن «الصريخ» أتى رسول الله ﷺ بالمدينة وأنشده:

إِنَّ قُرَيْشًا أَحْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
وَبَيَّتُونَا بِالْحَطِيمِ هُجْدَا وَقَتَلُونَا رُكْعًا وَسُجْدَا
فَانْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا

(١) انظر تفسير البغوي ٢/٢٧٢.

(٢) ابن كثير ٤/٦٠، البغوي ٢/٢٧٣، الزجاج ٢/٤٣٦، البحر المحيط ٥/١٧، القرطبي ٨/٥٥، فتح القدير ٢/٣٤٣.

(٣) انظر المصادر السابقة.

فقال رسول الله ﷺ «لا نصرت إن لم أنصركم» (١) وغضب لهم وخرج إلى مكة ونصر الله رسوله ﷺ وشغل صدور خزاعة وهو قوله:

﴿ويذهب غيظ قلوبهم﴾ يعني كربها ووجدها بمعونة قريش بكرأ عليهم ﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ يعني من المشركين كأبي سفيان بن حرب، وعكرمة ابن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، تاب الله عليهم وهداهم للإسلام ﴿والله عليهم﴾ بنيات المؤمنين ﴿حكيم﴾ فيما قضى ثم رجع إلى خطاب المنافقين، فقال: ﴿أم حسبتم أن تركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ أي العلم الذي يجازي عليه وهو العلم بالشيء بعد وجوده ﴿ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾ قال الفراء: (٢) الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم فيفشون إليهم أسرارهم وليجة الرجال من يختص بدخلة أمره دون الناس، الواحد والجمع فيه سواء قال ابن عباس: (٣) «ولم يتخذوا أولياء من المشركين قوله تعالى:

﴿ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله﴾ الآية لما أسر العباس يوم بدر غيره المسلمون بالكفر وقطيعه الرحم، فقال: إنا لنعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فرد الله ذلك عليه بهذه الآية، ومعنى ما كان لهم ذلك أنا أوجب على المسلمين منهم من ذلك، وأكثر المفسرين «حملوا العمارة ها هنا على دخول المسجد الحرام والقعود فيه» قال الحسن: «ما كان للمشركين أن يتركوا فيكونوا أهل المسجد الحرام» وذهب آخرون إلى العمارة المعروفة من بناء المسجد ورمه عند الخراب، وهذا أيضاً محذور على الكافر يمنع منه حتى لو أوصى به لم تقبل وصيته، وقرأ أبو عمرو مسجد الله على التوحيد (٤) لقوله: ﴿وعمارة المسجد الحرام﴾ وقال الفراء: (٥) «ربما ذهبت العرب بالواحد إلى الجمع وبالجمع إلى الواحد» وقوله: ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ قال ابن عباس: (٦) «شهادتهم على أنفسهم

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ١٦١/٤، وعزاه لأبي يعلى. وانظر الآيات في الاستيعاب لابن عبد البر ١١٧٥/٣، والآيات هكذا القرطبي (٤٣/٨):

ياربِّ إنِّي ناشد محمداً	وحلف أبينا وأبيه الأتدا
كنت لنا أباً وكننا ولداً	ثُمَّتْ أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصراً عتداً	وادع عباد الله يأتوا مددا
إن سيم خسفاً وجهه تريداً	في فيلق كالبحر يجري مُزبداً
إن قريشاً أخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحداً	وهم أذلُّ وأقلُّ عددا
وهم بيئتونا بالوتير هجداً	وقتلونا ركبياً وسجدا

(٢) معاني القرآن ٤٢٦/١.

(٣) انظر القرطبي ٥٧/٨.

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (ما كان للمشركين أن يعمرُوا مسجداً الله) على التوحيد يعني المسجد الحرام وحجتها قوله: (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام) قال أبو عمرو: وتصديقها قوله: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام). قال: والثانية (إنما يعمر مساجد الله) على الجمع في كل مكان (من آمن بالله) على هذا المعنى. وقرأ الباقون: (أن يعمرُوا مساجد الله) بالالف. وحجتها إجماع الجميع على قوله: (إنما يعمر مساجد الله) على الجمع فرد ما اختلفوا فيه إلى ما اجمعوا عليه. وأخرى وهي أنه إذا قرئ على الجمع دخل المسجد الحرام فيه، وغير المسجد الحرام. وإذا قرئ على التوحيد لم يدخل فيه غير المسجد الحرام، وإنما عني به المسجد الحرام فحسب الحجة (٣١٦) النشر (٢٨٧/٢) إتحاق (٨٨/٢).

(٥) معاني الفراء ٤٢٦/١، الرازي ٦/١٦، وانظر القرطبي ٥٧/٨، أبو حيان في البحر ١٨/٥.

(٦) البغوي ٢٧٤/٢، القرطبي ٥٨/٨، الرازي ٨/١٦.

بالكفر سجودهم لأصنامهم» ﴿أولئك حبطت أعمالهم﴾ لأنها غير الله، وقال الزجاج: ^(١) «كفرهم أذهب ثواب أعمالهم» ثم ذكر أهل عمارة المساجد فقال: ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ الآية.

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري نا أبو العباس محمد بن يعقوب نا أبو عتبة أحمد بن الفرغ ^(٢) نا بقية نا ابن الحجاج عن عمرو بن الحارث عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيت الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان، فإن الله قال: إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر» ^(٣).

أخبرنا أبو سعد ابن أبي رشيد العدل أنا محمد بن أحمد بن يعقوب المفيد نا أحمد بن عبد الرحمن السقطي نا يزيد بن هارون عن محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من غدا إلى المسجد وراح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح» ^(٤).

أخبرنا عبد الرحمن بن الحسن بن علي التاجر أنا أبو الحسن علي بن عمر الحرابي ^(٥) نا أبو عبد الله سلمان بن جابر نا الحسن بن العلاء القشيري ^(٦) نا عبد الصمد بن حسان نا سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ قال: «المساجد سوق من أسواق الآخرة فمن دخلها كان ضيفاً لله فجزاؤه المغفرة وتحيته الكرامة، عليكم بالإرتاع، قال يا رسول الله وما الإرتاع، قال: الدعاء والرغبة إلى الله» ^(٧).

أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان العدل أنا أحمد بن جعفر بن مالك نا عبد الله بن أحمد بن حنبل نا أبي نا عبد

(١) معاني القرآن ٤٣٧/٢، وانظر الرازي ٨/١٦، انظر روح المعاني ٦٥/١٠، فتح القدير ٣٤٤/٢.

(٢) أحمد بن الفرغ بن سليمان الكندي أبو عتبة الحمصي المعروف بالحجازي المؤذن بجاسع حمص. روى عن بقية بن الوليد، وضمرة بن ربيعة، وابن أبي فديك، وأيوب بن سويد، ومحمد بن حميد، وعمر بن عبد الواحد وخلق. قال ابن أبي حاتم كتبنا عنه ومحله الصدق. انظر التهذيب ٦٧/١٠ - ٦٨.

(٣) إسناده ضعيف جداً وعلته أحمد بن الفرغ بن سليمان أبو عتبة وبقية بن الوليد. قال الحافظ في التفرغ صدوق كثير التدليس عن الضعفاء (١٠٥/١).

والحديث من غير طريق المصنف أخرجه الدارمي ١٢٢/١، في الصلاة باب المحافظة على الصلوات والترمذي ٢٥٨/٥ في التفسير سورة التوبة (٣٠٩٣) وقال حسن غريب، وأخرجه ابن حبان أورده الهيثمي في الموارد ٩٩، وأخرجه أحمد في المسند ٦٨/٣، وابن ماجه (٢٦٣/١) في المساجد، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة (٨٠٢) والبيهقي ٦٦/٣ وأبو نعيم في الحلية (٣٢٧/٨)، والحاكم في المستدرک ٢١٢/١، وابن خزيمة في الصحيح (١٥٠٢)، والخطيب في التاريخ ٤٥٦/٥، ٤٥٩.

(٤) إسناده المصنف ضعيف جداً فيه أحمد بن عبد الرحمن السقطي تقدم الكلام عليه، والحديث من غير طريق المصنف أخرجه البخاري ١٧٣/١ في كتاب الأذان باب فضل من غدا إلى المسجد ٦٦٢، ومسلم ٤٦٢/١، في المساجد باب المشي إلى الصلاة (٦٦٩/٢٨٥).

(٥) بفتح الحاء وسكون الراء المهملتين وفي آخرها الباء المعجمة بواحدة هذه النسبة (إلى محلة وإلى رجل فأما النسبة) إلى المحلة فهي الحربية، محلة معروفة بغربي بغداد. وعلي بن عمر أبو الحسن الحرابي روى عنه أبو الحسين بن الغريق، وأبو الحسين بن النقور وغيرهما. توفي سنة نيف وثمانين وثلاثمائة. انظر الأنساب ١٩٧/٢.

(٦) بضم القاف وفتح الشين المعجمة، وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين وفي آخرها الراء. هذه النسبة إلى بني قشير. انظر الأنساب ٥٠١/٤.

(٧) الحديث أخرجه ابن الشجري في الأمالي ٢٢٥/١، وذكره السيوطي في جامعه الكبير، وعزاه للحربي في الفوائد، والحاكم في التاريخ، وسعيد بن منصور في السنن وأخرجه الخطيب في التاريخ ٢٠٨/٩، وانظر كنز العمال (٢٠٣٤٨).

الكبير بن عبد المجيد أبو بكر الحنفي نا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه ^(١) عن محمود بن لبيد ^(٢) عن عثمان بن عفان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بنى مسجداً لله بنى الله له مثله في الجنة» رواه مسلم ^(٣) عن محمد بن المشعل عن الضحاك بن مخلد عن عبد الحميد بن جعفر.

أخبرنا أبو منصور عبد القادر بن طاهر نا محمد بن عبد الله بن علي بن زياد الدقاق نا محمد بن إبراهيم بن سعد نا سليمان الشرحبيلي ^(٤) نا مروان بن معاوية نا كثير المؤذن أنه سمع عطاء ابن أبي رباح يقول: قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «من بنى مسجداً ولو قدر مفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة، قالت يا رسول الله وهذه المساجد التي بطرق مكة؟ قال: وتلك» ^(٥).

قال أهل المعاني في هذه الآية: «من كان بهذه الصفة التي ذكرها من الإيمان بالله وإقامة الصلاة وما بعدها كان من أهل عمارة المسجد وليس المعنى أن من عمرها كان بهذه الصفة، غير أنه قل من يعمرها إلا وقد جمع هذه الصفات» وقوله: «ولم يخش إلا الله» أي: لم يخف في باب الدين إلا الله، ولم يترك أمراً لله لخشية غيره «ففسس أولئك أن يكونوا من المهتدين» أي: فأولئك هم المهتدون، وعسى من الله واجبة والمهتدون المتمسكون بطاعة الله التي تؤدي إلى الجنة.

﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأَوْلِيكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١٧﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿١٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٩﴾﴾

(١) جعفر بن عبد الله بن الحكم بن زافع الأنصاري الأوسي المدني. عن أنس، ومحمد بن لبيد وسليمان بن يسار. وعنه ابنه عبد الحميد ويزيد بن أبي حبيب والليث. موتو، انظر الخلاصة (١٦٨/١).

(٢) محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري الأشلهي أبو نعيم من أولاد الصحابة لا يصح له سماع من النبي ﷺ عن عمر وعثمان وعنه محمد بن إبراهيم التيمي والزهري. وثقه ابن سعد. مات سنة ست وتسعين. انظر الخلاصة ١٥/٣.

(٣) أخرجه مسلم ٣٧٨/١ في كتاب المساجد باب فضل بناء المساجد (٥٣٣/٢٤) وهو عند البخاري ٦٤٨/١ في كتاب الصلاة باب من بنى مسجداً (٤٥٠) وأحمد في المسند (٦١/١، ٧٠) والبيهقي في السنن الكبرى (٤٣٧/٢)، (١٦٧/٦)، (١٧٢/٩) وابن حبان أورده الهيثمي في الموارد (٣٠٠).

(٤) يضم الشين المعجمة، وفتح الراء، وسكون الحاء المهملة، وكسر الباء الموحدة، وبعدها الياء الساكنة، آخر الحروف وفي آخرها اللام. هذه النسبة إلى شرحبيل وهو اسم رجل. أبو أيوب، سليمان بن عبد الرحمن، الدمشقي، الشرحبيلي، من أهل دمشق وهو ابن بنت شرحبيل، انتسب إلى جده من قبل أمه. شيخ ثقة مشهور حسن الحديث. انظر الأنساب ٤١٣/٣.

(٥) في إسناده كثير بن عبد الرحمن، ضعفه الأزدي، والعقيلي، الميزان (٤٠٩/٣) التاريخ الكبير (٢١٦/١/٤) الجرح والتعديل (١٥٤/٢/٣) الضعفاء للعقيلي (٣/٤). والحديث أخرجه ابن ماجه ٢٤٤/١ في كتاب المساجد، باب من بنى لله مسجداً (٧٣٨) وقال الشهاب البوصيري في الزوائد (٢٦١/١) وهذا إسناده صحيح رواه ابن حبان في صحيحه وله شاهد من حديث ابن عباس رواه أحمد في المسند والبراز في مسنده أيضاً، والطيالسي والحارث بن أبي أسامة وأبو يعلى الموصلي وهو عنه أحمد (٢٤١/١) وابن حبان أورده الهيثمي (٣٠١) والطبراني في الأوسط (٣٠/١)، (١٢٠/٢) الخطيب في التاريخ (٣٧/٥). وأبو نعيم في الحيلة (١٩٠/٢)، (٢١٧/٤)، (٢٤/٥) والبيهقي (٤٣٧/٢) وابن أبي شيبة (٣١٠/١).

قوله: ﴿أجعلتم سقاية الحاج﴾ الآية.

أخبرنا أبو عبد الرحمن ابن أبي حامد العدل^(١) أنا أبو بكر محمد بن عبد الله الحافظ أنا محمد بن شريك الإسفراييني^(٢) نا عثمان بن سعيد^(٣) نا أبو توبة^(٤) نا معاوية بن سلام^(٥) اعن زيد بن سلام^(٦) أنه سمع أبا سلام^(٧) قال: حدثني النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام، إلا أن أسقي الحاج وقال آخر: لا أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام، إلا أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة، دخلت فاستفتيت لكم فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله عز وجل: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام﴾ الآية إلى آخرها، رواه مسلم^(٨) عن حسن بن علي الحلواني^(٩) عن أبي توبة.

وقال ابن عباس في رواية الوالبي: ^(١٠) «قال العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر: لئن كنتم سبقتنونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعلم المسجد الحرام ونسقي الحاج ونفك العاني^(١١)، فأنزل الله هذه الآية والسقاية مصدر كالسقي وسقاية الحاج سقيهم الشراب.

(١) بفتح العين، وسكون الدال المهملة، واللام في آخرها الأنساب (١٦٥/٤).

(٢) بكسر الألف، وسكون السين المهملة، وفتح الفاء والراء، وكسر الياء المنقوطة بالثنتين من تحتها، هذه النسبة إلى إسفرايين، وهي بليدة بناوحي نيسابور، على منتصف الطريق من جرجان.

(٣) عثمان بن سعيد بن دينار القرشي، أبو عمرو الحمصي، روى عن حريز بن عثمان وشعيب بن أبي حمزة والليث، وعبد الرحمن بن ثابت، ومحمد بن عبد الرحمن بن عرق الحمصي، وأبي غسان محمد بن مطرف، ومحمد بن مهاجر الأنصاري، ومعاوية بن سلام، وشعيب بن زريق، وشهاب بن خراش، ومحمد بن عمر الطائي، وطائفة. ذكره ابن حبان في الثقات التهذيب (١١٨/٧).

(٤) الربيع بن نافع الحلبي، أبو توبة الطرسوسي. عن معاوية بن سلام، وأبي الأحوص، وإبراهيم بن سعد، وخلق. قال أبو حاتم: حجة. وقال يعقوب بن سفيان: ثقة. مات سنة إحدى وأربعين ومائتين. انظر الخلاصة ١/٣٢٠.

(٥) معاوية بن سلام بن أبي سلام الحبشي، بضم المهملة أبو سلام الدمشقي. عن أبيه وجده، إن كان محفوظاً، ويحيى بن أبي كثير. وعنه محمد بن شعيب، ولقبه يحيى بن يحيى توفي بعد السبعين ومائة. انظر الخلاصة ٣/٤٠.

(٦) زيد بن سلام بن أبي سلام الحبشي الدمشقي، عن جده ممتور، وعدي بن أرطاة. وعنه أخوه معاوية وحضرمي بن لاحق ويحيى بن أبي كثير. وقيل: لم يسمع منه، بل نسخ كتابه. وثقه النسائي وغيره. انظر الخلاصة (٣٥٣/١).

(٧) أبو سلام الأسود، الحبشي الأعرج الدمشقي. ويقال: النوبي، وقيل: إن الحبشي نسبة إلى حي من حمير. روى عن ثوبان والحارث بن الحارث الأشعري، وأبي مالك الأشعري، وعمرو بن عبسة السلمى، وعبد الرحمن بن غنم الأشعري، وأبي سلمى راعي رسول الله ﷺ، وأبي كبشة السلولي، والنعمان بن بشير، وأبي أمامه، والحكم بن مينا، وعبد الله بن فروخ، وعبد الله بن معانق الأشعري وغيرهم. انظر التهذيب (٢٩٦/١٠).

(٨) أخرجه مسلم ٣/١٤٩٩ في كتاب الإمارة باب فضل الشهادة في سبيل الله ١١١/١٨٧٩ وأخرجه الطبري في التفسير ١٤/١٧٠ - ١٧١ (١٦٥٦٠)، وأخرجه أحمد في المسند، ضمن مسند النعمان بن بشير رضي الله عنه ٤/٢٦٩ وعزاه ابن كثير في التفسير ٤/٦٥ لابن أبي حاتم وابن مردويه في التفسير، وأخرجه البغوي في التفسير ٢/٢٧٥.

(٩) الحسن بن علي، بن محمد، الهذلي، الخلال، أبو علي، وقيل: أبو محمد الحلواني نزيل مكة. روى عن عبد الله بن نمير، وأبي أسامة، ويحيى بن آدم، وزيد بن الحباب، وعبد الصمد بن عبد الوارث، وبشر بن عمر الزهراني، ويعقوب بن إبراهيم بن سعد ومعاذ بن هشام، وأبي معاوية، وأبي عامر العقدي، وأبي صالح كاتب الليث وقال الترمذي: حدثنا الحسن بن علي، وكان حافظاً. قال الخليلي: كان يشبه بأحمد في سمته وديانته. انظر التهذيب (٣٠٢/٢ - ٣٠٣).

(١٠) أخرجه الطبري في التفسير ١٤/١٧٢ (١٦٥٦٦) وانظر أثر (١٩٥٥٨) وانظر تفسير ابن كثير ٤/٦٤ الرازي ١٦/١٠ البغوي في التفسير ٢/٢٧٥ والشوكاني في فتح القدير ٢/٣٤٦. وذكره السيوطي في الدرر ٣/٢١٨ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(١١) أي: الأسير.

قال الحسن: ^(١) «وكان نبيذ ذيب يسقون الحاج في الموسم» وقوله: «وعماراة المسجد الحرام» قال ابن عباس: ^(٢) «يريد تدميره وتخليقه» «كمن آمن بالله» أي: كإيمان من آمن بالله، يقول الله منكرآ عليهم: أسويتم بين سقي الحاج وعماراة المسجد، وبين إيمان المؤمنين [بالله] ^(٣) «لا يستون عند الله» في الثواب، قال ابن عباس: ^(٤) «أخبر أن عمارتهم المسجد وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله، وأن الإيمان بالله والجهاد مع نبيه خير مما هم عليه، «والله لا يهدي القوم الظالمين» سماهم الله ظالمين بشركهم، ثم نعت المهاجرين فقال:

«الذين آمنوا» إلى قوله: «أعظم درجة عند الله» أي من الذين افتخروا بعماراة البيت، وسقي الحاج، ومن كل أحد «وأولئك هم الفائزون» الذين ظفروا بأمنيتهم من الخير «يشرهم ربهم برحمة منه» قال الزجاج: ^(٥) يعلمهم في الدنيا ما لهم في الآخرة من الرحمة والرضوان، والجنات التي «لهم فيها نعيم مقيم» النعيم نقيض اليأس، وهو لين العيش، والمقيم: الدائم لا يزول.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ءَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ؕ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾

قوله: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا ءاباءكم وإخوانكم أولياء» الآية قال ابن عباس ^(٦) «كان قبل فتح مكة من آمن ولم يهاجر لم يقبل الله إيمانه حتى يهجر أقاربه الكفار» والمعنى: لا تتخذوهم أصدقاء تؤثر المقام بين أظهرهم على الهجرة إلى دار الإسلام «إن استحبوا» أي اختاروا وكان الكفر أحب إليهم من الإيمان، ثم أوعدهم على ذلك فقال: «ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون» قال ابن عباس: مشركو مثلهم، فلما نزلت هذه الآية قال: يا نبي الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين، نقطع آباءنا وعشيرتنا وتذهب تجارتنا وتخرب ديارنا فأنزل الله: «قل إن كان ءاباؤكم» الآية وقوله: «وعشيرتكم» عشيرة الرجل: أهله الأذنون، وقرىء وعشيرتكم، ^(٧) وهو رديء ^(٨) قال الأخفش: «لا تكاد العرب تجمع من عشيرة عشيرات إنما يجمعونها عشائر، وقوله: «وأموال اقترفتموها» أي كسبتموها والاقتراف الكسب ومنه قوله: «ومن يقترف حسنة» ^(٩) يقول: إن كانت هذ

(١) البغوي ٢٧٦/٢ الرازي ١١/١٦.

(٢) الرازي ١١/١٦.

(٣) سقط في ب، ج.

(٤) انظر الدر المنثور ٢١٨/٣ انظر فتح القدير ٣٤٤/٢.

(٥) أبو حيان في البحر ٢١/٥ وانظر تفسير الرازي ١٣/١٦ انظر فتح القدير ٣٤٥/٢.

(٦) أبو حيان في البحر ٢١/٥ - ٢٢ القرطبي ٦٠/٨، روح المعاني ٧٠/١٠.

(٧) قرأ أبو بكر: (وعشيرتكم) بالألف. وقرأ الباقر: (وعشيرتكم) بغير ألف كما تقول: قرابتكم. انظر حجة القراءات ٣١٦ وانظر

النشر ٢٧٨/٢ البحر المحيط (٢٢/٥) إتحاف فضلاء البشر ٨٩/٢ فتح القدير ٣٤٦/٢.

(٨) وهذا قول لا يلتفت إليه ولا لمثله، غفر الله لنا وله فالقراءة قراءة متواترة والحمد لله.

(٩) سورة الشورى ٢٣.

الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ﴿فتربصوا﴾ قال ابن عباس: ^(١) «فتربصوا بما تحبون فليس لكم عند الله ثواب في إيمانكم» وقوله: ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ الاكثرون قالوا: يعني فتح مكة ^(٢) يقول: بأن كنتم تؤثرون المقام في دوركم وأهلكم، وتتركون الهجرة فأقيموا غير مثابين، حتى يفتح الله مكة فيسقط فرض الهجرة والأمر بالتربص أمر تهديد، قوله:

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثُرَتْكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْرِجًا ۗ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۗ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۚ

﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ أي في أمكنة ومقامات يخاطب النبي ﷺ والمؤمنين ﴿ويوم حنين﴾ أي وفي يوم حنين وهو واد بين مكة والطائف، قاتل عليه نبي الله ﷺ «هوازن» و «ثقيفا» بعد فتح مكة ﴿إذ أعجبتمكم كثرتكم﴾ قال قتادة: ^(٣) «كانوا اثني عشر ألفاً» وقال مقاتل: ^(٤) «كانوا أحد عشر ألفاً وخمسمائة»: وقال الكلبي: ^(٥) «كانوا عشرة آلاف» وقال عطاء عن ابن عباس: ^(٦) «خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى حنين في ستة عشر ألفاً وكان معه رجل من الأنصار يقال له: سلمة بن سلامة بن وقش ^(٧)، فعجب لكثرة الناس فقال: لن تغلب اليوم من قلة، فسأ رسول الله ﷺ كلامه ووكلوا إلى كلمة الرجل» فذلك قوله: ﴿إذ أعجبتمكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً﴾ لم تنفعكم كثرتكم، ولم تدفع عنكم شيئاً ﴿وضاقت عليكم الأرض بما رحبت﴾ أي: برحبها وسعتها ضاقت عليكم، فلم تجدوا فيها موضعاً يصلح لفراركم وهو قوله: ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ قال الزجاج ^(٨): أعلم الله أنهم ليس بكثرتهم يغلبون، إنما يغلبون بنصر الله إياهم ووكلوا ذلك اليوم إلى كثرتهم فانهزموا ثم تداركهم الله بنصره حتى ظفروا وذلك قوله: ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ يعني الأمانة والطمأنينة.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المزكي أنا محمد بن جعفر بن مطر أنا الفضل بن الحباب نا محمد بن كثير نا سفيان عن أبي إسحاق قال سمعت البراء بن عازب يقول: وجاءه رجل فقال: يا أبا عمارة وليتم يوم حنين؟ قال: أما أنا فأشهد على رسول الله ﷺ أنه لم يول، ولكن عجل سرعان الناس فرشقتهم هوازن وأبو سفيان بن الحارث أخذ برأس بغلته البيضاء وهو يقول:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

(١) والتربص الانتظار.

(٢) البغوي ٢٧٧/٢ البحر المحيط ٢٣/٥ القرطبي ٦٢/٨.

(٤) أبو حيان في البحر ٢٤/٥.

(٥) البغوي ٢٧٧/٢ الرازي ١٨/١٦.

(٦) البغوي ٢٧٧/٢ أبو حيان ٢٤/٥ الرازي ١٨/١٦.

(٣) الرازي ١٨/١٦ أبو حيان في البحر ٢٤/٥.

(٧) سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي، وأمه سلمى بنت سلمة بن خالد بن عدي الأنصارية الحارثية، يكنى أبا عوف. شهد العقبتين: الأولى والثانية في قول الجميع، ثم شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ واستعمله عمر على الإمامة وهو أخو سلكان بن سلامة، روى عنه محمود بن لبيد، وجيرة والد زيد. انظر أسد الغابة

(٢/٤٢٨).

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٤٤٠/١.

رواه البخاري^(١) عن محمد بن كثير. قال الزجاج^(٢): «أنزل الله عليهم السكينة، حتى عادوا وظفروا وأراهم في ذلك اليوم من آياته ما زادهم يقيناً في الدين» وهو قوله: ﴿وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾ قال ابن عباس^(٣) «بمعنى الملائكة» وقال سعيد بن جبير^(٤): «أمّد الله نبيه عليه السلام بخمسة آلاف من الملائكة» وقال سعيد بن المسيب^(٥): حدثني رجل كان في المشركين يوم، حين قال: لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم حتى إذا انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء فتلقانا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا: شامت الوجوه ارجعوا فرجعنا، وركبوا أكتافنا وذلك قوله: ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر وسي الأولاد، ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ [من عباده]^(٦) فيهديه إلى الإسلام ولا يؤاخذه بما سلف منه، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يمن آمن]^(٧)، قوله:

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾

﴿يا أيها الذين ءامنوا إنما المشركون نجس﴾^(٨) قال الليث: النجس القذر من الناس ومن كل شيء يقال: رجل نجس وقوم أنجاس ولغة أخرى رجل نجس وقوم نجس ورجلان نجس ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قال ابن عباس^(٩): يريد لا يقتسلون من الجنابة، ولا يتوضؤون لله تعالى، ولا يصلون لله ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ أي: لا يدخلوا الحرم بعد سنة تسع، أمر المسلمون بمنع المشركين من الحج ودخول الحرم ولما منع من دخول الحرم، قال المسلمون: إنهم كانوا يأتون بالميرة^(١٠)، ويتبايعون، فالآن تقطع المتاجر ويضيق العيش، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال ابن عباس^(١١): «يتفضل عليكم بما هو أوسع وأكثر قال مقاتل^(١٢): «ثم أسلم أهل جُدَّة وصنعاء وجرش^(١٣) وحملوا الطعام إلى مكة وكفاهم الله ما كانوا يتخوفون»، وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ قال ابن عباس^(١٤): «عليم بما يصلحكم، حكيم فيما حكم من المشركين» قوله:

(١) الحديث من غير طريق المصنف أخرجه البخاري ١٠٥/٦ في كتاب الجهاد باب من قاد دابة غيره في الحرب (٢٨٦٤) وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد ١٤٠٠/٣ غزوة حنين (١٧٧٦) قلت: وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، إنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى، وقد انكشف عنه جيشه، هو مع ذلك على بغلة وليست سريعة الجري ولا تصلح لكر ولا لفر ولا لهرب، وهو مع هذا أيضاً يركضها إلى وجوههم، وينزه باسمه ليغرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، وما هذا كله إلا ثقة بالله وتوكلاً عليه، وعلماً منه بأنه سينصره، ويتم ما أرسله به، ويظهر دينه على سائر الأديان ولهذا قال تعالى: «ثم أنزل الله سكينته على رسوله». انظر ابن كثير (٧٠/٤).

(٢) انظر معاني القرآن ٤٤٠/٢.

(٣) البغوي ٢٨١/٢ أبو حيان ٢٥/٥ القرطبي ٦٥/٨ الرازي ١٩/١٦، روح المعاني ٧٥/١٠ وذكره الشوكاني في الفتح ٣٤٩/٢ عن السدي وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) الرازي ١٩/١٦ أبو حيان في البحر ٢٥/٥ انظر روح المعاني ٧٥/١٠ وذكره الشوكاني في الفتح ٣٤٩/٢ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) الرازي ١٩/١٦ أبو حيان في البحر ٢٥/٥. (٧) سقط في ب.

(٦) سقط في ج. (٨) الرازي ٢٠/١٦.

(٩) الرازي ٢١/١٦ البغوي ٢٨١/٢ فتح القدير ٣٤٩/٢ روح المعاني ٧٦/١٠.

(١٠) الميرة الطعام كذا في اللسان م (مين).

(١١) انظر تنوير المقباس ١٩٢/٢. (١٢) بالفتح مدينة من أرض البلقاء بالأردن، مرصد الاطلاع ٣٢٦/١.

(١٣) انظر تفسير ابن كثير ٧٤/٤. (١٤) البغوي ٢٨٢/٢.

قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾

﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ نزلت في أهل الكتاب^(١) من اليهود والنصارى ومعنى لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر أي: كإيمان الموحدين لأنهم لا يؤمنون بالقرآن ومحمد ﷺ ولا يقرون بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون، فإذا كان ذلك فإيمانهم غير إيمان من يقر بالحشر وإعادة الأرواح وحشر الأجساد.

﴿ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله﴾ من الميتة والدم ولحم الخنزير، والخمر، قال قتادة^(٢): «الحق هو الله ودينه الإسلام» وقال أبو عبيدة^(٣): «لا يطيعون طاعة أهل الإسلام والدين الطاعة» وقوله: ﴿من الذين أوتوا الكتاب﴾ يعني أهل الكتابين ﴿حتى يعطوا الجزية﴾ وهي ما يعطيه المعاهد على عهده ﴿عن يدي﴾ قال ابن عباس: «هو أنهم يعطونها بأيديهم» يمشون بها كارهين ولا يجيئون بها ركباناً، ولا يرسلون بها^(٤) وهو قوله: ﴿وهم صاغرون﴾ أي: ذليلون مقهورون يجرون إلى الموضوع الذي تقبض منهم فيه بالعنف حتى يؤدوها من يدهم.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِفُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَهُمْ اللَّهُ أَفَّ يُؤَفَّكُونَ ﴿٣٠﴾
أَتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمَرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

قوله: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾ قال ابن عباس في رواية العوفي^(٥): «إن اليهود أضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق، فنسخها الله من صدورهم ورفع التابوت عنهم، فدعا الله عزير وابتهل إليه أن يرد الذي نسخ من صدورهم فنزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد إليه الذي كان ذهب من جوفه من التوراة، فنادى في قومه، قد رد الله إلي التوراة وطفق يعلمهم فقالوا: والله ما أوتي عزير إلا لأنه ابن الله» واختلف القراء في عزير فقريء بالتونين وبغيره^(٦)

(١) البغوي ٢٨٢/٢ ابن كثير ٧٤/٤ البحر ٢٩/٥.

(٢) البغوي ٢٨٢/٢ أبو حيان ٢٩/٥ روح المعاني ٧٨/١٠.

(٣) مجاز القرآن ٢٥٤/١ البغوي ٢٨٢/٢ أبو حيان ٢٩/٥.

(٤) البغوي ٢٨٢/٢ أبو حيان في البحر ٣٠/٤ ولهذا لا يجوز إعزاز أهل الذمة ولا رفعهم على المسلمين، بل هم أذلاء أشقياء وانظر إلى شروط سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في تفسير ابن كثير ٧٥/٤ - ٧٦.

(٥) الرازي (٢٨١٦).

(٦) قرأ عاصم والكسائي: (وقالت اليهود عزير ابن الله) بالتونين وحجته أنه اسم خفيف، فوجهه الصرف لخفته وإن كان أعجمياً. وقال قوم: يجوز أن تجعله عربياً لأنه على مثال المصغرات من الأسماء العربية وهو يشبه في التصغير نصيراً أو بكبيراً فأجرى وإن كان في الأصل أعجمياً. وأخرى أن الكلام عند السكوت على «عزير ابن الله» ناقص وأن قوله «ابن» خبر عن عزير فنون من أجل حاجة الكلام إليه كقولك: يزيد ابن عمنا فلما كانت الفائدة في (ابن) أوقعت التونين، وإذا تركت التونين كان الابن نعتاً، وكانت الفائدة =

قال الزجاج^(١): «الوجه إثبات التنوين لأن ابن خبَر وإنما يحذف التنوين في الصفة، نحو قولك: جاءني زيد ابن عمرو فيحذف التنوين لالتقاء الساكنين فإذا كان خبراً فالتنوين، وقد يجوز حذفه على ضعف لالتقاء الساكنين» وقد قرئت ﴿قل هو الله أحد الصمد﴾^(٢) بحذف التنوين لسكونه وسكون اللام، وقوله: ﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ هذا كقولهم (إن الله ثالث ثلاثة)^(٣) ﴿ذلك قولهم بأفواههم﴾ أي ليس فيه برهان ولا بيان إنما هو قول بالفم لا معنى تحته ﴿يضاهئون قول الذين كفروا من قبل المضاهاة المشابهة وقرأ «عاصم» بالهمز وهو لغة، يقال: ضاهيت، وضاهات قال مجاهد^(٤): «يضاهون قول المشركين حين قالوا: اللات والعزى ومناة بنات الله تعالى» وقال الحسن^(٥): «شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الأمم الكافرة» وقال قتادة والسدي^(٦): «ضاهت النصارى قول اليهود من قبل فقالت النصارى المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله»، وقوله: ﴿قاتلهم الله﴾ قال المفسرون^(٧): «معناه لعنهم الله» قال ابن الأنباري^(٨): «المقاتلة أصلها من القتال فإذا أخير عن الله بها كانت بمعنى اللعنة، لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك» وقوله: ﴿أنى يؤفكون﴾ الإفك الصرف يقال: أفك الرجل عن الخير أي قلبه وصرفه، يقول: كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل حتى يجعلوا لله الولد؟ وفي هذا تعجيب للنبي ﷺ من تركهم الحق واتيانهم^(٩) الباطل، قوله: ﴿اتخذوا أجباهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ الأجباء الفقهاء والعلماء واحدها حبر وحبر، والرهبان جمع راهب وهو متمسك النصارى، وقال ابن عباس «فقهاؤهم وعبادهم» وقال الضحاك^(١٠): «علمائهم وقراؤهم».

أخبرنا أبو صالح منصور بن عبد الوهاب الوصفي أنا أبو عمرو ومحمد بن أحمد الحيري أناعمران بن موسى بن مجاشع^(١١)

= بعد النعت كقولك: زيد ابن عمنا ظريف. وقرأ الباقون: (عزير ابن الله) بغير تنوين. وحجتهم أن التنوين حرف الإعراب مشبه للواو والياء والألف، فكما يسقطن إذا سكن وسكن ما بعدهن، كذلك يسقط التنوين إذا سكن وأتى بعده ساكن. فكانهم ذهبوا إلى أنه مصروف، وأن التنوين أسقط الساكنين.. انظر حجة القراءات لابن زنجلة (٣١٦، ٣١٧) وانظر النشر (٢٧٩/٢) إتخاف فضلاء البشر (٨٩/٢).

(١) معاني القرآن للزجاج ٤٤٢/٢ الرازي ١٩/١٦ البحر المحيط ٣١/٥.

(٢) سورة الإخلاص.

(٣) انظر إتخاف فضلاء البشر ٩٠/٢ النشر ٢٧٩/٢ البحر المحيط ٣١/٥.

(٤) البغوي ٢٨٥/٢ وانظر القرطبي ٧٦/٨ فتح القدير ٣٥٣/٣.

(٥) البغوي ٢٨٥/٢.

(٦) أبو حيان ٣١/٥ روح المعاني ٨٣/١٠.

(٧) ابن كثير ٧٧/٤ البحر المحيط ٣١/٥ البغوي ٢٨٥/٢ القرطبي ٧٦/٨، روح المعاني ٨٣/١٠ فتح القدير ٣٥٣/٢.

(٨) ذكره السيوطي في الدر أيضاً عن الفضيل بن عياض، وعزاه لابن أبي حاتم. وانظر فتح القدير ٣٥٥/٢.

(٩) في ج (وأتباعهم).

(١٠) البغوي ٢٨٥/٢ وذكره السيوطي في الدر المنتور ٢٣١/٣ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم. وانظر فتح القدير ٣٥٥/٢.

(١١) الإمام المحدث، الحافظ، أبو إسحاق، عمران بن موسى بن مجاشع الجرجاني السخيتاني. ولد سنة بضع عشرة ومائتين

وسمى من هدية بن خالد، وشيخان بن فروخ، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وأبني أبي شيبة، وسويد بن سعيد، وأبي الربيع

الزهراني، وطبقتهم. قال الحاكم: هو محدث ثبت، مقبول، كثير التصنيف والرحلة. مات بجرجان في رجب سنة خمس وثلاث

مئة، وهو في عشر المئة. انظر السير (١٣٦/١٤) تاريخ جرجان (٣٢٢) تذكرة الحفاظ (٧٦٢/٢) البداية والنهاية (١٢٨/١١)

طبقات الحفاظ (٣٢٠).

نا مسروق بن المرزبان^(١) نا عبد السلام بن حرب^(٢) عن غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد، عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك، قال: فطرحته ثم انتهيت إليه وهو يقرأ براءة فقرأ هذه الآية ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ قلت: يا رسول الله إننا لسنا نعبدهم، قال: ليس يجرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فستحلونه قلت: بلى قال: فتلک عبادتهم^(٣) وهذا بيان أن مخالف أمر الله في التحليل والتحريم كالشرك في عبادة الله لأن استحلال ما حرم الله كفر بالاجماع.

وقوله: ﴿والمسيح ابن مريم﴾ قال ابن عباس: «اتخذوه رباً»^(٤) ﴿وما أمروا﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إلا ليعبدوا إلهاً واحداً﴾ وهو الذي ﴿لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ تنزيهاً له عن شركهم، قوله: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم﴾ قال ابن عباس^(٥) يخمدوا دين الله بتكذيبهم يعني أنهم يكذبون به، ويعرضون عنه يريدون إبطاله بذلك ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره﴾ إلا أن يظهر دينه أي لا يفعل إلا ذلك ولو كرهوا ذلك ﴿هو الذي أرسل رسوله﴾ محمداً ﷺ ﴿بالبهدى﴾ أي بالقرآن ﴿ودين الحق﴾ الحنيفية وهي الإسلام ﴿ليظهره على الدين كله﴾ ليعليه على جميع الأديان وذلك عند نزول عيسى عليه السلام وقال أهل المعاني أي: «بالحجة والغلبة» وحجة هذا الدين أقوى الحجج والغلبة لهذا الدين على سائر الأديان.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَفَرْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا إن كثيراً من الأجبار والرهبان﴾ قال السدي: «أما الأجبار فمن اليهود وأما الرهبان فمن النصارى»^(٦) وقوله: ﴿ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ يعني ما كانوا يأخذونه من الرشى

(١) مسروق بن المرزبان بن مسروق بن معدان الكندي، أبو سعيد بن أبي النعمان الكوفي روى عن أبيه وأبي الأحوص، وعبد السلام ابن حرب، وأبي بكر بن عياش، وحفص بن غياث وابن المبارك، وعبيد الله الأشجعي، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة، وابن فضال وعدة. ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: مات سنة أربعين ومائتين أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل. انظر التهذيب (١١٢/١٠).

(٢) عبد السلام بن حرب النهدي الملاثي، أبو بكر الكوفي، الحافظ. عن أيوب وليث بن أبي سليم، وعنه إسحاق السلولي، وابن معين، وقتيبة، وخلق. وثقة أبو حاتم والترمذي، وأنكر أحمد بعض أمره. قال ابن نمير: توفي سنة سبع وثمانين ومائة. انظر الخلاصة (١٦٢/٢).

(٣) الحديث من غير طريق المصنف أخرجه الترمذي ٢٥٩/٥ في كتاب التفسير سورة براءة حديث ٣٠٩٥ وقال غريب وأخرجه الطبري في التفسير ٢٠٩/١٤ وذكره السيوطي في الدرر ٢٣٠/٣ وعزاه لابن سعد وعبد بن حميد والترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه عن عدي بن حاتم. وانظر فتح القدير ٣٥٥/٢.

(٤) البغوي ٢٨٦/١ فتح القدير ٣٥٣/٢ روح المعاني ٨٤/١٠.

(٥) القرطبي ٧٧/٨ البغوي ٢٨٦/٢.

(٦) أبو حيان ٣٢/٥ انظر تفسير الرازي ٣٠/١٦ ذكره الشوكاني في الفتح ٣٥٥/٢ وعزاه لابن أبي حاتم، وذكر مثله عن ابن جريج وذكره السيوطي في الدرر ٢٣١/٣ ونسبه لأبي الشيخ.

في الحكم وما كانوا يصيرونه من المأكّل من سفلتهم ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ ويصرفون الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ، وقوله: ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة﴾ أكثر المفسرين على أنه مستأنف نازل في هذه الأمة. وقال قوم: «إنها لفينا وفيهم» ومعنى الكتز في كلام العرب الجمع وكل شيء جمع بعضه إلى بعض فهو مكنوز والمراد بهذا الكتز جميع المال الذي لا تؤدي زكاته قوله تعالى: ﴿ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ قال ابن عباس^(١): «لا يؤديون زكاتها وما أدى زكاته فليس بكتز» قال ابن عمر^(٢): «كل مال تؤدي زكاته فليس بكتز وإن كان مدفوناً وكل مال لا تؤدي زكاته فهو كتز وإن لم يكن مدفوناً» والكناية في ﴿ولا ينفقونها﴾ تعود إلى الفضة وترك الذهب لأنه داخل في الفضة فإكتفي بذكر أحدهما عن صاحبه، وقال ابن الأنباري^(٣): «لأن الفضة أقرب إلى العائد وأعم وأغلب» وقوله: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ أي اجعل الوعيد لهم بالعذاب موضع البشرى والنعيم.

أخبرنا أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم^(٤) أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن حامد العطار أنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار نا الحارث بن سريج نا يزيد بن زريع نا سعيد عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة^(٥) عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: «من ترك كنزاً مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيتان يتبعه ويقول: ويلك ما أنت؟ فيقول: أنا كنتك الذي تركته بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقيه يده فيقضّمها، ثم يتبعه سائر جسده^(٦)» وقوله: ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم﴾ يقال: أحميت الحديدية في النار إحماء، حتى حميت حمياً وذلك إذا أوقدت عليها، وقال ابن عباس^(٧): «يحمى عليها أي على الكنوز، لأن المراد بالذهب والفضة الكنوز» ﴿فتكوى بها جباههم وجنوبهم﴾ قال المفسرون^(٨): «من كان له مال في الدنيا لم يؤد زكاته أحمي على دراهمه ودنانيره في نار

(١) الطبري ٢١٩/١٤ البغوي ٢٨٧/٢ ابن كثير ٨١/٤ وذكره السيوطي في الدرر ٢٣٢/٣ وعزه لابن أبي حاتم، وذكره من طريق آخر وعزه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وانظر فتح القدير ٣٥٧/٢.

(٢) البغوي ٢٨٧/٢ أبو حيان ٣٦/٥ انظر تفسير القرطبي ٨٠/٨ ابن كثير ٨٠/٤ ذكره السيوطي في الدرر المنتور ٢٣٢/٣ وعزه لمالك في الموطأ وابن أبي شيبة، وابن المنذر وأبي الشيخ، وابن أبي حاتم، وانظر، فتح القدير ٣٥٧/٢.

(٣) القرطبي ٨١/٨ وانظر تفسير البغوي ٢٨٨/٢.

(٤) الإمام المحدث، القدوة، الواعظ، شيخ الصوفية، أبو القاسم، إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمود، الخراساني، النصرآبادي، النيسابوري، الزاهد، ونصر آباد: محلة من نيسابور. حدث عنه: الحاكم والسلمي وأبو حازم العديوي، وأبو الغلاء محمد بن علي الواسطي، وأبو علي الدقاق وجماعة. قال أبو عبد الرحمن السلمي: كان شيخ الصوفية بنيسابور. انظر السير (١٦/٢٦٣ - ٢٦٤) طبقات الصوفية (٤٨٤) تاريخ بغداد (٦/١٦٩) المتتظم (٧/٨٩) الشذرات (٣/٥٨) طبقات الأولياء (٢٦).

(٥) معدان بن أبي طلحة، ويقال: ابن طلحة الكناني، اليعمري، الشامي. روى عن عمر بن الخطاب وأبي الدرداء، وثوبان، وعمرو ابن عبسة، وعنه سالم بن أبي الجعد، والسائب بن حبيش، والوليد بن هشام المعطي، ويعيش بن الوليد، على خلاف فيه قال ابن معين: أهل الشام يقولون ابن طلحة وقاتة، وهؤلاء يقولون: ابن أبي طلحة، وأهل الشام أثبت فيه، وقال ابن سعد والعجلي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (١٠/٢٢٨).

(٦) إسناده المصنف ضعيف جداً لضعف الحارث بن سريج، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال موسى بن هارون: مثم، وقال ابن عدي: ضعيف يسرق الحديث الميزان ٤٣٣/١. وأخرجه الطبري في التفسير ٢٣٢/١٤ (١٦٦٨٠) عن ثوبان من طريق أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري ٣/٣١٥ في كتاب الزكاة باب إثم مانع الزكاة (١٤٠٣) ومسلم ٢/٦٨٤ في كتاب الزكاة باب إثم مانع الزكاة (٩٨٨/٢٨).

(٧) البغوي ٢٨٩/٢ انظر تفسير البحر المحيط ٣٧/٥.

(٨) وهذا مروى عن ابن مسعود، انظر تفسير البغوي ٢٨٩/٢ الطبري ٢٣٣/١٤ (٦٦٨٢، ١٦٦٨٣) ابن كثير ٨٣/٢ وقال الحافظ ابن =

جهنم وكويت بها هذه المواضع، لا يوضع دينار مكان دينار ولا درهم مكان درهم ولكن يوسع جلده فيوضع بكل دينار ودرهم كية على جلده» وكان أبو ذر رضي الله عنه يقول^(١): «بشر الكائزين بكبي في الجباه وبكبي في الجنوب، وبكبي في الظهر حتى يلتقي الحر في أجوافهم» ولهذا المعنى الذي أشار إليه أبو ذر خصت هذه المواضع بالكبي لأن داخلها جوفاً بخلاف اليد والرجل وكان أبو بكر الوراق^(٢) يقول: خصت هذه المواضع لأن صاحب المال إذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى ما بين عينيه وطوى عنه كشحه وولاه ظهره.

أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي أنا أبو عمرو بن نجيد نا محمد بن إبراهيم بن سعيد نا أمية بن بسطام^(٣) نا يزيد بن زريع نا روح بن القاسم^(٤) عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «مامن عبد له مال لا يؤدي زكاته إلا جمع له يوم القيامة صفائح يحمى عليها في جهنم، فيكوى بها جبينه وجنباه وظهره حتى يقضي الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار» رواه مسلم^(٥) عن ابن بزيع^(٦) عن يزيد بن زريع .

قوله: «هذا ما كنزتم لأنفسكم» أي يقال لهم: هذا الذي تكون به هو ما جمعتم لأنفسكم وبخلتم به عن حق الله «فذوقوا ما كنزتم تكنزون» أي ذوقوا عذاب ما كنزتم تكنزون.

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٧) إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ

= كثير وقد رواه ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً، ولا يصح رفعه، وذكره السيوطي في الدر ٢٣٣/٣ وعزاه لابن أبي حاتم والطبراني وأبي الشيخ عن ابن مسعود.

(١) أبو حيان في البحر ٣٧/٥ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٣٣/٣ وعزاه لعبد الرزاق في المصنف.

(٢) البغوي ٢٨٩/٢ الرازي ٣٩/١٦ القرطبي ٨٣/٨ البحر ٣٧/٥.

(٣) أمية بن بسطام بن المنتشر العيشي، أبو بكر البصري ابن عم يزيد بن زريع. روى عنه وعن ابن عينة، ومعتز بن سليمان، وبشر بن المفضل وغيرهم وعنه الشيخان وروى عنه النسائي بواسطة عثمان بن خرزاذ وروى عنه أبو زرعة، وأبو حاتم، والبوشنجي، وابن أبي عاصم، والدوري والتمام والحسن بن سفيان، وأبو يعلى وغيرهم. قال أبو حاتم: محله الصدق، ومحمد بن المنهال أحب إلي منه، وذكره ابن حبان في الثقات مات سنة (٢٣١). انظر التهذيب (٣٧٠/١).

(٤) روح بن القاسم التميمي العنبري، أبو غياث البصري. روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل، وزيد بن أسلم، وعمرو بن دينار، وقتادة، ومحمد بن المنكدر، ومنصور بن المعتمر، وهشام بن عروة، ومحمد بن عجلان، وأبي الزبير، والعلاء بن عبد الرحمن، وهشام بن عروة، وعبد الله بن طاوس وخلق وروى عنه قتادة حديثاً واحداً وذكره ابن حبان في الثقات التهذيب (٢٩٨/٣).

(٥) مسلم ٦٨٠/٢ في كتاب الزكاة باب إثم مانع الزكاة (٢٤ - ٢٥ - ٢٦/٩٨٧).

(٦) محمد بن عبد الله بن بزيع أبو عبد الله البصري. روى عن عبد الوارث بن سعيد، وفضيل بن سليمان، وعبد الوهاب الثقفي، وعبد الأعلى بن عبد الأعلى، ومعتز بن سليمان، وابن أبي عدي، وزيد بن زريع، وعبد الحكم بن منصور، وبشر بن المفضل، وزيد بن الربيع، وغيرهم. روى عنه مسلم، والترمذي، والنسائي، وأبو بكر بن أبي عاصم، وأبو بكر البزار. قال أبو حاتم: ثقة، وقال النسائي: صالح، وقال مرة: لا بأس به. قال ابن أبي عاصم: مات سنة سبع وأربعين ومائتين. انظر التهذيب (٢٤٨/٩).

الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ
سُوءٌ أَعْمَلِيَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً﴾ الآية، قال الزجاج^(١): «أعلم الله تعالى أن عدة شهور المسلمين التي تعبدوا بأن يجعلوها لستهم اثني عشر شهراً على منازل القمر، واستهلال الأهلة» وقوله: ﴿في كتاب الله﴾ يعني اللوح المحفوظ، قال ابن عباس^(٢): «في الإمام الذي عند الله كتبه يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم، وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم» ومعنى الحرم أنه يعظم انتهاك المحارم فيها باشد مما يعظم في غيرها وقوله: ﴿ذلك الدين القيم﴾ ومعنى الدين هاهنا الحساب ومنه يقال: «الكيس من دان نفسه»^(٣) أي حاسبها والقيم معناه المستقيم قال المفسرون^(٤) [ذلك الحساب]^(٥) المستقيم الصحيح والعدد المستوي، وقوله: ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ قال ابن عباس^(٦): «يريد تحفظوا على أنفسكم فيها واجتنبوا الخطايا فإن الحسنات فيها تضاعف والسيئات فيها تضاعف» وقال قتادة^(٧): «الظلم في الأشهر الحرم أعظم وزراً من الظلم فيما سواها وإن كان الظلم على كل حال عظيماً» وقوله: ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ قال ابن عباس^(٨): «جميعاً يريد قتلهم كلهم ولا تحابوا بعضهم بترك القتال كما أنهم يستحلون قتال جميعكم» وهو قوله: ﴿كما يقاتلونكم كافة﴾ قال الزجاج^(٩): «كافة نصب على الحال وهو مصدر على فاعله كما قالوا: العاقبة والعاقبة» و«واعلموا أن الله مع المتقين» قال: «تأويله: أنه ضامن لهم النصر» قوله: ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ النسيء في الشهور تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر ليست له تلك الحرمة وهو مصدر بمعنى الإنساء كالنذير بمعنى الإنذار، والنكير بمعنى الإنكار والإنساء التأخير وكانت العرب تحرم الشهور الأربعة، وذلك مما تمكست به من ملة إبراهيم وإسماعيل وهم كانوا أصحاب حروب وغارات وربما كان يشق عليهم أن ينكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغيرون فيها فكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمونه، ويستحلون المحرم إلى صفر فيحرمونه، ويستحلون المحرم فيمكثون بذلك زماناً ثم يردون التحريم إلى المحرم ولا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة إذا اجتمعت العرب للموسم، فينادي

(١) معاني القرآن ٢٤٥/٢ انظر تفسير الرازي ٤٠/١٦.

(٢) انظر تفسير البغوي ٢٨٩/٢ القرطبي ٨٥/٨ فتح القدير ٣٥٨/٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٥٥٠/٤ في كتاب صفة القيامة باب قوله ﷺ (الكيس من دان نفسه) من حديث شداد بن أوس (٢٤٥٩) وقال حديث حسن، وأحمد في المسند ١٢٤/٤ وابن ماجه في السنن ١٤٢٣/٢ في كتاب الزاهد باب ذكر الموت والاستعداد (٤٢٦٠) والحاكم ٥٧/١، في كتاب الإيمان. وقال صحيح، وتعقبه الذهبي فقال أبو بكر وهو من رواة الحديث عند الحاكم وأبو. وأخرجه من طريق آخر (٢٥١/٤) والبيهقي في السنن (٣٦٩/٣)، والطبراني في الكبير ٣٣٨/٧ - ٣٤١ وأبو نعيم في الحلية ١/٢٦٧ والخطيب في التاريخ ٥٠/١٢ وابن عدي في الكامل ٤٧٢/٢. والبغوي في شرح السنة ٣٠٨/١٤ والطبراني في الصغير ٣٦/٢ وقال الترمذي ومعنى قوله: من دان نفسه يقول: حاسب نفسه في الدنيا، قبل أن يحاسب يوم القيامة.

(٤) القرطبي ٧٦/٨ انظر تفسير الرازي ٤٣/١٦ البغوي ٢٨٩/٢ أبو حيان ٣٩/٥.

(٥) سقط في ب.

(٦) الطبري ٢٣٨/١٤ البغوي ٢٨٩/٢ الرازي ٤٣/١٦ ابن كثير ٨٩/٤ القرطبي ٨٦/٨ أبو حيان ٣٩/٥.

(٧) أخرجه الطبري ٣٣٨/١٤ (١٦٦٩٨) وابن كثير ٩٠/٤ البغوي ٢٨٩/٢.

(٨) ابن كثير ٩٠/٤ أبو حيان ٣٩/٥ فتح القدير ٣٥٩/٢ البغوي ٢٨٩/٢.

(٩) الرازي ٤٤/١٦، البحر ٣٩/٥.

مناد أن افعلوا ذلك لحرب أو لحاجة قال ابن عباس^(١): «ومعنى زيادة الكفر أنهم أحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله»
 قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هذه قراءة العامة^(٢) وقراءة أهل الكوفة (يُضِلُّ) بضم الياء وفتح الضاد والمعنى أن
 كبراءهم يضلونهم بحملهم على التأخير وروي عن أبي عمرو يضل به الذين كفروا أي يضلون بذلك تابعهم والأخذين بذلك،
 وقوله: ﴿يَحِلُّونَهُ عَامًا وَيَحْرَمُونَهُ عَامًا﴾ قال ابن عباس^(٣): «إذا قاتلوا فيه أحلوه وحرموا مكانه صفراً وإذا لم يقاتلوا فيه
 حرموه» ﴿لِيُؤْطَا عِدَّةٌ مَّا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ وهو أنه لم يحلوا شهراً من الحرم إلا حرموا مكانه شهراً من الحلال، ولم يحرموا
 شهراً من الحلال إلا أحلوا مكانه شهراً من الحرم لثلاث تكون الحرم أكثر من الأربعة، كما حرم الله، فتكون موافقة للعدد.
 فتلك المواطأة وهي الموافقة يقال: واطأت فلاناً على كذا إذا وافقته، وقوله: ﴿زِين لَّهُمْ سَوْءَ أَعْمَالِهِمْ﴾ قال ابن
 عباس^(٤): «يريد زين لهم الشيطان هذا».

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ
 بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا ۚ ۝٣٨ إِلَّا أَنْفِرُوا
 يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ۝٣٩ إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي
 الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخَازِنَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْتَائِبِينَ فَانزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ
 بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا
 وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٠ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ
 خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤١

وقوله: ﴿يا أيها الذين ءامنوا ما لكم﴾ هذه الآية حث لمن تناقل عن غزوة تبوك وذلك كان في زمان عسرة
 من الناس، وجذب في البلاد وشدة من الحر فشق على الناس الخروج إلى القتال فأنزل الله هذه الآية
 وحرص المسلمين على ذلك، وقوله ﴿ما لكم﴾ استفهام معناه التوبيخ، وقوله: ﴿إذا قيل لكم انفروا في سبيل

(١) الطبري ٢٤٥/١٤ انظر تفسير الرازي ٤٧/١٦ ابن كثير ٩٢/٤ أبو حيان ٣٩/٥ البغوي ٢٩/٢ فتح القدير ٣٦٠/٢ الدر المنثور
 ٢٣٦/٣.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وحفص: (إنما النسيء زيادة في الكفر يُضِلُّ) بضم الياء وفتح الضاد على ما لم يسم فاعله: إن الكافرين
 يُضِلُّون. وحجتهم أن الكلام أتى عقيب ذلك بترك تسمية الفاعل، وهو قوله: (زين لهم سوء أعمالهم) فدل على أن: ما تقدمه من
 الفعل جرى بلفظه، إذ كان التزني إضلالاً في الحقيقة، فجعل ما قبل التزني مشاكلاً للفظه، ليألف الكلام على نظام واحد. وقرأ
 الباقون: (يُضِلُّ) بفتح الياء وكسر الضاد أي هم يضلون: لا يهتدون وحجتهم قوله: (يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً) فجعل الفعل لهم
 كذلك: (يضل به الذين كفروا) وكانوا يؤخرون شهر الحج ويقدمون، فضلوا هم بتأخيرهم شهراً ويقدمهم شهراً. حجة
 القراءات (٣١٨ - ٣١٩) وانظر النشر ٢٧٩/٢، إتحاف فضلاء البشر ٩١/٢. الرازي ٤٧/١٦ البحر المحيط ٤٠/٥ فتح القدير
 ٣٥٩/٢ القرطبي ٨٩/٨.

(٣) الطبري ٢٤٩/١٤ ابن كثير ٩٢/٢ الرازي ٤٧/١٦ البغوي ٢٩١/٢ انظر فتح القدير ٣٦٠/٣.

(٤) الرازي ٤٧/١٦ البغوي ٢٩١/٢ فتح القدير ٣٦٠/٢.

الله اناقلتم إلى الأرض ﴿ إذا قيل لكم اخرجوا إلى قتال العدو، تناقلتم إلى الإقامة بأرضكم وأحببتم المقام بها يقال: نفر القوم ينفرون نفراً ونفيراً إذا خرجوا إلى مكان لأمر أوجب^(١) الخروج، وقوله: ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ قال ابن عباس^(٢): «يريد قدمتم الدنيا على الجنة» ﴿فما متاع الحياة الدنيا﴾ قال: يريد الدنيا كلها ﴿في الآخرة إلا قليل﴾. أخبرنا محمد بن إبراهيم وعبد القادر بن طاهر قالوا: أخبرنا محمد بن جعفر بن مطر نا إبراهيم بن علي نا يحيى بن يحيى أنا موسى بن أعين^(٣) عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت المستورد أخ بني فهر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبهه هذه في اليم، فينظر بسم يرجع» رواه مسلم^(٤) عن يحيى بن يحيى.

ثم توعدهم على ترك الخروج فقال: ﴿إلا تنفروا﴾ قال مقاتل^(٥): «إلا تخرجوا مع نبيكم إلى الجهاد» ﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾ قال الزجاج^(٦): «هذا وعيد شديد في التخلف عن الجهاد» قال المفسرون^(٧): «هذه الآية خاصة فيمن استنفره رسول الله ﷺ فلم ينفر» وقوله: ﴿ويستبدل قوماً غيركم﴾ هذا استعاب من الله تعالى لأولئك القوم، ووعيد لهم أنهم إن تركوا الغزو من رسول الله ﷺ أتى الله بقوم آخرين ينصر بهم رسوله، وهو قوله: ﴿ولا تضروه شيئاً﴾ لأنه لا يخذله إن تناقلتم، ثم أعلمهم أنهم إن تركوا نصره فلن يضروه [ذلك شيئاً كما لم يضروه]^(٨) قلة ناصره حين كان بمكة، وهم به الكفار فتولى الله نصره وهو قوله ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾ أي أعانه الله على أعدائه ﴿إذ أخرجنا الذين كفروا﴾ حين قصدوا أهلاكه كما ذكرنا في قوله: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ وقوله: ﴿ثاني اثنين﴾ قال الزجاج^(٩): «هو نصب على الحال، المعنى: فقد نصره الله أحد اثنين، أي نصره منفرداً إلا من أبي بكر» وهذا معنى قول الشعبي^(١٠): «عاب الله عز وجل أهل الأرض جميعاً في هذه الآية، غير أبي بكر» وقال المفسرون^(١١): «ثاني اثنين

(١) في ب (واجب).

(٢) البغوي ٢٩٢/٢ القرطبي ٩٠/٨ ابن كثير ٩٤/٤ فتح القدير ٣٦١/٢.

(٣) موسى بن أعين الجزري أبو سعيد الحراني مولى بني عامر بن لؤي روى عن أبيه وإسماعيل بن أبي خالد، والأوزاعي، ومالك، وعطاء بن السائب وابن إسحاق ومطرف بن طريف، وعمرو بن الحارث، وأبي سنان الشيباني، وعبد الكريم الجزري، ومعمربن راشد، وإسحاق بن راشد ويحيى بن أيوب المصري، وهشام بن حسان، وجماعة. قال الجوزجاني: رأيت أحمد يحسن الثناء عليه، وقال أبو زرعة وأبو حاتم: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. قال النفيلى: مات سنة سبع وسبعين ومائة. وقال غيره: مات سنة خمس وسبعين. انظر التهذيب (٣٣٥/١٠).

(٤) الحديث أخرجه مسلم ٢١٩٣/٤ في كتاب الجنة باب فناء الدنيا (٢٨٥٨/٥٥) وأخرجه الترمذي في السنن ٤٨٦/٤ في كتاب الزهد باب ما جاء في هوان الدنيا (٢٣٢٣) وابن ماجه ١٣٧٦/٢ في كتاب الزهد باب مثل الدنيا ٤١٠٨. وأخرجه أحمد في المسند ٢٢٨/٤، ٢٢٩ وذكره ابن كثير في التفسير ٩٤/٤.

(٥) وهذا سخط على المتناقلين عظيم، حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين، وأنه يهلكهم ويستبدل قوماً آخرين خيراً منهم وأطوع.

(٦) معاني القرآن ٤٤٨/٢.

(٧) الطبري ٢٥٤/١٤ - ٢٥٥ البغوي ٢٩٢/٢ الرازي ٤٩/١٦ ابن كثير ٩٥/٤ القرطبي ٩١/٨ البحر المحيط ٤٢/٥ فتح القدير ٣٦٣/٢ انظر الدر المنثور ٢٣٩/٣.

(٨) سقط في أ.

(٩) معاني القرآن للزجاج ٤٤٩/٢ الرازي ٥١/١٦ البحر المحيط ٤٣/٥.

(١٠) البغوي ٢٩٣/٢ بنحوه في البحر ٤٣/٥ وانظر القرطبي ٩٢/٨.

(١١) البغوي ٢٩٢/٢ الرازي ٥١/١٦.

هو وابو بكر» ﴿إذ هما في الغار﴾ الغار ثقب في الجبل عظيم، قال قتادة^(١): «هو غار في جبل مكة يقال له ثور» وقال مجاهد^(٢): مكثا في الغار ثلاثاً.

أخبرنا أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد العدل أنا أحمد بن جعفر بن مالك نا إبراهيم بن عبد الله أنا محمد بن سنان^(٣) العوفي نا همام عن ثابت عن أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ ونحن في الغار: «ياأبا بكر، ماظنك باثنين الله ثالثهما» رواه البخاري^(٤) عن عبد الله بن محمد^(٥) عن حبان^(٦) عن همام.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الوراق أنا محمد بن عبد الله بن محمد الضبي حدثني أحمد بن عبيد الحافظ^(٧) نا محمد بن إبراهيم نا عمرو بن زياد نا غالب بن عبد الله القرقساني عن أبيه عن جده قال: شهدت رسول الله ﷺ قال لحسان بن ثابت: «هل قلت في أبي بكر شيئاً؟ قل حتى أسمع» قال قلت:

وَتَأْنِي أَتَيْنِي فِي الْغَارِ الْمَنِيْفِ وَقَدْ طَافَ الْعَدُوُّ بِهِ إِذْ صَاعَدَ الْجَبَلَ
وَكَانَ حَبُّ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا مِنْ الْخَلَائِقِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ بَدَلًا^(٨)
فتبسم رسول الله ﷺ^(٩).

[قوله: ﴿إذ يقول لصاحبه﴾ يعني: يقول النبي ﷺ]^(١٠) لأبي بكر ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾.

(١) البغوي ٢٩٢/٢ الرازي ٥١/١٦ القرطبي ٩٢/٨ فتح القدير ٣٦٢/٢.

(٢) الرازي ٥١/١٦ ابن كثير ٩٥/٤. وذكر السيوطي مثله عن ابن عباس مطولا في الدر ٢٤٠/٣ وعزاه لابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل.

(٣) محمد بن سنان الباهلي. أبو بكر البصري المعروف بالعوفي، والمعوق: حي من الأزد نزل فيهم. روى عن إبراهيم بن طهمان، وfliح بن سليمان، ونافع بن عمر الجمحي، وهمام بن يحيى، وسليمان بن حيان، وعبد الله بن الحارث بن أبيزى، وجريير بن حازم، وهشيم وغيرهم. روى عنه البخاري وأبو داود. قال أبو حاتم: صدوق. وذكره ابن حبان في الثقات. قال البخاري: مات قريبا من سنة (٢٢) ويقال مات سنة ٣، وقال ابن أبي عاصم: مات سنة ثلاث وعشرين ومائتين. انظر التهذيب ٢٠٥/٩ - ٢٠٦.

(٤) الحديث أخرجه البخاري ١٧٦/٨ - ١٧٧ في كتاب التفسير سورة التوبة باب قول الله تعالى ثاني اثنين إذ هما في الغار (٤٦٦٣). ومسلم ١٨٥٤/٤ في فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر (٢٣٨١/١).

(٥) عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان بن أخنس بن خنيس الجمعي، أبو جعفر البخاري، الحافظ المعروف بالمسندي، سمي بذلك لأنه كان يطلب المسندات، ويرغب عن المرسلات. انظر التهذيب (٩/٦).

(٦) حبان بن هلال الباهلي أو الكناني، أبو حبيب البصري الحافظ. عن معمر وشعبة، وهمام وجريير بن حازم وخلق. وعنه ابن المدني وإسحاق الكوسج وعبد بن حميد وخلق. قال ابن سعد: كان ثقة ثبأ حجة، مأمونا، امتنع من التحديث أي تأخر. مات سنة ست عشرة ومائتين. انظر الخلاصة ١٨٩/١.

(٧) أحمد بن عبيد بن إسماعيل، أبو الحسن الصفار. سمع أبا إسماعيل الترمذي، ومحمد بن غالب التمام، وعبيد بن شريك البزار ومحمد بن الفرج الأزرق، وإسماعيل بن إسحاق القاضي، وأبا العباس الكديمي، والحسين بن عبد الله بن شاکر، ويوسف بن يعقوب القاضي. روى عنه الدارقطني، وكان ثقة ثبأ، صنف المسند وجوده. انظر تاريخ بغداد (٢٦١/٤).

(٨) ورواية الديوان:

والثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا

انظر الديوان ص ١٧٩.

(٩) ضعيف جداً في إسناده غالب بن عبد الله قال العلاتي: لا يعرف انظر لسان الميزان ٤١٣/٤ والحديث أخرجه الحاكم في المستدرک ٧٧/٣ في كتاب معرفة الصحابة. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٤١/٣ وعزاه لابن عدي وابن عساكر من طريق الزهري عن أنس.

(١٠) سقط في ب.

أخبرنا أبو بكر التميمي أنا أبو الشيخ الحافظ أنا إبراهيم بن محمد بن الحسن^(١) نا يونس^(٢) نا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: أيكم يقرأ سورة التوبة؟ قال رجل أنا، فلما بلغ ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ بكى أبو بكر وقال: أنا والله صاحبه^(٣).

أخبرنا أبو نصر أحمد بن إبراهيم المهرجاني^(٤) أنا عبيد الله بن محمد الزاهر أنا أبو القاسم البغوي نا وهب بن بقية أنا إسحاق بن الأزرق عن سلمة بن نبيط^(٥) عن نعيم بن أبي هند^(٦) عن نبيط يعني ابن شريط^(٧) عن سالم بن عبيد وكان من أصحاب الصفة، قال: قال رجل من الأنصار: منا أمير، ومنكم أمير فقال عمر - وأخذ بيد أبي بكر - سيفان في غمد لا يصطلحان، ثم قال: من الذي له هذه الثلاث؟ ﴿إذ هما في الغار﴾ من هما؟ ﴿إذ يقول لصاحبه﴾ من صاحبه؟ ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ مع من؟ قال: فبسط يد أبي بكر وضرب عليها، ثم قال للناس: يايعوا، فباع الناس أحسن بيعة^(٨)، قال المفسرون: «قال أبو بكر لما خاف الطلب: يا رسول الله، إن قتلت فانا رجل واحد وإن قتلت هلكت الأمة فكان حزن أبي بكر شفقة على رسول الله ﷺ وخوفاً أن يطلع عليه فقال رسول الله ﷺ: «لا تحزن إن الله معنا»^(٩)، قال الزجاج^(١٠): «لما أصبح المشركون اجتازوا بالغار فبكى أبو بكر فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ قال: أخاف أن تقتل فلا يعبد الله بعد اليوم فقال رسول الله ﷺ: «لا تحزن إن الله معنا، إن الله يمنعهم منا وينصرنا»

(١) الإمام المأمون القدوة، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحسن بن متويه الأصبهاني، إمام جامع أصبهان، كان من العباد والسادة، يسرد الصوم، وكان حافظاً حجة من معادن الصديق، ويعرف أيضاً بأبيه، ويا بن فيرة الطيآن. قال أبو نعيم: كان من العباد الفضلاء، مات في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاث مئة. انظر السير ١٤/١٤٢ - ١٤٣ الإكمال (١١/١) أخبار أصفهان (١٨٩/١) الروافي (١٢٥/٦) الشذرات (١٣٨/٢).

(٢) يونس بن عبد الأعلى، بن ميسرة بن حفص، الصدفي، أبو موسى المصري، أحد الأعلام، عن ابن عيينة، والشافعي، وابن وهب، وطائفة، قال يحيى بن حسان: ركن من أركان الإسلام، وقال حفيده عبد الرحمن أحمد صاحب التاريخ: توفي سنة أربع وستين ومائتين. انظر الخلاصة (١٩٣/٣).

(٣) أخرجه الطبري في التفسير ١٤/٢٦٠ وذكره السيوطي في الدر ٣/٢٤٣، وعزاه لابن أبي حاتم عن سالم بن عبيد رضي الله عنه.
(٤) بالكسر وسكون السين وفتح الفاء والراء وكسر التحتية إلى إسفرايين بليدة بنواحي يسابوز اللباب (٥٥/١) الأنساب (١٤٣/١) معجم البلدان (١٧٧/١).

(٥) سلمة بن نبيط بن شريط بن أنس الأشجعي أبو فراس الكوفي. روى عن أبيه وقيل عن رجل عن أبيه، وعن نعيم بن أبي هند وعبيد ابن أبي الجعد، والزبير بن عدي والضحاك بن مزاحم، وعنه الثوري وابن المبارك وكيع والحري وحמיד بن عبد الرحمن والرواسي وعبيد الله بن موسى وأبو نعيم وغيرهم. قال أبو طالب عن أحمد ثقة، وكان وكيع يفتخر به يقول: ثنا سلمة بن نبيط وكان ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (١٥٨/٤).

(٦) نعيم بن أبي هند، واسمه النعمان بن أشيم الأشجعي الكوفي. روى عن أبيه وله صحبة، ونبيط بن شريط، وربيع بن حراش، ومويد بن غفلة، وأبي وائل، وأبي حازم الأشجعي، وابن سمرة بن جندب. وعنه ابن عمه أبو مالك، وسعيد بن طارق الأشجعي، وسلمة بن نبيط، وسليمان التميمي، ومغيرة بن مقسم، وزيايد بن خيثمة، والزبير بن الخريت، وشعبة وشيبان النهوي، وغيرهم. قال أبو حاتم: صالح الحديث صدوق، وقال النسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (٤٦٨/١).

(٧) سالم بن عبيد الأشجعي، من أهل الصفة، سكن الكوفة، روى عنه هلال بن يساف، ونبيط بن شريط، وخالد بن عرفطة. انظر أسد الغابة (٣١٠/٤).

(٨) ذكره القرطبي ٨/٩٤ ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٤٣ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٩) أخرجه البخاري ٧/١٠ - ١١ في فضائل أصحاب النبي ﷺ ٣٦٥٢ ومسلم ٤/٢٣٠٩ في الزهد باب في حديث الهجرة ٧٥/٢٠٠٩.

(١٠) معاني القرآن ٢/٤٤٨ وذكر السيوطي في الدر بنحو ٣/٢٤٥ عن أنس بن مالك، ونسبه لابن مردويه.

قال: هكذا يا رسول الله؟ قال: نعم» فرقاً دمع أبي بكر وسكن.

روى جابر أن رسول الله ﷺ قال: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن قولوا كما قال الله صاحبي»^(١)، وقال الحسين بن فضل^(٢): من أنكر أن يكون عمر أو عثمان أو أحد من الصحابة كان صاحب رسول الله ﷺ، فهو كذاب مبتدع، ومن أنكر أن يكون أبو بكر صاحب رسول الله ﷺ كان كافراً لأنه رد نص القرآن^(٣).

وقوله: «فأنزل الله سكينته عليه» قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير^(٤): على أبي بكر، فأما النبي ﷺ فكانت السكينة عليه قبل ذلك وقوله: «وأيده بجنود لم تروها» قال ابن عباس^(٥): «وقواه بالملائكة يدعون الله له» والهاء عائده على النبي ﷺ، وقال الزجاج^(٦): أيدته بملائكة يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه وقال مجاهد، والكلبي^(٧): «قواه وأعانه بالملائكة يوم بدر، أخبر الله أنه صرف عنه كيد أعدائه وهو في الغار ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر» وقوله: «وجعل كلمة الذين كفروا» يعني كلمة الشرك «السفلى» لأنها سفلت، فبطلت «وكلمة الله» وهي لا إله إلا الله كلمة التوحيد «هي العليا» لأنها علت، وظهرت يوم بدر، وهذا قول أكثر المفسرين، وقال ابن كيسان: «كلمة الذين كفروا ما قدر بينهم في الكيد به ليقتلوه، فلم ينالوا أملهم، وكلمة الله: وعد الله أنه ناصرهم»، وهذا قول ابن عباس^(٨) في رواية عطاء «والله عزيز» في انتقامه من أهل الكفر «حكيم» في تديبه، وقوله: «انفروا خفافاً وثقالاً» قال أكثر «المفسرين»^(٩): «شباباً وكهولاً» وروى عطاء عن ابن عباس^(١٠): «رجالاً وركباناً»، وروى عنه أيضاً^(١١) خفافاً - قال: أهل الميسرة من المال، وثقالاً أهل العسرة وهو اختيار الزجاج^(١٢) قال: موسرين ومعسرين وعلى العكس من هذا قال أبو صالح^(١٣): «خفافاً من المال أي فقراء، وثقالاً منه أي أغنياء»، واختاره الفراء^(١٤) فقال: «الخفاف ذوو العسرة وقلة العيال، والثقال ذوو العيال والميسرة» وقال أهل المعاني: هذا عام في كل أحد لأنه ما من أحد إلا وهو ممن تخف عليه الحركة أو تثقل فهو ممن أمر في هذه الآية بالنفير، وقال عطاء الخراساني^(١٥) عن ابن عباس: نسخت هذه الآية

(١) أخرجه البخاري ٢١/٧ في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ حديث ٣٦٥٦.

ومسلم ٣٧٧/١ في كتاب المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور ٥٣٢/٣٣ والترمذي في السنن رقم ٣٦٥٩، ٣٦٦٠ وابن ماجه ٩٣، وأحمد ٣٧٧/١، ٤٣٣، ٤٣٩، ٤٦٣ والطبراني في الكبير ٢٧٨/٣، ١٢٩/١٠، ١٣٠، ١١٩/١٢ والحيمدي

(١١٣) وابن سعد في الطبقات (١٢٤/١/٣) والطحاوي في المشكل ٤٤١/١، ٤٤٢، ٤٤٣ والخطيب في التاريخ ١٣٤/٣.

(٢) الحسين بن الفضل بن عمير: العلامة المفسر الإمام اللغوي المحدث، أبو علي البجلي الكوفي، ثم النيسابوري، عالم عصره.

ولد قبل الثمانين ومئة. قال: وكان يركع في اليوم والليلة ست مائة ركعة، ويقول: لولا الضعف والسن لم أطعم بالنهار. توفي

الحسين في شعبان سنة اثنتين وثمانين ومئتين. وهو ابن مائة وأربع ستين. وصلى عليه محمد بن النضر الجارودي. السير

(١٣/٤١٤) العبر (٦٨/٢) لسان الميزان (٣٠٧/٢) طبقات المفسرين (١٥٦/١) الشذرات (١٧٨/٢).

(٣) البغوي ٢٩٣/٢ البحر المحيط ٤٣/٥ والقرطبي ٩٣/٨.

(٤) البغوي ٢٩٦/٢ القرطبي ٩٥/٨ ابن كثير ٩٦/٤ انظر فتح القدير ٣٦٢/٢.

(٥) البغوي ٢٩٦/٢ القرطبي ٩٥/٨ ابن كثير ٩٦/٢ انظر فتح القدير ٣٦٢/٢. ٣٦٤.

(٦) معاني القرآن ٤٤٩/٢.

(٧) البغوي ٢٩٦/٢ البحر المحيط ٤٣/٥. الرازي ٥٦/١٦ انظر فتح القدير ٣٦٢/٢. (٨) البغوي ٢٩٦/٢ أبو حيان ٤٤/٥.

(٩) البغوي ٢٩٦/٢ البحر المحيط ٤٤/٥ القرطبي ٩٦/٨ الطبري ٢٦٢/١٤ ابن كثير ٩٧/٤ الرازي ٥٦/١٦ فتح القدير ٣٦٢/٢ - ٣٦٤.

وعزه لابن أبي شيبة وابن المنذر عن عكرمة، وانظر الدر المنثور ٢٤٦/٣.

(١٣) البغوي ٢٩٦/٢.

(١٠) البغوي ٢٩٦/٢ الرازي ٥٦/١٦ أبو حيان ٤٤/٥.

(١٤) الرازي ٥٧/١٦ البغوي ٢٩٦/٢.

(١١) البغوي ٢٩٦/٢ أبو حيان ٤٤/٥ ابن كثير ٩٧/٤.

(١٥) البغوي ٢٩٧/٢، القرطبي ٩٦/٨.

(١٢) البغوي ٢٩٦/٢.

[بقوله] (١) ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾، وقال السدي (٢): لما نزلت أشد شأنها على الناس فنسخها الله وأنزل: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى﴾ الآية، قوله: ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ هذا يدل على أن الموسر يجب عليه الجهاد بالمال إذا عجز عن الجهاد بالبدن لزمانة أو علة، فوجوب الجهاد بالمال كوجوبه بالبدن على الكفاية، وقوله: ﴿ذلكم خير لكم﴾ أي: من التناقل إلى الأرض إذا استفترتم ﴿إن كنتم تعلمون﴾ ما لكم من الجزاء والثواب.

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَعِدُّنَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَعِدُّنَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضْعُوا خَلْلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَالُوا لَئِنْ كُنَّا نَرَى السَّمَاءَ نَسْرًا سَرًّا وَنَبْشًا نَبْشًا لَنَنْزِلَنَّ عَلَيْهَا عُدَّةً كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٨﴾

قوله: ﴿لو كان عرضاً قريباً﴾ نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك والمعنى لو كان ما دعوا إليه عرضاً قريباً، غنيمة قريبة ﴿وسفراً قاصداً﴾ قريباً هيناً ﴿لاتبعوك﴾ طمعاً في المال ﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ المسافة، وقال الكلبي (٣): «يعني السفر إلى الشام» والشقة السفر البعيد لأنه يشق على الإنسان ﴿وسيحلفون بالله﴾ يعني المنافقين إذا رجعت إليهم ﴿لو استطعنا لخرجنا معكم﴾ لو قدرنا وكان لنا سعة في المال ﴿يهلكون أنفسهم﴾ بالكذب والنفاق ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ لأنهم كانوا يستطيعون الخروج وكانوا مياسير، ذوي زاد وسلاح وعدة، قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ قال عمرو بن ميمون الأودي (٤)، «إثنان فعلهما النبي ﷺ لم يؤمر بهما، إذنه للمنافقين، وأخذته الفداء من الأسارى فعاتبه الله كما تسمعون» قال سفيان بن عيينه (٥) «انظر إلى هذا اللطف بدأه بالعضو قبل أن يعيره بالذنب» قال قتاده: ثم أنزل بعده نسخ هذه الآية ﴿فإذا استأذنتك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾ (٦) وقوله:

(١) سقط في أ. ب.

(٢) البغوي ٢/٢٩٧، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٤٦ وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) ابن كثير ٤/٩٩.

(٤) البغوي ٢/٢٩٧ الرازي ١٦/٥٩ القرطبي ٨٧/٩٩ وذكره السيوطي في الدر ٣/٢٤٧ وعزاه لعبد الرزاق في المصنف وابن جرير، وانظر فتح القدير ٢/٣٦٧.

(٥) البغوي ٢/٢٩٧.

(٦) النور: ٦٢ القرطبي ٨/٩٩ وانظر بصائر ذوي التمييز ١/٢٣٠ وذكره السيوطي في الدر ٣/٢٤٧ وعزاه لأبي عبيد، وابن المنذر، وابن =

﴿لم أذنت لهم﴾ أي: في التخلف عنك، قال ابن عباس^(١) «وذلك أن رسول الله ﷺ لم يكن يعرف يومئذ المنافقين» قوله: ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا﴾ الآية، أي: حتى تعرف من له العذر في التخلف ومن لا عذر له فيكون إذذك لمن أذنت له على عذر. قوله: ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ الآية قال ابن عباس^(٢): «هذا تعبير للمنافقين حين استأذنه في القعود عن الجهاد» وقال الزجاج^(٣): «أعلم الله نبيه أن علامة النفاق في ذلك الوقت الاستئذان، وإلا فالاستئذان من الإمام في [القعود عن]»^(٤) الجهاد غير مذموم، والمعنى في أن يجاهدوا حذف «في» ﴿إنما يستأذنك﴾ أي في القعود عن الجهاد ﴿الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم﴾ قال ابن عباس^(٥): «شكوا في دينهم» ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾ في شكهم يتمادون ﴿ولو أرادوا الخروج﴾ يعني هؤلاء المنافقين لو أرادوا أن يخرجوا معك ﴿لأعدوا له عُدَّة﴾ من الزاد والماء والظهر، لأن سفرهم بعيد فتركهم العدة دليل على إرادتهم التخلف، والمعنى أنهم كانوا مياسير قادرين على أخذ العدة لو أرادوا الخروج ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ انطلاقتهم وخروجهم معك يقال: «بعثته لأمر كذا فانبعث أي نفذ فيه»، وقوله: ﴿فبسطهم﴾ التثيبت رذك الإنسان عن الشيء بفعله، قال ابن عباس^(٦): «فخذلهم وكسلهم عن الخروج» ﴿وقيل اقمعدوا مع القاعدين﴾ قال مقاتل: «وحياً إلى قلوبهم يعني: أن الله ألهمهم أسباب الخذلان، وأوحى إلى قلوبهم أن اقمعدوا مع القاعدين ويجوز أن يكون بعضهم قال ذلك لبعض» ثم أعلم الله (لم)^(٧) كره خروجهم فقال: ﴿لو خرجوا فيكم﴾ أي: فيما بينكم، يعني معكم ﴿ما زادوكم إلا خبالاً﴾ الخبال الفساد والشر في كل شيء قال ابن عباس^(٨) «يريد عجزاً وجبناً» أي أنهم كانوا يجبنونكم عن لقاء العدو بهويل الأمر عليكم. ﴿ولأوضعوا خلالكم﴾ أي: لأسرعوا في الدخول بينكم بالضرير، والإفساد. ﴿بالنميمة﴾^(٩)، والايضاع: الإسراع وخلال الشيء وسطه، وقوله: ﴿يبيغونكم الفتنة﴾ أي يطلبون لكم العنت، قال «الضحاك»^(١٠): يخوفونكم بالعدو ويخبرونكم أنكم مهزومون، وأن عدوكم سيظهر عليكم، ﴿وفيكم سماعون لهم﴾ عيون لهم، يتقلون إليهم ما يسمعون منكم ﴿والله عليم بالظالمين﴾ قال ابن عباس^(١١): «يريد المنافقين» ثم ذكر قبيح ما فعلوا قبل هذا فقال: ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل﴾ طلبوا لك العنت والشر من قبل تبوك وهو أن اثني عشر رجلاً من المنافقين وقفوا

= أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في سننه عن ابن عباس، وانظر فتح القدير ٣٦٧/٢، وقال أبو حيان ٤٧/٥ وهذا غلط لأن النور نزلت سنة أربع من الهجرة في غزوة الخندق، في استئذان بعض المؤمنين الرسول في بقائهم في بيوتهم في بعض الأوقات، فأباح الله أن يأذن، فتباينت الآيتان في الوقت والمعنى.

(١) البغوي ٢٩٧/٢ القرطبي ٩٩/٨.

(٢) انظر تفسير الرازي ٦١/١٦ انظر البحر المحيط ٤٨/٥ وذكره السيوطي في الدر ٢٤٧/٣ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخة عن ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر فتح القدير ٣٦٧/٢.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤٥٠/٢.

(٤) سقط في أ، ب.

(٥) ابن كثير ١٠٠/٤ القرطبي ٩٩/٨ البغوي ٢٩٧/٢.

(٦) انظر الدر المنثور ٢٤٧/٢ القرطبي ١٠٠/٨. ذكره الشوكاني في الفتح ٣٦٧/٢ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٧) في ب (لمن).

(٨) ابن كثير ١٠٠/٤ وانظر البغوي ٢٩٨/٢.

(٩) في أ (والنهمة).

(١٠) البغوي ٢٩٨/٢.

(١١) الرازي ٦٧/١٦ البحر المحيط ٥٠/٥.

على طريق النبي ﷺ ليفتكوا به فسلمه الله منهم. وقال جماعة من المفسرين^(١): «طلبوا ضد أصحابك عن الدين وردهم إلى الكفر وتخذيّل الناس عنك قبل هذا» ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ واجتهدوا في الحيلة عليك والكيد بك وأداروا الأمور ليردوا أمرك ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾ حتى أخزاهم الله بإظهار الحق وإعزاز الدين على رغم منهم وكره، وهو قوله ﴿وَوَظَّهَرَ أَمْرَ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾.

وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أُنذِنَ لِي وَلَا نَفْتِنِي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنَّ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَسْتَوِلُّوهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾

قوله: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي﴾ نزلت في الجدي بن قيس^(٢) المنافق قال رسول الله ﷺ «هل لك في جها بني الأضر؟ يعني الروم تتخذ منهم سراري ووصفاء» فقال ائذن لي في القعود عنك، ولا تفتني بذكر النساء فقد علم قومي أنني مغرم بهن وأني أخشى أن لا أصبر عنهن^(٣)، قال ابن عباس^(٤): «اعتل جد بن قيس بقوله: ولا تفتني ولم يكن له علة إلا النفاق» قال الله عز وجل: ﴿إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ أي في الشرك والإثم وقعوا بتناقضهم وخلافهم أمر رسول الله ﷺ قال ابن كيسان^(٥): «أراد اعتلالهم بالباطل هو الفتنة لأنه الشرك والكفر» ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ قال يمان^(٦): «وهي محدقة بمن كفر بالله جامعة لهم»

وقوله ﴿إن تصيبك حسنة﴾ نصر وغنيمة ﴿تسؤهم﴾ وتحزنهم ﴿وإن تصيبك مصيبة﴾ من القتل والهزيمة ﴿يقولوا﴾ قد أخذنا أمرنا من قبل ﴿أي قد عملنا بالجزم حين تخلفنا، فسلمنا مما وقعوا فيها، ﴿ويتولوا﴾ يعرضوا عن الإيمان ﴿وهم فرحون﴾ معجبون بما فعلوا، قوله: ﴿قل لن يصيبنا﴾ قل لهم يا محمد، لن يصيبنا خير وشر وشدة ورخاء ﴿إلا﴾

(١) البخوي ٢٩٨/٢ البحر المحيط ٥٠/٥.

(٢) جد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي. يكنى: أبا عبد الله، هو ابن عم البراء بن معرور، روى عنه جابر وأبو هريرة، وكان ممن يظن فيه النفاق. وكان قد ساد في الجاهلية جميع بني سلمة، فانتزع رسول الله ﷺ سؤده، وجعل مكانه في النقابة عمرو بن الجموح، وحضر يوم الحديبية فبايع الناس رسول الله ﷺ إلا الجد بن قيس فإنه استتر تحت بطن ناقته. وقيل: إنه تاب وحسنت توبته، وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه. انظر أسد الغابة (٣٢٧/١).

(٣) البخوي ٢٩٩/٢ البحر المحيط ٥٠/٥ - ٥١ ابن كثير ١٠١/٤ الرازي ٦١/١٦ الطبري ٢٨٣/١٤ القرطبي ١٠١/٨: سيرة ابن هشام ٥١٦/٢ وذكره السيوطي في الدر ٢٤٧/٢ وعزاه لابن المنذر والطبراني وابن مردويه وأبي نعيم في المعرفة عن ابن عباس، ومن طريق آخر ذكره وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ومن طريق آخر عن ابن عباس عزاه للطبراني وابن مردويه عن عائشة كما في الدر أيضاً.

(٤) البخوي ٢٩٩/٢.

(٥) انظر البخوي ٢٩٩/٢.

(٦) القرطبي ١٠١/٨، البخوي ٢٩٩/٢.

ما كتب الله لنا ﴿ قضى الله لنا، وكتب في اللوح المحفوظ ﴿هو مولانا﴾ ناصرنا والذي يتولى حياطتنا ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ وإليه فليفوض المؤمنون أمورهم على الرضا بتدبيره..

أخبرنا أبو بكر الحارثي أنا أبو الشيخ الحافظ أنا ابن أبي عاصم نا هشام بن عمار نا سليمان بن عتبة^(١) سمعت يونس بن حلبس^(٢) يحدث عن أبي إدريس الخولاني^(٣) عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «إن العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطاه، لم يكن ليصيبه^(٤)» قوله: ﴿قل هل تربصون بنا﴾ أي قل للمنافقين هل تنتظرون أن يقع بنا ﴿إلا إحدى الحسنين﴾ إما الغنيمة والفتح أو الشهادة والمغفرة.

وقد أخبرنا عبد القاهر بن طاهر أنا أبو عمرو بن نجيد أنا محمد بن إبراهيم بن سعيد أنا أمية بن بسطام نا يزيد بن زريع نا روح عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيماناً بالله، وتصديقاً برسوله أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى منزله الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة^(٥)».

وقوله: ﴿ونحن نتربص بكم﴾ قال ابن عباس^(٦): «نتنظر بكم»، ﴿أن يصيبكم الله بعداب من عنده﴾ بقارعة من السماء كما أصاب الأمم الخالية ﴿أو بأيدينا﴾ يأذن لنا ربنا في قتلكم فنقتلكم ﴿فتربصوا إنا معكم متربصون﴾ فانظروا مواعيد الشيطان، إنا منتظرون مواعيد الله من إظهار دينه، قال الزجاج^(٧): «يقول: أنتم تربصون بنا إحدى الحسنين، ونحن نتربص بكم إحدى الشرين^(٨)».

قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُنْقَبَلَ مِنْكُمْ إِلَّا تَمَّ أَنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا

(١) سليمان بن عتبة بن ثور بن يزيد بن الأحنس السلمي، ويقال الغساني أبو الربيع الداراني. قال أحمد: لا أعرفه، وقال ابن معين: لا شيء، وقال دحيم: ثقة قد روى عنه المشايخ، وقال أبو حاتم: ليس به بأس. وقال أبو زرعة عن أبي مسهر: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال هو وابن زيد مات سنة خمس وثمانين ومائة. انظر التهذيب (٤/٢١٠).

(٢) يونس بن مسيرة بن حلبس. ويقال أبو عبيد الدمشقي الأعمى روى عن وائلة بن الأسقع، وعبد الله بن بسر، وابن عمرو بن عمرو، ومعاوية وقيل عن رجل عنه، وأبي إدريس الخولاني، وأبي عبد الله الصنابحي، وأم الدرداء وعامر مسعود الرقي، وجماعة. وقال العجلي شامي، تابعي، ثقة. وقال أبو حاتم كان من خيار الناس، وكان يقرئ في مسجد دمشق، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب ٤٤٨/١١.

(٣) أبو إدريس الخولاني. عائد الله بن عبد الله ويقال فيه: عبد الله بن إدريس بن عائد بن عبد الله بن عتبة، قاضي دمشق، وعالمها، وواعظها، ولد عام الفتح. وليس هو بالمكثر، لكن له جلالة عجيبة، سئل دحيم عنه، وعن جبير أيهما أعلم؟ قال: أبو إدريس هو المقدم، ورفع أيضاً من شأن جبير بن نفير، لإسناده وأحاديثه. انظر السير (٤/٢٧٢ - ٢٧٣) أسد الغابة (٥/١٣٤) التهذيب (٥/٨٥) تذكرة الحفاظ (١/٥٣).

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٤٤١/٦ وابن أبي عاصم في السنة ١١٠/١.

(٥) أخرجه البخاري ٨/٦ في كتاب الجهاد ومسلم ٣/١٤٩٥ في كتاب الإمارة باب فضل الجهاد ١٠٣/ وأخرجه أحمد في المسند ٣٩٩/٢، ٤٢٤ والنسائي في السنن ٥٠٢٩ والبيهقي في السنن الكبرى ٣٩/٩.

(٦) انظر القرطبي ٥٣/٨٩ ابن كثير ١٠٢/٤ بلا نسبة وأبو حيان في البحر ٥٢/٥.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤٥٢/٢.

(٨) في الأصول (السؤيتين) هكذا وما أثبتناه موافق لنقل المصنف في الزجاج.

وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٥﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهِقَ
 أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٧﴾
 لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَبَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾

قوله: ﴿قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً﴾ نزلت في جد بن قيس حين قال للنبي ﷺ ائذن لي في القعود وهذا مالي أعينك به (١).

قال الزجاج والفراء (٢): «وهذا لفظ أمر، ومعناه معنى الشرط والجزاء، أي إن انفقتم طائعين أو كارهين (٣) لر يتقبل منكم» قال ابن عباس (٤): «يريد أنه لا يتقبل من أعدائه صدقاتهم ونفقاتهم» ﴿إنكم كنتم قوماً فاسقين﴾ عاصير لله على غير طريقة الإسلام.

وقوله: ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم﴾ ويقبل بالياء لأن النفقة بمعنى الإنفاق فيكون كقوله: ﴿فمن جاء موعظة من ربه﴾ التقدير: وما منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم بالله، وهذا يدل على أن الكافر لا يقبل منه عمل ﴿ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى﴾ جمع كسلان مثل سكران وسكارى، وذلك أنهم لا يرجون لها ثواباً وإن تركوها لم يخافوا عليها عقاباً ﴿ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ لأنهم يعدون الإنفاق مغرماً، قوله: ﴿فلا تعجبك أموالهم﴾ يعني بالإعجاب السرور بما يتعجب منه، يقول: لا تستحسن ما أنعمنا عليهم من الأموال والأولاد فإن العبد إذا كان مستدرجاً كثر ماله وولده ﴿إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾ الكناية تعود إلى الأموال دون الأولاد والمعنى ليعذبهم بها بأخذ الزكاة، والنفقة في سبيل الله، والمصائب فيها والتعب في جمعها، والوجل في حفظها ﴿وتزهد أنفسهم وهم كافرون﴾ قال الزجاج (٥): «وتخرج أنفسهم وهم على الكفر»، ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم﴾ يحلفون بالله أنهم مؤمنون كما أنتم [مؤمنون] (٦) ﴿وما هم منكم﴾ لأنهم يطنون الكفر ﴿ولكنهم قوم يفرقون﴾ يخافون أن يظهر ما هم عليه ﴿ولو يجدون ملجأً﴾ مكاناً يتحصن فيه قال ابن عباس: «مهرباً» (٧) ﴿أو مغارات﴾ وهو المكان الذي تغور فيه أن تستتر من قولهم: غار الماء في الأرض قال ابن عباس (٨): «يعني سرايب» ﴿أو مدخلاً﴾ أصله مدتخل فأبدلت التاء دالاً وأدغم فيه الأول، قال قتادة: سرباً (٩) وقال الحسن (١٠): «وجهاً يدخلونه» ﴿لولوا إليه﴾ لرجعوا إليه وأدبروا إليه ﴿وهم يجمحون﴾ مثل ما يجمع الفرس والمعنى أن هؤلاء المنافقين لا بصيرة لهم في الدين ولا احتساب وإنما هم

(١) البغوي ٣٠٠/٢ القرطبي ١٠٣/٨ الدر المنثور ٢٤٩/٣ الرازي ٧١/١٦.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤٥٣/٢ والفراء ٤٤١/١. البغوي ٣٠٠/٢ والقرطبي ١٠٣/٨ أبو حيان ٥٢/٥ الرازي ٧١/١٦، فتح القدير ٣٦٩/٢.

(٣) في ج (مكرمين).

(٤) بنحوه عند الرازي بلا نسبة ٧١/١٦.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٤٥٤/٢ الرازي ٧١/١٦ وذكره ابن حاتم عن السدي كما في الدر المنثور ٢٤٩/٣ فتح القدير ٣٧١/٢.

(٦) سقط في ب.

(٧) حكاه البغوي عن عطاء ٣٠١/٢ بنحوه عن أبي حيان ٥٤/٥ - ٥٥، وبلغظه أورده عن السدي، وانظر تفسير القرطبي ١٠٥/٨.

(٨) القرطبي ١٠٥/٨ البحر المحيط ٥٥/٥٦ وحكاه البغوي عن عطاء ٣٠١/٣.

(٩) البغوي ٣٠١/٢ ابن كثير ١٠٤/٤ البحر المحيط ٥٥/٥ فتح القدير ٣٧١/٢ البحر المحيط ٥٥/٥.

(١٠) البغوي ٣٠١/٢.

كالمسخرين، حتى ولو وجدوا أحد هذه الأشياء لأسرعوا إليه، طلباً للفرار.

وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرْمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿ومنها من يلمزك في الصدقات﴾ يقال: لمزت الرجل ألمزه وألمزه إذا عبته وكذلك همزته والهمزة واللمزة الذي يغتاب الناس ويغضهم أي يعيبك في أمر الصدقات وتفريقها، ويطعن عليك فيها، يعني المنافقين كانوا يقولون: لا يعطيها محمد إلا من أحب.

أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد أنا أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ أنا محمد بن يحيى نا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد الخدري قال: «بينما رسول الله ﷺ يقسم قسماً، إذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي وهو حرقوص بن زهير^(١) فقال: اعدل يا رسول الله فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ فنزلت ﴿ومنها من يلمزك في الصدقات﴾ الآية، رواه البخاري^(٢) عن عبد الله بن محمد عن هشام^(٣) عن معمر.

قال الضحاك^(٤): «كان رسول الله ﷺ يقسم بينهم ما آتاه الله من قليل المال وكثيره فكان المؤمنون يرضون بما أعطوا ويحمدون الله عليه وأما المنافقون فإن أعطوا كثيراً فرحوا وإن أعطوا قليلاً سخطوا، وذلك قوله: ﴿فإن أعطوا منها رضوا﴾ الآية ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله﴾ أي: فنعوا بما قسم لهم رسول الله ﷺ وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله﴾ ما نحتاج إليه ﴿إنا إلى الله راغبون﴾ في الزيادة، لكان خيراً لهم، وأعود عليهم. وهذا جواب لو، وهو محذوف في اللفظ. ثم بين لمن الصدقات، فقال: ﴿إنما الصدقات﴾ يعني صدقات الأموال ﴿للفقراء

(١) حرقوص بن زهير السعدي، ذكره الطبري فقال: إن الهرمزان الفارسي صاحب خوزستان كفر ومنع ما قبله، واستعان بالأكراد فكثف جمعه، فكتب سلمى ومن معه بذلك إلى عتبة بن غزوان، فكتب عتبة إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه عمر يأمره بقصده، وأمد المسلمين بحرقوص بن زهير السعدي، وكانت له صحبة من رسول الله ﷺ وأمره على القتال وعلى ما غلب عليه، فاقتل المسلمون والهرمزان، فانهزم الهرمزان وفتح حرقوص سوق الاهواز ونزل بها وله أثر كبير في قتال الهرمزان، وبقي حرقوص إلى أيام علي وشهد معه صفين. ثم صار من الخوارج ومن أشدهم على علي بن أبي طالب، وكان مع الخوارج لما قاتلهم علي، فقتل يومئذ سنة سبع وثلاثين. انظر أسد الغابة (١/٤٧٤ - ٤٧٥).

(٢) أخرجه البخاري ٧/٧١٤ في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، ٣٦١٠. وأخرجه أيضاً مسلم ٧/٧٤٠ في كتاب الزكاة باب ذكر الخراج (١٤٢-١٤٨ - ١٠٦٣).

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٥٠ وعزاه للبخاري والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وأخرجه البغوي في التفسير ٣٠١/٢.

(٣) هشام بن يوسف، قاضي صنعاء، وعالمها ومفتيها، الحجة المتقن، أبو عبد الرحمن الصنعاني. حدث عن ابن جريج، ومعمر، والقاسم بن فياض، وغيرهم. قال يحيى بن معين: هو أثبت من عبد الرزاق في ابن جريج، وقال أبو حاتم: ثقة، متقن. توفي سنة سبع وتسعين ومائة رحمه الله تعالى. انظر تذكرة الحفاظ (١/٣٤٦).

(٤) ذكره الرازي في التفسير ١٦/٧٩.

والمساكين ﴿ قال ابن عباس والحسن ومجاهد وابن زيد^(١) : «الفقير المتعفف الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل وقال الأصمعي^(٢) : «الفقير الذي له ما يأكل والمسكين الذي لا شيء له» وقال الشافعي^(٣) رضي الله عنه : «الفقير الزمنى الضعاف الذين لا حرفة لهم وأهل الحرف الضعيفة^(٤) الذين لا تقع حرفتهم من حاجتهم موقعا، والمساكين السؤال ممن لهم حرفة فالفقير أشدهما حالاً» وهذا قول^(٥) قتادة : قال : الفقير الزمن المحتاج والمسكين الصحيح المحتاج والفقير والمسكين الذي يجوز دفع الزكاة إليه : هو من لا يفي دخله بخرجه قوله : «والعاملين عليها» يعني السعاة وهؤلاء يعطون من الصدقات بقدر أجور أمثالهم، وقوله «والمؤلفة قلوبهم» هم قوم من أشرف العرب استألفهم رسول الله ﷺ ليردوا عنه قومهم ويعينوه على عدوه منهم عباس بن مرداس، وعيينة بن حصن، والأفرع بن حابس كان يعطيهم سهماً من الزكاة وقد أغنى الله المسلمين عن ذلك، قوله : «وفي الرقاب» يعني وفي فك الرقاب قال ابن عباس : «يريد الكاتبين» وسهم الرقاب موضوع في المكاتبين ليعتقوا به، وقوله : «والغارمين» وهم الذين لزمهم الديون في غير معصية ولا إسراف ﴿ وفي سبيل الله ﴾ يعني الغزاة والمرابطين ويجوز أن يعطى الغازي من الزكاة وإن كان غنياً إذا طلب وقوله : ﴿ وابن السبيل ﴾ يعني المسافر المنقطع يأخذ من الصدقات وإن كان غنياً في بلده، قوله : ﴿ فريضة من الله ﴾ يعني أن الله افترض هذا على الأغنياء في أموالهم هؤلاء ﴿ والله عليم ﴾ بخلقه ﴿ حكيم ﴾ فيم حكم فيهم .

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يَرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ مِحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنْتَ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَلِيقًا فِيهَا ذَلِكَ الْخَيْرِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنْفِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّا اللَّهُ مَخْرُجٌ مِمَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾

وقوله : ﴿ ومنهم الذين يؤدون النبي ﴾ الآية نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤدون رسول الله ﷺ ويبلغون حديثه إلى المنافقين، ويقولون : نقول ما شئنا ثم نأتيه ونحلف ما قلنا فيصدقنا، لأنه أذن فانزل الله : ﴿ ومنهم الذين يؤدون النبي ﴾ يعني من المنافقين من يؤذيه بنقل حديثه وعييته ﴿ ويقولون هو أذن ﴾ يسمع من كل أحد ما

(١) البغوي ٣٠٢/٢ ابن كثير ١٠٦/٤ والطبراني ١٠٦/١٤ .

(٢) فتح القدير ٣٧٢/٢ انظر تفسير البغوي نقلا عن ابن قتيبة ٣٠٣/٢ .

(٣) ونقل البغوي عن الشافعي فقال قال الشافعي : الفقير من لا مال ولا حرفة تقع منه موقعا زمناً كان أو غير زمن، والمسكين من كان له مال أو حرفة، ولا يغنيه سائلاً كان أو غير سائل، فالمسكين عنده أحسن حالا من الفقير، لأن الله تعالى قال (وأما السفينة فكانت لمساكين) أثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة . تفسير البغوي (٣٠٣/٢) وانظر البحر المحيط (٥٨/٥) .

(٤) في ب، ج (التي) .

(٥) انظر المصادر السابقة .

يقوله، قال الحسن^(١): قالوا: ما هذا الرجل إلا أذن من شاء صرفه كيف شاء ليست له عزيمة فقال الله ﴿قل أذن خير لكم﴾ أي مستمع خير وصالح لا مستمع شر وفساد وروى «البرجمي»^(٢): «أذن خير لكم»^(٣) بالتنوين على وصف الأذن بخير ومعناه: أن يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم، وقوله: «يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين» أي يسمع ما ينزله الله، فيصدقه ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه أي إنما يصدق المؤمنين لا المنافقين قوله: «ورحمة للذين آمنوا منكم» أي وهو رحمة الله لأنه كان سبب إيمان المؤمنين وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفاً على خير كأنه أذن خير ورحمة أي مستمع رحمة ثم أوعده هؤلاء المنافقين فقال: «والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم» قوله: «يحلفون بالله لكم ليرضوكم» أي يحلف هؤلاء المنافقون فيما يبلغكم عنهم من أذى الرسول ﷺ والطعن عليه أنهم ما قالوا ذلك، قال الزجاج^(٤): «حلفوا أنهم ما قالوا ما حكي عنهم، ليرضوا المؤمنين بيمينهم» «والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين» أي: إن كانوا على ما قالوا من الإيمان كان ترك عيبة النبي ﷺ والطعن عليه أولى ليكونوا مؤمنين بقبول قوله وترك عيبه ثم أوعدهم بقوله: «ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله» قال: ابن عباس^(٥): «من يخالف الله ورسوله بتكذيب نبيه والإظهار باللسان خلاف ما في القلب» والمحادد كالمجانبة والمخالفة والمعنى: ألم يعلم هؤلاء المنافقون [أن من عادى الله ورسوله استحق العذاب؟ وهو قوله: «فإن له نار جهنم» الآية، قوله تعالى: ﴿يحذر المنافقون﴾] [الآية: (٦)]: قال مجاهد^(٧): «كان المنافقون يعيرون رسول الله ﷺ فيما بينهم ويقولون: عسى الله ألا يفشي علينا سرنا فأنزل الله هذه الآية ومعنى يحذر المنافقون الإخبار عنهم بما كانوا يخافون من هتكهم وفضيحتهم، وهو قوله: ﴿أن تنزل عليهم﴾ أي على المؤمنين ﴿سورة تنبئهم بما في قلوبهم﴾ بما في قلوب المؤمنين من الحسد لرسول الله ﷺ والعداوة للمؤمنين وقوله: ﴿قل استهزئوا﴾ أمر وعيد ﴿إن الله مخرج﴾ مظهر ﴿ما تحذرون﴾ ظهوره ثم فعل ذلك بأن ألهم النبي ﷺ معرفتهم، فقال: ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾^(٨) قوله: ﴿ولئن سألتهم ليقولن﴾ الآية قال الكلبي ومقاتل: كان رسول الله ﷺ راجعاً من غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر يسرون فجعل رجال منهم يستهزئان بالقرآن ورسول الله ﷺ، والثالث يضحك فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فقال: ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض﴾^(٩) أي في الباطل من الكلام كما يخوض الركب نقتع به الطريق ﴿ونلعب﴾ فقال الله تعالى: ﴿قل أبا الله وءاياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾.

أخبرنا أبو نصر محمد بن محمد بن عبد الله الجوزقي أنا أبو سهل بشر بن أحمد بشرنا أحمد جعفر محمد بن موسى الحلواني نا محمد بن ميمون الخياط^(١٠) نا إسماعيل بن داود المخراقي نا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال: رأيت عبد الله بن أبي، يسير قدام النبي ﷺ، والحجارة تنكبه وهو يقول: يا محمد إنا كنا نخوض ونلعب، والنبي ﷺ يقول: ﴿أبا الله وءاياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾^(١١).

(١) بنحوه عند البغوي ٣٠٦/٢.

(٢) عبد الحميد بن صالح بن عجلان البرجمي، التيمي، أبو صالح الكوفي، مقرأ ثقة قاله ابن جرير وغيره. مات عبد الحميد سنة ثلاثين ومائتين. انظر غاية النهاية ١/٣٦٠ - ٣٦١.

(٣) انظر النشر (٢/٢٨٠) إتحاف فضلاء البشر (٢/٩٤) انظر البحر المحيط (٥/٦٢) الرازي (١٦/٩٤) البغوي (٢/٣٠٦).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢/٤٥٨.

(٥) انظر تفسير الرازي ١٦/٩٦.

(٦) سقط في أ. ج.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٤/٣٣٤ البغوي ٢/٣٠٨ السيوطي في الدرر ٣/٢٥٤.

(٨) انظر التهذيب (٩/٤٨٥).

(٩) انظر تفسير البغوي ٢/٣٠٧.

(١٠) إسناده ضعيف جداً وعلته إسماعيل بن داود، ضعفه أبو حاتم وغيره، وقال ابن حبان: كان يسرق الحديث الميزان ١/٢٢٦ التاريخ =

قوله: ﴿لَا تَعْتَدُوا﴾ أي لا تأتون بعذر مما قلتم ﴿قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ قال الزجاج^(١) قد ظهر كفركم بعد إظهاركم الإيمان ﴿إن نعت عن طائفة منكم﴾ يعني الذي ضحك، قال محمد بن إسحاق^(٢): «الذي عفي عنه رجل واحد يقال له مخشي بن حمير الأشجعي»^(٣) أنكر عليهم بعض ما سمع وجعل يسير مجانباً لهم فلما نزلت هذه الآية برىء من النفاق ويجوز أن يسمى الواحد طائفة كما يسمى الواحد باسم الجماعة، وقوله: ﴿نعتب طائفة﴾ يعني الهازئين ﴿بأنهم كانوا مجرمين﴾ بالاستهزاء.

الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿١٨﴾ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِمَخْلَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِمَخْلَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِمَخْلَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خاضُوا أَوْلِيَاكُمْ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِم نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ يَأْتِيَنَّهُمْ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢٠﴾

وقوله: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ قال ابن عباس^(٤): «أي على دين بعض» والمعنى بعضهم مضاف إلى بعض بالاجتماع على النفاق وأن أمرهم واحد ﴿يأمرسون بالمنكر﴾ بالكفر بمحمد ﷺ

= الكبير (٣٧٤/١/١) وابن أبي حاتم (٢٠١/١/١) العقبلي (٩٣/١). والحديث من غير طريق المصنف أخرجه الطبري ٣٣٣/١٤ وانظر تفسير ابن كثير ١١١/٣ - ١١٢ وانظر تفسير الرازي ٩٧/١٦ والبغوي ٣٠٨/٢، وذكر السيوطي في الدرر ٢٥٤/٢ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم، والعقبلي في الضعفاء، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والخطيب في رواية مالك عن ابن عمر، ومن طريق آخر عن ابن عمر عزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه، وقوله تنكيه أي نالته وأدته.

(١) نقل الواحدي عن أهل اللغة في لفظ الاعتذار قولين: القول الأول: انه عبارة عن محو الذنب من قولهم: اعتذرت المنازل إذا درست، يقال: مررت بمنزل معتذر، والاعتذار هو الدرس وأخذ الاعتذار منه، لأن المعتذر يحاول إزالة أثر ذنبه. والقول الثاني: حكى ابن الأعرابي أن الاعتذار هو القطع، ومنه يقال للقلعة عذرة، لأنها تقطع، وعذرة الجارية سميت عذرة لأنها تعذر أي تقطع، ويقال: اعتذرت المياه إذا انقطعت، فالعذر لما كان سبباً لقطع اللوم، سمي عذراً، قال الواحدي: والقولان متقاربان، لأن محو أثر الذنب وقطع اللوم يتقاربان. انظر الرازي (٩٨/١٦ - ٩٩).

(٢) انظر تفسير الطبري ٣٣٢/١٤ وسيرة ابن هشام ٥٢٤/٢، ٥٢٥، ابن كثير ١١٢/٢ البغوي ٣٠٨/٢. القرطبي ١٢٦/٨.

(٣) بشين معجمة ابن حمير مصغراً بالثقل الأشجعي. ذكر في مغازي ابن إسحاق في غزوة تبوك وفي تفسير ابن الكلبي بسنده إلى ابن عباس، وسند آخر إلى ابن مسعود أنه ممن نزل فيه لئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قال: فكان ممن عفي عنه مخشي بن حمير، فقال يا رسول الله: غير اسمي واسم أبي، فسماه عبد الله بن عبد الرحمن، فدعا مخشي ربه أن يقتل شهيداً حيث لا يعلم به فقتل يوم اليمامة. انظر الإصابة (٧١/٦).

(٤) البغوي ٣٠٨/٢ انظر تفسير القرطبي ١٢٧/٨ البحر المحيط ٦٨/٥.

﴿وينهون عن المعروف﴾ عن اتباع رسول الله ﷺ والإيمان به ﴿ويقبضون أيديهم﴾ عن النفقة في سبيل الله تعالى ﴿نسوا الله﴾ تركوا ما أمرهم الله به من طاعته ﴿فأنسيهم﴾ فتركهم من كل خير وحذلمهم في الشك ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ الخارجون عن أمر الله وطاعته ثم ذكر ما وعدهم في الآخرة فقال: ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات﴾ الآية ظاهرة إلى قوله ﴿كالذين من قبلكم﴾ رجع من الخبر عنهم إلى مخاطبتهم وشبههم في العدول عن أمر الله والاشتغال بالدنيا بمن قبلهم، والمعنى: أنتم كالذين من قبلكم يعني الأمم الخالية ثم وصفهم بقوله: ﴿كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلافتهم﴾ يقول: رضوا بنصيبتهم في الدنيا من أنصابتهم في الآخرة وفعلتم أيضاً مثل ما فعلوا وهو قوله: ﴿فاستمتعتم بخلافتكم﴾ كما فعلوا هم ﴿وخضتم﴾ في الطعن على الدين وتكذيب نبيكم كما خاضوا هم في الطعن على أنبيائهم ﴿وأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا﴾ لأنها لم تقبل منهم وفي ﴿الآخرة﴾ لأنهم لا يثابون عليها ﴿وأولئك هم الخاسرون﴾ يفوت المثوبة والمصير إلى العقوبة، ثم خوفهم الله بإهلاك من كان قبلهم من الأمم فقال: ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم﴾ من الأمم، قال الزجاج^(١): «ألم يأتهم خبر الذين أهلكوا في الدنيا بذنوبهم، فيتعظوا» ثم ذكرهم إلى قوله ﴿وقوم إبراهيم﴾ قال ابن عباس^(٢): يريد نمرود بن كنعان ﴿وأصحاب مدين﴾ يعني قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم الظلة، ومدين اسم بلدهم ﴿والمؤتفكات﴾ يعني قرى قوم لوط جمع مؤتفكة وهي المنقلبة، وتلك القرى انقلبت فصار أعلاها أسفلها، يقال: أفكته فانتفك أي: قلبه فانقلب، أتت هؤلاء الأمم ﴿رسلهم بالبينات﴾ فكذبوا بها ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ قال ابن عباس^(٣): «ليهلكهم حتى يبعث إليهم نبياً لينذرهم» ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ قال الزجاج^(٤): «أخبر الله أن تعذيبهم كان باستحقاقهم» قوله:

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَّ
اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ
عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ قال ابن عباس^(٥): «في الرحمة والمحبة» والمعنى: بعضهم يوالي بعضاً فهم يد واحدة في النصرة ﴿يأمرون بالمعروف﴾ بكلمة لا إله إلا الله ﴿وينهون عن المنكر﴾ عن الشرك بالله، ثم ذكر سائر أوصافهم فقال: ﴿ويقيمون الصلاة﴾ إلى آخر الآية، قوله: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات﴾ إلى قوله: ﴿ومساكن طيبة﴾ قال ابن عباس^(٦): «يريد قصور الزبرجد والدر والياقوت يفوح طيبها من مسيرة خمسمائة عام».

أخبرنا أبو عثمان بن أبي نصر الواعظ الصابوني^(٧) إملأ، أنا أبو علي بن أبي موسى الفقيه أنا أبو حامد

(١) معاني القرآن للزجاج ٤٦١/٢.

(٢) البغوي ٣١٠/٢ والقرطبي ١٢٨/٨ أبو حيان ٦٩/٥، الرازي ١٠٣/١٦ ابن كثير ١١٤/٥.

(٣) أبو حيان في البحر المحيط ٧٠/٥.

(٤) معاني القرآن ٤٦١/٢.

(٥) أبو حيان في البحر المحيط ٧١/٥ والقرطبي ١٣٠/٨ انظر تفسير البغوي ٣١٠/٢ وانظر تفسير الرازي ١٠٦/١٦.

(٦) يفتح الصاد المهملة وضم الياء الموحدة وفي آخرها النون. هذه النسبة إلى عمل الصابون وبيت كبير ينسابور الصابونية لعل بعض أجدادهم عمل الصابون فعرفوا به. أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عابد الصابوني =

محمد بن هارون الحضرمي^(١) نا إبراهيم بن سعيد الجوهري^(٢) نا قره بن حبيب^(٣) عن حسين بن فرقد عن الحسن بن عمران بن حصين وعن أبي هريرة قالاً: «سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿ومساكن طيبة في جنات عدن﴾ قال: قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام، في كل بيت سبعون وصيفة، ويعطى المؤمن في كل غداة ما يأتي على ذلك كله أجمع^(٤)».

وقوله: ﴿في جنات عدن﴾ يقال: عدن بالمكان يعدن عدوناً إذا أقام به، ومعنى جنات عدن: جنات إقامة، قال عطاء عن ابن عباس^(٥): «هي قصبة في الجنة وسقفها عرش الرحمن وقال الضحاك^(٦): «هي مدينة الجنة وفيها الرسل، والأنبياء، والشهداء، وأئمة الهدى، والناس حولهم والجنات حولها» وقال مقاتل والكلبي^(٧) عدن أعلى درجة في الجنة وفيها عين التسليم والجنان حولها محدقة بها وهي مغطاة من يوم خلقها الله تعالى، حتى ينزلها أهل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون، وفيها قصور الدر والياقوت والذهب.

أخبرنا أبو بكر بن الحارث أنا عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ، نا محمد بن الحسن بن علي بن بحر نا محمد بن عبد الأعلى نا يزيد بن هارون نا سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن مجاهد، قال: قرأ عمر بن الخطاب على المنبر ﴿جنات عدن﴾ فقال: هل تدرؤن ما جنات عدن؟ قصر في الجنة له خمسة آلاف باب، على كل باب خمس وعشرون ألفاً من الحور العين، لا يدخله إلا نبي وهنيتاً لصاحب هذا القبر وأشار إلى رسول الله ﷺ أو صديق، وأشار إلى أبي بكر، أو شهيد، وأنى لعمر بهذه الشهادة، ثم قال: إن الذي أخرجني من كذا، قادر على أن يسوق إلي الشهادة^(٨).

= المعروف بشيخ الإسلام كان إماماً مفسراً محدثاً فقيهاً واعظاً خطيباً أوحده وقته في طريقته، وعظ المسلمين في مجالس التذكير ستين سنة، وخطب على منبر نيسابور نحواً من عشرين سنة. وكانت ولادته في سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ووفاته في محرم من سنة تسع وأربعين وأربعمائة. انظر الأنساب (٥٠٦/٣).

(١) المحدث الثقة المعمر الإمام أبو حامد محمد بن هارون بن عبد الله بن حميد الحضرمي البغدادي من بقايا المسنين. سمع إسحاق بن أبي إسرائيل وأبا همام السكوني ونصر بن علي الجهضمي وطبقتهم. مات في المحرم سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة وله نيف وتسعون سنة. انظر السير (٢٥/١٥). تاريخ بغداد (٣٥٨/٣) الوافي (١٤٨/٥) الشذرات (٢٩١/٢).

(٢) إبراهيم بن سعيد الجوهري أبو إسحاق الطبري الأصل البغدادي الحافظ. روى عن أبي أسامة وابن عيينة وأبي أحمد الزبيري وأسد بن عامر وأبي ضمرة والواقدي وعبد الوهاب الثقفي وجماعة. وعنه الجماعة سوى البخاري. قال الخطيب كان ثقة مكثرأً ثباتاً صنف المسند. قال ابن قانع مات سنة ٢٤٩، وقال غيره مات بعد الخمسين ومائتين. انظر التهذيب (١٢٣/١) - (١٢٤).

(٣) الإمام المحدث الثقة أبو علي البصري الرماح القنوي حدث عن: عبد الله بن عون فكان آخر من حدث عنه من الثقات، وعن شعبة وأبي الأشهب العطاردي، وعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار. قال أبو حاتم: ثقة. قلت: مات في سنة أربع وعشرين ومئتين، وقد جاوز التسعين رحمه الله. انظر السير (٤٢٦/١٠) التاريخ الكبير (١٨٣/٦) الجرح والتعديل (١٣٢/٧) التهذيب (٣٧٠/٨).

(٤) أخرجه الطبري في التفسير ٣٤٩/١٤ وذكره الهيثمي في المجمع ٤٢٠/١٠ وعزاه للبخاري في الأوسط، وقال: وفيه حسين بن فرقد وهو ضعيف وقد وثقه سعيد بن عامر، وبقية رجال الطبراني ثقات، وذكره الرازي في التفسير ١٠٦/١٦ وذكره السيوطي في الدر ٢٥٧/٣ وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٥) أبو حيان في البحر ٧١/٥ القرطبي ١٣٠/٨.

(٦) أبو حيان في ٧١/٥ القرطبي ١٣٠/٨.

(٧) البغوي ٣١٠/٢ البحر المحيط ٧١/٥.

(٨) ذكره البغوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ٣١٠/٢ وثبت في هامش الأصل قوله يعني من الكفر والضلالة من الإسلام أرجو أن يرزقني الشهادة.

وقوله: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ قال ابن عباس^(١): «أكبر مما يوصف» وقال الزجاج^(٢) «أكبر مما هم فيه من النعيم» وإنما صار الرضوان أكبر من الثواب لأنه لا يوجد شيء من الثواب إلا بالرضوان إذ هو الموجب له وقال الحسن^(٣): «لأن ما يصل إلى قلب المؤمن من السرور برضوان الله أكبر من جميع ذلك».

أخبرنا أبو منصور البغدادي أنا إسماعيل بن نجيد نا محمد بن محمد بن إبراهيم بن سعيد نا أمين بن بسطام نا يزيد بن زريع نا روح بن القاسم عن محمد بن المنكدر عن جابر عن عبد الله قال: لما أدخل الله أهل الجنة الجنة قال: ألا أعطيكم أفضل من هذا؟ قالوا: أفضل من هذا؟ قال: نعم، قالوا: بلى، قال: رضواني^(٤).

حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الحافظ أنا عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب^(٥) نا يحيى بن محمد بن صاعد نا الحسن بن عيسى بن ماسرجس^(٦) نا عبد الله بن المبارك نا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: لأعطيكن أفضل من ذلك، فيقولون: ربنا وأي شيء أفضل؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط بعده عليكم أبداً» رواه البخاري^(٧) عن معلى بن أسد^(٨) ورواه مسلم^(٩) عن محمد بن عبد الرحمن بن سهم كلاهما عن ابن المبارك.

(١) انظر البحر المحيط ٧٢/٥.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤٦١/٢.

(٣) ذكره أبو حيان في البحر ٧٢/٥.

(٤) ذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ١١٨/٤ وعزاه للبخاري وقال الحافظ الضياء المقدسي في كتابه «صفة الجنة» هذا عندي على شرط الصحيح. وذكره السيوطي في الدر المنثور بنحوه ٢٥٧/٣ وعزاه لابن مردويه.

(٥) الشيخ المعمر الزاهد، شيخ الصوفية، مسند الوقت أبو سعيد عبد الله بن محمد، بن عبد الوهاب، بن نصير، بن عبد الوهاب، بن عطاء، بن واصل، القرشي، الرازي، نزيل نيسابور. حدث عنه: الحاكم، وأبو نعيم، ومحمد بن الحسن بن المؤمل، وشيخ الإسلام إسماعيل الصابوني، وأخوه أبو يعلى، ومحمد بن عبد العزيز المروزي، وعمر بن مسرور، وأبو سعد الكنجرودي وآخرون. ووصفه الكنجرودي بالصلاح. انظر السير (٤٢٧/١٦ - ٤٢٨) العبر (٢١/٣) النجوم الزاهرة (١٦٣/٤) الشذرات (١٠٣/٣).

(٦) الحسن بن عيسى بن ماسرجس الماسرجسي، أبو علي النيسابوري، مولى ابن المبارك. روى عنه وعن أبي بكر بن عياش وعبد السلام بن حرب، وجري بن عبد الحميد وابن عيينة، وابن معاوية وغيرهم. قال الخطيب: كان من أهل بيت الثروة، والقدم في النصرانية، ثم أسلم على يدي ابن المبارك، ورحل في العلم، ولقي المشايخ، وكان ديناً ورعاً ثقة ولم يزل من عقبه بنيسابور فقهاء ومحدثون. ومات بالثعلبية في المنصرف من مكة سنة ٢٣٩ وقيل مات سنة ٤٠ انظر التهذيب (٣١٣/٢ - ٣١٤).

(٧) الحديث أخرجه ٤٢٣/١١ في كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار (٦٥٤٩، ٧٥١٨).

(٨) معلى بن أسد العمي، بفتح المهملة، أبو الهيثم البصري، الحافظ عن عبد العزيز بن المختار، وأبي عوانة وطائفة. وعنه البخاري وحجاج بن الشاعر، وأبو حاتم، وخلق قال العجلي: ثقة ثبت، كيس، معلم. قال ابن حبان: مات سنة ثمان عشرة ومائتين. انظر الخلاصة ٤٦/٣.

(٩) أخرجه مسلم ٢١٧٦/٤ في كتاب الجنة إجلال الرضوان على أهل الجنة ٢٨٢٩/٩ وأخرجه الترمذي ٢٥٥٥.

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٥٧/٢ وعزاه لأحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي سعيد الخدري.

يَتَّيِبُهَا لِلَّهِ الَّذِي جَاهَدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَخْلِفُونَ
بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُولَئِكَ يَتَلَوْنَ مَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعَذِّبَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا
لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين﴾ قال ابن عباس^(١): «أمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان» وقال ابن مسعود^(٢): «يجاهد بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلمه» وقوله: ﴿واغلظ عليهم﴾ قال ابن عباس^(٣): «يريد شدة الانتهاز والنظر بالبغضة والمقت» وقال ابن مسعود^(٤): «هو أن يكفر في وجوههم» قوله: ﴿يخلفون بالله ما قالوا﴾ لما بلغ النبي ﷺ أن المنافقين يسيئون فيه القول ويطعنون فيه وفي القرآن، أنكروا عليهم فحلفوا ما قالوا فكذبهم الله تعالى: ﴿ولقد قالوا كلمة الكفر﴾ يعني سبهم الرسول ﷺ وطمعنهم في الدين، وقوله: ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾ يعني أنهم قالوا في غزوة تبوك: إذا قدمنا المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبي تاجة يباهي ربه رسول الله ﷺ فلم ينالوا ما هموا به» وقال الكلبي والضحاك^(٥): «هموا أن يفتكوا بالنبي ﷺ ليلاً في مسيرهم في غزوة تبوك فأعلمه الله ذلك، فأمر من نحاهم عن طريقه»، وقوله: ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله﴾ قال ابن عباس: «يريد مما كانوا غنموا حتى صارت لهم العقد والأموال وكانوا قبل قدوم النبي ﷺ في صنك من عيشهم لا يركبون الخيل ولا يجوزون الغنيمة فلما قدم عليهم رسول الله ﷺ استغنوا بالغنائم»^(٦) وذكرنا معنى نقم عند قوله: ﴿هل تنقمون منا﴾ وقوله: ﴿فإن يتوبوا يك خيراً لهم﴾ قال الكلبي: «لما نزلت هذه الآية قام الجلاس بن سويد وكان ممن طعن على النبي ﷺ فقال: أسمع الله قد عرض عليّ التوبة وأنا أستغفر الله وأتوب إليه مما قلت فقبل رسول الله ﷺ توبته»^(٧) ﴿وإن يتولوا﴾ يعرضوا عن الإيمان قال ابن عباس^(٨): «كما تولى عبد الله بن أبي﴾ يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا﴾ بالقتل ﴿وفي﴾ في الآخرة﴾ بالنار ﴿وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير﴾ لا يتولاهم أحد من الأنصار، قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿فَاعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ﴿الرَّيَعَمَاءُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سَرَّهُمْ وَنَجَوْنَهُمْ وَأَنْ اللَّهَ عَلَّمَ الْغُيُوبَ﴾

﴿ومنها من عاهد الله﴾ الآية.

- (١) أخرجه الطبري ٣٥٨/١٤ - ٣٥٩ - (١٦٩٦٢) وابن كثير ١١٩/٤، أبو حيان ٧٢/٥ والمقرئ ١٣٠/٨ البغوي ٣١١/٢ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٥٨/٢ وعزه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه.
- (٢) الطبري ٣٥٨/١٤ ابن كثير ١١٨/٤ أبو حيان ١٧٢/٥ الرازي ١٠٨/١٦ القرطبي ١٣٠/٨ البغوي ٣١١/٢ وذكره السيوطي في الدر ٢٥٨/٣ وعزه لابن أبي شيبة، وابن الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف، وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ وابن مردويه.
- (٣) انظر تفسير البغوي ٣١١/٢ وانظر الدر المنثور ٢٥٨/٣.
- (٤) الطبري ٣٥٨/١٤ (١٦٩٦١) وابن كثير ١١٨/٤ أبو حيان ٧٢/٥، الرازي ١٠٨/١٦ القرطبي ١٣٠/٨ البغوي ٣١١/٢ انظر الدر المنثور ٢٥٨/٣.
- (٥) أخرجه الطبري ٣٦٢/١٤ - ٣٦٨ - وانظر الدر المنثور ٢٥٨/٣.
- (٦) انظر تفسير البغوي ٣١٢/٢ أبو حيان ٧٢/٥ - ٧٣.
- (٧) انظر الدر المنثور ٣١٢/٢، أبو حيان ٧٣/٥.
- (٨) انظر الدر المنثور ٣٦٠/٣.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل أنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر أنا أبو عمران موسى بن سهل الجوني^(١) نا هشام بن عمار نا محمد بن شعيب نا معان بن رفاعة السلامي عن أبي عبد الملك علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة الباهلي أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري^(٢) أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن يرزقني مالاً، فقال رسول الله ﷺ ويحك يا ثعلبة قليل تؤذي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم قال مرة أخرى: أما ترضى أن تكون مثل نبي الله؟ فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسيل معي الجبال ذهباً وفضة لسالت، فقال: والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقني مالاً لأوتين كل ذي حق حقه فقال رسول الله ﷺ: اللهم ارزق ثعلبة مالاً فاتخذ غنماً فمت كما ينمو الدود فضاعت عليه المدينة فتحنى عنها فنزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات إلا يوم الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فسأل رسول الله ﷺ فقال: ما فعل ثعلبة؟ فقالوا يا رسول الله اتخذ غنماً وضاعت عليه المدينة، وأخبروه بخبره فقال: يا ويح ثعلبة، ثلاثاً، وأنزل الله: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها﴾ الآية وأنزل الله عليهم فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة رجلاً من جهينة ورجلاً من بني سليم، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما: مرا بثعلبة وبفلان - رجل من بني سليم - فخذنا صدقاتهما، فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية، ما أدري ما هذا انطلقا حتى تفرغا، ثم تعودان إلي، فانطلقا وأخبرا السلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها، فلما رأوها قالا: ما يجب هذا عليك وما نريد أن نأخذ هذا منك، قال: بل خذوه فإن نفسي بذلك طيبة فأخذوها منه فلما فرغا مرّا بثعلبة، فقال: أروني كتابكما أنظر فيه، فقال ما هذا إلا أخت الجزية انطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال: يا ويح ثعلبة، قبل أن يكلمهما، ودعا للمسلمين بالبركة، وأخبروه بالذي صنع السلمي، فأنزل الله عز وجل: ﴿ومتهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدّقن﴾ إلى قوله: ﴿وبما كانوا يكذبون﴾ وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فسمع ذلك، فخرج حتى أتى ثعلبة، فقال: ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا، فخرج ثعلبة، حتى أتى النبي ﷺ، فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: إن الله منعهني أن أقبل منك صدقتك، فجعل يحشو التراب على رأسه، فقال رسول الله ﷺ: هذا عملك، قد أمرتك فلم تطعني، فلما أبى أن يقبل منه شيئاً رجع إلى منزله، وقبض رسول الله ﷺ، ولم يقبل منه شيئاً، ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه حين استخلف فقال: قد علمت منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي في الأنصار، فاقبل صدقتي فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ وأنا أقبلها؟ فقبض أبو بكر، وأبى أن يقبلها، فلما ولي عمر بن الخطاب، أتاه فقال: يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال: لم يقبلها منك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر، فأنا أقبلها منك؟ ولم يقبلها، وقبض عمر ثم ولي عثمان، فاتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر ولا عمر، وأنا أقبلها منك؟ فلم يقبلها منه عثمان وهلك ثعلبة في خلافة عثمان^(٣).

(١) الإمام المحدث، الثقة، الرحال، أبو عمران، موسى بن سهل بن عبد الحميد الجوني، البصري، نزيل بغداد. وثقه الدراقطني. مات في رجب سنة سبع وثلاث مئة. انظر السير (٢٦١/١٤) تاريخ بغداد (٥٦/١٣) تذكرة الحفاظ (٧٦٣/٢) الشذرات (٢٥١/٢).

(٢) ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري، الأوسي شهد بدرًا. قاله محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة. انظر أسد الغابة ٢٨٣/١.

(٣) إسناده ضعيف جداً، فيه معاذ بن رفاعة السلامي، قال السعدي: ليس معاذ بحجة وضعفه ابن معين، وقال الجوزجاني: ليس بحجة، وقال الأزدي: لا يحتج به، انظر الكامل لابن علي ٣٢٨/٦ (١٨١٨/١٨٧) الميزان ١٣٤/٤، التهذيب ٢٠١/١٠ وفيه =

قوله: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي من المنافقين ﴿مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ أي قال: على عهد الله ﴿لَنْ أُوَدِّعَنَّكَ﴾ أي لن صدقن ﴿لنعتين الصدقة﴾ ولتكونن من الصالحين ﴿لنعملن ما يعمل أهل الصلاح في أموالهم من صلة الرحم والنفقة في الخير﴾ فلما آتاهم من فضله ﴿ما طلبوه من المال﴾ بخلوا به ﴿ولم يفوا بما عاهدوا، وهو قوله: ﴿وَهُمْ مَعْرُضُونَ﴾ أي عن عهدهم مع الله بالصدقة والإنفاق ﴿فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم﴾ صير عاقبة أمرهم النفاق، يقال أعقت فلاناً ندامة، أي صيرت عاقبة أمره ذلك وقال مجاهد^(١): «أعقبهم الله ذلك بحرمان التوبة، كما حرم إبليس» وقوله: ﴿إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ﴾ دليل على أنه مات منافقاً، بإخلافه وعد الله، وكذبه في عهده، وهو قوله: ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ثم ذكر أنه مطلع على سرايرهم، فقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سُرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ الآية.

الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ الآية، قال قتادة^(٢): أقبل عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله، يتقرب به إلى الله فقال: يا نبي الله هذا نصف مالي قد آتيتك به وتركت نصفه لعيالي، فدعا الله له أن يبارك له فيما أمسك وفيما أعطى، فلمزه المنافقون، وقالوا ما أعطى هذا إلا رياء وسمعة. وأقبل رجل من المسلمين، يقال له: الحبحاب أو عقيل فقال: يا رسول الله، بت أجر بالجزير على صاعين من تمر فأما صاع فأمسكته لأهلي - وأما صاع [فهو ذا] فلمزه المنافقون، وقالوا: إن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل، فأنزل الله .

﴿الذين يلمزون﴾ أي يعيبون ويغتابون ﴿المطوعين﴾ الذين يعطون ما ليس بواجب عليهم تطوعاً ﴿والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾ يعني أبا عقيل، والجهد الطاقة قال الليث^(٤): «الجهد شيء قليل يعيش به المقل»، وقوله ﴿سخر الله منهم﴾ أي: جازاهم جزاء سخريتهم حيث صاروا إلى النار.

= علي بن يزيد الألهاني، قال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث حديثه منكر، وقال أبو زرعة: ليس بقوي . وقال النسائي: ليس بثقة، التاريخ الكبير ٣/٢/٣٠١ الجرح والتعديل ٣/١/٢٠٨ المجروحين ٢/١١٠ الميزان ٣/١٠٦ التهذيب ٧/٣٩٦ . والحديث أخرجه البيهقي في الدلائل ٣/٢٦٠ وأخرجه الطبراني كما في المجموع، وقال الهيثمي ٧/٣١١ فيه علي بن يزيد الألهاني، وهو متروك . وأخرجه الطبري أيضاً بإسناد ضعيف جدا ١٤/٣٧٠ (١٦٩٨٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٦٠ وعزاه للحسن بن سفيان وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، والعسكري في الأمثال، والطبراني وابن منده والباوردي، وأبو نعيم في معرفة الصحابة، وابن مردويه . والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر عن أبي أمامة الباهلي، وذكره الحافظ ابن كثير نقلاً عن الطبري وابن أبي حاتم ٤/١٢٤ وانظر فتح القدير للشوكاني ٢/٣٨٥ والبخاري ٢/٣١٢ وضعفه الحافظ ابن حجر في تخريجه أحاديث الكشاف (٧٧) وثعلبة بن دري، أنصاري، ومن شهد الله له ورسوله بالإيمان، وقال الحافظ ابن عبد البر: ولعل قول من قال ثعلبة إنه مانع الزكاة الذي نزلت فيه الآية غير صحيح، والله أعلم . وانظر الإصابة (٢/١٩ - ٢٠) .

(١) انظر تفسير البخاري ٢/٣١٤ .

(٢) أخرجه الطبري ١٤/٣٨٤ وانظر (١٧٠٠٣) وابن كثير ٤/١٢٦ الرازي ١٦/١١٥ وأبو حيان ٥/٧٥ القرطبي ٨/١٣٧ البخاري

٢/٣١٥ .

(٣) يسقط في أ .

(٤) الرازي نقلاً عن الليث ١٦/١١٥ وانظر البحر المحيط ٥/٧٦ القرطبي ٨/١٣٧ .

أخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق أنا أبو عمرو بن نجيد نا: محمد بن أيوب أنا حوثرة بن أشرس^(١)، حدثني سويد أبو حاتم^(٢) عن عبد الله بن عبيد الله بن عمير عن أبيه عن جده أن رجلاً قال: «يا رسول الله أي الصلاة أفضل؟ قال طول القنوت، قال: فأبي الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقل، قال: فأبي المؤمنين أكمل أيماناً؟ قال: أحسنهم خلقاً»^(٣).

قوله: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ الآية، قال المفسرون: «لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: إن الله قد خيرني في الاستغفار للمنافقين، وسأزيد على السبعين، لعل الله أن يغفر لهم»^(٤) «فأنزل الله تعالى: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم﴾»^(٥) الآية وذكر السبعين حصر لهذا العدد، ألا ترى أن النبي ﷺ قال: «والله لأزيدنهم على السبعين»؟

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا نَنْفِرُوا فِي الْحَرْبِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعَذُّوكَ لِلخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْبَجْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

قوله: ﴿فرح المخلفون﴾ يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فالمخلف المتروك خلف من مضى وقوله ﴿بمقعدهم﴾ أي بقعودهم والمقعد هنا مصدر بمعنى القعود، خلاف رسول الله ﷺ قال الزجاج وقطرب والمؤرج^(٦): «مخالفة لرسول الله ﷺ إذ سار وأقاموا» وقال أبو عبيدة والأخفش^(٧): «خلاف رسول

(١) حوثرة بن أشرس، بن عون، بن مجشر، بن حجين، المحدث الصدوق، أبو عامر المعدوي، البصري. توفي في آخر سنة اثنتين وثلاثين وميتين. الجرح والتعديل (٢٨٣/٣) السير ٦٦٨/١٠ تمجيد المنفعة (١٠٩).

(٢) سويد بن إبراهيم الجحدري، أبو حاتم الحنابل البصري عن الحسن وقتادة، وعنه يحيى القطان، وموسى بن إسماعيل، قال ابن معين: أرجو أنه لا بأس به. وقال أبو زرعة: ليس بالقوي حديثه حديث أهل الصدق. وضعفه النسائي قال ابن أبي عاصم: مات سنة سبع وميتين ومائة. انظر الخلاصة (٤٣١/١).

(٣) هذا الحديث روي مجزأ، فالشطر الأول منه إلى قوله طول القنوت أخرجه مسلم ٥٢٠/١ في كتاب صلاة المسافرين باب أفضل الصلاة طول القنوت (١٦٤ - ٧٥٦/١٦٥) وأحمد في المسند ٣٠٢/٣ والشطر الثاني إلى جهد المقل أخرجه أبو داود ٣١٢/٢ في الزكاة باب في الرخصة في ذلك ١٦٧٧ والحاكم في المستدرک ١/٤١٤ في الزكاة باب أفضل الصدقة جهد المقل، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والشطر الأخير أخرجه الطبراني في الصغير ١/٢١٨ ابن حبان ٣١١ - ١٣٢٦ وأبو داود ٤٦٨٢ الدارمي ٣٢٣/٢ الحاكم ٣/١ وأبو نعيم في الحلية ٩/٢٤٨.

(٤) أخرجه البخاري ١٦٥/٢ في كتاب الجنائز باب الكفن في القميص (١٢٦٩، ٤٦٧٠، ٤٦٧٢، ٥٧٩٦٥) ومسلم ١٨٦٥/٤ في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر (٢٥/٢٤٠٠).

(٥) سورة المنافقون ٦.

(٦) انظر معاني الزجاج ٤٦٣/٢ الرازي ١١٨/١٦ أبو حيان ٧٩/٥.

(٧) مجاز القرآن ١/٢٦٤ معاني القرآن للأخفش ٣٣٤/٢ الرازي ١١٩/١٦ البغوي ٢/٣١٥ البحر المحيط ٧٩/٥.

الله ﷺ أي: بعده» وقالوا لا تنفروا في الحر» مع محمد ﷺ إلى تبوك «قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون» يعلمون أن مصيرهم إليها «فليضحكوا قليلاً» في الدنيا لأن الدنيا تفتني وتنقطع «وليكوا كثيراً» في النار بكاء لا انقطاع له قال الحسن^(١): هذا وعيدٌ من الله لهم وقال ابن عباس^(٢): «إن أهل النفاق ليكون في النار عمر الدنيا فأمرهم يقرأ لهم دمع حتى لو أجزيت السفن في دموعهم لجزت» وقوله: «جزاء بما كانوا يكسبون» أي في الدنيا من النفاق والتكذيب «فإن رجعت الله» قال ابن عباس^(٣): «إن رذك الله إلى المدينة» إلى طائفة منهم «يعني المنافقين الذين تخلفوا بغير عذر» فاستأذنونك للخروج» معك إلى الغزو «فقل لمن تخرجوا معي أبدأ» إلى غزاة «ولن تقاتلوا معي عدواً» من أهل الكتاب «إنكم رضيتم بالقعود» عني «أول مرة» حين لم تخرجوا إلى تبوك «فأقعدوا مع الخالفين» قال الحسن والضحاك وقتادة^(٤): «يعني النساء والصبيان وهم الذين يخلفون الذاهبين إلى السفر يقال خلفه يخلفه إذا قام بعده» قوله: «ولا تصل على أحدٍ منهم مات أبداً».

أخبرنا الفضل بن إبراهيم الصوفي، نا أبو علي بن أحمد الفقيه أنا أبو بكر أخو ابن الليث نا السكوني^(٥) نا أبو أسامة عن عبيد الله بن محمد عن نافع عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أتصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما خيرني الله، فقال: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم» قال: فضلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل: «ولا تصل على أحدٍ منهم مات أبداً» الآية رواه البخاري^(٦) عن عبيد بن إسماعيل^(٧) ورواه مسلم^(٨) عن أبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن أبي أسامة قال الزجاج^(٩): إنما أجاز رسول الله ﷺ الصلاة عليه لأن ظاهره كان الإسلام فأعلمه الله أنه إذا علم منه النفاق فلا صلا عليه.

وقوله: «ولا تقم على قبره» «كان رسول الله ﷺ إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له»^(١٠) فنهى عن ذلك في حق المنافقين لأنهم كفره وهو قوله: «إنهم كفروا بالله ورسوله» الآية «ولا تعجبك أموالهم» تقدم تفسيره في هذه السورة.

(١) انظر تفسير القرطبي ١٣٨/٨،

(٢) البحر المحيط ٨٠/٥.

(٣) انظر تفسير القرطبي ١٣٨/٨.

(٤) البيهقي ٣١٦/٢ انظر البحر المحيط ٨٠/٥ الطبري ٤٠٤/١٤ القرطبي ١٣٨/٨ ابن كثير ١٣٢/٤ وأما النساء فغير مستقيم، لأن جمع النساء لا يكون بالياء والنون، ولو أريد النساء لقال: فاقعدوا مع الخوالم أو الخالفات.

(٥) بفتح السين، وضم الكاف، وفي آخرها النون. هذه النسبة إلى السكون وهو بطن من كندة. وهو أبو همام، الوليد بن شجاع. وروى عن أبي همام مسلم بن الحجاج وأبو القاسم البيهقي. انظر الأنساب ٢٧٠/٣.

(٦) تقدم قبل قليل.

(٧) عبيد بن إسماعيل القرشي الهباري، أبو محمد الكوفي. ويقال: إن اسمه عبيد الله، وعبيد لقب. قال مطين: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: مات قبل الخمسين. وقال البخاري: مات يوم الجمعة آخر ربيع الأول سنة خمسين ومائتين. التهذيب (٥٩/٧).

(٨) تقدم.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٤٦٤/٢.

(١٠) أخرجه أبو داود في السنن ٢١٥/٣ في كتاب الجنائز باب الاستغفار عند القبر للميت ٣٢٢١.

وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

قوله ﴿وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله﴾ أي بأن آمنوا ومعناه بالإيمان بالله والجهاد مع رسوله ﴿استأذنتك﴾ في التخلف عنك ﴿أولو الطول منهم﴾ يعني أهل الغنى والسعة في المال يعني الذين لا عذر لهم في التخلف ﴿وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ قال المفسرون^(١): «يعني النساء اللاتي يخلفن في البيوت فلا يبرحن» ﴿وطبع على قلوبهم﴾ قال ابن عباس^(٢): بالنفاق، كقوله: (بل طبع الله عليها بكفرهم) ﴿فهم لا يفقهون﴾ لا يعلمون أمر الله ثم أتى على الرسول ﷺ والمؤمنين الذين جاهدوا معه بقوله: ﴿لكن الرسول والذين آمنوا﴾ إلى قوله: ﴿لهم الخيرات﴾ قال الأخفش وأبو عبيدة والمبرد^(٣): «الخيرات جمع خيرة وهن الجواري الفاضلات الحسان» وذكر في الآية الثانية ما وعدهم فقال: ﴿أعد الله لهم جنات﴾ الآية.

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾

وقوله: ﴿وجاء المعذرون من الأعراب﴾ قال الفراء والزجاج وابن الأنباري^(٤): «أراد المعذرون فأدغمت التاء في الذال» قال محمد بن إسحاق^(٥): «هم أعراب من بني غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله، وقال أبو عمرو بن العلاء^(٦): كلا الفريقين كان مسيئاً، جاء قوم فعذروا وفتح آخرون فقعدها» يرد أن قوماً تكلفوا عذراً بالباطل فهم الذين عناه الله بقوله: ﴿وجاء المعذرون﴾ وتختلف آخرون من غير تكلف عذر وإظهار علة جراءة على الله ورسوله وهو قوله: ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ يعني لم يصدقوا في إيمانهم وهم المنافقون ثم أوعدهم بقوله: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية.

لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ

(١) البغوي ٣١٨/٢ الرازي ١٢٥/١٦ القرطبي ١٤٢/٨ أبو حيان ١٣/٥. وذكره السيوطي في الدر ٢٦٦/٢ وعزه لابن جرير وابن

المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) تقدم تفسير الطبع.

(٣) البغوي ٣١٨/٢ انظر القرطبي ١٤٢/٨ أبو حيان ٨٣/٥.

(٤) مجاز القرآن ٢٦٧/١ البغوي ٣١٨/٢ الرازي ١٢٦/١٦ القرطبي ٨/١٤٣ البحر المحيط ٨٣/٥ انظر الدر المنثور ٢٦٦/٢ -

٢٦٧.

(٥) الطبري ١٤/٤١٨ - ٤١٩ - (١٧٠٧٧) ابن كثير ١٣٧/٤ وانظر تفسير البحر المحيط ٨٤/٥.

(٦) وذكره السيوطي في الدر ٢٦٧/٢ وعزه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ معاني القرآن للزجاج ٤٦٤/٢ البغوي ٣١٨/٢ انظر

تفسير الرازي ١٢٦/١٦ - ١٢٧.

قُلْتُ لَا أَحَدٌ مَّا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾

قوله تعالى: ﴿ليس على الضعفاء﴾ يعني الزمنى والمشايخ والعجزة ﴿ولا على المرضى﴾ جمع مريض ﴿ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون﴾ يعني المقلين ﴿حرج﴾ ضيق في القعود عن الغزو ﴿إذا نصحهم الله ورسوله﴾ إذا أخلصوا إيمانهم وأعمالهم من الغش والنفاق ولم يفتنوا عذرهم بل يتمنون أن لا يكن لهم عذر، فيتمكنوا من الجهاد وهم الذين أرادهم الله بقوله: ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ أي طريق بالعقوبة لأنه قد سد بإحسانه طريق العقاب على نفسه ﴿والله غفور رحيم﴾ لمن كان محسناً، قول ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾ هؤلاء نفر من قبائل شتى سألوا رسول الله ﷺ أن يحملهم على الخفاف والنعال ليغزوا، وقال ابن عباس: «سألوه أن يحملهم على الدواب»^(١) فقال النبي ﷺ «لا أحد ما أحملكم عليه»^(٢) لأن الشقة بعيدة والرجل يحتاج إلى بعيرين بعير يركبه وبعير يحمل مائه وزاده فانصرفوا وهم يبكون، وهو قوله: ﴿تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون﴾ أي جرت أعينهم عن امتلاء من حزن في قلوبهم لعدم النفقة.

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ وَسِيرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّوتُمْ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سِيحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾

قوله: ﴿إنما السبيل﴾ بالعقوبة ﴿على الذين يستأذنونك﴾ في التخلف ﴿وهم أغنياء﴾ موسرون وباقي الآية فسرناه آنفاً، قوله: ﴿يعتذرون إليكم﴾ بالأباطيل ﴿إذا رجعتم إليهم﴾ من غزوة تبوك ﴿قل لا تعتذروا لن تؤمن لكم﴾ لن نصدقكم ﴿قد نبأنا الله من أنباركم﴾ أخبرنا الله بسر أئمتكم وما تخفي صدوركم ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ فيما تستأنفون من النفاق تبتم أم أقمتم عليه ﴿ثم تردون﴾ للجزاء ﴿إلى عالم الغيب والشهادة﴾ إلى من يعلم ما غاب عنا من ضمائركم ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فيخبركم بما كنتم تكتمون من النفاق قوله: ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم﴾ رجعتم ﴿إليهم﴾ أي أنهم ما قدروا على الخروج ﴿لتعرضوا عنهم﴾ لتصفحوا عنهم وتركوا لومهم فقال الله تعالى: ﴿فأعرضوا عنهم﴾ أتركوا كلامهم وسلامهم ﴿إنهم رجس﴾ إن عملهم قبيح من عمل الشيطان ﴿يحلفون لكم﴾ يعني المنافقين ﴿لترضوا عنهم﴾ وذلك أن عبد الله بن أبي حلف ألا يتخلف عن رسول الله ﷺ وطلب أن يرضى عنه وحلف

(١) البغوي ٣١٩/٢ القرطبي ١٤٥/٨ الرازي ١٢٩/١٦ أبو حيان ٨٦/٥.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ٤٢٠/١٤ (١٧٠٧٩) وهو عند البخاري في الجهاد باب تمني الشهادة، والبغوي ٣١٩/٢ وانظر تفسير

ابن كثير ١٣٨/٤ والقرطبي ١٤٥/٨ الرازي ١٢٩/١٦.

ابن أبي سرح^(١) لعمر بن الخطاب وطلب أن يرضى عنه فقال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ بحلفهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ قال ابن عباس^(٢): «يريد الذين ألسنتهم مخالفة لما في قلوبهم».

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾
وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُرِّ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾
وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سِذْخَلَهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾

قوله: ﴿الأعراب أشد كُفْرًا ونفاقًا﴾ قال ابن عباس^(٣) «نزلت في أعراب أسد وغطفان وأعراب من حول المدينة» أخبر الله أن كفرهم ونفاقهم أشد من كفر أهل المدينة لأنهم أفسى وأجفى من أهل الحضر ﴿وأجدر﴾ [وأولى]^(٤) ﴿ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله﴾ يعني الحلال والحرام والفرائض ﴿والله عليم﴾ بما في قلوب خلقه ﴿حكيم﴾ فيما فرض من فرائضه قوله تعالى: ﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق في الجهاد مغرمًا﴾ لأنه لا يرجوله ثواباً ﴿ويتربص بكم الدوائر﴾ ينتظر أن تنقلب الأمور عليكم بموت أو قتل ﴿عليهم دائرة السوء﴾ يدور عليهم البلاء والحزن فلا يرون في حمد ودينه إلا ما يسوؤهم، والسوء بالفتح الرداءة والفساد، وبالضم الضرر والمكروه ﴿والله سميع﴾ لقولهم ﴿عليم﴾ بنيتهم قوله تعالى: ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ قال ابن عباس^(٥): «يعني من أسلم من أعراب أسد وجهينة وغفار» ﴿ويتخذ ما ينفق قربات عند الله﴾ يتقرب بإنفاقه إلى الله ﴿وصلوات الرسول﴾ يعني دعاءه بالخير والبركة قال عطاء^(٦): «يرغبون في دعاء النبي ﷺ» ﴿ألا إنها قربة لهم﴾ قال ابن عباس^(٧): «يريد نور لهم ومكرمة عند الله يعني صلوات الرسول، والقربة: ما يدني من رحمة الله» [وقرأ «نافع» بضم الراء^(٨) وهو الأصل ثم خفف كالكتب والرسول ولا يجوز أن يكون الأصل التخفيف ثم يشقل^(٩) ﴿سيدخلهم الله في رحمته﴾ في جنته ﴿إن الله غفور﴾ لذنوبهم ﴿رحيم﴾ بأوليائه وأهل طاعته.

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ يُغْفِرُونَ لِمَنْ سَبَقَ مِنْ عِبَادِهِمْ الشُّرُكُوتَ فَهُمْ يَمُنُّونَ ۚ أَذَلُّ لِقَاءِ اللَّهِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٠﴾
وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩٩﴾

قوله: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ قال أبو موسى وسعيد بن المسيب وقتادة وابن

(١) عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بالمهملة مصغراً ابن حذافة بن مالك بن حنبل بن عامر بن لؤي القرشي العامري وأدخل بعضهم بين حذافة ومالك نصراً والأول أشهر يكنى أبا يحيى وكان أخا عثمان من الرضاة وكانت أمه أشعرية. قاله الزبير بن بكار وقال ابن سعد أمه مهابة بنت جابر. انظر الإصابة ٧٦/٤ - ٧٧.

(٤) سقط في ب.

(٢) انظر تفسير القرطبي ١٤٧/٨.

(٣) البغوي ٣٢١/٢ البحر المحيط ٩٠/٥.

(٤) انظر تفسير القرطبي ١٤٧/٨.

(٥) البغوي ٣٢١/٢ البحر المحيط ١٤٩/٨ وابن كثير ١٤٢/٤.

(٦) بنحوه عند القرطبي ١٤٩/٨.

(٧) انظر النشر ٢٨٠/٢ إتحاف فضلاء البشر ٩٧/٢، البحر المحيط ٩١/٥ انظر تفسير الرازي ١٣٣/١٦ القرطبي ١٤٩/٨.

(٨) ما بين المعكوفين سقط من الأصل.

سيرين^(١): «هم الذين صلوا إلى القبلتين» وقال عطاء^(٢): «هم الذين شهدوا بدرًا» وقال الشعبي^(٣): «هم الذين شهدوا بيعة الرضوان» وقد فسرت الآية على أن المراد بها جميع الصحابة الذين أدركوا رسول الله ﷺ وحصل لهم سبق بإدراكه وصحبته.

وذلك ما أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد التميمي أنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان نا الوليد بن أبان^(٤) نا الفضل بن حماد^(٥) نا عبد الله بن صالح حدثني خالد بن حميد^(٦) عن أبي صخر حميد بن زياد قال: قلت «لمحمد بن كعب القرظي» يوماً: ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ فيما كان من رأيهم، وإنما أريد الفتن فقال: إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم قلت: في أي موضع أوجب لهم الجنة في كتابه؟ فقال: سبحان الله ألا تقرأ قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون﴾ إلى آخر الآية فأوجب الله لجميع أصحاب النبي ﷺ الجنة والرضوان وشرط على التابعين شرطاً لم يشترطه عليهم قلت: وما اشترط عليهم؟ قال: اشترط عليهم أن يتبعوهم بإحسان يقول: يقتدون بأعمالهم الحسنة ولا يقتدون بهم في غير ذلك، قال أبو صخر: فوالله، لكانني هم أقرأها قط، وما عرفت تفسيرها، حتى قرأ علي محمد بن كعب^(٧).

أخبرنا أبو طاهر الزيادي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص نا إبراهيم بن عبد الله العيسى نا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه» رواه مسلم^(٨) عن الأشج عن وكيع.

أخبرنا أبو بكر بن الحارث أنا أبو الشيخ الحافظ أنا عبد الله بن محمد بن الحسن نا السري بن يحيى نا شعيب بن إبراهيم^(٩) نا سيف بن عمر نا وائل بن داود^(١٠) عن يزيد البهي^(١١) عن الزبير بن العوام قال: قال رسول الله

(١) البغوي ٣٢١/٢ وأخرجه الطبري ٤٣٦/١٤ - ٤٣٧ ابن كثير ١٤٢/٢، الرازي ١٣٤/١٦ القرظي ١٥٠/٨.

(٢) البغوي ٣٢١/٢ انظر تفسير الرازي ١٣٤/١٦ القرظي ١٥٠/٨.

(٣) البغوي ٣٢١/٢ الطبري ٤٣٥/١٤ ابن كثير ١٤١/٤ الرازي ١٣٤/١٦، انظر تفسير القرظي ١٥٠/٨.

(٤) الوليد بن أبان ابن بونة الحافظ المجود العلامة، أبو العباس الأصهباني صاحب المسند الكبير والتفسير. مات سنة عشر وثلاث مئة،

عن بضع وسبعين سنة. انظر السير (٢٨٨-٢٨٩) الاكمال (٣٧١/١) العبر (١٤٧/٢) النجوم الزاهرة (٢٠٦/٣) الشذرات (٢٦١/٢).

(٥) الفضل بن حماد. حدث عنه علي بن بحر القطان فيه جهالة انظر الميزان (٣٥٠/٣).

(٦) خالد بن حميد المعمرى أبو حميد الإسكندراني روى عنه بكر بن عمرو المعافري وخالد بن يزيد الجمحي وأبي عقيل زهرة بن

معبد والعلاء بن كثير وعياش بن عقبة الحضرمي وجماعة. قال ابن أبي حاتم لا بأس به وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن يونس

مات سنة (١٦٩). انظر التهذيب (٨٣/٣).

(٧) البغوي ٣٢٢/٢ ابن كثير ١٤٢/٤ وأخرجه الطبري ٤٣٨/١٤ (١٧١١٧) وذكره السيوطي في الدرر ٣٦٩/٣ وعزاه لابن جرير وأبي

الشيخ عن محمد بن كعب القرظي.

(٨) أخرجه مسلم ١٩٦٧/٤ في كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم (٢٥٤٠/٢٢١) وهو عند البخاري

٢٥/٧ في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب قوله ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ٣٦٧٣ أبو داود ٤٦٥٨ والترمذي ٣٨٦١ ابن ماجه ١٦١

ابن أبي شيبة ١٧٥/١٢.

(٩) أبو صالح شعيب بن إبراهيم تاريخ جرجان ص (٢٣٠).

(١٠) وائل بن داود التيمي أبو بكر الكوفي والد بكر بن وائل. روى عن إبراهيم النخعي وأبي بردة بن أبي موسى وعباية بن رفاعه بن

رافع بن خديج وعبد الله البهي وعبد الرحمن بن حبيب مولى بني تميم وعكرمة مولى ابن عباس ومسلم وبن يسار وغيرهم. قال

ابن أبي حاتم صالح الحديث. وقال ذكره ابن حبان في الثقات. وقال البزار صالح الحديث وقال الخليلي ثقة. انظر التهذيب

(١٠٩/١١ - ١١٠).

(١١) بفتح الباء الموحدة وفي آخرها الهاء هذه النسبة لأبي بكر أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عطية بن زياد بن يزيد بن بلال بن

ﷻ: «اللهم إنك باركت لأمتي في صحابتي فلا تسلبهم البركة، وباركت لأصحابي في أبي بكر، فلا تسلبه البركة، وأجمعهم عليه ولا تنشر أمره، فإنه لم يزل يؤثر أمرك على أمره اللهم وأعز عمر بن الخطاب، وصبر عثمان، ووفق علياً، واغفر لطلحة، وثبت الزبير، وسلم سعداً، ووفق عبد الرحمن بن عوف، وألحق بي السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والتابعين بإحسان»^(١).

وقوله: ﴿والذين اتبعوهم بإحسان﴾ قال ابن عباس^(٢): «والذين اتبعوهم على دينهم من أهل الإيمان إلى أن تقوم الساعة» وقال عطاء^(٣): «يريد يذكرون المهاجرين والأنصار بالجنة والرحمة والدعاء لهم ويذكرون محاسنهم» ﴿رضي الله عنهم﴾ أعمالهم ﴿ورضوا﴾ ثواب الله، قال الزجاج^(٤): «رضي أفعالهم ورضوا ما جازاهم به».

وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ
سَعَدَدِيهِمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَردُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾

قوله: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون﴾ يعني مزينة^(٥)، وجهينة^(٦)، وأسلم^(٧)، وغفاراً ﴿ومن أهل المدينة﴾ من الأوس والخزرج منافقون ﴿مردوا على النفاق﴾ يقال مرد يبرد مرداً فهو مردأ ومرید إذا أعتى وطنى وقال الفراء^(٨): «يريد مردوا عليه» وقال محمد بن إسحاق: «لجوا فيه وأبوا غيره» وقال ابن زيد^(٩): «أقاموا عليه ولم يتوبوا» ﴿لا تعلمهم﴾ أنت يا محمد ﴿نحن نعلمهم سنعدبهم مرتين﴾ قال السدي والكلبي^(١٠): «أول العذاب أنه أخرجهم من المسجد وذلك أن رسول الله ﷺ قام خطيباً يوم الجمعة، فقال: «يا فلان اخرج فإنك منافق، فأخرج من المسجد ناساً وفضحهم» والعذاب الثاني عذاب القبر» وقال مجاهد^(١١): «بالقتل والسبي وعذاب القبر» وروي خصيف^(١٢) عنه قال: «عذبوا بالجزع مرتين»، ﴿ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ قال: عذاب جهنم.

وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾
يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا

= عبد الله الأسدي البهي . انظر الأنساب ٤٣٣/١ .

(١) إسناده فيه ظلمات ففيه عبد الله بن محمد المعروف بالفيل قال الذهبي لا يفرح به وقال الحافظ ابن حجر وهذا الشيخ لا وجود له فيما أظن الميزان (٤٩٤/٢) لسان الميزان ٣٤٢/٣ وفيه سيف بن عمر التميمي تركه أبو حاتم انظر الميزان ٢٥٥/٢ المجروحين ١/٢٤٥ التقريب ١/٣٤٤ الكشف الحثيث ٢٠٤ أخرجه الخطيب في التاريخ ٥/٤٧٠ وابن الجوزي في الموضوعات ٢/٣٠ وابن عساکر في تهذيب تاريخ دمشق ٥/٣٦٣ والسيوطي في اللآلئ ١/٢٢٣. والحديث أورده ابن عراق في تنزيه الشريعة ٢/٩ (١٧). وقال فيه مجاهيل وضعفاء وأورده الشوكاني في الفوائد المجموعة (٤١٠) وقال موضوع ويا ليت الواحدي نزه كتابه عن مثل هذا.

- (٢) البغوي ٢/٣٢٢ الرازي ١٦/١٣٧ . (٧) انظر معاني القرآن للفراء ١/٤٥٠ انظر البحر المحيط ٥/٩٣ ابن كثير ٢/١٤٢ . (٣) البغوي ٢/٣٢٢ . (٨) البغوي ٢/٣٢٣ أبو حيان ٥/٩٣ . (٩) البغوي ٢/٣٢٣ والطبري ١٤/٤٤١ - ٤٤٢ وابن كثير ٣/١٤٣ الرازي ١٦/١٣٨ . (٤) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٦٦ . (١٠) البغوي ٢/٣٢٣ الطبري ١٤/٤٤٢ ابن كثير ٤/١٤٤ القرطبي ٨/١٥٣ . (٥) بطن من طابخة من العدنانية . (١١) الرازي ١٦/١٣٨ . البغوي (٢/٣٢٣) . (٦) حي من عرب جذام من القحطانية .

فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

قوله ﴿واخرون﴾ أي: ومن أهل المدينة آخرون ﴿اعترفوا بذنوبهم﴾ أقرؤا بها عن معرفة نزلت في قوم من المؤمنين، كانوا تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ثم ندموا على ذلك وتذمموا، وقوله: ﴿خلطوا عملاً صالحاً وءاخراً سيئاً﴾ يعني غزؤهم مع النبي ﷺ وتقاعدهم عن غزوة تبوك ﴿عسى الله﴾ واجب من الله ﴿أن يتوب عليهم﴾ قال أبو عثمان النهدي^(١): «ما في القرآن آية أرجى لهذه الأمة من هذه الآية».

أخبرنا عمرو بن أبي عمرو أنا أبو الهيثم المروزي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل البخاري نا مؤمل بن هشام^(٢) نا إسماعيل بن إبراهيم نا عوف نا أبو رجاء نا سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ أتاني الليلة آتيان، فابتعثاني فانتبهنا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجل شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشرط كأقبح ما أنت راء، قال لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا، فذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة، قالوا لي: إن هذه جنة عدن، وهذا منزلك، وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشرط منهم قبيح، فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم^(٣).

قوله: ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ قال المفسرون: «لما عذر رسول الله ﷺ هؤلاء، قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها عنا، وطهرنا واستغفر لنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً» فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأخذ رسول الله ﷺ ثلث أموالهم^(٤)، قال الحسن^(٥): «هذه الصدقة هي كفارة الذنوب التي أصابوها وليست بالزكاة المفروضة» وقال عكرمة^(٦): «هي صدقة الفرض» وقوله ﴿تطهرهم﴾ قال ابن عباس^(٧): «تطهرهم من الذنوب» ﴿وتزكيتهم بها﴾ ترفعهم بهذه الصدقة، من منازل المنافقين إلى منازل المخلصين ﴿وصل عليهم﴾ أي ادع لهم ﴿إن صلاتك سكن لهم﴾ إن دعواتك مما تسكن نفوسهم إليه، وقال الكلبي^(٨): «طمأنينة لهم إن الله قد قبل منهم» ﴿والله سميع﴾ لقولهم ﴿عليم﴾ بندا متهم.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن يحيى أنا أبو عمرو محمد بن جعفر مطر أنا أبو خليفة الجمحي نا الحوضي عن شعبة عن عمرو بن مرة عن ابن أبي أوفى قال: كان أبي من أصحاب الشجرة وكان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللهم صل على آل فلان» فاتاه أبي بصدقته، فقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى» رواه البخاري^(٩) عن الحوضي، وزواه مسلم^(١٠) عن وكيع كلاهما عن شعبة.

(١) أبو حيان في البحر (٩٥/٥).

(٢) مؤمل بن هشام البشكري البصري. عن ابن علية وأبي معاوية وطائفة. توفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين. انظر الخلاصة ٧٣/٣.

(٣) أخرجه البخاري في التفسير سورة التوبة ١٩٢/٨ باب (١٥) (٤٦٧٤)، وأحمد في المسند ٨/٥ وانظر الدر ٣/٢٧٤.

(٤) أخرجه الطبري في التفسير ٤٥٤/١٤ والبغوي في التفسير ٣٢٣/٢.

(٥) الرازي ١٤٠/١٦ البغوي ٣٢٥/٢.

(٧) البغوي ٣٢٤/٢.

(٨) البغوي ٣٢٤/٢.

(٦) البغوي ٣٢٥/٢ وانظر تفسير البحر المحيط ٩٥/٥ القرطبي ١٥٥/٨.

(٩) أخرجه البخاري ١٧٣/١١ في كتاب الدعوات باب هل يصلى على غير النبي ﷺ ٦٣٥٩.

(١٠) أخرجه مسلم ٧٥٦/١ في الزكاة باب الدعاء لمن أتى بصدقته (١٧٦/١٠٨٧) وهو عند أبي داود ١٠٦/٢ في كتاب الزكاة باب الدعاء

لمن أتى بصدقته والنسائي ٣١/٥ في الزكاة باب صلاة الإمام على صاحب الصدقة وابن ماجه ٥٧٢/١ في كتاب الزكاة باب ما

يقال عند إخراج الزكاة (١٧٥٦) والبيهقي ١٥٢/٢.

ولما نزلت توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين: هؤلاء كانوا بالأمس معنا، لا يكلمون ولا يجالسون، فما لهم؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات﴾ يقبلها ﴿وأن الله هو التواب الرحيم﴾ يرجع إلى من رجع إليه بالرحمة والمغفرة.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي نا محمد بن يعقوب بن يوسف أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان بن عيينة عن ابن عجلان عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم عليه السلام يقول: «والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيباً إلا كأنما يضعها في يد الرحمن، فيريها له كما يربي أحدكم فلوه^(١) حتى إن اللقمة لتأتي يوم القيامة وإنما كمثل الجبل العظيم» ثم قرأ: ﴿إن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات﴾^(٢) قوله: ﴿وقل اعملوا﴾ قال عطاء عن ابن عباس^(٣): «يريد يا معشر عبادي المحسن والمسيء»، ﴿فسرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ يريد إن الله يطلع المؤمنين على ما في قلوب إخوانهم من الخير والشر إن كان خيراً أوقع في قلوبهم لهم المحبة وإن كان شراً أوقع في قلوبهم لهم البغضة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أن رجلاً عمل في صحرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله إلى الناس كائناً ما كان»^(٤) وقوله ﴿فينبتكم بما كنتم تعملون﴾ قال ابن عباس^(٥) رضي الله عنه: «يففكم على أعمالكم فينبب المحسن ويعاقب المسيء».

وَأَخْرُوكَ مُرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

قوله: ﴿وَأَخْرُوكَ مُرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ نزلت في كعب بن مالك ومرارة بن الربيع^(٦) وهلال بن أمية^(٧)، كانوا مياسير تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك من غير عذر ثم لم يبالغوا في الاعتذار، كما فعل غيرهم، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم ونهى الناس عن مكالمتهم ومخالطتهم حتى نزل قوله: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾^(٨) الآية، وسنذكر قصتهم هناك، ومعنى: ﴿مرجون لأمر الله﴾ مؤخرون ليقضي الله فيهم ما هو قاض، وهو قوله: ﴿إما يعذبهم وإما يتوب عليهم﴾ قال الزجاج^(٩): «إما: لأحد الشئتين والله عز وجل عالم بما يصير إليه أمرهم إلا أنه خاطب العباد بما يعلمون» والمعنى: ليكن أمرهم، عندكم على الخوف والرجاء فقال ناس: إنهم هلكوا، إذ لم ينزل لهم عذر، وقال آخرون: عسى الله أن يغفر لهم، قوله: ﴿والله عليم﴾ أي بما يؤول إليه حالهم ﴿حكيم﴾ فيما يفعله بهم.

(١) الفلوالجحش أو المهُرُ يفظم أو يبلغ السنة ويقال للأنثى فلوة انظر اللسان ٣٤٦٩/٥ (فلا) المعجم الوسيط ٧٠٩/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٦/٣ في كتاب الزكاة لا يقبل الله صدقة من غلول ١٤١٠ ٧٤٣٠ وأخرجه مسلم ٧٠٢/٢ في كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب ٦٣ - ١٠١٤/٦٤.

(٣) بنحوه عند القرطبي ١٦٠/٨.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢٨/٣ وأخرجه الحاكم في المستدرک ٣١٤/٣ وذكره السيوطي في الدر ٧٨/١ والحديث في المشكاة (٥٣٣٥).

(٥) بنحوه عند الرازي ١٥١/١٦.

(٦) مرارة بن الربيع الأنصاري الأوسي من بني عمرو بن عوف. ويقال إن أصله من قضاة حالف بني عمرو بن عوف صحابي مشهور شهد بدرًا على الصحيح. انظر الإصابة (٧٦/٦).

(٧) هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف الأنصاري الواقفي. شهد بدرًا وما بعدها. انظر الإصابة (٢٨٩/٦).

(٨) البغوي ٣٢٥/٢ ابن كثير ١٤٨/٤.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٤٦٨/٢ الرازي ١٥٣/١٦.

وَالَّذِينَ أَخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ مَعًا وَلِلَّهِ يُلَاقُونَ أَجْرًا أَفَمَنْ أُسِّسَ بُيُوتُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شِقَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٨﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٩﴾

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ قال المفسرون^(١): هؤلاء كانوا اثني عشر رجلاً من المنافقين بنوا مسجداً يضارون به مسجد قباء منهم وديعة بن ثابت وخزام بن خالد وجارية بن عامر ونبيل بن الحارث وزيد بن جارية وعثمان بن حنيف وجارية بن عامر مجمع بن جارية وبيجاد بن عثمان والضرار: محاولة الضر قال الزجاج^(٢): «وانتصب ضراراً لأنه مفعول والمعنى: اتخذوه للضرار» قال ابن عباس^(٣): «ضراراً للمؤمنين وكفراً بالنبي ﷺ وبما جاء به» وذلك أنهم اتخذوا ذلك المسجد ليكفروا فيه بالطعن على النبي ﷺ والإسلام ﴿وتفريقاً بين المؤمنين﴾ يفرقون به جماعتهم لأنهم كانوا يصلون جميعاً في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك إلى الافتراق واختلاف الكلمة، وقوله: ﴿وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعني أبا عامر الراهب وكان قد خرج إلى الشام ليأتي بجند من عند قيصر ليحارب رسول الله ﷺ وأرسل إلى المنافقين أن ابنوا لي مسجداً فبنوا هذا المسجد وانتظروا مجيء أبي عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد قال الزجاج^(٤): «والإرصاد الانتظار» وقوله: ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ يعني من قبل بناء مسجد الضرار ﴿وليحلّفن إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾ يحلف المنافقون ما أردنا ببنيناها إلا الفعلة الحسنى وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة على أهل الضعف والعدة والعجز عن السير إلى مسجد رسول الله ﷺ وذلك أنهم قالوا: إنا قد بنينا مسجداً الذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ فيما قالوا وحلفوا ولما فرغوا من بناء المسجد قالوا للنبي ﷺ نحب أن تأتينا وتصلي لنا فيه، فدعا رسول الله ﷺ بمقيصه ليأتيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ قال ابن عباس: «لا تصل فيه أبداً»^(٥) ثم بين أي المسجدين أحق بالقيام فيه، فقال: ﴿لمسجد أسس على التقوى﴾ بني على الطاعة وبنه المتقون ﴿أحق أن تقوم فيه﴾ وهو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة في قول ابن عمر وزيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري، وروي ذلك عن النبي ﷺ^(٦)، وقال ابن عباس في رواية الوالبي^(٧): «هو مسجد قباء» وهو قول قتادة وسعيد بن

(١) البغوي ٣٢٦/٢ القرطبي ١٦١/٨ الرازي ١٥٣/١٦ البحر المحيط ٩٨/٥ ابن كثير ١٥٠/٤.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤٦٨/٢.

(٣) انظر تفسير البغوي ٣٢٦/٢ الرازي ١٥٣/١٦.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٤٦٨/٢ الرازي ١٥٤/١٦ القرطبي ١٦٤/٨.

(٥) البغوي ٣٢٧/٢ القرطبي ١٦٤/٨ ابن كثير ١٥٠/٤.

(٦) أخرجه مسلم ١٠١٥/٢ في كتاب الحج: باب بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجده ﷺ ١٣٩٨/٥١٤. وأخرجه الترمذي ١٤٤/٢ في كتاب الصلاة باب ما جاء في المسجد الذي أسس على التقوى ٣٢٣ وأحمد في المسند ٢٣/٣، ٨٩، ١١٦/٥.

(٧) البغوي ٣٢٨/٢ القرطبي ١٦٥/٨ الرازي ١٥٥/١٦ البحر المحيط ٩٩/٥ ابن كثير ١٥٠/٤ انظر الدر المنثور ٢٧٧/٣.

المسيب، وقوله: ﴿فيه رجال﴾ يعني من الأنصار ﴿يحبون أن يتطهروا﴾ قال جميع المفسرين^(١): «يعني غسل الأديبار بالماء» أخبرنا أبو منصور المنصوري أنا علي بن عمر الحافظ أنا أحمد بن محمد بن محمد بن أبي شيبة^(٢) نا محمد بن مسعدة نا محمد بن شعيب أخبرني عتبة ابن أبي حكيم عن طلحة بن نافع أنه حدثه قال: حدثني أبو أيوب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ قال رسول الله ﷺ «يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم خيراً في الطهور فما طهروكم هذا؟ قالوا: يا رسول الله نتوضأ ونغتسل من الجنابة، فقال رسول الله ﷺ فهل مع ذلك غيره؟ قالوا: لا غير أن أحدنا إذا خرج من الغائط، أحب أن يستنجي بالماء، وقال: هو ذلك فعليكموه»^(٣).

قوله: ﴿والله يحب المطهرين﴾ أي من الشرك والانجاس، والاقذار والنفاق، وقوله: ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان﴾ البيان مصدر يراد به المبنى ها هنا، والتأسيس إحكام أسس البناء، وهو أصله. وقرأ «نافع» (أسس)^(٤) بضم الألف (بنيانه) رفعاً، وهذا في المعنى الأول لأنه إذا أسس بنيانه، فتولى ذلك غيره بأمره كان كبنائه، والمعنى: المؤسس بنيانه متقياً يخاف الله ويرجو ثوابه ورضوانه ﴿خير﴾؟ أم المؤسس بنيانه غير متق؟ وهو قوله: ﴿أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾ وشفا الشيء حرفه، والجرف ما يجرفه السيل من الأودية وهو جانبها الذي ينحفر بالماء أصله فيبقى واهياً، وهار مقلوب من هاير يقال: هار الجرف يهور إذا انشق من خلفه وهو ثابت بعد في مكانه فهو هاير، ثم يقلب فيقال: هار، قال «الزجاج»^(٥): «المعنى: أن من أسس بنيانه على التقوى خير ممن أسس بنيانه على الكفر» يعني: أن بناء هذا المسجد الذي بني ضراراً كبناء على حرف جهنم يتهور بأهله فيها، وهو قوله: ﴿فأنهار به﴾ أي بالباني ﴿في نار جهنم﴾ قال ابن عباس^(٦): «يريد صيرهم النفاق إلى النار» وقوله: ﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم﴾ قال الضحاك^(٧): «يقول: لا يزالون في شك منه إلى الموت» والمعنى: أنهم لا يزالون شاكين مترددين في الحيرة يحسبون أنهم كانوا في بنائه محسنين إلى الممات وهو قوله: ﴿إلا أن تقطع قلوبهم﴾ أي: حتى تقطع

(١) انظر تفسير الطبري ٤٨٧/١٤ ابن كثير ١٥١/٤ البغوي ٣٢٨/٢، البحر المحيط ٩٩/٥ القرطبي ١٦٥/٨ الرازي ١٥٦/١٦ انظر الدر المنثور ٢٧٨/٣.

(٢) أحمد بن محمد بن شبيب بن زياد أبو بكر البزاز يعرف بابن أبي شيبة وربما قيل ابن شيبة. سمع محمد بن بكر بن خالد القصير وعمرو بن علي الفلاس وعبد الله بن هاشم الطوسي. ورجاء بن مرجي المروزي ومحمد بن عمرو بن حنان ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه وأحمد بن الحارث الخراز - صاحب المدائني - والحسن بن عبد العزيز الجروي. روى عنه أبو بكر الشافعي ومحمد بن الخضر بن أبي خزيم وأبو عمر بن عمر بن حيويه وأبو بكر بن شاذان، وأبو حفص بن شاهين، وغيرهم. تاريخ بغداد (٣١/٥ - ٣٢).

(٣) أخرجه أبو داود ١١/١ في كتاب الطهارة باب في الاستنجاء بالماء ٤٤ - والترمذي ٢٦٢/٥ في كتاب التفسير سورة التوبة باب ٣١٠٠ وابن ماجه ١٢٧/١ في كتاب الطهارة باب الاستنجاء بالماء ٣٥٥ وقال الشهاب البوصيري في الزوائد ١٥٠/١ هذا إسناد ضعيف عتبة بن أبي الحكم ضعيف وطلحة لم يدرك أبا أيوب وأخرجه أحمد في المسند ٤٢٢/٣ والدارقطني ٦٢/١ البيهقي ١٠٥/١ وزاد نسبه السيوطي في الدر ٢٧٨/٣ لأبي الشيخ عن أبي هريرة وعزاه من طريق آخر لأحمد وابن خزيمة والطبراني والحاكم وابن مردويه عن عويم بن ساعدة ومن طريق المصنف عزاه السيوطي في المصدر السابق لابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الحكم والدارقطني والحاكم وابن مردويه وابن عساکر.

(٤) انظر حجة القراءات وانظر النشر ٢٨١/٢ إتحاف فضلاء البشر ٩٨/٢ البحر المحيط ١٠٠/٥ الرازي ١٥٦/١٦.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٤٦٩/٢.

(٦) البغوي ٣٢٨/٢.

(٧) بنحوه عند البغوي ٣٢٩/٢ القرطبي ١٦٩/٨ أبو حيان ١٠١/٥ ابن كثير ١٥٤/٣ وانظر الدر المنثور ٢٧٩/٢.

ونفتت قلوبهم بالموت، وقرأ حمزة تقطع بفتح التاء^(١) بمعنى تقطع، وهذا يدل على أنهم يموتون على النفاق، فإذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الإيمان وأخذوا به من الكفر.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعِّكُمْ الَّذِي بَاعْتُمْ بِهِ^٥ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^(١١)﴾ التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَدِيثُونَ الْكِعْبُونَ السَّاجِدُونَ لِلْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَدِيثُونَ لِلدَّوْرِ وَاللَّهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ^(١١٢)﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ الآية، قال القرطبي^(٢): «لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفساً قال عبد الله بن رواحة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال: «أشترط لربي أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، ولنفسى أن تمنعوني ما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنة» قالوا: ربح البيع لا تقبل ولا نستقبل فنزلت هذه الآية ومعنى هذا أن المؤمن إذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل فتذهب روحه أو أنفق ماله في سبيل الله، أخذ من الله في الآخرة الجنة جزاءً لما فعل فجعل هذا اشتراء، هذا معنى قوله: ﴿اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ قال ابن عباس^(٣): «يريد بالجنة» قال «الحسن»^(٤): «اسعنوا إلى بيعة ربيعة بايع الله بها كل مؤمن» وقال قتادة^(٥): «ثامنهم فأغلى ثمنهم، وقوله: ﴿فَيُقْتَلُونَ وَيُقَاتِلُونَ﴾ قال ابن عباس^(٦): «يقتلون أعدائي ويقتلون في طاعتي» وقرأ حمزة^(٧) ﴿فَيُقَاتِلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ وهذا كالذي تقدم لأن المعطوف بالواو يجوز أن يراد به التقديم، وقوله: ﴿وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ يعني: أن الله وعدهم هذا الوعد وبين ذلك في هذه الكتب التي أنزلها، ثم قال: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أوفى بما وعد من الله ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعِّكُمْ الَّذِي بَاعْتُمْ بِهِ﴾ فافرحوا بهذا البيع أيها المؤمنون وهو أنكم إذا بذلتكم أنفسكم وأموالكم في الجهاد أخذتم من الله الجنة ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ قوله: ﴿التَّائِبُونَ﴾ قال الفراء^(٨): استؤنفت بالرفع، لتمام الآية قبلها وانقطاع الكلام فحسن الاستئناف «وقال الزجاج^(٩): «الذي عندي أن قوله: التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمرة المعنى التائبون إلى آخر الآية لهم الجنة

(١) انظر النشر ٢٨١/١ إتحاف فضلاء البشر ٩٩/٢ البحر المحيط ١٠١/٥ القرطبي ١٦٩/٨ الرازي ١٥٧/١٦.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ٤٩٩/١٤ (١٧٢٧٠) أخرجه أحمد في المسند ٢٢٢/٣ والحاكم في المستدرک ٦٢٤/٢ والبيهقي في السنن الكبرى ٩/٩، والبخاري ٣٢٩/٢ الدر المنثور ٢٨٠/٣ القرطبي ١٦٩/٨ الرازي ١٥٨/١٦.

(٣) انظر تفسير البخاري ٣٢٩/٢.

(٤) البخاري ٣٢٩/٢.

(٥) البخاري ٣٢٩/٢ ابن كثير ١٥٥/٤ الرازي ١٥٨/١٦.

(٦) البخاري ٣٢٩/٣.

(٧) انظر النشر ٢٤٦/٢ إتحاف فضلاء البشر ٩٩/٢ البخاري ٣٢٩/٢ البحر المحيط ١٠٢/٥.

(٨) البخاري ٣٣٠/٢.

(٩) معاني القرآن للزجاج ٤٧١/٢ البخاري ٣٣٠/٢ الرازي ١٦٠/١٦.

أيضاً أي من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد، فله الجنة أيضاً» وهذا الذي قاله الزجاج حسن: لأنه وعد لجميع المؤمنين بالجنة خاصاً للمجاهدين الموصوفين [بهذه الصفات، قال ابن عباس^(١): «التائبون»^(٢) الراجعون عن الشرك»^(٣) وقال قتادة: «التائبون من الشرك ثم لم ينافقوا في الإسلام» «العابدون» الذي يرون عبادة الله تعالى واجبة عليهم «الحامدون» الله على كل حال «السائحون» قال عامة «المفسرين»^(٤) الصائمون قال الوالي عن ابن عباس^(٥): «كل ما ذكر في القرآن من السياحة فهو الصيام» وقال النبي ﷺ: «سياحة أمتي الصيام»^(٦) قال الحسن^(٧): «هذا صوم الفرض» «الراكون الساجدون» قال ابن عباس^(٨): «الذين يصلون لله بنية صادقة» «الأمرون بالمعروف» بالإسلام وفرائض الله وحدوده «والناهون عن المنكر» عن ترك حدود الله وفرائضه «والحافظون لحدود الله» قال الزجاج^(٩): «القائمون بأمر الله».

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ أَسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٩﴾

قوله تعالى: «ما كان للنبي والذين ءامنوا» الآية.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفارسي أنا أبو الفضل محمد بن عبد الله بن خميرويه أنا أبو الحسن علي بن محمد الخزاعي نا أبو اليمان أخبرني شعيب عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه^(١) قال: لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية فقال: «أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: أتربغ عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزا يكلمانه حتى

(١) البغوي ٣٣٠/٢ البحر المحيط ١٠٤/٥ الرازي ١٦١/١٦ انظر الدر المنثور ٢٨١/٣.

(٢) سقط في أ.

(٣) البغوي ٣٣٠/٢ البحر المحيط ١٠٤/٥ الرازي ١٦١/١٦ انظر الدر المنثور ٢٨١/٣.

(٤) البغوي ٣٣٠/٢ الطبري ٥٠٤/١٤ أبو حيان ١٠٤/٥ ابن كثير ١٥٦/٤، الرازي ١٦١/١٦.

(٥) الطبري ٥٠٤/١٤ (١٧٣٠١) وابن كثير ٥٦/٤ الرازي ١٦١/١٢٦ ذكر السيوطي في الدر ٢٨١/٢ وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

الدر المنثور ٢٨١/٣.

(٦) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد ٣٤/٧ وقال الهيثمي فيه عاصم بن بهدلة وثقه جماعة وضعفه آخرون وبقي رجاله رجال الصحيح وأخرجه الطبري ٥٠٥/١٤ - ٥٠٦ (١٧٣١٣) وذكره السيوطي في الدر عن عائشة وعزاه لابن جرير.

(٧) ذكره السيوطي في الدر ٢٨١/٣ بنحوه وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وبلغه عند الرازي

١٦١/١٦.

(٨) البغوي ٣٣٠/٢.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٤٧/٢ البغوي ٣٣٠/٢.

(١٠) المسيب بن حزن بإسكان الزاي ابن أبي وهب عمرو بن عائذ بمعجمة ابن عمران بن مخزوم المخزومي. له سبعة أحاديث اتفقا على حديثين وعنه ابنه سعيد الخلاصة (٣١/٣).

قال آخر شيء كلمهم به: أنا على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ لأستغفرون عنك ما لم أنه عنك، فنزلت ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ رواه البخاري^(١) عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق ورواه مسلم^(٢) عن جرمة عن ابن وهب عن يونس كلاهما عن الزهري.

أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد الصيدلاني^(٣) أنا محمد بن عبد الله بن نعيم الحافظ نا محمد بن يعقوب نا بحر بن نصر نا ابن وهب نا ابن جريح عن أيوب بن هانئ عن مسروق بن الأجدع عن ابن مسعود قال خرج رسول الله ﷺ ينظر في المقابر وخرجنا معه، فأمرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فواجه طويلاً ثم ارتفع نحيب رسول الله ﷺ باكباً فبكينا لبكاء رسول الله ﷺ ثم إنه أقبل إلينا فلقاه عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ فقد أبكنا وأفزعنا فجاء فجلس إلينا فقال: أفزعكم بكائي؟ فقلنا: نعم يا رسول الله فقال: إن القبر الذي رأيتموني أناجي فيه قبر أمه بنت وهب وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي وإني استأذنت ربي في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه ونزل علي ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ حتى ختم الآية والتي بعدها فأخذني ما أخذ الولد للوالدة من الرقة فذلك الذي أبكاني^(٤).

ومعنى قوله: ﴿من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ من بعد ما بان لهم أنهم ماتوا كافرين ثم أعلم الله تعالى كيف كان استغفار إبراهيم لأبيه فقال: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه﴾ قال عطاء عن ابن عباس^(٥): «كان أبو إبراهيم وعد إبراهيم أن يؤمن بالله، ويخلع الأنداد فلما مات على الكفر تبين لإبراهيم عداوة أبيه لله فترك الدعاء له» وعلى هذا القول الكناية في إياه تعود إلى إبراهيم والواعد أبوه ويجوز أن يعود إلى أب إبراهيم ويكون الواعد إبراهيم وذلك أنه وعد أباه أن يستغفر له رجاء إسلامه وأن ينقل الله أباه باستغفاره له من الكفر إلى الإسلام فلما مات مشركاً ويشس من مراجعته الحق تبرأ منه وقطع الاستغفار له، والدليل على صحة هذا: قراءة الحسن^(٦) وعدها أباه بالباء وهذا الوعد من إبراهيم ظاهر في قوله تعالى: ﴿سأستغفر لك ربي﴾ وقوله: ﴿إن إبراهيم لأواه﴾ قال ابن عباس^(٧): «الأواه الدعاء الكثير الدعاء والبكاء» قال الفراء^(٨): «هو الذي يتأوه من الذنوب، يقال: تأوه الرجل تأوها وأوه وتأويها إذا قال آه للتوجع»، [ومن قول المثقب العبدى^(٩)]:

(١) أخرجه البخاري ٢٣٣/٧ في كتاب مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب ٣٨٨٤.

(٢) أخرجه مسلم ٥٤/١ في كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ٢٤/٣٩.

(٣) بفتح الصاد المهملة وسكون الياء المتقوطة من تحتها بانهتين وفتح الدال المهملة ويعدها اللام ألف والنون. هذه النسبة لمن يبيع الأدوية والعقاقير. انظر الأنساب ٥٧٣/٣.

(٤) أخرجه أحمد في المسند من حديث بريدة ٣٥٥/٥ - ٣٥٦ - ٣٥٩، وقال الهيثمي في المجمع ١١٦/١ زواه أحمد ورجاله رجال الصحيح وأخرجه الطبري في التفسير ٥١١/١٤.

(٥) البغوي ٣٣١/٢ القرطبي ١٧٤/٨.

(٦) قراءة الحسن وحامد الراوية وابن السميع وأبي نهبك ومعاذ القاري انظر البحر المحیط ١٠٥/٤ وهي قراءة شاذة.

(٧) البغوي ٣٣٢/٢ البحر المحیط ١٠٦/٥ القرطبي ١٧٤/٨، الرازي ١٦٧/١٦ ابن كثير ١٦٣/٤ وانظر تفسير الطبري ٥٢٣/١٤.

(٨) القرطبي ١٧٥/٨ البغوي ٣٣٢/٢.

(٩) العائذ بن محصن بن ثعلبة من بني عبد القيس من ربيعة: شاعر جاهلي من أهل البحرين. اتصل بالملك عمرو بن هند وله فيه مدائح. ومدح النعمان بن المنذر. وشعره جيد فيه حكمة ورقة. وقيل: اسمه محصن بن ثعلبة. انظر الأعلام ٢٣٩/٣.

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِسَائِلٍ نَأْوَهُ آهَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ ^(١) [^(٢)

وقوله ﴿حليم﴾ قال ابن عباس ^(٣): «لم يعاقب أحداً إلا في الله، ولم يقتص ^(٤) من أحد إلا الله»، قوله: ﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم﴾ أي ما كان الله ليقع الضلالة في قلوبهم بعد الهدى حتى يبين لهم ما يتقون، فلا يتقونه وذلك أنه لما حرم الاستغفار للمشركين على المؤمنين، بين أنه لم يكن الله ليأخذهم به قبل أن يبين تحريمه فإذا لم يحرّمه عند ذلك يستحقون الإضلال وما بعد هذا ظاهر إلى قوله:

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ^(٥) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَسْتُوْا إِنَّا اللَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ ^(٦)

﴿لقد تاب الله على النبي﴾ يعني من إذنه للمنافقين في التخلف وذكرنا ذلك عند قوله: ﴿عفا الله عنك﴾ وقوله ﴿والمهاجرين والأنصار﴾ يعني من هم منهم بالتخلف عن النبي ﷺ ﴿الذين اتبعوه﴾ ساروا معه إلى تبوك ﴿في ساعة العسرة﴾ يعني عسرة الظهر وعسرة الماء وعسرة الزاد، كان العسرة يخرجون على بعير يتعقبونه وربما مص التمرة الواحدة جماعة يتناوبونها بينهم، وكانوا يعصرون الفرث ويشربونه من العطش، وقوله: ﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ يميل بعضهم إلى التخلف والعصيان قال الكلبي ^(٥): «هم ناس من المسلمين بالتخلف ثم لحقوه» وقال الزجاج ^(٦): «من بعد ما كادوا ينصرفون عن غزوتهم للشدة، ليس أنه زافع عن الإيمان» وقرأ حمزة: (يزيغ) ^(٧) بالياء قال الفراء ^(٨): «الفعل المسند إلى المؤنث إذا تقدم عليه جاز تذكيره وتأنينه فذكر يزيغ كما ذكر كاد لتشابه الفعلين» وقوله: ﴿ثم تاب عليهم﴾ كرر ذكر التوبة لأنه ليس في ابتداء الآية ذكر ذنبهم فقدم الله تعالى ذكر التوبة فضلاً منه ثم ذكر ذنبهم ثم أعاد ذكر التوبة، وقوله: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ قال ابن عباس ومجاهد ^(٩): «خلفوا عن التوبة عليهم»، وهؤلاء هم المعنيون بقوله: ﴿وآخرون مرجون لأمر الله﴾ ^(١٠).

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد نا محمد بن حماد نا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر في قوله: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ قال ^(١١): هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية كلهم من الأنصار.

(٤) في أ، ج (ولم يتتصر).

(١) انظر البيت في الديوان (١٩٤).

(٥) القرطبي ١٧٨/٨ البغوي ٣٣٤/٢.

(٢) ما بين المعقوقين سقط في أ، ب.

(٦) انظر معاني القرآن ٤٧٤/٢ والبغوي ٣٣٤/٢.

(٣) القرطبي ١٧٥/٥.

(٧) انظر النشر ٢٨١/٢ - الرازي (١٧١/١٦) البحر المحيط ١٠٩/٥ القرطبي ١٧٨/٨.

(٨) انظر البحر المحيط ١٠٩/٥ القرطبي ١٧٨/٨.

(٩) البغوي ٣٣٤/٢ الرازي ١٧٣/٢٦.

(١٠) سورة التوبة ١٠٦.

(١١) البغوي ٣٣٤/٢ الطبري ٥٤٤/١٤ (١٧٤٣٤، ١٧٤٣٣) وابن كثير ١٦٩/٥ الرازي ١٧٣/١٦ القرطبي ١٧٩/٨.

وأما قصة توبة الله على هؤلاء فهي ما أخبرنا أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي أنا أبو بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى^(١) نا الفضل بن محمد بن المسيب البيهقي نا أبو عبد الله أحمد بن حنبل نا يعقوب^(٢) نا ابن أخ الزهري^(٣) عن عمه، وأخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق المزكي نا عبد الملك بن الحسن بن يوسف السقطي^(٤) نا يوسف يعقوب القاضي نا محمد بن أبي ذر المقدمي^(٥) نا عبد الغفار بن عبيد الله^(٦) نا صالح بن أبي الأخضر^(٧) عن الزهري، وأخبرنا الحسن بن محمد الفارسي واللفظ له، أنا أبو عبد الله بن محمد بن الفضل التاجر أنا أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ أنا محمد بن يحيى نا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه [قال محمد بن يحيى: وحدثنا أحمد بن أبي شعيب الحراني، نا موسى بن أعين نا إسحاق بن راشد أن الزهري حدثه، قال: «أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك^(٨) عن أبيه قال: سمعت ابن أبي كعب بن مالك يقول: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك إلا بدرأ، ولم يعاتب النبي ﷺ أحداً تخلف عن بدر، وإنما خرج يريد العير فخرجت قريش مغيبين لعيرهم فالتقوا على غير موعد كما قال الله تعالى^(٩)، وما أحب أني كنت شهدتها مكان بيعتي ليلة العقبة حيث توافقتنا على

(١) الإمام رئيس نيسابور أبو بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى بن ماسرجس النيسابوري أحد البلغاء والفصحاء. سمع الفضل بن محمد الشمراني والحسين بن الفضل وعدة. وبنى داراً للمحدثين وأدر عليهم الأرزاق. وكان أبو علي الحافظ يقرأ عليه تاريخ أحمد بن حنبل. مات ليلة عيد الفطر سنة خمسين وثلاث مئة وله تسع وثمانون سنة. انظر السير (١٦/٢٣ - ٢٤).

(٢) يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري أبو يوسف المدني نزيل بغداد. روى عن أبيه وشعبة وابن أخي الزهري والليث وأبي أويس وعبد العزيز بن المطلب وعبد الملك بن الربيع بن سبرة وعاصم بن محمد بن زيد العمري وسيف بن عمر الضبي وشريك القاضي وعبيدة بن أبي رائطة. وعنه ابن أخيه عبيد الله بن سعد بن إبراهيم وأحمد وعلي وإسحاق وابن معين وطائفة وثقه ابن معين. التهذيب (١١/٣٨٠).

(٣) محمد بن عبد الله بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة الزهري أبو عبد الله المدني ابن أخي الزهري. روى عن أبيه وعمه وصالح بن عبد الله بن أبي فروة وعدة. روى عنه محمد بن إسحاق وهو أكبر منه. وعبد الرحمن بن إسحاق المدني ومات قبله وإبراهيم بن سعد وأميرة بن خالد الأزدي وأبو أويس المدني وخلق وضعفه ابن معين التهذيب (٩/٢٧٨).

(٤) المحدث أبو عمرو عبد الملك بن الحسن بن يوسف السقطي المعدل ببغداد انتخب عليه الدارقطني. سمع الكجبي وأحمد بن يحيى الحلواني ويوسف القاضي. وعنه: محمد بن أسد شيخ الكتابة وأبو علي بن شاذان وأبو نعيم. مات سنة اثنتين وستين وثلاث مئة. انظر السير (١٦/١٦٧ - ١٦٨) تاريخ بغداد (١٠/٤٣٠).

(٥) بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال المهملة وفي آخرها الميم هذه النسبة إلى الجد: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي بن عطاء بن مقدم المقدمي مولى ثقيف ابن أخي محمد بن علي المقدمي، يروي عن حماد بن زيد والبصريين. روى عنه الحسن بن سفيان وأبو يعلى أحمد بن علي الموصلي وغيرهما، مات في أول سنة أربع وثلاثين ومائتين انظر الأنساب (٥/٣٦٤).

(٦) عبد الغفار بن عبيد الله الكوثري. روى عن ابن وارة وأبي حاتم وقد لقي شعبة. عن صالح بن أبي الأخضر. وقال البخاري: ليس بقاتم الحديث. انظر الميزان (٢/٦٤٠).

(٧) صالح بن أبي الأخضر اليمامي مولى هشام بن عبد الملك نزل البصرة روى عن نافع وابن المنكدر والزهري وأبي عبيد حاجب سليمان بن عبد الملك وغيرهم وعنه حماد بن زيد وسفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن مهدي ووكيع وابن المبارك وعلي بن غراب والنضر بن شميل وخالد بن الحارث وعكرمة بن عمار ومحمد بن عبد الله الأنصاري ومسلم بن إبراهيم وغيرهم وحدث عنه ابن جريح وهو أكبر منه قال ابن معين: ليس بالقوي وقال مرة ضعيف. قال العجلي: يكتب حديثه وليس بالقوي وقال الجوزجاني اتهم في أحاديثه. انظر التهذيب (٤/٣٨٠ - ٣٨١).

(٨) سقط في ب.

(٩) في سورة الأنفال الآية الثانية والأربعين (ولو تواعدتم لاختلقتنم.....).

الإسلام ثم لم أتخلف عن النبي ﷺ بعد في غزوة غزاهما، حتى كانت غزوة تبوك وهي آخر غزوة غزاهما وأذن النبي ﷺ الناس بالرحيل، وأراد أن يتأهبوا أهبة غزوهم وذلك حين طاب الظلال وطابت الثمار، وقل ما أراد غزواً، إلا وارى خبرها ويقول «الحرب خُدْعَةٌ» - وقال عبد الرزاق إلا ورى بغيرها - فأراد النبي ﷺ في غزوة تبوك أن يتأهب الناس أهبتهم، وأنا أيسر ما كنت قد جمعت راحلتين، وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد وخفة الحاذ، وأنا في ذلك أصغو إلى الظلال وطيب الثمار فلم أزل كذلك حتى قام النبي ﷺ غادياً بالغداة، وذلك يوم الخميس وكان يحب أن يخرج يوم الخميس فأصبح غادياً قلت: أنطلق غداً إلى السوق فأشترى جهازي ثم الحق بهم فانطلقت إلى السوق من الغد فعرس علي بعض شأني، فرجعت فقلت: أرجع غداً إن شاء الله فالحق بهم فعرس علي بعض شأني أيضاً فلم أزل كذلك، حتى التبس بي الذنب وتخلفت عن رسول الله ﷺ وجعلت أمشي في الأسواق وأطوف بالمدينة فيحزنني أنني لا أرى أحداً إلا رجلاً مغموضاً عليه في النفاق وكان ليس أحد تخلف إلا رأى أن ذلك سيغفر له، وكان الناس كثيراً لا يجمعهم ديوان وكان جميع من تخلف عن النبي ﷺ بضعاً وثمانين رجلاً، ولم يذكرني النبي ﷺ حتى بلغ تبوك فلما بلغ تبوك قال: ما فعل كعب بن مالك؟ قال رجل من قومي: خلفه يا نبي الله برداه والنظر في عطفه فقال معاذ بن جبل بش ما قلت والله يا نبي الله ما نعلم إلا خيراً، فبينما هم كذلك إذ هم برجل يزول به السراب فقال النبي ﷺ كن أبا خيشمة، فإذا هو أبو خيشمة فلما قضى النبي ﷺ غزوة تبوك ودنا من المدينة جعلت أتذكر بماذا أخرج من سخط النبي ﷺ وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي حتى إذا قيل: هذا النبي ﷺ مصبحكم بالغداة زاح عني الباطل وعرفت أنني لا أنجو إلا بالصدق ودخل النبي ﷺ ضحى فصلى في المسجد ركعتين وكان إذا جاء من سفر فعل ذلك، دخل المسجد فصلى ركعتين ثم جلس، فجعل يأتيه من تخلف فيحلفون له ويعتذرون إليه فيستغفر لهم، ويقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله سبحانه وتعالى، فدخلت المسجد فإذا هو جالس فلما رأيته تيسم تيسم المغضب، فجلست بين يديه فقال: ألم تكن ابتعت ظهراً؟ قلت: بلى يا رسول الله قال: فما خلفك؟ قلت: والله لو بين يدي أحد من الناس غيرك جلست لخرجت من سخطه علي بعدد لقد أوتيت جدلاً ولكن قد علمت يا نبي الله، أنني إن أخبرك اليوم بقول تجد علي فيه وهو حق فإني أرجو فيه عفو الله، وإن حدثتكم اليوم حديثاً ترضى عني فيه وهو كذب، أو شك الله أن يطلعك علي، والله ما كنت قط أيسر ولا أخف حاذاً مني حيث تخلفت عنك، فقال: أما هذا فقد صدقكم الحديث قم عني حتى يقضي الله فيك فقممت فثار على أثري ناس من قومي يؤنبوني، فقالوا: والله ما نعلمك أذنبت ذنباً قبل هذا فهلا اعتذرت إلى النبي ﷺ بعدد يرضى عنك فيه؟ وكان استغفار رسول الله ﷺ سيأتي من وراء ذنبك، ولم تقف نفسك موقفاً لا تدري ماذا يقضي لك فيه فلم يزالوا يؤنبوني، حتى هممت أن أرجع، فأكذب نفسي فقلت: هل قال هذا القول أحد غيري؟ قالوا: نعم قاله هلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، فذكروا رجلين صالحين قد شهدوا بداراً لي فيهما أسوة، فقلت: لا والله لا أرجع إليه في هذا أبداً ولا أكذب نفسي، قال: ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة، ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا، ولبثت كذلك حتى طال علي الأمر وما من شيء أهم إلي من أن أموت فلا يصلي علي النبي ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني أحد منهم ولا يصلي علي قال: فجعلت أخرج إلى السوق ولا يكلمني أحد، وتنكر لنا الناس حتى ما هم بالذي نعرف وتنكرت لنا الحيطان حتى ما هي بالحيطان التي نعرف وتنكرت لنا الأرض حتى ما هي بالأرض التي نعرف وكنت أقوى أصحابي فكنت أخرج فأطوف في الأسواق وآتي المسجد فأدخل وآتي النبي ﷺ فأسلم عليه فأقول: هل حرك شفتيه بالسلام؟ فإذا قمت أصلي إلى سارية نظر إلي بمؤخر عينيه فإذا نظرت إليه أعرض عني واستكان أصحابي فجعلوا يبكيان الليل والنهار لا يطلعان رؤوسهما. قال: فبينما أنا أطوف بالسوق إذا برجل نصراني جاء بطعام له يبيعه يقول: من يدل علي كعب بن

مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إلي فاتاني بصحيفة من ملك غسان فإذا فيها: أما بعد: فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جافاك وأقصاك ولست بدار مضيعة ولا هوان، فالحق بنا نواسك، فقلت: هذا أيضاً من البلاء والشرف فسجرت التور وأحرقتها فلما مضت أربعون ليلة إذا رسول من النبي ﷺ أتاني فقال: اعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها؟ قال: لا ولكن لا تقربنها فجاءت امرأة هلال بن أمية فقالت يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضعيف فهل تأذن لي أن أخدمه؟ قال: نعم ولكن لا يقربنك، قالت: يا نبي الله والله ما به حركة لشيء ما زال مكباً يبكي الليل والنهار منذ كان من أمره ما كان قال كعب: فلما طال علي البلاء اقتحمت على أبي قتادة^(١) حائظه وهو ابن عمي فسلمت عليه فلم يرد علي، فقلت: أشدك الله يا أبا قتادة أتعلم أنني أحب الله ورسوله؟ فسكت عني حتى قلت ثلاثاً قال أبو قتادة في الثالثة: الله ورسوله أعلم فلم أملك نفسي أن بكيت ثم اقتحمت من الحائط خارجاً حتى مضت خمسون ليلة من حين نهى النبي ﷺ عن كلامنا فصليت على ظهر بيت لنا صلاة الفجر ثم جلست وأنا بالمنزلة التي قال الله تعالى قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت وضاقت علينا أنفسنا إذ سمعت نداءً من ذروة سلع أن أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجداً وعلمت أن الله تعالى قد جاء بالفرج ثم جاء رجل يركض على فرس يبشرنني فكان الصوت أسرع من فرسه فأعطيته ثوبي بشارة ولبست ثوبين آخرين، قال: وكانت توبتنا نزلت على رسول الله ﷺ ثلث الليل فقالت أم سلمة^(٢) يا رسول الله ألا تبشر كعب بن مالك؟ فقال: إذن يحطمكم الناس ويمنعوكم النوم سائر الليل فكانت أم سلمة محسنة في شأني تحزن لأمرني فانطلقني إلى رسول الله ﷺ فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون وهو يستنير كاستنارة القمر وكان إذا سر بالأمر استنار فجئت فجلست بين يديه فقال: أبشر يا كعب بن مالك بخير يوم أتى عليك منذ ولدتك أمك فقلت: يا نبي الله أمل عند الله أم من عندك؟ قال: بل من عند الله ثم تلى عليهم ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ الآية وفيها أنزلت أيضاً: ﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ فقلت: يا نبي الله إن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً وأن أتخلل من مالي كله صدقة إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ فقال: أمسك عليك بعض مالك فإنه خير لك قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخير قال: فما أنعم الله علي نعمة بعد الإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ حين صدقته أنا وصاحبائي وألا نكون كذبتنا فهلكننا كما هلكوا وإني لأرجو الله أن لا يكون الله أبلى أحداً في الصدق مثل الذي أبلاني ما تعمدت الكذبة بعد وأرجو أن يحفظني الله فيما بقي» قال الزهري: «فهذا ما انتهى إلينا من حديث كعب بن مالك^(٣)» وقوله: ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ قال المفسرون^(٤): «ضيق الأرض عليهم بأن المؤمنين

(١) أبو قتادة الأنصاري السلمى بفتح السين واللام فارس رسول الله ﷺ. اسمه الحارث بن ربيعي شهد أحداً والمشاهد. له مائة وسبعون حديثاً. وعنه ابنه عبد الله وابن المسيب ومولاه نافع وخلق. مات سنة أربع وخمسين بالمدينة وهو الأصح. انظر الخلاصة (٢٣٨/٣ - ٢٣٩).

(٢) هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية: أم سلمة وأم المؤمنين. لها ثلاثمائة وثمانية وسبعون حديثاً. وعنها: نافع وابن المسيب وأبو عثمان النهدي وخلق. قال الواقدي: توفيت سنة تسع وخمسين. قال الذهبي: هي آخر أمهات المؤمنين وفاة. انظر الخلاصة (٣٩٤/٣).

(٣) أخرجه البخاري ٧١٧/٧ في كتاب المغازي باب حديث كعب ٤٤١٨. وأخرجه مسلم ٢١٢٠/٤ في كتاب التوبة باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ٢٧٦٩/٥٣ وأخرجه أبو داود ٢٦٢/٢ في كتاب الطلاق، باب فيما عني به من الطلاق والترمذي ٢٦٣/٥ في كتاب التفسير سورة التوبة باب ٣١٠٢ والنسائي ١٥٢/٦ في الطلاق باب الحقي بأهلك وأخرجه أحمد في المسند ٤٥٦/٣ وقال الحافظ ابن كثير ٦٩/٤ هذا حديث صحيح ثابت متفق على صحته، رواه صاحبنا الصحيح البخاري ومسلم من حديث الزهري وقد تضمن هذا الحديث تفسير هذه الآية الكريمة بأحسن الوجوه وأبسطها.

(٤) الرازي ١٧٣/١٦ القرطبي ١٨٢/٨.

منعوا من كلامهم ومعاملاتهم وأمر أزواجهم باعتزالهم وكان النبي ﷺ معرضاً عنهم» وقوله: ﴿وضاقت عليهم أنفسهم﴾ يعني ضيق صدورهم بالهم الذي حصل فيها ﴿وظنوا﴾ أي قنوا ﴿أن لا ملجأ﴾ لا معتصم ﴿من الله﴾ من عذاب الله ﴿إلا إليه﴾ الآية ﴿ثم تاب عليهم﴾ إعادة للتوكيد لأن ذكر التوبة على هؤلاء قد مضى في قوله: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ ومعنى ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ لطف لهم في التوبة ووقفهم لها .

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَخْلَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

قوله: ﴿يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ روي أن هذه الآية نازلة في كعب بن مالك وصاحبيه وقال الكلبي ومقاتل^(١): «يعني مؤمني أهل الكتاب بأمرهم بالجهاد وأن يكونوا مع المهاجرين وسمى الله المهاجرين في هذه السورة صادقين» وقال نافع^(٢): «يريد بالصادقين محمداً والأنبياء» وقال الزجاج: «والمعنى على أنهم أمروا بأن يكونوا مع النبي ﷺ في الشدة والرخاء»^(٣).

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الواعظ أنا عبد الله بن حامد الوراق أنا عبد الله بن محمد بن الحسن نا محمد بن يحيى نا وهب بن جرير نا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صبيه شيئاً ثم لا ينجزه له إقرأوا إن شئتم ﴿يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ فقال: هل ترون رخصة في الكذب^(٤)؟.

(١) البحر المحيط ١١١/٥ القرطبي ١٨٣/٨ .

(٢) ابن كثير ١٧٠/٤ البغوي ٣٣٧/٢ القرطبي ٨٣/٨ البحر المحيط ١١١/٥ وذكر نحوه السيوطي في الدر ٢٨٩/٣ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه . انظر فتح القدير ٤١٤/٢ .

(٣) ولما ذكر تعالى ما فرج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب من هجر المسلمين إليهم نحواً من خمسين ليلة بأيامها وضاعت عليهم أنفسهم وضاعت عليهم الأرض بما رحبت أي: مع سعتها فسدت عليهم المسالك والمذاهب فلا يهتدون ما يصنعون فصبروا لأمر الله واستكانوا لأمر الله وثبتوا حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله ﷺ في تخلفهم وأنه كان عن غير عذر فعوقبوا على ذلك هذه المدة، ثم تاب الله عليهم فكان عاقبة صدقهم خيراً لهم وتوبة عليهم ولهذا قال: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) أي: اصدقوا والزمو الصدق تكونوا مع أهله وتتجوا من المهالك ويجعل لكم فرجا من أموركم ومخرجاً . انظر ابن كثير (١٧٠/٤) .

(٤) أخرجه الطبري ١٤/٥٦٠ (١٧٤٥٨) وذكره ابن كثير ١٧٠/٤ والقرطبي ١٨٣/٨ والبغوي ٣٣٧/٤ وأبو حيان ١١/٥ وذكره السيوطي في الدر ٢٩٠/٢ وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عدي وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب .

وقوله: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب﴾ قال ابن عباس^(١): «يعني مزينة وجهينة وأسد رášح^(٢) وغفار ﴿أن يتخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة يغرورها﴾ ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ ولا يرضوا لأنفسهم بالخفض والدعة ورسول الله ﷺ في الحر والمشقة، يقال: رغبت بنفسي عن هذا الأمر أي ترفعت عنه ﴿ذلك﴾ أي ذلك النهي عن التخلف ﴿بأنهم لا يصيهم ظمأ﴾ وهو شدة العطش ﴿ولا نصب﴾ إعياء وتعب ﴿ولا مخصصة في سبيل الله﴾ مجاعة في طاعة الله ﴿ولا يطأون موطناً يغيظ الكفار﴾ ولا يقفون موقفاً ولا يضعون قدماً في موضع يغضب الكفار ﴿ولا ينالون من عدو نيلاً﴾ أسراً وقتلاً وهزيمة قليلاً ولا كثيراً إلا كان ذلك قربي لهم عند الله وهما قوله: ﴿إلا كتب لهم به عمل صالح﴾ قال عطية العوفي: «في الآية من الفقه أن من قصد طاعة كان قيامه وقعوده ونصبه ومشيه وحركاته كلها حسنات مكتوبة له وكذلك في المعصية، فما أعظم بركة الطاعة وما أعظم شؤم المعصية» وقوله ﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة﴾ قال: ابن عباس: تمرة فما فوقها ﴿ولا يقطعون﴾ ولا يجاوزون ﴿ووادياً﴾ في مسيرهم مقبلين ولا مدبرين ﴿إلا كتب لهم﴾ آثارهم وخظاهم ﴿ليجزئهم الله أحسن﴾ أي بأحسن ﴿ما كانوا يعملون﴾ قوله: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ قال المفسرون^(٣): «لما عيب من تخلف عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن غزوة يغرورها رسول الله ﷺ ولا عن سرية أبدأ فلما أمر رسول الله ﷺ بالسراية إلى العدو نفر المسلمون جميعاً إلى الغزوة ونزل رسول الله ﷺ بالمدينة وحده فأنزل الله هذه الآية وهذا نفي معناه: النهي لهم عن الخروج إلى العدو جميعاً» وقوله: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة﴾ أي فهلا خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة ويبقى مع النبي ﷺ جماعة ليتفقها في الدين﴾ يعني الفرقة القاعدية يتعلمون القرآن والسنن والفرائض والأحكام فإذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن وتعلمه القاعدون قالوا لهم إذا رجعوا إليهم: إن الله قد أنزل بعدكم على نبيكم قرآناً وقد تعلمناه فتعلمه السرايا فذلك قوله: ﴿ولينذرو قومهم﴾ أي وليعلموهم بالقرآن ويخوفوهم به ﴿إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ فلا يعملون بخلافه وهذا قول ابن عباس في رواية الوالي^(٤).

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ءِيمَانًا فَالَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ ءِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنَ أَحَدِهِمْ أَنصَرَفُوا صَرَفٌ وَاللَّهُ قُلُوبِهِم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ يريد الذين يقربون منكم قال ابن

(١) البغوي ٣٣٧/٢ الرازي ١٧٧/١٦ البحر المحيط ١١٢/٥

(٢) الرازي ١٧٨/١٦

(٣) البغوي ٣٣٩/٢ الطبري ٥٦٧/١٤ انظر القرطبي ١٨٧/٨ البحر المحيط ١١٣/٥ ابن كثير ١٧٢/٤

(٤) البغوي ٣٣٩/٢

عباس^(١): «أمروا أن يقاتلوا الأذنى فالأذنى من عدوهم مثل قريظة، والنضير، وخيبر، وفدك ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ قال ابن عباس^(٢): شجاعة وقال مجاهد^(٣): شدة وقال الحسن^(٤): «صبراً منكم على الجهاد» وقال الضحاك^(٥): «عنفاً» ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم﴾ من المنافقين ﴿من يقول أيكم زادته هذه إيماناً﴾ يقوله المنافقون بعضهم لبعض هزواً قال الله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً﴾ قال ابن عباس^(٦): «تصديقاً وبقيناً وقربة من الله» وذلك أنهم إذا أقرؤا بالسورة عن ثقة ازدادوا تصديقاً إلى ما كانوا عليه من التصديق ﴿وهم يستبشرون﴾ يفرحون بنزول السورة ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق ﴿فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾ كفراً إلى كفرهم لأنهم كلما كفروا بسورة ازداد كفرهم قوله: ﴿أولاً يرون﴾ من قرأ بالتاء^(٧) فهو خطاب للمؤمنين ومن قرأ بالياء فهو تفرغ للمنافقين بالإعراض عن التوبة وقوله: ﴿أنهم يفتنون في كل عام﴾ الآية أي يمتحنون بالأمراض والأوجاع وهي روائد الموت ﴿ثم لا يتوبون﴾ من النفاق ولا يتعظون بذلك المرض وقوله: ﴿وإذا ما أنزلت سورة﴾ الآية قال ابن عباس^(٨): كان إذا أنزلت سورة فيها عيب المنافقين خطبهم رسول الله ﷺ فعرض بهم في خطبته شق ذلك عليهم فنظر بعضهم إلى بعض يريدون الهروب من عند رسول الله ﷺ يقولون: هل يراكم من أحد من المؤمنين إن قمتم؟ فإن لم يرههم أحد خرجوا من المسجد وذلك قوله: ﴿ثم انصرفوا﴾ قال الحسن^(٩): «ثم انصرفوا على عدم التكذيب بمحمد ﷺ وما جاء به» وقال الزجاج^(١٠): «وجائز أن يكونوا ينصرفون عن المكان الذي استمعوا فيه» ﴿صرف الله قلوبهم﴾ عن كل خير ورشد وهدى ذلك ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ عن الله دينه قال الزجاج^(١١): «أي أضلهم الله مجازاة على فعلهم» وقوله:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ قال ابن عباس^(١٢): «يريد محمداً ﷺ وليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدته وله

(١) البغوي ٣٤٠/٢ القرطبي ١٨٩/٨ البحر المحيط ١١٥/٥ فتح القدير ٤١٦/٣ - ٤١٧ الدر المنثور ٢٩٣/٣.

(٢) الرازي ١٨٢/١٦.

(٣) البغوي ٣٤٠/٢ أبو حيان ١١٥/٤ القرطبي ١٨٩/٨ الرازي ١٨٢/١٦ فتح القدير ٤١٧/٢١ الدر المنثور ٢٩٣/٣.

(٤) البغوي ٣٤٠/٢.

(٥) انظر تفسير الرازي ١٨٢/١٦.

(٦) وقوله (غلظة) قال الزجاج. فيها ثلاث لغات فتح الغين وضمها وكسرهما. قال صاحب الكشاف: الغلظة بالكسر الشدة العظيمة والغلظة كالضغطة، والغلظة كالسخطة وهذه الآية تدل على الأمر بالتغلظ عليهم ونظيره قوله تعالى (واغلظ عليهم) (التوبة: ٧٣) وقوله (ولا تهنوا) (آل عمران: ١٣٩) وقوله في صفة الصحابة رضي الله عنهم (أعزة على الكافرين) المائدة (٤٠) وقوله (أشداء على الكفار)، الفتح: ٢٩. واعلم أن الغلظة ضد الرقة وهي الشدة في إحلال النعمة والفائدة فيها أنها أقوى تأثيراً في الزجر والمنع عن القبيح انظر الرازي (١٨٢/١٦).

(٧) انظر تفسير البغوي (٣٤٠/٢).

(٨) انظر النشر ٢٨١/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٠٠/٢، البحر المحيط ١١٦/٥.

(٩) البغوي ٣٤١/٢ البحر المحيط ١١٥/٥ ابن كثير ١٧٦/٤.

(١٠) البغوي ٣٤١/٢، القرطبي ١٩٠/٨.

(١٢) انظر معاني القرآن ٤٧٧/٢.

(١١) انظر معاني القرآن للزجاج ٤٧٧/٢ البغوي ٣٤١/٢.

فيهم نسب ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ شديد عليه عنتكم وهو لقاء الشدة والمشقة بدخول النار والمعنى : شديد عليه ما يلحقكم من الضرر بترك الإيمان يقال : عنت الرجل يعنت عتاً إذا وقع في مشقة ﴿حريص عليكم﴾ على إيمانكم على أن تؤمنوا ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ قال ابن عباس : ^(١) «سماه الله باسمين من أسمائه» ﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإيمان بك ﴿فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾ خص العرش بالذكر لأنه الأعظم فيدخل فيه الأصغر.

نا إسماعيل بن إبراهيم الصوفي نا أبو بكر بن أحمد بن يعقوب المفيد نا الحسن بن عبد الله ^(٢) العبدي نا مسلم بن إبراهيم نا شعبة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران ^(٣) عن ابن عباس عن أبي بن كعب أنه قال : آخر آية أنزلت على عهد رسول الله ﷺ :

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ قرأ إلى آخر السورة رواه الحاكم في صحيحه ^(٤) عن الأصم عن بكار بن قتيبة ^(٥) عن العقدي ^(٦) عن شعبة .

(١) البغوي ٣٤١/٢ البحر المحيط ١١٧/٥ القرطبي ١٩١/٨ وانظر ابن كثير ١٧٧/٤ .

(٢) الحسن بن عبد الله بن حرب المصيصي العبدي كوفي سكن المصيصة روى عن عمرو بن عطية والصبي بن الأشعث وعباد بن العوام وأبي وكيع الجراح سمع منه أبي بالمصيصة في الرحلة الأولى . انظر الجرح والتعديل ٢٣/٣ .

(٣) يوسف بن مهران البصري . روى عن ابن عباس وابن عمر وابن جعفر وجابر . وعنه زيد بن علي بن جدعان . وقال كان يشبه حفظه . حفظ عمرو بن دينار . قال أبو زرعة ثقة وقال ابن سعد ثقة قليل الحديث . انظر التهذيب ٤٢٤/١١ .

(٤) في كتاب التفسير ٣٣٨/٢ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وذكره الهيثمي في المجمع ٣٦/٧ وعزاه لعبد الله بن أحمد والطبراني وقال فيه علي بن زيد بن جدعان وهو ثقة سميء الحفظ وبقية رجاله ثقات .

(٥) بكار بن قتيبة بن أسد بن عبيد الله بن بشير ابن صاحب رسول الله ﷺ أبي بكره نفع بن الحارث الثقفي البكرائي البصري القاضي الكبير العلامة المحدث ، أبو بكره الفقيه الحنفي قاضي القضاة بمصر . مولده في سنة اثنتين وثمانين ومائة بالبصرة . وسمع أبا داود الطيالسي وروح بن عباد وعبد الله بن بكر السهمي وأبا عاصم ووهب بن جرير وسعيد بن عامر الضبي وطبقتهم . انظر السير ٥٩٩/١٢ وفيات الأعيان (٢٨٠/١) النجوم الزاهرة (١٨/٣) حسن المحاضرة (٤٦٣/١) .

(٦) عبد الملك بن عمرو القيسي أبو عامر العقدي البصري . روى عن أيمن بن نابل وسحامة بن عبد الرحمن الأصم وعكرمة بن عمار وقرّة بن خالد وقلبيح بن سليمان وأفلح بن حميد وإبراهيم بن طهمان وإبراهيم بن نافع المكي وإسرائيل وأفلح بن سعيد والمغيرة بن عبد الرحمن الحراني وداود بن قيس ورباح بن معروف وزهير بن محمد التميمي والثوري وشعبة وعباد بن راشد وعبد الله بن جعفر المخرمي وعبد العزيز الماجشون وعمر بن أبي زائدة ، وسليمان بن بلال ومالك وابن أبي ذئب ، وهشام الدستوائي وغيرهم . قال السراج : والعقد قوم من قيس وهم صنف من الأزد . قال محمد بن سعد ونصر بن علي : مات سنة أربع ومائتين وقال أبو داود وابن حبان مات سنة (٥) . انظر التهذيب ٤٠٩/٦ - ٤١٠ .

سورة يونس

مكية وآياتها تسع ومائة

أخبرنا الأستاذ أبو عثمان سعيد بن محمد الزعفراني أنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر الزاهد العدل أنا إبراهيم بن شريك الأسدي أنا أحمد بن عبد الله بن يونس نا المديني^(١) نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة يونس أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون»^(٢).

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿٢﴾ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۗ ذٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ بِالْقِسْطِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ فِيٰ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٧﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: «يريد أنا الله الرحمن»^(٣) وعنه أيضاً: أنا الله أرى^(٤) ﴿تلك

(١) بفتح الميم والبدال المهملة المكسورة بعدها الياء آخر الحروف وفي آخرها النون هذه النسبة إلى عدة من المدن منها مدينة رسول الله ﷺ أكثر ما ينسب إليها يقال المدني والمديني وإلى مدينة بغداد وإلى أصبهان وإلى مدينة نيسابور وإلى المدينة الداخلة بمر، وإلى مدينة بخارى وإلى مدينة سمرقند وإلى مدينة نسف وغيرها من المدن. انظر الأنساب (٥/٢٣٥).

(٢) حديث موضوع وقال الفيروز أبادي في البصائر: وهو حديث متفق على ضعفه ٢٤٥/١ بل هو واهي كما مر الإشارة إلى ذلك وانظر الفوائد المجموعة (٢٩٦).

(٣) البغوي ٣٤٢/٢ القرطبي ١٩٤/٨، البحر المحيط ١٢١/٥، انظر الدر المنثور ٢٩٩/٣ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) الطبري ٩/١٥ (١٧٥١٩) ابن كثير ١٨٢/٤ البغوي ٣٤٢/٢ القرطبي ١٩٤/٨ انظر الدر المنثور ٢٩٩/٣ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في الأسماء والصفات وابن النجار في تاريخه فتح القدير ٤٢١/٢ البحر المحيط

آيات الكتاب ﴿ قال: يريد هذه الآيات التي أنزلت على محمد ﷺ آيات الكتاب ﴾ الحكيم ﴿ يعني القرآن المحكم من الباطل أي الممنوع من الفساد لا كذب فيه ولا اختلاف، قوله: ﴿ أكان للناس عجباً أن أوحينا ﴾ الآية، قال: المفسرون^(١): عجبت قريش من إرسال الله محمداً ﷺ إلى العباد وقالوا: أما وجد الله من يرسله إلينا إلا يتيم أبي طالب؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ أكان للناس عجباً ﴾ والألف في أكان للتوبيخ والإنكار ﴿ أن أوحينا إلى رجل منهم ﴾ يعني محمداً ﷺ يعرفون أباه وأمه ﴿ أن أنذر الناس ﴾ يعني أهل مكة ﴿ وبشر الذين ءامنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾ قال مجاهد والحسن^(٢): ﴿ يعني الأعمال الصالحة يقدمون عليها ﴾ وقال الوالبي عن ابن عباس^(٣): يقول: «سبقت لهم السعادة في الذكر الأول».

أخبرنا نصر بن أبي نصر الواعظ أنا عبد الله بن محمد بن نصير^(٤) أنا محمد بن أيوب أنا عبد الله بن عمران^(٥) نا يحيى بن الضريس^(٦) عن خالد بن صبيح البلخي^(٧) عن مقاتل بن حيان في قوله: ﴿ قدم صدق عند ربهم ﴾ قال: شفيع صدق، محمد ﷺ^(٨) وتم الكلام ثم ابتدأ فقال: ﴿ قال الكافرون إن هذا لساحر مبين ﴾ قال ابن عباس^(٩): أخرجوا محمداً من علمهم فيه بالأمانة والصدق، إلى غير علمهم فكفروا وأرادوا بالساحر محمداً ﷺ، ومن قرأ السحر^(١٠) أراد الذي أوحى إليه سحر، قوله: ﴿ إن ربكم الله ﴾ مفسر فيما سبق إلى قوله: ﴿ يدبر الأمر ﴾ قال ابن عباس^(١١): «يخلق ما يكون» وقال مجاهد^(١٢): «يقضي الأمر» «ما من شفيع إلا من بعد إذنه» قال الكلبي^(١٣) «ما من شفيع من الملائكة والنبين إلا من بعد أمره في الشفاعة» ﴿ ذلكم الله ﴾ الذي فعل هذه الأشياء ﴿ ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون ﴾ أفلا تتعظون يا أهل مكة بالقرآن ومواعظه ﴿ إليه مرجعكم جميعاً ﴾ إلى الله مصيركم يوم القيامة ﴿ وعد الله ﴾ وعدكم الله ذلكم وعداً حقاً

(١) أسباب النزول للمصنف رحمه الله ٢٦٧ والطبري ١٣/١٥ القرطبي ١٩٥/٨ الدر المنثور ٢٩٩/٣ ابن كثير ١٨٢/٤ البغوي ٣٤٣/٢

(٢) البغوي ٣٤٣/٢ البحر المحيط ١٢٢/٥ الطبري ١٤/١٥ ابن كثير ١٨٣/٤ القرطبي ١٩٦/٨

(٣) أخرجه الطبري ١٥/١٥ (١٧٥٣٩) وابن كثير ١٨٢/٤ القرطبي ١٩٥/٨ البغوي ٣٤٣/٢ البحر المحيط ١٢٢/٥

(٤) عبد الله بن محمد المدني ترجم له أبو نعيم في تاريخ أصفهان ٨٤/٢

(٥) عبد الله بن عمران بن علي الأسدي أبو محمد الأصبهاني ثم الرازي روى عن حفص بن غياث وجريز بن عبد الحميد وأبي معاوية وأبي داود الطيالسي وعثام بن علي ووكيع وجماعة. وعنه ابن ماجه والبخاري في غير الجامع وأبو حاتم وإبراهيم بن نايلة وجعفر ابن أحمد بن فارس وإسماعيل سمويه وعبد الله الدارمي وجعفر بن محمد بن الحسن الزعفراني الحافظ ومحمد بن أيوب بن الضريس ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة وجماعة. قال أبو حاتم صدوق وذكره ابن حبان في الثقات وقال يعقوب: انظر التهذيب ٣٤٣/٣

(٦) يحيى بن الضريس، الجلي الرازي القاضي، صدوق مات سنة ثلاث ومائتين.

(٧) بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وفي آخرها الحاء المعجمة هذه النسبة إلى بلدة من بلاد خراسان يقال لها بلخ فتحها الأحنف بن قيس التميمي من جهة عبد الله بن عامر بن كرز بن عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر الأنساب ٣٨٨/١

(٨) انظر تفسير البغوي ٣٤٣/٢ ابن كثير ١٨٣/٤ القرطبي ١٩٥/٨ فتح القدير ٤٢٢/٢ الدر المنثور ٣٠٠/٣

(٩) البغوي ٣٤٣/٢

(١٠) انظر حجة القراءات وانظر النشر ٢٨٠/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٠٥/٢، البحر المحيط ١٢٣/٥

(١١) القرطبي ١٩٦/٨

(١٢) القرطبي ١٩٦/١ البحر المحيط ١٢٣/٥ وذكره الشوكاني في فتح القدير ٤٢٤/٢ وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن

أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد الدر المنثور ٣٠٠/٣ البغوي ٣٤٣/٢

(١٣) القرطبي ١٩٦/٨

﴿إنه يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ رد على المشركين الذين أنكروا البعث ﴿ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالقسط﴾ قال ابن عباس^(١): بالعدل ﴿والذين كفروا لهم شراب من حميم﴾ وهو الماء الحار، قوله تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء﴾ أي: ذات ضياء ﴿والقمر نورا﴾ أي: ذا نور ﴿وقدره منازل﴾ أي: قدر له، فحذف الجار والمعنى: هياً ويسر له منازل ﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ يعني حساب الشهور والسنين والأيام والساعات ﴿وما خلق الله ذلك﴾ يعني ما تقدم من الشمس والقمر ومنازله ﴿إلا بالحق﴾ إلا للحق من إظهار صنعه، وقدرته والدلالة على وحدانيته ﴿يفصل الآيات﴾ بينها ﴿لقوم يعلمون﴾ يستدلون بالأمارات على قدرة الله ﴿إن في اختلاف الليل والنهار﴾ في تعاقبهما ومجيئهما وذهابهما ﴿وما خلق الله السموات﴾ من الشمس والقمر والنجوم والبروج والأفلاك ﴿وفي﴾ في ﴿الأرض﴾ من الجبال والبحار ﴿آيات لقوم يتقون﴾ الشرك فيستدلون بهذه الآيات على وحدانية الله وقدرته.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾
 أُولَئِكَ مَا لَهُمْ مَأْوَةٌ النَّارُ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ
 رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا
 سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

قوله: ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا﴾ قال ابن عباس [ومقاتل]^(٢): «لا يخافون البعث لأنهم لا يؤمنون به»^(٣) والرجاء هنا بمعنى الخوف كقوله ﴿لا ترجون لله وقاراً﴾^(٤) ﴿ورضوا بالحياة الدنيا﴾ بدلاً من الآخرة ﴿واطمأننوا بها﴾ ركنوا إليها لأنهم لا يؤمنون بالآخرة ﴿والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ يعني آيات القرآن، وما فيها من الفرائض والأحكام، قوله تعالى ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم﴾ قال المفسرون^(٥): «يهديهم ربهم إلى الجنة ثواباً لهم بإيمانهم»، وقال مجاهد^(٦): «يكون لهم نور يمشون به» وقال مقاتل^(٧): «يهديهم بالنور على الصراط إلى الجنة» وقوله: ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ أي بين أيديهم وهم يرونها من أسرتهم وقصورهم وقوله: ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم﴾ الدعوة مصدر كالدعاء، ذكرنا ذلك في قوله: ﴿فما كان دعواهم﴾ قال ابن عباس^(٨): «كلما انتهى أهل الجنة شيئاً قالوا: سبحانك اللهم فجاء ما يشتهون فإذا طعموا مما يشتهون قالوا: الحمد لله رب العالمين فذلك قوله ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ وقوله: ﴿وتحيتهم فيها سلام﴾ يحيي بعضهم بعضاً للسلام وتحية الملائكة إياهم، وتحية الله سلام ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب

(١) البغوي ٣٤٤/٢ القرطبي ١٩٧/٨ ابن كثير ١٨٤/٤ البحر المحيط ١٢٤/٥.

(٢) سقط في ب.

(٣) البغوي ٣٤٦/٢ القرطبي ١٩٩/٨ ابن كثير ١٨٤/٤ البحر المحيط ١٢٦/٥.

(٤) سورة نوح (١٣).

(٥) القرطبي ١٩٩/٨.

(٦) الطبري ٢٨/١٥ ابن كثير ١٨٦/٤ القرطبي ١٩٩/٨ البغوي ٣٤٥/٢ البحر المحيط ١٢٧/٥ انظر الدر المنثور ٣٠١/٣.

(٧) البغوي ٣٤٥/٢ القرطبي ١٩٩/٨ البحر المحيط ١٢٧/٥.

(٨) الطبري ٢٨/١٥ القرطبي ٢٠٠/٨ ابن كثير ١٨٧/٤ البغوي ٣٤٥/٢ انظر الدر المنثور ٣٠١/٣.

العالمين ﴿ قال الزجاج ^(١): «أعلم الله أنهم يتدثون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه»

﴿ وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ^(١) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٢) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ^(٣) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٤)

قوله: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير﴾ التعجيل: تقديم الشيء قبل وقته والاستعجال: طلب العجلة قال قتادة ^(١): «هو دعاء الرجل على نفسه وولده وأهله وماله بما يكره أن يستجاب له» وقال ابن قتيبة ^(٢): «إن الناس عند الغضب والضجر يدعون على أنفسهم وأهليهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة وإعطاء السؤال يقول: فلو أجابهم الله إذا دعوا بالشر الذي يستعجلون به استعجالهم بالخير ﴿لقضي إليهم أجلهم﴾ قال عامة المفسرين ^(٣): «لماتوا وهلكوا جميعاً وفرغ من هلاكهم» وتحقيق التأويل: لو أجيئوا إلى ما يدعون به من الشر والعذاب، لفرغ إليهم من أجلهم بأن يقضي الأجل فيموتوا ويحصلوا في العذاب والبلاء وقرأ ابن عامر ^(٤) ﴿لقضي إليهم أجلهم﴾ بفتح القاف على إسناد الفعل إلى الله لأن ذكره قد تقدم، وذكر أن هذه الآية نزلت في النضر بل الحارث حين قال: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق﴾ الآية، يدل على صحة هذا قوله: ﴿فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون﴾ يعني الكفار الذين لا يخافون البعث قوله: ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه﴾ أي مضطجعا على جنبه قال ابن عباس: «إذا أصاب الكافر ما يكره من فقر أو مرض أو بلاء أو شدة، أخلص في الدعاء مضطجعا كان أو قائما أو قاعدا ﴿فلما كشفنا عنه ضره مر﴾ طاعياً على ترك الشكر ولم يتعظ بما ناله ﴿كان لم يدعنا إلى ضره﴾ قال الحسن ^(٥): «نسي ما دعا الله فيه وما صنع الله به فيما كشف عنه من البلاء» وكذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴿أي كما زين لهذا الكافر الدعاء عند البلاء والإعراض عند الرخاء زين للمسرفين عملهم يريد المشركين قال ابن كيسان: ^(٦) «أسرفوا على أنفسهم إذ عبدوا الوثن» قال عطاء ^(٧) نزلت الآية في عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة قوله ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا﴾ يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات الظاهرة ﴿وما كانوا ليؤمنوا﴾ قال ابن الأنباري ^(٨): «ألزمهم الله ترك الإيمان لمعاندهم الحق وإيثارهم الباطل» وقال الزجاج ^(٩): «أعلم الله أنهم لا يؤمنون ولو بقاهم أبداً لأنه جعل جزاءهم بكفرهم الطبع على قلوبهم» كما

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٨/٣ البغوي ٣٤٥/٢

(٢) البغوي ٣٤٥/٢ البحر المحيط ١٢٨/٥ الطبري ٣٤/١٥، ٣٥ ابن كثير ١٨٨/٤ انظر الدر المنثور ٣٠١/٣ القرطبي ٢٠١/٨

(٣) انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٩٤)

(٤) البغوي ٣٤٦/٢ ابن كثير ١٨٨/٤ القرطبي ٢٠١/٨

(٥) انظر حجة القراءات وانظر النشر ٢٨٢/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٠٥/٢ (٨) أبو حيان في البحر ١٢٩/٥

(٦) البغوي ٣٤٦/٢ البحر المحيط ١٣٠/٥ ابن كثير ١٨٩/٤ (٩) انظر القرطبي ٢٠٣/٨

(٧) انظر تفسير القرطبي ٢٠٢/٨ البحر المحيط ١٣٠/٥ (١٠) انظر معاني القرآن للزجاج ١١/٣

قال: ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾ الآية وقوله: ﴿كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ أي نعاقب ونهلك المكذبين بمحمد ﷺ كما فعلنا بمن قبلهم ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض [من بعدهم]﴾ قال ابن عباس^(١): «يريد أهل مكة» والمعنى استخلفكم في الأرض من^(٢) بعد القرون الماضية ﴿لننظر كيف تعملون﴾ قال ابن عباس^(٣) «لنختبركم ونختبر أعمالكم» وقال قتادة^(٤): «ما جعلنا الله خلائف إلا لينظر إلى أعمالنا فأروا الله من أعمالكم خيراً بالليل والنهار».

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَأْتِنَا بِشُرَّةٍ أَوْ يَدَّ بَدَلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾

قوله: ﴿وإذا تلى عليهم﴾ أي على مشركي مكة ﴿آياتنا بينات﴾ يعني القرآن ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ لا يخافون البعث ﴿أتأت بقراءان غير هذا﴾ أي بقرآن ليس فيه عيب آلهتنا، وذكر البعث والنشور ﴿أو بدله﴾ أي تكلم به من ذات نفسك فبدل منه ما نكره ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي﴾ ما ينبغي لي أن أبدله غيره من قبل نفسي قال الزجاج^(٥): «أي الذي أتيت به من عند الله لا من عند نفسي فأبدله» وهو قوله: ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ قال ابن عباس^(٦): يريد ما أخبركم إلا ما أخبرني الله به وقوله: ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم﴾ قال ابن عباس^(٧) يقول: لو شاء الله ما قرأت عليكم القرآن ﴿ولا أدراكم به﴾ ولا أعلمكم الله بالقرآن وأدراني الله به، والمعنى: لو شاء الله [ألا ينزل القرآن]^(٨) ما أعلمكم به ولا أمرني بتلاوته عليكم ﴿فقد لبثت فيكم عمراً من قبله﴾ قال ابن عباس: «أقمت فيكم أربعين سنة لا أحدثكم بشيء من القرآن ولا آتيكم به» ﴿أفلا تعقلون﴾ انه ليس من قبلي، قوله: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ أي لا أحد أظلم ممن يظلم ظلم الكفر فيزعم أن الله ولدأ وشريكاً قال ابن عباس^(٩): «يريد أنني لم أفتر على الله ولم أكذب عليه، وأنتم فعلتم ذلك حيث زعمتم أن معه شريكاً وعبدتم الأوثان وكذبتم نبيه ﷺ وما جاء به من عند الله تعالى» ﴿إنه لا يفلح المجرمون﴾ لا يسعد من كذب أنبياء الله .

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَسْتَبْتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ لِلنَّاسِ إِلَّا أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ

(١) البغوي ٣٤٦/٢ القرطبي ٢٠٣/٨ .

(٢) سقط في ب .

(٦) البغوي ٣٤٧/٢ .

(٧) البغوي ٣٤٧/٢ .

(٣) انظر القرطبي ٢٠٣/٨ .

(٨) سقط في أ .

(٤) القرطبي ٢٠٣/٨ .

(٩) البغوي ٣٤٧/٢ البحر المحيط ١٣٣/٥ .

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ١١/٣ القرطبي ٢٠٣/٨ .

يَخْتَلِفُونَ ﴿١٨﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٩﴾

﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم﴾ إن لم يعبدوه ﴿ولا ينفعهم﴾ إن عبدوه ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ قال الحسن^(١): شفعاء في إصلاح معاشهم في الدنيا لأنهم لا يقرون بالبعث ﴿قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض﴾ قال الضحاك^(٢): أتخبرون الله أن له شريكاً ولا يعلم الله لنفسه شريكاً في السموات ولا في الأرض والمعنى أتخبرون الله بالكذب فيما^(٣) يعلم أنه ليس بموجود؟ ثم نزه نفسه عما افتروه فقال: ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ قوله: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾ أي مجمعة على دين واحد يعني من لدن إبراهيم عليه السلام إلى أن غير الدين عمرو بن لحي^(٤) ﴿فاختلفوا﴾ قاله ابن عباس في رواية عطاء وقال في رواية الكلبي: «يعني أمة كافرة على عهد إبراهيم فاختلّفوا فأمّن بعضهم وكفر بعضهم^(٥)» وقال مجاهد والسدي^(٦): «كانوا على ملة الإسلام إلى أن قتل أحد ابني آدم أخاه» وقوله: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير هذه الأمة وأنه لا يهلكهم بالعذاب كما أهلكت الذين من قبلهم ﴿لقضي بينهم﴾ بتزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذّبين، فكان ذلك فصلاً بينهم فيما فيه يختلفون، قوله: ﴿ويقولون﴾ يعني أهل مكة ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ مثل العصا واليد ﴿فقل إنما الغيب لله﴾ يعني أن قولكم: هلا أنزل عليه آية غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله ﴿فانتظروا﴾ نزول الآية ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ لنزولها قوله:

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنْ رُسُلُنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢٠﴾ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَحْرٍ يَبْرِجُ طَيْبَةً وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أُنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢١﴾ فَلَمَّا أَجْمَعُهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

﴿وإذا أذقنا الناس رحمة﴾ يعني مطراً وخصباً وغنى ﴿من بعد ضراء مستهم﴾ من بعد قحط وبؤس وفقر ﴿إذا لهم مكر﴾ في آياتنا ﴿سعي في دفع القرآن والتكذيب به﴾ أي إذا أخصبوا بطروا فكذبوا بالقرآن ﴿قل الله أسرع مكرًا﴾ أي إن ما يأتيهم من العذاب أسرع في إهلاكهم مما أتوه من المكر في إبطال القرآن، قال مقاتل: فقتلهم الله يوم بدر وجازى

(١) القرظي ٢٠٥/٨.

(٢) البغوي ٣٤٧/٢.

(٣) في أ، ب (وبما يعلم أنه ليس ثم).

(٤) عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي من قحطان: أول من غير دين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان. كنية أبو

ثمامة. وفي نسبة خلاف شديد. ومن العلماء من يجزم بأنه مضرى من عدنان لحديث انفرد به أبو هريرة. وهو جد خزاعة عند كثير

من السنين، ورئيسها عند بعضهم. ومعظمهم يسميه عمرو بن عامر بن لحي ويقولون إنه نسب إلى جده. وفيهم من يسميه

(عمرو بن ربيعة) ويجعل لحي لقباً لربيعة.

(٥) البغوي ٣٤٨/٢ البحر المحيط ١٣٤/٥.

(٦) البغوي ٣٤٨/٢.

مكرهم في آياته بعقاب ذلك اليوم فكان أسرع في^(١) إهلاكهم من كيدهم في إهلاك محمد ﷺ وإبطال آياته، ثم أوعدهم بالجزاء في الآخرة بقوله: ﴿إِن رَّسَلْنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يعني بالرسول الحفظة]^(٢) قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يَسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ﴾ على الدواب ﴿و﴾ في ﴿الْبَحْرِ﴾ على السفن يقال: سيرته من مكان إلى مكان أي شخصته وقرأ «ابن عامر»: ينشركم^(٣) من النشر بعد الطي وحجته قوله: ﴿فَانْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفَلَكَ﴾ يعني السفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ عاد بعد المخاطبة إلى الإخبار عنهم، وقوله: ﴿بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ أي رخاء لينة ﴿وَفَرَحُوا بِهَا﴾ بتلك الريح للينها واستوائها ﴿جَاءَتْهَا﴾ جاءت الفلك ﴿بَرِيحٍ عَاصِفٍ﴾ شديدة الهبوب ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ﴾ وهو ما ارتفع من الماء ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ من البحر ﴿وَضَنُوا﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ أَحْبَطَ بِهَمِّ﴾ دنوا من الهلاك ﴿دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ قال ابن عباس^(٤): «تركوا الشرك، وأخلصوا لله الربوبية» وقالوا ﴿لَنْ نُنْجِيَنَّكَ مِنْ هَذِهِ﴾ الريح العاصف ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ الموحدين الطائعين ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يعملون فيها بالفساد والمعاصي والجرأة على الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يعني أهل مكة ﴿إِنَّمَا بِغِيكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي بغي بعضكم على بعض وما تتلونونه إنما تتمتعون به في الحياة الدنيا، فهو متاع في الدنيا ومن نصب فعلى المصدر^(٥) والمعنى: تتمتعون متاع الحياة الدنيا ويدل انتصاب المصدر على المحذوف، ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ نخبركم [في الآخرة]^(٦) بأعمالكم لأننا اثبتناها عليكم.

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْيَنْتَ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا وَعَلَيْهَا أَتَتْهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٢٥

قوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ضرب الله تعالى مثلاً للحياة في هذه الدار الفانية فشبها بمطر وهو قوله: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ يعني التف وكثر وتداخل بذلك الماء من كل نوع من المرعى والكلأ والبقول والحبوب والثمار وهو قوله: ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ قال ابن عباس^(٧): «زينتها وحسنها وخصبها» يعني حسن ألوان الزهر الذي يروق البصر، قال الزجاج^(٨): «الزخرف كمال حسن الشيء» وهو قوله: ﴿وَأَزْيَنْتَ أَيُّهَا أَهْلُهَا﴾ أي أهل تلك الأرض ﴿أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ أي على نباتها الذي أنبتته قال ابن عباس: «على حصادها وجذاذها وقطعها» ﴿أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ قال ابن عباس^(٩): «عذابنا» والمعنى: أمرنا بهلاكها ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾

(١) وقد دل أفعال التفضيل على أن مكرهم كان سريعاً ولكن مكر الله أسرع منه وإذا الفجائية يستفاد منها السرعة، لأن المعنى أنهم فاجئوا المكر: أي أوقعوه على جهة الفجاءة والسرعة وسميت عقوبة الله مكرًا من باب المشاكلة.

(٢) سقط في ب.

(٣) انظر النشر ٢٨٢/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٠٧/٢، البحر المحيط ١٣٧/٥.

(٤) البغوي ٣٤٩/٢ القرطبي ٢٠٧/٨.

(٥) انظر النشر ٢٨٣/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٠٧/٢، البحر المحيط ١٤٠/٥.

(٦) سقط في أ، ب.

(٧) انظر معاني القرآن ١٥/٣ البغوي ٣٥٠/٢ القرطبي ٢٠٩/٨.

(٨) انظر معاني القرآن ١٥/٣ البغوي ٣٥٠/٢ القرطبي ٢٠٩/٨، البحر المحيط ١٤٤/٥ البغوي ٣٥٠/٢.

(٩) القرطبي ٢٠٦/٨ البغوي ٣٥٠/٢.

حصيداً ﴿ محصوداً لا شيء فيها، والحصيد: المقطوع المستأصل ﴿كأن لم تغن بالأمس﴾ خلت كأن لم تكن أمس، ولم تقم على الصفة التي كانت فيما قبل من قولهم: غني القوم بالمكان إذا أقاموا به، والمراد الغلة التي أخرجتها الأرض، وما سبق من الكلام يدل على الغلة، وقال الزجاج^(١): «كأن لم تعمر بالأمس» قال: والمعاني المنازل التي يعمرها أهلها بالتزول بها ونحو هذا قال ابن قتيبة: «كأن لم تكن عامرة بالأمس» وعلى هذا المراد به الأرض وتأويل الآية: أن الحياة في الدنيا سبب لاجتماع المال وزهرة الدنيا مما يروق ويعجب حتى إذا استتم ذلك وكثر عند صاحبه وظن أنه ممتع به، سلب ذلك بموته أو بحدائثه تهلكه كما أن الماء سبب لانتفاف النبات، وكثرته حتى تتزين به الأرض، وتظهر بهجتها وظن الناس أنهم مستمتعون بذلك أهلكتها الله وردها إلى الفناء حتى كأن لم تكن قوله تعالى: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ أي يبعث الرسول ونصب الأدلة يدعو إلى الجنة ذكرنا ذلك عند قوله: ﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾^(٢) وقوله: ﴿ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ عم بالدعوة وخص بالهداية من شاء، لأن الحكم له في خلقه، يفعل ما يشاء .

أخبرنا أبو القاسم بن عبدان أنا محمد بن عبد الله بن نعيم القاضي، حدثني: طاهر بن يحيى البيهقي نا عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال^(٣) سمعت أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين وتلا هذه الآية ﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ فقال: حدثني جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال: «إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً فقال: اسمع سمعت أذنك، وأعقل عقل قلبك، وإنما مثلك ومثل أمك كمثل ملك اتخذ داراً، ثم جعل فيها مائدة ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من ترك فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد الرسول فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل منها^(٤)».

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾
وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّمَّا كَسَبُوا بِمِثْلِهَا وَتَرَهُمْ بِذُلٍّ مَّا هُمْ مِنَ اللَّهِ مِنَّ عَاصِرٍ كَانَمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ
قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾

قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾ قال ابن عباس^(٥): «لِلَّذِينَ قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْجَنَّةُ» ﴿وزيادة﴾ وهي النظر إلى

(١) معاني القرآن ١٥/٣ القرطبي ٢٠٩/٨ البغوي ٢٠٠/٢.

(٢) سورة الأنعام ١٢٧.

(٣) سعيد بن أبي هلال اللثي مولاهم أبو العلاء المصري يقال أصله من المدينة. روى عن جابر وأنس ومرسلاً، وزيد بن أسلم وأبي الرجال محمد بن عبد الرحمن وربيعة وأبي الزناد، وأبي حازم بن دينار وعمارة بن غزوة، وعمرو بن مسلم وعون مسلم وعون بن عبد الله وقتادة والقاسم بن مرة وربيعة بن سيف وجعفر بن عبد الله بن الحكم وعبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع والزهري وخلق قال أبو حاتم لا بأس به انظر التهذيب (٩٤/٤).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٣٩/٢ وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) البحر ١٤٧/٥ القرطبي ٢١٠/٨ البغوي ٣٥١/٢ ابن كثير ١٩٨/٤ وحكاه عن أبي بكر وحذيفة وعبد الله بن عباس وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط ومجاهد وعكرمة وعامر بن سعد وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق فتح القدير ٤٤١/٢.

وجه الله في قول أبي بكر الصديق^(١) وأبي موسى الأشعري وحذيفة وابن عباس وقتادة والضحاك والسدي ونحو ذلك فسرها النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي أخبرناه أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ^(٢) أنا عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ نا أبو يعلى ، وعبدان الجواليقي^(٣) وأبو بكر بن أبي عاصم قالوا: حدثنا هدية قال أبو يعلى: وحدثنا حوثة بن أشرس قال: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم تثقل موازيننا؟ وتبيض وجوهنا وتدخلنا الجنة وتنجيننا من النار فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله عز وجل فما من شيء أعطوه هو أحب إليهم من النظر إليه وهو الزيادة» هذا حديث هدية وفي حديث حوثة قال الحسن بن يزيد: النظر إلى وجه الله ﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة﴾ بعد نظرهم إليه عز وجل قال حوثة في أثر هذا الحديث: كنا نسمع حماداً يحدث بهذه الأحاديث على رؤوس الناس فلا ينكرونها حتى جاء قوم يزعمون أن الله عز وجل لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة وكذبوا رواه مسلم^(٤) عن هدية بن خالد.

وقوله: ﴿ولا يرهق وجوههم﴾ أي لا يغشاها يقال: رهقه ما يكره أي: غشيه، ومصدره الرهق قال ابن عباس^(٥): ولا يصيب وجوههم قتر يعني سواد الوجوه من الكآبة قال عطاء^(٦): «يريد دخان جهنم» ﴿ولا ذلة﴾ كما تصيب أهل جهنم قوله: ﴿والذين كسبوا السيئات﴾ قال ابن عباس^(٧): «عملوا الشرك» ﴿جزاء سيئة بمثلها﴾ قال الفراء^(٨): «فلهم جزاء السيئة بمثلها»، والمعنى: أنهم يجزون بمثل ما عملوا ﴿وترهقهم ذلة﴾ يصيبهم الذل والخزي والهوان ﴿وما لهم من الله من عاصم﴾ ما لهم من عذاب الله من مانع يمنعهم ﴿كأنما أغشيت﴾ ألبست ﴿وجوههم قطعاً من الليل﴾ طائفة من الليل وبعضاً منه ﴿مظلماً﴾ قال الفراء والزجاج^(٩): «هو نعت لقوله قطعاً» والمعنى: وصف وجوههم بالسواد حتى كأنها ألبست سواداً من الليل ومن قرأ قطعاً^(١٠) مفتوحة الطاء فهي جمع قطعة ومظلماً على هذه القراءة حال من الليل، المعنى: أغشيت وجوههم قطعاً من الليل في حال ظلمته.

(١) ابن أبي عاصم في السنة ٢٠٦/١ والبغوي ٣٥١/٢ القرطبي ٢١٠/٨ البحر المحيط ١٤٧ الدر المنثور ٣٠٥/٢ فتح القدير ٤٤١/٢.

(٢) الحافظ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة البغدادي الحافظ له مسائل سأل عنها أحمد بن حنبل أيام قطعته التحديث وحدث عن إسماعيل بن مسعود الجحدري ومحمد بن مسكين اليمامي ومحمد بن حرب النسائي وطبقتهم. قال أبو الحسين بن المنادي: كان من الضبط والحذق على نهاية مات في محرم سنة ثلاث وتسعين ومائتين رحمه الله تعالى. انظر تذكرة الحافظ (٢/٧٤٥-٧٤٦).

(٣) الإمام أبو محمد بن عبد الله بن أحمد بن موسى الأهوازي الجواليقي الحافظ الثقة صاحب التصانيف توفي في آخر السنة وله تسعون سنة وأشهر الشذرات (٢/٢٤٩).

(٤) أخرجه مسلم ١٦٣/١ في كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم (٢٩٧) والترمذي ٢٦٧/٥ في كتاب التفسير سورة يونس باب (١١) وأخرجه ابن ماجه في السنن ٦٧/١ في المقدمة (١٨٧) والطبري في التفسير ٦٧/١٥.

(٥) البغوي ٣٥١/٢ البحر المحيط ١٤٧/٥ القرطبي ٢١١/٨ ابن كثير ٢٠٠/٤ الدر المنثور ٣٠٦/٣.

(٦) البغوي بنحوه ٣٥١/٢ البحر المحيط ١٤٧/٥ القرطبي ٢١١/٨.

(٧) القرطبي ٢١٢/٨.

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٤٦١/١.

(٩) معاني القرآن للفراء ٤٦٢/١ والزجاج ١٦/٣.

(١٠) انظر حجة القراءات وانظر النشر ٢٨٣/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٠٨/٢.

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَلَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا مَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلَأُونَ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا

أَسْلَفَتْ وَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾

قوله: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾ قال ابن عباس ومقاتل^(١): ويوم نجتمع المشركين وشركاءهم والكفار والبهتة ﴿ثم نقول للذين أشركوا مكانكم﴾ قال الزجاج^(٢): «مكانكم منصوب على الأمر، كأنهم قيل لهم: الزموا أنتم وشركاءكم مكانكم حتى يفصل بينكم» ومعنى ﴿وشركاءكم﴾ أي الذين جعلتموهم شركاء في العبادة ﴿فزللنا﴾ فرقنا وميزنا بينهم قال المفسرون^(٣): «فرقنا بين المشركين وبين شركائهم من الأوثان والأصنام، وذلك حين يتبرأ كل معبود من دون الله ممن عبده» وهو قوله: ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ قال ابن عباس^(٤): «أنكروا عبادتهم» وذلك أن الله تعالى ينطق الأوثان، فتقول: ما كنا نشعر بأنكم إيانا تعبدون ﴿فكفل بالله﴾ الآية، هذا كلام معبوديهم لما تبرأوا منهم قالوا: يشهد الله على علمه فينا، ما كنا عن عبادتهم إلا غافلين، لأنه لم تكن فينا روح وما كنا نسمع ولا نبصر. ﴿هنالك﴾ أي: في ذلك الوقت ﴿تبلأون﴾ تختبر ﴿كل نفس ما أسلفت﴾ قدسب من خير أو شر وذلك أن من قدم خيراً أو شراً جوزي عليه فيختبر الخير، ويجد ثوابه ويختبر الشر، ويجد عقابه، وقرئ تلبو بتاءين^(٥)، ومعناه: تقرأ كتابها وما كتب من أعمالها التي قدمتها ﴿وردوا إلى الله﴾ إلى حكمه، فينفرد فيهم بالحكم ﴿مولاهم الحق﴾ الذي يتولى ويملك أمرهم ﴿وضل﴾ أي: وزال وبطل ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾ في الدنيا من التكذيب.

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأُمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِّي تُصَرِّفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلِ اللَّهُ يَسْبُدُّ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فَإِنِّي تُؤْفِكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُنَبِّعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

قوله: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض﴾ يريد من ينزل القطر من السماء ويخرج النبات من الأرض ﴿أمن يملك السمع والأبصار﴾ أي: من يملك خلق السمع والأبصار ﴿ومن يخرج الحي من الميت﴾ أي: المؤمن من الكافر، والنبات من الأرض، والإنسان من النطفة، والطيور من البيضة، والسنبلة من الحب، والنخلة من النواة

(١) انظر تفسير القرطبي ٢١٢/٨.

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٦/٣.

(٣) البغوي ٣٥٢/٢ والقرطبي ٢١٢/٨ - ٢١٣.

(٤) البغوي ٣٥٢/٢ القرطبي ٢١٣/٨ البحر المحيط ١٥١/٥.

(٥) النشر ٢٨٣/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٠٨/٢.

وعلى الضد من ذلك ﴿ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر﴾ أمر الدنيا والآخرة ﴿فسيقولون الله﴾ أي: الله الذي يفعل هذه الأشياء، وذلك أنهم علموا أن الرزاق والمدير هو الله فإذا أقرؤا بعد الاحتجاج ﴿فقل أفلا تتقون﴾ قال ابن عباس^(١): «أفلا تخافون الله فلا تشركوا به شيئاً» ﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾ قال ابن عباس^(٢): «يريد هذا الذي كله فعله هو الحق، ليس هؤلاء الذين جعلتم معه شركاء لا يملكون شيئاً من هذا» وقوله: ﴿فإذا بعد الحق إلا الضلال﴾ قال مقاتل^(٣): «يعني بعد عبادة الله إلا الضلال يعني عبادة الشيطان» ﴿فأني تصرفون﴾ قال ابن عباس^(٤): «كيف تصرف عقولكم إلى عبادة ما لا يرزق، ولا يحيي ولا يميت» وقوله: ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك الصرف ﴿حققت كلمة ربك على الذين فسقوا﴾ يعني خرجوا في الكفر إلى أفحشه ﴿أنهم لا يؤمنون﴾ وهو قوله: ﴿وأما الذين فسقوا﴾ الآية، وغيرها من آي الوعيد للكفار، ﴿قل هل من شركائكم﴾ الذين تعبدونهم مع الله ﴿من يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ يخلق أولاً ثم يعيده ثانياً، ﴿قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأني توفكون﴾ فيكيف تصرفون عن الحق؟ ﴿قل هل من شركائكم﴾ يعني آفتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ﴿من يهدي إلى الحق﴾ يرشد إلى دين الإسلام ؟ ﴿قل الله يهدي للحق﴾ أي: إلى الحق ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي﴾ أي: إن الله الذي يهدي ويرشد إلى الحق أهل الحق أحق أن يتبع أمره، أم الصنم الذي لا يهدي أحداً، ولا يهتدي إلى الخير وقرئ^(٥) يهدي ويهدي ويهدي، ويهدي، وكلها يفتعل وإن اختلفت ألفاظها وأصلها يهتدي فادغمت التاء في الدال، فمن فتح الهاء ألقى عليه حركة التاء المدغم ومن كسر الهاء، فلأنها كانت ساكنة واجتمعت مع الحرف المدغم، الساكن، فحرك الهاء بالكسر، لالتقاء الساكنين، ومن سكن الهاء جمع بين الساكنين، ومن كسر الياء والهاء، اتبع الياء ما بعدها من الكسر قال الزجاج: «وهورديء، لثقل الكسر في الياء^(٦)»، فأما معنى: لا يهتدي إلا أن يهدي، فالأصنام وإن هديت لا تهتدي، لأنهم موات من حجارة، ولكن الكلام يدل على أنها إن هديت اهتدت لأنهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها، كما يعبر عمن يعلم ويعقل ووصفت صفة من يعقل، وإن لم تكن في الحقيقة كذلك، قوله: ﴿فما لكم﴾ قال الزجاج^(٧) «ما لكم كلام تام، كأنهم قيل لهم: أي شيء لكم في عبادة الأصنام» ثم قيل لهم ﴿كيف تحكمون﴾ قال مقاتل^(٨): «كيف تقضون حين زعمتم أن مع الله شريكاً؟» ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظناً﴾ ما يستيقنون أنها آلهة بل يظنون شيئاً، فيتبعون ظناً لأنهم لم يأتهم بذلك كتاب ولا رسول ﴿إن الظن لا يغني عن الحق شيئاً﴾ لا يدفع من عذاب الله شيئاً، أي ظنهم أن الأصنام آلهة، وأنها تشفع لهم، لا يغني عنهم شيئاً، قال عطاء^(٩): «يريد ليس الظن كاليقين، يعني: يقوم مقام العلم» وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَاهُ قُلُوبَهُمْ قُلُوبَهُمْ قُلُوبَهُمْ فَآتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ

(١) البغوي ٣٥٢/٢ القرطبي ٢١٤/٨ البحر المحيط ١٥٤/٥ ابن كثير ٢٠٣/٤.

(٢) البغوي ٣٥٢/٢ ابن كثير ٢٠٣/٤.

(٣) القرطبي ٢١٤/٨.

(٤) البغوي ٣٥٢/٢.

(٥) النشر ٢٨٣/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٠٩/٢.

(٦) وقول الزجاج وهورديء قول فيه إساءة أدب حيث أن القراءات من القراءات العشر المتواترة فلا يلتفت إلى ما قال.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٠/٣.

(٨) البغوي ٣٥٣/٢ القرطبي ٢١٩/٨.

(٩) القرطبي ٢١٩/٨.

كلاعى من بغضه لك، وكرهية ما يراه من آياتك قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾ لما ذكر الله تعالى في الآيتين السابقتين فريقين ووصفهما بالشقوة ينظرون، ولا يسمعون ولا يعقلون، ولا يؤمنون، وذلك للقضاء السابق عليهم أخبر في هذه الآية أن تقدير الشقوة عليهم ما كان ظلماً منه لأنه يتصرف في ملكه كيف يشاء وهم إذا كسبوا المعاصي فقد ظلموا أنفسهم، وهو قوله: ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ وذلك أن الفعل منسوب إليهم وإن كان القضاء من الله سبحانه ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار﴾ قال ابن عباس^(١): «كأن لم يلبثوا في قبورهم إلا قدر ساعة من النهار» وقال الطحاك^(٢): «قصر عندهم مقدار الوقت الذي بين موتهم وبعثهم فصار كالساعة من النهار، لهول ما استقبلوا من أمر البعث والقيامة» «يتعارفون بينهم» بتويخ بعضهم بعضاً، يقول كل فريق للآخر: أنت أضللتني يوم كذا، وأنت كسبتني دخول النار بما علمتني، وزينته لي ﴿قد خسر الذين كذبوا بقاء الله﴾ خسر ثواب الجنة الذين كذبوا بالبعث.

وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّئَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُمْ بَيِّنَاتٌ أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتُمْ إِذَا مَآوِعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ ءَأَلْتُمْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾

قوله: ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ قال المفسرون^(٣): «كانت وقعة بدر ما أراه الله حال حياته مما وعد المشركين من العذاب» ﴿أو نتوفئك﴾ قبل أن نريك ﴿فإلينا مرجعهم﴾ بعد الموت فنجزهم بأعمالهم، قال الزجاج^(٤): «أعلم الله أنه إن لم ينتقم منهم في العاجل، ينتقم منهم في الأجل» وقوله: ﴿ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾ أي: من محاربتك، وتكذيبك قوله: ﴿ولكل أمة رسول﴾ قال ابن الأنباري «رسول يرسله الله إليهم سفيراً بينه وبينهم، مبشراً ومنذراً» فإذا جاءهم الرسول في الدنيا^(٥)، ﴿قضي بينهم بالقسط﴾ حكم عليهم عند اتباع المؤمنين وعناد الكافرين بالمعصية والطاعة والضلالة والهدى ﴿وهم لا يظلمون﴾ قال عطاء^(٦): «لا ينقص الذين صدقوا من ثوابهم ولا يزداد الذين كذبوا من مساوىء أعمالهم» ولما أخبرهم النبي ﷺ بقوله ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ قالوا: متى هذا العذاب [الذي تعدنا؟ وهو قوله: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ أنت وأتباعك]؟ ﴿قل لا أملك لنفسي﴾ هذا الآية إلى آخرها مفسرة في آيتين من سورة الأعراف.

قوله: ﴿قل أرايتم إن أتاكم عذابه بيئاتاً أو نهاراً﴾ قال الزجاج^(٨): «البيات كل ما كان ليل» يقول: أعلمتم

(٥) انظر فتح القدير ٢/٤٤٩.

(١) البغوي ٢/٣٥٥، القرطبي ٨/٢٢٢.

(٦) انظر تفسير البغوي ٢/٣٥٦، القرطبي ٨/٢٢٣ فتح القدير ٢/٤٤٩.

(٢) البغوي ٢/٣٥٥، القرطبي ٨/٢٢٢.

(٧) سقط في أ.

(٣) البغوي ٢/٣٥٦، القرطبي ٨/٢٢٢ البحر المحيط ٥/١٦٤.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٤.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٣.

أيها المستعجلون للعذاب إن أتاكم العذاب ليلاً أو نهاراً ﴿ماذا يستعجل منه [المجرمون]﴾ أي: ماذا يستعجلون منه؟^(١) وهو استفهام معناه: التفتيح والتهويل، كما يقول لمن هو في أمر يستوخم عاقبته: ماذا تجني على نفسك؟ وهو جواب لقولهم: متى هذا الوعد؟ وقوله: ﴿أنتم إذا ما وقع ءامتم به﴾ كان المشركون يقولون: نكذب العذاب ونستعجله، ثم إذا ما وقع، آمنا به، فقال الله تعالى موبخاً لهم: ﴿أنتم إذا ما وقع﴾ العذاب، وحل بكم، آمتم به؟ فلا يقبل منكم الإيمان، ويقال لكم: ﴿الآن﴾ تؤمنون ﴿وقد كتمت به تستعجلون﴾؟ مستهزئين معاندين للحق، وهو قوله: ﴿ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد﴾ الآية، وذلك: أن العذاب إذا لحق الكافرين أفضوا منه إلى عذاب الآخرة.

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قَوْلٌ إِى وَرَبِّىَ إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ۝٥٣ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٥٤ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝٥٥ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٦ هُوَ يُحْيِى وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٥٧﴾

قوله عز وجل: ﴿ويستنبئونك أحق هو﴾ أي: البعث والعذاب، أي: يستخبرونك عن ذلك ﴿قل إي وربى﴾ قال الزجاج^(٢): «نعم وربى» ﴿إنه لحق﴾ إن العذاب نازل بكم ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ بعد الموت، قال ابن عباس: ^(٣) «يريد أن الله لا يعجزه شيء ولا يفوته» ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت﴾ أشركت ﴿ما فى الأرض لافتدت به﴾ لبدلته لدفع العذاب عنها ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ أي: أخفى الرؤساء فى الكفر الندامة من الذين أضلوه، وستروها عنهم، هذا قول عامة المفسرين وأهل التأويل^(٤) وقال أبو عبيدة^(٥): الإسرار من الأضداد يقال: أسررت الشيء أخفيتها، وأسررته أعلنته، قال: ومن الإعلان قوله: ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ أي أظهرها واختار المفضل هذا القول، وقال ليس ذلك اليوم يوم^(٦) تصبر ولا تصنع^(٧) ﴿وقضى بينهم بالقسط﴾ أي: بين الرؤساء ﴿وهم لا يظلمون﴾ لأنهم يجازون بشرهم قوله: ﴿ألا إن لله ما فى السموات والأرض ألا إن وعد الله حق﴾ قال ابن عباس: «يريد ما وعد لأوليائه من الثواب ولأعدائه من العقاب» ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يريد المشركين.

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِى الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ فِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾

﴿يا أيها الناس﴾ قال ابن عباس^(٨): «يعنى قريشاً» ﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم﴾ يعنى القرآن، وما فيه من المواعظ التى تدعو إلى الصلاح، ﴿وشفاء لما فى الصدور﴾ أي: دواء لداء الجهل، والقرآن مزيل للجهل وكاشف لعمى القلب ﴿وهدى﴾ وبيان للضلالة ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ ونعمة من الله تعالى لأصحاب محمد ﷺ، قوله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته﴾

(١) سقط فى أ.

(٢) معانى القرآن للزجاج ٢٥/٣.

(٣) البغوي ٢/٣٥٧، البحر المحيط ٥/١٦٩ القرطبي ٨/٢٢٤.

(٤) البغوي ٢/٣٥٧ أبو حيان ٥/١٦٩ القرطبي ٨/٢٢٥.

(٥) البغوي ٢/٣٥٧ البحر ٥/١٦٩ القرطبي ٨/٢٢٥.

(٦) فى ج (ندم بضر ولا ينع).

(٧) أبو حيان ٥/١٦٩ القرطبي ٨/٢٢٥.

(٨) أبو حيان ٥/١٧٠ القرطبي ٨/٢٢٥.

فبذلك فليفرحوا ﴿٥٩﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة: فضل الله الإسلام ورحمته القرآن وهذا قول عامة المفسرين. (١)

أخبرنا أبو بكر الحارثي أنا أبو الشيخ حافظ أنا أبو يحيى عبد الرحمن بن محمد الرازي نا سهل بن عثمان نا أبو معاوية عن الحجاج عن عطية عن أبي سعيد الخدري في قوله ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾ قال: فضل الله القرآن ورحمته أن جعلهم من أهله (٢).

﴿وهو خير مما﴾ يجمع الكفار من الدنيا، ثم أمره أن يخاطب كفار مكة بقوله:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَلَا إِنَّ اللَّهَ أَدَّبَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزَنُونَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّتِيلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾

﴿قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق﴾ يعني ما خلف وأنشأ، ﴿فجعلتم منه حراماً وحلالاً﴾ يعني ما حرموا من الحرث والأنعام لألهتهم ﴿قل ءالله أذن لكم﴾ في هذا التحريم والتحليل ﴿أم على الله تفترون﴾ بل تقولون على الله الكذب وذلك أنهم كانوا يقولون: الله أمرنا بها، قوله: ﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة﴾ قال مقاتل (٣): «وما ظن الذين يتقولون على الله الكذب، بأن الله أمرهم بتحريم ما حرموا يوم القيامة إذا لقوه»، ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ حين لم يعجل بعقوبة افتراءهم ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ تأخير العذاب عنهم، قوله: ﴿وما تكون في شأن﴾ قال الحسن (٤):

(١) البغوي ٣٥٨/٢ القرطبي ٢٢٦/٨ أبو حيان ١٧١/٥ انظر الدر المنثور ٣٠٨/٣.

(٢) الطبري في التفسير ٢٠/١٥ وانظر البحر المحيط ١٧١/٥ القرطبي ٢٢٦/٨ البغوي ٣٥٨/٢ وذكره الشوكاني في الفتح ٥٥٤/٢ وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في الشعب.

(٣) أبو حيان في البحر ١٧٣/٥.

(٤) بنحوه عند البغوي ٣٥٩/٢ القرطبي ١٢٧/٨.

« في شأن من شأن الدنيا وحوائجك فيها » ﴿وما تتلو منه﴾ أي من الله تعالى أي : نازل منهم ﴿ من قرآن﴾ والخطاب للنبي ﷺ وأمته داخلون في هذا الخطاب لأن خطاب الرئيس خطاب له ولأتباعه يدل على هذا قوله: ﴿ولا تعملون من عمل﴾ قال ابن الأنباري: «جمع في هذا، ليدل على أنهم داخلون في الفعلين الأولين» ﴿إلا كنا عليكم شهوداً﴾ قال الفراء^(١): «يقول الله شاهد على كل شيء»، والمعنى: إلا نعلمه فنجازيكم به، ﴿إذ تفيضون فيه﴾ الإفاضة الدخول في العمل قال ابن الأنباري^(٢): «إذ تندفعون فيه» وقال ابن عباس^(٣): «إذ تأخذون فيه ﴿وما يعزب عن ربك﴾ والعزوب البعد والذهاب، يقال: «عزب عنه الشيء إذا غاب وذهب» ﴿من مثقال ذرة﴾ أي وزن ذرة، ومثقال الشيء ما وزنه، والذرة صغار النمل، الواحدة ذرة ﴿في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر﴾ قال الفراء^(٤): «من نصها فلأنما يريد الخفض، يتبعها المثقال والذرة، ومن رفعها أتبعها معنى المثقال لأنك لو أقيمت من المثقال «من» كان رفعا، وهو كقولك: ما أتاني أحد عاقل وكذلك قوله: ﴿ما لكم من إله غيره﴾ وغيره» ﴿إلا في كتاب مبين﴾ قال ابن عباس^(٥): «يريد اللوح المحفوظ» قوله: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الخشاب^(٦) أنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحيري أنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار نا عبد الله بن عمر^(٧) نا أبو عبد الرحمن^(٨) نا يحيى بن اليمان عن أشعث بن إسحاق عن جعفر بن المغيرة^(٩) عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ قال: «هم الذين يذكر الله لرؤيتهم»^(١٠).

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أنا محمد بن جعفر بن هيثم الأنباري نا جعفر بن محمد بن شاذان الصائغ نا أبو غسان وعاصم قالا: حدثنا قيس نا عمارة بن القعقاع^(١١) عن ابن زرعة بن عمرو عن عمر بن الخطاب قال:

(١) انظر معاني الفراء ٤٧٠/١.

(٢) البغوي ٣٥٩/٢ نقلا عن ابن الأنباري.

(٣) انظر البغوي ٣٥٩/٢ والقرطبي بلفظه ٢٢٧/٨ أبو حيان ١٧٤/٥.

(٤) انظر النشر ٢٨٥/٢ إتحاف فضلاء البشر ١١٧/٢ وأنظر القرطبي ٢٢٨/٨ البحر المحيط ١٧٤/٥.

(٥) البغوي ٣٥٩/٢ القرطبي ٢٢٨/٨ وانظر تفسير البحر ١٧٤/٥.

(٦) بفتح الخاء والشين المعجمة وفي آخرها الباء المنقوطة بواحدة هذا اسم لمن يبيع الخشب الأنساب (٣٦٦/٢).

(٧) الحافظ المجدد محدث مرو أبو عبد الرحمن عبد الله ابن الحافظ عمر بن أحمد بن علك الجوهري المروزي. سمع أباه ومحمد بن أيوب بن الضريس والفضل بن محمد الشعراني وعبد الله بن أحمد بن حنبل وأبا عبد الله البوشنجي وعبد الله بن ناجية وطبقتهم ورحل به أبوه. حدث عنه: أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي في (الألقاب)، وأبو بكر البرقاني وأبو عبد الله الحاكم وجماعة. قال الخليلي: مات بعد سنة ستين وثلاث مئة. ثم قال: هو حافظ متفق عليه. انظر السير (١٦٨/١٦) تذكرة الحفاظ (٩٢٩/٣) الشذرات (٣٧/٣).

(٨) عبد الله بن حبيب بن ربيعة بالتصغير أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي القاري ولأبيه صحبة. انظر التهذيب (١٨٣/٥).

(٩) جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي القمي روى عن سعيد بن جبيرة وعكرمة، روى عنه مطرف بن طريف وأبو السوداء وأشعث بن إسحاق القمي وثعلبة بن سهيل ويعقوب بن عبد الله الأشعري وأشعث بن سوار. انظر الجرح والتعديل (٤٩٠/٢ - ٤٩١).

(١٠) أخرجه الطبراني كما في المعجم (٣٩/٧) وقال الهيثمي رواه الطبراني عن شيخه الفضل ولم أعرفه وبقيته رجاله ثقات وأخرجه الطبري بإسناد مرسل في التفسير (١١٩/١٥).

(١١) عمارة بن القعقاع بن شبرمة الضبي الكوفي ابن أخي عبد الله بن شبرمة وكان أكبر من عمه. روى عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير وعبد الرحمن بن أبي نعيم البجلي والحرث العكلي والأخمس بن خليفة الضبي وعنه الحرث العكلي شيخه وابنه القعقاع بن

قال رسول الله ﷺ «إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى» فقالوا: يا رسول الله، من هم؟ وما أعمالهم؟ لعلنا نجهم، قال: «قوم تحابوا بروح الله بغير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها بينهم، والله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم قرأ: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾^(١) قوله: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ قال ابن عباس^(٢): «يريد الذين صدقوا النبي ﷺ، وخافوا مقامهم بين يدي الله تعالى» قوله: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المزكي أنا أبو عمرو بن جعفر بن مطر نا إبراهيم بن علي نا يحيى بن يحيى نا عبد الله بن يحيى ابن أبي كثير^(٣) قال: سمعت أبي يقول: نا أبو سلمة عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله ﷺ فقال رأيت قول الله تعالى ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ ما هذه الدنيا؟ قال: «لقد سألتني عن شيء ما سألتني أحد من أمتي قبلك هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له»^(٤).

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري نا محمد بن يعقوب بن يوسف نا بحر بن نصر نا ابن وهب نا خبرني عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمح حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لهم البشرى في الحياة الدنيا» الرؤيا الصالحة يبشر بها المؤمن، جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، فمن رأى ذلك فليخبر بها ومن رأى سوى ذلك فإنما هي من الشيطان ليحزنه فلينفث عن يساره ثلاثاً وليسكت، ولا يخبر بها أحداً»^(٥) وقال عطاء^(٦) عن ابن عباس: «لهم البشرى في الحياة الدنيا، يريد عند الموت تأتيهم ملائكة الرحمة بالبشرى من الله وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن يبشر برضوان الله». وهذا قول قتادة والضحاك والزهري^(٧): قالوا: «البشارة عند الموت» وقال الحسن^(٨): «ما بشر الله عز وجل في كتابه من جنته وكريم ثوابه في قوله: ﴿وبشر الذين

= عمارة والأعمش وفضيل بن غزوان وابنه محمد بن فضيل وعبد الواحد بن زياد والسفيانان وشريك وغيرهم. انظر التهذيب (٤٢٣/٧).

(١) أخرجه الطبري في التفسير عن أبي هريرة ١٢٠/١٥ - ١٢١ (١٧٧١٣) (١٧٧١٤) وقال الحافظ ابن كثير هذا إسناد جيد إلا أنه منقطع بين أبي زرعة وعمر بن الخطاب. وانظر تفسير القرطبي ٢٢٨/٨.

(٢) انظر تفسير البحر المحيط ١٧٥/٥ قلت والذي تقتضيه الشريعة في الولي أن من آمن واتقى فهو داخل في أولياء الله وإياك من مذاهب الصوفية وبعض الملحدين في الولي عافانا الله وإياك. آمين آمين..

(٣) يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم أبو نصر اليمامي واسم أبيه صالح بن المتوكل، وقيل يسار، وقيل نشيط، وقيل دينار. روى عن أنس وقد رآه وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وهلال بن أبي ميمونة ومحمد بن إبراهيم التيمي، ويعلى بن حكيم ومحمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زارة، ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان وأبي قلابة الجرمي وأبي نضرة العبدي وزيد بن سلام، وضمضم بن جوشن وعبد الله بن أبي قتادة وخلق التهذيب (٢٦٨/١١).

(٤) أخرجه أحمد في المسند ضمن مسند عبادة بن الصامت ٣١٥/٥ والحاكم في المستدرک ٣٤٠/٢ في التفسير وصححه، ووافقه الذهبي وأخرجه الطبري في التفسير ١٢٩/١٥ - ١٣٠ وذكره ابن كثير في التفسير ٢١٥/٤.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٢١٩/٢ وذكره الهيثمي في المجمع ٣٩/٧ وقال رواه أحمد من طريق ابن لهيعة عن دراج وحديثهما حسن وفيهما ضعف وبقية رجاله ثقات.

(٦) البغوي ٢/٣٦٠ أبو حيان ١٧٥/٥ القرطبي ٢٢٩/٨.

(٧) البغوي ٢/٣٦٠ أبو حيان ١٧٥/٥ القرطبي ٢٢٩/٨.

(٨) البغوي ٢/٣٦٠ أبو حيان ١٧٥/٥ القرطبي ٢٢٩/٨.

ءامنوا^(١) ﴿١﴾ وبشر المؤمنين ﴿٢﴾ ﴿وأبشروا بالجنة﴾^(٣) وهذا اختيار الفراء والزجاج^(٤) قالوا: ويدل على صحة هذا قوله ﴿لا تبدل لكلمات الله﴾ قال ابن عباس^(٥): «لا خلف لمواعيده، وذلك أن مواعيده بكلماته فإذا لم تبدل كلماته لم تبدل مواعيده» قوله تعالى: ﴿ولا يحزنك قولهم﴾ ولا يحزنك إنكارهم وتكذيبهم وتظاهرهم عليك في العداوة، وتم الكلام، ثم ابتداء فقال: ﴿إن العزة لله جميعاً﴾ أي: الغلبة له، وهو ناصرك، وناصر دينك، والمعنى: أنه الذي يعزك، حتى تصير أعز ممن ناوأك ﴿هو السميع العليم﴾ يسمع قولهم، ويعلم ضميرهم فيجازيهم بما يقتضيه حالهم ﴿ألا إن الله من في السموات ومن في الأرض﴾ أي إنه يفعل بهم وفيهم ما يشاء ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾ أي ما يتبعون شركاء على الحقيقة لأنهم يعدونها شركاء لله شفعاء لهم وليست على ما يظنون ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ يعني ظنهم أنها تشفع لهم يوم القيامة ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ ما هم إلا كاذبون فيما يزعمون، قوله: ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ أي: ليزول التعب والكلال بالسكون فيه ﴿و﴾ جعل ﴿النهار مبصراً﴾ مضيئاً لتهتدوا به في حوائجكم ﴿إن في ذلك﴾ الذي فعل ﴿آيات لقوم يسمعون﴾ سماع اعتبار أنه مما لا يقدر عليه إلا عالم قادر.

قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِّن سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أَنْتَقُولُوكَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِيَّاكَ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿قالوا اتخذ الله ولداً﴾ يعني زعم المشركون أن الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ تنزيها له عما قالوا ، ﴿هو الغني﴾ أن تكون له زوجة وولد ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ عبداً أو ملكاً ﴿إن عندكم من سلطان بهذا﴾ ما عندكم من حجة بما تقولون، ثم أنكروا عليهم ذلك، فقال: ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ لا يسعدون في العاقبة وإن اغتروا بطول السلامة ﴿متاع في الدنيا﴾ أي: لهم متاع في الدنيا، يتمتعون به أياماً يسيرة ﴿ثم إلينا مرجعهم﴾ في الآخرة ﴿ثم نذيقهم العذاب الشديد﴾ الغليظ الذي لا ينقطع ﴿بما كانوا يكفرون﴾.

﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَّقُوا إِنْ كَانَ كِبْرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٦٨﴾ فَإِنْ نَوَّيْتُمْ مِمَّا سَأَلْتُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمِن مَّعَهُ فِي السَّمَاءِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

(١) سورة البقرة ٢٥.

(٢) سورة التوبة ١١٢.

(٣) سورة فصلت ٣٠.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٤٧١/١ الزجاج ٢٦/٣.

(٥) القرطبي ٢٢٩/٨ البغوي ٣٦٠/٢ أبو حيان ١٧٥/٥.

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا السِّحْرُ مُبِينٌ ﴿٧٣﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٤﴾

قوله: ﴿واتل عليهم نبأ نوح﴾ أي: اقرأ واقصص على قومك خبر نوح وقصته مع قومه وذلك لما فيه من الدليل للنبي ﷺ على نبوته، ولقومه من الاعتبار بقوم نوح وما حل بهم من العقوبة والتكذيب وقوله ﴿إذ قال لقومه﴾ يعني نوح ﴿يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي﴾ عظم ونقل وشق عليكم إقامتي بين أظهركم ولبثي فيكم ﴿وتذكيري بآيات الله﴾ قال ابن عباس (١): «وعظي وتخويفي إياكم عقوبة الله»، ﴿فعلى الله توكلت﴾ في نصرتي، ودفع شركم عني ﴿فاجمعوا أمركم﴾ معنى الإجماع العزم على أمر محكم لا يخالف وقوله: ﴿وشركاءكم﴾ قال الفراء: «وادعوا شركاءكم دعاء استغاثة بهم»، وكذلك في قراءة عبد الله (٢) وقال الزجاج (٣): «الواو بمعنى مع، والمعنى فاجمعوا أمركم مع شركائكم» ﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة﴾ أي: مبهماً ليكن أمركم ظاهراً منكشفاً لا تسترون معاداتي ﴿ثم اقضوا إلي﴾ ثم أمضوا إلي بمكروهكم، وما توعدونني به ومعنى: قضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه، والفراغ منه وهذا إخبار عن نوح أنه كان ينصر الله واثقاً من كيد قومه غير خائف ﴿فإن توليتهم﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿فما سألتكم من أجر﴾ أي لم يكن دعائي إياكم طمعاً في مالكم ﴿إن أجري﴾ ما ثوابي ﴿إلا على الله﴾ قوله: ﴿وجعلناهم خلائف﴾ جعل الله الذين نجوا مع نوح من الفرق خلفاً ممن هلك، كما قال: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ وذلك أن الناس كانوا من ذريته بعد الفرق وهلك أهل الأرض جميعاً بتكذيبهم لنوح عليه السلام سوى ذريته الذين نجوا معه، وذلك قوله: ﴿وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ الآية، قوله: ﴿ثم بعثنا من بعده﴾ أي من بعد نوح ﴿رسلاً إلى قومهم﴾ قال ابن عباس: «يريد إبراهيم وهوداً، وصالحاً ولوطاً وشعيباً﴾ فجاءهم بالبينات ﴿بأنهم رسل الله﴾ ﴿فما كانوا﴾ أ: أولئك الأقوام الذين بعث إليهم الرسل ﴿ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾ يعني: قوم نوح، أي لم يصدقوا بما كذب به قوم نوح وكانوا مثلهم في الكفر والعتو ﴿كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾ قال ابن عباس: «يريد أن الله طبع على قلوبهم فأعمها، فلا يبصرون سبيل الهدى» وما بعد هذا ظاهر التفسير إلى قوله:

قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾

﴿قالوا أجيئنا لتلقتنا عما وجدنا عليه آباءنا﴾ اللفت: الصرف عن الشيء يقال: لفته عن رأيه أي: لواه وصرفه عنه والمعنى لتصرفنا عن دين آبائنا ﴿وتكون لکم الكبرياء في الأرض﴾ قال المفسرون (٤): «أي الملك والعز في أرض مصر، والخطاب لموسى وهارون» أي إنما تطلبان التملك علينا ﴿وما نحن لکم بمؤمنين﴾ ثم طلب فرعون السحرة ليعارضوا بسحرهم موسى، وهو قوله:

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٨/٣.

(١) البغوي ٣٦٢/٢ أبو حيان ١٧٨/٥، القرطبي ٢٣١/٨.

(٤) البغوي ٣٦٣/٢ أبو حيان ١٨٢/٥ القرطبي ٢٣٤/٨.

(٢) انظر النشر ٢٨٦/٢ إتحاف فضلاء البشر ١١٧/٢.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحُلُومَ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾

﴿وقال فرعون اتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة﴾ إلى قوله: ﴿قال موسى ما جئتم به السحر﴾ أي: الذي جئتم به من الحبال والعصي سحر ﴿إن الله سيبطله﴾ فيهلكه وتظهر فضيحتكم ﴿إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ لا يجعل عملهم ينفعهم ﴿ويحق الله الحق﴾ ويظهره ويمكنه ﴿بكلماته﴾ بما سبق من وعده بذلك.

فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَأَجْعَلُوا يُبُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾

قوله: ﴿فما ءامن لموسى﴾ أي: ما صدقه ﴿إلا ذرية من قومه﴾ يعني ذرية يعقوب وهم بنو إسرائيل الذين كانوا بمصر ﴿وإن فرعون لعال في الأرض﴾ قال ابن عباس^(١): «متطاول في أرض مصر» ﴿وإنه لمن المسرفين﴾ حين كان عبداً فادعى الربوبية، ثم أمر موسى [من آمن من قومه بالتوكل على الله، في دفع شر فرعون وهو قوله: ﴿وقال موسى﴾^(٢)] يا قوم إن كنتم ءامتم بالله ﴿الآية﴾، ﴿فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾ أي لا تظهرهم علينا فيروا أنهم خير منا فيزدادوا طغياناً قال مجاهد^(٣): لا تهلكتنا بعذاب على أيدي قوم فرعون ولا بعذاب من عندك، فيقول قوم فرعون: لو كانوا على حق ما عذبوا ولا تسلطنا عليهم فيفتنوا ﴿ونحننا برحمتك من القوم الكافرين﴾ وذلك أنهم كانوا يستعبدونهم ويأمرونهم بالأعمال الشاقة فسأل الله النجاة منهم قوله: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه﴾ الآية، قال المفسرون^(٤): «لما أرسل موسى أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخربت كلها، ومنعوا من الصلاة فأمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفاً من فرعون» وذلك قوله ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ قال الزجاج^(٥): «صلوا في بيوتكم، لتأمنوا من الخوف» وقال عكرمة عن ابن عباس^(٦) «واجعلوا بيوتكم مساجد»

(١) انظر تفسير البغوي ٣٦٤/٢ القرطبي ٢٣٦/٨ فتح القدير ٤٦٦/٢.

(٢) سقط في أ.

(٣) البغوي ٣٦٥/٢ القرطبي ٢٣٦/٨ الشوكاني في فتح القدير ٤٦٧/٢ وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والدر المنثور ٣١٤/٢.

(٤) البغوي ٣٦٥/٢ القرطبي ٢٣٧/٨ أبو حيان ١٨٦/٥ وانظر الدر المنثور ٣١٤/٣.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٠/٣.

(٦) البغوي ٣٦٥/٢ القرطبي ٢٣٧/٨ أبو حيان ١٨٦/٥.

وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

قوله: ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملاه زينة وأمواً في الحياة الدنيا﴾ قال ابن عباس^(١) «كان لهم من لدن فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وزبرجد وياقوت» ﴿ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾ أي: إنك جعلت هذه الأموال سبباً لضلالهم لأنهم بطروا بها فاستكبروا عن الإيمان، وطفوا في الأرض ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ قال الزجاج^(٢): «تأويل طمس الشيء، إذهابه عن صورته، والانتفاع به على الحالة الأولى التي كانت عليها» قال المفسرون^(٣): «صارت أموالهم حجارة الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة صحاحاً وأثلاثاً وأنصافاً»، قال القرطبي^(٤) «جعل سكرهم حجارة» وقال قتادة^(٥): «بلغنا أن حروثاً لهم صارت حجارة» وقال عطاء^(٦): «لم يبق لهم معدن إلا طمس الله عليه فلم ينتفع به أحد بعد» وقوله: ﴿واشدد على قلوبهم﴾ قال ابن عباس^(٧): «امنعهم عن الإيمان بك» والمعنى: أطبع عليها حتى لا تلين ولا تشرح للإيمان وهذا دليل على أن الله يفعل ذلك بمن يشاء، ولولا ذلك ما حسن من موسى هذا السؤال. وقوله: ﴿فلا يؤمنوا﴾ قال الفراء والزجاج^(٨): ﴿فلا يؤمنوا﴾ دعاء عليهم أيضاً والتأويل: فلا آمنوا ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ يعني: الغرق ﴿قال قد أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ﴾ قال المفسرون: «كان موسى يدعو وهارون يؤمن ولذلك قال دعوتكما» ﴿فاستقيما﴾ على الرسالة والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب، ﴿ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ لا تسلكان طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي، فتستعملان قضائي وخفف «ابن عامر» نون (تبعان) للتضعيف^(٩).

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْكَنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَأَلْوِمُ نَجِيحَ يَدَيْكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ ءَأَيَّةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ ءَأَيْتِنَا لَغٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾

قوله: ﴿وجاوزنا بني إسرائيل البحر﴾ أي عبرنا بهم ﴿فاتبعهم فرعون وجنوده﴾ أي: لحقوه، كما قال:

(١) القرطبي ٢٣٩/٨ أبو حيان ١٨٦/٥.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣١/٣.

(٣) البغوي ٣٦٦/٢ أبو حيان ١٨٧/٥ القرطبي ٢٣٩/٨.

(٤) البغوي ٣٦٥/٢ - ٣٦٦ أبو حيان ١٨٧/٥ القرطبي ٢٣٩/٨.

(٥) البغوي ٣٦٦/٢ أبو حيان ١٨٧/٥ القرطبي ٢٣٩/٨.

(٦) القرطبي ٢٣٩/٨ أبو حيان ١٨٧/٥.

(٧) انظر البغوي ٣٦٦/٢ أبو حيان ١٨٧/٥ القرطبي ٢٣٩/٨.

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٤٧٧/١ والزجاج ٣١/٣ القرطبي ٢٣٩/٨.

(٩) انظر حجة القراءات وانظر النشر ٢٨٦/٢ إتحاف فضلاء البشر ١١٩/١.

﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾، ﴿بَغِيًّا وَعَدُوًّا﴾ ظَلَمًا وَعَدُوًّا ﴿حَتَّىٰ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال ابن عباس^(١): لم يقبل الله إيمانه عند نزول العذاب فلم ينفعه ذلك وقيل له ﴿ءالآن وقد عصيت قبل﴾ أي: الآن تتوب، وقد أضعت التوبة في وقتها؟ قال المفسرون^(٢): «خاطبه جبريل بهذا» أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الزاهد أنا أبو علي بن أحمد الفقيه أنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز نا هدية بن خالد نا حماد بن سلمى عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «قال جبريل عليه السلام: يا محمد لو رأيتني وأخذ من حال البحر أحشو في فيه يعني فرعون، مخافة أن تدركه الرحمة»^(٣).

وقال الضحاك بن قيس^(٤): اذكروا الله في الرخاء يذكركم عند الشدة وإن يونس كان عبداً صالحاً، وإنه كان يذكر الله، فلما وقع في بطن الحوت سأل الله تعالى، فقال الله: ﴿فلولا أنه كان من المسيحين لبثت في بطنه إلى يوم يعثون﴾ وإن فرعون كان عبداً طاعياً، ناسياً لذكر الله فلما ﴿أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾ فقال الله تعالى ﴿ءالآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾^(٥)؟ وقال السدي^(٦): «بلغنا أن جبريل قال لرسول الله ﷺ ما أبغضت عبداً من عباد الله، ما أبغضت عبدين أحدهما من الجن والآخر من الإنس أما الذي من الجن فإبليس، حين أبى أن يسجد لآدم وأما الذي من الإنس ففرعون حين قال (أنا ربكم الأعلى)، ولو رأيتني يا محمد وأنا آخذ من البحر فآدسه في فيه، مخافة أن يقول كلمة ينجو بها».

وقوله: ﴿فاليوم ننجيك ببدنك﴾ قال ابن عباس^(٧) والمفسرون: «لما أغرق الله فرعون وقومه أنكروا بعض بني إسرائيل غرق فرعون، وقال: هو أعظم شيئاً من أن يغرق، فأخرجه الله حتى رأوه»، فذلك قوله: ﴿فاليوم ننجيك ببدنك﴾ أن نلقيك على نجوة من الأرض، وهي المكان المرتفع ومعنى ﴿ببدنك﴾ بجسدك بغير روح، وذلك أنه طفو عرياناً، وذهب قوم إلى أن معنى البدن هنا الدرع قال ابن عباس^(٨): «كانت عليه درع من ذهب يعرف بها وهو البدن والمعنى أنا نرفع فرعون فوق الماء بدرعه المشهور، ليعرفوه بها، وذلك قوله: ﴿لنكون لمن خلفك آية﴾ قال

(١) انظر البحر المحيط ١٨٨/٥.

(٢) البغوي ٣٦٧/٢ انظر البحر المحيط ١٨٩/٥ فتح القدير ٤٧٠/٢.

(٣) أخرجه الترمذي في السنن ٢٦٨/٥ في كتاب التفسير سورة يونس (٣١٠٧، ٣١٠٨) وأحمد في المسند ٢٤٠/١، ٢٤٥، ٣٠٩، ٣٤٠. وأخرجه الحاكم ٣٤٠/٢ وصححه ووافقه الذهبي والبغوي في التفسير ٣٦٧/٢ وزاد نسبه السيوطي في الدرر ٣١٥/٣ لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

(٤) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي أبو أمية أو أبو أنيس: سيد بني فهر في عصره. وأحد الولاة الشجعان. شهد فتح دمشق وسكنها. وشهد صفين مع معاوية. وولاه معاوية على الكوفة سنة ٥٣هـ بعد موت زياد بن أبيه فتفقد الخورنق قصر النعمان وأصلحه. ونقل إلى ولاية دمشق فتولى الصلاة على معاوية يوم وفاته، وقام بخلافته إلى أن قدم يزيد. ولما خلع معاوية بن يزيد نفسه، انصرف يدعو إلى بيعة ابن الزبير بدمشق. ومات معاوية (سنة ٦٤هـ) فأقبل أهل دمشق على الضحاك فبايعوه على أن يصلي بهم ويقم لهم أمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة وانعقدت البيعة العامة لمروان بن الحكم والضحاك في مرج راهط فامتنع على مروان، فقتل في مرج راهط. انظر الأعلام ٣١٤/٣ - ٣١٥.

(٥) وفيه معنى الحديث المرفوع تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة وهو عند مسلم في صحيحه.

(٦) عند الترمذي في كتاب التفسير سورة يونس ٣١٠٧ - ٣١٠٨ والحاكم ٣٢٠/٢.

(٧) القرطبي ٢٤٢/٨ أبو حيان ١٨٩/٥.

(٨) البغوي ٣٦٧/٢ أبو حيان ١٨٩/٥ القرطبي ٢٤٢/٨ انظر الدرر المنثور ٣١٦/٣.

الكلبي^(١): «لتكون نكالا لمن خلفك، فلا يقولوا مثل مقاتلك» وقال الزجاج^(٢): «معنى الآية أنه كان يدعي أنه رب، وكان يعبده قومه فبين الله تعالى أمره وأنه عبد» وفيه من الآية أنه غرق مع قومه وأخرج هو من بينهم فكان ذلك آية.

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾

قوله: ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل﴾ قال ابن عباس^(٣): «يريد قريظة والنضير»، يريد أنزلناهم. ﴿مبوءاً صدق﴾ ما بين المدينة والشام في أرض يثرب ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ من النخل وما فيها من الرطب والتمر ﴿فما اختلفوا﴾ في تصديق النبي ﷺ وأنه نبي ﴿حتى جاءهم العلم﴾ قال ابن عباس^(٤): «يريد القرآن الذي جاء به محمد ﷺ» وقال الفراء^(٥): «العلم: محمد ﷺ لأنه كان معلوماً بنعته وذلك أنه لما جاءهم اختلفوا فيه، وفي تصديقه، فكفر به أكثرهم» ﴿إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمرك يعني أنه يدخل المصدقين به الجنة، والمكذبين به النار.

فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾

قوله تعالى: ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك﴾ قال أكثر أهل العلم^(٦): «هذا الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد به غيره من الشكاك، والقرآن نزل بلغة العرب، وهم قد يخاطبون الرجل بالشيء يريدون غيره مثل هذا قوله: ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين﴾^(٧) الآية، الخطاب للنبي ﷺ، [والمراد به غيره]^(٨)، يدل على ذلك قوله ﴿إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ ولم يقل: بما تعمل» وقال الزجاج^(٩) إن الله يخاطب النبي ﷺ وذلك الخطاب شامل للخلق، والمعنى: فإن كنتم في شك فاسألوا، والدليل على ذلك قوله في آخر السورة: ﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شك﴾ الآية. وهذا مذهب ابن عباس والحسن وأكثر أهل التأويل^(١٠)، قال ابن عباس^(١١): «لم يرد النبي ﷺ لأنه لم يشك في الله ولا في ما أوحى إليه ولكن يريد من آمن به وصدقه، أمرهم أن يسألوا لثلاثاً ينافقوا كما شك المنافقون»

(١) انظر تفسير البغوي ٣٦٧/٢ انظر تفسير البحر ١٨٩/٥ القرطبي ٢٤٣/٨.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٢/٣.

(٣) القرطبي ٢٤٣/٨ أبو حيان ١٩٠/٥ الرازي ١٢٧/١٧.

(٤) البغوي ٣٦٧/٢ أبو حيان ١٩٠/٥ انظر القرطبي ٢٤٤/٨ انظر الدر المشور ٣١٧/٣.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٤٧٨/١.

(٦) البغوي ٣٦٨/٢ القرطبي ٢٤٤/٨ أبو حيان ١٩١/٥.

(٧) سورة الأحزاب (١).

(٨) سقط في ب.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٢/٣.

(١٠) انظر البغوي ٣٨٨/٢ البحر المحيط ١٩١/٥ القرطبي ٢٤٤/٨ الرازي ١٢٨/١٧ وما بعدها.

(١١) انظر المصادر السابقة وانظر الدر المشور ٣١٧/٣ الرازي ١٣٠/١٧.

قوله: ﴿فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك﴾ قال ابن عباس والضحاك ومجاهد^(١) يعني من آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه فسيشهدون على صدق محمد ﷺ ويخبرونك بشوته، وبما قدم الله من ذكره في الكتب، وباقى الآية والتي تليها حكمه على ما ذكرنا من أنه خطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره من الشاكين.

إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَمَتْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ
النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى
الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾

قوله ﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك﴾ قال ابن عباس^(٢): «قول ربك بالسخط عليهم» وقال قتادة^(٣): سخط ربك بما عصوه. وقال مقاتل^(٤): وجبت عليهم كلمة العذاب ﴿لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية﴾ كانوا يسألون رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالآيات حتى يؤمنوا، قال الله تعالى: ﴿لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾ فلا ينفعهم حينئذ إيمانهم كما لم ينفع إيمان فرعون حيث أدركه الغرق قوله: ﴿فلولا كانت قرية ءامنت﴾ الآية. ﴿لولا﴾ معناها ها هنا النفي قال ابن عباس في رواية عطاء^(٥): «فما كانت قرية ءامنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس» فقال: يريد لم أفعل هذا بأمة قط، إلا قوم يونس لما آمنوا عند نزول العذاب كشفنا عنهم وقال قتادة^(٦): لم يكن هذا معروفاً لأمة من الأمم كفرت، ثم آمنت عند نزول العذاب فكشف عنهم إلا قوم يونس كشف عنهم العذاب بعد ما تدلى عليهم. وهو قوله: ﴿كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا﴾ قال ابن عباس: «يريد سخط الله عليهم في الحياة الدنيا» و﴿ومتعنهم إلى حين﴾ يريد حين آجالهم» قوله: ﴿ولو شاء ربك﴾ الآية. قال ابن عباس^(٧): «كان رسول الله ﷺ حريصاً على أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى، فأخبر الله أنه لا يؤمن إلا من سبقت له السعادة من الله وأنه لو شاء لآمن الناس كلهم» ثم أنكروا عليه إكراه الناس على الإيمان، فقال: ﴿أفأنت تكره الناس﴾ الآية، وهذا منسوخ بآية القتال، قوله: ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾ قال ابن عباس^(٨): «إلا بما سبق لها في قضاء الله وقدره» وقال عطاء: بمشيئة الله وقال الزجاج^(٩): «وما كان لنفس الوصلة إلى الإيمان إلا بتوفيق الله وهو إذنه» ﴿ويجعل الرجس﴾ قال ابن عباس^(١٠): «السخط» وقال

(١) البغوي ٣٦٨/٢ وانظر المصادر السابقة وانظر فتح القدير ٤٧٣/٢.

(٢) البغوي ٣٦٨/٢.

(٣) البغوي ٣٦٨/٢ القرطبي ٢٤٤/٨ البحر ١٩١/٥ وأبو الشيخ كما في فتح القدير ٤٧٥/٢.

(٤) البغوي بنحوه ٣٦٨/٢.

(٥) انظر تفسير البغوي ٣٦٨/٢ - ٣٦٩ القرطبي ٢٤٥/٨ أبو حيان ١٩٢/٥ فتح القدير ٤٧٥/٢.

(٦) انظر البغوي ٣٦٩/٢ أبو حيان ١٩٢/٥ القرطبي ٢٤٥/٨ فتح القدير ٤٧٥/٢.

(٧) البغوي ٣٧٠/٢ أبو حيان ١٩٣/٥ القرطبي ٢٤٦/٨.

(٨) انظر تفسير البغوي ٣٧٠/٢ القرطبي ٢٤٦/٨ وانظر أثر عطاء الأتي فيهما.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٦/٣.

(١٠) انظر أبو حيان ١٩٣/٥ فتح القدير ٤٧٦/٢.

الحسن^(١): «العذاب» ﴿على الذين لا يعقلون﴾ قال ابن عباس: «لا يؤمنون» والمعنى: لا يعقلون عن الله أمره ونهيه^(٢).

قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

قوله ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾ قال المفسرون^(٣): «قل للمشركين الذين يسألونك الآيات على توحيد الله انظروا بالتفكير والاعتبار ماذا في السماوات والأرض من الآيات والعبر التي تدل على وحدانية الله، ونفاذ قدرته كالشمس والقمر، والنجوم والجبال والشجر، وكل هذا يقتضي مدبراً لا يشبه الأشياء، ولا تشبهه» ثم قال: ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ أي: ما تنفع الآيات، ولا تدفع عن سبق في علم الله أنه لا يؤمن، قوله ﴿فهل ينتظرون﴾ يعني المشركين والمكذبين ﴿إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ إلا أياماً مثل أيام الأمم الماضية المكذبة في وقوع العذاب؟ أي يجب ألا ينتظروا بعد تكذيبك إلا العذاب ﴿ثم ننجي رسلنا والذين ءامنوا﴾ هذا إخبار عما كان الله يفعل في الأمم الماضية من إنجاء الرسل والمصدقين لهم عما يعذب به من كفر ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الإنجاء ﴿حقاً علينا﴾ واجباً علينا ﴿ننجي المؤمنين﴾ بمحمد ﷺ من عذابي.

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

قوله: ﴿قل يا أيها الناس﴾ يريد أهل مكة، ﴿إن كنتم في شك من ديني﴾ أي: من توحيد الله الذي جئت به والحنيفية التي بعثت بها فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله بشرككم في ديني، ﴿ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم﴾ أي: يقدر على إمامتكم، وهذا يتضمن تهديداً لهم لأن وفاة المشركين ميعاد عذابهم، قوله: ﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفاً﴾ أي استقم بإقبالك على ما أمرت به بوجهك ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك﴾ إن دعوته، ﴿ولا يضرك﴾ إن تركت عبادته ﴿وإن يمسسك الله بضر﴾ قال ابن عباس^(٤): «يريد بمرض وفقر» ﴿فلا كاشف له إلا هو﴾ لا مزيل لما أصابك من ضر إلا هو ﴿وإن يردك بخير﴾ أي وإن يرد بك خيراً، ﴿فلا راد لفضله﴾ لا مانع لما تفضل به عليك من رجاء ونعمة ﴿يصيب به﴾ بكل واحد مما ذكر، ﴿من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾.

(١) البغوي ٢/٣٧٠ أبو حيان ١٩٣/٥ القرطبي ٨/٢٤٦ الرازي ١٧/١٣٥، فتح القدير ٢/٤٧٦.

(٢) البغوي ١/٣٧٠ القرطبي ٨/٢٤٦.

(٣) البغوي ٢/٣٧٠ أبو حيان ١٩٤/٥ الرازي ١٧/١٣٥ - ١٣٦ فتح القدير ٢/٤٧٦.

(٤) بنحوه عند البغوي ٢/٣٧٢ وهو عند الرازي بلفظه ١٧/١٤٠.

قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

﴿قل يا أيها الناس﴾ يعني أهل مكة ﴿قد جاءكم الحق من ربكم﴾ يعني القرآن ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدى
لنفسه﴾ قال ابن عباس^(١): «من صدق محمداً ﷺ فإنما يحتاط لنفسه» ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ أي: إنما يكون
وبال ضلاله على نفسه، ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ في منعكم من اعتقاد الباطل، والمعني بحفظكم من الهلاك، كما
يحفظ الوكيل المناع من الهلاك قال ابن عباس^(٢): نسختها آية القتال، والتي بعدها.
وهي قوله: ﴿واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾ لأن الله تعالى حكم بقتل المشركين والجزية على
أهل الكتاب.

(١) بنحوه عند البغوي ٣٧٢/٢.

(٢) البغوي ٣٧٢/٢ الرازي ١٤٠/١٧ أبو حيان ١٩٧/٥ القرطبي ٢٤٨/٨ فتح القدير ٤٧٨/٤.

سورة هود

مكية وآياتها ثلاث وعشرون ومائة

أخبرنا أبو سعد محمد بن علي الحيري، أنا محمد بن جعفر بن مطر نا إبراهيم بن شريك نا أحمد بن يونس نا سلام سليم نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة هود، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق يهود وكذب به ونوح وشعيب وصالح وإبراهيم وكان يوم القيامة عند الله من السعداء»^(١).

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الر كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾
وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمِئِّعْكُمْ مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾

قال ابن عباس: «يريد أنا الله الرحمن»^(٢) ﴿كتاب﴾ قال الفراء والزجاج^(٣): «هذا كتاب» ﴿أحكمت آياته﴾ قال الكلبي^(٤): «لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرايع بها» ﴿ثم فصلت﴾ بينك بالأحكام من الحلال والحرام والوعد والوعيد ﴿من لدن حكيم خبير﴾ قال ابن عباس^(٥): «من عند حكيم في خلقه، خبير بمن يصدق بنبيه ﷺ وبمن يكذب به» ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ قال الزجاج^(٦): «المعنى أمر ألا تعبدوا إلا الله» ﴿وأن استغفروا ربكم﴾ من ذنوبكم السالفة ﴿ثم توبوا إليه﴾ من المستأنفة متى وقعت ﴿يمئعكم متاعاً حسناً﴾ قال ابن عباس^(٧): «يتفضل عليكم بالرزق والسعة إلى أجل الموت» ﴿ويؤت كل ذي فضل فضله﴾ نعطي كل ذي عمل صالح أجره وثوابه وقال ابن عباس وابن مسعود^(٨): «يؤت كل من فضلت حسناته على سيئاته فضله يعني الجنة، وهي فضل الله» يعني: أن من زادت حسناته على سيئاته، دخل الجنة ﴿وإن تولوا﴾ أي: تتولوا عن الإسلام ﴿فإني أخاف عليكم﴾ في الآخرة ﴿عذاب يوم كبير﴾ وهو يوم القيامة .

(١) قال الفيروز آبادي في البصائر واهي ٣٤٧/١ .

(٢) تقدم .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٣/٢ والزجاج ٣٧/٣ البغوي ٣٧٢/٢ الرازي ١٤٢/٥ .

(٤) البغوي ٣٧٢/٢ الرازي ١٤٢/١٧ فتح القدير ٣٧٢/٢ .

(٥) الرازي ١٤٤/١٧ ابن كثير ٢٣٦/٤ فتح القدير ٤٨٠/٢ .

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٨/٣ البغوي ٣٧٣/٢ الرازي ١٤٤/١٧ فتح القدير ٤٨٠/٢ .

(٧) بنحوه عند البغوي ٣٧٣/٢ فتح القدير ٤٨١/٢ .

(٨) البغوي ٢٧٣/٢ . انظر تفسير الطبري ٢٣١/١٥ ابن كثير ٢٣٧/٤ .

أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾

قوله: ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم﴾ يقال: ثبت الشيء ثيباً إذا غطفته وطوبته وكان طائفة من المشركين يقولون إذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وثبنا صدورنا على عداوة محمد ﷺ كيف يعلم؟ فأخبر الله عز وجل عما كتموه. ومعنى يثنون صدورهم يطوونها على عداوة محمد ﷺ قال قتادة^(١): «كذلك أخفى ما يكون من ابن آدم إذا حنا ظهره واستغشى ثيابه وأضر همه في نفسه»، قوله: ﴿ليستخفوا منه﴾ أي ليتواروا منه ويكتموا عداوته فقال الله تعالى: ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ قال ابن الأنباري^(٢): «أعلم الله أن سرائرهم يعلمها كما يعلم مظهراتهم» ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ قال ابن عباس^(٣): «يزيد بما في النفوس والمعنى: تحقيقه ما في القلوب من المضمرات، قوله ﴿وما من دابة في الأرض﴾ الآية يعني ما من حيوان يدب بال الزجاج^(٤): «الدابة: اسم لكل حيوان مميز وغيره بني على هاء التانيث وأطلق على كل حيوان ذي روح ذكراً كان أو أنثى» قوله: ﴿إلا على الله رزقها﴾ قال المفسرون^(٥): «فضلاً لا وجوباً والله تكفل بذلك بفضله». أخبرنا أبو نصر أحمد بن إبراهيم المهرجاني أنا عبيد الله بن محمد الزاهد أنا أبو القاسم ابن بنت ابن منيع نا أبو خيثمة نا وكيع نا أبو معاوية قال: نا الأعمش عن سلام بن سلام بن شرحبيل قال: سمعت حبة^(٦) وسواء^(٧) ابني خالد يقولان أتينا رسول الله ﷺ وهو يعمل عملاً يبني بناء فأعناه عليه فلما فرغ دعا لنا وقال: «لا تياسا من الرزق مهما تهزهزت رؤوسكما لأن الإنسان ولدته أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يعطيه الله ويرزقه^(٨)».

وقال أهل المعاني: «على هاهنا بمعنى^(٩) من المعنى من الله رزقها» وبدل على صحة هذا قول مجاهد^(١٠): ما

(١) البغوي ٢٧٣/٢ انظر تفسير الرازي ١٤٨/١٧ البحر المحيط ٢٠٣/٥ وذكره بنحوه السيوطي في الدر عن قتادة ٣٢١/٢ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) وقال الأزهري: معنى الآية من أولها إلى آخرها: إن الذين أضمرنا عداوة رسول الله ﷺ لا يخفى علينا حالهم البغوي ٣٧٤/٢ وانظر قول ابن الأنباري في البحر المحيط ٢٠٣/٥.

(٣) ابن كثير ١٣٨/٤. فتح القدير ٤٨١/٢ - ٤٨٢. وما أحسن ما قال زهير في معلقته المشهورة انظر ديوانه ص ١٨.

فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفْسِكُمْ
لِيَخْفَىٰ وَمَهْمَا يَكْتُمِ اللَّهُ يَعْلَمُ
بِؤْخَرٍ فَيُوَضِّعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخِرُ
لَيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجِّلُ فَيَنْقِمُ

(٤) الرازي ١٤٨/١٧ ٣٧٤/٢.

(٥) البغوي ٣٧٤/٢ الرازي ١٤٩/١٧ فتح القدير ٤٨٢/٢ البحر المحيط ٢٠٤/٥.

(٦) حبة بن خالد أخو سواء بن خالد الخزاعي يعد في الكوفيين. انظر أسد الغابة ٤٤٠/١.

(٧) سواء بن خالد من بني عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهو أخو حبة بن خالد. انظر أسد الغابة ٤٨٣/٣.

(٨) أخرجه أحمد في المسند ٤٦٩/٣ وأخرجه ابن ماجه في السنن ١٣٩٤/٢ في كتاب الزهد باب التوكل واليقين.

(٩) البغوي ٣٧٤/٢.

(١٠) البغوي ٣٧٤/٢.

وذكره الشوكاني في فتح القدير ٤٨٤/٢ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد والدر المنثور ٣٢١/٣ البحر المحيط ٢٠٤/٥.

جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها حتى تموت جوعاً» قوله ﴿ويعلم مستقرها﴾ حين تأوي إليه ﴿ومستودعها﴾ حيث تموت وهو قول ابن عباس (١). وقال قتادة ومجاهد (٢): «أما مستقرها ففي الرحم وأما مستودعها ففي الصلب» ﴿كل﴾ ذلك عند الله ﴿في كتاب مبين﴾ يعني اللوح المحفوظ والمعنى أن ذلك ثابت في علم الله.

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ بِآيَاتِكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾ تقدم تفسيره، وقوله ﴿وكان عرشه على الماء﴾ يعني قبل أن يخلق السماء والأرض قيل لابن عباس: على أي شيء كان الماء؟ قال: «على متن الريح» (٣) وفي وقوف العرش على الماء والماء على غير قرار أعظم الاعتبار لأهل الإنكار وقوله ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ قال ابن عباس: «أيكم أعمل بطاعة الله» (٤) قال ابن الأنباري (٥): «معناه ليختبركم» فيعلم وقوع الفعل منكم الذي به تستحقون الثواب والعقاب فيثيب المطيع المعترف بما يرى من آيات السماوات والأرض ويعاقب أهل العناد قوله: ﴿ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت﴾ بعد أن شاهدوا خلق السماوات والأرض ﴿ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ قال الزجاج (٦): «السحر باطل عندهم فكانهم قالوا إن هذا إلا باطل مبين» يعني هذا القول الذي يقول لنا: أنا نبعث بعد الموت، قوله: ﴿ولئن أخرجنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسهم إلا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم وحاك بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ (٧)

﴿ولئن أخرجنا عنهم العذاب﴾ يعني عن المشركين ﴿إلى أمة معدودة﴾ قال ابن عباس ومجاهد (٨): «إلى أجل وحين معلوم» والأمة هاهنا المدة من أوقات الزمان ﴿ليقولن ما يحبسهم﴾ أي ما يحبس العذاب عنا؟ يقولون ذلك تكديباً واستهزاء، قال الله تعالى: ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم﴾ يقول إذا أخذتهم سيوف النبي ﷺ وأصحابه لم تغمد عنهم، حتى يباد أهل الكفر، وتعلو كلمة الإخلاص ﴿وحاك﴾ ونزل وأحاط ﴿بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ وهو العذاب.

(١) البغوي ٣٧٤/٢ والطبري ٢٤١/١٥ (١٧٩٦٣) وابن كثير ٢٣٩/٤ ذكره الشوكاني في الفتح ٢٨٤/٢ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وذكره السيوطي في الدر ٣٢١/٣.

(٢) البغوي ٣٧٤/٢ والطبري ٣٤٢/١٥ (١٧٩٦٤) ابن كثير ٢٣٩/٤ وذكر الشوكاني في الفتح ٤٨٤/٢ وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه من طريق ابن مسعود وانظر الدر المنثور ٣٢١/٣.

(٣) البغوي ٣٧٤/٢ والطبري في التفسير ٢٤٥/١٥ وما بعدها وابن كثير ٢٤١/٤.

(٤) البغوي ٣٧٥/٢.

(٥) البغوي ٣٧٥/٢ ابن كثير ٢٤١/٤ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٢٢/٢ وعزاه لابن أبي حاتم عن قتادة.

(٦) انظر معاني القرآن ٤٠/٣.

(٧) ابن كثير ٢٤٢/٢ الرازي ١٥٢/١٧ البغوي ٣٧٥/٢ وذكره الشوكاني في الفتح ٤٨٤/٢ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عباس.

وَلَيْنِ أَذْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ۖ وَلَيْنِ أَذْقَنَّهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَه لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۖ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۖ

وقوله ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ قال ابن عباس^(١): نزلت في الوليد بن المغيرة وقال غيره: في عبد الله ابن أبي أمية المخزومي^(٢) والمراد بالرحمة ههنا الرزق.

وقوله: ﴿ثم نزعناها منه إنه ليثوس﴾ شديد اليأس من رحمة الله وسعة رزقه ﴿كفور﴾ لنعمته وهذا بيان عما يوجبه الخلق السوء من القنوط من الرحمة عند نزول الشدة ﴿ولئن أذقناه نعماء﴾ قال ابن عباس «صحة وسعة في الرزق» ﴿بعد ضراء مسته﴾ بعد مرض وفقر ﴿ليقولن ذهب السيئات عني﴾ يريد الضر والفقر ﴿إنه لفرح﴾ بطر ﴿فخور﴾ قال ابن عباس^(٣): «يفخر أوليائي بما وسعت عليه» ﴿إلا الذين صبروا﴾ هذا استثناء منقطع ليس من الأول، معناه لكن الذين صبروا، يعني: أصحاب النبي ﷺ والمؤمنين، مدحهم الله بالصبر على الشدة والمكاره ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي في الشدة والرخاء ﴿أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾.

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضٌ مَّا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۖ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ۖ

قوله ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ قال أهل التفسير^(٤): «قال المشركون للنبي ﷺ اتنا بكتاب ليس فيه سب آلهتنا حتى نتبعك ونؤمن بك وقال بعضهم: هل ينزل عليك ملك فيشهد لك بالصدق أو تعطى كلاً تستغني به أنت وأتباعك، فهم رسول الله ﷺ أن يدع سب آلهتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية». وقوله تعالى: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ أي لعظيم ما يرد على قلبك من تخليطهم تتوهم أنهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه من أمر ربك ﴿وضائق به صدرك﴾ الضائق بمعنى الضيق، قال ابن الأنباري: «أن في موضع خفض بالرد على الباء في به» يزيد: وضائق به صدرك بأن يقولوا ﴿لولا أنزل عليه كتاب﴾ يستغني به ﴿أو جاء معه ملك﴾ يشهد له بالنبوة ﴿إنما أنت نذير﴾ قال الزجاج: «إنما عليك أن تنذرهم وليس عليك أن تأتيهم بما يقترحون عليك من الآيات» ﴿والله على كل شيء وكيل﴾ أي حافظ لكل شيء. قوله ﴿أم يقولون﴾ معناه: بل أيقولون: افترى القرآن وأتى به من عند نفسه ﴿قل﴾ لهم ﴿فأتوا﴾ أنتم في معارضي ﴿بعشر سور مثله﴾ مثل القرآن من البلاغ

(١) البحر المحيط ٢٠٦/٥ فتح القدير ٤٨٥/٢.

(٢) البحر المحيط ٢٠٦/٥ فتح القدير ٤٨٥/٢.

(٣) ابن كثير ٢٤٣/٢ البغوي ٣٧٥/٢ فتح القدير ٤٨٥/٢.

(٤) البحر المحيط ٢٠٧/٥ البغوي ٣٧٥/٢ الرازي ١٥٤/١٧ فتح القدير ٤٨٦/٢.

﴿مفتريات﴾ بزعمكم ودعواكم ﴿وادعوا من استطعتم من دون الله﴾ إلى المعاونة على المعارضة ﴿إن كنتم صادقين﴾ في قولكم افتراه ﴿فإلم يستجيبوا لكم﴾ من تدعونهم إلى المعاونة ولم يتهياً لكم المعارضة فقد قامت عليكم الحجة ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾ أي أنزل والله أعلم بإنزاله وعالم أنه حق من عنده ﴿و﴾ اعلموا ﴿أن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون﴾ استفهام معناه الأمر.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

قوله: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا﴾ الآية قال ابن عباس في رواية عطاء^(١): «من كان يريد عاجل الدنيا فلا يؤمن بالبعث والثواب والعقاب» وقال قتادة^(٢): «من كانت الدنيا همه ونيته وطلبتة جازاه الله في الدنيا بحسناته ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يجازى بها وأما المؤمن فيجزى في الدنيا بحسناته ويثاب عليها في الآخرة.» وذلك قوله: ﴿نوف إليهم أعمالهم فيها﴾ قال سعيد بن جبير^(٣): - «ثواب ما عملوا من خير أعطوا في الدنيا وليس لهم في الآخرة إلا النار فإذا جاء هذا الكافر الآخرة ورد منها على عاجل الحسرة إذ لا حسنة له هناك» ﴿وهم فيها لا يبخسون﴾ لا ينقصون أي: يعطوا فيها أجر ما عملوا في الدنيا. ثم أخبر ما لهم في الآخرة فقال: ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ ما عملوا في الدنيا من حسنة لأنهم لم يروا لها ثواباً ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ من خير.

أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُّوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءٍ يَضَعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

(١) انظر تفسير الرازي ١٧/١٥٩.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ١٥/٢٦٤ (١٨٠١٩) وابن كثير ٢/٢٤٤ وأخرجه الدارمي عن الحسن ١/٨١ وعزاه السيوطي في الدر

٣/٣٢٤ لأبي الشيخ عن قتادة.

(٣) ذكره السيوطي في الدر ٣/٣٢٣ وعزاه لأبي الشيخ.

قوله: ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ يعني النبي ﷺ في قول عامة المفسرين^(١) قال ابن عباس^(٢): «يريد على يقين وبيان» و«يتلوه شاهد منه» وهو جبريل عليه السلام في قول أكثر المفسرين^(٣) قال ابن قتيبة^(٤): «والشاهد من الله لنبيه ﷺ» «كتاب موسى» يعني التوراة يتلوه أيضاً في التصديق لأن النبي ﷺ بشر به موسى في التوراة «إماماً» نصب على الحال «ورحمة» أي: ذا رحمة يعني التوراة فإنها كانت إماماً في ذلك الوقت وسبب الرحمة لمن آمن بها وقوله: ﴿أولئك يؤمنون به﴾ يعني أصحاب محمد ﷺ ومن صدقه، وقوله: ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ يعني: ومن كفر بالنبي ﷺ من أصناف الكفار واليهود والنصارى وغيرهم.

أخبرنا منصور بن محمد بن عبد الوهاب اليزاز أنا محمد بن أحمد أبو عمرو الحيري أنا عمران بن موسى بن مجاشع نا أبو كامل^(٥) نا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة لا يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي إلا كان من أهل النار» قال فقلت ما قال رسول الله ﷺ شيئاً إلا وهو في كتاب فوجدته: ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾^(٦).

وقوله: ﴿فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك﴾ قال الكلبي عن ابن عباس^(٧): «فلا تك في مرية من أن موعده الكافر النار وذلك هو الحق من ربك» «ولكن أكثر الناس لا يؤمنون» يعني أهل مكة، وقوله: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ فزعم أن له ولداً وشريكاً «أولئك يعرضون على ربهم» يعني بعد الحشر يوم القيامة «ويقول الأشهاد» قال ابن عباس ومجاهد^(٨): «هم الملائكة والأنبياء»، وقال قتادة^(٩) «يعني الخلائق» ونحو هذا قول مقاتل^(١٠) الأشهاد الناس كما يقال على رؤوس الأشهاد أي رؤوس الناس والأشهاد جمع شاهد مثل ناصر وأنصار وصاحب وأصحاب ويجوز أن يكون جمع شهيد مثل شريف وأشرف، وقوله «هؤلاء الذين كذبوا على ربهم» قال ابن عباس: «زعموا أن لله ولداً وشريكاً» «ألا لعنة الله على الظالمين» قال «يريد المشركين».

(١) انظر تفسير الطبري ٢٧٣/١٥ ابن كثير ٢٤٥/٤ الرازي ١٦١/١٧ البغوي ٣٧٧/٢ الدر المنثور ٣٢٤/٣ فتح القدير ٤٨٩/٢ البحر المحيط ٢١١/٥.

(٢) انظر تفسير البحر المحيط ٢٠١/٥ البغوي ٣٧٧/٢.

(٣) الطبري ٢٧٣/١٥ ابن كثير ٢٤٥/٤ الرازي ١٦١/١٧ البحر المحيط ٢١١/٥ البغوي ٣٧٧/٢ الدر المنثور ٣٢٤/٣ فتح القدير ٤٨٩/٢.

(٤) انظر تأويل مشكل القرآن ٣٠٧-٣٠٨، انظر الدر المنثور ٣٢٤/٣.

(٥) الفضيل بن حسين بن طلحة الجحدري أبو كامل البصري عن الحماد بن أبي عوانة وسليم بن أخضر وثقه ابن حبان. قال موسى بن هارون: مات سنة سبع وثلاثين ومائتين. انظر الخلاصة (٣٣٨/٣).

(٦) وأخرجه مسلم ١٣٤/١ في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان ١٥٣/٢٤٠ وأحمد في المسند ٣١٧/٢ وأخرجه البغوي في التفسير ٣٧٨/٢ وأبو نعيم ٣٠٨/٤. وأبو عوانة ١٠٤/١. وقوله ﷺ لا يسمع بي من هذه الأمة أي: ممن هو موجود في زماني ويعدى إلى يوم القيامة فكلمهم يجب عليه الدخول في طاعته وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهاً على من سواهما وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً فغيرهم ممن لا كتاب له أولى والله أعلم. انظر شرح مسلم للنووي (١٨٨/٣).

(٧) انظر تفسير البغوي ٣٧٨/٢.

(٨) البغوي ٣٧٨/٢ البحر المحيط ٢١٢/٥ الرازي ١٦٣/١٧ ابن كثير ٢٤٧/٢ فتح القدير ٤٩٠/٢ والسيوطي في الدر ٣٢٥/٢ وعزاه لابن جرير الطبري.

(٩) البغوي ٣٧٨/٢ البحر المحيط ٢١٢/٥ ابن كثير ٢٤٧/٢ فتح القدير ٤٩٠/٢.

(١٠) البحر المحيط ٢١٢/٥ الرازي ١٦٣/١٧ فتح القدير ٤٩٠/٢.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد التميمي أنا عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ أنا محمد بن العباس بن أيوب نا محمد بن المثنى نا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز قال: بينما نحن عند ابن عمر، ونحن نطوف بالبيت إذ عارضه رجل فقال له: يا ابن عمر كيف سمعت رسول الله ﷺ ذكر في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدنى المؤمن من ربه تبارك وتعالى يوم القيامة حتى يضع كتفه عليه ثم يقرره بذنوبه هل تعرف؟ فيقول: رب أعرف فيقول: هل تعرف؟ فيقول رب أعرف فيسأله الله ما شاء أن يسأله قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم، ثم يعطى صحيفة حسناته بيمينه، وأما الكافر أو الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين» رواه البخاري^(١) عن مسدد عن يزيد بن زريع عن سويد ورواه مسلم^(٢) عن زهير عن ابن عطية عن هشام كلاهما عن قتادة.

قوله: ﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ تقدم تفسيره ﴿أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض﴾ قال ابن عباس^(٣): لم يعجزوني أن أمر الأرض فتخسف بهم ﴿وما كان لهم من دون الله من أولياء﴾ أي: لا ولي لهم ممن يعبدون يمنعهم مني ﴿يضاعف لهم العذاب﴾ قال ابن الأنباري^(٤): «لإضلالهم الأتباع واقتداء غيرهم بهم» ﴿ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾ قال قتادة^(٥): «لأنهم صم عن الحق عمي فلا يبصرون ولا يهتدون» وقال الوالبي عن ابن عباس^(٦): «حال الله بين أهل الكفر وبين أهل الطاعة في الدنيا والآخرة أما في الدنيا ففي قوله ﴿ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾ وأما في الآخرة ففي قوله: ﴿ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ قوله: ﴿أولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ قال ابن عباس^(٧): «أي: صاروا إلى النار» ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ بطل افتراؤهم في الدنيا فلم ينفعهم في الآخرة شيئاً، ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ قال ابن عباس^(٨): «يريد حقاً أنهم هم الأخسرون» قال الفراء^(٩): «لا جرم كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ولا محالة فكثرت استعمالها حتى صارت بمنزلة حقاً ألا ترى أن العرب تقول: لا جرم لأتيناك فتراها بمنزلة اليمين»؟ كذلك فسرها المفسرون في قوله: ﴿لا جرم أنهم﴾ «حقاً أنهم» وقال الزجاج^(١٠) لا جرم، لا: نفي لما ظنوا أنه ينفعهم كأنه قال: لا ينفعهم ذلك وجرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون، أي كسب ذلك الفعل لهم الخسران، وجرم معناه: «كسب» ذكرنا ذلك في قوله: ﴿لا يجرمنكم﴾، قال الأزهري^(١١) «وهذا من أحسن ما قيل فيه» وقوله: ﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ الإخبات الخشوع والتواضع والطمأنينة قال مجاهد^(١٢) «اطمأنوا» قال قتادة^(١٣) «وأنابوا إلى ربهم» وهذه الآية نازلة في أصحاب رسول الله ﷺ وما

(١) أخرجه البخاري ٥٠١/١٠ في كتاب الآداب باب ستر المؤمن (٦٠٧٠). وانظر الفتح (٥٠٣/١٠).

(٢) ٢١٢٠/٤ في كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل ٢٧٦٨/٥٢.

(٣) انظر فتح القدير ٤٩٠/٢. انظر الرازي ١٦٥/١٧.

(٤) البغوي ٣٧٨/٢ الرازي ١٦٥/١٧.

(٥) ابن كثير ٢٤٨/٤.

(٦) البغوي ٣٧٨/٢ الرازي ١٦٥/١٧.

(٧) البغوي ٣٧٩/٢ الرازي ١٦٦/١٧.

(٨) البغوي ٣٧٨/٢.

(٩) انظر معاني القرآن للفراء ٨/٢ البغوي ٣٧٩/٢ البحر المحيط ٢١٣/٥.

(١٠) انظر معاني القرآن للزجاج ٤٦/٣ الرازي ١٦٦/١٧. البحر المحيط ٢١٣/٥.

(١١) الرازي ١٦٦/١٧.

(١٢) البغوي ٣٧٩/٢ وانظر تفسير الرازي ١٦٧/١٧. ذكره الشوكاني في الفتح ٤٩٢/٢ وعزاه لابن جرير وزاد نسبه السيوطي في الدر

٣٢٦/٢ لأبي الشيخ.

(١٣) البغوي ٣٧٩/٢ فتح القدير ٤٩٢/٢ الدر المنثور ٣٢٦/٢.

قبلها نازلة في المشركين، ثم ضرب مثلاً للفريقين، فقال: ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم﴾ يريد الكفار ﴿والبصير والسميع﴾ يريد المؤمنين لأنهم سمعوا الحق وأبصروه واتبعوه، وقوله: ﴿هل يستويان مثلاً﴾ استفهام أي: في المشابهة ﴿أفلا تذكرون﴾ أفلا تتعظون يا أهل مكة؟ قوله:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ
الْيَوْمِ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ
هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْبَارِهِمُ الرَّايَ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن
كُنْتُ عَلَىٰ يَدَيْكُمْ مِنَ رَبِّي وَمِنَ النَّبِيِّ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَاكُمْ مَكُونًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقَوْمِ
أَسَأَلْتُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ إِن آجِرِي إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُّكَلَّفُوا رِبِّهِمْ وَلِكَيْفَ أَرَادَ
قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طُرِدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ
اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّيِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَنَّا يَا قَوْمِ لَمَّا تَعَدْنَا
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنَا بِمُعْجِزٍ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَفْعَلُكُمْ نُصْحِي إِن
أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَىٰ
قُلُوبُنَا إِن فَتَرَيْتَهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يَنْجُرُمُونَ ﴿٣٥﴾

﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنني﴾ من فتح الألف^(١) كان التقدير: أرسلنا نوحاً بأني لكم نذير مبين وكان الوجه بأنه لهم نذير ولكنه على الرجوع من الغيبة إلى خطاب نوح قومه، ومن كسر الألف كان التقدير: ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال لهم إنني نذير مبين، ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ قال الزجاج^(٢): «المعنى لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه بالإنذار» ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ إنني أنذرتكم لتوحدوا الله، وتركوا عبادة غيره ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ قال ابن عباس^(٣): «يعني الأشراف ورؤساء القوم» ﴿ما نراك إلا بشراً مثلاً﴾ أي إنساناً مثلاً لا فضل لك علينا ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾ أي: لم يتبعك الملأ منا وإنما اتبعك أخسأؤنا قال ابن عباس^(٤): «يريد المساكين الذين لا عقول لهم ولا شرف ولا مال» والردل: الدون من كل شيء والجمع أرذل ثم يجمع على أراذل كقولك: كلب وأكلب وأكالب. وقوله: ﴿بإيدي الرأي﴾ البادي الظاهر من قولك: بدأ الشيء إذا ظهر، وقال الزجاج^(٥): «المعنى اتبعوك في الظاهر وباطنهم على خلاف ذلك ويجوز أن يكون اتبعوك في ظاهر الرأي

(١) انظر النشر لابن الجزري ٢/٢٨٨ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٢٣.

(٢) معاني القرآن ٤٦/٣.

(٣) الرازي ١٦٩/١٧ ابن كثير ٢/٢٥٠ البغوي ٢/٣٨٠ فتح القدير ٢/٢٩٣.

(٤) البغوي ٢/٣٨٠ انظر تفسير الرازي ١٧/١٦٩ - ١٧٠ البحر المحيط ٥/٢١٤ فتح القدير ٢/٤٩٣.

(٥) انظر معاني القرآن ٤٧/٣ الرازي ١٧/١٧٠ البغوي ٢/٣٨٠ فتح القدير ٢/٤٩٣.

ولم يتدبروا ما قلت، ولم يتفكروا، ومن قرأ (بإدء) بالهمز^(١) فالمعنى: انهم اتبعوك ابتداء الرأي، أي حين ابتدأوا ينظرون وإذا فكروا لم يتبعوك ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ قال ابن عباس^(٢) «يريدون التكذيب له وما جاء به من النبوة وهل الفضل كله إلا في النبوة» ﴿بل نزنكم كاذبين﴾ ليس ما جئت به من الله، وجمعت بالكاف، لأنهم ذهبوا إلى مخاطبة نوح وأصحابه ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي﴾ قال ابن عباس^(٣): «على يقين وبصيرة ومعرفة من ربوبية ربي وعظمته، ﴿وءاتاني رحمة من عنده﴾ يعني النبوة ﴿فعميت عليكم﴾ فخفيت عليكم نبوتي لأن الله سلبكم علمها ومنعكم معرفتها لعنادكم الحق، وقرأ أهل الكوفة^(٤) «فعميت» مشددة مضمومة العين قال ابن الأنباري^(٥): «معناه: فعماهها الله عليكم إذ كنتم ممن حكم عليه بالشقاء» ﴿أتلزمكموها﴾ أتلزمكم قبولها؟ وهذا استفهام معناه الإنكار يقول: لا نقدر أن نلزمكم من ذات أنفسنا ما أنتم له كارهون، قال قتادة: «والله لو استطاع نبي الله لألزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك» ﴿ويا قوم لا أسألكم عليه﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مالاً إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾ قال ابن جريج^(٦): «إنهم سألوه طرد الذين آمنوا ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا معهم على السواء فقال نوح: لا يجوز لي طردهم إذ كانوا يلقون الله فيجزئهم بإيمانهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم، وصغر شئونهم، وهو قوله: ﴿إنهم ملاقور بهم ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ قال ابن عباس^(٧): «تجهلون ربوبية ربكم وعظمته» ﴿ويا قوم من ينصرني من الله﴾ من يمتني من عذاب الله إن طردت المؤمنين؟ والمعنى: إن طردتهم كان ذنباً ارتكبته، فمن يدفع عني عذاب الله قوله: ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ لما قالوا لنوح: إن هؤلاء الذين آمنوا بك إنما اتبعوك في ظاهر ما نرى منهم قال نوح مجيباً لهم ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ غيوب الله التي يعلم منها ما يضر الناس ﴿ولا أعلم الغيب﴾ فأعلم ما يسترونه في نفوسهم أي فسيلي قبول إيمانهم الذي ظهر لي ومضمراتهم لا يعلمها إلا الله ﴿ولا أقول إني ملك﴾ هذا جواب لقولهم: ﴿ما نراك إلا بشراً مثلنا﴾ ﴿ولا أقول للذين تزدرى أعينكم﴾ قال ابن عباس^(٨): «تحتقر وتستصغر» يعني المؤمنين يقال: ازدراه إذا احتقره وذلك أنهم قالوا: هم أراذلنا، فقال نوح: لا أقول إن الله لن يؤتيهم خيراً إذ ليس علي أن أطلع على ما في نفوسهم ﴿الله أعلم بما في أنفسهم﴾ مني ﴿إني إذا لمن الظالمين﴾ إن طردتهم تكذيباً لظاهر إيمانهم ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا﴾ خاصمتنا في الدين ﴿فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في وعد العذاب ﴿قال إنما يأتيكم﴾ بالعذاب ﴿الله إن شاء وما أنتم بمعجزين﴾ لا تعجزون الله ولا تفوتونه إن أراد أن ينزل بكم العذاب ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ قال ابن عباس في رواية غطاء^(٩): «يضلكم» والمعنى: يوقع الغي في قلوبكم لما سبق لكم من الشقاء، قال ابن الأنباري^(١٠) وقال بعضهم يهلككم. وليس هذا من كلام العرب إذ المعروف عندهم أغويت فلاناً إذا

(١) وانظر النشر ٢/٢٨٨ وانظر ١/٤٠٧ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٢٤ الرازي ١٧/١٧٠.

(٢) ابن كثير ٢/٢٥٠.

(٣) ابن كثير ٢/٢٥٠ انظر البغوي ٢/٣٨٠.

(٤) وانظر النشر ٢/٢٨٨ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٢٤ الرازي ١٧/١٧١ البحر المحيط ٥/٢١٦ فتح القدير ٢/٤٩٤ البغوي ٢/٣٨٠.

(٥) انظر البحر المحيط ٢/٢١٦.

(٦) بنحوه عند الرازي ١٧/١٧٢ وانظر البحر المحيط ٥/٢١٨.

(٨) البغوي ٢/٣٨١ الرازي ١٧/١٧٣ فتح القدير ٢/٤٩٦.

(٩) البغوي ٢/٣٨١ فتح القدير ٢/٤٩٥ أبو حيان في البحر ٥/٢١٩.

(١٠) فتح القدير ٢/٤٩٥ أبو حيان في البحر ٥/٢١٩.

أضلته بشر دعوته إليه وحسنه له ودلت هذه الآية على أن الإغواء بإرادة الله، وذكر نوح دليل المسألة فقال ﴿هو ربكم﴾ قال ابن عباس: «هو الهكم وسيدكم وخالقكم» وتأويله: إنه إنما يتصرف في ملكه فله التصرف كيف يشاء^(١)، قوله: ﴿أم يقولون﴾ أي: بل يقولون يعني قوم نوح ﴿افتراه﴾ اختلق الوحي وأتى به من عند نفسه ﴿قل إن افتريته فعلي إجرامي﴾ أي إثم إجرامي وعقوبة إجرامي، فحذف المضاف والإجرام معناه: اكتساب السيئة، يقال: أجرم فهو مجرم ﴿وأنا بريء مما تجرمون﴾ من الكفر والتكذيب.

وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ أَمَنَ فَلَا يَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعُ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ أَرُكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَجْرِيهَا وَمُرسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ أَرُكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأْتِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرِضِينَ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ قال المفسرون^(٢): «لما جاء هذا دعا على قومه: فقال: ﴿رب لا تدر على الأرض من الكافرين دياراً﴾» وقوله: ﴿فلا تبتس﴾ قال الفراء والزجاج^(٣): «لا تحزن» وقال ابن عباس^(٤): «لا تغتم» يقال: ابتأس الرجل إذا بلغه شيء يكره، فحزن له قوله: ﴿وأصنع الفلك بأعيننا﴾ قال ابن عباس^(٥): «بمرأى منا» وقال الضحاك^(٦): «بمنظر منا» وقال الربيع^(٧): «بحفظنا» والتأويل: بحفظنا إياك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك ﴿وأوحينا﴾ قال ابن عباس^(٨): «وذلك أنه لم يعلم كيف صنعة الفلك، فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جوجو^(٩) الطائر» ويجوز أن يكون

(١) البغوي ٣٨١/٢.

(٢) البغوي ٣٨٢/٢ الرازي ١٧٦/١٧ ابن كثير ٢٥٢/٤.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١٣/٢ والزجاج ٥٠/٣ البغوي ٣٨٢/٢ الرازي ١٧٦/١٧ فتح القدير ٤٩٧/٢ - ٥٠١ نقلًا عن أبي جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) بنحوه في تنوير المقياس ٢٨٩/٢.

(٥) البغوي ٣٨٢/٢.

(٦) وهذا الأثر كسابقه.

(٧) البغوي ٣٨٢/٢ الرازي ١٧٨/١٧.

(٨) انظر الطبري ٣١٤/١٥ والبغوي ٣٨٢/٢ أبو حيان (٢٠٢/٥) وابن كثير ٢٥٢/٤ فتح القدير نقلًا عن ابن أبي حاتم ٥٠١/٢.

(٩) الجوجو: مجتمع رؤس عظام الصدر. انظر المعجم الوسيط ١٠٣/١.

المعنى بوحينا إليك أن اصنعها ﴿ولا تخاطبني﴾ لا تراجعني ولا تسألني ﴿في الذين ظلموا﴾ أي: في مآلهم، وترك تعذيبهم ويراد بالذين ظلموا قومه ﴿ويصنع الفلك﴾ يعني: نوح ﴿وكلما مر عليه ملاً من قومه سخروا منه﴾ قال محمد بن إسحاق^(١): «قالوا يا نوح صرت بعد النبوة نجاراً» وقال عامة المفسرين^(٢): «إنهم رأوه ينجر الخشب ويبيء شبه البيت العظيم فإذا سألوه عن ذلك قال أعمل سفينة تجري في الماء ولم يكونوا رأوا قبل ذلك السفينة، ولا ماء هناك فكانوا يتضحكون ويتعجبون من عمله لها فقال نوح: ﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾ قال ابن الأنباري^(٣): «إن تسخروا منا لما ترون من صنعة الفلك فإنا نعجب من غفلتكم عما أظلكم من العذاب» ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ هذا وعيد وتهديد أي: فسوف تعلمون من أحق بالسخرية منكم وهو الذي يأتيه عذاب يخزيه ﴿ويحمل عليه عذاب﴾ أي: يجب عليه عذاب ﴿مقيم﴾ دائم يعني: عذاب الآخرة قوله: ﴿حتى إذا جاء أمرنا﴾ بعذابهم وهلاكهم ﴿وفار التنور﴾ ظهر الماء على وجه الأرض وقيل لنوح: إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت وأصحابك في السفينة هذا قول عكرمة والزهري، ورواية الوالبي عن ابن عباس^(٤) قال قتادة^(٥): «ذكر لنا أنه أرفع الأرض وأشرفها» وقال ابن عباس في رواية عطاء وعطية^(٦): «يريد التنور الذي يخيز فيه» قال الحسن^(٧) كان تنوراً من حجارة قيل له: «إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك» قوله: ﴿قلنا حمل فيها﴾ في السفينة ﴿من كل زوجين اثنين﴾ الذكر زوج والأنثى زوج وهو قول الحسن وقاتدة^(٨) قالوا «ذكر وأنثى» وقرأ حفص من كل بالتثنية^(٩) أراد من كل شيء ومن كل زوج زوجين اثنين فحذف المضاف إليه، وقوله ﴿وأهلك﴾ أي: واحمل أهلك قال المفسرون^(١٠): «يعني ولده وعياله» ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ يعني امرأته «واعلة» وابنه كنعان ﴿ومن آمن﴾ واحمل من صدقك ﴿وماء آمن معه إلا قليل﴾ أي: إلا نفر قليل وهم ثمانون إنساناً ﴿وقال﴾ نوح لقومه الذين أمر بحملهم ﴿اركبوا فيها﴾ أي اركبوا الماء في السفينة ﴿بسم الله مجراها﴾ أي: أجراها ومن قرأ بفتح الميم^(١١) فالمجرى مصدر الجري، ﴿ومرساها﴾ أي: إرساؤها والإرساء: الإثبات يقال: رسا الشيء يرسو إذا ثبت وأرساه غيره قال ابن عباس^(١٢): «تجري باسم الله وترسو باسم الله» وقال الضحاك^(١٣): «كان إذا أراد أن ترسو قال: بسم الله فرست وإذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت».

(١) البغوي ٣٨٢/٢ البحر المحيط ٢٢١/٥ وانظر الدر المنثور ٣٢٨/٣.

(٢) البغوي ٣٨٢/٢ البحر المحيط ٢٢١/٥.

(٣) البغوي ٣٨٣/٢.

(٤) البغوي ٣٨٣/٢ الطبري ٣١٨/١٥ (١٨١٤٣) ابن كثير ٢٥٤/٥ وذكره الشوكاني في الفتح ٥٠١/٢ وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن ابن عباس وانظر الدر المنثور ٣٢٩/٣.

(٥) البغوي ٣٨٤/٢ البحر المحيط ٢٢٢/٥ فتح القدير ٤٩٨/٢ وذكره السيوطي في الدر ٣٢٩/٣ عن ابن عباس وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وعن قتادة أيضاً عزاه لأبي الشيخ.

(٦) البغوي ٣٨٣/٢ الرازي ١٨٠/١٥ البحر المحيط ٢٢٢/٥ فتح القدير ٤٩٨/٢.

(٧) البغوي ٣٨٣/٢ الرازي ١٨٠/١٥ البحر المحيط ٢٢٢/٥ فتح القدير ٤٩٨/٢.

(٨) البغوي ٣٨٤/٢ الرازي ١٨١/١٧ انظر الدر المنثور ٣٢٩/٣ ابن كثير ٢٥٤/٤ البحر المحيط ٢٢٢/٤ فتح القدير ٤٩٨/٢.

(٩) وانظر النشر ٢٨٨/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٢٥/٢.

(١٠) البغوي ٣٨٤/٢.

(١١) انظر حجة القراءات لابن زنجلة وانظر النشر ٢٨٨/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٢٥/٢ الرازي ١٨٢/١٧ البحر المحيط ٢٢٥/٥.

(١٢) انظر معاني القرآن للفراء ١٤/٢ البغوي ٣٨٥/٢ الرازي ١٨٣/١٧.

(١٣) البغوي ٣٨٥/٢، وذكره الشوكاني في الفتح ٥٠١/٢ وعزاه لابن جرير الطبري وأبو حيان في البحر ٢٢٥/٥.

أخبرنا أبو عبد الرحمن ابن أبي حامد العدل أنا أبو العباس إبراهيم بن محمد بن موسى أنا محمد بن إدريس السامي^(١) نا سويد بن سعيد نا عبد الحميد بن الحسن^(٢) عن نهشل بن سعيد^(٣) عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أمان لأمتي إذا ركبوا السفن أو البحر أن يقولوا: سبحان الله الملك» ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ الخ الآيات^(٤): ﴿بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم﴾^(٥).

قوله تعالى: ﴿وهي تجري بهم﴾ يعني الفلك ﴿في موج كالجبال﴾ الموج ما ارتفع من الماء إذا اشتدت عليه الريح شبهه بالجبال في عظمته وارتفاعه على الماء ﴿ونادى نوح ابنه﴾ قال محمد بن إسحاق^(٦): «كان كافراً واسمه كنعان» ﴿وكان في معزل﴾ أي: في مكان منقطع بعيد من السفينة ومعنى العزل: التنحية والإبعاد يقال: هو بمعزل من هذا الأمر أي: بموضع قد عزل منه ﴿يا بني اركب معنا﴾ ومن قرأ بكسر الياء^(٧) أزداد يا بني فحذف ياء الإضافة وترك الكسرة، دلالة عليها، كما يقال: يا غلام أقبل ومن فتح الياء أبدل من الكسرة الفتحة ومن الياء الألف فصار يا نبيا، ثم حذف الألف لسكونها وسكون راء اركب والمعنى: أن نوحاً دعا ابنه إلى أن يركب معه في السفينة ليسلم من الغرق، فقال ابنه ﴿سأوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾ يقول: أنضم إلى جبل يمني من الماء فلا أغرق. فقال نوح: ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله﴾ لا مانع اليوم من عذاب الله ﴿إلا من رحم﴾ هذا استثناء منقطع، المعنى لكل من رحم، فإنه معصوم ﴿وحال بينهما الموج﴾ منع الماء بين ابن نوح وبين الجبل ﴿فكان من المفرقين﴾.

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ١١٤ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ١١٥ قَالَ يَسْنُوهُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ

(١) الإمام المحدث الرحال الصادق أبو ليلى محمد بن إدريس بن إلياس السامي السرخسي. سمع سويد بن سعيد وأبا مصعب الزهري وإسحاق بن أبي إسرائيل وهناد بن السري، ومحمود بن غيلان، وأبا كريب وطبقتهم وعمر دهرأ، ورحل الناس إليه. حدث عنه: إمام الأئمة ابن خزيمة، وأحمد بن سلمة الحافظ، وإبراهيم بن محمد الهروي الوراق، وزاهر بن أحمد السرخسي، وأبو سعيد محمد بن بشر الكرابيسي البصري وآخرون. مات سنة ثلاث عشرة وثلاث مئة، وله نيف وتسعون سنة رحمه الله، انظر السير (١٤/٤٦٤ - ٤٦٥) العيز (٢/١٥٧) النجوم الزاهرة (٣/٢١٥).

(٢) عبد الحميد بن الحسن الهلالي أبو عمرو أو أبو أمية، كوفي سكن الرّي صدوق يخطيء، انظر تقريب التهذيب (١/٤٦٧)، وانظر التهذيب ١١٣/٦ - ١١٤.

(٣) نهشل بن سعيد بن وردان الورداني بصري الأصل، سكن خراسان متروك وكذبه إسحاق بن راهويه من السابعة. انظر التقريب ٣٠٧/٢.

(٤) سورة الزمر ٧٤.

(٥) أخرجه أبو يعلى كما في الجامع الصغير ١٨٢/٢، ورمزه السيوطي بالضعف وقال المناوي في الفيض ١٨٢/٢ نقلاً عن ابن حجر: وجنادة ضعيف، وشيخه أضعف منه، وشيخه شيخه، وكذلك بالاتفاق، وطلحة مجهول وفي الميزان يحيى بن العلاء قال أحمد: كذاب يضع الحديث ثم ساق له أخباراً هذا منها انظر الميزان (٤/٣٩٧) وأخرجه الطبراني في الكبير ١٢٥/١١ وابن السني (٤٩٤).

(٦) البغوي ٢/٣٨٥، البحر المحيط ٢/٢٢٦، وذكره السيوطي في الدر عن قتادة ٣/٣٣٣، وعزاه لابن أبي حاتم. وفي تفسير ابن كثير ٢٥٦/٤، واسمه (يام) وكان كافراً.

(٧) انظر النشر ٢/٢٨٩، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٢٦، الرازي ١٧/١٨٥.

الْجَاهِلِينَ ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْثَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٤٥﴾ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنَمَتُّهُمْ ثُمَّ
يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾

﴿وقيل﴾ بعد ما تناهى أمر الطوفان ﴿يا أرض ابلعي ماءك﴾ اشربي ما فوقك من الماء، يقال: بلعت الماء أبلعه
بلعاً ﴿ويا سماء أقلعي﴾ أي: عن انزال الماء يقال: أقلعت السماء بعد ما أمطرت إذا أمسكت ﴿وغبض الماء﴾ أي:
نقص يقال: غاض الماء يغبض غيضاً إذا نقص، وغضته أنا ﴿وقضي الأمر﴾ أهلك قوم نوح وفرغ من هلاكهم
﴿واستوت﴾ يعني السفينة ﴿على الجودي﴾ هو جبل بالجزيرة وكان استواؤها عليه دلالة على نفاذ الماء.

أخبرنا أبو منصور بن أبي نصر الواعظ أنا أبو سعيد عبد الله محمد القرشي أنا محمد بن أيوب الرازي أنا علي بن
عثمان نا داود بن أبي الفرات^(١) عن علباء بن أحمر^(٢) عن عكرمة عن ابن عباس: «قال: كان مع نوح ثمانون رجلاً
معهم أهلهم وإنهم كانوا في السفينة مائة وخمسون يوماً وإن الله وجه السفينة إلى مكة فدارت بالبيت أربعين يوماً ثم
وجهها الله إلى الجودي فاستقرت، فبعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الأرض فذهب فوقع على الجيف فأبطأ عليه فبعث
الحمامة، فأتته بورك الزيتون ولطخت رجلها بالطين فعرف نوح أن الماء قد نضب فهبط إلى أسفل الجودي فابتنى قرية
وأسمها ثمانين»^(٣) ويروى^(٤) أن نوحاً عليه السلام ركب السفينة في رجب فجرت بهم ستة أشهر ومرت بالبيت فطافت
به سبعاً وقد رفعه الله من الفرق وأرسيته على الجودي يوم عاشوراء فصام نوح وأمر جميع من معه فصاموا شكراً لله
﴿وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ قال ابن عباس^(٥): «بعداً من رحمة الله للقوم المتخذين من دونه إلهاً».

قوله: ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي﴾ قال عكرمة عن ابن عباس^(٦) إنه لابنه ولكنه خالفه في النية
والعمل. ونحو هذا قال الكلبي ومحمد بن إسحاق ومقاتل^(٧) قالوا: «هو ابنه من صلبه» وقال قوم: «إن هذا الذي
خالف نوحاً كان ابن امرأته ولم يكن من صلبه» وهو قول علي وأبي جعفر الباقر ومجاهد والحسن^(٨) قوله: ﴿وإن
وعدك الحق﴾ يعني وعدتني أن تنجيني وأهلي وفي هذا سؤال النجاة لابنه ﴿وأنت أحكم الحاكمين﴾ قال ابن
عباس^(٩): «أعدل العادلين» ﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك﴾ أي: ليس من أهلك الذين وعدت أن أنجيهم معك،

(١) داود بن أبي الفرات الكندي المروزي ثقة. انظر تقريب التهذيب ٢٣٤/١، التهذيب ١٩٧/٣.

(٢) علباء بن أحمر الشكري عن أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري. وعن عكرمة. وعنه عزرة بن ثابت وحسين بن واقد. وثقه ابن
معين. انظر الخلاصة (٢/٢٤٠).

(٣) وهذا من الإسرائيليات التي لا علاقة للإسلام بها.

(٤) وكذلك الأمر كسابقه، وللأسف فقد شحن المفسرون كتبهم بها.

(٥) انظر البغوي بنحوه ٣٨٦/٢.

(٦) البغوي ٣٨٧/٢، البحر المحيط ٢٢٦/٥، الطبري ٣٤٣/١٥، وذكره السيوطي في الدرر ٣٣٣/٣ - ٣٣٤، وعزاه لعبد الرزاق، وابن
كثير ٢٥٩/٤، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٧) البغوي ٣٨٧/٢.

(٨) البحر المحيط ٢٢٦/٥، البغوي ٣٨٧/٢، فتح القدير ٥٠٢/٢، وذكره السيوطي في الدرر ٣٣٤/٣ وعزاه لابن جرير، وابن المنذر،
وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن أبي جعفر محمد بن علي.

(٩) البغوي ٣٨٧/٢.

وقال هشيم: «سألت أبا بشر عن هذه الآية فقال^(١): معناه أنه ليس من أهل دينه» وكان نوح يظن أنه من أهل دينه وروي أنه كان يظهر الإيمان ويستر الكفر وقوله: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ إن سؤالك إياي أن أنجي كافراً عمل غير صالح، وروي عن النبي ﷺ أنه قرأ: «عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٍ»^(٢) واختاره الكسائي^(٣).

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الحافظ أنا عبد الله بن محمد بن حيان نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان العسكري نا يحيى بن أبي بكر عن هارون القاري^(٤) نا ثابت عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أنها قالت: سألت النبي ﷺ عن هذه الآية كيف تقرؤها؟ فقال: «إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٍ»^(٥) والمعنى أن ابنك عمل غير صالح يعني الشر والجاهلين. قال ابن عباس: «يريد الآثمين؛ لأن ذنب المؤمن جهل ليس بكفر»^(٦) ثم اعتذر نوح أجمل الاعتذار فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ قال ابن عباس: «يريد أنك أنت علام الغيوب وأنا لا أعلم ما غاب عني» ﴿وَلَا تَغْفِرْ لِي﴾ جهلي ﴿وَتُرْحَمَنِي﴾ أكن من الخاسرين ﴿قَوْلُهُ﴾: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾ قال ابن عباس^(٧) «يريد من السفينة إلى الأرض» ﴿بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾ أي سلامة ﴿وَبِرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ قال المفسرون^(٨): «معنى البركات على نوح، أنه صار أبا البشر والأنبياء لأن جميع من بقي كانوا من نسله» قال ابن عباس^(٩): «يريد أنك آدم الأصغر» قوله ﴿وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾ قال ابن عباس^(١٠) «يريد من ولدك» قال ابن الأنباري^(١١): «من ذراري من معك. ولم يكن الذين كانوا مع نوح أمماً، وأراد المؤمنين وأهل السعادة من ذريته» ثم ذكر الكفار من ذريته، فقال ﴿وَأُمَمٍ سَنُنْتَهُمْ﴾ يعني في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني في الآخرة، قال محمد بن كعب القرظي^(١٢): «لم يبق مؤمن ولا مؤمنة في أصلاب الرجال وأرحام النساء يومئذ إلى أن تقوم الساعة إلا دخل في ذلك السلام والبركات ولم يبق كافراً إلا دخل في ذلك المتاع والعذاب الأليم»

(١) انظر تفسير البغوي ٣٨٧/٢.

(٢) وأخرجه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد ١٥٨/٧، وقال الهيثمي فيه حميد بن الأزرق لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٣) انظر النشر ٢٨٩/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٣٧/٢.

(٤) هارون بن موسى أبو عبد الله الأعمى البصري الأزدي، مولاهم علامة صدوق نبيل له قراءة معروفة، روى القراءة عن عاصم الجحدري، وعاصم بن أبي النجود، وعبد الله بن كثير وابن محيصن وحميد بن قيس. وروى عن ثابت وأنس بن سيرين. مات هارون قبل المائةين. انظر غابة النهاية (٣٤٨/٢).

(٥) أخرجه أبو داود في السنن ٣٣/٤، في كتاب الحروف باب ٣٩٨٢، وأحمد في المسند ٢٩٤/٦، ٣٢٢، وانظر تفسير الطبري ٣٤٥/١٥ - ٣٥٠، وقال الحافظ ابن كثير: وأم سلمة بنت يزيد، فإنها تكني بهذا أيضاً (٢٦٠/٤).

(٦) انظر تفسير الرازي ٤/١٨.

(٧) البغوي ٣٨٧/٢، الرازي ٦/١٨، أبو حيان ٢٣١/٥.

(٨) أبو حيان ٢٣١/٢، الرازي ٦/١٨.

(٩) أبو حيان ٢٣١/٢، الرازي ٧/١٨.

(١٠) البغوي ٣٨٧/٢.

(١١) البغوي ٣٨٧/٢.

(١٢) ذكره الشوكاني في الفتح ٥٠٣/٢، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ. وانظر الدر المنثور ٣٣٧/٣. الرازي

تَلَكْ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيَاً إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾

قوله: ﴿تلك﴾ يعني ما ذكر من قصة نوح ﴿من أنباء الغيب﴾ من أخبار ما غاب عنك وعن قومك ﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا﴾ قال قتادة^(١) «من قبل هذا القرآن» وما كان علم محمد وقومه بما صنع نوح لولا أن الله بين له ذلك، ﴿فاصبر﴾ أي: كما صبر نوح على أذى قومه ﴿إن العاقبة للمتقين﴾ إن آخر الأمر بالظفر والتمكين لك ولقومك كما كان لمؤمني قوم نوح.

وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۖ
يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُكُمْ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۖ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا
مُجْرِمِينَ ۖ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ
بِعُومِنِينَ ۖ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِ هَارُونَ بِسُوءٍ قَالَ إِنَّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا
تَشْرِكُونَ ۖ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ۖ إِنْ يَتُوكَلِّمُ عَلَىٰ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ
ءَاخِذٌ بِبِصَائِبِهَا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۖ إِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَعْتُكُمْ مِمَّا أُرْسِلْتُ بِهِ ۖ إِلَيْكُمْ وَسَخِلْتُ رَبِّي
قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ۖ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ
بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۖ ﴿٥٨﴾

قوله: ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾ هذا عطف على قوله: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ كأنه قال: أرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً وكان أخاهم في النسب لا في الدين قال ابن عباس^(٢): «يريد ابن أبيهم» وقوله ﴿إن أنتم إلا مفترون﴾ أي: ما أنتم إلا كاذبون في إشراككم مع الله الأوثان وما بعد هذا قد تقدم تفسيره إلى قوله: ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ قال المفسرون^(٣): «إن الله تعالى قد حبس المطر عن قوم عاد ثلاث سنين، وأعقم أرحام نسائهم فقال لهم هود: إن أنتم آمنتم أحى الله بلادكم ورزقكم المال والولد» وذلك قوله: ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ وقد تقدم تفسيره في أول سورة الأنعام^(٤) ﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ فسرت القوة هنا بالمال والولد والشدة وكل هذا مما يقوي به الإنسان قال ابن عباس في رواية الكلبي ومقاتل^(٥) «يعني العدد وكثرة الأولاد» وقوله: ﴿ولا تتولوا مجرمين﴾ لا تركوا الإيمان بالله ولا تعرضوا عنه ﴿قالوا يا هود ما جئنا ببينة﴾ أي: بحجة واضحة ﴿وما نحن بتاركي آل هارون﴾ أي بقولك والباء وعن تتعاقبان ﴿وما نحن لك

(١) البغوي ٢/٣٨٧، أبو حيان ٥/٢٣٢.

(٢) البغوي ٢/٣٨٧، الرازي ١٨/٩.

(٣) البغوي ٢/٣٨٨، الرازي ١٨/١٠، أبو حيان ٥/٢٣٣.

(٤) قال المصنف رحمه الله السماء - يعني - المطر.

(٥) البغوي ٢/٣٨٨، الرازي ١٨/١٠، أبو حيان ٥/٢٣٣.

بمؤمنين ﴿بمصدقين﴾ إن نقول إلا اعتراضك بعض اهتنا بسوء ﴿أي: ما نقول في سبب مخالفتك إيانا إلا أن بعض ألسنتنا أصابك بالجنون فأفسد عقلك وأجلك فالذي تظهر من عيبها لما لحق عقلك من التغيير، يقال عراه أمر كذا، واعتراه إذا غشيه وأصابه فقال نبي الله عند ذلك: ﴿إني أشهد الله﴾ الآية يعني إن كان عندكم أنها عاقبتني ليطغى عليها فإني على بصيرة في البراءة منها والعيب لها وقوله: ﴿فكيدوني جميعاً﴾ أي احتالوا أنتم وأوثانكم في عداوتي وغيظي ﴿ثم لا تنظرون﴾ لا تمهلوني قال الزجاج^(١): «وهذا من أعظم آيات الأنبياء أي: يقبل النبي على قومه مع كثرة عددهم، فيقول لهم هذا القول، وذلك للثقة بنصر الله تعالى» ثم ذكر ذلك فقال ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾ أي: إلا هي في قبضته وتناها قدرته كيف شاء والعرب إذا وصفت إنساناً بالذلة والخضوع قالوا آما ناصيته إلا بيد فلان) أي: إنه مطيع له يصرفه كيف يشاء لأن من أخذته بناصيته وهو شعر مقدم الرأس فقد قهرته. قوله: ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ قال الزجاج وابن الأنباري^(٢): «أي إنه وإن كان قادراً عليهم فهو لا يظلمهم ولا يلحقهم بقدرته عليهم إلا ما يوجب الحق وقوعه بهم» وقال عطاء عن ابن عباس^(٣): «يريد أن الذي بعثني الله به دين مستقيم والمعنى على هذا: إن دين ربي على صراط مستقيم ﴿فإن تولوا﴾ أي تتولوا بمعنى تعرضوا عما دعوتكم إليه من الإيمان بالله وعبادته ﴿فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم﴾ قال الزجاج وابن الأنباري^(٤): «معناه: فقد ثبتت الحجة عليكم، وظهر فساد مذهبكم» ويستخلف ربي قوماً غيركم ﴿قال ابن عباس: «ويخلق بعدكم من هو أطوع لله منكم﴾ ولا تضرونه شيئاً﴾ قال: «يريد هلاككم لا ينقص من ملك ربي شيئاً» وقال غيره^(٥): «لا تضرونه شيئاً بإعراضكم إنما تضرون أنفسكم لأن ضرر كفركم عائد عليكم» ﴿إن ربي على كل شيء﴾ من أعمال العباد ﴿حفيظ﴾ حتى يجازيهم عليها. قوله: ﴿ولما جاء أمرنا﴾ بهلاك عاد ﴿ونجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ قال ابن عباس^(٦): «يريد حيث هديتهم للإيمان وعصمتهم من أن يكفروا بي» فمعنى الرحمة ها هنا ما أراهم من الهدى والبيان ﴿ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ يعني ما عذب به الذين كفروا ثم ذكر عاد فقال:

وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعَلَّةً وَيَوْمَ الْيَوْمِ إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقْتُولُوا عَبْدُوا اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْحُومًا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ مِن دُونِ رَبِّهِ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَقْتُولُوا أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَازَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَقْتُولُوا هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٥٨/٣، البغوي ٣٨٨/٢، فتح القدير ٥٠٥/٢.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٥٨/٣، البغوي ٣٨٩/٢.

(٣) البغوي ٣٨٩/٢.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٥٨/٣، فتح القدير ٥٠٥/٢.

(٥) البغوي ٣٨٩/٢.

(٦) فتح القدير ٥٠٦/٢، الرازي ١٣/١٨، البحر المحيط ٢٣٥/٥.

تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَفَقَرُوا هَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِّيمٍ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بَعْدَ ثَمُودَ ﴿٦٨﴾

﴿وتلك عاد﴾ يعني القبيلة ﴿جحدوا بآيات ربهم﴾ قال ابن عباس^(١): «كذبوا أنبياء الله» ﴿وعصوا رسله﴾ إنما جمع الرسل وكان قد بعث إليهم هوداً لأن من كذب رسولاً واحداً فقد كفر بجميع الرسل ﴿واتبعوا أمر كل جبار عنيد﴾ [واتبع السفلة والسقاط الرؤساء والعنيد]^(٢): الذي لا يقبل الحق من قولهم: عند الرجل يعند عنوداً إذا أبى أن يقبل الشيء وإن عرفه ﴿وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة﴾ أي أردفوا لعنة تلحقهم وتتصرف معهم ﴿ويوم القيامة﴾ أي: وفي يوم القيامة كما قال ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة﴾^(٣) ﴿ألا إن عاداً كفروا ربهم﴾ أي: بربهم فحذف الياء، كما تقول: أمرتك الخير ﴿ألا بعداً لعاد قوم هود﴾ يريد بعدوا من رحمة الله قوله ﴿وإلى ثمود﴾ ظاهر إلى قوله: ﴿هو أنشأكم من الأرض﴾ يعني خلقكم من آدم وآدم خلق من الأرض ﴿واستعمركم فيها﴾ جعلكم عماراً لها أي: أورثكم الأرض فصرت عمرتها بعد من مضى ﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا﴾ قال المفسرون^(٤): «كان صالح يعدل عن دين قومه، ويبغض أصنامهم وكانوا يرجون رجوعه إلى دين أبيه وعشيرته، فلما أظهر دعاءهم إلى الله ترك عبادة الأصنام زعموا أن رجاءهم انقطع منه ويشوا من دخوله في ملتهم وأنكروا عليه نهيه إياهم عن عبادة الأصنام» فقالوا: ﴿أنتهانا أن نعبد ما يعبد ءاباؤنا وإنما لفي شك مما تدعوننا إليه﴾ من توحيد الله وعبادته ﴿مريب﴾ موقع للريبة ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي﴾ الآية يقول: يا قوم، أعلمتم من ﴿ينصرنني من الله﴾؟ من يمنعي من عذاب الله ﴿إن عصيته﴾ بعد بينة من ربي ونعمة؟ قوله: ﴿فما تزيدونني غير تخسير﴾ لم يكن صالح في خسارة حين قال لهم هذا وإنما المعنى ما تزيدونني بما تقولون، يعني قولهم: ﴿أنتهانا أن نعبد ما يعبد ءاباؤنا﴾ إلا نسبي إياكم إلى الخسارة والتخسير مثل التفسيق والتفجير، قال ابن الأعرابي: [يريد غير تخسير لكم لا لي ومعنى التخسير التذليل والإبعاد من الخير]^(٥) ﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم ءاية﴾ الآية مشروحة في سورة الأعراف وقوله: ﴿ثلاثة أيام﴾ قال المفسرون^(٦): «لما عقرت الناقة صعد فصيلها الجبل ورغا رغبة ثلاثاً فقال صالح: لكل رغبة أجل معلوم فاصفر ألوانهم أول يوم ثم احمر من الغد ثم أسود اليوم الثالث» وهو قوله: ﴿ذلك وعد﴾ أي: العذاب ﴿غير مكذوب﴾ أي: غير كذب.

(١) البغوي ٢/٣٨٩، الرازي ١٨/١٣، فتح القدير ٢/٥٠٦.

(٢) سقط في ج.

(٣) سورة النور ٢٣.

(٤) البغوي ٢/٣٩٠، البحر المحيط ٥/٢٣٨، فتح القدير ٢/٥٠٧-٥٠٨.

(٥) الرازي ١٨/١٦، البغوي ٢/٣٩١، البحر المحيط ٥/٢٣٩، فتح القدير ٢/٥٠٨.

(٦) سقط في أ، ب.

(٧) البغوي ٢/٣٩١، الرازي ١٨/١٧.

أخبرنا نصر بن بكر بن أحمد بن الحسين بن مهرا بن عبد الله بن محمد السجزي أنا محمد بن أيوب أنا العباس بن الوليد النرسي أنا يحيى بن سليم^(١) عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن ابن الزبير أن جابر حدثه «أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك قام فخطب الناس فقال: أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات، هؤلاء قوم صالح سألوها نبيهم أن يبعث لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم وردها، فيحلبون من لبنها، مثل الذي كانوا يشربون من ماءها يوم غيها^(٢)، فعتوا عن أمر ربهم، فقال: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام وكان وعداً من الله غير مكذوب ثم جاءتهم الصيحة فأهلك الله من كان في مشارق الأرض ومغاربها منهم إلا رجلاً كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله يقال له: أبو رغال قيل يا رسول الله من أبو رغال؟ قال: أبو ثقيف^(٣)».

قوله: ﴿فلما جاء أمرنا﴾ تقدم تفسيره في قصة عاد إلى قوله: ﴿ومن خزري يومئذ﴾ قال ابن الأنباري^(٤): «هذا عطف على محذوف بتقدير: نجيناهم من العذاب ومن خزري يومئذ من الخزري الذي لزمهم ذلك اليوم، وبقي عاد مأثوراً عنهم وفي ﴿يومئذ﴾ قراءتان الفتح والكسر^(٥) فمن كسر فإن الاسم معرب فانجر بالإضافة ومن فتح الميم مع أنه في موضع جر فلأنه مضاف إلى مبني غير متمكن والمضاف إلى المبني يجوز بناؤه.
كقول النابغة^(٦):

عَلَى حِينِ عَاتَبْتَ الْمَشِيبَ عَلَى الصُّبَا وَقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَأَزْعُ

قوله: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ قال ابن الأنباري^(٧): «إنما ذكر أخذ، لأن الصيحة محمولة على الصباح قال المفسرون: «لما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم» ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يكنوا فيها﴾ هذه الأحرف مفسرة في سورة الأعراف ﴿ألا إن ثمود كفروا بربهم﴾ قرئ بالإجراء وتركه^(٨) فمن أجراه فلأنه اسم مذكر سمي به مذكر، وهو الحي فصل كثيف وقريش ومن ترك إجراء جعله اسماً للقبيلة فلم يصرفه لإجماع التعريف والتأنيث وهو ثمود بن عاتي بن إرم بن سام بن نوح قال أبو عمرو بن العلاء: «سميت ثمود^(٩) لقلّة ماءها، والثمد الماء القليل، وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام» قوله:

(١) يحيى بن سليم الطائفي نزيل مكة صدوق سنيء الحفظ، مات سنة ثلاث وتسعين أو بعدها انظر التقريب ٣٤٩/٢.

(٢) والغب أن ترعى يوماً وترد من الغد، انظر لسان العرب ٣٢٠٤/٥ م غب.

(٣) تقدم.

(٤) انظر البيان ١٩/٢.

(٥) انظر حجة القراءات، وانظر النشر ٢٨٩/٣، إتحاف فضلاء البشر ١٢٩/٢.

(٦) انظر ديوانه ٣٨، والكتاب لسبويه ٣٣٠/٢ ابن الشجري ٤٦/١ ابن يعيش ١٦/٣ شرح شواهد الغني (٢٩٨) الإنصاف ٥٨/١

الخزاعة ١٥١/٣ العين ٤٠٦/٢ النصف ٥٨/١ اللمع ٢١٨/١.

(٧) انظر البيان ٢٠/٢.

(٨) انظر النشر ٢٨٩/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٢٩/٢.

(٩) قرأ حمزة وحفص عن عاصم (ألا إن ثمود) غير منون في كل القرآن، وقرأ الباقون (ثموداً) بالتونين، ولثمود كلاهما بالصرف،

والصرف للذهاب إلى الحي أو إلى الأب الأكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة. انظر الرازي (١٩/١٨)، وانظر البحر

المحيط (٢٤٠/٥)

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَهُ بِعَجَلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَوْتَلَيْتُ آلِدًا وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أُنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلْنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَابَرَّهُمْ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَنَا عِدَابٌ عَذَابٌ غَيْرَ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾

﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ يعني الملائكة الذين أتوه في صورة الأضياف قال ابن عباس^(١): «وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل» وقال الضحاك^(٢): كانوا تسعة. وقال السدي^(٣): كانوا أحد عشر ملكاً على صورة الغلمان الوضاء ﴿قالوا سلاماً﴾ أي: سلموا سلاماً ﴿قال سلام﴾ أي: عليكم سلام وقرأ حمزة^(٤): (سلم) بكسر السين قال الفراء^(٥): وهو في معنى سلام كما قالوا: حل وحلال وحرم حرام لأن التفسير جاء بأنهم سلموا عليه فرد عليهم. وقوله ﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ قال عبيد بن عمير: «مكث إبراهيم عليه السلام خمس عشرة ليلة لا يأتيه ضيف فاغتم لذلك فلما جاءت الملائكة رأى أضيافاً لم ير مثلهم فجاءهم بعجل حنيذ» أي: محنود أي: مشوي، قال ابن عباس^(٦): «الحنيذ: النضيج» وهو قول مجاهد وقتادة^(٧) والحند: اشتواء اللحم بالحجارة المحماة في شق من الأرض يقال: حنذته حنذاً وهو فعل أهل البادية ﴿فلما رأى﴾ إبراهيم ﴿أيديهم لا تصل﴾ إلى العجل لأنهم كانوا ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ﴿نكرهم﴾ إبراهيم أي: أنكرهم وخاف امتناعهم من طعامه، وهو قوله: ﴿وأوجس منهم خيفة﴾ قال أبو عبيدة والزجاج^(٨): «أضمر منهم خوفاً» لأنه لم يكن يأمن أن يكونوا جاءوا لبلاء أو شر، لما لم يتحرموا بطعامه، ورأوا علامة ذلك في وجهه ﴿قالوا لا تخف﴾ فإننا ملائكة الله ﴿أرسلنا إلى قوم لوط﴾ بالعذاب ﴿وامرأته قائمة﴾ من وراء الستور يعني سارة بنت هاران بن ناحور بنت عم إبراهيم وكانت تسمع إلى الرسل وقوله: ﴿فضحكت﴾ أي: سروراً بما زال عنها من الخوف لأنها كانت خافت كما خاف إبراهيم عليه السلام ويجوز أن يكون هذا على التقديم والتأخير والتقدير: فبشرناها بإسحاق فضحكت سروراً بالبشير وذلك أن الملائكة قالوا لها: أيتها الضاحكة ستلدين غلاماً والقولان في ضحكت ذكرهما الفراء^(٩) وقوله: ﴿فبشرناها بإسحاق﴾ قال المفسرون^(١٠): «كان

(١) الرازي ١٨/١٩، البغوي ٢/٣٩٢، البحر المحيط ٥/٢٤١، فتح القدير ٢/٥١٢، ابن كثير ٤/٢٦٥، انظر الدر المنثور ٣/٣٣٨.

(٢) البغوي ٢/٣٩٢، الرازي ١٨/١٩، البحر المحيط ٢/٢٤١، فتح القدير ٢/٥٠٩.

(٣) البغوي ٢/٣٩٢، البحر المحيط ٢/٢٤١، فتح القدير ٢/٣٩٢.

(٤) انظر حجة القراءات، وانظر النشر ٢/٢٩٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٣٠.

(٥) الرازي ١٨/٢٠.

(٦) بنحوه عند البغوي ٢/٣٩٢، أبو حيان في البحر ٥/٢٤٢، وذكره الشوكاني في الفتح ٢/٥١٢، وعزاه لابن جرير وابن المنذر، وانظر الدر ٣/٣٣٨.

(٧) البغوي ٢/٣٩٢، انظر فتح القدير ٢/٥١٢، الرازي ١٨/٢١، ابن كثير ٤/٢٦٤.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٦١.

(٩) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٢.

(١٠) الطبري ١٥/٣٨٩ - ٣٩٠، أبو حيان في البحر ٥/٢٤٣.

إبراهيم قد ولد له من هاجر إسماعيل وكبير وشب فتمنت سارة أن يكون لها ابن وأيست من ذلك لكبر سنها، فبشرت على كبر السن بولد يكون نبياً وولد نبياً وهو قوله ﴿ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ قال الزجاج^(١): «بشروها بأنها ولد إسحاق وأنها تعيش إلى أن ترى ولد ولده» ووراء ها هنا: بمعناها بعد قال ابن عباس ومقاتل^(٢): «ومن بعد إسحاق يعقوب» ويعقوب رفع^(٣) لأنه ابتداء مؤخر معناه التقديم، المعنى: ويعقوب يحدث لها من وراء إسحاق ومن نصب يعقوب نصبه بفعل يشاكل معناه معنى التبشير على تقدير: من وراء إسحاق وهبنا لها يعقوب كما تقول العرب: مررت بأخيك وأباك يريدون بمررت جزت كأنه قيل: جزت أخاك وأباك كما قال رؤبة^(٤):

يَهْوِين فِي نَجْدٍ وَعَوْرًا غَائِرًا

أراد يدخلن نجداً قوله: ﴿قالت يا ويلتي﴾ الأصل: يا ويلتي، فأبدل من الياء الألف لأنه أخف من الياء والكسرة، وهذه الكلمة إنما تقال عند الإيدان بورود الأمر العظيم الفظيخ، وقوله: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ استفهام تعجب قال محمد بن إسحاق^(٥): «كانت ابنة تسعين سنة وكان زوجها ابن عشرين ومائة سنة» وهو قوله: ﴿وهذا بعلي شيخاً إن هذا﴾ الذي تذكرونه من أمر الولد بيننا ﴿لشيء عجيب﴾ معجب ﴿قالوا﴾ لها: ﴿أتعجبين من أمر الله﴾ من قضاء الله وقدرته؟ ﴿رحمت الله وبركاته عليكم﴾ يحتمل أن يكون هذا من دعاء الملائكة لهم بالرحمة والبركة ويحتمل أن يكون ذلك إخباراً عن ثبوت ذلك لهم وقوله: ﴿أهل البيت﴾ يعني بيت إبراهيم عليه السلام ومن تلك البركات أن الأسباط وجميع الأنبياء كانوا من إبراهيم وسارة ﴿إنه حميد﴾ تحمد فعالة وهو بمعنى المحمود ﴿مجيد﴾ المجيد الماجد وهو الو الشرف والمجد والكرم، قوله: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروح﴾ يعني الفزع الذي أصابه لما لم يأكلوا العجل ﴿وجاءته البشري﴾ بإسحاق ويعقوب ﴿بجادلنا في قوم لوط﴾ أي: أقبل وأخذ يجادل رسلنا من الملائكة: قل المفسرون^(٦): «إن الرسل لما قالوا لإبراهيم: إنا مهلكو أهل هذه القرية قال رأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم قالوا لا قال: فأربعون قالوا: لا فما زال ينقص ويقولون: لا حتى قال: فواحد قالوا: لا فاحتج عليهم بلوط فقال ﴿إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله﴾ فهذا معنى جدال إبراهيم في قوم لوط وما بعد هذا مفسر في سورة التوبة، قالت الرسل عند ذلك ﴿يا إبراهيم أعرض عن هذا﴾ الجدال ﴿إنه قد جاء أمر ربك﴾ بعدابهم ﴿وإنهم آتيتهم عذاب غير مردود﴾ أي: لا يرد عنهم ما يأتيهم من العذاب لأن الله تعالى قد قضى بذلك. قوله:

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۗ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُمْ يَهْرَعُونَ بِالْحَمْلِ ۗ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۗ قَالَ يَنْقُورُ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۗ

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٦٢/٣، وانظر الدر المنثور ٣٣٨/٣ البغوي ٢٩٣/٢ فتح القدير ٥١٢/٢.

(٢) ابن كثير ٢٦٥/٤، أبو حيان في البحر ٢٤٣/٥، الرازي ٢٢/١٨. انظر ابن كثير ٢٦٦/٢.

(٣) انظر النشر ٢٩٠/٢، وإتحاف فضلاء البشر ١٣١/٣.

(٤) صدر بيت انظر ملحقات ديوانه (١٩٠) وعجزه:

فواسقا عن قصدها جوائرا

(٥) البغوي ٣٩٣/٢، وانظر البحر المحيط ٢٤٣/٥، الرازي ٢٢/١٨، فتح القدير ٥١٢/٢.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٦٥/٣، البغوي ٣٩٤/٢، الرازي ٢٥/١٨، الطبري ٤٠٣/١٥، البحر المحيط ٢٤٥/٥، ابن كثير

٢٦٦/٤، وذكر السيوطي في الدر ٣٤١/٣، وعزاه لعبد الرزاق، وأبي الشيخ عن قتادة.

أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

﴿ولما جاءت رسلنا﴾ يعني الملائكة ﴿لوطاً﴾ في قريته ﴿سوء بهم﴾ حزن بمجيئهم لأنهم أتوه في صورة غلمان جرد فلما نظر إلى حسن وجوههم وطيب روائحهم، أشفق عليهم من قومه أن يقصدوهم بالفاحشة وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عنهم ﴿وضاق بهم ذراعاً﴾ ضاق صدره وعظم المكروه عليه قال الزجاج^(١): «يقال: ضاق زيد بأمره ذراعاً إذا لم يجد من المكروه فيه مخلصاً» ﴿وقال هذا يوم عصيب﴾ شديد قال أبو عبيدة^(٢): «إنما قيل له عصيب لأنه يعصب الناس بالشر أي يشدهم» قوله ﴿وجاءه قومه يهرعون إليه﴾ قال المفسرون: «لما أضافهم لوط مضت امرأته عجوز السوء فقالت لقومه لقد استضاف لوطاً قوم لم أر أحسن وجوهاً منهم فجاءه قومه يهرعون إليه»^(٣) قال الكسائي وأبو زيد: أهرع الرجل إهراعاً إذا أسرع قال عامة المفسرين: «يهرعون»^(٤) يسرعون ﴿ومن قبل﴾ أي: ومن قبل مجيئهم إلى لوط ﴿كانوا يعملون السيئات﴾ يعني فعلهم المنكر ﴿قال﴾ لوط ﴿هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾ يعني أنا أزوجكموهن، فهن أطهر لكم من نكاح الرجال أراد أن يقي أضيافه ببناته فعرضهن عليهم، وقال سعيد بن جبير^(٥): «دعاهم إلى نسائهم» يعني أن قوله ﴿هن أطهر لكم﴾ أي نسائكم أطهر لكم فجعلهن بناته لأنه نبههم وكل نبي أبو أمته وقوله ﴿فاتقوا الله﴾ أي: اتقوا عقابه ﴿ولا تخزون في ضيفي﴾ لا تسوءوني فيهم ولا تفعلوا بهم فعلاً يلزمني الاستحياء منهم والضيف يراد به الجمع قال ابن عباس^(٦): «لا تفضحوني في أضيافي» يريد أنهم إذا هجموا على أضيافه بالمكروه لحقته الفضيحة ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ وهذا معنى قول ابن عباس^(٧): «رجل رشيد يقول الحق ويرد هؤلاء عن أضيافي» ورشيد هنا بمعنى مرشد ﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ ليس لنا بأزواج فنستحقهن ﴿وإنك لتعلم ما نريد﴾ قال عطاء^(٨): «إنك لتعلم أننا نريد الرجال لا النساء يعنون عملهم الخبيث» ﴿قال لو أن لي بكم قوة﴾ جماعة أقوى بها عليكم ﴿أو آوى إلى ركن شديد﴾ أو أنضم إلى عشيرة تصرنني وشيعة تمنعني، وجواب لو

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٦٦/٣، البغوي ٣٩٤/٢، الرازي ٢٦/١٨.

(٢) انظر مجاز القرآن ٢٩٣/١، انظر تفسير البغوي ٣٩٤/٢، الرازي ٢٦/١٨، فتح القدير ٥١٣/٢.

(٣) انظر تفسير الطبري ٤٢٩/١٥ (١٨٤١٦)، ابن كثير ٢٧٠/٤، البغوي ٣٩٥/٢، البحر المحيط ٢٤٦/٥، الرازي ٢٧/١٨.

(٤) ابن كثير ٢٦٨/٤، البحر المحيط ٢٤٦/٥، البغوي ٣٩٥/٢، فتح القدير ٥١٦/٢، الرازي ٢٧/١٨.

(٥) أخرجه الطبري ٤١٤/١٥ (١٨٣٨٠)، ابن كثير ٢٦٨/٤، البغوي ٣٩٥/٢، الرازي ٢٧/١٨، فتح القدير ٥١٦/٢. وذكره

السيوطي في الدر ٣٤٤/٣، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٦) الرازي ٢٨/١٨، انظر فتح القدير ٥١٦/٢، البغوي ٣٩٥/٢ ذكره السيوطي في الدر ٣٤٣/٣، وعزاه لإسحاق بن بشر، وابن

عساكر من طريق جوير، ومقاتل عن الضحاك.

(٧) فتح القدير ٥١٦/٢، البغوي ٣٩٥/٢ انظر الدر المنثور ٣٤٣/٣.

(٨) الطبري ٤١٧/١٥، ٤١٨، ابن كثير ٢٦٨/٢، فتح القدير ٥١٦/٢، البغوي ٣٩٥/٢.

محذوف على تقدير: لحلت بينكم وبين المعصية قال قتادة^(١): «ذكر لنا أن الله لم يبعث نبياً بعد لوط إلا في عز من قومه ومنعة من عشيرته» ولما رأَت الملائكة ما لقي لوط من قومه ﴿قالوا يا لوط﴾ إن ركنك لشديد، و﴿إنا رسل ربك لن يصلوا إليك﴾ بسوء فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق فذلك قوله تعالى: ﴿ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم﴾ وقوله: «فأسر بأهلك» وقرئ بقطع الألف^(٢) وهما لغتان، يقال: سریت بليل، وأسريت ومنه قوله: ﴿أسرى بعبده﴾ قال السدي عن ابن مالك: «لم يؤمن بلوط إلا ابتناه الكبرى اسمها رية والصغرى اسمها عروبة^(٣) والمراد بالأهل ها هنا ابتناه» وقوله: ﴿يقطع من الليل﴾ قال ابن عباس^(٤) «يريد في ظلمة الليل» وقال قتادة^(٥): «بعد طائفة من الليل» ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ نهى من معه من الالتفات إذا خرجوا من قريتهم وقوله: ﴿إلا امرأتك﴾ من نصبها^(٦) جعلها مستثناة من الأهل على معنى: فأسر بأهلك إلا امرأتك ومن رفع فكان المعنى: ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك قال قتادة^(٧): «ذكر لنا أنها كانت مع لوط حين خرج من القرية فلما سمعت هدة العذاب التفت فقالت: واقوماه فأصابها حجر فأهلكها» وهو قوله: ﴿إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم﴾ للعذاب ﴿الصبح﴾ فقال لوط: أريد أعجل من ذلك بل الساعة يا جبريل، قال له: ﴿الصبح بقریب فلما جاء أمرنا﴾ الملائكة بالعذاب ﴿جعلنا عاليها سافلها﴾ الكناية تعود إلى المؤتفكات وهي مذكرة قبل هذه السورة قال المفسرون^(٨) «أدخل جبريل جناحه تحت مدائن قوم لوط حتى قلعتها، وصعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نهيق الحمار ونباح الكلاب وصياح الديوك، لم تسقط لهم جرة ولم ينكسر لهم إناء وكان الطير يخرج في الهواء لا يدري أين يذهب ثم قلبها عليهم مكانها، وأنزلت عليهم الحجارة» فذلك قوله: ﴿وأمرنا عليها حجارة من سجيل﴾ وهو مُعَرَّب عن (سَنَك) و(كَل) وهذا قول ابن عباس، وهب، وقاتدة، وسعيد بن جبیر^(٩) والعرب لا تعرف هذا قال الزجاج^(١٠): «ومن كلام الفرس ما لا يحصى مما عربته العرب نحو جاموس وديباج» وقد أعاد الله ذكر هذه الحجارة فقال: ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين﴾ فبين للعرب ما عني بالسجيل وهذا القول اختيار الفراء وابن قتيبة قالوا^(١١): «من طين قد طبخ حتى صار كالآجر فهو سنك كل بالفارسية» قوله: ﴿منضود﴾ هو مفعول من التضد وهو وضع الشيء بعضه على بعض ومعناه في قول أكثر المفسرين^(١٢): الذي يتلو بعضه بعضاً ﴿مسومة﴾ من نعت قوله:

(١) ذكره البغوي في التفسير عن أبي هريرة ٣٩٥/٢. ذكره السيوطي في الدر ٣٤٣/٣، وعزاه لسعيد بن منصور، وأبي الشيخ عن ابن

عباس.

(٢) انظر ابن زنجلة، وانظر النشر ٢/٢٩٠، إتجاه فضلاء البشر ٢/١٣٢.

(٣) وفي الرازي (٢٧/١٨) (وهما) (زنتا، وزعورا)، وفي البحر أيضاً ٥/٢٤٦.

(٤) انظر تفسير البغوي ٢/٣٩٦، الرازي ١٨/٣٠، انظر الدر المنثور ٢/٣٤٥، وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) البغوي ٢/٣٩٦، الرازي ١٨/٣٠.

(٦) انظر النشر ٢/٢٩٠، إتجاه فضلاء البشر ٢/١٣٣، البغوي ٢/٣٩٦، الرازي ١٨/٣٠.

(٧) البغوي ٢/٣٩٦، الرازي ١٨/٣٠، انظر الدر المنثور ٣/٣٤٥.

(٨) البغوي ٢/٣٩٦، الرازي ١٨/٣١، الطبري ١٥/٤٤٢، ابن كثير ٤/٢٧١، السيوطي في الدر ٣/٣٤٣، فتح القدير ٢/٥١٧.

(٩) الطبري ١٥/٤٣٣، ابن كثير ٤/٢٧٠، البغوي ٢/٣٩٧، وذكره السيوطي في الدر ٢/٣٤٥، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن

حميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١٠) معاني القرآن ٣/٧٠، البغوي ٢/٣٩٧، انظر الدر المنثور ٣/٣٤٥.

(١١) معاني القرآن للفراء ٢/٢٤، غريب القرآن لابن قتيبة ٢٠٧.

(١٢) ابن كثير ٤/٢٧١، البغوي ٢/٣٩٧.

﴿حجارة﴾ قال الزجاج (١): «معلمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا» وهذا قول ابن جريج (٢) قال: «كانت عليها سيما لا تشاكل حجارة الأرض» وقال الحسن والسدي (٣): «كانت مختومة عليها أمثال الخواتيم» وقال قتادة وعكرمة (٤): «كان بها نضخ من حمرة فيها خطوط حمرة على هيئة الجذع» وقوله ﴿عند ربك﴾ أي في خزائنه التي لا يتصرف في شيء منها إلا بإذنه وقوله: ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ قال قتادة (٥): «والله ما أجاز الله منها ظالماً بعد قوم لوط فانفقوا الله وكونوا على حد» وأكثر المفسرين (٦) على أن المراد بالظالمين ها هنا كفار قريش يرهبهم الله بها.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا الْاِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۚ وَيَقَوْمِ أَتَوْا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۚ بَقِيَتْ لِلَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۗ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۚ﴾ قَالَ يَنْشَعِبُ أَصْلُوتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ۚ﴾ قَالَ يَنْقُورُ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَدَكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۚ وَيَقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ ۚ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۚ﴾ قَالَ يَنْشَعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۚ﴾ قَالَ يَنْقُورُ أَرهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۚ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۚ﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ۚ﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ﴾ الْاَبْعَدَا لِمَلِيْن كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿وإلى مدين﴾ مفسر إلى قوله ﴿ولا تتقصوا المكيال والميزان﴾ أي: لا تطففوا ولا تبخسوا حق الناس

(١) معاني القرآن للزجاج ٧٢/٣، ابن كثير ٢٧١/٤، البغوي ٣٩٧/٢.

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي ١٤٥/٤، البغوي ٣٩٧/٢، الرازي ٣٢/١٨ ذكره السيوطي في الدرر ٣٤٦/٣، وعزاه لأبي الشيخ.

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي ١٤٦/٤، ابن كثير ٢٧١/٤، البغوي ٣٩٧/٢، الرازي ٣٢/١٨.

(٤) انظر زاد المسير ١٤٥/٤، البغوي ٣٩٧/٢، أبو حيان ٢٥٠/٥، الرازي ٣٢/١٨.

(٥) زاد المسير ١٤٦/٤، البغوي ٣٩٧/٢، وذكره السيوطي في الدرر ٣٤٦/١ وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٦) البحر المحيط ٢٥٠/٥، الرازي ٣٢٠/١٨، البغوي ٣٩٧/٢.

بالمكيال، وهو ما يكال به، ونقص المكيال أن تجعل على حد أنقص مما عليه المعهود ونقص الميزان أن تجعل الصنجات أخف وما يوزن به فهو ميزان والصنجات يوزن بها وقوله: ﴿إني أراكم بخير﴾ يعني الخصب والنعمة والمعنى أنه حذرهم غلاء السعر وزوال النعمة إن لم يتوبوا وقال الفراء: «لا تنقصوا المكيال وأموالكم كثيرة وأسعاركم رخيصة يعني أي حاجة بكم إلى سوء الكيل والوزن بعد أن أنعم الله تعالى عليكم برخص السعر وكثرة المال» وقوله: ﴿وإني أخاف عليكم عذاب يومٍ محيظٍ﴾ يوعدهم بعذاب محيظ بهم فلا يفلت منهم أحد ﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط﴾ أي: أتموها بالعدل والإيفاء الإتمام ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ ولا تنقصوا الناس ما يستحقون عليكم، قال ابن عباس: «إنكم معشر الأعاجم قد وليتم أمرين هلك بهما من كان قبلكم من الأمم: المكيال والميزان»^(١) وكان ابن عمر يرمي بالبائع فيقول: «اتق الله أوف الكيل أوف الوزن»^(٢) وقوله: ﴿بقيت الله خير لكم﴾ قال ابن عباس^(٣): «يعني ما أبقى الله لكم من الحلال بعد إتمام الكيل والوزن خير لكم من البخس والتطفيف» يعني من تعجل النفع بالبخس في المكيال والميزان ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ شرط الإيمان في كونه خيراً لهم لأنهم إن كانوا مؤمنين بالله عرفوا صحة ما يقول ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ أي لم أؤمر بقتالكم وأكرهكم على الإيمان ﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا﴾ قال عطاء^(٤): «يريد دينك يأمرك فكنى عن الدين بالصلاة لأنها من أمر الدين» وكان شعيب كثير الصلاة لذلك قالوا هذا كأنهم قالوا في دينك أن تأمرنا بترك ما يعبد آباؤنا ﴿أو أن نعمل في أموالنا ما نشاء﴾ من البخس والظلم ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ أي: السفية الجاهل وإنما قالوا هذا على طريق الاستهزاء وجميع الآية إخبار عن استهزائهم ببيهم حيث أنكروا عليه أمرهم بالمعروف ﴿قال يا قوم﴾ تقدم تفسير هذه السورة وقوله: ﴿ورزقني منه رزقاً حسناً﴾ يعني حلالاً كان شعيب كثير المال. قال الزجاج^(٥): «جواب أن محذوف، والمعنى إن كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال أتبع الضلال فأبخس وأطفف» يريد أن الله قد أغناه بالمال الحلال ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ قال «ابن عباس»^(٦): «وما أريد أن أفعل ما أنهاكم عنه» وقال قتادة^(٧): لم أكن أنهاكم عن أمر أرتكبه وقال الزجاج^(٨): لست أنهاكم عن شيء وأدخل فيه ﴿إن أريد إلا الإصلاح﴾ ما أريد إلا الإصلاح فيما بيني وبينكم بأن تعبدوا الله وحده وتفعلوا كما يفعل من يخاف الله، وقوله: ﴿ما استطعت﴾ أي: بقدر طاقتي، وطاقته البلاغ والإنذار ثم أعلم أنه لا يقدر أحد على الطاعة إلا بتوفيق الله فقال: ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ أرجع في المعاد قوله ﴿ويا قوم لا يجرمنكم﴾ لا يكسبنكم ﴿شقاقي﴾ خلافي ومعاداتي ﴿أن

(١) والإيفاء عبارة عن الإتيان به على سبيل الكمال والتتمام ولا يحصل ذلك إلا إذا أعطى قدرًا زائدًا على الحق ولهذا المعنى قال الفقهاء: أنه تعالى أمر بغسل الوجه وذلك لا يحصل إلا عند غسل جزء من أجزاء الرأس. فالخاصل: أنه تعالى في الآية الأولى نهى عن النقصان وفي الآية الثانية أمر بإعطاء قدر من الزيادة ولا يحصل الجزم واليقين بأداء الواجب إلا عند أداء ذلك القدر من الزيادة فكانه تعالى نهى أولاً عن سعي الإنسان في أن يجعل مال غيره ناقصاً لتحصل له تلك الزيادة وفي الثانية أمر بالسعي في تنقيص مال نفسه ليخرج باليقين عن العهدة. انظر الرازي (٣٤/١٨).

(٢) في الآية النهي عن البخس على العموم والأشياء أعم من يكال ويوزن فيدخل البخس بتطفيف الكيل والوزن في هذا دخولاً أولياً.

(٣) البحر المحيظ ٢٥٢/٢ الرازي ٣٥/١٨ البغوي ٣٩٨/٢.

(٤) الرازي ٣٦/١٨ زاد المسير ١٤٩/٤ فتح القدير ٥١٩/٢.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٧٣/٣.

(٦) انظر البحر المحيظ ٢٥٤/٢.

(٧) البغوي ٣٩٨/٢ زاد المسير ١٥١/٤ ابن كثير ٢٧٤/٤ البحر المحيظ ٢٥٤/٥.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٧٣/٣.

يصيبكم ﴿ عذاب العاجلة ﴾ مثل ما أصاب ﴿ من قبلكم والمعنى : لا تخالفوني فتستحقوا العذاب والهلاك كما استحق غيركم من الأمم بمخالفتهم أنبياءهم وقوله : ﴿ وما قوم لوط منكم ببعيد ﴾ قال قتادة^(١) : « أي : في الزمان الذي بينكم وبينهم » قال الزجاج^(٢) : « وكان إهلاك قوم لوط أقرب الإهلاكات التي عرفوها فكانه قال لهم : العظة في قوم لوط قريبة منكم ﴾ واستغفروا ربكم ﴿ اطلبوا منه المغفرة وتوسلوا إليه بالتوبة، وهو قوله : ﴿ ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ﴾ بمن تاب إليه ﴿ ودود ﴾ قال ابن الأنباري^(٣) : « الدود في أسماء الله تعالى المحب لعباده من قولهم : وددت أود، ودا، وودوداً وودادة » وقال الأزهري^(٤) حاكياً عن بعض أهل اللغة : أن الدود يجوز أن يكون بمعنى المودود ومعناه : أن عبادة المؤمنين يودونه ويحبونه لما عرفوا من فضله وإحسانه إليهم قوله ﴿ قالوا يا شعيب ما نفقه ﴾ ما نفهم ﴿ كثيراً مما تقول ﴾ قال ابن الأنباري^(٥) :

معناه : ما نفقه صحة كثير مما تقول ؛ يعنون من التوحيد والبعث وما يأمرهم به من الزكاة وترك البخس ، ﴿ وإنا لثراك فينا ضعيفاً ﴾ قال سعيد بن جبير وقاتدة^(٦) : « أعمى وهو قول ابن عباس^(٧) . قال الزجاج^(٨) : « لغة حمير تسمى الضرير ضعيفاً ، لأنه ضعف بذهاب بصره » قوله : ﴿ ولولا رهطك ﴾ عشيرتك وقومك ﴿ لرجمناك ﴾ قتلناك ، قال الزجاج^(٩) : « والرجم من شر القتلات وكان رهط شعيب من أهل ملتهم فلذلك أظهروا إليهم ﴾ ﴿ وما أنت علينا بعزير ﴾ أي : لست بممتنع علينا من أن نقتلك لولا ما نراعي من حق عشيرتك ﴿ قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله ﴾ يقول : أنتم تزعمون أنكم تتركون قتلي إكراماً لرهطي والله عز وجل أولى بأن يتبع أمره كأنه يقول : حفظكم إياي في الله أولى منه في رهطي قوله : ﴿ واتخذتموه وراءكم ظهيراً ﴾ الظهري الشيء الذي تنسأه وتغفل عنه « قال ابن عباس » يريد ألقينموه خلف ظهوركم وامتنتم من قتلي مخافة قومي والله أعز وأكبر من جميع خلقه^(١٠) ، وقال الفراء^(١١) : « يعني تعظمون أمر رهطي وتتركون أن تعظموا الله وتخافوه ﴾ ﴿ إن ربي بما تعملون محيط ﴾ عالم بأعمالكم وهو يجازيكم بها وما بعد هذا تقدم تفسيره إلى قوله ﴿ وارقبوا إني معكم رقيب ﴾ قال ابن عباس^(١٢) : « ارتقبوا العذاب إني مرتقب من الله الرحمة والثواب » قوله : ﴿ وأخذت الذين ظلموا الصيحة ﴾ صاح بهم جبريل صيحة فماتوا في أمكتهم . ﴿ ألا بعداً لمدين ﴾ أي : بعدوا من رحمة الله ﴿ كما بعدت ثمود ﴾ قال ابن الأنباري^(١٣) : « العرب تقول : بعد الطريق يبعد وبعد الميت يبعد إذا هلك والمصدر فيها البعد » .

(١) الرازي ٣٩/١٨ البغوي ٣٩٩/٢ فتح القدير ٥٢٠/٢ .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٧٤/٣ .

(٣) زاد المسير ١٥٢/٤ البغوي ٣٩٩/٢ الرازي ٣٩/١٨ فتح القدير ٥٢٠/٢ .

(٤) تهذيب اللغة ٢٣٥/١٤ الرازي ٣٩/١٨ .

(٥) انظر زاد المسير ١٥٢/٤ الرازي ٤٠/١٨ .

(٦) البحر المحيط ٢٥٦/٥ الرازي ٤٠/١٨ البغوي ٣٩٩/٢ .

(٧) البحر المحيط ٢٥٦/٥ الرازي ٤١/١٨ البغوي ٣٩٩/٢ .

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٧٤/٣ .

(٩) معاني القرآن للزجاج ٧٤/٣ .

(١٠) البحر المحيط ٢٥٦/٢ البغوي ٣٩٩/٢ .

(١١) انظر معاني القرآن للفراء ٢٦/٢ .

(١٢) الرازي ٤٢/١٨ زاد المسير ١٥٤/٤ .

(١٣) زاد المسير ١٥٤/٤ البغوي ٤٠٠/٢ البحر المحيط ٢٥٨/٥ .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ إِلَّا
بِرِشْيِدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَبْسُ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ
لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَبْسُ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾

قوله: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ قال الزجاج^(١): «أي: بعلاماتنا التي تدل على صحة نبوته»، ﴿وسلطان
مبين﴾ حجة بينة^(٢) يتسلط بها على من خالفه، قال ابن عباس^(٣): «يعني عصاه» ﴿إلى فرعون وما
اتبعوا أمر فرعون﴾ ما أمرهم به من عبادته واتخاذها إلهاً ﴿وما أمر فرعون برشيده﴾ بمرشد إلى خير ﴿يقدم قومه يوم
القيامة﴾ يقال: قدمه قداماً إذا تقدمه والمعنى: أنه يقدمهم إلى النار يدل على هذا قوله: ﴿فأوردهم النار﴾ قال قتادة^(٤)
«يمضي بين أيديهم حتى يهجم على النار أخبرنا أبو الفتح محمد بن علي الكوفي الصوفي أنا الحسن بن علي بن أحمد
ابن سليمان^(٥) نا الفضل بن الخصب^(٦) نا سلمة بن شبيب نا أبو جعفر النخعي نا أبو الدهماء البصري^(٧) عن ثابت
البناني عن عمر بن عبد العزيز عن أبي بردة^(٨) عن أبي موسى الأشعري قال:

قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد ثم رفع لكل قوم آلهتهم التي كانوا
يعبدونها فيوردونهم النار ويبقى الموحدون فيقال لهم: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر رباً كنا نعبد بالغيب فيقال لهم: إن
تعرفونه؟ فيقولون: إن شاء عرفنا نفسه فيتجلى لهم الرب فيخرون له سجداً، فيقال لهم: يا أهل التوحيد ارفعوا رؤوسكم
فقد أوجب الله لكم الجنة، وجعل مكان كل رجل منكم يهودياً أو نصرانياً^(٩).

وقوله: ﴿ويبس الورد المورود﴾ الموضع أو الشيء الذي يرده قال المفسرون^(١٠): «الورد المورود، المدخل
المدخول» قال ابن الأنباري^(١١): «وتلخيص المعنى: بئس الشيء الذي يدخل النار». ﴿وأتبعوا في هذه﴾ يعني في

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٧٦/٣ الرازي ٤٣/١٨.

(٢) البيهقي ٤٠٠/٢ البحر المحيط ٢٥٨/٥ الرازي ٤٣/١٨ فتح القدير ٥٢٣/٢.

(٣) البحر المحيط ٢٥٨/٥ فتح القدير ٥٢٣/٢.

(٤) الطبري ٤٦٦/١٥ والشوكاني في فتح القدير ٥٢٦/٢. ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٤٨/٣ وعزاه لعبد الرزاق ولا بن جرير وأبي
الشيخ.

(٥) الشيخ العالم الثقة مسند أصبهان أبو علي الحسن بن علي بن أحمد بن سليمان البغدادي الشطرنجي التاجر نزيل أصبهان.
حدث جدهم سليمان عن هشام بن عبيد الله الرازي وحدث أبوهما الأقرب علي بن أحمد عن أبي حاتم الرازي. توفي في رجب
سنة تسع وتسعين وثلاث مئة وعاش أربعاً وتسعين سنة رحمه الله. انظر السير (١١٢/١٧) تاريخ أصفهان (٢٧٤/١) تذكرة الحفاظ
(١٠٢٩/٣).

(٦) الفضل بن الخصب بن العباس بن نصر المحدث الصدوق الرحال أبو العباس الأصبهاني الزعفراني. وهو من مشاهير الأصهبانيين.
قال أبو نعيم: توفي في شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاث مئة.

(٧) قرفة بن بئس العدوي أبو الدهماء بصري ثقة. انظر السير ٥٥١/١٤، ٥٥٢ اخبار أصفهان (١٥٤/٢). انظر التقريب (١٢٥/٢).
والتهذيب (٣٦٩/٨).

(٨) أبو بردة بن أبي موسى الأشعري قيل اسمه عامر وقيل الحارث ثقة من الثالثة مات سنة أربع ومائة وقيل غير ذلك وقد جاوز الثمانين.
التقريب (٣٩٤/٢).

(٩) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣٦٣/٥ وأخرجه في تاريخ أصفهان ٢٥١/١.

(١٠) الدر المنثور ٣٤٨/٣ فتح القدير ٥٢٦/٢ الرازي ٤٤/١٨.

(١١) انظر تفسير الرازي ٤٤/١٨.

الدنيا ﴿لعنة﴾ الخقوا في الدنيا لعنة وهي الغرق ﴿ويوم القيامة﴾ يعني ولعنة يوم القيامة وهي عذاب الآخرة ﴿بئس الرفد المرفود﴾ قال قتادة^(١): «ترافدت عليهم لعنتان من الله لعنة الدنيا ولعنة الآخرة» وقال مجاهد^(٢) «رفدوا يوم القيامة بلعنة أخرى زيدوها فتانك لعنتان» وسأل نافع بن الأزرق^(٣) ابن عباس^(٤) عن قوله: ﴿بئس الرفد المرفود﴾ قال: «هو اللعنة بعد اللعنة» قال الزجاج^(٥): «وكل شيء جعلته عوناً لشيء فقد رفدته» قال الضحاك^(٦): «اللعتان اللتان أصابتهم رفدت إحداهما الأخرى» قوله:

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴿١٠١﴾ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠٢﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٣﴾

﴿ذلك﴾ يعني ما تقدم من الخير ﴿من أنباء القرى﴾ من أخبار القرى المهلكة ﴿نقصه عليك﴾ نخبرك بها ﴿منها قائم﴾ بقيت حيطانه ﴿وحصيد﴾ أي ومنها حصيد مخسوف به قد انمحي أثره وقال ابن عباس^(٧): «قائم ينظرون إليه وإلى ما بقي من أثره وحصيد قد خرب ولم يبق له أثر، شبهه بالزرع إذا حصد» ﴿وما ظلمناهم﴾ بالعذاب والإهلاك ﴿ولكن ظلموا أنفسهم﴾ بالكفر والمعصية ﴿فما أغنت عنهم آلهتهم﴾ أي ما نفعتهم وما دفعت عنهم شيئاً ﴿لما جاء أمر ربك﴾ بالإهلاك والعذاب ﴿وما زادوهم غير تتيب﴾ غير خسار وهلاك قال ابن الأنباري^(٨): «إنهم ادعوا أن عبادتها تنفعهم عند الله فلما جرى الأمر بخلاف ما قدروا وصفها الله تعالى بأنها زادتهم بلاء وهلاكاً» قوله ﴿وكذلك﴾ أي وكما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب ﴿أخذ ربك﴾ إذا أخذ القرى ﴿ومعنى أخذ القرى أخذ أهلها، وهو أن ينقلهم إلى العقوبة والهلاك وقوله ﴿وهي ظالمة﴾ من صفة القرى وهو في الحقيقة لأهلها وسكانها ونحو هذا قوله ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة﴾^(٩).

أخبرنا: الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر أنا أبو الحسن محمد بن الحسن السراج^(١٠) نا محمد بن عبد الله

(١) البغوي ٢/٤٠٠ الرازي ١٨/٤٥ فتح القدير ٢/٥٢٦ البحر المحيط ٥/٢٥٩.

(٢) نافع بن الأزرق الحروري من رؤوس الخوارج. ذكره الجوزجاني في كتاب الضعفاء. الميزان (١٤/٢٤١).

(٣) الطبري ١٥/٤٦٨ ابن كثير ٤/٢٧٨ البحر المحيط ٥/٢٥٩. ذكره السيوطي في الدر ٢/٣٤٨ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٤) الطبري ١٥/٤٦٨، الرازي ١٨/٤٥، ابن كثير ٤/٢٧٨. ذكره السيوطي في الدر ٢/٣٤٨، وعزاه لابن الأنباري في الوقف والابتداء والطبري عن ابن عباس أن نافع الأزرق...

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٧٧.

(٦) الطبري ١٥/٤٦٨ - ٤٦٩، ابن كثير ٤/٢٧٨.

(٧) البغوي ٢/٤٠٠، أبو حيان في البحر ٥٤/٢٦٠، الرازي ١٨/٤٦، فتح القدير ٢/٥٢٦.

(٨) الرازي ١٨/٤٦.

(٩) سورة الأنبياء ١١.

(١٠) أبو الحسن محمد بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل النيسابوري السراج المقرئ الرجل الصالح، رحل وكتب عن مطين وأبي شعيب الحراني وطبقتهما، قال الحاكم قل من رأيت أكثر اجتهاداً وعبادة منه، وكان يقرئ القرآن توفي يوم عاشوراء. انظر الشذرات (٣/٥٧).

الحضرمي نا محمد بن عبد الله بن نمير نا أبو معاوية نا يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال: «قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى يمهّل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ رواه مسلم^(١) عن ابن نمير ورواه البخاري^(٢) عن صدقه بن الفضل كلاهما عن أبي معاوية. **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُقِيَ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي السَّمَاءِ فَأُولَئِكَ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ ﴿١٠٦﴾ خَلْدِيْنَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلْدِيْنَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوْرٍ ﴿١٠٨﴾**

قوله ﴿إن في ذلك﴾ يعني ما ذكر من عذاب الأمم وأخذهم ﴿لآية﴾ لعلهم وموعظة ﴿لمن خاف عذاب الآخرة﴾ ذلك يوم القيامة وقد سبق ذكره ﴿ذلك يوم مجموع له الناس﴾ لأن الخلق كلهم يحشرون ويجمعون لذلك اليوم ﴿وذلك يوم مشهود﴾ شهده البر والفاجر وأهل السماء وأهل الأرض، ﴿وما تؤخره﴾ أي ذلك اليوم ﴿إلا لأجل معدود﴾ لوقت معلوم لا يعلمه غير الله ﴿يوم يأت﴾ وقرئ بحذف الياء^(٣) التي هي لام الفعل قال الفراء^(٤): «كل ياء ساكنة ما قبلها مكسور فإن العرب تجيز حذفها وتكتفي بالكسرة من الياء» وقد حكى سيويه والخليل أن العرب تقول لا أدر فتحذف الياء وتكتفي بالكسرة^(٥)، وقوله ﴿لا تكلم نفس إلا بإذنه﴾ وذلك أن الخلق في ذلك اليوم كلهم ساكنون إلا من أذن الله له في الكلام كقوله ﴿فلا تسمع إلا همساً﴾ وقوله ﴿فمنهم﴾ أي من الأنفس أي في ذلك اليوم ﴿سقي﴾ قال ابن عباس^(٦): «كتبت عليه الشقاوة» ﴿وسعيد﴾ كتبت عليه السعادة.

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن محمود أنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي نا محمد بن يونس الكندي نا أبو عامر العقدي نا عروة بن ثابت عن الزهري عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف^(٧) قال: أغمى علي عبد الرحمن بن عوف ثم أفاق فقال: إنه أتاني ملكان فظان غليظان فقالا: انطلق بنا نحاكمك إلى العزيز الأمين فقال: خليا عنه فإنه ممن سبقت له السعادة وهو في بطن أمه^(٨).

(١) أخرجه مسلم ٤/١٩٩٧ في كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم ٢٥٨٣/٦١.

(٢) أخرجه البخاري ٨/٢٠٥ في كتاب التفسير سورة هود باب «٥٥» حديث ٤٦٨٦، وأخرجه الترمذي في السنن ٥/٢٦٩ في كتاب التفسير سورة هود ٣١١٠، وقال حسن صحيح غريب والبغوي في شرح السنة ١٤/٣٥٨.

(٣) انظر حجة القراءات، وانظر النشر ٢/٢٩٢، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٣٥.

(٤) انظر معاني القرآن للقراء ٢/٧.

(٥) وهي لغة هذيل الرازي ١٨/٤٨، البحر المحيط ٥/٢٦١ - ٢٦٢، فتح القدير ٢/٥٢٤.

(٦) البغوي ٢/٤٠١، فتح القدير ٢/٥٢٤.

(٧) إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الإمام الفقيه أبو إسحاق الزهري العوفي المدني، وقيل: كتبه أبو محمد أخو أبي سلمة الفقيه وحميد. حدث عن أبيه وعن عمر وعثمان وعلي وسعد وعمار بن ياسر وجبير بن مطعم وطائفة. وثقه النسائي وغيره وتوفي سنة ست وتسعين عن سن عالية. انظر السير (٤/٢٩٢).

(٨) ضعيف جداً في إسناده محمد بن يونس وضاع من المتروكين المجروحين ٢/٢١٣ لسان الميزان (٧/٣٠٨) ميزان الاعتدال ٤/٧٤ تاريخ بغداد (٣/٤٥٣).

قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ قال الزجاج^(١): «هما من أصوات المحزونين» وحكي عن أهل اللغة جميعاً أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار بالهيق، والشهيق بمنزلة آخر صوته^(٢) ونحو هذا قال المفسرون^(٣) قال الضحاك ومقاتل^(٤) «الزفير أول نهيق الحمار والشهيق آخره حين يفرغ من صوته إذا رده في جوفه» والمعنى ما رواه ابن عباس في رواية عطاء^(٥) قال يريد ندامة ونفساً عالياً وبكاء لا ينقطع قوله ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ قال الضحاك^(٦): ما دامت سماوات الجنة والنار وأرضهما وكل ما علاك فهو سماء وكل ما استقرت عليه قدمك فهو أرض» والأكثر على أن المراد بهذا التأييد كأنه قال خالدين فيها أبداً قال ابن قتيبة وابن الأنباري: للعرب في معنى الأبد ألفاظ تقول: لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار وما دامت السماوات والأرض وما اختلفت الجرة^(٧) والدرة^(٨) وما أطت^(٩) الإبل، وفي أشباه كثيرة لهذا ظناً منهم أن هذه الأشياء لا تتغير فخطبهم الله بما يستعملون في كلامهم^(١٠) قوله ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ قال الفراء^(١١): هذا استثناء استثناء الله كقولك: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وعزيمتك على ضربي كذلك قال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ ولا يشاؤه وقال ابن الأنباري^(١٢): «وقع الاستثناء على معنى لو شاء ألا يخلدهم لقدر» وقال الزجاج وابن كيسان وابن قتيبة^(١٣) «الاستثناء يعود إلى مكثهم في الدنيا والبرزخ والوقوف للحساب كأنه قال: خالدين فيها إلا هذه المدة ثم يصيرون إلى النار أبداً» وقوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يَرِيدُ﴾ قال ابن عباس^(١٤): «يعني من إخراج أهل التوحيد من النار» ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا﴾ وقرأ أهل الكوفة سعدوا^(١٥) بضم السين قال الفراء كلام العرب سعدوا يقال: سعد الرجل وأسعده الله، إلا هذيلة فإنهم يقولون: سعد الرجل بالضم وبذلك قرأ أصحاب عبد الله^(١٦) «وقال الكسائي»^(١٧): سعد وأسعد لغتان قوله ﴿عَطَاءٌ﴾ نصب بما دل عليه الكلام كأنه قال: أعطاهم النعيم عطاءً ﴿غَيْرِ مُجذُودٍ﴾ غير مقطوع والجز القطع.

فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ مِّمَّا يَتَّبِعُونَ هَتُوكًا مَّا يَتَّبِعُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤَهُمْ مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُوهُم نَصِيبُهُمْ خَيْرٌ

(١) انظر معاني القرآن ٧٩/٣ البحر المحيط ٢٦٢/٥ .

(٢) انظر معاني الزجاج ٧٩/٣ البحر المحيط ٢٦٢/٥ .

(٣) البغوي ٤٠٢/٢ البحر المحيط ٢٦٢/٥ .

(٤) البغوي ٤٠٢/٢ البحر المحيط ٢٦٣/٥ ، الطبري ٤٨١/١٥ .

(٥) ما يخرج كل ذي كرش قال ابن سيده: والجرة ما يفيض به البعير من كرشه فيأكله ثانية، وقد اجترت الناقة والشاة وأجرت. انظر لسان العرب ٥٩٤/١ .

(٦) والدرة بالكسر كثرة اللبن وسيلانه للسان ١٣٥٦/٢ .

(٧) أطت أنت تعباً أو حنيا لسان العرب ٩٢/١ .

(٨) الطبري ٤٨١/١٥ ، البغوي ٤٠٢/٢ ، زاد المسير ١٦٠/٤ - ١٦١ ، ابن كثير ٢٨١/٤ ، الرازي ٥١/١٨ ، البحر المحيط ٢٦٣/٥ ، فتح القدير ٥٢٥/٢ .

(٩) معاني القرآن للفراء ٢٨/٢ ، زاد المسير ١٦٠/٤ - ١٦١ ، البغوي ٤٠٢/٢ البحر المحيط ٢٦٣/٥ ، الرازي ٥٢/١٨ ، فتح القدير ٥٢٥/٢ .

(١٠) انظر المصادر السابقة .

(١١) انظر المصادر السابقة .

(١٢) انظر تفسير الرازي ٥٤/١٨ .

(١٣) النشر ٢٩٠/٢ ، إتحاف فضلاء البشر ١٣٥/٢ ، الرازي ٥٤/١٨ ، البحر المحيط ٢٦٤/٥ ، فتح القدير ٥٢٥/٢ .

(١٤) ابن مسعود رضي الله عنه انظر المصادر السابقة .

(١٥) تهذيب اللغة ٧٠/٢ ، الرازي ٥٤/١٨ ، البحر المحيط ٢٦٤/٥ .

مَنْوَصٍ ۝١٠٩ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ وَإِيَّاهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَرْبٍ ۝١١٠ ۝ وَإِنْ كَلَّمَا لْيُؤَقِّبَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١١

﴿فلا شك﴾ يا محمد ﴿في مربة﴾ في شك ﴿عما يعبد﴾ أي من حال ما يعبد هؤلاء في أنها لا تضر ولا تنفع ﴿ما يعبدون﴾ إلا كما يعبد آباؤهم ﴿إلا كعبادة آباؤهم﴾ من قبل ﴿يريد أنهم﴾ على طريق التقليد يعبدون الأوثان كعبادة آباؤهم ﴿وإنما لموفوهم نصيبهم﴾ من العذاب ﴿غير منقوص﴾ لا ينقصهم من عذاب آباؤهم قال ابن عباس (١): يريد ما وعدوا من خير وشر ﴿وقال أبو العالية (٢): يعني من الرزق﴾ ثم عزى نبيه فقال ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ أي: إن كذبوا بالكتاب الذي آتيناك فقد كذب من قبلهم بالكتاب الذي آتينا موسى ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم﴾ قال ابن عباس (٣): ﴿يريد إني أي أخرت أمتك إلى يوم القيامة ولولا ذلك لعجلت عقاب من كذبك﴾ ﴿وإنهم لفي شك منه﴾ أي من القرآن ﴿مرب﴾ موقع للريبة قوله ﴿وإن كلاً لما ليوفينهم﴾ قرأ أبو عمر والكسائي (٤) (إن) وشددت النون (لما): خفيفة واللام في لما: لام التأكيد دخلت في خبر إن واللام في ﴿ليوفينهم﴾ اللام التي يتلقى بها القسم كما تقول والله لأفعلن والتقدير والله ليوفينهم دخلت ما للفصل بين اللامين وقرأ ابن كثير: ﴿وإن بالتخفيف وكذلك لما﴾ قال سيبويه (٥): حدثنا من نثق به أنه سمع من العرب من يقول إن عمراً لمنطلق: فيخففون إن ويعملونها وأنشد:

وَوَجْهَ حَسْنِ النَّحْرِ كَأَنَّ ثَدْيِيهِ حِقَّانٌ (٦)

ومن قرأ لما مشددة كانت بمعنى إلا كما تقول سألتك لما فعلت وإلا فعلت، ومثله: ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ (٧) معناه: إلا، معنى: ﴿ليوفينهم ربك أعمالهم﴾ أي: جزاء أعمالهم أخبر الله تعالى أنه يوفي العباد جزاء أعمالهم ﴿إنه بما يعملون خبير﴾ قال ابن عباس «خبير بطاعة أوليائه، وبمعصية أعدائه» قوله:

فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٢ ۝ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُ النَّارُ وَمَالُكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝١١٣ ۝ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ

(١) أبو حيان في البحر ٢٦٥/٥، الطبري ٤٩٢/١٥ (١٨٥٩٥)، ابن كثير ٢٨٢/٤، ذكره الشوكاني في الفتح ٥٣٢/٢، وعزاه لعبد

الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وانظر الدر المنثور ٣٥١/٣.

(٢) الرازي ٥٥/١٨ أبو حيان في البحر ٢٦٥/٥، انظر الدر المنثور ٣٥١/٣. ذكر الشوكاني ٥٣٢/٢، وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) انظر تفسير الطبري ٤٩٣/١٥.

(٤) انظر حجة القراءات وانظر النشر ٢/٢٩٠، إتحاف فضلاء البشر ١٣٦/٢ البغوي ٤٠٣/٢ البحر المحيط ٢٦٦/٥.

(٥) انظر الكتاب ١٤٠/٢، وانظر البحر المحيط ٢٦٦/٥ - ٢٦٧، فتح القدير ٢/٥٢٩، الرازي ١٨/٥٦.

(٦) والبيت من شواهد الكتاب لم يعلم قائله انظر الكتاب ١٣٥/٢، ١٤٠ أمالي ابن الشجري ١/٢٣٧، ٣/٢، ٢٤٣، والمنصف

١٢٨/٣ وابن يعيش في المفصل ٧٢/٨، والخزانة ٤/٣٥٨، والعيني ٢/٧٠٥ والهمع ١/١٤٣ الأشموني ١/٢٩٣، الدرر اللوامع

١/١٢٠، التصريح على التوضيح ١/٢٣٤. أي ولها وجه. والنحر: الصدر أو أعلاه موضع القلادة منه. ويروي: (ونحر مشرق

اللون)، (صدر مشرق النحر). والمشرق: المضيء المنير. والحق بالضم: وعاء ذو غطاء ينحت من الخشب والعاج مما يصلح

أن ينحت. شههما بالحقين في نهودهما واتسازهما. ثدييه أي ثدي صاحبه الوجه والنحر. وشاهده تخفيف (كان) مع حذف اسمها

والتقدير: كأنه ثدياه حقان.

(٧) سورة الطارق ٤.

وَزُلْفًا مِّنَ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّتَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾

﴿فاستقم كما أمرت﴾ قال قتادة^(١) أمر الله نبيه أن يستقيم على أمره والمعنى استقم على العمل بأمر ربك والدعاء إليه كما أمرت في القرآن ﴿ومن تاب معك﴾ قال ابن عباس^(٢): «يريد الصحابة الذين تابوا من الشرك» والمعنى: فليستقيموا هم أيضاً.

أخبرنا أبو الفتح محمد بن علي الكوفي أنا أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيى الحافظ أنا عبد الله بن محمد الرازي نا محمد بن فارس أبو عبد الله البلخي^(٣) نا حاتم الأصم^(٤) عن إبراهيم بن أدهم^(٥) عن مالك بن دينار عن أبي مسلم الخولاني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو صليتم حتى تكونوا كالحيتايا وصتمت حتى تكونوا كالأوتاد ثم كان الاثنان أحب إليكم من الواحد لم تبلغوا حد الاستقامة»^(٦) وهذا حديث شريف^(٧) قد اجتمع في إسناده زهاد هذه الأمة حدث به الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي «عن» شيخ له «عن أبي عبد الله محمد بن إسحاق».

وقوله: ﴿ولا تطغوا﴾ معناه: ولا تجاوزوا بأمرى ﴿إنه بما تعملون بصير﴾ لا يخفى عليه من أعمالكم شيء قوله تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ الركون السكون إلى الشيء والميل إليه بالمحبة قال ابن عباس^(٨): «لا تميلوا يريد في المحبة ولبس الكلام والمودة» قال السدي وابن زيد^(٩): «لا تدهانوا الظلمة»، وقال عكرمة^(١٠): «هو أن تطيعهم أو تودهم» وقال أبو العالية^(١١): لا ترضوا بأعمالهم فتمسك النار فيصيبكم لفحها ﴿وما لكم من دون الله من أولياء﴾ قال

(١) ذكره السيوطي في الدر ٣٥١/٣، وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) البغوي ٤٠٤/٢، فتح القدير ٥٣٢/٢.

(٣) محمد بن فارس البلخي عن حاتم الأصم. لا يعرف وقد أتى بخير باطل مسلسل بالزهاد. انظر الميزان (٣/٤).

(٤) الزاهد القدوة الرباني أبو عبد الرحمن حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي الواعظ الناطق بالحكمة الأصم له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحكم كان يقال له: لقمان هذه الأمة. روى عن شقيق البلخي، وصحبه، وسعيد بن عبد الله الماهياني، وشداد بن حكيم، ورجاء بن محمد وغيرهم. انظر السير ٤٨٤/١١ - ٤٨٥.

(٥) إبراهيم بن أدهم روى عن مقاتل بن حيان، والأعمش ومحمد بن عجلان روى عنه ضمرة وبقية يعد في الخراسانيين. انظر الجرح والتعديل (٨٧/٢).

(٦) حديث باطل أورده ابن عراق في تنزيه الشريعة ٣١١/٢، وقال رواه ابن منده عن محمد بن فارس البلخي، قال الذهبي في الميزان باطل (٣/٤).

(٧) العزيز وهو ما انفرد عن رواية اثنان أو ثلاثة، ولو رواه بعد ذلك عن هذين الاثنين أو الثلاثة مائة، فقد يكون الحديث عزيزاً مشهوراً، وينفرد عن الغريب بكونه لا يرويه أقل من اثنين عن اثنين بخلاف الغريب. سمي عزيزاً لقلته وجوده أو لكونه قوي بمجيئه من طريق أخرى انظر التقييد والإيضاح ٢٢٩.

(٨) البغوي ٤٠٤/٢، البحر المحيط ٢٦٩/٥، الدر المنثور ٣٥١/٥، ابن كثير ٢٨٤/٤، وذكره الشوكاني في الفتح ٥٣٢/٢، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٩) الطبري ٥٠١/١٥ (١٨٦٠٨)، البغوي ٤٠٤/٢، البحر المحيط ٢٦٩/٥، الدر المنثور ٣٥١/٥، ذكره الشوكاني في الفتح عن ابن عباس ٥٣٢/٢، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١٠) البغوي ٤٠٤/٢، البحر المحيط ٢٦٩/٥، الدر المنثور ٣٥١/٣. ذكره الشوكاني في الفتح ٥٣٢/٢، وعزاه لأبي الشيخ.

(١١) البغوي ٤٠٤/٢، البحر المحيط ٢٦٩/٥، الدر المنثور ٣٥١/٣، وعزاه لأبي الشيخ، وابن كثير ٢٨٤/٢.

ابن عباس: «من مانع يمنعكم من عذاب الله» ﴿ثم لا تنصرون﴾ تمنعون من عذابه، قوله: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾. أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي والقاضي أبو بكر الحيري قالا: أخبرنا حاجب بن أحمد أنا عبد الرحمن بن منيب أنا الفضل بن موسى السيناني نا سفيان الثوري عن سماك بن حرب عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد^(١) عن ابن مسعود أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أصبت من امرأة غير أبي لم آتتها فأنزل الله ﴿أقم الصلاة طرفي النهار﴾ إلى آخر الآية^(٢) وهذا قول جماعة المفسرين^(٣).

أخبرنا أبو منصور المنصورى أنا علي بن عمر الحافظ أنا الحسين بن إسماعيل المحاملى نا يوسف بن موسى عن جرير عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل أنه كان قاعداً عند النبي ﷺ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله ما تقول في رجل أصاب من امرأة لا تحل له فلا يدع شيئاً يصيب الرجل من امرأته إلا قال أصابه منها إلا أنه لم يجامعها، فقال: توضأ وضوءاً حسناً ثم قم فصل فأنزل الله هذه الآية ﴿أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل﴾ إلى آخرها فقال معاذ بن جبل: أهى له خاصة، أم للمسلمين عامة؟ فقال: هي للمسلمين عامة^(٤) قال ابن عباس^(٥) في قوله: ﴿طرفي النهار﴾ يريد الصبح والظهر والعصر وهو قول مجاهد ومحمد بن كعب، قال الزجاج^(٦) وصلاة طرفي النهار الغداة والظهر والعصر، وقوله: ﴿وزلفاً من الليل﴾ أول ساعات الليل واحداً زلفة قال ابن عباس^(٧): «يريد المغرب والعشاء قرب أول الليل» وهذا قول عامة المفسرين^(٨) والمراد بهذا إقامة الصلوات الخمس في أوقاتها وقوله: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ قال ابن عباس وعامة المفسرين^(٩): «يزيد أن الصلوات الخمس يكفرن ما بينها من الذنوب».

أخبرنا أبو بكر بن محمد بن إبراهيم الفارسي أخبرنا محمد بن عيسى بن عمروه أنا إبراهيم بن محمد أنا مسلم نا زهير بن حرب نا عمر بن يونس نا عكرمة بن عمار نا شداد^(١٠) نا أبو أمامة قال: بينما رسول الله ﷺ في المسجد

(١) عبد الرحمن بن يزيد بن قيس النخعي أبو بكر الكوفي. عن عمه علقمة، وسلمان وابن مسعود. وعنه ابنه محمد والشعبي، وسلمة بن كهيل. وثقه ابن معين. قال عمرو بن علي: مات في الجماجم سنة ثلاث وثلاثين. انظر الخلاصة (١٥٨/٢).

(٢) أخرجه البخاري ١٢/١، في كتاب مواقيت الصلاة باب الصلاة كفارة ٥٢٦، ٤٦٨٧.

وأخرجه مسلم ٢١١٥/٤٥ في كتاب التوبة باب قوله (إن الحسنات يذهبن السيئات) ٢٧٦٣/٣٩، انظر الفتح ١٢/٢. قال الحافظ ابن حجر هو أبو اليسر بفتح التحتانية والمهملة الأنصاري، رواه الترمذي، وقيل غيره وقال أيضاً لم أفق على اسم المرأة المذكورة، ولكن جاء في بعض الأحاديث أنها من الأنصار.

(٣) انظر تفسير البغوي ٤٠٥/٢، البحر المحيط ٢٦٩/٥ - ٢٧٠، الرازي ٥٩/١٨، فتح القدير ٥٣٢/٢.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ٥٢٠/١٥، وأحمد في المسند ٥١٠/١٥، والبغوي في التفسير ٤٠٥/٢، وأخرجه الدارقطني في السنن ١٣٤/١ في كتاب الطهارة باب صفة ما ينقض الوضوء وما روي في الملامسة والقبلة وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير وقال رواه ابن جرير من طرق ٢٨٨/٤. الطبري ٥١٣/١٥ (١٨٦١٥).

(٥) البغوي ٤٠٥/٢، البحر المحيط ٢٧٠/٥، ابن كثير ٢٨٤/٤، فتح القدير ٥٣٢/٢، الدر المنثور ٣٥١/٢.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٨٢/٣.

(٧) الطبري ٥٠٨/١٥، ابن كثير ٢٨٤/٤، البغوي ٤٠٤/٢، البحر المحيط ٢٧٠/٥، وذكره الشوكاني في الفتح ٥٣٢/٢، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن وانظر الدر المنثور ٣٥١/٣.

(٨) ابن كثير ٢٨٤/٤، البحر المحيط ٢٧٠/٥، فتح القدير ٥٣٣/٢، الرازي ٥٩/١٨، البغوي ٤٠٥/٢.

(٩) ابن كثير ٢٨٤/٤، البحر المحيط ٢٧٠/٥، فتح القدير ٥٣٣/٢، الرازي ٥٩/١٨.

(١٠) شداد بن معقل الكوفي صدوق له ذكر في البخاري. انظر التقریب ٣٤٨/١. التهذيب ٣١٨/٤.

ونحن قعود معه إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله إني أصبت حداً فأقمه عليّ فقال: هل شهدت الصلاة معنا؟ قال: نعم يا رسول الله قال: فإن الله قد غفر لك حدك أو قال: ذنبك^(١).

أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان العدل أنا أحمد بن جعفر القطيعي نا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي نا أبو عبد الرحمن المقرئ نا حيوة نا أبو عقيل المقرئ أنه سمع الحارث مولي عثمان بن عفان^(٢) يقول: جلس عثمان يوماً وجلسنا معه فجاء المؤذن فدعا بماء في إناء أظنه سيكون فيه مد فتوضأ ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئي هذا ثم قال: «من توضأ وضوئي هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غفر له ما كان بينها وبين الصبح، [ثم صلى صلاة العصر غفر له ما كان بينها وبين صلاة الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما بينها وبين صلاة العصر ثم صلى العشاء غفر له ما بينها وبين صلاة المغرب ثم لعله يبيت يتمرغ ليلته ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح]^(٣) غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء، وهن الحسنات يذهبن السيئات»^(٤).

أخبرنا سعيد بن محمد بن أحمد بن نعيم الإشكبي أنا الحسن بن أحمد العدل أنا محمد بن إسحاق أنا قتيبة نا الليث وبكر بن مضر^(٥) عن ابن الهادي^(٦) عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أرايتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا، قال: كذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»^(٧).

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن إبراهيم النجار نا سليمان بن أيوب اللخمي نا محمد بن عاصم الأصبهاني نا علي بن حرب الموصلي نا عبد الرحمن بن يحيى المدني نا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد تنتظر الصلاة فقام رجل فقال: إني أصبت ذنباً فأعرض عنه، فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قام الرجل فأعاد القول، فقال النبي ﷺ أليس قد أصبت معنا هذه الصلاة وأحسنتم لها الطهور؟ قال: بلى، قال: فإنها كفارة ذنبك^(٨).

أخبرنا أبو نصر أحمد بن إبراهيم المهرجاني نا عبيد الله بن محمد الزاهد نا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز نا كامل بن طلحة نا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي عثمان قال: كنت مع سلمان تحت شجرة فأخذ منها غصناً

(١) أخرجه مسلم ٢١١٧/٤ في كتاب التوبة باب قوله إن الحسنات يذهبن السيئات ٢٧٦٥/٤٥، وأبو داود في السنن ١٣٥/٤، في

كتاب الحدود، باب في الرجل يعترف.

(٢) ذكره ابن حبان في الثقات (١٣٦/٤).

(٣) سقط في أ.

(٤) أخرجه الطبري في التفسير ٥١١/١٥، وذكره الهيثمي في المجمع ٣٠٢/١ وقال رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري ورجالهم رجال الصحيح.

(٥) بكر بن مضر بن محمد بن حكيم المصري أبو محمد أو أبو عبد الله ثقة ثبت مات سنة ثلاث أو أربع وسبعين وله نيف وسبعون.

انظر التقريب (١٠٧/١) التهذيب ٤٨٧/١.

(٦) يزيد بن عبد الله بن قسيط بن أسامة الليثي، أبو عبد الله المدني الأعرج ثقة مات سنة اثنتين وعشرين وله تسعون سنة. انظر

التقريب ٣٦٧/٢، التهذيب ٣٣٩/١١ - ٣٤٠.

(٧) أخرجه البخاري ١٤/١ - ١٥ في كتاب مواقيت الصلاة باب الصلوات الخمس كفارة ٥٢٨. ومسلم ٤٦٢/١ في المساجد باب

المشي إلى الصلاة، ٢٨٣، ٦٦٧/٢٨٤، وأخرجه الترمذي ٢٨٦٨، والنسائي ٢٣١/١، والدارمي ٢٦٧/١، وأحمد ٣٧٩/٢،

والبيهقي ٣٦١/١، ٣٦٢/٣، والبغوي في شرح السنة ١٧٥/٢. انظر فتح الباري ١٥/٢ - ١٦.

(٨) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٥٤/٣، وعزاه للطبراني في الأوسط والصغير.

يأبساً فهزه حتى تحات ورقه فقال: ألا تسألني يا أبا عثمان لم أفعل هذا؟ قلت: ولم تفعله؟ [قال: هكذا فعل رسول الله ﷺ وأنا معه تحت شجرة فأخذ منها غصنا يابساً فهزه حتى تحات ورقه ثم قال: «ألا تسألني يا سلمان لم أفعل هذا؟ فقلت: ولم تفعله»^(١) قال: إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحات خطاياها كما يتحات هذا الورق» ثم قرأ هذه الآية «أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل» إلى آخر الآية^(٢). أخبرنا أبو حسان المزكي أنا أبو بكر محمد بن علي المؤدب^(٣) أنا أبو عبد الله محمد بن خالد نا محمد بن زبور^(٤) نا فضيل بن عياض عن ليث بن أبي سليم^(٥) عن حبيب بن أبي ثابت^(٦) عن ميمون بن أبي شبيب^(٧) عن معاذ بن جبل قال: قلت يا رسول الله أوصني، قال: «اتق الله حيثما كنت قال: قلت زدني قال: أتبع السبئية الحسنة تمحها قال: قلت زدني قال: خلق الناس بخلق حسن»^(٨).

قوله: «ذلك ذكرى للذاكرين» يعني القرآن عظة لمن ذكره قوله: «واصبر» أي: على الصلاة كما قال: «وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليهم» «فإن الله لا يضيع أجر المحسنين» قال ابن عباس^(٩): «يعني المصلين» قوله:

- (١) سقط في أ.
- (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٣٢/١، وعزاه لأحمد والطبراني في الأوسط والكبير وقال وفي إسناد أحمد علي بن زيد، وهو مختلف في الاحتجاج به وبقيّة رجاله رجال الصحيح.
- (٣) بضم الميم، وفتح الواو، وكسر الدال المهملة المشددة في آخرها الباء المنقوطة بواحدة هذا اسم لمن يعلم الصبيان والناس الأدب واللغة. انظر الأنساب ٤٠٣/٥.
- (٤) محمد بن زبور أبو صالح المكي وهو محمد بن جعفر بن أبي الأزهر مولى بني هاشم وزبور لقب. قال النسائي: ثقة، وقال في موضع آخر ليس به بأس، وقال الحاكم أبو أحمد ليس بالمتين عندهم تركه أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما أخطأ. قال أبو القاسم مات سنة (٨)، وقيل سنة تسع وأربعين ومائتين. انظر التهذيب ١٦٧/٩ - ١٦٨.
- (٥) ليث بن أبي سليم بن زعيم القرشي مولاهم أبو بكر، ويقال أبو بكر الكوفي واسم أبي سليم أيمن، ويقال أنس، ويقال زياد ويقال عيسى. روى عن طاوس ومجاهد وعطاء وعكرمة ونافع وأبي إسحاق السبيعي وأبي الزبير المكي وأبي بردة بن أبي موسى وأشعث بن أبي الشعثاء وشهر بن حوشب وخلق. وكان ابن عينة يضعف ليث بن أبي سليم وقال الميموني عن ابن معين كان ليث ضعيف الحديث عن طاوس فإذا جمع إلى طاوس غيره فالزيادة هو ضعيف. وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي وأبا زرعة يقولان ليث لا يشتغل به هو مضطرب الحديث، قال أبو زرعة ليث بن أبي سليم لين الحديث لا تقوم به الحجة عند أهل العلم بالحديث. وقال يعقوب بن شيبة: هو صدوق ضعيف الحديث. انظر التهذيب (٨/٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨).
- (٦) حبيب بن أبي ثابت الكوفي الفقيه الحافظ عن ابن عباس، وابن عمر وأنس وأبي عبد الرحمن السلمى، وأبي وائل وسعيد بن جبير، وطائفة وعنه مسعر وشعبة وسفيان الثوري، وأبو بكر بن عياش وآخرون. وذكر علي بن المديني أنه سمع من عائشة، وأما البخاري فقال: لم يسمع من عروة. وقال غيره: كان هو وحمامد بن أبي سليمان فقيهي أهل الكوفة. قال أبو يحيى القات: قدمت مع حبيب بن أبي ثابت الطائف فكانما قدم عليهم نبي. قال البخاري وجماعة: مات حبيب سنة تسع عشرة ومائة، وقيل: توفي سنة اثنتين وعشرين ومائة. انظر تذكرة الحفاظ (١/١١٦).
- (٧) ميمون بن أبي شبيب الربيعي أبو نصر الكوفي، ويقال الرقي روى عن معاذ بن جبل وعمر وعلي وأبي ذر والمقداد وابن مسعود وقيس ابن سعد، والمغيرة بن شعبة، وعائشة وسمرة بن جندب، وعنه إبراهيم النخعي وحبيب بن أبي ثابت، والحكم بن عتيبة، ومنصور بن زاذان والحسن بن الحر، وإسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفياء قال علي بن المديني: خفي علينا أمره، وقال أبو حاتم صالح الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (١٠/٣٨٩).
- (٨) أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٢٨، والترمذي ٤/٣١٣ في كتاب البر باب ما جاء في معاشرته الناس، والحاكم في المستدرک وصححه ١/٥٤، والحديث عن أبي ذر عند أحمد في المسند ٥/١٥٣، والدارمي ٢/٣٢٣، والترمذي ٤/٣١٢ (١٩٨٧).
- (٩) البغوي ٢/٤٠٦، الرازي ١٨/٦٠، أبو حيان في البحر ٥/٢٧١.

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾

﴿فلولا كان من القرون من قبلكم﴾ قال ابن عباس^(١): «يريد ما كان» ومعنى لولا هاهنا نفي عند المفسرين قال الفراء^(٢) لم يكن منهم أحد يعني من القرون المهلكة ﴿أولو بقية﴾ قال ابن عباس^(٣): «أولو دين» وقال ابن قتيبة^(٤) «أي أولو بقية من دين» يقال «قوم لهم بقية وفيهم بقية، إذا كانت فيهم مسكة خير» وقوله: ﴿ينهون عن الفساد في الأرض﴾ عن الشرك والاعتداء في حقوق الله والمعصية ﴿إلا قليلا ممن أنجينا منهم﴾ يعني اتباع الأنبياء، وأهل الحق ﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾ المترف الذي أبطرته النعمة وسعة العيش قال الفراء^(٥): «اتبعوا في دنياهم ما عودوا من النعيم، وإثارت اللذات على أمر الآخرة وركنوا إلى الدنيا والأموال واللذات، وما أعطوا من نعيمها».

قوله تعالى: ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم﴾ الآية يريد وما كان ربك ليهلك أهل القرى بشركهم وظلمهم لأنفسهم وهم ﴿مصلحون﴾ يتعاطون الحق فيما بينهم أي: ليس من سبيل الكفار إذا قصدوا الحق في المعاملة، وتركوا الظلم، أن ينزل الله بهم عذاباً يهلكهم وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء قال: «وما كان ربك ليهلك القرى يريد الرجال، بظلم^(٦): بشرك، وأهلها مصلحون: يريد فيما بينهم كقوم لوط عذبهم الله باللواط وقوم شعيب عذبوا ببخس المكياال» قوله: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ قال ابن عباس^(٧): «يريد على دينك الذي بعثت به» وقال قتادة^(٨) يجعل الناس أمة واحدة بأن يجعلهم مسلمين ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ في الدين من بين يهودي ونصراني ومجوسي وغيرها من الملل ﴿إلا من رحم ربك﴾ يعني أهل الحق، ﴿ولذلك خلقهم﴾ قال الضحاك ومجاهد وقاتادة^(٩): «وللرحمة خلقهم يعني: الذين رحمهم» وقال الحسن ومقاتل^(١٠): «للاختلاف خلقهم، يعني المختلفين» وقال ابن عباس في رواية عطاء^(١١): «يريد خلق أهل الرحمة للرحمة، وأهل الاختلاف للاختلاف» وهذا اختيار الفراء والزجاج^(١٢) قال أبو عبيد^(١٣): «الذي أختاره في تفسيره هذه الآية قول من قال خلق فريقاً لرحمته وفريقاً لعذابه لأنه موافق للسنة» قال الزجاج^(١٤): «ويدل على صحة هذا قوله: ﴿وتمت كلمة ربك لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ قال الكلبي^(١٥) يريد من كفار الجن وكفار الإنس».

(٤) البحر المحيط ٣٧١/٥.

(١) انظر تفسير الرازي ٦٠/١٨٧، فتح القدير ٥٣٣/٢.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٣١/٢، البغوي ٤٠٦/٢.

(٢) انظر معاني الفراء ٣٠/٢، البحر المحيط ٢٧٢/٥.

(٦) بنحوه عند البغوي ٤٠٦/٢.

(٣) بنحوه في فتح القدير بلا نسبة ٥٣٣/٢.

(٧) البحر المحيط ٢٧٣/٥، البغوي ٤٠٦/٢، انظر الدر المنثور ٣٥٦/٣.

(٨) البحر المحيط ٢٧٣/٥، البغوي ٤٠٦/٢، وانظر الدر المنثور ٣٥٦/٣.

(٩) الرازي ٦٣/١٨، فتح القدير ٥٣٦/٢، البغوي ٤٠٦/٢، البحر المحيط ٢٧٣/٥، الدر المنثور ٣٥٦/٣.

(١٠) الرازي ٦٣/١٨، الدر المنثور ٣٥٦/٣، البغوي ٤٠٦/٢، البحر المحيط ٢٧٣/٥.

(١١) الرازي ٦٣/١٨، فتح القدير ٥٣٦/٢، البغوي ٤٠٦/٢، الدر المنثور ٣٥٦/٣. (١٣) معاني القرآن للزجاج ٨٤/٣.

(١٢) انظر معاني الفراء ٣١/٢، والزجاج ٨٤/٣، البغوي ٤٠٦/٢. (١٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٨٤/٣.

(١٥) بنحوه بلا نسبة عند الشوكاني في الفتح ٥٣٥/٢.

وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنثِثُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾
 وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

قوله: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ أَي: كل الذي يحتاج إليه ﴿من أنباء الرسل﴾ من أخبارهم وأخبار أممهم نقص عليك ﴿ما نثبت به فؤادك﴾ قال ابن عباس^(١): «ليزيدك يقينا ويقوي قلبك» وذلك أن النبي ﷺ إذا سمعها كان تقوية لقلبه على الصبر على أذى قومه ﴿وجاءك في هذه الحق﴾ قال ابن عباس والحسن ومجاهد^(٢): «في هذه السورة يعني ما فيها من أقاصيص الأنبياء والمواعظ وذكر الجنة والنار» وخصت هذه السورة بمجيء الحق فيها، تشریفاً للسورة ورفعاً لمنزلتها. وقوله: ﴿وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ يريد أنهم يتعظون إذا سمعوا هذه السورة وما نزل بالأمم فتلين قلوبهم ويتذكرون الخير والشر قوله: ﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم﴾ تهديد ووعيد يقول: اعملوا ما أنتم عاملون، فستعلمون عاقبة أمركم ﴿وانظروا﴾ ما يعدكم الشيطان ﴿إنا منتظرون﴾ ما يعدنا ربنا من النصر والعلو ﴿والله غيب السموات والأرض﴾ أي علم ما غاب عن العباد فيهما ﴿والله يرجع الأمر كله﴾ في المعاد ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ أي: إنه يجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته وقرئ بالتاء^(٣) على معنى قل لهم ذلك [والله أعلم]^(٤).

(١) البغوي ٤٠٧/٢، وانظر البحر المحيط ٢٧٤/٥.

(٢) الرازي ٦٤/١٨، الطبري ٥٤٠/١٥، ابن كثير ٢٩٢/٤، الدر المنثور ٣٥٦/٣ البغوي ٤٠٧/٢، وذكره الشوكاني في الفتح ٥٣٦/٢، وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور، وابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه من طرق عن ابن عباس.

(٣) انظر ابن زنجلة، وانظر النشر ٢٦٣/٢، إنحاف فضلاء البشر ١٣٧/٢.

(٤) سقط في أ، ب.

سورة يوسف

مكية وآياتها إحدى عشرة ومائة

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الحيري أنا أبو عمر وابن مطر محمد بن جعفر نا إبراهيم بن شريف نا أحمد بن يونس نا سلام بن سليم نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي امامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «علموا أرقاءكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه، هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة ألا يحسد مسلماً»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ

الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾

﴿الر﴾ قال ابن عباس يريد: أنا الله الرحمن^(٢) ﴿تلك﴾ يعني هذه ﴿آيات الكتاب المبين﴾ يعني القرآن لأنه يبين الهدى والرشد. قوله: ﴿إنا أنزلناه قرآنًا عربيًّا﴾.

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصر آبادي أنا بشر بن محمود المهرجاني نا عبيد الله بن محمد ناجية نا هشام بن القاسم الحراني نا يعلى بن الأشرف بن جراد وكان ابن عشرين ومائة سنة عن عمه عبد الله بن جراد قال «نزل القرآن على لغة أعرب العرب فقال النبي ﷺ: «أي العرب أعرب؟» فقليل: هوازن أعرب الناس قوم لا يلحنون قال: فانتفى عرب هوازن، فوجد بنو سعد بن بكر بن هوازن أعرب هوازن فنزل القرآن على لغتهم وهم الذين حضنوا رسول الله ﷺ وهم الذين أووه»^(٣).

أخبرنا عبد القاهر بن طاهر أنا محمد بن الحسن بن أحمد السراج نا العلاء بن عمرو الحنفي نا يحيى بن بريد الأشعري^(٤) عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «أحبوا العرب لثلاث لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي»^(٥).

وقوله: ﴿لعلكم تعقلون﴾ قال ابن عباس: «كي تفهموا لو لم يكن عربيًّا لما فهموه»^(٦) قوله: ﴿نحن نقص عليك

(١) قال الفيروز آبادي في البصائر ١/٢٦٠ واهي، وقال الشهاب علي البيضاوي موضوع، وقد تقدم الكلام على حديث أبي.

(٢) تقدم.

(٣) حديث باطل فيه عبد الله بن جراد، قال الذهبي ٢/٤٠٠ (٤٢٤٢) مجهول، وقال أبو حاتم: لا يعرف ولا يصح خبره.

(٤) يحيى بن بريد بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري. عن ابن جريج وأبيه، يكنى أبا بردة. قال أحمد: ويحيى ضعيف، وقال أبو زرعة: واهي الحديث. وقال الدارقطني: ليس بالقوي. انظر الميزان ٤/٣٦٥.

(٥) ضعيف انظر لسان الميزان (٤/٤٨٦)، تنزيه الشريعة (٢/٣٠)، والفوائد المجموعة (٤١٣) المجمع ١٠/٥٢، الميزان (٥٧٣٧).

(٦) البغوي ٢/٤٠٨، الرازي ١٨/٦٨.

أحسن القصص ﴿ قال الزجاج ^(١) : «بين لك أحسن البيان» ﴿ بما أوحينا إليك ﴾ أي : بوحينا إليك ﴿ هذا القرآن وإن كنت من قبله ﴾ القرآن ﴿ لمن الغافلين ﴾ أي : لمن الغافلين عما أوحينا إليك من أخبار الأنبياء ثم ذكر قصة يوسف فقال :

إِذ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَؤُ
لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبْنَائِكَ مِن قَبْلُ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

﴿ إذ قال يوسف لأبيه يا أبت ﴾ قال الفراء ^(٢) : التاء في يا أبت هاء ، وأصل دخولها للسكت وهو قولهم : يا أباه ثم سقطت الألف لدلالة فتحة الباء عليها ، وانصرفت الهاء إلى لفظ التاء لكثرة الاستعمال ، تشبيهاً بتاء التانيث وكسرت تقديراً أو بعدها ياء الإضافة ولم تستعمل في غير النداء ، لأن هاء السكت مع الألف لا يدخلان إلا في النداء والاختيار كسر التاء في هذه القراءة ^(٣) لأنها أجريت مجرى تاء التانيث وكسرت على الإضافة إلى نفس المتكلم على معنى يا أبتى ثم حذفت الياء لأن ياء الإضافة تحذف في النداء ومن فتح التاء أبدل الياء بالألف فقال : يا أبتاً ثم حذفت الألف وأبقى الفتحة دالة عليها كقول الأعشى ^(٤) :

وَيَا أَبْتَا لَا تَزُلْ عِنْدَنَا فَإِنَّا نَخَافُ بِأَن تُخْتَرَمَ

وقال رؤبة ^(٥) :

يَا أَبْتَا علك أو عَسَاكَ

وقوله : ﴿ إنني رأيت أحد عشر كوكباً ﴾ قال المفسرون ^(٦) : « رأى يوسف عليه السلام وهو ابن اثني عشرة سنة أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر سجدن له ، فكانت الكواكب في التأويل إخوته والشمس أمه والقمر أباه فلما قصها على يعقوب ، أشفق عليه من حسد إخوته له فقال له : ﴿ يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك ﴾ وذلك أن يوسف عليه السلام كان نبياً في علم الله مذ كان ، ورؤيا الأنبياء وحي وعلم يعقوب أن إخوة يوسف يعرفون تأويلها ويخافون علم يوسف عليهم فيعملون عملاً يكون فيه هلاكه وهو قوله : ﴿ فيكيدوا لك كيداً ﴾ أي : فيحتالوا في هلاكك ﴿ إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ ظاهر العداوة ، يزين له الباطل ، قوله : ﴿ وكذلك يجتبيك ربك ﴾ قال الزجاج وابن الأنباري : ومثل ما رأيت من الرفعة والحال الجليلة ، يشارك ربك ويصطفيك من بين إخوتك ^(٧) » ﴿ ويعلمك من تأويل

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٨٨/٣ ، البغوي ٤٠٨/٢ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٣٢/٢ البحر المحيط ٢٧٩/٢ .

(٣) انظر النشر ٢٩٣/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٣٩/٢ ، الرازي ٦٩/١٨ ، البغوي ٤٠٩/٢ ، البحر المحيط ٢٧٩/٥ .

(٤) انظر ديوانه ٧٧ .

(٥) عجز من الرجز وصدرة . . . تقول لبني قد أنى إننا . انظر ملحقات ديوانه ١٨١ .

(٦) البغوي ٤٠٩/٢ ، البحر المحيط ٢٧٩/٥ ، الرازي ٧٠/١٨ .

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٩١/٣ ، البغوي ٤١٠/٢ ، الرازي ٧٢/١٨ .

الأحاديث ﴿ قال ابن عباس وقتادة ومجاهد^(١): «يريد والتأويل تعبير الأحلام، والتأويل: ما يؤول إليه المعنى في الرؤية، والأحاديث هي أحاديث الناس عما يرونه في منامهم» ﴿ويتم نعمته عليك﴾ بالنبوة ﴿وعلى آل يعقوب﴾ يعني المختصين بالنبوة منهم ﴿كما أتمها﴾ بالنبوة ﴿على أبويك﴾ قال قتادة: «كل ذلك فعل الله به، اجتهابه واصطفاه وعلمه من تأويل الأحاديث فكان أعبى الناس للرؤيا وأتم النعمة عليه» ﴿إن ربك عليم﴾ حيث يضع النبوة ﴿حكيم﴾ في خلقه قوله:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّالِئِلِينَ ۖ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عَصَبَةٌ إِنَّا أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۗ﴾ ﴿٨﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْعُجْبِ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۚ﴾ ﴿٩﴾

﴿لقد كان في يوسف وإخوته﴾ أي: في خبر يوسف وقصة إخوته ﴿آيات﴾ عبر وعجائب، وقرأ ابن كثير آية^(٢) كأنه جعل شأنهم كلهم آية للسائلين، سألت اليهود رسول الله ﷺ عن قصة يوسف فأخبرهم بها كما في التوراة فعجبوا من ذلك وكان في ذلك أعجب دلالة للسائلين على صدق محمد ﷺ لأنه شرح أخبار قوم لم يشاهدهم ولم ينظر في الكتب لأنه كان أمياً، قوله: ﴿إذ قالوا﴾ يعني إخوة يوسف قالوا فيما بينهم ﴿ليوسف وأخوه﴾ بنيامين وكان أخاه لأمه وأبيه والباقيون كانوا إخوته لأبيه دون أمه ﴿أحب إلى أئينا منا﴾ أي: إنه أشد لهما حباً ﴿ونحن عصبه﴾ قال الفراء^(٣): العصبه: العشرة فما زاد والمعنى: نحن جماعة رجال ﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ قال ابن الأنباري^(٤): «ضل بإيثارهما علينا، ضلال خطأ يلحقه ضرره في دنياه، إذ كنا أنفع له في القيام بمواشيه من يوسف وأخيه» وقال أهل المعاني^(٥): ﴿إن أبانا في ذهاب عن طريق الثواب الذي فيه التعديل بيننا في المحبة»، ثم قالوا أيضاً فيما بينهم ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً﴾ في أرض يبعد فيها عن أبيه ﴿يخل لكم وجه أبيكم﴾ يقبل بكليته عليكم ويخلص لكم عن شغله بيوسف، يعنون أن يوسف شغله عنا وصرف وجهه إليه فإذا فقدته أقبل علينا بالمحبة، وأخطأوا في هذا التدبير لأنه لما فقد يوسف عرض عنهم بالكلية قال الله تعالى: ﴿وتول عنهم وقال يا أسفى على يوسف﴾ وقوله: ﴿وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾ قال ابن عباس^(٦): «تحدثوا توبة بعد ذلك يقبلها الله منكم» وهذا قول عامة المفسرين^(٧) والمعنى قوماً صالحين بإحداث التوبة، عزموا على التوبة قبل إحداث الجنابة، وكذا المؤمن لا ينسى التوبة وإن كان مرتكباً للذنوب ﴿قال قائل منهم﴾ يعني من إخوة يوسف، وهو يهوذا أكبر ولد يعقوب، وأعقلهم ﴿لا تقتلوا يوسف﴾ وقال قتادة: هو روبيل نهى عن قتله، فقال: ﴿والقوه في غيابت الجب﴾ الغيابة: كل ما غيب شيئاً، وستره، والغيابة: حفرة القبر لأنها

(١) البغوي ٢/٤١٠، الرازي ١٨/٧٢، البحر المحيط ٥/٢٨١، الطبري ١٥/٥٦، ابن كثير ٤/٢٩٩.

(٢) النشر ٢/٢٩٣، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٤٠.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٣٦، البغوي ٢/٤١١، البحر المحيط ٥/٢٨٣.

(٤) البغوي ٢/٤١١، الرازي ١٨/٧٥.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٩، البغوي ٢/٤١١.

(٦) البغوي ٢/٤١٢، فتح القدير ٣/٨.

(٧) البغوي ٢/٤١٢، الرازي ١٨/٧٦، فتح القدير ٣/٨.

تغيب المدفون، والجب: الركبة التي لم تطو قال الحسن «غيابة الجب قعر الجب» وقال قتادة^(١) «أسفل الجب والمعنى: اطرحوه في موضع مظلم من البئر لا يلحقه نظر الناظرين، وقرأ أهل المدينة^(٢) غيايات الجب بالجمع على معنى أن للجب أقطاراً ونواحي ويكون فيه غيايات، فآتروا الجمع لذلك، واختلفوا في هذا الجب فقال قتادة^(٣): «في بئر بيت المقدس» وقال وهب^(٤): «هو بأرض الأردن وقال مقاتل^(٥) «هو على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب» قوله: «يلتقطه بعض السيارة» يعني مارة الطريق، وهم الجماعة الذين يسيرون في الطريق للسفر وقوله: «إن كنتم فاعلين» قال ابن عباس يريد إن أضمرتم ما تريدون^(٦) ولما عزموا على الكيد بيوسف .

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿١٤﴾

«قالوا» لأبيهم «ما لك لا تأمنا على يوسف» أنكروا عليه خوفه إياهم على يوسف، فقالوا لم لا تأمنا عليه، فترسله معنا؟ «وإننا له لنصحون» قال ابن عباس^(٧): «يريد الرحمة والبر» والمعنى وإننا طالبون ما يعود إلى مصلحة أمره «أرسله معنا غداً» أي إلى الصحراء «يرتع ويلعب» قال الكلبي: «نذهب ونجىء وننشط ونلهو» ومن قرأ بكسر العين^(٨) هو افتعال من الرعاية، [بمعنى الحفظ]^(٩) يعني بعضنا بعضاً، ومن قرأ بجزم العين فهو من قولهم: رتع الماء إذا أرعى ما شاء وأرتعتها أنا، وقوله «وإننا له لحافظون» قال ابن عباس^(١٠): «أي من كل ما تخافه عليه» «قال إنني ليحزني أن تذهبوا به» أي يحزني ذهابكم به لأنه يفارقني فلا أراه «وأخاف أن يأكله الذئب» قال المفسرون^(١١): «إن يعقوب رأى في المنام ذئباً عد على يوسف فكان حذراً عليه خائفاً من تناول الذئب إياه لرؤياه التي رآها» وقال آخرون إنما خاف عليه الذئب لأن أرضهم كانت مذئبة وقوله: «وأنتم عنه غافلون» أي: مشتغلون برعيتكم «قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصابة إنا إذا لخاسرون» أي: إن أكله الذئب ونحن جماعة نرى الذئب قد قصده فلا نرده عنه إنا إذا لعاجزون فمعنى الخسران ها هنا العجز .

(١) البحر المحيط ٢٨٤/٥ . وذكره الشوكاني في الفتح ٩/٢ وعزاه لابن جرير عن الضحاك .

(٢) انظر النشر ٢٩٣/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٤٠/٢، فتح القدير ٨/٣، الرازي ٧٦/١٨، البغوي ٤١٢/٢، البحر المحيط ٢٨٤/٥، القرطبي ٣٣٦١/٨ طبعة الشعب .

(٣) الرازي ٧٧/١٨، البحر المحيط ٢٨٤/٥، ابن كثير ٣٠٠/٤، القرطبي ٣٣٦٢/٨ .

وذكره الشوكاني في الفتح ٩/٣ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٤) الرازي ٧٧/١٨، البحر المحيط ٢٨٤/٥، انظر فتح القدير ٩/٣، القرطبي ٣٣٦٢/٨ .

(٥) الرازي ٧٧/١٨، البحر المحيط ٢٨٤/٥، القرطبي ٣٣٦٢/٨ .

(٦) البغوي ٤١٢/٢ . (٨) البغوي ٧٧/١٨ .

(٧) انظر النشر ٢٩٣/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٤١/٢، الرازي ٧٨/١٨، البغوي ٤١٣/٢، البحر المحيط ٢٨٥/٥، القرطبي ٣٣٦٨/٨ .

(٩) سقط في ب .

(١٠) البغوي ٤١٢/٢، الرازي ٧٧/١٨ .

(١١) القرطبي ٣٣٦٩/٨ وينجوه في البحر المحيط ٢٨٦/٥، وانظر تفسير ابن كثير ٣٠١/٤ .

(١٢) البغوي ٤١٣/٢، البحر المحيط ٢٨٦/٥، الرازي ٧٨/١٨، القرطبي ٣٣٦٩/٨ .

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنْتَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا
فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَ وَعَلَى قَمِيصِهِ يَدَمٌ كَذِبٍ قَالَ بَلْ
سَوَّلَتْ لَكُمُ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

قوله: ﴿فلما ذهبوا به واجتمعوا﴾ في الكلام اختصار وإضمار، التقدير: فأرسله معهم فلما ذهبوا به واجتمعوا أي عزموا على ﴿أن يجعلوه في غيبة الجب﴾ قال السدي^(١): «خرجوا بيوسف وبه عليهم كرامة فلما برزوا إلى البرية أظهروا له العداوة وجعل أحدهم يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فلا يرى منهم رحيماً وضربوه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويقول: يا أبته، يا يعقوب لو تعلم ما صنع بابنك بنو الإماء. فلما كادوا يقتلونه، قال يهوذا: أليس قد أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه؟ فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه وجعلوا يدلونهم في البئر فيتعلق بشفير البئر، فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال: يا إخوانه ردوا علي القميص فأتوا به فقالوا: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً يؤنسوك ودلوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة في البئر فقام عليها وجعل يبكي فناداه إخوانه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه فقام يهوذا فمنعهم وقال قد أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه وكان يهوذا يأتيه بالطعام قال الحسن^(٢): «ألقي يوسف في الجب وهو ابن اثنتي عشرة سنة ولقي أباه بعد ثلاثين سنة» وقال محمد بن مسلم الطائفي^(٣): «لما ألقي يوسف في الجب قال: يا شاهداً غير غائب ويا قريباً غير بعيد ويا غالباً ليس مغلوب اجعل لي فرجاً مما أنا فيه قال: فما بات فيه^(٤)» أقوله: ﴿وأوحينا إليه﴾ الآية: قال المفسرون^(٥): «أوحى الله تعالى إلى يوسف تقوية لقلبه في البئر لتصدقن رؤياك ولتخبرن إخوانك بصنيعهم هذا بعد اليوم» ﴿وهم لا يشعرون﴾ بأنك يوسف في وقت إخبارك إياهم بأمرهم وسنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى قال ابن عباس^(٦): «ثم إنهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمه على قميص يوسف» ﴿وجاءوا آباءهم عشاءً يبكون﴾ ليكون أجراً في الظلمة على الاعتذار لكذبهم ليدلسوا على أبيهم، فلما سمع صوتهم فرح وقال: ما لكم يا بني؟ هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا، قال: فما أصابكم؟ وأين يوسف؟ ﴿قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستيق﴾ قال أكثر المفسرين^(٧) يسابق بعضنا بعضاً في الرمي ليتبين أين أسبق سهماً وقال مقاتل^(٨): «نشدد ونعدو ليتبين أين أسرع عدواً» ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ ثيابنا ﴿فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا﴾ بمصدق لنا ﴿ولو كنا صادقين﴾ لاتهمتنا في يوسف، لمحبتك إياه وأروه قميصه ملطخاً بدم فذلك قوله: ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ أي مكذوب^(٩) فيه لأنه لم يكن دم يوسف فسمي

(١) البغوي ٤١٣/٢ - ٤١٤، الرازي ٧٩/٨، ابن كثير ٣٠٢/٢، القرطبي ٣٣٧٠/٨ - ٣٣٧١.

(٢) البحر المحيط ٢٨٨/٥، البغوي ٤١٤/٢ وفي القرطبي وهو ابن ثمانين سنة وفي الرازي سبع عشرة سنة (٨٠/١٨).

(٣) محمد بن مسلم الطائفي صدوق يخطيء. التقريب ٢٠٧/٢ تهذيب التهذيب ٤٤٥/٩.

(٤) ذكره الرازي ٨٠/١٨.

(٥) انظر تفسير الرازي ٨٠/١٨.

(٦) الرازي ٨٢/١٨.

(٧) الرازي ٨١/١٨، القرطبي ٣٣٧٤/٨، البحر المحيط ٢٨٨/٥، البغوي ٤١٤/٢.

(٨) الرازي ٨١/١٨، البحر المحيط ٢٨٨/٥، البغوي ٤١٤/٢.

(٩) وهذا قول الفراء والمبرد والزجاج وابن الأنباري انظر تفسير الرازي ٨٢/١٨.

بالمصدر كما تقول: ضرب الأمير ونسج اليمين فقال يعقوب كذبتم ما عهدي بالذئب حليماً لو أكله لخرق قميصه ﴿بل سولت لكم أنفسكم﴾ زينت لكم ﴿أمراً﴾ غير ما تصفون ﴿فصبر جميل﴾ أي فشاني صبر جميل وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوى ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ أي: به أستعين على ما تقولون من الكذب، ثم إن يوسف مكث في الجب ثلاثة أيام ثم جاءت.

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَعَّةٍ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَّوهُ بِمَنِّ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾

﴿سيارة﴾ أي رفقة تسير في السفر ﴿فأرسلوا واردهم﴾ وهو الذي يرد الماء ليستقي للقوم ﴿فأدلى دلوه﴾ أرسلها في البئر فتشبت يوسف بالرشاء فأخرجه الوارد فقال ﴿يا بشراي﴾ يا فرحتي وقرأ أهل الكوفة ﴿يا بشري﴾ وهذه القراءة كالأولى إلا أنها غير مضافة وقال السدي^(١): نادى صاحبه وكان اسمه بشري فقال: يا بشري هذا غلام وذلك أن الوارد واسمه مالك بن ذعر^(٢) لما أرسل الدلو في البئر تعلق يوسف بالحبل فأخرجه مالك وهو يظن أنه يستقي الماء، فإذا هو بغلام أحسن ما يكون من الغلمان ففرح بذلك فقال: ﴿يا بشراي﴾ أو يا بشري قال كعب^(٣): كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العين مستوي الخلق أبيض اللون غليظ الساقين والساعدين والعضدين، خميص البطن صغير السرة وكان إذا تبسم رأيت النور في ضواحه لا يستطيع أحد وصفه، وكان حسنه كضوء النهار وكان يشبه آدم يوم خلقه الله ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية ويقال إنه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد أعطيت سدس الحسن وقوله: ﴿وأسروه بضاعة﴾ أسره الوارد ومن كان معه من التجار الذين كانوا معهم في الرفقة وقالوا لهم هو بضاعة دفعها إلينا بعض أهل الماء إلى مصر وقالوا فيما بينهم: إن قلنا التقطناه شاركونا فيه وإن قلنا اشتريناه سألونا الشركة وقوله: ﴿والله عليم بما يعملون﴾ قال ابن عباس^(٤): يريد بيوسف وقوله ﴿وشروه﴾ قال وهب: كان يهودا منتدياً ينظر ما يطرأ على يوسف، فلما أخرجه من البئر أخبر إخوته فأتوا مالك بن ذعر وقالوا: هذا عبدنا وكرم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته فقال مالك بن ذعر: أنا اشتريته منكم فباعوه منه وذلك قوله ﴿وشروه﴾ يقال: شريت إذا بعت وإذا اشتريت، وقوله: ﴿بممن بخرس﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين^(٥): «حرام لأن ثمن الحر حرام وسمي الحرام بخساً لأنه لا بركة فيه فهو منقوص البركة» قال الكلبي^(٦): «باعوه بائنين وعشرين درهماً» وهذا قول مجاهد وقال الزجاج^(٧): أخذ كل واحد من إخوته درهماً قال عطاء^(٨) عن ابن عباس: «بعشرين درهماً» فأخذ كل

(١) انظر النشر ٢/٢٩٣، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٤٣.

(٢) الرازي ١٨/٨٥، وقال الحافظ ابن كثير ٤/٣٠٤: وهذا القول عن السدي غريب. وانظر فتح القدير ٣/١٣، البغوي ٢/٤١٥،

وقال أبو حيان ٥/٢٩٠: وأبعد السدي في زعمه أن بشري اسم رجل، القرطبي ٨/٣٣٨٢.

(٣) مالك بن ذعر بن بوب هو الذي أخرج سيدنا يوسف عليه السلام من الجب. انظر جمهرة أنساب العرب ص (٤٢٤).

(٤) القرطبي ٨/٣٣٨٢.

(٥) الرازي ١٨/٨٦، البغوي ٢/٤١٥، البحر المحيط ٥/٢٩٠.

(٦) ابن كثير ٢/٣٠٥، البغوي ٢/٤١٦، الطبري ١٦/١١، الرازي ١٨/٨٦، البحر المحيط ٥/٢٩١، انظر ابن كثير ٢/٣٠٦.

(٧) البغوي ٢/٤١٦، الطبري ١١/١٤، ابن كثير ٤/٣٠٥، انظر تفسير الرازي ١٨/٨٧، البحر المحيط ٥/٢٩١.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٩٨، البغوي ٢/٤١٦، ابن كثير ٤/٣٠٥، الطبري ١٦/١٤، ابن كثير ٤/٣٠٥، البحر المحيط ٥/٢٩١.

(٩) البغوي ٢/٤١٦، الطبري ١٦/١٣، ١٤ (١٨٩٢٥)، ابن كثير ٤/٣٠٥، القرطبي ٨/٣٣٨٤، الرازي ١٨/٨٧، فتح القدير ٣/١٥،

البحر المحيط ٥/٢٩١.

واحد منهم إلا يهوذا فإنه لم يأخذ شيئاً فذلك قوله: ﴿دراهم معدودة﴾ أي قليلة وذكر العدد عبارة عن القلة ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ والزهد والزهادة قلة الرغبة في الشيء يريد أن إخوة يوسف كانوا من الزاهدين في يوسف لأنهم لم يعرفوا موضعه من الله ولا كرامته عليه ويجوز أن يكون المعنى أنهم كانوا زاهدين في ذلك الثمن إما لردائه وإما لأن قصدهم كان تبعيد يوسف لا الثمن ثم انطلق مالك بن ذعر وأصحابه بيوسف وتبعهم إخوته يقولون لهم استوثقوا منه فإنه أبق سارق كاذب وقد برئنا إليكم من عيوبه فحمله مالك على ناقة وصار به نحو مصر وكان طريقهم على قبر أمه فلما بلغ قبر أمه أسقط نفسه من الناقة على القبر وهو يبكي ويقول يا أمي ارفعي رأسك من الثرى وانظري إلى ولدك يوسف وما لقي بعدك من البلاء، يا أماه لو رأيت ضعفي وزلي لرحمتيني، يا أماه لو رأيتيني وقد نزعوا قميصي وشدونني وفي الجب ألقوني وعلى خد وجهي لطموني وبالجملة وفقدته مالك فصاح في القافلة ألا إن الغلام قد رجع إلى أهله فطلبه القوم، فأروه فأقبل إليه رجل منهم وقال: يا غلام قد أخبرنا مواليك أنك أبق سارق فلم نصدق حتى رأيناك تفعل ذلك فقال: والله ما أبقت ولكنكم مررتم على قبر أمي فلم أتمالك أن رميت بنفسي على قبرها قال: فرفع يديه ولطم وجهه وجره حتى حمله على ناقته وذهبوا به حتى قدموا مصر فأمره مالك بن ذعر حتى اغتسل وليس ثوباً حسناً وعرضه على البيع فاشتراه قطفير بن رويح وهو العزيز بمصر وكان على خزائن الملك الأعظم وصاحب أمره، قال مقاتل بن سليمان^(١) اشتراه بعشرين ديناراً وحلة ونعلين، وقال وهب^(٢): ترفع الناس في ثمنه وتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه مسكاً وورقاً وحريراً فابتاعه قطفير بهذا الثمن فلما اشتراه وأتى به منزله قال لامراته واسمها راعيل: أكرمي مثواه فذلك قوله

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامراته أكرمي مثواه﴾ قال ابن عباس^(٣) أكرمي ما كان عندك وقال الزجاج^(٤): أحسني إليه في طول مقامه عندنا، يقال: ثوى يثوي ثوى ومثوى ﴿عسى أن ينفعنا﴾ أي يكفيننا إذا بلغ وفهم الأمور، يقضي بعض شؤوننا.

أخبرنا أبو بكر التيمي أنا أبو الشيخ الحافظ نا إبراهيم بن شريك نا أحمد بن يونس نا زهير عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال أفرس الناس ثلاثة: - العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامراته: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا والمرأة التي أتت موسى فقالت لأبيها: يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر^(٥).

وقوله: ﴿أو نتخذه ولداً﴾ أي: نتبناه وكان العزيز عقيماً أو حصوراً لا يولد له، وقوله: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في

(١) البحر المحيط ٢٩١/٥.

(٢) القرطبي ٣٣٨٧/٨ البغوي ٤١٦/٢.

(٣) القرطبي ٣٣٨٨/٨.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٩٨/٣.

(٥) القرطبي ٣٣٨٩/٨، وذكره الشوكاني في الفتح ١٥/٣، وعزه لسعيد بن منصور وابن سعد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر

وابن حاتم والطبراني وأبي الشيخ والحاكم وصححه. وهو عند الطبري ١٩/١٦ (١٨٩٥١)، والبغوي ٤١٦/٢.

الأرض» يعني وكما أنجينا من إخوته حين هموا بإهلاكه وأخرجناه من ظلمة البئر مكانه في الأرض ملكناه في أرض مصر حتى بلغ ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ تقدم تفسيره ﴿والله غالب على أمره﴾ قال ابن عباس^(١): «على ما أراد من قضائه» أي: لا يغلبه على أمره غالب ولا يبطل إرادته منازع فهو قادر على أمره من غير مانع ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ذلك وهم المشركون والذين لا يعلمون أن قدر الله غالب وأن مشيئته نافذة قوله ﴿ولما بلغ أشده﴾ العرب تقول: بلغ فلان أشده إذا بلغ منتهاه في شبابه وقوته قال أكثر المفسرين^(٢): ثلاثاً وثلاثين سنة وقال عطاء^(٣): «يريد الحلم» وقال الضحاك^(٤): «عشرين سنة» ﴿ءاتيناه حكماً وعلماً﴾ عقلاً وفهماً وقال الكلبي^(٥): «الحكم النبوة والعلم علم الدين» وقال الزجاج: «جعلناه حكيماً عالمياً» وليس كل عالم حكيماً، والحكيم العالم المستعمل علمه الممتنع من استعمال ما يجهل فيه^(٦) ﴿وكذلك﴾ ومثل ما وصفنا من تعليم يوسف كذلك ﴿نجزي المحسنين﴾ قال الضحاك^(٧): «يعني الصابرين على النوائب كما صبر يوسف».

وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصَرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾

قوله ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾ يعني امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها طلبت منه أن يواقعها والمرادة المطالبة بأمر للعمل به قال الزجاج^(٨): «طالبت بما تريد النساء من الرجال» ﴿وغلقت الأبواب﴾ قال المفسرون^(٩) غلقت سبعة أبواب ثم دعته إلى نفسها ﴿وقالت هيت لك﴾ معناه في

(١) القرطبي ٣٣٨٩/٨، البغوي ٤١٧/٢، الرازي ٨٨/١٨.

(٢) ابن كثير ٣٠٦/٤، البغوي ٤١٧/٢، الطبري ٢٢/١٦، الرازي ٨٩/١٨، البحر المحيط ٢٩٢/٥، القرطبي ٣٣٩١/٨.

(٣) ابن كثير ٣٠٦/٤، البغوي ٤١٧/٢، البحر المحيط ٢٩٢/٥.

(٤) ابن كثير ٣٠٦/٤، البغوي ٤١٧/٢، الطبري ٢٢/١٦-٢٣، (١٨٩٦١) البحر المحيط ٢٩٢/٥.

(٥) البغوي ٤١٧/٢، البحر المحيط ٢٩٢/٥، القرطبي ٣٣٩١/٨.

(٦) البغوي ٤١٧/٢.

(٧) البغوي ٤١٧/٢، البحر المحيط ٢٩٣/٥، القرطبي ٣٣٩١/٨.

(٨) البغوي ٤١٧/٢، ابن كثير ٣٠٦/٤، الطبري ٢٧/١٦، البحر المحيط ٢٩٣/٥، فتح القدير ١٦/٣، القرطبي ٣٣٩١/٨.

(٩) البغوي ٤١٧/٢، الرازي ٩١/٨.

قول جميع أهل اللغة والتفسير: هلم^(١) قال الفراء^(٢) وابن الأنباري: «لا مصدر له ولا تصرف ولا تشنية ولا جمع ولا تأنيث يقال للثنتين: هيت لكما، وللجمع هيت لكم، قال الأخفش^(٣): «يجوز كسر التاء ورفعه وكسر بعضهم الهاء وفتح التاء كل ذلك بمعنى واحد» قال أبو زيد^(٤): «هيت لك» بالبرانية هيتا لئح، أي: تعال، أعربه القرآن أما ما روى هشام عن ابن عامر^(٥) (هئت) لك بكسر الهاء والهمزة وضم التاء فإنها فعلت من الهيئة قال أبو زيد^(٦): هئت للأمر هيئة، وتهيات له، ويجوز تخفيف الهمزة كما يخفف من جيت وشيت وأنكر أبو عمرو والكسائي هذه القراءة، وقالوا: «هيت بمعنى تهيات باطل ولم تحك عن العرب^(٧)» والله أعلم ﴿قال﴾ يوسف ﴿معاذ الله﴾ أعوذ بالله أن أفعل هذا والمعنى: أعتصم بالله من هذا ﴿إنه ربي﴾ إن الذي اشتراكي هو سيدي ﴿أحسن مثواي﴾ أي: أنعم علي بإكرامي فلا أخونه في حرمة إني إن فعلت ذلك كنت ظالماً و ﴿لا يفلح الظالمون﴾ قال ابن عباس: «لا يسعد الزناة العاصون» قوله ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ قال أهل التفسير: السدي وابن إسحاق والضحاك ومقاتل فيما ذكروا عن ابن عباس: «إنها لما راودت يوسف جعلت تذكر محاسن يوسف فقالت: يا يوسف ما أحسن شعرك، قال: هو أول ما ينتشر من جسدي قالت: ما أحسن عينيك قال هي أول ما يسيل إلى الأرض من جسدي قالت: ما أحسن وجهك قال: هو للتراب يأكله قالت: ما أحسن صورتك قال: ربي صورني في الرحم قالت: يا يوسف: صورة وجهك أنحلت جسمي قال: الشيطان يعينك على ذلك قالت: بساط الحرير قد بسطته، قم فاقض حاجتي قال: إذن يذهب نصيبي من الجنة قالت: ادخل الستر معي قال: ليس شيء يسترني من ربي، فلم تزل تطمعه وتدعوه إلى اللذة ويوسف شاب يجد من شبق الشباب ما يجده حتى جرى الشيطان فيما بينهما، فضرب إحدى يديه إلى جيب يوسف وبيده الأخرى إلى جيب المرأة فجمع بينهما حتى خلوا في بعض البيوت^(٨) فذلك قوله: ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ أي: أرادته وقصدته وأما هم يوسف فذكر ابن عباس وجلة أهل التفسير: «أنه حل الهميان^(٩) وجلس منها مجلس الخاتن^(١٠) وسئل ابن عباس: ما بلغ من هم يوسف؟ قال: «استلقت المرأة وقعد بين رجلها ينزع ثيابه»^(١١) وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك والسدي ومجاهد وابن أبي بزة^(١٢) والأعمش والحسن هذا قول المتقدمين وذكر المتأخرون فرقاً بين الهمين فقال أبو العباس

(١) البغوي ٤١٧/٢، الطبري ٢٥/١٦ - ٢٦ - ٢٧، البحر المحيط ٢٩٣/٥ القرطبي ٣٣٩٢/٨.

(٢) البيان ٣٧/٢ البغوي ٤١٧/٢.

(٣) انظر النشر ٢٩٤/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٤٤/٢ البغوي ٤١٧/٢ الطبري ٢٥/١٦ الرازي ٩١/١٨ فتح القدير ١٦/٣ - ١٧، القرطبي ٣٣٩٢/٨.

(٤) البغوي ٤١٧/٢ الطبري ٢٨/١٦ البحر المحيط ٢٩٣/٥ فتح القدير ١٧/٣.

(٥) النشر ٩٤/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٤٤/٢.

(٦) الرازي ٩١/١٨ البغوي ٤١٧/٢ فتح القدير ١٧/٣ القرطبي ٣٣٩٣/٨.

(٧) ولا عبرة بإنكار الكسائي لأن القراءة من القراءات العشرة المتواترة وانظر تفسير الطبري ٢٩/١٦ (١٨٩٩٥) فتح القدير ١٧/٣ الرازي ٩١/١٨.

(٨) سبحان ربي هذا بهتان عظيم، ولا أراه يصح البتة لمنافاته العصمة الثابتة بالدلائل القطعية فليت الواحدي طهر كتابه من هذا البهتان، وهذا الأثر وقع فيه أيضاً العلامة البغوي في المعالم (٤١٨/٢) وذكره الرازي أيضاً في التفسير (٩٢/١٨).

(٩) شدد السراويل انظر لسان العرب ٤٧٠٦/٦.

(١٠) انظر معاني القرآن للزجاج ١٠١/٣ والرازي في التفسير ٩٢/١٨ وهذا القول إفك مبين، .. انظر أضواء البيان (٦١/٣ - ٦٢).

(١١) هو كسابقه باطل يجب تنزيه الكتب من مثل هذا الرفث.

(١٢) القاسم بن أبي بزة مكّي، وهو القاسم بن نافع بن أبي بزة، واسم أبي بزة يسار مولى عبد الله بن السائب المخزومي ويكنى القاسم أبو عبد الله. انظر الجرح والتعديل ١٢٢/٧.

أحمد بن يحيى همت المرأة بالمعصية مصرة على ذلك وهم يوسف بالمعصية ولم يأتها ولم يصبر عليها فبين الهميم فرق وشرحه ابن الأنباري فقال: همت المرأة عازمة على الزنا ويوسف عارضه ما يعارض البشر من خطرات القلب وحديث النفس فلم يلزمه هذا الهم ذنباً إذ الرجل الصالح يخطر بقلبه وهو صائم شرب الماء البارد فإذا لم يشرب كان غير مؤاخذ بما هجس في نفسه^(١) قال الزجاج: والذي عليه المفسرون انه هم بها وانه جلس منها مجلس الرجل من امرأته إلا أن الله تفضل بأن أراه البرهان ألا ترى انه قال: ﴿وما أبرئ نفسي﴾ الآية^(٢)، وقال ابن الأنباري: والذي نذهب إليه في هذه الآية ما يروى عن الصحابة والتابعين من إثبات الهم ليوسف غير عائبين له بل نقول إن انصرافه بعد إثبات الهم ونهيه نفسه عن هواها تعظيماً لله ومعرفة بحقه أدل على وفور الثواب وتكامل الأجر» والذين أثبتوا الهم ليوسف من علي، وابن عباس ووهب وابن سيرين وغيرهم كانوا أعرف بحقوق الأنبياء وارتفاع منازلهم عند الله من الذين نفوا الهم عنه، وقد قال الحسن: «إن الله لم يقصص عليكم ذنوب الأنبياء تعبيراً لهم ولكنه قصها عليكم لئلا تقتنطوا من رحمة»^(٣) وقال أبو عبيد: «يذهب الحسن إلى أن الحجة من الله على أنبيائه أوكد وهي لهم ألزم فإذا كان يقبل التوبة منهم فهي إلى قبولها منكم أسرع» ورواه: ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ قال ابن عباس وعامة المفسرين: «مثل له يعقوب فرأى صورته عاضاً على إصبعيه يقول: أتعمل عمل الفجار وأنت مكتوب في الأنبياء فاستحيا منه»^(٤) قال الحسن مثل له جبريل في صورة يعقوب^(٥) وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: «مثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته من أنامله»^(٦) وقال السدي رأى يعقوب قائماً في البيت يقول: يا يوسف لا تواقعها فإنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق. ومثلك إن واقعتها مثله إذا مات فوقع بالأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ومثلك إذا لم تواقعها كمثل الثور الصعب، الذي لم يعمل عليه، ومثلك إن واقعتها مثل الثور حين يموت، فيدخل النمل في أصل قرنيه، فلا يستطيع أن يدفع عن نفسه»^(٧).

أخبرنا الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم قال: أخبرنا عبد الله بن حامد أنا أحمد بن محمد بن يزيد السكري نا محمد بن إبراهيم بن خالد نا عمرو بن البصري نا أبو الهيثم خالد بن يزيد البصري نا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس: في قوله عز وجل ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ قال: «قعد منها مقعد الرجل من امرأته إذا بكف قد بدت فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها (وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون) فقام هارباً، وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته إذا بكف قد بدت فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها (ولا تقرّبوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) فقام هارباً وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته، إذا بكف قد بدت فيما بينهما، ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) الآية، فقام هارباً وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عاد وعادت

(١) وهذا هو الذي يرتضيه كل منصف عاقل.

(٢) انظر الزجاج ١٠١/٣ وهو قول باطل منافي للعصمة كما سبق أن بينا وحكاها الواحدي أيضاً في البسيط ونقله عنه الرازي في التفسير (٩٢/١٨).

(٣) وقول الحسن هو قول باطل، لأن سيدنا يوسف لم يصدر منه ذنب، وقد ذكر الأثر البغوي أيضاً (٤١٩/٢).

(٤) وهذا باطل وبرهان الله النبوة أو المعجزة.

(٥) وهذا القول كسابقه.

(٦) وهذا القول كسابقه فيه ظلمات.

(٧) وهذا القول كسابقه وهذه الأثار ذكرها البغوي (٤٢٠/٢).

فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته قال الله تعالى لجبريل: أدرك عبيدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضاً على إصبعيه وهو يقول: يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله تعالى في الأنبياء^(١).

فذلك قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ قال الزجاج^(٢): «السوء خيانة صاحبه والفحشاء ركوب الفاحشة» والمخلصين: الذين أخلصوا دينهم لله، فمن فتح اللام^(٣) أراد الذين أخلصهم الله من الأسواء، قوله ﴿استبقا الباب﴾ أي: تبادرا إلى الباب يجتهد كل واحد أن يسبق صاحبه فإن سبق يوسف المرأة فتح الباب وخرج وإن سبقت المرأة أمسكت الباب لثلا يخرج فلم تصل إلا إلى دبر قميصه فقدته وذلك قوله: ﴿ووقدت قميصه من دبر﴾ أي: قطعته من خلف ﴿والفيا سيدها﴾ وجدا وصادفا زوجها عند الباب فحضرها في ذلك الوقت كيد فقالت سابقة بالقول وميرثة نفسها من الأمر وملزمة يوسف بالذنب: ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً﴾ قال ابن عباس^(٤): «يريد الزنا» ﴿إلا أن يسجن﴾ يحبس في السجن ﴿أو عذاب أليم﴾ يعني الضرب بالسياط فلما سبقت هي بطرح الجرم على يوسف غضب يوسف وقال: ﴿هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها﴾ أي أعلم معلم وأبين مبین وكان رجلاً حكيماً من أقارب المرأة قال الكلبي^(٥): «كان ابن عمها وكان رجلاً حكيماً وكان مع زوجها، فقال: قد سمعنا الاشتداد والجلبة من وراء الباب، وشق القميص، فلا ندري أيكما كان قدام صاحبه فإن كان شق القميص من قدامه كانت المرأة صادقة، وإن كان من خلفه فهو صادق» وقوله: ﴿إن كان قميصه قد من قبل﴾ إلى: ﴿فلما رأى قميصه﴾ من حكم الشاهد وبيانه عما يوجب الاستدلال به على تمييز الكاذب من الصادق وقوله: ﴿فلما رأى﴾ أي زوج المرأة قميص يوسف ﴿قد من دبر﴾ قال إنه من كيدكن ﴿أي إن قولك: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً من كيدكن﴾ إن كيدكن عظيم ﴿ثم قال ليوسف﴾ يوسف ﴿أي: يا يوسف﴾ أعرض عن هذا ﴿أي اترك هذا الأمر ولا تذكره﴾ واستغفري ﴿أنت لذنبك﴾ قال لامرأته: توبي أنت من ذنبك ﴿إنك كنت من الخاطئين﴾ إنك قد أئمت بما راودتك شاباً عن نفسه وإرادته على الزنا ثم شاع ما جرى بينهما وانتشر في مدينة مصر حتى تحدثت بذلك النساء وخضن فيه وهو قوله:

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْتهُنَّ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (٢١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودنَّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَوَسْوَسَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ (٢٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٢٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٢٤)

(١) وهذا أيضاً من الانترادات العجيبة التي تمس قداسة النبوة الشريفة.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ١٠٢/٣.

(٣) انظر النشر ٢٩٥/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٤٥/٢.

(٤) البغوي ٤٢١/٢ ابن كثير ٣١٠/٤ القرطبي ٣٤٠٠/٨.

(٥) القرطبي ٣٤٠٢/٨ الرازي ٩٩/١٨ أبو حيان ٢٩٧/٥ الطبري ٣٥٤/١٦ البغوي ٤٢٢/٢.

﴿وقال نسوة في المدينة﴾ قال ابن عباس^(١): «يريد نسوة من أشرف النساء» وأراد بالنسوة الجمع لذلك ذكر فعلهن حلاً على المعنى وإذا أنت حمل على اللفظ وقوله ﴿امرأة العزيز﴾ يعني زليخا والعزيز بلغتهم الملك ﴿تراود فتاها﴾ غلامها ﴿عن نفسه قد شغفها حباً﴾ قال ابن عباس: «قد دخل حبه شغاف قلبها»^(٢) وهو موضع الدم الذي يكون داخل القلب وقال الزجاج^(٣): «الشغاف حبة القلب وسويداء القلب» ﴿إنا لنراها في ضلال﴾ عن طريق الرشد بحبها إياه ﴿مبين﴾ ظاهر ﴿فلما سمعت﴾ زليخا ﴿بمكرهن﴾ قال ابن إسحاق: «يعني كيدهن وذلك انهن إنما قلن ذلك مكرراً بها لتريهن يوسف، لما كان بلغهن من حسنه وجماله اتخذت مآدبة فدعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللاتي عيرن»^(٤) فذلك قوله ﴿أرسلت إليهن وأعدت﴾ وحيات ﴿لهن متكأ﴾ مجلساً للطعام وما يتكئن عليه من النمارق^(٥) والوسائد وقال ابن عباس^(٦) في رواية عطاء ومجاهد: «هو الأترج» وقال جماعة من المفسرين^(٧): يعني طعاماً يخز بالسكين وقال الأزهري: «وقيل للطعام متكأ لأن القوم إذا قعدوا على الطعام اتكأوا، ونهيت هذه الأمة عن ذلك»^(٨) وقوله: ﴿وءاتين كل واحدة منهن سكيناً﴾ قال السدي^(٩): «أعطيت كل واحدة منهن أترجة وسكيناً وأمرت يوسف بالبروز لهن، ليريه فيعذرنها في حبها إياه وهو قوله: ﴿وقالت اخرج عليهن فلما رأيتهن أكبرنه﴾ أعظمته وهالهن أمره وبهتن بالنظر إليه وذهب عقولهن وجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين تعجباً من حسنه وجماله، وهو قوله: ﴿وقطعن أيديهن﴾ قال قتادة^(١٠) «أبلى أيديهن»، وقال مجاهد^(١١) «لم يحسنن إلا بالدم ولم يجدن الألم، لشغل قلوبهن بيوسف» ﴿وقلن حاش لله﴾ حاش وحاشا يستعملان في الاستثناء والتبرئة والأصل حاشا لأنه من فاعل المحاشاة يقال حاشي يحاشي والحشاء: الناحية ومعنى ﴿حاش لله﴾ صار يوسف في حشا أي: في ناحية مما قذف به أي لم يلبسه كأن المعنى بعد يوسف عن هذا الذي رمي به أي: لخوفه ومراقبته أمره، وهذا قول أكثر المفسرين^(١٢)، قالوا: هذا تنزيه ليوسف عما زمته به امرأة العزيز وقال آخرون^(١٣) «هذا تنزيه له من تهمة البشر، لفرط جماله يدل على هذا سياق الآية» ومن قرأ حاش بغير^(١٤) ألف،

(١) البغوي ٤٢٢/٢. فتح القدير ٢١/٣.

(٢) القرطبي ٣٤٠٥/٨، البحر المحيط ٢٩٩/٥، فتح القدير ٢١/٣.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ١٠٥/٣، القرطبي ٣٤٠٦/٨، البحر المحيط ٢٩٩/٥ الرازي ١٠١/١٨.

(٤) البغوي ٤٢٣/٢.

(٥) بالكسر الوسائد الصغار انظر لسان العرب ٤٥٤٧/٦.

(٦) الطبري ٧١/١٦ (١٩١٧٣) (١٩١٧٤)، (١٩١٧٥)، ابن كثير ٣١١/٢، البحر المحيط ٣٠٢/٥، البغوي ٤٢٣/٢، الرازي

١٠٢/١٨، القرطبي ٣٤٠٧/٨.

(٧) البحر المحيط ٣٠٢/٥، البغوي ٤٢٣/٢، الرازي ١٠٢/١٨، القرطبي ٢٤٠٧/٨.

(٨) عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ (لا أكل متكأ). أخرجه البخاري في الصحيح ٥٤٠/٩ كتاب الأطعمة باب الأكل

متكأ (١٣) الحديث (٥٣٩٨)، (٥٣٩٩). وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: (مارئي رسول الله ﷺ يأكل متكأ قط،

ولا يطأ عقبه رجلان). أخرجه أحمد في المسند ١٦٥/٢، ١٦٧، وأبو داود في السنن ١٤١/٤ - ٢٤٣، كتاب الأطعمة (٢١) باب

ما جاء في الأكل متكأ (١٧) الحديث (٣٧٧٠) وابن ماجه في السنن ٨٩/١ المقدمة باب من كره أن يوطأ عقبه ٢١ الحديث

(٢٤٤). وأخرجه الطبري بلفظ نهي أن يأكل الرجل بشماله وأن يأكل متكأ.

(٩) البغوي ٤٢٣/٢.

(١٢) الرازي ١٠٣/١٨.

(١٠) البغوي ٤٢٣/٢ القرطبي ٣٤٠٩/٨.

(١٣) البغوي ٤٢٣/٢.

(١١) الطبري ٧٧/١٦ البغوي ٤٢٣/٢.

(١٤) انظر حجة القراءات، وانظر النشر ٢٩٤/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٤٤/٢، البغوي ٤٢٤/٢، الرازي ١٠٢/١٨، فتح القدير

فهو على حذف آخر الفعل كقولهم: لم يك، ولا أدر. وقد قال رؤبة:

وَصَّانِي الْعَجَّاجُ فِيمَا وَصَّنِي (١)

وقوله: ﴿ما هذا بشراً﴾ أي ليس هذا بآدمي ﴿إن هذا إلا ملك كريم﴾ على ربه.

أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز الفقيه أنا عبد الله بن محمد الرازي نا محمد بن أيوب نا موسى بن إسماعيل نا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قال أعطي يوسف شطر الحسن (٢).

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا عبد الله بن محمود السعدي نا محمد بن موسى بن بحر (٣) نا عبدة بن حميد حدثني: منصور عن مجاهد عن ربيعة الجرشي (٤): قال قسم الحسن نصفين نصف ليوسف وسارة ونصف بين الناس (٥)، وقال أبو سعيد الخدري: سمعت رسول الله ﷺ وهو يصف يوسف حين رآه في السماء الثانية رأيت رجلاً صورته صورة القمر ليلة البدر قلت: يا جبريل من هذا؟ قال «أخوك يوسف (٦)».

أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن أحمد العدل أنا أحمد بن سلمان الحرابي أنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم أنا هشام بن عمار أنا وكيع عن شعبة عن محارب بن دثار عن جابر عن النبي ﷺ قال «هبط علي جبريل فقال: يا محمد إن الله تعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك حبيبي إني كسوت حسن يوسف من نور الكرسي، وكسوت حسن وجهك من نور عرشي، وما خلقت خلقاً أحسن منك يا محمد (٧)».

قالت المرأة عند ذلك للنسوة: ﴿فذلكن الذي لمتني فيه﴾ قال ابن الأنباري (٨): أشارت بذلك إلى يوسف بعد انصرافه من المجلس قال المفسرون (٩): «أرادت إظهار عذرها عند النسوة بما شاهدن من جمال يوسف بهتن بالنظر إليه وذهبت عقولهن وجعلن يقطعن أيديهن قالت لهن هذا القول» ومعنى لمتني فيه: أي: في حبه والشغف به. ثم أقرت عندهن فقالت: ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ امتنع وأبى ثم توعدته بإيقاع المكروه به إن لم يطعها فيما تدعوه إليه فقالت: ﴿ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾ من الإذلال بالسجن والحبس ﴿قال﴾ يوسف

(١) انظر ملحقات ديوانه ١٨٧، الخصائص ٩٣/٢.

(٢) أخرجه مسلم ١٤٥/١ في كتاب الإيمان باب الإسرائ برسول الله ﷺ (١٦٢/٢٥٩) وأحمد في المسند ٢٨٦/٣.

(٣) موسى بن بحر المروزي عراقي سكن مرو. يكنى أبا عمران. روى عن عباد بن العوام وعلي بن هاشم بن البريد وجريز بن عبد الحميد وزباد بن عبد الله وعبد العزيز بن عبد الصمد العمي ووكيع. روى عنه البخاري في الأدب، وعبيد الله بن واصل والحسن بن سفيان. ذكره ابن حبان في الثقات وقال مات سنة ثلاثين ومائتين. انظر التهذيب ٣٣٨/١٠.

(٤) ربيعة الجرشي: له صحبة وفي صحبته نظر يروي عن عائشة رضي الله عنها وهو جد هشام بن الغازي بن ربيعة الجرشي. انظر الأنساب ٤٥/٢.

(٥) أخرجه الطبري في التفسير ٨١/١٦ (١٩٢٣٠) (١٩٢٣١) (١٩٢٣١) وربيعه الجرشي مختلف في اسم أبيه وفي صحبته فقل اسم أبيه (ربيعه بن عمرو) (وربيعة بن الغاز) ابن سعد ١٥٠/٢/٧ ابن أبي حاتم ٤٧٢/٢/١، التاريخ الكبير ٢٥٦/١/٢ وذكره ابن كثير ٣١٢/٤.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرک ٧٢ في كتاب التاريخ.

(٧) موضوع كذا في اللآلئ المصنوعة ٢٧٣/١، وابن الجوزي في الموضوعات ٢٩١/١ وأخرجه الخطيب في التاريخ ٤٣٩/٥.

(٨) النهر الماد ٣٠٥/٥، الرازي نقلا عن ابن الأنباري ١٠٤/١٨.

(٩) البحر المحيط ٣٠٦/٥.

﴿رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾ مما يطالبني به من معصيتك وذلك أن النسوة قلن له: إنك الظالم وهل المظلومة وأمرته بمطاوعتها وقضاء حاجتها، ﴿وإلا تصرف عني كيدهن﴾ كيد جميع النسوة ﴿أصب إليهن﴾ أبل إليهن وأتابهن يقال صبا إلى اللهور، يصبو صبواً، إذا مال إليه ﴿وأكن من الجاهلين﴾ من يستحق صفة الذم بالجهل قال ابن عباس^(١): «يريد المذنبين الآثمين» ﴿فاستجاب﴾ الله ليوسف دعاءه ﴿فصرف عنه كيدهن﴾ بأن عصمه منهن ﴿إنه هو السميع﴾ لدعائه ﴿العليم﴾ بما خاف من الإثم، وقال وهب والسدي: «إن امرأة العزيز قالت لزوجها: إن هذا العبد العبراني فضحني في الناس يخبرهم أنني راودته عن نفسه ولست أقدر أن أعتذر بعذري فيما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر وإما أن تحبسه كما حبستني فظهر للعزيز وأصحابه من الرأي حبس يوسف^(٢)» فذلك قوله:

ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ۚ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۚ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَاهُ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۚ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۚ يَصْحَبِي السِّجْنَ ۚ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۚ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۚ يَصْحَبِي السِّجْنَ ۚ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۚ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَنُكَ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ بِضَعِ سِنِينَ ۚ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيِنِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ۚ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ ۚ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ۚ

﴿ثم بدأ لهم من بعدما رأوا الآيات﴾ يعني آيات براءة يوسف: ﴿ليسجنه﴾ ليحبسه في السجن ﴿حتى حين﴾ الحين من الزمان غير محدود يقع على القصير منه والطويل قال عطاء^(٣): «يريد إلى انقطاع المقالة» وقال الكلبي^(٤): «الحين هاهنا

(١) البغوي ٢/٤٢٤.

(٢) الطبري ١٦/٩٣ (١٩٢٦٤)، البغوي ٢/٤٢٥، البحر المحيط ٥/٣٠٧ ابن كثير ٢/٣١٣ الرازي ١٨/١٠٦، القرطبي ٨/٣٤١٦.

(٣) البغوي ٢/٤٢٥ الرازي ١٨/١٠٧، فتح القدير ٣/٢٥ القرطبي ٨/٣٤١٦.

(٤) البغوي ٢/٤٢٥ الرازي ١٨/١٠٧، فتح القدير ٣/٢٥ القرطبي ٨/٣٤١٦.

خمس سنين» وقال عكرمة^(١): «سبع سنين» وقال مقاتل^(٢): «حبس يوسف اثنتي عشرة سنة قال السدي^(٣): «ثم إن الملك غضب على خباز بلغه أنه يريد أن يسمه وأن صاحب شرايه ماله على ذلك فحبسهما جميعاً» وذلك قوله: ﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ وكان يوسف لما دخل السجن قال لأهله إني أعبّر الأحلام فقال أحد الفتيتين: هلم فلنجرّب هذا العبد العبراني نترآى له شيئاً فسألا من غير أن يكون رأياً شيئاً، فذلك قوله: ﴿قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً﴾ قال له الساقى: إني رأيت أصل حيلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنبتها وعصرتها ومعنى: أعصر خمراً: أعصر عنب خمر أي العنب الذي يكون عصيره خمراً فحذف المضاف وقال الزجاج وابن الأنباري: «العرب تسمي الشيء باسم ما يؤول إليه الشيء إذا انكشف المعنى ولم يلتبس يقولون: فلان يطبخ الأجر ويطبخ الدبس وإنما يطبخ اللبن والعصير»^(٤)، وقوم يقولون: إن بعض العرب يسمون العنب خمراً حكى «الأصمعي» عن المعتز أنه لقي أعرابياً معه عنب قال: ما معك؟ فقال: خمر. وقال صاحب الطعام: رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز واللوان الأظعمة وسباع الطير تنهش منه فذلك قوله: ﴿وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبثنا بتأويله﴾ أخبرنا بتفسيره ﴿إنا نراك من المحسنين﴾ تؤثر الإحسان وتأتي الأفعال الجميلة قال سلمة بن نبيب: «كنت بخراسان جالساً عند الضحاك فسأله رجل عن قوله: ﴿إنا نراك من المحسنين﴾ ما كان إحسان يوسف؟ قال: كان إذا ضاق على رجل مكانه وسع عليه وإن احتاج جمع له وإن مرض قام عليه» وقال الفراء: «من المحسنين العالمين» ونحو هذا قال الزجاج^(٥): «ممن يحسن التأويل» ثم ذكر لهما يوسف ما يدل على أنه عالم بتفسير الرؤيا فقال: ﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه﴾ في منامكما ﴿إلا نباتكما بتأويله﴾ في اليقظة ﴿قبل أن يأتيكما﴾ التأويل ﴿ذلكما﴾ التأويل ﴿مما علمني ربي﴾ أي: لست أقوله على جهة التكهن والتنجيم وإنما أخبركما بوحى من الله وعلم ثم أخبر أنه تارك ملة الكفر فقال: ﴿إني تركت ملة قوم لا يؤمنون﴾ الآية، ﴿واتبعت ملة آبائي إبراهيم﴾ إلى قوله: ﴿ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء﴾ قال «ابن عباس»^(٦): «يريد أن الله عصمنا من أن نشرك به» ﴿ذلك من فضل الله علينا﴾ أي اتباعنا الإيمان بتوفيق الله لنا، ويفضله علينا ﴿وعلى الناس﴾ يعني المؤمنين ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ الله على نعمته فيوحدونه ثم دعاهما إلى الإسلام فقال: ﴿يا صاحبي السجن﴾ أرباب متفرقون ﴿يعني الأصنام من صغير وكبير﴾ خبير ﴿أعظم في صفة المدح﴾ أم الله الواحد القهار ﴿يعني أنه أحق بالإلهية من الأصنام ثم خاطبهم ومن على مثل حالهم في الكفر فقال ﴿ما تعبدون من دونه﴾ من دون الله ﴿إلا أسماء سميتوها أنتم وءابؤكم﴾ يعني الأرباب والآلهة ولا تصح معانيها للأصنام فكانها أسماء فارغة وكانهم يعبدون الأسماء لأنها لا معاني تصح لها ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ من حجة بعبادتها ﴿إن الحكم إلا لله﴾ أي الفضل بالأمر والنهي إلا لله ﴿ذلك الدين القيم﴾ أي الذي أمر به من ألا تعبدوا إلا إياه وهو الدين المستقيم ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ قال ابن عباس: «لا يعلمون ما للمطيعين من الثواب وللعاصين من العقاب»^(٧) قوله: ﴿يا صاحبي السجن﴾ أما أحدكما ﴿الآية قال: «الكلي»﴾: «لما قص الساقى رؤياه على يوسف قال له: ما

(١) الطبري ٩٤/١٦ (١٩٢٦٥)، البغوي ٤٢٥/٢ الرازي ١٠٧/١٨ فتح القدير ٢٥/٣ القرطبي ٣٤١٦/٨.

(٢) الرازي ١٠٧/١٨، القرطبي ٣٤١٦/٨.

(٣) البغوي ٤٢٥/٢ القرطبي ٣٤١٨/٨، الطبري ٩٥/١٦، فتح القدير ٢٥/٣ الرازي ١٠٧/١٨ ابن كثير ٣١٤/٤.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ١٠٩/٣، الرازي ١٠٨/١٨، البغوي ٤٢٥/٢.

(٥) الزجاج ١١٠/٣، القرطبي ٣٤١٩/٨، فتح القدير ٢٦/٣ الرازي ١٠٨/١٨ البغوي ٤٢٥/٢.

(٦) البغوي ٤٢٦/٢.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٠٦/١٦.

أحسن ما رأيت أما الأغصان الثلاثة، فثلاثة أيام يوجه إليك الملك عند انقضائهن فيردك إلى عملك فتعود كأحسن ما كنت فيه، وقال للخباز لما قص عليه: بش ما رأيت السلال الثلاث ثلاثة أيام، يوجه إليك الملك عند انقضائهن فيقتلك ويصلبك وتاكل الطير من رأسك فقالوا: ما رأينا شيئاً قال: ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ أي فرغ منه يعني سيقع بكما ما عبرت لكما صدقتما أو كذبتما^(١) وإنما حلم يوسف بوقوع الأمر بهما من قبل وحي آتاه من الله تعالى؛ ﴿وقال للذي ظن أنه ناج منهما﴾ أي أيقن وعلم وهو الساقى ﴿اذكرني عند ربك﴾ أي عند الملك صاحبك وكل له: إن في السجن غلاماً محبوباً ظلماً ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ قال مجاهد: أنسى الشيطان يوسف الاستعانة بربه وأوقع في قلبه الاستغائة بالملك فعوقب بأن لبث في السجن بضع سنين وهذا «قول ابن عباس^(٢)» واختيار الزجاج^(٣) وذهب قوم إلى أن الكتابة راجعة إلى الساقى على معنى أنسى الشيطان الساقى أن يذكر يوسف لربه ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾ قال الأصمعي^(٤): البضع ما بين الثلاث إلى التسع وعامة المفسرين^(٥) على أن المراد بالبضع هاهنا سبع سنين وقالوا: عاقب الله يوسف بأن حبس سبع سنين بعد الخمس التي حبسها إلى وقت قوله: اذكرني عند ربك قال ابن عباس: «لما تضرع يوسف إلى مخلوق وكان قد اقترب خروجه أنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين^(٦)».

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الزاهد أنا محمد بن أحمد بن علي المقري أنا الحسين بن سفيان نا زهير بن سلام نا عمرو بن محمد نا إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «لولا ما لبث يوسف الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث، حيث يتبغي المخرج من عند غير الله^(٧)».

وروى الحسن أن رسول الله ﷺ قال «رحم الله يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث» قال ثم يبكي الحسن ويقول: نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس^(٨) ويروى: أن جبريل دخل على يوسف السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يا أخا المنذرين ما لي أراك بين الخاطئين فقال له جبريل: يا طاهر الطاهرين اقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك: أما استحيت مني إذ استشفعت بالآدميين؟ فبعزتي لأبشرك في السجن بضع سنين قال

(١) البغوي ٤٢٧/٢.

(٢) بنحوه عند الطبري ١١١/١٦ وما بعدها، وابن كثير ٣١٧/٤، البغوي ٤٢٨/٢ والضمير في قوله (فأنساه الشيطان) عائذ على الناجي كما قاله مجاهد وغير واحد قال أبو حيان ٣١١/٥ وقيل في «أنساه» عائذ على يوسف ورتبوا على ذلك أخباراً لا تليق نسبتها إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(٣) معاني القرآن للزجاج ١١٢/٣.

(٤) انظر الطبري ١١٤/١٦ وهو مروى عن قتادة (١٩٣٢٧) ومجاهد (١٩٣٢٨) ابن كثير ٣١٧/٤ البغوي ٤٢٨/٢ القرطبي ٣٤٢٦/٨.

(٥) الطبري ١١٤/١٦ (١٩٣٢٣، ١٩٣٢٤، ١٩٣٢٥) ابن كثير ٣١٧/٤ البحر المحيط ٣١١/٥ البغوي ٤٢٨/٢ القرطبي ٣٤٢٦/٨ الرازي ١٨ - ١١٧، فتح القدير ٢٩/٣.

(٦) الطبري ١١٣/١٦ البغوي ٤٢٨/٢ فتح القدير ٢٩/٢.

(٧) أخرجه الطبري في التفسير بإسناد ضعيف جداً ١١٢/١٦. وأخرجه الطبراني كذا في المجمع ٤٢/٧، وقال فيه إبراهيم بن يزيد القرشي وهو متروك، وقال الحافظ ابن كثير بعد إيراد له ٣١٧/٤: وهذا الحديث ضعيف جداً، لأن سفيان بن وكيع ضعيف وإبراهيم بن يزيد هو الخوزي أضعف منه أيضاً، وقد روي عن الحسن وقتادة مرسلًا عن كل منهما وهذه المرسلات هاهنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن.

(٨) الطبري ١١٢/١٦ (١٩٣١٣)، الرازي ١١٧/١٨، القرطبي ٣٤٢٥/٨.

يوسف: وهو في ذلك عني راض؟ قال نعم قال: إذن لا أبالي^(١).

قوله: ﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات﴾ الآية قال المفسرون^(٢): «لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الأكبر رؤيا عجيبة هالته وذلك أنه رأى سبع بقرات سماناً وسبعاً عجافاً فابتلعت العجاف السمان فدخلت في بطونهن فلم ير منهن شيئاً ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبيها وسبع آخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبت عليها فجمع الملك الكهنة وقصها عليهم» فذلك قوله: ﴿يا أيها الملا أفتوني في رؤياي﴾ والعجاف ضد السمان وأحدها أعجف وعجفاء والعجف ذهاب السمن^(٣) فمعنى العجاف الهزلي التي لا لحم عليها وقوله: ﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ يقال: عبرت الرؤيا أعبرها عبراً وعبارة وعبرتها تعبيراً إذا فسرتها ﴿قالوا أضغاث أحلام﴾ أي: أحلام مختلطة لا تأويل لها قال أبو عبيدة^(٤): «ونراه مأخوذاً من الحشيش الذي يجمع، ويقبض عليه بالكف فيقال له: ضغت» وقال الكلبي^(٥): «أباطيل أحلام» وقال قتادة^(٦): «أخلط أحلام قال ابن الأنباري^(٧): إنهم قالوا هذه منامات كاذبة لا يصح تأويلها ﴿وما نحن بتأويل الأحلام﴾ التي هذا وصفها ﴿بالمين﴾ إذ كنا نعلم تأويل ما يصح، وهذا معنى قول أكثر المفسرين واختيار الزجاج قال: «إنهم قالوا له رؤياك هذه أخلط وليس للرؤيا المختلطة عندنا تأويل»^(٨) قال الكلبي^(٩): «لما سأل الملك عن رؤياه جثا الساقى بين يديه بعد انقضاء جواب الملا فقال للملك: إني قصصت أنا والخباز على رجل في السجن منامين فخبيرنا بتأويلهما فصدق في جميع ما وصف ولم يسقط من تأويله شيء فإن أذنت مضيت إليه وأيتك من قبله بتفسير هذه الرؤيا» فذلك قوله: ﴿وقال الذي نجا منهما﴾ يعني الساقى ﴿وادكر بعد أمة﴾ أي: تذكر شأن يوسف وما وصاه به بعد حين من الدهر قاله ابن عباس والحسن ومجاهد والأمة زمان من الدهر طويل^(١٠) قال عطاء عن ابن عباس: «بعد سنين^(١١)» وقوله: ﴿أنا أنبئكم بتأويله﴾ أي: أنا أخبركم به ﴿فأرسلون﴾ فأرسل فأتى يوسف فقال:

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابَّاً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ

(١) والحديث ذكره البغوي أيضاً ٤٢٨/٢ والحديث ذكره القرطبي في التفسير ٣٤٢٤/٨.

(٢) القرطبي ٣٤٢٧/٨.

(٣) قال الليث: العجف ذهاب السمن، والفعل عجف يعجف، والذكر أعجف والأنثى عجفاء، والجمع عجاف في الذكور والإناث. وليس في كلام العرب أفعل وفعلاء جمعاً على فعال غير أعجب وعجاف وهي شاذة حملوها على لفظ سمان، فقالوا: سمان وعجاف لأنهما نقيضان. ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض. انظر اللسان (٤/٢٨٢)، وانظر الرازي (١١٨/١٨).

(٤) مجاز القرآن ٣١٢/٢ القرطبي ٣٤٢٩/٨، الطبري ١١٧/١٦، الرازي ١١٨/١٨ البغوي ٤٢٩/٢.

(٥) الطبري ١١٩/١٦.

(٦) القرطبي ٣٤٢٩/٨، الرازي ١١٨/١٨، ابن كثير ٣١٧/٤، البغوي ٤٢٩/٢، الطبري ١١٧/١٦، البحر المحيط ٣١٣/٥.

(٧) الطبري ١١٨/٨ - ١١٩، فتح القدير ٣٢/٣.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ١١٣/٣.

(٩) البغوي ٤٢٨/٢.

(١٠) الطبري ١٢٠/١٦ ابن كثير ٣١٨/٤ القرطبي ٣٤٣٠/٨ فتح القدير ٨٢/٣ الرازي ١١٩/١٨ البغوي ٤٢٩/٢.

(١١) البغوي ٤٢٩/٢ فتح القدير ٣٢/٣.

إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا حُصِّنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصُرُونَ ﴿٤٩﴾

﴿يوسف﴾ يعني يا يوسف ﴿أيها الصديق﴾ الكثير الصدق فيما يخبره وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿لعلي أرجع إلى الناس﴾ يعني الملك وأصحابه، والعلماء الذين جمعهم لتعبير رؤياه ﴿لعلهم يعلمون﴾ كي يعرفوا ذلك، وقيل: لعلهم يعلمون فضلك وعلمك قال له يوسف: أما السبع بقرات السماء فإنهم سبع سنين مخصبت وذوات نعمة وأنتم تزرعون فيها وهو قوله: ﴿قال تزرعون﴾ أي فازرعوا ﴿سبع سنين دأباً﴾ قال ابن عباس^(١): متوالية والدأب استمرار الشيء على عادة وهو دائب يفعل كذا أي: استمر في فعله، وقد دأب يدأب دأباً ودأباً والمعنى زراعة متوالية في هذه السنين على عادتكم ﴿فما حصدتم﴾ مما زرعتهم ﴿فذرروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون﴾ يعني ما أردتم أكله فدوسوه ودعوا الباقي في السنبل، لأنه أبقى له وأبعد عن الفساد ﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد﴾ يعني سبع سنين مجدبات والشداد الصعاب التي تشتد على الناس، ﴿يأكلن﴾ يذهبن ويفنين ﴿ما قدمتم لهن﴾ في السنين المخصبة ﴿إلا قليلاً مما تحصنون﴾ تحرزون وتذخرون والإحصان إحراز الشيء. قوله: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام﴾ الآية قال قتادة^(٢): ﴿زاده الله علم عام لم يسألوه عنه﴾ وقوله ﴿فيه يغاث الناس﴾ يقال: غاث الله البلاد يغيثها غيثاً، إذا أنزل لها الغيث ومعنى يغاث الناس: يمطرون ويسقون الغيث ﴿وفيه يعصرون﴾ من السمس دهنًا ومن العنب عصيراً، ومن الزيتون زيتاً للخصب الذي آتاهم كما كانوا يعصرون أيام الخصب فلما رجع الرسول إلى الملك وأخبره بما أفتاه به يوسف عرف الملك أن ذلك التأويل صحيح فقال اثتوني الذي عبر رؤياي فهو قوله:

وَقَالَ الْمَلِكُ اثْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾

﴿وقال الملك اثتوني به﴾ فجاء الرسول يوسف قال له: أجب الملك فأبى أن يخرج مع الرسول حتى تبين براءته مما كذب به فقال للرسول: ﴿ارجع إلى ربك﴾ يعني الملك ﴿فأسأله ما بال النسوة﴾ ما حالهن وشأنهن؟ والمعنى فاسأل الملك أن يتعرف ويسأل ما شأن تلك النسوة وحالهن ليعلم صحة براءتي قال المفسرون^(٣): ﴿أشفق يوسف من أن يراه الملك بعين مشكوك في أمره متهم بفاحشة فأحب أن يراه بعد أن يزول عن قلبه ما كان فيه﴾.

وقد استحسّن رسول الله ﷺ حزم يوسف وصبره حين دعاه الملك فلم يبادر وهو ما روي أن رسول الله ﷺ قال: ﴿لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول فقال ارجع إلى ربك الآية ولو كنت مكانه ولبثت في السجن طول ما لبثت لأسرعت الإجابة، وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر، إن كان لحليما ذا أناة^(٤)﴾.

أخبرنا أبو إبراهيم بن أبي القاسم المزكي أنا أبو عمرو بن مطر نا محمود بن محمد الواسطي نا وهب بن بقية نا

(١) البغوي ٤٢٩/٢ ابن كثير ٣١٨/٤ القرطبي ٣٤٣٢/٨ البحر المحيط ٣١٥/٥

(٢) البغوي ٣٤٠/٢ ابن كثير ٣١٨/٤ فتح القدير ٣٣/٣ الطبري ١٦/١٦ القرطبي ٣٤٣٣/٨ الرازي ١٨/١٢٠

(٣) انظر إلى أدب النبوة العالي المقتطف أثره من السماء لم يصرح يوسف عليه السلام بذكره امرأة العزيز أدباً واحتراماً، وهذا معنى قول الزجاج الآتي وانظر البغوي ٤٣٠/٢، البحر المحيط ٣١٧/٥، القرطبي ٣٤٣٦/٨، الرازي ١٨/١٢٣، فتح القدير ٣٤/٣

(٤) أخرجه البخاري ٤٧٣/٦ في كتاب الأنبياء باب قوله (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) ٣٣٧٢ وأخرجه مسلم ١/١٣٣ في كتاب الإيمان باب زيادة طمأنينة القلب ١٣٨/١٥١، وأخرجه الترمذي في السنن ٥/٢٧٣ في كتاب التفسير سورة يوسف ٣١١٦

خالد بن عبد الله عن محمد بن عمرو بن مطر عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ولو لبثت في السجن مثل ما لبث يوسف ثم جاءني الداعي لأجبت^(١)».

قال الزجاج^(٢): «ولم يفرد يوسف امرأة العزيز لحسن عشرة منه وأدب فخلطها بالنسوة وقوله: ﴿إن ربي بيدهن عليم﴾ أي أنه عالم بذلك وقادر على إظهار براءتي» قال المفسرون^(٣): «فرجع الرسول إلى الملك برسالة يوسف فدعا الملك النسوة وفيهن امرأة العزيز فقال:

قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْتَنِّي يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ قُلْتَ حَشَى لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ
أَكْفَنَ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنِ نَفْسِهِ وَإِنَّ لِمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنْ أَلْقَيْتُ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَحْتَنِي إِنْ ربي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾

﴿ما خطبكن﴾ ما شأنكن وقصتكن ﴿إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾ قال ابن الأنباري^(٤):
«جمعهن في السؤال ليعلم عين المراودة» ﴿قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء﴾ من زنا أعلمنه براءة يوسف من الزنا فقالت ﴿امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه﴾ أي ظهر وتبين ووضح وانكشف قال الفراء: «لما دعا النسوة فبرأته قالت لم يبق إلا أن يقبل علي بالتقرير فأقرت^(٥) ذلك قولها: ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ في قوله: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ فقال يوسف: ﴿ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب﴾ يقول ذلك الذي فعلت من ردي رسول الملك إليه في شأن النسوة ليعلم العزيز أنني لم أخنه في زوجته بالغيب ﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ لا يرشد كيد من خان أمانته يعني أنه يتضح في العاقبة بحرمان الهداية ولما قال يوسف ذلك: ﴿ليعلم أنني لم أخنه بالغيب﴾ قال له جبريل عليه السلام: ولا حين هممت بها يا يوسف؟ فقال يوسف ﴿وما أبرئ نفسي﴾ قال ابن عباس^(٦): «وما أزكي نفسي خاف على نفسه التزكية وتزكية النفس مما يذم وينهى عنه» ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ بالقبيح وما لا يجب الله وذلك لكثرة ما تشتهيه وتنازع إليه ﴿إلا ما رحم﴾ أي من رحم ﴿ربي﴾ فعصمه مما تدعوه إليه نفسه من القبيح، وما يقع بمعنى من قوله ﴿ما طاب لكم﴾ ولما تبين للملك عذر يوسف وعرف أمانته وكفايته وعلمه وعقله قال:

(١) أخرجه البخاري ٤٨١/٦ في كتاب الأنبياء باب قوله لقد كان في يوسف ٣٣٨٧ وأحمد في المسند ٩٦/٢ وأخرجه الخطيب ٤٢٦/٣.

وقوله: (ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي) أي: لأسرعت الإجابة في الخروج من السجن، ولما قدمت طلب البراءة فوصفه بشدة الصبر حيث لم يبادر بالخروج وإنما قاله ﷺ تواضعاً، والتواضع لا يحط مرتبة الكبير بل يزيده رفعة وجلالاً، وقيل: هو من جنس قوله «لا تفضلوني على يونس» وقد قيل: إنه قاله قبل أن يعلم أنه أفضل من الجميع. انظر الفتح ٤٧٦/٦.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ١١٥/٣.

(٣) البغوي ٤٣٠/٢، البحر المحيط ٣١٧/٥، القرطبي ٣٤٣٦/٨.

(٤) الرازي ١٢٢/١٨، وانظر القرطبي ٣٤٣٦/٨.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٤٨/٢.

(٦) الرازي ١٢٥/١٨، القرطبي ٣٤٣٩/٨، البغوي ٤٣١/٢، فتح القدير ٣٤٤/٣.

وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ ^{٥٤} أَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ^{٥٥} قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ^{٥٦} وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ^{٥٧} وَلَا جُرْ الْأَخْرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُورُونَ ^{٥٧}

﴿اثتوني به أستخلصه لنفسي﴾ أجعله خالصاً لي لا يشركني فيه أحد ﴿فلما كلمه﴾ قال الكلبي (١): لما صار يوسف إلى الملك وكان في ذلك الوقت ابن ثلاثين سنة فلما رآه الملك حدثاً شاباً قال للساعي: أهذا يعلم من تأويل رؤياي ما لم يعلمه السحرة ولا الكهنة؟ قال: نعم فأقبل على يوسف وقال إني أحب أن أسمع تأويل رؤياي منك شفاها فأجابه يوسف بما شفاه وشهد قلبه بصحته فعند ذلك ﴿قال﴾ له الملك ﴿إنتك اليوم لدينا مكين أمين﴾ قال ابن عباس (٢): «يريد مكنتك في ملكي وجعلت سلطانك فيه كسلطاني واثمتتك فيه» وقال الزجاج (٣): «أي قد عرفنا أمانتك وبراءتك مما قذفت به» ولما عبر يوسف رؤيا الملك بين يديه قال له الملك: فما ترى أيها الصديق؟ قال: أرى أن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعاً كثيراً وتبني الأهرام وتجمع فيها الطعام ليأتيك الخلق من النواحي فيمتارون منك لحكمك ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك فقال الملك ومن لي بهذا؟ ومن يجمعه؟ ويكفي الشغل فيه فقال يوسف: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ يعني أرض مصر ﴿إني حفيظ﴾ لما وليت ﴿عليم﴾ بأمره قاله قتادة (٤) وقال السدي (٥): «حفيظ للحساب عالم بالألسن» وذلك أن الناس كانوا يفدون على الملك من كل ناحية ويتكلمون بلغات مختلفة، فقال له الملك ومن أحق به منك؟ فولاه ذلك كله.

أخبرنا الأستاذ أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد الثقفي نا محمد بن جعفر (٦) نا الحسن بن علويه (٧) نا إسماعيل بن عيسى (٨) نا إسحاق بن بشر عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «رحم الله أخي يوسف، لو لم يقل: اجعلني على خزائن الأرض لولاه من ساعته، ولكنه أخر ذلك عنه سنة (٩)».

(١) وفي البغوي ابن ثمانين سنة ٤٣١/٢.

(٢) انظر فتح القدير ٣٥/٣.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ١١٦/٣.

(٤) الطبري ١٤٩/١٦ (١٩٤٥٦) القرطبي ٣٤٤٢/٨.

(٥) البغوي ٤٣٢/٢ البحر المحیط ٣١٩/٥، والطبري عن الأشجعي (١٩٤٥٨) القرطبي ٣٤٤٠/٨.

(٦) مغلد بن جعفر الباقرجي: سمع يوسف القاضي ومحمد بن يحيى المروزي. وعنه أبو نعيم ومحمد بن العلاف وجماعة. قال أحمد بن علي: ثقة صحيح السماع إلا أنه لم يكن يعرف شيئاً من الحديث. وقال أبو نعيم: بلغنا أنه خلط بعد خروجه من بغداد. وقال الخطيب: حدثت عن أبي الحسن بن القرات قال كان مغلد بن جعفر أصوله صحيحة، ثم إن ابنه حمله في آخر عمره على ادعاء أشياء منها المغازي عن المروزي، والمبتدأ عن ابن علويه القطان وتاريخ الطبري الكبير مات سنة تسع وستين وثلاثمائة وقد قارب التسعين. الميزان (٨٢/٤).

(٧) الحسن بن علويه ثقة انظر معجم الثقات ٣٦، تنقيح المقال ٣٨٩/١.

(٨) إسماعيل بن عيسى البغدادي العطار. وضعه الأزدي، وصححه غيره، وهو الذي يروي المبتدأ عن أبي حذيفة البخاري. وثقه الخطيب، ومات سنة (٢٣٢). انظر ميزان الاعتدال (٢٤٥/١).

(٩) أخرجه الطبري عن ابن إسحاق ١٥١/١٦ (١٩٤٥٩)، وأخرجه الثعلبي كما في تخريج الكشاف للحافظ ابن حجر، وقال إسناده ساقط ٩٠ وأخرجه البغوي في التفسير ٤٣٢، وذكره الرازي ١٢٨/٨، وابن كثير ٣٢١/٤، والقرطبي عن الثعلبي ٣٤٤٧/٨، وأبو حيان في البحر ٣٢٠/٥.

قال أصحاب الأخبار^(١): فأقام في بيت الملك سنة فلما انصرفت السنة من يوم أن سأل الإمارة دعاه الملك وتوجه ورداه بسيفه وأمر له بسرير من ذهب وضرب عليه كلة^(٢) من إستبرق مكللة بالدر والياقوت ثم أمره أن يخرج فخرج متوجاً لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لونه فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك ولزم الملك بيته وفوض أمره إليه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم إن قطفير هلك في تلك الليالي فزوج الملك يوسف براعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها: أليس هذا خيراً مما كنت تريدين فقالت: أيها الصديق لا تلمني فأني كنت امرأة حسناء ناعمة في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في صورتك فغلبتني نفسي، فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء، فأصابها فولدت له ابنتين أفرايم وميشا ابني يوسف واستوتق ليوسف ملك مصر.

فذلك قوله: ﴿وكذلك مكنا ليوسف﴾ أي ومثل ذلك الإنعام الذي أنعمنا عليه أقدرا يوسف على ما يريد في الأرض أرض مصر ﴿يتبوا منها حيث يشاء﴾ هذا تفسير التمكين وقرأ «ابن كثير (تشاء)^(٣) بالنون وذلك أن مشيئة يوسف لما كانت بمشيئة الله وإقداره عليها جاز أن ينسب إلى الله تعالى وإن كان في المعنى ليوسف ﴿نصيب برحمتنا من نشاء﴾ قال ابن عباس^(٤): «أفضل على من أشاء برحمتي» ﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾ ثواب الموحدون ﴿ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا﴾ أي ما يعطي الله تعالى من ثواب الآخرة خير للذين آمنوا أي خير مما يعطي الله المؤمنين في الدنيا، والمعنى أن ما يعطي الله يوسف في الآخرة خير مما أعطاه في الدنيا، وكذلك غيره ممن يسلك طريقه في الصبر على المكاره وقال أصحاب الأخبار^(٥): لما اطمأن يوسف في ملكه، وخلصت السنون المخضبة، ودخلت سنبر الجذب، جاءت بهول لم يعهد الناس مثله، وأصاب الناس الجوع، ولما كان بدو القحط بينما الملك نائم، أصابه الجوع في نصف الليل فهتف الملك: يا يوسف الجوع الجوع، فقال يوسف: هذا أوان القحط، وكان يوسف لا يمتلىء شبعاً من الطعام في تلك الأيام فقيل له: أتجوع ويبيدك خزائن الأرض فقال: أخاف إن شبعت أنسى الجائع وقصد الناس مصر يمتارون وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام من القحط والشدة ما أصاب سائر البلاد ونزل بيعقوب من ذلك ما نزل بالناس فأرسل بنيه إلى مصر للميرة وأمسك بنيامين عنده فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وأنكروه فذلك قوله:

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ٥٨ ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَ لَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ٥٩ ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ٦٠ ﴿ قَالُوا سَرَوْدٌ عَنْهُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ٦١ ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٦٢ ﴿ فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ

(١) ونسب ذلك البغوي لابن عباس ٤٣٢/٢، وهو من الروايات الباطلة التي تنسب إلى ابن عباس زوراً وبهتاناً.

(٢) الكلة والكلّ الستر الرقيق.

(٣) انظر ابن زنجلة، وانظر النشر ٢٩٥/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٤٩/٢، البغوي ٤٣٣/٢.

(٤) انظر القرطبي ٣٤٤٨/٨.

(٥) انظر تاريخ الطبري ٤٨٣/١، والبغوي ٤٣٣/٢، ابن كثير ٣٢٢/٤ البحر المحيط ٣٢٠/٥، القرطبي ٣٤٤٩/٨.

مَعْنًا أَخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٣﴾ قَالَ هَلْ أَمْنَكُم مِّنْهُ إِلَّا كَمَا أَمْنَكُم مِّنْ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ قَالَ اللَّهُ خَيْرَ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿١٤﴾

﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون﴾ قال ابن عباس^(١): «كان بين أن قذفوه في الحبس وبين أن دخلوا عليه أربعون سنة فلذلك أنكروه» وقال الكلبي^(٢): «إنه كان متزيناً بزي فرعون مصر عليه ثياب حرير جالساً على حرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فلذلك لم يعرفوه» وقال عطاء^(٣): «لم يشبهوه وعليه تاج الملك وحجاب الملك وعلى هذا إنما لم يعرفوه لأنهم رأوه من وراء ستر» وقال السدي^(٤): «لما نظر إليهم يوسف قال لهم أخبروني ما أمركم؟ قالوا: نحن قوم من أرض الشام جئنا نمتار طعاماً قال: كم أنتم؟ قالوا: عشرة قال: أخبروني خبركم قالوا: إنا إخوة بنور رجل صديق وإنا كنا اثني عشر فذهب أخ لنا معنا إلى البرية فهلك فيها، وكان أجبنا إلى أبيه قال: فإلى من سكن أبوكم بعده؟ قالوا إلى أخ لنا أصغر منه» فذلك قوله ﴿ولما جهزهم بجهازهم قال اتوني بأخ لكم من أبيكم﴾ يقال: جهزت القوم تجهيزاً إذا هيأت لهم جهازهم للسفر وما يحتاجون إليه قال المفسرون^(٥): «حمل لكل رجل منهم بعيراً» ﴿ألا ترون أني أوفي الكيل﴾ أتمه ولا أبخسه ﴿وأنا خير المنزلين﴾ خير المضيفين قال الزجاج: «لأنه حين أنزلهم أحسن ضيافتهم»^(٦) ثم أوعدهم على ترك الإتيان بالأخ بمنع الطعام وهو قوله: ﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون﴾ لا تقربوا بابي ولا بلادي ﴿قالوا سترأود عنه أباه﴾ نطلب منه ونسأله أن يرسله معنا ﴿وإن لفاعلون﴾ لضمانون لك المجيء به ﴿وقال﴾ يوسف «لفتيته» قال ابن عباس^(٧): «لغلماناه» وقرىء لفتياناه^(٨) قال الزجاج^(٩): «الفتيان والفتية في هذا الموضع المماليك» ﴿اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ وقال عطاء^(١٠): «يريد الدراهم والدنانير التي جاءوا بها» ﴿في رحالهم﴾ في أوعيتهم والرحل كل شيء معد للرحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير وحلس^(١١) ورسن^(١٢) وقال الضحاك عن ابن عباس: «كانت بضاعتهم النعال والأدم»^(١٣) وإنما أمر يوسف بوضع بضاعتهم في رحالهم لأنهم متى فتحوا أوعيتهم فوجدوا بضاعتهم علموا كرم يوسف وسخاءه فبيعتهم على العود إليه وقال الكلبي^(١٤): «لخوف ألا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى» وقيل: رأى لو ما أخذه ثمن الطعام من أبيه وإخوته مع حاجتهم إلى الطعام وقال الفراء^(١٥): «لأنهم إذا رأوا بضاعتهم في رحالهم ردوها على يوسف ولم يستحلوا إمساكها ويرجعون» وذلك قوله: ﴿لعلهم يعرفونها﴾ لكي يعرفوا بضاعتهم ﴿إذا انقلبوا﴾ انصرفوا ﴿إلى أهلهم لعلهم يرجعون﴾ لكي يرجعوا إلينا ﴿فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا﴾ إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلاً من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته وقالوا: ﴿منع منا الكيل﴾ أي فيما يستقبل إن لم نأته بأخينا لقوله:

(١) البغوي ٤٣٤/٢، القرطبي ٣٤٤٩/٨.

(٥) الرازي ١٣٣/١٨، البغوي ٤٣٥/٢، الطبري ١٥٤/١٦.

(٢) البغوي ٤٣٤/٢، القرطبي ٣٤٤٩/٨.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ١١٧/٣، البغوي ٤٣٥/٢.

(٣) البغوي ٤٣٠٤/٢.

(٧) الطبري ١٥٦/١٦، البغوي ٤٣٥/٢، ابن كثير ٣٢٣/٤.

(٤) البغوي ٤٣٤/٢ - ٤٣٥، ابن كثير ٣٢٢/٤.

(٨) انظر النشر ٢٩٥/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٥٠/٢، الرازي ١٣٤/١٨، فتح القدير ٣٨/٣، القرطبي ٣٤٥١/٨.

(٨) انظر النشر ٢٩٥/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٥٠/٢، الرازي ١٣٤/١٨، فتح القدير ٣٨/٣، القرطبي ٣٤٥١/٨.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ١١٧/٣، فتح القدير ٣٨/٣.

(١٠) القرطبي ٣٤٥٢/٨.

(١١) والحلس كل شيء ولي ظهر البعير انظر اللسان ٩٦١/٢.

(١٤) الرازي ١٣٤/١٨، البغوي ٤٣٥/٢.

(١٢) وهو ما كان من الأئمة على الأنف والجمع أرسان وأرسن. لسان العرب ١٦٤٧/٣.

(١٥) انظر معاني القرآن للفراء ٤٨/٢.

(١٣) البغوي ٤٣٥/٢، القرطبي ٣٤٥٢/٨، فتح القدير ٣٨/٣.

﴿فلا كيل لكم عندي﴾ ﴿فارسل معنا أخانا﴾ بنيامين ﴿نكتل﴾ نأخذ الطعام بالكيل وقال الزجاج^(١) «أي إن أرسلته أكلتنا وإلا منعنا الكيل» وقرىء بالياء^(٢) على معنى يأخذ أخونا بنيامين وقر بعير يكال له ﴿وإننا له لحافظون﴾ من أن يصيبه سوء أو مكروه ﴿قال﴾ يعقوب ﴿هل امنكم عليه إلا كما أمتكم على أخيه من قبل﴾ يقول: لا آمنكم على بنيامين إلا كأمني على يوسف يريد أنه لم ينفعه ذلك الأمن وأنهم خانوه فهو وإن أمنهم في هذا خاف خيانتهم أيضاً ثم قال: ﴿فالله خير حافظاً﴾ أي من حفظكم الذي نسبتموه إلى أنفسكم والمعنى: حفظ الله خير من حفظكم ومن قرأ^(٣) ﴿حافظاً﴾ فالمعنى: حافظ الله خير من حافظكم لأن الله سبحانه له حفظه وحافظه خير من حافظكم كما أن حفظه خير من حفظكم قال كعب لما قال يعقوب: فإله خير حافظاً قال الله عز وجل: وعزتي لأردن عليك كليهما بعد ما توكلت علي^(٤) قوله:

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ۖ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ ۖ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۚ

﴿ولما فتحوا متاعهم﴾ يعني أوعية الطعام ﴿وجدوا بضاعتهم﴾ التي حملوها لثمن الطعام ﴿ردت إليهم﴾ قالوا يا أبانا ما نبغي ﴿ما: استفهام، والمعنى: أي شيء تريد وقد ردت علينا بضاعتنا؟ ويجوز أن يكون نفيًا كأنهم قالوا ما نبغي شيئاً﴾ هذه بضاعتنا ردت إلينا ﴿أي لسنا نطلب منك دراهم نرجع بها إليه بل تكفيننا في الرجوع إليه بضاعتنا هذه، وأرادوا بهذا الكلام أن يطيبوا نفس أبيهم على الإذن لهم بالمعاودة وقوله: ﴿ونمير أهلنا﴾ أي نجلب إليهم الطعام، يقال: مار أهله يميرهم ميراً، إذا أتاهم بطعام ﴿ونحفظ أخانا﴾ بنيامين ﴿ونزاد كيل بعير﴾ لأنه كان يكال لكل رجل وقر بعير ﴿ذلك كيل يسير﴾ على هذا الرجل الذي نأتيه، لسخائه وحرصه على البذل ﴿قال﴾ يعقوب لهم لن أرسل بنيامين معكم ﴿حتى تؤتون موثقاً من الله﴾ حتى تعطوني عهداً موثقاً به من جهة إلهاد الله، والقسم به والمعنى: حتى تحلفوا بالله ﴿لتأتني به﴾ لتردنه إلي ﴿إلا أن يحاط بكم﴾ قال مجاهد: إلا أن تموتوا كلكم^(٥) وقال ابن إسحاق: «إلا أن يصيبكم أمر يذهب بكم جميعاً فيكون ذلك عذراً لكم عندي»^(٦) والعرب تقول: أحيط بفلان إذا دنا هلاكه ومنه قوله: ﴿وأحيط بشمره﴾^(٧) أي أصابه ما أهلكه ﴿فلما آتوه موثقهم﴾ فلما أعطوه اليمين والعهد ﴿قال﴾ يعقوب: ﴿الله على ما نقول وكيل﴾ قال ابن عباس^(٨): «شهود» وذلك أن الشهيد وكيل بمعنى أنه موكل إليه القيام بما أشهد عليه، ولما تجهز بنوه للمسير قال يعقوب:

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ١١٧/٣.

(٢) انظر ابن زنجلة، وانظر النشر ٢/٢٩٥، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٥٠.

(٣) انظر ابن زنجلة، وانظر النشر ٢/٢٩٥، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٥٠. البحر المحيط ٥/٣٢٢ - ٢٣٣، الرازي ١٨/١٣٥.

(٤) القرطبي ٨/٣٤٥٣ البغوي ٢/٤٣٧.

(٥) الطبري ١٦/١٦٣ (١٩٤٨٢)، البغوي ٢/٤٣٧، البحر المحيط ٥/٣٢٤ الرازي ١٨/١٣٧، القرطبي ٨/٣٤٥٤، ذكره الشوكاني

في الفتح ٣/٤٠، وعزاه لابن أبي شيبه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٦) أخرجه الطبري ١٦/١٦٤ (١٩٤٨٦).

(٧) سورة الكهف ٤٢.

(٨) الطبري ١٦/١٦٤، الرازي ١٨/١٣٧، البغوي ٢/٤٣٧.

وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ
 الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا
 كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَأْوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ
 فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

﴿يا بني لا تدخلوا﴾ يعني مصر ﴿من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ وإنما قال ذلك حذراً من
 العين عليهم إذ كانت العين حقاً، وكانوا أولي جمال وكمال وأبناء رجل واحد يجتمعون في الحسر
 والظاهرة والقامات الممتدة، ثم قال: ﴿وما أغني عنكم من الله من شيء﴾ يعني أن الله إن شاء أهلكهم
 متفرقين، والمعنى: لن أذفع عنكم شيئاً قضاه الله ﴿إن الحكم إلا لله﴾ ما الحكم فيما يقضي ويريد إلا الله ثم
 ذكر أنه متوكل عليه بباقي الآية ﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم﴾ كان لمصر أربعة أبواب، فدخلوا من أبوابها كلها
 كما أمرهم أبوهم ﴿ما كان يغني عنهم من الله من شيء﴾ قال ابن عباس^(١): ما كان ذلك ليرد قضاء قضاء الله تعالى
 يعني أن العين لو قدر أن تصيبهم لأصابتهم وهم متفرقون كما تصيبهم مجتمعين، وهذا تصديق ليعقوب في قوله ﴿وما
 أغني عنكم من الله من شيء﴾ قوله ﴿إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها﴾ يعني أن ذلك الدخول من الأبواب المتفرقة
 قضى حاجة في نفس يعقوب وهي إزادته أن يكون دخولهم كذلك شفقة عليهم وخوفاً من العين ﴿وإنه لذو علم﴾ وإن
 يعقوب لذويقين ومعرفة بالله ﴿لما علمناه﴾ من أجل تعليمنا إياه، مدحه الله بالعلم لقوله ﴿وما أغني عنكم من الله من شيء﴾
 علم أن الحذر لا ينفع من القدر، وأن المقدور كائن ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ قال ابن عباس: «لا يعلم
 المشركون ما ألهم الله أوليائه»^(٢) ولما أقدموا أخاهم عليه: قالوا له: قد امتثلنا أمرك، وأقدمنا عليك أخانا الذي أحببت
 حضوره، فأمر صاحب ضيافته أن ينزل كل اثنين منهم في منزل فبقي أخوه منفرداً فأنزله معه فذلك قوله ﴿ولما دخلوا
 على يوسف ءأوى إليه أخاه﴾ قال الحسن وقتادة: «ضمه إليه وأنزله معه»^(٣) ولما خلا به، قال له ما اسمك؟ قال: بنيامين
 قال: ما اسم أمك؟ قال: راحيل، قال هل لك أخ من أمك؟ قال: كان لي أخ من أمي هلك قال: أتحت أن أكون أخاك
 بدل أخيك الهالك؟ فقال بنيامين: أيها الملك ومن يجد أخاً مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام
 إليه وعانقه و﴿قال إني أنا أخوك﴾ يوسف ﴿فلا تبئس بما كانوا يعملون﴾ لا تحزن ولا تغتم بما عملوا من حسدنا،
 والحرص على صرف وجه أبينا عنا وعلى ما أدخلوا عليك من الحزن بما فعلوا بي فقد جمع الله بيني وبينك وأرجو أن
 يجمع الله بيننا وبين يعقوب ثم أوفى يوسف لإخوته الكيل وحمل لهم بعيراً بعيراً وحمل لبنيامين بعيراً باسمه، كما
 حمل لهم وأمر بسقاية الملك فجعل في رحل بنيامين فذلك قوله:

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا
 وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُورَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ

(١) الطبري ١٦/١٦٥، الرازي ١٨/١٣٩، البغوي ٢/٤٣٧، ابن كثير ٤/٣٢٤.

(٢) البغوي ٢/٤٣٨ وانظر تفسير الرازي ١٨/١٤١.

(٣) أخرجه الطبري عن قتادة، ١٦/١٧٠ (١٩٥٠٥) البغوي ٢/٤٣٨ القرطبي ٨/٣٤٥٨، فتح القدير ٣/٤٤.

زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَبَتِئْتَنَا الْعَزِيزُ إِنْ لَهٗ إِلَّا أَبَاسِيحًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعْنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ ﴿٧٩﴾

﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه﴾ والسقاية: الصواع الذي كان يشرب فيه الملك قال ابن عباس: «كان قدحا من زبرجد»^(١) وقال ابن زيد: «كان كأساً من ذهب»^(٢) وقال عكرمة: «كان مشربة من فضة مرصعة بالجواهر»^(٣) قال أصحاب الأخبار: «لما قال يوسف لبنيامين: إني أنا أخوك قال: فأنا لا أفارقك بعد هذا قال يوسف قد علمت اغتمام الوالد بي وأنا إن حبستك عنه ازداد غمه ولا يمكنني حبسك إلا بعد أن أشهرك بأمر فظيع قال: لا أبالي، فافعل ما بدا لك قال: فإني أدس صاعي هذا في رحلك ثم أنادي عليك بالسرقة ليتها لي ردك بعد تسريحك»^(٤) فذلك قوله: ﴿جعل السقاية في رحل أخيه﴾ وكان مشربة يشرب منها الملك جعلها يوسف مكيالاً لثلاثي كمالين بغيرها ثم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى أمعنوا في الطلب ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا ﴿ثم أذن مؤذن﴾ نادى مناد وأعلم معلم ﴿أيتها العير﴾ قال الزجاج: «معناه: يا أصحاب العير وكل ما أشير عليه من الإبل والحمير والبغال فهو عير»^(٥) ﴿إنكم لسارقون﴾ ناداهم المنادي وعنده أنهم قد سرقوا السقاية ولم يعلم أن يوسف أمر بوضعها في رحل أخيه ﴿قالوا﴾ يعني أصحاب العير وهم إخوة يوسف ﴿وأقبلوا﴾ على أصحاب يوسف ﴿ماذا تفقدون﴾ ما الذي فقدتموه من متاعكم ﴿قالوا نفقد صواع الملك﴾ قال الزجاج: «الصواع هو الصاع بعينه وهو يذكر ويؤنث وهو السقاية»^(٦) وقال الحسن: «الصواع والسقاية شيء واحد»^(٧) ﴿ولمن جاء به﴾

(١) البغوي ٤٣٩/٢.

(٢) الطبري ١٧٢/١٦ (١٩٥١٩)، والبغوي ٤٣٩/٢، الرازي ١٤٢/١٨، القرطبي ٣٤٥٩/٨، البحر المحيط ٣٢٩/٥، ابن كثير ٣٢٥/٢.

(٣) الطبري ١٧٢/١٦، البحر المحيط ٣٢٩/٥، القرطبي ٣٤٥٨/٨ وابن كثير ٣٢٥/٤، البغوي ٤٣٩/٢، الرازي ١٤٢/١٨.

(٤) القرطبي ٣٤٥٨/٨.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ١٢٠/٣، فتح القدير ٤٢/٣، الرازي ١٤٣/١٨، القرطبي ٣٤٥٩/٨، البحر المحيط ٣٢٩/٥، البغوي ٤٣٩/٢.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ١٢٠/٣، فتح القدير ٤٢/٣، القرطبي ٣٤٥٩/٨، البحر المحيط ٣٣٢/٥.

(٧) الطبري ١٧٢/١٦، البغوي ٤٣٩/٢، القرطبي ٣٤٥٨/٨ ذكره الشوكاني في الفتح ٤٤/٣ وعزاه لابن الأنباري في المصاحف وابن أبي حاتم عن أبي عباس ومثله عند ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد كذا في الفتح.

الصواع ﴿حمل بعير﴾ من الطعام ﴿وأنا به زعيم﴾ كفيل يقول المؤذن وقد ضمن حمل بعير لمن رد إليه الصواع ﴿قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض﴾ حلفوا على علم قوم يوسف لأنهم غير قاصدين لفساد لأنهم كانوا معروفين بأنهم لا يظلمون أحداً وذلك أنهم لما وجدوا بضاعتهم في رحالهم لم يستحلوا أخذها، ويأذروا بردها وذلك قوله: ﴿وما كنا سارقين﴾ ومن رد ما وجد كيف يكون سارقاً ﴿قالوا فما جزاؤه﴾ أي: ما جزاء السرقة ﴿إن كنتم كاذبين﴾ في قولكم: وما كنا سارقين؟ ﴿قالوا جزاؤه من وجد في رحله﴾ قال المفسرون: «كانوا في ذلك الزمان يستعدون كل سارق بسرقة وكان ذلك لهم كالقطع في شرعنا»^(١) لذلك ﴿قالوا جزاؤه من وجد في رحله﴾ أي جزاء السرقة السارق، وهو الإنسان الذي وجد المسروق في رحله وقوله: ﴿فهو جزاؤه﴾ زيادة في الإبانة ﴿كذلك﴾ مثل ما ذكرنا من الجزاء ﴿نجزي الظالمين﴾ يعني: إذا سرق استرق فقال لهم المؤذن: لا بد من تفتيش أمتعتكم وانصرف بهم إلى يوسف ﴿فبدأ﴾ يوسف في التفتيش ﴿بأوعيتهم قبل وعاء أخيه﴾ لإزالة التهمة ﴿ثم استخرجها﴾ يعني السقاية ﴿من وعاء أخيه﴾ قال المفسرون: «ولما فتنش أوعيتهم ولم يبق إلا رحل بنيامين قال يوسف ما أظن هذا أخذ شيئاً فقال إخوته: والله لا نبرح حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك فلما فتحوا متاعه استخرجوا الصاع منه فأقبلوا على بنيامين وقالوا إيش الذي صنعت؟ فضحتنا، وسودت وجوهنا متى أخذت هذا الصاع؟ فقال: وضع هذا الصاع في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم»^(٢) وقوله: ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ أي: دبرنا له بأن ألهمناه أن يجعل السقاية في رحل أخيه ليتوصل به إلى حبسه ﴿ما كان﴾ يوسف ﴿ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ قال ابن عباس وقتادة: في حكم الملك وقضائه^(٣) وذلك أن حكم الملك في السارق أن يضرب ويغرم ضعفي ما سرق فلم يكن يتمكن يوسف من حبس أخيه عنده في حكم الملك لولا ما كاد الله له تطفأ، حتى وجد السبيل إلى ذلك وهو ما أجرى على السنة إخوته أن جزاء السارق الاسترقاق فأقروا به وكان ذلك مراده وهو معنى قوله: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ فكان ذلك بمشيئة الله وقوله: ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ أي: بضروب الإعطاء والكرامات وأبواب العلوم كما رفعنا درجة يوسف ﴿فوق كل ذي علم﴾ ممن رفعه الله ﴿عليم﴾ قد رفعه الله بالعلم فهو أعلم منه قال ابن عباس: يكون هذا أعلم من هذا وهذا أعلم من هذا حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى^(٤) ﴿قالوا﴾ أي: الإخوة ليوسف ﴿إن يسرق﴾ بنيامين الصواع ﴿فقد سرق أخ له من قبل﴾ قال ابن عباس: يريدون يوسف وكان يوسف يأخذ الطعام من مائدة أبيه سرّاً فيتصدق به^(٥) وقال سعيد بن جبير وقتادة: «سرق صنماً لجده أبي أمه فكسره وألقاه»^(٦) وقال محمد بن إسحاق ومجاهد: إن جدته خبات في ثيابه منطقة كانت لإسحاق يتوارثونها بالكبر لتملكه بالسرق محبة لمقامه عندها^(٧) وقوله ﴿فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم﴾ أي: أسر إجابة

(١) الطبري ١٨٢/١٦ البغوي ٤٤٠/٢ ابن كثير ٣٢٦/٤ البحر المحيط ٣٣٣/٥ القرطبي ٣٤٦٣/٨ الرازي ١٤٤/١٨ .

(٢) الطبري ١٨٤/١٦ (١٩٥٥٩)، البغوي ٤٤٠/٢، القرطبي ٣٤٦٤/٨، الرازي ١٤٥/١٨، والشوكاني فيفتح ٤٤/٣ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٣) الطبري ١٨٨/١٦ البغوي ٤٤٠/٢ الرازي ١٤٥/١٨ القرطبي ٣٤٦٧/٨، ابن كثير ٣٢٦/٤ فتح القدير ٤٤/٣ .

(٤) القرطبي ٣٤٦٧/٨ البحر المحيط ٣٣٢/٢ الطبري ١٩١/١٦ البغوي ٤٤١/٢ .

(٥) البغوي ٤٤١/٢ الرازي ١٤٧/١٨ البحر المحيط ٣٣٣/٥ القرطبي ٣٤٦٨/٨ فتح القدير ٤٧/٣ .

(٦) الطبري ١٩٥/١٦ (١٩٦٠٠)، البغوي ٤٤١/٢، القرطبي ٣٤٦/٨، البحر المحيط ٣٣٣/٥ الرازي ١٤٧/١٨ . أخرجه ابن

مردويه عن ابن عباس كذا في فتح القدير ٤٧/٣، وعزاه سن طريق سعيد بن جبير لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي

الشيخ وقال وقد روي نحوه عن جماعة من التابعين .

(٧) الرازي ١٤٧/١٨ القرطبي ٣٤٦٩/٨ البحر المحيط ٣٣٣/٥ البغوي ٤٤١/٢ .

هذا الكلام وأضرها في نفسه ولم يظهرها و ﴿قال﴾ لهم ﴿أنتم شر مكاناً﴾ شر صنيعاً بما أقدمتم عليه من ظلم أخيكم وعقوق أبيكم فأنتم شر مكاناً عند الله منه ﴿والله أعلم بما تصفون﴾ قال الزجاج: «أعلم أسرق أخ له أم لا»^(١) ﴿قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخاً كبيراً﴾ في السن ﴿فخذ أحدنا مكانه﴾ واحداً منا تستعبده بدله ﴿إنا نراك من المحسنين﴾ أي: إذا فعلت ذلك فقد أحسنت إلينا ﴿قال معاذ الله﴾ اعتصاماً بالله ﴿أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده﴾ أي: أستعبد بالله من أن أخذ بريئاً بسقيم ﴿إنا إذا لظالمون﴾ أن استعبدت غير الذي سرقنا.

فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨١﴾ أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَسَلِّ الْقَرَبَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٣﴾

﴿فلما استيسسوا منه﴾ يئس واستيسس واحد مثل عجب واستعجب وسخر واستسخر وقال ابن عباس^(٢): «يشسوا أن يخلى سبيله معهم» ﴿خلصوا نجياً﴾ انفردوا من غير أن يكون معهم من ليس منهم والنجي فعيل بمعنى المناجي، يقع على الواحد كقوله تعالى ﴿وقربناه نجياً﴾^(٣) وعلى الجمع كقوله: ﴿خلصوا نجياً﴾ قال الزجاج^(٤): «انفردوا وليس معهم أخوهم متناجين فيما يفعلون في ذهابهم إلى أبيهم من غير أخيه» ﴿قال كبيرهم﴾ وهو يهوذا في قول عطاء الكلبي وقال مقاتل: «لم يكن أكبرهم سناً ولكن كان أكبرهم في صحة الرأي»^(٥) وقال مجاهد: «هو شمعون وكان أكبرهم في العقل والعلم»^(٦) وقال «قتادة» والسدي هو روبيل وكان أكبرهم سناً^(٧) قال ﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم ميثاقاً من الله﴾ في حفظ الأخ ورده إليه ﴿ومن قبل ما فرطتم في يوسف﴾ ما: لغو^(٨) معناه ومن قبل هذا ضيعتم يوسف ﴿فلن أبرح الأرض﴾ يقال: برح الرجل براحاً إذا تنحى عن موضعه ويريد بالأرض أرض مصر يقول: لن أخرج من أرض مصر ﴿حتى يأذن لي أبي﴾ قال ابن عباس^(٩): «حتى يبعث لي أبي أن آتية» ﴿أو يحكم الله لي﴾ يقضي في أمري شيئاً ﴿وهو خير الحاكمين﴾ أعدلهم

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ١٢٣/٣.

(٢) سورة مريم ٥٢.

(٣) البغوي ٤٤٢/٢ الرازي ١٤٩/١٨ القرطبي ٣٤٧٠/٨ انظر فتح القدير ٤٧/٢.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ١٢٤/٣.

(٥) البغوي ٤٤٢/٢ البحر المحيط ٢٣٥/٥ القرطبي ٣٤٧٠/٨ الرازي ١٨٧/١٥٠ فتح القدير ٤٧/٢.

(٦) البغوي ٤٤٢/٢ البحر المحيط ٢٣٥/٥٤ القرطبي ٣٤٧٠/٨ فتح القدير ٤٧/٢.

(٧) البغوي ٤٤٢/٢ الطبري ٢٠٦/١٦ (١٩٦٢٥) البحر المحيط ٢٣٥/٥ الرازي ١٨٠/١٥٠ القرطبي ٣٤٧٠/٨ فتح القدير ٤٧/٢.

(٨) وتعبير الواحد أسوأ تعبير رأيناه من خلال تحقيقنا لهذا الكتاب فتعالى الله عما يقول علواً كبيراً وحاشا أن يكون في كلامه لغو فأولى له أن يقول إن ما زائدة وإن كان هذا فيه تجوز في التعبير لأن ليس في كلام الله زائد وتوجيه ذلك من وجوه الأول أن يكون أصله من قبل هذا فرطتم في شأن يوسف عليه السلام ولم تحفظوا عهد أبيكم. الثاني: أن تكون مصدرية ومحل الرفع على الابتداء وخبره الظرف، وهو من قبل. ومعناه وقع من قبل تفريطكم في يوسف. الثالث: النصب عطفاً على مفعول (ألم تعلموا) والتقدير: ألم تعلموا أخذ أبيكم ميثاقكم وتفريطكم من قبل في يوسف. الرابع: أن تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه، أي: قدمتموه في حق يوسف من الخيانة العظيمة، ومحل الرفع والنصب على الوجهين المذكورين.

(٩) الطبري ٢٠٨/١٦ ابن كثير ٣٢٨/٤ القرطبي ٣٤٧١/٨.

وأفضلهم ﴿ارجعوا﴾ أنتم ﴿إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك﴾ بنيامين ﴿سرق﴾ صواع الملك ﴿وما شهدنا﴾ بأنه سرق ﴿ولا بما علمنا﴾ لأنه وجد المسروق في رحله ونحن ننظر ﴿وما كنا للغيب حافظين﴾ قال ابن عباس (١): «لم نعلم ما كان يصنع في ليله ونهاره» والمعنى: ما كنا لغيب ابنك حافظين أي: إنا كنا نحفظه في محضره فإذا غاب عنا ذهب عن حفظنا وقال مجاهد وقتادة والحسن: «ما كنا نشعر أن ابنك سيسرق ويصير الأمر إلى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به» (٢) وقال ابن إسحاق: «معناه: قد أخذت السرقة من رحله ونحن ننظر ولا علم لنا بالغيب فلعلهم سرقوه» (٣) قوله: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾ أي: قولوا لأبيكم سل أهل القرية ليتبين لك صدقتنا ﴿والعير التي أبلنا فيها﴾ يعني أهل الرقبة التي كنا فيها وهم الذين امتاروا معهم، وكان قد صحبهم قوم من الكنعانيين ﴿وإنا لصادقون﴾ فيما قلنا ثم رجعوا إلى يعقوب وقالوا ما لقنهم كبيرهم فقال يعقوب:

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَآيِسْتُمْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يَوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِيَّ وَحُزْفِيَ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي أَدْهَبُوا فَتَحَسَبُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾

﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ قال ابن الأنباري: «يعني خروجهم وبأخيهم بنيامين إلى مصر رجاء منفعة فإد من ذلك شروضر» (٤)، وقال غيره معنى قوله ها هنا سولت لكم أنفسكم أمراً: خيلت لكم أنفسكم أنه سرق بها سرق (٥).

أخبرنا أبو عبد الرحمن بن أبي حامد العدل أنا محمد بن عبد الله الضبي أنا أبو بكر بن أبي نصر الداربردي أنا محمد بن إبراهيم بن سعيد نا سليمان بن منصور بن عمار (٦) حدثني أبي نا يوسف بن صباح الفزاري عن عبد الله بن يونس بن أبي فروة قال: «لما كان من الأخوة ما كان كتب يعقوب إلى يوسف وهو لا يعلم أنه يوسف بن يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله أما بعد: فإننا أهل بيت موكل بالبلاء أما جدي فشددت يده ورجلاه وألقى في النار فجعلها الله برداً وسلاماً وأما أبي فشددت يده ورجلاه ووضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إليّ فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهب

(١) البغوي ٤٤٣/٢

(٢) البغوي ٤٤٣/٢ الطبري ٢١٠/١٦ - ٢١١ ابن كثير ٣٢٨/٤ البحر المحيط ٣٣٧/٥ فتح القدير ٤٧/٢

(٣) الطبري ٢١٠/١٦ (١٩٦٣٠٢) زاد المسير ٢٦٨/٤، البحر المحيط ٣٣٧/٥

(٤) زاد المسير ٢٦٩/٤ البغوي ٤٤٣/٢ الرازي ١٥٣/١٨ فتح القدير ٤٧/٣

(٥) زاد المسير ٢٦٩/٤ القرطبي ٣٤٧٥/٨ الرازي ١٥٣/١٨ فتح القدير ٤٧/٣

(٦) سليمان بن منصور البلخي أبو الحسن. ويقال أبو هلال بن أبي هلال الدهني البزار. روى عن أبي الأحوص وابن عيينة ومسلم بن

خالد وعبد الجبار بن الورد وابن المبارك وغيرهم. روى عنه النسائي وأحمد بن علي الأبار، ومحمد بن علي الترمذي الحكيم.

ذكره ابن حبان في الثقات، وقال مستقيم الحديث وقال غيره: مات سنة أربعين ومائتين. قلت: وقال النسائي لا بأس به. انظر

التهذيب ٢٢١/٤ - ٢٢٢، وانظر الكاشفاً ٤٠٠/١

عيناى ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمة وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا: إنه سرق وإنك حبسته لذلك وأنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً فإن رددته إليّ وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك البكاء وعيل صبره»^(١).

وقوله: ﴿عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً﴾ يعني يوسف وبنيامين والذي قال: فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي ﴿إنه هو العليم﴾ بشدة حزني ﴿الحكيم﴾ فيما حكم علي بهذا الحزن وعظم المصيبة بآبن بعد ابن، قوله: ﴿وتولى عنهم﴾ قال ابن عباس^(٢): أعرض عنهم وذلك أنه لما بلغه خبر حبس بنيامين تنامى حزنه وبلغ الجهد وهاج ذلك وجده بيوسف لأنه كان يتسلى به فعند ذلك أعرض عنهم ﴿وقال يا أسفى على يوسف﴾ قال ابن عباس^(٣): «يا طول حزني على يوسف».

أخبرني أبو عمرو ومحمد بن عبد العزيز المروزي في كتابه أنا أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى أنا إسحاق بن إبراهيم أنا محمد بن عبيد عن سفيان بن زياد العصفري^(٤) قال: سمعت سعيد بن جبير يقول لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يعط الأنبياء قبلهم ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾^(٥) ولو أعطيتها الأنبياء لأعطيتها يعقوب إذ يقول: يا أسفى على يوسف وقوله ﴿وابيضت عيناه﴾ أي انقلبت إلى حال البياض قال مقاتل^(٦): «لم يبصر بها ست سنين حتى كشفه الله بمقيص يوسف» وقوله: ﴿من الحزن﴾ قال ابن عباس: «من البكاء يريد أن عينيه ابيضتا لكثرة بكائه والحزن لما كان سبباً للبكاء سمي البكاء حزناً»^(٧).

أخبرنا أبو منصور بن أبي نصر المذكر أنا أبو سعيد بن نصير الصوفي أنا محمد بن أيوب أنا أبو غسان نا جرير عن ليث عن ثابت البناني قال: دخل جبريل على يوسف فقال: أيها الملك الطيب ريحه الطاهر ثيابه الكريم على ربه، هل لك علم بيعقوب؟ قال: نعم: قال: ما فعل؟ قال: ابيضت عيناه قال: ما بلغ حزنه؟ قال: حزن سبعين ثكلى قال: فهل له على ذلك من أجر؟ قال: أجر مائة شهيد عند الله^(٨).

أخبرنا أبو بكر التميمي أنا أبو الشيخ الحافظ نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان نا ابن إدريس عن هشام عن الحسن قال: ما فارق يعقوب الحزن ثمانين سنة وما جفت عينه وما أحد يومئذ أكرم على الله منه حين ذهب بصره^(٩).

وقوله: ﴿فهو كظيم﴾ الكظيم ها هنا بمعنى الكاظم وهو المحسك على حزنه فلا يظهره ولا يشكوه قال قتادة: ﴿فلا يقول بأساً﴾^(١٠) وقال ابن عباس: «مغموم مكروب»^(١١) وقال الزجاج محزون^(١٢) ﴿قالوا تالله تفتنّ تذكر يوسف﴾ يقال:

(١) قال الحافظ ابن كثير ٤/ ٣٣٠ لا يصح والذبيح هو إسحاق كما قررنا ذلك في أكثر من موضع. وقد ذكره البغوي ٢/ ٤٤٥.

(٢) البغوي ٢/ ٤٤٤، الطبري ١٦/ ٢١٤-٢١٥ القرطبي ٨/ ٣٤٧٦ الرازي ١٨/ ١٥٤.

(٣) البغوي ٢/ ٤٤٤، وانظر الرازي ١٨/ ١٥٤.

(٤) سفيان بن زياد العصفري أبو الوراق عن عكرمة وجماعة وعنه يعلى ومحمد ابنا عبيد ثقة. انظر ميزان الاعتدال (٢/ ١٦٩).

(٥) سورة البقرة ١٥٦ والأثر عند الطبري ١٦/ ٢١٧ (١٩٦٥٨) القرطبي ٨/ ٣٤٧٧ الرازي ١٨/ ١٥٥.

(٦) القرطبي ٨/ ٣٤٧٧ البغوي ٢/ ٤٤٤. (٧) القرطبي ٨/ ٣٤٧٧ الرازي ١٨/ ١٥٦.

(٨) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ١٦/ ٢٣٠ (١٩٢٧٨) وابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٢٧١ والبغوي في التفسير ٥/ ٤٤٥.

(٩) أخرجه الطبري ١٦/ ٢٣١-٢٣٢ (١٩٧٣٣) والبغوي ٢/ ٤٤٤.

(١٠) الطبري ١٦/ ٢١٨ (١٩٦٧٠).

(١١) الطبري ١٦/ ٢١٨ (١٩٦٧٢) القرطبي ٨/ ٣٤٧٨ فتح القدير ٣/ ٤٨-٥٠.

(١٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٢٥.

ما زلت أفعل كذا وما فتئت أفعله أفتؤ فتأ وحرف النفي ها هنا مضمرة على معنى: ما تفتؤ ولا تفتؤ قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة: «لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضاً»^(١) وقال «الفراء»: يقال رجل حرض وحارص وهو الفاسد في جسمه وعقله^(٢) وقال الأصمعي: «الحرص الهالك»^(٣) قال ابن عباس: «حتى تكون كالشيخ الفاني»^(٤) وقال الضحاك^(٥): «كالشن البالي» ﴿أو تكون من الهالكين﴾ قال قتادة: «من الميتين» والمعنى أنهم قالوا لأبيهم: لا تزال تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حتى تصير بذلك إلى مرض لا تنتفع بنفسك معه أو تموت بالغم، فلما رأى غلظتهم وعنقهم به ﴿قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ لا إليكم^(٦).

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن إبراهيم الأصفهاني نا سليمان بن أحمد الطبراني نا محمد بن أحمد بن محمد الباهلي^(٧) نا وهب بن بقية نا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية^(٨) عن حصين بن عمر الأحمسي^(٩) عن أبي الزبير عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «كان ليعقوب أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك؟ وما الذي قوس ظهرك؟ قال: أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين فأتاه جبريل فقال: يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول لك أما تستحي أن تشكو إلى غيري؟ فقال يعقوب: إنما أشكل بثي وحزني إلى الله فقال جبريل: الله أعلم بما تشكو يا يعقوب ثم قال يعقوب: أي رب أما ترحم الشيخ الكبير؟ أذهب بصري وقوست ظهري فاردد علي ريجانتي أشمه شمة قبل الموت ثم اصنع بي يا رب ما شئت فأتاه جبريل فقال: يا يعقوب إن الله يقرأ عليك السلام ويقول: أبشر وليفرح قلبك فوعزتي لو كانا ميتين لنشترهما لك، اصنع طعاماً للمساكين فإن أحب عبادي إلي المساكين وتدري لم أذهب بصرك وقوست ظهرك وصنع إخوة يوسف بيوسف ما صنعوا؟ لأنكم ذبحتم شاة فأتاكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه منها فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغذاء أمر منادياً فنادى ألا من أراد الغذاء من المساكين فليتغذ مع يعقوب وإذا كان صائماً أمر منادياً فنادى من كان صائماً فليفظ مع يعقوب» رواه الحاكم في صحيحه^(١٠) عن أبي الوليد الفقيه عن هشام بن بشر عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن عبد الملك.

(١) الطبري ٢٢٢/١٦ (١٩٦٨٣) (١٩٦٨٤) القرطبي ٢٤٧٩/٨ البغوي ٤٤٤/٢ الرازي ١٥٧/١٨ فتح القدير ٤٩/٣.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٥٤/٢ القرطبي ٣٤٨٩/٨.

(٣) انظر تهذيب اللغة للأزهري ٢٠٤/٤.

(٤) بنحوه عند الطبري ٢٢٣/١٦.

(٥) أخرجه الطبري ٢٢٣/١٦ (١٩٦٩٥) فتح القدير ٥٠/٣.

(٦) أخرجه الطبري ٢٢٤/١٦ (١٩٧٠٢) القرطبي ٣٤٨٠/٨ البغوي ٤٤٤/٢ الرازي ١٥٧/١٨.

(٧) الباهلي: بفتح الباء المنقوطة بواحدة وكسر الهاء واللام. هذه النسبة إلى باهلة وهي باهلة بن أعصر، وكان العرب يستكفون من الانتساب إلى باهلة، كأنها ليست فيما بينهم من الأشراف حتى قال قائلهم:

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهلة

انظر الأنساب ٢٧٥/١٧.

(٨) يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي غنية الخزاعي أبو زكرياء الكوفي أصله من أصبهان. قال عبد الله بن أحمد عن أبيه كان شيخاً ثقة له هبة رجلاً صالحاً، وقال عثمان الدارمي عن ابن معين ثقة، وقال العجلي ثقة رجل صالح حدثني أبي قال قيل ليحيى بن عبد الملك دواء عينك ترك البكاء قال فما خيرهما إذا. قال أبو داود ثقة، وقال النسائي: ليس به بأس وذكره ابن حبان في الثقات.

قال الواقدي مات سنة ست أو سبع وثمانين ومائة قال مطين مات سنة ثمان وثمانين. انظر التهذيب (٢٥٢/١١).

(٩) حصين بن عمر الأحمسي الكوفي متروك انظر التقريب ١/١٨٣، التهذيب ٢/٣٨٥.

(١٠) أخرجه الحاكم ٢/٣٨٤ في كتاب التفسير سورة يوسف وقال إن كان الأول هو حفص بن عمر بن عبد الله فالحديث صحيح. وذكره =

وقال حبيب بن أبي ثابت^(١): إن يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بخرقه فقال له بعض جيرانه: قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك فما بلغ بك ما أرى؟ قال: طول الزمان وكثرة الأحزان فأوحى الله إليه: يا يعقوب تشكوني إلى خلقي فقال يا رب خطيئة أخطأتها فأغفرها لي قال: غفرت لك فكان بعد ذلك إذا سئل قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وقال وهب بن منبه: «أوحى الله إلى يعقوب أتدري لما عاقبت وحبست يوسف ثمانين سنة؟ قال: لا قال: لأنك شويت وقترت^(٢) على جارك وأكملت ولم تطعمه» ويقال: إن سبب ابتلاء يعقوب أنه كانت له بقرة ولها عجل فذبح عجلها بين يديها وهي تخور فلم يرحمها يعقوب فأخذته الله به وابتلاه بأعز ولده والبث أشد الحزن وهو ما يديه الإنسان ويظهره لأنه إذ اشتد لم يصبر على كتمانته حتى يبث من قولهم: بث الحديث إذا نشره.

وقوله: ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ أنتم قال الكلبي: وذلك أن ملك الموت أتاه فقال له: يا ملك الموت هل قبضت روح ابني يوسف فيما قبضت من الأرواح؟ قال: لا يا نبي الله^(٣) وقال ابن عباس: «وأعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأني وأنتم سنسجد له^(٤)» وقال عطاء: «وأعلم من رحمة الله وقدرته ما لا تعلمون^(٥)» قال السدي: «لما أخبر يعقوب بنوه بسيرة ملك مصر طمع أن يكون يوسف^(٦) فلذلك قال لبيته: ﴿أذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾ قال أبو عبيد تحسست الخبر بحثته وطلبته لأجده^(٧) وقال ابن عباس: ابحثوا عن يوسف^(٨). ﴿ولا تيسوا من روح الله﴾ قال الأصمعي: «الروح الاستراحة من غم القلب»^(٩) وقال أبو عمرو: «الروح الفرح»^(١٠) قال ابن عباس: «يريد من رحمة الله»^(١١) وهو قول قتادة والضحاك. وقال أبو زيد: «فرج الله^(١٢) والمعنى: لا تيسوا من الروح الذي يأتي به الله ﴿إنه لا ييش من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ قال ابن عباس: «يريد أن المؤمن من الله على خير يرجوه في الشدائد ويشكره ويحمده في الرخاء وأن الكافر ليس كذلك^(١٣)» قال المفسرون: لما قال أبوه اذهبوا فتحسسوا من يوسف فخرجوا إلى مصر^(١٤).

= الحافظ ابن كثير في التفسير ٢٣٠/٤ نقلًا عن ابن أبي حاتم وقال هذا حديث غريب فيه نكارة وذكره البغوي في التفسير ٤٤٤/٢ - ٤٤٥.

(١) أخرجه الطبري في التفسير ٢٢٨/١٦ (١٩٧٢١).

(٢) ومعناه خرجت ريح القدر انظر.

(٣) البغوي ٤٤٥/٢، الرازي ١٥٨/١٨.

(٤) البغوي ٤٤٥/٢، الرازي ١٥٨/١٨، القرطبي ٣٤٨٠/٨.

(٥) ابن الجوزي في زاد المسير ٢٧٥/٤، الرازي ١٥٨/١٨.

(٦) البغوي ٤٤٥/٢، الرازي ١٥٨/١٨، القرطبي ٣٤٨٠/٨.

(٧) انظر تهذيب اللغة ٤٠٨/٣، وانظر الرازي ١٥٨/١٨. انظر القرطبي ٣٤٨١/٨.

(٨) البغوي ٤٤٦/٢.

(٩) تهذيب اللغة ٢١٦/٥، فتح القدير ٤٩/٢، الرازي ١٥٩/١٨.

(١٠) البغوي ٢٤٦/١، الطبري ٢٣٣/١٦، فتح القدير ٤٩/٣، الرازي ١٥٩/١٨.

(١١) الطبري ٢٣٣/١٦، زاد المسير ٢٧٦/٤، البغوي ٤٤٦/٤، القرطبي ٣٤٨١/٨، البحر المحيط ٣٣٩/٥.

(١٢) الطبري ٢٣٣/١٦ (١٩٧٣٥)، زاد المسير ٢٧٦/٤، الرازي ١٥٩/١٨، البغوي ٢٤٦/٢، فتح القدير ٤٩/٣، القرطبي ٣٤٨١/٨، البحر المحيط ٣٣٩/٥.

(١٣) زاد المسير ٢٧٦/٤.

(١٤) القرطبي ٣٤٨١/٨، زاد المسير ٢٧٦/٤.

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيَصِيرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَنْتُمْ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾

﴿فلما دخلوا عليه﴾ أي على يوسف. ﴿قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر﴾ أي: أصابنا ومن يختص بالجوع والحاجة، ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ الإرجاء في اللغة: السوق والدفع قليلاً قليلاً ومنه قوله: ﴿الم تر أن الله يزجي سحاباً﴾ (١) قال ابن عباس: «كانت دراهم رديئة زيوفاً لا تنفق في ثمن الطعام» (٢) وقال الحسن والكلبي ومجاهد: كانت خلق الغيارة والحبيل والأقط (٣) وقال مقاتل: «وكانت حبة الخضراء» (٤) والمعنى جئنا ببضاعة تتدافع بها الأيام وتتقوت ليست مما يتسع به وقال أبو عبيد: إنما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لأنها مردودة مدفوعة غير مقبولة محل ينفقها (٥) ثم سأله مسألتهم في النقد وإعطائهم بدراهمهم مثل ما يعطى بالجياد وهو قوله: ﴿فأوف لنا الكيل﴾ أتمه وناقصه بسبب رداءة دراهمنا ﴿وتصدق علينا﴾ سامحننا بما بين النقدين وسعر لنا بالردية كما تسعر بالجيد ﴿إن الله يجزي المتصدقين﴾ بالثواب فلما قالوا ليوسف مسنا وأهلنا الضر رحمهم وأدركته الرقة فدمعت عينه وقال: ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف﴾ قال ابن الأنباري: «هذا الاستفهام يعني به تعظيم القصة وتوبيخهم» (٦) عليها ومعناه ما أعظم ما ارتكبتم من يوسف وما أقيح ما أتيت من قطعة رحمه وتضييع حقه كما تقول: هل تدري من عصيت؟ وهذه الآية تصديق قوله ﴿لنتبئهم بأمرهم هذا﴾ وقوله: ﴿وأخيه﴾ يعني: ما فعلوا به بإدخال الهم والجزع بإفراده عن أخيه ولم يذكر أباه يعقوب مع عظم ما دخل عليه من الغم بفراقه تعظيماً ورفعاً من قدره وعلماً أن ذلك كان له بلاء من الله ليزيد في درجته عنه وقوله: ﴿إذ أنتم جاهلون﴾ أي: يعقوب أبيكم وقطع رحم أخيك يعني فعلتم ذلك جهلاً منكم. وروي عن ابن عباس: ﴿إذ أنتم صبيان﴾ (٧) وعن الحسن «شبان» (٨) وعلى هذا يراد جهالة الصبي فالشاب قال الضحاك: «لما قال لهم يوسف هل علمتم الآية تبسم فلما أبصروا ثنياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم شبهوه بيوسف» (٩) فقالوا له: ﴿أأنتك لأنت يوسف قال

(١) سورة النور ٤٣.

(٢) الطبري ٢٣٥/١٦ (١٩٧٤١) زاد المسير ٢٧٨/٤ ابن كثير ٣٣١/٤ البغوي ٤٤٦/٢ القرطبي ٣٤٨٢/٨ الرازي ١٦١/١٨ البحر المحيط ٣٤٠/٥.

(٣) الطبري ٢٣٧/١٦ (١٩٧٤٤) ابن كثير ٣٣١/٤ البغوي ٤٤٦/٢ القرطبي ٣٤٨٢/٨ الرازي ١٦١/١٨ البحر المحيط ٣٤٠/٥ والخلق: الخسيس البالي من كل شيء.

(٤) الطبري ٢٣٧/١٦ (١٩٧٥٢) ابن كثير ٣٣١/٤ البحر المحيط ٣٤٠/٥ البغوي ٤٤٦/٢ القرطبي ٣٤٨٢/٨ الرازي ١٦١/١٨.

(٥) تهذيب اللغة ١٥٥/١١ والبغوي ٤٤٦/٢ القرطبي ٣٤٨٢/٨ والرازي نقلاً عن أبي عبيد ١٦١/١١.

(٦) انظر الرازي ١٦٢/١٨ زاد المسير ٢٧٩/٤.

(٧) الرازي ١٦٢/١٨ زاد المسير ٢٨٠/٤ البحر المحيط ٣٤١/٥٤ القرطبي ٣٤٨٥/٨.

(٨) البغوي ٤٤٧/٢ زاد المسير ٢٨١/٤ البحر المحيط ٣٤١/٥ القرطبي ٣٤٨٥/٨.

(٩) الرازي ١٦٢/١٨ زاد المسير ٢٨١/٤ البغوي ٤٤٧/٢.

أنا يوسف قال ابن الأنباري: أظهر الاسم ولم يقل: أنا هو تعظيماً لما وقع به من ظلم إخوته كأنه قال: أنا المظلوم المستحل منه المحرم المراد قتله فكفى ظهور الاسم من هذه المعاني^(١) ولهذا قال: ﴿وهذا أخي﴾ وهم يعرفونه لأن قصده: وهذا المظلوم كظلمي ﴿قد من الله علينا﴾ قال ابن عباس: «بكل خير في الدنيا والآخرة»^(٢) قال آخرون «بالجمع بيننا بعد التفرقة»^(٣) ﴿إنه من يتق ويصبر﴾ قال ابن عباس: «من يتق الله ويصبر على المصائب وعن المعاصي»^(٤) وقال مقاتل: «من يتق الزنا ويصبر على الأذى»^(٥) ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ أجر من كان هذا حاله ﴿قالوا تالله لقد آثر الله علينا﴾ بالعلم والحلم والعقل والحسن والملك ﴿وإن كنا لخاطئين﴾ قال ابن عباس: «لمذنبين آثمين في أمرك»^(٦): ﴿قال لا تثريب عليكم اليوم﴾ لا تعبير ولا توبيخ يقال: ثربه إذا غيرته وروى ابن الأنباري عن ثعلب ثرب فلان على فلان إذا عدد عليه ذنوبه^(٧) قال ابن عباس: يريد لا لوم عليكم^(٨) وقال الكلبي: «لا أعيركم بعد اليوم بهذا أبدأ»^(٩) وقال ابن الأنباري: «أي قد انقطع عنكم توبيخي عند اعترافكم بالذنب»^(١٠) ويجوز الوقف عند الأخفض على قوله ﴿عليكم﴾ ثم يقول: ﴿اليوم يغفر الله لكم﴾ فيعلق اليوم بالغفران وذكره ابن الأنباري^(١١) أيضاً قال ابن عباس: جعلهم في حل وسأل الله لهم المغفرة^(١٢) وأخبرنا أن الله أرحم بأوليائه من الوالدين يولدهما وهو قوله: ﴿وهو أرحم الراحمين﴾ ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن أبيه فقال: ما فعل أبي بعدي؟ قالوا ذهب عيناه فأعطاهم قميصه فهو قوله: ﴿أذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي﴾ الآية.

وكان من شأن ذلك القميص ما أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر أنا: أبو علي بن أبي بكر الفقيه أنا أبو لبابة محمد بن المهدي نا عمار بن الحسن^(١٣) نا شجاع بن أبي نصر^(١٤) عن عباد بن كثير عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: أما قوله: اذهبوا بقميصي هذا فإن نمرود الجبار لما ألقى إبراهيم في النار نزل إليه جبريل عليه السلام بقميص من الجنة وطفنسة^(١٥) من الجنة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه فكسى إبراهيم ذلك القميص إسحاق وكساه إسحاق يعقوب وكساه يعقوب يوسف فجعله في قصبه من فضة وعلقها في عنقه فألقى في الجب والقميص في عنقه فذلك قوله: ﴿أذهبوا بقميصي هذا﴾ الآية^(١٦) ونحو هذا قال عامة المفسرين قال ابن عباس أخرج لهم قصبه من فضة كانت في عنقه لم يعلم بها إخوته

(١) فتح القدير ٥٢/٣ زاد المسير ٢٨١/٤.

(٢) الرازي ١٦٣/١٨ القرطبي ٣٤٨٧/٨.

(٣) البغوي ٤٤٧/٢ الرازي ١٦٣/١٨.

(٤) البحر المحيط ٣٤٢/٥ الرازي ١٦٣/١٨ زاد المسير ٢٨٢/٤ القرطبي ٣٤٨٥/٨ البغوي ٤٤٧/٢ فتح القدير ٥٢/٣.

(٥) البحر المحيط ٣٤٢/٥ زاد المسير ٢٨٢/٤ البغوي ٤٤٧/٢.

(٦) الطبري ٢٤٧/١٦ ابن كثير ٣٣٣/٤ البغوي ٤٤٧/٢ زاد المسير ٢٨٣/٤.

(٧) فتح القدير ٥٢/٣ زاد المسير ٢٨٢/٤ فتح القدير ٥٢/٣.

(٨) فتح القدير ٥٢/٢.

(٩) الطبري ٢٤٧/١٦ فتح القدير ٥٢/٢.

(١٠) ابن الجوزي في زاد المسير ٢٨٣/٤.

(١١) ابن الجوزي في زاد المسير ٢٨٣/٤.

(١٢) ابن الجوزي في زاد المسير ٢٨٣/٤.

(١٣) عمار بن الحسن بن بشير الهمداني أبو الحسن الرازي نزيل نساء، قال النسائي ثقة، وقال في موضع لا بأس به وذكره ابن حبان في الثقات وقال مولده سنة ١٥٩ ومات سنة اثنتين وأربعين ومائتين. انظر التهذيب ٣٩٩/٧.

(١٤) شجاع بن أبي نصر البلخي أبو نعيم المقرئ. قال أبو عبيد القاسم بن سلام ثنا شجاع بن أبي نصر وكان صدوقاً مأموناً. وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (٣١٣/٤).

(١٥) وهي البساط الذي له حمل رقيق.

(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ كذا في الدر المنثور ٣٤/٤ وذكره الرازي في التفسير ١٦٦/١٨.

فيها قميص وهو الذي نزل به جبريل على إبراهيم وذكر القصة^(١) وقال مجاهد أمره جبريل أن أرسل إليه قميصك فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مُتَبَلٍ ولا سقيم إلا صح وعوفي^(٢) وقال الحسن: «لولا أن الله أعلمه لم يدر أنه يرجع إليه بصره»^(٣) فذلك قوله: ﴿يَأْتُ بِصِيرٍ﴾ وقال ابن عباس: «يرتد بصيراً ويذهب البياض الذي على عينيه»^(٤) وقال السدي «يعد بصيراً»^(٥) وقال الفراء: «يرجع بصيراً»^(٦) وقوله: ﴿وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال الكلبي: «وكان أهله نحوراً من سبعين إنساناً»^(٧) وقال مسروق: «دخل أهل يوسف مصر وهم ثلاثة وتسعون من رجل وامرأة»^(٨).

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا بَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

قوله: ﴿ولما فصلت العير﴾ يقال: فصل فلان من عند فلان فصلاً إذا خرج من عنده قال المفسرون: «لما خرجت العير من مصر متوجهة إلى كنعان» ﴿قال أبوهم﴾ لمن حضره من أهله وقربته وولد ولده وأولاده وكانوا غائبين عنه ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾^(٩) قال ابن عباس: هاجت ريح فحملت ريح قميص يوسف إلى يعقوب وبينهما مسيرة ثمان ليال^(١٠) وقال مجاهد: هبت ريح فضربت القميص ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال: ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾^(١١) وذكر في القصة: أن ريح الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فأتته بها ولذلك يستروح كل محزون بريح الصبا ويتنسمها المكربون فيجدون لها روحاً وقد أكثر الشعراء ذكرها في أشعارهم وهي تأتي من ناحية الشرق وفيها لين إذا هبت على الأبدان نعمتها وليبتها وهيجت الأشواق إلى الأحباب والحنين إلى الأوطان قال «أبو صخر الهذلي»^(١٢):

(٥) الرازي ١٦٥/١٨ البغوي ٤٤٨/٢.

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٥٥/٢.

(٧) الرازي ١٦٥/١٨، زاد المسير ٢٨٣/٤.

(٨) الرازي ١٦٥/١٨، القرطبي ٣٤٨٨/٨.

(٩) الطبري ٢٤٨/١٦، زاد المسير ٢٨٣/٤، ابن كثير ٣٣٣/٤، البغوي ٤٤٨/٢، الرازي ١٦٥/١٨، فتح القدير ٥٥/٢، القرطبي ٣٤٨٨/٨.

(١٠) الطبري ٢٥١/١٦ (١٩٨١٢) ابن كثير ٣٣٣/٤، زاد المسير ٢٨٤/٤، البغوي ٤٤٨/٢، القرطبي ٣٤٨٨/٨.

(١١) ابن كثير ٣٣٣/٤، زاد المسير ٢٨٤/٤، الرازي ١٦٦/١٨، البغوي ٤٤٨/٢.

(١٢) أبو صخر الهذلي عبد الله بن سلمة السهمي من بني هذيل بن مدركة: شاعر من الفصحاء كان في العصر الأموي موالياً لبني مروان متعصباً لهم، وله في عبد الملك وأخيه عبد العزيز مدائح. وكان قد حبسه عبد الله بن الزبير عاماً وأطلقه بشفاعة رجال من قريش. وهو صاحب الآيات المشهورة التي أولها:

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

انظر الأعلام (٩٠/٤ - ٩١).

إِذَا قُلْتُ هَذَا جِئِنِ أَسْلُو يُهَيِّجَنِي نَسِيمَ الصُّبَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ الْفَجْرُ^(١)

وقال آخر:

أَيَا جَبَلِي نَعْمَانَ بِاللهِ خَلِيًّا نَسِيمَ الصُّبَا يَخْلُصُ إِلَيَّ نَسِيمُهَا
فَإِنَّ الصُّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَفَّسْتُ عَلَى نَفْسٍ مَهْمُومٍ تَجَلَّتْ هُمُومُهَا^(٢)

وقال آخر:

وَلَقَدْ تَهَبَّ لِي الصُّبَا مِنْ أَرْضِهَا فَيَلْدُ مَسْ هُبُوبُهَا وَيَطِيبُ لِي
يُنْدِي عَلَى كَيْدِي وَيَنْقَحُ غَلْتِي وَيَبُلُّ حَرًّا فَرَادِي الْمُسْتَعِيلِ^(٣)

أخبرنا عبد القاهر البغدادي نا بشر بن أحمد نا محمد بن يحيى نا عاصم بن علي نا شعبة عن أبي سنان ضرار بن مرة^(٤) قال: سمعت عبد الله بن أبي الهذيل^(٥) يحدث عن ابن عباس في قوله: «إني لأجد ريح يوسف قال: وجد ريحه من مسيرة ما بين البصرة والكوفة»^(٦).

وقوله ﴿لولا أن تفندون﴾ الفند ذهاب العقل من الهرم يقال: أفند الرجل إذا خرف وتغير عقله وفنده إذا نسهب إلى الجهل والخرق قال أبو عبيدة: «لولا أن تسفهوني»^(٧) وقال الزجاج: «لولا أن تجهلوني»^(٨) وقال: مجاهد: «لولا أن تقولوا ذهب عقلك»^(٩) ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ قال «مقاتل» وغيره: «معنى الضلال ها هنا الشقاء»^(١٠) يعنون شقاء الدنيا وهو ما يكابد من الأحزان على يوسف وقال قتادة: «في حبك ليوسف ما تنساه ولا تسلاه»^(١١) وهذا كقوله: «إن أبانا لفي ضلال مبين» وقد مر، وقال الحسن^(١٢): إنما قالوا هذا لأنه كان عندهم أن يوسف قد مات وأن يعقوب بولوعه بذكره ذاهب عن الصواب قوله: ﴿فلما أن جاء البشير﴾ الآية قال المفسرون^(١٣) البشير كان يهوذا بن

(١) انظر أشعار الهذليين ٩٥٧/٢ وانظره في فتح القدير (٥٣/٣).

(٢) البيتان لقيس بن الملوح انظر ديوانه (٨٢) وفي فتح القدير (٥٣/٣).

(٣) والبيت الأول من البيتين في فتح القدير للشوكاني (٥٣/٣).

(٤) ضرار بن مرة الكوفي أبو سنان الشيباني الأكبر. روى عن أبي صالح السمان وسعيد بن جبير وقزعة بن يحيى ومحارب بن دثار وعبد الله بن الحارث الزبيدي الكوفي وعبد الله بن أبي الهذيل وأبي صالح الحنفي وجماعة. وعنه شعبة وشريك والسفيانان. قال ابن المديني عن يحيى القطان كان ثقة وقال أبو طالب عن أحمد كوفي ثبت وقال أبو حاتم ثقة لا بأس به وقال النسائي كوفي ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات. مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة. انظر التهذيب ٤/٤٥٧.

(٥) عبد الله بن أبي الهذيل العنزلي أبو المغيرة الكوفي. قال النسائي: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات. وقال العجلي تابعي ثقة، وكان عثمانياً. انظر التهذيب (٦٢/٦).

(٦) الطبري ١٦/٢٥٠ (١٩٨٠٨) (١٩٨٠٩، ١٩٨١٠).

(٧) الطبري ١٦/٢٥٢ (١٩٨١٨) البحر المحيط ٥/٣٤٥ زاد المسير ٤/٢٨٥ البغوي ٢/٤٤٨ القرطبي ٨/٣٤٨٩.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٢٨ البغوي ٢/٤٤٨.

(٩) الطبري ١٦/٢٥٤ (١٩٨٣٤) زاد المسير ٤/٢٨٥ البغوي ٢/٤٤٨. (١١) الطبري ١٦/٢٥٧ (١٩٨٥٠) ابن كثير ٤/٣٣٣.

(١٠) زاد المسير ٤/٢٨٦. (١٢) البغوي ٢/٤٤٨.

(١٣) الطبري ١٦/٢٥٨، ٢٥٩ البغوي ٨/٤٤٩ البحر المحيط ٥/٣٤٥ ابن كثير ٤/٣٣٣ زاد المسير ٤/٢٨٦ الرازي ١٨/١٦٦ فتح القدير ٣/٥٤.

يعقوب قال: إني جئت بالقميص ملطخاً بالدم فأعطني اليوم قميصك لأخبره أنك حي فأفرحه كما أحزنته فحمل القميص وخرج حاسراً حافياً يعدو وكان معه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة ثمانين فرسخاً فلما أتى أباه ﴿اللقاء على وجهه فارتد بصيراً﴾ قال الضحاك^(١): رجع إليه بصره بعد العمى، وقوته بعد الضعف، وشبهه بعد الهرم وسروره بعد الحزن، وقال ابن عباس: في قوله ﴿فارتد بصيراً﴾ انجلى البياض وذهبت الظلمة^(٢) ومعنى الارتداد انقلاب الشيء إلى حال قد كان عليها والمعنى عاد ورجع إلى حال البصر.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الأصبهاني أنا عبد الله بن محمد بن حيان نا عبد الرحمن بن محمد الرازي نا سهل العسكري نا يحيى بن يمان عن سفيان قال لما جاء البشير يعقوب قال: علي أي دين تركت يوسف؟ قال: علي الإسلام قال: «الآن تمت النعمة»^(٣).

وقوله: ﴿الم أفل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ تقدم تفسيره، ثم سألوأ أباهم أن يستغفر الله لهم ما أتوا إليه من إدخال الحزن عليه وهو قوله: ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا﴾ الآية. ﴿قال يعقوب﴾ سوف أستغفر لكم ربي ﴿قال ابن عباس: «آخر دعاء إلى السحر»^(٤) وهو قول ابن مسعود وقتادة والسدي^(٥) وقال في رواية الكلبي وعكرمة «يقول حتى تأتي ليلة الجمعة»^(٦) قال الزجاج: «أراد يعقوب أن يستغفر لهم في وجه السحر في الوقت الذي هو أخلق لإجابة الدعاء لا لأنه ضمن عليهم بالاستغفار»^(٧).

أخبرنا أحمد بن محمد بن الحارث أنا عبد الله بن محمد الحافظ نا عبد الرحمن بن محمد الرازي نا سهل بن عثمان نا أبو مالك عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ سئل: لم أخرج يعقوب عن بنه الاستغفار؟ قال: «أخرجهم إلى السحر لأن دعاء السحر مستجاب»^(٨). قالوا: وكان يوسف بعث مع البشير إلى يعقوب جهازاً ومائتي راحلة وسأله أن يأتيه بأهله وولده أجمعين فتهياً يعقوب للخروج إلى مصر فلما دنا من مصر كلم يوسف الملك الأكبر الذي فوقه فخرج يوسف في أربعة من الجند وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب فلما نظر يعقوب إلى الخيل قال لابنه يهوذا: هذا فرعون مصر؟ قال: لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه قصد يوسف أن يبدأه بالسلام فمنع من ذلك وكان يعقوب أفضل وأحق بذلك منه فابتدأ يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الأحزان^(٩).

أخبرنا أبو القاسم محمد بن علي الصوفي الكوفي أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف^(١٠) نا العباس بن محمد

(١) البغوي ٤٤٩/٢ الرازي ١٦٦/١٨ البحر المنحيط ٢٤٦/٥.

(٢) البغوي ٤٤٩/٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كذا في الدر المنثور ٣٥/٤ عن الحسن والبغوي في التفسير ٤٤٩/٢ وذكره الشوكاني في الفتح ٥٥/٢.

(٤) الطبري ٢٦١/١٦ البغوي ٤٤٩/٢ الرازي ١٦٧/١٨ البحر المنحيط ٣٤٦/٥ القرطبي ٣٤٩١/٨ فتح القدير ٥٥/٣.

(٥) الطبري ٢٦١/١٦ ابن كثير ٣٣٤/٤ البغوي ٤٤٩/٢ البحر المنحيط ٣٤٦/٥ القرطبي ٣٤٩٢/٨ فتح القدير ٥٥/٢.

(٦) الطبري ٢٦٢/١٦، زاد المسير ٢٨٧/٤ البغوي ٤٤٩/٢ البحر المنحيط ٣٤٦/٥ الرازي ١٦٧/١٨.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ١٢٩/٣.

(٨) أخرجه الطبري في التفسير ٢٦١/١٦ وذكره الشوكاني في الفتح ٥٥/٢، عن ابن عباس موقوفاً وعزاه لابن المنذر وابن مردويه.

(٩) هذا من الافتراءات العجيبة التي يجب علينا أن ننزه أسماعنا عنها وانظر تفسير البغوي ٤٤٩/٢ - ٤٥٠. والرازي ١٦٧/١٨ - ١٦٨.

(١٠) علي بن أحمد شيخ الإسلام أبو الحسن الهكاري. روى عن أبي عبد الله بن نظيف. قال أبو القاسم بن عساکر: لم يكن موثقاً.

وقال ابن النجار: منهم بوضع الحديث وتركيب الأسانيد قاله في ترجمة عبد السلام بن محمد. انظر الميزان ١١٢/٣.

ابن الحسن بن قتيبة^(١) نا أبو بكر محمد بن يزيد المستملي^(٢) نا بشر بن الحارث^(٣) نا أبو بكر بن عياش عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: لما جمع الله بين يوسف ويعقوب عليهما السلام أقبل يوسف فقال: يا أبت حزنت علي حتى انحنيت؟ قال: نعم فقال: بكيت علي حتى ذهب بصرك؟ قال: نعم قال: أما علمت أن القيامة تجمعي وإياك؟ قال: أي بني إني خشيت أن يسلب دينك فلا نجتمع^(٤).

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ۗ وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝

وذلك قوله: ﴿فلما دخلوا على يوسف ءاوى إليه أبويه﴾ ضمهما إليه وأنزلهما عنده؟ قال عامة المفسرين: يعني أباه وخالته وذلك أن أمه كانت قد ماتت في نفاسها بينامين^(٥) فقال لهم قبل دخولهم مصر ﴿ادخلوا مصر إن شاء الله ءامين﴾ والاستثناء يعود إلى الأمن وإنما قال: آمين لأنهم كانوا فيما خلا يخافون ملوك مصر ولا يدخلونها إلا بجوارهم. قوله: ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ أي: أجلسهما معه على سرير الملك ﴿وخروا له سجدا﴾ كان تحية الناس يومئذ بعضهم لبعض السجود والانحناء والتواضع وكانهم لم يكونوا نوا عن السجود لغير الله تعالى في شريعتهم فلما رأى ذلك يوسف قال ﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي﴾ أي: إلى يقال: أحسن بي وإلي قال كثير^(٦).

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةَ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِبَةَ إِنَّ تَقَلَّتْ^(٧)

﴿إذ أخرجني من السجن﴾ ولم يذكر إخراجه من البئر كرمًا لثلا يذكر إخوته صنيعهم به بعد قوله: ﴿لا تثريب

(١) العباس بن محمد بن الحسن بن قتيبة. انظر دائرة المعارف الأعلمي (٢٧٠/١٤).

(٢) محمد بن يزيد المستملي أبو بكر الطرسوسي لا النيسابوري. قال ابن عدي: يسرق الحديث وي زيد فيه ويضع. انظر الميزان (٦٦/٤).

(٣) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال المروزي نزيل بغداد، أبو نصر الحافي الزاهد الجليل المشهور ثقة قدوة مات سنة سبع وعشرين وله ست وسبعون. انظر التقريب ٩٨/١.

(٤) موضوع وآفته علي بن أحمد بن يوسف بن جعفر. ومحمد بن يزيد المستملي والأثر عند البغوي (٤٥٠/٢).

(٥) الطبري ٢٦٦/١٦ البغوي ٤٥٠/٢ الرازي ١٦٨/١٨ ابن كثير ٣٣٥. القرطبي ٣٤٩٢/٨ فتح القدير ٥٦/٣ البحر المحيط ٣٤٧/٥.

(٦) كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي أبو صخر: شاعر متيم مشهور. من أهل المدينة. أكثر إقامته بمصر. وفد على عبد الملك بن مروان فازدرى منظره، ولما عرف أدبه رفع مجلسه فاخص به وبني مروان يعظموه ويكرمونه. وكان مفرد القصر دميماً في نفسه شمم وترفع يقال له ابن أبي جمعة وكثير عزة والملحي نسبة إلى ملىح وهم قبيلته.

قال المرزباني: كان شاعر أهل الحجاز في الإسلام لا يقدمون عليه أحداً. انظر الأعلام ٢١٩/٥.

(٧) البيت في الشعر والشعراء لابن قتيبة (٥١٠/١) والبحر المحيط ٣٤٩/٥ وانظر نخرينجا هناك والرازي (١٧١/١١). أمالي الشجري

عليكم ﴿وجاء بكم من البدو﴾ والبدو البسيط من الأرض يقال: بدو وحضر قال قتادة^(١): كان يعقوب وولده بأرض كنعان أهل مواش وبرية ﴿من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي﴾ أفسد بيننا وحمل بعضنا على بعض وقال ابن عباس: «دخل بيننا بالحسد»^(٢) ﴿إن ربي لطيف لمن يشاء﴾ قال الأزهري: اللطيف من أسماء الله معناه الرفيق بعباده يقال: لطف فلان بفلان . يلطف إذا رفق به لطفاً^(٣) وقال عمرو بن أبي عمرو: اللطيف الذي يوصل إليك إربك في رفق قال أهل التفسير: إن ربي عالم بدقائق^(٤) الأمور ﴿إنه هو العليم﴾ بخلقه ﴿الحكيم﴾ فيهم بما يشاء ثم إن يعقوب أقام بمصر بعد موافاته بأهله وولده أربعاً وعشرين سنة بأغبط حال وأهنأ عيش إلى أن حضرته الوفاة فأوصى إلى يوسف أن يحمل جسده إلى الأرض المقدسة حتى يدفنه عند أبيه وجده ففعل ذلك يوسف وكان عمر يعقوب مائة وسبباً وأربعين سنة ولما جمع الله ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم تأويل رؤياه دعا ربه وشكره وحمده فقال:

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾

﴿رب قد آتيتني من الملك﴾ قال الباقر: «آتى الله يوسف ملك الأرض المقدسة فملك اثنتين وسبعين سنة»^(٥) ﴿وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ يعني تفسير الأحلام ﴿فاطر السموات والأرض﴾ قال ابن عباس: يريد خالق السماوات والأرض^(٦) ﴿ومر هذا قوله﴾ وما لي لا أعبد الذي فطرني ﴿أي خلقتني﴾ أنت ولي في الدنيا والآخرة ﴿أنت الذي تلي أمري﴾ توفني مسلماً ﴿قال ابن عباس: يريد لا تسلبني الإسلام حتى تتوفاني عليه»^(٧) وقال قتادة: سأل ربه اللحوق به قال: ولم يتمنّ نبي قبل الموت^(٨) وقوله: ﴿واللحقي بالصالحين﴾ يعني بالنبين من آبائه والمعنى: اللحقني بهم^(٩) في ثوابهم ودرجاتهم ثم مات يوسف وأوصى إلى أخيه يهوذا ودفن في نيل مصر في صندوق من رخام وذلك أنه لما مات تشاح الناس عليه كل يجب أن يدفن في محلته لما يرجون من بركته فرأوا أن يدفنوه في النيل فيمر الماء عليه ثم يصل إلى جميع مصر فيكون كلهم فيه شركاء فكان قبره في النيل إلى أن حملة موسى حين خرج من مصر ودفنه بأرض كنعان قوله:

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَانَ مِنْ آيَاتِهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ

(١) الطبري ٢٧٥/١٦ القرطبي ٣٤٩٦/٨ البحر المحيط ٣٤٨/٥ فتح القدير ٥٦/٣ الرازي ١٧١/١٨ .

(٢) البغوي ٤٥١/٢ القرطبي ٣٤٩٦/٨ .

(٣) تهذيب اللغة ٣٤٧/١٣ فتح القدير ٥٦/٣ .

(٤) القرطبي ٣٤٩٦/٨ زاد المسير ٢٩١/٤ فتح القدير ٥٧/٣ .

(٥) ومن هنا للتبعيض أي بعض الملك لأنه لم يؤت كل الملك إنما أوتي ملكاً خاصاً وهو ملك مصر في زمن خاص .

(٦) الطبري ٢٧٨/١٦ وانظر ٣٥٧/١ البغوي ٤٥١/٢ القرطبي ٣٤٩٩/٨ . الرازي ١٧٤/١٨ .

(٧) الطبري ٢٧٨/١٦ البغوي ٤٥١/٢ الرازي ١٧٥/١٨ .

(٨) الطبري ٢٧٨/١٦ البغوي ٤٥١/٢ الرازي ١٧٣/١٨ القرطبي ٣٤٩٨/٨ .

(٩) في ب (بماوهم ودرجاتهم) .

﴿مُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ أَفَأَمْنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾

﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾ أي ذلك الذي قصصنا عليك من أمر يوسف وإخوته من الأخبار التي كانت غائبة عنك فانزلته عليك دلالة على إثبات نبوتك ﴿وما كنت لديهم﴾ عند إخوة يوسف ﴿إذ أجمعوا أمرهم﴾ عزموا على أمرهم . ﴿وهم يمكرون﴾ بيوسف قوله : ﴿وما أكثر الناس﴾ الآية، قال ابن الأنباري^(١) : وإن قريشاً واليهود سألت رسول الله ﷺ عن قصة يوسف وإخوته فشرحها شرحاً وافياً وهو يؤمل أن يكون ذلك سبباً لإسلامهم ، فخالقوا حزن رسول الله ﷺ بذلك فعزاه الله بقوله ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ قال الزجاج^(٢) : معناه : وما أكثر الناس بمؤمنين ولو حرصت على أن تهديهم لأنك ﴿لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ ﴿وماتسألهم عليه من أجر﴾ على القرآن وتلاوته عليهم وهدايتك إياهم من مال يعطونك ﴿إن هو﴾ ما هو ﴿إلا ذكر للعالمين﴾ تذكره لهم بما هو صلاحهم ونجاتهم من النار ﴿وكأي من آية﴾ وكم من آية ﴿في السموات والأرض﴾ تدلهم على توحيد الله من أمر السماء وانها بغير عمد فيها أعظم البرهان على أن لها خالقاً وكذلك فيما يشاهد في الأرض من جبالها ونباتها وبحارها ﴿يمرون عليها﴾ يتجاوزونها غير مفكرين ولا معتبرين بها ولما سمع المشركون هذا قالوا : ﴿إنا نؤمن بالله الذي خلق هذه الأشياء﴾ فانزل الله ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله﴾ أي : اقرار بأن الله خلقه وخلق السماوات والأرض إلا وهو مشرك بعبادة الوثن والمعنى أنهم كانوا يعترفون بأن الله خلقهم ورازقهم ويجعلون له شركاء من الأصنام وهو قوله : ﴿إلا وهم مشركون﴾ ليس يراد بقوله : ﴿وما يؤمن أكثرهم﴾ حقيقة الإيمان ولكن المعنى أن أكثرهم مع إظهارهم الإيمان بالسنتهم مشركون ثم خوفهم فقال ﴿أفأمنا﴾ يعني المشركين ﴿أن تأتيهم غاشية من عذاب الله﴾ عقوبة تغشاهم وتتسلط عليهم ﴿أو تأتيهم الساعة﴾ القيامة ﴿بغتة﴾ فجأة يقال : بغتهم الأمر بغتاً وبغتة إذا فاجأهم ﴿وهم لا يشعرون﴾ بإتيانها . قوله :

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَأٍ وَلَا يَرُدُّ بِأَسْنَانٍ الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾

﴿قل هذه سبيلي﴾ قل يا محمد للمشركين هذه الدعوة التي أدعوا إليها والطريقة التي أنا عليها . سبيلي سني ومنهاجي ، وديني ﴿أدعو إلى الله على بصيرة﴾ أنا على دين ويقين والبصيرة المعرفة التي يميز بها الحق من الباطل ، ﴿ومن اتبعني﴾ قال الفراء : ﴿ومن اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو﴾^(٣) وهذا قول الكلبي^(٤) قال : حق على من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه ويذكر بالقرآن والموعظة وينهي عن معاصي الله قال ابن الأنباري^(٥) : ويجوز أن يتم الكلام عند قوله : الله ثم ابتداء فقال : على بصيرة أنا ومن اتبعني وهذا معنى قول ابن عباس^(٦) : قال يعني أصحاب محمد ﷺ كانوا على أحسن طريقة وقوله : ﴿وسبحان الله﴾ أي : قل هذه سبيلي وقل سبحان الله تنزيهاً لله عما أشركوا ﴿وما أنا من المشركين﴾ الذين اتخذوا مع الله ندا وكفراً أو ولداً قوله : ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً﴾ هذا رد لأنكارهم نبوته يقول لم نبعت قبلك إلا

(٤) البغوي ٤٥٣/٢ الطبري ٢٩٢/١٦ .

(١) البحر المحيط ٣٥٠/٥ زاد المسير ٢٩٣/٤ .

(٥) الرازي ١٧٩/١٨ انظر زاد المسير ٢٩٥/٤ فتح القدير ٥٩/٢ .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ١٣٠/٣ .

(٦) البغوي ٤٥٣/٢ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٥٢/٢ فتح القدير ٥٩/٢ .

رجالاً فكيف تعجبوا من إرسالنا إياك ومن قبلك من الرسل كانوا على مثل حالك؟ وقوله: ﴿من أهل القرى﴾ قال ابن عباس: «يريد أهل المدائن لأن الله تعالى لم يعث نبياً من بادية»^(١) قال الحسن: «لم يعث الله نبياً من أهل البادية ولا من الجن ولا من النساء»^(٢) وذلك أن أهل البادية يغلب عليهم القسوة والجفاء وأهل الأمصار أهل فطنة وقوله: ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ يعني المشركين المنكرين نبوة محمد ﷺ يقول: أفلم يسيروا فينظروا إلى مصارع الأمم المكذبة فيعتبروا بها ﴿ولدار الآخرة﴾ يعني الجنة ﴿خير للذين اتقوا﴾ من الدنيا ﴿أفلا تعقلون﴾ هذا فتؤمنوا وتتقوا الشرك؟

أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي: أنا أبو عمرو بن مطر أنا إبراهيم بن علي نا يحيى بن يحيى أنا أبو معاوية نا حجاج عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «لشبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها»^(٣) قوله: ﴿حتى إذا استئس الرسل﴾ قال ابن عباس يريد من قومهم أن يؤمنوا^(٤) ﴿وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ أيقنوا أن قومهم قد كذبوهم وهذا قول عطاء وقتادة والحسن^(٥) وقرأ أهل الكوفة^(٦): «كذبوا» مخففة ومعناه: ظن الأمم^(٧) أن الرسل كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله إياهم وإهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد^(٨) والضمير في قوله ﴿وظنوا﴾ على هذه القراءة للمرسل إليهم، التقدير: ظن المرسل إليهم أن الرسل أخبروهم بالكذب من أنهم إن لم يؤمنوا بهم نزل بهم العذاب وإنما ظنوا ذلك لما رأوا من إمهال الله إياهم وقوله: ﴿جاءهم نصرنا﴾ قال ابن عباس يريد نصر النبيين^(٩) والمعنى: أن نصر الرسل على قومهم تأخر عنهم حتى ظن قومهم الظنون ثم نصرنا فأهلك المكذب وأنجى المصدق وهو قوله: ﴿فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾ [وقرأ عاصم^(١٠) وابن عامر فنجي من شاء بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء جعلاه ماضياً على ما لم يسم فاعله كقوله: ﴿ولا يرد﴾ لأنهما طلب موافقة المصحف فإن فيه نوناً واحدة وذلك لاجتماع النونين وأعان على ذلك خفاء النون عند الجيم ﴿ولا يرد﴾ ولا يمنع عذابنا عن المشركين إذا بلغوا الاجل^(١١) قوله:

لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

﴿لقد كان في قصصهم﴾ يعني أخوة يوسف ﴿عبرة﴾ فكرة وبصيرة من الجهل والحيرة ﴿لأولي الأبواب﴾ لذوي

(١) بنحوه عند الطبري ٢٩٣/١٦ وابن كثير ٣٤٦/٤ والقرطبي ٣٥٠٣/٨. وانظر فتح القدير ٦٢/٢ وانظر البحر المحيط ٣٥٣/٥.

(٢) القرطبي ٣٥٠٣/٨ زاد المسير ٢٩٥/٤.

(٣) أخرجه ابن ماجه في السنن ١٤٤٨/٢ في كتاب الزهد باب صفة الجنة ٤٣٢٩ وقال الشهاب البوصيري في إسناده حجاج وعطية وهما ضعيفان.

(٤) القرطبي ٣٥٠٤/٨ زاد المسير ٢٩٦/٤ الرازي ١٨١/١٨.

(٥) القرطبي ٣٥٠٤/٨ زاد المسير ٢٩٦/٤ البغوي ٤٥٤/٢.

(٦) انظر حجة القراءات وانظر النشر ٢٩٦/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٥٦/٢.

(٧) في ب (الرسول) (إن الأمم كذبوهم).

(٨) الطبري ٢٩٨/١٦ القرطبي ٣٥٠٤/٨ البحر المحيط ٣٥٥/٢ البغوي ٤٥٤/٢ الرازي ١٨١/١٨.

(٩) الطبري ٢٩٨/١٦ القرطبي ٣٣٥٠٦/٨ البغوي ٤٥٤/٢.

(١٠) انظر النشر ٢٩٦/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٧٥/٢.

(١١) سقط في أ، ب.

العقول السليمة الذين يستعملون العقل فيعتبرون، وذلك أن من اعتبر وتذكر علم أن محمداً ﷺ مع كونه أمياً لم يأت بهذه القصة على موافقة ما في التوراة من قبل نفسه، وعلم أيضاً أن من قدر على إعزاز يوسف وتمليكه مصر بعد إلقائه في الجب، وكونه في حكم العبيد قادر على أن يعز محمداً ﷺ ويعلي كلمته، وينصره على من عاداه، قوله: ﴿ما كان حديثاً يفترى﴾ أي: ما كان هذا القرآن حديثاً يتقوله بشر، ﴿ولكن﴾ كان ﴿تصديق الذي بين يديه﴾ من الكتب، أي: يصدق ما قبله من التوراة والإنجيل، بموافقة الأخبار، ﴿وتفصيل كل شيء﴾ يحتاج إليه من أمور الدين ﴿وهدى﴾ بياناً ﴿ورحمة لقوم يؤمنون﴾ يصدقون بما جاء به محمد ﷺ.

الوسيط

في تفسير القرآن المجيد

تأليف

أبي الحسن علي بن أحمد الواهبي النسابوري

المتوفى سنة ٤٦٨ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الرزوق الشيخ علي محمد معوض

الدكتور أحمد محمد صيرة الدكتور أحمد عبد الفني الجمل

الدكتور عبد الرحمن عريس

قدمه وقضاه

الأستاذ الدكتور عبد الحميد الفرماوي

كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

لجزء الثالث

المحتوى

سورة الرعد - سورة الزمر

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

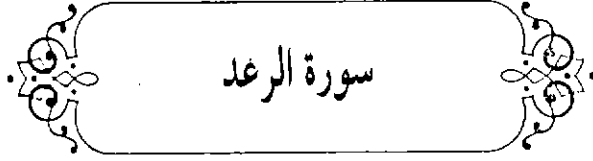
دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ص.ب: ٩٤٢٤/١١ - تكس: Le 41245 Nasher

هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣

فاكس: ٤٧٨١٣٧٣/١٢١٢ - ٠٠/٩٦١١/٦٠٢١٣٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مدنية وآياتها ثلاث وأربعون

أخبرنا: أبو سعد أحمد بن محمد بن عمرو الخفاف، أنا: أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى، وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة وكان يوم القيامة من الموفين بعهد الله^(١).

الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَتْنَمْرًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفُضِلٌ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال: ابن عباس أنا الله أعلم وأرى^(٢)، وقال في رواية عطاء: أنا الله الملك الرحمن^(٣). ﴿تلك آيات الكتاب﴾ يجوز أن يكون ﴿تلك﴾ إشارة إلى ما مضى من ذكر الأخبار والقصص التي أنزلت ويجوز أن يكون تلك بمعنى هذه، ويراد بالكتاب القرآن، وقوله: ﴿والذي أنزل إليك من ربك الحق﴾ قال الفراء: الذي رفع بالاستئناف، وخبره الحق^(٤) ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ قال ابن عباس يريد أهل مكة^(٥) قال الزجاج^(٦): لما ذكر أنهم لا يؤمنون، عرف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق، فقال ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد﴾ وهي الأساطين، جمع عماد ﴿ترونها﴾ كذلك مرفوعة بلا عمد قال «مقاتل»^(٧) هي قائمات بغير عمد وقال «الضحاك»^(٨): يعني ليس من دونها دعامة، ولا فوقها علاقة وهو قول قتادة^(٩) وقوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ ثم أقبل على خلق العرش [بالاستيلاء والاعتدار، ونفوذ السلطان وأصل

(١) حديث واهي وتقدم الكلام عليه.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) (انظر معاني القرآن، للفراء ٥٧/٢).

(٥) البغوي ٥/٣ وروى الطبري عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة أنهم قالوا «لها عمد ولكن لا ترى» انظر تفسير الطبري ١٦ - ٣٢٣ وما بعدها وابن كثير ٣٥١/٤.

(٥) انظر تنوير المقياس ٣/٣.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٦/٣.

(٧) الرازي ١٨٦/١٨.

(٨) البغوي ٥/٣.

الاستواء، التدبير كما أن أصل القيام الانتصاب، ثم يقال قائم بالتدبير، والمعنى: ثم استوى على العرش بالتدبير للأجسام التي خلقها، وثم تدل على حدوث التدبير^(١) ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ ذلكهما لما يراد منهما ﴿كل يجري لأجل مسمى﴾ إلى وقت معلوم، وهو فناء الدنيا ﴿يدبر الأمر﴾ بصرفه بحكمته ﴿يفصل الآيات﴾ يبين الآيات التي تدل على قدرته على البعث ﴿لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ قال ابن عباس لكي توقنوا بالبعث وتعلموا أنه لا إله غيري^(٢) ﴿وهو الذي مد الأرض﴾ قال الفراء بسطها طولاً وعرضاً^(٣) ﴿وجعل فيها رواسي﴾ جبلاً ثوابت قال «ابن عباس» أوتدما بالجبال^(٤) ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ لونين حلواً وحامضاً ﴿يفشي الليل النهار﴾ ذكرناه في سورة الأعراف. ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ أعلم [الله]^(٥) أن ما ذكر من هذه الأشياء فيه برهان وعلامات لمن تفكر في قدرة الله، ثم زاد، فقال: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ أي متدانية متقاربة ﴿وجنات من أعناب وزرع ونخيل﴾ يعني: بساتين فيها نخيل وكروم، ومن قرأ^(٦): ﴿وزرع ونخيل﴾ [بالضم]^(٧) حملها على قوله ﴿وهي الأرض﴾ ولم يحملها على الجنات وقوله ﴿صنوان وغير صنوان﴾ من صفة النخيل قال أبو عبيدة الصنوان جمع صنو، وهو أن يكون الأصل واحداً ثم يتفرع، فيصير نخيلاً ثم يحملن^(٨)، وهذا قول جميع أهل اللغة والتفسير، قال ابن عباس صنوان ما كان من نخلتين، أو ثلاث أو أكثر، أصلهن واحد، وغير صنوان: يريد المتفرق الذي لا يجمعه أصل واحد^(٩).

أخبرنا: محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أنا أبو عمر بن مطر، أنا أبو خليفة أنا الوليد والحوضي ومحمد بن كثير قالوا: ناشبة أنا أبو إسحاق قال سمعت البراء بن عازب يقول في هذه الآية: الصنوان النخلة يكون حولها النخلات، وغير صنوان، النخل المتفرق^(١٠) وروى القواس^(١١) عن حفص (صنوان) بضم الصاد^(١٢) جعله أهل

(١) سقط في أ، ب.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٥٨/٢ البغوي ٦/٣.

(٣) وحكى البغوي عن ابن عباس أنه قال: كان أبو قبيس أول جبل وضع على الأرض.

(٤) سقط في أ، ب.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص: (وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) بالرفع. وحجتهم ذكرها العباس فقال: سألت أبا عمرو: كيف لا تقرأ (وزرع) بالجر؟ قال الجنات لا تكون من زرع. فذهب أبو عمرو إلى أن الزرع وما بعده مردود على قوله قطع كأنه قال: في الأرض قطع متجاورات وفيها جنات وفيها زرع ونخيل. وقرأ الباقون بالجر كلها. حملوا الزرع والنخيل على الأعناب كأنه قال: جنات من أعناب وغير ذلك من زرع ونخيل. وحجتهم في ذلك أن الأرض إذا كان فيها النخل والكرم والزرع سميت جنة: قوله (جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً) فكما سميت الأرض ذات النخل والزرع جنة كذلك يكون في قراءة من قرأ: (وجنات من أعناب وزرع ونخيل) أن يكون الزرع والنخيل محمولين على الأعناب. انظر حجة القراءات ص (٣٦٩) وانظر النشر (٢٩٧/٢) إتحاف فضلاء البشر (١٦٠/٢).

(٧) سقط في أ، ب.

(٨) انظر مجاز القرآن ١/٣٢٢.

(٩) الطبري ١٦/٣٣٦ (٢٠٠٩٥) ابن كثير ٤/٣٥٣ وذكره الشوكاني في الفتح ٣/٦٦ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم الدر المنثور ٤٣/٤.

(١٠) الطبري ١٦/٣٣٥ (٢٠٠٨٧) (٢٠٠٨٩) ابن كثير ٤/٣٥٢ الدر المنثور ٤/٤٣.

(١١) أحمد بن محمد بن علقمة بن نافع بن عمز بن صبح بن عون أبو الحسن النبال المكي المعروف بالقواس إمام مكة في القراءة غاية النهاية (١/١٢٣).

(١٢) وهذا من القراءات الشاذة انظر المحاسب لابن جني (١/٣٥٠).

ذوب وذوبان وربما تعاقب فعلان وفعالان على البناء الواحد، نحو حش وحشَان^(١) وحشَان وقوله: ﴿تسقى بماءٍ واحدٍ﴾ أي تسقى هذه الأشياء الذي ذكرها من القطع المتجاورات والجنات والنخيل المختلفة، ومن قرأ «يسقى» بالياء^(٢) كان التقدير يسقى ما قصصناه وما ذكرناه قال ابن عباس يريد البئر واحدة والشرب واحد، والجنس واحد^(٣) ﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ يعني اختلاف الطعم الحلو والحامض، يخبر بعجائبه وقدرته في خلقه قال ابن الأنباري^(٤): يعني: أن القطع المتجاورة تنبت نباتاً مختلفاً منه الحلو والحامض وشربها واحد، ومكانها مجتمع، وفي هذا أوضح آية على نفاذ قدرة الله والأكل الثمر الذي يؤكل وقوله: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ قال ابن عباس: يريد أهل الإيمان، وهم أهل العقل الذين لم يجعلوا لله نداً^(٥).

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ نَأْتِيهِ خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَقْتَ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَّثَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَعْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۖ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۗ﴾

قوله ﴿وإن تعجب﴾ أي: من عبادتهم ما لا يملك نفعاً ولا ضراً، بعدما رأوا من قدرة الله تعالى في خلقه الأشياء التي ذكرها ﴿فعجب قولهم﴾ الآية قال الزجاج إن هذا موضع عجب أيضاً، أنهم أنكروا البعث، وقد بين لهم من خلق السماوات والأرض ما يدل على أن البعث أسهل في القدرة^(٦) ثم أخبر أن هؤلاء الذين أنكروا البعث بعد الموت كافرون فقال: ﴿أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم﴾ الأغلال جمل الغل. وهو طوق يقيد به اليد إلى العنق، يقال منه: غل الرجل، فهو مغلول، قوله ﴿ويستعجلونك﴾

(١) الحش والحش جماعة النخل انظر لسان العرب (٢/٨٨٥).

(٢) قرأ عاصم وابن عامر: (يسقى بماء واحد). أي يسقى المذكور بماء واحد. وحجتها قوله: ﴿وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره﴾ على معنى من ثمر المذكور. وقرأ الباقر: تسقى بالياء أي تسقى هذه الأشياء بماء واحد. قالوا: ولا يكون التذكير، لأنك إن حملته على الزرع فقد تركت غيره، وإن حملته على الجنات مع حملته على الزرع فقد ذكرت المؤنث. وحجتها قوله تعالى بعدها: ﴿ونفضل بعضها على بعض﴾ فقال بعضها، فكما حمل هذا على التأنيث كذلك يحمل (تسقى) انظر الحجة لابن زنجلة (٣٦٩، ٣٧٠) وانظر النشر ٢/٢٩٧ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٦٠ البغوي ٣/٦.

(٣) بنحوه انظر تفسير الطبري ١٦/٣٣٣.

(٤) انظر فتح القدير ٣/٦٥.

(٥) وهذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزرع، في أشكالها وألوانها، وطعومها وروائحها وأوراقها وأزهارها. فهذا في غاية الحلاوة، وذا في غاية الحموضة، وذا في غاية المرارة وذا عفص، وهذا عذب، وهذا جمع هذا وهذا، ثم يستحيل إلى طعم آخر بإذن الله تعالى، وهذا أصفر، وهذا أحمر، وهذا أبيض، وهذا أسود، وهذا أزرق، وكذلك الزهورات مع أن كلها يستمد من طبيعة واحدة، وهو الماء، مع هذا الاختلاف الكثير الذي لا ينحصر ولا ينضب، ففي ذلك آيات لمن كان واعياً، وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار، الذي بقدرته فاوت بين الأشياء، وخلقها على ما يريد، ولهذا قال تعالى ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾.

انظر ابن كثير (٤/٣٥٣-٣٥٤).

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٨.

بالسيئة قبل الحسنه ﴿ يعني مشركي مكة، سألو رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب استهزاءً منهم بذلك فالمراد بالسنة ههنا العقوبة المهلكة، والحسنة هي العاقبة والرخاء والله تعالى صرف عمن بعث إليهم محمداً ﷺ عقوبة الاصطلام^(١)، وأخر تعذيب مكذبيه إلى يوم القيامة، فذلك التأخير هو الحسنه، وهؤلاء الكفار استعجلوا العذاب قبل إحسان الله معهم بالإنظار، وقوله: ﴿وقد خلعت من قبلهم المثلات﴾ يقال للعقوبة مثله ومثله قال ابن الأنباري^(٢): المثلة العقوبة التي تفضل في المعاقب شيئاً بتغيير بعض خلقه، من قولهم مثل فلان بفلان إذا شان خلقه بقطع أنفه وأذنه، أو سمل عينه، أو بقر بطنه قال ابن عباس، وفتادة: المثلات العقوبات، وما مثل الله بالمكذبين قبلهم^(٣) قال الأزهري: يقول: يستعجلونك بالعذاب الذي لم أعجلهم به، وقد علموا ما نزل من عقوباتنا بالأهم المخالية فلم يعتبروا بها^(٤) وكان ينبغي أن يردعهم ذلك عن الكفر خوفاً أن ينزل بهم مثل الذي نزل بمن كفر قبلهم، قوله: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ قال ابن عباس: لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا وصدقوا^(٥) ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ للمصريين على الشرك، وتلا مطرف يوماً هذه الآية فقال: لو يعلم الناس قدر رحمة الله ومغفرة الله وعفو الله وتجاوز الله لقرت أعينهم ولو يعلم الناس قدر عذاب الله، وبأس الله ونكال الله ونقمة الله، ما رقأ لهم دمع ولا قرأ أعينهم بشيء.

أخبرنا: نصر بن بكر بن أحمد بن الحسين، أنا عبد الله بن محمد بن نصير أنا: محمد بن أيوب، أنا موسى بن إسماعيل، نا حماد بن سلمة عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب قال: لما نزلت ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب﴾ قال رسول الله ﷺ: ﴿لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا أحد العيش، ولولا وعيد الله وعقابه لا تكمل كل أحد^(٦)﴾. قوله: ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ قال ابن عباس: يريد مثل الناقة والعصا وما جاء به النبيون^(٧) وقال الزجاج: طلبوا غير الآيات التي أتى بها فالتمسوا مثل آيات موسى وعيسى^(٨)، فقال الله: ﴿إنما أنت منذرٌ تنذرهم بالنار، وليس إليك من الآيات شيء﴾ وللكل قوم هادي أي نبي وداع إلى الله يدعوهم بما يعطى من الآيات لا بما يريدون ويتحكمون وهذا قول ابن عباس ومجاهد وفتادة^(٩) وقال سعيد بن جبير، وعطية والضحاك: الهادي هو الله عز وجل^(١٠)، والمعنى: أنت منذر تنذر، والله هادي كل قوم يهدي من شاء قوله: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ يعلم ما في بطن كل حامل من علقه أو مضغة أو زائد أو ناقص، على اختلاف في

(١) وهو الاستئصال انظر لسان العرب ٢٤٨٩/٤.

(٢) الرازي ١٠/١٩ فتح القدير ٦٧/٣ وانظر التهذيب للأزهري ٩٥/١٥ البغوي ٨/٣.

(٣) أخرجه الطبري ٣٥١/١٦ (٢٠١٣١) عن فتادة زاد المسير ٣٠٥/٤ وذكره الشوكاني في الفتح ٧٠/٣ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن فتادة الدر المنثور ٤٤/٤.

(٤) انظر التهذيب ٩٩/١٥.

(٥) بنحوه عن الطبري ٣٥٢/١٦ (٢٠١٣٧) زاد المسير ٣١٦/٤.

(٦) ذكره الحافظ في تحريجه على الكشاف ٥١٤/٢ وقال أخرجه ابن أبي حاتم والثعلبي عن رواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جده عن ضعيف وقد تقدم وذكره الحافظ ابن كثير نقلاً عن ابن أبي حاتم ٣٥٥/٤.

(٧) الرازي ١١/١٩ ابن كثير ٣٥٥/٤ فتح القدير ٦٨/٣.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ١٤٠/٣.

(٩) أخرجه الطبري عن مجاهد ٣٥٥/١٦ (٢٠١٤٨) (٢٠١٥٠) (٢٠١٥١) (٢٠١٥٣) (٢٠١٥٤) وزاد المسير ٣٠٧/٤ الرازي ١٢/١٩ البغوي ٨/٣ وذكره الشوكاني في الفتح ٧١/٣ وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد وانظر الدر المنثور ٤٥/٤.

(١٠) الطبري ٣٥٤/١٦ (٢٠١٤٢) (٢٠١٤٣) (٢٠١٤٤) البغوي ٨/٣ والرازي ١٢/١٩ الدر المنثور ٤٥/٤.

جميع أحواله، وقال عطاء عن ابن عباس يريد ذكر أم أثى، واحد أم اثنين أم أكثر^(١) وقوله: ﴿وما تغيض الأرحام﴾ الغيض النقصان، ذكرنا ذلك عند قوله: ﴿وغيض الماء﴾ قال أكثر المفسرين: يعلم الوقت الذي تنقصه الأرحام من المدة التي هي تسعة أشهر^(٢) ﴿وما تزداد﴾ على ذلك، قال «الضحاك»^(٣) الغيض النقصان من الأجل والزيادة ما يزداد على الأجل وذلك أن النساء لا يلدن لأجل واحد وقوله: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ قال ابن عباس: علم كل شيء قدره تقديراً مما يكون قبل أن يكون، وكل ما هو كائن إلى يوم القيامة^(٤).

عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُمْ مَعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ آفَلًا مَرَدًّا لَهُمْ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ علم ما غاب عن جميع خلقه، وما شهد خلقه وعلموه ﴿الكبير﴾ بمعنى العظيم ومعناه يعود إلى كبر قدره واستحقاقه صفات العلو، وهو أكبر من كل كبير، لأن كل كبير يصغر بالإضافة إليه، وقوله ﴿المتعال﴾ قال الحسن: المتعالي عما يقول المشركون^(٥) وقوله ﴿سواء منكم من أسر القول﴾ أي أخفاه وكنمه ﴿ومن جهر به﴾ أعلنه وأظهره، قال مجاهد: السر والجهر عنده سواء^(٦) وقوله ﴿وسارب بالنهار﴾ الظاهر، يقال سربت الإبل تسرب سروراً، أي: مضت في الأرض ظاهرة حيث شاءت، قال «الزجاج»^(٧): معنى الآية الجاهر بنطقه، والمضمر في نفسه، والظاهر في الطرقات، والمستخفي في الظلمات علم الله فيهم جميعاً سواء، قوله: ﴿له معقبات﴾ المعقبات: المتناوبات التي يخلف كل واحد منها صاحبه، ويكون بدلاً منه وهم الملائكة الحفظة في قول عامة المفسرين^(٨)، قال شمر: هي الكائنات يأتي بعضها بعد ذهاب بعض^(٩)، قال «الزجاج»: المعقبات الملائكة يأتي بعضهم بعقب بعض^(١٠)، قال الفراء: المعقبات ذكر أن

(١) انظر تفسير البغوي (٨/٣) الرازي (١٣/١٩).

(٢) الطبري ١٦/٣٥٨ البغوي (٨/٣) الرازي (١٣/١٩).

(٣) الطبري ١٦/٣٦٣ (٢٠١٨٥) (٢٠١٨٦) (٢٠١٨٧) (٢٠١٨٨) وزاد المسير ٤/٣٠٨ انظر البغوي ٨/٣.

(٤) انظر تفسير البغوي ٨/٣ زاد المسير ٤/٣٠٨ الرازي ١٩/١٤.

(٥) انظر زاد المسير ٤/٣٠٩.

(٦) البغوي ٩/٣ زاد المسير ٤/٣٠٩ لفظ (سواء) يطلب اثنين سواء زيد وعمرو ثم فيه وجهان: الأول: أن سواء مصدر والمعنى: ذو سواء كما تقول: عدل زيد وعمرو. أي ذوا عدل. الثاني: أن يكون سواء بمعنى مستو، وعلى هذا التقدير فلا حاجة إلى الإضمار، إلا أن سبويه يستحب أن يقول مستو زيد وعمرو لأن أسماء الفاعلين إذا كانت نكرات لا يبدأ بها. ولقاتل أن يقول: بل هذا الوجه أولى لأن حمل الكلام عليه يعني عن التزام الإضمار الذي هو خلاف الأصل. وقال الأزهرى: تقول العرب سربت الإبل سروراً، أي مضت في الأرض ظاهرة حيث شاءت، فإذا عرفت ذلك فمعنى الآية سواء كان الإنسان مستخفياً في الظلمات أو كان ظاهراً في الطرقات، فعلم الله تعالى محيط بالكل. وقال مجاهد: سواء من يقدم على القبائح في ظلمات الليالي، ومن يأتي بها في النهار الظاهر على سبيل التوالي انظر الرازي (١٥/١٩) وأخرج مثله ابن جرير عن قتادة ١٦/٣٦٨.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٤١ الرازي ١٩/١٥.

(٨) الطبري ١٦/٣٦٩ البغوي ٩/٣ الرازي ١٦/١٨ ابن كثير ٤/٣٥٩ فتح القدير ٣/٧١.

(٩) انظر التهذيب للأزهري ١/٢٧٢.

(١٠) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٤٢.

جمع ملائكة معقبة، ثم جمعت معقبة معقبات، والذي يدل على التذكير قوله: ﴿يحفظونه من أمر الله﴾^(١) قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد: المعقبات الملائكة المحفظة^(٢) يدل على صحة هذا ما أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، أنا أبو عمرو بن مطر، نا أبو داود سليمان بن سلام، نا يحيى بن يحيى قال قتادة: قرأت على مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: «تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»^(٣) ومعنى الآية: لله ملائكة حفظة تتعاقب في النزول إلى الأرض من بين يدي الإنسان ومن خلفهم وقوله: ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ ذكر الفراء^(٤) في هذا قولين أحدهما: أنه على التقديم والتأخير، وتقديره: له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه. والثاني: أن هذا على إضمار أن ذلك الحفظ من أمر الله أي: مما أمر الله به، ونحو هذا قال الزجاج قال: المعنى حفظهم إياه من أمر الله، أي: مما أمرهم الله به، لا أنهم يقدر أن يدفعوا أمر الله^(٥) وقال ابن الأنباري^(٦): وفي هذا قول آخر وهو: أن ﴿من﴾ بمعنى الباء، والتأويل: يحفظونه بأمر الله، وهذا قول مجاهد، وعطاء والحسن وقتادة، قالوا يحفظونه بأمر الله^(٧) وقال السدي: يحفظونه من أمر الله إلى أمر الله، مما لم يقدر الله إلى ما قدر الله^(٨)، وقال كعب لولا أن الله وكل بهم ملائكة يذوبون عنكم، لتخطفتكم الجن^(٩) أخبرنا: أبو بكر التميمي، أنا أبو الشيخ الحافظ نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان نا زياد البكائي^(١٠) عن ليث عن مجاهد قال: ما من مسلم يتام إلا وكل الله به وكلا من الملائكة يحفظونه من الجن والهوام، فإذا أرادوه بشيء، قالوا: وراءك وراءك، إلا شيئاً قد قضى له أن يصيبه^(١١) أخبرني: محمد بن عبد العزيز المزوزي، أنا محمد بن الحسين الحدادي، أخبرهم أنا: محمد بن يزيد أن

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٦٢/٢.

(٢) الطبري ٣٧١/١٦ (٢٠٢١٢) (٢٠٢١٣) (٢٠٢١٤) وانظر تفسير ابن كثير ٣٥٩/٤ البغوي ٩/٣ والدر المنثور ٤٧/٤.

(٣) أخرجه البخاري ٣٣/٢ في مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر (٥٥٥) ومسلم ٤٣٩/١ في المساجد باب فضل صلاتي الصبح والعصر (٦٣٢/٢١٠) ومالك في الموطأ (١٧٠) وأحمد في المسند ٤٨٦/٢ وأبو عوانة ٣٨٧/١ وانظر تفسير زاد المسير ٣١١/٤ والقرطبي ٢١١/٣ ٢٩٣/٩ ٢٠٧/١٠ وابن كثير ٩٩/٥.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٦٠/٢.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ١٤٢/٣.

(٦) الرازي ١٧/١٨ فتح القدير ٦٩/٣ البغوي ٩/٣.

(٧) الطبري ٣٧٦/١٦ (٢٠٢٣٩) ابن كثير ٣٦١/٤ وذكره الشوكاني في الفتح ٧١/٣ وعزه لابن جرير الدر المنثور ٤٧/٤ البغوي ٩/٣.

(٨) الطبري ٣٧٥/١٦.

(٩) أخرجه الطبري ٣٧٨/١٦ (٢٠٢٤٦) زاد المسير ٣١٢/٤ وابن كثير ٣٦١/٤ البغوي ٩/٣.

(١٠) زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي الكوفي صاحب ابن إسحاق. حدث عن منصور، وعبد الملك بن عمير، والكيار وعنه أحمد، والفلاس، والحسن بن عرفة، وخلق. قال أحمد: حديثه حديث أهل الصدق وقال ابن معين: لا بأس به في المغازي، وأما في غيرها فلا. وقال ابن المديني: ضعيف، كتبت عنه وتركتة وقال أبو حاتم: لا يحتج به وقال أبو زرعة: صدوق. وقد روى له البخاري حديثاً واحداً مقروناً بآخر وقال النسائي: ضعيف وقال مرة: ليس بالقوي. وقال ابن سعد: كان عندهم ضعيفاً، وقد روى عنه قال عبد الله بن إدريس: ما أحد أثبت في ابن إسحاق من زياد البكائي لأنه أملى عليه إملأ مرتين وقال صالح جزرة: هو في نفسه ضعيف، لكن هو من أثبتهم في المغازي. انظر ميزان الاعتدال (٩١/٢).

(١١) أخرجه الطبري ٣٧٧/١٦ (٢٠٢٤٥) زاد المسير ٣١٢/٤ البغوي ٩/٣.

إسحاق بن إبراهيم أنا النصر بن شميل نا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن أبي جندب^(١)، قال كنا جلوساً عند سعيد بن قيس بصفين فأقبل علي رضي الله عنه، متوكئاً على عنزة له، بعدما اختلط الظلام، فقال سعيد: يا أمير المؤمنين قال: نعم، قال: أما تخاف أن يغتالك أحد؟ قال: إنه ليس من أحد إلا ومعه من الله حفظة من أن يتردى في بئر، أو يخر من جبل، أو يصيبه حجر، أو تصيبه دابة، فإذا جاء القدر خلوا بينه وبين القدر^(٢) وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَهُ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾ أي لا يسلب قوماً نعمة، حتى يعملوا معصية قال ابن عباس: يريد العذر فيما بينه وبين خلقه، ويعني بهذا أهل مكة^(٣) ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ آفٍ عَذَابًا﴾ فلا مرد له ﴿قال عطاء: يريد: لا أراد العذاب ولا ناقض لحكمي^(٤)﴾ ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْوَالِدِ﴾ يلي أمرهم ويمنع العذاب عنهم.

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسْجِحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُ مِنَ خَيْفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَهُ وَمَا هُوَ بِبَلِّغُهُ وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَمْتَهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْأَصَالِ ﴿١٥﴾

قوله: ﴿هو الذي يريكم البرق خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال قتادة: خوفًا للمسافر، وطمعاً للمقيم^(٥) قال الزجاج الخوف للمسافر لما يتأذى به من المطر والطمع للحاضر لأنه إذا رأى البرق طمع في المطر الذي هو سبب الخصب^(٦) ﴿وينشئ﴾ يخلق ﴿السحاب الثقيل﴾ بالماء ﴿ويسبح الرعد بحمده﴾ قال ابن عباس سألت اليهود رسول الله ﷺ، فقالوا: أخبرنا عن الرعد ما هو؟ فقال: الرعد ملك من ملائكة الله عز وجل، موكل بالسحاب، معه مخاريق، يسوق بها السحاب حيث يشاء الله قالوا: فما الصوت الذي يسمع؟ قال: «زجره بالسحاب إذا زجر، حتى ينتهي إلى حيث ما أمر»^(٧) وقال مجاهد: الرعد صوت ملك يسبح^(٨)، وكان عبد الله بن الزبير جالساً يحدث أصحابه، فسمع صوت الرعد، فترك الحديث وقال: سبحان من سبحت له، وقال: إن هذا وعيد لأهل الأرض شديد^(٩)، وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن ربكم تبارك وتعالى يقول: لو أن عبادي أطاعوني، لأسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس

(١) عمرو بن أبي جندب يقال إنه أبو عطية الوادعي والصحيح أنه غيره التقريب ٦٧/٢ التهذيب ١٣/٨.

(٢) الطبري ٣٨٧/١٦ (٢٠٢٤٧) زاد المسير ٣١٢/٤.

(٣) زاد المسير ٣١٢/٤.

(٤) انظر تفسير الطبري ٣٨٦/١٦.

(٥) الطبري ٣٨٧/١٦ (٢٠٢٥٢) والبيهقي ١٠/٣ ابن كثير ٣٦٢/٤ وذكره الشوكاني في الفتح ٧٦/٣ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ١٤٢/٣.

(٧) أخرجه الترمذي في السنن ٢٧٤/٥ في كتاب التفسير سورة الرعد باب (١٤) (٣١١٧) وقال حسن غريب وأحمد في المسند ٢٧٤/١.

(٨) البيهقي ١١/٣ الرازي ٢١/١٨.

(٩) أخرجه الطبري ٣٨٩/١٦ عن علي (٢٠٢٦١) وعن ابن عباس (٢٠٢٦٢) وعن الأسود بن يزيد (٢٠٢٦٣) والبخاري في الأدب المفرد رقم (٧٢٢) وعن طاوس عند الطبري (٢٠٢٦٤) وانظر الدر المنثور ٥١/٤ وأخرجه مالك في الموطأ ٢٩٢/٢ في كتاب الكلام باب القول إذا سمعت الرعد.

بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد (١) وقوله: ﴿والملائكة من خيفته﴾ يعني ويسبح الملائكة من خيفة الله وخشيته، قال ابن عباس إنهم خائفون من الله وليس كخوف ابن آدم، لا يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره (٢) لا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء، وقوله: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ قال المفسرون: نزلت في أريد (٣) وعامر بن الطفيل، أتيا النبي ﷺ يخاصمانه، ويريدان الفتك به، فقال النبي ﷺ: «اللهم اكفنيهما بما شئت» فأرسل الله عز وجل صاعقة على أريد في يوم صائف صاح فأحرقته، وولى عامر هارباً (٤) وقوله: ﴿وهم يجادلون في الله﴾ قال «ابن عباس» يكذبون بعظمة الله (٥) ﴿وهو شديد المحال﴾ قال «مجاهد والسدي» المحال القوة (٦) أي: شديد القوة وقال الزجاج: يقال: ماحلته محالاً إذا قاوته حتى يتبين أيكما أشد، والمحل في اللغة الشدة (٧) قوله: ﴿له دعوة الحق﴾ المراد بدعوة الحق ههنا كلمة التوحيد والإخلاص والمعنى: لله من خلقه الدعوة الحق، وأضيفت الدعوة إلى الحق لاختلاف اللفظين.

أخبرنا: الأستاذ أبو منصور البغدادي أننا أبو الحسن السراج نا محمد بن عبد الله الحضرمي نا محمد بن عبد الله بن نصير نا يحيى بن اليمان، عن سفيان عن سلمة بن كهيل (٨) عن عباية بن ربيعي، عن علي: له دعوة الحق

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣٥٩/٢ وأخرجه الحاكم في المستدرک وصححه ٣٤٩/٢ وتعقبه الذهبي بقوله صدقة وأه فأخرجه البغوي في التفسير ٣٦٤/٤.

(٢) البغوي ١١/٣.

(٣) أريد بن شريح بن بجير، من ذبيان شاعر، من الأشراف الشجعان في الجاهلية، وأحد فرسانها المشهورين. انظر الاعلام (٢٨٦/١).

(٤) أخرجه الطبري ٣٩٢/١٦ (٢٠٢٧٢) وذكره الهيثمي في المجمع ٤١/٧ وعزاه للطبراني في الكبير والأوسط وقال وفي إسنادها عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف والبغوي في التفسير ١١/٣.

(٥) يعني هؤلاء الكفار مع ظهور هذه الدلائل يجادلون في الله وهو يحتمل وجوهاً: أحدها: أن يكون المراد الرد على الكافر الذي قال: أخبرنا عن ربنا أمن نحاس أم من حديد. وثانها: أن يكون المراد الرد على جدالهم في إنكار البعث وإبطال الحشر والنشر. وثالثها: أن يكون المراد الرد عليهم في طلب سائر المعجزات. ورابعها: أن يكون المراد الرد عليهم في استنزاع عذاب الاستئصال. وفي هذه الواو قولان: الأول أنها للحال، والمعنى: فيصيب بالصاعقة من يشاء في حال جداله في الله، وذلك أن أريد لما جادل في الله أحرقته الصاعقة. والثاني: أنها واو الاستئصال كأنه تعالى لما تمم ذكر هذه الدلائل قال بعد ذلك (وهم يجادلون في الله) انظر الرازي (٢٣، ٢٢/١٩).

(٦) البغوي ١١/٢ وأخرجه الطبري عن قتادة وابن زيد ٣٩٦/١٦ (٢٠٢٧٥) (٢٠٢٧٩).

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ١٤٣/٣.

(٨) سلمة بن كهيل بن حصين الحضرمي التنعي أبو يحيى الكوفي قال يحيى بن سلمة بن كهيل: ولد أبي سلمة سنة سبع وأربعين ومات يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين ومائة وكذا قال غير واحد وقال ابن سعد وغيره مات سنة (٢٢) وقال محمد بن عبد الله الحضرمي وهارون بن حاتم مات سنة (١٢٣) قال ابن المديني في العلل لم يلق سلمة أحداً من الصحابة إلا جندباً وأبا حنيفة وقال الوليد ابن حرب عن سلمة: سمعت جندباً ولم أسمع أحداً غيره، يقول: قال النبي ﷺ. وذكره ابن حبان في الثقات وقال الأجرى قلت لأبي داود أيما أحب إليك حبيب بن أبي ثابت أو سلمة. فقال سلمة، قال أبو داود: كان سلمة يتشيع وقال عبيد بن جناد عن عطاء الخفاف: أتى سلمة بن كهيل زيد بن علي بن الحسين لما خرج فنهاه عن الخروج وحذره من غدر أهل الكوفة فأبى، فقال له: فتأذن لي أن أخرج من البلد فقال لهما؟ قال: لا أمن أن يحدث لك حدث فلا أمن على نفسي قال فأذن له فخرج إلى اليمامة. وقال النسائي هو أثبت من الشيباني.

قال : لا إله إلا الله . وهذا قول ابن عباس وقتادة^(١) ، وقال الحسن : الله الحق ، فمن دعاه دعا الحق^(٢) وقوله : ﴿والذين يدعون من دونه﴾ يعني الأصنام يدعونها المشركون من دون الله ﴿لا يستجيبون لهم بشيء إلا كياسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه﴾ قال الزجاج «إلا كما يستجاب للذي ييسط كفيه إلى الماء يدعو الماء إلى فيه والماء لا يستجيب^(٣)» أعلم الله أن دعاءهم الأصنام كدعاء العطشان الماء إلى بلوغ فمه ﴿وما هو ببالغه﴾ وما الماء ببالغ فاه بدعوته إياه قال الكلبي : كما يدعه إلى الماء من مكان بعيد فلا يبلغه ولا يبلغ الماء فاه^(٤) وقال عطاء : كالرجل العطشان الجالس على شفير البئر ، يمد يده إلى البئر ، فلا يبلغ قعر البئر ، والماء لا يرتفع إلى يده^(٥) قوله : ﴿ما دعاء الكافرين﴾ قال «ابن عباس» : يريد عبادة الكافرين الأصنام^(٦) ﴿إلا في ضلال﴾ بطلان وزوال قوله : ﴿والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً﴾ يعني الملائكة ، والمؤمنين ﴿وكرهاً﴾ يعني : من أكره على السجود من الكافرين والمنافقين هذا قول المفسرين^(٧) وقال أهل المعاني : سجد الكاره تذلل وانقياده لما يريد الله منه ، من عاقبة ومرض وغنى وفقر وحياة وموت ، فالكافر في حكم الساجد لله من هذا الوجه^(٨) ومعنى السجود في اللغة التذلل والخضوع ، وهذا كقوله : ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ وقوله : ﴿وظلالهم بالغدو﴾ والآصال قال المفسرون^(٩) : كل شخص مؤمن أو كافر فإن ظله يسجد لله تعالى قال مجاهد : ظل المؤمن يسجد طوعاً وهو طائع وظل الكافر يسجد طوعاً وهو كاره^(١٠) وقال أهل المعاني^(١١) : سجد الظلال تمايلها من جانب إلى جانب ، وانقيادها للتسخير بالطول والقصر .

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾

قوله : ﴿قل من رب السموات والأرض قل الله﴾ السؤال والجواب ، جاء من جهة واحدة لأن المشركين لا ينكرون أن الله خالق السموات والأرض والمخلوقات كلها ، كقوله : ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾^(١٢) فإذا أجاب النبي ﷺ بقوله :

- (١) الطبري ٣٨٩/١٦ ، (٢٠٢٨٠) ، (٢٠٢٨١) ، (٢٠٢٨٤) عن ابن عباس وعن قتادة (٢٠٢٨٣) عن ابن زيد (٢٠٢٨٥) والبخاري عن ابن عباس ١٢/٣ والرازي ٢٣/١٩ وابن كثير ٤/٣٦٧ .
(٢) الرازي ٢٣/١٩ زاد المسير ٤/٣١٧ .
(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٤٤ .
(٤) الطبري ٤٠٢/١٦ عن ابن عباس (٢٠٢٩٤) .
(٥) البخاري ١٢/٣ وانظر فتح القدير ٣/٧٧ .
(٦) الطبري ٤٠٣/١٦ البخاري ١٢/١١ .
(٧) الطبري ٤٠٣/١٦ الرازي ٢٥٠٢٤/١٩ البخاري ١٢/٣ .
(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٦٢ وتاويل مشكل القرآن ١/٢٣١ .
(٩) البخاري ١٢/٣ .
(١٠) تفسير الطبري ٤٠٤/١٦ (٢٠٣٠٢) والبخاري ١٢/٣ .
(١١) الرازي ٢٥/١٩ فتح القدير ٢/٧٣ .
(١٢) سورة الزخرف (٨٧) .

الله، لم ينكروا ويصبروا كأنهم قالوا ذلك، ثم ألزهم الحجة، فقال: ﴿قل أفأخذتم من دونه أولياء﴾ قال ابن عباس: توليتم غير رب السماء والأرض أصناماً^(١) لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فكيف لغيرهم؟ ثم ضرب مثلا للذي يعبد الأصنام، وللذي يعبد الله، فقال: ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾ يعني المشرك والمؤمن ﴿أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ يعني: الشرك والإيمان، وقوله: ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه﴾ قال ابن الأنباري^(٢): معناه أ جعلوا لله شركاء خلقوا مثل ما خلق الله فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم؟ وهذا استفهام إنكار، أي: ليس الأمر على هذا، حتى يشبه الأمر، بل إذا فكروا بعقولهم، وجدوا الله هو المنفرد بالخلق وسائر الشركاء لا يخلقون خلقا يتشابه بخلق الله، وقوله: ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ قال الزجاج: قل ذلك وبينه بما أخبرت به من الدلالة في هذه السورة مما يدل على أنه خالق كل شيء^(٣) والمعنى: أنه خالق كل شيء مما يصح أن يكون مخلوقا، ألا ترى أنه هو شيء وهو غير مخلوق؟ قوله: ﴿أنزل من السماء ماء﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد قرآنا وهو مثل ضربه الله تعالى^(٤) ﴿فسالت أودية بقدرها﴾ أودية جمع واد وهو كل منفرج بين جبلين، يجتمع إليه ماء المطر فيسيل، والقدر مبلغ الشيء والمعنى: بقدرها من الماء، فإن صغر الوادي قل الماء، وإن اتسع كثر، قال ابن الأنباري^(٥): شبه نزول القرآن الجامع للهدى والبيان بنزول المطر إذ نفع نزول القرآن يعم كعموم نفع نزول المطر وشبه الأودية بالقلوب، إذ الأودية يستكن فيها الماء كما يستكن الإيمان والقرآن في قلوب المؤمنين وقوله ﴿فاحتمل السيل زبدا رابيا﴾ طافيا عاليا فوق الماء^(٦) قال ابن عباس^(٧) هو الشك والكفر، ثم ضرب مثلا آخر فقال: ﴿ومما يوقدون عليه في النار﴾ يعني: ما يذاب من الجواهر فيدخل النار ويوقد عليها ﴿ابتغاء حلية﴾ يعني الذهب والفضة ﴿أو متاع﴾ يعني الحديد والصفرة والنحاس والرصاص تتخذ منها الأواني، والأشياء التي ينتفع بها، وقوله: ﴿زيد مثله﴾ أي: زيد مثل زيد الماء الذي يحمله السيل ﴿كذلك﴾ كما ذكر من هذه الأشياء ﴿يضرب الله﴾ مثل الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاءً والجفاء: ما جافاه الوادي أي رمى به، قال الفراء: الجفاء الرمي، يقال: جفا الوادي غثاء جفاء إذا رما والجفاء بمنزلة الغثاء وهذان مثلان ضربهما الله للحق والباطل، يقول: الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال وعلاه فإن الله سيمحقه ويبطله، ويجعل العاقبة للحق، وأهله كالزيد الذي يعلو الماء فيلقيه الماء ويضمحل وكخبث هذه الجواهر يقذفه الكبر، وهذا مثل الباطل وأما الماء الذي ينفع الناس وينبت المرعى فيمكث في الأرض وكذلك الصفو من الجواهر يبقى خالصا لا شوب فيه وهو مثل الحق^(٨) قال الزجاج^(٩): فمثل المؤمن واعتقاده ونفع الإيمان كمثل هذا الماء المستنفع به من نبات الأرض وحياة كل شيء وكمثل نفع الفضة والذهب وسائر الجواهر

(١) انظر تفسير البغوي ١٣/٣.

(٢) زاد المسير ٤/٣٢٠ فتح القدير ٣/٧٤.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٤٤، فتح القدير ٣/٧٤.

(٤) الطبري ١٦/٤١٠ (٢٠٣١١)، ابن كثير ٤/٣٦٩ البغوي ١٣/٣.

(٥) انظر البحر المحيط ٥/٣٨٠ وفتح القدير ٣/٧٥.

(٦) قال الفراء: يقال أزيد الوادي لإزياداً، والزيد الاسم وقوله رابيا قال الزجاج: طافيا عالياً فوق الماء. وقال غيره: زائداً بسبب انتفاخه، يقال: ربا يربو إذا زاد. والمراد من هذا تشبيه الكفر بالزيد الذي يعلو الماء. فإنه يضمحل ويعلق بجنبات الوادي وتدفعه الرياح. فكذلك يذهب الكفر ويضمحل.

(٧) انظر تفسير البغوي ١٣/٣.

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٦٢/٢ الرازي ١٩/٣٠.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٤٥.

لأنها كلها تبقى منتفعا بها، ومثل الكافر وكفره، كمثل هذا الزبد الذي يذهب جفاء وكمثل خبث الحديد وما يخرج منه الناس من وسخ الفضة والذهب الذي لا ينتفع به، قوله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي: أجابوه إلى ما دعاهم إليه من توحيدهِ وشريعته ﴿الْحَسَنَى﴾ الجنة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ إلى قوله ﴿لَا تَقْتُلُوا﴾ أي لجعلوه فداء أنفسهم من العذاب، وقوله ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ قال «المفسرون» هو ألا يقبل منهم حسنة، ولا يتجاوز عن سيئة^(١).

أخبرنا: نصر بن بكر بن أحمد بن الحسين، أنا أبو سعيد عبد الله بن محمد الصوفي أنا محمد بن أيوب، أنا موسى بن إسماعيل، نا حماد بن سلمة عن فرقد السخبي^(٢)، قال: قال لي إبراهيم النخعي: يا فرقد، أتدري ما سوء الحساب؟ قال قلت: لا. قال هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله، لا يغفر له منه شيء^(٣).

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَنْذِرُ الَّذِينَ أُؤَلُّوا الْأَلْبَابِ ۚ﴾ ١٩ ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۚ﴾ ٢٠ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۚ﴾ ٢١ ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۚ﴾ ٢٢ ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۚ﴾ ٢٣ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۚ﴾ ٢٤ ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۚ﴾ ٢٥ ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ۚ﴾ ٢٦

قوله: ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾ قال ابن عباس: نزلت في حمزة وأبي جهل^(٤) يعني: أن أبا جهل أعمى القلب، لا يهتدي إلى طريق الرشد ﴿إنما يتذكر﴾ يتعظ ويتذكر ما رغب فيه من الجنة ﴿أولو الألباب﴾ قال ابن عباس: يريد المهاجرين والأنصار^(٥) ثم وصفهم فقال: ﴿الذين يؤفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾ قال: يريد الذين عاهدهم عليه في صلح آدم ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ يعني: الأرحام، وقال «ابن عباس» يعني الإيمان بجميع الرسل^(٦) وهو أن يصل بينهم بالإيمان بالجميع، كما أخبر عن المؤمنين في قولهم: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾

(١) الطبري ١٦/٤١٧ البغوي ٣/١٤ الرازي ٢٠/٣١ وانظر الدر المنثور ٤/٥٦.

(٢) فرقد بن يعقوب السخبي أبو يعقوب البصري من سبخة البصرة، وقيل من سبخة الكوفة وقال الجوزجاني عن أحمد: يروي عن مرة منكراة وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: ليس بذلك وقال عثمان الدارمي عن ابن معين: ثقة وقال البخاري في حديثه: مناكير وقال الترمذي تكلم فيه يحيى بن سعيد وروى عنه الناس؛ وقال النسائي: ليس بثقة وقال يعقوب بن شيبة: رجل صالح ضعيف الحديث جداً. وقال أبو حاتم: ليس بقوي في الحديث وكان حاكماً. وقال ابن عدي: كان يعد من صالح أهل البصرة وليس هو كثير الحديث. وقال ابن سعد: مات بالطاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة، بقية كلام ابن سعد وكان ضعيفاً منكر الحديث، وقال العجلي: بصري لا بأس به رجل صالح. انظر تهذيب التهذيب (٨/٢٦٢).

(٣) الطبري ١٦/٤١٧ (٢٠٣٢٨) (٢٠٣٣٤) والبغوي ٣/١٤ وانظر الدر المنثور ٤/٥٦.

(٤) البغوي ٣/١٤ البحر المحيط ٥/٣٨٤

(٥) والعبرة بعموم اللفظ فالمراد أنه لا ينتفع بهذه الأمثلة إلا أرباب الألباب الذين يطلبون من كل صورة معناها، ويأخذون من كل قشرة لبابها ويعيرون بظاهر كل حديث إلى سره ولبابه. انظر الرازي (١٩/٣٢).

(٦) البغوي ٣/١٤ الرازي ١٨/٣٤ والأكثرون على أنه أراد به صلة الرحم والإحسان إليهم وإلى الفقراء والمحاويج وبذل المعروف.

﴿والذين صبروا﴾ أي: على دينهم، وما أمروا به من الطاعة ﴿ابتغاء وجه ربهم﴾ طلب تعظيم الله، وقوله: ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾ قال ابن عباس: يدفعون بالعمل الصالح الشر من العمل^(١)، كما روي أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: «إذا عملت سيئة فاعمل بجانبها حسنة تمحها»^(٢) وقال ابن كيسان^(٣): هو أنهم كلما أذنبوا تابوا، ليدفعوا بالتوبة معرة الذنب ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ قال ابن عباس: يريد عقابهم الجنة^(٤)، أي: تصير الجنة لهم آخر أمرهم ثم بين ذلك فقال: ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ءابائهم﴾ قال ابن عباس: ومن صدق بما صدقوا به^(٥) وقال مجاهد^(٦): ومن آمن منهم وذلك أن الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله من إلحاقهم به في الجنة كرامة له كما قال: ﴿الحقنا بهم ذريتهم﴾^(٧) ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ قال ابن عباس: بالتحية من الله والتحفة والهدايا^(٨) ويقولون: ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾ أي: سلمكم الله من أهوال القيامة وشرها بصبركم في الدنيا على طاعته ﴿فنعم عقبى الدار﴾ ما أتم فيه من الكرامة أي: نعم عقبى الدار التي عملتم فيها ما أعقبكم هذه الكرامة، قوله ﴿والذين يتقضون عهد الله﴾ مفسر إلى آخر الآية فيما سبق^(٩). ﴿الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يضيق ويقتز، كقوله: ﴿ومن قدر عليه رزقه﴾^(١٠) ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ قال ابن عباس: يريد مشركي مكة فرحوا بما نالوا من الدنيا، فطغوا وكذبوا الرسول^(١١) ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة﴾ أي: بالقياس إليها ﴿إلا متاع﴾ أي: قليل ذاهب، كالشيء الذي يتمتع به ثم يفنى.

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا اللَّهُ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنَاصِبُ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ٢٨ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجَبَ ٢٩ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوا عَلَيْهِم
 الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ٣٠
 وَلَوْ أَن قُرْءَانَا سُرَّتْ بِهِ أَلْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِسَّ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ
 تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ٣١ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَخْذُتْهُمْ فِكْرُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ٣٢ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ

(١) الطبري ٤٢٢/١٦ عن ابن زيد (٢٠٣٣٧) وأخرجه البغوي عن ابن عباس ١٦/٣ وانظر تفسير ابن كثير ٣٧٢/٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١٦٩/٥ وسعيد بن منصور في السنن ٦٤/٣ وأبو نعيم في الحلية ٤/٢١٧، ٥٢١٨ والبغوي في التفسير ١٦/٣ ذكره الهشمي في المجمع ٨١/١٠ وعزاه لأحمد وقال رجاله ثقات إلا أن شمر بن عطية حدث به عن أشياخه ولم يسم أحدا منهم وذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/٤٠٦ وفي الدر المنثور ٣/٣٥٤ وابن الشجري ١/٢٥ وابن كثير ٤/٢٨٩.

(٣) البغوي ١٦/٣.

(٤) انظر فتح القدير ٣/٧٩.

(٥) البغوي ١٦/٣ وانظر الطبري ٤٢٢/١٦.

(٦) انظر تفسير سورة البقرة رقم (٧٢).

(٧) الرازي ٣٦/١٩.

(٨) سورة الطلاق (٧).

(٩) أخرجه الطبري في التفسير ١٦/٤٢٤ (٢٠٣٤١) وانظر فتح القدير ٢/٨٠.

(١٠) انظر البغوي ١٣/١٧.

(١١) سورة الطور (٢١).

شُرَكَاءَ قُلُوبِهِمْ أَمْ تَتَّبِعُونَ مَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ
وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ هُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ
وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ۖ ﴿٣٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ
وَوَظْلُهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ۖ ﴿٣٥﴾

قوله ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ نزلت في أهل مكة حين طالبوا رسول الله ﷺ بالآيات
﴿قل إن الله يضل من يشاء﴾ قال ابن عباس: «يريد عن دينه»^(١) يعني كما أضلكم بعدما أنزل من الآيات
وحرملك الاستدلال بها ﴿ويهدي إليه من أناب﴾ رجع إلى الحق وإنما يرجع إلى الحق من يشاء الله فكأنه
قال: ويهدي إليه من يشاء، كما قال في آيات: ﴿ويهدي من يشاء﴾^(٢) قوله: ﴿الذين آمنوا﴾ بدل من قوله:
﴿من أناب﴾ المعنى: يهدي إليه الذين آمنوا ﴿وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ إذا سمعوا ذكر الله أحبوه، واستأنسوا به،
وقال الزجاج: أي إذا ذكر الله وحده آمنوا به غير شاكين^(٣) بخلاف من وصف بقوله: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت
قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾^(٤) وقوله: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ يعني: قلوب المؤمنين، لأن الكافر غير
مطمئن القلب ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم﴾ أكثر المفسرين على أن طوبى اسم شجرة في الجنة وهو
قول أبي هريرة ومغيث بن سمي^(٥) وشهر بن حوشب ومجاهد ومقاتل وابن عباس في رواية الكلبي وعطاء^(٦) وروي
ذلك عن رسول الله ﷺ.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الأصفهاني نا عبد الله بن محمد بن حيان نا محمد بن حمزة بن عمارة نا
جعفر بن عنبسة^(٧) حدثني أبي عنبسة بن عمرو^(٨) عن إسماعيل بن أبي زياد السكوني^(٩) عن جوير عن الضحاك عن
ابن عباس قال: سئل رسول الله ﷺ عن قول الله في كتابه ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم﴾ فقال: «أما
طوبى، فشجرة في الجنة، ليست دار من دور الجنة إلا وفيها غصن من أغصانها، لو أن طائراً طار في غصن من
أغصانها لقتله الهرم قبل أن يبلغ فرعه، ولو أن رجلاً عمر أعمار الأولين ركب حقة^(١٠) أو جذعة^(١١)، ثم طاف بساقها،

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ١٤٧/٣.

(١) انظر البغوي ١٧/٣.

(٤) سورة الزمر (٤٥).

(٢) سورة يونس (٢٥) سورة النحل (٩٣) سورة فاطر (٨).

(٥) مغيث بن سمي الأوزاعي أبو أيوب الشامي. روى عن عمر بن الخطاب وأبي مسعود وأبي هريرة وابن الزبير وكعب الأجبارة وغيرهم، وقال يعقوب بن سفيان: شامي ثقة، وقال الأجرى عن أبي داود: ثقة، وقال الوليد عن أبي بكر بن سعيد عن مغيث بن سمي: لقيت زهاء ألف من الصحابة وذكره ابن حبان في الثقات انظر التهذيب (٢٥٥/١٠).

(٦) انظر تفسير الطبري ٤٣٦/١٦ البغوي وابن كثير ٣٧٦/٤ الرازي ٤٠/١٩ فتح القدير ٨٢/٢.

(٧) جعفر بن عنبسة بن عمرو الكوفي وثقه الطوسي انظر لسان الميزان ١٢٠/٢.

(٨) عنبسة بن أبي عمرو. تابعي مجهول انظر ميزان الاعتدال (٣٠٢/٣).

(٩) إسماعيل بن زياد ويقال ابن أبي زياد السكوني قاضي الموصل. روى عن ابن جريج وشعبة والثوري وثور بن يزيد وغيرهم، قال الخطيب: أنا البرقاني قال سألت الدارقطني عن إسماعيل بن أبي زياد، فقال هو السكوني متروك يضع الحديث، التهذيب (٢٨٩/١).

(١٠) والحقة من الإبل هي التي دخلت في السنة الرابعة النهاية في غريب الحديث (٤١٥/١).

(١١) وهي التي استكملت أربع سنين ودخلت في السنة الخامسة النهاية (٢٥١/١).

لقتله الهرم قبل أن يبلغ الموضع الذي ابتداء منه، ليس منها ورقة إلا تظل أمة من الأمم، وليس منها ورقة إلا عليها ملك يذكر الله ويسبحه، وليس منها ورقة لو جمع الشمس والقمر إلا طمست ضوءهما، منها كسوة أهل الجنة وحليهم ورقها حلل، وأغصانها حلى، ووحلها المسك والعنبر، وترابها الورد^(١) والزعفران وحصابؤها الدر والياقوت، وهي مجلس أهل الجنة ومتحدثهم^(٢).

أخبرنا أبو عمرو ومحمد بن عبد العزيز في كتابه أنا محمد بن الحسين الحدادي أنا محمد بن يزيد أنا إسحاق بن إبراهيم أنا عبد الرزاق أنا معمر عن أشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: «طوبى شجرة في الجنة يقول الله لها: تفتقي لعبدي عما يشاء فتفتق له عن الخيل بسروجها ولجمها وعن الإبل برحالها وأزمتها، وعما شاء من الكسوة»^(٣).

وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: طوبى اسم الجنة بالحبشة^(٤) هو قول مجاهد في رواية شبل قال «طوبى اسم الجنة»^(٥) وقال أبو عبيدة والزجاج وأهل اللغة: «طوبى فعلى من الطيب» قال ابن الأنباري: «تأويلها: الحال المستطابة»^(٦) لهم. وقوله: «كذلك أرسلناك» أي: أرسلناك كما أرسلنا الأنبياء قبلك «في أمة قد خلت من قبلها أمم» قال ابن عباس: «في قرون قد مضت من قبلها قرون» «لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك» يعني القرآن. «وهم يكفرون بالرحمن» وذلك أن رسول الله ﷺ كان في الحجر يدعو، وأبو جهل يستمع إليه وهو يقول: يا رحمن، فلما سمع يذكر الرحمن ولي مدبراً إلى المشركين وقال لهم: إن محمداً كان ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين يدعو الله ويدعو إلهاً آخر يقال له الرحمن، فأنزل الله هذه الآية^(٧).

وقوله: «قل هو ربي» أي: قل لهم: إن الرحمن الذي أنكرتم معرفته هو إلهي وسيدي «لا إله إلا هو» قوله «ولو أن قرآنًا» الآية، قالت قریش للنبي ﷺ: إن كنت كما تقول: فادع الله يسير عنا هذه الجبال، فإن أرضنا ضيقة، واجعل لنا فيها عيوناً وأنهاراً، حتى نغرس ونزرع، وابعث لنا آباءنا من الموتى حتى يكلمونا، ويخبرونا أنك نبي، فأنزل الله: «ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال» أي: جعلت تسير «أو قطعت به الأرض» أي: شققت، فجعلت أنهاراً وعيوناً «أو كلم به الموتى» أي: أحيوا حتى كلموا، وجواب لو محذوف قال الفراء^(٨): «تقديره: لكان هذا القرآن والمعنى: لو أن قرآنًا فعل به ما التمسوا لكان هذا القرآن» وقال الزجاج: «جوابه لما آمنوا»^(٩) وهو قول ابن عباس قال: يريد لو قضيت ألا يقرأ القرآن على الجبال إلا سارت ولا على الأرض إلا تحرقت ولا على الموتى إلا أحيوا

(١) نبت أصفر يصغ به النهاية في غريب الحديث ١٧٣/٥.

(٢) ذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ٣٨٠/٤ وقال هذا سياق غريب وأثر عجيب وأرى أنه لا يصح البتة. وإن كان لبعض سياقه شواهد صحيحة.

(٣) في إسناده محمد بن يزيد وضاع وقد تقدم الكلام عليه وذكره الطبري في التفسير ٤٣٨/١٦ (٢٠٣٨٤) (٢٠٣٨٦) وذكره البيهقي في الدر ٥٩/٤ وذكره ابن كثير في التفسير نقلاً عن ابن جرير ٣٧٨/٤.

(٤) أخرجه الطبري ٤٣٦/١٦ (٢٠٣٧٥) وانظر الدر المنثور ٥٩/٤.

(٥) الطبري ٤٣٧/١٦ (٢٠٣٧٩).

(٦) انظر التهذيب ٩٣/١٤ وانظر تفسير الرازي ٤٠/١٩ فتح القدير ٨١/٣.

(٧) البيهقي ١٩/٢.

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٥٧/٢.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٤٨/٣.

وتكلموا، ما آمنوا لما سبق عليهم في علمي، ونظير هذه الآية قوله: ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾ إلى قوله ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾^(١) ﴿بل الله الأمر جميعاً﴾ يقول: دع ذلك الذي قالوا من تسيير الجبال وغيره، فالأمر لله جميعاً، لو شاء أن يؤمنوا لآمنوا وإذا لم يشأ لا ينفع تسيير الجبال وما اقترحوا من الآيات، ثم أكد هذا المعنى بقوله: ﴿أفلم يئس الذين آمنوا أن لو شاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ قال ابن عباس: «أفلم يعلم»^(٢) وقال الكلبي: «يئس يعلم في لغة النخع»^(٣) وهذا قول مجاهد والحسن وقتادة^(٤) وقوله: ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾ أي: بما صنعوا من كفرهم، وأعمالهم الخبيثة داهية تفرعهم، ومصيبة شديدة من الأسر والقتل والحرب والجذب، وقال مجاهد وأبو سعيد الخدري: هي سرايا التي كان يبعثها رسول الله ﷺ إليهم^(٥) ﴿أو تحل﴾ تنزل أنت يا محمد قريباً من دارهم ﴿حتى يأتي وعد الله﴾ يعني فتح مكة، وعده الله أن يفتحها له ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ ثم عزى رسول الله ﷺ فقال: ﴿ولقد استهزىء برسلك من قبلك فأملت للذين كفروا﴾ أطلت لهم المدة بتأخير العقوبة، ﴿ثم أخذتهم فكيف كان عقاب﴾ قال ابن عباس: «يريد كيف رأيت ما صنعت بهم، كذلك أصنع بمشركي»^(٦) قوله: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ قال ابن عباس^(٧): «كذلك أمتنع يريد نفسه تبارك وتعالى» ومعنى القيام ها هنا التولي لأمر خلقه، والتدبير للأرزاق والأجال، وإحصاء الأعمال للجزاء، كقوله: ﴿قائماً بالقسط»^(٨) أي: والياً لذلك، والمعنى ها هنا: أفمن هو قائم بالتدبير على كل نفس بجزاء ما كسبت، وتلخيصه: أفمن هو مجاز كل نفس بما كسبت، كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر؟ ويدل على هذا المحذوف قوله: ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ قال الفراء:

(١) سورة الأنعام (١١١).

(٢) الطبري ٤٥٠/١٦، ٤٥٢ الرازي ٤٣/١٩.

(٣) قال أبو جعفر: فكان بعض أهل البصرة يزعم أن معناه: ألم يعلم ويتبين ويستشهد لقوله ذلك بيت سحيم بن وثيل الرياحي:

أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ألم تئاسوا أني ابن قارس زهدم

ويروي «يسرونني» فمن رواه (يسرونني) فإنه أراد: يقتسموني من الميسر كما يقسم الجذور ومن رواه: (يأسرونني) فإنه أراد الأسر. وقال عني بقوله: ألم تئاسوا ألم تعلموا وأنشدوا أيضاً في ذلك:

ألم تئاس الأثوم أني أنا أبنة وإن كنت عن أرض العشييرة نائياً

وفسروا قوله (ألم تئاس) ألم يعلم ويتبين؟ وذكر عن ابن الكلبي أن ذلك لغة لحي من النخع يقال لهم: (دهيل) تقول: (ألم تئاس كذا) بمعنى ألم تعلمه وذكر عن القاسم بن معن أنها لغة هوازن وأنهم يقولون: يئست كذا علمت. وأما بعض الكوفيين فكان ينكر ذلك ويزعم أنه لم يسمع أحداً من العرب يقول (يئست) ويقول هو في المعنى وإن لم يكن مسموعاً (يئست) بمعنى علمت يتوجه إلى ذلك، إذ انه قد أوقع إلى المؤمنين أنه لو شاء لهدى الناس جميعاً، فقال: «أفلم يئاسوا علماء» يقول يؤسهم العلم فكان فيه «العلم» مضمراً، كما يقال: «قد يئست منك أن تفلح علماء» كأنه قيل «علمته علماء» قال: وقول الشاعر:

حتى إذا يش الرماة أرسلوا غُضفاً دواجن قافلا أعصامها

معناه: حتى إذا يشوا من كل شيء مما يمكن، إلا الذي ظهر لهم، أرسلوك فهو في معنى: حتى إذا علموا أن ليس وجه إلا الذي رأوا وانتهى علمهم فكان ما سواه يئاساً. انظر الطبري (٤٥٠/١٦).

(٤) الطبري ٤٥١/١٦ وانظر البغوي ٢٠/٣. وانظر الدر المنثور ٦٣/٤.

(٥) وانظر السيوطي في الدر ٦٣/٤ وانظر تفسير البغوي ٢٠/٣، وذكره الشوكاني في الفتح ٨٦/٣ وعزاه للفرابي وعزاه للطيالسي وابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس وذكر مثله أيضاً عن ابن عباس وعزاه للطيالسي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٦) الطبري ٤٦٠/١٦.

(٧) بنحوه عند البغوي ٢١/٣ وانظر تفسير الرازي ٤٥/١٩.

(٨) سورة آل عمران ١٨.

«كأنه في المعنى قال: أقمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كشرائهم الذين اتخذوهم^(١)» ﴿قل سموهم﴾ بما يستحقون من الصفات، وإضافة الأفعال إليهم إن كانوا شركاء لله، كما يوصف الله بالخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، والمعنى يعود إلى أن الصنم لو كان إلهاً لتصور منه أن يخلق ويرزق، ولحسن حينئذ أن يسمى بالخالق والرازق قوله: ﴿أم تثبتونه بما لا يعلم في الأرض﴾ هذا استفهام منقطع مما قبله، وتأويل الآية: فإن سموهم بصفات الله، قل: أتثبتونه بما لا يعلم في الأرض، أتخبرون الله بشريك له في الأرض وهو لا يعلمه؟ على معنى: أنه ليس، ولو كان لعلم ﴿أم بظاهر من القول﴾ يعني: أم يقولون مجازاً من القول، وباطلاً لا حقيقة له، أي: إنه كلام ظاهر، وليس له في الحقيقة باطن ومعنى، فهو كلام باللسان ﴿بل﴾ دع ذكر ما كنا فيه ﴿زين للذين كفروا مكرهم﴾ قال ابن عباس: «زين الشيطان لهم الكفر»^(٢)، وذلك أن مكرهم بالرسول ﷺ كفر منهم ﴿وصدوا عن السبيل﴾ قال ابن عباس: «وصددهم الله عن سبيل الهدى»^(٣) وضم الصاد قراءة أهل^(٤) الكوفة، ومن قرأ بفتح الصاد فالمعنى: أنهم صدوا غيرهم عن الإيمان ﴿ومن يضل الله فما له من هادٍ﴾ يهديه إلى الخير والإيمان ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾ يعني الأسقام والقتل والأسر، هي لهم في الدنيا عذاب، وللمؤمن كفارة ﴿وللعذاب الآخرة أشق﴾ أشد وأغلظ ﴿وما لهم من الله﴾ من عذاب الله ﴿من واقٍ﴾ مانع يمنعمهم قوله: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ أي: صفتها، قال ابن قتيبة^(٥): «المثل: الشبه في أصل اللغة، ثم قد يصير المعنى صورة الشيء وصفته، يقال: مثلت لك كذا، أي: صورته ووصفه» أراد الله بقوله: ﴿مثل الجنة﴾ أي صورتها وصفتها، ثم ذكرها، فقال: ﴿تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم﴾ قال الحسن: «يريد أن ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا ﴿وظلها﴾ لأنه لا يزول، ولا تنسخه الشمس»^(٦) ﴿تلك عقبى الذين اتقوا﴾ أي: عاقبة أمرهم المصير إليها، وعاقبة الكافرين المصير إلى النار قوله:

وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِدُكُمْ ۚ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۚ

﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك﴾ قال المفسرون: «إن عبد الله بن سلام والذين آمنوا معه من أهل الكتاب، ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن، مع كثرة ذكره في التوراة، فأنزل الله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾^(٧) ففرح بذلك مؤمنو أهل الكتاب، وكفر المشركون بالرحمن، وقالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، فأنزل الله تعالى هذه الآية وقوله: ﴿ومن الأحزاب من ينكِر بعضه﴾ يعني الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ بالمعاداة ﴿من ينكر بعضه﴾ يعني ذكر الرحمن، وهذا

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٦٤/٢.

(٢) انظر تفسير الطبري ٤٦٦/١٦ البغوي ٢١/٣.

(٣) الطبري ٤٦٦/١٦ البغوي ٢١/٣.

(٤) انظر حجة القراءات (٣٧٣ - ٣٧٤) وانظر النشر ٢٨٩/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٦٢/٢ وانظر تفسير الطبري ٤٦٧/١٦.

(٥) انظر تأويل مشكل القرآن (٢٣٥).

(٦) انظر الرازي ٤٧/١٩ زاد المسير ٣٣٤/٤ وانظر تفسير ابن كثير ٣٨٥/٤.

(٧) سورة الإسراء (١١٠) وانظر تفسير الرازي ٤٨/١٩ وفتح القدير ٨٧/٣.

كقوله: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ [إلى آخره]^(١) قوله ﴿وكذلك أنزلناه﴾ أي وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء الذين تقدموا، أنزلنا إليك القرآن ﴿حكماً عربياً﴾ قال ابن عباس: يريد ما حكم من الفرائض^(٢) في القرآن ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم﴾ بوحدانية الله تعالى وذلك أن المشركين دعوه إلى ملة آبائه، فتوعده الله على اتباع أهواءهم بقوله:

﴿ما لك من الله من ولي ولا واق﴾ أي ما لك من عذاب الله مانع يمنعك قوله:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۝٣٩ وَإِنْ مَا نُزِّلَتْكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَوْفِيقَتَكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ۝٤٠

﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك﴾ قال الكلبي: «عيرت اليهود رسول الله ﷺ وقالت: ما نرى للرجل همة إلا النساء، والنكاح ولو كان نبياً، لشغله أمر النبوة عن النساء، فأنزل الله هذه الآية^(٣) يقول: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك﴾ وجعلناهم بشراً لهم أزواج فنكحوهن وأولاد أنسلوهم، وذلك قوله: ﴿وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾.

أخبرنا أبو منصور الواعظ أنا عبد الله بن محمد بن نصير أنا محمد بن أيوب نا أبو الوليد الطيالسي نا حسين بن رافع العنبري عن الحسن بن سعد بن هشام^(٤) قال: دخلت على عائشة فقلت لها: إني أريد أن أتبتل، قالت: فلا تفعل، أما سمعت الله يقول ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية^(٥)﴾ فلا تتبتل.

وقوله: ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ هذا جواب للذين تحكموا عليه في طلب الآيات والمعنى: أن حال محمد كحال الرسل الذين تقدموا في أنهم كانوا لا يأتون بآية إلا بإذن ربهم، لا على تحكم العباد بأهوائهم ﴿لكل أجل كتاب﴾ لكل أجل قدره الله، ولكل أمر قضاء كتاب أثبت فيه، فلا تكون آية إلا بأجل قد قضاه الله في كتاب وكذلك كل أمر قوله: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ ذهب قوم إلى أن هذا عام في كل شيء، كما يقتضيه ظاهر اللفظ، وقالوا: إن الله يمحو من الرزق ويزيد فيه، ومن الأجل، ويمحو السعادة والشقاوة، وهو مذهب عمر، وابن مسعود، وأبي وائل وقتادة والضحاك وابن جريج قالوا: «أم الكتاب عند الله يمحو الله ما يشاء منه ويثبت^(٦)» ونحو هذا روي «أبو الدرداء» عن النبي ﷺ قال: إن الله سبحانه في ثلاث ساعات يبين من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر

(١) سقط في ب، ج.

(٢) زاد المسير ٣٣٦/٤.

(٣) أسباب النزول للمصنف رحمه الله ص (٢٧٩). وانظر الدر المنثور (٦٥/٤).

(٤) سعد بن هشام بن عامر الأنصاري المدني ابن عم أنس. روى عن أبيه وعائشة وابن عباس وأبي هريرة وسمرة بن جندب وأنس رضي الله عنهم وعنه حميد بن هلال وزرارة بن أبي أوفى وحמיד بن عبد الرحمن الحميري، والحسن البصري. قال النسائي: ثقة وذكر البخاري أنه قتل بأرض مكران على أحسن أحواله. وقال ابن سعد: كان ثقة إن شاء الله تعالى، وذكره ابن حبان في الثقات، قال قتل بأرض مكران غازياً. انظر التهذيب (٤٨٣/٣).

(٥) ذكره الشوكاني في الفتح ٨٩/٣ وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعد بن هشام قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: إني أريد الخ.

(٦) أخرجه الطبري ٤٧٩/١٦ وما بعدها زاد المسير ٣٣٧/٤ البحر المحيط ٣٩٨/٥ البيهقي ٢٣/٣.

فيه أحد غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء^(١) ومعنى أم الكتاب: أصل الكتاب الذي أثبت فيه الكائنات والحادثات وروى عكرمة عن ابن عباس قال: «هما كتابان سوى أم الكتاب، يمحو منه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب الذي لا يغير منه شيء» وهذه رواية «عمران بن حصين» عن النبي ﷺ وقال قوم: إن الله تعالى يمحو ما يشاء، ويثبت إلا الشقاوة والسعادة، والموت والحياة والرزق والأجل.

ويدل على صحة هذا ما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الزاهد أنا أبو علي بن أبي بكر الفقيه أنا أبو القاسم البغوي نا داود بن عمرو نا محمد بن مسلم عن عمرو بن دينار أنه سمع أبا الطفيل يقول: قال حذيفة بن أسيد سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا مضت على النطفة خمس وأربعون ليلة، يقول الملك: أذكر أم أنثى؟ فيقضي الله عز وجل، ويكتب الملك فيقول: أشقي أم سعيد؟ فيقضي الله، ويكتب الملك فيقول: عمله وأجله؟ فيقضي الله، ويكتب الملك، ثم تطوى الصحيفة فلا يزداد فيها ولا ينقص منها» رواه مسلم^(٢) عن ابن نصير عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار وقال سعيد بن جبيرة وقتادة: يمحو الله ما يشاء من الشرائع فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا ينسخه^(٣) وهذا القول اختيار أبي علي الفارسي قال: هذا والله أعلم فيما يحتمل النسخ والتبديل من الشرائع الموقوفة على المصالح على حسب الأوقات، فأما ما كان من غير ذلك فلا يمحي ولا يبدل وقال الكلبي والضحاك: «إن الذي يمحوه الله ويثبته ما تصعد به الحفظة مكتوباً على بني آدم فيأمر الله أن يثبت ما فيه ثواب وعقاب، ويمحي عنه ما لا ثواب فيه ولا عقاب^(٤)»

وقوله: ﴿وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ من العذاب أي نعدهم، وأنت حي ﴿أو تنوفيتك﴾ قبل أن نرينك ذلك ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ أي: فليس عليك إلا أن تبلغ، كفروا هم أو آمنوا ﴿وعلينا الحساب﴾ وعلينا أن نجزيهم قوله:

أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعِلْمُ الْكُفْرِ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

﴿أو لم يروا﴾ يعني كفار مكة ﴿أنا نأتي الأرض﴾ نقصد أرض مكة ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بالفتوح على المسلمين منها يريد ما دخل في الإسلام من بلاد الشرك قال الضحاك: «أو لم ير أهل مكة أنا نفتح لمحمد ما حوله من

(١) أخرجه الطبري ٤٨٩/١٦ (٢٠٥٠٣) وفيه زيادة بن محمد الأنصاري منكر الحديث وذكره الهيثمي في المجمع ٤١٢/١ وأعله بما سبق وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٣٣٩/٤.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ٤٨٠/١٦ (٢٠٤٧٤) (٢٠٤٧٥) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٤٩/٣ وقال غريب صحيح.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٣٧/٤ في كتاب القدر باب كيفية الخلق ٢٠٣٧/٣ وأخرجه أحمد في المسند ٦/٤.

(٤) البغوي ٢٢/٣ وبنحوه عند الطبري من طريق الضحاك ٤٨٤/١٦ (٢٠٤٨٦) وأخرجه من طريق قتادة ٤٨٥/١٦ - ٤٨٦ (٢٠٤٩٠) زاد المسير ٣٣٧/٤.

(٥) وبنحوه عند الطبري ٤٨٧/١٦ زاد المسير ٣٣٧/٤ والبغوي ٢٣/٣.

القرى^(١)» وقال مقاتل الأرض مكة ونقصها من أطرافها غلبة المؤمنين عليها^(٢) وهذا قول الحسن وقال الزجاج: «أعلم الله أن بيان ما وعد المشركون من قهرهم قد ظهر، يقول: ولم يروا أنا فتحنا على المسلمين من الأرض ما قد تبين لهم، فكيف لا يعتبرون^(٣)؟» ﴿والله يحكم لا معقب لحكمه﴾ قال ابن عباس: «لا ناقض لحكمه^(٤)» وقال الفراء: «لا راد لحكمه^(٥)» والمعقب الذي يتبع الشيء فيستدركه، ولا يستدرك أحد على حكم الله ﴿وهو سريع الحساب﴾ أي المجازاة بالخير والشر، قوله: ﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ يعني الكفار الأمم الخالية، مكروا بأنبيائهم ﴿فلله المكر جميعاً﴾ يعني أن مكر الماكرين مخلوق له، فلا يضر إلا بإرادته وفي هذا تسلية للنبي ﷺ وأمان له من مكروهم كأن قيل: قد فعل من قبلهم من الكفار مثل فعلهم فلا ضرر عليك من مكروهم ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ يريد أن جميع الاكتساب معلوم له، فلا يقع ضرر إلا بإذنه ﴿وسيعلم الكفار﴾ قال «ابن عباس»: «يريد أبا جهل^(٦)» «وقال الزجاج»: «الكافرها هنا اسم الجنس، كما يقال كثر الدرهم في أيدي الناس^(٧)، ومن قرأ^(٨) الكفار أراد جميع الكفار ﴿لمن عقى الدار﴾ لمن الجنة آخر الأمر ﴿ويقول الذين كفروا﴾ يعني مشركي مكة ﴿لست مرسلًا﴾ إلينا بالنبوة ﴿قل﴾ لهم ﴿كفى بالله﴾ كفى الله والباء أدخلت للتأكيد ﴿شهاداً﴾ شهاداً ﴿بيني وبينكم﴾ أي: بما أظهر من الآيات وأبان من الأدلة على نبوتي ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ قال الحسن ومجاهد: «هو الله عز وجل^(٩)» واختاره الزجاج فقال: «لأن الأشبه أن الله لا يستشهد على خلقه بغيره^(١٠)» وقال عكرمة وقتادة: «يعني علماء أهل الكتاب منهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري^(١١)» قال ابن الأنباري: جعل قول هؤلاء وشهادتهم قاطعة لقول الخصوم، لأنهم العالمون بالكتب القديمة فقيل: كفى بهؤلاء شهوداً عليكم، وهم شاهدون لمحمد ﷺ بالنبوة والصدق^(١٢) والله أعلم^(١٣)

(١) الطبري ٤٩٤/١٦ (٢٠٥١٨) انظر زاد المسير ٣٤٠/٤ البغوي ٢٤/٣. وأخرجه الطبري عن ابن عباس ٤٩٣/١٦ (٢٠٥١٤) وانظر فتح القدير ٩١/٣.

(٢) أخرجه الطبري ٤٩٤/١٦ (٢٠٥١٧)، وانظر زاد المسير ٣٤٠/٤، وانظر تفسير البغوي ٢٤/٣.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ١٥١/٣.

(٤) انظر تفسير الطبري ٤٩٨/١٦ وانظر تفسير الرازي ٥٤/١٩، البغوي ٢٤/٣.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٦٦/٢ الرازي ٥٤/١٩ البغوي ٢٤/٣ فتح القدير ٩٠/٣.

(٦) الرازي ٥٥/١٩ فتح القدير ٩١/٣.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ١٥١/٣ انظر تفسير الرازي ٥٤/١٩ فتح القدير ٩١/٣.

(٨) انظر حجة القراءات (٣٧٥) وانظر النشر ٢٩٨/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٦٣/٢.

(٩) أخرجه الطبري ٥٠٤/١٦ (٢٠٥٤٦) (٢٠٥٤٧)، (٢٠٥٤٨)، (٢٠٥٤٩) الرازي ٥٦/١٩ زاد المسير ٣٤٢/٤ فتح القدير ٩١، البغوي ٢٥/٣.

(١٠) انظر معاني القرآن للزجاج ١٥٢/٣ الرازي ٥٦/١٩ فتح القدير ٩١/٣.

(١١) أخرجه الطبري في التفسير ٥٠٣/١٦ (٢٠٥٤٣) (٢٠٥٤٤) الرازي (٥٦ - ٥٥/١٩) البغوي ٢٥/٣ وفتح القدير ٩١/٣.

(١٢) انظر زاد المسير ٣٤١/٤.

(١٣) سقط في أ، ب.

سورة إبراهيم

مكية وآياتها اثنتان وخمسون

أخبرنا سعيد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم المقري الحيري بها أنا أبو عمرو بن أبي الفضل الشروطي نا إبراهيم بن شريك الأسدي نا أحمد بن عبد الله بن يونس نا سلام بن سليم المدني نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ سورة إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنت بعدد من عبد الأصنام، وبعدد من لم يعبدها^(١).

الرَّكْتَبِ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِعَايِنِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَذَكَرَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِذْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَإِذْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدْحِقُونَ آبَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَذَكَرَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قال ابن عباس^(٢) في رواية أبي صالح أنا الله أرى، وقال في رواية عطاء: أنا الله الرحمن^(٣) ﴿كتاب﴾ أي: هذا كتاب يعني: القرآن ﴿أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ قال ابن عباس: «من الشرك إلى الإيمان^(٤)» ﴿بإذن ربهم﴾ قال الزجاج: بما أذن الله لك في تعليمهم، ودعائهم إلى الإيمان، ثم بين ما ذلك النور فقال: ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ وهو دين الإسلام الذي من سلكه أده إلى الجنة ﴿الله الذي﴾

(١) حديث واه تقدم الكلام عليه مراراً فانتبه حفظنا الله وإياك.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) البغوي ٢٥/٣ الطبري ٥١١/١٦.

من رفعه^(١)، قطعه مما قبله، وابتدأ به، وخبره الذي ومن خفضه جعله بدلاً من الحميد، وتفسير الآية ظاهر، قوله: ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾ أي: يؤثرونها، ويختارونها قال ابن عباس: «ما تجعل لهم من الدنيا، يأخذونه تهاوناً بأمر الآخرة واستبعاداً لها^(٢)» كقوله تعالى: ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة﴾ ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ يمنعون الناس عن دين الله تعالى وطاقته ﴿ويبغونها عوجاً﴾ ذكرنا تفسيره ﴿أولئك في ضلالٍ بعيدٍ﴾ قال الكلبي: في خطأ بعيد عن الحق^(٣) قوله: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ بلغتهم ليفهموا عنه، ويعقلوا وهو قوله: ﴿ليبين لهم فضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ قال ابن عباس: «جعل المشيئة إليه وحده، لا شريك له^(٤)»، قوله: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ أي: بالبراهين التي دلت على صحة نبوته مثل العصا واليد وغيرهما ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله^(٥)﴾ [الأيام]^(٦) يعبر بها عن النعم والنقم، لأنها كلها تقع فيها قال ابن السكيت: «العرب تقول: الأيام في معنى الوقائع يقال: فلان عالم بأيام العرب أي: بوقائعها^(٧)» قال ابن عباس: «يريد بنعم الله» وهو قول مجاهد وقتادة^(٨) وأبي بن كعب رواه عن النبي ﷺ في هذه الآية.

أخبرنا عبد القاهر بن طاهر نا محمد بن الحسن بن أحمد السراج نا محمد بن عبد الله الحضري نا عبد الحميد بن صالح نا محمد بن أبان^(٩) عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ قال: أيامه نعمه^(١٠) وقال مقاتل: «بوقائع الله في الأمم السالفة^(١١)» قال الزجاج: أي: ذكرهم بنعم الله عليهم، وبنقم أيام الله التي انتقم فيها من قوم نوح وعاد وثمود^(١٢) والمعنى: عظمهم بالترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، ﴿إن في ذلك﴾ التذكير ﴿لآيات﴾ للدلالات على قدرة الله تعالى ﴿لكل صبار﴾ على طاعة الله وعن معاصيه ﴿شكور﴾ لأنعم الله، وما بعدها مفسر في سورة البقرة إلى قوله: ﴿وإذ تأذن ربكم﴾ وهذا عطف على قوله: ﴿إذ أنجاكم﴾ كأنه قال: اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم، وإذ تأذن ربكم، وهو إخبار عما قال

(١) انظر حجة القراءات ٣٧٦، وانظر النشر ٢/٢٩٨، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٦٦ الرازي ١٩/٦٠ فتح القدير ٣/٩٣.

(٢) انظر زاد المسير ٤/٣٤٥.

(٣) انظر الطبري ١٦/٥١٥.

(٤) انظر تفسير الرازي ١٩/٦٣.

(٥) قال الواحدي: أيام جمع يوم، واليوم هو مقدار المدة من طلوع الشمس إلى غروبها وكانت الأيام في الأصل أيام فاجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون، فأدغمت إحداهما في الأخرى وغلبت الياء انظر الرازي ١٩/٦٦.

(٦) سقط في ب.

(٧) انظر التهذيب ١٥/٦٤٦ الرازي ١٩/٦٦ البغوي ٣/٢٦ زاد المسير ٤/٣٤٦ فتح القدير ٣/٩٤.

(٨) أخرجه الطبري ١٦/٥٢٠ عن مجاهد (٢٠٥٦٨) (٢٠٥٦٩) (٢٠٥٧٠) (٢٠٥٧١) (٢٠٥٧٢) (٢٠٥٧٣) وعن سعيد بن جبير

(٢٠٥٧٥) وقتادة (٢٠٥٧٦) (٢٠٥٧٧) وأخرجه الطبري في التفسير ٣/٢٦، وابن كثير ٤/٣٩٧.

(٩) محمد بن أبان بن عمران بن زياد بن ناصح كان فقيهاً، وذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما أخطأ مات سنة ٣٨ وقال غيره: مات سنة ست أو سبع وثلاثين، وقال الأزدي ليس بذلك وقال مسلمة في الصلاة: محمد بن أبان الواسطي أبا الحسن ثقة انظر التهذيب ٣/٩.

(١٠) إسناده ضعيف لضعف محمد بن أبان الجعفي، وأخرجه الطبري في التفسير (١٦/٥٢٢) (٢٠٥٧٩)، وذكره السيوطي في الدرر ٤/٥٧٠، وزاد نسبته للنسائي وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب ومن غير طريق المصنف الإمام مسلم

في صحيحه (٤/١٨٥٠) في كتاب الفضائل باب (٤٦) (١٧٢/٢٣٨٠).

(١١) البغوي ٣/٢٦ زاد المسير ٤/٣٤٦ وانظر فتح القدير ٣/٩٤.

(١٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٥٥ فتح القدير ٣/٩٤.

موسى لقومه، ومعنى : تأذن : أعلم قال الفراء تأذن وآذن بمعنى واحد^(١)، وذكرنا هذا في سورة الأعراف وقوله : ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ﴾ أي : مما يجب الشكر عليه، وهو النعمة، قال ابن عباس : «لئن وحدتموني، وأطعتموني لأزيدنكم طاعتي التي تقود إلى جنتي^(٢)» وقال قتادة في هذه الآية «حق على الله أن يعطي من سأله، ويزيد من شكره، والله منعم بحب الشاكرين فاشكروا الله على نعمه^(٣)» ومعنى شكر النعمة؛ الاعتراف بحق المنعم، والاعتراف بحق الله تعالى، هو التوحيد والطاعة ﴿ولئن كفرتم﴾ جحدتم حقي، وحق نعمتي ﴿إن عذابي لشديد﴾ تهديد على كفران النعمة ﴿وقال موسى إن تكفروا أتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني﴾ عن خلقه لا يزيده طاعتكم ملكاً، ولا ينقص كفرهم ملكوت الله شيئاً ﴿حميد﴾ في أفعاله، لأنه إما متفضل بفعله، أو عادل، ثم أخبرهم عن القرون الماضية، وعمما قالت لهم الرسل، وما ردوا عليهم فقال :

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَنَا عَمَّا كَانِ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْ يُغْفِرَ لَكُمْ عَلَىٰ مَا أَذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُدُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾

﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم﴾ إلى قوله ﴿والذين من بعدهم﴾ أي : من بعد هؤلاء الذين ذكرهم ﴿لا يعلمهم إلا الله﴾ لا يحصي عددهم إلا الله، قال ابن عباس : «لا يعلمهم إلا الله لكثرتهم^(٤)» قال ابن الأنباري : «إن الله تعالى أهلك أمماً من العرب وغيرها، فانقطعت أخبارهم، وعفت آثارهم فليس يعرفهم أحد

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٦٩/٢ البغوي ٢٧/٣ فتح القدير ٩٦/٣.

(٢) انظر زاد المسير ٣٤٧/٤.

(٣) ذكره السيوطي في الدرر ٧١/٤ وعزه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) نحوه عند البغوي ٢٧/٣ وانظر تفسير الطبري ٥٢٩/١٦ وانظر تفسير الرازي ٧٠/١٩ وانظر فتح القدير ٩٧/٣.

إلا الله^(١) ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم﴾ قال ابن مسعود: عضوا عليها غيظاً^(٢) والمعنى: انهم ثقل عليهم مكان الرسل، فعضوا على أصابعهم من شدة الغيظ وقال الكلبي: «وضعوا الأيدي على الأفواه إشارة إلى الرسل أن اسكتوا^(٣)» وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به ﴿أي: على زعمكم بالإرسال لا أنهم أقرروا أنهم أرسلوا﴾ قالت ﴿لهم﴾ رسلهم أفي الله شك، وهذا استفهام إنكار، أي: لا شك في الله، والمعنى: في توحيد الله، ثم ذكر ما يدل على وحدانيته فقال: ﴿فاطر السموات والأرض يدعوكم﴾ بالرسول والكتب ﴿ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ قال أبو عبيدة: «من زائدة^(٤)» ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ لا يعاجلكم بالعذاب بل يؤخركم ويمتدكم في الدنيا إلى الأجل المسمى لكم، وهو الموت ﴿قالوا﴾ للرسول ﴿إن أنتم إلا بشر مثلنا﴾ ما أنتم إلا مخلوقون مثلنا، ليس لكم علينا فضل ﴿تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا﴾ على ما تقولون ﴿بسلطان مبين﴾ بحجة ظاهرة ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم﴾ اعترفوا لهم بأنهم آدميون مخلوقون مثلهم ﴿ولكن الله يمين على من يشاء من عباده﴾ يعنون بالنبوة والرسالة ﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله﴾ ليس لنا أن نأتيكم ببرهان وحجة ومعجزة إلا أن يشاء الله ذلك، أي: ليس لنا ذلك من قبل أنفسنا ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ وإليه فليفوض المؤمنون أمورهم ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله﴾ أي: أي شيء لنا إذا لم نتوكل على الله ولم نفوض إليه أمورنا يعني أن العبد وإن لم يتوكل، لم يدرك بجهد شياً لم يقضه الله ﴿وقد هدانا سبلنا﴾ عرفنا طريق التوكل ﴿ولنصبرن على ما ءاذيتمونا على الله فليتوكل المتوكلون﴾ وإنما قص هذا وأمثاله في القرآن على نبينا ﷺ ليقنتدي بمن قبله من النبيين، ويعلم أنهم أودوا في سبيل الله، فصبروا وتوكلوا.

أخبرنا: محمد بن محمد بن عبد الله بن زكريا الجوزي أنا بشر بن أحمد بن بشر نا داود نا بن الحسن نا عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي نا عاصم بن عبد الله نا إسماعيل بن جميع عن نعيم بن حكيم^(٥) عن أبي مريم الثقفي^(٦) عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أذاك البراغيث فخذ قدحاً من ماء، فاقراً عليه ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله﴾ الآية، [وتقول]^(٧): فإن كنتم آمنتتم بالله، فكفوا شركم، وأذاكم عنا، ثم ترش الماء حول فراشك، فإنك تبيت تلك الليلة آمناً من شرها)^(٨).

(١) انظر ابن الجوزي في زاد المسير ٣٤٨/٤.

(٢) الطبري ٥٣١/١٦ (٢٠٥٩٤) ٢٧/٣ الرازي ٧٠/١٩ فتح القدير ٩٩/٣ ذكره السيوطي في الدر ٧٢/٤ وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وأبي عبيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه عن ابن مسعود.

(٣) البغوي ٢٧/٣ الرازي ٧٠/١٩ وانظر تفسير ابن كثير ٤٠٠/٤. بنحوه ذكره السيوطي في الدر ٧٢/٤ عن ابن عباس وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) والأولى له أن يعبر بكلمة صلة، حيث أجمع العلماء سلفاً وخلفاً بأنه لا زائد في القرآن ولكن هذا من تغيير النحاة فلا يجب أن يستخدم في مثل هذه المواطن وانظر مجاز القرآن ٣٣٦/١ وانظر تفسير البغوي ٢٧/٣.

(٥) نعيم بن حكيم المدائني أخو عبد الملك قال عبد الخالق بن منصور عن ابن معين ثقة وكذا قال العجلي، وقال ابن خراش صدوق لا بأس به، وقال النسائي ليس بالقوي، وقال ابن سعد: لم يكن بذاك وذكره ابن حبان في الثقات. قال الأجرى عن أبي داود: مات سنة ثمان وأربعين ومائة. ونقل الساجي عن ابن معين تضعيفه وقال الأزدي أحاديثه مناكير. انظر التهذيب (٤٥٨/١٠).

(٦) أبو مريم الثقفي المدائني ويقال: كوفي عن علي وعمار. وعنه نعيم بن حكيم وأخوه عبد الملك بن حكيم. الميزان (٥٧٣/٤).

(٧) سقط في أ، ب.

(٨) عزاه السيوطي في الجامع الكبير للمستغفري في الدعوات وهو لا يصح.

قوله: ﴿وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا﴾ أي: ولا نساكنكم على مخالفتكم ديننا ﴿أو لتعودن في ملتنا﴾ ذكرنا معناه في قصة شعيب في سورة الأعراف ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾، يعني الذين كفروا بالرسول ﴿ولنسكننكم الأرض من بعدهم﴾. لتعطينكم سكتها بعد هلاكهم ﴿ذلك﴾ الإسكان ﴿لمن خاف مقامي﴾.

قال ابن عباس: خاف مقامه بين يدي^(١) وقال الكلبي: مقامه بين يدي رب العالمين^(٢)، وهذا من باب إضافة المصدر إلى المفعول، كما تقول: ندمت على ضربك ﴿وخاف وعيد﴾. قال: ابن عباس خاف مما أوعدت من العذاب^(٣) يعني: أن العقوبة بالنصر تكون لمن خاف الله، ﴿واستفتحوا﴾ يعني: الرسل، استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لما يشؤن من إيمانهم، ﴿وخاب كل جبار﴾ متكبر عن طاعة الله ﴿عبيد﴾ قال قتادة: العبيد المعرض عن طاعة الله^(٤) وقال مجاهد^(٥): هو المجانب للحق، وقال الزجاج: الذي يعدل عن القصد^(٦)، والمعنى: فإن الرسل بالنصرة، وخاب كل من كفر ﴿من ورائه جهنم﴾ قال ابن عباس والمفسرون: يريد أمامه جهنم، فهي بين يديه^(٧) يعني: أنه يردها ويدخلها، ووراء، يكون لخلف وقدام، ومنه قوله: ﴿وكان وراءهم ملك﴾ أي: أمامهم ﴿ويسقي من ماءٍ صديد﴾ الصديد: ماء الجرح المختلط بالدم والقيح، قال المفسرون: يريد صديد القيح، والدم الذي يخرج من فروج الزناة^(٨).

أخبرنا أبو القاسم بن عبدان، [محمد بن عبدان] نا محمد بن عبد الله بن نعيم أنا الحسن بن حليم المروزي^(٩) أنا أبو الموجه^(١٠) أنا عبدان^(١١)، نا عبد الله بن المبارك، أنا صفوان بن عمرو^(١٢) عن عبد الله بن بصير، عن أبي أمامة

(١) البغوي ٢٨/٣ وانظر زاد المسير ٤/٣٥٠.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٦/٥٤٢.

(٣) انظر تفسير البغوي ٢٨/٣.

(٤) البغوي ٢٩/٣. ذكره السيوطي في الدر ٧٣/٤ وعزه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. الجبار المتكبر على طاعة الله تعالى وعبادته، ومنه قوله تعالى: ﴿ولم يكن جباراً عصياً﴾ مريم (١٤). قال أبو عبيد عن الأحمز: يقال فيه جبرية وجبروة وجبروت وجبورة، وحكى الزجاج: الجبرية والجبر بكسر الجيم والياء والتجبار والجبرياء. قال الواحدي: فهي ثمان لغات في مصدر الجبار. انظر الرازي (٨٠/١٩).

(٥) البغوي ٢٩/٣ وأخرجه الطبري في التفسير ١٦/٥٤٣، (٢٠٦١٢)، (٢٠٦١٣) (٢٠٦١٤).

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٥٦.

(٧) البغوي ٢٩/٣ الطبري ١٦/٥٤٧ ابن كثير ٤/٤٠١ زاد المسير ٤/٣٥١ فتح القدير ٣/١٠٠.

(٨) البغوي ٢٩/٣ الطبري ١٦/٥٤٨ ابن كثير ٤/٤٠١ فتح القدير ٣/١٠٠ زاد المسير ٤/٣٥٢.

(٩) المثبت في المخطوط حكيم، والصواب ما أثبتناه فهو الحسن بن حليم المروزي روى عن أبي الموجه توفي آخر المحرم سنة سبع وخمسين وثلاثمائة انظر الإكمال ٢/٤٩٢.

(١٠) الحافظ الثقة محمد بن عمرو بن الموجه الفزاري المروزي اللغوي. سمع سعيد بن منصور وسعيد بن سليمان وعلي بن الجعد وصدقة بن الفضل وعبدان بن عثمان وطبقتهم بخراسان والعراق والحجاز. توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين بمرو. انظر تذكرة الحفاظ (٦١٥-٦١٦/٢).

(١١) هو عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد، واسمه ميمون، وقيل أيمن الأزدي والعنكي مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي الحافظ الملقب عبدان. قال أحمد بن عبيد: تصدق عبدان في حياته بألف درهم، وكتب كتب ابن المبارك بقلم واحد، وقال ابن حبان في الثقات: قال أحمد بن حنبل ما بقي الرحلة إلا إلى عبدان بخراسان، مات سنة عشرين وقد قيل سنة اثنتين وعشرين، وقال البخاري وغيره: مات سنة إحدى وعشرين ومائتين. قال الحاكم كان إمام أهل الحديث ببلده. انظر التهذيب (٣١٣/٥-٣١٤).

(١٢) صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي أبو عمر. قال العجلي ودحيم وأبو حاتم والنسائي: ثقة، زاد أبو حاتم لا بأس به، وقال ابن =

عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ويسقى من ماء صديد يتجرعه﴾ قال: يقرب إليه، فيتكرهه فإذا أدنى منه هوى وجهه، ووقع فروة رأسه، فإذا شرب، قطع أمعائه، حتى يخرج من دبره^(١)، يقول الله تعالى: ﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾ ويقول الله تعالى: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب﴾ قوله: ﴿يتجرعه﴾ التجرع: تناول الشراب جرعة جرعة، قال ابن عباس: يريد بالكراهة^(٢)، ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ يقال: ساغ الشراب في الحلق سوغاً وأساعه الله، قال المفسرون: «يتحساه ويشربه بالجرع، لا بمرّة واحدة، لمرارته، ولا يسيغه إلا بعد إبطاء، لكراهته لذلك الشراب^(٣)»، وقوله: ﴿ويأتيه الموت﴾ أي: هم الموت، وألمه، وكربه، ﴿من كل مكان﴾ قال ابن عباس: من كل شعرة في جسده^(٤)، وقال الثوري: من كل عرق في جسده^(٥) ﴿وما هو بميت﴾ موتاً تنقطع معه الحياة ﴿ومن ورائه﴾ ومن بعد هذا العذاب، وقال الكلبي ومن بعد هذا الصديد^(٦) ﴿عذاب غليظ﴾ متصل الآلام، وقال إبراهيم التيمي: يعني^(٧) الخلود في النار^(٨).

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۝١٨

قوله: ﴿مثل الذين كفروا بربههم أعمالهم﴾ قال الفراء: تقدير الآية: مثل أعمال الذين كفروا بربههم فحذف المضاف، اعتماداً على ذكره بعد المضاف إليه^(٩) وقوله: ﴿كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾ أراد عاصف الريح فحذف الريح، لأنها ذكرت في أول الكلام، ويقال: عصفت الريح عصفواً، إذا اشتد هبوبها، ومعنى الآية: أن كل ما تقرب به الذين كفروا إلى الله، فمحبط غير منتفع به، لأنهم أشركوا فيها غير الله، كالرماد الذي ذرته الريح وصار هباء لا ينتفع به، وذلك قوله: ﴿لا يقدرُونَ مما كسبوا﴾ أي في الدنيا، ﴿على شيء﴾

= سعد: كان ثقة مأموناً، وقال أبو زرعة الدمشقي قلت لدحيم من أثبت بحمص؟ قال صفوان. وسمى جماعة، وقال أبو حاتم:

سمعت دحيماً يقول صفوان أكبر من جرير وقدمه وقال ابن خراش كان ابن المبارك وغيره يوثقه. انظر التهذيب (٤/٤٢٩).

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١٦//٥٤٩ (٢٠٦٣١) (٢٠٦٣٢) والترمذي في السنن ٤/٦٠٨ في كتاب صفة جهنم باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ٢٥٨٣ والحاكم في المستدرک ٢/٣٥١ في التفسير سورة الرعد وصححه ووافقه الذهبي وأخرجه البغوي في التفسير ٣/٢٩. وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب. وهكذا قال محمد بن إسماعيل عن عبيد الله بن بسر: ولا تعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث. وقد روى صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ غير هذا الحديث، وعبد الله بن بسر له أخ قد سمع من النبي ﷺ، واخته قد سمعت من النبي ﷺ وعبيد الله بن بسر الذي روى عنه صفوان بن عمرو هذا الحديث رجل آخر ليس بصاحب. انظر الترمذي ٤/٦٠٨.

(٢) فتح القدير ٣/١٠٢ زاد المسير ٤/٣٣٥.

(٣) البغوي ٣/٢٩ فتح القدير ٣/١٠١.

(٤) انظر البغوي ٣/٢٩ فتح القدير ٣/١٠٢ وأخرجه الطبراني في التفسير ١٦//٥٥١ (٢٠٦٣٥) عن إبراهيم التيمي وانظر تفسير ابن كثير ٤/٤٠٥.

(٥) انظر البغوي ٣/٢٩ فتح القدير ٣/١٠٢ وذكره السيوطي عن عكرمة ٤/٤٠٥.

(٦) انظر تفسير ابن كثير ٤/٤٠٥.

(٧) في ب (بعد).

(٨) البغوي ٣/٢٩ فتح القدير ٣/١٠١-١٠٢.

(٩) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٧٢ فتح القدير ٣/١٠١ الرازي ١٩/٨٣.

في الآخرة، قال ابن عباس: لا يجدون ثواب ما عملوا^(١) ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ يعني: ضلال أعمالهم وذهابها كذهاب الرماد في عصف الرياح قوله:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۚ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَدَنَا اللَّهُ هَدَيْنَا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ هَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ۚ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ ۗ وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحَيِّتُهُمْ فِيهَا وَسَلَّمٌ ﴿٢٣﴾

﴿ألم تر أن الله خلق السموات والأرض﴾ معنى ألم تر ههنا التنبيه على خلق السموات والأرض وقرأ حمزة والكسائي^(٢) (خالق السموات) على فاعل، كقوله: ﴿فاطر السموات والأرض﴾ ومعنى قوله ﴿بالحق﴾ كقوله: ﴿ما خلق الله ذلك إلا بالحق﴾ وقد تقدم، وقوله: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ قال ابن عباس: يريد أميتكم يا معشر الكفار، وأخلق قوماً غيركم خيراً منكم وأطوع^(٣)، وهذا خطاب لأهل مكة ﴿وم ذلك على الله بعزيز﴾ قال ابن عباس: لا يعز على الله شيء يريده^(٤)، وقال الكلبي: ليس يعز على الله شيء أن يميتمكم، ويأتي بغيركم^(٥)، قوله: ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾ خرجوا من قبورهم للبعث، قال الزجاج: جمعهم الله في حشرهم فاجتمع التابع والمتبوع^(٦)، ﴿فقال الضعفاء﴾ وهم الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾ والأكابر هم الذين استكبروا عن عبادة الله ﴿إنا كنا﴾ في الدنيا ﴿لكم تبعاً﴾ جمع تابع، مثل خادم، وخدم ﴿فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله﴾ فهل أنتم دافعون عنا من عذاب الله؟ ﴿قالوا لو هدانا الله لهديناكم﴾ لو أرشدنا الله لأرشدناكم، يريدون أنهم إن دعواهم إلى الضلال لأن الله تعالى أضلهم، ولم يهدهم، فدعوا أتباعهم إلى ما كانوا عليه من الضلال، ولو هداهم الله، لدعواهم إلى الهدى ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا﴾ قال زيد بن أسلم: جزعوا مائة سنة، وصبروا مائة سنة، فلم ينفعهم أحدهما فقالوا هذا^(٧)، وقوله: ﴿ما لنا من محيص﴾ أي: معدل عن العذاب، قوله: ﴿وقال الشيطان لم قضى الأمر﴾ أي: فرغ منه، وقضى الله بين العباد، قال المفسرون: إذا استقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في

(١) انظر تفسير البغوي ٣٠/٣.

(٢) انظر حجة القراءات (٣٧٦، ٣٧٧) وانظر النشر ٢/٢٩٨ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٦٧.

(٣) البغوي ٣٠/٣.

(٤) انظر تفسير البغوي ٣٠/٣ زاد المسير ٤/٣٥٥.

(٥) انظر زاد المسير ٤/٣٥٥.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٥٨.

(٧) ذكره الشوكاني في الفتح ٣/١٠٥ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وانظر زاد المسير ٤/٣٥٦.

النار، اجتمع أهل النار على إبليس، فيقوم فيما بينهم خطيباً، ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ أي: كون هذا اليوم، فصدقكم وعده ﴿وَوَعَدْتَكُمْ﴾ أنه لا جنة ولا نار، ولا بعث، ولا حساب ﴿فَأَخَلَفْتُمْ﴾ الوعد^(١) ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ما أظهرت لكم حجة أحتج بها عليكم ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتَكُمْ﴾ هذا من الاستثناء المنقطع، أي: لكن دعوتكم ﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ فصدقتموني وقبلتم مقالتي ﴿فَلَا تُلَومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ حيث أجبتموني، وصدقتموني من غير برهان ﴿مَا أَنَا بِمُصْرَخِكُمْ﴾ بمغِيثِكُمْ ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرَخِي﴾ بمغِيثِي لِي، أي: لا أنجيكم مما أنتم فيه، ولا تنجونني مما أنا فيه، قال الحسن: إذا كان يوم القيامة، قام إبليس خطيباً على منبر من نار، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ﴾ الآية^(٢) والقراءة الصحيحة^(٣) فتح الياء في مصرخي، وهو الأصل، لأن ياء الإضافة إذا كان قبلها ساكن، حركت إلى الفتح لا غير، نحو هداي وعصاي، وقرأ حمزة بكسر الياء، قال الزجاج: هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مردولة^(٤)، لا وجه لها إلا وجه ضعيف، وهو ما أجازته الفراء من الكسر على أصل التقاء الساكنين، وأنشد:

قُلْتُ لَهَا: هَلْ لَكَ يَا تَافِي؟ قَالَتْ لَنَا: مَا أَنْتَ بِالْمَرْضِيِّ^(٥)

وزعم قطرب: أن هذه لغة في بني يربوع، يزيدون على ياء الإضافة ياء، نحو: هل لك يا تافي؟ وكان الأصل مصرخي، ثم حذفت الياء الزائدة، وأقرت الكسرة على ما كانت عليه^(٦) وقوله: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلِ﴾ أي: كفرت بإشراككم إياي مع الله في الطاعة والمعنى: جحدت أن أكون شريكاً لله فيما أشركتموني ﴿إِنْ الظَّالِمِينَ﴾ يريد المشركين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ ذكرنا تفسيره في سورة يونس، قوله:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ^(٧) تُوْتِي أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ^(٨) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ^(٩) يُشِيتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ^(١٠) وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ^(١١)

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً﴾ بين الله شبيهاً، ثم فسر ذلك المثل، فقال: ﴿كلمة طيبة﴾ قال ابن عباس: يريد لا إله إلا الله، وهو قول الجميع^(١٢) ﴿كشجرة طيبة﴾ قالوا: يريد النخلة، والمعنى: كشجرة طيبة الثمرة، ﴿أصلها﴾ أي:

(١) البغوي ٣١/٣ وزاد المسير ٤/٣٥٧ الطبري ١٦/٥٦٠ وما بعدها فتح القدير ٣/١٠٥.

(٢) أخرجه الطبري ١٦/٥٦٣ (٢٠٦٤٦) وابن الجوزي في الزاد ٤/٣٥٧ والبغوي في التفسير ٣/٣١ وابن كثير ٤/٤٠٨ - ٤٠٩.

(٣) وتعبيره بالصحيحة خطأ لأن القراءات الأخرى صحيحة من القراءات العشر المتواترة وانظر النشر ٢/٢٩٨ وإتحاف فضلاء البشر ٢/١٦٧.

(٤) وهذا خطأ لا يقبل من الزجاج ولا من غيره كما قرنا ذلك كثيراً.

(٥) البيت للأغلب بن عمرو العجلي. انظر فتح القدير (٣/١٠٤). وانظر الرازي (١٩/٩٠) وانظر بقية تخريجه من تحقيقنا على البحر المحيط.

(٦) انظر البحر المحيط ٥/٤٢٠.

(٧) الطبري ١٦/٥٦٧ البغوي ٣/٣٢ وزاد المسير ٤/٣٥٨ ابن كثير ٤/٤١٠، فتح القدير ٣/١٠٧.

أصل هذه الشجرة ﴿ثابت﴾ في الثرى ﴿وفرعها﴾ أعلاها عال ﴿في السماء قوًتي﴾ تعطي هذه الشجرة ﴿أكلها﴾ ثمرها وما يؤكل منها ﴿كل حين﴾ قال ابن عباس: يريد ستة أشهر وهو قول سعيد بن جبير، وقتادة، والحسن، قالوا: ما بين صرامها إلى حملها ستة أشهر^(١)، وقال مجاهد، وابن زيد، وعكرمة: كل سنة^(٢)، شبه الله تعالى الإيمان بالنخلة؛ لثبات الإيمان في قلب المؤمن، كثبات النخلة في منبتها، وشبه ارتفاع عمله إلى السماء بارتفاع فروع النخلة، وشبه ما اكتسبه المؤمن من بركة الإيمان وثوابه في كل وقت وزمان، بما ينال من ثمر النخلة في أوقات السنة كلها من الرطب والتمر ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ قال ابن عباس: يريد أهل مكة^(٣) ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتعظوا ﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ يعني: الشرك بالله ﴿كشجرة خبيثة﴾ قال ابن عباس: يريد الثوم^(٤)، وقال الضحاك عنه: هي الكشوث^(٥) وقال أنس بن مالك: هي الحنظل^(٦) فكما أنها أخبت الأشجار، فكذلك الشرك أخبت الكلمات ﴿اجثت﴾ انتزعت واقتلعت ﴿من فوق الأرض﴾ قال ابن عباس: يريد ليس لها أصل تام، فهي فوق الأرض، لم تضرب فيها بعرق^(٧)، وهو قوله: ﴿ما لها من قرار﴾ من أصل في الأرض، وكما أنها أخبت الأشجار، كذلك الشرك بالله أخبت الكلمات، ليس له حجة، ولا ثبات ولا شيء، قوله ﴿يثبت الله الذين ءامنوا﴾ الذين صدقوا محمداً ﴿بالقول الثابت﴾ وهو لا إله إلا الله ﴿في الحياة الدنيا﴾ يثبتهم بها على الحق ﴿وفي الآخرة﴾ يعني في القبر، قال المفسرون: هذه الآية وردت في فتنة القبر، وسؤال الملكين، وتلقين الله المؤمن كلمة الحق في القبر عند السؤال، وتثبيته إياه بها على الحق، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن محمد البغدادي نا محمد بن يعقوب نا يحيى بن أبي طالب نا وهب بن جرير نا شعبة عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: ذكر رسول الله ﷺ المؤمن والكافر، فقال: إن المؤمن إذا سئل في قبره، قال: ربي الله، فذلك قوله ﴿يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾^(٨).

أخبرنا محمد بن موسى بن شاذان^(٩) أنا محمد بن عبد الله الصفار^(١٠) نا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني

(١) أخرجه الطبري ٥٧٧/١٦ (٢٠٧١٥) البغوي ٣٣/٣. انظر زاد المسير ٣٥٩/٤.

(٢) أخرجه البغوي عن عكرمة ٣٢/٣. وأخرجه الطبري ٥٨١/١٦ عن شعبة قال سألت حماداً والحكم ٢٠٧٢٧ وعن مجاهد ٢٠٧٢٨ وعن ابن زيد ٢٠٧٢٩ وعن ابن عباس ٢٠٧٣٠، ٢٠٧٣٢.

(٣) والمعنى: أن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني، وذلك لأن المعاني العقلية المحضنة لا يقبلها الحس والخيال والوهم، فإذا ذكر ما يساويها من المحسوسات ترك الحس والخيال والوهم تلك المنازعة وانطبق المعقول على المحسوس وحصل به الفهم التام والوصول إلى المطلوب. انظر الرازي ٩٥/١٩.

(٤) البغوي ٣٣/٤، زاد المسير ٣٦١/٤.

(٥) البغوي ٣٣/٣.

(٦) أخرجه الطبري ٥٨٣/١٦ (٢٠٧٢٧)، (٢٠٧٣٨)، (٢٠٧٤٠)، البغوي ٣٣/٣ زاد المسير ٣٦١/٤.

(٧) ابن الجوزي في زاد المسير ٣٦١/٤.

(٨) أخرجه البخاري ٢٢٩/٨ في كتاب التفسير سورة إبراهيم باب «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت» (٤٦٩٩) وأخرجه مسلم ٢٢٠١/٤ في كتاب الجنة باب عرض مقعد المقيت ٢٨٧١/٧٣.

(٩) محمد بن موسى بن الفضل بن شاذان الصيرفي كان والده أبو عمرو مثيرياً، وكان يفتق على الأصم فكان لا يحدث حتى يحضر محمد هذا وإن غاب عن سماع جزء أعاده له فأكثر عنه جداً. مات في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وأربع مئة عن نيف وتسعين سنة السير (٣٥٠/١٧).

(١٠) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني الصفار الزاهد. جمع وصنف في الزهريات، وقدم نيسابور بعد الثلاث مئة فسكنها. وسمع المسند الكبير من عبد الله بن أحمد بن حنبل، وكتب عن إسماعيل القاضي تصانيفه. وصحب الأولياء والعباد وارتحل إلى الحسن بن سفيان فحمل المسند وكتب أبي بكر بن أبي شيبة عنه. قال الحاكم: هو محدث عصره كان مجاب الدعوة =

أبي، أنا أبو عامر، نا عباد بن راشد^(١) عن داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة، فقال: أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن، فتفرق عنه أصحابه، جاءه ملك في يده مطراق، فأقعده، فقال: ما تقول في هذا الرجل فإن كان مؤمناً قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول له: صدقت ثم يفتح له باب إلى النار، فيقول: هذا كان منزلك لو كفرت بربك، فأما إذ آمنت، فهذا منزلك ويفتح له باب إلى الجنة، فيريد أن ينهض إليه فيقال له: اسكن، ويفسح له في قبره، وإن كان كافراً أو منافقاً يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً، فقلت، فيقال: لا دريت ولا تليت ولا اهتديت، ثم يفتح له باب إلى الجنة، فيقال: هذا لك لو آمنت، فأما إذ كفرت، فإن الله عز وجل أبدلك به هذا، ويفتح له باب إلى النار ثم يقمعه بالمطراق قمعة، يسمعا خلق الله كلهم غير الثقلين، فقال بعض القوم: يا رسول الله، ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطرقة، إلا هيل عند ذلك، فقال رسول الله ﷺ: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة^(٢) وقوله: ﴿ويضل الله الظالمين﴾ يعني: لا يلحق الله المشركين والكافرين، حتى إذا سئلوا في قبورهم قالوا: لا ندري قال الفراء: يضلهم عن هذه الكلمة^(٣) ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ من تثبيت المؤمن وتلقيه الصواب، وإضلال الكافر، قال الفراء: أي لا تكون له قدرة، ولا يسأل عما يفعل^(٤) قوله:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارِ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً﴾ قال جماعة المفسرين: هم مشركو مكة كفار قريش، أنعم الله عليهم بالنبي ﷺ، فكفروا به ودعوا قومهم إلى الكفر به^(٥)، وذلك قوله: ﴿وأحلوا قومهم﴾ يعني الذين اتبعوهم ﴿دار البوار﴾ أي: الهلاك يعني: جهنم، ألا ترى أنه فسرها فقال: ﴿جهنم يصلونها﴾ يقاسون حرها ﴿وبس القرار﴾ بس المقر هي.

أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ أنا عبد الله بن محمد الحافظ أنا عبد الرحمن بن محمد الرازي، نا سهل بن عثمان العسكري، نا أبو مالك الجنبي، عن الحجاج، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن مرة عن علي رضي الله عنه أنه خطب الناس، فسأله رجل عن الذين بدلوا نعمة الله كفراً، قال: هم الأفجران من قريش، بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فأهلكهم الله يوم بدر، وأما بنو أمية فتمتعوا إلى حين^(٦)، وقوله ﴿وجعلوا لله أنداداً﴾ قال ابن عباس:

= لم يرفع رأسه إلى السماء كما بلغنا نيفاً وأربعين سنة. توفي الشيخ في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة. وله ثمان وتسعون سنة. انظر سير أعلام النبلاء (١٥/٤٣٧ - ٤٣٨).

(١) عباد بن راشد البزاز عن الحسن وقتادة وعنه وكيع ومسلم وغفان، تركه القطان وضعفه أبو داود وقواه أحمد... انظر الكاشف (٦٠/٢)

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/٣ وذكره الهيثمي في المجمع ٤٧/٣ وعزاه لأحمد والبزار وقال رجاله رجال الصحيح.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٧٧/٢.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٧٧/٢.

(٥) البغوي ٣/٣٥ انظر فتح القدير ٣/١١١. انظر الدر المنثور ٤/٨٤.

(٦) حكاه البغوي في التفسير عن عمر رضي الله عنه ٣/٣٥ وذكره الشوكاني في الفتح ٣/١١٠ وعزاه للبخاري في التاريخ وابن المنذر وابن مردويه عن عمر بن الخطاب.

من الحجارة والخشب وغير ذلك ﴿ليضلوا﴾ الناس عن دين الله، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويفتح الياء^(١)، والمعنى أنهم لم ينتفعوا بما اتخذوا من الأنداد، ولم يتخذوها إلا ليزيغوا عن الطريق المستقيم، وهذه لام العاقبة ثم أوعدهم، فقال: ﴿قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾ قال ابن عباس في هذه الآية: لو صار الكافر مريضاً سقيماً لا ينام ليلاً ولا نهاراً، جائعاً لا يجد ما يأكل ويشرب، لكان هذا كله نعيماً يتمتع به بالقياس إلى ما يصير إليه من شدة العذاب، ولو كان المؤمن في الدنيا في أُنعم عيشه، لكان بؤساً عندما يصير إليه من نعيم الآخرة^(٢)، قوله:

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾

﴿قل لعبادي الذين ءامنوا يقيموا الصلوة﴾ معناه: قل لهم أقيموا الصلاة، فصرف عن لفظ الأمر إلى لفظ الخبر، وجعل كالجواب للأمر، وهذه الآية أمر للمؤمنين بعبادة الله من الصلاة والإنفاق في وجوه البر قبل يوم القيامة، وهو قوله: ﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال﴾ قال أبو عبيدة: البيع ها هنا الفداء، والخلال: المخالفة^(٣)، قال مقاتل: ذلك يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالفة ولا قرابة، إنما هي أعمال يثاب بها قوم ويعاقب عليها آخرون^(٤)، والخلال: فعال من المخالفة، وهو مصدر الخليل، هذا قول جميع أهل اللغة^(٥)، وقال أبو علي الفارسي: ويجوز أن يكون جمع خلة، مثل برمة وبرام، وعلبة وعلاب^(٦)، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله:

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾

﴿وسخر لكم الأنهار﴾ أي: ذلها لكم بالركوب والإجراء إلى حيث تريدون ﴿وسخر لكم الشمس والقمر﴾ لتنتفعوا بهما، وتستضيئوا بضوئهما ﴿دائبين﴾ في إصلاح ما يصلحانه من النبات وغيره، لا يفتران، ومعنى الدؤوب مرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه ﴿وسخر لكم الليل﴾؛ لتسكنوا فيه؛ راحة لأبدانكم ﴿والنهار﴾ لتبتغوا فيه من فضله ﴿وءاتاكم من كل ما سألتموه﴾ مفعول الإيتاء محذوف بتقدير من كل ما سألتموه مستولاً أو شيئاً، ويجوز أن يكون من زيادة، والمعنى وآتاكم كل ما سألتموه، وقال ابن الأنباري^(٧): تقدير الآية: وآتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه، لأننا لم نسأله شمساً ولا قمراً، ولا كثيراً من نعمة التي ابتدأنا بها، وكان قتادة يقرأ ﴿من كل ما سألتموه﴾ قال: لم تسألوه كل الذي آتاكم^(٨) ﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾ أي: إنعامه، والنعمة ههنا

(١) انظر ابن زنجلة ص (٣٧٨) وانظر النشر ٢/٢٩٢ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٦٩.

(٢) انظر زاد المسير ٤/٣٦٣.

(٣) انظر مجاز القرآن ١/٣٤١ فتح القدير ٣/١٠٩.

(٤) انظر فتح القدير ٣/١٠٩.

(٥) انظر فتح القدير ٣/١٠٩.

(٦) انظر فتح القدير ٣/١٠٩.

(٧) فتح القدير ٣/١١٠ زاد المسير ٤/٣٦٥.

(٨) انظر فتح القدير ٣/١١٠ زاد المسير ٤/٣٦٥.

اسم أقيم مقام المصدر؛ ولذلك لم يجمع ﴿لا تحصوها﴾ أي: لا تأتوا على جميعها بالعدد لكثرتها، قال الكلبي: لا تحفظوها^(١)، وقال أبو العالية: لا تطيقون عدّها^(٢) ﴿إن الإنسان﴾ قال ابن عباس: يريد أبا جهل^(٣) ﴿لظلم﴾ لنفسه ﴿كفار﴾ بنعمة ربه قال الزجاج: الإنسان اسم الجنس، يقصد به الكافر خاصة كما قال: ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾^(٤) ومعنى ظلم: شاكراً غير من أنعم عليه ﴿كفار﴾ جحود لنعم الله قوله:

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۚ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ
كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٦ رَبَّنَا إِنِّي أَصْبَحْتُ بِوَادٍ
غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ
مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ٣٧ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا
فِي السَّمَاءِ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ٣٨ رَبِّ
اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي ٣٩ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
الْحِسَابُ ٤٠ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ٤١ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمِ تَشْخَصُ فِيهِ
الْأَبْصَارُ ٤٢

﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً﴾ سبق تفسيره في سورة البقرة وقوله: ﴿واجنبي وبني أن نعبد الأصنام﴾ يقال: جنبته كذا، وأجنبته وجنبته، أي: باعدته عنه، وجعلته ناحية منه، والمعنى: ثبتني على اجتناب عبادتها، لأنه غير عابد لها، وهذه الدعوة مخصوصة بأبنائه من صلبه، فقد كان من نسله من عبد الصنم، وكان إبراهيم التيمي يقص ويقول: من يأمن البلاء بعد إبراهيم خليل الرحمن؟ ويقرأ هذه الآية ﴿رب إنهم أضلن كثيراً من الناس﴾ أي: ضلوا بسببها، لأن الأصنام لا تفعل شيئاً، ولكن لما ضلوا بسببها صارت كأنها أضلتهم ﴿فمن تبعني﴾ على ديني بالتوحيد ﴿فإنه مني﴾ أي من المتدينين بديني ﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ قال السدي: معناه من عصاني، ثم تاب فإنك غفور رحيم^(٥)، وقال مقاتل: ومن عصاني فيما دون الشرك فإنك غفور رحيم^(٦)، قال ابن الأنباري: ويحتمل أن هذا كان قبل أن يعلمه الله أنه لا يغير الشرك، كما استغفر لأبيه^(٧)، قوله: ﴿ربنا إنني أسكنت من ذريتي﴾ قال ابن الأنباري: من دخلت للتوكيد، والمعنى: أسكنت ذريتي^(٨)، وعند الفراء: دخلت من للتبويض^(٩)، أي: أسكنت بعض ذريتي، وذلك أنه أنزل إسماعيل وأمه بمكة، وإسماعيل بعض ذرية إبراهيم، يدل على هذا قول ابن عباس في هذه الآية يريد إسماعيل^(١٠) ﴿بوادٍ غير ذي زرع﴾ قال: يريد واد من مكة، ومكة كلها واد^(١١).

(١) زاد المسير ٤/٣٦٥.

(٢) البغوي ٣/٣٦٥ زاد المسير ٤/٣٦٥.

(٣) فتح القدير ٣/١١٢ زاد المسير ٤/٣٦٥.

(٤) فتح القدير ٣/١٢ زاد المسير ٤/٣٦٦.

(٥) انظر زاد المسير ٤/٣٦٥.

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٨٧. فتح القدير ٣/١١٢.

(٧) سورة العصر ٢.

(٨) انظر البغوي ٣/٣٧ فتح القدير ٣/١١٢. وانظر الدر المنثور ٤/٨٦.

(٩) البغوي ٣/٣٧ زاد المسير ٤/٣٦٥ الرازي ١٩/١٠٦.

(١٠) انظر البغوي ٣/٣٧ وفتح القدير ٣/١١٢. انظر الدر ٤/٨٧.

(١١) البغوي ٣/٣٧ زاد المسير ٤/٣٦٥.

أخبرنا: أبو حسان محمد بن أحمد بن جعفر أنا هارون بن محمد بن هارون^(١) أنا إسحاق بن أحمد الخزازي أنا أبو الوليد الأزرقى^(٢) حدثني جدي^(٣) ناسعيد بن سالم الفداح، عن عثمان بن ساج أخبرني محمد بن إسحاق أنا ابن أبي نجیح عن مجاهد: أن إبراهيم خرج من الشام، وخرج معه ابنه إسماعيل وأمه هاجر وإسماعيل طفل يرضع، وحملوا على البراق ومعه جبريل، حتى قدم مكة، وكانت هي إذ ذاك عشاء من سلم وسمر، وبها ناس يقال لهم العماليق، خارجاً من مكة، والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة فقال إبراهيم لجبريل عليهما السلام: أها هنا أمرت أن أضعهما؟ قال: نعم، فعمد بهما إلى موضع الحجر، فأنزلهما فيه، وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشاً، ثم قال: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم﴾^(٤) الآية. والمعنى: عند بيتك المحرم الذي يحدث في هذا الوادي، لأن إسكان الخليل إسماعيل مكة كان قبل بنائهما البيت ﴿ربنا ليقيموا الصلاة﴾ قال ابن عباس: ليعبدوك^(٥) ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ تريدهم وتسرع إليهم، قال عطاء^(٦): نحن إليهم، وقال قتادة^(٧): تنزع إليهم، وقال مجاهد: لو قال أفئدة الناس، لازدحمت عليه فارس والروم، والترك والهند^(٨)، وقال سعيد بن جبیر: لو قال أفئدة الناس، لحجت اليهود والنصارى، والمجوس، ولكنه قال أفئدة من الناس، فهم المسلمون^(٩) قال عكرمة: هو أنهم يحجون إلى مكة^(١٠) ﴿وارزقهم من الثمرات﴾ هذا كقوله في سورة البقرة ﴿وارزق أهلهم من الثمرات﴾ ﴿لعلهم يشكرون﴾ قال ابن عباس: كي يوحدوك ويعظموك^(١١)، قوله: ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق﴾ قال ابن عباس: ولد إسماعيل لإبراهيم، وهو ابن تسع وتسعين سنة، وولد إسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة^(١٢) ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾ قال الزجاج: أي: اجعل من ذريتي من يقيم الصلاة^(١٣) ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ قال ابن عباس يريد عبادتي^(١٤) ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي﴾ قال ابن الأنباري: استغفر

(١) هارون بن محمد بن هارون الضبي أبو جعفر والد القاضي أبي عبد الله الحسين بن هارون: أنفق أمواله في بر العلماء والإفضال عليهم، وفي صلوات الأشراف من الطالبين والعباسيين وغيرهم واقتناء الكتب المنسوبة، وكان مبرزاً في العلم باللغة والشعر والنحو ومعاني القرآن والكلام. وكانت دأبه منجماً لأهل العلم في كل فن، إلى أن توفي في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة. انظر تاريخ بغداد (٣٣/١٤).

(٢) أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقى صاحب كتاب أخبار مكة، وقد أحسن في تصنيف ذلك الكتاب غاية الإحسان. انظر الأنساب (١٢٢/١).

(٣) انظر الأنساب (١٢٢/١). (٤) انظر تفسير البغوي ٣٧/٣.

(٥) اللام في لقيموا متعلقة بأسكنت: أي أسكنتهم لقيموا الصلاة فيه. متوجهين إليه متبركين به، وخصها دون سائر العبادات لمزيد فضلها. ولعل تكرير النداء لإظهار العناية الكاملة بهذه العبادة. انظر فتح القدير (١١٢/٣).

(٦) البغوي ٣٨/٣، وانظر فتح القدير ١١٤/٣.

(٧) ذكره الشوكاني في الفتح ١١٤/٣، وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة.

(٨) البغوي ٣٨/٣، الرازي ١٠٨/١٩.

(٩) البغوي ١٣٨/٢ والرازي ١٠٨/١٩ وذكره الشوكاني في الفتح عن ابن عباس وعزاه لابن المنذر ١١٤/٣.

(١٠) وانظر فتح القدير ١١٤/٣، وذكره السيوطي في الدر ٨٧/٤ وعزاه لابن أبي شيبه وابن جرير وابن أبي خاتم عن الحكم قال سألت عكرمة وطاوساً وعطاء بن أبي رباح...

(١١) وذلك يدل على أن المقصود للعاقل من منافع الدنيا أن يتفرغ لإقامة العبادات وإقامة الطاعات، فإن إبراهيم عليه السلام بين أنه إنما طلب تيسير المنافع على أولاده لأجل أن يتفرغوا لإقامة الصلوات وأداء الواجبات انظر الرازي (١٠٨/١٩ - ١٠٩).

(١٢) البغوي ٣٨/٣ انظر زاد المسير ٣٦٨/٤ فتح القدير ١١٣/٣.

(١٣) انظر معاني القرآن للزجاج ١٦٥/٣ فتح القدير ١١٣/٣.

(١٤) البغوي ٣٩/٣ فتح القدير ١١٣/٣.

لأبويه وهما حيان طمعاً في أن يهديا إلى الإسلام، ويسعدا بالدين^(١) وقيل: أراد بوالديه آدم وحواء ﴿وللمؤمنين﴾ قال ابن عباس: يريد من لقيك مؤمناً مصداقاً فتجاوز عنه^(٢) ﴿يوم يقوم الحساب﴾ يظهر الجزاء على الأعمال قوله: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾.

أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان، أنا أبو علي الحسين بن حبش الدينوري، أخبرنا: عبد الله بن وهب الدينوري أنا محمد بن آدم المصيصي^(٣)، نا أبو المليلح الرقي^(٤) حدثنا: ميمون بن مهران، عن ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ قال: وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم^(٥) وقوله: ﴿إنما يؤخرهم﴾ أي يؤخر جزاءهم ولا يأخذهم بظلمهم ﴿ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ قال ابن عباس: يريد يوم القيامة، تشخص فيه أبصار الخلائق إلى الهواء، لعجائب ما يرون؛ ولشدة الحيرة والدهشة لا يغمضون^(٦).

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدْتَهُمْ هَوَاءً ﴿٤٣﴾

﴿مهطعين﴾ قال سعيد بن جبيرة، والحسن، وقتادة مسرعين^(٧) وقال الضحاك والكلبي والعمري عن ابن عباس: مديمي النظر من غير أن يطفروا^(٨)، ومعنى الإهطاع: الإسراع مع إدامة النظر، وقوله ﴿مقنعي رؤوسهم﴾ يقال: أقنع رأسه إذا رفعه، قال المفسرون: رافعي رؤوسهم^(٩)، قال الحسن: وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء، لا ينظر أحد إلى أحد^(١٠) ﴿لا يرتد إليهم طرفهم﴾ لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر، فهي شاحصة، وقوله: ﴿وأفدتهم هواء﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد: خرجت القلوب من مواضعها، فصارت في الحناجر^(١١)، وقال قتادة: انتزعت، حتى صارت في حناجرهم^(١٢) فعلى هذا أريد بالأفئدة مواضع القلوب وأنها خلت عن القلوب، فصارت هواء، وقال آخرون: معنى الآية: أن قلوبهم خلت عن العقول، لما رأوا من الفزع، فهي خالية عن العقل، للدهشة والحيرة^(١٣) ثم عاد إلى خطاب النبي ﷺ، وأمره بالإنذار.

وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَنَتَّبِعِ

(١) انظر زاد المسير ٤/٣٦٩.

(٢) انظر تفسير البغوي ٣/٣٩.

(٣) محمد بن آدم بن سليمان الجهني صدوق مات سنة خمس ومائتين. انظر التقريب ٢/١٤٣، التهذيب ٩/٣٤ - ٣٥.

(٤) بفتح الراء هذه النسبة إلى الرقة وهي بلدة على طرف الفرات مشهورة من الجزيرة. انظر الأنساب (٣/٨٤).

(٥) البغوي ٣/٣٩ زاد المسير ٤/٣٦٩ وذكره الشوكاني في الفتح ٣/١١٧ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والخراطي في مساويء الأخلاق عن ميمون بن مهران.

(٦) الطبري ١٣/٢٣٦ وانظر فتح القدير ٣/١١٧.

(٧) البغوي ٣/٣٩ وذكره الشوكاني في الفتح ٣/١١٧ وعزاه لعبد الرزاق، وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

(٨) البغوي ٣/٣٩ ذكره الشوكاني ٣/١١٧ في الفتح وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٩) البغوي ٣/٣٩ زاد المسير ٤/٣٦٩ فتح القدير ٣/١١٥ الرازي ١٩/١١٢.

(١٠) البغوي ٣/٣٩.

(١١) البغوي ٣/٣٩.

(١٢) البغوي ٣/٣٩.

(١٣) البغوي ٣/٣٩.

الرُّسُلُ أَوْلَمَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ۚ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكَانِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ۚ

فقال: ﴿وأندر الناس﴾ قال ابن عباس: يعني: أهل مكة^(١) ﴿يوم يأتيهم العذاب﴾ يعني: يوم القيامة ﴿فيقول الذين ظلموا﴾ أشركوا بالله ﴿ربنا أخرنا إلى أجل قريب﴾ استمهلهو مدة يسيرة، لكي يجيوا الدعوة، ويتبعوا الرسل، وهو قوله: ﴿نحب دعوتك ونتبع الرسل﴾ فيقال لهم: ﴿أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال﴾ حلفتكم في الدنيا أنكم لا تبعثون ولا تتقلون من الدنيا إلى الآخرة ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ يعني الأمم الكافرة قبلهم، ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية يقول: كان ينبغي أن يرجعوا ويرتدعوا من الكفر، اعتباراً بمساكنهم بعد ما تبين ﴿لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال﴾ قال ابن عباس: يريد الأمثال التي في القرآن^(٢).

وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۚ فَلَا تَخَسَّنْ اللَّهُ مَخْلَفَ وَعْدِهِ ۗ رُسُلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۚ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۚ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۚ سَرَابِئِلُهُمْ مِّن قِطْرَانٍ وَتَعْلَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ۚ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۚ

قوله: ﴿وقد مكروا مكْرَهُمْ﴾ يعني مكْرَهُم بالنبي ﷺ حين هموا بقتله ونفيه ﴿وعند الله مكْرَهُمْ﴾ أي: جزء مكْرَهُم ﴿وإن كان مكْرَهُم﴾ وما كان مكْرَهُم ﴿لتزول منه الجبال﴾ يعني: أمر النبي ﷺ وما أتى به من دين الإسلام، وضرب الجبال مثلاً له على معنى أن ثبوته كثبوت الجبال، قال الحسن: إن كان مكْرَهُم لأوهن وأضعف من أن تزول منه الجبال^(٣)، وقرأ الكسائي: (لتزول)، بفتح اللام الأولى وضم الثانية^(٤) وإن على هذه القراءة لا يكون نفيًا، بل يكون بمعنى قد، والمعنى قد كادت الجبال تزول من مكْرَهُم، وهذه مبالغة في وصف مكْرَهُم بالعظم على مذهب العرب في المبالغة، قال الزجاج: وإن كان مكْرَهُم يبلغ في الكيد إلى إزالة الجبال، فإن الله تعالى ينهر دينه^(٥)، يدل على هذا قوله ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ قال ابن عباس: يريد النصر والفتح وإظهار الدين^(٦) ﴿إن الله عزيز﴾ منيع ﴿ذو انتقام﴾ من الكافرين، وهو أن يجازيهم بالعقوبة على كفرهم، قوله: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: الأرض هي تلك الأرض وإنما تبدل أكامها، وجبالها وأشجارها^(٧)، ونحو هذا، روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: يبدل الله الأرض غير الأرض، فيسطها، ويمدها مد الأديم العكاظي ﴿لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً﴾^(٨) وأما تبديل السماوات فقال ابن الأنباري: باختلاف هيئتها كما ذكر الله

(١) انظر زاد المسير ٤/٣٧١.

(٢) الرازي ١٩/١١٣ زاد المسير ٤/٣٧٢.

(٣) البغوي ٣/٤٠ زاد المسير ٤/٣٧٤ الرازي ١٩/١١٤.

(٤) انظر حجة القراءات وانظر النشر ٢/٣٠٠ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٧١.

(٥) البغوي ٣/٤١ زاد المسير ٤/٣٧٥.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٦٦.

(٧) البغوي ٣/٤١ انظر زاد المسير ٤/٣٧٥. ذكره السيوطي في الدرر ٤/٩١ وعزاه للبيهقي في البعث.

(٨) أخرجه الطبري في التفسير ١٣/٢٥٢. وذكره السيوطي في الدرر ٤/٩١ وعزاه للبيهقي في البعث عن ابن عباس.

أنها تكون مرة كالمهل، ومرة كالدهان قال ابن مسعود^(١): تبدل بأرض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم، ولم يعمل عليها خطيئة، وهذا قول الكلبي، وعطاء عن ابن عباس، وأكثر المفسرين^(٢) ﴿وبرزوا لله الواحد القهار﴾ كقوله: ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾ ﴿وترى المجرمين﴾ قال ابن عباس: يريد الذين أجزموا، زعموا أن الله ولدأ وشريكاً^(٣) ﴿يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿مقرنين﴾ يقال: قرنت الشيء بالشيء إذا وصلته به، وجاء ههنا على التشديد؛ لكثرة أولئك القوم قوله: ﴿في الأصفاد﴾ جمع الصفد، وهو القيد، قال عطاء: يريد سلاسل الحديد والأغلال^(٤)، وقال الكلبي: كل كافر مع شيطان في غل^(٥)، وقال ابن زيد^(٦): قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال ﴿سرايلهم﴾ جمع سريال، وهو القميص، وقال الزجاج^(٧): هو كل ما لبس من قطران، وهو هناء الإبل، وهو شيء يتحلب من شجر وجعلت سرايلهم من قطران، لأنه أبلغ في اشتعال النار في جلودهم ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ أي: تعلقها ﴿ليجزى الله كل نفس ما كسبت﴾ ليقع لهم الجزاء من الله بما كسبوا يعني: الكفار ﴿هذا﴾ يعني القرآن ﴿بلاغ للناس﴾ أي: أنزل؛ ليلبغوا ﴿ولينذروا به﴾ قال ابن عباس^(٨): ولتنذر قومك يا محمد ﴿وليعلموا أنما هو إله واحد﴾ أي: بما فيه من الحجج التي تدل على وحدانيته ﴿وليتذكر أولو الألباب﴾ ولتتعظ أهل العقول والبصائر.

(١) الطبري ٢٥٤/١٣ البغوي ٤١/٣ ابن كثير ٤٣٩/٤، زاد المسير ٣٧٦/٤. وذكره السيوطي في الدر ٩١/٤ عن أنس وعزاه لابن جرير وابن مردويه وعن علي عزاه في المصدر نفسه لابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. وعزاه أيضاً لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) زاد المسير ٣٧٦/٤.

(٤) البغوي ٤٢/٣. وذكره السيوطي مثله عن سعيد بن جبير وعزاه لابن أبي حاتم ومثله أيضاً عن قتادة وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير.

(٥) البغوي ٤٢/٣.

(٦) البغوي ٤٢/٣.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ١٧٠/٣.

(٨) بنحوه انظر فتح القدير ١١٩/٣.

سورة الحجر

مكية وآياتها تسع وتسعون

أخبرنا: أبو عثمان سعيد بن محمد الزعفراني، نا أبو عمرو محمد بن الحيري. نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول ﷺ: (من قرأ سورة الحجر، أعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين)^(١).

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ زَيْمًا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ
يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا
نَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٥﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قال أبو الضحى عن ابن عباس: أنا الله أرى^(٢) وقال عكرمة عنه: ﴿الر﴾ وحده، وق حروف الرحمن مقطعة^(٣) ﴿تلك﴾ هذه ﴿آيات الكتاب﴾ يعني القرآن، ثم ذكره فقال: ﴿وقرآن مبين﴾ فجمع بين الوصفين لموصوف واحد، قوله: ﴿زيمًا يود الذين كفروا﴾ وقرئ بالتخفيف^(٤) لما فيه من التضعيف والحروف المضاعفة قد تخفف نحو: إن وأن ولكن، وقد خفف كل واحد من هذه الحروف، قال الزجاج: العرب تقول: وب رجل جاءني ويخففون فيقولون: وب رجل^(٥)، قال المفسرون: نزلت الآية في تمني الكفار الإسلام عند خروج من يخرج من النار من أهل الإسلام^(٦) وهذا تفسير النبي ﷺ فيما أخبرنا أبو إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم الواعظ أنا

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في تخرجه على الكشاف (١/٤٦٠) وعزاه لابن الجوزي في الموضوعات من حديث أبي بن كعب وابن مردويه من وجه آخر عن أبي بن كعب وقال في موضع آخر: رواه الثعلبي من طريق أبي الخليل عن علي بن زيد عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب. انظر الكشاف ٢/٥٩٢ وقد تقدم.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره ١/١٠٩ والبغوي في تفسيره ١/٤٣، ٢/٤٣.

(٣) ذكره البغوي في تفسيره عن سعيد بن جبیر ١/٤٤ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١/٢٢ عن عامر وعزاه لابن أبي شيبة في تفسيره وعن ابن حميد وابن المنذر.

(٤) قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر بتخفيف الباء الموحدة والباقون بتشديدها. قال الكسائي: هما لغتان والأصل التشديد لأنك لو صغرت رب لقلت: زبيب فرددت إلى أصله فإن قيل فما موضع ما من ربما قيل فيه وجهان أحدهما أن تكون ما نائبة عن اسم منكور في موضع جر بمعنى شيء وذلك كقول الشاعر:

ربما تكره النفوس من الأمر ر له فرجة كحل العقال

الثاني: أنها كافة لأن رب وإن لا يليهما إلا الأسماء فإذا وليتهما الأفعال وصلوها ب (ما) كقوله تعالى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾. انظر النشر (٢/٣٠١) حجة القراءات (٣٨٠ - ٣٨١) إتحاف فضلاء البشر (٢/١٧٣) القرطبي ١٠/٣.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/١٧١.

(٦) انظر الدر المنثور ٤/٩٢ تفسير ابن كثير ٤/٤٤٣ تفسير الرازي ١٩/١٢٢ تفسير البغوي ٣/٤٣ تفسير أبي السعود ٥/٦٤.

محمد بن جعفر بن مطر نا: محمود بن محمد الواسطي، نا أبو الشعثاء نا خالد بن نافع، عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: إذا اجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا بلى. قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار، قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فسمع الله ما قالوا، فأمر الله من كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج من النار كما أخرجوا قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مِّبِينٍ رَّبِّمَا يُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾^(١).

أخبرنا: أبو بكر التميمي، نا أبو الشيخ الحافظ، نا: أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان العسكري نا عبدة، عن عطاء بن السائب، عن مجاهد عن ابن عباس قال: ما يزال الله يشفع ويدخل الجنة، ويرحم، حتى يقول: من كان من المسلمين فليدخل الجنة فذلك حين يقول: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾^(٢) قوله: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا﴾ يقول دع الكفار يأخذوا حظوظهم من دنياهم فتلك خلاقهم، وهذا كقوله: ﴿ذرهم يخوضوا ويلعبوا﴾^(٣) ﴿ويلههم الأمل﴾ يشغلهم ما يأملون في دنياهم عن الأخذ بحظهم من الإيمان والطاعة، يقال ألهاه الشيء، أي شغله وأنساه^(٤) ﴿فسوف يعلمون﴾ وعيد وتهديد، أي: فسوف يعلمون إذا وردوا القيامة وبال ما صنعوا ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ قال ابن عباس: يريد من أهل القرية^(٥) ﴿إلا ولها كتاب معلوم﴾ أجل ينتهون إليه، يعني أن لأهل كل قرية أجلاً مؤقتاً لا يهلكهم حتى يبلغوه، ﴿ما تسبق من أمة﴾ من زائدة، كقولك ما جاءني من ﴿أجلها﴾ ما ضرب لها من الوقت ﴿وما يستأخرون﴾ لا يتأخرون عنه، وهذا كقوله: ﴿لكل أمة أجل﴾^(٦) قوله:

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿١﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾
مَا نُنزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٢/٢٤٢ كتاب التفسير وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وصححه ووافقه الذهبي والطبري في تفسيره ٣/١٤ وابن كثير في تفسيره ٤/٤٤٣ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٤٨ وعزاه للطبراني وقال وفيه خالد بن نافع الأشعري قال أبو داود متروك قال الذهبي: هذا تجاوز في الحد فلا يستحق الترك فقد حدث عنه أحمد بن حنبل وغيره. وبقيته رجاله ثقات. انظر ميزان الاعتدال (١/٦٤٤). وأخرجه النسائي في السنن الكبرى ٦/٣٧٣ من حديث جابر وصححه العراقي في تخريجه على الإحياء ٤/٥٧٩.

(٢) ذكره الفخر الرازي في تفسيره ١٩/١٢٢ والسيوطي في الدر المنثور ٤/٩٢ وعزاه لسعيد بن منصور وهناد بن السري في الزهد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في البعث وانظر البحر المحیط ٥/٤٤٥. وذكره أبو السعود في التفسير ٥/٦٤ وقال: الحق أن ذلك محمول على شدة ودادتهم، وأما نفس الودادة فليست بمختصة بوقت دون وقت، بل هي مقررة مستمرة في كل آن يمر عليهم، وأن المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة، وإنما جيء بصيغة التقليل جرياً على سنن العرب فيما يقصدون به الإفراط فيما يعكسون عنه تقول لبعض قواد العساكر: كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي أو لا تعدم عندي فارساً وعندة مقاني جملة من الكتاب وقصده التماذي في تكثير فرسانه ولكن يريد إظهار براءته من التزديد وإبراز أنه ممن يقلل لعلو الهمة. . .

(٣) سورة المعارج ٤٢.

(٤) لسان العرب ٥/٤٠٩٠ الصحاح ٦/٢٤٨٧. ترتيب القاموس ٤/١٧٩.

(٥) انظر تنوير المقابس ٣/٦٠ زاد المسير ٤/٣٨٢ والبغوي في تفسيره ٣/٤٤ بلا نسبة.

(٦) سورة الأعراف ٣٤.

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْأَلُكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلَّ فِيهِ يَعْزُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ (١) أي القرآن قال عطاء: عن ابن عباس: هذا استهزاء منهم، لو أيقنوا أنه أنزل عليه الذكر ما قالوا: ﴿إنك لمجنون﴾ ﴿لوما تأتينا بالملائكة﴾ قال الفراء: لولا، ولوما: لغتنا معناهما هلا (٢) قال ابن عباس: أفلا جئنا بالملائكة حتى نصدقك (٣)؟ قال الله تعالى جواباً لهم: ﴿ما نزل الملائكة إلا بالحق﴾ أي إذا نزل الملائكة وجب العذاب من غير تأخير ولا إنظار قال ابن عباس: إذا نزلت الملائكة، لم ينظروا، ولم يمهلوا (٤) وهو قوله: ﴿وما كانوا إذا منظرين﴾ قوله: ﴿إنا نحن﴾ هذا من كلام الملوك، الواحد منهم إذا فعل شيئاً، قال: نحن فعلنا، يريد نفسه وأتباعه، ثم صار هذا عادة الملك في خطابه، وإن انفرد بفعل الشيء قال: نحن فعلنا، فخطوبت العرب بما يعقل من كلامها، وقوله: ﴿نحن نزلنا الذكر﴾ يعني القرآن ﴿وإناله لحافظون﴾ قال قتادة: لا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلاً ولا ينقص منه حقاً، حفظه الله من ذلك (٥) ﴿ولقد أرسلنا من قبلك﴾ أي رسلاً فحذفت المفعول الدلالة الإرسال عليه ﴿في شيع الأولين﴾ قال الحسن والكلبي: في فرق الأولين (٦) وقال عطاء عن ابن عباس: في الأمم الأولين (٧) قال الفراء: الشيعة الأمة لمتابعة بعضهم بعضها فيما يجتمعون عليه من أمر (٨) ﴿وما يأتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ يعني كما استهزأ به قومك، وهذا تعزية للنبي ﷺ، ودلالة أن كل واحد من الرسل كان مبتلى بقومه ﴿كذلك نسلكه﴾ قال الزجاج كما فعل بالمجرمين الذين استهزؤا، نسلك الضلال في قلوب المجرمين (٩)، والسلك: إدخال الشيء في الشيء (١٠) قال ابن عباس والحسن: نسلك الشرك في قلوب المكذبين (١١) ثم أخبر عن هؤلاء المشركين أنهم لا يؤمنون، فقال: ﴿لا يؤمنون به﴾ بالرسول وبالقرآن، ﴿وقد خلت سنة الأولين﴾ مضت سنة الله بإهلاك من كذب الرسول في القرون الماضية وهذا تهديد لكفار مكة ثم أخبر أنهم إذا وردت عليهم الآية بالمعجزة قالوا سحر، فقال: ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون﴾ يقال: ظل إذا

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٨٢/٤ وذكر البغوي في تفسيره هذا المعنى بلا نسبة ٤٤/٣ والقرطبي في تفسير ٥/١٠ وأبو

السعود في تفسيره ٦٦/٥. والزمخشري في الكشاف ٥٧١/٢ والشوكاني في فتح القدير ١٢٢/٣.

(٢) معاني القرآن للفراء ٨٤/٢ تفسير الرازي ٢٢٦/١٩ وذكره الشوكاني في التفسير عن النحاس ١٢٢/٦.

(٣) تنوير المقياس ٦٠/٣.

(٤) تنوير المقياس ٦٠/٣ وانظر معنى هذا في تفسير البغوي ٤٤/٣.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٤/٤ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وانظر زاد المسير ٣٨٤/٤.

(٦) ذكره الألويسي في روح المعاني عن الحسن والكلبي ١٧/١٤ والقرطبي في تفسيره ٦/١٠ عن الحسن.

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٤/٤ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والرازي في تفسيره ١٢٨/١٩ بلا نسبة والبغوي

في تفسيره ٤٤/٣ بلا نسبة.

(٨) زاد المسير ٣٨٠/٤ فتح القدير ١٢٢/٣ تفسير الرازي ١٢٨/١٩.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ١٧٤/٣ فتح القدير للشوكاني ١٢٣/٣.

(١٠) انظر الصحاح ١٥٩١/٤ لسان العرب ٢٠٧٣/٣ ترتيب القاموس ٦٠٠/٢.

(١١) تنوير المقياس ٦١/٣ تفسير القرطبي ٧/١٠.

إذا فعله بالنهار والعروج الصعود^(١)، يقال عرج يعرج عروجاً، يقول: لو كشف لهؤلاء عن أبصارهم، حتى يعاينوا باباً في السماء مفتوحاً تصعد فيه الملائكة لصرخوا ذلك إلى أنهم سحروا وهو قوله: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سَكَّرتْ أَبْصَارُنَا﴾ قال مجاهد: سدت بالسحر فيخايل لأبصارنا غير ما نرى^(٢) وأصله من السكر وهو سد الشق^(٣) لثلا يتفجر الماء فكأن الأبصار منعت من النظر كما يمنع الماء من الجري، والتشديد لذكر الأبصار ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ سحرنا محمد، فنحن نرى ما لا حقيقة له.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقِيَامَةَ فِيهَا رُوسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِيهَا مَعْيِشٌ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُمْ بَرَزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخْرِبِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِن رَيْكَ هُوَ بِحَشْرِهِمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً﴾ قال ابن عباس: يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلهما^(٤) ﴿وزيئناها﴾ بالشمس والقمر والنجوم ﴿لنناظرين﴾ للمعتبرين بها، والمستدلين على توحيد صانها ﴿وحفظناها﴾ من كل شيطان رجيم ﴿معنى الرجم في اللغة الرمي بالحجارة ثم قيل للعن والطرود والإبعاد رجم، لأن الرمي بالحجارة^(٥) يوجب هذه المعاني، والرجيم: الملعون المطرود المبعد وقال أبو عبيدة: الرجيم المرجوم بالنجوم^(٦) بيانه قوله: ﴿رجوماً للشياطين﴾^(٧) قال ابن عباس^(٨): كانت الشياطين لا تحجب عن السموات، وكانوا يدخلونها، ويتحرون أخبارها، فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات، فلما ولد رسول الله ﷺ، منعوا من السموات كلها، فما منهم من [أحد]^(٩) يريد استراق السمع إلا رمى بشهاب فذلك قوله ﴿إلا من استرق السمع﴾ وذلك أن المارد من الشياطين يعملوا لاستراق السمع، فيرمى بالشهاب، وهو قوله: ﴿فاتبعه﴾ أي لحقه ﴿شهاب مبین﴾ شعلة نار ظاهرة

(١) انظر الصحاح ٣٢٨/١ لسان العرب ٢٨٧٠/٤ ترتيب القاموس ١٨٤/٣.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره ٧/١٠ وابن كثير ٤٤٦/٤. والشوكاني في فتح القدير ١٢٣/٣ بلا نسبة والألوسي في روح المعاني ٢٠/١٤ والسيوطي في الدر المنثور ٩٥/٤ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وانظر تفسير ابن الجوزي ٣٨٦/٤.

(٣) انظر لسان العرب ٢٠٤٨/٣ فتح القدير ١٢٣/٣.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره ٨/١٠ زاد المسير لابن الجوزي ٩٤/٤ وابن كثير في تفسيره ٤٤٦/٤ بلا نسبة والشوكاني في فتح القدير ١٢٥/٣ بلا نسبة.

(٥) انظر الصحاح ١٩٢٨/٥ لسان العرب ١٦٠١/٣ ترتيب القاموس ٣١٢/٢.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٤٨/١.

(٧) سورة الملك آية ٥.

(٨) ذكره البغوي في تفسيره ٤٥/٣ والقرطبي في تفسيره ٩/٨/١٠ وأبو السعود في تفسيره ٧١/٥ والرازي في تفسيره ١٣٤/١٩ وابن الجوزي في تفسيره ٣٨٩/٤.

(٩) سقط في ب.

لأهل الأرض ونحن في رأي العين نرى كأنهم يرمون بالنجوم فيجوز أن يكون ذلك كما نرى، ثم يصير ناراً إذا أدركه الشيطان، ويجوز أنهم يرمون بشعلة نار من الهواء، ولكن لبعده عنا، يخيل إلينا أنه نجم (١) ﴿والأرض مددناها﴾ بسطناها على وجه الماء ﴿وألقينا فيها رؤسها﴾ وهي الجبال الثابتة ﴿وأثبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد الشمار مما يكال أو يوزن (٢) وقال الكلبي: وأثبتنا في الجبال من كل شيء موزون من الذهب والفضة والنحاس والحديد، والرصاص والكحل والزرنيخ وكل شيء يوزن وزناً (٣) ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ من الشمار والحبوب ﴿ومن لستم له برازقين﴾ يعني العبيد والدواب والأنعام يرزقهم الله ولا ترزقونهم، وقال الكلبي يعني الوحش والطير (٤) ﴿وإن من شيء﴾ أي من المطر في قول عامة المفسرين (٥)، وذلك أنه سبب الرزق والمعايش ولما ذكر أن يعطيهم المعايش، بين أن خزائن المطر الذي هو سبب المعايش عنده أي في أمره وحكمه وتدبيره ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ يعني أن الله تعالى ينزل المطر كل عام بقدر معلوم، لا ينقصه ولا يزيده، غير أنه يصرفه إلى من شاء حيث شاء يمطر قوم ويحرم آخرون وربما كان في البحر، قوله: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ قال ابن عباس والمفسرون يعني للشجر والسحاب (٦) قال ابن مسعود: يبعث الله الرياح، لتلقح السحاب فتحمل الماء وتمججه في السحاب ثم تم به فتدر كما تدر اللقحة (٧)، ولواقح ههنا بمعنى ملائح جمع ملقحة فحذفت الميم، وردت إلى الأصل الثلاثي، كما يقال: أبقل النبات، فهو باقل، يجعلونه بدلاً من مبقل، وقال ابن الأنباري الريح اللاقح التي تحمل الماء والسحاب (٨) وهذا قول الفراء وابن قتيبة واختيار الأزهري قالوا: جعل الله الريح هي التي تلقح بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقح (٩) وقال رجل كنت جالساً عند ابن مسعود فهاجت ريح فقال رجل: اللهم العنبا، فقال عند الله لا مه فإنما تذور مبشرات ولواقح ولكن سل الله من خيرها وتعوذ به من شرها، وقوله: ﴿فأسقيناكموه﴾ يقال: سقيته حتى روي وأسقيته نهراً، جعلته شرباً له، ومعنى ﴿فأسقيناكموه﴾ جعلناه سقياً لكم ﴿وما أنتم له﴾ لذلك الماء المنزل من السماء ﴿بخازنين﴾ يحافظين يقول: ليست خزائنه بأيديكم ﴿وإننا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون﴾ إذا مات جميع

(١) قال القرطبي: اختلف في الشهاب هل يقتل أم لا. فقال ابن عباس: الشهاب يجرح ويحرق ويخيل ولا يقتل. وقال الحسن وطائفة: يقتل فعلى هذا القول في قتلهم بالشهب قبل إلقاء السمع إلى الجن قولان: أحدهما: أنهم يقتلون قبل إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم. فعلى هذا لا تصل أخبار السماء إلى غير الأنبياء، وبذلك انقطعت الكهانة.

والثاني أنهم يقتلون بعد إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم من الجن ولذلك ما يعودون إلى استراقه، ولو لم يصل لانقطع الاستراق وانقطع الإحراق، ذكره الماوردي قلت: والقول الأول أصح. انظر القرطبي (٩/١٠ - ١٠).

(٢) زاد المسير ٣٩١/٤ الخازن مع البغوي ٦١/٤.

(٣) زاد المسير ٣٩١/٤ وذكره الشوكاني في فتح القدير ١٢٦/٣ بلا نسبة وانظر الخازن مع البغوي ٦١/٤. وذكره في بحر العلوم للسمرقندي بلا نسبة في تفسير الآية.

(٤) زاد المسير ٣٩١/٤ وذكره في روح المعاني ٢٩/١٤ عن بعضهم والشوكاني في الفتح ١٢٦/٣ بلا نسبة.

(٥) انظر زاد المسير ٣٩١/٤ فتح القدير ١٢٦/٣. وذكر هذا المعنى في البحر لأبي حيان ونسبه لابن جريج ٤٥١/٤.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٥/١٤ ابن كثير ٤٤٨/٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٩٣/٤ والرازي في تفسيره ١٣٩/١٩ والألوسي في روح المعاني بلا نسبة ٣١/١٤ وأبو السعود ٧٢/٥ وذكره السيوطي في الدر ٩٦/٣، وزاد نسبه لأبي عبيد وابن المنذر.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ١٥/١٤ وابن كثير ٤٤٨/٤ والرازي في تفسيره ١٣٩/١٩ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٩٣/٤ والسيوطي في الدر المنثور ٩٦/٤ وزاد نسبه لابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق وقوله اللقحة؛

هي الناقة الحلوب غزيرة اللبن انظر لسان العرب ٤٠٥٧/٥ الصحاح ٤٠١/١. ترتيب القاموس ١٥٩/٤.

(٨) انظر البيان لابن الأنباري ٦٧/٢.

(٩) انظر معاني القرآن للفراء ٨٧/٢ الغريب لابن قتيبة ٢٣٦ تهذيب اللغة ٥٥/٤ فتح القدير ١٢٧/٣.

الخلائق لم يبق حياً سواه كقوله ﴿إنا نحن نرث الأرض﴾ (١) الآية ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ استقدم أي تقدم، ووضه استأخر أي تأخر أخبرنا أبو منصور نصر بن بكر الواعظ أنا عبد الله بن محمد بن نصير، أنا محمد بن أيوب، أنا سعيد بن منصور، نا نوح بن قيس (٢) نا عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: كانت تصلي خلف النبي ﷺ امرأة حسناء في آخر النساء وكان بعضهم يتقدم في الصف الأول لثلاث يراها، وكان بعضهم يكون في آخر الصف، فإذا ركع، قال هكذا ونظر من تحت إبطه، فنزلت هذه الآية، رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه (٣)، عن علي بن حماد، عن إسماعيل بن إسحاق القاضي (٤)، عن حفص بن عمر، عن نوح بن قيس وقال الربيع: حض رسول الله ﷺ على الصف الأول في الصلاة فزادهم الناس عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية (٥) واختار الفراء هذا القول، وقال معنى: ﴿ولقد علمنا﴾ أي وإننا نعلم جميعهم، فنجزهم على نياتهم (٦) وقال الحسن وعطاء: يعني المتقدمين في طاعة الله، والمتأخرين عنها (٧) وقال قتادة ومجاهد: يعني من مضى من الأمم السالفة، ومن بقي وهم أمة محمد ﷺ، يدل على هذا قوله: ﴿وإن ربك هو يحشرهم﴾ (٨) يجمعهم للحساب ﴿إنه حكيم عليم﴾ وقوله:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ٢١ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُورِ ٢٢ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ٢٣ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمُ سَجِدِينَ ٢٤ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أجمعون ٢٥ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ٢٦ قَالَ

(١) سورة مريم آية ٤٠.

(٢) قيس بن رباح الأزدي الحداني ويقال: الطائي أبو روح البصري وقال أبو داود ثقة بلغني عن يحيى أنه ضعفه وقال مرة: يشيع وقال النسائي: ليس به بأس قال نصر بن علي وابن حبان مات سنة ثلاث أو أربع وثمانين ومائة. وقال ابن شاهين في الثقات قال ابن معين: هو شيخ صالح الحديث وقال العجلي: بصري ثقة التهذيب (١٠/٤٨٥ - ٤٨٦).

(٣) كتاب التفسير وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبي وأخرجه الترمذي ٢٧٦/٥ كتاب تفسير القرآن باب (سورة الحجر) (١٣١٢٢) والنسائي في السنن الكبرى ٣٧٤/٦ كتاب التفسير باب قوله تعالى ﴿ولقد علمنا المستقدمين﴾ ١١٢٧٣ وابن ماجه ٣٣٢/٢ كتاب إقامة الصلاة باب الخشوع في الصلاة ١٠٤٦ والبيهقي في السنن الكبرى ٩٨/٣ كتاب الصلاة باب الرجل يعف. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٦/٤ - ٩٧ وزاد نسبه لأبي داود الطيالسي ٢٧١٢ وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن خزيمة وابن حبان وابن مردويه. وذكره ابن كثير في تفسيره ٤٥٠/٤ وقال: الظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط ليس فيه لابن عباس ذكر وقد قال الترمذي: هذا أشبه من رواية نوح بن قيس - وذكره القرطبي ١٤/١٠ وقال: وروي عن أبي الجوزاء ولم يذكر ابن عباس وهو أصح.

(٤) الإمام شيخ الإسلام أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن محدث البصرة حماد بن زيد الأزدي مولاهم البصري ثم البغدادي المالكي الحافظ صاحب التصانيف وشيخ مالكية العراق وعالمهم، ولد سنة تسع وسبعين ومائة. قال الخطيب: كان عالماً منفقاً فقيهاً شرح مذهب مالك واحتج له ووصف المسند، ووصف في علوم القرآن. انظر تذكرة الحفاظ (٢/٦٢٥).

(٥) انظر زاد المسير ٣٩٦/٤ وذكره السيوطي في الدر ٩٧/٤ بنحوه.

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٨٨/٢.

(٧) ذكره القرطبي في تفسيره ١٤/١٠ وابن الجوزي ٣٩٧/٤ وأبو حيان في البحر مختصراً ٤٥١/٥ والشوكاني في الفتح ١٢٨/٣ والألوسي في روح المعاني ٣٢/١٤. والسيوطي في الدر المنثور ٩٧/٤ عن الحسن وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٨) القرطبي ١٤/١٠ وأبو حيان في البحر ٤٥١/٥ والألوسي في روح المعاني ٣٢/١٤ والشوكاني في فتح القدير ١٢٨/٣ والسيوطي في الدر المنثور عن مجاهد ٩٨/٤ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

يَتَّيْلِسُ مَا لَكَ إِلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لِمَ أَكُنْ لِأَسْجِدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ
 مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى
 يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ
 فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾
 إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا
 سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ
 ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ
 مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾

﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ يعني آدم ﴿من صلصال﴾ وهو طين يصلصل إذا نقر عليه، يقال: صل الحديد وصلصل إذا صوت^(١) قال ابن عباس في رواية الوالبي: الصلصال: الطين اليابس^(٢) وقال في رواية إسرائيل: الصلصال الذي إذا قرع صوت^(٣).

أخبرنا أبو بكر الحارثي أنا عبد الله بن محمد بن جعفر نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان العسكري نا يحيى ابن أبي زائدة عن إسرائيل، عن السدي عمن حدثه عن ابن عباس قال: خلق آدم من أديم الأرض فالقي على الأرض حتى صار طيناً لازباً، وهو الطين الملتزق، ثم ترك، حتى صار حمماً مسنوناً، وهو المنتن، ثم خلقه الله بيده، فكان أربعين يوماً مصوراً، حتى يبس فصار صلصالاً كالفخار إذا ضرب عليه صلصل فذلك الصلصال والفخار مثل ذلك^(٤) وقوله: ﴿من حمأ مسنون﴾ الحمأ الطين الأسود المنتن، والمسنون المتغير الرائحة، يقال: سن الماء فهو مسنون أي تغير وقال سيويه: المسنون المصور على صورة ومثال من سنة الوجه وهي صورته^(٥) قوله: ﴿والجان خلقناه﴾ قال عطاء والحسن وقتادة، ومقاتل: يريد إبليس^(٦) وقال عامة المفسرين^(٧): الجان أبو الجن، سمي جانا لتوريته عن الأعين يقال: جن الشيء إذا ستره^(٨)، فالجان يستر نفسه عن أعين بني آدم وقوله: ﴿من قبل﴾ يعني من قبل خلق آدم ﴿من نار السموم﴾ قال الكلبي: هي نار لا دخان لها، والصواعق تكون منها^(٩) قال ابن مسعود: من نار الريح الحارة

(١) انظر لسان العرب ٢٤٨٦/٤ ترتيب القاموس ٨٤٤/٢.

(٢) القرطبي في تفسيره ١٥/١٠ وأبو حيان في البحر ٤٥٣/٥ والرازي في تفسيره ١٤٣/١٩ والسيوطي في الدر المنثور ٩٨/٤.

(٣) القرطبي في تفسيره ١٦/١٠ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٩٧/٤ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٨/٤ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره ١٦/١٠ والسيوطي في الدر المنثور ٩٨/٤ وعزاه لابن عساكر.

(٥) انظر فتح القدير ٣/١٣٠.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٩٩/٤ وذكره القرطبي في تفسيره ١٧/١٠ عن الحسن وذكره البغوي ٤٩/٣ عن قتادة وكذا

السيوطي في الدر المنثور ٩٨/٤ وعزاه لسعيد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) انظر معالم التنزيل للبغوي ٤٩/٣ فتح القدير للشوكاني ٣/١٣٠ زاد المسير ٣٩٩/٤ تنوير المقباس ٩٤/٣.

(٨) انظر لسان العرب ٧٠١/١ ترتيب القاموس ٥٤٢/١.

(٩) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٤٩/٣ والقرطبي في تفسيره ١٧/١٠ عن ابن عباس وذكره الألوسي في روح المعاني ٣٤/١٤ بلا

نسبة وابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٠/٤.

قال: وهذه السموم جزء من سبعين جزءاً من السموم التي خلق منها الجان وتلا هذه الآية ^(١) ومعنى السموم في اللغة: الريح الحارة وفيها نار ^(٢) وفي الخبر: (إنها من لفتح جهنم). وقوله ﴿فإذا سويته﴾ أي عدلت صورته وسويته بالصورة الإنسانية ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ النفخ إجراء الريح في الشيء والروح جسم رقيق يحيا به البدن، ولما أجرى الله الروح في بدن آدم على صفة إجراء الريح، كان قد نفخ الروح فيه، وأضاف روح آدم إليه إكراماً وتشريفاً وهي إضافة الملك وقوله: ﴿فقعوا﴾ أمر من الوقوع قال الكلبي: فخرُوا له ساجدين سجود تحية ولم تكن سجدة طاعة ^(٣) ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ قال سيبويه توكيد بعد توكيد وما بعد هذا مفسر فيما سبق إلى قوله: ﴿وأن عليك اللعنة﴾ قال الكلبي: يلعنك أهل السماء وأهل الأرض إلى يوم الحساب لأنه أول من عصى ^(٤) الله قال ابن عباس يريد يوم الجزاء حين يجازى العباد بأعمالهم ^(٥) فاستنظر إبليس إلى يوم القيامة لثلاث يموت إذ يوم القيامة لا يموت فيه أحد فلم يجب إلى ذلك وقيل له: ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ قال ابن عباس: يريد النفخة الأولى حين تموت الخلائق ﴿كلهم﴾ ^(٦) قال الكلبي: إذا نفخت النفخة الأولى مات الخلائق كلهم، ومات إبليس معهم، وإنما سمي الوقت المعلوم، لأنه يموت فيه الخلائق وإبليس ^(٧) ﴿قال رب بما أغويتني﴾ قال أبو عبيدة: معنى الباء ههنا القسم ^(٨) وقال غيره: هي بمعنى السبب أي بكوني غاوياً لأزين، كما تقول: بطاعته ليدخلن الجنة، وبمعصيته ليدخلن النار ^(٩) ومعنى لأزين، [كما تقول: بطاعته ليدخلن الجنة وبمعصيته ليدخلن النار]، ومعنى لأزين لهم في الأرض يعني لأولاد آدم، ومفعول التزيين محذوف على تقدير: لأزين لهم الباطل، حتى يقعوا فيه ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ الذين أخلصوا دينهم وعبادتهم عن كل شائب يناقض الإيمان والتوحيد فقال الله: ﴿هذا صراط عليّ مستقيم﴾ يعني الإخلاص والإيمان طريق عليّ وإليّ أي أنه يؤدي إلى جزائي وكرامتي فهو طريق عليّ، وهذا معنى قول مجاهد: الحق يرجع إلى الله، وعليه طريقه، لا يعرج على شيء ^(١٠) ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ قال ابن عباس: اختار الله عبداً فأخبر إبليس أنه ليس له عليهم سلطان أي قوة وحجة في إغوائهم ودعائهم إلى الشرك والضلال ^(١١) ثم أوعد من اتبعه فقال: ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ قال ابن عباس: يريد إبليس ومن اتبعه من الغاوين ^(١٢) ﴿لها سبعة أبواب﴾ قال: سبعة أطباق، طبق

(١) ذكره القرطبي في تفسيره ١٧/١٠ وأبو السعود في تفسيره ٧٤/٥ والألوسي في روح المعاني ٣٤/١٤. والسيوطي في الدر المنثور

٩٨/٤ وعزاه للطيالسي والفريابي وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٢) انظر الصحاح ١٩٥٤/٥ لسان العرب ٢١٠٢/٣ ترتيب القاموس ٦١٩/٢.

(٣) ذكره بلا نسبة في معالم التنزيل للبغوي ٤٩/٣ وتفسير القرطبي ١٨/١٠ روح المعاني ٤٥/١٤ تفسير الرازي ١٩٤/٢ - ١٩٥ فتح التقدير ١٣٠/٣.

(٤) ذكره الرازي في تفسيره ١٤٦/١٩ والبغوي في معالم التنزيل ٥٠/٣ بلا نسبة.

(٥) ذكره الرازي في تفسيره ١٤٦/١٩ والخازن بالبغوي ٦٦/٤.

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره ١٩/١٠ والألوسي في روح المعاني ٤٨/١٤ والرازي في تفسيره ١٤٦/١٩ والبغوي في تفسيره ٥٠/٣ بلا نسبة والشوكاني في فتح القدير ١٣/١٣٢.

(٧) انظر الخازن مع البغوي ٦٦/٤.

(٨) انظر مجاز القرآن ٣٥١/١ تفسير الرازي ١٤٧/١٩ تفسير أبي السعود ٧٨/٥.

(٩) انظر تفسير الرازي ١٤٧/١٩ روح المعاني ٤٩/١٤.

(١٠) ذكره القرطبي ٢٠/١٠ والألوسي ٥٠/١٤ وأبو السعود ٧٩/٥ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٩/٤ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١١) انظر تنوير المقياس ٦٦/٣.

(١٢) الرازي ١٥١/١٩ وانظر تنوير المقياس ١٦/٣ وتفسير القرطبي ٢١/١٠.

فوق طبق^(١) وقال علي بن أبي طالب: إن الله وضع النيران بعضها فوق بعض فأبوابها: كإطباق اليد على اليد^(٢) لكل باب منهم من أتباع إبليس ﴿جزء مقسوم﴾ والجزء بعض الشيء والجمع أجزاء قال الضحاك: هي سبعة أدراك بعضها فوق بعض وأعلاها فيه أهل التوحيد، يعذبون على قدر ذنوبهم ثم يخرجون، والثاني فيه للنصارى والثالث في اليهود، والرابع فيه الصابئون، والخامس فيه المجوس والسادس: فيه مشركو العرب، والسابع فيه المنافقون^(٣) قوله: ﴿إن المتقين﴾ قال الكلبي: إن المتقين للفواحش والكبائر^(٤) ﴿في جناتٍ وعيون﴾ يعني عيون الماء والخمر ويقال لهم: ﴿ادخلوها بسلام﴾ أي بسلامة قال ابن عباس: سلموا من سخط الله^(٥) ﴿عامين﴾ آمنوا عذاب الله والموت ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ مفسر في سورة الأعراف، ﴿إخواناً﴾ متوادين ﴿على سرر﴾ جمع سرور قال ابن عباس: على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت، السرير مثل ما بين عدن إلى أيلة^(٦) ﴿متقابلين﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض، حيثما التفت رأى وجهاً يحبه يقابله ﴿لا يمسهم فيها نصب﴾ لا يصيهم في الجنة إعياء وتعيب قال ابن عباس: مثل نصب الدنيا إذا مشى نصب وإذا جامع نصب^(٧) ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ يريد خلوداً زوال فيه .

﴿نَبِيٍّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ٥٠ وَنَبِّئْتَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ٥١ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ ٥٢ قَالُوا لَا نَوْجَلُ إِنَّا نَبْشُرُكَ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ ٥٣ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبْشُرُونَ ٥٤ قَالُوا بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْكَافِرِينَ ٥٥ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ٥٦ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ٥٧ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ٥٨ إِلَّا آءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ٥٩ إِلَّا أُمَّرَأَةً قَدَرْنَا لَهَا لَمَنِ الْغَيْرِينَ ٦٠

﴿نبيء عبادي﴾ أخبرهم ﴿أني أنا الغفور﴾ لأوليائي ﴿الرحيم﴾ بهم ﴿وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ لأعدائي .

أخبرنا: محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى نا أبو بكر محمد بن إبراهيم الوراق، نا جعفر بن محمد بن سنان نا مروان العثماني^(٨) نا عبد العزيز بن أبي حازم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿لو يعلم

(١) وذكره السيوطي بنحوه من طرق عن علي ٩٩/٤ وعزاه لابن المبارك وهناد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأحمد في الزهد، وابن

أبي الدنيا في صفة النار وابن جزير وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث. انظر تفسير القرطبي ٢١/١٠ ابن كثير ٤٥٤/٤.

(٢) انظر الأثر السابق روح المعاني وفتح القدير ١٣٣/٣ وتفسير الرازي ١٥١/١٩ بلا نسبة.

(٣) الرازي في تفسيره ١٥١/١٩ والألوسي ٥٣/١٤ والسيوطي في الدر المنثور ١٠٠/٤ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) القرطبي ٢٢/١٠ والألوسي ٥٦/١٤ عن ابن عباس.

(٥) انظر تنوير المقباس ٦٧/٣.

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره ٢٣/١٠ والألوسي في روح المعاني ٥٩/١٤ والرازي في تفسيره ١٥٣/١٩.

(٧) انظر تنوير المقباس ٦٨/٣.

(٨) محمد بن عثمان بن خالد الأموي أبو مروان العثماني المدني نزيل مكة صدوق يخطيء مات سنة إحدى وأربعين. انظر التقريب

المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أبداً، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أبداً^(١).

أخبرنا: أبو عمرو بن أبي عمرو المزكي أنا محمد بن مكي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل نا قتيبة نا يعقوب بن عبد الرحمن^(٢) عن عمرو بن أبي عمرو^(٣) عن المقبري^(٤) عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة، لم يئس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من الرحمة، لم يئس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب، لم يأمن من النار»^(٥) قوله: ﴿وَنبِئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هذه القصة مضى ذكرها في سورة هود، والضيف في الأصل مصدر ولذلك وحد في اللفظ، وإن كانوا جماعة ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً﴾ أي سلموا سلاماً، فقال إبراهيم: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ الوجل الفزع، وجل يوجل وجلاً فهو وجل^(٦) ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ [أي على حالة]^(٧) الكبر والهرم ﴿فَبِمَ تَبَشِّرُونَ﴾ استفهام تعجب، كأنه عجب من الولد على كبره، وقرأ نافع تبشرون بكسر النون، أراد تبشرونني فحذف النون الثانية وأبقى الكسرة التي تدل على الياء، وابن كثير أدغم ولم يحذف^(٨) ﴿قَالُوا بَشْرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بما قضاه الله أنه كائن ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ من الأيسين، والقنوط: اليأس من الخير ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ﴾ وقرىء (يقنط) بفتح النون^(٩) وهما لغتان قنط يقنط وقنط يقنط قنوطاً وقنطاً قال ابن عباس: يريد ومن يئس من رحمة ربه إلا المكذوبون^(١٠) وهذا يدل على أن إبراهيم لم يكن قانطاً، ولكنه استبعد ذلك، فظنت الملائكة به قنوطاً فنفي ذلك عن نفسه، وأخبر أن القانط من رحمة الله ضال ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ قال الكلبي: فما بالكم؟ وما الذي جتتم به^(١١)؟ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعنون قوم لوط ﴿إِلَّا عَالِ لُوطٍ﴾ استثناء ليس من الأول، وآل لوط هم أتباعه والذين كانوا على دينه ﴿إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا امْرَأَتَهَا قَدَرْنَا لَهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ قضينا أنها تبقى مع من يبقى ويتخلف حتى تهلك كما يهلكون وقرأ عاصم قدرنا

(١) أخرجه مسلم ٢١٠٩/٤ كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى (٢٧٥٥/٢٣) والترمذي ٥١٣/٥ كتاب الدعوات باب خلق الله مائة رحمة (٣٥٤٢) وأحمد في المسند ٢/٣٣٤-٣٩٧ وابن حبان كذا في موارد الظمان (٦٢٥) كتاب الزهد باب في الخوف والرجاء ٢٥٢٣.

(٢) يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد القاري المدني حليف بن زهرة سكن الإسكندرية قال الدوري عن ابن معين: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات قال أحمد: ثقة. انظر التهذيب (٣٩١/١١-٣٩٢).

(٣) عمرو بن ميسرة مولى المطلب بن عبد الله القرشي وثقه أبو زرعة انظر تهذيب الكمال (١٤٥/٢).

(٤) سعيد بن أبي سعيد واسمه كيسان المقبري أبو سعد المدني وقال ابن المدني وابن سعد والعجلي وأبو زرعة والنسائي: ثقة. وقال ابن خراش ثقة جليل أثبت الناس في الليث بن سعد، وقال أبو حاتم: صدوق وقال يعقوب بن شيبه قد كان تغير وكبر واختلط قبل موته يقال بأربع سنين وكان شعبة يقول: ثنا سعيد المقبري بعدما كبر وقال الواقدي اختلط قبل موته بأربع سنين. انظر التهذيب (٣٨/٤).

(٥) أخرجه البخاري ٣٠٧/١١ كتاب الرقاق باب الرجاء مع الخوف ٦٤٦٩.

(٦) لسان العرب ٤٧٧٣/٦ ترتيب القاموس ٥٧٨/٤٣.

(٧) سقط في أ.

(٨) انظر النشر ٣٠٢/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٧٧/٢.

(٩) المصدران السابقان.

(١٠) انظر تنوير المقياس ٦٩/٣ والقرطبي ٢٥/١٠.

(١١) ذكره الشوكاني في فتح القدير ١٣٥/٣ والقرطبي ٢٥/١٠ وأبو السعود ٨٢/٥ بلا نسبة.

مخففة^(١) يقال: قدرت الشيء، وقدرته ونحو هذا قوله: ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾^(٢) قرئ بالوجهين^(٣)، وقوله ﴿والذي قدر فهدى﴾ وما بعد هذا ظاهر إلى قوله:

فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قومٌ مُنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أذُنَهُمْ وَلَا يَلْبَسْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَضَيْبَانَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ أَنَّ دَابِرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾

﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ أي بالعذاب الذي كانوا يشكون في نزوله ﴿وأتيناك بالحق﴾ أي بالأمر الثابت الذي لا شك فيه من عذاب قومك ﴿فأسر بأهلك﴾ مفسر في سورة هود، إلى قوله ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ قال ابن عباس: يعني الشام^(٤) وقال المفضل: حيث يقول لكم جبريل^(٥) وقال الكلبي: أمرهم جبريل أن يمضوا إلى صفر إحدى قرى قوم لوط^(٦) ﴿وقضينا إليه﴾ أي أوحينا إليه وألهمناه وقال ابن قتبية: أخبرناه، كقوله: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾^(٧) أي أخبرناهم^(٨) وقوله: ﴿ذلك الأمر﴾ أي الأمر بهلاك قومه قال الزجاج موضع أن نصب، وهو بدل من قوله: ذلك الأمر لأنه فسر الأمر بقوله: أن دابر^(٩) والمعنى: وقضينا إليه ﴿أن دابر هؤلاء مقطوع﴾ أي آخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح، وهو قوله ﴿مصبحين﴾ أي داخلين في وقت الصبح.

وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَأَنْتَقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكْ عَنِ الْعُلَمِيْنَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّالْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

قوله: ﴿وجاء أهل المدينة﴾ يعني مدينة قوم لوط، وهي شذوم^(١٠) ﴿يستبشرون﴾ يفرحون بعملهم الخبيث طمعاً منهم في ركوب الفاحشة فقال لهم لوط لما قصدوا أضيافه ﴿إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾

(١) هما لغتان بمعنى التقدير لا القدرة أي كتبنا انظر النشر ٣٠٢/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٧٨/٢.

(٢) سورة الواقعة آية ٦٠.

(٣) انظر النشر ٣٨٣/٢ إتحاف فضلاء البشر ٥١٦/٢.

(٤) ذكره البغوي ٥٤/٣، والقرطبي ٢٦/١٠، والرازي ١٦٠/١٩، والألوسي في روح المعاني ٦٩/١٤، وأبو السعود ٨٤/٥، والشوكاني في الفتح القدير ١٣٧/٣.

(٥) انظر تفسير الرازي ١٦٠/١٩، الخازن مع البغوي ٧٠/٤.

(٦) انظر تفسير القرطبي ٢٦/١٠، الخازن مع البغوي ٧٠/٤.

(٧) سورة الإسراء ٤.

(٨) البغوي ٥٤/٣.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ١٨٢/٣، وفتح القدير ١٣٥/٣، وذكره الألوسي ٧٠/١٤ عن الأخفش.

(١٠) مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له سلام معجم البلدان (٢٢٦/٣).

يقال: فضحه يفضحه، إذا أبان من أمره ما يلزمه به العار والمعنى: لا يفضحون بقصدكم إياهم بالسوء فيعلموا أنه ليس لي عندهم قدر ﴿واقفوا الله ولا تخزون﴾ مذكور في سورة هود فقالوا له: ﴿أو لم تنهك عن العالمين﴾ أي عن ضيافة العالمين والمعنى: أول لم تنهك عن أن تدخل أحداً بيتك، لأننا نريد منه الفاحشة فقال لهم لوط ﴿هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين﴾ أي إن كنتم فاعلين لهذا الشأن، فعليكم بالتزوج بيناتي، ومضى الكلام في هذا قوله ﴿لعمرك﴾ العمر والعمر واحد فإذا أقسموا فتحوا العين لا غير، قال الزجاج: لأن الفتح أخف عليهم، وهم يكثرون القسم بلعمري، فلزموا الأخف^(١) قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد وعيشك يا محمد^(٢).

أخبرنا: أحمد بن محمد بن إبراهيم المقرئ أنا عبد الله بن حامد، نا عبد الرحمن بن محمد الزهري، نا العباس الدوري.

حدثني: أبو عتاب سهل بن حماد نا سعيد بن زيد حدثني عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: ما خلق الله عز وجل، ولا ذراً ولا براً نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد إلا بحياته، قال: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ وقوله: ﴿إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾^(٣) قال عطاء: يريد أن قومك في ضلالتهم يتمادون^(٤) وقال عامة المفسرين^(٥) يعني قوم لوط فأخذتهم الصيحة يعني صيحة العذاب قال المفسرون^(٦): صاح بهم جبريل صيحة أهلكتهم وقوله ﴿مشرقين﴾ يقال: أشرق القوم إذا دخلوا في وقت شروق الشمس مثل أصبحوا وأمسوا، والمعنى: أن العذاب أتاهم في شروق الشمس يقال: أن أول العذاب كان مع طلوع الصبح، ثم امتد إلى شروق الشمس، لذلك قال: مصبحين ثم قال: مشرقين ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ مفسر في سورة هود، ﴿إن في ذلك﴾ يعني فيما فعل بقوم لوط ﴿آيات للمتوسمين﴾ يقال: توسمت في فلان خيراً، إذا رأيت أثره فيه، والمتوسم: الناظر في السمة الدالة على الشيء قال عطاء عن ابن عباس: للمتفرسين^(٧) وقال الضحاك للناظرين^(٨) قال مقاتل للمتفكرين^(٩) وقال قتادة: للمعتبرين^(١٠).

(١) قال القرطبي: (لعمرك) أصله ضم العين من العمر، ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال. والعمر بضم العين وفتحها لغتان ومعناهما واحد إلا أنه لا يستعمل في القسم إلا بالفتح بكثرة الاستعمال. انظر تفسير القرطبي (٢٧/١٠) معاني القرآن للزجاج (١٨٣/٣) تفسير الرازي (١٦١/١٩). روح المعاني ٧٣/١٤ البحر المحيط ٤٦٢/٥ فتح القدير للشوكاني ١٣٨/٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً ٢٣٠/٨ كتاب التفسير تفسير سورة الحجر وقال الحافظ في الفتح: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وانظر تفسير ابن كثير ٤٦٠/٤. وفتح القدير ١٣٩/٣.

(٣) أخرجه الطبري ٤٤/١٤ والبغوي ٥٥/٣ والألوسي ٧٢/١٤ والشوكاني في الفتح ١٣٩/٣ والسيوطي في الدر المنثور ١٠٣/٣ وزاد نسبه لابن أبي شيبة والحاثر بن أبي أسامة ولأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً في الدلائل.

(٤) ذكره ابن الجوزي ٤٠٩/٤ والبغوي ٥٥/٣ والسيوطي في الدر المنثور ١٠٣/٣ بنحوه عن قتادة وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) انظر تفسير زاد المسير ٤١٠/٤ البحر المحيط ٤٦٢/٥ والضمير يعود لقريش.

(٦) انظر تفسير الرازي ١٦٠/١٩ روح المعاني ٧٤/١٤ البحر المحيط ٤٦٢/٥ زاد المسير ٤٠٩/٤.

(٧) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٤٦٣/٥، وأبو السعود في التفسير ٨٦/٥، والرازي بلا نسبة ١٦٢/١٩ وذكر الأثر عن مجاهد في معالم التنزيل ٥٥/٣ والقرطبي ٢٩/١٠ والسيوطي في الدر المنثور ١٠٣/٣ وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٨) ذكره أبو حيان في البحر ٤٦٣/٥ والقرطبي ٢٩/١٠ وذكره الرازي ١٦٢/١٩ وذكر عن ابن عباس في معالم التنزيل ٥٥/٣. وروح المعاني ٧٤/١٤. وفتح القدير ١٣٩/٣.

(٩) ذكره البغوي ٥٥/٣ والقرطبي ٢٩/١٠ وأبو حيان في البحر ٤٦٣/٥ والرازي ١٦٢/١٩ وابن الجوزي ٤١٠/٤.

(١٠) ذكره البغوي ٥٥/٣ وأبو حيان في البحر ٤٦٣/٥ والألوسي ٧٤/١٤ والرازي ١٦٢/١٩ والشوكاني في الفتح عن مجاهد ١٣٩/٣ =

أخبرنا: أبو حسان المزكي أنا عبيد الله بن عبد الرحمن الزهري^(١) نا إبراهيم بن عبد الله بن أيوب^(٢) نا سعيد بن محمد الجرمي نا عبد الواحد بن واصل^(٣) نا أبو بشر المزلق^(٤) عن ثابت عن أنس قال: رسول الله ﷺ: (إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم)^(٥) قوله: ﴿وإنها﴾ يعني مدينة قوم لوط ﴿لبسبيل مقيم﴾ بطريق واضح لا يتندر ولا يخفى قال ابن عباس: على طريق قومك إلى الشام^(٦) والمعنى أن الاعتبار بها ممكن ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ لعة للمصدقين يعني أن المؤمنين اعتبروا وصدقوا.

وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَعَآلَيْنَهُمْ ءآيَاتُنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾

قوله ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ معنى إن واللام التوكيد وإن ههنا مخففة من الثقيلة والأيكة والأيك: الشجر الملتف، قال المفسرون^(٧) قوم شعيب كانوا أصحاب غياض، فكذبوا شعيباً، فأهلكوا بعداب يوم الظلة وهو قوله ﴿فانتقمنا منهم﴾ قال المفسرون^(٨) أخذهم الحر أياماً، ثم اضطرم عليهم المكان ناراً فهلكوا وقوله: ﴿وإنهم﴾ يعني الأيكة ومدينة قوم لوط ﴿لبإمام مبين﴾ بطريق واضح، وسمي الطريق إماماً لأنه يؤم ويتبع قوله: ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ يعني ثمود، وكانت مساكنهم تسمى الحجر ﴿وآياتناهم آياتنا﴾ قال ابن عباس يريد النقة وكان فيها آيات خروجها من الصخرة، ودنوناها عند خروجها وعظم خلقها حتى لم تشبهها ناقة وكثرة لبنها حتى كان يكفيهم جميعاً^(٩) ﴿فكانوا عنها معرضين﴾ لم يفكروا فيها، ولم يستدلوا بها ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً﴾ ذكرنا

= والسيوطي ١٠٣/٣ وعزه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

(١) الشيخ العالم الثقة العابد مسند العراق أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن سعد ابن الحافظ إبراهيم بن سعد بن إبراهيم ابن صاحب النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري العوفي البغدادي، ولد سنة تسعين ومئتين وسمع سنة ثمان وتسعين. قال الخطيب: كان ثقة. مات الزهري في ربيع الأول، وقيل: مات في ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة انظر السير (٣٩٢/١٦ - ٣٩٣).

(٢) إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن أيوب المخرمي روى عن القواريري وسعيد الجهمي وطبقتهما وقال فيه الإساعيلي: صدوق لكن قال الدارقطني: ليس بثقة. حدث عن ثقات بأحاديث باطلة. مات أبو إسحاق المخرمي في سنة أربع وثلثمائة. ميزان الاعتدال (٤١/١ - ٤٢).

(٣) عبد الواحد بن واصل. أبو عبيدة الحداد مولى بني سدوس. وهو بصري سكن بغداد وحدث بها وكان ثقة. تاريخ بغداد (٣/١١).

(٤) بكر بن الحكم التميمي أبو بشر المزلق جار حماد بن زيد صدوق فيه لين من السابعة. التقريب (١٠٥/١).

(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٧١/١٠ وعزه للبخاري والطبراني وقال إنساده حسن، وأخرجه ابن كثير في تفسيره ٤٦١/٤، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٣/٤، وزاد نسبه للحكيم الترمذي وابن السني وأبي نعيم.

(٦) ذكره القرطبي ٣١/١٠، وابن الجوزي ٤١٠/٤، الطبري ٤٨/٤.

(٧) انظر البغوي ٥٥/٣، القرطبي ٣١/١٠، روح المعاني ٧٥/١٤، الرازي ١٦٢/١٩، فتح القدير ١٤٠/٣.

(٨) انظر روح المعاني ٧٥/١٤، معالم التنزيل ٥٥/٣، الرازي ١٦٢/١٩.

(٩) ذكره ابن الجوزي ٤١٠/٤، وذكره في روح المعاني ٧٦/١٤، معالم التنزيل ٥٦/٣، تفسير الرازي ١٦٣/١٩، فتح القدير

ذلك في سورة الأعراف وقوله ﴿ءَامِنِينَ﴾ قال الفراء: آمنين من أن تقع عليهم^(١) ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ﴾ أنتهم صيحة عظيمة، فماتوا عن آخرهم في وقت الصبح وهذا مما قد تقدم في سورة الأعراف وقوله: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ أي ما دفع عنهم العذاب ﴿فَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الأموال والأنعام.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۗ ٨٦ ۖ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ۗ ٨٧ ۖ لَا تَمَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۗ ٨٨ ۖ وَقُلْ إِنِّي أَنَا التَّذِيرُ الْمُبِينُ ۗ ٨٩ ۖ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۗ ٩٠ ۖ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۗ ٩١ ۖ فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِنَّهِنَّ أَوْجَعِينَ ۗ ٩٢ ۖ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ ٩٣ ۖ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۗ ٩٤ ۖ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۗ ٩٥ ۖ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۗ ٩٦ ۖ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّاكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۗ ٩٧ ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّجِدِينَ ۗ ٩٨ ۖ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۗ ٩٩

﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي للحق وإظهار الحق، وهو الثواب للمصدق، والعقاب للمكذب ﴿وإن الساعة لآتية﴾ وإن القيامة لتأتي، فيجازى المشركون ببقع أعمالهم ﴿فاصفح الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ أعرض عنهم إعراضاً بغير جزع وهذا منسوخ بآية القتال (٢) ﴿إن ربك هو الخلاق﴾ خالق كل شيء ﴿العليم﴾ بما خلق، قوله: ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني﴾ واحد المثاني مثناة، وهي كل شيء يثنى، أي يجعل اثنين، وأكثر أهل التفسير (٣) على أن المراد بالسبع المثاني فاتحة الكتاب، وهو قول عمر وعلي وابن مسعود والحسن، ومجاهد، وقتادة، والربيع، والكلبي وروي ذلك مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

أخبرناه: أبو إبراهيم بن أبي القاسم الصوفي أنا محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي نا الحسين بن موسى بن خلف نا إبراهيم بن الهيثم البلدي^(٤) نا آدم بن أبي إياس نا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم) رواه البخاري^(٥) عن آدم. وإنما

(١) انظر فتح القدير ٣/١٤٠، ومعالم التنزيل ٣/٥٦.

(٢) هي قوله تعالى ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ الحج ٣٩ قال الرازي: وقيل: هو منسوخ بآية السيف وهو بعيد، لأن المقصود من ذلك أن يظهر الخلق الحسن والعمو والصفح فكيف يصير منسوخاً. انظر الرازي ١٩/١٦٤. والقرطبي ١٠/٣٦.

(٣) انظر ابن كثير ٤/٤٦٥، البغوي ٣/٥٦، البحر المحيط ٥/٤٦٥، الرازي ٣/١٦٤، القرطبي ١٠/٣٦، روح المعاني ١٤/٧٨، فتح القدير ٣/١٤١. نقلاً عن المصنف.

(٤) إبراهيم بن الهيثم البلدي عن علي بن عياش الحمصي وطبقته. وثقه الدارقطني والخطيب وذكره ابن عدي في الكامل وقال: حديثه مستقيم سوى حديث الغار كذبه فيه الناس. ميزان الاعتدال (١/٧٣).

(٥) (٢٣٢/٨) كتاب التفسير باب ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٤٧٠٣)، وأبو داود ٤/٧١ كتاب الصلاة باب فاتحة الكتاب ١٤٥٨ والنسائي ٢/١٣٩ كتاب الافتتاح باب تأويل قول الله عز وجل (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) ٩١٣، وابن ماجه ٢/١٢٤٤ كتاب الأدب باب ثواب القرآن ٣٧٨٥ وأحمد في المسند ٣/٤٥٠.

سميت الفاتحة السبع المثاني لأنها سبع آيات وهي تثنى في كل صلاة بإعادتها في كل ركعة، وقال الزجاج: ويجوز أن يكون من المثاني مما أنثى به على الله لأن فيها حمد الله وتوحيده، وذكر ملكه يوم الدين، المعنى: ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات التي يثنى بها على الله^(١)، وهذه الآية تدل على فضيلة الفاتحة لأن الله تعالى امتن على رسوله بهذه السورة، كما امتن عليه بجميع القرآن، حيث فصل هذا من القرآن بالذكر ثم ذكر القرآن بعده فقال: ﴿والقرآن العظيم﴾ أي العظيم القدر، لأنه كلام الله ووحيه وتنزيله، ولما ذكر منته عليه بالقرآن، نهاه عن النظر إلى الدنيا فقال: ﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾ أي أصنافاً من المشركين واليهود، قال ابن عباس: «نهى الله رسوله عن الرغبة في الدنيا فحظر عليه أن يمد عينيه إليها رغبة فيها فكان ﷺ لا ينظر إلى ما يستحسن من الدنيا^(٢)».

﴿ولا تحزن عليهم﴾ قال الكلبي: على كفار قريش إن لم يؤمنوا ونزل بهم العذاب^(٣) ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ ألن لهم جانبك قال ابن عباس: ارفق بهم، ولا تغلظ عليهم^(٤) والعرب تقول فلان خافض الجناح إذا كان وقوراً ساكناً^(٥) ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ قال ابن عباس أنذركم بسخط الله وعذابه وأبين لكم ما يقربكم إلى الله^(٦) ﴿كما أنزلنا﴾ ويجوز أن يكون المعنى أني أنذركم ما أنزلنا، وتكون الكاف زائدة^(٧) وقوله: ﴿على المقتسمين﴾ يعني الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن رسول الله ﷺ، والإيمان به، قال مقاتل: كانوا ستة عشر رجلاً يعظم الوليد بن المغيرة أيام الموسم يقولون لمن أتى مكة: لا تغتروا بالمخارج منا والمدعي النبوة فإنه مجنون فأنزل الله بهم عذاباً فماتوا شرمية^(٨) ثم وصفهم فقال: ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ قال ابن عباس: جزؤوه أجزاء فقالوا: سبح، وقالوا: أساطير الأولين وقالوا: مفترى^(٩) وعضين جمع عضة، مثل عزة وعزير من عضيت الشيء إذا مزقته^(١٠) وكل قطعة عضة والمعنى أنهم فرقوا القول في القرآن، حيث اختلفت في وصفة أقوالهم قوله ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ قال الكلبي: عن ترك لا إله إلا الله والإيمان برسوله^(١١) وهذا السؤال سؤال توبيخ، يسألون يوم القيامة فيقال لهم: لم عصيتم الرسل، وتركتم الإيمان؟ فيظهر خزيهم وفضيحتهم عند تعذر الجواب، وقال أبو العالبي:

(١) انظر تفسير الرازي ١٦٥/١٩، تفسير روح المعاني ٧٩/١٤ بلا نسبة معالم التنزيل ٥٧/٣.

(٢) ذكره الطبري ٦٠/١٤ والبغوي ٥٧/٣ والرازي ١٦٧/١٩ والسيوطي في الدر المنثور ١٠٥/٤ وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

(٣) انظر هذا المعنى في تفسير القرطبي ٣٨/١٠، زاد المسير، ٥٨/٤.

(٤) انظر تفسير زاد المسير ٤١٦/٤، والبغوي في معالم التنزيل ٥٧/٣.

(٥) انظر فتح القدير ١٤٢/٣.

(٦) انظر زاد المسير ٤١٦/٤، وأورد ابن كثير ٤٦٦/٤ هذا المعنى بلا نسبة. (٧) انظر تفسير الكشاف ٥٨٩/٢.

(٨) ذكره البغوي ٥٨/٣، والقرطبي ٣٩/١٠، والرازي ١٦٨/١٩، والشوكاني في الفتح ١٤٣/٣ عن الفراء، والألوسي ٨١/١٤ عن ابن السائب، وابن الجوزي ٤١٨/٤.

(٩) أخرج نحوه البخاري في صحيحه ٢٣٣/٨ كتاب التفسير ٤٧٠٥ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٦/٤ وزاد نسبه لسعيد بن منصور والحاكم والفرغاني وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن ابن عباس انظر تفسير البغوي ٥٨/٣ تفسير الرازي ١٦٩/١٩، روح المعاني ٨١/١٤، فتح القدير ١٤٣/٣.

(١٠) عزير: العزة هي الجماعة من الناس.

(١١) انظر لسان العرب ٢٩٣٥/٤، الصحاح ٢٤٢٥/٦، ترتيب القاموس ٢٢٠/٣. ذكره البغوي ٥٨/٣ عن محمد بن إسماعيل والشوكاني في الفتح ١٤٣/٣ بلا نسبة وذكره القرطبي ٤٠/١٠ والألوسي ٨٥/١٤ مرفوعاً ينحوه قال القرطبي روى الترمذي الحكيم قال: حدثنا الجارود بن معاذ قال حدثنا الفضل بن موسى عن شريك عن ليث عن بشير بن نهيك عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ قال عن قول لا إله إلا الله.

يسأل العباد كلهم يوم القيامة عن خلتين عما كانوا يعبدون، وماذا أجابوا المرسلين^(١) وأما قوله: ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبك الآية أي لا يسألون سؤال استفهام ليعلم ذلك من جهتهم قوله: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ قال الزجاج: يقول أظهر ما تؤمر به أخذ من الصديق، وهو الصبح^(٢).

وقال المفسرون^(٣) اجهر بالأمر أي بأمرك، يعني إظهار الدعوة، وما زال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت هذه الآية^(٤)، ﴿وأعرض عن المشركين﴾ لا تبال بهم ولا تلتفت إلى لومهم إياك على إظهار الدعوة ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ الذين كانوا يستهزئون بك وبالقرآن، وكانوا جماعة يؤذون النبي ﷺ^(٥) الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأبو زمعة وهو الأسود بن المطلب والحارث بن عيطلة والأسود بن عبد يغوث والحارث بن عدي^(٦) فأوماً جبريل بإصبعه إلى ساق الوليد وإلى عيني أبي زمعة وإلى رأس الأسود وإلى بطن الحارث وقال للنبي ﷺ: كفيت أمرهم، فمر الوليد على قين^(٧) لحزاعة، وهو يجرب ثيابه، فتعلقت بثوبه شوكة، فمنعه الكبر أن يخفض رأسه، فينزعها، وجعل يضرب ساقه فخدشته فلم يزل مريضاً حتى قطع إنسياء فلم يزل حتى مات، ووطيء العاص على شبرقة^(٨) فحككت رجله فلم يزل يحكها حتى مات وعمي أبو زمعة وأخذت الأكلة^(٩) في رأس الأسود وأخذ الحارث الماء في بطنه فمات خبثاً يعني استسقاء ثم وصفهم بالشرك فقال: ﴿الذين يجعلون مع الله إلهاء آخر فسوف يعلمون﴾ وعيد لهم وتهديد ثم عزى نبيه ﷺ فقال: ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ من تكذيبك والاستهزاء بك ﴿فسبح بحمد ربك﴾ قال الضحاك: قل سبحان الله وبحمده^(١٠) ﴿وكن من الساجدين﴾ قال ابن عباس: من المصلين^(١١)، وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة^(١٢) ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ قال جماعة المفسرين^(١٣) يعني الموت وسمي الموت

(١) ذكره الألوسي في روح المعاني ٨٥/١٤، وعزاه لابن الجوزي في زاد المسير ٤١٩/٤ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٦/٤ وعزاه للترمذي وابن جرير وأبي يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أنس مرفوعاً.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ١٨٦/٣، البحر المحيط ٤٦٩/٥ - ٤٧٠.

(٣) انظر القرطبي ٤١/١٠، روح المعاني ٨٥/١٤، معالم التنزيل ٥٩/٣ تفسير الرازي ١٧٠/١٩، فتح القدير ١٤٤/٣ نقلًا عن المصنف.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٦/٤ وعزاه لابن جرير عن أبي عبيدة أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) انظر معالم التنزيل ٥٩/٣، تفسير الرازي ١٧١/١٩، روح المعاني ٨٦/١٤، فتح القدير ١٤٥/٣، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٧/٤، وعزاه للطبراني في الأوسط والبيهقي وأبي نعيم كلاهما في الدلائل وابن مردويه بسند حسن والضياء في المختارة عن ابن عباس.

(٦) الحارث بن عدي بن سعد بن سهم انظر جمهرة أنساب العرب (١٦٥).

(٧) القين: الحداد. انظر تاج العروس ٣١٦/٩، الصحاح ٢١٨٥/٦، لسان العرب ٣٧٩٧/٥، ترتيب القاموس ٧٢٦/٣.

(٨) الشبرقة: نبت كأظفار الهر منبتها نجد وتهامة نوع من الشوك، انظر لسان العرب ٢١٨٥/٤ تاج العروس ٣٩٠/٦، الصحاح ١٥٠٠/٤ ترتيب القاموس ٦٦٦/٢.

(٩) الأكلة داء يقع في العضو. انظر تاج العروس ٢٠٩/٧، الصحاح ١٦٢٤/٤، لسان العرب ١٠٢/١، ترتيب القاموس ١٦٤/١.

(١٠) ذكره البغوي في تفسيره ٦٠/٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٢٣/٤.

(١١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤٢٣/٤ والبغوي ٦٠/٣ عن الضحاك وأبو حيان في البحر ٤٧٠/٥ بلا نسبة.

(١٢) أخرجه أبو داود عن حذيفة بلفظ (كان إذا حزبه أمر صلى) ٣٥/١ كتاب الصلاة باب وقت قيام النبي ﷺ ١٣١٩ وأحمد في المسند ٣٨٨/٥ والطبري في تفسيره ٢٠٥/١ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٧/١. وقال المناوي في الفيض ١٢٠/٥ سكت عليه أبو داود قال المنذري: وذكر بعضهم أنه روي مرسلًا. انظر عون المعبود ١٤٢/٤.

(١٣) انظر معالم التنزيل ٦٠/٣ تفسير الرازي ١٧١/١٩ روح المعاني ٨٧/١٤، فتح القدير ١٤٦/٣.

يقيناً لأنه موقن به قال قتادة: اليقين الموت وعند الموت والله يقين من الخير والشر^(١) قال الزجاج المعنى: اعبد ربك أبداً لأنه لو قيل: اعبد ربك بغير توقيت لجاز إذا عبد الإنسان مرة أن يكون مطيعاً، فإذا قال: حتى يأتيك اليقين: فقد أمر بالإقامة على العبادة أبداً ما دام حياً.

أخبرنا: أبو بكر بن الحارث أنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان نا أمية بن محمد الصواف نا محمد بن يحيى الأزدي نا الهيثم بن خارجة^(٢) نا إسماعيل بن عياش^(٣) عن شرحبيل بن مسلم^(٤) عن ابن مسلم الخولاني عن جبير بن نفير^(٥) قال: قال: رسول الله ﷺ: ما أوحى إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين، ولكن أوحى إلي أن ﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾^(٦)

(١) ذكره الألويسي في روح المعاني ٨٧/١٤ وأبو حيان في البحر ٤٧٠/٥ بلا نسبة والقرطبي ٤٢/١٠ بلا نسبة.

(٢) الهيثم بن خارجة الخراساني الحافظ أبو أحمد، ويقال أبو يحيى المروزي نزل بغداد قال صالح بن محمد: سمعت هشام بن عمار يقول كنا نسميه سعيد الصغير، قال صالح: وكان أحمد يثني عليه، وكان يتزهّد وكان سيء الخلق مع أصحاب الحديث. وقال النسائي: ليس به بأس وذكره ابن حبان في الثقات. وقال البخاري مات في ذي الحجة سنة سبع وعشرين ومائتين، وقال ابن نافع ثقة وقال الخليلي: ثقة متفق عليه انظر التهذيب (٩٣/١١ - ٩٤).

(٣) إسماعيل بن عياش أبو عتبة العنسي عالم الشاميين. قال يزيد بن هارون: ما رأيت أحفظ منه، دحيم: هو في الشاميين غاية وخلص عن المدنيين ولينه أبو حاتم انظر الكاشف (١٢٧/١) الميزان (٢٤٠/١) التقريب (٧٣/١).

(٤) شرحبيل بن مسلم تابعي ثقة انظر تاريخ الثقات (٢١٦).

(٥) جبير بن نفير أبو عبد الرحمن الحضرمي أسلم في حياة النبي ﷺ وهو باليمن ولم يره، وقدم المدينة فأدرك أبا بكر ثم انتقل إلى الشام فسكن حمص. وروى عن أبي بكر وعمر وأبي ذر والمقداد وأبي الدرداء وغيرهم. وروى عنه ابنه، وخالد بن معدان وغيرهما. قال أبو عمر: جبير بن نفير من كبار تابعي الشام ولأبيه نفير صحبة. انظر أسد الغابة (٣٢٤/١).

(٦) أخرجه ابن عدي في الكامل ٢٥٧/٥ وذكره البغوي في تفسيره ٦٠/٣ وفي سننه إسماعيل بن عياش تقدم الكلام عليه.

سورة النحل

مكية وآياتها ثمان وعشرون ومائة

أخبرنا: أبو عثمان سعيد بن محمد الحيري أنا أبو عمرو محمد بن جعفر الحيري نا إبراهيم بن شريك الكوفي نا أحمد بن يونس نا سلام بن سليم نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي إمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم عليه في دار الدنيا وأعطي من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية^(١).

أَفْ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله﴾ أي عذابه لمن أقام على الشرك، وتكذيب رسوله، وهو الأمر بالسيف ﴿فلا تستعجلوه﴾ لا تطلبوه قبل حينه^(٢) وهذا كما تقول لمن يطلب أمراً يستعجل فيه: أتاك الأمر فلا تستعجل وقال جماعة من المفسرين^(٣) أمر الله ههنا الساعة، وذلك أنهم استبطأوا أمر الساعة فأعلم الله أن ذلك عنده في القرب بمنزلة ما قد أتى كما قال: ﴿اقتربت الساعة﴾^(٤) ﴿سبحانه﴾ تنزيها له وبراءة من سوء ﴿وتعالى﴾ ارتفع بصفات المدح ﴿عما يشركون﴾ به من الأصنام أي أنها ليست شركاء لهم لأنهم لا يخلقون شيئاً قوله ﴿ينزل الملائكة﴾ قال ابن عباس: يريد جبريل وحده^(٥) ﴿بالروح من أمره﴾ بالوحي وهو كلام الله سمي روحاً لأنه حياة من موت الكفر ﴿على من يشاء﴾ (١) تقدم غير مرة.

(٢) في تقدير قول تعالى (أتى أمر الله) وجهان:

الوجه الأول: أنه وإن لم يأت ذلك العذاب إلا أنه كان واجب الوقوع، والشيء إذا كان بهذه الحالة والصفة فإنه يقال في الكلام المعتاد أنه قد أتى ووقع إجراء لما يجب وقوعه بعد ذلك مجرى الواقع، يقال لمن طلب الإغاثة وقرب حصولها: قد جاءك الغوث فلا تجزع.

والوجه الثاني: وهو أن يقال أن أمر الله بذلك وحكمه قد أتى وحصل ووقع، فأما المحكوم به فإنما لم يقع لأنه تعالى حكم بوقوعه في وقت معين، فقبل مجيء ذلك الوقت لا يخرج إلى الوجود، والحاصل قيل: أمر الله وحكمه بنزول العذاب قد حصل ووجد من الأزل إلى الأبد، فصح قولنا أتى أمر الله، إلا أن المحكوم به والمأمور به إنما لم يحصل، لأنه تعالى خصص حصوله بوقت معين فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت.

انظر الرازي (١٧٤/١٩) وانظر تفسير القرطبي ٤٤/١٠ المعاني ٩٠/١٤.

(٣) انظر البغوي ٦١/٣ عن الكلبي وغيره والشوكاني فتح القدير ١٤٦/٣ القرطبي ٤٤/١٠ الرازي ١٧٣/١٩ - ١٧٤ - المعاني ٩٠/١٤ أبو السعود ٩٤/٥.

(٤) سورة القمر آية (١).

(٥) انظر تنوير المقباس ٧٩/٣ فتح القدير ١٤٧/٣ الرازي ١٧٥/١٩ وذكره البغوي في معالم التنزيل ٦١/٣ عن أبي عبيدة والألوسي ٩٣/١٤ عن بعضهم وابن الجوزي في زاد المسير ٤٢٨/٤.

من عباده ﴿ يريد النبيين الذين يختارهم بالرسالة، وقوله: ﴿ أن أنذروا ﴾ أي أهل الكفر بأنه ﴿ لا إله إلا أنا ﴾ أي مروهم بتوحيدي، وأعلموهم ذلك مع تخويفهم لو لم يقرؤا ثم ذكر ما يدل على توحيده فقال:

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْحَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ﴿٧﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٨﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾

﴿ خلق السماوات والأرض بالحق ﴾ الآية ﴿ خلق الإنسان من نطفة ﴾ يعني أبي بن خلف ﴿ فإذا هو خصيم ﴾ مخاصم ﴿ مبين ﴾ ظاهر الخصومة، وذلك أنه خاصم النبي ﷺ في إنكار البعث ^(١) والمعنى: أنه مخلوق من نطفة، ومع ذلك يخاصم وينكر البعث أفلا يستدل بأوله على آخره، وأن من قدر على خلقه أولاً، قادر على إعادته ﴿ والأنعام خلقها ﴾ يعني الإبل والبقر والغنم. ثم ابتداء فقال ﴿ لكم فيها دفء ﴾ [ويجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله: لكم ثم يتبدى فيقول: فيها دفء] ^(٢). وهو ما يستدفاً به من الأكسية والأبنية من أوبارها وأشعارها وأصوافها، قال الأصمعي: الدفء السخونة ^(٣) وقال الفراء: يقال: دفيت يدفاً دفاءً ودفأً ^(٤) قوله: ﴿ ومنافع ﴾ يعني النسل والدر، والركوب ﴿ ومنها تأكلون ﴾ يريد من لحومها ﴿ ولكم فيها جمال ﴾ زينة ﴿ وحين تريحون ﴾ تردونها إلى مراحها وهو حيث تأوي إليه ليلاً ﴿ وحين تسرحون ﴾ ترسلوها بالغداة إلى مراعيها، يقال: سرح القوم إبلهم سرحاً قال قتادة: وأحسن ما تكون إذا راحت عظماً ضروعها، طولاً أسمنتها ^(٥) ﴿ وتحمل أثقالكم ﴾ جمع ثقل، وهو متاع المسافر ﴿ إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ﴾ قال ابن عباس: يريد من مكة إلى اليمن وإلى الشام وإلى مصر ^(٦) هذا قوله والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير الإبل شق عليكم، وخص ابن عباس اليمن والشام، لأن متاجر أهل مكة كانت إلى هذه الوجوه والشق المشقة معناه: إلا بجهد الأنفس ﴿ إن ربكم لرؤوف رحيم ﴾ بكم إذ من عليكم بالنعمة التي فيها هذه المرافق قوله: ﴿ والخيول ﴾ أي وخلق الخيل ﴿ والبغال والحمير لتركبوها وزينة ﴾ قال الزجاج: نصبها على أنها مفعول لها ^(٧) والمعنى: وخلقها للزينة، والآية لا تدل على تحريم لحوم الخيل وإن ذكرته مع البغال والحمير، لأن القصد بهذه الآية إظهار المنة، بأن خلق لنا من الحيوان ما نركبه ونتجمل به ولحوم الخيل حلال بالسنة:

(١) روي أنه جاء إلى النبي ﷺ بعظمة رميم، فقال: أتري يحيي الله هذا بعدما رم، وفي هذا نزل أيضاً قوله تعالى ﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ يس ٧٨. انظر تفسير القرطبي ٤٦/١٠.

(٢) سقط في ب.

(٣) ذكره الرازي ١٨١/١٩ والقرطبي ٤٦/١٠ بلا نسبة وكذا الرازي ١٨١/١٩ والألوسي في روح المعاني ٩٨/١٤ والشوكاني في فتح القدير ١٤٨/٣.

(٤) انظر تفسير القرطبي ٤٨/١٠ بلا نسبة.

(٥) ذكره السيوطي بنحوه ١١٠/٤ وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حيد وابن جرير وابن المنذر.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٠/٤ والألوسي في روح المعاني ١٠٠/١٤ والرازي ١٨٢/١٩ مع زيادة (المدينة) والشوكاني في فتح القدير ١٤٨/٣ بلا نسبة.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ١٩٢/٣ التفسير الكبير للرازي ١٨٣/١٩.

أخبرنا: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الواعظ أنا محمد بن عبد الله بن زكريا الحافظ أنا مكى بن عبدان نا عبد الله بن هاشم نا يحيى بن سعيد عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر^(١) عن أسماء بنت أبي بكر قالت: «أكلنا لحم فرس على عهد رسول الله ﷺ» رواه البخاري^(٢) عن قتيبة عن جرير عن هشام.

أخبرنا: عمرو بن محمد بن أحمد العدل أنا أبو الهيثم المروزي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل نا مسدد نا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن محمد بن علي عن جابر قال: (نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر. ورخص في لحوم الخيل)^(٣). وقوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس: إن عن يمين العرش نهراً من نور مثل السماوات السبع والأرضين السبع والبحار السبع يدخل جبريل في كل بحر فيغتسل فيزداد نوراً إلى نوره وجمالاً إلى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نقطة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون ألف البيت المعمور، وفي الكعبة سبعون ألفاً لا يعودون إليه إلى أن تقوم الساعة^(٤)، وقال آخرون: يعني ما أعد في الجنة لأهلها، وما أعد في النار لأهلها^(٥).

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا ﴿١٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٤﴾

قوله: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ القصد استقامة الطريق، يقال: طريق قصد وقاصد إذا قصد بك إلى ما تريد، وقصد السبيل: الإسلام والمعنى: أن قصد السبيل الذي هو الإسلام على الله أن يؤدي إلى رضا الله

(١) فاطمة بنت المنذر بن الزبير بن العوام الأسدية زوجة هشام بن عروة، روت عن جدتها أسماء بنت أبي بكر وأم سلمة زوج النبي ﷺ وعمرة بنت عبد الرحمن. وعنها زوجها هشام بن عروة بن سوقة ومحمد بن إسماعيل بن يسار، قال المعجلي: مدينة تابعة ثقة، وقال هشام بن عروة: كانت أكبر مني بثلاث عشرة سنة، فيكون مولدها سنة ثمان وأربعين. وذكرها ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (٤٤٤/١٢).

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٥/٩ كتاب الذبائح باب لحوم الخيل (٥٥١٩) ومسلم ٥٤١/٣ كتاب الصيد باب في أكل لحوم الخيل (٣٨-١٩٤٢) والنسائي ٢٢٧/٧ كتاب الضحايا باب الرحمة في نحر ما يذبح (٤٤٠٦) وابن ماجه ١٠٦٤/٢ كتاب الذبائح باب لحوم الخيل ٣١٩٠ والبيهقي ٢٧٩/٩ كتاب الضحايا باب الذبائح في الغنم.

(٣) أخرجه البخاري ٥٧٠/٩ كتاب الذبائح باب لحوم الحمر الانسية (٥٥٢٤) ومسلم ١٥٤١/٣ كتاب الصيد باب في أكل لحوم الخيل ٣٦-١٩٤١ وأبو داود ٣٥١/٣ كتاب الأطعمة باب في أكل لحوم الخيل ٣٧٨٨ والنسائي ٢٠١/٧ كتاب الصيد والذبائح باب الإذن في أكل لحوم الخيل (٤٣٢٧) والدارمي ٨٧/٢ كتاب الأضاحي باب في أكل لحوم الخيل والبيهقي في السنن ٣٢٧ ٣٢٦/٩ كتاب الضحايا باب أكل لحوم الخيل.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره ٥٤/١٠ والألوسي في روح المعاني ١٠٢/١٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٢/٤ والرازي ١٨٤/١٩ عن ابن عباس وعطاء ومقاتل والشوكاني في فتح القدير ١٤٩/٣ مختصراً.

(٥) ذكره البيهقي في ٦٣/٣ والألوسي في روح المعاني ١٠٣/١٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٢/٤ والقرطبي ٥٤/١٠ والشوكاني في فتح القدير ١٤٩/٣.

وثوابه وجزائه قال مجاهد: وطريق الحق على الله^(١) وهذا كقوله: ﴿هذا صراط علي مستقيم﴾^(٢) قوله ﴿ومنها جاتر﴾ أي مائل عادل عن الحق قال الكلبي: يعني اليهودية والنصرانية والمجوسية^(٣) وقال ابن المبارك: يعني الأهواء والبدع^(٤) ثم بين أن المشيئة إليه فقال: ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ قال ابن عباس: لو شاء لأرشدكم كلكم حتى يختلف عليك يا محمد أحد قوله: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب﴾ تشربونه ﴿ومنه شجر﴾ قال الزجاج كل ما نبت على الأرض فهو شجر^(٥) وقال ابن قتيبة يعني الكلاً^(٦) والمعنى: أنه ينبت بالماء الذي ينزل من السماء ما ترعاه الراعية من دق الشجر وجلها، لأن الإبل ترعى جل الشجر قوله: ﴿فيه﴾ أي في الشجر ﴿تسيمون﴾ يقال أسمت الماشية إذا خليتها ترعى، وسامت هي إذا رعت فهي سائمة^(٧) قوله ﴿ينبت لكم به الزرع﴾ قال ابن عباس: يريد الحبوب^(٨) ﴿والزيتون﴾ جمع زيتونة يقال للشجرة نفسها: زيتونة وباقي الآية وما بعدها ظاهر، تقدم تفسيره، وأكثر القراء على نصب الشمس والقمر والنجوم وهو الوجه لاستقامتها مع ما قبلها في المعنى وإذا استقامت في معنى واحد استقامت في إعراب واحد وقوله: ﴿مسخرات﴾ حال مؤكدة لأن تسخيرها قد عرف بقوله: وسخر وقرأها ابن عمار بالرفع^(٩)، فابتدأ الشمس والقمر، وجعل مسخرات خبراً عنها، وقرأ حفص ﴿مسخرات﴾ بالرفع وخطها وجعلها خبر ابتداء محذوف كأنه قال: مسخرات قوله ﴿وما ذراً﴾ أي وسخر لكم ما خلق ﴿لكم﴾ أي لأجلكم، يعني الدواب والشجر وغيرها ﴿مختلفاً ألوانه﴾ أي هيئته ومناظره.

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى
الْفَلَكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۙ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ
أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۙ وَعَلَّمَتْ بِالْجَمِّ هُمْ يَهْتَدُونَ ۙ

﴿وهو الذي سخر البحر﴾ ذلك للركوب والغوص ﴿لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾ يعني السمك ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ يريد الدر واللؤلؤ والمرجان ﴿وترى الفلك مواخر فيه﴾ شواق الماء يدفعه بصدريه، ومخر السفينة: شقها الماء بصدورها ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يعني لتركبوه للتجارة فتطلبوا الريح من فضل الله ﴿والقى في الأرض رواسي﴾ جبلاً ثوابت ﴿أن تميد بكم﴾ الميّد الحركة والاضطراب ماد يميد مياداً قال ابن عباس أوتدها بالجمال لثلاً تميد بأهلها^(١٠) ﴿وأنهاراً﴾ وجعل فيها أنهاراً، النيل، والفرات، ودجلة،

(١) تقدم في سورة الحجر في الآية المذكورة نحوه وذكره السيوطي في ١١٢/٣ وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) سورة الحجر آية (٤١).

(٣) انظر معالم التنزيل ٦٣/٣ بلا نسبة والقرطبي ٥٥/١٠ بلا نسبة وأبو حيان في البحر ٤٧٧/٥.

(٤) انظر معالم التنزيل ٦٣/٣ وذكره الألوسي ١٠٣/١٤ بلا نسبة والشوكاني في فتح القدير ١٤٩/٣ بلا نسبة.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ١٩٢/٣ الرازي ١٨٦/١٩ فتح القدير ١٥١/٣ البحر المحيط ٤٧٨/٥.

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٤٢ انظر البحر المحيط ٤٧٨/٥ تفسير الرازي ١٨٦/١٩.

(٧) انظر الصحاح ١٩٥٥/٥ لسان العرب ٢١٥٨/٣ تاج العروس ٣٥٠/٨، ترتيب القاموس ٦٥١/٢.

(٨) ذكره الرازي ١٨٧/١٩ بلا نسبة وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٣/٤.

(٩) انظر النشر في القراءات ٣٠٢/٢ حجة القراءات (٣٨٦) إنحاف البشر ٥١/٢ - ١٨١.

(١٠) انظر تفسير البغوي ٦٤/٣ نحوه عن وهب وذكر هذا المعنى الرازي ٧/٢٠، وروح المعاني ١١٤/١٤ فتح القدير ١٥٣/٣.

وسيحان، وجيحان ﴿وسبلاً﴾ طرقاً إلى كل البلاد ﴿لعلكم تهتدون﴾ لكي تهتدوا إلى مقاصدكم من البلاد، فلا تضلون ﴿وعلامات﴾ يعني الجبال، وهي علامات للطرق بالنهار كالنجوم بالليل ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ أراد جميع النجوم، لأن بها يهتدون وإلى الطرق والقبلة والبر والبحر ثم دل بهذه الأشياء التي خلقها على نفسه فقال:

أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾

﴿أفمن يخلق﴾ يعني ما ذكر في هذه السورة ﴿كمن لا يخلق﴾ يعني الأوثان وهي لا تخلق شيئاً ﴿أفلا تذكرون﴾ يعني المشركين يقول: أفلا تتعظون كما اتعظ المؤمنون؟ قوله ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ تقدم تفسيره ﴿إن الله لغفور﴾ لما كان منكم من تقصير شكر نعمه ﴿رحيم﴾ بكم حيث لم يقطعها عنكم بتقصيركم، وما بعد هذا ظاهر التفسير إلى قوله: ﴿أموات غير أحياء﴾ يعني الأصنام التي كانوا يعبدونها، وهي موات لا روح لها ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ الأصنام متى تبعث قال ابن عباس: وذلك أن الله يبعث الأصنام لها أرواح ومعها شياطينها فيتبرأون من عابديهم (١) ثم يؤمر بالشياطين (٢) والذين كانوا يعبدونها إلى النار ثم ذكر وحدانيته فقال:

إِنَّهُمْ كَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يُسْرُوكُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾

﴿إلهكم إله واحد﴾ وقد مضى بيانه في سورة البقرة ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ يعني بالبعث والشواب والعقاب ﴿قلوبهم منكرة﴾ جاحدة غير عارفة توحيد الله ولا القرآن ﴿وهم مستكبرون﴾ ممتنعون من قبول الحق ﴿لا جرم﴾ حقاً ﴿أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ أي أنه يجازيهم بذلك، لأنه يعلمه ﴿إنه لا يحب المستكبرين﴾ لا يبيهم، ولا يرضى عنهم.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ مَلَائِكَةً ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ فَأَلْفَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَأَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوَى الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٩﴾

(١) في ب (عبادتها) وفي أ، ج (عابدهم).

(٢) انظر تفسير الرازي ١٤/٢٠ تفسير القرطبي ٦٣/١٠ بلا نسبة فتح القدير ١٥٦/٣ قال: روى فذكره بنحوه.

﴿وإذا قيل لهم هؤلاء المتكبرين﴾^(١) ﴿ماذا أنزل ربكم﴾؟ ﴿ما الذي أنزل ربكم﴾^(٢) على محمد؟ ﴿قالوا أساطير الأولين﴾
 [أي الذي يذكرون أنه منزل أساطير الأولين]^(٣) أي أكاذيبهم، وما سطره في كتبهم من الأخبار والقصص ليحملوا أوزارهم هذه لام العاقبة، لأنهم لم يقولوا للقرآن: أساطير الأولين ليحملوا الأوزار، ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك جازاً
 يقال: فعلوا ذلك له، كقوله ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزناً﴾ وقوله: ﴿كاملة يوم القيامة﴾ لأنهم لم يكفروا
 عنهم شيء من ذنوبهم بما يصيهم في الدنيا من نكبة وبلية كما يكفر عن المؤمنين ومن أوزار الذين يضلونهم لأنهم
 كانوا رؤساء يقتدى بهم في الضلالة فحمل عليهم من أوزار من اتبعهم كما قال ﷺ: أيما داع دعا إلى ضلالة، فاتبع
 كان عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء^(٤) وقوله: ﴿بغير علم﴾ يعني أنهم يفعلون ذلك جهلاً
 منهم بما يكتسبون من أوزارهم ومثل أوزار من اتبعهم، ثم ذم صنيعهم فقال: ﴿ألا ساء ما يزرعون﴾ بشئ ما حملوا
 على ظهورهم قوله: ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ يعني نمروذ بن كنعان بنى صرحاً طويلاً، ورام منه الصعود إلى السماء
 ليقاتل أهلها بزعمه، ومعنى المكر ههنا التدبير الفاسد قوله: ﴿فأتى الله بنيانهم﴾ أي أتى أمر الله وهو الريح التي خربت
 وحركتها، وقال المفسرون^(٥) أرسل الله ريحاً فالقت رأس الصرح في البحر، وخرّ عليهم الباقي، وقوله: ﴿من
 القواعد﴾ قال الزجاج من أساطير البناء التي تعمد^(٦) ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ سقط أعلى البيوت على
 أصحاب نمروذ ﴿وأناهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ من حيث ظنوا أنهم في أمان منه ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾
 يذلهم ويبينهم بالعذاب ﴿ويقول أين شركائي﴾ قال الزجاج هذه حكاية لقولهم، والله لا شريك له^(٧)، والمعنى: أين
 الذين في دعواكم أنهم شركائي؟ أي: أين؟ هم لا يحضرونكم فيدفعوا عنكم العذاب ﴿الذين كنتم تشاقون فيهم﴾
 تخالفون المسلمين فيهم فتعبدونهم وهم يعبدون الله، وقرأ نافع بكسر النون أراد تشاقوني، فحذف إحدى النونين^(٨)
 كما ذكرنا في قوله ﴿فبم تبشرون﴾^(٩) والمعنى تنازعوني فيهم وتتخذونهم أولياء من دوني ومعنى مخالفتهم [الله في
 الشركاء، مخالفتهم]^(١٠) أمر الله لأجلها ﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ قال ابن عباس يريد الملائكة^(١١) وقال غيره: هم
 المؤمنون، يقولون حين يرون خزي الكفار يوم القيامة^(١٢) ﴿إن الخزي اليوم والسوء﴾ أي الفضيحة والعذاب ﴿على

(١) في جـ (المتكبرين).

(٢) سقط في أ.

(٣) سقط في أ.

(٤) أخرجه مسلم بنحوه ٢٠٦٠/٤ كتاب العلم باب من سن سنة حسنة (١٦ - ٢٦٧٤) وأبو داود ٢٠١٤/٤ كتاب السنة باب لزوم لسة (٤٦٠٩) والترمذي ٤٢/٥. كتاب العلم باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى ٢٦٧٤ وابن ماجه ٧٥/١ المقدمة باب من سن سنة حسنة أوسية ٢٠٦ والطبراني في الكبير ٦٦/١٤.

(٥) انظر القرطبي ٦٥/١٠ روح المعاني ١٢٥/١٤ معالم التنزيل ٦٦/٣ زاد المسير ٤٤٠/٤.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ١٩٥/٣ الرازي ١٧/٢٠ بنحوه.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ١٩٥/٣ الرازي ١٨/٢٠ بنحوه روح المعاني ١٢٢/١٤.

(٨) انظر النشر في القراءات (٣٠٣/٣) حجة القراءات ص (٣٨٨) إتحاف فضلاء البشر ١٨٣/٢ تفسير القرطبي ٦٦/١٠.

(٩) سورة الحجر آية ٥٤.

(١٠) سقط في ب.

(١١) انظر تفسير القرطبي ٦٦/١٠ روح المعاني ١٢٧/١٤ زاد المسير ٤٤/٤، تفسير الرازي ١٨/٢٠ بلا نسبة فتح القدير ١٥٩/٣ بلا نسبة.

(١٢) انظر البغوي ٦٦/٣. القرطبي ٦٦/١٠ روح المعاني ١٢٧/١٤ الرازي ١٨/٢٠ أبو السعود ١٠٨/٥.

الكافرين ﴿ لا علينا ثم وصفهم فقال: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ تقدم تفسيره ﴿فألقوا السلم﴾ انقادوا وأقروا لله بالربوبية أخبر الله عنهم بالمشافة في الدنيا وأخبر أنهم عند الموت ينقادون ويتراون من الشرك وهو قوله: ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ فقال الملائكة رداً عليهم ﴿بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾ من التكذيب والشرك ثم يقال لهم: ﴿فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبس مشوى المتكبرين﴾ مقام المتكبرين عن توحيد الله وعبادته .

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تُوَفَّوهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم﴾ قال المفسرون^(١): كان هذا في أيام الموسم يأتي الرجل مكة فيسأل المشركين عن محمد وأمره، فيقولون: إنه ساحر وكاهن وكذاب فيأتي المؤمنين ويسألهم عن محمد وأمره وما أنزل الله عليه فيقولون: خيراً أي أنزل خيراً ثم فسر ذلك الخير فقال ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا﴾ قالوا: لا إله إلا الله ﴿حسنة﴾ قال ابن عباس: يريد مضعفة بعشر^(٢) ﴿ولدار الآخرة﴾ يعني الجنة ﴿خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها﴾ هذا كما يقول: نعم الدار دار تنزلها قوله: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾ قال الكلبي: طيبين من الشرك^(٣)، وقال مجاهد زاكية أفعالهم^(٤) وأقوالهم .

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ نظير هذه الآية في سورة البقرة^(٥) وآخر سورة الأنعام^(٦)، وقد تقدم وقوله ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ يريد كفار الأمم الماضية ﴿وما ظلمهم الله﴾ بتعذيبهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بإقامتهم على الشرك ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾ أي جزاؤها قال ابن عباس جزاء ما عملوا من الشرك^(٧) ﴿وحاق﴾ أحاط بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ من العذاب .

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ

(١) انظر الرازي ٢٠/٢٠ القرطبي ٦٦/١٠ روح المعاني ١٣١/١٤ عن السدي بنحوه أبو السعود ١١٠/٥ .

(٢) انظر البيهقي ٦٧/٣ روح المعاني ١٣١/١٤ بلا نسبة .

(٣) انظر معالم التنزيل ٦٧/٣ بلا نسبة القرطبي ٦٧/١٠ بلا نسبة فتح القدير للشوكاني ١٦٠/٣ بلا نسبة وقالوا: طاهرين من الشرك .

(٤) انظر معالم التنزيل ٦٧/٣ روح المعاني ١٣٣/١٤ القرطبي ٦٧/١٠ بلا نسبة فتح القدير ١٦٠/٣ .

(٥) هي قوله تعالى ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر...﴾ الآية ١١٠ سورة البقرة .

(٦) هي قوله تعالى ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك...﴾ الآية (١٥٨) سورة الأنعام .

(٧) انظر البحر المحيط ٤٨٩/٥ بنحوه بلا نسبة .

شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿وقال الذين أشركوا﴾ يعني أهل مكة ﴿لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾ أي لو شاء الله ما أشركنا ولكنه شاء لنا ﴿ولا حرمتنا من دونه من شيء﴾ من البحيرة والسائبة قال الزجاج إنهم قالوا هذا على جهة الهزء ولو قالوا هذا معتقدين لكانوا مؤمنين ولكنهم قالوا مستهزئين^(١) ونظير هذه الآية قد تقدم في سورة الأنعام وقوله: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ أي من تكذيب الرسل وتحريم ما أحل الله ﴿فهل علم الرسل إلا البلاغ المبين﴾ يعني ليس عليهم إلا التبليغ فأما الهداية فهي إلى الله، يهدي من يشاء ويضل من يشاء وقد حقق هذا فيما بعد وهو قوله ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا﴾ يعني كما بعثناك في هؤلاء ﴿أن اعبدوا الله﴾ أي بعبادة الله ﴿واجتنبوا الطاغوت﴾ الشيطان، وكل من يدعو إلى الضلالة ﴿فمنهم من هدى الله﴾ أرشده ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ قال ابن عباس: يريد في سابق علمي^(٢) قال الزجاج أعلم الله أنه بعث الرسل بالأمر بالعبادة، وهو من وراء الإضلال والهداية^(٣) ومعنى حقت عليهم الضلالة وجب عليهم الكفر كما [قال]^(٤): ﴿فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة﴾^(٥) ثم قال: ﴿فسيروا في الأرض﴾ أي معتبرين بآثار الأمم المكذبة وهو قوله: ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ ثم أكد أن من حقت عليه الضلالة لا يهتدي فقال: ﴿إن تحرص على هداهم﴾ أي إن تطلب بجهدك ذلك ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾ أي من يضل، وهذا كقوله: ﴿من يضل الله فلا هادي له﴾^(٦) وقرأ أهل الكوفة بفتح الياء^(٧) والمعنى فإن الله لا يرشد من أضله قوله:

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ قال ابن عباس: أغلظوا في الإيمان، تكديباً منهم بقدرة الله على البعث بعد الموت^(٨)، وهو قوله ﴿لا يبعث الله من يموت﴾ فقال الله رداً عليهم ﴿بلى وعداً عليه حقاً﴾ أي بلى ليعيشهم وعداً

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ١٩٧/٣ روح المعاني ١٤/١٣٨ نقلاً عن الواحدي تفسير الرازي ٢٣/٢٠.

(٢) انظر البغوي ٦٨/٣ بنحوه بلا نسبة زاد المسير ٤/٤٦٤ القرطبي ١٠/٦٩ بلا نسبة.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ١٩٧/٣ فتح القدير ٣/١٦١.

(٤) سقط في ب.

(٥) سورة الأعراف في آية ٣٠.

(٦) سورة الأعراف ١٨٦.

(٧) انظر النشر في القراءات (٣٠٤/٢) حجة القراءات (٣٨٩) إتحاف فضلاء البشر ٢/١٨٤ القرطبي ١٠/٦٩ البحر المحيط ٥/٤٩٠.

(٨) انظر القرطبي ١٠/٧٠ بلا نسبة.

للبعث حقاً ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يعني المشركين ﴿ليبين لهم﴾ بالبعث ﴿الذي﴾ اختلفوا فيه ﴿مع المؤمنين وذهبوا فيه إلى خلاف ما ذهب إليه المؤمنون﴾ وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴿فيما أقسموا من أنه لا بعث ثم أخبر بقوته وقدرته على البعث فقال: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه﴾ الآية قال الزجاج: أعلمهم الله سهولة خلق الأشياء عليه فأخبر أنه متى أراد الشيء كان^(١) وهذا كقوله: ﴿فاذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾^(٢) وقد تقدم تفسيره، وقراءة أكثر القراء (فيكون) بالرفع على معنى: فهو يكون، وقرأ ابن عامر (فيكون) نصباً^(٣) عطفاً على أن يقول فيكون، قوله: ﴿والذين هاجروا في الله﴾ نزلت في قوم أذاهم المشركون وعذبهم بمكة، منهم صهيب وبلال، وخباب^(٤)، ومعنى هاجروا في الله، هاجروا في رضا الله وطلب ثوابه. وقوله ﴿لنبوتهم في الدنيا حسنة﴾ أي داراً حسنة أو بلدة حسنة وهي المدينة في قول مجاهد والشعبي والحسن وقتادة^(٥) ﴿ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد أن أمر الجنة أكبر وأعظم من أن يعلمه أحد ويقدر على صفته أحد^(٦). ثم أثنى عليهم، ومدحهم بالصبر، فقال ﴿الذين صبروا﴾ أي على دينهم لم يتركوه بمشقة وجهد أصابهم وهم في ذلك واثقون بربهم متوكلون عليه، وهو قوله: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ قوله:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ ﴿١٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ
وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٤﴾

﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم﴾ قال المفسرون^(٧) إن مشركي مكة أنكروا نبوة محمد ﷺ، وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً فهلا بعث إلينا ملكاً؟ فقال الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ أي إلى الأمم الماضية ﴿إلا رجالاً﴾ آدميين لا ملائكة، أعلم الله أن الرسل كانوا بشراً، إلا أنهم يوحى إليهم، وقوله: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ يعني أهل الكتاب قال الزجاج فاسألوا أهل الكتاب^(٨) وذلك أن أهل الكتب يعترفون أن الأنبياء بشر كلهم، وقوله: ﴿بالبينات والزبر﴾ أي أرسلناهم يعني الأنبياء بالحجج الواضحة والكتب ﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ يعني القرآن ﴿لتبين

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ١٩٩/٣.

(٢) سورة البقرة آية ١١٧.

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٢٢٠ حجة القراءات ٣٨٩ - ٣٩٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٨٤ القرطبي ٧٠/١٠.

(٤) انظر أسباب النزول للمصنف ٢٨٤ القرطبي ٧١/١٠.

(٥) ذكر القرطبي في الحسنة ستة أقوال فقال: الأول: نزول المدينة قاله ابن عباس، والحسن والشعبي وقتادة. والثاني: الرزق الحسن قاله مجاهد، الثالث: النصر على عدوهم قاله الضحاك. الرابع: إنه لسان صدق حكاه ابن جريج. الخامس: ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها من الولايات. السادس: ما بقي لهم في الدنيا من الثناء وما صار فيها لأولادهم من الشرف. وكل ذلك اجتمع لهم بفضل الله. انظر القرطبي ٧١/١٠ انظر الرازي (١٩/٢٠) وروح المعاني ١٤/١٤٥ وذكر عن الحسن أنها دار حسنة، وعن مجاهد معيشة حسنة. وانظر تفسير البغوي ٣/٦٩ وفتح القدير ٣/٩٦٤ - ١٦٥.

(٦) انظر الخازن مع البغوي ٤/٩١ روح المعاني ١٤/١٤٦ بلا نسبة فتح القدير ٣/١٦٤ بلا نسبة.

(٧) انظر تفسير البغوي ٣/٧٠ روح المعاني ١٤/١٤٧ زاد المسير ٤/٤٤٩ الرازي ٢٠/٣٠ تفسير القرطبي ١٠/٧٢. تفسير فتح القدير ٣/١٦٤.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٠١ تفسير الرازي ٢٠/٣٠ روح المعاني ١٤/١٤٧ عن ابن عباس والحسن والسدي وغيرهم.

معالم التنزيل ٣/٧٠ بلا نسبة وقال: مؤمن أهل الكتاب، وكذا قال القرطبي في تفسيره ١٠/٧٢ عن سفيان وفتح القدير للشوكاني ٣/١٦٤ بلا نسبة.

للناس ما نزل إليهم ﴿ في هذا الكتاب من الحلال والحرام والوعد والوعيد ﴾ ﴿لعمهم يتفكرون﴾ في ذلك فيعتبرون قوله :

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوهُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾

﴿أفأمن الذين مكرؤا السيئات﴾ قال ابن عباس: يريد المشركين أهل مكة وما حول المدينة^(١) [ومعنى ﴿مكرؤا السيئات﴾ قال ابن عباس] ^(٢) عملوا السيئات يعني عبادة غير الله ^(٣) وقال قتادة يعني الشرك ^(٤) وسمى عبادتهم غير الله مكرأ لأن المكر في اللغة السعي بالفساد ﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ كما خسف بقارون، ومعنى الاستفهام ههنا الإنكار أي يجب ألا يأمؤا عقوبة تلحقهم كما لحقت المكذبين من قبلهم ﴿أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ قال ابن عباس يعني يوم بدر^(٥) يريد أنهم أهلکوا يوم بدر، وما كانوا يقدرؤن ذلك ولا يشعرونه ﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ في أسفارهم وتجارتهم، وقال مقاتل: يريد في تقلبهم في كل حال من الأحوال ليلاً ونهاراً، فيدخل في هذا تقلبهم على الفرش يميناً وشمالاً^(٦) ﴿فما هم بمعجزين﴾ بمتعين ولا فائتين ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ قال عامة المفسرين^(٧) على تنقص إما بقتل أو بموت يعني تنقص من أطرافهم ونواحيهم يأخذ منهم الأول فالأول، حتى يأتي الأخذ على جميعهم، والتخوف: التنقص، يقال: هو يتخوف المال أي يتنقصه ويأخذ من أطرافه ﴿فإن ربكم لرؤؤف رحيم﴾ إذ لم يعجل عليهم بالعقوبة والإهلاك، قال الزجاج: أي من رأفته أمهل وجعل فسحة للتوبة^(٨) قوله: ﴿أولم يروا﴾ قراءة العامة بالياء لأن ما قبله غيبة، وهو قوله: ﴿أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب﴾ ﴿أو يأخذهم كذلك﴾ ﴿أولم يروا﴾ وقرأ حمزة بالتاء^(٩)، على أن الخطاب لجميع الناس، قوله: ﴿إلى ما خلق الله من شيء﴾ أراد من

(١) انظر تفسير الرازي ٣٢/٢٠ بلا نسبة، وقال الألوسي في روح المعاني ١٤/١٥٠ هم عند أكثر المفسرين أهل مكة الذين مكرؤا برسول الله ﷺ.

(٢) سقط في ب.

(٣) ذكر بلا نسبة في تفسير البغوي ٣/٧٠ روح المعاني ١٤/٥١ فتح القدير ٣/١٦٥.

(٤) انظر فتح القدير ٣/١٦٧ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١١٩ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) ذكر بلا نسبة في تفسير القرطبي ١٠/٧٣ فتح القدير ٣/١٦٥.

(٦) ذكر الألوسي في روح المعاني عن الزجاج نحوه ١٤/١٥١.

(٧) انظر معالم التنزيل ٣/٧٠ تفسير الرازي ٢٠/٣٢ مختصراً عن أبي الأعرابي والألوسي في روح المعاني ١٤/١٥٢ بمعناه عن ابن عباس ومجاهد والضحاك تفسير القرطبي ١٠/٧٣ مختصراً عن ابن عباس ومجاهد وغيرهم وفتح القدير نقلاً عن الواحدي

٣/١٦٥.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٠٢.

(٩) انظر النشر في القراءات العشر (٢/٣٠٤) حجة القراءات (٣٩٠) إتحاف فضلاء البشر ٢/١٨٤ تفسير القرطبي ١٠/٧٤.

شيء له ظل من جبل، وشجر، وبناء، وجسم قائم ﴿يَتَفَيَّأ﴾ يتفعل من الفياء، يقال: فاء الظل، يفياء فيئاً إذا رجع وعاد بعد ما كان ضياء الشمس نسخه وتفيؤ الظلال: رجوعها بعد انتصاب النهار وقوله ﴿ظلاله﴾ جمع ظل وجمع وهو مضاف إلى مفرد لأنه واحد يراد به الكثرة، ومثله: ﴿لتستووا على ظهوره﴾^(١) ومعنى تفيؤ الظلال عن اليمين والشمال قال الكلبي: إذا طلعت الشمس وأنت متوجه إلى القبلة كان الظل قدأمك فإذا ارتفعت كان على يمينك فإذا كان بعد ذلك كان خلفك، وإذا كان قبل أن تغرب الشمس كان يسارك فهذا تفيؤ عن اليمين والشمال أي تميله عن جانب إلى جانب^(٢) ووحد اليمين، والمراد به الجمع إيجازاً في اللفظ كقوله: ﴿ويولون الدبر﴾^(٣) ودلت الشماثل على أن المراد به الجميع^(٤) وقوله: ﴿سجداً لله﴾ دورانه من جانب إلى جانب هو سجوده لأنه مستسلم منقاد مطيع بالتسخير، وهذه الآية كقوله: ﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾^(٥) وقد مر بيانه، قوله ﴿وهم داخرون﴾ أي صاغرون، يقال: دخر يدخر دخوراً، فهو داخر، وهو الذي يفعل ما تأمره شاء أو أبى قال الزجاج يعني أن هذه الأشياء مجبولة على الطاعة قوله: ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض﴾ السجود على نوعين: سجود عبادة وطاعة كسجود المسلمين وسجود هو خضوع وتذلل وهو سجود ما لا يعقل، وسجود الجمادات، وهذه الأشياء بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى مدبر وصانع ساجدة، أي خاضعة متذلة وقوله: ﴿من دابة﴾ قال ابن عباس يريد كل ما دب على الأرض^(٦) ﴿والملائكة﴾ أخرجهم بالذكر لخروجهم عن صفة الديب بما جعل لهم من الأجنحة ﴿وهم لا يستكبرون﴾ يريد عن عبادة الله، وهذا من صفة الملائكة خاصة لقوله: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ وفي هذه الآية قولان: أحدهما أن الآية من باب حذف المضاف على تقدير يخافون من عقاب ربهم من فوقهم، لأن أكثر ما يأتي العقاب المهلك إنما يأتي من فوق والآخر: أن الله تعالى لما كان موصوفاً بأنه علي متعال علو الرتبة في القدرة، حسن أن يقال: من فوقهم ليدل على أنه في أعلى مراتب القادرين وهذا معنى قول ابن عباس في رواية مجاهد قال: ذلك مخافة الإجلال^(٧) واختاره الزجاج فقال: يخافون ربهم خوف مجلين^(٨) ويدل على صحة هذا المعنى قوله: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾^(٩) وقوله إخباراً عن فرعون ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾^(١٠) وذهب بعض الناس إلى أن قوله ﴿من فوقهم﴾ من صفة الملائكة والمعنى أن الملائكة الذين هم فوق بني آدم وفوق ما في الأرض من دابة يخافون الله مع علو رتبتهم، فلأن يخاف من دونهم أولى^(١١) وقوله ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ يعني الملائكة، وهذا كقوله: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾^(١٢) قوله:

(١) سورة الزخرف ١٣.

(٢) انظر معالم التنزيل ٧١/٣ زاد المسير ٤٥٢/٤.

(٣) سورة القمر آية ٤٥.

(٤) انظر فتح القدير للشوكاني ١٦٦/٣ نقلاً عن المصنف.

(٥) سورة الرعد ١٥.

(٦) انظر تفسير الرازي ٣٦/٢٠ معالم التنزيل ٧١/٣ بلا نسبة تفسير القرطبي ٧٥/١٠ بلا نسبة فتح القدير ١٦٦/٣ بنحوه بلا نسبة.

(٧) انظر زاد المسير ٤٥٥/٤ البحر المحيط ٤٩٩/٥ بلا نسبة فتح القدير ١٦٧/٣ بلا نسبة وذكره السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس وعزاه للمخيط في تاريخه.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٠٣/٣ فتح القدير ١٦٧/٣.

(٩) سورة الأنعام آية ١٨.

(١٠) سورة الأعراف آية ١٢٧.

(١١) قال أبو حيان في البحر نقلاً عن الكرماني: والملائكة موصوفون بلا خوف لأنهم قادرون انظر البحر ٤٩٩/٥.

(١٢) سورة التحريم آية ٦.

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ۗ ﴾ وَلَمْ يَأْمُرْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
الَّذِينَ وَاصِبًا أَفْغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ ۗ ﴿٥٦﴾ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَهُ تَجْتَرُونَ ﴿٥٧﴾ ثُمَّ إِذَا
كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٨﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾

﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ﴾ أي لا تعبدوا معه غيره ﴿ إنما هو إله واحد ﴾ ليس له ثان ثم حذرهم نفساً، فقال ﴿ فيأي فارهبون ﴾ ﴿ وله الدين واسباب ﴾ الدين الطاعة والوصوب الدوام، وصب الشيء يصب وصبوا فهو واسباب إذا دام قال الزجاج: أي طاعته واجبة أبداً^(١) وقال ابن قتبية^(٢) ليس من أحد يطاع إلا انقطع ذلك بزوال أو هلكة غير الله فإن الطاعة تدوم له ثم قال: ﴿ أفغير الله تتقون ﴾ أي أفغير الله الذي قد أبان لكم أنه واحد خالق كل شيء وأمر أن لا يتخذ معه إله تتقون ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ أي ما أعطاكم من ضحة جسم، أو سعة في رزق أو إمتاع بمال وولد فكل ذلك من الله عز وجل.

أخبرنا: الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد البغدادي نا أبو العباس محمد بن يعقوب نا محمد بن سنان القزويني نا أبو سلمة نا هشام بن زياد عن عمرو بن حسين عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ما مست عبداً نعمة فعلم أنها من الله إلا كتب له شكرها وإن لم يحمد^(٣) وقوله ﴿ ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ﴾ قال ابن عباس يريد الأسقام والأمراض والحاجة^(٤) فإليه ترفعون أصواتكم بالاستغاثة، وتضرعون بالدعاء [يقال] ^(٥) جار جار جواراً إذا رفع صوته في تضرع ﴿ ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم ﴾ الآية قال ابن عباس يزيد أهل النفاق^(٦) وقال الكلبي يعني الكفار^(٧)، قال الزجاج هذا خاص فيمن كفر، وقابل كشف الضر عنه بالجحود والكفر^(٨) ﴿ ليكفروا بما ءاتيناهم ﴾ ليحسدوا نعمة الله في كشف الضر عنهم ثم أوعدهم بقوله: ﴿ فتمتعوا ﴾ أي بدنياكم الفانية ﴿ فسوف تعلمون ﴾ عاقبة أمركم، وما ينزل بكم من العذاب قوله:

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَسْتَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفَرُّونَ ۗ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بَشَّرْنَا أَحَدَهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ۗ أَيَسْمِئُكُمْ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾

﴿ ويجعلون لما لا يعلمون ﴾ يعني الأوثان لا يعلمون لها ضراً ولا نفعاً ومفعول العلم محذوف، وتقديره:

(١) انظر معاني القرآن ٢٠٣/٣ فتح القدير ١٦٩/٣ تفسير القرطبي ٧٥/١٠، روح المعاني ١٦٢/١٤ البحر المحيط ٥٠/٥.

(٢) انظر تفسير القرآن لابن قتبية ٢٤٣ فتح القدير ١٦٩/٣ معالم التنزيل ٧٢/٣ بلا نسبة تفسير الرازي ٤٠/٥ - ٤١ بنحوه.

(٣) إسناده ضعيف جداً.

(٤) انظر زاد المسير ٤٥٧/٤ تفسير الرازي ٤٢/٢ البحر المحيط ٥٠٢/٥ بلا نسبة فتح القدير ١٢٩/٣ بنحوه بلا نسبة.

(٥) سقط في ب.

(٦) انظر البحر المحيط ٥٠٢/٥ زاد المسير ٤٥٧/٤.

(٧) انظر البحر المحيط ٥٠٢/٥ زاد المسير ٤٥٧/٤ فتح القدير ١٦٩/٣، بلا نسبة.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٠٤/٣ تفسير القرطبي ٧٦/١٠ فتح القدير ١٦٩/٣.

ما ذكرنا، وهذا قول مجاهد وقتادة^(١) وقال أهل المعاني: هذا من صفة الأوثان والمعنى: ويجعلون للشركاء والأصنام الذين لا يعلمون شيئاً ولا معرفة لهم ولا حسناً^(٢) ﴿نصيباً مما رزقناهم﴾ قال المفسرون^(٣) هم مشركو العرب جعلوا لأوثانهم جزءاً من أموالهم كقوله: ﴿فقالوا هذا الله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾^(٤) ثم خاطبهم بعد الخبر عنهم فقال ﴿تالله لتسألن﴾ سؤال توبيخ ﴿عما كنتم تفترون﴾ تقولونه على الله من أنه أمركم بذلك ﴿ويجعلون لله البنات﴾ قال المفسرون^(٥): يعني خزاعة، وكنانة، زعموا أن الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له عما زعموا ﴿ولهم ما يشتهون﴾ يعني البنين، فهذا كقوله: ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾^(٦) ثم ذكر كراهيتهم البنات فقال: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى﴾ أخبر بولادة بنت والتبشير هنا بمعنى الإخبار كقوله: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾^(٧) ﴿ظل وجهه مسوداً﴾ تغير وجهه تغير مغتم قال قتادة: هذا صنيع مشركي العرب أخبر الله بخبث صنيعهم، فأما المؤمن، فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له وقضاء الله للمرء خير مما قضى المرء لنفسه وما قضى لك يا ابن آدم فيما تكره خير مما قضى لك فيما تحب فاتق الله، وارض بقضائه، فإنه رب جارية خير لأهلها من غلام ورب غلام لا يأتي أهله بخير^(٨) وقوله: ﴿وهو كظيم﴾ أي ممتلئ غماً^(٩) ﴿يتواري﴾ يختفي ويتغيب ﴿من القوم من سوء ما بشر به﴾ كان الرجل في الجاهلية إذا ضرب امرأته المخاض تواري إلى أن يعلم ما يولد له فإن كان ذكراً سر به وابتهج، وإن كانت أنثى اكتأب لها، وحزن، ولم يظهر للناس أياماً، يدبر كيف يصنع في أمرها^(١٠)، وهو قوله: ﴿أيمسكه على هون﴾ أي يحبسه، والإمسك هنا بمعنى الحبس كقوله: ﴿أمسك عليك زوجك﴾^(١١) والكناية تعود إلى ما، في قوله: ﴿ما بشر به﴾ والهون الهوان يقال: إنه ليهون علي هوناً وهواناً قال المفسرون^(١٢): كان أحدهم في الجاهلية إذا ولدت له بنت ضاق بها ذرعاً فلم يدر ما يصنع بها أيدها تحت التراب أو يتهاون بها فيلقبها، والدس: إخفاء الشيء في الشيء يعني ما كانوا يفعلونه من الوأد في الجاهلية قوله: ﴿ألا ساء ما يحكمون﴾ قال ابن عباس بشس ما حكموا إذ جعلوا لله البنات اللاتي محلهن منهم هذا المحل، ونسبوه إلى اتخاذ الولد وجعلوا لأنفسهم البنين^(١٣) وهذا كقوله ﴿ألکم الذکر وله الأنثی تلك إذا قسمة ضیزی﴾^(١٤) قوله:

(١) انظر زاد المسير ٤٥٧/٤ القرطبي ٧٧/١٠ فتح القدير ١٧٢/٣، معالم التنزيل ٧٢/٣ بلا نسبة تفسير الرازي ٤٣/٢٠ بنحوه بلا نسبة.

(٢) انظر زاد المسير ٤٥٨/٤ البحر المحيط ٥٠٣/٥.

(٣) انظر زاد المسير ٤٥٨/٤، البحر المحيط ٥٠٣/٥، القرطبي ٧٧/١٠ فتح القدير ١٧٢/٣.

(٤) سورة الأنعام ١٣٦.

(٥) انظر تفسير القرطبي ٧٧/١٠، زاد المسير ٤٥٨/٤، معالم التنزيل ٧٢/٣، تفسير الرازي ٤٤/٢٠ تفسير روح المعاني ١٦٧/١٤ أبو السعود ١٢١/٥، فتح القدير ١٧٠/٣.

(٦) سورة الطور آية ٣٩.

(٨) انظر زاد المسير ٤٥٨/٤، روح المعاني ١٦٩/١٤، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٢١/٤ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٩) في أ (غيظا).

(١٠) انظر الرازي ٤٥/٢٠ نقلاً عن المفسرين.

(١١) انظر زاد المسير ٤٥٩/٤ تفسير القرطبي ٧٨/١٠ الخازن مع البغوي ٩٦/٤ الدر المنثور ١٢١/٤.

(١٢) انظر زاد المسير ٤٥٩/٤ الخازن مع البغوي ٩٧/٤ فتح القدير للشوكاني ١٧٢/٣ عن السدي.

(١٤) سورة النجم الآيتان ٢١، ٢٢.

لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَشْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ السِّنِينَ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جُرْمَ أَنَّ لَهُمْ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ أي صفة السوء من احتياجهم إلى الولد وكرهيتهم الإناث خوف العيلة^(١) والعار ﴿ولله المثل الأعلى﴾ الصفة العليا من تنزهه عن الولد قوله: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس﴾ قال ابن عباس يريد المشركين^(٢) ﴿بظلمهم﴾ بافرائهم على الله ﴿ما ترك عليها﴾ على الأرض ﴿من دابة﴾ يعني دواب الأرض قال السدي: يقول لأقحط المطر، فلم يبق في الأرض دابة إلا هلكت^(٣).

وروي عن ابن مسعود أنه قرأ هذه الآية، فقال: كاد أن يهلك الجعل^(٤) في جحره بذنب ابن آدم^(٥) والمعنى أن شؤم ذنوب المشركين كاد أن يصيب دواب الأرض حتى تهلك بسبب ذلك لولا حلم الله وتأخيره العقوبة ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ يعني منتهى آجالهم وانقضاء أعمارهم وباقى الآية تقدم تفسيره ﴿ويجعلون﴾ يعني المشركين ﴿لله ما يكرهون﴾ يعني النبات، والمعنى يحكمون لله بما يكرهون هم لأنفسهم ﴿وتصف الكذب﴾ أي تقول الكذب ثم فسر ذلك الكذب فقال: ﴿أن لهم الحسنى﴾ يعني الجنة قال الزجاج^(٦) يصفون أن لهم مع قبيح قولهم من الله الجزاء الحسن، فرد الله عليهم قولهم، وأثبت لهم النار فقال ﴿لا جرم أن لهم النار﴾ لا: رد لقولهم، أي ليس الأمر على ما وصفوا، جرم فعلهم وقولهم أي كسب لهم النار والمفسرون يقولون: حقاً إن لهم النار^(٧) ﴿وأنهم مفراطون﴾ قال مجاهد والكلبي والضحاك متروكون منسيون في النار^(٨) وقال الكسائي يقال: ما أفطرت

(١) العيلة: الفقر.

انظر تاج العروس ٤٠/٨ الصحاح ١٧٧٩/٥ لسان العرب ٣١٩٤/٤ ترتيب القاموس ٣٥٨/٣.

(٢) انظر تفسير الرازي ٤٧/٢٠ قال الشوكاني في فتح القدير ١٧١/٣ المراد بالناس هنا الكفار.

(٣) انظر القرطبي ٧٩/١٠، بلا نسبة تفسير الرازي ٤٩/٢٠ بلا نسبة وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٢١/٤، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) الجعل دابة سوداء. انظر تاج العروس ٢٥٧/٧، الصحاح ١٦٥٦/٤، لسان العرب ٦٣٨/١، ترتيب القاموس ٥٠١/١.

(٥) انظر البغوي ٧٤/٣ القرطبي ٧٩/١٠، الرازي ٤٩/٢٠، روح المعاني ١٧١/١٤ فتح القدير ١٧٢/٣ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٢١/٤ وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٠٧/٣، تفسير الرازي ٥٠/٢٠.

(٧) انظر القرطبي ٨٠/١٠، تفسير ابن كثير ٤٩٨/٤، معالم التنزيل ٧٤/٣ الرازي ٥٠/٢٠ زاد المسير ٩١/٤، تفسير أبي السعود ١٢٣/٥.

(٨) انظر القرطبي ٨٠/١٠، روح المعاني ١٧٣/١٤، عن مجاهد وابن جرير وابن أبي هند وكذا البحر المحيط ٥٠٦/٥، ومعالم التنزيل ٧٤/٣، عن ابن عباس ومقاتل فتح القدير ١٧١/٣-١٧٢.

وذكره السيوطي في الدر المنثور عن سعيد بن جبير ١٢١/٤ وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

من القوم أحداً أي ما تركت^(١) وقال الفراء: تقول العرب^(٢): أفرطت من القوم ناساً أي خلقتهم ونسيتهم وقال قتادة: معجلون إلى النار^(٣) يقال: أفرط القوم الفارط إذا قدموا إلى الماء ليصلح لهم شأنهم وهذا اختيار الزجاج^(٤) قال: معنى مفرطون مقدمون إلى النار وقرأ نافع بكسر الراء^(٥) على معنى أنهم أفرطوا في الذنوب فكانوا مفرطين على أنفسهم في معصية الله، وقال ابن عباس: أفرطوا في الافتراء على الله^(٦) قوله: ﴿تالله لقد أرسلنا إلى أممٍ من قبلك﴾ قال ابن عباس يعزي نبيه ﷺ بهذا^(٧) يقول: لقد أرسلنا إلى أمم يعني: رسلاً وأنبياء من قبلك فزين لهم الشيطان حتى عصوا وكذبوهم ﴿فهو وليهم اليوم﴾ يعني يوم القيامة يقول: فهو ولي أولئك الذين زين لهم [سوء]^(٨) أعمالهم يوم القيامة، ومن كان الشيطان وليه ذلك اليوم دخل النار ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب﴾ يعني القرآن وما فيه من أخبار الأمم الماضية ﴿إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾ إلا لتبين لهؤلاء الكفار ما اختلف فيه الأمم من الدين والأحكام فذهبوا فيه إلى خلاف ما ذهب إليه المسلمون فتقوم الحجة عليهم بدعائك وبياناتك ﴿وهدى ورحمة﴾ وللهدى والرحمة ﴿لقوم يؤمنون﴾ [وما بعده ظاهر]^(٩) إلى قوله:

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّرْبِ بَيْنَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّخْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَسْفَلٍ الْعَمْرِ لَكِنِّي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

﴿وإن لكم في الأنعام﴾ يعني الإبل والبقرة والغنم ﴿لعبرة﴾ لدلالة على قدرة الله ثم ذكرها فقال ﴿نسقيكم مما في بطونه﴾ من فتح النون فحجته ظاهرة لأنه يقال: سقته ماء ولبناً، وما كان للشفة فهو يفتح

(١) انظر تفسير الرازي ٥٠/٢٠، تهذيب اللغة ٣٣٢/١٣.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء، ١٠٧/٢ الرازي ٥٠/٢٠.

(٣) انظر البغوي ٧٤/٣، روح المعاني ١٧٢/١٤، الرازي ٥٠/٢٠، القرطبي ٨٠/١٠ وذكره السيوطي ٢١/٤، وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر.

قال الرازي في تفسيره بعد ذكره المعنى (بمعجلون): قاله الواحدي رحمه الله وهو الاختيار ووجهه ما قال أبو زيد وغيره فرط الرجل أصحابه وفرطهم فرطاً وفروطاً إذا تقدمهم إلى الماء ليصلح الدلاء والأرسان وأفرط القوم الفارط وفرطوه إذا قدموه.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٠٨/٣.

(٥) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٤/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٨٥/٢، تفسير البحر المحيط ٥٠٦/٥، تفسير القرطبي ٨٠/١٠.

(٦) انظر زاد المسير ٤٦١/٤، الخازن مع البغوي ٩٨/٤، القرطبي ٨٠/١٠، بلا نسبة البحر المحيط ٥٠٦/٥ بلا نسبة.

(٧) انظر تفسير الرازي ٥٠/٢٠ بلا نسبة تفسير القرطبي ٨١/١٠ بلا نسبة البحر المحيط بلا نسبة زاد المسير ٤٦١/٤ الخازن مع البغوي ٩٨/٤.

(٨) سقط في أ، ب.

(٩) سقط في أ، ب.

النون، ومن ضم النون^(١)، فهو من قولهم: أسقاه إذا جعل له شرباً^(٢)، كقوله: ﴿وَأَسْقِينَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا﴾^(٣) وذكر الكنية في بطونه لأن النعم والأنعام شيء واحد، فرجع التذكير إلى النعم إذ كان يؤدي عن معنى الأنعام وهذا قول الفراء^(٤)، وأنشد:

وَطَابَ أَلْبَانُ اللَّقَاحِ وَبَرَدٌ^(٥)

فرجع إلى اللين، لأن اللين والألبان بمعنى واحد وقال الكسائي أراد مما في بطون ما ذكرنا^(٦) قال الفراء وهو الصواب^(٧) وقال المبرد: هذا فاش في القرآن مثل قوله للشمس ﴿هَذَا رَبِّي﴾^(٨) يعني هذا الشيء الطالع، وكذلك ﴿وَأَيُّ مَرْسَلَةٍ إِلَيْهِمْ بِهِدِيَّةٍ﴾^(٩) ثم قال ﴿فَلَمَّا جَاءَ سَلِيمَانَ﴾^(١٠) ولم يقل: جاءت، لأن المعنى جاء الشيء الذي ذكره، وقوله: ﴿مَنْ بَيْنَ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ الفرث سرجين الكرش^(١١)، قال ابن عباس في رواية الكلبي إذا استقر العلف في الكرش صار أسفله فرثاً، وأعله دماً، وأوسطه لبناً فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع، ويبقى الفرث كما هو^(١٢) فذلك قوله: ﴿مَنْ بَيْنَ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنًا خَالِصًا﴾ لا يشوبه الدم ولا الفرث ﴿سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ جازئاً في حلوقهم يقال: ساغ الشراب في الحق وأسأغه صاحبه، ومنه قوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يَسِيغُهُ﴾^(١٣) قال أصحابنا وهذه الآية تدل على أن مني الأدمي طاهر وإن كان في باطنه مجاوراً للنجاسات كاللبن الطاهر يخرج من بين نجسين^(١٤) قوله ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ﴾ الآية، قال صاحب النظم تقدير الآية: ولكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكرًا^(١٥) والعرب تضم من كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتُمْ ثَمْرًا﴾^(١٦) أي ما ثم ﴿وَالأَعْنَابِ﴾ عطف على الثمرات أي ومن الأعناب تتخذون منه سكرًا وكل ما يسكر، والرزق الحسن ما أحل منهما كالزبيب والخل والتمر.

أخبرنا: الأستاذ أبو منصور البغدادي نا محمد بن الحسن السراج أنا الحسن بن المثنى بن معاذ أنا أبو حنيفة

(١) انظر النشر ٢/٣٠٤ إتخاف فضلاء البشر ٢/١٨٦ تفسير البحر المحيط ٥/٥٠٨ - ٥٠٩.

(٢) الشرب: التصيب من الماء. انظر تاج العروس ١/٣١٢، الصحاح ١/١٥٣ لسان العرب ٤/٢٢٢٢ ترتيب القاموس ٢/٦٨٣.

(٣) سورة المرسلات آية ٢٧.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٠٨.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء، ٢/١٠٨. وذكره السمين الحلبي في الدر المصون من آية (٦٦) من سورة النحل (بتحقيقنا).

(٦) انظر معالم التنزيل ٣/٧٥ البحر المحيط ٥/٥٠٩ القرطبي ١٠/٨٢، فتح القدير ٣/١٧٤.

(٧) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٠٨ فتح القدير ٣/١٧٤.

(٨) سورة الأنعام ٧٨، وانظر البحر المحيط ٥/٥٠٩، الرازي ٢٠/٥٢، فتح القدير ٣/١٧٤.

(٩) سورة النمل آية ٣٥.

(١٠) سورة النمل آية ٣٦.

(١١) انظر لسان العرب ٥/٣٣٦٩ تاج العروس ١/٦٣٨، الصحاح ١/٢٨٩ ترتيب القاموس ٣/٤٦١.

(١٢) انظر معالم التنزيل ٣/٧٥ تفسير القرطبي ١/٨٣، روح المعاني ١٤/١٧٧، الرازي ٢٠/٥٢ زاد المسير ٤/٤٦٣ فتح القدير

٣/١٧٤ بلا نسبة.

(١٣) سورة إبراهيم آية ١٧.

(١٤) انظر بداية المجتهد ١/٦٣ - ٦٤، انظر تفسير القرطبي ١٠/٨٣.

(١٥) انظر الطبري ١٤/١٣٣ تفسير القرطبي ١٠/١٢٧، نقلاً عن الطبري.

(١٦) سورة الإنسان آية ٢٠.

موسى بن مسعود أنا سفيان الثوري عن الأسود بن قيس^(١) عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية، تتخذون منه سكرأ ورزقاً حسناً قال: السكر ما حرم من ثمرها، والرزق الحسن ما أحل [الله] من ثمرها رواه الحاكم في صحيحه^(٢) عن ابن النضر الفقيه عن معاذ بن نجدة^(٣) عن قبيصة عن سفيان وهذه الآية نازلة قبل تحريم الخمر قال مجاهد: أما السكر فهي الخمر قبل أن تحرم، وأما الرزق الحسن فالتمر، والعنب، والزبيب، وشبهه^(٤).

حدثنا: الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني إملأ في مسجد عقيل سنة ست عشرة وأربعمائة أنا الإمام أبو بكر الإسماعيلي نا إسحاق بن إبراهيم الكوفي نا إسحاق بن حاتم نا مسعود بن مشكان الواسطي نا عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين، عن «أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (في العنب خمسة أشياء حلال، تأكلونه عنباً، وعصيراً ما لم ينش^(٥)، وتتخذون منه زيبياً، ورباً^(٦) وخلاً^(٧))» قوله: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ قال: المفسرون^(٨) قذف في أنفسها وألهمها ﴿أن اتخذني من الجبال بيوتاً ومن الشجر﴾ قال ابن عباس هي تتخذ من الجبال لأنفسها بيوتاً إذا كانت لا أصحاب لها^(٩) وقوله: ﴿ومما يعرشون﴾ قرء بضم الراء وكسرهما^(١٠) وهما لغتان مثل يَعْكِفُونَ ويعكفون، ومعناه: يبنون ويسقفون، يعني ما يبنى لها من خللاها التي تحمل فيها النحل، ولولا التسخير وإلهام الله ما كانت تأوي إلى ما يبنى لها من بيوتها ﴿ثم كلي من كل الثمرات﴾ مما ثمره الأشجار ﴿فاسلكي سبل ربك﴾ قال ابن عباس طرق ربك تطلب فيها الرعي^(١١) ﴿ذلاً﴾ جمع ذلول، وهو المنقاد اللين المسخر، ويجوز أن يكون من نعت النحل، يعني مطيعة للتسخير وإخراج العسل من بطنها وهذا قول قتادة^(١٢) واختيار ابن قتيبة^(١٣) ويجوز أن يكون من نعت السبل، وهو قول مجاهد قال: لا يتوعر عليها مكان سلكته وهي ترعى الأماكن البعيدة ذوات

(١) الأسود بن قيس العبدي. وقيل البجلي: أبو قيس الكوفي. قال ابن معين والنسائي: ثقة. وقال العجلي: ثقة حسن الحديث، وقال ابن البراء عن ابن المديني: روى عن عشرة مجهولين لا يعرفون قال الحافظ سمي مسلم منهم في الوجدان أربعة وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب ١/٣٤١.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک ٢/٣٥٥٤، كتاب التفسير سورة النحل وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

(٣) معاذ بن نجدة الهروي. صالح الحال. قد تكلم فيه. روى عن قبيصة وغلاد بن يحيى. توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين وله خمس وثمانون سنة. انظر ميزان الاعتدال ٤/١٣٣.

(٤) انظر الخازن مع البغوي ٤/٩٩ روح المعاني ١٤/١٨٠ مختصراً القرطبي ١٠/٨٥ بلا نسبة الرازي بلا نسبة.

(٥) الشيش: أول أخذ العصير في الغليان، والخمر تنش إذا أخذت في الغليان انظر لسان العرب ٦/٤٤٢٦ تاج العروس ٤/٣٥٦ الصحاح ٣/١٠٢١، ترتيب القاموس ٤/٣٧٣.

(٦) الرب: خلاصة كل ثمرة بعد الاعتصار والطبخ، وارتب العنب إذا طبخ حتى يكون رباً.

انظر لسان العرب ٣/١٥٥٠ تاج العروس ١/٢٦٠ الصحاح ١/١٣٠، ترتيب القاموس ٢/٢٨٢.

(٧) ذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة ونسبه للعقيلي ٢/٢٣٥ وقال: ولا يصح فيه إسحاق بن وهب، قال الدارقطني: كذاب، وأخرجه الخطيب في التاريخ ١/٢٨٢.

(٨) انظر معالم التنزيل ٣/٧٦ روح المعاني ١٤/١٨١، الرازي ٢٠/٥٦، القرطبي ١٠/٨٨، البحر المحيط ٥/٥١١.

(٩) انظر الخازن مع البغوي ٤/١٠١ تفسير الرازي ٢٠/٥٧، بنحوه بلا نسبة.

(١٠) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٢٧١. إتحاف فضلاء البشر ٢/١٨٦. البحر المحيط ٥/٥١٢ القرطبي ١٠/٨٩.

(١١) انظر القرطبي ١٠/٨٩ تنوير المقباس ٣/١٠١.

(١٢) انظر زاد المسير ٤/٤٦٦ روح المعاني ١٤/١٨٤ فتح القدير ٣/١٧٦، القرطبي ١٠/٨٩ بلا نسبة.

(١٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٤٦.

الغياض^(١) واختاره الزجاج^(٢) لأنه قال: قد ذلها الله لك وسهل عليك مسالكها وقوله: ﴿يخرج من بطونها شراباً مختلفاً ألوانه﴾ قال ابن عباس: منه أحمر وأبيض وأصفر^(٣) وقال الزجاج^(٤): هي تأكل الحامض والمر، فيحيل الله ذلك عسلاً، يخرج من بطونها إلا أنها تلقى من أفواهها كالريق الذي يخرج من فم ابن آدم وقوله: ﴿فيه شفاء للناس﴾ قال السدي: فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه^(٥) وقال قتادة: فيه شفاء للناس من الأدوية^(٦).

أخبرنا: أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان العدل أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يعقوب أنا أحمد بن عبد الرحمن السقطي نا يزيد بن هارون أنا شعبة عن قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله، إن أخي قد استطلق بطنه فقال: اسقه عسلاً فسقاه عسلاً، ثم أتاه فقال سقته، فلم يزد إلا استطلاقاً ثم قال: اسقه عسلاً، قال فشفي إما في الثالثة وأما في الرابعة فقال رسول الله ﷺ: صدق الله، وكذب بطن أخيك) رواه البخاري ومسلم^(٧) عن غندر عن شعبة ومعنى قوله: صدق الله أي في قوله ﴿فيه شفاء للناس﴾.

أخبرنا: إسماعيل بن إبراهيم الواعظ أنا محمد بن أحمد بن حماد الدقاق.

أخبرني: محمد بن إسحاق السراج نا الحسن بن حماد الوراق^(٨) نا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت «كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل». رواه البخاري^(٩) عن إسحاق الحنظلي عن أبي أسامة.

أخبرنا: أبو بكر التميمي أنا أبو الشيخ نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان نا الحكم عن السدي عن عبد خير عن علي رضي الله عنه قال: أتني برجل سقيم فقالوا: إنا عالجناه فليس يتفعه شيء فقال علي: لياخذن من مهر امرأته أربعة دراهم، فيشتري بها عسلاً فإذا أمطرت السماء فليشرب به، قال الله تعالى: ﴿يخرج من بطونها شراباً مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس﴾.

أخبرنا: محمد بن عبد الرحمن المطوعي أنا محمد بن بشر بن العباس أنا محمد بن إدريس الشامي نا سويد بن سعيد نا علي بن مسهر عن الأعمش عن خيثمة قال: قال عبد الله بن مسعود: عليكم بشفاء بين القرآن والعسل^(١٠) وقوله:

(١) ذكره بنحوه في معالم التنزيل ٧٦/٣ روح المعاني ١٨٤/١٤ فتح القدير ١٧٦/٣ زاد المسير ٤٤٦/٤.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢١٠/٣ فتح القدير ١٧٥/٣.

(٣) انظر زاد المسير ٤٦٦/٤ تفسير القرطبي ٨٩/١٠ بلا نسبة تنوير المقباس ١٠١/٣.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢١٠/٣ فتح القدير ١٧٦/٣ مختصراً.

(٥) انظر زاد المسير ٤٦٧/٤ وذكره السيوطي عنه ١٢٢/٤ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٦) انظر زاد المسير ٤٦٧/٤.

(٧) أخرجه البخاري ١٧٨/١٠ كتاب الطب باب دواء المبطون ٥٧١٦ ومسلم ٧٣٦/٤ (كتاب السلام باب التداوي بسقي العسل)

(٩١ - ٢٢١٧).

(٨) الحسن بن حماد الضبي أبو علي الوراق الكوفي الصيرفي. قال ابن أبي حاتم: سألت موسى بن إسحاق عنه فقال ثقة مأمون، وقال السراج: كوفي ثقة. قدم بغداد سنة (٣٥) وحدث بها، وقال مطين: مات في رجب سنة (٢٣٨) له في السنن حديث واحد في اعتكاف عمر. وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (٢/ ٢٧٢ - ٢٧٣).

(٩) أخرجه البخاري ٢٨٧/٩ كتاب الطلاق باب ٨ حديث ٥٢٦٨ ومسلم ١١٠١/٢، كتاب الطلاق باب وجوب الكفارة ٢١ - ١٤٧٤.

(١٠) أخرجه ابن ماجه مرفوعاً ١١٤٢/٢، كتاب الطب باب العمل ٣٤٥٢، والحاكم في المستدرک ٣٠٠/٤، وذكره السيوطي مرفوعاً في الدر المنثور ٤/ ١٢٣ وزاد نسبه لابن مردويه والبيهقي في الشعب.

فتح القدير ٣/ ١٧٦، وانظر معالم التنزيل ٣/ ٧٦، روح المعاني ١٨٦/١٤.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي في عظمة الله وقدرته قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ الآية قال المفسرون: خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ وهو أورداه وأوضعه يقال: ردل يردل ردالة قال السدي: أردل العمر الخوف^(١) وقال قتادة تسعون سنة^(٢)، وروي عن علي رضي الله عنه قال: أردل العمر خمس وسبعون سنة^(٣) قوله: ﴿لَكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ قال ابن عباس كي يصير كالصبي الذي لا عقل^(٤) له قال عطاء عن ابن عباس: ليس هذا في المسلمين المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفة^(٥) وقال عكرمة: من قرأ القرآن لم يرد إلى أردل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً^(٦) ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بما صنع بأوليائه وأعدائه. ﴿قَدِيرٌ﴾ على ما يريد.

وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرِزْقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبِطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضُرُّوهُ اللَّهُ الْأَمْثَالُ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾ يعني كثر وقلل، وبسط وقبض، ووسع وضيق ﴿فما الذين فضلوا﴾ في الرزق وأعطوا الفضل ﴿برادي رزقهم على ما ملكت أيماهم﴾ يقول: لا يرد المولى على ما ملكت يمينه مما رزق شيئاً، حتى يكون المولى والمملوك في المال سواء وهذا مثل ضربه الله للمشركين في تصييرهم عبداً له شركاء له فقال: إذا لم يكن عبيدكم معكم سواء في الملك فكيف تجعلون عبيدي معي سواء؟ قال السدي يقول: فكما لا يرد أحدكم على مملوكه مما رزقه حتى يكون مثله فكذلك لا يكون الله والصنم الذي هو من خلقه وملكه سواء^(٧) ﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ [حيث أشركوا به غيره ومن قرأ بالثناء^(٨) كان التقدير قل لهم يا محمد أفبنعمة الله تجحدون]^(٩) بالإشراك به؟ فقوله: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ قال المفسرون^(١٠) يعني النساء

(١) انظر زاد المسير ٤٦٧/٤ فتح القدير ١٧٩/٣ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٢٣/٤ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) انظر معالم التنزيل ٧٦/٣ زاد المسير ٤٦٧/٤ روح المعاني ١٨٧/١٤، تفسير الرازي ٦٣/٢ فتح القدير ٧٧/٣ بلا نسبة.

(٣) انظر معالم التنزيل ٧٦/٣ روح المعاني ١٨٧/١٤ الرازي ٦٣/٢٠ فتح القدير ١٧٩/٣ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٢٣/٤ وعزاه لابن جرير.

(٤) انظر زاد المسير ٤٦٨/٤ القرطبي ٩٣/١٠ بلا نسبة.

(٥) انظر زاد المسير ٤٦٨/٤ الرازي بلا نسبة.

(٦) انظر روح المعاني ١٨٨/١٤ الرازي ٦٣/٢ زاد المسير ٤٦٨/٤ فتح القدير ١٧٩/٣.

(٧) ذكر هذا المعنى في تفسير القرطبي ٩٣/١٠، تفسير الرازي ٦٤/٢٠.

(٨) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٤/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٨٦/٢.

(٩) سقط في أ، ب.

(١٠) انظر الخازن مع البغوي ١٠٤/٤، روح المعاني ١٨٩/١٤، معالم التنزيل ٧٧/٣ القرطبي ٩٣/١٠ - ٩٤ تفسير الرازي ٦٥/٢٠،

وضعه الرازي وعلل تضعيفه بقوله: لأن قوله ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ خطاب مع الكل فتخصيصه بآدم وحواء خلاف

الدليل، بل هذا الحكم عام في جميع الذكور والإناث والمعنى: أنه تعالى خلق النساء ليتزوج بهن الذكور.

خلق حواء من ضلع آدم ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ الحفدة جمع حافد يقال: حفد يحفد حفداً وحفوداً إذا أسرع، ومنه الدعاء: وإليك نسعى، ونحفد^(١) وكل من خف في الخدمة، وأسرع في العمل بالطاعة، فهو حافد^(٢)، قال ابن عباس في رواية الوالبي: هم أختان الرجل على بناته^(٣) وقال السدي وعكرمة: هم ولد الرجل الذي يعينونه^(٤) وقال مجاهد ولد الولد^(٥) وقال عطية العوفي هم بنو امرأة الرجل ليسوا منه^(٦) قوله: ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ قال ابن عباس يريد من أنواع الثمار والحبوب والحيوان^(٧) ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ قال يعني الأصنام^(٨)، وقال «مقاتل يعني الشيطان^(٩) وقال عطاء يصدقون أن لي شريكاً وصاحبة وولداً^(١٠) ﴿وبنعمت الله هم يكفرون﴾ قال ابن عباس يعني التوحيد، وما أنعم عليهم من القرآن والرسول ﷺ^(١١)، وقوله: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات﴾ يعني الأصنام لا تملك أن ترزقهم من السموات المطر، ولا من الأرض النبات والثمار التي تخرج منها وقوله ﴿شيئاً﴾ قال الأخفش^(١٢): جعل شيئاً بدلاً من الرزق وهو في معنى: لا يملكون رزقاً قليلاً ولا كثيراً ﴿ولا يستطيعون﴾ لا يقدرون على شيء وليست لهم استطاعة ﴿فلا تضربوا الله الأمثال﴾ أي ولا تشبهوه بخلقه لأنه لا يشبه شيئاً ولا يشبه شيء ﴿إن الله يعلم﴾ قال ابن عباس يعلم ما يكون قبل أن يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة^(١٣) ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ قدر عظمتي، حيث أشركتم بي، وعجزتموني أن أبعث خلقي قوله:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِنِخْرِ ۗ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾

﴿ضرب الله مثلاً﴾ بين الله شبهها فيه بيان المقصود ثم ذكر ذلك المثل فقال: ﴿عبداً مملوكاً﴾ إلى قوله: ﴿سراً وجهراً﴾ قل

(١) أخرجه البيهقي في السنن ٢/٢١٠، في كتاب الصلاة باب دعاء القنوت.

(٢) انظر تفسير الرازي ٦٦/٢٠ نقلاً عن المصنف.

(٣) انظر معالم التنزيل ٧٧/٣، عن ابن مسعود والنخعي تفسير القرطبي ٩٤/١٠ الرازي ٦٦/٢٠ بلا نسبة.

(٤) انظر زاد المسير ٤/٤٦٩، معالم التنزيل ٧٧/٣ عن عطاء.

(٥) انظر معالم التنزيل ٧٧/٣ عنه وعن ابن جبير عن ابن عباس روح المعاني ١٤/١٩٠ عن ابن عباس فتح القدير ٣/١٨٠ عن ابن عباس تفسير الرازي ٦٦/٢٠ بلا نسبة.

(٦) معالم التنزيل ٧٧/٣، روح المعاني ١٤/١٩٠، عن ابن عباس زاد المسير ٤/٤٧٠، فتح القدير ٣/١٨٠ عن ابن عباس.

(٧) انظر روح المعاني ١٤/١٩١ بلا نسبة تفسير الرازي ٦٦/٢٠ بلا نسبة القرطبي ٩٦/٢٠ بلا نسبة تنوير المقياس ٣/١٠٥.

(٨) انظر تفسير القرطبي ٩٦/٢٠ تفسير الرازي ٦٦/٢٠ زاد المسير ٤/٤٧٠ معالم التنزيل ٧٧/٣ بلا نسبة.

(٩) انظر زاد المسير ٤/٤٧٠، تفسير الرازي ٦٦/٢٠، روح المعاني ١٤/١٩١، عن ابن جريج فتح القدير ٣/١٨٠ عن ابن جريج معالم التنزيل ٧٧/٣، بلا نسبة.

(١٠) انظر تفسير الرازي ٦٦/٢٠ زاد المسير ٤/٤٧٠.

(١١) انظر الخازن مع البغوي ٤/١٤٠، زاد المسير ٤/٤٧٠، معالم التنزيل ٧٧/٣ بتحوه بلا نسبة تنوير المقياس ٣/١٠٦.

(١٢) انظر معالم التنزيل ٧٧/٣ الرازي ٦٧/٢٠ فتح القدير ٣/٧٩، روح المعاني ١٤/١٩٣ بلا نسبة.

(١٣) انظر زاد المسير ٤/٤٧١.

السدي هذا مثل ضربه الله للآفة يقول: كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شيء ورجل حر فقد رزق رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهرأ لا يخاف من أحد فكذلك أنا، وهذه الآفة التي تدعون ليست غمك شيئاً، وأنا الذي أملك، وأرزق من شئت وقوله: ﴿هل يستون﴾ جمع الفعل لأن المراد بقوله ﴿عبداً مملوكاً﴾ بقوله: ﴿ومن رزقناه﴾ الشيع في الجنس، لا التخصيص وقوله ﴿الحمد لله﴾ أنه المستحق للحمد، لأنه المنعم ولا نعمة للأصنام عندهم، ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني أن المشركين لا يعلمون أن الحمد لي لأن جميع النعمة مني، وذكر الأكثر وهو يريد الجميع ثم ذكر مثلاً آخر فقال: ﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم﴾ لا يقدر على شيء وهو العبي الأقطع اللسان ﴿لا يقدر على شيء﴾ من الكلام لأنه لا يفهم ولا يفهم عنه ﴿وهو كل على مولاه﴾ ثقل ووبال على صاحبه وقريبه وابن عمه والكل الذي هو عيال وثقل على صاحبه ﴿أينما يوجهه﴾ أينما يرسله والتوجيه: الإرسال في وجه الطريق يقال: وجهته إلى موضع كذا فتوجه إليه، وقوله ﴿لا يأت بخير﴾ لأنه عاجز لا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه ﴿هل يستوي هو﴾ أي هذا الأبكم الذي هو بهذا الوصف ﴿ومن يأمر بالعدل﴾ وهو قادر تام التمييز متكلم، ناطق بالحق أمر بالعدل ﴿وهو على صراط مستقيم﴾ [دين مستقيم]^(١) وهذا مثل للمؤمن والكافر.

أخبرنا: محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أنا أبو بكر محمد بن جعفر بن الهيثم الأنباري نا جعفر بن محمد بن شاكر نا عفان نا وهيب نا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن إبراهيم عن عكرمة عن ابن عباس قال: نزلت في رجلين فالأبكم منهما الكل على مولاه: هو السيد ابن أبي العيص، والذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم هو عثمان بن عفان رضي الله عنه^(٢) قوله:

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمَتَعًا إِلَى

حِينَ

﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ تقدم تفسيره قوله: ﴿وما أمر الساعة﴾ يعني القيامة ﴿إلا كلمح البصر﴾ للمح النظر بسرعة يقال: لمح بصير، قال السدي: يقول هو كلمح العين من السرعة ﴿أو هو أقرب﴾ من ذلك إذا أردنا، وقال الزجاج أعلم الله أن البعث والإحياء في قدرته ومشيبته كلمح البصر أو هو أقرب ليس يريد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر ولكنه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها متى شاء^(٣)، يدل على هذا قوله:

(١) سقط في ب.

(٢) انظر روح المعاني ١٤/١٩٧، فتح القدير ٣/١٨٣، القرطبي ١٠/٩٨، بنحوه تفسير الرازي ٢٠/٧١، بنحوه معالم التنزيل ٣/٧٨ بنحوه.

(٣) انظر فتح القدير ٣/١٨٢.

﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ قوله: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ أي أخرجكم جاهلين، غير عالين ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ خلق لكم الحواس التي بها تعلمون، وتقفون على ما تجهلون ﴿لعلكم تشكرون﴾ لكي تشكروا خالق هذه الحواس فتعرفوا نعمته وقدرته ثم ذكر الدليل عليها فقال ﴿ألم يروا إلى الطير مسخراتٍ ﴿مذلات﴾ ﴿في جو السماء﴾ وهو الهواء ﴿ما يمسكن﴾ حتى لا يسقطن على الأرض ﴿إلا الله﴾ وهذه كقوله: ﴿ألم يروا إلى الطير فوقهم صافات﴾ (١) وقوله: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً﴾ موضعاً تسكنون فيه قال ابن عباس ومجاهد: يعني المساكن من الحجر والمدر (٢) يستر عوراتكم وحرمتكم وذلك أن الله خلق الخشب والمدر والآلة التي بها يمكن تسقيف البيوت وبنائها ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام﴾ يعني الأنطاع (٣) والأدم (٤) ﴿بيوتاً﴾ يعني القباب والخيام ﴿تستخفونها يوم ظعنكم﴾ يخف عليكم حملها في أسفاركم وفيه قراءتان تسكين العين وتحريكها (٥) وهما لغتان كالشعر، والشعر، والنهر، والنهر ومعنى الظعن سير أهل البوادي لنجعة (٦) أو حضور ماء أو طلب مرتع ﴿ويوم إقامتكم﴾ قال مقاتل لا تثقل عليكم في الحالتين (٧) ﴿ومن أصوافها﴾ وهي للضأن ﴿وأوبارها﴾ وهي للإبل ﴿وأشعارها﴾ وهي للمعز ﴿أثاثاً﴾ الأثاث أنواع المتاع من متاع البيت من الفرش والأكسية قال ابن عباس يريد طنافس (٨) وبسطاً وثياباً وكسوة ﴿ومتاعاً﴾ يتمتعون به ﴿إلى حين﴾ البلى، قوله:

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١)

﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالاً﴾ قال ابن عباس: يريد ظلال الغمام (٩)، كما قال: ﴿وظللنا عليك الغمام﴾ (١٠) وقال الكلبي يعني ظلال البيوت تقيكم من الشمس (١١) وقال قتادة: ظلالاً هي الشجر واختار الزجاج فقال: جعل لكم من الشجر ما يستظل به ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ يعني الغيران والأسراب واحدها كن، وهو كل شيء وقى شيئاً وستره ﴿وجعل لكم سراويل﴾ وهي القمص واحدها سربال (١٢) قال ابن عباس وقتادة هي القمص من الكتان والقطن والصوف (١٣) وقوله ﴿تقيكم الحر﴾ ولم يقل البر

(١) سورة الملك آية ١٩.

(٢) المدر: قطع الطين اليابس، انظر لسان العرب ٤١٥٩/٦، الصحاح ٨١٢/٢ ترتيب القاموس ٢١٦/٤.

(٣) مفردة نطح وهو بساط من الجلد كثيراً ما كان يقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل، انظر المعجم الوسيط ٩٣٨/٢.

(٤) الأدم: جمع أديم وهو الجلد ما كان. انظر لسان العرب ٤٥/١ تاج العروس ١٨٠/٨ ترتيب القاموس ١٢٣/١.

(٥) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٤/٢، إتجاه فضلاء البشر ١٨٧/٢. تفسير الرازي ٧٤/٢٠.

(٦) النجعة: المذهب في طلب الكلال في موضعه.

انظر لسان العرب ٤٣٥٣/٦، الصحاح ١٢٨٨/٣ ترتيب القاموس ٣٣٠/٤.

(٧) انظر معالم التنزيل ٧٩/٣، بلا نسبة تفسير الرازي ٧٤/٢٠ بلا نسبة.

(٨) انظر تفسير الرازي ٧٤/٢٠ بلا نسبة.

(٩) انظر روح المعاني ٢٠٥/١٤، عن ابن عباس وقتادة. الرازي ٧٥/٢٠.

(١٠) سورة البقرة (٥٧).

(١١) انظر روح المعاني ٢٠٥١٤، زاد المسير ٤٧٧/٤.

(١٢) انظر روح المعاني ٢٠٥/١٤ عن ابن عباس والزجاج وابن قتيبة تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٤٨، زاد المسير ٤٧٧/٤ فتح

القدير ١٨٦/١.

(١٣) فتح القدير ١٨٦/٣ عن قتادة، انظر الرازي ٧٥/٢٠ روح المعاني ٢٠٥/١٤ نحوه بلا نسبة.

لأن ما وقى من الحر وقى من البرد فاكتمى بذكر أحدهما عن الآخر للعلم به وقوله ﴿وسراييل تقيكم بأسكم﴾ يعني دروع الحديد تقيكم شدة الطعن والضرب والرمي ﴿كذلك﴾ مثل ما جعل لكم هذه الأشياء وأنعم بها عليكم ﴿يتم نعمته عليكم﴾ يريد نعمة الدنيا لأن الخطاب لأهل مكة [يدل على هذا قوله ﴿لعلكم تسلمون﴾ قال ابن عباس لعلكم يا أهل مكة] ^(١) تعلمون أنه لا يقدر على هذا غيره فتوحده وتصدقوا رسوله ﷺ ^(٢) قوله :

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ^(٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ^(٨٣) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذِنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يَسْتَعِينُونَ ^(٨٤) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ^(٨٥) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ^(٨٦) وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ^(٨٧) الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ^(٨٨)

﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فإنما عليك﴾ يا محمد ﴿البلاغ المبين﴾ عليك أن تبلغ الرسالة وتبين الدلالة، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ قال السدي يعني محمداً ﷺ ^(٣)، واختاره الزجاج فقال: يعرفون أن أمر محمد ﷺ حق ثم ينكرون ذلك ^(٤)، وقال الكلبي: قروا بأن ما ذكر من النعم في هذه السورة كلها من الله، ولكنهم قالوا بشفاعة آلهتنا ^(٥) واختاره الفراء ^(٦) فقال: وإذا قيل لهم: من رزقكم قالوا: الله ثم يقولون بشفاعة آلهتنا فيشركون فذلك إنكارهم نعمته ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ قال الحسن وجميعهم كفار فذكر الأكثر والمراد به الجميع ^(٧) قوله ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾ يعني يوم القيامة نبعث الأنبياء ليشهدوا على الأمم بما فعلوا من التصديق والتكذيب ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ في الكلام والاعتذار ﴿ولا هم يستعينون﴾ ولا يطلب منهم أن يرجعوا

(١) سقط في ب.

(٢) انظر زاد المسير ٤/٤٧٩ الخازن مع البغوي ٤/١٠٨.

(٣) انظر معالم التنزيل ٣/٨٠ القرطبي ١٠/١٠٦ روح المعاني ١٤/٢٠٦، وقال ورجح ذلك الطبري والرازي ٢٠/٧٦ بلا نسبة فتح القدير ٣/١٨٥ بلا نسبة.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢١٦.

(٥) انظر معالم التنزيل ٣/٨٠ القرطبي ١٠/١٠٦، فتح القدير ٣/١٨٥.

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١١٢.

(٧) قال الرازي: فإن قيل: ما معنى قوله وأكثرهم الكافرون مع أنه كان كلهم كافرين؟ قلنا: الجواب من وجوه: الأول: إنما قال (وأكثرهم) لأنه كان فيهم من لم تقم عليه الحجة ممن لم يبلغ حد التكليف، أو كان ناقص العقل معتوهاً فأراد بالأكثر البالغين الأصحاء. الثاني: أن يكون المراد بالكافر المجاهد المعاند، وحيث تقول إنما قال (وأكثرهم) لأنه كان فيهم من لم يكن معانداً، بل كان جاهلاً بصدق الرسول عليه الصلاة والسلام وما ظهر له كونه نبياً حقاً من عند الله. الثالث: أنه ذكر الأكثر، والمراد الجميع لأن أكثر الشيء يقوم مقام الكل، فذكر الأكثر كذكر الجميع وهذا كقوله ﴿الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ النحل (٧٥). انظر الرازي (٧٧/٢٠).

إلى ما أمر الله [ويرضاه] (١) لأن الآخرة ليست بدار تكليف ﴿وإذا رأى الذين ظلموا﴾ أشركوا بالله ﴿العذاب﴾ يعني النار ﴿فلا يخفف عنهم﴾ العذاب ﴿ولا هم ينظرون﴾ لا يؤخرون ولا يمهلون ﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم﴾ يعني الأصنام التي جعلوها شركاء لله في العبادة وذلك أن الله تعالى يبعث كل ما كان يعبد من دون الله ﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك﴾ فآلقوا إليهم القول ﴿أي أجابوهم، وقالوا لهم: ﴿إنكم لكاذبون﴾ كذبوهم في عبادتهم إياهم لأن الشركاء كانت جماداً أمواتاً ما كانت تعرف عبادة عابديها، فظهر عند ذلك فضيحتهم حيث عبدوا من لم يشعر بالعبادة وهذا كقوله: ﴿كلا سيكفرون بعبادتهم﴾ (٢) ﴿والقوا إلى الله يومئذ السلم﴾ استسلموا وأقروا الله بالربوبية ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ زال وبطل، وذهب ما زين لهم الشيطان أن لله شريكاً وولداً قوله: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ قال ابن عباس: منعوا الناس من طاعة الله والإيمان بمحمد ﷺ ﴿زدناهم عذاباً فوق العذاب﴾.

أخبرنا: أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي أنا حاجب بن أحمد الطوسي نا محمد بن حماد أنا معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن مسروق عن عبد الله في قوله: ﴿زدناهم عذاباً فوق العذاب﴾ قال: زيدوا عقارب أنيابها كالنخيل الطوال (٣).

أخبرنا أبو بكر الحارثي أنا محمد بن حيان (٤) نا عبد الرحمن بن محمد الرازي نا سهل بن عثمان خدثنا الحكم عن عاصم عن زر عن عبد الله قال: زيدوا حيات كأمثال الفيلة وعقارب كأمثال البغال الدلم (٥) وقال أبو المنهال (٦) إنهم يستغيثون بالنار فراراً من تلك الأفاعي والعقارب وهرباً (٧) منها قوله:

وَيَوْمَ نَبِّئُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ٩

﴿ويوم نبئت في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم﴾ يريد الأنبياء وكل نبي شاهد على أمته والأنبياء شهداء على أممهم بما فعلوا وهم من أنفسهم لأن كل نبي يبعث من قومه ﴿وجئنا بك﴾ يا محمد ﴿شهيداً على هؤلاء﴾ قال ابن

(١) سقط في ب.

(٢) سورة مريم آية ٨٢.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٥٥/٢ كتاب التفسير سورة النحل وقال صحيح على شرطهما وأقره الذهبي والهيثمي في المجمع ٤٨/٧ وعزاه للطبراني وقال رجال بعضها رجال الصحيح انظر تفسير البغوي ٥٨١/٣ روح المعاني ٢١٣/١٤ عن البراء مرفوعاً وقال روي نحوه عن ابن مسعود فتح القدير ١٨٨/٣ الرازي ٧٩/٢٠ بلا نسبة.

(٤) محمد بن حيان أبو الأحوص البغوي نزيل بغداد. قال عبد الخالق بن منصور سألت ابن معين عنه قال: ليته حدث بما سمع، فكيف يكذب؟ وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: ثقة، وقال يعقوب بن شيبة: كان ثباتاً، وقال صالح بن محمد الأسدي: صدوق. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال هو وغيره: مات سنة سبع وعشرين ومائتين. انظر التهذيب (١٣٦/٩ - ١٣٧).

(٥) انظر زاد المسير ٤٨٢/٤ الخازن مع البغوي ١١٠/٤ الدر المنثور ١٢٧/٤ القرطبي ١٠٨/١٠ لسان العرب ١٤١٤/٢.

(٦) سيار بن سلامة الرياحي أبو المنهال البصري. قال ابن معين والنسائي: ثقة، وقال أبو حاتم: صدوق الحديث.

وقال العجلي بصري ثقة وذكره ابن حبان في الثقات، وقال مات سنة (١٢٩) وقال ابن سعد كان ثقة. انظر التهذيب

(٧) (٢٩٠ - ٢٩١).

(٧) انظر تفسير الرازي ٧٩/٢٠ بلا نسبة.

عباس يريد على قومك^(١) وتم الكلام ثم قال: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ قال مجاهد: يعني ما أمر به وما نهى عنه^(٢) وقال أهل المعاني: يعني لكل شيء من أمور الدين إما بالنص عليه أو الإحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي ﷺ أو إجماع المسلمين^(٣) فالكتاب هو الأصل والمفتاح لعلوم الدين قال الزجاج: تبيان اسم في معنى البيان^(٤) قوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۗ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۗ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۗ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۗ﴾

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ يعني بالعدل في الأفعال والإحسان في الأقوال فلا يفعل إلا ما هو عدل، ولا يقول إلا ما هو حسن قال ابن عباس في رواية الوالبي: العدل شهادة أن لا إله إلا الله والإحسان أداء الفرائض^(٥) ﴿وإيتاء ذي القربى﴾ وصلة الأرحام ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ الزنا ﴿والمنكر﴾ الشرك ﴿والبغي﴾ الكبر والظلم ﴿يعظكم﴾ ينهاكم عن هذا كله، ويأمركم أن تتحاضوا على ما فيه الله رضا لكي تتعظوا، قال قتادة في هذه الآية: إنه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويعظمونه ويحسنونه إلا أمر الله به وليس من خلق سيء كانوا يتعابرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه^(٦).

أخبرنا: عمرو بن محمد بن أحمد بن أحمد بن جعفر أنا جدي أنا محمد بن إسحاق السراج نا قتيبة بن سعيد نا جرير عن منصور عن الشعبي قال: جاء شتير ومسروق فقال شتير: إما أن تحدث ما سمعت عن عبد الله فأصدقك وإما أن أتحدث فتصدقني فقال مسروق لا بل حدث فأصدقك قال: سمعت عبد الله يقول: إن أجمع آية في القرآن لخير أو شر آية في النحل ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ قال مسروق صدقت رواه الحاكم في صحيحه^(٧) عن العنبري عن

(١) انظر زاد المسير ٤٥/٤٨٢.

(٢) انظر زاد المسير ٣/٨١ القرطبي ١٠٨/١٠ معالم التنزيل ٣/٨١ بلانسة.

(٣) الاجماع لغة: العزم المصمم والاتفاق، وفي اصطلاح الأصوليين: اتفاق مجتهدي أمة الإجابة في عصر من العصور على أمر من أمور الدين بعد وفاة النبي ﷺ. انظر المصباح المنير ١/١٧١ القاموس المحيط ٣/١٥٣ المستصفى ١/١١٠ الإحكام للآمدي (٢٨٠/٢) منتهى السؤل (٤٩/١) المحصول (١٩/١/٢). الإبهاج ٢/٣٨٩ حاشية البناني (١٧٧/٢) التحرير (٣/٢٢٤).

(٤) انظر معاني القرآن ٣/٢١٧ الرازي ٢/٨٠.

(٥) انظر معالم التنزيل ٣/٨١ تفسير القرطبي ١٠٩/١٠ الرازي ٢٠/٨١، روح المعاني ١٤/٢١٧ فتح القدير ٣/١٨٩ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٢٨ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٦) انظر تفسير الرازي ٢٠/٨١ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٢٨، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٧) ٢/٣٥٦ كتاب التفسير سورة النحل وقال صحيح على شرطهما، وأقره الذهبي وانظر تفسير البغوي ٣/٨٢، الرازي ٢/٨١، روح المعاني ١٤/٢١٩، فتح القدير ٣/١٨٩.

محمد بن عبد السلام عن إسحاق الحنظلي عن المعتمر عن منصور قوله ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ قال المفسرون^(١) العهد الذي يجب الوفاء به هو الذي يحسن فعله فإذا عاهد يجب الوفاء به، قال ابن عباس في هذه الآية والوعد من العهد^(٢) ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ بعد تغليظها وتشديدها بالعزم والعقد على اليمين بخلاف لغز اليمين ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ بالوفاء وذلك أن من حلف بالله فكأنه أكفل الله بالوفاء بما حلف عليه ﴿إن الله يعلم ما تعملون﴾ قال ابن عباس لا يخفى عليه شيء ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها﴾ هي امرأة من قريش يقال لها: ربيعة^(٣) كانت حمقاء، تغزل الغزل هي وجواربها ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن ﴿من بعد قوة﴾ أي من بعد إبرام وقتل للغزل^(٤) ﴿أنكاثاً﴾ جمع نكث وهو الغزل من الصوف والشعر يرم وينسج فإذا أخلقت^(٥) النسيجة قطعت ونكثت خيوطها ثم غزلت ثانية ومعنى الآية لا تكونوا في نقض الأيمان بعد توكيدها كهذه المرأة غزلت غزلاً وقوت مرته ثم نقضته فجعلته أنكاثاً وقوله ﴿تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم﴾ الدخل والدغل: الغش والخيانة قال الزجاج: غشاً ودغلاً^(٦) ﴿أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾ أي أكثر يقال ربا الشيء يربو إذا كثر قال مجاهد: كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون هؤلاء الذين هم أعز منهم، فنهوا عن ذلك^(٧) وتلخيص التأويل النهي عن أن يخلف على ما هو منطوق على خلافه وأن يغر غيره بيمينه وقوله: ﴿إنما يبلوكم الله﴾ أي بالآخر بالوفاء ﴿وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ في الدنيا من شأن البعث والقرآن، وكل ما وقع الاختلاف فيه قوله: ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ قال ابن عباس: على ملة واحدة ودين واحد^(٨) ﴿ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ وهذا صريح في تكذيب القدرية حيث أضاف الضلالة والهداية^(٩) إلى نفسه وجعلهما لمن شاء من خلقه بالمشيئة الأزلية، ثم أخبر أنهم يسألون عن أعمالهم، فقال: ﴿ولتسألن عما كنتم تعملون﴾ فبان أن الأمر على ما أخبر الله به من قوله: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾^(١٠) ثم استأنف نهياً عن إيمان الخديعة والمكر توكيداً للمنع عنها، وأوعد عليها فقال:

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا سُوءَ مَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكِنَّ عَذَابَ عَظِيمٍ ﴿٤﴾

﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها﴾ قال ابن عباس تزل عن الإيمان بعد المعرفة

(١) انظر تفسير الرازي ٨٦/٣ تفسير القرطبي ١١١/١٠.

(٢) انظر تفسير الرازي ٨٦/٣.

(٣) ربيعة بنت سعد بن نعيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشية. انظر نسب قريش (١٧).

(٤) انظر معالم التنزيل ٨٢/٣ تفسير القرطبي ١١٢/١٠.

(٥) في ج: اختلق، أخلقت: أخلق الدهر الشيء: أبلاه. انظر لسان العرب ١٢٤٦/٢ الصحاح ١٤٧٠/٤ ترتيب القاموس ٩٩/٢.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٢١٧/٣ فتح القدير ١٩٦/٣.

(٧) انظر معالم التنزيل ٨٣/٣ روح المعاني ٢٢٢/١٤، القرطبي ١١٣/١٠، الرازي ٨٧/٢٠ فتح القدير ١٩٢/٣. وذكره السيوطي في

الدر المنثور ١٢٩/٤ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٨) انظر تفسير القرطبي ١١٣/١٠ بلا نسبة معالم التنزيل ٨٣/٣ بنحوه بلا نسبة الدر المنثور ١٢٩/٤ عن سعيد بن جبير.

(٩) في ب (والهداية وجعلهما إلى نفسه لمن شاء من خلقه).

(١٠) سورة الأنبياء آية ٢٣.

بالله^(١) قال المفسرون^(٢) وهذا في نهي الذين بايعوا رسول الله ﷺ عن نقض عهده على الإسلام ونصرة الدين يدل على هذا قوله: ﴿وتذوقوا السوء﴾ أي العذاب ﴿بما صدقتم﴾ بصدقكم ﴿عن سبيل الله﴾ يريد أنهم إذا نقضوا العهد مع النبي ﷺ صدوا غيرهم عن الدخول في الإسلام فاستحقوا العذاب فنهوا عن ذلك بذكر الوعيد عليه قوله ﴿ولكم عذاب عظيم﴾ قال ابن عباس يريد في الآخرة^(٣) ثم زاد توكيداً فقال:

وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾ يقول: لا تنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عوضاً من الدنيا. ﴿إنما عند الله﴾ من الثواب على الوفاء ﴿خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ ذلك قوله ﴿ما عندكم ينفذ﴾ أي يفتى وينقطع يعني الدنيا ﴿وما عند الله﴾ من الثواب والكرامة ﴿باق﴾ دائم لا ينقطع ﴿ولنجزي الذين صبروا﴾ على عهودهم، وعلى طاعة ربهم ﴿بأحسن ما كانوا يعملون﴾ يعني الطاعات، ومن جزاه الله بأحسن عمله، غفر له ذنوبه، قوله: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنشى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبيرة القناعة^(٤) قال: وكان رسول الله ﷺ يقول اللهم قنعني بما رزقتني، وبارك لي فيه^(٥).

أخبرنا: عمر بن محمد بن أحمد بن عمر الماوردي نا عبد الرحمن بن أحمد بن حمدويه نا عبد الله بن علي بن الجارود^(٦) نا أحمد بن سعيد الرباطي^(٧) نا إبراهيم بن الحكم^(٨) عن أبيه عن عكرمة في قوله: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ قال: القناعة ورزق يوم بيوم^(٩) وهذا قول مجاهد ووهب القرظي وقال في رواية الكلبي وأبي مالك^(١٠) وعطاء: هي الرزق الحلال، وأكل الحلال^(١١).

(١) انظر تفسير القرطبي ١١٣/١٠ بلا نسبة.

(٢) انظر فتح القدير ١٩١/٣، نقلاً عن المصنف.

(٣) انظر تفسير القرطبي ١١٤/١٠، روح المعاني ٢٧٧/١٤ وأخرجه الحاكم في المستدرک ٣٥٦/٢ كتاب التفسير وصححه، وأقره الذهبي وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٣٠/٤ وزاد نسبه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٥٦/٣ كتاب التفسير سورة النحل، وقال هذا حديث صحيح الإسناد، وأقره الذهبي وذكره الحافظ في التلخيص وعزاه للحاكم ٢٤٨/٢ وابن أبي حاتم في العلل رقم (٢٠٥٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٣٠/٤.

(٥) عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري الحافظ المجاور بمكة. كان من أئمة الأثر. أنشى عليه الحاكم. مات سنة سبع وثلاث مئة. انظر سير الأعلام (٢٣٩/١٤).

(٦) أحمد بن سعيد بن إبراهيم الرباطي أبو عبد الله المروزي الأشقر نزير نيسابور. قال النسائي: ثقة، وقال ابن خراش: ثقة ثقة. قال الخطيب: ورد بغداد في أيام أحمد وجالس بها العلماء وذاكرهم، وكان ثقة فهما عالماً فاضلاً انظر التهذيب ٣٠/١.

(٧) إبراهيم بن الحكم بن أبان، تركوه وقل من مشاه. روى عن أبيه مراسلات فوصلها. قال ابن معين: ليس بشيء. وقال النسائي متروك وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عنه فقال: وقت ما رأينا لم يكن به بأس. وقال البخاري: سكتوا عنه. انظر الميزان (٢٧/١).

(٨) انظر زاد المسير ٤٨٩/٤ القرطبي ١١٤/١٠. الرازي ٩٠/٢٠.

(٩) هو غزوان الغفاري الكوفي ثقة. انظر تهذيب الكمال (١٠٨٩/٢).

(١٠) انظر زاد المسير ٤٨٩/٤ الخازن مع البغوي ١١٣/٤ تفسير الرازي ٩٠/٢٠ بلا نسبة.

أخبرنا: الفضيل بن أحمد الصوفي أنا زاهر بن أحمد أنا زيد بن الهيثم القاضي نا أحمد بن عثمان الأودي^(١) نا عون بن سلام^(٢).

نا: بشر بن عمارة^(٣) عن أبي روق^(٤) عن الضحاك «فلنحيينه حياة طيبة» قال: يليس حلالاً، ويأكل حلالاً^(٥) وروى عن أبي نجيع عن مجاهد: «حياة طيبة» قال: الجنة^(٦) وهو قول الحسن قال: لا يطيب لأحد الحياة إلا في الجنة^(٧).

أخبرنا: أبو بكر محمد بن عمر الخشاب أنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحيري نا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبيدة الوري^(٨) نا يوسف بن سعيد بن مسلم^(٩) نا علي بن بكار عن أبي العوام عن قتادة في قوله: «فلنحيينه حياة طيبة» قال: رزق يوم بيوم^(١٠) قوله:

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا ءَايَةً مَكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

«فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله» قال الزجاج^(١١) وجميع أصحاب المعاني: معناه إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ ليس معناه استعذ بعد أن تقرأ القرآن، ومثله إذا أكلت فقل بسم الله^(١٢) وهذا إجماع من الفقهاء

(١) أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي أبو عبد الله الكوفي قال النسائي: ثقة وقال ابن خراش: كان ثقة عدلاً وقال مطين وغيره: مات في المحرم سنة (٢٦١) زاد غيره يوم عاشوراء. وقال العقيلي: ثقة، وأرخ ابن قانع وفاته قبل الستين وروى عنه أيضاً ابن خزيمة في صحيحه وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (٦١/١).

(٢) عون بن سلام القرشي أبو جعفر الكوفي مولى بني هاشم. قال صالح بن محمد: لا بأس به، وقال محمد بن عبد الله: مات سنة ثلاثين ومائتين وكان ثقة، وقال البيهقي: وكان ضرير البصر، وقال الخطيب: كان ثقة وذكره ابن حبان في الثقات وقال مستقيم الحديث وقال الدارقطني لا بأس به. انظر التهذيب ١٧٠/٨.

(٣) بشر بن عمار الخثعمي الكوفي. قال أبو حاتم: ليس بالقوي في الحديث، وقال البخاري: يعرف وينكر وقال النسائي ضعيف، وقال ابن حبان كان يخطيء حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد، وقال ابن عدي: لم أر في أحاديثه حديثاً منكراً وهو عندي حديثه إلى الاستقامة أقرب. انظر التهذيب ٤٥٥/١.

(٤) عطية بن الحارث الهمداني صدوق. انظر الجرح والتعديل ٣٨٢/٦.

(٥) انظر الخازن مع البيهقي ١١٣/٤، روح المعاني ٢٢٧/١٤، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٣٠/٤ وعزاه لابن جرير.

(٦) انظر معالم التنزيل ٨٤/٣ عن مجاهد وابن عباس القرطبي ١١٥/١٠، فتح القدير ١٩٣/٣ عن ابن عباس وقاتدة وابن زيد.

(٧) انظر معالم التنزيل ٨٤/٣، القرطبي ١١٥/١٠، الرازي ٩١/٢٠ روح المعاني ٢٢٦/١٤. فتح القدير ١٩٣/٣.

(٨) أحمد بن محمد بن عبيدة بن زياد بن عبد الخالق الثعالبي الوري كان مكثرًا من الحديث. انظر الأنساب ٥٧٢/٥.

(٩) يوسف بن سعيد بن مسلم المصيصي أبو يعقوب الأنطاكي الحافظ. قال النسائي: ثقة حافظ، وقال ابن أبي حاتم كتب إلي ببعض حديثه وهو صدوق وذكره ابن حبان في الثقات، وقال مات بعد سنة خمس وستين. انظر التهذيب (٤١٤/١١).

(١٠) انظر زاد المسير ٤٨٩/٤ الرازي ٩٠/٢٠.

(١١) معاني القرآن للزجاج ٢١٨/٣ تفسير الرازي ٩٢/٢٠ معالم التنزيل ٨٤/٣ فتح القدير ١٩٣/٣.

(١٢) أخرجه أحمد في المسند ٢٤٦/٦، ٢٦٥ أخرجه أبو داود ٣٤٧/٣، كتاب الأطعمة باب التسمية على الطعام (٣٧٦٧) والبيهقي في السنن ٢٧٦/٦.

أن الاستعاذة قبل القراءة^(١) إلا ما روي عن أبي هريرة^(٢) وداود^(٣) ومالك^(٤) أنهم قالوا^(٥): الاستعاذة بعد القراءة ذهبوا إلى ظاهر الآية والأولى، والمستحب أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لنص القرآن، وللخبر المتصل المسلسل، وهو: أني قرأت على الأستاذ أبي إسحاق الثعالبي، رحمه الله فقلت: أعوذ بالسميع العليم فقال: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإني قرأت على أبي الفضل محمد بن جعفر الخزاعي فقلت: أعوذ بالسميع العليم [هكذا]^(٦) فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإني قرأت على أبي الحسين عبد الرحمن بن محمد بالبصرة فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإني قرأت على أبي محمد عبد الله بن عجلان الزنجاني^(٧) فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإني قرأت على أبي عثمان إسماعيل بن إبراهيم الأهوازي فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإني قرأت على [محمد بن عبد الله بن بسطام فقلت: أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإني قرأت]^(٨) على روح بن عبد المؤمن^(٩)، فقلت: أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإني قرأت على يعقوب الحضرمي، فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقلت قرأت على سلام بن أبي المنذر فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقلت قرأت على عاصم فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقلت قرأت على زر بن حبيش فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقلت قرأت على عبد الله بن مسعود، فقلت أعوذ

(١) ويعضد هذا ما روى جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ حين افتتح الصلاة قال (اللهم إني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفخه ونفته) وروى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ كان يتعوذ في صلاته قبل القراءة. قال الكيا الطبري: ونقل عن بعض السلف التعوذ بعد القراءة مطلقاً احتجاجاً بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ﴾. ولا شك أن ظاهر ذلك يقتضي أن تكون الاستعاذة بعد القراءة. كقوله تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا﴾ النساء: (١٠٣) إلا أن غيره محتمل مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ الأنعام: (١٥٢). ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ الأحزاب: (٥٣) وليس المراد به أن يسألها من وراء حجاب بعد سؤال متقدم. ومثله قول القائل: إذا قلت فاصدق وإذا أحرمت فاغتسل يعني قبل الإحرام. والمعنى في جميع ذلك: إذا أردت ذلك فذلك الاستعاذة. انظر القرطبي ١١٥/١٠.

(٢) انظر القرطبي ٦٣/١.

(٣) داود بن علي بن خلف الفقيه الظاهري أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام تنسب إليه الطائفة الظاهرية توفي في ٢٧٠ هـ الأنساب (٩٩/٤) وفيات الأعيان (١٧٥/١) تذكرة الحفاظ (١٣٦/٢).

(٤) قال ابن العربي: من أغرب ما وجدناه قول مالك في المجموعة في تفسير هذه الآية: فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله... الآية قال: ذلك بعد قراءة أم القرآن من قرأ في الصلاة، وهذا قول لم يرد به أثر ولا يعضده نظر، فإن كان هذا كما قال بعض الناس: إن الاستعاذة بعد القراءة كان تخصيص ذلك بقراءة أم القرآن في الصلاة دعوى عريضة ولا تشبه أصل مالك ولا فهمه، فالله أعلم بسر هذه الرواية. انظر القرطبي ٦٣/١. وانظر أحكام القرآن لابن العربي (١١٧٦/٣).

(٥) قال ابن حزم: الاستعاذة تكون فرضاً في الصلاة بعد أن يقرأ ما عليه اسم القرآن، ولو أنه كلمتان على نص الآية لأنها توجب التعوذ بعد القراءة بظاهرها انظر المحلى (٣١٨/٣ - ٣٢٢).

(٦) سقط في أ، ب.

(٧) عبد الله بن عجلان الزنجاني ثقة معجم الثقات (٢٩٩).

(٨) سقط في أ، ب.

(٩) روح بن عبد المؤمن الهذلي البصري أبو الحسن البصري: ذكره ابن حبان في الثقات وقال مات سنة ٢٣٣ أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل وقال غيره سنة ٤ ويقال سنة ٥. وقال ابن أبي حاتم عن أبيه صدوق انظر التهذيب (٢٩٦/٣).

بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فلقد قرأت على رسول الله ﷺ فقلت: أعوذ بالسميع العليم فقال لي: «يا ابن أم عبد قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأني جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ»^(١) قوله ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني به سلطان الإغواء، وهو معنى قول المفسرين^(٢) ليس له حجة أي لا حجة له على المؤمنين في إغوائهم [ودعائهم]^(٣) إلى الضلالة ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ قال ابن عباس يطيعونه^(٤) يقال: توليته أي أطعته وواليته^(٥) ومنه قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٦) قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ قال مجاهد: يعدلونه برب العالمين^(٧) قوله: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ قال الكلبي وغيره: كان إذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية ألين منها قال كفار قريش: إن محمداً يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وغداً بأمور، وإنه ليتكذبه، ويأتيهم به من عند نفسه، فانزل الله ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾^(٨) قال مجاهد: نسخناها وأنزلنا غيرها^(٩) ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ﴾ من ناسخ ومنسوخ، وتغليظ وتخفيف هو أعلم بجميع ذلك في مصالح العباد، فما بالهم ينسبون محمداً ﷺ إلى الافتراء لأجل التبديل والنسخ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة القرآن وفائدة النسخ ﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾ [يعني]^(١٠) نزل بالقرآن ﴿رُوحَ الْقُدْسِ﴾ جبريل ﴿مَنْ رِبِّكَ﴾ من كلام ربك ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالأمر الحق الصحيح الثابت ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بما فيه من الحجج والآيات، فيزدادوا تصديقاً ويقيناً، وقوله ﴿وَهْدَى﴾ أي وهو هدى فهو: خبر ابتداء محذوف قوله:

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾

﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾ قال مجاهد وقتادة: قالت قريش إنما يعلم محمداً عبد لبني الحضرمي رومي يقال له يعيش، صاحب كتاب^(١١) وقال عبيد الله بن مسلم^(١٢) كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر اسم أحدهما يسار

(١) ذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة ٣٠٩/١ (٨٥) وعزاه لابن النجار من طريق هناد النسفي الشافعي مسلسلاً وذكره الحافظ ابن حجر في الكافي الشافعي وعزاه للثعلبي عن شيخه محمد بن جعفر (٩٠).

(٢) انظر الخازن مع البغوي ١١٤/٤ زاد المسير ٤٩٠/٤ تفسير القرطبي ١١٦/١٠ الدر المنثور ٤/١٣٠.

(٣) سقط في ج.

(٤) انظر تفسير الرازي ٩٢/٢٠، وذكر بلا نسبة في معالم التنزيل ٨٤/٣، القرطبي ١١٦/١٠ روح المعاني ٢٣٠/١٤، فتح القدير ١٩٤/٣.

(٥) في ب (وأوليته).

(٦) سورة المائدة الآية ٥٦.

(٧) انظر تفسير القرطبي ١١٦/١٠ روح المعاني ٢٣٠/١٤ وذكر بلا نسبة في معالم التنزيل ٨٤/٣ تفسير الرازي ٩٢/٢٠، فتح القدير ١٩٤/٣.

(٨) انظر زاد المسير ٤٩٠/٤، تفسير الرازي ٩٣/٢٠، نحوه عن ابن عباس.

(٩) انظر القرطبي ١١٦/١٠ زاد المسير ٤٩٠/٤، فتح القدير ١٩٦/٣، معالم التنزيل ٨٤/٣ بلا نسبة روح المعاني ٢٣١/١٤ بلا نسبة تفسير الرازي ٩٣/٢٠ بلا نسبة.

(١٠) سقط في ب، ج.

(١١) أخرجه الحاكم ٣٥٧/٢ كتاب التفسير عن ابن عباس وصحح إسناده، وأقره الذهبي انظر معالم التنزيل ٨٥/٣ عن ابن إسحاق تفسير القرطبي ١١٧/١ روح المعاني ٢٣٣/١٤، تفسير الرازي ٩٤/٢٠ بلا نسبة فتح القدير ١٩٦/٣ عن ابن عباس:

(١٢) عبيد الله بن مسلم الحضرمي قال أبو حاتم عبيد الله بن مسلم الحضرمي له صحبة، وقال البغوي في الصحابة عبيد الله بن مسلم يقال

والآخر جبر وكانا صيقلين^(١) يقرآن كتاباً لهما بلسانها وكان رسول الله ﷺ يمر عليهما ويسمع قراءتهما، وكان المشركون يقولون: يتعلم منها فأكذبهم الله فقال: ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي﴾^(٢) الإلحاد: معناه الميل^(٣)، يقال لحد وألحد إذا مال عن القصد وقراءة العامة بضم الياء وقرىء بفتح الياء من لحد^(٤) والأولى ضم الياء لأنه لغة القرآن يدل عليه قوله: ﴿ومن يريد فيه بإلحاد﴾^(٥) ويكون الإلحاد بمعنى الإمامة وفسر الإلحاد في هذه الآية بالقولين فقال الفراء: يميلون من الميل وقال الزجاج لسان الذي يميلون القول إليه أعجمي^(٦) وقال ابن قتيبة أي يؤمنون إليه ويزعمون أنه يعلمك^(٧) أعجمي لا يفصح ولا يتكلم بالعربية فكيف يتعلم منه ما هو في أعلى طبقات البيان، وهو قوله ﴿هذا﴾ يعني القرآن ﴿لسان عربي مبين﴾ قال ابن عباس أفصح ما يكون من العربية وأبينه لسان سعد بن بكر بن هوازن^(٨) ثم جعل المشركين هم الذين يفترون فقال: ﴿إنما يفتري الكذب الذي لا يؤمنون بآيات الله﴾ قال الزجاج: إنما يفتري الكذب الذين إذا رأوا الآيات التي لا يقدر عليها إلا الله كذبوا بها فهؤلاء أكذب الكذبة^(٩) ثم سماهم الكاذبين وحصر^(١٠) فيهم الكذب فقال ﴿وأولئك هم الكاذبون﴾ أي ان الكذب نعت لازم لهم وعادة من عاداتهم، وهذا كما تقول: كذبت وأنت كاذب فيكون قولك: وأنت زيادة في الوصف بالكذب وفي الآية أبلغ زجر عن الكذب حيث أخبر الله أنه إنما يفتري الكذب من لا يؤمن.

أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المقري أنا أبو حفص عمر بن أحمد الجوزي^(١١) أنا جدي محمد بن عمر بن حفص الزاهد أنا أبو بكر محمد بن الفرج الأزرق^(١٢) نا سعد بن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري نا أبو زياد يزيد بن عبد الله نا يعلى بن الأشدق عن عبد الله بن جراد قال: قلت يا رسول الله المؤمن يزني؟ قال قد يكون ذلك قلت يا رسول الله المؤمن يسرق؟ قال: قد يكون ذلك قال قلت يا رسول الله المؤمن يكذب؟ قال لا قال الله تعالى ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾^(١٣).

= أدرك النبي ﷺ ثم أخرج له حديثين من رواية حصين عنه. انظر التهذيب (٤٨/٧).

(١) الصيقل: شحاذ السيف وجلاؤها. انظر لسان العرب ٢٤٧٣/٤ تاج العروس ٤٠٤/٧، ترتيب القاموس ٨٣٧/٢.

(٢) انظر الخازن مع البيهقي ١١٥/٤، روح المعاني ٢٣٣/١٤، تفسير الرازي ٩٤/٢٠ بلا نسبة فتح القدير ١٩٦/٣، القرطبي ١١٧/١٠.

(٣) انظر لسان العرب (٤٠٥/٥).

(٤) انظر النشر في القراءات (٢٧٣/٢) إتحاف فضلاء البشر ١٨٩/٢ القرطبي ١١٧/١٠، الرازي ٩٤/٢٠.

(٥) سورة الحج آية ٢٥.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٢١٩/٣.

(٧) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٤٩.

(٨) انظر روح المعاني ١٨٥/١٣.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٢١٩/٣ فتح القدير ١٩٥/٣.

(١٠) في ب (وخص).

(١١) عمر بن أحمد بن محمد الجوزي انظر تبصير المنتبه (٣٦٦/١).

(١٢) محمد بن الفرج بن محمود أبو بكر البغدادي الأزرق. قال الحاكم عن الدارقطني: ضعيف لا بأس به يطعن عليه في اعتقاده،

وقال البرقاني عن الدارقطني: ضعيف، وقال الخطيب: أحاديثه صحاح ورواياته مستقيمة لا أعلم فيها ما يستكره، وتكلم فيه الحاكم

من أجل صحبته الحسين الكرابيسي. مات سنة اثنتين وثمانين ومائتين. انظر التهذيب ٣٩٩/٩.

(١٣) إسناده ضعيف جداً وعلته يزيد بن عبد الله بن غريب، قال الحافظ: مجهول ٢٨٩/٦ وفيه يعلى بن الأشدق مقتصر على الكذب وفيه

عبد الله بن جراد وهو مجهول وقد تقدم.

أخبرنا: عبد الرحمن بن حمدان العدل أنا علي بن محمد بن سعيد بن العباس الرزاز^(١) نا أبو شعيب الحراني نا جدي نا موسى بن أعين عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: إياكم والكذب فإن الكذب مجانب للإيمان قوله:

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْتُمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾

﴿من كفر بالله من بعد إيمانه﴾ نزلت في عمار بن ياسر، أخذه المشركون، فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ، وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه، فلما أتى رسول الله ﷺ قال: (ما وراءك؟ قال: شرياً رسول الله، ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، قال كيف تجد قلبك؟ قال مطمئن بالإيمان، قال إن عادوا لك فعد لهم بما قلت)^(٢) قال ابن عباس في رواية الوالي: أخبر الله سبحانه أنه من كفر بعد إيمانه، فعليه غضب من الله، ولهم عذاب عظيم فأما من أكره فتكلم بلسانه، وخالف قلبه بالإيمان، لينجو بذلك من عدوه فلا حرج عليه لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم^(٣) قوله: ﴿ولكن من شرح بالكفر صدراً﴾ أي فتحه ووسعه لقبول الكفر قال الكلبي: والمراد بقوله: ﴿ولكن من شرح بالكفر صدراً﴾ من ارتد عن الدين وطابت نفسه

= أخرجه مالك في الموطأ ٢/٩٩٠ مرسلأ كتاب الكلام باب ما جاء في الصدق (١٩) مرسل أو معضل، قال الحافظ ابن عبد البر: لا أحفظه مسنداً من وجه ثابت وهو حديث مرسل، وذكره العراقي في تخريج الإحياء ٣/١٣٥ وعزاه لابن عبد البر في التمهيد، وقال رواه ابن أبي الدنيا في الصمت مختصراً على الكذب وجعل السائل أبا الدرداء. وذكره المعجلوني في الكشف ٢/١٦٠.

(١) علي بن محمد بن سعيد: بن العباس بن دينار أبو الحسن الكندي الرزاز سمع أبا شعيب الحراني وجعفر الفريابي وعلي بن حسويه القطان وأبا حنيفة محمد بن حنيفة القصبي. انظر تاريخ بغداد ١٢/٨٥-٨٦.

(٢) أخرجه الحاكم ٢/٣٥٧ كتاب التفسير سورة النحل وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي والبيهقي في السنن ٨/٢٠٨ وابن سعد في الطبقات ٣/١٧٨، والبيهقي في الدلائل ٤/٣٠١، ٤٠٤.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٣٢ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في السنن من طريق علي عن ابن عباس.

قال القرطبي: أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا تبين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم الكفر، هذا قول مالك والكوفيين والشافعي غير محمد بن الحسن، فإنه قال: إذا أظهر الشرك كان مرتدأ في الظاهر، وفيما بينه وبين الله تعالى على الإسلام وتبين منه امرأته، ولا يضل عليه إن مات، ولا يرث أباه إن مات مسلماً. وهذا قول يردده الكتاب والسنة قال الله تعالى ﴿إلا من أكره﴾ الآية وقال: ﴿إلا أن تقوا منهم تقاة﴾ آل عمران: ٢٧. وقال: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾ النساء: ٩٧ الآية. وقال: ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ النساء: ٩٨ الآية. فعذر الله المستضعفين الذين يمتنعون من ترك ما أمر الله به، والمكروه لا يكون إلا مستضعفاً غير ممتنع من فعل ما أمر به قاله البخاري. قال المحققون من العلماء: إذا تلفظ المكروه بالكفر فلا يجوز له أن يجريه على لسانه إلا مجرى المعارض، فإن في المعارض لمندوحة عن الكذب. ومثي لم يكن كذلك كان كافراً لأن المعارض لا سلطان للإكراه عليها. انظر القرطبي ١٠/١١٩-١٢٠-١٢٣.

بالكفر^(١) يدل على هذا قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ أي ذلك الشرح، وذلك الكفر بأنهم أحبوا الدنيا، واختاروها على الآخرة وبأن الله لا يريد هدايتهم ثم وصفهم بأنهم مطبوع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فقال ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعِبَ اللَّهُ﴾ الآية وقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ قال ابن عباس: غافلون عما يراد بهم^(٢) ثم حكم لهم بالخسار وأكد ذلك فقال: ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ قوله:

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١١١﴾

﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾ نزلت في المستضعفين من المؤمنين الذي كانوا بمكة عذبوا في الله وأريدوا على الكفر فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم، وهاجروا إلى النبي ﷺ من بعد ما فتنوا^(٣) وقال ابن عباس من بعد ما عذبوا^(٤) ﴿ثم جاهدوا﴾ مع النبي ﷺ ﴿وصبروا﴾ على الدين والجهاد ﴿إن ربك من بعدها﴾ من بعد تلك الفتنة وتلك الفعل التي فعلوها من التلطف بكلمة الكفر ﴿لغفور رحيم﴾ وقرأ ابن عامر (فتنوا) بفتح الفاء^(٥) والمعنى: من بعد ما فتنوا أنفسهم بإظهار ما أظهروا للتقية، وجعل ذلك فتنة، لأن الرخصة فيه لم تكن نزلت بعد قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ أي ذكرهم يا محمد يوم تأتي ﴿كل نفس تجادل عن نفسها﴾ هذا يوم القيامة كل أحد لا يهمه إلا نفسه فهو مخاصم ومحتج عن نفسه لا يتفرغ إلى غيره.

أخبرنا: أحمد بن محمد بن إبراهيم الواعظ أنا عبد الله بن حامد نا محمد بن خالد بن الحسين نا داود بن سليمان نا عبد بن حميد نا عياد بن كليب الليثي عن صالح المري عن جعفر بن زيد قال: قال عمر بن الخطاب لكعب الأحبار يا كعب خوفنا حدثنا حديثاً تنبهنا به قال: يا أمير المؤمنين، والذي نفسي بيده، لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبياً لأنت عليك تارات، وأنت لا يهملك إلا نفسك وإن لجهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وقع جاثياً على ركبتيه حتى إن إبراهيم خليل الرحمن ليدلي بالخلعة فيقول: يا رب أنا خليلك إبراهيم لا أسألك إلا نفسي وإن تصديق ذلك في كتاب الله تعالى الذي أنزله عليكم، أما سمعت يا أمير المؤمنين إلى قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾^(٦) وقوله: ﴿وتوفى كل نفس ما عملت﴾ أي جزاء ما عملت ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا ينقصون من أجورهم شيئاً قوله:

(١) انظر زاد المسير ٤/٤٩٦ روح المعاني ١٤/٢٣٧ بلا نسبة فتح القدير ٣/١٩٦ بلا نسبة.

(٢) انظر زاد المسير ٤/٤٩٦ روح المعاني ١٤/٢٣٩ الرازي ٢٠/١٠٠ معالم التنزيل ٣/٨٦ بلا نسبة القرطبي ١٠/٢٦ بلا نسبة فتح القدير ٣/١٩٧ بلا نسبة.

(٣) انظر أسباب النزول للواحدي ١٦٢، القرطبي ١٠/١٢٦ وذكره السيوطي في الدر المنثور عن قتادة ٤/١٣٣ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) انظر زاد المسير ٤/٤٩٨، وذكر بلا نسبة في معالم التنزيل ٣/٨٧ روح المعاني ١٤/٢٣٩ تفسير الرازي ٢٠/٢٠١، فتح القدير ٣/١٩٧.

(٥) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٥ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٩٠.

(٦) في إسناده صالح بن بشير أبو بشر المري، قال البخاري: منكر الحديث وضعفه ابن معين وابن حبان التاريخ الكبير (٢/٢٧٣) =

وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ أُمَّةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾

﴿وضرب الله مثلاً قرية﴾ الآية نزلت في أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الأمن والنعمة بتكذيبهم النبي ﷺ، وهو قوله: ﴿قرية﴾ يعني مكة ﴿كانت أمة﴾ ذات أمن يأمن فيها أهلها لا يغار عليهم ﴿مطمئنة﴾ قارة ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أو ضيق، وهو قوله: ﴿يأتيها رزقها رغداً من كل مكان﴾ يأتيهم رزقهم في بلدهم يجلب إليها من كل بلد كما قال الله تعالى ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾ (١) ﴿فكفرت بأنعم الله﴾ حيث كذبوا النبي ﷺ، وخالفوا أمره ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ قال المفسرون (٢) عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام المخرقة قال ابن قتيبة لباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من سوء آثارهم بالضمير والشحوب وتغير الحال (٣) ومعنى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف عرفها سوء أثرهما، وقد يستعمل الذوق في المعرفة يقال: ذقت ما عند فلان إذا جربته وعرفته، ويقال: اركب هذا الفرس تذقه أي تعرف ما عنده من الجري ومنه قول الشماخ (٤) يصف قوساً:

فَذَاقَ، فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللَّيْنِ جَانِبًا كِفَافَ لَهَا أَنْ يَعْزِقَ السَّهْمَ حَاجِزًا (٥)

والمراد بالخوف خوفهم من النبي ﷺ، ومن السرايا التي كان يبعثهم إليهم فيطوفون بهم.

وروي عن أبي عمرو بنصب الخوف (٦) حملاً على الإذاعة، والكلام في الآية خرج على القرية والمراد أهلها يدل على هذا قوله: ﴿بما كانوا يصنعون﴾ فعاد الكلام إلى أهل القرية قال ابن عباس يريد بفعلهم بالنبي ﷺ حيث كذبوه وأخرجوه من مكة، وما هموا به من قتله (٧) ﴿ولقد جاءهم﴾ يعني أهل مكة ﴿رسول منهم﴾ من نبيهم ﴿فكذبوا﴾ فأخذهم العذاب يعني الجوع في قول ابن عباس (٨) وقال مجاهد يعني القتل بيد (٩) ثم خاطب المؤمنين فقال فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً وأشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون ﴿١١٣﴾ إثمكم

= التاريخ ٢٦٢/٢ المجروحين ٣٧١/١ العقيلي ١٩٩/٢ والحديث أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٦٦/١٣ وذكره السيوطي في الدرر ١٣٣/٤ وزاد نسبة لابن المبارك وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) سورة القصص آية ٥٧.

(٢) انظر معالم التنزيل ٨٨/٣ زاد المسير ٥٠١/٤.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٥٠.

(٤) الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الديراني الغطفاني: شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. وهو من طبقة لبيد والنابعة، كان شديد متون الشعر ولبيد أسهل منه منطقاً وكان أرجز الناس على البديهة، جمع بعض شعره في (ديوان). انظر الأعلام (١٧٥/٣).

(٥) انظر ديوان الشماخ (١٩٠).

(٦) انظر إتحاف فضلاء البشر ١٩٠/٢، تفسير القرطبي ١٢٧/١٠ روح المعاني ٢٤٣/١٤.

(٧) انظر زاد المسير ٥٠١/٤ تفسير الرازي ١٠٤/٢٠.

(٨) انظر زاد المسير ٥٠١/٤، القرطبي ١٢٨/١٠ بلا نسبة تفسير الرازي ١٠٤/٢٠ فتح القدير ٢٠٠/٣ بلا نسبة.

(٩) انظر زاد المسير ٥٠١/٤، تفسير الرازي ١٠٤/٢٠ بلا نسبة فتح القدير ٢٠٠/٣ بلا نسبة.

حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾

﴿فكلوا﴾ يا معشر المؤمنين ﴿عما رزقكم الله﴾ من الغنائم ﴿حلالاً طيباً﴾ وهذه الآية والتي بعدها مفسرة في سورة البقرة. قوله ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب﴾ أي لأجل وصفكم الكذب، والمعنى أنكم تحلون وتحرمون لأجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى إلا الكذب فقط والمعنى: لا تفعلوا ذلك والإشارة بقوله: ﴿هذا حلال وهذا حرام﴾ إلى ما كانوا يحلونه ويحرمونه قال ابن عباس: يعني قولهم ﴿ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾^(١) وقوله: ﴿لتفتروا على الله الكذب﴾ هو أنهم كانوا ينسبون ذلك التحريم والتحليل إلى الله ويقولون إنه أمرنا بذلك ثم أوعد المفتري فقال: ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ وبين أن ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عن قرب فقال: ﴿متاع قليل﴾ قال الزجاج: متاعهم متاع قليل^(٢) يعني ما يتمتعون به ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الآخرة قوله:

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّمَا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾ تقدم ذكره في سورة الأنعام في قوله: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾^(٣) الآية. ﴿وما ظلمناهم﴾ بتحريم ما حرمنا عليهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالبغي والمعاصي، ثم ذكر المغفرة لمن تاب بعد المعصية فقال: ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة﴾ قال مجاهد كل من عمل بمعصية الله فذلك منه جهل حتى يرجع^(٤). وقال السدي كل من عصى الله فهو جاهل^(٥) وهذا كقوله: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة﴾^(٦) قال ابن عباس: يريد بالسوء الشرك^(٧). ﴿ثم تابوا من بعد ذلك﴾ السوء ﴿وأصلحوا﴾ قال: آمنوا وصدقوا وقاموا لله تعالى بفرائضه^(٨) ﴿إن ربك من

(١) انظر زاد المسير ٥٠٢/٤.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٢٢/٣، فتح القدير ٢٠١/٣.

(٣) انظر تفسير القرطبي ٦١/٥، تفسير الرازي ١٠٧/٢٠ بلا نسبة.

(٤) تفسير الطبري ٨٩/٨ وابن كثير ٤٣/١، مجاهد ١٤٩ فتح القدير ٤٤٠/١ عن ابن عباس.

(٥) سورة النساء آية ١٧.

(٦) انظر الخازن مع البغوي ١٢٢/٤.

(٧) انظر تفسير القرطبي ١٢٩/١٠ روح المعاني ٢٤٩/١٤.

بعدها ﴿ من بعد تلك الجهالة ﴾ لـ ﴿ لـغفور رحيم ﴾ قوله: ﴿ إن إبراهيم كان أمة ﴾ قال أكثر أهل التفسير^(١): معلماً للخير قال ابن الأعرابي، يقال للرجل العالم أمة، والأمة الرجل الجامع للخير^(٢) ﴿ قانتاً ﴾ مطيعاً لله ﴿ حنيفاً ﴾ قال ابن عباس إنه أول من اختتن وأقام المناسك وضحي، فهذه صفة الحنيفية^(٣).

أخبرنا: محمد بن أحمد بن جعفر المزكي أنا أبو بكر عبد الله بن محمد الحافظ أنا محمد بن عبد الرحمن الفقيه نا محمد بن المهلب نا معلى بن أسد^(٤) نا عبد العزيز بن المختار نا منصور بن عبد الرحمن الغداني^(٥) نا الشعبي حدثني فروة بن نوفل الأشجعي^(٦) قال: كنت جالساً عند عبد الله بن مسعود فقال: إن معاذ بن جبل كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين، قلت غلط أبو عبد الرحمن فقلت: يا أبا عبد الرحمن إنما قال الله ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً ﴾ قال: فأعادها فعرفت انه تعمد الأمر تعمداً فسكت، فقال أتدري ما الأمة؟ الذي يعلم الناس الخير [وكان مطيعاً لله ورسوله] ^(٧) والقانت المطيع لله، وكذلك معاذ بن جبل يعلم الخير وكان مطيعاً لله ورسوله^(٨) قال ابن عباس في قوله: ﴿ ولم يك من المشركين ﴾ أخلص لله التوحيد صيباً وكبيراً^(٩) ﴿ شاكراً لأنعمه ﴾ انتصب على البدل من قوله ﴿ أمة قانتاً لله حنيفاً ﴾ والأنعم جمع نعمة ﴿ اجتباها ﴾ اختاره للنبوة ﴿ وهدها إلى صراط مستقيم ﴾ وهو دين الحنيفية ﴿ وآتيناه في الدنيا حسنة ﴾ قال الوابي عن ابن عباس: يعني الذكر الحسن^(١٠) وقال الحسن هي النبوة^(١١) وقال مجاهد لسان صدق في الآخرين^(١٢) وقال مقاتل يعني عليه مقرونة بالصلاة على محمد ﷺ^(١٣) وقال قتادة: هي أنه ليس من أهل دين إلا وهم يتلون ويرضونه^(١٤) ﴿ وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ ترغيب في الصلاح ليكون صاحبه في جنبة^(١٥) إبراهيم، وهذا أكمل مدح لإبراهيم حيث شرف جملة هو منها ﴿ ثم أوحينا إليك ﴾ يا محمد ﴿ أن اتبع أمة إبراهيم

(١) انظر تفسير الرازي ١٠٧/٢٠، تفسير القرطبي ١٣٠/١٠ زاد المسير ٥٠٣/٤ ابن كثير ٥٣٠/٤ روح المعاني ٢٤٩/١٤ فتح القدير ٢٠٢/٣ نقلاً عن المصنف.

(٢) تهذيب اللغة ٦٣٤/١٥ اللسان ١٣٥/١.

(٣) انظر الخازن مع البغوي ١٢٢/٤، الرازي ١٠٨/٢٠.

(٤) معلى بن أسد العمي أبو الهيثم البصري الحافظ.

قال العجلي: شيخ بصري ثقة كيس وكان معلماً، وأخوه بهز آمن منه، وهو ثبت في الحديث رجل صالح وقال أبو حاتم ثقة، ما أعلم أبي عثرت له على خطأ غير حديث واحد، وذكره ابن حبان في الثقات وقال مات في رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين. انظر التهذيب (٢٣٦/١٠ - ٢٣٧).

(٥) منصور بن عبد الرحمن الغداني النصري الأشل صدوق بهم. انظر التقریب ٢٧٦/٢ - ٢٧٧.

(٦) فروة بن نوفل الأشجعي الكوفي، قال ابن عبد البر في الصحابة حديثه مضطرب وفروة بن نوفل الأشجعي من الخوارج، خرج على المغيرة بن شعبه في صدر خلافة معاوية فبعث إليهم المغيرة فقتلوا سنة خمس وأربعين، وليس لفروة بن نوفل صحة ولا رؤية، إنما يروي عن أبيه وعن عائشة، وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عن فروة بن نوفل له صحة، فقال ليست له صحة ولأبيه صحة. التهذيب ٢٦٦/٨.

(٧) سقط في أ، ج.

(٨) انظر تفسير الطبري ١٩١/١٤.

(٩) انظر زاد المسير ٥٠٤/٤، روح المعاني ٢٥٠/١٤، القرطبي ١٣٠/١٠ بلا نسبة فتح القدير ٢٠٢/٣ بلا نسبة.

(١٠) انظر معالم التنزيل ٨٩/٣ بلا نسبة زاد المسير ٥٠٤/٤.

(١١) تفسير الرازي ١٠٩/٢٠، القرطبي ١٣٠/١٠، بلا نسبة معالم التنزيل ٨٩/٣. زاد المسير ٥٠٤/٤، فتح القدير ٢٠٢/٣ بلا نسبة.

(١٢) انظر تفسير الرازي ١٠٨/٢٠، تفسير القرطبي ١٣٠/١٠، بلا نسبة زاد المسير ٥٠٤/٤، فتح القدير ٢٠٢/٣ بلا نسبة.

(١٣) انظر تفسير الرازي ١٠٨/٢٠، تفسير القرطبي ١٣٠/١٠، انظر لسان العرب ٦٩١/١ الصحاح ١٠١/١ ترتيب القاموس ٥٣٥/١.

حنيفاً ﴿ هذا يدل على أن دين محمد ﷺ دين إبراهيم حيث أمر باتباعه لسبقه إلى القول بالحق والعمل به، وقال عبد الله بن عمر: وأمر باتباعه في مناسك الحج كما علم جبريل إبراهيم^(١) وقوله: ﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه﴾ قال عطاء عن ابن عباس: تهاونوا وصادوا فيه وتعذوا^(٢) وقال قتادة استحله بعضهم وحرمه بعضهم^(٣) واختلافهم استحلالهم الصيد زمن داود يعني أهل أيلة فجعل السبت عليهم حيث عوقبوا بترك تحريمه، وهم الذين خالفوا أهل الحق في استحلال السبت ثم ذكر بباقي الآية أنه يحكم بينهم يوم القيامة. قوله:

أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ
عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ
لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا
يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ قال ابن عباس دين ربك^(٤) ﴿بالحكمة﴾ يعني النبوة ﴿والموعظة الحسنة﴾ يعني مواعظ القرآن ﴿وجادلهم﴾ أقبل على المشركين، واصرفهم عما هم عليه من الشرك ﴿بالتي هي أحسن﴾ أي ألز لهم جانبك، ولا تكن فظاً عليهم ﴿إن ربك هو أعلم﴾ إلى آخرها أي الله أعلم بالفريقين، فهو يأمرك فيهما بما فيه الصلاح قوله ﴿وإن عاقبتم﴾ الآية.

أخبرنا: إسماعيل بن إبراهيم الواعظ. أنا أبو العباس أحمد بن عيسى الحافظ نا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز نا بشر بن الوليد الكندي نا صالح المري نا سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي وعن أبي هريرة قال: (أشرف النبي ﷺ على حمزة فراه صريعاً، فلم ير شيئاً كان أوجع لقلبه منه فقال: والله لأقتلن بك سبعين منهم) فنزلت ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا﴾ الآية^(٥) وهذا قول عامة المفسرين^(٦)، قالوا: نزلت لما نظر النبي ﷺ إلى حمزة يوم أحد، وقد مثل به فقال والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بعد، بخواتيم سورة النحل فصبر رسول الله ﷺ، وأمسك عما أراد، وكفر عن يمينه ثم أمره بالصبر عزماً فقال: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ أي بتوقيفه ومعونته ﴿ولا تحزن عليهم﴾ على قتلى أحد فإنهم أفضوا إلى رحمة الله، ويقال: ولا تحزن على المشركين بإعراضهم عنك^(٧) ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ قال الفراء: الضيق ما ضاق عنه صدرك والضيق ما يكون في الذي يتسع مثل الدار

(١) انظر تفسير القرطبي ١٣٠/١٠ فتح القدير ٢٠٤/٣ مطولاً وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٣٤/٤ وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة معاً في المصنف وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب عنه.

(٢) الخازن مع البغوي ١٢٣/٤.

(٣) انظر معالم التنزيل ٩٠/٣.

(٤) انظر تفسير القرطبي ١٣١/١٠ بلا نسبة.

(٥) ذكره المصنف في أسباب النزول ص (١٩٢) وابن كثير في التفسير ٥٣٣/٤، وعزاه للبخاري وقال هذا إسناد فيه ضعف، لأن الكلام عليه صالح هو ابن بشر المري ضعيف عند الأئمة وقد تقدم الكلام عليه.

(٦) انظر تفسير الرازي ١١٣/٢٠، معالم التنزيل ٩١/٣، القرطبي ١٣٢/١٠، روح المعاني ٢٥٧/١٤، زاد المسير ٥٠٧/٤، فتح القدير ٢٠٥/٣.

(٧) انظر معالم التنزيل ٩١/٣، روح المعاني ٢٥٨/١٤، الرازي ١١٤/٢٠ فتح القدير ٢٠٤/٣.

والثوب^(١) والمعنى: لا يضيق صدرك من مكروهم، وقرأ ابن كثير بكسر الضاد^(٢) قال الأخفش يقال: ضاق بضيق ضيقة وضيقاً في المصدر^(٣) ﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾ الفواحش والكبائر وما حرم عليهم ﴿والذين هم محسنون﴾ في العمل وفيما افترض عليهم قال الزجاج: ومعنى أن الله معهم أي أنه ناصرهم^(٤).

(١) انظر معاني القرآن للفراء، ١١٥/٢، القرطبي ١٣٣/٢٠ عن الفراء.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٥، إتحاف فضلاء البشر ١٩١/٢، القرطبي ١٣٣/٢٠.

(٣) تهذيب اللغة ٩/٢١٧ فتح القدير ٣/٢٠٤ عن الأخفش.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٢٤.

سورة الإسراء

مكية وآياتها إحدى عشرة ومائة

أخبرنا: الأستاذ أبو عثمان سعيد بن محمد بن إبراهيم الحيري أنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر نا إبراهيم بن شريك نا أحمد بن يونس نا سلام بن سليم نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين، أعطي قنطارين في الجنة من الأجر، والقنطار ألف ومائتا أوقية، الأوقية منها خير من الدنيا وما فيها)^(١).

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِئَلْنُرِيهِمْ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى عبده﴾ أي البراءة له والتنزيه عما ينفي عنه مما لا يليق به قال ابن عباس: نزه نفسه^(٢).

أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي نا محمد بن عبد الله بن علي بن زياد نا محمد بن إبراهيم البوشنجي نا عبيد الله بن عائشة نا عبد الرحمن بن حماد عن جعفر بن سليمان عن طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال: سألت نبي الله ﷺ عن تفسير سورة سبحان الله قال: (تنزيه الله عز وجل عن كل سوء نزه نفسه عنه)^(٣) وقوله: ﴿أسرى عبده﴾ قال الزجاج معناه سير عبده يعني محمداً ﷺ ليلاً^(٤) قال مقاتل كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة^(٥) ﴿من المسجد الحرام﴾ قال الحسن وقتادة يعني نفس المسجد^(٦) وقال عامة المفسرين^(٧): أسرى

(١) تقدم.

(٢) انظر معالم التنزيل ٩٢/٣، تفسير الرازي ١١٦/٢٠، روح المعاني ٣/١٥ فتح القدير ٢٠٦/٣، وذكره السيوطي في الدرر ١٣٦/٤ وعزاه للطيالسي.

(٣) ذكره الهيثمي في المجمع ٩٤/١٠ وعزاه للبخاري وقال عبد الرحمن بن حماد الطلحي وهو ضعيف وذكره السيوطي في الدرر ١١٠/١ والقرطبي في التفسير ٣١٦/٤، ٢٠٤/١٠ وإسناده ضعيف جداً فيه عبد الرحمن الطلحي قال أبو حاتم: منكر الحديث قال ابن حبان: لا يحتج به الميزان ٥٥٧/٢. وجعفر بن سليمان، قال يحيى بن معين: كان يحيى بن سعيد لا يكتب حديثه ويضعفه وقال أحمد: لا بأس به قدم صنعا فحملوا عنه. وقال البخاري: يقال كان أمياً. وقال ابن سعد: ثقة فيه ضعف وكان يتشيع. انظر الميزان ٤٠٨/١.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٢٥/٣، فتح القدير ٢٠٦/٣ عن الزجاج.

(٥) انظر معالم التنزيل للبغوي ٩٢/٣، البحر المحيط ٥/٦، عن قتادة ومقاتل فتح القدير للشوكاني ٢٠٨/٣ عن عمرو بن العاص مطولاً وعن الزهري بنحوه.

(٦) انظر معالم التنزيل ٩٢/٣ عن قتادة تفسير الرازي ١١٧/٢٠ الطبري ٧/١٤ روح المعاني ٥/١٥ البحر المحيط ٥/٦ عن أنس فتح القدير ٢٠٦/٣.

(٧) انظر معالم التنزيل ٩٢/٣ البحر المحيط ٥/٦، الطبري ٧/١٤، روح المعاني ٥/١٥، عن ابن عباس تفسير الرازي ١١٧/٢٠.

برسول الله ﷺ من دار أم هانئ^(١) وأراد بالمسجد الحرام مكة ومكة الحرم: كلها مسجد^(٢) ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ يعني بيت المقدس وقيل له الأقصى لبعده المسافة بينه وبين المسجد الحرام ﴿الذي باركنا حوله﴾ بالثمار والأنهار والأنبياء والصالحين قال مجاهد لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة^(٣): ﴿لنريه من آياتنا﴾ يعني ما رأى في تلك الليلة من العجائب التي أخبر بها الناس، والأخبار في قصة الإسراء كثيرة نقتصر منها على حديث أنس الذي أجمع الشيخان على صحته، وهو ما:

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الخيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي نا عبد الرحيم بن منيب نا عثمان نا هما قال: سمعت قتادة.

وأخبرنا أبو نصر أحمد بن إبراهيم المهرجاني أنا عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد المنيعي نا العباس بن الوليد النرسي نا يزيد بن زريع نا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن مالك بن صعصعة^(٤):

أخبره: أن رسول الله ﷺ حدثه عن ليلة أسري به قال: بينما أنا في الحطيم، وربما قال قتادة في الحجر مضطجماً إذ أتاني آت ففقدت، وسمعت قتادة يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه قال قتادة: فقلت للجارود^(٥) وهو إلى جنبي: يعني؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته قال: فاستخرج قلبي، وأتيت بطست من ذهب مملوء إيماناً وحكمة فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض قال: فقال له الجارود: أهو البراق يا أبا حمزة؟ قال نعم يقع خطوه عند أقصى طرفه قال: فحملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى بي إلى السماء الدنيا فاستفتح فقبل من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك قال: محمد ﷺ، قيل وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، ففتح لنا، قالوا: مرحباً به ولنعم المجيء جاء قال فأتيت على آدم ﷺ، فقلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: هذا أبوك آدم فسلمت عليه فقال مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح، ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الثانية فاستفتح جبريل، فقبل: من هذا؟ فقال جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، ففتحوا لنا، وقالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء فأتيت على عيسى ويحيى ابني الخالة، فقلت: يا جبريل من هذان؟ قال: عيسى ويحيى، فسلمت عليهما قالاً

(١) أم هانئ بنت أبي طالب الهاشمية اسمها فاختة أسلمت يوم الفتح انظر الخلاصة (٤٠٣/٣). التهذيب (٤٨١/١٢).

(٢) اختلف السلف والخلف هل كان إسراء سيدنا رسول الله ﷺ بروحه أو جسده ﷺ، فذهب طائفة إلى أنه إسراء بالروح ولم يفارق شخصه مضجعه، وأنها كانت رؤيا رأى فيها الحقائق ورؤيا الأنبياء حق. ذهب إلى هذا معاوية وعائشة، وحكي عن الحسن وابن إسحاق، وقالت طائفة: كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس، وإلى السماء بالروح واحتجوا بقوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾. وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه كان إسراء بالجسد وفي اليقظة، وأنه ركب البراق بمكة ووصل إلى بيت المقدس وصلى فيه، ثم أسرى بجسده وعلى هذا تدل الأخبار. وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة، ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، ولو كان مناماً لقال بروح عبده ولم يقل بعبده. ولو كان مناماً لما كانت فيه آية ولا معجزة، ولما قالت له أم هانئ: لا تحدث الناس فيكذبوك. انظر القرطبي ١٣٧/١٠. الخصائص الكبرى للسيوطي ٢٥٢/١ وما بعدها.

(٣) انظر معالم التنزيل ٩٢/٣، الرازي ١١٧/٢٠، بلا نسبة زاد المسير ١٥/٥ روح المعاني ١١/١٥ بلا نسبة فتح القدير ٢٠٦/٣ بنحوه بلا نسبة.

(٤) مالك بن صعصعة الأنصاري المازني. روى عن النبي ﷺ حديث المعراج بطوله. انظر التهذيب ١٧/١٠.

(٥) الجارود بن أبي سبرة سالم بن سلمة الهذلي أبو نوفل البصري، ويقال الجارود بن سبرة، قال أبو حاتم: صالح الحديث. وقال الدارقطني: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات، وقال مات سنة عشرين. انظر التهذيب ٥٢/٢ - ٥٣.

مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح قال: ثم انطلقنا، حتى أتينا السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك قال: محمد قالوا وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قال: ففتحوا لنا وقالوا: مرحباً به ولنعم المبعيىء جاء، قال: فأتيت على يوسف عليه السلام، فقلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف، فسلمت عليه فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح، قال: ثم انطلقنا، حتى أتينا السماء الرابعة فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد عليه السلام، قيل وقد بعث إليه؟ قال: نعم قال: ففتحوا لنا، فقالوا: مرحباً به، ولنعم المبعيىء جاء قال: فأتيت على إدريس عليه السلام، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: إدريس فسلمت عليه فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح، قال: ثم انطلقنا، حتى أتينا السماء الخامسة فاستفتح جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد عليه السلام قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، ففتح لنا، وقالوا: مرحباً به، ولنعم المبعيىء جاء فأتيت على هارون عليه السلام، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا هارون، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح، قال: ثم انطلقنا حتى أتينا السماء السادسة فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال: محمد عليه السلام قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، ففتح لنا، وقالوا: مرحباً به، ولنعم المبعيىء جاء فأتيت على موسى عليه السلام، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا موسى، فسلمت عليه فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح، قال: فلما جاوزته بكى، فنودي ما يبكيك؟ قال: رب هذا غلام بعثته بعدي ويدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي، ثم انطلقنا حتى أتينا السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد عليه السلام، قيل: وقد بعث إليه قال: نعم، ففتح لنا، وقالوا: مرحباً به، ولنعم المبعيىء جاء قال: فأتيت على إبراهيم عليه السلام، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا إبراهيم، أو أبوك إبراهيم، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بالابن الصالح، والنبى الصالح، قال ثم رفعت لنا سدرة المنتهى فحدث نبى الله عليه السلام: أن نبقتها مثل قلال هجر، وأن ورقها مثل آذان الفيلة، قال: ورأيت أربعة أنهار يخرج من أصلها. قلت: يا جبريل، ما هذه الأنهار؟ قال: أما النهران الباطنان فههران في الجنة، وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات قال وأتيت بإناءين أحدهما خمر، والآخر لبن فعرضاً علي فآخترت اللبن فقيل لي: أصبت أصاب الله بك أمتك على الفطرة وأمرت بخمسين صلاة كل يوم أو فرضت علي خمسون صلاة في كل يوم فأقبلت حتى أتيت موسى فقال بما أمرت قلت بخمسين صلاة فقال: إني بلوت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك، فرجعت إلى ربي فحط عني خمساً فأقبلت، حتى أتيت إلى موسى قال، بما أمرت؟ قلت بخمسة وأربعين صلاة كل يوم، فقال: إني قد بلوت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة وإن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فما زلت اختلف بين ربي وبين موسى يحط عني خمساً حتى رجعت بخمسة صلوات كل يوم فأتيت على موسى، فقال بما أمرت؟ فقلت: أمرت بخمسة صلوات كل يوم، قال: إني قد بلوت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة وإن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك قال: فقلت: لقد رجعت إلى ربي حتى لقد استحييت منه ولكن أرضى وأسلم، قال: فنوديت: أن قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي وجعلت كل حسنة بعشر أمثالها قال: فأنتهى حديث أنس بن مالك إلى هذا، رواه البخاري^(١) عن هدية عن همام ورواه مسلم^(٢) عن محمد بن المثنى عن ابن أبي عدي عن سعيد كلاهما عن قتادة.

(١) أخرجه البخاري ٦/٣٤٨ - ٣٤٩، كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ٣٢٠٧.

(٢) مسلم ١/١٤٥ كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله عليه السلام (٢٥٩ - ١٦٢)، والترمذي ٥/٢٨٠. في التفسير (٣١٣٠).

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الحافظ نا محمد بن العباس بن أيوب نا المفضل بن غسان الغلابي نا محمد بن كثير نا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث بذلك الناس فارتد ناس ممن كان آمن به وصدق به، وفتوا بذلك عن دينهم وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: هل لك في صاحبك يزعم أنه أسري به إلى بيت المقدس؟ فقال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم فقال: لئن كان قد قال ذلك لقد صدق، قالوا: تصدقه أنه ذهب إلى الشام في ليلة [واحدة] (١) وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه في خير السماء في غدوة وروحه قالت: فلذلك سمي أبو بكر الصديق رضي الله عنه (٢) قوله:

وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكُتِّبَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ۚ ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۚ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۚ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۚ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَسْئِرُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّؤا مَا عَلَوْنَا نَنبِيرًا ۚ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُرَحِّمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عَدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۚ

﴿وأتينا موسى الكتاب﴾ ذكر الله في الآية الأولى إكرام محمد ﷺ بأن أسرى به ثم ذكر أنه أكرم موسى أيضاً قبله فقال ﴿وأتينا موسى الكتاب﴾ يعني التوراة ﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ دللناهم به على الهدى ﴿ألا تتخذوا من دوني وكيلاً﴾ وقرأ أبو عمرو بالياء (٣) لأن المعنى: هديناهم لئلا يتخذوا من دوني وكيلاً، ومن قرأ بالتاء فهو على الانصراف إلى الخطاب بعد الغيبة مثل ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ثم قال: ﴿إياك نعبد﴾ (٤) قال الزجاج أي لا تتوكلوا على غيري ولا تتخذوا من دوني رباً (٥) قوله: ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ قال مجاهد: «هذا نداء، والناس كلهم ذرية نوح، لأن من حمل مع نوح في السفينة كانوا أبناءه وذريته» (٦) ثم أثنى على نوح فقال ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ قال المفسرون (٧) «كان نوح إذا أكل طعاماً أو

(١) سقط في أ، ب.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٦٠/٢، كتاب معرفة الصحابة وقال صحيح الإسناد، وأقره الذهبي والبيهقي في الدلائل ٣٦٠/٢.

(٣) قال أبو حيان: قرأ ابن عباس ومجاهد وقتادة وعيسى وأبو رجاء وأبو عمرو من السبعة يتخذوا بالياء على الغيبة البحر المحيط (٧/٦).

انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٦/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٩٣/٢، القرطبي ١٤٠/١٠.

(٤) سورة الفاتحة آية ٢، ٥.

(٥) انظر زاد المسير ٦/٥.

(٦) تفسير معالم التنزيل ٩٧/٣، زاد المسير، فتح القدير ٢٠٨/٣، القرطبي ١٤٠/١٠، تفسير الرازي ١٢٣/٢٠.

(٧) انظر معالم التنزيل ٩٧/٣، روح المعاني ١٥/١٥ عن سلمان تفسير القرطبي ١٤٠/١٠ تفسير الرازي ١٢٣/٢٠، البحر المحيط

٧/٦ عن قتادة وإبراهيم انظر تفسير الرازي ١٢٥/٢٠ نقلاً عن المصنف.

لبس ثوباً حمد الله فسمي عبداً شكوراً» قوله: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ أعلمناهم وأوحينا إليهم في التوراة ﴿لتفسدن في الأرض﴾ بالمعاصي وخلاف أحكام التوراة في الأرض يعني أرض مصر ﴿مرتين ولتعلن علواً كبيراً﴾ لتعظمن على الطاعة، ولتبلغن ﴿فإذا جاء وعد أولئهما﴾ أولى المرتين ﴿بعثنا عليكم﴾ خلينا بينكم وبينهم ﴿عباداً لنا﴾ يعني جالوت وجنوده ﴿أولي بأسٍ شديد﴾ ذوي عدد وقوة في القتال ﴿فجاسوا﴾ فطافوا وترددوا ﴿خلال الديار﴾ والخلال^(١): الانفراج بين الشيئين، قال الزجاج: طافوا خلال الديار [ينظرون]^(٢) هل بقي أحد لم يقتلوه؟ قال: والجوس: طلب الشيء باستقصاء^(٣) ﴿وكان وعداً مفعولاً﴾ قال قتادة قضاء الله على القوم كما تسمعون^(٤) ﴿ثم ردنا لكم الكرة عليهم﴾ قال ابن عباس وقتل داود جالوت وعاد ملكهم كما كان^(٥) والكرة معناها الرجعة والدولة ﴿وأمددناكم بأموال وبنين﴾ وأعطيناكم وأكثرنا أموالكم وأولادكم ﴿وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ عدداً وأنصاراً منهم قال أبو عبيدة النفير العدد من الرجال^(٦) قوله: ﴿إن أحستهم﴾ أي وقتلنا لهم إن أحستهم ﴿أحستهم لأنفسكم﴾ قال ابن عباس إن أطعتم الله، عفا عنك المساويء^(٧) ﴿وإن أسأتم﴾ بالفساد وعصيان الأنبياء ﴿فلها﴾ قال يريد فعلى أنفسكم يقع الريال^(٨) ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ وعد المرة الآخرة من إفسادكم قال المفسرون: فأفسدوا المرة الثانية فقتلوا يحيى بن زكريا عليهما السلام فبعث الله عليهم بختنصر البابلي المجوسي أبغض خلقه إليه، فسبى، وقتل وخرّب بيت المقدس وسامهم سوء العذاب^(٩) وجواب ﴿فإذا﴾ محذوف تقديره: فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ﴿ليسوؤوا وجوهكم﴾ يقال ساءه يسوؤه أي أحزنه، والمعنى ليدخلوا عليكم الحزن بما يفعلون من قتلكم وسبيكم وتخريب بلادكم وعديت

(١) الخلال جمع الخلل والخلل: منفرج ما بين كل شيئين الصحاح ٤/١٦٨٦. انظر لسان العرب ٢/١٢٤٩ ترتيب القاموس ٢/١٠٠.

(٢) سقط في أ، ب.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٢٧، فتح القدير ٣/٢٠٩ عن الزجاج.

(٤) انظر زاد المسير ١٠/٥.

(٥) انظر زاد المسير ١٠/٥، روح المعاني ١٥/١٨ بلان نسبة فتح القدير ٣/٢١١.

(٦) تهذيب اللغة ١٥/٢٠٩.

(٧) زاد المسير ١٠/٥، البحر المحيط ٦/١٠ بلان نسبة.

(٨) انظر زاد المسير ١٠/٥.

(٩) ذكر الرازي في تفسيره هذا الكلام نقلاً عن الواحدي ثم قال: التواريخ تشهد بأن بختنصر، كان قبل وقت عيسى عليه الصلاة والسلام ويحيى وزكريا عليهما الصلاة والسلام بسنين متطاولة، ومعلوم أن الملك الذي انتقم من اليهود بسبب هؤلاء ملك من الروم يقال له: قسطنطين الملك والله أعلم بأحوالهم. قال القرطبي: اختلف فيمن كان المبعوث عليهم في المرة الآخرة فقيل بختنصر. وقال القشيري أبو نصر: لم يذكر غيره وقال السهيلي: وهذا لا يصح لأن قتل يحيى كان بعد رفع عيسى، وبختنصر كان قبل عيسى ابن مريم عليهما السلام بزمان طويل وقيل الإسكندر، وبين الإسكندر وعيسى نحو ثلاثمائة سنة، ولكنه أريد بالمرة الأخرى حين قتلوا شعبياً فقد كان بختنصر إذ ذاك حياً، فهو الذي قتلهم وخرّب بيت المقدس واتبعهم إلى مصر وأخرجهم منها، وقال الثعلبي: ومن روى أن بختنصر هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا، فغلظ عند أهل السير والأخبار لأنهم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم شعبياً وفي عهد أرمياء. قالوا: ومن عهد أرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام أربعمائة سنة وإحدى وستون سنة، وذلك أنهم يعدون من عهد تخريب بيت المقدس إلى عمارته في عهد كوسك سبعين سنة، ثم من بعد عمارته إلى ظهور الإسكندر على بيت المقدس ثمانية وثمانين سنة، ثم من بعد مملكة الإسكندر إلى مولد يحيى ثلاثمائة وثلاثاً وستين سنة.

انظر القرطبي (١٠/١٤٤-١٤٥).

وانظر تفسير الرازي ٢٠/١٢٧ والبحر المحيط ٦/١٠ ومعالم التنزيل ٣/١٠٦ وفتح القدير ٣/٢١٠.

الوسيط في تفسير القرآن المجيد/ج ٣/٣٧٣

المساءة إلى الوجوه، والمراد بها أصحابها، لما يبدوا فيها من أثر الحزن والكآبة، وقرأ حمزة ليسوء على واحد أي ليسوء الله أو ليسوء البعث وجوهكم، وقرأ الكسائي بالنون^(١) كقوله بعثنا وأمددنا، وقوله: ﴿وليتبروا ما علوا تتيباً﴾ يقال توبه أي أهلكه، قال الزجاج: كل شيء كسرته وفتنته فقد تبرت^(٢) والمعنى ليدمروا ويخربوا ما علوا عليه قوله ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ هذا ما أخبر الله به بني إسرائيل في كتابهم والمعنى: لعل ربكم أن يرحمكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم يا بني إسرائيل ثم عاد الله عليهم برحمته حتى كثروا وانتشروا ثم قال ﴿وإن عدتم عدنا﴾ قال الحسن: وإن عدم بالمعصية عدنا بالعقوبة^(٣) قال إبراهيم ثم عادوا فأعاد الله بالعرب^(٤) ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ قال ابن عباس وغيره: سجنًا ومحبسًا^(٥) وقال مجاهد: يحصرون فيها^(٦) وهذا ابتداء إخبار عن الله في عقاب جميع الكافرين.

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ آتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١١

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ أي يرشد إلى الكلمة التي هي أعدل الكلمات أي أعدلها وأصوبها هي كلمة التوحيد. قال الزجاج يهدي للحال التي هي أقوم الحالات وهي توحيد الله تعالى والإيمان برسله عليهم الصلاة والسلام، والعمل بطاعته^(٧) ﴿ويبشر المؤمنين﴾ بالجنة وهو قوله: ﴿أن لهم أجرًا كبيراً وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي ويشرهم بالعذاب لأعدائهم، وذلك أن المؤمنين كانوا في أذى من المشركين فعجل الله لهم البشري في الدنيا بعقاب الكافرين، وهو قوله ﴿آتدنا لهم عذاباً أليماً﴾ قوله:

وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ۝١٢

﴿ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير﴾ هو أن الإنسان ربما يدعو في حال الضجر والغضب على نفسه وأهله وولده بما لا يحب أن يستجاب له، كما يدعو لنفسه بالخير ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ يعجل بالدعاء في الشر عجله بالدعاء بالخير.

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۗ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَّهُ تَفْصِيلًا ۝١٣ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُرْفِهِ ۗ وَنُخْرِجُهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝١٤ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٥

﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ علامتين تدلان على قدرة خالقهما ﴿فمحونا آية الليل﴾ أي طمسنا نورها بما جعلنا فيها من السواد، يروي أن الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فأرسل الله عز وجل

(١) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٦، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٩٣. البحر المحيط ٦/١١ القرطبي ١٠/١٤٦.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٢٨.

(٣) انظر معالم التنزيل ٣/١٠٧، زاد المسير ٥/١٢، روح المعاني ١٥/٢١ بلا نسبة.

(٤) انظر تفسير القرطبي ١٠/٤٧، زاد المسير ٥/١٢ كلاهما عن قتادة فتح القدير ٣/٢٠ عن أهل السير.

(٥) انظر روح المعاني ١٥/٢١، فتح القدير ٣/٢١١، زاد المسير ٥/١٢ معالم التنزيل ٣/١٠٧، بلا نسبة القرطبي ١٠/١٤٧ بلا نسبة.

(٦) زاد المسير ٥/١٢.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٢٩، فتح القدير ٣/٢١٠.

جبريل فأمر جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء^(١) ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ مضيئة يبصر فيها ﴿لتبتغوا فضلاً من ربكم﴾ لتبصروا كيف تتصرفون في أعمالكم وتطلبون رزقكم ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ بمحو آية الليل ولولا ذلك ما كان يعرف الليل من النهار وكان لا يتبين العدد ﴿وكل شيء﴾ مما يحتاج إليه ﴿فصلناه تفصيلاً﴾ ببناء تبييناً لا يلتبس معه بغيره قوله ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ قال مجاهد من خير وشر^(٢) قال السدي: ما كتب له من خير وشر^(٣)، وقال الحسن وقتادة: سعادته وشقاوته بعمله^(٤)، وقال مجاهد في رواية الحكم: مكتوب في ورقة معلقة في عنقه شقي أم سعيد^(٥)، ومعنى الطائر ما طار له من خير أو شر أي صار له عند قسمته^(٦) من قولهم أمرت المال وطيرته من القوم فطار له سهمه، ذكرنا ذلك عند قوله: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾^(٧) قال الأزهري^(٨) والأصل في هذا أن الله تعالى لما خلق آدم علم المطيع من ذريته والعاصي فكتب ما علم منهم أجمعين، وقضى سعادة من علمه مطيعاً، وشقاوة من علمه عاصياً، فصار لكل منهم ما هو صائر إليه عند خلقه وإنشائه، فذلك قوله ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ أي ما طار له في علم الله بدءاً، وفي عنقه عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة العنق من بين ما يلبس.

وقد روي في هذه الآية حديث مشروح وهو ما أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد التميمي أنا عبد الله بن محمد الحافظ أنا محمد بن الصباح، نا عبد الله بن عمر نا محمد بن معلى نا عمرو بن صبح عن مقاتل بن حيان عن أبي الزبير عن أبي الطفيل سمعت حذيفة بن أسيد^(٩) يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إن النطفة التي تخلق منها النسمة، تصير في المرأة أربعين يوماً وأربعين ليلة، ولا يبقى منها شعر ولا بشر^(١٠) ولا عرق ولا عصب إلا دخلت فيه، حتى إنها لتدخل بين الظفر واللحم، فإذا مضى لها أربعون يوماً، وأربعون ليلة، أهبطها الله إلى الرحم، فكانت علقة أربعين يوماً وأربعين ليلة ثم تكون مضغة أربعين يوماً وأربعين ليلة فإذا تمت لها أربعون، بعث الله إليها ملك الأرحام، فيخلق على يده لحمها ودمها وشعرها وبشرها ثم يقول صور فيقول: يا رب ما

(١) انظر تفسير القرطبي ١٤٩/١٠، الخازن مع البغوي ١٥١/٤ زاد المسير ١٤/٥، وذكره السيوطي في الدر ١٦٦/٤ بسند واه عن ابن عباس مرفوعاً وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) انظر زاد المسير ٥/٥، تفسير القرطبي ١٥٠/١٠، روح المعاني ٣١/١٥، عنه وعن ابن عباس معالم التنزيل ١٠٨/٣، فتح القدير ٢١٥/٣ كلاهما عن ابن عباس وتفسير الرازي ١٣٤/٢٠ بلا نسبة وذكره السيوطي في الدر ١٦٧/٤ وعزاه للبيهقي في الشعب.

(٣) انظر زاد المسير ١٥/٥.

(٤) انظر زاد المسير ١٥/٥.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٦٧/٤، وعزاه لأبي داود في كتاب القدر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر تفسير الطبري ٥١/١٤، معالم التنزيل ١٠٨/٣، روح المعاني ٣٢/١٥.

(٦) انظر لسان العرب ٢٧٣٦/٤ ترتيب القاموس ١١٦/٣.

(٧) سورة الأعراف ١٣١.

(٨) تهذيب اللغة ١١/١٤.

(٩) حُدَيْقَةُ بن أسيد بن خالد أبو سرحة الغفاري. بايع تحت الشجرة ونزل الكوفة وتوفي بها وصلى عليه زيد بن أرقم وكبر عليه أربعاً. انظر أسد الغابة (٤٦٦/١).

(١٠) والبشر جمع بشرة والبشرة: أعلى جلدة الرأس والوجه والجسد من الإنسان انظر لسان العرب ٢٨٦/١ تاج العروس ٤٤/٣ الصحاح

أصور؟ أذكر أم أنثى؟ أجمل أم دميم؟ أجدد^(١) أم سبط؟ أقصير أم طويل؟ أبيض أم آدم؟ زائد أم ناقص؟ أسوي أم غير سوي؟ فيكتب من ذلك ما يأمره الله به، ثم يقول: أي رب، أشقي أم سعيد؟ فإن كان سعيداً نفخ فيه بالسعادة في آخر أجله، وإن كان شقياً نفخ فيه بالشقاوة في آخر أجله ثم يقول: اكتب أثرها ورزقها ومصيتها وعملها بالطاعة والمعصية فسيكتب من ذلك ما يأمر الله به ثم يقول الملك: يا رب، ما أصنع بهذا الكتاب؟ فيقول: غلقه في عنقه إلى قضاي عليه^(٢) فذلك قوله عز وجل ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة﴾ الآية وإلى هذا ذهب مجاهد كما ذكرنا عنه فإذا كان يوم القيامة أظهر له ذلك الكتاب فهو قوله ﴿ونخرج له يوم القيامة﴾ وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان، فهما عن يمينك وعن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك، فيحفظ سيئاتك حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة^(٣)، وهو قوله: ﴿كتاباً يلقاه منشوراً﴾ كقوله ﴿وإذا الصحف نشرت﴾^(٤) وقرأ ابن عامر يلقاه^(٥) من قولهم: لقيت فلاناً، أي استقبلته به قال الله تعالى ﴿ولقاهم نضرة وسروراً﴾^(٦) قوله ﴿اقرأ كتابك﴾ أي يقال له: اقرأ والقول ههنا مضمرة قال الحسن يقرؤه أمياً كان أو غير أمي^(٧) وقال قتادة سيقراً يومئذ من لم يكن قارئاً^(٨) ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيب﴾ الحسيب المحاسب كالشريك والجليس قال الحسن: عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك^(٩) والمعنى إن الإنسان يفوض إليه حسابه ليعلم عدل الله بين العباد ويرى وجوب حجة الله عليه، واستحقاقه العقوبة، ثم إن كان مؤمناً دخل الجنة بفضل الله لا بعمله وإن كان كافراً استوجب النار بكفره قوله:

مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ أي ثواب اهتدائه لنفسه ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ على نفسه عقوبة ضلاله ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ قال ابن عباس إن الوليد بن المغيرة قال: اتبعوني، وأنا أحمل أوزاركم، فقال الله تعالى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾^(١٠) قال الزجاج أي أن الأثم والمذنب لا يؤاخذ بذنب غيره^(١١) ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ قال قتادة: إن الله ليس معذباً أحداً حتى يبين له

(١) الجعد: الذي فيه التواء من الشعر. انظر لسان العرب ٦٣١/١، ترتيب القاموس ٤٩٨/١.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٦٧/٤ وعزاه لابن مردويه.

(٣) انظر روح المعاني ٣٢/١٥، وذكره السيوطي في الدر ١٦٨/٤ وعزاه لابن جرير.

(٤) سورة التكويد ١٠.

(٥) انظر النشر ٣٠٦/٢ إنحاف فضلاء البشر ١٩٤/٢ القرطبي ١٥٠/١٠، البحر المحيط ١٥/٦.

(٦) سورة الإنسان ١١.

(٧) انظر القرطبي ١٥٠/١٠ - ١٥١، تفسير الرازي ١٣٥/٢٠، الطبري ٥٣/١٥ زاد المسير ١٦/٥.

(٨) انظر معالم التنزيل ١٠٨/٣، روح المعاني ٣٣/١٥، فتح القدير ٢١٥/٣، الطبري ٥٣/١٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور

١٦٨/٤ وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

(٩) انظر معالم التنزيل ١٠٨/٣، روح المعاني ٣٣/١٥، الرازي ١٣٥/٢٠.

(١٠) انظر روح المعاني ٣٥/١٥ القرطبي ١٥١/١٠.

(١١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٣١/٣ تفسير الرازي ١٣٧/٢، فتح القدير ٢١٣/٣ كلاهما عن الزجاج.

ما به يعذب^(١) وهذه الآية تدل على أن الواجبات إنما تجب بالشرع لا بالعقل، ولا يجب شيء على أحد قبل بعث الرسول ﷺ ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرِيَةً أَمَرْنَا مَتْرَفِيهَا﴾ قال مجاهد أكثرنا فساقتها وهو قول عكرمة، وسعيد بن جبير^(٢) يقال: أمر القوم إذا أكثروا، وأمرهم الله أي كثروهم^(٣).

وروى حماد بن سلمة عن ابن كثير أمرنا بالمد^(٤)، وهي اللغة العالية يقال أمر القوم وأمرهم الله أي أكثرهم ونحو هذا روى خارجة عن نافع، والمترف المنعم الذي قد أبطرته النعمة وسعة العيش والمفسرون يقولون في تفسير المترفين الجبارين والمتسلطين والملوك^(٥) وقوله: ﴿ففسقوا فيها﴾ أي تمردوا في كفرهم إذ فسق في الكفر الخروج إلى أفحشه ﴿فحق عليها﴾ قال ابن عباس: استوجبت العذاب^(٦) يعني قوله ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ ﴿فدمرناها تدميراً﴾ أهلكتها إهلاك الاستئصال ثم ذكر سنته في إهلاك القرون الماضية، تخويفاً لكفار مكة، فقال ﴿وكم أهلكتنا من القرون من بعد نوح﴾ الآية قوله:

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾
وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدِّهُتُولَاءَ
وَهتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ
أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾

﴿من كان يريد العاجلة﴾ يعني الدنيا عجلت فكانت قبل الآخرة ﴿عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾ أي القدر الذي نشاء نعجل له في الدنيا، لا الذي يشاء هو، ﴿لمن نريد﴾ أن نعجل له^(٧) شيئاً قدرناه، وهذا ذم لمن أراد بعمله وطاقته وإسلامه الدنيا ومنفعتها وعروضها وبيان أن من أرادها لا يدرك منها إلا ما قدر له إن قدر ﴿ثم جعلنا له جهنم يصلها﴾^(٨) ثم يدخل النار في الآخرة: لأنه لم يرد الله تعالى بعمله ﴿مذموماً مدحوراً﴾ مبعداً من رحمة الله ﴿ومن أراد الآخرة﴾ يعني الجنة ﴿وسعى لها سعيها﴾ عمل بفرائض الله ﴿وهو مؤمن﴾ فإن الله لا يقبل حسنة إلا من صدق ﴿فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ يضعف لهم الحسنات ويمحو عنهم السيئات ويرفع لهم الدرجات ﴿كلأ نمد﴾ قال الحسن: كلأ نعطي من الدنيا البر والفاجر^(٩) وقال الزجاج أعلم

(١) انظر تفسير الطبري ٥٤/١٥.

(٢) انظر تفسير مجاهد ٣٥٩/١ تفسير الطبري ٥٦/١٥، فتح القدير ٢١٤/٣ بلا نسبة وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٦٩ عن عكرمة وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر.

(٣) انظر تفسير الرازي ١٤٠/٢٠ نقلاً عن المصنف.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٦/٢. إتحاف فضلاء البشر ١٩٥/٢. القرطبي ١٥٢/١٠.

(٥) انظر الطبري ٥٦/١٥، الدر المنثور ٤/١٦٩ - ١٧٠، روح المعاني ٤٣/١٥ معالم التنزيل ٣/١٠٩.

(٦) انظر القرطبي ١٥٣/١٠، الرازي ١٤٠/٢٠ بلا نسبة معالم التنزيل ٣/١٠٩ بلا نسبة.

(٧) في ب (أن نجعل).

(٨) سقط في أ، ب.

(٩) انظر تفسير الطبري ٦٠/١٥.

الله أنه يعطي المسلم والكافر وأنه يرزقهما جميعاً^(١) ثم فصل الفريقين فقال: ﴿هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً﴾ ممنوعاً يقال: حظره يحظره حظراً، وكل من حال بينك وبين شيء فقد حظره عليك ﴿انظر﴾ يا محمد ﴿كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ يعني في الرزق فمن مقل ومن مكثر وموسع عليه ومقتراً عليه هذا في الدنيا ﴿وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ من الدنيا قال ابن عباس إذا دخلوا الجنان اقتسموا المنازل والدرجات على قدر أعمالهم^(٢) وقال قتادة: للمؤمنين في الجنة منازل ولهم فضائل بأعمالهم.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الزمجاري أنا محمد بن أحمد بن يعقوب المفيد نا أحمد بن عبد الرحمن السقطي نا يزيد بن هارون نا شريك عن محمد بن جحادة عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام»^(٣).

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَغْفِرُ لِمَا فِي نَفْسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾

قوله: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ لا تعبد معه غيره، ولا تتخذ دونه إلهاً والخطاب للنبي ﷺ والمعنى عم لجميع المكلفين على نحو ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾^(٤) ﴿فتقعد مذموماً مخذولاً﴾ لا ناصر لك. قوله: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ قال ابن عباس يريد وأمر ربك ليس هو قضاء حكم وهو قول مجاهد والحسن وقاتدة^(٥) وعامة المفسرين^(٦) قال الفراء العرب تقول: تركته يقضي أمور الناس^(٧) أي يأمر فيها فينفذ^(٨) أمره قال الزجاج وقضى ربك معناه أمر لأنه أمر قاطع حتم^(٩) قوله: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي أمر أن تحسنوا بالوالدين.

أخبرنا: أبو بكر أحمد بن محمد الأصفهاني نا عبد الله بن محمد بن جعفر الأصفهاني أنا أبو عمرو القباب نا

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٣٣/٣، فتح القدير ٢١٧/٣ عن الزجاج.

(٢) انظر تفسير الطبري ٦١/١٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٧٠/٤ وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

(٣) في إسناده المصنف أحمد بن عبد الرحمن السقطي، وقد تقدم الكلام عليه والحديث ذكره الهيثمي في المجمع ٤١٩/١٠، كتاب صفة الجنة باب في درجات الجنة ونسبه للطبراني في الأوسط، وقال فيه يحيى بن عبد الحميد الحماني، وهو ضعيف.

(٤) سورة الطلاق آية (١).

(٥) انظر معالم التنزيل ٢١٠/٣، البحر المحيط ٢٥/٦، تفسير القرطبي ١٥٥/١٠، عن ابن عباس وقاتدة والحسن، روح المعاني

٥٤/١٥ بلا نسبة فتح القدير ٢١٨/٣ بلا نسبة، وذكره السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس ١٧١/٤ وعزاه لابن جرير

٦٢/١٥، وابن المنذر وانظر تنوير المقباس ١٣٤/٣.

(٦) المصادر السابقة.

(٧) في أ (الدنيا).

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ١٢٠/٢.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٣٣/٣.

الفضل بن دكين^(١) نا أبو معاوية النخعي نا أبو عمرو الشيباني حدثني صاحب هذه الدار يعني عبد الله بن مسعود قال: سئل النبي ﷺ: (أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة لميقاتها، قيل ثم أي؟ قال: بر الوالدين ولو استزدته لزدني)^(٢).

أخبرنا: أبو نصر المهرجاني أنا عبيد الله بن محمد بن بطة أنا البغوي نا أحمد بن عيسى المصري نا عبد الله بن وهب عن يحيى بن أيوب عن زيان بن فائد عن سهل بن معاذ عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: (من بر والديه طوي له وزاد الله في عمره)^(٣).

أخبرنا إسماعيل بن أبي القاسم النصر أبادي، أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني عثمان بن أبي شيبة^(٤) نا عبد الله بن إدريس عن عبد الرحمن بن سليمان عن أسيد بن علي بن عبيد مولى بني ساعدة عن أبيه عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الأنصاري قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبي شيء أبرهما به بعد موتها؟ قال: نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما^(٥).

وقوله ﴿إِذَا بَلَغَ الْكَبِيرَ﴾ يعني الكبر في السن إن عاشا عندك أيها الإنسان المخاطب حتى يكبرا وقرأ حمزة ﴿يَبْلُغَانِ﴾^(٦) قال الفراء: ثنى لأن الوالدين قد ذكرا قبله فصار الفعل على عددهما^(٧) ثم قال: ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ على الاستئناف ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَف﴾ قال ابن عباس يريد بالآف الرديء من الكلام، أن تقول لهما: أماتكما الله أراحتي

(١) الفضل بن دكين وهو لقب، واسمه عمرو بن حماد بن زهير بن درهم التيمي مولى آل طلحة أبو نعيم الملائي الكوفي الأحول. قال يعقوب بن شيبة: أبو نعيم ثقة ثبت صدوق. وقال أبو زرعة الدمشقي: سمعت ابن معين يقول ما رأيت أثبت من رجلين أبي نعيم وعفان، قال: وسمعت أحمد بن صالح يقول: ما رأيت محدثاً صدق من أبي نعيم، وقال أبو حاتم سألت علي بن المديني من أوثق أصحاب الثوري، قال: يحيى وعبد الرحمن ووكيع وأبو نعيم، وأبو نعيم من الثقات، وقال ابن عمار أبو نعيم متقن حافظ، إذا روى عن الثقات فحديثه أرجح ما يكون. التهذيب (٢٧٠/٨).

(٢) أخرجه البخاري ٥/٦ كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد والسير ٢٧٨٢. ومسلم ٨٩/١ كتاب الإيمان باب بيان كون الإيمان بالله أفضل ١٣٧ - ٨٥. وأحمد في المسند ٤١٨/١، والبيهقي في السنن ٢/٢١٥، والطبراني في الكبير ٢٤/١٠، وأبو نعيم في الحلية ٢٦٦/٧، والخطيب في التاريخ ٤٠١/٢.

(٣) في إسناده المصنف أحمد بن عيسى المصري، روى عن عمرو بن أبي سلمة وعبد الله بن يوسف التميمي وغيرهما. وعنه الحسين بن إسحاق وابن خزيمة في صحيحه، وأحمد بن رشدين وجماعة. قال ابن عدي: له مناكير، وقال الدارقطني: ليس بالقوي وكذبه ابن طاهر. انظر التهذيب (٦٥/١ - ٦٦)، انظر الكامل لابن عدي ١٩١/١ (٣١ - ٣١) لسان الميزان ٢٠٤/١ الجرح والتعديل ٦٤/٢، وفيه زيان بن فائد، قال أحمد: أحاديثه مناكير انظر الضعفاء للعقيلي (٩٦/٢). الميزان (٦٥/٢). أخرجه الحاكم ١٥٤/٤ كتاب البر والصلة، وقال صحيح الإسناد، وأقره الذهبي وذكره الهيثمي في المجمع ١٣٦/٨، وعزاه لأبي يعلى والطبراني، وقال فيه زيان بن فائد، وثقه أبو حاتم وضعفه غيره، وبقية رجال أبي يعلى ثقات. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ٢٢، وابن حجر في المطالب ٢٥٢٠، وأبو نعيم في تاريخ أصفهان ٦٣/١.

(٤) هو الإمام الحافظ الكبير المفسر أبو الحسن عثمان بن محمد ابن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خُوَاشِي العسبي مولا هم الكوفي، صاحب التصانيف وأخو الحافظ أبي بكر. ولد بعيث السنين ومائة سئل عنه أحمد بن حنبل فأنى عليه وقال: ما علمت إلا خيراً. وقال يحيى بن معين: ثقة مأمون. مات عثمان في ثالث المحرم سنة تسع وثلاثين ومئتين. انظر السير (١٥١/١١).

(٥) أخرجه أبو داود ٣٣٦/٤، كتاب الأدب باب بر الوالدين، وابن ماجه (١٢٠٨/٢) كتاب الأدب باب صل من كان أبوك يصل (٣٦٦٤) (٥١٤٢)، والحاكم في المستدرک ١٥٤/٤، كتاب السير وصححه وأقره الذهبي.

(٦) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٦/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٩٦/٢ البحر المحيط ٢٦/٦.

(٧) انظر معاني القرآن للفراء ١٢٠/٢.

الله منكما، وقال مجاهد يبلغان أن يخربا أو يبولا فلا تفل لهما أف، ولا تأذيهما كما لم يكونا يتأذيان به منك^(١).
وقال ابن قتيبة: لا تستثقل شيئاً من أمرهما الناس يقولون لما يكرهون ويستثقلون أف له أخبرنا: أحمد بن الحسن القاضي أنا حاجب بن أحمد نا عبد الرحيم بن منيب نا جرير أنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ رغم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه، قالوا: من يا رسول الله؟ قال: (من أدرك أبوه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة) رواه مسلم^(٢)، عن زهير بن حرب، عن جرير وقوله ﴿ولا تنهرهما﴾ يقال: نهره وانتهره، إذا استقبله بكلام يزعجه، قال ابن عباس: يريد الجواب بالغلظة^(٣) وقال الزجاج لا تكلمهما ضجراً صائحاً في وجوههما^(٤) ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ لينا لطيفاً أحسن ما تجد من القول ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ ألن لهما جانبك متذلاً لهما من رحمتك إياهما، وشفقتك عليهما^(٥) وخفض الجناح من السكون وترك التعصب والإباء عليهما ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ أي مثل رحمتها إياي في صغري حتى ربياني وقال قتادة هكذا علمتم، وبهذا أمرت فخذوا بتعليم الله وأدبه ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾ أي بما تضرعون من البر والعقوق فمن بدرت منه بادرة وهو لا يضر عقوقاً، غفر الله له ذلك، وهو قوله: ﴿إن تكونوا صالحين﴾ طائعين لله تعالى ﴿فإنه كان للأوابين﴾ الراجعين عن المعاصي، التادمين على الزلات ﴿غفوراً﴾ يغفر لهم ما بدر منهم ثم حض على صلة القرابة وبر الأقارب فقال:

وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَالْإِنْسَانَ الَّذِي كَفَرَ ﴿٢٧﴾ وَإِن تَعْرِضْ لَهُمْ فَوَلَّيْنَاكَ الْخَلْفَةَ وَتَوَلَّىٰ سَائِرُ النَّاسِ الْفِتْنَةَ إِنَّ الْبَشَرِ لَلْظَالِمِينَ ﴿٢٨﴾

﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ قال الحسن هو أن تؤتيهم وإن كان يسيراً^(٦) ﴿ولا تبذر تبذيراً﴾ قال ابن مسعود التبذير النفقة في غير حق^(٧) قال عثمان بن الأسود^(٨) كنت أطوف مع مجاهد حول الكعبة فرفع رأسه إلى أبي قبيس: فقال و

(١) انظر تفسير القرطبي ١٠/١٥٩، تفسير الرازي ٥/١٥١، البحر ٦/٢٧، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٧١ وعزاه لابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه مسلم ٤/١٩٧٨، كتاب البر باب رغم أنف من أدرك أبويه ٩ - ٢٥٥١ والترمذي ٣٥٤٥، وأحمد في المسند ٢/٢٤٦، والبخاري في الأدب المفرد (٢١ - ٦٤٦): قال أهل اللغة معناه ذل، وقيل: كره وخزي هو بفتح الغين وكسرهما وهو الرغم بضم الراء وفتحها وكسرهما وأصله لصق أنفه بالرغام هو تراب مختلط برمل، وقيل: الرغم كل ما أصاب الأنف مما يؤذي، وفيه الحث على ير الوالدين، وعظم ثوابه، ومعناه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة أو النفقة أو غير ذلك سبب لدخول الجنة، فمن قصر في ذلك فاتته دخول الجنة، وأرغم الله أنفه. انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٠٨ - ١٠٩).

(٣) تفسير القرطبي ١٠/١٥٩ بلا نسبة، معالم التنزيل ٣/١١٠ بلا نسبة.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٣٤، فتح القدير ٤/٢١٨ عن الزجاج.

(٥) في ب (من شفقتك أيهما).

(٦) انظر تفسير الطبري ١٥/٧٢، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٧٦ وعزاه لابن أبي شيبه وابن المنذر.

(٧) انظر تفسير أبي السعود ٢/٣٩٢ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٧٧، وعزاه للفرابي وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبه، والبخاري في الأدب وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان. هذا وقد اختلف في ذلك الحق ما هو؟ فمذهب الشافعي رضي الله عنه أنه لا يجب الإنفاق إلا على الولد والوالدين، وقال قوم: يجب الإنفاق على المحارم بقدر الحاجة، وانفقوا على أن من لم يكن من المحارم كإبناء العم فلا حق لهم إلا المادة والزيازة، وحسن المعاشرة والمؤالفة في السراء والضراء انظر تفسير الرازي (٢٠/١٥٤ - ١٥٥).

(٨) عثمان بن الأسود بن موسى بن باذان المكي قال ابن المديني: سألت يحيى - يعني - القطان عنه فقال: كان ثقة ثباتاً. وقال أحمد =

أن رجلاً انفق مثل هذا في طاعة الله، لم يكن من المسرفين، ولو أنفق درهماً واحداً في معصية الله كان من المسرفين ﴿إن المبذرين﴾ المنفقين في غير طاعة الله ﴿كانوا إخوان الشياطين﴾ لأنهم يوافقونهم فيما يدعونهم إليه، وهو كل من أجاب الشيطان إلى ما سؤل له، فهو من إخوان الشياطين ﴿وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ قال ابن عباس جاحداً لأنعمه^(١) وهذا يتضمن أن المنفق في السرف كفور لربه فيما أنعم عليه قوله ﴿وإما تعرضن عنهم﴾ عن هؤلاء الذين أوصيناك بهم من ذوي القربى والمساكين وابن السبيل ﴿ابتغاء رحمة من ربك﴾ انتظار رزق يأتيك من الله والمعنى أن تعرض عن السائل إضاعة وإعساراً ﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ أي عدهم عدة حسنة قاله الفراء ومجاهد والكلبي^(٢) وقال ابن زيد: قولاً جميلاً، رزقك الله بارك الله فيك^(٣).

ويروي أن رسول الله ﷺ (كان إذا سئل، وليس عنده ما يعطي أمسك انتظار الرزق يأتي الله به ويكره الرد، فلما نزلت هذه الآية، كان إذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال: يرزقنا الله وإياكم من فضله)^(٤) ومعنى الميسور اللين والسهل. قوله:

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۗ ٢٩ ۚ إِنَّ رَبَّكَ بَسِطَ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۗ ٣٠ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ۗ ٣١ ۚ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ ۗ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۗ ٣٢ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ۗ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ۗ ٣٣ ۚ

﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ الآية.

روى أبو الأحفص عن عبد الله بن مسعود قال: جاء غلام إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أمي تسألك كذا فقال (ما عندنا اليوم شيء قال: فيقول لك اكسني قميصاً، قال: فخلع قميصه ودفعه إليه وجلس في البيت) فأنزل الله هذه الآية^(٥).

والمعنى لا تمسك يدك عن البذل كل الإمساك حتى كأنها مقبوضة إلى عنقك لا تبسط الخير ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ قال ابن عباس أي في النفقة والعطية كأنه نهى عن بذل جميع ما عنده حتى لا يبقى له شيء^(٦) وقال مجاهد:

= وابن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: لا بأس به ثقة، قال الميموني عن أحمد مات قبل ابن جريج، وقال الواقدي وغير واحد: مات سنة خمسين ومائة. وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وقال العجلي: ثقة، التهذيب (١٠٧/٧).

(١) انظر تنوير المقباس ٣/١٣٥، معالم التنزيل ٣/١١٢ بلا نسبة.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٢٢، تفسير الطبري ١٥/٧٥ معالم التنزيل ٣/١١٢ بلا نسبة، تفسير القرطبي ١٠/١٦٣ بلا نسبة.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٥/٧٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٧٨ وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره ابن حجر في الكافي الشاف ٩٩ ونسبه لابن حبان والحاكم عن أنس وإسناده ضعيف. وقال: وفي الطبراني في الأوسط عن علي رضي الله عنه كان النبي ﷺ إذا سئل شيئاً فأراد أن يفعله قال: نعم، وإذا أراد أن لا يفعل سكت، ولم يقل قط لشيء

لا.

(٥) قال الحافظ ابن حجر في المصدر السابق لم أجده، وهو عند الواحدي في أسباب النزول (٢٩٤).

(٦) أسباب النزول للواحدي ٢٩٤، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٧٨ وعزاه لابن جرير الطبري.

يعني التبذير والإنفاق فيما لا يصلح وقوله ﴿فتقعد ملوماً﴾ قال السدي تلوم نفسك وتلام محسوراً^(١) قال ابن عباس ليس عندك شيء^(٢) يقال: حسرت الرجل بالمسألة أحسره إذا أفنيت جميع ما عنده ﴿إن ربك ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء ﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ حيث أجرى رزقهم على ما علم في صلاحهم، قوله ﴿ولا تقتلوا أولادكم﴾ مفسر في سورة الأنعام إلى قوله: ﴿إن قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾ أي إنمأ كبيراً يقال: خطيء يخطأ خطأ أي أثم وقرأ ابن عامر (خطأ) بالفتح^(٣) وهو اسم من أخطأ، وقد جاء أخطأ بمعنى خطيء أي أثم وإذا كان كذلك كان خطئاً بمعنى خطأ وقرأ ابن كثير (خطاء) بكسر الخاء ممدوداً^(٤)، وهو بعيد لا وجه له قوله ﴿ولا تقربوا الزنى﴾ الآية.

سمعت الأستاذ أبا عثمان الحيري^(٥) سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن يعقوب سمعت أبا عمر وعثمان بن الخطاب المعروف بأبي الدنيا^(٦) سمعت علي بن أبي طالب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الزنا ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فأما في الدنيا فيذهب بنور الوجه، ويقطع الرزق، ويسرع الفناء وأما اللواتي في الآخرة: فغضب الرب وسوء الحساب والدخول في النار^(٧).
قوله: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ قال المفسرون^(٨) حقها الذي تقتل به كفر بعد إسلام، أوز بعد إحصان أو قتل نفس مؤمنة بتعمد^(٩) ﴿ومن قتل مظلوماً﴾ يعني بغير إحدى هذه الخصال ﴿فقد جعلنا لوليهِ﴾ يعني لوارثه الذي له المطالبة بدمه ﴿سلطاناً﴾ قال مجاهد سلطانه حجته التي جعلت له أن يقتل قاتله^(١٠) وقال الضحاك هو أن

(١) انظر تفسير الطبري ٧٧/١٥.

(٢) انظر زاد المسير ٥٣٠/٥، ذكره السيوطي في الدر المنثور بنحوه عن ابن عباس ١٧٨/٤ وعزاه لابن المنذر وانظر تنوير المقباس ١٣٧/٣.

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٧/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٩٧/٢، البحر المحيط ٣٢/٦، تفسير القرطبي ١٦٤/١٠.

(٤) قال أبو حيان: قرأ ابن كثير بكسرها وفتح الطاء والمد، وهي قراءة طلحة وشبل والأعمش عنهما ويحيى وخالد بن إلياس وقتادة والحسن والأعرج بخلاف عنهما، وقال النحاس: لا أعرف لهذه القراءة وجهاً، ولذلك جعلها أبو حاتم غلطاً، وقال الفارسي: هي مصدر من خاطأ يخاطيء، وإن كنا لم نجد خطأ ولكن وجدنا تخاطأ، وهو مطاوع خاطأ فدلنا عليه. قال الألويسي وخرج علي وجهين. انظر البحر المحيط (٣٢/٦) انظر روح المعاني ٦٧/١٥.

(٥) سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور النيسابوري الحيري الصديقي. مولده سنة ثلاثين ومئتين بالري. قال ابن نجيد: سمعته يقول: لا تثقن بمودة من لا يحبك إلا معصوماً. قال أبو الحسين أحمد بن أبي عثمان: توفي أبي لعشر بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ومئتين وصلى عليه الأمير أبو صالح. انظر السير (٦٣/١٤).

(٦) عثمان بن الخطاب أبو عمرو البلوي المغربي أبو الدنيا الأنيق ويقال ابن أبي الدنيا طير طراً على أهل بغداد، وحدث بقلة حياء بعد الثلاثمائة عن علي بن أبي طالب، فافتضح بذلك وكذبه النقاد روى عنه المفيد وغيره. ومات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.

(٧) ذكره الحافظ في الكافي الشاف، وقال: أخرجه البيهقي في الشعب في السابع والثلاثين وابن مردويه وابن أبي حاتم وأبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي وائل عن حذيفة بلفظ (يا معشر الناس) وفي آخره ثم تلا: ﴿إن سحق الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾. انظر الكشاف (٢١١/٣).

(٨) انظر معالم التنزيل ١١٣/٣، الطبري ٨٠/١٥، تفسير القرطبي ١٦٥/١٠ - ١٦٦ روح المعاني ٦٩/١٥، ابن كثير ٧٠/٥، الرازي ١٦٠/٢٠.

(٩) هذا مأخوذ من قوله ﷺ لا يحل دم امرء مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة، أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٩ كتاب الذيات باب قوله تعالى: ﴿إن النفس بالنفس﴾ ومسلم ١٣٠٢/٣ كتاب القسامة باب ما يباح به دم المسلم.

(١٠) انظر معالم التنزيل ١١٣/٣.

إن شاء قتل وإن شاء عفا وإن شاء أخذ الدية^(١) ﴿فلا يسرف﴾ الولي ﴿في القتل﴾ قال ابن عباس هو أن يقتل غير القتال^(٢) وقال مجاهد هو أن يقتل بالواحد الاثنین والثلاثة^(٣) والمعنى فلا يسرف الولي في القتل أي لا يتجاوز ما حمله إنه الولي ﴿كان منصوراً﴾ بقتل قاتل وليه والاقتصاص منه، وقرأ حمزة (فلا تسرف) بالتاء، على مخاطبة الولي^(٤)، وقوله:

وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۚ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ السَّمِيعِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۚ

﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ مفسر في سورة الأنعام، قوله ﴿وأوفوا بالعهد﴾ قال الزجاج: كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد^(٥) ﴿إن العهد كان مسئولاً﴾ عنه ﴿وأوفوا الكيل إذا كلمتم﴾ أتموه ولا تبخسوا منه شيئاً ﴿وزنوا بالقسط المستقيم﴾ قال ابن عباس والحسن^(٦): هو القبان^(٧) وقال هو بالرومية^(٨) وقال الزجاج هو ميزان العدل^(٩) أي ميزان كان من موازين الدراهم وغيرها، وفيه لغتان: ضم القاف وكسرهما ﴿ذلك خير﴾ قال عطاء أقرب إلى الله وقال قتادة خير ثواباً^(١٠) ﴿وأحسن تأويلاً﴾ عاقبة في الجزاء.

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۚ وَلَا تَمْشِ فِي
الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۚ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۚ

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ يقال قفا يقفون قفوا إذا اتبع الأثر، قال الكلبي لا تقبل ما ليس لك به علم^(١١) وقال قتادة لا تقبل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم^(١٢) والمعنى لا تقولن في شيء مما لا تعلم ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾ قال الوجيه عن ابن عباس:

(١) انظر معالم التنزيل ١١٣/٣ تفسير ابن كثير ٧٠/٥ بلا نسبة.

(٢) انظر معالم التنزيل ١١٣/٣ تفسير القرطبي ١٦٦/١٠ عن الحسن والضحاك وسعيد بن جبیر ومجاهد ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٨١/٤) عن مجاهد وعزاه لابن أبي حاتم، انظر فتح القدير ٢٢٥/١ بلا نسبة.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨١/٤ عن سعيد بن جبیر وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم انظر البحر المحيط ٣٣/٦.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٧/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٩٧/٢.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٣٨/٣.

(٦) انظر معالم التنزيل ١١٤/٣، البحر المحيط ٣٤/٦ كلاهما عن الحسن، روح المعاني ٧٢/١٥ عن الضحاك وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨٢/٤ عن الضحاك وعزاه لابن المنذر.

(٧) القبان: هو الذي يوزن به. انظر لسان العرب ٣٥٢٣/٥. الصحاح ٢١٧٩/٦، ترتيب القاموس ٥٥٦/٣.

(٨) انظر معالم التنزيل ١١٤/٣ عن مجاهد، روح المعاني ٧٢/١٥، فتح القدير ٢٢٦/٣ بلا نسبة، تفسير مجاهد ٣٦٢/١.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٣٨/٣، تفسير القرطبي ١٦٧/١٠، فتح القدير ٢٢٦/٣ كلاهما عن الزجاج.

(١٠) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨٢/٤، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨٢/٤ عن ابن عباس وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٨٦/١٥ القرطبي ١٦٧/١٠، معالم التنزيل ١١٤/٣، روح المعاني ٧٣/١٥، تفسير الرازي ١٦٦/٢٠، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨٢/٤، وزاد نسبه لابن المنذر.

يسأل الله العباد فيم استعملوها^(١) في هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل والاستماع إلى ما يحرم وإزادة ما يجوز قوله ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ المرح شدة الفرح قال ابن عباس يريد بالكبرياء والعظمة^(٢) وقال الزجاج ولا تمش في الأرض مختلاً فخوراً ﴿إنك لن تحرق الأرض﴾ الحرق الشق يقال حرق ثوبه إذا شقه قال ابن عباس لن تحرق الأرض بكبرك ومشيك عليها ﴿ولن تبلغ الجبال طولاً﴾ بعظمتك وإنما أنت مخلوق عبد ذليل والمعنى: أنك لا تقدر أن تثقب الأرض حتى تبلغ آخرها، ولا أن تطول الجبال فلا تستحق الكبر والبذخ ﴿كل ذلك﴾ إشارة إلى جميع ما تقدم ذكره مما أمر به ونهى عنه ﴿كان سيئه﴾ قرئ بالإضافة والتنوين^(٣) قال الزجاج والإضافة أحسن لأن فيما تقدم من الآيات سيئاً وحسنًا، سيئه هو المكروه ويقوى ذلك التذكير في المكروه^(٤) ومن قرأ بالتنوين جعل كلا إحاطة بالمنهي عنه دون الحسن المعنى: كل ما نهى الله عنه كان سيئه فكان مكروهاً والمكروه على هذه القراءة بدل من السيئة، وليس بنعت قوله:

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾

﴿ذلك مما أوحى إليك ربك﴾ يعني ما تقدم ذكره من الفرائض والسنن ﴿من الحكمة﴾ من القرآن ومواظمة ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ هذا خطاب لكل واحد من المؤمنين كأنه قال: ولا تجعل أيها الإنسان، ثم خاطب المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله منكرآ عليهم فقال:

أَفَأَصْفَقُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوٰتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾ يقال: أصفاه بالشيء إذا أثره به قال أبو عبيدة أفأصفاكم خصكم^(٥) وقال المفضل أخلصكم وهذا توبيخ للكفار يقال اختار لكم ربكم البنين دونه، وجعل البنات مشتركة بينه وبينكم فاختصكم بالأجل وجعل لنفسه الأدون؟ ﴿إنكم لتقولون﴾ بهذا الزعم الباطل ﴿قولا عظيماً﴾ يعظم خطؤه وإثمه قوله ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾ أي صرفنا ضروب القول فيه من الأمثال وغيرها، مما يوجب الاعتبار به، ومعنى التصريف ههنا التبيين لأنه إنما يصرف القول لبيان، وقوله: ﴿ليذكروا﴾ ليتعظوا ويتدبروه بعقولهم، ويتفكروا فيه، وقراءة حمزة بالتخفيف^(٦) بهذا المعنى كقوله: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه﴾^(٧) وقوله: ﴿وما يزيدهم إلا نفورا﴾ قال ابن عباس ينفرون من الحق ويتعبون الباطل^(٨)

(١) انظر الدر المنثور ٤/ ١٨٢ بنحوه.

(٢) انظر معالم التنزيل ٣/ ١١٤ بلا نسبة، تفسير القرطبي ١٠/ ١٦٩ بلا نسبة.

(٣) انظر النشر ٢/ ٣٠٧ الإنحاف ٢/ ١٩٧ تفسير القرطبي ١٠/ ١٠٧.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٤٠.

(٥) انظر مجاز القرآن ١/ ٣٨٠.

(٦) انظر النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٠٧، إنحاف فضلاء البشر ٢/ ١٩٨.

(٧) سورة البقرة ٦٣.

(٨) انظر تنوير المقباس ٣/ ١٤١.

والمعنى: وما يزيدهم تصريف الآيات إلا نفوراً، كقوله ﴿فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً﴾^(١) وذلك أنهم اعتقدوا أن القرآن شبه^(٢) وحيل فنفروا منها أشد النفور، قوله ﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون﴾ وقرأ ابن كثير بالياء^(٣) على معنى كما يقول المشركون من إثبات الآلهة ﴿إذا لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلاً﴾ إذا لا بتغوا الآلهة أن تزيل ملك صاحب العرش والمعنى لا بتغوا سبيلاً إلى ممانعته ومضادته وهذا قول الحسن والكلبي وسعيد بن جبير^(٤) ثم نزه نفسه فقال: ﴿سبحانه وتعالى﴾ الآية ثم ذكر أن كل ما خلق الله مسبح له فقال ﴿تسبح له السموات السبع﴾ [الآية]^(٥) المراد بالتسبح هنا الدلالة على أن الله عز وجل خالق حكيم مبرأ من الأسوأ، والمخلوقون والمخلوقات كلها تدل على أن الله خالقها كما قال ابن عباس في قوله: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ أي يخشع ويخضع^(٦) قوله ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ مخاطبة للكفار لأنهم لا يستدلون ولا يعتبرون، قوله:

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۖ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُمْ وَلَوُا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ۖ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۖ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۖ وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفْنًا آءِذَا نَأْتِى لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۖ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۖ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ۖ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۖ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ وَإِنْ يَشَاءُ يَرْحَمَكُمُ أَوْ يُعَذِّبَكُمُ

(١) سورة فاطر آية ٤٢ .

(٢) في ب (سفه) .

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٧/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٩٨/٢، تفسير القرطبي ١٧٢/١٠ .

(٤) انظر تفسير الطبري ١٧٢/١٠ عن سعيد بن جبير، وذكره السيوطي في الدررنة ١٨٣/٤، وعزاه لابن أبي حاتم، انظر روح المعاني

٨٢/١٥ .

(٥) سقط في أ، ب .

(٦) انظر زاد المسير ٤٠/٥ وقد اختلف في قوله تعالى ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ هل هذا العموم مخصص أم لا؟ فقالت فرقة: ليس مخصوصاً، والمراد به تسبيح الدلالة وكل محدث يشهد على نفسه بأن الله عز وجل خالق قادر. وقالت طائفة: هذا التسبيح حقيقة وكل شيء على العموم يسبح تسيحاً لا يسمعه البشر ولا يفقهه، ولو كان ما قاله الأولون من أنه أثر الصنعة والدلالة لكان أمراً مفهوماً، والآية تنطق بأن هذا التسبيح لا يفقهه. وأجيبوا بأن المراد بقوله: ﴿لا تفقهون﴾ الكفار الذين يعرضون عن الاعتبار فلا يفقهون حكمة الله سبحانه وتعالى في الأشياء. وقالت فرقة: قوله ﴿من شيء﴾ عموم ومعناه الخصوص في كل حي ونام، وليس ذلك في الجمادات. ومن هذا قول عكرمة: الشجرة تسبح. وقال يزيد الرقاشي للحسن وهما في طعام، وقد قدم الخوان: أيسبح هذا الخوان يا أبا سعيد؟ فقال: قد كان يسبح مرة يريد أن الشجرة في زمن ثمرها واعتدالها كانت تسبح، وأما الآن فقد صار خواناً مدهوناً. انظر القرطبي ١٧٣/١٠، وانظر البحر المحيط ٤٠/٦ .

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۖ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۖ

﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾ نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول

الله ﷺ إذا قرأ القرآن، قال الكلبي: وهم أبو سفيان، والنضر بن الحارث، وأبو جهل وأم جميل امرأة أبي لهب^(١)، حجب الله رسوله عن أبصارهم عند قراءة القرآن فكانوا يأتونه ويمرون به، ولا يرونه^(٢).

أخبرنا: محمد بن أبي بكر المطوعي أنا محمد بن أحمد بن علي الحيري أنا أحمد بن علي بن المشي نا أبو

موسى إسحاق بن إبراهيم الهروي نا سفيان عن الوليد بن كثير عن ابن تدرس عن أسماء قالت: لما نزلت ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾^(٣)، جاءت العوراء أم جميل، ولها ولولة، وفي يدها فهر^(٤) وهي تقول: مذمماً أيننا، ودينه قلينا^(٥)، وأمره عصينا ورسول الله ﷺ جالس وأبو بكر إلى جنبه فقال أبو بكر لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك، فقال: (إنها لن تراني) وقرأ قرآناً اعتصم به ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾ قال، فجاءت، حتى قامت على أبي بكر، ولم تر النبي ﷺ فقالت: يا أبا بكر بلغني أن صاحبك هجاني قال: لا، ورب هذا البيت ما هجاك فانصرفت وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها رواه الحاكم في صحيحه^(٦) عن الصبغي عن بشر بن موسى عن الحميدي عن سفيان.

وقوله: ﴿حجاباً مستوراً﴾ قال الأخفش أراد ساتراً والفاعل قد يكون في لفظ المفعول، كما تقول: إنه لمشثوم

وميمون، وإنما هو شائم ويامن^(٧) فقال غيره حجاباً مستوراً عن الأعين لا يبصر وإنما هو قدرة من قدرة الله تعالى حجب النبي ﷺ عن أعين أعدائه [حجاب]^(٨) لا يرونه ولا يراه النبي ﷺ^(٩) ثم ذكر أن الله منعهم من فهم القرآن بقوله: ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ وقد تقدم تفسيره في سورة الأنعام، وقوله ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ يعني قلت لا إله إلا الله، وأنت تتلو القرآن ﴿ولوا على أديبارهم نفوراً﴾ قال ابن عباس كارهين أن يوحدوا الله^(١٠) وقال قتادة إن

(١) أم جميل بنت حرب بن أمية شاعرة. انظر جمهرة أنساب العرب ٧٢.

(٢) انظر البحر المحيط ٤٢/٦ تفسير القرطبي ١٧٦/١٠ عن الزجاج وغيره الرازي ١٧٧/٢٠ الدر المنثور ١٨٦/٤.

(٣) سورة المسد آية (١).

(٤) الفهر: هو الحجر ملء الكف انظر لسان العرب ٣٤٧٩/٥. الصحاح ٨٧٤/٢، ترتيب القاموس ٥٣٠/٣.

(٥) قليته قلى وقلاء ومقلية: أبغضته وكرهته غاية الكراهة فتركته انظر لسان العرب ٣٧٣١/٥، الصحاح ٢٤٦٦/٦، ترتيب القاموس ٦٨٥/٣.

(٦) الحاكم ٣٦١/٢ كتاب التفسير سورة الإسراء، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨٦/٤، وعزه لأبي يعلى، وابن أبي حاتم وصححه، وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً في الدلائل. وانظر معالم التنزيل ١١٧/٣، البحر المحيط ٤٢/٦، القرطبي ١٧٤/١٠، تفسير الرازي ١٧٦/٢٠ - ١٧٧ فتح القدير ٢٣٣/٣.

(٧) انظر البحر المحيط ٤٢/٦ عن الأخفش وجماعة تفسير الرازي ١٧٧/٢٠ عنه فتح القدير ٢٣١/٣ عن الأخفش روح المعاني ٨٧/١٥ بلا نسبة.

(٨) سقط في ب.

(٩) انظر تفسير الطبري ٩٤/١٥، البحر المحيط ٤٢/٦، فتح القدير ٢٣/١، روح المعاني ٨٧/١٥.

(١٠) انظر زاد المسير ٤١/٥.

النبي ﷺ لما قال: لا إله إلا الله، أنكر ذلك المشركون وكبر عليهم^(١) والمعنى: انصرفوا هاربين عنك كراهية لما يسمعون من توحيد الله قوله: ﴿نحن أعلم بما يستمعون به﴾ قال المفسرون^(٢) أمر رسول الله ﷺ أن يتخذ طعاماً ويدعو إليه أشرف قريش من المشركين، ففعل ذلك عليّ، ودخل عليهم رسول الله ﷺ، وقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى التوحيد، فكانوا يستمعون ويقولون فيما بينهم متناجين: هو ساحر، وهو مسحور، فأخبر الله نبيه بذلك، وأنزل عليه نحن أعلم بما يستمعون أي يستمعونه والباء زائدة أخبر الله أنه عالم بتلك الحالة وبذلك الذي كانوا يستمعونه، إذ يستمعون إلى الرسول، ﴿وإذ هم نجوى﴾ قال ابن عباس يتناجون فيما بينهم بالتكذيب والاستهزاء^(٣) ﴿إذ يقول الظالمون﴾ يعني أولئك المشركون ﴿إن تبعون﴾ ما تبعون ﴿إلا رجلاً مسحوراً﴾ مخدوعاً والمسحور الذي قد سحر، فاختلط عليه أمره قال ابن الأعرابي: المسحور الذاهب العقل المفسد [أمره]^(٤) ﴿وانظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ بينوا لك الأشياء حين شبهوك بالكاهن والساحر والشاعر والمعلم والمجنون ﴿فضلوا﴾ عن الحق ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ مخرجاً عن الضلال إلى الهدى، ثم ذكر إنكارهم البعث بقوله: ﴿وقالوا أنذا كنا عظاماً ورفاتاً﴾ قال الفراء^(٥): الرفات التراب لا واحد له، وهو مثل الرقاق، والحطام^(٦) والرفث كسر الشيء بيدك، مثل المدر والعظم البالي وما كسر فهو رفات، مثل الفئات قال ابن عباس رضي الله عنه: أي إذا ذهب اللحم والعروق، وبقيت عظام قد بليت فإذا مسكته بين أصبعيك انسحق [فهو^(٧) رفات]^(٨) ﴿ءإننا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ أي أبعث إذا صرنا تراباً؟ وهذا استفهام إنكار وتعجب قال الله تعالى: ﴿قل كونوا حجارةً أو حديداً﴾ قال الزجاج^(٩) إنهم كانوا يقولون أن الله خالقهم وينكرون أنه يعيدهم فقيل لهم استشعروا انكم لو خلقتم من حجارة أو حديد ﴿أو خلقاً مما يكبر في صدوركم﴾ الأكثرون قالوا: يعني الموت وليس أكبر في صدور بني آدم من الموت يقول: لو كنتم الموت، لأماتكم الله، ثم أحياكم لأن القدرة التي بها أنشأكم، بها يعيدكم هذا معنى قوله ﴿فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة﴾ وقال مجاهد: ما شئتم فكونوا حجارةً أو حديداً أو سماء، أو أرضاً، أو جبلاً، سيعيدكم الله كما كنتم^(١٠) وقوله ﴿فيسنغضون﴾ يقال: أنغض رأسه ينغضه إنغاضاً، إذا حركه والمعنى يحركون رؤوسهم تكديماً لهذا القول واستبعاداً له ﴿ويقولون متى هو﴾ أي البعث والإعادة ﴿قل عسى أن يكون قريباً﴾ يعني هو قريب، وعسى من الله واجب ثم ذكر أنه متى يكون، فقال: ﴿يوم يدعوكم﴾ أي بالنداء الذي يسمعكم، وهو النفخة الأخيرة كما قال ﴿يوم ينادي المناد من مكان قريب﴾^(١١)

(١) انظر زاد المسير ٤١/٥، تفسير القرطبي ١٧٦/١٠ بلا نسبة.

(٢) انظر الطبري ٩٦/١٥ زاد المسير ٤١/١٥ القرطبي ١٧٦/١٠، البحر المحيط ٤٣/٦ - ٤٤، الخازن مع البغوي ١٦٣/٤، تفسير الرازي ١٧٨/٢٠.

(٤) سقط في أ، ب.

(٣) انظر فتح القدير ٢٣١/٣ بلا نسبة.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ١٢٥/٢ تفسير القرطبي ١٧٧/١٠.

(٦) الحطام ما تكسر من الشيء اليابس انظر لسان العرب ٩١٦/٢، الصحاح ١٩٠٠/٥ ترتيب القاموس ٦٦٦/١.

(٧) انظر زاد المسير ٤٤/٥، فتح القدير ٢٣٤/٣.

(٨) سقط في أ، ب.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٤٤/٣، وانظر ابن كثير ٨٢/٥، معالم التنزيل ١١٨/٣، تفسير القرطبي ١٧٨/١٠، البحر المحيط

٤٦/٦. تفسير الرازي ١٨٠/٢٠، فتح القدير ٢٣٤/٣.

(١٠) انظر البحر المحيط ٤٦/٦، تفسير الرازي ١٨٠/٢٠، تفسير القرطبي ١٧٨/١٠، ابن كثير ٨٢/٥ بلا نسبة، فتح القدير ٢٣٤/٣

بلا نسبة.

(١١) سورة ق آية ٤١.

﴿فتستجيبون﴾ نجيبون ﴿بحمده﴾ قال سعيد بن جبير: يخرجون من قبورهم، ويقولون: سبحانك وبحمدك ولا ينفعهم في ذلك اليوم لأنهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد^(١) ﴿وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً﴾ وتعلمون ما لبثتم في الدنيا إلا قليلاً قال الحسن وقتادة استقصروا مدة لبثهم مع ما يعلمون من طول لبثهم في الآخرة^(٢) ومن المفسرين من يذهب إلى أن هذه الآية خطاب للمؤمنين، لأنهم يستجيبون الله بحمده يحمده على إحسانه إليهم ويستقلون مدة لبثهم في البرزخ لأنهم كانوا غير معذبين^(٣) وقوله ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ قال الكلبي كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بمكة فيقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فيقول لهم: إني لم أؤمر فيهم بشيء فأنزل الله هذه الآية^(٤) والمعنى: قل لعبادي المؤمنين يقولوا للكافرين الكلمة التي هي أحسن قال الحسن يقولون له: يهديك الله^(٥) ﴿إن الشيطان﴾ هو الذي يفسد بينهم لأنه عدو للإنسان ظاهر العداوة ﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم﴾ بالإنجاء من كفار مكة وينصركم عليهم ﴿أو إن يشأ يعذبكم﴾ بتسليطهم عليكم ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلًا﴾ حافظاً وكفياً أي وما وكل إليهم إيمانهم إن شاء هداهم وإن شاء خذلهم ﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض﴾ قال ابن عباس لأنه خلقهم فهدى بعضهم وأضل بعضهم على علم منه بهم وكذلك تفضيل النبيين بعضهم على بعض كان عن حكمة وعلم، وهو قوله: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ قال قتادة: اتخذ الله إبراهيم خليلًا، وكلم موسى تكليماً، وجعل عيسى كلمته وروحه وآتى سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده وآتى داود زبوراً [وغفر لمحمد ﷺ] «ما تقدم من ذنبه وما تأخر»^(٦). وقوله ﴿وآتيناه داود زبوراً﴾^(٧) قال الزجاج: أي فلا تنكروا تفضيل محمد ﷺ وإعطاءه القرآن، فقد أعطى الله داود الزبور^(٨) وقال قتادة «كنا نحدث أنه تحميد وتمجيد لله ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود»^(٩)

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾

قوله ﴿قل ادعوا الذين زعتم من دونه﴾ الآية قال المفسرون،: (١٠) ابتلى الله قريشاً وأهل مكة بالفحط سنين فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية والمعنى قل للمشركين ادعوا الذين ادعيتهم كذباً أنهم آلهة، ثم أخبر عن الآلهة فقال ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم﴾ يعني البؤس والشدة ﴿ولا تحويلاً﴾ التحويل النقل من حال إلى حال ومن

(١) انظر البحر المحيط ٤٧/٦، تفسير القرطبي ١٧٩/١٠، الرازي ١٨١/٢٠، وذكره السيوطي في الدر ١٨٨/٤. وعزاه لعبد بن حميد

وابن المنذر وابن أبي حاتم وانظر فتح القدير ٣/٢٣٥ بلا نسبة.

(٢) انظر معالم التنزيل ١١٩/٣، عن قتادة البحر المحيط ٤٧/٦، تفسير القرطبي ١٧٩/١٠ روح المعاني ٩٤/١٥، عن قتادة، تفسير

الرازي ١٨٢/٢٠، عن الحسن وذكره السيوطي في الدر المنثور ١١٨/٤، عن قتادة وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) انظر البحر المحيط ٤٨/٦، فتح القدير ٣/٢٣٥.

(٤) انظر معالم التنزيل ١١٩/٣. تفسير القرطبي ١٨٠/١٠.

(٥) انظر معالم التنزيل ١٣/٣، البحر المحيط ٤٩/٦، القرطبي ١٨٠/١٠.

(٦) انظر الطبري ١٠٣/١٥، معالم التنزيل ١٢٠/٣، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨٨/٤ وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

(٧) سقط في ج.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٤٥/٣.

(٩) معالم التنزيل ١٢٠/٣ بلا نسبة، القرطبي ١٨١/١٠ بلا نسبة، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١١٨/٤، وعزاه لابن جرير وابن

أبي حاتم.

(١٠) انظر زاد المسير ٤٩/٥، معالم التنزيل ١٢٠/٣، القرطبي ١٨١/١٠ الخازن مع البغوي ١٦٤/٤، روح المعاني ٩٨/١٥.

مكان إلى مكان. قال ابن عباس^(١): «يريد من السقم والفقير إلى الصحة والغنى» وفي هذا احتجاج عليهم أنهم في عبادتهم على الباطل قال ابن عباس^(٢) في رواية عطاء ثم ذكر أوليائه فقال: «أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة» قال: يتضرعون إلى الله في طلب الجنة والوسيلة الدرجة العليا وقد تكون الوسيلة القربة إلى الله تعالى وما يقربك من رحمته ذكرنا ذلك في قوله «وابتغوا إليه الوسيلة»^(٣) قال الزجاج: «المعنى يبتغي أيهم أقرب الوسيلة إلى الله [أي يتقرب إليه]^(٤) بالعمل الصالح»^(٥)، قال ابن عباس «يتقربون إلى الله بصالح الأعمال فيرجون رحمته، ويريدون جنته، ويخافون عذابه»^(٦) «إن عذاب ربك كان محذوراً» يحذره المؤمنون المتقون فيطيعون الله خوفاً منه.

وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الرِّقْمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَعَآئِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي آرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

قوله «وإن من قرية إلا نحن مهلكوها» قال ابن مسعود: «إذا ظهر الزنا والزنا والربا في أهل قرية، أذن الله في إهلاكها»^(٧) وقال مقاتل أما الصالحة فبالموت، وأما الطالحة فبالعذاب^(٨) وقال الزجاج أي ما من أهل قرية إلا وسيهلك إما بموت أو بعذاب يستأصلهم^(٩) «كان ذلك في الكتاب مسطوراً» قال قتادة قضاء من الله كما تسمعون ليس منه بد^(١٠) قوله: «وما منعنا أن نرسل بالآيات» قال المفسرون سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفادها، وأن ينحي الجبال عنهم، فيزرعوا، فأناه جبريل، فقال إن شئت، كان ما سأل قومك ولكنهم إن لم يؤمنوا لم يمهلوا وإن شئت استأنيت بهم، قال: «لا بل أستأني بهم» فأنزل الله هذه الآية^(١١) وتقدير الكلام: وما منعنا إرسال الآيات التي سألوها إلا تكذيب الأولين ويعني أنهم سألوا الآيات التي استوجب بها الأولون العذاب لما كذبوا بها، والمعنى: أنا لم نرسل بالآيات، لئلا يكذب بها هؤلاء كما كذب من قبلهم فيستحقوا المعالجة بالعقوبة، وسنة الله في الأمم، إذا سألوا الآيات فأتتهم ثم لم يؤمنوا، أن يعذبهم، ولا يمهلهم، وقوله «وآئنا ثمود الناقة مبصرة» قال قتادة بيته^(١٢)،

(١) القرطبي ١٨١/١٠ بلا نسبة، روح المعاني ٩٨/١٥ بلا نسبة.

(٢) القرطبي ١٨١/١٠ بلا نسبة.

(٣) سورة المائدة آية ٣٥.

(٤) سقط في أ.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٤٦/٣.

(٦) انظر زاد المسير ٥٠/٥.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٥/١٠٧، معالم التنزيل ٣/١٢٠، تفسير القرطبي ١٠/١٨٢.

(٨) انظر معالم التنزيل ٣/١٢٠، تفسير الرازي ٢٠/١٨٦.

(٩) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٤٧.

(١٠) انظر تفسير الطبري ١٥/١٠٧، روح المعاني ١٥/١٠٢ بلا نسبة.

(١١) أخرجه أحمد في المسند من حديث ابن عباس ١/٢٨٥، وابن كثير في البداية والنهاية ٣/٥٣، وعزاه لأحمد والنسائي، وقال هذان

إسنادان جيدان، وانظر تفسير الطبري ١٥/١٠٨ أسباب النزول للمصنف (٢٩٥).

(١٢) معالم التنزيل ٣/١٢١ بلا نسبة.

والمبصرة البينة، أراد آية مبصرة أي مضيئة. وهذا كقوله: ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾^(١) وقوله ﴿فظلموا بها﴾ أي ظلموا أنفسهم بتكذيبها، وقد يكون الظلم الجحد كقوله ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾^(٢) أي يجحدون ﴿وما نرسل بالآيات﴾ أي العبر والدلالات ﴿إلا تخويفاً﴾ للعباد ليتعظوا ويخافوا^(٣). قوله ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾ أي فهم في قبضته وهو محيط بهم بالعلم والقدرة قال قتادة يمنعك من الناس حتى تبلغ رسالة ربك^(٤) وقال الحسن حال بينهم وبين أن يقتلوك كما قال ﴿والله يعصمك من الناس﴾^(٥). وقوله ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ يعني ما أراه الله ليلة الإسراء، وكانت رؤيا يقظة، لا رؤيا منام، وهذا قول سعيد بن جبير وأبي مالك والسدي ومجاهد وقاتدة والحسن والضحاك وابن زيد وابن عباس في رواية عكرمة^(٦)، قال هي رؤيا عين، أريها النبي ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس وذلك أنه ارتد بعضهم حين أعلمهم قصة الإسراء، فأنكروا وكذبوا وازداد المؤمنون المخلصون إيماناً، وكانت تلك الرؤيا فتنة للناس^(٧)، وقوله ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ هذا على التقديم والتأخير، والتقدير: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس، وهي شجرة الزقوم، وكانت الفتنة فيها ما قال قتادة خوف الله تعالى بها عباده ففتنوا بذلك حتى قال أبو جهل: زعم صاحبكم أن في النار شجراً، والنار تأكل الشجر^(٨) وقال ابن الزبيري^(٩) ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد^(١٠) قال الزجاج والعرب تقول لكل طعام مكروه وضأ:

(١) سورة الإسراء آية ١٢.

(٢) سورة الأعراف آية ٩.

(٣) وفي المقصود بهذه الآية خمسة أقوال: العبر والمعجزات التي جعلها الله على أيدي الرسل من دلائل الإنذار تخويفاً للمكذابين الثاني: أنها آيات الانتقام تخويفاً من المعاصي الثالث: أنها تقلب الأحوال من صغر إلى شباب ثم إلى تكهل، ثم إلى مشيب لتعتبر بتقلب أحوالك فتخاف عاقبة أمرك، وهذا قول أحمد بن حنبل رضي الله عنه. الرابع: القرآن. الخامس: الموت الذريع قاله الحسن. انظر القرطبي ١٠/١٨٣، انظر البحر المحيط ٦/٥٣.

(٤) انظر الطبري ١٥/١١٠، القرطبي ١٠/١٨٣.

(٥) سورة المائدة ٦٧، انظر القرطبي ١٠/١٨٣، البحر المحيط ٦/٥٤، تفسير الرازي ٢٠/١٨٨.

(٦) انظر معالم التنزيل ٣/١٢١، البحر المحيط ٦/٥٤، القرطبي ١٠/١٨٣، الرازي ٢٠/١٨٨.

(٧) في هذه الرؤيا أقوال: القول الأول: أن الله أرى محمداً في المنام مصارع كفار قریش فحين ورد ماء بدر قال: ﴿والله كاني أنظر إلى مصارع القوم﴾. القول الثاني: أن المراد رؤياه التي رآها أنه يدخل مكة وأخبر بذلك أصحابه فلما منع عن البيت الحرام عام الجديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم. فلما جاء العام المقبل دخلها وأنزل الله تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ الفتح (٢٧) اعترضوا على هذين القولين فقالوا هذه السورة مكية وهاتان الواقعتان مدنيتان، وهذا السؤال ضعيف لأن هاتين الواقعتين مدنيتان أما رؤيتهما في المنام فلا يبعد حصولها في مكة. والقول الثالث: قال سعيد بن المسيب رأى رسول الله ﷺ بني أمية يتزودون على منبره نزو القردة فسأه ذلك، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء والإشكال المذكور عائد فيه، لأن هذه الآية مكية وما كان لرسول الله ﷺ بمكة منبر، ويمكن أن يجاب عنه بأنه لا يبعد أن يرى بمكة أن له بالمدينة منبراً يتداوله بنو أمية. والقول الرابع: وهو الأصح وهو قول أكثر المفسرين أن المراد بها ما أراه الله تعالى ليلة الإسراء، وهذا ما ذكره المصنف واختلفوا في معنى هذه الرؤيا فقال الأكثرون لافرق بين الرؤية والرؤيا في اللغة، يقال (رأيت بعيني رؤية ورؤيا) الرازي (٢٠/١٨٨).

(٨) انظر تفسير البغوي ٣/١٢٢، القرطبي ١٠/١٨٤، روح المعاني ١٥/١٠٦، البحر المحيط ٦/٥٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٩١ بنحوه وعزاه لابن إسحاق وابن أبي حاتم وابن مردويه، وذكره البيهقي في البعث عن ابن عباس.

(٩) عبد الله بن الزبيري بن قيس السهمي القرشي أبو سعد: شاعر قریش في الجاهلية كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة فهرب إلى نجران فقال فيه حسان أبياتا: فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر، ومدح النبي ﷺ فأمر له بحلة. انظر الأعلام

(٨٧/٤).

(١٠) انظر زاد المسير ٥/٥٥، البغوي ٣/١٢٢، القرطبي ١٠/١٨٤.

ملعون^(١) يدل على هذا ما روى عكرمة عن ابن عباس قال: «الشجرة المذمومة»^(٢) ومعنى في القرآن أي التي ذكرت في القرآن.

أخبرنا: إسماعيل بن الحسن بن محمد بن الحسين الطبري أنا جدي محمد بن الحسين أنا محمد بن حمدويه المروزي نا محمود بن آدم نا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾ قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم رواه البخاري^(٣) عن ابن المديني عن سفيان ورواه الحاكم^(٤) عن محمد بن علي الصنعاني عن الدبري عن عبد الرزاق عن سفيان وقوله ﴿ونخوفهم﴾ أي بالآيات والدلالات ﴿فما يزيدهم﴾ التخويف ﴿إلا طفياناً كبيراً﴾ لأنهم لا يرجعون عن غيهم. قوله:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنَّكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِزُ مَنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخِيلِكَ وَرَجِّلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ الآية مفسرة فيما تقدم إلى قوله: ﴿ءأسجد لمن خلقت طيناً﴾ قال الزجاج المعنى لمن خلقت طيناً وهو منصوب على الحال^(٥)، والمعنى أنك أنشأته في حال كونه من طين، واعتقد إبليس لعنه الله أن النار أكرم أصلاً من الطين، وأنه أكرم ممن خلق من الطين، وذهب عليه بجهله أن الجواهر كلها من جنس واحد وأن الله عز وجل يصرفها بالإعراض كيف شاء، مع كرم جوهر الطين بكثرة ما فيه من المنافع ﴿قال﴾ إبليس ﴿أرأيتك هذا الذي كرمت علي﴾ أي أرأيت هذا الذي فضلته علي يعني آدم، والكاف في أرأيتك لا موضع لها، لأنها ذكرت في الخاطبة تأكيداً ﴿لئن أخرتن إلى يوم القيامة﴾ أي أخرت أجل موتي ﴿لأحتنكن ذريته﴾ لأستاصلنهم ولأستولين عليهم بالإغواء والإضلال وأصله من احتنك الجراد الزرع وهو أن تأكله وتستأصله بأحنكها وتفسده وهذا هو الأصل، ثم يسمى الاستيلاء على الشيء وأخذ كله احتناكاً، وقوله ﴿إلا قليلاً﴾ يعني المعصومين قال ابن عباس هم أولياء الله الذين عصمهم، وهم الذين استثنى الله في قوله ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾^(٦) قال الله تعالى لإبليس ﴿أذهب﴾ وهذا اللفظ يتضمن معنى إنظاره وتأخير أجله ﴿فمن تبعك﴾ أي أطاعك واتبع أمرك ﴿منهم﴾ من ذرية آدم

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٤٨/٣.

(٢) انظر تفسير الطبري ١١٣/١٥.

(٣) ٢٥٠/٨ كتاب التفسير باب ٩ (٤٧١٦)، والترمذي ٢٨٢/٥ كتاب التفسير ٣١٣٤ وقال حسن صحيح وأحمد في المسند ٢٢١/١.

(٤) ٣٦٢/٢ كتاب التفسير سورة الإسراء، وقال صحيح على شرط البخاري وأقره الذهبي.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٤٩/٣، روح المعاني ١٠٩/١٥.

(٦) سورة الإسراء آية ٦٥، وانظر معالم التنزيل ١٢٢/٣ بلا نسبة، القرطبي ١٨٦/١٠ بلا نسبة، روح المعاني ١١٠/١٥ بلا نسبة.

﴿فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً﴾ قال الزجاج^(١) موفراً، يقال وفرته، أفره، وفراً وهو موفور، وأنشد لزهير:

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشُّتْمَ يُشْتَمُ^(٢)

﴿واستفزز﴾ أي أزعج واستخفف ﴿من استطعت﴾ من بني آدم يقال: أفره واستفزه أي أزعجه واستخفه^(٣)

ومعنى الأمر ههنا: التهديد كما يقال للإنسان: اجهد جهدك فسترى ما ينزل بك وقوله: ﴿بصوتك﴾ قال مجاهد وعكرمة يعني الغناء والمزامير^(٤) وقال الوالي عن ابن عباس صوته دعاء كل داع إلى معصية الله^(٥)، وقال عطاء عنه كل متكلم في غير ذات الله فهو صوت الشيطان وقوله: ﴿وأجلب عليهم﴾ يقال: أجلبوا وجلبوا إذا صاحوا يقول صح بخيلك ورجلك واحثتهم عليهم بالإغواء^(٦) وقال الزجاج: يقال: أجلب على العدو إجلباً، إذا جمع عليه الخيول^(٧) والمعنى على هذا أجمع عليهم كل ما تقدر من مكاييدك، ويكون الباء في بخيلك زائدة على هذا القول وكل راكب أو راجل في معصية الله فهو من خيل إبليس وجنوده، والرجل جمع راجل وقرأ حفص بكسر الجيم^(٨)، قال أبو زيد يقال: رجل ورجل بمعنى راجل^(٩) وقوله: ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ وهي كل ما أصيب من حرام وأخذ بغير حقه وكل ولد زنا قال قتادة أما في الأموال فأمرهم أن يجعلوا بحيرة وسائبة، وأما في أولادهم فإنهم هودوهم ونصروهم وجسومهم^(١٠) وقوله ﴿وعدهم﴾ قال الفراء أي قل لهم لا جنة ولا نار^(١١) وقال الزجاج: وعدهم بأنهم لا يبعثون^(١٢) قال الله: ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ قال ابن عباس إن أوليائي ليس لك عليهم حجة في الشرك^(١٣) وقال قتادة: عباده الذين لا سلطان له عليهم المؤمنون^(١٤) ﴿وكفى بربك وكيلاً﴾ لأولياته يعصمهم من القبول من إبليس قوله:

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٤٩/٣.

(٢) انظر شرح المعلقات العشر للبريزي (١٥٢) شرح القصائد التسع لابن النحاس ٣٥٢/١. وقوله: يفره أي يتمه ولا ينقصه، يقال وفرته أفره وفارة ووفراً وفرة. وانظر البيت في روح المعاني (١١٠/١٥)، البحر المحيط (٥٥/٦) تفسير الرازي (٥/٢١).

(٣) انظر لسان العرب ٣٤٠٩/٥، ترتيب القاموس ٤٨٧/٣.

(٤) انظر الطبري ١١٨/١٥، البغوي ١٢٨/٣ عن مجاهد، القرطبي ١٨٧/١٠ عن مجاهد روح المعاني ١١١/١٥ عن مجاهد، البحر المحيط ٥٨/٦ عن مجاهد، تفسير الرازي ٦/٢١ بلا نسبة. وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٢/٤ عن مجاهد، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) انظر تفسير الطبري ١١٨/١٥، معالم التنزيل ١٢٣/٣ عن ابن عباس وقتادة تفسير القرطبي ١٨٧/١٠، روح المعاني ١١١/١٥ بلا نسبة، تفسير الرازي ٦/٢١ بلا نسبة، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٨/٤ وزاد نسبه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) انظر ترتيب القاموس ٥٠٩/١.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٠/٣، تفسير الرازي ٦/٢١ عن الزجاج.

(٨) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٨/٢. إتخاف فضلاء البشر ٢٠١/٢، البحر المحيط ٥٩/٦، تفسير القرطبي ١٨٧/١٠، معالم التنزيل ١٢٣/٣، الرازي ٦/٢١.

(٩) انظر زاد المسير ٥٨/٥، القرطبي ١٨٧/١٠ بلا نسبة.

(١٠) انظر زاد المسير ٥٨/٥، تفسير البغوي ١٢٣/٣ عن الحسن وقتادة، القرطبي ١٨٧/١٠، الرازي ٦/٢١.

(١١) انظر معاني القرآن للفراء ١٢٧/٢.

(١٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٠/٣.

(١٣) انظر تفسير القرطبي ١٨٨/١٠ بنحوه.

(١٤) انظر تفسير الطبري ١٢٢/١٥.

رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّكُمْ كَأَنْتُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

﴿ربكم الذي يزجي﴾ أي يسوق ويسير حالاً بعد حال ﴿لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله﴾ في طلب التجارة ﴿إنه كان بكم رحيمًا﴾ قال ابن عباس يريد بأوليائه وأهل طاعته، وهذا الخطاب خاص للمؤمنين ثم خاطب المشركين فقال: ﴿وإذا مسكم الضر﴾ يعني خوف الغرق ﴿في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾ أي زال وبطل من تدعون من الآلهة إلا الله تعالى قال ابن عباس نسيتم اتخاذ الأنداد والشركاء وتركتموهم، وأخلصتم لله (١) ﴿فلما نجاكم﴾ من الغرق والبحر ﴿إلى البر أعرضتم﴾ عن الإيمان والإخلاص ﴿وكان الإنسان﴾ يعني الكافر ﴿كفوراً﴾ لنعمة ربه، ثم بين أنه قادر أن يهلكهم في البر، فقال: ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر﴾ أي يغيبكم ويذهبكم في جانب البر، وهو الأرض يقال خسف الله به الأرض، أي غاب به فيها، أخبر الله تعالى أنه كما قدر أن يغيبهم في الماء قادر أن يغيبهم في الأرض، وقوله ﴿أو يرسل عليكم حاصباً﴾ عذاباً يحصبكم أي يرميكم بالحجارة والحصب الرمي، ويقال للريح التي تحمل التراب والحصاء حاصب ﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلاً﴾ قال قتادة: مانعاً ولا ناصرًا (٢) ﴿أم أمتم أن يعيدكم فيه﴾ في البحر ﴿تارة﴾ مرة أخرى ﴿فيرسل عليكم قاصفاً﴾ كاسراً ﴿من الريح﴾ والقصف الكسر بشدة، وأراد ههنا ريحاً شديدة تقصف الفلك، وهو قوله: ﴿فيغرقكم بما كفرتم﴾ بكفركم، حيث سلمتم، ونجوتهم في المرة الأولى ويقراً قوله: ﴿أن يخسف﴾ وأخواته من الأفعال بالياء والنون (٣) والمعنى واحد، وكل حسن وتؤكد النون قوله: ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ قال الزجاج: لا تجدوا من يتبعنا بإنكار ما نزل بكم (٤) وهذا معنى قول المفسرين لا برّاً ولا ناصرًا، وتبع بمعنى تابع قوله:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾

﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾ قال ابن عباس فضلنا كقوله ﴿هذا الذي كرمت علي﴾ والمعنى: فضلناهم بالعقل والنطق والتمييز (٥)، وقال عطاء بامتداد القامة (٦) وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: ليس من دابة إلا وهي

(١) انظر تفسير ابن كثير ٩٣/٥.

(٢) البغوي ١٢٤/٣، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٣/٤، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٨/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٠٢/٢، البحر المحيط ٦١/٦.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٢/٣.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٢٥/١٥، البغوي ١٢٥/١، زاد المسير ٦٢/٥، القرطبي ١٩٠/١٠ بلا نسبة، البحر المحيط ٦١/٦، روح

المعاني ١١٧/١٥.

(٦) انظر زاد المسير ٦٣/٥، البغوي ١٢٥/٣، القرطبي ١٩٠/١٠، البحر المحيط ٦١/٦، روح المعاني ١١٧/١٥.

تأكل بفيها إلا ابن آدم، فإنه يأكل بيديه^(١) وروى جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ في تفسير هذه الآية: قال «الكرام الأكل بالأصابع»^(٢) «وحملناهم في البر» على الإبل والخيل والبعال والحمير وفي البحر على السفن «ورزقناهم من الطيبات» يعني الثمار والحبوب والمواشي والسمن والزبد والحلاوى «وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً» قال السدي فضلوا على البهائم والدواب والوحوش وهم الكثير^(٣).

أخبرنا الحسين بن محمد بن زكريا الجوهري أنا أبو عمرو بن نجيد نا محمد بن أيوب نا محمد بن سنان العوفي نا عبد الله بن عمر نا سهيل، عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: قال (من رأى رجلاً به بلاء قد عوفي منه فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاني به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، فقد أدى شكر ذلك البلاء^(٤)) قوله: «ويوم ندعوا كل أناس» قال الزجاج: يعني به يوم القيامة، وهو منصوب على معنى اذكر يوم ندعو^(٥). وقوله: «يامامهم» قال مجاهد وقتادة: نبيهم^(٦). ويكون المعنى على هذا: أن ينادى يوم القيامة فيقال: هاتوا متبعي إبراهيم هاتوا متبعي موسى وعيسى هاتوا متبعي محمد عليهم السلام فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء، فيأخذون كتبهم بأيمانهم ثم يقال: هاتوا متبعي الشيطان، هاتوا متبعي رؤساء الضلالة، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير إمام هدى أو إمام ضلالة^(٧) ونحو هذا.

روى الوالي قال: بأئمتهم في الخير والشر^(٨) وقال الضحاك وابن زيد يعني في كتابهم الذي أنزل عليهم^(٩) والمعنى على هذا أن يقال: يا أهل القرآن، يا أهل التوراة يا أهل الإنجيل.

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن محمويه نا عبد الله بن عمر بن علي الجوهري نا جعفر بن شعيب الشاشي نا محمد بن يوسف نا أبو قرة عن مالك بن أنس عن زياد بن سعيد عن أبي الزبير نا جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال (إذا كان يوم القيامة، وجمعت الأمم، فيقال: من هذه الأمة؟ ويتشرف إليها الناس فيقال: هذا محمد في أمته، فينادي المنادي ليكن الآخرون هم الأولين فتأتي فتخطى رقاب الناس حتى تكون أقرب الناس من الله منزلة ثم يدعى اليهود فيقال: ما أنتم؟ فيقولون: نحن اليهود فيقال: ما كتابكم؟ فيقولون: التوراة فيقال: من نبيكم فيقولون: نبينا موسى فيقال: ما تعبدون؟ قالوا: نعبد عزيراً، ونعبد الله فيقال: اسلكوا بهؤلاء في جهنم ويدعى النصراني فيقال: ما أنتم؟ فيقولون: نحن النصراني، فيقال لهم: ما كتابكم؟ فيقولون: الإنجيل، فيقال لهم: من نبيكم؟ فيقولون: نبينا عيسى ابن مريم، فيقال: ما تعبدون؟ قالوا: نعبد عيسى وأمه والله، فيقال: اسلكوا بهؤلاء في

(١) انظر الطبري ١٢٦/١٥، البغوي ١٢٥/٣، زاد المسير ٦٣/٥، القرطبي ١٩٠/١٠ البحر المحيط ٦١/٦.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٣/٣، وعزاه للحاكم في التاريخ والديلمي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٢٥/١٥، تفسير القرطبي ١٩١/١٠ بلا نسبة.

(٤) أخرجه الترمذي ٤٦٠٩/٥ كتاب الدعوات باب ما يقول إذا رأى مبتلى (٣٤٣٢) وقال غريب من هذا الوجه، وهو عند الترمذي من حديث ابن عمر ٤٩٥/٥ (٣٤٣١) وقال الترمذي: في إسناده عمرو بن دينار، شيخ بصري، وليس هو بالقوي في الحديث، وابن ماجه ١٢٨١/٢، كتاب الدعاء باب ما يدعوه الرجل (٣٨٩٢) عن ابن عمر، وابن أبي الدنيا في الشكر (٨٥).

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٢/٣.

(٦) انظر تفسير الطبري ١٢٧/١٥، تفسير البغوي ١٢٥/٣، القرطبي ١٩٢/١٠، عن مجاهد، البحر المحيط ٦٣/٦.

(٧) انظر زاد المسير ٦٥/٥، تفسير البغوي ١٢٦/٣، روح المعاني ١٢١/٢٥، تفسير القرطبي ١٩٢/١٠.

(٨) انظر زاد المسير ٦٥/٥، تفسير القرطبي ١٩٢/١٠ بلا نسبة.

(٩) انظر زاد المسير ٦٩/٥، البغوي ١٢٥/٣، روح المعاني ١٢١، تفسير القرطبي ١٩٢/١٠ عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك.

جهنم ثم يدعون بشراً كثيراً بما كانوا يعبدون من آلهتهم، منها الحجارة ومنها الشمس والقمر، فيقال: من كان يعبد إلهاً، فليتبعه، تقدمهم آلهتهم، ثم يبقى المسلمون، فيقف بهم ربهم عز وجل فيقول: ما أنتم؟ فيقولون: نحن المسلمون، فيقول: خير اسم، وخير داعية، فيقول من نبيكم؟ قالوا: نبينا محمد ﷺ، فيقول: ما كتابكم؟ فيقولون القرآن فيقول ما تعبدون؟ قالوا: نعبد الله وحده، فيقول: أتعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم فيتجلى الرب، عز وجل فيخرون له سجداً، فيقولون: أنت ربنا جل جلالك، ثم يمضي النور بأهله^(١): وقوله: ﴿وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ أي لا ينقصون من ثوابهم بمقدار فتيل، وهو القشرة التي في شق النواة، ويضرب مثلاً للشيء الحقيق، قوله ﴿ومن كان في هذه﴾ يعني في الدنيا، ﴿أعمى﴾ عما يرى من قدرة الله تعالى في خلق السماوات والأرض والبحار والجبال ﴿فهو في الآخرة﴾ أي في أمرها مما لم يعاينه ﴿أعمى﴾ أشد عمى، وكلاهما من عمى القلب لا من عمى العين قال قتادة: من عاين الشمس والقمر فلم يؤمن فهو أعمى عما يغيب عنه أن يؤمن به هذا الذي ذكرنا قول عامة المفسرين^(٢) وقال الحسن من كان في الدنيا ضالاً كافراً فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل^(٣) توبته اختار أبو إسحاق الزجاج هذا القول فقال: تأويله انه إذا عمى في الدنيا وقد عرفه الله الهدى وجعل له إلى التوبة وصلة فعمى عن رشده، ولم يتب فهو في الآخرة أعمى، أي أشد عمى وأضل سبيلاً، لأنه لا يجد طريقاً إلى الهداية^(٤) واختاره أبو علي الفارسي أيضاً فقال معنى قوله فهو في الآخرة أعمى: أي أشد عمى لأنه في الدنيا كان ممكناً من الخروج عن عماه بالاستدلال ولا سبيل له في الآخرة إلى الخروج من عماه، لأنه قد حصل على عمله وكذلك قوله ﴿وأضل سبيلاً﴾ لأن ضلاله في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه وقرأ أبو عمرو ﴿في هذه أعمى﴾ بكسر الميم ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ بفتح الميم^(٥)، أراد أن يفرق بين ما هو اسم، وبين ما هو أفعال منه، فغاير بينهما بالإمالة وتركيها، لأن معنى قوله: ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ أي أعمى منه في الدنيا ومعنى العمى في الآخرة، أنه لا يهتدي إلى طريق الثواب.

وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ حَلِيلًا ۗ ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّرْنَا لَكَ لَقَدْ تَرَكْتَ رِجْلَكَ فِي الْيَمِّ شَيْئًا قَلِيلاً ۗ ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ۗ ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِطْفَكَ إِلَّا قَلِيلاً ۗ ﴿٧٦﴾ سُنَّةً مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ۗ ﴿٧٧﴾

قوله ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ أي هموا وقاربوا أن يزيلوك ويصرفوك ﴿عن الذي أوحينا إليك﴾ يعني القرآن والمعنى عن حكمه نزلت الآية في وفد ثقيف، أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: متعنا باللات سنة، وحرم وادينا كما حرمت مكة، فإننا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم، فإن كرهت ما نقول وخشيت أن تقول العرب: أعطيتهم ما لم تعط غيرهم، فقل: الله أمرني بذلك، فأمسك رسول الله ﷺ عنهم، وداخلهم الطمع، وقد هم أن يعطيهم ذلك، فأنزل الله

(١) بنحوه عن البخاري ٤٣٢/١٣ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ (٧٤٤٠). ومسلم ١٦٧/١ كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية ٣٠٢ - ١٨٣.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٢٨/١٥، البغوي ١٢٦/٣، زاد المسير ٦٦/٥، القرطبي ١٩٣/١٠، البحر المحيط ٦٣/٦ بلا نسبة.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٣/٣.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر ٤٣/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٠٢، تفسير القرطبي ١٩٤/١٠، روح المعاني ١٢٣/١٥.

هذه الآية^(١) وكان في إعطائهم ما سألوا، مخالفة لحكم القرآن لذلك قال: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره﴾ لتختلق علينا غير ما أوحينا إليك، وهو قولهم قل الله أمرني بذلك، ﴿وإذا لا تأخذوك خليلاً﴾ لو فعلت ما أردوا ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ على الحق بعصمتنا إياك ﴿لقد كدت﴾ هممت وقاربت ﴿تتركن إليهم﴾ أي تمل شيئاً قليلاً، عبارة عن المصدر، أي ركوناً قال ابن عباس يريد حيث سكت عن جوابهم والله أعلم بنيت^(٢) ثم توعدته على ذلك [لو فعله]^(٣) ﴿وإذا لأذنتك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يريد عذاب الدنيا وعذاب الآخرة أي ضعف ما يعذب به غيره قال ابن عباس ورسول الله ﷺ معصوم، ولكن هذا تخويف لأمته، لثلاث يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين في شيء من أحكام الله وشرائعه^(٤)، قوله ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض﴾ قال قتادة هم أهل مكة بإخراج نبي الله ﷺ منها ولو فعلوا ذلك ما نوطروا، ولكن الله كفهم عن ذلك حتى أمره بالخروج^(٥) والمعنى: أنهم قاربوا أن يزججوك من أرض مكة ﴿ليخرجوك منها وإذا لا يلبثن خلافك﴾ وخلفك أي بعدك يعني بعد خروجك وخلافك بمعنى خلفك، كقوله تعالى ﴿بمقعدهم خلاف رسول الله﴾^(٦)، وقوله ﴿إلا قليلاً﴾ أي لو أخرجوك لاستأصلناهم بعد خروجك بمدة يسيرة كستنا في من قبلهم، وهو قوله ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ قال سفيان بن عيينة يقول: لم نرسل قبلك رسولاً فأخرجهم قومه إلا أهلكتهم^(٧) وقال الزجاج: ^(٨) ان سنتنا هذه السنة في من أرسلنا قبلك إليهم، أنهم إذا أخرجوا نبينهم من بين أظهرهم، أو قتلوه ان ينزل العذاب بهم^(٩) وقوله: ﴿ولا تجد لستنا تحويلاً﴾ أي ما أجرى الله به العادة لم يتبها لأحد أن يقبلها قال ابن عباس لا خلف لستني ولا لقضائي ولا لموعدي قوله:

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۗ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۖ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ۗ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۗ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۗ

﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ دلوك الشمس، زوالها وميلها في وقت الظهر وكذلك ميلها للغروب هو دلوكها أيضاً قال المبرد: دلوك الشمس من لدن زوالها إلى غروبها عند العرب^(٩) والمفسرون مختلفون فيه، فقوم يقولون: دلوكها زوالها وهو قول الحسن والشعبي وعطاء ومجاهد وقتادة^(١٠) وقال قوم: دلوكها: غروبها وهو قول ابن مسعود وعلي والسدي وابن عباس في رواية سعيد بن جبير^(١١) قال الأزهري: معنى الدلوك

(١) انظر أسباب النزول للواحدي ٢٩٧، الطبري ١٣٠/١٥، البغوي ١٢٦/٣ تفسير القرطبي ١٩٤/١٠.

(٢) انظر زاد المسير ٦٨/٥، الرازي ١٨/٢١. (٣) سقط في ب. (٤) انظر البحر المحيط ٦٥/٦، تفسير القرطبي ١٠/١٠.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٣٢/١٥، تفسير البغوي ١٢٧/٣ عن مجاهد وقتادة وعنهما القرطبي في تفسيره ١٩٥/١٠، تفسير الرازي

٩٢/٢١، وذكره السيوطي ١٩٥/٤ وزاد نسبه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) سورة التوبة. (٨١). (٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٥٥.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٣٤/١٥. (١٠) انظر لسان العرب ١٤١٢/٢، الصحاح ٤/١٥٨٤، ترتيب القاموس ٢/٢٠٥.

(١١) انظر معالم التنزيل ١٢٨/٣، تفسير القرطبي ١٩٦/١٠، البحر المحيط ٧٠/٦، الرازي ٢١/٢١، الدر المنثور ٤/١٩٥.

(١١) انظر البغوي ١٢٨/٣، ابن كثير ٩٨/٥، القرطبي ١٩٦/١٠، البحر المحيط ٧٠/٦، تفسير الرازي ٢١/٢١، وذكره السيوطي في

الدر المنثور ٤/١٩٥ عن ابن مسعود وعلي.

في كلام العرب الزوال، ولذلك قيل للشمس إذا زالت نصف النهار دالكة، وقيل لها إذا أفلت دالكة لأنها في الحالتين زائلة، قال: والقول عندي: أن زوالها نصف النهار لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس^(١) والمعنى: أقم الصلاة من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل، فتدخل فيها الأولى، والعصر، وصلاتا غسق الليل، وهما العشاءان ثم قال ﴿وقرآن الفجر﴾ فهذه خمس صلوات، ومعنى غسق الليل: سواده وظلمته^(٢) قال ابن جريج: قلت لعطاء ما غسق الليل؟ قال: أوله حين يدخل^(٣) وقال ابن مسعود غسق الليل إظلامه^(٤) قال الفراء والزجاج يقال: غسق الليل أغسق إذا أقبل ظلامه^(٥) وقوله: ﴿وقرآن الفجر﴾ قال ابن عباس^(٦) والمفسرون^(٧): يريد صلاة الصبح قال الزجاج أي وأقم قرآن الفجر، قال - وفي هذا فائدة عظيمة تدل على أن الصلاة لا تكون بقراءة حيث سميت الصلاة قرآناً^(٨)، وقوله: ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ كلهم قالوا: صلاة الفجر تشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار.

أخبرنا: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفارسي نا أبو الفضل محمد بن عبد الله ابن خميروه نا أبو الحسن علي بن محمد الخزاعي نا أبو اليمان. أخبرني شعيب عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: (تفضل صلاة الجماعة صلاة أحكم وحدة بخمس وعشرين جزءاً، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر) ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ رواه البخاري^(٩) عن أبي اليمان قوله: ﴿ومن الليل فتهجد به﴾ قال ابن عباس فصل بالقرآن^(١٠) وقال مجاهد وعلقمة والأسود^(١١): التهجد بعد النوم^(١٢) قال الليث: تهجد إذا استيقظ للصلاة^(١٣) وقال الأزهري المتهجد القائم إلى الصلاة من النوم وقيل له متهجد لإلقائه الهجود عن نفسه، كما يقال: تخرج وتأتّم وتحوب^(١٤)

(١) انظر تهذيب اللغة ١١٧/١٠.

(٢) انظر لسان العرب ٣٢٥٥/٥، الصحاح ١٥٣٧/٤، ترتيب القاموس ٣٩٣/٣.

(٣) انظر الطبري ١٣٨/١٥، البغوي ١٢٨/٣ بنحوه عن ابن عباس والرازي ٢١/٢١ عن النضر بن شميل.

(٤) تفسير البغوي ١٢٨/٣ بلا نسبة، البحر المحيط ٧٠/٦ بلا نسبة، الدر المنثور ١٩٥/٤.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ١٢٩/٢، معاني القرآن للزجاج ٢٥٥/٣، تفسير القرطبي ١٩٧/١٠ عن الفراء.

(٦) تفسير القرطبي ١٩٨/١٠ عن الفراء، تفسير البغوي ١٢٨/٣ بلا نسبة، وذكره السيوطي في الدر عن ابن عباس ١٩٦/٤، ونسبه لابن جريج.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٣٩/١٥، تفسير البغوي ١٢٨/٣، تفسير البحر المحيط ٧٠/٦، تفسير القرطبي ١٩٨/١٠، تفسير الرازي

٢٣/٢١، الدر المنثور ١٩٦/٤.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٥/٣.

(٩) أخرجه البخاري ١٣١/٢ كتاب الأذان باب فضل الجماعة (٦٤٧) ومسلم ٤٥٩/١ كتاب المساجد، باب فضلا صلاة الجماعة ٢٧٢

- ٦٤٩.

(١٠) تفسير الطبري ١٤٢/١٥، تفسير الرازي ٢٥/٢١ بلا نسبة.

(١١) الأسود بن يزيد بن قيس الإمام أبو عمرو النخعي الفقيه الزاهد العابد عالم الكوفة وابن أخي عالمها علقمة وخال إبراهيم النخعي

الفقيه وأخو عبد الرحمن بن يزيد. أخذ عن معاذ وابن مسعود وحذيفة وبلال والكبار. وكانوا يقولون إنه من أقل أهل بيته اجتهاداً،

وكانوا يسمون الأسود من أهل الجنة، مات في سنة خمس وسبعين أو قريباً منها رحمة الله عليه. انظر تذكرة الحفاظ (١/٥٠ - ٥١).

(١٢) تفسير الطبري ١٤٢/١٥، البغوي ١٢٨/٣ بلا نسبة، القرطبي ١٩٩/١٠، البحر المحيط ٧١/٦، وذكره السيوطي في الدر

المنثور ١٩٦/٤ عن علقمة والأسود، وزاد نسبه لابن المنذر، ومحمد بن نصر.

(١٣) انظر تهذيب اللغة ٣٦٠/٦.

(١٤) تهذيب اللغة ٣٥٥/١٥، الرازي ٢٥/٢١ عنه.

وقوله ﴿نافلة لك﴾ معنى النافلة في اللغة ما كان زيادة على الأصل، وصلاة الليل كانت زيادة للنبي ﷺ خاصة لرفع الدرجات لا للكفارات، لأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وليست لنا بنافلة وهذا قول جميع المفسرين^(١) قوله ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال ابن عباس عسى من الله واجبة، يريد أعطاك الله يوم القيامة مقاماً محموداً يحمذك فيه الأولون والآخرون، تشرف على جميع الخلائق، وتسال فتعطى، وتشفع فتشفع، وليس أحد إلا تحت لوائك^(٢) وإجماع المفسرين على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة، ومعنى يبعثك ربك مقاماً: يقيمك في ذلك المقام^(٣).

أخبرنا: أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي أنا أبو عمرو بن مطر نا عبدان الجواليقي نا أبو بكر بن أبي شيبة نا وكيع عن إدريس الأودي عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾: الشفاعة^(٤) أخبرنا: أبو الفتح محمد بن علي الكوفي أنا أبو علي الحسن بن أحمد بن سليمان نا الفضل بن الخصيب نا محمد بن هارون الرازي^(٥) نا أبو أسامة نا داود الأودي عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال (هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي) قوله ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق﴾ روى قابوس بن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة، فنزلت عليه هذه الآية^(٦)، والمعنى: ادخلني المدينة، وأخرجني من مكة، والمدخل والمخرج بمعنى المصدر، وإضافتهما إلى الصدق مدح لهما، وكل شيء أضفته إلى الصدق فهو مدح، نحو قوله: ﴿قدم صدق﴾^(٧) ﴿مقعد صدق﴾^(٨) ﴿واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ حجة بينة تنصرنى بها على جميع من خالفني، قوله: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ قال السدي الحق: الإسلام، والباطل الشرك^(٩)، وقال قتادة الحق القرآن، والباطل الشيطان^(١٠) ومعنى زهق: بطل واضمحل وكل شيء هلك وبطل فقد زهق.

أخبرنا محمد بن أبي بكر المطوعي أنا محمد بن أحمد بن علي الحيري أنا أحمد بن علي بن المشي نا أبو خيثمة نا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال (دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ثلثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنهما، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً رواه البخاري^(١١))

(١) انظر البغوي ١٢٩/٣، القرطبي ٢٠٠/١٠، البحر المحيط ٧١/٦-٧٢.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٤٣/١٥، تفسير الرازي ٢٦/٢١ عن الواحدي زاد المسير ٧٦/٥، البغوي ١٣٠/٣ بلا نسبة.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٤٣/١٥، واختاره القرطبي ٢٠٠/١٠، زاد المسير ٧٦/٥، معالم التنزيل ١٣٠/٣، تفسير الرازي ٢٦/٢١.

(٤) في إسناده إدريس بن يزيد الأودي قال أبو حاتم مجهول، وقال ابن عدي: إنما هو إدريس بن يزيد الأودي. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يغرب، ويخطيء على قلته، وقول ابن عدي أصوب. انظر التهذيب ١٩٥/١ انظر لسان الميزان (١٧٣/٧)

الكاشف (١٠٠/١) والحديث أخرجه الترمذي ٢٨٣/٥ كتاب التفسير سورة الإسراء (٣١٣٧/١٨).

(٥) محمد بن هارون الرازي ثقة. انظر تاريخ أصبهان (١٩٠/٢).

(٦) أخرجه الترمذي ٢٨٤/٥، كتاب التفسير سورة الإسراء باب ١٨ (٣١٣٩)، وقال حسن صحيح.

(٧) سورة يونس آية (٢).

(٨) سورة القمر آية (٥٥).

(٩) انظر تفسير الطبري ١٥٢/١٥، تفسير البغوي ١٣٢/٣، تفسير القرطبي ٢٠٤/١٠ بلا نسبة.

(١٠) انظر تفسير الطبري ١٥٢/١٥، تفسير البغوي ١٣٢/٣ بلا نسبة، تفسير القرطبي ٢٠٤/١٠ عن مجاهد، البحر المحيط ٧٤/٦.

(١١) أخرجه البخاري ٢٥٢/٨ كتاب التفسير باب (وقل جاء الحق) (٤٧٢٠).

عن علي بن المديني ومسلم^(١) عن أبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن سفیان وقوله ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ قال ابن عباس يريد كل ما كان عن الشيطان كان خارجاً عن الحق، وقوله: ﴿وَنُنزَلُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ من هذا الجنس الذي هو القرآن ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ فجميع القرآن شفاء للمؤمنين، قال قتادة إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه^(٢) وعلى هذا: معنى كونه شفاء أنه بيانه يزيل عمى الجهل وحيرة الشك، فهو شفاء من داء الجهل وقال ابن عباس يريد شفاء من كل داء، وعلى هذا معناه أنه يتبرك به، فيدفع الله به كثيراً من المكاره والمضار^(٣)، ويؤكد هذا ماروي عن النبي ﷺ قال: من لم يستشف بالقرآن، فلا شفاء الله^(٤) وقوله ﴿وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس: يريد ثواباً لا انقطاع له يعني في تلاوته يرحمهم الله بها، ويشبههم عليها ﴿وَلَا يَزِيدُ﴾ القرآن ﴿الظالمين﴾ المشركين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لأنهم يكفرون به، ولا ينتفعون بمواعظه، فالقرآن سبب لهداية المؤمنين وزيادة لخسارة الكافرين.

أخبرنا: أبو القاسم بن عبدان نا محمد بن عبد الله الضبي أخبرني الحسن بن محمد بن حكيم المروزي نا أبو الموجه أنا عبدان نا عبد الله بن المبارك أنا جعفر بن سليمان عن الجريري عن أبي نضرة العبدي عن أسير بن جابر^(٥) عن أويس القرني قال: لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، قضاء من الله الذي قضى ﴿شِفَاءٌ وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظالمين إِلَّا خَسَارًا﴾^(٦) قوله:

(١) ١٤٠٨/٣ كتاب الجهاد باب إزالة الأصنام ٨٧ - ١٧٨١، والترمذي ٢٨٣/٥ كتاب التفسير سورة الإسراء باب ١٨ (٣١٣٨)، وقال حسن صحيح وأحمد في المسند ٣٧٧/١.

(٢) انظر زاد المسير ٧٩/٥.

(٣) اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين: أحدهما: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها، وإزالة الريب وكشف غطاء القلب من مرض الجهل، لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى. والثاني: شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى، والتعاويد ونحوها. واختلف العلماء في النشرة وهي أن يكتب شيئاً من أسماء الله أو من القرآن، ثم يغسله بالماء، ثم يمسح به المريض، أو يسقيه فأجازها سعيد بن المسيب. قيل له: الرجل يؤخذ عن امرأته أيحل عنه وينشر؟ قال: لا بأس به، وما ينفع لم ينع عنه، ولم ير مجاهد أن تكتب آيات من القرآن، ثم تغسل، ثم يسقيه صاحب الفزع. وكانت عائشة تقرأ بالمعوذتين في إثناء ثم تأمر أن يصب على المريض. وقال المازري أبو عبد الله: النشرة أمر معروف عند أهل التعزيم، وسميت بذلك لأنها تشر عن صاحبها أي: تحل. ومنعها الحسن وإبراهيم النخعي، قال النخعي: أخاف أن يصيبه بلاء، وكأنه ذهب إلى أنه ما يجيء به القرآن فهو إلى أن يعقب بلاء أقرب منه إلى أن يفيد شفاء. وقال الحسن: سألت أنساً فقال: ذكروا عن النبي ﷺ أنها من الشيطان. وقد روى أبو داود من حديث جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله ﷺ عن النشرة فقال: «من عمل الشيطان». قال ابن عبد البر وهذه آثار لينة، ولها وجوه محتملة، وقد قيل: إن هذا محمول على ما إذا كانت خارجة عما في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وعن المداواة المعروفة. والنشرة من جنس الطب فهي غسالة شيء له فضل فهي كوضوء رسول الله ﷺ. وقال ﷺ (لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، ومن استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفع). انظر القرطبي (٢٠٥/١٠) (٢٠٦) البحر المحيط (٧٤/٦).

(٤) قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف: أخرجه الثعلبي من طريق أحمد بن الحرث الغساني: حدثنا ساكنة بنت الجعد قالت: سمعت رجاء الغنوي يقول قال رسول الله ﷺ فذكره. انظر الكشاف ٦٨٩/٢، تفسير القرطبي ٣١٥/٨، كنز العمال (٢٨١٠٦)، وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة ٢٩٦ وهو حديث مرسل فإن أوس لم يدرك النبي ﷺ. وأويس هذا هو ابن عامر القرني بفتح القاف والمهملة ثم نون مخضرم أرسل وروى له مسلم أشياء من كلامه. شهد صفين مع علي وقتل يومئذ وهو سيد التابعين كما رواه مسلم في صحيحه وله مناقب مشهورة. انظر الخلاصة (١٠٧/١).

(٥) أسير بن جابر أبو الخباز العبدي، ذكره ابن حبان في الثقات وقال الحافظ ابن حجر أسير بن جابر في القلب من روايته قصة أوس إلا أنه حكى ما حكى عن إنسان مجهول فالقلب إلى أنه ثقة أميل ورجح البخاري إلى أنه أسير بن عمرو، وأشار إلى تثبيت قول من قال فيه ابن جابر، وقال ابن سعد: كان ثقة، وله أحاديث، وذكره العجلي في الثقات من أصحاب عبد الله بن مسعود، وقال ابن حزم أسير بن جابر ليس بالقوي. انظر التهذيب (٣٧٩/١١).

(٦) أخرجه الحاكم ٣٦٥/٢ كتاب التفسير سورة الإسراء وقال صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه بهذه السياقة، وأسير بن جابر من =

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ
أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾ قال ابن عباس يريد الوليد بن المغيرة، أعرض عن الدعاء والابتغال الذي كان يفعله في حال البلوي والمحنة^(١) ونأى بجانبه وتعظم وتكبر وبعد نفسه عن القائم بحقوق النعم، ونأى معناه بعد، ونأى بالشيء معناه أبعده وقرأ ابن عامر وناء^(٢)، مثل ناع، وهذا على القلب مثل رأى وراء وقرأ حمزة نأى بإمالة الفتحين^(٣)، أمال فتحة الهمزة لأن الألف منقلبة عن الياء التي في النأي، أزد أن ينحو نحوها وأمال فتحة النون لإمالة فتحة الهمزة وقوله: ﴿وإذا مسه الشر كان يئوساً﴾ قال ابن عباس: إذا أصابه مرض أو فقر يئس من رحمة الله^(٤)، وهذا من صفة الجاهل بالله، وذم له بأنه لا يثق بتفضل الله على عباده قوله: ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ قال الليث: الشاكلة من الأمور ما يوافق فاعله^(٥) والمعنى: أن كل أحد يعمل على طريقته التي تشاكل أخلاقه فالكافر يعمل ما يشبه طريقته من الإعراض عند الإنعام، واليأس عند الشدة والمؤمن يفعل ما يشبه طريقته من الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء يدل على هذا قوله: ﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ أي بالمؤمن الذي لا يعرض عند النعمة، ولا يئس عند المحنة، قوله:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن سَأَلْنَا لَنَدْهَبَنَّ
بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ

كَبِيرًا ﴿٨٧﴾

﴿ويسألونك عن الروح﴾ الآية.

أخبرنا: أبو بكر التميمي أنا أبو الشيخ الحافظ نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان العسكري نا علي بن مسهر عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: إني لعم رسول الله ﷺ في حرث بالمدينة وهو متكىء على عسيب فمر ناس من اليهود فقالوا: سلوه عن الروح فقال بعضهم: لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون فأتاه نفر منهم، فقالوا: يا أبا القاسم ما تقول في الروح؟ فسكت، ثم قام، فأمسك بيده على جبهته فعرفت أنه ينزل عليه فأنزل عليه ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ رواه البخاري^(٦) عن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن

= المخضرمين ولد في حياة الرسول ﷺ وهو من كبار أصحاب عمر رضي الله عنه والحديث عند البخاري ومسلم بخلاف هذا السياق.

(١) انظر تفسير القرطبي ٢٠٨/١٠، تفسير الرازي ٢٩/٢١ وقال: هذا بعيد.

(٢) انظر النشر في القراءات ٣٠٨/٢ إتحاف فضلاء البشر ٢٠٣/٢ الرازي ٣٠/٢١، القرطبي ٢٠٨/١٠.

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ٤٤/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٠٣/٢.

(٤) القرطبي ٢٠٨/١٠ بلا نسبة.

(٥) انظر تهذيب اللغة ٢٤/١٠.

(٦) أخرجه البخاري ٢٧٠/١ كتاب العلم باب (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً). ١٢٥ (٤٧٢١ - ٧٢٩٧ - ٧٤٥٦ - ٧٤٦٢)، ومسلم

٢١٥٢/٤ كتاب صفات المنافقين باب سؤال اليهود (٣٢ - ٢٧٩٤)، والترمذي عن ابن عباس ٢٨٤/٥، كتاب التفسير سورة

الإسراء باب ١٨ (١٣٤٠).

الأعمش وقال ابن عباس في رواية عطاء: قالت اليهود لقريش: سلوا محمداً عن ثلاث، فإن أخيركم باثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي، سلوه عن فنية فقدوا، وسلوه عن ذي القرنين، وسلوه عن الروح، فسألوه عنها ففسر لهم أمر الفتية في سورة الكهف وفسر لهم قصة ذي القرنين، وأمسك عن قصة الروح، وذلك أنه ليس في التوراة قصته ولا تفسيره إلا ذكر اسم الروح، وأنزل قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾^(١) واختلف العلماء في ماهية الروح فقال قوم: إن الروح هو الدم، ألا ترى أن من نزف دمه مات؟ والميت لا يفقد من جسمه إلا الدم وزعمت طائفة: أن الروح هو استنشاق الهواء ألا ترى أن المخنوق ومن منع من نسيم الهواء يموت وقال عامة المعتزلة والنجارية^(٢): الروح عرض إلا ابن الراوندي^(٣)، فإنه قال: الروح جسم لطيف أسكن البدن وقال بعض الحكماء: إن الله تعالى خلق الأرواح من ستة أشياء من جوهر النور والطيب والبقاء والحياة والعلم والعلو، ألا ترى أنه ما دام في الجسم كان الجسد نورانياً، تبصر العينان، وتسمع الأذنان، ويكون طيباً فإذا خرج، أنتن الجسد ويكون باقياً، فإذا زايله الروح صار فانياً، ويكون حياً، وبخروجه يصير ميتاً، ويكون عالماً فإذا خرج منه الروح لم يعلم شيئاً ويكون الجسد علوياً لطيفاً ما دام فيه الروح، فإذا خرج صار سفلياً كثيفاً والاختيار من هذه الأقوال أنه جسم لطيف توجد به الحياة، يدل على هذا قوله تعالى في صفة الشهداء: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ﴾^(٤) والارتزاق والفرح من صفات الأجسام، والمراد بهذا أرواحهم، لأن أجسامهم بليت في التراب، وكذلك ما روي: (أن أرواح الشهداء تعلق من شجر الجنة، وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش)^(٥) وهذا الفعل لا يتأتى من العرض.

أخبرنا: أبو الحسن محمد بن أحمد بن الفضل أنا عبد المؤمن بن خلف^(٦) أنا أبي بن خلف بن طفيل أخبرني أبي طفيل بن زيد نا أبو عمير نا أبو عبد الله أحمد بن محمد الجعاب نا نعيم بن عمرو نا سليمان بن رافع البصري عن أبي أمية عن ابن عباس قال إن الروح إذا خرج من الإنسان، مات الجسد وصار الروح صورة أخرى، فلا يطبق الكلام لأن الجسد جرم، والروح يصوت من جوفه ويتكلم، فإذا فارق الروح الجسد صار الجسد صفراً^(٧)، وصار الروح صورة أخرى، ينظر إلى الناس، ويكونه، ويغسلونه ويدفنونه. ولا يستطيع أن يتكلم كما أن الريح إذا دخل في مكان ضيق. سمعت له دويماً فإذا خرج منه لم تسمع له صوتاً، وكذلك المزامير فأرواح المؤمنين ينظرون إلى الجنة ويجدون

(١) انظر تفسير الطبري ١٥/١٩١، تفسير القرطبي ١٠/٢١٠، معالم التنزيل ٣/١٣٤، الرازي ٢١/٣١، البحر المحيط ٦/٧٥.

(٢) النجارية أصحاب الحسين بن محمد النجار أكثر معتزلة الري على مذهبه انظر الملل والنحل (١/٨٨).

(٣) أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين الراوندي أو ابن الراوندي: فيلسوف مجاهر بالإلحاد. من سكان بغداد. نسبته إلى راوند من قرى أصبهان. قال ابن خلكان: له مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام، وقد انفرد بمذاهب نقلوها عنه في كتبهم وقال ابن كثير: أحد مشاهير الزنادقة، انظر الأعلام ١/٢٦٧.

(٤) سورة آل عمران (١٦٩).

(٥) أخرجه مسلم ٣/١٥٠٢ كتاب الإمارة باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة (١٢١ - ١٨٨٧) وأبو داود ٣/١٥ كتاب الجهاد في باب فضل الشهادة ٥٢٠، والترمذي ٥/٢١٥ كتاب التفسير سورة آل عمران باب ٤ (٣٠١١)، وقال حسن صحيح، وابن ماجه ٢/٣٩٦ كتاب الجهاد باب فضل الشهادة (٢٨٠١).

(٦) عبد المؤمن بن خلف بن طفيل بن زيد بن طفيل الإمام الحافظ القدوة أبو يعلى التميمي النسفي ولد سنة تسع وخمسين ومئتين. وكان من الفقهاء القائلين بالظاهر، ناسكاً كثير العلم، توفي رحمه الله في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاث مئة بنسف. انظر السير (١٥/٤٨٠).

(٧) الصفر: الشيء الخالي، انظر لسان العرب ٤/٢٤٥٩، تاج العروس ٣/٣٣٥ ترتيب القاموس ٢/٨٢٨.

ريحها وأرواح الكفار يعذبون في قبورهم، حتى إذا نفخ في الصور النفخة الأولى، رفع العذاب وكانت الأرواح عند ذلك أرواح المؤمنين، وأرواح الكافرين، ورفع العذاب عن الكفار فيما بين النفختين^(١)، فذلك قوله تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ فأشياء تفتنى ويبقى وجه الله الكريم، هذا الذي ذكرنا كله عند التحقيق ضرب من التكلف لأن الله تعالى أهب علم ذلك قال عبد الله بن بريدة: ما يبلغ الجن والإنس والملائكة والشياطين علم الروح، ولقد مات رسول الله ﷺ وما يدري الروح^(٢) وقال الفراء الروح الذي يعيش به الإنسان لم يخبر الله به أحدًا من خلقه، ولم يعط علمه أحدًا من عباده^(٣) فقال: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ أي من علم ربي، أي أنكم لا تعلمونه، وقوله: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾^(٤) أي بالإضافة إلى علم الله تعالى وذلك أن اليهود تذكر كل شيء بما في كتبهم فقال الله ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ وقال الزجاج ويجوز أن يكون الخطاب للنبي ﷺ والمؤمنين وذلك حين لم يعرف رسول الله ﷺ، ولم يبين الله له ذلك قال له ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ يدل على هذا قوله: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ أي إنني أقدر أن آخذ ما أعطيتك كأنه يقول: لم تؤت إلا قليلاً من العلم، ولو شئت أن آخذ ذلك قدرت قال الزجاج لو شئنا لمحوناه من القلوب ومن الكتب حتى لا يوجد له أثر^(٥).

أخبرنا: إسماعيل بن إبراهيم الواعظ أنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن حامد العطار أنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار نا أبو محمد عبد الرحمن بن صالح الأزدي^(٦) نا شريك عن عبد العزيز بن رفيع عن شداد بن معقل عن عبد الله قال: أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما يبقى منه الصلاة، وليصلين أقوام لا خلاق لهم، وسيرفع القرآن من بين أظهركم ثم قرأ عبد الله: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾^(٧).

وقوله: ﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً﴾ أي لا تجد من تتكل عليه في رد شيء منه ﴿إلا رحمة من ربك﴾ لكن الله رحمك، فثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين ﴿إن فضله كان عليك كبيراً﴾ قال ابن عباس يريد حيث جعلتك سيد ولد آدم، وختمت بك النبيين، وأعطيتك المقام المحمود^(٨)، ثم احتج على المشركين بإعجاز القرآن فقال:

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۗ ۞ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۗ وَقَالُوا لَوْلَا نُؤْمِنُ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۙ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ تَحْتِهَا عَيْنٌ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ

(١) في إسناده نعيم بن عمرو قال أبو حاتم الرازي: مجهول انظر الجرح والتعديل (٤٦٣/٨).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٠٠/٤) مختصراً ونسبه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١٣٠/٢، فتح القدير ٢٥٤/٤ عن الفراء.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٨/٣.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٨/٣.

(٦) عبد الرحمن بن صالح الأزدي. أبو محمد الكوفي. عن شريك وجماعة. وعنه عباس الدوري والبيهقي. قال عباس: حدثنا وكان شيعياً. وقال ابن معين: ثقة. وقال صالح جزرة: كان يقرض عثمان. وقال البيهقي: سمعته يقول: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر. وقال أبو داود: ألف كتاباً في مثالب الصحابة وقال ابن عدي: احترق بالتشيع. وقال أبو أحمد الحاكم: خولف في بعض حديثه. انظر ميزان الاعتدال (٥٦٩/٢).

(٧) أخرجه الحاكم ٥٠٤/٤ كتاب الفتن باب ذكر رفع القرآن عن قلوب المسلمين وصحح إسناده وأقره الذهبي.

(٨) انظر القرطبي ٢١٠/١٠ - ٢١١، بلا نسبة، تفسير الرازي ٤٥/٢١ بلا نسبة فتح القدير ٢٥٧/٣ بلا نسبة.

خَلَدَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تَسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا أَوْ تَنزِيلًا بِأَلْفِ نَفْسٍ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ نُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن﴾ الآية قال المفسرون هذا تكذيب للنضر بن الحارث «حيث قال»: (لو شئنا لقلنا مثل هذا)^(١) وقال مقاتل وان نبي الله ﷺ تحداهم أولاً فقال: ﴿فأتوا بعشر سور مثله﴾^(٢) فعجزوا عن ذلك فتحداهم فقال ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾^(٣) فعجزوا فأيسهم الله عن معارضته بمثل ما أتى به في هذه الآية، والمثل الذي طلب منهم كلام له نظم كنظم القرآن في أعلى طبقات البلاغة وقوله: ﴿ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ الظهير المعين المظاهر لك^(٤).

قال ابن عباس يريد معينا مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه^(٥)، قوله ﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن﴾ تقدم تفسيره في هذه السورة، وقوله: ﴿من كل مثل﴾ أي من الأمثال التي يجب بها الاعتبار ﴿فأبى أكثر الناس﴾ يعني أكثر أهل مكة ﴿إلا كفوراً﴾ جحوداً للحق، وإنكاراً، وذلك أنهم أنكروا القرآن بعد قيام الحجة عليهم، واقترحوا من الآيات ما ليس لهم، وهو قوله: ﴿وقالوا﴾ يعني رؤساء مكة ﴿لنؤمن لك﴾ لن نصدقك ﴿حتى تفجر لنا﴾ وقرى ﴿تفجر﴾ بالتخفيف^(٦) يقال: فجرت الماء فجراً، وفجرتة تفجيراً، والينبوع عين ينبع منها الماء وذلك أنهم سألوا أن يجري لهم نهراً كأنهار الشام والعراق ﴿أو تكون لك جنة من نخيل وعنب﴾ هذا أيضاً كان فيما اقترحوا عليه ﴿فتفجر الأنهار﴾ تفتحها وتجريها ﴿خلالها﴾ وسط تلك الجنة ﴿أو تسقط السماء﴾ قالوا له: أسقط السماء علينا قال ابن عباس يعنون العذاب^(٧) ﴿كما زعمت﴾ أن ربك إن شاء فعل وقوله ﴿كسفاً﴾ جمع كسفة، وهي القطعة، والكسف القطع ويجوز أن يكون الكسف الشيء المقطوع، كقوله ﴿وإن يروا كسفاً من السماء﴾^(٨) ومن فتح السين فهو جمع كسفة أيضاً مثل قطعة وقطع قال ابن عباس كسفاً قطعاً^(٩) ومن سكن السين فمعناه: أسقط السماء علينا قطعة واحدة^(١٠)، وقوله: ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾ قال قتادة والضحاك عياناً^(١١) والمعنى: تأتي بهم، حتى نراهم

(١) سورة الأنفال ٣١.

(٢) سورة هود ١٣.

(٣) سورة البقرة ٢٣.

(٤) انظر لسان العرب ٤/٢٧٦٦، ترتيب القاموس المحيط ٣/١٣٢٢.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٥/١٥٩، تفسير القرطبي ١٠/٢١١ بلا نسبة.

(٦) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٨، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٠٤، تفسير القرطبي ١٠/٢١٤.

(٧) انظر تنوير المقياس ٣/١٥٦.

(٨) سورة الطور ٤٤.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٥/١٥٩، معالم التنزيل ٣/١٣٧ بلا نسبة انظر زاد المسير ٥/١٥٩، الرازي ٢١/٤٨ بلا نسبة.

(١٠) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٩، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٠٥، معالم التنزيل ٣/١٣٧، تفسير القرطبي ١٠/٢١٤ تفسير

الرازي ٢١/٤٨. قرأ ابن عامر كسفاً بفتح السين ها هنا، وفي سائر القرآن بسكونها، وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم ها هنا، وفي

الروم بفتح السين، وفي باقي القرآن بسكونها وقرأ حفص في سائر القرآن بالفتح إلا في الروم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحزمة

والكسائي في الروم بفتح السين، وفي سائر القرآن بسكون السين. انظر تفسير الرازي ٢١/٤٨.

(١١) انظر تفسير الطبري ١٥/١٦٢، تفسير البغوي ٣/١٣٧ عن قتادة، تفسير القرطبي ١٠/٢١٤، عن قتادة، وابن جريج، تفسير

الرازي ٢١/٤٩.

مقابلة واختاره أبو علي الفارسي فقال: إذا حملته على المعايضة كان القبيل مصدرأ كالنذير والنكير ويدل على صحة هذا المعنى قوله ﴿لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا﴾ (١) وقال عطاء ومجاهد: فوجاً فوجاً (٢) وكل جنس من الناس قبيل، ذكرنا ذلك في قوله: ﴿إنه يراكم هو وقبيله﴾ (٣) وقوله ﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقاتدة والسدي من ذهب (٤) قال الزجاج: أصل الزخرف في اللغة الزينة ولا شيء في تحسين البيت وتزيينه كالذهب وكان فيها اقترحوا عليه أن يكون له قصور من ذهب (٥) وقوله: ﴿أو ترقى في السماء﴾ يقال: رقيت أرقى رقياً ورقياً قال عبد الله بن أبي أمية: لا أومن بك يا محمد حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه، وأنا أنظر، حتى تأتيها، وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول (٦)، وهو قوله: ﴿ولن نؤمن لريك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾ قال ابن عباس كتاباً من عند رب العالمين إلى فلان وفلان، يصبح عند كل رجل منا يقرؤه (٧) (قال النبي ﷺ ﴿سبحان ربي﴾ وقرء ﴿قل سبحان ربي﴾ على الأمر له بأن يقول سبحان ربي (٨) قال ابن عباس عظم وكرم ﴿هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ أي أن هذه الأشياء ليست في قوى البشر أن يأتوا بها، فلا وجه لطلبكم مني، مع أنني بشر، قوله:

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ
مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًَا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ
لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ
زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهمُ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَايِنِنَا وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفَثًا آءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا
جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادرٌ على أن يخلق مثلهم و جعل لهم أجلاً
لأرب فيه فآبى الظالمون إلا كفوراً﴾ ﴿٩٩﴾

﴿وما منع الناس﴾ قال ابن عباس يريد أهل مكة (١٠) ﴿أن يؤمنوا﴾ أي الإيمان والتصديق ﴿إذ جاءهم الهدى﴾

(١) سورة الفرقان آية ٢١.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٦٢/١٥، تفسير البغوي ١٣٧/٣ عن مجاهد بنحوه، تفسير القرطبي ٢١٤/١٠ عن مجاهد بنحوه، تفسير القرطبي ٢١٤/١٠ عن ابن عباس.

(٣) سورة الأعراف آية ٢٧.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٦٣/١٥، تفسير القرطبي ٢١٤/١٠ عن ابن عباس وغيره، البغوي ١٣٧/٣ بلا نسبة، تفسير الرازي ٤٩/٢١ عن مجاهد ذكره السيوطي في الدر عن قتادة ٣٠٣/٤، وعزاه لعبد بن حميد.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٦٠/٣، تفسير الرازي ٤٩/٢١ عن الزجاج.

(٦) انظر تفسير الرازي ٤٩/٢١، الدر المنثور ٢٠٣/٤.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٦٣/١٥، تفسير القرطبي ٢١٤/١٠ بنحوه بلا نسبة.

(٨) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٩/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٠٥/٢، تفسير القرطبي ٢١٤/١٠.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٦٤/١٥.

(١٠) انظر تفسير الطبري ١٦٤/١٥.

البيان والرشاد من الله على لسان محمد ﷺ، وهو القرآن ﴿إلا أن قالوا﴾ أي إلا قولهم في التعجب والإنكار ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾ وهو أنهم قالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، وفي إنكارهم كون البشر رسولاً اقتضاء أن يبعث إليهم ملك، قال الله تعالى ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين﴾ قال الحسن قانطين^(١)، وقال الكلبي مقيمين^(٢) وقال الزجاج مستوطنين في الأرض^(٣) ومعنى الطمأنينة السكون، والمراد ههنا المقام والاستيطان لأنه يقال: سكن فلان بلد كذا، [إذا استوطن]^(٤) وإن كان ماشياً متقلباً في حاجاته، وليس يراد السكون الذي هو ضد الحركة وقوله: ﴿لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾ أعلمهم الله تعالى أن الأعدل والأبلغ في الأداء إليهم بشر مثلهم، ولو كان في الأرض بدل الأدميين ملائكة لنزلنا عليهم ملكاً رسولاً، وما بعد هذا مفسر في آخر سورة الرعد.

قوله: ﴿ومن يهد الله﴾ قال ابن عباس من يرد الله هدهاء ﴿فهو المهتد ومن يضل﴾ قال: ومن يخذله ﴿فلن تجد لهم أولياء من دونه﴾^(٥) يهدونهم من دون الله ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم﴾.

أخبرنا: أبو عبد الله بن أبي إسحاق أنا محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم الأنباري نا جعفر بن محمد الصائغ نا حسين بن محمد المروزي نا شيبان^(٦) عن قتادة عن أنس بن مالك أن رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال إن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا، قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة رواه البخاري^(٧) عن عبد الله بن محمد ورواه مسلم^(٨) عن عبد بن حميد كلاهما عن يونس بن محمد عن شيبان.

وقوله: ﴿عمياً﴾ قال ابن عباس في رواية الوالي: لا يرون شيئاً يسرههم ﴿وبكماً﴾ لا ينطقون بحجة ﴿وصماً﴾ لا يسمعون شيئاً يسرههم^(٩) وقال في رواية عطاء يريد عمياً عن النظر إلى ما جعله الله لأوليائه، وبكماً عن مخاطبة الله تعالى وصماً عما مدح الله به أوليائه^(١٠) وقال مقاتل: هذا حين يقال لهم: (اخشأوا فيها ولا تكلمون) فيصيرون عمياً بكماً صماً، لا يرون ولا يسمعون ولا ينطقون بعد ذلك^(١١) وقوله: ﴿كلما خبت﴾ يقال: خبت النار، تحبوا خبوا، إذا سكن لهيبها^(١٢) ﴿زدناهم سعيراً﴾ قال ابن عباس شعر العذاب عليهم بأشد مما كان^(١٣) وما بعد هذا مفسر في هذه السورة ثم

(١) انظر زاد المسير ٨٩/٥.

(٢) انظر تفسير البغوي ١٣٨/٣ بلا نسبة.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٦١/٣.

(٤) سقط في ب، ج.

(٥) انظر زاد المسير ٩٠/٥.

(٦) شيبان بن عبد الرحمن التميمي النحوي أبو معاوية البصري نزيل الكوفة ثقة صاحب كتاب يقال إنه منسوب إلى «نحوة» بطن من الأزد لا إلى النحو. مات سنة أربع وستين. انظر التقريب ٣٥٦/١، التهذيب ٣٧٣/٤، ٣٧٤.

(٧) كتاب التفسير سورة الفرقان باب ﴿الذين يحشرون: على وجوههم إلى جهنم﴾ ٤٧٦٠.

(٨) ٢١٦١/٤ صفات المنافقين باب يحشر الكافر على وجهه (٥٤ - ٢٨٠٦). والترمذي ٢٨٥/٥ كتاب التفسير سورة الإسراء باب ١٨ (٣١٤٢)، وقال حديث حسن وأحمد في المسند ٣٥٤/٢.

(٩) انظر تفسير البغوي ١٣٨/٣، تفسير القرطبي ٢١٦/١٠ عن الحسن وابن عباس تفسير الرازي ٥١/٢١، البحر المحيط ٨٢/٦.

(١٠) انظر الرازي ٥١/٢١، البحر المحيط ٨٢/٦، زاد المسير ٩٠/٥.

(١١) انظر زاد المسير ٩٠/٥، تفسير البغوي ١٣٨/٣، تفسير القرطبي ٢١٦/١٠، الرازي ٥١/٢١.

(١٢) انظر لسان العرب ١٠٩٨/٢، ترتيب القاموس ١٢/٢.

(١٣) انظر زاد المسير ٩٠/٥.

أجابهم على إنكارهم البعث بقوله: ﴿أولم يزوا أن الله﴾ الآية، المعنى: ألم يعلموا أن من قدر على خلق السماوات والأرض في عظمها، قادر على أن يخلق مثلهم، أي على أن يخلقهم ثانياً وأراد بمثلهم إياهم، وذلك أن مثل الشيء مساو له في حالته، فجاز أن يعبر به عن الشيء نفسه يقال: مثلك لا يفعل هذا، أي أنت لا تفعله، ذكرنا هذا عند قوله: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾ (١)، ونحو هذا قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ (٢) تم الكلام، ثم قال: ﴿وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه﴾ قال ابن عباس: يريد أجل الموت وأجل القيامة (٣). ﴿فأبى الظالمون﴾ المشركون ﴿إلا كفوراً﴾ جحوداً بذلك الأجل، وهو البعث والقيامة، قوله:

قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ۖ

﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي﴾ قال ابن عباس لو أنتم يا معشر المشركين تملكون خزائن الرزق ﴿لأمسكنكم﴾ لبعثتم قال الزجاج أعلمهم الله أنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لأمسكوا شحاً وبخلًا، وهو خشية الإنفاق (٤) وقال ابن عباس وقتادة: خشية الفقر والفاقة (٥)، وقال السدي خشية أن تنفقوا فتفكروا (٦) ﴿وكان الإنسان قتوراً﴾ بخيلاً مسيكاً، يقال: قتر يقتر ويقتر قتراً وأقتر إقتاراً، وقتر تقتيراً، إذا قصر في الإنفاق، ثم ذكر إنكار فرعون آيات موسى عليه السلام، تشبيهاً بحال هؤلاء المشركين بحاله، وتسلياً للنبي ﷺ فقال:

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَسَّاهُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِسْرًا يَلِ إِسْرَاهِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ۖ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلْتَهُنَّ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعُونَ ۖ مَثْبُورًا ۖ فَأَرَادَ أَنْ يَنْفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ۖ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ۖ

﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ قال المفسرون (٧): هي الطوفان والجراد والقمل، والضفادع، والدم والعصا ويده والسنون، ونقص من الثمرات، وقال القرطبي بدل السنين والنقص قلق البحر والطمس (٨).

أخبرنا: محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أنا إسماعيل بن نجيد نا محمد بن أيوب الرازي أنا أبو الوليد الطيالسي نا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمه عن صفوان بن عسال (٩) أن يهودياً قال لصاحبه: تعال، حتى

(١) سورة البقرة آية ١٣٧.

(٢) سورة الشورى آية ١١.

(٣) انظر معالم التنزيل ١٣٩/٣ بلا نسبة، تفسير القرطبي ٢١٦/١٠ بلا نسبة.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٦٢.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٧٠/١٥، تفسير البغوي ١٣٩/٣، عن قتادة تفسير القرطبي ٢١٧/١٠، الدر المنثور ٤/٢٠٤.

(٦) انظر تفسير البغوي ١٣٩/٣، بنحوه بلا نسبة.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٧٠/١٥، معالم التنزيل ١٣٩/٣، تفسير القرطبي ٢١٧/١٠، تفسير الرازي ٥٤/٢١، البحر المحيط

٨٥/٦، روح المعاني ١٥/١٨٢.

(٨) انظر تفسير الطبري ١٧٠/١٥، تفسير البغوي ١٣٩/٣، القرطبي ٢١٧/١٠، الرازي ٥٤/٢١، البحر المحيط ٨٥/٦، روح

المعاني ١٥/١٨٢.

(٩) صفوان بن عسال المرادي صحابي نزل الكوفة. انظر التقريب (١/٣٦٨).

نسأل هذا النبي، قال: فأتياه فسأله عن هذه الآية ﴿ولقد آتينا موسى تسع آياتٍ بيناتٍ﴾، فقال لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تأكلوا الربا، ولا تسحروا ولا تمشوا بربىء إلى سلطان ليقتله، ولا تقذفوا المحصنة، ولا تفروا من الزحف، وعليكم خاصة يهود ألا تعدوا في السبت، قال: فقبلوا يده فقالوا: نشهد انك نبي الله قال: فما يمنعكم أن تتبعوني؟ قالوا: إن داود عليه السلام دعا أن لا يزال في ذريته نبي، وإنا نخشى إن اتبعناك أن تقتلنا اليهود^(١).

قوله: ﴿فاسأل بني إسرائيل﴾ قال ابن عباس يريد المؤمنين من قريظة والنضير^(٢) وإنما أمر بأن يسألهم ليكشف لعامة اليهود. يقول علمائهم صدق ما أتى به، وأخبر عنه، فيكون ذلك حجة عليهم وقوله: ﴿إذ جاءهم﴾ يعني موسى ﴿فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً﴾ قال أبو عبيد والفراء هو بمعنى الساحر كالمشؤوم والميمون^(٣) ويجوز أن يكون مفعولاً من السحر أي إنك قد سحرت، فعمل فيك السحر، فقال موسى: ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء﴾ الآيات ﴿إلا رب السموات والأرض بصائر﴾ عبراً [ودلالات]^(٤) وقراءة العامة بفتح التاء وهي قراءة ابن عباس، وقرأ الكسائي بضم التاء، وهي قراءة علي رضي الله عنه^(٥) وكان يقول: والله ما علم عدو الله، ولكن موسى هو الذي علم، فبلغ ذلك ابن عباس فاحتج بقوله تعالى ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾^(٦) على أن فرعون وقومه كانوا قد عرفوا صحة أمر موسى قال الزجاج: الأجود في القراءة فتح التاء لأن علم فرعون بأنها آيات من عند الله أوكد في الحجة فموسى يحتج بما علم هو، لا بما علم موسى^(٧) وقوله: ﴿وإني لأظنك يا فرعون﴾ أي أعلمك ﴿مشبوراً﴾ قال ابن عباس ملعوناً^(٨) قال الفراء: المشبور الملعون المحبوس عن الخير، تقول العرب: ما تبرك عن هذا؟ أي ما منعك منه وما صرفك^(٩) وقال قتادة مهلكاً^(١٠) وقال مجاهد هالكاً^(١١) وقال أبو عبيدة المعروف في الثبور والهلاك، والملعون هالك^(١٢)، قوله: ﴿فأراد﴾ يعني فرعون ﴿أن يستفزههم﴾ يزعجهم ويخرجهم يعني موسى وبني إسرائيل ﴿من الأرض﴾ أرض مصر قال الزجاج: أراد إخراجهم منها بالقتل أو بالتنحية، فأغرقه الله وقومه، وأورث بني إسرائيل مساكنهم وديارهم^(١٣) وفي هذا تسلية للنبي ﷺ وأنه يفعل به وبالمشركين ما فعل بموسى وعدوه، ثم فعل ذلك، أظهر نبيه على المشركين وردده إلى مكة ظاهراً عليها، وقوله: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ يعني القيامة ﴿جئنا بكم لفيافاً﴾ قال مجاهد

(١) أخرجه الترمذي ٢٨٦/٥ كتاب التفسير سورة الإسراء ٣١٤٤ والحاكم في المستدرک ٩/١ كتاب الإيمان باب بيان تسع آيات

بينات، وصححه وأقره الذهبي وأحمد في المسند ٤/٢٣٩.

(٢) انظر زاد المسير ٩٣/٥.

(٣) انظر تفسير البغوي ١٣٩/٣، عنهما تفسير الرازي ٥٥/٢١ عن الفراء تفسير القرطبي ٢١٨/١٠.

(٤) سقط في ب.

(٥) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٩/٢، إتحاف فضلاء البشر ٣٠٦/٢، البحر المحيط ٨٦/٦.

(٦) سورة النمل آية ١٤. انظر الطبري ١٧٤/١٥، القرطبي ٢١٨/١٠، ابن كثير ١٢٤/٥، تفسير الرازي ٥٥/٢١.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٦٣/٣.

(٨) انظر تفسير البغوي ١٤٠/٣، تفسير القرطبي ٢١٨/١٠، البحر المحيط ٨٦/٦.

(٩) انظر معاني القرآن للفراء ١٣٢/٢، تفسير البغوي ١٤٠/٣، تفسير البحر المحيط ٨٦/٦، الرازي ٥٦/٢١ كلهم عن الفراء.

(١٠) انظر تفسير البغوي ١٤٠/٣، القرطبي ٢١٨/١٠، ابن كثير ١٢٤/٥، البحر المحيط ٨٦/٦ عن الحسن ومجاهد.

(١١) انظر تفسير البغوي ١٤٠/٣، القرطبي ٢١٨/١٠، الرازي ٥٦/٢١، وعن قتادة.

(١٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٩٢/١.

(١٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٦٣/٣.

وقتادة جميعاً^(١): اللفيف: الجمع العظيم من أخلاط شتى^(٢)، والمعنى: جئنا بكم من قبوركم إلى المحشر أخلاطاً يعني جميع الخلق، المسلم والكافر، والبر والفاجر قوله:

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾

﴿وبالحق أنزلناه﴾ أنزلنا القرآن بالأمر الثابت والدين القائم ﴿وبالحق نزل﴾ ومع الحق نزل ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً﴾ لمن أطاع بالجنة ﴿ونذيراً﴾ منذراً مخوفاً لمن عصى بالنار ﴿وقرآنًا فرقناه﴾ قال السوالي فصلناه^(٣) وقال السدي قطعناه آية آية وسورة سورة، ولم ينزله جملة^(٤)، قال قتادة كان بين أول القرآن وآخره عشرون سنة^(٥)، وهو معنى قوله: ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ قال مجاهد على تودة وترسل^(٦) وقال الزجاج فرقه الله في التنزيل ليفهمه الناس^(٧) ﴿ونزلناه تنزيلاً﴾ نجومياً بعد نجوم وشيئاً بعد شيء ﴿قل﴾ لأهل مكة ﴿آمنوا﴾ بالقرآن ﴿أو لا تؤمنوا﴾ وهذا تهديد، أي فقد أئذرت الله، وبلغ الرسول ﷺ فاختاروا ما يريدون ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ من قبل نزول القرآن، يعني طلاب الدين مثل أبي ذر وسلمان وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو ﴿إذا يتلى عليهم﴾ القرآن ﴿يخرون للأذقان سجداً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: [للوجوه يريد]^(٨) يسجدون بوجوههم وجباههم وأذقانهم^(٩) واللام هنا بمعنى على ﴿ويقولون﴾ في سجودهم: ﴿سبحان ربنا إن كنا وعد ربنا﴾ بإنزال القرآن، وبعث محمد ﷺ ﴿لمفعولاً﴾ وذلك أن هؤلاء كانوا يسمعون أن الله باعث نبياً من العرب ومنزل عليه الكتاب فلما سمعوا القرآن، سجدوا لله وحمدوه على إنجاز الوعد ببعث الرسول والكتاب ﴿ويخرون للأذقان﴾ كسر القول، دلالة على تكرار الفعل منهم، وقال عبد الأعلى التيمي^(١٠) إن من أوتي من العلم ما لا يبيكه لخليق ألا يكون أوتي علماً ينفعه، لأن الله تعالى نعت العلماء، فقال ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم تلا إلى قوله﴾ يبيكون ويزيدهم خشوعاً^(١١) أي يزيدهم القرآن تواضعاً قوله:

(١) انظر تفسير الطبري ١٧٨/١٥، تفسير البغوي ١٤٠/٣ بلا نسبة القرطبي ٢١٩/١٠ بلا نسبة، روح المعاني ١٨٧/١٥ عن ابن عباس

(٢) انظر لسان العرب ٤٠٥٤/٥، ترتيب القاموس ١٥٨/٤.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٧٨/١٥، تفسير القرطبي ٢١٩/١٠ عن ابن عباس، معالم التنزيل ١٤١/٣ بلا نسبة.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٧٩/١٥.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٧٩/١٥، تفسير الرازي ٥٧/٢١، روح المعاني ١٨٨/١٥ عن ابن عباس.

(٦) انظر تفسير الطبري ١٧٩/١٥، تفسير البغوي ١٤١/٣ بلا نسبة، القرطبي ٢٢٠/١٠ بلا نسبة، وعن ابن عباس، وابن جريج، روح المعاني ١٨٨/١٥ بلا نسبة.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٦٤/٣.

(٨) سقط في ج.

(٩) انظر تفسير القرطبي ٢٢١/١٠، البحر المحيط ٨٨/٦، تفسير البغوي ١٤١/٣ مختصراً.

(١٠) انظر التاريخ الكبير ٧٢/٦.

(١١) انظر تفسير الطبري ١٨١/١٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٠٦/٤، وزاد نسبه لابن المبارك، وابن أبي شيبة، وابن المنذر

وابن أبي حاتم.

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وِليٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبِيرًا ﴿١١١﴾

﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ قال ابن عباس إن رسول الله ﷺ قال وهو ساجد ذات ليلة يا الله، يا رحمن فسمعه أبو جهل، وهم لا يعرفون الرحمن فقال: ان محمداً ينهانا أن نعبد إلهين، وهو يدعو إليها آخر مع الله يقال له الرحمن فأنزل الله ﴿قل ادعوا الله﴾^(١) أي قل يا محمد ادعوا الله يا معشر المؤمنين، أو ادعوا الرحمن أي إن شئتم قولوا: يا الله، وإن شئتم قولوا: يا رحمن قال الزجاج أعلمهم الله أن دعاءهم الله ودعاءهم الرحمن يرجعان إلى واحد فقال ﴿أيًّا ما تدعوا﴾^(٢) المعنى: أي أسماء الله تعالى تدعوا ﴿فله الأسماء الحسنى﴾ وقوله: ﴿ولا تجهر بصلواتك ولا تخافت بها﴾ المخافتة الإخفاء، يقال خفت صوته يخفت خفوتاً إذا ضعف وصوت خفيف والرجل يخافت بقراءته إذا لم يبين قراءته برفع الصوت والجهر رفع الصوت وكان النبي ﷺ إذا جهر بالقرآن، سب المشركون القرآن، فأمره الله ألا يعرض القرآن لسبهم، ولا يخافت مخافتة لا يسمعا من يصلي خلفه من أصحابه فقال ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ أي اسلك طريقاً بين الجهر والمخافتة. أخبرنا: محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى قال نا والذي نا محمد بن إسحاق الثقفي نا عبد الله بن مطيع وأحمد بن منيع^(٣) قالوا: حدثنا هشيم نا أبو بشر حكى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله: ﴿ولا تجهر بصلواتك ولا تخافت بها﴾ قال: نزلت ورسول الله ﷺ مخف بمكة، فكانوا إذا سمعوا القرآن، سبوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به، فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ ﴿ولا تجهر بصلواتك﴾ أي بقراءتك، فيسمع المشركون، فيسبوا القرآن ﴿ولا تخافت بها﴾ عن أصحابك فلا يسمعون ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ رواه البخاري^(٤) عن مسدد ورواه مسلم^(٥) عن عمرو الناقد، كلاهما عن هشيم.

(١) انظر تفسير الطبري ١٨٢/١٥، معالم التنزيل ١٤٢/٣، روح المعاني ١٩١/١٥، تفسير القرطبي ٢٢٢/١٠، البحر المحيط ٨٩/٦، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٠٦/٤، ونسبة لابن جرير وابن مردويه.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٦٤/٣.

(٣) أحمد بن منيع بن عبد الرحمن أبو جعفر البغوي نزيل بغداد الأصم، ثقة حافظ مات سنة أربع وأربعين وله أربع وثمانون. انظر التقريب ٢٧/١، التهذيب ١١/١، ١٢، ١٣.

(٤) ٤٧١/١٣ كتاب التوحيد باب (أنزله بعلمه والملائكة يشهدون) (٧٤٩٠).

(٥) ٣٢٩/١ كتاب الصلاة باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية ١٤٥ - ٤٤٦، والترمذي ٢٨٧/٥، كتاب التفسير سورة الإسراء ٣١٤٦. وقال: حسن صحيح: قال الراغب: عبر بالإنزال دون التنزيل، لأن القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك شيئاً فشيئاً، ومنه قوله تعالى: ﴿حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾. ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وقرآنًا فرقناه لئلا يقرأه على الناس على مكث ونزلنا تنزيلاً﴾ ويؤيد التفصيل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل﴾. فإن المراد بالكتاب الأول القرآن، وبالثاني ما عداه، والقرآن نزل نجوماً إلى الأرض بحسب الوقائع بخلاف غيره من الكتب، ويرد على التفصيل المذكور قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ وأجيب بأنه أطلق نزل موضع أنزل، قال: ولولا هذا التأويل لكان متدافعاً لقوله (جملة واحدة) وهذا بناء هذا القائل على أن نزل بالتشديد يقتضي التفريق، فاحتاج إلى ادعاء ما ذكر، وإلا فقد قال غيره إن التضعيف لا يستلزم حقيقة التكثير بل يرد للتعظيم، وهو في حكم التكثير معنى فهذا يندفع الأشكال. انظر فتح الباري ٤٧٢/١٣.

أخبرنا: عبد الرحمن بن محمد الزمجارى أنا علي بن عبد الرحمن بن أبي السري البكائى أنا محمد بن عبد الله الحضرمي نا عبد الله بن عامر بن زرارة نا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن أبيه عن أبي إسحاق عن هاني بن هاني^(١) عن علي قال: كان أبو بكر يخافت إذا قرأ وكان عمر يجهر بقراءته، وكان عمار يأخذ من هذه السورة، ومن هذه فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال لأبي بكر لم تخافت؟ فقال إني أسمع من أناجي وقال لعمر: لم تجهر؟ فقال: أفر من الشيطان وأوقظ الوسنان^(٢) وقال لعمار: لم تأخذ من هذه وهذه؟ قال تسمعي أخلط به ما ليس منه؟ قال لا، قال فكله طيب^(٣).

قوله: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً﴾ قال قتادة كذب الله بهذه الآية اليهود والنصارى وأهل القرى عليه^(٤) ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ ليس له من يشاركه في ملكه ﴿ولم يكن له ولي من الدن﴾ قال مجاهد: لم يخالف أحداً، ولم يتبع نصر أحد^(٥)، والمعنى: أنه لا يحتاج إلى موالة أحد لذل يلحقه، فهو مستغن عن الولي والنصير وهذا معنى قول الزجاج لم يحتج أن ينتصر بغيره^(٦) ﴿وكبره تكبيراً﴾ عظمه عظمة تامة.

(١) هانىء بن هانىء الهمداني الكوفي مستور. انظر التقريب ٣١٥/٢.

(٢) الوَسْنُ والوَسْنَةُ والسِّنَةُ: شدة النوم أو أوله، أو النعاس انظر لسان العرب ٤٨٣٩/٦، ترتيب القاموس ٦١٢/٤.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١٠٩/١، وأبو داود ٣٧/٢ كتاب التطوع باب في رفع الصوت ١٣٢٩.

(٤) انظر تفسير القرطبي ٢٢٣/١٠ بلا نسبة.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٨٩/١٥، تفسير البيهقي ١٤٣/٣ بنحوه، تفسير القرطبي ٢٢٣/١٠.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٦٥/٣.

سورة الكهف

مكيّة وآياتها عشر ومائة

أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان العدل أنا محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب نا أحمد بن عبد الرحمن السقطي نا يزيد بن هارون أنا همام عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، ثم أدرك الدجال لم يضره، ومن حفظ خواتيم سورة الكهف، كانت له نوراً يوم القيامة)^(١).

أخبرنا أبو حسان المزكي أنا أبو الفضل الزهري نا إبراهيم بن عبد الله بن أيوب نا سعيد بن محمد الجرمي نا عبد الله بن مصعب بن منظور بن زيد بن خلف الجهني عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال (من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ستة أيام من كل فتنة تكون فإن خرج الدجال عصم منه)^(٢).

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِوَجًا ۖ ﴿١﴾ قِيَمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ ﴿٢﴾ مَلَائِكِينَ فِيهِ أَبَدًا ۖ ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۖ ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۖ ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بِخُجُوعِ نَفْسِكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۖ ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۖ ﴿٨﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ يعني القرآن على محمد ﷺ ﴿ولم يجعل له عوجاً﴾ أي لم يجعله ملتبساً لا يفهم ومعوجاً لا يستقيم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية الوالبي، قال الزجاج لم يجعل فيه اختلافاً كما قال: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾^(٣) يدل على هذا قوله: ﴿قيماً﴾ قال ابن عباس: مستقيماً عدلاً^(٤)، وهذا من التقديم والتأخير والتقدير: أنزل على عبده الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً.

(١) أخرجه مسلم ٥٥٥/١ مختصراً بنحوه، كتاب المسافرين ٢٥٧ - ٨٠٩. وانظر التخريج الآتي.

(٢) أخرجه مسلم ٥٥٥/١ كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف (٢٥٧ - ٨٠٩) وأبو داود ١١٧/٤ كتاب الملاحم (٤٣٢٣)، والترمذي ٢٨٨٦، وأحمد في المسند ٢٤٩/٣ والبيهقي في السنن (٢٤٩/٣) والحاكم في المستدرک ٣٦٨/٢، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٧٠).

(٣) سورة النساء آية ٨٢.

(٤) انظر تفسير البغوي ٢٢٦/٣ بلا نسبة، روح المعاني ٢٠١/١٥ هذا وقد نقل الرازي تفسير (قيماً) بـ (مستقيماً) عن ابن عباس (٦٤/٢١) وقال: وهذا عندي مشكل، لأنه لا معنى لنفي الاعوجاج إلا حصول الاستقامة، فتفسير القيم بالمستقيم يوجب التكرار، =

وقوله: ﴿لينذر بأساً شديداً من لدنه﴾ قال ابن عباس: «لينذر عذاباً شديداً»^(١) والمعنى لينذر الكافرين بعذاب شديد ﴿من لدنه﴾ من عنده ومن قبله، وروى أبو بكر عن عاصم (من لدنه) بشد الدال إلى الضمة، وبكسر النون والهاء^(٢) وهو لغة الكلابيين، وروى أبو زيد عنهم أجمعين هذا (من لدنه)، فتحوا اللام، وضموا الدال، وكسروا النون^(٣). ﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً﴾ ثواباً عظيماً وهو الجنة ﴿ماكثين فيها أبداً﴾ مقيمين في ذلك الأجر خالدين فيه، ﴿وينذر﴾ بعذاب الله ﴿الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾ قال الكلبي والسدي: يعني اليهود والنصارى^(٤) «وقال محمد بن إسحاق» يعني قريشاً في قولهم الملائكة بنات الله^(٥).

﴿ما لهم به﴾ بذلك القول ﴿من علم﴾ لأنهم قالوا جهلاً وافتراء على الله ﴿ولا لأبائهم﴾ الذين قالوا ذلك ﴿كبرت كلمة﴾ قال الفراء كبرت تلك الكلمة كلمة^(٦) وقال الزجاج كبرت مقالتهم كلمة^(٧) وكلمة منصوب على التمييز.

وقوله ﴿تخرج من أفواههم﴾ أي أنها قول بالفم لا صحة له، ولا دليل عليه ﴿إن يقولون إلا كذباً﴾ ما يقولون بذلك القول إلا كذباً، ثم عاتبه على حزنه بفوت ما كان يرجو من إسلامهم بقوله: ﴿فلعلك باخع نفسك﴾ قال جماعة المفسرين^(٨) «قاتل نفسك» يقال: يخع الرجل نفسه إذا قتلها غيظاً من شدة وجده بالشيء، وقوله ﴿على آثارهم﴾ أي من بعدهم، أي من بعد توليهم وإعراضهم عنك ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ يعني القرآن ﴿أسفاً﴾ قال ابن عباس «غيظاً وحزناً»^(٩) وفي هذا إشارة إلى نهي النبي ﷺ عن كثرة الحرص على إيمان قومه حتى يؤدي ذلك إلى هلاك نفسه بالأسف.

قوله: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ بما عليها من الماء والنبات والأشجار، والمعادن من الذهب والفضة وأنواع الجواهر ويدخل في هذا كل ما على الأرض من ذي الروح والجماد. وقوله: ﴿لنبلوهم﴾ لنتخبر الخلق والمعنى لنعاملهم معاملة المبتلى ﴿أيهم أحسن عملاً﴾ هذا أم هذا؟ قال الحسن: أيهم أزهد في الدنيا وأترك لها^(١٠) وقال مقاتل «أيهم أصلح فيها من أوتي من المال فأحسن العمل آمن زهد فيما زين له من الدنيا»^(١١) ثم أعلم الله عز وجل أنه مبيد ومن

= وأنه باطل، وأن المراد من كونه (قيماً) أنه سبب لهداية الخلق، وأنه يجري مجرى من يكون قيماً للأطفال فالأرواح البشرية

كالأطفال والقرآن كالقيم الشفيق القائم بمصالحهم. انظر الرازي (٦٤/٢١).

(١) انظر تفسير القرطبي ٢٢٦/١٠، بلا نسبة، روح المعاني ٢٠٢/١٥. بلا نسبة.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر ٣١٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٠٩/٢.

(٣) انظر المصدرين السابقين.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٩٢/١٥، تفسير القرطبي ٢٢٩/١٠ بلا نسبة، تفسير الرازي ٦٦/٢١ بلا نسبة، روح المعاني ٢٠٣/١٥ بلا نسبة.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٩٢/١٥، الرازي ٦٦/٢١ بلا نسبة، روح المعاني ٢٠٣/١٥ بلا نسبة.

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ١٣٤/٢.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٦٨/٣.

(٨) انظر تفسير القرطبي ٢٣٠/١٠، تفسير الرازي ٦٧/٢١، روح المعاني ٢٠٤/١٥.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٩٥/١٥، روح المعاني ٢٠٥/١٥، تفسير البغوي ١٤٤/٣، بلا نسبة، تفسير القرطبي ٢٣٠/١٥ بنحوه بلا نسبة.

(١٠) انظر تفسير الطبري ١٩٥/١٥، تفسير البغوي ١٤٤/٣ بنحوه بلا نسبة، تفسير القرطبي ٢٣١/١٠، عن سفيان الثوري مختصراً.

(١١) انظر زاد المسير ٧٩/٤، تفسير البغوي ١٤٤/٣ بلا نسبة.

ذلك كله بقوله: ﴿وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً﴾ الصعيد المستوي من الأرض والجرز التي لا نبات فيها، وقال مجاهد: «بلاقع ليس فيها نبات»^(١). وقال عطاء يريد يوم القيامة يجعل الله الأرض جرزاً ليس فيها ماء ولا نبات^(٢) وقوله:

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا
رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرْبَنَا عَلَى أَعْيُنِنَا فِي الْكَهْفِ سِنِينَ
عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾

﴿أم حسبت﴾ معناه بل أحسبت ﴿أن أصحاب الكهف﴾ يعني الفتية الذين سئل النبي ﷺ عن قصتهم، والكهف مغارة في الجبل، إلا أنه واسع، فإذا صغر فهو غار وقوله: ﴿والرقيم﴾ زعم كعب والسدي: «أن الرقيم اسم القرية التي خرج منها أصحاب الكهف»^(٣) وقال سعيد بن جبير وابن عباس في رواية عطاء «الرقيم الكتاب وهو لوح كانت فيه أسماءهم»^(٤) قال الفراء: «ونرى أنه إنما سمي رقيماً، لأن أسماءهم كانت مرقومة فيه، والرقيم الكتابة» وقوله: ﴿كانوا من آياتنا عجباً﴾ قال مجاهد: لم يكونوا بأعجب آياتنا^(٥) وقال قتادة: يقول: قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك^(٦) قال الزجاج: أعلم الله أن قصة أصحاب الكهف^(٧) ليست بعجيبة من آيات الله، لأن خلق السماوات والأرض وما بينهما مما يشاهد أعجب من قصة أصحاب الكهف قوله: ﴿إذ أوى﴾ أي اذكر لقومك إذ أوى ﴿الفتية﴾ يعني أولئك الشبان، صاروا إلى الكهف، وجعلوه مأواهم ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ أي أعطنا من عندك مغفرة ورزقاً ﴿وهيئ لنا﴾ وأصلح لنا من قوله: هيات الأمر، فتية ﴿من أمرنا رشداً﴾ الرشد والرشد والرشد نقيض الضلال، أي أرشدنا إلى ما يقرب منك والمعنى: هيئ لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد.

قوله: ﴿فضربنا على آذانهم﴾ قال المفسرون^(٨): «أنماهم» والمعنى: سدنا آذانهم بالنوم الغالب على نفوذ الأصوات إليها.

وقوله: ﴿سنتين عدداً﴾ أي ذات عدد يعني سنين كثيرة، ﴿ثم بعثناهم﴾ أيقظناهم بعد نومهم ﴿لنعلم﴾ قال المفسرون^(٩): لنرى، وذكرنا وجه علم الله فيما يستقبل في مواضع^(١٠). ﴿أي الحزبين أحصى﴾ قال قتادة ومجاهد أي

(١) انظر تفسير مجاهد ٣٧٣/١.

(٢) انظر زاد المسير ١٠٧/٥.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٩٨/١٥، معالم التنزيل ١٤٥/١ عن كعب تفسير القرطبي ٢٣٢/١٠ عن كعب، الرازي ٧٠/٢١.

(٤) انظر معالم التنزيل ١٤٥/٣ عن سعيد بن جبير، تفسير القرطبي ٢٣٢/١٠، الرازي ٧٠/٢١.

(٥) انظر تفسير مجاهد ٣٧٣/١.

(٦) انظر تفسير الطبري ١٩٧/١٥.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٧٠/٣.

(٨) انظر تفسير الطبري ٢٠٥/١٥، تفسير البغوي ١٥٢/٣، تفسير القرطبي ٢٣٦/١٠، تفسير الرازي ٧٠/٢١، روح المعاني

٢١٢/١٥، الدر المنثور ٢١٥/٤.

(٩) انظر تفسير البغوي ١٥٢/٣، تفسير القرطبي ٢٣٦/١٠، البحر المحيط ١٠٣/٦.

(١٠) من هذه المواضع آية ١٤ سورة آل عمران.

الحزبين من المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف أحصى عدمة لبثهم، وعلم ذلك (١) وكأنه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف، بعد خروجهم من بينهم، فبعثهم الله، ليتبين ذلك ويظهر قوله:

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا (١٦) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ آيْقَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ وَنَقَلْبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَلَّمِيتَ مِنْهُمْ رُعبًا (١٨)

﴿نحن نقص عليك نبأهم﴾ خبر الفتية بالحق بالصدق ﴿إنهم فتية﴾ أحداث وشباب ﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ ثبتناهم على الإيمان ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ ألهمناهم الصبر ﴿إذ قاموا﴾ بين يدي ملكهم دقيانوس الجبار الذي كان يفتن أهل الإيمان عن دينهم فربط الله على قلوبهم بالصبر واليقين، حين قالوا بين يديه: ﴿ربنا رب السموات والأرض﴾ الآية. وذلك أنه كان يدعو الناس إلى عبادة الأصنام والذبح للطواغيت، فثبت الله هؤلاء الفتية، وعصمهم حتى عصوا ذلك الجبار وأقروا بربوبية الله تعالى وحده، وأنهم إن دعوا غيره وعبدوه كان ذلك شططاً، وهو قوله: ﴿لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً﴾ كذباً وجوراً، وأصل الشطط مجاوزة القدر ﴿هؤلاء قومنا﴾ هذا من قول الفتية يعنون الذين كانوا في زمان دقيانوس ﴿واتخذوا من دونه آلهة﴾ عبدوا الأصنام ﴿لولا﴾ هلا ﴿يأتون عليهم﴾ على عبادتهم ﴿بسلطان بين﴾ بحجة بينة ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ فزعم أن له شريكاً في العبادة، قوله: ﴿وإذ اعتزلتموهم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: هذا من قول يملیخا وهو رئيس أصحاب الكهف (٢) قال لهم ﴿وإذ اعتزلتموهم﴾ أي فارقتموهم، وتحتيت عنهم جانباً يعني عبدة الأصنام ﴿وما يعبدون﴾ أي اعتزلتم ما يعبدون ﴿إلا الله﴾ فإنكم لن تتركوا عبادته، وذلك أنهم كانوا يشركون بالله، فقال اعتزلتم الأصنام، ولم تعتزلوا الله ولا عبادته ﴿فأووا إلى الكهف﴾ صبروا إليه واجعلوه مأواكم ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ يسطها عليكم ﴿ويهيء لكم من أمركم مرفقاً﴾ قال ابن عباس: يسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه، ويأتكم باليسر وبالرفق واللطف، وكل ما ارتفعت به فهو مرفق، ويقال فيه أيضاً (مرفق) بفتح الميم (٣) وكسر الفاء كقراءة أهل المدينة وهما لغتان في مرفق اليد والأمر، قال الفراء وأكثر العرب على كسر الميم من الأمر، ومن مرفق الإنسان، وقد تفتح العرب أيضاً الميم فيهما لغتان وكان الذين فتحوا الميم أرادوا أن يفرقوا بين

(١) انظر تفسير الرازي ٧١/٢١، روح المعاني ٢١٢/١٥، كلاهما عن مجاهد.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٠٨/١٥، تفسير القرطبي ٢٣٩/١٠، بلا نسبة، روح المعاني ٢٢٠/١٥.

(٣) انظر النشر ٣١٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢١٠/٢، روح المعاني ٢٢٢/١٥.

المرفق والأمر المرفق من الإنسان^(١) قوله: ﴿وترى الشمس إذا طلعت﴾ أي لو رأيتهما، لرأيت كما ذكر الله تعالى ﴿تزاور عن كهفهم﴾ تتحى وتميل عنهم، ومعنى التزاور التمايل من الزور والأزور، وقراءة أهل الكوفة بحذف تاء التفاعل، وقرأ ابن عامر (تزور^(٢)) وقال الأخفش لا يوضع الأزورار في هذا المعنى وإنما يقال: هذا مزور عني أي منقبض.

وقوله: ﴿ذات اليمين﴾ أي ناحية اليمين، ﴿وإذا غربت تقرضهم﴾ قال الأخفش والزجاج وأبو عبيدة تعدل عنهم وتركهم^(٣) تقول لصاحبك: هل وردت مكان كذا؟ فيقول المجيب إنما قرضته ذات الشمال، إذا مر به وتجاوز عنه قال الكلبي: يقول: إذا طلعت الشمس مالت عن كهفهم ذات اليمين يعني يمين الكهف، وإذا غربت تمر بهم ذات الشمال يعني شمال الكهف لا تصيبه وكان كهفهم نحو بنات نعش^(٤) في أرض الروم أعلم الله تعالى أنه بوأهم في مقناة^(٥) من الكهف، مستقبلاً بنات نعش، تميل عنهم الشمس طالعة وغاربة، لا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرهما، وتغير ألوانهم ثم أخبر أنهم كانوا في متسع من الكهف، ينالهم فيه برد الريح ونسيم الهواء، فقال ﴿وهم في فجوة منه﴾ أي من الكهف والفجوة متسع في مكان ﴿ذلك﴾ أي ذلك التزاور والقرض ﴿من آيات الله﴾ من دلائل قدرة الله ولطفه بأصحاب الكهف ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ أشار إلى أن الله تعالى هو الذي تولى هداية أصحاب الكهف، ولولا ذلك لم يهتدوا، فالمهتدي من هداه الله تعالى كهؤلاء ﴿ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾ كدقيانوس الكافر وأصحابه، قوله: ﴿وتحسبهم أيقاظاً﴾ أي لو رأيتهم لحسبتهم أيقاظاً جمع يقظ، ويقظان ﴿وهم رقود﴾ نائمون، مصدر سمي به كما يقال: قوم ركوع وسجود قال الكلبي: إنما يحسبون أيقاظاً لأن أعينهم مفتحة وهم نيام، ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ قال ابن عباس: لثلاث تاكل الأرض لحومهم^(٦) وقال قتادة: ذكر لنا أن لهم في كل عام تقلبتين^(٧) وقوله ﴿وكلبهم﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين^(٨) أنهم هربوا من ملكهم ليلاً، فمروا براعٍ معه كلب، فتبعهم على دينهم ومعه كلبه قال كعب مروا بكلب فتبعهم فطردوه، فعاد ففعلوا ذلك مراراً، فقال لهم الكلب: ما تريدون مني؟ لا تخشوا جانبي أنا أحب أولياء الله، فاناموا حتى أحرسكم^(٩) وقال أبو عبيد بن عمير كان ذلك كلب صيدهم^(١٠) وقوله: ﴿باسط ذراعيه﴾ وهو أن يلقيهما على الأرض مبسوطتين، كافتراش السبع، وقوله: ﴿بالوصيد﴾ قال ابن عباس

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١٣٦/٢.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر ٣١٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢١٠/٢. تفسير القرطبي ٢٤٠/١٠.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٧٣/٣، تهذيب اللغة ٣٤٢/٨.

(٤) بنات نعش: سبعة كواكب: أربعة منها نعش، لأنها مربعة وثلاثة بنات نعش الواحد ابن نعش، لأن الكوكب مذكر فيذكرونه على تذكيره، وإذا قالوا ثلاث أو أربع ذهبوا إلى البنات، وكذلك بنات نعش الصغرى، واتفق سيبويه والفراء على ترك صرف نعش للمعرفة، والثاني، وقيل: شبهت بحملة النعش في تريبعها، وجاء في الشعر بنو نعش. انظر لسان العرب ٤٤٧٤/٦، ترتيب القاموس ٣٩٩/٤.

(٥) مقناة ومقنوة بغير همز مكان من الظل حيث لا تصيبه الشمس في الشتاء انظر لسان العرب (٣٧٦٠/٥).

(٦) انظر تفسير البغوي ١٥٤/٣، تفسير القرطبي ٢٤١/١٠، تفسير الرازي ٨٦/٢١.

(٧) تفسير القرطبي ٢٤١/١٠ عن أبي هريرة.

(٨) انظر تفسير البغوي ١٥٤/٣، تفسير القرطبي ٢٤١/١٠ عن ابن عباس.

(٩) انظر تفسير القرطبي ٢٤١/١٠.

(١٠) انظر تفسير القرطبي ٢٤١/١٠، تفسير الرازي ٨٦/٢١.

والمفسرون^(١): يعني فناء الكهف قال أبو عبيدة وأبو عبيد: «الوصيد فناء البيت^(٢)» ﴿لَوْ اطَّلَعْتَ﴾ أي أشرفت ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لوليت منهم فراراً ﴿لَأَدْبَرْتُ﴾ وانقلبت ﴿وَلَمَلْتُ مِنْهُمْ رِعْباً﴾ فرعاً وخوفاً، وذلك أن الله تعالى منعهم بالرعب فلا يدخل عليهم أحد.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ أنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحيري أنا الحسن بن سفيان نا أبو بكر بن أبي شيبة نا يزيد بن هارون أنا سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنه غزا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم، فمروا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف الذين ذكر الله تعالى في القرآن، فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس: ليس لك ذلك، قد منع الله ذلك من هو خير منك، فقال ﴿لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً﴾ ولملت منهم رعباً ﴿فَقَالَ مَعَاوِيَةُ﴾: لا أنتهي حتى أعلم علمهم، فبعث رجالاً، فقال: اذهبوا فادخلوا الكهف، فبعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم^(٣) وفي قوله: ﴿وَلَمَلْتُ﴾ قراءة ثان التشديد والتخفيف^(٤) والاختيار التخفيف، لأنهم يقولون: ملأني رعباً، ولا يكادون يقولون: ملأني، قوله:

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدْنَا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَن وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾

﴿وكذلك﴾ أي وكما فعلنا بهم ما ذكر ﴿بعثناهم﴾ أحييناهم من تلك النومة التي تشبه الموت ﴿ليتساءلوا بينهم﴾ ليكون بينهم تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم ﴿قال قائل منهم كم لبثتم﴾ كم مر علينا منذ دخلنا هذا الكهف؟ ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ قال المفسرون^(٥) إنهم دخلوا الكهف غدوة، وبعثهم الله تعالى في آخر النهار، ولذلك قالوا: يوماً فلما رأوا الشمس قالوا: أو بعض يوم، وكان قد بقي من النهار بقية ﴿قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾ قال ابن عباس: «هو تمليحاً رئيسهم، رد علم ذلك إلى الله^(٦)» ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم﴾ الورق الفضة، مضروبة وغير مضروبة. يقال: وَرِقٌ وَوَرَقٌ، وإنما قال هذه لأنه عنى بالورق الدراهم أو الفضة قال ابن عباس وكانت معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم.

(١) انظر تفسير البغوي ١٥٤/٣، عن مجاهد والضحاك تفسير القرطبي ٢٤٣/١٠، عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير، الرازي ٨٦/٢١، روح المعاني ٢٢٦/١٥ عن ابن عباس.

(٢) انظر مجاز القرآن ٣٩٧/١، تهذيب اللغة ٢٢٢/١٢.

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في تحريجه على الكشاف، وقال أخرجه ابن أبي حاتم وعبيد بن محمد، وأبو بكر بن أبي شيبة من رواية يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وإسناده صحيح.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر ٣١٠/٢، إتخاف فضلاء البشر ٢١١/٢، تفسير القرطبي ٢٤٣/١٠، تفسير الرازي ٨٦/٢١.

(٥) انظر تفسير البغوي ١٥٥/٣، تفسير القرطبي ٢٤٤/١٠، تفسير الرازي ٨٧/٢١.

(٦) انظر تفسير البغوي ١٥٥/٣، تفسير الرازي ٨٧/٢١.

وقوله: ﴿إلى المدينة﴾ يعني دقوس وهي مدينتهم ويقال: هي اليوم طرسوس، ﴿فلينظر أيها أذكى طعاماً﴾ قال عطاء وسعيد بن جبير أحل الذبائح، وذلك أن عامة أهل بلدهم كانوا كفاراً، وفيهم قوم يخفون إيمانهم^(١) وقال مجاهد: قالوا لصاحبهم لا تتبع طعاماً فيه ظلم ولا غصب^(٢) ﴿فليأتكم برزق منه﴾ بما تأكلونه ﴿وليتلطف﴾ وليدقق النظر وليحتل حتى لا يطلع عليه ﴿ولا يشعرون بكم أحداً﴾ قال ابن عباس: «لا يخبرن بكم ولا بمكانكم أحداً من أهل المدينة»^(٣) قوله ﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾ يشرفوا ويطلعوا عليكم ويعلموا مكانكم ﴿يرجموكم﴾ يقتلوكم بالرجم، وهو من أخبث القتل ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ قال ابن عباس: يردوكم إلى دينهم ﴿ولن تفلحوا إذا أبدأ﴾ أي إن رجعتهم إلى دينهم لم تسعدوا في الدنيا ولا في الآخرة قوله: ﴿وكذلك أعرنا عليهم﴾ قال المفسرون إن الفتية لما هربوا من ملكهم، ودخلوا الكهف أمر الملك أن يسد عليهم باب الكهف ويدعوهم كما هم في الكهف ليموتوا عطشاً وجوعاً، وليكن كهفهم الذي اختاروا قبراً لهم، وهو يظن أنهم أيقاظ، وقد توفي الله أرواحهم وفاة النوم ثم إن رجلين مؤمنين كتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص وجعلاه في تابوت من نحاس وجعلوا التابوت في البنيان الذي بنوا على باب الكهف وقالوا: لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية يوماً مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلموا خبرهم حين يقرأون هذا الكتاب ثم انقضى أهل ذلك الزمان وخلفت بعدهم قرون وملوك كثيرة وملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له: تندوسيس، وتحزب الناس في ملكه أحزاباً منهم من يؤمن بالله تعالى، ويعلم أن الساعة حق، ومنهم من يكذب فكبر ذلك على الملك الصالح وشكا^(٤) إلى الله تعالى وتضرع وقال: أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم أن البعث حق ﴿وأن الساعة﴾ آتية ﴿لا ريب فيها﴾ فألقى الله في نفس الرجل من أهل ذلك البلد الذي به الكهف، أن يهدم البنيان الذي على فم الكهف، فيبني منه حظيرة لغنمه، ففعل ذلك وبعث الله الفتية من نومهم فأرسلوا أحدهم ليطلب لهم طعاماً فاطلع الناس على أمرهم، وبعثوا إلى الملك الصالح يعلمونه الخبر ليعجل القدوم عليهم، وينظر إلى آية من آيات الله جعلها الله في ملكه آية للعالمين فتية بعثهم الله تعالى، وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاثمائة سنة فلما بلغه الخبر حمد الله، وركب، وركب معه أهل مدينته حتى أتوا مدينة أصحاب الكهف فذلك قوله:

﴿وكذلك أعرنا عليهم﴾ أي وكما أنماهم وبعثناهم ﴿أعرنا﴾ أطلعنا وأظهرنا ﴿ليعلموا أن وعد الله﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿حق﴾ وأن القيامة لا شك فيها ﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ تنازع أهل ذلك الزمان في قدر مكنهم في الكهف وفي عددهم، وفيما يفعلون بعد أن اطلعوا عليهم فقال الله تعالى ﴿ربهم أعلم بهم﴾ بشأنهم وعددهم، وقال مشركو ذلك الوقت ﴿ابنوا عليهم بنياناً﴾ يعني استروهم من الناس بأن تجعلوه وراء ذلك البنيان، كما يقال: بنى عليه جداراً، إذا حوطه وجعله وراء الجدار ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ وهم المؤمنون الذين لم يشكوا في البعث الملك وأصحابه ﴿لنتخذن عليهم مسجداً﴾ ذكر في القصة أن الملك جعل على باب الكهف مسجداً وجعل عنده عيداً عظيماً وأمر أن يؤتى كل سنة قال الزجاج: هذا يدل على أنه لما ظهر أمرهم، غلب المؤمنون بالبعث والشهور، لأن المساجد للمؤمنين^(٥) قوله:

(١) انظر تفسير القرطبي ٢٤٤/١٠، عن ابن عباس بنحوه، تفسير الرازي ٨٨/٢١ عنه.

(٢) انظر تفسير الرازي ٨٨/٢١، البحر المحيط ١١١/٦.

(٣) انظر تفسير القرطبي ٢٤٤/١٠، تفسير الرازي ٨٨/٢١ كلاهما بلا نسبة.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٧٨/٣.

(٥) في أ، ج (ويكى).

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ
وَتَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ
فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ أخبر الله تعالى أنه سيقع نزاع في عددهم، ثم وقع ذلك لما وفد نصارى
نجران^(١) إلى النبي ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف فقالت اليعقوبية^(٢) منهم «كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم»
وقالت النسطورية^(٣) كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم وقوله: «رَجْمًا
بِالْغَيْبِ» الرجم القول بالظن والحدس^(٤) وذلك أنه رمى الظن إلى ذلك الشيء والمعنى: ظناً من غير يقين،
كانهم يرحمون القول فيهم بالغيب عنهم، وإنما حذف الواو من الجملتين المتقدمتين، لأن الذي فيهما من الضمير
يعقدهما بما قبلهما عقد الاتباع، لا سيما وقد ظهرت الواو في الجملة الثالثة، فدل ذلك على أنها مرادة في الجملتين
المتقدمتين.

قال أبو علي الفارسي قوله: رابعهم كلبهم، وسادسهم كلبهم، جملتان استغني عن حرف العطف فيهما بما
تضمنتا من ذكر الجملة الأولى وهي قوله: ثلاثة والتقدير: هم ثلاثة^(٥) وهذا معنى قول الزجاج^(٦): دخول الواو في
وثامنهم وإخراجها من الأول واحد وقوله ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي ما يعلم عددهم إلا قليل من
الناس، قال ابن عباس أنا من ذلك القليل.

أخبرنا: أبو علي الحسن بن أحمد بن حمشاذ أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان المذكر أنا محمد بن
المسيب الأريغاني نا محمد بن النعمان بن شبل الباهلي نا يحيى بن أبي روق عن أبيه عن الضحاك عن ابن عباس قل
قوله: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال: أنا من أولئك القليل وهم: مكسملينا وتمليخا، ومرطونس، وبنينونس، وسارينونس،
ودنونس، وكيششيطينونس، وهو الراعي، والكلب اسمه قطمير، كلب أنمر^(٧) فوق القلطي^(٨) ودون الكردي قل

(١) نجران: بالفتح ثم السكون، وآخره نون وهو في عدة مواضع: منها نجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة. انظر مراد الاطلاع
١٣٥٩/٣.

(٢) أصحاب يعقوب قالوا بالأقانيم الثلاثة إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لهما دماً، فصار الإله هو المسيح. وهو الظاهر بجسده بل
هو هو. وعنه أخبرنا القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ المائدة (٧٢)، وانظر تفصيل ذلك في
الملل والنحل (٣٠/٢) ويسمون الآن (الأرثوذكس).

(٣) النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه وإضافته إليهم أضافة المعتزلة
إلى هذه الشريعة، قال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة. وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات،
ولا هي هو. واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية ولا على طريق الظهور به، كما
قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة، وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم. انظر تفصيل هذا الضلال
المبين في الملل والنحل للشهرستاني (٢٩/٢).

(٤) انظر لسان العرب ١٦٠١/٣، ترتيب القاموس ٣١٢/٢.

(٥) انظر تفسير القرطبي ٢٤٩/١٠، البحر المحيط ١١٤/٦.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٧٧/٣.

(٧) النمرة: بالضم: النكتة من أي لون كان، والأنمر: ما فيه نمرة بيضاء، وأخرى سوداء، انظر ترتيب القاموس ٤٤١/٤.

(٨) القلطي: القصير جداً انظر لسان العرب ٣٧٢٢/٥.

محمد بن المسيب^(١) القلطي كلب زيتي وقال ما بقي بنيسابور محدث إلا كتب عني هذا الحديث إلا من لم يقدر له، قال: وكتب عني أبو عمرو الحيري [قال الشيخ رضي الله عنه]^(٢) وصدق ابن المسيب، فقد رأيت في تفسير أبي عمرو الحيري هذا الحديث مروياً عن ابن المسيب.

أخبرنا: أبو بكر الحارثي نا [أبو الشيخ الحافظ]^(٣) عبد الله بن محمد بن حيان نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان العسكري نا المحاربي عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن الله تعالى عددهم، حتى انتهى إلى السبعة وأنا من القليل الذين يعلمونهم، هم سبعة^(٤) يعني أصحاب الكهف.

وقوله: ﴿فلا تمار فيهم إلا مرء ظاهراً﴾ المرء في اللغة الجدال، يقال: ماري مارة ومرء أي جادل والمعنى: لا تقل في أمرهم بغير ما أوحى إليك من أنه لا يعلم عددهم إلا القليل ﴿ولا تستفت فيهم﴾ في أصحاب الكهف ﴿منهم﴾ من اليهود وأهل الكتاب ﴿أحداً﴾ قال الفراء هم فريقان أتوه من نجران، يعقوبي، ونسطوري، فسألهم النبي ﷺ عن عددهم فنهى^(٥).

وَلَا تَقُولَنَّ لِّشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُ غَدًا ۚ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۗ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِن هَذَا رَشَدًا ۚ

وقوله: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ قال المفسرون^(٦) لما سألت اليهود رسول الله ﷺ عن خبر الفتية، قال: غداً ولم يقل إن شاء الله فحبس عنه الوحي، حتى شق عليه، فأنزل الله هذه الآية يأمره بالاستثناء بمشيئة الله تعالى يقول: إذا قلت لشيء إني فاعله غداً، فقل إن شاء الله، قال الأخفش والمبرد ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً، إلا أن تقول: إن شاء الله، فأضمر القول، ولما حذف [تقول، نقل]^(٧) شاء إلى لفظ الاستقبال وقوله ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾^(٨) الاستثناء بمشيئة الله تعالى فاذكره وقله إذا تذكرت.

قال سعيد بن جبيرة: إذا قلت لشيء إني فاعله غداً، فنسيت الاستثناء، ثم تذكرت فقل إن شاء الله، وإن كان بعد يوم، أو شهر أو سنة. وقال عمرو بن دينار له أن يستثني متى ذكر ﴿وقل عسى أن يهدين ربي﴾ الآية قال الزجاج عسى أن يعطيني ربي من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب إلى الرشد، وأدل من قصة أصحاب الكهف^(٩) ثم إن الله تعالى فعل به ذلك، حيث أتاه من علم غيوب المرسلين، وخبرهم، ما كان أوضح في الحجة، وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف ثم أخبر عن قدر مدة لبثهم فقال:

(١) محمد بن النعمان بن شبل البصري الباهلي مولاها، روى عن مالك وعطاف بن خالد، وفضيل بن عياض. روى عنه أبو روق النهراي، التهذيب (٤٩٣/٩).

(٢) سقط في ب، جـ.

(٣) سقط في ب، جـ.

(٤) انظر تفسير البغوي ١٥٧/٣، ابن كثير ١٤٤/٥، تفسير القرطبي ٢٤٩/١٠، تفسير الرازي ٩٠/٢١.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ١٣٨/٢.

(٦) انظر تفسير الطبري ١٩١/١٥، تفسير البغوي ١٥٧/٣، تفسير القرطبي ٢٥٠/١٠، تفسير الرازي ٩٢/٢١.

(٧) سقط في ب.

(٨) سقط في أ، ب.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٧٨/٣.

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۗ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ، وَأَسْمِعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۗ وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ
إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ، وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۗ

﴿ولبثوا في كهفهم﴾ يعني من يوم دخلوا الكهف إلى أن بعثهم الله تعالى وأطلع عليهم الخلق ﴿ثلثمائة سنين﴾ قال الفراء والزجاج وأبو عبيدة والكسائي التقدير: سنين ثلثمائة^(١) وقال أبو علي الفارسي سنين بدل من قوله ﴿ثلثمائة﴾ كما تقول: أعطيته ألفاً دراهم، ومائة أثواباً، وقرأ حمزة «ثلثمائة سنين» مضافة غير منونة وهذه قراءة غير جيدة^(٢).

قال الأخفش: ولا يحسن إضافة المائة إلى السنين، ولا تكاد العرب تقول: مائة سنين قال الفراء ومن العرب من يضع سنين في موضع سنة^(٣) وقوله: ﴿وازدادوا تسعاً﴾ يعني تسع سنين فاستغني عن ذكر السنين بما تقدم من ذكرها ثم أخبر أنه أعلم بقدر مدة لبثهم من أهل الكتاب المختلفين فيها، فقال: ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ وقال الكلبي قاله نصارى نجران: أما الثلثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها، فنزلت ﴿قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض﴾ أي: «علم ما غاب فيهما عن العباد» ﴿أبصر به وأسمع﴾ هذا لفظ التعجب، كقولك: ما أبصره وأسمعه والمعنى: ما أبصر الله بكل موجود، وأسمعه لكل مسموع. وقوله: ﴿ما لهم من دونه من ولي﴾ ليس لأهل السماوات والأرض من دون الله من ناصر ﴿ولا يشرك﴾ الله ﴿في حكمه أحداً﴾ فلا يجوز أن يحكم حاكم بغير ما حكم الله به، وليس لأحد أن يحكم من ذات نفسه، فيكون شريكاً لله في حكمه وقرأ ابن عامر ﴿ولا تشرك﴾^(٤)، على معنى ولا تشرك أنت أيها الإنسان في حكمه أحداً، على النهي عن الإشراف في حكمه. ﴿واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك﴾ معناه: اتبع القرآن، واعمل به ﴿لا مبدل لكلماته﴾ قال ابن عباس لمواعيده وقال الزجاج أي ما أخبر الله به، وما أمره فلا مبدل له^(٥) وعلى هذا يكون التقدير: لا مبدل لحكم كلماته ﴿ولن تجد من دونه ملتحداً﴾ قال مجاهد والفراء ملجأ^(٦) وقال الزجاج: لن تجد معدلاً عن أمره ونهيه^(٧).

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ۗ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ
شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۗ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٣٨، معاني القرآن للزجاج ٣/٢٧٨.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣١٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢١٢، تفسير القرطبي ١٠/٢٥٢.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٣٨، تفسير البغوي ٣/١٥٨ عن الفراء.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣١٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢١٣، البحر المحيط ٦/١١٧، تفسير الرازي ٢١/٩٦.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٨٠.

(٦) انظر تفسير البغوي ٣/١٥٩، معاني القرآن للفراء ٢/١٣٩، تفسير الرازي ٢١/٩٨، تفسير القرطبي ١٠/٢٥٣ بلا نسبة، البحر

المحيط ٦/١١٨.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٨٠.

كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ بِسُكِّ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

قوله: ﴿واصبر نفسك﴾ الآية أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري إمام في دار السنة يوم الجمعة بعد الصلاة، في شهر سنة ست عشرة، وأربعمائة قال:

أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد ربه الحيري حدثنا: محمد بن إبراهيم البوشنجي نا الوليد بن عبد الملك بن المسرح الحراني (١) حدثنا سليمان بن عطاء القرشي عن مسلمة بن عبد الله الجهني (٢) عن عمه أبي مشجعة (٣) عن سلمان الفارسي قال جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس وذوهم فقالوا: يا رسول الله، إنك لو جلست في صدر المسجد، ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم - يعنون سلمان، وأبا ذر وقرءاء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصفوف، لم يكن عليهم غيرها - جلسنا إليك، وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله تعالى ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ حتى بلغ ﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً﴾ يتهدهم بالنار فقام النبي ﷺ، يلتمسهم، حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد، يذكرون الله تعالى قال: «الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات» (٤) وهذه الآية مفسرة في سورة الأنعام إلى قوله: ﴿ولا تعد عينك عنهم﴾ (٥).

قال الوالبي عن ابن عباس لا تتعداهم إلى غيرهم (٦) وقال الفراء: لا تنصرف عينك عنهم (٧) وقال الزجاج لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة (٨) وقوله ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾ يعني مجالسة أهل الشرف والغنى، وتريد ههنا في موضع الحال، أي مريداً، نهي أن يرفع بصره عن ضعفاء المؤمنين، مريداً مجالسة الأشراف، وكان ﷺ حريصاً على إيمان الرؤساء، طمعاً في إيمان أتباعهم ولم ينسب إلى إرادة زينة الحياة الدنيا لأنه لم يمل إلى الدنيا قط، ولا إلى أهلها، وإنما كان يلين في بعض الأحيان للرؤساء، طمعاً في إيمانهم فعوتب بهذه الآية وأمر بأن يجعل إقباله على فقراء المسلمين وألا يلتفت إلى غيرهم، وقوله: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ قال ابن عباس: يريد عيينة وأشباهه (٩) أي لا تطعهم في تنحية الفقراء عنك ليجلسوا إليك، ومعنى ﴿أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ (١٠)

(١) الوليد بن عبد الملك بن المسرح الحراني أبو وهب. صدوق انظر الجرح والتعديل ١٠/٩.

(٢) مسلمة بن عبد الله بن ربيعي الجهني الجُميري مقبول. انظر تقريب التهذيب ٢/٢٤٨.

(٣) أبو مشجعة بن ربيعي الجهني مقبول انظر التقريب ٢/٤٧٣.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/٢١٩، وعزاه لأحمد في الزهد عن ثابت وأخرجه الطبري في تفسيره ١٥/٢٣٦، أبو نعيم في الحلية ١/٣٤٥، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/١٣٢، وانظر أسباب النزول للمصنف ٢٠١.

(٥) سورة الأنعام آية ٥٢.

(٦) انظر تفسير البغوي ٣/٥٩ بنحوه بلا نسبة.

(٧) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٤٠.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٨١.

(٩) انظر تفسير البغوي ٣/١٥٩ بلا نسبة، تفسير القرطبي ١٠/٢٥٥ بلا نسبة.

(١٠) انظر تفسير القرطبي ١٠/٢٥٥ بلا نسبة.

جعلناه غافلاً عن القرآن والإسلام وكلمة التوحيد والإسلام وروى الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه﴾ قال نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه الله من طرد الفقراء عنه وتقريب صناديد أهل مكة، فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ يعني من ختمنا على قلبه عن التوحيد، ﴿واتبع هواه﴾ قال يعني الشرك ﴿وكان أمره فرطاً﴾ قال مجاهد ضياعاً^(١) وقال السدي: هلاكاً^(٢)، وأمر فرط متهاون به مضيع أصله من التفريط، وهو تقديم العجز، قال الزجاج: ومن قدم العجز في أمره أضاعه الله وأهلكه^(٣) ومعنى هذا أنه ترك الإيمان والاستدلال بآيات الله واتبع الهوى، وقال الليث: الفرط الأمر الذي يفرط فيه تقول: كل أمر فلان فرط ثم أمره بما يقول لهؤلاء الذين أمروه بتنحية الفقراء وإدناء مجلسهم ليؤمنوا به، فقال ﴿وقل الحق من ربكم﴾ أي هذا الحق من ربكم، قال قتادة يعني القرآن^(٤)، وقال الزجاج: أي الذي أتيتكم به الحق من ربكم^(٥) يعنى لم أت به من قبل نفسي وإنما أتيتكم به من عند الله ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ قال مجاهد والسدي: هذا وعيد من الله تعالى وإنذار^(٦) وقد بين بعده ما لكل فريق من مؤمن وكافر، فقال: ﴿إنا أعتدنا للظالمين نارا﴾ أي هيبنا وأعدنا لمن عبد غير الله نارا ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ السرادق كل ما أحاط بالشيء واشتمل عليه من ثوب أو حائط أخبرنا: محمد بن عبد الرحمن المطوعي أنا محمد بن أحمد بن حمدان الحيري أنا أحمد بن علي التميمي نا زهير نا الحسن بن موسى نا ابن لهيعة نا دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: سرادق النار أربعة جدر، كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة^(٧) «والمعنى أنهم وراء هذا الجدر وهي محيطة بهم» ﴿وإن يستغيثوا﴾ مما هم فيه من العذاب وشدة العطش ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبلة والوالي والعوفي كدردي الزيت^(٨) وهو تفسير النبي ﷺ فيما:

أخبرنا: محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أخبرنا: أبو عمرو بن مطر نا إبراهيم بن علي الذهلي نا يحيى بن يحيى نا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله عز وجل ﴿بماء كالمهل﴾ كعكر الزيت، فإذا قرب إليه، سقط فروة وجهه فيه^(٩) وروى قتادة والحسن عن ابن مسعود أنه

(١) انظر تفسير البغوي ١٥٩/٣ عن مجاهد، وقاتدة، روح المعاني ٢٦٥/١٥، البحر المحيط ١٢٠/٦، تفسير الرازي ١٠٠/٢١ بلا نسبة.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٣٧/١٥، روح المعاني ٢٦٥/١٥ عن مجاهد.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٨١/٣.

(٤) انظر البحر المحيط ١٢٠/٦، عن مقاتل، ابن كثير ١٥٠/٥.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٨١/٣.

(٦) انظر تفسير القرطبي ٢٥٥/١٠ بلا نسبة، الرازي ١٠٢/٢١ عن علي بنحوه.

(٧) أخرجه الترمذي ٥٠٨/٤ كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ٢٥٨٤، وقال هذا حديث إيمان تعرفه من حديث رشدين بن سعد، وفي رشدين مقال، وقد تكلم فيه من قبل حفظه، وابن المبارك في الزهد ٩٠/٢، وأبو نعيم في الحلية ٢٩٠/١٠، والحاكم في المستدرک ٦٠١/٤ وانظر زاد المسير ١٣٤/٥.

(٨) انظر البغوي ١٦٠/٣، القرطبي ٢٥٦/١٠، روح المعاني ٢٦٨/١٥ كلهم عن ابن عباس، تفسير الرازي ١٠٣/٢١، البحر المحيط ١٢١/٦. وقوله دردي الزيت وهو ما يبقى في أسفله انظر لسان العرب (دردي).

(٩) أخرجه الترمذي ٦٠٧/٤ كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ٢٥٨١، والطبري في تفسيره ١٥٧/١٥، والسيوطي في الدرر ٢٢٠/٤، وابن كثير في تفسيره ١٥١/٥، انظر القرطبي ٢٥٦/١٠، روح المعاني ٢٦٨/١٥، البحر المحيط ١٢١/٦.

سئل عن المهمل، فدعا بذهب وفضة فخلطهما فأذيبا حتى إذا أزيدا وانمعا، قال: هذا أشبه شيء في الدنيا بالمهمل الذي هو شراب أهل النار^(١)!

وهذا القول اختيار الزجاج فقال: إنهم يغاثون بماء كالرصاص المذاب، أو الصفر^(٢) أو الفضة وقوله: ﴿يشوي الوجوه﴾ قال ابن عباس يشويها حتى يسقط لحمها فيه ثم ذمه فقال: ﴿بئس الشراب وساءت﴾ النار ﴿مرتفقا﴾ أي منزلاً ومقراً وجلساً ومعنى المرتفق في اللغة، ما يرتفق به ثم يسمى الدار والمنزل مرتفقا لأنه مما يرتفق به، ثم ذكر ما وعد المؤمنين، فقال: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ أي: لا نترك أعمالهم تذهب ضياعاً بل نجزيهم بالأعمال الصالحة قوله: ﴿أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ قال الزجاج: أساور جمع أسورة وأسورة جمع سوار، وهو زينة تلبس في الزند من اليد وهو من زينة الملوك يسور في اليد ويتوج على الرأس^(٣) قال سعيد بن جبير يحلى كل واحد منهم ثلاثة من الأساور، واحد من فضة، وواحد من ذهب، وواحد من لؤلؤ ويواقيت^(٤) وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ «لو أن أدنى أهل الجنة حلية، عدلت حليته بحلية أهل الدنيا جميعاً لكان ما يجليه الله به في الآخرة، أفضل من حلية أهل الدنيا جميعاً»^(٥) وقوله ﴿ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق﴾ قال المفسرون^(٦) السندس نمارق من الديداج والإستبرق ما غلظ منه، وهو اسم أعجمي، أصله الفارسية استبر، فنقل إلى العربية وقوله ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ الاتكاء التحامل على الشيء، نحو التوكؤ ومنه قوله تعالى: ﴿أتروكاً عليها﴾^(٧) والأرائك جمع أريكة وهو سرير في حجلة^(٨) قال ابن عباس ومجاهد: الأرائك السرر في الحجال وهي من ذهب مكللة بالندر والياقوت^(٩) ﴿نعم الثواب﴾ قال ابن عباس طاب ثوابهم وعظم ﴿وحسنت﴾ الأرائك ﴿مرتفقا﴾ موضع ارتفاق بمعنى اتكاء.

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ۚ ۳١﴾ كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكْلُهُمَا وَلَمْ تَطْعِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ۚ ۳٢﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۚ ۳٣﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۚ ۳٤﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأُجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۚ ۳٥﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِمَّنْ نُطِفَ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۚ ۳٦﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي ۚ

(١) انظر تفسير ابن سعود. تفسير البغوي ١٦٠/٣ عن ابن مسعود.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٨٢/٣.

(٣) انظر تفسير القرطبي ٢٥٨/١٠، روح المعاني ٢٧٠/١٥ بلا نسبة.

(٤) انظر البحر المحيط ١٢٢/٦، تفسير الرازي ١٠٤/٢١ بلا نسبة.

(٥) ذكره الهيثمي في الدر ٤٠٤/١٠، وعزاه للطبراني في الأوسط عن شيخه المقدم بن داود، وقال هو ضعيف، وقد وثق وبقيه رجاله

ثقات وذكره السيوطي في الدر ٢٢١/٤، وزاد نسبه للبيهقي في البعث.

(٦) انظر تفسير البغوي ١٦١/٣، البحر المحيط ١٢٢/٦.

(٧) سورة طه آية ١٨.

(٨) موضع يزين بالثياب والستور للعرس ترتيب القاموس ٥٩٦/١.

(٩) انظر تفسير الطبري ٢٤٣/١٥، تفسير القرطبي ٢٥٨/١٠، روح المعاني ٢٧٢/١٥، تفسير البغوي ١٦١/٣.

أَحَدًا ٣٨ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنُّنًا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ٣٩
فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَنُصَبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ٤٠ أَوْ يُصْبِحُ
مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُمُ طَلَبًا ٤١ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا بَنِيَّ لِمَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ٤٢ وَلَمْ تَكُنْ لَمَّ فَتَةً يَصُرُونَ مِمَّن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ٤٣ هُنَالِكَ
الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ٤٤

قوله: ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين﴾ قال عطاء عن ابن عباس يريد ابني ملك كان في بني إسرائيل توفي وترك ابنين، فاتخذ أحدهما الجنان والقصور، والآخر كان زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة فكان إذا عمل أخوه شيئاً من زينة الدنيا، أخذ مثل ذلك فقدمه لآخرته، وأخذ به عند الله الجنان والقصور حتى نفذ ماله، فضربهما الله تعالى مثلاً للمؤمن والكافر الذي ابطرته النعمة^(١) وهو قوله ﴿جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل﴾ الحق الإحاط بالشيء، ومنه قوله: ﴿حافين من حول العرش﴾^(٢). يقال: جعلنا النخل مطيقاً بهما ﴿وجعلنا بينهما﴾ بين الجنتين ﴿زرعاً﴾ ثم أخبر أنهما كانا يؤديان حملهما من نخلهما وأعنابهما، والزرع الذي كان بينهما، قال ﴿كلتا الجنتين أتتا أكلهما﴾ أي أتت صاحبتها أكلها، وهو ما يؤكل منها من الربيع ﴿ولم تظلم منه شيئاً﴾ لم تنقص، يقال: ظلمه حقه أو نقصه. ﴿وفجرنا خلالهما﴾ أنبطنا^(٣) وأخرجنا وسط الجنتين ﴿نهرأ وكان له﴾ للأخ الكافر ﴿ثمر﴾ قال الوالي مال^(٤) وقال مجاهد ذهب وفضة^(٥)، وقال قتادة: من كل المال، وقرىء ثمر وثمر وثمر بضم الثاء وسكون الميم^(٦) قال الليث: الثمر حمل الشجر والتمر أنواع المال يقال أثمر الرجل إذا كثرت ماله وثمر الله مال فلان كثرة^(٧) والثمر تخفيف الثمر مثل عنق وعنق والمفسرون على أن الثمر ههنا الأموال ﴿فقال لصاحبه﴾ لأخيه ﴿وهو يحاوره﴾ يراجعه الكلام ويجاوبه ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ النفرة والقوم والرهط معناها الجمع لا واحد لها من لفظها، قال ابن عباس يريد كثرة العبيد وعزه فيهم وقال قتادة وتلك والله أمنية الفاجر، كثرة المال، وعزة النفر، وهم الخدم والحشم^(٨)، وقال غيره: يعني عشيرة ورهطاً^(٩).

قوله: ﴿ودخل جنته﴾ قال المفسرون^(١٠) أخذ بيد أخيه المسلم، فأدخله جنته، يطوف به فيها ويريه أياها، ويعجب

(١) انظر تفسير القرطبي ٢٥٩/١٠، روح المعاني ٢٧٣/١٥، كلاهما عن ابن عباس، تفسير الرازي ١٠٥/٢١، البحر المحيط ١٢٤/٦.

(٢) سورة الزمر آية ٧٥.

(٣) الماء ينبط إذا نبع انظر ترتيب القاموس ٣١٤/٤.

(٤) انظر البحر المحيط ١٢٥/٦، عن أبي عمرو بن العلاء.

(٥) انظر تفسير البغوي ١٦٢/٣، البحر المحيط ١٢٥/٦، تفسير القرطبي ٢٦٢/١٠ عن ابن عباس، روح المعاني ٢٧٢/١٥، تفسير الرازي ١٠٧/٢١.

(٦) انظر النشر في القراءات العشر ٣١٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢١٤/٢، البحر المحيط ١٢٥/٦، تفسير البغوي ١٦٢/٣.

(٧) انظر تهذيب اللغة ٨٣/١٥، تفسير الرازي ١٠٦/٢١.

(٨) انظر تفسير البغوي ١٦٢/٣، تفسير القرطبي ٢٦٢/١٠، روح المعاني ٢٧٥/١٥.

(٩) انظر تفسير البغوي ١١٦٢/٣، زاد المسير ١٤٢/٥.

(١٠) تفسير البغوي ١٦٢/٣، تفسير القرطبي ٢٦٢/١٠ بلا نسة.

منها ﴿وهو ظالم لنفسه﴾ بالكفر بالله ﴿قال ما أظن أن تبديد هذه أبداً﴾ أنكر فناء الدنيا وفناء جنته، وأنكر البعث والثواب والعقاب بقوله: ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ قال الزجاج أخبر أخاه بكفره بفناء الدنيا، وقيام الساعة^(١) ﴿ولئن رددت إلى ربي﴾ الآية قال ابن عباس: يريد إن كان البعث حقاً^(٢) ﴿لأجدن خيراً منها منقلباً﴾ أي كما أعطاني هذه في الدنيا سيعطيني في الآخرة أفضل منه، لكرامتي عليه. ومن قرأ منهما، رد الكناية إلى الجنتين اللتين تقدم ذكرهما^(٣)، فأجابه صاحبه، مكفراً له بما قال: ﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾ يعني أصل الخلقة ﴿ثم من نطفة ثم سواك رجلاً﴾ أكملك وجعلك معتدل الخلق والقامة ثم أعلمه أنه موحد، فقال ﴿لكننا هو الله ربي﴾ وأصله لكن أنا، فخففت الهمزة، وألقيت حركتها على النون الساكنة قبلها، فصار لكن فأدغموا النون الأولى في الثانية، فصار لكنّ ومن قرأ (لكننا) بإثبات ألف أنا فإنه أثبت الألف في الوصل^(٤) كما ثبت في الوقف على لغة من يقول أنا قمت، وهو غير مختار في القراءة، ثم أقبل على أخيه يلومه، قال: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك﴾ بمعنى هلا وتأويله التوبيخ، ﴿قلت ما شاء الله﴾ قال الفراء والزجاج: ما في موضع رفع على معنى الأمر ما شاء الله^(٥). أي هلا قلت حين دخلتها: الأمر بمشيئة الله، وما شاء الله كان، يعني إن شاء إخراج هذه الجنة وإهلاكها، كان ذلك بمشيئته ﴿لا قوة إلا بالله﴾ قال الزجاج لا يقوى أحد على ما في يديه من ملك ونعمة إلا بالله تعالى، ولا يكون له إلا ما شاء الله^(٦)، ثم رجع إلى نفسه، فقال: ﴿إن ترن أنا أقل منك ملاً وولداً﴾ أنا: عماد^(٧) وأقل مفعول ثان لترى ﴿ففسى ربي أن يؤتيني﴾ قال ابن عباس: في الآخرة^(٨) ﴿خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء﴾، الحسبان المرامي يرمى بها، قال النضر بن شميل: الحسبان: سهام يرمي بها الرجل في جوف قصبه، ينزع في القوس، ثم يرمي بعشرين منها دفعة^(٩) والمعنى يرسل عليها مرامي من عذابه، إما برداً، وإما حجارة، أو غيرهما مما يشاء من أنواع العذاب ﴿فتصبح صعيداً زلجاً﴾ أرضاً لا نبات فيها والزلج المكان المزلق، والمعنى أنها تصير جرداء لا نبات فيها ﴿أو يصبح ماؤها﴾ يعني النهر الذي في خلالها ﴿غوراً﴾ غائراً ذاهباً في الأرض ﴿فلن تستطيع له طلباً﴾ لا يبقى له أثر يطلبه به ﴿وأحيط بشمره﴾ يعني أهلك، وأحيط العذاب بأشجاره ونخيله، ﴿فأصبح﴾ الكافر ﴿يقلب كفيه﴾ قال ابن عباس يضرب يديه واحدة على الأخرى^(١٠) وتقليب الكفين يفعله النادم كثيراً فصار عبارة عن الندم ﴿على ما أنفق فيها﴾ في جنته ﴿وهي خاوية﴾ ساقطة ﴿على عروشها﴾ سقوفها وما عرش بكرومها ﴿ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً﴾ أخبر الله أنه سلبه ما أنعم عليه في الدنيا، فندم حين لم تنفعه الندامة، وتمنى أنه كان موحداً غير مشرك، قوله: ﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله﴾ قال ابن عباس لم ينصره النصر الذين افتخر بهم في قوله ﴿وأعز نفراً﴾^(١١) ﴿وما كان متصراً﴾ بأن يسترد بدل ما ذهب منه،

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٨٥/٣.

(٢) انظر تفسير القرطبي ٢٦٢/١٠.

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠١/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢١٤/٢.

(٤) المصدران السابقان.

(٥) انظر معاني القرآن للقراء ١٤٥/٢، معاني القرآن للزجاج ٢٨٨/٣.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٨٨/٣.

(٧) عماد أي مسند إليه

(٨) انظر تفسير البيهقي ١٦٣/٣، تفسير القرطبي ٢٦٥/١٠، روح المعاني ٢٨٠/١٥.

(٩) انظر تهذيب اللغة ٣٣٢/٤.

(١٠) انظر تفسير البيهقي ١٦٣/٣، تفسير القرطبي ٢٦٦/١٠، تفسير الرازي ١٠٩/٢١ كلهم بلا نسبة.

(١١) انظر تنوير المقباس ١٧٧/٣.

وضربت هذه القصة مثلاً للمؤمن والكافر فالكافر تغره دنياه، ويتبجح بها، ويظن أنها تبقى له، والمؤمن من صبر على نوائبها، احتساباً بها جميل الآخرة، ولا يركن إليها، لما يعلم من فائتها، وسرعة انقضائها، وقبل ذكر قصة الأخوين، ذكر الله ما أعد للكافرين والمؤمنين، ثم عاد الكلام إلى ما قبل القصة، فقال ﴿هنالك﴾ قال الكلبي يقول عند ذلك وهو يوم القيامة^(١) ﴿الولاية﴾ أكثر القراء على فتح الواو^(٢) والولاية نقیض العداوة ويجوز الكسر فيها، ذكرنا ذلك في سورة الأنفال وقوله: ﴿الله الحق﴾ من كسر القاف جعله من وصف الله تعالى، ويدل على صحة هذه القراءة قوله: ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾^(٣) وقوله: ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾^(٤) ومن ضم القاف^(٥)، جعله من وصف الولاية وحجته قراءة أبي ﴿هنالك الولاية الحق لله﴾ قال ابن قتيبة: يريد يومئذ يتولون الله تعالى ويؤمنون به، ويتبرأون مما كانوا يعبدون^(٦) وذهب آخرون إلى أن الولاية [ههنا]^(٧) بمعنى تولى الأمر لا إلى معنى الموالاته، فقالوا: معنى الآية في ذلك الموطن الذي هو موطن الجزاء، لا يتمكن أحد من نصر أحد، بل الله تعالى يتولى ذلك، فينصر المؤمنين، ويخذل الكافرين لا يملك ذلك أحد من العباد، فالولاية يومئذ تخلص له، كما قال: ﴿مالك يوم الدين﴾^(٨) وقوله ﴿هو خير ثواباً﴾ يقول: هو أفضل ثواباً ممن يرجي ثوابه على تقدير لو كان يثيب غيره، هو^(٩) خير ثواباً ﴿وخير عقياً﴾ أي عاقبة طاعته، خير من عاقبة طاعة غيره، فهو خير عقب طاعة وإثابة ثم حذف المضاف إليه قوله:

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴿٤٦﴾

﴿واضرب لهم﴾ يعني قومك ﴿مثل الحياة الدنيا﴾ وهذا مفسر في سورة يونس إلى قوله ﴿فأصبح هشيماً﴾ وهو الكسير المتفتت، والهشيم الكسر، والهشيم ما تكسر وتحطم من يبس النبات ﴿تذروه الرياح﴾ الذرو: حمل الريح الشيء، ثم تنشره وتفرقه يقال: ذرته الريح. تذروه قال المفسرون^(١٠) ترفعه وتفرقه ﴿وكان الله على كل شيء﴾ من الإنشاء والإفناء ﴿مقتدراً﴾ قادراً على إنشاء النبات ولم يكن، ثم أفناه. قوله: ﴿المال والبنون﴾ الآية هذا رد على

(١) انظر تفسير القرطبي ٢٦٧/١٠ بلا نسبة.

(٢) اختلف القراء في لفظ (الولاية) ففي قراءة حمزة والكسائي بكسر الواو، وفي قراءة الباقرين بالفتح، وحكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: كسر الواو لحن قال الزمخشري: الولاية بالفتح البصرة والتولي، وبالكسر السلطان والملك. انظر تفسير الرازي

١١٠/٢١، النشر في القراءات العشر ٢/٢٧٧، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢١٦.

(٣) سورة النور آية ٢٦.

(٤) سورة الأنعام آية ٦٤.

(٥) قرأ أبو عمرو والكسائي: (الحق) بالرفع، والتقدير هنالك الولاية الحق لله، وقرأ الباقرين بالجر صفة لله، كما أشار المصنف رحمه الله، انظر المصادر السابقة.

(٦) انظر غريب القرآن ٢٦٨.

(٧) في ب (هنالك).

(٨) سورة الفاتحة ٤. انظر تفسير الطبري ٢٥١/١٥، زاد المسير ١٤٧/٥.

(٩) في ب، جـ (لكان هو).

(١٠) انظر تفسير البغوي ١٦٤/٣ عن ابن عباس، تفسير القرطبي ٢٦٨/١٠ عن أبي عبيدة، روح المعاني ٢٦٨/١٥ عن أبي عبيدة والأخفش.

الرؤساء الذين كانوا يفتخرون بالمال والغنى والأبناء ، أخبر الله تعالى أن ذلك مما يترين به في الحياة الدنيا، لا مما ينفع في الآخرة ﴿والباقيات الصالحات﴾ يعني ما يأتي به سلمان، وصهيب وفقراء المسلمين، وهي سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء ومجاهد وعكرمة والضحاك^(١).

أخبرنا: أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج أنا أبو بكر بن المؤمل أنا الفضل بن محمد البيهقي أنا عبد الله بن صالح نا كثير بن سليم عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال جلسائه: خذوا جنتكم، قالوا: أحضر عدو؟ قال: خذوا جنتكم من النار قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن المقدمات وهن المنجيات وهن المعقبات وهن الباقيات الصالحات^(٢).

أخبرنا: محمد بن علي بن حبيب الوراق أنا الحسن بن أحمد بن علي الشيباني أنا محمد بن حمدون بن خالد نا الحسن بن الفضل نا يوسف بن عيسى نا عكرمة عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: رسول الله ﷺ إن عجزتم عن الليل أن تكابدوه وعن العدو أن تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن من الباقيات الصالحات^(٣) فتولوها. وقال في رواية سعيد بن جبيرة: هي الصلوات الخمس وهو قول مسروق وابن مسعود وإبراهيم^(٤) وقال في رواية علي بن أبي طلحة هي الأعمال الصالحات وجميع الحسنات وهو قول قتادة^(٥) وقال: كل طاعة لله فهي من الباقيات الصالحات^(٦) واختاره الزجاج فقال: هي كل عمل صالح يبقى ثوابه^(٧).

وقوله: ﴿خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: يريد أفضل ثواباً وأفضل أملاً من المال

والبنين^(٨): قوله:

وَيَوْمَ نُسِِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۗ وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۗ ۝٤٨ ۗ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩

(١) انظر تفسير الرازي ١١٢/٢١ بلا نسبة.

(٢) في سنده كثير بن سليم الضبي البصري المدائني ضعفه ابن المديني وأبو حاتم وقال النسائي: متروك وقال أبو زرعة: واه، انظر ميزان الاعتدال ٤٠٥/٣ تهذيب التهذيب ٤١٦/٨. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرک ٥٤١/١، كتاب الدعاء باب دعاء وقت الاضطجاع وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والطبراني في الصغير ١٤٥/١، والخطيب في التاريخ ٣٣٦/٩. وابن عدي في الكامل ٢٠٨٥/٦ وذكره السيوطي في الدر ٢٢٥/٤.

(٣) أخرجه الطبراني موقوفاً كذا في مجمع الزوائد ٩٣/١، وقال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح، وأخرجه البغوي في التفسير ١٦٤/٣.

(٤) انظر تفسير البغوي عن سعيد بن جبيرة، ومسروق، وإبراهيم وابن عباس، تفسير القرطبي ٢٦٩/١٠ عن ابن عباس وابن جبيرة وغيرهم.

(٥) انظر تفسير البغوي ١٦٥/٣ مختصراً، روح المعاني ٢٨٧/١٥، تفسير الرازي ١١٢/٢١.

(٦) انظر تفسير الطبري ٢٥٦/١٥، واختار أن المراد بالباقيات الصالحات جميع أعمال الخير، وقال: فإن ظن أن ذلك مخصوص بحديث «سبحان الله» فإن ذلك بخلاف ما ظن فمراد الحديث من الباقيات سبحان الله.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٩٢/٣.

(٨) انظر القرطبي ٢٦٩/١٠ بلا نسبة، روح المعاني ٢٨٧/١٥ بلا نسبة.

﴿ويوم﴾ أي وأذكر يوم تسير الجبال من وجه الأرض كما يسير السحاب في الدنيا ، ثم يكسر ، فيعود في الأرض ، كما قال ﴿ويست الجبال بساً فكانت هباءً منثباً﴾^(١) وقرىء ﴿نسير﴾ الجبال على بناء الفعل للفعل وهذه القراءة أشبه بما بعده من قوله: ﴿وحشرناهم فلم تغادر﴾ وقوله: ﴿وترى الأرض بارزة﴾ أي ظاهرة ليس عليها شيء من جبل أو بناء أو شجر، ﴿وحشرناهم﴾ يعني المؤمنين والكافرين ﴿فلم تغادر﴾ لم تترك ولم تخلف ﴿مهم﴾ أحداً وعرضوا على ربك ﴿يعني المحشورين﴾ صفاً ﴿مصفوفاً﴾ كل زمرة وأمة صف ﴿لقد جتّمونا﴾ أي: يقال لهم: لقد جتّمونا ﴿كما خلقناكم أول مرة﴾ قال ابن عباس حفاة عراة^(٢) وقال الزجاج أي بعثناكم وأعدناكم ثانياً كما خلقناكم، لأن قوله ﴿لقد جتّمونا﴾ معناه بعثناكم^(٣) ﴿بل زعتم﴾ خطاب لمنكري البعث خاص، معناه: بل زعتم في الدنيا ﴿ألن نجعل لكم موعداً﴾ للبعث والجزاء ﴿ووضع الكتاب﴾ يعني كتاب أعمال الخلق والكتاب السم الجنس فيعم، والمعنى: وضع كتاب كل امرئ في يمينه أو شماله، ﴿فترى المجرمين﴾ يريد المشركين ﴿مشفقين﴾ خائفين ﴿مما فيه﴾ من الأعمال السيئة ﴿ويقولون يا ويلتنا﴾ لوقوعهم في الهلكة يدعون بالويل على أنفسهم ﴿مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة﴾ قال ابن عباس في رواية عكرمة: الصغيرة التيسم والكبيرة الضحك^(٤) وقال سيد ابن جبير: الصغيرة اللحم والكبيرة الزنا^(٥) ﴿إلا أحصاها﴾ عدّها وأثبتها وكتبها ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ مكتوباً مثبتاً ذكره في الكتاب، ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ لا يعاقبه بغير جرم ثم أمر نبيه أن يذكر هؤلاء المتكبرين عن مجاملة الفقراء، قصة إبليس وما أورثه الكبر، فقال:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَسَتَّخَذُوا كُفْرًا
وَدُرَيْتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٦﴾ ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥٧﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ
فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٨﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا
عِنَهَا مَصْرَفًا ﴿٥٩﴾

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا﴾ إلى قوله ﴿كان من الجن﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء إن ملائكة السماء الدنيا يقال لهم الجن^(٦) مثل قوله ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾^(٧) يعني حين قالوا: الملائكة بنات الله تعالى وقال شهر بن حوشب قال ابن عباس: كان إبليس من الملائكة من قبيل يقال لهم الجن^(٨) وقوله ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ خرج من طاعة ربه إلى معصيته في ترك السجود^(٩) قال الفراء والعرب تقول:

(١) سورة الواقعة ٥ - ٦ .

(٢) انظر الطبري ٥٤٣/١٥، تفسير القرطبي ٢٧١/١٠ بلا نسبة، روح المعاني ٢٩٠/١٥ بلا نسبة، تفسير الرازي ١١٤/٢١ بلا نسبة.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٩٢/٣ .

(٤) انظر تفسير البغوي ١٦٦/٣ تفسير القرطبي ٢٧٢/١٠، روح المعاني ٢٩٢/١٥ الدر المنثور ٤/٢٢٦ .

(٥) انظر تفسير البغوي ١٦٦/٣، القرطبي ٢٧٢/١٠، روح المعاني ٢٩١/١٥ .

(٦) انظر تفسير الطبري ٢٥٩/١٥، تفسير البغوي ١٦٦/٣ .

(٧) سورة الصافات آية ١٥٨ .

(٨) انظر روح المعاني ٢٩٣/١٥ بلا نسبة .

(٩) بين الله تعالى: في هذه الآية أن إبليس كان من الجن، وللناس في هذه المسألة ثلاثة أقوال. الأول: أنه من الملائكة وكونه من

فسقت الرطبة من قشرها لخروجها منه^(١) ﴿أفتتخذونه وذريته﴾ قال قتادة والحسن يعني أولاده يتوالدون كما يتوالد بنو آدم^(٢) وكان مجاهد يذكر من ذريته زلنبور صاحب راية إبليس بكل سوق وثبر صاحب المصائب، والأعور صاحب أبواب الزنا، ومسوط صاحب الأخبار يأتي بها فيطرحها على أفواه الناس لا يوجد لها أصل، وداسم الذي إذا دخل الرجل بيته فلم يسم ولم يذكر الله تعالى، يضره من المتاع ما لم يرفع ولم يوضع في موضعه وإذا أكل ولم يذكر اسم الله تعالى، أكل معه فهؤلاء ذريته^(٣) وروى ليث عن مجاهد قال: ذريته الشياطين وقوله ﴿أولياء من دوني﴾ قال الكلبي ليس يصلون له، ولا يصومون ولكن من أطاع شيئاً فقد عبده، ﴿بئس للظالمين بدلاً﴾ قال الحسن بئس ما استبدلوا نعمة ربهم إذ أطاعوا إبليس فبئس ذلك بدلاً لهم^(٤)، قوله ﴿ما أشهدتهم﴾ أي ما أحضرتهم يعني إبليس وذريته ﴿خلق السماوات والأرض﴾ يعني أنه لم يشاورهم في خلقهما بل خلقهما وحلقهما على ما أراد وقدر من غير مشاورة لهم، وهذا إخبار عن كمال قدرته، واستغنائها عن الأنصار والأعوان يدل على هذا قوله: ﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ أي الشياطين الذين يضلون الناس عضداً قال قتادة أعواناً يعضدونني عليه والعضد كثيراً ما يستعمل في معنى العون وذلك أن العضد قوام اليد ومنه قوله: ﴿سنشد عضدك بأخيك﴾^(٥) أي سنعينك، وتقويك به، ووجد العضد، لوفاق الفواصل قوله ﴿ويوم يقول﴾ قال ابن عباس يريد يوم القيامة، يقول الله تعالى يوم القيامة: ادعوا الذين أشركتم بي، ليمنعوكم من عذابي^(٦) وهو قوله: ﴿نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ فلم يجيبوهم، لأنهم كانوا جماداً ﴿وجعلنا بينهم﴾ بين المؤمنين والكافرين ﴿موبقاً﴾ ذكر في التفسير أنه اسم واد عميق فرق الله به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة وهو قول مجاهد وقتادة^(٧) ونوف البكالي^(٨) قال ابن الأعرابي وكل حاجز بين الشيتين فهو موبق^(٩) قال ابن عباس في رواية الوالي مهلكاً^(١٠) قال الفراء يقول جعلنا تواصلهم في الدنيا موبقاً، أي مهلكاً لهم في الآخرة^(١١)، والبين على هذا القول معناه التواصل، كقوله ﴿لقد تقطع بينكم﴾^(١٢) في قراءة من قرأ

= الملائكة لا ينافي كونه من الجن ولهم فيه وجوه الأول: أن قبيلة من الملائكة يسمون بذلك لقوله تعالى: ﴿وجعلوا بيته وبين الجنة نسبا﴾ الصافات (١٥٨). ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ الأنعام (١٠٠) والثاني: أن الجن سموا جنّاً للاستتار، والملائكة كذلك فهم داخلون في الجن. الثالث: أنه كان خازن الجنة، ونسب إلى الجنة كقولهم كوفي وبصري. والقول الثاني: أنه من الجن الذين هم الشياطين، والذين خلقوا من نار وهو أبوهم. والقول الثالث: قول من قال كان من الملائكة فمسخ. انظر الرازي (١١٦/٢١).

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١٤٧/٢، روح المعاني ٢٩٣/١٥.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٦٢/١٥، زاد المسير ١٥٤/٥، تفسير البغوي ١٦٧/٣. عن قتادة.

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٦٢/١٥، تفسير البغوي ١٦٧/٣.

(٤) انظر زاد المسير ١٥٤/٥، تفسير البغوي ١٦٧/٣ عن قتادة تفسير القرطبي ٢٧٣/١٠ بلا نسبة، تفسير الرازي ١١٧/٢١ بلا نسبة.

(٥) سورة القصص آية ٣٥.

(٦) انظر زاد المسير ١٥٥/٥، تفسير القرطبي ٤/١١ بلا نسبة.

(٧) انظر تفسير البغوي ١٦٨/٣، عن مجاهد، تفسير القرطبي ٤/١١ عن مجاهد ونوف البكالي.

(٨) نوف بن فضالة البكالي ابن امرأة كعب، شامي مستور، وإنما كذب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب. انظر التقريب ٣٠٩/٢.

(٩) انظر تهذيب اللغة ٣٥٤/٩.

(١٠) انظر زاد المسير ٥٥/٥، تفسير البغوي ١٦٨/٣، تفسير القرطبي ٤/١١، كلاهما عن عطاء والضحاك، روح المعاني ٢٩٨/١٥ بلا نسبة.

(١١) انظر معاني القرآن للفراء ١٤٧/٢، تفسير الرازي ١١٩/٢١، عن الفراء.

(١٢) سورة الأنعام آية ٩٤.

بالرفع، والمعنى: أن تواصلهم وتعاونهم ومخالطهم^(١) في الكفر واجتماعهم على عداوة محمد ﷺ ينسب هلاكهم في الآخرة، يقال: بيق وبقاً يويق فهو يوق وبيق وبقاً فهو وابق، قال ولم أسمعها^(٢)، قوله: ﴿ورأى المجرمون النار﴾ قال ابن عباس يريد المشركين^(٣) «رأوها وهي تتلظى حرقاً عليهم ﴿فظنوا﴾ علموا وأيقنوا ﴿أنهم واقعوها﴾ واردوها وداخلوها ومعنى الواقعة الملابس للشيء بشدة ﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ لأنها أحاطت بهم من كل جانب فلم يقدروا على الهرب ولا على الرجوع عنها المصروف الموضع الذي يصرف إليه، قوله:

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۗ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۗ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَبِجَدَلٍ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۗ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَّ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيِلًا ۗ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۗ

﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل﴾ مفسر في سورة بني إسرائيل، وقوله: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ قال ابن عباس يريد النضر بن الحارث وجداله في القرآن^(٤) وقال الكلبي يعني أبي بن خلف^(٥) وقال الزجاج معناه كان الكافر، يدل عليه قوله: ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾^(٦) قوله ﴿وما منع الناس﴾ يعني أهل مكة ﴿أن يؤمنوا﴾ أي الإيمان ﴿إذ جاءهم الهدى﴾ محمد ﷺ جاءهم من الله تعالى بالرشاد والبيان ﴿ويستغفروا ربهم﴾ عطف على أن يؤمنوا ﴿إلا أن تأتيهم سنة الأولين﴾ وهو أنهم إذا لم يؤمنوا عذبوا يقول: لقد قدرت على هؤلاء العذاب، فذلك الذي يمنعهم عن الإيمان، وهذه الآية فيمن قتلوا من المشركين بيد واحد وهو قوله ﴿أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾ أي عياناً مقابلة، وقرأ أهل الكوفة قبلاً جمع قبيل^(٧) أي: صنفاً صنفاً، وقوله: ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾ قال ابن عباس يريد المستهزئين والمقتسمين^(٨) وأتباعهم وجدالهم بالباطل أنهم ألزموه أن يأتي بالآيات على أهوائهم على ما كانوا يقترحون ﴿ليدحضوا به الحق﴾ ليبتلوا به ما جاء به محمد ﷺ، يقال: دحضت

(١) الخل: الصديق المختص، انظر ترتيب القاموس ١٠٢/٢. والمخاللة: المصادقة.

(٢) انظر معاني القرآن للقرطبي ١٤٧/٢.

(٣) انظر تفسير البغوي ١٦٨/٣ بلا نسبة.

(٤) انظر تفسير القرطبي ٦/١١ روح المعاني ٣٠٠/١٥، كلاهما بلا نسبة.

(٥) انظر تفسير القرطبي ٦/١١ بلا نسبة، روح المعاني ٣٠٠/١٥.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٩٦/٣.

(٧) انظر النشر في القراءات العشر ٢٦٠/٢.

(٨) انظر تفسير الطبري ٢٧٠/١٥، القرطبي ٦/١١ بلا نسبة.

حجته أي بطلت، وأدحضت حجته إذا أبطلتها وقوله: ﴿وَاتَّخِذُوا آيَاتِي﴾ يعني القرآن ﴿وَمَا أَنْذَرُوا﴾ وما خوفوا به من النار والقيامة ﴿هَزُوا﴾ مهزواً به، قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ استفهام معناه التقرير أي لا أحداً ظلم ﴿مَنْ ذَكَرَ﴾ وعظ ﴿بآيات ربه﴾ بالقرآن وما فيه من الوعيد ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ تهاوناً بها ﴿وَنَسِيَ مَا قَدِمْتَ يَدَاهُ﴾ يعني ما سلف من ذنوبه، وما بعد هذا مفسر في سورة الأنعام ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾ إلى الإيمان والقرآن ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ قال الزجاج أخبر الله تعالى أن هؤلاء أهل الطبع على قلوبهم^(١) ﴿وَرَبِّكَ الْغَفُورُ﴾ الغافر الساتر على عباده ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ حين لم يعاجلهم بالعقوبة وهو قوله: ﴿لَوْ يَأْخُذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلُوا أَلَمُ﴾ العذاب بل لهم موعد ﴿لِلْبَعْثِ وَالْحِسَابِ﴾ لن يجدوا من دونه موثلاً ﴿مَنْجَى وَمَلْجَأً﴾ قال: وأل يثل وألا، إذا نجا، قوله ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ يعني أهلها، ولذلك قال: أهلكناهم قال ابن عباس يريد ما أهلك بالشام واليمن^(٢) ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ أشركوا وكذبوا الأنبياء ﴿وَجَعَلْنَا لِمَلِكِهِمْ﴾ يجوز أن يكون المهلك ههنا مصدرأ، ويجوز أن يكون وقتاً، والمعنى: جعلنا لإهلاكهم أو لوقت إهلاكهم ومن قرأ: لمهلكهم بفتح الميم وكسر اللام^(٣) كان المعنى لوقت هلاكهم ومن قرأ بفتحها، فهو مصدر مثل الهلاك وقوله: ﴿مَوْعِدًا﴾ أي وقتاً وأجلاً، قوله:

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أُنْبِرُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿١٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿١١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنَّا نَعْدَاءُ نَالِقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿١٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَأَاتَيْتُهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿١٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿١٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿١٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿١٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٢٠﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ﴾ الآية.

أخبرنا: أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسن الحيري نا محمد بن يعقوب الأموي أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوحا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس بموسى بني إسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله^(٤).

أخبرني أبي بن كعب قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم؟ فقال أنا، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٩٧/٣.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٧٠/١٥.

(٣) قرأ حفص بفتح الميم، وكسر اللام، وقرأ أبو بكر بفتح الميم واللام انظر النشر في القراءات العشر (٢/٢٦٠)، إتحاف فضلاء البشر

(٢/٢١٨).

(٤) انظر تفسير البغوي ١٧٠/٣، تفسير القرطبي ٨/١١ بنحوه، تفسير الرازي ١٢٢/٢١.

موسى: يا رب، فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً، فتجعله في مكثل فحيثما فقدت الحوت، فهو ثم، فأخذ حوتاً، فجعله في مكثل ثم انطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة، وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكثل فخرج منه، فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتها، حتى إذا كان من الغد، قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. قال: ولم يجد موسى النصب، حتى جاوز المكان الذي أمره الله به فقال فتاه: أرايت إذ أوتينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً، قال: فكان للحوت سرباً، ولموسى وفتاه عجباً، فقال موسى: ذلك ما كنا نبغ، فارتدا على آثارهما قصصاً، قال: رجعا يقصان آثارهما، حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى، فقال الخضر وأنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى قال موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً، قال: إنك لن تستطيع معي صبراً يا موسى، إني على علم من علم الله تعالى، لا تعلمه، علمنيه، وأنت على علم من علم الله علمك لا أعلمه، فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً، فقال له الخضر، فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منك ذكراً، ﴿فانطلقا﴾ يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة، فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير قول^(١) فلما ركبا في السفينة، لم يفاجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدم، فقال له موسى: قوم قد حملونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم، فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت شيئاً إمرأ، قال: ﴿ألم أقل﴾ ﴿إنك لن تستطيع معي صبراً﴾؟ قال ﴿لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً﴾ قال: وقال رسول الله ﷺ: وكانت الأولى من موسى نسياناً، قال: وجاء عصفور، فوقع على حرف السفينة فخر في البحر نقرة، فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقر هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة فينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه فقال له موسى: ﴿أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً﴾ قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: وهذه أشد من الأولى، قال: ﴿إن سألتك عن شيء فلا﴾، إلى قوله: ﴿يريد أن ينقض﴾، قال: مائلاً فقام الخضر فأقامه بيده فقال موسى: قوم آتيناهم فلم يطعمونا، ولم يضيفونا، لو شئت لتخذت عليه أجراً قال: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ الآية. فقال رسول الله ﷺ: وددنا أن موسى كان صبر، حتى يقص علينا من خبرهما قال سعيد بن جبیر: كان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا، وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافراً، وكان أبواه مؤمنين، رواه البخاري^(٢) عن الحميدي، ورواه مسلم^(٣) عن ابن أبي عمر كلاهما عن سفيان.

وقوله: ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ معناه: واذكر ذلك، لما في تلك القصة من العبرة، قوله ﴿لفتاه﴾ أجمعوا على أنه يوشع بن نون، قال الفراء: إنما سمي فتى موسى، لأنه كان ملازماً له، يأخذ عنه العلم ويخدمه^(٤) ﴿لا أبرح﴾ لا أزال، ومنه قوله ﴿لن نبرح عليه عاكفين﴾^(٥) والمعنى: لا أزال أسير، حتى أبلغ مجمع البحرين، قال قتادة: يعني بحر

(١) نول: أي عطاء، انظر ترتيب القاموس ٤/٤٦٣.

(٢) أخرجه البخاري ٨/٢٦٢ كتاب التفسير باب قوله: ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾، (٤٧٢٥).

(٣) أخرجه مسلم (٨٤٧/٤) كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر (١٧٠ - ٢٣٨٠).

(٤) انظر روح المعاني ١٥/٣١١ بلا نسبة.

(٥) سورة طه آية ٩١.

فارس وبحر الروم، وكان ذلك الموضع الذي وعد موسى للقاء الخضر^(١) وقوله ﴿أو أمضي حقباً﴾ أي أسير حقباً قال الوالبي «دهراً»^(٢) والحقب عند أهل اللغة ثمانون سنة^(٣)، والمعنى: لا أزال أسير، وإن احتجت إلى أن أسير حقباً، حتى أبلغ مجمع البحرين ﴿فلما بلغا﴾ يعني موسى وصاحبه ﴿مجمع بينهما﴾ بين البحرين، وهو حيث وعد للقاء الخضر وقوله: ﴿نسيا حوتهما﴾ قال المفسرون^(٤) كانا فيما تزودا حوت مملح في زبيل^(٥) فكانا يصيبان منه الغذاء والعشاء فلما انتهيا إلى الصخرة على ساحل البحر، وضع فتاه المکتل، فأصاب الحوت ندى البحر فتحرك في المکتل فانسرب في البحر، وقد كان قيل لموسى: تزود معك حوتاً مالحاً فحيث تفقد الحوت ثم، تجد الرجل العالم، فلما انتهيا إلى الصخرة قال لفتاه: امكث حتى آتيك وانطلق موسى لحاجته فجرى الحوت حتى وقع في البحر فقال «قتادة» إذا جاء نبي الله حدثته فأنساه الشيطان، فذلك قوله ﴿نسيا حوتهما﴾ وإنما نسيه يوشع أن يذكر قصته لموسى، فأضيف النسيان إليهما توسعاً، لأنهما جميعاً تزودانه، فصار كما يقال: نسي القوم زادهم وإنما نسيه أحدهم، وقوله: ﴿فانخذ سبيله في البحر سرباً﴾ قال قتادة: جعل لا يسلك طريقاً إلا صار الماء جامداً، وقال الربيع بن أنس انجاب^(٦) الماء عن مسلك الحوت، فصار كوة^(٧) لم يلتئم، والسرب معناه في اللغة المحفور في الأرض^(٨)، لا نفاذ له، شبه مسلك الحوت في الماء، والماء منجاب عنه بالسرب، كما قال الفراء لما وقع في الماء جمده مذهبه في البحر فكان كالسرب^(٩) ﴿فلما جاوزا﴾ ذلك المكان الذي كانت عنده الصخرة، وذهب الحوت، انطلقا فأصابهما ما يصيب المسافرين من النصب والكلال، ولم يجد موسى النصب، حتى جاوز الموضع الذي يريده فدعا بالطعام ليأكل، وهو قوله: ﴿أتنا غداءنا﴾ وهو الطعام الذي يؤكل بالغداء ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ وهو الإعياء من العناء والفعل نصب ينصب، فلما قال له موسى ذلك، تذكر قصة الحوت، فقال لموسى: ﴿أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة﴾ يعني حين نزلا هناك ﴿فإني نسيت الحوت﴾ أن أحدثك، ثم اعتذر فقال: ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره﴾ وذلك أنه لو ذكر لموسى قصة الحوت عند الصخرة، ما جاوزها موسى، وما ناله النصب الذي اشتكاه ﴿واتخذ﴾ الحوت ﴿سبيله في البحر عجباً﴾ أي سبيلاً عجباً، وهو أن الماء انجاب عنه، وبقي كالكوة لم يلتئم، فلما قال هذا يوشع ذكر موسى ما كان عهد إليه أنه يدلك عليه بعض زادك ﴿قال ذلك ما كنا نبغ﴾ أي نطلب ونريد من العلامة ﴿فارتدا على آثارهما﴾ رجعا وعادا عودهما على بدئهما في الطريق الذي جاء منه ﴿قصصاً﴾ يقصان آثارهما قصصاً، والقصص اتباع الأثر، ومنه قوله: ﴿قصيه﴾^(١٠)، قوله: ﴿فوجدنا عبداً من عبادنا﴾ أي أدركنا الخضر واسمه بلياً بن ملكان، وإنما سمي الخضر

(١) انظر تفسير الطبري ٢٧١/١٥، تفسير البغوي ١٧١/٣.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٧١/١٥، روح المعاني ٣١٢/١٥ عن ابن عباس. تفسير البغوي ١٧١/٣ بلا نسبة، تفسير الرازي ٢٤/٢١ بلا نسبة.

(٣) انظر لسان العرب ٩٣٨/٢.

(٤) انظر روح المعاني ٣١٤/١٥، تفسير الرازي ١٢٤/٢١.

(٥) الزبيل وعاء يحمل فيه انظر لسان العرب ١٨٠٨/٣ (زبيل).

(٦) انجاب الماء: أي انخرق. انظر ترتيب القاموس ٥٥٠٨ - ٥٥١.

(٧) الكوة: الحائط انظر ترتيب القاموس ١٠٤/٤.

(٨) انظر ترتيب القاموس ٥٤٣/٢.

(٩) انظر معاني القرآن للفراء ١٥٤/٢.

(١٠) سورة القصص آية ١١.

لأنه إذا صلى في مكان، اخضر ما حوله ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ يعني نبوة^(١) ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما أعطيناه علماً من علم الغيب^(٢)، فقال: ﴿له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً﴾ أي علماً ذا رشد والرشد لغتان كالتخل والنخل، قال قتادة لو كان أحد مكتفياً من العلم لاكتفى نجي الله موسى ولكنه قال: ﴿هل أتبعك﴾ الآية: وقال «الزجاج»: وفيما فعل موسى وهو من جلة الأنبياء من طلب العلم والرحلة في ذلك ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلّم منه^(٣)، فقال له الخضر: ﴿إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ قال ابن عباس لن تصبر على صنيعي، لأنني علمت غيب علم ربي ثم أعلمه العلة في ترك الصبر فقال: ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾ أي لم تعلمه، والخبر علمك بالشيء، يقول كيف تصبر على أمر ظاهر منكر، وأنت لا تعلم باطنه؟ ﴿قال﴾ له موسى: ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً﴾ أصبر على ما أرى منك ﴿ولا أعصي لك أمراً﴾ لا أخالفك في شيء ﴿قال﴾ له الخضر ﴿فإن اتبعتني﴾ أي صحبتني ﴿فلا تسألني عن شيء﴾ مما أفعل مما تنكره ﴿حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ حتى أكون أنا الذي أفسره لك، لأنه قد غاب علمه عنك، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهم سفينة، فكلموهم أن يحملوهم، فحملوهم بغير أجر، فذلك قوله:

فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَا لِغُرُقِ أَهْلِهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ الرَّاقِلُ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا نُوَاخِذُنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تَرْهَقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا ﴿٧٣﴾

﴿فانطلقا حتى إذا ركبنا في السفينة خرقها﴾ أي شقها، قيل: إنه قلع لوحين مما يلي الماء، فحشاها موسى بشوبه، وقال منكرأ عليه: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً﴾ منكرأ عظيماً ويقال: أمر الأمر إذا كبر إمراً، والإمر: الاسم منه، فقال له الخضر: ﴿ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ قال موسى: ﴿لا تواخذني بما نسيت﴾ أي عقلت عن التسليم لك، وترك الإنكار عليك ونسيت ذلك وقال الكلبي يقول: بما تركت من وصيتك وعلى هذا القول النسيان بمعنى الترك لا بمعنى الغفلة^(٤) ﴿ولا ترهقني من أمري عسراً﴾ لا تكلفني مشقة قال أبو زيد أرهقته عسراً إذا كلفته ذلك والمعنى عاملني باليسر لا بالعسر ولا تضيق علي الأمر في صحبتي إياك. قوله:

فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا رَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴿قَالَ الرَّاقِلُ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾

﴿فانطلقا حتى إذا لقينا غلاماً فقتله﴾ روي في حديث أبي بن كعب أنهما خرجا، حتى لقيا غلاماً يلعب مع

(١) الخضر نبي عند الجمهور، وقيل: عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحى، وأيضاً فإن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي. وقيل: كان ملكاً، أمر الله موسى أن يأخذ عنه مما حمله من علم الباطن. والأول الصحيح. انظر القرطبي (١٢/١١). انظر البغوي ١٧٣/٣، روح المعاني ١٥/١٣٢.

(٢) انظر تفسير القرطبي ١٣/١١ بلا نسبة.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٠١/٣.

(٤) في معنى الآية قولان أحدهما: يروي عن ابن عباس، قال: هذا من معارض الكلام والآخر: أنه نسي فاعتذر ففيه ما يدل على أن النسيان لا يقتضي المؤاخظة، وأنه لا يدخل تحت التكليف، ولا يتعلق به حكم طلاق ولا غيره. انظر القرطبي (١١/١٥).

الصبيان فقال به هكذا كأنه اجتذب رأسه فقلعه، وأشار «عبدالرزاق» حين روي هذا الحديث بأصابه الثلاثة السبابة والوسطى والإبهام وفتحها وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن ذلك الغلام كان من أحسن أولئك الغلمان وأصحهم قال موسى حين رأى ذلك: ﴿أقتلت نفساً زكية﴾ قال ابن عباس ومجاهد لم يبلغ الحلم^(١) ومعنى الزكية الطاهرة من الذنوب، وذلك لأنه كان صغيراً لم يبلغ حد التكليف، وقرىء ﴿زاكية﴾^(٢) وهي البريئة من الذنوب، قال الفراء: الزاكية والزكية مثل القاسية والقسية^(٣) وقوله: ﴿بغير نفس﴾ يعني بغير قتل نفس يعني القود ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ فظيلاً منكراً لا يعرف في شرع، فقال الخضر ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ قال موسى ﴿إن سألتك عن شيء﴾ يعني سؤال توبيخ وإنكار ﴿بعدها﴾ بعد النفس المقتولة ﴿فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً﴾ قال ابن عباس: يريد أنك قد أعذرت فيما بيني وبينك وقد أخبرتني أنني لا أستطيع معك صبراً، وهذا إقرار من موسى بأن الخضر قد قدم إليه ما يوجب العذر عنده فلا يلزمه ما انكره.

وروي أن النبي ﷺ تلا هذه الآية فقال لقد استحي نبي الله موسى عندها ولو صبر لرأى ألفاً من العجائب^(٤) وقراءة العامة بتشديد النون من ﴿لندن﴾^(٥) والأصل لندن، ثم يزداد نون مع الياء، نحو مني، وعني، ثم يدغم النون الساكنة في التي تزداد مع الضمير فيصير لذي مشدداً ومن خفف فإنه لم يلحق النون التي تلحق علامة الضمير في نحو ضربني، وقد جمع الشاعر بين اللغتين في قوله:

قَدْنِي مِنْ نَشْرِ الْحَبِيبِينَ قَدْنِي

فَانْطَلَقًا حَتَّى إِذَا أَنِيَّ أَهْلَ قَرِيَّةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ
فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَشَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَنِي وَيَبْنِكَ سَأْنِيَّتُكَ بِنَاوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ
صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ
غَضَبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا

(١) انظر زاد المسير ١٧٣/٥.

(٢) قرأ الجمهور (زاكية) بالألف وقرأ الكوفيون وابن عامر (زكية) بغير ألف وتشديد الياء. انظر تفسير القرطبي ١٥/١١ النشر في القراءات العشر ٣١٣/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٢١/٢ تفسير البغوي ١٧٥/٣.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١٥٥/٢.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٣٠/٤ وعزاه لعبد بن حميد، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) قرأ الجمهور: (منه لَدْنِي) بضم الدال إلا أن نافعاً وعاصماً خففاً النون، فهي (لندن) اتصلت بها ياء المتكلم التي في غلامي فرسي، وكسر ما قبل الياء كما كسر في هذه. وقرأ أبو بكر عن عاصم (لَدْنِي) بفتح اللام وسكون الدال وتخفيف النون. وروي عن عاصم (لَدْنِي) بضم اللام وسكون الدال. انظر القرطبي ١١/١٧. وانظر النشر في القراءات العشر ٣١٣/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٢٢/٢.

(٦) هذا صدر بيت من الرجز لأبي نخيلة، وقيل لحميد الأرقط وعجزه:

ليس الإمام بالشحيح الملحد

انظر الكتاب ٣٧١/٢ ابن عيش ١٢٤/٣ أمالي الشجري ١٤/١ الخزانة ٤٤٩/٢ العيني ٣٧٥/١ الهمع ٦٤/١ الأشموني ١٢٥/١ التصريح ١١٢/١ الخبيبان بهيئة التصغير هما عبد الله بن الزبير وكنيته أبو حبيب ومصعب أخوه.

رَبُّهُمَا خَيْرٌ مِّنْهُ زَكْوَةٌ وَأَقْرَبُ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

قوله ﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ قال ابن عباس: هي انطاكية^(١) وقال ابن سيرين: الأبله^(٢) ﴿استطعما أهلها﴾ سألهم الطعام ﴿فأبوا أن يضيفوه﴾ روى أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: «كانوا أهل قرية ثلثاً»^(٣) والتضيف والإضافة بمعنى واحد ﴿فوجدوا فيها﴾ في تلك القرية ﴿جداراً يريد أن ينقض﴾ الإرادة في صفة الجدار مجاز، ومعناه قرب أن ينقض، وذلك على التشبيه بحال من يريد أن يفعل، قال الزجاج^(٤) والجدار لا يريد إرادة حقيقية إلا أن هيئته في التهيؤ للسقوط قد ظهرت كما تظهر أفعال المرادين القاصدين فوصف الإزادة إذ كانت صورتان واحدة وأنشد الراعي يصف إبلا:

فِي مَهْمِهِ فَلَقَتْ بِهٖ هَامَاتِهَا فَلَقَّ الْفُؤُوسِ إِذَا أَرَدْنَ نَصُولًا^(٥)

ومعنى الانقضاض السقوط بسرعة، يقال انقض الحائط إذا وقع وانقض الطائر إذا هوى من طيرانه فسقط على شيء، وقوله: ﴿فأقامه﴾ أي سواه، لأنه وجده مائلاً، وفي حديث «أبي بن كعب» انتهى إلى جدار مائل، فذفعه بيده، فقام فقال موسى: ﴿لو شئت لتخذت عليه﴾ أي على إقامته وإصلاحه ﴿أجرأ﴾ قال الفراء: لو شئت لم تقمه، حتى يقرونا، فهو الأجر^(٦) وقرأ أبو عمرو لتخذت^(٧) يقال: تحذ فلان، يتخذ تحذاً مثل اتخذ، ألزمت التاء الحرف كأنها أصلية لما رأوا التاء في اتخذ ظنوها أصلية فقالوا في الثلاثي تحذ، كما قالوا: تقى من اتقى، ﴿قال﴾ الخضر ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ أي هذا الكلام والإنكاء علي بترك الأجر، هو المفروق بيننا، قال الزجاج: المعنى هذا فراق بيننا، أي هذا فراق اتصالنا، وكرر بين تأكيداً^(٨)، ولما قال الخضر هذا، أخذ موسى بطرف ثوبه، فقال: حدثني بتأويل ما صنعت فقال: ﴿سأنبئك بتأويل ما لم تسطع عليه صبراً أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾ يعني أن أصحابها كانوا مساكين، لم يكن لهم مال غير تلك السفينة، فكانوا يعملون عليها^(٩) يأخذون أجرتها ﴿فأردت أن أعيها﴾ أجعلها ذات عيب قال مجاهد أخرجها ﴿وكان وراءهم ملك﴾ قال «المفسرون»^(١٠) يعني أمامهم وراء يكون

(١) انظر زاد المسير ١٧٥/٥ تفسير البغوي ١٧٥/٣ تفسير القرطبي ١٧/١١ بلا نسبة تفسير الرازي ١٣٣/٢١ بلا نسبة.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٨٨/١٥ تفسير البغوي ١٧٥/٣ القرطبي ١٧/١١، عن قتادة وابن سيرين ابن كثير ٢٨٨/٥.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٥٠/٤ كتاب الفضائل باب فضائل الخضر عليه السلام.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٠٤/٣.

(٥) البيت للراعي النميري انظر لسان العرب (رود).

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ١٥٦/٢.

(٧) قرأ الجمهور: (لَاتَخَذْتُ) وأبو عمرو (لِتَخَذْتُ) وهي قراءة ابن مسعود والحسن وقتادة وهما لغتان بمعنى واحد من الأخذ مثل قولك:

تَبِعْ وَاتَّبِعْ، وَتَقَى وَاتَّقَى. وأدغم بعض القراء الذال في التاء، ولم يدغمها بعضهم. انظر القرطبي ٢٣/١١. انظر النشر في

القراءات العشر ٣٤١/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٢٣/٢.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٠٤/٣.

(٩) انظر زاد المسير ١٧٨/٥.

(١٠) انظر تفسير البغوي ١٧٦/٣ روح المعاني ٩/١٦ تفسير الرازي ١٣٦/٢١ البحر المحيط ١٥٤/٦ تفسير القرطبي ٢٤/١١.

بمعنى أمام، كقوله: ﴿من ورائه جهنم﴾^(١)، ﴿ومن ورائه عذاب غليظ﴾^(٢) قال عباد بن صهيب: قدمت الكوفة لأسمع من إسماعيل بن أبي خالد، فمررت بشيخ جالس، فقلت: يا شيخ كيف أمر إلى منزل إسماعيل بن أبي خالد؟ فقال لي: ورائك، فقلت: أرجع؟ قال: أقول ورائك، وترجع؟ فقلت: أليس ورائي خلفي؟ قال: لا، ثم قال حدثني عكرمة عن ابن عباس وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً، قال: لو كان ورائهم لكانوا قد جاوزوه، ولكن كان بين أيديهم^(٣) والمعنى كل سفينة صالحة، وكذا كان يقرأ ابن عباس وأبي وحذفت للعلم بها، قال الخضر: إنما خرقتها، لأن الملك إذا رآها متخرقة، تركها، وركعها أهلها بقطعة خشب فانتفعوا بها، ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين﴾ وابن عباس وأبي كانا يقرآن: وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين ﴿فخشينا أن يرهقهما﴾ أي يرهق الغلام أبويه ﴿طغياناً وكفراً﴾ لذلك قتلناه، قال «المفسرون»^(٤): خشينا أن يحملهما حبه على أن يتبعاه ويدينا بدينه.

أخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق المزني، أنا أبو سهل أحمد بن محمد بن الحسين الزجاج نا محمد بن أيوب نا القعني نا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن رقة بن مصقلة^(٥) عن أبي إسحاق السبيعي، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخضر، طبع كافراً ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً» رواه مسلم في الصحيح^(٦) عن القعني وقال قتادة قال مطرف أيم الله، إنا لنعلم أنهما فرحا به يوم ولداه، وحرنا عليه يوم قتل، ولو عاش، كان فيه مهلكتهما فالمؤمن حقيق أن يرضى بما قسم الله له، فإن قضاء الله تعالى للمؤمن، خير من قضائه لنفسه وما قضى لك يا ابن آدم فيما تكره، خير مما قضى لك فيما تحب، فاستخر الله تعالى، وارض بقضائه^(٧) وقوله ﴿فأردنا أن يبدلهم ربهما خيراً منه زكاة﴾ يعطيها الله ولداً بدلاً منه، خيراً منه ديناً قاله سعيد بن جبير وفتادة^(٨) وقال الكلبي خيراً منه صلاحاً^(٩) والزكاة: الصلاح والزكاي الصالح ﴿وأقرب رحماً﴾ الرحم والرحم العطف والرحمة، قال ابن عباس وفتادة وأوصل للرحم، وأبر بوالديه^(١٠) قال عطاء عن ابن عباس أبدلها به جارية ولدت سبعين نبياً^(١١) ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة﴾ يعني القرية المذكورة في قوله: ﴿أتيا أهل قرية﴾ ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ قال «فتادة» كان ذهباً وفضة^(١٢).

وهو تفسير النبي ﷺ فيما أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن

(١) سورة إبراهيم آية ١٦.

(٢) سورة إبراهيم آية ١٧.

(٣) انظر زاد المسير ١٧٨/٥ البحر المحيط ١٥٤/٦ عن فتادة تفسير القرطبي ٢٥/١١ بلا نسبة.

(٤) تفسير البيهقي ١٧٦/٣ روح المعاني ١١/١٦ تفسير الرازي ١٣٧/٢١ البحر المحيط ١٥٥/٩ تفسير القرطبي ٢٥/١٨.

(٥) رقة بن مصقلة العبدي: الكوفي أبو عبد الله، ثقة مأمون، وكان يمزج. مات سنة تسع وعشرين. انظر تقريب ٢٥٢/١.

(٦) ١٨٥٠/٤ كتاب الفضائل باب من فضائل الخضر عليه السلام وأخرجه أبو داود (٤٧٠٥).

(٧) انظر تفسير الطبري ٤/١٦ تفسير القرطبي ٢٦/١١.

(٨) انظر زاد المسير ١٨٠/٥ روح المعاني ١١/١٦ عن ابن عباس تفسير الرازي ١٣٧/٢١ بلا نسبة تفسير القرطبي ٢٦/١١.

(٩) انظر زاد المسير ١٨٠/٥ تفسير الرازي ١٣٧٨/٢١ بلا نسبة.

(١٠) انظر روح المعاني ١١/١٦ البحر المحيط ١٥٥/٦ بلا نسبة.

(١١) انظر الطبري ٣/١٦ تفسير البيهقي ١٧٧/٣ البحر المحيط ١٥٥/٦ زاد المسير ١٨٠/٥.

(١٢) انظر زاد المسير ١٨١/٥ روح المعاني ١٢/١٦.

عبدوس الطرائفي^(١)، نا عثمان بن سعيد، نا صفوان بن صالح الدمشقي^(٢) نا الوليد بن مسلم نا يزيد بن يوسف الصنعاني^(٣)، عن يزيد عن مكحول عن أم الدرداء^(٤) عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ في قوله عز وجل: ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ قال كان ذهباً وفضة رواه الحاكم في صحيحه^(٥) عن أبي الوليد الفقيه، عن حسام بن بهر عن صفوان وقال ابن عباس في رواية عطاء كان لوحاً من ذهب فيه مكتوباً عجبا لمن أيقن بالقدر ثم ينصب عجبا لمن أيقن بالنار ثم يضحك، عجبا لمن يؤمن بالموت كيف يفرح؟ عجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب؟ عجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل؟ عجبا لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها؟ أنا الله لا إله إلا أنا، محمد عبدي ورسولي، وفي الشق الآخر أنا الله لا إله إلا أنا وحدي، لا شريك لي، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقتة للخير وأجريتة على يديه، والويل لمن خلقتة للشر وأجريتة على يديه وهذا قول أكثر أهل التفسير^(٦).

وروي ذلك أيضاً مرفوعاً، أخبرنا أبو سعد النصروي أنا أبو العلاء أحمد بن محمود الأهوازي^(٧)، أنا أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن نا أحمد بن يحيى الصوفي، نا ضرار بن سرد^(٨) نا محمد بن مروان نا أبان^(٩) عن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ قال: لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يوقن بالموت، ثم كيف يفرح؟ وعجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن؟ وعجبت لمن يوقن بزوال الدنيا، وتقلبها بأهلها، ثم يطمئن إليها^(١٠) قال الزجاج: المعروف في اللغة أن الكثر إذا أفرد، فمعناه المال المدفون، فإذا لم يكن المال قيل: عنده كنز علم، وله كنز فهم، والكثر ههنا بالمال أشبه، قال: وجائز أن يكون الكثر مائلاً، مكتوب فيه علم على ما روي، فهو مال وعلم عظيم من توحيد الله تعالى، وإعلام أن محمداً ﷺ مبعوث^(١١).

وقوله: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ قال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس حفظاً بصلاح أبيهما، ولم يذكر منهما

(١) الشيخ المسند الأمين أبو الحسن، أحمد بن محمد بن عبدوس بن سلمة العنزي النيسابوري الطرائفي. وتوفي في رمضان سنة ست وأربعين وثلاث مئة.

(٢) صفوان بن صالح بن صفوان الثقفي، مولاهم أبو عبد الملك الدمشقي، ثقة وكان يدلس تدليس النسوية، قاله أبو زرعة الدمشقي مات سنة ثمان أبو سبيع أو تسع وثلاثين وله سبعون سنة. انظر التقريب ٣٦٨/١، التهذيب ٤/٤٢٦.

(٣) يزيد بن يوسف الرحبي الصنعاني صنعاء دمشق ضعيف انظر التقريب (٢/٣٧٢).

(٤) أم الدرداء الصغرى اسمها هجيمة بنت حي الأوصابية، وكانت فقيهة عالمة زاهدة لبيبة قالت: أفضل العلم المعرفة، وقال ميمون بن مهران: ما دخلت عليها إلا وجدتها مصلية، بقيت إلى بعد الثمانين. انظر الخلاصة (١/٣٩٩).

(٥) ٣٦٩/٢ وقال صحيح وثقه الذهبي وقال: بل يزيد متروك.

(٦) انظر الطبري ١٦/٦ تفسير البغوي ٣/١٧٧ روح المعاني ١٦/١٣ تفسير القرطبي ١١/٢٧.

(٧) أحمد بن محمود بن زكريا بن خرزاد أبو بكر القاضي الأهوازي، ثقة انظر تاريخ بغداد ٥/١٥٧.

(٨) ضرار بن سرد التيمي أبو نعيم الطحان الكوفي، صدوق له أوهام وخطأ ورمي بالشيعة. وكان عارفاً بالفرائض مات سنة تسع وعشرين. انظر التقريب ١/٣٧٤.

(٩) أبان بن صالح بن عميد بن عبيد القرشي مولاهم، وثقه الأئمة، وهم ابن حزم فجعله وابن عبد البر فضعه، مات سنة بضع عشرة وهو ابن خمس وخمسين. انظر التقريب ١/٣٠.

(١٠) قال الحافظ في الكاف الشاف: رواه الواحدي من رواية محمد بن مروان السدي الصغير عن أبان عن أنس مرفوعاً، وأبان والسدي الصغير متروكان.

(١١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٠٧.

صلاحاً^(١) وقال جعفر بن محمد: كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء^(٢).

أخبرنا: عمرو بن أحمد بن عمر الزاهد، أنا عبد الرحمن بن أحمد بن حمدويه، نا زنجويه بن محمد^(٣) نا إسحاق بن منصور المروزي نا الحسين بن علي عن محمد بن سوفة عن محمد بن المتكدر قال: إن الله عز وجل ليحفظ بصلاح العبد ولده، وولد ولده وأهل دويرته، وأهل دويرات حوله فما يزالون في حفظ الله تعالى ما دام فيهم^(٤).

وقوله: ﴿فَارَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ قال ابن عباس أن يكبرا ويعقلا^(٥) ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ وذلك أن الخضر لو لم يقم الجدار لكان ينقض ويؤخذ ذلك الكنز الذي تحته قبل بلوغ الغلامين الأشد، فأمر الخضر، حتى أقام الجدار، وهو قوله: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ أي رحمهما الله بذلك رحمة ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ قال ابن عباس: انكشف لي من الله تعالى علم، فعلمت به ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ﴾ قال: يريد هذا تفسير ﴿مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ قوله:

وَسَأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۚ ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۚ ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۖ ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۚ ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكِرًا ۚ ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنُ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۚ ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۖ ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا ۚ ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۚ ﴿٩١﴾

﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾ الآية، ذكرنا أن اليهود سألت النبي ﷺ عن رجل طواف بلغ شرق الأرض وغربها، هذه الآية من جوابهم واختلفوا في ذي القرنين فقال مجاهد: كان نبياً وهو قول عبد الله بن عمرو^(٦) وقال علي رضي الله عنه: كان عبداً صالحاً، أحب الله، فأحبه الله تعالى، وناصح الله تعالى فنصحه الله تعالى^(٧). وروي ذلك مرفوعاً: «أنه كان غلاماً من الروم أعطي ملكاً» قال الزهري: وإنما سمي ذا القرنين، لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرنها من مطلعها^(٨) واختار الزجاج هذا القول، فقال: يجوز على مذهب أهل اللغة أن يكون سمي ذا القرنين لأنه بلغ قطري الأرض، مشرق الأرض ومغربها^(٩) وقال أبو الطفيل: أمر قومه بتقوى الله تعالى فضربوه على قرنه فمات، فبعثه الله، ثم أمرهم بتقوى الله، فضربوه على قرنه الآخر فمات، ثم بعثه الله تعالى، فسمي ذا القرنين، وهذا القول يرويه أبو الطفيل

(١) انظر تفسير الطبري ٧/١٦ تفسير البغوي ١٧٧/٣ تفسير الرازي ١٣٨/٢١ بلا نسبة.

(٢) انظر تفسير البغوي ١٧٧/٣ بلا نسبة تفسير الرازي ١٣٨/٢١ تفسير القرطبي ٢٧/١١.

(٣) الشيخ القدوة، الزاهد العابد، الثقة، أبو محمد، زنجويه بن محمد بن الحسن النيسابوري اللباد، توفي سنة ثمان عشرة وثلاث مئة.

انظر السير ٥٢٢/١٤.

(٤) تفسير البغوي ١٧٧/٣.

(٥) انظر زاد المسير ١٨٢/٥ تفسير البغوي ١٧٧/٣ بلا نسبة.

(٦) ذكر بلا نسبة في تفسير البغوي ١٧٨/٣ تفسير روح المعاني ٣٠/١٦ تفسير الرازي ١٤٠/٢١ البحر المحيط ١٥٨/٦.

(٧) انظر زاد المسير ١٨٣/٥ تفسير البغوي ١٧٨/٣ روح المعاني ٣٠/١٦ تفسير الرازي ١٤٠/٢١ بلا نسبة البحر المحيط ١٥٨/٦.

(٨) انظر تفسير البغوي ١٧٨/٣ روح المعاني ٢٤/١٦ بلا نسبة تفسير الرازي ١٣٩/٢١ بلا نسبة.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٠٨/٣.

عن علي رضي الله عنه^(١)، وقوله: ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي خبراً يتضمن ذكره قوله: ﴿إِنَّا مَكْنُا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ قال علي: سخر الله له السحاب، فحملة عليها، ومد له في الأسباب، وبسط النور له فكان الليل والنهار عليه سواء^(٢)، وهذا معنى تمكينه في الأرض وهو أنه سهل عليه المسير فيها، ودلّل له طرقها وحزونها، حتى تمكن منها إن شاء ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا﴾ قال قتادة والوالي عن ابن عباس: علماً يتسبب به إلى ما يريد^(٣) وكل ما وصل شيئاً إلى شيء فهو سبب، وقوله: ﴿فَاتَّبِعْ سَبِيًّا﴾ قال «المفسرون»^(٤) طريقاً والمعنى طريقاً يؤديه إلى مغرب الشمس، وقال «الزجاج»: فاتبع سبباً من الأسباب التي أوتي ذلك أنه أوتي من كل شيء سبباً، فاتبع سبباً من الأسباب التي أوتي سبباً في المسير إلى المغرب^(٥) والقراءة الجيدة ﴿فَاتَّبِعْ﴾^(٦) وقرىء ﴿فَاتَّبِعْ﴾ بقطع الألف، ومعناه لحق، كقوله: ﴿فَاتَّبِعْهُ الشَّيْطَانُ﴾^(٧) قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجدهَا تَغْرِبُ فِي عَيْنِ حِمَّةٍ﴾ أي ذات حمأة، وهو الطين الأسود المتين، وهذه قراءة «ابن عباس»، وقراءة ابن الزبير وابن مسعود «حامية من غير همز»^(٨) وهي فاعلة من حميت، هي حامية، أي حارة.

أخبرنا إسماعيل بن أبي القاسم النصر أبادي أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن حامد العطار أنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار نا محمد بن عباد نا سفيان عن زياد بن أبي سعد، سمع ابن حاصر^(٩) يقول: اختلفت بين عباس، وعمرو بن العاص عند معاوية فقال ابن عباس في عين حمئة، وقال عمرو في عين حامية، فسألوا كعباً فقال: إني أجدتها في كتاب الله تغرب في طينة سوداء فقال: رجل لابن عباس ألا أعينك؟ قال: بلى قال: قال تبع^(١٠)

قَدْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ عَمْرُو مُسْلِمًا مَلَكًا تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ وَتَسْجُدُ
بَلَغَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ يَسْتَخِي أَسْبَابَ أَمْرٍ مِنْ حَكِيمٍ مُرْشِدِ

(١) روح المعاني ٢٤/١٦ البحر المحيط ١٥٨/٦.

(٢) انظر تفسير البغوي ١٧٨/٣ روح المعاني ٣٠/١٦.

(٣) انظر زاد المسير ١٨٥/٥ تفسير البغوي ١٧٨/٣ بلا نسبة.

(٤) انظر زاد المسير ١٨٥/٥ تفسير البغوي ١٧٨/٣ روح المعاني ٣١/١٦، البحر المحيط ١٥٩/٦.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٠٨/٣.

(٦) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي (فاتبع سبباً) مقطوعة الألف. وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو (فاتبع سبباً) بوصلها أي اتبع سبباً من الأسباب التي أوتيتها. قال الأخفش: تبعته وأتبعته بمعنى مثل ردفته وأردفته ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبِعْهُ شَهَابٌ ثاقب﴾ الصافات (١٠) ومنه الإتياع في الكلام مثل حسن بسن وقيح شقيح. قال النحاس: واختار أبو عبيد قراءة أهل الكوفة قال: لأنها من السير، وحكى هو والأصمعي أنه يقال: تبعه واتبعه إذا سار ولم يلحقه، وأتبعه إذا لحقه قال أبو عبيد: ومثله (فاتبعوهم مشرقين) قال النحاس وهذا التفرقة وإن كان الأصمعي قد حكاه لا يقبل إلا بعله أو دليل. وقوله عز وجل: ﴿فَاتَّبِعُوهُمْ مَشْرِقِينَ﴾ الشعراء (٦٠) ليس في الحديث أنهم لحقوهم وإنما الحديث: لما خرج موسى عليه السلام وأصحابه من البحر وحصل فرعون وأصحابه انطلق عليهم البحر، والحق في هذا أن تبع وأتبع لغات بمعنى واحد، وهي بمعنى السير، فقد يجوز أن يكون معه لحاق أو لا يكون. القرطبي ٣٣/١١ النشر ٣١٤/٢ إتحاف فضلاء البشر ٢٢٣/٢.

(٧) سورة الأعراف آية ١٧٥.

(٨) قرأ ابن عاصم وعمار وحمزة والكسائي (حامية) أي حارة والباقون (حمئة) أي كثيرة الحمأة وهي الطينة السوداء، انظر تفسير القرطبي ٣٣/١١ روح المعاني ٣١/١٦ البحر المحيط ١٥٩/٦ تفسير الرازي ١٤١/٢١.

(٩) ابن حاصر. شيخ لأبي داود الطيالسي. مجهول. انظر ميزان الاعتدال ٥٩٠/٤.

(١٠) انظر تفسير البغوي ١٧٩/٣ روح المعاني ٣٢/١٦ البحر المحيط ١٥٩/٦ بلا نسبة.

فَرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ مَغِيبِهَا فِي عَيْنِ ذِي حُلْبٍ وَتَأْوَأُوا حَرَمِدًا^(١)

قوله: ﴿ووجد عندها قوما﴾ أي عند العين ﴿قلنا يا ذا القرنين﴾ قال «ابن الأنباري» إن كان ذو القرنين نبياً، فإن الله قال له كما يقول للأنبياء إما بتكليم أو بوحي، ومن قال: لم يكن نبياً قال: معنى قلنا ألهمنا، لأن الإلهام ينوب عن الوحي كقوله: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾^(٢) أي ألهمناها، وقوله: ﴿إما أن تعذب﴾ الآية قال المفسرون^(٣) يريد إما أن تقتلهم إن أبوا ما تدعوهم إليه، وإما أن تأسرهم، فتعلمهم الهدى، وتبصرهم الرشاد قال قتادة قضى فيهم بقضاء الله وكان عالماً بالسياسة^(٤)، فقال ﴿أما من ظلم﴾ قال ابن عباس أشرك^(٥) ﴿فسوف نعذبه﴾ نقله إذا لم يرجع عن الشرك ﴿ثم يرد إلى ربه﴾ بعد قتلي إياه ﴿فيعذبه عذاباً نكراً﴾ يعني في النار ﴿وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى﴾ قال الفراء^(٦) الحسنى الجنة، وأضيف الجزاء إليها وهي الجزاء، كما يقال: ﴿حق اليقين﴾^(٧) ﴿ولدار الآخرة﴾^(٨) وقرأ أهل الكوفة فله جزاء نصيباً^(٩)، وهو مصدر وقع موقع الحال، المعنى: فله الحسنى جزاء^(١٠) مجزياً بها، وقال «ابن الأنباري» جزاء نصب على المصدر، المعنى فيجزى الحسنى جزاء ﴿وستقول له من أمرنا يسراً﴾ قولاً جميلاً، قوله:

ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيلًا^{٩٢} حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا^{٩٣} قَالُوا يَا زُنَّارَ أَلَمَّنَّا أَفَرَأَيْتَ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا^{٩٤} قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا^{٩٥} ءَأَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا^{٩٦} فَمَا اسْطَعْمُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعْمُوا لَهُ نَقْبًا^{٩٧} قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا^{٩٨}

﴿ثم أتبع سبباً﴾ إخبار عن ذي القرنين أنه سلك طريقاً يوصله إلى المشرق ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً﴾ قال «الحسن» وقاتلة لم يكن بينهم وبين الشمس ستر، لأنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه البناء^(١١)، وقال الكلبي كانوا حفاة عراة، يفرش أحدهم أذنه، ويلبس الأخرى^(١٢) وقوله:

(١) هذه الآيات لتبع. انظر لسان العرب (أوب - حرمد) وانظر القرطبي ٣٤/١١.

(٢) سورة القصص آية (٧).

(٣) انظر تفسير البغوي ١٧٩/٣ زاد المسير ١٨٩/٥. تفسير القرطبي ٣٥/١١.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ١١٩/٥.

(٥) انظر تفسير ابن كثير ١١٩/٥ روح المعاني ٣٤/١٦ بلا نسبة تفسير الرازي ١٤٣/٢١ بلا نسبة.

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ١٥٩/٢.

(٧) سورة الواقعة آية ٩٥.

(٨) سورة يوسف آية ١٠٩.

(٩) انظر النشر في القراءات العشر ٣١٥/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٢٤/٢ تفسير البغوي ١٧٩/٣ القرطبي ٣٦/١١ البحر المحيط

١٦٠/٦.

(١٠) انظر البيان ١١٦/٢.

(١١) انظر تفسير الطبري ١٤/١٦ تفسير البغوي ١٧٩/٣ روح المعاني ٣٦/٢١، عن سمرة بن جندب البحر المحيط ١٦١/٦.

(١٢) انظر تفسير البغوي ١٧٩/٣ روح المعاني ٣٦/١٦ بلا نسبة.

﴿كذلك﴾ أي وجد قوماً كذلك القبيل الذين كانوا عند مغرب الشمس، وأن حكمهم حكم أولئك ﴿وقد أحطنا بما لديه خبراً﴾ علمنا ما كان عنده من الجيوش والعدة ﴿ثم أتبع سبياً﴾ ثالثاً مما يبلغه قطراً من أقطار الأرض وهو قوله ﴿حي إذا بلغ بين السدين﴾ وقرىء بفتح السين^(١) قال ابن الأعرابي: كل ما قابلك فسد ما وراءه فهو سد وسد، نحو الضعف والضعف، والفقر والفقر^(٢)، قال ابن عباس وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما حاجزاً بين يأجوج ومأجوج ومن سواهم^(٣) ﴿وجد من دونهما﴾ يعني أمام السدين ﴿قوماً لا يكادون يفقهون قولاً﴾ لا يعلمونه، لأنهم لا يعرفون غير لغتهم، وقرىء بضم الياء^(٤) والمعنى لا يكادون يفقهون أحداً قولاً، فحذف أحد المفعولين، قال ابن عباس لا يفهمون كلام أحد، ولا يفهم الناس كلامهم ﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج﴾ أكثر أهل العلم على أن هذين اسمان أعجميان مثل طالوت وجالوت، وهاروت وماروت، لا ينصرفان للتعريف والعجمة، والقراءة فيهما بتك الهمز^(٥) وقرأ عاصم بالهمز، قال الليث، الهمز لغة رديئة وقال «ابن الأنباري»: وجه همزه وإن لم يعرف له أصل، وإن العرب قد همزت حروفاً لا يعرف للهمز فيها أصل، مثل: لبأت ورثأت^(٦)، واستنشأت الريح^(٧) وإذا كان هذا معروفاً في أبنية العرب، كان مقبولاً في الألفاظ التي أصلها للعجم.

أخبرنا أبو منصور عبد القاهر بن طاهر نا أبو عمرو بن مطر نا جعفر بن المستفاض نا محمد بن المصطفى نا يحيى بن سعيد عن محمد بن إسحاق عن الأعمشى عن شقيق عن حذيفة قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج، قال: يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة أمة، لا يموت الرجل منهم، حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من صلبه، كل قد حمل السلاح قلت يا رسول الله، صفهم لنا، قال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز، قلت: يا رسول الله، وما الأرز؟ قال: شجر بالشام طوال الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء، وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع وهؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل، ولا حديد، وصنف منهم يفتش أحدهم أذنه، ويلتحف بالأخرى، ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه. مقدمتهم بالشام، وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق، وبحيرة طبرية^(٨).

[وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: منهم من طوله شبر، ومنهم من طوله مفرط في الطول ولهم مخالط في الأظفار من أيدينا، وأنياب كأياب السباع ولهم هلب^(٩) من الشعر في أجسادهم يواريهم من الحر والبرد^(١٠)] ^(١١)

(١) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحفص، انظر النشر في القراءات العشر ٣١٥/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٨٠/٣ تفسير البغوي ١٨٠/٣.

(٢) انظر تهذيب اللغة ٢٧٦/١٢. (٣) انظر تفسير الطبري ١٦/١٦ تفسير البغوي ١٨٠/٣ بلا نسبة.

(٤) قرأ حمزة والكسائي (يُفْقَهُونَ) بضم الياء، وكسر القاف، من أفقه إذا بان أي لا يفقهون غيرهم كلاماً وقرأ الباقون بفتح الياء والقاف، أي يعلمون. والقراءتان صحيحتان، انظر القرطبي ٣٨٣/١١، النشر ٣١٥/٢.

(٥) انظر النشر في القراءات العشر ٣١٥/٢ إتحاف فضلاء البشر ٢٢٥/٢ روح المعاني ٣٩/١٦ البحر المحيط ١٦٣/٦ تفسير الرازي ١٤٥/٢١.

(٦) رثأت لغة في رثيت فلاناً أي مدحته بعد موته انظر اللسان (رثأ).

(٧) استنشأت لغة في استنشيت الريح أي وجدت طبيها عند شمها، انظر اللسان (نشأ).

(٨) قال الحافظ في الكافي الشاف: قال ابن عدي: هذا موضوع، ومحمد بن إسحاق هذا ليس هو صاحب المغازي، وإنما هو العكاشي.

(٩) الهلب جمع أهلب وهو الكثير شعر الرأس والجسد، انظر اللسان (هلب). (١٠) انظر تفسير البغوي ١٨١/٣. (١١) سقط في ج.

وقال وهب: هم من ولد يافث بن نوح أبو الترك^(١) وقال السدي: الترك سرية من يأجوج ومأجوج، خرجت تغير، فجاء ذو القرنين، فضرب السد فبقيت خارجه^(٢)، وقال «قتادة»: إن ذو القرنين بنى السد على إحدى وعشرين قبيلة، وبقيت منهم قبيلة واحدة دون السد فهم الترك^(٣)، وقال «كعب» هم نادرة في ولد آدم، وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب، فخلق الله تعالى من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم^(٤) وقال ابن عباس رضي الله عنه في رواية عطاء هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء^(٥).

قوله: ﴿مفسدون في الأرض﴾ قال قتادة هما حيان حياة سوء، كانا أهل بغي وظلم على من جاورهما، وقال الكلبي: كانوا يخرجون إلى أرض هؤلاء الذين شكروهم إلى ذي القرنين أيام الربيع فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه^(٦) ﴿فهل نجعل لك خرجاً﴾ وقرئ خراجاً^(٧) قال ابن عباس يريد جعلاً^(٨) قال الليث: الخرج والخراج واحد، وهو شيء يخرج القوم من مالهم بقدر معلوم والمعنى هل نخرج إليك من أموالنا شيئاً كالجعل لك؟ ﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سداً﴾ قال ما مكني فيه ربي خير ﴿قراءة العامة بنون واحدة مشددة^(٩) فأدغموا الأولى في الثانية لاجتماعهما كقوله: ﴿لا تأمنا على يوسف﴾^(١٠) وقرأ ابن كثير بنونين من غير ادغام لأنهما من كلمتين والتون الثانية غير لازمة، لأنك تقول: مكتك، والمعنى أن ذا القرنين قال: ما مكني الله فيه من الاتساع في الدنيا خير من خرجكم الذي تبذلونه لي قال ابن عباس يريد ما أعطاني وملكني أفضل من عطيتكم وقوله ﴿فأعينوني بقوة﴾ قال: يريد بقوة الأبدان قال الزجاج: يعمل تعملونه معي^(١١) ﴿أجعل بينكم وبينهم ردماً﴾ سداً وحاجزاً والردم: سد الباب والثلمة^(١٢) ﴿آتوني زبر الحديد﴾ قال ابن عباس: أحملوها إلي وقال «الفراء»: معناه يتوني بها، فلما ألقيت الياء زيدت ألف زبر الحديد قطعة واحدها زبرة قال ابن عباس وهي قطع على قدر الحجارة التي يبنى بها ومعنى الآية أنه يأمرهم أن ينقلوا إليه زبر الحديد ليعمل بها الردم في وجوه يأجوج ومأجوج، فأتوه بها، فبناه ﴿حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾ سوى بينهما بأن وضع بعضها على بعض والصدفان جانبان الجبل، قال «الأزهري» يقال لجانبى الجبل صدفان إذا تحاذيا، لتصادفهما أي تلاقيهما^(١٣) وقرئ ﴿الصدفين﴾ بفتح الصاد والبدال (والصدفين) بضم الصاد وسكون الدال^(١٤)، وكلها لغات في هذه الكلمة

(١) انظر تفسير البغوي ١٨١/٣ روح المعاني ٣٨/١٦.

(٢) انظر تفسير البغوي ١٨٠/٣ البحر المحيط ١٦٣/٦. روح المعاني ٣٨/١٦.

(٣) انظر تفسير البغوي ١٨٠/٣ روح المعاني ٣٨/١٦ البحر المحيط ١٦٣/٦، تفسير الرازي ١٤٥/٢١.

(٤) انظر روح المعاني ٣٨/١٦.

(٥) انظر تفسير البغوي ١٨٠/٣.

(٦) انظر تفسير البغوي ١٨١/٣ - ١٨٢ روح المعاني ٣٩/١٦ تفسير الرازي ١٤٥/٢١.

(٧) هي قراءة حمزة والكسائي وخلف، انظر النشر في القراءات العشر ٣١٥/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٢٥/٢، تفسير القرطبي ٤٠/١١ تفسير البغوي ١٨٢/٣.

(٨) ذكر بلا نسبة في تفسير البغوي ١٨٢/٣ تفسير الرازي ١٤٥/٢١ البحر المحيط ١٦٤/٦ روح المعاني ٣٩/١٦.

(٩) انظر النشر في القراءات العشر ٣١٥/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٢٥/٢ تفسير القرطبي ٤١/١١.

(١٠) سورة يوسف آية ١١.

(١١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣١١/٣.

(١٢) الثلمة الحرق في الجدار وغيره انظر اللسان (ثلثم).

(١٣) انظر تهذيب اللغة ١٤٦/١٢ تفسير القرطبي ٤١/١١ عنه.

(١٤) قرأ نافع وحمزة والكسائي (الصدفين) بفتح الصاد وشدها، وفتح الدال وهي قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعمر بن =

فاشية، وقوله: ﴿قال انفخوا﴾ قال «ابن عباس» انفخوا على زبر الحديد بالكير^(١) ﴿حتى إذا جعله ناراً﴾ حتى إذا صارت كالنار، والحديد إذا حمي بالفحم والمنافع صار كالنار ﴿قال آتوني أفرغ عليه قطراً﴾ قال المفسرون^(٢) إذا صب النحاس، ثم أفرغه على زبر الحديد، فاحتلط، ولصق بعضه ببعض، حتى صار جبلاً صلباً من حديد والنحاس قل قتادة هو كالبرد الحبير طريقة سوداء، وطريقة حمراء^(٣) والقطر: النحاس الذائب، والإفراغ الصب، ومنه قوله تعالى ﴿أفرغ علينا صبراً﴾^(٤) قوله: ﴿فما استطاعوا﴾ أصله استطاعوا فلما اجتمع المتقاربان، وهما التاء والطاء، أحيا التخفيف بالحذف قال ابن السكيت: يقال: ما استطع، وما أسطيع، وما استتبع، وما استيع أربع لغات وقرأ حمزة (فما استطاعوا) مشددة الطاء^(٥) أدغم تاء الافتعال في الطاء وقوله: ﴿أن يظهره﴾ أي يصعدوه ويعلوه يقال: ظهرت السطح إذا صرت فوقه ﴿وما استطاعوا له نقباً﴾ يقال نقبت الحائط إذا خرقت فيه خرقة يخلص إلى ما وراءه، قال الزجاج: ما قدروا أن يعلوا عليه لارتفاعه وانملاسه، وما استطاعوا أن يتقبوه من أسفله، لشدته وصلابته^(٦).

أخبرنا: محمد بن عبد العزيز المروزي في كتابه أنا أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو زيد الخالدي أنا إسحاق بن إبراهيم أنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إن يأجوج ومأجوج يحضرونه في كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم ارجعوا فستحضره غدا فيعيده الله تعالى كما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس، حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم ارجعوا، فستحضره غداً إن شاء الله، واستثنى، فيعودون إليه وهو كهيبته، حين تركه بالأمس، فيحفرونه فيخرجون على الناس، فينشفون المياه، وتتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون سهامهم إلى السماء، فترجع وفيها كهيبته الدماء، فيقولون: قد قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغماً^(٧) في أفقائهم فيهلكون، فقال رسول الله ﷺ والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن، وتشكر من لحومهم شكراً^(٨) ولما فرغ ذو القرنين من بنائه ﴿قال هذا﴾ أي هذا التمكين الذي أدركت به السد ﴿رحمة من ربي﴾ قال ابن عباس

= عبد العزيز، وهي اختيار أبي عبيدة لأنها أشهر اللغات. وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو (الصُّدْفَيْن) بضم الصاد والذال. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (الصُّدْفَيْن) بضم الصاد وسكون الدال نحو الجُرْف والجُرْف. فهو تخفيف، وقرأ ابن الماجشون بفتح الصاد وضم الدال. وقرأ قتادة بين الصُّدْفَيْن بفتح الصاد، وسكون الدال، وكل ذلك بمعنى واحد وهما الجبلان المتناوحيان. انظر القرطبي ٤٢/١١.

(١) انظر روح المعاني ٤١/١٦ بلا نسبة.

(٢) انظر تفسير البغوي ١٨٢/٣٥ البحر المحيط ١٦٤/٦ روح المعاني ٤١/١٦ تفسير القرطبي ٤٢/١١.

(٣) انظر تفسير البغوي ١٨٢/٣ تفسير القرطبي ٤٢/١١.

(٤) سورة الأعراف آية ٢٢٦.

(٥) ﴿فما استطاعوا﴾ بتخفيف الطاء قراءة الجمهور وقيل: هي لغة بمعنى استطاعوا، وقيل: بل استطاعوا بعينه كثر في كلام العرب حتى حذف بعضهم منه التاء، فقالوا: استطاعوا وحذف بعضهم منه الطاء فقال: استاع يستيع بمعنى استطاع يستطيع وهي لغة مشهورة. وقرأ حمزة وحده (فما استطاعوا) بتشديد الطاء كأنه أراد استطاعوا، ثم أدغم التاء في الطاء فشددها. وهي قراءة ضعيفة الوجه قال أبو علي: هي غير جائزة، وقرأ الأعمش (فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقباً) بالتاء في الموضعين. انظر القرطبي ٤٣/١١.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣١٢/٣.

(٧) النعف هو الدود يكون في أنوف الإبل والغنم انظر اللسان ٤٤٨٩/٦ (نعف).

(٨) أخرجه الترمذي ٣١٣/٥ كتاب التفسير وابن ماجه ١٣٦٥/٢ كتاب الفتن، وقال في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

معوثة من ربي، حيث ألهمني وقواني^(١) ﴿فإذا جاء وعد ربي﴾ يعني القيامة وقال الكلبي: أجل ربي أن يخرجوا منه^(٢) ﴿جعلته دكاً﴾ أي دكه دكاً [ومن قرأه دكاء]^(٣) كان التقدير: جعله مثل دكاء وهي الناقة التي لا سنام لها، وتقدم الكلام في هذا في سورة الأعراف ﴿وكان وعد ربي حقاً﴾ يعني بالثواب والعقاب في القيامة «وقال الكلبي»: وكان أجل ربي بخروجهم حقاً كائناً.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فُجِعَتْهُمْ جَمْعًا ۝١٩ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ۝٢٠ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝٢١ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَنخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ۝٢٢﴾

﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ يقول: تركنا يأجوج ومأجوج يوم انقضاء أمر السد يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم، يقال: ماج الناس إذا دخل بعضهم في بعض حيارى كموج الماء، ثم ذكر نفخ الصور، فقال: ﴿ونفخ في الصور﴾ لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة ﴿فجمعناهم جمعاً﴾ حشرنا الخلق كلهم ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً﴾ أظهرنا لهم جهنم، حتى شاهدوها ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ الغطاء ما غطى الشيء وستره، وهذا كقوله: ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾^(٤) وصف الله الكفار بأنهم عمي عن آيات الله تعالى وأدلة توحيده، لما سبق لهم من الشقاوة.

وقوله ﴿عن ذكري﴾ قال ابن عباس: عما جاء به محمد ﷺ من البينات والهدى^(٥) ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾ لعداوتهم النبي ﷺ، كانوا لا يقدر أن يسمعوا ما يتلوه عليهم، كما تقول للكاره لقولك: ما تقدر أن تسمع كلامي، قوله: ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾ يقول: أفظنوا أنهم يتخذونهم أرباباً من دوني؟ وعني بالعباد المسيح والملائكة، وقال ابن عباس يعني الشياطين تولوهم، وأطاعوهم من دون الله^(٦) تعالى وقال «مقاتل» يعني الأصنام، سماها عبادة كما قال: ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم﴾^(٧) وجواب هذا الاستفهام محذوف قال «ابن عباس» يريد أني لا أغضب لنفسي^(٨) والمعنى أفحسبوا أن تتخذوهم أولياء فلا أغضب لنفسي ولا أعاقبهم؟ ويدل على هذا المحذوف قوله: ﴿إننا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً﴾ قال الزجاج: يعني منزلاً^(٩) وهو معنى قول ابن عباس: يريد هي مثاهم ومصيرهم^(١٠) وقال غيره: النزول ما يهيا للضيف إذا نزل^(١١) والمعنى: أن جهنم معدة لهم [عندنا، كما يهيا النزول للضيف].

(١) انظر زاد المسير ١٩٥/٥.

(٢) انظر زاد المسير ١٩٥/٥ تفسير القرطبي ٤٣/١١ بلا نسبة.

(٣) سقط في ب. انظر زاد المسير ١٩٦/٥.

(٤) انظر تفسير البغوي ١٨٥/٣ روح المعاني ٤٦/١٦ البحر المحيط ١٦٦/٦، تفسير الرازي ١٤٨/٢١ بلا نسبة.

(٥) انظر تفسير البغوي ١٨٥/٣ روح المعاني ٤٦/١٦ تفسير الرازي ١٤٨/٢١.

(٦) انظر زاد المسير ١٩٦/٥ تفسير البغوي ١٨٥/٣.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣١٤.

(٨) انظر زاد المسير ٩٧/٥ تفسير البغوي ١٨٥/٣.

(٩) انظر تفسير البغوي ١٨٥/٣ روح المعاني ٤٧/١٦ البحر المحيط ١٦٦/٦.

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا تَبَيَّنَتْ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَوَخَّذُوا بِآيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١٠٨﴾

قوله ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾^(١) يعني بالقوم الذين هم أخسر الخلق فيما عملوا وهم كفار أهل الكتاب اليهود والنصارى ﴿الذين ضل سعيهم﴾ بطل عملهم واجتهادهم في الدنيا ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ يظنون أنهم بفعلهم محسنون ﴿وأولئك الذين كفروا بآيات ربهم﴾ جحدوا دلائل توحيده وقدرته ولقائه، وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك أنهم بكفروهم بالنبي ﷺ وبالقرآن، صاروا كافرين بهذه الأشياء وقوله: ﴿فحيطت أعمالهم﴾ أي بطل اجتهادهم ﴿فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ قال «ابن الأعرابي» في هذه الآية: العرب تقول: ما لفلان وزن عندنا أي قدر لخصته ويوصف الجاهل بأنه لا وزن له، لخصته، وسرعة طيشه، وقلة تثبته^(٢)، والمعنى على هذا أنهم لا يعتد بهم ولا يكون لهم عند الله تعالى قدر ولا منزلة.

أخبرنا: سعيد بن محمد بن أحمد بن جعفر، أنا جدي أنا أبو عمرو أحمد بن محمد الحرشي، نا محمد بن يحيى أنا يحيى بن عبد الله بن بكير نا المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة^(٣) عن أبي بكر بن إسحاق عن يحيى بن بكير ورواه البخاري^(٤) عن محمد بن عبد الله، عن سعيد بن أبي مريم كلاهما عن المغيرة بن شعبة.

أخبرنا: أحمد بن محمد بن أحمد التميمي أنا عبد الله بن محمد بن حيان، نا إسحاق بن أحمد الفارسي نا أبو زرعة نا أبو الوليد أنا ابن أبي الزناد^(٥) عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ يؤتى بالرجل الطويل الأكل والشروب فلا يزن جناح بعوضة، اقرأوا إن شئتم: ﴿فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾^(٦) وقوله: ﴿ذلك﴾ أي الأمر الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وخسة قدرهم، ثم ابتداء فقال: ﴿جزاؤهم جهنم بما كفروا﴾ أي بكفروهم واتخاذهم ﴿آياتي﴾ يعني القرآن ﴿هزوا﴾ مهزواً به ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً﴾ أي منزلاً، ويجوز أن يراد بالنزل ما يقام للنازل، ويقدر المضاف على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس، أو نعيمها نزلاً، ومعنى كانت لهم قال ابن الأبياري أي في علم الله تعالى قبل أن يخلقوا^(٧) والفردوس في اللغة جنة ذات

(١) سقط في ب.

(٢) انظر تهذيب اللغة ٢٥٦/١٣.

(٣) ٢١٤٧/٤ كتاب صفات المنافقين.

(٤) ٢٧٩/٨ كتاب التفسير (٤٧٢٩).

(٥) عبد الرحمن بن أبي الزناد ضعيف انظر الميزان ٥٧٥/٢.

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٥٤/٤، وعزاه لابن عدي وهو ضعيف لضعف ابن أبي الزناد كما تقدم.

(٧) انظر زاد المسير ١٩٩/٥.

كروم، قال «المبرد»: الفردوس فيما سمعت من كلام العرب الشجر الملتف، والأغلب عليه العنب^(١)، وقال مجاهد: هو البستان بالرومية^(٢) واختاره الزجاج فقال: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية^(٣).

أخبرنا: عمر بن أحمد بن عمر الزاهد أنا عبد الله بن محمد الرازي، أنا محمد بن أيوب أخبرني هشام بن عبد الملك، نا همام بن يحيى، عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: (الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض الفردوس أعلاها درجة منها تفجر أنهار الجنة الأربعة فإذا سألتم الله تعالى، فاسألوه الفردوس^(٤)).

وأخبرنا عمر، أنا عبد الله أنا محمد أنا سهل بن بكار^(٥) نا أبو قدامة، عن أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: جنات الفردوس أربع، اثنتان من ذهب، حليهما وأنبيتهما وما فيهما، وثنتان من فضة، حليهما، وأنبيتهما، وما فيهما، وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن رواه البخاري ومسلم^(٦)، عن إسحاق الحنظلي عن عبد العزيز بن عبد الصمد^(٧) «عن أبي عمران الجوني» قوله: ﴿خالدين فيها لا يغيون عنها حولاً﴾ والحول: اسم بمعنى التحويل يقوم مقام المصدر، يقال حولوا عنه تحويلاً وحولاً قال ذلك الليث وابن الأعرابي وابن قتيبة والأزهري^(٨) وقال أبو عبيدة: حولاً^(٩) تحويلاً وهو قول الفراء^(١٠)، وقال ابن عباس: لا يريدون أن يتحولوا عنها، كما ينتقل الرجل من دار إذا لم توافقه إلى دار أخرى والجنة ليست هكذا^(١١) قوله: ﴿قل لو كان البحر﴾ الآية. روى عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزل قوله: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ قالت اليهود: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التوراة، وفيها علم كل شيء فأنزل الله تعالى:

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنفِدَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۗ ﴿١٠٩﴾

﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي﴾^(١٢) قال ابن الأنباري سمي المداد مداداً لإمداده الكاتب، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء ويقال للزيت الذي يوقد به السراج مداد وقال مجاهد: لو كان البحر مداداً للقلم، والقلم يكتب لئلا ينفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي^(١٣) وقال ابن عباس يريد أن كلماته أعظم من أن يكون لها أمد^(١٤)،

(١) انظر تهذيب اللغة ١٣/١٥٠.

(٢) انظر تفسير البغوي ٣/١٨٦ تفسير الرازي ٢١/١٤٩ البحر المحيط ٦/١٦٨، روح المعاني ١٦/٥٠.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣١٥.

(٤) أخرجه البخاري ٤/١٩ كتاب الجهاد باب درجات المجاهدين، وأحمد في المسند ٢/٢٩٢ - ٥/٣١٦.

(٥) سهل بن بكار بن بشر الدارمي البصري أبو بشر المكفوف، ثقة ربما وهم مات سنة سبع أو ثمان وعشرين. انظر التقريب (٣٣٥/١).

(٦) ١٦٣/١ كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين، والترمذي ٤/٦٧٣ كتاب صفة الجنة، وابن ماجه ١/٦٦ المقدمة.

(٧) عبد العزيز بن عبد الصمد العمي أبو عبد الله البصري، ثقة حافظ، مات سنة سبع وثمانين. انظر التقريب ١/٥١٠.

(٨) انظر تهذيب اللغة ٥/٣٤٢ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٧١.

(٩) تهذيب اللغة ٥/٢٤٣.

(١٠) انظر تفسير البغوي ١٨٦.

(١١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١١٨.

(١٢) انظر تفسير البغوي ٣/١٨٦ أسباب النزول للمصنف ٣٠٧ تفسير القرطبي ١١/٤٦.

(١٣) انظر تفسير البغوي ٣/١٨٦ البحر المحيط ٦/١٦٨ روح المعاني ١٦/٥٢.

(١٤) انظر البحر المحيط ٦/١٦٨.

وكلام القديم سبحانه وتعالى صفة من صفات ذاته، فلا يجوز أن يكون لكلامه غاية ومنتهى، كما ليس له غاية وحدّه وأوصاف ذاته غير محدودة أيضاً وهذا رد على اليهود حين ادعوا أنهم أوتوا العلم الكثير وكأنه قيل لهم: أي شيء الذي أوتيتم في علم الله تعالى، وكلماته التي لا تنفذ لو كتبت بماء البحر ﴿ولو جئنا بمثله﴾ بمثل البحر في كثرة ما ﴿مدداً﴾ زيادة له، والمدد كل شيء زاد في شيء قوله:

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١٠﴾

﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ قال «ابن عباس» علم الله تعالى رسوله التواضع لثلاث يزهى على خلقه فأمره بأن يقر على نفسه بأنه آدمي كغيره إلا أنه أكرم بالوحي، وهو قوله: ﴿يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ لا شريك له^(١)، وقوله: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ قال مجاهد جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: إني أتصدق، وأصل الرحم ولا أصنع ذلك إلا لله، فيذكر ذلك مني، وأحمد عليه، فيسرنى ذلك وأعجب به، فسكت رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾^(٢) يخاف البعث والمصير إلى الله تعالى ﴿فليعمل عملاً صالحاً﴾ خالصاً لا يرائي به ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ قال سعيد بن جبير: لا يرائي قال عطاء عن ابن عباس قال الله تعالى: ولا يشرك بعبادة ربه ولم يقل: ولا يشرك به، لأنه أراد العمل الذي يعمل لله ويحب أن يحمد عليه، قال: ولذلك يستحب للرجل أن يدفع صدقته إلى غيره ليقسمها كي لا يعظمه من يصله بها وقال الحسن: هذا فيمن أشرك بعمله يريد الله به والناس.

أخبرنا: أحمد بن محمد بن أحمد الحارث أنا عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان نا زياد عن ليث عن شهر عن عبادة بن الصامت وشداد بن أوس^(٣) قال: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «من صلى صلاة يرائي بها فقد أشرك ومن صام صوماً يرائي به فقد أشرك، ثم قرأ هذه الآية ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾^(٤).

أخبرنا: عبد القاهر بن طاهر التميمي أنا إسماعيل بن نجيد نا محمد بن إبراهيم بن سعيد، نا أمية بن بسطام، نا يزيد بن زريع، نا روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عملاً عملاً أشرك فيه غيري، فإنا منه بريء وهو للذي أشرك» رواه مسلم^(٥) عن زهير عن أبي ذر بن علي عن روح.

(١) انظر تفسير البغوي ١٨٧/٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٢٩/٤ كتاب الرقاق انظر تفسير القرطبي ٤٧/١١.

(٣) شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر، وهو ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري، الخزرجي. قال عبادة بن الصامت: كان شداد ممن أوتي العلم والحلم روى عنه أهل الشام. وقال مالك: شداد بن أوس هو ابن عم حسان بن ثابت، والصحيح أنه ابن أخيه. روى عنه ابنه يعلى ومحمود بن ليلى، وأبو الأشعث الصنعاني، وأبو إدريس الخولاني وغيرهم. وكان شداد كثير العبادة والورع والخوف من الله تعالى. انظر أسد الغابة (٥٠٧/٢).

(٤) ذكره الهيثمي في المجمع ٢٢١/١٠ وعزاه لأحمد (١٢٥/٤) وقال فيه شهر بن حوشب وثقه أحمد وغيره، وضعفه غير واحد، وبقيته رجاله ثقات.

(٥) ٢٢٨٩/٤ كتاب الزهد باب من أشرك في عمله غير الله.

أخبرنا: أبو بكر أحمد بن إبراهيم المزكي^(١) أنا عبيد الله بن محمد الزاهد نا عبد الله بن محمد المنيعي، حدثني هارون بن عبد الله، نا محمد بن بكر البرساني^(٢) نا عبد الحميد بن جعفر أخبرني أبي^(٣) عن زياد بن مينا^(٤) عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري وكان من الصحابة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة، ليوم لا ريب فيه، نادى مناد: من كان أشرك في عملٍ عمله لله أحداً فليطلب ثواب عمله من غير الله، فإن الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك»^(٥). [والله أعلم]^(٦).

(١) الإمام القدوة الرباني، أبو حامد أحمد ابن الشيخ المزكي أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوري. ولد سنة بضع وعشرين وثلاث مائة. قال الحاكم: خرجت له (الفوائد) ومولده في سنة ثلاث وعشرين. قال: توفي في شعبان سنة ست وثمانين وثلاث مائة. انظر السير (٩٦/١٦).

(٢) محمد بن بكر بن عثمان البرساني أبو عثمان البصري، صدوق بخطيء من التاسعة مات سنة أربع ومائتين التقريب (١٤٧/٢).

(٣) جعفر بن عبد الله بن الحكم بن رافع الأنصاري، الأوسي، المدني، عن أنس ومحمد بن لبيد وسليمان بن يسار. عنه ابنه عبد الحميد ويزيد بن أبي حبيب والليث. موثق. انظر الخلاصة (١٦٨/١).

(٤) زياد بن مينا عن أبي سعيد بن أبي فضالة، قال الأزدي: فيه لين. انظر ميزان الاعتدال (٩٥/٢).

(٥) أخرجه الترمذي ٣١٤/٥ كتاب التفسير وابن ماجه ١٤٠٦/٢ كتاب الزهد.

(٦) سقط في أ، ب.

سورة مريم

مكية وآياتها ثمان وتسعون

[أخبرنا^(١)] أبو سعيد محمد بن علي بن أحمد الحيري، أنا أبو عمرو محمد بن جعفر، نا إبراهيم بن شريك الكوفي، نا أحمد بن عبد الله بن يونس^(٢)، نا سلام بن سليم^(٣) نا هارون بن كثير^(٤) عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ: من قرأ سورة مريم أعطي من الأجر بعدد من صدق بذكره وكذب به ويحيى وعيسى [وموسى^(٥)] وهارون وإبراهيم واسحق ويعقوب وإسماعيل عشر حسنات، وبعدد من دعا الله ولداً وبعدد من لم يدع له ولداً^(٦).

كَهَيْعَصَ ۚ ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ۚ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۚ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۚ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَأْيِ

(١) من هنا بياض في النسخة (أ).

(٢) في هـ: يوسف وهو تحريف وهو: أحمد بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن قيس التميمي البربري توفي سنة ١٢٧ هـ عن أربع وتسعين سنة. تذكرة الحفاظ ٤٠٠/١ تهذيب التهذيب ٥١/١ شذرات الذهب ٥٩/٢ طبقات الحفاظ ص ١٧٤.

(٣) سلام بن سليم المدائني أبو الأجر الحنفي ت سنة ١٧٩ هـ تذكرة الحفاظ ٢٥٠/١ تهذيب التهذيب ٢٨٢/٤، طبقات الحفاظ ص ١٠٦.

(٤) هارون بن كثير قال عنه ابن حجر في لسان الميزان: قال ابن عدي: هارون بن كثير شيخ ليس بمعروف روى عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب وفيه فضائل القرآن سورة سورة، وهذا الحديث غير محفوظ عن زيد، قلت روى بعض طرقه زيد بن أسلم وهو تحريف والصواب زيد بن سالم. لسان الميزان ١٨١/٦ ط أوني.

(٥) ساقط من النسخة هـ.

(٦) من ترجمة هارون بن كثير تعرف بأن الأحاديث الواردة في فضائل السورة سورة سورة موضوعة وقد نبه على ذلك ابن الجوزي في كتاب الموضوعات فقال: وقد عرف هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة فيه ما يخصها وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك ثم يقول ففسر الحديث يدل على أنه مصنوع فإنه قد استفد السور وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة لا يناسب كلام رسول الله ﷺ وقد دلت ابن الجوزي على ذلك فقال: وقال الخليلي في الإرشاد روى نوح بن أبي مريم الجامع في فضائل القرآن سورة سورة عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس فقلت له من أين لك هذا؟ قال: لأن الناس قد اشتغلوا بمعارف ابن إسحاق وغيره فحرضتهم على قراءة القرآن وروى المؤلف بسنده عن محمود بن غيلان فإني سمعت مؤملاً يقول حدثني شيخ بفضائل سور القرآن الذي يروى عن أبي بن كعب فقلت من حدثك قال حدثني رجل بالمداين وهو حي فسرت إليه فقلت من حدثك قال شيخ بواسط وهو حي فسرت إليه فقال حدثني شيخ بالبصرة فسرت إليه فقال حدثني شيخ بعبادان فسرت إليه فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً فإذا فيه قوم من المتصوفة ومعهم شيخ فقال هذا الشيخ فقلت يا شيخ من حدثك فقال لم يحدثني ولكننا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعتهم لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن قال المؤلف: وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، اللالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعية باب فضائل القرآن ٢٢٦/٢.

وَكَانَتْ أَمْرًا قَاقِرًا فَهَبَّ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿١﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٢﴾ إِنَّا نَبْشُرُكَ بِقُلُوبِنَا أَسْمَاءُ يَحْيَى لَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٣﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿كهيصص﴾ أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي بقراءتي عليه في شوال سنة ست وعشرين وأربعمائة، أنا أبو عبد الله محمد بن نصير القرشي من أصله العتيق سنة ستين وثلاثمائة، نا أبو عبد الله بن محمد بن أيوب بن يحيى، أنا أحمد بن يونس، نا زهير^(١) قال سئل عطاء بن السائب عن كهيصص فحدثنا عن سعيد بن جبير^(٢) أن ابن عباس حدثهم أن كاف من كريم وهاء من هاد وياء من حكيم وعين من عليم وصاد من صادق وقال في رواية عطاء والكلبي^(٣) معناه كاف لخلق هاد لعباده، يده فوق أيديهم عالم بيريته، صادق في وعده، وعلى هذا كل واحد من هذه الحروف يدل على صفة من صفات الله.

وقرىء هايا بالتضخيم والإمالة [وإمالة] هذه الحروف لا تمتنع لأنها ليست بحروف معنى وإنما هي أسماء ما يتهجى به فلما كانت أسماء غير حروف جاز فيه الإمالة، وبذلك على أنها أسماء (أنك) إذا أخبرت عنها أعربت كما أن أسماء العدد إذا أخبرت عنها أعربت فكما أن أسماء العدد قبل أن تعربها أسماء كذلك هذه الحروف.

قوله: ﴿ذكر رحمة ربك﴾ قال الزجاج: ذكر مرتفع بمضمر المعنى: هذا الذي نتلوه عليك ذكر رحمة ربك ﴿عبده زكريا﴾ يعني: إجابته إياه حين دعاه وسأله الولد ﴿إذ نادى ربه نداءً خفياً﴾ خافياً يخفي ذلك في نفسه لا يريد رياءً وهذا يدل على أن المستحب في الدعاء الإخفاء ﴿قال رب إنني وهن العظم مني﴾ وهن يهن وهنا ووهنا إذا ضعف أراد أن عظامه فترت وزهبت قوته لكبره وقال قتادة^(٤) شكا ذهاب أضراسه ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ انتشر فيه الشيب كما ينتشر شعاع النار في الحطب وهذا من أحسن الاستعارة إذ شبه بياض الشيب وانتشاره في الرأس بشعاع النار في الحطب وانتشارها قال الزجاج: يقال للشيب إذا كثر جداً قد اشتعل رأس فلان وأنشد لبيد^(٥):

إن ترى رأس أمس واضحاً سلط الشيب عليه فاشتعل^(٦)

﴿ولم أكن بدعائك﴾ أي بدعائي إياك ﴿رب شقياً﴾ قال ابن عباس لم تكن تخيب دعائي يقال شقي فلان بكذا إذا تعب بسببه ولم يحصل مطلوبه، يقول: لم أكن أتعب بالدعاء ثم أحيب.

قوله: ﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾ يعني: الذين يلونه في النسب وهم العصبة وبنو العم وورثته.

(١) زهير بن معاوية بن خديج بن عبد الرحمن أبو خيشمة الكوفي توفي سنة ١٧٧ هـ تهذيب التهذيب ٣/٣٥٢ إلى هنا ينتهي بياض النسخة أ.
(٢) سعيد بن جبير بن هشام الكوفي الوالي أبو محمد ت سنة ٩٢ هـ تذكره الحفاظ ١/٢٦ تهذيب التهذيب ٤/١١ شذرات الذهب ١٠٨/١.

(٣) محمد بن السائب بن بشر بن عمرو أبو النضر الكوفي التهذيب التهذيب ٩/١٧٨.

(٤) قتادة بن دعامة بن قنادة السدوسي أبو الخطاب البصري البداية والنهاية ٩/٣١٣ تذكره الحفاظ ١/١٢٢، شذرات الذهب ١/١٥٣.
(٥) لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري شاعر مخضرم ت سنة ٤١ هـ خزنة الأدب ١/٣٣٧، الشعر والشعراء ص ٢٣١، الإعلام ٥/٢٤٠ ط دار العلم.

(٦) البيت في ديوانه من قصيدة يتحدث فيها عن مآثره ويأسه لفقد أخيه مطلعها:

إن تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ريشي وعجل

انظر ديوان لبيد ص ١٣٩، ١٤٠.

والمعنى: أنه خاف تضييع بني عمه الدين ونبذهم إياه فسأل ربه ولياً يرث نبوته وعلمه، لئلا يضع الدين، وحمله على هذه المسئلة ما شاهد من بني اسرائيل من تبديل الدين^(١) وقتل الأنبياء^(٢)، وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس: يريد بالموالي بني اسرائيل وكانوا يبذلون الدين ويقتلون الأنبياء ﴿وكانت امرأتي عاقراً﴾ عقيماً لا تلد وهذا إخبار عن خوفه فيما مضى من الزمان حين كانت امرأته لا تلد وكان هو آيساً^(٣) من الولد ﴿فهب لي من لدنك ولياً﴾ ابناً صالحاً تتولاه ﴿يرثني ويرث﴾ بالرفع^(٤) من صفة الولي كأنه سأل ولياً وارثاً لعلمه ونبوته، والجزم على جواب^(٥) الأمر فصح الشرط بأن يقول إن وهبت ورث. قال ابن عباس: يريد النبوة فيكون نبياً كما كانت آباءه أنبياء وقال الكلبي: يريد مكاني وحبورتي.. وقال قتادة يرث نبوتي وعلمي. وقال ابن قتيبة: لم يرد يرثني مالي، وأي مال كان لذكريا حتى يسأل الله أن يهب له ولداً يرثه لقد جل هذا المال إذاً وعظم قدره ونافس عليه منافسة أبناء الدنيا، وإنما كان ذكريا نجاراً وكان حبراً وكلا هذين الأمرين يدل على أنه لا مال له. أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الخشاب، أنا أبو^(٦) عمرو محمد بن أحمد الحيري، أنا عمر بن موسى بن مجاشع نا هدية، نا حمد ابن^(٧) سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كان ذكريا نجاراً»^(٨) رواه مسلم عن هدية ﴿ويرث من آل يعقوب﴾ النبوة. فقال مجاهد: كان ذكريا من ذرية يعقوب ﴿واجعله رب رضياً﴾ قال ابن عباس يكون عندي مرضياً في الصلاح والعقاب والنبوة فاستجاب الله دعاءه فقال ﴿يا ذكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ تقدم تفسيره في سورة آل عمران ﴿لم نجعل له من قبل سمياً﴾ أكثر المفسرين على أن معناه لم يسم أحداً قبله يحيى، وثبت في هذا له فضيلتان أحدهما: أن الله تولى تسميته، ولم يكلها إلى الأبوين، والثانية: أنه سماه باسم لم يسبق إليه يدل ذلك الاسم على فضله، قال الزجاج: سمي يحيى لأنه حيي بالعلم والحكمة التي أوتيتها، وقال ابن عباس في رواية عطاء: يريد لم يكن له في سابق علمي نظير ولا شبيه وقال في رواية الوالبي^(٩) يقول^(١٠): لم تلد العواقر مثله ولدأ وهو قول مجاهد قال: يعني: لم يجعل له مثلاً في الفضل.

(١) إلى هذا أشار القرآن بقوله: ﴿وبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾ البقرة: ٥٩.

(٢) أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿... وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ البقرة: ٦١.

(٣) آيساً: يقال آيست منه إياساً لغة في يئست منه بأساً ومصدرهما واحد بمعنى القنوط الضحاح للجوهري مادة: آيس.

(٤) قراءة الرفع في (يرثني) قرأ بها: نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحزمة وأبو جعفر ويعقوب وخلف. انظر السبعة لابن مجاهد ص ٤٠٧ والنشر ٣٩٧/٢.

(٥) قراءة الجزم في (يرثني) قرأ بها أبو عمرو والكسائي. انظر: السبعة لابن مجاهد ص ٤٠٧ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣١٧/٢، والاتحاف ص ٤٦٧.

الحجورة: جمع الخبر وهو الرجل الصالح والخبر أيضاً العالم في بني اسرائيل لسان العرب: مادة حبر.

(٦) كلمة أنا اختصار لكلمة أخبرنا، ونا اختصار لكلمة حدثنا ولقد أتت النسخة (أ) بلفظ أخبرنا وحدثنا في جميع الأحاديث أما بقية النسخ فقد أتت بلفظ: «أنا»، و«نا».

(٧) حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة ت سنة ١٦٧ هـ طبقات الحفاظ ص ٢٨٦ تذكرة الحفاظ ٦٥٧/٢ تهذيب التهذيب ٨/٩.

(٨) رواه مسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل ذكريا عليه السلام ١٨٤٧/٤ ط الحلبي.

(٩) سعيد بن جبير وقد تقدم.

(١٠) في أ، ب عن ابن عباس يقول زيادة.

والمراد بالسمي: المثل والنظير كقوله تعالى ﴿هل تعلم له سمياً﴾^(١) أي مثلاً وعدلاً، ولم يكن ليحيى مثل من البشر من حيث أنه لم يعص ولم يهجم بمعصية قط. أخبرنا أبو القاسم بن أبي نصر الجذامي، أنا محمد [بن عبد الله^(٢)] بن محمد بن حمدويه، نا محمد بن يعقوب^(٣) بن سنان، نا أحمد بن عبد الجبار^(٤)، نا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني يحيى بن سعيد^(٥) عن سعيد بن المسيب حدثني عمرو بن العاصي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا قال ثم ولى رسول الله ﷺ يده فأخذ عوداً صغيراً ثم قال وذلك أنه لم يكن له ما للرجال إلا مثل هذا العود لذلك سماه الله سيداً وحسوراً ونبياً من الصالحين^(٦).

قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۖ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ ۗ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۚ

قوله ﴿قال رب أنى يكون لى غلام﴾ مفسر في سورة آل عمران إلى قوله ﴿وقد بلغت من الكبر عتياً﴾ يقال: عتا الشيخ يعتو عتياً إذا انتهى سنه وكبر، وشيخ عات وعات إذا صار إلى [حال^(٧)] اليبس والجفاف. قال قتادة ومجاهد: هو نحول العظم، وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس: عن قوله عتياً فقال: المعنى اليبس من الكبر، وقرئ^(٨) عتياً بالكسر^(٩) [وكذلك]^(١٠) صلياً^(١١) [وبكياً]^(١٢) وجنياً^(١٣) يجوز فيها الكسر أيضاً، وذكرنا هذا في قوله «من حلهم ورحلهم»^(١٤) قال ﴿الله﴾ كذلك ﴿أى الأمر كما قيل لك هبة الولد على الكبر﴾ قال ربك هو على هين ﴿قال ابن عباس: يريد: [أن]^(١٥) أرد عليك قوتك حتى تقوى على الجماع وأفتق رحم امرأتك بالولد﴾ وقد خلقتك من قبل ﴿من قبل يحيى، وقرئ خلقناك^(١٦) لكثرة ما جاء من لفظ الخلق مضافاً إلى لفظ الجمع كقوله ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾^(١٧) في

(٢) ساقط من جـ.

(١) مريم: ٦٥.

(٣) محمد بن يعقوب بن يونس بن معقل بن سنان الأموي النسابوري ولد سنة ٢٤٧ هـ تذكرة الحفاظ ٣/٨٦٠ العبر ٢/٢٧٣ طبقات الحفاظ ص ٣٥٤.

(٤) أحمد بن عبد الجبار بن محمد بن عمير التميمي العطاردي أبو عمر الكوفي ت سنة ٢٧٢ هـ الجرح والتعديل ١/٦٢ تهذيب التهذيب ٥١/١.

(٥) يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي أبو سعيد البصري ولد سنة ١٢٠ وتوفي سنة ١٩٨ هـ تهذيب التهذيب ١١/٢١٦.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرک. كتاب التفسير تفسير سورة مريم وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه المستدرک ٢/٣٧٣ ط بيروت بياض في هـ ما بين الأقواس داخل الحديث. ومعنى: وحسوراً: أى لا يأتي الناس. الصحاح: حصر.

(٧) عن هـ فقط.

(٨) في هو يقال.

(٩) قراءة الكسر (عتياً، بكياً، حلياً، جنياً) قرأ بها حمزة والكسائي بكسر أوائل الأربعة ووافها حفص إلا في بكياً فقد قرأها بالضم. انظر السبعة ص ٤٠٧ والنشر ٢/٣١٧.

(١٣) مريم ٦٨، ١/٢.

(١٠) ساقط من د.

(١٤) الأعراف ١٤٨.

(١١) مريم: ٧٠ ونصها ﴿ثم نحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً﴾.

(١٥) من هـ فقط.

(١٢) ساقط من د وهي آية (٥٨) من هذه السورة تبدأ بقوله تعالى ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم﴾.

(١٦) قراءة (خلقناك) بالنون قرأ بها حمزة والكسائي انظر السبعة ص ٤٠٨.

(١٧) المؤمنون: ١٢، الحجر: ٢٦ ولفظ: لقد خلقنا الإنسان في الإنسان: ٢.

مواضع ﴿ولقد خلقناكم﴾^(١) وقوله: ﴿ولم تك شيئاً﴾ يريد أنه كان عدماً فأوجده بقدرته قال الزجاج: أي يخلق الولد لك كخلقك.

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۚ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۚ

﴿قال رب اجعل لي آية﴾ قال قتادة سأل نبي الله آية على حمل امرأته بعد ما شافهته الملائكة بالشارة قال ابن الأنباري: ووجه ذلك أن نفسه تافت إلى سرعة الأمر فسأل الله آية يستدل على قرب ما من به عليه ف ﴿قال﴾ لله ﴿آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال﴾ أي تمنع الكلام فلا تقدر عليه ثلاث ليال ﴿سويًا﴾ صحيحاً من غير بأس ولا خرس، قال مجاهد: أي لا يمنعك من الكلام مرض، وسويًا: منصوب على الحال، وقد مضى مثل هذا في سورة آل عمران ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ قال ابن زيد^(٢) من صلاة ﴿فأوحى إليهم﴾ قال ابن عباس وقاتدة: أوحى إليهم وأشار، وقال مجاهد كتب لهم في الأرض: أن ﴿سبحوا﴾ صلوا - لله ﴿بكرة وعشيًا﴾ والمعنى: أنه [كان]^(٣) يخرج على قومه بكرة وعشيًا فيأمرهم بالصلاة، فلما كان وقت حمل امرأته ومنع الكلام: خرج عليهم فأمرهم بالصلاة إشارة.

يٰٓيَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَّءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۗ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ۗ وَبِأَنبِيَائِهِ وَكُنَّ عِصْيَا ۗ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۗ

قوله: ﴿يا يحيى﴾ قال الزجاج: المعنى فوهبنا له وقلنا [له] يا يحيى^(٤) ﴿خذ الكتاب﴾ يريد التوراة ﴿بقوة﴾ قال مجاهد: بجد ﴿وءاتيناه الحكم صبيًا﴾. قال ابن عباس: آتيناه النبوة في صباه، وهو ابن ثلاث سنين. وقال مجاهد: الحكم الفهم، وهو: أنه أعطي فهم الكتاب حتى حصل له عظيم الفائدة ﴿وحناناً من لدنا﴾ الحنان: العطف والرحمة. قال الوالي عن ابن عباس: يقول رحمة من عندنا، وهو قول جماعة المفسرين ﴿وزكاة﴾ قال ابن عباس: يعني: بالزكاة طاعة الله والإخلاص وقال قتادة: هي العمل الصالح، وهو قول الضحاك وابن جريج. معنى الآية: وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم إلى طاعة ربهم وعملاً صالحاً في الإخلاص ﴿وكان تقياً﴾ قال ابن عباس: جعلته يتقيني ولا يعدل بي غيري. قال المفسرون: وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة ولا هم بها، أخبرنا أبو بكر الحارثي أنا أبو الشيخ^(٥) الحافظ، نا عبد الله بن محمد بن جبال^(٦)، نا عمرو بن علي، نا أبو عاصم العباداني عن

(١) الأعراف: ١١.

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن اسلم العدوي المدني مولا هم ت سنة ١٨٢ هـ طبقات المفسرين للداودي ٢٦٥/١.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) فيما عدا هـ وقلنا يا يحيى.

(٥) أبو الشيخ الحافظ أبو محمد - عبد الله بن جعفر بن حيان الأصبهاني ولد سنة ٢٧٤ هـ وتوفي سنة ٣٦٩ هـ تذكرة الحفاظ ٣/٢٥٥ شذرات الذهب ٦٩/٣ طبقات الحفاظ ص ٣٨١.

(٦) ي هـ: عمران.

علي بن زيد^(١) عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتبغي لخلق أن يقول أنا خير من يحيى بن زكريا قلنا يا رسول الله ومن أين ذلك قال أما إنه لم يعمل سيئة ولم يهمل بها^(٢)».

قوله: ﴿وبرأ بالديه﴾ البر: يعني: البار كالصب^(٣) والطب^(٤) فعل بمعنى فاعل والمعنى لطيفاً بهما محسناً إليهما ﴿ولم يكن جباراً﴾ قال ابن عباس: هو الذي يقتل ويضرب على الغضب والعصي العاصي قال: يريد لا يرتكب لي معصية ﴿وسلام عليه يوم ولد﴾ الآية قال عطاء: يريد سلام عليه مني في الأيام، وقال الكلبي: سلام له منا وقال سفيان بن عيينه: أوحش ما يكون الخلق في ثلاث مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجاً عما كان فيه، ويوم يموت فيرى أحكاماً ليس له بها عهد، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم يره فخص الله يحيى بن زكريا بالكرامة والسلام في المواطن الثلاثة.

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۖ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۗ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۚ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۚ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۚ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ ۖ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ۚ

قوله ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ قال: واذكر من أمر مريم لأهل مكة ﴿إذ انتبذت﴾ قال: الكلبي: تنحت من أهلها ممن كانوا معها في الدار يقال: انتبذ فحل ناحية أي تنحى ناحية وقال قتادة: انفردت، قال ابن قتيبة: اعتزلت^(٥) مكاناً شرقياً أي إلى مكان في جانب الشرق قال عطاء: ^(٦) إن مريم تمت أن تجد خلوة فتفلي رأسها فخرجت في يوم شديد البرد فجلست في مشرقة للشمس. وقال عكرمة: أرادت الغسل من الحيض فتحولت إلى مشرقة دارهم للغسل ﴿فاتخذت من دونهم﴾ من دون أهلها لثلا يروها ﴿حجاباً﴾ ستراً وحاجزاً ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ بينما هي تغتسل من الحيض إذ عرض لها جبريل في صورة شاب أجرد مضيء الوجه وهو قوله ﴿فتمثل لها﴾ أي تصور لها ﴿بشراً سويّاً﴾ معتدلاً تاماً. قال ابن عباس: فلما رأت جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد فـ ﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾ أي مخلصاً طميحاً فستنتهي بتعوذي بالله منك إن كنت تقياً ﴿قال﴾ جبريل ﴿إنما أنا رسول ربك ليهب لك﴾ ^(٧) أي أرسلني ليهب لك، ومن قرأ لأهب^(٨) أسند الفعل إلى جبريل والهبة من الله ولكن أسند إلى الرسول، وقوله: ﴿غلاماً زكياً﴾ قال ابن عباس: يريد نبياً، وقال الضحاك: صالحاً طاهراً من الذنوب ﴿قالت﴾ مريم ﴿أنى يكون لي

(١) علي بن زيد بن جدعان أبو الحسن القرشي الجرح والتعديل ١٨٦/٣ تذكرة الحفاظ ١٤٠/١ طبقات الحفاظ ص ٥٨.

(٢) قال عنه ابن كثير حديث ضعيف لأن علي بن زيد بن جدعان له منكرات كثيرة تفسير ابن كثير ٢١٢/٥ ط الشعب.

(٣) الصب: العشق يقال رجل صب: عاشق مشتاق والصبابة رقة الشوق الصحاح للجوهري مادة صبب.

(٤) الطب العالم بالطب والماهر فيه الصحاح للجوهري مادة طبيب.

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة (٢٧٣).

(٦) روى ذلك ابن جرير في تفسيره عن السدي ص ٤٦/١٦ وهو ضعيف الحديث.

(٧) وقراءة (لأهب) بالهمزة قرأ بها ابن كثير وعاصم وابن عامر وحزمة والكسائي انظر السبعة لابن مجاهد ص ٤٠٨ والنشر ٣١٧/٢.

غلام ولم يمسنني بشر ﴿ ولم يقربني زوج ﴿ ولم أك بغياً ﴾^(١) فاجرة زانية وإنما لم تقل بغية لأنه مصروف عن وجهه وهو فعيل بمعنى فاعل يقال: المرأة تبغي بغاء إذا فجرت، قال ابن عباس: قالت مريم ليس لي زوج ولست بزانية ولا يكون الولد إلا من الزوج أو من الزنا ﴿ قال كذلك قال ربك هو علي هين ﴾ مفسر في هذه السورة، قال ابن عباس: يريد يسير^(٢) أن أهب لك غلاماً من غير محل ﴿ ولنجعله آيةً للناس ﴾ دلالة على قدرتنا كون غلام ليس له أب ﴿ ورحمة منا ﴾ لمن تبعه وصدقه ﴿ وكان أمراً مقضياً ﴾ وكان خلقه أمراً محكوماً به مفروغاً عنه سابقاً في علم الله أن يقع.

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۚ ۞ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ۚ ۞ ﴾

قوله ﴿ فحملته ﴾ قال ابن عباس: دنا منها جبريل فأخذ رذني^(٣) قميصها بأصبعيه فنفخ فيه فحملت مريم من ساعتها بعيسى عليه السلام ووجدت حس الحمل^(٤) فذلك^(٥) قوله ﴿ فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً ﴾ أي تنحت بالحمل إلى مكان بعيد، قال ابن عباس: أقصى الوادي وهو بيت لحم فراراً من قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج ﴿ فأجاءها المخاض ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: ألبأها يقال جاءها وأجاءها بمعنى واحد والمخاض جمع الولادة [واختلفوا في مدة حملها فقال بعضهم: تسعة أشهر على ما جرت العادة به. وقيل ثمانية أشهر ليكون آية لأنه إذا جاء لثمانية أشهر لا يعيش، وقيل ثلاث ساعات، وقيل ساعة واحدة]^(٦).

وقوله: ﴿ إلى جذع النخلة ﴾ قال ابن عباس: نظرت مريم إلى أكمة فصعدت مسرعة وإذا عليها جذع نخلة نخرت ليس لها سعف والجذع ساق النخلة ف ﴿ قالت يا ليتني مت قبل هذا ﴾ اليوم وهذا الأمر استحياء من الناس وخوف الفضيحة ﴿ وكنت نسياً منسياً ﴾^(٧) النسي ما أغفل من شيء حقير ونسي قال ابن عباس وقتادة: شيئاً متروكاً لا يذكر، وقال عكرمة ومجاهد حيضة ملقاة والمنسي [المتروك]^(٨) الذي لا يذكر، تقول: يا ليتني كنت ذلك النسي الذي لا يذكر ولا يطلب، وقرئ نسياً بالفتح^(٩) قال الفراء: هما لغتان مثل الجسر والجسر والوتر والوتر، والنسي: ما تلقية المرأة من خرق اعتلالها^(١٠) قال ابن عباس: فسمع جبريل كلامها وعرف جزعها:

فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۚ ۞ وَهَرَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا

(١) ساقط من جـ.

(٢) في أ، ب بشيراً.

(٣) رذني القميص بالضم أصل الكم ومقدم كم القميص: لسان العرب: ردأ.

(٤) رواه السيوطي في الدر المنثور عن ابن عساكر عن ابن عباس ٢٦٥/٣ ورواه ابن جرير عن وهب بن منبه ورواية أخرى عن السدي بسند فيه انقطاع ابن جرير ٤٨/١٦.

(٥) في هـ: وذلك.

(٦) ما بين القوسين ساقط من هـ، وفي قوله في المولود إذا جاء لثمانية أشهر لا يعيش نظر فإن المولود قد يعيش إذا جاء لسته أشهر لا لثمانية.

(٩) قراءة الفتح لحمزة والباقون بكسر النون السبعة لابن مجاهد (٤٠٨).

(٧) ساقط من جـ، د، هـ.

(١٠) معاني القرآن للفراء ١٦٤/٢.

(٨) ساقط من د.

جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِّي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ
الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾

﴿فناداها من تحتها﴾ وكان أسفل منها تحت الأكمة ﴿ألا تحزني﴾ وهذا قول السدي وقتادة والضحاك^(١): أن المنادي جبريل ناداها من سفح الوادي، ومن قرأفناداها من تحتها^(٢) قال: هو عيسى، وهو قول: مجاهد والحسن بين الله لها الآية في عيسى فكلمها ليزول ما عندها من الوحشة والجزع ﴿ألا تحزني﴾ قد جعل ربك تحتك ﴿أي تحت قدميك﴾ ﴿سرياً﴾ وهو النهر وكان نهراً قد انقطع الماء عنه فأرسل [الله]^(٣) الماء فيه لمريم وأحيا ذلك الجذع حتى أورق وهو قوله ﴿وهزي إليك﴾ الهز: التحريك، يقال هزه هاهتز، والمعنى: اجذبي إليك ﴿بجذع النخلة﴾ والباء فيه زائدة^(٤)، قال الفراء: العرب تقول: هزه وهز به^(٥) [ومنه] قوله: ﴿فليمدد بسبب﴾^(٦) معناه: فليمدد سبباً، وقوله: ﴿تساقط [عليك]﴾^(٧) أي تساقط فأدغمت التاء في السين، ومعناه: تسقط عليك النخلة ﴿رطباً جنيًّا﴾ وقرأ حمزة^(٨) تساقط مخففاً، حذف التاء التي أدغمها غيره وروى حفص عن عاصم تساقط على وزن تفاعل وساقط بمعنى أسقط والمساقطة والتساقط على ما ذكرنا بمعنى الإسقاط، والرطب: النضيج من البسر، والجني: بمعنى المجني^(٩) يقال: جنيت الثمرة واجنيتها قوله ﴿فكلي﴾ أي من الرطب ﴿وأشربي﴾ من السري^(١٠) ﴿وقري عينا﴾ بولدك عيسى، يقال: قررت به عينا أقرقرة، بعضهم يقول: قررت أقر، وجاء في التفسير: طيب نفساً ﴿فإما ترين﴾ أصله: إما ترى ثم دخله نون التوكيد فكسر الباء لالتقاء الساكنين كما تقول للمرأة أحشين [زيداً]^(١١) والمعنى فيما ترين ﴿من البشر أحداً﴾ فسألك عن ولدك ﴿فقولي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ قال ابن عباس: صمتاً والمعنى: أوجبت على نفسي لله أن لا أتكلم. قال قتادة: صامت من الكلام والطعام، وقال السدي وابن زيد: كان في بني اسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم الصائم حتى يمسي^(١٢)

(١) الضحاك بن مزاحم الهلالي ت سنة ١٠٢ هـ تهذيب التهذيب ٤/٤٥٣.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر من تحتها بفتح الميم والتاء، وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم (من تحتها) بكسر الميم والتاء. السبعة لابن مجاهد ص ٤٠٨.

قراءة (من تحتها) بفتح الميم قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر انظر السبعة ص ٤٠٨ والنشر ٣١٨/٢.

(٣) ساقط من النسخة (د) وحياة الجذع حتى صار فيه ثمراً رواه ابن جرير عن اسباط عن السدي والسدي معروف بضعفه. ابن جرير ٥٤/١٦.

(٤) قال ابن جرير: وأدخلت الباء في قوله: وهزي إليك بجذع النخلة كما يقال زوجتك فلانة وزوجتك بفلانة وما قال تنبت بالدهن بمعنى تنبت الدهن، وإنما تفعل العرب ذلك لأن الأفعال يكتى عنها بالباء فيقال إذا كنت عن ضربك عمراً فعلت به وكذلك كل فعل فلذلك تدخل الباء في الأفعال وتخرج فيكون دخولها وخروجها بمعنى فمعنى الكلام وهزي إليك جذع النخلة ابن جرير ٥٥/١٦.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/١٦٤، وفي د: وهز به قوله وقال الألوسي: الفعل هنا بمنزل الكلام فلذا عدي بالباء: أي فعل (الهز بجذع النخلة) كما في الألوسي ١٦/٨٤.

(٦) الحج: ١٥ - كتب بالقلم.

(٧) ساقط من جـ.

(٨) السري: الجدول والنهر الصغير. ابن جرير ١٦/٥٣.

(٩) ساقط من (د).

(١٠) السبعة لابن مجاهد ص ٤٠٩.

(١١) رواه ابن جرير عن الضحاك تفسير ابن جرير ١٦/٥٧.

(١٢) في النسخة أ المجتئى.

يدل على هذا قوله ﴿فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ أي إني صائمة فلا أكلم اليوم أحداً وكان قد أذن لها أن تتكلم بهذا القول ثم تسكت ولا تتكلم بشيء آخر قال ابن مسعود ووهب (١) أمرت بالصمت لأنها لم تكن لها حجة عند الناس في شغل ولدها فأمرت بالكف عن الكلام ليكفيها الكلام ولدها بما يبريء ساحتها (٢)

فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيحًا ﴿٢٧﴾ يَتَّخِذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمراً سَوْءاً وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِيَّ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

قوله: ﴿فأتت به﴾ يعني بعيسى ﴿قومها تحمله﴾ قال الكلبي: إنها ولدت حيث لم يشعر بها قومها ومكثت أربعين يوماً حتى طهرت من نفاسها ثم حملت عيسى إلى قومها، فلما دخلت عليهم بكوا وخافوا وكانوا أهل بيت صالحين فقالوا: ﴿يا مريم لقد جئت شيئاً فريحاً﴾ عظيماً منكراً لا يعرف منك ولا من أهل بيتك، والفري: الأمر العظيم ﴿يا أخت هارون﴾ قال ابن عباس وقتادة: هارون رجل صالح من بني إسرائيل ينسب إليه من عرف بالصلاح والمعنى: يا شبيته في العفة وعلى هذا يدل حديث المغيرة بن شعبة وهو ما أخبرنا اسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن محمود أخبرنا والذي، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حاتم (٣)، نا أبو سعيد الأشج، نا عبد الله بن إدريس أنا أبي علي سماك بن حرب (٤) عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران فقالوا: ألسنم تقرؤون: يا أخت هارون وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى فلم أدر ما أجيبهم فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: ألا أخبرتهم انهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم (٥) رواه مسلم عن الأشج، وقال الكلبي: كان هارون أخا مريم من أبيها ليس من أمها وكان أمثل رجل في بني إسرائيل، وقال السدي: عنوا هارون أخا موسى ونسبت مريم إلى أنها أخته لأنها من ولده كما يقال للتميمي يا أخت تميم (٦) وقوله ﴿ما كان أبوك أمراً سوءاً﴾ قال ابن عباس: يريد زانياً ﴿وما كانت أمك بغياً﴾ زانية: أي لم يكونا زانيين فمن أين لك هذا الولد ﴿فأشارت إليه﴾ أي إلى عيسى وهو يرضع بأن كلموه، فتعجبوا من ذلك ﴿قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً﴾ في الحجر رضيعاً، قال أبو عبيدة (٧) كان ها هنا حشوزائد (٨) والمعنى: كيف نكلم صبياً في المهد، وبهذا قال كثير من أهل التفسير وقال الزجاج: الأجوز أن

(١) هو ووهب بن منه وستأتي ترجمته بعد.

(٢) تفسير ابن جرير ٥٧/١٦.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن وهام ت سنة ٣٣٧ هـ تاريخ الإسلام ٣/٢٨٥.

(٤) سماك بن حرب بن أوس بن خالد بن نزار أبو المغيرة الكوفي ت سنة ١٢٣ هـ تهذيب التهذيب ٤/٢٣٣ الجرح والتعديل ٢/٢٧٩.

(٥) رواه مسلم في كتاب الآداب باب النهي عن التكني بأبي القاسم ويان ما يستحب من الأسماء ص ١٦٨٥ ط الخليلي ونجران موضع في مخاليف اليمن من ناحية مكة معجم البلدان ٥/٢٦٦.

(٦) لم أعثر على قول الكلبي، أما قول السدي فقد ذكره ابن جرير في تفسيره ٥٩/١٦.

(٧) أبو عبيدة: معمر بن المثنى التميمي البصري اللغوي توفي سنة ٢١٠ هـ انظر: شذرات الذهب ٢/٢٥٦.

(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة بلفظ كان فضل ٧/٢ ولم يوافق أباً عبيدة على رأيه هذا كثير من المفسرين فقد قال أبو حيان وقيل قامة ويتصل =

يكون من في معنى الشرط والجزاء المعنى: من يكن في المهد صبياً فكيف نكلمه واختاره ابن الأنباري، وقال: هذا كما تقول كيف أعظ من كان لا يقبل موعظتي؟ معناه: من يكن لا يقبل والماضي يكون بمعنى المستقبل في باب الجزاء، قال السدي: فلما سمع عيسى كلامهم لم يزد على أن ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه و﴿قال إني عبد الله﴾ قال ابن عباس: أقر بالعبودية على نفسه وبربوية الله أول ما تكلم ﴿آتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾ أي حكم لي بإيتاء الكتاب والنبوة فيما قضى وهذا إخبار عما سبق له مما هو كائن قوله: ﴿وجعلني مباركاً أين ما كنت﴾ روى أبو هريرة عن النبي ﷺ في قوله ﴿وجعلني مباركاً أين ما كنت﴾ قال: نفاعاً حيث ما توجهت^(١) وقال مجاهد: معلماً للخير، وقال عطاء: لأنني أدعو إلى الله وإلى توحيدته وعبادته ﴿وأوصاني بالصلاة﴾ أمرني بإقامتها ﴿والزكاة﴾ يعني زكاة الأموال ﴿وبراً بوالدتي﴾ قال ابن عباس: لما قال بوالدتي ولم يقل بوالدي علموا أنه نبي من الله ﴿ولم يجعلني جباراً﴾ متعظماً يقتل ويضرب على الغضب ﴿شقياً﴾ عاصياً لربه ﴿والسلام علي﴾ قال المفسرون: السلامة علي من الله ﴿يوم ولدت﴾ حتى لم يضرني شيطان، والآية مفسرة في هذه السورة قالوا لما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان.

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾

قوله: ﴿ذلك عيسى ابن مريم﴾ قال الزجاج: ذلك الذي قال: إني عبد الله عيسى ابن مريم لا ما يقوله النصراني من أنه ابن الله وأنه إله ﴿قول الحق﴾ أي القول الحق فأضيف القول إلى الحق كما قيل حق اليقين ووعده الصدق، والمعنى: هذا الكلام قول الحق يعني: ما ذكر من صنعته وأنه ابن مريم قول الحق، من نصب قول الحق فهو نصب على المصدر، أي قال قول الحق ﴿الذي فيه يمترون﴾ الذي من نقب عيسى، ويمترون: يشكون ويختلفون، فيقول قائل: هو ابن الله، ويقول آخر هو الله ثم نفى عن نفسه اتخاذ الولد فقال: ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد﴾ قال ابن الأنباري: ما كان ينبغي لله أن يتخذ من ولد، أي ما يصلح له ولا يستقيم فنابت اللام عن الفعل وذلك أن الولد مجانس للوالد وكذلك من اتخذ ولداً بما يتخذه من جنسه، والله تعالى ليس كمثله شيء فلا يكون له ولد ولا يتخذ ولداً، قال الزجاج: من في قوله من ولد مؤكدة تدل على نفس الواحد والجماعة، فلا يجوز أن يتخذ ولداً واحداً ولا أكثر، ثم نزه نفسه عن مقالاتهم بقوله ﴿سبحانه﴾ ثم بين السبب في كون عيسى من غير أب فقال ﴿إذا قضى أمراً﴾ إذا أراد أن يحدث شيئاً ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ لا يتعذر عليه إيجاده على الوجه الذي أراده ﴿وإن الله ربي وربكم﴾ هذا إخبار عن عيسى أنه قال ذلك المعنى: ولأن الله ربي وربكم، ويجوز أن يرجع إلى قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة

= صبياً على الحال في هذين القولين. والظاهر أنها ناقصة فتكون بمعنى صار، أو تبقى على مدلولها من اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي، ولا يدل ذلك على الانقطاع كما لم يدل في قوله وكان الله عفواً رحيماً، والمعنى كان وهو الآن على ما كان ولذلك عبر بعض أصحابنا عن كان هذه بأن ترادف لم يزل، وقال الزنجشيري لا يقع مضمون الجملة في زمان ماضٍ مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو هنا القرية خاصة والدال عليه معنى الكلام، وأنه مسوق للتعجب، ووجه آخر أن يكون تكلم حكاية حال ماضيه أي كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس صبياً أه البحر المحيط لأبي حيان ١٨٧/٦.

(١) رواه ابن جرير موقوفاً على مجاهد وتابعه في ذلك ابن كثير تفسير ابن جرير ١٦/٦١.

وبأن الله ربي وربكم، ومن كسر جعله معطوفاً على قوله إني عبد الله^(١)، ويجوز أن يكون استئنافاً من غير عطف، وقوله ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي هذا الذي أخبرتكم أن الله أمرني به هو الطريق المستقيم الذي يؤدي إلى الجنة قوله: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابَ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ يعني: بينهم، ومن زائد^(٢)، قال المفسرون: كانوا أحزاباً متفرقين بينهم في أمر عيسى فقال بعضهم هو الله، وقال بعضهم: ابن الله، وقال بعضهم: بالثلاثة^(٣) ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله، بقولهم في المسيح ﴿مَنْ مَشَهُدٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ من حضورهم ذلك اليوم للجزاء والحساب.

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٣٨ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٣٩ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ٤٠

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَا﴾ قال قتادة: ذلك والله يوم القيامة، سمعوا حين لم ينفعهم السمع، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر، وقال الحسن^(٤): لئن كانوا في الدنيا صماً عمياً عن الحق فما أبصرهم وأسمعهم يوم القيامة ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يعني: الكافرين والمشركين ضلوا في الدنيا وعموا عن الحق، وآثروا الهوى على الهدى، قوله ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ خوف يا محمد كفار مكة يوم يتحسر المسيء هلا أحسن العمل والمحسن هلا ازداد من الإحسان، وقال أكثر المفسرين: يعني الحسرة حين يذبح الموت بين الفريقين، فلو مات أحد فرحاً لمات أهل الجنة، ولو مات أحد حزناً لمات أهل النار أخبرنا الشيخ أبو سهل عبد الواحد بن محمد الخشاب شيخ الصوفية قراءة عليه في شهر شعبان سنة خمس عشرة وأربعمائة أنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحبري أنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي نا عثمان بن أبي شيبة^(٥) نا جرير عن الأعمش [عن أبي صالح]^(٦) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قيل يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون [وقيل يا أهل النار فيشرئبون وينظرون]^(٧) فيجاء بالموت كأنه كبش أملح فيقال لهم تعرفون الموت فيقولون هذا هذا وكلهم قد عرفه قال فيقدم فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت يا أهل النار خلود فلا موت قال وذلك قوله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ رواه مسلم^(٨) عن عثمان بن أبي شيبة، وقوله ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ قال مقاتل بن سليمان: قضي لهم العذاب في الآخرة ﴿وَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ وقال ابن جريج والسدي: إذ قضي الأمر إذ ذبح الموت وهو

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (وأن الله) بفتح الهمزة السبعة لابن مجاهد ص ٤١٠ وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي عند قرؤوا (وإن الله) بكسر همزة ان على الاستئناف السبعة ص ٤١٠ والنشر ٣١٨/٢.

(٢) هذا على مقاييس النحويين في كتبهم أما كتاب الله فلا زياده فيه ولا نقصان.

(٣) أي قال بعضهم (بالأب والابن والروح القدس).

(٤) الحسن بن أبي الحسن البصري من سادة التابعين ت سنة ١١٠ هـ طبقات الحفاظ ص ٢٨ الدرر الكامنة ١/١٢٨.

(٥) عثمان بن محمد بن إبراهيم أبو الحسن الكوفي ت سنة ٣٣٩ هـ تاريخ بغداد ١١/٢٣٢، تذكرة الحفاظ ٢/٤٤٤، شذرات الذهب ٩٢/٢.

(٦) ما بين القوسين ساقط من جـ وهو: أبو صالح السمان ابن ذكوان الزيات المدني تذكرة الحفاظ ١/٨٩، طبقات الحفاظ ص ٣٣ طبقات ابن سعد ٥/٢٢٢.

(٧) ما بين القوسين ساقط من أ.

(٨) رواه مسلم في كتاب الجنة. باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٨ ط الحلبي والبخاري في كتاب التفسير سورة مريم ١١٧/٦ ط الشعب.

في غفلة في الدنيا عما يصنع بالموت ذلك اليوم ﴿وهم لا يؤمنون﴾ بما يصنع^(١) بالموت في ذلك اليوم ﴿إنا نحن نرث الأرض﴾ نميت سكانها فنرثها ﴿ومن عليها﴾ لانا نميتهم ونهلكهم وهذا كقوله ﴿ونحن الوارثون﴾^(٢) ﴿والينا يرجعون﴾ يردون بعد الموت.

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۚ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۗ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۗ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۗ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۗ

قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم﴾ اذكر لقومك قصته ﴿إنه كان صديقاً﴾ كثير الصدق ﴿نبياً إذ قال لأبيه [يا أبت] (٣) لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر﴾ [وبخه على عبادته شيئاً لا يسمع له ولا يبصر]^(٤) ﴿ولا يغني عنك شيئاً﴾ لا يدفع عنك ضرراً ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم﴾ بالله والمعرفة ﴿ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً﴾ على ما جاءني من ربي لأرشدك إلى دين مستقيم ﴿[يا أبت] لا تعبد الشيطان﴾ لا تطعه فيما يزن لك من الكفر والمعاصي ﴿إن الشيطان كان للرحمن عصياً﴾ عاصياً ﴿يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾ أخشى أن يصيبك عذاب الله بطاعتك للشيطان ﴿فتكون للشيطان ولياً﴾ قريباً في النار فقال أبوه مجيهاً^(٥) له.

قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِلرَّحْمَنِكَ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا ۗ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ ۗ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۗ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۗ

﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ أثاركها أنت، وتارك عبادتها ﴿لكن لم تنته﴾ عن شتمها وعبثها ﴿لأرحمك﴾ لأرحمك بالقبول القبيح وأشتمك ﴿واهجرتني ملياً﴾ تباعد عني ملياً حيناً وزماناً طويلاً، والملي: من الدهر حين طويل يقال: أقام بموضع كذا ملياً [أي حيناً وزماناً طويلاً]^(٦) فـ ﴿قال﴾ إبراهيم لأبيه ﴿سلام عليك﴾ أي سلمت مني لا أصيبك بمكروه [وذلك]^(٧) أنه لم يؤمر بقتاله على كفره ﴿سأستغفر لك ربّي﴾ وذلك أنه لما أعياه أمره وعده أن يراجع الله في أبيه^(٨) فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له والمعنى: سأسأل لك التوبة تنال بها مغفرته ﴿إنه كان بي حفيماً﴾ باراً لطيفاً، يقال: حفى به حفوة إذا بره وألطفه ﴿وأعتزلكم﴾ أتحنى عنكم وأفارقكم ﴿وما تدعون من دون الله﴾ وأعتزل ما تعبدون [من دون]^(٩)

(١) في هـ: لما يصنع ذلك اليوم.

(٢) ليست في هـ: يا أبت في الآيتين.

(٤) ساقط من جـ.

(٢) الحجر: ٢٣

(٥) في هـ مجيهاً، ولكن مجيهاً بمعنى معفاً له وموبخاً ففي لسان العرب جبهت فلاناً إذا استقبلته بكلام فيه غلظة لسان العرب مادة جبه.

(٨) فيما عدا هـ بأبيه.

(٦-٧) ساقط من هـ.

(٩) حفيماً: معناه كان عالماً لطيفاً يجيب دعوته، ولحفي معان أخرى كثيرة ليس هذا موضعها وإنما يراجع لسان العرب مادة «حفا».

(١٠) ساقط من (٥).

الله يعني الأصنام ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ أعبده ﴿عسى أن لا أكون بدعائي ربي شقياً﴾ أرجو لا أشقى بعبادته، يعني كما شقيت
أنتم بعبادة الأصنام لأنها لا تفعمهم ولا تجيب دعاءهم

فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا
وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۖ

﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾ هجرهم فخرج إلى ناحية الشام ﴿وهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ أنس
وحشته من فراقهم بأولاد كرام على الله ﴿وكلاً﴾ من هذين ﴿جعلنا نبياً﴾ ﴿وهبنا لهم من رحمتنا﴾ المال والولد وهذا
قول الأكثرين قالوا: يعني ما بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق. وقال آخرون: يعني الكتاب والنبوة ﴿وجعلنا لهم
لسان صدق﴾ ثناء حسناً في الناس ﴿علياً﴾ مرتفعاً سائراً في الناس فكل أهل الأديان يتولون إبراهيم وذريته ويشنون
عليهم.

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَنَذَرْنَاهُ مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ
نَحِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۖ

قوله ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً﴾^(١) أخلص العبادة والتوحيد لله ومن قرأ مخلصاً^(٢) فهو الذي
أخلصه الله من الدنس ﴿... وناديناه﴾ قال ابن عباس: يريد حين^(٣) أقبل من مدين ورأى النار في الشجرة وهو قوله
﴿يا موسى إني أنا الله﴾^(٤) ﴿من جانب النطور﴾ من ناحية الجبل وهو جبل بين مصر ومدين^(٥) واسمه زبير^(٦)
﴿الأيمن﴾ يعني الذي يلي يمين موسى ﴿وقربناه نجياً﴾ مناجياً، والنجي: بمعنى المناجى، كالجليس والتدبير^(٧) قال
ابن عباس: قربه الله وكلمه، ومعنى هذا التقرب أن أسمعه كلامه قال الزجاج: قربه منه في المنزلة حتى سمع مناجاة
الله ﴿وهبنا له من رحمتنا﴾ من نعمتنا ﴿أخاه هرون نبياً﴾ قال ابن عباس: يريد حين سألتني فقال ﴿اجعل لي وزيراً من
أهلي﴾^(٨)

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ
عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۖ

﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد﴾ قال مجاهد: لم يعد شيئاً إلا وفي به وقال مقاتل^(٩) :

(١) (مخلصاً) بكسر اللام وهي قراءة: نافع وابن كثير ويعقوب وخلف وأبي عمرو وابن عامر ورواية عن عاصم انظر السبعة ص ٤١٠ والنشر ٢/٢٩٥.

(٢) (مخلصاً) بفتح اللام وهي قراءة حمزة والكسائي ورواية عن عاصم. انظر السبعة ص ٤١٠ والنشر ٢/٢٩٥.

(٣) في هـ: حيث.

(٤) القصص: ٣٠.

(٥) مدين: مدينة نجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل وبها استسقى موسى عليه السلام لبنات شعيب معجم البلدان ٥/٧٧.

(٦) معجم البلدان ٣/١٣٢. (٧) بمعنى المجالس والمناجم.

(٨) طه: ٢٩.

(٩) مقاتل بن حيان النبطي أو بسطام البلخي له ترجمة في: طبقات المفسرين للدودي ٢/٣٢٩، طبقات الحفاظ ص ٧٦ تهذيب التهذيب

أقام ينتظر إنساناً لميعاد ثلاثة أيام. وقال الكلبي: أقام حتى حال عليه الحول ﴿وكان رسولاً نبياً﴾ إلى جرهم^(١) ﴿وكان يأمر أهله﴾^(٢) قال ابن عباس يريد قومه قال الزجاج: أهله جميع أمته، قال مقاتل نظيره ﴿وأمر أهلك بالصلوة﴾^(٣) أي قومك وقوله ﴿بالصلوة والزكاة﴾ قال ابن عباس: يريد التي افترضها الله عليهم، وهي: الحنيفة التي فرضت علينا ﴿وكان عند ربه مرضياً﴾ قال: يريد قام لله بطاعته.

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾

وقوله في ذكر ادريس ﴿... ورفعناه مكاناً علياً﴾ قال مجاهد رفع ادريس ولم يمت كما رفع عيسى قال المفسرون: رفع إلى السماء الرابعة. أخبرنا محمد بن إبراهيم عن محمد بن يحيى، أنا [محمد]^(٤) بن جعفر بن الهيثم نا أبو بكر الأنباري نا جعفر بن محمد بن شاكر، نا حسين^(٥) بن محمد المروزي نا سفيان عن قتادة عن انس أن نبي الله ﷺ قال لما عرج بي رأيت إدريس في السماء الرابعة^(٦).

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾

﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾ يعني الذين ذكرهم من الأنبياء في هذه السورة ثم بين مراتبهم في شرف النسب فقال: ﴿من ذرية آدم﴾ يعني ادريس ونوحاً ﴿وممن حملنا مع نوح﴾ يعني في السفينة ويريد إبراهيم لأنه من [ولد]^(٧) سام بن نوح ﴿ومن ذرية إبراهيم﴾ يريد اسماعيل واسحق ويعقوب وقوله ﴿وإسرائيل﴾ يعني ومن ذريته وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى فكان لإدريس ونوح شرف القرب [من آدم وإبراهيم شرف القرب]^(٨) من نوح واسماعيل واسحق ويعقوب ولما تباعدوا من آدم حصل لهم الشرف بإبراهيم ﴿وممن هدينا واجتبتنا﴾ أي هؤلاء كانوا ممن أرسدنا واصطفينا ﴿إذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾ قال ابن عباس: سجداً لله متضرعين إليه قال الزجاج: قد بين الله أن الأنبياء كانوا إذا أسمعو آيات الله سجدوا وبكوا.

﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾﴾

قوله: ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ قال السدي: هم اليهود والنصارى وقال مجاهد وقتادة: هم من هذه الأمة عند

(١) جرهم بطن من القحطانية كانت منازلهم أولاً باليمن ثم انتقلوا إلى الحجاز فنزلوه ثم نزلوا بمكة واستوطنوها . معجم قبائل العرب عمر رضا كحالة ١/١٨٣ .

(٢) في أ: أهله (بالصلوة) وهي مكروة.

(٣) طه: ١٣٢ .

(٤) ساقط من جـ ولفظ أنا بعدها ساقط من هـ.

(٥) حسين بن عماد بن بهرام المروزي التميمي أبو أحمدات سنة ٢١٣ هـ انظر تاريخ بغداد ٨/٨٨ ، طبقات الحفاظ ص ١٦١ .

(٦) الحديث رواه مسلم في كتاب الإيمان باب الإسرائ برسول الله ﷺ ١/١٤٥ .

(٧) ساقط من جـ .

(٨) ساقط من هـ ط الحلي .

قيام الساعة وذهاب صالحى هذه الأمة قوم يتنابزون^(١) بالزنا ينزو بعضهم على بعض في الأزقة زناة ﴿أضاعوا الصلوة﴾ قال الأكثرون أخروها عن وقتها، قال ابراهيم: أضاعوا الوقت وقال عمر بن العزيز: شربوا الخمر فأضاعوها، وقال سعيد بن المسيب هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر، ولا العصر حتى تغرب الشمس^(٢) ﴿واتبعوا الشهوات﴾ المعاصي وشرب الخمر، والمعنى: آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله ﴿فسوف يلقون غيا﴾ قال ابن مسعود ومجاهد وعطاء عن ابن عباس: هو واد في جهنم. أخبرنا أبو منصور بن يحيى التميمي أنا عبد الله بن محمد بن نصير القرشي، نا محمد بن أيوب أنا عمرو بن مرزوق، نا شعبة عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله^(٣) في قوله ﴿فسوف يلقون غيا﴾ قال: نهر في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم^(٤)، وليس معنى يلقون يردون فقط لأن اللغاء معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية ﴿إلا من تاب﴾ من التقصير في الصلاة ﴿وآمن﴾ من اليهود والنصارى^(٥) ﴿وعمل صالحاً﴾ بطاعة الله ﴿فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً﴾ قال ابن عباس: لا ينقصون ثوباً.

جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًا ﴿٦٣﴾

﴿جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ قال ابن عباس: يريد أنهم عابوا عما فيها بما لا عين رأت، والمعنى: أنهم لم يروها فهي غيب لهم ﴿إنه كان وعده مأتياً﴾ قال الفراء: لم يقل آتياً لأن كل ما أتاك فقد آتته^(٦)، ونحو هذا حال الزجاج، وقال ابن جريج^(٧): وعده في هذه الآية موعود وهو الجنة، ومأتياً يأتيه أولياؤه وأهل طاعته ﴿لا يسمعون فيها لغوا﴾ وهو الهدر وما يلغى من الكلام ﴿إلا سلاماً﴾ لكن يسمعون سلاماً وهو أن بعضهم يحيى بعضاً بالسلام ويرسل إليهم الرب الملائكة بالسلام قال الزجاج: السلام اسم جامع للخير لأنه متضمن السلام والمعنى: ان أهل الجنة لا يسمعون ما يؤذيهم وإنما يسمعون ما يسلمهم ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ قال المفسرون: ليس في الجنة بكرة ولا عشية ولكنهم يؤتون برزقهم على مقدار ما يعرفون من الغداء والعشاء قال قتادة: كانت العرب إذا أصاب أحدهم

(١) في هـ يتبارون والنص في تفسير الطبري ٧٥/١٦.

(٢) لابن جرير رأي نقله عن العلماء في هذا المعنى يقول فيه: أضاعوا الصلاة أضاعوا المواقيت ولو كان تركاً كان كفراً. تفسير الطبري ٧٤/١٦ وفيه أيضاً عن ابن مسعود وقد سئل عن إضاعتها قال عن مواقيتها قالوا ما كنا نرى ذلك إلا الترك قال: ذاك الكفر وقال القرطبي في تفسيره وجملة القول في هذا الباب أن من لم يحافظ على كمال وضوئها وركوعها وسجودها فليس بمحافظ عليها، ومن لم يحافظ عليها فقد ضيعها، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، كما أن من حافظ عليها حفظ الله عليه دينه ولا دين لمن لا صلاة له. الجمع لأحكام القرآن ١٢٣/١١ ط دار الكتاب العربي.

(٣) أي ابن مسعود.

(٤) روى الهيثمي نحوه في كتاب التفسير سورة مريم وقال رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها ثقات إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه مجمع الزوائد ٥٥/٧ ورواه ابن جرير بالنص ٧٥/١٦.

(٥) في هذا نظر فإن الإيمان لا يقتصر على اليهود والنصارى بل ينطبق القول على كل من تاب وآمن سواء كان قبل ذلك يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً أو ولد مسلماً.

(٦) معاني القرآن للفراء ١٧٠/٢.

(٧) في ج ابن جرير.

يؤيد هذا قول الله تعالى في سورة الزمر ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم طيبم﴾.

الغداء والعشاء أعجب به فأخبر الله أن لهم في الجنة رزقهم بكرة وعشيا على قدر ذلك الوقت وليس ثم ليل [ولا نهاراً] (١) إنما هو ضوء ونور وقال الحسن: كانت العرب لا تعرف شيئاً من العيش أفضل من الغداء والعشاء فذكر الله جنته فقال: لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا.

قوله ﴿تلك الجنة﴾ يعني الجنة التي ذكرها في قوله ﴿فأولئك يدخلون الجنة﴾ ﴿التي نورث من عبادنا﴾.

وذلك أن الله تعالى يورث عباده المؤمنين من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا وجوز أن يكون معنى يورث تعظيم ذلك ونزولهم إياها وتكون كالميراث لهم من جهة أنها تملك مستأنف وقوله ﴿من كان تقياً﴾ أي من اتقى معصية الله وعقابه بالطاعة والإيمان.

وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

قوله ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك﴾ أخبرنا أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم الواعظ، أنا أبو بكر محمد بن علي الففال أنا اسحق بن محمد بن اسحق الرسغني، نا جدي، نا المغيرة، نا عمر بن زر عن أبيه (٢) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزل ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك﴾ الآية كلها قال: وكان هذا جواباً لمحمد ﷺ رواه (٣) البخاري (٤) عن أبي نعيم عن عمر بن زر قال المفسرون استبطأ رسول الله ﷺ جبريل ثم جاءه فقال له: يا جبريل ثم جاءه فقال له: يا جبريل إني كنت لمشتاقاً إليك قال: وأنا والله يا محمد قد كنت إليك مشتاقاً ولكنني عبد مأمور إذا بعثت نزلت ونزلت هذه الآية (٥) وقوله ﴿له ما بين أيدينا﴾ أي من أمر الآخرة والثواب والعقاب ﴿وما خلفنا﴾ ما مضى من الدنيا ﴿وما بين ذلك﴾ ما يكون هذا الوقت إلى يوم القيامة، وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل واختيار الزجاج ﴿وما كان ربك نسياً﴾ قال ابن عباس: تاركاً لك منذ أبطأ عنك الوحي، والنسي: بمعنى الناسي وهو التارك ﴿رب السموات والأرض﴾ مالهما ﴿وما بينهما﴾ فاعبده ﴿وحده لأن عبادته بالشرك كلا عبادة﴾ واصلطبر لعبادته ﴿أصبر على أمره ونهيه﴾ هل تعلم له سمياً قال ابن عباس في رواية الوالبي: هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً؟ وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وقال في رواية عكرمة: هل تعلم أحداً اسمه الرحمن غيره؟ وقال في رواية عطاء هل تعلم أحداً يسمى الله غيره؟ وقال الزجاج: تأويله - والله أعلم - هل تعلم له سمياً يستحق أن يقال له خالق وقادر وعالم بما كان وبما يكون؟ وعلى هذا: لا سمي لله في جميع أسمائه لأن غيره وإن سمي بشيء من أسمائه فله حقيقة ذلك الوصف.

(١) ساقط من هـ، د.

(٢) زر بن عبد الله بن زرارة الهمداني أبو عمر الكوفي ت سنة ٨٠ تهذيب التهذيب ٢١٨/٣.

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة مريم ١١٨/٦ وبدء الخلق ١٣٧/٤ ط الشعب.

(٤) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله البخاري ت سنة ٢٥٦ انظر البداية والنهاية ٣٤/١١ تاريخ بغداد ٤/٢ تذكرة

الحفاظ ٥٥٥/٢.

(٥) في ابن كثير رواه ابن أبي حاتم وهو غريب ٣٤٤/٥ ط الشعب والسيوطي في الدر المنثور، عن عبد بن حميد وابن أبي حاتم الدر

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذْ مَا مِتَّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾
فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ
أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾

وقوله ﴿ويقول الإنسان﴾ معناه الكافر الذي لا يؤمن بالبعث ﴿إذا ما مت لسوف أخرج حياً﴾ يقول ذلك استهزاء وتكديباً منه بالبعث قال ابن عباس في رواية عطاء يعني: الوليد بن المغيرة وقال في رواية الكلبي: نزلت في أبي بن خلف حين أخذ عظاماً بالية يفتها بيده ويقول زعم محمد أن الله يعثنا بعد ما نموت فقال الله مجيباً لذلك الكافر ﴿أولا يذكر الإنسان﴾ أو لا يتذكر هذا الجاحد أول خلقه فيستدل بالابتداء على الإعادة وهو قوله ﴿أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾ ثم أقسم أنه يحشرهم فقال ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ أي لنجمعنهم في المعاد ﴿والشياطين﴾ وذلك أن كل كافر يحشر مع شيطانه في سلسلة ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً﴾ يعني في جهنم، وذلك أن حول الشيء يجوز أن يكون داخله، يقال: جلس القوم حول البيت إذا جلسوا داخله مطيفين به، وقوله ﴿جثياً﴾ قال مجاهد: مستقرين (١) على الركب جمع جاث من قولهم: جثا على ركبته يجثو جثواً، وقال ابن عباس: جثيا جماعات، وهو قول مقاتل، وهو جمع جثوة وجثوة وهي المجموع من التراب والحجارة ﴿ثم لننزعن﴾ لنأخذن ولنخرجن ﴿من كل شيعه﴾ من كل فرقة وجماعة ﴿أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾ أي الأعتى فالأعتى منهم، قال الأحوص (٢): بدىء بالأكابر جرماً، وقال قتادة: لننزعن (٣) من كل أهل دين قادتهم ورؤسائهم في الشر والعتي ها هنا: مصدر كالتو، وهو التمرد في العصيان، وأما رفع أيهم فقال الزجاج: فيه ثلاثة أقوال: أحدها [أنه] (٤) على الاستثناف ولننزعن يعمل في موضع من كل شيعه هذا قول يونس (٥) وقال الخليل انه على معنى: الذين يقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتياً، وقال سيويه (٦): أيهم ها هنا مبني على الضم تقول اضرب أيهم أفضل تريد أيهم هو أفضل (٧) ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً﴾ يقال صلى النار يصلها صلياً أي دخلها وقاسى حرها، يعني أن الأولى بها صلياً الذين هم أشد على الرحمن عتياً على معنى الابتداء بهم دون أتباعهم لأنهم كانوا رؤساء في الضلالة.

وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾

قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ وما منكم أحد (٨) إلا وارد جهنم ﴿كان على ربك﴾ كان ورودكم جهنم ﴿حتماً﴾ الحتم: إيجاب القضاء والقطع بالأمر، يقال كان ذلك حتماً أي موجباً ﴿مقضياً﴾ قضاء الله عليكم وأكث

(١) معنى مستقرين: استقر ووقر طعاماً أخذه واستقر إذا حمل حملاً ثقيلاً واستقرت الإبل سمتت وحملت شحوماً (اللسان فصل الواو حرف الراء).

(٢) الأحوص بن جواب الضبي الكوفي صدوق ت سنة ٢١١ هـ تقريب التهذيب ٤٩/١.

(٣) في هـ: لننزعن من كل شيعه أي من كل... الخ.

(٤) ساقط من هـ.

(٥) يونس بن حبيب البصري ت سنة ١٨٢ هـ انظر طبقات المفسرين للداودي.

(٦) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيويه ت سنة ١٨٠ هـ بغية الرواة للسيوطي ٢/٢٢٩، نزهة الألباء ص ٦١.

(٧) الكتاب لسيويه ٢/٣٩٨.

(٨) في هـ: إلا هو.

الناس على الحكم بظاهر الآية وهو أن الخلق كلهم يردون النار ثم ينجي الله المؤمنين أخبرنا أبو القاسم بن حمدان نا محمد بن عبد الله بن نعيم الحافظ، أنا أبو العباس محمد بن أحمد المجبوبي، نا سعيد بن محمد مسعود، نا عبيد الله بن موسى، أنا إسرائيل عن السدي: قال سألت مرة الهمداني^(١) عن قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾ فحدثني ان عبد الله بن مسعود حدثهم عن رسول الله ﷺ قال «يرد الناس النار ثم يصدرون بأعمالهم فأولهم كلعم البرق ثم كمر الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب ثم كشد الرجل ثم كمشيه^(٢)» وقال ابن عباس في هذه الآية الورود الدخول وأخذ بيد مجاهد وقال: أما أنا وأنت فسندخلها، وخاصة نافع بن الأزرق^(٣) فقال إن الشيء ربما ورد الشيء ولكن لا يدخله فقال ابن عباس يا ابن الأزرق أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل ينجيننا الله منها أم لا؟ وكان^(٤) أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: ليت أمي لم تلدني ثم يبكي قال أخبرنا أنا واردها ولم نخبر أنا صادرون^(٥) عنها وبكى عبد الله بن رواحة وقال آية نزلت ينبتني فيها ربي أني وارد النار ولم ينبتني أني صادر عنها فذلك الذي أبكاني، وقال: الحسن كيف لا يحزن المؤمن؟ وقد حدث عن الله أنه وارد جهنم ولم يأت أنه صادر [منها]^(٦) ثم إن الله تعالى قادر بلطفه أن يسلم المؤمنين منها إذا وردوها حتى يعبروا بها ويخرجوا منها سالمين فقد أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي أنا عبد الله بن محمد بن نصير، نا محمد بن أيوب، أنا سليمان بن حرب، نا صالح بن غالب بن سليمان عن كثير بن زياد عن أبي سمية^(٧) قال: اختلفنا في الورود فقال قوم لا يدخلها مؤمن وقال آخرون يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فسألته فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال: صمتاً إن لم أكن سمعت النبي ﷺ يقول: الورود: الدخول لا يبقى برّ ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار أو قال لجهنم ضجيجاً من بردها ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً^(٨) أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا عبد الله بن محمد بن جعفر، نا عبد الرحمن بن محمد الرازي^(٩) نا [سهل بن عثمان]^(١٠) عن ثور^(١١) عن خالد بن معدان قال إذا

(١) مرة: الطيب بن شراويل الهمداني أبو إسماعيل الكوفي ت ٧٦ هـ تذكرة الحفاظ ١/٦٧ طبقات ابن مسعود ٦/٧١، طبقات الحفاظ (٢٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم ٨/١٤٦ ط الشعب، مسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية ١/١٨٧ ط الحلبي ومعنى حضر الفرس / عدوه وإسراعه الصحاح للجوهري مادة حضر.

(٣) نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي رأس فرقة الأزارقة ت سنة ٦٥ هـ انظر لسان الميزان ٦/١٤٤ الكامل لابن الأثير ٤/٦٥، الأعلام ٧/٣٥١ ط دار العلم.

(٤) تفسير ابن جرير ١٦/٨٤، ابن كثير ٥/٢٤٨.

(٥) تفسير ابن جرير ص ١٦/٨٢.

(٦) ساقط من جـ وفي هـ: عنها.

(٧) أبو سمية عن جابر مقبول من الرابعة التقريب ٢/٤٣١.

(٨) رواه أحمد في مسنده ٣/٣٢٨ ط بيروت وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد رواه أحمد ورجاله ثقات مجمع الزوائد ٧/٥٥ ط بيروت وحديث خالد بن معدان التالي: رواه الطبراني في الكبير، وقال الهيثمي: فيه يحيى بن يونس ولم أجد من ذكره، وبقية رجاله ثقات ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد باب في الأرواح ٢/٣٢٩.

(٩) عبد الرحمن بن محمد بن مسلم أبو يحيى الرازي ت سنة ٢٩١ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٢/٦٩٠ طبقات المفسرين للداودي ١/٢٨٢ طبقات الحفاظ ص ٣٠٠.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ب) وهو: سهل بن عثمان بن فارس العسكري الكندي ت سنة ٢٣٥ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٢/٤٥٢، خلاصة تهذيب الكمال ص ١٣٣ طبقات الحفاظ ص ١٩٧.

(١١) ثور بن يزيد الكلاعي أبو خالد الشامي الحمصي ت سنة ١٥٣ تذكرة الحفاظ ١/١٧٥ تهذيب التهذيب ٢/٣٥ طبقات الحفاظ ص ٧٧.

دخل أهل الجنة الجنة قالوا ألم يعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم: بلى ولكن مررتم بها وهي خامدة.

أخبرنا اسماعيل بن النصر أباضي، أنا محمد بن إبراهيم المحاملي، نا محمد بن إبراهيم البوشنجي^(١)، نا سليم بن منصور بن عمار حدثني أبي قال حدثني بشير بن طلحة عن خالد بن الدريك عن يعلى بن منبه عن رسول الله ﷺ قال «تقول النار يوم القيامة جزياً مؤمناً فقد أطفأ نورك لهبي»^(٢) وروى عثمان بن الأسود^(٣) عن مجاهد قال الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ وإن منكم إلا واردها وعلى هذا من حم من المسلمين فقد ورد لها لأن الحمى من فيح جهنم^(٤) وقد قال ﷺ «الحمى كير من جهنم فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار»^(٥) ويدل على صحة هذا التأويل ما أخبرنا أبو منصور بن طاهر أنا أبو سعيد الخلال، نا محمد بن الحسين^(٦) بن قتيبة، نا عبيدة بن عبد الرحيم^(٧)، نا أبو أسامة حماد بن أسامة^(٨)، نا عبد الرحمن بن يزيد عن إسماعيل بن عبد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ «أنه عاد مريضاً من وعك كان به فقال أبشر إن الله عز وجل يقول: هي ناري أسلطها على عبيد المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار»^(٩) وقال ابن زيد: ورود المسلمين النار: العبور على الجسر وورود الكافرين أن يدخلوها، قال الله تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ قال ابن عباس: اتقوا الشرك وصدقوا ﴿ونذ الظالمين﴾ قال المشركين والكفار ﴿فيها جنياً﴾ قالوا على الركب، وقالوا جميعاً كما فسرنا فيما قبل. قوله:

وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءآيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَرَّ أَهْلُ الْكَلْبِ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِءْيَا ﴿٧٤﴾

- (١) محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي أبو عبد الله ت سنة ٢٩١ هـ طبقات الحفاظ (٢٨٦) تذكرة الحفاظ ٢/٦٥٧، تهذيب التهذيب ٨/٩.
- (٢) قال عنه الهيثمي رواه الطبراني وفيه سليم بن منصور بن عمار وهو ضعيف مجمع الزوائد كتاب البعث باب ما جاء في الميزان والصراف والورود ١٠/٣٦١.
- (٣) عثمان بن الأسود موسى بن باذان المكي ت سنة ١٥٠ هـ تهذيب التهذيب ٧/١٠٧.
- (٤) في هذا انظر حيث أنه لا علاقة بين مرض المرء في الدنيا ونعيمه أو عذابه في الآخرة اللهم إلا تكفير ذنوبه إن صبر على بلاء نزل به من عند الله.
- (٥) قال الهيثمي: رواه أحمد الطبراني في الكبير وفيه أبو حصين الفلسطيني ولم أر له راوياً غير محمد بن مطرف مجمع الزوائد كتاب الجنائز باب في الحمى ٢/٣٠٥.
- (٦) في ج الحسن.
- (٧) في ب عبيدة بن عبد الرحمن.
- (٨) حماد بن أسامة بن زيد القرشي الكوفي ت سنة ٢٠١ هـ عن ثمانين سنة انظر تذكرة الحفاظ ١/٣٢١ تهذيب التهذيب ٢/٣ طبقات الحفاظ (١٣٤).
- (٩) أخرجه الطبري في تفسيره وابن كثير وقال: غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه تفسير ابن كثير ٥/٢٥٠ ط الشعب وتفسير الطبري ١٦/٨٣ وقد أيد القرطبي القول القائل بأن ورود المؤمن هو الحمى تفسير القرطبي ١١/١٣٨. أما الألويسي فيعد أن أورد أحاديث الحمى قال: والحق أنه لا دلالة فيه على عدم ورود المؤمن المحموم في الدنيا النار في الآخرة، وقضاري ما يدل عليه أنه يحفظ من ألم النار يوم القيامة، وقيل أن الورد الحضور والقرب كما في قوله ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ واختار بعضهم أن المراد حضورهم جاثين حوالها انظر روح المعاني ١٦/١٢٢ والرأي عندي أن الورد للمؤمن الضرور من فوقها والعبور على الجسر لحديث البخاري ومسلم «يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم... الخ» وقد مر هذا الحديث.

﴿وإذا تتلى عليهم﴾ يعني [على] ^(١) المشركين ﴿آياتنا بينات﴾ يريد القرآن ﴿قال الذين كفروا﴾ مشركو قريش ﴿للذين آمنوا﴾ لفقراء المؤمنين ﴿أي الفريقين﴾ نحن أم أنتم ﴿خير مقاماً﴾ وقرىء مقاماً بضم الميم ^(٢) وهما المنزل والمسكن ﴿وأحسن ندياً﴾ الندي والنادي: مجلس القوم ومجتمعهم ومنه قوله ﴿وتأتون في ناديك﴾ المنكر ^(٣) والمعنى: إن المشركين قالوا لفقراء المؤمنين نحن أم أنتم أعظم شأنًا وأعز مجلساً؟ افتخروا عليهم بمساكنهم ومجالسهم، فقال الله تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورثياً﴾ الأثاث المال أجمع الإبل والغنم والعبيد والمتاع قال ابن عباس والسدي: الأثاث المال وقال قتادة: أحسن أثاثاً أكثر أموالاً، الحسن: الأثاث اللباس. والرثي: المنظر، فعل من رأيت، والمصدر الرأي والرؤية كالطحن والرعي، والمفسرون يقولون: الرأي: المنظر وقال الحسن: الصور، وقرىء [رياً] ^(٤) بغير همز ^(٥) قال الزجاج: وله تفسيران أحدهما: أن الأول بطرح الهمز، الثاني أنه من الري الذي هو ضد العطن والمراد به أن منظرهم مرتو من النعمة كأن النعيم بين فيهم لأن الري ^(٦) يتبعه الطراوة كما أن العطش يتبعه الذبول، والمعنى: إن الله قد أهلك قبلهم أقواماً كانوا أكثر متاعاً وأحسن منظرًا فأهلك أموالهم، وأفسد عليهم جوهرهم، فليخافوا نعمة الله بالاهلاك كسنة من قبلهم من الكفار.

قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلَقِيَّتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

قوله: ﴿قل من كان في الضلالة﴾ قال ابن عباس: قل لهم يا محمد من كان في العماية عن التوحيد ودين الله ﴿فليمدد له الرحمن مدًّا﴾ [هذا لفظ الأمر ومعناه الخبر أي مده الرحمن مدًّا] ^(٧) وكذا فسره ابن عباس فقال: يريد فإن الله يمد له فيها حتى يستدرجه وقال الزجاج: تأويله أن الله جعل جزاء ضلّالته أن يتركه ويمده فيها لأن لفظ الأمر يؤكد معنى الخبر كأن المتكلم يقول أفعل ذلك وأمر به نفسي، ومعنى مده الله في ضلّالته: أمهله وطول عمره فيها ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون﴾ يعني الذين مدهم ^(٨) الله في الضلالة وأخبر عن الجماعة لأن لفظ من يصلح للجماعة ثم ذكر ما يوعدون فقال ﴿إما العذاب وإما الساعة﴾ يعني القتل والأسر، أو القيامة والخلود في النار ﴿فسيعلمون﴾ حينئذ ﴿من هو شرّ مكاناً﴾ أهم أم المؤمنون لأن مكانهم جهنم ومكان المؤمنين الجنة ﴿وأضعف جنداً﴾ وهذا رد عليهم في قولهم ﴿أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً﴾.

قوله: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا﴾ قال الربيع بن أنس يريد أنه يزيد الذين اهتدوا بكتابه ﴿هدى﴾ بما ينزل عليهم من الآيات فيصدقون بها، وقال الزجاج المعنى أن الله يجعل جزاء المؤمنين أن يزيدهم يقيناً كما جعل جزاء الكافر أن يمدّه في ضلّالته ﴿والباقيات الصالحات﴾ الأذكار والأعمال الحسنة من الطاعات التي تبقى لصاحبها ولا تحبط ﴿خير

(١) ساقط من د، هـ.

(٢) قراءة ﴿خير مقاماً﴾ بضم الميم قرأ بها ابن كثير السبعة ص ٤١١ والنشر ٣١٩/٢.

(٣) العنكبوت: ٢٩.

(٤) عن هـ فقط.

(٥) قراءة (رياً) بغير همزة قرأ بها ابن عامر ورواية عن نافع السبعة ص ٤١١ والنشر ٣٩١/١.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ج).

(٧) ساقط من جميع النسخ عدا هـ.

(٨) في هـ: الذي وهو تصحيف.

عند ربك ثواباً ﴿ جزاء في الآخرة مما يفخر به الكفار من مالهم وحسن معاشهم ﴾ وخير مردأ ﴿ المرء - ها هنا مصدر، مثل الرد والمعنى: وخير رد للثواب ﴾ (١) على عامليها ليس كأعمال الكفار التي خسروها فبطلت، ويقال هذا الأمر رد عليك أي أنفع لك والمعنى: أنه يرد عليك ما تريد.

أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اِتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾
كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِنَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

وقوله ﴿أفرايت الذي كفر بآياتنا﴾ قال جماعة أهل التفسير: نزلت في العاص (٢) بن وائل وذلك أن خباب بن الأرت كان له عليه دين فاتاه يتقاضاه فقال لا أقضيك حتى تكفر بإله محمد فقال خباب: والله لا أكفر بإله محمد حياً وميتاً ولا حين أبعث قال: فدع مالك قبلي فإذا بعثت أعطيت مالا وولداً وقضيتك (٣) مما أعطى يقول ذلك مستهزئاً فأنزل الله ﴿أفرايت الذي كفر بآياتنا﴾ (٤) يعني العاص كفر بالقرآن ﴿وقال لأوتين﴾ لأعطين ﴿مالا وولدا﴾ يعني في الجنة بعد البعث وقرىء وولداً بضم الواو (٥) وهما واحد مثل العرب والعرب والعجم والعجم. وأخبرنا أبو نصر أحمد بن إبراهيم المزكي، أنا عبيد الله بن محمد [بن محمد] (٦) بن بسطة (٧) أنا عبد الله بن عبد العزيز، نا أبو خيشمة، نا وكيع (٨)، الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن خباب قال كنت رجلاً قيناً (٩) وكان لي على العاصي بن وائل دين فأتيت أنقاضه فقال لي لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت لن أكفر به حتى تموت وتبعث، فقال: فإني لمبعوث بعد الموت فسوف أفيك إذا رجعت إلى مالي وولدي قال: فنزلت فيه ﴿أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾ (١٠) رواه البخاري عن الحميدي عن سفيان ورواه مسلم عن الأشج عن وكيع وكلاهما عن الأعمش قال الله تعالى تكذيباً (١١) ومنكراً عليه ﴿أطلع الغيب﴾ قال ابن عباس ومجاهد: أعلم ما غاب عنه حتى يعلم أفي الجنة أم لا؟ وقال الكلبي أنظر في اللوح المحفوظ؟ ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ قال ابن عباس [أم] (١٢) قال لا إله إلا الله فأرحمه بها؟ وقال قتادة: يعني أقدم عملاً صالحاً يرجوه؟ ﴿كلا﴾ ليس الأمر على ما قال من أنه يؤتى المال والولد، ويجوز أن معنى كلاً أي أنه لم يطلع [على] (١٣) الغيب، ولم يتخذ عند الله عهداً ﴿سكتب ما يقول﴾ سنأمر الحفظة بإثباته عليه لنجازيه

(١) في هـ: رد الثواب.

(٢) العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم توفي كافراً بالأبواء بين مكة والمدينة نسب فريش للزبير ص ٤٠٨.

(٣) في ب وقضيتك وقيت وليس لها موضع.

(٤) قرأ نافع وعاصم وابن عامر بفتح الواو وقرأ الباقون بضم الواو وسكون اللام السبعة ٤١٢.

(٥) رواه أحمد بن حنبل في المسند ١١١/٤ ط بيروت.

(٦) ساقط من هـ د في هـ عبد الله بن محمد.

(٧) في ج: بطر.

(٨) وكيع بن الجراح بن مليح أبو سفيان الرواس الكوفي ت سنة ١٩٧ هـ تذكرة الحفاظ ١/٣٠٧.

(٩) القين: الحداد الذي يعمل بالحديد ويعمل بالكبر اللسان مادة قين.

(١٠) رواه البخاري في كتاب البيوع باب ذكر القين والحداد (٧٩/٣) والتفسير سورة مريم ١١٨/٦، ومسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار

باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح (٢١٥٢) ط الحلبي.

(١١) في هـ مكذياً.

(١٢-١٣) ساقط من هـ.

في الآخرة ﴿ونمد له من العذاب مدا﴾ نزيده عذاباً فوق العذاب ﴿ونرثه ما يقول﴾ أي ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إياه وإبطال ملكه، وهذا قول ابن عباس وقتادة، ﴿ويأتينا فرداً﴾ يأتي الآخرة بلا مال ولا ولد

وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٨٤﴾

﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ يعني أهل مكة عبدوا الأصنام من دون الله ﴿ليكونوا لهم عِزًّا﴾ قال الفراء: ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة^(١)، وهذا معنى قول ابن عباس: ليمنعهم مني وذلك أنهم رجوا منها الشفاعة والنصرة والمنع من عذاب الله قال الله تعالى: ﴿كلا﴾ قال ابن عباس: يريد لا يمنعهم مني شيء ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ تجحد الآلهة عبادة المشركين لها كما قال: ﴿تبرأنا إليك﴾ ما كانوا إيانا يعبدون^(٢) وذلك أنها كانت جامداً لا تعلم العبادة ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ يصيرون أعواناً عليهم يكذبونهم ويلعنونهم ويتبرؤون منهم، وقال ابن قتيبة: أي أعداء يوم القيامة، وكانوا في الدنيا أولياءهم^(٣) قوله: ﴿ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ ذكر الزجاج في هذا وجهين: أحدهما: أنا خيلنا بين الشياطين وبين الكافرين فلم نعصمهم منهم ونعذبهم بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾^(٤)، الوجه الثاني وهو المختار: أنهم أرسلوا عليهم وقبضوا لهم بكفرهم كما قال ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً﴾^(٥) فمعنى الارسال هنا التسليط.

وقوله ﴿تؤزهم أزاً﴾ الأز التحريك والتهيج، قال ابن عباس في رواية الوالبي: تغريهم إغراءً وقال في رواية عطاء نزعهم إلى المعاصي إزعاجاً، وهو قول قتادة، وقال السدي نستعجلهم استعجالاً ﴿فلا تعجل عليهم﴾ أي يطلب العذاب لهم ﴿إنما نعد لهم عدا﴾ قال ابن عباس: يعني أنفسهم التي يتنفسون في الدنيا فهي معدودة إلى الاجل الذي أجلت لعذابهم وهذا من أبلغ الوعيد والمعنى: أنا أجلناهم إلى أجل يبلغونه تعد أنفسهم إلى تمام ذلك الأجل. قوله:

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمَجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مِنَ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾

﴿يوم نحشر المتقين﴾ أي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته واجتناب معاصيه ﴿إلى الرحمن﴾ إلى جنته ومحل كرامته ﴿وفداً﴾ جمع وفد كما يقال راكب وركب وصاحب وصحب فقال وفد الوافد يفد وفداً ووفادة إذا خرج إلى ملك في فتح أو أمر قاله ابن عباس. أخبرنا أبو سعد البصري، أنا محمد بن جعفر بن مالك القطيعي^(١)، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني سويد بن سعيد، أنا علي بن مسهر عن

(١) معاني القرآن للفراء ١٧١/٢ وفي النسخ: من الآخرة واللفظ من كتاب المعاني.

(٢) القصص: ٦٣.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٧٥).

(٤) الحجر: ٤٢.

(٥) الزخرف: ٣٦.

(٦) محمد بن جعفر بن مالك بن حمدان أبو بكر القطيعي ت سنة ٣٦٨ هـ انظر ميزان الاعتدال ٨٧/١.

عبد الرحمن بن إسحاق، نا النعمان بن سعد^(١) قال كنا جلوساً عند علي^(٢) رضي الله عنه فقرأ هذه الآية يوم نشر المتقين إلى الرحمن وفدأ قال لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولكن يؤتون بنوق لم تر الخلاق مثلها عليها رجال من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة^(٣) ﴿ويسوق المجرمين﴾ الكافرين ﴿إلى جهنم ورداً﴾ عطاشاً مشاة حال قتادة: سيقوا إليها وهم ظماء^(٤) والورد الجماعة التي ترد الماء ولا يرد أحد الماء إلا بعد العطش ﴿لا يملكون الشفاعة﴾ لا يشفعون ولا يشفع أهل الأيمان بعضهم لبعض وهو قوله ﴿إلا من اتخذ﴾ على معنى لكن من اتخذ ﴿عند الرحمن عهداً﴾ فإنه يملك الشفاعة، قال ابن عباس: العهد شهادة أن لا اله إلا الله ويتبرأ إليه من الجور والقوة ولا يرجو إلا الله.

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۗ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَنَضِرُ أَلْبَابًا هَدًّا ۗ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۗ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۗ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۗ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۗ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۗ

قوله ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾ يعني: اليهود والنصارى ومن زعم من المشركين أن الملائكة بنات الله، قال الله مخاطباً لهم: ﴿لقد جئتم شيئاً إدّاً﴾ عظيماً في قول الجميع ومعنى الآية قلتم قولاً عظيماً كما قال ﴿إنكم لتقونون قولاً عظيماً﴾^(٥).

﴿تكاد السموات ينفطرن منه﴾ وتنشق الأرض^(٦) أي تدنو من الانشقاق وقرىء ينفطرن^(٧) منه وكلاهما واحد يقال انفطر الشيء وتفطر إذ تشقق^(٨) ﴿وتخر الجبال﴾ تسقط ﴿هداً﴾ الهد: الكسر الشديد يقال هدني هذا الأمر هد ركني، والمعنى: تسقط الجبال وتكسر كسراً، قال المفسرون: لما قالوا اتخذ الله ولداً اقشعرت الأرض وشاك الشجر وغضبت الملائكة واستعرت جهنم وفزعت السماوات والأرض والجبال^(٩) ﴿أن دعوا﴾ قال الفراء: من أن دعوا ولأن دعوا^(١٠) ﴿للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾ ولا يليق به اتخاذ الولد، لأن اتخاذ الولد يقضي

(١) النعمان بن سعد الانصاري الكوفي انظر تهذيب التهذيب ٤٥٣/١٠.

(٢) علي بن أبي طالب أبو الحسن الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ ت سنة ٤٠ هـ عن ستين سنة. الاصابة ٥٠١/٢ تاريخ بغداد ١٣١/١ شذرات الذهب ٤٩/١.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه عبد الرحمن بن اسحاق الواسطي وهو ضعيف وأخرجه الحاكم في كتاب التفسير سورة مريم وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه المستدرک ٣٧٧/٢.

(٤) في هـ: ظماء.

(٥) الاسراء: ٤٠.

(٦) قراءة (ينفطرن) بالياء والنون قرأ بها: ابن عامر وجمزة وأبو جعفر ويعقوب وخلف وأبو عمرو والكسائي السبعة ص ٤١٢.

(٧) قراءة (ينفطرن) بالياء والتاء قرأ بها ابن كثير ورواية عن عاصم السبعة ص ٤١٢ والنشر ٣١٩/٢.

(٨) في فيما عدا ج: انشق.

(٩) ذكر ابن جرير نحواً من هذا عن ابن عباس وكعب الاحبار. تفسير ابن جرير ٩٩/١٦.

(١٠) معاني القرآن للفراء ١٧٣/٢ والفرق بين التفسيرين في: أن دعوا، ولأن دعوا: أن الجملة إذا أدخلت عليها اللام فهي اللام التعليلية =

مجانسة، وكل من اتخذ ولداً اتخذ من جنسه، والله تعالى منزه من أن يجانس شيئاً أو يجانسه شيء فمحال في وصفه اتخاذ الولد ﴿إِنْ كُلُّ مَا كَلَّ﴾ من في السموات والأرض ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْمَخْلُوقِينَ﴾ إلا آتى الرحمن ﴿إِلَّا يَأْتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ عبداً ذليلاً خاضعاً، يعني: أن الخلق عبده^(١) وأن عيسى وعزيراً من جملة العبيد ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ﴾ عرف عددهم ﴿وَعَدَّهُمْ عِدًّا﴾ ولا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم مع كثرتهم ﴿وَكُلَّهُمْ آتِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ بلا مال ولا نصير يمنعه.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾. قال ابن عباس ومجاهد: يحبهم^(٢) ويحبهم إلى المؤمنين، وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية سيجعل لهم الرحمن ودا ما هو قال «المحبة في صدور المؤمنين إن الله أعطى المؤمنين المقة^(٣) والألفة والمحبة في صدور الصالحين»^(٤) وقال هرم بن حيان: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم.

أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، نا أبو الأزهر^(٥) [أحمد بن الأزهر]^(٦)، نا عبيد الله بن محمد بن عبد المجيد الحنفي، نا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار^(٧) حدثني أبي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «إن الله تعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل إن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض»^(٨).

قوله ﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾ أي هوناه وأنزلناه بلغتك ليسهل عليك الابلاغ لتبشر به [المتقين]^(٩) بالقرآن من

= فالجملة عليه لما تضمنته الآية السابقة، أما إذا لم تدخل عليها اللام فتؤول أن وما بعدها بمصدر مجرور بالابدال في منه انظر الالوسي

١٤١/١٦.

(١) فيما عدا د، ه عبده.

(٢) في ه: يحبرهم.

(٣) في تاج العروس: ومق إذا أحب فهو وامق. فصل الراو من باب القاف.

(٤) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ونسبه للطبراني في الاوسط والكبير عن ابن عباس وفيه بشر بن عمارة وهو ضعيف المجمع كتاب التفسير سورة مريم ٥٥/٧.

(٥) أحمد بن منيع بن سليل بن إبراهيم العبدي النيسابوري أبو الأزهر ت سنة ٢٦١ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٢/٢٤٥، تهذيب التهذيب ١١/١ طبقات الحفاظ ص ٢٤٠.

(٦) ليست في د، هـ.

(٧) عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار العدوي مولى ابن عمر انظر تهذيب التهذيب ٦/٢٠٦، التقريب ١/٤٨٦.

(٨) رواه البخاري في كتاب الادب باب المقة من الله تعالى: ١٧/٨ ط الشعب، مسلم في البر باب إذا أحب الله عبداً أحبه لعباده ٤/٢٠٣٠ ط الحلبي.

(٩) ليست في جـ وفي هـ: فنشر به وهو تصحيف.

أطاعك ﴿وتنذر به قوماً لئلاً﴾ جمع ألد وهو الخصم^(١)، قال قتادة: جدلاً بالباطل يعني قريشاً ثم أذرهم وخوفهم بسوله ﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾ قبل هؤلاء ﴿من قرن﴾ بتكذيب الرسل ﴿هل تحس منهم﴾ هل ترى من الذين أهلكناهم ﴿من أحد أو تسمع لهم ركزاً﴾ أي صوتاً، والركز: الصوت الخفي قال الحسن: ذهب القوم فلا تسمع لهم صوت، وقال قتادة: هل ترى من عين أو هل تسمع من صوت.

(١) في هـ: الخصيم.

سورة طه

مكية وآياتها خمس وثلاثون ومائة

أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، أنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر، نا خشنام بن بشر بن المغيرة، نا إبراهيم بن المنذر الخزامي، نا إبراهيم بن المهاجر بن مسمار حدثني عمر بن حفص بن ذكوان عن مولى الحرقة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالوا: طوبى لأمة ينزل هذا عليها وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسن تتكلم^(١) بهذا».

طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ
الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾
وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿طه﴾ أكثر المفسرين على أن معناه: يا رجل^(٢) يريد النبي ﷺ وهو قول الحسن وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ومجاهد [وابن عباس في رواية عطاء]^(٣) والكلبي، غير أن بعضهم يقول: هي بلسان الحبشة وبالنبطية والسريانية، ويقول الكلبي: هي بلغة عك^(٤). قال ابن الانباري: ولغة قريش وافقت تلك اللغة في هذا المعنى لأن الله تعالى لم يخاطب نبيه بلسان غير قريش ﴿ما نزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ لتتعب وتبلغ من الجهد ما بلغت وذلك أنه لما أنزل عليه الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى أنه كان يصلي على إحدى رجليه يراوح بين قدميه لطول قيامه فيشتد ذلك عليه^(٥) فأمره الله تعالى أن يخفف على نفسه وذكر أنه ما أنزل عليه الوحي ليتعب كل ذلك التعب ﴿إلا تذكرة﴾ قال

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد عن الطبراني في الاوسط وفيه ابراهيم بن مهاجر ٥٦/٧ ضعفه البخاري بهذا الحديث وثقه ابن معين مجمع الزوائد كتاب التفسير وسورة طه.

(٢) هذا القول اختيار ابن جرير وقد ذكر فيها وجهاً آخر أنها من الحروف المقطعة من أوائل السور وتأخذ حكمها تفسير الطبري ١٠٣/١٦ وقد سار على هذا المتوال ابن كثير في تفسيره ٢٦٦/٥ ط الشعب أما القرطبي فقد زاد فيها رأياً آخر أنها اسم من أسماء الله تعالى أو قسم أقسم به أو اسم للنبي ﷺ أو اسم للسورة ومفتاح لها يفسر القرطبي ١٦٦/١١ وأقرب الاقوال للصواب إما أنها بمعنى يا رجل فهي لغة قبائل من العرب أو أنها من الحروف المقطعة في أوائل السور.

(٣) ساقط من ج، ولقد قال الهيثمي تعليفاً على هذا القول: رواه الطبراني وفيه محمد بن السائب وهو متروك مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه ٥٦/٧.

(٤) عك: يقصد قبيلة عك وهم بنو عك بن الديث بن عدنان انظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٢٨.

(٥) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه عن البزار بسند فيه ضعف ٥٥/٧.

الميرد: لكن تذكرة أي لكن أنزلناه تذكرة أي لتذكر به من يخشى الله، والتذكرة مصدر كالتذكير ﴿تنزيلاً﴾ أي نزلنا ﴿تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى﴾ قال ابن عباس: أخبر بعظمته.

﴿الرحمن﴾ مرفوع على خير ابتداء مضمرة لأنه لما قال: ممن خلق بينه فكانه قال هو الرحمن ﴿على العرش استوى﴾ أي أقبل على خلقه وقصد إلى ذلك. أخبرنا أبو الفضل أحمد بن محمد [العروضي] (١)، أنا أبو منصور الأزهري (٢)، أنا أبو الفضل المنذري قال سئل أبو العباس أحمد (٣) بن يحيى عن قول الله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فقال: الاستواء الإقبال على الشيء ونحو هذا قال الفراء والزجاج في قوله عز وجل ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ (٤) ولا يصح الاستواء في صفة الله تعالى إلا من هذا الوجه وما سواه فهو باطل فاسد (٥).

(١) ليست في د.

(٢) في هـ بن زهري.

(٣) أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب ت سنة ٢٩١، انظر نزهة الألباء ص ٢٢٨، إنباه الرواة ١/١٣٩.

(٤) البقرة: ٢٩.

(٥) يوضح السيوطي هذه القضية فيقول: (١)

من المتشابه آيات الصفات نحو (الرحمن على العرش استوى) (ولتصنع على عيني) و (يد الله فوق أيديهم). وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ولا يفسرها مع تنزيها له عن حقيقتها. سئل مالك عن الآية (الرحمن على العرش استوى) فقال: الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وقال الترمذي في الكلام على حديث الرؤية المذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة قبل سفیان الثوري ومالك وابن المبارك وابن عبيد وكيع وغيرهم أنهم قالوا: نروي هذه الأحاديث كما جاءت ونؤمن بها ولا يقال كيف ولا نفسر ولا نتوهم وذهب طائفة من أهل السنة على أننا نؤولها على ما يليق بجلاله تعالى، وهذا مذهب الخلف. وكان إمام الحرمين يذهب إليه ثم رجع عنه، فقال في الرسالة النظامية الذي نرتضيه ديناً، وندين به عقداً، اتباع سلف هذه الأمة، بأنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها وقال ابن الصلاح: على هذه الطريقة من صدر هذه الأمة وساداتها، وإياه اختار أئمة الفقهاء وقادتها، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه وتوسط ابن دقيق العيد فقال إذا كان التأويل قريباً للسان العرب لم ينكر أو بعيداً توقفنا عنه، وأما به على الوجه الذي أريد به مع التنزيه، قال: وما كان معناه من هذه الالفاظ ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب، قلنا به من غير توقيف كما في قوله تعالى ﴿يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله﴾ (٢) فنحمله على حق الله وما يجب له.

ومن ذلك صفة الاستواء، وحاصل ما رأيت فيها سبعة أجوبة:

(أ) حكى مقاتل عن ابن عباس، أن «استوى» بمعنى استقر، وهذا إن صح يحتاج إلى تأويل، قال الاستقرار يشعر بالتجسيم.

(ب) استوى بمعنى استولى ورد بوجهين:

أحدهما: أن الله تعالى مستول على الكونين والجنة والنار وأهلها، فأى فائدة في تخصيص العرش.

والآخر: أن الاستيلاء، إنما يكون بعد قهر وغلبة، والله سبحانه منزّه عن ذلك.

(ج) أنه بمعنى صعد، قال أبو عبيدة: ورد بأنه تعالى منزّه عن الصعود أيضاً.

(د) أن التقدير: «الرحمن علا» أي ارتفع من العلو، والعرش له استوى ورد بوجهين أحدهما: أنه جعل على فعلاً، وهي حرف هنا باتفاق.

فلو كانت فعلاً لكتب بالألف كقوله: «علا في الأرض» (٣).

والآخر: أنه رفع العرش ولم يرفعه أحد من القراء.

(هـ) أن الكلام تم عند قوله: ﴿الرحمن على العرش﴾ ثم ابتداء بقوله: ﴿استوى له ما في السموات وما في الأرض﴾.

ورد بأنه يزيل الآية عن نظمها ومرادها.

قوله ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ أي أنه مالك كل شيء ومدبره ﴿وما بينهما﴾ يعني الهواء ﴿وما تحت الثرى﴾ هو التراب الذي قال الضحاك: يعني ما وارى الثرى من شيء، والمفسرون يقولون أراد الذي تحت الصخرة التي عليها الثور الذي تحت الأرض^(١) ولا يعلم ما تحت الثرى إلا الله عز وجل ﴿وإن تجهر بالقول﴾ أي ترجع صوتك به ﴿فإنه يعلم السر وأخفى﴾ أي فلا تجهد^(٢) نفسك برفع الصوت فإنك وإن لم تجهر علم الله السر وأخفى، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة السر ما أسررت في نفسك وأخفى ما لم تحدث به نفسك مما يكون في غد علم الله فيهما سواء^(٣) والتقدير: وأخفى منه إلا أنه حذف للعلم به، وهذا كقولك فلان كالفيل أو أعظم منه ﴿[الله]﴾^(٤) لا إله إلا هو ﴿أي لا معبود يستحق العبادة غيره﴾ له الاسماء الحسنى ﴿يعني التسعة والتسعين التي ورد بها الخبر^(٥) والحسنى تأنث الأحسن.

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا أَلْعَلِّيَّ عَلَيْكُمْ مِّنْهَا يَقْبَسُونَ أَوْ أَجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿٢﴾

قوله ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ هذا استفهام تقرير بمعنى الخبر أي: وقد أتاك، ونحو هذا قال ابن عباس؛ يريد وقد أتاك حديث موسى ﴿إذ رأى ناراً﴾ قال ابن عباس: كان موسى رجلاً غيوراً لا يحب الرفقة لثلاث ترى امرأته فأخطأ الطريق في ليلة مظلمة فرأى ناراً من بعيد^(١) ﴿فقال لأهله﴾ يريد امرأته ﴿امكثوا﴾ أقيموا مكانكم ﴿إني آنست ناراً﴾ رأيتها وأبصرتها ﴿لعلي آتيكم منها بقبس﴾ القبس: شعلة من نار يقبسها من معظم النار ﴿أو أجد على النار هدى﴾ قال ابن عباس: من يدل على الطريق وقال مجاهد: هادياً يهدي إلى الطريق، قال الفراء: أراد هادياً فذكره

= قلت ولا يتأني له في قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾^(١).

(١) إن معنى (استوى) أقبل على خلق العرش وعمد إلى خلقه، كقوله ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾^(٢) أي قصد وعمد إلى خلقها، قاله الفراء والاشعري وجماعة أهل المعاني.

(ز) الاستواء المنسوب إلى الله تعالى بمعنى اعتدل، أي قام بالعدل، كقوله تعالى ﴿قائماً بالقسط﴾^(٣) والعدل: هو استواؤه، ويرجع معناه إلى أنه أعطى لمعرفة كل شيء خلقه موزوناً بحكمته البالغة^(٤). ١. هـ.

(١) لقد ثبت خطأ هذا القول بعد ما ثبت كروية الأرض وصعود الانسان إلى القمر وقد روى ابن جرير قريباً من هذا القول عن الضحاك ومحمد بن كعب تفسير ابن جرير ١٠٥/١٦ وابن أبي حاتم عن السدي ولكن السدي متروك الحديث كما بين العلماء ذلك وقال ابن كثير هذا حديث غريب جداً ورفع فيه نظر ابن كثير ٢٦٨/٥.

(٢) في هـ: تجهر.

(٣) في هـ: سر.

(٤) ساقط من ب.

(٥) روى البخاري هذا الخبر «إن لله تسعة وتسعين اسماً ومائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة» صحيح البخاري كتاب الشهادات باب ما يجوز من الشروط في الاسلام ٢٥٩/٣ ط الشعب.

(٦) روى نحوه ابن جرير من طريق السدي عن ابن عباس ١٠٧/١٦ والسدي: ضعيف الحديث.

بلفظ المصدر^(١) قال السدي: لأن النار لا تخلو من أهل لها وناس عندها.

فَلَمَّا أَنْهَا نُودِيَ يَلْمُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾

﴿فلما أتاها﴾ قال ابن عباس^(٢): لما توجه نحو النار فإذا النار في شجرة عناب فوق متعجباً من حسن ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فسمع النداء من الشجرة يا موسى وهو قوله ﴿نودي يا موسى إني أنا ربك﴾ وقرئ بفتح الالف^(٣) على معنى نودي بأني ومن كسر فالمعنى نودي فقيل إني أنا ربك^(٤) قال وهب: نودي من الشجرة فقيل يا موسى فأجاب سريعاً ما يدري من دعاه فقال: إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت؟ قال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب إليك من نفسك فعلم أن ذلك لا ينبغي إلا لربه عز وجل فأيقن به^(٥)، وقوله ﴿فأخلع نعليك﴾ روى ابن مسعود عن النبي ﷺ «كانت نعلا موسى من جلد حمار ميت»^(٦) وهذا قول أكثر المفسرين: قيل لموسى لا تدخل الوادي وهما عليك. وقال الحسن: كانتا من جلد بقرة^(٧) ذكية ولكن أمر بخلعهما لياشر تراب الأرض المقدسة فتناله بركتها، وهذا قول سعيد بن جبير وقتبة ومجاهد قال: يقول أفض بقديمك إلى بركة [هذا الوادي وهو قوله ﴿إنك﴾ بالوادي]^(٨) المقدس ﴿طوى﴾^(٩) أي المطهر، وقال الوالي: المقدس المبارك، وذكرنا هذا عند قوله ﴿الأرض المقدسة﴾^(١٠) وطوى: اسم الوادي في قول جميع المفسرين^(١١) قوله ﴿وأنا اخترتك﴾ قال الكلبي: اخترتك برسالتني لكي تقوم بأمرى ﴿فاستمع لما يوحى﴾ إليك مني أمره بعبادته وأخبره بالتوحيد فقال ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾ أي أقم الصلاة مثل ذكرت أن عليك صلاة كنت في وقتها أو لم تكن هذا قول عامة المفسرين، وروي ذلك مرفوعاً أخبرنا عمر بن أحمد بن

(١) معاني القرآن للفراء ١٧٥/٢ بتصرف.

(٢) خير ابن عباس هذا أورد السيوطي قريباً منه عن وهب بن منبه وقال أخرجه أحمد في الزهد وعن ابن جبير وابن المنذر وابن أبي حاتم الدر ٢٩٠/٤.

(٣) قراءة (أني) بفتح الالف قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر السبعة لابن مجاهد ص ٤١٧ والنشر ٣١٩/٢٥.

(٤) قراءة (إني) بكسر الالف قرأ بها نافع وابن عامر وعاصم وخمزة والكسائي ويعقوب وخلف وفتح نافع وحده الياء من (أني) السبعة ص ٤١٧ النشر ٣١٩/٢.

(٥) أخرجه أحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن وهب الدر المشور ٢٩٠/٤.

(٦) أخرجه الحاكم في كتاب التفسير سورة طه وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وقد نبه الذهبي أن فيه حميد الأعرج الكوفي أحد المتروكين المستدرک ٣٧٩/٢.

(٧) أي مذبوحة وليست بميتة.

(٨) ساقط من ح، د عدا كلمة بالواد فليست في د فقط.

(٩) ساقط من د والنص في تفسير ابن جرير ١٩/١٦ وجميع الاخبار التي مضت في قصة موسى من الدخيل على كتاب الله تعالى وبين ذلك صاحب رسالة الدخيل في تفسير الخازن.

وهي رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين - ص ١٣٧/١٣٤.

(١٠) المائدة: ٢١.

(١١) طوى موضع بالشام وهو اسم أعجمي للوادي المذكور بالقرآن انظر معجم البلدان ٤٤/٤.

عمر الماوردي، أنا عبد الله^(١) [الرازي^(٢)، أنا محمد] بن أيوب، أنا هدية بن خالد، نا همام^(٣)، نا قتادة عن أنس أن نبي الله ﷺ قال «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها غير ذلك وقرأ وأقم الصلاة لذكري»^(٤) رواه مسلم عن هدية، قال الحسن: أقم الصلاة لأن تذكرني لأن الصلاة لا تكون إلا بذكر الله، وهذا قول مجاهد قال: إذا صلى العبد ذكر الله ثم أخبره بمجيء الساعة فقال ﴿إِن السَّاعَةَ﴾ يعني القيامة ﴿آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ قال أكثر المفسرين: أخفيها من نفسي وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة^(٥)، قال قطرب والمبرد^(٦): هذا على عادة مخاطبة العرب يقولون إذا بالغوا في كتمان الشيء: كتمته حتى من نفسي، أي لم أطلع عليه أحداً، ومعنى الآية: أن الله بالغ في إخفاء الساعة فذكره بأبلغ ما تعرفه العرب، قال قتادة هي في بعض القراءة أكاد أخفيها من نفسي^(٧) ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين^(٨) قال ابن الأنباري: والمعنى في إخفائها: التهويل والتخويف لأن الناس إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وقوله ﴿لَتَجْزِيَّ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ أي بما تعمل من خير وشر، واللام في لتجزي متعلقة بقوله: إن الساعة آتية ﴿فَلَا يَصُدُّكَ﴾ لا يمنعك ولا يصرفك ﴿عَنْهَا﴾ عن الإيمان ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ بأنها آتية ﴿وَإَتَعَٰهَ هَوَاهُ﴾ مراده وخالف أمر الله ﴿فَتَرْدَى﴾ فتهلك.

وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَمْوَسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَاصِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَاهَا يَمْوَسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾

﴿وما تلك يمينك يا موسى﴾ قال الزجاج: ما التي يمينك؟ ومعنى سؤال موسى عما في يده من العصا التنبيه له عليها ليقع المعجز بها بعد التثبيت فيها والتأمل لها ﴿قال﴾ موسى ﴿هي عصاي أتوكأ عليها﴾ أعتمد عليها إذا مشيت والتوكؤ التحامل على العصا في المشي ﴿وأهش بها على غنمي﴾ قال الفراء: أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقها فترعاه الغنم^(٩) فقال: هش يهش هشا إذا خبط الشجر ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ المآرب الحوائج واحدها^(١٠) مأربة ومنه المثل [مأربة]^(١١) لا حفاوة) وأراد بالمآرب ما يستعمل فيه^(١٢) العصا من السفر ﴿قال﴾ الله ﴿ألقها يا موسى﴾

(١) في هـ عبد الله بن محمد.

(٢) ساقط من جميع النسخ عدا ج، هـ.

(٣) همام بن منبه بن كامل بن شيخ اليماني أبو عقبة الصنعاني الأنباري ت سنة ١٣١ هـ تهذيب التهذيب ٦٧/١١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المواقيت باب من نسي صلاة فيصلها إذا ذكرها، ومسلم في كتاب المساجد باب قضاء الصلاة الغائبة ٤٧٧، ٤٧١/١.

(٥) انظر ابن جرير الطبري ١١٣/١٦.

(٦) المبرد: محمد بن يزيد المبرد أبو العباس ت سنة ٢٨٥ طبقات المفسرين للدودي ٢٤٥/١ بغية الوعاة ٢٧٠/١.

(٧) قراءة (أكاد أخفيها من نفسي) نص الفراء في كتابه معاني القرآن على أنها قراءة أبي بن كعب معاني القرآن ١٧٦/٢ بتحقيق محمد على النجار وتفسير ابن جرير ١١٣/١٦.

(٨) تفسير ابن جرير ١١٣/١٦. (٩) معاني القرآن للفراء ١٧٧/٢. (١٠) في هـ: واهدتها.

(١١) ساقط من هـ ومثل مأربة لا حفاوة أورده صاحب كتاب فرائد اللال في مجمع الامثال ص ٢٧٣/٢ للميداني ٢٣٤/٣ بلفظ:

ما كان من زيد فتى الشقاوة مأربه هاتيك لا حفاوة

والمأربة الحاجة من الأرب وحفي به حفاوة اهتم بشأنه وبالغ في إكرامه أي إكرامه لك لحاجة لا لمحبة للرجل إذا كان يتملأ.

(١٢) في هـ فيها.

أخبرنا أبو بكر التميمي أنا أبو الشيخ الأصفهاني، نا أحمد بن محمد بن سريح، نا محمد بن رافع، نا إسماعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهبا يقول^(١): قال له الرب: ألقها يا موسى، فظن موسى أنه يقول: أرفضها فألقاها على وجه الرفض ثم حانت منه لفته فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون يمر بالضخرة مثل الخلفة^(٢) من الإبل فيلقمها ويطعن بنابه في أصل الشجرة العظيمة فيحتها عيناه توقدان ناراً وقد عاد المحجن^(٣) عنقه فيه شعر مثل النيازك فلما غاب ذلك موسى ولى مدبراً ولم يعقب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم تودي أرجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف فـ ﴿قال خذها﴾ بيمينك ﴿ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾ وعلى موسى حينئذ^(٤) مدرعة من صوف قد خلها بخلال من عيدان فلما أمره بأخذها أو كى طرف الدرعة على يده فقال ملك: يا موسى أرأيت لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً قال: لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت وكشفت عن يده ثم وضعها في فم الحية فإذا يده في الموضع الذي كان يضعها إذا توكتاً بين الشعبين^(٥)، قال المفسرون: أراد الله تعالى أن يري موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر عليها مخلوق لثلاث يفرع منها إذا ألقاها عند فرعون ولا يولي مدبراً قوله ﴿سنعيدها سيرتها الأولى﴾ قال السدي: نردها عصا كما كانت، والسيرة الهيئة والحالة، يقال لمن كان على شيء فتركه ثم عاد إليه عاد إلى سيرته، قال الزجاج المعنى: سنعيدها إلى سيرتها، فلما حذفت إلى وصل إليها الفعل فنصبها.

وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ٢٢ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ٢٣ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ٢٤ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ٢٦ وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ٢٨ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِ ٢٩ هَرُونَ أَخِي ٣٠ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ٣١ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ٣٢ كَى نُسِجِكَ كَثِيْرًا ٣٣ وَنَذْرَكَ كَثِيْرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَاصِيْرًا ٣٥

قوله ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ قال الفراء والزجاج: جناح الإنسان عضده إلى أضل إبطه^(٦)، وهذا قول مجاهد قال كفك تحت عضدك وقوله ﴿تخرج بيضاء﴾^(٧) قال ابن عباس: كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر وأشد ضوءاً فذلك قوله ﴿بيضاء من غير سوء﴾ أي من غير برص في قول الجميع، قال الليث^(٨): ويكنى بالسوء عن البرص^(٩) وقوله ﴿آية أخرى﴾ أي دلالة على صدقك سوى العصا ﴿لنريك من آياتنا﴾

(١) روى هذا الخبر السيوطي في الدر المنثور عن عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأحمد في الزهد عن وهب بن منبه الدر المنثور ٢٩٠/٣ ط طهران وهبا معروف بحديثه عن أهل الكتاب.

(٢) الخلفة من الإبل: الحوامل من النوق: القاموس المحيط فصل الخاء باب الفاء.

(٣) المحجن: عصا معقفة الرأس كالصولجان: اللسان فصل الحاء حرف النون.

(٤) في هـ: يومئذ.

(٥) روى هذا الخبر أحمد بن حنبل في كتابه الزهد عن وهب بن منبه ص ٦٢، ٦٣ ط بيروت.

(٦) معاني القرآن للفراء ١٧٨/٢.

(٧) في هـ: بيضاء من غير سوء وما بين القوسين مكرر فيها.

(٨) الليث بن نصر بن سيار الخراساني انظر انباه الرواه ٤٢/٣، بغية الرواة ٢٧٠/٢.

(٩) تهذيب اللغة للأزهري ١٣٣/١٣ بلفظ السوء كناية عن البرص.

الكبرى ﴿ أراد الآية الكبرى، قال ابن عباس: كانت يد موسى أكبر آياته.

﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ جاوز القدر في العصيان، وذلك أنه خرج في معصيته إلى فتجاوز به معاصي الناس ﴿ قال رب اشرح لي صدري ﴾ قال ابن عباس: يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك أنه كان يضيق صدره بما كلف من مقاومة فرعون [وجنده] (١) [وحده] (٢) فسأل الله أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحدا لا يقدر على مضرتة إلا بإذن الله، وإذا علم ذلك لم يخف فرعون وإن اشتدت شوكته وكثر (٣) جنوده ﴿ ويسر لي أمري ﴾ سهل علي ما بعثني له ﴿ واحلل عقدة من لساني ﴾ قال ابن عباس يريد أطلق عن لساني العقدة التي فيه حتى يفهموا كلامي وهو قوله ﴿ يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي ﴾ عوناً وظهيراً من أهل بيتي، قال الزجاج: اشتقاه في اللغة (٤) من الوزر وهو الجبل الذي يعتصم به لينجي من التهلكة والوزير الذي يعتمد الملك على رأيه في الأمور ويلتجىء وقوله ﴿ هارون أخي ﴾ مفعول الجعل على تقدير اجعل هارون أخي وزيراً ﴿ اشدد به أزري ﴾ قو ظهري وأعني به، والأزر: الظهر ﴿ وأشركه في أمري ﴾ اجمع بيني وبينه في النبوة، وقرأ ابن عامر أشدد به أزري وأشركه في أمري على الجواب (٥) والمجازاة، والوجه: الدعاء على ما قرأت به العامة (٦) لأنه معطوف على ما تقدمه من قوله ﴿ رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري ﴾ فكما أن ذلك كله دعاء فكذلك ما عطف عليه قوله ﴿ كي نسبحك كثيراً ﴾ قال الكلبي: يقول: نصلي لك كثيراً ﴿ ونذكرك كثيراً ﴾ بحمدك والشاء عليك بما أوليتنا من نعمك ومنيت به علينا من تحميل رسالتك ﴿ إنك كنت بنا بصيراً ﴾ عالماً إذ خصصتنا بهذه النعمة، فاستجاب الله دعاءه.

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَكَ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴿٤٠﴾ وَقَلَّتْ نَفْسًا فَتَجَسَّعْنَاكَ مِن الْغَيْمِ وَفَنَّاكَ فُتُونًا فَلَمَّ بَشَّرْنَا بِأَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴿٤١﴾ وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنبَأُ فِي ذِكْرِي ﴿٤٣﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٤﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٥﴾

﴿ قال قد أوتيت سؤالك يا موسى ﴾ [أعطيت ما سألت] (٧) وسؤل الانسان: أمنيته التي يطلبها فلين الله له صدره وحل العقدة من لسانه وبعث معه أخاه هارون ثم أخبر بمنته عليه قبل هذا فقال: ﴿ ولقد مننا عليك مرة أخرى ﴾ أي أحسنا إليك وأنعمنا عليك قبل هذه المرة ثم فسره بقوله ﴿ إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ﴾ أي ألهمناها حين عييت بأمرك ما كان فيه سبب نجاتك من القتل ومعنى ما يوحى ما يلهم ثم فسر ذلك الإيحاء فقال ﴿ أن اقدفيه في التابوت ﴾ أي اجعليه فيه بأن ترميه فيه ﴿ فاقدفيه ﴾ (٨) في اليم ﴿ قال ابن عباس يريد النيل واليم البحر والنهر الكبير ﴾ فليلقه اليم

(٥) ابن مجاهد في كتابه السبعة ص ٤١٨.

(١) ساقط من د، هـ.

(٦) قراءة العامة اشدد به أزري على الدعاء في السبعة ص ٤١٨ والنشر ٢/٣٢٠.

(٢) ليست في أ، ب.

(٧) ساقط من جـ.

(٣) في د: وظهر.

(٨) ساقط من جـ.

(٤) فيما عدا هـ: من اللغة.

بالساحل ﴿ وهو شط البحر والوادي ﴾ يأخذه عدو لي وعدو له ﴿ [يعني فرعون] ^(١) ﴿ وألقيت عليك محبة مني ﴾ قال عطاء عن ابن عباس لا يلقاك أحد إلا أحبك لا مؤمن ولا كافر وقال عكرمة: حسن وملاحة فحيث أبصرت وجهه آسية قالت لفرعون ﴿ قرة عين لي ولك ﴾ ^(٢) وقال قتادة: ملاحة كانت في عين موسى ما رآه أحد إلا عشقه ^(٣)، وقال عبيدة: يقول جعلت لك محبة عند غيري أحبك فرعون فسلمت من شره وأخبتك امرأته آسية ففتنتك ^(٤) ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ ولترى وتغذى بمرأى مني يقال: صنع الرجل جاريته إذا رباها وصنع فرسه إذا داوم على علفه والقيام عليه وتفسير قوله على عيني بمرأى مني صحيح ولكن لا يكون لموسى في هذا تخصيص فإن جميع الأشياء بمرأى من الله والصحيح في هذا قول قتادة: لتغذى على محبتي وإرادتي وهذا القول اختيار أبي عبيدة وابن الأنباري قال أبو عبيدة لتغذى على محبتي وما أريد والعرب تقول اتخذ شيئاً على عيني أي على محبتي وقال ابن الأنباري: العين في هذه الآية يقصد بها قصد الإرادة والاختيار من قول العرب غذي على عيني أي على المحبة مني والمعنى ولتصنع على عيني قدرنا مشي أختك وقولها هل أدلك على من يكفله لأن هذا كان من أسباب تربية موسى على ما أراد الله ^(٥) وهو قوله ﴿ إذ تمشي أختك ﴾ يعني حين قالت لها أم موسى قصيه فاتبعته موسى على أثر الماء، وقوله ﴿ فتقول هل أدلكم ﴾ يعني حين أبي موسى المراضع فقالت هل ^(٦) أدلكم ﴿ على من يكفله ﴾ أي يرضعه ويضمه إليه فقبل لها ومن هي؟ قالت أمي قالوا أمك لها لبن قالت لبن أخي هارون فأرسلوها فجاءت بالأم فقبل ثديها فذلك قوله ﴿ فرجعناك إلى أمك ﴾ أي رددناك إليها ﴿ كي تقر عينها ﴾ بك وبرؤيتك ﴿ وقتلت نفساً ﴾ يعني القبطي الذي وكزه موسى فقضى عليه ﴿ فنجيناك من الغم ﴾ من غم مخافة أن تقتل ^(٧) به خلصناك منه حين هربت إلى مدين ﴿ وفتناك فتوناً ﴾ قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير ومجاهد في رواية [ابن] ^(٨) أبي نجيج الفتون وقوعه في محنة [بعد محنة] ^(٩) خلصه الله منها أولها: أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال ثم إلقاءه في البحر ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه ثم أجره لحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الدرّة ثم قتله القبطي ثم خروجه إلى مدين خائفاً يترقب، وكان ابن عباس يقص القصة على سعيد بن جبير ويقول عند كل بلية وهذا من الفتون يا ابن جبير ^(١٠) وعلى هذا معنى فتناك خلصناك من تلك المحن

(١) ليست في جـ.

(٢) القصص: ٩.

(٣) ليس المقصود بالمشق هنا معناه الرخيص الذي يكون بين الرجل والمرأة ولكن معناه أحبه حباً شديداً عفيفاً فإن العشق يكون في عفاف الحب ودعائه ويراجع لسان العرب مادة عشق.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٩/٢ مع تصرف.

(٥) روح المعاني للألوسي (١٦/١٩٠) ط الفكر.

(٦) ساقط من هـ.

(٧) في هـ: يقتل بك.

(٨) ساقط من جـ، وابن أبي نجيج: عبد الله يسار المكي ثقة الميزان ٥٢٧/٢.

(٩) ساقط من جـ.

(١٠) حديث الفتون مروى بطولته في تفسير ابن كثير وقال عنه: وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع إلا قليل منه وكأنه تلقاه ابن عباس - رضي الله عنهما - مما أبيض نقله من الأسرانيات عن كعب الأحبار أو غيره والله أعلم. تفسير ابن كثير سورة طه. كذلك رواه ابن جرير في تفسيره ١٦/١٢٦، وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد والقاسم بن أبي أيوب وهما ثقتان. مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه ٦٦/٧ وحديث الفتون يضم معظم أقوال ابن عباس السابقة في حديث موسى.

كما يفتن الذهب بالنار فيخلص من كل خبث وشائب، والفتون مصدر وقوله ﴿فلبثت سنين في أهل مدين﴾ تقدير الكلام: وفتنك فتوناً فخرجت إلى [أهل] مدين فلبثت سنين، ومثل هذا الحذف^(١) في التنزيل كثير قال الفراء: وهو من كلام العرب، أن تجتزئ بحذف كثير من الكلام إذا كان المعنى معروفاً^(٢) ومدين بلد شعيب وكان على ثمان مراحل من مصر هرب إليها موسى فأقام بها عشر سنين.

قوله ﴿ثم جئت على قدر يا موسى﴾ يعني على رأس أربعين سنة وهو القدر الذي يوحى فيه إلى الأنبياء هذا قول المفسرين والمعنى: على الوعد الذي وعده الله وقدره في علمه أن يوحى إليه بالرسالة وهو أربعون سنة، وهذا معنى قول محمد بن كعب ثم جئت على القدر الذي قدرت أن تجيء.

قوله ﴿واصطنعتك لنفسي﴾ الاصطناع: اتخاذ الصنيعة وهو الخير تسديه إلى إنسان قال ابن عباس: يريد اصطنعتك لوحى ورسالتى والمعنى لتصرف على إرادتى ومحبتى وذلك أن تبلغة الوحي وقيامه بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله ومحبتة. وقال الزجاج: تأويله اخترتك لإقامة حجتي وجعلتك بيني وبين خلقي حتى صرت في التبليغ عني بالمنزلة التي أكون أنا بها لو خاطبتهم واحتججت عليهم ﴿أذهب أنت وأخوك بأياتي﴾ قال ابن عباس: يعني الآيات التسع^(٤) التي بعث بها موسى ﴿ولا تنيا﴾ لا تضعفا ولا تفترا يقال ونى بني ونيأ إذا ضعف ﴿في ذكرى﴾ قال الفراء: في ذكرى وعن ذكرى سواء^(٥) والمعنى لا تقصرا في ذكرى بالإحسان إليكما والإنعام عليكمما وذكر النعمة شكرها ﴿أذهباً إلى فرعون﴾ تكرير الامر بالذهاب للتأكيد ﴿إنه طغى﴾ مر تفسيره ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ قال ابن عباس والسدي: كنياه^(٦)، واختلفوا في كنيته فقيل: أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة^(٧) وقال مقاتل: يعني بالقول اللين هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد العزيز المروزي في كتابه أنا محمد بن الحسن^(٨) الحدادي، أنا محمد بن يحيى، أنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أنا أبو عمرو^(٩) عن^(١٠) أسباط عن السدي^(١١) قال: القول اللين أن موسى أتاه فقال له تسلم وتؤمن بما جئت به وتعبد رب العالمين على أن لك شبابك فلا تهزم وتكون ملكاً لا ينزع منك^(١٢) حتى تموت ولا ينزع منك لذة الطعام والشراب والجماع حتى تموت فإذا مت دخلت الجنة وكان لا يقطع أمراً دون هامان وكان غائباً فقال فرعون: إن لي ذا أمر وهو غائب حتى يقدم فلم يلبث أن قدم

(١) ليست في جـ.

(٢) في هـ الحرف.

(٣) معاني القرآن للفراء: ١٧٩/٢.

(٤) آيات موسى التسع: العصا، واليد، والاختذ بالسنين، والبحر، والطوفان، والجراد والقمل، والضفادع والدم. انظر تفسير ابن كثير

سورة الاسراء ٦٦/٣ ط الحلبي وابن جرير ١١٤/١٥.

(٥) معاني القرآن للفراء ١٧٩/٢.

(٦) ابن جرير ١٢٩/١٦.

(٧) الدر المنثور عن ابن المنذر وابن حميد عن ابن عباس وابن أبي حاتم عن سفيان الثوري الدر ٣٠٨/٣.

(٨) في هـ: الحسين.

(٩) فيما عدا جـ أنا عمرو.

(١٠) أسباط بن نصر الهمداني أبو يوسف. تهذيب التهذيب ٢١٢/١.

(١١) من المعروف أن السدي متهم في حديثه فلا يصح مثل حديثه هذا وإنما هو من المنقول عن أهل الكتاب فلا يعتد به.

(١٢) أي الملك.

هامان فقال له فرعون أعلمت أن موسى قد دعاني إلى أمر أعجبني وأخبره ^(١) بالذي دعاه إليه وأردت أن أقبله منه فقل له هامان قد كنت أرى أن لك رأياً بيناً أنت رب فتريد أن تكون مربوباً وبيناً أنت تعبد فتريد أن تعبد فقلبه عن رأيه ذلك فأنبى ^(٢) قال [الشيخ] ^(٣) سمعت إسماعيل بن أبي القاسم النصراباذي سمعت والدي سمعت أحمد بن محمد الأزرقى ^(٤) سمعت محمد بن إبراهيم يقول حضرت مجلس يحيى بن معاذ قرأ رجل هذه الآية فقولا له قولاً لينا فبكى يحيى ثم قال إلهي هذا رفقتك بمن يقول أنا إله فكيف رفقتك بمن يقول أنت إلهي إن قول إلا إله إلا الله يهيم كفر خمسين سنة فما تصنع بذنوب خمسين سنة وقوله ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ أي ادعوا على الرجاء والطمع لا على اليأس من فلاحه فوقع التعبد لهما على هذا الوجه لأنه أبلغ لهما في دعائه إلى الحق وقد كشف الزجاج عن هذا المعنى فقال: المعنى في هذا عند سيويه اذهباً على رجائكما وطمعكما والعلم من الله قد أتى من وراء ما يكون وإنما تعبد الرسل وهم يرجون ويطمعون أن يقبل منهم وقال ابن الأنباري مذهب الفراء في هذا: كي يتذكى أو يخشى في تقديركما وما تمضيان عليه ^(٥).

قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ٤٦ فَأَنبَأَهُمْ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَن آتَبَعِ الْهُدَى ٤٧ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ٤٨

﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾ أن يبادر ويعجل بعقوبتنا يقال فرط فلان إذا عجل بمكروه وفرط منه أمر أي بدر وسبق وقوله ﴿أو أن يطغى﴾ أي يتجاوز الحد في الاساءة بنا أخبرنا [أبو سعد] ^(٦) عبد الرحمن بن حمدان العدل ، أنا علي بن الحسن ^(٧) بن جعفر الرصافي ، أنا إبراهيم بن محمد القرشي ، أنا سالم بن جنده ، نا أبي عن عبيد الله بن عمر عن عتبة عن أبيه ^(٨) عن جده عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ «إذا دخل أحدكم على سلطان يخاف تغطره فليقل اللهم إني أعوذ بك من شر فلان وأحزابه أن يفرط علي أحد منهم أو أن يطغى عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك» ^(٩) ﴿قال لا تخافا إنني معكما﴾ بالنصرة والعون ﴿أسمع وأرى﴾ قال ابن عباس: أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنعه والمعنى: لست بغافل عنكما فلا تهتما ﴿فأنبأه فقولا إنا رسولا ربك﴾ أرسلنا إليك ﴿فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ أي خل عنهم ﴿ولا تعذبهم﴾ وكان فرعون يستعملهم في الاعمال الشاقة ﴿قد جئناك بأية﴾

(١) في هـ: وأخبرني.

(٢) هذا من الاسرائيليات التي لا تكذب ولا تصدق ويجوز روايتها ما لم تخالف أمراً من أمور العقيدة.

(٣) ساقط من أ، د.

(٤) أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبه أبو الوليد الأزرقى ت سنة ٢٢٢ هـ التهذيب ٧٩/١.

(٥) ولابن جرير هنا رأي أردت إضافته للمقام قال: معنى لعل ها هنا الاستفهام، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى فقولا له قولاً لينا فانظر هل يتذكر ويراجع أو يخشى فيرتدع عن طغيانه، أو أن لعل ههنا بمعنى كي والمعنى: اذهباً إلى فرعون إنه طغى فادعوا وعظاه ليتذكر ويخشى كما يقول القائل: اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك. تفسير ابن جرير يتصرف ١٩/١٦.

(٦) ساقط من د.

(٧) في هـ: الحسين.

(٨) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبد الله ت سنة ٩٤ هـ تهذيب التهذيب ٣١١/٥.

(٩) روى الهيثمي نحوه عن الطبراني وقال رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد كتاب الأدعية باب ما يقول إذا خاف سلطاناً ١٨٧/١٠

من ربك ﴿ يعني العصا وقيل اليد ﴾ والسلام على من اتبع الهدى ﴿ قال الزجاج: ليس يراد به التحية وإنما معناه أن من اتبع الهدى سلم من عذاب الله يدل على هذا المعنى قوله:

﴿إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى﴾ أي: إنما يعذب من كذب بما جئنا به وأعرض عنه فأما من اتبعه فإنه يسلم من العذاب فأتيا فرعون وبلغاه الرسالة.

قَالَ فَمَنْ رَبِّكُمَا يَمُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾
قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾

﴿قال﴾ فرعون ﴿فمن ربكما يا موسى﴾ من إلهكما الذي أرسلكما؟

﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه﴾ أي صورته خلق كل جنس من الحيوان على صورة أخرى فلم يجعل خلق الإنسان كخلق البهائم ولا خلق البهائم كخلق الإنسان [ثم هدى] ^(١) والمعنى: ثم هداه لما يصلحه من مطعمه ومشربه ومنكحه إلى غير ذلك والاحتجاج على فرعون من هذا الجواب أنه قد ثبت خلق وهداية للخلائق ولا بد لها من خالق وهاد، وذلك الخالق والهادي هو الرب لا رب غيره، فلما دعاه إلى دين الله واتباع الهدى ﴿قال﴾ له فرعون ﴿فما بال القرون الأولى﴾ معنى البال: الحال والشأن، والمعنى ما حالها فإنها ^(٢) لم تقر بالله وبما تدعوا إليه ولكنها عبدت الأوثان، ويعني بالقرون الأولى: الأمم المتقدمة مثل قوم نوح وعاد وثمود ف ﴿قال﴾ موسى ﴿علمها عند ربي﴾ قال الزجاج: أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها والتقدير علم أعمالها عند ربي ﴿في كتاب﴾ قال الكلبي: يعني اللوح المحفوظ، والمعنى: أن أعمالهم مكتوبة مثبتة عليهم أي أنهم يجازون بما عملوا وأنت تجازي بما تعمل وقوله ﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾ تأكيد وتحقيق للجزاء بالأعمال أي لا يخطيء ربي ولا يتسرع ما كان من أمرهم حتى يجازيهم بأعمالهم، قال السدي: لا يغفل ولا يترك شيئاً وأصل الضلال في اللغة الغيوبة يقال ضل الماء في اللبن وضل الكافر عن المحجة وضل الناس إذا غاب عنه حفظه ومعنى لا يضل ربي ولا ينسى عن شيء ولا يغيب عنه شيء ثم زاد في الاخبار عن الله وبيان وصفه فقال:

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ ﴿مِنَّا خَلَقْتَكُمْ فِيهَا نَعِيْدُكُمْ وَمِمَّا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾

﴿الذي جعل لكم الأرض مهذاً﴾ وقرئ مهذاً ^(٣) وهو مصدر كالفرش والمهاد ^(٤): مثل الفرش والبساط وهما اسم ما يفرش ويبسط ﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾ والسلك إدخال الشيء في الشيء والمعنى: أدخل في الأرض طرفاً تسلكونها كما قال ابن عباس: سهل لكم فيها طرقاً ﴿وأنزل من

(١) ساقط من جميع النسخ عدا (د).

(٢) في هـ: فإنهما.

(٣) قراءة (مهذاً) بغير ألف قرأ بها عاصم وحزمة والكسائي. السبعة ص ٤١٨ والنشر ٢/٣٢٠.

(٤) قراءة (مهذاً) بالألف قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب وخلف السبعة ص ٤١٨. والنشر ٢/٣٢٠.

الوسيط في تفسير القرآن المجيد/ ج ٣/ ١٤م

السماء ماء ﴿ يعني المطر وتم الاخبار عن موسى ثم أخبر الله تعالى عن نفسه متصلاً بالكلام الأول بقوله ﴿ فأخرجنا به ﴾ بذلك الماء ﴿ أزواجاً من نبات شتى ﴾ قال ابن عباس: أصنافاً من النبات مختلفة أبيض وأحمر وأخضر وأصفر، وكل لون منها زوج، ولا واحد لشتى من لفظه ﴿ كلوا ﴾ أي مما أخرجنا بالمطر من النبات والثمار ﴿ وارعوا أنعامكم ﴾ يقال رعت الماشية الكلاً رعياً ورعاها صاحبها رعاية إذا أسرحها في المراعي والمعنى: أسيموا مواشيكم فيما ابتناه بالمطر، ومعنى هذا الأمر التذكير بالنعمة ﴿ إن في ذلك ﴾ مما ذكر ﴿ آيات لأولي النهي ﴾ لذوي العقول الذين يتناهون بعقولهم عن معاصي الله، وإنما خص أولي النهي لأنهم أهل التفكير والاعتبار، قوله ﴿ منها ﴾ أي من الأرض وجرى ذكرها في قوله ﴿ جعل لكم الأرض ﴾ ﴿ خلقناكم ﴾ يعني آدم خلق من الأرض والبشر كلهم منه ﴿ وفيها نعبدكم ﴾ بعد الموت ﴿ ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ عند البعث كما أخرجكم أولاً عند خلق آدم من الأرض.

وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتَةِ وَأَنَّ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾

﴿ ولقد أريناه ﴾ يعني فرعون ﴿ آياتنا كلها ﴾ يعني الآيات التسع ﴿ فكذب ﴾ نسب جميعها إلى الكذب ﴿ وأبى ﴾ أن يقبل التوحيد ونسب إلى موسى السحر وهو قوله ﴿ قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا ﴾ يعني مصر ﴿ بسحرك يا موسى ﴾ تريد أن تغلب على ديارنا بسحرك فملكها وتخرجنا منها ﴿ فلنأتينك بسحر مثله ﴾ فلنقابلن ما جئتنا به من السحر بسحر مثله ﴿ فاجعل بيننا وبينك موعداً ﴾ مكاناً لا يقع منا خلاف في حضوره تعد لحضورنا ذلك المكان ﴿ لا نخلفه نحن ولا أنت ﴾ ثم بين ذلك فقال ﴿ مكاناً سوى ﴾ وقرىء سوى^(١) بضم السين والمعنى: مكاناً تستوي مسافته على الفريقين فتكون مسافة كل فريق إليه كمسافة الفريق الآخر، وهذا معنى قول المفسرين، قال قتادة: نصفاً، وقال مقاتل: عدلاً بيننا وبينك، وقال مجاهد: نصفاً، فواعده موسى يوماً معلوماً ويوماً ووقتاً معلوماً وهو قوله ﴿ قال موعدكم يوم الزينة ﴾ قال مجاهد وقتادة والسدي كان ذلك يوم عيد لهم يتزينون فيه، وقال^(٢) سعيد بن جبير: كان ذلك يوم عاشوراء^(٣) ﴿ وأن يحشر الناس ضحى ﴾ يعني ضحى ذلك اليوم، ويريد بالناس أهل مصر يقول يحشرون إلى ضحى العيد ضحى فينظرون إلى أمري وأمرك قال الفراء: يقول: إذا رأيت الناس يحشرون من كل ناحية ضحى فذلك الموعد^(٤)، قال وجرت عادتهم يحشر الناس في ذلك اليوم.

فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَى ﴿٦١﴾ فَانزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ يَريْدَانِ

(١) قراءة (سوى) بضم السين قرأ بها: ابن عامر وعاصم وحزمة انظر السبعة ص ٤١٨.

(٢) تفسير ابن جرير ١٦/١٣٥.

(٣) انظر تفسير ابن كثير حيث قال: ولا منافاة، وفي مثله أهلك الله فرعون وجنوده كما في الصحيح ٣/١٥٦ ط الحلبي.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٥١٨٢.

أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ۚ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَشُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ
الْيَوْمَ مِنَ اسْتَعْلَى ۖ

﴿فتولى فرعون﴾ قال مقاتل أعرض عن الحق وعما يلزمه من الطاعة ﴿فجمع كيده﴾ مكره وحيلته وذلك جمعه السحرة ﴿ثم أتى﴾ حضر الموعد ﴿قال لهم موسى﴾ أي للسحرة الذين جمعهم فرعون ﴿ويلكم﴾ ألزمكم الله الويل، ﴿لا تفتروا على الله كذباً﴾ قال ابن عباس: لا تشركوا بالله أحداً ﴿فيسحتكم بعذاب﴾ ويقراً بضم الياء يقال (١): سحته الله وأسحته إذا استأصله وأهلكه، قال ابن عباس ومجاهد: فيهلككم، وقال قتادة: فيستأصلكم ﴿وقد خاب من افتري﴾ قال ابن عباس: خسر من ادعى مع الله إلهاً آخر، وقال قتادة: خسر من كذب على الله ونسب إليه باطلاً قوله ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ تناظروا في أمر موسى وتشاوروا يعني السحرة سرا من فرعون فقالوا: (٢) إن غلبنا موسى اتبعناه، وهذا القول اختيار الفراء والزجاج، وقال محمد بن إسحاق: لما قال لهم موسى: لا تفتروا على الله كذباً قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر ثم قالوا وأسر بعضهم إلى بعض يتناجون ﴿إن هذان لساحران﴾ يعنون موسى وهارون، قال ابن عباس في رواية عطاء: هي لغة بلحرت (٣) بن كعب يعني قوله إن هذان. وإجماع النحويين أن هذا لغة حارثية وذلك أن بلحرت بن كعب وخثعم (٤) وزبيراً وقبائل (٥) من اليمن يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد يقولون أتاني الزيدان ومررت بالزيدان، وذلك أنهم يقلبون كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها الفاء فعاملوا ياء التثنية أيضاً هذه المعاملة كما قال قائلهم:

أي قلوبس راكب تراها طاروا علاهن فطر علاها (٦)

وهذه ليست ياء التثنية ولكن لما كانت اللام في عليها مفتوحة قلبوها ألفاً وحكى هذه اللغة جميع النحويين وقرأ أبو عمرو إن هذين بالياء (٧) بخلاف المصحف واحتجاجه في ذلك بما روي أنه غلط من الكاتب وأن في الكتاب غلط ستقيمه العرب بألستها، وقال الزجاج لا أجزى هذه القراءة لأنها خلاف المصحف ولا أجزى مخالفته لأن اتباعه سنة، وقرأ ابن كثير إن هذان بتخفيف (٨) إن على معنى ما هذان إلا ساحران وإن إذا خففت كان الوجه أن يرفع الاسم بعدها

(١) الضم في فسحتكم قراءة حمزة والكسائي ورواية عن عاصم من أسحت أما باقي القراء ورواية عن عاصم فقد قرأ (فيسحتكم) بفتح الياء من سحت السبعة ص ٤١٩، والنشر ٣٢٠/٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ١٨٣/٢، والكلبي هذا هو من حكم عليه علماء الجرح والتعديل بالكذب ووضع الحديث، وعلى هذا فكل قول للكلبي بعد ذلك لا يعتد به ويراجع كتاب المجروحين لابن أبي حاتم ٢٥٣/٢، تهذيب التهذيب ١٧٨/٩.

(٣) بلحارت بن كعب: فخذ من القحطانية وهم بنو الحارث بن كعب من مذحج. انظر نهاية الأرب للنويري ٢٠٣/٢ معجم قبائل العرب ١٠٢/١.

(٤) قبيلة خثعم بنو خثعم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن العوث ينتهي نسبه إلى سبأ جمهرة أنساب العرب ص ٣٨٧ تحقيق عبد السلام هارون.

(٥) بنو زبير: بنو زبير بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي تحقيق ابراهيم الأبياري ص ٢٦٩ الجمهرة ص ١٧٢.

(٦) البيت في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٥٠ وفي الهامش أنشده أبو الغول لبعض أهل اليمن كما في نوادر أبي زيد ص ٥٨ وعن أبي حاتم أن أبا عبيدة اتهم المفضل بصنعه. الخصائص لابن جني ٢٦٩/٢ وفي القاموس المحيط عجز البيت بهذا اللفظ طاروا علاهن فشك علاها القاموس مادة طار.

(٧) السبعة لابن مجاهد ص ٤١٩ والنشر ٣٢١/٢.

(٨) انظر السبعة لابن مجاهد ص ٤١٩. وهذا الموضوع فيه خلاف كبير بين العلماء ولكن أكتفي هنا برأي ابن جرير الطبري في تفسيره في =

واستحسن الزجاج هذه القراءة قال: وكان الخليل يقرأ بهذه القراءة والاجماع أنه لم يكن أحد أعلم بالنحو من الخليل

= تخريج هذه القراءة حيث يقول: وقد اختلفت القراء في قراءة قوله إن هذان لساحران، فقرأ عامة قراء الامصار إن هذان بتشديد إن وبألف في هذان، وقالوا: قرأنا ذلك كذلك وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول إن خفيفة في معنى ثقيلة وهي لغة لقوم يرفعون بها ويدخلون اللام، ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى ما وقال بعض نحوي الكوفة ذلك على وجهين، أحدهما: على لغة بني الحارث بن كعب ومن جاورهم يجعلون الاثنتين في رفعهما ونصبهما بالألف.

قال وحكي عنه أيضاً هذا خطأ يدعيه، قال: وذلك وأن كان قليلاً أقيس لأن العرب قالوا مسلمون، فجعلوا الواو تابعة للضمة لأنها لا تعرف ثم قالوا رأيت المسلمين، فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم فلما رأوا الياء من الاثنتين لا يمكنهم كسر ما قبلها وثبت مفتوحاً تركوا الألف تتبعه فقالوا رجلان في كل حال، قال: وقد اجتمعت العرب على إثبات الألف في كلا الرجلين في الرفع والنصب والخفض وهما اثنان، إلا بني كنانة فإنهم منعوا على القياس يقولون: رأيت كلا الرجلين ومررت بكل الرجلين، وهي قبيحة قليلة.

قال: الوجه الآخر أن تقول الألف في هذا دعامة وليست بلام فعل فلما بنيت زدت عليها نوناً ثم تركت الألف ثابتة على حالها تزول بكل حال كما قالت العرب الذي ثم زادوا نوناً تدل على الجمع فقالوا الذين في رفعهم وخفضهم كما تركوا هذان في رفعه ونصبه وخفضه، قال وكان القياس أن يقولوا الذون، وقال آخر منهم ذلك من الجزم المرسل ولو نصب لخرج إلى الانسباط . . .

ثم يقول ابن جرير: والصواب من القراءة في ذلك عندنا (إن) بتشديد نونها وهذان بالألف لاجماع الحجة من القراء عليه، وأنه كذلك هو في خط المصحف ووجهه إذا قرئ كذلك مشابهته الذين، إذ زادوا على الذي النون وأبقوا جميع أحوال الاعراب على حال واحدة، وهي لغة بلحارث بن كعب وخثعم وزبيد ومن وليهم من قبائل اليمن. اهـ تفسير ابن جرير ١٦/١٣٦.

أما احتجاج أبي عمرو على قراءته: أنه هذين بما روي أنه غلط الكاتب فهذا مما لا يستساغ قبوله وقد وفي الدكتور عبد النحي الفرماوي هذه المسألة حقها في كتابه رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين فأكتفي بنقل رأيه إذ يقول: الشبهة الثانية: فيما نسب إلى «عائشة رضي الله عنها»: يقولون روي أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن لحن القرآن عن قوله تعالى (إن هذان لساحران) [طه: ٦٣]، وعن قوله تعالى (والمقيم الصلاة والمؤتون الزكاة) [النساء: ١٦٢] وعن قوله تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين) [البقرة: ٦٢].

فقلت: يا ابن أخي: هذا من عمل الكتاب الكتبية، أخطأوا في الكتاب أي في الكتابة^(١) ويقول السيوطي: إسناده صحيح على شرط الشيخين^(٢).

وقد ذكر بعض العلماء هذه الروايات في كتبهم بحسن قصد من غير تحر ولا دقة فاتخذها أعداء الاسلام من المارقين والمستشرقين ذريعة للطعن في الاسلام وفي القرآن، لتوهين فقه المسلمين بكتاب ربهم والجواب عن هذه الشبهة. أولاً: رد الخبر.

أ- راوي هذا الخبر: هو أبو معاوية الضرير، الذي شهد علماء الحديث^(٣) أن في أقواله أحاديث مضطربة، وأنه زيمادلس، وأنه كان مرجحاً خبيثاً.

ب- وأيضاً: فإن ينسب إلى أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها - مع عظيم محلها، وجليل قدرها، واتساع علمها، ومعرفتها بلغه قومها - لحن الصحابة، وخطأت الكتبية، وموضعهم من الفصاحة والعلم باللغة الذي لا يجهل ولا ينكر، هذا ما لا يسوغ، ولا يجوز ج- وعلى كل: فهذه الروايات، مهما يكن سندها صحيحاً - كما يقول الشيخ الزرقاني - فإنها مخالفة للمتواتر القاطع، من دقة عمل الصحابة، وتصويب كتابتهم^(٤).

د- ولم يعد أحد من المسلمين يركن إليها، أو يعبا بها، وليس لها وزن، أو اعتبار أمام تواتر الصحف، وهي أضعف - كما يقول الشيخ عبد الفتاح القاضي - من أن تخصص في وجه ما يبطلها من الروايات التي تلقاها المسلمون بإجماع وقبول. وليس لذي عدل ونصفة، أن يعارض بهذه الروايات الباطلة، والأثار الساقطة، ما ثبت بالتواتر جيلاً إثر جيل إلى يومنا هذا، لأن معارض التواتر القاطع، ساقط مردود.

(٣) العلال ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل ١/٢٤١، تهذيب التهذيب ٩/١٣٨.

(١) معاني القرآن للقراء ١/١٠٦، المقنع ص ١٢٦.

(٢) الاتقان ١/١٨٢.

(٤) مناهل العرفان ١/١٨٦.

وقوله ﴿يريدان أن يخرجاك من أرضك بسحرهما﴾ تقدم تفسيره ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ قال الفراء^(١): العرب تقول هؤلاء طرقة قومهم وطرائق قومهم لا طرائقهم، والمثلى: تأنيث الأمثل وهو الأفضل يقال: فلان أمثل قومه أي أفضلهم، وهم الأمانيل، روي الشعبي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في هذه الآية قال: يصرفا وجوه الناس إليهما والمعنى أن يغلبا بسحرهما فيميل إليهما السادة والاشراف منكم، وقال قتادة طريقتهم المثلى يومئذ بنو إسرائيل كانوا أكثر القوم عدة وأموال فقالوا: إنما يريدان أن يذهبا بهما لأنفسهما وهذا قول أكثر المفسرين. وقال ابن زيد^(٢) ويذهبا بالطريقة التي أنتم عليها في السيرة، واختاره أبو عبيدة فقال: بطريقتكم المثلى بستكم ودينكم وما أنتم عليه^(٣) ثم تواصلوا فيما بينهم فقالوا: ﴿فأجمعوا كيدكم﴾ قال الفراء: الاجتماع الإحكام والعزيمة على الشيء تقول: أجمعت الخروج وعلى الخروج مثل أزمعته^(٤)، وقرأ أبو عمرو فاجمعوا^(٥) موصولاً من الجمع وحجته قوله فجمع كيده والمعنى لا تدعوا من كيدكم شيئاً إلا جتتم به، استظهاراً للمبالغة في سحرهم ﴿ثم اتوا صفاً﴾ أي مصطفين مجتمعين ليكون أنظماً لأموالهم وأشد لهيبكم، وهذا معنى قول ابن عباس والمفسرين، وقال أبو عبيدة الصف موضع المجمع ويسمى المصل الصف^(٦)، وقال الزجاج: وعلى هذا معناه ثم اتوا المواضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم، يقال أتيت الصف بمعنى أتيت المصلى ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ قال ابن عباس: قد سعد اليوم من غلب، ومعنى استعلى: علا بالغلبة.

قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ تُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ سَعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقْبَلَ ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السِّحْرَ سُجْدًا قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾

﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى﴾ أي اختر أحد هذين، والمراد باللقاء إلقاء العصي على الأرض وكانت السحرة معهم عصا وكان موسى قد ألقى عصاه يوم دخل على فرعون فلما أراد السحرة معارضته قالوا له هذا القول ف ﴿قال﴾ موسى ﴿بل ألقوا﴾ أمرهم بالإلقاء أولاً لتكون معجزته أظهر إذا ألقوا هم ما معهم ثم يلقي هو عصاه فتبتلع ذلك وقوله ﴿فإذا جبالهم وعصيتهم﴾ قال عطاء كان عدد السحرة سبعين ألف رجل مع

= هـ - يجاب عن تصحيح السيوطي. بأن هذه الرواية على فرض صحتها، فهي رواية آحادية، لا يثبت بها قرآن وهي معارضة للقطعي الثابت بالتواتر، فهي باطله مردودة، ولا الثقات إلى تصحيح هذه الرواية وأمثالها فإن من قواعد المحققين أن مما يدرك به وضع الخبر ما يؤخذ من حال المروي، كأن يكون مناقضاً لنص القرآن، أو السنة، أو الاجماع الذي في أوصريح العقل، حيث لا يقبل شيء من ذلك التأويل، أو لم يحتمل سقوط شيء منه يزول به المحذور، وهذه الروايات: مخالفة للتواتر القطعي - كما سبق الذي تلقته الأمة بالقبول فهي باطلة لا محالة اهـ^(١).

(١) معاني القرآن للفراء ١٨٥/٢. (٢) في د: أبو زيد. (٣) مجاز القرآن ٢٣/٢.

(٤) معاني القرآن ١٨٥/٢.

(٥) السبعة لابن مجاهد ص ٤١٩ وفيها قرأ أبو عمر فاجمعوا مفتوحة الميم من جمعته ورواية أخرى عنه فاجمعوا بالفتح مقطوعة..

(٦) مجاز القرآن ٢٣/٢.

(١) رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين ص ١٣١.

كل رجل عصا وحبل غليظ مثل حبال السفر^(١) وقال عكرمة: كانوا تسعمائة، وقال محمد بن إسحاق^(٢) كانوا خمسة عشر ألف **﴿يَخِيلُ إِلَيْهِ﴾** إلى موسى **﴿من سحرهم أنها تسعى﴾** قال الكلبي: خيل إلى موسى أنها حيات كلها وأنها تسعى على بطنها، يقال: خيل إليه إذا شبهه له أدخل عليه التهمة والشبهة **﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾** أي أحس ووجد خوفاً لأن سحرهم كان من جنس ما أراهم في العصا فخاف أن يلتبس على الناس أمره ولا يؤمنوا به فقال الله **﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾** عليهم بالظفر والغلبة **﴿وألق ما في يمينك﴾** يعني العصى **﴿تلقف ما صنعوا﴾** قال الزجاج: القراءة بالجزم جواب الأمر^(٣) ويجوز الرفع على معنى الحال كأنه قال ألقها متلقفة **﴿إنما صنعوا كيد ساحر﴾**^(٤) أي أن الذي صنعوه كيد ساحر^(٥) وقرئ كيد سحر والمعنى كيداً من سحر كما قالوا قميص حريز وجوبة خز **﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾** قال ابن عباس: ولا يسعد الساحر حيث ما كان، وروى جندب بن^(٦) عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم الساحر فاقتلوه ثم قرأوا ولا يفلح الساحر حيث أتى قال لا يأمن حيث وجد»^(٧)

قَالَ ءَامَنَّا لِمُؤَيَّدَاتِهِ فَمِنْ أَيِّ مُنْقَضَةٍ أَتَيْنَا آلِ قَارُونَ فَجَعَلْنَاهُمْ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا فَمِنْ شَرِّ أَلْفٍ مِّنْ أَلْفٍ مَا يَصْعَقُونَ ﴿٧١﴾
وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَلِينَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾

وما بعد هذا مفسر في سورة الأعراف^(٧) إلى قوله **﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾** قال ابن عباس: يريد معلمكم قال الكسائي الصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلمه قال: جئت من عند كبير، وقال محمد بن إسحاق إنه لعظيم السحار والكبير في اللغة الرئيس، ولهذا يقال للمعلم الكبير، وقوله: **﴿لأصلبنكم في جذوع النخل﴾** في بمعنى على كقوله **﴿أم لهم سلم يستمعون فيه﴾**^(٨) أي عليه **﴿ولتعلمن﴾** أيها السحرة **﴿أينا أشد عذاباً﴾** لكم **﴿وأبقى﴾** وأدوم أنا على إيمانكم أو رب موسى على ترككم الإيمان به **﴿قالوا لن نؤثر﴾** لن نفضلك ولن نختارك **﴿على ما جاءنا من البيئات﴾** قال مقاتل: يعني اليد والعصا، وقال عكرمة والقاسم بن أبي بزة هو أنهم ما رفعوا رؤوسهم حيث خروا

(١) رواه ابن جرير عن القاسم بن أبي بزة. ابن جرير ١٣٩/١٦.

(٢) محمد بن إسحاق بن خيار أبو عبد الله المطلبي ت ١٥١ هجرية، تهذيب التهذيب ٣٨/٩ ومن المعروف عن ابن إسحاق أنه ضعيف الحديث فلا يعتد من قوله هذا.

(٣) قراءة الجزم في تلقف قرأ بها جميع القراء عدا ابن عامر فقد قرأ وحده تلقف برفع الفاء وتشديد القاف السبعة ص ٤٢٠ والنشر ٣٢١/٢.

(٤) قراءة كيد سحر بغير ألف قرأ بها حمزة والكسائي السبعة ص ٤٢١ والنشر ٣٢١/٢.

(٥) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي أبو عبد الله الصحابي توفي في فتنة ابن الزبير انظر أسد الغابة ٣٦١/١، تهذيب التهذيب ١١٧/٢.

(٦) أخرجه الترمذي نحوه في كتاب الحدود، باب ما جاء في حد الساحر ٦٠/٤ حديث ١٤٨٥، وأخرجه السيوطي في الدر المنسوب عن ابن أبي حاتم وغيره في تفسير سورة طه ٣٠٣/٣.

(٧) في أ الأحزاب.

(٨) الطور: ٣٨.

سجداً حتى رأوا الجنة والنار، ورأوا منازلهم في الجنة التي إليها يصيرون^(١)، وقوله ﴿والذي فطرنا﴾ ذكر الفراء والزجاج فيه وجهين أحدهما لن نؤثر على الله الذي خلقنا والثاني: أنه قسم^(٢) ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ فاصنع ما أنت صانع ﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ قال ابن عباس: إنما سلطانك وملكك في هذه الدنيا فأما الآخرة فليس لك فيها حظ ولا سلطان ﴿إنا آما برنا ليغفر لنا خطايانا﴾ قال ابن عباس يريد الشرك الذي كنا فيه ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ قال ابن عباس: إن فرعون كان يكره الناس على تعلم السحر^(٣) وذكر في التفسير أنه أكره السحرة على معارضة موسى بالسحر ﴿والله خير وأبقى﴾ قال محمد بن إسحاق: خير منك ثواباً وأبقى عقاباً، وقال محمد بن كعب: خير منك [ثواباً]^(٤) إن أطيع وأبقى عذاباً منك إن عصي، وهذا جواب قوله ولتعلمن أننا أشد عذاباً [وأبقى]^(٥) وها هنا انتهى الاخبار عن السحرة.

إِنَّهُمْ مَن يَأْتِ رَبَّهُمْ مَجْرِمًا فَإِن لَّهُمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۖ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۖ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ۖ

قول الله تعالى ﴿إنه من يأت ربه مجرمًا﴾ قال ابن عباس في رواية الضحاك: المجرم الكافر، وقال في رواية عطاء: يريد الذي أجرم وفعل مثل ما فعل فرعون ﴿فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا﴾ أي لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه قال المبرد: لا يموت ميتة مريحة ولا يحيا حياة تنفعه^(٦) فهو يألم كما يألم الحي ويبلغ به حالة الموت في المكروه إلا أنه لا يبطل فيها عن إحساس الألم والعرب تقول فلان لا حي ولا ميت إذا كان غير منتفع بحياته وأنشد ابن الأنباري في مثل هذا المعنى:

ألا ما لنفس لا تموت فينقضي شقاها ولا تحيا حياة لها طعم^(٧)

﴿ومن يات مؤمناً﴾ مصدقاً بما جاء من عند الله ﴿قد عمل الصالحات﴾ قال ابن عباس: قد أدى الفرائض ﴿فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ يعني درجات الجنة وبعضها أعلى من بعض والعلى^(٨) جمع العليا وهو تأنيث الأعلى^(٩) أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفارسي أنا عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب القرشي، أنا محمد بن أيوب، نا مسلم بن إبراهيم، نا مالك بن مغول^(١٠)، نا عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ «إن أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كأضوأ كوكب دري وإن أبا بكر وعمر منهم»^(١١) قوله:

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۖ

(١) رواه ابن أبي حاتم عن القاسم الدر المنثور ٣٠٣/٩٤.

(٢) معاني القرآن للفراء ١٨٧/٢.

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ١٤٢/١٦.

(٤) ليست في هـ.

(٥) ليست في د.

(٦) مالك بن مغول بن عاصم البجلي ت سنة ١٥٨ هـ طبقات الحفاظ (٨٥) التهذيب ٢٣/١٠.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ٤/١٤٥ ط الشعب ومسلم في كتاب الجنة باب تراثي

أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكواكب في السماء وليس فيه وإن أبا بكر وعمر منهم وروى أبو داود هذه الزيادة في سننه، كتاب

الحروف والقراءات الحديث (٣٩٨٧) ٤/٣٩٠ ط الحلبي.

فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۗ ٧٨ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَاهَدَى ۗ ٧٩

﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾ أي سربهم ليلاً من أرض مصر ﴿فاضرب لهم طريقاً في البحر﴾ اجعل لهم طريقاً في البحر بالضرب بالعصا ﴿يساً﴾ لا نداوة فيه ولا بلل يابساً وذلك ان الله تعالى آيس^(١) لهم ذلك الطريق حتى لم يكن فيها ماء وطين ﴿لا تخاف دركاً﴾ أي لا تخاف أن يدركك فرعون من خلفك ﴿ولا تخشى﴾ من البحر غرقاً وقرأ حمزة لا تخف^(٢) جزماً على النهي له من الخوف معناه: لا تخف أن يدركك فرعون واستأنف قوله ولا تخشى على معنى وأنت لا تخشى كقوله ﴿يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون﴾^(٣) ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾ أتبع ها هنا مطاوع [متعد]^(٤) من تبع والباء في جنوده زيادة، والمعنى: أمرهم أن يتبعوا موسى وقومه، وكان هو أيضاً في جنوده ﴿فغشيهم﴾ علاهم وسترهم ﴿من اليم ما غشيهم﴾ قال ابن الأنباري: يعني البعض الذي غشيهم لأنه لم يغشهم كل مائه بل الذي غشيهم بعصه فقال الله تعالى: الذي غشيهم ليدل على أن الذي غرقهم بعض الماء. قوله ﴿وأضل فرعون قومه﴾ يعني حين دعاهم إلى عبادته ﴿وما هدى﴾ وما أرشدهم حين أوردتهم مواقع الهلكة وهذا تكذيب له في قوله ﴿وما أهديكم إلا سبيلاً الرشاد﴾^(٥) ثم ذكر الله منته على بني إسرائيل فقال:

يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْمَيْتَكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ۗ ٨٠ كَلُوا مِمَّنْ طَبَّيْتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلَّلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَد هَوَى ۗ ٨١ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ۗ ٨٢

﴿يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم﴾ يعني فرعون غرقه بمراى منهم ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ [وهو أن الله تعالى وعد موسى بعد أن أغرق فرعون ليأتي جانب الطور الأيمن]^(٦) فيؤتيه التوراة فيها بيان ما يحتاجون إليه ﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ يعني في التيه وهذا مخاطبته لمن كان في عصر النبي ﷺ من اليهود قوله ﴿كلوا﴾ أي قلنا لهم كلوا ﴿من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه﴾ أي لا تنظروا فيما أنعمت عليكم فتظالموا وقال الكلبي لا تجحدوا نعمة الله فتكونوا طاغين ﴿فيحل عليكم غضبي﴾ [تجب لكم عقوبتي]^(٧) وقرىء فيحل ﴿ومن يحلل﴾ بالكسر^(٨) والضم^(٩) قال الفراء: الكسر أحب إلي من الضم لأنه من الحلول بمعنى الوقوع ويحل الكسر يجب وجاءني التفسير بالوجوب لا بالوقوع هذا كلامه^(١٠) أو يحل بالكسر من قولهم حل الشيء يحل حلا وحلالاً إذا انحلت عنه عقدة التحريم وزال عنه^(١١) الحظر وذلك أنهم ما لم يطغوا كان العذاب ممنوعاً محظوراً عنهم فإذا طغوا ارتفع ذلك الحظر فحل لهم العذاب وقوله ﴿فقد هوى﴾ أي هلك وسقط في النار يقال هوى بهوي هويماً إذا وقع في مهواه.

(١) في هـ: يس.

(٢) ابن مجاهد السبعة ص ٤٢١ والنشر ٣٢١/٢.

(٣) آل عمران: ١١.

(٤) عن أ.

(٥) الزخرف: ٢٩.

(٦) ساقط من هـ.

(٧) ساقط من جـ.

(٨) قراءة (فيحل ومن يحلل) بالضم قرأ بها الكسائي وحده السبعة ص ٤٢٢.

(٩) قراءة (فيحل ومن يحلل) بالكسر قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب وخلف النشر ٣٢١/٢ السبعة ص ٤٢٢.

(١٠) في جـ منه.

(١١) معاني القرآن للفراء ١٨٨/٢.

قوله ﴿وإني لفغار لمن تاب﴾ قال ابن عباس: تاب من الشرك ﴿وآمن﴾ وحد الله وصدقه ﴿وعمل صالحاً﴾ أدى فرائض الله ﴿ثم اهتدى﴾ قال عطاء عن ابن عباس: علم أن ذلك توفيق من الله له، قال في رواية أبي صالح علم أن لهذا ثواباً، وهو قول الثوري والشعبي ومقاتل، وقال قتاده: ثم لزم الاسلام حتى يموت عليه وهذا اختيار الزجاج لأنه يقول ثم أقام إيمانه أخبرنا أبو نصر الجوزقي، أنا بشر بن أحمد المهرجاني، أنا أحمد بن علي، نا أبو سعيد الأشج، نا عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب^(١) عن سعيد بن جبير ثم اهتدى قال: لزم السنة والجماعة.

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾ ٨٣ ﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ ٨٤ ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ ٨٥ ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ ٨٦ ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ٨٧ ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَّقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ ٨٨ ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ٨٩

قوله ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا موسى﴾ قال المفسرون: كانت المواعدة أن يوافق موسى وجماعة من وجوه قومه فسار موسى بهم ثم عجل من فيهم شوقاً إلى ربه وخلف السبعين ليلحقوا به فقال الله ما الذي حملك على العجلة حتى خلفت قومك وخرجت من بينهم^(١) ﴿قال هم أولاء على أثري﴾ هم بالقرب مني يأتون بعدي ﴿وعجلت إليك ربي لترضى﴾ قال الكلبي ليزداد رضا ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿فإننا قد فتنا قومك﴾ قال الزجاج: ألقيناهم في فتنة ومحبة وقال ابن الأنباري صيرناهم مفتونين أشقياء بعبادة العجل لما سبق لهم في حكمتنا ﴿من بعدك﴾ من بعد انطلاقك من بينهم ﴿وأضلهم السامري﴾ قال عطاء عن ابن عباس يريد أن الضلالة كانت على يد السامري يعني أنه كان سبب إضلالهم وقال الكلبي: صرفهم السامري إلى عبادة العجل قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كان السامري من أهل باجرى^(٢) وقع بأرض مصر فدخل في بني إسرائيل وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر في نفسه وقوله ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا﴾^(٣) [حزينا بما فعلوا]^(٤) [تقدم [تفسيره]^(٥) في سورة الأعراف] ﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسناً﴾ صدقا لإثبات^(٦) الكتاب ﴿أطفال عليكم العهد﴾ مدة مفارقتي إياكم ﴿أم أردتم أن يحل﴾ يجب ﴿عليكم غضب من ربكم﴾ بعبادتكم العجل والمعنى أم أردتم أن تصنعوا صنيعاً يكون سبب غضب ربكم ﴿فأخلفتم موعدي﴾ ما وعدتموه لي من حسن الخلافة بعدي بيان هذا قوله ﴿بئسما خلفتموني من بعدي﴾^(٧) فقال الذين لم يعبدوا العجل ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ أي ونحن نملك من أمرنا شيئاً أي لم نطق رد عبدة العجل من عظيم ما ارتكبوا لكثرتهم وقتلتنا وجاء في الرواية ان الذين لم يعبدوا العجل كانوا اثني عشر ألفاً وافتن الباقون بالعجل وكانوا

(١) العوام بن حوشب بن يزيد أبو عيسى الواسطي ت سنة ١٤٨ هـ انظر تهذيب التهذيب ١٦٣/٨ .

(٢) رواه ابن جرير عن ابن إسحاق ١٤٦/١٦ .

(٣) باجرى قرية من أعمال بلخ قرب الرقة من أرض الجزيرة . معجم البلدان ٣١٣/١ .

(٤) هذا الخبر مروى في حديث الفتون لابن عباس وقد تقدم تخريجه .

(٥) ساقط من هـ .

(٦) ساقط من أ، د .

(٧) في هـ: لاتباء .

(٨) الأعراف: ١٥٠ .

جميعاً ستمائة ألف^(١) وأكثر القراءة بالكسر^(٢) في بملكنا والمعنى بملكنا أمرنا ومن قرأ بملكنا بفتح الميم^(٣) فهو المصدر الحقيقي يقال ملكت الشيء أملكه ملكاً والملك^(٤) ما ملك ومن قرأ بضم الميم^(٥) فمعناه بقدرتنا وسلطاننا أي لم تقدر على ردهم ثم ذكروا قصة اتخاذ العجل فقالوا ﴿ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم﴾ أي أثقالاً وأحمالاً، قال قتادة: كانت حلياً تعوروها^(٦) من آل فرعون فساروا وهي معهم وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي: إن الأوزار هي الأحمال وزينة القوم حلي آل فرعون استعاره بنو إسرائيل قبل خروجهم من مصر فبقي في أيديهم وكان موسى أمرهم بذلك وقرئ حملنا بالتشديد وضم^(٧) الحاء والمعنى: جعلونا نحملها قال أبو عبيدة: الوجه القراءة الأولى^(٨) لأن التفسير قد جاء أنهم حملوا معهم ما كان في أيديهم من حلي آل فرعون وقوله ﴿فقدفناها﴾ قال السدي: قال هارون لهم الخلي غنيمة ولا تحل لكم الغنيمة فاحفروا لها حفرة فاطرحوها فيها حتى يرجع موسى فيقضي فيها^(٩) فذلك قوله ﴿فقدفناها﴾ أي طرحناها في الحفيرة، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: أوقد لهم هارون ناراً وقال اقدفوا ما كان معكم فيها فجعلوا يأتون معهم من الخلي فيقدفونه^(١٠) فيها حتى انسكبت^(١١) الخلي فيها ثم ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل قال قتادة: وقد كان في طرف عمامته قبضة من أثر فرس جبريل يوم جاوز بني إسرائيل فقدفها فيه وهو قوله ﴿فكذلك ألقى السامري﴾ يعني ما كان معه من التراب ﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد لحماً ودماً له خوار كما يخور الخي من العجول وقال قتادة: جعل يخور خوار البقرة وقال الحسن: صور بقرة صاغها من الخلي التي كان معهم ثم ألقى على أثر فرس جبريل فانقلب حيواناً يخور^(١٢) فقالوا هذا إلهكم وإله موسى يعني قال السامري ذلك ومن تابعه ممن افتتن بالعجل، قال سعيد بن جبير: عكفوا عليه وأحبره حباً لم يحبوه شيئاً قط وقوله ﴿فنسي﴾ قال السدي: يقول ترك موسى إلهه ها هنا وذهب يطلبه وقال قتادة: يقول إن موسى إنما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه في طريق آخر فغيرهم الله تعالى بصنيعهم وقال مويخاً ﴿أفلا يرون أن لا

(١) روى ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس أن الذين عبدوا العجل سبعين ألفاً. ابن جرير ٧٣/٢ تحقيق شاکر.

(٢) قراءة (بملكنا) بكسر الميم قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر السبعة ص ٤٢٣ والنشر ٣٢٢/٢.

(٣) قراءة (بملكنا) بفتح الميم قرأ بها نافع وعاصم. السبعة ص ٤٢٣ والنشر ٣٢٢/٢.

(٤) هـ: وألملم.

(٥) قراءة (بملكنا) بضم الميم قرأ بها حمزة والكسائي السبعة ص ٤٢٣ والنشر ٣٢٢/٢.

(٦) أي أخذوها عارية ثم يردونها وقد روى ابن جرير هذا الخبر عن مجاهد، وابن عباس وغيرهم تفسير ابن جرير ١٦/١٤٦.

(٧) قراءة (حملنا) بتشديد الميم وضم الحاء قرأ بها ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو جعفر ورواية عن عاصم وأبي عمرو السبعة ص ٤٢٣ والنشر ٣٢٢/٢.

(٨) القراءة الأولى (ملكنا) بفتح الحاء وتخفيف الميم وقد قرأ بها حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم ورواية عن أبي عمرو السبعة ص ٤٢٣ والنشر ٣٢٢/٢.

(٩) ابن جرير عن السدي ١٦/١٤٨ والسدي ضعيف الحديث حكم عليه علماء الجرح والتعديل بالضعف فلا تقبل روايته انظر التاريخ الكبير للبخاري ١/٣٢١، والمجروحين لابن أبي خاتم ٢/٢٥٣، والميزان ٤/٣٢، تهذيب التهذيب ٩/١٧٨.

(١٠) في هـ: فيقدفونها.

(١١) في هـ: انسكبت.

(١٢) في أ: حبر.

(١٣) كل هذه الاخبار رواها الهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي يعلى وتقدم في حديث الفتون في هذه السورة، ومجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه ومثل هذا من ادعاءات أهل الكتاب التي لا تتفق مع عقيدة المسلمين من أنه لا يحيي ولا يميت إلا الله (يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إنثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويعمل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير) الآيات (٤٩، ٥٠) الشورى.

يرجع إليهم قولاً) أنه لا يرجع إليهم قولاً أي لا يرد لهم جواباً كما قال ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم﴾^(١) ﴿ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾ توبيخ لهم إذ عبدوا من لا يملك ضرر من ترك عبادته ولا نفع عنده.

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾

﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾ أي من قبل أن يأتي موسى لما رأى ما وقعوا فيه ﴿يا قوم إنما فتنتم به﴾ ابتليتم به ﴿وإن ربكم الرحمن﴾ لا العجل ﴿فاتبعوني﴾ في عبادته ﴿وأطيعوا أمري﴾ لا أمر السامري فعصوه ﴿وقالوا: لن نبرح﴾ [عليه عاكفين]^(٢) ﴿لن نزال مقيمين على عبادة العجل﴾ حتى يرجع إلينا موسى ﴿فلما رجع موسى.

قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴿٩٤﴾ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾

﴿قال: يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا﴾ بعبادة العجل ﴿أن لا تتبعني﴾ لا زائدة أي ما منعك من اتباعي واللاحق بي^(٣) ﴿أف عصيت أمري﴾ إذ أقمت فيما بينهم وقد كفروا، ثم أخذ برأس أخيه ولحيته غضباً منه عليه ف ﴿قال يا ابن أم﴾ قرىء بالفتح^(٤) والكسر^(٥) ومعنى الكلام فيه في سورة الاعراف ﴿لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ أي بشعر رأسي ﴿إني خشيت﴾ [إن]^(٦) فارقتهم واتبعتك ﴿أن تقول فرقت بين بني اسرائيل﴾ فرقت جماعتهم، وذلك أنه لو لحق بموسى لصاروا أحزاباً حزب يسرون معه وحزب يتخلفون عنه من الايمان والانكار على عبدة العجل وحزب مع السامري فلا يؤمن أن يصيروا في الخلاف إلى التسافك فاعتذر بهذا وقوله ﴿ولم ترقب قولي﴾ أي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي فلما اعتذر هارون بهذا العذر.

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِرِي ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ، فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ

(١) الاعراف: ١٤٨.

(٢) ساقط من ب.

(٣) وقيل ان لا ليست بزائدة من وجهين أحدهما: أن التقدير ما دعاك إلى الاتبعني لان الصارف عن الشيء داع إلى تركه فيشتركان في كونهما من أسباب عدم الفعل.

الثاني: أن التقدير ما منعك من الاتبعني، وهذا أقرب مما قبله لأن فيه إفاء المنع على أصله، وعدم زيادتها أولى، لأن حذف حرفي الجر مع أنه كثير كثرة لا تصل إلى المجاز والزيادة في درجته قالوا: وفائدة زيادتها الانبات، فإن وضع لا نفي ما دخلت عليه فهي معارضة للانبات ولا يخفى أن حصول الحكم مع المعارض أثبت مما إذا لم يعترضه المعارض، أو أسقط معنى ما كان من شأنه أن يسقط انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ٧٩/٣.

(٤) قراءة (ينؤم) بفتح الميم قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٤٢٣ والنشر ٢/٢٧٢.

(٥) قراءة (ينؤم) بكسر الميم قرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم السبعة ص ٤٢٣ والنشر ٢/٢٧٢.

(٦) ليست في هـ.

وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُْحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

﴿قال﴾ موسى للسامري: ﴿فما خطبك يا سامري﴾ أي ما شأنك الذي دعاك إلى ما صنعت ﴿قال بصرت بما لم يصروا به﴾ أي علمت ما لم تعلموا وعرفت ما لم تعرفوا فقال له موسى وما الذي أبصرت دون بني إسرائيل قال ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾ يريد أثر فرس جبريل، وذلك أنه قبض قبضة من تراب حافر فرسه وألقي في نفسي (١) أن أقبض من أثرها فما ألقيته على شيء إلا صار له روح ودم فحين رأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلهاً حدثني نفسي بذلك (٢) ﴿فنبذتها﴾ فآلقيتها في صورة العجل ﴿وكذلك﴾ وكما حدثك يا موسى ﴿سولت لي نفسي﴾ زينت لي نفسي من أخذ القبضة وإلقائها في صورة العجل ﴿قال﴾ له موسى ﴿فاذهب﴾ أي من بيننا ﴿فإن لك في الحياة﴾ ما دمت حياً ﴿أن تقول لا مساس﴾ قال ابن عباس: لك ولولدك والمساس فقال: من المماسسة (٣) ومعنى لا مساس لا يمس بعضنا بعضاً فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش والسباع لا يمس أحداً ولا يمسه أحد عاقبه الله بذلك فكان إذا لقي أحداً يقول لا مساس أي لا تقربني ولا تمسني وصار ذلك عقوبة له ولولده حتى إن بقاياهم [إلى] (٤) اليوم يقولون ذلك (٥)، وذكر أنه إن مس واحد من غيرهم واحد منهم حم كلاهما في الوقت وقوله ﴿وإن لك موعداً لن تخلفه﴾ أي وعداً لعذابك يعني يوم القيامة لن تخلف ذلك الموعد ولن يتأخر عنك، قال الزجاج: أي يكافئك الله على ما فعلت في القيامة والله لا يخلف الميعاد ومن قرأ بكسر (٦) اللام كان المعنى: لا تخلف ذلك الموعد أي ستأتيه ولا مذهب لك عنه ﴿وانظر إلى الهك الذي ظلت عليه عاكفاً﴾ قال ابن عباس: يريد الذي تعبدته وظللت عليه مقيماً، يعني العجل وظللت هو الأصل ولكن اللام الأولى حذف لتقل التضعيف والكسر والعرب تفعل ذلك كثيراً تقول مست لي ومستت، وقوله ﴿لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً﴾ قال ابن عباس: حرقه بالنار ثم ذراه في اليم وهو النسف ومناه نقص الشيء لتذهب به الريح وهو التذرية، وذكر في التفسير أن موسى أخذ العجل فذبحه فسالت منه دم (٧) لأنه كان قد صار لحمًا ودمًا ثم أحرقه بالنار ثم ذراه في البحر ثم أخبرهم موسى عن إلههم فقال ﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو﴾ أي هو الذي يستحق العبادة لا العجل ﴿وسع كل شيء علماً﴾ علمه علماً تاماً ولم يقصر عنه علمه.

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَلِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾

﴿كذلك﴾ أي كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وقومه ﴿نقص عليك من أنباء ما قد سبق﴾ من أخبار من

(١) في هـ: نفسه.

(٢) في حديث الفتون عن ابن عباس ما يكذب هذا القول فقد قال: اجتمع ما كان في الحفرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلاً أجوف ليس فيه روح له خوار ثم قال ابن عباس ولا - والله - ما كان له صوت قط إنما كانت الريح تدخل دبره فتخرج من فيه وكان ذلك الصوت من ذلك انظر مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه ٦٤/٧.

(٣) في أ، ب فقال من المسيسة.

(٤) ليست في ب، ج.

(٥) ابن جرير الطبري ١٥٢/١٦ عن قتادة.

(٦) قراءة كسر اللام في (لن تخلفه) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو. انظر السبعة لابن مجاهد (ص ٤٢٤) والنشر ٣٢٢/٢٠.

(٧) هذا القول رواه ابن كثير في تفسيره عن قتادة بدون إسناد تفسير ابن كثير ١٦٤/٣ وقد قدمنا قول ابن عباس في العجل وأنه لا روح فيه فلا =

مضى وتقدم ﴿وقدءاتيناك من لدنا ذكراً﴾ يعني القرآن ثم أوعد على الاعراض عنه وترك الإيمان به فقال ﴿من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً﴾ حملاً ثقيلاً من الاثم ﴿خالدين فيه﴾ أي في عذاب ذلك الوزر ﴿وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾ قال الكلبي: بش ما حملوا على أنفسهم من المآثم كفراً بالقرآن وقوله:

يَوْمَ يُفْخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾

﴿يوم ينفخ في الصور﴾ وقرأ أبو عمرو ونفخ^(١) على معنى إضافة الامر بالنفخ إلى الله ويقوي ذلك ما عطف عليه من قوله ﴿ونحشر المجرمين﴾ والوجه قراءة العامة لقوله ﴿ونفخ في الصور﴾^(٢) وقوله ﴿يوم ينفخ في الصور﴾^(٣) في سورتين قال ابن عباس: يريد بالمجرمين الذين اتخذوا مع الله الها [وقوله]^(٤) ﴿زرقاً﴾ قال: يريد زرق العيون سود الوجوه ومعنى الزرقة الخضرة في سواد العين كعين السنور، والمعنى في هذا تشويه الخلق بسواد الوجوه وزرقة العيون ﴿يتخافتون﴾ يتسارون^(٥) فيما بينهم فيقولون ﴿إن لبثتم﴾ أي ما لبثتم أي من النفخة الأولى إلى الثانية ﴿إلا عشراً﴾ [إلا عشر]^(٦) ليالي وذلك أنه يكف عنهم العذاب فيما بين النفختين وهو أربعون سنة استقصروا مدة لبثهم لهول ما عينوا قال الله تعالى ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ أي بما يتسارون^(٧) بينهم ﴿إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ أعقلهم وأعدلهم قولاً ﴿إن لبثتم إلا يوماً﴾ نسوا مقدار لبثهم^(٨) لشدة ما دهمهم قوله:

وَسْتَأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾

﴿ويستلونك عن الجبال﴾ قال ابن عباس: سأل رجل من ثقيف^(٩) رسول الله ﷺ فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فأنزل الله هذه الآية، وقوله ﴿ينسفها ربي نسفاً﴾ قال المفسرون يصيرها الله رملاً تسيل ثم يصيرها كالصوف المنفوش يطيرها الرياح ﴿فيذرها﴾ أي يدع أماكنها من الأرض إذا نسفها ﴿قاعاً﴾ قال الفراء: القاع: ما انبسط من الأرض ويكون فيه السراب نصف النهار وجمعه قيعا ومنه قوله ﴿كسراب بقية﴾^(١٠) ﴿صفصفاً﴾ والصفصف الأملس الذي لا نبات فيه^(١١) ونحو هذا قال المفسرون ﴿لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً﴾ قال عكرمة عن ابن عباس: ليس

= يصدق هذا القول بحال ومن آين آتاه هذا الدم وقد صنع من مصوغات قوم فرعون التي جلبها بنو إسرائيل معهم.

(١) ابن مجاهد في كتابه السبعة (٤٢٤) والنشر ٣٢٢/٢.

(٢) الزمر: ٦٨.

(٣) النمل: ٨٧ وقراءة العامة (ينفخ) بضم الياء وفتح الفاء قرأ بها ابن كثير وحمزة والكسائي وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب ونافع انظر السبعة ص ٤٢٤ والنشر ٣٢٢/٢.

(٤) ساقط من هـ.

(٥) فيما عدا ب: ويتسارون.

(٧) في أ: يتسارون.

(٨) في هـ: مكثهم.

(٦) ساقط من هـ.

(٩) ثقيف: بطن من هوازن من العدنانية واشتهروا باسم أبيهم فيقال لهم ثقيف واسمه قيس بن منية بن بكر بن هوازن، انظر نهاية الارب ص ١٩٨ لابي العباس أحمد القلقشندي ط دار الكتب الاسلامية بيروت.

(١١) معاني القرآن للفراء ١٩١/٢.

(١٠) النور: ٣٩.

فيه منخفض ولا مرتفع، وقال مجاهد: انخفاضاً وارتفاعاً وقال قتادة: لا ترى فيها صدعاً ولا أكمة، وقال الحسن: العوج ما انخفض من الأرض والأمت ما نشز من الروابي، وتقول العرب مأسقاه حتى ليس فيه أمت إذا لم يشن لتسام الامتلاء، قوله ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ قال الفراء: يعني صوت الداعي للحشر^(١) قال المفسرون: يتبعون صوت داعي الله الذي يدعوهم إلى موقف القيامة ﴿لا عوج له﴾ لا عوج لهم عن الداعي فلا يقدر أن يتبعوه قال ابن عباس: كلهم تبع الصوت لا يتعوج عنه ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ سكتت وذلت وخضعت ﴿فلا تسمع إلا همساً﴾ قال أكثر المفسرين: يعني صوت نقل الأقدام إلى المحشر والهمس الصوت الخفي كصوت أخفاف الأبل في المشي، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يعني تحريك الشفاه بغير منطق، وهو قول مجاهد الكلام الخفي، والمعنى على هذا التفسير سكتت الأصوات فلا يجهر أحد بكلام إلا كالسر من الإشارة بالشفة وتحريك الفم من غير صوت.

يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾

﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أي لا تنفع الشفاعة أحد من الناس إلا من أذن الله أن يشفع له فذلك الذي ينفعه الشفاعة ﴿ورضى له قولاً﴾ قال ابن عباس: يعني قال: لا إله إلا الله وهذا يدل على أنه لا يشفع لغير المؤمن^(٢) ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ الكناية راجعة إلى الذين كفروا في قوله ﴿يتبعون الداعي﴾ قال ابن عباس: يريد ما قدموا وما خلفوا، وقال الكلبي: ما بين أيديهم من أمر الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الدنيا ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ الكناية تعود إلى ما في قوله ما بين أيديهم وما خلفهم أي هو يعلم ذلك وهم لا يعلمونه، ويجوز [أن تعود]^(٣) الكناية إلى الله لأن عباده لا يحيطون به علماً.

قوله ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم﴾^(٤) قال ابن عباس في رواية الواليي: ذلت وهو قول قتادة، وقال في رواية عطاء خضعت وقال طلق بن حبيب^(٥) هو السجود على الجبهة، قال الزجاج: معنى عنت في اللغة خضعت [وسمي الأسير عانياً لخضوعه في يد من أسره]^(٦) يقال عنا يعنو [عنا] إذا خضع ﴿وقد خاب من حمل ظلماً﴾ قال ابن عباس: خسر من أشرك بالله ﴿ومن يعمل من الصالحات﴾ من للجنس، والمعنى: من يعمل الصالحات وهو مؤمن لا غير المؤمن لا يقبل عمله ولا يكون صالحاً ﴿فلا يخاف ظلماً﴾^(٨) أي فهو لا يخاف وقرأ ابن كثير: فلا يخف على^(٩)

(١) في النسخ صوت الحشر والتصحيح من معاني القرآن للفراء ٢/ ١٩٣.

(٢) ويؤيد هذا قول الله تعالى في سورة التوبة (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) التوبة: ١١٣، ١١٤.

(٣) ساقط من د.

(٧) ساقط من هـ.

(٤) ساقط من جميع النسخ عدا د.

(٨) أو ظلماً ساقط من ب.

(٥) طلق بن حبيب البصري صدوق عابدت بعد التسعين من الهجرة انظر التقريب ١/ ٣٨٠.

(٩) في ب فلا يخاف.

(٦) ما بين القوسين ساقط من د.

النهي^(١) فهو حسن لأن المعنى ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فليأمن لأنه لم يفطر فيما وجب عليه ونهيه عن الخوف أمر بالأمن وقوله ﴿ظَلَمًا وَلَا هِضْمًا﴾ الهضم: النقص، يقال: يهضمني فلان حقي أي ينقصني. قال الوالي عن ابن عباس لا يخاف أن يظلم فيزداد عليه في سيئاته ولا أن يهضم من حسناته، وقال الضحاك لا يؤخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل حسنة عملها.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۖ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤

﴿وكذلك﴾ كما بينا في هذه السورة ﴿أنزلناه﴾ أنزلنا هذا الكتاب ﴿قرآنًا عربيًّا وصرفنا فيه من الوعيد﴾ بينا فيه ضرور الوعيد، قال قتادة: يعني وقائعه في الأمم المكذبة ﴿لعلهم يتقون﴾ ليكون سبباً لتقائهم الشرك بالاعتاظ بمن^(٢) قبلهم ﴿أو يحدث لهم ذكراً﴾ يجدد لهم القرآن اعتباراً فيتذكروا به عقاب الله للأمم^(٣) فيعتبروا، وقوله ﴿فتعالى الله﴾ أي جل عن إلحاد الملحدين وعمما يقول المشركون في صفته ﴿الملك﴾ الذي بيده الثواب والعقاب فهو يملكها ﴿الحق﴾ معناه ذو الحق، وقد تقدم الكلام فيه ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ قال ابن عباس والمفسرون: كان النبي ﷺ يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ من الوحي حرصاً منه على ما كان ينزل عليه وشفقة على القرآن مخافة الانفلات والنسيان فهناك الله عن ذلك يقول ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾^(٤) أي بقراءته ﴿من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ من قبل أن يفرغ جبريل من تلاوته عليك وهذا كقوله ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾^(٥) ﴿وقل رب زدني علماً﴾ أي بالقرآن ومعانيه وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم زدني علماً وإيماناً ويقيناً.

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ۝١١٥ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۖ فَقُلْنَا يٰٓأَدَمُ إِنَّ هٰذَا عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ۝١١٦ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٧ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ۝١١٨ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطٰنُ قَالَ يٰٓأَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝١١٩ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفٰنِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝١٢٠ ثُمَّ أَجْبَنَهُ رَبُّهُ فَأَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝١٢١

قوله ﴿ولقد عهدنا إلى آدم﴾ أي أمرناه وأوصينا إليه أن لا يأكل من الشجرة ﴿من قبل﴾ هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الايمان بي وهم الذين ذكر في قوله ﴿لعلهم يتقون﴾ والمعنى أنهم إن نقضوا العهد فإن آدم أيضاً عهدنا إليه

(١) ابن مجاهد في كتابه السبعة ص ٤٢٤ .

(٢) في هـ: ممن .

(٣) في هـ: عتاب الله في الامم .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ٤/١ وكتاب التوحيد باب قوله تعالى لا تحرك به لسانك ١٨٧/٩ ط الشعب . ومسلم في كتاب

الصلاة باب الاستماع للقراءة ٣٣٠/١ ط الحلبي .

(٥) القيامة : ١٦ .

﴿فَنسِي﴾ قال ابن عباس ومجاهد والسدي ترك عهدي وما أمر به^(١) ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْماً﴾ معنى العزم في اللغة [توطئ النفس]^(٢) على الفعل، قال عطية العوفي: لم نجد له حفظاً لما أمر به وقال الحسن: صبرا عما نهي عنه، وقال ابن قتيبة: رأياً معزوماً عليه^(٣) حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له، وقال الحسن: كأن عقل آدم مثل عقل جميع ولده فقال الله ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْماً﴾ أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن أحمد المخلد، نا أحمد بن إسماعيل بن يحيى بن حازم، نا كامل بن مكرم، نا جبريل بن مجاع، نا إبراهيم بن يوسف^(٤)، نا وكيع عن أبي فضالة عن لقمان بن عامر عن أبي أمامه الباهلي قال: لو أن أحلام بني آدم وضعت في كفة ووضع حلم آدم لرجح حلمه حلمهم ثم قرأ فَنسِي ولم نجد له عِزْماً^(٥) وما بعد هذا تقدم تفسيره إلى قوله ﴿فَلَا يَخْرُجْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ قال عطاء يريد شقاء الدنيا ونصبها، وقال الحسن عني به شقاء الدنيا لا ترى ابن آدم إلا ناصباً شقيماً، وقال السدي يعني الحرب والزرع والمعجن والخبر ولم يقل فتشقياً لأن أول الآية خطاب لآدم^(٦) ﴿إِنَّ لَكَ﴾ يا آدم ﴿أَلَّا تَجُوعُ﴾ في الجنة ﴿وَلَا تَعْرَى﴾ وعده الله في الجنة في الجنة الشيع والاكْتَسَاءُ وألا يصيبه فيها عطش ولا حر وهو قوله ﴿وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ ومن قرأ وإنك بالكسر^(٧) فعلى الاستئناف وعطف جملة كلام على جملة والظماً مصدر قولك ظمأً ظمأً يظمأ عطف، ويقال: ضحى الرجل يضحى ضحاً وضحياً إذا أبرز الشمس فأصابه حرها قال الضحاك عن ابن عباس يقول: لا تعطش فيها كما يعطش أهل الدنيا ولا يصيبك فيها حر كما يصيب أهل الدنيا والمعنى لا تبرز للشمس فيؤذيك حرها لأنه ليس في الجنة شمس، إنما هو ظل ممدود ﴿فَوْسُوسٌ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ كقوله ﴿فَوْسُوسٌ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾^(٨) وقد تقدم ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدْرِكُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ على شجرة من أكل منها لم يمت ﴿وَمَلِكٌ لَا يَلِي﴾ جديد ولا يفنى وهذا كقوله ﴿مَا نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْآيَةِ﴾^(٩) وما بعد هذا مفسر في سورة الأعراف إلى قوله ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾ أي بأكل الشجرة التي نهي عنها ﴿فَعَوَى﴾ أي فعل ما لم يكن له فعله وقيل ضل حيث طلب الخلد والملك بأكل ما نهي عن أكله، هذان قولان حكاهما المفسرون وقال ابن الأعرابي: الغي الفساد، ومعنى فعوى ها هنا: فسد على عيشه قال ابن قتيبة: أكل آدم من الشجرة التي نهي عنها باستئزال إبليس وخدايعه والقسم له بالله أنه لمن الناصحين حتى دلاه بغروره ولم يكن ذنبه عن اعتقاد متقدم ونية صحيحة فنحن نقول عصى آدم وغوى كما قال الله ولا نقول آدم عاصٍ وغاؤ كما تقول لرجل قطع ثوبه وخاطه قد قطعه وخاطه ولا تقول هو خياط حتى يكون معاوداً لذلك الفعل معروفاً به^(١٠) أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أنا أبو بكر^(١١) محمد بن جعفر بن الهيثم الأنباري، نا محمد بن أبي^(١٢) العوام، نا محمد بن عبد العزيز الرملي، نا سليمان بن حبان الأحمر، نا ابن أبي ذياب عن سعيد بن

(١) في د ترك أمري وما عهد به .

(٢) في هـ: بياض .

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٨٣) .

(٤) إبراهيم بن يوسف بن اسحاق بن أبي اسحاق السبيعي الكوفي ت سنة ١٩٨ تهذيب التهذيب ١٠/ ١٨٣ .

(٥) تفسير ابن جرير ١٦/ ١٦١ .

(٦) أولاً أن السعي وتحصيل المعاش مما يقوم به الرجل وما هو مكلف به أما النساء فقد أمرن بالقرار في بيوتهن ورعاية الأبناء .

(٧) قراءة (وإنك) بكسر الهمزة قرأ بها نافع وأبو بكر عن عاصم . انظر السبعة ص ٢٢٤ والنشر ٢/ ٣٢٢ .

(٨ - ٩) الأعراف: ٢١ .

(١٠) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣١٢ باختصار .

(١١ - ١٢) ساقط من د، هـ .

أبي سعيد ويزيد بن هرمز^(١) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: لقي موسى آدم فقال أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسكنك^(٢) الجنة وأمر الملائكة فسجدوا لك فأخرجت الناس [من الجنة]^(٣) بذنبك وخطيئتك فقال له آدم: وأنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وأنزل عليك التوراة فيها تبيان كل شيء فيكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن يخلقني قال بأربعين سنة قال فوجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومني أن أعمل عملاً [قد كتبه علي]^(٤) قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال رسول الله ﷺ فحج آدم موسى^(٥) رواه مسلم عن إسحاق بن موسى الانصاري عن انس بن عياض عن ابن أبي ذياب قوله ﴿ثم اجتبه ربه﴾ قال ابن عباس: اصطفاه ﴿فتاب عليه﴾ فعاد عليه بالعمى ﴿وهدي﴾ هذه للتوبة حتى قال ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا . . . الآية﴾^(٦) وما بعد هذا مفسر في سورة البقرة إلى قوله:

قَالَ أَهْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۚ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۚ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۚ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِيْكَ ۚ

﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾. أخبرنا أبو بكر التميمي، أنا أبو الشيخ الحافظ، أنا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان العسكري، نا محمد بن فضيل بن غزوان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة من الحساب ذلك بأن الله يقول ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾^(٧) قال الشعبي: أجاز الله تابع القرآن من أن يضل في الدنيا ويشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية.

قوله ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ قال عطاء عن موعظتي وقال الكلبي عن القرآن فلم يؤمن ولم يتبعه ﴿فإن له معيشة ضنكاً﴾ الضنك الضيق والشدة وكل ما ضاق فهو ضنك يقال منزل ضنك وعيش ضنك وضنك عيشه يضنك ضناكة وضنكاً وأكثر ما جاء في تفسير المعيشة الضنك عذاب القبر عن النبي ﷺ وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أخبرنا أبو ابراهيم الواعظ، أنا بشر بن^(٨) أحمد بن محمود، أنا جعفر بن محمد بن المستفاض^(٩)، نا أحمد بن عيسى، نا عبد الله بن وهب أنا عمرو بن^(١٠) الحرث أن أبا السمع حدثه عن أبي حجرة عن أبي هريرة عن رسول ﷺ «إن

(١) يزيد بن هرمز المدني (ليس يقوي). ميزان الاعتدال ٤/٤٤٠.

(٢) في هـ: فاسكنك.

(٣) ليست في هـ.

(٤) ساقط من د، وسقطت هـ ما بين قوله أربعين سنة الأولى والثانية.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير سورة طه ٦/١٢٠ ط الشعب، ومسلم في كتاب العذر باب حجج آدم موسى عليهما السلام ٤/٢٠٤٢.

(٦) الاعراف: ٢٣.

(٧) إلى هنا ساقط من د وقد روى ابن جرير هذا الخبر بعدة طرق عن ابن عباس انظر تفسير ابن جرير ١٦/١٦٣.

(٨) حديث (إن المعيشة الضنك عذاب القبر) أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه المستدرک كتاب التفسير سورة طه ٢/٣٨١ وقال عنه الهيثمي فيه المسعودي قد اختلط وبقية رجاله ثقات مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه.

(٩) أحمد بن عيسى بن حسان المصري أبو عبد الله العسكري ت سنة ٢٤٣ هـ انظر تهذيب التهذيب ١/٦٥.

(١٠) في هـ: ابن.

للمؤمن في قبره روضة خضراء ويرحب له قبره سبعين ذراعاً وينور له قبره كالقمر ليلة البدر أتدرون فيما أنزلت هذه الآية فإن له معيشة ضنكا أتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده له ليسلط عليه تسعة وتسعون تيناً ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخذشونه إلى يوم القيامة^(١) أخبرنا أبو نصر المخلدي، أنا إسماعيل بن نجيد، أنا أبو مسلم الكجي، نا أبو عمرو الضرير، أنا حماد، أنا أبو حازم المدني^(٢) عن النعمان بن أبي عياش^(٣) الزرقى عن أبي سعيد الخدري في قوله عز وجل ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً قال المعيشة الضنك عذاب القبر يلتئم على صاحبه فلا يزال يعذب حتى يبعث وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء قال يريد ضغطة القبر حتى يختلف أضلاعه^(٤) وقوله ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ قيل في التفسير أعمى البصر وقيل أعمى عن الحجة يعني أنه لا حجة له يهتدي إليها والأعمى إذا أطلق كان الظاهر عمى البصر يدل على هذا قوله ﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾ قال الفراء يقال إنه يخرج من قبره بصيراً فيعمى في حشرة^(٥) قال ﴿الله مجيباً لهذا الكبر﴾ وكذلك ﴿أي الامر كما ترى﴾ أتت آياتنا فنسيتها ﴿فتركتها ولم تؤمن بها﴾ وكذلك اليوم تنسى ﴿وكما تركتها في الدنيا تترك اليوم في النار.

وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ۚ ۱٢٧

﴿وكذلك﴾ وكما ذكرنا ﴿نجزي من أسرف﴾ أشرك ﴿ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾ أفظم وأعظم مما ذكر من عذاب القبر.

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهَلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ۚ ۱٢٨ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ۚ ۱٢٩ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ۚ ۱٣٠

﴿أفلم يهد لهم﴾ يبين لهم إذا انظروا يعني كفار مكة ﴿كم أهلكتنا قبلهم من القرون﴾ يقول أفلم يبين لهم طريق الاعتبار كثرة أهلكتنا القرون قبلهم بتكذيب الرسل فيعتبروا ويؤمنوا وقوله ﴿يمشون في مساجدهم﴾ يعني أهل مكة كانوا يتجرون ويسيروا في مساكن عاد وثمود فيها علامات الإهلاك أفلا يخافون أن يقع بهم مثل ما وقع بالذين رأوا مساجدهم وهو قوله ﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهى ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ في تأخير العذاب عن هؤلاء الكفار إلى يوم القيامة وهو قوله وأجل مسمى ﴿لكان لازماً وأجل مسمى﴾ لكان العذاب لازماً لهم والالزام مصدر وصف به العذاب.

(١) رواه ابن كثير عن ابن أبي حاتم وقال رفعه منكر جداً تفسير ابن كثير سورة طه وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد رواه البزار وفيه من لم أعرفه مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه.

(٢) أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج ت سنة ١٤٠.

تذكرة الحفاظ ١٣٣/١ تهذيب التهذيب ١٤٣/٤، شذرات الذهب ٢٠٨/١.

(٣) النعمان بن أبي عياش الزرقى الانصاري أبو سلمة المدني تهذيب التهذيب ٤٥٥/١٠.

(٤) قول أبي سعيد الخدري وابن عباس في المعيشة الضنك رواه ابن جرير في تفسيره ١٦٥/١٦ وابن كثير عن ابن أبي حاتم تفسير ابن كثير ١٦٩/٣ ط الحلبي.

(٥) معاني القرآن للفراء ١٩٤/٢.

قوله ﴿فَأصبر على ما يقولون﴾ أمر الله نبيه ﷺ بالصبر على ما يسمع من أذاهم إلى أن يحكم الله فيهم ثم حكم بالقتل فنسخ الصبر ﴿وسبح بحمد ربك﴾ صل الله بالحمد له والثناء عليه ﴿قبل طلوع الشمس﴾ يريد الفجر ﴿وقبل غروبها﴾ يعني العصر ﴿ومن أناة الليل﴾ ساعاته واحدها إنني قال ابن عباس يريد أول الليل المغرب والعشاء ﴿فسبح وأطراف النهار﴾ يريد الظهر وسمي وقت صلاة الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال وهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني أخبرنا أبو بكر بن الحارث، أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الحافظ، نا عبدان بن أحمد، نا عثمان بن أبي شيبة، نا جرير ووكيع^(١) وأبو أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير^(٢) قال كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر ليلة أربعة عشرة^(٣) فقال «إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم إن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا وقرأ هذه الآية فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها»^(٤) رواه البخاري عن إسحاق بن إبراهيم عن جرير ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة ووكيع وقوله ﴿لعلك ترضى﴾ قال ابن عباس: ترضى الثواب والمعاد ومن^(٥) ضم التاء^(٦) فمعنا ترضى بما تعطاه من الدرجة الرفيعة واختار أبو عبيدة هذه القراءة واضعاً لها معنيين ترضى تعطى الرضا والآخري رضاك الله وتصديقها قوله ﴿وكان عند ربه مرضياً﴾^(٧) قال وليس في الأخرى إلا وجه واحد قوله:

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَرِّقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَزْرُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢)

﴿وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنِكَ... الآية﴾ قال أبو رافع نزل برسول الله ﷺ ضيف فبعثني إلى يهودي فقال: قل له إن رسول الله ﷺ يقول يعني كذا وكذا من الدقيق وأسلمني إلى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبيع ولا أسلفه إلا برهن فأتيت رسول الله فأخبرته فقال والله لو باعني أو أسلفني لقضيته وإني لأمين في السماء أمين في الأرض اذهب بدرعي الحديد إليه فنزلت هذه الآية تعزية له عن^(٨) الدنيا «وقد فسرنا هذه الآية في سورة الحجر» قال أبي بن كعب في هذه الآية فمن لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حشرات على الدنيا ومن يتبع بصره فيما في أيدي الناس يطل حزنه ولا يشفي غيظه ومن لم ير الله نعمة عليه إلا في مطعمه ومشربه نقص علمه ودنا عذابه وقوله ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ يعني بهجتها ونضارتها وما يروق الناظر عند الرؤية قال ابن عباس والسدي: زينة الدنيا وقوله ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنجعل^(٩) ذلك فتنة وضلالة بأن أزيد

(١) ساقط من د، هـ.

(٢) جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك أبو عبد الله الصحابي اليماني ت سنة ٥١ هـ تهذيب التهذيب ١٧٣/٢ أسد الغابة ٣٣٢/١.

(٣) ليست في أ.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المواقيت باب فضل صلاة العصر ١/١٤٥، مسلم في كتاب المساجد باب فضل صلاتي الصبح والعصر ٤٣٩/١ ط الحلبي.

(٥) في هـ، د العقاب.

(٦) قرأ الكسائي (ترضى) بضم التاء واخلف عن عاصم وقرأ الباقون (ترضى) بفتح التاء السبعة لابن مجاهد/ ٤٢٥.

(٧) مريم: ٥٥.

(٨) قال الهشمي رواه الطبراني في الكبير والبخاري وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف مجمع الزوائد كتاب البيوع باب البيع إلى أجل ١٢٦/١٠ ط بيروت رواه ابن جرير في تفسيره ١٦٩/١٦.

(٩) في هـ: ليجعل.

لهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا ﴿ورزق ربك﴾ في المعاد يعني الجنة ﴿خير وأبقى﴾ أكثر وأدوم .
 قوله ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ قال سعيد بن جبير : قومك يعني من كان على دينه كقوله ﴿وكان يأمر أهله بالصلاة﴾^(١) وقد تقدم أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمر النيسابوري أخبرنا حمزة بن شبيب المعمري ، أنا أبو عمرو بن عبد الله البصري ، نا محمد بن^(٢) عبد الوهاب ، أنا أبو النعمان ، نا ابن المبارك حدثني معمر بن محمد بن حمزة عن عبد الله بن سلام ان رسول الله ﷺ وسلم كان إذا نزل بأهله خير أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية وأمر أهلك بالصلاة^(٣) وقوله ﴿واصطر عليها﴾ أي اصبر على الصلاة فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴿لا نسألك رزقاً﴾ لخلقنا ولا لنفك ﴿نحن نرزقك والمعاقبة﴾ قال ابن عباس^(٤) والسدي يعني الجنة ﴿للتقوى﴾ قال الأخفش : لأهل التقوى قال ابن عباس يريد الذين صدقوك واتبعوك واتبعتهم وقولوا :

وَقَالُوا لَوْلَا يَا تُبَيِّنَا بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّهِ ؕ أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۖ وَلَوْلَا أَنهَلَكَ أَنهَلِكُنَّهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قِبَلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَنزِلَ وَنَخْزِيَ ۚ قُلْ كُلُّ مُتْرِبٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَن أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ۗ

﴿وقالوا﴾ يعني المشركين ﴿لولا يأتينا بآية من ربه﴾ هلا يأتينا محمد بآية من ربه كما أتى بها الأنبياء نحو الناقة والعصا ﴿أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى﴾ بيان ما في الكتب من أنباء الأمم التي أهلكناها لما كفروا ثم كفروا بها فمادام يؤمنهم أن يكون حالهم في سؤالهم الآيات كحال أولئك وهذا البيان إنما قص عليهم في القرآن ﴿ولو أنا أهلكناهم﴾ يعني مشركي مكة ﴿بعذاب من قبله﴾ قبل بعث محمد ونزول القرآن ﴿لقالوا﴾ يوم القيامة ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾ هلا أرسلت إلينا رسولاً يدعونا إلى طاعتك ﴿فتتبع آياتك﴾ نعمل بما فيها ﴿من قبل أن نزل﴾ بالعذاب ﴿ونخزي﴾ في جهنم ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿كل﴾ منا ومنكم ﴿متربص﴾ نحن نتربص بكم وعداً لنا فيكم وتتم تربصون بنا الدوائر فانظروا ﴿فستعلمون﴾ إذا جاء الأمر وقامت القيامة ﴿من أصحاب الصراط السوي﴾ الذين المستقيم ﴿ومن اهتدى﴾ من الضلالة نحن أم أنتم .

(١) مريم : ٥٥ .

(٢) محمد بن عبد الوهاب بن حبيب بن مهران العبدى النيسابوري ت سنة ٢٧٢ هـ انظر تهذيب التهذيب ٣٢٠ / ٩ .

(٣) أخرجه الهيثمي في المجمع عن الطبراني في الاوسط ورجاله ثقات مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه .

(٤) ليست في أ ، ج .

سورة الأنبياء

مكية وآياتها اثنتا عشرة ومائة

أخبرنا أبو سعد محمد بن علي بن أحمد الحيري، أنا أبو عمرو محمد بن جعفر، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن عبيد^(١) الله بن يونس، نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة [الباهلي]^(٢) عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ سورة اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حساباً يسيراً وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن»^(٣)

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِزْنَا نَبَأَ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَّا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿اقترب﴾ افتعل من القرب يقال: قرب الشيء واقترب ﴿لِلنَّاسِ﴾ يعني: أهل مكة ﴿حسابهم﴾ محاسبة الله ﴿إياهم﴾^(٤) على أعمالهم قال الزجاج: المعنى [اقترب للناس وقت حسابهم]^(٥) يعني [يوم]^(٦) القيامة كما قال ﴿اقتربت الساعة﴾^(٧) واقتراب حسابهم: يحمل على أن ما هو آت قريب ﴿وهم في غفلة﴾ عما يفعل الله بهم ذلك اليوم ﴿معرضون﴾ عن التأهب له بالإيمان بمحمد ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم﴾ من وعظ بالقرآن على لسان محمد ﴿محدث﴾ بالإنزال لأن القرآن أنزل آية بعد آية وسورة بعد سورة فالإحداث يعود إلى الإنزال وقوله ﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ قال ابن عباس: يستمعون القرآن مستهزئين ﴿لاهية قلوبهم﴾ غافلة عما يراد بهم ﴿وأسرأ النجوى﴾ تناجوا فيما بينهم يعني المشركين ثم بين من هم فقال ﴿الذين ظلموا﴾ أشركوا بالله والذين في محل رفع على البديل من الضمير في وأسروا قال المبرد: وهذا كقولك في الكلام: إن الذين إلى الدار انطلقوا بنو عبد الله على البديل مما في انطلقوا ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ أي أنه آدمي لحم ودم مثلكم ليس مثل الملائكة

(١) فيما عدا د، ه عبيد الله

(٢) ساقط من ج، د، هـ

(٣) هذا الحديث لم يعثر له على أصل وتراجع أول سورة مريم والحج ٧، ٨ بياض في هـ

(٤) ساقط من ب

﴿أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ قال السدي: يقولون ان متابعة محمد متابعة السحر والمعنى: أتقبلون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر ﴿قل﴾ (١) لهم يا محمد ﴿ربي يعلم القول في السماء والأرض﴾ أي لا يخفى عليه شيء مما يقال في السماء والأرض وقرأ أهل الكوفة: قال ربي (٢) على معنى قال محمد ربي ﴿يعلم القول﴾ وكذا هو في مصابيحهم ﴿وهو السميع﴾ لما تكلموا به ﴿العليم﴾ بما قالوا.

قوله ﴿بل قالوا﴾ معنى بل ها هنا: انتقال إلى خبر آخر عنهم على أن الأول مفروغ عنه، وليس معنى بل من الله على الترك للأول بإبطال (٣) له والمشركون مما دخلتهم من الحيرة في أمر محمد ﷺ لا يدرون ما قصته فمرة قالوا للقرآن إنه سحر، ومرة قالوا ﴿أضغاث أحلام﴾ قال قتادة: تخاليط أحلام رآها في النوم، ومرة قالوا: إنه مفتر وهو قوله بل افتراه ﴿أي اختلقه من﴾ (٤) نفسه ﴿بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ قال ابن عباس: [آية] (٥) مثل الناقة (٦) والعصا (٧) قال الزجاج: اقترحوا الآيات التي لا يقع معها إمهال فقال الله مجيباً لهم ﴿ما آمنت قبلهم﴾ قبل مشركي مكة ﴿من قرية﴾ يعني أهلها ﴿أهلكناها﴾ وصف للقرية، والمعنى: ما آمنت قرية مهلكة بالآيات المرسله ﴿أفهم يؤمنون﴾ يعني أن الأمم التي أهلكناها بتكذيب الآيات لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم فكيف يؤمن هؤلاء يعني أن مجيء الآيات لو كان سبباً للإيمان من غير إرادة الله لهم [ذلك] (٨) لكان سبباً لإيمان أولئك [فلما أبطل أن يكون سبباً لإيمان أولئك] (٩) بطل أن يكون سبباً لإيمان هؤلاء

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾

قوله ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم﴾ لقولهم: هل هذا إلا بشر مثلك؟ يقول الله: لم نرسل قبل محمد إلا رجالاً من بني آدم لا ملائكة ﴿فأسألوا أهل الذكر﴾ يعني أهل الكتابين (١٠) في قول أكثر المفسرين

(١) في د. قال

(٢) يقصد بأهل الكوفة: حمزة وخلف وحفص وقرأتهم (قال) بالالف ذكرها ابن مجاهد في كتابه السبعة ص ٤٢٨ وابن الجزري في

النشر ٢/٢٢٣

(٣) في هو: بالابطل

(٤) في هو: في

(٥) ساقط من ج

(٦) الناقة: كانت معجزة لنبي الله صالح عندما أرسله الله لقومه ثمود، فلقد سألوه أن يخرج لهم من صخرة صنمها عينوها بأنفسهم ناقة عشراء تمخض فأخذ عليهم العهود والمواثيق لأن أجابهم الله إلى سؤالهم ليؤمنن به فلما أعطوه على ذلك عهدهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة عشراء يتحرك جنيها بين جنيها ووضعت جنيها بين أظهرهم وكانت تشرب ماءهم وتعطيهم بدله لبناً ويشربون يوماً ولكنهم مع ذلك كفروا وعقروا الناقة فأرسل الله عليهم صيحة واحدة أهلكت المكذبين جميعاً: انظر تفسير ابن كثير ٢/٢٢٨ ط الحلبي

(٧) العصا: كانت معجزة من الله لسيدنا موسى عليه السلام إذا ألقاها تنقلب حية تسعى وألقاها على عصي السحرة وجبالهم - بين يدي فرعون وملئه فابتلعها جميعاً.

(٨) ساقط من د.

(٩) من ج.

(١٠) أهل الكتابين: هم اليهود والنصارى والكتابين: التوراة والإنجيل.

﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أَنْ الرسل بشر وذلك أَنَّ اليهود والنصارى لَا يَنكرون أَنَّ الرسل كانوا بشرًا وَإِنْ أَنْكروا نبوة محمد - ﷺ - وهذا الأمر بالسؤال للمشركين لأنهم^(١) إِلَى تصديق من لم يؤمن بالنبى ﷺ أقرب منهم إِلَى تصديق من آمن ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ عَنِ الرسل ﴿جَسَدًا﴾ قَالَ الزجاج: هُوَ وَاحِدٌ نَبِيٌّ عَنْ جَمَاعَةٍ أَيْ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ ذَوِي أَجْسَادٍ ﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ؟ فَأَعْلَمُوا أَنَّ الرسل جَمِيعًا كَانُوا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ يَعْنِي يَمُوتُونَ كَسَائِرِ الْبَشَرِ ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ أَيْ أَنْجَزْنَا وَعْدَهُمُ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ بِإِنجَائِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ مِنْ كَذِبِهِمْ وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ﴾ أَيْ مِنَ الْعَذَابِ ﴿وَمَنْ نَشَاءُ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي الَّذِينَ صَدَقُوهُمْ ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ قَالَ: يَرِيدُ الْمُشْرِكِينَ وَهَذَا تَخْوِيفٌ لِكِفَارِ مَكَّةَ ثُمَّ ذَكَرَ مِنْتَهُ عَلَيْهِمُ بِالْقُرْآنِ فَقَالَ:

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَبْلِكَ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿٣﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ ﴿٤﴾ قَالُوا يُؤْتِينَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿٦﴾

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ قَالَ: يَرِيدُ فِيهِ شَرْفُكُمْ كَقَوْلِهِ ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾^(٢) وَذَلِكَ أَنَّهُ كِتَابٌ عَرَبِيٌّ بَلُغَةٌ قُرَيْشٍ، وَقَالَ الْحَسَنُ: فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَيْ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ مَا فَضَلْتُمْ بِهِ عَلَيَّ غَيْرَكُمْ أَنْزَلْتُكُمْ حَرَمِيَّ وَبَعَثْتُ فِيكُمْ نَبِيًّا ثُمَّ خَوَّفْتُمْ فَقَالَ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ الْقَصْمُ: كَسْرُ الشَّيْءِ وَدَقُّهُ قَالَ مُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ: أَهْلَكْنَا وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: عَذَبْنَا ﴿مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ أَيْ كَافِرَةً، يَعْنِي: أَهْلُهَا ﴿وَأَنْشَأْنَا﴾ وَأَحَدُنَا [وَأَوْجَدْنَا]^(٣) بَعْدَ إِهْلَاكِ أَهْلِهَا ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَانَا رَأَوْا عَذَابَنَا بِحَاسَةِ الْبَصْرِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى لَمَّا ذَاقُوا عَذَابَنَا، قَالَ الْمَفْسُورُونَ: هَؤُلَاءِ كَانُوا قَوْمًا كَذَبُوا نَبِيَّهُمْ وَقَتَلُوهُ فَسَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَخْتِ نَصْرٍ^(٤) حَتَّى قَتَلَهُمْ وَسَبَّاهُمْ وَنَكَّلَ فِيهِمْ وَعَلَى مَا قَالُوا الْآيَةَ مَخْصُوصَةً^(٥) وَإِنْ وَرَدَتْ عَامَةً وَقَوْلُهُ ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ أَيْ يَفْرُونَ وَيَنْهَزُمُونَ وَيَهْرَبُونَ وَأَصْلُهُ مِنْ رَكَضَ الرَّجُلُ مَرَكَلًا^(٦) الدَّابَّةُ بِرَجْلَيْهِ يُقَالُ رَكَضَ الْفَرَسُ إِذْ كَدَّهُ بِسَاقِيهِ ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ أَيْ قِيلَ لَهُمْ لَا تَرْكُضُوا وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا أَخَذَتْهُمُ السُّيُوفُ انْهَزَمُوا مَسْرِعِينَ فَقَالَتْ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ بَحِثْ سَمِعُوا النَّدَاءَ: لَا تَرْكُضُوا ﴿وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ﴾ أَيْ خَوْلَتُمْ وَنَعَمْتُمْ، وَقَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ: إِلَى نَعْمَتِكُمُ الَّتِي أُتْرِفْتُمْ^(٧) وَقَدْ بَيَّنَّا هَذَا عِنْدَ قَوْلِهِ ﴿أَمْرًا مُتْرَفِيهَا﴾^(٨) وَقَوْلُهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ﴾ أَيْ شَيْئًا مِنْ دُنْيَاكُمْ وَالْمَعْنَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ اسْتَهْزَأَتْ^(٩)

(١) فِي هـ: وَهَمْ.

(٢) سَاقَطَ مِنْ هـ.

(٣) الزخرف: ٤٤

(٤) بَخْتٌ نَصْرٌ: كَانَ وَالِيًا لِمَلِكِ الْفَرَسِ عَلَى مَنطِقَةِ الْأَهْوَازِ إِلَى الرُّومِ وَهُوَ الَّذِي بَعَثَ لِقَاتِلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالشَّامِ بَعْدَ إِعْتِدَائِهِمْ عَلَى رَسَلِهِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ الْكَثِيرَ وَفَرَّقَهُمْ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِ. انظُرِ الْبَدَايَةَ وَالنِّهَايَةَ لِابْنِ كَثِيرٍ ٣٩/٢.

(٥) تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ عَنِ مُجَاهِدٍ ٨/١٧ وَلَكِنَّ الْعَبْرَةَ لِعَمُومِ اللَّفْظِ لَا لِخُصُوصِ السَّبَبِ.

(٦) الْمَرَكَلُ مِنَ الدَّابَّةِ حَيْثُ تَصِيبُ الدَّابَّةُ بِرِجْلِهِمْ إِذَا حَرَكْتَهُا لِلْمَشْيِ (اللِّسَانُ: فَصَلِ الرَّاءَ حَرْفَ اللَّامِ)

(٧) فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ الْقُرْآنِ لِابْنِ قَتَيْبَةَ أُتْرِفْتُمْ ص ٢٨٤.

(٨) الْإِسْرَاءُ: ١٦.

(٩) كَانَ الْأَوَّلِيُّ أَنْ يَقُولَ (اسْتَهْزَأُوا) هَرُوبًا مِنَ التَّعْبِيرِ الْمُشْعِرِ بِزَعْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ إِنَاثٌ.

بهم فقالوا لهم ارجعوا إلى مساكنكم لعلكم تسئلون شيئاً من دنياكم فإنكم أهل ثروة ونعمة يقولون ذلك استهزاءً بهم وهذا قول قتادة في هذه الآية وهو الصحيح ف ﴿قالوا﴾ عند ذلك ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ لأنفسنا حيث كذبنا رسل ربنا والمعنى: أنهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا هذا على سبيل الندم حين لم ينفعهم الندم، قال الله تعالى: ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ [ما زالت تلك الكلمة التي هي قولهم يا ويلنا دعاءهم يدعون بها ويرددونها] ﴿حتى جعلناهم حصيداً﴾ بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل ﴿خامدين﴾ يعني ميتين كخمود النار إذا طفئت.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُمْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

قوله ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ يريد لم نخلقهما عبثاً ولا باطلاً [بل] (١) خلقناها لأمر وهو ما ذكر ابن عباس فقال لأجازي أوليائي وأعذب أعدائي وقال غيره: خلقناها دلالة على قدرتنا ووحدانيتنا ليعتبروا بخلقها ويتفكروا فيها فيعلموا أن العبادة لا تصلح إلا لخالقها قوله ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء يريد النساء، وهو قول الحسن وقاتدة قالوا للهو بلغة اليمن المرأة وقال في رواية الكلبي: يعني الولد، وهو قول السدي، وقوله ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ قال المفسرون: من الحور العين، وهذا إنكار على من أضاف الصاحبة والولد إلى الله واحتجاج عليهم بأنه لو كان جائزاً في صفة لم يتخذه بحيث يظهر لهم ولستر ذلك حتى لا يطلعوا عليه، قال الزجاج: المرأة لهو الدنيا وكذلك الولد، والمعنى: على ذي اللهو أي الذي يلهو به، ومعنى اللهو طلب الترويح عن النفس يقول: لو أردنا أن نتخذ ولداً ذا لهو أو امرأة ذات لهو لاتخذناه من لدنا وقد أحسن ابن قتيبة في شرح الآية كل الإحسان فقال التفسير أن [المرأة والولد] (٢) في اللهو متقاربان لأن امرأة الرجل لهو، وولده لهو، ولذلك يقال امرأة الرجل وولده ريجانته وأصل اللهو الجماع كني عنه باللهو كما كني عنه بالسر ثم قيل للمرأة لهو لأنها تجامع قال امرئ القيس:

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي (٤)

أي النكاح، وتأويل الآية أن النصراني لما قالت في المسيح وأمه ما قالت قال الله عز وجل: لو أردنا أن نتخذ أي صاحبة وولداً كما يقولون لاتخذنا [ذلك] من لدنا أي من عندنا ولم نتخذه من عندكم لأنكم تعلمون أن ولد الرجل

(١) ساقط من د

(٢) ساقط من هـ

(٣) ساقط من ج، د، هـ

(٤) والبيت في ديوانه من قصيدة يتغزل ويصف مغامراته وصيده وسميه إلى المجد ديوان امرئ القيس ص ١٤٠ ط بيروت من قصيدة مطلعها:

الأعم صباحاً أيها الظلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي

وزوجه يكونان عنده لا عند غيره^(١) وقوله ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ المفسرون يقولون: ما كنا فاعلين، قال الفراء والمبرد والزجاج: يجوز أن [تكون إن] ^(٢) للنفى كما ذكر المفسرون نحو قوله ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ ^(٣) ﴿إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ ^(٤) ويكون المعنى تحقيقاً لكذبهم أي ما فعلنا ذلك ولم نتخذ صاحبة ولا ولداً، قالوا: ويجوز أن تكون إن للشرط أي إن كنا ممن يفعل ذلك لاتخذناه من لدنا قال الفراء: وهذا أشبه الوجهين بمذهب العربية^(٥) قوله ﴿بَلْ﴾ أي دع ذاك الذي قالوا فإنه كذب وباطل ﴿نَقَذَفَ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ نسلط الحق على باطلهم ونقله عليه حتى يذهبه وعنى بالحق القرآن وبالباطل كذبهم ﴿فِيدْمِفُهُ﴾ فيهلكه ويكسره وقال الزجاج: يذهب ذهاب الصغار والإذلال وذلك أن أصله إصابة الدماغ بالضرب وهو مقتل ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ زائل ذاهب من قوله ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ ^(٦) والمعنى: أنا نبطل كذبهم بما تبين من الحق حتى يضمحل ويذهب ثم أوعدهم على كذبهم فقال ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ لكم يا معشر الكفار الويل من كذبكم ووصفكم الله بما لا يجوز ثم بين أن جميع المؤمنين عبيده فقال: ﴿وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عبيداً وملكاً ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ يعني الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ قال الزجاج: أي هؤلاء الذين ذكرتم أنهم أولاد الله عباد الله لا يأنفون من عبادته ولا يتعظمون عنا كقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ ^(٧) ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ يقال حسر واستحسر إذا تعب وأعيأ، قال قتادة ومقاتل: لا يعيون، وقال السدي: لا ينقطعون عن العبادة ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ينزهون الله دائماً بقولهم سبحان الله ﴿لَا يَفْتَرُونَ﴾ لا يضعفون ولا يملون، قال الزجاج: مجرى التسييح منهم كمجرى النفس منا لا يشغلنا عن النفس شيء فكذلك تسييحهم دائم أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد بن الحرث، أنا عبد الله بن محمد بن حبان، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان، نا أبو معاوية عن الشيباني عن حسان بن المخارق عن عبد الله بن الحارث قال قلت لكعب^(٨) رأيت قول الله يسبحون الليل والنهار لا يفترون أما يشغلهم شأن أما تشغلهم حاجة قال يا ابن أخي جعل لهم التسييح كما جعل لكم النفس ألسنت تأكل وتشرب وتقوم وتجلس وتجيء وتذهب وتتكلم وأنت تتنفس وكذلك جعل لهم التسييح^(٩) ثم عاد إلى توبيخ المشركين فقال:

أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يَسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾

﴿أم اتخذوا آلهة﴾ هذا استفهام معناه الجحد أي لم يتخذوا آلهة ﴿من الأرض﴾ وأصنامهم كانت من الأرض [من أي] ^(١١) جنس كان من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضة ﴿هم ينشرون﴾ يجيئون يقال: أنشر الله الميت فنشر وهذا توبيخ لهم، على عبادتهم جماداً من الأرض لا يقدر على شيء، ثم ذكر الدلالة على توحيده وأنه لا يجوز أن يكون معه إله سواه فقال ﴿لو كان فيهما﴾ أي في السماء والأرض آلهة معبودون يستحقون العبادة ﴿إلا الله﴾ معناه غير الله وهو صفة للآلهة على معنى آلهة [هم] ^(١٢) غير الله كما يزعم المشركون وهذا قول جميع النحويين الأخفش والزجاج وأبي علي الفسوي

(٤) الملك: ٢٠

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (١٢٤).

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٠٠/٢.

(٢) ساقط من ب

(٧) الأعراف: ٢٠٦

(٦) الإسراء: ٨١

(٣) فاطر: ٢٣

(٨) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبارت سنة ٣٢ هـ عن مائة وأربع سنين، تذكرة الحفاظ ٤٩/١،

والأعلام ٢٢٨/٥.

(١١) ساقط من أ، وفي د هي.

(١٠) ساقط من د

(٩) الطبري ٧٠/١٧

كلهم قالوا إلا ليس باستثناء ها هنا ولكنه مع ما بعده صفة للآلهة في معنى غير [قال] (١) الزجاج: وكذلك ارتفع ما بعدها على لفظ الذي قبلها وأنشد وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أيبك (٢) إلا الفرقدان (٣) قال: المعنى وكل أخ غير الفرقدين مفارقه أخوه وقوله ﴿لفسدتا﴾ أي لخربتا وبطلتا وهلكتا وهلك من فيهما (٤) لوجود (٥) التماهي بين الآلهة فلا يجري أمر العالم على النظام لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام ثم نزه نفسه عما يصفه به الكافرون عن الشريك والولد بقوله ﴿فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ أي لا يسأل الله عما يفعله ويقضيه في خلقه والناس يسألون عن أعمالهم، والمعنى: أنه لا يسأل عما يحكم في عبادته من إعزاز وإذلال وهدى وإضلال وإسعاد وإسقاء لأنه الرب مالك الأعيان والخلق يسألون سؤال توبيخ يقال [لهم] (٦) يوم القيامة: لم فعلتم كذا؟ لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم والله تعالى ليس فوقه أحد يقول له شيء فعلته لم فعلته. أخبرنا أبو بكر الحارثي أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، أنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، نا عقبه بن مكرم، نا أبو عاصم، نا عروة بن ثابت حدثني يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الدبلي قال قال لي عمران بن حصين (٧) رأيت ما يعمل الناس ويكدحون فيه أليس قد قضي عليه ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما (٨) يستقبلون فيما (٩) أتاهم به نبيهم وأخذت عليهم به الحجة قلت بل هو شيء قد قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق قال فهل يكون ذلك ظلماً قلت إنه ليس من شيء إلا وهو خلق الله وملك يده ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال ثبتك الله إنما أردت أن أحرز (١٠) عقلك قال [عمران بن حصين] (١١) جاء رجل من جهينة (١٢) أو مزينة (١٣) إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله رأيت ما يعمل الناس فيه ويكدحون أليس قد قضي عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به بينهم وأخذت عليهم به الحجة فقال بل شيء قضي عليهم ومضى قال فقيم العمل أو قيم نعمل قال: من خلقه الله لإحلي المنزلتين ألهمه وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ (١٤) ﴿ولما أبطل الله أن يكون إله سواه من حيث العقل بقوله ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ أبطل جواز اتخاذ إله (١٥) سواه من حيث الأمر فقال:

(١) ساقط من هـ.

(٢) في أ، ب: أخيك.

(٣) البيت لعمر بن معديكرب قاله قبل أن يسلم يضرب مثلاً لطول ما نادماه الكامل: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ٧٦/٤ طه نهضة

(٤) فيما عدا هـ، د: فيها.

(٥) في هـ: بوجود.

(٦) في هـ: كما.

(٨) في هـ: فما.

(٩) ساقط من

(٩) عمران بن حصين أبو نجد الخزاعي ت سنة ٥٢ هـ انظر أسد الغابة ٢٨١/٤، الاصابة ٢٧/٣ تذكرة الحفاظ ٢٩/١ شذرات الذهب ٥٨/١

(١٠) في هـ، د: اجرب.

(١١) ساقط من جميع النسخ عدا «د».

(١٢) قبيلة جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاة الجمهرة (٤٤٤).

(١٣) قبيلة مزينة بنو عثمان وأويس ابني عمرو بن طابخة بن الياس بن مضر. الجمهرة (٤٨٠).

(١٤) الشمس: ٨.

(١٥) أخرجه البخاري بمعناه في كتاب القدر باب جف القلم على علم الله ٤٩/١١ فتح الباري. عن عمران بن الحصين، وأخرجه مسلم في

كتاب القدر. باب كيفية خلق آدمي ٢٠٤١/٤ ط الحلي.

(١٦) في هـ: اليه.

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءِالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾

﴿أم اتخذوا من دونه آلهة﴾ وهذا استفهام إنكار وتوبيخ ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ بيئتهم على ما تقولون من جواز اتخاذ إله سواه ﴿هذا ذكر من معي﴾ يعني القرآن يقول فيه خبر من معي على ديني ممن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿وذكر من قبلي﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد التوراة والإنجيل وما أنزل الله من الكتب والمعنى: هذا القرآن وهذه الكتب التي ^(١) أنزلت قبلي فانظروا هل في واحد من الكتب أن الله أمر باتخاذ إله سواه فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود سواه من حيث الأمر به، قال الزجاج: قل ^(٢) لهم هاتوا برهانكم بأن رسولا من الرسل أنبأ أمته بأن لهم إلهاً غير الله فهل في ذكر من قبلي إلا توحيد الله يدل على صحة هذا المعنى قوله بعد هذا ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ فلما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق ^(٣) فقال: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾ عن التأمل والفكر وما يجب عليهم من الإيمان.

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سَبَّحْنَاهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا﴾ قال ابن عباس: يريد من الملائكة ﴿سبحناه﴾ نزه نفسه عما يقولون ﴿بل عباد﴾ بل هم عباد يعني الملائكة ﴿مكرمون﴾ أكرمتهم واصطفيتهم ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم، وقال ابن قتيبة: لا يقولون حتى يقول ويأمر وينهى، ثم يقولون عنه كما لا يعملون حتى يأمرهم وهو قوله ﴿وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم﴾ ما قدموا من أعمالهم ^(٤) ﴿وما خلقهم﴾ وما أخرجوا منها أي ما عملوا وما هم عاملون ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ قال ابن عباس: لمن قال لا إله إلا الله، وقال مجاهد: لمن رضي عنه ﴿وهم من خشيته﴾ أي من خشيتهم منه فأضيف المصدر إلى المفعول ﴿مشفقون﴾ خائفون لا يأمنون مكره ﴿ومن يقل منهم﴾ ^(٥) من الملائكة ﴿إني إله من دونه﴾ من دون الله ﴿فذلك نجزيه جهنم﴾ قال المفسرون: يعني إبليس ^(٦) لأنه أمر بطاعة نفسه، ودعا إلى عبادته ﴿كذلك﴾ كما جزيناه جهنم ﴿نجزي الظالمين﴾ يعني: المشركين.

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَّا رَتْقًا فَفَنَّاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾

(١) في هـ: الذي

(٢) فيما عدا (د) قيل لهم.

(٣) ساقط من جـ

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٨٥

(٥) ساقط من هـ

(٦) انظر ابن جرير ١٣/١٧، وأقول: يدخل تحت حكم هذه الآية كل من ادعى لنفسه الألوهية من دون الله سواء كان جنأ أو إنسأ.

وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣١﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٢﴾

قوله: ﴿أو لم ير الذين كفروا﴾ أو لم يعلموا ﴿أن السموات والأرض كانتا رتقاً﴾ الرتق: السد يقال: رتقت الشيء فارتقت^(١) ﴿ففتقناهما﴾ قال ابن عباس: فتق الله السماء بالمطر والأرض بالنبات، كانت السماوات لا تنزل مطراً والأرض لا تنبت نباتاً^(٢) ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ أي وأحيينا بالماء الذي تنزله من السماء كل شيء حي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر يعني أنه سبب لحياة كل شيء، والمفسرون يقولون: يعني أن كل شيء فهو مخلوق من الماء كقوله ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾^(٣) قال أبو العالية: يعني النطفة وعلى هذا لا يتعلق هذا بما قبله، وهو احتجاج على المشركين بقدره الله ﴿أفلا يؤمنون﴾ أفلا يصدقون بعد هذا البيان؟ ﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تُمَيِّدَ بِهِمْ﴾ مفسر في سورة النحل ﴿وجعلنا فيها﴾ في الرواسي ﴿فجاجاً﴾ قال أبو عبيدة: هي المسالك^(٤)، وقال الزجاج: كل مخترق بين جبلين هو فج قال ابن عباس: جعلنا بين الجبال طرقاً حتى يهتدوا إلى مقاصدهم في الأسفار، وقوله ﴿سبلاً﴾ تفسير للفجاج وبيان أن تلك الفجاج نافذة مسلوكة فقد يكون الفج غير نافذ ﴿وجعلنا السماء سقفاً﴾ السقف من أسماء السماء، قال الله تعالى ﴿والسقف المرفوع﴾^(٥) والسماء للأرض كالسقف للبيت، وقوله ﴿محفوظاً﴾ قال ابن عباس: [من الشياطين بالنجوم]^(٦) دليله قوله ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾^(٧) وذكر الزجاج: وجهاً آخر [قال]^(٨): حفظه من الوقوع على الأرض إلا بإذنه دليله قوله ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾^(٩) ﴿وهم﴾ يعني: المشركين ﴿عن آياتها﴾ شمسها وقمرها ونجومها ﴿معروضون﴾ لا يتدبرونها ولا يتفكرون فيها فيعلموا أن خالقها لا شريك له ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل﴾ يعني: الطوالع ﴿في فلك﴾ الفلك في كلام العرض كل شيء مستدير وجمعه أفلاك، ومنه فلكة المغزل، وتفلك ثدي الجارية، قال السدي: في مجرى واستدارة وقال الكلبي: الفلك استدارة السماء وكل شيء استدار فهو فلك، وهذا قول أكثر المفسرين، قالوا: الفلك مدار النجوم الذي يضمها، قال الحسن: الفلك طاحونة كهيئة فلك المغزل يريد أن الذي تجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الطاحونة وقوله: ﴿يسبحون﴾ أي يجرون بسرعة كالسايح في الماء وقد قال في موضع آخر ﴿والسابحات سبحاً﴾^(١٠) يعني النجوم، والسبح لا يختص بالجري في الماء فقد يقال للفرس الذي يمد يديه^(١١) في الجري سايح قوله:

وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مَنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَايِنَ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ الخلد: اسم من الخلود، وهو البقاء الدائم يقول: ما خلدنا قبلك أحداً من

(١) فارتقت أي التأم والمراد هنا: أنهما كانتا ملتئمتان ففتقناهما الله، السماء بالمطر والأرض بالنبات.

(٢) انظر ابن جرير ١٧/١٥ عن عطية العوفي وعكرمة.

(٣) النور: ٤٥.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٧/٢.

(٥) الطور: ٥.

(٦) بياض في هـ.

(٧) الحجر: ١٧.

(٨) بياض في هـ.

(٩) الحج: ٦٥.

(١٠) النازعات: ٣.

(١١) فيما عداه رجليه.

بني آدم يعني أن سبيله سبيل من مضى قبله من الرسل ومن بني آدم في الموت ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ يعني مشركي مكة حين قالوا نترصب بمحمد ريب المنون فقليل لهم إن مات محمد فأنتم أيضاً تموتون لأن كل نفس ذائقة الموت قالت عائشة رضي الله عنها «استأذن أبو بكر^(١) على رسول الله ﷺ وقد مات وسجى عليه الثوب فكشف عن وجهه ووضع فمه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه وقال وانبياؤه وأخيلياه واصفياؤه صدق الله ورسوله ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت﴾ ثم خرج إلى الناس فخطب^(٢) وقوله: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ قال الوالبي عن ابن عباس: نبتليكم بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام وكلها بلاء، وقال ابن زيد: نبلوكم بما تحبون وبما تكرهون، لننظر كيف شكركم وكيف صبركم ﴿والينا ترجعون﴾ تردون للجزاء بالأعمال حسنها وسيئها، قوله:

وَإِذَا رَأَىكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذَّكُرُكَ الْهَتَكُمْ وَهُمْ
بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾

﴿وإذا رأى الذين كفروا﴾ قال ابن عباس: يعني المستهزئين ﴿إن يتخذونك إلا هزواً﴾ أي ما يتخذونك إلا مهزواً به قال السدي: نزلت في أبي جهل مرّ به النبي ﷺ فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف^(٣) وقوله ﴿أهذا الذي﴾ فيه إضمار القول ومعنى ﴿يذكر أهلكم﴾ قال ابن عباس: يعيب^(٤) أصنامكم، قال الزجاج: يقال فلان يذكر الناس أي يفتابهم ويذكرهم بالعيوب، وفلان يذكر الله أي بصفة بالتعظيم ويشي عليه، وإنما يحذف مع الذكر ما عقل معناه وعلى ما قل لا يكون الذكر في كلام العرب العيب وحيث يراد به العيب حذف منه السوء وقوله ﴿وهم بذكر الرحمن هم كفرون﴾ وذلك أنهم قالوا: ما نعرف الرحمن فكفروا بالرحمن.

قوله ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ قال قتادة: خلق الإنسان عجولاً والإنسان اسم الجنس قال القرآن كأنه يقول بنيته وخلقته من العجلة وعلى العجلة^(٥) وقال الزجاج: خوطبت العرب بما تفعل والعرب تقول للذي يكثر منه الشيء خلقت منه كما تقول أنت من لعب وخلقت من لعب يريد المبالغة في وصفه بذلك، وبدل على هذا المعنى قوله ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾^(٦) وقال عكرمة: لما خلق آدم ونفخ فيه الروح صار في رأسه فذهب لينهض قبل أن يبلغ الروح إلى رجليه فوق فقيل خلق الإنسان من عجل^(٧) وهذا قول سعيد بن جبير والسدي والكلبي، وعلى هذا المراد بالإنسان آدم وإذا كان آدم خلق من عجل على معنى أنه خلق عجولاً وجد ذلك في أولاده وأورث أولاده العجلة حتى استعجلوا في كل شيء والآية نازلة في أهل مكة حين استعجلوا العذاب قال ابن عباس في رواية عطاء خلق الإنسان من عجل يريد: النضر بن الحارث وهو الذي قال ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾^(٨) الآية يدل على هذا قوله ﴿سأريكم آياتي﴾ قال يريد القتل بيدر ﴿فلا تستعجلون﴾ أي أنه نازل.

(١) أبو بكر الصديق: عبد الله بن أبي قحافة القرشي التيمي ت سنة ١٣ عن سنة ٦٣ أسد الغابة ٣/٣٠٩ تذكرة الحفاظ ٢/١ شذرات

الذهب ٢٧/١ طبقات الحفاظ (٢)، العبر ١٦/١

(٢) روى الهيثمي نحوه عن أبي يعلى والطبراني وقال رجالها رجال الصحيح غير موسى بن الزمعي كتاب التفسير سورة الأنبياء

(٣) ابن أبي حاتم عن السدي الدر المنثور ٤/٣١٩ ط دار المعرفة بيروت ولكن السدي معروف بأنه ضعيف الحديث.

(٤) في هـ يعني (٦) الإسراء: ١١

(٨) الأنفال: ٣٢

(٧) تفسير ابن جرير ١٧/٢٠

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٣

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ
وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾

﴿ويقولون﴾ يعني المشركين ﴿متى هذا الوعد﴾ الذي تعدنا يريدون وعد يوم القيامة ﴿إن كنتم
صادقين﴾ في هذا الوعد قال الله تعالى ﴿لو يعلم الذين كفروا﴾^(١) أي لو عرفوا ذلك الوقت
وهو قوله ﴿حين لا يكفون عن وجوههم النار﴾ قال ابن عباس: يريد ساعة يدخلون النار لا يدفعون عن وجوههم
النار ﴿ولا عن ظهورهم﴾ لإحاطتها بهم ﴿ولا هم ينصرون﴾ يمنعون مما نزل بهم، وجواب لو يحذوق عن
تقدير لو علموا ذلك ما استعجلوا ولا قالوا متى هذا الوعد؟ ﴿بل تأتيهم﴾ يعني الساعة ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿فتبتهتهم﴾
تحيرهم يقال: بهته بيهته إذا واجهه بشيء يحيره ذكرنا ذلك عند قوله ﴿بهت الذي كفر﴾^(٢) ﴿فلا يستطيعون ردها﴾
صرفها عنهم ﴿ولا هم ينظرون﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة، ثم عزى نبيه فقال:

وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكُمْ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن
يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ
تَمْنَعُهُمْ مِن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾

﴿ولقد استهزىء برسول من قبلك﴾ أي كما استهزأ قومك^(٣) بك ﴿فحاق﴾ نزل وأحاط
﴿بالذين سخروا منهم﴾ من الرسل ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ يعني: العذاب الذي استهزأوا به
قوله ﴿قل من يكفركم بالليل والنهار من الرحمن﴾ قال ابن عباس: من يمنعكم من عذاب الرحمن
قال الزجاج: معناه من يحفظكم من بأس الرحمن كما قال: ﴿فمن ينصركم من الله﴾^(٤) أي من عذاب الله
ونحو هذا قال الفراء^(٥) والمعنى: من يحفظكم مما يريد الرحمن إزاله بكم من عقوبات الدنيا والآخرة. وهو استفهام
إنكاري [أي]^(٦) لا أحد يفعل ذلك يقال: كلاه الله كلاه أي حفظه وحرسه، وقوله ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾
أي عن القرآن وعن مواضع الله لا يتفكرون ولا يعتبرون ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾ تقديم وتأخير تقديره أم لهم
آلهة من دوننا تمنعهم وتم الكلام ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال ﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم﴾ أي فكيف تنصرهم
وتمنعهم إذا لم تقدر على منع أنفسها عما يزداد بها وقوله ﴿ولا هم﴾ يعني الكفار ﴿منا يصحبون﴾ قال الكلبي^(٧) يقول^(٨)
لا يجارون^(٩) من عذابنا وقال ابن قتيبة: أي لا يجيرهم منا أحد لأن المجير صاحب الجار^(١٠) والعرب تقول: صحبتك
الله أي حفظك الله وأجارك، ثم ذكر أن هؤلاء اغتروا بطول الامهال إذا لم يعاجلوا بالعقوبة فقال:

(١) ساقط من جـ

(٢) البقرة: ٢٥٨

(٣) فيما عدا هـ: استهزئي بك.

(٤) هود: ٦٣

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٠٤/٢

(٦) من هـ فقط.

(٧) في أ، ب: الكافرون

(٨) ساقط من هـ

(٩) في أ: لا يجازون

(١٠) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٨٦

بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾

﴿بل منعنا هؤلاء وآباءهم﴾ يعني أهل مكة متعمهم الله بما أنعم عليهم ﴿حتى طال عليهم العمر﴾ فاغتروا بذلك فقال الله ﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ قال الضحاك: ألم ير المشركون الذين يجارون رسول الله ويقاتلون إنا ننقصهم له فنأخذ ما حولهم من قراهم وأراضيهم أولا يرون أنهم المنقوصون والمغلوبون، وقال الحسن: ننقصها من أطرافها: ظهور النبي ﷺ على من قاتله أرضاً فأرضاً قوماً فقوماً ﴿أفهم الغالبون﴾ أي ليسوا بغالبين ولكنهم المغلوبون ورسول الله هو الغالب، تفسير هذا تقدم في آخر سورة الرعد.

قوله ﴿قل إنما أنذركم بالوحي﴾ أي أخوفكم بالقرآن، والمعنى: إنما أنذركم بالوحي الذي يوحيه الله إلي لا من قبل نفسي، وذلك أن الله أمره بإنذارهم كقوله ﴿وأنذر به الذين يخافون﴾^(١) وقوله: ﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون﴾ تمثيل للكفار بالصم الذين لا يسمعون النداء إذا أنذروا شيئاً، كذلك هؤلاء في تركهم الانتفاع بما سمعوا كالصم الذين لا يسمعون، وقرأ ابن عامر: ولا تسمع الصم على إسناد الفعل إلى المخاطب^(٢) والمعنى: أنهم معاندون فإذا سمعتهم لم يعملوا بما يسمعه كما لا يسمع الصم، قال أبو علي الفارسي: ولو كان كما قال ابن عامر فكان إذا تنذره ليحسن نظم الكلام فأما ما ينذرون فحسن أن تتبع قراءة العامة قوله ﴿ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ قال المبرد: النفحة الدفعة^(٣) من الشيء التي دون معظمه يقال نفحة نفحة بالسيف للضربة الخفيفة وهذا موافق لقول ابن عباس في تفسير نفحة قال طرف وقال ابن كيسان^(٤): قليل، وقال ابن جريج: نصيب من قولهم نفحة من ماله إذا أعطاه، ومعنى الآية: لئن^(٥) أصابهم طرف من العذاب لأيقنوا بالهلاك ودعوا على أنفسهم بالويل مع الإقرار بأنهم ظلموا أنفسهم بالشرك وتكذيب محمد ﷺ، قوله ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾ وقال الزجاج القسط: مصدر يوصف به تقول: ميزان قسط وموازن قسط، والمعنى: ذات قسط وذكرنا الكلام في الموازين عند قوله ﴿فمن ثقلت موازينه﴾^(٦) أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الحافظ، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا إبراهيم بن محمد بن الحسن، نا محمد بن هاشم البعلبكي، نا الوليد بن^(٧) مسلم، نا عثمان بن أبي العاتكة^(٨) عن

(١) الأنعام: ٥١

(٢) ابن مجاهد السبعة (٤٢٩) وابن الجزري النشر ٢/٣٢٣

(٣) في ب: الوقعة.

(٤) ابن كيسان محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الحسن ت سنة ٢٩٩ هـ انظر: شذرات الذهب ٢/٢٣٢، الأعلام ٥/٣٠٨

(٦) الأعراف: ٨

(٥) في هـ: لمن

(٧) الوليد بن مسلم الدمشقي القرشي أبو العباس توفي سنة ١٩٤ هـ انظر: تذكرة الحفاظ ١/٣٠٢، تهذيب التهذيب ١١/١٥١، شذرات

الذهب ١/٣٤٤.

(٨) عثمان بن أبي العاتكة سليمان الأزدي أبو حفص الدمشقي ت سنة ١٥٥ هـ انظر تهذيب التهذيب ٧/١٢٤

علي بن يزيد^(١) عن القاسم^(٢) عن أبي إمامة أن رسول الله ﷺ قال «يا بني هاشم اشتروا أنفسكم من الله واسعوا بي فكذلك رقابكم ولا تغرنكم قرابتكم مني فأني لا أملك لكم من الله شيئاً فبكت عائشة وقالت يا رسول الله ونكون يوم لا تغني عنا من الله شيئاً فقال: نعم في ثلاثة مواطن يقول الله عز وجل ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً﴾ ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه...﴾^(٣) الآية وعند النور والظلمة [وعلى الصراط]^(٤) من شاء الله سلمه وأجاره ومن شاء كبه في النار»^(٥) ومعنى قوله ﴿فلا تظلم نفس شيئاً﴾ لا ينقص من إحسان محسن ولا يزيد في إساءة مسيء ﴿وإن كان مثقال حبة﴾ قال الزجاج: وإن كان العمل مثقال حبة، وقال أبو علي الفارسي: وإن كان الظلمة مثقال حبة وقال: وهذا حسن لتقدم قوله ﴿فلا تظلم نفس شيئاً﴾ وعلى ما قال أبو علي يكون تأويل قوله فلا تظلم نفس شيئاً لأن المظلومين يستوفون^(٦) حقوقهم من الظالمين حتى لا يبقى لأحد عند أحد ظلمة ولو مثقال حبة ﴿من خردل﴾ وقوله ﴿أتينا بها﴾ قال الزجاج: جئنا بها يعني: أحضرناها للمجازاة بها وعلى ما قال أبو علي أتينا بها للمحاسبة عليها يدل على صحة^(٧) هذا قوله ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ قال السدي: محسبين، والحسب معناه: العد، وقال ابن عباس: عالمين حافظين، وذلك أن من حسب شيئاً علمه وحفظه أخبرني محمد بن عبد العزيز المروزي، نا محمد بن الحسين الحدادي، أنا محمد بن يحيى، أنا إسحاق بن إبراهيم، أنا محمد بن عبيد^(٨)، عن يوسف بن ضهيب، عن موسى بن أبي المختار عن بلال،^(٩) رجل من بني عيس^(١٠) عن حذيفة قال إن جبريل صاحب الميزان يوم القيامة يقول له ربه زن بينهم ورد بعضهم على بعض ولا ذهب يومئذ^(١١) ولا فضة فيرد المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة فإن لم يكن له حسنة أخذ من سيئات المظلوم فيرد على الظالم فيرجع وعليه مثل الجبل.

(١) علي بن يزيد بن أبي خلال الالهي أبو عبد الملك ت بعد المائة والعشرين انظر: تهذيب التهذيب ٣٩٦/٧

(٢) القاسم بن ربيعة بن جوشن الغطفاني الجوشني، تهذيب التهذيب ٣١٢/٨

(٣) المؤمنون: ١٠٣

(٤) ساقط من هـ

(٥) أخرج الهيثمي نحوه عن عائشة وقال رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد كتاب البيهات باب ما جاء في الميزان والصراط والورود ٣٥٨/١٠. ويوضح معنى النور والظلمة في الحديث ما جاء في حديث رسول الله ﷺ: إن يدعوا الناس يوم القيامة بأسمائهم متراً من على عباده، وأما عند الصراط فإن الله يعطي كل مؤمن نوراً، وكل منافق نوراً فإذا استروا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات، فقال المنافقون: (انظرونا نقتبس من نوركم)، وقال المؤمنون (ربنا أتمم لنا) فلا يذكر عند ذلك أحد أحداً. المعجم الصغير للطبراني ١٢٧/١، وروى ابن جرير عن ابن عباس: بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نورا، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلاً من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذ: (انظرونا نقتبس من نوركم) فإنا كنا معكم في الدنيا، قال المؤمنون: «ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هناك النور» تفسير ابن جرير ١٢٩/٢٧

(٦) في هـ: تستوفي.

(٧) فيما عدا هـ: يدل على هذا

(٨) محمد بن عبيد بن أبي أمية الطنافسي الكوفي الأحديت سنة ٢٠٤ هـ انظر: تذكرة الحفاظ ٣٣٣/١ شذرات الذهب ١٤/٢ طبقات ابن سعد ٣٧٧/٦

(٩) بلال بن يحيى العبي الكوفي انظر تهذيب التهذيب ٥٥/١

(١٠) بنو عيس: عيس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان جهمرة أنساب العرب (٢٥٠).

(١١) يؤيد هذا القول حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أندرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، =

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾

قوله ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾ قال مجاهد وقتادة: يعني التوراة التي تفرق بين الحلال والحرام ﴿وضياء﴾^(١) من صفة التوراة مثل قوله ﴿فيها هدى ونور﴾^(٢) والمعنى: أنهم استضاءوا بها حتى اهتدوا في دينهم ومعنى ﴿وذكر للمتقين﴾ أنهم يذكرونه ويعملون بما فيه ويتعظون بمواعظه ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أي في الدنيا غائبين عن الآخرة وأحكامها ﴿وهم من الساعة﴾ أي من أهوالها وعذابها ﴿مشفقون﴾ خائفون، ثم عاد إلى ذكر القرآن فقال ﴿وهذا ذكر﴾ قال الزجاج: المعنى هذا القرآن ذكر لمن تذكر به وعظة لمن اعظ ﴿مبارك أنزلناه﴾ كثير خيره ﴿أفأنتم﴾ يا أهل مكة ﴿له منكرون﴾ إياه جاحدون، وهذا استفهام توبيخ وتعيير.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

وقوله ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده﴾ أي هداه ﴿من قبل﴾ [أي من قبل]^(٣) بلوغه، والمعنى: آتينا هذا صغيراً حين كان في السرب^(٤) حتى عرف الحق من الباطل ﴿وكنا به عالمين﴾ علمنا أنه موضع لإيتاء الرشد وأنه يصلح للنبوة، ثم بين متى أتاه فقال: ﴿إذ قال لأبيه وقومه﴾ أي في ذلك الوقت الذي قال لهم وهم يعبدون الصنم ﴿ما هذه التماثيل التي﴾ يعني الأصنام والتمثال اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله وأصله من مثلت الشيء بالشيء إذا شبهته به واسم ذلك الممثل تمثال وجمعه تماثيل، وقوله: ﴿أنتم لها عاكفون﴾ أي على عبادتها مقيمون، فأجابوه بأنهم وجدوا آباءهم يعبدونها فاقندوا بهم على طريق التقليد في عبادتها، فأجابهم إبراهيم بأنهم فيما فعلوه وآبأؤهم كانوا في ضلال مبين بعبادة الأصنام وهذا الذي ذكرنا معنى قوله ﴿قالوا وجدنا آباءنا﴾ إلى قوله ﴿أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعنين﴾ يعنون أجداد أنت فيما تقول حق أم لاعب مازح، وهذا جهل منهم تخيلوا المحق لاعباً فأجابهم إبراهيم بما يزيل تخيلهم ويدلهم على أن المستحق للعبادة هو الله لا الصنم وهو قوله ﴿قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم﴾ أي على أنه رب السموات والأرض ﴿من الشاهدين﴾.

= فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فئت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب. باب تحريم الظلم ١٩٩٧/٤ ط الحلبي.

(١) فيما عدا د، هـ وضياء وذكر وأهي مكررة

(٢) المائدة: ٤٤

(٣) عن هـ

(٤) السرب: الطريق أو المذهب والمعنى آتينا رشده وهو لم يزل في بداية الطريق حتى عرف الحق من الباطل. انظر اللسان: مادة سرب

والصحيح: سرب

وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جَذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ
إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتَوْا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا
يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾

﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ معنى الكيد: ضر الشيء بتدبير عليه ﴿بعد أن تولوا مدبرين﴾ ينطلقوا ذاهبين، قال المفسرون: كان لهم في كل سنة مجمع وعيد قالوا لإبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فقال إبراهيم سرأ منهم ﴿وتالله لأكيد﴾ الآية ولم يسمع هذا القول من إبراهيم إلا رجل واحد وهو الذي أفشاه عليه قوله ﴿فجعلهم جذاذاً﴾ الجذ: القطع والكسر والجذاذ: قطع ما كسر الواحد جذاذة وهو مثل الحطام والرفات والدقاق^(١) وقرأ الكسائي بكسر الجيم^(٢) على أنه جمع جذيد مثل ثقال وثقيل وخفيف وخفاف والجذيد: بمعنى المجذوذ وهو المكسور قال المفسرون: لما انطلقوا إلى عيدهم رجع إبراهيم إلى بيت الأصنام وجعل يكسرهن بفأس في يده حتى إذا لم يبق إلا الصنم الأكبر علق الفأس في عنقه ثم خرج^(٣) فذلك قوله ﴿إلا كبيراً لهم﴾ قال الزجاج: أي كسر الأصنام إلا أكبرها ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾ أي إلى دينه وإلى ما يدعوهم إليه بوجوب الحجة عليهم في عبادة ما لا يدفع عن نفسه وتنبهوا إلى جهلهم وعظيم خطاهم ولما رجعوا من عيدهم ونظروا إلى آلهتهم وهم جذاذ ﴿قالوا من فعل هذا بالهتنا﴾ استفهموا عن صنع ذلك وأنكروا عليه فعله بقولهم ﴿إنه لمن الظالمين﴾ أي فعل ما لم يكن له أن يفعله فقال من سمع من إبراهيم قوله ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ ﴿قالوا سمعنا فتى يدكرهم﴾ أي بالغيب ﴿يقال له إبراهيم﴾ وشاعت القصة حتى بلغت نمرود [وأشرف قومه]^(٤) ﴿قالوا فأورا به﴾ أي بالذي يقال له إبراهيم ﴿على أعين الناس﴾ أي ظاهراً بمرأى من الناس حتى يروه ﴿لعلهم يشهدون﴾ عليه بما قاله فيكون ذلك حجة عليه بما فعل هذا قول الحسن وقتادة والسدي قالوا: كرهوا أن يأخذوه بغير بينة، وقال محمد بن إسحاق: لعلهم يشهدون عقابه وما يصنع به^(٥) أي يحضرون فلما أتوا به ﴿قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا﴾ إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا ﴿أسند فعله إلى كبير الأصنام إقامة للحجة عليهم قال: غضب من أن يعبدوا معه الصغار فكسرهن. أخبرنا محمد بن أبي بكر المطوعي، أنا محمد بن أحمد بن علي المقرئ، أنا الحسن بن سفيان النسوي^(٦) أنا هشام بن عمار، نا محمد بن عيسى، نا زهير بن محمد^(٧) عن موسى بن عقبة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات قوله بل فعله كبيرهم هذا، وقوله لسارة إنها أختي، وقوله إني سقيم»^(٨) قال المفسرون: وجاز أن يكون الله قد أذن له في ذلك ليوبخ قومه ويعرفهم خطاهم كما أذن

(١) الدقاق: بالضم الشيء القليل انظر مختار الصحاح مادة د ق ق

(٢) النشر ٣٢٤/٢، والسبعة لابن مجاهد ص ٤٢٩

(٣) هذا قول السدي ومجاهد وابن جريج وابن إسحاق: انظر تفسير ابن جرير ٢٩/١٧

(٤) ساقط من أ وقد روى ابن جرير ذلك عن ابن إسحاق ٣٠/١٧

(٥) تفسير ابن جرير ٣٠/١٧

(٦) الحسن بن سفيان بن عامر الحافظ الشيباني النسوي ت سنة ٣٠٣ هـ انظر: تذكرة الحفاظ ٧٠٣/٢ طبقات الحفاظ ص ٣٠٥

(٧) زهير بن محمد التميمي أبو المنذر الخراساني ت سنة ١٦٢ هـ انظر: تهذيب التهذيب ٣٤٩/٣

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً ١٧١/٤ ط الشعب، مسلم كتاب الفضائل باب من

ليوسف حتى أمر مناديه فقال لإخوته ﴿إنكم لسارقون﴾^(١) ولم يكونوا سارقوا [شيئاً]^(٢) وقوله ﴿فستلوهم إن كانوا ينطقون﴾ إزام للحجة عليهم بأنهم جماد لا يقدرّون على النطق.

فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

﴿فرجعوا إلى أنفسهم﴾ أي تفكروا بقلوبهم ورجعوا إلى عقولهم فقال بعضهم لبعض ﴿إنكم أنتم الظالمون﴾ هذا الرجل في مسئلتكم إياه وهذه آلهتكم حاضرة فستلوها، وقال عطاء عن ابن عباس: إنكم أنتم الظالمون حيث عبدتم من لا يتكلم وكان هذا إقرار منهم على أنفسهم بالكفر ثم أدرکتهم الشقاوة فعادوا إلى كفرهم وهو قوله ﴿ثم نكسوا على رؤوسهم﴾ النكس: رد الشيء وقلبه على آخره يقال: نكست فلاناً في ذلك الأمر أي رددته فيه بعدما خرج منه، والمعنى: ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم ﴿قالوا﴾ لإبراهيم ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ قال ابن عباس: لقد علمت أن هذه الأصنام لا تتكلم، وهذا اعتراف منهم بعجز ما يعبدونه عن النطق فلما اتجهت الحجة عليهم بإقرارهم وبخهم إبراهيم ﴿قال أتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً﴾ لا يرزقكم ولا يعطيكم شيئاً [إذ عبدتوها]^(٣) ﴿ولا يضرركم﴾ إذا لم تعبدوها، وفي هذا حث على عبادة من يملك النفع والضر وهو الله تعالى، ثم حقرهم وحقر معبودهم فقال ﴿أف لكم﴾ أي تتنأ لك ﴿ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ أليس لكم عقل فتعلموا أن [هذا]^(٤) الأصنام لا تستحق العبادة [فلما]^(٥) لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب [غضبوا]^(٦)

قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم﴾ أي بتحريق إبراهيم لأنه يعيها ويطعن عليها فإذا أحرقتموه كان ذلك نصر منكم إياها ﴿إن كنتم فاعلين﴾ أي إن كنتم ناصريها والمعنى: لا تنصروها منه إلا بالتحريق بالنار، قال السدي: جمعوا الحطب حتى ان الرجل ليمرض فيوصي بكذا وكذا من ماله فيشتري به حطباً فيلقي في النار وحتى إن المرأة لتغزل فتشتري به حطباً فتلقيه في النار حتى بلغوا من ذلك ما أرادوا فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم لم يدروا كيف يلقونه فجاء إبليس فدلهم على المنجنيق^(٧) وهو أول منجنيق صنع فوضعه فيه ثم رموه قبلنا أن السماوات والأرض والجبال والملائكة قالوا: ربنا عبدك إبراهيم يحرق فيك فقيل لهم: إن استغاث بكم فأغيثوه فقال إبراهيم حسبي الله ونعم الوكيل فنزل جبريل معه فضرب النار فقال ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فلم يبق

(١) يوسف: ٧٠

(٤) ساقط من هـ

(٢) ساقط من هـ

(٥) بياض في هـ

(٣) لفظ إذ عبدتوها عن هـ

(٦) المنجنيق: القذاف التي ترمى بها الحجارة لفظ أعجمي معرب وأصلها بالفارسية من جي نيك أي ما أجودني . اللسان مادة مجنق .

(٧) رواه ابن جرير عن السدي ٣٣/١٧ ولكن من المعروف أن السدي مكذوب الحديث فلا يعتد بقوله هذا

يومئذ نار إلا طفئت ظنت أنها عنيت والمعنى: كوني برداً وسلاماً قال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حامد العدل، أنا أبو علي بن أحمد السرخسي، أنا أبو ليابة محمد بن المهدي، أنا عمارة، نا شجاع بن أبي نصر^(١) عن عباد بن كثير عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة^(٢) عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ: «ان نموذ الجبار لما ألقى إبراهيم في النار نزل جبريل بقميص من الجنة وطفنسة من الجنة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه فأوحى الله إلى النار [أن]^(٣) كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ولولا أنه قال وسلاماً لأذاه البرد وقتله كالبرد فرأى أبو إبراهيم بعد سبعة أيام في المنام أن إبراهيم خرج من الحائط الذي أوقد عليه فيه فطلب فلم يقدر عليه فأتى نمزود فقال: ائذن لي لأخرج عظام إبراهيم من الحائط فأدفتها فانطلق نمزود إلى الحائط وبعه الناس فأمر بالحائط فتقب فإذا إبراهيم في روضة تزه^(٤) وثيابه تغدى على طنفسة من طنافس الجنة عليه قميص من قمص الجنة»^(٥) وقال كعب الأحبار ما أحرقت النار من إبراهيم غير وثاقه^(٦) فذلك قوله ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ يعني التحرق بالنار ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ﴾ قال ابن عباس: هو أن الله سلط البعوض على نمزود وخيله حتى أخذت لحومهم وشرقت دمائهم ووقعت واحدة في دماغه حتى أهلكته، والمعنى: أنهم كادوه بسوء فانقلب عليهم ذلك.

وَبَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدٌ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَأَيْنَتْهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرَبِيِّ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَجْبِثِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَلَسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾

﴿ونجيناه﴾^(٧) أي من نمزود وكيده ﴿ولوطاً﴾ وهو ابن أخي إبراهيم [وهو لوط بن هاران بن تارخ]^(٨) وكان قد أمر به وهاجر من أرض العراق إلى أرض الشام وهو قوله ﴿إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ أي بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأثمار ومنها بعث أكثر الأنبياء ﴿ووهبنا له﴾ لإبراهيم ﴿إسحاق﴾ حين سأل الولد فقال ﴿رب هب لي من الصالحين﴾^(٩)

(١) عباد بن كثير الثقفى البصرى ت ما بين الأربعين والخمسين ومائة ولقد بين ابن حجر بأنه متروك الحديث. تهذيب التهذيب ١/٥٠١ تقريب التهذيب ١/١٩٣.

(٢) إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري البخاري والمدني ت سنة ٢٣١. تهذيب التهذيب ١/٢٣٩، الجرح والتعديل ١/٢٢٦.

(٣) ساقط من هـ، جـ، د

(٤) في هـ: تهتز.

(٥) الدر المنثور ٤/٣٤ ابن عساكر ٢/١٤٦، ومن سند الحديث نستطيع أن نحكم بأن هذا الحديث «ضعيف» لضعف سنده حيث ان عباد ابن كثير متروك الحديث.

(٦) تفسير ابن جرير ١٧/٣٣.

(٧) في د، هـ ونجيناه ووطاً.

(٨) ساقط من هـ، د

(٩) الصافات: ١٠٠، واستشهاده بهذه الآية في غير موضعه حيث أنها وردت في إسماعيل على نحو ما ستقف عليه في دراسة موضوع الذبيح.

فاستجاب الله دعاءه ووهب له إسحاق ﴿ويعقوب نافلة﴾ النافلة: الزيادة على الأصل وهو ولد الولد، قال ابن عباس: نقله يعقوب أي زاده ولداً من إسحاق كأنه سأل واحداً فأعطاه الله يعقوب زيادة على ما سأل، قال الفراء: النافلة يعقوب^(١) خاصة لأنه ولد الولد وقوله ﴿وكللاً﴾ [يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب]^(٢) ﴿جعلنا صالحين﴾ أنبياء صالحين بطاعة الله ﴿وجعلناهم أئمة﴾ رؤساء يقتدى بهم في الخير ﴿يهدون بأمرنا﴾ يهدون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم [بذلك]^(٣) ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ قال ابن عباس: شرائع النبوة ﴿ولوطاً آتينا حكماً﴾ يعني: النبوة ﴿وعلماً^(٤)﴾ ونجينا من القرية التي كانت تعمل الخباثت ﴿يعني: إتيانهم الذكور وما كانوا يأتونه من المنكرات واران بالقرية أهلها ثم ذمهم فقال ﴿إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا﴾ بانجائنا إياه من القوم سوء ﴿إنه من الصالحين﴾ يعني: من الأنبياء.

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

﴿ونوحاً إذ نادى﴾ [دعا ربه (من قبل)]^(٥) من قبل إبراهيم و لوط لأنه كان قبلهما دعا على قومه بالهلاك فقال ﴿رب لا تذر﴾^(٦) الآية.

﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله﴾ يعني: من كان معه في سفينته ﴿من الكرب العظيم﴾ قال ابن عباس: يريد الغرق وتكذيب قومه له ﴿ونصرناه من القوم﴾ أي منعه من أن يصلو إليه بسوء.

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمْنَا آدَمَ حُكْمًا وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٧٩﴾ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَبْلُغُ الْحَبَشَةَ نَجَّيْنَاهُ بِمَرِّهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨٠﴾ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغْوِصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾

قوله ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث﴾^(٧) أكثر المفسرين على أن الحرث كان كرمًا^(٨) قد تدلت عناقده وقال قتادة: كان زرعاً ﴿إذ نفشت فيه غنم القوم﴾ رعت ليلاً في قول الجميع قال ابن السكيت: ^(٩) النفس أن تنتشر الغنم بالليل ترعى بلا راع قال المفسرون: دخل رجلان على داود وعنده ابنه سليمان أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث إن هذا تفلتت غنمه ليلاً فوقعت في حرثي فلم يبقى منه شيئاً فقال: لك رقال الغنم، فقال سليمان أو غير ذلك ينطلق أصحاب الكرم بالغنم فيصيبوا من ألبانها ومنافعها ويقوم أصحاب الغنم على الكرم حتى إذا

(٥) ساقط من ج

(١) في معاني القرآن: ليعقوب ٢/٢٠٧

(٦) نوح: ٢٦

(٢) ساقط من هـ، د

(٧) في د، هـ: في الحرث - إذ نفشت - وهي مكررة.

(٣) ساقط من هـ

(٨) الكرم: شجرة العنب.

(٤) ساقط من جـ

(٩) ابن السكيت: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت ت سنة ٢٤٤ هـ نزهة الألباء ١٧٨، انباه الرواة (١١)، والنص في كتابه إصلاح

كان كليلة نفشت فيه دفع هؤلاء إلى هؤلاء غنمهم ودفع هؤلاء إلى هؤلاء كرمهم، فقال داود: القضاء ما قضيت وحكم بذلك^(١) فهو قوله ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ قال ابن عباس: لم يغب عني من أمرهم شيء قال الفراء: جمع أهلين فقال لحكمهم وهو يريد داود وسليمان لأن الاثنين جمع وهو مثل قوله ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾^(٢) وهو يريد آخرين والحكم الذي حكما به بعضه موافق بشرعنا وبعضه مخالف أما الموافق فهو الحكم بالضمان على صاحب الماشية إذا أفسدت بالليل حراً وكذا هو في شرعنا وهو ما أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن محمد المنصورى، أنا علي بن عمر^(٣) الحافظ، نا أبو بكر النيسابوري، نا أبو الأزهر^(٤) وأحمد بن يوسف^(٥) قالوا: نا عبد الرزاق^(٦)، نا معمر^(٧) عن الزهري عن حرام بن محيصة^(٨) عن أبيه أن ناقة للبراء وقعت في حائط قوم فأفسد، ف قضى رسول الله ﷺ على أهل الأموال حفظ الأموال بالنهار، وعلى أهل الماشية حفظها بالليل^(٩) أما المخالف لشرعنا فهو أن الحكم عندنا ضمان ما أفسدت الماشية بالقيمة أو بالمثل لا تسليم الماشية ولا تسليم منافعها، وقوله ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ أي القضية والحكومة. كنى عنها لأنه ما يدل عليها من ذكر الحكم ﴿وَكَلَّأَ﴾ منهما ﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا﴾ نبوة ﴿وَعَلَّمْنَا﴾ بأمور الدين ﴿وَسَخَّرْنَا﴾ مع داود الجبال يسبحن ﴿وهو أنه كان إذا وجد فترة أمر الجبال فسبحت حتى يشتاق هو فيسبح وقال وهب: كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وهو قوله ﴿وَالطَّيْرُ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ يعني ما ذكر من التفهيم وإيتاء^(١٠) الحكم والتسخير ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾ اللبوس: الدرع لأنها تلبس، قال قتادة: أول من صنع الدروع داود وإنما كانت صفائح هو أول من سردها وحلقها فجمعت الخفة والتحصين وهو قوله ﴿لِيُحَصِّنْكُمْ﴾ أي ليحرزكم^(١١) ويمنعكم يعني اللبوس ومن قرأ بالتاء^(١٢) فلتقدم قوله وعلمناه ومن قرأ بالياء^(١٣) حمله على المعنى لأن معنى اللبوس الدرع وقوله ﴿مَنْ بِأَسْكُمْ﴾ أي من حربكم، وقال السدي: من وقع السلاح فيكم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ﴾ يا معشر أهل مكة ﴿شَاكِرُونَ﴾ نعمي بطاعة الرسول وتصديقه، وقوله ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ المعنى: وسخرنا لسليمان الريح ﴿عَاصِفَةً﴾ شديدة الهبوب قال ابن عباس: إن هر

(١) رواه ابن جرير عن ابن مسعود ٢٨/١٧.

(٢) النساء: ١١

(٣) علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي أبو الحسن الدارقطني ولد سنة ٣٠٦ تاريخ بغداد ٣٤/١٢ تذكرة الحفاظ ٣/٩٩١، شذرات الذهب ١١٦/٣

(٤) أبو الأزهر: أحمد بن منيع بن سليط بن إبراهيم العبدى النيسابوري ت سنة ٢٦١ تذكرة الحفاظ ٢/٢٤٥ تهذيب التهذيب ١/١١١، السير ٢٦/٢

(٥) أحمد بن يوسف السلمى المعروف بمحمد بن يوسف السلمى النيسابوري ت سنة ٢٦٤ الجرح والتعديل ٨١/١

(٦) عبد الرزاق بن همام بن ماتب الحميري توفي سنة ٢١١ طبقات ابن سعد ٥/٣٩٩.

(٧) معمر بن راشد الأزدي البصري توفي سنة ١٥٢ هـ طبقات ابن سعد ٥/٣٩٧ تذكرة الحفاظ ١/١٩٠.

(٨) حرام بن سعد بن محيصة بن مسعود الأنصاري ت سنة ١١٣ تهذيب التهذيب ٢/٢٢٣.

(٩) أخرجه ابن حنبل في السنن ٥/٤٣٥ أبو داود في كتاب البيوع باب المواشي ففسد زرع القوم حديث ٣٥٦٩/٣/٣٩٨ ابن ماجه في كتاب الأحكام باب الحكم فيما أفسدت المواشي حديث ٢٣٣٢/٢/٧٨

(١٠) ساقط من جـ

(١١) في هـ: ليحرزكم.

(١٢) التاء على التانيث، ورواه أبو بكر عن غاصم ورويم بالنون، وقرأ الباقر بالياء على التذكير النشر ٢/٣٢٤ السبعة (٤٣٠)

وقراءة (لتحصنكم) بالنون قرأ بها أبو بكر ورويم عن غاصم السبعة ص ٤٣٠ والنشر ٢/٣٢٤

(١٣) قراءة (ليحصنكم) بالياء قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وخلف وحمة وحفص عن غاصم ويعقوب انظر السبعة ص ٤٣٠ والنشر ٢/٣٢٤

الريح أن تعصف عصفت وإذا أراد أن ترخي أرخت وذلك قوله ﴿رِخَاءَ آصَابٍ﴾^(١) ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ وهي أرض الشام وقد مر في هذه السورة، قال الفراء: كانت تجري بسليمان إلى موضع ثم تعود به من يوم إلى منزله^(٢) ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ علمناه ﴿عَالِمِينَ﴾ بصحة هذا^(٣) التدبير فيه علمنا أنه ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه إلى الخضوع لربه ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغْوُونَ لَهُ﴾ الغوص: الدخول تحت الماء كانوا يستخرجون له الجواهر من البحر ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ سوى الغوص من البناء وغيره من الأعمال ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ من أن يفسدوا ما عملوا قاله الفراء^(٤) والزجاج قوله:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^{٨٣} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾^{٨٤}

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ دعا ربه ﴿إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ أصابني الجهد ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أكثرهم رحمة، وهذا تعريض منه بمسألة الرحمة إذ أثنى عليه بأنه الأرحم وسكت، وقال رجل لأبي عبد الله الناجي يا أبا عبد الله: الراضي يسأل ربه قال يعرض قال: مثل أيش قال مثل قول أيوب ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ وقال العلماء: لم يكن جزءاً من أيوب مع ما وصفه الله به من الصبر إذ يقول ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾^(٥) وكان هذا دعاء منه ألا ترى أن الله قال ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ على أن الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق فأما من اشتكى إلى الله فليس بجزاع وقوله يعقوب عليه السلام ﴿أشكو بشي وحزني إلى الله﴾^(٦) لا يحمل [على الجزع]^(٧) قال سفيان بن عيينة: وكذلك من شكوا إلى الناس وهو في شكواه راض بقضاء الله لم يكن ذلك جزءاً ألم تسمع إلى قول النبي ﷺ في مرضه «أجلدني مغموماً وأجلدني مكروباً»^(٨) وقال عليه السلام «بل أنا واراसा»^(٩) قوله ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ﴾ قال ابن عباس: يريد الأوجاع ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ قال ابن مسعود وقتادة والحسن: أحيا الله له أولاده الذين هلكوا في بلائه وأوتي مثلهم في الدنيا. وأخبرنا أبو بكر بن الحارث، أنا عبد الله بن محمد بن جعفر، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان، نا أبو مالك عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس: قال سألت نبي الله ﷺ عن قوله ووهبنا له أهله ومثلهم معهم فقال يا ابن عباس رد الله امرأته إليه وزاد في شبابها حتى ولدت له ستة وعشرين ذكراً وأهبط الله إليه ملكاً فقال يا أيوب إن الله يقرئك السلام بصبرك على البلاء فاخرج إلى أندرك^(١٠) فبعث الله إليه سحابة حمراء فهبطت عليه بجراد الذهب والملك قائم معه فكانت الجراد تذهب فيتبعها حتى يردها في أندره فقال الملك: يا

(١) ص: ٣٦ وروى ابن أبي حاتم نحواً من هذا الخبر عن عبد الله بن عبيد الله بن عمير الدر المنثور ٤/٣٢٦ وابن جرير عن محمد بن إسحاق بسند فيه انقطاع ابن جرير ٤٢/١٧.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٩ وابن جرير في تفسيره ٤٢/١٧.

(٣) ليست في هـ.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٩ وابن جرير بدون ذكر سند وابن أبي حاتم عن السدي تفسير ابن جرير ٤٣/١٧ والدر المنثور ٤/٣٢٧.

(٥) ص: ٤٤.

(٦) يوسف: ٨٦.

(٧) ساقط من جـ.

(٨) رواه البخاري في كتاب الأحكام. باب الاستخلاف.

(٩) هو في المستد لابن حنبل ٤/١١٨، ٦/٤٣٨.

(١٠) الأندر: البيدر أو الحديقة فيها الزروع والنخيل والكروم. اللسان: فصل النون حرف الراء.

أيوب أما تشيع من الداخل حتى تتبع الخارج فقال: إن هذه بركة من بركات ربي ولست ^(١) أشبع منها ^(٢) ﴿رحمة من عندنا﴾ أي فعلنا ذلك به رحمة من عندنا ﴿وذكرى للعابدين﴾ قال ابن عباس: موعظة للمطيعين.

وَأَسْمِعِ لِمَنْ يُدْرِيسَ وَذَا الْكُفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾

قوله ﴿وذا الكفل﴾ قال عطاء: إن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أوحى الله إليه إني أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني إسرائيل فمن يكفل لك أنه يصلي بالليل لا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضي بين الناس فلا يغضب فادفع إليه ملكك ففعل ذلك فقام شاب فقال أنا أتكفل لك بهذا فتكفل [بذلك] ^(٣) ووفى به فشكر الله له ونبأه ولذلك سمي ذا الكفل ^(٤)، وقوله ﴿كل من الصابرين﴾ أي على طاعة وعن معاصي الله ﴿وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين﴾ يعني: ما أنعم الله به عليهم من النبوة وما صيرهم إليه في الجنة من الثواب.

وَذَا التُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَضَّبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

﴿وذا التون﴾ يعني: يونس بن متى عليه السلام حبسه الله في بطن التون وهو الحوت ﴿إذ ذهب مغاضباً﴾ قال الضحاك: مغاضباً لقومه وهو قول ابن عباس في رواية العوفي قال: إن شعيب النبي والملك الذي كان في وقته وذلك أن القوم أرادوا أن يبعثوه إلى ملك قد غزا بني إسرائيل وسبى الكثير منهم ليكلمه حتى يرسل معه بني إسرائيل فقال يونس لشعيب: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا قال فهل سماني لك؟ قال: لا قال: فيها هنا غيري أنبياء فألحوا عليه فخرج مغاضباً للنبي وللملك ولقومه ^(٥) فأتى بحر الروم فكان من قصته ما كان وإنما حبس في بطن الحوت بتركه ما أمره شعيب وقومه لأن الله تعالى قال فيه ﴿فالتقمه الحوت وهو مليم﴾ ^(٦) والمليم: الذي أتى ما يلام عليه ^(٧)، وقال جماعة من المفسرين إن يونس لما أخبر قومه عن الله أنه منزل العذاب بهم لأجل معلوم ثم بلغه بعد ما مضى الأجل أنه لم يأتهم ما وعدهم خشي أن ينسب إلى الكذب ويعير به سيما ولم تكن قرية آمنت عند حضور العذاب فنفعها إيمانها غير قومه

(١) في هـ: وليس

(٢) روي في البخاري مختصراً كتاب الغسل باب من اغتسل عريانا ٧٨/١ ط الشعب والنص في الدر المنثور عن ابن مردويه وابن عساکر الدر المنثور ٥/٥٦٦٠ دار الفكر ولكن من المعروف أن طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس طريق منقطعة ولا يعتد بهذا السند انظر الاتقان ٢٠٨/٤٨

(٣) ساقط من جـ

(٤) روى ابن جرير هذا الخبر عن أبي موسى الأشعري وفيه أنه لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً: ابن جرير ١٧/٦٠.

(٥) في جـ: ولقوله.

(٦) الصافات: ١٤٣

(٧) خبر العوفي عن ابن عباس لم أعثر عليه ولقد بين علماء الجرح والتعديل بأن عطية العوفي كان شيعياً مدلساً وعلى ذلك فلا يعتد بحديثه

هذا. انظر: الميزان ٣/٧٩، المعجروحين ٢/١٧٦، وتهذيب التهذيب ٧/٢٢٤، الضعفاء ٣/٣٥٩

وكان مشتتاً أن ينزل بأس الله بهم لطول ما قاس من تكذيبهم وهزئهم وأذاهم (فذهب مغاضباً لربه) أي لأمر ربه وهو رفعه العذاب عن قومه كره ذلك وغضب منه ومضى على وجهه مضي الأبق الناد يقول الله تعالى ﴿إذ أبق إلى الفلك المشحون﴾^(١) وكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وقال: والله لا أرجع إلى قومي كذاباً أبداً وعدتهم العذاب في يوم فلم يأت وروي في الحديث: أنه كان ضيق الصدر قليل الصبر على ما صبر على مثله أولو العزم من الرسل^(٢) وقوله ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أي لن نقضي عليه^(٣) [من العقوبة]^(٤) [ما قضيناه]^(٥) وهذا قول مجاهد وقتادة والضحاك وعطية يقال: قدر الله الشيء وقدره أي قضاه وهذا القول اختيار الفراء^(٦) والزجاج، وقال آخرون لن نقدر عليه لن تضيق عليه الحبس من قوله عز وجل ﴿ومن قدر عليه رزقه﴾^(٧) أي من ضيق عليه وقد ضيق الله على يونس تضيقه على معذب في الدنيا وهذا معنى قول عطاء والحسن: ظن أن لن نعاقبه، وقال ﴿فنادى في الظلمات﴾ أكثر المفسرين قالوا: يعني ظلمة الليل وظلمة بطن الحوت وظلمة البحر^(٨) وقال سالم^(٩) بن أبي الجعد: حوت في حوت في ظلمة، وقوله ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ قال الحسن وقتادة: هذا القول من يونس اعتراف بذنبه وتوبة من خطيئته تاب إلى ربه في بطن الحوت وراجع نفسه فقال إني كنت من الظالمين حين ذهبت مغاضباً ولم أعبد غيرك وهذا معنى قوله ﴿لا إله إلا أنت سبحانك﴾ الآية: أخبرنا عبد القاهر بن طاهر^(١٠) أنا القاسم بن غانم بن حمويه نا محمد بن إبراهيم البوشنجي نا عمرو بن الحصين^(١١) نا معتمر عن معمر^(١٢) عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل عن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت رسول الله ﷺ قال إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه كلمة أخي يونس ﴿فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾^(١٣) قوله: ﴿فاستجبنا له﴾ أي أجبنا دعاءه ﴿ونجينا من الغم﴾ من تلك الظلمات ﴿وكذلك نجى المؤمنين﴾ إذا دعوني كما أنجينا ذا النون وروي عن عاصم أنه قرأ نجى المؤمنين مشددة الجيم^(١٤) وجميع النحويين حكموا على هذه القراءة بالغلط وأنها لحن ثم ذكر الفراء وجهاً فقال: أضم المصدر في نجى فنوى به الرفع ونصب المؤمنين كقولك ضرب الضرب زيدا ثم يقول زيدا على إضمار المصدر.

(١) الصافات: ١٤٠.

(٥) عن هـ، فقط

(٢) ابن جرير الطبري في تفسيره ٦١/١٧ عن ابن عباس ووهب بن منبه

(٦) معاني القرآن للفراء ٢٠٩/٢

(٣) فيما عدا هـ تقضي عليه (ما قضينا)

(٧) الطلاق: ٧

(٤) ساقط من أ

(٨) انظر تفسير ابن جرير ٦٤/١٧ عن ابن عباس

(٩) سالم بن أبي الجعد رافع العنطاني مولا هم الكوفي ثقة وكان يرسل كثيراً توفي سنة ٩٨ هـ انظر التقريب ٢٧٩/١ وقد روى ابن جرير خبره في تفسيره ٦١/١٧.

(١٠) عبد القاهر بن طاهر الفقيه ابن منهورت سنة ٤٢٧ هـ تاريخ الاسلام ١٧١/٧.

(١١) عمرو بن الحصين العقيلي الكلبي أبو عثمان البصري انظر: تهذيب التهذيب ٢١/٨

(١٢) معمر بن راشد الأزدي الحراني البصري ت سنة ١٥٢ انظر طبقات الحفاظ ص ٨٢، تذكرة الحفاظ ١٩٠/١ شذرات الذهب ٢٣٥/١

(١٣) قال الهيثمي رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص وهو ثقة مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة الأنبياء ٦٨/٧.

(١٤) النشر في القراءات ٣٢٤/٢ السبعة (٤٣١)

ولو ولدت فقيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلاباً^(١)

قال أبو علي الفارسي: هذا إنما يجوز في ضرورة الشعر وراوي هذه القراءة عن عاصم^(٢) غالط في الرواية فإنه قرأ نجي بنونين كما روى حفص عنه ولكن النون الثانية من نجي تخفى مع الجيم ولا يجوز تبينها فالتبس على السامع الإخفاء بالإدغام فظن أنه إدغام ويدل على هذا إسكانه الياء من نجي ونصب قوله المؤمنين ولو كان على ما لم ينهم فاعله ما سكن الياء ولوجب أن يرفع المؤمنين.

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ
يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا
وَكَانُوا الْخَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

وقوله ﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا﴾ قال ابن عباس: وحيد بلا ولد، وهذا كقوله ﴿هب لي من لدنك ولياً يرثني﴾^(٣) وقوله:

﴿وأنت خير الوارثين﴾ ثناء على الله بأنه الباقي بعد فناء خلقه وأنه أفضل من يبقى حياً بعد ميت وأن الخلق كلهم يموتون ويبقى هو، وقوله ﴿وأصلحنا له زوجته﴾ قال قتادة: كانت عاقراً فجعلها الله ولوداً، وقال الكلبي: كانت عقيماً فأصلحت له بالولد فولدت وهي بنت تسع وتسعين سنة^(٤) وهذا قول أكثرهم أن إصلاح زوجته إزالة عقرها^(٥) وقوله ﴿إنهم﴾ يعني زكريا وامراته ويحيى وبعض المفسرين يذهب إلى أن الكفاية تعود إلى الأنبياء الذين ذكرهم الله في هذه السورة، ومعنى ﴿يسارعون في الخيرات﴾ يبادرون في طاعة الله وأداء فرائضه. ﴿ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ أي للرغبة والرغبة [رغبة في الجنة وخوفاً من النار]^(٦) ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ قال قتادة: ذللاً لأمر الله.

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾

﴿والتي﴾ يعني: مريم ﴿أحصنت فرجها﴾ حفظت فرجها ومنعته عما لا يحل وقال الفراء: ذكر المفسرون أنه جيب درعها^(٧) وهذا محتمل لأن الفرج في اللغة: كل فرجة بين شيئين وموضع جيب درع المرأة مشقوق وهو فرج، وهذا أبلغ في الثناء عليها لأنها إذا منعت جيب درعها فهي لنفسها أمنع ﴿ففنفخنا فيها﴾ أمرنا جبريل حتى نفخ في درعها فأجرينا فيها روح المسيح كما تجري الريح بالمنفخ، وذلك أن الله تعالى أجرى فيها روح المسيح بنفخ جبريل وأحدث بذلك النفخ عيسى في رحمها^(٨) وقوله ﴿من روحنا﴾ أضاف الروح إليه إضافة الملك للتشريف^(٩)

(١) البيت لجرير وليس في ديوانه الخصائص لابن جني ٣٩٧/١، وانظر أيضاً شرح المفصل لابن يعيش ٧٥/٧ خزانة الأدب للبغدادي ٣٣٧/١ وفقيرة: اسم أم الفرزدق.

(٢) عاصم بن بهدلة بن أبي النجود الأسدي أبو بكر المقرئ ت سنة ١٢٧ هـ تهذيب التهذيب ٣٩/٥

(٣) مريم: ٦

(٤) قول الكلبي لم أعثر عليه وقد بينا بأن الكلبي متروك الحديث

(٥) تفسير ابن جرير ٦٧/١٧

(٦) ساقط من هـ، د

(٧) معاني القرآن للفراء ٢١٠/٢

(٨) رواه ابن جرير بدون يقين قائل تفسير ابن جرير ٦٧/١٧

(٩) في أ، ب: بالتشريف

والتخصيص وهو يريد روح عيسى ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ يعني ما ظهر فيها من الأعجوبة التي دلت على قدرة الله ووجد الآية بعد ذكرهما جميعاً لأن الآية فيهما واحدة وهي ولادة من غير فحل قوله:

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾

﴿إن هذه أمتكم﴾ قال ابن عباس: يريد دينكم وهو قول الحسن ومجاهد والجميع، قال ابن قتيبة: والأمة الدين^(١) ومنه قوله ﴿إنا وجدنا آباءنا﴾^(٢) على أمة^(٣) أي على دين، والأصل أنه يقال للقوم يجتمعون على دين واحد أمة فتقام الأمة مقام الدين، وقوله ﴿أمة واحدة﴾ قال ابن عباس ديناً واحداً والمعنى: أن هذه الشريعة التي نبينا^(٤) لكم في كتابكم ديناً واحداً إبطالاً لما سواها من الأديان وهي نصب على الحال ﴿وأنا ربكم فاعبدون﴾ أي لا دين سوى ديني ولا رب غيري ثم ذكر اليهود والنصارى وذمهم بالاختلاف فقال ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أي اختلفوا في الدين فصاروا [فيه]^(٥) فرقاً وأحزاباً، يعني: طوائف اليهود والنصارى. قال الكلبي: فرقوا دينهم فيما بينهم يلعن بعضهم بعضاً وتبرأ بعضهم من بعض والتقطع في هذه الآية بمنزلة التقطيع ثم أخبر أن مرجع جميع أهل الأديان إليه وأنه مجاز جميعهم فقال ﴿كل إلينا راجعون ومن يعمل من الصالحات﴾ أي شيئاً منها من أداء الفرائض وصلة الرحم ونصرة المظلوم وغيرها من أعمال البر ﴿وهو مؤمن﴾ مصدق بمحمد ﷺ وبما جاء به^(٦) ﴿فلا كفران لسعيه﴾ لا جحود لعمله، يعني أنه يقبل ويشكر بالثواب عليه ﴿وإننا له كاتبون﴾ نأمر الحفظة أن يكتبوا لذلك العامل ما عمل ليجازى به وقوله:

وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُجِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِمَّنْ كُلِّ حَذْبٍ يُنْسَلُونَ ﴿٩٦﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْوِلُنَا قَدَّ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾

﴿وحرام على قرية﴾ قال قتادة: واجب عليها أنها إذا أهلكنا لا ترجع إلى دنياها ونحو هذا قال عكرمة عن ابن عباس وعطاء والكلبي قال عطاء: يريد حتماً مني، وقال الكلبي: يقول وجب على أهل قرية ﴿أهلكناها﴾ يريد عذبناها ﴿أنهم لا يرجعون﴾ إلى الدنيا، والمعنى: أن الله كتب على من أهلك أن يبقى في البرزخ إلى يوم القيامة وأن لا يرجع إلى الدنيا قضاء منه حتماً وفي هذا تخويف لكفار مكة أنهم إن عذبوا وأهلكوا لم يرجعوا إلى الدنيا كغيرهم من الأمم المهلكة، وذهب ابن جريج وأبو عبيدة^(٧) وابن قتيبة وجماعة إلى أن لا في قوله: ﴿لا يرجعون﴾ زيادة^(٨) وقالوا المعنى: حرام على قرية مهلكة ترجعوا إلى الدنيا^(٩) كما قال ﴿فلا يستطيعون توصية

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٩٨)

(٥) ساقط من هـ

(٦) ب وبما جاء به - فقال - وليس موضع

(٢) ساقط من هـ

(٧) في د: وأين.

(٣) الزخرف: ٢٢، ٢٣

(٨) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٨٨)

(٤) في هـ: بينها

(٩) وقيل أن (لا) نافية، والمعنى: يمتنع عدم رجوعهم إلى الدنيا. انظر الإتيان ٢/٢٣٠ وقال الزركشي في البرهان قد تحيء مؤكدة للنفي

في غير موضعها الذي تستحقه - كقوله: (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) انظر البرهان في علوم القرآن ٤/٣٥٧

ولا إلى أهلهم يرجعون ﴿١﴾ ومن قرأ وحرم فهو بمعنى ﴿٢﴾ حرام كما قيل حل وحلال وقوله ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾ معنى فتحهما إخراجهما عن السد الذي جعل وراءه وكأنهما قيذاً بذلك السد فإذا ارتفع السد انفتحا وقوله ﴿وهم من كل حذب ينسلون﴾ الحذب كل أكمة مرتفعة من الأرض، وينسلون من النسلان وهو كمشية الذئب إذا أسرع، والمعنى وهم من كل شيء من الأرض يسرعون، يعني: أنهم يتفرقون في الأرض فلا ترى أكمة إلا وقوم منهم يهبطون منها مسرعين أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الحزامي، نا محمد بن عبد الله بن الحكم، نا أحمد بن سليمان^(٣)، نا الحسن بن مكرم، نا يزيد بن هارون، نا العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم^(٤) عن مؤثر بن غفارة عن عبد الله بن مسعود قال: لما أسري بالنبي ﷺ ليلة أسري به لقي إبراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا الساعة فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم ثم موسى فلم يكن عنده منها علم، فرجعوا إلى عيسى فقال: عهد الله إلي فيما دون وجبتها فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله فذكر خروج الدجال قال: فأهبط فأقتله ويرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون فلا يميزون بماء إلا شربوه ولا يمرون بشيء إلا أفسدوه فيجأرون إلي فادعوا الله فيميتهم فتجوى الأرض من ريحهم ويجأرون إلي فادعوا الله فيرسل السماء بالماء فيحمل أجسادهم فيقذفها في البحر ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم فعهد الله إلي إذا كان ذلك أن الساعة من الناس كالحامل المتم^(٥) لا يدري أهلها متى تفجأهم بولادتها ليلاً^(٦) أم نهاراً قال عبد الله فوجدت تصديق ذلك في كتاب الله حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ﴿٧﴾ ينسلون ﴿واقرب الوعد الحق﴾ قال ابن عباس: يريد القيامة ﴿فإذا هي﴾ فإذا القصة ﴿شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ أي القصة أن أبصارهم تشخص في ذلك اليوم قال الكلبي: شخصت أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهو قوله: وقالوا: ﴿ويلنا قد كنا﴾ في الدنيا ﴿في غفلة من هذا﴾ اليوم ﴿بل كنا ظالمين﴾ أنفسنا بتكذيب الرسل، ثم خاطب أهل مكة فقال: **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَهُمْ يُعْلَمُونَ ﴿٩٩﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزَلْنَا بِهَا الْقُرْآنَ لَكُنْتُمْ أَكْهَامًا ﴿١٠٠﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٠١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يُدْخِلُ فِيهَا نَجْمًا كَأَنَّ النُّجُومَ تُسْقَطُ مِنْ سَّمَاءٍ دُجًى ﴿١٠٢﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٠٣﴾**

﴿إنكم وما تعبدون من دون الله﴾ يعني: الأوثان ﴿حصب جهنم﴾ الحصب: ما رميت به في النار، قال ابن عباس

(١) يس: ٥٠

(٢) قراءة (وحرم) بكسر الحاء واسكان الراء من غير ألف، قرأ بها حزة والكشافي وأبو بكر انظر السبعة ص ٤٣١ والنشر ٣٢٤/٢.

(٣) أحمد بن سليمان بن عبد الملك بن أبي شيبة الجزري ت سنة ٢٦١ هـ تهذيب التهذيب ٣٣/١

(٤) جبلة بن سحيم اليمني أبو سيرة ت سنة ١٢٦ هـ تهذيب التهذيب ٦١/٢

(٥) في (هـ) المستمر

(٦) في هـ، د الليلا

(٧) أخرجه الحاكم في كتاب التفسير: سورة الأنبياء وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه المستدرک ٣٨٤/٢، ابن ماجة في الفتن حديث رقم

يريد وقودها^(١)، وقال مجاهد وقتادة وعكرمة حطبها، وقال الضحاك: يرمون بهم في النار كما يرمى بالحصباء ﴿أنتم لها واردون﴾ فيها داخلون ﴿لو كان هؤلاء﴾ يعني: الأصنام ﴿آلهة﴾ كما يزعم الكفار ﴿ما وردوها﴾ يعني: العابدين والمعبدون لقوله ﴿وكل فيها خالدون لهم فيها﴾ في جهنم ﴿زفير وهم فيها لا يسمعون﴾ قال ابن مسعود: إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب^(٢) غيره.

قوله ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾^(٣) قال أكثر المفسرين: لما نزل ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ أتى ابن الزبيري رسول الله ﷺ فقال: يا محمد ألسنت تزعم أن عزيزاً رجل صالح وأن عيسى رجل صالح وأن مريم امرأة صالحة؟ قال: بلى، قال: فإن الملائكة وعيسى ومريم وعزيزاً يعبدون من دون الله فهؤلاء في النار فأنزل الله أن الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني هؤلاء الذين ذكرهم سبقت لهم من الله السعادة ﴿وأولئك عنها﴾ عن جهنم ﴿مبعدون لا يسمعون حسيها﴾ أي حسها وحركة تلهبها والحس والحسيس الصوت تسمعه من الشيء يمر منك قريباً ﴿وهم فيما اشتهدت أنفسهم﴾ من النعيم ﴿خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ قال أكثرهم: يعني: إطباق جهنم على أهلها وقال الحسن: هو أن يؤمر بالعبد إلى النار، وقال ابن جريج: هو ذبح الموت بين الفريقين^(٤) أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان العدل، أنا محمد بن أحمد السراج، أنا محمد بن عبد الله الحضرمي، نا عباد بن أحمد العرزمي، نا عمي عن أبيه عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة على كثران من مسك لا يحزنهم الفزع الأكبر ولا يكثرثون للحساب رجل قرأ القرآن محتسباً ثم أم^(٥) به قوماً محتسباً ورجل أذن محتسباً ومملوك أدى حق الله عز وجل وحق مواله وتلقاهم الملائكة وتستقبلهم ملائكة الرحمة عند خروجهم من القبور ويقولون لهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون في الدنيا^(٦)»

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا
فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾

﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء يريد ملكاً يقال له سجل هو الذي يطوي كتب بني آدم، إذا رفعت إليه وهذا قول السدي قال: السجل ملك موكل بالصحف فإذا مات الإنسان دفع إليه كتابه فطواه ونحو هذا روي عن ابن عمر أنه قال: السجل ملك^(٧) والمراد بالكتاب والكتب على اختلاف القراءتين^(٨) الصحائف

(١) في هـ: وقوعها.

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب التفسير سورة الأنبياء - بالفاظ متقاربة وقال: رواه الطبراني، وفيه الحماني وهو ضعيف.

(٣) قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه عاصم بن بهدلة وقد وثق وضعفه جماعة، مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة الأنبياء ١٠/٣٦٠.

(٤) تقدم حديث ذبح الموت في سورة مريم عند قوله تعالى: (وأنذرهم يوم الحسرة)

(٥) في أ: أمر.

(٦) قال الهيثمي رواه الترمذي باختصار وقد رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه عبد الصمد بن عبد العزيز المقرئ ذكره ابن حبان في الثقات. انظر مجمع الزوائد كتاب الصلاة باب فضل الاذان ١/٣٢٧.

(٧) في هذا نظر فلقد جاء في كتب اللغة أن السجل: كتاب العهد ونحوه وجاء في التفسير أن السجل الصحيفة التي فيها الكتاب وأمرنا أن

نفسر كلام الله بما يتفق ومقاييس اللغة العربية التي نزل بها القرآن وأيد ابن جرير هذا الرأي بعد أن أورد رأي الواحدي ١٧/٧٨.

(٨) قراءة (للكتاب) بالألف قرأها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر، أما قراءة (للكتب) بغير ألف جمعاً فقد =

كما تقول: كطي زيد الكتب وتكون اللام زائدة كقوله ﴿ردف لكم﴾^(١) وقال مجاهد السجل: الصحيفة فيها الكتب وهو قول قتادة والكلبي واختيار الفراء^(٢) وابن قتيبة^(٣) وعلى هذا القول الكتاب والكتب يراد بها المكتوب ولما كان المكتوب ينطوي بانطواء الصحيفة جعل السجل كأنه يطوي الكتاب، وقوله: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم أول: أخبرنا أبو حفص الماوردي، أنا عبد الله بن محمد الصوفي، أنا محمد بن أيوب، أنا محمد بن كثير، أنا سفيان حدثني المغيرة بن النعمان^(٤) حدثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «إنكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدأ علينا إنا كنا فاعلين ألا إن أول من يكسى يوم القيامة^(٥) إبراهيم» رواه البخاري عن محمد بن كثير وقال الزجاج المعنى: تبعث الخلق كما ابتدأناه أي قدرتنا على الإعادة كقدرتنا على الابتداء والخلق ها هنا: مصدر لا يعني المخلوق وقوله ﴿وعدا علينا﴾ أي وعدناكم ذلك وعدأ علينا ﴿إنا كنا فاعلين﴾ ما وعدناكم من ذلك.

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنْ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ ﴿١٠٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾

وقوله ﴿ولقد كتبنا في الزبور﴾ يعني: جميع الكتب المنزلة من السماء ﴿من بعد الذكر﴾ يعني: أم الكتاب الذي عند الله هذا قول سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد واختيار الزجاج قال: الزبور جميع الكتب التوراة والإنجيل والقرآن [زبور]^(٦) لأن الزبور والكتاب في معنى واحد يقال زبرت الشيء [وكتبت]^(٧) وقوله ﴿أن الأرض﴾ يريد أرض الجنة كقوله: ﴿وأورثنا الأرض﴾^(٨) ﴿يرثها عبادي الصالحون﴾ يعني: المؤمنين العاملين بطاعة الله يرثونها كقوله ﴿يرثون الفردوس﴾^(٩) ﴿إن في هذا﴾ يعني: القرآن ﴿لبلأغا﴾ لكفاية يقال في هذا الشيء بلاغ وبلغة وتبلغ^(١٠) أي كفاية، والمعنى: أن من اتبع القرآن وعمل به كان القرآن بلاغه إلى الجنة، وقوله ﴿لقوم عابدين﴾ قال كعب: هم أمة محمد ﷺ الذين يصلون الصلوات الخمس ويصومون شهر رمضان سماهم عابدين ونحو هذا روي عن رسول الله ﷺ أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ^(١١) أنا المغيرة بن عمرو بن الوليد العدني بمكة نا الفضل بن محمد بن إبراهيم الشعبي^(١٢)، نا عبد الله بن أبي عثمان، نا عبد الرحيم العمي^(١٣) عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ

= قرأها حمزة والكشافي وخلف وحفص عن عاصم. انظر النشر ٣٢٤/٢.

(١) النمل: ٧٢

(٢) معاني القرآن للفراء ٢١٣/٢

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٨٨)

(٤) المغيرة بن النعمان النخعي الكوفي انظر تهذيب التهذيب ٢٧١/١٠.

(٥) البخاري كتاب التفسير سورة الأنبياء ١٢٢/٦ ط الشعب.

(٦) ليست في هـ

(٧) ما بين القوسين ساقط من ج، هـ.

(٨) الزمر: ٧٤

(٩) المؤمنون: ١١

(١٠) تفسير ابن جرير ٨٢/١٧

(١١) إسماعيل بن إبراهيم بن سليمان بن رزين انظر: ميزان الاعتدال ٢١٥/٦

(١٢) الفضل بن محمد بن إبراهيم بن مفضل الشعبي ت سنة ٣٠٨ هـ/لسان الميزان ٨٢/٦

(١٣) عبد الرحيم بن زيد بن الحواري العمي البصري أبو زيد. تهذيب التهذيب ٣٠٥/٦

قرأ إنَّ في هذا لبلاغاً لقوم عابدين ثم قال: هي الصلوات الخمس في الجماعة في المسجد^(١) ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ قال ابن عباس: يريد للبر والفاجر لأن كل نبي غير محمد إذا كذب أهلك الله من كذبه وآخر من كذبه إلى موت أو قيامة والذي صدقه عجلنا له الرحمة في الدنيا والآخرة وقد قال رسول الله ﷺ ﴿يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة﴾^(٢) أخبرنا أبو إبراهيم الصوفي، أنا أبو عمرو بن مطر، أنا محمد^(٣) بن عبدوس نا محمد بن عباد، نا مروان بن معاوية عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله ادع على المشركين فقال «إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة»^(٤).

قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ
 ءَآذَنُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنِ أَدْرِي أَقْرِبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ
 وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنِ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبَّنَا
 الرَّحْمَنُ أَلْمَسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

﴿قل إنما يوحى إليّ أنما إليهم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾ متفادون إلى ما يوحى إلي من إخلاص الإلهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الأمر كقوله ﴿فهل أنتم متتهون﴾^(٥) ﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا ولم يسلموا ﴿فقل آذنتكم﴾ أعلمتكم للحرب ﴿على سواء﴾ أي إيداناً على سواء إعلماً يستوي في علمه الجميع، ولم نبدأ به دونكم لتأهبوا لما يراد منكم ﴿وإن أدري﴾ ما أدري ﴿أقرب أم بعيد ما توعدون﴾ يعني: أجل القيامة لا يدري به أحد [إلا الله]^(٦) ﴿إنه يعلم الجهر من القول﴾ ما تعلنون ﴿ويعلم ما تكتمون﴾ سرهم لا يغيب عن علمه شيء منكم ﴿وإن أدري لعله فتنة لكم﴾ قال الزجاج: ما أدري^(٧) لعل ما آذنتكم به فتنة لكم أي اختبار، يعني ما أخبرهم به من أنه لا يدري وقت عذابهم وهو القيامة فكانه قال لعل تأخير العذاب عنكم اختبار [لكم]^(٨) ليرى كيف صنعكم، وقوله ﴿ومناع إلى حين﴾ أي تستمتعون إلى انقضاء آجالكم، قوله ﴿قل رب أحكم بالحق﴾ أي بعذاب كفار قومي الذي هو حق نازل بهم ويدل على هذا ما روي أنه كان إذا شهد قتالاً قال رب احكم بالحق^(٩) قال الكلبي فحكم عليهم بالقتل يوم بدر^(١٠)

(١) الدر المنثور عن ابن عباس ٦٨٧/٥ ط دار الفكر، ولكن هذا الحديث ضعيف وذلك لضعف عبد الرحيم بن زيد العمي فقد حكم علماء الجرح والتعديل بأنه متروك الحديث انظر: الضعفاء الكبير للعليني: ٧٨/٣ والتاريخ الكبير للبخاري ١٠٤/٢/٣ والميزان

٦٠٥/٢

(٢) الدر المنثور عن ابن عباس ٩/١ ط دار إحياء السنة.

(٣) ساقط من ج

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ص ٢٠٠٦ ط الحلبي.

(٥) المائدة: ٩١

(٦) عن أ فقط

(٧) لفظ ما أدري ساقط من جميع النسخ عدا هـ

(٨) ساقط من ج

(٩) رواه ابن جرير بسنده عن قتادة تفسير ابن جرير ٨٤/١٧.

(١٠) يقصد غزوة بدر وكانت بين المسلمين ومشركي قريش وتمت في رمضان من السنة الثانية للهجرة وكان النصر فيها للمسلمين انظر سيرة ابن هشام ٦٠٦/١ وأحد: وكانت أيضاً بين المسلمين ومشركي قريش وكانت عند جبل أحد وعلى مشارف المدينة وكان النصر فيها =

ويوم أحد ويوم الأحزاب ويوم حنين ويوم الخندق والمعنى على هذا افضل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع وقرأ حفص قال رب احكم بالحق^(١) يعني [قال]^(٢) الرسول ذلك، وقوله ﴿وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ من كذبكم وباطلكم في قولكم ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ وقولكم ﴿اتخذ الرحمن ولدا﴾ والوصف بمعنى الكذب ذكر في مواضع من التنزيل كقوله ﴿سيجزئهم وصفهم﴾^(٣) وقوله ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾^(٤).

= في بادئ الأمر للمسلمين ثم لما خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ كر عليهم المشركون فسلبوهم النصر انظر سيرة ابن هشام ٢/٢٠ ط الحلبي . ويوم الأحزاب يقصد يوم تخريب الأحزاب بفعل يهود قريش وغطفان وأشجع ومرة في شوال من السنة الخامسة لاستئصال شأفة المسلمين بالمدينة ولكن الله رد كيدهم في نحورهم ورجعوا بخفي حنين سيرة ابن هشام ٢/٢١٤ ط الحلبي . ويوم حنين: يقصد غزوة حنين في السنة الثامنة بعد الفتح وكانت بين المسلمين وقبائل هوازن وثقيف كان النصر فيها حليفاً للمسلمين، انظر سيرة ابن هشام ٢/٤٣٧

(١) النشر ٢/٣٢٥ السبعة ص ٤٣١

(٢) ساقط من د، هـ

(٣) الأنعام: ١٣٩ .

(٤) الأنبياء: ١٨ .

ويؤيد هذا الرأي ما جاء في لسان العرب «مادة وصف» وقوله عز وجل: (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) أراد ما تصفون من الكذب.

سورة الحج

مدنية وآياتها ثمان وسبعون

أخبرنا سعيد بن محمد الحيري، أنا محمد بن جعفر الحيري، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم المدائني، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي إمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «ومن قرأ سورة الحج أعطي من الاجر كحجة اعتمرها، بعدد من حج واعتمر فيها مضى وفيها بقي»^(١) بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾

﴿يا أيها الناس﴾ قال ابن عباس: يريد أهل مكة^(٢) ﴿اتقوا ربكم﴾ اتقوا عقابه بطاعته ﴿إن زلزلة الساعة﴾ الزلزلة: شدة الحركة على الحال الهائلة قال علقمة والشعبي: هي من اشرط الساعة وهي في الدنيا قبل يوم القيامة، وقال الحسن والسدي وهذه الزلزلة تكون يوم القيامة^(٣) وروي عن ابن عباس أنه قال: زلزلة الساعة قيام الساعة يعني: أنها تقارن قيام الساعة وتكون معها وقوله ﴿شيء عظيم﴾ يعني: أنه لا يوصف لعظمه ﴿يوم ترونها﴾ ترون تلك الزلزلة ﴿تذهل﴾ في هذا^(٤) اليوم ﴿كل مرضعة عما أرضعت﴾ تنسى وتترك كل الودة ولدها يقال: وهل عن كذا يذهل ذهولاً إذا تركه أو شغله عنه شاغل، قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام، وتضع الحمل ما في بطنها لغير تمام، وهو قوله ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ يعني: من هول ذلك اليوم وهذا يدل على أن هذه الزلزلة تكون في الدنيا لأن بعد البعث لا يكون جبلي وعند شدة الفرع تلقي المرأة جنينها ﴿وترى الناس سكارى﴾ من شدة الخوف ﴿وما هم

(١) بينا بأن هذه الاحاديث موضوعة في أول سورة مريم ونزيد هنا ما قاله صاحب كتاب كشف الخفاء ومزيل الالباس حيث يقول: ومن الاحاديث الموضوعية احاديث وضعها بعض الزنادقة أو جهلة المتصوفة في فضائل السور - إلا ما استثنى - ولا يغتر بذكر الواحدي والشعبي والزمخشري والبيضاوي لها في تفاسيرهم كما نبه على ذلك الحفاظ، وكما اشار إلى ذلك الحافظ العراقي بقوله:

وكل من أودعه كتابه كالواحدى مخطيء صوابه

كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس للشيخ إسماعيل بن محمد الفجلوتي ٤١٤/٢

(٢) هذا القول على التعريف القائل بأن المكي ما وقع خطابا لاهل مكة كيا أيها الناس والمدني ما وقع خطابا لاهل المدينة ولكن هذا الرأي مرجوح لأنه تعريف غير جامع لجميع الآيات والور ويراجع في ذلك مناهل العرفان للزرقاني ١٨٥/١ .

(٣) روى ابن جرير هذه الاقوال في تفسيره ٨٥/١٧

(٤) في هـ: في ذلك .

بسكارى ﴿ من الشراب هذا قول جميع المفسرين والمعنى : ترى الناس كأنهم سكارى من ذهول عقولهم لشدة ما هم بهم يضطربون اضطراب السكران من الشراب يدل على صحة هذا قراءة من قرأ ﴿ وترى الناس ﴾ (١) بضم (٢) التاء أي تظلمهم قال الفراء : ولهذه القراءة وجه جيد (٣) وسكارى وقرىء سكرى (٤) قال الفراء : ولهذه القراءة وجه جيد في العربية لأنه بمنزلة الهلكى والجرحى والمرضى والزمنى ، والعرب تجعل فعلى علامة لجمع كل ذي زمانة وضرر وهلاك ولا يبالون أن كان [واحد] (٥) فاعلا [أو كان] (٦) فعلا أو فعلا ن وقوله ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ دليل على أن سكرهم من خوف العذاب . اخبرنا الاستاذ أبو طاهر الزيادي ، أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص الزاهد ، أنا إبراهيم بن عبد الله العبسي (٧) ، أنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : (يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم قم فابعث بعث النار فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون [قال] (٨) فحينئذ يشيب الوليد وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فيقولون ومن ذلك الواحد فقال رسول الله ﷺ تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم واحد ، فقال الناس : الله أكبر فقال رسول الله ﷺ : والله اني لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة والله اني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة قال : يكبر الناس ، فقال رسول الله ﷺ : ما أنتم يومئذ في الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض (٩) رواه البخاري عن عمر بن حفص عن أبيه ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة (١٠) عن وكيع كلاهما عن الأعمش .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مُّرِيدٍ ﴿٤﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَاتَّخَذَهُ يَصِصًا وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٥﴾

قوله ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ﴾ قال المفسرون نزلت في النضر بن الحارث كان كثير الجدال وكان ينكر ان الله قادر على إحياء من بلى (١١) ، وقال عطاء عن ابن عباس يريد الوليد وعقبه بن ربيعة ، والمعنى : أنه

(١) قرأ يونس بالاماله في الوصل بخلاف عنه والباقون بالفتح هذا في حال الوصل واما الوقف فوقف بالامالة المحضة أبو عمرو وحده والكسائي روى بين بين والباقون بالفتح كتاب المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحصر ص (٨٥) .

(٢) ما بين الأقواس بياض في هـ .

(٣) معاني القرآن للفراء : ٢١٤/٢ .

(٤) قراءة وسكرى بفتح السين واسكان الكاف من غير ألف قرأ بها حمزة والكسائي وخلف . انظر السبعة ص ٤٣٤ والنشر ٢/٣٢٥ .

(٥) ساقط من هـ .

(٦) ساقط من جـ .

(٧) إبراهيم بن عبد الله العبسي أبو شيبة الكوفي ت سنة ٢٦٥ هـ التهذيب ١/١٣٦ .

(٨) ساقط من هـ .

(٩) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الحج ٦/١٢٢ ط الشعب ورواه مسلم في كتاب الايمان باب يقول الله لآدم أخرج ابنتك النار

٢٠١/١ ط الحلبي بالفاظ متقاربة .

(١٠) أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي ت سنة ٢٣٥ هـ البدايه والنهاية ١٠/٣١٥ ، تاريخ بغداد ١٠/٦٦

شذرات الذهب ٢/٨٥ .

(١١) رواه ابن جرير ١٧/٧٩ .

يخاصم في قدرة الله ويزعم أنه غير قادر على البعث بغير علم في ذلك إنما يقوله باغواء الشيطان وطاعته إياه وهو قوله ﴿ويتبع كل شيطان مريد﴾ قال ابن عباس: المرید المتمرد على الله ﴿كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير﴾ قال ابن عباس: قضى الله إن من أطاع إبليس أضله ولم يرشده وجره إلى عذاب السعير.

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُتِبَ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مِّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُؤَوِّفُ وَمِنْكُمْ مَّن يُرْدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهَيْجٍ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ۚ

﴿يا أيها الناس﴾ يعني: أهل مكة ﴿إن كنتم في ريب من البعث﴾ قال ابن عباس في: شك من القيامة ﴿فإننا خلقناكم من تراب﴾ قال الزجاج: أي تدبروا أمر خلقكم وابتدائكم فانكم لا تجدون في القدرة فرقا بين ابتداء الخلق وبين اعادته، وهو قوله ﴿فإننا خلقناكم من تراب﴾ يعني: خلق آدم ﴿ثم من نطفة﴾ يعني خلق ولده ﴿ثم من علقه﴾ وهي الدم الجامد قبل أن يبيض وذلك ان النطفة المخلوق منها الولد تصير دما غليظاً ثم تصير لحماً وهو قوله ﴿ثم من مضغة﴾ والمضغعة قطعة لحم وقوله ﴿مخلقة وغير مخلقة﴾ قال ابن الاعرابي: مخلقة قد برأ خلقه وغير مخلقة لم تصور^(١)، قال السدي: هذا في السقط والمرأة تسقط النطفة بيضاء والعلقة تسقط قد صور بعضه، وتسقط وقد صور كله فعلى هذا القول المخلقة وغير المخلقة في السقط، وذهب الاكثرون إلى ان المخلقة ما أكمل خلقه فينفخ الروح فيه، وهو الذي يولد لتمام حياً وما سقط كان غير مخلقة أي غير حي يكامل خلقه بالروح وهذا معنى قول ابن عباس رواية عطاء وعكرمة والكلبي ويدل على صحة التفسير: ما أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا محمد بن حيان، نا أبو يحيى الرازي، نا العسكري، نا ابن أبي زائدة^(٢) عن عامر عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه فقال: أي رب مخلقة أم غير مخلقة؟ فإن قيل غير مخلقة قذفها الارحام دما ولم تكن نسمة وإن قيل مخلقة، قال رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد؟ ما الاجل؟ ما الأثر؟ ما الرزق؟ بأي أرض تموت؟ فيقال اذهب إلى أم الكتاب فإنك تجد فيها قصة هذه النطفة فيذهب فيجدها في أم الكتاب فتخلق فتعيش من أجلها وتأكل رزقها وتطأ أثرها حتى إذا جاء أجلها ماتت فدفت في المكان الذي ثبت لها ثم تلا عامر يا أيها الناس إننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة^(٣) وقوله ﴿لنبين لكم﴾ قال ابن عباس^(٤) لنبين لكم ما تأتون وما تذررون، يعني: أن الله خلق بني آدم ليبين لهم ما يحتاجون إليه في العبادة، وقال صاحب النظم ليبين لكم أن البعث حق، لأن الآية نزلت دلالة على البعث ﴿ونقر﴾ وثبت ﴿في الأرحام ما نشاء﴾ فلا يكون سقطاً ﴿إلى أجل مسمى﴾ إلى

(١) تهذيب اللغة للازهري ٢٨/٧.

(٢) يحيى بن زكريا بن أبي زائدة الهمداني أبو سعيد الكوفي ت سنة ١٨٤ هـ عن ثلاث وتسعين سنة انظر التقريب ٢٤٧/٢.

(٣) رواه مسلم في كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي ٢٠٣٦/٤ ط الحلبي.

(٤) ساقط من هـ.

أجل الولادة ﴿ثم نخرجكم طفلاً﴾ قال الزجاج: طفلاً في معنى أطفال، ودل عليه ذكر الجماعة ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ [فيه إضمار تقديره ثم نعلمكم لتبلغوا أشدكم] ^(١) يعني: الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين [إلى الأربعين] ^(٢) ﴿ومنكم من يتوفى من قبل﴾ بلوغ الأشد ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ أي أخسه وأدونه، وهو الخرف ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾ قال ابن عباس: يبلغ السن من بعد ما يتغير عقله حتى لا يعقل شيئاً، قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصير بعده الحالة واضح بقوله ﴿ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ^(٣) قال: إلا الذين قرأوا القرآن ثم دلهم على إحيائه الموتى بإحيائه الأرض فقال ﴿وترى الأرض هامدة﴾ قال ابن عباس: هي التي تلبدت وذهب عنها الندى، وقال مجاهد: هالكة يعني جافة يابسة [وقال ابن قتيبة مية يابسة] ^(٤) كالنار إذا طفئت فذهبت ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت﴾ تحركت بالنبات، وذلك أن الأرض ترتفع عن النبات فذلك تحركها وهو معنى قوله: ﴿وربت﴾ أي ارتفعت [وزادت] وقال المبرد أراد واهتز وربي نباتها فحذف المضاف والاهتزاز ^(٥) في النبات أظهر يقال: اهتز النبات إذا طال ﴿وأنتت من كل زوج بهيج﴾ قال ابن عباس من كل صنف حسن والبهجة: حسن الشيء ونضارته والبهيج: الحسن، وقد بهج ومنه قوله: ﴿[حدائق] ذات بهجة﴾ ^(٦) أي تبهج الناظر وتمتعه برؤيتها قوله ﴿ذلك بأن الله﴾ أي فعل الله ذلك يعني: ما ذكر من ابتداء الخلق وإحياء الأرض بأنه ﴿هو الحق﴾ أي ذو الحق يعني: أن جميع ما يأمر به ويفعله هو الحق لا الباطل كما يأمر به الشيطان من الباطل ﴿وأنه يحيي الموتى﴾ أي ويأنه يحيي الموتى، والمعنى: فعل ما فعل بقدرته على إحياء الموتى وبأنه قادر على ذلك، وقادر على ما أراد وهو قوله ﴿وأنه على كل شيء قدير﴾ وفي الساعة ﴿أي ولتعلموا ان الساعة آتية﴾ والمعنى بدء الخلق وإحياء الأرض بالماء دلالة لكم لتعلموا بها إن القيامة آتية وأن البعث حق وهو قوله ﴿وأن الله يبعث من في القبور﴾.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۗ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ لِيُضِلَّ فِي الدُّنْيَا حِرْيَةً ۗ وَنَذِيْقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِّلْعَالَمِينَ ۝

وقوله ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ تقدم تفسيره وقوله ﴿ولا هدى﴾ [ولا كتاب منير] ^(١) قال ابن عباس: ليس معه من ربه رشاد ولا بيان ولا كتاب له نور ﴿ثاني عطفه﴾ يقال: ثبت الشيء إذا عطفته ومنه قوله ﴿يشنون صدورهم﴾ ^(٢) والعطف: الجانب وعطفاً الرجل: جانباه عن يمين وشمال وهو الموضع الذي يعطفه الانسان أي يلويه ويميله عند الاعراض عن الشيء، قال ابن عباس: مستكبراً في نفسه، وقال مجاهد وقتادة: لاوي عنقه، وقال ابن زيد: معرضاً عما يدعى إليه كبراً، وقال الزجاج: وهذا لا يوصف به المتكبر والمعنى: ومن الناس من يجادل في الله منكراً، وقوله ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ ليذهب عن طاعة الله، والمعنى: أنه يجادل ليضل عن سبيل الله لا أن له على ما

(١) ساقط من د.

(٢) ساقط من ج.

(٣) ساقط من د، وعملوا الصالحات ليست في هـ.

(٤) التين: ٦٥.

(٥) ساقط من هـ والعبارة في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٩٠).

(٦) ساقط من د، هـ.

(٧) ليست في هـ.

(٨) النمل: ٦٠.

(٩) ساقط من أ، ب، هـ.

(١٠) هود: ٥.

يجادل فيه حجة ﴿له في الدنيا خزي﴾ يعني: ما أصابه يوم بدر وهو أبو جهل قتل بدر^(١) وأوعد بعذاب الآخرة وهو قوله ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ والآية مفسرة في سورة الأنفال.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۚ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۚ يَدْعُوا لَمَن ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ۚ

قوله ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ أكثر المفسرين قالوا على شك [وضلالة]^(٢) وأصله: من حرف الشيء وهو طرفه، نحو حرف^(٣) الجبل والدكان والحائط الذي عليه القائم غير مستقر، فالذي يعبد الله على حرف قلق في دينه على غير ثبات وطمأنينة كالذي هو على حرف الجبل ونحوه يضطرب اضطراباً ويضعف قيامه، فهو يعرض ان يقع في أحد جانبي الطرف فقيل للشاك في دينه إنه يعبد الله على حرف لأنه ليس على يقين في وعده ووعيده بخلاف المؤمن لأنه لو عبده على يقين وبصيرة، ولم يكن على حرف يسقط عنه بأدنى شيء يصيبه وهذا المعنى ظاهر في قوله ﴿فإن أصابه خير اطمأن به﴾ أي أصابه رخاء وعافية وخصب وكثر ماله اطمأن على عبادة الله بذلك الخير ﴿وإن أصابته فتنة﴾ اختبار يجذب وقلة ماله ﴿انقلب على وجهه﴾ رجع عن دينه إلى الكفر وعبادة الأوثان، والمعنى: انصرف إلى وجهه الذي توجه منه وهو الكفر نزلت في أعراب كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدينة [مهاجرين من باديتهم]^(٤) فكان أحدهم إذا صح جسمه ونتجت فرسه مهراً حسناً وكثر ماله رضي واطمأن وقال ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا خيراً وإن أصابه وجع [المدينة]^(٥) وولدت امراته جارية واجهضت رماكه^(٦) وذهب ماله أتاه الشيطان [فقال]^(٧) ما أصبت في هذا الدين إلا شراً فينقلب عن الدين^(٨) وقوله ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ يعني: هذا الشاك خسر دنياه حيث لم يظفر^(٩) بما طلب من المال، وخسر آخرته بارتداده عن الدين ﴿ذلك﴾ الذي فعل ﴿هو الخسران المبين﴾ الضرر الظاهر ﴿يدعو من دون الله﴾ أي هذا المرتد يعبد سوى الله ﴿ما لا يضره﴾ إن لم يعبده ﴿ولا ينفعه﴾ إن اطاعه ﴿ذلك﴾ الذي فعل ﴿هو الضلال البعيد﴾ عن الحق والرشد ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ قال السدي: ضره في الآخرة بعبادته إياه أقرب من النفع وإن كان لا نفع عنده ولكن العرب تقول لما لا يكون هذا بعيد، ونفع الصنم بعيد لأنه لا يكون فلما كان نفعه بعيداً قيل لضره إنه أقرب من نفعه على معنى أنه كائن وقوله ﴿لبس المولى﴾ أي الناصر ﴿ولبس العشير﴾ أي

(١) العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، ولقد روى ابن جرير هذا الخبر عن ابن جريج بدون تحديد لشخص معين. تفسير الطبري

٩٣/١٧

(٢) ساقط من د، هـ.

(٣) في جـ: طرف جبل ساقط من د.

(٤) عن جـ فقط.

(٥) ساقط من هـ.

(٦) الرمكة: الفرس والبرذونة التي تتخذ للنسل والرمكة كل لون يخالط غيرته سواد ولون الرماد (اللسان رمك).

(٨) البخاري كتاب التفسير سورة الحج ذ ١٢٣/٦ ط الشعب.

(٩) في جـ: يظهر.

الصاحب والمخالط يعني الصنم، يخالطه العابد ويصاحبه، ولما ذكر الشاك في الدين بالخسران ذكر ثواب المؤمنين فقال:

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾
 مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ
 كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾

﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ وقوله ﴿إن الله يفعل ما يريد﴾ أي بأوليائه وأهل طاعته من الكرامة وبأهل معصيته من الهوان، قوله ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة﴾ أي لن ينصر الله محمداً حتى يظهره على الدين كله فليمت غيظاً وهو تفسير قوله ﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾ فليشد حبلًا في سقفه ﴿ثم ليقطع﴾ أي ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً، والمعنى: فليختنق غيظاً حتى يموت فإن الله مظهره ولا ينفعه غيظه وهو قوله ﴿فليظن هل يذهبن كيده﴾ أي صنيعه وحيلته ﴿ما يغيظ﴾ ما بمعنى المصدر أي هل يذهبن كيده وغيظه ﴿وكذلك﴾ ومثل ذلك يعني ما تقدم من آيات القرآن ﴿أنزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿آيات بينات﴾ وقال ابن عباس: يريد لأهل التوحيد ﴿وأن الله يهدي﴾^(١) [أي وأنزلنا إليك ان الله يهدي]^(٢) ﴿من يريد﴾ [قال ابن عباس: يريد أهل التوحيد]^(٣).

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصِرَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ
 بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

﴿إن الذين آمنوا﴾ ظاهر متقدم إلى قوله ﴿إن الله يفصل بينهم﴾ يقضي بينهم ﴿يوم القيامة﴾ يادخل المؤمنين الجنة والآخرين^(٤) النار ﴿إن الله على كل شيء﴾ من اعمال هؤلاء ﴿شهير﴾ عالم بما شاهده

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ
 وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يَمُنْ بِاللَّهِ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا
 يَشَاءُ ﴿١٨﴾

﴿ألم تر﴾ ألم تعلم ﴿أن الله يسجد له من في السموات﴾ يعني: أهل السماوات إلى قوله ﴿والدواب﴾ وصف الله تعالى هذه الأشياء بالسجود له وهو خضوعها وذلتها^(٥) وانقيادها لخالقها فيما يريد منها ومعنى السجود في اللغة: الخضوع، وقوله ﴿وكثير من الناس﴾ يعني: المؤمنين الذين يسجدون لله تعالى وانقطع ذكر الساجدين ثم ابتداء فقال ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ [أي ممن ﴿لا﴾^(٦) يوحد وأبى السجود، قال الفراء: قوله حق عليه العذاب يدل على أن المعنى: وكثير أبى السجود

(٤) فيما عدا هـ والآخرين

(٥) في د، تذللها.

(٦) ساقط من أ.

(١) ساقط من د، هـ.

(٢) ساقط من هـ.

(٣) من ج فقط.

لأنه لا يحق عليه العذاب^(١) إلا بتركه السجود^(٢) ﴿ومن بين الله فماله من مكرم﴾ من يشقه الله فما له من مسعد ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾ في خلقه من الاهانة والكرامة والشقاوة والسعادة.

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَطَعَتْ لَهُمْ نِيبًا مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۖ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۚ وَلَهُمْ مَقْلَعٌ مِّنْ حديدٍ ۚ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِّنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۚ﴾

قوله ﴿هذان خصمان﴾ الفرق الخمسة الكافرة خصم والمؤمنون خصم وقد ذكروا جميعاً في قوله إن الذين آمنوا والخصم يقع على الواحد [والجميع]^(٣) ولهذا قال ﴿اختصموا في ربهم﴾ لانهم جمعان وليسوا برجلين ومثله ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾^(٤) والمعنى: اختصموا في دين ربهم فقالت اليهود والنصارى للمسلمين: نحن أولى بالله منكم لأن نبينا قبل نبيكم وديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم فقال المسلمون: بل نحن أحق بالله منكم^(٥) أما بكتابنا وكتابكم ونبينا ونبيكم وكفرتم أنتم بنبينا حسداً فكان هذا خصومتهم في ربهم وهذا قول جماعة المفسرين، وكان أبو ذر يقسم أن هذه الآية نزلت في الذين بارزوا يوم بدر من الفريقين أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أنا عبد الملك بن الحسن بن يوسف السقطي، نا يوسف بن يعقوب القاضي، نا عمرو بن مرزوق، أنا شعبة عن أبي هاشم عن أبي مجلز قيس بن^(٦) عباد قال سمعت ابا ذر يقول: أقسم بالله لنزلت هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم في هؤلاء الستة حمزة وأبي عبيدة وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة^(٧) رواه البخاري عن حجاج بن منهال عن هشيم^(٨) ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن سفيان كلاهما عن أبي هاشم وهو ما عليه جماعة المفسرين ثم بين حال الفريقين فقال ﴿الذين كفروا قطعت لهم نيب من نار﴾ قال الازهري^(٩): أي سويت وجعلت لبوسا لهم^(١٠) وقال ابن عباس: حين صاروا إلى جهنم ألبسوا مقطعات النيران وقوله ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ روى أبي هريره أنه قرأ هذه الآية ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوف الكافر فيسلت ما في جوفه حتى يحرق قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما^(١١) كان وهذا معنى قوله تعالى ﴿يصهر به﴾ أي بذلك الحميم ﴿ما في بطونهم والجلود﴾ وفسر الصهر بالاذابة والاحراق

(١) ساقط من هـ ما بين الاقواس من قوله: أي ممن.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢١٩/٢ بتصرف.

(٣) ساقط من جـ.

(٤) الحجرات: ٩.

(٥) في جـ: لانا أننا ولفظ منكم ساقط من هـ.

(٦) قيس بن عباد القيسي الضبعي أبو عبد الله البصري قتله الحجاج انظر التهذيب ٤٠٠/٨.

(٧) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الحج ٦/١٢٣، مسلم في كتاب التفسير باب قوله تعالى هذان خصمان اختصموا إلى ربهم ٢٣٢٣/٤.

(٨) هشيم بن بشير بن أبي حازم ت سنة ٨٣ هـ تذكرة الحفاظ ٢٤٨١.

(٩) محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الازهر الازهري الشافعي ولد سنة ٢٨٢ ت سنة ٣٧٠ مقدمة تهذيب اللغة، شذرات الذهب ٧٢/٣، بغية الوعاة (٨).

(١٠) تهذيب اللغة للازهري ١/١٨٨.

(١١) رواه الترمذي في كتاب أبواب صفة جهنم باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ٣٠٧/٤ ط الحلبي، والحاكم في كتاب التفسير سورة الحج وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه المستدرک مع التلخيص ٢/٣٨٧.

والإنضاج، وهو قول المفسرين [قال ابن عباس في رواية عطاء: ينضج وقال قتادة ومجاهد تذاب والمعنى: أن أمعابهم وشحومهم تذاب وتحرق^(١) بهذا] الحميم وتشوى جلودهم فيتساقط من حره، قوله ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ قال البيث المقمعة شبه الجزر من الحديد يضرب بها الرأس وجمعها المقامع^(٢) من قولهم قمعت رأسه إذا ضربته ضرباً عنيفاً. أخبرنا أبو منصور البغدادي، أنا أبو عمرو بن مطر، نا إبراهيم بن علي، نا يحيى^(٣) بن يحيى، نا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ في قوله ولهم مقامع من حديد لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع الثقلان ما أقلوه من الأرض^(٤) قال الحسن إن النار ترميهم بلهبها حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً فإذا انتهوا إلى أسفلها ضربهم زفير لهبها فلا يستقرون ساعة فذلك قوله ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم﴾ يعني: كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفاسهم حتى ليس لهم مخرج ردوا إليها بالمقامع، قال المفسرون: إن جهنم لتجيش بهم فتلقبهم إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فيردهم الخزان فيها ويقولون لهم ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ والحريق: اسم من الاحتراق، وقال الزجاج: وهذا لأحد الخصمين وقال في الخصم الآخر - الذين هم المؤمنون:

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُكَلِّفُ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ^(٥) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ^(٦)

﴿إن الله يدخل الذين آمنوا﴾ الآية - وهي مفسرة في سورة الكهف إلى قوله ﴿ولؤلؤ﴾ وهو ما يستخرج من البحر والمعنى: أنهم يحلون أساور من ذهب ومن لؤلؤ أي منها بأن يرصع اللؤلؤ في الذهب وقرىء ولؤلؤاً^(٧) بالنصب على ويحلون لؤلؤاً وقوله ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ يعني أنهم يلبسون في الجنة ثياب الإبريسم وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال قال أبو سعيد الخدري من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة كلهم غيره قال الله عز وجل ﴿ولباسهم فيها حرير﴾.

أخبرنا اسماعيل بن إبراهيم الواعظ، أنا بشر بن أحمد بن بشر، نا يحيى بن محمد البحتري، نا عبيد الله بن معاذ، نا أبي، نا شعبة حدثني خليفة بن كعب^(٨) قال سمعت عبد الله بن الزبير يقول لا تلبسوا الحرير فاني سمعت عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة [ومن لم يلبسه^(٩) في الآخرة] لم يدخل الجنة لأن الله تعالى يقول ﴿ولباسهم فيها حرير﴾^(١٠) ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ قال ابن عباس: يريد لا اله

(١) ساقط من هـ.

(٢) تهذيب اللغة للازهري ٢٩٤/١.

(٣) يحيى بن يحيى بن قيس النسائي. الميزان ٤١٣/٤.

(٤) رواه أحمد بن حنبل في المسند عن أبي سعيد الخدري بالفاظ متقاربة المسند ٢٩/٢ والمقصود بالثقلين: الانس والجن، وفي سند هذا الحديث ابن لهيعة وفيه ضعف.

(٥) قراءة (ولؤلؤاً) بالنصب قرأ بها عاصم ويعقوب انظر السبعة ص ٤٣٥ والنشر ٣٢٦/٢.

(٦) خليفة بن كعب التميمي أبو ذبيان البصري، تهذيب ١٦٢/٣.

(٧) ساقط من هـ، د.

(٨) رواه البخاري في باب لبس الحرير واقتراشه للرجال وقدر ما يجوز فيه من غير «من لم يلبسه». الخ كذلك في مسلم: كتاب اللباس

إلا الله والحمد لله وزاد ابن زيد: والله أكبر وقال السدي: إلى القرآن ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ أرشدوا إلى الاسلام وهو دين الله وطريقه والحمد في أفعاله.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِظِ يَظْلَمْ نَفْسَهُ مِن عَذَابِ اللَّهِ ۖ

قوله ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾ عطف المضارع على لفظ الماضي لأن المراد بالمضارع أيضاً الماضي ويقوي^(١) هذا قوله ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾^(٢) ويجوز أن يكون المعنى: إن الذين [كفروا]^(٣) فيما مضى وهم الآن يصدون مع ما تقدم من كفرهم، والمعنى: يمنعون الناس عن طاعة الله ﴿والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء﴾ أي مستقراً ومنسكاً وتعبداً كما قال: ﴿وضع للناس﴾^(٤) قال المفسرون: جعلناه للناس خلقناه وبيناه^(٥) للناس كلهم لم نخص به منهم بعضاً دون بعض، قال الزجاج: جعلناه للناس وقف التمام، ثم قال: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ وسواء رفع على أنه خبر ابتداء مقدم، المعنى: العاكف والبادي فيه سواء، ومن نصب فقال سواء كان التقدير مستوياً فيه العاكف والباد، فرفع العاكف بسواء كما يرفع بمستوى العاكف المقيم فيه والبادي الذي يتنابه من غير أهله في قول الجميع ومعنى البادي النازع إليه من غربة، من قولهم بدا القوم إذا خرجوا من الحضر إلى الصحراء وإنما يستويان في سكنى مكة والنزول بها فليس أحدهما باحق بالمنزل يكون فيه من الآخر غير أن لا يخرج أحد من بيته، وهذا قول قتادة وسعيد بن جبير وابن عباس ومن مذهب هؤلاء أن كراء دور مكة وبيعها حرام^(٦) بالمسجد الحرام على قوهم الحرم كله كقوله ﴿أسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام﴾^(٧) وقال آخرون: المراد بالمسجد الحرام عين المسجد الذي يصلى فيه، وظاهر القرآن يدل على هذا، والمراد باستواء العاكف والبادي فيه استواءهما في تفضيله وتعظيم حرمة، وإقامة المناسك به وهذا مذهب مجاهد والحسن وقول من أجاز بيع دور مكة وكان المشركون يمنعون المسلمين عن الصلاة في المسجد الحرام والطواف به ويدعون أنهم أربابه وولاته وقوله ﴿ومن يرد فيه بإلحاد يظلم﴾ [اتفقوا على أن الباء في إلحاد زيادة والمعنى: ومن يرد فيه بإلحاداً يظلم]^(٨) ومعنى الإلحاد في اللغة العدول عن القصد واختلفوا في معناه ها هنا فقال مجاهد وقاتدة هو الشرك وعبادة غير الله، وقال آخرون: هو كل شيء كان منهياً

= البخاري ١٩٣/٧ ط الشعب، مسلم ٦٤٤/٣ ط الحلبي وقد رواه أحمد بن حنبل في المسند ونبه على أن عبارة من لم يلبسه . . . الخ من كلام ابن الزبير ٢٥١/١ ط دار المعارف.

(١) فيما عدا جـ على هذا.

(٢) النحل: ٨٨ وفي النسخ بلفظ إن الذين كفروا والتصحيح من المصحف

(٣) ساقط من جـ.

(٤) آل عمران: ٩٦.

(٥) في هـ وبيناه.

(٦) يراجع في ذلك تفسير الألوسي سورة الحج ١٣٨/١٧ فقد ذكر هذه القضية بتفصيل وتوضيح أكثر.

(٧) الأسراء: ١.

(٨) ساقط من هـ اتفقوا على أن الباء في إلحاد زيادة: فهذا غير مسلم فإن في الآية وجوها أخرى: منها أن الباء للملايسة، أو الباء للسيبية أو

للتعديبه انظر الألوسي سورة الحج ١٣٨/١٧ وقال الزركشي في البرهان: الجمهور على أنها - يقصد الباء - لا تجيء زائدة وأنه إنما

يجوز الحكم بزيادتها إذا نادى المعنى المقصود بوجودها وحالة عدمها على سواء وليس كذلك في هذا الموضع البرهان ٢٥٣/٤.

عنه، وحتى شتم الخادم وقال عطاء: هو دخول مكة بغير إحرام، وأذى حمام مكة وأشياء كثيرة لا يجوز للمحرم أن يفعلها، وعلى هذا القول الإلحاد بالظلم هو استحلال محظورات الاحرام وركوبها وقال الضحاك: ان الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو بأرض أخرى فتكتب عليه ولم يعملها ونحو هذا قال ابن مسعود. فيما أخبرنا القاضي أبو بكر الحيري^(١)، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا محمد بن يحيى، نا محمد بن يوسف^(٢) عن سفیان عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب اليم﴾ قال لو أن رجلاً هم بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو أن رجلاً هم بقتل رجل عند البيت وهو بعدن أبين^(٣) أذاقه الله من عذاب اليم^(٤) قال السدي: لا أن يتوب.

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْءٍ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ٢٦ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
عَمِيقٍ ٢٧ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ
الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ٢٨ ثُمَّ لَيَقْبُضُوا نَفْسَهُمْ وَلِيُوَفُّوْا نَدْوَهُمْ
وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ٢٩

قوله ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ قال الزجاج: جعلنا مكان البيت ميوا لإبراهيم ومعنى بوأنا ها هنا: بينا مكان البيت، قال السدي: أن الله تعالى لما أمره ببناء البيت لم يدر أين يبني فبعث الله ريحاً خجوجاً^(٥) فكشفت له ما حول الكعبة عن الأساس الأول الذي كان البيت عليه قبل أن يرفع أيام الطوفان^(٦) وقال الكلبي بعث الله سحابة على قلد البيت فيها رأس يتكلم فقامت بحيان البيت وقالت: يا إبراهيم ابن علي قدري^(٧) وقوله ﴿ألا تشرك بي شيئاً﴾ أي وأوحى إليه^(٨) الا تعبد معي غيري، قال المبرد: كأنه قيل له وحدني في هذا البيت لأن معنى: لا تشرك بي شيئاً وحد الله وطهر بيتي من الشرك وعبادة الأوثان والآية مفسرة في سورة البقرة، قوله: ﴿وأذن في الناس بالحج﴾ قال جماعة المفسرين لما فرغ إبراهيم من بناء البيت جاءه جبريل فأمره أن يؤذن في الناس بالحج فقال إبراهيم يا رب وما يبلغ صوتي قال الله أذن وعلي البلاغ فعلا على المقام فأشرف به حتى صار كأطول الجبال فأدخل أصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه يمينا وشمالاً وغرباً وقال: يا أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيبوا ربكم فأجابه من كان في أصلاب الرجال

(١) أبو بكر بن الحسن الحيري ت سنة ٤٢١ هـ وله ست وتسعون سنة دول الاسلام ٢٥١/١.

(٢) محمد بن يوسف البخاري أبو أحمد البيكندي تهذيب التهذيب ٥٣٨/٩.

(٣) عدن أبين مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن. معجم البلدان ٨٩/٤.

(٤) قال الهيثمي رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري وأحمد رجال الصحيح مجمع الزوائد ٧٠/٧ كتاب التفسير سورة الحج.

والحاكم في المستدرک کتاب التفسير سورة الحج ٣٨٧/٢.

(٥) الخجوج من الريح الشديد المر. اللسان خجج.

(٦) رواه ابن جرير عن السدي: ١٠٥/١٧، ولكن السدي متروك الحديث.

(٧) رواه ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن السدي انظر الدر المنثور ٣١/٦ ط دار الفكر ومن الثابت أن الكلبي متهم في حديثه فلا يعتد بحديثه هذا.

(٨) في هـ: اليك.

وأرحام النساء ليك اللهم ليك^(١) أخبرنا عبد القاهر بن طاهر أنا القاسم بن غانم بن هوويه، نا محمد بن إبراهيم بن سعيد، نا زكريا بن يحيى^(٢)، نا أبو خلف عبد الله بن عيسى^(٣) الخزاز، نا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: لما أمر الله إبراهيم عليه السلام أن ينادي في الناس صعداً أبا قيس^(٤) ووضع أصبعيه في أذنيه وقال يا أيها الناس أجيئوا ربكم فأجابوه بالتلبية في أصلاب الرجال [وأول]^(٥) من أجابه أهل اليمن فليس أحد يحج البيت إلى أن تقوم الساعة إلا من أجاب إبراهيم ذلك اليوم^(٦) فذلك قوله ﴿يأتوك رجالاً﴾ فمن أتى الكعبة حاجاً فكأنه قد أتى إبراهيم لأنه موجب نداء ورجال جمع راجل مثل قائم وقيام ﴿وعلى كل ضامر﴾ أي ركبانا والضمور: الهزال، قال ابن عباس: يريد الأبل ولا يدخل بعير ولا غيره الحرم الا وقد ضمر، والمعنى: يأتوك مشاة وركبانا أخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق [المزكي]^(٧)، أنا أبو عمرو بن نجيد، نا محمد بن أيوب، أنا أحمد بن حاتم، نا يحيى بن سليم الطائفي عن محمد بن مسلم عن ذكره وهو إبراهيم بن ميسرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه قال لبنيه: يا بني حجوا من مكة مشاة حتى ترجعوا إليها مشاة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: للحجاج الراكب بكل خطوة يخطوها راحلته سبعون حسنة وللحاج المشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنة الحرم قال قيل: وما حسنة الحرم قال الحسنة بمائة ألف^(٨) وقوله: ﴿يأتين من كل فج عميق﴾ أي طريق بعيد وذكرنا الفج عند قوله ﴿فجاً سبلاً﴾^(٩) أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الفقيه، أنا محمد بن أحمد بن سنان، أنا أحمد بن علي الموصلي، نا إبراهيم بن الحجاج، نا صالح المري عن يزيد^(١٠) الرقاشي عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يباهي بأهل عرفات الملائكة يقول: يا ملائكتي انظروا إلى عبادي شعثاً غيراً أقبلوا يضربون إلي من كل فج عميق، فأشهدكم أنني قد أجبت دعاءهم، وشفعت رغبتهم، ووهبت مسيئتهم لمحسنهم، واعطيت لمحسنهم جميع ما سألوني غير التبعات التي بينهم، فإذا أفاض القوم إلى جمع ووقفوا، عادوا في الرغبة والطلب [إلى الله يقول: ملائكتي عبادي وقفوا فعادوا في الرغبة والطلب]^(١١) فأشهدكم أنني قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيئتهم لمحسنهم واعطيت محسنهم جميع ما سألني وكفلت عنهم بالتبعات التي بينهم^(١٢) قوله تعالى ﴿ليشهدوا﴾ ليحضروا: يعني: الذين يأتون ﴿منافع﴾ لهم أكثر المفسرين: جعلوها منافع^(١٣) الدنيا، وقالوا: يعني: التجارة والاسواق وهو قول سعيد بن جبيرة والسدي وابن عباس في رواية أبي رزين ومنهم من خصها بمنافع الآخرة وهو قول سعيد بن المسيب والعمري، واختيار الزجاج، قال: ليشهدوا ما

(١) رواه الحاكم في المستدرک موقوفاً على ابن عباس باختصار المستدرک كتاب التفسير سورة الحج ٣٨٩/٢ وابن جرير في تفسيره ١٠٦/١٧.

(٢) زكريا بن يحيى الباهلي انظر: تاريخ بغداد ٤٥٨/٨.

(٣) عبد الله عيسى الخزاز أبو خلف البصري: التهذيب ٣٥٣/٥.

(٦) في الدر المنثور رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس الدر المنثور ٣٢/٦ ط دار الفكر ورواه ابن جرير في تفسيره بالفاظ متقاربة ١٠٦/١٧.

(٧) ساقط من جميع النسخ عدا جـ.

(٨) رواه الحاكم في كتاب المناسك باب فضيلة الحج ماثياً وقال صحيح الاسناد ولم يخبره المستدرک ٤٦١/١.

(٩) الانبياء: ٣١.

(١٠) يزيد الرقاشي: ابن ابان الرقاشي البصري الميزان ٤١٨/٤.

(١١) ساقط من جـ.

(١٢) قال الهيثمي: رواه أبو يعلى، وفيه صالح المري وهو ضعيف مجمع الزوائد كتاب الحج، باب فضيلة الوقوف بعرفة والمزدلفة ٢٥٧/٣.

(١٣) ساقط من هـ، د.

تدبهم الله إليه مما فيه النفع لهم في آخرتهم ومنهم من جعلها شائعة في الاجر والتجارة وهو قول مجاهد ورواية عطاء عن ابن عباس قال: منافع لهم في الدنيا والآخرة أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ، أنا المغيرة بن عمرو بن الوليد العدني بمكة، نا المفضل بن محمد بن إبراهيم^(١) الشعبي، نا محمد بن يوسف، نا أبو فرقة قال ذكر أبو الحكم بن عبد الله بن المبارك^(٢) عن عبد الله بن لهيعة عن كثير بن الحارث عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقول إذا وقف بعرفة: اللهم انك دعوت إلى حج بيتك ووكدت المنفعة على شهود مناسكك وقد جئتك فاجعل منفعتي ما تنفعني به أن تؤتيني في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وان تقيني عذاب النار وقوله ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ قال الحسن ومجاهد يعني: أيام العشر قبل لها معلومات للحرص^(٣) على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها وقال ابن عباس في رواية عطاء يريد أيام الحج وهي يوم^(٤) عرفة والنحر وأيام التشريق واختاره الزجاج قال: لأن الذكرها هنا يدل على التسمية على ما ينحر لقوله: ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي على ذبح ما رزقهم من البدن [من الأبل]^(٥) والتمر والضأن والمعز، هذه الأيام تختص بذبح الأصاحي، قال قتادة: كان يقال: إذا ذبحت نسيكتك فقل: بسم الله والله أكبر اللهم منك ولك عن فلان وأول وقت الذبح إذا مضى صدر يوم النحر إلى أن تغرب الشمس من آخر أيام التشريق وقوله ﴿فكلوا منها﴾ يعني: من الأنعام التي تنحر وهذا أمر بإباحة إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، وكان أهل الجاهلية لا يستحلون أكل ذبائحهم، فأعلم الله أن ذلك جائز، هذا قول جماعتهم غير أن هذا في هدي كان صاحبه متطوعاً به أما إذا كان في كفارة أو جيرانا لنقصان فلا يحل لصاحبه الأكل^(٦) منه، وقوله: ﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ البؤس: هو شدة الفقر، قوله ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ التفث: الوسخ والقذارة من طول الشعر والأظفار والشعث وقضاؤه نقضه وإذخابه والحاج مغير شعته لم يدهن ولم يستحذ فإذا قضى نسكه وخرج من إحرامه بالقلم والحلق وقص الشارب^(٧) وليس الثياب ونسف الإبط وحلق العانة فهو قضاء التفث، قال الزجاج: كأنه الخروج من الإحرام إلى الإحلال، قوله ﴿وليوفوا نذورهم﴾ قال ابن عباس: هو نحر ما نذروا من البدن وقال آخرون: يعني: ما نذروا من أعمال البر في أيام الحج، وربما ينذر الرجل أن يتصدق إن رزقه الله لقاء الكعبة وإن كان على الرجل نذور مطلقة فالأفضل أن يتصدق ويهدىها إلى أهل مكة ولذلك قال: ﴿وليوفوا نذورهم﴾ أي: وليوفوها بقضائها ولم يقل بنذورهم لأن المراد بالإيفاء الاتمام وقوله ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ يعني الطواف الواجب ويسمى طواف الإفاضة^(٨) [لأنه يكون بعد الإفاضة] حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري إملاء، نا أبو العباس بن يعقوب المعقلي، نا أبو بكر محمد بن إسحاق الصغاني^(٩) نا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني الليث، حدثني عبد الرحمن بن^(١٠) خالد عن ابن شهاب عن محمد

(١) المفضل بن محمد بن إبراهيم بن مفضل بن عامر بن شراحيل الشعبي ت سنة ٣٠٨ للسان ٨٢/٦.

(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي أبو عبد الرحمن المروزي ت سنة ١٨١ عن ثلاث وستين سنة. تاريخ بغداد ١٠/١٥٢، تذكرة الحفاظ ١/٢٧٤ التهذيب ٥/٣٨٢.

(٣) في ج: للجزم.

(٤) في هـ والفجر بدلا من النحر.

(٥) ساقط من جـ.

(٦) في هـ: الإضافة وما بعدها ساقط من هـ.

(٩) محمد بن إسحاق بن جعفر الصغاني الخراساني ت سنة ٢٧٠ هـ انظر طبقات الحفاظ ص ٢٥٦ تاريخ بغداد ١/٢٤٠، تذكرة الحفاظ ٢/٥٧٣.

(١٠) عبد الرحمن بن خالد بن مسافر أبو خالد الفهمي المصري ت سنة ١٢٧ التهذيب ٦/١٦٥.

ابن عروة^(١) عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله ﷺ قال: «إنما سمي البيت العتيق لأن الله أعتقه من الجبابة فلم يظهر عليه جبار قط»^(٢) وهذا قول أكثر المفسرين قالوا: لم يسلط عليه جبار أراد دخوله ولكن يذل له ويتواضع، وقال الحسن: البيت العتيق القديم، وهو قول ابن زيد يدل عليه قوله تعالى ﴿إِنْ أُولَ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ﴾^(٣) وهو ما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الزاهد^(٤) أنا أبو عمرو بن محمد بن أحمد الحيري، أنا الحسن بن سفيان، نا سفيان [بن] ^(٥) وكيع، نا أبي عن زمعة^(٦) بن صالح عن سلمة بن وهرام^(٧) عن عكرمة عن ابن عباس قال: حج النبي ﷺ فلما أتى وادي عسفان^(٨) قال «لقد مر بهذا الوادي نوح وهود وإبراهيم على بكرات حمر خطمهن الليف وأزرهم العباء وأرديتهن النمار يحجون البيت العتيق»^(٩).

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۚ حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَفَّتْ وَالطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ۚ

قوله ﴿ذَلِكَ﴾ أن الأمر ذلك يعني: ما ذكر من أعمال الحج ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ قال الليث: الحرمة ما لا يحل انتهاكه^(١٠) وقال الزجاج: الحرمة ما وجب القيام به وحرمة التفريط فيه، وهي في هذه الآية ما نهي عنها، ومنع من الوقوع فيها، وتعظيمها: ترك ملابتها، وكثير من الناس اختاروا في معنى الحرمات ها هنا: انها المناسك، لدلالة ما يتصل بها من الآيات، وقال ابن زيد: المراد بالحرمات ها هنا: البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام [والاحرام]^(١١) ويدل على هذا قوله ﴿والحرمات قصاص»^(١٢) وقوله ﴿فهو﴾ أي التعظيم ﴿خير له عند ربه﴾ يعني: في الآخرة ﴿وأحلت لكم الأنعام﴾ الابل والبقر ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ تحريمه في سورة المائدة من الميتة والمنخفة ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ أي كونوا على جانب منها فإنها رجس أي سبب رجس وهو العذاب أو المأثم قال الزجاج: من ها هنا تخلص جنس

(١) محمد بن عروة بن الزبير بن العوام الاسدي التهذيب ٣٤٣/٩.

(٢) رواه الترمذي في كتاب التفسير سورة الحج والهيثمى وقال رواه البزار وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث قيل ثقة وقد ضعفه الائمة أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد كتاب الحج باب منعة الجبابة ٢٩٦/٣.

(٣) آل عمران: ٩٦.

(٤) سعيد بن محمد بن عبدان النيسابوري تاريخ بغداد ١٠٦/٩.

(٥) ساقط من د.

(٦) زمعة بن صالح الجندي اليماني التهذيب ٣٣٨/٣.

(٧) سلمة بن وهرام اليماني التهذيب ١٦١/٤.

(٨) وادي عسفان موضع بين مكة والمدينة على بعد ستة وثلاثين ميلا من مكة وهو حد لمنطقة تهامة. معجم البلدان ١٢١/٤.

(٩) في مجمع الزوائد لقد مر بهذا الوادي هود وصالح على بكرات حمر. . . الخ

وقال رواه أحمد وفيه زمعة بن صالح فيه كلام وقد وثق مجمع الزوائد كتاب الحج باب التواضع في الحج ٢٢٠/٣ والراجح حديث

الهيثمى، وذلك لأن إبراهيم هو الذي قام ببناء البيت والأذان في الناس بالحج.

(١٠) تهذيب اللغة للازهري ٤٤/٥.

(١١) ساقط من ج.

(١٢) البقرة: ١٩٤.

من أجناس^(١)، والمعنى: فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ يعني: الشرك بالله وكان أهل الجاهلية يقولون في تليبتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، ويريدون الصنم وقال الزجاج المراد بقوله الزور هاهنا: تحليلهم بعض الأعمام، وتحريم بعضها من البحيرة^(٢) والسائبة^(٣) وقولهم هذا حلال وهذا حرام ليفتروا على الله الكذب وقال ابن مسعود: يعني شهادة الزور أخبرنا أحمد بن إبراهيم المهرجاني أنا عبد الله بن محمد الزاهد، أنا هو القاسم المنيعي، نا جدي، نا مروان بن معاوية عن سفيان بن زياد الأسدي عن فاتك بن^(٤) فضالة عن أيمن بن خزيم^(٥) أن رسول الله ﷺ قام خطيباً فقال: «أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله ثم قرأ ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾^(٦) يريد أنه قد جمع بين عبادة الوثن وشهادة الزور، قوله ﴿حنفاء لله غير مشركين به﴾ ذكر معنى الحنيف فيما تقدم قال قتادة وعبد الله بن^(٧) القاسم: كانت حنيفة في الشرك كانوا يحجون البيت ويحرمون في شركهم الأمهات والبنات والأخوات وكانوا يسمون حنفاء فتزلت في حق المؤمنين ﴿حنفاء لله غير مشركين به﴾ [أي حجاجاً لله وهم مسلمون موحدون ثم ضرب لمن أشرك مثلاً فقال: ﴿ومن يشرك بالله﴾^(٨) فكأنما خر من السماء﴾ أي سقط من السماء ﴿فتخطفه الطير﴾ أي تأخذه بسرعة من قولهم: خطف يخطف خطفاً، إذا سلبه، ومنه قوله ﴿يخطف أبصارهم﴾^(٩) قال ابن عباس: يريد تخطف لحمه ﴿أو تهوي به الريح﴾ أي تسقطه ﴿في مكان سحيق﴾ [بعيد يقال: سحق سحقاً فهو سحيق]^(١٠)، قال الزجاج: أعلم الله أن بعد من أشرك به من الحق كبعد من خر من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح فهو هالك لا محاله، إما باستلاب الطير لحمه، وإما بسقوطه في الممكن السحيق قوله:

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْمِلُهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

﴿ذلك﴾ أي الامر ذلك الذي ذكرناه ﴿ومن يعظم شعائر الله﴾ قال مجاهد: يريد استعظام البدن واستسمانها [واستحسانها]^(١١) وهو قول ابن عباس في رواية مقسم، والشعائر جمع الشعيرة وهي البدن إذا أشعرت أي أعلم^(١٢) عليها بأن يخرج^(١٣) سنامها من الجانب الأيمن ليعلم أنها هدي، والذي يهدي مندوب إلى طلب الأسم

(١) معنى تخلص جنس من اجناس: ان تذكر شيئاً تحته اجناس، والمراد أحدهما، فاذا اردت واحداً منها بيته كهذه الآية فلما اقتصر عليه المراد، فلما خرج بذكر الاوثان علم انها المراد من الجنس وقرنت بمن للبيان، فلذلك قيل: انها للجنس واما اجتناب غيرها فمستفاد من دليل آخر والتقدير: واجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان، فهي راجعة إلى معنى الصفة البرهان ٤/٤١٧.

(٢) البحيرة: ابنة السائبه وحكمها حكم امها الصنحاح للجوهري مادة بحر.

(٣) السائبة الناقة التي كانت تسبب في الجاهلية لنذر ونحوه وقد قيل هي أم البحيرة، كانت الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سبيها فلم تترك ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو الضيف حتى تموت فإذا ماتت اكلها الرجال والنساء جميعاً الصنحاح مادة ساب.

(٤) فاتك بن فضالة بن شريك بن سلمان بن خرشة الكوفي التهذيب ٨/٢٥٥.

(٥) أيمن بن خزيم بن الأحزم بن شداد الأسدي (مختلف في صحته) تهذيب التهذيب ١/٣٩٢، اسد الغابة ١/٣٩٢.

(٦) مسند ابن جنبل ٤/٣٢١ ط بيروت.

(٧) في هـ: بن أبي القاسم.

(٨) ساقط من جد والعبارة: في حق المؤمنين ساقط من هـ.

(٩) البقرة: ٢.

(١٠) ساقط من د، هـ.

(١١) ساقط من ج، د، هـ.

(١٢) في هـ: اعلمت.

(١٣) في هـ: يخرج.

والأعظم ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ أي فبان تعظيمها ثم حذف المضاف لدلالة يعظم على التعظيم وأضاف التقوى إلى القلوب لأن (١) حقيقة التقوى تقوى القلوب قوله: ﴿لكم فيها﴾ في الشعائر ﴿منافع﴾ بركوبها وشرب لبنها ان احتاج إليه ﴿إلى أجل مسمى﴾ إلى أن ينحر فهذا قول عطاء بن أبي رباح ومذهب الشافعي وعنده أن المهدي لو ركب هدية ركوباً غير فادح فلا بأس (٢) والأكثرون من المفسرين يذهبون إلى أن المنافع من رسلها ونسلها وركوب ظهرها وأصوافها وأدبارها إنما يكون قبل أن يسميها هدياً فإذا سماها هدياً انقطعت المنافع بعد ذلك وهو قوله: إلى أجل مسمى وبعد أن سميت هدياً لا ينتفع بها غير أهل (٣) الله، والقول هو الأول لقوله تعالى ﴿لكم فيها منافع﴾ أي في الشعائر وقبل إيجابها لا تسمى شعائر، ولما روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال اركبها فقال إنها بدنة فقال اركبها ويحك أو ويلك (٤). وقوله ﴿ثم محلها﴾ أي حيث يحل نحرها ﴿إلى البيت العتيق﴾ يعني عند البيت، وهو الحرم كله.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۚ فَإِنَّهُمْ إِلَىٰ اللَّهِ يُحْجُّونَ فَذَلِكُمْ أَصَابُهُمْ ۚ وَبَشِّرِ الصَّادِقِينَ ۖ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَالصَّادِقِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ ۚ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۖ

قوله ﴿ولكل أمة﴾ (٥) أي جماعة مؤمنة يعني: من الذين سلفوا ﴿جعلنا منسكاً﴾ المنسك ها هنا مصدر من نسك ينسك إذا ذبح قربان قال مجاهد يريد إراقة الدماء، وقال عكرمة وقتادة ومقاتل: يعني: ذبح وقرأ حمزة بكسر السين (٦) والفتح أولى (٧) لأن المصدر من هذا الباب بفتح العين والمعنى جعلنا لكل أمة أن يتقرب إلى الله بأن تذبح الذبائح ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم﴾ أي على نحر ما رزقهم ﴿من بهيمة الأنعام﴾ وبهيمة غير الأنعام لا يحل ذبحها ولا التقرب بها، والآية دالة على أن الذبائح ليست من خصائص هذه الأمة وأن التسمية على الذبائح كانت مشروعة قبلنا، وقوله ﴿فإلهمك إله واحد﴾ أي لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده ﴿فله أسلموا﴾ انقادوا وأطيعوا ﴿وبشر المخبتين﴾ المتواضعين المطمئنين إلى الله ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ إذا خوفوا بالله خافوا ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلاء والمصائب في طاعة الله ﴿والمقيم الصلاة﴾ في أوقاتها يؤدونها كما استحفظهم الله ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ قال ابن عباس: يتصدقون من الواجب وغيره قوله:

وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۗ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ۗ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَنَاعِ وَالْمَعْتَرِ ۚ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۖ

(١) فيما عداها أي لأن... الخ.

(٢) الام للشافعي ١٨٣/٢ ط الشعب.

(٣) المراد بأهل الله: الفقراء والمساكين.

(٤) رواه البخاري في كتاب الحج ركوب البدن ٢٠٥/٢ ط الشعب، مسلم كتاب الحج باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها ٩٦٠/٢ ط الحلبي.

(٥) في أ: لكل أمة جعلنا وهي مكررة.

(٦) قراءة (منسكا) بكسر السين لم يقرأ بها حمزة وإنما قرأ بها أيضاً الكسائي وخلف انظر السبعة ص ٤٣٦ والنشر ٢/٣٢٦.

(٧) قراءة (منسكا) بفتح السين قرأ بها: ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب انظر السبعة ٤٣٦ والنشر ٢/٣٢٦.

﴿والبدن﴾ جمع بدنة ويجوز بضم الدال [مثل ثمرة] (١) وثمر وثمر وهي الناقة والبقرة مما يجوز في الهدى والأضاحي (٢) ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أي من أعلام دينه والمعنى: جعلنا لكم فيها عبادة لله من سوقها إلى البيت وتقليدها وإشعارها ونحرها والأطعام منها ﴿لكم فيها خير﴾ يعني: النفع في الدنيا والأجر في الآخرة ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ على نحرها ﴿صواف﴾ قال ابن عباس وابن عمر: قياما مقيدة سنة محمد ﷺ وقال مجاهد: إذا عقلت إحدى يديها وقامت على ثلاث تنحر كذلك ويسوى بين أوظفتها (٣) لثلا يتقدم بعضها على بعض ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ سقطت إلى الأرض وذلك عند خروج الروح منها وهو وقت الأكل منها وهو قوله: ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء القانع الذي لا يسأل والمعتر الذي يأتيك بالسلام ويريك وجهه ولا يسأل وهذا قول زيد بن أسلم وابنه وسعيد بن جبير والحسن، وقال الوالبي وعكرمة وقتادة ومجاهد: القانع الذي يقنع ويجلس في بيته والمعتر الذي يعتريك ويسألك وروى العوفي عن ابن عباس أن كليهما الذي لا يسأل قال: القانع الذي يرضى بما عنده ولا يسأل والمعتر الذي يتعرض لك ولا يسألك ويقال: قنع قنوعا إذا سأل وقنع يقنع قناعة إذا رضي بما قسمه له وترك المسألة والتعرض قال أبو زيد سأل القانع السائل قال بعضهم المتعفف، وكل يصلح، والمعتر من قولهم عره واعتره وعرام واعتراه إذا أتاه يطلب معروفة إما سؤالا أو تعرضا وقوله ﴿كذلك﴾ أي مثل ما وصفنا من نحرها قياما ﴿سخرناها لكم﴾ نعمة منا عليكم لتتمكنوا من نحرها على الوجه المسنون ﴿لعلكم تشكرون﴾ لكي تشكروا إنعام الله عليكم، قال ابن عباس: شكر الله طاعة له واعتراف بإنعامه قوله:

لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ النُّقُوعُ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا﴾ قال الكلبي: كان أهل الجاهلية إذا نحرروا البدن نضحوا دماءها حول البيت قريبة إلى الله وأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فأنزل الله هذه الآية قال مقاتل: لن ترفع إلى الله لُحُومها ولا دِمَآؤها ولكن يرفع إلى الله الأعمال الصالحة والتقوى وهو ما أريد به وجه الله تعالى قال الزجاج: أعلم الله أن الذي يصل إليه تقواه وطاعته فيما يأمر به وحقيقته معنى هذا الكلام يعود إلى القبول وذلك أن ما يقبله الإنسان يقال قد ناله ووصل إليه فخاطب الله الخلق كعادتهم في مخاطبتهم، والمعنى: لن يقبل الله اللحوم ولا دماء إذا كانت من غير تقوى الله وإنما يقبل منكم ما تتقونه به وفي هذا دليل على أن شيئا من العبادات لا يصلح إلا بالنية وهو أن ينوي بها التقرب إلى الله واتقاء عقابه وقوله: ﴿كذلك سخرها لكم﴾ تقدم تفسيره ﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾ على ما بين لكم وأرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو أن يقول الله أكبر على ما هدانا ﴿وبشر المحسنين﴾ قال ابن عباس: يريد الموحدين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ ﴿٣٨﴾

(١) ساقط من د.

(٢) انظر اللسان مادة: بدن.

(٣) الأوظفة جمع وظيف وهو لكل ذي أربع ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق لسان العرب. فصل الواو حرف الفاء.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ غائلة المشركين بمنعهم منهم ونصرهم عليهم وقرىء يدافع^(١) وهو بمعنى يدفع وإن كان من المفاعلة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ قال ابن عباس: يريد الذين خانوا الله وجعلوا معه شريكاً وكفروا نعمه، وقال الزجاج: من ذكر غير اسم الله وتقرَّب إلى الأصنام بذبيحة فهو خَوَّانٌ كَفُورٌ، قوله:

أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ يَذُكُرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيْنَصَرْتَهُ اللَّهُ مِنْ نَصْرِهِ لَنُصِرْتَهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾

﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم﴾ الآية قال المفسرون كان مشركوا أهل مكة يؤذون اصحاب النبي ﷺ فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومشجوب ويشكون ذلك فيقول لهم النبي ﷺ: اصبروا فإنني لم أؤمر بالقتال^(٢) حتى هاجروا فأنزل الله هذه الآية بالمدينة وهي أول آية أنزلت في القتال وقرىء أذن بفتح الألف^(٣) على إسناد الفعل إلى الله تعالى لتقدم ذكره قوله: ﴿بأنهم ظلموا﴾ أي بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بإيذائهم وإخراجهم عن ديارهم وقصدتهم بالضرب والإهانة وقرىء يقاتلون بفتح التاء^(٤) أي الذين^(٥) يقاتلهم المشركون المؤمنون ويقوي هذه القراءة أن الفعل الذي بعده مسند إلى المفعول به وهو قوله ظلموا وفي الآية محذوف تقديره: أذن لهم أن يقاتلوا أو بالقتال ثم وعدهم النصر فقال ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ يعني المؤمنين ثم وصفهم فقال ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ قال سيويه هذا من الاستثناء المنقطع المعنى: لكن بأن يقولوا ربنا الله^(٦) أخرجوهم بتوحيدهم ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ وقرىء ولولا دفاع الله^(٧) وتقدم الكلام في هذا وقوله ﴿لهدمت﴾ يقال: هدمت البناء إذا قضضته فانهدم وقرىء بالتشديد^(٨) والتخفيف^(٩) يكون للكثير والقليل والتشديد^(١٠) يختص به الكثير وقوله ﴿صوامع﴾ قال مجاهد والضحاك: يعني صوامع الرهبان وقال قتادة الصوامع للصابئين وهي متعبداتهم ﴿وبيع﴾ جمع بيعة وهي كنيسة النصراني ﴿وصلوات﴾ وهي كتابس اليهود وهي بالعبرانية صلوتا ﴿ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ بمعنى: مساجد المسلمين من أمة محمد ﷺ ومعنى الآية يقول: لولا دفع الله الناس عن القتال ببعض الناس لهدم في شريعة^(١١) كل نبي

(١) قراءة (يدافع) بالالف قرأ بها جميع القراء عدا ابن كثير وأبو عمرو انظر: السبعة ص ٤٣٧ والنشر ٣٢٦/٢، ولفظ من المرافعة من هـ فقط.

(٢) ذكره كثير من المفسرين بدون إسناد وابن كثير في البداية والنهاية ٦٤/٣ في بيعة العقبة الثانية رواية ابن إسحاق عن عبد الله بن كعب بن مالك.

(٣) قراءة (أذن) بفتح الألف، قرأ بها ابن كثير وهمزة والكسائي. السبعة ص ٤٣٧ والنشر ٣٢٦/٢.

(٤) قراءة (يقاتلون) بفتح التاء، قرأ بها نافع وحفص عن عاصم وأبو جعفر انظر السبعة ص ٤٣٧ والنشر ٣٢٦/٢.

(٥) في ج: الذي.

(٦) كتاب سيويه ٣٢٥/٢ بتحقيق عبد السلام هارون.

(٧) قراءة (دفاع) بكسر الدال وألف بعدها قرأ بها نافع وأبو جعفر ويعقوب انظر السبعة ص ٤٣٨ والنشر ٣٢٧/٢.

(٨) قراءة التشديد (لهدمت) قرأ بها ابن عامر وهمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم وخلف انظر السبعة ص ٤٣٨ والنشر ٣٢٧/٢.

(٩) قراءة التخفيف في (لهدمت) قرأ بها نافع وابن كثير وأبو جعفر انظر السبعة ص ٤٣٨ والنشر ٣٢٨/٢.

(١٠) في هـ: الفساد.

(١١) في هـ: كل شريعة.

المكان الذي يصلى فيه فكان لولا الدفع لهدم في زمن موسى الكنايس وفي زمن عيسى الصوامع وفي زمن محمد ﷺ المساجد وقوله ﴿ولينصرون الله من ينصره﴾ أي ينصر دينه وشريعته ﴿إن الله لقوي﴾ على خلقه ﴿عزيز﴾ منيع بي سلطانه وقدرته، وقال مقاتل: عزيز في انتقامه من عدوه.

الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ
وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾

﴿الذين إن مكانهم في الأرض﴾ قال الزجاج: هذا من صفة ناصريه يعني: ان هذا صفة من قوله ﴿من ينصر﴾ ومعنى: ﴿مكانهم في الأرض﴾ نصرناهم على عدوهم حتى يتمكنوا من البلاد، قال قتادة ومقاتل هم اصحاب محمد ﷺ، وقال الحسن وعكرمة هم هذه الأمة أهل (١) الصلوات الخمس، وهذا يدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ قرنا بالصلاة والزكاة ﴿وإلى الله عاقبة الأمور﴾ كقوله ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ (٢) والمعنى: انه يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير الأمور إليه بلا منازع ومدع ثم عزى نبيه عليه السلام عن تكذيبهم اياه وخوف مخالفيه بذكر من كذب نبيه فأهلك بقوله:

وَإِنْ يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرُؤُا مُعْتَدِلَةً وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

﴿وإن يكذبوك﴾ إلى قوله ﴿فأمليت للكافرين﴾ أي أخرجت عقوبتهم وأمهلتهم يقال: أملى الله لفلان في العمر إذا أخر عنه أجله وقوله ﴿ثم أخذتهم﴾ أي بالعذاب ﴿فكيف كان نكير﴾ استفهام معناه التقرير تقول كيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب ابدلتهم بالنعمة نقمة وبالحياة هلاكاً وبالعمارة (٣) خراباً والنكير اسم من الإنكار قال: الزجاج: أي أخذتهم فأنكرت أبلغ إنكار ثم ذكر كيف عذب أهل القرى المكذبة فقال ﴿وكأين من قرية أهلكتها﴾ وقرىء أهلكتها (٤) كقوله ﴿وكم قصصنا من قرية﴾ (٥) ﴿وكم من قرية﴾ (٦) أهلكتها والاختيار التاء لقوله (٧) ﴿فأمليت﴾ وقوله ﴿وهي ظالمة﴾ أي وأهلها ظالمون بالتكذيب والكفر ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ تقدم تفسيره في سورة البقرة ﴿ويبرؤا معتدلة﴾ عطف على قوله ﴿من قرية﴾ لأن المعنى

(١) فيما عدا هـ: هم أهل.

(٢) فاطر: ٤.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) قراءة (اهلكتها) بالنون قرأ بها جميع القراء عدا أبو عمرو فقد قرأ (اهلكتها) بالتاء المضمومة من غير ألف. انظر السبعة ص ٤٣٨ والنش

٣٢٧/٢

(٥) الانبياء: ١١.

(٦) فيما عدا د كقوله.

(٧) ساقط من د، هـ والآية من سورة الاعراف (٤).

وكم من بشر معطلة ﴿وقصر مشيد﴾ تركوا بعد إهلاكهم، والمعطلة: المتروكة من العمل والاستقاء، ومعنى التعطيل: الترك من العمل، والمشيد: المطول المرفوع، من قولهم: شاد بناء^(١) إذا رفعه، ذكرنا ذلك في قوله ﴿بروج مشيدة﴾^(٢) ثم حث على الاعتبار بحال من مضى من الأمم المكذبة فقال ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ قال ابن عباس: أفلم يسر قومك في أرض اليمن والشام ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ يعلمون بها ما يرون من العبر والمعنى: فيعقلون بقلوبهم ما نزل بمن كذب قبلهم ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ اخبار الأمم المكذبة، قال ابن قتيبة وهل شيء ابغ في العظة والعبر من الآية لأن الله أراد أفلم يسيروا في الأرض فينظروا إلى آثار قوم أهلكهم الله بالعتو فيروا بيوتاً خاوية قد سقطت على عروشها وبثراً يشرب أهلها قد عطلت وقصراً بناه ملكها بالشيء قد خلا من السكن وتداعى من الخراب^(٣) فيتعظوا بذلك ويخافوا من عقوبة الله مثل الذي نزل بهم ثم ذكر الله تعالى أن أبصارهم الظاهرة لم تعم عن النظر وإنما عميت قلوبهم فقال ﴿فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور﴾ ذكر الفراء والزجاج أن^(٤) قوله التي في الصدور من التوكيد الذي تريده العرب في الكلام كقوله ﴿عشرة كاملة﴾^(٥) وقوله ﴿ويقولون بأفواههم﴾^(٦) وقوله ﴿يطير بجناحيه﴾^(٧) قوله:

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾
وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾

﴿يستعجلونك بالعذاب﴾ أي يسألونك أن تأتي بعذابهم عاجلاً ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ في إنزال العذاب بهم في الدنيا قال ابن عباس: يعني: يوم بدر ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ قال مجاهد وعكرمة وابن زيد: هو من أيام الآخرة ويدل على هذا ما روي «أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام»^(٨) والمعنى على هذا أنهم يستعجلون بالعذاب وإن يوماً من أيام عذابهم في الآخرة ألف سنة قال الفراء: وفي هذه الآية وعيد^(٩) لهم بالعذاب في الدنيا والآخرة وذكر الزجاج وجهاً آخر فقال أعلم الله أنه لا يفوته شيء وإن يوماً عنده وألف سنة في قدرته واحد و[لا]^(١٠) فرق بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره في القدرة إلا أن الله تفضل بالإمهال وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء قال: المعنى: إن يوماً عنده في الإمهال وألف سنة سواء لأنه قادر عليهم متى شاء أخذهم، وقرىء يعدون بالياء^(١١) والتاء^(١٢) فمن قرأ بالياء فلقوله يستعجلونك ومن قرأ بالتاء فلائنه أعم من خطاب المستعجلين^(١٣) والمؤمنين ثم أعلم أنه قد أخذ قوماً بعد الإملاء والتأخير فقال ﴿وكأين من قريبة أمليت لها﴾ الآية وما بعدها ظاهر إلى قوله:

(١) في ج: شاد بناه يشيد شيئا.

(٢) النساء: ٧٨.

(٣) في هـ: بالخراب.

(٤) في هـ: إلى.

(٥) رواه الترمذي في أبواب الزهد باب ما جاء في فضل الفقر وقال حسن غريب من هذا الوجه ٥٧٦/٤ ط الحلبي.

(٦) فيما عدا جـ وعد.

(٧) قراءة (يعدون) بالياء قرأ بها كثير وهمزة والكسائي وخلف بالياء. انظر السبعة ص ٤٣٩ والنشر ٢/٣٢٧.

(٨) قراءة (تعدون) بالتاء قرأ بها: ابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر وعاصم ونافع ويعقوب. انظر السبعة ص ٤٣٩ والنشر ٢/٣٢٧.

(٩) فيما عدا هـ: لأنه خطاب للمستعجلين.

(٦) آل عمران: ١٦٧.

(٧) الانعام: ٣٨.

(١٠) ساقط من جـ.

قُلْ يَكْفُرُ النَّاسُ إِذْمًا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِرِينَ ءَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ أي عملوا في إبطالها ﴿معجزين﴾ ظانين ومقدرين أن يعجزونا ويفوتونا لأنهم ظنوا أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار وهذا معنى قول قتادة: ظنوا أنهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم، وهذا كقولهم ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ (١) أن يسبقونا ﴿(٢) ومن قرأ معجزين﴾ (٣) فالمعنى: أنهم كانوا يعجزون من اتباع النبي ﷺ أي ينسبونهم إلى العجز، ثم أخبر عن هؤلاء أنهم أصحاب النار بقوله ﴿وأولئك أصحاب الجحيم﴾.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ ءَاثَرُوا الْعِلْمَ أَنَّ الْحَقَّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾

قوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ الرسول: الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عيا ومحاورته إياه شفاها، والنبي: الذي تكون نبوته إلهاما أو مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول (٤) وقوله ﴿إلا إذا تمنى﴾ قال ابن عباس: إلا إذا قرأ، وقال المفسرون: تلا، وذكرنا التمني بمعنى: القراءة في قوله: ﴿إلا أماني﴾ (٥) وقوله ﴿ألقى الشيطان في أمنيته﴾ أي تلاوته، قال: جماعة من المفسرون إن رسول الله ﷺ كان حريصاً على إيمان قومه فجلس يوماً ما في مجلس لهم وقرأ عليهم سورة النجم فلما أتى إلى قوله ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الشاكلة الأخرى﴾ (٦) ألقى الشيطان في أمنيته (٧) حتى وصل (تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) ففرح المشركون بذلك وقالوا: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر فاتاه جبريل وأخبره بما جرى من الغلط على لسانه فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية (٨) وهذا قول ابن عباس والسدي ومجاهد وقتادة والزهري وسعيد بن جبير وغيرهم، قال عطاء عن ابن عباس: إن شيطاناً يقال له الأبيض أتى النبي ﷺ فألقى في قراءته وإنما الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى.

(١) ساقط من أ، ب.

(٢) العنكبوت: ٤

(٣) قراءة (معجزين) بتشديد الجيم من غير ألف، قرأ بها: ابن كثير وأبو عمرو. انظر السبعة ص ٤٣٩ والنشر ٣٢٧/٢.

(٤) للتوسع انظر تفسير مفاتيح الغيب للرازي ٥٠/٢٣.

(٥) البقرة: ٧٨.

(٦) النجم: ١٩، ٢٠.

(٧) ساقط من ج.

(٨) قال ابن كثير عن هذه الرواية رويت من طرق كلها مرسله ولم أر من أسندها من وجه صحيح، وقال الهيثمي زواه الطبراني وفيه ابن لهيعة ولا يحتمل هذا من ابن لهيعة مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة الحج ٧٢/٧ وسوف نفرد هذا البحث بدراسة منفصلة في قسم الدراسة.

وقال السدي عن أصحابه: لما وقع من هذا ما وقع أنزل الله هذه الآية يطيب نفس محمد ويخبره أن الأنبياء قبله قد كانوا مثله ولم يبعث نبي إلا تمنى أن يؤمن قومه ولم يتمنى ذلك نبي إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضي قومه ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ وعلى هذا معنى قوله ﴿إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ إذا أحب شيئاً ألقى الشيطان في محبته وهذا دليل على جواز الخطأ والنسيان على الرسل ثم لا يقارون على ذلك^(١) وعلى ما قال ابن عباس إنما قاله الشيطان على [لسان]^(٢) رسول الله ﷺ ولم يكن له من ذلك إحساس قبل كانت فتنة من الله لعباده المؤمنين والمشركين وهو قوله ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة﴾ أي محنة، والله أن يمتحن بما يشاء، واللام في قوله ليجعل متعلقة بقوله ألقى، أي: ليجعل الله ما يلقي فتنة ﴿للذين في قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق وذلك أنهم افتتوا لما سمعوا ذلك ثم نسخ ورفع، فزادوا عتوا، وظنوا أن محمد يقول الشيء من عند نفسه ثم يندم فيبطله، وكذلك المشركون ازدادوا شراً وضلالة وتكديماً وهو قوله ﴿والقاسية قلوبهم﴾، قال ابن عباس: يريد المشركين وهم الذين لا تلين قلوبهم لتوحيد الله ﴿وإن الظالمين﴾ يعني: أهل مكة ﴿لفي شقاقٍ بعيدٍ﴾ لفي خلاف شديد ثم وصف حال المؤمنين في هذه الفتنة فقال: ﴿وليعلم الذين أتوا العلم﴾ التوحيد والقرآن، وقال السدي: والتصديق بنسخ الله وهو قوله ﴿أنه الحق من ربك﴾ ان نسخ ذلك وإبطاله حق من الله ﴿فيؤمنوا به﴾ فيصدقوا بالنسخ ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ ترق قلوبهم للقرآن فينقادوا لأحكامه بخلاف المشركين الذين قيل فيهم ﴿والقاسية قلوبهم﴾ ثم بين أن هذا الإيمان والاختبات إنما هو بلفظ الله وهدايته إياهم فقال: ﴿وإن الله لهادٍ الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾.

وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾
 الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾

﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ يعني: المشركين ﴿في مريّة منه﴾ في شك مما ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ يعني ساعة موتهم أي حتى يموتوا أو يقتلوا وهو قوله ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ يعني: يوم بدر في قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي: وسمى الله ذلك اليوم عقيماً لأنه لم تكن فيه للكفار بركة ولا خير فهو كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، قاله الضحاك واختاره الزجاج.

قوله ﴿الملك يومئذ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿الله﴾ من غير منازع ولا مدع فلا مالك ولا ملك يومئذ إلا الله وحده ﴿يحكم بينهم﴾ مما ذكر من قوله ﴿فالذين ءامنوا﴾ إلى قوله ﴿عذاب مهين﴾ ثم ذكر فضل المهاجرين^(٣) فقال:

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَاتَلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

(١) معنى لا يقارون على ذلك أي لا يوافقون على ذلك ولا يشنون عليه انظر اللسان: قرر.

وستتناول ذلك بالتفصيل في مبحث «الغرائيق» إن شاء الله.

(٢) ساقط من د.

(٣) في د: المجاهدين.

﴿والذين هاجروا في سبيل الله﴾ من مكة إلى المدينة ﴿ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين﴾ قال السدي : هو رزق الجنة ﴿ليدخلنهم مدخلاً يرضونه﴾ لأن لهم فيه ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين والمدخل يجوز أن يكون بمعنى المصدر وبمعنى المكان فإذا كان بمعنى المصدر فالمراد به إدخالاً يكرمون به فيرضونه وقرىء مدخلاً بفتح الميم^(١) على تقدير : فيدخلون مدخلاً يرضونه ﴿وإن الله^(٢) لعليم﴾ بنياتهم ﴿حليم﴾ عن عقابهم ﴿ذلك﴾ أي الأمر ذلك الذي قصصنا عليك ثم قال ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ من جازى الظالم بمثل ما ظلمه قال الحسن : بمعنى : قاتل المشركين كما قاتلوه ﴿ثم بغى عليه﴾ أي ظلم بإخراجه من^(٣) منزله يعني : ما أتاه المشركون من النبي على المسلمين حين أخرجوهم إلى مفارقة أوطانهم نزلت في قوم قاتلوا المشركين دفعاً لهم عن أنفسهم ثم أخرجوا من ديارهم فوعدهم الله النصر بقوله ﴿لينصرنه الله﴾ يعني المظلوم الذي^(٤) بغى عليه ﴿[إن الله]^(٥) لعفو غفور﴾ قال ابن عباس : عفا من مساوىء المؤمنين وغفر لهم ذنوبهم .

ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٥٨﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٥٩﴾

﴿ذلك﴾ أي ذلك النصر ﴿بأنه﴾ القادر على ما يشاء فمن قدرته انه ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع﴾ لدعاء المؤمنين ﴿بصير﴾ بهم حيث جعل فيهم البر والتقوى والإيمان ﴿ذلك﴾ الذي فعل من نصر المؤمنين ﴿بأن الله هو الحق﴾ ذو الحق في قوله وفعله فدينه حق وعبادته حق ﴿وأن ما يدعون﴾ يعني : المشركين ﴿من دونه هو الباطل﴾ الذي ليس عنده ضر ولا نفع ﴿وأن الله هو العلي﴾ العالي على كل شيء بقدرته ﴿الكبير﴾ الذي يصغر كل شيء سواه .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٠﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٣﴾

قوله : ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾ يعني : المطر ﴿فتصبح الأرض مخضرة﴾ بالنبات ﴿من الله لطيف﴾ بارزاق عباده واستخراج النبات من الأرض ﴿خبير﴾ بما في قلوب العباد عند تأخر المطر ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ عبداً وملكاً ﴿وإن الله لهو الغني﴾ عن عباده ﴿الحميد﴾ إلى أوليائته

(١) في هـ : وانه لعليم .

(٢) فيما عدا جـ ، هـ عن .

(٣) في هـ : اخرجوهم .

(٤) تفسير ابن جرير ١٧ / ١٣٦ .

(٥) ساقط من جـ .

وأهل طاعته ﴿الم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض﴾ قال ابن عباس: يريد البهائم التي تركب^(١) ﴿والفلك تجري في البحر بأمره﴾ وسخر لكم الفلك في حال جريها ﴿ويمسك السماء أن^(٢) تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ فيما سخر لهم وفيما حبس عنهم من السماء حتى لا تقع عليهم فيهلكوا ﴿وهو الذي أحياكم﴾ بعد أن كنتم نطفاً ميتة ﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ للبعث والحساب ﴿إن الإنسان يعني: المشرك﴾ لكفور ﴿لنعم الله حين ترك توحيد.

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَزِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَادُّعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾

قوله: ﴿لكل أمة﴾^(٣) لكل قرن مضى ﴿جعلنا منسكا هم ناسكوه﴾ قال ابن عباس: يريد شريعة هم عاملون بها ﴿فلا ينزعك في الأمر﴾ يعني: في الذبائح وذلك أن كفار قريش وخزاعة خاصموا رسول الله ﷺ في أمر الذبيحة وقالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم^(٤) قال الزجاج: ومعنى القول: فلا يتنازعك أي لا تنازعهم أنت كما تقول لا يخاصمك فلان في هذا أي لا تخاصمه وهذا جائز فيما يكون بين اثنين ولا يجوز لا يضربك فلان وأنت تريد لا تضربه وذلك ان المخاصمة لا تتم إلا باثنين فإذا ترك أحدهما فلا مخاصمة هنالك^(٥) ﴿وادع إلى ربك﴾ إلى الإيمان به والعمل بما شرعه ﴿إنك لعلى هدى﴾ دين ﴿مستقيم وإن جادلوك﴾ خاصموك في امر الذبيحة ﴿فقل الله أعلم بما تعملون﴾ من التكذيب فهو يجازيكم به وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾ تذهبون فيه إلى خلاف ما نذهب.

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾

﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾ قال ابن عباس: يريد قد علمت وأيقنت ذلك وهذا استفهام يراد به التقرير ﴿إن ذلك في كتاب﴾ يعني: ما يجري في السماء والأرض كل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ ﴿إن ذلك﴾ ان علمه بجميع ذلك ﴿على الله يسير﴾ سهل لا يتعذر عليه العلم به.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا نُتِلَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْمُوتُونَ بِالَّذِينَ

(١) تسخير الله لا يقتصر على البهائم وحدها وإنما تشمل كل ما على وجه الأرض ينتفع به الإنسان ولكنه في البهائم أوضح لانه لولا تسخير الله لها لما تمكن الإنسان من ركوبها والانتفاع بها وذلك لقوتها ووحشيتها.

(٢) في هـ: لثلا.

(٣) في أ: لكل أمة جعلنا وهي مكررة.

(٤) رواه ابن جرير بسنده عن قتادة تفسير ابن جرير ١٣٩/١٧ ورواه السيوطي عن ابن المنذر موقوفاً على مجاهد تفسير الآية الدر

٧١٣/٦ ط دار الفكر.

(٥) فيما عدا ج: هناك.

يَتَلَوْنَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قَلَّ أَفَأَنْبَيْتُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشِّرِ الْمَصِيرِينَ ﴿٧٠﴾

﴿ويعبدون من دون الله﴾ يعني: أهل مكة ﴿ما لم ينزل به سلطاناً﴾ حجة ﴿وما ليس لهم به علم﴾ أيها
الآهة ﴿وما للظالمين من نصير﴾ وما للمشركين من مانع من العذاب قوله ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ يعني:
القرآن ﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾ قال مقاتل: ينكرون القرآن أن يكون من الله والمنكر بمعنى:
الإنكار، والتأويل أثر الإنكار من الكراهية والعبوس ﴿يكادون يسطون﴾ يقعون بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ (١)
﴿بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾ أي يكادون يسطون اليهم أيديهم بالسوء، يقال سطا عليه وسطا به إذا تناوله بالبطش والعبث
والشدة ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ بشر لكم وأكره اليكم من هذا القرآن الذي تسمعون ثم فكر
ذلك فقال: ﴿النار﴾ أي هو النار ﴿وعدها الله الذين كفروا﴾ أي يصيرهم إليها ﴿وبشِّرِ الْمَصِيرِينَ﴾ هي، وقوله:

يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ
اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧١﴾ مَا
كَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ كَدْرِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٢﴾

﴿يا أيها الناس ضرب مثل﴾ قال الاخفش: إن قيل فأين المثل الذي ذكره الله في قوله ضرب مثل قيل ليس هاهنا مثل
والمعنى: إن الله قال ضرب لي مثل أي شبه بي الاوثان ثم قال ﴿فاستمعوا له﴾ لهذا المثل الذي جعلوه مثلاً وتأويلاً للآية جعل
المشركون الأصنام شركائي فعبدها معي فاستمعوا حالها ثم بين ذلك فقال: ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ يعني:
الأصنام وكانت ثلاثمائة وستين حول الكعبة ﴿لن يخلقوا ذباباً﴾ في صغره ومكثه ﴿ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب
شيئاً﴾ مما عليهم، قال ابن عباس: كانوا يطلون الأصنام بالزعفران فيجف فيأتي الذباب فيختلسه فلا يقدر أن يسترده
من الذباب ويستنقذه منه فذلك قوله ﴿لا يستنقذوه منه﴾ (٢) وقال السدي: كانوا يجعلون للأصنام طعاماً فيقع عليه
الذباب فيأكل منه فلا يستطيع أن يستنقذه منه وقوله ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء
والكلبي: الطالب الصنم والمطلوب الذباب وروي عنه على العكس من هذا، وهو أن الطالب الذي يطلب ما يسلب
من الطيب على الصنم والمطلوب الصنم يطلب الذباب منع السلب وقال السدي: الطالب الذي يطلب إلى هذا الصنم
بالتقرب إليه والصنم المطلوب إليه وهذا معنى قول الضحاك العابد والمعبود ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ ما عظموه حتى
عظمته حيث جعلوا هؤلاء الأصنام شركاء له ﴿إن الله لقويٌّ عزيزٌ﴾ في ملكه.

اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾

﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً﴾ يعني جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ﴿ومن الناس﴾ يريد النبيين
أخبر الله أن الاختيار إليه يختار من يشاء من خلقه فيجعلهم رسلاً وانبياؤه ﴿إن الله سميعٌ بصيرٌ﴾ بمن

(١) في هـ: الغيظ وهم... وليس لها موضع.

(٢) روى ذلك ابن جرير ١٧/١٤٠.

يتخذة رسولا ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ قال ابن عباس: ما قدموا ﴿وما خلفهم﴾ ما خلفوا وقال الحسن: ما بين أيديهم ما عملوه وما خلفهم وما هم غافلون^(١) عنه مما لم يعملوا بعد^(٢)، قوله:

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ

تَفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ قال المفسرون: يعني صلوا لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، نا أبو العباس محمد بن يعقوب، نا بحر^(٣) بن نصر^(٤)، قال قرأ علي ابن وهب: أخبرك بن لهيعة عن مشرح بن عاهان عن عقبه بن عامر قال: قلت لرسول الله ﷺ في سورة الحج سجدة قال نعم ومن لم يسجد لها فلا يقرأها^(٥) وقوله ﴿واعبدوا ربكم﴾ قال مقاتل: يقول: وحدوا ربكم، يعني: أن من أشرك بعبادته غيره لم يوحد^(٦) ﴿وافعلوا الخير﴾ قال ابن عباس: يريد صلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿لعلكم تفلحون﴾ كي تسعدوا وتبقوا في الجنة، وقوله:

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ أكثر المفسرين حملوا الجهاد هنا على جميع أعمال الطاعة وقالوا حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله تعالى، وقال السدي: هو أن يطاع فلا يعصى، وقال مقاتل بن حيان: هو أن يجتهدوا في العمل وقال مقاتل بن سليمان: نسختها الآية التي في التغابن ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾^(٧) وحمله الضحاك على مجاهدة الكفار فقال: جاهدوا بالسيف من كفر بالله وان كانوا الآباء والابناء وروى عبد الله^(٨) بن المبارك: أنه حمل على مجاهدة الهوى والنفس ﴿هو اجتباكم﴾ اختاركم واصطفاكم لدينه ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ ضيق فالمعنى: ما جعل من التوبة والكفارات جعلها الله مخرجاً من الذنوب فمن أذنب ذنباً لم يبق في ضيق ذلك الذنب وله منه مخرج إما بالتوبة أو القصاص أو بنوع كفارة أو

(١) في هـ: عاملون مما لم يعملوا.

(٢) أرى أن رأي ابن عباس هو الذي يستقيم مع المعنى المراد من قوله ما بين أيديهم وما خلفهم.

(٣) بحر بن نصر بن سابق الخولاني مولاهم المصري ولد سنة ١٨٠ ت سنة ٢٦٧ التهذيب ١/٤٢٠.

(٤) في النسخة هـ: بصر بن نصر وهو تصحيف.

(٥) رواه أحمد بن حنبل في المسند ٤/١٥١، ١٥٥ وأبو داود في كتاب الصلاة باب تفريع أبواب السجود حديث ١٤٠٢/٢ ٣٥٤ ط الحلبي.

والترمذي أبواب السفر باب في السجدة في الحج حديث ٢٥٧٨/٢٥٧٠ ط الحلبي، الحاكم في المستدرک كتاب التفسير سورة الحج

وقتيبة بن لهيعة ٢/٣٩٠.

(٦) في هـ: يوحدوه.

(٧) التغابن: ١٦.

(٨) عبد الله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة ت سنة ١٨١ هـ عن ثلاث وستين سنة انظر التقریب ١/٤٤٥.

برد مظلمة فلم يتل المؤمنون بشيء من الذنوب إلا جعل له منه مخرج، وقال مقاتل: يعني الرخص عند الضرورات كالقصر^(١) والتيمم وأكل الميتة والإفطار عند المرض والسفر وهو قول الكلبي واختيار الزجاج. وروي عن ابن عباس أنه قال: الحرج ما كان على بني إسرائيل من الإصر^(٢) والشدائد التي كانت عليهم وضعها الله تعالى على هذه الأمة وقوله ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ قال الاخفش والمبرد والفراء والزجاج: أي عليكم ملة أبيكم^(٣) والمعنى اتبعوها [واحفظوها]^(٤) والخطاب ان كان للعرب خاصة فإبراهيم أبو العرب قاطبة وإن كان خطاباً عاماً فهو أبو المسلمين كلهم لأن حقه عليهم كحق الوالد وأمرنا باتباع ملته جملة^(٥). لأنها داخله في ملة محمد ﷺ وقوله ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ أي الله تعالى سماكم بهذا الاسم قبل إنزال القرآن في الكتب التي أنزلت قبله ﴿وفي هذا﴾ يعني: القرآن، وقال مقاتل: من قبل يعني: في أم الكتاب ﴿ليكون [الرسول]﴾^(٦) أي اجبتاكم الله وسماكم المسلمين ليكون الرسول محمد ﷺ ﴿شهاداً عليكم﴾ يوم القيامة بالتبليغ ﴿وتكونوا﴾ انتم ﴿شهداء على الناس﴾ ان الرسل بلغتهم وهذا كقوله ﴿جعلناكم أمة وسطاً﴾^(٧) الآية وقوله ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ قال مقاتل^(٨): فريضان واجبتان افترضهما الله عليكم فأدوهما إلى الله.

حدثنا المفضل بن اسماعيل، نا جدي الامام أبو بكر الإسماعيلي، أنا جعفر بن محمد بن المستفاض الفريابي، نا زكريا بن يحيى^(٩) البلخي، نا عمر بن هارون، نا عثمان بن عطاء الخراساني^(١٠) عن أبيه^(١١) عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «لا تقبل الصلاة إلا بالزكاة»^(١٢) وقوله ﴿واعتصموا بالله﴾ قال ابن عباس: سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يسخط ويكره وقال الحسن: تمسكوا بدين الله وقال مقاتل: ثقوا بالله ﴿هو مولاكم﴾ ناصركم والذي يتولى أمورهم ﴿فنعنم المولى﴾ هو لكم ﴿ونعم النصير﴾.

(١) فيما عدا هـ: كالقصر.

(٢) الإصر: الائتم والعقوبة، وأصله: من الضيق والحس. النهاية لابن الأثير باب الهمزة مع الصاد.

(٣) في معاني القرآن للفراء: أي وسع عليكم ملة أبيكم ٣١/٢.

(٤) ساقط من ب.

(٥) ليث في هـ.

(٦) ساقط من جميع النسخ عدا أ.

(٧) البقرة: ١٤٣.

(٨) في ب: ، هـ: قتادة.

(٩) زكريا بن يحيى بن صالح بن سليمان البلخي أبو يحيى ت سنة ٢٣٣ عن ست خمسين سنة التقريب ٢٦٢/١.

(١٠) عطاء بن أبي مسلم عبد الله الخراساني خلاصة تهذيب الكمال (٢٢٦) شذرات الذهب ١/١٩٢، طبقات الحفاظ ص ٦٠ ولقد قال في

السيوطي: قال ابن حبان كان رديء الحفظ.

(١١) من سند هذا الحديث نستطيع أن نحكم عليه بأنه حديث ضعيف لضعف عطاء الخراساني وولده عثمان بن عطاء.

سورة المؤمنون

مكية وآياتها ثمانى عشرة ومائة

أخبرنا أبو عثمان بن أبي بكر الزعفراني، أنا أبو عمرو السجستاني^(١)، أنا أبو الفضل الأسدي، أنا أبو عبد الله الربوعي، نا سلام بن سليم، نا [هارون بن كثير]^(٢) عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المؤمنین بشرته الملائكة يوم القيامة بالروح والريحان وما تقرّ به عينه عند نزول ملك الموت»^(٣).

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ آتَبَعْنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:

«حدثنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري املاءً، أنا أبو محمد حاجب بن أحمد الطوسي، أنا محمد بن حماد اليبوردي، نا عبد الرزاق نا يونس بن سليم عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن ابن عثمان^(٤) القاري قال سمعت عمر بن الخطاب^(٤) يقول: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال «اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا [وأعطنا]^(٥) ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا ثم قال لقد انزلت علينا عشر آيات من اقامهنّ دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون إلى عشر آيات» رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه^(٦) عن القطيعي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه عن

(١) في هـ: السخيتاني.

(٢) ساقط من جـ، وفي د، هـ حدثنا سلام بن سليم الاسناد الذي ذكر عن أبي.

(٣) حديث لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم وأول الحج.

(٤) ساقط من جـ، د وفي هـ عبد الرحمن عبد الهادي وهو عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله بن عثمان التيمي القاري تهذيب التهذيب

٢٢٧/٦.

(٥) من: ب.

(٦) رواه أحمد بن حنبل في المسند ١/٣٤، والترمذي في كتاب التفسير سورة المؤمنون ٥/٣٢٦ ط الحلبي، والحاكم في المستدرک کتاب

التفسير سورة المؤمنون ٢/٣٩٢.

عبد الرزاق (١) فكأنى سمعت هذا الحديث من (٢) القطيعي، قال الفراء: قد ها هنا يجوز أن تكون تأكيداً لفلاح المؤمنين ويجوز أن تكون تقريباً للماضي من الحال قد يقرب الماضي من الحال حتى تلحقه بحكمه ألا ترى أنهم يقولون قد قامت الصلاة قبل حال قيامها ويكون المعنى في الآية أن الفلاح قد حصل لهم وأنهم عليه في الحال (٣) قال ابن عباس: قد سعد المصدقون وبقوا في الجنة ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ ساكتون متواضعون، قال ابن عباس: خشع من خوف الله فلا يعرف من على يمينه ولا من على يساره، وقال أبو هريرة: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزلت ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ فطأ رأسه (٤)» ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ قال عطاء عن ابن عباس: عن الشرك بالله، وهو قول الضحاك، وقال الحسن: عن المعاصي، قال الزجاج: هو كل باطل ولهو وهزل ومعصية وما لا يحمد من القول والفعل ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ أي مؤدون فغير عن التادية بالفعل لأنه فعل. قال ابن عباس: للصدقة الواجبة مؤدون ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ قال الليث (٥): الفرج اسم يجمع سوءات الرجال والنساء فالقبلان وما حواليهما كله فرج، والمراد بالفروج ها هنا فروج الرجال خاصة قال الكلبي: يعني يعفون عما لا يحل لهم ﴿إلا على أزواجهم﴾ على ها هنا بمعنى من في قول الفراء (٦)، وقال الزجاج: المعنى: أنهم يلامون في اطلاق ما حظر عليهم وأمروا بحفظه إلا على أزواجهم، ودل على المحذوف ذكر اللوم في آخر الآية، قال مجاهد: يحفظ فرجه إلا من امرأته أو [من] (٧) أمته فانه لا يلام على ذلك ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ أي طلب سوى الأزواج والإماء المملوكة ﴿فأولئك هم العادون﴾ الظالمون المتجاوزون إلى ما لا يحل ﴿والذين هم لأماناتهم﴾ وقرأ ابن كثير لأمانتهم (٨) واحدة وذلك أنه مصدر واسم جنس فيقع على الكثير وإن كان مفرداً في اللفظ والأمانة (٩) تختلف نحو الأمانة التي بين العبيد في حقوقهم كالودائع والبضائع وما تكون اليد فيه يد أمانة وتكون الأمانة التي بين الله وبين عباده كالصيام والاعتسال والصلاة ويجب على المؤمن الوفاء بجميع ضروب الأمانات وقوله ﴿وعهدهم راعون﴾ قال ابن عباس إذا عاهد رجلاً وفي له ومعنى: راعون حافظون ﴿والذين هم على صلواتهم﴾ وقرىء صلواتهم (١٠) ومن أفرد فلأن الصلاة في الأصل مصدر ومن جمع (١١) فلأنه قد صار اسماً شرعياً لانضمام ما لم يكن في أصل اللغة إليها ومعنى الآية والذين هم ﴿يحافظون﴾ على الصلوات المكتوبة فيقيمونها في أوقاتها (١٢)

(١) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحيري أبو بكر الصنعاني ت سنة ٣١١ هـ انظر طبقات الحفاظ ص ١٥٤.

(٢) في هـ: عن.

(٣) وقال الزركشي في البرهان: واعلم أنه ليس من الوجه الابتداء بها إلا ان تكون جواباً لمتوقع، كقوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ لأن القوم توقعوا علم حالهم عند الله. البرهان في علوم القرآن ٣٠٥/٤.

(٤) رواه الحاكم في كتاب التفسير سورة المؤمنون، وقال صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد فقد قال مرسل، وعقب الذهبي بأن الصحيح أنه مرسل. المستدرک ٣٩٣/٢.

(٥) في هامش النسخة أ: الفراء، ونص الليث في تهذيب اللغة للأزهري ٤٤/١١.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢٣١/٢. (٨) النشر في القراءات العشر ٣٢٨/٢ والسبعة ص ٤٤٤.

(٧) ليست في ج، د. (٩) في هـ. والامانات.

(١٠) قراءة ﴿صلواتهم﴾ بالأفراد قرأ بها حمزة والكسائي وخلف. انظر السبعة ص ٤٤٤ والنشر ٣٢٨/٢.

(١١) قراءة ﴿صلواتهم﴾ بالجمع قرأ بها. ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر ونافع وحفص ويعقوب. انظر السبعة ص ٤٤٤ والنشر ٣٢٨/٢.

(١٢) وإن قيل لم أضيفت الصلاة إليهم قلت لأن الصلاة دائرة بين المصلي والمصلي له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلواته وأما المصلي له فغني متعال عن الحاجة إليها والانتفاع بها. انظر الكشاف للزخشري ٤٢/٣ بيروت.

﴿أولئك﴾ يعني: الموصوفين بهذه الصفات ﴿هم الوارثون﴾ يرثون منازل أهل النار من الجنة أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان حدثني أبو العباس بن ماهان البشري بها، أنا أحمد بن القاسم بن نصر الفرائضي، نا أبو همام الوليد^(١) بن شجاع، نا أبو معاوية، نا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما منكم من أحد إلا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وذلك قوله عز وجل: أولئك هم الوارثون^(٢) ثم ذكر ما يورثون فقال: ﴿الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ قال ابن عباس: يريد خير الجنان وقال مجاهد: من حفظ عمل العشرة من سورة المؤمنين ورث الفردوس. أخبرنا أبو بكر بن الحارث، أنا عبد الله بن محمد بن حيان، نا محمد بن العباس بن^(٣) أيوب، نا محمد بن أبي معشر، حدثني أبي عن عون بن عبد الله بن الحارث عن أخيه عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ خلق الله ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده، ثم قال وعزقي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث قيل: يا رسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث قال الذي يقر السوء لأهله^(٤).

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّظْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦

قوله: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ السلالة ما يسلم من الشيء أي ينزع ويستخرج يقال للنطفة سلالة وللولد سليل قال ابن عباس في رواية ابن يحيى الأعرج^(٥) السلالة صفو الماء وقال مجاهد: مني بني آدم وقال عكرمة [هو]^(٦) الماء يسلم من الظهر سلاً، والمراد بالإنسان ولد آدم وهو اسم الجنس يقع على الجميع، وقوله ﴿من طين﴾ يعني طين آدم والسلالة إنما تولدت^(٧) من طين خلق آدم كما قال الكلبي: يقول من نطفة سلت سلاً النطفة من طين والطين آدم ﴿ثم جعلناه﴾ يعني ابن آدم الذي هو الإنسان ﴿نطفة في قرار مكين﴾ يعني الرحم مكن فيه الماء بأن هيء لاستقراره فيه إلى بلوغ أمدته الذي جعل له ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ مفسر في سورة الحج إلى قوله ﴿فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً﴾ وقرئ كلاهما عظماً على الواحد^(٨) قال الزجاج: التوحيد والجمع جائزان والواحد يدل على الجمع كما قال [الشاعر]^(٩)

في خلقكم عظم وقد شجينا^(١٠)

(١) أبو همام: الوليد بن شجاع بن الوليد بن قيس الكوفي الكندي ت سنة ٢٢٣ هـ التهذيب ١١/١٣٩.

(٢) في مجمع الزوائد هذا صحيح على شرط الشيخين مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة المؤمنون.

(٣) محمد بن العباس أيوب أبو جعفر الاصبهاني ت سنة ٣٠١ هـ تذكرة الحفاظ ٢/٧٤٧، العبر ٢/١٢٠ طبقات الحفاظ (٣١٥).

(٤) حديث ضعيف من هذا الوجه حيث أن أبا معشر أحد رواة متروك الحديث ولكن روى الإمام أحمد في مسنده حديث ثلاثة حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق والديوث الذي يقر في أهله الخبث. المسند ٢/١٣٤، ٦٩، ١٢٨.

(٥) أبو يحيى الأعرج: مصدق المعرقب الأعرج الأجرد عرقبه بن بشر بن مروان انظر كتاب الميزان ٦/٨٢٠.

(٦) ساقط من د. (٧) في هـ: يولد.

(٨) قراءة (عظماً) بفتح العين وإسكان الظاء من غير ألف على الأفراد، قرأ بها ابن عامر وأبو بكر عن عاصم أما قراءة الجمع (عظماً) فقد قرأ بها باقي القراء انظر: السبعة ص ٤٤٥ والنشر ٢/٣٢٨.

(٩) ساقط من جـ.

(١٠) هذا عجز بيت للمسيب بن زيد صدره لا تنكر القتل وقد سبينا.

يريد في خلوقكم عظام، وقوله ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ قال ابن عباس: يعني: الروح فيه وذلك أنه كان عظماً ولحمًا مواتاً فلما جعل فيه الروح صار خلقاً آخر وهو قول السدي ومجاهد والشعبي وعكرمة والأكثرين وعن مجاهد أيضاً قال: هو أن يستوي شبابه وهو قول الضحاك، وقال قتادة: يعني نبات الشعر والأسنان، وقال الحسن: يعني: ذكر وأنثى، وقوله ﴿فتبارك الله﴾ أي استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال ﴿أحسن الخالقين﴾ المصورين والمقدرين والخلق في اللغة: التقدير يقال: خلقت الادم (١) إذا قسته لتصنع منه شيئاً وقال حذيفة في هذه الآية يصنعون ويصنع (٢) والله خير الصانعين يقال رجل خالق، أي صانع ﴿ثم إنكم بعد ذلك﴾ بعد ما ذكر من تمام الخلق ﴿لمبعوثون﴾ عند آجالكم ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ للجزاء والحساب قوله:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ قالوا كلهم يعني: سبع سموات كل سماء طريقة سميت لتطارقها وهو أن بعضها فوق بعض ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ إذ بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وأنزلنا منها عليهم الماء وهو قوله:

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْآرِضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهٖ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاوَاكِبُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبَّغٌ لِّلْأَكْلِيلِ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَىٰ الْفَالِكِ لِمُتَمَلِّئُونَ ﴿٢٢﴾

﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر﴾ أي بقدر يعلمه الله وقال مقاتل: بقدر ما يكفيهم للمعيشة ﴿فأسكناه في الأرض﴾ يريد ما يبقى في الغدران (٣) والمستنقعات والدجلان (٤) أقر الله الماء فيها ليتنفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر أخبرنا الشريف إسماعيل بن الحسن بن محمد بن الحسين النقيب، أنا جدي، أنا محمد بن الحسين البزار، نا عثمان بن سعيد، نا سعيد بن سابق الاسكندراني، نا مسلمة بن علي (٥) عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إن الله أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة وهما نهر العراق والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجرأها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معاشهم فذلك قوله عز وجل (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في

= انظر المقتضب ٢/ ١٧٠ ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

(١) الادم: الجلد المدبوغ. لسان العرب فصل الهمزة حرف الميم.

(٢) فيما عدا هـ: ويصنع الله.

(٣) الغدران: جمع غدِير وهي مستنقع ماء المطر صغيراً كان أو كبيراً اللسان مادة غدر.

(٤) الدجلان: جمع الدحل وهو الهوة تكون في الأرض وفي سافل الأودية فيها ضيق ثم تتسع الصحاح مادة دحل.

(٥) مسلمة بن علي بن خلف أبو سعيد الدمشقي ت قبل سنة ١٩٠ هـ التهذيب ١٠/ ١٤٦ ولقد بين ابن حجر في التقریب بأنه متروك

الحديث. التقریب ٢/ ٢٤٩. وذكره ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال وقال ليس بشيء وذكر روايته لهذا الحديث وبعد أن أورده

قال: رواه مسلمة عن مقاتل غير محفوظ بل هو منكر المتن، الكامل في ضعفاء الرجال ٦/ ٢٣١٥.

الأرض) فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة ويرفع كل ذلك إلى السماء^(١) وذلك قوله: ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خير الدنيا والدين هذا الحديث رواه الإمام أبو العباس الحسن^(٢) بن سفيان عن عثمان بن سعيد بالإجازة أنا سعيد بن محمد بن أحمد العدل، أنا أبو عمرو ومحمد بن أحمد الحيري، أنا الحسن بن سفيان قال وجدت فيما اجاز لي عثمان بن سعيد، أنا سعيد بن سابق الاسكندراني فذكر الحديث^(٣) ثم ذكر الله تعالى ما أثبت من السماء فقال: ﴿فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة﴾ عطف على قوله جنات والمفسرون كلهم يقولون يعني: شجرة الزيتون وخصت بالذكر لأنه لا يتعاهدها أحد بالسقي وهي تخرج الثمرة التي يكون منها الدهن الذي تعظم به المنفعة فذكرت النعمة فيها وقوله ﴿تخرج من طور سيناء﴾ قرى بفتح السين^(٤) وكسرهما^(٥) وهي نبطية في قول الضحاك وحشية في قول عكرمة وهي اسم المكان الذي به هذا الجبل في اصح الأقوال^(٦) وسيناء في قول مجاهد اسم حجارة بعينها اضيف الجبل إليها لوجودها عنده وقال الكلبي: طور سيناء الجبل المشجر، وقال عطاء يريد: الجبل الحسن وقوله ﴿تنبت بالدهن﴾ أي تنبت لأنه يعصر من الزيتون الزيت والباء في بالدهن للتعدي يقال: أنبتت ونبت به ومن قرأ تنبت بضم التاء^(٧) فإن جعلت أثبت بمعنى كقول زهير^(٨):

«حتى إذا أثبت البقل»

فهذه القراءة كالأول سواء وإن جعلت تنبت من الانبات الذي هو مضارع^(٩) أثبت فالباء في بالدهن زيادة كزيادتها

(١) في الدر المنثور أخرجه ابن مردويه والخطيب بسند ضعيف عن ابن عباس الدر ٩٥/٦ دار الفكر ولكن في صحيح مسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات من انهار الجنة. كتاب الجنة ونعيمها باب ما في الدنيا من أنهار الجنة. والإنزال هنا انزال مجازي لا حقيقي.

(٢) في ج ابن الحسن.

(٣) في الدر المنثور أخرجه ابن مردويه والخطيب بسند ضعيف عن ابن عباس الدر المنثور ٩٥/٦ ط دار الفكر.

(٤) قراءة (سيناء) بفتح السين، قرأ بها: أبو جعفر وحمة والكسائي ويعقوب وخلف وابن عامر وعاصم. انظر السبعة ص ٤٤٥ والنشر ٣٢٨/٢.

(٥) قراءة (سيناء) بكسر السين، قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو. انظر السبعة ص ٤٤٥ والنشر ٣٢٨/٢.

(٦) على هامش النسخة (ب) هذه العبارة أضيفها: قطن بالمكان أقام به والجمع قطان وقاطنة وقطين أيضاً والقطن الخدم والأتباع والقطين سكن الدار يقال جاؤوا بقطينهم ومنه قول زهير رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطيناً لهم حتى إذا أثبت البقل.

(٧) قراءة (تنبت) بضم التاء وكسر الباء قرأ بها: ابن كثير وأبو عمرو أما باقي القراء فقد قرءوا (تنبت) بفتح التاء وضم الباء السبعة ص ٤٤٥ والنشر ٣٢٨/٢.

(٨) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني ت سنة ١٣ قبل الهجرة سنة ٦٠٩ م الاعلام للزركلي ٥٢/٣، الأغاني ١٠/٢٨٨ ط الدار وما ورد جزء من بيت في قصيدة من ديوانه يمدح بها سنان بن أبي حارثة يقول فيها:

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطيناً لهم حتى إذا أثبت البقل

شرح شواهد المغني للسيوطي ط لجنة التراث العربي ٣١٤/١ وديوان زهير ص ١١١ ومطلع هذه القصيدة:

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو وأفقر من سلمى التعانق فالقبيل

(٩) فيما عدا: مطاوع.

في قوله ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾^(١) وقوله: ﴿وَصَبِغْ لِلْكَالِبِينَ﴾ الصبغ والصباغ ما يصطبغ به من الأدم وذلك أن الخبز يلون بالصبغ إذا غمس فيه والاصطباغ بالزيت المغمس فيه للائتمام به والمراد بالصبغ بالزيت في قول ابن عباس: فإنه يدهن به ويؤتدم، وقال مقاتل: جعل الله في هذه الشجرة أدماً ودهناً فالأدم الزيتون والدهن الزيت قوله: ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ﴾ مفسرة في سورة النحل إلى قوله ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ يعني في ظهورها وألبانها وأولادها وأصوافها وأشعارها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ من لحومها وأولادها والكسب عليها ﴿وَعَلَيْهَا﴾ يريد الإبل خاصة ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تَحْمَلُون﴾ قال الكلبي: ما في البحر فالسفن وما في البر فالإبل وهذا كقوله ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(٢).

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ عَلَيْكَ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبِّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾

قوله: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ قال ابن عباس: يعزي نبيه ﷺ بأن غير أمته قد كذبوا الأنبياء وجحدوا البعث ﴿فقال يا قوم اعبدوا الله﴾ أطيعوه وروحدوه ﴿ما لكم من إله غيره﴾ ما غيره رب ﴿أفلا تتقون﴾ [أفلا تتقونه]^(٣) بالطاعة والتوحيد ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ يعني الاشراف والرؤساء وذوي الأمر منهم ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم﴾ أي أنه آدمي لا فضل له عليكم ﴿يريد أن يتفضل عليكم﴾ يتشرف بأن يكون له الفضل عليكم فيصير متبوعاً وأنتم له تبع ﴿ولو شاء الله﴾ أن لا يعبد شيء سواه ﴿لأنزل ملائكته﴾ ولم يرسل بشراً آدمياً ﴿ما سمعنا بهذا الذي يدعوننا إليه نوح من التوحيد﴾ في آباتنا الأولين ﴿في الأمم الماضية﴾ إن هو إلا رجل به جننة ﴿حالة جنون﴾ فتربصوا به حتى حين ﴿انتظروا موته فستريحوا منه﴾.

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ووَحِينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلَيْهِمْ مَغْرُقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا أَسْتَوَيْتِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْمَعْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَجْحَدُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

﴿قال رب انصُرني بما كذبون﴾ بتكذيبهم والمعنى: انصُرني بإهلاكهم جزاء لهم بتكذيبهم ﴿فأوحينا إليه﴾ مفسر في سورة هود إلى قوله: ﴿فاسلك فيها﴾ أي: أدخل في سفيتك ﴿وقل رب أنزلني منزلاً﴾ يجوز أن يكون المنزل بمعنى الإنزال، والمعنى: إنزالاً ﴿مباركاً﴾ قال مقاتل: يعني: بالبركة أنهم توالدوا وكثروا و[يجوز]^(٤) أن يكون المنزل موضعاً للإنزال كأنه قيل أنزلني مكاناً أو موضعاً؛ وهو قول الكلبي: منزلاً

(١) البقرة: ١٩٥، وقوله إن الباء في (بالدهن زيادة) هذا غير مسلم فإن الباء هنا متعلقة بمحذوف وقع خلافاً منها أي تثبت ملتبسة به ومستصحبة له انظر: تفسير روح البيان ٧٦/٦.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) ليست في هـ.

(٤) ساقط من جـ.

مباركاً بالماء والشجر، وقرأ وعاصم منزلاً بفتح الميم وكسر الزاي^(١) يعني: موضع نزول قال المفسرون: إنه أمر أن يقول عند استوائه على الفلك الحمد لله وعند نزوله أنزلني منزلاً مباركاً ﴿وأنت خير المنزلين﴾ قال ابن عباس: يريد من السفينة ولذلك قيل له ﴿اهبط بسلام منا وبركات عليك﴾^(٢) وهذا جواب دعائه ﴿إن في ذلك﴾ يعني في أمر نوح والسفينة وهلاك اعداء الله ﴿آيات﴾ لدلالات على قدرة الله ووحدانته ﴿وإن كنا لمبتلين﴾ وما كنا إلا مختبرين إياهم بإرسال نوح ووعظه وتذكيره، وقوله:

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةَ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هِيَآتْ هِيَآتْ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُشَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾

﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾ يعني: عاداً قوم هود ﴿فأرسلنا فيهم رسولا منهم﴾ هوداً وما بعد هذا ظاهر إلى قوله ﴿أيعدكم أنكم مخرجون﴾ [قال الزجاج: أنكم موضعها نصب على معنى أيعدكم أنكم مخرجون]^(٣) إذا تم فلما طال الكلام أعيد ذكرانه كما قال عز وجل ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم﴾^(٤) المعنى: فله نار جهنم ﴿هيات هيات لما توعدون﴾ بعد الأمر جداً حتى امتنع وهو اسم سمي به الفعل وهو بعد كما قالوا صه بمعنى: اسكت ومه بمعنى: لا تفعل وليس له اشتقاق وفيه ضمير يقع عائداً إلى قوله ﴿إنكم مخرجون﴾ الذي هو بمعنى الإخراج، والتقدير هيات هيات هو أي الإخراج، والمعنى: بعد إخراجكم للوعد الذي توعدون وهو بعد الموت استبعد اعداء الله إخراجهم ونشرهم لما كانت العدة به بعد الموت إغفالاً منهم للتفكير في قوله ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾^(٥) قال ابن عباس في هذه الآية ينفون أن ذلك لا يكون، وقال الكلبي: يقولون: بعيد بعيد ما وعدكم^(٦) ليوم البعث، قال أبو عمرو بن العلاء: إذا وقفت فقل هيات^(٧) يدل على [هذا]^(٨) ما

(١) قراءة منزلاً بفتح الميم وكسر الزاي: هي قراءة عاصم في رواية ابن بكر أما حفص فقد روي عنه (منزلاً) بضم الميم وفتح الزاي كما قرأ بقية القراء. انظر السبعة ص ٤٤٥ والنشر ٣٢٨/٢.

(٢) هود: ٤٨.

(٥) يس: ٧٩.

(٣) ساقط من هـ.

(٦) في هـ: ما بعدكم.

(٤) التوبة: ٦٣.

(٧) وقف البزي والكسائي على هيات هيات الأولى والثانية بالهاء والباقون بالتاء على المرسوم كتاب المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر لأبي حفص عمر بن قاسم بن محمد المصري الانصاري ص ٨٥.

(٨) ليست في هـ.

روي عن سيبويه أنه قال هي بمنزلة علقاه يعني في التانيث^(١) وإذا كان كذلك كان الوقف بالهاء قال الفراء: كان الكسائي يختار الوقف بالهاء وأنا أختار التاء وعنده أن هذه التاء ليست بتاء^(٢) التانيث، قوله ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ قالوا ما الحياة إلا ما نحن فيه لا الحياة الآخرة التي تعدنا بعد البعث^(٣) ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ نهلك نحن ويبقى [أبْنَاؤُنَا^(٤)] ويهلك أبْنَاؤُنَا^(٥)] ويبقى أبْنَاؤُهُمْ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ما هو إلا مفتر كاذب^(٦) على الله في ذكر البعث^(٧) ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدقين فيما يقول ﴿قَالَ رَبُّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ﴾ تقدم تفسيره^(٨) ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ عما قليل ﴿من الزمان والوقت يعني: عند الموت أو عند نزول العذاب بهم﴾ ليصبحن ناديين ﴿على الكفر والتكذيب﴾ فأخذتهم الصيحة ﴿صاح بهم جبريل صيحة واحدة ماتوا عن آخرهم بتصدع قلوبهم وقوله﴾ بالحق ﴿أي باستحقاقهم العذاب بكفرهم﴾ فجعلناهم غثاء ﴿وهو ما جاء به السيل من نبات قد نيس وكل ما يحمله السيل على رأس الماء من قصب وحشيش وعيدان شجر فهو غثاء، والمعنى: صيرناهم هلكى فيسوا كما ييس الغثاء من نبات الأرض﴾ فهمدوا^(٩) ﴿فبعدا﴾ أي ألزمهم الله بعداً من الرحمة ﴿للقوم الظالمين﴾ المكذبين المشركين وما بعد هذا ظاهر التفسير إلى قوله:

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾ [أي]^(١٠) بعضها في إثر بعض غير متصلين لأن بين كل نبين ذهراً طويلاً وهي فعلى من المواترة، قال الأصمعي^(١١): يقال واترت الخير أتعت بعضه^(١٢) بعضاً وبين الخيرين هنية وهي كالدعوى والتقوى وأكثر العرب على ترك تنوينها وقرأ ابن كثير تترًا^(١٣) منونة وتترًا على هذه القراءة: فعلاً والألف فيها كالألف في رأيت زيدا وعمراً فإذا وقفت كانت الألف بدلاً من التنوين وحققها أن تفخم ولا تمال، قال المبرد: من قرأ تترى فهو مثل شكوى ومن قرأ تترى مثل شكوت شكوى وعلى القراءة تيسن جميعاً التاء الأولى بدل من الواو وتترًا مصدرًا واسم قام مقام الحال لأن المعنى متواترة، وقوله ﴿كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضاً﴾ اهلكنا الأمم بعضهم في أثر بعض ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ لمن بعدهم من الناس يتحدثون بأمرهم وشأنهم.

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ

(١) الكتاب لسيبويه ٣/ ٢٩٠.

(٢) في هـ. بهاء والنص في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٥.

(٣) في د بعد الموت البعث وفي هـ بعد الموت والبعث.

(٤) في هـ ويبقى أبْنَاؤُنَا.

(٥) ساقط من هـ.

(١١) الأصمعي: عبد الملك بن قريظ أبو سعيدت سنة ٢١٣ هـ.

انظر: نزهة الالباء للباري ص ١٢١، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٥٤.

(١٢) في هـ: بعضها.

(١٣) ليست قراءة ابن كثير وحده وإنما قرأ بها أيضاً: أبو جعفر وأبو عمرو. انظر السبعة ص ٤٤٦، والنشر ٢/ ٣٢٨.

﴿أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٤٩)

وقوله ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا﴾ يعني الدلائل التي كانت لهما ﴿وسلطان مبین﴾ وحجة بينة يعني: اليد والعصا ﴿إلى فرعون وملئه فاستكبروا﴾ قال ابن عباس عن عبادة الله تعالى، وقال مقاتل: تكبروا عن الإيمان بالله ﴿وكانوا قوماً عالين﴾ قاهرين للناس بالبغي والتطاول عليهم وهو معنى قول ابن عباس: علوا على بني إسرائيل علواً كبيراً، وقال مقاتل: يعني متكبرين عن توحيد الله يدل عليه قوله تعالى ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ أنصدق إنسانين من لحم ودم ليس لهما علينا فضل ﴿وقومهما﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿لنا عابدون﴾ قال ابن عباس: مطيعون قال أبو عبيدة: العرب تسمى كل من دان لملك عابد له (١) وقال المبرد: العابد المطيع الخاضع ﴿فكذبوهما﴾ يعني موسى وهارون ﴿فكانوا من المهلكين﴾ بتكذيبهما ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة جملة واحدة ﴿لعلهم يهتدون﴾ لكي يهتدوا به من الضلالة، قال مقاتل: يعني بني إسرائيل لأن التوراة أنزلت بعد هلاك فرعون وقومه قوله:

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (٥٠)

﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ هذا كقوله ﴿وجعلناها وإبنا آية للعالمين﴾ (٢) وقد تقدم وقوله ﴿وآويناها﴾ أي وجعلناها يأويان ويرجعان ﴿إلى ربوة﴾ وهي المكان المرتفع من الأرض، قال ابن عباس (٣): يريد دمشق وهو قول سعيد بن المسيب ومقاتل ورواية (٤) عكرمة عن ابن عباس، وقال عطاء عن ابن عباس: يريد بيت المقدس وهو قول قتادة وكعب قال: وهو أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً (٥) وقال السدي: إنها أرض فلسطين وهو قول أبي هريرة وقوله ﴿ذات قرار﴾ أي: مستوية يستقر عليها ساكنوها، والمعنى: ذات موضع قرار ﴿ومعين﴾ يعني: الماء الجاري الظاهر الذي تراه العيون.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١) ﴿وَلِإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (٥٢) ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبْراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٥٣) ﴿فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٥٤) ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ (٥٥) ﴿سُرَاعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٦)

قوله ﴿يا أيها الرسل﴾ قال الحسن ومجاهد وقاتلة والسدي والكلبي ومقاتل: يعني محمداً ﷺ وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد مخاطبة الجمع ويتضمن هذا أن الرسل جميعاً كذا (٦) أمروا، قوله ﴿كلوا من الطيبات﴾ قال ابن عباس من الحلال [وقال الضحاك: أمرهم الا يأكلوا الا حلالاً طيباً] (٧) وقال الحسن اما والله ما عنى به أصفركم ولا

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٥٩/٢.

(٢) الانبياء: ٩١.

(٣) في هـ: قال عبد الله بن سلام: هي دمشق وهو قول إسماعيل بن المسيب ومقاتل... الخ.

(٤) في هـ، د في رواية وهذا القول من تفسير ابن جرير ٢٠/١٨.

(٥) تفسير ابن جرير ٢١/١٨ وإن كان في هذا القول نظر بعد ما ثبت كروية الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس.

(٦) في هـ كما.

(٧) ساقط من د، هـ.

أحمركم ولا حلوكم ولا حامضكم ولكنه قال انتهوا إلى الحلال منه ﴿واعملوا صالحاً﴾ [أي] (١) بما أمركم الله وأطيعوه في أمره ونهيه ﴿إني بما تعملون عليم﴾ لا يخفى علي شيء (٢) من أعمالكم.

﴿وإن هذه أمتكم﴾ ان في قراءة من (٣) قرأ بفتح الألف معطوفة على الجار في قول الخليل وسيبويه التقدير ولأن هذه أمتكم (٤) ﴿أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ أي اتقون (٥) لهذا ومن قرأ بالتخفيف فإن هي (٦) المخففة من المشددة كقوله ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ (٧) ومن كسر مع التشديد (٨) فهو على الاستثناف ومعنى الآية قال مقاتل: يقول هذه التي أنتم عليها ملة الإسلام، ملة واحدة عليها كانت الانبياء والمؤمنون الذين نجوا من العذاب، والمعنى: أنتم أهل ملة واحدة ودعوة واحدة فلا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وهو قوله ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم﴾ والكلام في الاثنين قد تقدم، وقوله ﴿زبراً﴾ قال المبرد: فرقاً وقطعاً مختلفة، واحدها زبور، هو الفرقة والطائفة، ومثله الزبرة وجمعها زبر، قال الكلبي: يعني مشركي العرب [واليهود] (٩) والنصارى تفرقوا احزاباً ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ بما عندهم من الدين راضون يرون أنهم على الحق ﴿فذرهم في غمرتهم﴾ في [حيرتهم] (١٠) وغفلتهم وضلالتهم وجهالتهم قال مقاتل: يعني كفار مكة، وقوله ﴿حتى حين﴾ قال ابن عباس: يريد (١١) نزول العذاب بالسيف أو بالموت ﴿أيحسبون أنما﴾ (١٢) نمدهم به من مال وبئس أي: أيحسبون أن ما يعطيهم الله في هذه الدنيا من الأموال والبنين إنما يعطيهم ثواباً ومجازاة لهم لا بل هو استدراج لهم من الله وهو معنى قوله ﴿نسارع لهم في الخيرات﴾ ومعنى نسارع: نسرع [أي] (١٣) أيحسبون أنا نتعجل في تقديم ثواب أعمالهم لرضانا عنهم حين بسطنا لهم الرزق وأكثرنا أولادهم ﴿بل لا يشعرون﴾ لا يعلمون أن ذلك شر لهم، ثم ذكر المؤمنين فقال:

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾

﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ الإشفاق: الخوف، تقول: أنا مشفق من هذا الأمر أي خائف، والمعنى: أنهم لما هم عليه من خشية الله خائفون من عذابه ﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾ قال ابن عباس: يصدقون (١٤) بالقرآن أنه من

(١) لفظ أي ساقط من «هـ».

(٢) في هـ عليه.

(٣) قراءة (أن) بفتح الألف وتشديد النون قرأ بها: ابن كثير ونافع وأبو عمرو انظر السبعة ص ٤٤٦ والنشر ٣٢٨/٢.

(٤) الكتاب لسيبويه ١٢٦/٣.

(٥) في جـ: اتقوني.

(٦) في د، هـ كان، وقراءة (أن) بفتح الألف وتخفيف النون قرأ بها ابن عامر انظر: السبعة ص ٤٤٦ والنشر ٣٢٨/٢.

(٧) يونس: ١٠.

(٨) قراءة (إن) بكسر الهمزة مع التشديد قرأ بها عاصم وحزمة والكسائي انظر السبعة ص ٤٤٦ والنشر ٣٢٨/٢.

(٩) ساقط من هـ.

(١٢) في جـ: يحسبون.

(١٣) ليست في هـ.

(١٠) ساقط من د.

(١٤) في هـ: مصدقون.

(١١) في هـ: يعني.

عند الله ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ لا يعبدون معه غيره ﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾ أي يتصدقون ويعملون الأعمال الصالحة ﴿وقلوبهم [وجلة]﴾^(١) خائفة أن لا يقبل منهم، قال مجاهد: المؤمن ينفق ماله وقلبه وجل وقال الحسن: المؤمن جمع إحساناً وشفقة والمنافق جمع إساءة وأمناً وإيتاء المال في هذه الآية عبارة عن الأعمال الصالحة إذ هو الأفضل والأشوق على النفس أخبرنا عمر بن أحمد بن عمر الزاهد، أنا عبد الله بن محمد الصوفي، أنا محمد بن أيوب، نا جرير عن ليث عن عمرة^(٢) عن عائشة قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة...﴾ الآية فقال: يا ابنة الصديق الذي يصومون وهم يفرقون^(٣) أن لا يقبل منهم ويصلون وهم يفرقون أن لا يقبل منهم ويتصدقون وهم يفرقون أن لا يقبل منهم^(٤) أخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق، أنا أبو بكر القطيعي، نا إدريس بن عبد الكريم المقرئ، نا عاصم بن علي، نا أبو الأشهب^(٥) العطارى عن الحسن في قوله ﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾ قال: كان^(٦) ما عملوا من أعمال البر يرون أن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله، قال الزجاج: قلوبهم خائفة لأنهم إلى ربهم راجعون، قال صاحب النظم: فالوجل واقع على مضمرة وقوله ﴿أنهم إلى ربهم﴾ سبب له على تأويل: وقلوبهم وجلة لا يقبل منهم لعلمهم أنهم إلى ربهم ﴿راجعون﴾ أي لأنهم يوقنون بأنهم يرجعون إلى الله يخافون أن لا يقبل منهم قوله: ﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ يبادرون في الأعمال الصالحة ﴿وهم لها﴾ أي إليها ﴿سابقون﴾ قاله الفراء^(٧) والزجاج، وقال ابن عباس: ينافسون فيها أمثالهم من أهل البر والتقوى، وقال الكلبي: سبقوا الأمم إلى^(٨) الخيرات.

وَلَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿١٨﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِتَّامًا لَا تُنصَرُونَ ﴿١٩﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي نَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنكصُونَ ﴿٢٠﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَلْمًا تَهْجُرُونَ ﴿٢١﴾

قوله ﴿ولا تكلف نفساً إلا وسعها﴾ أي: إلا طاقتها من العمل فمن لم يستطع أن يصلي قائماً فيصلي جالساً وقد سبق هذا في آخر سورة البقرة ﴿ولدينا كتاب﴾ يريد اللوح المحفوظ وفيه مكتوب كل شيء سبق في علم الله ﴿ينطق بالحق﴾^(٩) بيبين^(٩) بالصدق ومعنى الآية: لا تكلف نفساً إلا ما اطاقت من العمل وتعلم أين تعمل^(١٠)، لأننا قد اثبتنا عمله في اللوح المحفوظ فهو ينطق به ويبينه ﴿وهم لا يظلمون﴾ [أي]^(١١) لا يتقصون من ثواب أعمالهم، ثم عاد إلى ذكر الكفار فقال: ﴿بل قلوبهم في غمرة﴾ في غفلة وجهالة ﴿من هذا﴾ القرآن ﴿ولهم أعمال﴾ خبيثة ﴿من دون ذلك﴾^(١٢)

(١) ساقط من هـ.

(٢) عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الانصارية ت سنة ٩٨ هـ عن سبع وسبعين سنة تهذيب التهذيب ٣٢٨/٢.

(٣) يفرقون: من الفرق بالتحريك وهو الخوف، أي يخافون.

(٤) رواه أحمد بن حنبل في المسند ١٥٩/٦، ٢٠٥ والترمذي في كتاب التفسير سورة المؤمنون بالفاظ متقاربة ٣٢٧/٥ ط الحلبي.

والحاكم في المستدرک کتاب التفسير سورة المؤمنون وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه المستدرک ٣٩٣/٢

(٥) أبو الأشهب العطارى: جعفر بن صبان السعدي البصري ولد سنة ٧١ هـ الميزان ٤٠٥/١.

(٦) فيما عدا ج: كانوا.

(٩) في ج: بين.

(١٠) أي: أي شيء تعمل.

(٧) معاني القرآن للفراء ٢٣٩/٢.

(١٢) الكلام يقتضي حذفها.

(١١) ليست في هـ.

(٨) في هـ: في.

أعمال المؤمنين التي ذكرها الله ﴿ هم لها عاملون ﴾ إجماع المفسرين وأصحاب المعاني على أن هذا اخبار بما سيعملونه من أعمالهم الخبيثة التي كتبت عليهم لا بد لهم أن يعملوها ﴿ حتى إذا أخذنا مترفيهم ﴾ أغنياءهم ورؤسائهم ﴿ بالعذاب ﴾ بالسيف يوم بدر ﴿ إذا هم يجأرون ﴾ يصيحون إلى الله ويصيحون ويقال لهم ﴿ لا تجأروا اليوم إنكم لا تنصرون ﴾ لا تمنعون منا نزلت في الذين قتلوا ببدر^(١)، ثم ذكر أن اعراضهم عن القرآن أوجب أخذهم بالعذاب بقوله ﴿ لقد كانت آياتي تتلى عليكم ﴾ يعني القرآن ﴿ فكنتم على أعقابكم تنكسون ﴾ تتأخرون عن الإيمان به ﴿ مستكبرين ﴾ الكناية تعود إلى البيت أو الحرم أو^(٢) البلد مكة في قول الجميع وهو كناية عن غير مذكور والمعنى : مستكبرين بالبيت والحرم لأنكم فيه مع خوف سائر الناس في مواطنهم تقولون : نحن أهل الحرم فلا نخاف وقوله ﴿ سامراً ﴾^(٣) السامر الجماعة يسمرون بالليل أي يتحدثون ﴿ تهجرون ﴾ يجوز أن يكون من الهجران وهو قول الحسن ومقاتل واخبار المفضل، والمعنى تهجرون القرآن وترفضونه فلا تلتفتون إليه ولا تتفادون له كما قال ﴿ قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ﴾ ويجوز أن يكون من الهجر وهو قول القبيح يقال : هجر يهجر هجراً إذا قال غير الحق وهو قول السدي والكلبي ومجاهد وقاتدة وكانوا إذا خلوا حول البيت سبوا النبي ﷺ والقرآن وقالوا فيهما سوء^(٤) ويقال في هذا المعنى أيضاً أهجر إهجاراً إذا أفحش في منظة وهو قراءة ابن عباس ومجاهد^(٥) قال الله تعالى :

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُمُ الْمُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴿٧١﴾ بَلْ أَنبَيْنَهُمُ بَدِكْرَهُمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٢﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خُرْجًا فَخَرَّجَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَكَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّ الْجَوِّ فِي طَغْيِنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾

﴿ أفلم يدبروا القول ﴾ أفلم يتدبروا القرآن فيعرفوا ما فيه من العبر والدلالات على صدق محمد ﷺ ﴿ أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ﴾ قال ابن عباس : يريد أليس قد أرسلنا نوحاً وإبراهيم والنبيين إلى قومهم فكذلك بعثنا محمداً إلى قومه^(٦) ﴿ أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ﴾ قال ابن عباس : أليس هو محمد بن عبد الله يعرفونه صغيراً وكبيراً صادق اللسان يبي بالعهد وفي هذا توبيخ لهم بالإعراض عنه بعدما عرفوا صدقه وأمانته ﴿ أم يقولون به جنة ﴾ قال ابن عباس : يريدون^(٧) به جنون تروونه به ﴿ بل جاءهم بالحق ﴾ بالتنزيل الذي هو الحق، يعني القرآن ﴿ وأكثرهم للحق ﴾^(٨) كارهون ولو اتبع الحق

(١) ابن جرير عن مجاهد وابن جريج والضحاك ٢٩/١٨ .

(٢) انظر تفسير ابن جرير ٣٢/١٨ .

(٣) قراءة ابن عباس ومجاهد (تهجرون) بضم التاء وكسر الميم قرأ بها أيضاً نافع وحده . انظر السبعة ص ٤٤٦ والنشر ٢/٣٢٩ ، ومعنى

القرآن للقرآن ٢٣٩/٢ .

(٤) ساقط من د ، هـ .

(٥) في هـ يريد أي جنون .

(٦) فيما عدا د : له .

أهواءهم ﴿ قال أبو صالح وابن جريج ومقاتل والسدي: الحق هو الله والمعنى: لو جعل مع نفسه كما يحبون شريكاً ﴿ لفسدت السموات والأرض ﴿ ^(١) [أي ومن فيهن] ^(٢) وقال الزجاج والفراء ويجوز أن يكون المراد بالحق القرآن أي لو نزل بما تحبون ^(٣) من جعل شريكاً وثبات آلهة لفسدت السموات والأرض ﴿ ومن فيهن ﴿ ^(٤) كقوله ﴿ لو ^(٥) كان فيهما آلهة [إلا الله ^(٦)] لفسدتا ﴿ ﴿ بل أتيناهم بذكرهم ﴿ أي بما فيه فخرهم وشرفهم، قال ابن عباس: هو كقوله ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ^(٧) ذكركم ﴿ ﴿ فهم عن ذكرهم معرضون ﴿ قال: يريد تولوا عما جاء به من شرف الدنيا والآخرة ﴿ أم تسألهم ﴿ على ما جئتهم به من الإيمان والقرآن ﴿ خرجا ﴿ أجراً ومالاً يعطونك ﴿ فخراج ربك خير ﴿ فما يعطيك الله من أجره وثوابه ورزقه خير لك ﴿ وهو خير الرازقين ﴿ أفضل من أعطى وأجر ^(٨) ﴿ وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم ﴿ وهو دين الإسلام ﴿ وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿ بالبعث والثواب والعقاب ﴿ عن الصراط لناكبون ﴿ عن الذين مائلون عادلون يقال: نكب فلان عن الطريق تنكب نكوباً إذا عدل عنه ﴿ ولو رحمتناهم وكشفنا ما بهم من ضرر يعني: الجوع الذي أصابهم بمكة سبع سنين ^(٩) ﴿ للنجوا في طغيانهم يعمهون ﴿ لتأدوا في ضلالتهم ^(١٠) يترددون .

وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ ۖ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۖ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۖ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۖ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۖ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ۖ أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿٨٣﴾

﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب ﴾ يعني الجوع ﴿ فما استكانوا لربهم ﴾ ما تواضعوا ولا ^(١١) انقادوا ﴿ وما يتضرعون ﴾ وما يرغبون إلى الله في الدعاء ﴿ حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد ﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي يعني يوم بدر وهو قول مجاهد واختيار الزجاج وقال في رواية عطاء: يريد الموت ﴿ إذا هم فيه مبلسون ﴾ آيسون من كل خير .

(٥) آية (٢٢) سورة الانبياء .

(٦) من د، هـ .

(٧) الانبياء: ١٠ .

(٨) في هـ واجر عليهم .

(١) روى هذا الرأي ابن جرير في تفسيره ٣٣/١٨ .

(٢) عن هـ .

(٣) فيما عدا هـ ما يحبون .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢٣٩/٢ .

(٩) يوضح ابن جرير معنى هذه الآية فيقول: ولو رحمتنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ورفعتنا عنهم ما بهم من القحط والجذب وضر الجوع والهزال (للجرا في طغيانهم) يعني في عتوهم وجراتهم على ربهم (يعمهون) يعني يترددون ثم يورد ما يؤيد هذا المعنى عن عكرمة عن ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم فقد اكلنا العلهز يعني: الوبير والدم فانزل الله (ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) وفي حديث آخر عن عكرمة عن ابن عباس: أن أبا أنال الحنفي لما أتى النبي ﷺ وهو أسير فحلى سبيله فلحق بمكة فجاء بين أهل مكة وبين الميرة: يعني القمح - من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: اليس تزعم بأنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى. فقال قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فانزل الله ولقد اخذناهم بالعذاب الآية جامع البيان للطبري ٣٤/١٨ .

(١٠) في جـ: اضلالهم .

(١١) في جـ، د: وما .

﴿وهو الذي أنشأ لكم﴾ خلق لكم ﴿السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾ قال مقاتل يعني أنها لا يشكرون رب هذه النعم ويوحدونه ﴿وهو الذي يحيي ويميت﴾ يحيي الولد في الرحم فيولد حياً ثم يميته ﴿وله اختلاف الليل والنهار﴾ قال الفراء: هو الذي جعلهما مختلفين^(١) يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض ﴿أفلا تعقلون﴾ ما ترون من صنعه فتعتبرون ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾ قال الكلبي: كذبت قريش بالبعث مثل ما كذب الأولون وما بعد هذا ظاهر إلى قوله:

قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدْعُو مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ آتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾

﴿قل لمن الأرض ومن فيها﴾ من الخلق ﴿إن كنتم تعلمون﴾ خالقها ومالكها ﴿سيقولون الله﴾ أي يقولون بأنها مخلوقة له ﴿قل أفلا تذكرون﴾ تفكرون أن من قدر على خلق الأرض ومن فيها قادر على إحياء الموتى، قوله ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله﴾ وقرىء^(٢) لله وكذلك ما بعده فمن قرأ الله فعلى ما يقتضيه اللفظ من جواب السائل لأنك إذا قلت من رب السماوات فاجواب الله ومن قرأ الله فعلى المعنى لأن معنى من رب السماوات لمن السماوات فيقال لله كما يقال من مالك هذه الدار فيقال: لزيد لأن معناه لمن هذه الدار وإذا قالوا ذلك و﴿قل أفلا تقنون﴾ عبادة غيره ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿من بيده ملكوت كل شيء﴾ الملكوت الملك والثناء زيادة للمبالغة نحو جبروت ورهبوت ﴿وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون﴾ يقال: أجرت فلاناً إذا استغاث بك فحميته وأجرت عليه إذا حميت عنه والمعنى: أنه يمنع من السوء من يشاء ولا يمنع منه من أراد بسوء وقوله ﴿فأفنى تسحرون﴾ قال الفراء والزجاج: تصرفون^(٣) عن الحق وتخدعون، والمعنى: يخيل لهم الحق باطلاً والصحيح فاسداً ﴿بل آتيناهم بالحق﴾ بالتوحيد والقرآن ﴿وإنهم لكاذبون﴾ فيما يضيفون إلى الله عن الولد والشريك ثم نفاهما عن نفسه فقال:

مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾

﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق﴾ لا اعتزل^(٤) وانفرد بخلقه فلا يرضى أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره ولمنع^(٥) الإله الآخر عن الاستيلاء على ما خلق ﴿ولعلنا بعضهم على بعض﴾ طلب

(١) معاني القرآن للفراء ٢/٢٤١.

(٢) قراءة (الله) قرأ بها أبو عمرو وحده في الأولى ﴿سيقولون الله... الله﴾ بالألف في الاخيرتين وقرأ بقية القراءة في الثلاثة (الله... الله... الله). انظر السبعة ص ٤٤٧ والنشر ٢/٣٢٨.

(٣) في هـ: يصدقون والنص في معاني الفراء ٢/٢٤١.

(٤) في هـ ومنع

(٥) فيما عدا هـ: اعتزال.

بعضهم مغالبة بعض وهذا معنى قول المفسرين: لقاتل بعضهم بعضاً كما يفعل الملوك في الدنيا ثم نزه نفسه عما وصفوه به فقال [سبحانه^(١) وتعالى] ﴿سبحان الله عما يصفون عالم الغيب [والشهادة]^(٢)﴾ بالجر^(٣) من نعت الله والرفع على خبر ابتداء محذوف [يعني: ^(٤) هو عالم^(٥)]

قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْبِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَيَّ أَنْ تُرِيْبِكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِرُونَ ﴿٩٥﴾ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾

﴿قل رب^(٦) إما تريني ما يوعدون﴾ إن أرتني ما يوعدون من العذاب والنقمة يعني القتل يسدر ﴿رب فلا تجعلني [في القوم الظالمين]^(٧)﴾ أي مع القوم الظالمين ، قال الكلبي : مع الفئة الباغية، قال الزجاج: أي إن انزلت بهم النقمة يا رب فاجعلني خارجاً عنهم، ثم أخبر انه قادر على ذلك بقوله ﴿وإننا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾ ثم أمره بالصبر إلى أن ينتضي الأجل المضروب للعذاب فقال: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ يعني بالأحسن: الإعراض والصفح، والسيئة: أذى المشركين إياه، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ بما يكذبون ويقولون من الشرك أي إننا نجازيهم بما يستحقون، ثم أمره أن يتعوذ من الشيطان ليسلم في دينه فقال ﴿وقل رب أعوذ بك﴾ أمتنع واعتصم بك ﴿من همزات الشياطين﴾ معنى الهمز في اللغة: الدفع، وهمزات الشياطين: دفعهم بالاغواء إلى المعاصي وهو معنى قول المفسرين نزعاتهم ووساوسهم، وذلك أن الشيطان إنما يدفع الناس إلى المعاصي بما يوسوس إليهم ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ في أموري أي أن يصيوني بالسوء لأن الشيطان لا يحضر ابن آدم إلا بسوء ثم أخبر الله تعالى أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت فقال:

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون﴾ أي إلى الدنيا ردوني إليها وإنما قال: ارجعوني كما يقال للجماعة لأن الله عز وجل يخبر عن نفسه بما يخبر به عن الجماعة في نحو قوله ﴿إننا لنحن نحيي وتميت﴾^(٨) وأمثاله فكذلك جاء الخطاب في ارجعون في مقابله، قوله ﴿لعلي اعمل صالحاً فيما

(١) ساقط من هـ.

(٢) قرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر برفع الميم السبعة (٤٤٧) قراءة عالم بالجر قرأ بها: ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وابن عامر انظر السبعة ص ٤٤٧ والنشر ٣٢٩/٢.

(٣) ساقط من هـ: قراءة (عالم) بالرفع، قرأ بها: نافع وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي وخلف وأبو جعفر انظر السبعة ص ٤٤٧ والنشر ٣٢٩/٢.

(٤) ساقط من هـ.

(٥) في هـ: رب يا رب.

(٦) ساقط من هـ.

(٧) آية (٢٣) الحجر وفي النسخ (نحن نحيي) والتصحيح من المصحف.

تركت ﴿ قال ابن عباس: أشهد أن لا إله إلا الله، وقال قتادة: أما والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة^(١) ولكنه تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فانظروا أمنية الكافر فاعملوا فيها وقوله ﴿فيما تركت﴾ قال ابن عباس: فيما مضى من عمري قال الله ﴿كلا﴾ لا يرجع إلى الدنيا ﴿إنها﴾ إن مسألة الرجعة ﴿كلمة هو قائلها﴾ كلام يقوله ولا ثلثة له في ذلك وقوله ﴿ومن ورائهم برزخ﴾ يعني أمامهم وبين أيديهم والبرزخ الحاجز بين الشئين، وهو هنا ما بين الموت والبعث قال مجاهد [حجاز^(٢)] حجاب^(٣) بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا وهم فيه ﴿إلى يوم يبعثون﴾

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

﴿فإذا نفخ في الصور﴾ قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبيرة النسخة الأولى، وقال في رواية عطاء هي النسخة الثانية ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ﴾ قال: يريد لا تفاخر بينهم كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ﴿ولا يتساءلون﴾ كما يتساءل^(٤) العرب في الدنيا من أي قبيلة أنت، ولا بد من تقدير محذوف في الآية على تأويل فلا أنساب بينهم يومئذ يتفاخرون بها أو يتعاطفون بها لأن الأنساب لا تنقطع يومئذ إنما يرتفع التواصل والتفاخر والتساؤل وهذه الآية لا تنافي قوله ﴿وأقبل بعضهم على بعض﴾ يتساءلون^(٥) لأن للقيامة أحوال ومواطن منها ما يشغلهم عظم الأمر عن المسألة ومنها حال يفوقونها فيتساءلون وهذا معنى قول ابن عباس في رواية المنهال عن عمرو ولما سئل عن الاثنين فقال هذه ثارات^(٦) يوم القيامة قوله ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ وهذه الآية والتي بعدها تقدم تفسيره قوله ﴿تلفح وجوههم النار﴾ التلفح: الاحراق يقال: لفتحته النار والسموم إذا أحرقتة ﴿وهم فيها كالحون﴾ الكلوح: بدو الأسنان عند العبوس وقال الزجاج: الكالح الذي قد تشمرت شفتاه عن أسنانه نحو ما ترى رؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمرت الشفاه قال ابن مسعود ككلوح الرأس النضيج أخبرنا عمر بن أحمد بن عمر الزاهد، أنا محمد بن عبد الله [بن محمد^(٧) بن نظير] أنا محمد بن أيوب أنا [محمد^(٨)] بن الحماني نا عبد الله بن المبارك عن سعيد^(٩) بن يزيد عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون قال: تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرتة»^(١٠) رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه عن الحسن بن حكيم^(١١) عن أبي الموجه عن عبدان عن ابن المبارك. ويقال:

(١) في هـ: أهل وعشيرة.

(٢) ليست في هـ.

(٣) في هـ: حجاز.

(٤) ساقط من هـ، ساقط من ج، د.

(٥) في د: اخا محمد بن نصير وفي هـ: ابن الجاني.

(٦) سعد بن يزيد الحميري القتباني أبو شجاع الاسكندراني ت سنة ١٥٤ هـ انظر تهذيب التهذيب ١٠١/٤ الجرح والتعديل ٧٣/٢.

(٧) رواه الحاكم في كتاب التفسير سورة المؤمنون وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه المستدرک ٣٩٤/٢.

(٨) والترمذي بالفاظ متقاربة وقال حسن صحيح غريب كتاب التفسير سورة المؤمنون ٣٢٨/٥ ط الحلبي.

(٩) في هـ: حليم.

أَلَمْ تَكُنْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾

﴿ألم تكن آياتي﴾ يعني القرآن ﴿تتلى عليكم﴾ تخوفون بها ﴿فكنتم بها تكذبون﴾ في الدنيا ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ وقرىء شقوتنا^(٢) ومعناها واحد وهما مصدران، قال مجاهد ومقاتل: غلبت علينا شقوتنا التي كتبت علينا في الدنيا فلم نهتد وهو قوله: ﴿وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها﴾ من النار قال ابن عباس: سألوا الرجعة ﴿فإن عدنا﴾ إلى الكفر والتكذيب ﴿فإننا ظالمون﴾ قال:

قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُمْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَأَعْرِضْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَأَخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾

﴿احسأوا فيها﴾ قال المبرد: الحسأ: إبعاد بمكرهه وقال الزجاج: تباعدوا تباعد سخطاً وأبعدوا بعد الكلب ﴿ولا تكلمون﴾ في رفع العذاب عنكم اخبرنا أحمد بن إبراهيم المقرئ، أنا سعيد بن محمد البيهقي، أنا مكي بن عبدان^(٣)، نا أبو بكر الازهر، نا روح^(٤) نا سعيد عن قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو^(٥) أن أهل جهنم يدعون مالكاً أربعين عاماً فلا يجيبهم ثم يقول: إنكم ماكنون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإننا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا ثم يرد عليهم احسأوا فيها ولا تكلمون فما يمسي القوم بعد ذلك بكلمة إن كان إلا الزفير والشهيق^(٦) وقال القرظي إذا قيل لهم احسأوا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم ودعاؤهم وأقبل بعضهم يقبح^(٧) في وجه بعض واطبقت عليهم ﴿إنه كان فريق من عبادي﴾ قال ابن عباس يريد المهاجرين ﴿فاتخذتموهم سحرياً﴾ وقرىء بكسر السين ها هنا وفي سورة ص^(٨) واتفقوا على الضم في سورة الزخرف يقال: سخر منه وسخر به سخرية وسحرياً إذا هزىء ومن السخرة التي هي بمعنى العبودية يقال اتخذت فلاناً سحرياً بالضم لا غيره ومن اتفقوا على الضم في الأخرى^(٩) لأنه من السخرة، قال أبو عبيدة: سحرياً يسخرون منهم وسحرياً يسخرونهم^(١٠) وقال يونس: سحرياً من السخرة [مضموم]^(١١) ومن الهزء سحري

(١) فيما عداها آياتي تتلى عليكم وهي مكررة.

(٢) قراءة (شقوتنا) بالالف، قرأ بها: حمزة والكسائي وخلف انظر النشر ٣٢٩/٢.

(٣) مكي بن عبدان التميمي ت سنة ٣٢٥ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٨٢٢/٣.

(٤) روح بن جناح الاموي أبو سعد (ضعيف الحديث) تهذيب التهذيب ٢٩٢/٣، وفي الكامل لابن عدي قال عن روح وربما اخطأ في الاسانيد وهو ممن يكتب حديثه. الكامل ١٠٠٥/٣.

(٥) في أ، ب، بن عمرو

(٦) رواه ابن جرير في تفسيره ٥٩/٢٥.

(٧) في هـ: ينبع السبعة ص ٤٤٧، والنشر ٣٢٩/٢.

(٨) قراءة (سحرياً) بكسر السين قرأ بها: ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر السبعة ص ٤٤٧ والنشر ٣٢٩/٢.

(٩) من قوله ﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سحرياً﴾ الزخرف: ٣٢.

(١١) ساقط من جـ.

(١٠) مجاز القرآن لابي عبيدة ٦٢/٢ بتصرف.

وسخري وعلى القراءتين جميعاً هو مصدر وصف به ولذلك أفرد ابن عباس: يريد تستهزئون بهم وقال مقاتل: إن عمار قريش كانوا يستهزئون من عمار وبلال وخباب وصهيب^(١) وسلمان وسالم وقوله ﴿حتى أنسوكم ذكري﴾ أي نسيتم ذكري لاشتغالكم بالسخرية منهم وبالضحك منهم فنسب الانساء إلى عباده المؤمنين وأن لم يفعلوه لما كانوا السب كقوله ﴿رب إني أضللن كثيراً من الناس^(٢)﴾ لما كانت سبياً في الاضلال نسب الاضلال إليها معنى قول المفسرين ترككم الاستهزاء لا تؤمنون بالقرآن ﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ على أذاكم واستهزائكم ﴿إنهم هم الفائزون﴾ [في موضع^(٣) المفعول الثاني لجزيت، والمعنى جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز ومن كسر^(٤) استأنف وأخبر فقال انهم هم الفائزون] أي الذين قالوا ما أرادوا قوله:

قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴿١١٦﴾

«قال كم لبثتم في الأرض» قال الله تعالى للكفار يوم البعث كم لبثتم في الأرض يعني الدنيا وفي القبور ﴿عدد سنين﴾ وقرىء قل^(٥) أي قل أيها الكافر المشغول عن قدر لبثه كم لبثتم ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ قال ابن عباس: اسأهم الله قدر لبثهم فيرون أنهم لم يلبثوا إلا يوماً أو بعض يوم لعظيم^(٦) ما هم بصده من العذاب بسوء^(٧) ذلك قوله ﴿فأسأل العادين﴾ يعني الملائكة ﴿قال إن لبثتم﴾ أي قال الله تعالى: ما لبثتم في الأرض إلا قليلاً لأن مكثهم في القبور وإن طال فإنه متناه قليل عند طول مكثهم في عذاب جهنم لأنه خلود ولا يتناهى وقوله ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ أي قدر لبثكم^(٨) في الدنيا.

قوله: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ العبث في اللغة: اللعب يقال عبث عبثاً فهو عبث لاعتب بما لا يعنيه ومعناه للعبث^(٩) قال ابن عباس: يريد كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب عليها مثل قوله ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى^(١٠)﴾ أن يهمل كما تهمل البهائم والمعنى: أفحسبتم أنكم خلقتم للعبث فتعبثوا ولا تعملوا بطاعة الله ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ في الآخرة للجزاء ﴿فتعالى الله﴾ عما يصفه به الجهال من الشريك والولد ﴿الملك الحق﴾

(١) صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل الربيعي النمري ت سنة ٣٨ هـ عن ثلاث وتسعين سنة. اسد الغابة ٣/٦٦، ط الشعب.

(٢) إبراهيم: ٣٦.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) قراءة (أنهم) بكسر الهمزة قرأ بها حمزة والكسائي وخارجة عن نافع انظر: السبعة ص ٤٤٩، والنشر ٢/٣٢٩.

(٥) قراءة (قل) بغير ألف قرأ بها: ابن كثير وحمزة والكسائي. انظر السبعة ص ٤٤٩، والنشر ٢/٣٣٠.

(٦) في هـ: تعظيم.

(٧) في هـ: نسوا.

(٨) في هـ: أو.

(٩) في هـ: العبث.

(١٠) القيامة: ٣٦.

لأنه ملك غير مملك وكل ملك غيره فملكه مستعار لأنه يملك ما ملكه الله ثم وحد نفسه فقال ﴿لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ السرير الحسن والكريم في صفة الجماد بمعنى الحسن، ثم أوعد من أشرك به فقال:

وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به﴾ أي إلهاً لم ينزل بعبادته كتاب ولا بعث بها رسول ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ أي ان حساب عمله عند الله فهو يجازيه بما يستحق كما قال: ﴿ثم إن علينا حسابهم﴾^(١) ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ لا يسعد من كذب وجحد، ثم أمر رسوله أن يستغفر للمؤمنين فقال: ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ أي أفضل رحمة من الذين يرحمون.

سورة النور

مدنية وآياتها أربع وستون

أخبرنا أبو سعد محمد بن علي الخفاف ملازم الجامع أنا محمد بن جعفر المؤذن، نا إبراهيم بن شريك نا أحمد بن يونس، نا سلام بن مسلم، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال لي رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن فيما مضى وفيما بقي (١). أخبرنا الاستاذ أبو منصور البغدادي، أنا محمد بن الحسن بن أحمد السراج، نا محمد بن عبد الله بن مسلم (٢) الحضرمي، نا محمد بن إبراهيم الشامي (٣)، نا شعيب بن إسحاق (٤) الدمشقي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور يعني النساء رواه (٥) الحاكم (أبو عبد الله) (٦) في صحيحه عن أبي علي الحافظ عن الباغندي عن عبد الوهاب (٧) بن الضحاك عن شعيب بن إسحاق ورواه الاستاذ أبو إسحاق الثعالبي في تفسيره عن ابن فنجويه الدينوري عن [ابن أبي شيبة] عن محمد بن أحمد الكرابيسي عن سليمان بن توبة (٨) عن محمد (٩) الشامي فكانني سمعته عن سمع منه شيخه.

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿سورة أنزلناها﴾ قال الزجاج: هذه سورة أنزلناها ورفعها بالابتداء قبيح لأنها نكرة، وأنزلناها صفة لها ﴿وفرضناها﴾ أي فرضنا فرائضها أي الفرائض المذكورة فيها فحذف المضاف وحجة (١٠) التخفيف قوله: ﴿إن الذي

(١) لم نعث له على أصل وتراجع أول مريم والحج.

(٢) في ج، د: سليمان.

(٣) محمد بن إبراهيم بن العلاء الشامي الدمشقي السائح (كذاب) انظر الميزان ٤٤٦/٣.

(٤) شعيب بن إسحاق بن عبد الرحمن الدمشقي الأموي ولد سنة ١١٨ هـ وتوفي سنة ١٨٩ هـ التهذيب ٤.

(٥) رواه الحاكم في المستدرک كتاب التفسير سورة النور وقال صحيح الإسناد وعقب عليه الذهبي بقوله: بل موضوع وأفته عبد الوهاب أحد رواته قال أبو حاتم كذاب المستدرک مع التلخيص ٣٩٦/٢.

(٦) ساقط من ج.

(٧) عبد الوهاب بن الضحاك بن أبان السلمی العرضي أبو الحارث ت سنة ٢٤٥ هـ انظر تهذيب التهذيب ٦.

(٨) سليمان بن توبة النهرواني أبو داود البغدادي ت ٢٦ هـ انظر تهذيب التهذيب ١٧٦/٤.

(٩) لفظ محمد ساقط من جميع النسخ عدا هـ.

(١٠) قراءة (فرضناها) بالتخفيف، قرأ بها: ابن كثير وابن عامر انظر: السبعة ص ٤٥٤٢ والنشر.

فرض عليك القرآن^(١) والتشديد^(٢) في فرضناها لكثرة ما فيها من الفرائض المذكورة في القرآن، وقال مجاهد يعني الأمر بالحلل والنهي عن الحرام وهذا يعود إلى معنى اوحيناها قوله ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ معنى الجلد ضرب الجلد يقال: جلده إذا ضرب جلده مثل رأسه وبطنه إذا ضرب رأسه وبطنه ومعنى الآية الزانية والزاني إذا كانا حرين بالغين بكرين ﴿فاجلدوهما مائة جلدة﴾ هذا يجب بنص الكتاب ويجب بالسنة تغريب^(٣). أخبرنا محمد بن إبراهيم المزكي، أنا محمد بن الحسن بن أحمد بن إساعيل، نا موسى^(٤) بن هارون، نا قتيبة^(٥) عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله^(٦) بن عتبة عن ابن أبي هريرة وزيد^(٧) بن خالد الجهني أنها قالا: أن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله انشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله فقال الخصم الآخر وهو افقه منه نعم فاقض بيننا بكتاب الله فقال رسول الله ﷺ: قل، قال: ان ابني كان عسيفاً على هذا فزنا بامرأته وإني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة فسألت [رجلاً^(٨)] من أهل العلم فأخبروني أن على ابني مائة جلدة وتغريب عام وأن على امرأة هذا الرجم فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام واغد يا أنيس^(٩) على امرأة هذا فارجمها ان اعترفت قال فغدا إليها فاعترفت فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت رواه البخاري^(١٠) ومسلم كلاهما عن قتيبة وقوله ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ يقال: رأف رأفة ورأفة مثل النشأة والنشأة وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة^(١١) ولعلها لغة، والمعنى لا تأخذكم الرأفة بهما فتعطلوا الحدود ولا تقيموها رحمة عليهما وشفقة بهما وهذا قول عطاء ومجاهد، وقال الحسن وسعيد بن المسيب وإبراهيم قالوا: يوجع الزاني ضرباً ولا يخفف رأفة، وقوله: ﴿في دين الله﴾ قال ابن عباس في حكم الله كقوله ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾^(١٢) أي في حكمه ﴿إن كنتم تؤمنون بالله﴾ [وبالبعث^(١٣)] ﴿واليوم الآخر﴾ قال مقاتل: إن كنتم تصدقون بتوحيد الله وبالبعث الذي فيه جزاء الاعمال فلا تعطلوا الحدود وهذا يقوي القول الأول لأن هذا كالوعيد في ترك الحدود ﴿وليشهد عذابهما﴾ وليحضر ضربهما ﴿طائفة من المؤمنين﴾ نفر من المسلمين يكون ذلك نكالا^(١٤) لهما وقال الحسن أمر أن يعلن ذلك.

(١) آية (٨٦) سورة القصص وفي د: لرادك إلى معاد تكلمة للآية.

(٢) قراءة التشديد في (فرضناها) قرأ بها: أبو عمرو ونافع وحزمة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف وعاصم انظر السبعة ص ٤٥٢ والنشر ٣٣٠/٢.

(٣) يرى أبو حنيفة عدم وجوب التغريب وأنه ليس من الخواتم هو تعزير وسياسة فإذا رأى الإمام فيه مصلحة نفذه على قدر ما يرى وإلا فلا وانظر في ذلك تفسير الألوسي ٨١/١٨.

(٤) موسى بن هارون بن عبد الله بن مروان أبو عمران ولد سنة ٢١٤ ت سنة ٢٩٤ هـ تذكرة الحفاظ ٦٦٩/٢٨ طبقات الحفاظ ص ٢٩٢.

(٥) قتيبة بن سعيد بن جميل بن ظريف الثقفي أبو رجاء البغدادي ت ٢٤٠ هـ التقريب ١٢٣/٢، التهذيب ٣٦٠/٨.

(٦) ساقط من جـ.

(٧) زيد بن خالد الجهني أبو عبد الرحمن المدني الصحابي ت ٦٨ هـ انظر تهذيب التهذيب ٤٠/٣.

(٨) ليست في هـ.

(٩) أنيس بن الضحاك الأسلمي، انظر: اسد الغابة ١٦٣/١.

(١٠) رواه البخاري في كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على جور فالصلح مردود ٢٤٠/٣ ومسلم في كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا.

(١٣) ساقط من جـ، د، هـ.

(١١) السبعة لابن مجاهد (ص ٤٥٢) والنشر ٣٣٠/٢.

(١٤) في هـ: نكالهما.

(١٢) يوسف: ٧٦.

الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾

قوله ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرّم ذلك﴾ (١) على المؤمنين ﴿ قال أكثر المفسرين: كانت بالمدينة نساء بغايا لهنّ علامات كعلامات البياطرة وكن مخاصيب الرجال ﴿ فلما قدم المهاجرون المدينة لم يكن هنّ مساكن ولا عشائر فأرادوا أن يتزوجوا بهن لينفقن عليهم فنهوا عن ذلك ونزلت هذه (٣) الآية ﴿ وحرّم ذلك على المؤمنين ﴾ أن يتزوجوا تلك البغايا المعلنات، وذكر أن من فعل ذلك وتزوج بواحدة منهن فهو زانٍ فالتحريم كان خاصة على أولئك دون الناس، ومذهب سعيد بن جبير أن (٤) هذه الآية منسوخة نسخها قوله ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم ﴾ (٥) قال أبو عبيد مذهب مجاهد أن التحريم لم يكن إلا على أولئك خاصة ومذهب سعيد أن التحريم كان عاماً ثم نسخته الرخصة فإن تزوج امرأة تبين منها الفجور لم يكن ذلك تحريماً بينهما ولا طلاقاً ولكنه يؤمر بطلاقها ويخاف عليها الاثم في امساكها لأن الله تعالى إنما اشترط على المؤمنين نكاح المحصنات فقال ﴿ والمحصنات من (٦) المؤمنات ﴾ (٧) فأما حديث الاستمتاع الذي قال للنبي ﷺ ان امرأته لا تمتنع يد لأمس (٨) فأمره النبي ﷺ بالاستمتاع بها وامساكها فهذا خلاف الكتاب والسنة لأن الله تعالى إنما أذن في نكاح المحصنات خاصة ثم أنزل في القاذف لامرأته آية اللعان وسنة رسول الله ﷺ التفريق بينهما فلا يجتمعان ابداً فكيف يأمر بالاقامة على عاهر لا تمتنع ممن ارادها وفي حكمه أن يلاعن بينهما ولا يقرّ قاذفاً على حاله والحديث ليس يثبت عن النبي ﷺ إنما عبرته هارون بن رباب (٩) عن عبد الله بن عبيد وعبرته عبد الكريم الجزري عن ابن الزبير (١٠) وكلاهما يرسله فإن ثبت فإن تأويله أن الرجل وصف امرأته بالخرف وضعف الرأي وتضييع ماله فهي تمنعه من طالب ولا تحفظه من سارق وهذا أشبه بالنبي ﷺ وأجرى بحديثه هذا كله كلام أبي عبيد (١١)، قوله:

(١) من فقط.

(٢) في النسخ الرجال هو تصحيف فقد جاء في اللسان: الرجل إذا كان كثير خير المنزل يقال انه خصيب الرجل وعلى هذا يستقيم المعنى أي كان عندهن خير كثير.

(٣) في المستدرک للحاكم كلام قريب من هذا المعنى في كتاب التفسير سورة النور ٢/٣٩٦ وفي الدر المنثور عن ابن أبي حاتم عن مقاتل كلام قريب من هذا الدر ٦/١٢٧.

(٤) في ح، د: المسيب.

(٥) النور: ٣٢.

(٦) النساء: ٣٤.

(٧) للألوسي في هذه الآية رأي خلاصته (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) تقيح لأمر الزاني أشد تقيح بأنه بعد أن رضي بالزنا لا يليق به أن ينكح العفيفة المؤمنة وإنما يليق به أن ينكح زانية هي في ذلك طبقة كما قيل: وافق شن طبقة أو مشركة هي أسوأ منه حالاً واقبح أفعالاً (فلا ينكح) خير مراد منه لا يليق به أن ينكح كما نقول السلطان لا يكذب أي لا يليق به أن يكذب نزل فيه عدم لياقة الفعل منزلة عدمه وهو كثير في الكلام ثم المراد اللياقة وعدم اللياقة من حيث الزنا يكون فيه من تقيح الزنا ما فيه أ. هـ. وانظر تفسير الألوسي فقد عرض هذه المسألة بيسط واسهاب. روح المعاني ١٨/٤٨.

(٨) مصنف ابن أبي شيبة ٤/١٣٨.

(٩) هارون بن رباب التميمي الاسيدي أبو بكر. تهذيب التهذيب ١١/٤.

(١٠) في ح، د، هـ: أبي.

(١١) في هـ: أبي عبيد.

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

﴿والذين يرمون المحصنات﴾ أي يرمونهن بالزنا والاحصان المشروط في المقذوفة حتى يجب الحد على القاذف خمسة أوصاف البلوغ والعقل والاسلام والحرية والعفة عن الزنا، وقوله ﴿ثم لم يأتوا﴾ أي على ما رموهن به من الزنا ﴿بأربعة شهداء﴾ عدول يشهدون أنهم رأوهن يفعلن ذلك ﴿فاجلدوهم﴾ يعني الذين يرمون بالزنا ﴿ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً﴾ المحدود في القذف لا تقبل شهادته ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾ العاصون في مقاتلهم ثم استثنى فقال ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك﴾ يذهب^(١) كثير من العلماء إلى أن هذا الاستثناء يعود إلى الفسق فقط وأما الشهادة فلا تقبل أبداً، وهذا قول شريح^(٢) وإبراهيم (وإسحاق)^(٣) وقادة واختيار أهل العراق وقالوا: قضاء من الله أن لا تقبل شهادته أبداً وإنما نسخت توبة الفسق وحده وقد رأى آخرون أنها نسخت الفسق وإسقاط الشهادة معاً وهو قول الزهري والقاسم بن محمد وعطاء وطاووس والشعبي وعكرمة ومجاهد وقول أهل الحجاز جميعاً واختيار الشافعي وقول ابن عباس في رواية الوالي قال: فمن تاب وأصلح فشهادته في كتاب الله تقبل، قال أبو عبيدة وكلا الفريقين تأول هذه الآية، فالذي لا يقبلها يذهب إلى أن الكلام انقطع عند قوله أبداً ثم استأنف فقال: ﴿وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا﴾ فأوقع التوبة على الفسق خاصة دون الشهادة، وأما الآخرون فذهبوا إلى أن الكلام معطوف بعضه على بعض ثم أوقعوا الاستثناء في التوبة على كل كلام، والذي نختار هذا^(٤) القول لأن المتكلم بالفاحشة لا يكون أعظم جرماً من راجبها ولا خلاف في العاهر أنه مقبول الشهادة إذا تاب فالرامي أيسر جرماً إذا نزع وليس القاذف بأشد جرماً من الكافر إذا أسلم وأصلح قبلت شهادته فالقاذف حقه أيضاً إذا تاب وأصلح أن تقبل شهادته وهذا معنى قول الشافعي إذا قبلتم توبة الكافر والقاتل عمداً فكيف لا تقبلون شهادة القاذف وهو أقل ذنباً وقد قال الشعبي: يقبل الله توبته ولا تقبلون شهادته وهذا إجماع الصحابة، أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، نا محمد بن يعقوب المعقلي، أنا الربيع، أنا الشافعي،^(٥) أنا سفيان بن عيينة قال: سمعت الزهري قال: زعم أهل العراق أن شهادة القاذف لا تجوز فأشهد لأخبرني سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب قال لأبي بكره تقبل شهادتك أو إن ثبت قبلت شهادتك فإن قيل فما الفائدة في قوله أبداً، قيل أهد كل إنسان مقدار مدته فيما يتصل بقضيته تقول: الكافر لا تقبل منه شيئاً أبداً معناه ما دام كافراً كذلك القاذف لا تقبل شهادته أبداً ما دام قاذفاً فإذا زال عنه الكفر زال أبداً، وإذا زال عنه الفسق زال أبداً، لا فرق بينهما في ذلك،^(٦) قوله: ﴿وأصلحو﴾ قال ابن عباس: يريد إظهار التوبة وقال مقاتل: وأصلحو العمل ﴿فإن الله غفور﴾ لقتلهم ﴿رحيم﴾ بهم حيث تابوا. أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان العسكري، نا أبو مالك عن جويبر عن

(١) فيما عداه: فذهب.

(٢) شريح بن الحارث بن قيس الكندي أبو أمية الكوفي ت سنة ٧٨ عن مائة وعشرين سنة تذكرة الحفاظ ١/٥٩، التهذيب ٤/٣٢٦/شذرات الذهب ١/٨٥، ابن سعد ٦/٩٠.

(٣) ساقط من ح، د.

(٤) فيما عداه: نختار (من) هذا.

(٥) بين الشافعي في كتابه الأم هذه المسألة ببسط وتوضيح ٤١/٧ ط الشعب.

(٦) الام للشافعي ١٤١/٧ ط الشعب، أسد الغابة ٦/٣٨.

الضحك عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يرمون المحصنات الآية قال عاصم بن عدي^(١) يا رسول الله لو وجدت على بطن امرأتي رجلاً فقلت لها يا زانية اتجلدني بمائتين جلدة إلى أن آتي بأربعة شهداء قد قضى الرجل منها حاجته ثم مضى؟ قال: كذلك أنزلت يا عاصم بن عدي فخرج سامعاً مطيعاً فلم يصل إلى منزله حتى استقبله هلال بن أمية يسترجع فقال ما وراءك، قال شر وجدت شريك بن سحماء^(٢) على بطن امرأتي خولة يزني بها وخولة بنت عاصم فقال هذا والله سؤالي النبي ﷺ أنفاً (فرجع إلى النبي ﷺ) فأخبره هلال بن أمية^(٣) بالذي كان فبعث إليها فقال ما يقول زوجك قالت يا رسول الله إن ابن السحماء كان يأتينا في منزلنا فيتعلم الشيء من القرآن فربما تركه عندي^(٤) وخارج زوجي ولم ينكر علي^(٥) ساعة من ليل ولا نهار فلا أدري أدرسته الغيرة أو قل عليه بالطعام فأنزل الله تعالى آية اللعان:

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾
وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم﴾ الآيات فأقامه النبي ﷺ بعد العصر عن يمين النجم فقال: يا هلال أنت الشاهد أنك رأيتها تزني فقال: أشهد بالله لقد رأيتها^(٦) على بطنها يزني بها وإني لمن الصادقين أشهد بالله ما برئت منه ولا برىء منها وإني لمن الصادقين أشهد بالله ما قربتها منذ أربعة أشهر وإن حملها هذا الذي في بطنها من شريك بن سحماء^(٧) وإني من الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فقال القوم آمين فقال النبي ﷺ يا خولة ويحك إن كنت ألممت بذنب فأقري به فإن الرجم بالحجارة في الدنيا أيسر عليك من غضب الله في الآخرة، وإن غضبه عذاب فقال يا رسول الله كذب فاقامها مقامه فقالت أشهد بالله ما أنا بزانية وإنه لمن الكاذبين ما رآه على بطني يزني بي وإنه لمن الكاذبين أشهد بالله لقد برئت من الزنا وبرىء شريك بن سحماء مني وإنه لمن الكاذبين أشهد بالله لقد قربني منذ أربعة أشهر وإن ما في بطني من هلال بن أمية وإنه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها إن كان من الصادقين ثم فرق بينهما النبي ﷺ وقال لا يجتمعان أبداً إلى أن تقوم الساعة^(٨) فمعنى قوله: ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ الزنا ﴿ولم يكن لهم شهداء﴾ يشهدون على صحة ما قالوا ﴿إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات﴾ ويقرأ أربع بالنصب^(٩) فقال الزجاج: من قرأ بالرفع^(١٠) فعلى خبر الابتداء المعنى فشهادة أحدهم التي تدرأ أحد القاذف أربع والدليل على هذا قوله: ﴿ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات﴾ ومن نصب فالمعنى فعليهم أن يشهد أحدهم أربع

(١) عاصم بن عدي بن الجعد بن العجلان الأوسي الأنصاري ت سنة ٤٥ هـ عن مائة وخمسة عشرة سنة انظر: أسد الغابة ٣/ ١١٤.

(٢) شريك بن سحماء وهي أمه، وأبوه عبده بن معتب بن الجعد بن العجلان البلوي. انظر أسد الغابة ٢/ ٥٢٢ ط الشعب.

(٣) هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأنصاري الواقفي. اسد الغابة ٥/ ٤٠٦.

(٤) في ج: عنده، (٦) في هـ: اني قد رأيتها.

(٥) في هـ: على. (٧) في ج: سحماء وهو تصحيف.

(٨) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة النور ٦/ ١٢٦ باختصار، وكذلك مسلم في كتاب اللعان ٢/ ١١٢٩ وأبو داود في كتاب الطلاق باب في اللعان حديث ٢٢٥٦ مختصراً، وأحمد بن حنبل في المسند ١/ ٢٣٨ بلفظ مختلف، وابن جرير في تفسيره ٨٠/ ٦٨.

(٩) قراءة النصب في (أربع) قرأ بها: ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب ونافع. انظر السبعة ص ٤٥٢ والنشر ٢/ ٣٣٠.

(١٠) قراءة (أربع) بالرفع قرأ بها حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وحلف انظر: السبعة ص ٤٥٢ والنشر ٢/ ٣٣٠.

شهادات قوله ﴿والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾ قال ابن عباس وذلك إن الرجل يذكر أنه رأى مع امرأته رجلاً أربع مرات ثم يقول في الخامسة: اللهم العنه إن كان كذب عليها وقرأ نافع^(١) أن مخففة لعنة^(٢) بالرفع قال سيبويه لا تخفف في الكلام وبعدها الاسماء إلا وأنت تريد الثقيلة^(٣) وقال الأخفش لا أعلم الثقيلة إلا أجود في العربية لأنك إذا خففت فالأصل الثقيلة فتخفف وتضم الشان فأن تجيء بالأصل ولا تحذف شيئاً ولا تضم أجود ﴿ويدرأ عنها العذاب﴾ أي ويدفع عنها الحد ﴿أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين﴾ تقول المرأة أربع مرات: اشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما قذفني به وتقول في الخامسة علي غضب الله إن كان من الصادقين فذلك قوله ﴿والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾^(٤) وقرأ حفص: والخامسة^(٥) نصباً على المعنى كأنه قال: وتشهد الخامسة ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ أي ستره ونعمته لولاها هنا محذوف الجواب قال الزجاج: المعنى: لولا فضل الله لنال الكاذب منهما عذاب عظيم أي لبين الكاذب من الزوجين فيقام عليه الحد ﴿وأن الله نواب﴾ يعود على من رجع عن معاصي الله إلى ما يجب بالرحمة ﴿حكيم﴾ فيما فرض من الحدود.

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شُرَكَاءَ لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرِ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ
وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

قوله: ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك﴾ يعني: بالكذب على عائشة رضي الله عنها والإفك: أسوأ الكذب وهو مأخوذ من أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه والإفك هو الحديث المقلوب عن وجهه ومعنى القلب في هذا الحديث أن عائشة كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة وشرف الحسب^(٦) والنسب لا القذف [الذي رموها به]^(٧) فالذين رموها بالسوء قلبوا الأمر عن وجهه فهو إفك قبيح وكذب ظاهر وكانت قصة الإفك على ما أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن محمد الزنجاري، أنا الحسن بن عبد الله النحوي بعسكر مكرم، نا محمد بن عبد الرحمن بن صالح النماري، نا أبو الربيع^(٨) الزهراني، نا فليح بن سليمان^(٩) المدني عن ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن^(١٠) وقاص الليثي وعبيد الله بن عتبة عن عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله منه

(١) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي ولد سنة ٧٠ هـ. وت. سنة ١٥٠ هـ طبقات القراء لابن الجزري ٢/٣٢٠.

(٢) السبعة لابن مجاهد ص ٤٥٣.

(٣) الكتاب لسيبويه ٣/١٦٣.

(٤) ويتبادر إلى الذهن سؤال: هل اللعان تفريق أم طلاق؟ ذهب أبو حنيفة إلى أنه طلاق وتقع به طلاق بائنة فلو كذب نفسه يحل له تزوجها وذهب الأئمة الثلاثة إلى أنه تفريق ثبت به الحرمة كحرمة الرضاع فلا يجتمعان بعد ذلك ابداً، انظر تفسير اللوسي ١٧/٢١٠.

(٥) كتاب السبعة لابن مجاهد ص ٤٥٣.

(٦) في ج، د، هـ، من المسيب.

(٧) ساقط من د، هـ.

(٨) أبو الربيع الزهراني: سليمان بن داود الزهراني العتكي البصري ت سنة ٣٣٤ هـ انظر: تاريخ بغداد ٩/٣٨، تذكرة الحفاظ ص ٢٠٣.

(٩) فليح بن سليمان بن أبي المغيرة الخراعي المدني انظر: تذكرة الحفاظ ٩١/٢٢٣، شذرات الذهب ١/٢٦٦ طبقات ابن سعد

٣٧/٥.

(١٠) علقمة بن وقاص الليثي توفي في خلافة عبد الملك بن مروان... انظر: تهذيب التهذيب ٧/٢٨٠، تذكرة الحفاظ ١١/٥٣ طبقات

الحفاظ ص ١٦.

قال الزهري: فكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت امتصاصاً ووعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني وبعض حديثهم يصدق بعضاً وروا أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سافراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها النبي ﷺ معه قالت [عائشة] (١) فأقرع بيننا في غزوة غزاه فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ ذلك بعدما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه مسيرنا حتى فرغ رسول الله ﷺ من غزوة وقفل ودنونا من المدينة أذن ليلة بالرحيل [فقممت حين أذنوا بالرحيل] (٢) فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقد من جزع ظفاري (٣) قد انقطع فرجعت فالتصمت عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين [كانوا] (٤) يرحلونني فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أنني فيه وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقمة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه (٥) ورفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيمنت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعوا إلي وبيننا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناى فتمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فأدلى فأتى سواد إنسان نائم فعرفني حين رأي وقد كان يراني قبل أن يضرب عليا الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين من نحر الظهيرة (٦) فهلك من هلك في وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي [بن] (٧) سلول فقدمنا المدينة فاشتكي حين قدمتها شهراً والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك فهو يريني في وجعي أنني لا أعرف من رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه [حين] (٨) أشتكي إنما كان يدخل فيسلم ثم يقول كيف تكم فذلك يحزنني ولا أشعر بالسر (٩) حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليلى وذلك قبل أن يتخذ الكنف وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح (١٠) وهي بنت أبي رهم وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق فأقبلت أنا وابنة أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح فقلت لها: بش ما قلت أتسيين رجلاً قد شهد بدرًا فقالت: أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال؟ قلت وماذا قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً إلى مرضي فلم رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال كيف تكم قلت تأذن لي أن أتى أبي قالت (١١): وأنا أريد حينئذ

(١) ليست في هـ.

(٢) ساقط من ب.

(٣) ظفاري مدينة باليمن في موضعين احدهما قرب صنعاء وهي التي ينسب إليها الجزع الظفاري وبها كان مسكن ملوك حمير - معجم البلدان

٦٠/٤.

(٤) ساقط من.

(٥) في ج: حملوه.

(٦) أي في وقت الهاجرة وقت توسط الشمس السماء. النهاية لابن الأثير باب الواو مع العين.

(٧) ساقط من أ، د، ابن أبي له ذكر في ترجمة ولده عبد الله اسد الغابة ٢٩٦/٣.

(٨) ليست في هـ.

(٩) أم مسطح بنت أبي رهم القرشية التيمية: الاصابة ٤٩٦/٤

(١١) في هـ: قال.

(٩) فيما عدا ج بالشعر.

أن أتيقن الخبر من قبلها فأذن لي رسول الله فجئت أبوي فقلت يا أمه ما يتحدث الناس قالت أي بنية هوني عليك فوالله لقل ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها قال فقلت: سبحان الله أو قد^(١) تحدث الناس بهذا؟ فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي ودعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وعلي بن أبي طالب حين استلبت^(٢) الوحي يستشيرهما في فراق أهله فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال يا رسول الله هم أهلك وما تعلم إلا خيراً وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيئ الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك فدعا رسول الله ﷺ بريرة^(٣) فقال: يا بريرة هل رأيت شيئاً يريبك من عائشة؟ قالت بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت امرأة أغمطه قط عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فيأتي الداجن فيأكله، قالت: فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول فقال - وهو على المنبر - يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال يا رسول الله أنا أعذرک [منه]^(٤) إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرک قالت فقام سعد بن^(٥) عبادة، وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً ولكن حملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتلنه ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت [لعمر الله]^(٦) لقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس^(٧) والخزرج^(٨) حتى هموا أن يقتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبوي يظنان أن البكاء فالتق كبدي فينا هما جالسان عندي وأنا أبكي أستأذنت علي امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكي معي فينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس [قالت ولم يجلس]^(٩) عندي منذ قيل ما قيل وقد لبث شهراً لا يوحى إليه شيء في شأني قالت فتشهد رسول الله ﷺ ثم^(١٠) قال أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت أَلَمْتُ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله ﷺ [كلامه]^(١١) قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي أجب عني رسول الله فيما قال فقال والله ما أدري ما أقول لرسول الله فقلت لأبي فقلت^(١٢) [قلت]^(١٣) وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن - والله لقد عرفت أنكم قد

(١) في د، هـ: لقد.

(٢) استلبت: استعمل من اللبث وهو الإبطاء والتأخير النهاية لابن الاثير ٢٢٤/٤.

(٣) بريرة مولاة عائشة رضي الله عنها انظر الاصابة ٢٥١/٤.

(٤) ساقط من جـ.

(٥) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الانصاري الخزرجي ت سنة ١٥ هـ انظر تهذيب التهذيب ٤٧٥/٣.

(٦) ساقط من د.

(٧) قبيلة الأوس هم بنو الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ماء السماء بطن عظيم من الازد من القحطانيين معجم قبائل العرب

٥٠/١.

(٨) والخزرج هم بنو الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن البهلول بن عمرو بطن من الازد القحطانية وكانت تطلق على الأوس والخزرج

اسم الخزرج معجم قبائل العرب ٩٩٦/٣.

(٩) ساقط من جـ.

(١٢) ساقط من د، هـ.

(١٠) ساقط من هـ.

(١٣) ساقط من جـ، هـ.

(١١) ساقط من د وفي هـ مقالته.

سمعت هذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة - لا تصدقوني [وشن اعترفت لكم - والله يعلم أني منه بريئة - لتصدقوني] (١) والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا ما قال أبو يوسف ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ (٢) قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله حيثد أعلم أني بريئة وأن الله ميرثي ببراتي ولكن - والله - ما كنت أظن أن ينزل في شأنني وحي يتلى ولشأنني احقر في نفسي من أن يتكلم الله في بؤحي (٣) يتلى ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يرثني الله بها قالت: فوالله ما رام رسول الله - ﷺ - مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه ﷺ وأخذ ما كان يأخذه من البرحاء (٤) عند الوحي حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه فلما سري عن رسول الله ﷺ سري عنه وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشري يا عائشة أما الله فقد براك فقالت لي أمة قومي بيه فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي قالت فأنزل الله عز وجل ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم﴾ العشر آيات فلما أنزل الله هذه الآيات في براءتي قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح لقربائه وفقره والله لا أنفق عليه شيئاً [أبدأ] (٥) بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله عز وجل ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم﴾ إلى قوله ﴿لا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ قال أبو بكر والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح بالنفقة التي كان ينفق عليه وقال لا أنزعها منه أبداً قالت عائشة وكان رسول الله ﷺ سأل زينب (٦) بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري ما علمت وما رأيت فقالت يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيراً قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع وطفقت حمة بنت جحش (٧) تحارب لها فهلكت فيمن هلك (٨) رواه البخاري ومسلم كلاهما عن أبي الربيع الزهراني فذلك قوله ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم﴾ أي جماعة منكم أيها المؤمنون ذكرتهم عائشة فيما أخبرنا أبو حفص الماوردي، أنا عبد الله بن محمد الرازي، أنا محمد بن أيوب، أنا سليمان بن حرب، أنا حماد بن سلمى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم أربعة حسن ابن ثابت وعبد الله بن أبي ومسطح بن أثائسة وحممة بنت جحش (٩)، قوله ﴿لا تحسبوه شراً لكم﴾ لا تحسبوا الإفك شراً لكم، قال مقاتل: لأنكم تؤجرون على ما قيل لكم من الأذى ﴿بل هو خير لكم﴾ لأن الله يأجركم ويظهر براءتكم والخطاب لعائشة وصفوان فيما ذكر أهل التفسير، وقال الزجاج: يعني عائشة وصفوان ومن بسببها [سب] (١٠) من النبي ﷺ وأبي بكر ويكون الخطاب لكل من رمى بسب وذلك أن من سب عائشة فقد سب النبي ﷺ وسب أبا بكر وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء قال: يريد خيراً لرسول الله ﷺ وبراءة لسيدة النساء أم المؤمنين وخيراً

(١) ساقط من د.

(٢) يوسف: ١٨.

(٣) فيما عدا جـ. بأمـ.

(٤) البرحاء: شدة الكرب من ثقل الوحي: النهاية لابن الأثير باب الباء مع الراء.

(٥) ساقط من د.

(٦) زينب بنت جحش الاسدية أم المؤمنين ت سنة ٢٠ هـ عن خمسين سنة الاصابة ٤/٣١٣.

(٧) حمة بنت جحش الاسدية الاصابة ٤/٢٧٥.

(٨) رواه البخاري في كتاب الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضاً وفي كتاب التفسير سورة النور ٦/١٢٧: ١٣٢، والايمان باب التوحيد ٩/١٧٦ ط الشعب.

ومسلم كتاب التوبة باب حديث الافك ٤/٢٩ ط الحلبي.

(٩) رواه مسلم في كتاب التوبة باب حديث الافك ٤/٢١٣٨.

رواه صاحب المسند ٦/٣٥ وأبو داود في كتاب الحدود باب القذف والترمذي في كتاب التفسير سورة النور حديث ٣٢٣١.

(١٠) ساقط من هـ.

لأبي بكر وأم عائشة ولصفوان بن المعطل وقوله ﴿لكل امرئ منهم﴾ يعني من العصبة الكاذبة ﴿ما اكتسب من الاثم﴾ جزء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه ﴿والذي تولى كبره﴾ استبد بمعظمه وانفرد به، قال الضحاك: قام بإشاعة الحديث وكبر الشيء: معظمه بالكسر وهو عبد الله بن أبي في قول مجاهد ومقاتل والسدي وعطاء عن ابن عباس وقوله ﴿منهم﴾ يعني من العصبة الكاذبة ﴿له عذاب عظيم﴾ قال ابن عباس: يريد في الدنيا الجلد جلده رسول الله ﷺ ثمانين جلدة^(١) وفي الآخرة يصيره الله إلى النار ثم أنكر على الذين خاضوا في الإفك فقال:

لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾

﴿لولا إذ سمعتموه﴾ هلا إذ سمعتم أيها العصبة الكاذبة قذف عائشة بصفوان ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات﴾ من العصبة الكاذبة يعني^(٢) حمئة بنت جحش وحسان ومسطحاً ﴿بأنفسهم خيراً﴾ قال الحسن: بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة ألا ترى إلى قوله ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾^(٣) قال الزجاج: ولذلك يقال [للقوم]^(٤) الذين يقتل بعضهم بعضاً إنهم يقتلون أنفسهم وقال المبرد: ومثله قوله ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾^(٥) ﴿وقالوا هذا إفك مبين﴾ هذا القذف كذب بين ﴿لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء﴾ هلا جاء العصبة الكاذبة على قذفهم عائشة بأربعة شهداء يشهدون بأنهم عاينوا منها ما رموها به ﴿فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله﴾ في حكمه ﴿هم الكاذبون﴾ ثم ذكر الذين قذفوا عائشة فقال:

وَلَوْلَا فَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ في الدنيا والآخرة ولولا ما من الله به عليكم ﴿لمسكم﴾ لأصابتكم ﴿فيما أفضتم﴾ فيما^(٦) أخذتم وخضتم فيه من الكذب والقذف ﴿عذاب عظيم﴾ في الدنيا والآخرة، قال ابن عباس: عذاب لا انقطاع له، ثم ذكر الوقت الذي كان يصيهم العذاب لولا فضله فقال: ﴿إذ تلقونه بالسنتكم﴾ قال مجاهد ومقاتل: بعضكم عن بعض، وقال [الكلبي وذلك]^(٧) أن الرجل منهم كان يلقي الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقياً، قال الزجاج: معناه يلقى بعضهم إلى بعض ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ من غير أن تعلموا أن الذي قلتم حق ﴿وتحسبونه هيناً﴾ تظنون أن ذلك القذف سهل لا إثم فيه ﴿وهو عند الله عظيم﴾ في الوزر ثم زاد في الإنكار عليهم فقال:

(١) قال الهيثمي روى الطبراني بسنده عن سعيد بن جبير. لهم عذاب أليم يعني وجيع في الدنيا والآخرة فكان عذاب عبد الله بن أبي في الدنيا الجلد وفي الآخرة النار، روي نحو هذا عن قتادة بأسناد جيد وعن مجاهد بأسنادين رجال أحدهما ثقات مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة النور ٧/ ٧٨.

(٢) في هـ: غير.

(٣) آية (٢٩) النساء وفي د، هـ: ﴿ولا تلمزوا﴾ وهي آية أخرى من الحجرات (١١).

(٤) ساقط من.

(٥) آية (٥٢) البقرة.

(٦) في جـ: من.

(٧) ساقط من د، هـ.

وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَسِينَ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا﴾ ما يجل وما ينبغي لنا ﴿أن نتكلم بهذا﴾ سبحانك ها هنا معناه كقول الأعمش (١):

[أقول لما جاءني فخره] (٢) سبحان من علقمة الفاخر (٣)

﴿هذا بهتان﴾ افتراء وكذب ﴿عظيم﴾ يتحير من عظمه ثم وعظ الذين خاضوا في الإفك فقال ﴿يعظكم الله﴾ قال ابن عباس: يحرم الله عليكم، وقال مجاهد ينهاكم الله ﴿أن تعودوا لمثله أبدا﴾ لمثل هذا القذف ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ يعني أن من شرط الإيمان ترك قذف المحصنة ﴿ويبين الله لكم الآيات﴾ في الأمر والنهي ﴿والله عليم﴾ بأمر عائلة ﴿حكيم﴾ حكم ببراءتها ثم هدد القاذفين فقال:

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ أن يفشو ويظهر الزنا ﴿في الذين آمنوا﴾ بأن ينسبوا إليهم ويقذفوهم بها ﴿لهم عذاب أليم في الدنيا﴾ يعني الجلد ﴿ووالآخرة﴾ يعني عذاب النار ﴿والله يعلم﴾ سر ما خضتم فيه وما فيه من سخط الله ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك ثم ذكر فضله ومته عليهم بتأخير العقوبة فقال:

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ لعاقبكم فيما قلتم لعائشة وهذا جواب لولا وهو محذوف ﴿والله﴾ [رؤوف رحيم] (٤) ﴿رؤوف بكم ورحمكم فلم يعاقبكم في أمر عائشة﴾ [قال ابن عباس] (٥) يريد مسطحاً وحنة وحسان، قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ [قال مقاتل يعني تزوين الشيطان في قذف عائشة] (٦) ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ قال ابن عباس بعصيان الله وكل ما يكره الله عما لا يعرف في شريعة ولا سنة ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم﴾ [من أحد] (٧) قال مقاتل: ما صلح والزكاة تكون بمعنى: الصلاح يقال: زكى يزكو زكاة، وقال ابن قتيبة: ما ظهر والآية على العموم عند بعض المفسرين قالوا: أخبر الله أنه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح أحد وآخرون يقولون: هذا الخطاب للذين خاضوا في

(١) الأعمش: عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمداني الشاعر انظر الاعلام ٣/٣١٢ ط دار العلم.

(٢) ساقط من ج، د، هـ.

(٣) البيت للأعشى في ديوانه (٩٤) ط دار صادر بيروت وفيه فجوه والفاخر بدلاً من فخره والفاخر، وهو من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ويمدح بن عامر بن الطفيل في المنافرة التي جرت بينهما، مطلعها:

شأقتك من قتلة أطلالها بالشط فالوتر إلى حاجر

وفي معنى سبحان واستعمالاتها يراجع اللسان مادة سبح.

(٤ + ٥ + ٦ + ٧) ساقط من هـ.

الإفك^(١)، والمعنى: ما ظهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل وهو قول ابن عباس في رواية عطاء قال ما قبل توبة أحد منكم ﴿أبدأ ولكن الله يزكي من يشاء﴾ [قال^(٢)] فقد شئت أن أتوب عليكم لأن الله يطهر من يشاء من الإثم بالرحمة والمغفرة فيوفقه [للتوبة]^(٣) ﴿والله سميع عليم﴾ علم ما في نفوسكم من الندامة والتوبة، قوله:

وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا
وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾

﴿ولا يأتل﴾ قال جماعة المفسرين لا يحلف يقال ألى يؤلى إبلاءً وبألى يتألى تألياً وائتلى يأتلى ائتلاءً إذا حلف، وقوله: ﴿أولو الفضل منكم والسعة﴾ يعني أولو^(٤) الغنى والسعة في المال وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه حلف أن لا ينفق على مسطح^(٥) وكان ابن خالته ولا يصله بشيء أبداً وذلك قوله ﴿أن يؤتوا﴾ قال الزجاج: أن لا يؤتوا فحذف لا ﴿أولي القربى والمسكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ يعني مسطحاً وكان من المهاجرين قال^(٦) [ابن عباس]^(٧) قال الله لأبي بكر قد جعلت فيك يا أبا بكر الفضل والمعرفة بالله وصلة الرحم وعندك السعة فتعطف على مسطح فله قرابة وله هجرة وله مسكنة وقوله ﴿وليصفحوا ولا تحبون﴾ أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ قال مقاتل: قال النبي ﷺ لأبي بكر أما تحب أن يغفر الله لك قال بلى قال فاعف واصفح قال قد عفوت وصفح لا أمنعه معروفى أبداً بعد اليوم وقد جعلت له مثلي ما كان قبل اليوم وقالت عائشة لما نزلت هذه الآية فقال أبو بكر الصديق بلى والله إني لأطلب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح بالنفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها [منه]^(٨) أبداً^(٩).

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ
عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾

قوله ﴿إن الذين يرمون المحصنات﴾ العائفات ﴿الغافلات﴾ عن الفواحش كغفلة عائشة عما قيل فيها ﴿المؤمنات﴾ المصدقات بتوحيد الله وبرسوله ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة﴾ عذبوا بالجلد ثمانين جلدة ويعذبون بالنار في ﴿والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ قال مقاتل: هذه الآية خاصة في عبد الله بن أبي المنافق ورميه عائشة وقال سعيد بن جبير هذا الحكم خاصة فيمن يقذف عائشة فمن قذفها كان من أهل هذه الآية، وقال الضحاك والكلبي: هذه الآية في

(١) في هـ: بالافك.

(٢+٣) ليست في هـ.

(٤) في هـ: أولى.

(٥) في هـ، د أن ينفق مسطحاً.

(٦) في هـ: قاله.

(٧) ساقط من ب.

(٨) ساقط من د ويليهما في نفس النسخة وقد جعلت له مثلي ما كان قبل اليوم فيما عدا جـ ويقذف.

(٩) رواه البخاري مختصراً في كتاب التفسير سورة النور ٣٤/٦ ط الشعب والهيثمي في المجمع عن الطبراني وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف

وليس فيه والله لا أنزعها منه أبداً مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة النور ٧٩/٧.

عائشة وأزواج رسول الله ﷺ خاصة ليس فيها توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ والذين يرمان المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء إلى قوله إلا الذين تابوا قال فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لأولئك توبة آخرنا أحمد^(١) بن محمد بن إبراهيم أنا شعيب بن محمد أنا مكّي بن عبدان، نا أبو الأزهر، نا روح، نا الثوري، نا خفيف^(٢) قال: قلت لسعيد بن جبير من قذف محصنة لعنه الله قال: لا، إنها في عائشة خاصة قوله ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم﴾ قال الكلبي: تشهد عليهم يوم القيامة ألسنتهم بما تكلموا [به من الفرية في قذف عائشة] وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون^(٣) قال ابن عباس: تتكلم الجوارح وتنطق بما عملت في الدنيا ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ يجازيهم الله جزاءهم الواجب ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ قال ابن عباس: وذلك أن عبد الله بن أبي كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة أن الله هو الحق المبين حيث لا ينفعه. قوله:

الْخَيْثَاتُ لِلْخَيْثِينِ وَالْخَيْثُونَ لِلْخَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

﴿الخبثات للخبثين﴾ أي الخبيثات من الكلام والقول للخبثين من الناس ﴿والخبثون﴾ من الناس ﴿للخبثات﴾ من الكلام والمعنى أن الخبيث من القول لا يليق إلا بالخبث من الناس وكل كلام إنما يحسن في أهله فيضاف شيء القول إلى من يليق به ذلك وكذلك الطيب من القول وعائشة لا يليق بها الخبيثات من الكلام فلا يصدق فيها لأنها طيبة فيضاف إليها طيبات الكلام من الثناء الحسن وما يليق بها وقال الزجاج: معناه لا يتكلم بالخبثات إلا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات إلا الطيب من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قذفوا عائشة بالخبث ومدح للذين برأواها بالطهارة وقال ابن زيد الخبيثات من النساء للخبثين من الرجال والخبثون من الرجال للخبثات من النساء أمثال عبد الله بن أبي والشاكين في الدين ﴿والطيبات﴾ من النساء ﴿للطيبين﴾ من الرجال ﴿والطييون للطيبات﴾ يريد عائشة طيبها الله لرسوله وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء، وقوله ﴿أولئك مبرءون﴾ يعني الطيبات والطيبين مبرءون ﴿مما يقولون﴾ أي الخبيثات والخبثون ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ في الجنة، أخبرنا الشيخ أبو معمر المفضل بن إسماعيل الأسماعيلي، أنا الإمام جدي أبو بكر الإسماعيلي، نا أبو العباس أحمد بن سهل الأشثاني^(٤)، نا بشر^(٥) بن الوليد الكندي^(٦)، أنا عمر [بن] حفص بن سليمان^(٨) عن علي بن زيد جدعان عن جدته عن عائشة أنها قالت لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتها امرأة نزل جبريل بصورتي في راحته حين أمر النبي ﷺ أن يتزوجني ولقد تزوجني بكراً وما تزوج غيري ولقد قبض وإن رأسه في حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفت الملائكة ببيتي وإن كان الوحي لينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه وإن كان لينزل عليه وإني معه

(١) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن يزدن المقرئ الأنباري أبو عبد الله ت سنة ٣٢٤ هـ الميزان ١٣٠/١.

(٢) خفيف بن عبد الرحمن الجزري أبو عون الحضرمي ت سنة ١٣٧ الهذيب ١٤٣/٣.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) أحمد بن سهل الأشثاني النيسابوري الفقيه ت سنة ٢٩٦ تذكرة الحفاظ (٢٩٦).

(٥) في د: بشير.

(٦) بشير بن الوليد الكندي الفقيه ت سنة ٢٣٨ ميزان الاعتدال ١/٣٢٦.

(٧) في هـ، د: أبو حفص.

(٨) سليمان بن فيروز الكوفي الشيباني أبو إسحاق ت سنة ١٤١ هـ تذكرة الحفاظ ١/١٥٣، طبقات الحفاظ ص ٦٦.

في لحافه وإني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عندي من السماء ولقد خلقت طيبة وعند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقاً كريماً^(١).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

وقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم﴾ أي بيوتاً ليست لكم ﴿حتى تستأذنوا﴾ قال جماعة المفسرين حتى تستأذنوا وقال ابن عباس أخطأ الكاتب حتى تستأذنوا إنما هي حتى تستأذنوا^(٢) وقال أهل المعاني الاستئناس الاستعلام يقال أنست منه كذا أي علمت والمعنى: حتى تستعلموا وتنظروا وتعرفوا ﴿وتسلموا على أهلها﴾ هو أن يقول السلام عليكم أدخل ولا يجوز دخول بيت غيرك إلا باستئذان لهذه الآية ﴿ذلكم خير لكم﴾ أي أفضل من أن تدخلوا بغير إذن ﴿لعلكم تذكرون﴾ أن الاستئذان خير فتأخذون به قال عطاء: قلت لابن عباس أستأذن على أمي وأختي ونحن في بيت واحد؟ قال أيسرك أن ترى منهم عودة قلت: لا قال: فاستأذن ﴿فإن لم تجدوا فيها﴾ أي في البيوت أحداً ﴿فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾ وإن وجدوها خالية لم يجز لها إذن أيضاً وإن أمر بالانصراف انصرف ولم يقم على باب البيت وهو قوله ﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم﴾ أي خير وأفضل من القعود على الأبواب ﴿والله بما تعملون﴾ من الدخول بإذن وغير إذن ﴿عليم﴾ فلما نزلت آية الاستئذان قالوا فكيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على الطريق ليس فيها ساكن فانزل الله ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة﴾ قال المفسرون: يعني بيوتاً ليس فيها ساكن [فالبیوت]^(٣) التي ينزلها المسافرون لا جناح أن يدخلها بغير استئذان^(٤) وقوله ﴿فيها متاع لكم﴾ أي منافع من اتقاء البرد والحر والاستمتاع بها.

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَرَكِي لَهُمْ إِنْ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

قوله ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ عما لا يحل وعن الفواحش هذا قول عامة المفسرين، وقال أبو العالية المراد بحفظ الفرج في هذه الآية حفظه عن الرؤية ووقوع البصر عليه ﴿ذلك﴾ أي غض البصر وحفظ الفرج ﴿أزكى لهم﴾ خير لهم وأفضل عند الله ﴿إن الله خير بما يصنعون﴾ في الفروج والأبصار ثم أمر النساء بمثل ما أمر به الرجال من غض البصر وحفظ الفرج فقال:

(١) قال الهشمي رواه أبو يعلى وفي الصحيح وغيره وفي اسناد أبي يعلى من لم أعرفهم مجمع الزوائد كتاب المناقب باب فضل عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مجمع الزوائد ٢٤١/٩.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٤٩/٢ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وفيه نظر فإن قراءة تستأذنوا هي المتواترة والاستئناس في الآية ابلى من الاستئذان فليس فيه مجرد طلب الإذن وإنما فيه أن يأنس لك من في البيت وأيضاً لا يصح هذا القول (أخطأ الكاتب) عن ابن عباس فإنه روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وهي أوهى الطرق واضعفاً عن ابن عباس والكلبي متروك الحديث كما بينا من قبل.

(٤) انظر ابن جرير ٩٠/١٨.

(٣) ليست في هـ.

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوَاتِقِ
النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
تُقْلِحُونَ ﴿٣١﴾

﴿وقل﴾ (١) للمؤمنات [يغضضن] (٢) من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها
يعني: الوجه والكفين وهو قول سعيد بن جبير والضحاك، وقال مجاهد عن ابن عباس يعني: الكحل
والخاتم والقلب والخضاب، وقوله ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ الخمر جمع الخمار وهي ما تغطي به
المرأة رأسها والمعنى: ويليقن مقانعهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقرطهن وأعناقهن [كما] (٣) قال ابن
عباس: تغطي شعرها وصدورها وترائها وسوالفها ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ يعني: الزينة الباطنة التي لا يجوز كشفها في
الصلاة، قال ابن عباس ومقاتل: يعني لا يضمن الجلباب والخمار إلا لازواجهن (٤) وهو قوله ﴿إلا لبعولتهن أو آبائهن
أو أبناء بعولتهن أو أبناءهن أو بني إخوانهن أو بني إخوانهن أو نسائهن﴾ وقد جمع الله تعالى
في هذه الآية بين الأزواج والمحارم وبين الفريقين وفرق وهو أن الزوج يحل له النظر إلى جميع بدن امرأته سوى
الفرج (٥) وليس للمحارم أن ينظروا إلى ما بين السرة والركبة من المرأة ومعنى ﴿أو نسائهن﴾ يعني المؤمنات فلا يجوز
لامرأة مؤمنة أن تتجرد بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون أمة لها، وقوله ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾ يعني المماليك
والعبيد، (٦) ويجوز للمرأة أن تظهر لمملوكيها إذا كانوا عفيفين ما تظهر لمحارمها وقوله ﴿أو التابعين غير أولي الإربة من
الرجال﴾ أكثر القراء على خفض غير بالصفة للتابعين (٧) ومن نصب كان استثناءً والمعنى يبدين زينتهن للتابعين لا

(١ + ٢) ساقط من جـ.

(٣) ليست في هـ.

(٤) الصحيح: لا يضمن عنهن الجلباب والخمار إلا أمام أزواجهن أو آبائهن . . الخ.

(٥) في هذا نظر: فلقد قال ابن العربي في أحكام القرآن: اختلف الناس في جواز نظر الرجل إلى فرج زوجته على قولين، أحدهما: يجوز
لأنه إذا جاز له التلذذ به فالنظر أولى وقيل لا يجوز، لقول عائشة في ذكر حالها مع رسول الله ﷺ «ما رأيت ذلك منه ولا رأى مني»
والأول أصح وهذا محمول على الأدب. أحكام القرآن ٣/ ١٣٧٠ وقال ابن الجوزي في كتابه أحكام النساء: عن عائشة رضي الله عنها
قالت: «ما نظرت إلى فرج رسول الله ﷺ قط. أو ما رأيت فرج النبي ﷺ قط» رواه ابن ماجه في النكاح ٦١٩/ وابن حنبل في المسند
١٩٠/٦ والبيهقي ٩٤/٧ - وهذا عين الصواب فإن الفرج غير مستحسن الصورة من الزوجين فالاطلاع على بعض العيوب يقدح في
المحبة فينبغي لهما جميعاً الحذر من ذلك ولهذا ترى الأكابر ينامون منفردين لعلمهم أن النوم يتجدد فيه ما لا يصلح أ. هـ. أحكام
النساء لعبد الرحمن بن الجوزي ص ٣٥١.

(٦) هذا في الاماء وأما العبيد فهم كلا جانب سواء بسواء ويراجع تفسير الألوسي ١٨/ ١٤٣.

(٧) قراءة (غير) بكسر الراء قرأ بها: ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو عمرو ويعقوب ونافع وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٤٥٥، والنش

ذا الإربة منهم فإنهن لا يبدن زينتهن لمن كان منهم ذا إربة والإرب الحاجة ومعنى التابعين غير أولي الإربة هم الذين لا حاجة لهم من النساء ولا يحملهم إربهم على أن يراودوا النساء وهذا قول مجاهد وعكرمة والشعبي، وقال قتادة هو الذي يتبعك فيصيب من طعامك ولا همة له في النساء وقال مقاتل: يعني: الشيخ الهرم والعين والخصي والمجبوب ونحوه وقال الحسن: هم قوم طبعوا^(١) على التخفيف وكل الرجال منهم يتبع الرجل يخدمه بطعامه ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن أخبرنا الحسن بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عبد الله بن الفضل، أنا أحمد بن الحسن الحافظ، نا محمد بن يحيى، نا أصبغ^(٢)، أنا ابن وهب، أنا يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة: أن هيثم^(٣) كان يدخل على أزواج النبي ﷺ وكانوا لا يعدونه من أولي الإربة من الرجال^(٤) وقوله ﴿أَوِ الْبُطْحَانِ﴾ يعني به الجماعة من الاطفال ﴿الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ لم يقودا عليها ومنه قوله ﴿فاصبحوا ظاهرين﴾^(٥) يعني: الغلمان الذين لم يبلغوا الحلم ﴿ولا يضر بن بأرجلهم ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ قال قتادة: كانت المرأة تضرب برجلها ليعلم قعقة الخلل فيها فنهيت عن ذلك، وقال عطاء عن ابن عباس ولا تضرب المرأة برجلها إذا مشت ليعلم صوت خلخالها أو يتبين لها خلخال ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً﴾ عما كنتم تعملون في الجاهلية، والمعنى: راجعوا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه. أخبرنا عبد القاهر بن طاهر أنا أبو عمرو بن مطر، أنا أبو خليفة، نا أبو الوليد، نا شعبة أخبرني عمرو بن مرة^(٦) سمعت أبا بردة يقول سمعت رجلاً من جهينة يقال الاغر^(٧) من أصحاب النبي ﷺ يحدث ابن عمر أنه سمع النبي ﷺ يقول: يا أيها الناس توبوا إلى ربكم، فإني أتوب إلى الله في كل يوم مائة مرة^(٨) رواه مسلم عن أبي شيبة عن غندر^(٩) عن شعبة، وقوله ﴿أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ وقرأ ابن عامر بضم الهاء^(١٠) ومثله ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُونَ﴾^(١١) ﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾^(١٢) قال أبو علي الفارسي: وهذا لا يتجه لأن آخر الاسم هو الياء الثانية من أي فينبغي أن يكون المضموم^(١٣) آخر الاسم ولو جاز أن يضم^(١٤) الميم في اللهم لأنه آخر الكلمة وينبغي أن لا يقرأ بهذا ولا يؤخذ به.

وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلَيْسَتَّعْفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِنَابَ مِمَّا مَلَكَتْ

(١) في أ: طمعوا.

(٢) أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع القرشي الاموي أبو عبد الله ت سنة ٢٢٥ هـ تذكرة الحفاظ ٢/٤٥٧ تهذيب التهذيب ١/٣٦، شذرات الذهب ٢/٥٦.

(٣) في د، هـ، فختا وهو نخث يدعى هيثم تفسير القرطبي سورة النور.

(٤) رواه البخاري في كتاب اللباس باب اخراج المتشبهين بالنساء من البيوت ٧/٢٠٥، ومسلم كتاب السلام باب منع المخنث من الدخول على النساء الاجانب ٤/١٧١٥.

(٥) الصف: ١٤.

(٦) عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق الجملي المرادي أبو عبد الله الكوفي ت سنة ١١٦ هـ تذكرة الحفاظ ١/١٢١، التهذيب.

(٧) الاغر بن يسار الجهني، اسد الغابة ١/١٣٢.

(٨) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب الاستغفار منه ٤/٢٠٧٦.

(٩) غندر بن محمد بن جعفر الهذلي البصري ت سنة ١٩٣ هـ تذكرة الحفاظ ١/٣٠٠، التهذيب ٩/٩٦، شذرات الذهب ١/٣٣٣.

(١٢) سورة الرحمن: ٣١.

(١٠) لابن مجاهد ص ٤٥٥.

(١٤) في هـ، د الياء.

(١٣) في هـ: المظهر.

(١١) الزخرف: ٤٩.

أَيْمَنَكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا قَيْدَكُمْ عَلَى الْبِعْثِ
 إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا لِّبَنَاتِكُمْ فَلْيَنْكِحُوا أَوْلَادَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٣ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا
 إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَقُوا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ٣٤

قوله ﴿وأنكحوا الأيامي منكم﴾ يقال فلانة أيم إذا لم يكن لها زوج بكرة كانت أو ثيباً والجمع أيامي والأصل أيائم فقلبت ورجل أيم لا زوج له، قال السدي: من لم يكن له زوج من امرأة أو رجل فهو أيم، وهذا قول جماعة المفسرين، والمعنى: زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم، وهذا الأمر ندى واستحباب أخبرنا محمد بن موسى بن الفضل، نا محمد بن يعقوب، نا محمد بن إسحاق الصغاني، نا عبد الوهاب بن عطاء عن ابن جريح عن إبراهيم بن ميسرة^(١) عن عبيد بن سعد عن النبي ﷺ قال «من أحب فطرتي فليستن بستتي ومن ستنت النكاح^(٢)» أخبرنا أبو منصور البغدادي، نا محمد بن عبد^(٣) الله بن علي بن زياد، نا محمد بن إبراهيم بن سعد البوشنجي، نا سعيد بن واقد،^(٤) نا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحضر للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء^(٥)». أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، نا أبو سعيد إسماعيل بن أحمد الجرجاني، نا عبد الله بن زيدان البجلي، نا أبو كريب، نا المحاربي^(٦) عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال لقيني ابن عباس في حجة حجها فقال تزوجت؟ قلت لا. قال: فتزوج قال: ولقيني في العام المقبل فقال: [هل]^(٧) تزوجت؟ فقلت: لا فقال: اذهب فتزوج فإن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء يعني النبي ﷺ ﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ قال مقاتل [يقول: زوجوا المؤمنين من عبادكم وإمائكم]^(٨) فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج، فمعنى الصلاح: ها هنا الإيمان ثم رجع إلى الأحرار فقال ﴿إن يكونوا فقراء﴾ لا سعة لهم للتزوج ﴿يغنيهم الله من فضله﴾ [وعدمهم أن يوسع عليهم عبد التزوج قال الزجاج: حث الله على النكاح وأعلم أنه سبب لنفي الفقر وقال قتادة: ذكر [لنا]^(٩) أن عمر بن الخطاب كان يقول ما رأيت مثل رجل لم يلمس الغنى في الباءة والله يقول إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله]^(١٠) ﴿والله واسع﴾ لخلقه ﴿عليم﴾ بهم، قوله ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً﴾ أي وليطلب العفة عن الزنا والحرام من لا يجد ما ينكح به من صداق ونفقة ﴿حتى يغنيهم الله من فضله﴾ يوسع عليهم من رزقه ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ يطلبون المكتابة ﴿عما ملكت أيمانكم﴾ من العبيد والاماء يقال كاتب الرجل عبده وأمه مكتابة وكتاباً فهو مكاتب والعبد مكاتب

(١) إبراهيم بن ميسرة الطائفي نزيل مكة ثبت حافظ توفي سنة ١٣٢ هـ انظر التقريب ٤٤/١، تهذيب التهذيب ٤٢٣/٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح بالفاظ متقاربة ٢/٧.

(٣) في د، ه عبيد الله.

(٤) سعيد بن واقد بن عبد الملك بن واقد الحراني. الميزان ١٥٠/٢.

(٥) رواه مسلم في كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تأقت نفسه إليه ١٠١٨/٢، رواه البخاري كتاب النكاح باب من لم يستطع الباءة فليصم ٣/٧ ط الشعب.

(٦) المحاربي: عبد الرحمن بن محمد بن زيادة المحاربي الكوفي تذكرة الحفاظ ٣١٢/١، شذرات الذهب ٣٤٣/١، ابن سعد ٢٧٣/٦.

(٧) ساقط من أ، د، ه.

(٨) ساقط من جـ.

(٩) ساقط من د.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من هـ من قوله: وعدمهم أن يوسع عليهم.

وهو أن يقول: كاتبت على أن تعطيني كذا وكذا في نجوم معلومة فإذا أدى ذلك فالعبد حر ولا بد من التنجيم وأقله نجمان وصاعداً، ولا يصح جمعه وعند أبي حنيفة رضي الله عنه يصح والآية عليه لأن أصل الكتاب من الكتب وهو الضم والجمع، وأقل ما يقع عليه الضم والجمع نجمان، وهو أن العبد يجمع نجوم المال إلى مولاه، ولا يجوز أن يكتب عبداً غير بالغ ولا عاقل لقوله ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ ولا يصح الطلب من الأطفال والمجانين وعند أبي حنيفة: إذا كان العبد مراهقاً يجوز أن يكتب والآية حجة عليه، وقوله ﴿فكاتبوهم﴾ أمر ندب واستحباب في قول الجمهور وقال قوم إنه أمر إيجاب وهو قول عمرو بن دينار^(١) وعطاء ورواية عطية عن ابن عباس وقوله ﴿إن علمتم فيهم خيراً﴾ أكثر المفسرين قالوا يعني: المال وهو قول مجاهد وعطاء والضحاك وطاووس والمقاتلين وقال الحسن إن كان عنده مال وكتابه والا فلا تعلق عليه صحيفة يغدو بها على الناس ويروح فيسألهم، وقال عبد لسلمان^(٢): كاتبني فقال مال؟ قال لا قال أفتطمعني أوساخ الناس فأبى عليه، وكان قتادة يكره أن يكتب العبد لا يكتابه^(٣) إلا ليسأل الناس، وقال ابن عباس في رواية عطاء في قوله إن علمتم فيهم خيراً قوة على الكسب وأداء المال هو قول ابن عمرو وابن زيد واختيار مالك والشافعي^(٤) والفراء والزجاج. قال الفراء: يقول إن رجوتهم عندهم وفاءً وتأدية للمال، وقال الزجاج: إن علمتم أنهم يكسبون ما يؤدونه وهذا القول أصح لأنه لو أريد بالخير المال لقليل إن علمتم لهم خيراً فلما قال عليهم كان الأظهر الاكتساب والوفاء وأداء الأمانة وقوله ﴿وأتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ يقول: حظوا عنهم من نجوم الكتابة شيئاً قال مجاهد: ^(٥) ريع المال وقال الآخرون لا يتقدر بشيء يحط عنه ما أحب أو يرد عليه شيئاً مما يأتيه به، أو يعطيه مما في يده شيئاً يستعين به على أداء المال وقال عطاء عن ابن عباس: يريد سهم الرقاب يعطى منه المكاتبون، وقوله ﴿ولا تكرهوا فتيانكم على البغاء﴾ يعني إماءكم ولولا ثدكم على الزنا نزلت في عبد الله بن أبي ^(٦) كان يكره جوارى له على الكسب بالزنا^(٧) وقوله ﴿إن أردن تحصناً﴾ قال ابن عباس تعفوا وتزويجاً وإنما شرط إرادة التحسن لأن الإكراه لا يكون^(٨) إلا عند إرادة التحصن فإن لم ترد بغت بالطبع^(٩)، وقوله ﴿لتنبتوا عرض الحياة الدنيا﴾ أي من كسبهن وبيع أولادهن ﴿ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ يعني للمكرهات. ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ يعني ما ذكر في هذه السورة من الحلال والحرام ﴿ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم﴾ أي شبيهاً من حالهم بحالكم أيها المكذبون، وهذا تخريف لهم أن يلحقهم ما لحق من قبلهم من المكذبين ﴿وموعظة للمتقين﴾ نهياً للذين يتقون الشرك والكبائر.

(١) عمرو بن دينار المكي أبو محمد الجمحي ت سنة ١٢٥ هـ عن ثمانين سنة انظر: تذكرة الحفاظ ١١٣/١ تهذيب التهذيب ٢٨/٨، ابن سعد ٣٥٣/٥، طبقات الحفاظ (ص ٤٣).

(٢) سلمان: سلمان الخير الفارسي أبو عبد الله ابن الاسلام ت سنة ٣٦ هـ تهذيب التهذيب ١٣٨/٤.

(٣) في هـ فقال لما يكتابه.

(٤) نص الشافعي على ذلك في كتاب الأم ٧/٣٦٢.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٢٥١.

(٦) عبد الله بن أبي بن سلول: له ذكر في ترجمة ولده عبد الله بن عبد الله بن أبي أسد الغابة ٣/٢٩٦.

(٧) قال الهيثمي رواه الطبراني والبخاري بنحوه ورجال الطبراني رجال الصحيح مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة النور ٧/٨٣.

(٨) في النسخ الأخرى لا يتصور.

(٩) ليس هذا الشرط لتخصيص النهي بصورة إرادتهن التحفف عن الزنا وإخراج ما عداها من حكمه للمحافظة على عاداتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونها على البقاء وهن يردن التحفف.

دُرِّيُّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ تُوِّرُّ عَلَى
نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ لِأَنَّ شَيْءًا عَلَيْهِمُ ۝

قوله ﴿الله نور السموات والأرض﴾ معنى النور في اللغة الضياء وهو الذي يبين الأشياء ويرى الأبصار حقيقة تراه، وورد النور في صفة الله تعالى لأنه هو الذي يهدي المؤمنين ويبين لهم ما يهتدون به^(١) من الضلالة قال ابن قتيبة: أي بنوره يهتدي من في السماوات والأرض^(٢) وهذا معنى قول ابن عباس والمفسرين هادي أهل السماوات والأرض وقوله ﴿مثل نوره﴾ قال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل نوره الذي أعطى المؤمن وقال السدي: مثل نوره في قلب المؤمن وكذا هو في قراءة ابن مسعود وكان أبي يقرأ مثل نور المؤمن^(٣) قال وهو عبد قد جعل الإيمان والقرآن في صدره ﴿كمشكاة﴾ وهي كوة غير نافذة في قول الجميع ﴿فيها مصباح﴾ يعني السراج ﴿المصباح في زجاجة﴾ يعني القنديل قال الزجاج: النور في الزجاج وضوء النار أبيض منه في كل شيء يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاج فقال: ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ منسوب إلى أنه كالدر في صفائه وحسنه وقرأ أبو عمرو مكسورة الدال مهموزة^(٤) وهو فعيل من الدرء بمعنى الدفع والكوكب إذا دفع ورمي من السماء لرحم الشيطان^(٥) يضاعف ضوءه، قال أبو عمرو لم اسمع أعرابياً يقول إلا كأنه كوكب دريء بكسر الدال أخذوه من درأت النجوم تدرأ إذا اندفعت وقرأ حمزة بضم الدال مهموزاً^(٦) وأنكره الفراء والزجاج وأبو العباس قالوا هو غلط [لأنه ليس في الكلام فعيل قال الزجاج]^(٧) والنحويون أجمعون لا يعرفون الوجه في هذا لأنه ليس في كلام العرب شيء على هذا الوزن قوله ﴿توقد﴾ مفتوحة التاء والدال قراءة أبي عمرو^(٨) وهي البينة لأن المصباح هو الذي توقد وقرئ بضم الياء والدال^(٩) أي المصباح وقرئ توقد^(١٠) أي الزجاج، والمعنى: على مصباح الزجاج ثم حذف المضاف [وقوله ﴿من شجرة مباركة﴾ أي من زيت شجرة مباركة بحذف المضاف]^(١١) بذلك على ذلك قوله ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ وأراد بالشجرة المباركة شجرة الزيتون وهي كثيرة البركة وفيها أنواع المنافع لأن الزيت يسرج به، وهو إدام ودهان ودباغ ويوقد بحطب الزيتون وتقله ورماده يغسل به الإبريسم ولا يحتاج في استخراج دهنه إلى عصار، أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد زكري الشيباني،^(١٢) أنا بشر بن أحمد بن محمود، أنا أبو جعفر محمد بن موسى الحلواني، نا زهير بن محمد، أنا عبد

(١) ساقط من أ.

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٥٢.

(٣) رواها ابن جرير بسنده عن أبي تفسير ابن جرير ١٨/١٠٥.

(٤) ابن مجاهد في السبعة ص ٤٥٥ والنشر ٢/٣٣٢.

(٥) في ب، د: الشياطين.

(٦) قرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر (دريء) بضم الدال مهموز، السبعة (٥٤٦).

(٧) ساقط من د، هـ والنص في معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٢.

(٨) السبعة ص ٤٥٥ والنشر ٢/٣٣٢.

(٩) قراءة يوقد بضم الياء والدال قرأ بها: نافع وابن عامر وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٤٥٥ والنشر ٢/٣٣٢.

(١٠) قراءة (توقد) بضم التاء والدال قرأ بها حمزة وعاصم في رواية أبي بكر والكسائي انظر: السبعة ص ٤٥٥ والنشر ٢/٣٣٢.

(١١) ساقط من هـ.

(١٢) أبو بكرت سنة ٣٨٨ هـ عن اثنين وثمانين سنة، تذكرة الحفاظ ٣/١٠١٣، طبقات الحفاظ ص ٤٠١.

الرزاق، أنا معمر عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة^(١)» ثم فسرها فقال ﴿زيتونة﴾ وخصها من بين سائر الأشجار لأن دهنها أصفى وأضوأ وقوله ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ أي لا يفيء عليها ظل شرق ولا غرب هي ضاحية للشمس لا يظلها^(٢) جبل ولا شجر ولا كهف وزيتها يكون أصفى، وهذا قول ابن عباس في رواية عكرمة والكلبي ونحوه قال قتادة والسدي والأثرون واختيار الفراء والزجاج، قال الفراء: الشرقية التي تأخذها الشمس إذا أشرفت ولا تصيبها إذا غربت لأن لها سترًا والغربية التي تصيبها الشمس بالعشي ولا تصيبها بالغداة^(٣)، وقوله ﴿يكاد زيتها﴾ زيت الزيتون يعني دهنها يكاد يضيء المكان من صفائه من غير أن يصيبه النار بأن يوقد به وهو قوله ﴿ولو لم تمسه نار﴾ قال المفسرون: هذا مثل للمؤمن فالمشكاة قلبه والمصباح هو الايمان والقرآن والزجاجة صدره، ومعنى قوله يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار: يكاد^(٤) قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى قوله: ﴿نور على نور﴾ قال مجاهد: النار على الزيت وقال الكلبي: المصباح نور والزجاجة نور وهو مثل لايمان المؤمن وعمله وقال السدي نور الايمان ونور القرآن وقوله ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ قال ابن عباس: لدينه الاسلام، وإن شئت قلت للقرآن ﴿ويضرب الله الأمثال﴾ يبين الله الأشياء للناس تقريباً إلى الأفهام وتسهيلاً لسبل الإدراك ﴿والله بكل شيء عليم﴾ [عالم]^(٥).

فِي بُيُوتٍ أَذْنُ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

قوله ﴿في بيوت﴾ يعني المساجد ﴿أذن الله أن ترفع﴾ أمر الله أن تبنى والمراد برفعها بناؤها كقوله ﴿وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت﴾^(١) وقال الحسن: ترفع تعظم والمعنى لا يتكلم فيها بالخنا^(٢) ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ قال مقاتل [وابن عباس]^(٣): يوحد الله فيها ﴿يسبح له فيها﴾ يصلي لله في قلب البيوت يعني الصلوات [المفروضة]^(٤) ﴿بالغدو والآصال﴾ بالبكر والعشايا وقرأ ابن عامر^(٥) يسبح بفتح الباء أي يصلي لله فيها ثم فسر من يصلي فقال ﴿رجال﴾ وكأنه قيل من يسبح؟ فقيل: رجال ﴿لا تلهيهم تجارة﴾ لا تشغلهم تجارة ﴿ولا بيع﴾ قال الفراء: التجارة لأهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يديه^(٦) وخص قوم التجارة ها هنا بالشراء لذكر البيع بعدها ﴿عن ذكر الله﴾ عن حضور المساجد لإقامة الصلوات، قال الثوري: كانوا يشترون ويبيعون ولا يدعون الصلوات في الجماعات في المساجد ﴿واقام الصلاة﴾ أدائها لوقتها وتمامها وإنما ذكر إقامة الصلاة بعد قوله عن ذكر الله والمراد به الصلاة

(١) رواه الحاكم في المستدرک بلفظ كلوا... وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وعقب الذهبي بأنه صحيح المستدرک كتاب التفسير سورة النور ٢/٣٩٨ ط بيروت.

(٢) في ب لا يضلها.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٣.

(٤) الخنا قبيح الكلام وأفحشه، انظر اللسان مادة خنا.

(٥) (٨ + ٩) ليست في هـ.

(٦) في هـ، يقال.

(٧) السبعة لابن مجاهد (ص ٤٥٦).

(٨) عن أ.

(٩) معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٣.

(١٠) البقرة: ١٢٧.

المفروضة بياناً أنهم يؤدونها في وقتها لأن من أخر الصلاة عن وقتها لم يكن من مقيمي الصلاة وقوله ﴿وإيتاء الزكاة﴾ قال ابن عباس إذا حضر وقت الزكاة لم^(١) يحسوها عن وقتها ﴿يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب﴾ بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك ﴿والأبصار﴾ تتقلب من أين يؤتون كتبهم؟ أمن قبل الأيمان أم من قبل الشك؟ قوله: ﴿ليجزئهم الله﴾ أي يسبحون الله ليجزيهم ﴿أحسن ما عملوا﴾ أي ليجزيهم بحسناتهم ولهم مساوئ من الأعمال لا يجزيهم بها ﴿ويزيدهم من فضله﴾ ما لم يستحقوه بأعمالهم ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ مفسر فيما تقدم، ثم ذكر الكفار وضرب المثل لأعمالهم فقال:

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابًا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كظلماتٍ في بحرٍ لججٍ يغشاه موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحابٌ ظلماتٌ بعضها فوق بعضٍ إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نورٍ ﴿٤٠﴾

﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة﴾ السراب الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء ويكون نصف النهار والقيعة جمع قاع نحو جار وجيرة وهو ما انبسط من الأرض ويكون فيه السراب، وقوله ﴿الظمان ماء﴾ يعني الشديد العطش^(١) يقال: ظمأ يظمأ ظمأ فهو ظمان ﴿حتى إذا جاءه﴾ جاء إلى الشراب وإلى موضعه رأى أرضاً لا ماء فيها وهو قوله ﴿ولم يجده شيئاً﴾ أي شيئاً مما حسب وقدر، قال سعيد بن جبیر عن ابن عباس: أعمال الكفار إذا احتاجوا إليها مثل الشراب إذا رآه الرجل وقد احتاج إلى الماء فاتاه فلم يجده شيئاً فذلك من عمل الكافر يرى أن له ثواباً وليس له ثواب، قال ابن قتيبة: الكافر يحسب ما قدم من عمله نافعاً كما يحسب العطشان الشراب من البعد ماء يرويه حتى إذا جاءه أي مات لم يجد عمله شيئاً لأن الله قد أبطله بالكفر ومحقه^(٢) وقوله ﴿ووجد الله عنده﴾ قال الفراء: وجد الله عند عمله يعني قدم على الله^(٣) ﴿فوفاه حسابه﴾ جازاه بعمله وهذا في الظاهر خبر عن الظمان والمراد به الخبر عن الكفار ولكن لما ضرب مثلاً للكفار جعل الخبر عنه كالخبر عنهم، وقوله ﴿والله سريع الحساب﴾ مفسر في سورة البقرة، قوله ﴿أو كظلمات﴾ قال الزجاج: أعلم الله أن أعمال الكافر إن مثلت بما يوجد فمثلها مثل الشراب وإن مثلت بما يرى فهي كهذه الظلمات التي وصف وهذا قول عامة المفسرين إن التمثيل بالظلمات وقع لأعمال الكافر وقوله ﴿في بحر لجج﴾ اللجج^(٤) العظيم اللجة ومعناه كثرة الماء وقال ابن عباس والمفسرون: هو العميق الذي يبعد عمقه ﴿يغشاه موج﴾ أي يعلو^(٥) ذلك البحر اللجج موج ﴿من فوقه موج﴾ يعني موجاً^(٦) من فوق الموج ﴿من فوقه﴾ من فوق الموج ﴿سحاب ظلمات بعضها فوق بعض﴾ يعني ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة الموج وفوق الموج ظلمة السحاب ومن قرأ ظلمات بالكسر والتنوين^(٨) جعلها بدلاً من الظلمات الأولى ومن أصاب السحاب إلى الظلمات^(٩) فارتفعت وقت تراكمها كما تقول سحاب رحمة وسحاب مطر إذا ارتفع وظهر في الوقت الذي يكون فيه المطر والرحمة، والمعنى أن الكافر يعمل في حيرة لا يهتدي لرشده فهو في جهله وحيرته كمن [هو]^(١٠) في

(١) فيما عدا د، هـ، الصلاة.

(٢) في أ، د من العطش.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٢٥٤.

(٨) قرأ ابن كثير ظلمات بالكسر والتنوين، السبعة (٤٥٧) والنشر ٣٣٢/٢.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٥.

(٩) قراءة (سحاب ظلمات) بالاضافة رواها البرقي انظر: النشر ٣٣٢/٢.

(١٠) ساقط من ج، د، هـ.

(٥) في هـ/ اللجة عظيم.

هذه الظلمات لأنه من عمله وكلامه مقلب في ظلمات وجهالة وقوله ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا﴾ تأكيد لشدة هذه الظلمات، قال الحسن لم يرها ولم يقارب^(١) الرؤية قال الفراء: لأن أقل من الظلمات التي وصفها^(٢) لا يرى فيه الناظر كفه^(٣) ومعنى لم يكد يراها نفي المقاربة من الرؤية وقوله ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ قال ابن عباس والسدي ومقاتل: من لم يجعل [له]^(٤) ديناً وإيماناً وهدى فما له من دين، قال الزجاج: من لم يهده الله للإسلام لم يهتد.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسِيحُ لَهُمْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

وقوله ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسِيحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تقدم تفسيره ﴿وَالطَّيْرِ﴾ أي ويسيح له الطير ﴿صَفَّاتٍ﴾ باسقاط أجنحتها في الهواء وخص الطير بالذكر من جملة الحيوان لأنها تكون بين السماء والأرض فهي خارجة عن جملة من في السماوات والأرض^(٥) وقوله ﴿كُلِّ﴾ أي من الجملة التي ذكرها ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ قال مجاهد: الصلاة للإنسان والتسبيح لما سوى ذلك من خلقه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ لا يخفى عليه طاعتهم وصلاتهم وتسبيحهم ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال الكلبي: يعني خزائن المطر والرزق والنبات لا يملكها أحد غيره ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ مرجع العباد بعد الموت، قوله:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّتِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يَقَلْبُ اللَّهُ أَيْلًا وَالنَّهَارَ إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ يسوقه سوقاً رقيقاً ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ يضم بعضه إلى بعض أي يجعل القطع المتفرقة منه قطعة واحدة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا﴾ يجعل بعضه يركب بعضاً ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ القطر والمطر، قال الليث: الودق المطر كله شديد وهينه^(٦) ﴿يَخْرُجُ مِنْ خَلَّتِهِ﴾ جمع خلل وهو مخارج القطر وقوله ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ أي من جبال [في السماء وتلك]^(٧) الجبال من برد، قال ابن عباس: أخبر الله أن في السماء جبلاً من برد ومفعول الإنزال محذوف والتقدير: وينزل من السماء من جبال من

(١) فيما عدا هـ: يقالب.

(٢) في هـ وضعها.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٥٥/٢.

(٤) ساقط من د.

(٥) وقيل: خص الطير بالذكر لاندراجها في جملة ما في الأرض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وإنشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضع ابنائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى (صافات) أي

تسبحه الطير حال كونها صافات أجنحتها. انظر روح المعاني للأوسى ١٨٧/١٨.

(٦) تهذيب اللغة للأزهري ٢٥١/٩.

(٧) بياض في هـ ما بين القوسين.

برد فيها برداً فاستغنى عن ذكر المفعول للدلالة عليه ومن الأولى لابتداء الغاية لأن ابتداء الانزال من السماء والثنية للتبعيض لأن ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السماء والثالثة لتبيين الجنس لأن جنس تلك الجبال [التي هي السماء] (١) جنس البرد ﴿فيصيب به﴾ بالبرد ﴿من يشاء﴾ فيضره في زرعه وثمرته ﴿ويصرفه عن من يشاء﴾ (٢) فلا يضره في زرعه وثمرته ﴿يكاد سنا برقه﴾ يقرب ضوء برق السحاب من أن يذهب بالبصر ويخطفه لشدة لمعانه كما قال ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ (٣) والسنا: الضوء، مثل سنا النار، وسنا البدر، وسنا البرق، وقال السدي: يكاد ضوء البرق يلتصع البصر فيذهب به قوله ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ يعني: يأتي بالليل ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل ﴿إن في ذلك﴾ التقلب ﴿لعبرة لأولي الأبصار﴾ للدلالة لأهل العقول والبصائر على قدرة الله وتوحيده، أخبرنا عمرو بن أبي عمرو المزكي، أنا محمد بن مكي، أنا أحمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، نا سفيان عن سعيد بن المسيب بن أبي هريرة قال [قال رسول الله ﷺ] (٤) قال الله: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا (٥) الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار (٦).

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾

قوله: ﴿والله خلق كل دابة﴾ يعني: كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل الجن والملائكة لأنها لا تشاهدهم (٧) وقوله ﴿من ماء﴾ أي من نطفة ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ كالحيات والهوام والحياتان ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كالانسان والطير ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾ كالبهائم والانعام قال المبرد: قوله: كل دابة للناس وغيرهم وإذا اختلط النوعان حمل الكلام على الأغلب لذلك قال: من غير ما يعقل، ثم ذكر قدرته على خلق ما يريد فقال: ﴿يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ولقد أنزلنا آيات مبينات﴾ يعني: القرآن أي هو المبين للهدى والاحكام ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ يعني الإسلام الذي هو دين الله وطريقه إلى رضاه [وجنته] (٨) ثم ذكر أهل النفاق وشكهم في الدين فقال

وَيَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ فِرْقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ ﴿٤٩﴾ أُوذِيَ قُلُوبُهُمْ مَّرَضًا أَمْ أُرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ

(١) ساقط من د، هـ.

(٢) ساقط من د.

(٣) البقرة: ٢٠.

(٤) ساقط من هـ.

(٥) في هـ: وان.

(٦) رواه مسلم في كتاب الالفاظ من الادب باب النهي عن سب الدهر ٤/١٧٦٢.

(٧) وقيل بدخول الجن والملائكة في مضمون الآية وفي عموم الدابة والمقصود: كل ما دب على وجه الارض ويراجع في ذلك تفسير

الالوسي ١٨/١٩٣.

(٨) ساقط من جـ.

الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾

﴿ويقولون﴾ يعني: المنافقين ﴿ءامنا بالله﴾ صدقنا بتوحيد الله ﴿وبالرسول﴾ [محمد] ^(١) ﴿وأطعنا﴾ هما فيما حكما ﴿ثم يتولى فريق﴾ ^(٢) يعرض عن طاعتها طائفة ﴿منهم من بعد ذلك﴾ من بعد قولهم ءامنا ﴿وما أولئك﴾ الذين يعرضون عن حكم الله ورسوله ﴿بالمؤمنين﴾ ﴿وإذا دعوا إلى الله﴾ إلى كتاب الله ^(٣) ﴿ورسوله ليحكم بينهم﴾ الرسول فيما اختصموا فيه ﴿إذا فريق منهم معرضون﴾ عما يدعوا إليه ﴿وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين﴾ مسرعين طائعين، قال الزجاج: الأذعان: الإسراع مع الطاعة يقال أذعن لي بحق أي طوعني فيما ^(٤) كنت ألتمس منه وصار يسرع إليه أخبر الله أن المنافقين يعرضون عن حكم الرسول لعلمهم بأنه يحكم بالحق فإذا كان لهم على غيرهم أسرعوا إلى حكمه لثقتهم بأنه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضاً ثم أخبر بما في قلوبهم من الشك فقال: ﴿أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا﴾ شكوا في القرآن وهذا استهزام ذم وتوبيخ ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ الحيف الميل في الحكم فيقال: حاف في قضيته أي جار فيما حكم ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ أي لا يظلم الله ورسوله في الحكم بل هم الذين يظلمون أنفسهم بالكفر والإعراض عن حكم الرسول ثم تعب الصادقين من إيمانهم فقال: ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ ^(٥) أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴿قال مقاتل وابن عباس: يقولون سمعنا قول النبي وأطعنا أمره وإن كان ذلك فيما يكرهونه ويضر بهم ثم أثنى على من أطاعهما فقال: ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ قال ابن عباس: يريد فيما ساءه وسره ﴿ويخشى الله﴾ في ذنوبه التي عملها ﴿ويتقته﴾ فيما بعد لم يعصه. وقراءة العامة يتقيه موصولة بياء هو الوجه لأن ما قبل الهاء متحرك وحكمها إذا تحرك ما قبلها أن يتبعها الياء ^(٦) في الوصل وروى قالون بكسر الهاء ولا يبلغ بها الياء ^(٧) لأن حركة ما قبل الهاء ليست تلزم الا ترى أن الفعل إذا رفع... ^(٨) اختير حذف الياء بعد الهاء مثل عليه وقرأ أبو عمرو ويتقه ^(٩) جزماً وذلك أن ما يلحق هذه الهاء من الواو والياء ^(١٠) زائداً فرد إلى الأصل وحذف الزيادة ^(١١) وقرأ حفص ساكنة القاف مكسورة ^(١٢) الهاء قال ابن الأنباري وهو على لغة من يقول: لم أزيدا ولم اشتر طعاماً ما... ^(٨) يسقطون الياء للجزم ثم يسكنون الحرف الذي قبلها ومنه قول الشاعر ^(١٠):

قال سُلَيْمِي اشتر لنا دقيقا ^(١٣)

(١) من هـ فقط.

(٢) في، ب، هـ، فريق منهم.

(٣) في هـ إلى الله ورسوله وهي مكرره.

(٤) روى ذلك ابن مجاهد في السبعة ص ٤٥٧.

(٥) في هـ: والتاء.

(٦) فيما عدا: لما.

(٧) ساقط من هـ.

(٨) ساقط من هـ.

(٩) السبعة ص ٤٥٨.

(١٠) في هـ: الهاء.

(١٣) هذا صدر بيت وعجزه:

واشتركيما نتخذ خرديقا

أنشده الفراء كما في النهاية لابن الأثير ٢/ ٢٠ ولسان العرب مادة خردق ولقد جاء هذا البيت برواية أخرى:

قالت سليمان اشترينا سويقا وهات خبز البر أو دقيقا

وقوله ﴿فأولئك هم الفاتزون﴾ يعني: المطيعين لله ورسوله الخائفين المتقين الذين قالوا (١) ما طلبوا من ربنا الله وقيل جنته ولما بين الله كراهتهم لحكمه قالوا للنبي ﷺ والله لو امرتنا بالجهاد والخروج من ديارنا وأموالنا لخرجنا فقال الله:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ٥٣ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوا تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ٥٤﴾

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن﴾ إلى الجهاد ﴿قل لا تقسموا﴾ لا تحلفوا وتم الكلام ثم قال ﴿طاعة معروفة﴾ أي طاعة حسنة للنبي ﷺ بنية خالصة، قال مقاتل بن سليمان: معناه ليكن منكم طاعة، وقال الزجاج: تأويله طاعة معروفة أحسن من قسمكم بما لا تصدقون فيه فحذف خبر الابتداء للعلم به وقوله ﴿إن الله خير مما تفعلون﴾ أي من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل ثم أمرهم بالطاعة فقال ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ ثم خاطبهم فقال ﴿فإن تولوا﴾ أي تتولوا فحذف احدى التائين أي قال تعرضوا عن طاعتها ﴿فإنما عليه﴾ على الرسول ﴿ما حمل﴾ من التبليغ واداء الرسالة ﴿وعليكم ما حملتم﴾ من الطاعة ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ تصيبوا الحق ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ ليس عليه إلا أن يبلغ ويبين لكم، وقوله:

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٥٤﴾

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ قال أبي بن كعب: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة أوتهم الأنصار ومنهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون إلا مع السلاح ولا يصبحون إلا فيه فقالوا اترون أنا نعيش حتى نبيت أميين مطمئنين لا نخاف إلا الله فنزلت هذه الآية (٢) وقوله ﴿ليستخلفنهم﴾ [أي ليجعلنهم يخلفون من قبلهم والمعنى: ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها] (٣) وقوله ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ قال مقاتل: يعني بني إسرائيل إذا اهلت الجابرة بمصر

= وهو للعذافري الكندي يقال: شار العسل ونحوه واشتاره إذا اجتناه وأخذ من مكانه، فقوله اشتر من الاشتيار، ويحتمل انه من الاشتر وسكنت راؤه للضرورة أي طلب لنا سوقاً، وفي بقية الرجز انها طلبت منه لحما وخادما وصبيغا فقال:

باسم لو كنت لذا مطيقا ما كان عيسى عندكم ترنيقا

انظر تفسير الكشاف للزمخشري ١٩٧/٣ ومعنى ترنيقا: أي مدة ترنيق الطائر أي صف جناحه في الهواء.

(١) في هـ قالو.

(٢) قال الهيثمي رواه الطبراني في الاوسط ورجاله ثقات مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة النور ٨٣/٧.

(٣) ساقط من هـ.

وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وروى أبو بكر بن عياش^(١) استخلف بضم التاء وكسر اللام^(٢) ووجهه أنه يريد [به]^(٣) ما أريد باستخلف وإذا كان المعنى: كذلك فالوجه قراءة العامة، قوله ﴿وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ قال ابن عباس: يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها، ويظهر دينهم على جميع الأديان ﴿وليدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾ قال مقاتل: يفعل بهم ذلك ويمن كان بعدهم من هذه الأمة مكن لهم الأرض وابدلهم أمناً من بعد خوف وبسط لهم في الأرض فقد أنجز الله مواعده لهم^(٤)، وقوله ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ استئناف كلام في الثناء عليهم ﴿ومن كفر بعد ذلك﴾ يعني بهذه النعم وليس يعني الكفر بالله، والمعنى من جحد حق هذه النعم ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ قال ابن عباس: العصاة لله، قال المفسرون وأول من كفر بهذه النعم وجحد حقها الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف الذي رفعه عنهم حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا اخواناً متحابين.

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَنَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

قوله ﴿لا تحسبن الذين كفروا﴾ يعني: اهل مكة^(٥) ﴿معجزين في الأرض﴾ يعجزوننا ويفوتونا هرباً أي أن قدرة الله محيطة بهم ومن قرأ بالياء ففاعل الحسبان على هذه القراءة الذين كفروا^(٦) وكانه قيل وتحسبن الذين كفروا^(٧) أنفسهم معجزين ثم أوعدهم فقال ﴿وما واهم النار ولبس المصير﴾ قوله:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

(١) أبو بكر بن عياش بن سالم الاسدي الكوفي المقرئ واسمه كنيته ت سنة ١٩٣ هـ انظر تذكرة الحفاظ ١/ ٢٦٥، طبقات القراء لابن الجزري ١/ ٣٢٥، ابن سعد ٦/ ٢٦٩.

(٢) السبعة لابن مجاهد (ص ٤٥٨) والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٢.

(٣) ساقط من جـ.

(٤) في هـ ففعل لهم بهم.

(٥) لا يخص هذا الحكم أهل مكة وحدهم وإنما ينطبق على كل من كفر بالله سواء كان من أهل مكة أو من غيرها والعبارة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب.

(٦) قراءة (لا يحسبن) بالياء، قرأ بها: ابن عامر وحمزة وانظر السبعة ص ٤٥٩ والنشر ٢/ ٢٧٧.

(٧) ساقط من هـ.

﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم﴾ أي في الدخول عليكم ﴿الذين ملكت أيمانكم﴾ يعني العبد والاماء قال عطاء: ذلك على كل كبير وصغير ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ من احراركم من الرجال والنساء ﴿ثلاث مرات﴾ يعني ثلاثة اوقات ثم فسرها فقال ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ وذلك إن الإنسان ربما يبيت عرياناً أو على حال لا يحب أن يراه غيره في تلك الحال ﴿وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ يريد المقبل ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ حين يأوي الرجل إلى امرأته ويخلو بها أمر الله بالاستئذان في الأوقات التي يتخلى فيها الناس ويتكشفون، وفصلها ثم أجملها بعد التفصيل فقال ﴿ثلاث عورات لكم﴾ أي هذه الأوقات ثلاث عورات [لكم]^(١) وسمى هذه الأوقات عورات^(٢) لأن الإنسان يضع فيها ثيابه فتبدو عوراته ومن رأى ثلاث [عورات]^(٣) بالنصب^(٤) جعله بدلاً من قوله ثلاث مرات، قال السدي: كان أناس من الصحابة يعجبهم أن يوافقوا نساءهم في هذه الساعات ليغتسلوا ثم يخرجون إلى الصلاة فأخبرهم الله أن يأمروا الغلمان والمملوكين أن يستأذنوا في هذه الساعات الثلاثة قال موسى بن أبي عائشة قلت للشعبي في هذه الآية: أمسوخة هي قال: لا قلت: قد تركها الناس^(٥) قال الله المستعان وقوله ﴿ليس عليكم﴾ يعني المؤمنين الاحرار ﴿ولا عليهم﴾ يعني الخدم والغلمان ﴿جناح﴾ حرج ﴿بعدهن﴾ بعد مضي هذه الأوقات لا حرج في أن [لا]^(٦) تستأذنوا في غير هذه الأوقات ﴿طوافون عليكم﴾ يريد انهم خدمكم فلا بأس أن يدخلوا في غير هذه الأوقات بغير اذن قال مقاتل: ينقلون فيكم ليلاً ونهاراً ﴿بعضكم على بعض﴾ أن يطوف بعضهم^(٧) [وهم]^(٨) المماليك على بعض وهم الموالي قوله ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم﴾ يعني من الاحرار ﴿فليستأذنوا﴾ أي في جميع الأوقات في الدخول عليكم فالبالغ يستأذن في كل الأوقات، والطفل والمملوك يستأذنان في الثلاث عورات، وقوله ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾ يعني الاحرار الكبار الذين أمروا بالاستئذان على كل حال، قال سعيد [بن المسيب]^(٩) ليستأذن الرجل على أمه فإنما انزلت هذه الآية في ذلك قوله ﴿والقواعد من النساء﴾ يعني اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر قال الزجاج: القاعدة التي قعدت عن التزوج، وهذا معنى قوله ﴿اللاتي لا يرجون نكاحاً﴾ قال السدي: هن^(١٠) اللاتي تركن الأزواج وكبرن ﴿فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن﴾ يعني الجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار والمراد^(١١) بالثياب ها هنا ما ذكر لا كل الثياب، وقوله ﴿غير متبرجات بزينة﴾ التبرج أن تظهر المرأة محاسنها من وجهها وجسدها من غير أن يدن بوضع الجلباب أن ترى زينتهن قال مقاتل لها أن تضع الجلباب تريد بذلك أن تظهر قلائدها وقرطها وما عليها من الزينة ثم قال: ﴿وإن يستعفنن﴾ فلا يضعن الجلباب ﴿خير لهن والله سميع﴾ لقولكم ﴿عليم﴾ بما في قلوبهم.

(١) ساقط من هـ.

(٢) ساقط من د، هـ، وساقط من هـ، أيضاً إلى لفظ عورات.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) قراءة (ثلاث) بالنصب، قرأها حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم. انظر السبعة ص ٤٥٩، والنشر في القراءات العشر ٢/٣٣٢.

(٥) في هـ الناس لا يعلمون بها.

(٦) ساقط من جـ.

(٧) في جـ، بعضكم على بعض وليس لها موضع.

(٨ + ٩) ساقط من جـ.

(١٠) في هـ: هي.

(١١) فيما عدا هـ والمراد.

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

قوله ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ قال سعيد بن المسيب إن المسلمين كانوا إذا غزوا وخلفوا زمانهم^(١) وكانوا يدفعون إليهم مفاتيحهم أبوابهم ويقولون قد أحللتنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا وكانوا يتخرجون من ذلك وقالوا لا ندخلها وهم غيب فنزلت هذه الآية رخصة لهم، ومعنى الآية نفي الحرج عن الزماني في أكلهم من بيت أقاربهم أو بيت من يدفع إليهم المفتاح إذا خرج للغزو، وقوله ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾ أي ليس عليكم حرج^(٢) أن تأكلوا من أموال عيالكم وازواجكم وبيت المرأة كبيت الرجل^(٣) وقال ابن قتيبة: أراد أن تأكلوا من بيوت أولادكم فنسب بيوت الأولاد إلى الآباء لأن الأولاد كسبهم وأموالهم كأموالهم^(٤) ثم ذكر بيوت القربان بعد الأولاد فقال ﴿أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم﴾ وهذه الرخصة في أكل مال القربان^(٥) وهم لا يعلمون ذلك كرخصة لمن دخل حائطاً وهو جائع أن يصيب من ثمره أو مر في سفره بغنم وهو عطشان أن يشرب من رسلها توسعة منه ولطفاً بعباده ورغبة عن^(٦) ذناء الأخلاق وضيق النظر^(٧) وقوله ﴿أو ما ملكتم مفاتيح﴾ يعني بيوت عبيدكم وما يملكون وذلك أن السيد يملك منزل عبده والمفتاح معناها الخزائن كقوله ﴿وعنده مفاتيح الغيب﴾^(٨) ويجوز

(١) الزماني: جمع زمن، يقال رجل زمن أي مبتلى بين الزمانة وهي العاعة في الجسد. انظر اللسان مادة زمن.

(٢) في هـ: ليس عليكم حرج في أنفسكم أن تأكلوا.

(٣) في هـ الزوج.

(٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٥٨.

(٥) ساقط من هـ.

(٦) في هـ: لهم.

(٧) كان هذا في صدر الإسلام ثم نسخ فقد قال القرطبي: إنها من قوله تعالى ﴿ولا على أنفسكم﴾ الآية، قال عبد الرحمن بن زيد: هذا شيء قد انقطع كانوا في أول الإسلام ليس على أبوابهم اغلاق وكانت الستور مرخاة فربما جاء الرجل فدخل على البيوت فيأكل منها في غياب أصحابها ثم اتخذت الابواب فلا يجمل لأحد أن يفتحها فذهب هد وانقطع وقال ﷺ «لا يجتلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه» خرج الأئمة: هـ تفسير القرطبي ٣١٢/١٢ ط دار الكتاب العربي وذهب ذلك أيضاً فلقد قال كان ذلك في صدر الإسلام ثم نسخ بقوله ﷺ: «لا يجمل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه»، وقوله تعالى ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا﴾ الآية وقوله ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ الآية فإنهم إذا متعوا من منزله ﷺ إلا بالشرط المذكور وهو إكرام الناس وأقلهم جاهاً فغيره ﷺ يعلم بالطريق الأولى. تفسير الالوسي ٢٢٠/١٨

(٨) الانعام: ٥٩.

أن تكون التي يفتح بها، وهذا قول عطاء عن ابن عباس، وقال آخرون أمضى قوله ﴿أو ما ملكتم مفاتيحه﴾ ما خزنته لغيركم^(١)، قال ابن عباس: يعني بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيقه لا بأس عليه أن يأكل من ثمر حائطه ويشرب من لبن ماشيته، قال عكرمة^(٢): إذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس أن يطعم الشيء اليسير، وقال السدي: الرجل يولى طعام^(٣) غيره يقوم عليه فلا بأس أن يأكل منه، وقوله ﴿أو صديقكم﴾ قال المقاتلان انطلق رجل غازياً يدعى الحارث بن عمرو واستخلف^(٤) مالك بن زيد في أهله وخزائنه فلم يأكل من ماله شيئاً حتى صار مجهوداً فأنزله الله وصديقكم يعني الحارث بن عمرو وكان الحسن وقاتدة يريان دخول الرجل بيت صديقه والتحرم^(٥) بطعامه من غير استئذان منه في الأكل بهذه الآية والمعنى: ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا من غير أن تزودوا وتعملوا، وقوله ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً﴾ قال أكثر المفسرين نزلت في بني ليث بن بكر وهم^(٦) من كنانة^(٧) كان الرجل منهم لا يأكل، فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئاً وربما كانت معه الإبل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فأعلم الله أن الرجل منهم إن أكل وحده فلا إثم عليه^(٨) ومعنى أشتاتاً: متفرقين جمع شتت، وقوله ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾ هذا في دخول الرجل بيت نفسه والسلام على أهله ومن في بيته قال قتادة إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه وإذا دخلت بيتاً لا أحد فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا أن الملائكة ترد عليه قال ابن عباس: هو المسجد إذا دخلته فقل^(٩) السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين^(١٠) أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد البغدادي أنا أبو بكر محمد بن المؤمل بن الفضل بن محمد، نا ابن [أبي] مريم، أنا ابن لهيعة حدثني أبو الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال «إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها وإذا طعم أحدكم طعاماً ما فليذكر اسم الله عليه فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته وإذا ذكر اسم الله على طعامه قال لا مبيت لكم ولا عشاء وإن لم يسلم حين يدخل بيته ولم يذكر اسم الله على طعامه قال أدركتم العشاء والمبيت»^(١١) وقوله ﴿تحية من عند الله﴾ قال ابن عباس: أي هذه تحية حياكم الله بها، وقال الفراء: أي أن الله يأمركم^(١٢) بما تفعلونه طاعة له وقوله ﴿مباركة طيبة﴾ قال ابن عباس: حسنة جميلة وقال الزجاج: أعلم الله

(١) في ج: يغيركم.

(٢) عكرمة البربري مولى ابن عباس أبو عباس أو أبو عبد الله المدني سنة ١٠٥ هـ عن ثمانين سنة انظر طبقات الحفاظ ص ٣٧ شذرات الذهب ١/١٣٠، تهذيب التهذيب ٧/٢٦٣.

(٣) فيما عدا هـ: طعامه.

(٤) الحارث بن عمرو بن ثعلبة بن غنم الباهلي أسد الغابة ١/٤٠٤ ط الشعب.

(٥) في هـ والمحترم.

(٦) بنو ليث بن بكر ذكر نسبهم كاملاً في جمهرة انساب العرب لابن حزم الاندلسي ص ٣٤٠ ط دار المعارف.

(٧) وكنانته قبيلة عظيمة من العدنانية وهم بنو كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياض بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان معجم قبائل العرب ص ٩٩٦/٣ رضا كحالة.

(٨) تفسير ابن جرير عن قتادة وابن جرير وابن زيد تفسير ابن جرير ١٨/١٣١.

(٩) في هـ: دخلتم موضع فقل بياض.

(١٠) روى ابن جرير هذه الأخبار في تفسيره بالفاظ متقاربة ١٨/١٣٢.

(١١) ساقط من جـ.

(١٢) رواه الحاكم بالفاظ متقاربة وقال هذا حديث غريب الاسناد والتمن المستدرک كتاب التفسير سورة النور ٢/٤٠٢. وقال عنه الهيثمي رواه الطبراني وفيه أبو الصبا عبد الغفور وهو متروك مجمع الزوائد كتاب الادب باب السلام عند دخول المنزل ٧/٣٨.

(١٣) في هـ: امركم.

أن السلام مبارك طيب لما فيه من الأجر والثواب وقوله ﴿كذلك﴾ أي كيانه في هذه الآية ﴿يبين الله لكم الآيات﴾
يفضل الله لكم معالم دينكم ﴿لعلكم تعقلون﴾ لكي تفهموا عن الله أمره ونهيه وقوله:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَن شِئْتَ
مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع﴾ أي على أمر طاعة يجتمعون^(١) عليها
نحو الجمعة والفطر والجهاد وأشباه ذلك ﴿لم يذهبوا حتى يستأذنه﴾ قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا
صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ
حيث يراه فيعرف أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم^(٢) قال مجاهد وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده، وقال
الزجاج: أعلم الله أن المؤمنين إذا كانوا مع نبيه فيما يحتاج فيه^(٣) إلى الجماعة لم يذهبوا حتى يستأذنه وكذلك ينبغي
أن يكونوا مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه في جمع من جموعهم إلا بإذنه^(٤) وللإمام أن يأذنه وله أن لا يأذن على
ما ترى لقوله عز وجل ﴿فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله﴾ أي واستغفر لهم لخروجهم عن الجماعة إن رأيت لهم
عذراً.

لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ
لَوْ آذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ۚ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

قوله ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ [علمهم الله فضل النبي ﷺ على سائر البرية في
المخاطبة وأمرهم أن يفخموه ويشرفوه ولا يقولوا له عند دعائه يا محمد يا ابن عبد الله كما يدعو بعضهم بعضاً قولوا: يا
رسول الله يا نبي الله^(٥) في لين وتواضع وخفض صوت وقوله ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوآذا﴾ التسلل
الخروج في خفية يقال تسلل فلان من بين أصحابه إذا خرج من جلتهم واللواذ أن يستتر بشيء قال ابن عباس هو أن
يلوذ بغيره فيهرب وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة فيلوذون ببعض أصحابه فيخرجون
من المسجد من غير^(٦) استئذان ومعنى ﴿قد يعلم الله﴾ التهديد بالمجازاة ثم حذرهم بالفتنة والعذاب فقال ﴿فليحذر
الذين يخالفون عن أمره﴾ أي يعرضون عن أمره ودخلت عن لتضمن المخالفة معنى الإعراض أن تصيبهم فتنة قال

(١) في هـ: يجمعوا.

(٢) تفسير ابن جرير ١٨/١٣٥ والدر المنثور عن ابن أبي حاتم باختصار ٦/٢٢٦ ط دار الفكر.

(٣) ليست في هـ.

(٤) في هـ: باذنه.

(٥) ساقط من د.

(٦) في هـ بغير وقد روى ابن جرير هذا الخبر في تفسيره باختلاف يسير ١٨/١٣٤.

ابن عباس ضلالة يعني الكفر وقال مجاهد بلاء في الدنيا ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ في الآخرة ثم عظم نفسه فقال:
 أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا
 وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

﴿إلا إن لله ما في السموات والأرض﴾^(١) عبيداً وملكاً وخلقاً ﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾ من الإيمان والنفاق ﴿ويوم
 يرجعون إليه﴾ يعني يوم البعث يعلمه الله متى هو ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من الخير والشر ﴿والله بكل شيء﴾ من
 أعمالهم وغيرها ﴿عليم﴾.

(١) في ج: وما في الأرض.

سورة الفرقان

مكية وآياتها سبع وسبعون

أخبرنا أبو سعد محمد بن الخفاف، أنا أبو عمرو بن مطر، نا إبراهيم بن شريك الأسدي نا أحمد بن يونس، نا سلام، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي [بن كعب] (١) قال: قال رسول الله ﷺ [من قرأ سورة الفرقان يبعث يوم القيامة وهو مؤمن] (٢) أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من القبور ودخل الجنة بغير حساب] (٣).

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿تبارك﴾ قال ابن عباس: تعالي عما يقول (٤) القائلون [فيه بسوء] (٥) وقد تقدم تفسيره ﴿الذي نزل الفرقان﴾ يعني: القرآن (٦) الذي فرق الله [به] (٧) بين الحق والباطل ﴿على عبده﴾ محمد ﴿ليكون﴾ محمد بالقرآن ﴿للعالمين﴾ يعني الجن والإنس ﴿نذيراً﴾ مخوفاً من عذاب الله ثم عظم نفسه فقال ﴿الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً﴾ كما زعمت اليهود والنصارى والمشركون ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ يشاركه فيما خلق ﴿وخلق كل شيء﴾ مما يطلق في صفته المخلوقة ﴿فقدره تقديراً﴾ هياه لما يصلح له وسواه، قال المفسرون: قدر له تقديراً من الأجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق ثم ذكر ما صنع المشركون فقال:

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾

﴿واتخذوا من دونه آلهة﴾ يعني: الاصنام اتخذها أهل مكة ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾ أي وهي مخلوقة ﴿ولا يملكون لأنفسهم ضراً﴾ فيدفعونه عن أنفسهم ﴿ولا نفعاً﴾ فيجرونه إلى أنفسهم والمعنى: لا يملكون لأنفسهم دفع ضر ولا جر نفع لأنها جماد لا قدرة لها ﴿ولا يملكون موتاً﴾ أن تمت أهدأ ﴿ولا حياة﴾ أن تحيي أهدأ ﴿ولا

(١) ساقط من د.

(٥) ساقط من د.

(٦) فيما عدا هـ: الفرقان.

(٧) ساقط من هـ.

(٢) في هـ: يؤمن.

(٣) حديث لا أصل له وتراجع أول مريم والحج.

(٤) فيما عدا هـ قال.

نشوراً ﴿ ولا بعثاً للأموات أي فكيف يعبدون من لا يقدر على أن يفعل شيئاً من هذا ويتركون عبادة ربهم الذي يملك ذلك كله ثم أخبر عن تكذيبهم بالقرآن فقال:

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَيْنَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿١﴾ وَقَالُوا
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢﴾ أَكْتَبَهَا فِيهِ تَمْلِي عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٣﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤﴾

﴿وقال الذين كفروا إن هذا﴾ ما هذا ﴿إلا إفك﴾ كذب ﴿افتراه﴾ محمد واختلقه من تلقاء نفسه ﴿وأعانه عليه﴾ قوم آخرون ﴿قالوا أعان محمداً على هذا القرآن عداس مولى حويطب بن عبد العزى﴾^(١) ويسار غلام ابن الحضرمي وجبر مولى عامر وكانوا من أهل الكتاب^(٢) قال الله تعالى ﴿فقد جاءوا ظلماً وزوراً﴾ أي فقد جاءوا شركاً وكذباً حين زعموا أن القرآن ليس من الله ﴿وقالوا أساطير الأولين﴾ أي ما سطره الأولون من أحاديث المتقدمين [وذلك أن النصر بن الحارث، قال هذا القرآن أحاديث الأولين]^(٣) مثل حديث اسفنديار ورستم ﴿اكتبتها﴾ انتسخها محمد من عداس وجبر ويسار ومعنى اكتب: أمر أن يكتب له ﴿فهي تملى عليه﴾ تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها لأنه لم يك كتاباً ﴿بكرة وأصيلاً﴾ غدوة وعشياً قالوا هؤلاء الثلاثة يعلمون محمداً طرفي النهار قال الله تعالى ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿أنزله الذي يعلم السر﴾ أنزل القرآن الذي لا يخفى عليه شيء ﴿في السموات والأرض إنه كان غفوراً﴾ لأوليائه ﴿رحيماً﴾ بهم.

وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ
نَذِيرًا ﴿٥﴾ أَوْ يُنْفَخُ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ
تَتَّبَعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٦﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلِ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٧﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ
قُصُورًا ﴿٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿٩﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا مَا
تَقِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٠﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَبِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١١﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا
وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٢﴾

﴿وقالوا﴾ يعني المشركين ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ أنكروا أن يكون

(١) حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود أسلم بعد الفتح وتوفي في آخر زمان معاوية عن مائة وعشرين سنة انظر: نسب قريش ص ٤٢٦ وأسد الغابة ٢/٧٥ ط الشعب.

(٢) رواه ابن جرير عن مجاهد بدون تحديد لأشخاص ١٣٧/١٨.

(٣) ساقط من هـ ولقد روى ابن جرير هذا الخبر عن محمد بن إسحاق بسند فيه من لا يعرف عن عكرمة عن ابن عباس. تفسير ابن جرير

الرسول بشر يأكل الطعام ويمشي في الطريق. كما يمشي سائر الناس يطلب المعيشة والمعنى: أنه ليس يملك ولا ملك وذلك أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون والملوك لا يتسوقون ولا يتبدلون فعبجوا [من ذلك]^(١) أن يكون مثلهم في الحال [لا]^(٢) يمتاز من بينهم بعلو المحل والجلال والله أعلم حيث يجعل رسالته وقوله ﴿لولا أنزل إليه﴾^(٣) ملك فيكون معه نذيراً﴾ [وذلك]^(٤) أنهم قالوا للنبي ﷺ سل ربك أن ينزل^(٥) معك ملكاً يصدقك بما تقول حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً ويجعل لك جنائماً وكنوزاً يغنيك بها عن طلب المعاش^(٦) وهو قوله ﴿أو يلقي إليه كنزاً﴾ قال ابن عباس ومقاتل أو ينزل إليه مال من السماء ﴿أو تكون له جنة﴾ بستان ﴿يأكل منها﴾ من ثمارها من قرأ بالنون^(٧) أراد أنه يكون له بذلك مزية علينا في الفضل بأن نأكل من جنته ﴿وقال الظالمون﴾ المشركون للمؤمنين ﴿إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾ ما تتبعون إلا مخدوعاً مغلوباً على عقله ﴿انظر﴾ يا محمد ﴿كيف ضربوا لك الأمثال﴾ يعني حين مثله بالمسحور وبالمحتاج المتروك والناقص عن القيام بالأمور ﴿فضلوا﴾ بهذا يعني الهدى ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ لا يجدون^(٨) إلى الحق طريقاً وقال مقاتل: لا يجدون مخرجاً مما قالوا يعني: أنهم كذبوا فيما زعموا فلزمهم ذلك الكذب ولم يجدوا منه مخرجاً حجة أو برهان^(٩) ثم أخبر الله تعالى أنه لو شاء لأعطى نبيه ﷺ من الدنيا خيراً مما قالوا فقال تبارك وتعالى: ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ الذي قالوا أو أفضل من الكثر والبستان الذي ذكروا وهو قوله ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ يعني في الدنيا لأنه قد شاء أن يعطيه [إياها]^(١٠) في الآخرة، وقوله ﴿ويجعل لك قصوراً﴾ من قرأ بالجزم^(١١) كان المعنى إن شاء يجعل لك قصوراً^(١٢) قال الزجاج: أي سيعطيك الله في الآخرة أكثر مما قالوا ثم أخبر عن تكذيبهم بالبعث وأوعدهم على ذلك بالنار فقال: ﴿بل كذبوا بالساعة وأعدتنا لمن كذب بالساعة سعيراً﴾ ناراً تلتظي^(١٣) ثم وصف ذلك السعير فقال: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾ قال الكلبي والسدي [ومقاتل]^(١٤) من مسيرة مائة عام ﴿سمعوا لها تغيظاً﴾ أي صوت تغيظ كالغضبان إذا غلا صدره من الغيظ وهو الغضب ﴿وزفيراً﴾ قال عبيد بن عمير^(١٥) إن جهنم لتذفر زفرة لا يبقى نبي ولا ملك مقرب إلا خرّ لوجهه ﴿وإذا ألقوا منها﴾ من جهنم ﴿مكاناً ضيقاً﴾ قال المفسرون يضيق عليهم كما يضيق الزج^(١٦) في الرمح وقال رسول الله ﷺ في هذه الآية «والذي نفسي بيده إنهم يستكروهون في النار كما يستكروه الوتدي الحائط»^(١٧) ﴿مقرنين﴾ قال مقاتل: موثقين في الحديد قرنوا مع الشياطين ﴿دعوا هنالك ثبوراً﴾ دعوا بالويل على أنفسهم والهلاك كما يقول القائل

(١) ساقط من د، هـ.

(٢) ليست في هـ.

(٦) انظر سيرة ابن هشام ٢٩٧/١ ط الحلبي وتفسير الطبري ١٨/١٣٧.

(٧) قراءة (تأكل منها) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف. بالنون انظر السبعة ص ٤٦٢ والنشر ٢/٣٣٣.

(٨) في هـ لا تجدون مخرجاً.

(٩) في هـ: يبعث. (٩) فيما عدا هـ وحجة وبرهان.

(١٠) قراءة الجزم قرأ بها: أبو عمرو وأبو جعفر وحمزة والكسائي وناقع وحفص عن عاصم ويعقوب انظر السبعة ص ٤٦٢ والنشر ٢/٣٣٣.

(١١) قراءة الرفع في (ويجعل) قرأ بها ابن كثير وابن عامر وأبو بكر عن عاصم انظر السبعة ص ٤٦٢ والنشر ٢/٣٣٣.

(١٢) ساقط من هـ.

(١٣) فيما عدا هـ: تلتظي.

(١٤) ليست في هـ.

(١٥) عبيد بن عمير مولى ابن عباس انظر تهذيب التهذيب ٧/٧٢ وفي د: عبيد بن بن عمر وهو خطأ.

(١٦) الزج: الحديدية التي في أسفل الرمح والجمع زججة بوزن عنبة الصحاح زجع.

(١٧) رواه ابن أبي حاتم عن يحيى بن أبي أسيد الدر المنثور ٦/٢٤٠ ط دار الفكر.

واهلكاه أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان العدل، أنا إسماعيل بن نجيد، أنا محمد بن إبراهيم البوشنجي، أنا عبيد الله بن محمد العسبي، أنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد (بن) جدعان عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أول من يكسى يوم القيامة إبليس حلة من النار يضعها على حاجبيه فيسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول واثبورا وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادي يا ثبورا وينادون يا ثبورهم فيقول الله عز وجل: لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً»^(١) قال الزجاج: أي هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة ثم ذكر ما وعد المؤمنين فقال:

قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ﴿١٦﴾ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٧﴾

﴿قل أذلك خير﴾ يعني: السعير خير ﴿أم جنة الخلد التي وعد المتقون﴾ وهذا على التنبيه على تفاوت ما بين المنزلتين لا على أن في السعير خير وقوله ﴿كانت لهم جزاء ومصير﴾ أي ثواباً ومرجعاً ﴿لهم فيها﴾^(٢) أي أن في جنة الخلد ﴿ما يشاءون﴾ [أي القدر الذي يشاءون]^(٣) ﴿خالدين﴾^(٤) [كان ذلك الخلود] والدخول^(٥) ﴿على ربك وعداً مسئولاً﴾ وذلك أن الله وعد المؤمنين الجنة على لسان الرسل فسألوه ذلك الوعد في الدنيا فقالوا: ﴿ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك﴾^(٦) وقال القرظي إن الملائكة تسأل لهم ذلك وهو قوله ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن... الآية﴾.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يظَلِمِ مِنْكُمْ نُدِقَهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾

﴿ويوم يحشرهم﴾ يجمعهم: يعني كفار مكة والمشركين ومن كان يعبد غير الله ﴿وما كانوا يعبدون من دون الله﴾ قال مجاهد: [يعني: عيسى وعزيراً والملائكة]^(٨) وقال عكرمة والضحاك والكلبي يعني: الاصنام ثم يأذن لها في الكلام ويخاطبها ﴿فيقول﴾ أنتم أضللت عبادي هؤلاء ﴿أنتم أمرتوهم بعبادتكم﴾ أم هم ضلوا السبيل ﴿أم هم أخطوا الطريق﴾ قالوا سبحانك ﴿نزهوا الله من أن يكون معه إله﴾ ما كان ينبغي لنا [أن نتخذ من دونك من أولياء] ما كان ينبغي لنا^(٩) أن نعبد غيرك ونتخذ غيرك ولياً ومعبوداً [أي]^(١٠) فكيف ندعو إلى عبادتنا إذا كنا نحن لا نعبد غيرك فذم

(١) رواه أحمد بن حنبل في المسند ١٥٣/٣ وقال عنه الهيثمي رواه أحمد والبخاري ورجال الصريح غير علي بن زيد وقد وثق المجمع باب صفة النار في أهل النار.

(٢) في هـ موضع هذه العبارة خالد بن فيها.

(٣) في حـ موضع هذه العبارة الذي يشتهون وفي هـ يشاءون من الوقت.

(٤) ساقط من د. هـ.

(٥) ساقط من حـ.

(٦) آل عمران: ١٩٤.

(٧) غافر: ٨.

(٨) تفسير ابن جرير ١٨/١٤٢.

(٩) ١٠ - ٩) ساقط من هـ.

من جواب المعبودين ما دل على أنهم لم يأمرهم بعبادتهم، ثم ذكر سبب تركهم الإيمان بالله بقولهم ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ قال ابن عباس: أطلت لهم العمر وأفضلت عليهم ووسعت لهم في الرزق ﴿حتى نسوا الذكر﴾ تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ﴿وكانوا قوماً بوراً﴾ فاسدين هالكين قد غلب عليهم الشقاء والخذلان يقال: رجل باثر وقوم بور، وهو الفاسد الذي لا خير فيه فيقال للكفار حينئذ ﴿فقد كذبوكم بما تقولون﴾ أن: كذبكم المعبودون بقولهم لكم أنهم آلهة شركاء لله، ومن قرأ بالياء^(١) كان المعنى: كذبوكم بقولهم (سبحانك ما كان ينبغي لنا... الآية) وقوله ﴿فما يستطيعون صرفاً﴾ أي ما يستطيع المعبود صرف العذاب عنكم ومن قرأ بالياء^(٢) فالمعنى: ما تستطيعون أيها المتخذون الشركاء صرفاً ﴿ولا نصراً﴾ من العذاب لأنفسكم ولا أن تنصروا أنفسكم بمنعها من العذاب، وعلى قراءة العامة^(٣) وإلا أن ينصروكم من عذاب الله وبدفعه عنكم ﴿ومن يظلم منكم﴾ يشرك بالله ﴿نذقه﴾ في الآخرة ﴿عذاباً كبيراً﴾ شديداً ثم رجع إلى مخاطبة النبي ﷺ يعزیه فقال:

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝٢٠

﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام﴾ كما تأكل أنت ﴿ويمشون في الأسواق﴾ قال الزجاج: هذا احتجاج عليهم في قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ فقيل لهم كذلك كان من خلا من الرسل فكيف يكون محمد دعاً منهم وقوله ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ بلية أبتلي الشريف بالوضيع والعربي بالمولى فإذا أراد الشريف أن يسلم ورأى الوضيع قد أسلم قبله أنف وقال: أسلم بعده فيكون له على السابقة والفضل فيقيم على كفره ويمتنع من الإسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض^(٤) وهذا قول الكلبي واختيار الفراء والزجاج وقال مقاتل: هذا في ابتلاء فقراء المؤمنين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون (انظروا إلى هؤلاء الذين اتبعوا محمداً من مواليها^(٥)) وذا الينا فقال الله لهؤلاء الفقراء^(٦) ﴿أتصبرون﴾ على الأذى والاستهزاء. ﴿وكان ربك بصيراً﴾ أن صبرتم فصبروا فأنزل الله فيهم ﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾^(٧) ﴿وكان ربك بصيراً﴾ عمن يجزع وعمن يصبر.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ۝٢١ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَأِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ۝٢٢ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ۝٢٣ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقْرَرًا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۝٢٤﴾

(١) قراءة (بما يقولون) بالياء قرأ بها قبل عن أبي عزة عن ابن كثير. انظر السبعة ص ٤٦٣ والنشر ٣٣٤/٢.

(٢) قراءة (تستطيعون) بالياء قرأ بها حفص عن عاصم انظر السبعة ص ٤٦٣ والنشر ٣٣٤/٢.

(٣) قراءة العامة (يستطيعون) بالياء قرأ بها جميع القراء عدا رواية حفص عن عاصم المتقدمة.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٢٦٥.

(٥) تفسير ابن جرير عن ابن عباس ١٨/١٤٥.

(٦) المؤمنون: ١١١.

(٧) ساقط من ج.

قوله ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ يخافون البعث ﴿لولا﴾ [هلا] ^(١) ﴿أنزل علينا الملائكة﴾ فكانوا رسلاً إليها ﴿أو نرى ربنا﴾ فيخبرنا أنك رسوله قال الله: ﴿لقد استكبروا في أنفسهم﴾ تكبروا حيث سألوا من الآيات ما لم تسأله آية ﴿وعتوا عتواً كبيراً﴾ غلوا في القول غلواً شديداً حين قالوا نرى ربنا وإنما وصفوا بالعتو عند طلب الرؤية لأنهم طلبوها في الدنيا عناداً للحق وإباء على الله ورسوله في طاعتهم والعتو مجاوزة القدر في الظلم ثم أعلم الله أن الموقف ^(٢) الذي يرون فيه الملائكة هو يوم القيامة وأن الله قد حرّمهم البشري في ذلك اليوم فقال: ﴿يوم يرون الملائكة﴾ يعني يوم القيامة ﴿لا بشري يومئذ للمجرمين﴾ لا بشارة لهم في الجنة والثواب، قال الزجاج: والمجرمون في هذا الموضع الذين اجترموا الكفر بالله ﴿ويقولون حجراً محجوراً﴾ قال عطاء عن ابن عباس: تقول الملائكة حراماً محرماً أن يدخل الجنة إلا من قال لا إله إلا الله وقال مقاتل: إذا خرج الكفار من قبورهم قالت لهم الملائكة حراماً محرماً ^(٣) عليكم [أيها المجرمون أن تكون لكم البشري كما يبشر المؤمنون قوله] ^(٤) ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل﴾ أي قصدنا وعمدنا، قال ابن عباس: لم يكن الله غائباً عن أعمالهم، ولكن يريد وعمدنا إلى أعمالهم التي عملوها في الدنيا ﴿فجعلناه هباء منثوراً﴾ قال ابن شميل: الهباء التراب الذي تطيره الرياح كأنه دخان، وقال الزجاج: هو ما يدخل من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وهذا قول المفسرين والمنثور المفرق والمعنى: إن الله أحبط أعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور ثم ذكر فضل أهل الجنة على أهل النار فقال: ﴿أصحاب الجنة يومئذ﴾ يعني يوم القيامة ﴿خير مستقراً﴾ أفضل منزلاً في الجنة ﴿وأحسن مقيلاً﴾ موضع فائلة قال الأزهري: القبيلة عند العرب الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر وإن لم يكن مع ذلك نوم والدليل على ذلك أن الجنة لا نوم فيها ^(٥) قال ابن مسعود وابن عباس: لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ^(٦).

وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلاً ۚ ٢٥ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً ۚ ٢٦ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ۚ ٢٧ يَا بَوِيئَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلاً ۚ ٢٨ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۚ ٢٩

قوله ﴿ويوم تشقق السماء﴾ عطف على قوله يوم يرون الملائكة وفي تشقق قراءة بتشديد الشين وتخفيفها فمن شدد أدغم التاء في الشين ^(٧) والاصل تشقق ومن خفف ^(٨) حذف ولم يدغم وقوله ﴿السماء بالغمام﴾ قال أبو علي الفارسي ^(٩): تشقق السماء وعليها غمام كما تقول ركب الأمير سلاحه وخرج بثيابه أي وعليه سلاحه وإنما تشقق سماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والانس ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء

(١) فيما عدا هـ: القدر.

(٢) ساقط من هـ.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) تهذيب اللغة للأزهري محمد بن أحمد أبو منصور سنة ٣٧٠ هـ ٣٠٦/٩.

(٥) تفسیر ابن جریر ٣/١٩.

(٦) رواه ابن جرير في تفسيره ٤/١٨.

(٧) قراءة (تشقق) بتشديد الشين، قرأ بها ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ونافع ويعقوب وخلف انظر السبعة ص ٤٦٤ والنشر ٣٣٤/٢.

(٨) قراءة (تشقق) بتخفيف الشين، قرأ بها أبو عمرو وعاصم وحمة والكسائي انظر: السبعة ص ٤٦٤ والنشر ٣٣٤/٢.

(٩) أبو علي الفارسي: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ولد سنة ٣٨٨ هـ وت سنة ٣٧٧ انظر وفيات الأعيان ١٣١/١، نزهة الألب

التي قبلها^(١) ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ أي الملك الذي هو الملك حقاً ملك الرحمن يوم القيامة، قال ابن عباس: يريدون أن يوم القيامة لا ملك يقضي غيره ﴿وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾ عسر عليهم ذلك اليوم لشدة ومشقته ويهون على المؤمنين كأدنى صلاة صلوا في دار الدنيا وفي الآية تبشير للمؤمنين حيث خص الكافرين بشدة ذلك اليوم قوله ﴿ويوم بعض الظالم على يديه﴾ قال مجاهد: ان عقبه بن^(٢) أبي معيط دعا مجلساً فيهم النبي ﷺ لطعام فأبى النبي ﷺ أن يأكل وقال لا أكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فشهد بذلك عقبه فبلغ ذلك أبي بن خلف وكان خليلاً له فقال صبوت يا عقبه فقال لا والله ما صبوت وإن أخاك على ما تعلم ولكني صنعت طعاماً فأبى أن يأكل حتى قلت ذلك وليس من نفسي فأنزل الله ﴿ويوم بعض الظالم﴾ يعني: عقبه على يديه تحسراً وندماً قال عطاء يأكل يديه حتى تذهبها إلى المرفقين ثم تبتان لا يزال هكذا كلما نبتت يده أكلها ندامة على ما فعل^(٣) ﴿يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾ ليتني اتبعت محمداً واتخذت معه سبيلاً إلى الهدى ﴿يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾ يعني أياً ﴿لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني﴾ صرفني وردني عن القرآن والإيمان به بعد إذ جاءني مع الرسول وتم الكلام ها هنا ثم قال الله تعالى ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾ يعني: الكافر يتبرأ منه يوم القيامة قوله:

وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۚ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمَجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۚ

﴿وقال الرسول﴾ يعني محمداً ﷺ، يشكو قومه إلى الله ﴿يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ قال ابن عباس: هجروا القرآن وهجروني وكذبوني وقال مقاتل: تركوا الإيمان بالقرآن^(٤) وجانبوه، والمعنى: جعلوه مهجوراً متروكاً لا يستمعونه ولا يفهمونه، فعزاه الله عز وجل فقال: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين﴾ أي وكما جعلنا لك يا محمد أعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا لكل نبي عدواً من كفار قومه، قال مقاتل: يقول لا يكبرن عليك فإن الأنبياء قبلك [قد]^(٥) لقيت هذا التكذيب من قومهم ﴿وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾ هادياً لك وناصراً لك على أعدائك. قوله:

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۖ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ۚ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۚ الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُرَّةٌ مَّا كَانُوا فِيهَا أَعْمَىٰ ۖ وَسِعَ صَبْرُ اللَّهِ الْقُلُوبَ الظَّالِمِينَ ۚ

﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ قال الكفار لرسول الله ﷺ: هلا أتيتنا بقرآن

(١) روى هذا الخبر ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس عن يوسف بن مهران عن علي بن جدعان وعلي بن جدعان ضعيف الحديث تفسير ابن جرير ٥/١٨.

(٢) عقبه بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس قتل صبياً يوم بدر جمهرة انساب العرب لابن حزم الأندلسي (١١٤).

(٣) رواه ابن جرير موقوفاً على مجاهد تفسير ابن جرير ٧/١٩ - رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم الدر المنثور ٢٥٢/٦ ط دار الفكر.

(٤) في د: بالقول.

(٥) ليست في هـ.

جملة واحدة كما أنزلت التوراة والإنجيل والزيور، والمعنى: هلا نزل عليه القرآن في وقت واحد قال الله تعالى ﴿كذلك﴾ أي أنزلناه متفرقاً ﴿لنثبت به فؤادك﴾ لنقوي به قلبك فيزداد بصيرة وذلك أنه إذا كان يأتيه الوحي متجدداً في كل أمر وحادثة كان ذلك أزيد في بصيرته وأقوى لقلبه ﴿ورتلناه ترتيلاً﴾ قال ابن عباس: بيناه تبييناً وقال السدي: فصلناه تفصيلاً وقال مجاهد: بعضه في إثر بعض، قال ابن الأعرابي ما أعلم الترتيل إلا التحقيق والتبيين^(١) قوله ﴿ولا يأتونك﴾ يعني المشركين ﴿بمثل﴾ يضربونه لك في إبطال أمرك ومخاصمتك ﴿إلا جثناك﴾ [بالحق]^(٢) والذي هو الحق ترد به خصومتهم وتبطل به كيدهم ﴿وأحسن تفسيراً﴾ مما أتوا به من المثل أي بياناً وكشفاً، والتفسير: تفصيل من الفسر، وهو كشف ما غطي قوله ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم﴾ قال مقاتل: هم كفار مكة وذلك لهم قالوا لمحمد ﷺ وأصحابه: هم شر خلق الله فقال الله ﴿أولئك شر مكاناً﴾ منزلاً ومصيراً ﴿وأضل سبيلاً﴾ ديناً وطريقاً من المؤمنين. أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصر آبادي^(٣) نا محمد بن إبراهيم المجامعي أنا محمد بن إبراهيم البوشنجي، أنا أحمد بن حنبل، نا يونس بن محمد، نا شيان عن قتادة عن أنس أن رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال إن الذي أمشاه على زجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة^(٤) رواه البخاري عن عبد الله بن محمد عن يونس بن محمد.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ۖ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَهُمْ تَدْمِيرًا ۖ وَقَوْمِ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ۖ وَصَلَّا صَرْبًا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيرًا ۖ وَلَقَدْ آتَوْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا عَلَيْهَا السَّوْءَ أَكْثَرَ مِمَّا يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلِّ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ۖ

قوله: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ قال مقاتل والكلبي: معينا على الرسالة ﴿فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ يعني فرعون وقومه، وذلك أنهم كانوا مكذبين أنبياء الله وكتبه ﴿فدمرناهم تدميراً﴾ أهلكتناهم بالمذاب إهلاكاً ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل﴾ قال الزجاج: من كذب نبياً فقد كذب جميع الأنبياء ﴿أغرقناهم﴾ بالطوفان ﴿وجعلناهم للناس﴾ من بعدهم ﴿آية﴾ عبرة ودلالة على قدرتنا قال ابن عباس: وهذا تعرية للنبي ﷺ وتخويف للمشركين ﴿وأعدنا للظالمين عذاباً أليماً﴾ سوى ما حل بهم في الدنيا وقوله ﴿وعاداً وثموداً﴾ تدميره ﴿وأصحاب الرس﴾ قال السدي: هو بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار فنسبوا إليها وهذا قول ابن عباس في رواية عكرمة قال سألت عن أصحاب الرس فقال هم الذين قتلوا صاحب ياسين الذي قال يا قوم اتبعوا المرسلين ورسوه

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٢٦٨/١٤.

(٢) ساقط من د، ح، هـ.

(٣) في هـ.. النصر آبادي، نا محمد بن إبراهيم النصر آبادي، نا محمد بن إبراهيم... الخ.

(٤) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الفرقان ٣٧/٦ ط. الشعب، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب يحشر الكافر على

في بئر لهم يقال له الرس أي دسوه فيها وقال قتادة: حدثنا أن أصحاب الرس كانوا أهل فلج باليمامة^(١) وآبار كانوا عليها وقال وهب: كانوا أهل بئر نزولا عليها وأصحاب مواشي فكذبوا شعبياً فانهارت البئر بهم وبمنازلهم فهلكوا جميعاً^(٢) وقوله^(٣) ﴿وقروناً بين ذلك كثيراً﴾ أي وأهلكنا قرونأً بين عاد إلى أصحاب الرس ﴿وكلأً ضربنا له الامثال﴾ قال مقاتل: وكلأً بينا لهم أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا ﴿وكلأً تبرنا تنبيراً﴾ أهلكنا بالعذاب إهلاكاً، قال الزجاج: وكل شيء كسرتة وفتته فقد تبرته ﴿ولقد أتوا﴾ يعني كفار مكة ﴿على القرية﴾ يعني قرية لوط ﴿التي أمطرت مطر السوء﴾ يعني: الحجارة ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ في أسفارهم إذا مروا بها فيخافوا ويعتبروا ثم أخبر أن الذي جرأهم على التكذيب أنهم لا يصدقون بالبعث فقال ﴿بل كانوا لا يرجون نشوراً﴾ لا يخافون بعثاً ولا يصدقون به، قوله:

وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنَّ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

﴿وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا﴾ وما يتخذونك إلا مهزوءاً به ثم ذكر ما يقولون من الاستهزاء فقال ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾ أي إذا رأوك قالوا هذا الذي بعثه الله [إلينا]^(٤) رسولا ﴿إن كاد ليضلنا عن آلِهتنا﴾ قال ابن عباس لقد كاد أن يصرفنا عن عبادة آلِهتنا ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ أي على عبادتها قال الله ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾ في الآخرة عياناً ﴿من أضل سبيلاً﴾ من أخطأ طريقاً عن الهدى؟ أمهم أم المؤمنون؟ ثم عجب نبيّه ﷺ من نهاية جهلهم حين عبدوا ما دعاهم إليه الهوى فقال ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ قال عطاء عن ابن عباس أرأيت من ترك عبادة إلهه وخالفه ثم هوى حجراً فعبده ما حاله عندي؟ قال مقاتل: وذلك ان الحارث بن قيس السهمي هوى حجراً فعبده، وقال سعيد بن جبیر كان أهل الجاهلية ليعبدون الحجر فإذا رأوا أحسن منه أخذوه وتركوا الاول^(٥) وقال الحسن: يقول لا يهوى شيئاً إلا اتبعه، وقال ابن قتبية: يقول يتبع هواه ويدع الحق فهو كالإله له^(٦) والمعنى: أنه أطاع هواه وركبه فلم يبال^(٧) عاقبة ذلك وقوله ﴿أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾ أي أفأنت عليه كفيلاً يحفظه عليه من اتباع هواه وعبادة ما يهوى من دون الله أي لست^(٨) كذلك قال الكلبي نسختها آية القتال ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلاً﴾.

(١) اليمامة: كان اسمها قديماً «جوت» فسميت باليمامة بنت سهم بن طسم أحد الملوك وبين اليمامة والبحرين مسيرة عشرة أيام للراكب على الجمال معجم البلدان ٤٤٢/٥ لياقوت الحموي.

(٢) روى ابن جرير كل هذه الاخبار في تفسيره ثم عقب عليها بقوله: والصواب من القول في ذلك قول من قال: هم قوم كانوا على بئر وذلك أن الرس في كلام العرب كل محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك ومنه قول الشاعر

سبقت إلى فرط بأهل... تنابله يحفرون الرساسا

يريد أنهم يحفرون المعادن، ولا أعلم قوماً كانت لهم قصة بسبب حفرة ذكرهم الله في كتابه إلا أصحاب الاخذوذ فإن يكونوا هم المعنيين بقوله وأصحاب الرس فإننا سنذكر خبرهم إن شاء الله إذا انتهينا إلى سورة البروج وإن يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خيراً إلا ما جاء من جملة الخبر عنهم أنهم قوم رسوا بنبيهم في حفرة اهد تفسير ابن جرير ١١/١٩.

(٤) ساقط من جـ. (٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣١٣. (٨) في هـ: ليست.

(٥) تفسير ابن جرير ١١/١٩. (٧) في هـ: ينال. (٩) ساقط من أ، جـ، هـ.

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾

قوله ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ قال مقاتل: ألم تر إلى فعل ربك ثم حذف المضاف وقال الزجاج: ألم تر ألم تعلم وهذا من رؤية القلب، وذكر أن هذا على القلب بتقدير ألم تر إلى الظل كيف مده ربك يعني الظل من وقت الإسفار إلى طلوع الشمس وهو ظل لا شمس معه فهو ظل ممدود ﴿ولو شاء﴾ الله ﴿لجعله ساكنًا﴾ دائماً لا يزول ولا تنسخه الشمس ومعنى ساكنًا مقيماً كما يقال فلان يسكن بلد كذا إذا قام به وقوله ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ قال ابن عباس: تدل الشمس على الظل يعني: أنه لولا الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة فكل الأبياء تعرف بأضدادها وقوله ﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾ قال الكلبي: إذا طلعت الشمس قبض الله الظل قبضاً خفياً والمعنى: ثم جمعنا أجزاء الظل المنبسط بتسليط الشمس عليه حتى تنسخه شيئاً فشيئاً قوله: ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾ يعني: أن ظلمته تلبس كل شخص وتعشاه كاللباس الذي يشتمل على لابسته، والله تعالى ألبسنا الليل وغشائاه لنسكن فيه كما قال ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾^(١) وقوله ﴿والنوم سباتاً﴾ قال الزجاج: السبات أن تنقطع عن الحركة والروح في يديه أي جعلنا نومكم راحة لكم ﴿وجعل﴾^(٢) النهار نشوراً﴾ قال ابن عباس ومقاتل: يتشرون فيه لابتغاء الرزق والنشور ها هنا معناها التفرق والانبساط في التصرف.

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْعَامَ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾

﴿وهو الذي أرسل الرياح بشراً﴾ [بين يدي رحمة] ﴿٤٨﴾ سبق الكلام فيه في سورة الاعراف وقوله ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً﴾ قال الأزهري: الطهور في اللغة الطاهر المطهر والظهور ما يظهر به كالوضوء الذي يتوضأ به والظهور ما يفطر عليه ومنه الحديث (هو الطهور ماؤه)^(٤) قال ابن عباس: [يريد] المطر وقال مقاتل طهوراً للمؤمنين ﴿لنحيي به بلدة ميتاً﴾ لنحيي بالمنطر بلدة ليس فيها نبت، قال ابن عباس: لنخرج به النبات والثمار وإنما قال ميتاً لأنه أريد بالبلدة المكان ﴿ونسقيه مما خلقنا أنعاماً﴾ أي ونسقي من ذلك الماء أنعاماً وبشراً كثيراً وهو قوله ﴿وأناسي كثيراً﴾ واحداً إنس ﴿ولقد صرفناه بينهم﴾ أي صرفنا الماء المنزل من السماء مرة لبلدة ومرة لبلدة أخرى قال ابن عباس: ما عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه في الأرض ثم قرأ هذه الآية وهذا كما روي أن النبي ﷺ قال: «ما من سنة بأمطر من أخرى ولكن إذا عمل قوم

(١) يونس: ٦٧.

(٢) في هـ: والنهار نشوراً.

(٣) ساقط من ب.

(٤) رواه ابن حنبل في المستدرك ١٥/٣، وأبو داود في كتاب الطهارة باب ما جاء في بشر بضاعة ٢٤/١، والترمذي في أبواب الطهارة باب ما جاء

أن الماء لا ينجسه شيء ٩٥/١ ط الحلي، والحديث ونص الأزهري في تهذيب اللغة ١٧٢/٦ للأزهري.

(٥) ساقط من ج.

بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الضالين واليهاب^(١) وقوله ﴿ليذكروا﴾ أي ليتفكروا في قدرة الله وموضع النعمة منه بما أحيا بلادهم به من الغيث ويحمدوه على ذلك ومن قرأ بالتخفيف^(٢) فمعناه: ليذكروا موضع النعمة به فيشكروه ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ إلا كفراً بالله وبنعمته وهم الذين يقولون: مطرنا بنوء كذا^(٣) وقوله:

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَجَهَدَهُمْ بِهٖ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾
 وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ
 الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾ ينذرهم ولكن بعثناك إلى القرى كلها رسولاً لعظم كرامتك لدينا^(٤) ﴿فلا تطع الكافرين﴾ وذلك حين دعي إلى دين آباءه ﴿وجاهدهم به﴾ بالقرآن ﴿جهاداً كبيراً﴾ تاماً شديداً.

﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ أرسلهما في مجاريهما أو خلاهما كما ترسل الخيل في المرح وهما يلتقيان فلا يختلط الملح بالعذب ولا العذب بالملح، وهو قوله ﴿هذا﴾ يعني أحد البحرين ﴿عذب﴾ طيب يقال: عذب عذوبة فهو عذب ﴿فورات﴾ الفرات أعذب المياه يقال: فرت الماء يفرت فروة إذا عذب فهو فورات ﴿وهذا ملح أجاج﴾ شديد الملوحة ﴿وجعل بينهما برزخاً﴾ حاجزاً من قدرة الله ﴿وحجراً محجوراً﴾ حراماً محرماً أن يفسد الملح العذب ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾ خلق من النطفة إنساناً ﴿فجعله﴾^(٥) نسباً وصبهاً ﴿الصهر حرمة الختونة﴾^(٦) والمعنى: فجعله ذا نسب وصبها، قال المفسرون: النسب سبعة أصناف من القرابة يجمعها قوله ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ إلى قوله ﴿وأمهات نسائكم﴾^(٧) ومن هنا إلى قوله ﴿وأن تجمعوا بين الاختين﴾ تحريم الصهر وهو الخلطة التي تشبه القرابة وهو السبب المحرم للنكاح كالنسب المحرم حرم الله سبعة أصناف من النسب وسبعة من جهة الصهر ستة في الآية التي ذكر فيها المحرمات والسابقة في قوله ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾^(٨) ﴿وكان ربك قديراً﴾ على ما أراد. قوله:

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
 مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ إِلَّا مِن شَاءِ أَن يَتَّخِذَ إِلَٰهًا لَّن رَّبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ

(١) رواه الحاكم موقوفاً على ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين المستدرک کتاب التفسیر سورة الفرقان ورواه ابن جریر في تفسیره عن ابن عباس وابن مسعود أيضاً. تفسیر ابن جریر ١٩/١٥.

(٢) قراءة (ليذكروا) بإسكان الذال وضم الكاف مع تخفيفها، قرأ بها حمزة والكسائي وخلف انظر: السبعة ص ٦٥ والنشر ٢/٣٠٧.

(٣) النوء: النجم إذا مال للمغيب كانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها فتقول مطرنا بنوء كذا. اللسان نوء.

(٤) في هـ: لديك.

(٥) في هـ: وجعله.

(٦) والختونة المصاهرة بين الرجل والمرأة فأهل بيت المرأة أختان أهل بيت الزوج وأهل بيت الزوج أختان المرأة وأهلها اللسان. فصل الحاء حرف النون.

(٧) النساء: ٢٣.

(٨) النساء: ٢٢.

الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ ذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْتَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾

﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم﴾ أن عبده ﴿ولا يضرهم﴾ إن لم يعبدوه ﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ الظهير: العون المعين، قال الحسن: عوناً للشيطان على ربه بالمعاصي، وقال الزجاج: لأنه يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله لأن عبادتهم الأصنام معاونة للشيطان، قال المفسرون: عنى بالكافر أبا جهل^(١) ﴿وما أرسلنا إلا مبشراً﴾ بالجنة ﴿ونذيراً﴾ من النار ﴿قل ما أسئلكم عليه﴾ على القرآن وتبليغ الوحي ﴿من أجر﴾ وفي هذا تأكيد لضدقه لأنه لو طلب على دعائهم إلى الله شيئاً من أموالهم لقالوا: إنما تطلب^(٢) أموالنا وقوله ﴿إلا من شاء﴾ مغناة لكن من شاء ﴿أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ بإنفاق ما له فعل ذلك والمعنى: لا أسئلكم لنفسي أجراً ولكن لا أمتنع من إنفاق المال في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل إلى مرضاة الله قوله ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به ذنوباً خبيراً﴾ تفسير هذه الآية ظاهر وقوله: ﴿الذي خلق السموات﴾ مفسر في سورة الاعراف إلى قوله ﴿فاسأل به خبيراً﴾ قل الكلبي: يقول^(٣) فاسأل الخبير بذلك يعني بها: ذكر من خلق السماوات والارض والاستواء على العرش، وهذا الخطاب ظاهره للنبي ﷺ والمراد به غيره كقوله ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك﴾^(٤) الآية قوله ﴿وإذا قيل لهم﴾ [لكفار مكة]^(٥) ﴿اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ قال المفسرون: إنهم قالوا ما نعرف الرحمن إلا الرحمن اليمامة يعنون مسيلمة قال الزجاج: الرحمن اسم من أسماء الله المذكور في الكتب الأولى ولكنهم لم يكونوا يعرفونه من أسماء الله فلما سمعوه أنكروه فـ ﴿قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا﴾ استفهام إنكاري أي لا نسجد للرحمن الذي تأمرنا بالسجود له ومن قرأ بالياء^(٦) بالمعنى أنسجد لما يأمرنا محمد بالسجود له ﴿وزادهم نفوراً﴾ قال مقاتل: زادهم ذكر الرحمن تباعداً من الإيمان قوله:

نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾

﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد بروج النجوم يعني منازلها الاثني عشر وقال الحسن ومجاهد: هي النجوم الكبار، وهو قول قتادة سميت بروجاً لظهورها ﴿وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ يعني الشمس كقوله ﴿وجعل الشمس﴾^(٧) سراجاً ﴿وقرأ حمزة سرجاً﴾^(٨) قال الزجاج أراد بالشمس

(١) رواه ابن جرير عن ابن عباس: تفسير ابن جرير ١٨/١٩.

(٢) في هـ: يطلب.

(٣) فيما عدا ب، هـ: يقال.

(٤) ساقط من ب، د، هـ.

(٥) يونس: ٩٤.

(٦) قراءة (يأمرنا) بالياء قرأ بها حمزة والكسائي انظر النشر ٣٣٤/٢.

(٧) نوح: ١٦.

(٨) قرأ حمزة والكسائي وخلف (سرجا) بضم السين والراء من غير ألف على الجمع انظر النشر ٣٣٤/٢.

والكواكب معها ومن حجة هذه القراءة قوله ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح﴾^(١) ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه﴾ قال أبو عبيدة الخلفة كل شيء بعد شيء الليل خلفه للنهار والنهار خلفه لليل لأن أحدهما يخلف الآخر ويأتي بعده قال الفراء: يقول: يذهب هذا ويجيء هذا وقال ابن زيد يخلف أحدهما صاحبه، إذا ذهب أحدهما جاء الآخر فهما يتعاقبان، وقال قتادة: إن المؤمن قد ينسى بالليل ويتذكر^(٢) بالنهار وينسى بالنهار ويتذكر بالليل وقال الحسن: جعل أحدهما خلفاً للآخر فإن فات رجلاً من النهار شيء أدركه بالليل وإن فاته شيء بالليل أدركه بالنهار وهو قوله ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ وقرأ حمزة مخففاً^(٣) على معنى أنه يذكر الله بتسبيحه^(٤) فيهما قال الفراء ويذكر ويتذكر يأتيان بمعنى واحد قال الله تعالى ﴿واذكروا﴾^(٥) ما فيه ﴿وفي حرف عبد الله وتذكروا ما فيه﴾^(٦) وفي جعل الله تعالى الليل والنهار متعاقبين يخلف أحدهما صاحبه اعتبار واستدلال على قدرته ومتسع لذكره وطاعته أيضاً وقوله ﴿أو أراد شكوراً﴾ يقال شكر يشكر شكوراً وشكراً ومنه قوله ﴿لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾^(٧) قال ابن عباس يريد لمن أراد أن يتعظ ويطيعني وقال مجاهد: شكر نعمة ربه عليه فيهما.

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿١٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿١٧﴾

قوله ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً﴾ الهون: مصدر الهين في السكينة والوقار يقال: هو يمشي هوناً، قال الحسن وعطاء والضحاك ومقاتل: حلماء متواضعين يمشون في اقتصاد وقال قتادة: تواضعاً لله لعظمته ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ يعني السفهاء ﴿قالوا سلاماً﴾ قال ابن عباس: لا يجهلون مع من يجهل وقال الحسن: يقول إن جهل عليهم جاهل حلموا ولم يجهلوا وقال قتادة: كانوا لا يتجاهلون أهل الجهل وقال مقاتل بن حيان: قالوا سلاماً: أي قولاً يسلمون فيه من الأثم قال الحسن: هذا صفة نهارهم إذا انتشروا في الناس وليلهم خير ليل إذا خلوا فيما بينهم وبين ربهم يراوحن بين أطرافهم وهو قوله ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ قال الزجاج: كل من أدركه الليل فقد بات يبيت نام أو لم ينم يقال بات فلان قلقاً، والمعنى يبيتون لربهم بالليل في الصلاة سجداً وقياماً وذكر الكلبي عن ابن عباس قال: من صلى ركعتين أو أكثر بعد العشاء فقد بات لله ساجداً وقائماً ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً﴾ الغرام: العذاب اللازم أو الشر اللازم، قال مقاتل: إن عذابها لازم كلزوم الغريم للغريم. وقال الزجاج: الغرام أشد العذاب ﴿إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ إن جهنم بس موضع قرار

(١) الملك: ٥.

(٢) فيما عدا ج يذكر.

(٣) قرأ حمزة وخلف بتخفيف الذال مسكنة وتخفيف الكاف مضمومة انظر: النشر ٢/٣٣٤.

(٤) في هـ بتسيح.

(٥) البقرة: ٦٣.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/٢٧١ وفيه وفي قراءتنا (واذكروا ما فيه) بدلاً من قال الله تعالى.

(٧) الانسان: ٩.

وراقمة هي ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ يقال قتر الرجل على عياله يقره وقر قتراً وأقتر اقتاراً^(١): إذا سبق ولم ينفق إلا قدر ما يمسك الرمق قال أبو عبيدة وهي: ثلاث لغات معناها لم يضيّقوا في الإنفاق ﴿وكان بينك قواماً﴾ أي كان إنفاقهم بين الإسراف والاقتار لا إسرافاً يدخل في حد التبذير ولا تطبيقاً يصبر به في حد المانع لما يجب، وهذا هو المحمود من النفقة وعد عمر رضي الله عنه من الإسراف أن لا يشتهي الرجل شيئاً إلا أكله وقال نفى بالمرء سرفاً أن يأكل كلما يشتهي وقال قتادة: الإسراف النفقة في معصية الله والاقتار الإمساك عن حق الله والقوام من العيش ما أقامك وأغناك قوله:

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ روى^(٢) سعيد بن جبیر عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك قتلوا وزنوا وأكثروا ثم أتوا النبي ﷺ فقالوا إن الذي تدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت هذه الآية أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى نا والدني، أنا محمد بن إسحاق الثقفي، نا إسحاق^(٣) بن إبراهيم الحنظلي، نا جرير عن منصور بن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك قال: قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك فأنزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون^(٤) رواه البخاري ومسلم عن عثمان بن أبي شيبة عن جرير وقوله ﴿ومن يفعل ذلك﴾ قال مقاتل هذه الخصال جميعاً ﴿يلقى أثاماً﴾ أي عقوبة وجزاء لما فعل قال الفراء أثمه الله بما وأثاماً أي جزاءه جزاء الإثم^(٥) وقال المفسرون: أثام واد في جهنم من دم وقيح ثم ذكر ما يجازى به. وفسر في الأثام بقوله: ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً﴾ ومن رفع (يضاعف ويخلد)^(٦) استأنف وقطعه مما قبله قوله ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾^(٧) قال ابن عباس: نزلت هذه الآية بمكة وكان المشركون قالوا: ما يغني عنا الإسلام وقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله وآتينا الفواحش فنزلت هذه الآية. أخبرنا أبو منصور البغدادي، أنا أبو الحسن السراج، نا محمد بن عبد الله الحضرمي، نا إبراهيم بن محمد بن عباس

(١) في جـ واقترا اقتاراً.

(٢) في أ، ب: رواه والخير رواه البخاري في كتاب التفسير. سورة الزمر باب قوله: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾.

(٣) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحافظ الحنظلي أبو يعقوب ت سنة ٣٣٨ هـ انظر ميزان الاعتدال ١/١٨٢.

(٤) رواه البخاري باختلاف يسير في كتاب التفسير سورة البقرة ٦/٢٢ ط الشعب ومسلم في كتاب الايمان باب كون الشرك أفح الذنوب وبيان أعظمها بعده ٤/٩٠ ط الحلبي.

(٥) تهذيب اللغة للأزهري ١٥/١٦٠.

(٦) قراءة (يضاعف، ويخلد) بالرفع قرأ بها ابن عامر وأبو بكر عن عاصم انظر: النشر ٢/٣٣٤.

(٧) ساقط من جـ، هـ.

الشافعي، نا عبد الله بن رجاء^(١) عن عبيد الله بن عمر عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قرأنا على عهد رسول الله ﷺ سنتين والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله... الآية^(٢) ثم نزلت إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فما رأيت رسول الله ﷺ فرح بشيء فرحه بها وإنا فتحنا لك فتحاً مبيناً^(٣) قال قتادة: إلا من تاب من ذنبه وآمن بربه وعمل عملاً صالحاً فيما بينه وبين ربه ﴿فأولئك يبذل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾ قال التبديل في الدنيا طاعة الله بعد عصيانه وذكر الله بعد نسيانه والخير يعمل به بعد الشر وقال الحسن: أبدلهم بالعمل السيء العمل الصالح وبالشرك إخلاصاً وإسلاماً وبالفجور إحصاناً، وقال ابن عباس ومجاهد والسدي يبذل الله سيئاتهم يبذلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام بالشرك إيماناً [ويقتل النفس التي حرم الله^(٤)] قتل المشركين وبالزنا عفة وإحصاناً وذهب قوم إلى أن الله تعالى يمحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة^(٥) وهو قول سعيد بن المسيب ومكحول^(٦) وعمرو بن ميمون واحتجوا بالحديث الصحيح الذي أخبرناه أبو منصور بن طاهر التميمي، أنا أبو عمر بن مطر، نا إبراهيم بن علي الذهلي، نا يحيى بن يحيى، أنا وكيع عن الأعمش عن المعمر بن سويد^(٧) عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صفار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من الكبار فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول: إن لي [كبار] ^(٨) ذنوب ما أراها ها هنا، قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه^(٩) رواه مسلم عن ابن نمير عن أبيه عن الأعمش أخبرنا أحمد بن إبراهيم المهرجاني، أنا عبيد الله بن محمد بن بطة، نا أبو القاسم ابن بنت منيع، أنا محمد بن هارون الجدي، نا أبو المغيرة الحمصي، نا صفوان بن عمرو، نا عبد الرحمن بن جبير أن رجلاً أتى النبي ﷺ طويل شطب ممدود فقال رأيت رجلاً عمل الذنوب كلها فلم يترك منها وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا اقتطعها بيمينه فهل لذلك من توبة قال هل أسلمت قال أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت رسول الله قال نعم تفعل الخيرات وتترك الشرات يجعلهن الله لك خيرات قال وغدراتي وفجراتي قال نعم فقال^(١٠) الله أكبر فما زال يكبر^(١١) حتى توارى^(١٢) قوله ﴿ومن تاب وعمل صالحاً﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء ومن آمن يعني ممن لم يقتل ولم يزن وعمل

(١) عبد الله بن رباح المكي أبو عمرو البصري ت سنة ٢١٩ هـ انظر طبقات الحفاظ (١٧٢)، التهذيب ٢٠٩/٥، طبقات ابن سعد ٣٦٦/٥.

(٢) في هـ: التي.

(٣) قال الهيثمي رواه الطبراني من رواية علي بن زيد عن يوسف بن مهران قد وثقا وفيهما ضعف وبقية رجاله ثقات مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة الفرقان ٨٤/٧.

(٤) ساقط من جميع النسخ عدا هـ.

(٥) في هـ، ج: ويقتل المؤمنين موضع هذه العبارة.

(٦) مكحول الدمشقي أبو عبد الله الفقيه ت سنة ١١٢ هـ انظر تذكرة الحفاظ ١٠٧/١، شذرات الذهب ١٤٦/١، التهذيب ٢٧٩/١٠.

(٧) المعمر بن سويد الأسدي أبو أمية الكوفي عاش مائة وعشرين سنة تذكرة الحفاظ ٦٧/١، التهذيب ٢٣٠/١٠، طبقات ابن سعد ٨٠/٦.

(٨) ساقط من ج، د، هـ.

(٩) رواه مسلم في كتاب الايمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١٧٥/١ ط الحلبي بالفاظ متقاربة.

(١٠) في هـ: قال قال...

(١١) في هـ: أكبر.

(١٢) رواه ابن الأثير في أسد الغابة ٥٢٥/١ ط الشعب. وقال عنه الهيثمي رواه الطبراني والبخاري بنحوه ورجال البزار رجال الصحيح غير =

صالحاً يريد الفرائض فإنه يتوب إلى الله متاباً قال: يريد أني فضلتهم وقدمتهم على من قاتل نبي واستحل محارم وعلى هذا معنى الآية ومن تاب من الشرك وعمل صالحاً ولم يكن من القبيل الذين زنوا وقتلوا فإنه يتوب إلى الله في يعود إليه بعد الموت متاباً حسناً يفضل على غيره ممن قتل وزنا فالتوبة الأولى رجوع عن الشرك والثانية رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة.

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٧﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٨﴾

وقوله: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ أكثر المفسرين على أن الزور هنا بمعنى الشرك قال الزجاج الزور في اللغة الكذب ولا كذب فوق الشرك بالله^(١) وقال قتادة: لا يشهدون الزور لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم وقال محمد بن الحنفية: لا يشهدون الزور اللغو والغناء وقال علي بن أبي طلحة يعني شهادة الزور^(٢) وقوله ﴿وإذا مروا باللغو﴾ يعني بالمعاصي كلها قاله^(٣) الحسن والكلبي ﴿مروا كراماً﴾ مروا مر الكرماء الذين لا يرضون باللغو لأنهم يجلون عن الدخول فيه والاختلاط بأهله، يقال: تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكرم نفسه عنه والمعنى: مروا منزهين أنفسهم معرضين عنه ويكون التقدير وإذا مروا بأهل اللغو وذوي^(٤) اللغو مروا كراماً فلم يجاوروهم فيه ولم يخوضوا معهم فيه ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم﴾ قال مقاتل: إذا وعظوا^(٥) بالقرآن ﴿لم يخرؤا عليها صمًّا وعُمياناً﴾ يقول لم ينعوا عليها صمًّا لم يسمعوها وعمياً لم يبصروها ولكنهم سمعوا وأبصروا وانتفعوا بها وقال ابن قتبية لم يتغافروا عنها كأنهم صم لم يسمعوها وعمي لم يروها^(٦) وقال الحسن: كم من قارئ يقرأها يخرؤها عليها أصم عمي ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أرواحنا وذرياتنا﴾ الذرية تكون واحداً وجمعاً فكونها للواحد قوله ﴿رب هب لي من لدنك ذرية﴾ طيبة وكونها للجمع قوله: ﴿ذرية﴾^(٨) ضعافاً ﴿فمن أفرده﴾^(٩) في هذه الآية استغنى عن جمعها لما كانت للجمع ومن جمع^(١٠) فلأن الاسماء التي للجمع قد تجمع نحو قوم وأقوام ورهط وأرهاط وقوله ﴿قرة أعين﴾ القرة: مصدر يقال:

= محمد بن هارون أبي نشيط وهو ثقة.

مجمع الزوائد كتاب التوبة باب فيمن يعمل الحسنات بعد السيئات ٢٠١/٩ وأراد بقوله حاجة ولا داجة: الحاجة: الصغيرة من الذنوب والداجة الكبيرة لسان العرب باب الدال حرف الجيم.

(١) ساقط من جـ.

(٢) روى ابن جرير كل هذه الأقوال في تفسيره ٣١/١٩.

(٣) في هـ: قال.

(٤) ساقط من جـ.

(٥) ساقط من جـ.

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتبية ص ٣١٥.

(٧) آل عمران: ٣٨.

(٨) النساء: ٩.

(٩) قراءة ذريتنا بالافراد قرأ بها: ابن كثير ويعقوب وابن عامر والمدنيان وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٤٦٧ والنشر ٣٣٤.

(١٠) قراءة (ذرياتنا) بالجمع، قرأ بها: ابن كثير وناقع وابن عامر وعاصم في رواية حفص انظر السبعة ص ٤٦٧ والنشر ٣٣٤/٢.

قرت عينه قرّة قال ابن عباس: يريد أبراراً أتقياء وقال مقاتل يقولون: اجعلهم صالحين فتقر أعيننا بذلك وقال القرظي: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله، وقوله ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ أي يقتدى بنا في الخير، قال مكحول: أئمة في التقوى يقتدى بنا المتقون، وقال قتادة: قادة في الخير قال الفراء: إنما قال إماماً ولم يقل أئمة كما قال ﴿أنا رسول رب العالمين﴾^(١) للثنين^(٢) يعني: أنه من الواحد الذي أريد به الجمع قال مقاتل: أخبر الله تعالى عن أعمالهم ثم أخبر عن ثوابهم فقال:

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَوْنَ فِيهَا الْجَنَّةَ وَالسَّلَامَ ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقْرَأً وَمَقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ وهي كل بناء عال مرتفع قال مقاتل يعني غرف الجنة وقال عطاء: يريد غرف الزبرجد والدر والياقوت ﴿بما صبروا﴾ أي على دينهم وعلى أذى المشركين وقال مقاتل: على أمر الله ﴿ويلقون فيها﴾ وقرئ بالتخفيف^(٣) فمن شدد فحجته قوله ﴿ولقاهم نضرة﴾^(٤) ومن خفف فحجته قوله ﴿فسوف يلقون غيا﴾^(٥) وقوله ﴿تحية وسلاماً﴾ يحيي بعضهم بعضاً بالسلام ويرسل إليهم الرب تعالى بالسلام قوله ﴿خالدين﴾ مقيمين ﴿فيها﴾ من غير موت ولا زوال ﴿حسنت﴾ الغرف^(٦) ﴿مستقراً ومقاماً﴾.

قوله ﴿قل ما يعجبكم ربي﴾ العجب قلة المبالاة^(٧) يقال عبأ عبياً ومعاباة قال أبو عبيدة: يقال ما عبأت به شيئاً^(٨) أي لم أعره اهتماماً فوجوده وعدمه عندي سواء وقال الزجاج: تأويل ما يعجبكم: أي وزن يكون لكم عنده، وقال مجاهد ما يفعل بكم ربي وقال ابن عباس: ما يصنع بكم ربي ﴿لولا دعاؤكم﴾ لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام ومعنى الآية أي مقدار ووزن لكم عند الله لولا أنه خلقكم لتعبده وتطيعوه وهذا معنى قول ابن عباس أي إنما أريد منكم أن توحّدوني وقال مقاتل والكلبي والزجاج لولا عبادتكم وتوحيدكم إياه وفيه دليل على أن من لا يعبد الله ولا يوحدّه ولا يطيعه لا وزن له عند الله. وقوله ﴿فقد كذبتم﴾ الخطاب لأهل مكة أن الله دعاكم بالرسول إلى توحيدِهِ وعبادته فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوا دعوتِهِ ﴿فسوف يكون لزاماً﴾^(٩) تهديد لهم، قال الزجاج: تأويله فسوف يكون تكذيبكم لزاماً يلزمكم فلا تعطون التوبة والمفسرون يقولون في تفسير اللزام أنه يوم بدر والمعنى أنهم قتلوا يوم بدر واتصل به عذاب الآخرة لازماً لهم فلحقهم الوعيد الذي ذكر الله بيدر^(١٠).

(١) الشعراء: ١٦.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٢٧٤.

(٣) قراءة (يلقون) بفتح الياء وإسكان اللام وتخفيف القاف قرأ بها: حمزة والكسائي وابن عامر وخلف وأبو بكر عن عاصم. انظر السبعة ص ٤٤٦ والنشر ٥/٣٣٥ وقراءة (يلقون) بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف قرأ بها بقية القراء. انظر السبعة ص ٤٦٦.

(٤) ساقط من جميع النسخ جـ.

(٥) الانسان: ١١.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٨٢.

(٧) مريم: ٥٩.

(٨) في أ: لزاماً مكررة وفي هـ لزاماً: لازماً.

(٩) في هـ الغرفة.

(١٠) روى ذلك ابن جرير في تفسيره: عن ابي بن كعب، وابن مسعود، وقتادة وغيرهم وذكر في معنى اللزام أقوالاً أخرى منها: أنه بمعنى فقال أي فسوف يكون فقالاً أو بمعنى الموت أو بمعنى فسوف يكون جزاء يلزم كل عامل ما عمل من خير وشر وتفسير ابن جرير

سورة الشعراء

مكية وآياتها سبع وعشرون ومائتان

أخبرنا أبو عثمان الزعفراني، أنا أبو عمرو بن مطر، نا إبراهيم بن شريك نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي كعب قال: قال لي رسول الله ﷺ «ومن قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود^(١) وشعيب وصالح وإبراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد ﷺ أجمعين»^(٢).

طسّم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَدِيعٌ نَفْسِكَ آلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْتَهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مِمَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَاهِئًا بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾

«بسم الله الرحمن الرحيم»

﴿طسّم﴾ قال الوالي عن ابن عباس طسّم قسم وهو من أسماء الله عز وجل وقال مجاهد هو اسم للسورة، وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن وقال القرظي: قسم الله بطوله وسنائه وملكه وباقي الآية وقد تقدم تفسيره ﴿لعلك﴾ باخع نفسك فسرناه في سورة الكهف. قال المفسرون: لما كذبت قريش رسول الله ﷺ شق ذلك عليه وكان يحرص على ايمانهم فأنزل الله هذه الآية وهي كالأنكار عليه وذلك أنه كان يعلم إن الله [إن]^(٣) لم يهدمهم لم يهدتوا فما يغني عنهم حرصه، ومعنى الآية لعلك قاتل نفسك لتركهم الإيمان ثم أعلم أنه لو أراد أن ينزل ما يضطرهم إلى الطاعة لقدّر على ذلك فقال: ﴿وإن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ قال ابن جريج: لو شاء لأراهم أمراً من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية، وقال قتادة: لو شاء الله لأنزل عليهم آية يدلون بها فلا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية الله، وذلك قوله ﴿فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ [جعل الفعل أولاً للأعناق ثم جعل خاضعين]^(٤) للرجال وذلك أن الاعناق إذا خضعت فأصحابها خاضعون، قال الأخفش: يجعل الخضوع مردوداً على المضمر الذي، أضيفت^(٥) الأعناق إليه، وقال جماعة من المفسرين المراد بالأعناق الجماعات يقال: جاء القوم عنقاً عنقاً أي جماعات جماعات [قوله]^(٦) ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن﴾ أي وعظ وتذكير من الله يعني القرآن

(٤) ساقط من أ، هـ.

(٥) فيما عدا: أضيف.

(٦) ليست في هـ.

(١) في أ، ج، د: هارون.

(٢) لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج.

(٣) ساقط من هـ، وانظر تفسير ابن جرير ٣٧/١٩.

﴿محدث﴾ في الوحي والتنزيل، قال الكلبي: كلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول وقوله ﴿فقد كذبوا فسيأتتهم آباء ما كانوا به يستهزئون﴾ الآية مفسرة في سورة الأنعام، ثم ذكر ما يدلهم على قدرته فقال ﴿أو لم يروا إلى الأرض﴾ يعني المكذبين ﴿كم أنبتنا فيها﴾ بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها ﴿من كل زوج كريم﴾ من كل صنف وضرب حسن في المنظر مما يأكل الناس والأنعام، قال الزجاج: معنى زوج نوع، وكريم محمود فيما يحتاج إليه، والمعنى: من كل زوج نافع لا يقدر على إنباته إلا رب العالمين ﴿إن في ذلك﴾ يعني ما ذكر من الإنبات في الأرض ﴿لآية﴾ تدل على أن الله قادر لا يعجزه شيء ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ في علم الله يقول: قد سبق في علمي أن أكثرهم لا يؤمنون ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ المستقم من أعدائه ﴿الرحيم﴾ بأوليائه.

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۖ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٣﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٤﴾ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٥﴾ قَالَ كَلَّا ۗ فَآذْهَبَا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٦﴾ فَآتَايَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا ۖ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٩﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢١﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَرَّهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٢﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾

﴿وإذ نادى﴾ وائل على قومك إذ نادى الله ﴿موسى﴾ (١) حين رأى الشجرة والنار بأن قال له يا موسى ﴿أن انت القوم الظالمين﴾ يعني: الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية وظلموا بني إسرائيل بأن ساموهم سوء العذاب، ثم أخبر عنهم فقال: ﴿قوم فرعون ألا يتقون﴾ إلا يصفرون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته ﴿قال﴾ موسى ﴿رب إنني أخاف أن يكذبون﴾ بالرسالة، ويقولون: لست من عند الله ﴿ويضيق صدري﴾ بتكذيبهم إياي ﴿ولا ينطق لساني﴾ لا ينبعث بالكلام (٢) للعلة التي كانت بلسانه ﴿فأرسل إلى هارون﴾ جبريل ليكون معي معينا ﴿ولهم علي ذنب﴾ قتل منهم قتيلاً يعني الرجل الذي وكزه فقتل عليه، والمعنى ولهم علي [دعوى] ذنب ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ (٣) ﴿قال﴾ الله ﴿كلا﴾ لن يقتلوك به لأنني لا أسلطهم عليك ﴿فآذها﴾ أنت وأخوك ﴿بآياتنا﴾ أي ما أعطاهما (٤) من المعجزة ﴿إنا معكم مستمعون﴾ قال ابن عباس: يريد نفسه وهذا كما قال ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ (٥) وإنما قال معكم لأنه أجراهم مجرى (٦) الجماعة، والمعنى: نسمع ما تقولونه وما يجيبونكما به ﴿فآتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ الرسول واحد في موضع التثنية ها هنا كما قال ﴿وهم لكم عدو﴾ (٧) ﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ أي بأن أرسلهم وأطلقهم من الاستعباد وحل عنهم فآتياه وبلغاه الرسالة فقال: ﴿قال ألم نربك فينا وليداً﴾ صبيّاً صغيراً وذلك أنه ولد فيهم ثم كان فيما بينهم حتى صار رجلاً وهو قوله (٨) ﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ قال ابن عباس: ثمانية عشر سنة، وقال

(١) ساقط من هـ

(٢) فيما عدا هـ الكلام

(٣) في النسخ يقتلونني والتصحيح من المصحف .

(٤) في هـ أعطاهما

(٥) طه: ٤٦

(٦) في هـ: معكما، وأجراهما

(٧) آية: ٥٠ .

(٨) ما بين القوسين [] ساقط من أ

مقاتل: ثلاثين سنة، وقال الكلبي: أربعين سنة ﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ يعني قتل القبطي ﴿وأنت من الكافرين﴾ قال الحسن والسدي: أي بالهك كنت معنا على ديننا الذي تصيب وقال الفراء: وأنت من الكافرين لنعمي ولتربيته، وهذا قول مقاتل وعطاء وعطية ﴿قال﴾ موسى ﴿فعلتها إذا وأنا من الضالين﴾ أي فعلت تلك الفعلة وأنا من الجاهلين لم يأتيني من الله [شيء] (١) ﴿ففررت منكم﴾ ذهبت من بيتكم حذراً على نفسي إلى مدين ﴿لما خفتكم﴾ أن تقتلوني بمن قتلته ﴿فوهب لي ربي حكماً﴾ نبوة، وقال مقاتل: يعني العلم والفهم ﴿وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل﴾ يقال: استعبدت فلاناً وأعبدته وتعبدته وعبدته أخذته عبداً، قال الزجاج: المفسرون أخرجوا هذا على جهة الإنكار أن يكون ما ذكر فرعون نعمة على موسى واللفظ لفظ خير وفيه تبيك للمخاطب على معنى أنك لو كنت لا تقتل أبناء بني إسرائيل لكنت أمة مستغنية عن قذفي في اليم فكيف تمن علي بما كان بلاؤك سبباً له، وزاد الأزهري هذا بياناً فقال: إن فرعون لما قال لموسى ألم نريك فينا وليداً فاعتد عليه أن ربه وليداً منذ ولد إلى أن كبر فكان من جواب موسى له وتلك نعمة تعتد بها علي لأنك عبدت بني إسرائيل ولو لم تتعبدهم لكفنتني أهلي (٢) ولم يلقوني في اليم أي وإنما صارت لك نعمة علي لما أقدمت عليه من ما حظه الله عليك (٣) قال المبرد يقول الترية كانت بالسبب (٤) الذي ذكر من التعبد أي تربيتك إياي كانت لأجل التملك والقهر لقومي.

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾

﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ قال محمد بن إسحاق: يستوصفه إله الذي أرسله إليه أي ما إلهك هذا فأجابه موسى بما يدل عليه من خلقه ما يعجز المخلوقون على أن يأتوا بمثله ﴿قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ أنه خلق ذلك فلما قال موسى ذلك تحير فرعون ولم يرد جواباً ينقض به هذا القول ف ﴿قال لمن حوله ألا تسمعون﴾ قال ابن عباس: يريد ألا تسمعون مقالة موسى. فزاد موسى في البيان ف ﴿قال ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ أي الذي خلق آباءكم الأولين وخلقكم من آبائكم فلم يجبه فرعون أيضاً بما ينقض قوله وإنما قال ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ أي ما هذا بكلام صحيح إذ يزعم أن له إلهاً غيري فلم يشتغل موسى بالجواب عما نسبه إليه من الجنون ولكنه اشتغل بتأكيد الحجة والزيادة في الإبانة ف ﴿قال: رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾ توحيد الله وقال أهل المعاني: إن كنتم ذوي عقول لم يخف عليكم ما أقول فلم يجبه فرعون في هذه الأشياء بنقض لحجته بل

قَالَ لَئِنِ اتَّخَذَتِ الْإِلَهَاءُ غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَاتِّبِعْهُ إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالَ أُو

(٣) تهذيب اللغة للأزهري ٤٣٢/٢

(٤) في هـ: السبب

(١) ليست في هـ

(٢) في هـ فلم

أَرْجِهَ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تَوَكَّلْ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾

﴿قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ أي: لأحسنك مع من حبسته في السجن ف﴿قال﴾ موسى حين توعده بالسجن ﴿أو لو جئتك بشيء مبین﴾ يعني أتسجنني ولو جئتك بأمر ظاهر تعرف فيه صدقي وكذبك، وبعد هذا مفسر في سورة الأعراف إلى قوله:

فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلْنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ
الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لِنَأْتِيَنَّهُ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ
الْمُتَّقِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِهَابًا سَدِّدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا رَبَّ
الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾

﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ وهو يوم عيدهم يوم الزينة ﴿وقيل للناس﴾ لأهل مصر ﴿هل أنتم مجتمعون﴾ لتظروا ما يفعل الفريقان ﴿لعلنا نتبع السحرة﴾ على أمرهم ﴿إن كانوا هم الغالبين﴾ لموسى وأخيه وما بعد هذا مفسر إلى قوله:

قَالَ ءَأَمَّنْتُمْ لِمُوقَاتٍ أَنْ ءَأَذَنَ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ
مِّنْ خَلْفٍ وَلَا أَدْبَارِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَرِيرٌ لَّنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَن
كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾

﴿لا ضير﴾ أي لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا مع أملنا بالمغفرة ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ راجعون في الآخرة ﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا﴾ مفسر في سورة طه ﴿أن كنا﴾ لأن كنا ﴿أول المؤمنين﴾ بآيات موسى من جملة السحرة وغيرهم وفي هذا الحال.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٰ إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ
قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّتِ وَعَيْوُونَ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ
كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾

﴿وَأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾ مفسر في سورة طه ﴿إنكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرض مصر ﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين﴾ يحشرون الناس ويجمعون له الجيش وقال فرعون ﴿إن هؤلاء﴾ يعني بني إسرائيل ﴿لشردمة﴾ عصابة، قال المبرد: الشردمة القطعة من الناس غير الكثير وجمعها الشراذم وقوله ﴿قليلون﴾ قال الفراء: يقال عصابة قليلة وقليلون وكثيرة وكثيرون^(١)

(١) معاني القرآن للفراء ٢٨٠/٢

قال المفسرون: وكان الشرذمة الذين ملكهم فرعون ستمائة ألف^(١) ولا يحصى عدد أصحاب فرعون قوله ﴿وإنهم لما لغائظون﴾ يقال غاظه وأغاظه وغيظه: إذا اغضبه والغيظ الغضب، ومنه قوله تعالى ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾^(٢) قال مقاتل وإنهم لما لغائظون يقتلهم أباكرنا ثم هربهم منا، وقال غيره أي بما أخذوه من العواري التي اتخذوها في الخيل وخروجهم من أرضنا على مخالفة لنا ﴿وإنا لجميع حذرون﴾ وقرئ حاذرون^(٣) قال الفراء: الحاذر الذي يحذرك الآن والحذر^(٤) المخلوق كذلك لا تلقاه^(٥) إلا حذراً^(٦) وقال الزجاج الحاذر المستعد والحذر المتيقظ، وقال أبو عبيدة رجل حذر وحذر^(٧) وحاذر وأهل التفسير يقولون في تفسير حاذرون مؤدون مقوون أي ذوو أداء وقوة مستعدون شاكرون ومعنى حذرون: خائفون شرهم ﴿فأخرجناهم﴾ يعني فرعون وقومه ﴿من جنات﴾ قال مقاتل: يعني البساتين ﴿وعيون﴾ أنهار جارية ﴿وكنوز﴾ يعني الأموال الظاهرة من الذهب والفضة سمي كنزاً لأنه لم يعط حق الله منها^(٨) وما لم يعط حق الله منه فهو كنز وإن كان ظاهراً ﴿ومقام كريم﴾ قال المفسرون: هو المجلس الحسن من مجالس الأمراء والرؤساء التي كان يحف^(٩) بها الاتباع ﴿كذلك﴾ كما وصفنا ﴿وأورثناها بني إسرائيل﴾ وكذلك إن الله رد بني إسرائيل إلى مصر بعدما أغرق فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لقوم فرعون من الأموال والعقار والمساكن وقوله:

فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

﴿فاتبعوهم مشرقين﴾ يعني: قوم فرعون أدركو موسى وأصحابه حين شرقت الشمس وذلك قوله ﴿فلما ترائى الجمعان﴾ أي تقابلا بحيث يرى كل فريق منهم صاحبه، قال مقاتل: عاين بعضهم بعضاً قال أصحاب موسى إننا لمدركون أي سيدركونا جمع فرعون ولا طاقة لنا بهم ﴿قال﴾ موسى ثقة بنصر الله ﴿كلا﴾ لن يدركونا ﴿إن معي ربي﴾ ينصرتي ﴿سيهدين﴾^(١) سيدلني على طريق النجاة ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق﴾ أي فضرب فانفلق فانشق الماء اثني عشر طريقاً وقام الماء عن يمين الطريق وعن يساره كالجبل العظيم فذلك قوله ﴿فكان كل فرق﴾ أي كل قطعة من البحر ﴿كالتوود﴾ كالجبل العظيم ﴿وأزلفنا ثم الآخرين﴾ قربنا إلى البحر فرعون وقومه حتى أغرقناهم، قال مقاتل قربنا فرعون وجنوده في مسلك بني إسرائيل إلى الغرق وذلك أنه لما تتابع^(١١) آخر جنود فرعون في البحر وخرج آخر بني إسرائيل من البحر أمر البحر فانطبق عليهم^(١٢) فذلك قوله ﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾ ثم أغرقنا الآخرين إن في ذلك لآية ﴿إن في إهلاك فرعون وقومه عبرة لمن بعدهم﴾ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿لم يكن أكثر أهل مصر﴾^(١٣) مصدقين

(١) تفسير ابن جرير ٤٧/١٩

(٢) الملك: ٨

(٣) قراءة (حاذرون) بألف بعد الحاء قرأ بها: عاصم وابن عامر وحزمة والكسائي انظر السبعة ص ٤٧١ والبشر ٢/٣٣٥

(٤) في هـ: ويحذر

(٨) في هـ: منه

(٥) في هـ: يلقاه

(٩) في هـ: تخف

(٦) معاني القرآن ٢/٢٨٠

(١٠) في هـ: سيهدني وهو تحريف

(١٢) تفسير ابن جرير ٤٩/١٩

(١٣) في هـ: المصر

(١١) فيما عدا هـ: تتابع

(٧) مجاز القرآن ٢/٨٦

بتوحيد الله، ولم يكن آمن من أهل مصر غير آسية امرأة فرعون وخريبل المؤمن ومريم بنت موسا (١) التي دلت على عظام يوسف (٢) ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ في انتقامه من أعدائه حين انتقم منهم ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين حين انجاهم من العذاب.

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾

قوله ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم﴾ حدث قومك حديثه وأخبرهم خبره ﴿إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناماً فنزل لها عاكفين﴾ فنتقم عليها عابدين مقيمين على عبادتها ﴿قال هل يسمعونكم﴾ أي يسمعون دعاءكم ﴿إذ تدعون أن ينفعونكم أو يضرون﴾ قال ابن عباس: يريد هل يرزقوكم أو يكشفون عنكم الضر أو يملكون لكم ضرراً والمعنى: هل ينفعونكم بشيء إن عبدتموهم أو يضرونكم إن لم تعبدوهم ﴿قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك﴾ كما فعله ﴿يفعلون﴾ وهذا اخبار عن تقليدهم آباءهم في عبادة الأصنام وترك الاستدلال ﴿قال﴾ لهم إبراهيم مبتدئاً ﴿أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وأباؤكم الأقدمون﴾ يعني الماضين الأولين ﴿فإنهم عدو لي﴾ أي أعاديهم وأتبرأ منهم ﴿إلا رب العالمين﴾ لكن رب العالمين أعبده ولا أتبرأ منه ثم ذكر نعمة الله عليه فقال: ﴿الذين خلقني فهو يهدين﴾ (٣) إلى الدين والرشد لا ما تعبدون أخبر أن الذي يهدي هو الله الذي خلق ﴿والذي هو يطعمني ويسقيني﴾ أي هو رازقي فمن عنده طعامي وشرابي ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ (٤) وذلك أنهم كانوا يقولون المرض من الزمان ومن الأغذية والشفاء من الأطباء والأدوية فأعلم إبراهيم أن الذي أمرض فهو الذي يشفي (٥) وهو الله عز وجل ولم يقل وإذا أمرضني لأنه يقال مرضت وإن كان المرض بخلق الله وقضائه، ولا يقال: أمرضني الله ﴿والذي يميتني﴾ في الدنيا ﴿ثم يحييني﴾ للبعث، قال صاحب النظم: كانوا لا يدفعون الموت إلا أنهم يجعلون له سبباً سوى الله ويكفرون بالبعث فأعلم إبراهيم: أنه هو الذي يميت ويحيي ﴿والذي أطمع﴾ قال مقاتل أرجو وهذا تल्पف من إبراهيم في حسن الاستدعاء وخضوع لله تعالى وقوله ﴿أن يغفر لي خطيئتي﴾ المفسرون يقولون: يعني الكذبات الثلاث قوله ﴿إني سقيم﴾ (٦) وقوله ﴿بل فعله كبيرهم﴾ (٧) وقوله لسارة هي أختي، وزاد الكلبي والحسن قوله - للكواكب - هذا ربي وقال الزجاج: إن الأنبياء بشر ويجوز أن تقع عليهم الخطيئة إلا أنهم لا يكون منهم الكبيرة لأنهم معصومون وقوله ﴿يوم الدين﴾ يريد يوم الجزاء

(١) في هـ: ناموسا

(٢) انظر تفسير ابن جرير ٤٩/١٩.

(٣) في هـ: يهدين

(٤-٥) في هـ: يشفيني

(٦) الصافات: ٨٩

(٧) آية ٦٣ الأنبياء ولقد خرجنا هذا الحديث في سورة الأنبياء عند الحديث عن إبراهيم.

والحساب أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصر آبادي أنا بشر بن أحمد بن بشر، أنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار، أنا أبو بكر بن أبي شيبة، نا حفص بن غياث بن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله إن ابن^(١) جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم فهل ذلك نافعه؟ قال: لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين رواه مسلم^(٢) عن أبي بكر بن أبي شيبة قوله:

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وِلْدَةِ
جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾
إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

﴿رب هب لي حكماً﴾ قال ابن عباس: معرفة بالله وحدود أحكامه، وقال مقاتل: يعني الفهم والعلم
﴿والحقني بال صالحين﴾ يعني: المتقين، قوله ﴿واجعل لي لسان صدق﴾ يعني ثناءً حسناً ﴿في
الآخرين﴾ في الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ من الذين يرثون
الفردوس ﴿واغفر لأبي إنه كان من الظالمين﴾ المشركين، وهذا إنما قاله قبل أن يتبرأ منه ذكرنا ذلك في آخر
سورة براءة ﴿ولا تخزني﴾ قال مقاتل والكلبي: لا تعذبني ﴿يوم يبعثون﴾ يوم يبعث الخلق ثم فسر ذلك اليوم فقال
﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ يعني لا ينفع المال والأولاد أحد ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ سلم من الشرك والفسق،
قال سعيد بن المسيب: القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن، وقلب الكافر والمنافق مريض، وقوله:

وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ
يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَبَّكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودَ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾
تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْأَمْرَمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ
شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ قربت الجنة لأولياء الله حتى نظروا إليها ﴿وبرزت الجحيم﴾ أي أظهرت وكشف الغطاء
عنها ﴿للغاوين﴾ الضالين عن الهدى ﴿وقيل لهم﴾ في ذلك اليوم على وجه التوبيخ ﴿أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل
ينصرونكم﴾ يمنعونكم من العذاب ﴿أو ينتصرون﴾ يمتنعون منه ثم يؤمر بهم فيلقون في النار فذلك قوله: ﴿فككبكبوا
فيها﴾ قال الزجاج: طرح بعضهم على بعض، وقال ابن قتبية: ألقوا على رؤوسهم^(٣)، وقال مقاتل: قذفوا فيها ﴿هم
والغاوون﴾ قال السدي: يعني الآلهة والمشركين، وقال عطاء: هم وما يعبدون من دون الله ﴿وجنود إبليس أجمعون﴾
يعني ذرية إبليس كلهم ﴿قالوا﴾ [يعني الغاوين] ﴿وهم فيها يختصمون﴾ مع معبوديهم ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين﴾ إذ

(١) ابن جدعان: عبد الله بن جدعان التميمي، خزائن الأدب ٣/٥٣٧ التبيين في أنساب القرشيين ٣٠٢ لابن قدامة المقدسي.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب أهون أهل النار عذاباً ١/١٩٥ ط الحلبي.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتبية (٣١٨)

نسويكم برب العالمين»^(١) والله ما كنا إلا في ضلال حيث سويتناكم بالله فأعظمتناكم وعدلتناكم به ﴿وما أضلنا﴾ عن الهدى ﴿إلا المجرمون﴾ قال مقاتل: الشياطين، وقال الكلبي: إلا أولونا الذين اقتدنا بهم ﴿فما لنا من شافعين﴾ من يشفع لنا من الملائكة والنبیین والمؤمنين حيث يشفعون لأهل التوحيد ﴿ولا صديق حميم﴾ ذي قرابة يهمله أمرنا والحميم القريب الذي توده ويودك قال ابن عباس: ان المؤمن يشفع يوم القيامة للمؤمن المذنب: أخبرنا أحمد بن^(٢) محمد بن إبراهيم أنا الحسين بن محمد بن الحسن الثقفي، نا محمد بن الحسن بن علي اليقطي، أنا أحمد بن عبد الله بن يزيد العقيلي، نا صفوان بن صالح، نا الوليد بن مسلم نا من سمع أبا الزبير يقول أشهد لسمعت جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل يقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه الحميم فيقول الله عز وجل أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم^(٣) ثم قالوا ﴿فلوا أنا لنا كرة﴾ أي رجعة إلى الدنيا ﴿ف تكون من المؤمنين﴾ المصدقين بالتوحيد أي لتحل لنا الشفاعة كما حلت لأهل التوحيد ﴿إن في ذلك﴾ فيما أخبر من قصة إبراهيم ﴿آية﴾ لعبرة لمن بعدهم والباقي قد تقدم تفسيره إلى قوله:

كذبت قوم نوح المرسلين ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِيَّاهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٩﴾

﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ قال الزجاج: دخلت التاء وقوم المذكورون^(٤) لأن المراد بالقوم الجماعة أي كذبت جماعة قوم نوح المرسلين لأن من كذب رسولاً واحداً من رسل الله فقد كذب الجماعة لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل ﴿إذ قال لهم أخوهم نوح﴾ ابن أبيهم والأخوة كانت من جهة النسب لا من جهة الدين ﴿ألا تتقون﴾ عذاب الله بتوحيده وطاعته ﴿إني لكم رسول أمين﴾ على الرسالة فيما بيني وبين ربكم ﴿فاتقوا الله﴾ بطاعته وعبادته ﴿وأطيعوا﴾ فيما أمركم به من الإيمان والتوحيد ﴿وما أسألكم عليه﴾ على الدعاء إلى التوحيد ﴿من أجر إن أجري﴾ ما أجري^(٥) وثوابي ﴿إلا على رب العالمين﴾ والرسل إذا لم يسألوا أجراً كانوا أقرب إلى التصديق وأبعد عن التهمة.

﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ قال وما علمي بما كانوا يعملون ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَّ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾

﴿قالوا أنؤمن لك﴾ أنصدق لقولك ﴿واتبعك الأرذلون﴾ قال عطاء: المساكين الذين ليس لهم مال ولا عز وقال الضحاک وعكرمة: يعنون الحاكة والاساكفة قال الزجاج: والصناعات لا تضر في باب الديانات ﴿قال﴾ نوح ﴿وما علمي بما كانوا يعملون﴾ أي ما أعلم أعمالهم وصنائعهم ولم أكلف ذلك وإنما كلفت أن ادعوهم ﴿إن حسابهم﴾ ما حسابهم فيها يعملون ﴿إلا على

(١) ساقط من هـ

(٢) أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو عبد الله المقرئ الأنباري، الميزان ١/١٣٠.

(٣) وردت أحاديث في شفاعة الرجل للرجل في مجمع الزوائد تدور حول هذا المعنى بأسانيد مختلفة بعضها صحيح وبعضها فيه كلام مجمع الزوائد كتاب البعث باب شفاعة الصالحين ١٠/٣٨١ أما هذا الحديث فإن في سنده انقطاعاً بين الوليد بن مسلم وأبي الزبير

(٤) في هـ: والقوم مذكر

(٥) في هـ: ما جزائي

ربي لو تشعرون ﴿ لو تعلمون ذلك ما عبتموهم بصنائعهم ﴾ ﴿ وما أنا بطارد المؤمنين ﴾ ما أنا بالذي لا يقبل (١) الإيمان من الذين تزعمون أنهم الأزدلون عندكم ﴿ إن أنا إلا نذير مبين ﴾ أنذركم النار وأبين لكم ما يقربكم من الله .

قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَنْتُوخ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْطَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَعَجَنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

﴿ قالوا لئن لم تنته يا نوح ﴾ عما تقول ﴿ لتكونن من المرجومين ﴾ قال مقاتل والكلبي : من المقتولين بالرجم (٢) ، وقال الضحاك من المشتومين ، وقال قتادة من المضروبين بالحجارة ﴿ قال ﴾ نوح ﴿ رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحاً ﴾ فافض بينهم قضاء يعني العذاب لأنه قال ﴿ ونجني ومن معي من المؤمنين ﴾ أي من ذلك العذاب ﴿ فأنجيناها ومن معه في الفلك المشحون ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : الذي قد ملئ من الناس والطير والحيوان كلها ﴿ ثم أغرقنا بعد ﴾ بعد نجاته نوح ومن معه ﴿ الباقين ﴾ قوله :

كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْفُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَنْبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ءَأَيَّةٌ تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٣١﴾ وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾

﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ القبيلة لأنه أريد بعاد قبيلة عاد والباقي مفسر إلى قوله ﴿ أتنبون بكل ريع آية ﴾ وهو المكان المرتفع قال أبو عبيدة : الريع الارتفاع جمع ريع (٣) ، قال الوالي عن ابن عباس : يعني بكل شرف ، وقال مقاتل والكلبي والضحاك : بكل طريق ﴿ آية ﴾ بياناً وعلماً ﴿ تعبثون ﴾ يمر بالطريق ، والمعنى أنهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخرون منهم (٤) ويعبثون بهم وروي عن سعيد بن جبير ومجاهد أنهما قالا هذا في بنيان [بروج] (٥) الحمام أنكر هود عليهم اتخاذهم بروجاً للحمام عبثاً ، وقال عطاء عن ابن عباس يريد : يبنون ما لا يسكنون وعلى هذا القول جعل هو بناءهم ما يستغنون عنه ولا يسكنونه عبثاً منهم أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد المطوعي ، أنا محمد بن أحمد بن علي المقرئ ، أنا أحمد بن ابن المثني ، نا أبو بكر بن أبي شيبة ، نا الفضل بن دكين (٦) عن زهير عن عثمان بن حكيم عن

(١) فيما عدا ه أقبل

(٢) يؤيد هذا القول ما جاء في لسان العرب مادة (رجم) ان الرجم يأتي بمعنى : القتل ، والشتم ، واللمس ، والطرده .

(٣) هامش معاني القرآن للفراء ٢٨١/٢

(٤) في هـ : فيسخرؤا . . . ويعبثوا

(٥) ساقط من هـ

(٦) الفضل بن دكين : عمرو بن حماد الملائي الكوفي أبو نعيم ت سنة ٢١٨ هـ انظر : تاريخ بغداد ٣١٦/٢ ، تذكرة الحفاظ ٣٧٢/١ ،

إبراهيم بن محمد بن حاطب عن أبي طلحة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ خرج فرأى قبة مشرفة فقال: ما هذه؟ قال له أصحابه هذا لرجل من الانصار فمكث وحملها في نفسه حتى إذا جاء صاحبها رسول الله ﷺ فسلم على الناس أعرض عنه وصنع به ذلك مراراً حتى عرف الرجل الغضب فيه والاعراض عنه فشكا ذلك إلى أصحابه فقال والله [إني] (١) لأنكر نظر (١) رسول الله ﷺ ما أدري ما حدث في وما صنعت قالوا: خرج رسول الله ﷺ فرأى قبلك فقال: لمن هذه فأخبرناه فرجع إلى قبته فسواها بالأرض فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فلم ير القبة [فقال ما فعلت القبة] (٢) التي كانت ها هنا قالوا شكنا إيلنا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها، قال إن كل بناء يبني ويال على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بد منه (٣) قوله ﴿وتتخذون مصانع﴾ المصانع التي يتخذها الناس من الأبنية والآبار قال أبو عبيدة كل قباء مصنعة (٤)، قال ابن عباس: هي الأبنية، وقال مجاهد وقتادة والكلبي هي القصور والحصون ﴿لعلكم تخلصون﴾ أي كأنكم تخلصون قاله (٥) أكثر المفسرين والمعنى: أنهم كانوا يستوثقون المصانع كأنهم يخلصون فيها ولا يموتون (٦) ولعل يأتي في الكلام بمعنى كان قال يونس في قوله ﴿لعلك باخع نفسك﴾ (٧) معناه كأنك فاعل ذلك إن لم يؤمنوا ﴿وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ قال ابن عباس يريد الضرب بالسياط ضرب الجبارين والقتل بالسيف بغير حق، والمعنى إذا ضربتم ضربتم بالسياط ضرب الجبارين وإذا عاقبتم قتلتم ومعنى الجبار ها هنا القتال على الغضب بغير حق، وقال الزجاج: وإنما أنكر عليهم ذلك لأنه ظلم فأما في الحق فالبطش بالسيف والسوط جائز وقوله ﴿واتقوا الذي أمركم بما تعلمون﴾ (٨) أي أعطاكم ما تعلمون من الخير ثم أخبرنا بالذي أعطاهم فقال ﴿أمركم بأنعام وبينين وجنات وعيون إني أخاف عليكم﴾ قال ابن عباس: يريد إن عصيتموني ﴿عذاب يوم عظيم﴾ في الدنيا والآخرة يريد الذي أهلكوا به.

قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلا خَلَقَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾

﴿قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ قال الكلبي: هيتنا أو لم تكن من الناهين لنا ﴿إن هذا إلا خلق الأولين﴾ قال مقاتل: قالوا ما هذا العذاب الذي تقول يا هود إلا كذب الأولين وهو قول ابن مسعود ومجاهد، والخلق والاختلاق: الكذب، ومنه قوله ﴿وتخلقون إفكاً﴾ (٩) وقرئ: خلق الأولين (١٠) بضم الخاء واللام أي عادة الأولين، والمعنى: ما هذا الذي نحن فيه إلا عادة الأولين من قبلنا يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب ﴿وما نحن بمعذبين﴾ على ما نفعل ﴿فكذبوه﴾ بالعذاب في الدنيا فأهلكناهم بالريح وما بعد هذا مفسر في السورة إلى قوله:

(١) ساقط من هـ ولفظ: نظر بعدها ساقط من هـ

(٢) ساقط من هـ

(٦) في هـ فلا

(٧) الشعراء: ٣

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد باب في البناء والخراب بالفاظ مختلفة ١٣٩٣/٢

(٨) ساقط من هـ

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٨٨

(٩) العنكبوت: ١٧

(٥) في هـ: قال

(١٠) قراءة (خلق) بضم الخاء واللام، قرأ بها ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب وخلف انظر النشر ٣٣٦/٢ والسبعة ص ٤٧٢

أَتْرَكُونَ فِي مَا هَلَهْنَا أَمِينًا ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هُضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾

﴿اتركون فيما هاهنا﴾ قال مقاتل: يعني فيما أعطاهم الله من الخير ﴿أمين﴾ من الموت والعذاب ثم أخبر عن ذلك فقال ﴿في جنات وعيون وزروع ونخل طلعا هضيم﴾ يعني: ما يطلع منها من الثمر والهضيم النضيج الرخص (١) اللين اللطيف اللينع، كل هذا من الفاظهم ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فرهين﴾ حاذقين بنحتها وهو من قولهم: بره الرجل فراهة فهو فاره وقرىء فرهين (٢) قال أبو عبيدة أشرين بطرين والهاء من فرهين بدل من الحاء والفرح في كلام العرب بالحاء الأشر البطر ومنه قوله ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ (٣)، قوله ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ قال ابن عباس: [المسرفين، وقال مقاتل: هم التسعة الذين عقرو الناقة (٤) وهم ﴿الذين يفسدون في الأرض﴾ بالمعاصي ﴿ولا يصلحون﴾ لا يطيعون الله فيما أمرهم به

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَذَا نَأَقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَسْؤَهَا سِئُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُواهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾

﴿قالوا﴾ لصالح ﴿إنما أنت من المسحرين﴾ أي ممن سحروا مرة بعد مرة وقال ابن عباس (٥): من المخلوقين المعلنين بالطعام والشراب والمعنى: لست بملك إنما أنت بشر مثلنا، قال مقاتل: قالوا إنما أنت بشر مثلنا لا تفضلنا في شيء لست بملك ولا رسول ﴿فأت بآية إن كنت من الصادقين﴾ أنك رسول الله إلينا، قال ابن عباس: إنهم قالوا: إن كنت صادقاً فداع الله يخرج لنا من هذا الجبل ناقة حمراء عشرة فتضع ونحن ننظر وترد هذا الماء فتشرب وتغدو علينا بمثله لبناً (٦)، فخرج بهم إلى هضبة من الأرض [فإذا] (٧) [هي] (٨) تخض كما يخض الحمل فانشقت عن الناقة (٩) قال: ﴿هذه ناقة لها شرب﴾ حظ ونصيب من الماء ﴿ولكم شرب يوم معلوم﴾ قال قتادة: إذ كان يوم شربها شربت مائهم كله أول النهار وتسقيهم اللبن آخر النهار، وإذا كان يوم شربهم كان لأنفسهم ومواشيهم وما بعد هذا مفسر فيما مضى إلى قوله:

(١) الرخص: بتسكين الخاء: الناعم يقال: هو رخص الجسد بين الرخاسة والرخوصة مختار الصحاح مادة رخص.

(٢) قراءة فرهين بغير ألف: قرأ بها: ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب وخلف انظر السبعة ص ٤٧٢ والنشر ٣٣٦/٢.

(٣) آية (٧٦) القصص والنص في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة/٣١٩.

(٤) تفسير ابن جرير ٦٣/١٩

(٧) ساقط من د

(٨) ساقط من د، هـ

(٩) انظر تفسير ابن جرير ٦٣/١٩ الدر المنثور ٩٢/٥

(٦) معاني القرآن للقرافي ٢٨٢/٢

آتَاوْنَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ يَنْلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

﴿آتَاوْنَ الذُّكْرَانَ﴾^(١) وهو جمع الذكر ضد الأنثى، قال مقاتل: يعني نكاح الرجال ﴿من العالمين﴾ من بني آدم ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾ يعني فروج نسائهم قال مجاهد: تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ ظالمون معتدون الحلال إلى الحرام والطاعة إلى المعصية ﴿قالوا لئن لم تنته لئن لم تسكت﴾ [يا لوط]^(٢) لتكونن من المخرجين ﴿من بلدتنا﴾ قال إني لعملكم ﴿يعني﴾^(٣) إتيان الرجال ﴿من القالين﴾ المبغضين، يقال: قليته أقلية قلى ثم دعا فقال ﴿رب نجني وأهلي مما يعملون﴾ أي من عذاب ما يعملون قال المفسرون: عقوبة صنيعهم ﴿فنجيناها وأهلها﴾ قال ابن عباس: يعني بناته ﴿إلا عجوزاً﴾ يعني امراته ﴿في الغابرين﴾ الباقين في العذاب ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أهلكتناهم بالخسف والحصب وهو أن الله خسف بقراهم وارسل الحجارة على من كان خارجاً من القرية وهو قوله ﴿وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين﴾ فبئس مطر الذين أنذروا بالعذاب.

كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمَرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نَنْقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾

قوله ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾ قال ابن عباس: يريد شعيباً وحده والأيك^(٤) شجر الدوم وهو المقل وكان أكثر شجرهم الدوم^(٥)، وقال مجاهد: الأيكة الغيضة من الشجر المنلف، وقرأ الحجازيون أصحاب ليكة ها هنا وفي ق بغير همز والهاء مفتوحة^(٦) قال أبو علي الفارسي: الأيكة تعريف أيكة فإذا خففت الهمزة حذفتهما وألقيت حركتها على اللام فقلت ليكة كما قالوا: لحمراً، وقول من قال أصحاب ليكة مشكل لأنه فتح التاء مع إلحاق الألف واللام الكلمة وهذا في الامتناع كقول من قال: مررت بلحمراً فتح الآخر مع إلحاق لام المعرفة وقوله:

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْتَقِيمَ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا

(١) في هـ: الذكران من العالمين وهي مكررة

(٢) ساقط من هـ

(٣) في هـ: مضي.

(٤) في هـ: الأيكة

(٥) من ضخام الشجر ولها خوص كخوص النخل وتخرج أفتاء كأفتاء النخل لسان العرب فصل الدال حرف الميم.

(٦) قراءة (ليكة) بلام مفتوحة من غير ألف وصل فيها ولا همزة بعدها ويفتح تاء التانيث في الوصل قرأ بها نافع وأبو جعفر وابن عامر انظر:

أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ أي من الناقصين للكيل والوزن يقال: أخسرت الكيل والوزن أي أنقصته، ومنه قوله تعالى
﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾^(١) وقوله ﴿والجبلية الأولى﴾ الجبلية: الخليفة يعني الأمم المتقدمين قبلهم، ولما أمرهم
بإتمام الكيل والوزن وتقوى الله كذبوه وسألوه العذاب إن كان صادقاً وهو قوله ﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من
الصادقين﴾ ومضى تفسير هذا ﴿قال﴾ شعيب ﴿ربي أعلم بما تعملون﴾ أي من نقصان الكيل والوزن، والمعنى: إنه
اعلم به فهو مجازيكم ومعذبكم إن شاء وليس عندي العذاب ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ قال المفسرون:
بعث الله عليهم حرّاً شديداً أخذ أنفاسهم فدخلوا أجواف البيوت فدخل عليهم الحر فأخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت
هرباً^(٢) إلى البرية فبعث الله عليهم سحاباً أظلتهم من الشمس فوجدوا لها برداً ونادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا
تحتها أرسل الله عليهم ناراً فكان من أعظم يوم في الدنيا عذاباً^(٣) فذلك قوله ﴿إنه كان عذاب يوم عظيم﴾ ومعنى الظلة
ها هنا: السحاب التي قد أظلتهم.

وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾

قوله ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ يعني القرآن ﴿نزل به الروح الأمين﴾ نزل الله بالقرآن جبريل وهو أمين الله
[فيما بين الله وبين أنبيائه فيما استودعه الله]^(٤) من الرسالة إليهم، وقوله ﴿على قلبك﴾ أي تلاه عليك حتى وعيته بقلبك
﴿لتكون من المنذرين﴾ [ممن أُنذر بآيات الله المكذبين]^(٥) ﴿بلسان عربي مبين﴾ قال ابن عباس: بلسان قريش
لتفهموا ما فيه فلا يقولوا لانفسهم ما يقول محمد.

وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْ لَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ
الْأَعْيُنِ لَفَرَّقُوا عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٨﴾

﴿وإنه﴾ وإن ذكر القرآن وخبره ﴿لفي زبور الأولين﴾ لفي كتبهم يعني أن الله أخبر في كتبهم عن
القرآن وأنزله على النبي المبعوث في آخر الزمان، قال مقاتل: وإن أمر محمد ونعته وذكره لفي كتب
الأولين وهذا كقوله ﴿يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾^(٦) قوله ﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء

(١) المطففين: ٣

(٢) في هـ: هرباً

(٣) انظر تفسير ابن جرير ٦٧/١٩

(٤) ساقط من د، هـ

(٥) ساقط من أ

(٦) الأعراف: ١٥٧

بني إسرائيل ﴿ قال الزجاج: أن يعلمه اسم كان وآية خبره والمعنى: أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل أن محمداً نبي حق علامة ودلالة على نبوته لأن العلماء الذين آمنوا من بني إسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم، قال عطية^(١) وكانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد^(٢) وأسيد^(٣)، وقرأ ابن عامر تكن بالتاء^(٤) رفعاً قال الفراء والزجاج: جعل آية هي الاسم وأن يعلمه خبر تكن^(٥) ﴿ولو نزلناه عنى بعض الأعجمين﴾ يقول لو نزلنا القرآن على رجل ليس بعربي اللسان ﴿فقرأه عليهم﴾ بغير لغة العرب ما آمنوا به وقالوا ما نفقه هذا فذلك قوله ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال:

كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذَرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾

﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين﴾ قال ابن عباس والحسن وغيرها: سلك الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين، قال مقاتل: يعني مشركي مكة أخبر الله أنه أدخل الشرك وجعله في قلوبهم فلم يؤمنوا إلا عند نزول العذاب حين لم ينفعهم وهو قوله ﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾ يعني عند الموت ﴿فيأتيهم﴾^(١) يعني العذاب ﴿بغتة وهم لا يشعرون﴾ به في الدنيا فيتمنى الرجعة والنظرة وهو قوله ﴿فيقولوا هل نحن منظرُونَ﴾ أي لنؤمن ولنصدق، قال مقاتل: فلما أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب قالوا فمتى العذاب تكديماً به فقال الله تعالى ﴿أفبعذابنا يستعجلون أفأريت﴾ يا محمد ﴿إن متعناهم﴾ يعني: كفار مكة ﴿سنين﴾ قال عطاء: يريد منذ [أن]^(٢) خلق الله الدنيا إلى أن تنقضي، وقال الكلبي: يعني مدة أعمارهم ﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ من العذاب ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ به في تلك السنين، المعنى: أنهم^(٣) وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا فإذا أتاهم العذاب لم يغن طول التمتع عنهم شيئاً ويكونوا كأنهم لم يكونوا في نعيم قط ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ بالعذاب في الدنيا ﴿إلا لها منذرون﴾ يعني ولا يندرونهم بالعذاب أنه نازل بهم ﴿ذكرى﴾ موعظة وتذكيراً ﴿وما كنا ظالمين﴾ فنعذب على غير ذنب ونعاقب من غير تذكير وإنذار.

وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُونَ ﴿٢١٢﴾

(١) عطية العوفي

(٢) أسد بن سعية القرظي أسد الغابة ٩٣/١

(٣) وأسيد بن عبيد من بني هلال بني عم بني قريظة أسلموا بعد الأحزاب أسد الغابة ٩٣/١

(٤) في هـ: آية رفع وانظر السبعة لابن مجاهد (٤٧٣) والنشر ٣٣٦/٢

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٨٣/٢ بتصرف

(٦) في هـ: فيأتيهم [بغتة] وهي مكررة.

(٧) ساقط من هـ

(٨) في هـ: أنه.

﴿وما تنزلت به﴾ [أي القرآن] ^(١) ﴿الشياطين﴾ [قال مقاتل] ^(٢) قالت قريش: إنما تجيء بالقرآن الشياطين فتلقه على لسان محمد فأنزل الله ﴿وما تنزلت به﴾ أي بالقرآن ﴿الشياطين وما ينبغي لهم﴾ أن ينزلوا به ﴿وما يستطيعون﴾ وما يقدرُونَ أن يأتوا بالقرآن من السماء قد حيل بينه وبين السمع بالملائكة والشهب وهو قوله ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ قال عطاء: عن استماع القرآن لمحجوبون لأنهم يرجعون بالنجوم.

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ^(٢١٢) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ^(٢١٤) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ أَنْبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ^(٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ^(٢١٧) الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ^(٢١٨) وَتَقْلُبُكَ فِي السُّجُودِ ^(٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ^(٢٢٠)

﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر﴾ وذلك حين دعي إلى دين آباؤه فقال الله لا تعبد معه إلهاً آخر ﴿فتكون من المعذبين﴾ قال ابن عباس: يحذر به غيره يقول: أنت أكرم الخلق علي ولو اتخذت من دوني إلهاً لعذبتك قوله ﴿وأندر عشيرتك الأقربين﴾ أي رهطك الأدين وهم بنو هاشم وبنو المطلب خاصة أخبرنا أبو عبيد ^(٣) الله محمد بن عبد الله الفارسي، نا أبو الفضل محمد بن عبيد الله الهروي، أنا علي بن محمد الخزاعي، نا أبو اليمان اخبرني شعيب ^(٤) عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد ^(٥) الرحمن أن أبا هريرة قال قام فينا رسول الله ﷺ حين أنزل الله وأندر عشيرتك الأقربين فقال «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً [يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً] ^(٦) يا عباد بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً [يا صفية عمه رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً] ^(٧) يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً» رواه البخاري ^(٩) عن أبي اليمان ورواه مسلم عن حرملة عن وهب عن يونس عن الزهري أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المزكي، أنا أبو سعيد إسماعيل بن أحمد الخلامي، أنا عبد الله بن زيدان [بن يزيد] ^(١٠) البجلي، نا أبو كريب، نا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «لما نزلت وأندر عشيرتك الأقربين صعد رسول الله ﷺ على الصفا فقال: يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقالوا ما لك فقال رأيتم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدقوني قالوا بلى

(١) - ٢) ساقط من هـ

(٣) في هـ: أبو عبد الله بن محمد

(٤) شعيب بن أحمد بن أبي حمزة دينار الأموي أبو بشر توفي سنة ١٦٢ هـ انظر تذكرة الحفاظ ١/٢٢١، شذرات الذهب ١/٢٥٧، طبقات الحفاظ ص ٩٤.

(٥) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني ت سنة ٩٤ هـ عن اثنين وسبعين سنة تذكرة الحفاظ ١/٦٣ تهذيب التهذيب ١١٥/١٢ شذرات الذهب ١/١٠٥

(٦) من د فقط.

(٧) صفية بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية توفيت في خلافة عمر رضي الله عنه انظر الإصابة ٤/٣٤٨ وما بين القوسين ساقط من (ج)

(٨) فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين رسول الله ﷺ توفيت سنة ١١ هـ الإصابة ٤/٣٧٧.

(٩) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الشعراء ٦/١٤٠، ومسلم في كتاب الإيمان باب قوله تعالى (وأندر عشيرتك الأقربين) بالفاظ متقاربة ١٩٤/١ ط الحلبي

(١٠) ساقط من هـ

[قال] فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب^(١): تبا لك ألهذا دعوتنا جميعاً فأنزل الله تبت يدا أبي لهب وتب إلى آخرها^(٢) رواه مسلم عن أبي كريب ورواه البخاري عن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن الأعمش قوله ﴿واخفض جناحك﴾ ألن جانبك ﴿لمن اتبعك من المؤمنين﴾ قال ابن عباس يريد أكرم من اتبعك من المصدقين بتوحيد الله وألزمهم القول أظهر لهم المحبة والكرامة ﴿فإن عصوك﴾ يعني عشيرتك ﴿فقل إني بريء مما تعملون﴾ من الكفر وعبادة غير الله ﴿وتوكل على العزيز الرحيم﴾ فوض إليه جميع أمرك وثق بالله العزيز في نعمته الرحيم بهم حين لم يعجل عليهم بالعقوبة ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ إلى الصلاة في قول ابن عباس ومقاتل، وقال مجاهد يراك حين تقوم أينما كنت ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ أي ويرى ركوعك وسجودك وقيامك مع المصلين في الجماعة، والمعنى: يراك إذا صليت وحدك ويراك إذا صليت في الجماعة راعماً وساجداً وقائماً هذا قول أكثر المفسرين، وقال ابن عباس في رواية عطاء وعكرمة يريد في أصلاب الموحدين من نبي إلى نبي حتى أخرجك في هذه الأمة وما زال رسول الله ﷺ يتقلب في أصلاب الانبياء حتى ولدته أمه^(٣) ﴿إنه هو السميع﴾ لقولك ﴿العليم﴾ بما في قلبك من الإيمان ثم قال لكفار مكة:

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
وَالشُّعْرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾
إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسِعَعِلُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ
مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين﴾ ثم أخبر فقال ﴿تنزل على كل أفاك أثيم﴾ على كل كذاب فاجر، قال قتادة: هم الكهنة تسترق الجن السمع ثم يأتون إلى أوليائهم من الأنس وهو قوله ﴿يلقون السمع﴾ أي يلقون ما سمعوه إلى الكهنة ﴿وأكثرهم كاذبون﴾ لأنهم يخلطون به كذباً كثيراً وهذا كان قبل أن يوحى إلى النبي ﷺ وبعد ذلك فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً. قوله ﴿والشعراء﴾ قال ابن عباس يريد شعراء المشركين، وذكر مقاتل أسماءهم فقال: منهم عبد الله بن الزبعرى السهمي وأبو سفيان بن الحارث بن المطلب وهبيرة^(٤) بن أبي وهب المخزومي ومسافع^(٥) بن عبد مناف الجمحي وأبو عزة^(٦) عمرو بن عبد الله كلهم من قريش وأميرة بن أبي الصلب الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا: نحن نقول مثل ما قال محمد، وقالوا الشعر واجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم ويرددون عنهم حين يهجون النبي ﷺ وأصحابه فذلك قوله ﴿يتبعهم الغاؤون﴾ يعني الذين يرددون هجاء المسلمين،

(١) أبو لهب: عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم نسب قريش ٨٩

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة (تبت يدا أبي لهب وتب) ٢٢١/٦ وسورة الشعراء ١٤٠/٦ ومسلم في كتاب الإيمان باب قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين ١٩٤/١ بالفاظ متقاربة.

(٣) روى الهيثمي عن ابن عباس: (وتقلبك في الساجدين) من صلب نبي إلى صلب نبي حتى حدث نبياً رواه البزار ورجاله ثقات كتاب علامات النبوة باب في كرامة أصله ﷺ ٢١٤/٨

(٤) هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي مات كافراً هارباً بنجران نسب قريش (٣٤٤)

(٥) مسافع بن عبد مناف الشاعر الجمحي نسب قريش ص ٢٩٨.

(٦) أبو عزة الشاعر: عمرو بن عبد الله بن عمير الجمحي قتل صبياً بعد أحد في حمراء الأسد نسب قريش ص ٣٩٨.

وسب الصحابة والنبي ﷺ، وقال قتادة ومجاهد: الغاوون الشياطين ﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون﴾ يقال: هام يهيم هيماناً وهيماً إذا ذهب على وجهه قال ابن عباس: في كل فن من الكذب يتكلمون، وفي كل لغويخوضون، وقال قتادة يمدحون يباطل ويشتمون يباطل قالوا ذي يمثل الفنون من الكلام^(١) وهيمانهم فيه قولهم على الجهل بما يقولون من لغو باطل وغلو في مدح أو ذم ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ قال مقاتل: يقولون فعلنا وفعلنا وهم أكذبة ثم استثنى شعراء المسلمين فقال: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قال الكلبي ومقاتل: هم عبد الله بن رواحة وكعب^(٢) بن مالك وحسان بن ثابت وسائر شعراء المسلمين الذين مدحوا رسول الله ﷺ وردوا هجاء من هجاء آخريننا محمد بن أحمد بن شاذان الصيدلاني، نا محمد بن يعقوب الأموي، نا العباس بن الوليد بن جديده، نا أبي، نا الأوزاعي، نا يونس عن الزهري حدثني عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال يا رسول الله ماذا تقول في الشعر فقال: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكانما تنضحونهم بالنبل» أخبرنا أبو نصر الجوزقي، أنا بشر بن أحمد بن بشر، نا عبد الله بن محمد بن ناجية، نا محمد بن عبد الله بن نافع عن يزيد بن زريع، نا شعبة عن عدي بن ثابت نا البراء سمعت حسان بن ثابت يقول: قال رسول الله ﷺ: «اهجهم أو هاجهم وروح القدس معك»^(٣) رواه البخاري عن حفص بن عمرو^(٤) رواه مسلم عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه كلاهما عن شعبة أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو سهل أحمد بن محمد بن زياد القطان، نا إسحاق بن خالويه نا علي بن يحيى القطان، نا هشام^(٥) عن معمر عن الزهري عن أبي بكر بن عبد^(٦) الرحمن عن^(٧) مروان بن الحكم عن عبد الرحمن بن الأسود^(٨) بن عبد يغوث عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: ان^(٩) من الشعر حكمة أخبرنا أبو محمد الفارسي، أنا محمد بن عبد الله بن الفضل، أنا أحمد بن الحسن الحافظ، نا محمد بن يحيى، أنا أحمد بن شبيب^(١٠) بن سعيد، نا أبي عن^(١١) يونس قال: قال ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح ولقد رويت أشعاراً منها القصيدة أربعون ودون ذلك. أخبرنا أبو بكر بن الحارث، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا محمد بن أحمد بن معدان، نا علي بن مسلم الطوسي، نا هشيم^(١٢)، أنا عمر بن^(١٣) أبي زائدة عن الشعبي^(١٤) قال كان أبو بكر

(١) في ه: مثل لفنون الكلام

(٢) كعب بن مالك الأنصاري الخزرجي أبو عبد الله. أسد الغابة ٤/٤٨٧.

(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ٤/١٣٦ ط الشعب ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل حسان بن ثابت

(٤) حفص بن عمر بن الحارث ت سنة ٢٢٥ هـ طبقات الحفاظ ص ١٧٢ تذكرة الحفاظ ١/٤٠٥

(٥) هشام بن يونس الصنعاني أبو عبد الرحمن الأنباري ت سنة ١٩٧ هـ التهذيب ١١/٥٧.

(٦) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن الصغيرة ت سنة ٩٣ هـ التهذيب ١٢/٣٠.

(٧) مروان بن الحكم بن أبي العاص أبو عبد الملك ت سنة ٦٥ هـ التهذيب ١٠/٩٢.

(٨) عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث بن وهب الزهري سنة ٩٦ هـ التهذيب ٦/١٣٩ وما بين القوسين ساقط من هـ

(٩) قال الهيثمي رواه البزار والطبراني في الأوسط بأسانيد وأحد أسانيد البزار رجاله رجال الصحيح غير علي بن حرب الموصلي وهو ثقة مجمع الفوائد كتاب الأدب باب ما جاء في الهجاء ٨/١٢٣

(١٠) أحمد بن شبيب بن سعيد الحطبي أبو عبد الله البصري ت سنة ٢٢٩ هـ انظر تهذيب التهذيب ١/٣٦، الجرح والتعديل ١/٥٤.

(١١) شبيب بن سعيد التميمي الحطبي أبو سعيد البصري ت سنة ٨٦ هـ تهذيب التهذيب ٤/٣٠٦، الجرح والتعديل ٢/٣٥٩.

(١٢) هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي أو معاوية ت سنة ١٨٣ تهذيب ١١/٦٢.

(١٣) عمر بن أبي زائدة الهمداني الكوفي التهذيب ٧/٤٤٨.

(١٤) الشعبي عامر بن شراحيل أبو عمرو ت سنة ١٠٣ هـ تاريخ بغداد ١٢/٢٢٩، تذكرة الحفاظ ١/٧٩، التهذيب ٥/٦٥.

رضي الله عنه يقول الشعر وكان عمر رضي الله عنه يقول الشعر وكان^(١) علي رضي الله عنه أشعر الثلاثة وقوله ﴿وذكروا الله كثيراً﴾ أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوا الشعر همهم ﴿وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾ قال مقاتل: انتصروا من المشركين لأنهم بدأوا بالهجاء ثم أوعد شعراء^(٢) المشركين فقال ﴿وسيعلم الذي ظلموا﴾ أي أشركوا وهجوا رسول الله ﷺ والمؤمنين ﴿أي منقلب ينقلبون﴾ قال ابن عباس يعني أنهم ينقلبون إلى نار جهنم يخلدون فيها.

(١ - ٢) بياض في هـ

(٣) في هـ: ذكر شعر...

سورة النمل

مكية وآياتها ثلاث وتسعون

أخبرنا الاستاذ سعيد بن محمد الحيزي أنا أبو عمرو بن أبي الفضل الشروطي، أنا أبو إسحاق الاسدي، نا أبو عبد الله اليربوعي، نا سلام المدائني، نا هارون بن كثير عن زيد بن اسلم عن أبيه عن أبي امامة عن أبي بن كعب قال قال لي رسول الله ﷺ «ومن قرأ طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذبه وهود أو شعيباً وصالحاً وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله»^(١).

طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾

بسم الله الرحمن الرحيم:

[قوله] ^(٢) ﴿طس﴾ قال ابن عباس: هو اسم من اسماء ^(٣) الله تعالى أقسم الله به، وقال قتادة: إنه اسم من أسماء ^(٤) القرآن وقال مجاهد: هو من الحروف المقطعة التي هي فواتح يفتح الله بها القرآن وليست من اسمائه ﴿تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ تقدم تفسيره ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ بيان من الضلالة لمن عمل به وبشرى بما فيه من الثواب للمصدقين به انه من عند الله ثم نعتهم ^(٥) فقال ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة لا يصدقون بالبعث﴾ ﴿زيئا لهم أعمالهم﴾ قال ابن عباس ومقاتل: يعني ضلالتهم حتى رأوه حسنة ﴿فهم يعمهون﴾ يترددون فيها متحيرين ﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب﴾ أشده ﴿وهم في الآخرة هم الآخسرون﴾ لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم وصاروا إلى النار ﴿وإنك لتلقى القرآن﴾ قال السدي: يلقي عليك القرآن وحيًا من عند الله الحكيم أي أنزله عليك بعلمه وحكمته.

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنيَ آنستُ نَارًا سَاتِيكُمْ مِّنْهَا بَخْرٌ أَوْ أَمَاتِكُمْ إِشْهَابٍ قَبَسَ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَّحَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسِيٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْوِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسِيٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن

(٣ - ٤) فيما عدا هـ: أسامي

(٥) في هـ: بعثهم

(١) لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج

(٢) ساقط من هـ

ظَلَمْتُمْ إِتْرًا بَدَلًا حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرِّجْ يَدًّا مِثْلَ أُخْرَى سَوْءٍ فِي سَوْءٍ أُخْرَى
إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِتْمَهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَحَدِّثُوا بِهَا
وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

قوله ﴿إذ قال موسى لأهله﴾ قال الزجاج: موضع إذ نصب والمعنى: اذكر إذ قال موسى أي اذكر قصته إذ قال لأهله لامراته ﴿إني أنست ناراً﴾ أبصرتها ﴿سأتاكم منها بخبر﴾ عن الطريق وكان قد تحير وترك الطريق فإن لم أجد أحداً يخبرني عن الطريق أتاكم بشعلة نار، وهو قوله ﴿أو أتاكم بشهاب قبس﴾ والشهاب أصل خشبة فيها نار ساطع وتفسير القبس قد سبق وقرئ بشهاب قبس بالتنوين^(١)، والإضافة، قال الزجاج: من نون جعل قبس من صفة الشهاب ومن أضاف فقال الفراء: هو مما يضاف إلى نفسه إذا اختلفت الاسماء كقوله ﴿والدار الآخرة﴾^(٢) وقوله ﴿لعلكم تصطلون﴾ لكي تصطلوا من البرد، وكان ذلك في شدة الشتاء يقال: صلي بالياء واصطلي بها إذا استدفأ ﴿فلما جاءها نوذي أن بورك من في النار﴾ أي بورك على من في النار أو فيمن في النار قال الفراء: العرب تقول باركه الله وبارك عليه وبارك فيه بمعنى واحد^(٣) والتقدير من في طلب النار وهو موسى فحذف المضاف وهذا تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة ﴿كما حيا إبراهيم﴾^(٤) بالبركة على السنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾^(٥) ومذهب المفسرين أن المراد بالنار هو النور وذلك أن موسى رأى نوراً عظيماً فظنه ناراً لذلك ذكر بلفظ النار ومن في النار هم الملائكة وذلك أن النور الذي رأى موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالسيح والتقدیس^(٦) ﴿ومن حولها﴾ هو موسى لأنه كان بالقرب منها ولم يكن فيها والله تعالى نادى موسى لما توجه إلى النار بأنه قد بارك فيه وفي الملائكة الذين كانوا في ذلك النور الذي رآه ثم نزه نفسه فقال ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾ ثم أخبر الله موسى عن نفسه وتعرف إليه بصفاته وذاته فقال ﴿إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ والكناية [في]^(٧) إنه للشأن والأمر أي إن الشأن والأمر أن المعبود أنا وقال الفراء: هذه الهاء عماد وهو اسم لا يظهر^(٨)، ثم أراه آية على قدرته ليشاهد من قدرة الله ما لم يشاهده قبل وهو قوله ﴿وألقت عصاك فلما رءاها تهتز﴾ وفي الآية محذوف تقديره فألقاها فصارت حية فلما رءاها تهتز ﴿كانها جان﴾ قال الزجاج: صارت العصا تتحرك كما يتحرك الجان وهو الحية الأبيض وإنما شبهها بالجان في خفة حركتها وشبهها في موضع آخر بالثعبان لعظمتها وقوله ﴿ولى مدبراً﴾ أي من الخوف من الحية ﴿ولم يعقب﴾ [يرجع]^(٩) يقال: عقب فلان إذا رجع وكل راجع معقب، وأهل التفسير يقولون: لم يقف ولم يلتفت فقال الله: ﴿يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ قال ابن عباس: لا يخاف عندي من ارسلته برسالتني والمعنى: لا يخيف الله الانبياء أي إذا أمنهم لا يخافونه فكيف تخاف الحية نهي عن الخوف من الحية ونبه على آمن المرسلين^(١٠) عند الله ليعلم أن من آمنه الله من عذابه بالنبوة لا يستحق أن يخاف الحية ثم قال ﴿إلا من ظلم﴾ يعني أذنب وظلم نفسه

(١) قراءة (شهاب قبس) بالتنوين والإضافة، قرأ بها: عاصم وحزمة والكسائي انظر السبعة ص ٤٧٨ وانشر ٢/٣٣٧.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٦ وفيه اسم بدلاً من نفسه (والدار الآخرة) في يوسف ١٠٩

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة بتصرف

(٧) ساقط من هـ

(٨) معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٧

(٩) ساقط من جـ

(٥) هود: ٧٣

(١٠) في هـ: المسلمين.

(٦) انظر تفسير ابن جرير ١٩/٨٢

بالمعصية ﴿ثم بدل حسناً﴾ أي توبة وندماً ﴿بعد سوء﴾ عمله وفي هذا إشارة إلى أن موسى وإن ظلم نفسه بقتل القبطي وخاف من ذلك فإن الله يغفر له لأنه ندم على ذنب وتاب عنه حين قال ﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له﴾^(١) وهذا من الاستثناء المنقطع، والمعنى لكن من ظلم ثم تاب ﴿فإني غفور رحيم﴾ إني لا يخاف لدي الانبياء والتائبون، وقوم يقولون: إلا ها هنا بمعنى ولا كأنه قال ولا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء ثم أراه آية أخرى فقال ﴿وأدخل يدك في جيبك﴾ الجيب: حيث جيب من القميص أي قطع من [الجيب]^(٢) قال ابن عباس: كانت عليه جبة زرقانية من صوف كماها إلى مرفقيه ولم يكن لها أزرار وأدخل يده في جيها فأخرجها وإذا هي تبرق مثل البرق فذلك قوله ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ من غير برص ﴿في تسع آيات﴾ وقد فسرناها في سورة بني إسرائيل ﴿إلى فرعون وقومه﴾ أي مبعوثاً إليهم أو مرسلًا ﴿إنهم كانوا قومًا فاسقين﴾ خارجين عن طاعة الله ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾ بينة واضحة كقوله ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾^(٣) وقد مر ﴿قالوا هذا﴾ أي هذا الذي نراه عتانا ﴿سحرمين وجحدوا بها﴾ أنكروها ولم يقرروا بأنها من عند الله ﴿واستيقنوا أنفسهم﴾ انها من عند الله وانها ليست بسحر ﴿ظلمًا وعلوا﴾ قال الزجاج: التقدير وجحدوا بها ظلمًا وعلوا أي شركًا وتكبراً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون^(٤) انها من عند الله ﴿فانظر﴾ يا محمد ﴿كيف كان عاقبة المفسدين﴾ في الأرض بالمعاصي.

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْחَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحِشْرُ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ ادَّخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَنَبَسَّ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾

قوله ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً﴾ قال ابن عباس: علماً بالقضاء وبكلام الطير والدواب وتسيح الجبال ﴿وقالا الحمد لله الذي فضلنا﴾ بالنبوة والكتاب وإلانة الحديد وتسخير الشياطين والجن والانس ﴿على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود﴾ نبوته وعلمه وملكه، قال قتادة كان لداود تسعة عشر ذكراً فورث سليمان ملكه من بينهم ونبوته أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الطبري قراءة عليه بجرجان أنا أبو بكر أحمد بن علي بن إبراهيم الأندلسي^(٥)، أنا عبد الله بن محمد بن مسلم الجوزي، نا داود بن الحسين^(٦) البيهقي، نا محمد بن سهل السمرقندي، نا إسحاق بن^(٧) الصلت، نا عبد الله بن عرادة^(٨) الشيباني عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي

(١) آية (١٦) سورة القصص وما بين القوسين ساقط من هـ.

(٢) من أ.

(٤) فيه: يعلم

(٥) في هـ: الأندلسي

(٣) الإسراء: ٥٩

(٦) داود بن الحسين بن عقيل البيهقي الخسروجدي ت سنة ٢٩٣ هـ تاريخ الإسلام ٣٠٦/١٥

(٧) إسحاق بن الصلت قال عنه صاحب الميزان منكر الحديث انظر ميزان الاعتدال ١٩٢/١

(٨) عبد الله بن عرادة بن شيبان السدوسي أبو شيبان البصري تهذيب التهذيب ٣١٩/٥.

هريرة رضي الله عنه قال نزل كتاب من السماء إلى داود مختم فيه [عشر]^(١) مسائل ان سل ابنك سليمان فإن هو أخرجهن فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود سبعين فساد وسبعين حبراً وأجلس سليمان بين أيديهم وقال يا بني نزل كتاب من السماء فيه عشر مسائل امرت أن أسأل الكهن فإن أنت أخرجتهن فأنت الخليفة من بعدي قال سليمان ليسأل نبي الله عما بدا له وما توفيقي إلا بالله، قال اخبرني يا بني ما أبعد الأشياء وما أقرب الأشياء وما آنس الأشياء وما أوحش الأشياء [وما أحسنها وما أقبحها وما أقلها وما أكثرها وما الساعيان والمشتركان]^(٢) وما القائمان وما المختلفان وما المتباغضان وما الأمر إذا ركبته الرجل حمد آخره وما الأمر إذا ركبته الرجل ذم آخره؟ فقال سليمان: أما أقرب الأشياء فالآخرة وأما أبعد الأشياء فما فاتك من الدنيا وأما آنس الأشياء فجسد فيه روح وأما أوحش الأشياء فجسد لا روح فيه وأما القائمان فالسما والأرض وأما الساعيان فالشمس والقمر والمشتركان الليل والنهار^(٣) وأما المختلفان فالليل والنهار، وأما المتباغضان فالموت والحياة كل واحد يبغض صاحبه، وأما الأمر إذا ركبته الرجل حمد آخره فالحلم عند الغضب وأما الأمر الذي إذا ركبته الرجل ذم آخره فالعدة على الغضب، قال ففك الخاتم فإذا هذه المسائل سواء على ما نزل من السماء فقال القسيسون والاحبار لن نرضى حتى نسأله عن مسألة فإن هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك فقال: سلوه قال سليمان: سلوني وما توفيقي إلا بالله قالوا: ما الشيء إذا صلح صلح كل شيء منه وإذا فسد فسد كل شيء منه؟ قال سليمان هو القلب إذا صلح صلح كل شيء منه وإذا فسد فسد كل شيء منه فقالوا صدقت أنت الخليفة بعده ودفع إليه داود عليه السلام قضيب الملك ومات من الغد^(٤) أخبرنا أبو الحسن المؤمن بن محمد السوادي، أنا محمد بن عبد الله^(٥) بن نعيم، أنا أبو سعيد الأحشي، نا الحسن بن حميد، نا الحسين بن علي السلمي، نا محمد بن حسان عن محمد بن جعفر بن^(٦) محمد عن أبيه قال: اعطي سليمان بن داود عليه السلام ملك مشارق الأرض ومغاربها فملك سبعمائة سنة وستة أشهر ملك أهل الدنيا كلهم من الجن والإنس والشياطين والدواب والطيور والسباع واعطي علم كل شيء وملك كل شيء وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة التي سمع بها الناس وذلك قوله ﴿علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء﴾ أخبرنا عبد الرحمن بن الحسن بن علي الحافظ، أنا محمد بن علي بن الحسين بالكوفة، نا حامد بن بلال بن الحسن البخاري، نا داود بن طلحة، نا عمر بن علي الخليل، نا موسى بن إبراهيم، نا الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: الديك الأبيض صديقي وصديق صديقي وعدو عدوي قالوا: فما يقول الديك إذا صاح قال: يقول: اذكروا الله يا غافلين^(٧)، أنا أبو نصر محمد بن محمد بن عبد الله بن زكريا الشيباني أنا أبو سهل بن بشر، نا سحاقة بنت حمدان بن موسى الأنبارية بالأنبار^(٨) قالت، نا أحمد بن عيسى بن العسكري^(٩)، نا

(١) ساقط من هـ

(٢ - ٣) ساقط من هـ

(٤) هذا خبر منكر وذلك لأن إسحاق بن الصلت منكر الحديث

(٥) محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري ت سنة ٤٠٥ هـ انظر طبقات الحفاظ ص ٤٠٩ تذكرة الحفاظ

١٠٤٣/٣

(٦) محمد بن جعفر بن محمد بن علي الهاشمي الحسيني ت سنة ٢٠٣ الميزان ٥٠٠/٣

(٧) قال عنه ابن الجوزي في كتابه لا يصح متن الحديث ولا إسناده، وبين أن في سنده انقطاعاً كتاب الموضوعات لابن الجوزي ٥/٣.

(٨) الأنبار: مدينة على الفرات غربي بغداد كانت تسمى في أيام الفرس فيروز سابو معجم البلدان ٢٢١/٢

(٩) في هـ: ابن عسكري وهو: أحمد بن عيسى بن حسان المصري أبو عبد الله العسكري المعروف بالستري ت سنة ٢٤٤ تهذيب

التهذيب ٦٥/١ وهو ضعيف الحديث.

أحمد بن كثير الواسطي، نا أحمد بن صالح عن علي بن الحسن عن سهل عن أبيه عن ابن عباس: قام: قوم من أهل العراق فقالوا: أنت ابن عباس قال فقلت: نعم قالوا: أنت ابن عم الذي يزعم أنه رسول الله والسفير فيما بينه وبين الله جبريل قال: نعم وأنا على ذلك من الشاهدين قالوا: فإنا قوم قد قرأنا الكتب وعرفنا ما فيها ونحن سائلون عن سببة أشياء فإن أنت أخبرتنا بما آمنا وصدقنا قال سلوني تفقها ولا تسألوني تفنناً فإن رسول الله ﷺ دعا لي فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» فعلمت أن دعوة رسول الله ﷺ تلحقتي سلوني عما شئتم قالوا أخبرنا ما يقول القنبر^(١) في صفيه والزرزور^(٢) والدراج^(٣) والديك في صقيعه^(٤) والحمار في نهيقه والضفدع في نقيقه والفرس في صهيله قال نعم أخبركم أما القنبر فإنه يقول في صفيه: اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد، وأما الزرزور فإنه يقول: اللهم إني أسألك قوت يوم بيوم يا رازق وأما الدراج فيقول الرحمن على العرش استوى وأما الديك فإنه يقول اذكروا الله يا غافلين وأما الضفدع فإنه يقول في نقيقه: سبحان المعبود في لجج البحار، وأما الحمار فإنه يقول في نهيقه: اللهم العن العشار، وأما الفرس فإنه يقول في صهيله إذا التقت الفتتان ومشى بعضهم إلى بعض: سبح قدوس رب الملائكة والروح قالوا: يا ابن عباس نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأسلموا وحسن إسلامهم، قال الفراء: منطق الطير كلام الطير فجعله كمنطق الرجل إذا فهمه وانشد قول حميد بن ثور^(٥):

عجبت^(٦) أنى يكون عناؤها فصيحاً ولم يقر بمنطقها فما^(٧)

ومعنى الآية فهمنا ما تقول الطير ﴿وأوتينا من كل شيء﴾ قال ابن عباس يريد من أمر الدنيا والآخرة، وقيل مقاتل: يعني الملك والنبوة والكتاب وتسخير الرياح وسخرة الجن والشياطين ونطق الطير ﴿إن هذا﴾ الذي أعطى ﴿لهو الفضل المبين﴾ الزيادة الظاهرة على ما أعطى غيرنا قوله: ﴿وحشر لسليمان جنوده﴾ أي جمع له جموعه وكل صنف من الخلق جند على حدة يدل عليه قوله ﴿من الجن والإنس والطير﴾ قال المفسرون: كان سليمان إذا أراد سفراً أمر فجمع طوائف من هؤلاء الجنود على سباط واحد ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء والأرض، والمعنى: وجمع لسليمان جنوده في مسير له، قال محمد بن كعب: بلغنا أن سليمان بن داود عسكره مائة فرسخ^(٨) خمسة وعشرون منها للإنس وخمسة وعشرون منها للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له ألف بيت من قوارب على الخشب فيها ثلثمائة كتيبة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف ترفعه ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله إليه وهو

(١) القنبر أو القنبر جنس من الطير ومن فصيلة القنبريات. المعجم الوسيط باب القاف.

(٢) الزرزور طائر من رتبة العصفوريات أكبر قليلاً من العصفور المعجم الوسيط باب الزاي

(٣) الدراج: نوع من الطيور يدرج في مشيه المعجم باب الدال.

(٤) والسقيع صوت الديك وصياحه. المعجم باب الصاد

(٥) حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري أبو المثنى ت نحو سنة ٣٠ هـ انظر: الإصابة الترجمة ١٨٣ الأعلام ٢/ ٢٨٣.

(٦) عن هـ فقط عجبت لها وفي النسخ الأخرى عجبت أنى... الخ.

(٧) في معاني القرآن للفراء:

عجبت أنى يكون عناؤها ربيعاً ولم تقنع بمنطقها فما

وفي الهامش البيت في ديوان حميد بن ثور في الحديث عن حمادة تغرد ص ٢٧ معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨٩ ط الدار المصرية للتأليف

والترجمة والنشر والبيت في ديوان حميد من قصيدة مطلعها:

سل الريح أنى يمت أم سالم وهنل عادة للريح أن يتكلما

(٨) الفرسخ مقياس قديم من مقياس الطول يقدر بثلاثة أميال المعجم الوسيط باب الفاء.

يسير بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت به الريح فأخبرتكم به^(١) وقوله ﴿فهم يوزعون﴾ قال قتادة: على صنف من جنوده وزعة ترد أولاهم على أخواهم يعني ليجمعوا ويتلاحقوا وهو من الوزع الذي هو الكف يقال وزعته أزعه وزعا والشيب وزع أي مانع، قال الليث: والوزع في الحرب الموكل بالصفوف يزع من تقدم منهم^(٢) ﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل﴾ أي أشرفوا عليه، قال كعب هو بالطائف^(٣)، وقال قتادة ومقاتل هو بالشام ﴿قالت نملة﴾ أي صاحت بصوت خلقه الله لها، ولما كان ذلك الصوت مفهوماً لسليمان عبر عنه بالقول، قال أهل المعاني ومعرفة النملة سليمان معجزة له ألهمها الله معرفته حتى عرفته وحذرت النمل حطمه وهو قولها: ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده﴾ والنمل تعرف كثيراً من منافعها من ذلك انها تكسر الحبة بقطعتين لثلاث تنبت إلا الكزبرة فإنها تكسرها بأربع قطع لأنها تنبت إذا كسرت بقطعتين فالذي هداها إلى هذا هو الذي ألهمها معرفة سليمان ومعنى لا يحطمنكم لا يكسرنكم والحطم الكسر والحطام ما تحطم وقوله ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي بحطمكم ووطنكم قال مقاتل: قد علمت النملة انه ملك لا بقي فيه وانه إن علم بها قبل إن يغشاها لم يتوطأها لذلك قالت ﴿وهم لا يشعرون﴾ وهذا يدل على ان سليمان وجنوده كانوا ركبناً ومشاة على الأرض ولم تحملهم الريح لأن الريح لو حملتهم بين السماء والأرض ما خافت النمل أن يتوطأها بأرجلهم، ولعل هذه القصة كانت قبل تسخير الله الريح لسليمان، قال المفسرون: طارت الريح بكلام النملة فادخلته أذن سليمان فلما سمع كلامها تبسم، وذلك قوله: ﴿تبسم ضاحكاً من قولها﴾ قال الزجاج: أكثر ضحك الانبياء عليهم السلام التبسم، وضاحكاً حال ومعناه متبسماً، وليس المراد بلفظ الضحك أكثر من التبسم وسبب ضحك سليمان عليه السلام من قول النملة التعجب وذلك ان الإنسان إذا رأى ما لا عهد له به تعجب وضحك وقال مقاتل ثم حمد ربه حين علمه منطلق كل شيء وسمع كلام النملة ﴿وقال رب أوزعني﴾ أي ألهمني ﴿أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي﴾ يقال: فلان موزع بكذا أي مولع^(٤) به وقوله ﴿وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ أي أدخلني في جملتهم وأثبت اسمي مع أسمائهم واحشروني في زمرتهم، قال ابن عباس: يريد مع إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين، قوله:

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۚ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ
لَأَأْجِزَنَّهُ ۚ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ۚ

﴿وتفقد الطير﴾ التفقد: طلب ما غاب عنك والطير اسم جامع للجنس وكانت الطير تصحب سليمان في سفره تظله بأجنحتها والمعنى انه طلب ما فقد من الطير ﴿فقال ما لي لا أرى الهدد﴾ أي ما للهدد لا أراه يقول العرب ما لي اراك كثيراً؟ معناه ما لك ولكنه من القلب الذي يوضحه المعنى والهدد طائر معروف قال مجاهد: سئل ابن عباس كيف تفقد سليمان الهدد من بين الطير فقال: إن سليمان نزل منزلاً ولم يدر ما بعد الماء وكان الهدد يدل على الماء إذا أراد أن ينزل فلما فقدته سأل عنه وذلك أن الهدد يرى الماء في الأرض كما يرى الماء في الزجاج. أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا عبد الله بن محمد بن حيان، نا محمد بن الصباح نا عبد الله بن عمر نا سالم بن نوح، نا أبو المعلى

(١) تفسير ابن جرير ١٩/٨٧ عن محمد بن كعب عن أبي معشر وأبو معشر ضعيف الحديث انظر تقريب التهذيب ٢/٢٩٨.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ٣/٩٩.

(٣) الطائف مدينة ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه على بعد أميال من مكة معجم البلدان ٤/٨.

(٤) يراجع اللسان مادة وزع فلقد فسر الوزع يعني الإلهام والولوع

الطار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه ذكر الهدهد فقال إن سليمان طلبه لأنه كان يعلم مسقاة الماء وإن الصبي يضع له الفخ فيعطي عليه شيء من التراب فيجيء فيقع فيه فقال ويحك أما علمت أن القدر يحول دون البصر وأخبرنا أبو بكر أنا عبد الله، أنا أبو الجريش أحمد بن عيسى الكلابي، نا عبد الوهاب بن فليح المكي، نا اليسع بن طلحة عن ابيه عن ابن عباس قال: إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر^(١) وقوله ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ قال الزجاج: معناه بل كان [من الغائبين]^(٢) وقال المبرد: لما تفقد سليمان الطير ولم ير الهدهد فقال ما لي لا أرى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم أدركه الشك فشك في غيبته عن ذلك الجمع^(٣) حيث لم يره فقال ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ أي بل أكان^(٤) من الغائبين كأنه ترك الكلام الأول واستفهم عن حال غيبته ثم أوغده فقال ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قال المفسرون تعذيبه إياه أن ينتف ريشه ثم يلقيه في الشمس فلا يمتنع من نملة ولا من شيء من هوم الأرض^(٥) ﴿أَوْ لَأَذِيبَنَّكَ﴾ [لا]^(٦) قطعن حلقه ﴿أُولَئِيتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة بينة في غيبته أصله ليأتيني بنونين كما يقرأ ابن كثير^(٧) ولكن حذف النون التي قبل ياء المتكلم لاجتماع النونات^(٨).

فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ٢٢ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ٢٣ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ٢٤ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ٢٥ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ٢٦

﴿فمكت غير بعيد﴾ أي لم يلبث إلا يسيراً حتى جاء الهدهد ﴿فقال أحطت بما لم نحط به﴾ أي علمت [شيئاً من جميع جهاته]^(٩) [ما لم تعلم]^(١٠) قال ابن عباس فاتاه الهدهد بحجة فقال: اطلعت على ما لم تطلع عليه، وقال مقاتل: قال الهدهد علمت ما لم تعلم وجئتك بأمر لم تعلم وجئتك بأمر لم تخبرك به الجن ولم تعلمك به الإنس وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك وهو قوله ﴿وجئتك من سبأ﴾ وقرىء من سبأ بالتونين^(١١) قال الزجاج: من لم يصرف فلأنه اسم مدينة تعرف بمأرب^(١٢) من اليمن بينها وبين صنعاء^(١٣) مسيرة ثلاثة أيام من صرف ثلاثة اسم البلد فيكون منكرأ سمي به مذكر وروي في الحديث أن النبي ﷺ سئل

(٤) في هـ: كان

(١) انظر ابن جرير ٩١/١٩

(٥) تفسير ابن جرير ٩١/١٩

(٢) ساقط من د، هـ

(٦) ساقط من هـ

(٣) في هـ: الجميع

(٧) ابن كثير: عبد الله بن كثير الداري المكي أبو معبد ولد سنة ٤٥ هـ وت سنة ١٢٠ هـ انظر وفيات الأعيان ١/٢٥٠، الأعلام ٤/١١٥ هـ العلم

(٨) قراءة ابن كثير (ليأتيني) بنونين الأولى مفتوحة مشددة والثانية مكسورة مخففة، السبعة ص ٤٧٩ النشر ٢/٣٣٧

(٩) ساقط من د، هـ

(١٠) ساقط من هـ

(١١) قراءة (من سبأ) بالتونين والتخفيف قرأ بها جميع القراء عدداً بن كثير وابو عمرو والميري فقد قرأ من (سبأ) بفتح الهمزة من غير تنوين انظر السبعة ص ٤٨١ والنشر ٢/٣٣٧

(١٢) وهي بلاد الأزدي قديماً معجم البلدان ٥/٣٤

(١٣) صنعاء: قصبة اليمن وأحسن بلادها وبينها وبين عدن ثمانية وستون ميلاً معجم البلدان ٣/٤٢٦

عن سبأ فقال: «كان رجلاً له عشر من البنين»^(١) وقد تكلمت العرب فيه الأجواد وغير الأجواد وقال جرير:
الواردون وتيم في ذرى سبأ^(٢)

وقال آخر:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما^(٣)

وقوله: ﴿بنياً يقين﴾ قال ابن عباس: الخبر الصادق، فقال سليمان وما ذاك؟ فقال الهدهد: ﴿إني وجدت امرأة تملكهم﴾ يعني بلقيس ملكة سبأ، قال مجاهد: كان تحت يدها اثنا عشر ألف قيل والقبيل بلغتهم: الملك تحت يدي كل قيل ألف مقاتل^(٤) ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ قال عطاء: من زينة الدنيا من المال والجنود والعلم ﴿ولها عرش عظيم﴾ قال: يريد سريراً من ذهب طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً وارتفاعه في السماء ثلاثون ذراعاً مضروب بالذهب مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر قوائمه من زبرجد أخضر^(٥) أخبر الهدهد انها وقومها على غير دين الله وهو قوله تعالى ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ الآية إلى قوله ﴿ألا يسجدوا﴾ ومن قرأ بالتشديد^(٦) كان المعنى فقدمهم عن السبيل لثلاث يسجدوا ثم حذف قاله الزجاج، وقال الفراء: زين لهم الشيطان [أعمالهم]^(٧) لثلاث يسجدوا ثم حذف اللام ومن قرأ بالتخفيف كان المعنى: ألا يا قوم أو يا مسلمون اسجدوا لله الذي خلق السماوات والأرض خلافاً عليهم وحمداً لله لمكان ما هداكم لتوحيدهم فلم تكونوا مثلهم في الطغيان والكفر وعلى هذه القراءة هذا كلام معترض من غير القصة إما من الهدهد وإما من سليمان وقال أبو عبيدة هذا أمر من الله^(٨) مستأنف يعني ألا يا أيها الناس: اسجدوا لله قرأه العامة لثلاث تنقطع القصة بما ليس فيها وقوله ﴿يخرج الخبء في السموات والأرض﴾ يقال: خبأت الشيء أخبأه خبأ والخبء ما خبأته لوقت قال الزجاج: جاء في التفسير ان الخبأ ها هنا من السماء والنبات من الأرض وعلى هذا في تكون بمعنى [من]^(٩) وكذا هو في قراءة عبد الله^(١٠) ويجوز أن يكون يعني الخبأ الغيب فيكون المعنى يعلم الغيب في السماوات والأرض. وهذا قول قتادة ويعلم ﴿ما يخفون﴾ في قلوبهم ﴿وما

(١) رواه الترمذي في كتاب التفسير سورة سبأ وقال حسن غريب، وقال الهيثمي فيه ابن لهيعة وفيه ضعف وقد رواه الطبراني وأحمد وبقية رجالهما ثقات مجمع الزوائد ٩٤/٧.

(٢) البيت في معاني القرآن للفراء ٢/٢٩٠ من غير أن ينسبه إلى قائل وعجزه قد عجز أنيابهم جلد الجواميس وأما جرير فقد قاله في ديوانه ص ٢٥٢ بلفظ. تدعوك وتم وتنم في قرى سبأ. قد عجز أنيابهم جلد الجواميس.

(٣) نسبه صاحب كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (١١٧/٣) إلى الأعشى وليس في ديوانه وفي لسان العرب أنشد ابن بري للجعدي. لسان العرب فصل العين حرف الميم وفي هامش مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٤٧/٢) اختلفوا في عزو هذا البيت بعضهم نسبه إلى النابغة الجعدي وبعضهم إلى أمية بن أبي الصلت وهو في ديوانه رقم ٥١ وفي ملحق ديوان الأعشى ص ٢٥٨

(٤) تفسير ابن جرير ٩٧/١٩.

(٥) في هـ: الأخضر، وانظر ابن جرير في تفسيره ٩٣/١٩

(٦) (ألا تسجدوا) كلهم شدد اللام في ألا يسجدوا غير الكسائي فإنه خففها ولم يجعل فيها أن ووقف على (ألا) ثم ابتداء (اسجدوا) السبعة ص ٤٨٠

(٧) ساقط من هـ ومن كتاب معاني الفراء أيضاً ٢/٢٩٠.

(٨) مجاز القرآن ٩٣/٢ بلفظ مختلف

(٩) ساقط من هـ

(١٠) قراءة عبد الله يقصد: عبد الله بن مسعود وقد نص عليها الفراء في: (يخرج الخبء من السموات والأرض) معاني القرآن ٢/٢٩١.

يعلمون ﴿ بالستهم وقرأ الكسائي ^(١) بالتاء لأن أول الآية خطاب على قراءته بتخفيف الآيات اسجدوا كذلك آخر الآية ﴿ الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴿ أي هو الذي يستحق العبادة لا غيره وهو رب العرش العظيم لا ملكة سبأ لأن عرشها وإن كان عظيماً لا يبلغ عرش الله في العظمة فلما فرغ الهدهد من كلامه

﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلِيٌّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

﴿ قال ﴾ سليمان للهدهد ﴿ سننظر ﴾ فيما حدثنا من هذا القصة ﴿ أصدقت ﴾ فيما قلت ﴿ أم كنت من الكاذبين ﴾ ثم كتب سليمان كتاباً وختمه بخاتمه ودفعه إلى الهدهد فذلك قوله تعالى فيما قلت ﴿ اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ﴾ يعني إلى أهل سبأ ﴿ ثم تول عنهم ﴾ قال مقاتل: يغرب عنهم وهذا على التقديم والتأخير والتقدير فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم لأن التولي عنهم بعد الجواب ومعنى ﴿ فانظر ماذا يرجعون ﴾ ماذا يردون من الجواب. فمضى الهدهد بالكتاب فألقاه إليهم فقالت ﴿ يا أيها الملأ إني ألقى إلي كتاب كريم ﴾ قال قتادة: أتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها فقرأت الكتاب وأخبرت قومها وقالت ألقى إلي كتاب كريم قال عطاء والضحاك سمته كريماً لأن كان مختوماً وهو قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير يدل على صحة هذا التفسير ما أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن حمدان أخبرنا أبو الحسن محمد بن إبراهيم السليطي حدثنا محمد ^(١) بن إسحاق الثقفي حدثنا يحيى ^(٢) بن طلحة اليربوعي حدثنا محمد بن مروان السدي عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ إكرام الكتاب ختمه ^(٣) وقال قتادة ومقاتل: كتاب كريم: حسن وهو اختيار الزجاج قال: حسن ما فيه ثم بينت ممن الكتاب فقالت ﴿ إنه من سليمان ﴾ أي أن الكتاب من عنده وإنما ^(٤) وإن المكتوب فيه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلِيٌّ ﴾ قال ابن عباس: لا تكبروا علي، والمعنى لا تترفعوا علي وأتوني مسلمين منقادين طائعين قال قتادة: وكذلك كانت الإنبياء تكتب جمللاً لا تطيل يعني أن هذا القدر الذي ذكره الله كان كتاب سليمان ثم أرسلت إلى قومها فاجتمعوا إليها فاستشارتهم.

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا آذِنًا

(١) قراءة (تخفون، وتعلمون) قرأ بها الكسائي وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٤٨١ والنشر ٢/٣٣٧.

(٢) محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران الثقفي أبو العباس ولد سنة ٢١٦ هـ وت سنة ٣١٣ البداية والنهاية ١١/١٥٣، تذكرة الحفاظ ٢/٧٣١ شذرات الذهب ٢١/٢٦٨.

(٣) يحيى بن طلحة بن أبي كثير اليربوعي أبو زكريا الكوفي تهذيب التهذيب ١١/٢٣٣.

(٤) رواه الهشمي عن الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن مروان السدي الصغير هو متروك مجمع الزوائد كتاب الأدب باب في كتابة الكتب وختمها.

(٥) ساقط من ب، ج، هـ.

وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٢﴾

و ﴿قالت يا أيها الملأ﴾ تعني الأشراف وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر قائداً وهم أهل مشورتها ﴿أفتوني في أمري﴾ أشيروا علي وبينوا لي ما أعمل ﴿ما كنت قاطعة أمراً﴾ فاعلته وقاضيته ﴿حتى تشهدون﴾ تحضروني [أي] (١) إلا بحضوركم ومشورتكم ﴿قالوا﴾ مجيبين ﴿نحن أولو قوة﴾ أي في الابدان في [معنى] (٢) قول ابن عباس وفي قول مقاتل ارادوا كثرة العدد ﴿وأولو بأسٍ شديد﴾ يعني الشجاعة في الحرب ذكروا لها قوتهم وشجاعتهم وهذا تعريض منهم بالقتال إن امرتهم بذلك ثم قالوا ﴿والأمر إليك﴾ أي في القتال وتركه ﴿فانظري﴾ من الرأي ﴿ماذا تأمرين﴾ ماذا تشيرين علينا قالت مجيبة لهم عن التعريض بالقتال ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها﴾ قال الزجاج: أي إذا دخلوها عنوة عن قتال وغلبة أفسدوها [أي] (٣) أهلكوها وخربوها ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ أهانوا أشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الأمر ومعنى الآية أنها حذرتهم مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم وانتهى الخبر عنها وصدقها الله فيما قالت، فقال ﴿وكذلك يفعلون﴾ أي وكما قالت هي يفعلون ثم قالت ﴿واني مرسلَةٌ إليهم بهدية﴾ قال السدي نخبنا بذلك سليمان لتعرف أملك هو أم نبي فبعثت إليه بغلمان وجوار في قول أكثر المفسرين قال ابن عباس: مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مقاتل ومجاهد مائتي غلام ومائتي جارية وقال قتادة وسعيد بن جبير أرسلت بلبنة من ذهب في حرير وديباج (٤) ﴿فناظرة بما يرجع المرسلون﴾ بقبول أم رد (٥).

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٣﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٤﴾

﴿فلما جاء سليمان﴾ أي جاء الرسول سليمان ﴿قال أتمدونن بمال﴾ أي أتزيدونني مالاً وهذا استفهام إنكار يعني انه لا يحتاج إلى مالهم لأن الله اعطاه ما هو خير من ذلك وهو قوله ﴿فما آتاني الله﴾ أي من الاسلام والنبوة والملك ﴿خير مما آتاكم﴾ من المال ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ يعني إذا أهدى بعضكم إلى بعض وأما أنا فلا أفرح بها [ثم] (٦) قال سليمان للرسول ﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها﴾ أي لا طاقة لهم بها ﴿ولنخرجنهم منها﴾ من سبأ وهي قريتهم ﴿أذلة وهم صاغرون﴾ فلما رجع إليها الرسول قالت قد عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فتجهزت للمسير (٧) إليه وأخبر جبريل سليمان انها خرجت من اليمن مقبلة إليه.

قَالَ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَتَيْتَنِي بِعَرْشِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ عَفْوَيتُ مَنِ الْجِنِّ أَنَا ءَأَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٦﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَأَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٣٧﴾

(١) ساقط من هـ

(٥) في هـ: رده

(٢) ساقط من د، هـ

(٦) ساقط من جـ

(٣) ساقط من هـ

(٧) في هـ: المسير

(٤) انظر تفسير ابن جرير ٩٧/١٩

﴿قال﴾ سليمان ﴿أيكم يأتي بي بعرشها﴾^(١) وإنما قال هذا سليمان بعد أن قربت منه وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان وأحب أن يأخذ عرشها قبل أن تسلم فلا يحل له أخذ ما لها وذلك قوله ﴿قبل أن يأتي مسلمين﴾ متقادين طائعين ﴿قال عفريت من الجن﴾ وهو المارد القوي الغليظ الشديد ﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ يعني من مجلسك الذي تقضي فيه وكان سليمان يجلس في مجلسه للقضاء غدوة إلى نصف النهار قال مقاتل: قال العفريت: أنا اضع قدمي عند منتهى بصري فليس شيء أسرع مني ﴿وإني عليه﴾ أي على حمله ﴿لقوي أمين﴾ على ما فيه من الذهب والجواهر^(٢) فقال سليمان أريد أسرع من ذلك ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ وهو آصف بن برخيا وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب وهذا قول أكثر المفسرين في الذي عنده علم من الكتاب^(٣) ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ قال سعيد بن جبيرة: قال لسليمان انظر إلى السماء فما طرف حتى جاء به فوضعه بين يديه^(٤) والمعنى حتى يعود إليك طرفك بعد مدة إلى السماء وقال مجاهد معنى ارتداد الطرف ادامة النظر حتى يرتد إليه طرفه خاسئا وعلى هذا معنى الآية أن سليمان يمد بصره إلى اقصاه وهو يديم النظر فقبل أن ينقلب إليه بصره خاسيا يكون قد أتى بالعرش قال محمد بن إسحاق^(٥) انخرق مكان العرش حيث هو هناك ثم نبع بين يدي سليمان^(٦) ونحو هذا روى عكرمة عن ابن عباس: قال جرى تحت الأرض حتى نبع بين يدي سليمان^(٧) وقال الكلبي: خر آصف ساجدا ودعا باسم الله الأعظم فغار عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان، وقال أهل المعاني لا ينكر من قدرة الله أن يعدمه من حيث كان ثم يوجد حيث كان سليمان بلا فصل بدعاء الذي عنده علم من الكتاب ويكون كرامة للولي ومعجزة للنبي، واختلفوا في ذلك الذي دعا به آصف فقال مقاتل ومجاهد: هذا يا ذا الجلال والإكرام وقال الكلبي يا حي يا قيوم اخبرنا محمد بن موسى بن الفضل، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، نا ابن أبي الدنيا، أنا عبد الله بن عمير الخثمي^(٨) عن المنهال بن عيسى عن غالب القطان عن بكر بن عبد الله قال: قال سليمان بن داود لصاحب العرش قد رأيتك ترجع شفيتك فما قلت قال: قلت إلهي وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت ائت به وقوله ﴿فلما رآه مستقراً عنده﴾ في الآية محذوف تقديره فدعا الله فأتى به فلما رآه مستقراً عنده ثابتاً بين يديه ﴿قال هذا من فضل ربي﴾ أي هذا التمكين من حصول المراد من فضل الله وعطائه، قال قتادة: والله ما جعله فخراً ولا بطراً ولكنه جعله منة لله وفضلاً منه ﴿ليلوني﴾ ليختبرني ﴿أشكر﴾ الله فيما أعطاني من نعمة ﴿أم أكفر ومن شكر﴾ ربه ﴿فإنما يشكر لنفسه﴾ لأجل لنفسه يفعل ذلك لأن ثواب شكره يعود إليه ﴿ومن كفر فإن ربي غني﴾ عن شكره ﴿كريم﴾ بالإنصاف على من يكفر نعمه، قال المفسرون: خافت الشياطين أن يتزوج سليمان بلقيس فتفشي إليه أسرار الجن وذلك أن أمها كانت جنية ولا ينفكون من تسخير سليمان وذريته بعده لو تزوجها فأساءوا الشاء عليها ليزهدوه فيها وقالوا: إن في عقلها شيئاً وإن رجلها كحافر الحمار فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتكبير عرشها^(٩) فذلك قوله:

(١) في هـ: بعرشها قبل وهي مكررة

(٢) تفسير ابن جرير ١٠٣/١٩

(٣) تفسير ابن جرير عن ابن إسحاق ١٠٣/١٩.

(٤) تفسير ابن جرير ١٣/١٩

(٥) محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار أبو عبد الله المطلبي انظر تهذيب التهذيب ٣٨/٩

(٦) رواه ابن جرير عن ابن إسحاق عن وهب بن منبه بسند فيه مجهولين ١٠٣/١٩

(٧) تفسير ابن جرير ١٠٤/١٩

(٨) في هـ: الجشمي.

(٩) رواه ابن جرير عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي ١٠٦/١٩

قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿قال نكروا لها عرشها﴾ التنكير التغير يقول غيروا سريرها إلى حال تنكره إذا رأته، قال قتادة ومقاتل: وهو أن يزداد فيه أو ينقص ﴿نظر أتهدي﴾ لمعرفته ﴿أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ [أي من القوم الذين لا يهتدون] (١) ولا يعرفون ﴿فلما جاءت﴾ المرأة ﴿قيل﴾ ﴿أهكذا عرشك﴾ قال مجاهد جعلت تعرف وتنكر وعجبت من حضور عرشها عند سليمان ف ﴿قالت كأنه هو﴾ وقال مقاتل: عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها ولوقيل لها: أهذا عرشك لقالت: نعم، وقال عكرمة: كانت حكمية قالت لئن قلت هو هو خشيت أن أكذب وإن قلت: لا خشيت أن أكذب فقالت: كأنه هو شبهته به قيل لها: فإنه عرشك فما أغنى عنك اغلاق الأبواب وكانت قد خلفته وراء سبعة أبواب لما خرجت فقال ﴿وأوتينا العلم﴾ لصحة النبوة ﴿من قبلها﴾ من قبل الآية في العرش ﴿وكنا مسلمين﴾ طائعين متقادين لأمر سليمان ﴿وصددها ما كانت تعبد من دون الله﴾ أي منعها من التوحيد الذي [كانت] (٢) تعبد من دون الله وهو الشمس، قال الفراء: معنى الكلام وصددها من أن تعبد الله ما كانت تعبد (٣) ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾ استئناف خبر الله تعالى أنها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت فيما بينهم ولم تعرف إلا عبادة الشمس واران سليمان أن ينظر إلى قدمها من غير أن يسألها كشفها إذ قيل له: إن رجلها كحافر الحمار فأمر أن يهيا لها بيت من قوارير فوق الماء ووضع سرير سليمان في صدر البيت و ﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ قال ابن قتيبة: الصرح بلاط اتخذ لها من قوارير (٤) وجعل تحته ماء وسمك (٥) ونحو هذا قال الزجاج في الصرح: إنه الصحن يقال هذه مساحة الدار وصرحة الدار ﴿فلما رأته حسبته لجة﴾ وهي معظم الماء ﴿وكشفت عن ساقها﴾ لدخول الماء قال ابن عباس: لما كشفت عن ساقها رأى سليمان قدماً لطيفاً وساقاً حسناً خدلجاً (٦) أرب فقال لناصحه من الشياطين كيف لي أن أقلع هذا الشعر من غير مضرة للجسد فعلمه عمل النورة (٧) فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما رأى ساقها وقدمها ناداها سليمان ف ﴿قال إنه صرح ممرد من قوارير﴾ أي من الزجاج وليس بماء، قال مقاتل: لما رأت السرير والصرح علمت أن ملك سليمان من الله ف ﴿قالت: رب إنني ظلمت نفسي﴾ بعبادة غيرك ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ اخلصت له التوحيد، قال عون بن عبد الله جاء رجل إلى عبد الله بن عتيبة فسأله هل تزوجها سليمان قال: عهدي بها أن قالت [وأسلمت] (٨) مع سليمان [لله رب العالمين] (٩) يعني انه لا يعلم ذلك وإن آخر ما سمع من حديثها وأسلمت مع سليمان.

(١) ساقط من هـ

(٤) ساقط من هـ

(٢) ساقط من د، هـ

(٥) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٥

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٩٥/٢

(٦) جاء في لسان العرب الخدلجة بتشديد اللام الممتلئة الذراعين والساقين اللسان فصل الخاء حرف الجيم والأرب: الساق دقيق المفاصل لسان العرب فصل الهمزة حرف الباء

(٧) رواه ابن جرير عن أبي صالح انظر تفسير ابن جرير ١٧/١٩

(٩) ساقط من ج، د

(٨) ساقط من جـ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ هِمَّ
تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبَيْنَ
مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾

قوله ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون﴾^(١) أي مؤمنون وكافرون كل فريق يقول الحق معي فقال صالح للفريق المكذب ﴿قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة﴾ أي بالعذاب قبل الرحمة أي لم قلتم إن كان ما تأتينا به حقاً فأتنا بالعذاب ﴿لولا﴾ هلا ﴿تستغفرون الله﴾ من الشرك ﴿لعلكم ترحمون﴾ فلا تعذبون في الدنيا ﴿قالوا طيرنا بك وبمن معك﴾ تشاء منا بك وبمن على دينك وذلك أنهم قحط المطر عنهم، وجاعوا، فقالوا: أصابنا هذا الشر من شؤمك^(٢) وشؤم أصحابك فقال لهم صالح: ﴿طائرکم عند الله﴾ قال ابن عباس الشؤم أتاكم من عند الله بكفرکم، وهذا كقوله ﴿يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله﴾^(٣) وقوله ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ تختبرون بالخير والشر.

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ
وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرًا
مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

﴿وكان في المدينة﴾ يعني التي بها صالح وهي الحجر^(٤) ﴿تسعة رهط﴾ وهم غواة قوم صالح ﴿يفسدون في الأرض﴾ يعملون فيها بالمعاصي ﴿ولا يصلحون﴾ ولا يطيعون الله ﴿قالوا﴾ فيما بينهم ﴿تقاسموا بالله﴾ احلفوا بالله ﴿لنبيته﴾ لنقتلن صالحاً ﴿وأهله﴾ بيئاتاً ومن قرأ بالنون^(٥) كأنهم قالوا أقسموا بالله^(٦) لنفعلن كذا والأمر بالقسم في القراءتين دخل في الفعل معهم ﴿ثم لنقولن لوليه﴾ أي لذي رحم صالح إن سألنا عنه ﴿ما شهدنا مهلك أهله﴾ ما قتلناه وما ندرى من قتله وأهله والمهلك يجوز أن يكون مصدرأ بمعنى الإهلاك ويجوز أن يكون الموضع وروى عاصم بفتح الميم واللام^(٨) يريد الهلاك يقال: هلك [هلاكا]^(٩) هلك مهلكاً وروى

(١) في هـ: ولقد أرسلنا إلى قومه فإذا فريقان يختصمون وهو تحريف.

(٢) في هـ: بشؤمنا

(٣) آية (١٣١) سورة الأعراف

(٤) الحجر: ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام معجم البلدان ٢١/٢٢١

(٥) قراءة (لنبيته) بالنون قرأ بها جميع القراء عدا حمزة والكسائي وخلف فقد قرأوا (لنبيته) بالناء انظر السبعة ص ٤٨٣ والنشر ٢/٣١١

(٦) ساقط من ج، د، هـ

(٧) قراءة عاصم في السبعة لابن مجاهد ص ٤٨٣ والنشر ٢/٣١١

(٨) ساقط من جميع النسخ عدا د، وفي هـ: هلك مهلكاً ومهلكاً.

حفص عنه بفتح الميم وكسر اللام^(١) وهو اسم المكان على معنى ما شهدنا موضع هلاكهم ومكانه قال الزجاج وكان هؤلاء النفر تحالفوا أن يبيتوا صالحاً وأهله ثم ينكروا عند أولياته أنهم فعلوا ذلك أو رأوه وكان هذا مكر عزموا عليه قال الله عز وجل ﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً﴾ جازينهم جزاء مكرهم بتعجيل عقوبتهم ﴿وهم لا يشعرون﴾ بمكر الله بهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم إنا دمرناهم﴾ وقرئ: أنا بالفتح قال الزجاج^(٢) والقراء من كسر استأنف فهو^(٣) يفسر به ما كان قبله مثل قوله: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه إنا صببنا﴾^(٤) ومن فتح رده على اعراب ما قبله جعله تابعاً للعاقبة كأنه قال: العاقبة أنا دمرناهم^(٥)، قال ابن عباس: أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم، وقال مقاتل: نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح فجثم عليهم الجبل فأهلكهم^(٦) وقوله ﴿وقومهم أجمعين﴾ يعني بصيحة جبريل ﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾ قال الزجاج: نصب خاوية على الحال والمعنى فانظر إلى بيوتهم خاوية ﴿بما ظلموا﴾ بظلمهم وشركهم بالله أهلكتناهم حتى صارت منازلهم خاوية خالية ساقطة على عروشها ﴿إن في ذلك﴾ في هلاكهم ﴿لآية لقوم يعلمون﴾ لبرة لمن علم توحيد الله وقدرته ﴿وأنجينا الذين آمنوا﴾ صدقوا صالحاً من العذاب ﴿وكانوا يتقون﴾ الشرك.

وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْتِكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْ لُّوطِ مِّنْ قَرِيْبَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٨﴾

﴿ولوطاً﴾ واذكر لوطاً ﴿إذ قال لقومه﴾ الذين ارسل إليهم ﴿أتأتون الفاحشة﴾ يعني اللواط في قول الجميع ﴿وأنتم تبصرون﴾ وأنتم تعلمون أنها فاحشة وهو من البصر الذي هو العلم وهذه الآيات التي في هذه القصة مفسرة في سورة الأعراف، وقوله ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ قال ابن عباس تجهلون القيامة^(٧) وعاقبة العصيان وقوله ﴿قدرناها من الغابرين﴾ جعلناها بتقديرنا وقضائنا عليها انها من الباقيين في العذاب وما بعد هذا مفسر في سورة الشعراء قوله:

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يَشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حُدَايِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ مَعَهُ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾

(١) انظر: السبعة ص ٤٨٣ والنشر ٣١١/٢

(٢) قراءة (أنا) بالفتح قرأ بها: عاصم وحزمة والكسائي انظر السبعة ص ٤٨٤ والنشر ٣٣٩/٢

(٣) قراءة (إنا) بالكسر قرأ بها: ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر ونافع ويعقوب وخلف انظر السبعة ص ٤٨٤ والنشر ٣٣٩/٢

(٤) سورة عيسى: ٢٤، ٢٥

(٦) انظر تفسير ابن جرير ١٩: ١٠٧

(٧) في هـ: القيامة وهو تصحيف

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٩٦/٢ بتصريف

﴿قل الحمد لله﴾ هذا خطاب لرسول الله ﷺ أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ قال مقاتل هم الانبياء الذين اختارهم الله لرسالته، وقال ابن عباس في رواية أبي مالك هم أصحاب محمد ابن عبد الله ﷺ، وقال في رواية عطاء هم الذين وحدوه وآمنوا به وقال في رواية الكلبي: هم أمة محمد ﷺ اصطفاها الله لمعرفته وطاعته ومعنى السلام عليهم أنهم سلموا مما عذب به الكفار ثم قال مخاطباً المشركين ﴿الله خير أم يشركون﴾ يا أهل مكة أي الله خير لمن عبده أم الأصنام لعابديها إلزام للحجة على المشركين قيل لهم بعدما ذكر هلاك الكفار الله خير أم الأصنام، والمعنى أن الله نجى من عبده من الهلاك والأصنام لم تُغن عن عابديها عند نزول العذاب وكان المشركون يتوهمون في الأصنام وفي عبادتها خيراً فقليل لهم احتجاجاً: الله خير أم تشركون.

قوله ﴿أمن خلق السموات والأرض﴾ تقدير الكلام أما تشركون خير من خلق السموات والأرض ﴿وأُنزل لكم من السماء ماء﴾ يعني المطر ﴿فأنبتنا به خدائق﴾ جمع حديقة وهي كل روضة وحائط وبستان عليه حائط وما لم يكن عليه حائط لا يقال حديقة ﴿ذات بهجة﴾ ذات منظر حسن والبهجة الحسن يتهج به من رآه ﴿ما كان لكم أن تنبتن شجرها﴾ أي ما ينبغي لكم ذلك لأنكم لا تقدرون عليها ثم قال مستفهماً منكراً عليهم ﴿إله مع الله﴾ أي هل معه معبود سواه أعانه على صنعه ﴿بل﴾ ليس معه إله ﴿هم قوم﴾ يعني كفار مكة ﴿يعدلون﴾ يشركون بالله غيره.

أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَكْفُرُونَ ﴿١١﴾

﴿أمن جعل الأرض قراراً﴾ مستقراً لا يميل بأهلها ﴿وجعل خلالها﴾ فيما بينها ﴿أنهاراً﴾ كقوله ﴿وفجرنا خلالها نهراً﴾ (١) ﴿وجعل لها رواسي﴾ جبالاً ثوابت أثبت بها الأرض ﴿وجعل بين البحرين حاجزاً﴾ مانعاً من قدرته بين العذب والملح فلا يختلط أحدهما بالآخر ﴿إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ توحيد ربهم وسلطانهم وقدرته.

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خَلْفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿١٢﴾

﴿أم من يجيب المضطر﴾ المكروب المجهود ﴿إذا دعاه﴾ فيكشف ضره وهو قوله ﴿ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله والمعنى: يهلك قرناً فينشئ آخرين ﴿إله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾ قال ابن عباس: قليلاً ما تعظون ومن قرأ (٢) بالياء فالمعنى: قليلاً تذكر هؤلاء المشركين.

أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بِشْرًا ۗ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾

﴿أمن يهديكم﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿في ظلمات البر والبحر﴾ [وهذا كقوله ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾] (٣).

(١) الكهف: ٣٣

(٢) قراءة (يذكرون) بالياء قرأ بها أبو عمرو وهشام انظر السبعة ص ٤٨٥ والنشر ٣٣٩/٢.

(٣) آية (٩٧) سورة الأنعام والآية ساقط من من هـ.

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعَلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾

﴿أمن يبدأ الخلق﴾ في الارحام من نطفة ﴿ثم يعيده﴾ بعد الموت ﴿ومن يرزقكم من السماء﴾ المطر ﴿ومن الارض﴾ النبات ﴿ءإله مع الله قل هاتوا برهانكم﴾ [حجتكم] (١) ﴿إن كنتم صادقين﴾ ان لي شريكاً صنع من هذه الاشياء.

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكِّ مِمَّا بَلَّ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّآبَاءُنَا أَيْنَا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾

﴿قل لا يعلم من في السموات﴾ يعني الملائكة ﴿والارض﴾ يعني الناس ﴿الغيب﴾ ما غاب عن العباد ﴿إلا الله﴾ وحده ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ ولا يعلمون متى يكون البعث والمعنى أن الله هو الذي يعلم الغيب ويعلم متى البعث لا غيره ﴿بل ادرك علمهم في الآخرة﴾ ادرك معناه تدارك أي تتابع وتلاحق ومنه قوله ﴿حتى إذا ادركوا فيها جميعاً﴾ (٢) وقرأ ابن كثير بل أدرك (٣) أي بلغ ولحقى كما تقول أدركه علمي أي بلغه ولحقه، قال ابن عباس: يريد ما جهلوه في الدنيا وسقط علمه عنهم علموه في الآخرة، وقال السدي: اجتمع علمهم يوم القيامة فلم يشكوا ولم يختلفوا، وقال مقاتل [يقول] (٤): بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا وهو قوله ﴿بل هم في شك منها﴾ بل هم اليوم في الدنيا في شك من الساعة ﴿بل هم منها عمون﴾ جمع عم وهو الاعمى القلب، قال الكلبي: يقول هم جهلة بها وما بعد هذا مفسر في سورة المؤمنين إلى قوله:

لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَّآبَاءُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ والآية ظاهرة ﴿ولا تحزن عليهم﴾ على كفر مكة، والمعنى: على تكذيبهم إياك واعراضهم عنك ﴿ولا تك في ضيق﴾ وقرئ في ضيق بكسر الضاد (٥) وهما الغتان، قال ابن السكيت: يقال في صدر فلان (٦) ضيق أو ضيق وهو ما يضيّق عنه الصدر وهذه الآية مفسرة في آخر سورة النحل.

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾

(١) ساقط من ب

(٢) الأعراف: ٣٨

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بل أدرك انظر السبعة لابن مجاهد ص ٤٨٥ والنشر في القراءات العشر ٢/٣٣٩

(٤) ساقط من ب

(٥) قراءة (في ضيق) بكسر الضاد قرأ بها: ابن كثير ورواية عن نافع انظر السبعة ص ٤٨٥ والنشر ٢/٣٠٥

(٦) ساقط من د، والنص في: إصلاح المنطق لابن السكيت ص ٣٢ ط ثالثة.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾

﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ الذي تعدنا يا محمد من العذاب ﴿إن كنتم صادقين﴾ بأنه يكون ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ يقال: ردف الرجل وأردفته إذا ركبت خلفه قال ابن عباس ﴿ردف لكم﴾ قرب لكم، وقال السدي: أقرب لكم وقال قتادة: أرف لكم، والمعنى: أن الله أمر نبيه ﷺ أن يقول للذين يستعجلون العذاب قدرنا ﴿لكم بعض الذي تستعجلون﴾ من العذاب فكان بعض الذي نالهم ببدن وسائر العذاب لهم فيما بعد الموت ثم ذكر فضله في تأخير العذاب فقال ﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ قال مقاتل: على أهل مكة حين يعجل عليهم بالعذاب ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ ذلك ﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم﴾ تخفي وتستر صدورهم ﴿وما يعلنون﴾ بألسنتهم من عداوتك والخلاف عليك أي إنه يعلم ذلك فيجازيهم به.

قوله ﴿وما من غائبة﴾ أي جملة غائبة ﴿في السماء والأرض﴾ قال المفسرون: ما من شيء غائب وأمر يغيث عن الخلق ﴿في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ إلا هو بين في اللوح المحفوظ، قال مقاتل يريد علم تستعجلون من العذاب هو مبين عند الله ولئن (١) غاب عن الخلق.

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ قال الكلبي إن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزاباً وشيعاً يظن بعضهم على بعض ويتبرأ بعضهم من دين بعض فنزل القرآن بيان ما اختلفوا فيه إن أخذوا به وأسلموا ﴿وإنه﴾ وإن القرآن ﴿لهدي﴾ من الضلالة ﴿ورحمة﴾ من العذاب لمن آمن به ﴿إن ربك يقضي بينهم﴾ قال مقاتل والكلبي: بين أهل الكتاب يقضي بينهم يوم القيامة ﴿بحكمه وهو العزيز﴾ الغالب فلا يمكن رد قضائه ﴿العليم﴾ بما يحكم فهو يقضي بين المختلفين بما لا يمكن أن يرد ﴿فتوكل على الله﴾ ثق به ﴿إنك على الحق المبين﴾ على الدين البين أي إن العاقبة لك بالنصر ثم ضرب للكفار مثلاً فقال ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ شبه كفار مكة بالأموات يقول كما لا يسمع (٢) الميت النداء كذلك لا يسمع (٣) الكافر النداء ﴿ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾ (٤) قال قتادة لو أن أصم ولى مدبراً ثم ناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى إليه من الإيمان ومعنى الآية أنهم لفرط اعراضهم عما يدعون إليه من التوحيد كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه وكالصم الذين لا يسمعون ثم ضرب العمى مثلاً لهم أيضاً فقال: ﴿وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم﴾ أي ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان، وقرأ حمزة تهدي العمى على (٥)

(١) في هـ: وإن

(٢-٣-٤) عدا هـ: تسمع، في هـ: يسمع

(٥) انظر النشر ٢/٣٣٩ والسبعة ص ٤٨٦ في قراءة حمزة (تهدي) بإسكان الهاء وفتح الناء

الفعل وحجته قوله ﴿أفأنت تهدي العمي﴾^(١) والمعنى: أنك لا تهديهم ﴿عن ضلالتهم﴾ لشدة عنادهم ﴿إن تسمع﴾ ما تسمع سماع إفهام ﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾ قال مقاتل: إلا من صدق بالقرآن انه من الله ﴿فهم مسلمون﴾ مخلصون بتوحيد الله قوله:

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾^(٨٢)

﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ قال ابن عباس: حق العذاب عليهم، وقال قتادة: إذا غضب الله عليهم والمعنى: حق ووجب أن ينزل بهم ما قال الله وحكم به من عذابه وسخطه عليهم أي على الكفار الذين تخرج الدابة عليهم وهو قوله ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾ وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، وقال مخلد بن^(٢) الحسين: لا تخرج الدابة حتى لا يبقى أحد يريد أن يؤمن، قالوا وتخرج الدابة من صدر الصفا أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن الحسن التاجر، نا أبو الحسن علي بن عمر الختلي، نا أحمد بن الحسن^(٣) بن عبد الجبار، نا يحيى^(٤) بن معين، نا هشام بن يوسف عن رباح^(٥) بن عبيد الله عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه^(٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «بئس الشعب جباد مرتين أو ثلاثاً قالوا ولم ذلك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين»^(٧) أخبرني أبو عمرو ومحمد بن عبد العزيز في كتابه، أنا أبو الفضل الحدادي، أنا أبو يزيد الخالدي^(٨)، أنا إسحاق بن إبراهيم أنا عمر بن هارون، نا سودة قال كنت مع ابن عباس في مكة وهو على الصفا إذ قرع الصفا بعصاه وهو محرم قد عصب رأسه بشراك وهو يقول: إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وأخبرنا أبو عمرو، أنا أبو الفضل، أنا أبو يزيد، أنا إسحاق بن إبراهيم، أنا عبد الرزاق، نا معمر عن قتادة قال: هي دابة ذات زغب وريش لها أربع قوائم وبهذا الاسناد عن إسحاق أخبرنا النضر بن شميل، نا حماد بن سلمة، نا علي بن زيد، نا أوس^(٩) بن خالد عن أبي هريرة قال: تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم^(١٠) وجه الكافر بالخاتم حتى إن أهل الخوان يجتمعون يقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر^(١١) وقوله: ﴿تكلمهم﴾ قال مقاتل:

(١) يونس: ٤٣

(٢) مخلد بن الحسين الأزدي أبو محمد البصري ت سنة ١٩١ هـ تهذيب التهذيب ١٠/٧٢.

(٣) ساقط من هـ

(٤) يحيى بن معين بن عون الغطفاني ت سنة ٢٠٣ هـ عن سبع وسبعين سنة انظر تذكرة الحفاظ ٢/٤٢٩، العبر ١/٤١٥، طبقات الحفاظ

ص ١٨٥

(٥) رباح بن عبيد الله العمري ميزان الاعتدال ٢/٣٧

(٦) ساقط من ب

(٧) قال الهيثمي رواه الطبراني في الأوسط وفيه رباح بن عبيد الله بن عمر وهو ضعيف مجمع الزوائد كتاب الفتن باب خروج الدابة ٦/٧ ولقد قال صاحب ميزان الاعتدال عن رباح أنه منكر الحديث ونص على حديث (بئس الشعب جباد...) (الميزان ٢/٣٧).

(٨) ساقط من جـ

(٩) أوس بن خالد أبو خالد الحجازي تهذيب التهذيب ١/٣٨٢

(١٠) في ٥: وتخطم

(١١) رواه ابن جرير في تفسيره. ١٠/٢ وأيضاً رواه ابن ماجه مرفوعاً في كتاب الفتن باب دابة الأرض ٢/١٣٥١ والترمذي في كتاب التفسير

سورة النمل وقال حسن غريب ٥/٣٤٠ ط الحلبي وأبو داود في منحة المعبود باب خروج الدابة كتاب الفتن ٢/٢٢١ ولكن في سند

هذا الحديث علي زيد بن جدعان وهو ضعيف الحديث

تكلمهم بالعربية فتقول ﴿إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ تخبر الناس أن أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن والبعث والثواب والعقاب وقرىء أن الناس بفتح الهمزة وكسرهما (١) فمن فتح (٢) اراد تكلمهم الدابة بأن الناس ومن كسر فلأن معنى تكلمهم تقول لهم إن الناس والكلام قول.

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي
وَلَمْ تَحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا
جَعَلْنَا آيَاتٍ لَيْسَ لَيْسَ كُنُوزًا فِيهَا وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

قوله ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا﴾ الفوج الجماعة من الناس كالزمرة وإنما يريد الرؤساء والمتبعين في الكفر حشروا وجمعوا لاقامة الحجة عليهم وقوله ﴿فهم يوزعون﴾ مفسر في هذه السورة ﴿حتى إذا جاؤوا﴾ إلى موقف الحشر (٣) ﴿قال﴾ الله لهم ﴿أكذبتهم بآياتي﴾ هذا استفهام معناه الانكار عليهم والوعيد لهم، قال ابن عباس كذبتهم أنبيائي، ووجدتكم فرائضي وحدودي ﴿ولم تحيطوا بها علماً﴾ قال ابن عباس: ولم تختبروا حتى تفقهوا وتسمعوا، وقال مقاتل ولم يحيطوا علماً أنها باطل ومعنى هذا أكذبتهم غير عالين [بها] (٤) يعني (٥) ولم تتفكروا فيها ﴿ووقع القول﴾ وجب العذاب ﴿عليهم بما ظلموا﴾ بما اشركوا ﴿فهم لا ينطقون﴾ بحجة عن أنفسهم ثم احتج عليهم بقوله ﴿ألم يروا أننا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً﴾ يبصر فيه أي ليبنى فيه الرزق ﴿إن في ذلك﴾ فيما جعلنا ﴿آيات لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى
الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ
جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَأَمِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ
تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ قال ابن عباس: يريد النفخة الأولى ﴿ففزع من في السموات و﴾ من في الأرض (١) أي ماتوا لشدة الخوف كقوله ﴿فصعق من في السموات ومن في الأرض﴾ (٢) والمعنى يبلغ (٣) منهم الفزع إلى أن يموتوا وقوله ﴿إلا من شاء الله﴾ قال ابن عباس: يريد الشهادة وهم [أحياء] (٤) عند ربهم يرزقون وقال الكلبي ومقاتل يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت (٥) وقوله ﴿وكل﴾ أي من الأحياء الذين ماتوا ثم أحيوا ﴿آتوه﴾

(١) قراءة (إن الناس) قرأ بها: ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر انظر السبعة ص ٤٨٧.

(٢) ساقط من هـ، وقراءة (أن الناس) بفتح الهمزة قرأ بها: عاصم وحزمة والكسائي انظر السبعة ص ٤٨٧.

(٣) في هـ، د: الحساب

(٦) ساقط من هـ

(٧) الزمر: ٦٨

(٤) ساقط من د، هـ

(٥) في هـ: من

(٥) في هـ: بمعنى

(٩) ساقط من هـ وقد روى ابن جرير هذا الخبر عن أبي هريرة مرفوعاً بسند فيه مجهولين انظر تفسير ابن جرير ١٣/٢٠

(١٠) رواه ابن جرير مرفوعاً بسند فيه ابن إسحاق انظر تفسير ابن جرير ٢٠/٢٤

يأتون الله يوم القيامة وقرأ حمزة^(١) أتوه على الفعل ﴿داخرين﴾ صاغرين وقد تقدم ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ واقفة في مكانها لا تسير ﴿وهي تمر مر السحاب﴾ حتى تعلق على الأرض فتستوي بها ﴿صنع الله﴾ أي صنع الله ذلك ﴿الذي أتقن كل شيء﴾ أبرم خلق واحكمه ومعنى الاتقان في اللغة الاحكام للأشياء ﴿إنه خبير بما يفعلون﴾ بما يفعل اعداؤه من المعصية والكفر وبما يفعل أولياؤه من الطاعة ومن قرأ بالثاء^(٢) فهو خطاب للكافة^(٣) وقوله ﴿ومن جاء بالحسنة﴾ بكلمة الاخلاص شهادة أن لا إله إلا الله والمعنى من وافى يوم القيامة بالإيمان ﴿فله خير منها﴾ قال ابن عباس: فمنها يصل الخير إليه والمعنى له من تلك الحسنه خير يوم القيامة وهو الثواب والنجاة من العذاب، وخير منها هنا اسم من غير تفضيل ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ قرء بالتثنية والاضافة^(٤) قال أبو علي الفارسي إذا نون يجوز أن يعنى به فزع واحد ويجوز أن يعنى به الكثرة لأنه مصدر والمصادر تدل على الكثرة وإن كانت مفردة الألفاظ كقوله ﴿إن أنكر الاصوات لصوت الحمير﴾^(٥) وكذلك إذا اضيفت يجوز أن يعنى به مفرد ويجوز أن يعنى به كثرة وعلى هذا القراءتان سواء لا فضل بينهما فإن أريد به الكثرة فهو شامل لكل فزع وإن أريد به واحد فتفسيره ما ذكرنا في قوله ﴿الفزع الأكبر﴾^(٦) وقال الكلبي: إذا اطبقت النار على أهلها فزعوا فزعة لم يفزعوا مثلها وأهل الجنة آمنون من ذلك الفزع ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ يعنى بالشرك ﴿فكبت وجوههم في النار﴾ يقال كبت الرجل إذا القيته لوجهه فانكب وأكب، وتقول لهم الخزنة ﴿هل تجزون إلا﴾ جزاء ﴿ما كنتم تعملون﴾ في الدنيا من الشرك أخبرنا أبو عبد الرحمن بن أبي حامد العدل، أنا عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، نا محمد بن القاسم العتكي، نا أبو عبد الله محمد بن موسى المسلي، نا حفص بن عبد الله، نا إبراهيم^(٧) بن طهمان عن عاصم عن زر بن حبيش عن صفوان^(٨) بن عسال المرادي قال قال رسول الله ﷺ «إذا كان يوم القيامة جاء الإيمان والشرك مجتمعان بين يدي الرب عز وجل فيقول الله للإيمان انطلق أنت وأهلك إلى الجنة ويقول للشرك انطلق أنت وأهلك إلى النار قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ من جاء بالحسنة فله خير منها يعني قوله لا إله إلا الله ومن جاء بالسيئة يعني الشرك فكبت وجوههم في النار»^(٩) قوله:

إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَكَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَمْ كُلْ شَيْءًا وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾
وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَتَمَّتْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلْ لِحَمْدِ اللَّهِ
سُبْحَانَ رَبِّيَ عَنِّي ۖ فَتَعَرَّفُوا بِهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

(١) قرأ حمزة وخلف وعاصم بفتح وقصر الهمزة انظر السبعة ص ٤٨٧ النشر في القراءات العشر ٢/٣٣٩

(٢) قراءة (تفعلون) بالثاء قرأ بها: حمزة والكسائي ونافع وأبو جعفر وخلف انظر السبعة ص ٤٨٧

(٣) في هـ، د للكافرين.

(٤) قرأ عاصم وحمزة والكسائي (من فزع يومئذ) بفتح الميم ولا يجوز مع التثنية إلا فتح الميم فإذا لم تتون جاء الفتح والكسر انظر السبعة (٤٨٧) والنشر ٢/٣٣٩

(٥) لقمان: ١٩

(٦) الأنبياء: ١٠٣

(٧) إبراهيم بن طهمان بن شعبة الخراساني أبو سعيد الهروي ت سنة ١٦٨ تاريخ بغداد ٦/١٠٥، تذكرة الحفاظ ١/٢١٣، تهذيب التهذيب - طبقات الحفاظ ١٢٩/١

(٨) صفوان بن عسال المرادي الجملي. تهذيب التهذيب ٤/٤٢ أسد الغابة ٣/٢٧

(٩) رواه ابن مردويه بلفظ الإخلاص الدر المنثور ٦/٣٨٢ رواه الحاكم في الكنى انظر الدر المنثور.

﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها﴾ وهي مكة جعلها الله حرماً آمناً من القتل فيها والسبي والظلم^(١) فلا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها ﴿وله كل شيء﴾ لأنه خالقه ومالكه ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ المخلصين لله بالتوحيد ﴿وأن أتلو القرآن﴾ عليكم يا أهل مكة يريد تلاوة الدعوة إلى الإيمان ﴿فمن اهتدى إنما يهتدي لنفسه﴾ له ثواب اهتدائه ﴿ومن ضل﴾ عن الإيمان بالقرآن واخطأ طريق الهدى ﴿فقل إنما أنا من المنذرين﴾ من المخوفين فليس علي إلا البلاغ وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال ﴿وقل الحمد لله﴾ على نعمه^(٢) ﴿سيركم آياته﴾ قال مقاتل يعني العذاب في الدنيا والقتل بيدر ﴿فتعرفونها﴾ حين تشاهدونها^(٣) على نعمة النبوة ثم أراهم ذلك وضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وعجلهم الله إلى النار ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾ وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم.

(١) في ه الكلم وهو تصحيف.

(٢) ساقط من جـ

(٣) في هـ: تشاهدونها ثم أراهم... الخ.

سورة القصص

مكية وآياتها ثمان وثمانون

أخبرنا أبو سعد محمد بن علي بن أحمد الخفاف، نا محمد بن جعفر بن مطر، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن مسيلم المدائني، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال قال لي رسول الله ﷺ: «ومن قرأ طسم القصص لم يبق ملك في السماوات والارض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقاً أن كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون»^(١).

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتَلُوهُ عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُكِنُّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين﴾ تقدم تفسيره قال قتادة: مبين والله بركته وهدهاء ورشده فهذا من بان^(٢) بمعنى ظهر، وقال الزجاج: مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام وهذا من آيات بمعنى أظهر ﴿نتلوا عليك﴾ قال ابن عباس: نوحى إليك ﴿من نبأ موسى وفرعون﴾ من خبرهما وحديثهما [﴿بالحق﴾]^(٣) بالصدق الذي لا ريب فيه ﴿لقوم يؤمنون﴾ يصدقون بالقرآن ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ قال المفسرون: استكبر وتجبّر وبغى وتعاضم^(٤) في أرض مصر، قال الليث: العلو العظمة والتجبّر يقال علا الملك علواً إذا تجبر ومنه قوله ﴿لا يريدون علواً في الأرض﴾^(٥) ﴿وجعل أهلها شيعاً﴾ فرقا وأحزاباً في الخدمة والتسخير ﴿يستضعف طائفة منهم﴾ يعني بني إسرائيل ثم فسر ذلك فقال ﴿يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم﴾ بترك البنات فلا يقتلن ويقتلن الإبناء وذلك لأن بعض الكهنة قال له^(٦): إن

(١) لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم، والحج.

(٢) في هـ: إيمان.

(٣) ساقط من جـ.

(٤) فيما عدا جـ: تعظم.

(٥) آية (٨٣) القصص والنص في تهذيب اللغة للازهري ١٨٣/٣ بدون ذكر لليث.

(٦) في هـ: قالوا.

مولوداً يولد في بني إسرائيل [يكون] (١) سبب ذهاب ملكك (٢) قال الزجاج: والعجب من حرق فرعون إن كان هذا الكاهن عنده صادقاً فما ينفع القتل وإن كان كاذباً فما معنى القتل وقوله ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْذِينَ﴾ بالقتل والعمل بالمعاصي ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [أي ننعم عليهم] (٣) وهم بنو إسرائيل ﴿وَنَجْعَلُهُمْ أَتَمَّةً﴾ يقتدى بهم في الخير، وقال قتادة: ولاة وملوكاً، وقال مجاهد: دعاة إلى الخير ﴿وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ لملك فرعون يخلفونه بعده في مساكنه ﴿وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: نملكهم ما كان يملك فرعون وقومه ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (٤) أي ما كانوا يخافونه من المولود الذي يذهب ملكهم على يده وقرأ حمزة (٥) ويرى بالياء فرعون وما بعده رفعاً والاختيار قراءة العامة ليكون الكلام من وجه واحد، قوله:

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ
إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَأَلْقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ
وَهُمَّنَّ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَّ لَا نَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ
يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ قال قتادة: قذفنا في قلبها وليس بوحى إرسال، وقال مقاتل: أتاها جبريل بذلك. أخبرنا أبو الحسن بن أبي نصر السوادى، أنا محمد بن عبد الله بن [محمد] (٦) بن نعيم، أنا الحسن بن محمد الإسفريني، نا محمد بن البراء (٧)، أنا عبد المنعم بن ادريس (٨) عن أبيه (٩) عن وهب بن منبه قال: لما حملت أم موسى بموسى عليه السلام كتمت أمرها [من] (١٠) جميع الناس فلم يطلع على جبلها أحد من خلق الله وذلك شيء ستره الله لما أراد أن يمن على بني إسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها موسى بعث فرعون القوابل وتقدم اليهن ففتش النساء تفتيشاً لم يفتشه قبل ذلك وحملت أم موسى بموسى فلم يئم بطنها ولم يتغير لونها ولم يظهر لبنها وكانت القوابل لا يعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها موسى ولدته أمه ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم وأوحى الله إليها أن أرضعيه فإذا خفت عليه ﴿فألقيه في اليم﴾ قال فكتمت أمه ثلاثة أشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك فلما خافت عليه عملت له تابوتاً مطبقاً ومهدت له فيه ثم ألقت في البحر ليلاً كما أمرها الله فلما أصبح فرعون جلس في مجلسه على شاطئ النيل فبصر بالتابوت فقال لمن حوله من خدمه إيتوني بهذا التابوت فاتوه به فلما وضع بين يديه فتحوه فوجد فيه موسى عليه السلام فلما نظر إليه فرعون قال عبراني (١١) من الاعداء فعاظه ذلك فقال كيف أخطأ هذا

(١) ساقط من هـ.

(٢) ساقط من جميع النسخ عدا جـ.

(٣) رواه ابن جرير عن السدي ١٨/٢.

(٤) من جـ.

(٥) قراءة (ويرى) بالياء وفتحها وإمالة فتحة الراء بعدها قرأ بها حمزه والكسائي وخلف انظر النشر ٣٤١/٢.

(٦) ساقط من جـ.

(٧) في هـ: القراء.

(٨) عبد المنعم بن ادريس قصاص مشهور. ت سنة ٢٢٨ هـ ميزان الاعتدال ٢/٦٦٨.

(٩) ادريس بن سنان اليماني أبو الياس الصنعاني تهذيب التهذيب ١/١٩٤.

(١٠) ساقط من هـ.

(١١) يقصد به اسرائيلي من نسل يعقوب حيث يطلق عليهم العبرانيين.

الغلام الذبيح؟ وكان فرعون قد استنكح امرأة من بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت أما للمسلمين ترحمهم وتتصدق عليهم وتعطيهم ويدخلون عليها فقالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه^(١) هذا الوليد أكبر من ابن سنة وإنما أمرت أن يذبح الولدان لهذه السنة فدعه يكون قرّة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذة ولدأ وهم لا يشعرون ان هلاكهم على يديه فاستحياه فرعون وومقه وألقى الله عليه محبته ورأفته وقال لامرأته عسى أن ينفعك فأما أنا فلا أريد نفعه، قال وهب قال ابن عباس: لو أن [عدو]^(٢) الله قال في موسى كما قالت امرأته آسية ﴿عسى أن ينفعنا﴾ لنفعه الله به ولكنه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه وحرم الله موسى المراضع ثمانية أيام ولياليهن كلما أتى بمرضعة لم يقبل ثديها فرق له فرعون ورحمه وطلب له المراضع وذكر وهب حزن أم موسى وبكاءها عليه حتى كادت أن تبدي به ثم تداركها الله برحمته وربط على قلبها وقالت لأختة تنكري واذهبي مع الناس فانظري ماذا يفعلون به فدخلت اخته مع القوابل على آسية بنت مزاحم فلما رأت وجدهم بموسى وحبهم له ورقتهم عليه قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه له وهم له ناصحون إلى أن رد إلى أمه فمكث موسى عند أمه إلى أن فطمته ثم رده فنشأ موسى^(٣) في حجر فرعون وامرأته يربانه بأيديهما واتخذة ولدأ فبينا هو يلعب يوماً بين يدي فرعون ويده قضيب به إذ رفع القضيب فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير^(٤) من ضربه حتى هم بقتله فقالت آسية [بنت مزاحم]^(٥) لا تغضب ولا يشقن عليك فإنه صبي صغير لا يعقل جربه إن شئت اجعل في هذا الطشت جمرأ وذهباً فانظر على أيهما يقبض فأمر فرعون بذلك فلما مد موسى يده ليقبض على الذهب قبض الملك الموكل به على يده فردها إلى الجمرة فقبض عليها موسى فألقاها في فيه ثم قذفها حين وجد حرارتها فقالت آسية لفرعون ألم أقل لك إنه لا يعقل شيئاً فكف عنه فرعون وصدقها وكان أمر بقتله ويقال إن العقدة التي كانت في لسان موسى [إنه]^(٦) أثر تلك التي التقمها^(٧).

وقوله ﴿ولا تخافي ولا تحزني﴾ قال مقاتل: قالت المرأة رب إنني قد علمت أنك قادر على ما تشاء ولكن كيف لي أن ينجو صبي صغير من عمق البحر ويطون الحيتان فأوحى الله إليها لا تخافي عليه الضيعة فإني أوكل به ملكاً يحفظه في اليم ولا تحزني لفراقه ﴿إنا رادوه إليك﴾ لتمام رضاعه لتكوني أنت ترضعينه^(٨) ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ إلى أهل مصر ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ الالتقاط إصابة الشيء من غير طلب والمراد بآل فرعون الذين أخذوا تسابوت موسى من البحر ﴿ليكون لهم [عدواً] وحزناً﴾^(٩) وقرىء وحزناً^(١٠) وهما لغتان مثل السقم والسقم وبابه ومعنى ليكون ليصير الامر إلى ذلك لا أنهم أخذوه لهذا كما تقول للذي كسب مالاً فأداه ذلك إلى الهلاك إنما كسب فلان لحتفه وهو لم يطلب المال طلباً للحتف ﴿وقالت امرأة فرعون﴾ مضى تفسيره إلى قوله^(١١) ﴿أو نتخذة ولدأ﴾ قال المفسرون: كانت لا

(١) في هـ جنبها.

(٢) ساقط من أ، جـ.

(٣) في هـ: فنشأ موسى عليه السلام في حجر فرعون عليه اللعنة.

(٨) في ب: مرضعته.

(٩) ساقط من جـ.

(١٠) قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم الحاء واسكان الزاي وقرأ الباقون بفتحها السبعة ٤٩٢ والنشر ٣٤١/٢.

(١١) أي في سورة طه.

(٤) أي تشاءم

(٥) ساقط من ب، د.

(٦) ساقط من جميع النسخ عدا د.

(٧) هذا من الاسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب وتجاوز روايتها طالما لم تخالف امرأ من أمور العقيدة الإسلامية.

تلد فاتخذت موسى ولداً لها وقوله ﴿وهم لا يشعرون﴾. أخبر الله أن هلاكهم بسببه^(١) وهم لا يشعرون بذلك.

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّبِيهٖ فَبَصَّرْتَهُ بِهِ ۖ إِنَّ رَبَّنَا عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُم نَصِيحَةٌ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ أي خالياً من الصبر والحزن لشدة الوجد به والخوف عليه^(٢)، والمفسرون يقولون: فارغ من كل شيء إلا من أمر موسى كأنها^(٣) لم تهتم لشيء مما يهتم به الحي إلا لأمر ولدها ﴿إن كادت لتبدي به﴾ كادت تخبر أن هذا الذي وجدتموه في التابوت هو ابني وقال سعيد بن جبير: كادت تقول: وإبناه من شدة الجزع، وقال مقاتل: كادت تصيح شفقة عليه من الفرق والمعنى: أنها همت أن تشعر أهل مصر بأن موسى ولدها ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ بالصبر واليقين، قال الزجاج: ومعنى الربط على القلب إلهام الصبر وتقويته ذكرنا ذلك عند قوله ﴿وليربط على قلوبكم﴾^(٤) ﴿لتكون من المؤمنين﴾ المصدقين بوعد الله حين قال لها: ﴿إنا رادوه إليك﴾ ﴿وقالت لأختي﴾ لأخت موسى ﴿قصيه﴾ اتبعي أثره وانظري أين وقع وإلى من صار واعلمي^(٥) علمه يقال: قصصت الشيء إذا تتبعته أثره متعرفاً حاله قصاً وقصصاً ﴿فبصرت به﴾ أبصرته ﴿عن جنب﴾ عن بعد تبصره ولا تتوهم أنها تراه، قال الفراء: كانت على شاطئ البحر حين رأت آل فرعون قد التقطوه وهم لا يعلمون أنها أخته وأنها ترقبه^(٦)، قال ابن عباس: إن امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد له مرضعة تأخذه منها فكلما أتوه بمرضعة لم يأخذ ثديها فذلك قوله ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾ وهي جمع مرضعة قال سعيد بن جبير: لا يؤتى بمرضع فيقبلها وقوله ﴿من قبل﴾ أي من قبل أن يرده إلى أمه ومن قبل أن تأتيه أمه وذلك أن الله تعالى أراد أن يرده إلى أمه فمنعه من قبول ثدي المراضع فلما تعذر عليهم رضاعته ﴿فقال﴾ أختي ﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ أي يضمنون لكم القيام به ورضاعه ﴿وهم له ناصحون﴾ يشفقون عليه وينصحونه قالوا لها: من؟ قالت: أمي! قالوا: ولأمك لبن؟ قالت نعم لبن هارون، وكان هارون ولد في سنة لا يقتل فيها صبي فقالوا صدقت فدلتهم على أم موسى فدفع إليها تربيته فلما وجد الصبي ربح أمه قبل ثديها وأتم الله لها ما وعدا وهو قوله ﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها﴾ بولدها ﴿ولا تحزن﴾ لفراقه^(٧) ﴿ولتعلم أن وعد الله﴾ بولد لها إليها ﴿حق﴾ علم وعيان^(٨) ومشاهدة ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الله وعدا رده إليها.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ ۖ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغْنَىٰ ۗ الَّذِي مِّنْ شِيعَتِهِ ۖ عَلَىٰ الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ ۖ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي

(١) في د، هـ في سبه.

(٢) في هـ، ج، والحزن.

(٣) في ج، فإنها.

(٤) الانفال: ١١.

(٥) في هـ: واعلي.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/٣٠٣.

(٧) في ب، د، على فراقه وفي هـ: على فراقها.

(٨) فيما عدا هـ: وعيان.

فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٤﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً
لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٥﴾

﴿ولما بلغ أشده﴾ قال مجاهد: ثلاثاً وثلاثين سنة ﴿واستوى﴾ استواؤه: أربعون سنة وهو قول ابن عباس وقتادة: ﴿آتيناه حكماً وعلماً﴾ يعني الفقه والعقل والعلم في دينه ودين آبائه فعلم موسى وحكم قبل أن يبعث نبياً وهذه الآية مفسرة في سورة يوسف ﴿وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة﴾ قال السدي: ركب فرعون وموسى غير شاهد^(١) فلما جاء موسى قيل له إن فرعون قد ركب مركب في أثره فأدركه المقيبل بأرض يقال لها متف^(٢) وهو قوله ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ قال ابن عباس: في الظهيرة عند المقيبل وقد خلت الطريق ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه﴾ أحدهما إسرائيلي والآخر قبطي يسخر الإسرائيلي ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ فاستنصر الإسرائيلي^(٣) موسى على القبطي ﴿فوكزه موسى﴾ الوكز: الضرب بجميع الكف ﴿ففضى عليه﴾ أي قتله وكل شيء فرغت منه وأتممته فقد قضيت عليه وقضيته وكان موسى شديد البطش وكرز القبطي وكزة قتله منها وهو لا يريد قتله ﴿قال هذا من عمل الشيطان﴾ أي هيج غضبي حتى ضربت هذا ﴿إنه عدو﴾ لابن آدم ﴿مضل﴾ [له]^(٤) ﴿مبين﴾ عداوته وكان ذلك قتل خطأ لأنه لم يقصد القتل وندم على ما فعل لأنه لم يؤمر به ثم استغفر ف ﴿قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت علي﴾ بالمغفرة ﴿فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ قال ابن عباس: عوناً للكافرين وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً وهو قول مقاتل، وقال قتادة: لن أعين بعدها على فجرة.

فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٦﴾
فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قُتِلْتَ نَفْسًا يَا لَأَمْسٍ إِنْ تُرِيدُ
إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلِحِينَ ﴿١٧﴾

﴿فأصبح في المدينة﴾ يعني: تلك المدينة التي فعل فيها ما فعل من قتل القبطي ﴿خائفاً يترقب﴾ ينتظر سوءاً يناله منهم والترقب: انتظار المكروه وقال الكلبي: ينتظر متى يؤخذ به ﴿فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه﴾ فإذا صاحبه الإسرائيلي الذي استنقذه بالأمس يقاتل فرعونياً يريد أن يسخره وهو يستغيث بموسى عليه السلام والاستصراخ: الاستغاثة ف ﴿قال له [موسى] إنك لغوي مبين﴾^(٥) قال ابن عباس ومقاتل لمضل بين قتلت أمس بسبيك^(٦) رجلاً وتدعوني اليوم على آخر وعلى هذا الغوي فعيل بمعنى المغوي كالوجيع والأليم، ويجوز أن يكون بمعنى الغاوي أي إنك غاوي في قتالك من لا تطيق دفع شره عنك ثم أقبل موسى

(١) في هـ: ركب موسى وفرعون غير شاهد.

(٢) منف: مدينة فرعون بمصر بينها وبين الفسطاط تسعة أميال وبينها وبين عين شمس أحد عشر ميلاً معجم البلدان ٥/ ٢١٤.

(٣) في جـ، فاستظهر.

(٤) ساقط من هـ.

(٥) ساقط من هـ.

(٦) في أ، ب: في سبيك وفي هـ: قتلت في سبيك.

إليهما وهم أن يبطش الثانية بالقبطي وهو قوله: ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما﴾ أي بالقبطي الذي هو عدو لموسى الإسرائيلي ظن الإسرائيلي أن موسى يريد أن يبطش به لقوله ﴿إنك لغوي مبين﴾ ف ﴿قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس﴾ ولم يكن علم أحد من قوم فرعون أن موسى هو الذي قتل القبطي بالأمس حتى أفشى عليه الإسرائيلي وسمع القبطي ذلك فأتى فرعون فأخبره، وقوله ﴿إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض﴾ أي تريد إلا أن تكون قتالاً بالظلم، قال الزجاج: الجبار في اللغة الذي لا يتواضع لأمر الله والقاتل بغير حق جبار لم يعلم فرعون أن موسى قتل القبطي أمر يقتل موسى عليه السلام وعلم بذلك رجل من شيعة موسى فاتاه فأخذه وهو يهول:

وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾

﴿وجاء رجل﴾ [رجل] (١) من أقصى المدينة ﴿يسعى﴾ (٢) أي من آخرها وأبعدها ﴿يسعى﴾ على رجليه، قال ابن عباس هو: حبريل مؤمن آل فرعون (٣) ﴿قال يا موسى إن الملأ ياتمرون بك﴾ قال أبو عبيدة: يتشاورون فيك ليقتلوك (٤)، يعني أشرف قوم فرعون، وقال الزجاج: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك ﴿فاخرج﴾ من القرية ﴿إني لك من الناصحين﴾ في أمري إياك بالخروج ﴿فخرج منها خائفاً يترقب﴾ مر تفسيره ﴿قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ يعني المشركين أهل مصر. ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ أي قصدتها ونحوها، قال الزجاج: أي [سلك] (٥) [سبيلاً] (٦) في الطريق الذي يلقى مدين فيها وكان قد خرج بغير زاد ولا حذاء ولا ظهر (٧) وهو على مسيرة ثمانية أيام من مصر ولم يكن له بالطريق علم ف ﴿قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ أي يرشدني قصد الطريق إلى مدين ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ قال ابن عباس: ورده وإنه ليرأى خضرة البقل في بطنه من الهزال ﴿وجد﴾ [عليه] (٨) على ذلك الماء ﴿أمة﴾ جماعة ﴿من الناس﴾ وهم الرعاة ﴿يسقون﴾ مواشيهم ﴿ووجد من دونهم﴾ من سوى الأمة ﴿امراتين﴾ وهما ابنتي شعيب ﴿تذودان﴾ تحبسان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس ويخلوا لهما البئر هذا قول المفسرين ومعنى الذود في اللغة الدع (٩)

(١) ساقط من جـ.

(٢) في أ: من أقصى المدينة يسمى. وهي مكررة.

(٣) وقيل شمعون بن إسحاق ولكن لم يرد بهذا حديث مرفوع يعتمد عليه انظر تفسير الألوسي ٥٨/٢٠.

(٤) مجاز القرآن لابي عبيدة ١٠٠/٢.

(٥) ساقط من ب.

(٦) ساقط من هـ.

(٧) في هـ، ولا ظهير. والظهير يقصد به ما يركب من ناقة أو جمل أو نحوها.

(٨) ساقط من جـ.

(٩) في أ، د، والرفع.

والطرد والكف ومعنى تذودان تدفعان [وتكفان] ^(١) ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما ألا تسقيان ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرَّعَاءُ﴾ أي حتى يصدر مواشيهم من ورادهم فيخلوا لنا الموضع وقرىء يصدر من ^(٢) صدر وهو ضد ورد والمعنى حتى يرجعوا من سقيهم والرعاء جمع راع قال ابن عباس ^(٣): قَالَتَا نَحْنُ امْرَأَتَانِ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَزَاحِمَ الرَّجَالَ ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أن يسقي ماشيته من الكبر فلذلك ^(٤) احتجنا ونحن نساء أن نسقي الغنم فقال لهما موسى أين الماء فانطلقتا [به] ^(٥) إلى الماء فإذا هو بحجر على رأس البئر لا يزيله إلا عصابة من الناس فرفعه موسى بيده وحده ثم أخذ الدلو فأدلى دلوا واحداً فأفرغه في الجومن ثم دعا بالبركة فسقى الغنم فرويت فذلك قوله ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ أي سقى أغنامهما لأجلهما ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ ثم انصرف إلى ظل شجرة فجلس تحتها من شدة الحر وهو جائع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال ابن عباس: سأل نبي الله فلق خبز ^(٦) يقيم صلبه وقال سعيد بن جبیر عن ابن عباس: لقد قال موسى رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر إلى شق ثمرة، ولقد أصابه الجوع، وقال مجاهد: ما سأله إلا الخبز واللام في قوله لما أنزلت إلي معناها إلى، قال الاخفش: يقال هو فقير له وإليه، قال محمد بن اسحاق: فرجعتا إلى أبيهما في ساعة كانتا لا ترجعان فيها فأنكر شأنهما وسألتهما فأخذتا الخبز فقال لإحدهما علي به فرجعت الكبرى إلى موسى عليه السلام لتدعوه فذلك قوله:

فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ آتِيَةٌ بِخُبْرٍ أَخْبَرْتَنِي بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ^(١٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّكَ اسْتَعْجِرُهُ
إِنَّكِ خَيْرٌ مِمَّنْ اسْتَعْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ^(١٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي
ثُمَّ نِيَّ حِجَابٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّالِحِينَ ^(١٧) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
وَكَفِيلٌ ^(٢٨)

﴿فجاءته إحدهما تمشي على استحياء﴾ أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن الفضل، أنا عبد المؤمن ^(٧) بن خلف النسفي، نا محمد بن حميد ^(٨)، نا يحيى بن المغيرة، نا عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن أبي حازم قال: لما رجعتا إلى أبيهما أخبرناه خبره

(١) ساقط من جـ.

(٢) قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو عمرو بفتح الياء وضم الدال وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الدال السبعة لابن مجاهد (٤٩٢).

(٣) في ب، د، هـ: ابن إسحاق.

(٤) فيما عدا هـ أي فلذلك.

(٥) ساقط من هـ.

(٦) بياض في هـ.

(٧) عبد المؤمن بن خلف بن طفيل التميمي النسفي ولد سنة ٢٥٩، ت سنة ٣٤٦ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٣/٨٦٤، العبر ٣/٢٦٥، طبقات

الحفاظ ص ٣٥٤.

(٨) في أ: محمد بن عبد بن حميد وهو تحريف وهو محمد بن حميد بن حبان التميمي الرازي أبو عبد الله الحافظ. لسان الميزان ٦/٨٢٣.

فقال أبوهما وهو شعيب عليه السلام ينبغي أن يكون هذا رجلاً جائعاً ثم قال لإحدهما اذهبي فادعيه لي فلما أتته غطت وجهها ﴿قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ فلما قالت أجر ما سقيت لنا كره ذلك موسى وأراد أن لا^(١) يتبعها ولم يجد بدا من أن يتبعها لأنه كان في أرض مسبعة وخوف فخرج معها وكانت الريح تضرب ثوبها فتصف لموسى عجزاها وكانت ذات عجز فجعل موسى يعرض عنها مرة وبعض مرة فناداها يا أمة الله كوني خلفي وأزيني. السم^(٢) بقولك فلما دخل على شعيب إذا هو بالعشاء يهياً فقال له شعيب عليه السلام: اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى أعوذ بالله فقال له شعيب^(٣) ولم ذاك ألتست بجائع؟ قال: بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما وإن من أهل بيت لا يبيع شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً فقال له شعيب: لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام قال: فجلس موسى يأكل أخبرني أبو عمرو ومحمد بن عبد العزيز كتابة^(٤)، أنا محمد بن الحسن الحدادي، أنا محمد بن يزيد، أنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أنا النضر بن سهيل، أنا إسرائيل، أنا أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه [في قوله]^(٥) فجاءته إحداها تمشي على استحياء قال^(٦): ليست بسلفع من^(٧) النساء خراجه ولاجة جاءته على استحياء قائلة بثوبها على وجهها أي مستتره بكم درعها وقوله ﴿فلما جاءه﴾ أي جاء موسى شعيباً عليهما السلام ﴿وقص عليه القصص﴾ يعني أمره أجمع من قتله القبطي وأنهم يطلبونه ليقتلوه ﴿قال﴾ له شعيب ﴿لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ أي لا سلطان له بأرضنا ولنا مملكتنا ﴿قالت إحداها﴾ وهي الكبرى ﴿يا أبت استأجره﴾ اتخذته أجيراً ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ إن خير من استعملته من قوي على العمل وأداء الأمانة قال عمر رضي الله عنه بالإسناد الذي ذكرنا لما قالت المرأة هذا قال شعيب وما علمك بأمانته وقوته قالت أما قوته فإنه رفع الحجر الذي لا يرفعه كذا كذا، وأما أمانته [فإنه]^(٨) قال لي أمشي خلفي فإنني أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي جسدك وقال مجاهد: القوي في نزع الحجر عن قم البئر وكان لا يستطيعه إلا النفر الأمين في غض طرفه عنها حين سقى لهما فصدرتا وقد عرفتا قوته وأمانته فلما ذكرت المرأة من حاله ما ذكرت زاده ذلك رغبة فيه فـ ﴿قال أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين﴾ أي أزوجهما ﴿على أن تأجرني ثماني حجج﴾ على أن تكون أجيراً لي ثماني سنين، قال الفراء: يقول أن تجعل ثوابي أن ترعى علي غنمي ثماني حجج^(٩) ﴿فإن أتممت عشراً فمن عندك﴾ أي ذلك تفضل^(١٠) منك ليس بواجب عليك ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ في العشر ﴿ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ قال عمر رضي الله عنه أي في حسن الصحبة والوفاء بما قلت. أخبرنا أبو الفتح محمد بن عمر الكوفي أنا علي بن الحسن^(١١) بن بندار، أنا أبو عبيد الله محمد بن إسحاق الرملي، نا هشام بن عمار،

(١) ساقط من جـ.

(٢) السم: السير على الطريق بالظن وقيل هو السير بالحدس وسمت الطريق قصده. اللسان فصل السين حرف التاء.

(٣) يياض في هـ.

(٥) ساقط من جميع النسخ عدا جـ.

(٤) فيما عدا جـ: في كتابه.

(٦) في هـ: قالت.

(٧) السلفع: البذينة الفحاشة قليلة الحياء الجريئة على الرجال اللسان فصل السين حرف العين.

(٨) ساقط من حـ.

(٩) معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٥.

(١٠) في ب: بتفضل.

(١١) علي بن الحسن بن بندار الاسترابادي ميزان الاعتدال ٣/١٢١.

في د: يحيى بن سعيد وهو بجير بن سعيد الخولي أبو خالد الحمصي تهذيب ١/٤٣١.

نا إسماعيل بن عباس، نا يحيى بن سعيد (١) عن خالد بن معدان عن شداد (٢) بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: بكى شعيب النبي ﷺ من حب الله تعالى حتى عمي فرد الله عليه بصره وأوحى الله إليه يا شعيب ما هذا البكاء، أشوقاً إلى الجنة أم خوفاً من النار فقال: إلهي وسيدي أنت تعلم أي ما أبكي شوقاً إلى جنتك ولا خوفاً من النار ولكن اعتقدت (٣) حيك بقلبي فإذا نظرت إليك فما أبالي بالذي تصنع بي فأوحى الله إليه يا شعيب إن يكن ذلك حقاً فهنيئاً لك لقائي، يا شعيب: لذلك أخدمتك موسى بن عمران كليبي ﴿قال﴾ موسى لشعيب ﴿ذلك بيني وبينك﴾ أي ذلك الذي وضعت وشرطت علي ملكك وما شرطت لي من تزوج إحداهما فلي فالأمر بيننا، وتم الكلام ثم قال: ﴿أيما الأجلين﴾ من الثماني إلى العشر ﴿قضيت﴾ أتممت وفرغت منه ﴿فلا عدوان علي﴾ لا ظلم علي بأن أكلف أكثر منه أو أطالب بالزيادة عليه ﴿والله على ما نقول وكيل﴾ قال ابن عباس ومقاتل شهيد فيما بيني وبينك.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ٢٩﴾ ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْأَوْدِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمْوَسِ إِفْتِ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسِ أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ٣١﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرَّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ٣٢﴾ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ٣٣﴾

﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الزاهد، أنا محمد بن [محمد] (٤) ابن الفضل التاجر، أنا أحمد بن [عبد الله بن] (٥) الحسن الحافظ، نا عبد الرحمن بن بشر، نا موسى (٦) عبد العزيز القنباري، نا الحكم بن (٧) أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال «سئل رسول الله ﷺ أي الأجلين قضى موسى؟ قال أوفاهما وأطيبهما» (٨) أخبرنا أحمد بن (٩) إبراهيم الأصفهاني، أنا أبو الحسن النجار، نا سليمان بن أيوب الطبراني، نا محمد بن محمد بن أحمد بن (١٠) جعفر الرازي، نا الوليد بن (١١) شجاع، نا

(١) فيما عدا د بجير بن سعد وهو تصحيف وهو يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو بن سهل بن ثعلبة ت سنة ١٤٣ هـ تهذيب التهذيب ٢٢١/١١ وإسماعيل بن عباس بن سلم العنسي أبو عتبة الحمصي ت سنة ١٨١ هـ ضعف تهذيب التهذيب ٣٢٥/١ وخالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي أبو عبد الله الشامي الحمصي ت سنة ١٠٣ هـ تهذيب التهذيب ١١٩/٣.

(٢) شداد بن أوس بن ثابت الانصاري البخاري أبو يعلى المدني ت سنة ٥٨ هـ عن خمس وسبعين سنة تهذيب التهذيب ٣١٥/٤.

(٣) في هـ عقدت، وحديث بكاء شعيب هذا لم أعثر له على أصل.

(٤ + ٥) ساقط من د وفي هـ: أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ.

(٦) موسى بن عبد العزيز اليماني العدني ت سنة ١٥٤ هـ عن أربع وثمانين سنة انظر تهذيب التهذيب ٤٢٣/٢.

(٧) الحكم بن أبان العدني أبو عيسى ت سنة ١٥٤ هـ عن أربع وثمانين سنة انظر تهذيب التهذيب ٤٢٣/٢.

(٨) في هـ: أباهما وقد روى البخاري هذا الخبر في كتاب الشهادات باب من أمر بانجاز الوعد وفعلة الحسن ٢٣٦/٣ ط الشعب موقوفاً على ابن عباس، وقد رفعه الحاكم إلى النبي ﷺ بلفظ أبدهما المستدرك كتاب التفسير سورة القصص.

(٩) أحمد بن إبراهيم بن محمد الاصبهاني ت سنة ٤٢٨ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٣/١٠٨٥.

(١٠) ساقط من هـ.

(١١) الوليد بن شجاع أبو همام بن أبي بدر السكوني الكوفي توفي سنة ٢٤٣ هـ انظر ميزان الاعتدال ٤/٣٣٩.

عوبد بن (١) أبي عمران الحوفي عن أبيه عن عبد الله بن الصامت (٢) عن أبي ذر قال قال لي رسول الله ﷺ «إذا سئلت أي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما وإن سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا أبت استأجره» (٣) وقوله «وسار بأهله» قال مقاتل: استأذن صهره في العودة إلى مصر لزيارة والدته [وأخيه] (٤) فأذن له فسار وهذه الآية مفسرة في سورتي طه والنمل «أنس من جانب الطور ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلني آتيكم منها بخبر أو جذوة» (٥) من النار لعلكم تصطلون «جذوة فيها ثلاث قراءات فتح الجيم وضمها وكسرها وهي كلها لغات، قال أبو عبيدة الجذوة القطعة الغليظة من الخشب» (٦) فيها لهب، قال ابن عباس: قطعة فيها نار وقوله «فلما أتاها» أي أتى موسى النار «نودي من شاطئ الوادي» وهو جانبه «الأيمن» الذي عن يمين موسى «في البقعة المباركة» البقعة القطعة من الأرض المباركة لموسى عليه السلام لأن الله كلمه هناك وبعثه نبياً، وقال عطاء: يريد المقدسة وقوله «من الشجرة» أي من ناحية الشجرة أو عند الشجرة وهي العناب في قوله ابن عباس وقال مقاتل والكلبي هي عوسجة (٧) وما بعد هذا مفسر فيما مضى إلى قوله «إنك من الأمنين» أي من أن ينالك مكروه «واضمم إليك جناحك من الرهب» قال المفسرون: لما ألقى موسى عصاه فصارت جنا رهب وفرغ فأمره الله أن يضم إليه جناحيه ليذهب عنه الفرع، قال مجاهد كل من فرع فضم إليه جناحيه ذهب عنه الفرع وقرأ هذه الآية وجناح الانسان عضده ويقال اليد كلها جناح وقرئ من الرهب (٨) وهو بمعنى الرهب كالرشد والرشد، وقال عطاء عن ابن عباس: يريد اضمم يدك إلى صدرك من الخوف ولا خوف عليك والمعنى: أن الله تعالى أمره أن يضم يده إلى صدره فيذهب ما ناله من الخوف عند معاينة الحية، وقوله «فذاذك برهانان من ربك» يعني اليد والعصا حجتان من الله لموسى عليه السلام على صدقه وكان أبو عمرو يخص هذا الحرف بالتشديد (٩) ويحكي أنه لغة قريش قال الزجاج: التشديد تشية ذلك والتخفيف تشية ذاك جعل بدل اللام في ذلك تشديد النون في ذاك «إلى فرعون وملئه» أي أرسلناك إلى فرعون وملئه بهاتين الآيتين «إنهم كانوا قوماً فاسقين» عاصين.

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ٣٣ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ
رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ٣٤ قَالَ سَنُنَادُّ عَصَدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطٰنًا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أٰتَمًا وَمِنْ أَتَمَكُمَا الضَّالُّونَ ٣٥

(١) عوبد بن أبي عمران الحوفي البصري ميزان الاعتدال ٣/٣٠٤.

(٢) عبد الله بن الصامت الغفاري البصري ت سنة ٧٥ هـ تهذيب التهذيب ٥/٢٦٤.

(٣) قال الهيثمي رواه البزار وفيه إسحاق بين ادريس وهو متروك ورواه الطبراني في الصغير والاولى أطول واسناده احسن مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة القصص ٧/٨٨.

(٤) ساقط من ب وموشع إلى مصير: بياض في هـ وأخيه ساقط من هـ.

(٥) قرأ عاصم بفتح الجيم وقرأ حمزة وخلف بضمها وقرأ الباقون بكسرها السبعة ص ٤٩٣ النشر ٢/٣٤١.

(٦) في هـ: ليس فيها لها وهو نص أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/١٠٢.

(٧) العوسج: شجر من الشوك وله ثمر أحمر مدور كأنه خرز العقيق اللسان ماده عسج.

(٨) قرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير بفتح الراء ورواه حفص عن عاصم بفتح الراء واسكان الهاء وقرأ الباقون بضم الراء واسكان الهاء

السبعة ص ٤٩٣ والنشر ٢/٣٤١.

(٩) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (فذاذك) مشددة النون السبعة ٤٩٣.

﴿قال﴾ موسى ﴿رب إنني قتلت منهم نفساً﴾ يعني القبطي الذي قتله ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ به ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾ أحسن بياناً وكان في لسان موسى عقدة ولذلك قال فرعون ﴿ولا يكاد يبين﴾^(١) ﴿فأرسله معي ردهاً﴾ عوناً يقال فلان ردهً لفلان إذا كان ينصره ويشد ظهره يقال أردأت فلاناً إذا أعتته وقوله ﴿يصدقني﴾ قرىء بالرفع^(٢) والجزم فمن رفع فهو صفة للنكرة وتقديره ردهاً مصداقاً ومن جزم كان على جواب الأمر أي إن أرسلته معي صدقني^(٣) والتصديق لهارون في قول الجميع، وقال مقاتل لكي يصدقني فرعون ﴿إنني أخاف أن يكذبون﴾ قال الله لموسى ﴿سنشد عضدك بأخيك﴾ أي سنعينك ونقربك وشد العضد كناية عن التقوية ﴿ونجعل لكما سلطاناً﴾ حجة تدل على النبوة، قال الزجاج: والسلطان أبين الحجج ﴿فلا يصلون إليكما﴾ بقتل وسوء ولا أدى وقوله ﴿بآياتنا﴾ موضعه التقديم لأن المعنى: ونجعل لكما سلطاناً^(٤) بآياتنا أي مما نعطيكما من المعجزات ثم أخبر أن الغلبة لهما ولمن اتبعهما فقال: ﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَئِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾

﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا قالوا ما هذا إلا سحر مفترى﴾ أي ما هذا الذي جئتنا به إلا سحراً افتريته من قبل نفسك لم تبعث به ﴿وما سمعنا بهذا﴾ الذي تدعوننا إليه ﴿في آبائنا الأولين قال موسى ربّي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ أي هو أعلم بالحق منا ومن الذي جاء بالبيان من عنده أي إن الذي جئت بالهدى من عند الله ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ أي وهو أعلم بمن تكون له الجنة ﴿إنه يفلح لا الظالمون﴾ لا يسعد من أشرك بالله ثم قال:

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي الْفِطْرَةَ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَينَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُدْعَوْنَ إِلَى التَّوْبَةِ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَبَوَّءُوا لَكُم مِّنْ دِينِكُمْ يُنْصِرُوا ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعَتْنَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

﴿وقال فرعون﴾ منكرأ لما أتى به موسى عليه السلام من توحيد الله وعبادته ﴿يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ يقول أوقد النار على الطين حتى يصير اللبن أجراً^(٥) والمعنى اعمل لي الأجر ﴿فاجعل لي صرحاً﴾ أي قصرأً عالياً مرتفعاً ﴿لعلني أطلع إلى إله موسى﴾ أي أصعد إليه وأشرف عليه وهذا إيهام من فرعون أن الذي يدعوه إليه موسى يجري مجراه في الحاجة إلى المكان والجهة ﴿وإنني لأظنه من الكاذبين﴾ في ادعائه إلهاً غيري وأنه رسوله ﴿واستكبر هو وجنوده﴾^(٦)

(١) الزخرف: ٥٢.

(٤) فيما عدا هـ: سلطاننا.

(٢) قرأ عاصم وحمة بضم القاف وقرأ الباقون بالجزم السبعة ٤٩٣.

(٥) أي بصير.

(٦) في أوجنوده في الأرض وهي مكررة.

(٣) في هـ: يصدقني.

تعظموا عن الإيمان ولم يتقادوا للحق ﴿في الأرض﴾ أرض مصر ﴿بغير الحق﴾ بالباطل والظلم ﴿وظنوا أنهم إليه لا يرجعون﴾ لا يردون إلينا بالبعث [للمحساب] ^(١) والجزاء، ثم ذكر إهلاكه إياهم بالفرق فقال ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم﴾ فطرحناهم في البحر قال عطاء: يريد البحر المالح بحر القلزم ^(٢)، وقال قتادة هو بحر من وراء مصر غربهم الله فيه ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ حتى صاروا إلى الهلاك ﴿وجعلناهم﴾ أي في الدنيا ﴿أئمة﴾ قال ابن عباس: أئمة ضلالة، وقال الكلبي ومقاتل: [قادة] ^(٣) في الكفر والشرك يقودون الناس إلى الشرك بالله وهو قوله ﴿يدعون إلى النار﴾ لأن من أطاعهم ضل ودخل النار ﴿ويوم القيامة لا ينصرون﴾ لا يمنعون من العذاب ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ مفسر في موضعين في سورة هود ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ المبعدين الملعوبين من القبح وهو الابعاد قال أبو زيد قبح الله فلاناً قبحاً وقبوحاً أي أبعده من كل خير قال الكلبي: يعني سواد الوجه وزرقة العين وعلى هذا المقبوحين يكون بمعنى المقبحين.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً
لِّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

قوله ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ يعني نوحاً وعباداً وثمود وغيرهم كانوا قبل موسى ﴿بصائر للناس﴾ أي ليتبصروا بذلك الكتاب وليهتدوا به وهو قوله ﴿وهدى ورحمة﴾ [أي من الضلالة] ^(٤) لمن عمل به ورحمة لمن آمن به ﴿لعلهم يتذكرون﴾ كي يتذكروا ما فيه من المواعظ والبصائر أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبيد ^(٥) الله بن علي العمري أنا أبو علي بن أحمد الفقيه أنا أبو شيبة عبد العزيز بن جعفر الخوارزمي، نا محمد ^(٦) بن مرزوق، نا روح بن عبادة، نا عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «ما أهلك الله قوماً ولا قوماً ولا أمة ولا أهل قرية بعذاب من السماء منذ أنزل التوراة على وجه الأرض غير أهل القرية الذين مسحوا قردة ألم تر أن الله تعالى قال: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون﴾ ^(٧) قوله:

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا
فَنَطَّأُولُ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَنَلُّوْا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا
مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحِمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّن

(١) ساقط من د، هـ.

(٢) بحر القلزم: خليج السويس حالياً.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) في هـ وهدى من الضلالة لمن عمل به رحمة لمن آمن به.

(٥) في هـ عبد الله.

(٦) محمد بن مرزوق بن بكير بن البهلول الياهلي أبو عبد الله البصري ت سنة ٢٤٨ هـ انظر تهذيب التهذيب ٤٣٢/٩.

(٧) روى الرازي نحوه وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة القصص ، روى

الحاكم نحوه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه المستدرک كتاب التفسير سورة القصص.

نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا
لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

﴿وما كنت بجانب الغربي﴾ الخطاب لرسول ﷺ أي حاضراً قال قتادة والسدي يعني جبلاً غربياً وهو اختيار الزجاج قال: وما كنت بجانب الجبل الغربي، وقال الكلبي بجانب الوادي الغربي قال ابن عباس رضي الله عنه: يريد حيث ناجى موسى ربه وهو قوله: ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ عهدنا إليه وأحكامنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه وما كنت من الشاهدين لذلك الأمر ﴿ولكننا أنشأنا قروناً﴾ خلقنا أمماً من بعد موسى ﴿فتناول عليهم العمر﴾ طالت عليهم المهلة فسوا عهد الله وتركوا أمره، قال صاحب النظم: هذا الكلام يدل على أنه قد عهد إلى موسى وقومه عهداً في محمد ﷺ والإيمان به فلما طال [عليهم] (١) العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها وقوله ﴿وما كنت ثاوياً﴾ أي مقيماً ﴿في أهل مدين﴾ كمقام موسى وشعب عليهما السلام فيهم ﴿تتلوا عليهم آياتنا﴾ تذكروهم بالوعد والوعيد قال مقاتل: يقول لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم ﴿ولكننا كنا مرسلين﴾ أرسلناك إلى أهل مكة وأنزلنا عليك هذه الأخبار ولولا ذلك لما علمتها قال الزجاج: المعنى أنك لم تشاهد قصص الأنبياء وتليت عليك ولكننا أوحيناها (٢) إليك وقصصناها عليك ﴿وما كنت بجانب الطور﴾ بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﴿إذ نادينا﴾ قال ابن عباس: إن الله تعالى نادى يا أمة محمد [قد] (٣) أجبتمكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني ورحمتكم قبل أن تسترحموني ﴿ولكن رحمة من ربك﴾ ولكن رحمتك رحمة بإرسالك والوحي إليك ﴿لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ يعني أهل مكة ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتعظوا ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾ قال مقاتل يعني العذاب في الدنيا ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من المعاصي يعني كفار مكة ﴿فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا﴾ هلا أرسلت إلينا رسولا ﴿فتتبع آياتك﴾ يعني القرآن ﴿ونكون من المؤمنين﴾ المصدقين بتوحيد الله والمعنى: لولا أنهم يحتجون بترك (٤) الارسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة بكفرهم وجواب لولا محذوف تقديره ما ذكرنا.

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْنَا آيَاتٌ مِّمَّا يَكْفُرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأَنذَرْتُكُمْ لِيَوْمٍ يَأْتِي فِيهِ الْغَمُّ الْكَبِيرُ ﴿٤٩﴾ فَمَنْ لَّمْ يُسْتَجِبْ لِحُكْمِ اللَّهِ فَسَوْفَ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ محمد والقرآن ﴿قالوا لولا أنزل إلينا آيات من مما يكفرون﴾ هلا أوتي محمد من الآيات مثل ما أوتي موسى من العصا واليد فاحتج الله عليهم بقوله ﴿أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل﴾ أي فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد ﴿قالوا ساحران تظاهرا﴾

(١) ساقط من هـ.

(٢) أ، د: بذلك.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) في جأوحينا.

تعاونوا على السحر والضلالة يعنون موسى ومحمداً ومن قرأ سحران^(١) فقال مقاتل: يعنون التوراة والقرآن وهو قول عكرمة والكلبي والمعنى: كل سحر منهما يقوي الآخر فنسب التظاهر إلى السحرين على الاتساع ﴿وقالوا إنا بكل﴾ من التوراة والقرآن ﴿كافرون﴾ قال الله لنبيه ﴿قل﴾ لكفار مكة ﴿فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدي منهما﴾ من التوراة والقرآن ﴿أتبعه إن كنتم صادقين﴾ أنهما ساحرين ﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ فإن لم يأتوا بمثل التوراة والقرآن ﴿فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ قال الزجاج فاعلم أن ما ركبه من الكفر لا حجة لهم فيه وإنما آثروا فيه الهوى ثم ذمهم فقال: ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ لا أحد أضل ممن اتبع هواه بغير رشاد ولا بيان من الله ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ لا يجعل جزاء المشركين الجاحدين أن يهديهم إلى دينه.

﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ قال الفراء: أنزلنا القرآن يتبع بعضه^(٢) بعضاً وقال قتادة وصل لهم القول في هذا القرآن يخبرهم كيف صنع بمن مضى وقال مقاتل يقول لقد بينا لكفار مكة بما في القرآن [من]^(٣) خبر الأمم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتعظوا ويخافوا فيؤمنوا.

الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنُ أَمْنُوا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا وَرَأَوْنَهَا وَرَأَوْنَهَا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾

﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾ من قبل القرآن ﴿هم به يؤمنون﴾ بمحمد ﷺ قال السدي: يعني مسلمي اليهود عبد الله بن سلام ومن أسلم منهم وقال مقاتل: يعني مسلمي أهل الإنجيل وهم الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة ثم وصفهم الله فقال ﴿وإذا تلى عليهم آياتنا﴾ يعني القرآن ﴿قالوا آمنا به﴾ صدقنا^(٤) بالقرآن ﴿إنه الحق من ربنا﴾ وذلك أن ذكر النبي كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل فلم يعاندوا.

هؤلاء قالوا للقرآن ﴿إنه الحق من ربنا﴾^(٥) إنا كنا من قبله ﴿من قبل القرآن﴾ مسلمين ﴿مخلصين﴾ بالتوحيد مؤمنين بمحمد أنه نبي حق، ثم أتى عليهم خيراً فقال: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ مرة بتمسكهم بدينهم حتى إذا أدركوا محمداً ﷺ آمنوا به ومرة بإيمانهم به، وقال قتادة: بما صبروا على الكتاب الأول والكتاب الثاني ﴿ويدروون بالحسنة السيئة﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: يدفعون بشهادة أن لا إله إلا الله الشرك وقال مقاتل: يدفعون ما يسمعون من الأذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو ﴿ومما رزقناهم﴾ من الأموال ﴿ينفقون﴾ في طاعة الله ﴿وإذا سمعوا اللغو﴾ الباطل والشتم من المشركين وذلك أنهم شتموهم حين آمنوا [بمحمد عليه السلام]^(٦)

(١) قرأ عاصم وحزمة والكسائي سحران بكسر السين واسكان الحاء من غير ألف قبلها وقرأ الباقون بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء السبعة لابن مجاهد (٤٩٥) والنشر في القراءات العشر ٢/٣٤٦.

(٢) معاني القرآن للقراء ٢/٣٠٧.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) في هـ صدقوا.

(٥) ما بين القوسين ساقط من أ، ب، ولفظ (ذكر النبي) بياض في هـ.

(٦) ساقط من جميع النسخ عدا، د، هـ.

﴿أعرضوا عنه﴾ فلم يردوا ﴿وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ قال مقاتل: لنا ديننا ولكم دينكم، وذلك أنهم عيروهم بترك دينهم، وقال السدي: لما أسلم عبد الله بن سلام جعل اليهود يشتمونه وهو يقول ﴿سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ قال الزجاج: لم يرد والتحية والمعنى: أنهم قالوا: بيننا وبينكم الم�اركة والسلام^(١) وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال، وكانهم قالوا: أسلمتم منا لا نعارضكم بالشتيم ومعنى قوله ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ قال مقاتل: لا نريد أن تكون من أهل الخيل والسفه، وقال الكلبي: لا تحب الذي أنتم عليه ويكون التقدير لا نبتغي دين الجاهلين قوله:

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا مِمَّا يُجِبُّ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ أخبرنا أبو عبد الله الهروي^(٢) أنا علي بن محمد الخزازي، نا أبو اليمان الحكم بن نافع نا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري أنا سعيد بن المسيب عن أبيه أنه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن [أبي] أمية^(٣) أمية بن المغيرة فقال: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله قال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعاودانه تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به: أنا على ملة عبد المطلب وأبي أن يقول لا إله إلا الله فأنزل الله تعالى في أبي طالب وقال لرسول الله ﷺ:

﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ من يشاء رواه البخاري عن أبي اليمان ورواه مسلم عن حرمة^(٤) عن ابن وهب عن يونس الزهري حدثنا الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، نا الحسن بن أحمد بن علي الشيباني أنا أحمد بن الحسن الحافظ، نا عبد الرحمن بن بشر، نا يحيى ابن سعيد عن يزيد بن كيسان، نا أبو حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة. قال: لولا أن تعيرني نساء قريش تقلن إنه حملة على ذلك الجزع لأقررت بها عينك فأنزل عز وجل إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء رواه مسلم^(٥) عن محمد بن حاتم عن يحيى بن سعيد وهذا قول جماعة المفسرين أجمعوا أن الآية نزلت في أبي طالب، قال الزجاج: ابتداء نزولها بسبب أبي طالب وهي عامة لأنه لا يهدي إلا الله عز وجل ولا يرشد ولا يوفق إلا هو وقوله ﴿من أحببت﴾ يكون على معنيين أحدهما للقربة والآخر أحببت أن يهدي ﴿ولكن الله يهدي﴾ [يرشد]^(٦) ﴿من يشاء﴾ لدينه ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ قال مجاهد ومقاتل: ممن قدر له الهدى.

(١) في هـ: والتسلم.

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد بن حميدويه بن نعيم ولد سنة ٣٢١ هـ توفي سنة ٤٠٥ هـ تذكره الحفاظ ٣/١٠٣٧، شذرات الذهب ٣/١٧٥، طبقات الحفاظ ص ٤٠٩.

(٣) ساقط من.

(٤) رواه البخاري في باب قصة إيمان أبي طالب ٥/٦٥ ط الشعب ومسلم في كتاب الإيمان باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله.

(٥) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ١/٥٥.

(٦) ساقط من جميع النسخ عدا.

وقوله ﴿وقالوا﴾ [إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا] (١) قال المفسرون: قالت قريش لمحمد ﷺ: إن اتبعناك على دينك خفنا العرب على أنفسنا أن يخرجونا من أرضنا مكة إن تركنا ما يعبدون ومعنى التخطف الانتزاع بسرعة قال الله تعالى ﴿أو لم نمكن لهم حرماً آمناً﴾ ذا أمن يأمن فيه الناس وذلك أن العرب كانت تغير بعضهم على بعض وأهل مكة آمنون في الحرم من القتل والسبي والغزو أي فكيف يخافون إذا أسلموا وهم في حرم آمن [كما قال] (٢) ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم﴾ (٣) قال الفراء: يقول أولم تسكنهم حرماً يخاف من دخوله فكيف يخافون العرب (٤)، ومعنى أولم نمكن لهم (٥) حرماً أولم نجعله مكاناً لهم وقوله ﴿يجئى إليه﴾ يجمع من قولك جئت الماء في الحوض أي جمعت وقرىء تجبى بالياء (٦) لحيلولة الحرف بين الاسم المؤنث والفعل كقولهم حضر القاضي اليوم امرأة قال مقاتل: يحمل إلى الحرم ﴿ثمرات كل شيء﴾ من مصر والشام واليمن والعراق ﴿رزقاً من لدنا﴾ رزقناهم رزقاً من عندنا ﴿ولكن أكثرهم﴾ يعني أهل مكة ﴿لا يعلمون﴾ أنا فعلنا ذلك ثم خوفهم بمثل عذاب الامم الخالية فقال:

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَغَتْ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

﴿وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها﴾ قال الزجاج: البطر الطغيان عند النعمة والمعنى بطرت في معيشتها، قال عطاء: عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام وقوله ﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً﴾ قال ابن عباس: لم يسكنها إلا المسافرون ومارو الطرق يوماً، أو ساعة، والمعنى لم تسكن من بعدهم إلا سكوناً قليلاً ﴿وكنا نحن الوارثين﴾ يعني لم يخلقهم أحد بعد هلاكهم في منازلهم فبقيت خراباً غير مسكونة كقوله ﴿إنا نحن نرث الارض ومن عليها﴾ (٧) وقد مر، قوله: ﴿وما كان ربك مهلك القرى﴾ يعني القرى الكافر (٨) أهلها ﴿حتى يبعث في أممها﴾ في أعظمها ﴿رسولاً﴾ يذرهم وخص الأعظم ببعثه الرسول فيها لأن الرسول إنما يبعث إلى الأشراف وأشراف القوم وملوكهم يسكنون المدائن والمواضع التي هي أم ما حولها وقوله ﴿يتلوا عليهم آياتنا﴾ قال مقاتل يخبرهم الرسول أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ قال عطاء: يريد بظلمها أهلكتهم وظلمهم شركهم.

وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

﴿وما أوتيتم من شيء﴾ الخطاب لكفار مكة يقول: ما أعطيتم من خير ومال ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾

(١) ساقط من هـ.

(٥) في هـ: مكين.

(٢) ساقط من .

(٦) قرأ عاصم وحده تجبى بالياء السبعة (ص ٤٩٥).

(٣) المنكبوت: ٦٧.

(٧) مريم: ٤٠.

(٨) في هـ الكافرة.

(٤) في هـ: من العرب معاني الفراء ٣٠٨/٢.

وزيتها ﴿ تتمتعون به أيام حياتكم ثم هي إلى فناء وانقضاء ﴿ وما عند الله ﴿ من الثواب ﴿ خير وأبقى ﴿ أفضل وأدوم لأهله مما أعطيتم في الدنيا ﴿ أفلا تعقلون ﴿ أن الباقي أفضل من الفاني الذاهب ﴿ أئمن وعدناه وعداً حسناً ﴿ يعني الجنة يقول أئمن وعدنا على إيمانه وطاعته الجنة والثواب الجزيل ﴿ فهو لاقيه ﴿ مدركه ومصيبه ﴿ كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ﴿ كمن هو ممتع بشيء يفنى ويزول عن قريب ﴿ ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴿ النار فقال قتادة: يعني المؤمن والكافر فالمؤمن سمع كتاب الله فصدقه وآمن بموعود الله فيه وليس كالكافر الذي يتمتع بالدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين في عذاب الله أخبرنا أبو بكر بن الحارث، أنا أبو الشيخ الحافظ، أنا محمد بن سليمان، نا عبد الله بن حازم، نا بدل بن المحبر^(١)، نا شعبة عن أبان عن مجاهد في قوله ﴿ أئمن وعدناه وعداً حسناً ﴿ الآية. قال: نزلت في علي وحزمة وأبي جهل. وقوله:

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَذَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾

﴿ ويوم يناديهم ﴾ ينادي الله المشركين يوم القيامة ﴿ فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ [في الدنيا]^(٢) أنهم شركائي ﴿ قال الذين حق عليهم القول ﴾ حقت عليهم كلمة العذاب يعني رؤساء الضلالة ﴿ ربنا هؤلاء الذين أغوينا ﴾ يعنون الاتباع ﴿ أغويناهم كما غوينا ﴾^(٣) أضللناهم كما ضللنا ﴿ تبرأنا إليك ﴾ منهم قال الزجاج: برىء بعضهم من بعض وصاروا أعداء كما قال عز وجل ﴿ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو ﴾^(٤) ﴿ وقيل ﴾ لكفار بني آدم ﴿ ادعوا شركاءكم ﴾ استغيثوا بالهتكم التي كنتم تعبدونها ليخلصوكم من العذاب ﴿ فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ﴾ لم يجيبوهم إلى نصرهم ﴿ ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ﴾ جواب لو محذوف على تقدير لو أنهم كانوا يهتدون [أي في الدنيا ما رأوا العذاب]^(٥) ﴿ ويوم يناديهم ﴾ يعني يسأل الله [الكفار]^(٦) ﴿ فيقول ماذا أجبتم المرسلين ﴾ ما كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيين ﴿ فعميت ﴾ خفيت واشتبهت ﴿ عليهم الأنباء ﴾ قال مجاهد ومقاتل: الحجج وسميت حججهم أبناء لأنها أخبار يخبرونها وهم لا يجتنبون ولا ينطقون بحجة لأن الله أدهض حججهم وكلل ألسنتهم، قال الفراء جاء في التفسير عميت عليهم الحجج يومئذ فسكتوا فذلك قوله ﴿ فهم لا يتساءلون ﴾^(٧) لا يسأل بعضهم بعضاً عن الحجج ﴿ فأما من تاب ﴾ عن الشرك ﴿ وآمن ﴾ وصدق بتوحيد الله ﴿ وعمل صالحاً ﴾ أدى الفرائض ﴿ فمسي أن يكون من المفلحين ﴾ من الناجحين الفائزين وعسى من الله واجب قوله:

(١) بدل بن المحبر بن المنية التميمي البربوعي أبو المنير البصري انظر تذكرة الحفاظ ٣٨٣/١، تهذيب التهذيب ٤٢٣/١ طبقات الحفاظ

ص ١٦٤.

(٥) ساقط من هـ. ومن قوله جواب لو. إلى يهتدون ساقط من د.

(٢) ساقط من جـ.

(٦) ساقط من جـ.

(٣) في هـ أغويناهم كما قال الله عز وجل.

(٧) معاني القرآن للفراء ٣٠٩/٢.

(٤) الزخرف / ٦٧.

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾
 وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْاَوهْلَةُ الْحَمْدُ فِي الْاَوَّلِي وَالْاٰخِرِ
 وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ قال المفسرون نزلت هذه الآية جواباً للمشركين حين قالوا ﴿لو نزلنا هذا القرآن على رجل﴾ (١) . . . الآية ومعناه ويختار من يشاء لنبوته ورسالته أي فكما أن الخلق إليه ما يشاء فكذلك الاختيار إليه في جميع الاشياء فيختار مما خلق ما يشاء ومن يشاء ثم نفى الاختيار عن المشركين وذلك أنهم اختاروا الوليد بن المغيرة من مكة أو عروة بن مسعود (٢) من الطائف فقال ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ أي الاختيار أي ليس لهم أن يختاروا على الله قال ابن قتيبة: أي لا يرسل على اختيارهم (٣) والخيرة اسم من الاختيار تقام مقام المصدر والخيرة: اسم للمختار أيضاً يقال محمد خيرة الله [من خلقه أي مختاره ويجوز التخفيف فيها ثم نزه نفسه عن شركهم] (٤) فقال: ﴿سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ ثم أخبر بنفوذ علمه فيما خفي وظهر فقال: ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم﴾ مما تستر قلوبهم من الكفر والعداوة لله ورسوله ﴿وما يعلنون﴾ بألسنتهم من الكفر والمعاصي ثم وحد نفسه فقال ﴿وهو الله لا إله إلا له الحمد في الأولى والآخرة﴾ يحمده أولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الآخرة في الجنة ﴿وله الحكم﴾ الفصل بين الخلائق قال ابن عباس: حكم لأهل طاعته بالمغفرة ولأهل معصيته بالشقاء والويل ثم قال تعالى:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهَا أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

﴿قل﴾ أي لأهل مكة ﴿أرأيتم﴾ معناه: أخبروني ﴿إن جعل الله عليكم الليل سرمداً﴾ دائماً ﴿إلى يوم القيامة﴾ لأنهار مع ﴿من إله غير الله يأتكم بضياء﴾ بنور تطلبون فيه المعيشة ونهار تبصرون فيه ﴿أفلا تسمعون﴾ سماع فهم وقبول فتستدلوا بذلك على توحيد الله وقوله ﴿تسكنون فيه﴾ أي تستريحون فيه من الحركة والنصب ﴿أفلا تبصرون﴾ ما أنتم عليه من الخطأ والضلال ثم أخبر أن الليل والنهار رحمة منه فقال: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ يعني في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ لتلتبسوا في النهار من فضل الله ﴿ولعلكم تشكرون﴾ الله الذي أنعم (٥) عليكم بها.

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا

(١) الزخرف: ٣١.

(٢) عروة بن مسعود بن معبد الثقفي الصحابي ت سنة ٩ هـ الإصاية ترجمة ٥٥٢٨.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٣٤.

(٤) ساقط من أ، ج.

(٥) ساقط من جمع النسخ عدا ب.

فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ وقد مر تفسيرها وإنما كرر ذكر النداء للمشركين بأين شركائي تقريباً لهم بعد تقرير ﴿ونزعنا من كل أمة شهيداً﴾ وأخرجنا من كل أمة رسولها الذي يشهد عليهم بالتبليغ وبما كان منهم وهذا كقوله ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ (١) الآية وقوله ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾ (٢) وقوله ﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ قال مجاهد: حججتكم بما كنتم تعبدون وقال مقاتل: حججتكم بأن معي شريكاً ﴿فعلموا أن الحق﴾ التوحيد ﴿لله وضل عنهم﴾ زال وبطل في الآخرة ﴿ما كانوا يفترون﴾ في الدنيا من أن مع الله شريكاً (٣).

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله ﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾ قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه: كان من بني إسرائيل ثم من سبط موسى وهو ابن خالته، وقال قتادة ومقاتل: كان ابن عمه لحياناً لأنه كان قارون بن يصر بن قاهث، وموسى بن عمران بن قاهث وقوله ﴿فبغى عليهم﴾: أي بكثرة ماله جاوز الحد في التكبر والتجبر عليهم وقال شهر بن حوشب: زاد عليهم في الثياب شبراً والمعنى أنه تكبر عليهم وطول الثياب من علامات التكبر ولذلك نهي عنه وقوله: ﴿وآتيناه من الكنوز﴾ قال عطاء: أصاب كنزاً من كنوز يوسف فكان كما ذكره الله تعالى ﴿ما إن مفاتحه﴾ أي خزائنه في قول الأكثرين كقوله ﴿وعنده مفاتيح الغيب﴾ (٤) وهو اختيار الزجاج فإن الأشبه في التفسير أن مفاتحه خزائن ماله وقال آخرون هي جمع مفاتيح وهو ما يفتح به الباب وهذا قول قتادة ومجاهد وروى الأعمى عن خيثمة (٥) قال كانت مفاتيح قارون من جلود كل مفاتيح مثل الإصبع مفاتيح كل خزنة على حدة فإذا ركب حملت المفاتيح على ستين بغلاً وهو قوله ﴿لتنوء بالعصبة أُولِي الْقُوَّة﴾ يقال ناء بحمله إذا نهض به مثقالاً قال ابن عباس: كان يحمل مفاتيحه الأربعون رجلاً أقوى ما يكون من الرجال والمعنى: تتقلهم حمل المفاتيح يقال نأى الحمل إذا أثقلت فجعلت تنوء به ﴿إذ قال له قومه﴾ المؤمنون من بني إسرائيل ﴿لا تفرح﴾ قال المفسرون لا تأثر ولا تفرح ولا تبطر ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ الأشهرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ واطلب فيما أعطاك الله من الأموال والنعمة الجنة وهو أن يقوم بشكر الله فيما أنعم عليه وينفقه في رضا الله ﴿ولا تنسى نصيبك من الدنيا﴾ وهو أن يعمل في الدنيا لأخترته هذا قول أكثر المفسرين (٦) واختيار الزجاج، قال: معناه لا تنسى أن تعمل لأخترتك لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا

(١) النساء: ٤١

(٢) النحل: ٨٤.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) الأنعام: ٥٩.

(٥) خيثمة بن سليمان بن حيدة القرشي الطرابلسي أبو الحسن ولد سنة ٢٥٠ هـ ت سنة ٣٤٣ هـ شذرات الذهب ٢/٣٦٥.

(٦) في هـ - ب الأكثرين.

الذي يعمل به لآخرته وقال الحسن: أمر أن يقدم الفضل وأن يمك ما يغنيه ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ أطل الله وابعده لما أنعم عليك وأحسن العطية في الصدقة والخير ﴿ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ لا تبغ بإحسان الله إليك أن تعمل في الأرض بالمعاصي.

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

﴿قال إنما أوتيته على علم عندي﴾ قال عطاء: فكفر لما رأى أن المال حصل له بعلمه ولم يعتبره من عطاء الله فكانه أراد بعلمه في التصرف وأنواع المكاسب، وقال آخرون: معناه إنما أوتيته على خير علمه الله عندي فكانت أهلاً لما أعطيته لفضل علمي، وقال الكلبي: على علم عندي بصنعة الذهب قال الله ﴿أو لم يعلم﴾ قارون ﴿أن الله قد أهلك﴾ بالعذاب ﴿من قبله من القرون﴾ في الدنيا حين كذبوا رسلهم ﴿من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً﴾ للأموال ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ قال قتادة: إنهم يدخلون النار بغير حساب وأما قوله ﴿فويلك لسائلهم﴾^(١) فإنهم يسألون سؤال تفرغ وتوبخ كما قال الحسن لا يسألون ليعلم ذلك من قبلهم وإنما سئلوا سؤال تفرغ وتوبخ قوله:

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لِيَلْبِتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ اللَّهُ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾

﴿فخرج على قومه في زينته﴾ قال السدي: خرج في جوار بيض على سرج من ذهب على قطف أرجوان^(٢) على بغال بيض عليهن ثياب حمراء وحلي من ذهب وقال مقاتل: خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليه الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس على الخيل عليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعهم ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والثياب الحمراء على البغال الشهباء وقال ابن زيد: خرج في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات وهذا معنى قول الحسن: في ثياب صفر أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصر آبادي أنا أبو بكر محمد بن إسماعيل الشاشي، نا إسحاق بن محمد بن إسحاق الرسعني، نا جدي، نا عثمان^(٣) بن عبد الرحمن الطرائفي، نا علي بن^(٤) عروة الدمشقي عن سعيد^(٥) بن أبي سعيد عن أبيه^(٦) عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «أربع خصال من قوم قارون: جرنصال السيوف في

(١) الحجر: ٩٢.

(٢) الأرجوان: الثوب المصبوغ فيه المعجم الوسيط باب الهمة.

(٣) عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي ابن مسلم الخرائي أبو عبد الرحمن الطرائفي ت سنة ٢٠٣ هـ انظر تهذيب التهذيب ١٣٤/٧ وقال ابن حجر في التقريب أكثر الرواية عن الضعفاء والمجاهيل. تقريب التهذيب ١٢/٢.

(٤) علي بن عروة الدمشقي (ضعيف الحديث) تهذيب التهذيب ٣٦٥/٧ وقال ابن حجر في التقريب: متروك وقال ابن حبان يضع الحديث التقريب ٤١/٢.

(٥) سعيد بن أبي سعيد كيسان بن سعيد المقبري أبو سعد المدني تغير قبل موته باربع سنين تهذيب التهذيب ٣٨/٤، التقريب ٢٩٧/١.

(٦) أبو سعيد كيسان بن سعيد المقبري المدني مولى أم شريك ت سنة ١٠٠ هـ وهو ثقة التقريب ١٣٧/٢.

الأرض ولباس الخفاف المقلوبة ولباس الأرجوان وكان أحدهم لا ينظر في وجه خادمه [إلا] (١) تكبراً (٢) قال الزجاج: الأرجوان في اللغة صبغ أحمر وهو ما روي أنه كان عليهم وعلى خيلهم الديباج الأحمر قال مقاتل: فلما نظر مؤمنو أهل ذلك الزمان في تلك الزينة والجمال تمنوا مثل ذلك وهو قوله ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم﴾ (٣) نصيب آخر من الدنيا ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ قال ابن عباس يعني الاحبار من بني اسرائيل وقال مقاتل: بما وعده الله في الآخرة قالوا للذين تمنوا مثل ما أوتي قارون ﴿ويلكم ثواب الله﴾ ما عند الله من الثواب والجزاء ﴿خير لمن آمن﴾ وصدق بتوحيد الله ﴿وعمل صالحاً﴾ وقام بالفرائض مما أعطي قارون في الدنيا ﴿ولا يلقاها﴾ قال مقاتل: لا يؤتاها يعني الأعمال الصالحة ودل عليها قوله ﴿وعمل صالحاً﴾ وقال الكلبي: لا يعطاها في الآخرة ﴿إلا الصابرون﴾ على أمر الله يعني الجنة ودل عليه (٤) قوله ثواب الله قوله:

فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾
وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ
لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾

﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ قال السدي: دعا قارون امرأة من بني اسرائيل بغياً فقال لها اني اعطيك ألفين على أن تحييي غداً إذا اجتمعت بنو اسرائيل عندي فتقول لي يا معشر بني اسرائيل ما لي ولموسى قد آذاني قالت: نعم فأعطاها خريطين عليها خاتمه فلما جاءت المرأة بيتها ندمت وقالت يا ويلها قد عملت كل فاحشة فما بقي إلا أن أفتري على نبي الله فلما أصبحت أقبلت ومعها الخريطتان حتى قامت على بني اسرائيل فقالت: إن قارون أعطاني هاتين الخريطين على أن آتي جماعتكم فأزعم أن موسى يريدني على نفسي ومعاذ الله أن أفتري على نبي الله وهذه دراهمه عليها خاتمه فعرف بنو اسرائيل خواتم قارون فغضب موسى عليه السلام فدعا الله عليه فأوحى الله تعالى إليه اني قد أمرت الأرض أن تطيعك وسلطتها عليه فمرها فقال موسى: يا أرض خذيه وهو على سريره وفرشه فأخذته حتى غيبت سريره فلما رأى ذلك قارون ناشده الرحم فقال خذيه فأخذته حتى غيبت قدميه ثم أخذته حتى غيبت ركبتيه ثم قال خذيه فأخذته حتى غيبت حقويه [وهو] (٥) يناشده الرحم فقال: خذيه فأخذته حتى غيبتة فأوحى الله تعالى إليه يا موسى ناشدك الرحم واستغاثك فأبيت أن تعيئه لو إياي دعا أو استغاثني (٦) لأغثته أخبرنا الحسن بن محمد الفارسي، نا محمد بن عبد الله بن الفضل التاجر، أنا أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ، نا محمد بن يحيى، نا سعيد بن أبي مريم، أنا الليث أنا عقيل عن ابن شهاب عن عبد الله بن عوف القاري [من بني قارة] (٧) أنه بلغه أن الله - تعالى - أمر الأرض أن تطيع موسى في قارون فلما لقيه

(١) ساقط من هـ.

(٢) من سند هذا الحديث نستطيع أن نحكم عليه بأنه حديث ضعيف من هذا الوجه حيث أن فيه علي بن عروة الدمشقي وهو متروك.

(٣) ساقط من هـ.

(٥) ساقط من ب.

(٤) في هـ، د: عليها.

(٦) في هـ استغاثني وهو تصحيف. ولم اعثر في طاعة الأرض لموسى على أثر صحيح والسدي معروف بضعفه بين رجال الحديث.

(٧) بنو قارة: هم بنو الديش بن معلم بن غالب بن عائذة بن بليح بن الهون بن خزيمة بن مدركة. الجمهرة (١٧٩)، نهاية الأرب

(ص ١٥٥).

ساقط من جميع النسخ عدا هـ ساقط من هـ.

موسى قال للأرض: أطيعي فأخذته إلى الركبتين ثم قال لها أطيعي فأخذته إلى الحقوين وهو في ذلك يستغيث بموسى، ثم قال: أطيعي فوارته في جوفها فأوحى الله إليه يا موسى ما أغلظ قلبك أما وعزتي وجلالي لو بي استغيث لأغثته، قال: رب غضباً لك فعلت، قال قتادة ومقاتل: خسف به فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامه رجل إلى يوم القيامة قوله: ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يقول: لم يكن له خير يمنونه من الله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ من الممتنعين مما نزل من الخسف ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ صار أولئك الذين تمنوا ما رزق من المال والزينة يتندمون على ذلك التمني وهو قوله ﴿يَقُولُونَ وَيَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ الآية. قال الكسائي: ويكأن في التأويل: ذلك أن الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وقال أبو عبيدة: سبيلها سبيل ألم تر^(١)، وقال مجاهد وقتادة ألم تعلم وقال الخليل والفراء: وي مفضولة من كأن وذلك أن القوم تنبهوا^(٢) فقالوا وي متدمين على ما سلف منهم وكل من تندم فإظهار ندامته أن يقول وي وكأن في مذهب الظن والعلم^(٣) قوله ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي بالعافية والرحمة والإيمان ﴿لَخَسَفَ بَنَاءُ﴾ أي الله ومن ضم الخاء^(٤) فإنه يؤول في المعنى إلى الأول ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾ معناه ألم تر أنه وأما ترى أنه ﴿لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ﴾ لا يسعد من يكفر بالله ومعنى ويكأنه تنبيه.

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ لِمَجْعَلِهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٢﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

وقوله ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ يعني الجنة ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ قال عطاء علواً على خلق في الأرض قال الحسن لم يطلبوا الشرف والعز عند ذي سلطانهم وقال الكلبي ومقاتل استكباراً عن الإيمان أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا أبو عباس أحمد بن محمد الجمال، نا إسماعيل بن يزيد، نا قتيبة بن مهرا عن أبي الصباح عبد الغفور عن أبي هاشم عن زاذان^(٥) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يمشي في الأسواق وحده وهو وال يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبيع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ ويقول نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس أخبرني الحاكم أبو عمرو المروزي كتابة أن أبا الفضل الحدادي أخبرهم عن محمد بن يزيد الخالدي، أنا إسحاق^(٦) بن إبراهيم، أنا وكيع عن أشعث الشامي عن أبي سلام الأعرج عن علي قال: إن الرجل ليعجبه شراك نعله فيدخل في هذه الآية.

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني أن من تكبر على غيره بلباس يعجبه فهو ممن يريد علواً في الأرض وقوله ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ قال الكلبي: هو الدعاء إلى عبادة غير الله وقال مقاتل عملاً بالمعاصي وقال عكرمة ومسلم البطين^(٧): هو أخذ المال بغير حق ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي الجنة لمن اتقى عقاب الله بأداء الفرائض واجتناب معاصيه قوله ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ قال

(١) مجاز القرآن ١٢/٢ بتصرف.

(٢) فيما عدا دندموا.

(٣) معاني القرآن ٣١٢/٢، والكتاب لسبويه ١٥٤/٢.

(٤) قراءة الضم في (لخسف) قرأ به جميع القراء عدا يعقوب وحفص فقد قرأوا بفتح الخاء النشر ٣٤٢/٢.

(٥) زاذان أبو عبد الله الكندي الكوفي الضرير سنة ٨٢ هـ تهذيب التهذيب ٣/٣٢٠.

(٦) إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن البغوي (ثقة) الجرح والتعديل ١/٢١١.

(٧) ساقط من جميع النسخ عدا ب لفظ مسلم وهو مسلم بن عمران أبو عبد الله الكوفي تهذيب التهذيب ١٠/١٣٤، التقريب ٢/٢٤٦.

ابن عباس: يريد الذي أشركوا ﴿إلا ما كانوا يعملون﴾ إلا جزاء ما كانوا يعملون من الشرك وجزاؤه النار.
 إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ قال المفسرون: أنزل عليك القرآن قال الزجاج: فرض عليك العمل بما يوجه القرآن وتقدير الكلام فرض عليك أحكام القرآن وفرائض القرآن ﴿لرادك إلى معاد﴾ يعني مكة. قال المفسرون: لما نزل النبي ﷺ الجحفة^(١) في مسيره إلى المدينة لما هاجر إليها اشتاق إلى مكة فأتاه جبريل فقال: اشتاق إلى بلدك ومولدك فقال: نعم فقال جبريل: فإن الله يقول ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾^(٢) يعني إلى مكة ظاهراً عليها فنزلت الآية بالجحفة وليست مكية ولا مدنية وسميت مكة معاداً لعوده إليها وتم الكلام ثم ابتداء كلاماً آخر فقال ﴿قل ربي أعلم بمن جاء بالهدى﴾ وهو جواب لكفار مكة لما قالوا لمحمد ﷺ إنك في ضلال فقال الله قل لهم ربي أعلم بمن جاء بالهدى يعني نفسه ﴿ومن هو في ضلال مبين﴾ يعني المشركين والمعنى الله أعلم بالفريقين، وقد علم أنني قد جئت بالهدى وأنكم في ضلال ثم ذكره نعمه فقال ﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب﴾ أن يوحى إليك القرآن بأن تكون نبياً ﴿إلا رحمة من ربك﴾ قال الفراء: هذا من الاستثناء المنقطع ومعناه ما كنت ترجو أن تعلم كتب الأولين وقصصهم تتلوها على أهل مكة إلا أن ربك رحمك وأراد بك الخير^(٣) ﴿فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾ معيناً لهم على دينهم قال مقاتل: وذلك حين دعى إلى دين آبائه فذكره الله نعمه ونهاه عن مظاهرهم على ما كانوا عليه وأمره بالتحرز منهم بقوله ﴿ولا يصدنك عن آيات الله﴾ يعني القرآن ﴿بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك﴾ إلى معرفته وتوحيده ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: الخطاب له في الظاهر والمراد به أهل دينه أي تظاهروا الكفار ولا توافقوهم وكذلك قوله ﴿ولا تدع مع الله إلهاً آخر﴾ لا تعبد معه غيره ثم وحد نفسه فقال ﴿لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه﴾ قال عطاء عن ابن عباس^(٤) إلا ما أريد به وجهه وهو قول الكلبي قال: كل عمل لغيره فهو هالك إلا ما كان له وقال سفيان رحمه الله: إلا ما أريد به وجه الله من الأعمال وهو اختيار الفراء وانشد:

أستغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل^(٥)

أي إليه أوجه العمل وعلى هذا وجه الله ما وجه إليه من الأعمال ﴿له الحكم﴾ أي الفصل بين الخلائق في الآخرة دون غيره ﴿وإليه ترجعون﴾ تردون في الآخرة فيجزئكم بأعمالكم.

(١) الجحفة: قرية على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل معجم البلدان ١١٠/٢.

(٢) ذكرها البخاري تفسيراً لابن عباس لرادك إلى معاد إلى مكة في كتاب التفسير سورة القصص ١٤٢/٦ ط الشعب ومعاني القرآن للفراء ٣١٣/٢.

(٣) في هـ. موسى.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣١٣/٢ بتصرف.

(٥) هذا البيت من أبيات سيويه الخمسين التي لا يعرف قائلها انظر خزنة الادب لعبد القادر بن عمر البغدادي واللسان مادة غفر ومعاني القرآن للفراء ٢٨٩/٢ تحقيق محمد على النجار.

سورة العنكبوت

مكية وآياتها تسع وستون

أخبرنا أبو سعد الخفاف مجاور الجامع، أنا أبو عمرو بن مطر، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال لي رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين».

الْم أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ قال الشعبي أنزلت في أناس كانوا بمكة قد أروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب نبي الله ﷺ أنه لا يقبل منكم إقرار ولا إسلام حتى تهاجروا فخرجوا إلى المدينة فاتبعهم المشركون فأذوهم فنزلت فيهم^(٢) هذه الآية قال ابن عباس يريد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن^(٣) هشام وعياش بن أبي ربيعة والوليد^(٤) بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم^(٥)، قال الزجاج: [المعنى]^(٦): أحسبوا أن يفتنهم بأن يقولوا إنا مؤمنون فقط ولا يمتحنون بما يبين به حقيقة إيمانهم وهو قوله ﴿أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ قال السدي ومجاهد وقتادة: لا يتلون في أموالهم وأنفسهم بالقتل والتعذيب [والضرب]^(٧) ثم أخبر عن فتنة من قبل هذه الأمة من المؤمنين فقال: ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ قال ابن عباس: منهم إبراهيم خليل الرحمن وقوم كانوا معه ومن بعده

(١) لم نعثر له على أصل ويراجع أول مريم والحج.

(٢) تفسير الطبري عن الشعبي ٨٣/٢.

(٣) سلمة بن هشام بن المغيرة المخزومي أبو هشام الصحابي ت سنة ١٤ هـ انظر الاصابة ترجمة (٣٣٩٦) تهذيب التهذيب ابن عساکر ٢٣٤/٦.

(٤) الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي أخو خالد بن الوليد: أسد الغابة ٤٥٤/٥.

(٥) ويؤيد هذا ما رواه البخاري في كتاب الاكراه من صحيحه أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام والوليد بن الوليد اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعل عليهم سنين كسني يوسف انظر البخاري ٢٥/٩ ط الشعب.

(٦) من هـ.

(٧) من أ، وفي هـ: النقصان موضع الضرب.

نشروا بالمناشير على دين الله فلم يرجعوا عنه ^(١) وقال غيره: يعني بني إسرائيل ابتلوا بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب وقوله ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ في إيمانهم ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ [في إيمانهم] ^(٢) فيشكوا عند البلاء، ثم أوعد كفار العرب فقال ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ يعني الشرك، قال ابن عباس: يريد الوليد بن المغيرة ^(٣)، وأبا جهل والأسود والعاصي بن هشام وغيرهم ﴿أن يسبقونا﴾ يفوقونا ويعجزونا ﴿سواء ما يحكمون﴾ بش ما حكموا لأنفسهم حين ظنوا ذلك.

مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۖ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ

قوله ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾ من كان يخشى البعث ويخاف الحساب والرجاء بمعنى: الخوف كثير، قال سعيد بن جبير: من كان يطمع في ثواب الله واختار الزجاج فقال معناه من كان يرجو ثواب لقاء الله أي ثواب المصير إليه والرجاء على هذا القول معناه الأمل ﴿فإن أجل الله لآت﴾ أي الأجل المضروب للبعث يأتي قال مقاتل: يعني يوم القيامة [آت] ^(٤) والمعنى: فليعمل لذلك اليوم كقولہ ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً﴾ ^(٥) روى مكحول أن النبي ﷺ قال لما نزلت هذه الآية يا علي ويا فاطمة إن الله قد أنزل من كان يرجو لقاء الله [فإن أجل الله لآت]. وإن حقيقة رجاء لقاء الله ^(٦) أن يستعد الإنسان لأجل الله إذا كان آتياً باتباع طاعته واجتناب معصيته ^(٧) وهو يعلم أن الله يسمع ^(٨) ما يقول ويعلم ما يعمل ولذلك قال ﴿وهو السميع العليم﴾.

قوله ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾ قال مقاتل: يقول: من يعمل الخير فإنما يعمل لنفسه ﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ عن أعمالهم وعبادتهم ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾ لنبطلنها حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل ﴿ولنجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾ أي بأحسن أعمالهم وهو الطاعة ولا يجزيهم بمساوىء أعمالهم، قوله:

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنْتَبِهُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۖ

﴿ووصينا الإنسان بالديه حسناً﴾ أي برأ وعطفاً عليهما، قال الزجاج معناه: ووصينا الإنسان أن يفعل بالديه ما

(١) يؤيد هذا القول ما جاء في البخاري عن خباب بن الارت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوصد برده له في ظل الكعبة، فقلنا ألا تستغفر لنا ألا تدعو لنا فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيعمل فيها فيجاء بالمشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصدده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون. كتاب الاكراه ٢٥/٩ من صحيح البخاري.

(٢) ساقط من هـ.

(٦) ساقط من هـ.

(٣) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم نسب قريش ص ٣٠٢.

(٧) في هـ: معاصبه.

(٤) ساقط من جـ.

(٨) في هـ: لسمع.

(٥) الكهف: ١١٠.

يحسن ﴿وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم﴾ أي لتشرك بي شريكاً لا تعلمه لي ﴿فلا تطعهما﴾ أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الأصفهاني أنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان، أنا أبو يعلى، نا أحمد^(١) بن أيوب بن راشد الضبي، نا مسلمة^(٢) بن علقمة، نا داود بن أبي هند عن أبي عثمان النهدي أن سعد بن مالك قال نزلت في هذه الآية وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم قال: كنت رجلاً برأ بأمي فلما أسلمت قالت: يا سعد ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أو لا أكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال: يا قاتل أمه قلت لا تفعلني يا أمه إني لا أبيع ديني هذا لشيء قال: فمكثت يوماً لا تأكل و ليلة فأصبحت قد جهدت ثم مكثت يوماً آخر و ليلة لا تأكل فلما رأيت ذلك قلت: تعلمين والله يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء فكلني وإن شئت بلا تأكلي فلما رأت ذلك [مني]^(٣) أكلت فأنزل الله هذه الآية ﴿وإن جاهداك﴾^(٤) ثم أوعد بالمصير إليه فقال: ﴿ي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ أي أخبركم بمآل أعمالكم وسيئها لأجازيكم عليها ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾ أي في زمرة الأنبياء والأولياء.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾

﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ قال مجاهد: نزلت في أناس يؤمنون بالستهم فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم وأموالهم افتتنوا فجعلوا^(٥) ذلك كعذاب الله في الآخرة وهو قوله ﴿فإذا أُوذِيَ في الله جعل فتنة الناس﴾ ما يصيبهم من عذابهم ﴿كعذاب الله﴾ أي جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه فأطاع الناس كما يطيع الله من خاف من عذابه وهذا قول السدي وابن زيد قالوا: هو المنافق إذا أُوذِيَ في الله رجع عن الدين فكفر، قال الزجاج: وينبغي للمؤمن أن يصبر على الأذى في الله وقال عكرمة عن ابن عباس: نزلت في المؤمنين الذين أخرجهم المشركون إلى بدر فارتدوا وهم الذين نزلت فيهم ﴿إن الذين توفاهم الملائكة﴾^(٦) ﴿ولئن جاء نصر من ربك﴾ يعني دولة للمؤمنين ونصر لأولياء الله ﴿ليقولن﴾ يعني المنافقين للمؤمنين ﴿إنا كنا معكم﴾ على عدوكم فكذبهم الله قال ﴿أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ من الإيمان والنفاق وغير ذلك أي لا يخفى عليه كذبهم فيما قالوا إنا كنا معكم على عدوكم ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾ قال مقاتل والكلبي: وليرين الله الذين صدقوا عند البلاء فثبتوا على الإسلام ﴿وليعلمن المنافقين﴾ بالشك عند البلاء وترك الإيمان. قوله: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ

(١) أحمد بن أيوب بن راشد الضبي (ثقة) تهذيب التهذيب ١٧/١ الجرح والتعديل ٤٠/١.

(٢) مسلمة بن علقمة المازني أبو محمد البصري انظر تهذيب التهذيب ١٠/١٤٤.

(٣) ساقط من ج، ب، هـ.

(٤) رواه مسلم مختصراً في كتاب فضائل الصحابة باب في فضائل سعد بن أبي وقاص ٤/١٨٧٥ ط الحلي. وأبو يعلى والطبراني وابن مردويه وابن عساكر عن أبي عثمان النهدي الدر المنثور ٥/١٦٥.

(٥) في هـ: فجعل.

(٦) النساء: ٩٧ وانظر تفسير ابن جرير ١٠/٨٦.

مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلِيَحْمِلُوا أُنْقَالَهُمْ وَأَتْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْتَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا﴾^(١) اتبعوا سبيلنا، قال مجاهد: هذا من قول كفار مكة لمن آمن منهم قالوا لهم لا نبعث نحن ولا أنتم فاتبعونا فإن كان عليكم شيء فهو علينا ونحو هذا قال الكلبي ومقاتل: إن أبا سفيان قال لمن آمن من قريش: اتبعوا ديننا ملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم فذلك قوله ﴿ولنحمل خطاياكم﴾^(٢) وهو جزم على الأمر كأنهم أمروا أنفسهم بذلك قال الله تعالى ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون﴾ فيما ضمنوا من حمل خطاياهم ﴿وليحملن أثقالهم﴾ يعني: أوزارهم التي عملوها ﴿وأثقالاً مع أثقالهم﴾ أوزاراً مع أوزارهم لقولهم^(٣) للمؤمنين اتبعوا سبيلنا وهذا كقوله ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾^(٤) ونحو هذا ما روي أن النبي ﷺ قال «أيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع فعلية مثل أوزار من اتبعه من غير أن يتقص من أوزارهم شيئاً»^(٥) ﴿وليسألن يوم القيامة﴾ سؤال توبيخ وتقريع ﴿عما كانوا يفترون﴾ قال ابن عباس: يقولون على الله الكذب، وقال مقاتل: يعني قولهم نحن الكفلاء بكل تبعة تصيبكم من الله ثم عزى نبيه بما ابتلي به النبيون من قبله من قومهم. فقال:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم﴾ أقام فيهم يدعوهم إلى الله ﴿ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾ أخبرنا عمر بن أحمد بن عمر الزاهد أنا عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الصوفي، أنا محمد بن أيوب، أنا هديبة، أنا حماد بن مسلمة عن علي بن زيد عن يوسف^(٦) بن مهران عن ابن عباس: قال: بعث نوح بعد أربعين سنة عاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا^(٧) وقوله ﴿فأخذهم الطوفان﴾ قال مقاتل: يعني الماء طفا فوق كل شيء فغرقوا ﴿وهم ظالمون﴾ قال ابن عباس: مشركون ﴿فأنجيناه﴾^(٨) يعني نوحاً من الغرق ﴿وأصحاب السفينة﴾ الذين كانوا معه فيها ﴿وجعلناها آية للعالمين﴾ تركنا السفينة عبرة لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسولهم فعلنا بهم مثل ذلك.

(١) ساقط من هـ.

(٢) روى ابن جرير الطبري هذا الخبر قولاً لمجاهد من غير تعيين قائل ٨٦/٢٠.

(٣) فيما عدا ب، هـ بقولهم.

(٤) النحل: ٢٥.

(٥) رواه أبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة حديث ٢٠١/٤٦٠٩ وابن ماجه في المقدمة باب من سن سنة حسنة أو سيئة حديث

٧٥/١٢٠٦، وابن حنبل ٣٩٧/٢.

(٦) يوسف بن مهران: ثقة ميزان الاعتدال ٤٧٤/٤.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة والحاكم وابن مردويه وابن أبي حاتم - انظر الدر المنثور ١٤٣/٥.

(٨) في هـ: فأنجيناه وهو تصحيف.

وَأَبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَّا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ
اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَكذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى
الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾

﴿وإبراهيم﴾ عطفاً على نوح، المعنى: وأرسلنا إبراهيم ﴿إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه﴾ أطيعوا
الله وخافوه ﴿ذلكم﴾ يعني عبادة الله ﴿خير لكم﴾ من عبادة الأوثان ﴿إن كنتم تعلمون﴾ (١) ولكنكم
لا تعلمون ﴿إنما تعبدون من دون الله أوثاناً﴾ قال ابن عباس: يريد الاصنام التي تتخذ من الحجارة
والخشب ﴿وتخلقون إفكاً﴾ قال السدي: تقولون كذباً يعني زعمهم أنها آلهة ثم ذكر عجز الآلهة عن رزق
عابديها فقال ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً﴾ (٢) لا يقدر أن يرزقكم ﴿فابتغوا عند الله
الرزق﴾ فاطلبوا الرزق مني فإنا القادر على ذلك وما بعدها هذا ظاهر إلى قوله:

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَعَذِّبُ مَن
يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن
دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي
وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

﴿أو لم يروا﴾ يعني كفار مكة ومن قرأ بالتاء (٣) فهو خطاب لهم ﴿كيف يبديء الله الخلق﴾ كيف
يخلقهم الله ابتداءً من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة إلى تمام الخلق ﴿ثم يعيده﴾ في الآخر
عند البعث ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ قال ابن عباس: يريد الخلق الأول والخلق الآخر ﴿قل سيروا﴾
في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴿أي ابحثوا وانظروا هل تجدون خالقاً غير الله فإذا علموا أنه لا خالق
ابتداءً إلا الله لزمتهم الحجاة في الإعادة وهو قوله ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ أي ثم الله الذي خلقها وبدأ
خلقها [ينشئها] (٤) نشأة ثانية وقرأ أبو عمرو (٥) بالمد [١] قال الفراء: وهو مثل الرأفة [والرأفة] (٦) والكأبة والكأبة كل
نواب (٨) ﴿إن الله على كل شيء﴾ من البدء والإعادة ﴿قدير﴾ قوله ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾ قال

(١) في هـ: لا تعلمون.

(٢) في هـ: تدعون وهو تحريف.

(٣) قراءة (تروا) بناء الخطاب، قرأ بها: حمزة والكسائي وخلف ورواية عن أبي بكر انظر السبعة ص ٤٩٨ والنشر ٢/٣٤٣.

(٤) بياض من هـ.

(٥) قرأ أبو عمرو وابن كثير النشأة بالمد انظر النشر ٢/٣٤٣، والسبعة ٤٩٨.

(٦) ٧-٦) بياض في هـ.

(٨) معاني القرآن للفراء ٢/٣١٥.

قطرب^(١): معناه ولا في السماء لو كنتم فيها كقولك ما يفوتني فلان ها هنا ولا بالبصرة لو صار إليها وهذا معنى قول مقاتل^(٢) وما أنتم يا كفار مكة بسابقي الله فتفوتونه في الأرض كنتم أو في السماء كنتم أينما تكونوا حتى يجزيكم بأعمالكم السيئة ﴿وما لكم من دون الله من ولي﴾ يمنعكم مني ﴿ولا نصير﴾ ينصركم من عذابي ﴿والذين كفروا بآيات الله ولقائه﴾ بالقرآن والبعث بعد الموت ﴿أولئك يشسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم﴾ يعني من جنتي ثم عاد الكلام إلى قصة ابراهيم وهو قوله:

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۖ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

﴿فما كان جواب قومه﴾ يعني حين دعاهم إلى الله ونهاهم عن عبادة الأصنام ﴿إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه﴾ وفي هذا تسفيه لهم حين أجابوا من احتج عليهم بأن يقتل أو يحرق ﴿فأنجاه الله من النار﴾ قال مقاتل: فقدفوه في النار فأنجاه الله [من ذلك] ^(٣) ﴿إن في ذلك﴾ أي إن في إنجاء الله إبراهيم من النار حتى لم تحرقه ﴿آيات لقوم يؤمنون﴾ بتوحيد الله وقدرته ﴿وقال﴾ ابراهيم لقومه ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم﴾ قال الزجاج ^(٤) ترفع مودة على اضممار هي كأنه قال تلك ^(٥) مودة بينكم أي ألفتكم واجتماعكم على الأصنام مودة بينكم ﴿في الحياة الدنيا﴾ وقرأ عاصم مودة بالرفع والتنوين بينكم ^(٦) نصباً ^(٧) وهذه القراءة كالأولى إلا أنه لم يضيف المودة ونصب بينكم على الظرف، وقرأ حمزة مودة نصباً من غير تنوين بينكم خفضاً ^(٨) جعل ما مع أن كافة ولم يجعلها بمعنى الذي ونصب مودة على أنه مفعول له أي اتخذتم الأوثان للمودة ثم أضافها إلى بينكم كما أضاف من وقع وقرأ نافع وابن عامر مودة بالنصب والتنوين بينكم بالنصب وهذه القراءة كقراءة حمزة ^(٩) في المعنى إلا أنه لم يضيف المودة قال المفسرون: يقول ^(١٠) انكم جعلتم الأوثان تتحابون على عبادتها وتتواصلون عليها في الحياة الدنيا ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض﴾ يتبرأ القادة من الاتباع ﴿ويلعن بعضكم بعضاً﴾ يلعن الأتباع القادة لأنهم زينوا لهم الكفر ﴿ومأواكم﴾ ومصيركم جميعاً ﴿النار وما لكم من ناصرين﴾ مانعين منها.

﴿فَأَمَّا لِمِ لُوطٍ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ الشُّبُهَةَ وَالْكَتَابَ وَأَعْيَنَّا لَهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾

(١) قطرب: محمد بن المستنير بن أحمد أبو علي ت سنة ٢٠٦ هـ بغية الوعاة ١٠٤ وفيات الأعيان ١/٤٩٤، تاريخ بغداد ٣/٢٩٨.

(٢) في هـ قوله القائل يقول.

(٣) ساقط من جميع النسخ عدا ب.

(٤) في أ: قال الزجاج: مودة بينكم ترفع مودة... الخ.

(٥) انظر السبعة ص ٤٩٩ والنشر ٢/٣٤٣.

(٦) انظر السبعة ص ٤٩٩ والنشر ٢/٣٤٣.

(٧) انظر السبعة ص ٤٩٩ والنشر ٢/٣٤٣.

(٨) في هـ: يقولون.

(٩) في أ بينك.

﴿فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ﴾ صدق بإبراهيم لوط وهو ابن أخيه^(١) ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّي مَهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ هاجر من كوثا وهو سواد العراق^(٢) إلى الشام وهجر قومه المشركين والمعنى: إلى حيث أمرني ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ من بعد اسماعيل ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ من اسحاق ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ وذلك أن الله لم يعث نبياً من بعد إبراهيم إلا من صلبه ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ يعني الثناء الحسن فكل أهل الأديان يحبونه ويتولونه، وقال السدي: هو أنه أزي مكانه في الجنة ثم أعلم أن له مع^(٣) ما أعطي في الدنيا الدرجات العلى بقوله: ﴿وَإِنَّ فِي الْآخِرَةِ لَمُنَ الصَّالِحِينَ﴾ قال ابن عباس مثل آدم ونوح أي أنه في درجتها وقد قال الله ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾^(٤)

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيُّكُمْ لَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

وما بعد هذا مفسر إلى قوله ﴿وتقطعون السبيل﴾ وذلك أنهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين فلما فعلوا ذلك ترك الناس الممر بهم، قال الفراء: كانوا يعترضون الناس من الطرق لعملهم الخبيث^(٥) ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ النادي والنادي والمنتدى مجلس القوم ومتحدثهم، قال ابن عباس ومجاهد: هو إتيانهم الرجال واستمكنت تلك الفاحشة فيهم حتى فعل بعضهم ببعض في المجالس وقال القاسم بن محمد: هو أنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم^(٦) أخبرنا الحسن بن أحمد بن عبيد الله بن حمشاد العدل أنا حمد بن الفضل بن محمد^(٧) السلمي، أنا جدي، نا بشر بن معاذ، نا يزيد بن زريع، نا زريع، نا حاتم بن^(٨) أبي صغيرة عن سماك بن حرب عن أبي صالح عن أم هانئ^(٩) بنت أبي طالب قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله وتأتون في ناديكم المنكر قلت ما المنكر الذي كانوا يأتون؟ قال: كانوا يجذفون أهل الطريق ويسخرون منهم^(١٠) رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه عن أبي بكر بن^(١١) اسحاق عن موسى بن إسحاق^(١٢) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة عن حاتم، قال الزجاج: وفي هذا إعلام أنه لا ينبغي أن يتعاشر الناس على المناكير وأن لا يجتمعوا على الهزء والمناهي ولما أنكر لوط على قومه ما كانوا يأتونه من القبائح قالوا له استهزاء: ﴿أتتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ أن العذاب نازل بنا وعند

(١) في أ، دأخته، وهو لوط بن هارون بن تارح قصص الانبياء لابن كثير ص ١٩٢ كثير.

(٢) معجم البلدان ٤/٤٧٨.

(٣) في ه أنه معما.

(٤) طه: ٧٥.

(٥) في ج. د، ه: محمد.

(٦) حاتم بن أبي صغيرة مسلم القشيري البصري أبو يونس تهذيب التهذيب ٢/١٣٠.

(٧) أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمية ابنة عم النبي ﷺ عاشت بعد خلافة علي. الاصابة ٤/٥٠٣ ط أولى.

(٨) رواه الحاكم في كتاب التفسير سورة العنكبوت وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ١/٤٠٩.

(٩) أبو بكر اسحاق بن يسار المظلي مولا هم تهذيب التهذيب ٢٣/١٢.

(١٠) في أ عن أبي بكر بن اسحاق مكررة.

ذلك ﴿قال﴾ لوط ﴿رب انصرنني﴾ أي بتحقيق قولي في العذاب ﴿على القوم المفسدين﴾ العاصين بإتيان الرجال فاستجاب (١) الله دعاءه فبعث (٢) جبريل ومعه الملائكة لتعذيب قومه وهو قوله:

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّي فِيهَا لُوطٌ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَكُنُّ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَحْفَ وَلَا تُحْزِنْ إِنَّا مُنْجُونَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا تَكُنُّ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَلِيمِينَ ﴿٣٧﴾

﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ أي بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿قالوا﴾ (٣) إنا مهلكوا أهل هذه القرية ﴿يعنون قرية لوط﴾ إنا أهلها كانوا ظالمين ﴿يعني مشركين، وما بعد هذا مفسر في سورة هود إلى قوله﴾ إنا منجوك وأهلك ﴿يعني بناته قال المبرد: الكاف في منجوك مخفوضة ولم يجز عطف الظاهر على الضمير المخفوض فحمل الثاني على المعنى وصار التقدير ونجى أهلك ومنجون أهلك قوله﴾ إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء ﴿قال مقاتل: يعني الخسف والحصب﴾ بما كانوا يفسقون ﴿جزاء لفسقهم﴾ ولقد تركنا منها آية بينة ﴿يعني آثار منازلهم الخربة، وقال قتادة: هي الحجارة التي أبقاها الله فأدركها أوائل هذه الأمة، وقال مجاهد: هي الماء الأسود على وجه الأرض، وما بعد هذا مفسر إلى قوله:

﴿وارجوا اليوم الآخر﴾ قال مقاتل: واخشوا البعث الذي فيه جزاء الأعمال وقوله:

وَعَادًا وَنَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَينِهِمْ وَزَيْنِ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ
عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُلُوبٌ وَفِرْعَوْنُ وَهَمَلٌ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ
فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٤٠﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَفْنَا وَمَا كَانُ اللَّهُ
لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤١﴾

(١ - ٢) فيما عداه واستجاب، وبعث.

(٣) في: ما، قال.

﴿وَعَاداً وَثَمُوداً﴾ قال مقاتل والزجاج: وأهلكنا عاداً وثموداً ﴿وقد تبين لكم من مساكنهم﴾ ظهر لكم يا أهل مكة من منازلهم بالحجر والحجاز واليمن آية في هلاكهم، وقوله: ﴿وكانوا مستبصرين﴾ يقال استبصر في أمره إذا كان إذا بصيرة، قال قتادة والكلبي انهم كانوا مستبصرين في دينهم وضلالتهم معجبين بما يحسبون أنهم على هدى ويرون أن أمرهم حق، والمعنى: أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين فيما كانوا عليه من الضلالة قوله: ﴿ذَكَرْنَا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي عاقبنا^(١) بتكذيبه الرسل ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً﴾ يعني قوم لوط ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ يعني ثموداً ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ يعني قارون وأصحابه ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ يعني قوم نوح وفرعون ﴿وما كان الله ليعذبهم﴾ ليعذبهم^(٢) على غير ذنب ثم ضرب لهم مثلاً فقال:

مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٩﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٠﴾

﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ يعني: الأصنام يتخذونها أولياء، يرجون ضرها ونفعها ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً﴾ وبيتها لا يغني عنها في حر ولا قر ولا مطر كذلك آلهتهم لا تترزقهم شيئاً ولا تملك لهم ضرراً ولا نفعاً ﴿وإن أوهن البيوت لبیت العنكبوت﴾ لا بيت أضعف منه فيما يتخذه الهوام ﴿لو كانوا يعلمون﴾ ان اتخذهم [الأولياء]^(٣) كاتخاذ العنكبوت بيتاً ﴿إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء﴾ أي أنه عالم بما عبدتموه من دونه لا يخفى على^(٤) الله ذلك فهو يجازيكم على كفركم ﴿وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثال﴾ يعني أمثال القرآن وهي التي شبه بها أحوال كفار هذه الأمة بأحوال كفار الأمم المتقدمة ﴿نضربها للناس﴾^(٥) قال مقاتل: نبينها لكفار مكة ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ وما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله.

حدثنا الأستاذ إسماعيل بن إبراهيم النصر آبادي، أنا محمد بن يعقوب الحافظ، أنا أحمد بن إبراهيم القطان^(٦)، نا الحارث^(٨)، نا داود بن^(٩) المحبر نا عباد عن ابن جريج عن عطاء وأبي^(١٠) الزبير عن جابر أن النبي ﷺ: «تلا هذه الآية وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون قال: العالم الذي عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه»^(١١) قوله:

(١) في هـ: عاقبنا.

(٢) في هـ: فيعذبهم.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) في هـ: عليه.

(٥) (٨) الحارث بن أبي أسامة محمد بن أبي أسامة أبو محمد التيمي تقدم.

(٩) داود بن المحبر بن محزم بن سليمان الطائي أبو سليمان البصري ت سنة ٢٠٦ هـ قال عنه ابن حجر: متروك وأكثر كتاب العقل الذي صنعه موضوعات وذكره الدارقطني في كتابه الضعفاء والمتروكين وبين أنه متروك الحديث تهذيب التهذيب ٣/١٩٩، التقريب ٣٢٤/١، الضعفاء والمتروكين ص ٢٠٢ ط الريان.

(١٠) في جـ، د ابن والصحيح أبو الزبير وهو محمد بن مسلم بن تدرس الاسدي المكي ت سنة ١٢٨ هـ صدوق إلا أنه يدللس تلذرة الحافظ ١/١٢٥، تهذيب التهذيب ٥/٢٠١.

(١١) من سند الحديث نستطيع أن نحكم بأنه حديث ضعيف من هذا الوجه وذلك لضعف داود بن المحبر أحد رواة ويكفي قول ابن حجر فيه متروك وأكثر كتاب العقل الذي وضعه موضوعات.

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

﴿خلق الله السموات والارض بالحق﴾ أي للحق وإظهار الحق ﴿إن في ذلك﴾ في خلقها ﴿آية المؤمنين﴾ لدلالة على قدرة الله وتوحيده ﴿اتل ما أوحى إليك من الكتاب﴾ يعني القرآن ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ الفحشاء ما قبح من العمل والمنكر لا يعرف في شريعة ولا سنة قال ابن عباس: في الصلاة منتهى ومزجر عن معاصي الله فمن لم تنته صلواته عن المعاصي لم يزد إلا بعداً وهذا قول الحسن وقتادة قال: من لم تنته صلواته عن الفحشاء والمنكر فليس صلواته بصلاة وهي وبال عليه، أخبرنا أبو نصر الجوزقي، أنا بشر بن أحمد بن عيسى بن السكين، نا هاشم بن القاسم الحرافي، نا عثمان^(١) بن عبد الرحمن نا عمر^(٢) بن شاعر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ (من لم تنته صلواته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً) أخبرنا أبو بكر التميمي، أنا عبد الله بن محمد بن حبان، نا عبد الرحمن بن^(٣) محمد الرازي، نا سهل بن عثمان، نا [أبو مالك]^(٤) عن جوير^(٥) عن الضحاك عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يطبع الصلاة وطباعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر»^(٦) ومعنى هذا أن الله تعالى أخبر أن الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فمن أقامها ثم لم ينته عن المعاصي لم تكن صلواته بالصفة التي وصفها الله فإذا لم تكن بتلك الصفة لم تكن صلاة فإن تاب يوماً وترك معاصيه تبينا أن ذلك من نهي الصلاة، وأن صلواته كانت نافعة له ناهية وإن لم ينته إلا بعد زمان، وقوله ﴿ولذكر الله أكبر﴾ يعني مما سواه وأفضل من كل شيء قال قتادة: ليس أفضل من ذكر الله، والمعنى أن العبد إذا كان ذاكراً لله لم يجز عليه القلم بمعصية لأنه إذا ذكر الله ارتدع عما يهيم به من السوء ولهذا قال الفراء وابن قتيبة: ولذكر الله هو التسبيح والتلهيل يقول هو أكبر وأحرى بأن ينتهى عن الفحشاء والمنكر أي من كان ذاكراً لله فيجب أن ينهأ عن الفحشاء والمنكر^(٧) أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري نا محمد بن يعقوب، نا محمد بن إسحاق الصغاني، نا حسن بن موسى^(٨) الأشيب نا حماد عن ثابت^(٩) البنانى أن رجلاً أعتق أربع رقاب فقال آخره سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثم دخل المسجد فأتى حبيب بن أوفى

(١) عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التميمي (ثقة) تهذيب التهذيب ١٣٣/٧.

(٢) عمر بن شاعر البصري قال ابن حجر في التهذيب يروي عن أنس المناكير ٤٥٩/٧ وفي التقريب ضعيف الحديث ٥٧/٢ تذكرة الحفاظ ٦٩٠/٢، طبقات المفسرين للداودي ٢٨٢/١ طبقات الحفاظ (ص ٣٠) وقد بين الشيخ ناصر الألباني بأن هذا الحديث غير صحيح الإسناد إلى النبي ﷺ وإنما صح من قول ابن مسعود والحسن البصري وروي عن ابن عباس سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١٤/١.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن مسلم أبو يحيى الرازي ت سنة ٢٩١ تذكرة الحفاظ ٦٩٠/٢.

(٤) ساقط من ج.

(٥) جوير بن سعيد الأزدي أبو القاسم البلخي ت ما بين الأربعين والخمسين ومائة في تهذيب التهذيب: يروي عن الضحاك أحاديث مقلوبة

١٢٤/٢ وذكره الدارقطني في كتابه الضعفاء والمتروكين وبين أنه متروك الضعفاء والمتروكين للدارقطني ص ١٧١.

(٦) من سند هذا الحديث نستطيع أن نحكم بأنه حديث ضعيف من هذا الوجه وذلك لضعف جوير بن سعيد أحد رواة.

(٧) معاني القرآن للفراء ٣١٧/٢ بتصرف، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٣٨.

(٨) حسن بن موسى الأشيب أبو علي البغدادي تاريخ بغداد ٤٢٦/٧، تذكرة الحفاظ ٣٦٩/١، طبقات الحفاظ ص ١٥٥.

(٩) ثابت بن أسلم البنانى أبو محمد البصري تهذيب التهذيب ٣/٢، التقريب ١٥/١.

المسلمي فقال: ما تقول في رجل أعتق أربع رقاب وأني أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ففها أفضل فنظروا هنيهة فقالوا: ما نعلم شيئاً أفضل من ذكر الله وفي الآية قول آخر وهو أن المعنى ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه قال مقاتل: إذا صليت لله فقد ذكرته فيذكرك الله بخير وذكر الله إياك أفضل من ذكرك إياه. أخبرنا أبو نعيم المهرجاني، أنا بشر بن أحمد بن بشر، أنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار نا علي^(١) بن الجعد، نا فضيل بن^(٢) مرزوق عن عطية العوفي [عن أبي]^(٣) في قوله «ولذكر الله أكبر» قال: أكبر من ذكر العبد لله. أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ، أنا عبد الله بن محمد بن جعفر، نا أبو يحيى عبد الرحمن بن محمد الرازي، نا سهل بن عثمان نا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن^(٤) عبد الله بن ربيعة قال: قال ابن عباس: رأيت قول الله عز وجل ﴿ولذكر الله أكبر﴾ قال: قلت ذكر الله بالقرآن حسن وذكره بالصلاة حسن وبالتسبيح والتكبير حسن وأفضل من ذلك أن يذكر الرجل ربه عند المعصية فينحجز عنها، قال ابن عباس: لقد قلت قولاً عجباً وما هو كما قلت ولكن ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه أخبرنا محمد بن عبد العزيز المروزي فيما أجاز لي روايته عنه أنا محمد بن الحسين^(٥) الحدادي نا محمد بن يحيى، نا أسحاق بن إبراهيم، نا عبد الأعلى عن داود بن أبي هند عن محمد^(٦) بن أبي موسى: اني كنت قاعداً عند ابن عباس فجاء رجل فسأله عن ذكر الله أكبر فقال: الصلاة والصوم ذلك ذكر الله فقال الرجل: إني تركت رجلاً في رحلي يقول غير هذا قال: ذكر الله العباد أكبر من ذكر العباد إياه فقال ابن عباس: صدق والله صاحبك وقوله: ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ قال عطاء: يريد لا يخفى على الله شيء، قوله:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمَّ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١)

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ أي بالقرآن والدعاء إلى الله بآياته والتنبية على حججه ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ إلا من أبى أن يقر بالجزية ونصب الحرب فجادلوا هؤلاء بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿وقولوا﴾ لمن قبل الجزية منهم إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم ﴿آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ^(٢) وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأَرْتَابَ

(١) علي بن عبيد الجوهري البغدادي ت سنة ٢٣٠ هـ عن ست وتسعين سنة انظر تاريخ بغداد ١١/٢٦٠، تذكرة الحفاظ ١/٣٩٩، شذرات الذهب ٢/٦٨.

(٢) فضيل بن مرزوق الاغر الرقاشي الكوفي أبو عبد الرحمن ت سنة ١٦٠ هـ انظر تهذيب التهذيب ٨/٢٩٩.

(٣) ساقط من جميع النسخ عدا هـ.

(٤) عبد الله بن ربيعة بن فرقد السلمي الكوفي. انظر تهذيب التهذيب ٥/٢٠٩.

(٥) في د، هـ: الحسن.

(٦) محمد بن أبي موسى له ذكر في تهذيب التهذيب ٩/٤٨٣.

الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾

﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب﴾ وكما أنزلنا عليهم الكتاب أنزلنا إليك^(١) الكتاب ﴿فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به﴾ يعني مؤمني أهل الكتاب ﴿ومن هؤلاء﴾ يعني كفار مكة ﴿من يؤمن به﴾ يعني من أسلم منهم ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ أي بعد المعرفة ﴿إلا الكافرون﴾ من اليهود وذلك أنهم عرفوا أن محمداً نبي والقرآن حق فجحدوا وتنكروا ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب﴾ وما كنت تقرأ قبل القرآن كتاباً أي ما كنت قارئاً ولا كاتباً قبل الوحي وهو قوله ﴿ولا تخطه بيمينك﴾ وكذا كان صفته في التوراة والإنجيل أمي لا يقرأ ولا يكتب وقوله ﴿إذا لارتاب المبطلون﴾ ولو كنت قارئاً كاتباً لشك اليهود فيك وقالوا إن الذي نجده في التوراة أمي لا يقرأ الكتاب وما كانوا يرتابون في نبوة محمد لما يجدونه من نعتة ولكنهم جحدوا نبوته بعد اليقين فلو كان كاتباً قارئاً لكان بغير النعت الذي عرفوه فكانوا يشكون والمبطل الذي يأتي بالباطل وكل من ادعى ديناً غير الإسلام فهو مبطل، قوله: ﴿بل هو آيات بينات﴾ قال الحسن: القرآن [آيات بينات]^(٢) ﴿في صدور الذين أوتوا العلم﴾ يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ وحملوه بعده وقال قتادة ومقاتل: بل يعني محمداً ﷺ و [هو آيات]^(٣) بينات أي ذو آيات بينات في صدور [أهل]^(٤) العلم من أهل الكتاب لأنهم يجدونه بنعته وصفته ﴿وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾ يعني كفار اليهود.

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أُولَئِكَ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَاذْكُرِي لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

﴿وقالوا﴾ يعني كفار مكة ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ هلا أنزل على محمد آية من ربه كما كانت الأنبياء يجيء بها إلى قومهم وقرىء آيات على الجمع وقد تقع آية على الكثرة وإن كانت على لفظ الواحد فالقراءتان معناهما واحد ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ هو القادر على إرسالها إذا شاء أرسلها ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ أندر أهل المعصية بالنار وليس إنزال الآيات بيدي ولما سألوا الآيات قال الله تعالى: ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب﴾ أولم يكفهم من الآيات القرآن ﴿يتلى عليهم﴾ فيه خبر ما بعدهم وما قبلهم ﴿إن في ذلك﴾ في إنزال الكتاب عليك ﴿لرحمة﴾ لمن آمن وعمل به ﴿وذكرى﴾ وتذكير أو موعظة ﴿للقوم يؤمنون﴾ قال مقاتل: فكذبوا بالقرآن فنزل ﴿قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً﴾ أي بالله شاهداً بيناً أي رسوله وكفى هو شاهداً ﴿يعلم ما في السموات والأرض﴾ وشهادة الله له إثبات المعجزة له بإنزال الكتاب عليه ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ قال ابن عباس: بغير الله وقال مقاتل: بعبادة الشيطان ﴿وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون﴾ بالعقوبة وفوت المثوبة.

(١) في هـ: عليك.

(٤) ساقط من هـ.

(٢ - ٣) بياض في هـ.

وَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ استهزاء وتكديباً منهم بذلك ﴿ولولا أجل مسمى﴾ لعذابهم وهو يوم القيامة وبالضحك: يعني مدة أعمارهم لأنهم إذا ماتوا صاروا إلى العذاب ﴿لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ بإتيانه ثم ذكر أن موعد عذابهم النار فقال ﴿يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ جامعة لهم ﴿يوم يغشاهم﴾ يعلوهم ﴿العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ كقوله ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾ (١) ﴿ويقول﴾ بالياء يعني (٢) الموكل بعذابهم يقول لهم ﴿ذوقوا﴾ ومن قرأ بالنون (٣) فلأن ذلك لما كان بأمره سبحانه عزاز أن ينصب، ومعنى ﴿ما كنتم تعملون﴾ أي جزاء ما كنتم تعملون من الكفر والتكذيب قوله:

يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

﴿يا عبادي الذي آمنوا إن أرضي واسعة﴾ قال مقاتل: نزلت في ضعفاء المسلمين (٤) بمكة يقول إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها قال الزجاج: أمروا بالهجرة من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله وكذلك يجب على من كان في بلدة يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يتهاى له أن يعبد الله حق عبادته (٥) ثم خوفهم بالموت لتهدون عليهم الهجرة فقال: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ أي كل أحد ميت أيها كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت ﴿ثم إلينا ترجعون﴾ بعد الموت فنجزيكم بأعمالكم ثم ذكر ثواب من هاجر فقال ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يعني المهاجرين ﴿لننبؤنهم من الجنة غرفاً﴾ قال ابن عباس: لنسكنهم غرف الدر والزبرجد والياقوت ولننزلنهم قصور الجنة، وقرأ حمزة لثوبنهم (٦) قال الزجاج: يقال ثوى الرجل إذا أقام وأثويته إذا أنزلته منزلاً يقيم فيه (٧) قال الأخفش ولا تعجبنني هذه القراءة لأنك لا تقول أثويته الدار بل تقول في الدر وليس في الآية (٨) حرف جر في المفعول الثاني، وقال أبو علي الفارسي: هو على إرادة حرف الجر ثم حذف كما يقال: أمرتك الخير أي بالخير ثم وصف تلك الغرف، فقال: ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ لا يموتون ﴿ونعم أجر العاملين﴾ لله الغرف، ثم وصفهم فقال: ﴿الذين صبروا﴾ على دينهم فلم يتركوه لشدة لحقتهم ﴿وعلى﴾

(١) الاعراف: ٤٢.

(٢) قراءة (ويقول) بالياء، قرأ بها: نافع وعاصم وحمزة والكسائي. انظر السبعة ص ٥١ والنشر ٣٤٣/٢.

(٣) قراءة (ويقول) بالنون، قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب وخلف انظر السبعة ص ٥١ والنشر ٣٤٣/٢.

(٤) في هـ: مسلمة مكة. (٥) انظر تفسير ابن جرير ٧/٢١.

(٦) قرأ حمزة والكسائي (لثوبنهم) بالياء، وقرأ الباقون (لثوبنهم) بالياء السبعة (٥٠٢) انظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٠٢ والنشر ٣٤٣/٢.

(٧) في ب: منزلاً يقيم فيه لا يقيم فيه وليس لها موضع. (٨) في هـ للآية.

ربهم يتوكلون ﴿٦١﴾ قال ابن عباس: وذلك أن المهاجرين توكلوا على الله وتركوا دورهم وأموالهم، وقال مقاتل: إن أحدهم كان يقول بمكة كيف أهاجر إلى المدينة وليس لي بها مال ولا معيشة فقال الله ﴿وَكَأَيِّنَ مِنْ دَابَّةٍ﴾ (١) وهي كل حيوان يدب على (٢) الأرض مما يعقل ولا يعقل والمعنى: من نفس دابة ﴿لا تحمل رزقها﴾ لا ترجع رزقها معها ولا تدخر شيئاً لغد ﴿الله يرزقها﴾ حيث ما توجهت ﴿وإياكم﴾ يرزق إن خرجتم إلى المدينة ولم يكن لكم زاد ولا نفقة، قال سفيان: وليس شيء مما خلق الله يخبيء ويدخر إلا الإنسان والفأرة والنملة وقوله: ﴿وهو السميع﴾ أي لقولكم إننا لا نجد ما ننفق بالمدينة ﴿العليم﴾ بما في قلوبكم أخبرنا أبو بكر التميمي (٣) أنا أبو محمد بن حيان، أنا أحمد بن جعفر الجمال، نا عبد الواحد بن محمد البجلي، نا يزيد بن هارون الجراح بن منهال عن الزهري وهو عبد الرحيم بن عطف عن عطاء عن ابن عمر قال خرجت (٤) مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من الثمر ويأكل فقال: يا ابن عمر ما لك لا تأكل فقلت لا أشتهي يا رسول الله قال: ولكني أشتهي وهذه رابعة مذ لم أذق طعاماً ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبأون رزق سنتهم ويضعف اليقين فوالله ما برحنا حتى تزلت: وكأين من دابة لا تحمل رزقها الآية (٥).

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

قوله ﴿ولئن سألتهم﴾ يعني كفار مكة ﴿من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾ أي الله خلقها يقرن بأنه خالق السموات والأرض ﴿قل الحمد لله﴾ أي احمد الله على إقرارهم لأن ذلك يلزمهم الحجة ويوجب عليهم التوحيد ثم قال: ﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾ توحيد ربهم مع إقرارهم بأنه خلق الأشياء وأنزل المطر والمراد بالأكثر الجميع.

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّسَهُمُ إِلَى الْبِرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾

قوله: ﴿وما هذه الحياة الدنيا﴾ يعني الحياة في هذه الدار ﴿إلا لهو ولعب﴾ باطل وغرور وعبث تنفسي عن قريب ﴿وإن الدار الآخرة﴾ يعني الجنة ﴿لهي الحيوان﴾ قال أبو عبيدة وابن قتبية: الحيوان الحياة (٦) وهو قول

(١) في هـ: من دابة لا تحمل رزقها في الارض.

(٢) في هـ: من.

(٣) في هـ: التميمي.

(٤) في هـ: خرجنا.

(٥) رواه السيوطي في الدر المنثور عن عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وقال ابن كثير بسند ضعيف الدر المنثور ١٤٩/٥ ط طهران وقد نبه ابن الجوزي أن قوله كيف بك يا ابن عمر... الخ حديث موضوع الموضوعات لابن الجوزي: ٢٨٢/٢.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١١٧/٢، وتفسير غريب القرآن لابن قتبية ص ٣٣٩.

المفسرين ذهبوا إلى أن معنى الحيوان ها هنا الحياة وأنه مصدر بمتزلة الحياة ويكون كالثوران^(١) والغليان ويكون التقدير وإن الدار الآخرة لهي دار الحيوان أو ذات الحيوان والمعنى: إن حياة الدار الآخرة هي الحياة لأنه لا تنفص فيها ولا نفاذ لها ولا يشوبها ما يشوب الحياة في هذه الدار وهذا معنى قول جماعة المفسرين، وقوله ﴿لو كانوا يعلمون﴾ يعني لو علموا لرغبوا في الباقي الدائم عن الفاني الزائل ولكنهم لا يعلمون قوله: ﴿فإذا ركبوا في الفلك﴾ يعني المشركين ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ أفردوا الله بالطاعة وتركوا شركاءهم فلا يدعونهم لإنجائهم ﴿لما نجاهم﴾ الله من أهوال البحر وأفضوا ﴿إلى البر إذا هم يشركون﴾ به وهذا إخبار عن عنادهم وأنهم عند الشدائد يعلمون أن القادر على كشفها الله وحده فإذا زالت عادوا إلى كفرهم، قال عكرمة: كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا معهم الاصنام فإذا اشتدت بهم الرياح ألقوا تلك الأصنام في البحر وصاحوا يا خذاي، قوله: ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ هذه لام الأمر ومعناه التهديد والوعيد كقوله ﴿اعملوا ما شئتم﴾^(٢) ﴿واستفز من استطعت منهم﴾^(٣) والمعنى: ليجحداوا نعمة الله ﴿وليتمتعوا﴾ بباقي عمرهم ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة كفرهم ومن كسر اللام [في]^(٤) وليتمتعوا جعل اللام في ليكفروا لام كي^(٥) والمعنى: إذا هم يشركون ليكفروا، والمعنى: لا فائدة لهم في الاشراك إلا الكفر والتمتع بما تستمتعون به في العاجلة من غير نصيب [لهم]^(٦) في الآخرة.

أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُنَخِطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾
وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

﴿أولم يروا﴾ يعني كفار مكة ﴿أنا جعلنا حرمًا آمناً﴾ يعني مكة وذكرنا تفسير هذه الآية في سورة القصص ﴿وينخطب الناس من حولههم﴾ يعني العرب يسي بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ يعني الشيطان ﴿وبنعمه الله﴾ بمحمد والإسلام ﴿يكفرون﴾ ثم ذكر أنهم أظلم الخلق فقال: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ لا أحد أظلم ممن زعم أن الله شريكاً^(٧) وأنه أمر بالفواحش ﴿أو كذب بالحق لما جاءه﴾ بمحمد والقرآن ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾ ما لهذا الكافر المكذب ماوى^(٨) في جهنم وهو استفهام معناه التقرير، قوله ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ قال ابن عباس: يريد المهاجرين والانصار وقال ابن زيد: والذين جاهدوا هؤلاء المشركين وقتلوهم في نصرة ديننا ﴿لنهديهم سبلنا﴾ لنوقفهم لإصابة الطرق المستقيمة والأولى أن يكون معنى الهداية ها هنا الزيادة منها والتثبيت عليها، قال الزجاج: أعلم الله أنه يزيد المجاهدين هداية كما أنه يزيد الكافرين بكفرهم ضلالة كما قال ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾^(٩) ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ بالنصرة والعون قال عطاء عن ابن عباس يريد بالمحسنين الموحدين.

(١) في هـ كالزوران.

(٢) فصلت: ٤٠.

(٣) الاسراء: ٦٤.

(٤) ساقط من هـ.

(٥) قراءة (وليتمتعوا) بكسر اللام قرأ بها أبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ونافع ويعقوب انظر السبعة ٥٢ والنشر ٢/٣٤٤.

(٦) ساقط من جميع النسخ عدا د، هـ.

(٨) في ج ما ذكر.

(٩) آية (١٧) سورة محمد ﷺ.

(٧) في هـ: الله.

سورة الروم

مكية وآياتها ستون

أخبرنا سعيد بن محمد الحيري، أنا محمد بن مطر، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا المدائني، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي (١) بن كعب قال قال لي رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع يومه وليلته» (٢)

الْمَ ۙ غَلَبَتِ الرُّومُ ۚ (١) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۚ (٢) فِي بَضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۚ (٣) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۚ (٤) وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۚ (٥) يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۚ (٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الم﴾ ذكرنا تفسيره ﴿غلبت الروم﴾ قال أهل التفسير: غلبت فارس الروم ففرح بذلك كفار مكة وقالوا (٣): الذين ليس لهم كتاب غلبوا (٤) الذين لهم كتاب وافتخروا على المسلمين وقالوا نحن أيضاً نغلبكم كما غلبت فارس الروم وقوله: ﴿في أدنى الأرض﴾ يريد الجزيرة وهي أقرب أرض الروم إلى فارس. وقال عكرمة: يعني أذرعات (٥) وكسكر (٦) [وهما] (٧) من بلاد الشام يعني الروم ﴿من بعد غلبهم﴾ من بعد غلبة فارس إياهم والغلب والغلبة: لغتان ﴿سيغلبون﴾ فارس ﴿في بضع سنين﴾ وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة وقد مر، أخبر الله أن الروم بعد ما غلبوا سيغلبون ثم التقى الروم وفارس في السنة السابعة من غلبة فارس إياهم فغلبتهم الروم فجاء جبريل عليه السلام بهزيمة فارس وظهور الروم عليهم ووافق ذلك يوم [بدر] (٨) ﴿الله الأمر من قبل ومن بعد﴾ أي من قبل أن غلبت الروم ومن [بعد] (٩) ما

(١) ابى بن كعب بن قيس أبو المنذر الأنصاري الخزرجي ت سنة ١٦ أسد الغابة ٦١/١، الاصابة ٣١/١، تذكرة الحفاظ ١٦/١، شذرات الذهب ٣١/١

(٢) حديث لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج.

(٣ + ٤) في (و) قال وغلبت.

(٥) أذرعات بالفتح ثم السكون وكسر الراء جمع اذرة وهي بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان. انظر معجم البلدان ٣٠/١.

(٦) كسكر: بالفتح ثم السكون وكاف أخرى ومعناه عامل الزرع. وهي منطقة واسعة على نهر دجلة بالعراق انظر معجم البلدان ٤٦١/٤.

(٧) عن د فقط.

(٨) ساقط من هـ، ولقد روى ابن جرير الطبري في تفسيره ٢١/١٥ هذا الحديث قولاً لأبي سعيد الخدري وليس فيه مجيء جبريل.

(٩) ساقط من جـ.

غلبت يعني أن غلبة أحد الفريقين الآخر أيهما كان الغالب أو المغلوب فإن ذلك كان بأمر الله وإرادته وقضائه وقدرته ﴿ويومئذ﴾ يعني يوم تغلب الروم فارس ﴿يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ الروم على فارس قال السدي: فرح النبي ﷺ والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك [بنصر الله] (١) ﴿ينصر من يشاء وهو العزيز﴾ الغالب ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين، قال الزجاج: وهذه من الآيات التي تدل على أن القرآن من عند الله لأنه أنبأ بما سيكون وهذا لا يعلمه إلا الله عز وجل أخبرنا أبو نصر أحمد بن إبراهيم المهرجاني أنا عبيد الله بن محمد بن عمر (٢) الزاهد أنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، نا محمد بن سليمان [بن لوين] (٣)، نا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عروة بن الزبير عن دينار بن (٤) مكرم - وكانت له صحبة قال - لما نزلت ألم غلبت الروم خرج بها أبو بكر إلى المشركين فقالوا: هذا كلام صاحبك قال: الله أنزل هذا وكانت [فارس] (٥) قد غلبت الروم فاتخذوهم شبه العبد وكان المشركون يحبون أن لا تغلب الروم فارس لأنهم أهل جحد وتكذيب بالبعث، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب وتصديق بالبعث فقالوا لأبي بكر: نراهنك على أن الروم لا تغلب فارس قال أبو بكر البضع ما بين الثلاث إلى التسع قالوا: الوسط في ذلك ستة لا أقل ولا أكثر قال فوضعوا الرهان وذلك قبل أن يحرم الرهان فرجع أبو بكر رضي الله عنه إلى أصحابه فأخبرهم الخبر فقالوا بش ما صنعت ألا أقررتها كما قال الله لو شاء الله أن يقول (٦) ستاً (٧) لقال فلما كانت ستة بنت لم تظهر الروم على فارس فأخذوا الرهان فلما كان سنة سبع ظهرت الروم على فارس (٨) فذلك قوله تعالى: ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ قوله ﴿وعد الله﴾ أي وعد الله ذلك وعداً لا يخلف الله وعده ﴿في ظهور﴾ (٩) الروم على فارس ﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني كفار مكة ﴿لا يعلمون﴾ أن الله لا يخلف وعده في إظهار الروم على فارس ثم وصف كفار مكة فقال ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ يعني معاشهم بما يصلحهم وقال الحسن يعلمون متى زرعهم ومتى حصادهم وروي عنه أنه قال بلغ - والله - من علم أحدهم بالدنيا أنه ينقد (١٠) الدرهم بيده فيخبرك بوزنه ولا يحسن أن يصلي وقال الضحاك: يعلمون ببيان قصورها وتشقيق أنهارها وغرس أشجارها وقال الزجاج: يعلمون معاش الحياة لأنهم كانوا يعالجون التجارات فأعلم الله مقدار ما يعلمون ﴿وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ حين لم يؤمنوا بها ولم يعدوا لها، ثم وعظهم ليعتبروا فقال:

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا

(١) عن ج، انظر تفسير ابن جرير ٢١/١٥.

(٢) في ج، د، هـ: محمد.

(٣) عن ب، هـ.

(٤) دينار بن مكرم الاسلامي له صحبة ورواية. أسد الغابة ٥/٤٥٤، تهذيب التهذيب ١٠/٤٩٣.

(٥) عن ج.

(٦) في هـ: يكون.

(٧) فيما عدا ب شيئاً.

(٨) اخرج الحاكم نحوه عن ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه انظر المستدرک کتاب التفسیر سورة الروم ٢/٤٠٧ وتفسير ابن جرير ٢١/١٥.

(٩) في هـ: يظهر.

(١٠) فيما عدا ب، هـ ينقر.

كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٨﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٩﴾

﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم﴾ في خلق الله إياهم [ولم يكونوا شيئاً] ^(١) فيعلموا ﴿ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ قال الفراء: إلا للخلق يعني الثواب والعقاب ^(٢) ﴿وَأَجَل مسمى﴾ قال مقاتل للسموات والأرض أجل تنتهيان إليه وهو يوم القيامة والمعنى: أو لم يتفكروا في خلق الله إياهم ولم يكونوا شيئاً فيعلموا أن خلق السموات والأرض ^(٣) لأمر وأن لهما أجلاً وهو يوم القيامة ﴿وإن كثيراً من الناس﴾ يعني: كفار مكة ﴿بلقاء ربهم﴾ بالبعث بعد الموت ﴿لكافرون﴾ لا يؤمنون بأنه كائن، ثم خوفهم فقال ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ أو لم يسافروا في الأرض فينظروا إلى مصارع الأمم قبلهم ويعلموا أنهم أهلکوا بتكذيبهم فيعتبروا ثم وصف تلك الأمم فقال ﴿كانوا أشد منهم قوة﴾ أعطوا ^(٤) من القوة ما لم يعطها هؤلاء ﴿وأثاروا الأرض﴾ حرثوها وقلبوها للزراعة والغرس ﴿وعمروها﴾ أي ^(٥) كفار مكة لأنهم كانوا أطول عمراً وأكثر عدداً ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ [بالدلالات] ^(٦) والحجج وأخبروهم بأمر العذاب ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ بتعذيبهم على غير ذنب ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالكفر والتكذيب ودل هذا على أنهم لم يؤمنوا فأهلكهم الله ^(٧)، ثم أخبر عن عاقبتهم فقال: ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى﴾ في السوأى قولان أحدهما: أنها النار ضد الحسنى وهي الجنة وهذا قول الفراء ^(٨) والزجاج والأكثرين قال ابن قتيبة: السوأى جهنم ضد الحسنى ^(٩) وهي الجنة، وإنما سميت سوأى لأنها يسوء صاحبها ومعنى أساءوا أشركوا، قاله ^(١٠) ابن عباس ومقاتل وفي ﴿عاقبة الذين﴾ قراءة تان النصب ^(١١) والرفع ^(١٢) فمن نصب جعلها خبر كان ونصبها مقدمة كما قال ﴿وكان علينا نصر المؤمنين﴾ ^(١٣) وتقدير الكلام ثم وكان السوء عاقبة الذين أساءوا ويكون أن في قوله ﴿أن كذبوا﴾ مفعولاً - له أي لأن كذبوا، قال الزجاج المعنى: ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم، القول الثاني في السوأى أنها مصدر بمنزلة الإساءة ويكون المعنى ثم كان التكذيب آخر أمرهم أي ماتوا على ذلك فكان ^(١٤) الله تعالى جازاهم على إساءتهم أن طبع على قلوبهم حتى ماتوا على التكذيب والشرك عقاباً لهم بذنوبهم أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الأصفهاني أنا عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ، نا محمد بن يحيى نا أحمد ^(١٥) بن منصور المروزي، نا

(١) ساقط من هـ.

(٤) فيما عدا أ: أعطواهم... وفي هـ: اعطوهم.

(١) ساقط من أ، د، هـ.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣٥٥/٢

(٥) ساقط من ج، ذ، هـ.

(٦) في ب، ج، هـ فأهلكوا.

(٧) معاني القرآن ٣١٢/٢.

(٨) في هـ: والحسنى الجنة والنص من تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٤٠.

(٩) في هـ: قال.

(١٠) قراءة (عاقبة) بالنصب قرأ بها: حمزة وعاصم وابن عامر وخلف انظر السبعة ص ٥٠٦ والنشر ٣٤٤/٢.

(١١) قراءة (عاقبة) بالرفع، قرأ بها: أبو عمرو ونافع وابن كثير والكسائي ويعقوب انظر السبعة ص ٥٠٦ النشر ٣٤٤/٢.

(١٢) الروم: ٤٧.

(١٣) فيما عدا هـ: كأن.

(١٤) أحمد بن منصور بن راشد الحنظلي أبو صالح المروزي ت سنة ٢٦٠ هـ تهذيب التهذيب ٨٣/١، الجرح والتعديل ٧٨/١.

محمد^(١) بن عبد الله بن بكير سمعت ابن^(٢) عيينة يقول في قوله تعالى ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله إن لهذه الذنوب عواقب سوء لا يزال الرجل يذنب فينكت على قلبه حتى يسوء القلب كله فيصير كافراً.

اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ
مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾

قوله ﴿الله يبدء الخلق﴾ أن يخلقها أولاً ﴿ثم يعيده﴾^(٣) ثم يعيدهم بعد الموت احياء كما كانوا ﴿ثم إليه يرجعون﴾ فيجزئهم بأعمالهم والخلق هم المخلوقون^(٤) في المعنى وجاء قوله ثم يعيده على لفظ الخلق وقوله يرجعون على المعنى ووجه قراءة من قرأ بالتاء أنه صار من الغيبة إلى الخطاب^(٥)، قوله ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾ قال الكلبي: يبأس المشركون من كل خير حين عاينوا العذاب وقال الفراء: ينقطع كلامهم وحجتهم^(٦) وذكرنا تفسير الإبلاس عند قوله ﴿فإذا هم مبلسون﴾^(٧) ﴿ولم يكن لهم من شركائهم﴾ أوثانهم التي عبدوها ليشفعوا لهم ﴿شفعوا﴾ وكانوا بشركائهم كافرين يتبرءون منها وتتبرأ منهم ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ تظهر القيامة ﴿يومئذ يتفرقون﴾ قال مقاتل يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار فلا يجتمعون أبداً، وقال الحسن: لئن كانوا اجتمعوا في الدنيا ليتفرقوا يوم القيامة هؤلاء في أعلى عليين وهؤلاء في أسفل سافلين وهو قوله ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون﴾ ينعمون ويسرون والخبر السرور قال ابن عباس والمفسرون: في رياض الجنة ينعمون ثم أخبر عن حال الكافرين بقوله ﴿وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك في العذاب محضرون﴾ وهي ظاهرة ثم ذكر ما يدرك الجنة فقال:

فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾

﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ قال المفسرون: فصلوا لله على تأويل فسبحوا الله قال ابن عباس جمعت هذه الآية الصلوات الخمس ومواقيتها حين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون الفجر وعشياً العصر

(١) محمد بن عبد الله بن بكير بن سليمان الخزازي أبو الحسن الصنعاني خلاصة تهذيب الكمال (٢٤٤).

(٢) ابن عيينة: سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ت سنة ١٩٨ هـ تذكرة الحفاظ ١/٢٦٢، ابن سعد ٣٦٤/٥، طبقات الحفاظ ص ١١٣.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) في هـ: المخلوق.

(٥) قراءة (ترجعون) بالتاء قرأ بها ابن عامر وابن كثير وحزمة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ١٠٦ والنشر ٢/٣٤٤.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/٣٢٢.

(٧) الأنعام: ٤٤.

وحين تظهرون الظهر^(١)، ومعنى تمسون تدخلون في وقت المساء ومثله تصبحون وتظهرون في الوقتين جميعاً واعترض بين [ذكر]^(٢) الأوقات قوله ﴿وله الحمد في السموات والأرض﴾ قال ابن عباس: يحمدُه أهل السماوات وأهل الأرض ويصلون له ويسبحون ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ مفسر فيما تقدم ﴿ويحيي الأرض بعد موتها﴾ يجعلها تنبت وذلك حياتها بعد ان كانت لا تنبت ﴿وكذلك تخرجون﴾ من الأرض يوم القيامة وقرأ حمزة تخرجون^(٣) بفتح التاء أضاف الخروج إليهم كقوله ﴿يوم يخرجون من الأجداث﴾^(٤).

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

قوله ﴿ومن آياته﴾ دلائل قدرته ﴿أن خلقكم من تراب﴾ يعني: آدم أبا البشر ﴿ثم إذا أنتم بشر﴾ من لحم ودم يعني ذريته ﴿تنتشرون﴾ تنسطون في الأرض ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ جعل لكم أزواجاً من مثل خلقكم ﴿لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان وما من شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما ﴿إن في ذلك﴾ الذي ذكر من صنعه ﴿آيات لقوم يتفكرون﴾ في عظمة الله وقدرته.

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِّيَكُمْ وَالْوَلَوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾

﴿ومن آياته خلق السموات والأرض﴾ على عظمتها وكثافتها وكثرة أجزائهما^(٥) ﴿واختلاف ألسنتكم﴾^(٦) يعني اختلاف اللغات من العربية والعجمية ﴿والولوانكم﴾ لأن الخلق من بين أسود وأبيض وأحمر وهم ولد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿إن في ذلك آيات للعالمين﴾ للبر والفاجر والإنس والجن، وقرأ حفص بكسر اللام^(٧) قال الفراء: وهو وجه جيد لأنه قد قال: ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ و﴿آيات لأولي الألباب﴾^(٨) ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله﴾ [التقدير: منامكم بالليل وابتغائكم من فضله بالنهار]^(٩) هذا يعني تصرفكم في طلب المعيشة ﴿إن في ذلك آيات لقوم يسمعون﴾ سماع اعتبار وتدبر.

وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

(١) تفسير ابن جرير ٢١/٢٠.

(٢) في هـ: ألسنتكم وألوانكم وهي مكررة.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) السبعة لابن مجاهد ص ٥٠٦ وفي النسخة هـ: تخرج.

(٥) قرأ حفص عن عاصم بكسر اللام السبعة ص ٥٠٦ والنشر ٢/٣٤٤.

(٦) آية (١٩٠) آل عمران والنص من معاني القرآن للفراء ٢/٣٢٣.

(٧) المعارج: ٤٤.

(٨) ساقط من هـ.

(٩) فيما عدا هـ: عظمها.

﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً﴾ للمسافر من الصواعق ﴿وطمئناً﴾ للحاضر المقيم في المطر ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ قال ابن مسعود قاتماً بغير عمد^(١) بأمره وقال الفراء: يقول أن تدوما قائمتين بأمره^(٢) يذهب اسرافيل من صحرة بيت المقدس حين ينفخ في الصور بأمر الله للبعث بعد الموت ثم ﴿إذا أنتم تخرجون﴾ من الأرض.

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍ قَانِتُونَ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ
وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٥﴾

﴿وله من في السموات والأرض﴾ عبيداً وملكاً ﴿كل له قانتون﴾ قال الكلبي: هذا خاص لمن كان منهم مطيعاً، وقال ابن عباس: كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العبادة، وهذا مفسر في سورة البقرة.

قوله ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ يخلقهم أولاً ثم يخلقهم ثانياً للبعث^(٣) ﴿وهو أهون عليه﴾ أي هين عليه الإعادة وما شيء عليه بعزير ويجيء أفعل بمعنى المفاعل كقول الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

أي عزيزة طويلة، وهذا قول الحسن والربيع وقتادة والكلبي. وقال مقاتل: يقول: البعث أيسر عليه عندكم يا معشر الكفار من الخلق الأول قال المبرد: وهو أهون عليه عندكم لأنكم^(٤) أقرتم بأنه بدأ الخلق وإعادة الشيء عند المخلوقين أهون من ابتدائه، واختار الزجاج هذا القول فقال إن الله خاطب العباد بما يعقلون فأعلمهم أنه يجب عندهم أن يكون البعث أسهل من الابتداء [والكناية في قوله وهو تعود إلى الإعادة وهو مصدر فأجري على التذكير ودل عليه الفعل وهو قوله يعيده والفعل يدل على المصدر]^(٥)، وقوله: ﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾ الصفة العليا وهي أنه لا إله غيره ﴿وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في خلقه.

ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾

﴿ضرب لكم﴾ أيها المشركون ﴿مثلاً من أنفسكم﴾^(١) أي بين لكم شبيهاً لحالكم ذلكم^(٢) المثل فقال: ﴿هل لكم من ما ملكت أيمانكم﴾ من عبيدكم ﴿من شركاء فيما رزقناكم﴾ من المثل والعبيد والأهل أي: هل يشاركونكم في أموالكم وهو قوله ﴿فأنتم فيه سواء﴾ أي أنتم وشركاؤكم من

(١) في هـ على غير عمد.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٢٣/٣.

(٣) في النسخة (هـ) وردت في هذا الموضع عبارة [والكناية في قوله يعيده إلى الإعادة وهو مصدر فأجري على التذكير ودل عليه الفعل وهو قوله ثم يعيده والفعل يدل على المصدر] وهي في النسخ الأخرى تأتي بعد ذلك.

(٤) في هـ: ضرباً.

(٥) في هـ: لكم.

(٦) في ب، د، هـ: ذلك.

(٧) هذه العبارة وردت في هـ قبل ذلك وقد نبهنا عليها في موضعها.

عبيدكم فيما رزقناكم شرع سواء ﴿تخافونهم﴾ أي يشاركونكم ^(١) فيما ترثونه من آباءكم ﴿كخيفتكم أنفسكم﴾ كما يخاف الرجل الحر شريكه الحر في المال يكون بينهما أن يفرد فيه [دونه] ^(٢) بأمر فكما يخاف الرجل شريكه في الميراث أن يشاركه لأنه يحب أن يفرد به فهو يخاف شريكه كما ^(٣) أن يرثه عصبته من ذريته يعني أن هذه الخيفة لا تكون بين المالكين والمملوكين كما بين الأحرار ومعنى أنفسكم ها هنا أمثالكم من الأحرار كقوله ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ ^(٤) وكقوله ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً﴾ ^(٥) أي [بأمثالهم] ^(٦) من المؤمنين قال صاحب النظم: وهذا مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال: هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكاً له في ماله وولده حتى يكون هو ومملوكه سواء يخافه كما يخاف غيره من شريك لو كان له [فيه شركه] ^(٧) فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلم عدتم بي من خلقي من هو مملوك لي فجعلتموهم ^(٨) شركاء لي ﴿كذلك﴾ كما بينا في ضرب المثل من أنفسكم ﴿نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾ عن الله ثم بين ^(٩) لهم أنهم إنما اتبعوا فيما أشركوا به الهوى فقال: ﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ أشركوا بالله ﴿أهواءهم﴾ في الشرك ﴿يغير علم﴾ يعلمونه جاءهم من الله ﴿فمن يهدي من أضل الله﴾ ^(١٠) أي لا هادي لمن أضله الله وهذا يدل على أنهم إنما أشركوا باضلال الله إياهم عن الحق ﴿وما لهم من ناصرين﴾ مانعين من عذاب ^(١١) الله، قاله مقاتل. ثم أمر النبي ﷺ بتوحيده فقال:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ
وَلَكِن كَثُرَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنْبِئِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

﴿فأقم وجهك للدين﴾ أي أخلص دينك وهو قول سعيد بن جبير، وقال غيره: سدد عملك والوجه: ما يتوجه إليه وعمل الإنسان ودينه ما يتوجه إليه ^(١٢) لتسديده وإقامته ﴿حنيفاً﴾ مائلاً إليه مستقيماً عليه لا ترجع عنه إلى غيره وقوله ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ فطرة الله: الملة، وهي الإسلام والتوحيد الذي خلق الله عليه المؤمنين هذا قول المفسرين في فطرة الله، والمراد بالناس ها هنا المؤمنون الذين فطرهم الله على الإسلام لأن المشرك لم يفطر على الإسلام ولفظ الناس عام والمراد به الخصوص وانتصابها بالأغراء وهو قول الزجاج قال: فطرة الله منصوب بمعنى اتبع فطرة الله ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ قال مجاهد وإبراهيم: لا تبديل لدين الله وهي نفي معناه النهي أي لا تبدلوا دين الله الذي هو التوحيد بالشرك والكفر ﴿ذلك الدين القيم﴾ يعني: التوحيد وهو الدين المستقيم ﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني كفار مكة ﴿لا يعلمون﴾ توحيد الله قوله ﴿منبئين إليه﴾ قال الزجاج: زعم جميع النحويين أن معنى هذا فأقيموا وجوهكم منبئين لأن مخاطبة النبي ﷺ يدخل فيها ^(١٣) الأمة والدليل على ذلك قوله

(١) في هـ: يشاركونكم وهو تجديف.

(٢) ساقط من أ، جـ.

(٣) في هـ: وكما يقول يخاف.

(٤) الحجرات: ١١.

(٥) النور: ١٢.

(٦) ساقط هـ.

(٧) ساقط من جـ، د.

(٨) في هـ: فجعلتموه.

(٩) هـ: ثم بين أنهم.

(١٠) في هـ: أضله وهو تحريف.

(١١) في هـ: عقاب.

(١٢) في هـ: عما يتوجه الإنسان إليه لتسديده.

(١٣) في هـ: يدخل معه فيه.

﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾^(١) فقله تعالى ﴿فأقم وجهك﴾ معناه: فأقيموا وجوهكم منيين إليه راجعين إلى كل ما أمر به مع التقوى واداء الفرض وهو قوله ﴿وانتقوه وأقيموا الصلاة﴾ ثم أخبر انه لا ينفع ذلك إلا بالاخلاص في التوحيد فقال: ﴿ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً﴾ تقدم تفسيره في آخر سورة الأنعام ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ قال مقاتل: كل أهل ملة بما عندهم من الدين راضون.

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يَشْكُرُونَ ٣٣
لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣٤ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهَوَىٰ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ
يَشْكُرُونَ ٣٥ وَإِذَا آذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ٣٦
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٣٧

قوله ﴿وإذا مس الناس﴾ يعني كفار مكة ﴿ضر﴾ وقحط وسنة ﴿دعوا ربهم منيين إليه﴾ أي لا يلتجئون في شدائدهم إلى أوثانهم التي يعبدونها مع الله إنما يرجعون في دعائهم إلى الله وحده ﴿ثم إذا آذاهم منه رحمة﴾ إذا أعطاهم من عنده المطر ﴿إذا فريق منهم بربهم يشركون﴾ تركوا توحيد ربهم في الرخاء وقد وحدوه في الضر ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ ذكرنا تفسيره في آخر سورة العنكبوت. ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا [هذا]^(٢) خطاب تهديد بقوله ﴿فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ حالكم^(٣) في الآخرة ﴿أم أنزلنا عليهم﴾ على هؤلاء ﴿سلطاناً﴾ حجة وكتاباً من السماء ﴿فهو يتكلم﴾ [بما كانوا] به يشركون^(٤) يقولون من الشرك يعني يأمرهم به وهذا استفهام إنكار أي ليس الأمر على هذا ثم ذكر بطرهم عند النعمة ويأسهم عند الشدة بقوله ﴿وإذا آذنا الناس رحمة فرحوا بها﴾ يعني فرح البطر وترك الشكر ﴿وإن تصيبهم سيئة﴾ شدة وبلاء ﴿بما قدمت أيديهم﴾ بما عملوا من السيئات ﴿إذا هم يقنطون﴾ قنطوا من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فإنه يشكر عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة ثم وعظهم فقال ﴿أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ والآية ظاهرة.

فَأَتَتْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأَوْلَىٰ بِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ٣٨ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبٍّ لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن ذَّكْوَةٍ تَرِيدُونَ
وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ٣٩ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن
شُرَكَائِكُمْ مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُمْ مِّن شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٤٠

قوله: ﴿فأت ذى القربى حقه﴾ أي من الصلة والبر ﴿والمسكين﴾ قال مقاتل: حقه [أن يتصدق]^(٥) عليه ﴿وابن السبيل﴾ يعني الضيافة ﴿ذلك خير﴾ اعطاء الحق ﴿خير﴾^(٦) وأفضل من الامساك ﴿للذين يريدون وجه الله﴾ يطلبون

(٤) من أ ولفظه به يشركون ساقط من هـ.

(٥) ساقط من جـ.

(٦) ساقط من دـ.

(١) الطلاق: ١.

(٢) ساقط من هـ.

(٣) في هـ مالكم.

بما يعملون ثواب الله ثم نعتهم بقوله ﴿أولئك هم المفلحون﴾ قوله ﴿وما آتيتم من ربا﴾ قال السدي: الربا في هذا الموضوع الهدية يهديها الرجل لآخيه يطلب المكافأة فإن ذلك لا يراد عند الله لا يؤجر عليه صاحبه ولا اثم عليه وروي قتادة عن ابن عباس قال: هي هبة الرجل يهب الشيء يريد أن يثاب عليه أفضل منه، وهذا قول جماعة المفسرين^(١) قال الزجاج: يعني دفع الإنسان الشيء ليعوض ما هو أكثر منه، وذلك ليس بحرام ولكنه لا ثواب فيه لأن الذي يهبه يستدعي [رد]^(٢) ما هو أكثر منه وقرأ ابن كثير: آتيتم مقصوراً^(٣) وهو يؤول في المعنى إلى قول من^(٤) مد كأنه قيل وما جثتم من ربا ومجيئهم ذلك على وجه الإعطاء له كما تقول آتيت خطأ وأتيت صواباً وأتيت قبيحاً إنما هو فعل له وسمي المدفوع على وجه اجتلاب الزيادة ربا لأن غرضه فيه الاستزادة على ما أعطى فسمي باسم الزيادة وقوله ﴿ليربو في أموال الناس﴾ أي في اجتلاب^(٥) أموال الناس واجتذابها وقرأ نافع^(٦) لثربوا بالثاء وضمها أي لتصير ذوي زيادة من أموال الناس بما آتيتم وهو من الربى أي صار ذا زيادة ﴿فلا يربو عند الله﴾ لأنكم قصدتم إلى زيادة العوض ولم تقصدوا البر والقربة ﴿وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله﴾ وما أعطيتم من صدقة لا تطلبون بها المكافأة وإنما تقصدون بها ما عند الله ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ يضاعف لهم الثواب يعطون الحسنة عشر أمثالها والمضعف ذو الأضعاف من الحسنات، ثم ذكر ما أصاب الناس بترك التوحيد فقال:

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

﴿ظهر الفساد﴾ يعني قحط المطر وقلة النبات ﴿في البر﴾ حيث لا يجري نهر وهو البوادي ﴿والبحر﴾ وهو كل قرية على ماء قال ابن عباس: البحر ما كان من المدائن والقرى على شاطئ نهر ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ من المعاصي يعني كفار مكة ﴿ليذيقهم﴾ الله بالجوع في السنين السبع^(٧) ﴿بعض الذي عملوا﴾ أي جزاءه ﴿لعلهم يرجعون﴾ لكي يرجعوا من الكفر إلى الإيمان وهذا كقوله: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾^(٨) الآية وليس المراد بالبر والبحر في هذه الآية كل بر وبحر في الدنيا وإنما المراد به حيث ظهر هناك

(١) روى ابن جرير هذا القول عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وذكر في الآية رأياً آخر فقال: إنما عني بهذا الرجل يعطي ماله الرجل ليعينه بنفسه ويخدمه ويعود عليه نفقة لا لطلب أجر من الله تفسير ابن جرير ٣٠/٢١.

(٢) ساقط من أ، ج وفي هـ يستدعي به ما هو أكبر منه.

(٣) السبعة لابن مجاهد ص ٥٠٧.

(٤) في هـ إلى قول مركانه.

(٥) في هـ: اجتذاب.

(٦) قراءة (لثربوا) بضم التاء وإسكان الواو لم يقرأ بها نافع وحده، وإنما قرأ بها أيضاً: أبو جعفر ويعقوب انظر السبعة ص ٥٧ والنشر ٣٤٤/٢.

(٧) يقصد بذلك ما حدث لأهل مكة من المجاعة والفاقة: فقد روى البخاري في كتاب التفسير سورة آل عمران عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف صحیح البخاري ٤٨/٦ ط الشعب وفي باب الاستسقاء يروي عن ابن مسعود أيضاً أن النبي ﷺ لما رأى من الناس إدماراً قال: اللهم سبع كسيع يوسف فأخذتهم سنة حصت كل شيء أكلوا الجلود والميتة والحييف وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع فأنه أبو سفيان فقال: يا محمد إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم. باب الاستسقاء باب دعاء النبي ﷺ: اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ٣٣/٢ ط الشعب.

(٨) الاعراف: ١٣٠.

الخط بدعاء النبي ﷺ (١) ثم خوفهم فقال: ﴿قل سيروا في الأرض﴾ مسافرين ﴿فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ لتروا مساكنهم ومنازلهم خاوية وقوله ﴿كان أكثرهم مشركين﴾ أي كانوا مشركين فأهلكوا بكفرهم.
 فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾

﴿فأقم وجهك﴾ قال الزجاج: اجعل وجهك اتباع الدين القيم وهو الاسلام المستقيم ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له﴾ [من الله] ﴿(٢) يعني﴾ [يوم] ﴿(٣) القيامة لا يقدر أحد على رد ذلك اليوم﴾ ﴿يومئذ يصدعون﴾ يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار ﴿ومن كفر فعليه كفره﴾ جزاء كفره ﴿ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون﴾ يوطئون لأنفسهم منازلهم، يقال مهدت لنفسي خيراً أي هيأته ووطأته ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ قال ابن عباس: ليشيهم الله أكثر من ثواب أعمالهم ﴿إنه لا يحب الكافرين﴾ لا يشيهم ولا يشني عليهم [قوله] ﴿(٤)﴾

وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ تبشر بالمطر ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ يعني الغيث والخصب ﴿ولتجري الفلك﴾ في البحر بتلك الرياح ﴿بأمره ولتبتغوا﴾ في البحر ﴿من فضله﴾ يعني الرزق بالتجارة وكل هذا بالرياح ﴿ولعلكم تشكرون﴾ هذه النعم فتوحدونه ثم عزي نبيه فقال: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات﴾ بالدلالات الواضحات على صدقهم ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ عذبنا الذين كذبوهم وكفروا بآياتنا ﴿وكان حقاً علينا﴾ واجباً وجوباً هو أوجه على نفسه ﴿نصر المؤمنين﴾ إنجأوهم مع الرسل من عذاب الأمم وفي هذا تشير للنبي ﷺ بالظفر في العاقبة والنصر على من كذبه ثم أخبر عن صنعه ليعرفوا توحيده فقال:

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنُفِثُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فترى الودق يخرج من خلفه فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قِبَلِهِ

(١) لا نوافق الواحد على هذا الرأي، ولا ابن جرير رأي في هذه الآية أذكره لما فيه من الفائدة يقول: بعد أن ذكر عدة آراء وأولى الأحوال بالصواب أن الله تعالى ذكره أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر، والبر عند العرب الأرض القفار، والبحر: بخران: بحر ملح وحر عذب فهما جميعاً عندهم بحر، ولم يخص جمل ثناؤه - الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر فذلك على ما وقع عليه اسم بحر عذباً كان أو ملحاً، وإذ كان ذلك كذلك دخل القرى التي على الأنهار والبحار، فتأويل الكلام إذا إذا كان الأمر كما وصفت ظهرت معاصي الله في كل مكان من بر وبحر بما كسبت أيدي الناس. ١ هـ. ابن جرير ٢١/٣٢.

(٢) ساقط من جـ.

(٣) ساقط من أ، ج، هـ.

(٤) ساقط من هـ.

لَمْبَلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُنجِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾

﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً﴾ تزعجه من حيث هو ﴿فيسطه﴾ الله ﴿في السماء كيف يشاء﴾ إن شاء بسطه^(١) مسيرة يوم أو يومين ﴿وبجعله كسفاً﴾ بعد أن بسطه يجعله^(٢) قطعاً متفرقة ﴿فترى الودق يخرج من خلاله﴾ مفسر في سورة النور ﴿فإذا أصاب به﴾ بالودق ﴿من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾ يفرحون بزوله ﴿وإن كانوا﴾ وما كانوا ﴿من قبل أن ينزل عليهم﴾ المطر ﴿من قبله﴾ كرهه للتأكيد ﴿لمبلسين﴾ آيسين قانطين من المطر، قوله ﴿فانظر إلى أثر رحمة الله﴾ بعد^(٣) إنزال المطر انظر إلى حسن تأثيره في الأرض ويقراً آثار على الجمع فمن أفرده^(٤) فلأنه مضاف إلى مفرد، ومن جمع^(٥) جاز لأن رحمة الله يجوز أن يراد^(٦) بها الكثرة كما قال ﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾^(٧) قال مقاتل: أثر رحمة الله هو النبت وهو أثر المطر والمطر رحمة الله ونعمته على خلقه وقوله ﴿كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾ أي كيف يجعلها تنبت بعد أن لم تكن فيها نبت ﴿إن ذلك﴾ الذي فعل ما ترون وهو الله تعالى ﴿لمحي الموتى﴾ في الآخرة ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ البعث والموت، ثم عاب كافر النعمة والجاهل بأن الله يفعل ما يشاء فقال ﴿ولئن أرسلنا ريحاً﴾ باردة مضرّة، والريح إذا أتت بلفظ الأفراد أريد بها العذاب، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول عند هبوب^(٨) الريح: اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً^(٩).

قوله ﴿فأوه﴾^(١٠) يعني النبت والزرع الذي كان من أثر رحمة^(١١) الله ﴿مصفراً﴾ من البرد بعد الخضرة ﴿لظلوا﴾ لصارو ﴿من بعده﴾ من بعد اصفرار النبت يجحدون ما سلف من النعمة، يعني: أنهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلنا^(١٢) عذاباً على زرعهم كفروا نعمي وليس كذا حال المؤمن لأنه لا يستشعر الحيبة والكفران عند الشدة والمنّة.

فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

(١) فيما عدا هـ: يسطه.

(٢) فيما عدا هـ: فجعله.

(٣) في هـ: يعني.

(٤) قراءة (أثر) بالأفراد قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر والكسائي ويعقوب انظر النشر ٣٤٥/٢ والسبعة ص ٥٠٨.

(٥) قراءة (آثار) على الجمع قرأ بها حمزة وابن عامر وخلف وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٥٠٨ والنشر ٣٤٥/٢.

(٦) في هـ: به.

(٧) آية (١٨) سورة النمل وآية ١٣٤ إبراهيم.

(٨) في هـ: هبوط.

(٩) قال الهيثمي رواه الطبراني وفيه حسين بن قيس الملقب بخيس وهو متروك وبقيّة رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد كتاب الاذكار ما يقول إذا هاجت الرياح ١٠/١٣٥.

(١٠) في هـ: قرأوه مصفراً وهي مكررة.

(١١) في هـ آثار.

(١٢) في هـ: أرسلت.

قوله: ﴿فإنك لا تسمع الموتى﴾ هذه الآية والتي بعدها مفسرتان في سورة النحل، ثم أخبر عن خلق أنفسهم ليتفكر المكذب بالبعث في خلق نفسه فقال ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ قال المفسرون: يعني من نطفة والمعنى خلقكم من ذي ضعف أي من ماء ذي ضعف كما قال: ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾^(١) ومعنى ضعف ذلك الماء أنه قليل، وقرىء بفتح الضاد^(٢) قال الفراء: الضم: لغة قريش، والفتح: لغة تميم^(٣) والاختيار الضم لما أخبرنا: أبو بكر الحارثي، أنا عبد الله بن محمد الحافظ، قال: أنا أبو يحيى الرازي قال: أنا سهل بن عثمان قال، أنا يحيى بن أبي بكير^(٤) عن فضيل بن مرزوق عن عطية^(٥) قال: قرأت على عبد الله بن عمر: الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً [وشيبة]^(٦) فقال ابن عمر الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف [قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً، قرأتها على رسول الله ﷺ - كما قرأتها فأخذها علي كما أخذتها عليك^(٧)، وقوله:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشِدَّةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾

﴿ثم جعل من بعد ضعف﴾^(٨) يعني: ضعف الطفولة ﴿قوة﴾ الشباب ﴿ثم جعل من بعد قوة ضعفاً﴾ يعني عند الكبر والهرم ﴿وشيبة﴾ وهو مصدر كالشيب ﴿يخلق ما يشاء﴾ أي من ضعف وقوة شية وشباب ﴿وهو العليم﴾ بديبارة خلقه ﴿القدير﴾ على ما يشاء، قوله:

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾

﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون﴾ يحلف المشركون ﴿ما لبثوا﴾ في القبور ﴿غير ساعة﴾ الا ساعة واحدة قال الله تعالى ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ يقال: أفك فلان إذا صرف عن الصدق والخير، قال الكلبي: كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا، وقال مقاتل: يقول: هكذا كانوا يكذبون بالبعث كما كذبوا

(١) المرسلات: ٢٠.

(٢) قراءة (ضعف) قرأ بها عاصم وحزمة بفتح الضاد عن المواطن الثلاثة وخالف حفص عاصماً فقد قرأ بضم الضاد كما يقرأ باقي القراء نظر السبعة ص ٥٠٨ والنشر ٣٤٥/٢.

(٣) بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن عدنان: نهاية الأرب ص ١٨٨ ونص القراء غير موجود في كتابه المعاني.

(٤) في أ: مرزوي وهو تحريف، وهو: يحيى بن أبي بكير نصر الاسدي القيسي أبو زكريا الكرمانى الكوفي ت سنة ٢٠٩. انظر تهذيب التهذيب ١٩٠/١١.

(٥) عطية العوفي وقد مرت ترجمته.

(٦) ساقط من ب.

(٧) رواه أحمد بن المسند ٥٨/٢، ٥٩، وابوداود في كتاب الحروف حديث رقم (٣٩٧٨) ٣٢/٤ والترمذي في أبواب القرآن باب من سورة الروم وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث فضيل بن مرزوق.

أنهم لم يلبثوا في قبورهم إلا ساعة، وقال ابن قتيبة: أي كذبوا في هذا الوقت كما كانوا يكذبون من قبل^(١)، والمعنى: أراد [الله تعالى]^(٢) أن بعضهم خلقوا على شيء يتبين لأهل الجمع من المؤمنين أنهم كاذبون في ذلك ويستدلون بكذبهم هناك على كذبهم في الدنيا وكان ذلك من قضاء الله وقدره بدليل قوله: ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ أي يصرفون يعني: كما صرفوا عن الصدق في خلقهم حين حلفوا كاذبين صرفوا في الدنيا عن الإيمان، ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم كذبهم بقوله ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾ أي لبثتم في القبور فيما كتب الله لكم من اللبث إلى يوم البعث، وقال الزجاج في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ، والمفسرون حملوا هذا على التقديم [على تقدير]^(٣) ﴿قال الذين أوتوا العلم في كتاب الله﴾ وهم الذين يعلمون كتاب الله وقرأ قوله ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾^(٤) وقوله ﴿فهذا يوم البعث﴾ أي اليوم الذي كتتم تنكرونه في الدنيا وتكذبون^(٥) به ﴿ولكنكم كتتم لا تعلمون﴾ وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن يدل على هذا المعنى قوله: ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ قال ابن عباس لا يقبل من الذين أشركوا عذر ولا عتاب ولا توبة ذلك اليوم وقرئ لا ينفع بالياء^(٦) لأن التأنيث ليس بحقيقي في المعذرة وقد وقع الفصل بين الفاعل وفعله فقوي التذكير وقوله ﴿ولا هم يستعتبون﴾ لا يطلب منهم العتبي والرجوع في الآخرة.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ احتجاجاً عليهم وتنبهاً لهم ﴿ولئن جئتهم بآية﴾ مثل العصا واليد ﴿ليقولن الذين كفروا إن أنتم﴾ ما أنتم يا محمد واصحابك ﴿إلا مبطلون﴾ أصحاب اباطيل وهذا إخبار عن عنادهم وتكذيبهم ثم ذكر سبب ذلك فقال ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ أي كالذي طبع على قلوبهم حتى لا يصدقون بآية يحتم^(٧) الله على قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله فكل من لم يعلم توحيد الله فذلك لأجل طبع الله على قلبه ثم أمر نبيه بالصبر إلى وقت النصر بقوله ﴿فأصبر إن وعد الله بنصر دينك واطهارك على عدوك﴾ ﴿حق ولا يستخفنك﴾ [الذين لا يؤمنون]^(٨) يقال استخف فلان فلاناً إذا استجهله فحملة على اتباعه في غيه والمفسرون يقولون: لا يستخفن^(٩) رأيك وعلمك ﴿الذين لا يوقنون﴾ بالبعث والحساب أي هم ضلال شاكون.

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٤٣.

(٢) ساقط من ب.

(٣) ساقط من هـ وقد روى ابن جرير هذا القول عن قتادة ٣٧/٢١.

(٤) المؤمنون: ١٠٠.

(٥) في هـ: وتكذّبونه.

(٦) قراءة (لا ينفع) بالياء، قرأ بها عاصم وحزمة والكسائي وخلف. انظر السبعة ص ٥٠٩ والنشر ٣٤٦/٢.

(٧) في هـ بان.

(٨) ساقط من جميع النسخ عدا هـ.

(٩) في هـ لا يستخفنك.

سورة لقمان

مكية وآياتها أربع وثلاثون

أخبرنا سعيد بن محمد بن إبراهيم الخيري أنا أبو عمرو بن مطر^(١)، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، أنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال لي رسول الله ﷺ: « من قرأ سورة لقمان كان له لقمان شفيحاً يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشراً بعدد من عمل بالمعروف وعمل بالمنكر^(٢) »

الْم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

بسم الله الرحمن الرحيم .

﴿الم تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ تقدم تفسيره ﴿هدى ورحمة﴾ القراءة بالنصب على الحال، قال الزجاج: المعنى تلك آيات الكتاب في حال الهداية الرحمة، وقرأ حمزة بالرفع على إضمار هو^(٣)، قال ابن عباس بيان من الضلالة ورحمة من العذاب للموحدين من أمة محمد ﷺ وما بعد هذا مضى فيما تقدم، قوله:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١﴾ وَإِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٣﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْفِئَ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٥﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ؕ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾

﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ نزلت في النضر بن الحارث^(٤) كان يأتي الحيرة^(٥) فيشتري كتباً فيها أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ويقول إن محمداً يحدثكم أحاديث عاد وثمود

(١) - في هـ أبو عمرو محمد بن جعفر المؤذن

(٢) - حديث لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج ٤٠ .

(٣) - انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٤٦، السبعة (٥١٢)

(٤) - رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس الدر المنثور ٥/١٥٨ .

(٥) - الحيرة: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف معجم البلدان ٢/٣٢٨ وقد روى البيهقي خبر النضر في =

وأنا أحدثكم حديث فارس والروم وأقرأ عليكم كما يقرأ عليكم محمد أساطير الأولين، ومعنى لهو الحديث باطل الحديث، هذا قول الكلبي ومقاتيل وأكثر المفسرين على أن المراد بلهو الحديث الغناء. أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفارسي، أنا علي بن أحمد بن محمد ابن أحمد بن عطية، نا الحارث بن^(١) أبي أسامة، نا إسماعيل^(٢) بن عباس عن مطر بن يزيد الكتاني عن عبيد^(٣) الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن ولا شراؤهن وثمانهن حرام ولقد نزل تصديق ذلك في كتاب الله ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ الآية والذي نفسي بيده ما رفع رجل قط عقيرته يتغنى إلا ارتدفه شيطانان يضربان بأرجلهما على ظهره وصدرة حتى يسكت^(٤) وهذا قول سعيد بن جبير ومجاهد وابن مسعود قالوا هو - والله - الغناء واشتراء المغني والمغنية بالمال أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصرآبادي الصوفي أنا إسماعيل بن نجيد أنا محمد بن الحسن بن الخليل، نا هشام بن عمار، نا محمد بن القاسم ابن سميع أنا ابن أبي الزعيزعة^(٥) عن نافع^(٦) عن ابن عمر أنه سمع النبي ﷺ في هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال: باللعب والباطل كثير النفقة سمح فيه لا تطيب نفسه بدرهم يتصدق به^(٧) قال أهل المعاني ويدخل في هذا كل من اختار اللهو والغناء^(٨) والمزامير والمعازف على القرآن وإن كان اللفظ ورد بالاشتراء لأن هذا اللفظ يذكر في الاستبدال والاختيار كثيراً أخبرنا أبو منصور البغدادي أنا أبو سعيد الخلال، أنا محمد بن الحسن بن قتيبة^(٩)، نا إبراهيم^(١٠) بن محمد الفريابي، نا عبد المجيد^(١١) بن عبيد الأنصاري، نا حماد^(١٢) بن عمرو عن أبي موسى من

= شعب الإيمان عن ابن عباس انظر الدر المنثور ١٥٨/٥.

(١) - عن ج ٩ - الحارث بن أبي أسامة محمد بن أبي أسامة أبو محمد التميمي ولد سنة ١٨٦ وت سنة ٢٨٢ تاريخ بغداد ١١/١٧٠،
تذكرة الحفاظ ٢/٦١٠، طبقات الحفاظ (٢٧٢)

(٢) - إسماعيل بن عباس بن سليم الحمصي العسبي أبو عتبة ولد سنة ١٢٢هـ وت سنة ١٨١هـ تذكرة الحفاظ ١/٢٥٣، طبقات الحفاظ (١٥٨).

(٣) - فيما عدا ج، هـ: عبد الله وهو تصحيف وفي هـ: زهر وعبيد الله بن زحر الضمري الافريقي تهذيب التهذيب ١٢/٧.

(٤) - رواه الطبري في تفسيره ٢١/٣٩، والترمذي في كتاب التفسير سورة لقمان وليس فيه «والذي نفسي بيده... الخ» وقال حديث غريب الترمذي ٥/٣٤٥ ط الحلبي، وقد روى هذه الزيادة صاحب الدر المنثور عن ابن أبي الدنيا وابن مردويه الدر ٥/١٥٩.

وقال الهيثمي عن مثله رواه الطبراني بأسانيد ورجال وثقوا وضعفوا مجمع الزوائد كتاب الأدب باب ما جاء في الشعر والشعراء ولقد قال الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمشركون» نسخة عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد نسخة باطلة، وبين ابن حجر بأن علي بن زيد متروك الحديث الضعفاء والمتروكون (٣١٢)، التقريب ٢/٤٦.

(٥) - ابن أبي الزعيزعة: محمد بن أبي الزعيزعة من اذرعات منكر الحديث جداً لا يكتب حديثه انظر الكامل لابن عدي ٦/٢٢١١، ولسان الميزان ٥/١٦٥.

(٦) - نافع المدني أبو عبد الله مولى ابن عمر ت سنة ١١٧هـ انظر تهذيب التهذيب ١٠/٤١٢ وتاريخ الإسلام ٥/١٠.

(٧) - حديث ضعيف ذكره ابن عدي في كتابه الكامل في ضعفاء الرجال من حديث محمد بن أبي الزعيزعة وهو منكر الحديث انظر الكامل ٦/٢٢١١.

(٨) - في ب: واللعب.

(٩) محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني أبو العباس ت سنة ٣١٠ انظر تذكرة الحفاظ ٢/٧٦٤، طبقات الحفاظ ص ٣٢١.

(١٠) - إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي نزيل بيت المقدس انظر الجرح والتعديل ١/١٣١.

(١١) - في ج: عبد المجيد

(١٢) - حماد بن عمرو أبو إسماعيل النسيبي متروك الحديث انظر: ميزان الاعتدال ١/٥٩٨ والضعفاء للدارقطني ترجمة رقم ١٦٤، والكامل

لابن عدي ٢/٦٥٧.

ولد أبي هريرة عن^(١) أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ من لها بالغناء لم يؤذن له أن يسمع صوت الروحانيين يوم القيامة قيل: وما الروحانيون يا رسول الله قال: قراء أهل الجنة^(٢) قوله: ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ قال الزجاج: من قرأ [ليضل]^(٣) بضم الياء^(٤) فمعناه ليضل غيره وإذا أضل غيره فقد ضل، ومن قرأ بفتح الياء فمعناه ليصير أمره إلى الضلال وهو إن لم يكن بمشتر^(٥) لضلالة فإنه يصير أمره إلى ذلك قال قتاده بحسب المرء من الضلالة أن يختار حدث الباطل على حديث [الحق]^(٦) ومعنى قوله ﴿بغير علم﴾ أي أنه جاهل فيما يفعل لا يفعله عن علم ﴿ويتخذها﴾ بالرفع^(٧) عطف على يشترى وبالنصب^(٨) على ليضل والكناية تعود إما إلى الآيات المذكورة في أول السورة أي ويتخذ آيات القرآن هزواً وإما إلى سبيل الله والسبيل تؤنث كقوله ﴿قل هذه سبيلي﴾^(٩) وما بعد هذا مفسر في مواضع بما تقدم إلى قوله:

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝١٢ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُ اللَّحْمِ فِي غَامِزَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِنَّيَ الْمَصِيرُ ۝١٤ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٥ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَرَىٰ مِن قِبَالِكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَحْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝١٦ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرْ عَلَىٰ مَا أوصَاكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِ الْأُمُورِ ۝١٧ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ۝١٩

﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ أكثر العلماء على أن لقمان لم يكن نبياً، وقال عكرمة والسدي والشعبي: كان نبياً وفسروا الحكمة ها هنا بالنبوة، قال مجاهد الحكمة ها هنا الفقه والعقل والإصابة في القول وقوله ﴿أن اشكر﴾

(١) - من د فقط.

(٢) - حديث ضعيف من هذا الوجه ففي سننه حماد بن عمرو وهو متروك الحديث عند علماء الجرح والتعديل

(٣) - من هـ.

(٤) - قراءة (ليضل) بضم الياء قرأ بها جميع القراء عدا ابن كثير وأبا عمرو وقد قرءا (ليضل) بفتح الياء انظر النشر ٢/٢٩٩.

(٥) - في هـ يشترى.

(٦) - ساقط من جـ.

(٧) - في هـ (ويتخذها هزواً) يتخذها رفع، وفيما عدا ب (ويتخذها) رفع وقراءة (يتخذها) بالرفع، قرأ بها - نافع وابن كثير وأبو عمرو و

جعفر وأبو بكر عن عاصم وابن عامر انظر: النشر ٢/٣٤٦.

(٨) - قراءة (يتخذها) بالنصب قرأ بها يعقوب والكسائي وخلف وحفص من عاصم. انظر النشر ٢/٣٤٦.

(٩) - يوسف: ١٠٨.

الله ﴿ قال مقاتل: قلنا^(١) له أن اشكر الله فيما أعطاك من الحكمة ﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه﴾ ومن يطع الله فإنما يعمل لنفسه ﴿ومن كفر﴾ النعمة فلم يوحده ﴿فإن الله غني﴾ عن عبادة خلقه ﴿حميد﴾ عند خلقه ثم ذكر معنى إعطاء الحكمة فقال: ﴿وإذ قال لقمان لابنه﴾ أي ولقد آتينا الحكمة إذ قال ﴿وهو يعظه﴾ قال ابن عباس: في الله ﴿يا بني لا تشرك بالله﴾ لا تعدل بالله شيئاً في العبادة ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ يقول ليس شيء من الذنوب أعظم من الشرك بالله، وقوله ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ تقدم تفسيره ونزوله^(٢) ﴿حملته أمه وهناً على وهن﴾ قال الزجاج لزمها بحملها إياه أن تضعف مرة بعد مرة ﴿وفصاله في عامين﴾ الفصال: الطعام، وهو أن يفصل الولد عن الأم كي لا يرضع وهو ابتداء وخبره في الظرف على تقدير: وفصاله يقع في عامين أن في انقضاء عامين، والمعنى: ذكر مشقة الوالدة بارضاع الولد بعد الوضع عامين ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ قال ابن عباس [المعنى]^(٣) أطعني وأطع والديك، وقال مقاتل: أن اشكر لي إذ هديتك للإسلام ولوالديك بما أولياك من النعم والمعنى: ووصيناك بشكرنا وشكر والديه ﴿إلى المصير﴾ المرجع والمنقلب أي فأجزيك بعملك ﴿وإن جاهدك﴾ مفسر في سورة العنكبوت إلى قوله ﴿وصاحبهما في الدنيا معروف﴾ أي اصحبها في الدنيا بالمعروف وهو المستحسن ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾ دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي ﷺ، وقال عطاء عن ابن عباس: يريد أبا بكر^(٤) رضي الله عنه وذلك أنه حين أسلم أتاه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعثمان وطلحة والزبير فقالوا له أمنت وصدقت محمداً فقال: نعم فأتوا رسول الله ﷺ فآمنوا وصدقوا فأنزل الله تعالى يقول واتبع سبيل من أناب إلي يعني أبا بكر رضي الله عنه قوله: ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل﴾ قال السدي: قال ابن لقمان لأبيه أرأيت لو كان حبة من خردل في مقل البحر^(٥) أكان الله يعلمها فقال: ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة﴾ قال الزجاج: المعنى إن التي سألتني عنها إن تك مثقال حبة من ﴿خردل﴾ قرىء مثقال بالرفع والنصب^(٦) فمن نصب فاسم كان مضمر على تقدير إن تكن التي سألت مثقال حبة من خردل ومن رفع مع تأنيث تكن فلأن مثقال حبة من خردل راجع إلى معنى خردله فهو بمنزلة إن تكن حبة من خردل وتك ها هنا بمعنى يقع ولا خبر له وقوله ﴿فتكن في صخرة﴾ قال السدي: هذه الصخرة ليست في السماوات ولا في الأرض هي تحت سبع^(٧) أرضين عليها ملك قائم، وقال قتادة: فتكن في صخرة أي في جبل ﴿يأت بها الله﴾ قال الزجاج: هذا مثل لأعمال العباد وأن الله يأتي بأعمالهم مكتوبة يوم القيامة ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾^(٨) وقد قال مقاتل: قال ابن لقمان لأبيه: يا أبت أرأيت إن عملت بالخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمه الله فرد عليه لقمان ما أخبر الله عنه فيكون المعنى: إن تكن الخطيئة مثقال حبة من خردل يأت بها الله للجزاء عليها ﴿إن الله لطيف﴾ باستخراجها ﴿خبير﴾ بمكانها ﴿يا بني أقم الصلاة﴾ المفروضة ﴿وأمر بالمعروف﴾ بالإيمان بالله وطاعته واتباع

(١) - في هـ: فقلنا.

(٢) - أي سبب نزوله

(٣) - ساقط من هـ

(٤) - أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو القرشي التميمي سنة ١٣ هـ انظر أسد الغابة ٣/ ٢٩٩ ط الشعب.

(٥) - مقل البحر: موضع المغاص من البحر الذي يغمه الماء لسان العرب فصل الميم حرف اللام.

(٦) - قراءة (مثقال) بالنصب قرأ بها: جميع القراء عدا نافع فلقد قرأ (مثقال) بالرفع انظر السبعة ص ٥١٣ والنشر ٢/ ٣٥٤. ونلفظ النصب

بياض في هـ.

(٧) - في هـ: سبعة

(٨) - الزلزلة: ٧، ٨

أمره ﴿وانه عن المنكر﴾ الشرك والظلم ومعاصي الله ﴿واصبر على ما أصابك﴾ فيهما من الأذى ﴿إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ أي الأمر^(١) بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى فيهما من حق [عزم] ^(٢) الأمور إلى الله بها أي هو الذي يعزم عليها لوجوبها ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ وقرىء ولا تصاعر بالألف ^(٣) يقال: صعر خده وصاعر إذا أمأه وجهه وأعرض تكبراً يقول: لا تعرض عن الناس تكبراً عليهم، قال ابن عباس: لا تتعظم على خلق الله، وقال قتادة: هو الإعراض عن الناس يكلمك أخوك وأنت عنه معرض متكبر أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيباني، أنا بشر بن أحمد بن بشر، أنا أحمد بن علي المثنى، أنا أبو همام إسحاق بن سليمان، نا جعفر ابن عون، نا أبو جعفر الرازي عن الربيع^(٤) عن أنس^(٥) في قوله ولا تصعر خدك للناس قال: يكون الغني والفقير عندك سواء وما بعد هذا مفسر فيما تقدم^(٦) إلى قوله ﴿واقصد في مشيك﴾ يقال قصد فلان في مشيه إذا مشى مشياً مستوياً، قال مقاتل لا تختل في مشيك، وقال عطاء أمش بالوقار والسكينة كقوله: ﴿يمشون على الأرض هوناً﴾^(٧) وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ قال مقاتل اخفض من صوتك وقال عطاء عن ابن عباس: واغضض من صوتك إذا دعوت وناجيت ربك، وكذلك وصية الله عز وجل في الانجيل لعيسى ابن مريم: مر عبادي إذا دعوني يخفضوا أصواتهم فإني أسمع وأعلم ما في قلوبهم ﴿إن أنكر الأصوات﴾ أفبها ﴿لصوت الحمير﴾ قال قتادة: أفبح الأصوات صوت الحمير، أوه زفير وآخره شهيق وقال المبرد: تأويله: إن الجهر بالصوت ليس بمحمود وإنه داخل في باب المنكر، قال مقاتل يأمر لقمان ابنه بالاعتقاد في المشي والمنطق^(٨)

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ١٣ وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ فَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ١٤ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهَا مَرَجِعُهُمْ فَتَنِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٥ نَمِيعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّطَّرَّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ١٦ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٧ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ١٨

(١) - فيما عدا هـ: أي

(٢) - ساقط من هـ

(٣) - قراءة (ولا تصاعر) بالألف وتخفيف العين قرأ بها: حمزة والكسائي وأبو عمرو وخلف ونافع انظر السبعة ص ٥١٣ والنشر ٢/٣٤٦.

(٤) - الربيع بن أنس البكري البصري الخراساني ت سنة ١٣٩ هـ تهذيب التهذيب ٣/٢٣٨.

(٥) - في أ: عن

(٦) - أي في سورة النساء عند قوله ﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ النساء: ٣٦.

(٧) - الفرقان: ٦٣.

(٨) - وهذا هو الرأي الذي تصبو إليه النفس ويرتاج إليه القلب وهو الذي يتفق مع تنزيل الآية أما النهي عن رفع الصوت بالدعاء فلا يتفق مع هذا التنزيل.

قوله تعالى ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات﴾ يعني الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح ﴿وما في الأرض﴾ يعني: الجبال والأنهار والبحار والأشجار والنبات عاماً^(١) بعام، قال الزجاج: ومعنى تسخيرها للآدميين: الانتفاع بها ﴿وأسبغ عليكم﴾ أوسع وأكمل يقال: سبغت^(٢) النعمة إذا تمت وأسبغها الله وقوله «نعمة» وقرىء^(٣) نعمه جمعاً ومعنى القراءتين واحد لأن المفرد يدل على الكثرة كقوله ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾^(٤) وقوله ﴿ظاهرة وباطنة﴾ أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الحافظ أنا عبد الله بن محمد الحافظ، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان، نا أبو مالك عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال هذه من مخزوني الذي سألت عنها النبي ﷺ قلت: يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة فقال يا ابن عباس أما ما ظهر فالإسلام وما سوى الله من خلقك وما فضل عليك من الرزق وأما ما بطن فستر مساويء عملك ولم يفضحك به يا ابن عباس إن الله يقول ثلاثة جعلتهن للمؤمنين ولم تكن له صلاة المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله وجعلت له قلة ماله أكفر به عنه خطاياهم، والثالثة: سترت مساويء عمله فلم أفضح به شيء منه ولو أبديتها عليه لنبذه أهله فمن سواهم^(٥) وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه: الظاهرة الإسلام والقرآن والباطنة ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك^(٦) بالنقمة وقال الضحاك: الباطنة المعرفة^(٧) والظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء، وقوله ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ مفسر في سورة الحج والآية الثانية مفسرة في سورة البقرة وكذلك الثالثة، وقوله ﴿ومن كفر فلا يحزنك كفره﴾ فلا تهتم لكفره فإن رجوعهم إلينا وحسابهم علينا وهو قوله ﴿إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا﴾ نخبرهم بقبايح أعمالهم لأنها أثبتت عليهم ﴿نمتعهم قليلاً﴾ يعني أيام حياتهم إلى انقضاء آجالهم نمتعهم بما أعطوا من الدنيا ﴿ثم نضطرهم﴾ في الآخرة أي نلجئهم ﴿إلى عذاب غليظ﴾ هو عذاب النار لا يجدون عنها محيصاً ولا ملجأ وما بعد هذا مفسر فيما تقدم إلى قوله:

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٧ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَيْسٍ وَحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ٢٨ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٢٩ ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَصْبِرُوا أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتِهِ أَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ

(١) - في هـ: علماً

(٢) - في هـ: مسعت

(٣) - قراءة (نعمة) بفتح العين وهاء مضمومة على التذكير والجمع قرأ بها نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم، أما قراءة (نعمة) باسكان العين وتاء منونة منصوبة على التأنيث والأفراد فقد قرأ بها بقية القراء. انظر السبعة ص ٥١٣ والنشر ٣٤٧/٢.

(٤) - ابراهيم: ٣٤، النحل: ١٨

(٥) - حديث ضعيف من هذا الوجه وذلك لضعف جبير بن سعيد الأزدي فقد قال عنه ابن حجر يروي عن الضحاك أحاديث مقلوبة وبين

الدارقطني في كتابه الضعفاء أنه متروك انظر تهذيب التهذيب ١٢٤/٢، الضعفاء والمتروكين ص ١٧١.

(٦) - في هـ: عليكم.

(٧) - في هـ: المعروفة

شُكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌّ كَالظَّلِيلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ
وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾

﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ قال قتادة إن المشركين قالوا في القرآن يوشك أن ينفذ يوشك أن ينقطع فنزلت هذه الآية يقول: لو كان [ما] (١) في الأرض من شجرة برت أقلاماً وكان البحر مداداً ومعه سبعة أبحر مداداً مثله وهو قوله ﴿والبحر يمدده﴾ قرىء نصباً (٢) بالعطف على ما ورفعا بالاستئناف كأنه كان قال: والبحر هذه حاله وهي أن تنصب (٣) فيه سبعة أبحر ونزيده بمائتها فكتبت بتلك الأقلام لنفد (٤) المداد قبل أن ينفذ علم الله وهو قوله ﴿ما نفذت كلمات الله﴾ قال جماعة المفسرين: يعني علم الله، والمعنى كلمات الله التي هي عبارة (٥) عن معلوماته ولما كان معلوم الله لا يتناهى (٦) فكذلك الكلمات التي تقع عبارة عن معلومه لا تتناهى، والآية مختصرة ويكون تقدير الكلام فكتبت بهذه الأقلام البحور (٧) ما نفذت كلمات الله، قوله: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم﴾ الآية قال مقاتل إن كفار قريش قالوا إن الله خلقنا أطواراً نطفة علقه مضغفة فكيف يبعثنا الله خلقاً جديداً في ساعة واحدة فأنزل الله هذه الآية يقول ما خلقكم أيها الناس جميعاً في القدرة إلا كخلق نفس واحدة ولا بعثكم جميعاً إلا كبعث نفس واحدة [قال الزجاج: أي قدرة الله على بعث الخلق كلهم وعلى خلقهم كقدرته على خلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة] (٨) ﴿إن الله سميع﴾ لما قالوا من أمر الخلق والبعث ﴿بصير﴾ به وما بعد هذا مفسر فيما تقدم إلى قوله ﴿ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله﴾ قال ابن عباس [يريد] (٩) أن ذلك كله من نعمته الله عليكم ﴿ليريك من آياته﴾ من صنعه وعجائبه في البحر وابتغاء الرزق ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار﴾ عن معاصي الله ﴿شكور﴾ لنعمته قال مقاتل: يعني المؤمن ﴿وإذا غشيهم﴾ يعني: الكفار يقول إذا علاهم ﴿موج﴾ وهو ما ارتفع من الماء ﴿كالظلل﴾ كالجبال أو السحاب التي تظل من تحتها خافوا الغرق والهلاك ف ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ وهذا كقوله ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾ (١٠) وكان سبب إسلام عكرمة بن أبي جهل هذا، وهو إخلاصهم الدعاء في البحر أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزياتي رحمه الله أنا محمد بن الحسين [بن الحسن] (١١) بن الخليل، نا أحمد بن يوسف السلمي، نا أحمد بن المفضل، نا أسباط بن نصر قال: زعم السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وقال اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة عكرمة بن أبي جهل وعبد الله (١٢) بن خطل ومقيس بن صبابه وعبد الله بن سعد بن أبي اليسر فأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم ريح عاصف فقال أهل السفينة اخلصوا فإن أهتكم لا تغني عنكم شيئاً ها هنا فقال عكرمة: لئن لم ينجيني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غير الله، اللهم إن لك علي إن أنت عافيتني مما أنا فيه

(١) - ساقط من هـ

(٢) - قراءة (والبحر) بفتح الراء قرأ بها أبو عمرو ويعقوب أما قراءة (والبحر) بضم الراء فقد قرأ بها بقية القراء انظر السبعة ص ٥١٣ والنشر

٣٤٧/٢

(٨) - ساقط من هـ

(٣) - فيما عدا ب: تنصب

(٩) - عن ب: هـ

(٤) - في هـ: فقد

(١٠) - العنكبوت: ٦٥

(٥) - في هـ: عبارة

(١١) - ساقط عن جـ

(٦) - في هـ: لا يتناهى له كذلك

(١٢) - عبد الله بن خطل أسلم وأرشد وقتل يوم الفتح كافر الكامل لابن الأثير ٢٤٩/٢

(٧) - فيما عدا هـ والبحور.

أن أتى محمداً حتى أضع يدي في يده فلاجدنه عفواً كريماً فجاء فأسلم^(١) أخبرنا أبو نصر المهرجاني أخبرنا عبيد الله بن محمد الزاهد أنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، أنا أبو الربيع^(٢) الزهراني، نا حماد بن زيد عن أيوب^(٣) عن ابن أبي مليكة قال لما كان يوم الفتح هرب عكرمة بن أبي جهل فركب البحر فخب بهم البحر فجعل الناس ومن في السفينة يدعون الله ويستغيثون به فقال: ما هذا؟ فقيل هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله فقال عكرمة وهذا إله محمد الذي كان يدعوننا إليه ارجعوا بنا فرجع فأسلم^(٤) وقوله ﴿فلما نجاهم إلى البر﴾ أي من هول ما هم فيه نجاهم حتى أفضوا إلى البر ﴿فمنهم مقتصد﴾ أي عدل في الوفاء في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له، يعني: من ثبت على إيمانه ثم ذكر الذي ترك التوحيد في البر يقول ﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار﴾ غادر بعهدته والختر: سوء الغدر وأقبحه ﴿كفور﴾ لله في نعمه ثم خاطب كفار مكة فقال:

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً﴾ قال ابن عباس كل امرئ يهمله نفسه، وقال مقاتل: لا يغني والد عن ولده شيئاً أي لا ينفعه، يعني: الكفار، وهذا كقوله ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً﴾^(٥) وقد تقدم ﴿إن وعد الله حق﴾ بالبعث ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ عن الإسلام والتزود للآخرة ﴿ولا يغرنكم بالله﴾ أي بحلم^(٦) الله وإمهاله ﴿الغرور﴾ يعني: الشيطان، وهو الذي من شأنه أن يغر قوله:

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ نزلت في رجل من محارب^(٧) أتى النبي ﷺ فقال: ان أرضنا أجذبت فمتى الغيث وتركت امرأتي حبلى فماذا تلد وقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت وقد علمت ما عملت اليوم فما أعمل غدا ومتى الساعة فأنزل الله تعالى^(٨) هذه الآية أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الدركي، أنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر، أنا محمد^(٩) بن عثمان بن أبي سويد، أنا أبو حذيفة، نا سفيان عن

(١) - مغازي الواقدي ٢/ ٨٢٥

(٢) - أبو الربيع الزهراني: سليمان بن داود الزهراني العتكي البصري ت سنة ٢٣٤ هـ تاريخ بغداد ٩/ ٣٨، تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٦٨،

العبر ١/ ٤١٧، طبقات الحفاظ (ص ٢١٣)

(٣) - أيوب بن ثابت المكي: تهذيب التهذيب ١/ ٣٩٩.

(٤) - الكامل لابن الأثير ٢/ ٢٤٨

(٥) - البقرة: ٤٨، ١٢٣

(٦) - في هـ فعلم

(٧) - قبيلة مضارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر جمهرة انساب العرب لابن حزم الأندلسي ط دار المعارف ص ٢٥٩.

(٨) - تفسير الطبري ٢١/ ٥٥

(٩) - محمد بن عثمان بن أبي سويد الذراع البصري الميزان ٣/ ٦٤١.

عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله تعالى لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله ولا يعلم متى (١) تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله» رواه (٢) البخاري عن محمد بن يوسف عن سفيان قال قتادة في هذه الآية خمس من الغيب استأثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا إن الله عنده علم الساعة فلا يدري أحد من الناس متى تقوم في أي سنة أو في أي شهر ليلاً أو نهاراً ﴿وينزل الغيث﴾ فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلاً أم نهاراً ينزل ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ لا يعلم أحد ما في الأرحام أذكر أم أنثى أم أحمر أم أسود ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ أخيراً أم شراً ﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ يقول ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض أفي بر أم في بحر (٣) في سهل أم جبل تعالى ربنا وتبارك وقال ابن عباس: هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى قال الزجاج: فمن ادعى أنه يعلم شيئاً من هذه فقد كفر بالقرآن لأنه خالفه.

(١) - في هـ: ما

(٢) - البخاري كتاب التفسير سورة لقمان ١٤٤/٦ ط الشعب

- في هـ: ما.

(٣) - في هـ أو بحر

سورة السجدة

مكية وآياتها ثلاثون

أخبرنا أبو سعد محمد بن علي بن أحمد الحيري، أنا أبو عمرو محمد بن جعفر الشروطي، نا أبو إسحاق الأسدي، نا أبو عبد الله اليربوعي، نا المدائني، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «ومن قرأ سورة تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك فكانما أحيا ليلة القدر»^(١)

حدثنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري إملاء، نا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني، نا عبد الله بن ناجية، نا نصر بن عبد الرحمن الوشاء، نا حفص بن عمر الإمام، نا الحسن بن صالح عن أبي الزبير عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ «لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل وتبارك»^(٢)^(٣)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىكَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَيْنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه﴾ قال مقاتل: يعني لا شك فيه أنه تنزيل ﴿من رب العالمين أم يقولون﴾ [افتراه] بل يقولون^(٤)، يعني: المشركين افتراه محمد من تلقاء نفسه ﴿بل هو﴾ أي القرآن ﴿الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ يعني: العرب وكانوا أمة أمية لم يأتيهم نذير قبل محمد عليه السلام ﴿لعلهم يهتدون﴾ لكي يرشدوا من الضلالة.

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ط مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِّن وَّلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾

﴿الله الذي خلق السموات والأرض﴾ مفسر في سورة الأعراف إلى قوله ﴿ما لكم من دونه من ولي﴾ يعني: الكفار يقول: ليس من دون عذابه من ولي: قريب ينفعكم فيرد عذابه عنكم ﴿ولا شفيع﴾ لكم ﴿أفلا﴾

(١) - حديث لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج

(٢) - في النسخة ب: ويقول وهما تفضلان كل سورة من القرآن بسبعين حسنة

(٣) - رواه أحمد بن حنبل في المسند ٣/٣٤٠ ط بيروت وليس فيه وهما تفضلان . الخ كما أن هذه الزيادة في النسخة (ب) فقط .

(٤) - ساقط من هـ

تذكرون ﴿ افلا تتدبرون ﴾^(١) هذا فتؤمنوا، قوله: ﴿ يدبر الأمر ﴾ يعني: أمر الدنيا يدبره الله عز وجل مدة أيام الدنيا فينتز القضاء والقدر ﴿ من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه ﴾ قال ابن عباس: يرجع إليه [والمعنى]^(٢) يعود الأمر والتدبير حتى ينقطع أمر الأمراء وأحكام الحكام وينفرد الله تعالى بالأمر ﴿ في يوم كان مقداره ألف سنة ﴾ قال ابن عباس: يريد أن يوماً من أيام الآخرة مثل ألف سنة ﴿ مما تعدون ﴾ من أيام الدنيا وأراد بهذا اليوم يوم القيامة وهذا كقوله ﴿ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾^(٣) وقد مر ذلك^(٤) ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ أي ذلك الذي صنع ما ذكر من خلق السماوات والأرض عالم ما غاب عن الخلق وعالم ما حضر ﴿ العزيز ﴾ المنيع في ملكه ﴿ الرحيم ﴾ بأهل طاعته.

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

﴿ الذي أحسن ﴾ كل شيء خلقه [يعني: أحسن خلق كل شيء]^(٥) قال مقاتل: علم كيف تخلق الأشياء من غير أن يعلمه أحد، وقال السدي: أحسنه لم يتعلمه من أحد والإحسان: العلم يقال: فلان يحسن كذا إذا علمه قال صاحب النظم: بيان ذلك: أنه لما طول رجل البهيمة والطائر طول عنقه لثلاث يتعذر عليه ما لا بد له من قوته^(٦) ولو تفاوت ذلك لم يكن معاش وكذلك كل شيء من أعضاء الحيوان مقدر لما يصلح به معاشه وقرىء خلقه بفتح اللام^(٧) وهو صفة للنكرة التي هي شيء والمعنى: أتقن وأحكم كل شيء خلقه قال ذلك الكلبي ومجاهد ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾ يعني: آدم كان أوله طيناً ﴿ ثم جعل نسله ﴾ ولده وذريته ﴿ من سلالة ﴾ تقدم تفسيرهما ﴿ من ماء مهين ﴾ ضعيف يعني: النطفة ثم رجع إلى آدم فقال: ﴿ ثم سواه ﴾ سوى خلقه ﴿ ونفخ فيه من روحه ﴾ ثم عاد إلى ذريته فقال ﴿ وجعل لكم ﴾ [يعني من]^(٨) بعد أن كتتم نطفاً ﴿ السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ﴾ يعني: أنهم لا يشكرون رب هذه النعم فيوحدونه.

وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

﴿ وقالوا ﴾ يعني: منكري البعث ﴿ إذا ضللنا في الأرض ﴾ هلكننا وصرنا تراباً فلم يبق شيء من خلقنا ومعنى الضلال في اللغة الغيبوبة يقال: ضل الماء في اللبن وضل الميت في التراب إذا بطل ﴿ أنا لفي خلق جديد ﴾ استفهام انكار أنكروا إعادتهم بعد الموت قال الله تعالى ﴿ بل هم ﴾ [يعني^(٩) ﴿ بلىء ربهم كافرون ﴾]^(١٠) أي بالبعث قوله ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت ﴾ أي يقبض أرواحكم أجمعين ﴿ الذي وكل بكم ﴾ قال ابن عباس وكل يقبض أرواحكم. أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، نا محمد بن يعقوب نا بحر بن نصر، نا ابن وهب، نا أبو صخر حميد بن زياد أن يزيد الرقاشي قال سمعت أنس بن مالك يقول: لقي جبريل ملك الموت بنهر بفارس فقال يا ملك الموت كيف

(١) - ساقط من هـ

(٣) - الحج: ٤٧

(٧) - قراءة (خلقه) بفتح اللام، قرأ بها: نافع وعاصم وحمزة وخلف انظر: النشر ٢/٤٧

(٨) - ساقط من هـ

(٤) - مر ذلك في سورة الحج

(٩) - ساقط من جميع النسخ عدا ب

(٥) - ساقط من هـ

(١٠) - في هـ / يعني

(٦) - ساقط من جـ

تستطيع قبض الأنفس عند الوباء ها هنا كذا وكذا فقال له ملك الموت تزوي لي الأرض حتى كأنها بين فخذي فالتقطهم بيدي أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن المفضل أخبرنا عبد المؤمن بن خلف أنا أبو عمارة البغدادي، أنا أحمد بن يونس بن سنان الرقي، نا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي^(١) عن أيوب عن عكرمة^(٢) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «الأمراض والأوجاع كلها يريد الموت ورسول الموت فإذا جاء الأجل أتى ملك الموت بنفسه فقال: أيها العبد كم خير بعد خبر وكم رسول بعد رسول [وكم يريد بعد يريد^(٣)] أنا المخبر^(٤) ليس بعد خير وأنا الرسول ليس بعدي رسول أجب ربك طائعاً أو مكرهاً فإذا قبض روحه تصارخوا عليه فقال على من تصرخون وعلى من تبكون فوالله ما ظلمت له أجلاً ولا أكلت رزقاً بل دعاه ربه فليكن الباكي على نفسه فإن لي فيكم عودات وعودات حتى لا أبقى منكم أحداً». وقوله ﴿ثم إلينا ترجعون﴾ أي تصيرون إليه أحياء فيجزىكم بأعمالكم ثم أخبر عن حالهم في القيامة وعند الحساب فقال:

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿ولو ترى﴾ يا محمد ﴿إذ المجرمون﴾ قال مقاتل: يعني كفار مكة ﴿ناكسوا رؤوسهم عند ربهم﴾ مطاطئوها حياءً وندماً ﴿يقولون ربنا أبصرنا﴾ ما كنا ننكر ﴿وسمعنا فارجعنا﴾ إلى الدنيا ﴿نعمل صالحاً﴾ نقول لا إله إلا الله ﴿إنا موقنون﴾ قال ابن عباس: اتقوا ذلك اليوم ما كانوا ينكرون في الدنيا، ثم أخبر أنه إنما يؤمن من قدر الله له الإيمان فقال ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ قال ابن عباس: رشدنا وبيانها وهذا كقوله ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض﴾^(٥) وقوله: ﴿لو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾^(٦) ﴿ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ يعني كفار الفريقين، قال ابن عباس: يقول هذا قضائي وقدري في ملكي وربوبيتي والقول الذي وجب من الله بملء جهنم قوله لابلوس ﴿لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين﴾^(٧) أخبرنا أبو الحسن أحمد بن إبراهيم النجار نا سليمان بن أيوب اللخمي نا محمد بن يحيى بن زياد الأبراري الأعلى^(٨) بن حماد النبرسي نا

(١) - عبد العزيز بن عبد الصمد العمي البصري أبو عبد الصمد ت سنة ١٨٧ هـ تذكرة الحفاظ ١/٢٧٠، خلاصة تذهيب الكمال (٢٠٣) طبقات الحفاظ (١١٥).

(٢) - أيوب بن أبي تمبحة كيسان السخيتاني ولد سنة ٦٦ هـ وتوفي سنة ١٣١ ثقة تذهيب التهذيب ١/٣٩٧

(٣) - ساقط من جـ

(٤) - فيما عدا ب المخبر وفي هـ الخبر الذي ليس بعدي .

(٥) - يونس: ٩٩

(٦) - الأنعام: ٣٥

(٧) - ص: ٨٥

(٨) - عبد الأعلى بن حماد بن نصر الترمسي الباهلي أبو يحيى البصري ت سنة ٢٣٧ هـ جرية تاريخ بغداد ١١/٧٥ تذكرة الحفاظ ٢/٤٦٧

أبو عاصم^(١) العباداني نا الفضل^(٢) بن عيسى الرقاشي عن الحسن قال: خطبنا أبو هريرة رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله يقول: ليعتذرن الله إلى آدم ثلاث معاذير يقول الله يا آدم لولا أنني لغنت الكذابين وأبغضت الكذب والخلف وأعذب عليه لرحمت اليوم ولذلك أجمعين من شدة ما أعددت لهم من العذاب ولكن بحق القول مني لئن كذبت رسلي وعصي أمري لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ويقول الله عز وجل يا آدم اعلم أني لا أدخل من ذريتك النار ولا أعذب منهم بالنار أحداً إلا من قد علمت بعلمي اني لو رددته إلى الدنيا لعاد إلى شر مما كان فيه ولم يرجع ولم يعتب ويقول الله عز وجل يا آدم قد جعلتك حكماً بيني وبين ذريتك قم عند الميزان فانظروا ما يرفع إليك من أعمالهم فمن رجح خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم أني لا أدخل منهم [النار] ^(٣) إلا ظالماً ^(٤) قوله ﴿فذوقوا بما نسيتم﴾ قال مقاتل: إذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة فذوقوا العذاب بما نسيتم ﴿لقاء يومكم هذا﴾ بما تركتم الإيمان بيومكم هذا وقال السدي: بما تركتم أن تعملوا للقاء يومكم هذا ﴿إنا نسياتكم﴾ تركناكم في العذاب ﴿وذوقوا عذاب الخلد﴾ الذي لا ينقطع ﴿بما كنتم تعملون﴾ من الكفر والتكذيب ثم ذكر المؤمنين فقال:

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾
تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِّنْ أَخْفَىٰ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا﴾ وعظوا ﴿بها خروا سجداً﴾ سقطوا على وجوههم ساجدين^(٥) ﴿وسبحوا بحمد ربهم﴾ وقالوا^(٦) سبحان الله وبحمده ﴿وهم لا يستكبرون﴾ ان يعرفوا وجوههم ساجدين قوله ﴿تتجافى جنوبهم﴾ [عن المضاجع] ^(٧) ترتفع جنوبهم يقال جفا الشيء عن الشيء وتجافى عنه إذا لم يلزمه ونبا عنه، والمضاجع: جمع المضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم المتجهدون بالليل الذين يقومون للصلاة عن الفراش وهو قول الحسن ومجاهد وعطاء ورواية معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الخشاب أنا إبراهيم بن عبد الله الأصفهاني، أنا محمد بن إسحاق السراج، نا قتيبة، نا جرير عن الحكم وحبيب بن أبي ثابت^(٨) عن ميمون بن أبي شبيب^(٩) عن معاذ بن جبل قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك^(١٠) وقد أصابنا الحر فترقق القوم فإذا رسول الله ﷺ أقربهم مني فدنوت منه فقلت: يا رسول الله أنبئني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار فقال: لقد سألت عن عظيم

(١) - أبو عاصم: عبد الله بن عبيد الله العباداني. ميزان الاعتدال ٥٤٣/٤

(٢) - الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي أبو عيسى البصري. تهذيب التهذيب ٢٨٣/٨

(٣) - ساقط من ب

(٤) - رواه الطبراني في المعجم الصغير ٣١/٢

(٥) - فيما عدا أ: صاغرين

(٦) - فيما عدا ه: وقالوا

(٧) - ليست في ب، هـ

(٨) حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار الأسدي أبو يحيى الكوفي انظر تذكرة الحفاظ ١١٦/١، شذرات الذهب ١٥٦/١، طبقات الحفاظ (ص ٤٤)

(٩) - ميمون بن أبي شبيب الرعي أبو نصر الكوفي ت سنة ٨٣ هـ تهذيب التهذيب ٣٨٩/١٠

(١٠) - وتبوك موضع بين وادي القرى والشام وبينها وبين المدينة اثنا عشرة مرحلة حوالي ستة وثلاثون ميلاً معجم البلدان ١٤/٢

وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان وإن شئت أنبأتك بأبواب الخير قلت بلى يا رسول الله قال الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل يتغني وجه الله ثم قرأ هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع»^(١) أخبرنا أبو منصور البغدادي، أنا القاسم بن غانم بن حمويه الطويل، نا محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي، نا عيسى^(٢) بن إبراهيم، نا عفيف^(٣) بن سالم الموصلي، نا بكر بن^(٤) حبيش عن ربيعة^(٥) بن يزيد عن أبي إدريس^(٦) الخولاني، عن بلال قال: قال رسول الله ﷺ: عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وإن قيام الليل قربة إلى^(٧) الله ومنهارة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطرده للداء عن الجسد^(٨) وقال رضي الله عنه ونزلت فينا معاشر الأنصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي ﷺ^(٩) وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر قالوا: هي ما بين المغرب وصلاة العشاء صلاة الأوابين، وقال آخرون: هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة وهو قول مجاهد وعطاء. وقوله ﴿يدعون ربهم خوفاً وطمئناً﴾ قال ابن عباس: خوفاً من النار وطمئناً في الجنة ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ قال الكلبي: في الواجب عليهم والتطوع قوله: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ أي لا يعلم أحد [لا ملك مقرّب ولا نبي مرسل]^(١٠) ما خبيء لهؤلاء الذين ذكرهم مما تقر به أعينهم، قال ابن عباس في هذه الآية هذا مما لا تفسير له والأمر أعظم وأجل مما يعرف تفسيره أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي، أنا حاجب بن أحمد، نا محمد بن يحيى نا يزيد بن هارون، أنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرأوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين»^(١١) أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الخرك، أنا أبو الشيخ الأصبهاني، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان، نا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» قال: وقال أبو هريرة: بله ما أطلعكم الله عليه اقرأوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين قال: وكان أبو هريرة يقرؤها من قرات أعين

(١) - رواه الترمذي في أبواب الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلاة حديث رقم (٢٧٤٩) وابن حنبل في المسند ٢٣١/٥، والحاكم في

المستدرک في کتاب التفسیر سورة السجدة ٤١٢/٢ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

(٢) - عيسى بن إبراهيم الميزان ٣/٣١٠.

(٣) - عفيف بن سالم الموصلي البجلي أبو عمرو ت سنة ١٨٣. تهذيب التهذيب ٢٣٥/٧

(٤) - بكر بن حبيش الكوفي العابد. تهذيب التهذيب ٤٨١/١

(٥) - ربيعة بن يزيد الإيادي أبو شعيب اللمشقي ت سنة ١٢٣ هـ تهذيب التهذيب ٢٦٤/٣

(٦) - أبو إدريس: عائذ الله بن عبد الله بن عمرو العوذی ولد يوم حنين وت سنة ٨٠ هـ تذكرة الحفاظ ٥٦/١، تهذيب التهذيب ٨٥/٥،

طبقات الحفاظ (ص ١٨)

(٧) - فيما عدا ب: من

(٨) - قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الرحمن بن أبي الجون تكلم فيه مجمع الزوائد كتاب الصلاة باب في صلاة الليل

٢٥١/٢، ورواه صاحب المسند ١٢٦/٦.

(٩) - روى الترمذي نحوه عن أنس وقال: حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقال صاحب تحفة الأحوذی قال العراقي

وإسناده فيه نظر. انظر تحفة الأحوذی ٥٦/٩ كتاب التفسیر سورة مريم حديث رقم ٣٢٤٨.

(١٠) - ساقط من هـ

(١١) - رواه البخاري في كتاب التفسیر سورة السجدة ١٤٥/٦ ط الشعب

رواه البخاري^(١) عن إسحاق^(٢) بن نصر عن أبي أمامة، ورواه مسلم عن أبي كريب عن أبي معاوية كلاهما من الأعمش، وقرأ حمزة ما أخفي باسكان الباء أي ما أخفي لهم، حجته قراءة عبد الله نخفي بالنون^(٣).

أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾ نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن أبي معيط وذلك انه جرى بينهما تنازع وسباب فقال له الوليد: اسكت فإنك صبي وأنا والله أبسط منك لساناً فقال له علي: اسكت فإنك فاسق تقول الكذب فأنزل الله تعالى هذه الآية تصديقاً لما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس فقال: قال الوليد بن عقبة^(٤) لعلي أنا أحد منك سناناً وأبسط منك لساناً وأملاً للكتيبة منك فقال له علي اسكت فإنما أنت فاسق فنزلت أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً^(٥) قال: يعني بالمؤمن علي رضي الله عنه، وبالفاسق الوليد بن عقبة وقوله ﴿لا يستون﴾ قال [الزجاج: معنى الاثنتين جماعة لذلك]^(٦) قال: لا يستون قال قتادة: لا والله ما استونا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الآخرة، ثم أخبر عن منازل الفريقين فقال ﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى﴾ الذي يأوي إليه المؤمنون ﴿نزل﴾ أي معدة لهم وقد سبق تفسيره ﴿بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا...﴾ مفسرة في سورة الحج ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ قال مقاتل: يعني ما ابتوا به من الجوع سبع سنين، وقال ابن مسعود: يعني القتل ببدن وهو قول قتادة والسدي ﴿دون العذاب الأكبر﴾ يعني عذاب الآخرة ﴿لعلهم يرجعون﴾ إلى التوحيد والإيمان يعني من بقي منهم بعد بدر وبعد الفتح ﴿ومن أظلم﴾ تقام تفسيره في سورة الكهف ﴿ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾ يعني الذين قتلوا ببدن وعجلت أرواحهم إلى النار.

(١) - رواه البخاري في كتاب التفسير سورة السجدة ١٤٥/٦ ط الشعب

(٢) - إسحاق بن نصر البخاري أبو ابراهيم ت سنة ٢٤٢ هـ تهذيب التهذيب ٢٢٩/١

(٣) - قراءة عبد الله بن مسعود ذكرها الفراء في معاني القرآن ٣٣٢/٢ وقرأ يعقوب وحمزة باسكان الباء وقرأ الباقون بفتحها السبعة (١٦) والنشر ٣٤٧/٢

(٤) - ساقط من ب، ج

(٥) - رواه ابن جرير بسنده وفيه رجل لم يسم ٦٨/٢١ - وقال صاحب الدر المنثور رواه ابن عدي وابن مردويه والخطيب وابن جرير وابن حاتم الدر المنثور ١٧٤/٥ ط طهران.

(٦) - ساقط من ب

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَةِ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ يعني التوراه ﴿فلا تكن في مريه من لقائه﴾ قال المفسرون: وعد محمد ﷺ أنه سيلقى موسى قبل أن يموت ثم لقيه في السماء أو في بيت المقدس حين أسري به ^(١) وهذا قول مجاهد والكلبي والسدي ﴿وجعلناه﴾ يعني الكتاب وهو التوراه ﴿هدى لبني إسرائيل﴾ من الضلالة ﴿وجعلنا منهم﴾ من بني إسرائيل ﴿أئمة﴾ قادة في الخير ﴿يهدون بأمرنا﴾ يدعون الناس إلى طاعة الله بأمر الله يعني الانبياء الذين كانوا فيهم، وقال قتادة: هم غير الانبياء ﴿لما صبروا﴾ على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر، وقرىء لما صبروا ^(٢) أي لصبرهم ﴿وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ انها من الله ﴿إن ربك هو يفصل﴾ يقضي ويحكم ﴿بينهم﴾ يعني الذين كذبوا النبي ﷺ من بني إسرائيل ﴿يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من الدين لأنهم اختلفوا فآمن بعضهم وكفر الآخرون، ثم خوف كفار مكة فقال:

أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا لَهُمُ الْأَرْضَ الْجُرْزَ فَنَخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ

الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَأَنْظَرَ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿أولم يهد لهم كم أهلكنا﴾ الآية مفسرة في آخر سورة طه، ثم وعظهم ليحذروا فقال ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء﴾ يعني المطر والسيل ﴿إلى الأرض الجرز﴾ وهي التي لا تثبت في الشتاء حتى إذا جاء الماء أنبتت ما يأكله الناس والانعام وهو قوله ﴿فنخرج به زرعاً تأكل منه...﴾ الآية ﴿ويقولون﴾ يعني كفار مكة ﴿متى هذا الفتح إن كنتم صادقين﴾ أي والقضاء بين الخلق ^(٣) وهو يوم البعث يقضي الله فيه بين المؤمنين والكافرين فقال الله ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ لا ينفع الإيمان يوم القضاء بين الخلق ﴿ولا هم ينظرون﴾ لا يؤخر العذاب عنهم ولا يمهلون لمعذرة أو توبة أخبرنا أبو القاسم بن عبدان، نا محمد بن عبد الله بن محمد الحافظ، أنا محمد ^(٤) بن إسحاق الصقار، نا أحمد بن نصر اللباد، نا عمرو بن طلحة، نا إسباط عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله متى هذا

(١) - لقاء موسى بمحمد ﷺ تم في ليلة الإسراء والمعراج في السماء وراجعه موسى عليه السلام عدة مرات في فريضة الصلاة حتى خفضت من خمسين صلاة إلى خمس صلوات في اليوم والليلة. أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلاة ليلة الإسراء.

(٢) - قراءة (لما صبروا) بكسر اللام وتخفيف الميم قرأ بها: حمزة والكسائي ورويس انظر: النشر ٢/٣٤٧.

(٣) - (بين الخلق) عن هـ فقط

(٤) - محمد بن إسحاق الصقار. طبقات الحفاظ (٢٥٦)

الفتح إن كنتم صادقين. ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ قال: يوم بدر فتح للنبي ﷺ فلم ينفع الذين كفروا إيمانهم بعد الموت^(١) ولا هم ينظرون فأعرض عنهم، قال ابن عباس: نسخته آية السيف ﴿وانتظر﴾ موعدي لك يعني نصره على أعدائه ﴿إنهم منتظرون﴾ بك حوادث الأزمان من موت أو قتل فيستريحوا منك^(٢).

(١) - هذا الخبر عن ابن عباس فيه مقال وذلك لأن السدي متروك الحديث.

(٢) - ساقط من هـ.

سورة الأحزاب

مدنية وآياتها ثلاث وسبعون

أخبرنا محمد بن علي بن أحمد الحيري، أنا محمد بن جعفر بن مطر، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير بن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر»^(١)

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۖ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۖ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۖ

بسم الله الرحمن الرحيم .

قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ اثبت على تقوى الله ودم عليه ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ يعني أبا سفيان وعكرمة وأبا الأعرور السلمي^(٢) وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ ارفض ذكر آلهتنا وقل إن لها شفاعة لمن عبدها ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ عبد الله بن أبي^(٣) وعبد الله بن سعد بن أبي السرح ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون قبل كونه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يخلقه ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ بالياء الكافرين والمنافقين وبالهاء^(٤) على المخاطبين ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ .

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّبِيِّ تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ
أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلِكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۚ أَدْعَوْهُمْ لِأَبَائِهِمْ
هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا
أَخْطَأْتُمْ بِهِ ۚ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۖ

﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ نزلت في جميل بن معمر الفهري وكان وقاداً ظريفاً [حكيماً]^(٥) لبيباً حافظاً لما يسمع وكان يقول إن في جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد

(١) - حديث موضوع وتراجع أول مريم والحج

(٢) - أبو الأعرور السلمي : عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد السلمي مشهور بكنيته أسلم بعد حين أسد الغابة ١٥/٦ ، ٢٣٢/٤ .

(٣) - في هـ بعد ابن أبي : وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ ارفض ذكر المنافقين عبد الله بن سعد . الخ .

(٤) - قراءة (تعملون) بالهاء ، قرأ بها جميع القراء عدا أبا عمرو فقد قرأ وحده (يعملون) بالياء ، انظر السبعة ص ٥١٨ والنشر ٢/٣٤٦

(٥) - ساقط من ب ، ج .

فكانت قريش تسميه ذا القليلين^(١) وكذبه الله تعالى في ذلك، واخبر أنه ما خلق لأحد قليلين^(٢) ﴿وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون [منهن] أمهاتكم﴾ يقال: ظاهر من امرأته وتظاهر وتظهر، وهو أن يقول لها: أنت علي كظهر امي وكانت العرب تطلق نساءها في الجاهلية بهذا اللفظ فلما جاء الإسلام نهوا عنه وأوجبت الكفارة على من ظاهر من امرأته في سورة المجادلة فمن قرأ تظاهرون بفتح التاء وتشديد الظاء أراد تظاهرون فأدغم التاء في الظاء^(٣) وقرأ عاصم تظاهرون من المظاهرة وقرأ حمزة تظاهرون فحذف تاء تتفاعلون وأدغم ابن عامر هذه التاء التي حذفها حمزة وقرأ بفتح وتشديد الظاء [ثم]^(٤) أعلم الله أن الزوجة لا تكون أمًا فقال ﴿وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم﴾^(٥) أي ما جعل نساءكم اللاتي تقولون هن علينا كظهور أمهاتنا في التحريم كما تقولون ﴿وما جعل أديعاءكم أبناءكم﴾ الأديعاء: جمع الدعي وهو الذي يدعى ابناً لغير أبيه نزلت في زيد بن حارثة تبناه رسول الله ﷺ كالعبادة التي كانت للعرب في الجاهلية فلما تزوج زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد، قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد المرأة ابنة فأنزل الله هذه الآية^(٦) إبطالاً لما قالوا تكديماً لهم أنه ابنه وإخباراً إن الدعي لا يكون ابناً، وقوله: ﴿ذلكم قواكم بأفواهكم﴾ أي ادعاءكم نسب من لا حقيقة لنسبه قول بالقم لا حقيقة له ﴿والله يقول الحق﴾ وهو انه ما جعل الدعي ابناً ﴿وهو يهدي السبيل﴾ يدل على طريق الحق ﴿ادعوهم لأبائهم﴾ انسبوهم إلى آبائهم الذين ولدوهم ﴿هو أقسط﴾ أصل ﴿عند الله﴾ أخبرنا سعيد^(٨) بن محمد بن أحمد بن نعيم الاشكابي، أنا الحسن بن أحمد بن علي الشيباني، أنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم، أنا قتيبة بن سعيد، نا يعقوب بن عبد الرحمن عن موسى بن عقبة عن سالم^(٩) عن ابن عمر أنه كان يقول: ما كنا ندعو زيد^(١٠) بن حارثة إلا زيد بن محمد عليه السلام حتى نزل في القرآن ﴿ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله﴾^(١١) رواه البخاري عن معلى بن أسد عن عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم﴾ أي فهم إخوانكم ﴿في الدين﴾ يعني من أسلم منهم ﴿ومواليكم﴾ وبنو عمكم، قال الزجاج: ويجوز أن يكون ومواليكم وأولياؤكم في الدين ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾ قال قتادة: ولو دعوت رجلاً غير أبيه وأنت ترى أنه أبوه لم يكن عليك بأس ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الإثم من الذي تعمدت قلوبكم من دعائهم إلى غير آبائهم ﴿وكان الله غفوراً﴾ لما كان من قولكم قبل النهي ﴿رحيماً﴾ لكم، قوله:

(١) - أسد الغابة ١/٣٥١ وجميل: هو جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح اسلم عام الفتح نسب قريش (٣٩٤)، أسد

الغابة ١/٣٥١ ط الشعب.

(٢) - رواه ابن جرير ٧٤/٢١ بدون تسمية لقول القائل

(٣) - ساقط من جـ

(٤) - قراءة (تظاهرون) بفتح التاء وتشديد الظاء قرأ بها ابن عامر وانظر السبعة ص ٥١٩ والنشر ٢/٣٤٧ وفيهما أيضاً قراءة عاصم وحمزة التاليتين

(٥-٦) - ساقط من هـ

(٧) - رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الأحزاب ٦/١٤٥ ط الشعب ومسلم في كتاب الفضائل باب فضائل زيد بن حارثة ١/١٨٨ ط الحلبي

(٨) - سعيد بن أحمد بن نعيم بن اشكاب أبو عثمان العبار النيسابوري لسان الميزان ٣/٢٣

(٩) - سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الله المدني ت سنة ١٠٦ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٨٨١، تهذيب التهذيب ٣٦٣، طبقات الحفاظ (٣٣)

(١٠) - زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي الصحابي استشهد سنة ٨ هـ الإصابة ١/٥٦٣، الروض الأنف ١/١٦٤

(١١) - رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الأحزاب باختلاف يسير ٦/١٤٥ ط الشعب.

الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

﴿النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ أى إذا حكم عليهم بشيء فقد نفذ حكمه ووجبت طاعته عليهم، قال ابن عباس: إذا دعاهم النبى ﷺ إلى شيء ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبى أولى من طاعة أنفسهم ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ فى حرمة نكاحهن فلا يحل لأحد التزوج بواحدة منهن كما لا يحل التزوج بالأم وهذه الامومة تعود إلى حرمة نكاحهن لا غير لأنه لم يثبت شيء من أحكام الامومة بين المؤمنين وبينهن سوى هذه الواحدة ألا ترى أنه لا يحل رؤيتهن ولا يرثن المؤمنين ولا يرثونهن ولهذا قال الشافعى رضى الله عنه: وأزواجه أمهاتهم فى معنى دون معنى وهو أنهن محرمات على التأيد وما كن محارم فى الخلوة والمسافرة^(١) وهذا معنى ما روى مسروق عن عائشة رضى الله عنها أن امرأة قالت لها: يا أمه فقالت: لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم فبان بهذا أن معنى هذه الامومة تحريم نكاحهن فقط، وعلى هذا لا يجوز أن يقال لبناتهن هن أخوات المؤمنين ولا لإخوانهن أخوال المؤمنين وخالات المؤمنين ولهذا قال الشافعى رضى الله عنه تزوج الزبير^(٢) أسماء^(٣) بنت أبى بكر رضى الله عنه وهى أخت أم المؤمنين^(٤) ولم يقل وهى خالة المؤمنين وقوله ﴿وأولو الأرحام﴾ بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ﴿مفسر فى سورة الأنفال إلى قوله﴾ من المؤمنين والمهاجرين ﴿يعنى أن ذوى القربات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرثوا بالهجرة والإيمان كما كانوا يفعلون قبل النسخ﴾ إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً ﴿استثناء ليس من الأول المعنى: لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفاً جائز وذلك أن الله لما نسخ التوارث بالحلف والهجرة أباح الوصية للمعاقدن فيوصي لمن يتولاه بما أحب من ثلثه فمعنى المعروف هاهنا الوصية وقوله ﴿كان ذلك﴾ يعنى نسخ الميراث بالهجرة وردة إلى ذوى الأرحام من القربات ﴿فى الكتاب مسطوراً﴾ يريد فى اللوح المحفوظ مكتوباً، قوله:

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لَيْسَ لَ الصِّدِّيقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾

﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ قال قتادة أخذ الله تعالى الميثاق على النبيين خصوصاً أن يصدق بعضهم بعضاً ويتبع بعضهم بعضاً [وقال مقاتل: أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله وأن يصدق بعضهم بعضاً]^(١) وأن ينصحوا لقومهم وقوله ﴿ومنى﴾ أخرجهم والأربعة الذين ذكرهم من جملة النبيين تخصيصاً بالذكر لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وقد ذكر النبى ﷺ معهم لما أخبرنا علي بن محمد بن محمد بن عثمان البغدادي، نا محمد بن يعقوب بن يوسف، نا أبو عتبة أحمد بن الفرج، نا بقية بن

(١) - الام للإمام الشافعى ١٢٦/٥ باختلاف يسير

(٢) - الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي ولد سنة ٢٨ قبل الهجرة وت سنة ٣٦ هـ

(٣) - أسماء بنت أبى بكر الصديق عبد الله بن عثمان التيمية ذات النطاقين ماتت بعد والدها بقليل الإصابة ٢٢٩/٤

(٤) - الام للشافعى ١٢٦/٥

(٦-٥) - ساقط من هـ

الوليد، نا محمد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ في قوله ومنك ومن نوح قال «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث»^(١) قال الزجاج: وأخذ الميثاق حيث أخرجوا من صلب آدم كالذر «وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً» عهداً شديداً على الإوفاء بما حملوا، وذلك العهد الشديد هو اليمين بالله عز وجل «ليسأله الصادقين من صدقهم» يقول: أخذنا ميثاقهم لكي يسأل الصادقين يعني النبيين هل بلغوا الرسالة، والمعنى ليسأل المبلغين من الرسل عن صدقهم في تبليغهم يوم القيامة وتأويل مسألة الرسل والله يعلم انهم لصادقون التبيكت للذين كفروا بهم ثم الكلام ثم أخبر عما أعد للكفار فقال «وأعد للكافرين» بالرسول «عذاباً أليماً»، قوله:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۖ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۚ

يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم يذكرهم الله إنعامه عليهم في دفع الأحزاب عنهم من غير قتال إذ جاءكم جنود وهم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ أيام الخندق عيينة بن حصن وأبو سفيان ومن معها من المشركين وقرظية «فأرسلنا عليهم ريحاً» وهي الصبا أرسلت على الأحزاب حتى أكفأت قلوبهم ونزعت فساطيطهم «وجنوداً لم تروها» يعني الملائكة أخبرنا عبد الرحمن [بن] محمد الزمخاري، أنا أبو عمرو^(٣) بن ماسي، نا أبو مسلم الكجي، نا أبو عمر [الحرصي]^(٤)، نا زياد^(٥) بن عبد الله العامري عن محمد بن إسحاق عن يزيد^(٦) بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: قال شاب لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله هل رأيت رسول الله ﷺ قال إي والله لقد رأيته قال: والله لو رأيته لحملناه على رقابنا وما تركناه يمشي على الأرض فقال له حذيفة يا ابن أخي أفلا أحدثك عني وعنه؟ قال بلى قال: والله لو رأيتنا يوم الخندق وبنا من الجهد والجوع والخوف ما لا يعلمه إلا الله قام رسول الله ﷺ فصلى ما شاء الله من الليل ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله رفيقي في الجنة، فوالله ما قام منا أحد مما بنا من الخوف والجهد والجوع [ثم صلى ما شاء الله ثم قال ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله رفيقي في الجنة قال حذيفة: فوالله ما قام منا أحد مما بنا من الجهد والجوع والجوع]^(٧) فلما لم يبق أحد دعاني فلم أجد بداً من اجابته قلت لبيك قال: اذهب فجنني بخبر القوم ولا تحدثن شيئاً حتى ترجع قال فأتيت القوم فإذا ربح الله وجنوده تفعل^(٨) بهم ما تفعل^(٩) ما يستمسك لهم بناء ولا تثيب لهم نار ولا تطمئن لهم قدر فإني لكذلك إذ خرج أبو سفيان من رحله فقال: يا معشر قريش لينظر أحدكم من جلسه؟ قال أبو عمر: يخوفهم^(١٠) أن يكون عليهم عيون من المسلمين قال حذيفة فبدأت بالذي إلى جنبي فقلت من

(١) - في مجمع الزوائد أحاديث تدور حول هذا المعنى ٢٢٣/٨ وقال صاحب الدر المنثور: رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل الدر ١٨٤/٥ ط طهران وقد بين الألباني بأن حديث كنت نبياً وأدم بين الروح والجسد هو الصحيح سلسلة الأحاديث الضعيفة ٤/٤/١

(٢) - ساقط من د

(٣) - فيما عدا أبو محمد

(٤) - ساقط من أ، ب، ج

(٧) - ساقط من هـ

(٥) - زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي العامري أبو محمد ت سنة ١٨٣ هـ تهذيب التهذيب ٣/٣٧٥ (٨) - (٩) - في هـ: يفعل

(٦) - يزيد بن زياد وثقه النسائي. الميزان ٤/٤٢٣.

(١٠) - في هـ: ليخوفهم

أنت؟ قال: أنا فلان ثم دعا أبو سفيان براحلته فقال: يا معشر قريش والله ما أنتم بدار مقام لقد هلك الخف والحافر^(١) وخلفتنا بنو قريظة وهذه الرياح لا يستمسك لنا معها شيء ولا تثبت لنا نار ولا تطمئن^(٢) قدر ثم عجل وركب راحلته وإنها لمعقولة ما حل عقالها إلا بعد ما ركبها قال فقلت في نفسي: لو رميت عدو الله فقتلته كنت قد صنعت شيئاً فوترت قوسي ثم وضعت السهم في كبد القوس وأنا أريد أن أرميه فأقتله فذكرت قول النبي ﷺ لا تحدثن شيئاً حتى ترجع قال فحططت القوس ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي فلما سمع حسي فرج بين رجله فدخلت تحته وأرسل عليّ طائفة من مرطه^(٣) فركع وسجد ثم قال ما الخبر فأخبرته^(٤) [ثم أخبر الله عز وجل]^(٥) عن آل الأحزاب من أين جاءوا فقال ﴿إذ جاؤكم من فوقكم﴾ من فوق الوادي من قبل المشرق قريظة والنضير وغطفان^(٦) ﴿ومن أسفل منكم﴾ من قبل المغرب من ناحية مكة أبو سفيان في قريش ومن تبعه ﴿وإذ زاغت الأبصار﴾ مالت عن كل شيء فلم تنظر إلا إلى عدوها مقبلاً من كل جانب ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ الحنجرة جوف الحلقوم قال قتادة شخصت عن مكانها فلولا أنه حنتق الحلقوم عنها أن تخرج لخرجت والمعنى ما ذكره الفراء: وهو أنهم جنود جزع أكثرهم وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تتفخ رثته فإذا انتفخت الرثة رفعت القلوب إلى الحنجرة^(٧) ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قلت يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال قولوا «اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا»^(٨) قال فقلناها فضرب الله وجوه أعدائه بالريح وهزموا ﴿وتظنون بالله الظنون﴾ أي اختلفت الظنون فظن بعضكم بالله النصر ورجاء الظفر وبعضكم أيسر وقنط قال الحسن: ظنوناً مختلفة ظن المنافقون أنه يستأصل محمد عليه السلام وظن المؤمنون أنه ينصر.

هُنَالِكَ آتَى الْمُؤْمِنُونَ زُلْزَلًا شَدِيدًا ۝١١ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢ وَإِذْ قَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ۝١٤ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلَّفُونَ أَلَا بُرًّا وَكَانَ عَاهِدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۝١٥ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تَمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٦

(١) - يقصد بقوله: هلك الخف والحافر: خف الجمل وحافر الفرس والمعنى أنهم ذبحوا الجمال لأكلها وهلكت الفرسان لقلة المرعى ولوجودها في ساحة القتال

(٢) - في هـ: تطمئن قدر قال ثم عجل. الخ

(٣) - المرط: كساء من خبز أو صوف أو كتان. الصحاح للجوهري باب الميم فصل الطاء.

(٤) - رواه الحاكم في كتاب المغازي ٣/٣١ وابن هشام في السيرة ٢/٢٣١ ط الحلبي

(٥) - ساقط من هـ

(٦) - قبيلة غطفان بن سعد بن قيس بن مضر جمهرة انساب العرب لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ص (٣٤٠) ط دار المعارف

(٧) - معاني القرآن للفراء ٢/٣٣٦ بتصرف

(٨) - رواه أحمد بن حنبل في المسند ٣/٣ مسند أبي سعيد الخدري.

قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِذُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾

﴿هنالك﴾ عند ذلك وفي تلك الحال ﴿ابتلي المؤمنون﴾ اختبروا ليتبين المخلص من المنافق ﴿وزلزلوا زلزلاً شديداً﴾ أزعجوا وحركوا ازعاجاً شديداً وذلك أن الخائف يكون قلقاً مضطرباً لا يستقر على مكانه ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾ قال ابن عباس: إن المنافقين قالوا يوم الخندق إن محمداً يعدنا أن نفتح مدائن كسرى وقبصر ونحن لا نأمن أن نذهب إلى الخلاء ﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾ وقال قتادة: قال أناس من المنافقين يعدنا محمد أن يفتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله وقال مقاتل: قالوا يعدنا محمد اليمس وفارس والروم ولا نستطيع أن نبرز إلى الخلاء هذا والله الغرور^(١) ﴿وإذ قالت طائفة منهم﴾ قال مقاتل: هم بن سالم^(٢) من المنافقين، وقال السدي: يعني عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿يا أهل يثرب﴾ قال أبو عبيدة: يثرب اسم أرض ومدينة الرسول عليه السلام في ناحية^(٣) منها ﴿لا مقام لكم﴾ لا مكان لكم تقيمون فيه، وقرأ عاصم بضم الميم والمعنى: إقامة لكم يقال: أقيمت إقامة ومقاماً ﴿فارجعوا﴾ إلى المدينة وذلك أن رسول الله ﷺ والمسلمين خرجوا عام الخندق حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع^(٤) والخندق بينهم وبين القوم فقال هؤلاء المنافقون الذين ثبطوا الناس عن رسول الله ﷺ ليس لكم هاهنا موضع إقامة لكثرة العدو وغلبة الأحزاب ﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾ في الرجوع إلى المدينة وهم بنو حارثة^(٥) وبنو سلمة^(٦) ﴿يقولون إن بيوتنا عورة﴾ ليست بحريزة قال مجاهد ومقاتل والحسن: قالوا بيوتنا ضائعة نخشى عليها السراق، وقال قتادة: قالوا إن بيوتنا مما يلي العدو ولا نأمن على أهلينا^(٧) فكذبهم الله وأعد أن قصدهم الهرب والفرار فقال تعالى ﴿وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً﴾ ما يريدون إلا فراراً من القتال^(٨) ومضرو للمؤمنين قال الزجاج: يقال: عور المكان يعور عوراً وعورة وهو عو وبيوت عورة وعورة وهي مصدر قال الله تعالى ﴿ولو دخلت المدينة﴾ عليهم﴾ يعني^(٩) هؤلاء الذين يريدون قتالهم وهم الأحزاب ﴿من أقطارها﴾ نواحيها ﴿ثم استلوا الفتنة لأتوها﴾ يعني الشرك في قول الجميع قال ابن عباس ومقاتل يقول الله تعالى لو أن الأحزاب دخلوا المدينة ثم أمرهم بالشرك لأشركوا وهو قوله لأتوها أي لأعظوهم ما سألوا وقرأ الحجازيون^(١٠) لأتوها بالقصر أي لفعلوها من

(١) - رواه ابن هشام عن ابن اسحاق سيرة ابن هشام ٢/٢٢٢ ط الحلبي الدر ٥/٨٦ طهران.

ورواه ابن سعد وابن جرير في تفسيره ٢١/٨٥ وابن أبي حاتم

(٢) - بنو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج جمهرة انساب العرب (ص ٣٥٣)

(٣) - مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٣٤.

(٤) - قراءة عاصم في رواية حفص في السبعة ص ٥٢٠ والنشر ٢/٣٤٨ لأبي عبيدة ٢/١٣٤.

(٥) - في هامش هـ سلع: جبل المدينة.

(٦) - بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو جمهرة انساب العرب (ص ٣٤٠)

(٧) - بنو سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الجمهرة ص ٣٥٨.

(٨) - ابن جرير ٢١/٨٥، ابن هشام في السيرة ٣/٢٢٢ ط الحلبي

(٩) - في ب، ج، هـ ونصرة

(١٠) - في أ: من

(١١) - قراءة (لأتوها) بغير مد قرأ بها: نافع وابن كثير وابن عامر. انظر السبعة (ص ٥٢٠) والنشر ٢/٣٤٨.

قولك أتيت الخير أي فعلته ﴿وما تلبثوا بها يسيراً﴾^(١) قال قتادة وما احتبسوا عن الإجابة إلى الكفر إلا قليلاً، ثم ذكروهم الله تعالى عهدهم مع النبي ﷺ بالثبات في المواطن فقال: ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل﴾ [من قبل الخندق]^(٢) ﴿لا يولون الأدبار من قبل﴾ الخندق^(٣) لا يهزمون ولا يولون العدو ظهورهم ﴿وكان عهد الله مستولاً﴾ يسألون عنه في الآخرة، ثم أخبر أن الفرار لا يزيدهم في آجالهم فقال: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾ قال ابن عباس لأن من حضر أجله مات أو قتل ﴿وإذا لا تمتعون﴾ [إلا قليلاً]^(٤) ﴿لا تمتعون﴾^(٥) بعد الفرار في الدنيا إلا مدة آجالكم، ثم أخبر أن ما قدر عليهم وأراد بهم لا يدفع عنهم بقوله ﴿قل من ذا الذي يعصمكم من الله﴾ يجركم منه ﴿إن أراد بكم سوءاً﴾ هلاكاً وهزيمة ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ خيراً وهو النصر وهذا كله أمر للنبي ﷺ أن يخاطبهم بهذه الأشياء ثم أخبر [الله]^(٥) أنه لا قريب لهم ينفعهم ولا ناصر ينصرهم من دون الله يقول ﴿ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾، قوله:

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١٨) أَشْحَةَ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةَ عَلَى الْخَيْرِ أَوْلِيَّكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(١٩)

﴿قد يعلم الله المعوفين منكم﴾ يقال عاقه واعتاقه وعوقه إذا صرفه عن الوجه الذي يريده، قال المفسرون: هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يبطون أنصار النبي ﷺ وذلك أنهم قالوا لهم ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحمًا لالتهمهم^(١) أبو سفيان وحزبه فخلوهم^(٢) وتعالوا إلينا وهو قوله ﴿والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس﴾ لا يحضرون القتال في سبيل الله ﴿إلا قليلاً﴾ إلا رياءً وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيراً ﴿أشحة عليكم﴾ بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة والمعنى: لا ينصرونكم ثم أخبر عن جنبهم فقال: ﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه﴾^(٣) أي كعين الذي يغشى عليه من الموت وهو الذي قرب حاله من الموت وغشيت أسبابه فيذهب ويذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم وتحار أعينهم [لما يلحقهم]^(٤) من الخوف ويقال للميت إذا شخص بصره دارت عينه ودارت حماليق عينه ﴿فإذا ذهب الخوف﴾ وجاء الأمن والغنيمة ﴿سلفوكم بالسنة حداد﴾ قال الفراء: آذوكم بالكلام في الأمن بالسنة سليطة ذرية^(٥) يقال سلق فلاناً بلسانه إذا أغلظ [له]^(٦) في القول مجاهراً، قال قتادة: بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون: أعطونا أعطونا فلستم بأحق بها منا فأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق وأما عند القسمة فأشح قوم وهو قوله ﴿أشحة على الخير﴾ بخلاء بالغنيمة يشاحون^(٧) المؤمنين عند القسمة، ثم أخبر أنهم غير

(١) - ساقط من هـ

(١) - ساقط من هـ

(٥) - ساقط من ب، ج، هـ

(٢) - ساقط من أ، د

(٦) - في هـ لآلتهم

(٣) - ساقط من د، هـ

(٧) رواه ابن جرير في تفسيره ٨٩/٢١٥ وابن أبي حاتم عن قتادة الدر المشور ٥٨١/٦ ط دار الفكر

(٩) - ساقط من ج

(٨) - ساقط من ب

(١٠) - الذرية الحدة والفحش في الكلام. الصحاح باب الذال فصل الباء والنص في معاني القرآن للفراء ٣٣٩/٢

(١٢) - في هـ يتشاحون

(١١) - ساقط من هـ

مؤمنين فقال: ﴿أولئك لم يؤمنوا﴾ أي هم أظهروا الإيمان [فقد] ^(١) نافقوا ليسوا بمؤمنين ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ قال مقاتل: أبطل الله جهادهم لأنه لم يكن في إيمان ﴿وكان ذلك﴾ الإحباط ﴿على الله يسيراً﴾ ثم أخبر بما دل على جبههم فقال:

يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوْا لَوْ أَنَّهْمُ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۚ

﴿يحبسون الأحزاب لم يذهبوا﴾ يحسب المنافقون أن الأحزاب معسكرون ^(٢) مقيمون من الخوف الذي نزل بهم يحسبون أنهم لم يذهبوا إلى مكة ﴿وإن يأت الأحزاب﴾ يرجعون إليهم للقتال ﴿يودوا لو أنهم بادون في الأعراب﴾ يتمنوا لو كان في بادية الأعراب خارجون إليهم من الرهبة والبادون خلاق الحاضرين يقال بدأ [بيدو بدواة] ^(٣) وبدواة إذا خرج إلى البادية ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ أي ودوا لو أنهم بالبعد ^(٤) منكم يسألون عن أخباركم يقولون: ما فعل محمد وأصحابه فيعرفون حالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة ﴿ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً﴾ قال الكلبي: إلا رمياً بالحجارة وقال مقاتل: إلا رياء من غير احتساب ثم عاب من كان ^(٥) بالمدينة بقوله:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۚ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۚ

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ قال المفسرون: قدوة صالحة ويقال لي في فلان ^(٦) أسوة حسنة. يقوله: لكم برسول الله اقتداء لو اقتديتم به في تصرفه والصبر معه في مواطن القتال كما فعل هو يوم أحد إذ كسرت رباغيته وشج حاجبه وقتل عمه ^(٨) فواساكم مع ذلك بنفسه فهلا فعلتم مثل ما فعل هو وقوله: ﴿لمن كان يرجو الله﴾ بدل من قوله لكم وهو تخصيص بعد التعميم للمؤمنين [يعني أن الأسوة برسول الله إنما كانت لمن كان يرجو الله] ^(٩) [واليوم الآخر] ^(١٠) قال ابن عباس: يرجو ما عند الله من الثواب والنعيم، وقال مقاتل: يخشى الله ويخشى البعث الذي فيه جزاء الأعمال وهو قوله ﴿واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ [أي ذكراً كثيراً] ^(١١) وذلك إن ذاك الله متبع ^(١٢) لأمره بخلاف الغافل عن ذكره، ثم وصف [حال] ^(١٣) المؤمنين عند لقاء الأحزاب بقوله ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله﴾ وذلك أن الله تعالى كان قد وعدهم في سورة البقرة بقوله ﴿م

(١) - ساقط من د

(٢) - الصواب معسكرين مقيمين على أنها مفعول ثاني لحسب

(٣) - ساقط من جميع النسخ عدا ب، هـ

(٤) - في هـ: البعد

(٥) - في هـ: من يخلف بالمدينة

(٦) - في أ: بفلان

(٧) - في هـ: كان لم يكن برسول الله . الخ

(٨) - هذه العبارة جاءت في هـ مكررة بعد قوله من الثواب والنعيم

(٩) - ساقط من ج، د، هـ

(١٠) - حديث قتل عمه وكسر رباغيته وشج حاجبه رواه البخاري في كتاب المغازي باب قتل حمزة، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم

أحد ١٢٨/٥ ط الشعب ورباعية الإنسان: السن التي بين الثنية والناب الصحاح للجوهري باب العين فصل الذال

(١١) - ساقط من هـ

(١٢) - في د كان متبع وليس لها موضع

(١٣) - ساقط من هـ

حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴿ إلى قوله تعالى: ﴿ألا إن نصر الله قريب﴾^(١) ما سيكون من الشدة التي تلحقهم من عدوهم فلما رأى المؤمنون الأحزاب وما أصابهم من الشدة والبلاء ﴿قالوا هذا ما وعدك الله ورسوله ﴿وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً﴾ تصديقاً بوعد الله ﴿وتسليماً﴾ لأمره قوله:

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٣٣﴾
لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ يعني ليلة العقبة حين عاهدوا على الإسلام فأقاموا [عليه]^(٢) بخلاف من كذب في عهده وخان وهم المنافقون ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ أي مات أو قتل في سبيل الله فأدرك ما تمنى فذلك قضاء النحب، قال محمد بن إسحاق: فرغ من عمله ورجع إلى الله يعني من استشهد يوم أحد، وقال الحسن: قضى أجله على الوفاء والصدق، قال ابن قتيبة: قضى نحبه أي قتل وأصل النحب النذر كان قوم نذروا إن يلقوا العدو إن يقاتلوا حين يقتلوا أو يفتح الله فقتلوا فليل فلان قد قضى نحبه إذا قتل^(٣) أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا الحاطب بن أحمد نا عبد الرحيم بن منيب، نا يزيد بن هارون، أنا حميد عن أنس أن عمه^(٤) غاب عن قتال بدر فقال غبت عن أول قتال قاتله رسول الله ﷺ مع المشركين لئن أراني الله قتالاً للمشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني: المسلمين وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فلقبه سعد دون أحد فقال: أنا معك قال سعد: فلم أستطع أن أصنع ما صنع فوجد فيه بضع وثمانون ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم كنا نقول فيه وفي أصحابه نزلت فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر رواه البخاري^(٥) عن محمد^(٦) بن سعد الخزازي عن عبد الأعلى عن حميد، قال المفسرون هذا في حمزة وأصحابه الذين قتلوا بأحد قال ابن عباس: فمن قضى نحبه حمزة بن عبد المطلب ومن قتل معه وأنس بن النضر وأصحابه وقال محمد بن إسحاق فمنهم من قضى نحبه قال من استشهد يوم بدر ويوم أحد^(٧) ﴿ومنهم من ينتظر﴾ ما وعد الله من نصره أو شهادة على ما مضى عليه أصحابه ﴿وما بدلوا تبديلاً﴾ وما غيروا العهد الذي عاهدوا ربهم كما غير المنافقون ﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم﴾ أي صدق المؤمنون^(٨) في عهودهم ليجزيهم^(٩) بصدقهم ﴿ويعذب المنافقين﴾ بنفس العهد ﴿إن

(١) - البقرة: ٢١٤

(٢) ساقط من أ، ب. وهذا الوفاء بالعهد يشمل الذين بايعوا ليلة العقبة كما يشمل أيضاً الذين لم يبايعوا من المهاجرين والأنصار وينطبق على كل من صدق في الوفاء بالعهد والعبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب.

(٣) - تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٤٩

(٤) - عم أنس: أنس بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي انظر: أسد الغابة ١/١٦٢ ط الشعب.

(٥) - رواه البخاري في كتاب المغازي ٥/١٢٢ ط الشعب باختلاف يسير، ومسلم في كتاب الإمامة. باب بيوت الجنة للشهيد ٣/١٥٠٩ ط الحلبي

(٦) - محمد بن سعد بن الوليد الخزازي أبو عمرو ت سنة ٢٣٠ تهذيب التهذيب ٩/١٩٠

(٧) - انظر تفسير ابن جرير ٢١/٩٢

(٨) - في هـ: المؤمنين

(٩) - في هـ: ليجزي الله

شاء ﴿ قال السدي: يميتهم على النفاق إن شاء فيوجب لهم العذاب فنعنى شرط المشيئة في عذاب المنافقين إمامتهم على النفاق إن شاء ثم يعذبهم ﴿ أو يتوب عليهم ﴾ فيغفر لهم ليس أنه يجوز أن لا يعذبهم إذا ماتوا على النفاق ﴿ إن الله كان غفوراً ﴾ لمن تاب ﴿ رحيماً ﴾ به، قوله:

وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

﴿ورد الله الذين كفروا﴾ أي صدّهم ومنعهم عن الظفر بالمسلمين يعني الأحزاب ﴿بغيطهم﴾ ثم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا ردهم وفيهم غيظهم على المسلمين ﴿لم ينالوا خيراً﴾ ما كانوا يريدون من الظفر والمال ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بالريح والملائكة التي أرسلت عليهم ﴿وكان الله قوياً﴾ في ملكه ﴿عزياً﴾ في قدرته، ثم ذكر ما فعل باليهود بني قريظة بقوله ﴿وأنزل الذين ظاهروهم﴾^(١) أعانوا الأحزاب يعني قريظة، وذلك أنهم نقضوا [العهد]^(٢) وصاروا يداً واحدة مع المشركين على رسول الله ﷺ والمؤمنين فلما هزم الله المشركين بالريح والملائكة أمر رسول الله ﷺ بالمسير إلى قريظة فسار إليهم وحاضرهم عشرين ليلة ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم سعد بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم^(٣) فذلك قوله ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم﴾ أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، نا محمد بن يعقوب، نا محمد بن خالد بن يحيى^(٤)، نا بشر بن شعيب عن أبيه^(٥) عن الزهري، أنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب أخبره أن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللامة^(٦) واغتسل واستجمر تبدى له جبريل فقال عذيرك^(٧) من محاربت ألا أراك قد وضعت اللامة وما وضعناها بعد فوثب رسول الله ﷺ فرعاً فغزم على الناس أن يصلوا العصر حتى يأتوا بني قريظة فليس الناس السلاح [فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس واختصم الناس فقال بعضهم إن رسول الله ﷺ عزم علينا أن لا]^(٨) نصلي حتى نأتي قريظة فإنما نحن في عزمة رسول الله ﷺ فليس علينا إثم وصلى طائفة من الناس احتساباً وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلوها حتى جاؤا بني قريظة احتساباً فلم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين^(٩) وقوله: ﴿من صياصيهم﴾ قال ابن عباس وقناة ومقاتل: من حصونهم ﴿وقذف في قلوبهم﴾

(١) - في هـ: ظاهروهم من أهل الكتاب

(٢) - ساقط من هـ

(٣) - روى ذلك البخاري في كتاب المغازي باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب وفي سيرة ابن هشام ٢٣٩/٢ ط الحلبي وتفسير ابن جرير ٩٣/٢١

(٤) - فيما عدا ب: خلى

(٥) - شعيب بن أحمد بن أبي حمزة دينار الأموي أبو بشير الحمصي ت سنة ١٦٢ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٢٢١/١ شذرات الذهب ٥٧/١ طبقات الحفاظ ص ٩٤.

(٦) - في هـ: السلامة. واللامه: الدرع يبقى به المحارب ضربات السيوف اللسان لام.

(٧) - فيما عدا ب: عذيرك

(٨) - ساقط من هـ

(٩) - رواه البخاري في كتاب المغازي غزوة الخندق ١٤٣/٥ ط الشعب ومسلم في كتاب الجهاد باب جواز قتال من نقض العهد ٣٨٨/٣ =

الرعب ﴿ ألقى في قلوبهم الخوف ﴾ ﴿ فريقاً تقتلون ﴾ يعني المقاتلة ﴿ وتأسرون فريقاً ﴾ يعني الذراري ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم [وأموالهم] ﴾ ^(١) يعني عقارهم ونخلهم ومنازلهم وأموالهم من الذهب والفضة والحلي والعبيد والإماء ﴿ وأرضاً لم تطؤوها ﴾ بأقدامكم بعد وهي مما سيفتحها الله عليكم يعني خيبر ^(٢) فتحها الله عليكم بعد بني قريظة، وقال قتادة: هي مكة وقال الحسن: هي فارس والروم، وقال عكرمة هي كل أرض يظهر عليها المسلمون إلى يوم القيامة ﴿ وكان الله على كل شيء عذيراً ﴾ من القرى أن يفتحها ^(٣) على المسلمين ﴿ قديراً ﴾ .

يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتَن تَرُدْنَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرَحَنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا ۚ وَإِن كُنْتَن تَرُدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۚ

قوله تعالى ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحاً جميلاً ﴾ قال المفسرون إن أزواج النبي ﷺ سألته شيئاً من أعراض ^(٤) الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وأذينة بغيرة بعضهن على بعض فألى رسول الله ﷺ منهن ^(٥) شهراً وأنزل آية التخيير وهي قوله تعالى قل لأزواجك وكن يومئذ تسعاً عائشة رضي الله عنها وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة وهؤلاء من قريش وصفية الخيبرية وميمونة الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية أخبرنا محمد بن عبد الرحمن المطوعي، أنا محمد بن ^(٦) محمد بن إسحاق الحافظ، أنا محمد بن معاذ الاهوازي، نا ابن حميد، نا جرير عن اشعث عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ جالساً مع حفصة ^(٧) فتشاجرا بينهما فقال لها هل لك أن أجعل بيني وبينك رجلاً قالت نعم قال لها فأبوك إذا فأرسل إلى عمر ^(٨) فلما أن دخل عليها قال لها تكلمي فقالت يا رسول الله تكلم ولا تقل إلا حقاً فرجع عمر يده فوجأ وجهها ثم رجع يده فوجأ وجهها ^(٩) فقال له النبي ﷺ: كف فقال عمر يا عدوة الله النبي ^(١٠) لا يقول إلا حقاً والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتين فقام النبي ﷺ فصعد إلى غرفة فمكث فيها شهراً لا يقرب شيئاً من نسائه يتغدى ويتعشى فيها فأنزل الله عز وجل عليه قوله ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها إلى قوله لطيفاً خبيراً ﴾ فنزل النبي ﷺ فعرضها عليهن كلهن فقلن نختار الله ورسوله وكان آخر من عرض [عليها] ^(١١) حفصة فقالت يا رسول الله مكان العائذ بك من النار والله لا أعود إلى شيء تكرهه أبداً

= بالفاظ متقاربة والنص في مجمع الزوائد كتاب المغازي غزوة الخندق وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن أبي الهذيل وهو ثقة ١٤٠/٦ .

(٣) - فيما عدا هـ: يفتح هـ .

(١) - ساقط من هـ

(٢) - خيبر: مدينة اليهود التي غزاها النبي ﷺ - على بعد أميال من المدينة . معجم البلدان ٤٠٩/٢ (٤) - فيما عدا هـ: اعراض

(٥) - ايلاء الرسول ﷺ من أزواجه في البخاري كتاب التفسير سورة التحريم ١٩٦/٦ ومسلم في كتاب الطلاق باب الايلاء واعتزال النساء

١١١/٢

(٦) - محمد بن محمد بن إسحاق النيسابوري الحافظ أبو أحمد ت سنة ٣٧٨ هـ عن ثلاث وتسعين سنة تذكرة الحافظ ٩٧٦/٣، طبقات

الحفاظ ص ٣٨٨ تقريب التهذيب ٢٣٣/١ وفي النسخة هـ: محمد بن إسحاق الحافظ

(٧) - حفصة بنت عمر بن الخطاب ت سنة ٤٥ هـ الإصابة ٢٧٤/٤ ط أولى

(١٠) - في هـ: هل النبي

(٨) - في هـ فكما

(١١) - ساقط عن هـ

(٩) - الوجاء: الضرب والمعنى ضرب وجهها بيده اللسان: وجاء

بل أختار الله ورسوله فرضي عنها^(١) وقوله ﴿فتعالين أمتعن﴾ يعني متعة الطلاق وقد ذكرناها في سورة النورة ﴿وأمرحكن﴾ يعني الطلاق ﴿سراحاً جميلاً﴾ من غير ضرار قال الحسن وقتادة: أمر الله رسوله أن يخير أزواجه بين الدنيا والآخرة والجنة والنار فأنزل الله قوله ﴿إن كنتن تردن الحياة الدنيا والآخرة﴾ وقوله ﴿إن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة﴾ يعني الجنة ﴿فإن الله أعد للمحسنات منكن﴾ يعني اللاتي آثرن الآخرة ﴿أجرأ عظيماً﴾ يعني الجنة فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ﷺ بعائشة وخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ثم فعل سائر أزواجه مثل ما فعلت هي وقلن ما لنا وللدنيا إنما خلقت الدنيا دار فناء والآخرة الباقية والباقية أحب إلينا من الفانية أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عبد الله الشيرازي، نا محمد بن عبد الله بن محمد بن حميدويه الهروي، أنا علي بن محمد الخزاعي، نا أبو اليمان، أنا شعيب عن الزهري أنا أبو سلمة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمره الله أن يخير أزواجه قالت: فبدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمراً ولا عليك أن لا تستعجلي^(٢) حتى تستأمري أبويك قالت لموقد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه، ثم قال: إن الله عز وجل قال ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين﴾ إلى تمام الآيتين فقلت أي^(٣) هاتين استأمري أبوي فإني اخترت الله ورسوله والدار الآخرة^(٤) ورواه البخاري عن أبي اليمان ورواه مسلم عن حرملة بن وهب عن يونس عن الزهري قال المفسرون فلما اخترت الله ورسوله شكرهن الله على ذلك فقصر رسوله عليهن وأنزل عليه (لا يحل لك النساء من بعد... الآية)^(٥) ورفع منزلتهن على سائر النسوة بالتميز عنهم في العقوبة على المعصية والأجر على الطاعة وهو قوله:

يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة﴾ قال ابن عباس: يعني النشوز وسوء الخلق ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ يجعل عذاب جرمها في الآخرة كعذاب جرمين، والمعنى زيد في عذابها ضعف كما زيد في ثوابها ضعف في قوله ﴿نؤتها أجرها مرتين﴾ وإنما ضعف عذابهن على الفاحشة لانهن يشاهدن من الزاجر ما يردع عن موقعة الذنوب ما لا يشاهد غيرهن فإذا لم يمتنعن استحققن تضعيف العذاب وقوله ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ قال مقاتل: كان عذابها هيناً على الله ﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله﴾ يطع الله ورسوله ﴿وتعمل صالحاً﴾ وقرأ حمزة^(٦) بالياء حمل على المعنى وترك لفظه من ﴿نؤتها أجرها مرتين﴾ قال مقاتل: مكان كل حسنة ثبتت عشرون حسنة ﴿وأعتدنا لها رزقاً كريماً﴾ حسناً وهو الجنة^(٧) ثم أظهر فضيلتهن على سائر النساء بقوله:

(١) - من سند هذا الحديث نستطيع أن نحكم عليه بأنه حديث ضعيف وذلك لضعف ابن حميد أحد رواه

(٢) - في هـ: أن تستعجلي

(٣) - في هـ: أن هذا

(٤) - رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الأحزاب ١٤٦/٦، وفي كتاب الطلاق باب من خير نساءه ٥٥/٧ ط الشعب باختلاف يسر،

ومسلم في كتاب الطلاق باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية ١١٠٣/٢ ط الحلبي

(٥) - انظر تفسير ابن جرير ١٠٠/٢١

(٦) - قرأ حمزة والكسائي وخلف بالياء السبعة (ص ٥٢١) وفي النسخة هـ قرأ حمزة بالياء

(٧) - فيما عدا هـ: وهو في الجنة

يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيْتُمْ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ٣٢ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ٣٣ وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤

﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾ قال الزجاج: لم يقل كواحدة نفي عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة، قال ابن عباس: يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم علي وأنا بكن أرحم وثوابكن أعظم ﴿إن اتقيتن﴾ الله وشرط عليهن بالتقوى بياناً أن فضيلتهن إنما تكون بالتقوى لا باتصالهن بالنبي ﷺ ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ لا ترفقن بالقول ولا تلتن الكلام^(١) ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ زنا وفجور، والمعنى لا تفلن قولاً يجد به منافق أو فاجر سبيلاً إلى الطمع في موافقتك به^(٢)، والمرأة مندوبة إذا خاطبت الأجنبي إلى الغلظة في المقالة لأن ذلك أبعد من الطمع في الريبة ﴿وقلن قولاً معروفاً﴾ أي ما يوجه الدين والإسلام بغير خضوع فيه بل بتصريح وبيان ﴿وقرن في بيوتكن﴾ يقال: قر يقر وقاراً إذا سكن والأمر منه قر وللنساء قرن مثل عدن وزن وقرأ عاصم بفتح القاف^(٣) وهو من قررت في المكان أقر كان الأصل أقرت ثم حذفت العين لثقل التضعيف وألقت حركتها على القاف كقوله ﴿فظلمتم﴾^(٤)، قال أبو عبيدة: كان أشياخنا من أهل العربية يذكرون القراءة بالفتح وذلك لأن قررت في المكان أقر لا يجوزه كثير من أهل العربية والصحيح قررت أقر بالكسر^(٥) ومعناه: الأشرف لهن بالتوقر والسكون في بيوتهن وأن لا يخرجن وهو قوله ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ التبرج أن تبدي المرأة من محاسنها ما يجب عليها ستره مما يستدعي به شهوة الرجل وأراد بالجاهلية الأولى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام والأولى المتقدمة وذلك أن أهل الجاهلية الأولى تقدموا أمة محمد ﷺ قال قتادة كانت لنساء الجاهلية^(٦) الأولى مشية تكسر وتغنج فنهى هؤلاء عن ذلك وأمرن بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله في باقي الآية إلى قوله ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس [أهل البيت]﴾^(٧) ليذهب عنكم الرجس قال ابن عباس: يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا، وقال مقاتل: يعني الإثم الذي يحصل مما نهاهن الله عنه وأمرهن بتركه، معنى الرجس السوء وما يوجب العقوبة والمراد بأهل البيت هاهنا نساء النبي ﷺ لأنهن في بيته وهو قول الكلبي ومقاتل وعكرمة وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج، نا أبو العباس محمد بن يعقوب، نا الحسن^(٨) بن علي بن عفان، نا أبو يحيى الحماني عن صالح بن موسى القرشي عن خصيف عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال أنزلت

(٣) - انظر السبعة ص ٥٢١

(١) - في أ، ب بالقول ولا تلتن بالكلام

(٤) - الواقعة: ٦٥

(٢) - في هـ: موافقن

(٥) - ليست في مجاز القرآن وما في المجاز: القاف مكسورة لأنها من وقرت تقر تقديره وزنت تزن ومعناه من الوفار ومن فتح فإن مجازها من (قرت تقر) تقديره قررت تقر فحذف الراء الثانية فخففها وقد تفعل العرب ذلك.

(٦) - في هـ: أهل الجاهلية انظر تفسير ابن جرير ٤/ ٢٢

(٧) - ساقط من هـ

(٨) - الحسن بن علي بن عفان العامري أبو محمد الكوفي ت سنة ٢٧٠ انظر تهذيب التهذيب ٣٠١/٢

هذه الآية في نساء النبي ﷺ ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ أخبرنا أبو حليم عقيل بن محمد الجرجاني فيما أجاز لي روايته عنه لفظاً أخبرنا المعافي^(١) بن زكريا القاضي، أنا محمد بن جرير، حميد، نا يحيى^(٢) بن واضح، نا الأصبع بن^(٣) علقمة عن عكرمة في قوله ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ قال ليس الذي تذهبون إليه إنما هو في أزواج النبي ﷺ خاصة وكان عكرمة ينادي بهذا في السوق^(٤) وهؤلاء الذين قالوا هذا القول احتجوا بما تقدم من الخطاب وما تأخر وهو قوله ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن﴾ وكلاهما خطاب لأزواج النبي ﷺ وإنما ذكر الخطاب في قوله عنكم ويطهركم لأن رسول الله ﷺ كان فيهن فقلب للمذكر وقال آخرون: هذا خاص في النبي ﷺ وفاطمة والحسن والحسين^(٥) وهو قول أبي سعيد الخدري أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ [أنا عبد الله بن محمد الحافظ]^(٦)، نا أحمد بن أبي عاصم، نا أبو الربيع الزهراني، نا عمار^(٧) بن محمد [الثوري]^(٨) عن أبي الجحاف عن عطية عن أبي سعيد (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) قال نزلت في خمسة في النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين^(٩) ثم وعظهن ليتفكرن وامتن عليهن بقوله ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله﴾ يعني القرآن ﴿والحكمة﴾ قال مقاتل: يعني أمره ونهيه في القرآن وقال قتادة: يعني القرآن والسنة^(١٠) وهذا حث لهن على حفظ القرآن والأخبار ومذاكرتهن بهما للإحاطة بحدود الشريعة والخطاب وأن يختص بهن فغيرهن داخل منه لأن مبنى الشريعة على هذين القرآن والسنة وبهما يؤقت على حدود الله ومفترضاته ﴿إن الله كان لطيفاً﴾ بأوليائه ﴿خبيراً﴾ بجميع خلقه.

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴿٣٥﴾

قوله ﴿إن المسلمين والمسلمات...﴾ الآية قال قتادة لما ذكر الله أزواج النبي ﷺ دخل نساء [من]^(١١)

(١) - المعافي بن زكريا بن يحيى بن حميد أبو الفرج النهرواني ت سنة ٣٩٠ هـ، تذكرة الحفاظ ٣/١٠١٠

(٢) - يحيى بن واضح أبو سليمة الأنصاري تهذيب التهذيب ١١/٢٩٣

(٣) - الأصبع بن علقمة بن علي الحنظلي المروزي الجرح والتعديل ٣٢٠١ القسم الأول

(٤) - روى هذا الخبر ابن جرير عن عكرمة ٧/٢٢ وابن أبي حاتم وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عباس الدر المنثور ٦/٢٢٠ والراجح أن المراد بأهل البيت رسول الله ﷺ وفاطمة والحسن والحسين لما سيأتي بعد ذلك في صحيح مسلم.

(٥) - الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي استشهد سنة ٦١ هـ انظر أسد الغابة ٢/١٨ تهذيب التهذيب ٢/٣٤٥

(٦) - ساقط من هـ

(٧) - عمار بن محمد الثوري أبو اليقظان الكوفي ت سنة ١٨٢ هـ تهذيب التهذيب ٧/٤٠٥

(٨) - ساقط من أ، جـ

(٩) - رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ - ٤/١٨٨٣ ط الحلبي

(١٠) - فيما عدا هـ: وهذا حتهن.

(١١) - ساقط من جـ

المسلمات عليهن فقلن ذكرتن ولم نذكر فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل بن حيان: لما رجعت أسماء^(١) بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب دخلت على نساء رسول الله ﷺ فقالت^(٢) هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فأتت رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فأنزل الله هذه الآية ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ يعني المخلصين والمخلصات ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ والمصدقين بالتوحيد والمصدقات ﴿وَالْقَاتِنِينَ وَالْقَاتِنَاتِ﴾ المطيعين لله فيما أمر ونهى والمطيعات ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ في إيمانهم وفيما ساءهم وسرهم ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ على أمر الله ﴿وَالصَّابِرَاتِ﴾ ﴿وَالخَاشِعِينَ وَالخَاشِعَاتِ﴾ في الصلاة ﴿وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ﴾ بالأموال ومما رزقهم الله من الأموال والثمار والمواشي ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾ لله [بنية]^(٣) صادقة ويكون فطرمهم من حلال ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ عما لا يحل لهم ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ قال ابن عباس يريد في أدبار الصلوات (وغدوا وعشياً وفي المضاجع) وكلما استيقظ من نومه وكلما غدا وراح من منزله ذكر الله وقال مجاهد: لا يكون الرجل من الذاكِرِينَ الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً، أخبرنا أبو سعيد عبد الرحمن بن الحسين بن علي التاجر، أنا أبو يعقوب يوسف^(٤) بن أحمد الصيدلاني بمكة، نا عبد الرحمن بن عبد الله المقرئ، نا عبد الله بن أبي المودة^(٥)، نا جعفر بن عون، نا مسعر بن كلام عن علي بن الأقرم^(٦) عن الأغر^(٧) عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ إذا أيقظ الرجل أهله فتوضأ وصلبنا كتبنا من الذاكِرِينَ الله كثيراً (والذاكِرَاتِ)^(٨) أخبرنا عبد القاهر بن طاهر، أنا القاسم بن غانم بن حمدية الأشقر، نا محمد بن إبراهيم بن سعيد، نا أبو أيوب سليمان بن النعمان، نا الحسين بن علوان الكوفي بن حنظلة التميمي عن الضحاك^(٩) بن مزاحم عن ابن عباس جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال يا محمد قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما علم وزنه فعلم وملء ما علم فإنه من قالها كتب الله له بها ست خصال كتب من الذاكِرِينَ الله كثيراً وكان أفضل من ذكر الليل والنهار وكان له غرساً في الجنة وتحاتت عنه خطايا كما يتحات ورق الشجرة اليابسة وينظر الله إليه ومن ينظر الله إليه لم يعذبه قوله ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾ أي لذنوبهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة وقوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ الآية نزلت في عبد الله^(١٠) بن جحش وأخته زينب وكانا ابني عمه النبي ﷺ خطب النبي ﷺ زينب لزيد^(١١) بن حارثة مولاة وهي تظن أنه يخطبها لنفسه، فلما علمت أنه يخطبها لزيد

(١) - أسماء بنت عميس بن معد بن حبيب أخت ميمونة بنت الحارث لأماها انظر الاصابة في تمييز الصحابة في ٢٣١/٤ ط أولى .

(٢) - رواه أحمد بن حنبل في المسند عن أم سلمة ٣٣٥/٦ وهي التي سألت رسول الله ﷺ

(٣) - ساقط من هـ

(٤) - في هـ ابن يوسف

(٥) - في هـ: بن أبي المودة الأنباري

(٦) - علي بن الأقرم بن الحارث بن معاوية بن عمرو بن الحارث الهمداني تهذيب التهذيب ٧/٢٨٣ .

(٧) - الأغر: سلمان الأغر أبو عبد الله المدني تهذيب التهذيب ٤/١٣٩

(٨) - رواه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل حديث ١٣٣/٥ ، ٢٣٣/١ ، ٤٢٣/١

حسين بن علوان: سئل بن يحيى بن معين فقال كان كذاباً وجرحه ابن حبان ١/٢٤٤

(٩) - في هـ: مجازم وهو تصحيف وتركه النسائي وأبو حاتم والدارقطني انظر الضعفاء الكبير لأبي جعفر محمد بن عمرو العقباني ١/٢٥١ .

ومن سند حديث جبريل هذا ترى بأنه حديث ضعيف

(١٠) - عبد الله بن جحش بن رباب بن يعمر ابن عمه النبي ﷺ استشهد يوم أحد الغابة ٣/١٩٤ .

(١١) - رواه ابن جرير ٢٢/٩ والهشيمي في مجمع الزوائد وقال رواه الطبراني بإسناد رجال بعضها رجال الصحيح مجمع الزوائد كتاب=

كرهت ذلك وأخوها فلما نزلت الآية رضىا وسلموا فزوجها رسول الله ﷺ من زيد وقوله:

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾

﴿وما كان لمؤمن﴾ يعني عبد الله ﴿ولا مؤمنة﴾ يعني أخته ﴿إذا قضى الله ورسوله أمراً﴾ حكما به ﴿أن يكون لهم﴾ جمع الكتابة لأن المراد بقوله المؤمنة كل مؤمن ومؤمنة في الدنيا، والخيرة الاختيار، أعلم الله أنه لا اختيار على ما قضاه الله ورسوله فلما زوجها رسول الله ﷺ من زيد مكثت عنده حيناً ثم إن النبي - ﷺ أتى زيدا فأبصر زينب قائمة، وكانت بيضاء جميلة جسيمة من أتم نساء قريش فوقع في قلبه فقال: سبحان مقلب القلوب، وفطن زيد فقال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها فإن فيها كبراً تؤذي بلسانها فقال أمسك عليك زوجك واتق الله فأنزل الله ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾ (١) أي بالهداية والإسلام ﴿وأنعمت عليه﴾ بأن أعتقته من الرق وكان زيد من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله ﷺ بعكاظ (٢) في الجاهلية وأعتقه (٣) وتبناه ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾ في أمرها فلا تطلقها ﴿وتخفي في نفسك﴾ سراً وتضمير في قلبك من إرادة تزوجها ﴿ما الله مبدية﴾ مظهره لأصحابك والمعنى: أن النبي ﷺ كتم حبها وأراد تزوجها وأمر زيدا بامساكها وفي قلبه خلاف ذلك فأظهر الله عليه ما أخفاه بأن قضى طلاقها وزوجها منه وأنزل في ذلك القرآن ولهذا قال ابن مسعود وعائشة رضي الله عنهما ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية أخبرنا محمد بن عبد الرحمن المطوعي أنا محمد بن بشر بن العباس المصري، أنا محمد بن إدريس الشامي نا سويد بن سعيد، نا علي بن مسهر عن داود (٤) عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت لو كتم رسول الله ﷺ شيئاً من الوحي لكتمت هذه الآية (٥).

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾

﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك﴾ إلى آخر الآية رواه مسلم عن محمد بن

- = التفسير سورة الأحزاب ٩١/٧ - وزيد هو زيد بن شراحيل الكلبي أبو أسامة استشهد يوم مؤتة سنة ٨ هـ تهذيب التهذيب ٤٠٢/٣.
- (١) - أفردت هذه النقطة بدراسة مستقلة ولكن أورد هنا ما قاله ابن كثير قال ابن كثير - ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم ها هنا أثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببت أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردتها تفسير ابن كثير ٤٢٠/٦ ط الشعب
- (٢) - عكاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية كانت قبائل العرب تجتمع فيه في شوال من كل سنة وهو بين نخلة والطائف وذي المجاز وخلف جبل عرفة معجم البلدان ١٤٢/٤ ط دار صادر
- (٣) - الصحيح أن الذي اشتراه حكيم بن حزام ثم اشتريته خديجة من سوق عكاظ فوهبته خديجة للنبي ﷺ بمكة قبل النبوة وهو ابن ثمانى سنوات أسد الغابة ترجمة زيد بن حارثة ٢٨١/٢ ط الشعب.
- (٤) - داود بن عبد الله الأزدي الزعافري أبو العلاء الكوفي تهذيب التهذيب ١٩١/٣
- (٥) - رواه البخاري في كتاب التوحيد باب: وكان عرشه على الماء ١٥٢/٩ ط الشعب عن الحسن عن الطبراني وقال رجال بعضها رجال الصحيح معجم الزوائد ٩١/٧

المثنى عن عبد^(١) الوهاب عن داود وقوله ﴿وتخشى الناس﴾ تخاف لائمتهم أن يقولوا أمر رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها وذلك أنه كان يريد أن يطلقها من حيث ميل القلب ولكنه خاف قالة الناس، وقال عطاء عن ابن عباس المراد بالناس في هذه الآية اليهود خشى أن يقولوا تزوج محمد امرأة ابنه وقوله ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ أي هو أولى بأن تخشاه في كل الأحوال وجميع الأمور ليس أنه لم يخش الله في شيء من هذه القصة ولكنه لما ذكر خشيته من الناس ذكر خشية الله وأنه أحق بالخشية منهم وروى عن علي بن الحسين رضي الله عنه في هذه الآية أنه قال كان الله عز وجل قد أعلم نبيه أن زينب تكون من أزواجه وأن زيدا سيطلقها وعلى هذا يجوز أن يكون النبي عليه السلام معاتباً على قوله ﴿أمسك عليك زوجك﴾ مع علمه بإنها ستكون زوجته وكتمانه ما أخبره الله به ويكون قوله ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ أي في كتمان ما أخبرك وإنما كنتم النبي عليه السلام ذلك لأنه خشى أن يقول لزيد: زوجتك ستكون امرأتي وقوله ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ معنى قضاء الوطر في اللغة: بلوغ منتهى ما بالنفس من الشيء، يقال قضى وطراً منها إذا بلغ ما أراد من حاجته فيها ومنه قول عمر بن^(٢) أبي ربيعة:

أيها الرابع المجد ابتكاراً قد قضى من تهامة الأوطار^(٣)

أي فرغ من أعمال الحج وبلغ ما أراد منه ثم صار عبارة عن الطلاق ولأن الرجل إنما يطلق امرأته إذا لم تعد له فيها حاجة وروى ثابت عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: اذهب فاذكرها علي قال زيد فانطلقت فقلت يا زينب أبري أرسلني نبي الله عليه السلام - يذكرك ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ - ودخل عليها بغير إذن لقوله تعالى^(٤) ﴿زوجناكها﴾ وهذا يدل على أن كل امرأة أراد رسول الله ﷺ نكاحها فهو مستغن عن الولي والشهود وكانت زينب تفاخر نساء النبي ﷺ وتقول زوجكن أهلوكن وزوجني الله عز وجل أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز الفقيه أنا محمد بن الفضل بن محمد السلمي أنا أبي، نا أبو أحمد^(٥) محمد بن عبد الوهاب، نا الحسن^(٦) بن الوليد عن عيسى^(٧) بن طهمان عن أنس بن مالك قال: كانت زينب بنت جحش تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول: زوجني الله من السماء وأولم عليها ﷺ بخبز ولحم^(٨) رواه البخاري عن خلاد بن^(٩) يحيى عن عيسى بن طهمان. قال المفسرون: ذكر قضاء الوطر هاهنا بياناً أن امرأة المتبنى تحل وإن وطئها وهو قوله ﴿لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم﴾ أي زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنته

(١) - عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت بن عبيد الله أبو محمد البصري ولد سنة ١١٠ هـ وت سنة ١٩٤ هـ تهذيب التهذيب ٦/٤٥٠

(٢) - عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي أبو الخطاب ولد سنة ٢٣ هـ وت سنة ٩٣ هـ الأعلام ٥/٥٢ ط دار العلم، وفيات

الأعيان ١/٣٥٣

(٣) - البيت في كتاب الكامل للمبرد قاله في أم عمر بنت مروان بن الحكم وفي ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٤٩٣ قطعة ٣٧٩ - بشرح محمد محيي الدين

(٤) - رواه مسلم في كتاب النكاح باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب ٢/١٠٤٨ ط الحلبي.

(٥) - محمد بن عبد الوهاب بن حبيب بن مهران العبدي أبو أحمد الينسابوري ت سنة ٢٧٢ هـ تهذيب التهذيب ٩/٣٢٠.

(٦) - الحسين بن الوليد القرشي أبو علي الينسابوري ت سنة ٢٠٣ هـ تهذيب التهذيب ٢/٣٧٤

(٧) - عيسى بن طهمان بن رامة الجشمي أبو بكر البصري ت قبل الستين ومائة تهذيب التهذيب ٨/٢١٥

(٨) - رواه البخاري في كتاب التوحيد ٩/١٥٢ ط دار الشعب بالفاظ متقاربة

(٩) - خلاد بن يحيى بن صفوان السلمي أبو محمد الكوفي ت سنة ٢١٣ هـ تهذيب التهذيب ٣/١٧٤

لكيلا يظن أن امرأة المتنبى لا يحل نكاحها^(١) والأدعياء جمع الدعي وهو الذي يدعى ابناً من غير ولادة قال الحسن: كانت العرب تظن أن حرمة المتنبى كحرمة الابن فبين الله أن حلائل الأدعياء غير محرمة على المتنبى وإن أصابهن وهو قوله تعالى ﴿إِذَا قُضُوا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ بخلاف ابن الصلب فإن امرأته تحرم بنفس القصد، وقوله ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ يعني قضاء الله في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ كان ماضياً مفعولاً، ثم بين أنه لم يكن عليه حرج في هذا النكاح بقوله ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ قال المفسرون: أحل الله له أي لا حرج عليه فيما أحل الله له ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾ سن الله لمحمد عليه السلام في التوسعة عليه في باب النكاح كسنته في الأنبياء الماضين عليهم يعني داود النبي حين هوي المرأة التي فتن بها جمع الله بينه وبينها كذلك جمع بين زينب ومحمد عليه السلام وهذا قول ابن عباس ومجاهد والكلبي والمقاتلين ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا﴾ قضاء مقضياً قال مقاتل: أخبر الله تعالى أن أمر زينب من حكم الله وقدره ثم ذكر الأنبياء الماضين عليهم السلام وأثنى عليهم فقال:

الَّذِينَ يَلْبِغُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

﴿الذين يلبغون رسالات الله ويخشونه﴾ تحول خشيتهم من الله بينهم وبين المعصية ﴿ولا يخشون أحداً إلا الله﴾ لا يخشون قالة الناس ولا نمتهم فيما أحل الله لهم ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ مجازياً^(٢) لمن يخشاه، ولما تزوج رسول الله ﷺ زينب قال الناس إن محمداً ﷺ تزوج امرأة ابنه فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ يعني أنه ليس باب لزيد فتحرم عليه زوجته قال المفسرون: لم يكن أباً أحد لم يلد له وقد ولد له ذكور إبراهيم والقاسم^(٣) والطيب والمطهر ﴿ولكن رسول الله﴾ ولكن كان رسول الله ﴿وخاتم النبيين﴾ آخرهم فلا نبي بعده، قال ابن عباس [يريد]^(٤) لو لم أختم به النبيين لجعلت له ولداً يكون بعد نبياً، وقرأ عاصم بفتح التاء^(٥)، قال أبو عبيدة الوجه الكسر لأن التأويل أنه ختمهم فهو خاتمهم ولأنه قال: «أنا خاتم النبيين»^(٦) لم نسمع أحداً يروي [إلا]^(٧) بكسر التاء ووجه الفتح أن معناه آخر النبيين خاتم الشيء آخره ومنه قوله خاتمته منك وقال الحسن الخاتم هو الذي ختم به أخبرنا أبو عبد الله بن أبي^(٨) إسحاق أنا عبد الملك بن الحسن بن يوسف بن المفضل، أنا يوسف بن يعقوب القاضي، أنا عمر بن مرزوق، أنا سليم بن حيان عن سعيد بن مينا عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال إنما مثلي في الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها وحسنها إلا موضع لبنة فكل من دخل فنظر إليها قال: ما أحسبها إلا موضع هذه اللبنة قال رسول الله ﷺ أنا

(١) - ساقط من هـ

(٢) - في د: مجازياً لمن لا يخشاه

(٣) - إبراهيم ابن النبي ﷺ ولد له من سرته مارية القبطية في ذي الحجة سنة ٨ هـ وتوفي وهو ابن ثمانية عشر شهراً أسد الغابة ١/٦٠ أما القاسم والطيب والمطهر أو الطاهر كما في أسد الغابة فقد أنجبتهم له السيدة خديجة - رضي الله عنها - قبل البعثة وكلهم ماتوا قبل الإسلام وبالقاسم كان يكنى رسول الله ﷺ. أسد الغابة ٧/٨١ سيرة ابن هشام (١٨٧)، الاستيعاب ٤/ ١٨١٩.

(٤) - ساقط من جـ

(٥) - قرأ عاصم بفتح التاء والباقون بكسرها السبعة ص ٥٢٢ والنشر ٢/٣٤٨.

(٦) - رواه البخاري في كتاب المناقب باب خاتم النبيين - ﷺ - ٤/٢٢٦ بلفظ ختم بي الأنبياء

(٧) - في هـ: يروي بكسر التاء

(٨) - ساقط من جـ، د، هـ

موضع اللبنة ختم بي^(١) الأنبياء رواه البخاري عن محمد^(٢) بن سنان، ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن عبد الرحمن بن مهدي^(٣) كلاهما عن سليم بن حيان.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۚ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۚ

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ قال مجاهد: هو أن لا تنساه أبداً، وقال الكلبي: [ويقال]^(٤) ذكراً كثيراً بالصلوات الخمس، وقال مقاتل بن حيان: هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال وهو أن يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، قال: وبلغنا أن هؤلاء الكلمات يتكلم بهن صاحب الجنابة والغائط والمحدث أخبرنا منصور بن عبد الوهاب البزاز^(٥)، أنا أبو عمر محمد بن أحمد الحيري، أنا علي بن المثنى، نا عمرو بن الحصين نا عبد الله بن عبد الملك القرشي، نا عبد^(٦) الله بن زيد بن جابر سمعت إسماعيل بن عبيد^(٧) الله مؤذن مسلمة بن عبد الملك يحدث عن كريمة^(٨) بنت الحسحاس قالت: حدثنا أبو هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقول ربكم «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»^(٩) وقوله ﴿وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾ صلوا لله بالغداة والعشي، قال الكلبي: أما بكرة فصلاة الفجر وأما أصيلاً فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، قوله ﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ أي يرحمكم ويغفر لكم ﴿وملائكته﴾ قال ابن عباس: يدعون لكم، وقال المقاتلان: ويأمر الملائكة بالاستغفار لكم ﴿ويخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ من الشرك والكفر إلى الإيمان يعني أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ قال الكلبي: تحييتهم الملائكة على أبواب الجنة بالسلام فإذا دخلوها حيا بعضهم بعضاً بالسلام وتحية الرب إياهم حين يرسل إليهم بالسلام، وقال مقاتل تسلم الملائكة عليهم يوم يلقون الرب عز وجل [وروي]^(١٠) عن البراء بن عازب^(١١) أنه قال يوم يلقون ملك الموت لا

(١) - رواه البخاري في كتاب المناقب باب خاتم النبيين ﷺ ٢٢٦/٤ بالفاظ متقاربة ورواه مسلم في كتاب الفضائل باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ١٧٩/٤ باختلاف يسير.

(٢) - محمد بن سنان الباهلي أبو بكر البصري ت سنة ٢٢٢ هـ تهذيب التهذيب ٢٠٥/٩

(٣) - عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن العنبري أبو سعيد البصري ت سنة ١٩٨ هـ تهذيب التهذيب ٢٧٩/٦.

(٤) - ساقط من هـ

(٥) - في هـ: في هـ: البزاز

(٦) - في هـ: عبد الرحمن بن يزيد

(٧) - إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر أقرم المخزومي مولاها المدمشي ولد سنة ٦١ هـ وت سنة ١٣٢ هـ انظر تهذيب التهذيب ٣١٨/١ وهو في النسخة المطبوعة (بن عبد الله).

(٨) - كريمة بنت الحسحاس المزنية قال عنها ابن حجر قالت: ثنا أبو هريرة ونحن في بيت أم الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل أنه قال «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه» قلت علق البخاري حديثها هذا عن أبي هريرة في كتاب التوحيد وهو أحد الأحاديث المرفوعة التي لم يوصلها في الجامع تهذيب التهذيب ٤٤٨/١٢.

(٩) - ساقط من هـ

(١٠) - رواه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى لا تحرك به لسانك ١٨١/٩

(١١) - البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأوسي الأنصاري أبو عمر مات أيام مصعب بن الزبير انظر أسد الغابة ٢٠٦/١ ط الشعب.

يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه والمعنى على هذا: تحية المؤمنين ملك الموت يوم يلقونه أن تسلم عليهم وسبق ذكر ملك الموت [في ذكر الملائكة] (١) ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ رزقاً حسناً في الجنة.

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَبَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤٨)

قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ (١) على أمتك وجميع الأمم بتبليغ الرسالة ﴿ومبشراً﴾ بالجنة لمن صدقك ﴿ونذيراً﴾ ومنذراً بالنار لمن كذبك ﴿وداعياً إلى الله﴾ إلى توحيدهِ وطاعته ﴿بإذنه﴾ قال مقاتل بأمره يعني أنه أمرك بهذا لا أنك (٢) تفعله من قبلك قوله ﴿وسراجاً منيراً﴾ أي لمن اتبعك واهتدى بك كالسراج في الظلمة يستضاء به ﴿وبشيراً المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾ قال مقاتل: يعني الجنة ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ ذكرنا تفسيره في أول السورة ﴿ودع أذاهم﴾ قال ابن عباس وقتادة: اصبر على أذاهم، قال الزجاج: تأويله لا تجازهم عليه إلا أن تؤمر فيها بأمر وهذا منسوخ بآية السيف ﴿وتوكل على الله﴾ في كفاية شرهم وأذاهم ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ كفى به إذا وكلت إليه الأمر، قوله:

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَعَهُنَّ وَسَرَاحُهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩)

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن﴾

أخبرنا إسماعيل بن الحسن بن محمد بن الحسين، أنا جدي محمد بن الحسين، أنا عبد الله بن محمد النصر أباذي نا عبد الرحمن بن بشر، نا علي بن الحسين بن واقد نا أبي (٤)، نا يزيد (٥) النحوي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: كذبوا على ابن مسعود وإن كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول: إن تزوجت فلانة فهي طالق يقول الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن﴾ ولم يقل إذا طلقتموهن ثم نكحتموهن: وروى طاووس عن ابن عباس أنه تلا هذه الآية ثم قال: لا يكون طلاق حتى يكون نكاح، وقال سماك بن (٦) الفضل: إنما النكاح عقدة والطلاق يحلها فكيف تحل عقدة لم تعقد قال معمر فصار بهذه الكلمة قاضياً على صنعاء (٧) ﴿من قبل أن تمسوهن﴾ أي تجامعوهن ﴿فما لكم عليهن من عدة﴾ أسقط الله العدة عن المطلقة قبل الدخول لبراءة رحمها، قال مقاتل إن

(١) - ساقط من هـ

(٢) - في هـ شاهداً ومبشراً وهي مكررة.

(٣) - في هـ لانك.

(٤) - الحسين بن واقد المروزي أبو عبد الله ت سنة ١٥٩ هـ تهذيب التهذيب ٢/٢٧٣

(٥) - يزيد بن أبي حبيب الأزدي أبو رجاء المصري ت سنة ١٢٨ هـ انظر تذكرة الحفاظ ١/١٢٩ تهذيب التهذيب ١١/٣١٨، طبقات الحفاظ ص ٥٢.

(٦) - سماك بن الفضل الخولاني اليماني الصنعاني تهذيب التهذيب ٤/٣٣٥ الجرح والتعديل ٢/٢٨٠

(٧) - فيما عدا هـ: بصنعاء.

شأت تزوجت من يومها، وقوله ﴿تعتدونها﴾ أي تحصون عليها العدة بالأقراء أو الأشهر ﴿فتمتعوهن﴾ قال ابن عباس: هذا إذا لم يكن سمي لها صداقاً فإذا فرض لها صداقاً فلها نصفه والمطلقة قبل المسيس لا تستحق المتعة مع نصف المهر فإذا لم يفرض لها صداقاً فإنها تستحق المتعة واجبة لها على قول أكثر الناس ﴿وسرحوهن سراحاً جميلاً﴾ من غير ضرار، قوله:

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأُمَّرَةَ مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ تَرْجِي مَنْ نَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتَعْوَى إِلَيْكَ مَنْ نَشَاءُ وَمِنْ أَنْبَغْتِ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدَّى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾

﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك﴾ ذكر الله تعالى في هذه الآية أنواع الأنكحة التي أحلها للنبي ﷺ فقال ﴿أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ أي مهورهن يعني اللاتي يتزوجن بصداق ﴿وما ملكت يمينك﴾ يعني الجواري التي يملكها ﴿مما أفاء الله عليك﴾ رده عليك من الكفار بأن تسيبه فتملكه ﴿وبنات عمك وبنات عماتك﴾ يعني نساء قريش ﴿وبنات خالك وبنات خالاتك﴾ فتملكهن يعني نساء بني زهره^(١) ﴿اللاتي هاجرن معك﴾ إلى المدينة وهذا إنما كان قبل تحليل غير المهاجرات ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي﴾ أي وأحللنا لك امرأة ﴿مؤمنة﴾^(٢) مصدقة بتوحيد الله وهبت نفسها منك بغير صداق وغير المؤمنة لا تحل إن وهبت منه نفسها ﴿إن أراد النبي أن يستنكحها﴾ إن آثر النبي نكاحها وأراد ذلك ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ خاصة لك دون غيرك، قال ابن عباس يقول لا يحل هذا لغيرك وهو لك حلال، وهذا من خصائصه في النكاح وكان ينعقد النكاح له بلفظ الهبة من غير ولي ولا شهود ولا ينعقد لأحد نكاح بلفظ الهبة وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه^(٣) وأجاز أهل الكوفة النكاح بلفظ الهبة إذا حضر الولي والشهود، ثم أخبر الله تعالى عن المؤمنين فقال ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم﴾ يقول ما أوجبنا عليهم أن لا يتزوجوا أكثر من أربع بمهر وولي وشهود فلا ينعقد نكاحهم إلا بالأولياء والشهود ﴿وما ملكت أيمانهم﴾ ممن يجوز سببه وحره فأما من كان له عهد فلا وقوله: ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ ضيق في أمر النكاح ومنع من شيء تريده وهذا فيه تقديم لأن

(١) - بنو زهرة: هم بنو زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن من قريش نسب قريش ص ٢٥٧ عجالة المبتدي ص ٦٩

(٢) - ساقط من هـ

(٣) - الأم للشافعي ٣٣/٥ ط الشعب.

المعنى خالصة لك من دون المؤمنين لكيلا يكون عليك حرج أي أحللتنا لك ما ذكرنا ليرتفع عنك الحرج ﴿وكان الله غفوراً﴾ للنبي في الزواج بغير مهر ﴿رحيماً﴾ به في تحليل ذلك له .

قوله: ﴿ترجي من تشاء منهم﴾ نزلت في إباحة النبي ﷺ مصاحبة نسائه ومعاشرتهن كيف شاء من غير حرج علي تخصيصاً له وتفضيلاً له أباح له أن يجعل لمن أحب منهم يوماً أو أكثر ويعطل من شاء منهم فلا يأتيها فقله ترجي من تشاء منهم أي تؤخر ثوبة من تشاء من نسائك من غير طلاق وتتركها فلا تأتيها ﴿وتؤوي إليك من تشاء﴾ تضمها إليك فتأتيها وكان القسم والتسوية واجباً عليه فلما نزلت هذه الآية سقط عنه وصار الاختيار إليه فيهن أخبرنا سعيد بن محمد الزاهد، أنا جدي، أنا محمد بن إسحاق، نا قتيبة، نا جرير عن منصور^(١) عن أبي رزين قال: فكان ممن أوى عائشة وأم سلمة^(٢) وزينب وحفصة رضي الله عنهن وكان قسمه من نفسه سواء بينهن وكان ممن أرجى سودة^(٣) وجويرية^(٤) وصفية^(٥) وأم حبيبة^(٦) وميمونة^(٧) وكان يقسم لهن ما شاء وكان أراد أن يفارقهن فقلن اقسم لنا ما شئت من نفسك ودعنا نكون على حالنا^(٨) وقوله ﴿ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ إن أردت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلت من القسمة وتضمها إليك فلا لوم ولا عتب ﴿ذلك أدنى أن تقر أعينهن﴾ ذلك التخيير الذي خيرناك في صحبتهن أدنى إلى رضاهن إذ كان منزلاً من الله عليك ﴿ويرضين بما آتيتن كلهن﴾ بما أعطيتن من تقرب وإرجاء وإيواء، قال قتادة إذا علمن إن هذا جاء من الله كان أطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن ﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾ من أمر النساء والميل إلى بعضهن أي إنما خيرناك فيهن تيسيراً عليك في كل ما أردت منهم ﴿وكان الله عليماً﴾ بخلقه ﴿حليماً﴾ عن عقابهم^(٩) قوله ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ قال مجاهد: لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ﴿ولا أن تبدل بهن﴾ يقول: لا تبدل^(١٠) الكتابيات بالمسلمات يقول لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية ﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ يعني ما ملكت يمينه من الكتابيات حل له أن يتسراهن، وقال معمر والشعبي: لما خيرهن النبي ﷺ فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك فقصره عليهن وأنزل هذه الآية، وعلى هذا القول معناه: لا يحل لك من النساء سوى هؤلاء اللاتي اخترنا لك وليس لك أن تطلق واحدة منهن وتزوج بدلها قال الزهري: قبض النبي ﷺ وما نعلمه يتزوج النساء، وقالت عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء^(١١)، وقوله ﴿ولو أعجبك﴾

(١) - منصور بن زاذان الواسطي أبو المغيرة الثقفي ت سنة ١٢٨ هـ تذكرة الحفاظ ١٤٠/١ طبقات الحفاظ ص ٥٨ .

(٢) - أم سلمة: هند بنت أبي أمية حذيفة بن المغيرة المخزومية أم المؤمنين ت سنة ٥٩ هـ الاصابة ٤٢٣/٤ ط أولى .

(٣) - سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرظية العامرية ت سنة ٥٤ هـ الاصابة ٣٣٨/٤

(٤) - جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن جذيمة ت سنة ٥٦ هـ الاصابة ٢٦٥/٤

(٥) - صفية بنت حيي بن أخطب من ذرية هارون أم المؤمنين ت سنة ٥٠ هـ الاصابة ٣٤٧/٤

(٦) - أم حبيبة: رملة بنت أبي سفيان صحبن حرب الأموية أم المؤمنين ت سنة ٤٤ هـ الاصابة ٣٠٥/٤ ط أولى

(٧) - ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية أم المؤمنين ت سنة ٥١ هـ الاصابة ٤١١/٤

(٨) - ابن جرير الطبري في تفسيره ١٨/٢١

(٩) - في هـ عقابهن .

(١٠) - في هـ لا تبدل

(١١) رواه الترمذي في كتاب التفسير سورة الأحزاب حديث رقم ٣٢٦٩ والشافعي في الأم وله رأي في قول عائشة ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء قال: كأنها تعني اللاتي حظرن عليه في قول الله تبارك وتعالى: (لا يحل لك النساء من بعد... الآية) ثم قال وأحسب قول عائشة أحل له النساء لقول الله تبارك وتعالى: (إننا أحللتنا لك أزواجك إلى قوله خالصة لك من دون المؤمنين) فذكر الله عز وجل ما أحل له فذكر أزواجه اللاتي أتى أجورهن وذكر بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها

حسنهن ﴿ أي إن أعجبك جمالهن فليس لك أن تطلق من نسائك وتكح بدلها امرأة أعجبت بجمالها ﴾ إلا ما ملكت يمينك ﴿ يعني الولائد، قال ابن عباس ملك بعد هؤلاء مارية^(١) ﴾ وكان الله على كل شيء ﴿ من أعمال العباد ﴾ رقيباً ﴿ حافظاً .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِيءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِيءُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خِفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَقِينَ اللَّهَ رَبَّكَ اللَّهُ كَانَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾

قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ﴾ أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبيد الله المخلدي أنا الحسين بن علي بن محمد الدارمي أنا محمد بن المسيب^(٢) ، نا الحسين بن سيار الحراني ، نا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان قال عن ابن شهاب قال: قال أنس بن مالك: أنا أعلم الناس بالحجاب لقد كان أبي بن كعب يسألني عنه أصبح رسول الله ﷺ عروساً بزینب بنت جحش فدعا الناس لطعام بعد ارتفاع النهار فجلس رجال بعدما قام القوم حتى قام رسول الله ﷺ فمشى ومشينا معه حتى بلغ باب حجرة عائشة رضي الله عنها ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم جلوس في مكانهم فأنزل الله آية الحجاب^(٣) رواه مسلم عن عمرو الناقد عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه وقوله ﴿ إلا أن يؤذن لكم إلى طعام ﴾ أي يدعو إليه ﴿ غير ناظرين ﴾ متظرين ﴿ إناء ﴾ نضجه وإدراكه يقال أنا يأتي إناء إذا حان وقت إدراكه وكانوا يدخلون بيته فيجلسون منتظرين إدراك الطعام فنهوا من ذلك وقوله ﴿ ولا مستأنسين لحديث ﴾ أي بعد أن تأكلوا كانوا يجلسون أيضاً بعد الطعام يتحدثون طويلاً وكان يؤذيه ذلك ويستحي أي وكان يؤذيه ذلك ويستحي أن يقول لهم قوموا فذلك قوله ﴿ إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم ﴾ قال الزجاج: كان النبي ﷺ يحتمل إطالتهم كرمًا منه ويصبر على الأذى في ذلك فعلم الله من يحضره الأدب فصار أدبا لهم ولمن بعدهم وقوله

= للنبي قال: فدل ذلك على معنيين أحدهما أنه أحل له مع أزواجه من ليس له بزواج يوم أحل له وذلك أنه لم يكن عنده ﷺ من بنات عمه ولا بنات عماته ولا بنات خالاته امرأة وكان عنده عدد نساء، وعلى أنه أباح له من العدد ما حظر على غيره. الأم للشافعي ١٢٥/٥ ط الشعب.

ساقط من هـ وفي د، هـ: عبد الله.

(١) - مارية القبطية: مولاة رسول الله ﷺ وسريته وأم ولده إبراهيم ت سنة ١٦ هـ وصلى عليها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه انظر ابن سعد ١٥٣/٨ . أسد الغابة ٢٦١/٧ في ج: الرازي

(٢) - في د، هـ سعيد وهو: محمد بن المسيب بن اسحاق بن عبد الله النيسابوري أبو عبد الله ت سنة ٣١٥ هـ عن اثنتين وتسعين سنة تذكرة الحفاظ ٧٨٩/٣، شذرات الذهب ٢٧١/٢ طبقات الحفاظ ص ٣٣١

(٣) - رواه البخاري في كتاب التفسير. سورة الأحزاب ١٤٩/٦ ورواه مسلم في كتاب النكاح باب زواج زينب بنت جحش ١٠٤٨/٢ .

﴿والله لا يستحي من الحق﴾ لا يترك أن يبين لكم ما هو الحق ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾ قال مقاتل أمر الله المؤمنين أن لا يكلموا نساء النبي ﷺ إلا من وراء حجاب أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، نا حاجب بن أحمد، نا عبد الرحيم بن منيب، نا يزيد بن هارون، نا حميد عن^(١) أنس قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب^(٢) رواه البخاري^(٣) عن مسدد عن يحيى^(٤) عن حميد وقوله ﴿ذلكم﴾ أي سؤالكم إياهن من المتاع من وراء حجاب ﴿أظهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ من الريبة ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ ليس لكم أذاه في شيء من الأشياء ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾ قال عطاء عن ابن عباس: كان رجل من أصحاب النبي ﷺ قال لو توفي^(٥) رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة رضي الله عنها فأنزل الله ما أنزل ﴿قال مقاتل بن سليمان: هو طلحة^(٦) بن عبيد الله^(٧) قال الزجاج أعظم الله أن ذلك محرم بقوله ﴿إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾ أي ذنباً عظيماً ثم أعلمهم أنه يعلم سزهم وعلايتهم بقوله ﴿إن تبدوا شيئاً﴾ أي تظهروا شيئاً من أمرهن يعني طلحة وذلك أنه لما نزل آية الحجاب قال طلحة يمنعنا محمد ﷺ من الدخول على بنات عمنا يعني عائشة رضي الله عنها وهما من بني تيم^(٨) بن مرة^(٩) وقوله ﴿أو تحفوه﴾ أي تسروه في أنفسكم وذلك أن نفسه حدثته بتزوج عائشة رضي الله عنها فذلك قوله ﴿فإن الله كان بكل شيء﴾ من السر والعلانية ﴿علياً﴾ ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأقارب والأبناء لرسول الله ﷺ ونحن أيضاً نكلمهن من وراء حجاب^(١٠) فأنزل الله تعالى قوله ﴿لا جناح عليهن في آبائهن﴾ أن يروهن ولا يحتجن عنهم ﴿ولا آبائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن﴾ قال ابن عباس: يريد نساء المؤمنين لأن نساء اليهود والنصارى يصن لأزواجهن نساء رسول الله ﷺ إن رأينهم ﴿ولا ما ملكت أيمانهم﴾ يعني العبيد والإماء وقد تقدم في سورة النور ذكر من يحل للمرأة أن يراها في قوله ﴿إلا لبعولتهن الآية﴾^(١١) ﴿واتقين الله﴾ أن يراكن غير هؤلاء ﴿إن الله كان على كل شيء﴾ من أعمال بني آدم ﴿شهِيداً﴾ لم يغب عنه شيء. قوله تعالى:

(١) - في أ، ب: بن

(٢) - رواه البخاري في كتاب الصلاة ١١١/١، وفي كتاب التفسير سورة البقرة ٣٤/٦ وسورة الأحزاب ١٤٨/٦ طه الشعب، ورواه مسلم

في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر بن الخطاب ١١٥/٧

(٣) - البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله البخاري البداية والنهاية ٢٤/١١ تاريخ بغداد ٤/٢، تذكرة الحفاظ

١٣٤/٢ طبقات المفسرين للداودي ١٠٠/٢

(٤) - يحيى بن سعيد القطان التميمي أبو سعيد البصري ت سنة ١٩٨ هـ تاريخ بغداد ١٤/١٣٥ تذكرة الحفاظ ١/٢٩٨، طبقات الحفاظ

ص ١٢٥

(٥) - لفظة توفي بياض في هـ، وقد أورد الخبر ابن جرير تفسير الآية عن ابن زيد ٢٢/٢٩.

(٦) - طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرظي التميمي أبو محمد المدني ت سنة ٣٦ هـ عن ستين سنة: تهذيب التهذيب ٥/٢٢

(٧) - روى البيهقي قول طلحة في السنن من غير تعيين لقائل السنن: كتاب النكاح باب ما خص به من أزواج أمهات المؤمنين ٧/٦٩ ورواه

ابن حاتم وابن مردويه الدر المنثور ٦/٦٤٣ طه الفكر.

(٨) - فيما عدا د قيم، وقبيلة تيم هم بنو تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن

الياس عجلة المبتدىء (٢٥)

(٩) - رواه ابن أبي حاتم عن السدي الدر المنثور ٦/٦٤٣ طه دار الفكر

(١٠) - رواه ابن جرير ٢٢/٣٠

(١١) - النور: ٣١

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ قال ابن عباس: يريد إن الله يرحم النبي والملائكة يدعون له بالرحمة، وقال مقاتل: أما صلاة الرب بالمغفرة وأما صلاة الملائكة فالاستغفار له ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ ادعوا له بالمغفرة^(١) واستغفروا له ﴿وسلموا تسليماً﴾ قولوا السلام عليكم أيها النبي والحديث الصحيح الجامع لتفسير هذه الآية ما أخبرنا الأستاذ أبو ظاهر الزيادي أنا أبو النصر محمد بن^(٢) محمد بن يوسف الفقيه، نا الفضل بن عبد الله بن مسعود، نا مالك بن سليمان، نا شعبة عن الحكم^(٣) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال: قلنا يا رسول الله قد عرفنا التسليم عليك فكيف الصلاة عليك قال: «قولوا: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد»^(٤) رواه البخاري عن آدم^(٥) بن [أبي] إياس ورواه مسلم عن بندار عن غندر كلاهما عن شعبة ومعنى قوله علمنا التسليم عليك ما تقوله في التشهيد سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

أخبرنا أبو سعد بن أبي رشيد العدل أنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشاء، نا محمد بن يحيى الصوفي، نا محمد بن العباس الرياشي عن الأصمعي^(٦) قال سمعت المهدي على منبر البصرة^(٧) يقول إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته فقال إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً أثره ﷺ بها من بين الرسل واختصكم بها من بين الأمم فقابلوا نعمة الله بالشكر. أخبرنا أبو حسان المزكي أنا أبو العباس محمد بن إسحاق بن أيوب نا سهل بن عمار العتكي، نا إبراهيم الزيات عن عبد الحكم عن أنس بن مالك عن أبي طلحة^(٨) قال: (دخلت على النبي ﷺ فلم أراه أشد استبشاراً منه يومئذ ولا أطيّب نفساً قلت يا رسول الله ما رأيت قط أطيّب نفساً ولا أشد استبشاراً منك اليوم فقال وما يمنعني وقد خرج أنفأ جبريل من عندي قال: قال الله تعالى من صلى عليك صلاة صليت بها [عليه]^(٩) عشر صلوات ومحوت عنه عشر سيئات وكتبت له عشر حسنات)^(١٠)

(١) - في ب، هـ: بالرحمة

(٢) - أبو النصر محمد بن يوسف الفقيه ت سنة ٣٤٤ طبقات الحفاظ ص ٣٦٥ وفي ت أبو النصر بن محمد.

(٣) - الحكم بن عتيبة الكندي أبو عبد الله الكوفي ولد سنة ٥٠ هـ وتوفي سنة ١١٥ هـ تذكرة الحفاظ ١١٧/١، تهذيب التهذيب ٤٣٣/٢، طبقات الحفاظ ص ٤٤

(٤) - رواه البخاري في كتاب الدعوات باب هل يصلى على غير النبي ﷺ ٩٥/٨ ط الشعب وفي كتاب التفسير سورة الأحزاب ١٥١/٦ ط الشعب ومسلم في كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي - ﷺ - بعد التشهد بألفاظ متقاربة ٣٠٥/١ ط الحلبي.

(٥) - اسمه آدم بن أبي إياس عبد الرحمن بن محمد أبو الحسن العسقلاني ت سنة ٢٢٠ هـ تهذيب التهذيب ١٩٦/١

(٦) - الأصمعي: عبد الملك بن قريب الأصمعي ميزان الاعتدال ٦٦٢/٢.

(٧) - البصرة: بالعراق معروفة ومعنى البصرة الحجارة الرخوة تضرب إلى البياض وسميت بالبصرة لأن أرضها التي بين العتيق وأعلى المرید حجارة رخوة معجم ما استمعج ٢٥٤/١

(٨) - أبو طلحة: زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري الخزرجي ت سنة ٥١ هـ أسد الغابة ٢٨٩/٢

(٩) - ساقط من د

(١٠) رواه مسلم في كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي - ﷺ - بعد التشهد بألفاظ متقاربة ونص الحديث رواه أحمد بن حنبل في المسند بلفظ أناني أت من ربي عز وجل - المسند ٢٩/٤.

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾

قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قال المفسرون: هم المشركون واليهود والنصارى وصفوا الله [بالولد] (١) فقالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله وكذبوا رسوله وشجوا وجهه وكسروا رباعيته وقالوا مجنون شاعر ساحر كذاب ويدل على صحة هذا التفسير ما روي أن النبي ﷺ قال: «ما أجد أصبر على أذى يسمعه من الله أنه يجعل له نذ ويجعل له ولد وهو على ذلك يعافيهم ويعطيهم ويرزقهم» (٢) ومعنى يؤذون الله يخالفون أمره ويعصونه ويصفونه بما هو منزه عنه والله تعالى لا يلحقه أذى ولكن لما كانت مخالفة الأمر فيما بيننا تسمى ايداء خوطنا بما نتعارفه وقوله ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ يعني القتل والجلاء في الدنيا والعذاب بالنار في الآخرة وهو قوله ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ قال مجاهد: يقعون فيهم بغير ما عملوا يعني يرمونهم بما ليس فيهم، وروي أن رجلاً شتم علقمة فقرأ هذه الآية وقال فتادة والحسن إياكم وأذى المؤمنين فإن الله يغضب له أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو والنيسابوري أنا حمزة بن شبيب المعمرى، أنا عمرو بن عبد الله البصري، أنا أحمد بن معاذ السلمي، نا خالد بن (٣) عبد الرحمن المخزومي، نا عمر بن ذر عن عبد الرحمن بن سمرة قال خرج النبي ﷺ على أصحابه فقال: رأيت الليلة عجباً رأيت رجلاً يعلقون بألستهم فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال: «هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا» ﴿فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ ذَلِكُمْ أَذَىٌّ أَنْ يَعْرِفَنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْأُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمَرْجُوفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا نُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ جمع جلباب وهو الملاءة التي تشتملها المرأة قال المفسرون: يغطين رؤوسهن (٤) ووجوهن إلا عيناً واحدة فيعلم أنهن حرائر فلا يعرض لهن بأذى وهو قوله ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ قال السدي: كانت المدينة ضيقة المنازل وكانت النساء يخرجن بالليل لقضاء الحاجة وكان [فساق من فساق] (٥) المدينة يخرجون فإذا رأوا المرأة عليها قناع قالوا هذا حرة فتركوا وإذا رأوا المرأة بغير قناع قالوا آفة فكابروها وقوله ﴿وكان الله غفوراً﴾ أي لمن اتبع أمره ﴿رحيماً﴾ به ثم أوعده هؤلاء الفساق فقال ﴿لئن لم ينته المنافقون﴾ عن

(١) - من هنا مطموسة في النسخة هـ

(٢) - رواه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى أنا الرزاق ذو القوة المتين ١٤١/٩ ط الشعب باختلاف يسير ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل ٢١٦٠/٤٠ ط الحلبي باختلاف يسير.

(٣) - خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن مسلمة المخزومي المكي ت سنة ٢١٢ هـ تهذيب التهذيب ١٠٣/٣ متروك الحديث انظر التهذيب لابن حجر ٢١٥/١. ومن سند خالد هذا نستطيع أن نحكم بأن حديث جبريل هذا حديث ضعيف.

(٤) - إلى هنا ينتهي الطمس في النسخة هـ

(٥) - ساقط من د، هـ

نفاقهم ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ يعني الفجور وهم الزناة ﴿والمرجفون في المدينة﴾ وهم قوم كانوا يوقعون الأخبار بما يكره المؤمنون يقولون قد أتاكم العدو ويقولون لسراياهم قد قتلوا وهزموا ﴿لنغرينك بهم﴾ قال ابن عباس: لنسلطنك عليهم والمعنى أمرناك بقتالهم حتى تقتلهم وتخلي عنهم المدينة وهو قوله ﴿ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً﴾ أي لا يسكنوك في المدينة إلا يسيراً حتى يهلكوا ﴿ملعونين﴾ مطرودين مبعدين عن الرحمة ﴿أينما ثقفوا﴾ وجدوا وأدركوا ﴿أخذوا وقتلوا تقيلاً﴾ أي الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾ قال الزجاج: سن الله في الذين ينافقون الأنبياء ويرجفون بهم أن يقتلوا حيث ما ثقفوا ولا يبدل الله سنته فيهم وهو قوله ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ هكذا سنة الله فيهم إذا أظهروا النفاق.

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَلَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنِّمْ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

قوله ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾ قال الكلبي: سأل أهل مكة النبي ﷺ عن الساعة وعن قيامها فقال الله ﴿قل إنما علمها عند الله وما يدريك﴾ أي شيء يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها؟ أي أنت لا تعرفه ثم قال ﴿لعل الساعة تكون قريباً﴾ وما بعد هذا ظاهر إلى قوله ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا﴾ أشرافنا وعظماءنا، قال مقاتل: هم المطعمون في غزوة بدر ﴿فأضلونا﴾ عن سبيل الهدى، يقرأ ساداتنا^(١) وكلاهما جمعان، وسادة أحسن، والعرب لا تكاد تقول سادات ثم قالوا: ﴿ربنا آتهم﴾ يعنون السادة ﴿ضعفين من العذاب﴾ عذبهم مثلي عذابنا ﴿والعنم لعناً كبيراً﴾ يعني اللعن على أثر اللعن أي مرة بعد مرة وقرأ بها عاصم بالياء^(٢) على وصف اللعن بالكبر، قال الكلبي: يقول عذبهم عذاباً كبيراً، قوله:

يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى﴾ قال قتادة وعظ الله المؤمنين ألا تؤذوا محمداً ﷺ كما آذى بنو اسرائيل موسى وهو ما أخبرنا أبو طاهر الزيادي، أنا محمد بن الحسين القطان، نا أحمد بن يوسف، نا عبد الرزاق، نا معمر عن همام منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سواة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آذر^(٣) فذهب مرة يغتسل وحده فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمع موسى في أثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل إلى سواة موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس قال: فقام الحجر بعدما نظر إليه بنو اسرائيل وأخذ ثوبه فطقق بالحجر ضرباً فقال أبو هريرة والله إنه ندب بالحجر ستة أو سبعة ضرب موسى بالحجر^(٤) رواه

(١) - قرأ يعقوب وابن عامر (ساداتنا) بالجمع وكسر التاء، وقرأ الباقر بالتوحيد ونصب التاء النشر في القراءات العشر ٢/٣٤٩.

(٢) - قرأ عاصم بالياء الموحدة من تحت وعن هاشم روايتان، وقرأ الباقر بالتاء المثلثة النشر ٢/٣٤٩.

(٣) الأدر المستفخ الحصى. الصحاح للجوهري باب الرء فصل الألف.

(٤) - رواه البخاري في كتاب الغسل باب من اغتسل عريانا وحده ١/٧٨ ومسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل موسى عليه السلام

مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق وهذا قول جميع المفسرين وروي آخر عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وهو ما أخبرنا أبو حليم الجرجاني فيما أجاز لي، أنا المعافى بن زكريا، أنا محمد بن جرير، نا علي بن مسلم الطوسي، نا عباد، نا سفيان بن حسين عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي في قوله (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) قال: صعد موسى وهارون عليهما السلام الجبل فمات هارون فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلته وكان الهد حسباً لنا منك وألين لنا منك وآذوه بذلك فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني إسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو إسرائيل أنه قد مات فبرأه الله من ذلك^(٥) وقوله: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ يقال: وجه الرجل يوجهه وجاهة فهو وجهه إذا كان ذا وجه وقدر قال ابن عباس: كان عند الله حظياً لا يسأله شيئاً إلا أعطاه، وقال الحسن: كان مستجاب الدعوة.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾ قال ابن عباس: صواباً، قال الحسن: صادقاً، يعني كلمة التوحيد لا إله إلا الله أمر الله المؤمنين بالتوحيد والتقوى ووعد عليهم أن يصلح أعمالهم فقال: ﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ قال ابن عباس: يقبل حسناتكم، وقال مقاتل: يزكي أعمالكم ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ فيما يأمرانه ﴿فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ قال الخير كله وظهر به قوله:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض...﴾ الآية معنى الأمانة هنا في قول جميع المفسرين الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب وتضييعها العقاب روى أبو بكر الهذلي عن الحسن في هذه الآية قال: عرضت الأمانة على السموات السبع الطباق التي زينت بالنجوم وحملت العرش العظيم فقبلن لها تأخذن الأمانة بما فيها قلن وما فيها؟ قيل: إن أحسنتن جزيتن وإن أسأتن عوقبتن قلن لا ثم عرضت على الجبال الشم الشوامخ البواذخ الصلاب الصعاب فقيل لهن: أتأخذن الأمانة بما فيها قلن وما فيها؟ قيل إن أحسنتن جزيتن وإن أسأتن عوقبتن قلن لا. فذلك قوله ﴿فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾ وقال ابن جريج: قالت السماء: يا رب خلقتني وجعلتني سقفاً محفوظاً وأجزيت في الشمس والقمر والنجوم لا أتحمل فريضة ولا أبغي ثواباً ولا عقاباً، وقالت الأرض: جعلتني بساطاً ومهاداً وشققت في الأنهار وأبنت في الأشجار لا أتحمل فريضة ولا أبغي ثواباً ولا عقاباً، وإنما كان العرض على أعيان هذه الأشياء بأن ركب الله تعالى فيهن العقل وأفهمهن خطابه حتى فهمن وأنطقهن بالجواب، ومعنى قوله ﴿أبين أن يحملنها﴾ أي مخافة وخشية لا معصية ومخالفة والعرض كان تخييراً لا إلزاماً، وقوله

﴿وأشفقن منها﴾ أي خفن من الأمانة أن لا يوفينا فيلحقهن العقاب ﴿وحملها الإنسان﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد آدم عرض الله عليه أداء الفرائض الصلوات الخمس في مواقيتها وأداء الزكاة عند محلها وصيام رمضان وحج البيت على أن له الثواب وعليه العقاب فقال: بين أذني وعاتقي، وقال مقاتل بن حيان قال الله: يا آدم أتحمل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها؟ فقال آدم ومالي عندك؟ قال: إن أحسنت وأطعت ووعيت الأمانة فلك الكرامة وحسن الثواب في الجنة وإن عصيت وأسأت فإني معذبك ومعاقبك قال: قد رضيت رب وتحملتها فقال الله تعالى: قد حملتكها فذلك قوله ﴿وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ قال الكلبي: ظلمه حين عصى ربه فأخرج من الجنة وجهله حين احتملها وقال المقاتلان: ظلوماً لنفسه جهولاً بعاقبة ما تحمل أخبرنا أحمد بن يعقوب، نا الحسن بن علي بن عفان، نا أسامة عن النضر بن عدي أن رجلاً سأل مجاهداً عن قوله، انا عرضنا الأمانة الآية، فقال مجاهد لما خلق الله السماوات والأرض [والجبال]^(١) عرض الأمانة عليها فلم تقبلها فلما خلق الله آدم عرضها عليه قال يا رب وما هي؟ قال إن أحسنت جزيتك وإن أسأت عذبتك، قال قد تحملتها يا رب قال مجاهد فما كان بين أن تحملها وبين أن خرج من الجنة إلا قدر ما بين الظهر والعصر. أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل العسكري، نا يعلى بن عبيد عن جويرير عن الضحاك عن ابن عباس، قال: إن الله قال لآدم إني عرضت الأمانة على السماوات والأرض فلم تطعها فهل أنت حاملها بما فيها قال إي رب وما فيها؟ قال إن حفظتها أجزت وإن ضيعتها عذبت، قال فقد حملتها بما فيها، قال فما غير في الجنة إلا كقدر ما بين الظهر والعصر حتى أخرجها منها ابليس، قال جويرير: فقلت للضحاك وما الأمانة قال الفرائض على كل مؤمن أن لا يغش مؤمناً ولا معاهداً في قليل ولا كثير فمن انتقص شيئاً من الفرائض فقد خان أمانته. قوله ﴿ليعذب الله المنافقين﴾ إلى قوله ﴿ويتوب﴾ قال المقاتلان: ليعذبهم الله بما خانوا الأمانة وكذبوا الرسل ونقضوا الميثاق الذين اقروا به حين اخرجوا من ظهر آدم، وقال الحسن وقتادة: هؤلاء خانوها وهم الذين ظلموها ﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ هؤلاء أدوها، وقال ابن قتيبة أي عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله ويظهر إيمان المؤمن ويتوب الله عليه بالرحمة والمغفرة إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات ولذلك ذكر بلفظ التوبة فدل أن المؤمن العاصي خارج من العذاب ﴿وكان الله غفوراً﴾ للمؤمنين ﴿رحيماً﴾

(٢)

(١) - من هنا خرم في الأصل واعتمدت في موضعه على النسخ الأخرى.

(٢) - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٣٣٨).

سورة سبأ

مكية وآياتها أربع وخمسون

أخبرنا محمد بن علي بن أحمد الحيري، أنا محمد بن جعفر بن مطر، أنا إبراهيم بن شريك، أنا أحمد بن عبد الله، أنا سلام بن سليم، أنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي امامة عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ «ومن قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول إلا كان له يوم القيامة رقيقاً ومضافاً»^(١).

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَجْرِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة فقالوا: ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾^(٢) و﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾^(٣) و﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾^(٤) ﴿وهو الحكيم﴾ في أمره ﴿الخبير﴾ بخلقه ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ ما يدخل فيها من مطر أو كبر أو ميت ﴿وما يخرج منها﴾ من زرع ونبات ﴿وما ينزل من السماء﴾ من مطر أو رزق ﴿وما يعرج فيها﴾ من الملائكة وأعمال العباد ﴿وهو الرحيم﴾ بأوليائه ﴿الغفور﴾ لذنوبهم.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٣﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٤﴾

﴿وقال الذين كفروا﴾ يعني منكري البعث ﴿لا تأتينا الساعة قل: بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب﴾ وقرأ حمزة^(٥) علم الغيب على المبالغة كقوله ﴿علم الغيوب﴾^(٦) وباقى الآية مفسرة في سورة

(٤) - فاطر: ٣٤

(٥) - السبعة لابن مجاهد (ص ٥٢٦)

(٦) - المائدة: ١٠٩

(١) - لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج

(٢) - الزمر: ٧٤

(٣) - الأعراف: ٤٣

يونس ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي لتأتينكم الساعة ليجزي الذين آمنوا، ثم بين جزاء الفريقين فقال ﴿أولئك﴾ يعني الذين آمنوا ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ حسن يعني في الجنة ﴿والذين سعوا﴾ مفسر في سورة الحج ﴿أولئك لهم عذاب من رجز أليم﴾ قرىء بالرفع^(١) على نعت العذاب وبالخفض على نعت الرجز والرجز العذاب ذكرنا ذلك ﴿ويرى الذين أتوا العلم﴾ ويعلم الذين أتوا العلم بالله يعني مؤمني أهل الكتاب وقال قتادة يعني أصحاب رسول الله ﷺ ﴿الذي أنزل إليك من ربك﴾ يعني القرآن ﴿وهو الحق﴾ هو فضل عند المبصرين كقوله ﴿هو خير لهم﴾ ﴿ويهدي﴾ يعني القرآن ﴿إلى صراط﴾ دين ﴿العزیز﴾ في ملكه ﴿الحميد﴾ عند خلقه .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبْتَئِسُكُمْ إِذَا مَزَقْتُمْ كُلُّ مُمَزَقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشْأًا نَخِيفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾

﴿وقال الذين كفروا﴾ يعني منكري البعث قال بعضهم لبعض ﴿هل ندلكم على رجل﴾ يزعم أنكم تبعثون بعد أن تكونوا عظاماً وتراباً ورفاتاً وهو قوله ﴿إذا مزقتم كل ممزق﴾ أي فرقتم كل فريق وقطعتم كل تقطيع، والممزق ها هنا مصدر بمعنى التمزيق قال ابن عباس : إذا تمم وبلبتم، وقال مقاتل : إذا تفرقتم في الأرض وذهبت الجلود والعظام وكنتم تراباً ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾ أي يجدد خلقكم بأن تبعثوا وتنشروا ﴿أفترى على الله كذباً﴾ هذا أيضاً من قول الكفار بعضهم لبعض قالوا : أفترى محمد على الله كذباً حين زعم انا نبعت بعد الموت والألف في أفترى ألف الاستفهام وهو استفهام تعجب وانكار . وقوله ﴿أم به جننة﴾ يقولون أيزعم كذباً أم به جننة؟ فرد الله عليهم فقال ﴿بل﴾ ليس الأمر على ما قالوا من الافتراء والجنون ﴿الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ هؤلاء الذي لا يؤمنون بالبعث ﴿في العذاب﴾ في الآخرة ﴿والضلال البعيد﴾ من الحق في الدنيا ثم وعظهم ليعتبروا فقال ﴿أولم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض﴾ وذلك أن الإنسان حيث نظر رأى السماء والأرض قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله، والمعنى : أنهم حيث كانوا فإن أرضي وسمائي محيطة بهم وأنا القادر عليهم إن شئت خسفت الأرض بهم وإن شئت اسقطت عليهم قطعة من سمائي وهو قوله ﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء﴾ وأدغم الكسائي وحده الفاء في الباء^(٢) في قوله ﴿نخسف بهم الأرض﴾ قال أبو علي الفارسي : وذلك غير جائز لأن الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا فانحدر الصوت إلى الفم حيث اتصلت بمخرج الثاء ولهذا جاز ابدال الثاء بالفاء في نحو الحدث والجذف المقاربة بينهما فلم يجز ادغامه في الباء كما لا يجوز ادغام الباء فيه لزيادة صوت الفاء على صوت الباء ، وقوله ﴿إن في ذلك﴾ أي فيما ترون من السماء والأرض ﴿آية﴾ تدل على قدرة الله على البعث وعلى ما يشاء من الخسف بهم ﴿لكل عبد منيب﴾ أياب إلى الله وحده ورجع إلى طاعته وتأمل ما خلق .

(١) - قراءة (أليم) بالرفع قرأ بها : ابن كثير وعاصم في رواية حفص، أما قراءة (أليم) بالخفض فقد قرأ بها : بقية القراء وأبو عاصم . انظر

السبعة ص ٥٢٦ والنشر ٢ / ٣٤٠

(٢) - السبعة لابن مجاهد (ص ٥٢٧)

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ ۚ إِنَّ أَعْمَلَ سَبِيغَتٍ وَقَدَّرَ السَّرْدَ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝۱۱ ﴾

قوله ﴿ ولقد آتينا داود منا فضلاً ﴾ يعني النبوة والكتاب وما أعطي من الملك في الدنيا ﴿ يا جبال ﴾ أي وقلنا يا جبل ﴿ أوبي معه ﴾ سبحي معه وكان إذا سبح داود سبحت الجبال معه^(١)، وقوله ﴿ والطير ﴾ عطف على موضع الجبال لأن كل منادى في موضع نصب، قال ابن عباس: وكانت الطير تسبح معه إذا سبح^(٢) ﴿ وألنا له الحديد ﴾ حتى صار عنده مثل الشمع وكان يأخذ بيده فيصير كأنه عجين فكان يعمل به ما يشاء من غير نار ولا قرع وهو قوله: ﴿ أن اعمل سابغات ﴾ دروعاً كوامل يجرها لابسها على الأرض، قال قتادة: وكان أول من عملها وإنما كانت قبله صفائح من الحديد ﴿ وقدر في السرد ﴾ والسرد: نسج الدروع ومنه قيل لصانعها سرد: وزراد بيدل من السنين زاياً، والمعنى: لا يجعل المسامير دقاً فتفلق ولا غلاظاً فتكثر الخلق هذا قول أهل التأويل. أخبرني سعيد بن العباس القرشي فيما أجاز لي أخبرني العباس بن الفضل بن زكريا، أنا أحمد بن نجده القرشي، نا سعيد بن منصور، نا عبد الرزاق، نا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله ﴿ وقدر في السرد ﴾ قال: لا تدقق المسامير وتوسع الحلقة فتقسي ولا تغلل المسامير وتضييق الخلق فينقصم اجعله قدرأ^(٣)، قال مقاتل: ثم قال الله لآل داود ﴿ اعملوا صالحاً ﴾ قال ابن عباس: اشكروا الله بما هو أهله ﴿ إنني بما تعملون بصير ﴾ ثم ذكر ابنه سليمان وما أعطاه من الخير والكرامة فقال:

﴿ وَسَلِّمْنَا رِيحَ غَدُوها شَهْرٍ وَرَوَّاحِها شَهْرٍ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُم عَن أَمْرِنَا نُدَقِّقْهُ مِّنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝۱۲ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِجَالٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ۝۱۳ ﴾

﴿ ولسليمان الريح ﴾ قال الفراء: نصب الريح على وسخرنا لسليمان الريح ورفع عاصم^(٤) لما لم يظهر التسخير على معنى: وله تسخير الريح فالرفع يؤول إلى معنى النصب وقوله ﴿ غدوها شهر ورواحها شهر ﴾ أي سير غدو تلك الريح المسخرة مسيرة شهر ورواحها شهر، والمعنى: أنها كانت تسير في اليوم مسيرة شهرية للراكب، قال الحسن: تعدل من دمشق^(٥) فتقيل باصطخر^(٦) وبينهما مسيرة شهر للمسرع، ثم تروح من اصطخر فتبيت بكابل^(٧) وبينهما مسيرة شهر للمسرع ﴿ وأسلنا له عين القطر ﴾ أذينا له عين النحاس، قال المفروق: أجريت له عين الصفر ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء وإنما يعمل الناس اليوم مما أعطي سليمان، والقطر النحاس الذائب^(٨) ﴿ ومن الجن من يعمل

(١) - ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس وقتادة وغيره ٤٦/٢٢، ٤٧.

(٢) - قراءة (الريح) بالرفع قرأ بها عاصم في رواية أبي بكر أما حفص فقد روي عنه الريح بالنصب كباقي القراء. انظر السبعة ص ٢٧ ومعاني القرآن للفراء ٣٥٦/٢.

(٣) - دمشق: البلدة المشهورة قصبة الشام. معجم البلدان ٤٦٣/٢.

(٤) - اصطخر: بلدة من بلاد الفرس (إيران حالياً) معجم البلدان ٢١١/١ وانظر ابن جرير والطبري فقد روى هذه الأخبار في تفسيره

(٧) - كابل: اسم يشمل الناحية بين الهند ونواحي سجستان (هو كابول حالياً عاصمة أفغانستان) معجم البلدان ٤٢٦/٤

(٨) - انظر تفسير ابن جرير ٤٩/١٢

بين يديه بإذن ربه ﴿ أي بأمر ربه قال ابن عباس: سخرهم الله لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به ﴾ ﴿ومن يزغ﴾ يعدل ﴿منهم﴾ من الجن ﴿عن أمرنا﴾ له بطاعة سليمان ﴿نذقه من عذاب السعير﴾ في الآخرة وهو أن الله تعالى وكل ملكاً بيده سوط من نار فمن زاغ عن طاعة سليمان ضربته أحرقتة، والمفسرون على أن هذه الإذابة من عذاب السعير في الآخرة^(١) ﴿يعملون له﴾ لسليمان ﴿ما يشاء من محاريب﴾ من الأبنية الرفيعة والقصور، قال المفسرون فنوا له الأبنية العجيبة باليمن صروح ومرواح وقلثون^(٢) وهندة وهنيدة وقلثوم وعمدان وبيتون وهذه حصون باليمن عملتها الشياطين وقوله ﴿وتماثيل﴾ جمع تماثيل وهو كل شيء مثلته بشيء يعني صوراً من نحاس وزجاج ورخام كانت الجن تعملها قالوا: وهي صور الأنبياء والملائكة كانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة وهذا يدل على أن التصوير كان مباحاً في ذلك الزمان^(٣) ﴿وجفان﴾ جمع جفنة وهي القصة الكبيرة ﴿كالجواهي﴾ جمع الجبية وهي الحوض الكبير يجبي الماء أي يجمعه قال المفسرون: يعني قصاعاً في العظم كحياض الإبل يجتمع على القصة الواحدة ألف رجل يأكلون^(٤) منها ﴿وقدور راسيات﴾ ثابتات لها قوائم لا يخرجن عن أماكنها وكانت بأرض اليمن تتخذ من الجبال ثم قال: ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾ أي وقلنا اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكراً له على ما آتاكم ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ العامل بطاعتي شكراً لنعمتي، قوله:

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

﴿فلما قضينا عليه الموت﴾ قال المفسرون كانت الإنس في زمان سليمان تقول إن الجن تعلم الغيب الذي يكون في غد فلما مات سليمان مكث على عصاه حولاً ميتاً والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة التي كانت تعمل في حياة سليمان لا يشعرون بموته حتى أكلت الأرضة عصا سليمان فخر ميتاً فعلموا بموته وعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب فذلك قوله تعالى: ﴿ما دابة الأرض﴾ يعني الأرضة ﴿تأكل منسأته﴾ يعني عصاه^(٥) قال الزجاج: المنسأة التي ينسأ بها أي يطرد ويزجر وأكثر القراء على همزة المنسأة وقرأ أبو عمرو^(٦) بغير همز قال المبرد بعض العرب يبدل من همزتها ألفاً يقولون منسأة وأنشد:

إذا دببت على المنسأة من كبر فقد تباعد عنك اللهو والغزل^(٧)
وقوله ﴿فلما خر﴾^(٨) أي سقط ميتاً ﴿تبينت الجن﴾ أي ظهرت وانكشف للناس أنهم لا يعلمون الغيب ولو كانوا

(١) - إلى هنا وينتهي الخرم في النسخة (أ) ويبدو أنها ورقة واحدة فقدت أثناء تداول النسخة.

(٢) - في هـ وبتون.

(٣) - يقصد بالتصوير هنا صنع التماثيل لا التصوير المعروف في زماننا هذا

(٤) - انظر تفسير ابن جرير ٥٠/٢٠

(٥) - انظر تفسير ابن جرير ٥١/٢٢

(٦) - قرأ أبو عمرو ونافع بغير همز السبعة (ص ٥٢٧)

(٧) - البيت في لسان العرب مادة نسأ ١٦٤/١ ط بولاق وما في اللسان من هرم بدل من كبر وهو غير منسوب لقائل، وتفسير ابن جرير

الطبري ٥١/٢٢

(٨) - في هـ فلما خر المنسأة وليس لها موضع.

يعلمون به ﴿ما لبثوا في العذاب المهين﴾ أي ما عملوا مسخرين لسليمان وهو ميت وهم يظنون أنه حي ، قال مقاتل : العذاب المهين الشقاء والنصب في العمل .

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِمَ بَلَدَةٍ طَيِّبَةٍ
وَرَبِّ غَفُورٍ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَقْلٍ
وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾

قوله ﴿لقد كان لسبأ﴾ أخبرنا الحاكم أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي ، انا أبو عمرو بن مطر ، نا أبو خليفة نا أبو همام ، نا إبراهيم بن طهمان عن أبي حيان عن يحيى^(١) بن هانيء عن فروة^(٢) بن مسيك قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله أخبرني عن سبأ أرجل هو أم امرأة فقال هو رجل من العرب ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة فأما الذين تيامنوا فالأزد^(٣) وكندة^(٤) ومذحج^(٥) والاشعرون^(٦) وانمار^(٧) منهم بجيلة^(٨) وأما الذين تشاءموا فعاملة^(٩) وغسان^(١٠) ولخم^(١١) وجذام^(١٢) والمراد بسبأ ها هنا القبيلة الذين هم من أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقوله ﴿في مساكنهم﴾ كانت مساكنهم بمأرب من اليمن ﴿آية﴾ أي علامة تدلهم على قدرة الله وأن المتسم عليهم هو الله ثم ذكر تلك الآية فقال ﴿جنتان عن يمين وشمال﴾ عن يمين وإد لهم وشماله كانت قد أحاطنا بذلك الوادي الذي بين مساكنهم وقيل لهم : ﴿كلوا من رزق ربكم﴾ يعني ثمار الجنتين قال السدي ومقاتل : كانت المرأة تخرج فتحمل مكنتها على رأسها وتغر فيمئلاء مكنتها من ألوان الفاكهة من غير أن تمس شيئاً بيدها وقوله ﴿واشكروا له﴾ أي على ما رزقكم من النعمة ، والمعنى : اعملوا بطاعته إذ أنعم عليكم بما أنعم ﴿بلدة طيبة﴾ [يعني أرض سبأ بلدة طيبة]^(١٣) لأنها أخرجت ثمارها ولم تكن سيخة ، وقال ابن زيد : لم يكن فيها شيء مؤذ من بعوض أو ذباب ولا

(١) - يحيى بن هانيء بن عروة تهذيب التهذيب ١١/٢٩٣ .

(٢) - فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة بن الحارث الصحابي انظر تهذيب التهذيب ٨/٢٦٥ ، أسد الغابة ٤/٣٥٩ .

(٣) - الأزد هم بنو دراء بن الغوث بن نبت بن مالك بن ادد بن كهلان بن يشجب بن يعرب بن قحطان عجالة المبتدي وفضاله المتبني في النسب لأبي بكر بن أبي عثمان الحازمي الهمداني ص ١٠

(٤) - كندة : اسمه ثور بن عقير بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان سمي كندة لأنه كند أباه نعمت أي كفرها . عجالة المبتديء (ص ١٠٧) .

(٥) - مذحج : واسمه مالك بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان سمي مذحج لأنه ولد على أكمة باليمن يقال لها مذحج عجالة المبتديء (ص ١١١)

(٦) - الاشعرون : نسبة إلى الأشعر واسمه نبت بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان بن سبأ عجالة المبتديء (ص ٦)

(٧) - هم بنو أنمار بن راس بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك عجالة المبتديء ص ١٩ بتحقيق عبد الله كنون

(٨) - هم ولد انمار بن راس نسبوا إلى أمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة . عجالة المبتديء ص ٢٣

(٩) - عاملة : اسمه الحارث بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب . عجالة المبتديء ص ٨٨

(١٠) - غسان هو مازن بن الأزدي بن الغوث عجالة المبتديء ص ٩٨ .

(١١) - لخم : مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن يشجب سمي لخمياً لأنه لطم واللخمة اللطمة عجالة المبتديء ص ١٠٩

(١٢) - جذام أمه واسمه عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد عجالة المبتديء ص ٣٩ وأخرج هذا الحديث الهيثمي وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني علي بن صالح الصائغ ولم أعرفه انظر مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة سبأ ٧/٩٤ .

(١٣) - ساقط من هـ

برغوث ولا عقرب ويمر الغريب ببلدتهم وفي ثيابه القمل فتموت كلها لطيب هوائها ^(١) ﴿ورب غفور﴾ أي والله رب غفور، قال مقاتل: وربكم إن شكرتم فيما رزقكم رب غفور للذنوب ﴿فأعرضوا﴾ عن الحق وكذبوا انبياءهم ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ وذلك إن الماء كان يأتي أرض سبأ من الشحر وأودية اليمن فرددوا ما بين جبلين وجبسا الماء في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض وكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث فأخصبوا وكثرت أموالهم فلما كذبوا رسولهم بعث الله تعالى جرذاً ^(٢) ثقت ذلك الردم حتى انتفض فدخل الماء خيمهم ففرقها ودفن السيل بيوتهم فذلك قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ جمع عرمة وهي السكر الذي يجبس الماء، وقال ابن ^(٣) الأعرابي العرم السيل الذي لا يطاق، وقال قتادة ومقاتل: العرم اسم وادي سبأ ﴿وبدلناهم بجنتيهم﴾ اللتين يطعمان الفواكه ﴿جنتين ذواتي أكل خمط﴾ القراءة الجيدة بالإضافة ^(٤) لأن الخمط عند المفسرين اسم شجرة [قالوا هو الأراك وأكله جناه وهو البريد. قال أبو عبيدة الخمط كل شجرة مرة ذات شوكة ^(٥)] قال الأخفش الأحسن في مثل هذه الإضافة مثل دار حر وثوب خز وقال ابن الأعرابي: الخمط: ثمر شجر يقال له فسوة الضيع على صورة الخشخاش ينفرك ولا ينتفع ^(٦) به وقال المبرد والزجاج: ^(٧) يقال لكل نبت قد أخذ طعماً ^(٨) من المرارة حتى لا يمكن أكله خمط وعلى هذا يحسن التنوين في أكل إذا جعلت الخمط اسماً للمأكولات والأثل شجرة تشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه والسدر إذا كان برياً لا ينتفع به ولا يصلح ورقه للمغسول كما يكون ورق السدر الذي ينبت على الماء ومعنى قوله ﴿وشيء من سدر قليل﴾ يعني أن الأثل والخمط كانا أكثر في الجنتين المبدلتين من السدر ^(٩) قال قتادة: كان شجر القوم من خير الشجر إذ صيره إليه من شر الشجر ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا﴾ أي جزيناهم ذلك التبديل لكفرهم ﴿وهل نجازي إلا الكفور﴾ يعني أن المؤمن نكفر عنه ذنوبه بطاعته والكافر يجازى بكل سوء يعمله، قال مقاتل: وهل يكافأ بعمله السيء إلا الكفور لله في نعمه، وقال الفراء: المؤمن يجزى ولا يجازي أي يجزى الثواب بعمله ولا يكافأ ^(١٠) بسنياته.

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا
ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

وقوله: ﴿وجعلنا بينهم﴾ عطف على قوله ﴿لقد كان لسبأ﴾ يعني وكان من قصتهم أننا جعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها ﴿بالماء والشجر وهي قرى الشام﴾ ﴿قرى ظاهرة﴾ متواصلة وكان متجرهم من أرض اليمن إلى الشام وكانوا يبيتون بقرية ويقبلون بأخرى حتى يرجعوا وكانوا لا يحتاجون إلى زاد من وادي سبأ إلى الشام ومعنى قوله

(١) - انظر تفسير ابن جرير في هذه الأقوال ٥٣/٢٢

(٢) - أي فترناً.

(٣) - ابن الأعرابي محمد بن زياد أبو عبد الله بن الأعرابي من موالى بني هاشم ت سنة ٢٣٠ هـ بغية الوعاء ١/١٠٥.

(٤) - قراءة (اكل خمط) بالإضافة من غير تنوين قرأ بها أبو عمرو انظر السبعة ص ٥٢٨ والنشر ٢/٣٥٠

(٥) - ساقط من د

(٦) - في هـ: طمعان

(٧) - في هـ: السدر

(٨) - معاني القرآن للفراء ٢/٣٥٩

(٩) - مجازة القرآن لأبي عبيدة ٢/١٤٧

(١٠) - تهذيب اللغة للأزهري ٧/٢٦٠

﴿ظاهرة﴾ ان الثانية كانت ترى من الأولى لقربها منها وقوله ﴿وقدرنا فيها السير﴾ جعلنا السير من القرية إلى القرية مقداراً واحداً نصف^(١) يوم وقلنا لهم ﴿سيروا فيها﴾ في تلك القرى ﴿ليالي وأياماً﴾^(٢) ليلاً شتم السير أم نهاياً ﴿أمين﴾ من الجوع والعطش والسباع والتعب ومن كل خوف ثم انهم بطروا النعمة وسألوا أن تكون القرى والمنازل بعضها أبعد من بعض ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ أي اجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز ليركب إليها الرواحل وتتزود الازواد وقرىء بَعُد^(٣) وهو بمعنى باعد وهو مثل ضعف وضاعف وقرب وقارب ﴿وظلموا أنفسهم﴾ بالكفر ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم كيف فعلنا بهم ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق وذلك أن الله تعالى لما غرق مكانهم وأذهب جنتيهم تبددوا في البلاد فصارت العرب تتمثل بهم في الفرقة فتقول: تفرقوا أيدي سبأ وأيدي سبأ أخبرنا أبو حسان المزكي، أنا هارون بن محمد الاسترأبادي، أنا إسحاق بن أحمد الخزاعي، أنا أبو الوليد الأزرق، أنا جدي، أنا سعيد بن سالم^(٤) القداح عن عثمان بن ساج عن الكلبي عن أبي صالح قال: ألفت طريفة الكاهنة إلى عمرو بن عمرو بن عامر الذي يقال له مزيقيا بن ماء السماء وهو عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكانت قد رأت في كهانتها أن سد مأرب سيخرب وأنه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنتين فيبع عمرو بن عامر أمواله وسار هو وقومه إلى مكة فأقاموا بمكة وما حولها فأصابتهم الحمى فدعوا طريفة فشكوا إليها الذي أصابهم فقالت لهم: قد أصابني الذي تشكون وهو مفرق بيننا قالوا: فإذا تأمرين؟ قال: من كان منكم ذا هم بعد وجل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد فكانت ازد عمان^(٥) ثم قالت من كان ذا جلد وصبر على أزمات الدهر فعليه بالأراك^(٦) من بطن مر وكانت خزاعة^(٧) ثم قالت من كان منكم يريد الراسبات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل وكانت الأوس والخزرج، ثم قالت من كان منكم يريد الخمر والخمير والملك والتأمير ولبس الديباج والحري فليلحق ببصرى^(٨) وغوير وهما من أرض الشام فكان الذين سكنوها أي جفنة^(٩) بن غسان ثم قالت من كان منكم يريد النبات الرقاق والحليل العتاق وكنوز الارزاق والدم المهرق فليلحق بارض العراق فكان الذين سكنوها آل جذيمة^(١٠) الأبرش ومن كان بالحيرة وآل محرق^(١١) وقوله: ﴿إن في ذلك﴾ يعني فيما فعل سبأ

(١) - في هـ: وهو نصف يوم

(٢) - في هـ: أياماً منين وهي مكررة.

(٣) - قراءة (بعد) بفتح الباء وكسر العين مشددة من غير ألف، قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وهشام انظر السبعة ص ٥٢٩ والنشر ٢/٥٠٠

(٤) - سعيد بن سالم القداح أبو عثمان المكي ت قبل المائتين تهذيب التهذيب ٣٥/٤ الجرح والتعديل ٣١/٢.

(٥) - عمان: اسم بلدة على ساحل بحر اليمن والهند معجم البلدان ١٥٠/٤.

(٦) - الأراك: وادي الأراك قرب مكة وبطن مر موضع بينه وبين مكة خمسة أميال. معجم البلدان ١/١٣٥، ١٠٤/٥.

(٧) - خزاعة: بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن خزيعاء نهاية الأرب (ص ٢٤٤) للقلقشندي

(٨) - بصرى بالشام من أعمال دمشق تكتب بألف مقصورة معجم البلدان ١/٤٤١

(٩) - آل جفنة: بطن من الأزد من القحطانية الجمهرة ص ٣٨٧ نهاية الأرب ص ٢١٧.

(١٠) - آل جذيمة هم بنو جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع بطن من النخع القحطانية وهو الوضاح الأبرص ملك الحيرة الذي قتلته الزباء

جمهرة أنساب العرب (ص ٣٨٩) نهاية الأرب للقلقشندي ص ٢٠٨

(١١) - آل محرق: هو الحارث الأكبر بطن من بني جفنة من غسان من القحطانية وهم بنو الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة نهاية

الأرب ص ٤٦ وخبر الكاهنة رواه ابن جرير في تفسيره وفيه الكلبى وقد بينا فيما مضى بأنه متروك الحديث انظر تفسير ابن جرير

﴿لآيات﴾ لعبراً ودلالات ﴿لكل صبار﴾ عن معاصي الله ﴿شكور﴾ لأنعمه ، قال مقاتل: يعني المؤمنين من هذه الأمة صبور على البلاء شكور لله في نعمه قوله:

وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾

﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه﴾ [قال الزجاج صدق في ظنه أنه إذا أغواهم اتبعوه فوجدهم كذلك فمن شدد^(١) نصب الظن لأنه^(٢) مفعول به ومن خفف^(٣) نصبه على معنى صدق عليهم في ظنه قال مجاهد: صدق ظنه على الناس كلهم إلا من أطاع الله وهو قوله ﴿إلا فريقاً من المؤمنين﴾ قال السدي عن ابن عباس: يعني المؤمنين كلهم وهم الذين قال الله تعالى: ﴿إن عبادي ليس^(٤) لك عليهم سلطان﴾^(٥) قال ابن قتيبة إن إبليس لما سأل النظره فأنظره قال لأغوينهم ولاصلنهم ولامينهم ولأمرنهم ولم يكن في وقت هذه المقالة مستيقناً أن ما قدره فيهم يتم وإنما قاله ظاناً فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم^(٦) قال الله تعالى ﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ أي ما كان تسليطنا إياه إلا لنعلم المؤمنين من الشاكين يعني نعلمهم موجودين ظاهرين والمعنى: ما سلطناه عليهم إلا لنعلم إيمان المؤمن ظاهراً وكفر الكافر ظاهراً وهو قوله ﴿إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك﴾ والعلم بهما موجودين هو الذي يقع به الجزاء وقوله ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ قال مقاتل على كل شيء من الإيمان والشك، قوله:

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

﴿قل﴾ لكفار مكة ﴿ادعوا الذين زعتم﴾ أنهم آلهة ﴿من دون الله﴾ قال مقاتل: يقول ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع ثم اخبر عنهم فقال ﴿لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾ أي من خير وشر ونفع وضر ﴿وما لهم فيهما من شرك﴾ لم يشاركونا في شيء من خلقهما ﴿وما لهم﴾ وما لله ﴿منهم﴾ من الآلهة ﴿من ظهير﴾ من معين على شيء قوله ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ أي لا تنفع شفاعة ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى يؤذن له في الشفاعة، وقرئ بضم الهمزة^(٧) وفتحها^(٨) فمن فتح كان المعنى إلا لمن

(١) - قراءة (صدق) بتشديد يد الدال، قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي انظر السبعة ص ٥٢٩ والنشر ٣٥٠/٢

(٢) - ساقط من هـ

(٣) - قراءة (صدق) بتخفيف الدال قرأ بها: أبو عمرو وابن كثير وأبو جعفر ويعقوب ونافع وخلف انظر السبعة ص ٥٢٩ والنشر ٣٥٠/٢.

(٤) - ساقط من هـ

(٥) - الحجر: ٤٢

(٦) - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٤٠

(٧) - قراءة (أذن) بضم الهمزة قرأ بها: أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف انظر السبعة ص ٥٢٩ والنشر ٣٥٠/٢.

(٨) - قراءة (أذن) بفتح الهمزة قرأ بها: ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ونافع وعاصم ويعقوب انظر السبعة ص ٥٢٩ والنشر ٣٥٠/٢.

أذن الله له في الشفاعة يعني الشافع، ويجوز أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله^(١) في أن يشفع له ومن ضم الهمزة كما
المعنى كقول من فتح والآذن هو الله تعالى في القراءتين كقوله ﴿وهل يجازى إلا الكفور﴾^(٢) والمجازي هو الله تعالى
في الوجهين قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن وحد الله كقوله ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾^(٣) ثم أخرج
عن خوف الملائكة فقال ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم﴾ أي كشف الفزع عن قلوبهم وقريء ﴿فزع﴾^(٤) كشف الله
الفزع عن قلوبهم ومعنى القراءتين سواء كما ذكرنا في أذن وأذن والتفريع إزالة الفزع كالتمريض والتقريب وهذا دليل
على أنه قد يصيهم فزع شديد من شيء قد يحدث من أقدار الله ولم يذكر ذلك الشيء لأن إخراج الفزع يدل على
حصوله فكانه قد ذكر، والمفسرون ذكروا ذلك الشيء، قال قتادة ومقاتل والكلبي لما كانت الفترة التي بين عيسى
ومحمد عليهما السلام وبعث الله محمداً أنزل جبريل بالوحي فلما نزل ظنت الملائكة أنه نزل بشيء من أمر
الساعة فصعقوا لذلك فجعل جبريل يمر بكل سماء ويكشف عنهم الفزع فرفعوا رؤوسهم وقال بعضهم لبعض ﴿ما
قال ربكم قالوا الحق﴾ قال الحق^(٥) «يعني الوحي» وهو العلي الذي فوق خلقه بالقهر والافتدار ﴿الكبير العظيم
والشيء أعظم منه.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا
بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

قوله ﴿قل﴾ لكفار مكة ﴿من يرزقكم من السموات﴾ الرزق والمطر ومن ﴿الأرض﴾ النبات والثمر وإنما أمر
بهذا السؤال احتجاجاً عليهم بأن الذي^(٦) يرزق هو المستحق للعبادة لا غيره وذلك أنه إذا استفهمهم^(٧) عن الرازق لم
يمكنهم أن يشبوا رازقاً غير الله ولهذا أمر النبي ﷺ بالجواب فقال ﴿قل الله﴾ لأنهم لا يصيبون أيضاً بغير الله من الرازقين
وتم الكلام ثم أمره بأن يخبرهم بأنهم على الضلال بعبادة غير الله بقوله ﴿وإننا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾
فذهب المفسرون أن الألف في أو صلة ومعناه أو العطف كأنه قبل وانا وإياكم، قال أبو عبيدة: معناه: إنا لعلى هدى
وإنكم^(٨) لفي ضلال مبين ﴿قل﴾ لقومك ﴿لا تسألون عما أجرمتنا﴾ قال ابن عباس: لا تؤاخذون بجرمتنا ﴿ولا نسأل﴾

(١) - في هـ له

(٢) - يقصد كما الفرق بين القراءتين في هذه الآية وقد قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم (وهل نجازي) بالنون (إلا الكفور) بالنصب
وأدغم الكسائي اللام من (هل) في النون من (نجازي) ولم يدغمها غيره السبعة ص ٥٢٨ والنشر ٣٥٠/٢.

(٣) - الأنبياء: ٨

(٤) - قرأ ابن عامر (حتى إذا فرغ) مفتوحة الفاء والزاي وقرأ الباقون (فزع) بضم الفاء وكسر الزاي السبعة (ص ٥٢٨) قراءة (فزع) بفتح الفاء
والزاي قرأ بها ابن عامر ويعقوب انظر السبعة ص ٥٢٨ والنشر ٣٥١/٢.

(٥) - روى البخاري هذا الخبر مرفوعاً في كتاب التفسير سورة سبأ - ٢٨/٥ بالفاظ متقاربة.

(٦) - في هـ: الله

(٧) - في هـ: استفهم

(٨) - في هـ وانكم اباكم وفي مجاز القرآن وإياكم انكن ١٤٨/٢

عن كفركم وتكذيبكم، وهذا على التبرؤ منهم ومن أعمالهم ﴿قل يجمع بيننا ربنا﴾ [يعني] ^(١) بعد البعث في الآخرة ﴿ثم يفتح بيننا بالحق﴾ ثم يقضي ويحكم بيننا بالعدل ﴿وهو الفتح﴾ القاضي ﴿العليم﴾ بما يقضي ﴿قل﴾ للكفار ﴿أروني﴾ أعلموني ﴿الذين﴾ ألحقتموهم بالله في العبادة معه ﴿شركاء﴾ هل يرزقون ويخلقون ﴿كلا﴾ لا يرزقون ولا يخلقون ﴿بل﴾ أي ليس الأمر على ما أنتم عليه من الحاق الشركاء به في العبادة الذي يخلق ويرزق ﴿وهو الله العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في أمره قوله:

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ^{٢٨} وَيَقُولُونَ
مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^{٢٩} قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا
تَسْتَقْدِمُونَ ^{٣٠}

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ قال ابن عباس: يريد لجميع الخلق وتقدير الكلام للناس كافة كقوله ﴿ادخلوا في السلم كافة﴾ ^(٢) والمعنى: وما أرسلناك إلا للناس عامة كلهم أحمرهم وأسودهم ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ قال مقاتل: يعني كفار مكة ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ ^(٣) يعنون بالوعد العذاب النازل لهم بعد الموت وإنما قالوا هذا لأنهم كانوا ينكرون البعث فقال الله تعالى ﴿قل لكم ميعاد يوم﴾ يعني يوم القيامة [وقال الضحاك: يعني يوم النزح والسباق وهو ميعاد عذاب الكافر] ^(٤) ﴿لا تستأخرون عنه ساعة﴾ لا تأخرون عن ذلك اليوم ﴿ولا تستقدمون﴾ ولا تتقدمون عليه بأن يزداد في آجالكم أو ينقص منه.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ
مُوقِفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ^{٣١} قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ
جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ^{٣٢} وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ
كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^{٣٣}

قوله: ﴿وقال الذين كفروا﴾ يعني: مشركي مكة ^(٥) ﴿لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه﴾ يعنون التوراة والإنجيل وذلك أنه لما قال مؤمنو أهل الكتاب ان صفة محمد ﷺ في كتابنا وهونبي مبعوث كفر أهل مكة بكتابنا ثم أخبر عن حالهم في الآخرة بقوله ﴿ولو ترى إذ الظالمون﴾ ^(٦) يعني مشركي مكة ﴿موقوفون عند ربهم﴾ محبسون للحساب يوم القيامة ﴿يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾ يرد بعضهم على بعض القول في الجدل ﴿يقول الذين استضعفوا﴾ وهم من الاتباع ﴿للذين استكبروا﴾ وهم الأشراف والقادة ﴿لولا أنتم لكاننا مؤمنين﴾ مصدقين بتوحيد الله

(١) - ساقط من ج

(١) - ساقط من ج

(٥) - العبرة لعموم اللفظ فيصدق هذا القول على كفار مكة وكل من قال قولهم.

(٢) البقرة: ٢٠٨ .

(٦) - في هـ إذ الظالمون موقوفون والعبارة مكررة.

(٣) - ساقط من هـ

أي منعمونا عن الإيمان ثم أجابهم المتبوعون في الكفر بقوله ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أننحن صددناهم عن الهدى بعد إذ جاءكم﴾ أي منعناكم عن الإيمان ﴿بل كتمم مجرمين﴾ بترك الإيمان وفي هذا تنبيه للكفار أن طاعة بعضهم لبعض في الدنيا تصير سبب عداوة في الآخرة كقوله ﴿إذ تيرا الذين اتبعوا... الآية﴾^(١) فقال الاتباع مجيبين بل مكر الليل قال الأحفش: الليل والنهار لا يمكن بأحد ولكن يمكر فيهما وهذا كقوله ﴿من قريتك الي أخرجتك﴾^(٢) وهو من سعة العربية وقال المبرد: أي: بل مكركم في الليل والنهار ﴿إذ تأمرونا أن نكفر بالله﴾ وهو أنهم يقولون لهم: إن ديننا هو الحق ومحمد ساحر كذاب ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ تقدم تفسيره في سورة يونس ﴿وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا﴾ قال ابن عباس غلوا بها في التيران ﴿هل يجزون إلا﴾ جزء ﴿ما كانوا يعملون﴾ من الشرك في الدنيا قوله:

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ٣٤ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِن أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣٦
وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعِيفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ٣٧ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَابِنَاتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ٣٨
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَكِيمٌ
الرِّزْقِيُّ ٣٩

﴿وما أرسلنا في قرية من نذير﴾ نبي ينذر أهلها ﴿إلا قال مترفوها﴾ رؤساؤها وأغنياؤها ﴿إنا بما أرسلناهم به﴾ من التوحيد والإيمان ﴿كافرون﴾ وقالوا: ﴿نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾ افتخر^(٣) مشركو مكة على رسول الله ﷺ - والمؤمنين بأولادهم وأموالهم وظنوا أن الله إنما خولهم المال والولد كرامة لهم فقالوا ﴿وما نحن بمعذبين﴾ أي إن الله أحسن إلينا بالمال والولد فلا يعذبنا فقال الله تعالى لنيه ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يعني إن بسط الرزق وتضييقه من الله يفعلُه ابتلاءً وامتحاناً، لا يدل البسط على رضا الله، ولا يدل التضييق على سخطه ﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني أهل مكة لا يعلمون ذلك^(٤) حين ظنوا أن أموالهم وأولادهم دليل على كرامة الله لهم، ثم صرح بهذا المعنى فقال: ﴿وما أموالكم وأولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى﴾ قال الأحفش: زلفى اسم المصدر كأنه أراد بالتي تقرّبكم عندنا تقريباً ﴿إلا من آمن﴾ لكن من آمن ﴿وعمل صالحاً﴾، قال ابن عباس يريد أن إيمانه وعمله قربه مني ﴿فأولئك لهم جزاء الضعيف بما عملوا﴾ يضاعف الله له حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشراً إلى سبعمائة إلى ما زاد ﴿وهم في الغرفات﴾ يعني غرف الجنة وهي البيوت فوق الأبنية ﴿آمنون﴾ من الموت والغير^(٥) وقرأ حمزة^(٦) في الغرفة على واحدة كقوله ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾^(٧) واسم الجنس يجوز أن يراد

(١) - البقرة: ١٦٦. (٢) - محمد: ١٣. (٣) - في هـ: افتخروا. (٤) - في هـ وذلك

(٥) - الغير: اسم من قولك غيرت الشيء فتغير ومن غير الزمان أي حوادث الزمان الصحاح للجوهري باب الراء فصل العين والمعنى آمنون من الموت وحوادث الزمان

(٦) - انظر النشر في القراءات العشر ٣٥١/٢، السبعة (٥٣٠)

(٧) - الفرقان: ٧٥

به الجمع، وما بعد هذا مفسر فيما تقدم إلى قوله ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ أي يخلفه لكم أو عليكم يقال: أحلف الله له وعليه إذ ابدل له ما ذهب عنه، قال سعيد بن جبيرة: وما أنفقتم من شيء في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه، وقال الكلبي: وما أنفقتم في الخير والبر فهو يخلفه إما أن يعمله في الدنيا أو بدخوله في الآخرة أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، نا محمد بن يعقوب، نا العباس^(١) الدوري نا خالد بن مخلد^(٢)، نا سليمان^(٣) بن بلال عن معاوية^(٤) بن أبي مزرد عن سعيد^(٥) بن يسار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»^(٦).

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِبْرَاهِيمَ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِئْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿٤٢﴾

قوله ﴿ويوم يحشرهم جميعاً﴾ يعني المشركين ﴿ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ هذا استفهام توبيخ للعابدين كقوله لعيسى: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله﴾^(٧) فنزهت الملائكة ربها عن الشرك ف﴿قالوا سبحانك﴾ تنزيهاً لك مما أضافوه^(٨) إليك من الشرك ﴿أنت ولينا من دونهم﴾ قال ابن عباس ما اتخذناهم عابدين ولا توليناهم ولسنا نريد غيرك ولياً ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ يعني الشياطين، قال مقاتل: اطاعوا الشياطين في عبادتهم إيانا ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ يعني المصدقين بالشياطين والمطيعين لهم، ثم يقول الله تعالى ﴿فالיום﴾ يعني: في الآخرة ﴿لا يملك بعضهم لبعض﴾ يعني: العابدين والمعبودين ﴿نفعاً [ولا ضراً]﴾^(٩) أي نفعاً بالشفاعة ولا ضراً بالتعذيب يريد أنهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضرر يقول للذين ظلموا عبدوا غير الله ﴿ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ ثم أخبر أنهم يكذبون محمداً^(١٠) والقرآن فقال:

وَإِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آفَاكٌ مُفْتَرَى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا آيَاتُنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ

(١) - العباس بن محمد بن حاتم الدوري أبو الفضل البخاري انظر تاريخ بغداد ١٤٤/٢، تذكرة الحفاظ ٥٧٩/٢ طبقات الحفاظ ص ٢٥٧.

(٢) - خالد بن مخلد السوائي أبو الهيثم الكوفي ت سنة ٢١٣ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٤٠٦/١ ابن سعد ٢٨٣/٦، تهذيب التهذيب ١١٦/٣.

(٣) - سليمان بن بلال التميمي ت سنة ١٧٢ هـ تذكرة الحفاظ ٢٣٤/١ شذرات الذهب ٢٨٠/١ طبقات الحفاظ ص ٩٩.

(٤) - معاوية بن أبي مزرد عبد الرحمن بن يسار المدني. تهذيب التهذيب ٢١٧/١٠.

(٥) - سعيد بن يسار أبو الحباب المدني سنة ١١٦ هـ تهذيب التهذيب ١٠٣/٤ الجرح والتعديل ٧٢/٢.

(٦) - رواه البخاري في كتاب الزكاة باب قول الله تعالى ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ ١٤٢/٢ ط الحلي ومسلم في كتاب الزكاة باب المنفق والممسك ٧٠٠/٢.

(٧) - آية (١١٦) سورة المائدة وما بين القوسين ساقط من هـ، ب، ج.

(٨) - في هـ: أضافوك إليك الشركاء.

(٩) - ساقط من هـ.

(١٠) في هـ: بمحمد.

يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ۚ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۚ

﴿وإذا تلى عليهم آياتنا بينات... الآية﴾ وهي الظاهرة التفسير ثم أخبر أنهم لم يقولوا ذلك عن بينة وهم يكذبوا محمداً عن ثبت عندهم فقال ﴿وما آتيناكم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ قال قتادة: ما أنزل الله على العرب كتاباً قبل القرآن ولا بعث إليهم نبياً قبل محمد - ﷺ - وقال الفراء: أي من [أين] ^(١) كذبت ولم يأتهم كتاب ولا نذير ^(٢) بهذا الذي فعلوه، ثم خوفهم وأخبر ^(٣) عن عاقبة من كذب قبلهم فقال ﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ يعني الأمم الكافرة ﴿وما بلغوا﴾ يعني أهل مكة ﴿[مِعْشَار] ما آتيناكم﴾ ^(٤) المِعْشَار والعشير والعشر جزء من العشرة، قال ابن عباس [يقول] ^(٥) وما بلغ قومك معشار ما آتيناكم من قبلهم من القوة وكثرة المال وطول العمر فأهلكهم الله وهو قوله: ﴿فكذبوا رسلي فكيف كان نكير﴾ يعني العذاب والعقوبة والنكير: اسم بمعنى الإنكار.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ شُحْرِ وَفِرَادَى تُؤَنَّفَكُرُوا مَا بِيصَابِحِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّ هَذَا إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۚ﴾

قوله ﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾ أي أمركم بخصلة واحدة وهي: ﴿أن تقوموا لله مثل شحري وفرادي﴾ أي تقوموا: منفردين ومجتمعين يعني أن الواحدة التي أعظكم بها هي قيامكم ونشركم لطلب الحق بالفكرة وهو قوله ﴿ثم تفكروا﴾ مجتمعين ومتفرقين، وليس معنى القيام ها هنا قيام على الرجلين بل هو قيام بالأمر الذي هو طلب الحق وتم الكلام عند قوله: ﴿ثم تفكروا﴾ وهو مختصر معناه: ثم تفكروا لتعلموا صحة ما أمرتكم به، قال مقاتل: يقول ليتفكر ^(١) الرجل منك وحده ومع صاحبه فينظران في خلق السماوات والأرض دلالة ^(٢) على أن خالقها واحد لا شريك له، ثم ابتداء فقال: ﴿ما بصاحبكم من الجنة﴾ وقال ابن قتيبة: تأويل الآية ان المشركين قالوا: إن محمداً مجنون وساحر، فقال الله تعالى لهم: قل لهم: اعتبروا أمري بواحدة وهي: أن تقوموا لله ولي ذاته مجتمعين وهو أن يقول الرجل لصاحبه فلتتصدق هل رأينا بهذا الرجل جنة قط؟ أو جرننا عليه كذباً؟ ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه فيتفكر وينظر فإن في ذلك ما يدل ^(٣) على أن محمداً - ﷺ - نذير ^(٤) وهو قوله ﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾ يعني في الآخرة وعلى هذا القول الآية متصلة بعضها ببعض وهو قول الفراء ^(٥) والزجاج.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۚ﴾ ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ ۚ﴾ ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۚ﴾ ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِّي أَهْتَدِيْتُ فَمَا يُوحِي إِيَّايَ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۚ﴾

(١) - في هـ: أن يتفكر

(٧) - في هـ: دليلاً

(٨) - في هـ: ما دل

(٩) - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٢٤١)

(١٠) - قول الفراء موجود في كتابه المعاني

(١) - ساقط من هـ

(٢) - معاني القرآن للفراء، ٣٦٤/٢

(٣) - في هـ: واخبرهم

(٤) - ساقط من هـ

(٥) - ساقط من هـ

قوله ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾ يقول: لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً فتتهموني، ومعنى ما سألتكم من أجر فهو لكم: أي (١) ما أسألكم شيئاً كما يقول القائل: ما لي في هذا فقد وهبته لك يريد: ليس لي فيه شيء، ثم ذكر أن أجره عند الله وهو قوله ﴿إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد﴾ قال ابن عباس: لم يغب عنه شيء. قوله تعالى ﴿قل إن ربي يقذف بالحق﴾ القذف الرمي بالسهم والحصى والكلام، قال الكلبي: يرمي بالحق على معنى يأتي به، وقال مقاتل: يتكلم بالحق وهو القرآن والوحي (٢) يعني أنه يلقيه إلى أنبيائه ﴿علام الغيوب﴾ علم ما غاب عن خلقه في السماوات والأرض ﴿قل جاء الحق﴾ الدين والإيمان والقرآن ﴿وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾ أي ذهب الباطل ذهاباً لم يبق منه إقبال ولا ابتداء ولا إعادة، وقال قتادة: الباطل: هو الشيطان، أي ما يخلق ابتداءً ولا بعثاً (٣) وهو قول مقاتل والكلبي ﴿قل إن ضللت﴾ كما تزعمون وذلك أن كفار مكة قالوا: لقد ضللت حين تركت دين آبائك ﴿فإنما أضل على نفسي﴾ أي إنهم (٤) ضللتني يكون على نفسي ﴿وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي﴾ من الحكمة والبيان ﴿إنه سميع الدعاء﴾ قريب ﴿مني، قوله:

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۚ وَقَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ ۚ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُوسُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۚ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۚ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّبِينٍ ۚ

﴿ولو ترى﴾ يا محمد ﴿إذ فرغوا﴾ يعني عند البعث ﴿فلا قوت﴾ لا يفوتني أحد ولا ينجو مني ظالم ﴿وأخذوا من مكان قريب﴾ يعني القبور وحيث كانوا فهم من الله قريب لا يبعدون عنه ولا يفوتونه ﴿وقالوا﴾ يعني في الآخرة ﴿أمننا به﴾ بمحمد والقرآن ﴿وأنى لهم التناوش﴾ أي التناول وهو تفاعل من النوش الذي هو التناول ومن همز فلأن واو التناوش مضمومة (٥) وكل واو ضممتها لازمة جاز ابدال همزة منها نحو أدور، والمعنى: كيف لهم أن يتناولوا الإيمان من بعد يعني: في الآخرة وقد تركوه في الدنيا وهو قوله ﴿وقد كفروا به من قبل﴾ أي كانوا كافرين بمحمد والقرآن في الدنيا قبل ما عاينوا من أهوال القيامة ﴿ويقذفون بالغيب من مكان بعيد﴾ قال مجاهد: يرمون محمداً بالظن لا باليقين وهو قولهم له شاعر وساحر وكاهن، ومعنى الغيب على هذا: الظن وهو ما غاب علمه عنهم، والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى: يرمون محمداً بما لا يعلمون [من حيث لا يعلمون] (٦) ﴿وحيل بينهم﴾ منع بين هؤلاء الكفار ﴿وبين ما يشتهون﴾ قال ابن عباس: يعني الرجعة إلى الدنيا، قال الحسن: يعني الإيمان، وقال مقاتل: يعني من قبول التوبة منهم ﴿كما فعل بأشياءهم﴾ بنظرائهم [ومن كان على] (٧) مثل حالهم من الكفار ﴿من قبل﴾ أي من قبل هؤلاء ﴿إنهم كانوا في شك﴾ من البعث ونزول العذاب بهم ﴿مريب﴾ موقع لهم في الريبة والتهمة.

(١) - في هـ: لم أسألكم شيئاً (٢) - في هـ ولا يبعث والمعنى لا يستطيع أن يحيي الموتى ولا أن يخلق شيئاً من العدم.

(٣) - في هـ: إنما

(٤) - في هـ معنى

(٥) - قراءة (التناوش) بالمد والهمزة قرأ بها: حمزة وأبو عمرو والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم انظر: السبعة ص ٥٣٠ والنشر

٣٥١/٢

(٦) - ساقط من جـ

(٧) - ساقط من هـ

سورة فاطر

مكية وآياتها خمس وأربعون

أخبرنا محمد بن علي بن أحمد الحيري أنا محمد بن جعفر المؤذن، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي كعب قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيامة ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أي الأبواب شئت)^(١).

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّثْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾

«بسم الله الرحمن الرحيم»

﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾ خالقها مبتدئاً على غير مثال سبق ﴿جاعل الملائكة رسلاً﴾ يرسلهم إلى النبيين وإلى ما شاء من الأمور ﴿أولي﴾ ذوي ﴿أجنحة﴾ جمع جناح ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ تقدم تفسيرها، قال قتادة ومقاتل: بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة وبعضهم له أربعة ويزيد فيها ما يشاء وهو قوله ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ قال ابن عباس: رأى رسول الله ﷺ ليلة المعراج جبريل وله ستمائة جناح^(٢) وهذا القول اختيار الفراء والزجاج وروى خليل بن دعلج عن قتادة قال: هو الملاحظة في العين وقال الزهري: هو حسن الصوت ﴿إن الله على كل شيء﴾^(٣) لما يريد أن يخلق ﴿قدير ما يفتح الله للناس من رحمة﴾ ما يأتيهم به من مطر أو رزق فلا يقدر أحد أن يمسكها وما يمسك من ذلك فلا يقدر قادر أن يرسله وهو قوله ﴿وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾.

يَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَىٰ
تُؤَفِّكُونَ ﴿٣﴾

قوله ﴿يا أيها الناس﴾ يعني يا أهل مكة^(٤) ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ إذ أسكنكم الحرم ومنعكم من الغارات

(١) - لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج.

(٢) - فيض القدير ١/٩٨، وكنز العمال حديث (١٥١٦٢) ٦/١٣٨ ومعاني القرآن للفراء ٢/٣٦٦ بدون تحديد بعدد الأجنحة.

(٣) - في هـ: على كل شيء قدير وهي مكررة.

(٤) - هذا على الرأي القائل بأن المكي من آيات القرآن ما وقع خطاباً لأهل مكة كما أيها الناس والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدني كما أيها الذين آمنوا ولكن هذا ليس بالرأي الراجح فالخطاب هنا وفيما يماثله في غير هذا الموطن يعم الناس جميعاً سواء كانوا من أهل مكة أو من غيرها ولأن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب.

﴿هل من خالق غير الله﴾ استفهام توبيخ وتقرير أي لا خالق سواه، قال الزجاج: ورفع غير على معنى هل خالق غير الله لأن من زيادة مؤكدة ومن خفض جعله صفة على اللفظ^(١) ﴿يرزقكم من السماء﴾ المطر ومن ﴿الأرض﴾ النبات ﴿لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾ [قال الزجاج: من أين يقع لكم الافك والتكذيب]^(٢) بتوحيد الله وانكار البعث وأنتم مقرون بأن الله خلقكم ورزقكم ثم عزى نبيه عليه السلام بقوله:

وَإِنْ يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُذَّابٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

﴿وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور﴾ فيجازي من كذب وينصر من كذب من رسله ﴿يا أيها الناس إن وعد الله﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿حق﴾ وباقي الآية مفسر في سورة لقمان ثم حذرهم الشيطان فقال ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدو﴾ قال مقاتل: عادوه بطاعة الله، ثم بين عداوته فقال: ﴿إنما يدعو حزبه﴾ أي شيعته إلى الكفر ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ ثم ذكر ما للفريقين الكفار والمؤمنين بالآيتين بعد هذه الآية.

أَفَمَن زِينَ لَّهُمْ سَوْءٌ عَمَلِهِمْ فَرَّءَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾

قوله ﴿أفمن زين له سوء عمله﴾ قال ابن عباس نزلت في أبي جهل ومشركي مكة، وقال سعيد بن جبير أنزلت في أصحاب الأهواء والملل التي خالفت الهدى، والمعنى أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله، وبدل على هذا المحذوف قوله: ﴿فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ [قال ابن عباس: لا تغتم ولا تهلك نفسك حسرات]^(٣) على تركهم الإيمان^(٤) ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ عالم بصنيعهم فيجازيهم على ذلك ثم أخبر عن صنعه لتعتبروا فقال:

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَثِيرٌ مِّنْهَا فَيَنْقِفُهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِن أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِن عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

(١) - قراءة (غير) بكسر الراء قرأ بها: حمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف انظر السبعة ص ٥٣٤ والنشر ٣٥١/٢. (٣) - ساقط من هـ.

(٤) - في هـ الإسلام.

(٢) - ساقط من هـ.

﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً﴾ تزعجه من حيث هو ﴿فسقناه إلى بلد ميت﴾ إلى مكان لا نبت فيه ﴿فأحيينا به الأرض بعد موتها﴾ أنبتنا فيها الزرع والكلأ بعدما لم يكن ﴿كذلك النشور﴾ العث والإحياء. أخبرنا محمد بن أحمد بن جعفر المزكي، نا أبو علي الفقيه، أنا الحسين بن محمد بن مصعب، نا يحيى بن حكيم، نا أبو داود، نا شعيب أخبرني يعلى^(١) بن عطاء سمعت وكيع^(٢) بن عدس يحدث عن أبي رزين العقيلي قال: قلت يا رسول الله كيف يحيي الموتى قال: أما مررت بواد ممحلاً ثم مررت به خضراء قلت: بلى قال: فكذلك يحيي الله الموتى وقال كذلك النشور^(٣). قوله ﴿من كان يريد العزة﴾ قال الفراء: معناه من كان يريد هلم العزة لمن هي فإنها لله جميعاً^(٤)، وقال قتادة: من كان يريد العزة فليعتز ببطاعة الله يعني أن قوله ﴿فله العزة جميعاً﴾ معناه الدعاء إلى طاعة من له العزة كما يقال: من أراد المال فالمال لفلان فليطلبه من عنده، ويدل على صحة هذا ما روى ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: إن ربكم يقول كل يوم: أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز^(٥) وقوله ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ إلى الله يصعد كلمة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله ومعنى يصعد أنه يعلم ذلك كما يقال: ارتفع الأمر إلى القاضي وإلى السلطان أي علمه، ويجوز أن يكون معنى إليه إلى سمائه وهو المحل الذي لا يجري لأحد سواه فيه ملك ولا حكم فجعل صعوده إلى السماء صعود إليه، وقوله ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ قال الحسن: العمل الصالح يرفع الكلام الطيب إلى الله يعرض القول على الفعل فإن وافق القول الفعل وإن خالف رد، وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير، وقال قتادة: يرفع الله العمل الصالح لصاحبه أي يقبله فيكون هذا ابتداء إخبار لا يتعلق بما قبله، ثم ذكر من لا يوحد الله فقال: ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ أن يشركون بالله ويقولون الشرك وبال الكلي: يعملون السيئات ﴿لهم عذاب شديد﴾، وقال أبو العالية يعني: الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة هو قوله ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا...﴾^(٦) الآية ثم أخبر أن مكروهم يبطل فقال ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ يفسد ويهلك ولا يملكون شيئاً.

ثم دل على نفسه بصنعه فقال: ﴿والله خلقكم من تراب﴾ يعني: آدم ﴿ثم من نطفة﴾ يعني نسله ﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾ ذكراً وإناثاً ﴿وما يعمر من معمر﴾ ما يطول عمر أحد ﴿ولا ينقص من عمره﴾ قال الفراء: يريد آخر عمر الأول فكنى عنه كأنه^(٧) الأول لأن اللفظ الثاني لو ظهر كان الأول^(٨)، كأنه قيل ولا ينقص من عمر معمر ﴿إلا في كتاب﴾ يعني اللوح المحفوظ، قال سعيد بن جبير: مكتوب في أم الكتاب عمر فلان كذا وكذا ثم يكتب في أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يوماً ذهب ثلاثة حتى يأتي على آخر عمره^(٩) وقوله ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ إن كتابة الأجل والأعمال على الله هين.

(١) - يعلى بن عطاء العامري الطائفي خلاصة تهذيب الكمال ص ٤٣٨.

(٢) - وكيع بن عدس أبو مصعب العقيلي الطائفي. تهذيب التهذيب ١١/١٣١.

(٣) - رواه ابن ماجة في المقدمة حديث (١٨٠)، ٦٤/١ وابن حنبل في المسند ٤/١١.

(٤) - معاني القرآن للفراء ٢/٣٦٧.

(٥) - رواه أحمد بن حنبل في المسند ٢/٧٢.

(٦) - الأنفال: ٣٠.

(٧) - في أ: كناية.

(٨) - معاني القرآن للفراء.

(٩) - رواه: عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم انظر الدر المنثور ٥/٣٤٧.

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرٌ لِّتَبَغُّوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُوَلِّجُ
الْبَدَلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى
ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يُسْمِعُوا دَعَاءَكُمْ وَهُمْ يُغْمِغِمُونَ بِشْرِكِكُمْ لَا يُنَبِّئُكُمْ

مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٤﴾

قوله ﴿وما يستوي البحرين﴾ يعني : العذب والمالح ثم ذكرهما فقال : ﴿هذا عذب فرات سائغ شرابه﴾ جائز في
الحلق ﴿وهذا ملح أجاج﴾ شديد الملوحة وما بعد هذا مفسر فيما سبق إلى قوله ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون
من قطمير﴾ وهو القشرة الرفيعة التي على النواة كاللغافة لها ﴿إن تدعوهم﴾ لكشف خير ﴿لا يسمعون دعاءكم﴾ لأنها
جماد لا تنفع ولا تضر ﴿ولو سمعوا﴾ بأن يخلق الله لها سمعاً ﴿ما استجابوا لكم﴾ لم تكن عندهم إجابة ﴿ويوم القيامة
يكفرون بشرككم﴾ يتبرؤون من ﴿١﴾ عبادتكم يقولون ما كنتم إيانا تعبدون ﴿ولا ينبتك﴾ يا محمد ﴿مثل خير﴾ عالم
بالأشياء يعني نفسه تعالى لا أحد ﴿٢﴾ أخبر منه بأن هذا الذي ذكر من أمر الأصنام كائن فلا ينبتك مثله في عمله لأنه لا
مثل له في العلم وفي كل شيء قوله :

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ
جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ
شَيْءٌ وَلَا وَكَلًا قَرِيبًا إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ
لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ المحتاجون إليه في رزقه ومغفرته ﴿والله هو الغني﴾ عن
عبادتكم ﴿الحميد﴾ عند خلقه بإحسانه إليهم. ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ مفسر فيما تقدم إلى قوله ﴿وإن
تدع مثقلة﴾ أي نفس مثقلة بالذنوب ﴿إلى حملها﴾ إلى ما حملت من الخطايا والذنوب ﴿لا يحمل منه﴾ أي من حملها
﴿شيء ولو كان ذا قربى﴾ ولو كان الذي تدعوه ذا قرابة ما حمل عنها شيئاً، قال ابن عباس يقول الأب والأم : يا بني
احمل عني فيقول : حسبي ما علي ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ قال الزجاج : تأويله إن إنذارك إنما ينفع
الذين يخشون ربهم فكأنك تنذرهم دون غيرهم ممن لا ينفعهم الإنذار كقوله ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ (٣) ومعنى
يخشون ربهم بالغيب أي وهم غائبون عن أحكام الآخرة كقوله ﴿يؤمنون بالغيب﴾ (٤) ﴿ومن تزكى﴾ تطهر من الشرك
والفواحش ﴿فإنما يتزكى لنفسه﴾ أي فصلاحه لنفسه ﴿وإلى الله المصير﴾ فيجزى بالأعمال في الآخرة قوله :

(٣) - النازعات : ٤٥ .

(٤) - البقرة : ٣ .

(١) - في هـ : عن .

(٢) - في هـ : والمعنى لا أحد أخير . . . الخ .

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ يعني المؤمن والمشرک ﴿ولا الظلمات﴾ الشرك والضلالات ﴿ولا النور﴾ الهدى والإيمان ﴿ولا الظل ولا الحرور﴾ قال الكلبي: يعني الجنة والنار، وقال عطاء يعني الظل بالليل والسموم^(١) بالنهار ﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ يعني المؤمنين والكافرين، قال قتادة: هذه أمثال ضربها الله للكافر والمؤمن يقول: كما لا تستوي هذه الأشياء كذلك لا يستوي المؤمن والكافر ﴿إن الله يسمع﴾ كلامه ﴿من يشاء﴾ حتى يتعظ ويهتدي قل عطاء: يعني أوليائه خلقهم لجنته ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ يعني: الكفار شبههم بالموتى حين^(٢) صموا فلم يجيبوا ﴿إن أنت إلا نذير﴾ يقول: ما أنت إلا رسول [منذر]^(٣) تنذرهم النار وتخوفهم ولي عليك غير ذلك وهو قوله: ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ سلف فيها نبي، قال مقاتل: ما من أمة إلا جاءهم رسول، وما بعد هذا ظاهر من تفسيره إلى قوله:

الَّذِينَ تَرَىٰ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

﴿ومن الجبال﴾ أي ومما خلقنا من الجبال ﴿جُدَدٌ بَيْضٌ﴾ قال الفراء: هي الطرق تكون في الجبال كالعروق بيض وسود وحمر واحدها جدة^(٤) وقال المبرد: جدد طرائق وخطوط ونحو هذا قل المفسرون في تفسير الجدد ﴿وغرابيب سود﴾ الغريب الشديد السواد الذي يشبه لون الغراب، قال الفراء: هذا على التقديم والتأخير تقديره وسود غرابيب لأنه يقال أسود غريب وقل ما يقال: غريب أسود^(٥) ﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه﴾ قال الفراء: أي خلق مختلف ألوانه^(٦) ﴿كذلك﴾ كاختلاف الثمرات والجبال، وتم الكلام ثم قال: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني وقال مقاتل: أشد الناس لله خشية أعلمهم به، وقال مسروق: كفى بخشية الله علماً وكفى بالاعتزاز^(٧) بالله جهلاً وقال مجاهد والشعبي: العالم من خاف الله تعالى، وروى عكرمة عن ابن عباس قال: من خشي الله فهو عال ﴿إن الله عزيز﴾ في ملكه ﴿غفور﴾ لذنوب المؤمنين.

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي

(١) - في هـ: ظل الليل وسموم النهار.

(٢) - في هـ: حيث.

(٣) - ساقط من هـ.

(٤) - معاني القرآن للفراء ٣٦٩/٢.

(٥) - (٦-٥) - معاني القرآن للفراء ٣٦٩/٢ بتصريف.

(٧) - في هـ: بالاعتبار.

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾

﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾ يعني: قراءة القرآن أثنى الله عليهم بقراءة القرآن، وقوله ﴿يرجون تجارة لن تبور﴾ لن تفسد، ولن تكسد، ولن تهلك ﴿ليوفهم أجورهم﴾ جزاء أعمالهم بالثواب ﴿ويزيدهم من فضله﴾ قال ابن عباس: يعني سوى الثواب مما لم تر عين ولم تسمع أذن ﴿إنه غفور شكور﴾ قال ابن عباس غفر العظيم من ذنوبهم وشكر اليسير من أعمالهم ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب﴾ يعني: القرآن ﴿هو الحق مصدقاً لما بين يديه﴾ موافقاً لما قبله من الكتاب ﴿إن الله بعباده لخبير بصير﴾.

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾

قوله: ﴿ثم أورثنا الكتاب﴾ قال مقاتل: قرآن محمد ﷺ والمعنى ثم جعلنا الكتاب ينتهي إليهم ﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾ قال ابن عباس يريد أمة محمد ﷺ ثم قسمهم ورتبهم فقال ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ وهو الذي مات على كبيرة ولم يتب منها، قاله عطاء عن ابن عباس وقال مقاتل: يعني: أصحاب الكبائر من أهل التوحيد ﴿ومنهم مقتصد﴾ وهو الذي لم يصب كبيرة ﴿ومنهم سابق بالخيرات﴾ يعني: المقربين الذين سبقوا إلى الأعمال الصالحة، قال الحسن: الظالم الذي ترجح سيئاته على حسناته والمقتصد التي استوت حسناته وسيئاته والسابق من رجحت حسناته، أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، نا أبو بكر عبد الله بن محمد بن سلام الأصفهاني، نا محمد بن سعيد بن سابق، نا عمرو بن أبي قيس عن ابن أبي ليلى عن أخيه عيسى عن أبيه عن أسامة ابن زيد في قوله عز وجل - فمنهم ظالم نفسه ومنهم مقتصد قال: «قال رسول الله ﷺ: كلهم من هذه الأمة»^(١) أخبرنا عبد القاهر بن طاهر التميمي، أنا القاسم بن غانم بن حمويه الطويل، نا محمد بن إبراهيم بن سعيد، نا عمرو بن الحصين، نا الفضل^(٢) بن عميرة، نا ميمون بن^(٣) سياه عن أبي عثمان النهدي سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له» وقرأ عمر فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن^(٤) الله وقوله ﴿سابق﴾ أي إلى الجنة أو إلى رحمة الله ﴿بالخيرات﴾ بالأعمال الصالحة ﴿بإذن الله﴾ بأمر الله وإرادته ﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾ يعني: إيراثهم الكتاب، ثم أخبرهم بثوابهم وجمعهم في دخول الجنة فقال:

جَنَّتْ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

(١) - قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سىء الحفظ.

انظر مجمع الزوائد ٩٦/٧ كتاب التفسير سورة فاطر.

(٢) - الفضل بن عميرة القيسي الطفاوي أبو قتيبة البصري تهذيب التهذيب ٢٨١/٨.

(٣) - ميمون بن سياه البصري أبو بحر تهذيب التهذيب ٣٨٨/١٠.

(٤) - ذكر الهيثمي نحوه عن الطبراني وابن مردويه والبيهقي مجمع الزوائد ٢٥/٧ ط دار الفكر.

﴿جنات عدن يدخلونها﴾ قال مقاتل: يعني الأصناف الثلاثة والآية مفسرة في سورة الحج ولما دخلوها واستقرت بهم الدار حمدوا ربهم على ما صنع بهم وهو قوله ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ الحزن والحزن [واحد] (١) كالبيخل والبيخل، قال ابن عباس في رواية أبي الجوزاء هو حزن النار، وقال مقاتل: لأنهم كانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم، وقال الكلبي: يعني: ما كان بحوزتهم في الدنيا من أمر يوم القيامة، وقال سعيد بن جبير: هم الحزن في الدنيا، وقال الزجاج أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاش أو معاد حدثنا الإمام أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن محمد بن محمد الأسفرائيني املأه في مسجد عقيل سنة سبع عشرة وأربعمائة، أنا الإمام أبو بكر أحمد (٢) بن إبراهيم الإسماعيلي، نا أبو العباد أحمد بن محمد البراقى نا يحيى بن عبد الحميد الحماني، نا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في منشرهم وكأني بأهل لا إله إلا الله قد خرجوا من القبور ينفضون التراب عن رؤوسهم وهم يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (٣) قوله ﴿إن ربنا لغفور شكور﴾ قال ابن عباس: غفر العظام من ذنوبهم وشكر السير من محاسن أعمالهم ﴿الذي أحلنا دار المقامة﴾ قال مقاتل: أنزلنا دار الخلود أقاموا فيها أن ألا يموتون ولا يتحولون عنها أبداً ﴿من فضله﴾ أي ذلك بفضله لا بأعمالنا ﴿لا يمستنا فيها نصب﴾ لا يصيبنا في الجنة عناء ومشقة ﴿ولا يمستنا فيها لغوب﴾ وهو الإعياء من التعب ثم قال في صفة الكفار:

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٤﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبِّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صَالحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مِمَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٥﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٦﴾

﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا﴾ أي لا يهلكون فيستريحوا مما هم فيه من العذاب وهو كقوله ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾ (٤) ﴿ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ طرفة عن ﴿كذلك﴾ كما ذكرنا ﴿نجزي كل كفور﴾ كل كافر ﴿وهم يصطرخون فيها﴾ يستغيثون، وهو افتعال من الصراخ، قال مقاتل: هو أنهم ينادون ﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحاً﴾ قال ابن عباس: نقل لا إله إلا الله ﴿غير الذي كنا نعمل﴾ يعني: الشرك، فويخهم الله تعالى فقال: ﴿أولم نعمركم مما يتذكر فيه من تذكرك﴾ قال عطاء: يريد ثماني عشرة سنة وهو قول قتادة، وقال الحسن: أربعين سنة، وقال ابن عباس في رواية مجاهد ستين سنة قال: وهو العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم بن محمود، أنا أحمد بن جعفر القطيعي، أنا بشير بن موسى، أنا عبد الله بن يزيد المقرئ عن سعيد بن أبي أيوب حدثني محمد بن عجلان عن بكير عن (٥) العجلان أبي محمد

(١) - ساقط من هـ.

(٢) - أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي الجرجاني انظر تذكرة الحفاظ ٩٣٧/٣، شذرات الذهب ٧٥/٣

(٣) - ابن أبي حاتم، تفسير ابن كثير ٥٣٧/٦ ط الشعب، وقال الهيثمي في المجمع رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم. مجمع الزوائد كتاب البعث باب كيف يحشر الناس ٣٣٢/١٠.

(٤) - القصص: ١٥.

(٥) - بكر بن عبد الله الأشج القرشي أبو عبد الله ت سنة ١٢٢ هـ تهذيب التهذيب ٤٩٢/١.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من أتت عليه ستون سنة فقد أعتذر الله إليه في العمر»^(١) وقوله: ﴿وجاءكم النذير﴾ قال جمهور المفسرين: يريد النبي ﷺ، وروي عن عكرمة وسفيان بن عيينة: أن المراد بالنذير الشيب ومعناه: أولم يعمركم حتى شبتهم وقوله ﴿فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ قال مقاتل: فذوقوا العذاب فما للمشركين من مانع يمنعهم وما بعد هذا مفسر إلى قوله:

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾

﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ أي أمة آمنة خلفت من قبلها ورأت فيمن سلف ما ينبغي أن تعتبر به ﴿فمن كفر فعليه كفره﴾ جزاء كفره ثم ذم كفرهم بباقي الآية ثم أمر نبيه بالاحتجاج عليهم بقوله:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾

﴿قل أرايتم شركاءكم﴾ معناه أخبروني عن الذين اتخذتم وعبدتم من دوني شركاء بزعمكم ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾^(٢) أي بأي شيء أوجبتم لهم شركة مع الله في العبادة لشيء خلقوه من الأرض ﴿أم لهم شرك في السموات﴾ أي شركة في خلقها ثم ترك هذا النظم فقال ﴿أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه﴾ قال مقاتل: يقول: ثم أعطينا كفار مكة كتاباً فهم على بيان منه بأن مع الله شريكاً وهو قوله «فهم على بينات منه» يعني ما في الكتاب من ضروب البيان وقرأ أبو عمرو بينة^(٣) جعل ما في الكتاب بينة على لفظ الافراد وإن كانت عدة أشياء ثم استأنف ﴿بل إن يعد الظالمون﴾ أي ما يعد ﴿بعضهم بعضاً إلا غروراً﴾ قال مقاتل: يعني ما يعد الشيطان كفار بني آدم من شفاعة الآلهة لهم في الآخرة إلا باطلاً وليس بشيء.

قوله ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ يمنعهما من الزوال والذهاب والسقوط ﴿ولئن زالتا﴾ ولو زالتا على تقدير ذلك لم يمسهما من أحد غير الله وهو قوله: ﴿إن أمسكهما من أحد من بعده﴾ وهذا إخبار عن عظيم قدرة الله على حفظ السماوات واماكها عن الزوال ﴿إنه كان حلماً﴾ عن الكفار إذ لم يعجل لهم العقوبة ﴿غفوراً﴾ إذ أخرج العذاب عنهم، قوله:

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ الْإِحْدَىٰ ۚ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ

(١) - رواه البخاري في كتاب الرقاق باب من بلغ ستين سنة الخ ١١١/٨ ط الشعب.

(٢) - في هـ: خلقوني.

(٣) - قراءة (بينة) بالافراد لم يقرأها أبو عمرو وحده وإنما قرأ معها أيضاً ابن كثير وحمة وخلف وحفص عن عاصم انظر: السبعة ص - ٣٥٥

الْأُولَىٰ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٢﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيمًا قَدِيرًا ۚ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهِمَا مِنَ الذَّاتِ وَلَا لَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ۚ ﴿٤٤﴾

﴿واقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ يعني: كفار مكة قال ابن عباس: حلفوا قبل أن يأتيهم محمد بأيمان غليظة ﴿لئن جاءهم نذير﴾ رسول ﴿ليكونن أهدى﴾ أصوب ديناً ﴿من إحدى الأمم﴾ يعني اليهود والنصارى والصابئين ﴿فلما جاءهم نذير﴾ محمد ﷺ ﴿ما زادهم﴾ مجيئه ﴿إلا نفوراً﴾ تباعداً عن الهدى ﴿استكباراً في الأرض﴾ عتواً على الله وتكبيراً عن الإيمان به ﴿ومكراً السيئ﴾ يعني ومكروا مكر السيئ وهو عملهم القبيح من الشرك والمكر هو العمل القبيح وأضيف المكر إلى صفته وقرأ حمزة بإسكان الهمزة (١) والنحويون كلهم يزعمون أن هذا من الاضطراب في الشعر ولا يجوز مثله في كتاب الله، وقال أبو علي الفارسي هو على اجراء الوصل مجرى الوقف كما حكى سيويه من قولهم لملائه الأربعة فأجروا الوصل مجرى الوقف قال ويحتمل أنه خفف آخر الاسم لاجتماع الكسرتين والياءين كما خففوا الياء من ايل التوالي الكسرتين ونزل حركة الإعراب بمنزلة غير حركة الإعراب، وقال أبو جعفر النحاس: كان الأعمش يقف على ومكر السيئ فيترك الحركة وهو وقف حسن تام ثم غلط فيه الراوي فروى أنه كان يحذف الإعراب في الوصل فتابع حمزة الغالط فقرأ في الادراج بترك الحركة، وقوله ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ قال ابن عباس: عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك ﴿فهل ينظرون إلا سنة الأولين﴾ هل ينتظرون إلا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بالأمم المكذبة قبلهم ﴿فلن تجد لسنة الله﴾ في العذاب ﴿تبديلاً﴾ وإن تأخر ذلك ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ لا يقدر أحد أن يحول العذاب عنهم إلى غيرهم، وما بعد هذا مفسر فيما مضى إلى قوله ﴿ولو يؤاخذ الله الناس﴾ يعني: المشركين ﴿بما كسبوا﴾ من الشرك والتكذيب لعجل (٢) لهم [العذاب] والعقوبة وهو قوله: ﴿ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ وهذا مفسر في سورة النحل وقوله ﴿فإن الله كان بعباده بصيراً﴾ قال ابن عباس يريد أهل طاعته وأهل معصيته.

(١) - قرأ حمزة بإسكان الهمزة في الوصل لتوالي الحركات تخفيفاً السبعة (٥٣٥) والنشر ٣٥٢/٢.

وفي كتاب المكرر فيما تواتر من القراءات السبع ص (١٠٨): قرأ بها حمزة في الوصل بهمزة ساكنة والباقون بهمزة مكسورة، وإذا وقف حمزة أبدل الهمزة ووقف الباقون بهمزة ساكنة.

(٢) - فيما عداه: لعجل لهم العقوبة.

سورة يس

مكية وآياتها ثلاث وثمانون

أخبرنا الشيخ أبو معمر المفضل بن إسماعيل الجرجاني بها أنا الإمام جدي أبو بكر الإسماعيلي، أنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي، أنا أبو إبراهيم الترمذاني، نا يوسف^(١) بن عطية الصفار، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم [عن أبيه]^(٢) عن أبي أمامه عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت أو قريب عنده جاءه^(٣) خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فسقاها إياه وهو على فراشه فيشرب فيموت ريان ويبعث ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء»^(٤).

يَسَّ ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝٥
لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧

«بسم الله الرحمن الرحيم»

[يس] ^(٥) قال ابن عباس والمفسرون: يريد يا إنسان^(٦): يعني محمداً ﷺ ﴿والقرآن الحكيم﴾ أقسم الله بالقرآن المحكم من الباطل ﴿إنك لمن المرسلين﴾ وذلك أن كفار مكة قالوا: لست مرسلأ وما أرسل الله إلينا رسولأ ﴿على صراط مستقيم﴾ يعني: دين الإسلام ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ قال مقاتل: هذا القرآن تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه، ومن قرأ بالنصب^(٧) فعلى معنى نزل الله ذلك تنزيلاً من العزيز الرحيم ثم اضيف المصدر فصار معرفة ﴿لتنذر قوما﴾ متصل بقوله ﴿إنك لمن المرسلين﴾ ﴿لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم﴾ قال قتادة: لتنذر قوما لم ياتهم نذير من قبلك لأنهم كانوا في الفترة وهو معنى قوله ﴿فهم غافلون﴾ أي عن حج التوحيد وأدلة البعث ﴿لقد حق القول﴾ وجب العذاب ﴿على أكثرهم﴾ أكثر أهل مكة كقوله ﴿ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾^(٨) وهذا اشارة إلى الإرادة السابقة بكفرهم ﴿فهم لا يؤمنون﴾ لأن الله منعهم عن الهدى، قوله:

(١) - يوسف بن عطية الصفار مولى الانصارت سنة ١٨٧ هـ قال عنه صاحب الميزان (متروك) انظر ميزان الاعتدال ٤/٢٦٨ .

(٢) - ساقط من هـ .

(٣) - في هـ جاءه رضوان خازن الجنة . الخ .

(٤) - حديث لم اعثر له على أصل وتراجع أول سورة مريم والحج .

(٥) - ساقط من هـ .

(٦) - تفسير ابن جرير ٩٧/٢٢ .

(٧) - قراءة: (تنزيل) بالنصب قرأ بها: ابن عامر وحمزة والكسائي ورواية حفص عن عاصم وخلف انظر السبعة ص ٥٣٩ والنشر ٢/٣٥٣ .

(٨) - الزمر: ٧١ .

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾

﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً﴾ قال أهل المعاني: هذا على طريق المثل ولم يكن هناك غل قال الفراء: معناه حسناهم عن الإنفاق في سبيل^(١) الله كقوله ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾^(٢) معناه: لا تمسكها عن النفقة وقوله: ﴿فهى﴾ يعني: أيديهم كنى عنها ولم يذكرها لأن الأغلال والأعناق تدل عليها وذلك أن الغل إنما هو يجمع اليد إلى العنق وقوله ﴿فهم مقمحون﴾ قال الفراء والزجاج المقمح: الغاض بصره بعد رفع رأسه^(٣)، ومعنى الإقماح: رفع الرأس وعض البصر يقال: أقمح البعير رأسه وقمح إياه رفع رأسه ولم يشرب الماء، قال الأزهرى: أراد الله أن أيديهم لما غلت عند أعناقهم رفعت الأغلال أذناقهم ورؤوسهم صعداً فهم مرفوعو الرؤوس برفع الأغلال إياها، يدل على هذا المعنى قول قتادة مقمحون: مغلولون. قوله ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً﴾ يريد منعناهم عن الإيمان لمواقع^(٤) فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر إلى الإيمان كالمضروب أمامه وخلفه بالأسداد^(٥) وهذا معنى قول ابن عباس منعهم من الهدى لما سبق في علمهم، وقوله ﴿فأغشيناهم﴾ قال الفراء: ألبسنا إصبارهم غشاوة^(٦) أي عمى ﴿فهم لا يبصرون﴾ سبيل الهدى، ثم ذكر أن الإنذار لا ينفعهم بعد هذا، بقوله: ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ قال الزجاج: ^(٧) أي من أضله الله هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار إنما ينفع الإنذار من ذكر في قوله ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾ يعني: القرآن ﴿وخشي الرحمن بالغيب﴾ خاف الله في الدنيا ﴿فبشره بمغفرة﴾ لذنوبه ﴿وأجر كريم﴾ حسن وهو الجنة قوله ﴿إن نحن نحى الموتى﴾ يعني البعث ﴿ونكتب ما قدموا﴾ من خير أو شر عملوه في حياتهم ﴿وآثارهم﴾ خطاهم بأرجلهم. أخبرنا الشريف إسماعيل بن الحسن بن محمد الطبري، أنا محمد بن الحسين، أنا عبد^(٨) الله بن محمد الشرقي، نا عبد الرحمن بن بشر، أنا الثوري عن سعيد^(٩) بن طريف عن أبي^(١٠) نصره عن أبي سعيد قال شكت بنو سلمة^(١١) إلى رسول الله ﷺ بعد منازلهم من المسجد فأنزل الله تعالى ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ فقال

(١) - معاني القرآن للفراء ٢/٣٧٣.

(٢) - الاسراء: ٢٩.

(٣) - معاني القرآن للفراء ٢/٣٧٣.

(٤) - في هـ: بمواقع.

(٥) - في هـ بالاصداد.

(٦) - معاني القرآن للفراء ٢/٣٧٣.

(٧) - ساقط من هـ.

(٨) - عبد الله بن محمد الشرقي أبو محمد الحافظ ميزان الاعتدال ٢/٢٩٤.

(٩) - سعيد بن طريف الاسكافي الحنظلي الكوفي. ميزان الاعتدال ٢/١٢٢، لسان الميزان ٣/٣٤.

(١٠) أبو نصره: المنذر بن مالك أبو نصره العبدي ات سنة ١٠٨ هـ انظر ميزان الاعتدال ٤/١٨١.

(١١) - بنو سلمة هم بنو سلمة بن علي بن أسد. انظر عجلة المتبديء ص ٧٤.

النبي ﷺ: «عليكم منازلكم فإنما تكتب آثاركم»^(١) أخبرنا أحمد بن الحسن القاضي نا محمد بن يعقوب نا عبد الله بن محمد الشاكر، نا أبو أسامة عن يزيد^(٢) عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ «أن أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم»^(٣) رواه البخاري ومسلم كلاهما عن أبي كريب عن أبي أسامة «وكل شيء» من الأعمال «أحصيناه» بيناه وحفظناه «في إمام مبين» وهو اللوح المحفوظ.

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا مِّنَ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لِنَا إِلَيْكُم مَّرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلَاغَ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾

قوله ﴿واضرب لهم مثلاً﴾ قال مقاتل: صف لهم يا محمد شبيهاً، يعني: لأهل مكة ﴿أصحاب القرية﴾ يعني: أنطاكية ﴿إذ جاءها المرسلون﴾ رسل عيسى وذلك أنه بعث رسولين من الحواريين إلى أنطاكية ليدعوا الناس إلى عبادة الله وهو قوله ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما﴾ قال ابن عباس: ضربوهما وسجنوهما^(٤) ﴿فعززنا بثالث﴾ أي فقوينا وشددنا الرسالة برسول ثالث، وقرىء بالتخفيف^(٥)، قال الفراء: عززنا وعززنا كقولك: شددنا وشددنا بالتخفيف والتثقيب^(٦) ونحو ذلك قال الزجاج ﴿فقالوا﴾ يعني: الرسل لأهل انطاكية ﴿إنا إليكم مرسلون قالوا﴾ لهم ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾ ما لكم علينا من فضل في شيء ﴿وما أنزل الرحمن من شيء﴾ أي لم يرسل رسولاً ﴿إن أنتم إلا تكذبون﴾ ما أنتم إلا كاذبين فيما تزعمون ﴿قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ وإن كذبتونا ﴿وما علينا إلا البلاغ المبين﴾ ما علينا إلا أن نبلغ ونبين لكم فقال القوم للرسول:

قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩﴾

﴿إنا تطيرنا﴾ شاءنا ﴿بكم﴾ وذلك أن المطر حبس عنهم فقالوا أصابنا هذا الشر من قبلكم ﴿لئن لم تنتهوا﴾ لئن لم تسكتوا عنا ﴿لنرجمنكم﴾ لفتنكم كقوله ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾^(٧) فتوعدهم بالقتل والتعذيب وهو قوله ﴿وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائرکم معکم﴾ شؤمکم معکم بكفرکم وتكذيبکم، يعني أصابکم الشؤم من قبلکم ﴿أئن ذكرتم﴾ وعظمت بالله وخوفتم، وهذا استفهام محذوف الجواب تقديره: أئن ذكرتم تطيرتم بنا (بل أنتم قوم مسرفون) مشركون، قوله:

(١) - رواه مسلم في كتاب المساجد باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد ١/ ٤٦٠ بلفظ دياركم تكتب آثاركم.

(٢) - يزيد بن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ت سنة ١٠٤ هـ تهذيب التهذيب ١/ ٤٣٢ والتقريب ٢/ ٣٩٤.

(٣) - رواه مسلم في كتاب المساجد باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد ١/ ٤٦٠ ط الحلبي.

(٤) - ابن جرير الطبري ٢٢/ ١٠١.

(٥) - قرأ عاصم في رواية أبي بكر والمفضل عن عاصم (فعززناه) بالتخفيف وقرأ الباقون وحفص عن عاصم (فعززناه) بالتشديد السبعة ٥٣٩.

(٦) - معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٤.

(٧) - هود: ٩١.

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ
 مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ
 بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنْ لِي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنْ آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ
 فَاسْمِعُونِ ﴿٢٥﴾

﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾ وهو حبيب النجار وكان قد آمن بالرسول عند ورودهم القرية، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة فلما بلغه أن قومه قد كذبوا الرسول وهموا بقتلهم (١) جاءهم و﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يستلکم أجراً﴾ لا يستلونکم أموالکم علی ما جاءکم به من الهدى ﴿وهم مهتدون﴾ یعنی الرسول فلما قال هذا أخذوه فرفعوه إلى الملك فقال له الملك أفأنت تتبعهم فقال ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾ وأي شيء لي إذا لم أعبد خالقي ﴿وإليه ترجعون﴾ تردون عند البعث فيجزیکم ثم أنكروا اتخاذ الأصنام وعبادتها فقال ﴿أأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر﴾ بسوء ومكروه ﴿لا تغن عني﴾ لا ترفع ولا تمنع ﴿شفاعتهم شيئاً﴾ یعنی لا شفاعاة لها فتغني ﴿ولا ينقذون﴾ ولا يخلصوني من ذلك المكروه ﴿إني إذا لفي ضلال مبين﴾ إن أنا فعلت ذلك ﴿إني آمنت بربكم﴾ الذي كفرتم به ﴿فاسمعون﴾ فاسمعوا قولی، فلما قال هذا وثبوا علیه وثبة رجل واحد فقتلوه، قال ابن مسعود وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره فأدخله الله الجنة وهو حي فيها يرزقه (٢) وذلك قوله:

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى
 قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾

﴿قيل ادخل الجنة﴾ فلما دخلها ﴿قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي﴾ يعني أن يعلموا أن الله غفر له ليرغبوا في دين الرسول، والمعنى: بغفران ربي لي، وما مع الفعل بمنزلة المصير ﴿وجعلني من المكرمين﴾ من المدخلين الجنة فلما قتلوه غضب الله لقتلهم إياه غضبة لم تبين من القوم شيئاً وعجل لهم العذاب وهو قوله: ﴿وما أنزلنا على قومه﴾ يعني قوم حبيب ﴿من بعده﴾ من بعد قتله ﴿من جند من السماء﴾ يعني الملائكة أي لم تستنصر (٣) منهم بجند من السماء ﴿وما كنا منزلين﴾ أي وما كنا ننزلهم على الأمم إذا أهلكتهم كالطوفان والصاعقة والريح ثم بين (٤) بما كانت عقوبتهم فقال: ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة﴾ قال المفسرون: أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة فإذا هم ميتون لا يسمع لهم حس كالنار إذا طفئت وهو قوله ﴿فإذا هم خامدون﴾ أي ساكتون قد ماتوا، قوله:

يَنْحَسِرُوا عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ

(١) - تفسير ابن جرير ١٠٣/٢٢.

(٢) - تفسير ابن جرير ١٠٤/٢٢.

(٣) - في هـ تنتصر.

(٤) - في هـ: بايش.

الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾

﴿يا حسرة على العباد﴾ قال مجاهد ومقاتل: يا ندامة عليهم في الآخرة باستهزائهم بالرسول في الدنيا ثم بين سبب الحسرة فقال: ﴿ما يأتيهم من رسول﴾ أي في الدنيا ﴿إلا كانوا به يستهزئون﴾ ثم خوف كفار مكة فقال ﴿ألم يروا كم أهلكتنا قبلهم من القرون﴾ أي ألم يروا أن القرون التي أهلكتناهم ﴿لا يرجعون﴾ إليهم أي لا يعودون إلى الدنيا أفلا تعتبرون بهم ﴿وإن كل لما جميع لدينا محضرون﴾ يعني: أن الأمم يحضرون يوم القيامة فيقفون على ما عملوا^(١) ثم وعظ كفار مكة ليعتبروا فقال:

وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

﴿وآية لهم الأرض الميتة﴾ أي يدلهم على قدرتنا على البعث احياء الأرض بالنبات بعد أن كانت ميتة لا تنبت شيئاً وهو قوله ﴿أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون﴾ يعني: ما يقاتن من الحبوب ﴿وجعلنا فيها﴾ في^(٢) الأرض ﴿جنان من نخيل وأعناب وفجرتنا فيها﴾ في الأرض ﴿من العيون﴾ يعني: عيون الماء ﴿ليأكلوا من ثمره﴾ يعني: من ثمرة النخيل وهو في اللفظ مذكر ﴿وما عملته أيديهم﴾ أي ومن ثمرة ما عملت أيديهم يعني الغروس والحروث التي قاسوا حراثتها ومن قرأ عملته بالهاء جعلها عائدة إلى ما التي هي بمعنى الذي، ومن قرأ بحذف الهاء فلأن هذه الهاء الراجعة إلى الموصول تجيء محذوفة في أكثر القرآن كقوله ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾^(٣) ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾^(٤) وتكون هذه القراءة قراءة عملته^(٥) لأن الهاء مرادة وإن حذف في اللفظ، ويجوز أن يكون ما في وما عملته نفيًا وهو معنى قول الضحاك ومقاتل. قال الضحاك: أي وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها، وقال مقاتل: يقول لم يكن ذلك من صنع أيديهم ولكن من فعلنا وقوله ﴿أفلا يشكرون﴾ أي رب هذه النعم فيوحدونه، ثم نزه نفسه فقال ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها﴾ يعني: اجناس الفواكه والحبوب وأصنافها ﴿مما تنبت الأرض ومن أنفسهم﴾ يعني الذكران والإناث ﴿ومما لا يعلمون﴾ مما خلق الله من جميع الأنواع والأشياء مما لا تقف عليه^(٦) من داوب البر والبحر.

وَأَيُّ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ

(١) - في ه حملوا.

(٢) - في ه: يعني في الأرض.

(٣) - الفرقان: ٤١.

(٤) - النمل: ٥٩.

(٥) - قرأ حمزة والكسائي ورواية عن عاصم (وما عملت أيديهم) بغير هاء وقرأ الباقون بالهاء السبعة ٥٤٠

قراءة (عملته) بالهاء قرأ بها جميع القراء عدا حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم فقد قرءوا (عملت) بدون هاء انظر السبعة ص ٥٤٠

والنشر ٣٥٣/٢.

(٦) - في ه: مما تقف عليه.

الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَارِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آيِلُ سَابِقِ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

﴿وآية لهم﴾ تدل على قدرتنا ﴿الليل نسلخ منه النهار﴾ قال الفراء: نرمي بالنهار على الليل فتأتي بالظلمة^(١) وذلك أن الأصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل أي كشط وأزيل [أي نزع]^(٢) فتظهر الظلمة وهو قوله ﴿فإذا هم مظلومون﴾ داخلون في ظلام الليل، قوله ﴿والشمس تجري﴾ وآية لهم ﴿الشمس تجري لمستقر لها﴾ يعني انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا، وقال ابن قتيبة: إنها تسير حتى تنتهي إلى أبعاد مغاربها ثم ترجع فذلك^(٣) مستقرها لأنها لا تجاوزة^(٤) وعلى هذا القول يكون التقدير لمستقر لسيرتها حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج املأه، نا عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ، أنا أحمد بن^(٥) سلمة، نا اسحاق بن ابراهيم، نا وكيع، نا الأعمش عن إبراهيم^(٦) التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ قال مستقرها تحت العرش^(٧) رواه البخاري عن الحميدي عن وكيع، ورواه مسلم عن أبي سعيد الأشج عن اسحاق، وقوله ﴿ذلك﴾ أي ذلك الذي ذكر من أمر الليل والنهار والشمس والقمر ﴿تقديم العزيز﴾ في ملكه ﴿العليم﴾ بما قدر من أمرها، قوله ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ وهي ثمانية وعشرون منزلاً من أول الشهر فإذا صار إلى آخر منازلها دق وذلك قوله ﴿حتى عاد كالمرجون القديم﴾ ومن قرأ والقمر نصيباً^(٨) فلأن المعنى وقدرنا القمر قدرناه كما تقول: زيداً ضربته، والمرجون عود العذق الذي تركبه الشماريخ وإذا جف وقدم يشبه الهلال ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ أي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ أي هما يتعاقبان بحساب معلوم ولا يجيء أحدهما قبل وقته ﴿وكل﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿في فلك يسبحون﴾ يسرون فيه.

وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُقَدَّرُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾

﴿وآية لهم﴾ وعلامة لأهل مكة على قدرتنا ﴿أنا حملنا ذريتهم﴾ يعني: آباءهم وأجدادهم الذين هؤلاء من نسلهم ﴿في الفلك المشحون﴾ يعني: سفينة نوح لأن من حمل مع نوح كان هؤلاء من نسلهم والذرية تقع على الآباء كما تقع على الأولاد والمشحون المملوء ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ يعني: السفن التي عملت بعد سفينة نوح

(١) - في معاني القرآن: نرمي النهار عنه فتأتي الظلمة ٢٧٨/٢.

(٢) - ساقط من هـ.

(٣) - في هـ: فذلك.

(٤) - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٤٣ تحقيق أحمد صقر.

(٥) - أحمد بن سلمة بن عبد الله أبو الفضل النيسابوري الجرح والتعديل ٥٤/١.

(٦) - إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي الكوفي ت سنة ٩٢ هـ تهذيب التهذيب ١٧٦/١.

(٧) - رواه البخاري في كتاب التفسير سورة يس ١٥٤/٦ ط الشعب.

(٨) - قراءة (والقمر) بالنصب، قرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب وأبو جعفر وعاصم انظر السبعة ص ٥٤٠ والنشر

مثلها على هيئتها وصورتها، والمراد بهذا أن الله تعالى ذكر منته بأن خلق لهم الخشب حتى عملوا مثل سفينة نوح وركبوه للتجارا ثم ذكر أنه بفضله يحفظهم ولو شاء أغرقهم فلم يغتهم أحد ولم ينقذهم من الغرق وهو قوله: ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾ ولا مغيث لهم والصريخ ها هنا بمعنى المصرخ ﴿[ولا هم ينقذون]﴾^(١) يقال: أنقذه واستنقذه إذا خلصه من مكروهه، قال ابن عباس: ولا ينقذهم من عذابي ﴿إلا رحمة منا ومتاعاً إلى حين﴾ أي إلا أن نرحمهم ونمنعهم إلى آجالهم وذلك أن الكافر متعه الله في الدنيا ورزقه فيها فإذا ركب السفينة سلمه حتى يموت بأجله. وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون^(٢) وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين^(٣) وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لؤي شاء الله أطعمه^(٤) إن أنتم إلا في ضلال مبين^(٥)

﴿وإذا قيل لهم هذلاء الكفار اتقوا ما بين أيديكم﴾ من أمر الآخرة فاعملوا لها ﴿وما خلفكم﴾ من أمر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وما فيها من زهرتها ﴿لعلكم ترحمون﴾ لتكونوا على رجاء الرحمة من الله وجواب إذا محذوف على تقدير وإذا قيل لهم هذا أعرضوا يدل على المحذوف قوله ﴿وما تأتيهم من آية﴾ أي عبرة ودلالة تدل على صدق محمد ﷺ ﴿إلا كانوا عنها معرضين وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله﴾ قال مقاتل: إن المؤمنين قالوا لكفار قريش أنفقوا على المساكين ما زعمتم من أموالكم انه لله وهو ما جعلوه من حروثهم وانعامهم لله قالت الكفار ﴿أنطعم﴾ أنرزق ﴿من لو يشاء الله أطعمه﴾ رزقه أي نحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله وهذا خطأ منهم لأن الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضها ليلو الغني بالفقير فيما فرض له في ماله من الزكاة والمؤمن لا يعترض على المشيئة وإنما يوافق الأمر وقوله ﴿إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ هذا من قول الكفار للمؤمنين يقولون لهم إن أنتم في اتباعكم محمداً وترك ديننا إلا في خطأ بين.

ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين^(٦) ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون^(٧) فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون^(٨)

﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ الذي تعدنا به يا محمد من القيامة ﴿إن كنتم صادقين﴾ في ذلك أنت وأصحابك قال الله تعالى ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة﴾ قال ابن عباس: يريد النفخة الأولى يعني أن القيامة تأتيهم بغتة ﴿تأخذهم﴾ الصيحة ﴿وهم يخصمون﴾ أي يختصمون في البيع والشراء ويتكلمون في الأسواق والمجالس أعز ما كانوا متشاغلين في متصرفاتهم وأجود القراءة فتح الخاء مع تشدد الصاد^(٩) لأن الأصل يختصمون فألقيت حركة الحرف المدغم وهو التاء على الساكن الذي قبله وهو الخاء. ومن قرأ بكسر الخاء حركه بالكسر لالتقاء الساكنين^(١٠)، وقرأ أهل المدينة بالجمع بين ساكنين^(١١) قال الزجاج: وهو أفسد الوجوه وأردأها، وقرأ حمزة ساكنة الخاء مخففة الصاد وهو يفعلون [من]^(١٢) الخصومة كأنه قال وهم يتكلمون. والمعنى: تأخذهم وبعضهم يخضم بعضاً، وأراد

(١) - ساقط من هـ.

(٢) - قراءة (يخصمون) بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد، قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو انظر السبعة ص ٥٤٠.

(٣) - قراءة (يخصمون) بفتح الياء وكسر الخاء، قرأ بها عاصم وابن عامر والكسائي انظر السبعة ص ٥٤٠.

(٤) - انظر السبعة ص ٥٤٠ والنشر ٣٥٤/٢ في قراءة الجمع بين الساكنين في (يخصمون) فقد قرأ بها أبو جعفر.

(٥) - انظر السبعة ص ٥٤٠ والنشر ٣٥٤/٢.

أن الكفار الذين تقوم عليهم الساعة تأخذهم الصيحة وهم يختصمون والقوم إذا كانوا على أمر واحد كان الخبر من بعضهم كالخبر عن جميعهم، ثم ذكر أن الساعة إذا أخذتهم بغتة لم يقدرُوا على الارتقاء بشيء فقال: ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ قال مقاتل: عجلوا عن الوصية فماتوا ﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ وإلى منازلهم يرجعون من الأسواق، وهذا إخبار عما يلقون في النفخة الأولى، ثم أخبر عما يلقونه في النفخة الثانية إذا بعثوا بعد الموت فقال:

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تَظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث﴾ يعني القبور ﴿إلى ربهم ينسلون﴾ يخرجون من قبورهم أحياء، يقال: نسل في العد وينسل نسلاناً ﴿قالوا﴾ يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴿قال المفسرون﴾ إنما يقولون هذا لأن الله رفع عنهم العذاب فيما بين النفختين فيردون فلما بعثوا في النفخة الأخيرة وعابنوا القيامة دعوا بالويل فقالت الملائكة: ﴿هذا ما وعد الرحمن﴾ على السنة الرسل أنه يبعثكم بعد الموت ﴿وصدق المرسلون﴾ في وعد البعث، وقال قتادة: أول الآية للكافرين وآخرها للمسلمين، قال الكافرون ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ وقال المسلم ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ ثم ذكر النفخة الثانية فقال ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ يقول الله تعالى ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ ثم ذكر أوليائه فقال:

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾

﴿إن أصحاب الجنة اليوم﴾ يعني في الآخرة ﴿في شغل﴾ وقرئ شغل^(١) وهما لغتان، قال مقاتل: شغلوا باقتضاض العذارى من أهل النار فلا يذكر عنهم ولا يهتمون لهم، وهذا قول جماعة المفسرين^(٢) وقال الحسن شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب ﴿فاكهون﴾ ناعمون معجبون بما هم فيه، قال أبو زيد: الفكه الطيب النفس الضحوك يقال رجل فكه وفاكه ولم يسمع لهذا أفعال في الثلاثي ﴿هم وأزواجهم﴾ يعني حلائلهم ﴿في ظلال﴾ قال مقاتل في أركان القصور، وقرئ في ظلل^(٣) وهي جمع ظلة ﴿على الأرائك﴾ وهي السرر عليها الحجال قال أحمد بن يحيى: الأريكة لا تكون إلا سريراً في قبة عليه سواره ومتاعه ﴿لهم فيها﴾ في الجنة ﴿فاكهة وهم ما يدعون﴾ يتمنون ويشتهون قال الزجاج: وهو مأخوذ من الدعاء والمعنى: كل ما يدعوهم أهل الجنة يأتيهم ثم بين ما يشتهون فقال: ﴿سلام قولاً﴾ وهو بدل من ما المعنى [لهم]^(٤) ما يتمنون سلام^(٥) ومن أهل الجنة أن يسلم الله عليهم وقولاً منصوب على معنى لهم سلام يقوله

(١) - قراءة (في شغل) بضم فسكون، قرأ بها: ابن كثير ونافع وأبو عمرو، أما قراءة (في شغل) فقد قرأها بقية القراء انظر السبعة ص ٥١ والنشر ٣٥٤/٢.

(٢) - انظر: تفسير ابن جرير ١٨/٢٢.

(٣) - قراءة في (ظلل) بضم الظاء من غير ألف، قرأ بها: حمزة والكسائي وخلف انظر السبعة ص ٥٤١ والنشر ٣٥٥/٢.

(٤) - ساقط من هـ.

(٥) - فيما عدا هـ وتمنى.

الله قولاً. أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم، أنا عبد^(١) الخالق بن علي حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى اللخمي، نا الحسن^(٢) بن أبي علي الزعفراني، نا ابن^(٣) أبي الشوارب، نا أبو عاصم، نا الفضل الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سبط لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قول الله تعالى ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ فينظر الله إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم»^(٤) وقال ابن عباس: يرسل الرحيم إليهم بالسلام، وقال مقاتل: إن الملائكة تدخل على أهل الجنة من كل باب يقولون: سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم.

وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَئِءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾

قوله: ﴿وامتازوا اليوم﴾ يقال مزت الشيء من شيء إذا عزلته وتحيته فامتاز، قال: مقاتل اعتزلوا اليوم يعني في الآخرة من الصالحين وقال السدي: كونوا على حدة، قال الزجاج: انفردوا عن المؤمنين ﴿ألم أعهد إليكم﴾ ألم أمركم وأوص إليكم، وقال الزجاج: ألم اتقدم إليكم على لسان الرسل يا بني آدم قال مقاتل: يعني الذين أمروا بالاعتزال ﴿ألا تعبدوا الشيطان﴾ لا تطيعوا ابليس في الشرك ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ ظاهر العداوة أخرج أبيكم من الجنة ﴿وأن اعبدوني﴾ أطعوني ووجدوني ﴿هذا صراط مستقيم﴾ يعني دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، ثم ذكر عداوته لبني آدم فقال ﴿ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً﴾ يعني خلقاً كثيراً وفيه لغات جُبُلًا وجُبُلًا وجِبِلًّا وهذه الأوجه قرئ بها^(٥) ومعناها الخلق والجماعة ﴿أفلم تكونوا تعقلون﴾ ما رأيتم من الأمم قبلكم إذ أطاعوا ابليس وعصوا الرسول فأهلكوا ويقال لهم لما دنوا من النار:

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنْتَ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾

(١) - عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن أبو القاسم المؤذن ت سنة ٤٠٥ هـ انظر تاريخ الإسلام.

(٢) - الحسن بن أبي علي الفضل بن السمع أبو علي الزعفراني. تاريخ بغداد ٤٠٢/٧ ص ٧٣.

(٣) - ساقط من هـ.

(٤) - رواه ابن ماجه في المقدمة باب فيما انكرت الجهمية حديث ١٨٤ : ٦٥/١، وقال عنه الهيثمي:

رواه البزار وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي وهو ضعيف. مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة يس ٩٨/٧.

(٥) - قراءة: (جبلا) بضم الجيم والباء مخففة اللام، قرأ بها: ابن كثير وحزمة والكسائي وخلف ورويس أما قراءة جبلا بضم الجيم وتسكين

الباء وتخفيف اللام قرأ بها أبو عمرو وابن عامر. وقرأ بها نافع وعاصم ويعقوب وأبو جعفر. انظر السبعة ص ٥٤٢ والنشر ٣٥٥/٢

وقرأ نافع وعاصم (جبلاً) بكسر الجيم والباء مشددة اللام السبعة: ٥٤٢.

﴿هذه جهنم التي كنتم توعدون﴾ بها في الدنيا ﴿اصلوها﴾ قاسوا حرها ﴿اليوم﴾ يعني: يوم القيامة ﴿بما كنتم تكفرون﴾ بكفركم بها في الدنيا ﴿اليوم نختم﴾ الآية قال المفسرون: إنهم يتكفرون الشرك وتكذيب الرسل وقالوا ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ فحتم الله على أفواههم وتكلمت جوارحهم بإذن الله لها في الكلام فشهدت عليهم بما عملوا قوله: ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ أذهبنا أعينهم وجعلناها بحيث لا يبدو لها شق ولا جفن يهددهم الله بهذا كقوله: ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾^(١) يقول: كما أعمينا قلوبهم لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة ﴿فاستبقوا الصراط﴾ فتبادروا إلى الطريق ﴿فأني يبصرون﴾ فكيف يبصرون وقد أعمينا أبصارهم^(٢) ﴿ولو نشاء لمسحناهم على مكاتهم﴾ على مكانهم الذي هم فيه قعود يقول: لو شئت لمسحنتهم حجارة في منازلهم ليس فيهم أرواح ﴿فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون﴾ لا يقدرّون على ذهاب ولا مجيء.

وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيُحِقِّ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق﴾ بالتشديد^(٣) والتخفيف يقال نكسته وأنكسته ونكسته وأنكسته وذكرنا معنى النكس في قوله ﴿ثم نكسوا على رؤوسهم﴾^(٤) قال الزجاج: من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار يدل القوة الضعف ويدل الشباب الهرم ﴿أفلا يعقلون﴾ أليس لهم عقل فيعتبروا فيعلموا أن الذي قدر على هذا من تصريف أحوال الإنسان قادر على البعث بعد الموت ومن قرأ بالتاء^(٥) فهو مخاطبة للكفار، قوله: ﴿وما علمناه الشعر﴾ قال الكلبي: إن كفار مكة قالوا: إن القرآن شعر وإن محمداً شاعر فقال الله تكذيباً لهم: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ الشعر أي ما يستهل له ذلك وما يترن له بيت شعر حتى إذا مثله له بيت شعر جرى على لسانه منكراً، أخبرني أبو نعيم^(٦) أحمد بن عبد الله بن إسحاق إجازة، نا أبو محمد الحسن بن محمد بن كيسان، نا إسماعيل القاضي، نا سليمان بن حرب، نا هاد بن سلمة عن علي بن زيد^(٧) أن رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت (كفى الإسلام والشيب للمرء ناهياً) فقال أبو بكر يا رسول الله إنما قال الشاعر: (كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً)^(٨) أشهد أنك رسول الله ما علمك الشعر وما ينبغي لك^(٩)، وقالت عائشة: كان رسول الله يتمثل ببيت أخي بني قيس^(١٠):

(١) - البقرة: ٢٠.

(٢) - في هـ: اعينهم.

(٣) - قراءة (نكسه) بالتشديد قرأ بها: حمزة ورواية عن عاصم، أما قراءة (نكسه) بالتخفيف فقد قرأ بها باقي القراء رواية عن عاصم انظر السبعة ص ٥٩٣ والنشر ٣٥٥/٢.

(٤) - الانبياء: ٦٥.

(٥) - قراءة (تعقلون) بناء الخطاب، قرأ بها: نافع وأبو جعفر ويعقوب ورواية عن ابن عامر انظر السبعة ص ٥٩٣ والنشر ٢٥٦/٢.

(٦) - أبو نعيم: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني ولد سنة ٣٣٦ وتوفي سنة ٤٣٠ هـ انظر: البداية والنهاية ٤٥/١٢، تذكرة الحفاظ ١٠٩٢/٣، طبقات الحفاظ ص ٤٢٣.

(٧) - علي بن زيد بن زهير بن عبد الله المعروف بعلي بن زيد بن جدعان ينسب إلى جدته سنة ١٣١ هـ قال عنه ابن حجر في التقريب ضعيف من الطبقة الرابعة ٣٢٢/٧ وقال عنه ابن أبي حاتم في كتابه المجروحين ترك الاحتجاج به «المجروحين ١٠٣/٢».

(٨) - البيت لسحيم عبد بني الحسحاس وهو في ديوانه ص ١٦ بتحقيق عبد العزيز الميمني وصدرة «عميرة ودع إن تجهزت غازياً» البيهقي والتبيين للجاحظ: ٧١/١، والكامل للمبرد ٢٨٥ وفي ديوانه (١٦) والخزانة ٢٧٣/١، شرح شواهد المغني ٣٢٥/١.

(٩) - رواه الطبري في تفسيره: ١٩/٢٣ وابن سعد في طبقاته: ٣٨٢/١ ومن سند هذا الاثر نرى انه اثر ضعيف وذلك لضعف علي بن زيد.

(١٠) - وأخو بني قيس طرفة بن العبد له ترجمة واقية في كتاب شرح المعلقات السبع للزوزني والبيت في معلقة طرفة ص ٧٢.

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالأخبار، فيقول أبو بكر ليس هكذا يا رسول الله فيقول: إني لست بشاعر ولا ينبغي لي^(١) وقوله: ﴿إِنْ هُوَ﴾ قال مقاتل: ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿وَقُرْآنٌ مِّبِينٌ﴾ فيه الفرائض والحدود والأحكام ﴿لِيُنذِرَ﴾ أي القرآن ومن قرأ بالثناء^(٢) لتنذر يا محمد بما في القرآن ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ يعني مؤمناً حي القلب لأن الكافر كالميت في أنه لا يتدبر ولا يتفكر ﴿وَيُحَقِّقُ الْقَوْلَ﴾ وتجب الحجة بالقرآن ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ثم ذكرهم قدرته فقال:

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُمْ فِيهَا مَنَّعٌ وَمَشَارِبٌ أَفْلا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا﴾ مما تولينا خلقه بابداعنا وانشائنا لم نشارك في خلقه ولم نخلقه باعانة معين وذكر الأيدي ها هنا يدل على انفراده بما خلق والواحد منا إذا قال عملت هذا بيدي دل ذلك على انفراده بعمله وإنما تخاطب العرب بما يستعملون من مخاطباتهم وقوله ﴿أنعاماً﴾ يريد: الإبل والبقر والغنم ﴿فهم لها مالكون﴾ ضابطون قاهرون، أي لم نخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها بل هي مسخرة لهم وهو قوله ﴿وذللناها لهم فمنها ركوبهم﴾ ما يركبون يعني: الإبل، وقال مقاتل: يعني حملتهم الإبل والبقر ﴿ومنها يأكلون﴾ يعني: الغنم ﴿ولهم فيها منافع﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار والنسل ﴿ومشارب﴾ من ألبانها ﴿أفلا يشكرون﴾ رب هذه النعم فيوحدونه ثم ذكر جهلهم وغرتهم فقال:

وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نصرهم وهم لهم جند محضرون ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ ﴿٧٦﴾ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون﴾ يمنعون من العذاب ﴿لا يستطيعون نصرهم﴾ قال ابن عباس: لا تقدر الأصنام على نصرتهم، وقال مقاتل: لا تقدر آلهة أن تمنعهم من العذاب ﴿وهم لهم جند محضرون﴾ يعني الكفار جند الأصنام يغضبون لهم ويحضرونهم في الدنيا قال قتادة: يغضبون للآلهة في الدنيا وهي لا تسوق إليهم خيراً ولا تدفع عنهم شراً، وقال الزجاج: ينتصرون للأصنام وهي لا تستطيع نصرهم، ثم عزى نبيه فقال ﴿فلا يحزنك قولهم﴾ يعني قول كفار مكة في تكذيبك ﴿إنا نعلم ما يسرون﴾ في ضمائرهم من تكذيبك ﴿وما يعلنون﴾ بألسنتهم والمعنى: إنا نثيبك ونجازيمهم قوله ﴿أولم ير الإنسان﴾ يعني أبي بن خلف خصم النبي ﷺ في انكار البعث وأتاه بعظم قد بلي ففتته بيده وقال: أيجبي الله هذا بعدما رم فأنزل الله:

أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ إِذَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ

(١) - رواه الترمذي في أبواب الأدب ما جاء في إنشاء الشعر حديث ٣٠٠٦٠ وابن حنبل في المسند: ٣١/٦، ١٤٦، وقال الهيثمي: رواه

البرز والطبراني في أثناء حديث ورجالها رجال الصحيح. مجمع الزوائد: كتاب الأدب باب جواز الشعر: ١٢٨/٨.

(٢) - قراءة (لتنذر) بالثناء قرأ بها نافع وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب انظر: السبعة ص ٥٤٤ والنشر ٣٥٥/٢.

يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾

﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾^(١) يعني ألا يرى أنه مخلوق من نطفة ثم هو يخاصم وهذا تعجب من جهله وانكار عليه خصومته أي كيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى يدع خصومته، ثم أكد الإنكار عليه بقوله ﴿وضرب لنا مثلاً﴾ يعني: أنه ضرب المثل في إنكار البعث بالعظم البالي يفته بيده ويتعجب ممن يقول إن الله يحيي ونسي خلقه﴾ قال مقاتل: وترك النظر في خلق نفسه إذ خلق من نطفة ثم بين ذلك المثل بقوله ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ قاس قدرة الله بقدرة الخلق فأنكر إحياء العظم البالي لما لم يكن ذلك في مقدور الخلق يقال رم العظم يرم رمًا إذا بلي وهو رميم والعظام رميم ولا يقال بالهاء لأنه مصروف إلى فعيل قال الله تعالى ﴿قل يحييها الذي أنشأها﴾ ابتدأها وخلقها ﴿أول مرة وهو بكل خلق﴾ من الابتداء والإعادة ﴿عليم﴾ ثم زاد في البيان وأخبر عن عجب صنع فقال ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾ يعني ما جعل من النار في المرخ والقفار وهما شجرتان تتخذ الأعراب زودها منها وهو قوله ﴿فإذا أنتم منه توقدون﴾ تقدحون النار وتوقدون منها من ذلك الشجر، ثم ذكر ما هو أعظم خلقاً من الإنسان فقال:

أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض﴾ في عظمها وكثرة أجزائها يقدر على إعادة خلق البشر ثم أجاب هذا الاستفهام بقوله ﴿بلى﴾ أي هو قادر على ذلك ﴿وهو الخلاق﴾ يخلق خلقاً بعد خلق ﴿العليم﴾ بجميع ما خلق، ثم ذكر قدرته على إيجاد الشيء فقال: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾^(٢) وقد تقدم تفسيرها ثم نزه نفسه من أن يوصف بغير القدرة فقال ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾ أي ملك كل شيء والقدرة على كل شيء ﴿وإليه ترجعون﴾ تردون بعد الموت.

(١) - رواه ابن مردويه والبيهقي في البعث وابن أبي حاتم الدر المنثور ٧/٧٥ وابن جرير في تفسيره ٢٣/٢١.

(٢) - النحل: ٤٠.

سورة الصافات

مكية وآياتها اثنتان وثمانون ومائة

أخبرنا أبو عثمان بن أبي بكر الحيري، أنا أبو عمرو بن أبي الفضل المؤذن، أبو اسحاق الأسدي، نا عبد الله اليربوعي، نا المدائني، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن قرأ سورة الصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت منه مردة الشياطين وبريء من الشرك وشهد له حافظه يوم القيامة أنه كان مؤمناً بالمرسلين^(١)».

وَالصَّفَاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّلِيَّتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝٥

(بسم الله الرحمن الرحيم).

﴿والصافات صفا﴾ هذا قسم أقسم الله بالملائكة التي تصف أنفسها في السماء كصفوف الخلق في الدنيا، قال ابن عباس: يريد الملائكة صفوفاً صفوفاً لا يعرف كل ملك منهم من إلى جانبه لم يلتفت منذ خلقه الله عز وجل ﴿فالزجاجات زجراً﴾ يعني الملائكة الذين وكلوا بالسحاب يزجرونه في سوقه وتأليفه، وقال قتادة: يعني زواجر القرآن وهي كل ما ينهى ويزجر عن القبيح^(٢) ﴿فالتاليات ذكراً﴾ فالتاليات يتلون ذكر الله، وقال الكلبي: هم قراء الكتاب ﴿إن الهكم لواحد﴾ جواب القسم أقسم الله تعالى بهذه الأقسام أنه واحد ليس له شريك ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ من شيء ﴿ورب المشارق﴾ مطالع الشمس.

إِنَّا زِينَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بَرِيَّةَ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْأَعْلَىٰ وَإِن يَفْقَهُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠

﴿إننا زينا السماء الدنيا بريئة الكواكب﴾ يعني التي تلي الأرض فهي أدنى السموات إلى الأرض ﴿ببريئة الكواكب﴾ بحسنها وضوئها، وقرأ حمزة بزينة منونة وخفض الكواكب^(٣)، قال الزجاج: الكواكب بدل من الزينة لأنها هي كما تقول: مررت بأبي عبد الله زيد، وقرأ عاصم بالتنوين ونصب^(٤) الكواكب أعمل الزينة وهي مصدر في الكواكب والمعنى بأننا زينا الكواكب فيها حين ألفتها في منازلها وجعلناها ذات نور ﴿وحفظاً﴾

(١) - لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج. تفسير ابن جرير ٢٣/٢٣.

(٢) - انظر: تفسير ابن جرير ٢٣/٢٣.

(٣) - انظر: السبعة ص (٥٤٦) والنشر ٣٥٦/٢.

(٤) - السبعة: ص ٥٤٦ والنشر ٣٥٦/٢.

للسماء بالكواكب ﴿من كل شيطان مارء﴾ متمرد يرمون بها فلا تخطئهم قوله ﴿لا يسمعون إلى المسلا الأعلى﴾ قال الكلبي: لكي لا يسمعوا إلى الكتية من الملائكة، والمسلا الأعلى هم الملائكة لأنهم في السماء، وقرىء يسمعون بالتشديد^(١) وأصله: يسمعون فأدغم التاء في السين ﴿ويقذفون من كل جانب﴾ ويرمون من كل ناحية بالشهب ﴿دحوراً﴾ يقال دحره دحراً ودحوراً إذا طرده وابعده والمعنى: يدحرون دحوراً فيعدون عن تلك المجالس التي يسترقون فيها السمع ﴿ولهم عذاب واصب﴾ قال مقاتل: يعني دائماً إلى النفخة الأولى فهم يخرجون ويكبلون ﴿إلا من خطف الخطفة﴾ اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة ﴿فأتبعه﴾ لحقه وأصابه ﴿شهاب ثاقب﴾ نار مهيبته تحرقه، والثاقب: النير المضيء كقوله ﴿إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾^(٢).

فَأَسْتَفِينَهُمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أءَأَذَا مُنَّا وَكُنَّا نُزَابًا وَعِظْمًا أءَأَذَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوءَأَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَم وَأَنْتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَتَمَّ هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾

قوله ﴿فاستفتهم﴾ قال الزجاج: سلهم سؤال تقرير عن ﴿أهم أشد خلقاً﴾ أحكم صنعة ﴿أم من خلقنا﴾ قبلهم من الأمم السالفة يريد أنهم ليسوا بأحكم خلقاً من غيرهم من الأمم وقد أهلكتهم بالتكذيب فما الذي يؤمنهم من العذاب، ثم ذكر خلق الإنسان فقال: ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ لاصق جيد، يقال لزب يلزب لزوباً إذا لصق، والمعنى: أن هؤلاء الكفار خلقوا مما خلق منه الأولون فليسوا بأشد خلقاً منهم، وهذا اخبار عن التسوية بينهم وبين غيرهم من الأمم في المخلق.

قوله ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ بل معناه: ترك الكلام الأول والأخذ في الكلام الآخر^(٣) كأنه قال: دع يا محمد ما مضى عجب من كفار مكة حين أوحى إليك القرآن ولم يؤمنوا به وهو قوله ﴿ويسخرون﴾ لأن سخريتهم بالقرآن وبه من ترك الإيمان، قال قتادة: عجب نبي الله من هذا القرآن حين انزل عليه وخلال بني آدم، وذلك أن النبي ﷺ كان يظن أن كل من يسمع منه القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن فسخروا منه وتركوا الإيمان به عجب من ذلك - ﷺ - فقال الله: عجبت يا محمد من نزول الوحي عليك وتركهم الإيمان وقرأ ابن مسعود بضم التاء^(٤) أخبرناه أبو بكر محمد بن عمر الخشاب، أنا إبراهيم^(٥) بن عبد الله الأصفهاني، أنا محمد بن إسحاق السراج، نا قتيبه^(٦)، نا جرير، عن الأعمش عن أبي وائل قال: قرأ عبد الله: بل عجب، فقال شريح: إن الله لا يعجب إنما يعجب من لا يعلم قال الأعمش: فذكرته لإبراهيم فقال: إن شريحاً كان معجباً برأية إن عبد الله قرأ: بل عجبت ويسخرون وعبد الله أعلم من

(١) - قراءة (يسمعون) بالتشديد، قرأ بها: حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم. انظر السبعة ص ٥٤٧ والنشر ٣٥٦/٢.

(٢) - الحجر: ١٨.

(٣) - في هـ: كلام آخر.

(٤) - قراءة ابن مسعود هي قراءة حمزة والكسائي (بل عجبت) بضم التاء أما باقي القراء فقراءتهم بفتح التاء. السبعة (ص ٥٤٧) والنشر

٣٥٦/٢.

(٥) - إبراهيم بن عبد الله بن حاتم العمري أبو إسحاق الأصفهاني ن ٢٢٤ هـ طبقات الحفاظ (٢٠٩).

(٦) - قتيبة بن سعيد بن جميل بن ظريف البلخي ت ٢٤٠ هـ. تذكرة الحفاظ ٤٤٦/٢١.

شريح، وإضافة العجب إلى الله تعالى ورد به الخبر كقوله - ﷺ: «عجب ربكم من شاب ليست له صبوة»^(١) و «عجب ربكم من إلكم»^(٢) وقنوطكم» و «عجب الله البارحة من فلان وفلانة»^(٣) ويكون ذلك على وجهين عجب مما يرضى، ومعناه: الاستحسان والخبر عن تمام الرضا وعجب مما يكره ومعناه: الإنكار والذم له، وتأويل الآية أن الله تعالى ذكر الكفار وما هم فيه من الكفر والتكذيب وسخطه عليهم وهم يسخرون ويستهزؤون ولا يتفكرون، قوله ﴿وَإِذَا ذَكَرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ أي إذا عظوا بالقرآن لا يتعظون به ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ قال ابن عباس ومقاتل يعني: انشقاق القمر^(٤) ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يسخرون ويستهزئون ويقولون: هذا عمل السحرة وهو قوله: ﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ جعلوا ما يدل على التوحيد مما يعجزون عنه سحراً، ثم ذكر انكارهم البعث بقوله ﴿أِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ وقد مضت في مواضع، وقوله: ﴿أَوْ أَبَاؤُنَا الْأُولُونَ﴾ ألف الاستفهام دخلت على حرف العطف كقوله: ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلَ الْقُرَى﴾^(٥) قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَهُمْ ﴿نَعَمْ﴾ يَبْعَثُونَ ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ صاغرون، والدخور: أشد الصغار، ثم ذكر أن بعثهم يقع بزجرة واحدة فقال ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ أي فإنما قضية البعث صحيحة واحدة من إسرافيل يعني: نفخة البعث ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إلى البعث الذي كذبوا به فلما عاينوا البعث ذكروا قول الرسل في الدنيا إن البعث حق فدعوا بالويل.

وَقَالُوا يَا بُولَئِنَّا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ۚ هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقَفَّوهُمْ إِيَّاهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾

﴿وقالوا: يا ويلنا﴾ من العذاب ﴿هذا يوم الدين﴾ الحساب الجزاء نجازى فيه ما عملنا، فقالت الملائكة ﴿هذا يوم الفصل﴾ يوم القضاء ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾ يفصل فيه بين المحسن والمسيء، ويقال في ذلك اليوم ﴿احشروا الذين ظلموا﴾ اجمعوهم من حيث بعثوا إلى الموقف والحساب والمراد بالذين ظلموا الذين أشركوا من بني آدم، وقوله ﴿وأزواجهم﴾ قال الحسن: يعني: المشركات كأنه قال: احشروا المشركين والمشركات، وقال جماعة المفسرين: أشباههم وأمثالهم وأتباعهم ونظراءهم وضرباءهم وعلى هذا القول يحمل الذين ظلموا على القادة والرؤساء وأزواجهم^(٦) أتباعهم ﴿وما كانوا يعبدون من دون الله﴾ يعني: الأوثان والطواغيت، وقال مقاتل: يعني: إبليس وجنده واحتج بقوله ﴿ألا يعبدوا الشيطان﴾^(٧) ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ دلوهم عليها أي اذهبوا بهم إلى الجحيم،

(١) - قال الهشبي في مجمع الزوائد: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وإسناده حسن. مجمع الزوائد كتاب الزهد. باب فيمن لا صبوة له ٢٧٠/١٠.

(٢) - ال: الحلف والأيمان ولقد روى ابن ماجه هذا الخبر بلفظ: «ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره». ابن ماجه. المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية.

(٣) - الحديث بطوله في صحيح البخاري كتاب المناقب. باب مناقب الانصار ٤٣/٥ ط الشعب.

(٤) - يقصد على عهد رسول الله ﷺ: انشق قمر فلققتين حتى رأوا حراء بينهما روى ذلك البخاري في كتاب التفسير سورة اقترت الساعة ١٧٨/٦ ط الشعب.

(٥) - الاعراف: ٩٨.

(٦) - ساقط من هـ.

(٧) - سورة يس: ٦٠.

قوله: ﴿وقفوههم﴾ قال المفسرون: لما سيقوا إلى النار حسبوا عند الصراط لأن السؤال عند الصراط فليل وقفوههم ﴿إنهم مسئولون﴾ قال ابن عباس: عن أعمالهم في الدنيا وأقوابيلهم، وقال مقاتل سألتهم خزنة جهنم ﴿ألم يأتكم نذير﴾^(١) ﴿ألم يأتكم رسل منكم﴾^(٢) ويجوز أن يكون هذا السؤال ما ذكر بعد وهو قوله: ﴿ما لكم لا تتصرون﴾ أي أنهم يستلون توبيحاً لهم فيقال: ما لكم لا تتصرون لا ينصرون بعضكم بعضاً كما كنتم في الدنيا وذلك أن أبا جهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر^(٣) فليل لهم ذلك ما لكم غير متناصرين قال الله تعالى: ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ يقال استسلم للشيء إذا انقاد له وخضع، والمعنى: هم اليوم أذلاء منقادون لا حيلة لهم.

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذٰئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَبْنَاكُمْ أَنَا كٰفًا غٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتٰرِكُونَ ءَالِهَتِنَا لِشٰعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾

﴿وأقبل بعضهم على بعض﴾ يعني: الرؤساء والأتباع ﴿يتساءلون﴾ توبيخ وتأنيب يقول الأتباع للرؤساء: لم غررتمونا؟ ويقولون لهم: لم قبلتم منا؟ وهو قوله ﴿إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ أي من قبل الحق والدين والطاعة فتضلوننا عنها، قال الزجاج: كنتم تأتوننا من قبل الدين فترونا ان الدين الحق ما تضلوننا به واليمين عبارة عن الحق وهذا كقوله إخباراً عن إبليس ﴿ثم لأتنيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم﴾^(٤) فمن أتاه الشيطان من جهة اليمين فقد أتاه من قبل الدين فليس عليه الحق.

وقال بعض أهل المعاني: [إن الرؤساء]^(٥) كانوا قد جعلوا لهؤلاء أن ما بدعوتهم إليه هو الحق فوقوا بأيمانهم فمعنى قوله تأتوننا عن اليمين أي من ناحية الأيمان التي كنتم تحلفونها فتفتنون بها، والمفسرون على القول الأول فقال لهم الرؤساء ﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾ لم تكونوا على الحق فضلكم عنه أي إنما الكفر من قبلكم ﴿وما كان لنا عليكم من سلطان﴾ من قدرة وقوة فتفهمكم ونكرهمكم على متابعتنا ﴿بل كنتم قوماً طاغين﴾ ضالين ﴿فحق علينا﴾ فوجب علينا جميعاً ﴿قول ربنا﴾ يعني كلمة العذاب وهو قوله ﴿لأملأن جهنم...﴾^(٦) الآية ﴿إننا لذائقون﴾ العذاب الأليم، قال الزجاج: أي إن المضل والضال في النار ﴿فأعوبناكم﴾ أضللناكم عن الهدى ودعوناكم إلى ما كنا عليه وهو قوله ﴿إننا كنا غاوين﴾ يقول الله ﴿فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون﴾ الرؤساء والذين أطاعوهم ﴿إننا كذلك نعمل بالمجرمين﴾ قال ابن عباس: الذين جعلوا لله شركاء ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾ يتكبرون عن الهدى وتوحيد

(١) - سورة الملك: ٨.

(٢) - الزمر: ٧١.

(٣) روى ذلك ابن جرير في تفسيره على أنه قول لكفار مكة يوم بدر انظر تفسير ابن جرير ٢٧/٦٥.

(٤) - الاعراف: ١٧.

(٥) - ساقط من هـ.

(٦) - ص: ٨٥.

الله ﴿ويقولون أئنا لتاركوا آلہتنا﴾ أترك عبادتها ﴿لشاعر مجنون﴾ يعنون النبي ﷺ فرد الله عليهم بقوله ﴿بل﴾ أي ليس الامر [ما] ^(١) على ما قالوه ﴿جاء﴾ محمد ﴿بالحق﴾ ^(٢) بالقرآن والتوحيد ﴿وصدق المرسلين﴾ ^(٣) الذين كانوا قبله أي إنما ^(٤) أتى بما أتى به من قبله من الرسل.

إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكُهُمْ وَهُمْ يَكْرُمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّتِ التَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

﴿إنكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون﴾ في الآخرة ﴿إلا ما كنتم تعملون﴾ في الدنيا من الشرك ثم استثنى المؤمنين فقال: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ يعني: الموحدين ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ على مقدار غدوة وعشية، قال قتادة: الرزق المعلوم الجنة، وقال غيره هو ما ذكره في قوله ﴿فواكه﴾ وهي جمع الفاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها ﴿وهم مكرمون﴾ بثواب الله ﴿على سرر﴾ جمع سرير ﴿متقابلين﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض ﴿ويطاف عليهم بكأس﴾ وهي الإناء بما فيه ﴿من معين﴾ من خمر ظاهر تراه العيون في الأنهار ﴿بيضاء﴾ قال الحسن: خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن ﴿لذذة﴾ لذبة يقال شراب لذ ولذيد.

﴿للشاربين﴾ الذين يشربونها ﴿لا فيها غول﴾ لا تغتال عقولهم فتذهب بها ولا يصيبهم منها وجع في البطن ولا في الرأس ويقال للوجع غول لأنه يؤدي إلى الهلاك ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ لا يسكرون يقال: نزف الرجل فهو منزوف ونزيف إذا سكر ومن كسر الزاي ^(٥) فقال الزجاج ^(٦): له معنيان يقال: أنزف الرجل إذا فئت خمره وأنزف إذا ذهب عقله من السكر فتحمل هذه القراءة على معنى لا ينفد شرابهم لزيادة الفائدة ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ أي نساء قصرن طرفهن على أزواجهن فلا تردن غيرهم والقصر: معناه الحبس ﴿عين﴾ حسان الأعين ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ مصون مستور، قال الحسن وابن زيد: شبهن ببيض النعام تكنها بالريش من الريح والغبار فلونها أبيض في صفرة وهذا أحسن ألوان النساء وهو أن تكون المرأة بيضاء مشربة بصفرة، قال المبرد: والعرب تشبه المرأة الناعمة في بياضها وحسن لونها ببيضة النعامة.

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِهْنَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتْ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَوَلَّى نِعْمَةً رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ

(١ - ٢) - ساقط من هـ.

(٣) - في هـ: المرسلون.

(٤) - فيما عدا هـ: إنه.

(٥) - قراءة (ينزفون) بكسر الزاي، قرأ بها: همزة والكسائي وخلف. انظر السبعة ص ٥٤٧ والنشر ٣٥٧/٢.

(٦) - في هـ: الفراء.

وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿١٢﴾

﴿فأقبل بعضهم على بعض﴾ يعني : أهل الجنة ﴿يتساءلون﴾ يسأل هذا ذاك وذاك هذا عن أحوالهم كانت في الدنيا [يدل] ^(١١) على هذا ما ذكر الله عن بعضهم أنه أخبر عن حال قرينه معه كيف كانت في الدنيا وهو قوله ﴿قال قائل منهم﴾ يعني : من أهل الجنة ﴿إني كان لي قرين﴾ يعني : أخأله في الدنيا كان ينكر البعث [وهو قوله] ^(١٢) ﴿يقول﴾ أي يقول لي ﴿أنتك لمن المصدقين﴾ بالبعث ﴿أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً﴾ إنا لمدينون ﴿مجزيون ومحاسبون﴾ وهذا استفهام إنكار ثم ﴿قال﴾ المؤمن لاخوانه في الجنة ﴿هل أنتم مطلعون﴾ إلى الناس لتنظر كيف منزلة أخي فقال أهل الجنة : إنك أعرف به منا فاطلع أنت فطلع فرأى أخاه ﴿في سواء الجحيم﴾ في وسطها قال الزجاج : وسواء كل شيء وسطه و﴿قال﴾ له ﴿تالله إن كدت لتردين﴾ قال مقاتل : والله لقد كدت أن تغويني فأنزل منزلتك . والأرداء الإهلاك ومن أغوى إنساناً فقد أهلكه ﴿ولولا نعمة ربي﴾ لولا إنعامه علي بالإسلام ﴿لكنت من المحضرين﴾ معك في النار . قال الكلبي ثم يؤتى بالموت فيذبح فإذا أمن أهل الجنة الموت فرحوا وقالوا : ﴿أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى﴾ التي كانت في الدنيا ﴿وما نحن بمعذبين﴾ فليل لهم لا فعند ذلك قالوا ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ قال الله تعالى : ﴿لمثل هذا النعيم يعني ما ذكره من قوله ﴿لهم رزق معلوم﴾ إلى قوله ﴿بيض مكنون﴾ ﴿فليعمل العاملون﴾ وهذا ترغيب في طلب ثواب الله بطاعته .

أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ ﴿١٣﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿١٥﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿١٦﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ لِآلِ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَاءُ هُمْ صَالِينَ ﴿٢٠﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٢١﴾

قوله : ﴿أذلك﴾ الذي ذكره ﴿خير نزلاً﴾ قال الزجاج : أذلك خير في باب الأنزال التي يتقوت ^(١٣) بها أم نزل أهل النار وهو قوله ﴿أم شجرة الزقوم﴾ وهو ما يكره تناوله والذي أراد الله هوشية مكرهه يكره تناوله ، وأهل النار يكرهون على تناوله فهم يتزقمون على أشد كراهة ، قال قتادة : لما ذكر الله هذه الشجرة بها الظلمة فقالوا : كيف تكون في النار شجرة والنار تأكلها فأنزل الله : ﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾ .

قال الزجاج : خيره لهم افتتنوا بها وكذبوا بكونها ﴿إنها شجرة تخرج من أصل الجحيم﴾ قال الحسن : أصلها في قعر جهنم وأعضاؤها ترفع إلى دركاتها ﴿طلعتها﴾ ثمرها ﴿كأنه رؤوس الشياطين﴾ لقبحة والشياطين موصوفة بالقيح وإن كانت لا ترى والشيء إذا استقيح شبه بها فيقال كأنه شيطان ﴿فإنهم لا يكونون منها﴾ أي ثمرها ﴿فمالتون منها البطون﴾ وذلك أنهم يكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم ﴿ثم إن لهم عليها لشوباً﴾ لخطأ ومزاجاً ﴿من حميم﴾ يعني أنهم إذا أكلوا الزقوم شربوا عليها الحميم وهو الماء الحار فيشوب الحميم في بطونهم الزقوم فيصير شوباً ﴿ثم إن مرجعهم﴾ بعد شرب الحميم وأكل الزقوم ﴿لإلى الجحيم﴾ وذلك أنهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج من الجحيم

(١) - ساقط من هـ .

(٢) - في هـ : يتقرب .

كما تورد الإبل الماء ثم يردون إلى الجحيم ويدل على صحة ما ذكرنا قوله ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾^(١) ﴿إنهم ألفوا﴾ وجدوا ﴿آباءهم ضالين﴾ عن الهدى ﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾ يسعون في مثل أعمال آبائهم، قال الكلبي: يعملون مثل عملهم، وقال ابن عباس وقتادة: يسرعون. قال الزجاج: يتبعون آباءهم اتباعاً في سرعة كأنهم يزعجون إلى اتباع آبائهم يقال: هرع الرجل وأهرع إذا استحث فأسرع.

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

﴿ولقد ضل قبلهم﴾ قبل هؤلاء المشركين ﴿أكثر الأولين﴾ من الأمم الخالية ﴿ولقد أرسلنا فيهم﴾ رسلاً ﴿منذرين﴾ ينذرونهم العذاب على ترك الإيمان ﴿فأنظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ الذين أنذروا بالعذاب.

قال مقاتل: يقول: كأن عاقبتهم العذاب يحذر كفار مكة ثم استثنى المؤمنين منهم فقال: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ يعني: الموحدين الذين نجوا من العذاب.

وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنعَمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَعْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾

قوله: ﴿ولقد نادانا نوح﴾ دعا ربه على قومه فقال: ﴿إني مغلوب فانتصر﴾^(٢) ﴿فلنعم المجيبون﴾ نحن يعني: أجبنا دعاءه وأهلكنا قومه الكافرين ﴿ونجينا وأهله من الكرب﴾ الغم ﴿العظيم﴾ الذي لحق قومه وهو الغرق ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ وذلك انه لم يبق من نسل من كان معه في السفينة إلا من ولد نوح يدل على هذا ما أخبرنا سعيد بن محمد الزاهد، أنا أبو علي بن أحمد الفقيه، أنا إبراهيم بن عبد الله الزيني، نا بندار^(٣)، نا محمد بن خالد بن^(٤) عثمة، نا سعيد بن بشر^(٥) عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ في قوله ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ قال: سام وحام ويافث^(٦) فسر الذرية الباقية بهؤلاء الثلاثة فسام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ في الذين يجيئون بعده إلى يوم القيامة، قال ابن عباس ومقاتل: تركنا عليه ثناءً أحسنًا وهو قوله ﴿سلام على نوح في العالمين﴾ يعني بالسلام الثناء الحسن قال الزجاج: تركنا عليه الذكر الجميل إلى يوم القيامة وذلك الذكر قوله ﴿سلام على نوح﴾ أي تركنا عليه ﴿في الآخرين﴾ أن يصلى عليه إلى يوم القيامة ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن في العالمين.

(٢) - القمر: ١٠.

(١) - الرحمن: ٤٤.

(٣) - بندار بن محمد بن بشار بن عثمان العبدي أبو بكر البصري الحافظ ت ٢٥٢ هـ عن خمس وثمانين سنة انظر طبقات الحفاظ (٢٢٢)، تذكرة الحفاظ ٥١١/٢، العبر ٣/٢.

(٤) - محمد بن خالد بن عثمة الحنفي البصري. تهذيب التهذيب ١٤٢/٩.

(٥) - سعيد بن بشر الأزدي ت ١٦٨. تهذيب ٩/٤، الجرح والتعديل ٦/٢.

(٦) - رواه الترمذي في كتاب التفسير. سورة الصافات حديث (٣٢٨٤) وقال حسن غريب ٣٦٥/٥ ط الحلبي.

﴿وَإِن مِّن شَيْعِنِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۗ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۗ﴾ ٨٣ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۗ﴾ ٨٥ ﴿أَفَكُلَّمَا نَزَّلْنَا آيَةً سَاءُوا لَهَا ۗ إِنَّهُمْ عَلَىٰ شَكٍّ مِّنْ آيَاتِنَا أَكْثَرُ ۗ﴾ ٨٦ ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۗ﴾ ٨٧

قوله: ﴿وإن من شيعته﴾ أي من أهل ملة نوح وعلى دينه ﴿لإبراهيم إذ جاء ربه﴾ يعني: صدق الله وآمل به ﴿بقلب سليم﴾ خالص من الشرك يعني أنه سلم قلبه من الشرك فلم يشرك بالله ﴿إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون﴾ هذا استفهام توبيخ كأنه وبخهم على عبادة غير الله فقال ﴿أفكأألهة دون الله تريدون﴾ أي أتأفكون إفاكاً وهو أسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ ما ظنكم به إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره كأنه قال: ما ظنكم أنه يصنع بكم.

﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۗ﴾ ٨٨ ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۗ﴾ ٨٩ ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۗ﴾ ٩٠ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۗ﴾ ٩١ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ۗ﴾ ٩٢ ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۗ﴾ ٩٣ ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُُونَ ۗ﴾ ٩٤ ﴿قَالَ اتَّعَبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۗ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۗ﴾ ٩٥ ﴿قَالُوا آبَاؤُنَا لَهُ بُيُوتُنَا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ۗ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ۗ﴾ ٩٨

قوله: ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾ قال المفسرون: كانوا يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا مثلاً ينكروا عليه، وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة، وكان لهم من الغديوم يخرجون إليه فأراد أن يتخلف عنهم فاعتل بالسقم ﴿فقال إني سقيم﴾ وذلك أنهم كلفوه أن يخرج معهم إلى عيدهم فنظر في النجوم يريد أنه مستدل بها على حاله فلما نظر إليها (قال إني سقيم) أي سأسقم. قال مقاتل: إني وجع غداً واعتل بذلك ليخلفوه^(١) ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ تركوه وذهبوا إلى عيدهم ﴿فراغ إلى آلهتهم﴾ مال إليها ميلة في خفية سراً ﴿فقال ألا تأكلون﴾ يعني الطعام الذي كان بين أيديهم أتوهم بطعامهم لتبارك فيه آلهتهم كما - زعموا - وإنما يقول هذا إبراهيم استهزاء بها وكذلك قوله ﴿ما لكم لا تنطقون﴾ ثم أقبل عليهم ضرباً كما قال الله تعالى ﴿فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾ مال عليهم بالضرب، قال المفسرون: يعني: بيده اليمنى يضربهم بها، وقال السدي بالقوة والقدرة ﴿فأقبلوا إليه﴾ من عيدهم ﴿يزفون﴾ يسرعون من زفيف النعمة وهو أول عبودها يقال جاء يزف زفيف النعمة أي يسرع، وقرأ حمزة بضم الياء^(٢) أي يحملون دوابهم وظهورهم على الجدد الإسراع في المضي وذلك أنهم أخبروا بصنيع إبراهيم بالهتهم فأسرعوا إليه ليأخذوه فلما انتهوا إليه ﴿قال﴾ لهم إبراهيم محتجاً عليهم ﴿تعبدون ما تنحتون﴾ بأيديكم من الأصنام ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ بأيديكم يعني: ما تنحتون أي فاعبدوا الله الذي خلقكم وخلق ما تعملون بأيديكم من الأصنام التي تعملونها من الخشب والحديد فلما لزمهم الحجة ﴿قلوا﴾ أبناؤنا له بنياناً ﴿قال ابن عباس: بنوا حائطاً من حجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وملأوه حاراً وطرحوه فيها وذلك قوله﴾ ﴿فألقيه في الجحيم﴾ وهي النار العظيمة.

قال الزجاج: كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم ﴿فأرادوا به كيداً﴾ شراً وهو أن يحرقوه بالنار ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ لأن إبراهيم علاهم بالحجة حين سلمه الله ورد كيدهم عنه ولم يلبثوا إلا يسيراً حتى أهلكهم الله^(٣)

(١) - انظر تفسير ابن جرير ٤٥/٢٣.

(٢) - السبعة لابن مجاهد (٥٤٦) والنشر ٢/٣٥٧.

(٣) - انظر تفسير ابن جرير ٤٩/٢٣.

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَتَأْتٍ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَّاكُكَ كَتَبْنَا فِي الصُّحُفِ الْمُبِينِ ﴿١٠٥﴾ إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَأُ الْمُؤْمِنُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّن الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَرَكَنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

﴿وقال﴾ إبراهيم ﴿إني ذاهب إلى ربي﴾ قال ابن عباس: مهاجر إلى ربي والمعنى: أهاجر ديار الكفر وأذهب إلى حيث أمرني الله كما قال إخباراً عنه أيضاً: ﴿وقال إني مهاجر إلى ربي﴾^(١) ﴿سَيِّدِينَ﴾ إلى حيث أمرني بالمصير إليه وهو الشام قال مقاتل: فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد فقال: ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ أي ولدًا صالحًا من الصالحين فاستجاب الله له بقوله: ﴿فبشرناه بغلام حلِيم﴾ قال الزجاج: وهذه البشارة تدل على أنه مبشر بابن ذكر وأنه يبقى حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم، قوله: ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ قال قتادة: لما مشى معه، وقال مجاهد عن ابن عباس: لما شب حتى بلغ سعيه سعي إبراهيم، والمعنى: بلغ أن يتصرف معه ويعينه، قالوا: وكان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة، وقال الكلبي: يعني: العمل لله وهو قول الحسن ومقاتل وابن زيد قالوا: هو العبادة والعمل الذي تقوم به الحجة وهو ما بعد البلوغ وقوله ﴿إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ قال مقاتل: رأى ذلك إبراهيم ثلاث ليالٍ متتابعات، وقال سعيد بن جبیر عن ابن عباس: رؤيا الأنبياء وحى وقال قتادة: رؤيا الأنبياء حتى إذا رأوا شيئاً فعلوه.

واختلفوا في الذبيح من هو: فالأكثر على أنه إسحاق وهو قول علي وابن مسعود وكعب ومقاتل وعكرمة والسدي. أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أنا أبو عمرو بن مطر، نا الحسن بن سفيان، نا شيبان، نا مبارك^(٢) عن الحسن بن الأحنف بن قيس^(٣) سمعت العباس بن عبد المطلب يقول: الذي أمر إبراهيم بذبحه هو إسحاق عليهما السلام وهؤلاء قالوا كانت هذه القصة بالشام. وقال آخرون الذي أمر بذبحه إسماعيل وهو قول سعيد بن المسيب والشعبي والحسن ومجاهد وابن عباس في رواية عطاء، سمعت أبا عثمان الحيري الزاهد سمعت أبا الحسن بن مقسم سمعت أبا إسحاق الزجاج يقول: [الله]^(٤) أعلم أيهما الذبيح وسياق هذه الآيات يدل على إنه إسحاق لأنه قال: ﴿فبشرناه بغلام حلِيم﴾ ولا خلاف أن هذا إسحاق ثم قال: ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ فعطف بقضية الذبيح على ذكر إسحاق، وقوله ﴿فانظر ماذا ترى﴾ أي من الرأي فيما ألقى إليك وما الذي تذهب إليه هل تستسلم له وتنقاد أو تأتي غير ذلك، وقرأ حمزة^(٥) ترى بضم التاء وكسر الراء ومعناه: ما تشير، قال الفراء: ماذا تريني من

(١) - العنكبوت: ٢٦.

(٢) - مبارك بن فضالة أبو فضالة القرشي تـ ١٦٤ تذكرة الحفاظ ١/٢٠٠.

(٣) - الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري أبو بكر ولد سنة ٣ قبل الهجرة وتوفي ١٩٧٢ هـ ابن سعد ٧/٦٦ ابن خلكان ١/٢٣٠، تاريخ الإسلام ٣/١٢٩.

(٤) - ساقط من هـ.

(٥) - قرأ حمزة والكسائي (ترى) بضم التاء وكسر الراء. السبعة (٥٤٨).

صبرك أو جزعك^(١) ﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر﴾ قال ابن عباس ما أوحى إليك من ذبحي . ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ على بلائه . ﴿فلما أسلما﴾ أي استسلما لأمر الله وأطاعا ﴿وتله للجبين﴾ صرعه على أحد جبنيه، قال ابن عباس: أضجعه على جبينه على الأرض وللوجه جبينان والعجبة بينهما، قال السدي: ضرب الله على عنقه صحيفة نحاس فجعل إبراهيم ينحر ولا يقطع شيئاً ونودي من الجبل: يا إبراهيم^(٢) فهو قوله ﴿ونادينا أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ لأن الله قد عرف منهما الصدق حيث قصد إبراهيم الذبح [بما أمكنه وطاوع الابن بالتمكين من الذبح ففعل كل واحد منهما ما أمكنه وإن لم يتحقق]^(٣) الذبح وكان قد رأى في النوم معالجة الذبح ولم ير إراقة الدم ففعل في اليقظة ما رأى في النوم لذلك قيل له: قد صدقت الرؤيا وتم الكلام ثم قال ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ هذا ابتداء إخبار من الله تعالى وليس يتصل بما قبله من الكلام الذي يؤدي به إبراهيم والمعنى: إنا كما ذكرنا من العفو عن ذبح ولده نجزي من أحسن في طاعتنا، قال مقاتل: جزاه الله تعالى بإحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ الاختبار الظاهر حيث اختبر بذبح بكره ووحيدته وقال مقاتل: البلاء هاهنا النعمة وهو أن فدى ابنه بالكبش وهو قوله ﴿وفديناه بذبح﴾ بكبش ﴿عظيم﴾ .

أخبرنا المؤمل بن أحمد بن الحسين، أنا محمد بن عبد الله بن نعيم، نا محمد عن عبد الله الصفار^(٤)، نا الحسن بن الجهم، نا الحسين بن الفرخ، نا أبو عبد الله الواقدي حدثني ابن أبي سبرة عن ابن مالك وكان مولد لعثمان بن عفان رضي الله عنه عن عطاء^(٥) بن يسار قال سألت خوات بن جبير^(٦) ذبيح الله أيهما كان؟ فقال: إسماعيل لما بلغ إسماعيل ابن سبع سنين رأى إبراهيم في النوم في منزله بالشام أنه يذبح إسماعيل فركب إليه^(٧) البراق حتى جاءه فوجده عند أمه فأخذ بيده ومضى به إلى حيث أمر حتى انتهى إلى منحر البدن اليوم فقال: يا بني إن الله أمرني أن أذبحك قال إسماعيل: فأطع ربك فإن في طاعة ربك كل خير، ثم قال إسماعيل: هل علمت أمي بذلك؟ قال: لا قال: أصبت إني أخاف أن تحزن ولكن إذا قربت السكين من حلقي فأعرض عني فإنه أحرق أن تصبر ولا تراني ففعل إبراهيم فجعل يحز في حلقه فإذا هو يحز في نحاس ما تحيك [فيه]^(٨) الشفرة فشحذها مرتين و ثلاثاً بالحجر كل ذلك لا يستطيع قال إبراهيم: إن هذا الأمر من الله فرفع رأسه فإذا هو بوعل واقف بين يديه، ففعل إبراهيم: قم يا بني فقد نزل فداؤك فذبحه هناك .

ومعنى الآية: جعلنا الذبح فداءً له وخلصناه به من الذبح؛ والذبح: ما ذبح، قال أكثر المفسرين: أنزل عليه كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفاً، وقال الحسن: ما فدى إلا بتيس من الأروى قد أهبط عليه من ثبير^(٩) فذبحه

(١) - معاني القرآن للفراء: ٣٩٠/٢ .

(٢) - من المعروف أن السدي متهم بالكذب فلا يفيد بقوله هذا وهل يعجز الله - سبحانه عن حماية إسماعيل من حد السكين من غير أن يضرب على عنقه صحيفة من نحاس كيف؟ وقد سلب من النار خاصة الاحراق فكانت برداً وسلاماً على إبراهيم فمن الجائر أيضاً أن تتكرر نفس المعجزة مع إسماعيل فيسلب السكين خاصة القطع والجز فتصير هي وقطعة من الخشب سواء بسواء .

(٣) - ساقط من هـ .

(٤) - في هـ، نا محمد بن عبد الله الصفار، نا محمد بن عبد الله بن نعيم بتقديم وتأخير .

(٥) - عطاء بن يسار الهلالي أبو محمد المدني القاضي ت ٩٣ هـ تذكرو الحفاظ ١/٩٠ خلاصة تهذيب الكمال (٢٢٦) ابن سعد ٥/٢٩ .

(٦) - خوات بن جبير بن النعمان بن أمية الانصاري الاوس ت ٤٠ هـ عن أربع وتسعين سنة . أسد الغابة ٢/١٤٩ .

(٧) - في هـ على البراق .

(٨) - ثبير: جبل بمكة يشرف على منى . معجم البلدان ٢/٧٣ .

(٩) - ساقط عن هـ .

إبراهيم فداءً عن ابنه، وما بعد هذا معنى ظاهر إلى قوله ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ من جعل الذبيح إسماعيل قال: بشر الله إبراهيم بولد نبي بعد هذه القصة جزاءً لطاعته، ومن جعل الذبيح إسحاق قال: بشر إبراهيم بنوة إسحاق وأثيب إسحاق بصبره بالنبوة وهذا قول عكرمة عن ابن عباس.

وقوله: ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ يعني كثرة ولدهما وذريتهما وهم الأسباط كلهم ﴿ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾ أي مؤمن (محسن) ^(١) بإيمانه وكافر ظلم نفسه بكفره.

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْفَرْنَا لَهُمُ الْغَلِيلِينَ ﴿١١٦﴾ وَأَعْيَيْنَاهُمَا الْكُتُبَ الْمُسْتَينِ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ ﴿١١٩﴾ سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

﴿ولقد مننا على موسى وهارون﴾ أنعمنا عليهما بالنبوة ﴿ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم﴾ الذي كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم وما كان يصيهم من جهته من البلاء.

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَأَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولَىٰ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْأَخْرَبِ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

قوله ﴿وإن إلياس لمن المرسلين﴾ إلياس نبي من أنبياء بني إسرائيل وقصته مشهورة مع قومه وقرأ ابن عامر (وإن إلياس) ^(٢) بغير همز جعل الهمزة التي تصحب اللام للتعريف كقوله ﴿واليسع﴾ ^(٣) والوجه قراءة العامة لأن الهمزة تابعة في هذا الاسم وليست للتعريف يقوي ذلك قوله ﴿سلام على إلياسين﴾ فهذا يدل على أن الهمزة ثابتة في إلياس ﴿إذ قال لقومه ألا تتقون﴾ ألا تخافون الله فتعبدونه وتوحدونه ^(٤) ﴿أندعون بعلاً﴾ قال عطاء: يعني صنماً كان لهم يعبدونه وكان من ذهب، والمفسرون يقولون: رباً وهو بلغة اليمن يقولون للسيد والرب البعل ﴿وتذرون﴾ عبادة ﴿أحسن الخالقين﴾ ﴿الله ربكم ورب آبائكم الأولين﴾.

قرئ بالرفع على الاستئناف ^(٥) لتام الكلام الأول والمعنى: انه خالقكم وخالق من كان ^(٦) قبلكم ورازقكم فهو الذي تحق له العبادة وقرئ بالنصب ^(٧) على صفة أحسن الخالقين ﴿فكذبوه فإنهم لمحضرون﴾ النار ﴿إلا عباد الله﴾

(٣) - الانعام: ٨٦.

(١) - في هـ: أحسن نفسه.

(٤) - في النسخ المخطوطة: فتعبده وتوحدوه.

(٢) - القراءة في السبعة لابن مجاهد ص (٥٤٨).

(٥) - قراءة (الله ربكم ورب آبائكم) بالرفع قرأ بها: أبو عمرو وابن عامر ونافع وأبو جعفر.

(٦) - ساقط من هـ.

(٧) - قراءة: (الله ربكم ورب آبائكم) بالنصب قرأ بها: حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم. انظر: السبعة ص ٥٤٩ والنشر

المخلصين ﴿ الذين لم يكذبوه فإنهم لا يحضرون النار قوله ﴿سلام على إلياسين﴾ قال ابن عباس: يريد إلياس ومن آمن معه قال الفراء: يذهب بالياسين إلى أن يجعله جمعاً فيجعل أصحابه داخلين في اسمه كما تقول في (١) القوم رئيسهم المهلب قال قد جاءكم المهالبة فتكون بمنزلة الأشعرين والأعجمين بالتخفيف (٢)، قال أبو علي الفارسي تقديره: الياسين إلا أن اليائين للنسبة حذفنا كما حذفنا في الأشعرين والأعجمين وقرأ نافع (٣): «على آل ياسين» وحجته: أنها في المصحف مفصولة من ياسين (٤) وذلك دليل على أنه «آل» وهذه القراءة بعيدة، قال الفراء وأبو عبيدة الوجه قراءة العامة لأنه لم يقل في شيء من السورة على آل فلان وآل فلان إنما جاء بالاسم كذلك إلياسين لأنه إنما هو بمعنى إلياس أو بمعنى إلياس وأتباعه (٥) وذكر الكلبي في تفسيره: «سلام على آل ياسين» يقول: سلام على آل محمد وهذا بعيد لأن ما قبله من الكلام وما بعده لا يدل عليه.

وَإِنْ لَوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ بَخَّيْنَتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٦﴾
وَإِنَّا كُنَّا لَنُؤَسِّسُ لَهُمْ بُيُوتَهُمْ فَهَيَّأْنَا لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴿١٣٧﴾ وَإِنَّا لَنَظُنُّهُمْ كَافِرِينَ ﴿١٣٨﴾

ثم ذكر لوطاً فقال ﴿وإن لوطاً لمن المرسلين إذ نجيناه﴾ إذ لا يتعلق بما قبله لأنه لم يرسل إذ نجى ولكنه يتعلق بمحذوف كأنه قيل: واذكر يا محمد إذ نجيناه. وما بعد هذا مفسر فيما تقدم إلى قوله: ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين﴾ أي تمررون في ذهابكم ومجيئكم إلى الشام على قراهم ومنازلهم وآثارهم ﴿مصبحين﴾ أي نهراً ﴿وبالليل﴾ وعشياً ﴿أفلا تعقلون﴾ فتعتبرون بهم.

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِئْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴿فَبَدَّنْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَبْنَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾

﴿وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون﴾. قال المفسرون: كان يونس عليه السلام قد وعد قومه العذاب فلما تأخر عنهم العذاب خرج كالمشور عنهم فقصده البحر وركب السفينة وكان بذهابه إلى الفلك كالفار من مولاه فوصف بالإباق، ﴿فساهم﴾ فقارع ﴿فكان من المدحضين﴾ المغلوبين والمقروعين وذلك أن السفينة

(١) - في هـ: للقوم.

(٢) - معاني القرآن للفراء ٣٩١/٢.

(٣) - نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم أحد القراء السبعة ت سنة ١٦٩ هـ النهاية ٣٣٠/٢، ابن خلكان ١٥١/٢.

(٤) - قرأ نافع وابن عامر (على آل ياسين) السبعة (٥٤٨).

قراءة (آل ياسين) قرأ بها نافع وابن عامر ويعقوب. انظر السبعة ص ٥٤٨ والنشر ٣٦٠/٢.

(٥) - في هـ: ياس.

(٦) - ليست في مجاز القرآن بهذا النص ١٧٢/٢.

احتسبت فوقفت فقال الملاحون: ها هنا عبد أبى من سيده وهذا رسم السفينة إذا كان فيها عبد أبى لا تجري فأقرعوا فوقعت القرعة على يونس فقال: أنا الأبى وزج نفسه في الماء.

قال سعيد بن جبير: لما استهموا جاء حوت إلى السفينة فاغراً فاه ينتظر أمر ربه حتى إذالقى نفسه في الماء أخذته الحوت^(١) فذلك قوله: ﴿فالتقمه الحوت﴾ يقال: لقمتم اللقمة والتقمتمها إذا ابتلعتمها ﴿وهو مليم﴾ مستحق اللوم لأنه أتى ما يلام عليه حين خرج إلى السفينة قبل أن يأمره الله فاستحق بذلك اللوم والتأديب ﴿فلولا أنه كان﴾ قبل أن التقمه الحوت ﴿من المسبحين﴾ المصلين، وكان كثير الصلاة والذكر ﴿للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ لصار له بطن الحوت قبراً إلى يوم القيامة.

قال سعيد بن جبير: شكر الله قد يمسه، وقال الضحاك^(٢) بن قيس: اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة فإن يونس كان عبداً صالحاً ذاكراً لله فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ الأيتين وإن فرعون كان عبداً طاغياً ناسياً ذكر الله فلما ادركه الغرق (قال: آمنت بالذي آمنت به بنوا إسرائيل قال الله تعالى الآن وقد عصيت قبل)^(٣) قال ابن جريج والسدي: لبث يونس عليه السلام في بطن الحوت أربعين يوماً^(٤) وقال الضحاك: عشرين يوماً، وقال عطاء: سبعة أيام، وقال مقاتل: ثلاثة أيام، وقال الشعبي: التقمه الحوت ضحى ولفظه عشية فذلك قوله ﴿فنبذناه بالعماء﴾ يعني: المكان الخالي من الشجر والبناء، قال مقاتل: بالبراز وقال الكلبي: يعني: وجه الأرض، ﴿وهو سقيم﴾: قد بلى لحمه مثل الصبي المولود، قال ابن مسعود: كهية الفرخ ليس عليه ريش ﴿وأبنتنا عليه شجرة من يقطين﴾ كل شجرة لا تقوم على ساق إنما تمتد على وجه الأرض فهو يقطين مثل الدباء والحنظل والبطيخ، قال مقاتل: يعني القرع وهو قول الجميع، قالوا: كان يستظل بظلها من الشمس وقيض الله له أروية من الوحش تروح عليه بكرة وعشياً فكان يشرب من لبنها حتى اشتد لحمه ونبت شعره ثم أرسله الله بعد ذلك وهو قوله ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف﴾ قال قتادة: أرسل إلى أهل نينوى^(٥) من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه وقوله: ﴿أو يزيدون﴾ أو بمعنى الواو كقوله ﴿عذراً أو نذراً﴾^(٦) المعنى: ويزيدون على مائة ألف، قال الفراء: أو هاهنا بمعنى: بل^(٧) وهو قول مقاتل والكلبي، وقال الزجاج: أو هاهنا على أصله ومعناه أو يزيدون في تقديركم إذا رآهم الرائي قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون فالشك إنما دخل في حكاية قول المخلوقين، قال مقاتل والكلبي: كانوا يزيدون على عشرين ألفاً، وقال الحسن: بضعة وثلاثين ألفاً، وقال سعيد بن جبير: سبعين ألفاً^(٨) ﴿فآمنوا﴾ يعني الذين أرسل إليهم يونس ﴿فمتعناهم﴾ في الدنيا ﴿إلى حين﴾ إلى منتهى آجالهم.

(١) - رواه ابن جرير في تفسيره ٦٣/٢٣ وابن أبي حاتم الدر المنثور ٢٨٧/٥.

(٢) - الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب الضحري القرشي أبو انيس ت سنة ٦٤ هـ تهذيب التهذيب ٤٤٩/٤.

(٣) - يونس: ٩١، ٩٠.

(٤) - رواه ابن جرير في تفسيره ١٠١/٢٣.

(٥) - نينوى بأرض الموصل، والموصل مدينة على طرف دجلة معجم البلدان ٥/٢٢٣، ٣٣٩.

(٦) - المرسلات: ٦.

(٧) - معاني القرآن للفراء: ٢/٢٩٣.

(٨) - انظر تفسير ابن جرير ١٠٤/٢٣.

فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا
 إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ
 تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكُتُبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
 الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

قوله ﴿فاستفتهم﴾ قال ابن عباس: فسل أهل مكة سؤال توبيخ ﴿الربك البنات ولهم البنون﴾ وذلك أن قريشاً
 وقبائل من العرب قالوا للملائكة بنات الله وهذا كقوله ﴿لكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى﴾ (١) ﴿أم خلقنا
 الملائكة إنثاً﴾ معناه: بل أخلقنا الملائكة إنثاً ﴿وهم شاهدون﴾ حاضررون خلقنا إياهم أي كيف جعلوهم إنثاً وهم
 يشهدوا خلقهم، ثم أخبر عن كذبهم فقال ﴿ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله﴾ حين زعموا أن الملائكة بنات الله
 ﴿وإنهم لكاذبون﴾ في قولهم ﴿أصطفى البنات على البنين﴾ قراءة العامة بفتح الهمزة على الاستفهام الذي معناه
 التوبيخ، وقرأ نافع بغير استفهام على وجه الخبر (٢) كأنه قال اصطفى البنات في زعمكم وفيما تقولون، وقال الفرغ:
 أراد الاستفهام وحذف حرف الاستفهام كقوله ﴿أذهبتم طبيباتكم﴾ (٣) ثم وبخهم فقال: ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ الله
 بالبنات ولأنفسكم بالبنين ﴿أفلا تذكرون﴾ أفلا تعظون فتنتهون عن هذا القول ﴿أم لكم سلطان مبين﴾ حجة بينة على
 ما تقولون ﴿فأتوا بكتابتكم﴾ الذي فيه الحجة ﴿إن كنتم صادقين﴾ في قولكم ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾ قال
 قتادة: قالوا صاهرا الجن والملائكة من الجن وقال الكلبي: قالوا لعنهم الله - تزوج من الجن فخرج منها الملائكة، وقال
 مجاهد: لما قالت قريش الملائكة بنات الله قال لهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه: فمن أمهاتهم؟ قالوا سروات الجن (٤)
 قال الله تعالى: ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ أي علموا أن هؤلاء الكفار الذين قالوا هذا القول يحضرون في
 النار ويعذبون على ما قالوا، ثم نزه نفسه عما قالوا من الكذب فقال ﴿سبحان الله عما يصفون﴾ إلا عباد الله المخلصين
 يعني: الموحدين الذين استخلصهم الله لتوحيده وعبادته وهذا استثناء من المحضرين يقول: علموا أنهم محضرون
 النار إلا من أخلص العبادة له ووحده ثم خاطب كفار مكة بقوله:

فَأِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنَيْنِ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْحَنِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا
 لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ
 الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكْفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

﴿فإنكم وما تعبدون﴾ قال ابن عباس: فإنكم وآلهتكم التي تعبدون من دون الله ﴿ما أنتم عليه﴾ على
 ما تعبدون ﴿بفئتين﴾ بمضلين، يقال فنت الرجل وافنته ويقال: فنته على الشيء وبالشيء كما يقال:
 أضله على الشيء وأضله به وقال مقاتل: يقول ما أنتم بمضلين أحداً بالهتكم إلا من قدر الله له أن

(١) - النجم: ٢٢/٢١.

(٢) - هذه رواية عن نافع وبقية الروايات عنه وعن القراء جميعاً (اصطفى) بفتح الهمزة والاستفهام. السبعة (٥٤٩).

(٣) - الاخفاف: ٢٠. والنص في معاني القرآن للفراء بتصرف ٣٩٤/٢.

(٤) - تفسير ابن جرير عن مجاهد ١٠٨/٢٣.

يصلى الجحيم وهو قوله ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾ يعني أن قضاءه سبق في قوم بالشقاوة وأنهم يصلون النار فهم الذين يصلون في الدنيا ويعبدون الأصنام، ثم قال جبريل للنبي ﷺ ﴿وما منا﴾ يا معاشر الملائكة ﴿إلا له مقام معلوم﴾ في السموات يعبد الله فيه قال الزجاج: هذا قول الملائكة وفيه مضمرة، المعنى: وما منا ملك إلا له مقام معلوم ﴿وإنا لنحن الصافون﴾ قال قتادة: هم الملائكة صفوا أقدامهم، وقال الكلبي: صفوف الملائكة في السماء كصفوف أهل الدنيا في الأرض ﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ المصلون لله المنزهون الله عن السوء يخبر جبريل النبي عليهما السلام أنهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بعبودين ولا بنات الله كما زعمت الكفار ثم عاد الكلام إلى الإخبار عن المشركين فقال: ﴿وإن كانوا ليقولون: لو أن عندنا ذكراً من الأولين﴾ أي كتاباً من كتب الأولين وذلك أنهم قالوا لو جاءنا ذكر كما جاء غيرنا من الأولين ﴿لكننا عباد الله المخلصين﴾ وهذا كقوله تعالى: ﴿أو تقولوا لو أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم﴾^(١) قال تعالى ﴿فكفروا به﴾ المعنى: نجاهم ما طلبوا به ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة كفرهم وهذا تهديد لهم، ثم ذكر العاقبة للأنبياء بالنصر وإن كذبهم قومهم فقال:

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفِعْدَابِنَا يُسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِطِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾

﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ أي تقدم السوعد بأن الله ينصرهم بالحجة والظفر بعدوهم، قال مقاتل: عنى بالكلمة: قوله «كتب الله لأغلبن أنا ورسلي»^(٢) فهذه الكلمة التي سبقت ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾ حزب الله لهم الغلبة بالحجة والنصرة في العاقبة لأنهم ينجون من عذاب الدنيا والآخرة ﴿فتول عنهم﴾ أعرض عنهم ﴿حتى حين﴾ قال مجاهد والسدي: حتى تأمرك بالقتال ﴿وأبصرهم﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿فسوف يبصرون﴾ ذلك فقالوا متى هذا العذاب فأنزل ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ إذا نزل بساحتهم ﴿قال مقاتل: بحضرتهم، وقال الفراء: العرب تكتفي بالساحة والعقوة من القوم يقولون: نزل بك العذاب وساحتك»^(٣) والساحة: متسع الدار ﴿فساء صباح المنذرين﴾ بش صباح الذين أذروا بالعذاب وذلك أنهم يصبحون في العذاب معذبين، ثم كرر ما سبق تأكيداً لوعد العذاب فقال ﴿وتول عنهم حتى حين وأبصر﴾ العذاب إذا نزل بهم ﴿فسوف يبصرون﴾ تهديد لهم، ثم نزه^(٤) نفسه عن بهتهم ووصفهم بقوله:

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

﴿سبحان ربك رب العزة﴾ العزة: الغلبة والقوة ﴿عما يصفون﴾ من اتخاذ البنات والنساء ﴿وسلام على المرسلين﴾ الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على هلاك المشركين ونصرة الأنبياء والأولياء. أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، أنا إبراهيم بن علي، نا يحيى بن يحيى، نا هشيم عن

(١) - الانعام: ١٥٧.

(٢) - المجادلة: ٢١.

(٣) - معاني القرآن للفراء ٣٩٦/٢، وعقوة الدار ساحتها وما حولها.

(٤) - ساقط من هـ.

هارون^(١) العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولأمر تبين يقول في آخر صلواته أو حين ينصرف (سبحان ربك رب العزة... إلى آخر السورة)^(٢) وأخبرنا محمد، نا أبو عمرو بن نجيد، نا محمد بن موسى الحلواني، نا هارون بن إسحاق، نا وكيع عن ثابت بن أبي صفية عن الأصمغ^(٣) بن نباتة عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: من أحب أن يكتال بالميال الأوفى يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين^(٤).

(١) - في هـ أبو هارون.

(٢) - رواه أبو يعلى وقال ابن كثير اسناده ضعيف. تفسير ابن كثير ٤١/٧ ط الشعب.

(٣) - الأصمغ بن نباتة التميمي الحنظلي أبو القاسم الكوفي. تهذيب التهذيب ١/٣٦٢.

(٤) - أخرجه ابن حاتم عن الشعبي مرفوعاً والبعوي موقوفاً وحמיד بن زنجويه من طريق الأصمغ بن نباتة. انظر: الدر المنثور ٥/١٩٥.

تفسير (١)

سورة صّ

[وهي ثمانون وخمس (٢) آيات مكية] (٣)

أخبرنا أبو سعد [محمد بن] (٤) علي الخفاف (٥) أنا محمد بن جعفر بن مطر نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس (٦)، نا سلام بن سليم، نا هرون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ (٧):

«ومن (٨) قرأ سورة «ص» أعطي من الأجر بوزن كل (٩) جبل سخره الله لداود (١٠) حسنات وعصمه الله تعالى (١١) أن يصير على ذنب صغيراً أو كبيراً» (١٢) (١٣).

(١) في (أ) بتر من أول سورة «ص» إلى قوله تعالى: ﴿والشياطين كل بناء وغواص﴾.

(٣) ما بين المعقوفين من (ج).

(٤) ساقط من (ه).

(٢) في المصحف وثمان.

(٥) أبو سعد محمد بن علي الخفاف: هو أبو سعد محمد بن علي بن أحمد الحيري الخفاف عن أبي عمرو بن مطر وعنه أبو الحسن الواحدي. (انظر الإكمال ٤٤/٣)

(٦) أحمد بن يونس: هو أحمد بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن قيس التميمي اليربوعي الكوفي. وثقه أبو حاتم والنسائي وابن سعد والعجلي وابن قانع وابن حبان. ولد سنة ثلاث وثلاثين ومائة وتوفي رحمه الله سنة سبع وعشرين ومائتين من الهجرة. (انظر تهذيب التهذيب ٥٠/١).

(١٠) في (ج): (لداود عليه).

(٧) ساقطة من (ب، ج).

(١١) من (ج).

(٨) في (ب، ج، د، هـ): من.

(١٢) ساقطة من (ج).

(٩) من (ج).

(١٣) من ترجمة هارون بن كثير يتضح لنا أن الأحاديث الواردة في فضائل سور القرآن الكريم سورة سورة موضوعة، ولا أساس لها من الصحة، وقد نبّه على ذلك الإمام عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في كتابه «الموضوعات» حيث قال بعد ذكره هذه الأحاديث: «وقد فرق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة منه ما يخصها وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما؛ لأنهما ليسا من أصحاب الحديث، وإنما عجت من أبي بكر بن أبي داود، كيف فرقه على كتابه الذي صنفه في فضائل القرآن وهو يعلم أنه حديث محال ولكن شده جمهور المحدثين فإن من عادتهم تنميق حديثهم ولو بالأباطيل، وهذا قبيح منهم؛ لأنه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من حدث عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» رواه الإمام أحمد في ٢٥٥/٤، ٢٠/٥ وحديث فضائل السور هذا مصنوع بلا شك ثم يقول: ونفس الحديث يدل على أنه مصنوع فإنه قد استفد السور وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة لا يناسب كلام رسول الله - ﷺ -، وقد روى في فضائل السور ميسرة بن عبد ربه قال عبد الرحمن بن مهدي: قلت لميسرة: من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا فله كذا؟ قال: وضعته أرغب الناس فيه. وقال الخليلي في الإرشاد: روى نوح بن أبي مريم الجامع في فضائل القرآن سورة سورة عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس فقيل له: من أين لك هذا؟ قال: لأن الناس قد اشتغلوا بمغازي ابن إسحاق وغيره فحرضتهم على قراءة القرآن، وجاء بسنده عن محمود بن غيلان قال: سمعت مؤملاً يقول: حدثني شيخ بفضائل سور القرآن الذي يروى عن أبي بن كعب، فقلت للشيخ: من حدثك؟ فقال: حدثني رجل بالمدائن «وهو حي» فسرت إليه فقلت: من حدثك؟ قال: شيخ بواسط «وهو حي» فسرت إليه، فقال: حدثني شيخ بالبصرة، =

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِ ﴿٢﴾ كَرَاهَلِكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَوَلَاتَ حِينٍ

مَنَاصِحِ ﴿٣﴾

﴿ص﴾ قال الضحاك: صدق الله (١)، وقال عطاء عن ابن عباس: «صدق محمد (ﷺ)» (٢) (٣)

﴿والقرآن ذي الذكر﴾ ذي (٤) الشرف كقوله ﴿وانه لذكر لك ولقومك﴾ (٥) وجواب القسم قد تقدم أقسم الله تعالى بالقرآن أن محمداً [صلى الله عليه وسلم] (٦) قد صدق: كما تقول: فعل والله، وقام والله (٧)، وقال أهل المعاني: جواب القسم محذوف بتقدير والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما يقول الكفار (٨)، ودل على هذا المحذوف قوله تعالى ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ «قال مقاتل: [كفروا بالشوحيذ، من أهل مكة (١١)] (١١) ﴿فِي عِزَّةٍ﴾ حمية (١٢) وتكبر عن الحق ﴿وشقاق﴾ خلاف وعداوة لمحمد - ﷺ. ثم خوفهم فقال ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ (١٣) يعني الأمم النخيلية المهلكة بتكذيب الرسل ﴿فنادوا﴾ عند وقوع الهلاك بهم باستغاثة ﴿ولات حين مناص﴾ أي ساعة لا منجى (١٤) ولا فوت.

قال ابن عباس: ليس حين نُزُو (١٥) ولا فرار (١٦). وقال قتادة: نادى القوم على غير حين النداء (١٧). والمناص: مصدر ناص ينوص وهو الفوت والتأخر. ﴿ولات﴾ بمعنى ليس بلغة أهل اليمن، وقال النحويون: هي «لا» زيدت فيها

= فسرت إليه فقال: حدثني شيخ بعبادان، فسرت إليه، فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً فإذا فيه قوم من المتصوفة، ومعهم شيخ، فقال: هذا الشيخ، فقلت: يا شيخ من حدثك؟ فقال: لم يحدثني أحد ولكننا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصوبوا قلوبهم إلى القرآن».

(انظر الموضوعات لابن الجوزي ١/٢٣٩: ٢٤٢ - واللائيء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ١: ٢٢٦: ٢٢٨ بتصرف)

(١) انظر جامع البيان ٧٥/٢٣ ومعالم التنزيل ٤٧/٤ وفتح القدير ٤١٩/٤.

(٢) من (ج).

(٥) سورة الزخرف: آية رقم ٤٤.

(٦) ساقطة من (ب).

(٣) انظر جامع البيان ٧٥/٢٣ ومعالم التنزيل ٤٧/٤ وفتح القدير ٤١٩/٤.

(٤) في (د): ذكر.

(٧) ساقطة من (ه).

(٨) انظر وجوه الإعراب والقراءات للعكبري ٢/١٠٨، والكشاف للزمخشري ٣/٣٥٨.

(٩) من (د).

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (ه).

(١١) انظر جامع البيان ٧٦/٢٣.

(١٢) الحمية: هي ما يعبر بها عن القوة الغضبية إذا ثارت وكثرت. قال الراغب الأصبهاني في المفردات: وحميا الكأس سوزتها وحرارتها وعبر عن القوة الغضبية إذا ثارت، وكثرت بالحمية فقيل: حميت على فلان أي غضبت عليه. قال تعالى ﴿حمية الجاهلية﴾ (مفردات غريب القرآن للأصبهاني مادة «حمي» ص ١٣٢).

(١٣) القرن: القوم المقترنون في زمن واحد، وجمعه قرون قال: «ولقد أهلكتنا القرون من قبلكم - وكم أهلكتنا من القرون - وكم أهلكتنا قبلهم من قرن» وقال «وقرونا بين ذلك كثيراً»، «ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين» - «قرونا آخرين» (انظر المفردات مادة قرن ص ٤٠١).

(١٤) في (د) منجاة.

(١٥) النزو: الوثيان. انظر لسان العرب مادة «نزا».

(١٦) انظر تفسير الثوري ص ٢٥٦ وتفسير عبد الرزاق ٣/٩٥٥ وجامع البيان ٧٧/٢٣ وتفسير القرآن العظيم ٤/٢٦.

(١٧) انظر تفسير عبد الرزاق ٣/٩٥٤ وجامع البيان ٧٧/٢٣ وتفسير القرآن العظيم ٤/٢٦، والدر المنثور ٥/٢٩٦.

التاء، كما قالوا: ثم وثمت ورب وربت، وأصلها هاء وصلت «بلا» فقالوا لا لغير معنى حادث كما زادوا^(١) هاء^(٢) في ثمة فلما وصلوها جعلوها تاء^(٣). والوقف عليها بالتاء عند الزجاج^(٤) وأبي علي^(٥). وعند الكسائي الوقف عليها بالهاء نحو قاعدة وضاربة. وعند أبي عبيد الوقف على ثم يتدىء: تحين مناص؛ لأن عنده أن هذه التاء تزد مع حين فيقال: كان هذا تحين كان ذلك^(٦).

وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلِقُ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبُرُوا عَلَىٰ عِلَّةٍ الْهَتَكُورُ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾

قوله ﴿وعجبوا﴾ يعني الكفار الذين ذكرهم [الله تعالى]^(٧) في قوله «بل الذين كفروا» ﴿أن جاءهم منذر منهم﴾ يعني رسولاً من أنفسهم ينذرهم النار ﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ حين زعم^(٨) أنه رسول ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾ وذلك أن النبي ﷺ^(٩) أبطل عبادة ما كانوا يعبدون من الآلهة مع الله ودعاهم إلى عبادة الله وحده فتعجبوا^(١٠) من ذلك وقالوا^(١١): كيف جعل لنا إلهاً واحداً بعد ما كنا نعبد آلهة كثيرة^(١٢) قوله^(١٣) ﴿إن هذا﴾ الذي يقول محمد من أن الإله واحد ﴿لشيء عجاب﴾ لأمر عجيب^(١٤). وهذا كما يقال كبير وكبار وطويل وطوال. وقوله^(١٥) ﴿وانطلق الملائكة منهم﴾ قال المفسرون^(١٦) إن أشراف قريش أتوا أبا طالب واجتمعوا عنده وشكوا إليه النبي ﷺ

(١) في (د): (وزادوا).

(٢) في (هـ): (ها).

(٣) إعراب القرآن للمعبري ١٠٨/٢.

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ورقة ١٧٦. ومعاني القرآن للفراء ٣٩٨/٢ والزجاج هو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السري الزجاج توفي سنة ٣١١ هـ. انظر شذرات الذهب ٢٥٩/٢ وطبقات الزبيدي ١١١، أنباء الرواة ١٥٩/١.

(٥) أبو علي هو: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان أبو علي النحوي الفارسي الأصل ولد سنة ٢٨٨ وتوفي سنة ٣٧٧. انظر وفيات الأعيان ١٣١/١، وتاريخ بغداد ٧/٢٧٥، وأنباء الرواة ١/٢٧٣. وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ورقة ١٧٦، ومفاتيح الغيب ١٧٦/٢٦، ومعاني القرآن للفراء ٣٩٨/٢.

(٦) قال صاحب الكشاف: وأما قول أبي عبيدة إن التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين في الإمام فلا متشبه به، فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن القياس الخطي. (انظر الكشاف ٣/٣٥٩).

(٧) من (ج).

(٨) في (١١): (فقالوا).

(٩) في (أ)، (ج)، (د)، (هـ)، يزعم.

(١٢) من (ج)، (د).

(٩) ساقطة من (ب).

(١٣) ساقطة من (ج)، (د).

(١٠) في (أ)، (ب)، (ج) (فعجبوا).

(١٤) قال الفراء: وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي (لَشَيْءٌ عَجَابٌ) والعرب تقول: هذا رجل كريم وكُرام والمعنى كله واحد مثل قوله تعالى ﴿مَكْرُوهًا مَكْرًا كِبَارًا﴾ (سورة نوح) معناه: كبيراً قَسْدًا. انظر معاني القرآن ٣٩٨/٢، وقال صاحب الكشاف: قرئ عَجَابٌ بالتشديد كقوله تعالى ﴿مَكْرًا كِبَارًا﴾ وهو أبلغ من التخفيف ونظيره كريم وكُرام. انظر تفسير الكشاف ٣/٣٦٠.

(١٥) ساقطة من (د)، (هـ).

(١٦) رواه صاحب جامع البيان ٧٧/٢٣ وسنن الترمذي ١٥٥/٢ وقال عنه أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. والمستدرک کتاب التفسیر، تفسير سورة ص ٤٣٢/٢ وصححه ووافقه الذهبي. ومسند الإمام أحمد ١/٣٦٢، والدر المنثور ٥/٢٩٥.

وقالوا: إنه [سفه أحلامنا وسب آلهتنا] (١) وعاب ديننا. فعاتب أبو طالب النبي - ﷺ وقال: ما تريد من قولك يا ابن أخي (٢)؟ فقال: أَدْعُوهُمْ إِلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ. قال: وما هي؟ قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾. فنفروا من ذلك وقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ وخرجوا من عند أبي طالب يقول بعضهم لبعض: ﴿اصْبِرُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾ (٣) فذلك (٤) قوله ﴿وانطلق الملائكة منهم﴾ أي انطلقوا من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب (٥) وهم يقولون اثبتوا على عادة آلهتكم واصبروا على دينكم ﴿إن هذا﴾ الذي نراه من زيادة أصحاب محمد ﴿لشيء يراد﴾ [لأمر يراد بنا] (٦) ﴿وما سمعنا بهذا﴾ الذي يقول محمد أي من التوحيد ﴿في الملة الآخرة﴾ يعني النصرانية؛ لأنها آخر الملل، والنصارى لا يوحدون؛ لأنهم يقولون: ثالث ثلاثة وقال قتادة: يعنون (٧) دينهم الذي [هم عليه] (٨) (٩). ﴿إن هذا﴾ ما هذا الذي جاء به محمد من التوحيد والقرآن ﴿إلا اختلاق﴾ كذب (١٠) وافتعال، ثم أنكروا تخصيص الله إياه بالقرآن والنبوة فقالوا: ﴿أم نزل عليه الذكر من بيننا﴾ قال الزجاج: قالوا: كيف أنزل على محمد القرآن من بيننا (١١) [ونحن أكبر سنًا وأعظم شرفًا منه] (١٢)؟! فقال (١٣) الله (تعالى) (١٤): ﴿بل هم في شك من ذكرى﴾ يعني حين قالوا ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾ والمراد بالذكر القرآن ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ تهديد لهم أي أنهم سيدوقونه، ثم أجاب (١٥) عن إنكارهم نبوته بقوله:

أَمَ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك﴾ يقول (١٦) أبأيديهم مفاتيح النبوة والرسالة فيضعونها حيث شاؤوا؟ أي أنها ليست بأيديهم ولكنها بيد ﴿العزیز﴾ في ملكه ﴿الوهاب﴾ وهب النبوة لمحمد (ﷺ) (١٧)، ثم أخبر أن الملك له يصطفى من يشاء، وهو قوله: ﴿أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب﴾ أي إن ادعوا شيئاً من ذلك فليصعدوا (١٨) في الأسباب التي توصلهم إلى السماء. قال قتادة ومقاتل: يعني الأبواب التي في السماء (١٩). وقال الكلبي: يقول في

(١) في (ب، ج، د، هـ) سب آلهتنا وسفه أحلامنا.

(٢) في ب (أخ).

(٣) ذكره ابن حجر في الفتح عن معمر عن الكلبي ٨٤٥/٨ وليراجع جامع البيان ٢٣/٨٠ والجامع لأحكام القرآن ٧/٥٥٩٥.

(٤) في (د): (وذلك).

(٥) أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي عم رسول الله - ﷺ - شقيق أبيه توفي قبل الهجرة. انظر الإصالة ١١٥/٤ : ١١٩.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) في (ب): (يعني).

(٨) في (ب): الذي (عليهم).

(٩) انظر جامع البيان ٢٣/٨٠ وصحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة «ص» وتفسير القرآن العظيم ٤/٢٨.

(١٠) انظر صحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة «ص».

(١١) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٧٧.

(١٢) ما بين المعقوفين ليس من كلام الزجاج - انظر معاني القرآن ص ٣.

(١٣) في (ج) قال.

(١٥) في (ج): أجابهم.

(١٦) في (هـ) يعني.

(١٧) في (ج): عليه السلام.

(١٨) في (هـ) فاصعدوا.

(١٩) انظر تفسير عبد الرزاق ٣/٩٥٦ وجامع البيان ٢٣/٨٢ وفتح الباري ٨/٥٤٥، تفسير القرآن العظيم ٤/٢٩.

طرقها من سماء إلى سماء، وكل ما يوصلك إلى شيء من باب وطريق فهو سببه^(١). ثم أخبر عن هزيمتهم بيد^(٢) وهو قوله ﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾. قال قتادة: أخبر الله تعالى^(٣) وهو يومئذ بمكة أنه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها [يوم بدر. (٤)] و«جند» خبر ابتداء^(٥) محذوف بتقدير: هم جند و﴿ما﴾ زائدة و﴿هنالك﴾ إشارة إلى بدر ومصارعهم بها، والأحزاب سائر^(٦) من^(٧) تقدمهم^(٨) من الكفار الذين تحزبوا على الأنبياء.

كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد^(٩) وثمود وقوم لوط^(١٠) وأصحاب لستك^(١١) أولئك الأحزاب^(١٢)
 إن كلُّ إلا كذب الرُّسلَ فحقَّ عقاب^(١٣) وما ينظر هؤلاء^(١٤) إلا صيحةً واحدةً ما لها من فواق^(١٥) وقالوا
 ربنا عمل لنا قطنًا قبل يوم الحساب^(١٦)

يدل على^(٩) هذا قوله ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد﴾^(١٠) قال المفسرون^(١١): كانت له أوتاد يعذب الناس عليها، وذلك أنه كان إذا غضب على أحد وتد يديه ورجليه ورأسه على الأرض. وقال عطية: ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني أنهم كانوا يقوون أمره ويشددون ملكه كما يقوي التود الشيء^(١٢): وقيل^(١٣) ذو^(١٤) الملك الشديد الثابت^(١٥) كما قال الأسود^(١٦):
 في ظل ملك ثابت الأوتاد^(١٧)

(١) انظر معالم التنزيل ٤٩/٤.

(٢) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء بينه وبين الجار وهو ساحل البحر، ليلة، ويقال: إنه ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، وقيل بل هو رجل من بني ضمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه ثم غلب اسمه عليه وبهذا الماء كانت الواقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام وفرق بين الحق والباطل في شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة ٢ هـ. (انظر معجم البلدان للحموي ٣٥٧/١، ٣٥٨).

(٣) من (ج).

(٤) انظر تفسير عبد الرزاق ٩٥٦/٣ وجامع البيان ٨٣/٢٣ ومعالم التنزيل ٤٩/٤ وفتح الباري ٥٤٥/٨ والدر المنثور ٥٤٥/٥.

(٥) ذكر الواحدي أن (جند) خبر ابتداء والصواب أن يقال: إنها خبر مبتدأ محذوف لأن ابتداء مصدر ابتداء [والابتداء لا يخبر عنه فهل سيقول ابتداء جند؟ أو هل يقول هم ابتداء؟ أم هم مبتدأ؟ لأن الابتداء حدث والحدث لا يخبر عنه أما الأخبار تكون عن الذوات والجند ذوات فكيف يخبر بالذات عن الحدث.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(٧) في (د): ما.

(٨) في (ج) تقدم.

(٩) في (هـ): عليه.

(١٠) الوتد بالكسر والوَدُّ والوُدُّ: ما رز في الحائط أو في الأرض من الخشب والجمع أوتاد قال تعالى: ﴿والجبال أوتاد﴾ قوله عز وجل ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ جاء في التفسير أنه كانت له جبال وأوتاد يلعب له بها. (انظر اللسان مادة (وتد)). وقال الفخر الرازي في

تفسيره. أصل هذه الكلمة من ثبات البيت المطنّب بأوتاده ثم استعير لإثبات العز والملك كما قال الشاعر:

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد

قال القاضي حمل الكلام على الوجه أولى؛ لأنه لما وصف بتكذيب الرسل: فيجب فيما وصف به أن يكون تفخيماً لأمر ملكه ليكون

الزجر بما ورد من قبل الله تعالى عليه من الهلاك مع قوة أمره أبلغ. انظر مفاتيح الغيب ١٨١/٢٦.

(١١) انظر جامع البيان ٨٣/٢٣ ومفاتيح الغيب ١٨٢/٢٦ وفتح القدير ٤٢٣/٤.

(١٢) انظر معالم التنزيل ٥٠/٤٠ وفتح القدير ٤٢٣/٤ وروح المعاني للألوسي ١٧١/٢٣.

(١٣) في د: وقال قيل ذو الملك. (١٤) في (ج): ذي.

(١٥) انظر جامع البيان ٨٣/٢٣ ومعالم التنزيل ٤٩/٤.

(١٦) الأسود: هو الأسود بن يعفر وهو شاعر جاهلي من بني حارثة بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم وكنيته أبو الجراح. انظر الشعر

والشعر رقم ٢٠ ص ٢٥٥ لابن قتيبة تحقيق أحمد شاكر دار المعارف ١٩٦٦.

(١٧) البيت في غريب القرآن ٣٧٧ والبحر المحيط ٣٨٦/٧، والجامع لأحكام القرآن ١٥٠/١٥ والمفضليات ٢١٧ والكشاف ٣٦٢/٣

ومعالم التنزيل ٤٩/٤.

ولما ذكر هؤلاء المكذبين قال: ﴿أولئك الأحزاب﴾ فأعلمنا أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب. ﴿من كل﴾ ما كل منهم ﴿إلا كذب الرسل﴾ فوجب عليهم عقابي بتكذيبهم ﴿وما ينظر هؤلاء﴾ يعني كفار مكة أي ما ينتظرون^(١) لوقوع العذاب بهم ﴿إلا صيحة واحدة﴾ يعني النفخة الأخيرة^(٢) ﴿ما لها من فوق﴾ وقرئ^(٣) بالضم قال الزجاج^(٤): فوق وفوق بضم الفاء وفتحها أي ما لها من رجوع^(٥) والفوق ما بين حلبتي الناقة وهو مشتق من الرجوع أيضاً؛ لأنه يعود اللبن إلى الضرع بين الحلبتين، وأفاق من مرضه أي رجع إلى الصحة، قال مجاهد: ما لها من فوق رجوع^(٦). أي: ما يرد ذلك الصوت فيكون^(٧) له رجوع وهو معنى قول مقاتل من مرد ولا^(٨) رجعة^(٩).

وقال قتادة والضحاك: ليس لها مشنوبة^(١٠) أي صرف ورد، والمعنى: أن تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءت لم ترد ولم تصرف حتى يبعثوا وينجز لهم ميعاد العذاب. قوله تعالى^(١١) ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب﴾ معنى القط في اللغة: النصيب، من القط بمعنى القطع، والنصيب إنما هو القطعة من الشيء وتسمى^(١٢) كتب الجوائز قطوطاً لأنهم كانوا يكتبون الأنصبة من العطايا في الصحف يقال: أخذ فلان قطة إذا أخذ كتابه الذي كتب له بجائزته وصلته، ثم سميت الكتب قطوطاً وإن لم تكن للصلة، والمفسرون مختلفون على هذين القولين فقال ابن عباس: قطنا حظنا من العذاب والعقوبة^(١٣) وقال قتادة: نصيبنا من العذاب^(١٤) يقولون ذلك استهزاء وقال سعيد بن جبير والسدي: لما ذكر لهم ما في الجنة ﴿قالوا ربنا عجل لنا﴾^(١٥) نصيبنا منها في الدنيا^(١٦).

(١) في (هـ): [ينظرون].

(٢) قال ابن كثير: وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر الله تعالى إسرائيل أن يطولها فلا يبقى أحد من أهل السموات والأرض إلا فزع إلا من استثنى الله عز وجل. (انظر تفسير القرآن العظيم ٢٩/٤).

(٣) اختلف في (فوق) فحمزة والكسائي وخلف بضم الفاء وهي لغة تميم وأسد وقيس وافقه الأعمش، والباقون بفتحها لغة الحجاز وهو الزمان بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع. (انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٣٧٢، والنشر في القراءات العشر ص ٣٦١، تحبير التيسير في قراءة الأئمة العشرة ص ١٧١).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ص ١٧٧.

(٥) انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة (ص).

(٦) انظر تفسير مجاهد ٥٤٨/٢، وجامع البيان ٨٤/٢٣، وفتح القدير ٤٢٤/٤.

(٧) في (ج) يكون.

(٨) ساقطة من (ج).

(٩) انظر جامع البيان ٨٤/٢٣ والجامع لأحكام القرآن ١٥٣/١٥ وفتح الباري ٥٤٥/٨ وتفسير الثوري ص ٢٥٦ وغريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٧٧ والدر المنثور ٢٩٧/٥.

(١٠) مشنوبة: أي رجوع وارتداد كما في جامع البيان ٨٤/٢٣.

(١١) من (ج).

(١٢) في (ب) وسمى وفي (د، هـ) ويسمى.

(١٣) في صحيح البخاري القط: العذاب. انظر كتاب التفسير تفسير سورة (ص) وجامع البيان ٨٥/٢٣.

(١٤) انظر جامع البيان ٨٥/٢٣ وليراجع تفسير الثوري ٢٥٧ ومعالم التنزيل ٥٠/٤ والجامع لأحكام القرآن ٧/٥٦١ وفتح الباري ٨/٥٤٥ ومعاني القرآن للفراء ٤٠٠/٢.

(١٥) ساقطة من (ج، هـ).

(١٦) انظر جامع البيان ٨٥/٢٣.

وقال أبو العالية^(١) والكلبي ومقاتل: لما نزلت^(٢) ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾^(٣) ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْتِي كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾^(٤) قالت قريش: زعمت يا محمد أنا نؤتي كتابنا بشمالنا فعجل لنا قطننا قبل يوم الحساب يقولون ذلك تكديباً^(٥) له^(٦) فقال^(٧) الله [عز وجل]^(٨):

أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَكُمْ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

﴿اصبر﴾ يا محمد ﴿على ما يقولون﴾ من تكذيبك ﴿واذكر عبدنا داود﴾ لكي تتفوق على الصبر بذكر قوته على العبادة وهو قوله ﴿ذا الأيدي﴾ أي ذا القوة على العبادة [وفي طاعة الله قال الزجاج: وكانت قوة داود على العبادة]^(٩) أتم قوة، كان^(١٠) يصوم يوماً ويفطر يوماً، وذلك أشد الصوم، وكان يصلي نصف الليل^(١١) ﴿إنه أواب﴾ رجاع^(١٢) عن كل ما يكره الله [إلى ما يحب الله]^(١٣).

قوله^(١٤) تعالى^(١٥): ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن﴾ [هذا كقوله ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾]^(١٦) وقد مر تفسيره^(١٧) وقوله: ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾ قال الكلبي: غدوة^(١٨) وعشية^(١٩) يقال: أشرق الشمس إذا أضاءت، وروي عن ابن عباس [رضي الله عنه]^(٢٠) بطرق: أنه فسر التسييح بالإشراق في هذه الآية بصلاة

(١) في (ج) أبو عالية: وأبو العالية هو البراء البصري اسمه زياد وقيل: كلثوم، وقيل: أذينة، وقيل: ابن أذينة، ثقة من الرابعة مات في شوال سنة تسعين هجرية (انظر تقريب التهذيب ٤٤٣/٢).

(٢) في (د، هـ) نزل.

(٣) سورة الحاقة / آية رقم ١٩.

(٤) سورة الحاقة / آية رقم ٢٥.

(٥) انظر معالم التنزيل ٥٠/٤، ٥١.

(٦) في (أ، ب، ج، هـ) به.

(٧) في (أ، ب، د، هـ) قال.

(٨) من (د) وفي (ج) تعالى.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(١٠) في (ج) وكان.

(١١) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٧٧. وقول الزجاج هذا مقتبس من قول رسول الله ﷺ الذي رواه البخاري ومسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ - قال له: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام وأحب الصيام إلى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوماً ويفطر يوماً» انظر صحيح البخاري كتاب الصلاة باب من نام عند السحر. وكتاب الأنبياء باب أحب الصلاة صلاة داود وصحيح مسلم كتاب الصيام باب النهي عنه صوم الدهر.

(١٢) في (ج، د، هـ) راجع.

(١٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(١٤) ساقط من (د، هـ).

(١٥) من (ج).

(١٦) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) والآية من سورة الأنبياء / آية رقم ٧٩.

(١٧) من (ج) عند قوله تعالى ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾

(١٨) الغدوة. الغدوة والغداة من أول النهار، وقبول في القرآن الغدو بالأصل نحو قوله ﴿بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ وقبول الغداة بالعشي قال «بالغداة والعشي. غدوها شهر ورواحها شهر» مفردات غريب القرآن مادة (غدا) ص ٥٣٨.

(١٩) العشي: من زوال الشمس إلى الصباح قال: ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ المفردات مادة (عشا) ص ٣٣٥.

(٢٠) من (د).

الضحى، أخبرنا أبو إسحاق الواعظ أنا الحسين بن محمد بن (١) الحسين نا عبيد الله بن محمد بن شيبه (٢) نا الحسين بن بختويه نا أبو أمية محمد بن إبراهيم (٣) نا الحجاج بن نصير (٤) نا [٥] أبو بكر الهذلي (٦) عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس [رضي الله عنه] (٧) في قوله: ﴿بالعشي والإشراق﴾ قال كنت أمر بهذه الآية لا أدري ما هي حتى حدثتني أم هانئ بنت أبي طالب (٨) أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى وقال: «يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق» (٩) ﴿والطير﴾ معطوفة على الجبال، كأنه قال: وسخرنا الطير ﴿محشورة﴾ مجموعة إليه تسبح لله (١٠) معه قال ابن عباس: كان داود إذا سبح جاوبته الجبال واجتمعت إليه الطير فسبحت معه (١١) وهو قوله ﴿كل له أبواب﴾ رجاع إلى طاعته وأمره أي كل له مطيع بالتسبيح معه ﴿وشددنا ملكه﴾ قوينا ملكه بالحرص والجنود. قال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: كان يحرسه كل ليلة ستة وثلاثون (١٢) ألف رجل فإذا أصبح قيل أرجعوا فقد رضي عنكم نبي الله وهذا قول جماعة المفسرين (١٣) أخبرني أبو عمرو محمد بن عبد العزيز (١٤) فيما (١٥) أجاز لي أن أبا الفضل الحدادي (٦) أخبرهم عن أبي يزيد الخالدي أنا إسحاق بن إبراهيم نا عبد الله بن يزيد المقرئ نا داود بن أبي

(١) من (ج).

(٢) في (هـ) الشيبه.

(٣) أبو أمية محمد بن إبراهيم هو محمد بن إبراهيم بن مسلم، الخزاعي، أبو أمية الطرسوسي، بغدادى الأصل، مشهور بكنيته، صدوق صاحب حديث، يهيم، من الحادية عشرة، مات سنة ثلاث وسبعين (تقريب التهذيب ١٤١/٢).

(٤) الحجاج بن نصير - الفساطيطي القيسي - أبو محمد البصري ضعيف كان يقبل التلقين، من التاسعة مات سنة ثلاث عشرة أو أربع عشرة (انظر تقريب التهذيب ١٥٤/١).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(٦) أبو بكر الهذلي البصري اسمه: سلمى بن عبد الله بن سلمى وقيل اسمه روح وهو ابن بنت حميد بن عبد الرحمن الجميري قال عنه يحيى بن معين: ليس بشيء، وفي موضع آخر قال: ليس بثقة، وقال أبو زرعة: كان ضعيفاً. وقال أبو حاتم: لين الحديث. مات سنة سبع وستين ومائة هجرية، انظر تهذيب التهذيب ٤٥/١٢، ٤٦ وميزان الاعتدال ٤٩٧/٤.

(٧) من (ج).

(٨) في (ب) بنت أبي صالح، وأم هانئ بنت أبي طالب الهاشمية اسمها: فاتحة وقيل هند، لها صحبة ماتت في خلافة معاوية (تقريب التهذيب ٦٢٥/٢).

(٩) رواه الطبراني في الأوسط وفيه أبو بكر الهذلي وهو ضعيف. انظر مجمع الزوائد ٩٩/٧ كتاب التفسير تفسير سورة (ص)، وجامع البيان ٨٧/٢٣. والإشراق: يقال شرقت الشمس شروقاً طلعت، وقيل: لا أفعل ذلك ما ذكر شارح، وأشرفت أضاءت قال: (بالعش والإشراق) أي وقت الإشراق. (انظر المفردات مادة شرق، ص ٢٥٩).

(١٠) في (د) الله.

(١١) انظر جامع البيان ٨٧/٢٣ وتفسير الكشاف: ٣٦٥/٤ والتفسير الكبير ١٨٦/٢٦.

(١٢) في (د) ثمانون.

(١٣) انظر مفاتيح الغيب ١٨٧/٢٦ نقلاً عن الواحدي ومعالم التنزيل ٥١/٤.

(١٤) أبو عمرو محمد بن عبد العزيز: هو محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة واسمه غزوان الشكري مولاهم أبو عمرو المروزي قال أبو حاتم صدوق. وقال النسائي والدارقطني: ثقة. مات سنة إحدى وأربعين ومائتين هجرية وذكره ابن حبان في الثقات (انظر تهذيب التهذيب ٣١٢/٩، ٣١٣).

(١٥) ساقطة من (ج).

(١٦) أبو الفضل الحدادي: هو أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد بن مهراون المروزي الحدادي، قال الحاكم: كان شيخ أهل مرو في الحديث والفقه والتصوف والفتيا، مات سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة هجرية (انظر سير أعلام النبلاء ٣٧٠/١٦).

الفرات عن علي بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس: «أن رجلاً من بني إسرائيل استعدى^(١) على رجل من عظمائهم عند داود^(٢) فقال: إن هذا غصبني بقرأ لي فسأل داود الرجل عن ذلك فجحده، فسأل الآخر البيعة فلم تكن له بيعة، فقال لهما داود: قوما حتى أنظر في أمركما فقاما من عنده^(٣) فأوحى الله تعالى إلى داود في منامه أن يقتل الرجل الذي^(٤) استعدى عليه. فقال: هذه رؤيا ولست أعجل حتى^(٥) أثبت. فأوحى الله إليه في منامه أن يقتله، فلم يفعل، فأوحى الله إليه^(٦) الثالثة [أن يقتله]^(٧) أو تأتيه العقوبة، فأرسل داود إليه فقال له: إن الله أوحى إلي أن أقتلك فقال الرجل: تقتلني بغير بيعة؟ فقال^(٨) داود: نعم والله لأنفذن أمر الله فيك. فلما عرف الرجل أنه قاتله قال: لا تعجل علي حتى أخبرك وإني^(٩) والله ما أخذت بهذا الذنب، ولكني كنت اغتلت أبا^(١٠) هذا فقتلته فبذلك أخذت. فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني إسرائيل لداود [عليه السلام]^(١١) عند ذلك وشدد به ملكه وهو^(١٢) قوله [وشددنا ملكه]^(١٣)»^(١٤).

وقوله ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ قال ابن عباس: النبوة والمعرفة بكل ما حكم، وقال مقاتل [الفهم والعلم]^(١٥). ﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾ يعني الشهود^(١٦) والأيمان البيعة^(١٧) على المدعي واليمين على من أنكر^(١٨)؛ لأن خطاب^(١٩) الخصوم^(٢٠) إنما ينقطع وينفصل بهذا وهذا^(٢١) قول [أكثر المفسرين]^(٢٢) وقال ابن مسعود ومقاتل وقتادة: هو العلم بالقضاء والفهم فيه^(٢٣). قوله تعالى^(٢٤):

(١) استعدى: يقال استعديت الأمير على الظالم طلبت منه النصرة، فأعداني عليه: أعانني ونصرني، فالاستعداد: طلب التقوية والنصرة. انظر المصباح مادة (عدي).

(٢) في (ج) داود عليه.

(٣) في (هـ) عند.

(٤) من (د، هـ).

(٥) ساقطة من (هـ).

(٦) ساقطة من (د).

(٧) في (د، هـ) أن يفعل.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من د.

(١٤) انظر جامع البيان ٨٨/٢٣، والدر المنثور وقال: أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس ٢٩٩/٦ ومعاني القرآن للزجاج ورقة ١٧٧ ومعالم التنزيل ٥١/٤ والبدية والنهاية ١٢/٢. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب كما يقول ابن جرير الطبري في تفسيره ٨٨/٢٣ أن يقال: [إن الله تبارك وتعالى أخبر أنه شدد ملك داود ولم يحصر ذلك من تشديده على التشديد بالرجال والجنود دون الهيبة من الناس له ولا على هيبة الناس له دون الجنود، وجائز أن يكون تشديده ذلك كان ببعض ما ذكرنا، وجائز أن يكون كان بجميعها ولا قول أولي ذلك بالصحة من قول الله إذ لم يحصر ذلك على بعض معاني التشديد خبر يجب التسليم له].

(١٥) في (ج) العلم والفهم.

(١٦) في (د) المشهود.

(١٨) هذا نص حديث عن رسول الله ﷺ رواه الترمذي في سننه كتاب الأحكام باب ما جاء في أن البيعة على المدعي واليمين على المدعي

عليه ٦١٧/٣ عن ابن عباس وقال عنه أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وانظر جامع البيان ٨٨/٢٣، ٨٩ ومعالم التنزيل ٥٢/٤ وتفسير القرآن العظيم ٣٠/٤.

(١٩) ساقطة من (ج).

(٢٠) في (ج) الخصومة.

(٢٢) انظر جامع البيان ٨٨/٢٣ ورواه ابن عباس والحسن والكلبي ومجاهد وأبي عبد الرحمن السلمي وليراجع تفسير الثوري ص ٢١٧

ومعالم التنزيل ٥٢/٤، والدر وعزاه إلى البيهقي عن قتادة ٣٠٠/٥ وفتح القدير ٤٢٥/٤.

(٢٤) من (ج).

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَحْضُ خَصَصَانِ بَعَى بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْتُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيكَ إِلَيَّ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْنِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّكَابٍ ﴿٢٥﴾ يَدَاوُدُ إِنَّمَا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ مِن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾ (١) قال مقاتل: بعث الله تعالى (٢) إلى داود [عليه السلام] (٣) ملكين جيبيل وميكائيل (٤) لينبئه على التوبة فأتياه في المحراب.

وهو (٥) قوله ﴿إذ تسوروا المحراب﴾ (٦) يقال: تسورت الحائط والسور إذا علوته. وإنما قال: ﴿تسوروا﴾ والخصم (٧) ها هنا اثنان؛ لأنه على مذهب من يجعل الاثنین جماعة (٨)، والمحراب (٩) ها هنا كالعرفة: قال محمد بن إسحق: بعث الله [تعالى إليه] (١٠) ملكين يختصمان إليه مثلاً ضربه الله له وأصحابه فلم يرع داود إلا بهما واقفين على رأسه في محرابه فقال: ما أدخلكما علي؟ قالا: لا تخف (١١).

(١) الخصم: مصدر خصمته أي نازعته خصماً يقال: خصمته وخصمته مخاصمة وخصاماً قال تعالى: ﴿وهو ألد الخصم﴾ وهو في الخصام غير مبين ثم سمي المخاصم خصماً واستعمل للواحد والجمع وزمنا نبي، وأصل المخاصمة أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر أي جانبه وأن يجذب كل واحد خصم الجوارق من جانب وره ي نسبته في خصم فراشي، والجمع خصوم وأخصام وقوله «خصمان اختصموا» أي فريقان ولذلك قال: اختصموا وقال: «لا تختصموا» وقال «وهم فيها يختصمون».

انظر المفردات في غريب القرآن مادة (خصم) ص ١٤٩.

(٤) ساقطة من (د).

(٢) من (ج).

(٥) ساقطة من (هـ).

(٣) من (ج).

(٦) جاء «الخصم» هنا ولفظه لفظ الواحد و«تسوروا» ولفظه لفظ الجماعة لأن قولك خصم يصلح للواحد والاثنین والجماعة والذكر والأخي يقال: هذا خصم وهي خصم وهما خصم وهم خصم وإنما صلح لجميع ذلك لأنه مصدر تقول: خصمته أخصمه خصماً المعنى: بما ذوا خصم وهم ذوو خصم وإن قلت خصوم جاز كما تقول: هما عدل، وهما ذوا عدل وقال «وأشهدوا ذوي عدل منكم» فمعنى هما عدل هما ذوا عدل، فما كان من المصادر قد وصفت به الأسماء فتوحيدة جائز وإن وصفت به الجماعة، وتذكيره جائز وإن وصفت به الأثنین، هو رضى وهما رضى وكذلك هذه رضى. انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ورقة ١٧٨.

(٨) انظر وجوه الإعراب والقراءات ١٠٩/٢.

(٧) في (هـ) الخصم.

(٩) محراب المسجد قيل سمي بذلك: لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى وقيل سمي بذلك: لكون حق الإنسان فيه أن يكون حربياً من أشغال الدنيا ومن نوازع الخواطر وقيل: الأصل فيه أن محراب البيت صدر المجلس ثم اتخذت المساجد فسمي صدره به. وقيل: أصل المحراب أصله في المسجد. وهو اسم خص به صدر المجلس، فسمي صدر البيت محراباً تشبيهاً بمحراب المسجد، وكان هذا أصح. قال عز وجل «يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل» انظر المفردات مادة (حرب) ص ١١٢.

(١١) انظر جامع البيان ٩٥/٢٣، ٩٦.

(١٠) من (ج، د).

وهو قوله: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ ففَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغِي﴾^(١) ﴿١﴾ أي نحن ﴿خصمان بغى بعضنا على بعض﴾^(٢) فجتناك لتقضي بيننا وهو قوله: ﴿فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ يقال شط الرجل وأشط شططاً وإشطاطاً إذا جار في حكمه وقضيته. قال المفسرون لا تجر علينا ﴿واهدنا إلى سواء الصراط﴾ احمنا على الحق ولا تخالف بنا إلى غيره. فقال داود: تكلمنا فقال أحد الملكين ﴿إن هذا أخي له﴾^(٤) ﴿٤﴾ أي ﴿٥﴾ على ديني ﴿له تسع وتسعون نعجة﴾ يعني امرأة. والنعجة البقرة الوحشية، والعرب تكني بها عن المرأة وتشبه النساء بالنساء من البقر وإنما عنى (بهذا داود)^(٦)، لأنه كانت له تسع وتسعون امرأة ﴿ولي نعجة واحدة﴾ امرأة واحدة ﴿فقال أكفلنيها﴾ ضعها إلي واجعلني كافلها^(٧) وهو الذي يعولها وينفق عليها والمعنى طلقها لأتزوجها ﴿وعزني في الخطاب﴾ قال عطاء عن ابن عباس: كان أعز مني وأقوى على مخاطبتي، لأنه كان الملك. والمعنى أنه كان أقدر على الخطاب بعزة ملكه. وهذه القصة تمثيل لأمر داود^(٨) مع «أوريا» زوج المرأة التي أراد أن يتزوج بها^(٩) قال داود ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك﴾ أي بسؤاله نعجتك ليضمها إلى نعاجه أي^(١٠) إن كان الأمر على ما تقول^(١١) فقد ظلمك أخوك بما كلفك من تحولك عن امرأتك ليتزوجها هو. ﴿وإن كثيراً من الخلطاء﴾ وهم الشركاء واحدهم خليط وهو المخالط في المال. يريد أن الشركاء كثير منهم يظلم بعضهم بعضاً وهو قوله: ﴿ليبغي بعضهم على بعض﴾ وظن داود أنهما شريكان فلذلك قال: ﴿وإن كثيراً من الخلطاء﴾ وقوله: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي^(١٢) فإنهم لا يظلمون أحداً ﴿وقليل ما هم﴾ أي هم قليل يعني الصالحين الذين لا يظلمون^(١٣) قال المفسرون: فلما قضى بينهما داود (عليه السلام)^(١٤) نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك وصعد إلى السماء فعلم داود أن الله ابتلاه، وأن ما ذكر^(١٥) من القصة تمثيل لقصته هو. وقوله:

(١) الفزع: الخوف. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/١٩٩ - قال ابن كثير في تفسيره وقوله تعالى ﴿فزع منهم﴾ إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب أي احتاطا به يسألونه عن شأنهما اهـ. ٣١/٤.

(٢) من (ج).

(٣) بغى: البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحري تجاوزه أو لم يتجاوزه فتارة يعتبر في القدر الذي هو الكمية وتارة تعتبر في الوصف الذي هو الكيفية يقال بغيت الشيء إذا طلبت أكثر ما يجب وابتغيت كذلك قال عز وجل ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل﴾، والبغي على حزين أحدهما محمود وهو تجاوز العدل إلى الإحسان والفرض إلى التطوع. والثاني مذموم وهو تجاوز الحق إلى الباطل أو تجاوزه إلى الشبه كما قال عليه الصلاة والسلام «الحق بين والباطل بين وبين ذلك أمور مشتبهات، ومن رجع حول الحمى أوشك أن يقع فيه» ولأن البغي قد يكون محموداً ومذموماً قال تعالى ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق﴾ فخص العقوبة ببغيه بغير الحق. انظر المفردات مادة (بغى) ص ٥٥.

(٤) من (هـ).

(٦) في (ج) داود بهذا.

(٥) من (د، هـ).

(٧) كافلها: الكفالة الضمان وتقول تكفلت بكذا وكفلته فلانا وقرىء «وكفلها زكريا» أي كفلها الله تعالى، ومن خفف جعل الفعل لذكرياً، المعنى تضمناً، قال تعالى ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ والكفيل الحظ الذي فيه الكفاية، كأنه تكفل بأمره، نحو قوله تعالى ﴿فقال أكفلنيها﴾ أي اجعلني كفاً لها.

انظر المفردات مادة (كفل) ص ٤٣٦.

(١٢) ساقطة من (هـ).

(٨) في (ج) داود (عليه).

(١٣) ما بين المعقوفين ساقطة من (هـ).

(٩) ساقطة من (ج).

(١٤) من (ج).

(١٠) ساقطة من (هـ).

(١٥) في (ج) ذكراه.

(١١) في (د) تقوله وفي (هـ) يقول.

﴿وظن داوود أنما فتناه﴾ (أي أيقن وعلم) (١) أنا ابتليناه بما وقع له من القصة ونظره إلى المرأة وافتنانه بها (وكان قد) (٢) أعجب بعبادته فلما ابتلي بها هويها (٣) وقال لزوجها تحول لي عنها فعوتب على محبة امرأة من له امرأة واحدة وله تسع وتسعون امرأة فكان (٤) ذلك ذنباً من ذنوب الأنبياء التي يعاتبون عليها وذلك قوله: ﴿فاستغفر ربه﴾ سأل ربه غفران ذلك الذنب (٥)

(١) في (د) أي علم وأيقن .

(٢) في (د) وقد كان .

(٣) في (ج) وهوها .

(٤) في (ج) وكان .

(٥) انظر جامع البيان ٢٣/٩٤ - ٩٦ ولباب التأويل للبخاري ٦/٤٥ : ٤٩ والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ١٨٨ والدر المنثور ٣٠١/٥ وزاد نسبه لعبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن . وهذه الرواية وغيرها من الروايات التي ذكرها الواحدي وغيره من المفسرين في كتبهم عن ابتلاء نبي الله داود ما ورد منها «مرفوعاً» فهو ضعيف، وما ورد منها «موقوفاً» فهو من الإسرائيليات كما قال ابن كثير في تفسيره، يقول: وقد ذكر المفسرون هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتبانه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه، وي زيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة. انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٣١ فهي إذاً روايات لا أساس لها من الصحة لأنه من المعلوم كما يقول البخاري في تفسيره: أن من خصه الله تعالى بنبوته، وأكرمه برسالته، وشرفه على كثير من خلقه، واثمنه على وجهه، وجعله واسطة بينه وبين خلقه، لا يليق أن ينسب إليه ما لو نسب إلى أحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه، فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأئمة ذلك؟! روى ابن سعيد بن المسيب والحارث الأعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد القرية على الأنبياء، وقال القاضي عياض: لا يجوز أن يلتفت إلى ما سطره الإخباريون من أهل الكتاب الذين بدّلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين، ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح، والذي نص عليه الله في قصة داود «وظن داود أنما فتناه» وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت ولا يظن نبي محبة قتل مسلم وهذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمر داود قال الإمام فخر الدين: حاصل القصة يرجع إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع في زوجته، وكلاهما منكر عظيم، فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه الصلاة والسلام هذا. وقيل غيره: إن الله تعالى أثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم؟ ولو جرى ذلك من بعض الناس في كلامه لاستهجنه العقلاء وقالوا أنت في مدح شخص، كيف تجري ذمه أثناء مدحك والله تعالى منزّه عن مثل هذا في كلامه القديم. (انظر لباب التأويل للبخاري ٦/٤٩، ٥٠)

وبعد إثبات بطلان ما ورد في فتنة سيدنا داود فإن التفسير المقبول لهذه الآيات هو ما ذكره ابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) حيث يقول في تفسير قول الله: «وهل أتاك نبأ الخصم»: وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم بلا شك مختصمين في نجاج من الغنم على الحقيقة بينهم بغى أحدهما على الآخر على نص الآية، ومن قال إنهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على الله عز وجل وقوله ما لم يقل وزاد في القرآن ما ليس فيه وكذب الله عز وجل، وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذب الملائكة لأن الله تعالى يقول ﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾ فقال هم لم يكونوا قط خصمين ولا بغى بعضهم على بعض ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة ولا كان للأخر نعجة واحدة ولا قال له: أكفلنيها، ثم يقول: وأما استغفاره وخروره ساجداً ومغفرة الله تعالى له فالأنبياء - عليهم السلام - أول الناس بهذه الأفعال الكريمة والاستغفار فعل خير لا ينكر من ملك ولا من نبي ولا من مذب ولا من غير مذب، فالنبي يستغفر الله لمذنب أهل الأرض والملائكة كما قال الله تعالى: ﴿ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾، وأما قوله تعالى عن داود عليه السلام: ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ وقوله تعالى: ﴿ففغرنا له ذلك﴾ فقد ظن داود عليه السلام أن يكون ما آتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة، فقد كان رسول الله ﷺ يدعو في أن يثبت الله قلبه على دينه فاستغفر الله تعالى من هذا الظن إذ لم يكن ما آتاه الله تعالى من ذلك فتنة ١٨/٤، ١٩.

وهذا كلام وجيه من الإمام ابن حزم فالكلام في الآيات على الحقيقة فالخصمان من بني آدم والنجاج نعاج حقيقة وإذا كانت العرب تكتفي بالنعجة عن المرأة فلا ينبغي اللجوء إلى الكناية ما دامت الحقيقة ممكنة أما قول الله تعالى ﴿وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه﴾ فيمكن حمله على ما ذكره ابن حزم، أو على ما ذكره الأستاذ الشيخ محمد أبو شهبة في كتابه «الإسرائيليات والموضوعات»: من أد =

﴿وآخر راکعاً﴾^(١) قال ابن عباس ساجداً^(٢) وعبر عن السجود بالركوع لأن كليهما^(٣) بمعنى الانحناء ﴿وأنتاب﴾ راجع [إلى ما]^(٤) يحب الله من التوبة والاستغفار أخبرنا أحمد بن الحسن الحيرى (رضي الله عنه)^(٥) عنه أنا محمد بن يعقوب الأموي أنا الربيع قال: قال الشافعي (رضي الله عنه)^(٦): أخبرني^(٧) ابن عيينة عن عبدة^(٨) عن زر عن ابن مسعود^(٩): أنه كان لا يسجد في ﴿ص﴾ ويقول: إنما هي توبة نبي^(١٠) ﴿ففغرنا له ذلك﴾ قال ابن عباس: غفر له ذلك الذنب^(١١). ﴿وإن له عندنا لزلفى﴾ لقربة ومكانة ومنزلة حسنة. أخبرنا سعيد بن محمد الزاهد أنا (أبو علي الفقيه)^(١٢) أنا إبراهيم بن عبد الله العسكري أنا محمد بن صالح حدثني محمد بن منصور البرداني عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار في قوله: ﴿وإن له عندنا لزلفى﴾^(١٣) قال يقول الله (عز وجل)^(١٤) لداود وهو قائم بساق العرش: يا داود مجدني^(١٥) بذلك الصوت الرخيم^(١٦) اللين^(١٧) فيقول: كيف وقد سلبتني في الدنيا فيقول: إني أردت عليك، قال: فيرفع داود صوته بالزبور^(١٨) فيستفرغ نعيم أهل الجنة^(١٩) قوله ﴿وحسن مثاب﴾^(٢٠) يعني الجنة التي هي مآب^(٢١) الأنبياء والأولياء. قوله: ﴿يا داود﴾ (أي قلنا له يا داود)^(٢٢) ﴿إنا جعلناك﴾ صيرناك ﴿خليفة في الأرض﴾ تدبر أمور العباد من قبلنا بأمرنا ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ بالعدل الذي هو حكم الله بين خلقه ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ قال مقاتل: لا يستزلنك الهوى عن طاعة الله ﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم

= داود لما دخل عليه الخصمان ارتاع منهما وفزع فزعاً لا يليق بمثله من المؤمنين فضلاً عن الأنبياء المتوكلين على الله غاية التوكل الواثقين بحفظه ورعايته وظن بهما سوءاً وأنهما جاءا ليقنلاه أو يبغيا به شراً ولكن تبين له أن الأمر على خلاف ما ظن وأنهما خصمان جاءا يحتكمان إليه فلما قضى بينهما وتبين له أنهما بريتان مما ظن بهما استغفر ربه وخرَّ ساجداً لله تعالى. ص ٣٧٦.

- (١) في (ج) ركعاً.
 (٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٣١/٤.
 (٣) في (هـ) كلامهما وفي (ج) كلاهما.
 (٤) في (ب، ج، د، هـ) بما.
 (٥) من (ج).
 (٦) من (هـ).
 (٧) في (ج) أخبرنا.
 (٨) عبدة: هو عبدة بن أبي لبابة الأسدي أبو القاسم البزار الكوفي نزيل دمشق ثقة من الرابعة - أخرج له البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وثقه أبو حاتم والنسائي وابن خراش (انظر تهذيب التهذيب ٤٦٢/٦ والتقريب ١/٥٣٠).
 (٩) سبقت ترجمته.
 (١٠) قال الإمام ابن كثير: اختلف الأئمة في سجدة (ص) هل هي من عزائم السجود على قولين الجديد في مذهب الشافعي رضي الله عنه أنها ليست من عزائم السجود بل هي سجدة شكر قال: والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد من حديث أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: السجدة في (ص) ليست من عزائم السجود، وقد رأيت رسول الله - ﷺ - يسجد فيها رواه البخاري في أبواب سجود القرآن وسننها باب سجدة «ص» وأبو داود في سننه ٥٩/٢، وتحفة الأحوذى ١٧٦/٣ وتفسير القرآن العظيم ٣١/٤.
 (١١) انظر جامع البيان للطبري ٩٧/٢٣. (١٤) في (ب) تعالى.
 (١٢) في (د) أبو علي ناهر بن أحمد الفقيه. (١٥) مجدني: أي شرفني وعظمي (انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٧٩/٤)
 (١٣) ساقطة من (د). (١٦) الرخيم: هو الرقيق الشجي الطيب النعمة. انظر النهاية ٧٥/٢.
 (١٧) من (أ) ومعناها السكون والوقار والخشوع (انظر النهاية ٧٣/٤).
 (١٨) الزبور: الكتاب الذي نزل على سيدنا داود.
 (١٩) رواه ابن أبي حاتم انظر تفسير القرآن العظيم ٣٢/٤ والدر المنثور ٣٥٥/٥.
 (٢٠) من (د، هـ).
 (٢١) مآب: أي مرجع ومنقلب إليه يوم القيامة. انظر جامع البيان ٩٧/٢٣.
 (٢٢) في (د) أي يا داود قلنا له.

الحساب ﴿ قال عكرمة ^(١) والسدي ^(٢) في الآية تقديم وتأخير على تقدير ولهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا أي تركوا القضاء بالعدل، وقال الزجاج ^(٣) أي بتركهم العمل لذلك اليوم صاروا بمنزلة الناسين وإن كانوا يتذكرون ويذكرون.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبِينٌ لِيَذَّبُوا ءَابِيئَهُمْ وَيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾

﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا﴾ ^(٤) قال ابن عباس: لا للثواب والعقاب ^(٥) ذلك ظن الذين كفروا ^(٦) يعني أهل مكة ﴿فويل للذين كفروا﴾ ^(٨) هم الذين ظنوا أنهم خلقوا لغير شيء وأنه لا قيامة ولا حساب قال مقاتل: قال كفار قريش للمؤمنين إنا نعطي في الآخرة من الخير (ما تعطون) ^(٩) فأنزل الله تعالى ^(١٠) ﴿أم نجعل الذين آمنوا [وعمِلوا الصالحات]﴾ ^(١١) ﴿أي صدقوا بي﴾ ^(١٢) ﴿وعمِلوا الصالحات﴾ ^(١٣) عملوا بفرائضهم ﴿كالمفسدين في الأرض﴾ ^(١٥) بالمعاصي ﴿أم نجعل المتقين﴾ يريد به ^(١٦) أصحاب النبي ﷺ ﴿كالفجار﴾ ^(١٧) وهم الكفار كقوله ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾ ^(١٨) الآية وقوله ^(١٩): ﴿أفجعل المسلمين كالمجرمين﴾: وهم الكفار لقوله ^(٢٠) ﴿كتاب﴾ أي ^(٢١)

(١) انظر جامع البيان ٩٧/٢٣ ومعالم التنزيل ٥٩/٤.

(٢) انظر معالم التنزيل ٥٩/٤ وتفسير القرآن العظيم ٣٢/٤.

(٣) انظر معاني القرآن وعرابه للزجاج ورقة ١٧٩.

(٤) الباطل: نقيض الحق وهو ما لا ثبات له عند الفحص عنه. المفردات مادة (بطل) ص ٥٠ والمعنى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما عبثاً ولعباً، ما خلقناهما إلا ليعمل فيهما بطاعتنا وينتهي إلى أمرنا ونهيها (انظر جامع البيان ٩٧/٢٣).

(٥) انظر معالم التنزيل ٥٩/٤.

(٦) في (د) ولكن.

(٧) ساقطة من (د).

(٨) من (د).

(٩) في (هـ) يعطون.

(١٥) الفساد: خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً ويزاده الصلاح ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة، يقال: فسد فساداً وفسوداً وأفسده غيره. انظر المفردات مادة (فسد) ص ٣٧٩.

(١٦) من (ج).

(١٧) الفجار: الفجور شق ستر الذبابة، يقال: فجر فجوراً فهو فاجر، وجمعه فجار وفجرة قال: ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين﴾ (المطففين آية ٧) ﴿وإن الفجار لفي جحيم﴾ (الانفطار ١٤) ﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾ (عيسى ٤٣) وقوله ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ (القيامة ٥) أي يريد الحياة ليتعاطى الفجور فيها وقيل: معناه ليذنب فيها وقيل: معناه يذنب ويقول غداً أتوب ثم لا يفعل

فيكون ذلك فجوراً لبذله عهداً لا يفي به، وسمي الكاذب فاجراً لكون الكذب بعض الفجور. (انظر المفردات مادة (فجر) ص ٣٧٣).

(١٨) سورة الجاثية/ آية رقم ٢١.

(١٩) سورة القلم/ آية ٣٥.

(٢٠) من (د).

(٢١) من (د).

هذا كتاب يعني القرآن ﴿أنزلناه إليك مبارك﴾ كثير خيره ونفعه ﴿ليدبروا﴾ ليتدبروا^(١) ﴿آياته﴾ وليتفكروا^(٢) فيها فيقرأ عندهم صحتها ﴿وليتذكر﴾ بما فيه من المواعظ أهل اللب^(٣) والعقل . قوله^(٤) :

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفْفَنَتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَّتْ بِالْحَبَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾

﴿ووهبنا لداود سليمان﴾ يعني ولدًا، ثم مدح سليمان بقوله^(٥) : ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ راجع عما يكره الله إلى ما يحب ﴿إذ عرض عليه بالعشي﴾ بعد العصر ﴿الصفافات﴾ يقال: صفن الفرس يصفن صفونا إذا قام على ثلاث، وقلب أحد حوافره. و﴿الجياد﴾ جمع جواد وهو الشديد الحضرة^(٦) من الخيل. قال ابن عباس: يريد الخيل السوابق^(٧) إذا وقفت صفتت على أطراف حوافرها عرضت عليه حتى شغلته عن صلاة العصر إلى أن غابت الشمس^(٨) ، فذلك قوله تعالى^(٩) ﴿فقال إني أحببت حب الخير﴾ يعني الخيل والخيل مال، والخير بمعنى المال كثير في التنزيل. قال الزجاج: الخيرها هنا الخيل^(١٠) والنبي ﷺ^(١١) سمي زيد الخيل زيد الخير، وسميت الخيل خيراً، لأن الخير معقود بنواصيها الأجر والمغنى^(١٢). قال الفراء: يقول آثرت حب الخير^(١٣) وكل من أحب شيئاً فقد آثره. وقوله ﴿عن ذكر ربي﴾ أي على ذكر ربي يعني صلاة العصر. ﴿حتى توارت

(١) ساقطة من (ح).

(٢) في (أ، ب، ج، د) يتفكروا.

(٣) اللب: العقل الخاص من الشوائب وسمي بذلك لكونه خالص ما في الإنسان من معانيه كاللباب واللب من الشيء، وقيل: هو ما زكي من العقل فكل لب عقل وليس كل عقل لباً. ولهذا علق الله تعالى الأحكام التي لا تدركها إلا العقول الزكية بأولي الألباب، نحو قوله: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ إلى قوله: ﴿أولوا الألباب﴾ (البقرة ٢٦٩) ونحو ذلك من الآيات (انظر المفردات مادة «لب» ص ٤٤٦).

(٤) ساقطة من (ه).

(٥) في (ه) بقول.

(٦) الحضرة: الحضرة بالضم العدو وأحضر فهو محضر إذا عدا.

(٧) انظر معالم التنزيل ٦٠/٤.

(٨) قال ابن كثير: ذكر غير واحد من السلف أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر، والذي يقطع به: أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً، كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد المغرب، وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه. ويحتمل أنه كان سائغاً في ملتهم تأخير الصلاة لعدو، والأول أقرب، لأنه قال بعدها: «ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق» وذهب ابن جرير إلى أنه ذهب يمسح عراقيب الخيل وأعرافها لأنه لم يكن له أن يعذب حيواناً بالعرقبة ويهلك ما له لغير سبب. وخالفه ابن كثير لاحتمال أن يكون مثل هذا جائزاً في شرعهم ولا سيما إذا كان غضبا لله، ولذلك عوضه الله بما هو خير منها من الريح التي هي أسرع من الخيل (اهـ) ملخصاً (انظر تفسير القرآن العظيم ٣٤/٤).

(٩) من (ج).

(١٠) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ورقة ١٧٩.

(١١) في (أ، ب، ج) أسمى.

(١٢) هذا الكلام مقتبس من قول رسول الله ﷺ «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة» رواه البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب

حدثني محمد بن المثنى عن أنس.

(١٣) انظر معاني القرآن للفراء ٤٠٥/٢.

بالحجاب ﴿^(١) حتى استترت الشمس بما يحجبها عن الأبصار. قال الحسن^(٢) إن سليمان [عليه السلام] ﴿^(٣) لما شغله عرض الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب الله تعالى ﴿^(٤) فقال ﴿ردوها علي﴾ أي أعيدوها علي ﴿فطفق﴾ قال أبو عبيدة^(٥): طفق يفعل مثل ما زال يفعل وهو [مثل ظل] ﴿^(٦) وبات، يقال: طفق يطفق طففاً وطفوقاً وقوله: ﴿مسحاً﴾ أي يمسح مسحاً أي يضرب، يقال: مسح علاوته أي ضرب عنقه، وهذا قول الفراء وأبي عبيدة^(٧). قال الفراء: والمسح ها هنا القطع. والمعنى أنه أقبل يضرب سوقها وأعناقها، لأنها كانت سبب فوت صلاته^(٨). وهذا قول ابن عباس ومقاتل قالا: «يريد قطع السوق والأعناق ﴿^(٩)﴾»^(١٠).

وقال الحسن: كسّف^(١١) أعراقها وقطع أعناقها وقال: لا تشغلني عن عبادة ربي مرة أخرى. قال الزجاج: لم يكن ليفعل ذلك إلا وقد أباح الله له ذلك^(١٢). وجائز أن يباح ذلك لسليمان^(١٣) ويحظر في هذا الوقت^(١٤). والسوق

(١) الحجاب: الحجب والحجاب المنع من الوصول يقال: حجبه حجباً وحجاباً وحجاب الجوف ما يحجب عن الفؤاد وقوله تعالى: ﴿وبينهما حجاب﴾ (الأعراف ٤٦) ليس يعني به ما يحجب البصر، وإنما يعني ما يمنع من وصول لذة أهل الجنة إلى أهل النار وإلى أهل النار إلى أهل الجنة كقوله عز وجل ﴿فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾ (الحديد ١٣) وقال عز وجل ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ (الشورى ٥١) أي من حيث ما لا يراه مكلمه ومبلغه وقوله تعالى ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ يعني الشمس إذا استترت بالمغيب. (انظر المفردات مادة (حجب) ص ١٠٨).

(٢) انظر جامع البيان ١٠٠/٢٣ وتفسير القرآن العظيم ٣٤/٤.

(٣) من (ج).

(٤) من (د).

(٥) انظر معالم التنزيل ٦١/٤ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١٨٣/٢.

(٦) في (هـ) بجمع ظل.

(٧) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٨٣/٢.

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٤٠٥/٢.

(٩) الأعناق: جمع عنق وهي الرقاب. النهاية ١٣٣/٣.

(١٠) انظر جامع البيان ١٠٠/٢٣ وتفسير القرآن العظيم ٣٤/٤.

(١١) كسّف عرقوب الإبل: أي قطعه بالسيف. انظر النهاية في غريب الحديث ٢٠/٤ والمفردات مادة كسّف ص ٤٣١.

(١٢) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٧٩.

(١٣) في (هـ) يباح له ذلك.

(١٤) ما سبق من روايات تفيد أن سيدنا سليمان عليه السلام قد ضيع فرضاً من فروض الله وأرتكب ذنباً وهو عقر الخيل، لتفسيرها قول الحسن تبارك وتعالى ﴿عن ذكر ربي﴾ بصلاة العصر وتفسيرها قوله تعالى ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾ بضرب سوقها وأعناقها بالسيف وتفسيرها قوله تعالى ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ بأن الشمس استترت بما يحجبها عن الأبصار «تفسيراً» والله أعلم لا يستند على خبر صحيح مرفوع أو ما في حكمه يعول عليه، كما يقول علماؤنا الأجلاء، بعد ذكرهم بعض هذه الروايات «وليس في هذا شيء من الاستبعاد، ولذا لم يلتفت إلى الأخبار في ذلك، إذ ليس فيها خبر صحيح مرفوع أو ما في حكمه يعول عليه فيما أعلم» (انظر روج المعاني للالوسي ١٩١/٢٣: ١٩٤ بتصرف).

ويقول ابن جرير الطبري عن ابن عباس قوله «فطفق مسحاً بالسوق والأعناق» يقول: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حيالها. وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية لأن نبي الله ﷺ لم يكن إن شاء الله ليعذب حيواناً بالعزقة ويهلك ماله من غير سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها. (انظر جامع البيان للطبري ١٠٠/٢٣)

وقال صاحب تفسير الميزان: وأما عقره عليه السلام الخيل وضربه أعناقها بالسيف فقد روي في ذلك عدة روايات من طرق أهل السنة وأورده القمي في تفسيره، وكلها تنتهي إلى كعب، وكيف كان فلا يعابها. الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي ٢٠٦/٧ بتصرف =

جمع ساق مثل لَابٍ (١) ولوبٍ.

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْأَعْيُنَ وَحُسْنَ مَّكَابٍ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى (٢): ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ أي (٣) ابتليناه واختبرناه بسلب ملكه. قال أكثر المفسرين: تزوج سليمان (عليه السلام) (٤) امرأة من بنات الملوك فعبدت الصنم في داره ولم يعلم بذلك سليمان فامتحن بسبب غفلته (٥) كانت عن ذلك. قال ابن عباس (٦) في رواية عطاء ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ يريد (٧) بصخر الشيطان الذي لم يكن سخر له، وكان شيطاناً مardاً عظيماً لا يقوى عليه جميع الشياطين، وكان نبي الله سليمان لا يدخل الكنيف (٨) بخاتمه، فجاء سخر في صورة سليمان حتى أخذ الخاتم من امرأة من نسائه وأقام أربعين يوماً في مكانه وسليمان هارب (٩). وقال مجاهد: إن شيطاناً (١٠) قال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك، فلما أعطاه إياه نبذه في البحر فذهب ملكه، وقعد الشيطان على كرسيه ومنعه الله نساء سليمان فلم يقربهن، وكان سليمان يستطعم فيقول: أتعرفوني؟ أطمعوني. فيكذبونه حتى أعطته امرأته (١١) يوماً حوتاً (١٢) فشق بطنه فوجد خاتمه في بطنه. فرجع إليه

= ويعتبر الإمام ابن حزم رواية تضييع الصلاة وعقر الخيل من الخرافات والأكاذيب الموضوعة، ثم يبين لنا التفسير المقبول للآيات فيقول: وهذه خرافة موضوعة مكذوبة سخيفة باردة قد جمعت أفانين من القول، والظاهر أنها من اختراع زنديق بلا شك، لأن فيها معاقبة خيل لا ذنب لها والتمثيل بها وإتلاف مال منتفع به بلا معنى، ونسبة تضييع الصلاة إلى نبي مرسل ثم يعاقب الخيل على ذنبه لا على ذنبها وهذا أمر لا يستجيزه صبي ابن سبع سنين فكيف نبي مرسل!!، ومعنى هذه الآية ظاهر بين وهو أنه عليه السلام أخبر أنه أحب حب الخير من أجل ذكر ربه حتى توارت الشمس بالحجاب أو حتى توارت تلك الصفات الجياد بحجابها، ثم أمر بردها فطفق مسحاً بسوقها وأعتاقها بيده برأ بها وإكراماً لها، وهذا هو ظاهر الآية الذي لا يحتمل غيره، وليس فيها إشارة أصلاً إلى ما ذكره من قتل الخيل وتعطيل الصلاة، وكل هذا قد قاله ثقات المسلمين فكيف؟ ولا حجة في قوله أحد دون رسول الله ﷺ (انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ٢٠/٤).

(١) في أ، ب، ح، هـ، الآية.

(٤) من (ج).

(٢) من (ج).

(٥) ساقطة من (ج).

(٣) ساقطة من (د، هـ).

(٦) انظر تفسير مجاهد ٥٤/٢، ٥٥، وجامع البيان ١٠٠/٢٣، ١٠١، وتفسير القرآن العظيم ٣٥/٤.

(٧) ساقطة من (هـ).

(٨) الكنيف هو السائر فكل ما ستر من بناء أو حفيرة فهو كنيف وهو هنا بمعنى الخلاء. انظر النهاية ٣٦/٤ ولسان العرب مادة (كنف).

(٩) انظر جامع البيان ١٠١/٢٣، ومعالم التنزيل ٦٧/٤، وتفسير القرآن العظيم ٣٥/٤.

(١٠) في (ب، ج، د، هـ) شيطان.

(١١) في (ب، د) امرأة.

(١٢) الحوت: هو السمك العظيم قال تعالى ﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً﴾ (الأعراف ١٦٣) انظر المفردات مادة (حوت)

ملكه^(١)»^(٢) فذلك قوله: ﴿وَأَلْقِينَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ يعني الشيطان الذي كان على كرسية يقضي بين الناس ﴿أنا﴾ رجع بعد أربعين يوماً إلى ملكه.

(١) في (أ، ب، ج) ماله.

(٢) هذه الروايات وغيرها من الروايات التي ذكرها المفسرون في فتنة سليمان النبي لم ترد في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة، بل هي مروية عن اشتهر بمثل تلك التفاصيل الدخيلة وهو «وهب بن منبه»، و«السدي» فضلاً عما فيها من تناقضات ومخالفات تدل على علم صحتها، ومن هنا فإننا لا نسلم بها. أما عن التناقضات في تلك الروايات التي معنا فرى الواحد يذكّر في الرواية الأولى أن سبب فتنة سليمان ما حدث في بيته من عبادة زوجته لصنم دون علمه، وفي الرواية الثانية يذكر فيها أن صخرًا المارد تمثل بصورة سليمان وأخذ الخاتم من زوجته، وفي الرواية الثالثة يذكر فيها أن الشيطان ضحك على سليمان وأخذ خاتمه وألقاه في البحر فذهب ملك سليمان فتلك وغيرها مما ذكره بعض المفسرين أقوال متناقضة ومن ثم لا يعتد بها جميعاً، كما أن فيها مخالفات لا تتماشى مع روح الآيات ولا مع نزاهة الأنبياء وقديسيهم.

لذلك فإن المحققين قد أبطلوا هذه الروايات. يقول الإمام الفخر الرازي: واعلم أن أهل التحقيق استبعدوا هذا الكلام من وجوه الأول: أن الشيطان لو قدر على أن يتشبه بالصورة والخلقة بالأنبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من الشرائع، فلعل هؤلاء الذين رأهم الناس في صورة عيسى وموسى عليهما السلام ما كانوا أولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لأجل الإغواء والإضلال ومعلوم أن ذلك يبطل الدين بالكلية، الثاني: أن الشيطان لو قدر على أن يعامل نبي الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب أن يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد وحينئذ وجب أن يقتلهم وأن يمزق تصانيفهم وأن يخرب ديارهم، ولما بطل ذلك في حق أحاد الناس فلأن يبطل مثله في حق أكابر الأنبياء بل أولى.

الثالث: كيف يليق بحكمة الله وإحسانه أن يسلط الشيطان على أزواج سليمان؟ ولا شك أنه قبيح.

الرابع: لو قلنا إن سليمان أذن لتلك المرأة في عبادة تلك الصورة (ذلك الصنم) فهذا كفر منه ولم يأذن فيه البيت، فالذنب على تلك المرأة فكيف يؤخذ الله سليمان بفعل لم يصدر عنه؟ (انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٢٦/٢٠٨). ويقول الإمام ابن كثير معاً على الروايات السابقة: وأرى هذه الروايات كلها من الإسرائيليات ومن أنكرها ما قاله ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء، وعثمان بن أبي شيبة وعلي بن محمد قالوا: حدثنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿وَأَلْقِينَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ ثم أناب ﴿قال: أراد سليمان عليه الصلاة والسلام أن يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه... إلى آخره كما ذكره الواحدي، ثم يقول ابن كثير: إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قوي، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس إن صح عنه من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٣٥، ٣٦ بتصرف).

ويقول الشيخ أبو شهبة: ونحن لا نشك في أن هذه الخرافات من أكاذيب بني إسرائيل وأباطيلهم وأن ابن عباس وغيره تلقوها عن مسلمة أهل الكتاب لكن بعض الكذبة من بني إسرائيل كان أحرص وأبعد غوراً من البعض الآخر فلم يتورط فيما تورط فيه البعض من ذكر تسلط الشيطان على نساء سليمان عليه السلام، وذلك حتى يكون لما لفته وافتراه بعض القبول عند الناس، أما البعض الآخر فكان ساذجاً في كذبه مغفلاً في تلفيقه فترك آثار بينة واضحة. وبذلك اشتمل ما لفته على دليل كذبه، والحق أن نسج القصة مهلهل عليه أثر الصنعة والاختلاق، ويصادم العقل السليم والنقل الصحيح في هذا، وإذا جناز للشيطان أن يتمثل برسول الله سليمان عليه السلام فأى ثقة بالشرائع تبقى بعد هذا؟ وكيف يسلط الله الشيطان على نساء نبيه وهو أكرم على الله من ذلك؟ وأي ملك أو نبوة يتوقف أمرهما على خاتم يدومان بدوامه ويزولان بزواله؟ وما عهدنا في التاريخ الشري شيئاً من ذلك. وإذا كان خاتم سليمان عليه السلام بهذه المثابة فكيف يغفل الله شأنه في كتابه الشاهد على الكتب السماوية ولم يذكره بكلمة؟ وهل غير الله خلقه سليمان في لحظة حتى أنكرته أعرف الناس به وهي زوجته جرادة؟ الحق أن نسج القصة مهلهل لا يصمد أمام النقد وإن آثار الكذب والاختلاق بادية عليه (انظر الإسرائيليات والموضوعات للشيخ أبو شهبة ص ٣٨٠ - ٣٨٣ بتصرف).

وبعد فإذا ثبت بطلان تلك الروايات السابقة فما التفسير الصحيح إذاً للفتنة؟ نقول: إن التفسير الصحيح للفتنة هو ما ذهب إليه

فلما رجع ﴿قال رب اغفر لي و﴾^(١) هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾^(٢) قال مقاتل^(٣) وأبو عبيدة^(٤): لا يكون، فاستجاب الله له^(٥). ذلك فلم يكن لأحد بعده من^(٦) الملك ما كان له. أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد المنصوري أنا علي بن عمر الحافظ أنا الحسين بن إسماعيل المحاملي أنا زياد بن أيوب أنا شابة أنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه صلى صلاة فقال: «إن الشيطان عرض لي يفسد علي الصلاة فأمكنني الله منه فدعته^(٧) ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا وتظنوا إليه أجمعين فذكرت قول سليمان (عليه السلام)^(٨) ﴿هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾^(٩) فرده الله خاسئاً أو خائباً رواه البخاري^(١٠) عن إسحق بن

= المحققون من أن سبب فتنة سليمان عليه السلام ما رواه البخاري عن أبي هريرة قال: قال سليمان بن داود عليه السلام: لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله فقاتل الملك: قل: إن شاء الله. فلم يقل، ونسي، فأطاف بهن ولم تلد منهم إلا امرأة نصف إنسان قال النبي ﷺ لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان أرجى لحاجته. (انظر صحيح البخاري كتاب النكاح باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائه). (١) ساقطة من (ج، ه).

(٢) قد يقول قائل: ما وجه رغبة سليمان إلى ربه في الملك وهو نبي من الأنبياء وإنما يرغب في الملك أهل الدنيا المؤثرون لها على الآخرة؟ أم ما وجه مسألته إياه إذ سأله ذلك ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده وما كان يضره أن يكون كل من بعده يؤتى مثل الذي أوتي من ذلك؟ اكان به بخل بذلك فلم يكن من ملكة يعطي ذلك من يعطاه؟ أم حسد للناس؟ كما ذكر عن الحجاج بن يوسف فإنه ذكر أنه قرأ قوله «وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي» فقال: إن كان لحسوداً فإن ذلك ليس من أخلاق الأنبياء. قيل: أما رغبته إلى ربه فيما يرغب إليه من الملك فلم تكن به رغبة في الدنيا ولكن إرادة منه أن يعلم منزلته من الله في إجابته فيما يرغب إليه فيه وقبوله توبته وإجابته دعائه. واما مسألته ربه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فإننا قد ذكرنا فيما مضى قبل قول من قال: إن معنى ذلك هب لي ملكاً لا أسلبه كما سلبته قبل، وإنما معناه عند هؤلاء هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعد أن يسلبنيه. وقد يتجه ذلك أن يكون بمعنى لا ينبغي لأحد سواي من أهل زماني فيكون حجة وعلماً على نبوتي وأني رسولك إليهم مبعوث، إذ كانت الرسل لا بد لها من اعلام تفارق بها سائر الناس سواهم ويتجه أيضاً لأن يكون معناه وهب لي ملكاً تخصصني به لا تعطيه أحداً غيري تشريفاً منك لي بذلك وتكرمه لتبين منزلتي منك به من منازل من سواي وليس في وجه من هذه الوجوه مما ظنه الحجاج في معنى ذلك شيء. انظر جامع البيان ١٠٥/٢٣، ١٠٦.

(٣) انظر معالم التنزيل ٦٤/٤. (٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٨٣/٢.

قال عنه الحافظ: لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة مات سنة عشر ومائتين وقيل سنة تسع (انظر تذكرة الحفاظ ١/٣٧١، ٣٧٢).

(٥) ساقطة من (ج). (٧) فدعته: أي خففته.

(٨) من (ج). (٦) ساقطة من (ه).

(٩) قال ابن حجر في الفتح: وقوله «فذكرت دعوة أخي سليمان» أي قوله «وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي» قال: وفي هذا إشارة إلى أنه ﷺ كان يقدر على ذلك إلا أنه تركه رعاية لسليمان عليه السلام، قال: ويحتمل أن تكون خصوصية سليمان استخدام الجن في جميع ما يريد لا في القدر فقط قال: واستدل الخطابي بهذا الحديث على أن أصحاب سليمان كانوا يرون الجن في أشكالهم وهيتهم حال تصرفهم قال: وأما قوله تعالى ﴿إنه يراكم هو وقييله من حيث لا ترونهم﴾ (الأعراف ٢٧) فالمراد الأكثر الأغلب من أحوال بني آدم. قال: ونعقب بأن رؤية الإنس للجن على هيتهم ليس بقاطع من الآية بل ظاهرها أنه ممكن، فإن نفي رؤيتنا إياهم مقيد بحال رؤيتهم لنا قال: وينبغي إمكان رؤيتنا لهم في غير تلك الحالة قال: ويحتمل العموم وهو الذي فهمه العلماء حتى قال الشافعي: من زعم أنه يرى الجن ابطلنا شهادته واستدل بهذه الآية (انظر فتح الباري لابن حجر ٤٥٩/٦).

(١٠) انظر صحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة (ص).

والإمام البخاري هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله البخاري جبل الحفظ وإمام الدنيا ثقة الحديث من الحادية عشرة مات سنة ست وخمسين ومائتين هجرية في شوال وله اثنان وستون سنة (انظر التقريب ١٤٤/٢).

إبراهيم عن روح وغندر ورواه مسلم^(١) عن إسحاق بن منصور عن النضر بن شميل كلهم عن شعبة ويدل على^(٢) ما ذكرنا قوله ﴿فسخرنا له الريح﴾^(٣) ولم نسخرها لأحد بعده ولا ملكها سواه ﴿تجري بأمره رخاء﴾ لينة الهبوب ليست بالعاصفة^(٤). ﴿حيث أصاب﴾ أراد من النواحي قال الزجاج: [إجماع أهل اللغة والمفسرين]^(٥) حيث أصاب أي^(٦) حيث أراد^(٧) [من النواحي قال الزجاج]^(٨): وحقيقته حيث قصد^(٩). وقال الأصمعي: العزب تقول: أصاب فلان الصواب فأخطأ الجواب معناه: أنه قصد الصواب وأراد^(١٠) فأخطأ مراده ولم يتعمد الخطأ^(١١) ﴿والشياطين﴾ أي وسخرنا له الشياطين ﴿كل بناء﴾ يبنون له ما يشاء من محاريب وتماثيل و«غواص» يغوصون في البحار يستخرجون له الدر^(١٢) من البحار^(١٣) ﴿و«آخرين﴾ أي^(١٤) [وسخرنا له آخرين]^(١٥) يعني مرده الشياطين سخرها له حتى قرنهم في الأصفاذ وهو قوله ﴿مقرنين في الأصفاذ﴾^(١٦) يقال: قرنهم في الحبال إذا كانوا جماعة كثيرة والأصفاذ الأغلال واحدها صفد. قال الزجاج: هي السلاسل من الحديد وكل ما شدته شداً وثيقاً بالحديد وغيره فقد صفدته^(١٧). قال أبو عبيد: يقال^(١٨) صفدت الرجل فهو مصفود وأصفدته^(١٩) فهو مصفد^(٢٠) ﴿هذا عطاؤنا﴾ أي قلنا له: هذا الملك يعني ما سأل من قومه هب لي ملكاً ﴿فامنن﴾ المن الإحسان إلى من لا تستثيه. قال عطاء عن ابن عباس: أعط من شئت وأمسك عن من شئت^(٢١) ﴿بغير حساب﴾ لا حرج عليك فيما أعطيت وفيما أمسكت^(٢٢). قال الحسن: ما أنعم الله على أحد^(٢٣) نعمة إلا عليه تبعه إلا سليمان (فإن الله تعالى^(٢٤) قال^(٢٥)): «هذا عطاؤنا» الآية. إن أعطي أجر^(٢٦) وإن لم يعط لم يكن عليه

(١) انظر صحيح مسلم كتاب الصلاة باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعود منه وجواز العمل القليل في الصلاة والإمام مسلم هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين النيسابوري الحافظ قال عنه مسلم بن قاسم: جليل القدر من الأئمة وقال ابن أبي حاتم: كتبت عنه وكان ثقة من الحفاظ له معرفة بالحديث ولد سنة أربع ومائتين ومات لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين من الهجرة (انظر تهذيب التهذيب ١٠/١٢٦).

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) التسخير: السياقة إلى الأرض قهراً (انظر المفردات مادة (سخر) ص ٢٢٧).

(٤) العاصفة تكسر الشيء فتجعله كعصف وعصفت بهم الريح تشبهاً بذلك: انظر المفردات مادة (عصف) ص ٣٣٦.

(٥) في (ج) إجماع المفسرين وأهل اللغة.

(٦) من (ج).

(٧) انظر تفسير عبد الرزاق ٣/٩٦٦ وجامع البيان ٢٣/١٠٣ ومعالم التنزيل ٤/٦٠، والجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٠٦، وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٨ والمفردات ١٩٢ والبحر المحيط ٧/٣٩٨ ولسان العرب مادة «صوب».

(٨) من (ج، ه).

(٩) من (ج، ه).

(١٠) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة رقم ١٨٠.

(١١) في (ج) فأراداه.

(١٢) انظر لسان العرب مادة «صوب».

(١٣) الدر: أي الحلوى: انظر معاني القرآن ورقة رقم ١٨٠.

(١٤) انظر جامع البيان ٢٣/١٠٣ ومعالم التنزيل ٤/٦٠ والجامع لأحكام القرآن ١٥/١٠٦ وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٨.

(١٥) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة رقم ١٨٠.

(١٦) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٣٩.

(١٧) في (د) صفدته وفي (ه) وصفدته.

(١٨) من (ب، ج).

(١٩) انظر غريب الحديث لأبي عبيد ١/٣٢٣.

(٢٠) ساقط من (ه).

(١٣) في (أ، ب، ج، ه) البحر.

(١٤) ساقطة من (ب، ج).

(١٥) ما بين المعقوفين ساقط من (د).

(١٦) انظر جامع البيان ٢٣/١٠٣ ومعالم التنزيل ٤/٦٠ والجامع لأحكام القرآن ١٥/١٠٦ وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٨.

(١٧) انظر معاني القرآن العظيم ٤/٣٩.

(١٨) في (د) عبد.

(١٩) من (ه).

(٢٥) في (ه) قال الله تعالى.

(٢٦) في (ب) أجرى.

تبعه^(١) قال الزجاج: قوله [﴿بغير حساب﴾ أي بغير جزاء^(٢) يعني أعطيناك^(٣) تفضلاً لا مجازاة. ثم أخبره بمنزلته في الآخرة فقال ﴿وإن له﴾^(٤) عندنا لزلفى^(٥) وحسن مثاب^(٦).

وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضُ بِرِجْلِكَ هَذَا مَغْتَسِلًا بَارِدًا وَشَرَابًا ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

قوله^(٧) [﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى﴾ ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾] النصب والنصب كالخزن والحزن والعدم والعدم وهو الضر والمكروه والشدة يعني ما ابتلاه الله به [حين]^(٨) سلط عليه الشيطان^(٩) قاله ابن عباس.

قال قتادة^(١٠): بضر في الجسد وعذاب في المال. وقال السدي: النصب ما أنصب الجسد والعذاب أهلك المال ثم^(١١) فرج الله عنه وهو قوله ﴿اركض برجلك﴾ [أي قلنا له اركض برجلك]^(١٢) قال ابن عباس: اضرب الأرض برجلك فركض فنبعت بركضته عين ماء وهو قوله: ﴿هذا مغتسل﴾ وهو ما اغتسل به^(١٣) من الماء ﴿بارد وشراب﴾^(١٤) شرب^(١٥) منه. قال مقاتل: انفجرت له عين فاغتسل منها^(١٦) فخرج منها صحيحاً ثم مشى أربعين خطوة فدفن الأرض برجله الأخرى فنبعت عين أخرى ماءً عذباً بارداً^(١٧) فذلك^(١٨) قوله ﴿هذا مغتسل بارد﴾^(١٩) يعني الذي اغتسل فيه ﴿وشراب﴾

(٣) في (ج) أعطينا له.

(١) انظر جامع البيان ١٠٥/٢٣ ومعالم التنزيل ٦٥/٤.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٨٠.

(٧) من (ب، ح).

(٥) الزلفة والزلفى المنزلة والخطوة. انظر المفردات مادة (زلف) ص ٢١٤.

(٨) من (ج).

(٦) مآب: أي مصير قاله قتادة. انظر جامع البيان ١٠٥/٢٣.

(٩) يذكر كثير من المفسرين ههنا مرويات وقصصاً إسرائيلية في ابتلائه عليه السلام ولا وثوق من ذلك كله إلا بمجمله وهو ما أشار له التنزيل الكريم لأنه المتيقن، وهو أنه عليه الصلاة والسلام أصابته بلوى عظيمة في نفسه وماله وأهله وأنه صبر على ذلك صبراً صار يضرب به المثل، كثيانه وسعة صدره وشجاعته وأنه جوزي بحسنة صبره أضعافها المضاعفة.

والرأي الحق في هذا الموضوع والله أعلم ما ذكره ابن حيان في تفسيره البحر المحيط حيث يقول: قال الزمخشري: لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سبباً فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبة إليه، وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو. وقيل: أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء، أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل، وذكر في سبب بلائه أن رجلاً استغاثه على ظالم فلم يعثه، وقيل: كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يفده، وقيل: أعجب بكثرة ماله. انتهى.

ولا يناسب مناصب الأنبياء ما ذكره الزمخشري من أن أيوب كانت منه طاعة للشيطان فيما وسوس به وإن ذلك كان سبباً لما مسه الله به من النصب والعذاب ولا أن رجلاً استغاثه على ظالم فلم يعثه، ولا أنه داهن كافر، ولا أنه أعجب بكثرة ماله، وكذلك ما روي أن الشيطان سلطه الله عليه حتى أذهب أهله وماله ولا يمكن أن يصح ولا قدرة له على البشر إلا بالقاء الوسواس الفاسدة لغير المعصوم. والذي نقوله أنه تعالى ابتلى أيوب عليه السلام في جسده وأهله وماله على ما روي في الأخبار. (انظر البحر المحيط ٤٠٠/٧).

(١٠) انظر جامع التنزيل ١٠٦/٢٣، ١٠٧ وتفسير الثوري ٢٦٠ ومعالم التنزيل ٦٥/٤ والزهد للإمام أحمد ص ٤٢.

(١١) ساقطة من (هـ). (١٤) ساقطة من (ج، د، هـ). (١٧) انظر جامع البيان ١٠٧/٢٣ ومعالم التنزيل ٦٥/٤.

(١٢) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ). (١٥) في (أ، د، هـ)، يشرب. (١٨) في (هـ) فهذا.

(١٣) ساقطة من (هـ). (١٦) في (أ، ب، ج، د) فيها. (١٩) من (ب، د، هـ).

أراد الذي شرب منه . وقال الحسن ركض ركضة أخرى^(١) [فإذا عين تنبع حتى غمرته فرد الله إليه جسده فركض ركضة أخرى]^(٢) فإذا عين أخرى فشرب منها فطهرت جوفه وغسلت كل قدر كان فيه .^(٣) وما بعد هذا مفسر في سورة الأنبياء إلى قوله ﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾ وهو ملء الكف من الشجر والحشيش والشمراخ ، وكان حلف ليجلدن امرأته مائة جلدة . قال سعيد بن المسيب : اتهمها أنها قارفت شيئاً من الخيانة ، لأنها أتته يوماً بزيادة على ما كانت تأتي به من الخبز^(٤) . وقال قتادة^(٥) : عرض لها إبليس وأراد أن تحمل زوجها على شيء ، فقالت لأيوب : لو تقربت إلى الشيطان بشيء^(٦) فذبحت له عناقاً ، فحلف أيوب^(٧) لئن شفاه الله ليجلدها مائة جلدة . فأمر أن يأخذ عيداناً رطبة من تمام مكة عود فيضرب^(٨) به كما أمره الله تعالى^(٩) وهو قوله ﴿فاضرب به ولا تحث﴾ فكان^(١٠) ذلك تحلة ليمينه وتخفيفاً عن امرأته^(١١) ثم أتى على أيوب فقال ﴿إنا وجدناه صابراً﴾ أي على البلاء الذي ابتليناه به ﴿نعم العبد﴾ هو^(١٢) ﴿إنه أواب﴾ رجاع إلى ما يحب الله^(١٣) من طاعته قوله^(١٤) :

(١) من (ب) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٣) انظر جامع البيان ١٠٧/٢٣ ومعالم التنزيل ٦٥/٤ والجامع لأحكام القرآن ٢١١/١٥ والدر المنثور ٣١٦/٥ وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير عن الحسن .

والأندر : البيدر وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام بلغة الشام والأندر أيضاً صبرة من الطعام وهمزة الكلمة زائدة . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٦/١ .

(٤) رواه صاحب الدر المنثور ٣١٦/٥ وعزاه إلى الإمام أحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٥) انظر جامع البيان ١٠٨/٢٣ .

(٦) من (ج) .

(٧) من (ب ، ج) .

(٨) من (ب ، ج) .

(٩) هاتان الروايتان وغيرهما من الروايات الأخرى التي ذكرها العلماء في سبب حلف سيدنا أيوب على زوجته لئن شفاه الله ليجلدها

مائة جلدة كلها روايات متعارضة ومتناقضة اللهم إلا إذا تعددت اللقاءات وهو يحتاج إلى دليل من القرآن أو السنة المرفوعة .

والمهم أن يعلم بأن أيوب عليه السلام وقع منه يمين على زوجته إن شفاه الله جلدها مائة جلدة وأراد الله سبحانه وتعالى أن يحلله من

يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها فأفاته الله عز وجل أن يأخذ ضغثاً وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها

ضربة واحدة وقد برت يمينه وخرج من حنثه ووفى بندره ، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى واناب إليه . انظر أحكام

القرآن لابن العربي ١٦٥٢/٤ وتفسير القرآن العظيم ٤٠/٤ والبحر المحيط ٤٠١/٧ . يتصرف وهذا الحكم قيل : إنه خص به أيوب

عليه السلام قال مجاهد وغيره : وهو مذهب مالك وغيره من أهل المدينة ، وقيل : هذا الحكم منسوخ بكفارة اليمين ، وجعله الشافعي

حكماً عاماً معمولاً به ، وهو قول عطاء ، وهذا مذهب يدل على أن شرع من قبلنا شرع لنا مالم ينقل عنه بنص ، وهذا مذهب يتناقض

لأن الشرائع قبلنا مختلفة في كثير من أحكامها ، ولا تقدر على تحريم شيء وتحليله في آن واحد ولا تقدر على العمل بها كلها

لاختلافها . وأما قوله تعالى ﴿فيهداهم اقتده﴾ (الأنعام ٩٠) فإنما ذلك في الإيمان بالله ورسوله ، وما لا يختلفون فيه وغير جائز أن يكون

المراد بشرائعهم . . (اقتده) فإن ادعى مدع أن هذا الذي برّ به أيوب يمينه من شرائع الأنبياء فيلزمنا فعله ، ينزل عن الدليل على ذلك ولا

يجد إليه سبيلاً أبداً (انظر الإيضاح ص ٣٤٣ ، ٣٤٤) . وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابه لا تعرف الحد إلا حداً واحداً الصحيح والزوم

فيه سواء قالوا : ولو جاز هذا الجواز مثله في الحامل أن تضرب بشماريخ النخل ونحوه ، فلما أجمعوا أنه لا يجرى ذلك في الحامل كان

الزمن مثل ذلك . اهـ (انظر هامش أبي داود ٦١٦/٤) .

(١٢) في (ج) قوله .

(١٣) ساقطة من (د) .

(١٤) من (ب ، ج) .

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾
وَأَيُّهُمْ عِنْدَنَا لِمَنِ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ
وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَثَابٍ ﴿٤٩﴾

﴿واذكر عبدنا﴾ وقرأ ابن كثير^(١) ﴿عبدنا﴾^(٢) على الواحد^(٣) اختصاصاً بالإضافة إلى الله على وجه^(٤) المكرمة^(٥)، وهو قراءة ابن عباس^(٦)، يقول: إنما ذكر إبراهيم ثم ذكر^(٧) ولده بعده^(٨) قال مقاتل واذكر يا محمد صبر عبدنا^(٩) إبراهيم حين ألقى في النار. وصبر إسحاق للذبح^(١٠)، وصبر يعقوب

(١) ابن كثير هو عبد الله بن كثير الداري المكي أبو عبد القاريء أحد الأئمة صدوق من السادسة مات سنة عشرين ومائة هجرية (التقريب ٤٤٢/١).

(٢) قرأ ابن كثير (عبدنا) بغير ألف على التوحيد والمراد الجنس، أو الخليل وإبراهيم بدل أو عطف بيان، وافقه ابن محيصن. والباقون بالجمع على إرادة الثلاثة وإبراهيم وما عطف عليه بدل أو بيان. (انظر النشر ٣٦١/٢ وإتحاف فضلاء البشر ص ٣٧٢ وتحرير التيسير ص ١٧١. ومعاني القرآن للفراء ٤٠٦/٢).

(٣) في (ج) واحد.

(٤) في (د) إلى وجه.

(٥) في (ب) ج) التكرمة.

(٦) انظر جامع البيان ١٠٩/٢٣ ومعاني القرآن للفراء ٤٠٦/٢.

(٧) من (ج).

(٨) في (د) بعد ذلك.

(٩) في (أ) ب، ج، هـ) عبادنا.

(١٠) يشير القرآن الكريم والتوراة إلى ان الله أراد أن يمتحن سيدنا إبراهيم فأمر في منامه أن يذبح ولده فأخذ إبراهيم الغلام وألقاه على جبينه وهم يذبحه امتثالاً لأمر الله، فافتداه الله بذبح عظيم. وقد اختلف العلماء حول الذي تعرض للذبح هل هو إسماعيل أو إسحاق؟ فبعضهم يرى انه إسماعيل وهو الرأي الصحيح المختار كما سنبين إن شاء الله.

والبعض الآخر يرى أنه إسحاق ومنهم الواحدي الذي ادعى أن هذا رأي الأكثرين واستدل أصحاب هذا الرأي ببعض الروايات الضعيفة التي دسها اليهود في الفكر الإسلامي وتحريفهم للتوراة ذاتها، وذلك لعداوتهم المتأصلة للعرب ولكي لا يكون للجد الأعلى للنبي الأمي فضل أو مزية حتى لا ينجر هذا الفضل إلى نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه وبالتالي إلى الجنس العربي.

وقد اعتمد اليهود في دعواهم هذه على عدة عوامل منها (أولاً) ما جاء في التوراة التي حرفوها «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق، واذهب إلى الأرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك» سفر التكوين ٢٢: ٢ ومنها (ثاني) «ما جاء في الإنجيل» بالإيمان قدم إبراهيم إسحاق وهو مجرب، قدم الذي قبل المواعيد وحده، الذي قيل له إنه إسحاق يدعي لك النسل، إذ حسب أن الله على الإقامة من الأموات أيضاً «الرسالة إلى العبرانيين ١١: ١٧ - ١٩» ومنها (ثالثاً) ان إسحاق قد ولد بطريقة خارقة للطبيعة، وأنه قد أعطي اسماً قبل أن تحمل به أمه. حبيب سعيد ص ٩٣، تكوين ١٨: ٩ - ١٥، ومنها (خامساً) بعض الروايات الإسلامية عن كعب الأحبار من أن الذي أمر إبراهيم بذبحه إنما كان إسحاق. انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢٦٥/١ وتفسير القرآن العظيم ١٥٩/١، ١٦٠ والكامل لابن الأثير ١٠٩/١ وجامع البيان ٧٧/٢٣: ٨٨.

وإذا أردنا مناقشة حجج اليهود والنصارى هذه فإننا نلاحظ عليها عدة نقاط كما يقول الأستاذ الدكتور/ محمد بيومي مهران في كتابه دراسات تاريخية: أولاً: أنها تصف الذبيح بأنه ابن إبراهيم الوحيد وهو وصف لا يمكن بحال من الأحوال ان ينطبق على غير إسماعيل وحده في السنوات الأربع عشرة الأولى من عمره، والتي سبقت مولد إسحاق، وانطلاقاً من هذا، فإن إسحاق لم يكتب له في يوم من الأيام أن يكون وحيد إبراهيم، ذلك لأن إسماعيل قد عاش حتى وفاة إبراهيم ثم اشترك مع إسحاق في دفنه بمغارة الكفيلة كنص التوراة نفسها، سفر التكوين ١٦: ١٦، ٢٥: ٩ وهكذا لم يكن إسحاق أبداً وحيداً مع وجود إسماعيل، أما إسماعيل فقد كان وحيداً =

حين ذهب بصره ولم يذكر إسماعيل لأنه لم يتل بشيء ﴿أولي الأيدي والأبصار﴾ [قال ابن عباس: أولي القوة في طاعة

= قبل مولد إسحاق ومن هنا كانت لفظه إسحاق في نص التوراة «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق» تكوين ٢٢: ٢ مقحمة لأنه لم يكن وحيداً ولا بكراً وإنما ذلك هو إسماعيل ولعل الذي حمل اليهود على ذلك هو حسد العرب. ابن كثير ١٥٩/١ راجع فتاوى ابن تيمية ٣٢٦/٤ - ٣٣٢ وحرصاً منهم على أن يكون أبوهم إسحاق هو الذبيح الذي جاء بنفسه في طاعة ربه، وهو في حالة صغره، هذا فضلاً عن أن ذلك إنما يتعارض ونصوص أخرى في التوراة.

ومنها (ثانياً) ان ما جاء في الإنجيل - في الرسالة إلى العبرانيين - فقد كان الحل الذي ارتضاه فقهاء المسيحية للخروج من مشكل: كيف يؤمر إبراهيم بذبح إسحاق، وهو ابنه الموعود الذي يخرج منه الشعب المختار، طبقاً لرواية التوراة: بإسحاق يدعى لك نسل تكوين ٢١: ١٢ إذ لو كان إسحاق قد كبر وصار له ابن يحافظ على النسل في الأجيال القادمة لزال العتقة ولكن كيف يتفق ان يموت إسحاق الذي لم يكن له ابن بعد، وأن يتحقق الوعد الذي أعطي لإبراهيم بأن يكون له من إسحاق نسل كرمل البحر ونجوم السماء. ومنها (ثالثاً) ان حججهم من أن إسحاق قد ولد بطريقة خارقة للطبيعة وأنه قد أعطي اسمه قبل أن تحمل به أمه ولعل قصدهم بولادته الخارقة للعادة أنه ولد والديه شيخ في المائة وأمه عجوز في التسعين من عمرها فإذا كان ذلك كذلك فهو صحيح ولكن صحيح كذلك أن سيدنا إسماعيل قد كانت ولادته شبيهة بولادة إسحاق أو قريبة منها لأنه قد ولد وإبراهيم في السادسة والثمانين من عمره بل من الروايات التي جاءت في التوراة وروايات إسلامية كذلك تفيد أنه تزوج وهو في السابعة والثلاثين بعد المائة وفي الخامسة والسبعين بعد المائة وأنجب من الأولى ستة بنين ومن الثانية خمسة بنين هذا بالإضافة إلى أن ولادة إسحاق ليست فريدة من نوعها فهناك ولادة يحيى عليه السلام الذي ولد وقد بلغ أبوه من الكبر عتياً فضلاً عن أن أمه كانت عاقراً كما تفيد الروايات المسيحية كما أن سيدنا عيسى ولد بدون أب بل إن سيدنا آدم وجد بدون أب ولا حتى أم. وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ ومنها (رابعاً) أن حججهم بأن إسحاق قد أعطي اسماً قبل أن يولد مردود عليها بأن إسماعيل وبنص التوراة - قد أعطي اسماً قبل أن يولد فإذا كان ذلك كرامة لإسحاق ففيه كرامة لإسماعيل بل إن إسماعيل قد سبق إسحاق بالبشارة باسمه بل إن التوراة نفسها إنما تتحدث عن البشارة بإسماعيل قبل أن تتحدث عن البشارة بإسحاق، بل إن سيدنا يحيى وسيدنا عيسى قد أعطا اسميهما قبل أن يولدا كما في قوله تعالى عن سيدنا يحيى ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ وعن سيدنا عيسى ﴿قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾.

ومنها (خامساً) ان ما جاء في الروايات الإسلامية، نقلاً عن كتب الأخبار وغيره فذلك يرجع إلى ان المسلمين إنما يؤمنون بنبوته إسحاق ويعقوب ويوسف ومن هنا فقد استغل ذلك بعض اليهود الذين أسلموا ومنهم كتب الأخبار وهوب بن منبه - ونقلوا أمثال هذه الروايات التي لم يبت القرآن فيها، تحقيقاً لأغراض خاصة بهم، ثم إن هذه الروايات الإسلامية مضطربة فيما ينسبها أصحابها إلى ابن عباس، فإنهم يروون رواية أخرى - عن ابن عباس كذلك - يذهبون فيها إلى ان الذبيح إنما هو إسماعيل عليه السلام.

انظر الآية ٤٥ من سورة آل عمران، ٥٩ وجامع البيان ٢٣/٨١: ٨٤ وتاريخ الأمم والملوك ٣٠٩/١: ٣١١، والكامل لابن الأثير ٢٣/١ والطبقات الكبرى لابن سعد ٢١/١ والجامع لأحكام القرآن ٩٩/١٥: ١٠٠ وتفسير القرآن العظيم ١٧٥/١ والتوراة سفر التكوين ٢/٢ بتصرف، ١٦: ١١، ١٦: ٢٣، ٢، ٤١، وإنجيل لوقا ١١/١: ٨٠ ودراسات تاريخية من القرآن الكريم ١٦١/١: ٧٠ بتصرف.

أما الرأي الصحيح فهو أن الذبيح سيدنا إسماعيل لما سبق من ردود على القائلين بأن الذبيح إسحاق، واعتماداً على رواية ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ (الصفات آية ١٠٧) على أنه إسماعيل، وعلى أننا نجد في كتاب الله - عز وجل ما يشير إلى ذلك في قصة الخبز عن إبراهيم وما به من ذبح ابنه إسماعيل. وذلك أن الله سبحانه وتعالى، حين فرغ من قصة المذبح فإنه يقول ﴿ويشرفنا بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ (الصفات آية ١١٢) فالآيتان البشري بعد ذكر القصة صريح في أن إسحاق غير الغلام الذي ابتلي الله إبراهيم بذبحه وعودة الضمير إلى الغلام الذبيح. ثم ذكر إسحاق معه صريحاً، يقتضي التباين بين إسحاق والذبيح. انظر قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ص ١٠٢ وفتاوى لابن تيمية ٣٣٢/٤ - ٣٣٣.

ويضيف الإمام ابن تيمية إلى ذلك: أن قصة الذبيح المذكورة في سورة الصفات تدل على أنه إسماعيل، إذ يقول سبحانه وتعالى ﴿بشرفناه بغلام حلیم﴾ فقد انطوت هنا على ثلاث: على أن الولد غلام ذكر، وعلى انه لم يبلغ الحلم، وعلى أنه يكون حلماً، وأي حلم أعظم من أن يعرض عليه أبوه الذبيح، فيقول «ستجدني إن شاء الله من الصابرين»؟ ثم إنه لم يذكر قصة الذبيح في القرآن =

= الكريم، إلا في هذا الموضوع، وفي سائر المواضع يذكر البشارة بإسحاق خاصة. كما في سورة هود آية ٧١ - ٧٢، ثم إنه ذكر في البشارة في الصفات، بأنه غلام حليم، وحين ذكر البشارة بإسحاق، وصفه بأنه غلام حليم «الحجر ٥٣ والذاريات ٢٨». والتخصيص لا بد له من حكمة، وهذا مما يقوي اقتران الوصفين والحلم هنا مناسب للصبر الذي هو خلق الذبيح، وهذا فضلاً عن أن إسماعيل قد وصف بالصبر دون إسحاق قوله تعالى ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين﴾ (الأنبياء آية ٨٥) وبصدق الوعد ﴿إنه كان صادق الوعد﴾ (مريم ٥٤) لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به، نعم إن البشارة بإسحاق كانت معجزة لأن العجوز عقيم، وأنها كانت مشتركة بين إبراهيم وامرأته، بينما البشارة بالذبيح فقد كانت لإبراهيم، ثم امتحانا له دون الأم المبشرة به. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٣٣١/٤: ٣٣٥. وانظر روح المعاني ١٣٤/٢٣ وجامع البيان ٨٥/٢٣، أضف إلى ذلك: أن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ (الصفات ١١٢) فكيف يأمره الله بذبحه وقد وعده أن يكون نبياً. القرطبي ٥٥٤٥/٧ ط. الشعب، ثم إن البشارة بإسحاق إنما كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الأمر بذبحه مراهقاً، روح المعاني ١٣٤/٢٣ وتاريخ الخميس ١٠٨. ومن هنا استدل محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل، وليس إسحاق، حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿وبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ (سورة هود ٧١) وانظر جامع البيان ٣٨٩/١٥، ٣٩٧ ط دار المعارف القاهرة ١٩٦٠. فكيف تقع البشارة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب، ثم يؤمر بذبح إسحاق، وهو صغير قبل أن يولد له؟ هذا لا يكون، لأنه يناقض البشارة المتقدمة. وهناك ما روى من أن عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي، سأل رجلاً من علماء اليهود، كان قد أسلم وحسن إسلامه: أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال إسماعيل والله يا امير المؤمنين وإن يهود لتعلم ذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذي كان من أمر الله فيه، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق، لأن إسحاق أبوه، انظر جامع البيان ٨٤/٢٣، ٨٥ والجامع لأحكام القرآن ١٠١/١٥ والكامل لابن الأثير ١١٠/١ - ١١١، ومقدمة ابن خلدون ٣٨/٢ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٢٩٧/٢ والبداية والنهاية ١٥٩/١، ١٠٦ وقصص الأنبياء لابن كثير ٢١٥/١: ٢١٧ وروح المعاني ١٣٣/٢٣: ١٣٥.

وهناك ما جاء في (إنجيل برنابا) على لسان «المسيح» عليه السلام الحق أقول لكم، أنكم إذا أمعتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبنا وفقهائنا، لأن الملاك قال يا إبراهيم: سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله؟ حقاً يجب عليك أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله، فأجاب إبراهيم: ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً «خذ ابنك بكرك واصعد الجبل لتقدمه بذبيحة» فكيف يكون إسحاق البكر، وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين. محمد حسني عبد الحميد: أبو الأنبياء إبراهيم الخليل ص ٨٦ وعلي عبد الواحد وما في: الأسفار المقدمة ص ٨٧، ٨٨ مع ملاحظة مخالفة هذا النص التوراة (تكويين ١٦: ١٦، ١٧: ٣).

ثم أليس في شعائر الحج عند المسلمين كثير من الأدلة على أن الحادث إنما كان في مكة وليس في فلسطين؟ وأنه مع إسماعيل - وليس مع أسحاق؟. وإن المسلمين، بعكس اليهود، كانوا - ولا يزالون وسوف يظلون أبداً الدهر - يحيون ذكرى الفداء الفذ هذا في كل عام، عند حجهم إلى بيت الله الحرام، في الأضحية يوم النحر، وفي السعي بين الصفا والمروة، وفي رمي الجمار، وكل تلك أمور لا توجد عند اليهود؟ فإذا ما تذكرنا أن إسماعيل وأمه - وليس إسحاق وأمه - هما اللذان كانا بمكة، وأن إسماعيل وليس إسحاق، وهو الذي شارك أباه الخليل في بناء البيت الحرام، وإن النحر في منى - وليس في فلسطين - في يوم عيد الأضحى المبارك، إنما هو من تمام منن الحج إلى هذا البيت المعمور، ومن هنا يبدو لنا بوضوح أن الذين زعموا من يهود - ومن تابعهم في زعمهم هذا من نصارى ومسلمين - أن الفداء إنما كان في الشام، قد أخطأوا كثيراً، إذ لو كان الأمر كما يزعمون، لكانت كل الشعائر التي تتصل بعملية الفداء هذه في الشام، وليست بمكة: انظر دراسات تاريخية - محمد بيومي مهران ج ١ ص ١٧٣، ١٧٤ أضف إلى ذلك كله: ان الآية الكريمة ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ تفيد أنه دعاء وقع من إبراهيم قبل أن يرزق بواحد من أبنائه، إذ لو كان له ولد ما طلب الولد الواحد، ومن ثم فإن قوله تعالى من الصالحين لا تفيد إلا طلب الواحد، وبهذا يكون الدعاء في وقت لم يكن للخليل فيه شيء من الذرية، ومن المعروف أن هناك إجماعاً بين علماء المسلمين - فضلاً عن كتب اليهود والنصارى - أن إسماعيل إنما هو ولد إبراهيم البكر، ومن ثم فإن الدعاء إنما يراد به إسماعيل.

وحيث إن رؤيا البشرى ثم رؤيا الذبيح إنما جاءت بعد ذلك، فالذبيح إذن هو إسماعيل. انظر مفاتيح الغيب ١٥٤/٢٦.

الله^(١) والأبصار^(٢) في المعرفة بالله^(٣). فالأيدي^(٤) في هذه الآية جمع اليد التي هي^(٥) بمعنى القدرة والقوة. قال قتادة: أعطوا قوة في العبادة وصبراً في الدين^(٦). وهو قول مجاهد^(٧) وسعيد بن جبير والمفسرين^(٨).

قوله^(٩): ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ﴾ قال مجاهد: اصطفيناهم بذكر الآخرة فأخلصناهم بذكرها. وقال قتادة: كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله^(١٠). وقال السدي: أخلصوا بخوف الآخرة^(١١). فمن قرأ بالتونين في بخالصة^(١٢) كان المعنى: جعلناهم لناخالصين بأن خلصت لهم ذكرى الدار. والخالصة مصدر بمعنى الخلوص والذكرى بمعنى التذكير، أي خلص لهم تذكير الدار وهو أنهم يذكرون بالتأهب لها^(١٣) ويزهدون في الدنيا وذلك شأن الأنبياء صلوات الله عليهم وأما^(١٤) من أضاف فالمعنى أخلصناهم بأن خلصت لهم ذكرى الدار والخالصة مصدر مضاف إلى الفاعل، قال ابن عباس: أخلصوا بذكر الدار الآخرة، وأن يعملوا لها^(١٥). والذكرى على هذا بمعنى^(١٦) الذكر ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾. قال ابن عباس: يريد اصطفيتهم واحترتهم ﴿واذكر إسماعيل واليسع والكفل﴾ أي اذكروهم بصبرهم وفضلهم لتسلق طريقهم، ﴿وكل من الأخيار﴾ اختارهم الله للنبوة. ﴿هذا ذكر﴾^(١٧) شرف وذكر جميل يذكرون به أبداً. ﴿وإن للمتقين لحسن مآب﴾ يرجعون في الآخرة إلى مغفرة الله. ثم بين حسن ذلك المرجع فقال:

جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَلَاحِهِمْ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتٌ

(١) انظر صحيح البخاري ١٥٥/٦، وجامع البيان ١٠٩/٢٣، وتفسير القرآن العظيم ٤٠/٤ ومعالم التنزيل ٦٦/٤.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(٣) انظر جامع البيان ١٠٩/٢٣.

(٤) في (جـ) والأيدي.

(٥) من (أ، د).

(٦) انظر جامع البيان ١٠٩/٢٣ ومعالم التنزيل ٦٦/٤ وتفسير القرآن العظيم ٤٠/٤.

(٧) انظر المراجع السابقة.

(٨) في (هـ) والمفسرون.

(٩) من (ب، جـ).

(١٠) انظر مصنف عبد الرزاق ٩٧٠/٣ وجامع البيان ١١٠/٢٣ ومعالم التنزيل ٦٦/٤ والجامع لأحكام القرآن ١٢٨/١٥ وتفسير القرآن

العظيم ٤٠/٤ والدر المنثور ٣١٨/٥.

(١١) انظر جامع البيان ١١٠/٢٣ وتفسير القرآن العظيم ٤٠/٤.

(١٢) اختلف في [خالصة ذكرى] فنافع والحلواني عن هشام وأبي جعفر بغير تونين مضافاً للبيان لأن الخالصة تكون ذكراً وغير ذكراً كما في

«بشهاب قبس» - النمل ٢٧، ويجوز أن تكون مصدراً كالعاقبة بمعنى الإخلاص وأضيف لفاعله، أي بأن خلصت لهم ذكرى الدار

الآخرة، أو لمفعوله والفاعل محذوف، أي بأن أخلصوا ذكرى الدار وتناموا ذكرى الدنيا. والباقون بالتونين وعدم الإضافة وذكرى بذل

فهو جرّ أي خصصناهم بذكر معادهم أو بأن يثنى عليهم في الدنيا وعلى جعل خالصة مصدراً يكون ذكرى منصوباً به أو خبر المحذوف

أو منصوباً بأعني وبذلك قرأ الواجوني عن هشام. وأمال «ذكرى الدار» وصلا السوسي بخلفه وأمال «الدار» و«الأخيار» أبو عمرو وابن

ذكوان بخلفه والدوري عن الكسائي وقللها الأزرق. انظر النشر ٣٦١/٢ وإتحاف فضلاء البشر ص ٣٧٢ وتحبير التيسير ص ١٧١،

والبحر المحيط ٤٠٢/٧.

(١٣) في (أ) لنا.

(١٤) في (د) فأما.

(١٦) في (أ، جـ، د، هـ) المعنى.

(١٧) في (هـ) وهذا.

(١٥) انظر جامع البيان ١١٠/٢٣ وتفسير القرآن العظيم ٣٧/٤.

الطَّرْفِ أَرْأَبٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا الرِّزْقُ مَا لَكُمْ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾

﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب﴾ قال الفراء: المعنى مفتحة لهم أبوابها، والعرب تجعل الألف واللام خلفاً من الإضافة^(١).

وقال الزجاج: المعنى مفتحة لهم الأبواب منها، فالألف واللام للتعريف لا للبدل^(٢). ﴿متكئين فيها﴾ في الجنات. ﴿يدعون فيها﴾ تقدير الآية: يدعون في الجنات متكئين فيها. ﴿بفاكهة كثيرة وشراب﴾ بألوان الفاكهة وألوان الشراب. والمعنى: وشراب كثير، فحذف للدلالة عليه. ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾^(٣) تقدم تفسيره.

﴿أتراب﴾^(٤) أقران أسنانهن واحدة، بنات ثلاث وثلاثين سنة ﴿هذا﴾ يعني ما ذكر^(٥) فيما تقدم ما يوعد به المتقون على لسان النبي ﷺ، ومن قرأ^(٦) بالتاء فالمعنى: قل للمتقين: ﴿هذا ما تواعدون ليوم الحساب﴾ ليوم الجزاء ثم أعلم [أن ذلك غير منقطع]^(٧) فقال: ﴿إن هذا لرزقنا ما له من نفاد﴾ أي انقطاع وفناء. قال ابن عباس: ليس لشيء في الجنة نفاد وما أكل من ثمارها خلف مكانه مثله، وما أكل من حيوانها وطيرها^(٨) عاد مكانه حياً^(٩).

هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسُ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخِرُ مِنْ سُكَّالِهِمْ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ لَهُمْ إِذْ يَسْأَلُونَ النَّارَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ لَكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَّمُّوهُ لَنَا فَيَنْسُ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِّدْهُ عَدَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾

«هذا» [أي الأمر]^(١٠) هذا الذي ذكرناه. ثم ذكر ما للكفار فقال ﴿وإن للطاغين [لشر مأب]﴾^(١١) للذين طغوا على الله وكذبوا الرسل ﴿لشر مأب﴾ شر^(١٢) مرجع ومصير. ثم أخبر بذلك فقال: ﴿جهنم يصلونها فينس المهاد﴾ قال ابن عباس: ينس المسكن وبئس المههد^(١٣) ﴿هذا فليذوقوه حميم وعساق﴾ قال الفراء والزجاج: تقدير الآية: هذا حميم عساق فليذوقوه^(١٤)، أي يقال لهم في ذلك اليوم: هذا حميم وعساق فليذوقوه، [وعادت الكناية إلى أحدهما اكتفاء به عن

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٤٠٨/٢.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٨١.

(٣) (الآية ٤٨).

(٤) أتراب: أي لداث تشآن معاً، تشبيهاً في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر، أو لوقوعهن معاً على الأرض، وقيل: لأنهن في حال الصبا يلعبن بالتراب معاً. انظر المفردات في غريب القرآن مادة (ترب).

(٥) في (ب، ج) وذكرنا.

(٦) اختلف في (هذا ما تواعدون) هنا و(ق): فابن كثير بالياء من تحت فيهما على الغيب، وافقه ابن محيصن وقرأ أبو عمرو بالغيب هنا فقط، وافقه البيهقي والباقون بالخطاب فيهما وبه قرأ أبو عمرو وفي (ق) وافقه البيهقي. انظر النشر في القراءات العشر ص ٣٦ وتجويز

التيسير ١٧١ وإتحاف فضلاء البشر ٣٧٣.

(٧) في (ج، هـ) من (ج، هـ).

(٨) ساقطة من (ج، هـ).

(٩) ساقطة من (د).

(١٠) في (ج، هـ) من (ج، هـ).

(١١) انظر جامع البيان ١١٣/٢٣.

(١٢) انظر جامع البيان ١١٢/٢٣.

(١٣) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٨١ والفراء ٤١٠/٢.

(١٤) في (ج) أي هذا الأمر.

الثاني كقوله ﴿يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها﴾^(١) ومثله كثيراً^(٢)، والحميم الحار الذي قد انتهى حره، والغساق ما سال من جلود أهل النار من القيح والصديد من قولهم غسقت عينه^(٣) إذا انصبت، الغسق ان انصباب، والوجه التخفيف في غساق، لأنه اسم موضوع قال: ومن شدد ذهب به إلى غسق يغسق فهو غساق^(٤) ﴿وآخر﴾ وعذاب آخر ﴿من شكله﴾ من مثل ذلك الأول، والشكل المثل ويريد ضرباً من العذاب على شكل الحميم والغساق في الكراهة. قال المفسرون: هو^(٥) الزمهرير^(٦)، ومن قرأ وأخر فالمعنى وأنواع آخر من شكله^(٧). وقوله ﴿أزواج﴾ أي ألوان وأنواع وأشياء: ﴿هذا فوج﴾ قال صاحب النظم: هذا من^(٨) قول الملائكة، يقولونه لأهل النار إذا جاء وهم بفوج سواهم من أهل النار. والفوج القطيع من الناس وجمعه أفواج. والمقتحم الداخل في الشيء رمياً بنفسه فيه^(٩).

قال الكلبي: «إنهم يضربون بالمقامع حتى يشبوا في النار خوفاً من تلك المقامع^(١٠)»^(١١)، ويوقعوا^(١٢) أنفسهم فيها، فلما قالت الملائكة ذلك لأهل النار قالوا: ﴿لا مرحباً بهم﴾ المرحب والرحب معناه^(١٣) السعة، أي لا اتسعت بهم مساكنهم، والمعنى لا كرامة لهم. هذا إخبار أن مودتهم تنقطع وتصير عداوة. ﴿إنهم صالوا النار﴾ داخلوها كما دخلنا ومقاسون حرها. فأجابهم الفوج فقالوا ﴿بل أنتم لا مرحباً بكم﴾ هؤلاء الأتباع يقولون ذلك للقادة وقد سبقوهم إلى النار يقولون لهم^(١٤) ﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ أنتم بدأتكم بالكفر قبلنا ﴿فبئس القرار﴾ بئس المستقر والمسكن جهنم. ثم قالت الأتباع ﴿ربنا من قدم لنا هذا﴾ من شرع وسن لنا هذا الكفر ﴿فزده عذاباً ضعفاً﴾ أي^(١٥) مضاعفاً أي زددهم على^(١٦) عذابهم عذاباً آخر ﴿في النار﴾.

(١) سورة التوبة / جزء من الآية رقم ٣٤.

(٢) في (ج) عليه.

(٣) ما بين المعقوفين (من ب، د).

(٤) واختلف في (غساق)، فحفص وحمزة والكسائي وخلف بتشديد السين صفة كالضراب مبالغة لأن فعلاً في الصفات أغلب منه في الأسماء كالعذاب أغلب منه في الصفات وهو الزمهرير أو صديد أهل النار أو القيح يسيل فيسقونه وعن الحسن عذاب لا يعلمه إلا الله تعالى إذ الناس أخفوا الله طاعة فأخفى لهم ثواباً في قوله تعالى ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى﴾ الخ وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة المظن إتحاف فضلاء البشر ٣٧٣.

(٥) في (ب، هـ) وهو.

(٦) انظر تفسير عبد الرزاق ٩٢٧/٣ وجامع البيان ١١٤/٢٣ وتفسير الثوري ٢٦٠ - ٢٦١ والجامع لأحكام القرآن ٢٢٢/١٥ والبحر المحيط ٤٠٦/٧ وفي الدر المنثور وعزاه إلى عبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ٣١٨/٥. وقال الشوكاني في فتح القدير: لا يتم هذا إلا على تقدير أن الزمهرير أنواع مختلفة وأجناس متفاوتة ليطابق معنى أزواج ٤٤١/٤ والزمهرير شدة البرد. والزمهرير هو الذي أعده الله تعالى عذاباً للكفار في الآخرة. انظر اللسان مادة (زمهر).

(٧) اختلف في (آخر) فأبو عمرو ويعقوب بضم الهمزة مقصورة جمع أخرى كالكبرى والكبر لا يتصرف للعدل عن قياسه والوصف وهو مبتدأ، ومن شكله في موضع الصفة، وأزواج بمعنى أجناس خبراً وصفة، والخبر محذوف أي لهم، أو أزواج مبتدأ ومن شكله خبره والجملة خبر آخر. وافقهما الزبيدي، والباقون بالفتح على الأفراد لا يتصرف أيضاً للوزن الغالب والصفة. (انظر إتحاف فضلاء البشر ٣٧٣. والنشر في القراءات العشر ٣٦١/٢ - وتحبير التفسير ١٧١).

(٨) ساقطة من (هـ).

(٩) انظر معالم التنزيل ٦٧/٤.

(١٠) والمقامع: جمع مقمع وهو ما يضرب به ويدلل لذلك يقال: قمعته فانقمع أي كففه فكف انظر المفردات مادة قمع ص ٤١٣.

(١١) انظر معالم التنزيل ٦٧/٤.

(١٢) من (د).

(١٣) ساقطة من (ب).

(١٤) ساقطة من (د).

(١٥) ساقطة من (أ).

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿١٢﴾ أَخَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿١٦﴾

قال الكلبي: ثم ينظرون في النار^(١) فلا يرون من كان يخالفهم معهم، وهم المؤمنون. فعند ذلك قالوا: ﴿وما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدُّهم﴾ في الدنيا ﴿من الأشرار﴾ «يعنون فقراء المؤمنين: عماراً وخباباً وصهيباً وبلالاً»^(٢) وسلمان^(٣) ﴿٤﴾ ثم ذكروا^(٥) أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء وهو قوله: ﴿أخذناهم سحرياً﴾ ومن قرأ بفتح الألف على الاستفهام فهو بعيد^(٦)، لأنهم علموا أنهم اتخذوهم سحرياً، فكيف يستقيم أن يستفهموا عن ذلك وقد علموه؟ ووجهه: أنه على اللفظ لا على المعنى، وذلك لتعادل^(٧) أم في قوله: ﴿أم زاغت عنهم الأبصار﴾ قال مقاتل: أم زاغت أبصارنا عنهم، فهم معنا في النار ولا نراهم^(٨). وقال^(٩) قتادة: زاغت أبصارنا عنهم فلم نرهم حين دخلوا النار^(١٠) قال الله تعالى^(١١): ﴿إن ذلك لحق﴾^(١٢) يعني ما ذكرنا^(١٣) قبل هذا لحق. ثم بين ما هو فقال: ﴿تخاصم أهل النار﴾ يعني تخاصم القادة والأتباع على ما أخبر به عنهم. «قل لهم»^(١٤) يا محمد لأهل مكة: ﴿إنما أنا منذر﴾ أنذركم وأحذركم عقوبة الله. ﴿وما من إله﴾ وقل لهم أيضاً: ﴿وما من إله إلا الله الواحد القهار﴾ خلقه. ﴿رب السموات والأرض﴾^(١٥) الآية.

(١) في (د) ولا.

(٢) من السابقين الأولين، شهد بدرًا والمشاهد، مات بالشام سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة، وقيل سنة عشرين من الهجرة، وله بضع وستون سنة: انظر التقريب ١١٠/١.

(٣) في (أ، هـ) سالمًا. وسلمان هو: سليمان الفارسي أبو عبد الله، ويقال له: سلمان الخير أصله من أصبهان وقيل: من «رامهرمز» من أول مشاهدته الخندق مات سنة أربع وثلاثين هجرية يقال: بلغ ثلاثمائة سنة (انظر تقريب التهذيب ٣١٩/١) أو لعله سالم بن عبيد الأشجعي صحابي من أهل الصفة (انظر التقريب ٢٨٠/١).

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٢/٤.

(٥) في (د) كروا وفي (هـ) ذكر.

(٦) اختلف في (أخذناهم) فأبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف يوصل الهمزة بما قبلها، ويبتدأ لهم بكسر همزة على الخبر، وتكون الجملة في محل نصب صفة ثانية لرجالاً، وأم منقطعة أي بل أزاغت كقولك: إنها لا بل أم شاء أي بل شاء، وافقه الأعمش واليزيدي. والباقون بقطع الهمزة مفتوحة وصلًا وابتداءً على الاستفهام وأم متصلة لتقدم الهمزة. وقرأ (سحرياً) بضم السين نافع وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف، والباقون بكسرها. (انظر الإتحاف ٣٧٣، والتحبير ١٧١، والبحر المحيط ٤٠٧/٧).

(٧) في (ب، ج، هـ) ليعادل.

(٨) انظر جامع البيان ١١٦/٢٣ ومعالم التنزيل ٦٨/٤.

(٩) في (هـ) قال.

(١٠) انظر تفسير عبد الرزاق ٩٧١/٣ وجامع البيان ١١٦/٢٣، ١١٧ والدر المنثور وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر ٣١٩/٥ ومعالم التنزيل ٦٨/٤ وتفسير القرآن العظيم ٤٢/٤ وفتح الباري ٥٤٦/٨.

(١١) ساقطة من (هـ).

(١٢) ساقطة من (هـ).

(١٣) في (أ، د، هـ) ذكر.

(١٤) من (ج، هـ).

(١٥) في (أ) ورب.

أخبرنا أبو منصور البغدادي ^(١) ، أنا محمد بن عبد الله بن زياد أنا محمد بن إبراهيم البوشنجي ، أنا يوسف بن عدي ^(٢) ، أنا عثمان ^(٣) بن علي ، [عن] ^(٤) هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة [رضي الله عنها] ^(٥) : كان رسول الله ﷺ إذا تضور ^(٦) من الليل قال : « لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار » ^(٧) .

قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿١٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَمَّا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٠﴾

وقوله ^(٨) ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ ^(٩) يعني القرآن ^(١٠) في قوله الجميع ^(١١) . قال مقاتل: القرآن حديث عظيم ، أنه كلام الله [عز وجل] ^(١٢) . وقال الزجاج: قل : النبي الذي أنبأكم به عن الله نبأ عظيم . يعني ما أنبأهم به من قصص الأولين ، وذلك دليل على صدقه ونبوته ، لأنه لم يعلم ذلك إلا بوحي من الله تعالى ^(١٣) ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ لا تفكرون فيه فتعلموا صدقي في نبوتي . يدل على صحة ^(١٤) هذا المعنى قوله : ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ﴾ يعني الملائكة ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ يعني ما ذكر [في قوله] ^(١٥) ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ إلى آخر القصة ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ ^(١٦) ، ما يوحي إلي ﴿إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ^(١٧) قال الفراء: المعنى ما يوحي إلي [إلا لأنني] ^(١٨) نبي ونذير ^(١٩) ﴿مُبِينٌ﴾ أي نبي لكم ما تأتون به ^(٢٠) من الفرائض والسنن وما تدعون من الحرام والمعصية . ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ متصل بقوله ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ^(٢١) فاعترض ^(٢٢) بينهما كلام ، وما بعد هذا مفسر فيما مضى ^(٢٣) من سورة الحجر ^(٢٤) .

(١) أبو منصور البغدادي هو الصدر الأنبيل الرئيس القدوة أبو منصور عبد الملك بن محمد بن يوسف البغدادي سبط الإمام أبي الحسين أحمد بن عبد الله السوسنجري وكان يلقب بالشيخ الأجل مات سنة ستين وأربع مئة هجرية (انظر سير أعلام النبلاء ١٨/٣٣٣)

(٢) يوسف بن عدي بن رزيق التيمي مولاهم الكوفي نزيل مصر ثقة من العاشرة مات سنة اثنتين وثلاثين هجرية وقيل غير ذلك . انظر تقريب التقريب ٢/٣٨١ .

(٣) في (ب) عثمان ، في (ج ، د ، هـ) عثمان .

(٤) في (هـ) ابن .

(٦) تضور: التضور: التلوي والصياح من وجع الضرب أو الجوع ، وتضور الذئب والكلب والأسد والثعلب: صاح عند الجوع انظر اللسان مادة (صور) .

(٧) رواه الحاكم وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال الذهبي خ . م انظر المستدرک کتاب الدعاء ١/٥٤٠ (٨) ساقطة من (هـ) .

(٩) في (ج) نبأ .

(١٠) انظر جامع البيان ٢٣/١١٧ ومعاليم التنزيل ٤/٦٨ وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٢ .

(١١) في (ج) : في قول جميع المفسرين .

(١٢) من (ج) .

(١٣) في (د) وهذا ، وذكر هذا القول الزجاج في معاني القرآن ورقة ١٨٢ .

(١٤) ساقطة من (د) .

(١٥) ساقطة من (د) .

(١٦) ساقطة من (ج ، هـ) .

(١٧) من (ج ، هـ) .

(١٨) في د (لأبي) وفي (هـ) إلا لأبي .

(١٩) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٤١٢ .

(٢٠) من (د) .

(٢١) من (ب) .

(٢٢) في (هـ) واعترض .

(٢٣) الآياتان ٢٩ ، ٣٠ من سورة الحجر .

(٢٤) من (ج) .

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُم سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾
فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ
تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُم مِّن طِينٍ ﴿٧٦﴾

﴿لما خلقت بيدي﴾ أي لما (١) توليت خلقه كما قال: «مما عملت أيدينا» (٢) وقد مر ﴿استكبرت أم كنت من العالين﴾ استفهام توبيخ وانكار، يقول استكبرت بنفسك حين أبيت السجود لأدم؟ أم كنت من القوم الذين يتكبرون [فتكبرت عن السجود بكونك من قوم يتكبرون] (٣)؟ وما بعد هذا مفسر فيما تقدم. قوله (٤):

قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فِرْعَانَ رَجِيمًا ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ
فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ
الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

﴿قال فالحق والحق أقول﴾ انتصب الحق الأول على تقدير فبالحق حذف الخافض (٥) ونصب كما تقول: والله لأفعلن، والحق الثاني: يجوز أن يكون الأول وكرره للتأكيد، ويجوز أن يكون الحق (٦) منصوباً بأقول كأنه قال (٧): وأقول الحق، وقرأ الكوفيون (٨) والحق (٩) رفعاً وهو مبتدأ وخبره محذوف على تقدير الحق مني كما قال ﴿الحق من ربك﴾ (١٠) وهذا قول مجاهد، قال (١١): يقول الله: الحق مني وأنا (١٢) أقول (١٣) الحق، أقسم الله تعالى أن يملأ جهنم من إبليس وأتباعه وهو قوله:

(١) ساقطة من (هـ).

(٢) سورة (يس) آية ٧١.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(٤) من (ج).

(٥) من (أ).

(٤) ساقطة من (هـ).

(٨) اختلف في (قال فالحق) فعاصم وحمزة وحلف على الابتداء ولأملأن خبره أو مني أو قسم أو يمين، أو على الخبرية أي أن الحق أو قولي الحق (وعن) المطوعي رفعهما فالأول على ما مر والثاني بالابتداء وخبره الجملة بعده على غير التقدير الأول، وقولي أو نحوه عليه وحذف العائد على الأول كقراءة ابن عامر: وكل وعد الله الحسنى والباقون بنصهما فالأول أما مفعول مطلق أي أحق الحق أو مقسم به حذف منه حرف القسم فانتصب ولأملأن جواب القسم ويكون قوله: والحق أقول معترضاً أو على الإغراء أي الزموا الحق والثاني منصوب بأقول بعده (وسهل الهمزة الثانية من «لأملأن» الأصهباني ووقف عليه حمزة بتخفيف الأولى وتسهيلها مع تسهيل الثانية). انظر النشر ٣٦٣/٢ والإتحاف ص ٣٧٤.

(٩) في (ب، ج، د، هـ) فالحق.

(١٠) سورة البقرة/ آية ١٤٧، وآل عمران/ آية ٦٠.

(١١) في (هـ) كما.

(١٢) في (هـ) وأن.

(١٣) انظر تفسير مجاهد ٥٥٣/٢ وجامع البيان ١٢٠/٢٣ ومعالم التنزيل ٧٠/٤، وتفسير القرآن العظيم ٤٤/٤.

﴿لَا مَلَأَن جَهَنَّمَ﴾ الآية ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الوحي والقرآن ﴿مَنْ أَجْرٌ﴾ مال تعطونه ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي (٦) ما أتيتكم (٣) رسولاً من قبل نفسي، ولم أتكلف (٤) هذا الإتيان بل أمرت به. أخبرنا أبو عثمان الحيري الزاهد (٥) أنا عبد الله بن محمد بن علي بن زياد السمدي (٦)، أنا [المفضل بن محمد بن إبراهيم الجندي، نا (٧) علي بن زياد] (٨) اللخمي، نا أبو قره قال: ذكر سفيان عن منصور والأعمش أنها حدثاه عن أبي الضحى (٩) عن مسروق أنه قال: قال عبد الله بن مسعود: يا أيها الناس، من علم شيئاً فليقل، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم، فإن الله قال لنبيه ﷺ ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ رواه البخاري (١٠) عن قتيبة عن جرير عن الأعمش. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ما القرآن إلا موعظة للخلق أجمعين. ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ أنتم (١١) يا كفار مكة ﴿نَبَأَهُ﴾ خبر صدقه ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ قال ابن عباس وقتادة: بعد الموت (١٢)، وقال عكرمة: يعني يوم القيامة (١٣)، وقال الكلبي: من بقي علم ذلك لما ظهر (١٤) أمره وعلا، ومن مات علمه بعد الموت (١٥)، وقال الحسن: ابن آدم عند الموت يأتيك الخير اليقين (١٦).

(١) في (د) تعطونه.

(٢) ساقطة من (هـ).

(٣) في (أ، ب، ج) ايتكم

(٤) في (هـ) أكلف.

(٥) أبو عثمان الحيري الزاهد هو الشيخ الإمام المحدث الواعظ القدوة شيخ الإسلام الأستاذ أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور النيسابوري الحيري الصوفي ولد سنة ثلاثين ومئتين هجرية وتوفي سنة ثمان وتسعين هجرية. انظر سير أعلام النبلاء ١٤/٢٢٠.

٦٦

(٦) في (ج) السدي.

(٧) في (د) أنا.

(٨) في (د) المفضل بن محمد بن علي بن زياد إبراهيم الجندي.

(٩) أبو الضحى هو مسلم بن صبيح الهمداني أبو الضحى الكوفي القطار ثقة فاضل أخرج له الستة وثقّه ابن معين وأبو زرعة وابن سعد والنسائي مات سنة ١٠٠ هـ (انظر التهذيب ١٠/١٣٢، التقريب ٢/٢٤٥)

(١٠) رواه البخاري في تفسير سورة (ص) كتاب التفسير، ومسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٨/١٣١ حديث ٥٠ وكتاب صفات المنافقين وأحكامهم حديث رقم ٣٩ ط الحلبي

(١١) في (هـ) يا أنتم.

(١٢) انظر تفسير عبد الرزاق ٣/٩٧٢ وجامع البيان ٢٣/١٢١ ومعالم التنزيل ٤/٧٠، وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٤ والدر المنثور ٥/٢٢٢.

(١٣) قال ابن كثير ولا منافاة بين القولين فإن من مات فقد دخل في حكم القيامة. انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٤٤.

(١٤) في (هـ) أظهر.

(١٥) انظر جامع البيان ٢٣/١٢١ وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٤ ومعالم التنزيل ٤/٧٠.

(١٦) انظر تفسير القرآن ٤/٤٤ وجامع البيان ٢٣/١٢١ ومعالم التنزيل ٤/٧٠.

تفسير (١)

سورة الزمر

مكية وهي (٢) [سبعون وخمس (٣) آيات مكية] (٤)

«أخبرنا أبو سعيد (٥) محمد بن علي الحيري، أنا أبو عمرو (٦) بن مطر، نا [إبراهيم بن شريك] (٧)، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، [نا هرون بن كثير عن زيد بن أسلم - عن أبيه عن أبي أمامة] (٨) عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه، وأعطاه ثواب الخائفين الذين خافوا [الله عز وجل]» (٩)» (١٠).

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٤﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٥﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿تنزيل الكتاب﴾ مبتدأ، وخبره ﴿من الله العزيز الحكيم﴾ أي ان تنزيل الكتاب من الله (العزيز الحكيم) (١١) لا من غيره. كما تقول في الكلام: استقامة الناس من الأنبياء، أي انها (١٢) لا تكون إلا من الأنبياء. ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ قال مقاتل: يقول (١٣): لم ننزله باطلاً لغير شيء (١٤) ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ موحداً له لا تشرك به شيئاً (١٥). والإخلاص أن يقصد العبد بنيتة وعمله (١٦) إلى خالقه، لا يجعل ذلك لعرض الدنيا. ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ يعني أن الدين الخالص من الشرك هو الله تعالى (١٧) وما سواه من الأديان، فليس بدين الله الذي أمر به.

(١) ساقطة من (أ).

(٢) من (ج).

(٣) في (ج) وآيتان والصواب المثبت في الأصل لموافقة ما ورد في المصحف الشريف.

(٤) ما بين المعقوفين من (أ، ج).

(١١) من (ج).

(١٢) في (أ) إنما.

(٥) في (أ، ج، هـ) سعد.

(١٣) ساقطة من (د).

(٦) في (أ) أبو عمر.

(١٤) انظر معالم التنزيل ٧١/٤.

(٧) ساقطة من (د).

(١٥) ساقطة من (د).

(٨) في (هـ) باسناده.

(١٦) ساقطة من (ب).

(٩) من (د).

(١٧) من (د).

(١٠) لم يعثر له على أصل وليراجع أول سورة (ص).

وقال ^(١) قتادة: الدين ^(٢) الخالص شهادة أن لا إله إلا الله ^(٣) والذين اتخذوا من دونه أولياء ^(٤) يعني الآلهة والأصنام، يقولون: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (إلا ليشفعوا) ^(٥) لنا إلى الله وذلك التقريب هو الشفاعة في قول المفسرين ^(٦)، والزلفى القريبى ^(٧) وهو ^(٨) اسم أقيم مقام المصدر كأنه قال: ﴿إلا ليقربونا إلى الله﴾ تقريباً. ﴿إن الله يحكم بينهم﴾ [بين أهل ^(٩) الأديان وهم الذين اتخذوا من دونه أولياء يحكم الله بينهم] ^(١٠) يوم القيامة ﴿في ما هم فيه يختلفون﴾ من أمر الدين ^(١١) كل يقول: الحق ديني، فهم مختلفون، وحكم الله بينهم أن ^(١٢) يعذب كلاً على قدر استحقاقه. ثم أخبر أن هؤلاء ^(١٣) لا يهديهم الله فقال ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ لا يرشد لدينه ^(١٤) من كذب (في زعمه) ^(١٥) أن الآلهة تشفع وكفر في اتخاذ الآلهة دونه، وهذا فيمن سبق عليه القضاء بحرمان الهداية. ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولدًا﴾ ^(١٦) على ما يزعم من ينسب الله تعالى ^(١٧) إلى اتخاذ الولد، ﴿لاصطفى مما يخلق ما يشاء﴾ ^(١٨) يعني الملائكة كما قال (الله تعالى) ^(١٩) ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا﴾ ^(٢٠) ثم أعلم أنه عزه عن اتخاذ الولد فقال: ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿هو الله الواحد﴾ لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد ^(٢١). ﴿القهار﴾ لخلقه قهر ما خلق بالموت ^(٢٢) وهو ^(٢٣) حي لا يموت.

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَنَزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ لِّيُظَلِّمَنَ تِلْكَ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَنِي تُصَرِّفُونَ ﴿٦﴾

قوله: ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي لم يخلقهما باطلاً لغير شيء. ﴿يكور الليل على النهار﴾ يدخل هذا على هذا، والتكوير: طرح الشيء بعضه على بعض. يقال: كور المتاع إذا ألقى

(١) في (ب) قال.

(٢) في (هـ) والدين.

(٣) انظر جامع البيان ١٢٢/٢٣ وتفسير عبد الرزاق ٩٧٣/٣ ومعالم التنزيل ٧١/٤، والكشاف للزمخشري ٨٥/٤ والدر المنثور ٣٢٢/٥

وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة، وفتح القدير ٤٤٩/٤.

(٤) ساقطة من (هـ).

(٥) في (ج) إلا لنا ليشفعوا.

(٦) انظر جامع البيان ١٢٣/٢٣ ومعالم التنزيل ٧١/٤ وتفسير القرآن العظيم ٤٥/٤.

(٧) ساقطة من (هـ).

(٨) في (ب، ج، د) وهي. وفي (هـ) وهم.

(٩) ساقطة من (هـ).

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(١١) في (هـ) الدنيا.

(١٢) ساقطة من (هـ).

(١٣) في (د) هو.

(١٤) ساقطة من (هـ).

(١٥) في (د) لزعمه وفي (هـ) وفي زعمه.

(١٦) في (د) لو.

(١٧) ساقطة من (ب، هـ).

(١٨) ساقطة من (هـ).

(١٩) من (ج).

(٢٠) سورة الأنبياء / آية رقم ١٧.

(٢١) في (هـ) ولدًا.

(٢٢) في (هـ) الموت.

(٢٣) في (هـ) وهي.

بعضه على بعض. قال قتادة^(١): يغشي هذا على^(٢) هذا^(٣) كما قال: ﴿يغشي الليل النهار﴾^(٤) و﴿يولج الليل [في النهار]﴾^(٥) و﴿(٦)﴾^(٧) و﴿وسخر الشمس والقمر﴾ ذللهما للمسير في بروجهما على ما قدر وأراد ﴿كل﴾ منهما ﴿يجري﴾^(٨) لأجل مسمى ﴿أي﴾^(٩) إلى الأجل الذي وقت الله الدنيا إليه وهو انقضاؤها وفناؤها. ﴿ألا هو العزيز﴾ الغالب في ملكه ﴿الغفار﴾ لأوليائه وأهل طاعته. ﴿خلقكم من﴾^(١٠) نفس واحدة﴾ يعني آدم [قال الفراء والزجاج]^(١١): المعنى «خلقكم من نفس خلقها واحدة»^(١٢) ﴿ثم جعل منها زوجها﴾ لأن خلقها كان بعد خلق الزوج يعني حواء^(١٣) خلقت من قصيري آدم. ﴿ وأنزل لكم من الأنعام﴾ معنى الإنزال ها هنا: الإنشاء والإحداث كقوله: ﴿قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم﴾^(١٤) ﴿(١٥)﴾ ولم ينزل اللباس ولكنه أنزل الماء الذي هو سبب والقطن والصوف واللباس منهما، كذلك الأنعام تكون بالنبات والنبات يكون بالماء، وقوله^(١٦) ﴿ثمانية أزواج﴾ مفسر في سورة الأنعام^(١٧)، ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق﴾ نطقاً ثم علقاً^(١٨) إلى أن يخرج من بطن أمه ﴿في ظلمات ثلاث﴾ ظلمة المشيمة^(١٩)، وظلمة البطن، وظلمة الرحم، ﴿ذلكم الله﴾ الذي خلق هذه الأشياء ربكم^(٢٠) ﴿لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾ عن^(٢١) طريق الحق بعد هذا^(٢٢) البيان!!! مثل قوله ﴿فأنى تؤفكون﴾^(٢٣).

إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا

(١) من (هـ).

(٢) انظر تفسير عبد الرزاق ٩٧٣/٣ وجامع البيان ١٢٣/٢٣ وتفسير القرآن العظيم ٤٧/٤ ومعالم التنزيل ٧٢/٤ والكشاف ١٠٦/٤ والبحر المحيط ٤١٦/٧ وتفسير القرآن العظيم ٣٢٢/٥ وعزاه إلى عبد الرزاق وابن المنذر.

(٣) ساقطة من (ج).

(١٠) في (هـ) في.

(١١) في (د) قال الزجاج والفراء.

(٤) سورة الأعراف / آية ٥٤.

(١٢) انظر معاني القرآن للفراء ٤١٥/٢ والزجاج ورقة ١٨٢.

(٥) في (ج) على.

(١٣) في (ب) والحواء.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط عن (ب).

(١٤) من (ج).

(٧) سورة لقمان / آية ٩ وفاطر آية ١٣، والحديد / آية رقم ٦.

(١٥) سورة الأعراف / آية ٢٦.

(٨) في (ب) كل يجري منهما.

(١٦) في (د) وهو قوله.

(٩) من (د).

(١٧) قال الواحدي عند تفسيره لهذه الآية الكريمة من سورة الأنعام: «ثمانية أزواج» وهي الضأن والمعز والإبل والبقر، وجعلها ثمانية وهي أربعة لأنه أراد ذكراً وأنثى من كل صنف، فالذكر زوج والأنثى زوج، قال الله تعالى: «وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى». (تفسير الوسيط ج ٢ ص ١٠٥١) تحقيق دكتور / أحمد صيرة.

(١٨) في (هـ) علقه.

(١٩) المشيمة: غشاء ولد الإنسان قال ابن الأعرابي: يقال لما يكون فيه الوليد: المشيمة والكيس والغلاف (انظر المصباح مادة شيم).

(٢٠) ساقطة من (أ).

(٢١) في (هـ) من.

(٢٢) في (هـ) هذه.

(٢٣) سورة الأنعام / آية ٩٥ وسورة يونس / آية ٣٤، وسورة فاطر / آية ٣.

لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلُوبًا تَمْتَعُ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾

قوله ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ يا أهل مكة ﴿فإن الله غني عنكم﴾ أي (١) ﴿٢﴾ عن عبادتكم ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد ولا (٣) أرضى لأوليائي وأهل طاعتي الكفر (٤)، وقال في رواية الوالبي: يعني عباده المخلصين الذين قال فيهم ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ فالزمهم شهادة أن لا إله إلا الله، وحببها إليهم (٥)، وقال السدي: لا يرضى لعباده المؤمنين (٦) أن يكفروا (٧). وهذا طريق من قال بالتخصيص في هذه الآية (٨). ومن أجزاها على العموم قال إن (٩) الله تعالى لا يرضى الكفر لأحد وكفر الكافر غير مرضي لله، وإن كان بإرادته. والله تعالى يريد الكفر (١٠) الكافر غير راض به، لأنه لا يمدحه ولا يثني عليه، قال قتادة: والله ما رضي الله لعبد ضلالة ولا أمره بها ولا دعاه إليها (١١). ﴿إن تشكروا﴾ ما أنعم عليكم من التوحيد ﴿يرضه لكم﴾ يرضى ذلك الشكر لكم بأن يثيبكم عليه وباقي الآية تقدم تفسيره (١٢). قوله (١٣) ﴿وإذا مس الإنسان﴾ قال عطاء: يريد عتبة بن ربيعة (١٤)، وقال مقاتل: يريد (١٥) أبا حذيفة بن المغيرة ﴿ضر﴾ بلاء وشدة وفقر، أو مرض. ﴿دعا ربه منياً إليه﴾ راجعاً إليه من شركه، ﴿ثم إذا خوله﴾ أعطاه ﴿نعمة من﴾ يعني أغناه وأنعم عليه بالصحة ﴿نسي ما كان يدعو إليه من قبل﴾ (١٦) نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه ﴿وجعل لله أنداداً﴾ (رجع إلى) (١٧) عبادة الأوثان ﴿ليضل عن سبيله﴾ (١٨) ليزل عن دين الله (١٩) الإسلام ﴿قل﴾ لهذا الكافر ﴿تضع بكفرك قليلاً﴾ في الدنيا إلى أجلك. قال الزجاج: لفظه لفظ الأمر ومعناه التهديد (٢٠) والوعيد (٢١). ﴿إنك من أصحاب النار﴾ أي (٢٢) إن (٢٣) مصيرك إلى النار. قوله:

- (١) من (ب، ج، د). (٦) في (ب) أي قدره المؤمنين.
 (٢) من (ج، د، هـ). (٧) انظر جامع البيان ١٢٦/٢٣ ومعالم التنزيل ٧٢/٤.
 (٣) من (ج). (٨) في (د) الأمة.
 (٤) انظر جامع البيان ١٢٦/٢٣ ومعالم التنزيل ٧٢/٤. (٩) ساقطة من (د).
 (٥) انظر جامع البيان ١٢٦/٢٣ ومعالم التنزيل ٧٢/٤. (١٠) في (ب) الكفر.
 (١١) انظر جامع البيان ١٢٦/٢٣ ومعالم التنزيل ٧٢/٤. والصواب من القول في ذلك كما قال ابن جرير الطبري: هو ما قاله الله جل وعز (إن تكفروا بالله أيها الكفار به فإن الله غني عن إيمانكم وعبادتكم إياه، ولا يرضى لعباده الكفر، بمعنى ولا يرضى لعباده أن يكفروا به كما يقال: لست أحب الظلم وإن أحببت أن يظلم فلان فلانا فيعاقب. انظر جامع البيان ١٢٦/٢٣).
 (١٢) قال الواحدي عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ آية ١٥ من سورة الإسراء: «قال ابن عباس: إن الوليد بن المغيرة قال: اتبعوني وأنا أحمل أوزاركم فقال الله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾. قال الزجاج: أي إن الآثم والمذنب لا يؤاخذ بطلب غيره (الوسيط د ص ١٧٣) وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ من سورة يونس آية ٢٢، ﴿ثم إلينا مرجعكم﴾ في الآخرة ﴿فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ تخبركم بأعمالكم لأننا أثبتناها عليكم (الوسيط د/٨١).
 (١٣) ساقطة من (هـ).
 (١٤) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس قتل كافراً يوم بدر. انظر نسب قريش ١٥٢.
 (١٥) ساقطة من (أ، هـ).
 (١٦) في (د) لشيء.
 (١٧) في (ب، ج، د، هـ) راجع عبادة الأوثان.
 (١٨) الضلال: العدول عن الطريق المستقيم ووضاده الهداية انظر المفردات مادة ضل ص ٢٩٧.
 (١٩) ساقطة من (هـ).
 (٢٠) في (ج) للتهديد وفي (د) التهديد والصواب ما في الأصل لأنه الموجود في معاني القرآن للزجاج.
 (٢١) انظر معاني القرآن للزجاج صحيفة رقم ١٨٣.
 (٢٢) من (ب، ج). (٢٣) ساقطة من (ب، ج).

أَمَّنْ هُوَ قَنْتِمْ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾

(﴿أمن﴾ هو قانت ﴿١﴾ الجملة التي عادلّت أم قد حذفّت كما يقال: أهذا أم هذا؟ والتقدير: الجاحد الكافر يعني: الذي ذكره ﴿٢﴾ في قوله ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْبٌ﴾ ﴿٣﴾ خير ﴿٤﴾ ﴿﴿أمن هو قانت﴾ والأصل أم من هو ﴿٥﴾ فأدغمت الميم في الميم، ومن قرأ بالتخفيف ﴿٦﴾ فهي ألف الاستفهام دخلت على من، وهو استفهام إنكار والمعنى ﴿٧﴾ أمن هو قانت كالأول الذي ذكر بالنسيان والكفر؟ قال الزجاج: أمن هو قانت كهذا الذي ذكرنا ممن جعل الله أنداداً ﴿٨﴾؟. والقانت: المقيم على الطاعة القائم بما يجب عليه من أمر الله. قال ابن عباس في رواية عطاء ﴿٩﴾ وهو أبو بكر الصديق ﴿١٠﴾ رضي الله عنه. أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا أبو الشيخ الحافظ ﴿١١﴾ أنا ﴿١٢﴾ الوليد بن أبان، نا محمد بن إدريس ﴿١٣﴾، نا عمر بن أبي معاذ النميري ﴿١٤﴾، نا عبد الله بن عيسى عن يحيى البكاء عن ابن عمر في قوله تعالى ﴿١٥﴾: ﴿﴿أمن﴾ هو قانت [آناء الليل]﴾ ﴿١٧﴾ الآية ﴿١٨﴾ قال: نزلت في عثمان بن عفان (رضي الله

(١) في (د) أمن.

(٤) من (د).

(٢) في (ج) ذكر.

(٥) من (ب).

(٣) ساقطة من (ب، ج، هـ).

(٦) اختلف في (أمن هو) فنافع وابن كثير وحزمة بتخفيف الميم على أنها موصولة دخلت عليها همزة الاستفهام التقريري، ويقدر معادل دل عليه هل يستوي أي أمن هو قانت الخ كمن جعل الله أنداداً؟ وافهم الأعمش. والباقون بالتشديد فهي أم المتصلة دخلت على من الموصولة أيضاً والمعادل محذوف قبلها أي هذا الكافر خير أم الذي هو قانت لكن تعقبه أبو حيان: بأن حذف المعادل الأول يحتاج إلى سماع ولذا قيل: إنها منقطعة والتقدير بل أم من هو قانت كغيره (انظر الإتحاف ص ٣٧٥ والنشر ٣٦٢/٢ وتحجير التيسير ١٧١ والبحر المحيط ٤١٨/٧ ومعاني القرآن للفراء ٤١٧/٢ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج صحيفة ١٨٣، وجامع البيان ١٢٨/٢٣).

(٧) في (ب، د) المعنى.

(٨) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ورقة ١٨٣.

(٩) في (هـ) الوالي.

(١٠) انظر أسباب النزول للواحدي ٣٨٨ ومعالم التنزيل ٧٣/٤ والجامع لأحكام القرآن ٢٣٩/١٥ والدر المنثور ٣٢٣/٥.

(١١) أبو الشيخ الحافظ هو الإمام الحافظ الصادق محدث أصبهان أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ ولد سنة أربع وسبعين ومئتين قال أبو نعيم: كان أحد الأعلام. وقال أبو بكر الخطيب: كان أبو الشيخ حافظاً ثبناً متقناً وقال ابن مردويه: ثقة مأمون. توفي سنة تسع وستين وثلاث مئة هجرية (انظر سير أعلام النبلاء ٢٧٦/١٦: ٢٨٠).

(١٢) في (ج) نا.

(١٣) محمد بن إدريس الشامي السرخسي توفي سنة ٣١٣ هـ (انظر العبر ١٥٧/٢).

(١٤) عمر بن أبي معاذ النميري هو عمر بن شبة بن عبيدة بن زيد بن راتطة النميري أبو زيد بن أبي معاذ البصري النحوي الأخباري قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه مع أبي وهو صدوق صاحب عربية وأدب ووثقه الدارقطني وابن حبان ثم قال ابن حبان: مستقيم الحديث وصاحب أدب وشعر وأخبار ومعرفة بأيام الناس وقال الخطيب: كان ثقة عالماً بالسير وأيام الناس وله تصانيف كثيرة. انظر تهذيب التهذيب ٤٠٤/٧ - ٤٠٥.

(١٥) من (ج).

(١٦) في (د) أم من.

(١٧) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(١٨) في (ب، ج، هـ) والآية.

عنه (١) « (٢) وقال مقاتل (٣): نزلت في عمار بن ياسر (٤) وتفسير (٥) ﴿آتَاءَ اللَّيْلِ﴾ قد مضى (٦) وقوله ﴿ساجدًا وقائمًا﴾ يعني في الصلاة ﴿يحذر الآخرة﴾ قال مقاتل: يحذر عذاب الآخرة ﴿ويرجو رحمة ربه﴾ يعني الجنة كمن لا يفعل ذلك؟ ليسا سواء. وهو قوله ﴿قل هو يستوي الذين يعلمون﴾ أن ما وعد الله من الثواب والعقاب حق ﴿والذين لا يعلمون﴾ ذلك؟ ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ إنما يتعظ ذوو العقول من المؤمنين، فأما الجاهل الكافر فإنه لا يتعظ

قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾

﴿قل يا عباد الذين آمنوا﴾ (٧) صدقوا بتوحيد الله ﴿اتقوا ربكم﴾ بطاعته واجتناب معاصيه وتم الكلام، ثم قال: ﴿للذين أحسنوا﴾ وحدوا الله وأحسنوا (٨) العمل ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ يعني الجنة ﴿وأرض الله واسعة﴾ قال ابن عباس: يريد أرحلوا من مكة (٩). وهذا حث لهم على الهجرة من مكة إلى حيث يأمنون. كقوله تعالى (١٠) ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ (١١) ﴿إنما يوفى الصابرون﴾ على دينهم فلا يتركونه لمشقة (١٢) تلحقهم. وهذه الآية نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين لم يتركوا (١٣) دينهم ولما (١٤) اشتد عليهم الأمر صبروا وهاجروا (١٥) وقوله ﴿أجرهم بغير حساب﴾ [قال عطاء: بما لا يهتدي إليه عقل ولا وصف، وقال مقاتل: أجرهم الجنة وأرزاقهم فيها بغير حساب] (١٦) قوله (١٧) ﴿قل إنني أمرت أن أعبد الله﴾ قال مقاتل (١٨): (إن كفار قريش قالوا للنبي) (١٩) ﷺ: ما يحملك على الذي أتيت به؟ ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وسادة قومك يعبدون اللات والعزى فتأخذ بها فأنزل الله ﴿قل﴾ يا محمد ﴿إنني﴾

- (١) من (ج، هـ).
 (٢ - ٣) انظر أسباب النزول للواحد ص ٣٨٨ ومعالم التنزيل ٧٣/٤ والدر المنثور ٣٢٤/٥ وقال أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية وابن عساکر عن ابن عمر.
 (٤) عمار بن ياسر هو: عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي أبو اليقظان مولى بني مخزوم صحابي جليل مشهور من السابقين الأولين بدرى قتل مع علي بصفين سنة سبع وثلاثين هجرية (انظر تقريب التهذيب ٤٨/٢).
 (٥) من (ب).
 (٦) «الآية ١١٣ من سورة آل عمران».
 (٧) في (ب، ج، د، هـ) يا عبادي.
 (٨) في (د) وحسنوا.
 (٩) انظر جامع البيان ١٣٠/٢٣ ومعالم التنزيل ٧٣/٤ وتفسير القرآن العظيم ٤٧/٤، ٤٨.
 (١٠) من (د).
 (١١) سورة النساء / آية ٩٧.
 (١٢) في (ج، د) بمشقة.
 (١٣) من (د).
 (١٤) في (د) فلما.
 (١٥) انظر معالم التنزيل ٧٤/٤ والدر المنثور ٣٢٣/٥.
 (١٦) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).
 (١٧) من (أ).
 (١٨) انظر لباب التأويل ٧٠/٦ وزاد المسير ١٩٨/٧، ١٩٩.
 (١٩) في (ج) قال كفار قريش للنبي.

أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ﴿ أمرت أن أعبد على التوحيد والإخلاص لا^(١) يشوب عبادتي شرك ﴾ [وأمرت ﴿ بهذا ﴾ (لأن أكون أول المسلمين)]^(٢) من هذه الأمة ﴿ قل إنني أخاف إن عصيت ربي ﴾ بالرجوع إلى دين آبائي ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ ﴿ قل الله أعبد مخلصاً له ديني ﴾ بالتوحيد لا أشرك به شيئاً ﴿ فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ أمر تهديد. ﴿ قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم ﴾: بأن صاروا إلى النار ﴿ وأهلهم ﴾ من الأزواج والخدم^(٣) في الجنة. قال الزجاج: وهذا يعني به الكفار، فإنهم خسروا أنفسهم بالتخليد في النار وخسروا أهلهم لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم^(٤) أهل في^(٥) الجنة قوله^(٦):

لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْجَبُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأَوْلَىٰ ﴿١٨﴾

﴿ لهم من فوقهم ظلل من النار ﴾ يعني أطباقاً من النار تلتهم عليهم كقوله^(٧) تعالى ﴿ يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ﴾^(٨) الآية^(٩) ﴿ ومن تحتهم ظلل ﴾^(١٠) مهاد من النار. قال^(١١) السدي: وهي لمن تحتهم ظلل وهكذا حتى^(١٢) تنتهي إلى القعر^(١٣) ذلك ﴿ الذي وصف من العذاب ﴾ يخوف الله به عباده ﴿ المؤمنين يعني أن^(١٤) ما ذكر من العذاب معد للكفار^(١٥) وهو تخويف للمؤمنين ليخافوا فيتقوه^(١٦) بالطاعة والتوحيد. ثم أمرهم بذلك فقال: ﴿ يا عباد فاتقون ﴾ قوله^(١٧) ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ﴾ يعني الأوثان والشيطان^(١٨) ﴿ وأنابوا إلى الله ﴾ رجعوا إليه بالطاعة ﴿ لهم البشري ﴾ بالجنة ﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول ﴾^(١٩) يعني القرآن ﴿ فيتبعون أحسنه ﴾ قال السدي: يتبعون أحسن ما يؤمرون به فيعملونه^(٢٠). وقال عطاء عن ابن عباس إن أبا بكر الصديق^(٢١) رضي الله عنه آمن بالنبي ﷺ وصدقه فجاءه عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وسعيد^(٢٢) بن زيد، وسعد بن أبي وقاص (رضي الله عنهم)^(٢٣) فسألوه فأخبرهم بإيمانه فأمنوا ونزلت فيهم ﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول ﴾^(٢٤) (يعني من أبي

(١) في (د) ولا.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(١٤) ساقطة من (هـ).

(٣) ساقطة من (ج).

(١٥) في (هـ) للكافرين.

(٤) في (أ، د) هم.

(١٦) في (هـ) فيتقوا.

(٥) من (هـ).

(١٧) ساقطة من (ج، د).

(٦) من (ج، هـ).

(١٨) في (د) والشياطين.

(٧) في (د) لقوله.

(١٩) في (أ، هـ) عبادي.

(٨) سورة العنكبوت / آية ٥٥.

(٢٠) انظر جامع البيان ٢٣/١٣٢.

(٩) في (د) العذاب.

(٢١) ساقطة من (ج، هـ).

(١٠) ساقطة من (د).

(٢٢) في (د) وسعيد بن وقاص زيد.

(١١) في (ج) وقال.

(٢٣) من (ج).

(١٢) ساقطة من (د).

(١٣) انظر معالم التنزيل ٤/٧٤.

(٢٤) انظر جامع البيان ٢٣/١٢٣ وأسباب النزول للواحدي ص ٣٨٩ ومعالم التنزيل ٤/٧٥ والدر المثور ٥/٣٢٤.

بكر^(١) «فيتبعون أحسنه^(٢)» أي حسنه وكله حسن. ثم أثنى عليهم بيباقي الآية ووصفهم بالهداية والفضل، ثم ذكر من سبقت له^(٣) من الله الشقاوة فقال:

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقَهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَ السَّمَاءَ مَاءً فَسَلَكَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب﴾^(٤) قال ابن عباس: من سبق في علم الله أنه في النار أفأنت تنقذه فتجعله مؤمناً يعني^(٥) لا تقدر على ذلك قال عطاء: يريد أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان به^(٦) ﴿لكن الذين اتقوا ربهم﴾ بالإيمان والطاعة ﴿لهم غرف من فوقها غرف مبنية﴾ لهم منازل في الجنة رقيقة وفوقها منازل أرفع منها. وعدهم الله تلك (الغرف والمنازل)^(٧) وعداً لا يخفه وهو قوله ﴿وعد الله﴾^(٨) ﴿لا يخلف الله الميعاد﴾، ثم ذكر ما يدل على توحيد الله وهو قوله: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه﴾ أدخل ذلك الماء ﴿ينابيع في الأرض﴾ جمع ينبوع وهو يفعل من نبع الماء^(٩) ينبع والينابيع الأمكنة التي^(١٠) ينبع منها الماء. قال مقاتل: فجعله عيوناً وركاباً في الأرض^(١١) (ثم يخرج بذلك الماء (من الأرض زرعاً)^(١٢)) مختلفاً ألوانه من أصفر وأحمر^(١٣) وأخضر^(١٤) وأبيض، ﴿ثم يهيج﴾^(١٥) يجف^(١٦) يقال: هاج النبات يهيج هيجاً إذا جف جفافه. ﴿فتراه﴾ بعد الخضرة ﴿مصفرّاً ثم يجعله حطاماً﴾ دقاً متكسراً متفتتاً ﴿إن في ذلك لذكرى لأولي الأبواب﴾ تفكر لذوي العقول يذكرون به ما لهم فيه من الدلالة على توحيد الله وقدرته. وقوله^(١٧):

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِمَّنْ ذَكَرَ اللَّهُ أُوتِيكَ فِي ضَلَاكٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا نَقَشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ بِضَلَالٍ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سِوَىٰ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾

(١) ساقطة من (هـ).

(٢) ساقطة من (هـ).

(٣) ساقطة من (هـ).

(٤) في (هـ) حقت.

(٥) ساقطة من (هـ) وفي (د) لا معنى.

(٦) انظر أسباب النزول للواحدي ٣٨٩ ومعالم التنزيل ٧٥/٤.

(٧) في (ب، ج، د) المنازل والفرق.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من هـ.

(٩) في (ج) بالماء.

(١٠) ساقطة من (د).

(١١) انظر معالم التنزيل ٧٥/٤.

(١٢) في (ج) زرعاً من الأرض.

(١٣) ساقطة من (ج، د، هـ).

(١٤) ساقطة من (ب).

(١٥) ساقطة من (ج).

(١٦) في (ج) فيجف.

(١٧) في (ج، د، هـ) قوله.

﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾ أي (١) وسعه لقبول الحق . روي عن (٢) ابن مسعود أنه قال : تلا (٣) رسول الله ﷺ هذه الآية فقالوا : يا رسول الله وما هذا الشرح؟ قال (٤) : نور يقذفه الله في القلب فينفسح (٥) له (٦) القلب فقيل له : فهل لذلك من (٧) أمانة؟ قال : نعم . قيل : وما هي؟ قال : الإنابة (٨) إلى دار الخلود ، والتجافي (٩) عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت (١٠) . وقوله : ﴿فهو على نور من ربه﴾ قال قتادة : النور كتاب الله (عز وجل) (١١) به (١٢) يأخذ وإليه ينتهي . وقال (١٣) عطاء عن ابن عباس : فهو على يقين من ربه . وقال الزجاج (١٤) : تقدير الآية : أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن طبع على قلبه فلم يهتد لقسوته؟ ودل على هذا المحذوف قوله ﴿فويل للقاسية﴾ (١٥) قلوبهم (من ذكر الله) ﴿﴾ (١٦) قال مقاتل (١٧) : نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل (١٨) (لعنه الله) (١٩) وقال عطاء : نزلت في علي وحمنة (٢٠) وأبي لهب (٢١) وولده (٢٢)

(١) من (د) .

(٢) ساقطة من (د) .

(٣) في (هـ) قال .

(٤) ساقطة من (هـ) .

(٥) في (ب، ج) فينفسح وفي (د) فينسخ وفي (هـ) فيفسح ومعنى يفسح : يتسع انظر المفردات في غريب القرآن مادة (فسح) ص ٣٧٩ .

(٦) ساقطة من (ب، ج، د، هـ) .

(٧) ساقطة من (د) .

(٨) الإنابة : الرجوع إلى الله بالتوبة والإخلاص والعمل . انظر المفردات مادة (ناب) ص ٥٠٨ .

(٩) التجافي : البعد عن الشيء . يقال : جفاه إذا بعد عنه وأجفاه إذا أبعد . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١٠/١٦٨ .

(١٠) ذكره ابن كثير في التفسير مُرْسَلًا ومُتَّصَلًا ثم قال : فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة ليشد بعضها بعضاً . انظر تفسير القرآن العظيم ٢/١٧٤ ، وقال عنه الحافظ ابن حجر في تخریج الكشاف ٤/٩٥ رواه الثعلبي والحاكم والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود وفيه أبو فروة الرهاوي فيه كلام ثم ذكر أنه رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول وفي سننه رجل ضعيف اهـ . وذكره البغوي ٤/٧٦ ورواه الحاكم بألفاظ قريبة ولم يحكم عليه . انظر المستدرک للحاكم كتاب الرقاق ٢/٣٣١ ورواه صاحب العلل المتناهية ٢/٨٠٣ وقال : تفرد به عبد الله بن محمد بن المغيرة وروي من طرق كلها وهم ، وهو الصواب عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر عبد الله بن المسور مرسلًا عن النبي ﷺ - كذا قاله الثوري ، وابن المسور متروك ومصنف ابن أبي شيبة ١٣/٢٢١ ، ٢٢٢ عن أبي جعفر وابن مسعود والدر المنثور ٣/٤٤ ، ٤٥ وعيون الأخبار ٢/٣٢٨ عن عمرو بن مرة .

(١١) ساقطة من (ب) .

(١٢) ساقطة من (د) .

(١٣) في (أ، ب، د، هـ) قال

(١٤) انظر معاني القرآن ورقة ١٨٤ .

(١٥) القسوة : غلظة القلب وأصله من حجر قاس والمقاساة معالجة ذلك . انظر المفردات مادة (قسو) ص ٤٠٤ .

(١٦) من (ب، ج) .

(١٧) انظر لباب التأويل ٦/٧٢ .

(١٨) أبو جهل هو أبو جهل بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي قتل يوم بدر كافراً (انظر الكامل لابن الأثير ١/٢٣ ، دائرة المعارف الإسلامية ١/٣٢٢ والأعلام للزركلي ٥/٨٧) .

(١٩) من (ج) .

(٢٠) حمزة بن عبد المطلب ابن عم الرسول ﷺ استشهد يوم أحد (انظر أسد الغابة ٢/٥١) .

(٢١) أبو لهب واسمه عبد العزى بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وكني أبا لهب لإشراق وجهه (انظر سيرة ابن هشام ١/٩٩) .

(٢٢) انظر أسباب النزول للواحدي ٣٨٩ وزاد المسير ٧/١٧٤ والجامع لأحكام القرآن ٧/٥٦٩١ ولباب التأويل ٦/٧٢ .

وقوله ^(١) ﴿من ذكر الله﴾ قال الفراء والزجاج: عن ذكر الله كما تقول أتخمت من طعام أكلته وعن طعام أكلته سواء ^(٢) والمعنى: «أنه غلظ قلبه وصفا عن قبول ذكر الله تعالى ^(٣)» ^(٤) ﴿أولئك﴾ أي القاسية قلوبهم ﴿في ضلال مبين﴾ (قوله تعالى) ^(٥) ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ يعني القرآن وسمي حديثاً لأن النبي ﷺ كان يحدث قومه ويخبرهم بما نزل عليه منه. وقوله: ﴿كتاباً متشابهاً﴾ أي ^(٦) يشبه بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً ليس فيه اختلاف ولا تناقض. ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ خوفاً مما في القرآن من الوعيد. ومعنى تقشعر تأخذهم تشعيرة وهي تقشع يحدث ^(٧) في جلد الإنسان عند الوجل والخوف، أخبرنا أبو سعد ^(٨) عبد الرحمن بن حمدان العدل، نا ^(٩) علي بن سعيد بن العباس الرزاز نا أبو شعيب الحراني ^(١٠)، نا يحيى بن عبد الحميد الحماني، نا عبد العزيز بن محمد ^(١١)، عن يزيد بن الهاد ^(١٢)، عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أم كلثوم بنت العباس، عن العباس بن عبد المطلب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت ^(١٣) عنه ذنوبه كما يتحات ^(١٤) عن الشجرة اليابسة ورقها ^(١٥)». قال الزجاج: إذا ذكرت آيات العذاب أقشعرت جلود الخائفين الله ^(١٦) تعالى ^(١٧). ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم﴾ ^(١٨) إذا ذكرت آيات الرحمة. وهذا معنى ^(١٩) قول جميع المفسرين ^(٢٠) وقوله ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم﴾ أي تطمئن ^(٢١) وتسكن ﴿إلى ذكر الله﴾ الجنة والثواب، فحذف مفعول الذكر للمعلم به ^(٢٢) قال قتادة: هذا نعت أولياء الله تعالى ^(٢٣) نعتهم

(١) في أ، هـ قوله.

(٢) ساقطة من (ج، د).

(٣) ساقطة من (د).

(٤) في (هـ) تحدث.

(٥) ساقطة من (د).

(٦) من (ج).

(٧) انظر معاني القرآن للفراء ٤١٨/٢ ومعاني القرآن للزجاج صحيفة رقم ١٨٤.

(٨) في (د) أنا.

(٩) من (ج).

(١٠) أبو شعيب الحراني هو عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الأموي المؤدب عاش تسعين سنة وكان ثقة توفي سنة خمس وتسعين ومائتين من الهجرة رحمه الله (انظر العبر ١٠١/٢).

(١١) عبد العزيز بن محمد الدراوردي، أبو محمد الجهني، مولا هم، المدني صدوق كان يحدث من كتب غيره فيخطيء، قال عنه النسائي: حديثه عن عبد الله العمري منكر، من الثامنة، مات سنة ست أو سبع وثمانين. انظر (التقريب ٥١٢/١).

(١٢) يزيد بن عبد الله بن الهاد الليثي أبو عبد الله المدني ثقة من الخامسة مات سنة ٣٩ قال أحمد: ليس به بأس، وقال ابن معين والنسائي: ثقة (تهذيب التهذيب ٣٤٠/١١، التقريب ٣٦٧/٢).

(١٣) تحاتت أي تساقطت. انظر النهاية لابن الأثير ٢٠٠/١.

(١٤) في (هـ) تتحات.

(١٥) رواه البزار وفيه أم كلثوم بنت العباس قال صاحب مجمع الزوائد: لم أعرفها وبقية رجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد ٣١٠/١ وكره صاحب السراج المنير ١٠٥/١ وقال: قال الشيخ: حديث ضعيف وانظر لباب التأويل ٧٣/٦.

(١٦) انظر معاني القرآن واعرابه للزجاج صحيفة رقم ١٨٤.

(١٧) من (ب).

(١٨) اللين ضد الخشونة ويستعمل ذلك في الأجسام ثم يستعار للخلق وغيره من المعاني فيقال: فلان لين، وفلان خشن، وكل واحد منهما يمدح به طوراً ويذم به طوراً بحسب اختلاف المواقع واللين في هذه الآية الكريمة إشارة إلى إدعائهم للحق وقبولهم له وتأبيهم منه وإنكارهم إياه (المفردات مادة لين ص ٤٥٧).

(١٩) من (د).

(٢٠) من (د).

(٢١) انظر معالم التنزيل ٧٦/٤ وتفسير القرآن العظيم ٥٠/٤، ٥١.

(٢٢) من (ب).

(٢٣) في (د) تطمئنان.

الله بأنهم تشعرون جلودهم وتطمئن^(١) قلوبهم إلى ذكر الله ولم يعتنهم بذهاب عقولهم والغشيان^(٢) عليهم، إنما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان^(٣). ﴿ذلك﴾. يعني أحسن الحديث وهو القرآن ﴿هدى الله﴾ الآية قوله^(٤): ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة﴾^(٥) نزلت في أبي جهل، قال الكلبي: ينطلق به إلى النار مغلولاً^(٦)، فإذا رمت به الخزنة فيها لم يتقها بأول من وجهه^(٧). قال الزجاج: المعنى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن يدخل الجنة^(٨). وتم الكلام. ثم أخبر عما تقول^(٩) الخزنة للكفار بقوله: ﴿وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾ قال عطاء: يريد جزاء ما كنتم تعملون.

كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

﴿كذب الذين من قبلهم﴾ من قبل^(١٠)، كفار مكة كذبوا رسلهم بالعذاب إذ لم يؤمنوا ﴿فأذاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ يعني وهم^(١١) آمنون في أنفسهم غافلون عن العذاب. ﴿فأذاهم الله الخزي﴾ الهوان والعذاب ﴿في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر﴾^(١٢) مما أصابهم في الدنيا ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لكنهم لم يعلموا ذلك قوله^(١٣):

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾

﴿ولقد ضربنا للناس﴾ لأهل^(١٤) مكة ﴿في هذا القرآن من كل مثل﴾ بينا لهم ما يشبه حالهم ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون فيعتبرون ﴿قرآنًا عربيًّا﴾ حال من القرآن في قوله «في هذا القرآن» ﴿غير ذي عوج﴾ مستقيم ليس بمختلف. أخبرنا الحسن بن أحمد العدل، أنا محمد بن الفضل بن محمد السلمي نا محمد بن حمدون بن خالد^(١٥)، نا (أبو هارون

(١) في (د) وتطئان وفي (هـ) فتطمئن.

(٢) الغشيان: الإغماء. انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٦٣/٣.

(٣) من (هـ).

(٤) انظر تفسير عبد الرزاق ٩٧٥/٣ ومعالم التنزيل ٧٧/٤ وتفسير القرآن ٥١/٤ وفتح القدير ٤٥٩/٤

(٥) من (ج).

(٦) غل: الغلل أصله تدرع الشيء وتوسطه ومنه الغلل للماء الجاري بين الشجر وقد يقال له الغيل وانغل فيما بين الشجر دخل فيه، فالغل

مختص بما يقيد به فيجعل الأعضاء وسطه وجمعه أغلال وغل فلان قيد به (المفردات مادة غل ص ٣٦٣)

(٧) المراد ألا يقابل النار بجزء من جسده قبل وجهه.

(٨) انظر معاني القرآن وأعرابه للزجاج صحيفة رقم ١٨٤.

(٩) في (د) يقول.

(١٠) ساقطة من (د).

(١١) ساقطة من (ب).

(١٢) من (ج).

(١٣) في (ج) من أهل.

(١٤) في (د) الحياة.

(١٥) محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد هو المحافظ الكبير أبو بكر النيسابوري أحد الأثبات قال الحاكم كان من الثقات الأثبات الجوالين في

الأقطار عاش سبعاً وثمانين سنة توفي سنة عشرين وثلاث مائة وقال الخليلي حافظ كبير (تذكرة الحفاظ ٨١٧/٣).

إسماعيل بن محمد، نا أبو صالح^(١) نا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: «غير ذي عوج» قال: غير مخلوق^(٢).

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

﴿ضرب الله مثلاً﴾ ثم بينه فقال: ﴿رجلاً فيه شركاء متشاكسون﴾ متنازعون مختلفون ﴿ورجلاً سلماً لرجل﴾ سلم له من غير منازع، ومن قرأ سلماً فهو مصدر وصف به على معنى ورجلاً ذا سلم لرجل من قولهم هو لك سلم أي مسلم لا منازع لك فيه^(٤) قال الزجاج «وهذا المثل ضرب لمن وحد الله (عز وجل)^(٥) ولمن جعل معه شركاء^(٦)» قال مقاتل: يقول هل يستوي عبد (يشترك فيه)^(٨) نفر مختلفون يملكونه جميعاً ورجل^(٩) خالص لرجل [لا شركة فيه]^(١١) لأحد؟ ثم قال: ﴿هل يستويان مثلاً﴾ أي يستوي من يعبد آلهة شتى مختلفة يعني الكافر والذي يعبد رباً واحداً يعني المؤمن؟ وهذا استفهام معناه الإنكار، أي لا يستويان، وذلك أن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وإحسانه [ما لا يستحقه]^(١١) صاحب الشركاء [المتعاشرين المختلفين]^(١٢) في أمره، وتم الكلام. ثم قال: ﴿الحمد لله﴾ أي له الحمد كله دون غيره من المعبودين ﴿بل﴾ أي دع الكلام الأول ﴿أكثرهم لا يعلمون﴾ ما يصيرون إليه من العقاب، والمراد بالأكثر الكل. ثم أخبر نبيه ﷺ^(١٣)، بأنه يموت، وأن هؤلاء الذين يكذبونه^(١٤) يموتون ويجمعون للخصومة عند الله، وهو قوله: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قال ابن عباس: يعني^(١٥) الحق والمبطل والظالم والمظلوم^(١٦). أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان، أنا أحمد بن جعفر بن مالك، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي نا ابن نمير، نا محمد بن عمرو، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير بن العوام قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قال الزبير: أي يا رسول الله أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟

(١) في (ج) أبو هارون إسماعيل بن محمد بن صالح.

(٢) عوج: العوج يقال فيما يدرك بالفكر والبصيرة كما يكون في أرض بسيط يعرف نقاوته بالبصيرة وكالدين والمعاش (المفردات مادة عوج) ص ٣٥١

(٣) انظر معالم التنزيل ٧٨/٤ وزاد المسير ١٧٩/٧.

(٤) اختلف في (رجلاً سلماً) فابن كثير وأبو عمر ويعقوب بالالف وكسر اللام اسم فاعل أي خالصاً من الشركة، وافقهم ابن محيصن والبيدي والحسن والباقر بفتح السين واللام بلا ألف مصدر وصف به مبالغة في الخلوص في الشركة (اتحاف فضلاء البشر ص ٣٧٥ والبحر المحيط ٤٢٤/٧).

(٥) في (ب) تعالى.

(٦) في (د) شريكاً.

(٧) انظر معاني القرآن وأعرابه للزجاج صحيفة ١٨٤.

(٨) في (د) يشارك وفي (هـ) مشترك فيه وفي (أ) شرك فيه.

(٩) في (أ)، ب، ج، ولرجل.

(١٠) في (ج) لا يشركه فيه.

(١١) في (أ)، ج، د، يستحق وفي (هـ) ولا يستحقه.

(١٢) في (أ) المتعاشرون المختلفون.

(١٣) من (ج، د، هـ).

(١٤) في (أ) يكذبون به.

(١٥) ساقطة من (هـ).

(١٦) انظر جامع البيان ٢/٢٤ ومعالم التنزيل ٧٨/٤.

(١٧) ساقطة من (هـ).

قال: نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا^(١) إلى كل ذي حق حقه. قال الزبير: والله إن الأمر لشديد^(٢) قوله^(٣):

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۗ﴾^(٣٢)
 وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

﴿فمن أظلم ممن كذب على الله﴾ بأن له ولداً وشريكاً، ﴿وكذب بالصدق﴾ أي^(٤) بالتوحيد والقرآن ﴿إذ جاءه
 أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾^(٥) مقام للجاحدين؟ وهو استفهام تقرير، يعني أنه كذلك. ﴿والذي جاء بالصدق﴾
 محمد ﷺ، ﴿وصدق به﴾ أبو بكر [رضي الله عنه]^(٦) وأصحابه وهم المؤمنون الذين صدقوا محمداً ﷺ بما جاء به من
 الإسلام، ﴿أولئك هم المتقون﴾ الذين اتقوا الشرك. ﴿لهم ما يشاءون عند ربهم﴾ لهم عند الله من الجزاء والكرامة ما
 يشاءون. ﴿ذلك جزاء المحسنين﴾ في أقوالهم وأعمالهم. ﴿ليكفر الله عنهم﴾، أي أعطاهم ما شاءوا ﴿ليكفر الله
 عنهم أسوأ الذي عملوا﴾. يسترها عنهم^(٧) بالمغفرة. ﴿ويجزئهم أجرهم﴾^(٨) بأحسن الذي كانوا يعملون ﴿قال
 مقاتل: يجزيهم بالمحسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي﴾^(٩). قوله^(١٠):

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ
 يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾

﴿أليس الله بكاف عبده﴾ يعني محمداً ﷺ يكفيه عداوة^(١١) من يعاديه ومن قرأ «عباده» فالمراد
 بالعباد الأنبياء^(١٢)، وذلك أن الأمم [قصدهم بالسوء]^(١٣) وهو قوله: ﴿وهمت كل أمة برسولهم﴾^(١٤)

(١) في (د، هـ) تردوا.

(٢) رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (١٦٤/١، ١٦٧) والترمذي في سننه كتاب التفسير تفسير سورة الزمر ٣٧٠/٥ وقال عنه أبو عيسى هذا حديث
 حسن صحيح انظر تحفة الأحوزي ١١٠/٩ - ١١١ والطبراني ورجاله وثقات. انظر مجمع الزوائد ١٠٠/٧ والحاكم في مستدرکه وقال
 عنه: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الذهبي: رواه مسلم. كتاب التفسير تفسير سورة الزمر ٤٣٥/٢ والطبري في جامع
 البيان ١/٢٤.

(٣) من (ب، ج). (٦) ساقطة من (أ).

(٤) ساقطة من (ب، هـ). (٧) في (أ) عليهم.

(٥) في (أ، ب، د، هـ) لما. (٨) ساقطة من (أ).

(١٢) اختلف في (بكاف عبده) فحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف «عباده» بألف على الجمع على إرادة الأنبياء والمطيعين من المؤمنين،
 وافقه الأعمش والباقر وغير ألف أي كافيك يا محمد أمر الكفار فالمفعول الثاني فيهما محذوف. (إتحاف فضلاء البشر ص ٣٧٥،

٣٧٦، والنشر ٣٦٢/٢، ٣٦٣، وجامع البيان ٥/٢٤ والبحر المحيظ ٤٢٩/٧ وتحبير التيسير ١٧٣).

(١٣) في (د) قصدهما بسوء.

(١٤) في (ج) طائفة.

فكفاهم (١) الله تعالى (٢) شر من عاداهم . يعني انه كافيك (٣) كما كفى هؤلاء الرسل قبلك . ﴿ ويخوفونك بالذين من دونه ﴾ أي بالذين (٤) يعبدون من دونه (وهم الأصنام) (٥) وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ [إنا نخاف] (٦) أن يصيبك من آلهتنا جنون أو خبل (٧) . ثم ذكر سبب ضلالهم ، فقال ﴿ ومن يضل الله فما له من هاد ﴾ ﴿ ومن يهد الله فما له من مضل ﴾ (٩) من تولى الله هدايته لم يضل أحد . ﴿ أليس الله بعزیز ﴾ غالب لا يمتنع عليه شيء ﴿ ذي انتقام ﴾ ممن عصاه وكفر به . ثم أعلم (١٠) أنهم مع عبادتهم الأوثان مقرون (١١) بأن الله خالق السموات والأرض ، فقال :

وَلِئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ لَيَقُوْلُنَّ اللهُ قُلْ اَفَرءَيْتُمْ مَا تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ اِنْ اَرَادَنِيَّ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفٰتُ ضُرِّيْهِ اَوْ اَرَادَنِيْ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُّمْسِكٰتُ رَحْمَتِيْهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُوْنَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يٰقَوْمِ اَعْمَلُوا عَلٰى مَكَانِيْكُمْ اِنِّيْ عَمِلْتُ فَسُوْفَ تَعْلَمُوْنَ ﴿٣٩﴾ مَنْ يٰتِيْهِ عَذَابٌ يُّخْزِيْهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيْمٌ ﴿٤٠﴾

﴿ ولئن سألتهم [من خلق السموات والأرض] ليقولن الله ﴾ (١٢) . ثم أمره أن (١٣) يحتج عليهم بشأن ما يعبدون من دون الله [لا يملك] (١٤) كشف ضر فقال : ﴿ قل أفرايتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : بمرض أو فقر [أو بلاء] (١٥) أو شدة . ﴿ هل هن كاشفات [ضره] هل تقدر الآلهة (١٦) أن تكشف ما ينزل بي (١٧) من ضر ﴾ (١٨) ﴿ أو أرادني برحمة ﴾ [بخير وصحة] (١٩) . ﴿ هل هن ممسكات رحمته ﴾ (٢٠) هل تقدر الآلهة (٢١) أن تحبس عني تلك الرحمة ، وقرئ ﴿ كاشفات ﴾ و ﴿ ممسكات ﴾ بالتنوين وبغيره (٢٢) فمن نون فلأنه غير واقع وما لم يقع من أسماء الفاعلين فالوجه فيه التنوين ، ومن أضاف فعلى الاستخفاف (٢٣)

(١) في (ج) وكفاهم .

(٢) من (ج)

(٥) في (ج) وهي الأصنام

(٦) في (د) أما تخاف .

(٣) في (ج ، د) كافيك .

(٧) في (د) وخبل .

(٤) في (ج) بالذي .

قال الحافظ السيوطي في الدر ٣٢٨/٥ أخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة قال : قال لي رجل : قالوا للنبي ﷺ : لتكنن عن شرم آلهتنا أو لنامرئها فلتخيلنك ، فنزلت ﴿ ويخوفونك بالذين من دونه ﴾ وذكره عبد الرزاق في تفسيره ٩٧٨/٣ والطبري في جامع البيان ٦/٢٤ والبيهقي في معالم التنزيل ٨٠/٤ وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٥٥/٤ وفتح الباري ٥٤٨/٨ وفتح القدير للشوكلي ٤٦٧/٤

(١٦) ساقطة من (هـ) وفي (د) أحد

(١٧) في (ج) به .

(١٨) في (أ ، ج ، د ، هـ) الضر

(١٩) في (ب ، ج) خيراً وصحة .

(٢٠) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) .

(٢١) من (أ) وفي (ج) أحد .

(٢٢) ساقطة من (أ) وفي (ب) وغيره .

(٢٣) في ب الاستخفاف .

(٨) في (هـ) يهدي

(٩) من (هـ) .

(١٠) في (د) أخبر .

(١١) في (هـ) يقرون .

(١٢) في (هـ) الآية .

(١٣) في (د) بأن

(١٤) في (ج) لا يملكون .

(١٥) في (ب ، د) أو بلاء .

وحذف التنوين، والمعنى على التنوين، وكلا الوجهين حسن^(١). قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ (عن ذلك)^(٢) فسكتوا، ولم يجيبوه^(٣) فقال الله^(٤) تعالى^(٥) للنبي ﷺ: ﴿قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ بالله يثق الواقفون^(٦) وما بعد هذا مفسر فيما سبق إلى قوله:

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا
أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي
قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ
أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ
جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾

﴿إنا أنزلنا عليك الكتاب﴾ القرآن ﴿لِلنَّاسِ﴾. قال ابن عباس: لجميع الخلق ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي ليس فيه شيء من الباطل ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ بالقرآن ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾. وهذه الآية مفسرة^(٧) في آخر سورة يونس^(٨). ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ لم يوكلك بهم ولا تؤخذ بهم. قال مقاتل: وهذا قبل أن يؤمر بالقتال. قوله ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ (حين موتها)^(٩) يعني^(١٠) الأرواح ﴿حين موتها﴾^(١١) عند أجلها. والمعنى حين موت أبدانها وأجسادها على حذف المضاف ﴿والتي لم تمت﴾ أي ويتوفى الأنفس التي لم تمت ﴿في منامها﴾ والتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز. قال الزجاج: لكل إنسان نفسان أحدهما^(١٢) نفس التمييز وهي التي^(١٣) تفارقه إذا نام فلا يعقل، والأخرى نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس، والنائم يتنفس^(١٤). وقوله ﴿فيمسك﴾ أي عن الجسد الروح التي قبضها حتى لا تعود^(١٥) إليه. وهو قوله ﴿التي قضى عليها الموت﴾، وقرئ قضى عليها الموت، والوجه القراءة الأولى^(١٦) لقوله ﴿الله يتوفى﴾. قوله^(١٧) ﴿ويرسل﴾ يعني^(١٨) ويرسل ﴿الأخرى﴾ أي^(١٩) إلى الجسد ﴿إلى

(١) واختلف في (كاشفات ضره) و(ممسكات رحمته) فأبو عمرو ويعقوب بتوين كاشفات وممسكات ونصب ضره ورحمته اسم فاعل بشرطه فيعمل عمل فعله ويتعدى لواحد بنفسه وإلى آخر بعن أي عني. وافقه المزيدي والحسن وابن محيصن من المفردة والباقون بغير تنوين فيهما وجر ضره ورحمته على الإضافة اللفظية. (إتحاف فضلاء البشر ٣٧٦، النشر ٣٦٣/٢، التحبير ١٧٣، والبحر المحيط ٤٢٩/٧-٤٣٠).

(٥) من (ج).

(٤) ساقطة من (هـ).

(٣) في (ج) يجيبوا.

(٢) ساقطة من (ج).

(٦) انظر معالم التنزيل ٨٠/٤ ولباب التأويل ٧٧/٦ الآية ١٠٣ من سورة الأنعام.

(٧) في (د) مفسر

(٨) الآية ١٠٨

(١٢) ساقطة من (د، هـ) وفي (ب) إحديتها.

(١٣) ساقطة من (د).

(٩) من (ج، هـ).

(١٤) انظر معاني القرآن واعرابه للزجاج صحيفة رقم ١٨٥.

(١٠) في (هـ) تتوفى الأنفس يعني.

(١٥) في (هـ) يعود

(١١) في (هـ) عنده.

(١٦) اختلف في (قضى عليها الموت) فحمزة والكسائي وخلف بضم القاف وكسر الضاد وفتح الباء مبنياً للمفعول والموت بالرفع نائب الفاعل وافقه الأعمش والباقون بفتح القاف والضاد مبنياً للفاعل والموت بالنصب مفعوله وللأزرق فيه الفتح والتقليل (انظر الاتحاف ٣٧٦ والنشر ٣٢٣/٢ وتحبير التيسير ١٧٣ والبحر المحيط ٤٣١/٧)

(١٩) ساقطة من (ج).

(١٨) في (ب، ج، د) معناه.

(١٧) في (ب، هـ) وقوله.

أجل مسمى ﴿ إلى انقضاء الأجل . قال سعيد بن جبير: يقبض أنفس الأحياء والأموات فيمسك أنفس الأموات ويرسل أنفس الأحياء فلا يغلط ^(١) ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في إمساك ما يمسك من الأرواح وإرسال ما يرسل منها . وقال مقاتل: لعلامات لقوم يتفكرون في أمر البعث يعني أن توفي ^(٢) نفس النائم وإرسالها بعد (التوفي) ^(٣) دليل على البعث ^(٤) ، وهذا كما روي أنه مكتوب في التوراة ^(٥) : يا ابن آدم كما تاتم تموت وكما تستيقظ تبعث . قوله: ﴿ أم اتخذوا ﴾ (من دون الله شفعاء) ﴿ ^(٦) نزلت في أهل مكة، زعموا أن الأصنام شفعاؤهم عند الله تعالى ^(٧) فقال الله منكرآ عليهم: [أم اتخذوا] أي بل اتخذوا ^(٨) «من دون الله» آلهة شفعاء ﴿ قل ﴾ يا محمد: ﴿ أولو كانوا ﴾ يعني الآلهة ﴿ لا يملكون شيئاً ﴾ من الشفاعة ﴿ ولا يعقلون ﴾ أنكم تعبدونهم، وجواب هذا الاستفهام محذوف تقدير أولو ^(٩) كانوا بهذه الصفة تتخذونهم . ثم أخبر أنه ^(١٠) لا شفاعة إلا باذنه فقال: ﴿ قل لله الشفاعة جميعاً ﴾ قال مجاهد: لا يشفع أحد ^(١١) إلا باذنه ^(١٢) والمعنى لا يملك أحد الشفاعة إلا بتملكه كما قال: ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه ﴾ ^(١٣) ، وفي هذا إبطال لشفاعة من ^(١٤) ادعت له الشفاعة من الآلهة . قوله:

وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾

﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ ^(١٥) معنى ^(١٦) الاشمزاز في اللغة : النفور والاستكبار . قال ابن عباس ومجاهد: اشمازت انقبضت عن التوحيد ^(١٧) .
وقال قتادة: استكبرت ^(١٨) ، وقال أبو عبيدة ^(١٩) : نفرت ^(٢٠) . وكان المشركون ^(٢١) إذا سمعوا «لا إله إلا الله وحده

(١) انظر جامع البيان ٧/٢٤ تفسير القرآن العظيم ٥/٤ .

(٢) في (ب) تنوفي .

(٣) في (هـ) النوم .

(٤) انظر معالم التنزيل ٨١/٤ .

(٥) التوراة: الكتاب المنزل على سيدنا موسى من عند الله تبارك وتعالى .

(٦) من (د) .

(٧) انظر جامع البيان ٨/٢٤ ومعالم التنزيل ٨١/٤ وزاد المسير ١٨٧/٧ .

(٨) سورة البقرة/ آية رقم ٢٥٥ .

(٩) ساقطة من (هـ) وفي (ج) لمن .

(١٥) قال البخاري: اشمازت نفرت . صحيح البخاري كتاب التفسير باب تفسير سورة الزمر ١٥٧/٦ .

(١٦) ساقطة من (هـ) .

(١٧) انظر تفسير مجاهد ٥٥٩/٢ وجامع البيان ٨/٢٤ وتفسير القرآن العظيم ٥٥/٤ ومعالم التنزيل ٨١/٤ .

(١٨) انظر جامع البيان ٨/٢٤ ومعالم التنزيل ٨١/٤ وتفسير القرآن العظيم ٥٥/٤ ، ٥٦ .

(١٩) في (أ) أبو عبيد .

(٢٠) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٩٠/٢ .

(٢١) في (أ، ب، ج، هـ) المشركين

لا شريك له» نفروا من هذا، لأنهم كانوا يقولون: الأوثان آلهة ﴿وإذا ذكر الذين من دونه﴾ يعني الأصنام التي (١) عبدوها من دونه ﴿إذا هم يستبشرون﴾ يفرحون (٢). قال مجاهد ومقاتل: يعني (٣) حين قرأ النبي ﷺ بمكة (٤) سورة النجم. فقال تلك الغرائق العلي. فرح (كفار مكة بذلك) (٥) حين سمعوا أن لها شفاعة. وما بعد هذا مفسر فيما تقدم (٦) إلى قوله: ﴿ويدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ قال مقاتل: ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة (٧). والمعنى أنهم كانوا يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام، فلما عوقبوا عليها (٨) بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا. وقد ظهر هذا في (٩) قوله: ﴿ويدا لهم سيئات ما كسبوا﴾ أي من (١٠) مساوئ أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله، ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ (أنزل) (١١) بهم (كل ما) (١٢) أنذرهم النبي ﷺ به (١٣) مما كانوا ينكرونه ويكذبون به قوله (١٤):

فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوْلَانَهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ فَذَقَلِمَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هُنَّ لَوْلَا سَيِّئَاتُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا لَهُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوْلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

﴿فإذا مس الإنسان﴾ يعني (١٥) الكافر ﴿ضر دعانا ثم إذا خولناه﴾ أعطيناه نعمة منا (١٦) من عندنا ﴿قال إنما أوتيته﴾ ذكر الكناية، لأن المراد بالنعمة الإنعام (١٧) وقوله: ﴿على علم﴾. قال مقاتل: على خير

(١) في (د) والتي.

(٢) في (د) يفرحون بها.

(٣) ساقطة من (هـ).

(٤) مكة: بيت الله الحرام وقال الشرفي: روي أن مكة اسم القرية ومكة مغزى. وقال آخرون بمكة موضع البيت. وما حول البيت مكة. انظر معجم البلدان ١٨٢/٥.

(٥) في (د) فرح بذلك كفار مكة حين.

(٦) عند تفسيره لقوله تعالى: «فاطر السموات والأرض» الآية ١٤ من سورة الأنعام: وباقي الآية مفسر في الآية ٣ من سورة الزمر.

وقال عند تفسيره لقوله تعالى ﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً﴾ إلخ الآية ٣٦ من سورة المائدة:

أخبرنا الله تعالى أن الكافر يوم القيامة لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها، ثم فدا بذلك نفسه من العذاب لم يقبل منه ذلك الفداء، ثم أخبر أنهم خالدون في النار (الوسيط ٨٦٢/٢).

(٧) انظر معالم التنزيل ٨٢/٤.

(٨) ساقطة من (د، هـ).

(٨) من (ج، د).

(٩) من (ج).

(٩) في (هـ) من

(١٥) من (ب، ج).

(١٠) ساقطة من (أ، هـ).

(١٦) ساقطة من (ب، ج، د، هـ).

(١١) في (د) نزل

(١٧) في (هـ) والأنعام.

(١٢) في (أ، ب، ج، هـ) كلما.

علمه الله عندي^(١) وقال غيره: على علم من الله بأني له أهل^(٢) «قال الله تعالى»^(٤) بل هي^(٥) فتنة لي بلوى يتلى بها العبد ليشكر أو ليكفر^(٦) «ولكن أكثرهم لا يعلمون» أن ذلك استدراج من الله لهم^(٧) وامتحان «قد قالها» أي قال تلك الكلمة وهي^(٨) قوله «إنما أوتيته على علم» قال مقاتل: يعني «قارون» حين قال إنما أوتيته على علم عندي^(٩) «الذين من قبلهم» يعني الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء «فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون» ما أغنى عنهم الكفر من العذاب شيئاً. والمعنى: أنهم ظنوا أن ما آتيناهم لكرامتهم علينا ولم يكن كذلك، لأنهم وقعوا في العذاب ولم يغن عنهم ما كسبوا شيئاً. وهو قوله: «فأصابهم سيئات ما كسبوا» أي جزاؤها^(١٠) يعني العذاب. ثم أوعد كفار مكة فقال: «والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين» لأن مرجعهم إلى الله فهم لا يعجزونه ولا يفوتونه فيجازيهم بأعمالهم «أو لم يعلموا أن الله ييسط الرزق لمن يشاء» قال مقاتل: وعظهم ليعتبروا في توحيد، وذلك حين أمطروا^(١١) بعد سبع سنين فقال: (أو لم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء)^(١٢) ويقرر على من يشاء. قوله

﴿قُلْ يٰٓعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٥٣) وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِأَحْسَرْتَنِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَىٰ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَاكٌ ءَايَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ المفسرون كلهم قالوا: إن هذه الآية نزلت في قوم خافوا إن أسلموا أن لا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام، كالشرك، وقتل النفس، ومعاندة النبي ﷺ، والقتال ضده^(١٣) والزنا. فأنزل الله تعالى^(١٤) هذه الآية وفرح النبي ﷺ بهذه الآية. ورآها أصحابه من أوسع الآيات

(١) ساقطة من (هـ).

(٢) انظر جامع البيان ٩/٢٤ والجامع لأحكام القرآن ٢٦٦/١٥ وتفسير القرآن العظيم ٥٧/٤ ومعالم التنزيل ٨٢/٤ والبحر المحیط ٤٣٣/٧.

(٣) انظر معالم التنزيل ٨٢/٤ وزاد المسير ١٨٨/٧ وتفسير القرآن العظيم ٥٧/٤.

(٤) (ج، د).

(٥) في (د) هو.

(٦) في (د) أو يكفر.

(٧) ساقطة من (ج).

(٨) في (أ، ج، هـ) وهو.

(٩) في (د) أو لم يعلموا أن الله ييسط الرزق يوسع الرزق.

(١٠) من (د).

(١١) في الأصل معه، والصواب: ضده، كي يستقيم المعنى حيث إن القتال معه ليس منكراً.

(١٢) من (د).

في مغفرة الذنوب^(١). أخبرنا [أبو القاسم السراج]^(٢) أنا^(٣) أبو الحسن محمد بن محمد بن الحسن^(٤)، أنا علي بن عبد العزيز، أنا القاسم بن سلام، حجاج علي بن جريح، حدثني يعلى بن مسلم أنه سمع سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تدعو إليه لحسن^(٥) لو تخبرنا أن لما^(٦) عملناه كفارة فنزلت هذه الآية^(٧) ومعنى ﴿أسرفوا على أنفسهم﴾^(٨) أي بالشرك والزنا وإراقة الدماء. ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾^(٩). وذلك أنهم ظنوا أنه لا توبة لهم ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ وعد بغفران الذنوب وإن كثرت. أخبرنا إسماعيل بن أبي القاسم النصراباذي، أنا أبو حامد^(١٠) أحمد بن محمد بن شارك^(١١)، أنا^(١٢) زكريا بن يحيى الساجي، نا عبد الأعلى (ابن حماد)^(١٣)، ناد حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد^(١٤) أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ^(١٥): ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾^(١٦) ولا يبالي به^(١٧) ﴿إنه^(١٨) هو الغفور الرحيم﴾^(١٩) أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الحافظ، أنا أبو بكر محمد بن

(١) انظر جامع البيان ١٠/٢٤، ١١، معالم التنزيل ٨٣/٤ والبخاري في صحيحه كتاب التفسير تفسير سورة الفرقان والجامع لأحكام القرآن ٢٦٨/١٥.

(٢) في (أ) أبو القاسم الزجاج. وأبو القاسم السراج هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله القرشي النيسابوري الفقيه توفي سنة ٤١٨ هـ (شذرات الذهب ٣/٢١٠ وتذكرة الحفاظ ٣/١٠٨٣، ١٠٨٤).

(٣) في (أ) نا.

(٤) أبو الحسن محمد بن محمد بن الحسن الكازوكي النيسابوري (اللباب في تهذيب الأنساب ٢/٣).

(٥) ساقطة من (أ).

(٦) في (د) ما.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير تفسير سورة الزمر ومسلم كتاب الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وجامع البيان ٦٤/٢٤ وتفسير القرآن العظيم ٥٨/٤.

(٨) أسرفوا: السرف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر (المفردات في غريب القرآن مادة سرف ص ٢٣٠، ٢٣١).

(٩) القنوط اليأس من الخير يقال يقنط قنوطاً وقنط يقنط (المفردات مادة قنط) ص ٤١٣.

(١٠) أبو حامد أحمد بن محمد بن شارك الفقيه الشافعي مقتي هراة ومحدثها ومفسرها توفي سنة خمس وخمسين وقيل سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة هجرية (شذرات الذهب ٣/٣٦٦).

(١١) في (ب، ج) شادان.

(١٢) في (د) نا.

(١٣) ساقطة من (أ).

(١٤) أسماء بنت يزيد بن السكن أم عامر وأم سلمة الأنصارية الأشهلية من المبايعات المجاهدات روت عن النبي ﷺ جملة أحاديث وقتلت بعمود خيائها يوم اليرموك وقيل عاشت إلى دولة يزيد بن معاوية (الاستيعاب ٤/١٧٨٧ - وأسد الغابة ٧/١٨) وتهذيب الكمال ١٦٧٧ وتهذيب التهذيب ١٢/٣٩٩ وسير أعلام النبلاء ٢/٢٩٦، ٢٩٧ وتهذيب الكمال ٤٨٨).

(١٥) وفي (د) يقول.

(١٦) القنوط: اليأس من الخير يقال قنط يقنط قنوطاً وقنط يقنط (المفردات مادة قنط ص ٤١٣).

(١٧) ساقطة من (ج، هـ، د).

(١٨) من (هـ).

(١٩) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/٤٥٤ والترمذي في سننه وقال عنه أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ثابت عن =

حشيش العدل نا^(١) أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي^(٢). نا محمد بن منصور^(٣). نا حجاج بن محمد، نا ابن لهيعة عن أبي قبيل^(٤) قال^(٥): سمعت أبا عبد الرحمن المقرئ يقول: حدثني أبو عبد الله الجبلائي أنه سمع ثوبان مولى رسول الله ﷺ يقول: إن رسول الله ﷺ قال: ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية «يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم [لا تقنطوا من رحمة الله]»^(٦)، ثم دعاهم إلى التوبة فقال: «وأنيبوا إلى ربكم» أي^(٧) ارجعوا من الشرك والذنوب إلى الله تعالى^(٨) فوحده «وأسلموا له» وأخلصوا^(٩) له التوحيد^(١٠) «من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون» لا تمنعون من عذاب الله «واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم» يعني القرآن. يقول أحلوا حاله وحرّموا حرامه. وقال السدي: الأحسن ما أمر الله به في كتابه^(١١) «من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة» يريد الموت، وذلك أنهم يموتون بغتة فيقعون في العذاب وهو قوله: «وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس» قال المبرد: أي بادوا خوف أن تقول وحذراً من أن تقول نفس^(١٢). وقال^(١٣) الزجاج: خوف أن تصيروا إلى حال تقولون فيها هذا القول^(١٤). «يا حسرتا»^(١٥) على ما فرطت^(١٦) في جنب^(١٧) الله قال الفراء: الجنب القرب، أي في قرب الله وجواره^(١٨) والجنب

- = شهر بن حوشب قال وشهر بن حوشب يروي عن أم سلمة الأنصارية وأم سلمة الأنصارية هي أسماء بنت يزيد. الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الزمر ٣٧٠/٥
- (١) في (د) أنا.
- (٢) أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي. محدث بغداد في وقته توفي سنة ٣٢١ هـ وله نيف وتسعون سنة (العبر ١٨٨/٢)، تاريخ بغداد ٣٥٨/٣، ٣٥٩.
- (٣) محمد بن منصور بن داود بن إبراهيم الطوسي أبو جعفر العباد وثقه النسائي وقال في موضع آخر لا بأس به وذكره ابن حبان في الثقات وقال مسلمة: ثقة توفي رحمه الله سنة ست وخمسين ومائتين هجرية. (تهذيب التهذيب ٩/٤٧٢).
- (٤) أبو قبيل هو حي بن هاني بن ناصر أبو قبيل المعافري المصري مات سنة ١٢٨ هـ (التهذيب ٣/٧٣، ٣٧٨/٥).
- (٥) أ، ج.
- (٦) ما بين المعقوفين ساقط من (د) وفي هـ أنه قال ﷺ.
- (٧) من (أ).
- (٨) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢٧٥/٥ والطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن. انظر مجمع الزوائد ٧/٥٠٠ كتاب التفسير تفسير سورة غافر.
- (٩) ساقطة من (هـ).
- (١٠) من (د).
- (١١) في (د) أخلصوا.
- (١٢) في (هـ) للتوحيد.
- (١٣) انظر جامع البيان ١٢/٢٤، ١٣، ومعالم التنزيل ٤/٨٥.
- (١٤) انظر معالم التنزيل ٤/٨٠ وزاد المسير ٧/١٩٢ وفتح القدير ٤/٤٧١.
- (١٥) في (د) قال.
- (١٦) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٨٦.
- (١٧) الحسرة معناها: الغم على ما فاتته والندم عليه وكأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه، أو انحسر قواه من فرط غم، أو أدركه إعياء عن تدارك ما فرط منه (المفردات مادة (حس) ص ١١٨).
- (١٨) فرط: قَصُر يقال: ما فرطت في كذا ما قَصُرْت. (المفردات مادة «فرط» ص ٣٧٦، ٣٧٧).
- (١٩) جنب الله أي أمره وحده الذي حده لنا. (المفردات مادة جنب ص ٩٩).
- (٢٠) انظر زاد المسير ٧/١٩٢ وفتح القدير ٤/٤٧١.

بمعنى القرب كثير في الكلام يقال: فلان يعيش في جنب فلان أي في قربه وجواره، ومنه قوله تعالى (١) ﴿والصاحب بالجنب﴾ (٢) والمعنى على هذا القول: على (٣) ما فرطت في طلب (٤) جنب الله، أي في طلب جواره وقربه وهو الجنة (٥). وهذا معنى قول ابن الأعرابي (٦) في قرب الله من الجنة وقال الزجاج: أي فرطت في الطريق الذي هو طريق الله من توحيده والإقرار بنبوة رسوله (٧) [صلى الله عليه وسلم] (٨) وعلى هذا: الجنب بمعنى الجانب أي قصرت في الجانب الذي يؤدي إلى (٩) رضا الله عز وجل (١٠). والمفسرون ذكروا هذه المعاني، فقال عطاء عن ابن عباس: ضيعت في ثواب الله، وقال مجاهد والسدي: في أمر الله (١١)، وقال الحسن: في طاعة الله (١٢). ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ أي (١٣) وما كنت إلا من المستهزئين بالقرآن وبالمؤمنين (١٤) في الدنيا، أو تقول ﴿لو أن الله هداني﴾ أرشدني إلى دينه ﴿لكنك من المتقين﴾ الشرك ﴿أو تقول حين ترى العذاب﴾ مشاهدة وعياناً ﴿لو أن لي كرة﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فأكون من المحسنين﴾ الموحيدين. ثم يقال لهذا القائل: ﴿بلى قد جاءتك آياتي﴾ يعني القرآن ﴿فكذبت بها واستكبرت﴾ (١٥) قلت: إنها ليست من الله تعالى (١٦) ﴿واستكبرت﴾ (١٧) تكبرت عن الإيمان بها (١٨) قوله:

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾
وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾

﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله﴾ فزعموا أن له ولداً أو (١٩) شريكاً ﴿وجوههم مسودة﴾ أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا (٢٠) عبد الله قحطبة، نا محمد بن الصباح، نا عمرو بن الأزهر عن أبي الربيع، عن كثير بن زياد قال: سئل الحسن عن هذه الآية ﴿يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ (٢١)

(١) ساقطة من (ب، هـ).

(٢) سورة النساء/ آية رقم ٣٦.

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) ساقطة من (ب).

(٥) فتح القدير للشوكاني ٤/٤٧١.

(٦) ابن الأعرابي هو: أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي اللغوي المعروف توفي سنة ٢٣١ هـ. نزهة الأولياء ١٢١.

(٧) انظر معاني القرآن وأعرابه للزجاج ورقة ١٨٦.

(٨) من (د).

(٩) في (د) في.

(١٠) من (د).

(١١) أنظر تفسير مجاهد ٥٥٩/٢ وجامع البيان ١٣/٢٤ ومعالم التنزيل ٨٥/٤.

(١٢) انظر جامع البيان ١٣/٢٤، ١٤ ومعالم التنزيل ٨٥/٤.

(١٣) ساقطة من (أ).

(١٧) ساقطة من (ب).

(١٨) ساقطة من (هـ).

(١٩) في (د) و.

(٢٠) في (د) أنا.

(٢١) ساقطة من (د).

(١٤) في الأصل والمؤمنين والأفضل وبالمؤمنين لأن إعادة العامل (حرف الجر) أبلغ.

(١٥) من (هـ).

(١٦) ساقطة من (أ).

فقال: هم الذين يقولون: الأشياء إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل^(١)، وباقى الآية مفسر في هذه السورة^(٢).

قوله: ﴿وينجي الله﴾ أي من جهنم ﴿الذين اتقوا﴾ الشرك ﴿بمفازتهم﴾ المفازة^(٣) الفوز هو الظفر بالخير والنجاة من الشر. قال المبرد: المفازة مفعلة من الفوز وهو السعادة وإن جمع فحسن^(٤) كقولك: السعادة والسعادات^(٥) والمعنى ينجيهم الله بفوزهم، أي بنجاتهم من النار، وفوزهم بالجنة ﴿لا يمسهم سوء﴾ لا يصيبهم العذاب ﴿ولا هم يحزنون﴾ لأنهم رضوا بالثواب.

اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَٰيٰتِ اللَّهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَ بِعِبَادَةِ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾

﴿الله خالق كل شيء﴾ أي إن^(٦) ما في الدنيا والآخرة فهو خالقه. ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾^(٧) أي الأشياء كلها موكولة إليه، فهو القائم بحفظها والتصرف فيها. ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ واحدا مقلدا^(٨) ومقلاد.

(١) انظر زاد المسير ١٩٣/٧.

(٢) عند الآية رقم ٣٢ من نفس هذه السورة الكريمة.

(٣) في (د) والمغازا.

(٤) في (هـ) فهو حسن.

(٥) انظر معالم التنزيل ٨٦/٤

(٦) ساقطة من أ، ج.

(٧) في (أ، ب، ج، هـ) قدير.

(٨) في المعرب للجواليقي ص ٣٦٢ المقليد (بكسر الميم) المفتاح فارسي معرب لغة في الإقليد والجمع مقاليد. قال ابن قتيبة: «مقاليد السموات والأرض» أي مفاتيحها وخزائنها لأن مالك المفاتيح مالك الخزائن واحدا وإقليد وجمع على غير واحد كما قالوا مذاكير جمع ذكر ويقال: هو فارسي معرب وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي: الإقليد، المفتاح، فارسي معرب. والمقليد لغة في الإقليد والجمع مقاليد. وانظر زاد المسير ١٩٤/٧. هذا ويجرنا هذا الكلام للحديث عن آراء العلماء في وجود بعض الكلمات غير العربية في القرآن الكريم أو عدم وجود ذلك. فنقول وبالله التوفيق:

«اختلف العلماء والأئمة في وقوع المعرب في القرآن الكريم، فالأكثرون كما يقول الإمام السيوطي في كتابه الإثقان - ومنهم الإمام الشافعي، وابن جرير، وأبو عبيدة، والقاضي أبو بكر، وابن فارس - على عدم وقوعه فيه. لقوله تعالى: ﴿قرآناً عربياً﴾ وقوله تعالى ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي﴾ وقد شدد الشافعي التكير على القائل بذلك وقال أبو عبيدة: إن أنزل القرآن بلسان عربي مبين فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول. وقال ابن أوس: لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها. وقال ابن جرير: ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك إنما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد وقال غيره بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعد مخالطة لسائر الألسنة في أسفارهم فعلمت من لغاتها ألفاظ غيرت بعضها بالنقص من حروفها واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح، ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل بها القرآن.

وقال آخرون فكل هذه الألفاظ عربية صرفة ولكن لغة العرب متسعة جداً ولا يبعد أن تخفى على الأكابر الجلة وقد خفي على ابن عباس

قال ابن عباس^(١) ومقاتل: يريد مفاتيح السموات والأرض بالرزق والرحمة^(٢)، وهو قول قتادة^(٣) وقال الليث:

= معنى فاطر وفتاح قال الشافعي في الرسالة: لا يحيط باللغة إلا نبي .

وقال أبو المعالي عزيز بن عبد الملك: إنما وجدت هذه الألفاظ في لغة العرب لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظاً ويجوز أن يكونوا سبقوا إلى هذه الألفاظ.

وذهب آخرون إلى وقوعه فيه . وأجابوا عن قوله تعالى ﴿قرآناً عربياً﴾ بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية . وعن قوله تعالى ﴿أعجمي وعربي﴾ بأن المعنى من السياق أكلام أعجمي ومخاطب عربي . واستدلوا باتفاق النحاة على أن منع صرف نحو إبراهيم للعلمية والعجمة . ورد هذا الاستدلال بأن الأعلام ليست محل خلاف . فالكلام في غيرها موجه بأنه إذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس وأقوى ما رأيت للوقوع وهو اختياري ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي مسرة التميمي الجليل قال: في القرآن من كل لسان (وروي) مثله عن سعيد بن جبير وهب بن منبه . فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين ونياً كل شيء فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليتمم إحاطته بكل شيء فاختر له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب ثم رأيت ابن النقيب صرح بذلك فقال: من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم . والقرآن احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبيشة شيء كثير انتهى . وأيضاً فالنبي ﷺ مرسل إلى كل أمة ، وقد قال تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ فلا بد وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم وإن كان أصله بلغة قومه هو (وقد) رأيت الجويني ذكر لوقوع المعرب في القرآن فائدة أخرى فقال: إن قيل إن استبرق ليس بعربي وغير العربي من الألفاظ دون العربي في الفصاحة والبلاغة فنقول لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركون هذه اللفظة ويأتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا عن ذلك وذلك لأن الله تعالى إذا حث عباده على الطاعة فإن لم يرغبم بالوعد الجميل ويخوفهم بالعذاب الوبيل لا يكون حثه على وجه الحكمة فالوعد والوعيد نظراً إلى الفصاحة واجب ثم إن الوعد بما يرغب فيه العقلاء وذلك منحصراً في أمور الأماكن الطيبة، ثم المآكل الشهية، ثم المشارب الهنية ثم الملابس الرفيعة ثم المناكح اللذيذة ثم ما بعده مما يختلف فيه الطبايع فإذا ذكر الأماكن الطيبة والوعد به لازم عند الفصيح ولو تركه لقال من أمر بالعبادة وعد عليها بالأكل والمشرب أن الأكل والشرب لا ألتذ به إذا كنت في حبس أو موضع كره، فلذا ذكر الله الجنة ومساكن طيبة فيها، وكان ينبغي أن يذكر من الملابس ما هو أرفعها وأرفع الملابس في الدنيا الحرير وأما الذهب فليس مما ينسج منه ثوب ثم إن الثوب من غير الحرير لا يعتبر فيه الوزن والثقل وربما يكون الصفيق الخفيف أرفع من الثقل الوزن وأما الحرير فكلما كان ثوبه أثقل كان أرفع فحيث وجد على الفصيح أن يذكر الأثقل الأثخن ولا يتركه في الموعد لثلا يقصر في الحث والدعاء . ثم إن هذا الواجب الذكر إما أن يذكر بلفظ واحد موضوع له صريح أو لا يذكر بمثل هذا ولا شك أن الذكر باللفظ الواحد الصريح أولى لأنه أوجز وأظهر في الإفادة وذلك استبرق فإن أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ويأتي بلفظ آخر لم يمكنه لأن ما يقوم مقامه إما لفظ واحد أو ألفاظ متعددة ولا يجد العربي لفظاً واحداً يدل عليه لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ولم يكن لهم بها عهد ولا وضع في اللغة العربية للديباج الثمين اسم وإنما عربوا ما سمعوا من العجم واستغنوا به عن الوضع لقلته وجوده عندهم وندرة تلفظهم به، وأما إن ذكره بلفظين فأكثر فإنه يكون قد أدخل بالبلاغة لأن ذكر لفظين بمعنى يمكن ذكره بلفظ تطويل فعلم بهذا أن لفظ استبرق يجب على كل فصيح أن يتكلم به في موضعه ولا يجد ما يقوم مقامه وأي فصاحة أبلغ من أن لا يوجد غيره مثله انتهى .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن أهل العربية والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنهما وقعت للعرب فعربت بالسنها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال أنها عربية فهو صادق ومن قال عجمية فصادق ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون .

(انظر الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ١/١٣٦: ١٣٨).

(١) انظر جامع البيان ١٦/٢٤ وزاد المسير ٧/١٩٤ .

(٢) انظر معالم التنزيل ٨٦/٤ وفتح القدير ٤/٤٧٤ .

(٣) انظر جامع البيان ١٦/٢٤ ومعالم التنزيل ٨٦/٤ وتفسير القرآن العظيم ٦١/٤ وفتح القدير ٤/٤٧٤ .

المقلاد الخزانة ومقاليد [السموات والأرض] (١)، خزائنها (٢)، وهو قول الضحاك.

﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ يعني القرآن ﴿أولئك﴾ (٣) ﴿هم الخاسرون﴾ خسروا حين صاروا إلى النار. ثم أعلم أنه إنما ينبغي أن يعبد الخالق وحده فقال: قل (٤) لهم (٥) ﴿أفغير الله تأمروني أعبد﴾. قال مقاتل: وذلك أن كفاً قریش دعوه إلى (٦) دين آياته (٧). وفي ﴿تأمروني﴾ وجوه من القراءة: «تأمروني» بنونين وهو الأصل، «وتأمروني» بنون مشددة على إسكان الأولى، وإدغامها في الثانية، «وتأمروني» بنون خفيفة (٨) على حذف إحدى النونين (٩) وقول ﴿أيها الجاهلون﴾ أي (١٠) فيما تأمروني. ثم حذره أن يتبع دينهم فقال: ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ (١١) قال ابن عباس: هذا أدب من الله تعالى (١٢) لنبية ﷺ، وتهديد لغيره لأن الله تعالى (١٣) قد عصمه من الشرك ومداهنة (١٤) الكفار (١٥). ثم أمره (١٦) بتوحيده فقال: ﴿بل الله فاعبد﴾ قال [عطاء ومقاتل] (١٧): وحده (١٨)؛ لأن عبادته لا تصح إلا بتوحيده ﴿وكن من الشاكرين﴾ لإنعامه عليك. قوله (١٩):

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ

(١) في (ج) الأرض والسموات.

(٥) ساقطة من (ج).

(٢) انظر فتح القدير ٤/٤٧٤.

(٦) في (د) إذا.

(٣) في (ب) وأولئك.

(٧) انظر معالم التنزيل ٤/٨٦ وتفسير القرآن العظيم ٤/٦١ والبحر المحيط ٧/٤٣٨.

(٤) ساقطة من (ج، هـ).

(٨) في (هـ) مخففة

(٩) اختلف في (تأمروني) فنافع وأبو جعفر بنون خفيفة على حذف إحدى النونين والمختار مذهب سيبويه أنها نون الرفع، وقيل نون الوقاية، وكلاهما فتح الياء وقرأ ابن عامر بخلف عن ابن ذكوان بنونين خفيفتين مفتوحة فمكسورة على الأصل وهو الذي عليه أكثر الروايات عن ابن ذكوان من طريقه. ورواه ابن شاذان عن زيد عن الرملي عن السوري عن ابن ذكوان بنون واحدة مخففة كنافع. وكذا رواه ابن هارون عن الأخفش وتقدم لابن عامر سكون الياء، والباقون بنون مشددة أدغمت نون الرفع في نون الوقاية وفتح الياء منهم ابن كثير (اتحاف فضلاء البشر ص ٣٧٦ - ٣٧٧ والنشر ٢/٣٦٣، ٣٦٤ تحبير التيسير ١٧٣، البحر المحيط ٧/٤٣٩).

(١٠) ساقطة من (ب، هـ).

(١١) حبط العمل على أوجه: أحدها: أن تكون الأعمال دنيوية فلا تغني في القيامة غناء كما قال تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾ والثاني: أن تكون أعمالاً أخروية لكن لم يقصد بها صاحبها وجه الله تعالى، والثالث: أن تكون أعمالاً صالحة ولكن بإزائها سيئات توفي عليها وذلك المشار إليه بخفة الميزان، وأصل الحبط من الحبط وهو أن تكثر الدابة أكلها حتى يتنفخ بطنها (انظر المفردات مادة حبط ص ١٠٦).

(١٢) من (أ).

(١٣) من (د).

(١٤) الإدهان في الأصل: مثل التدخين لكن جعل عبارة عن المداراة وترك الجد كما جعل التفرية وهو نوع الفراء عن البعير عبارة عن ذلك قال: (أبهذا الحديث أنتم مدهنون) قال الشاعر:

الحزم والقوة خير من الـ إدهان والقلة والهاع

وداهنت فلاناً مداهنة قال «ودوا لو تدهن فيدهنون» المفردات مادة دهن (ص ١٧٣، ١٧٤).

(١٥) انظر معالم التنزيل ٤/٨٦.

(١٦) في (ج) أمر.

(١٧) في (هـ) مقاتل وعطاء

(١٨) انظر زاد المسير ٧/١٩٥ وفتح القدير ٤/٤٧٥.

(١٩) في (د) وقوله.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالتَّائِبِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾

﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ أي (١) ما عظموه؛ إذ عبدوا غيره، وأمروا النبي ﷺ بعبادة غيره. ثم أخبر عن عظمته فقال: ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ القبضة في اللغة ما قبضت عليه بجميع كفك. وأخبر (٢) الله عن قدرته فذكر أن الأرض كلها مع عظمتها (٣) وكثافتها في مقدوره كالشيء الذي يقبض عليه القابض بكفه. فذكر القبضة وإن كان لا يقبض عليها تفهيماً لنا على عادة التخاطب فيما بيننا (٤)، لأننا نقول: هو في يد فلان وفي قبضته للشيء الذي يهون عليه التصرف فيه وإن لم يقبض عليه. وكذا (٥) قوله تعالى (٦): ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾ ذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار، يعني أنه يطويها بقدرته كما يطوي الواحد منا الشيء المقدور له طيه بيمينه. قال الأخفش: بيمينه، يقول: أي (٧) في قدرته نحو قوله ﴿وما ملكت أيما نكم﴾ (٨) أي ما (٩) كانت لكم عليه قدرة، وليس الملك لليمين دون الشمال وسائر الجسد (١٠) ثم نزه نفسه عن شركهم فقال ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ قوله: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض﴾ الآية (١١) [قال المفسرون] (١٢): مات من الفزع وشدة الصوت [أهل السماء والأرض] (١٣) ﴿إلا من شاء الله﴾ أخبرنا أبو الفتح محمد بن علي الكوفي الصوفي (١٤)، أنا أبو الحسن علي بن الحسن التميمي، نا محمد بن إسحاق الرملي، نا هشام بن عمار، نا إسماعيل بن عياش، عن عمر (١٥) بن محمد (١٦)، عن زيد بن أسلم، عن أبيه عن أبي هريرة [رضي الله عنه] (١٧) عن رسول الله ﷺ أنه: سأله جبريل (١٨) عن هذه الآية ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ من الذين (١٩) لم يشأ الله أن يصعقهم؟ قال: «هم الشهداء متقلدون أسياهم حول العرش» (٢٠) وهذا قول

(١) من (ج)

(٢) في (ب، ج، د، هـ) أخبر.

(٣) في (د) عظمها.

(٤) في (ب) بينها.

(٥) في (د) وكذلك.

(٦) من (د).

(٧) من في السموات ومن في الأرض، وفي (د) أهل السموات وأهل الأرض، في (هـ) أهل السموات والأرض.

(٨) ساقطة من (د).

(٩) في (د) عمرو.

(١٠) عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب نزيل عسقلان وثقه ابن سعد وأحمد وابن معين والعجلي وأبو داود وقال النسائي

ليس به بأس مات بعسقلان مرابطاً بها سنة خمس وأربعين ومائة هجرية (تهذيب التهذيب ٤٩٥/٧).

(١١) من (ج).

(١٢) في (أ) مثل.

(١٣) في (أ، ج، د، هـ) الذي.

(١٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٤/٢٠ والحاكم في المستدرک كتاب التفسير باب القراءة ٢٥٣/٢ وقال عنه: حديث صحيح الإسناد

ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وفردوس الأخبار بالفاظ قريبة ٢٤٢/٢، ٣١٢، ٣١٣ وتفسير القرآن العظيم ٦٤/٤.

الوسيط في تفسير القرآن المجيد/ج ٣/٣٨٣

سعيد بن جبير وعطاء عن ابن عباس^(١)، وقال مقاتل والسدي والكلبي: هو جبريل^(٢) وميكائيل وإسرافيل وملك الموت^(٣) ﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾ يعني نفخة البعث ﴿فإذا هم قيام﴾ [يعني الخلق كلهم قيام على أرجلهم ﴿ينظرون﴾ ينتظرون]^(٤) ما يقال لهم، وما يؤمرون به ﴿وأشرفت الأرض بنور ربها﴾ وهو أن الله (عز وجل)^(٥) يخلق في القيامة نوراً يلبسه وجه الأرض فتشرق به^(٦) من غير شمس ولا قمر ﴿ووضع الكتاب﴾ قال مقاتل: يعني كتب الأعمال^(٧) ﴿وجيء بالنبين والشهداء﴾ وهم الذين يشهدون للرسول بالتبليغ، وهم أمة محمد ﷺ، قاله ابن عباس^(٨). وقال عطاء^(٩): يعني الحفظة كقوله: ﴿معها سائق وشهيد﴾^(١٠) ﴿وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون﴾ لا ينقصون من ثواب أعمالهم. وهو قوله ﴿ووفيت كل نفس ما عملت﴾ أي ثواب ما عملت ﴿وهو أعلم بما يفعلون﴾ قال عطاء: يريد أي عالم بفعلهم لا أحتاج إلى كاتب^(١١) ولا شاهد^(١٢) قوله^(١٣):

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾

﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾ أفواجاً كفاراً كل أمة على حدة. والزمر جماعات^(١٤) في تفرقة بعضها على إثر بعض، واحدها زمرة.

وقوله: ﴿حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها﴾ وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم؟ أي^(١٥) من أنفسكم ﴿يتلون عليكم آيات ربكم﴾ يعني ما أنزل الله على الأنبياء. ﴿قالوا بلى، ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ وهو قوله «الأملاّن جهنم منك» ﴿وعمّن تمك﴾^(١٦) (منهم أجمعين) ﴿١٧﴾، ﴿١٨﴾.

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٢﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْثَقْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ

(١) انظر تفسير عبد الرزاق ٩٨١/٣ وجامع البيان ٢٠/٢٤ وفي الدر وعزاه إلى سعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر عن سعيد بن جبير ٣٣٦/٥.

(٢) في (هـ) جبرئيل.

(٣) انظر جامع البيان ٢٠/٢٤.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(٥) انظر جامع البيان ٢٢/٢٤ ومعالم التنزيل ٨٨/٤ وتفسير القرآن العظيم ٦٤/٤.

(٦) انظر جامع البيان ٢٢/٢٤، ٢٣، ومعالم التنزيل ٨٨/٤.

(٧) نظر معالم التنزيل ٨٨/٤ وتفسير القرآن العظيم ٦٤/٤.

(٨) سورة (ق) آية رقم ٢١.

(٩) في (ب)، (د) كتاب.

(١٠) انظر جامع البيان ٢٣/٢٤ ومعالم التنزيل ٨٨/٤.

(١١) من (ج)، (د).

(٥) في (د) تعالى.

(٦) في (أ، ج، د، هـ) الأرض.

(١٤) في (هـ) جماعة.

(١٥) ساقطة من (هـ).

(١٦) ساقطة من (هـ).

(١٧) من (ب).

(١٨) سورة (ص) آية ٨٥.

مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَأُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيَةً مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

قوله (١) ﴿وسيق الذين اتقوا (ربهم إلى الجنة)﴾ (١) (إلى قوله) (٢) ﴿وفتحت أبوابها﴾ «هذه الواو زيادة» عند الأخفش (٤) والكوفيين (٥)، والمعنى فتحت حتى يكون جواباً لقوله ﴿حتى إذا جاءوها﴾ كالذي في قصة سوق الكفار. وقال الزجاج (٦): القول عندي أن الجواب محذوف على تقدير حتى إذا جاءوها وكانت هذه الأشياء التي ذكرت إلى قوله ﴿فادخلوها خالدين﴾ دخلوها، فالجواب دخلوها (٧) حذف (٨)؛ لأن في هذا (٩) الكلام دليلاً عليه. وقوله ﴿سلام عليكم﴾ أخبر الله تعالى (١٠) أن خزنة الجنة يسلمون على المؤمنين ويخبرونهم بطيب مقامهم فيها. قال ابن عباس: ﴿طبتهم﴾ طاب لكم المقام (١١). وقال قتادة: إنهم قد طيبوا قبل دخول الجنة بالمغفرة واقتصر لبعضهم (١٢) من بعض فلما هذبوا وطيبوا قال لهم الخزنة: ﴿طبتهم فادخلوها خالدين﴾ (١٣). فلما دخلوها قالوا: ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ أي بالجنة ﴿وأورثنا الأرض﴾ أرض الجنة ﴿نتبأ﴾ (من الجنة) حيث نشاء (١٤) نتخذ (١٥) فيها من المنازل ما نشاء يقول الله تعالى (١٦): ﴿فنعلم أجر العاملين﴾ نعم ثواب المحسنين الجنة ﴿وترى الملائكة﴾ يومئذ ﴿حافين من حول العرش﴾ (١٧) محيطين محققين به، يقال حفَّ القوم بفلان إذا أطافوا (١٨) به ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ يحمدون الله (١٩) حيث أدخل (٢٠) الموحدون (٢١) الجنة ﴿وقضي بينهم﴾ بين الخلائق ﴿بالحق﴾ بالعدل ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ أهل الجنة (٢٢) يقولون ذلك شكراً لله على إنجاز وعده حين تم وعد الله لهم.

(١) في (د) قول.

(٢) ساقطة من (ج، هـ).

(٣) في (د) زمراً حتى إذا جاؤها.

(٤) انظر معاني القرآن للأخفش ٦٧٣/٢ ومغني اللبيب ٣٦٢/٢ والبحر المحيط ٤٤٣/٧.

(٥) انظر وجوه الإعراب والقراءات ١١٣/٢ ومغني اللبيب ٣٦٢/٢ والبحر المحيط ٤٤٣/٧.

(٦) انظر معاني القرآن وعرابه للزجاج ورقة ١٨٧.

(٧) في (أ، ج، هـ) منها وساقطة من (ب).

(٨) في (أ) دخولها.

(٩) في (ج) فتتخذ.

(١٠) في (ب) وحزفت.

(١١) من (د).

(١٢) من (أ).

(١٣) في (د) الحافين.

(١٤) ساقطة من (د).

(١٥) في (ب) طافوا.

(١٦) انظر معالم التنزيل ٨٩/٤ وزاد المسير ٢٠١/٧، ٢٠٢.

(١٧) ساقطة من (د).

(١٨) في (أ، ج، هـ) بعضهم.

(١٩) في (د، ج) دخل.

(٢٠) انظر معالم التنزيل ٨٩/٤.

(٢١) في الأصل: الموحدون، والصواب: الموحدين، لأنها في مقام المفعول به المنصوب بآلاء.

(٢٢) في (ج) وأهل.